سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٣٧	سورة آل عمران ١٦١	سورة النساء ٢٠٢	سورة المائدة ٢٥١
سورة الانعام ٢٨٠	سورة الاعراف ٣٠٥	سورة الانفال ٣٣١	سورة التوبه ٣٤٢	سورة يونس ٣٦٢
سورة هود ٣٧٤	سورة يوسف ٣٨٠	سورة رعد ٤٠٤	سورة ابرهيم ٤٠٩	سورة حجر ٤١٥
سورة نحل ٤٢١	سورة بنى اسرائيل ٤٣٤	سورة كهف ٤٤٧	سورة مريم ٤٦١	سورة طه ٤٦٩
سورة الانبياء ٤٧٨	سورة الحج ٤٨٦	سورة المؤمنون ٤٩٣	سورة النور ٤٩٩	سورة فرقان ٥١٤
سورة الشعراء ٥٢٠	سورة النمل ٥٢٨	سورة القصص ٥٣٦	سورة العنكبوت ٥٤٤	سورة الروم ٥٤٩
سورة اللقمان ٥٥٤	سورة السجدة ٥٥٧	سورة الاحزاب ٥٥٩	سورة السباء ٥٧٢	سورة الملائكة ٥٨٠
سورة يس ٥٨٥	سورة الصافات ٥٩٠	سورة ص ٥٩٧	سورة الزمر ٦٠٣	سورة المؤمن ٦١١
سورة فصلت ٦١٨	سورة الشورى ٦٢٣	سورة الزخرف ٦٢٨	سورة الدخان ٦٣٣	سورة الجاثية ٦٣٦
سورة الاحقاف ٦٣٨	سورة القتال ٦٤٢	سورة الفتح ٦٤٥	سورة الحجرات ٦٤٩	سورة ق ٦٥٤
سورة الذاريات ٦٥٧	سورة الطور ٦٦٠	سورة النجم ٦٦١	سورة القمر ٦٦٥	سورة الرحمن ٦٦٧

سورة الواقعة ٦٦٩	سورة الحديد ٦٧٣	سورة المجادلة ٦٧٦	سورة الحشر ٦٧٩	سورة الممتحنة ٦٨٣
سورة الصف ٦٨٥	سورة الجمعة ٦٨٦	سورة المنافقين ٦٨٧	سورة التغابن ٦٨٩	سورة الطلاق ٦٩٠
سورة التحريم ٦٩٢	سورة الملك ٦٩٤	سورة ن ٦٩٦	سورة الحاقة ٦٩٨	سورة المعارج ٧٠٠
سورة نوح ٧٠٢	سورة الجن ٧٠٣	سورة المزمل ٧٠٥	سورة المدثر ٧٠٧	سورة القيامة ٧١٠
سورة الدهر ٧١٢	سورة المرسلات ٧١٤	سورة النبأ ٧١٥	سورة النازعات ٧١٦	سورة عبس ٧١٨
سورة التكوير ٧١٩	سورة الانفطار ٧٢٠	سورة التطفيف ٧٢١	سورة الانشقاق ٧٢٢	سورة البروج ٧٢٣
سورة الطارق ٧٢٤	سورة الاعلى ٧٢٥	سورة الغاشية ٧٢٦	سورة الفجر ٧٢٧	سورة البلد ٧٢٩
سورة الشمس ٧٣٠	سورة الليل ٧٣٠	سورة الضحى ٧٣١	سورة الم نشرح ٧٣٢	سورة التين ٧٣٢
سورة العلق ٧٣٣	سورة القدر ٧٣٣	سورة لم يكن ٧٣٤	سورة الزلزلة ٧٣٥	سورة العاديات ٧٣٥
سورة القارعة ٧٣٦	سورة التكاثر ٧٣٦	سورة العصر ٧٣٦	سورة الهمزة ٧٣٧	سورة الفيل ٧٣٧
سورة قريش ٧٣٧	سورة الدين ٧٣٨	سورة الكوثر ٧٣٨	سورة الكافرون ٧٣٨	سورة النصر ٧٣٩
سورة تبت ٧٤٠	سورة الاخلاص ٧٤١	سورة الفلق ٧٤٢	سورة الناس ٧٤٣	

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله القادر العليم ۞ رب العالمين بفضله العميم ۞ خالق الإنسان في أحسن تقويم ۞ الرحمن برحمة عمت أهل الجنة والجحيم ۞ الرحيم برحمة خصت بالأبرار الذين هم في نعيم ۞ مالك يوم الدين يوم تدان كما تدين ۞ إياك نعبد نخصك بالعبادة كما هو دأب أهل السعادة ۞ وإياك نستعين في القيام بمهام الدنيا ومنافع الأخرى ۞ اهدنا الصراط المستقيم صراط المبعوثين ۞ بالدين القويم ۞ الذين أنعمت عليهم من النبيين والمرسلين ۞ والشهداء والصالحين ۞ غير المغضوب عليهم من المعاندين والجاحدين ۞ ولا الضالين من الغاوين والجاهلين ۞ والصلاة والسلام على خير خليقته محمد الذي أرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ۞ أنزل عليه قرآنا لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۞ وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ۞ وأصحابه الذين رفعوا الحق ودمروا الباطل تدميرا أما بعد فإنه لما كان تفسير القرآن العظيم والتدبر في آياته موقوفا على فنون كثيرة من العلوم العقلية والنقلية كما سيجيء بيانه تصفحت الكتب المصنفة في علم التفسير التي وقعت إلي فلم أطلع على كتاب مهذب جامع لما يفتقر إليه من غير فيه ورأيت رغبة الطالبين في مصنف شأنه هذا وأشار إلي من إشارته حكم وطاعته حتم بتأليف كتاب واف ببيان حقائقها كاف لاستيفاء لطائفها فاستخرت الله تعالى وشرعت في تصنيفه على الوجه المشار إليه مع قلة البضاعة وقصور الباع في الصناعة وسميته أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية فأسأل الله الإصابة في البيان والعصمة من الخطل والطغيان والمسؤول ممن هو منصف وعن الاعتساف منصرف أنه إذا اطلع على خطأ أصلحه مساعدة لإخواننا ومعاضدة لإعانتنا فإن الخطايا معترف وبالعجز والقصور معترف اللهم وفقنا لسلوك سبيل الرشاد ويسر لنا الاستقامة والسداد وجنبنا عن التعسف والعناد اعلم أن من حاول علما فحقيق بأن يتصور حده ليكون الطلب على سبيل البصيرة ويعرف مسائله وما يبحث في ذلك العلم عن أحواله ومباديه والغرض منه وجدواه والحاجة إليه وغاية سعيه فيه لئلا يكون سعيه عبثا ورتبته من العلوم المرتبة فإن طالبه إذا اطلع في بادي الأمر على قواعده ومبانيه يرجى له الظفر بمقاصده ومباغيه فلنصدر ما نحن بصدده من تفسير القرآن المجيد بمقدمات تكشف عنها المقدمة الأولى في بيان احتياج الإنسان إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدنيا والآخرة أما احتياجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدنيا فلأن الله تعالى خلق الإنسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه لاحتياجه إلى غذاء ومسكن ولباس وسلاح كلها صناعية ليس كسائر الحيوانات التي يحصل ما يحتاج إليه من الغذاء واللباس والمسكن والسلاح بغير صنعة والشخص الواحد لا يمكنه القيام بإصلاح تلك الأمور وترتيبها إلا في مدة طويلة قلما يعيش تلك المدة وإن عاش يعسر جدا التمكن فيه من إصلاحها فيسر الله تعالى بجماعة يتعاضدون في تحصيلها بأن يزرع هذا لذلك ويخبز ذاك لهذا ويخيط واحد لآخر ويتخذ الآخر الإبرة له وعلى هذا قياس سائر الأمور فيتم أمر معاش كل من أشخاص الإنسان بالاجتماع ومعاوضة بأن يعمل كل واحد لصاحبه ما بإزاء عمل صاحبه له ومعاوضته بأن يعطي كل واحد صاحبه من عمله بإزاء ما يأخذ منه من عمله فإن الإنسان يفتقر في أمر معاشه إلى الاجتماع على التعاضد والتعاوض والتعاون المجتمع عليها لا يستغني عن معاملة وعدل بينهم فإن كل واحد يشتهي ما يحتاج إليه ويغضب على من زاحمه فيه ويختار جميع ما يشتهيه لنفسه وحصول الشهوات

الدنيوية

من المعتزلة وذهب جمهور المعتزلة إلى أن العبد موجد لأفعاله الاختيارية لا على نعت الإيجاب بل على طريق الاختيار وقالوا الضرورة قاضية باستناد أفعالنا إلينا فإنا نجد التفرقة بين الأفعال الصادرة عنا بالاختيار وبين أفعال الجمادات واحتج على بطلان قول المعتزلة بوجوه الأول أن العبد حال الفعل إن لم يتمكن من تركه لم يكن مقدورا له على أنه إن شاء فعل وإن شاء ترك فلا يكون باختياره وإن تمكن من تركه احتاج فعله إلى مرجح ضرورة امتناع ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح من العبد لأنه لو كان منه يعود التقسيم فيه ولا يتسلسل بل ينتهي إلى مرجح موجب لا يكون من العبد فيلزم الجبر قيل المعتزلة يقولون معنى الاختيار هو استواء الطرفين بالنسبة إلى القدرة وحدها ووجوب وقوع أحدهما بحسب الإرادة فمتى حصل المرجح الذي هو الإرادة وجب الفعل ومتى لم يحصل امتنع وذلك لا ينافي استواء الطرفين بالنسبة إلى القدرة وحدها وحينئذ إن امتنع ترك الفعل من العبد عند الإرادة لم يلزم الجبر وعدم الاختيار وإنما يلزم ذلك لو كان امتناع ترك الفعل بغير الإرادة وأما إذا كان بالإرادة فلا أجيب بأن هذا الذي ذكرتم عن المعتزلة قول أبي الحسين البصري ليس قول سائر المعتزلة والكلام في إبطال قول سائر المعتزلة لا في إبطال قول أبي الحسين الثاني أن العبد لو كان موجدا لأفعاله بنفسه باختياره لكان عالما بتفاصيلها إذ لو جاز إيجاد الفعل بدون العلم به لجاز بالنسبة إلى إيجاد الله فلا يلزم عالمية الله تعالى واللازم باطل وإلا لكان محيطا بالسكنات المتخللة للحركات البطيئة وعرف أحيازها واللازم باطل فإن المتحرك بالحركات البطيئة قد يفعل السكون في بعض الأحياز والحركة في بعضها مع أنه لا شعور له بالسكون ولا بالأحياز قيل الإيجاد لا يستلزم علم الموجد بالموجد ولا يلزم نفي عالمية الله تعالى لأن مبنى العالمية لا يستدل [illegible] بالإيجاد عليها بل بإحكام الفعل وإتقانه نعم الإيجاد مع القصد يستلزم العلم لكن يكفي العلم الإجمالي والحركات الصادرة عنا مع اقترانها بالقصد بها تكون معلومة لنا على سبيل الإجمال أجيب بأن الجزئيات المفصلة الحاصلة بالفعل الصادرة من الفاعل بالقصد والاختيار وجب أن يتحقق بقصد جزئي والقصد الجزئي مشروط بالعلم الجزئي فيلزم أن لو كان موجدا لفعله باختياره لكان عالما بتفاصيله قيل بطلان اللازم ممنوع فإن العبد عالم بتفاصيل أفعاله لكن لم يبق العلم التفصيلي على ذكره فإن ههنا ثلاثة أمور العلم التفصيلي والشعور بأنه هو الذي يعلم ذلك الشعور في الذكر وليس يجب أن يكون العلم لأجل فقدان الأخريين والحق أن هذا المنع إنما يستقيم إذا كان المدعى العلم التفصيلي بعد انقضاء الفعل والكلام في حصول العلم التفصيلي حال التصدي للفعل والمنع حينئذ مكابرة الثالث لو اختار العبد وناقض مراده مراد الله تعالى بأن أراد العبد تسكين جسم وأراد الله تحريكه فإما أن يقع مرادكل منهما وهو محال لأن المانع من وقوع مراد كل منهما وقوع مراد الآخر فلو امتنع وقوع مراد كل منهما وهو محال وأيضا يلزم منه أن يكون الجسم متحركا ولا ساكنا وهو محال أو يقع مراد كل منهما فيلزم أن يكون الجسم في زمان واحد متحركا وساكنا معا وهو محال أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وهو محال لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور فوقوع أحد المرادين دون الآخر ترجيح بلا مرجح قيل يقع مراد الله دون مراد العبد عند اجتماع القدرتين ولا نسلم أن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور بل هما متفاوتتان في القوة والضعف ولذلك يقدر قادر على حركة في مدة لا يقدر قادر آخر عليها في تلك المدة ولو كانت القدرة متساوية لكانت المقدورات متساوية وليس كذلك وأيضا الضعيف لا يقدر بالاستقلال على فعل يقدر عليه القادر القوي والقادر القوي يقدر على منعه من ذلك الفعل وهو لا يقدر على منع القوي وهذا الدليل مأخوذ من دليل التمانع في إبطال كون الإله أكثر من واحد وهناك يتمشى لأن الآلهة تفرض متساوية في القدرة بلا تفاوت وههنا لا يتمشى احتجت المعتزلة على أن أفعال العبد باختياره بالمعقول والمنقول الأول أن العبد لو لم يكن مختارا أو متمكنا من الفعل والترك لقبح تكليفه لأنه حينئذ تكون أفعاله جارية مجرى أفعال الجمادات والتالي باطل لاتفاق العقلاء على أن التكليف ليس بقبيح أجيب بأن الإلزام مشترك لأن الفعل المأمور به عند استواء الداعيين ومرجوحية داعيه ممتنع وعند رجحانه واجب فيكون إما واجبا وإما ممتنعا فلا يكون مقدورا له فيقبح التكليف به ولأنه إن كان معلوم الوقوع بالنسبة إلى الله تعالى وجب وقوعه وإلا امتنع وقوعه فلا يكون مقدورا للعبد فيقبح تكليف العبد به الثاني من وجوه الأول الآية الدالة على إضافة أفعال العباد إليهم وتعليقها بمشيتهم كقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وقوله تعالى إن يتبعون إلا الظن وقوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله تعالى بل سولت لكم أنفسكم أمرا فطوعت له نفسه قتل أخيه وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله تعالى فمن شاء ذكره وقوله تعالى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر وعورض هذا الوجه بالآيات الدالة على جميع الأفعال بخلق الله نحو قوله تعالى الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون وقوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الثاني الآيات المشتملة على الوعد والوعيد والمدح والذم عليها نحو قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى وقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وقوله تعالى هل تجزون إلا ما كنتم تعملون وقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقوله تعالى ومن أعرض عن ذكري وقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا وقوله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وهي أكثر من أن تحصى أجيب بأن المقتضي للثواب والذم والعقاب السعادة والشقاوة قال الله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة وقال تعالى وأما الذين

فلا يكون ذلك المرجح

لزم وقوع مراد كل منهما

شقوا ففي النار والسعادة والشقاوة جبلية كتبت للعبد قبل وجوده شاهده قوله صلى الله عليه وسلم السعيد
من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه والاعمال الصالحات امارات للسعادة والاعمال السيئات علامات
للشقاوة وترتب الثواب على الاعمال الصالحات والعقاب على الاعمال السيئات من حيث ان الاعمال معرفات للثواب
والعقاب لا موجبات الثالث الآيات الدالة على اعتراف الانبياء بذنوبهم كقوله تعالى حكاية عن آدم ربنا ظلمنا انفسنا وعن
يونس اني كنت من الظالمين وعن موسى رب اني ظلمت نفسي وعورض بقوله تعالى حكاية عن موسى ان هي الا فتنتك تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء وغيرها من قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الرابع
الآيات الدالة على ان افعال الله لا تتصف بصفات افعال العباد من الظلم والاختلاف والتفاوت اما الظلم فكقوله
تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد
واما الاختلاف فلقوله تعالى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما التفاوت فلقوله تعالى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت واذا كان الظلم والاختلاف والتفاوت منفيا عن افعال الله يلزم ان تكون افعال العباد ليست
افعالا لله تعالى لان افعال العباد متصفة بالظلم والاختلاف والتفاوت فلا تكون افعال العباد مخلوقة لله اجيب
بان ما ذكرتم من الآيات لا تدل على ان افعال العباد غير مخلوقة له تعالى اما الآيات الدالة على نفي الظلم فلان كون الفعل ظلما
اعتبار عارض له بالنسبة الينا ليس بداخل في حقيقة الفعل ولا صفة حقيقية لازمة له فيجوز ان لا يكون الافعال
المنسوبة الى العباد متصفة بالظلم بالنسبة اليه تعالى لانه مالك لكل الاشياء بالاستحقاق ويكون متصفة
بالنسبة الينا لقصورنا ملكا او قصورنا استحقاقا وكون الفعل ظلما بالنسبة الينا لا يمنع صدوره واصل الفعل
عن الباري تعالى مجردا عن اعتبار كونه ظلما اذ لا امتناع في ان الفعل الصادر عنه تعالى يعرض له اعتبار كونه ظلما بالنسبة
الينا واما نفي الاختلاف والتفاوت الذي يدل عليه سياق الآيتين عن الافعال لان نفي الاختلاف والتفاوت عن افعاله
مطلقا فان مخلوقات الله تعالى مختلفة بالتفاوت في الرتبة والشرف وغيرهما من الاختلاف والتفاوت علم ان اصحابنا
لما وجدوا تفرقة بديهية بين ما نباشره من الافعال الاختيارية وبين ما نحسبه من الجمادات من الحركات الصادرة بلا
شعور واختيار ومنعهم البرهان الدال على ان الله تعالى خالق كل شيء اي شيء من اضافة الفعل الى اختيار العبد
مطلقا جمعوا بين امرين وقالوا ان افعال العباد واقعة بقدرة الله وكسب العبد على معنى ان الله اجرى عادته بان العبد
اذا صمم العزم على الطاعة يخلق فعل الطاعة فيه واذا صمم العزم على فعل المعصية يخلق فعل
المعصية فيه وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن موجدا وهذا القدر كاف في الامر والنهي وهذا
ايضا مشكل فان تصميم العزم ايضا فعل من الافعال المخلوقة لله تعالى فلا مدخل للعبد اصلا فيه ولصعوبة هذا المقام
انكر السلف عن المناظرة فيه لانه بحسب الغالب يؤدي المناظرة الى رفع الامر والنهي او الشرك بالله تعالى وقال اهل التحقيق
في هذا المقام لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين الامرين فههنا هو الحق بيانه ان الله تعالى يوجد القدرة والارادة في العبد
ويجعلهما بحيث لهما مدخل في الفعل لا بان تكونا القدرة والارادة لذاتهما مدخل في الفعل بل كونهما بحيث لهما مدخل
بخلق الله اياهما على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما فان جميع المخلوقات يخلق الله تعالى بعضها بلا واسطة وبعضها
بواسطة واسباب لا بان تكون الوسائط والاسباب لذاتها اقتضت ان يكون لها مدخل في وجود المسببات بل
بان خلقها الله تعالى بحيث لها مدخل فكون الافعال الاختيارية المنسوبة الينا مخلوقة لله وهو فاعلها وموجدها
بالاختيار ومقدورة للعبد بقدرة خلقها الله تعالى في العبد وجعلها بحيث لها مدخل في الفعل والاولى سلوك
في هذا المقام طريق السلف وترك المناظرة فيه وتفويض امره الى الله واعلم ان المعتزلة قالوا ان الفعل الحادث بالقدرة
من غير ان يختص بمحلها هو المخترع والفعل الحادث ابتداء بالقدرة في محلها هو المباشر كالاعتماد والفعل الحادث بالقدرة
وقع بحسب فعل آخر هو المتولد فعند المعتزلة المتولد من فعل العبد كالمباشرة فان حسن المدح على بعض الافعال المتولدة
والذم لبعضها يدل على العلم بان المتولد منسوب الينا فلو لم يكن العلم باسناد المتولد الينا حاصلا لما حسن المدح
على بعضها والذم لبعضها قيل ان المتولد غير مقدور لنا لانه لم يصح وجوده وعدمه منا لان عند سببه اعني الامر
الذي حصل بسببه المتولد وجب المتولد فلا يصح تركه منا فلا يكون مقدورا لنا اجيب بان الوجوب باختيار السبب
والوجوب باختيار السبب وجوب لاحق غير مناف للامكان لذاته المقتضي لكونه مقدورا قيل ان حسن المدح والذم
لا يدلان على العلم بان المتولد مضافا الينا لان حسن الذم حاصل مع علمنا باسناده الى غيرنا فانا نذم على القاء
الصبي في النار اذا احترق مع انا نعلم ان الحرق غير الملقي اجيب بان الذم للالقاء لا للاحراق فان الاحراق عند الالقاء
حسن لما فيه من رعاية العادات وعدم انتقاضها والقضاء عبارة عن وجود جميع المخلوقات في الكتاب المبين واللوح
المحفوظ مجتمعة ومجملة على سبيل الابداع والقدر عبارة عن وجودها منزلة في الاعيان بعد حصول شرائطها مفصلة
واحدة بعد واحد على سنن القضاء والى هذا اشار بقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
والاضلال الاشارة الى خلاف الحق والباس الحق بالباطل وفعل الضلالة في الانسان والاهلاك والابطال قال الله
فلن يضل اعمالهم اي لن يبطلها والهدى مقابل له مطلق على مقابلات هذه المعاني الاشارة الى الحق ورفع الالتباس وفعل
الهداية وعدم الاهلاك والابطال والاضلال والهداية بجميع المعاني من الله وعند المعتزلة الهداية بجميع المعاني يجوز
اسنادها الى الله تعالى والاضلال بالمعنيين الاولين منفيان عنه سبحانه وتعالى لانهما قبيحان والله تعالى منزه عن فعل القبيح

وعند اهل

وعند اهل السنة والجماعة لا قبح بالنسبة الى الله تعالى [illegible]

[illegible]

غير مختار في فعله ولا يستقل بتحصيله فلا يستقل العقل بان يحكم بحسنه او قبحه ولا نزاع في ان التكليف حسن وهو
مأخوذ من الكلفة وهي المشقة ومعناه طلب من يجب طاعته على جهة الابتداء ما فيه مشقة بشرط الاعلام فيندرج في
قوله من يجب طاعته الله ورسوله واولو الامر والوالد والسيد ويخرج عنه غيرهم وبشرط الابتداء لان طلب هؤلاء انما
يكون تكليفا اذا لم يسبقه غيره الى الطلب فلهذا لا يقال للاب اذا امر ابنه بالصلاة انه مكلف له لان طلب الصلاة من الله
سابق على طلب الاب واعتبار المشقة انما هو ليتحقق اصل مفهوم التكليف واشتراط الاعلام لان المكلف اذا لم يعلم
طلب المكلف لم يكن مكلفا واحتج المعتزلة على حسن التكليف بانه مشتمل على مصلحة لا تحصل بدون التكليف وهي التعريض
لمنافع عظيمة لا تحصل بدون التكليف ومنها استحقاق التعظيم فان التفضل بالتعظيم من غير استحقاق قبيح سواء كان ممن
يستحيل عليه النفع والضر او كان لا يستحيل ومنها التعظيم المستحق فانه لا يمكن ان يحصل بمجرد التفضل من غير الاستحقاق
قيل عليه ان التكليف لاجل النفع بمثابة جرح الانسان غيره ثم يداويه كما ان ذلك قبيح كذلك التكليف وان التكليف لاجل
ايصال النفع بمثابة المعاوضات فيشترط فيها رضى المتعاوضين وكذلك التكليف ينبغي ان يشترط فيه رضا المكلف والمكلف
ولا نسلم ان التكليف لاجل ايصال النفع ولم لا يجوز ان يكون شكرا على النعم السابقة واجيب بان الجرح مضرة صرفة والذي
لا يكون الا التخلص منها بخلاف التكليف فان فيه منافع عظيمة ليس هو التخلص من المشقة الحاصلة بسببه وان المعاوضات
انما يحتاج الى رضى الجانبين لاختلاف اغراض الناس في المعاملات بخلاف التكليف فان الثواب الحاصل بسببه لم يختلف
العقلاء في اختياره فلا يحتاج الى رضا المكلف وان الشكر لا يشترط فيها المشقة فلا يكون التكليف شكرا والا لخرج النعمة
بسبب وقوع المشقة في مقابلها عن كونها نعمة والحق ان من يستحيل عليه النفع والضر لا يمشي فيه هذه الوجوه وقد بين
حسن التكليف على طريقة الحكماء بما ذكر في اثبات النبوة ووضع اللغات المقدمة الثالثة والعشرين فانه تعالى لا يجب عليه
لانه لو وجب فان لم يستوجب الذم بتركه لم يكن واجبا وان استوجب كان الباري مستكملا بفعله فانه يتخلص بفعله من الذم
والمعتزلة اوجبوا على الله تعالى امورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعة ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها
ان يفعل الاصلح لعباده في الدنيا ومنها ان لا يفعل القبيح عقلا اما اللطف فهو ان يفعل ما يقرب العبد الى الطاعة ويبعده
عن المعصية بحيث لا يؤدي الى الالجاء فهو واجب لان اللطف يحصل به الغرض من التكليف وهو التعريض بالثواب لانه يقرب
المكلف من الطاعة ويبعده من المعصية يستدعي تحصيل المكلف به المستلزم للغرض منه وما يحصل الغرض من التكليف
يكون واجبا لان التكليف واجب وهو لا يتم الا باللطف وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب واللطف اما ان يكون فعل الله
كخلق القدرة للعبد وكمال العقل ونصب الادلة وتهيئة آلات فعل الطاعة وترك المعصية فيكون واجبا عليه
تعالى واما ان يكون فعل المكلف نفسه كنظره وفكره فيما يجب عليه ويوصله الى تحصيله فيجب على الله ان يعرفه ويوجبه
عليه واما ان يكون فعل غيرهما من المكلفين مثل الامامة في تحصيل مصالحه ودفع مفاسده والتأسي به في اعماله الصالحة
وايمانه وطاعاته والازدجار من السيئات اعتبارا به فيشترط في التكليف بالملطوف فيه ان يعلم بان ذلك الغير يفعل اللطف
قيل ان اللطف انما يكون واجبا اذا كان خاليا من وجوه القبح والمفسدة فان وجوه الحسن والمصلحة لا تكون كافية في حسن
اللطف بل لا بد من انتفاء القبح والمفسدة فيجوز ان يكون اللطف الذي يوجبونه مشتملا على وجوه القبح والمفسدة وانتم لم تعلموا
فلا يكون واجبا اجيب بان وجوه القبح منتفية لانا نعرفها فانا مكلفون بتركها وكل ما كلفنا بتركه يكون معلوما لنا
وقد عرفنا ان هناك لم يتحقق وجه قبح وقيل الكافر مكلف بالايمان مع انه لا لطف به والا لحصل الايمان عنده اجيب
بان الكافر لا يخلو من لطف ايضا واللطف ما يقرب من الملطوف فيه لا ما يحصل عنده وقيل ايضا ان اللطف لو كان واجبا
على الله لصدر عنه والا لزم باطل لان الله تعالى اخبر بالسعادة والشقاوة فانه اخبر بان بعض المكلفين من اهل الجنان وبعضهم من اهل

النيران والاخبار به مناف للطف لانه اغراء على المعاصي اجيب بان الاخبار بالسعادة والشقاوة ليس بمفسدة
فانه ليس اغراء على المعاصي لجواز ان يمتنع عن المعاصي ولا يقدم عليها بسبب هذا الاخبار ويقبح عن المكلف تعذيب
المكلف ان منعه من اللطف لانه حينئذ بمنزلة الامر بالمعصية والالجاء اليها فللمكلف ان يقول لولا اللطف لجئ كما قال
تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فانه اخبر بانه لو منعهم اللطف في بعثة
الرسول لكان لهم هذا السؤال ولا يكون لهم هذا السؤال الا مع قبح اهلاكهم من دون البعثة ولا يقبح من المكلف ذم المكلف
مع منعه اللطف لان الذم حق يستحق على القبيح غير مختص بالمكلف بخلاف العقاب المستحق للمكلف ولهذا لو اغرى انسان
غيره على القبيح ففعله لم يسقط من الباعث حق الذم كان لابليس جوزه اهل النار مع انه المغري على المعاصي ويجب المناسبة
بين اللطف والملطوف به بان يكون بحصول اللطف داعيا الى حصول الملطوف به والا لزم الترجيح بلا مرجح بالنسبة الى
المنتسبين لانه لولا المناسبة لم يكن كون اللطيف لطفا بالنسبة الى ذلك الفعل اولى من كون غيره لطفا بالنسبة
الى ذلك اللطف اولى من فعل غيره بالنسبة اليه ولا يبلغ اللطف في استدعاء الملطوف به حد الالجاء فهو به انتفاء
الالجاء بمفهوم اللطف وان يعلم المكلف اللطف اجمالا او تفصيلا لانه اذا لم يعلم المكلف لم يعلم المناسبة بينه وبين
الملطوف به فلا يكون داعيا للمكلف الى الفعل الملطوف به فلا يكون داعيا المكلف الى الفعل الملطوف به فان كان العلم
الاجمالي كافيا في استدعاء الفعل لم يجب التفصيلي كما يعلم ان ضرر البهيمة لطف لنا وان كان اللطف لا يتم الا بالعلم
التفصيلي وجب حصوله ولا يكون اللطف مشتملا على صفة زائدة على الحسن من كونه واجبا كالفرائض ومندوبا كالنوافل
ولا يجب ان يكون اللطف معينا بل يجوز ان يكون فعلان لكل منهما اشتمال على جهة المصلحة المطلوبة من الامر فيقوم كل
منهما مقام الاخر كما في الكفارة المخيرة وحينئذ لا يجب كل من الفعلين بل يكون كالواجب المخير ويشترط في كل واحد
من الامرين اللذين كل منهما لطف يقوم مقام الاخر كون كل منهما حسنا ليس فيه وجه قبح واللطف اما مصلحة في الدنيا
واما مصلحة في الدين اما مضرة الم او مرض او غلاء او غيرهما واما منفعة صحة او سعة في الرزق او رخص او غيرها والالام
الصادرة عنه حسنة عند اهل السنة والجماعة سواء كانت مبتدأ بها او بطريق المجازاة وسواء تعقبها عوض او لا وذهبت
الثنوية الى قبح جميع الالام لذاتها وهي صادرة عن الظلمة وذهب المعتزلة الى ان بعض الالام الصادرة عن بعض
المكلفين بالنسبة الى من لا جرم له وبعضها حسن بمقتضى العادة كما يفعله الله تعالى في الحي اذا القياه
في النار او كونه واقعا على وجه الدفع اذا وقع دفعا للصائل فاذا علم اشتمال الالم على واحد من هذه الامور حكم بحسنه
قطعا والالم الذي يفعله تعالى ابتداء وهو المشتمل على النفع الحاصل للمتألم مشروطا باللطف للمتألم او لغيره
لان خلوه عن النفع يستلزم الظلم وعن اللطف العبث وهما قبيحان على الله تعالى وذهب ابو الحسن البصري الى انه
يجوز ان يقع الالم على المستحق مثل الفساق والكفار بطريق العقاب ويكون تعجيله قد اشتمل على مصلحة لبعض
المكلفين كما في الحدود وذهب الجبائيون ومنهم الجبائي الى ان اللطف غير كاف في الم المكلف ليكون حسنا بل لا بد فيه
ان يقع في مقابلته عوض من حصول نفع او دفع ضرر لان الطاعة الواقعة لاجل الالم بسبب اللطف يقابلها
الثواب المستحق فيقبح الالم المجرد عن النفع فيكون قبيحا وذهب ابو الحسين البصري الى ان الالم لا يحسن اذا كان
اللذة مشتملة على اللطف الذي في الالم لان الالم انما يصير في حكم المنفعة اذا لم يكن طريق لنيل المنفعة الا ذلك
الالم ولو كان الوصول الى المنفعة من غير الم كان الالم ضررا قبيحا ولا يشترط في حسن الالم الواقع من الله تعالى
اختيار المتألم العوض الزائد عليه بالفعل لان اعتبار الاختيار انما يكون في النفع الذي يتفاوت فيه اختيار المتألمين
واما النفع البالغ الحد لا يتفاوت فيه اختيار المتألمين لكونه زائدا فهو يحسن وان لم يحصل الاختيار بالفعل و
هو العوض المستحق عليه والعوض نفع مستحق خال عن تعظيم واجلال فالنفع يجوز ان يقع تفضلا من غير سابقة
استحقاق ويجوز ان يقع بعد استحقاق فقيد المستحق يخرج النفع المتفضل به فانه لا يكون عوضا وقوله خال
عن تعظيم واجلال يخرج الثواب ويجب على الله تعالى عوض انزال الالام بالعبد كالمرض وغيره
والا لكان ظالما والظلم قبيح على الله تعالى وعوض تفويت المنافع على العبد اذا كان التفويت منه لمصلحة
الغير اذ لا فرق بينهما في المضار وتفويت المنافع وعوض انزال الغموم بان يخلق الله اسباب الغم لان الغم يحصل له الضرر
سواء كان مستندا الى علم ضروري بنزول مصيبة او وصول مراد او مستندا الى علم مكتسب لانه تعالى هو الباعث
على النظر فيكون الله سببا للغم فكان العوض عليه او مستندا الى ظن كان يغتم عند امارة وصول مضرة او فوات
منفعة فانه تعالى هو الناصب لامارة الظن فيكون الغم بسببه فيجب عليه العوض والغم المستند الى العبد
نفسه من غير سبب من الله لا عوض فيه عليه تعالى وذلك مثل ان يبحث العبد فيعتقد جهلا نزول ضرر او فوت منفعة
فانه لا عوض فيه ومن الوجوه التي يستحق بها العوض على الله امر الله عباده بايلام الحيوان او اباحته سواء كان
الامر للايجاب كالذبح في الهدي والكفارة والنذر او الندب كالضحايا فان العوض يجب على الله لان الامر بالايلام
الحسن والالم انما يحسن اذا اشتمل على المنافع العظيمة البالغة في العظم حدا ومنها تمكين غير العاقل مثل سباع
الوحش للايلام فان العوض يجب على الله لانه مكنه وجعله مائلا الى الايلام مع امكان عدم الميل ولم يجعل له عقلا
يميز به الالم الحسن من الالم القبيح فكان ذلك بمنزلة الاغراء فيقبح من الله ان لا يوصل اليه عوضا وهذا بخلاف
الاحتراق اذا القي صبيا في النار فاحترق او شهد بالشهادة زور فقتل بسببها فان العوض يجب علينا لا على الله اما

الى غير

القى الصبي في النار فان فعل الالم واجب في الحكمة من حيث اجراء العادة والله تعالى قد منعنا من القائه فصار الملقي
كانه اوصل الالم اليه فلهذا وجب على الملقي العوض واما شهادة الزور فلان الشهود اوجبوا اشهادهم على الامام
ايصال الالم من جهة الشرع فصاروا كانهم فعلوه واختلف المعتزلة في وجوب الانتصاف للمظلوم على الله تعالى عقلا وسمعا
فذهب طائفة منهم الى الاول والاخرى الى الاخر فمنهم من اختار انه واجب على الله عقلا وسمعا اما عقلا فلانه
لو لم ينتصف منه لادى الى اضاعة حق المظلوم لانه تعالى مكنه وخلا بينه وبين الظالم مع قدرته ولم يمكن المظلوم
من مكافاته فلو لم ينتصف منه لضاع حق المظلوم واللازم باطل لان تضييع حق المظلوم قبيح عقلا واما سمعا فلقوله
تعالى وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون وذهب ابو هاشم والكعبي الى انه يجوز له تمكين الظالم من المظلوم بدون
عوض في الحال يوازي ظلمه ثم قال الكعبي يجوز ان يخرج الظالم من الدنيا ولا عوض له يوازي ظلمه والله يتفضل عليه
بالعوض المستحق عليه يدفعه الى المظلوم وقال ابو هاشم لا يجوز ان يخرج من الدنيا ولا عوض له يوازي ظلمه بل يجب تبقيته
لان الانتصاف واجب والتفضل ليس بواجب فلا يجوز تعليق الواجب بالجائز وقال المرتضى ان التبقية تفضل ايضا
فلا يجوز تعليق الانتصاف بها فيجب العوض في الحال ثم المستحق للعوض اما ان يكون من اهل الجنة فيوزع الله تعالى عوضه على
الاوقات على وجه لا يتبين له انقطاعه فلا يتألم به او يتفضل عقيب انقطاعه بمثله فلا يتألم بانقطاعه واما ان يكون من اهل
النار فيجعل الله عوضه جزاء من عقابه بحيث يظهر له التخفيف بان ينقص من الامه ما يستحق العوض متفرقا على الاوقات
بحيث يظهر له التخفيف وذهب ابو علي الجبائي الى ان العوض يجب دوامه لانه لو انقطع لوجب ايصاله عاجلا لان المانع من
الايصال في الدنيا هو الدوام مع انقطاع الحياة المانع من الدوام بل لا يجب حصوله في الدنيا لاحتمال ان يكون للاخر مصلحة
غير ظاهرة فالمانع هو انتفاء تلك المصلحة الخفية وقال ابو علي ايضا لو انقطع العوض لزم دوامه لانه يتألم بانقطاعه فيقتضي
التألم عوضا فيجب ان يوصله فان لم ينقطع لزم دوامه وان انقطع يتألم به فيقتضي عوض التألم وهلم جرا فلو انقطع لزم دوامه
وما يؤدي وجوده الى عدمه يكون محالا فالانقطاع محال ورد بان الانسان انما يتألم بسبب الانقطاع وانه يجوز ان ينقطع من غير
ان يشعر بالانقطاع فلا يتألم به مع ان ذلك غير محل النزاع فان النزاع في العوض المستحق على الدوام لا في استلزام الالم الحاصل
بالانقطاع لعوض اخر وذهب ابو هاشم الى انه لا يجب دوام العوض لان حسن العوض لاشتماله على نفع زائد على الالم زيادة يختار
معه المتألم الالم ومثل هذا النفع الزائد لا يستدعي الدوام لجواز تحقق النفع الزائد مع الانقطاع فلا يجب دوامه ومنها انه
لا يجب اشعار مستحق العوض بايصال العوض اليه من حيث هو عوض بخلاف الثواب فانه يجب ان يقارنه التعظيم ولا يحصل التعظيم
الا بان يشعر بانه ثواب واما العوض فانه نفع زائد يلتذ به من لا يعلم ذلك ومنها انه لا يتعين منافع هي يكون عوضا بل يجوز ان يؤدى
كل ما يحصل فيه نفع عوضا بخلاف الثواب فانه يجب ان يكون من جنس ما الفه المكلف ومنها انه لا يصح اسقاط العوض
ولا يستبقيه ممن يجب عليه العوض في الدنيا ولا في الاخرة سواء كان العوض على الله او علينا هذا مذهب ابي هاشم وذهب
ابو الحسين الى انه يصح اسقاطه ان كان علينا اذا استحل الظالم من المظلوم وجعله المظلوم في حل بخلاف العوض على الله
فان اسقاطه عنه عبث لعدم انتفاعه به ومنها ان يكون العوض الذي على الله زائدا على الالم زيادة تنتهي الى حد يرضى
كل عاقل به واذا كان العوض علينا يجب ان يكون مساويا لما فعل من الالم لا زائدا على ما يستحق عليه من الضمان ظلم ومن
الالطاف الاجل واجل كل شيء هو وقت يحقق ووقت كل شيء ما قدر به من معلوم متجدد لم يوجد ذلك الشيء قبله سواء كان
ذلك المعلوم المتجدد وجودا كما يقال قدوم زيد عند طلوع الشمس او عدما كما يقال تحرك الجوهر عند عدم سواده او بياضه
فاجل وقت الشيء امكن ان يكون ذلك الشيء وقتا لذلك كما يقال قدوم زيد عند طلوع الشمس يقال طلوع الشمس عند قدوم زيد
فاجل الحيوان هو الوقت الذي علم الله فيه بطلان حياته والمقتول لو لم يقتل يجوز فيه الموت والحياة ويجوز ان يكون اجل الانسان
لطفا لغيره من المكلفين ولا يجوز ان يكون لطفا للمكلف نفسه لانه ينقطع التكليف بالاجل من المكلف وعند انقطاع التكليف
لا يكون اللطف متحققا بالنسبة الى ما مضى من التكليف والرزق عند الاشاعرة كل ما ينتفع به حي سواء كان بالتغذي
او بغيره مباحا او حراما مملوكا او غيره وذهب بعضهم الى ان الرزق هو ما تربى به الحيوانات من الاغذية والاشربة لا غير وقيل
ان الرزق ما صح الانتفاع به ولم يكن لاحد منعه فطعام البهيمة قبل ان تستهلكه بالمضغ والبلع لا يكون رزقا لها لان
للمالك منعها منه الا اذا وجب رزقها عليه وما استهلكه العاصي من الطعام المغصوب بالاكل لا يكون رزقا له لان له
منعه من الانتفاع به بعد مضغه وبلعه لان تصرفاته محرمة واما الرازق عند اهل السنة والجماعة هو الله تعالى اذ الرزق
مخلوق ولا خالق غير الله ولا يجب عليه رزق احد لتعاليه ان يجب عليه شيء بل ان رزق فبفضله وان منع فبعدله وعند
المعتزلة الحرام لا يكون رزقا من الله وما كان حلالا مباحا كما اذا اعطى من نصيب غيره فالعبد هو الرازق لنفسه والله
ليس برازق له في ذلك الرزق وما اتاه منه بغير فعله فهو من الله والرازق له في ذلك الرزق هو الله والسعي في تحصيل الرزق قد يجب
عند الاحتياج عن ارتكاب المنهيات او قد يجب عند الحاجة وقد يستحب اذا طلب التوسعة على نفسه وعلى عياله وقد يباح وقد
يكره وقد يحرم اذا ادى الى ارتكاب منهي او منع من الواجب والسعر تقدير العوض الذي يباع به الشيء وهو رخص وغلاء ولا بد
من اعتبار العادة واتحاد الوقت والمكان ويستند الى الله وعند المعتزلة قد يستندان الينا ايضا بان يحمل السلطان
الناس على بيع السلعة بثمن غال ظلما منه او باحتكار الناس او غيره من الاسباب المستندة الينا فيحصل الغلاء والرخص
واما الثواب فهو نفع مستحق مقترن بالتعظيم والاجلال وهو واجب على الله عند المعتزلة على التكاليف والطاعات فقيل الله تعالى
من النعم التي لا تعد ولا تحصى الا لا يكافئها فكيف يقتضي مكافاة واما العقاب على الكبائر قبل التوبة فهو واجب على الله عند المعتزلة

بعداد وقيل العقاب حقه وليس في استيفائه نفع ولا في اسقاطه ضرر فله عفوه بل يحسن عفوه كما في الشاهد
واما الاصلح فهو واجب على الله ان يفعله لعباده عند معتزلة بغداد وقيل الاصلح للكافر الفقير ان لا يخلق حتى لا يكون
معذبا في الدارين واما القبيح فواجب على الله ان لا يفعله عقلا لان الله عالم بقبحه مستغن عنه وبوجوب ان لا يفعل قياسا
على الشاهد وقد عرفت فساد ذلك واعلم ان افعال الله لا تعلل بالاغراض خلافا للمعتزلة ولطائفة من الفقهاء والغرض ما لاجله
يصدر الفعل من الفاعل والاحتجاج عليه من وجوه الاول انه لو فعل لغرض كان مستكملا بفعل ذلك الشيء والمستكمل
بغيره ناقص قيل غرضه تحصيل مصلحة العبد فلا يكون مستكملا بغيره اجيب بان تحصيل مصلحة العبد وعدمه ان استويا
بالنسبة اليه تعالى لم يصلح ان يكون غرضا داعيا الى الفعل لامتناع الترجيح بلا مرجح وان لم يستويا بالنسبة اليه بل يكون
تحصيل المصلحة اولى بالنسبة اليه لزم الاستكمال بما هو اولى اليه الثاني ان تحصيل الاغراض بدا مقدور لله تعالى
لان كل غرض يفرض يكون من الممكنات فيكون الله قادرا على ايجاده بدا فتوسط الافعال وجعلها غايات عبث والعبث
على الله محال لقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا قيل لا يمكن تحصيل ما هو غرض الا بذلك الوسط اجيب بان الذي يصلح
ان يكون غرضا ليس الا ايصال اللذة الى العبد وهو مقدور لله من غير توسط شيء الثالث ان الغرض من اختصاص الحادثة
المعينة بوقتها المعين ان وجد قبل الحادثة المعينة لزم ان يكون الحادثة قبل ذلك الوقت لامتناع تخلف الشيء عن غرضه
ولزم ان يجوز الغرض غرضا لامتناع ان يكون غرض آخر قبله وان وجد الغرض منه في ذلك الوقت عاد الكلام في اختصاص
الغرض بذلك الوقت المعين فان لم يكن لغرض لزم التنزيه عن الغرض وان كان لغرض فان وجد الغرض الثاني قبله لزم ان يكون
الغرض الاول ايضا قبله وان لا يكون الغرض غرضا وان وجد الغرض الثاني في ذلك الوقت عاد الكلام فيه ويلزم التسلسل
او التنزيه عن الغرض واتفقت المعتزلة على ان افعاله تعالى واحكامه معللة برعاية مصالح العباد لان الفعل الذي لا غرض
فيه عبث والعبث على الحكيم محال ورد بان المراد بالعبث ان كان هو الخالي عن الغرض فهو عين الدعوى المتنازع فيها وان كان
المراد به غيره فلا بد من تصوره اولا ثم تقريره ثانيا واعلم ان المعتزلة يقولون ان فعل الحكيم لا يخلو عن غرض داع الى
الفعل والا لزم ترجيح بلا مرجح والحكماء يقولون الحكم بالقصاص انما ورد من الشارع لينزجر الناس عن القتل فهذا هو
منه ثم المجتهدون يفرعون على ما ورد من الشارع من المنع والاذن فيما لم يصرح حكمه فيه على وجه يتم الغرض ومن الناس
من يقول الغرض سوق الاشياء الناقصة الى كمالاتها فان من الكمالات ما لا يحصل الا بذلك السوق كما ان الجسم لا يمكن ان
ينتقل من مكان الى آخر الا بتحريكه وهو الغرض من تحريكه فبعض الاغراض من غير توسيط الفعل الخاص به ممتنع تحصيله
والممتنع ليس بمقدور عليه واهل السنة يقولون انه تعالى فعال لما يريد ليس من شأن فعله ان يتصف بقبح وكثير من الناس
بعدهم قبل استكمالهم وكثير من المتحركين يحركهم الى غير غايات حركاتهم فلا يسئل عما يفعل بلم وكيف وقالت المعتزلة الغرض
من التكليف التعريض لاستحقاق التعظيم فان التفضل بالتعظيم قبيح وهو مبني على القول بالحسن والقبح في افعاله
تعالى والوجوب على الله وهذه امور باطلة وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان التفضل بالتعظيم قبيح مطلقا بل انما
يكون قبيحا ممن يتصور له النفع والضرر ولئن سلم انه قبيح مطلقا فاستحقاق التعظيم لا يتوقف على التكليف بالافعال
الشاقة فان التلفظ بكلمة الشهادة اسهل من الجهاد والصوم مع ان التعظيم المستحق بالتلفظ بكلمة الشهادة اعظم
واحتج المنكرون للتكليف بان العبد مجبر في فعله فيقبح تكليفه بما ليس باختياره ولان التكليف بالفعل الشاق ان
لم يكن لغرض كان عبثا فيقبح منه تعالى وان كان لغرض لا يعود اليه تعالى لامتناع ان يكون لغيره لانه تعالى قادر على تحصيل
ذلك الغرض ابتداء فيضيع التكليف لان توسطه حينئذ يكون عبثا واجيب عنهما بانه مبني على طلب اللمية وهو باطل لانه لا بد
ان يكون كل شيء معللا والا لزم التسلسل بل لا بد من الانتهاء الى ما لا يكون معللا واولى الامور بذلك افعال الله واحكامه
وحاصل التكليف اعلام الحق الخلق بنزول الثواب على اصحاب الجنان وحلول العذاب على اصحاب النيران وفرقان بين السعداء
الذين لهم درجات والاشقياء الذين لهم دركات وحكمه تعالى لا يسئل عنه ولذا نعترض عليه وليس لغيره ان يعترض
عليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقالت المعتزلة التكليف واجب لانه لو لم يكلف الله العباد التي كملت شرائط
التكليف فيه لما كان زاجرا عن القبائح بل مغريا بها لان الله جعله كامل العقل مائلا الى مقتضى الشهوة والغضب من القبائح
فلو لم يعرف في عقله وجوب الواجب وحرمة الحرام والمؤاخذة باخلال الواجب وارتكاب القبيح لقصد القبائح دائما
من غير مبالاة واللازم باطل لان ترك الزجر عن القبائح والاغراء بها قبيح والله منزه عن القبيح وشرائط حسن التكليف منها
ما يرجع الى نفس التكليف منها ما يرجع الى نفس التكليف وهو ان انتفاء المفسدة بان لا يكون التكليف مفسدة للمكلف
بان يكون موجبا لاخلال بتكليف له آخر وان لا يكون مفسدة لمكلف آخر وتقدم التكليف على الفعل بزمان يتمكن المكلف
فيه من الاستدلال بل يليا ثم الفعل بزمان ايقاعه فيه ومنها ما يرجع الى الفعل المكلف به وهو ان ايضا امكان وجوده
فان التكليف بالمحال خال عن الفائدة واشتمال الفعل على صفة زائدة على حسنه بان يكون واجبا او مندوبا ان كان
التكليف بفعل وقد يكون تارة قبيحا او ان يكون الاخلال به اولى من فعله ان كان التكليف بترك فعل ومنها ما يرجع الى المكلف
وهو ان يكون عالما بصفات الفعل لئلا يكلف بارتكاب القبيح واجتناب الواجب والمندوب وان يكون عالما بقدر ما يستحق
على الفعل من الثواب لئلا ينقص الثواب فيكون جورا وان يكون القبيح ممتنعا عليه لئلا يخل بالواجب فلا يثيب المستحق
للثواب ومنها ما يرجع الى المكلف وهو ان يكون قادرا على الفعل وان يكون عالما به او متمكنا من العلم وان يكون متمكنا من آلة
الفعل ان كان الفعل ذا آلة ومتعلق التكليف اما علم عقلي يستقل العقل بتحصيله كالعلم بوجود الاله وكونه قادرا عالما

او سمعي لا يستقل العقل بتحصيله ولا طريق الى اثباته الا من طريق الشرع وتصديق خبر النبي مثل احوال المعاد الذي
عند البعث والحشر وسعادة من سعد وشقاوة من شقي ومثل اكثر الاحكام الشرعية كقتل القتلة وطهارة الماء ونحوهما
واما عمل كرد الوديعة وشكر المنعم والصلاة والزكاة وغيرهما والتكليف منقطع عن المكلف بالاجماع ولان التكليف ان لم
ينقطع لم يمكن ايصال الثواب الى المكلف لان التكليف يستدعي المشقة والثواب يستدعي الخلوص عنها فالجمع بينهما محال
والتكليف حسن بالنسبة الى المؤمن والكافر لانه علة حسنه هي التعريض للثواب عامة بالنسبة اليهما فالتكليف بالنسبة
الى الكافر ايضا حسن قيل تكليف الكافر يتحقق ظلما لانه مشقة في الدنيا والعقاب حاصل بتركه في العقبى وانتفاء مصلحته
اذ لا ثواب له فيكون ضررا عظيما في حقه اجيب بان التكليف نفسه ليس بضرر ولا مفض الى الضرر من حيث هو تكليف
والا لكان التكليف بالنسبة الى المؤمن كذلك بل الضرر يحصل من اختيار الكافر الكفر والفسوق وترك الايمان والطاعة
قيل حسن التكليف مشروط بانتفاء المفسدة بالنسبة الى المكلف وتكليف الكافر مستلزم المفسدة فانه يستلزم ضرره
فلا يكون حسنا اجيب بان التكليف لا يستلزم المفسدة من حيث هو بل المفسدة حصلت من سوء اختياره والتكليف
مشروط بانتفاء المفسدة اللازمة من حيث التكليف لا المفسدة الحاصلة من سوء الاختيار قيل تكليف الكافر لا فائدة فيه
لان الفائدة منحصرة في الثواب ولا ثواب له فكان عبثا اجيب بانا لا نسلم ان تكليف الكافر لا فائدة فيه بل الفائدة ثابتة وهي التعريض للثواب
كما بالنسبة الى المؤمن واعلم ان هذه المباحث متفرعة على ان افعال العباد صادرة منهم وان الله لا يفعل القبيح وانه لا يفعله رضا وضعفها لا يخفى على

سورة الفاتحة

مكية وهو قول ابن عباس وقتادة وابي العالية وعليه اكثر العلماء وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال نزلت فاتحة
الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وصح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي بن كعب انها السبع المثاني وفي البخاري
عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه حتى صليت ثم اتيته
فقال ما منعك ان تأتيني فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي
لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن قبل ان اخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة
هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وفيه عن ابي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم وسورة الحجر مكية بالاتفاق وظاهر ان الله تعالى امتن على
النبي صلى الله عليه وسلم بايتائه السبع المثاني وهو بمكة ثم انزلها بالمدينة ويبعد القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة بضع عشرة سنة صلى بلا فاتحة الكتاب وفرض الصلاة كان بمكة وقيل نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة وهو قول مجاهد
روى الثعلبي باسناده عن مجاهد انه قال فاتحة الكتاب انزلت بالمدينة قال الحسين بن الفضل لكل عالم هفوة وهذه
هفوة مجاهد فانه تفرد بها والعلماء على خلافه وقيل نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة حكاه ابو الليث السمرقندي
في تفسيره وقيل مكية ومدنية نزل بها جبريل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة تعظيما لشأن هذه السورة ولهذا سماه الله تعالى مثاني
لانه ثنى انزالها ولهذه السورة اسماء كثيرة وكثرة اسمائها تدل على عظم شانها وفخامة امرها منها ام القرآن وام الكتاب
والسبع المثاني روي عن ابي هريرة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني قال
الترمذي هذا حديث حسن صحيح ووجه التسمية بالاوليين ان ام الشيء اصله والمقصود الاعظم منه ولما كان المقصود
الاعظم من القرآن بيان الثناء على الله بما هو اهله وبيان التعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد وهذه السورة مشتملة
عليه سميت به ووجه التسمية بالثالث انها سبع آيات ومنها الكنز لاشتمالها على نفائس المطالب ومنها الوافية
لانها تفي بالمطالب العالية ومنها سورة الحمد لاشتمالها عليه ومنها المثاني قيل لانها تثنى في كل ركعة بالنسبة الى ركعة
اخرى او تثنى في كل صلاة واريد بالركعة الصلاة تسمية للكل باسم الجزء وقيل لانها تقرأ في الصلاة وتثنى بسورة اخرى
وقيل لانها تثنى انزالها وقيل لانها الثنية على الله وقيل لانها مستثناة لهذه الامة فلم تنزل على احد قبلها ومنها الصلوة
قال عليه الصلوة والسلام يقول الله قسمت الصلاة الحديث والمراد بالصلوة هذه السورة سميت بها لان الصلاة بكونه
مجزئة او فاضلة يتعلق بها فيها ومنها الشفاء والشافية في البخاري عن ابي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت
جارية فقالت ان سيد الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ فامر له بثلاثين شاة وسقانا
لبنا فلما رجع قلنا له اكنت تحسن رقية او كنت ترقي قال لا ما رقيت الا بام القرآن قلنا لا تحدثوا شيئا حتى ناتي او نسأل رسول الله
فلما قدمنا المدينة ذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لي
بسهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ومر بعض الصحابة برجل مصروع فقرأ هذه السورة
في اذنه فبرأ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي ام القرآن وهي شفاء من كل داء ومنها فاتحة الكتاب لانها
تفتتح بها في المصاحف والقراءة والتعليم ومنها الكافية لانها تكفي عن غيرها وغيرها لا يكفي عنها ومنها الاساس لانها
اول سورة في القرآن وهي سبع آيات منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من مذهبه على العكس فهذا هو المشهور الذي
اتفق عليه الاكثرون وحكي عن حسين الجعفي انها ست آيات وهو شاذ وعن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد آية وهي على عدده

بسم الله الرحمن الرحيم

ثماني آيات وهذا ايضا شاذ وقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني يرد القولين

اجمع الامة على ان التسمية مرسومة في اول كل سورة من القرآن سوى براءة في جميع المصاحف الائمة التي اجمع عليها الصحابة في زمن الخلفاء الراشدين ونفذت النسخ منها في زمن عثمان رضي الله عنه الى امصار المسلمين ليأخذوا بها ويتركوا ما خالفها واجمعوا ايضا على انها في قوله تعالى في النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها بعض الآية وانها ليست في اول التوبة من القرآن ثم اختلفوا في انها هل هي من القرآن في اوائل سائر السور فقراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على انها ليست من القرآن لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانها كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال قيل هو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقيل ان ابا حنيفة لم ينص عليه وانما قال يسر بها ولم يقل انها آية من اول السورة ام لا سئل محمد بن الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى فقيل له فلم تسر بها فلم يجب وقال الكرخي لا اعرف هذه المسألة بعينها لمتقدمي اصحابنا الا ان امرهم باخفائها يدل على انها ليست من السورة وقال بعض فقهاء الحنفية تورع ابو حنيفة واصحابه عن الوقوع في هذه المسألة لان الخوض في ان التسمية من القرآن او لا امر عظيم فالاولى السكوت عنه والمشهور من مذهبه ما قال انها ليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور ولا يقرأها المصلي في المكتوبة لا جهرا ولا سرا ويجوز ان يقرأها في النوافل وعنه رواية اخرى انه يقرأها في اول السورة في النوافل ولا يقرأها في ام القرآن وروى عنه ابتداء القراءة بها في الصلاة فرضا ونفلا لا يترك بحال وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة سوى التوبة قال الحافظ ابن عبد البر هو قول ابن عباس وقول ابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاوس ومكحول واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ذهبوا الى انها آية من فاتحة الكتاب منهم احمد وابو ثور وابو عبيد وقال ابو سليمان الخطابي هو قول ابن عباس وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واسند الحافظ البيهقي في كتاب الخلافيات هذا القول عن علي رضي الله عنه والزهري وسفيان الثوري وفي السنن الكبير عن علي وابن عباس وابي هريرة ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير وقال ابو طاهر ابن ابي هاشم وهو من الائمة الاكابر في علم القراءة من اصحاب الامام ابي بكر محمد بن مجاهد قد صحت الرواية عن علي رضي الله عنه وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم انهم جعلوها آية من ام القرآن وجاء عن ابن عباس وابن المبارك والاوزاعي في بعض الروايات من ترك القرآن ولم يفتتح السورة بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك من القرآن مائة وثلاث عشرة آية وقال الشافعي انها آية من الفاتحة قطعا وتردد قوله في سائر السور سوى التوبة في انها هل تكون في اول كل سورة آية او بعض آية ومنهم من حمل التردد في سائر السور على ان التسمية هل هي من القرآن في اول كل سورة او لا طريقان احدهما ان كون التسمية في اول كل سورة هل هي من القرآن او ليس فيه قولان وثانيهما انها هل تكون في اول كل سورة آية برأسها او بعض آية فيه قولان قال الغزالي حمل تردد الشافعي على الاول اصح وقيل التسمية في اوائل السور قرآن مستقل كسورة قصيرة وهو محكي عن ابي بكر الرازي وغيره من الحنفية ويحكى عن داود واصحابه ايضا وهو ايضا رواية عن احمد بن حنبل ومنهم من توقف في ذلك هل هي آية مفردة او مضافة الى السورة وقيل هي آية حيث كتبت في بعض الاحرف السبعة دون بعض فالحاصل من الاقوال الاربعة هو القول الاصح من قول الشافعي والقول بانها في اوائل السور آية مستقلة والقول بانها في اوائل السور آية مستقلة والقول بالتوقف في انها آية مفردة او مضافة الى السورة والقول بانها آية حيث كتبت في بعض الاحرف السبعة ان المصحف لم يكتب فيه الا القرآن فالبسملة في كل موضع كتبت فيه من القرآن بقي النظر في انها مضافة الى السورة او تكون آية آية مفردة قائمة بنفسها فهذا ثالث الاقوال التوقف في المعنيين وعدم الجزم باحدهما مع اعتقاد انها من القرآن وكل هذه الاقاويل جيدة لان كثرة الادلة الموجودة على ان التسمية كتبت في المصحف من القرآن يحتمل كل واحد من المعنيين المذكورين فمنهم من رجح احدهما في ظنه فجزم به ومنهم من تمادى في ظنه فتوقف والقول الرابع ايضا جيد وهو انها في بعض الاحرف السبعة دون بعض قراءات وكما نزل اختلاف القراء منزلة اختلافهم في غيرها وكما اختلفوا في حركات وحروف اختلفوا ايضا في اثبات كلمات وحذفها كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار ويقرأ تجري تحتها الانهار بحذف من وكقوله تعالى في الحديد هو الغني الحميد يقرأ بحذف هو فلا تكون البسملة من هذا القبيل لان من وهو قد اختلف المصاحف الائمة في اثباتهما وحذفهما بخلاف البسملة فان المصاحف الائمة متفقة على رسمها فهذا يجاب بان اتفاق المصاحف على رسمها فيها لا ينافي القراءة بخلاف ما المرسوم على تقدير صحة النقل فانهم اختلفوا في صلة ميم الجمع وها الكناية بشرطهما ولم تكتب في المصحف بلفظ الصلة وقرأ الصراط ومصيطر بالصاد والسين ولم يكتبا الا بالصاد وقرأوا وما هو على الغيب بضنين بالضاد والظاء ولم يكتب الا بالضاد وفي الصحيحين ان ابن مسعود وابا الدرداء كانا يقرآن والذكر والانثى والرسم على القراءة المشهورة وما خلق الذكر ويتفرع على هذا كله ان من قرأ سورة وبسمل في اولها كان احوط لانه يكون قد كمل قراءة تلك السورة بيقين واختلف العلماء في هذه المسألة هل هي اجتهادية فيصح الاحتجاج فيها بالظواهر واخبار الآحاد او ليست باجتهادية بل قطعية فلا يصح الاحتجاج فيها الا بما يفيد القطع فزعم القاضي ابو بكر الباقلاني انها قطعية وان الخطأ فيها ان لم يبلغ الى حد التكفير فلا اقل من التفسيق واعلم ان هاهنا مسائل الاولى ان التسمية من القرآن والثانية انها من القرآن في اول كل سورة كتبت فيها والثالثة انها في اول سورة كتبت فيها قرآن مستقل او بعض من السورة والرابعة انها اذا كانت بعضا من السورة

تكون آية

تكون آية تامة منها او بعض آية منها والخامسة هل هي مرفوعة قراءتها في الصلاة اوليست بفرضية والسادسة هل يجهر بها في الجهرية او يسر بها والسابعة هل هي واجبة في اول الفاتحة او لا فالاولى قطعية بالاتفاق فلا يجب اثباتها ولا نفيها الا بالقاطع والثانية [illegible]

[illegible]

منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم اول كل سورة [illegible] ثم قال الغزالي واما عدم التصريح بانه من القرآن كان اعتمادا على قرائن الاحوال اذ كان يملي على الكاتب مع القرآن وكان صلى الله عليه وسلم في اثناء املائه لا يصرح مع كل كلمة وآية انها من القرآن بل كان جلوسه له وقرائن احواله تدل عليه وكان يعرف ذلك قطعا ثم لما كانت التسمية مما امر بها في اول كل امر ذي بال ووجد على رأس كل سورة فظن قوم انه كتبه على سبيل التبرك وهذا الظن خطأ ولذلك قال ابن عباس سرق الشيطان من الناس آية من القرآن لما ان ترك بعضهم قراءة التسمية في اول السورة فقطع بانها آية ولم ينكر عليه كما انكر على ملحق التعوذ والتشهد بالقرآن فدل ذلك على انه كان مقطوعا به وحدث الوهم بتركه لبعض الناس فان قيل فبعد حدوث الوهم والظن صارت المسألة اجتهادية وخرجت عن مظنة القطع فكيف يثبت القرآن بالاجتهاد قال الغزالي قلنا جوز القاضي الخلاف في عدد الآيات ومقاديرها واقر بان ذلك منوط باجتهاد القراء وانه لم يبين بيانا شافيا قاطعا للشك والتسمية من القرآن في سورة النمل فهي مقطوع بكونها من القرآن وانما الخلاف في انها مرة من القرآن مرة واحدة او مرات كما كتبت وهذا يجوز ان يقع الشك فيه ويعلم بالاجتهاد لانه نظر في تعيين موضع الآية بعد كونها مكتوبة بخط المصحف فهذا جائز وقوعه والدليل على امكان الوقوع وان الاجتهاد قد يتطرق اليه وان النافي لم يكفر الملحق والملحق لم يكفر النافي بخلاف التعوذ والتشهد فصارت المسألة نظرية وكتبتها في القرآن بخطه مع صلابتهم في تشديدهم في حفظ القرآن عن الزيادة قاطعة ادلة القطع في انها من القرآن فان قيل فالمسألة صارت نظرية وخرجت ان تكون معلومة والتواتر علما ضروريا فتكون ظنية قلنا قال الغزالي الانصاف ان المسألة ليست قطعية بل اجتهادية ودليل جواز الاجتهاد فيها وقوع الاختلاف فيها في زماننا الصحيح قال ابن عباس سرق الشيطان آية من القرآن لما ان ترك بعضهم قراءة السورة ولم يكفر بالحاقها بالقرآن ولم ينكر عليه ويحتمل انه لو نقل الصديق انه سمع رسول الله قال التسمية من سورة الحمد واوائل السور المكتوبة معها لقبل ذلك

لكونها مكتوبة بامر النبي ولو نقل ان المعوذتين من القران لعلم بطلان ذلك بطريق قاطع لا شك فيه وعلى الجملة اذا انصفنا علمنا
انفسنا شاكين في مسئلة التسمية قاطعين في مسئلة المعوذتين والقنوت واذا نظرنا في كتبتها مع القران باذن رسول الله مع
سكوته عن التصريح بنفي كونها من القران بعد تحقق سبب الوهم كان ذلك دليلا ظاهرا كالقاطع في كونها من القران فدلت
الاجتهاد لا يتطرق الى اصل القران مرة او مرتين هذا حاصل ما ذكره الغزالي في جواب القاضي وهو كلام صحيح لكنه التزام ان
المسئلة اجتهادية غير قطعية بل ظاهرة وان ما هو من القران وهو مكتوب بخطه يتطرق الاجتهاد الى تعيين موضعه وكونه من
القران مرة او مرتين غير صحيح لما عرفت في المقدمة الخامسة ان ما هو من القران يجب ان يكون قطعيا بحسب موضعه وترتيبه
وتكرره والاولى ان يقال في جواب الكافي انه لا وجه لقطع القاضي بتخطية من جعل التسمية في غير النمل من القران قوله لو كان
التسمية من القران لوجب على رسول الله ان يبين انها من القران بيانا قاطعا للشك والاحتمال قلنا مسلم انه وجب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن لم لا يجوز انه لم يبين بيانا قاطعا للشك والاحتمال فانه صلى الله عليه وسلم لو لم يبين بيانا قاطعا
للشك والاحتمال لما اجمع الصحابة على كتبتها بقلم القران وحبره وخطه مع اجماعهم على تجريد ما ليس بقران لان كتبهم
على كتبتها بقلم القران وحبره وخطه لا يقال لا نسلم الاجماع فان الاجماع لو تحقق لما وقع الاختلاف بينهم في ان التسمية
من القران في غير النمل لانا نقول لم يقع الاختلاف من اهل الاجماع فانه لم ينقل عن احد من المجتهدين التصريح بان التسمية في غير النمل
ليست من القران قوله الا انه اخطأ القائل به ولا اكفره قلنا عدم تكفيره صحيح وتخطيته ليست بصحيحة قوله لان نفي كونها
من القران لم يثبت ايضا بنص صريح متواتر فصاحبه مخطئ ليس بكافر قلنا كونه من القران في غير النمل ثبت بنص صريح متواتر
لان العادة تقضي بانه لو لم يثبت بنص صريح متواتر قاطع للشك والاحتمال كونها من القران لما اجمعوا على كتبتها في
مصحفه بخطه وحبره مع اجماعهم على تجريد المصحف عما ليس بقران وعلى منع كتبة ما ليس بقران فيه بخطه وحبره فصاحبه مصيب
والقاضي مخطئ في القطع بتخطيته وليس بكافر لان كون التسمية في غير النمل من القران وان كان قطعيا فليس من الضروريات
التي يكفر منكرها واعلم ان التواتر انما يفيد القطع لمن بلغ اليه الخبر على سبيل التواتر ولم يعتقد خلافه واما من لم يبلغ الخبر
او بلغ اليه ولم يبلغ حد التواتر او بلغ حد التواتر واعتقد خلافه فلا يفيد القطع بالنسبة اليه ولعل الخلاف انما
يثبت لمن اعتقد خلافه بسبب ان التسمية كانت مامورا بها في اول كل امر ذي بال ووجد في راس كل سورة فظن انها كتبت على
التبرك والتيمن والقاضي اعترف بان التسمية منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم مع اول كل سورة مكتوبة في اول الفاتحة
واول كل سورة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبان ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف ختم سورة وابتداء
الاخرى حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم ومع هذا قطع بتخطية من قال انها في غير النمل من القران قوله لا يستحيل ان ينزل
عليه ما ليس بقران قلنا مسلم لكن يستحيل عادة ان ينزل عليه مع اول كل سورة ويامرهم بكتبتها في اول الفاتحة واول
كل سورة ويجمعوا على تجريد المصحف عما ليس بقران ولا يكون من القران وقد علم مما ذكرنا ان التسمية في اول الفاتحة واول كل
سورة سوى التوبة من القران ونذكر على سبيل التقرير والتوكيد حجة على انها في اول الفاتحة واول كل سورة سوى
التوبة من القران فنقول ان التسمية في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة من القران قطعا والدليل عليه انه نزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة وامر رسول الله بكتبتها في اول الفاتحة واول
كل سورة سوى التوبة واجمع الصحابة على تجريد المصحف عما ليس بقران ومنعوا ان يكتب بخط المصحف ما ليس من القران مبالغة
في حفظ القران وصيانته وتمييزه عما ليس منه حتى منعوا من كتبة اسامي السور في المصحف ومنعوا من علامات الاعشار
والاخماس والغرض من ذلك كله المنع من خلط القران بغيره واجمعوا على كتبة التسمية بقلم القران وحبره وخطه فلو لم يثبت
بنص صريح متواتر من النبي صلى الله عليه وسلم انها من القران لما اجمعوا على كتبتها في المصحف بقلمه وحبره وخطه مع اجماعهم
على تجريد القران عما ليس بقران واحتج من زعم ان التسمية في اول الفاتحة واول كل سورة سوى التوبة ليست من القران بما خرج
مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي
ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله اقرؤوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول
العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل وجه الاحتجاج به من وجهين الاول
انه عليه السلام لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها واما الثاني فانه تعالى قال جعلت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين والمراد من الصلاة الفاتحة وهذا التنصيف انما يحصل اذا قلنا ان التسمية ليست من الفاتحة
لان الفاتحة سبع ايات فيجب ان يكون لله فيه ثلث ايات ونصف وهو من قوله الحمد لله الى قوله اياك نعبد وللعبد
ثلث ايات ونصف وهو من قوله واياك نستعين الى اخر السورة اما اذا جعلنا بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة
حصل لله اربع ايات ونصف وللعبد ثلثان ونصف وذلك يبطل التنصيف والكلام في هذا الحديث من وجوه ثلثة
الطعن والمعارضة والتأويل اما الطعن فان مدار الحديث على العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب وقد ضعفه يحيى بن معين
وتكلم فيه هو وغيره فقال لم يزل الناس يتقون حديثه ليس حديثه بحجة وهو مضطرب الحديث ليس بذلك العلا ضعيف
روى عن يحيى جميع هذه الالفاظ في العلاء قال ابو احمد بن عدي ليس هو بالقوي وقال ابو حاتم انا انكر من حديثه اشياء
وقال ابن عدي ابن ليس هو بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث وليس يوجد الا له ولا يروى العلاء من احد سواه ولين

انما هو من القران وهو مكتوب بخطه فالاجتهاد
يتطرق الى تعيين موضعه وان من القران مع

سلم عدم

سلم عدم ضعف العلاء فقد روى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين
قال حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال
اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل وروى باسناده عن سعيد المقبري عن ابي هريرة انه قال اذا قرأتم ام القران فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم
فانها احدى اياتها وانها السبع المثاني وروى باسناده ايضا عن ابي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والنبي
عليه السلام يحدث اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له يا رجل قطعت الصلاة على نفسك اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها ترك اية منها ومن ترك
اية منها فقد قطع عليه صلاته لا تجوز الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن ترك اية منها بطلت صلاته فهذه الروايات عن ابي هريرة
دلت على ما روي عنه واما المعارضة فان الشافعي عن مسلم بن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم مالك يوم
الدين اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
اية وروى الثعلبي باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال لي رسول الله الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان
بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القراءة اذا افتتحت الصلاة فقلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي
هي تدل على ان التسمية اية من القران في اول الفاتحة وروى باسناده عن ابرهيم بن يزيد قلت لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشي
يزعم ان بسم الله الرحمن الرحيم ليس من القران فقال سبحان الله ما اجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت
ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم علم ان السورة قد ختمت وفتح غيرها
وروى باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلاة
قال اقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى باسناده عن عمرو بن هرون البلخي عن ابن جريج عن ابن ابي
مليكة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين يعني يقطعها اية اية حتى عد سبع ايات وروى باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا افتتح السورة
في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول هي تمام السبع المثاني وروى باسناده
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس
فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم وعدها في يده وقال اخرجها لكم وما اخرجها لغيركم وروى ايضا باسناده عن
طلحة بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك اية من كتاب الله وقد عد
علي فيما عد من ام القران وروى باسناده عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعة ان معاوية بن ابي سفيان قدم المدينة فصلى بالناس صلاة
يجهر فيها وانه قرأ ام القران ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار من كل ناحية انسيت
ام نسيت اين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القران فاعادها معاوية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وشاع وذاع
ولم ينكر احد فيكون اجماعا على ان البسملة في اول الفاتحة من القران واما التأويل فمن وجوه منها انه قد جاء في بعض الروايات
ذكر التسمية وان كان في طريق بعضها ضعفا الا انه يقوى بها كون الحديث من رواية ابي هريرة وبعض الصحابة يذهبون الى ان التسمية
اية من الفاتحة فدل ذلك على انه ليس معنى الحديث الذي في صحيح مسلم ما فهم منه من ان الحمد لله اول الفاتحة فراوي الحديث
كان اعلم بذلك ولو كان معناه ما فهم لم يخالفه ولاحتج عليه مخالفوه بما رواه من ذلك عند مخالفته اياه ولما لم ينقل ذلك
الراوي الحديث قسمت الصلاة الثاني انه روى ابو داود السجستاني عن القعنبي عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وهي بيني وبين عبدي
اذا عرفت هذا فنقول قوله في مالك يوم الدين هذا بيني وبين عبدي وانما يكون كذلك اذا حصلت ثلثة بعدها وثلثة
قبلها وانما يحصل الثلث قبلها لو كانت التسمية اية من الفاتحة ثم يحتمل ترك البسملة في الحديث وجهين الاول
انه نص على ما انه يقتضيه ذكر العبد ولم يكن له بين قراءة العبد للبسملة شيء من ذلك فلم يذكره كما لم ينص على غير الفاتحة
مما يقرأه بعدها من القران ولعل سببه ان ما في ايتها البسملة يأتي في ايات الفاتحة في الحمد لله وفي الرحمن الرحيم
الثاني انه اراد ابتداء الحمد الى الحمد لله رب العالمين ولم يرد انه ابتدأ القراءة من الحمد لله ومثله قوله صلى الله عليه وسلم
وهو في الصحيح ايضا واذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين انما اراد اذا انتهى في القراءة الى ولا الضالين لانه ولا الضالين
جميع الاية الثالث يمكن ان يكون ذلك قبل نزول البسملة في الفاتحة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الاية فيقول
ضعوها في سورة كذا الرابع يحتمل انه قسم ما يختص بالفاتحة من الايات ولما كانت البسملة مشتركة من جميع اوائل السور لم يدخل
في التسمية فانه قيل اجمعوا على ان الفاتحة سبع ايات واختلفوا في السابعة فقيل البسملة وقيل انعمت عليهم وهو الراجح فانه يحصل
التنصيف بين الله والعبد فيكون لله ثلث ايات ونصف وللعبد مثلها وموضع التنصيف اياك نعبد بالاتفاق واذا جعلت
التسمية اية ولم يعد انعمت عليهم كان لله اربع ايات ونصف وهو باطل لانه قال نصفين اجيب من وجوه الاول منع ارادة
التنصيف وانما هو من باب قول زهير اصبحت ونصف الناس علي غضاب اي شطرهم ولم يرد حقيقة التنصيف
وقول الشاعر اذا مت كان الناس نصفان شامت [illegible] والمثني في العدد كذلك اريد ان الفاتحة

صلاته على نفسك اما سمعت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها ترك اية منها ومن ترك اية منها فقد قطع عليه
صلاته لانه لا تجوز الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن تركها بطلت صلاته وروى فيهما باسناده عن طلحة بن عبيد الله
قال قال رسول الله من ترك بسم الله فقد ترك اية من كتاب الله وقد عدها علي فيما عد من ام القرآن وروى باسناده عن
اسمعيل بن عبيد بن رفاعة ان معاوية بن ابي سفيان قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر فيها فقرأ ام القرآن ولم
يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار رضي الله عنهم من كل ناحية انسيت فاين
بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القرآن فعاد لهم معاوية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وشاع وذاع
ولم ينكر احد فيكون اجماعا ان البسملة في اول الفاتحة من القرآن وهذه الاحاديث بعضها دال على ان التسمية
من الفاتحة واكثرها دال على ان التسمية اية تامة من الفاتحة واحتج من منع من كون التسمية من الفاتحة بوجوه منها
ما روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان سورة في القرآن ثلاثين اية شفعت لصاحبها حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده
الملك قالوا فافتتحها بتبارك وهي ثلاثون اية بدون البسملة والجواب انه انما افتتحها بتبارك لان ذلك اسم السورة
واما عدد اياتها فانه اشير الى ما سوى البسملة وعلى ذلك جاء العدد واما لانها عند اهل العدد اية مفردة من السورة
وكما لا انها لا تكون في اول غير الفاتحة من القرآن وقد حكى ذلك قولا للشافعي وقد تقدم واما لشهرة امرها وكثرة
العلم بمكانها وانها غير مختص بسورة دون سورة فكانها امر مفروغ منه لا يحتاج الى التنبيه عليه فنص على ما يختص
بالسورة من اياتها ويحتمل ان يكون النبي عليه السلام قال هذا قبل نزول البسملة فيها فلما نزلت اضيفت اليها
بدليل كتابتها في المصحف او جعلت البسملة مع الاية الاولى اية واحدة وقد حكى ذلك قولا للشافعي وقد تقدم ثم
ان راوي هذا الحديث ايضا ابو هريرة وقد سبق انه من جملة القائلين بقراءة البسملة الراوين لها فهو اعلم بتاويل
هذا الحديث ولو عرف انه مخالف لما يعتقد فيها لرجع عن مذهبه او لاحتج عليه به ومنها ان اول ما اقرأ جبريل
النبي عليه السلام اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يقرئه البسملة والجواب انه يحتمل ان يكون نزول البسملة بعد ذلك
وجعلت عند نزولها اول السورة كنظائرها كثيرة من الايات التي تأخر نزولها وتقدمت على غيرها تلاوة كقوله
ذلك انهم رووا ان اخر اية نزلت قوله تعالى في اواخر البقرة واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وانه جعلت في ترتيب القرآن
من اقرأ باسم ربك الذي او لما انزل ويحتمل ايضا ان يشير بقوله اقرأ باسم ربك الى السورة كقولك الحمد وتبارك
والم نشرح فلا يدل ذلك على انه لم يقرأها البسملة وقد نقل الشيخ ابو حامد الاسفرايني في تعليقه حكاية ونقله عنه
الفقيه سليم في رسالته عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما القى الي جبريل بسم الله الرحمن الرحيم
وفي كتاب اسباب النزول للواحدي عن عكرمة والحسن قالا اول ما انزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم وكيف لا وهي
مبدأ لكل امر ذي بال وصدر كل كتاب وصحيفة ومقال فيبعد ان لا يكون اول ما انزل من القرآن فانه لا يكون امر اعظم منه
قيل لو كانت التسمية من الفاتحة لم يخالف بينها وبين غيرها من ايات الفاتحة في الجهر والاسرار وقد ثبت الاسرار
بها كما اتى في حديث انس بن مالك وكانت كالتعوذ اجيب بانه معارض بثبوت الجهر بها على ما سيأتي من حديث جماعة
من الصحابة وسلم لنا الادلة السالفة ثم يقال لو لم تكن من الفاتحة لما جهر بها وقد جهر بها كباقي اياتها بل هو اغلب
الامرين كما سيأتي تقريره وبهذا يقع الفرق بينها وبين التعوذ مضموما الى انها كتبت في المصحف ولم يكتب التعوذ ثم
يقال الجهر والاسرار ليسا واجبين بل كلاهما سنة فغاية الامر ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الصلوات
الجهرية قد اسر ببعض ايات الفاتحة فهو كما نقل عنه انه في بعض الصلوات السرية جهر ببعض الايات كما في الصحيحين
من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ في الركعتين من الظهر بفاتحة الكتاب وسورة ويسمعنا
الاية احيانا وقيل في جوابه طريقة اخرى وهي ان يقال قد تقدم تقرير قول من زعم ان التسمية من القرآن في اوائل
في بعض الاحرف السبعة دون بعض فعلى هذا حيث جهر النبي عليه السلام بها قرأ بالحرف الذي هي فيه من السورة وحيث
لم يجهر قرأ بالحرف الاخر ويكون البسملة سرا او للتيمن باب التبرك بذكر الله تعالى فهي على هذا كالتعوذ قيل لو قيل لك
ما اول سورة النحل مثلا تقول اتى امر الله لا تقول بسم الله الرحمن الرحيم اجيب بانه انما يقال ذلك لئلا يكون الجواب
نفيا فانه لو قيل في الجواب بسم الله الرحمن الرحيم لم لاشتراك جميع السور فيها والسائل قد علم ذلك وانما
هو سائل عما بعدها ولو قيل في الجواب بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله لكان تطويلا لا حاجة اليه فقد علم
المسؤول مراد المتكلم فاقتصر على ما يحصل الغرض به على ان لو قال ذلك لكان جوابا صحيحا لا انكار عليه فيه قيل
اهل العدد مجمعون على ترك عدها في اوائل السور ومنها غير الفاتحة فانهم قد اختلفوا فيها اجيب بان اهل العدد
ليسوا كل الامة فلا يكون اتفاقهم اجماعا وحجة انما تعرض للعدد نفر يسير فاتفق انهم عدوا كذلك اما لانه مذهبهم
او لانهم يعتقدون انها اية مفردة عندهم غير منضمة الى شيء من السور ولهذا اختلفوا في الفاتحة او اعتقدوا انها
بعض اية في اوائل السور ثم هو معارض بما ورد عن ابن عباس وغيره من تركها فقد ترك مائة وثلاث عشرة اية فان لم
[يعدها] اهل العدد فقد عدها من هو افضل منهم من اهل زمانهم ومن سبقهم قيل ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لابي بن كعب كيف تقرأ ام القرآن قال قلت الحمد لله رب العالمين اجيب بان لفظ هذا الحديث في جامع الترمذي كيف
تقرأ في الصلاة قال فقرأ ام القرآن وهذا اللفظ لا دليل فيه ثم ما ذكروه معارض بما في سنن الدارقطني ان النبي عليه السلام
قال لبريدة باي شيء تستفتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قال قلت بسم الله الرحمن الرحيم وقال العلاء وجابر كيف

[illegible]
الايات الثالث ان الفاتحة اذا قسمت باعتبار الكلم والحروف مع البسملة فيما كانا النظر اذ فيها استقاربين قريب منها اذا
على الايات فلعله اريد قسمتها باعتبار ذلك فان قيل عندنا انعمت عليهم اية راجح بقوله في الحديث يقول العبد اهدنا الصراط
المستقيم الى اخر السورة فهؤلاء لعبدي فان هؤلاء اسم اشارة للجمع فيقتضي ثلاث ايات واذا لم يعد انعمت عليهم اية كانت
للجمع من ذلك ايتين اجيب بان اكثر الرواة على ان لفظ الحديث فهذا لعبدي بلفظ الاشارة الى المفرد المذكر اي هذا المذكور
ومن روى هؤلاء فانه اشار الى الكلمات او الحروف او الى ايتين ونصف من قوله واياك نستعين الى اخر السورة لان
الجمع للعبد وهو مثل قوله تعالى الحج اشهر معلومات والمراد بذلك شهران وبعض ثالث وهي شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة او يكون اشار بقوله فهؤلاء الى الاثنين فحسب فاقل الجمع اثنان على المختار وهو قول كثير من العلماء وهو
مذهب مالك على ما نقله القاضي ابو بكر في التقريب هذا كله اذا سلمنا ان التنصيف في الحديث توجه الى الفاتحة وهو
ممنوع من اصله وانما توجه التنصيف في صريح الحديث الى الصلاة فقال قسمت الصلاة ولم يقل قسمت الفاتحة فان قيل
اراد قراءة الصلاة اجيب بانه يحتمل انه يريد الصلاة اي الذكر المشروع فيها فهو منقسم الى ثناء ودعاء فالثناء فيها
الى الرب تعالى والدعاء منصرف الى العبد سواء في ذلك ما وقع في القراءة وما وقع في الركوع والسجود ونحوه ولا يشترط
التساوي في ذلك لما سبق بل يجوز ان يكون احدهما اكثر من الاخر فالاكثر هو الثناء لانه صلى الله عليه وسلم بين ذلك
قسمة ذكر الصلاة ذكرا اخر وهو ما يقوله الله للعبد عند قراءته هذه الايات التي من جملة المقسوم ولان ذلك تفسير
لكل المقسوم فان قيل ترجح ان يكون تفسيرا للذكر عقيبه اجيب بانه ليس كذلك لان قراءة الصلاة غير منحصر في الفاتحة
فحمل الحديث على قسمة الذكر يكون اعم واكثر فائدة واذا حمل تفسيرا اخرج منه قراءة غير الفاتحة وباقي الاذكار من
التسبيحات والادعية ويحتاج في تقدير الحديث الى حذف مضافين وهما قسمت بعض قراءة الصلاة او حذف مضاف
وصفة اي قسمت القراءة المفروضة في الصلاة ولا يخفى انه ما قدرنا اقل اضمارا واكثر فائدة فوجب المصير اليه هذا ثم
والاولى ان يقال ان المدعى في هذا المقام ان التسمية من القرآن في اول كل سورة اعم من ان يكون اية من السورة او بعض اية
منها وهذه المسألة قطعية فلا يمكن اثباتها بهذا الحديث لانه من باب الاحاد وايضا هذا الحديث غايته يدل على ان
التسمية لا تكون جزءا من الفاتحة ولا يلزم ان لا تكون في اوائل السور من القرآن لان نفي الاخص لا يستلزم نفي الاعم
المسألة الثالثة في ان التسمية جزء من الفاتحة ومن كل سورة كتبت التسمية في اولها المسألة الرابعة في ان
التسمية بعض اية من اول كل سورة او اية تامة وكل من المسألتين ظنية يمكن اثباتها ونفيها بالدلائل الظنية وقد علم الخلاف
العلماء في المسألة الثانية فلا فائدة في تكراره والذي يدل على ان التسمية اية من الفاتحة ما روى الشافعي عن مسلم
عن ابن جريج عن ابي مليكة عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب بعد بسم الله الرحمن الرحيم
اية الحمد لله رب العالمين اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وهذا نص صريح وقد روى الثعلبي باسناده عن ابي بردة
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى قال
باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلاة فقلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وهذا يدل على ان التسمية
من القرآن في اول الفاتحة وروى باسناده عن ابراهيم بن يزيد قال قلت لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشي يزعم
ان بسم الله الرحمن الرحيم ليس من القرآن فقال سبحان الله ما اجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول
سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه بسم الله الرحمن الرحيم علم ان السورة
ختمت وفتح غيرها وروى باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
كيف تقول اذا قمت الى الصلاة فقال اقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى باسناده
عن عمرو بن هارون البلخي عن ابن جريج عن ابي مليكة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن
الرحيم [الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم] مالك يوم الدين يقطعها اية اية حتى ختم سبع ايات وروى باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول
هي تمام السبع المثاني وروى باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابعة قال هي بسم الله الرحمن الرحيم
تعدها في يدي فقال اخرجها لكم ما اخرجها لغيركم وروى باسناده عن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة انه قال
اذا قرأتم ام القرآن فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها احدى اياتها وانها السبع المثاني وروى باسناده
ايضا عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فاذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد
واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل وروى باسناده عن ابي هريرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والنبي يحدث اذ دخل
رجل فصلى فافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رجل قطعت

صلاتك

تقول اذا اقمت الى الصلوة وفي رواية كيف تقرا اذا قمت الى الصلاة فقال كل واحد منهما الحمد لله رب العالمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل بسم الله الرحمن الرحيم قيل نقل اهل المدينة باسرهم عن آبائهم التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم افتتاح الصلوة بالحمد لله رب العالمين اجيب بان هذا ممنوع فقد تقدم ذكر الخلاف بين الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والقراء فيها وقد تقدم قصة معاوية حين ترك التسمية في صلاته بالمدينة فاي اجماع مع هذا قديما وحديثا قال ابن عبد البر الخلاف في المدينة في هذه المسئلة قديما وحادثا ولم يختلف اهل مكة في ان بسم الله الرحمن الرحيم اول آية من الفاتحة ثم لو سلم اجماع اهل المدينة على ترك التسمية فذلك ليس بحجة عند جمهور العلماء ولا يلزم من كون المالكية يرون حجية الزام غيرهم بذلك وقد تحقق مما ذكرنا ان الظاهر ان التسمية جزء من الفاتحة ومن كل سورة سوى التوبة وانها آية تامة منها ومن كل سورة سوى التوبة المسئلة الخامسة هل قراءة التسمية في اول الفاتحة في الصلوة مشروعة ام لا وقد عرفت الاختلاف فيها والذي يدل على انها مشروعة في اول الفاتحة في الصلاة ما صح عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة وعدها آية وما في سنن الدارقطني عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وما رواه الثعلبي باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلاة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وما رواه باسناده ايضا عن ابي هريرة قال كنت مع النبي عليه السلام في المسجد والنبي عليه السلام يحدث اذ دخل رجل فصلى وافتتح الصلاة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رجل قطعت الصلوة على نفسك اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها فقد ترك آية منها ومن ترك آية منها فقد قطع عليه صلاته لا تجوز الصلاة الا بفاتحة الكتاب فمن ترك آية منها بطلت صلاته وما روى باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وما روي باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص وما روي باسناده عن اسمعيل بن عبيد بن رفاعة ان معاوية بن ابي سفيان قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر فيها فقرأ ام القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والانصار من كل ناحية اسرقت ام نسيت اين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القرآن فاعاد لهم معاوية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وشاع وذاع ولم ينكر احد فكان اجماعا على ان البسملة مشروعة في الصلاة بل واجبة وما في كتاب الاستغناء للانقوي وكتاب البيان لابن ابي هاشم عن جدها شيخ عن ابي القاسم بن المسيب قال كنا نقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وفي اول سورة البقرة وبين السورتين في الصلاة المسئلة السادسة في استحباب الجهر بالتسمية في اوائل السور حيث يجهر بالقراءة في الصلاة وغيرها فلها حكم باقي آيات السورة في ذلك سواء فيه الفاتحة وغيرها وهذا المذهب مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين وقراءهم فاما الصحابة فقد قال ابو عيسى الترمذي فقد قال به غير واحد من اهل العلم من اصحاب النبي عليه السلام منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي وقد اسنده الحافظ ابو بكر الخطيب عن الخلفاء الراشدين الاربعة وعمار بن ياسر وابي بن كعب وابن عمر وابن عباس وابي قتادة وابي سعيد وابي هريرة وعبد الله بن ابي اوفى وشداد بن اوس وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر وابن الزبير والحسين بن علي ومعاوية وجماعة المهاجرين والانصار الذين حضروه لما صلى بالمدينة وترك الجهر بها فانكروا عليه ذلك فرجع الى الجهر بها واسنده الحافظ ابو بكر البيهقي عن عمر وعلي وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة وشداد بن اوس وابن الزبير وقال ابن عبد البر روى الجهر بها عن عمر وعلي وعمار وابي هريرة وابن الزبير ولم يختلف في الجهر عن ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس وقال ايضا لا اعلم اختلافا في الجهر بها عن ابن عمر وشداد بن اوس وابن الزبير واما التابعون الذين رووا الجهر بها منهم ومن بعدهم فقال الخطيب هم اكثر من ان نذكرهم واوسع من ان نحصرهم منهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعلي بن الحسين وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابو بكر محمد بن عمرو بن حزم وابو وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن علي ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم وعمر بن عبد العزيز والازرق بن قيس وحبيب بن ابي ثابت وابو الشعثاء ومكحول وعبد الله بن معقل بن مقرن ومن بعد التابعين عبيد الله بن عمر العمري والحسين بن زيد وعبد الله بن الحسن وزيد بن علي بن الحسين ومحمد بن عمر بن علي وابن ابي ذئب واسحاق بن راهويه واسند البيهقي هذا المذهب من التابعين عن عبد الله بن صفوان ومحمد بن الحنفية والزهري وعطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري ومن بعدهم سليمان التيمي وابنه المعتمر بن سليمان وقال ابن عبد البر هو قول جماعة من اصحاب ابن عباس سعيد بن جبير وعطا ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب والزهري وعمرو بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد والشافعي وسائر اهل مكة وهو احد قولي ابن وهب صاحب مالك وحكي هذا المذهب ايضا عن عبد الله بن المبارك وابي ثور وقوم من الائمة الحفاظ واختاروه وصنفوا فيه مثل محمد بن نصر المروزي وابي بكر بن خزيمة وابي حاتم بن حبان وابي الحسن الدارقطني وابي عبد الله الحاكم وابي بكر البيهقي وابي بكر الخطيب وابي عمر بن عبد البر

وفي كتاب الخلافيات للبيهقي عن جعفر بن محمد قال اجتمع آل محمد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال الخطيب [illegible] خلفهم لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال ابو جعفر محمد بن علي لا ينبغي الصلاة خلف من لا يجهر بها والائمة القراء السبعة فمنهم من يروي البسملة بلا خلاف عنه ومنهم من روي عنه الامران وليس فيهم من لم يبسمل بلا خلاف [illegible]

[illegible] كم وفي رواية فما اسمعنا رسول الله اسمعناكم وما اخفى منا اخفيناه منكم اي نجهر بما جهر ونسر بما اسر ثم قد ثبت عن ابي هريرة انه كان يجهر في صلاته بالبسملة فدل على انه سمع الجهر بها من النبي صلى الله عليه وسلم قال الخطيب ابو بكر الحافظ الجهر بالتسمية مذهب لابي هريرة حفظ عنه واشتهر به ورواه عنه غير واحد من اصحابه الوجه الثاني حديث نعيم بن عبد الله المجمر قال نعيم صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن حتى اذا بلغ ولا الضالين قال آمين ويقول كلما سجد الله اكبر واذا قام من الجلوس من الاثنتين قال الله اكبر ثم يقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله اخرجه النسائي في سننه وابو بكر بن خزيمة في صحيحه وقال في مصنفه في البسملة فاما الجهر ببسم الله في الصلاة فقد ثبت وصح عن النبي عليه السلام باسناد ثابت متصل لا شك ولا ارتياب عند اهل المعرفة بالاخبار في صحة سنده واتصاله فذكره ثم قال بان وثبت ان النبي عليه السلام قد كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم واخرجه ابن حبان ايضا في صحيحه والدارقطني في سننه وقال هذا حديث صحيح ورواته كلهم ثقات واورده الحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واستدل به الحافظ البيهقي في كتاب الخلافيات ثم قال رواة هذا الحديث كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم في الصحيح وقال في السنن الكبير هو اسناد صحيح وله شواهد واعتمد عليه ابو بكر الخطيب في اول كتابه الذي صنفه في مسئلة الجهر بالبسملة في الصلاة فرواه من وجوه متعددة مرضية وقال هذا الحديث ثابت صحيح لا يتوجه اليه تعليل في اتصال اسناده وثقة رجاله الثالث ما اخرجه الدارقطني في سننه من طريقين عن منصور بن ابي مزاحم قال حدثنا ابو اويس عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ام وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم قال ابو هريرة هي آية من كتاب الله اقرؤا ان شئتم فاتحة الكتاب فانها الآية السابعة وفي رواية ان النبي عليه السلام كان اذا ام الناس قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال الدارقطني رواته كلهم ثقات وقال الخطيب قد روى جماعة عن ابي هريرة ان النبي عليه السلام كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويأمر به فذكر هذا الحديث وقال ومن صحيح قراءته جهرا ومن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال كان النبي عليه السلام يفتتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ومن ابي حازم عن ابي هريرة قال كان النبي عليه السلام يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ومن محمد بن قيس بن مخرمة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم تركه الناس فلا ينبغي ان يترك صريح هذه الاحاديث عن ابي هريرة ويقتصر على الاعتماد على حديث قسمت الصلاة ويحمله على ترك التسمية مطلقا او على الاسرار بها وليس فيه تصريح بشيء منهما ولكل من صحابي واحد فالتوفيق بينهما بالله اولى من اعتقاد اختلافهما مع ان ما اخرجه الدارقطني من بسند حديث قسمت الصلاة بعينه من وجه حمل الحديثين على ما صرح به في احدهما واما حديث ام سلمة فرواه جماعة من الثقات عن ابن جريج عن عبد الله بن ابي مليكة عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وفي رواية قال الحديث حرفا حرفا وفي اخرى كان النبي عليه السلام يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يقطعها حرفا حرفا وفي اخرى كان النبي عليه السلام اذا قرأ يقطع قراءته آية آية اخرجه ابو داود وابن خزيمة والدارقطني وقال رواته كلهم ثقات واسناده صحيح وقال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروى عمر بن هارون البلخي عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية الحمد لله رب العالمين آيتين الرحمن الرحيم ثلاث آيات مالك يوم الدين اربع آيات وقال هكذا اياك نعبد واياك نستعين وجمع خمس اصابعه وفي عمر بن هارون كلام لبعض الحفاظ الا انه حديثه اخرجه ابن خزيمة في صحيحه والزيادة له في رواية من قوله قرأ في الصلاة قد رواها ابو جعفر الطحاوي من حديث ابن جريج ايضا عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة ان النبي

السلام كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ثم ذكر هو والرازي غيرهما الثلاث ولم أر ضعيفة ليس
لذكرها فائدة واما حديث ابن عباس فاخرجه الدارقطني في سننه والحاكم في مستدركه باسنادهما عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال الحاكم هذا اسناد صحيح وليس
له علة واخرج الدارقطني ايضا حديثين كلاهما عن ابن عباس وقال في كل واحد منهما اسناد صحيح ليس في رواته مجروح
احدهما ان النبي عليه السلام جهر ببسم الله الرحمن الرحيم والثاني كان رسول الله يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم
وهذا الحديث الثاني في جامع الترمذي ايضا اخرجه في باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال ليس اسناده
بذلك اي لا يماثل اسناد ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى هذا ما تقدم رجح على ما في الصحيح فحصل عدة احاديث عن ابن عباس
دالة على الجهر صححها الائمة لم يذكر ابن الجوزي في تحقيقه شيئا من هذه الاحاديث بل ذكر حديثا رواه عمر بن حفص المكي
حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في السورتين
حتى قبض ثم قال ابن الجوزي عمر بن حفص اجمعوا على تركه وهذا ليس بانصاف فانه يوهم انه ليس في الجهر عن ابن عباس سوى
هذا الحديث الضعيف واما حديث انس بن مالك فالاحتجاج به من وجوه الاول ان في صحيح البخاري من حديث عمرو بن عاصم
الكلابي عن همام وجرير قالا حدثنا قتادة قال سئل انس بن مالك كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم واخرجه الدارقطني في سننه
وقال هذا حديث صحيح ورواته كلهم ثقات قال ابو بكر محمد بن موسى الحازمي هذا حديث صحيح لا نعرف له علة اخرجه
البخاري في كتابه وفيه دلالة على الجهر مطلقا وان لم يقيد بحال الصلاة فيتناول الصلاة وغيرها وبيانه لو كانت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الجهر والاسرار تختلف في الصلاة وخارج الصلاة لقال انس لمن سأله
عن اي قراءته تسأل اعني التي في الصلاة ام التي خارج الصلاة فلما اجاب مطلقا علم ان الحال لم يختلف في ذلك وحيث
اجاب بالبسملة دون غيرها من آيات القرآن دل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة في قراءته ولولا ذلك
لكان انس اجاب بالحمد لله رب العالمين او غيرها من الآيات وايضا الظاهر ان السائل لم يكن الا عن قراءته في الصلاة
فان الراوي قتادة وهو راوي حديث انس لاني صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وقال
فيه نحن سألناه عنه وقال ابو سلمة سألت انس بن مالك اكان رسول الله يستفتح بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله
الرحمن الرحيم وكان ذلك كله استخبارا عن قراءته في الصلاة الثاني في صحيح مسلم عن انس ايضا قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا
سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى آخرها فقد ثبت ان النبي عليه السلام قرأها في اول السورة جهرا
خارج الصلاة فكذا في الصلاة كسائر الآيات وقد استدل ابو بكر الرازي الحنفي في اول كتاب احكام القرآن بهذا
الحديث بعينه على المالكية في تركهم قراءة البسملة مطلقا سرا او جهرا وقال هذا يدل على ان النبي عليه السلام قد كان يبدأ
قراءة السورة في غير الصلاة بها وكان سبيلها ان يكون ذلك حكمها في الصلاة يعني هذا الدليل الذي اعتمد عليه الرازي
وقد اخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه عقيب الحديث المحتج به في نفي الجهر كالتعليل له لان الحديثين من رواية انس
فان قلت انما جهر النبي بها في هذا الحديث لانه تلا عليهم ما انزل عليه ذلك الوقت فلزمه ان يبلغهم جميعه فجهر بها كباقي
السورة اجيب فذلك دليل لنا لانها حينئذ من السورة فيكون لها حكم باقيها من الجهر والاسرار الا ان يقوم دليل
على خلاف ذلك الثالث ما اعتمد عليه الشافعي من اجماع اهل المدينة في عصر الصحابة خلافا لما ادعاه المالكية من الاجماع
المتقدم ذكره وابطاله قال الشافعي اخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج قال اخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم
ان ابا بكر بن حفص بن عمر اخبره ان انس بن مالك قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
لام القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة فلما سلم
ناداه من شهد ذلك من المهاجرين من كل مكان يا معاوية اسرقت الصلاة ام نسيت فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله
الرحمن الرحيم في السورة التي بعد ام القرآن وكبر حين يهوي ساجدا ورواه يعقوب بن سفيان الفارسي احد
ائمة الحديث المتقدمين في كتابه في الصلاة عن ابي بكر الحميدي واعتمد عليه يعقوب ايضا في اثبات الجهر بالبسملة و
اخرجه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد المجيد بن عبد العزيز
وسائر رواته متفق على عدالتهم قال البيهقي وتابعه على ذلك عبد الرزاق عن ابن جريج ورواه ابن خثيم باسناد
آخر واخرجه الحافظ ابو الحسن الدارقطني في سننه وقال كلهم ثقات قال الدارقطني حدثنا ابو بكر النيسابوري
حدثنا الحسن بن يحيى الجرجاني حدثنا عبد الرزاق اخبرنا ابن جريج قال وحدثنا ابو بكر حدثنا الربيع اخبرنا الشافعي
فذكره الا انه قال فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها فذكر الحديث وزاد
والانصار ثم قال فلم يصل بعد ذلك الا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها ورواه
الشافعي ايضا من وجه آخر وفيه فناداه المهاجرون والانصار يا معاوية اسرقت صلاتك اين بسم الله الرحمن الرحيم
الرابع اخرج الدارقطني في سننه بسنده عن المعتمر بن سليمان عن ابيه عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم قال الدارقطني اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت
خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها

ونحن نقرر الجهر بها في الصلوة ثم

وسمعت

وسمعت المعتمر يقول ما آلو ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس ما آلو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الدارقطني كلهم ثقات واخرجه الحاكم في المستدرك وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات واخرج ايضا عن شريك بن
عبد الله بن ابي نمر عن انس بن مالك قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال الحاكم رواة هذا
الحديث عن آخرهم ثقات ثم قال وفي هذه الاخبار التي ذكرناها معارضة لحديث قتادة يعني عن انس وهو الحديث الذي انفرد به مسلم
في ترك قراءة التسمية او عدم الجهر بها على ما سيأتي وقد صدق فانه اذا صح ما تقدم عن انس نقلا ورواية فكيف يظن به انه
يروي ما يفهم منه خلافه فهو من اقتدى في جهره بها لم يقتد الا برسول الله وفي الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن ثابت
عن انس قال اني لا آلو ان اصلي بكم كما رأيت رسول الله فقد حصل عدة احاديث جياد عن انس بن مالك في الجهر بالبسملة ولم يتعرض
ابن الجوزي لتضعيف بعض الروايات حسنة وتعرض لرواية شريك وتكلم فيه وهذا ليس بصحيح فان شريكا من رجال الصحيحين
للبخاري ومسلم وحسبنا ان يستدل بحكم من رواة من خرج عنه وارتضاه صاحبا الصحيح وفيما ذكر من الاحاديث الصحيحة
المشهودة لها بذلك ما يرد قول ابن الجوزي انه لم يثبت عن انس شيء من هذا اي من احاديث الجهر واما حديث علي رضي الله عنه فهو
الذي بدأ به الدارقطني بتخريجه في سننه قال كان النبي عليه السلام يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته قال الدارقطني هذا
اسناد علوي لا بأس به وقد احتج بهذا الحديث ابن الجوزي في تحقيقه على المالكية في تركهم قراءة البسملة في الصلاة ولم يحتج
في المسألة بغيره ثم ساق الدارقطني الروايات في ذلك عن غير علي من الصحابة ثم ختمها برواية عبد خير قال سئل علي عن السبع
المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل انما هي ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية قال الدارقطني كلهم ثقات
رجال اسناد هذا الحديث الموقوف واذا صح لنا اعتقاد علي في البسملة انها آية من الفاتحة فلها حكم ما بعدها من الآيات
جهرا واسرارا ومما يؤيد ان مراده بما رواه عن النبي عليه السلام الجهر رواية اخرى عن علي وعمار رضي الله عنهما انهما صليا خلف
النبي عليه السلام فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الخطيب ابو بكر وهو في سنن الدارقطني عنهما ان النبي عليه السلام
كان يجهر في المكتوبات وفي رواية لجابر عن اهل البيت عن علي قال كان رسول الله عليه السلام يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
في السورتين جميعا وقد اعترض عليه بان في بعض هذه الروايات المستشهد بها ضعفا واجيب بانه مقوية بما عضده القياس
وشهد به وهو ان البسملة آية من الفاتحة كما سبق فلها حكم باقي آياتها في الجهر والاسرار والحديث الضعيف عند بعض
الائمة مقدم على القياس والجمهور على خلافه فاذا اعتضد فهو اجماع واما حديث سمرة بن جندب فاخرجه الدارقطني في جمع
والخطيب باسانيدهم الى عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن سمرة قال كانت لرسول الله سكتتان سكتة
اذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة اذا فرغ من القراءة فانكر ذلك عمران بن حصين فكتبوا الى ابي بن كعب فكتب ان صدق
سمرة قال الدارقطني كلهم ثقات وقال البيهقي رواة هذا الحديث كلهم ثقات وكان علي بن المديني يثبت سماع الحسن
من سمرة قال الخطيب قوله اذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اي اذا اراد القراءة فان السكتة انما هي قبل قراءة البسملة لا بعدها
وقد قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ احتج من رأى الاسرار بالبسملة او انه
لا يقرأها اصلا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب
العالمين والجواب ان الاختلاف بين السلف وقع في المسألتين احداهما في تعيين الفاتحة في ابتداء القراءة والثانية ابتداء
الفاتحة بالبسملة ولفظ الحديث صالح لجواب كل من المسألتين فجعله دليلا على تعيين الابتداء بالفاتحة اولى جمعا
بين الادلة ولان البسملة مروية عن عائشة فعلا ورواية عن النبي عليه السلام ولان بذلك يحصل الجواب عن عموم الصلاة
لقولها تفتتح الصلاة بالتكبير ولو ارادت نفي الجهر لكان خاصا ولان مثل هذه العبارة وردت ايضا عن ابن عمر وابي هريرة
وهما ممن صح عنه انه كان يرى الجهر فدل على ان مرادهم بذلك اسم السورة كما لو قال بالفاتحة وقد ثبت ان اول الفاتحة البسملة
فتعين الابتداء بها ومما في الصحيحين عن انس صليت خلف النبي عليه السلام وابي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بالحمد لله
رب العالمين والجواب ما سبق من التأويل ومما في مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والجواب ان هذا
رواية اللفظ الاول بالمعنى على قدر ما فهم الراوي عبر عنه فاخطأ ولو بلغ الحديث على اللفظ الاول لاصاب لفظا ومعنى
فان ذلك اللفظ هو الذي اتفق الحفاظ عليه لم يخرج البخاري وابو داود والترمذي سواه والمراد به اسم السورة ودليله ايضا
ما في سنن الدارقطني عن انس قال كنا نصلي خلف النبي عليه السلام وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بام القرآن فيما يجهر به
قال الدارقطني هذا صحيح وقد ثبت عن انس وغيره الجهر بالبسملة فلا محيص عن تأويل ما ظاهره خلافه ثم ان الناس وهنوا
انس على خمس طرق الطريقة الاولى اختارها الحافظ ابو عمر بن عبد البر وهي انه لا يجوز الاحتجاج به لاضطرابه واختلاف
الفاظه مع اختلاف المعاني قال فلا حجة في شيء منها لانه قال مرة كانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ومرة كانوا
لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ومرة كانوا لا يقرؤونها ومرة لم اسمعهم يقرؤونها ومرة سئل عن ذلك فقال
كبرت ونسيت فحاصل هذه الطريقة ان هذه الروايات متعارضة ولا يرجح بعضها على بعض فتسقط الجميع ويرجع
في هذا الحديث ولم يوجد صحيح الا ما يدل على الجهر او على الاخفاء كحديث عائشة الذي تقدم وحديث ابي هريرة قسمت الصلاة
فان قيل هل يرد حديث انس لاضطرابه وتلونه نظير يجب لانه نقل ابو سليمان الخطابي في معالم السنن عن احمد بن حنبل
انه رد حديث رافع بن خديج في المزارعة لاضطرابه وقال هو حديث كثير الالوان الطريقة الثانية انه يرجح بعض هذه الروايات
المختلفة على ما ينافيها ويرد ما خالفها اليها فلا يوجد ارجح الا الرواية المتفق عليها وهي التي على لفظ حديث عائشة
انهم كانوا يستفتحون بالحمد لله اي بالسورة وهذه طريقة الشافعي ومن تابعه لان اكثر الرواة هذا اللفظ ولقوله آلو

ابي وقال ابي ما آلو ان اقتدي بصلوة

الى في سنن الدار قطني بام القرآن ولعل انسا ذكر هذا الكلام محتجا به على من جوز قراءة غير الفاتحة في الصلاة دونها
او تقدم غيرها عليها فاخبر عن سنة النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين بعده ثم ان الرواة لهذا الحديث افترقوا ثلث
فرق منهم من اداه كما سمعه بهذا اللفظ فاصاب واجاد ومنهم من فهم منه رأي مالك واصحابه فعبر بقوله وكلهم
كانوا لا يقرؤن او فلم اسمعهم يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من فهم منه رأي ابي حنيفة فعبر بقوله كانوا لا يجهرون
وبعضهم قال كانوا يسرون فقيل اذا اختلفت الفاظ حديث وبعضها يحتمل الامرين وبعضها يظهر فيه احدهما تعين حمله
عليه وههنا كذلك فان قوله يفتتحون بالحمد لله يحتمل الامرين ورواية لا يجهرون تعين احدهما اجيب بان رواية لم يقرؤا
تعين الاخر فاستويا وسلم الاحاديث المصرحة بالجهر عن انس وغيره وتلك الاحاديث لا تحتمل تاويلا وهذه قد امكن
تاويلها بما ذكر فاولت وجمع بين الالفاظ المختلفة والروايات المضطربة الطريقة الثالثة ان يقال ليس في هذه الرواية ما ينافي
احاديث الجهر الثابتة التي سبق ذكرها اما الرواية المتفق عليها فظاهر واما قوله لا يجهرون فالمراد به نفي الجهر الشديد
الذي نهى الله عنه بقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فاذا انسا نفى الجهر الغالي دون اصل الجهر
بدليل روايته الجهر في حديث اخر واما من روى يسرون فلم يرد به حقيقة الاسرار فان الاسرار لا يسمع ولم ينقل ان
النبي عليه السلام اخبر انه يسرها ولا احد من خلفائه وهذه الطريقة اختارها ابو بكر بن خزيمة فاراد الراوي بقوله
يسرون التوسط المامور به الذي هو بالنسبة الى الجهر المنهي عنه كالاسرار وانما ذكر لفظ يسرون مبالغة في نفي
الجهر الغالي المنهي عنه وهذا معنى ما روي عن ابن عباس انه قال الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قراءة الاعراب واراد التشديد
قراءة الاعراب لجفائهم وشدتهم لان ابن عباس ممن روى الجهر بالبسملة الطريقة الرابعة رد جميع الروايات الى معنى انهم كانوا
يستفتحون بالبسملة دون الترك جملة وقد ثبت الجهر بها بالاحاديث المتقدمة من انس وغيره ولعل انسا بالغ في هذا
الحديث تاملي من انكر الاسرار بها فقال انا صليت خلف النبي عليه السلام والخلفاء فرايتهم يسرون بها اي وقع ذلك منهم
مرة او مرات ولم يشر الى الدوام بدليل ما ثبت عنه من الجهر رواية وفعلا كما سبق ويكون احاديث انس قد دلت على
جواز الامرين ووقوعهما من النبي عليه السلام وهما الجهر والاسرار وكذلك اختلف فقال الصيدلاني الاولى فيهما فان هذا مما
يتكرر في كل ليلة مرارا فهو كالاختلاف في الاذان والاقامة والامر فيه واسع والمكلف مخير بينهما وقد نقل هذا المذهب
عن ابن ابي ليلى والحكم واسحق ونص عليه ابو حاتم بن حبان وقال هو من اختلاف المباح والجهر احب الي وعلى هذا معنى قول
من روى لم يقرؤا لم يجهروا ولم اسمعهم يقرؤن اي يجهرون الطريقة الخامسة ان يقال نطق انس بهذه الالفاظ كلها المروية
في هذا الحديث على اختلاف معانيها في مجالس متعددة على قدر الحاجة الى ذلك في الاحتجاج والبيان فتارة اشار الى قراءة
السورة بقوله وكانوا يستفتحون بام القرآن ردا على من جوز الصلاة بغير الفاتحة او قدم عليها غيرها من السور وتارة
اخبر بجواز الاسرار بالبسملة ردا على من اوجب الجهر بها وتارة نقل تركها جملة كما يراه مالك بقوله كانوا يفتتحون
بالحمد لله وفي رواية لمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا اخرها وهذه الطريقة مقوية
لقول من اختار ان البسملة في اوائل السور قرآن في بعض الاحرف السبعة دون بعض فيجوز حذفها من القراءة
بناء على ذلك الحرف ويجوز قراءتها بناء على الحرف الاخر من محتملة ان يكون من جملة السورة او آية مستقلة بنفسها فان
كانت من جملة السورة فلها حكمها من الجهر وان كانت مستقلة جاز الجهر بها ايضا كما يجهر بما يقرأ بعد الفاتحة
من القرآن وجاز الاسرار بها فصلا بينها وبين آيات السورة كل هذا يحتمل فيحمل اختلاف الروايات والاحاديث
على هذا قيل الاولى ان يحمل حديث انس ان اخر الامرين من النبي صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بدليل انه حكى عن الخلفاء
بعده اجيب بانه لما روي عن انس انه جهر بها امتنع ذلك الحمل على ان اخر الامرين من النبي ترك الجهر بها لان الظاهر انه كان
يختاره هو اخر الامرين وايضا من رواة الجهر بها ابو هريرة وهو انما صحب النبي عليه السلام قبل وفاته بثلاث سنين
فالذي رواه ابو هريرة هو اخر الامرين شاهده انه كان يجهر ويقول انا اشبهكم صلاة برسول الله ويقول ما اسمعنا
اسمعناكم وقيل ترجح الجهر بها فيما نقل عن انس بان هذه الرواية التي تفرد بها مسلم المصرحة بعدم قراءة البسملة او
بعدم الجهر بها قد عللت وعورضت باحاديث الجهر الثابتة عن انس وغيره والتعليل يخرجها من حيز الصحة الى الضعف
فان من شرط الحديث الصحيح ان لا يكون شاذا ولا معللا وان كان منقولا عن عدل ضابط عن مثله الى اخر السند فالتعليل
يضعفه فيترك وان كانت الرواة له ثقات لكونه اطلع فيه على علة خفية غامضة قادحة في صحته كاشفة عن وهم دخل
فيه على بعض رواته بحيث يغلب على الظن ذلك فيحكم به او يتردد فيه فيتوقف ويمتنع الحكم بصحته فلا ينفع اخراجه
في كتاب الصحيح وهو في نفس الامر في درجة الضعيف فان العلة ربما خفيت على اكثر الحفاظ واطلع عليها الفرد
منهم فكيف والامر هنا بالعكس ولذلك امتنع البخاري وغيره من اخراجه وكم في صحيح مسلم من حديث ضعفه الحفاظ
من جهة الاسناد او المتن كحديث ابن عباس ان ابا سفيان قال عندي احسن العرب واجمله وحديث ابي هريرة اخذ رسول الله بيدي
وقال خلق الله التربة يوم السبت واما حديث انس الثاني في الجهر بها فقد علل بامور الاول ان مالك بن انس رواه في الموطا
عن حميد عن انس فلم يذكر فيه النبي وانما قال صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان الثاني ان لفظ رواية الاكثرين كانوا
يستفتحون بالحمد لله من غير تعرض للبسملة فانهم الاولون الذين رووا نفي البسملة انهم رووه بالمعنى الذي فهموا
فاخطاوا الثالث جهر انس في صلاته الرابع رواية انس عن النبي عليه السلام الجهر بها صريحا الخامس ذكر انس لما سئل
عن كيفية قراءة النبي عليه السلام فقال يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وراوي الحديثين المعلل وهذا عن انس

واحد وهو قتادة السادس اخبار انس ان النبي عليه السلام قرا بها لما انزلت الكوثر السابع ما حكاه من قصة معوية
بالمدينة وانكارهم عليه تركها في الصلاة الثامن ان ابا سلمة سعيد بن يزيد قال سألت انسا اكان يستفتح النبي
بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم فقال انك لتسألني عن شيء ما احفظه وما سألني احد قبلك
اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وابن خزيمة وكذا رواه الدارقطني في سننه وقال هذا اسناد صحيح فدل هذا على ان
انسا كان متوقفا في ذلك حين جاز نقل احد الامرين فروي عنه الجهر بكل واحد منهما فاضطربت الاحاديث عنه وكلها صحيحة
فتعارضت وسقطت وان رجح بعضها فالترجيح للجهر لكثرة احاديثه ولانه اثبات فهو مقدم على النفي ولعل النسيان
عرض له بعد ذلك قال ابن عبد البر من حفظه عنه حجة على من سأله في حال نسيانه وقد حمله جماعة من اصحابنا على
ان انسا حفظ اي السورة كان رسول الله يفتتح قراءته في الصلاة وهي سورة الحمد ولم يحفظ باي شيء يفتتح الفاتحة
بالبسملة او بالحمد لله والدليل عليه قوله انك لتسألني عن شيء ما سألني احد عنه قبلك وفي صحيح مسلم ان قتادة
قال نحن سألناه فيحتمل ان سؤال قتادة كان عن السور لا عن البسملة وهما مسئلتان لكن هذا التاويل يقدح في صحة رواية
الجهر بها فانه رواها وهو حافظ لها قيل والاولى ان يقال انه اسي على حفظ السورة التي كان يفتتح النبي عليه السلام
قراءته بها وهي الفاتحة وعرض له النسيان في الذي كان يبتدأ به منها على ان حديث ابي مسلمة يروى على انه لو صح
لما تقدم والتاويل لفظا او لبس الشك او ما سئل الثالث الاقتصار على قوله انك لتسألني عن شيء ما سألني عنه احد فتعارض
الروايات في سبب حفظه لابتداء الفاتحة واتفقت على ان السائل لم يسبق ابا سلمة فلا يكون الجواب ذكر في هذا الحديث
فاذا ثبت ان تلك الرواية من حديث انس قد دخلها الضعف من جهة تعليلها بهذه الوجوه الثمانية المذكورة فيعارض
بحديث فيه ضعف من جهة السند فيقابل ضعيف بضعيف وان اختلفت جهة الضعف فهو ما جاء من وجوه عن
ابن عمر قال صليت خلف رسول الله وابي بكر وعمر فكانوا يجهرون اخرجه الدارقطني واخرجه الخطيب بسنده عن نافع
قال صليت خلف ابن عمر فقيل له تجهر فقال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر يجهرون ببسم الله
الرحمن الرحيم واحتج ايضا من لا يرى الجهر بالبسملة ومن لا يرى قراءتها في الصلاة اصلا بما رواه ابو نعامة قيس بن عباية
عن عبد الله بن مغفل قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال لي يا بني اياك والحدث فقد صليت مع رسول الله
ومع ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين وفي رواية لم اسمع احدا منهم يقولها وفي رواية جهرها
اخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم والجواب انه ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان راويه مجهول وهو ابن الصحابي قال ابن
خزيمة وهو غير صحيح من جهة النقل لانه عن ابن عبد الله بن مغفل غير مسمى وقال ابن عبد البر ابن عبد الله بن مغفل مجهول والمجهول
لا يقوم به حجة ثم على تقدير صحته فلا بد من تاويل جمعا بينه وبين ما تقدم من الادلة وقد اول هذا من وجوه الاول قال الفقيه
سليم ان ذلك في الصلاة السرية دون الجهرية لان من الناس من يعتاد الجهر بها وبغيرها في السرية بحيث يسمعه من يليه فنهاه
ابوه عن ذلك وقال اياك والحدث فان السنة خلاف هذا وهو ان البسملة حكم غيرها من القرآن في الجهر والاسرار فلا جهر في شيء من القرآن
في صلاة سرية كما لا اسرار في شيء من القرآن في الاوليين من صلاة جهرية هذه هي السنة وما عداها بدعة في الدين الثاني اجاب ابو بكر
الخطيب فقال ابن عبد الله بن مغفل مجهول ولو صح حديثه لم يكن مرجحا على حديث ابي هريرة وذلك ان عبد الله بن مغفل من احداث
اصحاب رسول الله وابو هريرة كان من شيوخهم وقد صح عن النبي عليه السلام انه كان يقول لاصحابه ليليني منكم اولو الاحلام والنهى ثم الذين
يلونهم وكان ابو هريرة يقرب في الصلاة من النبي عليه السلام لسنه وعبد الله بن مغفل يبعد منه لحداثته ومعلوم ان القارئ يجهر
في اثناء صلاته ويرفع صوته اكثر من جهره بابتدائها فلم يحفظ عبد الله بن مغفل عن النبي عليه السلام الجهر بالتسمية لانها ابتداؤها
لبعد مقامه وحايل بينه وبين سماعها وحفظها القريب مع ضعفا مع وجوده حفظه وعظم عنايته بالحديث وضبطه الوجه الثالث
ان يكون ابنه كان اذا استفتح بسورة غير الفاتحة وبسمل في اولها فقال له ابوه اياك والحدث واراد بذلك كونه استفتح بغير
الفاتحة فظن ابنه ان نهيه كان لجهره بالبسملة فصار يرويه بالمعنى الذي فهم فوهم واوهم كما جرى لبعض رواة حديث انس من
اعتقاد هذا الوهم في اثنين احدهما مجهول فان يحمل اعتقاد الوهم على جماعة من الصحابة رووا الجهر بالبسملة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف وهم يروون اثباتا وهذان يرويان نفيا فقد خفي على جماعة من الصحابة اشياء واعتمدها نفوها واثبتها غيرهم من ذلك
ان النبي عليه السلام لما دخل الكعبة كان معه بلال واسامة فاخبر بلال ان النبي عليه السلام صلى فيه وقال اسامة لم يصل وقال ابن
عباس لم يسجد النبي عليه السلام في المفصل منذ تحول الى المدينة واخبر ابو هريرة انه سجد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اذا السماء انشقت
واقرا باسم ربك واعجب من ذلك انه خفي على ابن مسعود نسخ التطبيق في الركوع وهو يصلي خلف النبي عليه السلام طول عمره ومع الخلفاء
الراشدين بعده وهم وسائر الناس على وضع الايدي على الركب وخفي عنه على ما قيل ان الفاتحة والمعوذتين من القرآن والقول في كل
ذلك قول المثبت لا النافي فامر البسملة كذلك وبما روي عن ابن مسعود ما جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة مكتوبة
ببسم الله الرحمن الرحيم ولا ابو بكر ولا عمر والجواب انها رواية محمد بن جابر اليماني وهو ضعيف عن حماد عن ابراهيم عن عبد الله وابراهيم
لم يدرك عبد الله فهو منقطع وضعيف ثم انه نفي والاثبات مقدم عليه كما لو قال عبد الله بن مسعود ما وضع رسول الله صلى الله عليه
يديه على ركبتيه في الركوع لم يقبل بعد نقل غيره خلافه وبان الجهر بالبسملة منسوخ قال سعيد بن جبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بمكة وكان اهل مكة يدعون مسيلمة الرحمن فقالوا ان محمدا يدعو الى اله اليمامة فامر رسول الله عليه السلام
باخفائها فما جهر بها حتى مات والجواب ان هذا مرسل فلا حجة فيه وقد روي موصولا بذكر ابن عباس وقال فانزل الله تعالى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها فيسمع المشركون فيهزؤن ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وفي رواية قال يخفي

النبي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم قال البيهقي رحمه الله والله اعلم يخفض بها دون الجهر الشديد الذي يبلغ اسماع المشركين وقد
كان يجهر بها جهرا يسمعها اصحابه وهذا هو الحق لان الله تعالى كما نهاه عن الجهر بها نهاه عن المخافتة بها فلم يبق الا الحالة الوسطى من
الجهر بينهما الذي اشار اليه بقوله وابتغ بين ذلك سبيلا وليس هذا الحكم مختصا بالبسملة بل بجميع قراءة الصلاة وفي رواية قال
الله عز وجل لا تجهر بها بعد ما كان بمكة حتى قدم المدينة فكان يجهر بها فما يجهر بها حتى فارق الدنيا فهذه الرواية تعارض
الاخرى وباسناد الاخفاء من رواية انس صحيح والجواب انه معلل بثمانية من وجوه سبق ذكرها ولا يصح الاحتجاج به ولا يقاومه
بطرق حسنة وكم من حديث صحيح او لظاهره او رد بسبب علة قادحة فيه من ترجيح لرواية اخرى راجحة او معارض او ناسخ او اجماع
على خلافه او اضطراب او وجب عدم الوثوق بلفظه كترك مالك حديث البيعان بالخيار لاجماع المدينة وترك ابو حنيفة ايضا احاديث
كثيرة صحيحة صريحة كحديث المصراة وايما رجل مات او افلس فصاحب المتاع احق بمتاعه لانه قامت عنده وكذا الائمة تمسكوا
بظواهر الاحاديث صحاح منها في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي عليه السلام قال المحرم فمن لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى
يكونا اسفل من الكعبين والمشهور من مذهب احمد ان المحرم اذا لبس الخفين لعدم النعلين لم يلزمه قطعهما وعنه احاديث متعددة
في الصحيحين بجواز الانتفاع بجلد الميتة اذا دبغ فتركها احمد كلها وقال لا يطهر جلد الميتة بالدباغ وفي صحيح البخاري من حديث
ابي هريرة عن النبي عليه السلام صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلثين وهذا نص قاطع لموضع النزاع
في المسئلة فتركه الحنابلة وقالوا بخلافه وفي صحيح مسلم ان ابا ذر قال كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة يعني بها فسخ الحج الى العمرة فترك احمد هذا الحديث للتخصيص وقال فسخ الحج الى العمرة جائز بل هو الاولى عنده وهذا
كله الا لادلة اوجبت المخالفة لما صحت به هذه الاحاديث ولكل من الائمة اجتهاد فليس مخالفة ظاهر رواية الاخفاء
السابقة المتظاهرة بابعد من مخالفة ما صحت به هذه الاحاديث وانه سئل الدارقطني بمصر لما صنف كتاب الجهر حديث في
صحة هذه الحكاية غير مسلمة فان الدارقطني قد صحح في سننه كثيرا من احاديث الجهر كما ذكرنا به وكتاب السنن صنفه الدارقطني
بعد كتاب الجهر بدليل انه احال في كتاب السنن عليه فان صحت تلك الحكاية فيحمل الامر على انه اطلع آخرا على ما لم يكن اطلع عليه
اولا ويجوز ان يكون اراد ليس في الصحيحين منها شيء وان كان قد صحت في غيرهما وهو ايضا بعيد فقد استخرج من البخاري ومسلم
احاديث انتزع منها المقصود منها قول انس كان النبي عليه السلام يمد بسم الله الرحمن الرحيم وانه تلاها عند نزول سورة الكوثر
وقول ابي هريرة ما اسمعنا رسول الله اسمعناكم وقد صح جهر ابي هريرة بها اماما وبان بعض التابعين كان يقول الجهر ببسم الله بدعة
والجواب انه لا ضرر في ذلك فقد يقول بعض العلماء بدعة فيما هو عند مخالفه سنة كالاتيان بالعقيقة وصلاة الاستسقاء
هما سنة عند المعظم وروي بعضهم انها بدعة وكل مجتهد يعبر عن الحكم على ما وصل اجتهاده اليه واداه اليه غاية ما ذكره فيه
بان مذهب ذلك التابعي كذا اختيار في باب الترجيح بالاستدلال لبعض المذاهب على بعض فقد عرفت ان المسئلة مختلف فيها
انما الاختيار بالادلة الشرعية من قوة ادلة ترجح مذهبه وصحة نقوله وقد ثبت رجحان ما ذكر على انه يقال لو لم يرد في
قراءة البسملة في الصلاة شيء من الاحاديث اصلا من الجانبين لكان الاولى الجهر بها لانها لا يخلو اما ان يكون من الفاتحة
وحينئذ يكون لها حكم باقي آياتها من الجهر او لا تكون فان الجهر بها مستفاد من تعاقب قراء الامصار على ذلك قديما وحديثا
وكل علم يؤخذ من اربابه وقد اجمعوا على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول الفاتحة وعلى الجهر بها الا في بعض طرق شاذة روي
الاسرار بها عن بعضهم ولا ينبغي ان يختلف حال البسملة في قراءتها وخارج الصلوة اذ لا معنى لذلك مناسبا في الاسرار بها
في الصلاة والجهر بها خارج الصلوة فوجب التسمية بينهما فيما اتفق القراء عليه فيقال وجب ان لا يسوى بينهما قياسا على التعوذ
فان القراء يجهرون بها خارج الصلوة ويسرون به فيها اجيب بالفرق بينهما فان التسمية مرسومة في المصحف بخلاف التعوذ
ومذهب القراء قراءة ما في المصحف مطلقا وبذلك ورد الاثر عن عائشة وابن عمر وغيرهما اقرأوا ما في المصحف ولم تكتب
في المصاحف اذا لم يقرأ على ان المروي عن القراء ايضا الجهر بها في الصلوة عن ابن المسيب قال كنا نقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
في اول الفاتحة وبين السور بمنزلة الصلوة وفي الغرض هذا كان مذهب القراء بالمدينة وفي كتاب الفضل لابي طاهر بن ابي هاشم
قال الشيخ ابو بكر شيخنا يعني بن مجاهد امام القراءة واول من جمع كتاب السبعة قال حدثني موسى بن اسحق المسيبي قال حدثني ابي
انه صلى بالناس بالمدينة جهر ببسم الله الرحمن الرحيم قال فاتاني الاصلي ابو بكر بن اخت مالك بن انس فقال لي ان ابا عبد الله
يقرأ عليك السلام ورحمة الله ويقول لك من خفته على خلاف اهل المدينة فانك ممن لا يحتشم وقد كان فيك شيء قال وما هو
قال الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقلت فابلغه عني السلام كما ابلغتني وقل له ان كثيرا ما سمعتك تقول لا تاخذوا عن اهل
العراق فاني لم ادرك احدا من اصحابنا ياخذ عنهم وانما جئت فتركها عن حميد الطويل فان اخذتها عنا عن اهل العراق اخذنا
هذا وغيره من قولهم وان تركنا حميدا مع غيره فلم يكن لك علي به حجة وقد سمعتك كثيرا ما تقول خذوا كل علم من اهله وعلم
القران بالمدينة عن نافع بن ابي نعيم فسالته عن قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فامرني بها وقال اشهد انها من السبع المثاني
وقال ان الله انزلها وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر انه كان يبتدي بها ويفتتح كل سورة وحدثني ابن ابي ذئب عن ابن شهاب قال
سنة السنة بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية واخبرنا ابي نافع بن ابي نعيم امام الناس في القراءة واخبرنا نافع
بان السنة الجهر بالبسملة فهذه الحكاية افادتنا ان قراءة البسملة في الاعصار الثلثة بالمدينة عصر الصحابة وعصر التابعين
وتابعيهم فاي اجماع بالمدينة يدعيه مدع بعد هذا ويشهد لذلك ويقويه قصة معاوية بالمدينة وما رواه مالك عن حميد
غير مرفوع وجاء عن الزهري ان من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمر والمدينة في زمن
بن معاوية وتبعه من تبعه في ذلك فلهذا قال يحيى بن جعدة اختلس الشيطان من الائمة اية البسملة يعني بالائمة الولاة لا العلماء

فقال الزهري

وقال الزهري هي آية من كتاب الله تركها الناس وقال مجاهد نسي الناس بسم الله الرحمن الرحيم والتكبير وكونهما انما
تركهما من فعل الائمة نسي الناس ما كان الامر عليه قبل ذلك ولا خير فيما احدث بعد الفعل الذي انكر فيمل معوية تركهما وانما اشتهر
واستفاض في الحجة فيما ينقل عن العلماء دون افعال الولاة قبل لو لم يجهر بها لانكره العلماء عليهم لحسب انهم قد انكروه على معاوية
فرجع فلما افضى الامر الى غيره من الولاة الجبابرة بالمدينة كالاشدق والحجاج وجيش بن دلجة ونظائرهم انكره بعضهم فلم يقبل منه وتركه
الباقون ورأوا ان الجهر ليس بواجب بل مستحب والامر فيه واسع والاسرار بها جائز وان كان فيه ترك السنة فاستعفوا من الانكار
عليهم اتقاء الفتنة قال الربيع ما يمنع امراؤكم ان يجهروا بها الا الكبر ولعل عمرو بن سعيد الاشدق وهو اول من اسر بها بالمدينة
انما فعل ذلك مخالفة لابن الزبير لان مذهب ابن الزبير الجهر بها وكان بمكة مباينا ليزيد بن معاوية وكان عمرو واليا بالمدينة
من قبل يزيد فبالغ في مخالفة امر ابن الزبير في الجهر بالبسملة في الصلاة واقتدى به من وليها بعده لبني مروان وغيرهم يبين ذلك ان
يقصده الاشدق ذلك فهو الذي بعث اليه البعوث فحاصره بمكة وهو الحصار الاول وبه اقتدى الحجاج فحاصره الحصار الثاني وقتله
واحرق الكعبة واخرج منها الحجر وغيرها كان فعله ابن الزبير فيها فهم كانوا حريصين على مخالفته فما وجدوا الى ذلك سبيلا فامر المداومة على
البسملة لا يبعد ان يكون من ذلك بل هو اقرب فانها مسئلة مختلف فيها قال بكر بن عبد الله صليت خلف عبد الله بن الزبير
فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول ما يمنعهم الا الكبر قيل
لو كان الجهر ثابتا لورد النقل به مستفيضا متواترا كوروده في سائر القراءة فلما لم يرد النقل به من جهة التواتر علمنا انه غير ثابت اجيب
بانه لا يلزم ان يتواتر قياسا على الاذان والاقامة فقد وردت اخبار مختلفة في التكبير فيهما اول الاذان والترجيع وتثنية الاقامة
وافرادها وقد قامت الصلاة وهو مما يتكرر في اليوم والليلة مرارا في كل صلاة جهرية وسرية والخوف الظن كان الجمع واسعا
وانما فعل بلال هيئة واحدة وينبغي الاحتجاج بالاولى من ذلك وترجح بطريقه وكذا الخلاف في الجهر بالبسملة والاسرار بها
قبل البسملة وكونه به بعد التكبير وقبل الحمد لله فلم يكن من سنة الجهر كدعاء الاستفتاح اجيب بانه لو كان بعد التعوذ
فسن الجهر بالحمد لله بل هذا دليل مستقل في اصل المسئلة فيقال الذكر ليس يعتبر التعوذ عليه كما نقرأنا ثم يقرأ بقراءة التعوذ
قبله كباقي الايات فليجهر بها كغيرها المسئلة السابعة ان قراءة بسم الله الرحمن الرحيم واجبة في الصلاة كما يجب قراءة سائر
اي الفاتحة عند من يجعل التسمية جزءا من الفاتحة آية منها او بعض آية منها فمن تركها او ترك بعضها بطلت صلاته فاذا الصلاة لا تصح بدون
الفاتحة قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن محمود بن ربيع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب قال البيهقي هذا الحديث اخرجه البخاري في الصحيح عن علي بن المديني ورواه مسلم عن ابي
بكر بن ابي شيبة وغيره كلهم عن سفيان بن عيينة وقال الثعلبي باسناده عن ابي هريرة قال كنت مع النبي عليه السلام في المسجد والنبي
عليه السلام يحدث اصحابه اذ دخل رجل يصلي فافتتح الصلوة وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي ذلك فقال له يا رجل قطعت على
نفسك الصلاة اما علمت ان بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها فقد ترك آية منها ومن ترك آية منها فقد قطع عليه صلاته
فانه لا صلاة الا بها وباسناده عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله فقد ترك آية من
كتاب الله وقد عدها علي اية من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فعدد ثنا الثعلبي باسناده عن ابن عباس قال سمعنا النبي عليه السلام يقول خير الناس وخير
من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما خلق القران جددوه واعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل
بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار وباسناده
عن جابر قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم الى المشرق وسكنت الريح وهاج البحر واصغت البهائم باذانها ورجمت الشياطين
من السماء وحلف الله بعزته ان لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
دخل الجنة وباسناده عن عبد الله بن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله
على كل حرف منها جنة من كل واحد اعلم ان الوقف على وجوه ثلثة ناقص وهو وقف على كلام لا يفهم بنفسه وكاف وهو
وقف على كلام مفهوم المعنى لكن ما بعده يكون متعلقا به وكامل هو الوقف على كلام تام يكون ما بعده منقطعا عنه وقد اتفقوا
على ان الوقف على قوله بسم الله ناقص قبيح وعلى قوله بسم الله او على قوله بسم الله الرحمن كاف صحيح وعلى قوله بسم الله الرحمن الرحيم
تام كامل والباء في بسم حرف جر متعلق بمحذوف اما فعل او اسم متصل بالفعل كالمصدر وعلى التقديرين اما ان يكون المحذوف
متقدما نحو ابدأ بسم الله وابتدائي بسم الله او متاخرا نحو بسم الله ابدأ وبسم الله ابتدائي كقولهم بسم الله اقرأ
او اتلو من التلاوة او ليكون التسمية اي يتبعها مقرونة فانه لما شرع في القراءة بعد التسمية علم ان المراد بسم الله مجازا حذفه
فان الشروع في القراءة قرينة تدل على ذلك كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات اي بالبركة كان المعنى بسم الله
وبالبركات احل وبسم الله وبالبركات ارتحل وكذلك الذابح اذا قال بسم الله اي باسم الله اذبح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان
مضمر الفعل الذي جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون اي اذهب في تسع آيات
وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس اي للمتزوج بالرفاء والبنين اي اعرست بالرفاء والبنين اي الاتفاق وتبنيك
وبيان امرأتك وولادة البنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست وقول الشاعر دخلت الى الطعام فقالوا
فريق يحسد الانس الطعاما الا الانس ايضا لغة في الانس وانشد الاخفش ايضا على هذه اللغة اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا
الجن قلت عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما اي نحن الجن وعموا اي انعموا وهي كلمة تحية كانه
محذوف من نعم ينعم بالكسر كما يقال كل من اكل يأكل حذف منه الالف والنون استخفافا ومنون ان تكون فيه سكون ابن الحاق الالف
في الدرج وتحريك النون وظلاما تمييز وقيل ظرف فزعم ان اتاه الجن عند ناره فسالهم من هم فلما ذكروا انهم الجن حياهم وقال اصلحتما

الذي يقدره النحاة ابتدائي وهو المختار لوجوه منها ان فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدي بها فعل من الافعال بخلاف القراءة واما ما ادعاه من انه اذا صح تقديره اولى ان يقدر لان الائمة يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا او صفة او صلة او حالا اما بالكون والاستقرار حيث ما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره ومنها ان تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة لان الغرض بها ان يقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء اوقع بالمحل فانا اذا قدرنا اقرأ فانما نعني ابتداء القراءة اذ الواقع في اثناء التلاوة قراءة ايضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء ومنها انه ظهور فعل الابتداء في قوله عليه السلام كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو اقطع ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة في قوله اقرأ باسم ربك فان فعل القراءة انما ظهر لان الاهم هو القراءة غير منظور الى ابتدائها الا ترى انه قد تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك في البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها اذ لو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء الدال على انه الاهم في البسملة فوجب تقديره وهذا كلام صاحب الانتصاف وفيه نظر اما في الوجه الاول فلان الابتداء من الافعال الاضافية فان الابتداء يلزم ان يكون بالنسبة الى فعل من الافعال وحينئذ لا يخلو اما ان يقدر مطلقا او مضافا الى الفعل الذي يكون الابتداء بالنسبة اليه فان كان الاول فظاهر انه لا يفيد فائدة يعتد بها فلا يكون تقديره لائقا بالكلام البليغ واذا كان الثاني فتقدير الفعل اولى لقلة الاضمار وحصول المقصود ولان تقدير الابتداء المضاف يفيد ان ابتداء الفعل باستعانة اسم الله او ابتداءه ملتبسا باسم الله وتقدير الفعل الواقع بعده يفيد ان الفعل من اوله الى آخره باستعانة اسم الله ومتبرك باسم الله ولا شك انه اظهر وابلغ في افادة المقصود واما قوله العام اذا صح تقديره فهو اولى ان يقدر فالجواب عنه ان الابتداء مطلق لا عام ولا نسلم ان المطلق اذا صح تقديره اولى ان يقدر فان المطلق اذا كان اضافيا وقدر بعد المضاف اليه لم يقع معه يلزم زيادة الاضمار وعدم افادة المقصود واما قوله الائمة يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا او صفة او حالا بالكون والاستقرار حيث ما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره فالجواب عنه انما يقدرون متعلق الجار الواقع على احد هذه الوجوه بالكون والاستقرار اذا لم تظهر قرينة مخصصة لتقدير ما هو اخص منهما لانه اذا لم تظهر قرينة مخصصة يلزم من تقدير ما هو اخص منهما تخصيص بلا مخصص وهو غير جائز في الكون والاستقرار لازم على جميع التقادير فاختاروا تقديرهما واما في الوجه الثاني فلا نسلم ان يكون تقدير الابتداء مستقلا بالغرض من البسملة قوله اذ الغرض منها ان يقع مبدأ قلنا لا نسلم بل الغرض منها ان يستعان به في الفعل نفسه او يتبرك به في جميع زمان وقوعه قوله وانا اذا قدرنا اقرأ فانما نعني ابتداء القراءة قلنا ممنوع بل انما نعني به وقوع القراءة بها قوله ان الواقع في اثناء التلاوة قراءة ايضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء قلنا مسلم ان الواقع في اثناء التلاوة قراءة ايضا وتقدير البسملة مشروع في جميع القراءة وهذا كما في النية فان تقديرها في جميع العبادة مشروع فاعتبروا تحقيقها في ابتداء العبادة وتقديرها في سائر الاجزاء واما في الوجه الثالث فالجواب عنه ان قوله عليه السلام كل امر خطير ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو اقطع يدل على انه يبتدئ فيه باسم الله لا ان الفعل المقدر هو الابتداء بل انه ان الفعل هو ذلك الامر الخطير فان كان ذلك الامر الخطير القراءة فالفعل المقدر اقرأ واذا كان الارتحال فارتحل قوله ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فان فعل القراءة انما ظهر لان الاهم هو القراءة غير منظور الى ابتدائها الا ترى انه تقديم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك في البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها اذ لو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء الدال على انه الاهم في البسملة قلنا هاهنا ايضا الاهم قصد الفعل الذي استعان فيه باسم الله واستصحبه فيحسن ان يقدر ذلك الفعل لا الابتداء فان المطلق لا يفيد والاضمار فيطول بلا فائدة المقصود ومن النحويين من ذهب الى ان اضمار الفعل هاهنا اولى من اضمار الاسم لان الاصل التعليق للافعال فاذا وجب التقدير فالاصل اوجب واولى ومنهم من ذهب الى ان اضمار الاسم اولى تقديره قراءتي باسم او ابتدائي باسم الله لانه خبر مبتدأ والاصل ان يكون مفردا فكان اولى قال الامام فخر الدين لقائل ان يقول بل اضمار الاسم اولى لانا اذا قلنا تقدير الكلام بسم الله ابتداء كل شيء كان هذا اخبارا عن كونه مبدأ وغاية لجميع الحوادث سواء قاله قائل او لم يقله وسواء ذكره ذاكر او لم يذكره ولا شك ان هذا الاحتمال اولى نعم على تقدير اضمار الفعل يكون باسم الله في موضع نصب وعلى تقدير اضمار الاسم في موضع رفع والمحذوف يقدر متأخرا لان هاهنا امرين الفعل المحذوف والمتعلق به الذي هو باسم الله والاهم منهما ذكر المتعلق به لانهم كانوا يبدءون باسم آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله تعالى اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله تعالى باسم الله مجراها ومرساها قال صاحب الانتصاف ولانك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى لا وقل بالفعل وهو الذي نبه عليه آنفا قال الامام التقديم اولى لوجوه الاول انه تعالى قديم واجب الوجود لذاته فيكون وجوده سابقا على وجود غيره والسابق بالذات يستحق السبق في الذكر الثاني ان التقديم في الذكر ادخل في التعظيم الثالث انه تعالى قال اياك نعبد واياك نستعين فههنا الفعل متأخر عن الاسم فوجب ان يكون في قوله بسم الله كذلك الرابع ان الشيخ ابا القاسم الانصاري قال حضر الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير مع الاستاذ ابي القاسم القشيري قال الاستاذ المحققون قالوا ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده فقال الشيخ ابو سعيد ذاك مقام المريدين اما المحققون فانهم ما رأوا شيئا الا وكانوا قد رأوا الله قبله وتحقيق ذلك ان الاستدلال بالخلق على الخالق مقام المترقين والاستدلال بالخالق على المخلوق مرتبة الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه واليه الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال صاحب الكشاف فان قلت فمن قال اقرأ

باسم ربك

باسم ربك فقدم الفعل [illegible]

لابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك ولام الاضافة وباؤها بنيتا على الكسر لما ذكر فللفصل بينهما وبين لام الابتداء ولما تكونها لازمة الحرفية والجر فكسرت لتناسب لفظها عملها او لكونها لا تدخل الا على الاسماء المختصة بالكسر الذي لا يكون الا في الآخر والاسم احد الاسماء التي بنوا اوائلها على السكون وهي ابن وابنم وابنة واسم واست واثنان واثنتان وامرؤ وامرأة وايمن فاذا ابتدأ بها في النطق زيدت همزة وصل لتعذر الابتداء بالساكن اذ الفصاحة تقتضي الابتداء بالمتحرك والوقف على الساكن تعويلا على ان المقام يقتضيهما صيانة للغة الفصيحة عن اللكنة والبشاعة ورعاية لوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت هذه الاسماء في الدرج لم يحتج الى زيادة الهمزة وسقطت في جميع مواقع الدرج وبها استدل على زيادة الهمزة ومن العرب من ترك الهمزة واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وفيه خمس لغات اسم واسم بكسر الهمزة وضمها وسكون السين وسم وسم بكسر السين وضمها وبعد الهمزة عنها بحركة السين قال باسم الذي في كل سورة سمه قد وردت على طريق تعلمه وقال الآخر ومن لغاتها سمى بضم السين وكسرها ومضى لرجل اذا كان سما بالسين فهو رضا بن سمي كهدى اصله سمي قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقد انشد يقول الراجز والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا وقد قيل ذكي الله وعبد لمدحه خير معتمد ابن ما التمس لاعظمهم قدرا واكرمهم ابا واكثرهم ذكرا واحسنهم سما وهذا الاستشهاد ضعيف لانه يحتمل ان يكون اراد السم الذي على لغة واختلف النحويون في اصل الاسم فذهب البصريون الى انه من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز بمعنى النبز هو رفع الصوت والعلامة الاعلى والكلمات الثلاث وان كانت متشاركة في التنويه بالمسمى الا ان اختصاص هذا القسم بهذا الاسم لكونه اصلا بالنسبة الى القسمين الآخرين واشرف منهما وذهب الكوفيون الى انه من الاسماء المحذوفة الاول وانه مشتق من الوسم الذي هو العلامة لانه علامة المسمى فحذفت فاؤه فوزنه على مذهب البصريين افع وعلى مذهب الكوفيين اعل وتصغيره على سمي وجمعه على اسماء والفعل منه سميته واسميته يدل على صحة مذهب البصريين ظاهرا اذ لو كان من الوسم كما ذكره الكوفيون لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما والفعل منه وسمت لا يقال المذهب الكوفي اظهر من جهة المعنى لان كون الاسم علامة وسمة للمعنى ظاهر لانا نقول لو جعل هذا علامة يلزم اشتراك الثلاث في هذا المعنى فلم يظهر رجحان لتخصيص هذا القسم بهذا الاسم بخلاف ما اذا جعل من السمو كما ذكرنا فظهر حينئذ رجحان لتخصيص هذا الاسم لما ذكر وعلى مذهب الكوفيين حذف من الوسم الذي هو اصله الواو فزيد في اوله همزة وعلى مذهب البصريين حذفت الواو من آخره استثقالا لتعاقب الحركات عليها مع كثرة الدوران واعربت الميم لانها صارت بسبب حذف الواو آخر الكلمة وسكنت السين لانها لما حذفت الواو بقي حرفان احدهما ساكن والآخر متحرك فلما حركت الساكن سكنت المتحرك تحصيلا للاعتدال وقيل على مذهب البصريين من سما يسمو وسمي يسمى والامر منه اسم على تقدير الثاني كقولنا ادع من دعوت وارم من رميت ثم انهم جعلوا هذه الصيغة اسما وادخلوا عليها وجوه الاعراب بعد اخراجها عن حد الافعال وهذا كما سمي البعير يعملا قال الاخفش وهذا مثل الآن فان الاصل ان فادخل الالف واللام على المعنى وبقي مفتوحا وقد اختلفوا في ان الاسم هو التسمية او غيرها فذهبت الاشاعرة الى ان الاسم هو التسمية وذهبت المعتزلة الى ان الاسم غير التسمية وهذا النزاع لفظي والظاهر انه غير التسمية وذلك لان الاسم بحسب اللغة يطلق ويراد به اللفظ الموضوع لمعنى اعم من الاسم والفعل والحرف وبحسب العرف الخاص يطلق ويراد به اللفظ الموضوع لمعنى الدال عليه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة وعلى التقديرين يراد باللفظ ما يلفظ به اي الملفوظ فلا يكون الاسم بالمعنيين مصدرا والتسمية مصدر فالاسم غير التسمية وقد اختلفوا في ان الاسم والمسمى هل هما بمعنى واحد ام لا والحق ان الاسم الذي هو الف وسين وميم قد يطلق ويراد به العبارة الدالة على المعنى وهو الاكثر استعمالا في اللغة وعلم آدم الاسماء كلها وقوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة وهو غير المسمى لان المسمى مدلول العبارة ولا شك ان العبارة غير مدلولها

وقد يطلق ويراد به الذات فانه في لغة العرب قد يجري مجرى الذات يقال ذات ونفس واسم وهي بمعنى واحد والاسم بهذا
المعنى والمسمى بمعنى واحد وما نقل عن الشيخ ابي الحسن الاشعري له تاويل لطيف بانه ان لفظ الاسم اسم لكل لفظ دل على معنى
في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة ولفظ الاسم كذلك فيكون الاسم عين المسمى من هذا الوجه لا يقال كون الاسم اسما
للمسمى من باب المضاف واحد المضافين يغاير الآخر لانا نقول تغاير الاعتبار كاف في المضافين وههنا الاسم وان كان عين
المسمى الا ان اعتبار كونه اسما غير اعتبار كونه مسمى وحذفت الف الاسم في الخط مع الله ولا تثبت في غيره نحو قوله باسم ربك
فقد استوى في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء تعويضا من طرح
الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طوّل الباء واظهر السينات ودوّر الميم واما الله فالنظر فيه من وجوه الاول
ان هذا اللفظ هل هو عربي او لا وعلى تقدير كونه عربيا هل هو علم او لا وعلى تقدير ان يكون علما هل هو من الاعلام الغالبة او من الاعلام
الموضوعة هل هو منقول او مرتجل وعلى تقدير ان يكون مرتجلا هل هو مشتق او لا وعلى تقدير ان لا يكون مشتقا هل يكون له
اصل ماخوذ منه او على تقدير ان يكون له اصل ماخوذ منه فذلك الاصل اي شيء هو وهذه مباحث محتاجة الى التقرير والتبيين
فنورد كل بحث من هذه الابحاث ونذكر على كل منها ما يتعلق به من الاسئلة والاجوبة بحسب المنتهى لطاقة الاول ذهب بعض
الى ان لفظ الجلالة ليس بعربي بل هو عبراني او سرياني لانهم يقولون لاها ورحمانا مرحمانا فلما عرب جعل الله الرحمن الرحيم
والانصاف ان هذا القول السقيم بعيد عن الفهم المستقيم فان لفظ الجلالة مستعمل في لغة العرب في الجاهلية والاسلام
في نظمهم ونثرهم على لسان بلغائهم وفصحائهم موحديهم ومشركيهم قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله ولم يكن متداولا في غير لغة العرب الا بالاخذ منهم فالذهاب الى انه عبراني بعيد عن الصواب واما ما روي انهم
يقولون لاها ورحمانا ومرحمانا فعلى تقدير صحته لا يورث وهما بانه غير عربي فضلا عن ظن واعتقاد فان المشابهة الحاصلة
بين اللغتين في شيء من موضوعات الكلمة لا يقتضي كون احدهما ماخوذة من الاخرى وعلى تقدير الاقتضاء فالحكم بان العربي ماخوذ
من غيره دون العكس تحكم محض وترجيح بلا مرجح واستدل الامام فخر الدين الرازي على انه عربي بقوله تعالى هل تعلم له سميا فانهم
اطبقوا على ان المراد منه لفظ الجلالة وفيه نظر فانه لا يلزم من كونه لا سمي له ان يكون عربيا اصليا واستدل ايضا بقوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وفيه نظر لانه ليس المراد منه لفظ الجلالة بل المراد منه المدلول
فانه هو الخالق فلم يلزم ان يكون اللفظ المقول بالنسبة الى الكل هو لفظ الله ولئن سلم انه يلزم ان يكون اللفظ المقول
بالنسبة الى الكل هو لفظ الله فلا يلزم ان يكون عربيا وذهب الاكثرون الى انه عربي وهو حق وواضح لا احتياج الى دليل فانه
متواتر منقول عنهم ولو احتاج لفظ الجلالة في كونه عربيا الى دليل لاحتاج كل لفظ آخر من الالفاظ الواقعة في لغة العرب في كونه
عربيا الى الدليل فان لفظ الجلالة وان لم يكن اظهر من غيره في كونه عربيا لم يكن غيره اظهر منه فيعسر اثبات عربية شيء من الالفاظ
بل يتعذر الثاني انهم اجمعوا انه اسم من اسماء الله تعالى خاص لا يشاركه غيره فيه ولا يدعيه احد سواه قبض الله تعالى الالسن
عن ذلك وهل هو علم او لا قال الامام المختار عندنا ان هذا اللفظ اسم علم للباري سبحانه وتعالى وليس بمشتق البتة
وهو قول الخليل وسيبويه والاصوليين والفقهاء ويدل عليه وجوه الاول انه لو كان مشتقا كان معناه كليا غير مانع
من وقوع الشركة فيه واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة ان المشتق لا يفيد الا انه شيء ما مبهم حصل له المشتق
منه وهذا المفهوم غير مانع من وقوع الشركة فيه واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة ان المشتق لا يفيد
الا انه شيء ما مبهم حصل له المشتق منه وهذا المفهوم غير مانع من وقوع الشركة فيه واما بطلان اللازم فلانه لو كان كليا
لما كان قولنا لا اله الا الله توحيدا مانعا من وقوع الشركة واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة انه اذا كان
كليا غير مانع من وقوع الشركة فانه لا يكون موجبا للتوحيد المحض لان ثبات المفهوم الكلي لا يقتضي ان يكون منحصرا
في شخص واحد واما بطلان اللازم فلان العلماء المتقدمين والمتأخرين متفقون على ان قولنا لا اله الا الله توحيد
تام وفيه نظر فانه لا منافاة بين كونه علما وبين كونه مشتقا كالعباس والحسن لجواز كونه علما مع كونه مشتقا كالعباس
والحسن بجواز كونه علما مع كونه مشتقا بحسب الاصل ولا يلزم من كونه مشتقا بحسب الاصل ان يكون كليا باعتبار مدلوله
العلمي اللهم الا ان يراد بكونه مشتقا باعتبار مفهومه تعالى وحينئذ لا يلزم من امتناع كونه كليا باعتبار مفهوم الجلالة
ان لا يكون مشتقا باعتبار الاصل الثاني انه علم وليس بصفة فانه يوصف ولا يوصف به يقال الله الحي القيوم الواحد
الصمد ولا ينعكس فلا يقال الحي القيوم القادر الله وقد اعترض على هذا بانه تعالى قال في اول سورة ابراهيم العزيز الحميد الله الذي
له فقد جعله وصفا لغيره اجيب بانه قرئ بالرفع وحينئذ يرتفع الاعتراض لانه حينئذ يكون مبتدأ لا وصفا والجر لا يلزم
ان يكون وصفا بل يكون بيانا كما في قولك هذا الكتاب لفخر العالم الفاضل النحرير فانه لا يكون المراد منه ان يوصف العالم
الفاضل النحرير بل المراد منه البيان فانه لما قال لهذا الكتاب لفخر العالم الفاضل النحرير بقي الاشتباه في انه من العالم الفاضل
فقيل زين عبده ليزيل هذا الاشتباه الثالث ان ذاته تعالى لا بد لها من موصوف يجري عليه لانه لو جعل الجميع صفات
بقيت غير جارية على موصوف بها وهذا محال ولم يكن غيره من الاسماء موصوفا باتفاق فتعين ان يكون هو موصوفا الرابع
قوله تعالى هل تعلم له سميا ليس المراد من الاسم فيه الصفة لانه يعلم له سمي بحسب الصفة فتعين ان يكون المراد منه اسما غير
صفة وليس ذلك غير لفظ الجلالة صفة ليس بعلم بوجوه الاول ان الاسم العلم قائم مقام اسم الاشارة ولا يمتنع الاشارة
اليه فلا يمتنع الاسم العلم وضعفه الثاني ان العلم انما يصار اليه لتمييز شخص عن آخر مماثل له في الحقيقة فاثبات اسم
العلم له غير مفيد الثالث قوله تعالى وهو الله في السموات وقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو تقديره ان قوله الله في السموات

يجب ان يكون صفة ولا يصح ان يكون علما اذ لا يصح ان يقال هو زيد في البلد ويجوز ان يقال هو العالم الزاهد في البلد الرابع
ان يقال هو زيد الذي لا فاضل الا هو ويصح ان يقال هو العالم الذي لا فاضل الا هو واذا ثبت انه صفة امتنع ان يكون علما لما بينهما
من التضاد والجواب عن الاول ان العلم هو الموضوع للذات المعينة ولا يشترط ان يكون مشارا اليه بالاشارة الحسية والجواب عن
الثاني ان العلم ما وضع لذات معينة ولا يشترط ان يكون له مماثل في الحقيقة والجواب عن الثالث انه نظير قولنا هو زيد في البلد
لا نظير له في العلم والزهد ولا يلزم ان يكون صفة فكذا ههنا الثالث انه من الاعلام الموضوعة اما على تقدير ان يكون المعاني فيه
نظام وكذا على تقدير ان يكون اصطلاحية فان لفظ الجلالة لا يراد مستعملة في الذات المخصوصة الجامعة لصفات الالوهية
من غير ان يكون مستعملة في غيره او فيه لا على وجه العلمية وكذا مع الالف واللام لانا في كونه علما موضوعا ولا نسلم ان يكون
من الاعلام الغالبة فانه يجوز ان يكون من الاعلام الغالبة فانه يجوز ان يكون حينئذ باعتبار الالف واللام موضوعا بطريق العلمية الرابع
انه من الاعلام المرتجلة فانه لو لم يكن وضع هذا اللفظ لغير الذات المخصوصة المتصفة بصفات الالوهية فان قيل فانه لم يستعمل
في غيره وعدم الاستعمال لا يستدعي عدم الوضع اجيب بان مباحث الالفاظ يكفي فيها الظهور وعدم الاستعمال عدم الاستعمال
في غيره اصلا وذاتا يظهر منه عدم الوضع فانه لو كان موضوعا لغيره لكان مستعملا على تقدير ان يكون له اصل مستعمل في غيره
لا يقتضي كون هذا اللفظ موضوعا لغيره الخامس اختلفوا في انه مشتق او لا وهذا الخلاف مرتب على اصل آخر وهو انه ماخوذ من اصل
فان كان الاول فلا يكون مشتقا وحينئذ يكون هذه بعينها موضوعة على سبيل العلمية ويكون الالف واللام جزءا من الكلمة لم يكن
للتعريف وان قلنا انه ماخوذ من اصل آخر فحينئذ لا يخلو اما ان يكون ذلك الاصل مشتقا او لا فان لم يكن مشتقا لم يكن لفظ الجلالة
مشتقا وان كان ذلك الاصل مشتقا يكون لفظ الجلالة مشتقا اذا عرفت ذلك فنقول نقل عن سيبويه انه اسم مرتجل للعلمية من غير
اعتبار اصل ماخوذ منه وقد حكي عنه قولين في اصله احدهما ان اصله اله على فعال بمعنى مفعول لانه اله او معبود وهمزته فاء
لام والالف زائدة ولاها فاله بمعنى مالوه اي معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به فحذفت الهمزة التي هي الفاء
تخفيفا لكثرته في الكلام لا على التخفيف القياسي لانه لو كان محذوفا على التخفيف القياسي لم يلزم عوض واللازم باطل فالملزوم مثله
بيان الملازمة انها اذا حذفت على التخفيف القياسي لم يلزم عوض واللازم باطل مثله بيان الملازمة انها اذا حذفت على التخفيف القياسي
كانت ملقاة في اللفظ مبقاة في النية وكان حكمها حكم المثبت فلم يحتج الى العوض واما بطلان اللازم فلان الالف واللام عوض
عن الهمزة المحذوفة بدليل ان قطع الهمزة الداخلة على لام التعريف في النداء مثل يا الله فلو لم يكن عوضا لم يثبت في غير هذا الاسم لما
خص هذا الاسم بقطع الهمزة فيه علمنا انه لمعنى ليس في غيره وهو كونها عوضا عن المحذوف الذي هو الفاء ولهذا لما ابتلي
في الاله لم يقطع الالف فان قطع همزة الوصل لا يجوز وقال صاحب التسهيل ليس اصل الله الاله كما زعم الاكثرون بل هو علم دال على
الحق الله الجامع لمعاني الاسماء الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ولذلك لا يقال في اسم سوى الله من الاسماء الكريمة انه من اسماء الله
ولا ينعكس ولو لم يرد على من زعم ان اصله الاله الا انه مدعى ما لا دليل عليه لكان ذلك كافيا لان الله والاله مختلفان لفظا ومعنى
اما في اللفظ فلان احدهما في الظاهر الذي لا معبود غيره الا بدليل معتل العين والله الثاني مهموز الفاء صحيح العين واللام فهما
من مادتين وردهما الى اصل واحد تحكم وزيغ عن سبيل التصريف واما الاختلاف في المعنى فلان الله خاص بربنا تبارك وتعالى في الجاهلية
والاسلام والاله ليس له كذلك ولذلك لا يتشخص بذكر الله مدلولا جميع الاسماء ولا يتشخص بالاله الا ما يتشخص بالمعبود
وهذا بين ومن كلام بعض الانصار باسم الاله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا ثم ان من زعم ان اصله الاله لا يخلو من ان يكون حذف
الهمزة ابتداء ثم ادغام اللام في اللام وهذا باطل لان حاصله ادعاء حذف فاء بلا سبب ولا مشابهة سبب من كلمة ثلاثية وهو بعيد
من حذف العين واللام لان الاول اخو ما يتصل بها احد بالتغيير من الاول واما حذف الفاء بسبب كحذف واو عدة او مشابهة
سبب كحذف واو رقة فهو ثابت في اللغة فلان رقة بمعنى ورق بمعنى الخالص بالثاني المحذوف اللام كسعة ولثة فان تعذر
حذف الفاء بلا سبب في الناس بان اصله اناس فليحكم بذلك في الله مع الاله اجيب بانه لو صح ان الناس فرع اناس لم يجز ان يحمل عليه
غيره لان ذلك على تقدير صحته شاذ والحمل على الشاذ زيادة ويكفي من مخالفة الاصل دون سبب يلجئ الى ذلك كيف والصحيح
ان ناسا واناسا لفظان بمعنى واحد من مادتين مختلفتين احدهما الانس والآخر النوس كما ان لوقة من مادتين مختلفتين وهما اسمان
لم يجيئا من بدل الثاني نقل حركة همزة الاله الى اللام وهو احق بالبطلان لانه يستلزم مخالفة الاصل من وجوه احدها
نقل حركة همزة في كلمتين على سبيل اللزوم ولا نظير لذلك الثاني نقل حركة همزة الى مثل ما بعد الهمزة وذلك يستلزم اجتماع مثلين
وهو ثقيل بل تحقيق الهمزة بعد ساكن الثالث اسكان ما نقل اليه الحركة فانه موجب كون النقل عبثا لان المنقول اليه كان ساكنا
ثم حرك بحركة الهمزة ابقاء عليها وصونا لها من محض الحذف فاذا سكن فات ذلك وعاد الحرف الى ما كان عليه قبل النقل الرابع
ادغام المنقول اليه فيما بعد الهمزة التي نقلت حركتها في تقدير الثبوت فادغام ما قبلها فيما بعدها كادغام احد المنفصلين في الآخر
وقد اعتبر ابو عمرو بن العلاء في الادغام الكبير الفصل بمحذوف واجب الحذف نحو ومن يبتغ غير الاسلام فلم يدغم الغين في الغين فلان
يعتبر الفصل بمحذوف غير واجب الحذف اولى قال صاحب الكشاف ان الله اصله الاله قال ... الاله من ان يكون كظبية حيث سمعت
ولا دمية ولا عقيلة ربرب ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها
حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع وفيما ذكره بحث فان ايراد قوله قال معاذ الاله اما لبيان ان اصل الله الاله
او لان الاله مستعمل في الجملة او في الله لا على الخصوص او على الخصوص والاول غير مفيد لغرضه فان وقوع لفظ الاله في
الكلام وفي غيره لا يدل على ان اصل الله الاله فالانتقال منه الى بيان ان الاله مستعمل في الجملة او في الله تعالى بعينه وذكر
لما لا بعينه والرابع غير مفيد للمطلوب فان اطلاق الاله على الله لا يقتضي اختصاصه وايضا فيما تبين المقام ...

انا اصل الله الاله وهو يفيد هذا الغرض فانهما لفظان يطلقان على الحق تبارك وتعالى بمعنى واحد وبينهما توافق في اكثر الحروف
بمجردهما الى الاخر ولا يكون الاله ماخوذا من الله بالاتفاق فتعين العكس اجيب بانا لا نسلم انهما يطلقان على الله تعالى
بمعنى واحد فان الاله اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب
على الثريا وكذا السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره وعلى تقدير ان يكون اطلاقهما على الحق تبارك وتعالى بمعنى واحد لا يلزم ان يكون احدهما اصلا والاخر فرعا لتوافقهما في
الحروف لا يستدعي فرعية احدهما واصلية الاخر فامكان الترادف يستلزم ان يكون احدهما ماخوذا من الاخر لا يقال لو لم يكن احدهما
ماخوذا من الاخر يلزم ان يكونا مترادفين والترادف على خلاف الاصل لانا نقول لجعل احدهما اصلا والاخر فرعا لا يمنع الترادف بل يلزم
مخالفة الاصل من وجوه كثيرة كما ذكره صاحب التسهيل وما قوله نظيره الناس اصله الاناس ففيه نظر من وجوه اما اولا فلانه
ليس نظير الله فان الناس والاناس بمعنى واحد من غير تفاوت بخلاف لفظ الجلالة والاله وايضا لفظ الجلالة والاله يطلقان
على الواحد بخلاف الناس والاناس فان جميل ان يكون نظيره وفي حذف الهمزة اجيب بانا لا نسلم ان الناس اصله الاناس وسيتضح
ما ذكره صاحب التسهيل كما ذكره من قوله ان الناس يطلقون على الاناس الا منسيا فالكلام فيه كالكلام في قوله قال لعماد
الاله قال صاحب الكشاف فعن هذا الاسم اشتق تأله وإله واستأله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر وفيه نظر
لان لفظ الاله مشتق وكلا اصل على زعم صاحب الكشاف فكيف تكون الافعال المجردة والمزيدة مشتقة من الاسماء المشتقة
بل تكون الافعال المشتقة من المصادر او تكون المصادر مشتقة من الافعال كما هو مذهب الكوفيين واما ان الافعال من المشتقات
فلم يذهب اليه ذاهب واما التشبيه باستنوق من الناقة واستحجر من الحجر فغير صحيح فان الناقة والحجر ليسا من المشتقات
التي يمكن اخذ الافعال من اصولها بخلاف الاله القول الثاني من القولين الذين حكاهما اصحاب سيبويه عنه ان اصل لفظ
الجلالة لاه على وزن فعل فاؤه لام والالف منقلبة من الحرف الذي هو عينه ولامه هاء والذي يدل على ذلك قول بعضهم لهي
ابوك بمعنى لله ابوك قال سيبويه نقلت العين وجعل اللام الذي هو فاء ساكنا اذ صارت مكان العين كما كانت العين ساكنة في لاه
وتركوا اخر الاسم مفتوحا كما تركوا اخر ابن مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروه فالالف
على هذا القول منقلبة عن الياء لظهورها في موضع اللام المقلوبة الى موضع العين وهي في الاول زائدة غير منقلبة عن شيء كما قال
صاحب التسهيل نقلا عن ابي علي الفارسي ان فتحة بناء وسبب البناء تضمن حرف التعريف والالف واللام عنده ضعيف لان الالف
واللام في الله زائدة مع التسمية مستغنى عن معناها العلمية فاذا حذف لم يبق لها معنى تضمن والذي اراه انه مبني لتضمن معنى
حرف موضوع كما قال الجمهور في اسم الاشارة انه بني لتضمن معنى حرف الاشارة معنى من المعاني النسبية الحقيقية بان يوضع لها
فان الاشارة من وضع حرف الاشارة وكذلك قيل في حذا اسم الاشارة بني لتضمن معنى التعجب لا يقع الا في غير تعجب كما لا يقع اسم
الاشارة في غير الاشارة وهو مع بنائه في موضع جر باللام المحذوفة واللام المجرور به في موضع الرفع بمقتضى الخبر بتوابك مرفوع بالابتداء
انتهى كلام صاحب التسهيل واعلم ان الله على تقدير الاشتقاق يحتمل وجوها منها ان يكون مشتقا من اله بالفتح الهة بمعنى عبد عبادة
ومنه قراءة ابن عباس ويذرك والهتك بكسر الهمزة اي عبادتك وكانه يقول ان فرعون كان يعبد من اله بالكسر اذا تحير لانه
اي سكنت اليه لان العقول لا تسكن الا الى ذكره او من اله اذا تحير فيه ولم يهتد اليه فان العبد اذا تفكر فيه تحير لانه مما يحيله الانسان
ويتوهمه فهو بخلافه او من اله الفصيل اذا اولع بامه لان العباد مولعون بالتضرع اليه في كل الاحوال او من اله الرجل اذا فزع من امر نزل
به والهه غيره اجاره اذ العابد يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه
او من وله اذا اشتد تحيره ومن اخواته دله وعله ينظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش
الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح او من لاه اذا ارتفع فانه سبحانه وتعالى ارتفع عن مشابهة الممكنات
ومناسبة المحدثات او من لاه اذا احتجب بمعنى كونه محتجبا من وجوه منها انه بكنه صمديته محتجب عن العقول ومنها انه لو قدر ان
الشمس واقفة في وسط السماء غير طالعة ولا غاربة لكانت الانوار ثابتة على الجدران غير زائلة عنها فقد يخطر بالبال ان هذه الانوار
الثابتة على الجدار ذاتية لكن اذا شاهدنا ان الشمس تغرب وعند غروبها تزول هذه الانوار عن الجدران علمنا ان هذه الانوار
فائضة عن قرص الشمس وكذا ههنا الوجود الحاصل لجميع المخلوقات كالنور الواصل من جناب القدس فلو قدرنا انه يمتنع عليه الطلوع
والغروب والغيبة والحضور لكان بعدمه وبه ينقطع الوجود عن الممكنات فحينئذ كان يظهر ان نور الوجود منه لكنه لما كان القول
والغروب عليه محالا كان ربما خطر ببال بعض الناس ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلذلك وبقوة ظهوره لاشتباه الاحتجاب بنور
الكمال لنوره فلهذا قال بعض المحققين سبحان من احتجب عن العقول لشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره واذا كان كذلك فظهر
ان حقيقته الصمدية محتجبة عن العقول لانا نحن محجبون والخلق محجوبون ولام الله مفخمة اي مغلظة اذا انفتح ما قبل الكلمة او ضم ومرققة
اذا كسر ما قبل الكلمة لقرب الرقيق من الامالة وذكر الزجاج ان تفخيم اللام سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا
عن كابر وحذف الالف التي هي بعد اللام خطا تخفيفا ولانه لا يشبه اللات لان منهم من يكتب اللات بالهاء الرحمن الرحيم قيل هما
بمعنى واحد مثل ندمان ونديم وسلمان وسليم ولهفان ولهيف ومعناهما ذو الرحمة والرحمة ارادة الخير باهله فيكون صفة ذات وقيل
الرحمة ترك عقوبة من يستحق العقوبة واسداء الخير الى من لا يستحق فيكون صفة فعل فجعل بينهما الاتباع وفرق طائفة بينهما
الاتباع وفرق طائفة بينهما فقالوا الرحمن فعلان من رحم كغضبان من غضب وسكران من سكر وهذا البناء لا يقع الا على مبالغة
الفعل فغضبان للممتلئ غضبا وسكران لمن غلب عليه السكر فالرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء والرحيم فعيل من رحم كمريض
من مرض وسقيم من سقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم فان الزيادة في البناء لزيادة المعنى ولذلك قيل الرحمن العاطف على جميع
خلقه كافرهم ومؤمنهم برهم وفاجرهم بان خلقهم ورزقهم قال الله تعالى عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء والرحيم بالمؤمنين خاصة قال

تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وقال بعضهم رحمان الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة فالرحمن من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق
لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء التي لا تستعمل في غير الله واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم
فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فالرحمن خاص اللفظ من حيث انه لا يجوز ان يسمى به احد غير الله عز وجل عام
المعنى من حيث انه يعم جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع والعدل في الاخرة والرحيم عام اللفظ من حيث اشتراك
المخلوقين في التسمية به خاص من طريق المعنى لانه يرجع الى اللطف والتوفيق وهذا معنى قول جعفر الصادق الرحمن اسم خاص بصفة عامة
والرحيم اسم عام بصفة خاصة قال ابن عباس اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر والرحمة في الاصل العطف والحنو اي الميل ومنها
الرحم لانعطافها على ما فيها ووصف الله بها على طريق المجاز فرحمة الله على عباده هي انعامه عليهم لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما ان الله اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه وانما قدم الرحمن الذي هو ابلغ
على الرحيم الذي هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لان الرحمن يتناول جلائل
النعم وعظائمها واصولها فذكر الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف وروى الثعلبي باسناده عن مجاهد
قال الرحمن باهل الدنيا الرحيم باهل الاخرة وجاء في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وقال الضحاك الرحمن باهل السماء حين اسكنهم
السموات وطوقهم الطاعات وجنبهم الافات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم باهل الارض حين ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم
الكتب وعن عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة اقتباسا من قول النبي عليه السلام ان لله عز وجل مائة رحمة وانه انزل منها رحمة
واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة وفي رواية
اخرى ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيمة وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي
اذا لم يسئل يغضب يدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يسأل الله يغضب عليه فنظمها الشاعر
الله يغضب ان تركت سؤاله وبني ادم حين يسأل يغضب وقال ابو بكر الوراق الرحمن بالنعماء وهي ما اعطى وحبا والرحيم بالالاء وهي ما صرف
وزوى وقال محمد الترمذي الرحمن بالانقاذ من النيران بيانه وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم
الجنان بيانه ادخلوها بسلام امنين وقال المحاسبي الرحمن برحمة النفوس والرحيم برحمة القلوب وقال السري الرحمن بكشف الكروب
والرحيم بغفران الذنوب وقال عبد الله بن الجراح الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق وقال ابو بكر الوراق الرحمن بغفران السيئات
وان كن عظيمات والرحيم بقبول الطاعات وان كن غير صافيات وقال يحيى بن معاذ الرازي الرحمن بمصالح معايشهم والرحيم بمصالح
معادهم وقال الحسن بن الفضل الرحمن الذي يرحم ويقدر على كشف الضر ودفع الشر والرحيم الذي يرق وربما لا يقدر على الكشف
وقال ابو بكر الوراق الرحمن بمن جحده والرحيم بمن وحده والرحمن بمن كفره والرحيم بمن شكره والرحمن بمن قال ندا والرحيم بمن قال فردا
والرحمن هل هو منصرف او غير منصرف قال صاحب الكشاف قياسه على اخواته من باب عطشان وغرثان من الغرث وهو الجوع وسكران
ان لا ينصرف قال فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى
فلم يمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة
بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره تقرير الجواب انه تعالى لا
يقتضي ان يكون للرحمن فعلى كاكثر اخواته نحو عطشان وغرثان وسكران وقد عرض اختصاصه بالله تعالى فمنع ان يكون له مؤنث على فعلى
لاختصاصه بالله تعالى كما منع ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة وانتفاء فعلى يقتضي الصرف وانتفاء فعلانة يقتضي منع الصرف فتعارضا
وانتفاء فعلى وانتفاء فعلانة لزماه من العارض الذي هو الاختصاص فتساقطا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض لان الاختصاص
العارض كما اقتضى انتفاء فعلى المقتضي للصرف كذلك اقتضى انتفاء فعلانة المقتضي لمنع الصرف فيقطع النظر عنه فوجب الرجوع الى الاصل
قبل الاختصاص العارض والاصل القياس على نظائره اي الحاقه بنظائره وهو يقتضي ان يكون له فعلى الحاقا باكثر اخواته كعطشان
وسكران لانه الحاق للفرد بالاعم الاغلب لان فعلان فعلى اكثر ويندفع بهذا ما قال صاحب الانصاف ليت شعري بعد امتناع
فعلانة وفعلى ما الذي صرفه بقياسه على عطشان دون ندمان مع ان قياسه على ندمان معتضد بما هو الاصل في الاسماء وهو الصرف
لان فعلان فعلى اكثر من فعلان فعلانة فالحاقه بما هو اكثر اولى واذا كان قياسه على ندمان معتضدا بالاصل في الاسماء الذي هو الصرف
لان هذا الاصل غير معتد به لبعده واعلم ان الالف والنون المزيدتين من اسباب منع الصرف وقد اختلفوا في جهة كونه سببا فذهب
بعض النحويين الى ان الاسم الذي فيه الالف والنون كسكران لا ينصرف لان الالف والنون الزائدتين مشابهة بالفي التانيث وقيل ان الالف والنون
انما يكون سببا لمنع الصرف لان النون في الاصل بدل من الهمزة فاصل سكران سكراء واستدل على ذلك بقول العرب في النسب الى بهراء
بهراني فابدلوا النون من الهمزة وهذا على خلاف القياس قال الجوهري بهراء قبيلة من قضاعة والنسبة اليهم بهراني مثل بحراني على
غير قياس والقياس بهراوي بالواو واذا كان شاذا لا يجعل اصلا وان كانت النون عوضا من الهمزة في سكران فلم لم تعد ايضا لا مناسبة
بين الهمزة والنون فلا وجه لجعل احدهما عوضا عن الاخر وقال البصريون ليس الالف والنون دالا على شيء يصير به فرعا لان الاصل
فلا يكون بانفراده سببا بل من حيث انه مشابه لالفي التانيث يكون سببا بل من حيث قيل المراد بالفي التانيث والذي كانا الالف هو الاول
لانه لمد الصوت والثاني همزة لان اصل حمراء حمرا كسكرى وزيدت لمد الصوت الف وليس هو الف التانيث لان علامة التانيث لا تقع
حشوا فالتقى ساكنان الالف الاولى الذي هو لمد الصوت والالف الثاني الذي هو للتانيث فلم يحذف الاولى لان الاولى جيء بها لمد
فيها فيكون الجلب عبثا ولا الثاني لانه علامة التانيث فتعين التحريك وتحريك الاول يستلزم رد المقصود الذي هو مد
الصوت فتعين تحريك الثاني ولكون الثاني قريبا الى موضع التغيير وهو الطرف والالف المتحرك همزة وسمي الثاني الف التانيث نظرا
الى الاصل وتسمى الاولى ايضا الف التانيث بالمجاورة وقيل المراد بهما الف المقصور والثاني من الممدود فاذا اعتبر القول الاول فالتانيث

نفع للالف والنون بمجموع الالفين فاذا اعتبر القول الثاني يعتبر المشابهة بكل منهما على انفراده ووجه المشابهة ان الالف و
النون زائدتان في اخر الاسم كما ان الفي التانيث كذلك وانهما لا يدخل عليهما تا التانيث كما لا يدخل على الفي التانيث وان الاولى
من الفي التانيث الالف والنهما زيد تا معا في اخر الاسم فانه لم يستعمل بكرا ثم الحق به النون كما في حمرا والاخير انما يعتبر في القول
الاول فان قيل لم لا يجوز ان يكون الاصل سكرا ثم الحق النون للمذكر اجيب بانه لا يجوز ان ينقلب الاصل فرعا والفرع اصلا فان التذكير
اصل والتانيث فرع كما ذكرنا ولحوق علامة التانيث متاخر عن التذكير فان قيل علامة التذكير قد تلحق الاسم الذي اطلق على المؤنث
والعدد فلم لا يجوز ان يكون ههنا كذلك اجيب بان التا في العدد علامة تانيث الجماعة وحذفت في التانيث للفرق فصار التا
علامة التذكير بالعرض ومنهم من شرط ان يكون قبل الالف ثلثة احرف احترازا عن بيان نوعما اذا سمي بهما وهذا ليس بشي
فان الامتناع من الصرف انما هو بسبب زيادتهما مع المشابهة المذكورة وكما لا يعتبر هذا الشرط في المؤنث لا يعتبر ههنا واذا تقرر هذا
فنقول الالف والنون اما ان يكون في اسم غير صفة او في صفة والاول شرط كونه مانعا من الصرف العلمية لان العلمية تقوي
الالف والنون بالفي التانيث وذلك لانه اذا كان علما امتنع دخول تاء التانيث فيما فيه الف التانيث واذا لم يكن علما لا يمتنع
دخول تاء التانيث عليه ولهذا يقال للمذكر مرجان وللمؤنث مرجانة وكذلك سعدان وسعدانة فعلى هذا لو سمي بهما امتنع
من الصرف وان كان صفة فقد اختلفوا فيه فقيل شرطه انتفا فعلانة ليتحقق المشابهة بامتناع دخول التاء وقيل شرطه
وجود فعلى لانه اذا كان له فعلى لم يقل فيه فعلانة استغنا بفعلى عنه فامتنع دخول التاء فحصل الشبه به ومن اجل هذا
الاختلاف اختلف في رحمن دون سكران وندمان وقد علم بالاستقراء امتناع الجمع بين فعلى وفعلانة دون الخلو فان رحمان
رفعهما فما تحقق فيه فعلى كسكران يكون ممتنعا من الصرف بالاتفاق لوجود فعلى وانتفا فعلانة وما تحقق فيه فعلانة كندمان
يكون منصرفا بالاتفاق لانتفا فعلى ووجود فعلانة وما لم يتحقق فيه واحد منهما كرحمن يختلف فيه فمن اعتبر انتفا فعلانة يكون
عنده غير منصرف لوجود الشرط ومن اعتبر وجود فعلى يكون منصرفا عنده لانتفا الشرط واعتبار الاول اي انتفا فعلانة اولى
واليه ذهب الاكثرون لوجهين احدهما ان ما فيه الالف والنون ممنوع من الصرف لشبه الالف والنون بالفي التانيث في تبعيتهما
بها بامتناع دخول التا عليه فانتفا فعلانة مصحح للشبه المانع من الصرف فاذا انتفى فعلانة حصل المقصود الثاني انه لو قدر
الامرين فانتفا فعلانة اولى بالاعتبار لانه الاكثر في كلامهم فيحمل على ما هو الاكثر لا ان باب سكران اكثر من باب ندمان
فاذا احتمل ان يكون من كل منهما فعلى ما هو الاكثر اولى الحمد اعلم ان ههنا ثلثة الفاظ متقاربة المعنى وهي المدح والشكر والحمد
فالمدح هو الثناء الحسن القولي للحي وغيره فانه للانسان والحيوان غير الانسان والجماد نحو اللؤلؤ والياقوت ولا يقتضي ان يكون
في مقابلة الاحسان والحمد هو الثناء الحسن القولي على الجميل الحي العالم القادر المختار من نعمة وغيرها يقال حمدت الرجل على
انعامه وحمدته على حسبه وهو ما يعده الانسان من مفاخر ابائه ويقال الحسب دينه ويقال ماله قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان
في الرجل وان لم يكن له اباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان الا بالاباء فالحمد اخص مطلقا من المدح وهو خاتمة المدح يقال حمادك
ان تفعل كذا اي قصاراك وغايتك ومن المحمد قيل لما كان نهاية المدح بداية الحمد دعي هذا في اللفظ فجعل الحا الذي هو اخر المدح اول
الحمد ولا يقال المدح لله او مدحت الله لانه لا يدل على كونه فاعلا مختارا فلا يدل على اقرانه بانه فاعل مختار بخلاف الحمد لله فانه يدل
على الله معروف بانه عالم قادر فاعل مختار والشكر هو الثناء الحسن على المحسن بما اولاه من المعروف فيكون الشكر على النعم خاصة
وهو بالقلب واللسان والجوارح قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا وقد انشد صاحب الكشاف قول الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة
يدي ولساني والضمير المحجبا وفي معرض بيان ان الشكر بالقلب واللسان والجوارح ولا يخفى انه لا يفيد الغرض والحمد باللسان
وحده قال تعالى وقالوا الحمد لله وقال الحمد لله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال
احد شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها
وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب ولما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح
عن كل خفي ويجلي كل مشتبه فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وقيل
في الفرق بينهما ان المدح مطلق الثناء سوا استحقه الممدوح اولا والحمد هو الثناء على من يستحقه سواء احسن الى الحامد
او لا والشكر الى الشاكر وقيل الحمد الثناء على الرجل بما فيه والشكر الثناء عليه بما منه وقد يوضع الحمد موضع الشكر يقال
حمدته على معروفه عندي كما يقال شكرته ولا يوضع الشكر موضع الحمد فلا يقال شكرته على علمه وقيل الحمد لله على ما اجاد وهو النعما
والشكر على ما ندى وهو البلاء وقيل الحمد على النعما الظاهرة والشكر على النعما الباطنة قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
[illegible]

ساع ويسمى عهدا مجازيا لا انه لا انطلق في مطلق العقد بطريق المجاز اي يكون حاضرا مشاهدا كمعنى الذي سد دسمها
القرطاس والله والعهد الذهني هو ان يقصد الى الحاضر في الذهن تحقيقا او تقديرا بان يكون الشي محتاجا اليه فكانه هو الحاضر
في الذهن او بان يكون عظيم الخطر معقود الهمم به فيكون كالشي الحاضر في الذهن دبرجه اخر وهذا الوجه تارة يكون على وجه التحكم
وتارة تكون على سبيل التحقيق واعلم ان الالف واللام يحتمل ان يكون موضوعا لخصوصية كل منها اي من تعريف العهد وتعريف الجنس
وتعريف العموم حتى يكون مشتركا اشتراكا لفظيا او يكون موضوعا للقدر المشترك بين هذه الثلاثة حتى يكون اطلاقه عليها
بطريق التواطي او يكون موضوعا لاحدهما واستعماله للاخر بطريق المجاز وحينئذ اما ان يكون موضوعا للعهد واستعماله
في العموم والجنس بطريق المجاز او يكون موضوعا للجنس واستعماله في العهد والعموم بطريق المجاز او يكون موضوعا للعموم واستعماله
في العهد والجنس بطريق المجاز والاولى انه يقال انه ظاهر في العموم من غير قرينة واستعماله في العهد والجنس يتوقف على قرينة
والظاهر انه للتعريف بشرط العموم قال صاحب الكشاف التعريف في الحمد هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم
فقيل كان ابن الصاحب الكشاف بهذا القول لان بعض الحمد لغير الله تعالى بناء على مذهبه وهو ان افعال العباد مقدورة لهم وليس كذلك
فانه لا حمد الا لله تعالى نعم تعريف الجنس ليس مما يقتضي الاستغراق ولكن يحتمله فاذا لم يمنع مانع اقتضاه المقام كان مرادا منه وكيف لا
كان الحمد الوصف الجميل على جهة التعظيم والله تعالى خالق كل جميل وجمال وكمال وخالق كل له الجمال والكمال وخالق لكل ما يستحق
به الحمد من الافعال فله الحمد بالحقيقة وان اضيف في الظاهر الى غيره وقيل الظاهر انه مراده لان هذا نادا جعل الجنس ايضا
يحتمل هذا المعنى وهو ان الحمد كله لله لانه يكون معناه ان جنس الحمد مختص بالله تعالى فان اللام في لله للاختصاص فلو كان
لغيره حمد لا يكون جنس الحمد مختصا بالله وهذا ابلغ من ان يكون للاستغراق والحق انه يصح ان يكون التعريف ههنا بكل من الاربعة
اما الحقيقية فلان حقيقة الحمد المتعلق له المتناولة عن سائر الحقائق لله تعالى واما العموم بحسب الحقيقة فلان جميع افراد الحمد
لله تعالى اما العموم بحسب المجاز فلان الفرد من الحمد الجامع لخصائص جميع الافراد الكامل في جنس الحمد لله تعالى واما العهد الخارجي
فلان الحمد الحاضر الذي هو المقارن لكل امر ذي بال لله تعالى واما العهد الذهني فلان الحاضر في الذهن تحقيقا او كالحاضر في الذهن
لحاجة اليه او لكونه عظيم الخطر معقود الهمم به تعالى فيعتبر الحمد بجميع المعاني وبحسب المال لله لصحة اطلاق اللفظ المشترك
على جميع المعاني الحقيقية والمجازية اذا لم يكن بينهما تضاد والحمد مبتدا خبره الظرف الذي هو لله قال صاحب الكشاف واصله
النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا
وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك اي ابجل سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها
ولذلك لا يستعملون معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة
على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه
حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل
اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاولى ان لا يجعل اصله النصب لانه
حينئذ يحتاج الى تقدير فعل والاصل عدم التقدير ولحسن الوجوه احدها انه لو قال احمد الله فادكون القائل حامدا لله اذا قال
الحمد لله فقد افاد ذلك انه كان محمودا قبل حمد الحامدين فهو محمود من الازل الى الابد بحمده العظيم وكلامه القديم سوا حمدوا
او لم يحمدوا وثانيها ان قوله الحمد لله يقتضي ان الحمد حق لله تعالى يستحقه لذاته بسبب كثرة اياديه واسباغ نعمه الظاهرة
والباطنة على العباد وقوله احمد الله لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد واللفظ المفيد لكونه مستحقا للحمد اولى من اللفظ
الدال على ان شخصا حمده وثالثها انه لو قال احمد الله كان قد حمد لكن لا حمدا يليق به اما اذا قال الحمد لله فكانه قال من اتى بحمده
لكنه محمود بجميع حمد الحامدين ورابعها ان الحمد عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا
للتعظيم والاجلال فان تلفظ الانسان بقوله احمد الله مع انه كان غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لانه اخبر
عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك اما اذا قال الحمد لله فسوا كان غافلا او مستحضرا لمعنى التعظيم فانه يكون صادقا
لان معناه الحمد حق لله وهذا المعنى حاصل سوا كان الانسان مشتغلا بمعنى التعظيم والاجلال او لم يكن فثبت ان قوله
الحمد لله اولى من قوله احمد الله وقوله الحمد لله اولى من قوله الشكر لله لان قوله الحمد لله ثناء وبناء على الجميل من نعمة وغيرها
والشكر بحسب انعام وصل الى الشاكر ولا شك ان الاول افضل واعلم انه لا يقال المدح لله ولا المدح لله ولا يقال الحمد لله
ولا للانسان وغيره اما الاول فالترفيه ان المدح حاصل للحي وغيره والفاعل المختار وغيره فاذا قيل المدح لله لم يدل ذلك
على كونه فاعلا مختارا اما اذا قيل الحمد لله فيدل على كون القائل معترفا بانه فاعل مختار لا موجب بالذات واما الثاني فلانه
لا يستحق الحمد الا الله وقوله الحمد لله اولى من قوله الحمد لرب العالمين او للخالق او للقادر او للعالم او لغيرها من الاسماء والصفات
لان الله اسم للذات الجامعة لصفات الكمال فالحمد لله حمد له على جميع الصفات الكمالية بخلاف الحمد لرب العالمين او للخالق واعلم
ان اللام في لله يحتمل الاختصاص اللائق نحو الجل للفرس والملك نحو المال لزيد والقدرة والاستيلاء نحو البلد للسلطان
فان الحمد لا يليق الا بالله تعالى لغاية جلاله ونهاية افضاله ولانه تعالى مالك الكل فهو يملك كونهم مشتغلين بحمده ولانه موجد
لكل قادر عليه فلا يستحق والقدرة له تعالى قيل الحمد لله يحتمل ان يكون اخبارا اخبر الله تعالى به والفائدة فيه انه بين ان حقيقة
الحمد له وتحصيل كل الحمد له لا لغيره ويحتمل ان يكون هذا انشاء اثنى به على نفسه قبل عباده في اول كتابه ثناء عليه ويشكر له بكسبون
بقوله وفائدته اعظم الثواب ويكون المعنى قولوا الحمد لله فيضمر القول ههنا كما يضمر في قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم

الا ليقربونا معناه يقولون ما نعبدهم والاحتمال الثاني ضعيف لان الاضمار انما يصار اليه ليصح الكلام لان قوله الحمد لله اخبار
عن كون الحمد حقا لله وملكا وهذا كلام تام في نفسه فالاضمار يزيل الفهم قوله تعالى رب العالمين ○ الرب جاء بمعنى
المعبود قال الشاعر ارب يبول الثعلبان براسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب وبمعنى السيد المالك كقولهم رب العبيد
والدار وبمعنى القائم بالامور المصلح لما يفسد فيها قال لبيد واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر
وقولهم اديم مربوب اي مصلح وبمعنى الملك ومنه قول صفوان بن امية لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني
رجل من هوازن وبمعنى المربي من التربية التي هي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا قال الشاعر ربا الذي ياتي من الخير انه
اذا فعل المعروف زاد وتمما يقول ربه يربه فهو رب كما يقول نم عليهم فهو نم ثم سمي به ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة
وقوله تعالى ارجع الى ربك وقوله انه ربي احسن مثواي وذلك انه لا يملك الكل غير الله عز وجل والالف واللام يدلان على العموم
ورب العالمين بجميع المعاني يصح ان يوصف به تعالى فانه هو المعبود المالك القائم بالامور المصلح لما يفسد فيها الملك المربي
جميع العالم وهو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين الجن والانس وقيل هو بنو ادم خاصة لقوله تعالى اتاتون الذكران
من العالمين وقيل الانس والجن لقوله للعالمين نذيرا وقيل اسم لكل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض وفي الجملة اسم
لجميع المخلوقات لان كلا من المخلوقات يعلم به الخالق وكانما جمع ليشمل كل جنس مما سمي بالعالم والتحقيق فيه ان كل ما يجمع
اسماء الاجناس ثم يعرف تعريفا للعموم يفيد امرين احدهما ان ذلك الجنس تحته اجناس مختلفة والجمع يفيده وثانيهما انه
مستغرق لكل جنس سمي به والتعريف يفيده والعالم اسم غير صفة وانما جمع بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة
على معنى العلم والعلامة اما اذا كان الدلالة على معنى العلم فلاختصاصه بذوي العلم واما اذا كان الدلالة على معنى العلامة
فالتغليب فانه لما كان في المخلوقات ذووا العلم غلب جانبهم والبعض المحققين من المتكلمين العالم اسم لكل موجود سوى
الله تعالى سمي به لدلالته على وجوده تعالى وكل ما سوى الله تعالى اما ان يكون متحيزا او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك والمتحيز
جسم ان قبل القسمة والا فجوهر فرد والجسم اما ان يكون من الاجسام العالية التي هي الافلاك والكواكب والعرش والكرسي
وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة او من الاجسام السفلية وهي اما بسيطة وهي العناصر الاربعة الارض والماء
والهواء والنار او مركبة وهي المعادن والنبات والحيوان على كثرة اجناسها وتباين انواعها وصفة المتحيز هي الاعراض وهي
اجناس كثيرة والذي ليس بمتحيز ولا صفة للمتحيز هو الارواح سفلية خيرية هم صالحو الجن شريرة خبيثة هم الشياطين
وعلوية متعلقة بالاجسام وهي الارواح الفلكية وغير متعلقة بها وهي الارواح المطهرة المقدسة فهذه اقسام العالم
قوله تعالى الرحمن الرحيم ○ وقف كاف لان النبي عليه السلام وقف ولان تعدد ما فيه معنى القوة والجبروت فيهما
بعد من الرحمة قوله تعالى مالك يوم الدين ○ قرا عاصم والكسائي مالك يوم الدين والباقون من السبعة ملك يوم الدين
قيل هما بمعنى واحد وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا قادر على ذلك الا الله وقيل مالك من الملك والملك
بفتح الميم وكسرها وملك من الملك بضم الميم قال صاحب الكشاف ملك هو الاختيار لقراءة اهل الحرمين الذين هما موضع التنزيل
ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص وقيل المالك هو الاختيار لان الله تعالى وصف نفسه
بانه مالك كل شيء بقوله رب العالمين فذكر مالك يوم الدين يعرى حينئذ عن الفائدة وهذا ليس بشيء لان ذكر الخاص بعد العام
قد يفيد فوائد جليلة وهاهنا افاد عظم يوم الدين شانا قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وفي القران
وقع ذكر الخاص بعد العام كثيرا مثل وبالاخرة هم يوقنون بعد قوله يؤمنون بالغيب والغيب يعم الاخرة وغيرها وقوله تعالى وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له وذكر الرحيم بعد الرحمن ولان الرب بمعنى المالك ايضا
قال الراغب المالك هو المتصرف في جميع الاشياء والملك هو المتصرف على الجمهور بالامر والنهي والمالك اجمع واوسع يقال الله
مالك الطير وما للدواب والوحوش وكل شيء ولا يقال الملك الا لكل شيء وانما يقال ملك الناس ولا يكون مالكا للشيء وهو
لا يملكه كقولهم ملك العرب والعجم والروم والترك وقيل المالك هو الاختيار لان فيه زيادة الحسنات قال النبي عليه السلام من
قرا القران فله بكل حرف عشر حسنات ويوم الدين يوم الجزاء اي يوم يدين الله العباد باعمالهم تقول العرب دنته بما فعل اي جازيته
ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون ومنه قولهم كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا ومعنى قوله تعالى مالك يوم الدين انه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم بخلاف الدنيا فانه يحكم فيها الولاة والقضاة ولا
احد الحكم في ذلك اليوم الا الله وتقدير الاية مالك يوم الدين الاحكام وحذف المفعول به لدلالة عليه واضيف اسم الفاعل
الى الظرف على طريق الاتساع اجري الظرف مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية اي مالك
الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم واضافة اسم الفاعل هاهنا اضافة حقيقية لانه بمعنى الاستمرار او بمعنى الماضي مفيدة
للتعريف فلذلك وقع صفة للمعرفة ولو جعلته بمعنى الاستقبال لكون الاضافة لفظية غير مفيدة للتعريف فيكون بدلا لا صفة
ويصح ان يكون اضافة اسم الفاعل هاهنا الى المفعول به بان يكون يوم الدين مفعولا به ويكون المعنى ان الله تعالى يملك يوم الدين
ان ياتي به كما يملك سائر الايام وخصه بالذكر لعظمه في جمعه وحوادثه واعلم ان بعد الدلالة على اختصاص الحمد به تعالى
وانه به حقيق في قوله الحمد لله اجريت هذه الاوصاف عليه سبحانه فعلم من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منه شيء
من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الثواب والعقاب ليدل على انه من كانت هذه اوصافه حقيق بالحمد والثناء عليه بما هو اهله فائدة انه تبارك وتعالى ذكر في هذه

السورة

السورة من الاسماء الحسنى خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والملك والسر فيه انه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باسباغ النعم الظاهرة والباطنة فانا رب ثم عصيت فسترت فانا رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء
فانا المالك ليوم الدين وذكر الرحمة مرة في التسمية ومرتين في السورة ووقع التكرار فيها بخلاف الاسماء الثلاثة تنبيها على ان
العناية بالرحمة اكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة ذكر مالك يوم الدين حذرا من الاغترار ونظيره غافر الذنب الى
شديد العقاب قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ○ قال صاحب الكشاف ايا ضمير منصوب منفصل واللواحق التي
تلحقه من الكاف والهاء والياء في اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف
في ارايتك وليست هذه اللواحق باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وحجة الاخفش ان ايا على وجه واحد لا يتوارد عليه وجوه الاعراب وهو علامة
كونه مضمرا فتمتنع اضافته الى ما بعده وهو مذهبهم مكي بعض المنصوب ثم زيدت الكاف والهاء تفرقة بين الخاطب والغائب
وقال الخليل انما ايا اسم مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف فهذه اللواحق مجرورة المواضع باضافته اليها وحجته ما حكاه
واجيب بانه شاذ وهذا جواب عن قول من يقول ان ايا مظهر لان المضمر لا يضاف اذ لا معنى له سوى الاشارة التي هي التعريف عند
الاضافة ينسلخ الاسم عن التعريف فيكون من نحو الاضافة تعطيل المعنى [illegible] وقد اضيف هنا فلا يكون
مضمرا وحكي عن بعض الكوفيين ان الكاف والهاء والياء اسماء مضمرة لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون الا متصلات فاذا تقدمت
الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي فاذا تاخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا فقال الكاف والهاء والياء في اياك
واياه واياي كهن في نصرك ونصره ونصرني وايا عماد كالنون في نصرني وجه فساده ان الضمير لا يعمد بما هو اكثر منه وحكي عن
بعضهم ان اياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره غيره واياك يستعمل متقدما على الفعل مثل اياك نعبد ولا يستعمل
مؤخرا عن الفعل الا اذا فصل بينه وبين الفعل فيقال ما نصرنا الا اياك ونحوها والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب
ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج وطريق معبد اذا كان مذللا بالاقدام وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه
ولذلك لم يستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم وكان حقيقا باقصى غاية الخضوع وقيل العبادة [illegible]
للشاكر في الطاعة وقيل العبادة في الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير [illegible]
المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها ولا نستعين غيرك [illegible] والاستعانة طلب المعونة [illegible]
بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته وقدم العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة يستدعي الاجابة اليها واطلقت الاستعانة لتتناول الامور كلها قال صاحب الكشاف ليتناول كل مستعان
فيه قال والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف
اعينكم قالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجز بعض [illegible]
والاختصاص فانه يفيد المبالغة في تخليص الاستعانة كالمبالغة في تخليص العبادة وتخصيصها به وقيل اياك نعبد لانك
خلقتنا واياك نستعين لانك هديتنا وقيل اياك نعبد لانك الصانع واياك نستعين لان المصنوع لا غنى له عن الصانع
اياك نعبد لتدخلنا الجنان واياك نستعين لتعيذنا من النيران [illegible]
نعبد لانك المعبود بالحقيقة واياك نستعين لانك المستعان به في كل شيء واما تقديم المفعول فللتخصيص [illegible]
من الله الى العبادة لا من العبادة اليه والمراد بالنون في نعبد ونستعين نون الجمع لا نون التعظيم [illegible]
ذكر العبادة مخلوطة بعبادة جميع العابدين تنبيها على ان عبادته لم تبلغ الى حيث يستحق ان تذكر وحدها [illegible]
من التقصير ولكنها مخلوطة بعبادة جميع العابدين قال صاحب الكشاف فان قلت لم عدل عن لفظة الغيبة الى لفظ الخطاب
قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان ولا يختص الالتفات بنقل الكلام من لفظة الغيبة الى لفظ الخطاب كما في هذا الموضع
ومن الخطاب الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقد يكون من المتكلم الى الغيبة [illegible]
فنقل الكلام الى الخطاب واعلم ان تحسينات الكلام على قسمين قسم يرجع الى اللفظ وقسم يرجع الى المعنى والالتفات من القسم الثاني
وهو بهذا الاعتبار من علم البيان وله اعتبار اخر وهو اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر وهو بهذا الاعتبار من علم المعاني والعرب
يستكثرونه وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه فانهم يرون ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان
ذلك احسن تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد يختص مواقعه بلطائف
شريفة وفوائد لطيفة وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود قال صاحب المفتاح [illegible]
[illegible]

ذلك الشأو أطار قلبه وتركه جائرا أيما فطن معه لمقتضى الحال من الحكاية تجري على لسانه ما كان لغة من الخطاب لذاته
في مجاري أمور الكبار أمرا ونهيا والإنسان إذا أصابه ما يحسن معه اللفظ لا يكاد يسلم كلامه عن أمثال ذلك لتأدي العدد
عن مقتضى الحال وفي الالتفات الثاني على أنه يعد الصيغة الأولى حين فاق شيئا مدركا بعض الإدراك ما وجد النفس منه
مبني الكلام على الغيبة قائلا وبات وفي الالتفات الثالث على ما سبق وينبه في الالتفات الأول على أن نفسه حين لم تشبع ولم تصبر
فاطلة ذلك فأقامها مقام المستحق للعتاب قائلا على سبيل التوبيخ والتعيير تطاول ليلك وفي الالتفات الثاني على أن الحامل
لخطابه والعتاب لما كان الغيظ والغضب فحين سكنت غمة الغضب بالعتاب الأول تولى عنه الوجه وهو في تقدم قائلا
وبات وفي الالتفات الثالث على ما تقدم قال صاحب الكشاف ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه
تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز
بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل
على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة إلا به قال صاحب المفتاح إذا كنت في حديث مع إنسان وقد حضر مجلسكما
ذو نعم عليك كثيرة فإذا أخذت في تعديدها عند صاحبك مستحضرا لتفاصيلها أحسست من نفسك بحال كأنها تطالبك
بالإقبال على منعمك وتزين لك ذلك الإقبال ولا تزال تتزايد ما دمت في تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدري على أن تجدك
وأنت معه في الكلام تثني عليه وتدعو له وتقول بأي لسان أشكر صنائعك وبأي عبارة أحصر عوارفك التي أودعتها
عليك وتأمل الالتفات في إياك نعبد وإياك نستعين بعد الالتفات لما قبله قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين على الوجه الذي يجب وهو أن تتأمل القلب علمت ما موقعه وكيف أصاب المحز وطبق مفصل البلاغة لكونه مبنيا
على أن العبد المنعم عليه بتلك النعم العظام الفائتة الحصر إذا قدر أنه ماثل بين يدي مولاه من حقه إذا أخذ في القراءة أن يكون
قراءته على وجه يجد معها من نفسه شبه محرك إلى الإقبال على من يحمد صائرا في أثناء القراءة إلى حالة شبيهة بإيجاب ذلك
عند ختم الصفات مستدعية انطباقها على المنزل على ما هو عليه وإلا لم يكن قاريا والوجه هو أنه إذا افتتح التحميد أن يكون
افتتاحه عن قلب حاضر ونفس ذاكرة يعقل فيم هو وعند من هو فإذا انتقل من التحميد إلى الصفات أن يكون انتقاله محذوا به
حذو الافتتاح فإنه متى افتتح على الوجه الذي عرفت مجريا على لسانه الحمد لله أفلا يجد محركا للإقبال على من يحمد من معبود عظيم
الشأن حقيق بالثناء عليه والشكر مستحق للعبادة ثم إذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله رب العالمين واصفا بكونه ربا
مالكا للخلق لا يخرج شيء من ملكوته وربوبيته أليطن ذلك المحرك لا يقوى ثم إذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه
منعما على الخلق بأنواع النعم جلائلها ودقائقها مصيبا إياهم بكل معروف أفلا يتضاعف قوة ذلك المحرك عند هذا
ثم إذا آل الأمر إلى خاتمة هذه الصفات وهي مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الحشر للثواب
والعقاب فما ظنك بذلك المحرك أيسع ذهنك أن لا يصير إلى حد يستدعي عليك الإقبال على مولى شأن نفسك معه منذ
افتتحت التحميد بما تصورته فتستطيع أن لا تقول إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك فلا تنطق على حسب ذلك
ما هو عليه قوله تعالى • اهدنا الصراط المستقيم • الهداية الدلالة والإيصال إلى المطلوب وهدى أصله أن يتعدى
باللام كقوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أو بإلى كقوله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقيل يتعدى بنفسه
كهذه الآية قال صاحب الكشاف هو من باب معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وصيغة الأمر والدعاء واحد لأن كلا منهما
طلب وتفاوتهما بحسب الرتبة فإن رتبة الأمر الاستعلاء ورتبة الدعاء الخضوع والتسفل ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون
طلب زيادة الهدى قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وطلب التثبيت عن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وطلبهما
وإنما قال اهدنا ولم يقل اهدني لأن الدعاء متى كان أعم كان إلى الإجابة أقرب السراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسترط
السابلة إذا سلكوه كما سمي وسط الطريق لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لأن الطاء من الحروف المستعلية
أي التي يرتفع بها اللسان إلى الحنك وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والسين من الحروف المنخفضة التي هي
بخلافها وبين المستعلية والمنخفضة تنافر فيكون بين السين والطاء تنافر فقلبت السين صادا لأن الصاد يوافق الطاء في الاستعلاء
فيندفع التنافر ويحسن الصوت ولا يثقل بالنقل من المنخفضة إلى المستعلية وبعضهم أبدل السين زايا لأن الزاي إلى الطاء
أقرب من الصاد لأنه لا إن الزاي مجهور كالطاء والصاد مهموس والمجهور ما ينحصر جري النفس مع تحركه فيقوى فيه الصوت
في الاعتماد عليه ويجمعها قولك زاد ظبي غض لضمور إذ انقطع والمهموسة ما لا ينحصر فيه الصوت فيخفى فيه الصوت في الاعتماد
عليه ويجمعها ستشحثك خصفه فلما كان الصاد يخالف الطاء أبدلوها زايا لتوافقهما في الجهر وبعضهم أشم الصاد صوت الزاي
لأنهم تركوا جهر الطاء وإطباقه فقربوا الصاد من الزاي مراعاة لإطباق الصاد وجهر الطاء وقرأ ابن كثير بالسين فيهما وحمزة والكسائي
بإشمام الصاد الزاي والباقون بالصاد الخالصة وهي فصحاهن ولغة قريش والثابتة في الإمام ويجمع السراط على سرط نحو
كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام وعن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل وقيل طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه
من بعده أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال بكر بن عبد الله المزني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن الصراط
المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعن سعيد بن جبير طريق الجنة وعن محمد بن الحنفية دين الله الذي
لا يقبل من العباد غيره وعن أبي بريدة صراط محمد وآله عليهم الصلاة والسلام وقيل طريق لا يرتفع به الأهواء يمينا وشمالا وقيل
طريق الخوف والرجاء وقيل طريق العبودية وقيل طريق السنة والجماعة لأن البدعة لا يكون مستقيمة وعن عبد الله بن مسعود

قال

قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط عن يمينه وخطا عن شماله ثم قال هذه السبل وعلى كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه وهذا سبيل الله ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وعنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتحة وعلى
الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط
فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسور حدود الله تعالى والأبواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي على الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم وقيل الصراط المستقيم هو الوسط
بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق فإن في كل خلق من الأخلاق طرفي إفراط وتفريط وهما مذمومان والحق هو الوسط
ويؤكد ذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وذلك الوسط هو العدل والصواب الذي هو الخط المستقيم قوله
تعالى • صراط الذين أنعمت عليهم • الذين لجماعة المذكرين في الأحوال الثلاث واللذون في الرفع على بعض اللغات وهو
اسم موصول محتاج إلى الصلة وعائده وهو مبني وكتب بلام واحدة تخفيفا لكثرة الاستعمال وقوله صراط الذين أنعمت بدل
من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال
للذين استضعفوا لمن آمن منهم قال صاحب الكشاف فإن قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم قلت
فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة
لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه
بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا
وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو
المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون قال صاحب الكشاف أطلق الإنعام
ليشمل كل إنعام لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه قال صاحب الانتصاف ليس شمول
الفعل لا عموم له كمصدره والتحقيق أن الإطلاق يقتضي إبهاما وشيوعا والنفس إلى المبهم أتوق منها إلى المقيد لتعلق الأمل
مع الإبهام بكل نعمة تخطر بالبال وهذا ليس بشيء قوله فإن الفعل لا عموم له كمصدره قلنا مسلم ولكن العموم غير مستفاد
من ترك المفعول فإن الحالة المقتضية لترك مفعول الفعل المتعدي القصد إلى التعميم والامتناع من أن يقصر السامع الفعل
على ما يذكر مع الفعل دون غيره مع الاختصار وأنه أحد أنواع حسن الكلام والبلاغة حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى
فإن العقل يحكم على الفعل المتعدي بالمفعول فإذا لم يذكر المفعول فلا بد من تقدير وتقدير واحد معين تحكم وتخصيص بلا مخصص
عند عدم القرينة الدالة على المعين وواحد منهم لا يليق بالكلام البليغ لقلة الجدوى فتقدير المفعول على التعميم وأما قوله
والتحقيق أن الإطلاق يقتضي إبهاما وشيوعا فغير مستقيم فإن الإطلاق لا يقتضي إلا الماهية المطلقة من غير إبهام و
شيوع فإن الإبهام والشيوع إنما هما باعتبار الأفراد والمتعلقات على أن قوله يقتضي شيوعا ينافي قوله إن الفعل لا عموم له
وقوله والنفس إلى المبهم أتوق منها إلى المقيد لتعلق الأمل مع الإبهام بكل نعمة تخطر بالبال قلنا هذا الكلام ساقط لأن الإنعام
[illegible]

من الفعل إلى العموم مستفاد

[illegible]

إياك نعبد والعلم بأنه لا يمكنه الإتيان بالعمل إلا بإعانته تعالى وإليه الإشارة بقوله وإياك نستعين والأثر المترتب على العمل
من طلب الهداية والانكشاف وإليه الإشارة بقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الجامعين بين معرفة الحق والعمل الصالح
وإليه الإشارة بقوله أنعمت عليهم دون المخلين بالعمل الصالح أي الفسقة وإليه الإشارة بقوله غير المغضوب عليهم
ودون المخلين بالاعتقاد الصحيح أي أهل البدع والكفر وإليه الإشارة بقوله ولا الضالين الثاني في المسائل الفقهية
المتعلقة بالفاتحة قراءة الفاتحة في كل ركعة حتم مفروض على كل مسلم يحسن القراءة ولا يقوم ترجمتها ولا غيرها من القرآن
مقامها وهي ركن في صلاة الإمام والمنفرد فرضا ونفلا والمأموم يقرأ الفاتحة خلف الإمام وهو حتم فرض عليه إلا في
ركعة المسبوق ولا فرق بين أن يكون الصلاة سرية أو جهرية وحكى المزني ولا آخر عن الشافعي أنه إذا أسر الإمام قرأ المأموم
حتما وإن جهر بالقراءة سقطت القراءة عن المأموم وهذا مذهب مالك والذي لم ينقل بنفسه من الشافعي إلا هذا القول
ونقل الأصحاب من الشافعي القول الأول والدليل عليهما ما روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت أنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فإن تركها ناسيا ففيه قولان قال في القديم يجزيه لأن عمر رضي الله عنه
ترك القراءة فقيل له فقال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال لا بأس وقال في الجديد لا يجزيه لأنها كان
ركنا في الصلاة لم يسقط عنه بالنسيان كالركوع والسجود ولعموم من قوله لا صلاة لمن وقال أبو حنيفة قراءة القرآن
فرض في الصلاة لا تصح الصلاة بدونها وأنه ثبت بدليل قطعي وهو قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن وأما قراءة
الفاتحة فواجبة تصح الصلاة بدونها وتقوم ترجمتها وغيرها من القرآن مقامها لأنه ثبت بدليل ظني وهو قوله عليه السلام
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وقال لا يجب القراءة في الركعتين الأخيرتين فطرد مذهبه في جميع الحالات منفردا
كان المصلي أو إماما وقال لا يجب على المأموم أصلا واستدل أصحابه عليه لأحاديث عديدة كلها ضعيفة قد بين البيهقي
علل جميعها وعلى تقدير صحتها يأول فيحمل على قراءة السورة أو المسبوق جمعا بين الدليل على وجوب القراءة عليه وبينها
ونقل عن الحسن بن صالح وأبي بكر الأصم أنهما قالا لا يجب القراءة أصلا بل هي مستحبة واستدلا بما روي أن عمر صلى المغرب
فلم يقرأ فقيل له فقال كيف كان الركوع والسجود قيل حسنا قال فلا بأس وأجيب عنه بأنه ضعيف وعلى تقدير صحته محمول على أسراره بها
وبما روي أن رجلا قال للنبي إني صليت ولم أقرأ قال أتممت الركوع والسجود قال نعم قال تمت صلاتك وأجيب بأنه ضعيف أيضا
وبما روي عن زيد بن ثابت أن القرآن سنة وأجيب بأنه أراد به أنه لا يجوز إلا على ما في المصحف ولا يجوز مخالفته وإن كان
مستقيما من جهة العربية وحكي عن الحسن البصري وبعض أصحاب داود أنه لا يجب القراءة إلا في ركعة من كل الصلوات
وعن إسحق بن راهويه أن القراءة في أكثر الركعات مجزئة وعن الثوري أن القراءة في ركعة من الصبح والرباعية فقط غير مجزئة
وعن مالك أن ترك القراءة في ركعة من الصبح غير مجزئة بخلاف تركها في غيرها ونقل عن أبي حنيفة عند عدم تعيين الفاتحة
للأجزاء روايتان إحديهما قراءة آية طويلة أو ثلث آيات قصار وبها قال أبو يوسف ومحمد والثانية يكفيه أن يقرأ آية واحدة
وإن قصرت كقوله تعالى ثم نظر وقوله تعالى مدهامتان وألم وحم وقيل أن أبا حنيفة تمسك لمذهبه في الترجمة بقوله تعالى
وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ والعجم لا يعقلونه إلا بترجمته وبأن النبي عليه السلام قال أنزل القرآن على
سبعة أحرف وأجيب بأن ترجمة الفاتحة غير الفاتحة والخبر دال على تعيين الفاتحة للأجزاء وبأن الإنذار يحصل بأن
ينقل معناه بالعجمية وبأن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات العرب لا يتجاوزها وهو يجوز الترجمة بكل لسان ولا
تزيد على سبعة ولا فرق في عدم أجزاء الترجمة بين أن يكون بالعجمية أو بلغة أخرى لبعض العرب غير اللغة القرشية ومالك كما
يمنع في الصلاة يمنع في غيرها في الصلاة بطلت ولا تجدد للسهو واعلم أن المتمكن من قراءة الفاتحة لزمته ثم يجب الإتيان
بحروف الفاتحة من مخارجها فلو أخل بحرف لم يصح الصلاة ومن الإخلال تخفيف المشدد فإن المشدد حرفان مثلا أولهما
ساكن فإذا خففت فقد أسقط حرف وفي إبدال الضاد ظاء في قوله غير المغضوب ولا الضالين يسامح فيه لبعض أصحاب
الشافعي بناء على أن هذا لا يتميز إلا للخواص والصحيح القطع بأن ذلك لا يجوز فإن الضاد والظاء حرفان متغايران
فإذا حصل الإبدال فالجائي به ليس الحرف المطلوب ثم لو ترك قراءة الفاتحة من وجبت عليه عامدا لم تصح صلاته ولو تركها
ناسيا فالمنصوص عليه في الجديد وهو المذهب أن الركعة التي خلت عن قراءة الفاتحة لا يعتد بها وترك القراءة ناسيا
كترك الركوع والسجود ونسب إلى الشافعي قول قديم أنه عذر التارك ناسيا وصحح الركعة وجعل النسيان بمثابة
إدراك المقتدي الإمام في الركوع فإنه يصير مدركا للركعة وإن لم يقرأ وهذا قول متروك لا تفريع عليه ولا يعتد به
ثم يجب على القارئ رعاية الترتيب في القراءة فلو قرأ الشطر الأخير من الفاتحة أولا لم يعتد به فإن القرآن معجز والركن
الأبين في الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب ويجب رعاية الولاء في القراءة فلا ينبغي أن يخلل القارئ بين قراءته سكوتا
طويلا يقطع الولاء أو ذكرا ليس من القراءة والسكوت القاطع للولاء هو السكوت المشعر بأن القراءة قد انقطعت إما باختيار
أو بمانع وأما تخلل الذكر فالذي ذكره الأئمة أنه إذا أدرج القارئ في أثناء القراءة ذكرا تسبيحا أو تهليلا يسقط موالاة
القراءة به وإن كان ذلك الذكر قليلا وأتى في زمان لا ينقطع الولاء بالسكوت في مثله فإن اندرج الذكر في أثناء القراءة
توهم أنه منها وذلك يغير النظم والترتيب ولو فرض سكوت في أثناء القراءة لا ينقطع مثله الولاء وفرض فيه ذكر يسير لا يعوق
القراءة بحيث لا ينقطع القراءة فلا يبعد أن يقال لا يقطع القراءة وإذا أمن الإمام في آخر الفاتحة وكان المأموم في أثناء
قراءة الفاتحة فأمن عند تأمين الإمام فهل ينقطع قراءته بهذا ذهب ذاهبون إلى أن القراءة تنقطع وهذا قياس ما ذكرناه
وصار صائرون إلى أنها لا تنقطع ولا يتجه هذا الوجه إلا بما أشير إليه من أن المحذور أن ينقطع القراءة وإذا كان الإمام يقرأ

سورة والمأموم في اثناء الفاتحة فانتهى الامام الى اية الرحمة فقال المأموم اللهم ارزقنا فهل ينقطع القراءة به فعلى وجهين وهو ملحق بالمعنى الذي ذكر في مسئلة التأمين فاذا ينبغي ما يتخلل مما طرأ من الامام تقطعه من تخلل الكلام بالقراءة واذا انتهى الامام الى اية فيها سجدة والمأموم في اثناء قراءة الفاتحة فسجد فالمأموم يسجد معه متابعا له فهل ينقطع القراءة فعلى ما ذكرنا من الوجهين وحكى العراقيون عن نص الشافعي ما يدل على انه لو ترك الموالاة ناسيا لم يضر وهذا متفرع على انه لو ترك القراءة اصلا ناسيا لم يعتد بالركعة ومع هذا حكوا النص في ان ترك الموالاة ناسيا غير ضار وهذا غير بين فان ترك الموالاة اذا كان يخل بالقراءة فاذا جرى على حكم النسيان فهو بمثابة ما لو ترك القراءة ناسيا قيل ولو ترك الترتيب في قراءة الفاتحة ناسيا لم يعتد بقراءته ولو اخل بالموالاة ناسيا احتسب بالقراءة وقيل في تحقيق الفرق لو اخل الرجل بترتيب الاركان ناسيا فسجد قبل الركوع لم يعتد بالسجود ولو طول ركنا قصيرا او اخل بالموالاة بهذا السبب لم يضر فلذلك يفرق بين ترك الترتيب والموالاة على حكم النسيان في القراءة وهذا غير صحيح فان ترك الموالاة يخل بالقراءة اخلال ترك الترتيب قيل ولو كرر القارئ كلمة من الفاتحة لا بأس به اذا كان بسبب ذلك التشكك فان تلك الكلمة هل اتى بها على ما ينبغي ام لا فانه معذور ولو كرر كلمة منها قصدا من غير سبب فوجهان وذلك بمثابة ما لو ادرج في اثناء الفاتحة ذكرا والظاهر ان الفاتحة لا ينقطع بتكرر كلمة منها كيف فرض الامر فان الذي عليه المعول في ادراج الذكر ما قدمناه من استطام الذكر بالقراءة وافضى ذلك الى اختلال النظم واذا كرر القارئ من الفاتحة لم يؤد التكرير الى ما اشرنا اليه هذا تمام القول في قراءة الفاتحة في حق من يحسنها ومن لا يحسن الفاتحة وهو الامي في اصطلاح الفقهاء فاما ان لا يحسن من الفاتحة شيئا او لا يحسن بعضها ويحسن بعضها فان لم يحسن منها شيئا فلا يخلو اما ان كان يحسن شيئا من القران او كان لا يحسن شيئا من القران فان كان يحسن من القران سورة او سورتين او سورا فعليه ان يقرأ من القران ما يقع بدلا عن الفاتحة فليأت بسبع ايات ثم ان كان قصارا بحيث لا يبلغ عدد حروفها عدد حروف الفاتحة ففيه وجهان احدهما انه يجزيه ما جاء به نظرا الى مقابلة الاي بالاي لا يعول على الحروف وعددها ومنهم من قال لا بد من رعاية اعداد الحروف فانها حقيقة المقابلة والمماثلة واجزاء القران كالاسباع وغيرها تعتمد الحروف وحكى الائمة انه لو قرأ اية طويلة يبلغ قدر حروف الفاتحة لم يقتصر عليها لا يجزي فعدد الاي محتاط به وفي عدد الحروف خلاف ولعل سبب الوفاق في عدد الاي ما روي ان النبي عليه السلام عد فاتحة الكتاب سبع ايات وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم فاقتضى اعتبار الكتاب والسنة رعاية عدد الاي في بدلها والحروف على التردد واذا رعي مقابلة الحروف فيجب رعاية الترتيب وهو ان ياتي في مقابلة الاية باية تشتمل على عدد حروف تلك الاية او يزيد ولو كان لا يحسن الا ايات القصار فيقابل الاية بالايتين وهكذا الى تمام الفاتحة ولو قرأ ست ايات من القصار التي لا تفي حروفها بعدد حروف الايات الست الاول ثم قرأ اية طويلة بحيث تقابل حروف الاية الاخيرة وقد يتجه لا يجوز فانه لم يراع في الايات الست المقابلة المشروطة فصارت الاية الاخيرة في حكم اية واحدة يقابل بحروفها حروف جميع الايات والظاهر ان هذا لا يمنع لان اشتراطه بدلا ما حصلت مقابلة الاي وقد عن الحروف على الجملة ولو كان يحسن سبع ايات متفرقات فيأتي بها مجزية ولو كان يحسن سبع ايات متفرقة لا تجزئه وفي الايات بسبع ايات متفرقات اذا كان لا يحسن غيرها نظر في صورة واحدة وهي ان الاية الفردة قد لا تفيد معنى منظوما لو قرأت وحدها مثل قوله ثم نظر فيظهر ان لا يكتفي بافراد هذه الايات ويرد الى الذكر وان كان لا يحسن من القران الا اية واحدة مثلا ففيه اختلاف بيناه فان الواجب في بدل الفاتحة ماذا فقال بعضهم يكرر تلك الاية سبعا ويكفيه ذلك وقال بعضهم ياتي بها مرة واحدة وياتي بالاذكار في مقابلة ست ايات ولم يوجب احد الجمع بين التكرار والذكر فاذا التكرار ان وجب في مقابلة الايات الباقية ولا تجب على مقابلتها بالذكر لان التكرار والذكر وهذا مع الالتفات على رعاية الحروف والخلاف فيه كله اذا كان لا يحسن الفاتحة وكان يحسن شيئا من القران فاما اذا كان لا يحسن شيئا من القران كان فانه ياتي بدلا عن الفاتحة بالاذكار وينبغي ان يكون اذكارا عربية ان كان يحسنها ثم ذكر الائمة التسبيح والتهليل والاشبه انه لم يرع مقابلة الحروف فانه ليس فيها الا مقاطع وغايات على مقابلة الايات فليس لاعتبار الحروف ثم ان تجرد التسبيح والتهليل جائز وان جرى الدعاء ففيه احتمال ولعل الاشبه ان الدعوات التي تتعلق بامور الاخرة تنزل منزلة التسبيح وما يتعلق بمآرب الدنيا فيبعد الاعتداد به مع القدرة على غيره ولو كان يحسن اية واحدة من الفاتحة فهل يكفيه ان يكررها ام عليه ان ياتي بها ويأتي بست ايات ان كان يحسنها من غيرها فعلى وجهين فان قلنا يكفي التكرير فلو كان يحسن ايتين ففي التكرير احتمال يجوز ان يقال لو كررهما اربعا فقد اتى بالسبع وزاد فهذا كله اذا كان لا يحسن الفاتحة ولا شيئا من القران وذكر العراقيون ان النبي عليه السلام علم اعرابيا كان لا يحسن شيئا من القران ان يقول بدل القراءة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ذكروا وجهين في ان هذه الاذكار هل يتعين ام لا وتعيينها بعيد فاما اذا كان يحسن بعض الفاتحة فيلزمه الاتيان بما يحسنه فان كان الذي يحسنه النصف الاخير فيلزم ان ياتي بالبدل اولا ثم ياتي بما يحسنه ورعاية الترتيب في هذا واجب وليس علينا الترتيب في تلاوة الفاتحة في حق من يحسنها فان الترتيب يرعى في قراءة الفاتحة محافظة على نظمها وليس بين الاذكار التي وردت بدلا من النصف الاول وبين النصف الثاني انتظام ولكن هذا الترتيب يتلقى من اشتراط الترتيب في اذكار الصلاة فعليه فرض قبل النصف الثاني فليتمه ثم لياتي بالنصف الثاني ويجوز ان يقال البدل لحكم البدل والترتيب مشروط في الفاتحة نفسها فيجعل بدل النصف الاول بمنزلته في رعاية ترتيبه بالنصف الاخير عليه ولو تعلم الفاتحة في اثناء الركعة فان تعلمها قبل ان يخوض في البدل فعليه قراءة الفاتحة وان فرغ من البدل ولم يركع بعد ففيه

وجهان

وجهان احدهما انه يلزمه قراءة الفاتحة فان وقت القراءة ومحلها باق وثانيهما لا يلزمه فان البدل قد تم وسقط الفرض فيه ولا معنى لعود الفرض بعد سقوطه كما لو اتى من لزمته الكفارة ببدلها ثم وجد الاصل المبدل بعد الفراغ من البدل فكذا لو وجد المبدل والقايل الاول يقول كون الاذكار بدلا ووقوعها كذلك يتوقف على انقضاء القيام فان من كان يحسن الفاتحة قد ياتي باذكار قبل القراءة فلا يتبين وقوع الذكر بدلا الا عند الاكتفاء به والتلبس بالركوع والقيام لو وقع بدلا عن الكفارة مصروف بالنية اليها واحاد الاركان لا يتناولها النية تخصيصا والامي اذا افتتح الصلاة وقصد اقامة دعاء الاستفتاح بدلا عن الفاتحة فانه يقوم مقامها ولو قصد ان يقع مسنونا كما شرع فيجب القطع بان الفرض لا يسقط فليات من الفاتحة ببدل ولو اتى باذكار سوى دعاء الاستفتاح ولم يقصد اقامتها بدلا فقد تردد صاحب التقريب فيه وهو محتمل حسن ولا يمتنع ان يقال لا بد من قصد ايقاعه بدلا فان الذكر لا يقع في عينه بدلا الا بانقضائه ولو اشتغل بالذكر ولم ينقض بعد حتى تعلم الفاتحة فالاصح الذي يجب القطع به انه يجب قراءة الفاتحة وقال بعض الاصحاب لا يجب قراءة الفاتحة فان الاشتغال بالبدل يسقط رعاية المبدل فان من شرع في صيام شهرين متتابعين ثم وجد الرقبة لم يلزمه اعتاق الرقبة وهذا الوجه اطلقه الناقلون وهو خطأ صريح فان من كان يحسن نصف الفاتحة لزمه الاتيان بما يحسن والبدل عما لا يحسن فالقراءة اذا تتبعض في هذا الحكم فالوجه القطع بانه اذا اتى ببعض الاذكار مثلا وتعلم الفاتحة يتعين الاتيان بالنصف الاخير من الفاتحة وجها واحدا وفي قراءة النصف الاول التردد وليس ذلك كالاصل والبدل في الكفارة فان بعض الرقبة لا يسد مسدا وهذا واضح ولو تعلم الفاتحة بعد الركوع فلا شك في تلك الركعة مضت معتدا بها واذا كرر الفاتحة في ركعة مرتين قصدا فالذي ذهب اليه معظم الائمة ان الصلاة لا تبطل بهذا وذهب بعض الاصحاب الى ان الصلاة تبطل بهذا واحتج بان من زاد في الركعة ركوعا قصدا بطلت صلاته والقراءة ركن فاذا كررت كانت كالركوع تكرر فقال المعظم ان الصلاة انما تبطل بزيادة ركوع من حيث ان ذلك يظهر خروج الصلاة عن النظم والذي يوضح ذلك ان الفعل القليل لا يبطل الصلاة لان النظم لا يفسد به ولا يختل واذا زيد ركن ظهر الاختلال به وان كان ركوع واحد لا يبلغ مقدار الفعل الذي يبطل الصلاة لكثرته ولكنه كالفعل الكثير من جهة اختلال نظم الصلاة به ونظم الصلاة لا يختلف بتكرير الفاتحة فلا يؤثر في بطلان الصلاة وذكر العراقيون عن نص الشافعي ان الاخرس الذي لا ينطلق لسانه بالقراءة تلزمه ان يحرك لسانه بدلا عن تحريكه اياه في القراءة كالايماء بالركوع والسجود وهذا مشكل فان التحريك المجرد لا يناسب القراءة ولا يدانيها فاقامتها بدلا بعيد ثم يلزم على قياس ما ذكروه ان يلزم التصويت من غير حروف مع تحريك اللسان وهذا اقرب من التحريك المجرد وعلى الجملة فالظاهر ان ذلك لا يكون بدلا عن القراءة ثم اذا لم يكن بدلا فالتحريك الكثير يلحق بالفعل الكثير واذا كان المصلي في اثناء قراءة الفاتحة فنوى قطعها ولم يقطعها فعلا فلا اثر لهذه النية وليس كما لو نوى قطع الصلاة فان ذلك يتضمن قطع نية الصلاة وهي ركنها فاذا اعتمد قطعها بطلت وهذا ظاهر ولكن لم ينقل منصوصا وقراءة السورة بعد الفاتحة مسنونة في حق المنفرد والامام في الركعتين الاوليين وفي ركعتي الصبح وهل تستحب قراءة السورة في الثالثة من المغرب والركعتين الاخريين من الصلوات الرباعية فعلى قولين منصوصين الجديد انها مستحبة في كل ركعة مع الفاتحة كما روي عن ابي سعيد الخدري انه قال حزرنا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعتين الاوليين من الظهر فكانت قدر ثلثين اية وحزرنا قراءته في الركعتين الاخريين فكانت على النصف من ذلك والقول الثاني وعليه العمل ان قراءة السورة لا تستحب بعد الركعتين الاوليين فان ما بعدهما من الركعات على التخفيف ويشهد له انه لا يستحب فيها الجهر في الصلوات الجهرية ومن يرى السورة في الركعتين الاخيرتين يرى ان يكون اخف من الركعتين الاوليين ويشهد له حديث ابي سعيد الخدري واما المأموم فان كانت الصلاة جهرية وهو يسمع صوت الامام فلا يستحب له قراءة السورة بل يقتصر على قراءة الفاتحة والاصل فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كنتم خلفي فلا تقرءوا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلاة الا بها وتمام الحديث ان اعرابيا اقتدى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس وضحيها فقرأها الاعرابي فتعسرت القراءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تحلل عن صلاته قال اذا كنتم خلفي فلا تقرءوا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلاة الا بها ولو كانت سرية او جهرية وكان لا يسمع صوت الامام فهل يقرأ السورة فعلى وجهين احدهما انه يقرأ وهو القياس فان المقتدي عند ذلك كالمنفرد غير انه حيث يسمع يقدم الاستماع في السورة على القراءة فاذا كان لا يسمع فلا يترك قراءة السورة والوجه الثاني انه لا يقرأ فانه عليه السلام قال اذا كنتم خلفي فلا تقرءوا الا بفاتحة الكتاب ولم يفصل بين صلاة وصلاة والقائل الاول يبني قوله على الحكاية المروية في اقتداء الاعرابي اياه ويخص النهي عن قراءة السورة بالسامع في الصلاة الجهرية

سورة البقرة

قال ابن عباس هي اول ما انزل بالمدينة نزلت في مدد شتى وقيل فيها اخر اية نزلت على رسول الله عليه السلام وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقيل هذه الاية ليست بمدنية فانها نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع وهي خمس وعشرون الفا وخمسمائة حرف وستة الاف ومائة واحد وعشرون كلمة ومائتان وثمانون وست

آية في العدد الكوفي وفي عدد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل وخمس وثمانون وقيل وسبع وثمانون ويقال سورة البقرة
فسطاط القرآن لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا والفسطاط البيت
من الشعر ومدينة مصر روى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله
الشيطان وروى ابو امامة عن النبي عليه السلام انه قال اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان
او غيايتان او فرقان من طير صواف اقرأوا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة واراد بالزهراوين المنيرتين يقال
لكل مستنير زاهر والغياية كل شيء اظل الانسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك وغايا القوم فوق رأسه
بلاده بالسيف كأنهم اظلوه به وفرقان قطعتان والفرق القطعة من الشيء ومنه قوله تعالى فكان كل فرق كالطود العظيم والصواف
المصطفة المتضامة لتظل قارئها والبطلة السحرة وروى الحسن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اي القرآن افضل قالوا الله
ورسوله اعلم قال سورة البقرة ثم قال اي آية فيها افضل قالوا الله ورسوله اعلم قال آية الكرسي ويقال ان معانيها آيات الرحمة والرجاء
ينتهي فيها الثمانية وستين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال لكل شيء
سنام وسنام القرآن سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن هي آية الكرسي وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله
شيطان ثلاث ليال وعن ابي هريرة قال بعث رسول الله بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن
حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ما معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير فقالوا يا رسول الله
هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة وفي صحيح البخاري عن ابي مسعود قال قال النبي عليه السلام من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه ● بسم الله الرحمن الرحيم ● الم ● الالفاظ التي يتهجى بها نحو الف لام ميم اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة
التي منها ركبت الكلم سواء كانت ساكنة او متحركة ومفتوحة او مضمومة او مكسورة فقولنا الف اسم يسمى به اوسط حروف قال
ولام اسم يسمى به آخر قال واول لي ولام من لك وميم اسم يسمى به آخر من مالك اذا تهجيته او عددته باسمائها وكذلك
وكذلك با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها والمسميات
حروف وحدانية بسيطة لا تركيب فيها والاسامي مركبة من الحروف المبسوطة عدد حروفها مرتقى الى الثلاثة او مركبة من حرفين
نحو با وتا او ثلاثة نحو لام ميم اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يتركوا الطريق وجعلوا المسمى صدر كل
اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لان الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه
لا يكون الا ساكنا فلا يمكن ان يجعل صدرا ومما يشبه هذه التسمية في ان يدلوا في التسمية على المسمى الهيللة والحوقلة والحيعلة
والبسملة وحكم هذه الاسماء التي يتهجى بها ما لم تليها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف
ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه
بدخول العوامل شيء من تأثيرها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع
حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا والدليل على
ان هذه الالفاظ اسماء لا حروف ان هذه الالفاظ دالة على معان في انفسها غير مقترنة باحد الازمنة الثلاثة فان قيل اللام دالة
على آخر حروف قال كذلك لانه قرين على الحيوان الصاهل الافضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين فان لام دال على معنى في نفسه كالفرس
ولان هذه الالفاظ فيها خواص الاسماء من التصرف وغيره بالامالة نحو قولك يا تا وبالتفخيم نحو ياها وبالتعريف نحو الالف واللام والتنكير
نحو الف لام والجمع نحو الفات والتصغير نحو لييف والوصف نحو الف مقصورة وممدودة والاسناد نحو الالف مقصورة والاضافة
نحو الف التثنية ويجيء ما للاسماء المتصرفة فان قيل المتقدمون قالوا انها حروف اجيب بان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح فانا
متسامحون في تسمية كثير من الاسماء التي لا تشك في اسميتها كالظروف بالحروف ومستعملين الحرف مكان الكلمة وقال صاحب الكتاب
اذ قرئت من جانب الخليل يوما وعندنا الاصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول
باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس واما لهم يا انهم قالوا
فلو لم تكن اذ كانت حرفا قالوا يا مالوا الاسم الى الحروف من اجل الياء فلان تميلوا الاسم الذي هو يس اجدر الا ترى ان هذه
الحروف اسماء لما يلفظ بها وحكم هذه الاسماء ما لم تعاقبها العوامل ان تكون ساكنة الاواخر كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم
كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل لحقها الاعراب كقولك هذه الالف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم
قصدت الى تأدية نفسه فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول شيء من تأثيرها فحقك ان تلفظ به ساكنا الا ترى انك اذا اردت
ان تلقي الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها مجردة من سمة الاعراب فتقول فلان دار ثوب فرس ذنب
بساط ولو اعربت ركبت شططا واعلم ان هذه الاسماء تارة واقعة في التركيب بمقارنة العامل فتكون معربة واذا وقعت غير مركبة مثل
الف لام ميم فاختار ابن الحاجب انها مبنية على السكون لانتفاء سبب الاعراب فيها للتركيب فيه وقيل لمشابهة الحرف فانها كلمات
كاملة في نحو ما لا تعمل ولا يعمل لشيء فاشبهت الحروف المهملة نحو بل وقد وعند بعضهم انها ليست بمعربة لانها لم تركب مع عامل ولا مبنية
لسكون آخرها وصلا ولوقوعه بعد ساكن نحو قاف وصاد ودال وليس في المبنيات ما يكون كذلك وفيه نظر فانه لم يوجد في المبنيات الواقعة
في التركيب كذلك واما الذي لم يقع في التركيب فيجوز ان يكون بخلافه ومنهم من ذهب الى انها معربة في الحكم لا في اللفظ ولا يلزم
من كونها غير معربة لفظا ان لا يكون معربة حكما لجواز ان يمنع مانع من الاعراب كسكون ونحوهما الا ان سبب الاعراب في نحوهما لحركة ما قبل آخره

متحركة

مع تحركها او تقدير تحركه وايضا لو لزم من عدم كونها معربة لفظا ان لا يكون معربة تقديرا للزم ان يكون الموقوف والمحكي و
المتبع مبنية في الاول والثاني باطل بالاتفاق اما الملازمة فلان الموقوف والمحكي والمتبع غير معربة لفظا والغرض انها ليس بمعرب
لفظا لا يكون معربا حكما وفيه نظر فان كونها مبنية لا يستدعي عدم تقدير تحركها لان نحو حيث وضمن قاولا تدل على تقدير
الحركة في آخره والموقوف والمحكي والمتبع مركبة مع عامل مقتض للاعراب لفظا او حكما بخلاف هذه الاسماء فانها غير مركبة
مع عامل فيمتنع تقدير الاعراب فيها حكما واختار صاحب الكشاف انها معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء
حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف انه قطعها عما بعدها فان التقاء الساكنين
للوقف وان وصل بما بعده فانه يكون وصلا في نية الوقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل
قاف صاد نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء و
هاء وذلك ان وزن انها او انك لاحظت المقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لا قلت هذا التخييل يضمحل بما
من الدليل وهو ان سكونها وقف لا بناء والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال المتهجي خليقة بالا
الاوجز واستعمالها فيه اكثر وقد تبين انها اسماء لحروف المعجم المبسوطة وانها من قبيل المعربة عند وقوعها في التركيب
عند وقوعها في التركيب مبنية وسكونها سكون بناء على رأي ومعربة وسكون اعجازها عند التهجي لاجل الوقف على رأي آخر
وقوعها على هذه الصورة فواتح السور اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور على قولين احدهما انها من المتشابهات التي
استأثر الله تعالى بعلمها فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل الى الله تأويلها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لله عز وجل في كل كتاب
سر وسر الله في القرآن اوائل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
وقال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول
ساقية فلو اجري الى الجدول ذلك الوادي لغرقه وافسده ولو مال البحر الى الوادي لافسده وهو المراد من قوله تعالى انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء
ثم اعطت العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم بقدر طاقتهم وروي في
الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر ولله تعالى من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء
على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله تعالى لطاحوا حائرين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل
الاسرار القوية كما لا تحتمل ابصار الخفافيش نور الشمس ولما زيدت الانبياء في عقولهم قدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه
وكذلك علماء الباطن زيدت في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر وثانيهما ان المراد من هذه الفواتح معلوم وذكروا
فيه اوجها احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه وقد ترجم سيبويه الباب
الذي كسره على ذكر الالفاظ التي يتهجى بها في حدثه لا بنصرتها اسماء السور وهي في كونها اسماء السور على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه
اعراب لانه لم يجئ على زنة مفرد نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما مفردا نحو صاد وقاف
ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد نحو حم وطس ويس فانها على زنة قابيل وهابيل وكذلك طسم وان كانت مركبة من
ثلاث كلمات يتأتى فيها ان يفتح نونها ويصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا نحو دارابجرد اسم بلد في النوع الاول يحكى
ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني
حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي
منع الصرف فيها العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى نحو قولك دعني من تمرتان
من قال تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال الطرماح وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم
نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت
من العرب لا من ابن يا فتى والاوجه في قراءة من قرأ صاد قاف ونون مفتوحات ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكر وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ
وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرئ ولا الضالين قال صاحب
الكشاف فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان
القرآن والقلم بعد هذه الفواتح اي بعد صاد وقاف ونون محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد
وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان
ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء
قال سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء واحد ولو كان انقضى
قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان يقول وحقك
وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال الخليل وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة
الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة
باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير

مصروفة واجعل الواو للعطف حتى ينتسب الى المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف
بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر
بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء
فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم
مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كأنه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم
لا ينصرون فيصلح ان لا يقتضي له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ
قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز
من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما
كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان تلفظ بالاسماء وان تقع في الكتابة
الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر
لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا تحلى بطائل منها وان بعضها مفرد بحو ق ص ن لا يخطر بالبال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك
بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه
الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط
عنه ما اسقطه وثانيها ان هذه الاسامي اسماء الله مقطعة لو احسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
اجاب الا ترى انك تقول الر وتقول حم وتقول ن فيكون الرحمن وكذلك سائرها على هذا الوجه الا انا لا نقدر على وصلها والجمع
بينها سئل ابن عباس عن الر وحم ون فقال اسم الرحمن على الهجاء وثالثها هي اسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة
ورابعها انها حروف اقسم الله بها قاله ابن عباس وعكرمة قال ابن قتيبة ويجوز ان يكون اقسم بالحروف المقطعة كلها
واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل اب ت ث وهو يريد الحروف باسرها وكما يقول قرأت الحمد يريد فاتحة الكتاب فيسميها
باول حرف وانما اقسم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة ومباني
اسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه فكانه اقسم بهذه الحروف
ان ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وخامسها ان كل واحد منها دال على اسم من اسماء الله وصفة
من صفاته قال ابن عباس في الم الالف اشارة الى انه اول آخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم اشارة الى
انه ملك مجيد منان وقال في كهيعص انه ثناء من الله على نفسه والكاف يدل على كونه كافيا والهاء على كونه هاديا والعين
على العالم والصاد على الصادق وذكر ابن جرير عن ابن عباس انه حمل الكاف على الكبير والكريم والياء على انه مجير والعين
على العزيز والعدل والفرق بين الوجهين انه في الاول خصص كل واحد من هذه الحروف باسم معين وفي الثاني ليس كذلك
وسادسها ان بعض هذه الحروف يدل على اسماء الذات وبعضها على اسماء الصفات قال ابن عباس في الم انا الله اعلم وفي المص
انا الله افصل وفي الر انا الله ارى وسابعها كل واحد منها يدل على صفات الافعال فالالف آلاؤه واللام لطفه والميم
مجده ما منها حرف الا في ذكر آلائه ونعمائه وثامنها بعضها يدل على اسم الله وبعضها يدل على اسماء غير الله فقال الضحاك
الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وتاسعها كل واحد منها يدل على فعل من الافعال فالالف معناه الف الله محمدا
فبعثه نبيا واللام لامه الجاحدون والميم ميم الكافرون غيظوا وكبتوا بظهور الحق وقال بعض الصوفية الالف معناه
انا واللام معناه لي والميم معناه مني وعاشرها انها تبكيت الكفار وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر
بالقراءة في الصلوات كلها وكان المشركون يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وربما صفقوا وربما
صفروا ولغطوا ليغلطوا النبي عليه السلام فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر في الظهر والعصر وجهر
في سائرها وكانوا ايضا يأتونه ويؤذونه فانزل الله هذه الحروف المقطعة فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين فاشتغلوا
بذلك عن ايذائه وتغليطه فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا الى انتفاعهم والحادي عشر ان كل حرف منها في مدة
اقوام وآجال آخرين والثاني عشر هي للتنبيه على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر والثالث عشر المراد من الم المر ذلك
الكتاب انزل عليكم والرابع عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة في اول الامر وهو رعاية الشريعة قال الله تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الانحناء الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والميم اشارة الى ان يصير العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين
بدايتها وبدايتها عين نهايتها وذلك انما يكون بالفناء في الله بالكلية وهو مقام الحقيقة قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم
الخامس عشر ان الالف من اقصى الحلق وهو اول مخارج الحروف واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة
وهو آخر المخارج فهذه اشارة الى انه لا بد ان يكون اول ذكر العبد ووسطه وآخره هو الله تعالى على ما قال ففروا الى الله
والسادس عشر ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا سرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن
وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا الكتاب المتلو عليهم وقد عجزوا عن الاتيان بسورة منه كلام منظوم من عين ما
الذي ينظمون منها كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا
بمثله بعد المراجعة المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التغالب في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان

فالقصيد

في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغته كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز
الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر
قال صاحب الكشاف وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ذي عظم وللناصر هذا القول على الاول ان القول بانها
اسماء السور ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع
اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج هذه الفواتح الى ما ليس
في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت على ناصر هذا القول بان القول بانها اسماء السور
معقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجاب الناصر لهذا القول بان له محملا سوى ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس
يزيد قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور
السموات وليس هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والاي انما هي رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وكذا
السورة او الاية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا
ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة
لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا
استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة
قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف
بمؤلف والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم
والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا السابع عشر ان يرد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك لان النطق بالحروف المبسوطة وان كان معتادا
لكل احد كان للعرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتابة بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان
مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا مستغربا من الامي التكلم بها استبعاد الخط
كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وكان حكم نطق الرسول بذلك مع
اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء
من الاحاطة بها وان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة اي بغير العربية من غير ان
يسمعها من احد قال صاحب الكشاف اعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز وجل في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف
اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين
والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة
على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة ما يضعف الاعتماد في موضعه فيجري النفس ومجموعها ستشحثك
خصفه او حثه شخص فسكت وهي عشرة نصفها الصاد والهاء والكاف والسين والحاء ومن المجهورة ضدها ويجمعها
لظ قر بض اذ غزا جند مطيع وهي ثمانية عشر نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن
الشديدة وهي ما يشتد الاعتماد في موضعه فلا يجري معها الصوت ويجمعها اجدك قطبت وهي ثمانية نصفها الالف والكاف
والطاء والقاف ومن الرخوة ما يخالف الشديدة وهي عشرون نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة ما ينطبق به اللسان على الحنك الاعلى نصفها الصاد والطاء والنصف الآخر الضاد
والظاء ومن المنفتحة ضدها ما عدا المطبقة وهي اربعة وعشرون نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية ما يتصاعد الصوت به في الحنك الاعلى وهي المطبقة والخاء
والغين والقاف نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة ما عدا المستعلية وهي احد وعشرون نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة ما انضم فيها الى الشدة
الصوت ضغط في الوقف عن مواضعها وهي الجيم والدال والباء والطاء والقاف نصفها الطاء والقاف ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها اي مغلوبة
اي المذكورة غالبة وغيرها مغلوبة فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله
وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة
الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وهود ويوسف وابراهيم والحجر ومما جاءت مفرقة على السور ولم تجئ مجموعة
في اول القرآن لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له
في الاسماع والقلوب من ان تنفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في
النفوس وانما اختلفت اعداد حروفها فما جاء على وتيرة واحدة فوردت ص وق ون على حرف واحد وطه وطس ويس
وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف

على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متعددة وكان ابنية كلم العرب على حرف وحرفين
وثلثة واربعة وخمسة لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح في تلك المسالك واذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كافة في تأدية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمروا
لم يقل له لم خصصت هذا بزيد وهذا بعمرو ولان الغرض هو التمييز وهو حاصل باية سلك وكذلك الانسان لم يسمى هذا
بالجبل وذاك بالفرس ولم للاعتماد الضرب والانتصاب القيام ولنقيضه القعود وعد بعض هذه الفواتح اية دون
بعض علم بالتوقيف لا بالقياس لمعرفة السور والرحمة وقعت في السورة المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر
لم تعد اية والر ليست باية وطسم في سورتيها اية وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها
وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون لم تعد اية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم
يعدوا شيئا منها اية وعندنا هو في حكم كلمة واحدة اية على طريق التوقيف كما عد الرحمن وحين اية ومدهامتان وحدها اية
ونتوقف في جميعها ووقفنا التمام اذا جعلت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم يجعل اسما للسور ونعق بها كما نعق
بالاصوات او جعلت وخبرها اخبار ابتدا محذوف كقوله تعالى الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو ومن جعل هذه الفواتح
اسما للسور يجعل لها محلا من الاعراب فانها عنده كسائر الاسماء الاعلام ويحتمل الرفع على الابتداء والنصب والجر على القسم بها
وكونها بمنزلة الله تعالى للقسمين ومن لم يجعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون لها محل من الاعراب عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات
المعددة قوله تعالى ذلك الكتاب ● ذا اسم اشارة يشار به الى المذكر الغائب فان خاطبت جئت بالكاف فقلت ذلك
فاللام زيادة والكاف للخطاب لا موضع لها من الاعراب وقيل اللام للاعتماد وقيل لبعد المشار اليه وللتاكيد والكتاب في الاصل
مصدر كتبت كتابا وكتابة وكتبا ومصدر كاتبت كتابا ومكاتبة والكتاب بمعنى المكتوب كالحساب والعماد معروف والجمع
كتب وكتب والكتاب الفرض والحكم والقدر والكتب الجمع وهو ضم بعض الحروف الى بعض ماخوذ من قولك كتبت البغلة اذا جمعت
بين شفريها بحلقة او سير والقربة ايضا كتبا اذا خرزتها فهي كتيب والكتاب والكتيبة قال ابن الاعرابي الكاتب عندهم العالم
قال الله تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتاب المكتب ايضا والكتاب ايضا سهم صغير مدور الراس يتعلم به الصبي الرمي
والكتيبة الجيش فان قيل ذلك اسم مبهم يشار به الى البعيد والمشار اليه هاهنا الم وهو حاضر فكيف صحت الاشارة بذلك
اليه اجيب عنه من وجوه احدها انها وقعت الاشارة الى الم بعدما سبق التكلم به وتقضي والمتقضي في حكم المتباعد وهذا
في كل كلام يتكلم المتكلم به ثم يقول وذلك المحقق ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي وثانيها انه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته
شيئا احتفظ بذلك وثالثها ان معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به يوم الميثاق ورابعها ان معناه ذلك الكتاب الذي اخبرتك
اني اوحيه وخامسها ان معناه ذلك الكتاب الذي اخبرت به وسابقها هو التورية والانجيل والكتب المتقدمة وسادسها
ان الله عز وجل كان قد وعد نبيه عليه السلام ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك
هو الكتاب الذي وعدتك وسابعها ان الله عز وجل نزل قبل سورة البقرة بضع عشرة سنة سورا كذب بكلها المشركون
ثم انزل سورة البقرة بعدها فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدم البقرة من القران وثامنها ان القران لما اشتمل على حكم عظيمة وعلوم
كثيرة يتعسر اطلاع القوة البشرية عليها باسرها كان كالغائب البعيد فاشير اليه بذلك والحادي عشر ان يكون ذلك بمعنى هذا
عند كثير من اهل التفسير قال الفراء يا ان ذلك وهذا حرفا اشارة واصلها ذا فانه اسم الاشارة قال الله تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا والها للتنبيه فاذا قرب الشيء اشير اليه فقيل هذا اي تنبها ايها المخاطب لما اشرت اليه فانه حاضر لك
بحيث تراه وقد يدخل الكاف على ذا للمخاطبة واللام لتاكيد معنى الاشارة فقيل ذلك فكان المتكلم بالغ في التنبيه لتاخر المشار
اليه عنه فهذا يدل على ان ذلك لا يفيد البعد في اصل الوضع بل اختص في العرف بالاشارة الى البعيد للقرينة التي ذكر فيحمل
هاهنا على المعنى اللغوي لا على المدلول العرفي ولهذا يقام كل منهما مقام الاخر قال الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم الى قوله وكل من الاخيار
ثم قال هذا ذكر وقال وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب وقال وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد وقال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون ثم قال ان في هذا لبلاغا وقال فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ولقائل
ان يقول لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة والجواب لا نسلم ان المشار اليه مؤنث لان المشار اليه اما الم وهو اسم
وليس واحد منهما بمؤنث نعم المسمى به اسم آخر وهو السورة والمعتبر هو الاسم الذي ليس بمؤنث وثانيها الكتاب ما اخبر به
فيكون ذلك في معناه ومسماه مجاز الخبر لحكمه عليه في التذكير وصفة وبعينه اشير به الى الكتاب صريحا لان
اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذي بنيت
على الجبل نعاينه نسقيا وذهبا لذاك الغائب الذي ● واعلم انه ان جعلت الم اسم السورة ففي تاليفه ذلك مع الكتاب وجوه الاول
منها ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر الم واسم الاشارة قام مقام الضمير كما في قوله عوان بين
ذلك ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول
زيد ذلك الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع للخصال المرضية التي تكون في الرجال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد والكتاب
صفة لذلك ومعناه الم ذلك الكتاب الموعود وحينئذ لا يلزم الحصر على سبيل المبالغة ومنها ان يكون الم خبر مبتدأ محذوف
اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا للمبتدأ المحذوف او بدلا على ان الكتاب صفة ذلك على التقديرين او يكون ذلك مبتدأ والكتاب

والجملة

والجملة خبر ثان للمبتدأ المحذوف ومنها ان يكون هذه الجملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك
مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة ذلك والخبر ما بعده الكتاب او يقدر مبتدأ محذوف
اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف وذلك الكتاب خبره سواء كان ذلك الكتاب موصوفا وصفة او مبتدأ وخبرا قوله تعالى
لا ريب فيه ● الريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة اي الشك وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى
الحسن بن علي رضي الله عنهما دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة يعني ان كون الامر مشكوكا فيه
مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن اليه ومنه ريب الزمان لما تقلق النفوس من
نوائبه وفي الحديث انه عليه السلام مر بظبي حاقف في ظل شجرة فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يقلقه والحاقف هو الذي انحنى وتثنى في نومه
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه واما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة
له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحذوا انفسهم ويجربوا نظمهم
في البلاغة هل تتم المعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل لفظه ها هنا
النفي ومعناها النهي وتقديرها لا ينبغي لاحد ان يرتاب لاتقانه واحكامه ومثله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اي ما ينبغي لنا
ومثله فلا رفث ولا فسوق وانما لم يقدم الظرف في اخبار الريب الذي هو اسم لا على خبره الذي هو فيه بخلاف قوله لا فيها غول حيث قدم
الظرف على الغول لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي
الظرف لقصد ما هو ابعد من المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا
بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس في خمر الجنة ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرئ لا ريب فيه بالرفع
والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على لا ريب فيه ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى قوله تعالى هدى للمتقين ● هدى مصدر على فعل كسرى وبكى قال الجوهري الهدى الرشاد
والدلالة يؤنث ويذكر يقال الهداء اليزيدي هدى وقوله تعالى اولم يهد لهم قال ابو عمرو بن العلاء اولم يبين لهم وهديته الطريق والبيت
هداية اي عرفته هذه لغة اهل الحجاز وغيرهم يقول هديته الى الطريق والى الدار حكاها الاخفش وهدى واهتدى بمعنى وقوله
تعالى ان الله لا يهدي من يضل قال الفراء يريد لا يهتدي قال صاحب الكشاف هو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة
في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدى في موضع المدح
كمهتدي ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع خلاف معنى اصله قال الامام فخر الدين الرازي لو كان كون الدلالة
موصلة الى البغية معتبرا في مسمى الهدى لامتنع حصول الهدى عند عدم الاهتداء قال الله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى اثبت الهدى مع عدم الاهتداء واجاب عن الاول بان الفرق بين الهدى والاهتداء معلوم بالضرورة فمقابل الهدى
هو الاضلال ومقابل الاهتداء هو الضلال فجعل الهدى في مقابلة الضلال ممتنع ولقائل ان يقول جعل الهدى في مقابلة الضلال
في الاية يمكن ان يجاب عنه بان الهدى في الاية بمعنى الاهتداء على سبيل المجاز فيكون مقابله الضلال وانما مفهومه الحقيقي
فهو مقابل الاضلال وعن الثاني بان المنتفع بالهدى يسمى مهديا وغير المنتفع لا يسمى مهديا وغير المنتفع لا يسمى به
لان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالمعدوم ولهذا يقال المهدي في موضع المدح كالمهتدي وعن الثالث ان الائتمار مطاوع
الامر يقال امرته فائتمر ولم يلزم منه ان يكون من شرط كونه امرا حصول الائتمار فكذا لا يلزم من كونه هدى ان يكون مفضيا الى الاهتداء
ولهذا يقال هديته فلم يهتد وقيل الهدى العلم وليس بشيء لان الله تعالى وصف القران بانه هدى ولا شك ان القران نفسه ليس
بعلم فثبت ان الهدى هو الدلالة لا الاهتداء ولا العلم والمتقي اسم فاعل من اتقى وهو من وقاه فاتقى واصله اوتقى على افتعل
فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وابدلت التاء منها وادغمت والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق اذا كان يهاب الحفا
من وجع يجده في حافره والاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بترسه اي جعل الترس حاجزا بينه وبين ما قصده ومنه التقية
في الدين يجعل ما يظهره حاجزا بينه وبين ما يخشاه من المكروه ومنه الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان اقربنا الى العدو والمتقي في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك اي الذي يقي نفسه
من ترك الواجبات واتيان المحرمات واختلفوا في الصغائر فقال بعضهم يدخل اجتناب الصغائر في التقوى فانها من المحرمات
وقال بعضهم الصحيح انه لا يدخل وانما يستحق به العقوبة لا يتناول الصغائر لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر ولا نزاع في وجوب
التوبة عن الكل انما النزاع في انه اذا لم يتق الصغائر هل يستحق هذا الاسم وقيل يطلق اسم المؤمن على الفعل الظاهر الحال
ولا يطلق المتقي الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر وقيل التقوى اخذ عدة والورع دفع شبهة فالتقوى تحقق
السبب والورع مظنون السبب وروي عن النبي عليه السلام انه قال لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وعنه
صلى الله تعالى عليه وسلم جماع التقوى في قول الله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وعن ابن عباس المتقي الذي يحذر
من الله العقوبة في ترك ما يميل الهوى اليه ويرجو رحمته بالتصديق بما جاء به وقيل المتقي الذي يتقي الشرك والكبائر والفواحش
وعن ابن عمر التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد قال الحسن المتقي الذي يقول لكل من رآه هذا خير مني وقال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار
حدثني عن التقوى قال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال
عمر بن عبد العزيز ليس التقوى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله

ذ رزقه الله فهو خير الى خير ايضا المتقي ملجم كالمحرم في الحرم وقيل التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وترك
معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله وقيل المتقي الذي يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما به باس وقال سفين
الثوري هو الذي يتقي الدنيا وآفاتها وقال ابو فضيل هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه وقال الفضيل ايضا لا يكون العبد
من المتقين حتى يامنه عدوه وقال الجنيد ليس المتقي الذي يحب للناس ما يحب لنفسه قال الجنيد انما المتقي من وقع لاستاذي
سلم عليه ذات يوم صديق له وهو عابس لم يبتش له فقلت له في ذلك فقال بلغني ان المرء اذا سلم على اخيه ورد عليه اخوه
قسمت بينهما مائة رحمة فتسعون لابشهما وعشرة للآخر فاجبت ان يكون لي التسعون وقال محمد بن علي الترمذي
هو الذي لا خصم له وقال السري السقطي هو الذي يبغض نفسه وقال الشبلي هو الذي يتقي ما دون الله وقال الناطق الصادق في
الاكمل في ما خلا الله باطل محمد بن حفيف التقوى مجانبة كل ما يبعدك عن الله القاسم بن القسم هو المحافظة على آداب
الشريعة وقيل هو التورع من جميع الشبهات وقيل المتقي من اذا قال قال لله او سكت سكت لله واذا ذكر ذكر الله وقيل المتقي من تبرأ
من حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وقيل التقوى هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل هو ان يتقي بقلبه من الغفلات وبنفسه من الشهوات وبحلقه من اللذات وبجوارحه من السيئات فحينئذ يرجى له الوصول
الى ملك الارض والسموات وقيل هو حسن الخلق وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا
فيما قد نال وحسن الصبر على ما فات وقيل المتقي الذي يتقي متابعة هواه وقيل ان لاهل التقوى علامات يعرفون بها
الصبر عند البلى والرضا بالقضا والشكر عند النعماء والتذلل لاحكام القرآن وقيل لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد
محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وقيل بين يدي التقوى خمس عقبات من لا يجاوزها لا ينالها
اختيار الشدة على النعمة واختيار القوت على الفضول واختيار الذل على العز واختيار الجهد على الراحة واختيار الموت
على الحياة وقال بعض الحكماء لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا اذا كان بحيث لو جعل ما في قلبه على طبق فيطاف به في السوق
لم يستحي من شيء عليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق قال صاحب الكشاف فان قلت فلم قيل
هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت
فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى
متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض
المريض ويضل الضالة ويكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه
قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قيل فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين
فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق
الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى
بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير
السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده قيل ما فائدة تخصيص
الهدى بالمتقين فالجواب عنه من وجهين احدهما انه اراد المتقين لانتفاعهم به كقوله انما انت منذر من يخشيها وكان منذرا
لمن يخشى ولمن لا يخشى والوجه الثاني ان المتقين على مراتب والهدى في الارتفاع في درجات الهدى بما هو ملابس التقوى
الذي هو مناسب لتلك الدرجة شاهد قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهدى للمتقين خبر مبتدأ محذوف
او خبر مع لا ريب فيه كذلك او مبتدأ وخبره الظرف المتقدم ويجوز ان ينتصب هدى على الحال والعامل فيه معنى الاشارة
او الظرف قال صاحب الكشاف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها
او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد
اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها
الجمل متآخية متناسبة آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على ان الكلام المتحدى به في شان الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي
تشديدا لاعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين
ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل
افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الجمل الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من
نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى
موضع الصفة التي هي هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين **قوله تعالى الذين يؤمنون** اما موصول
بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير اعني الذين يؤمنون او مرفوع بتقدير هم الذين يؤمنون واما منقطع
عن المتقين مرفوع على الابتداء ومخبر عنه باولئك على هدى واذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام
واذا كان منقطعا كان وقفا تاما ويحتمل ان يكون هذه الصفة واردة بيانا وكشفا للمتقين لاشتمالها على ما اسست
عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات
واصلها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار الذي يقاس به غيرهما

فان

[illegible]

احدها ان الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال والاعتقادات
وهو قول واصل بن عطاء وابي الهذيل والقاضي عبد الجبار وثانيها انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وهو
قول ابي علي وابنه ابي هاشم وثالثها ان الايمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد
فيه الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب ما ورد فيه الوعيد وهو قول النظام ومن اصحابه من قال شرط كونه مؤمنا عندنا
وعند الله اجتناب الكبائر كلها واما اهل الحديث فذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة
ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شيء منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود
وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يرتكب الجحود والانكار لان
الفرع لا يحصل دون ما هو اصله وهو قول عبد الله بن سعيد الثاني زعموا ان الايمان اسم للطاعات كلها وهو ايمان واحد وجعلوا
الفرائض والنوافل كلها من جملة الايمان ومن ترك شيئا من الفرائض فقد انتقص ايمانه ومن ترك النوافل لا ينتقص ايمانه
ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل الفرقة الثانية الذين قالوا الايمان بالقلب واللسان معا وقد اختلف هؤلاء
على اقوال الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم هؤلاء اختلفوا
في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او كان علما
صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الدليل وثانيهما في ان
العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وصفاته على سبيل الكمال والتمام ثم انه لما كثر اختلاف
الخلق في صفات الله لا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال اهل الانصاف المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة
كونه من دين محمد عليه السلام فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او عالما بذاته وبكونه مرئيا او غير مرئي لا يكون داخلا في مسمى
الايمان القول الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو قول بشر المريسي والشيخ ابي الحسن الاشعري لان
التصديق من اقسام الكلام القائم بالنفس القول الثالث قول جماعة من الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب
الفرقة الثالثة الذين قالوا ان الايمان هو الاقرار باللسان فقط وهم فريقان الاول ان الاقرار باللسان فقط هو الايمان
لكن بشرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب فالمعرفة شرط لكون الاقرار اللساني ايمانا لا انها داخلة في مسمى الايمان وهو قول
غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي وان كان الكعبي قد انكر كونه قولا لغيلان الثاني ان الايمان مجرد الاقرار باللسان وهو قول
الكرامية وزعموا ان المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فيثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة الفرقة الرابعة
الذين قالوا الايمان عبارة عن عمل القلب فقط وهؤلاء قد اختلفوا على قولين احدهما ان الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله
بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان اما معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر
فقد زعم انها غير داخلة في حد الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام
وثانيهما الايمان مجرد التصديق بالقلب وهو قول الحسين بن الفضل البجلي فهذا مجموع اقوال الناس في مسمى الايمان
في عرف الشرع والذي ذهب اليه اهل التحقيق ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فنقول الايمان عبارة عن التصديق بكل
ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام اما انه عبارة عن التصديق فلان الخطاب الذي توجه علينا بلفظ آمنوا انما هو بلسان
العرب ولم يكن العرب يفهمون من الايمان غير التصديق والنقل من اللغة لم يثبت فيه اذ لو صح النقل من اللغة لروي ذلك لان الايمان
اكثر الالفاظ دورانا على السنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على معرفة ذلك المسمى ولاشتهر
وبلغ الى حد التواتر فلما لم يكن كذلك علمنا انه بقي على اصل الوضع ولانهم اجمعوا على ان الايمان المعدى بالباء يبقى على اصل اللغة

فوجب ان يكون غير المعقول بكلمات ولان الله تعالى في موضع ذكر الايمان في القرآن اضافه الى القلب قال الله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال كتب في قلوبهم الايمان وقال ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولان الله تعالى قرن العمل الصالح بالايمان ولو كان العمل الصالح داخلا في الايمان لكان ذلك تكرارا ولانه تعالى كثيرا ذكر الايمان وقرنه بالمعاصي قال الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وقد نقل عن ابن عباس انه احتج على هذا بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى من ثلاثة اوجه احدها ان القصاص انما يجب على القاتل المتعمد ثم خاطبه بقوله يا ايها الذين آمنوا فدل على انه مؤمن وثانيها قوله فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وثالثها قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا انما يليق بالمؤمن ومما يدل على ذلك قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا اثبت اسم الايمان لمن لم يهاجر مع عظم الوعيد في ترك الهجرة لقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله ما لكم من ولايتهم من شيء ومع هذا جعلهم مؤمنين واما ان الايمان هو التصديق بالقلب فليس عبارة عن التصديق باللسان فقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى كونهم مؤمنين مع التصديق باللسان واما ان الايمان ليس عبارة عن التصديق بالقلب مطلقا فلان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا على الاطلاق واما انه ليس عبارة عن التصديق بجميع صفات الله تعالى فلان النبي عليه السلام كان يحكم بايمان من لم يخطر بباله كونه تعالى عالما بذاته او بالعلم ولو كان التصديق بامثال ذلك معتبرا في تحقق الايمان لما حكم النبي عليه السلام بايمان مثله فان قيل من عرف الله بالدليل ومات ولم يجد من الوقت مقدار ان يتلفظ بكلمة الشهادة او وجده لكنه لم يتلفظ بها فلا يخلو اما ان يحكم بايمانه او بانه غير مؤمن فلا يصح لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه مطمئن بالايمان فكيف لا يكون مؤمنا او يحكم بانه مؤمن وحينئذ يكون الاقرار باللسان غير معتبر في تحقق الايمان وهو خلاف الاجماع اجيب بان الغزالي منع هذا الاجماع وحكم بكونه مؤمنا وان الامتناع عن النطق يجري مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فاخبرني عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال يا عمر اتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم قال انه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم وهذا الحديث صريح في ان الايمان في الشريعة هو التصديق القلبي بما ذكر وهو غير الاسلام ثم جعل الاقرار باللسان واعمال الابدان ايمانا يعلى سبيل التجوز بوجه من المناسبة وضرب من المقارنة لما الاعمال من ثوابعه ولواحقه وعلاماته واماراته كما يقال رايت الفرح في وجه فلان ورايت علم زيد في تصنيفه وانما الفرح والعلم في القلب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان فالايمان على طريق التجوز بوجه من المناسبة فان الاقرار باللسان والعمل بالاركان علامة على الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق اعلم ان الايمان يتعلق به امر الدنيا وامر الآخرة اما امر الآخرة فالخلاص من النيران ودخول الجنان لا الى الابد واما امر الدنيا فمثل الاحكام المتعلقة بالمسلمين لكن لما كان الايمان التصديق القلبي وهو غير ظاهر جعل الامر الظاهر الدال على التصديق القلبي قائما مقامه فجعل كلمة الشهادة الدالة على التصديق القلبي فيحكم بايمان من تلفظ بكلمة الشهادة سواء كان التصديق القلبي متحققا اولا ويحكم بكفر من لم يتلفظ بها سواء تحقق التصديق القلبي او لا وجعل كل ما له دلالة على التصديق القلبي امانة للايمان في الخطاب واعلى ما يدل على الايمان من الامور الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله فان لم يوجد ما هو اعلى منها او في رتبتها في الدلالة على الايمان من الامور الظاهرة ولم يوجد ما هو ادنى من اماطة الاذى عن الطريق في الدلالة على الايمان من الامور الظاهرة وبين الطرفين مراتب بعضها اظهر من بعض في الدلالة قال صاحب الكشاف فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق الغيب مصدر وصف به الغائب عنه غيبا ثم اقيم مقام الفاعل فقيل للغائب غيب كما قيل للصائم صوم وللزائر زور وللعادل عدل وقوله بالغيب يحتمل ان لا يكون صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به اي يؤمنون بالله حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وحقيقته ملتبسين بالغيب لقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويؤيده ما روي عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكرنا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به من رؤية النبي عليه السلام وصحبته فقال عبد الله ان امر محمد عليه السلام كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن احد قط ايمانا افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية الى قوله اولئك هم المفلحون فعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي ملتبسين بالغيبة والذي عليه الاكثر ان قوله بالغيب صلة للايمان وان يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر

كلمه

كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل في ميت قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نحن نعلم منه ما اعلمنا او نصب لنا دليلا ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب فعلى هذا الغيب ما يكون غائبا عن الحاسة وهو على قسمين احدهما ما عليه دليل وهو الاخر ما ليس عليه دليل والذي هنا ما عليه دليل ان يتفكروا ويستدلوا ويؤمنوا به وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله وبصفاته والنبوة وما يتعلق بها والآخرة وما يتعلق بها من البعث والنشور والحساب والميزان والصراط والوعد والوعيد وغير ذلك وقيل الغيب هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل هو قدر الله قوله تعالى ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من قام العود اذا قومه او يديمونه ويحافظون قال الله تعالى والذين هم على صلواتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت اي راجت قامها اي روجها قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او يتجلدون ويتشمرون لادائها ولا يكون فيهم فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر اي تجلد وتشمر وقامت الحرب على ساقها اي تشمر اهل الحرب وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد اذا تأخر وتوقف او يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها اي يفعلون القيام كما عبر عن الاداء بالقنوت والقنوت بالركوع والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح في الصلاة فلولا انه كان من المسبحين قال صاحب الكشاف الصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين وهما اصلا الفخذين الى الكعبين لان المصلي يحركهما في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان اي اصلا الفخذين وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد وحاصله ان حقيقة الصلوة تحريك الصلوين ثم نقل الى الاركان المخصوصة ثم نقل الى الدعاء فيكون بالنسبة الى الاركان مجازا في المرتبة الاولى وبالنسبة الى الدعاء مجازا في المرتبة الثانية وقيل ان الصلاة في الاصل الدعاء قال الاعشى وصل على دنها وارتسم وقيل مأخوذة من الصلوة وهو النار من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها فالمصلي كانه يسعى في تعديل ظاهره وباطنه مثل من يحاول تقويم الخشبة بعرضها على النار قال الشاعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم اي ما قوم امرك كالمتاني والمصلي تالي السابق لان راسه عند صلاه والصلاة في الشرع عبارة عن الافعال المخصوصة يتلو بعضها بعضا مفتتحة بالتحريم ومختتمة بالتحليل وهذا الاسم يقع على الفرض والنفل ولكن المراد بالصلوة هاهنا الفرض لانه يقع الفلاح عليه فان النبي عليه السلام لما بين للاعرابي صفة الصلاة المفروضة قال والله لا ازيد عليها ولا انقص منها فقال عليه السلام افلح ان صدق قال مقاتل اراد بها هاهنا الصلوات الخمس قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق العطا وهو مصدر قولك رزقته رزقا وقد يسمى المطر رزقا قال الله تعالى وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض والرزق الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم من هذا الامر والحظ هو نصيب الرجل وما هو خاص له دون غيره والرزق هاهنا ما يتهيأ للانتفاع به فان كان طعاما فللتغذي وان كان لباسا فللتدفي والتوقي وان كان مسكنا فللسكنى واما الرزق في عرف الشرع فمختلف فيه فقال ابو الحسين البصري الرزق تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء والحظر على غيره ان يمنعه من الانتفاع به فاذا قلنا قد رزقنا الله الاموال فمعناه انه مكننا من الانتفاع بها واذا سألنا الله تعالى ان يرزقنا مالا فانا نقصد بذلك ان يجعلنا بالمال احق واذا سألناه ان يرزق البهيمة فانا نقصد بذلك ان يجعلها احق اذ مكنها من الانتفاع به ولم يكن لاحد ان يمنعها من الانتفاع به والمعتزلة لما فسروا الرزق بذلك لم يجعلوا الحرام رزقا واصحابنا قالوا الرزق ما يتهيأ للانتفاع به والانتفاع به على وجهين حلال وحرام وليس الرزق هو الحظ والنصيب فمن انتفع بالحرام فذلك الحرام صار حظا له ونصيبا له فتعين ان يكون رزقا وايضا قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يعيش الانسان طول عمره لا ياكل الا من السرقة فوجب ان يقال ان طول عمره لم ياكل من رزقه شيئا واحتج المعتزلة بوجوه احدها قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون مدحهم على الانفاق مما رزقهم الله فلو كان الحرام رزقا لوجب ان يستحقوا المدح اذا انفقوا من الحرام وهو باطل بالاتفاق وثانيها لو كان الحرام رزقا لجاز ان ينفق الغاصب منه لقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم واجمع المسلمون على انه لا يجوز للغاصب ان ينفق منه بل يجب عليه رده فدل على ان الحرام ليس برزق وثالثها قوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما قل آلله اذن لكم فبين ان من حرم رزق الله فهو مفتري على الله فثبت ان الحرام لا يكون رزقا ورابعها ان الله تعالى منع المكلف من الانتفاع بالحرام وامر غيره بمنعه من الانتفاع به ومن منع احدا الشيء والانتفاع به لا يقال انه رزقه اياه الا ترى انه لا يقال ان السلطان قد رزق جنده مالا قد منعهم من اخذه وانما يقال انه رزقهم ما مكنهم من اخذه ولا يمنعهم منه ولا امر بمنعهم منه والجواب عن الوجوه الثلاثة الاول بانه وان كان الكل من الله تعالى فلا يضاف اليه ذلك لما فيه من سوء الادب كما يقال يا خالق المحدثات والروح والكرسي ولا يقال يا خالق الكلاب والخنازير وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله فخص اسم العباد بالمتقين وان كان الكفار من العباد فكذا هاهنا خص اسم الرزق بالحلال على سبيل التشريف وان كان الحرام رزقا ايضا وعن الرابع بان الحرام هل يسمى رزقا ام لا بحث لغوي لا مجال للدلائل العقلية فيه واصل الانفاق الانفاد والاخراج عن اليد وعن الملك وانفق الشيء وانفده اخوان وقيل نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فهو دال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به ويجوز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه باختها وشقيقتها

هي الصلاة وان اريد بها هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لجنبه مطلقا اي يتناول كل نفق ولم يذكر المنفق عليه فقيل
العيال والاهل وقيل الذين لهم الزكوة المفروضة وقيل اهل الصدقات النوافل وقيل هم الفقراء الذين وجب الانفاق عليهم
قبل وجوب الزكاة فانه كان فرض على الرجل ان يمسك مما في يده مقدار كفاية يومه وليلته ويفرق باقيه على الفقراء فعلى هذا
منسوخه بآية الزكوة وغيره هذا القول ابت قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
قوله والذين يؤمنون يحتمل ان يكونوا هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع
والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب
معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه على هذا الايثار في جميع المؤمنين سواء كانوا من العرب او من اهل الكتاب ويحتمل
ان يكون قوله الذين يؤمنون بالغيب عاما يتناول كل من آمن بمحمد عليه السلام سواء كان قبل ذلك من موسى وعيسى عليهما السلام
او ما كان مؤمنا بهما واريد بقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا
فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وان النار لا تمسهم الا اياما واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم
افتراقهم فرقتين منهم من قال يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون
وزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في الدنيا لانه نما الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون
الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير
[illegible]

عددت لهم كما قال الحاتم وللّه صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدهر مقدما فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
ولا شبعة ان نالها عد مغنما اذا ما رأى يوما مكارم اعرضت تيمم كبراهن ثمت صمما يرى رمحه او نبله او مجنه وذا شطب عضب
الضريبة مخذما واحناء سرج قاتر ولجامه عتاد اخي هيجا وطرفا مسوما فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد
ضعيفا مذمما. ثم عدد لها خصالا كالمضي على الاحداث مقدما والصبر على اللأواء والانفة من ان يعد الشبعة مغنما والتيمم
كبر المكرمات وتصميمه عليها والتأهب للحرب بادواتها ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك البيت ومعنى الاستعلاء في
على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق
وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم اقتعد غارب الهوى واستطى الجهل وجعل الغواية مركبا وتحقيق القول في كونهم على الهدى تمسكهم
بموجب الدلائل لان الواجب على المتمسك بالدليل ان يدوم على ذلك ويحفظه عن الشبهة والمطاعن فكانه تعالى لما مدحهم بالايمان
بما انزل عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك والمواظبة على حفظه عن الشبهة ثانيا وذلك واجب على المكلف لانه اذا كان متشددا
في الدين خائفا وجلا فلا بد من ان يحاسب نفسه في علمه وعمله ويتأمل حاله فيهما فاذا احترز بنفسه عن الاخلال كان ممدوحا
بانه على هدى وبصيرة وانما نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كما يقال لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم قال صاحب الكشاف معنى هدى من ربهم اي منحوه واوتوه من قبله
وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل والتنوين في من ربهم
عنه قبل الهدى من كثير ولا يبصره الا البصير ولا يعمل به الا النبيل لا ترى انك تجوب السماء يبصرها البصر ولا يمسكها الا العلماء
وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين اي
الاختصاصين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على انفرادها فان قيل لم جاء مع العاطف وما الفرق
بينه وبين قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلنا قد اختلف الخبران فلذلك دخل العاطف بخلاف
الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد لان التشبيه من حيث المعنى وهو الغفلة
لا من حيث الخلقة والصورة فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى متصلة بها كمال الاتصال فهي من العطف بمعزل وقوله
هم فصل وله فائدتان احديهما الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والاخرى ايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره
وحينئذ لا محل له في الاعراب وقيل هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت عنه فقيل لك زيد التائب اي
الذي اخبرت بتوبته او الدلالة على ان المتقين هم الذين ان حصلت اي صفة المفلحين اي تحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم
الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة اي لا يتجاوزونها من صفة الفلاح الى غيرها كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد
وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد
على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم
ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على
الله ما لا يقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج
بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى اعلم ان هذه الآيات يتمسك بها الوعيدية من وجه والمرجئة من وجه اما الوعيدية فقالوا ان قوله واولئك
هم المفلحون يقتضي الحصر فوجب ان لا يكون المخل بالصلاة والزكوة مفلحا فوجب القطع بوعيد تارك الصلاة والزكوة وان
ترتب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف للحكم فوجب ان يكون علة الفلاح هو فعل الايمان والصلاة والزكوة فعند الاخلال
بهذه الاشياء لا يحصل الفلاح واما المرجئة فقد احتجوا بان الله حكم بالفلاح على الموصوفين بالصفات
المذكورة في هذه الآية فوجب ان يكون الموصوف بهذه الاشياء مفلحا وان شرب الخمر وسرق واذا ثبت في هذه الطائفة
تحقق العفو ثبت في غيرهم ضرورة اذ لا قائل بالفرق والجواب ان كل واحد من الاحتجاجين معارض بالآخر فيتساقطان والجواب
عن قول الوعيدية ان قوله اولئك هم المفلحون يدل على انهم الكاملون في الفلاح فيلزم ان يكون صاحب الكبيرة غير كامل في الفلاح
وهو غير جائز من الخلاص من العذاب بالجزم وهذا خارج منه وعن الثاني ان نفي السبب الواحد لا يقتضي نفي المسبب فعندنا
من اسباب الفلاح عفو الله وايضا فان هذه الاشياء علة لكمال الفلاح ولا يلزم من انتفاء كمال الفلاح انتفاء الفلاح والجواب
عن قول المرجئة ان وصفهم بالتقوى يكفي لنيل الثواب لانه يتضمن اتقاء المعاصي واتقاء ترك الواجبات قوله تعالى ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ● وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما قدم ذكر اوليائه وعباده
المخلصين بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى لهم خاصة وانهم هم الفائزون بالفلاح
عقبه بذكر اضدادهم وهم الكفرة الذين لا ينفع فيهم الهدى وسواء عليهم انذار الرسول وعدمه وقطعت قصتهم عن
قصة المؤمنين ولم يعطف عليها كعطف ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين القصتين في الغرض والاسلوب
فان الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية مسوقة لبيان ان الكفار من صفتهم كيت وكيت وعلى تقدير ان يكون
الذين يؤمنون ابتداء غير جار على المتقين وبنى الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبه بكلام آخر في صفة اضدادهم لا يكون مثل
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير
سؤال وذلك ادراج في حكم المتقين وتابع لهم في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه

المشبهة بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر والجملة التي تدخل ان عليها يقع جوابا للسؤال المحقق او المقدر وتحقيق ذلك انها للتأكيد
واذا كان الخبر بامر ليس للمخاطب ظن في خلافه لم يحتج هنا لك الى ان وانما احتاج اليها اذا كان للمخاطب ظن بخلافه والذين كفروا
وان كان ظاهرا في الاستغراق لا خلاف فيه انه ليس المراد منه العموم فان كثيرا من الكفار اسلموا قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون
للتعريف فالذين كفروا للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس
متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرجى بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم قال
ابو العالية انها نزلت في قادة الاحزاب وقال الضحاك انها نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته وقال ابن السائب انها نزلت في
طائفة من اليهود منهم حيي بن اخطب وقال المقاتل انها نزلت في مشركي العرب كابي جهل وابي طالب وابي لهب وغيرهم ممن لم يسلم والكفر
في اللغة التغطية والستر ومنه قيل للحراث كافر لانه يستر البذر في الارض قال الله تعالى اعجب الكفار نباته اي الزراع وقيل للبحر كافر
والكفر القبر وظلمة الليل وسواده والكافر الليل المظلم لانه يستر بظلمته كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطاه ولبسه
فوقه وكل شيء غطى شيئا فقد كفره ومنه سمي الكافر لانه يستر نعم الله عليه واما الكفر في الشريعة فهو عدم تصديق الرسول
في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به وتحقيق القول فيه ان ما نقل عن النبي عليه السلام انه ذهب اليه وقال به فاما ان يعرف صحة ذلك
النقل بالضرورة او بالاستدلال او بخبر الواحد اما القسم الاول فمن صدقه في جميع ذلك فهو مؤمن ومن لم يصدقه في جميع ذلك
سواء كان مصدقا في البعض دون بعض او لم يصدق في شيء منه فهو كافر مثاله من انكر
وجود الصانع او كونه قادرا او عالما او مختارا او واجبا او منزها عن النقائص والآفات او انكر نبوة محمد وصحة القرآن او انكر
الشرائع التي علمنا بالضرورة كونها دين محمد كوجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكوة والحج وحرمة الزنا والخمر فهو كافر لانه
لم يصدق الرسول فيما علم بالضرورة انه من دينه واما الذي يعلم بالدليل انه من دينه مثل كونه عالما بالعلم او بذاته وانه مرئي او
خالق اعمال العباد ام لا فلم ينقل بالتواتر القاطع للعذر مجيئه باحد القولين دون الثاني بل انما يعلم صحة احد القولين وبطلان الثاني
بالاستدلال فلم يكن انكاره والاقرار به داخلا في حقيقة الايمان كفرا والدليل عليه لو كان ذلك داخلا في حقيقة الايمان لكان
واجبا على الرسول ان لا يحكم بايمان احد الا بعد ان يعرف انه عرف الحق في تلك المسئلة ولو كان الامر كذلك لاشتهر قوله في
المسئلة بين جميع اصحابه ولنقل ذلك على سبيل التواتر فلما لم ينقل دل انه ما علق الايمان عليها واذا كان كذلك
وجب ان لا يكون معرفتها من الايمان ولا انكارها موجبا للكفر ولاجل هذه القاعدة لا يكفر احد من هذه الامة ولا يكفر ارباب
التأويل واما الذي لا سبيل اليه الا برواية الآحاد فلا يكون التصديق به داخلا في الايمان ولا انكاره كفرا وقد اورد على حسن
تعريف الكفر لبس الغيار وشد الزنار وامثالهما فانه كفر مع ان ذلك ليس انكارا لشيء مما علم بالضرورة مجيء محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم واجيب بان هذه الاشياء ليست بكفر لان التصديق والانكار امر باطن لا اطلاع للخلق عليه ومن عادة الشرع ان لا يبني الحكم
في امثال هذه الامور على الامر الباطن لانه لا سبيل الى الاطلاع عليه بل يجعلها معرفة وعلامات ظاهرة ويجعل تلك المظان الظاهرة
مدارا للاحكام الشرعية ولبس الغيار وشد الزنار من هذا الباب فان الظاهر ان من يصدق الرسول لا يأتي بهذه الامور فحيث اتى بها دل على عدم
التصديق لا انها في انفسها كفر وقيل الكفر على اربعة انواع كفر انكار وهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد
وكفر جحود وهو ان يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر امية بن ابي الصلت ومنه قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وكفر معاندة وهو ان يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يقبل ولا يتدين به ككفر ابي طالب
حيث قال ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وكفر نفاق
وهو ان يقر بلسانه ويكفر بقلبه سواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا
وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاع سواء على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به
على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم
ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان قال صاحب الكشاف فان
قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب
المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن
منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل وذلك لانه يشرب منصوب بان
المقدرة تقديره وان تشرب ولهذا جعل لا تأكل في معنى لا يكن منك اكل السمك ولو كان عطف الفعل على الفعل لكانت
الباء مكسورة في يشرب فان قيل اطلاق انذرتهم ام لم تنذرهم وارادة انذارك لهم وعدمه بطريق المجاز والعدول من الحقيقة
الى المجاز يستدعي فائدة زائدة اما في المعنى او في اللفظ فما الفائدة هنا اجيب بان قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
معناه سواء عليك انذارك لهم وعدم انذارك لهم بعد ذلك لان القوم كانوا قد بلغوا في الاصرار واللجاج والاعراض عن الآيات والدلائل
الى حالة لا يرجى منهم القبول بوجه وقيل ذلك لما كانوا كذلك فلو قال سواء عليهم انذارك وعدم انذارك لما افاد ان هذا المعنى انما
حصل في هذا الوقت دون ما قبله فكان ذلك لتفيد حصول اليأس وقطع الرجاء منهم وقد بينا ان المقصود من هذه الآية ذلك
والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى
على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على
صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه
ولكن لا يعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي والقراء انذرتهم بتحقيق الهمزة

الاولى وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما وبتحقيقهما وبتحقيق الاولى وابدال الثانية الفا لانه الف الاستفهام دخل على الف
فقطع نحو آانت قال صاحب الكشاف فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما
الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء
طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين قيل هذا طعن فيما هو من القراءات السبع المتواترة ومثله كفر و
ليس بصحيح لان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة واما ما هو من قبيل الاداء فلا يشترط ان
يكون متواترا فالطعن فيه لا يفضي الى الكفر لكن صاحب الكشاف مخطئ في التخطئة لان قلب الهمزة الفا يشبع الالف اشباعا
زائدا على مقدار الالف ليكون الاشباع فاصلا بين الساكنين وهما الالف المقلوبة والنون ويقوم مقام الحركة كما في محياي باسكان
الياء وصلا وايضا طريق التخفيف ليس بحيط الاخراج بين بين منشاء وقد ثبت مثله في كلام الفصحاء ونقل عن القراء السبع فلا يصح الحكم
بخطائه فانه وان لم يكن متواترا فلا اقل من ان يكون كغيره مما نقله الآحاد بل مما نقله القراء اولى لانهم ناقلون عن ثبت عصمتهم من الغلط
وهم اهدى من النحاة فالمصير الى قولهم اولى منهم لو قيل كثير من اللغة بخلافه كان مستقيما وقوله لا يؤمنون اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة
قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ويكون الوقف على يؤمنون تاما او ان علقت ختم بلا يؤمنون في حال الختم على قلوبهم لا يقف
على يؤمنون وهذه الآية خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة وسبق في علم الله فظاهرها الاستفهام ومعناها الخبر
احتج الاشاعرة بهذه الآية على تكليف ما لا يطاق والتحرير ان المذاهب في الافعال التي هي متعلق احكام الشرع لا يخلو اما
ان يكون ممتنعة لعينها كالافعال التي علم الله انها لا تقع او اخبر بانها لا تقع او لا يكون ممتنعة لغيرها فهذه ثلاثة اقسام الاول
لا نزاع في انه وقع التكليف به والثاني انعقد الاجماع على جواز التكليف به فانهم اجمعوا على جواز التكاليف عقلا بما علم الله
انه لا يقع وعلى وقوعه شرعا كتكليف الكفار الذين ماتوا على الكفر والعصاة الذين صدر منهم المعاصي فان الله تعالى علم ان الايمان
لا يقع منهم وان المعاصي تصدر منهم ومع هذا كلفهم الله تعالى بالايمان وترك المعاصي والاول كالجمع بين الضدين
واعدام القديم وقلب الحقائق اختلف فيه الشيخ ابو الحسن الاشعري وميله في كثير اقواله الى جواز التكليف به واليه
ذهب اكثر اصحابه ولهذا انتسب الى الشيخ الاشعري جواز التكليف بالمحال ومن اصحابه من قال لا يصح التكليف به والذين قالوا
بجوازه اختلفوا في وقوعه فمنهم من منع وهو الصحيح اما انه جائز عقلا فلان حكمه تعالى لا يستدعي غرضا فيحكم ما يريد احتج المانع
بانه لا يصح التكليف به لانه لو صح التكليف بالممتنع لذاته لكان مطلوب الحصول واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة
ان التكليف طلب ما فيه كلفة فالمكلف به مطلوب والمطلوب يستدعي الحصول لان معنى الطلب استدعاء الحصول واما بطلان
اللازم فلان الممتنع لذاته يستحيل ان يكون مطلوب الحصول لان ما هو مطلوب الحصول يستلزم كونه متصور الوقوع لان
طلب حصوله فرع تصور وقوعه لامتناع طلب حصول ما لا يتصور وقوعه لكن الممتنع لذاته لا يتصور وقوعه لانه لو تصور وقوعه
وهو ممتنع الوقوع لزم تصور الشيء على خلاف ماهيته فثبت امتناع تصور وقوع الممتنع لذاته فاستحال ان يكون الممتنع لذاته
مطلوب الحصول فاستحال ان يكون مكلفا به والجواب عنه لا نسلم انه لو صح التكليف به لكان مطلوب الحصول قوله ان
التكليف طلب ما فيه كلفة فالمكلف به مطلوب قلنا لا نسلم ان المطلوب مستدعى الحصول فان المطلوب
الذي يكون في طلبه غرض فلا ولئن سلم ان المطلوب يستدعي الحصول لكن لا نسلم ان الممتنع لذاته يستحيل ان يكون مطلوب
الحصول قوله لان ما هو مطلوب الحصول يستلزم كونه متصور الوقوع قلنا لا نسلم الاستلزام ولئن سلم فلا نسلم ان الممتنع
لذاته لا يتصور وقوعه قوله لانه لو تصور وقوعه وهو ممتنع الوقوع لزم تصور الشيء على خلاف ماهيته قلنا غايته انه تصور
وقوعه ويعلم انه ممتنع وقوعه والعلم بامتناع الوقوع لا ينافي تصور الوقوع ولا طلب الوقوع فانه لا يلزم من طلب الوقوع امكان
الوقوع فانه يجوز ان يكون طلب الوقوع لا لغرض او لغرض غير الوقوع وهو الابتلاء نعم لو كلفوا بالممتنع لذاته بعد علمهم بانه ممتنع
لذاته انتفت فائدة التكليف لان فائدته الامتثال او الابتلاء والاختبار اما الامتثال فظاهر واما انتفاء الابتلاء فلانه
لا يتصور مع علم المكلف بعدم صدور الفعل منه ومثل هذا التكليف غير واقع لكن جائز لان التكليف لا يقتضي فائدة وغرضا
واما انه غير واقع فلانا استقرينا التكاليف الشرعية فما وجدنا فيها ما هو تكليف بما ليس بالممتنع لذاته ولقوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه نفى وقوع التكليف بما ليس في الوسع والممتنع لذاته ليس في الوسع فلا يقع التكليف به واحتج
القائل بوقوع التكليف بالممتنع لذاته بقوله تعالى ان الذين كفروا الآية بيانه ان الله تعالى امرهما اي المذكورين ابا لهب وابا جهل
وغيرهما بالايمان بجميع ما انزل الله الى الرسول ومن جملته انهم لا يؤمنون فيكونون مكلفين بالجمع بين النقيضين وهو ممتنع
لذاته فيكون التكليف بالممتنع لذاته واقعا اجيب بانا لا نسلم انهم بعد نزول الآية كلفوا بالايمان حتى يكون جمعا بين النقيضين
ضرورة عدم اتحاد الزمان الذي هو شرط التناقض وهذا الجواب ليس بمرضي اذ الاجماع متحقق على انهم كانوا مكلفين الى
ان هلكوا واجيب عنه ايضا بانهم كلفوا بتصديق الرسول فيما جاء به وتصديق الرسول فيما جاء به امر ممكن في نفسه لكن اخبر الله
تعالى بانهم لا يصدقونه فيه لا يستلزم رفع الامكان الذاتي فان الممكن لا يخرج عن امكانه بخبر الله تعالى بعدم وقوعه بل غايته
ان يكون ممتنعا بالغير والامتناع بالغير لا ينافي الامكان بالذات فلا يكون تكليفهم بتصديق الرسول تكليفا بالممتنع لذاته
الذي هو المتنازع فيه ولقائل ان يقول لتصديقهم فيما جاء به الرسول متوقف على عدم تصديقهم لكون عدم تصديقهم مما جاء به
فيكون تكليفا بالجمع بين النقيضين فيكون التكليف بالممتنع لذاته واقعا فان قيل لا نسلم ان عدم التصديق واجب لان التصديق
متوقف على عدم تصديقهم وما يتوقف عليه الواجب فهو واجب قلنا انما يكون واجبا اذا كان مقدورا فان ما يتوقف عليه الواجب
اذا لم يكن مقدورا لا يستدعي وجوب الواجب وجوبه وعدم تصديقهم ليس بمقدور فلا يكون واجبا قلنا لا نسلم ان عدم تصديقهم

غير مقدور فان التصديق ممكن تعدمه ايضا ممكن فان الامكان يتساوى نسبته الى طرفي الوجود والعدم ولئن سلم
ان عدم التصديق غير ممكن وغير مقدور لكن كف النفس عن التصديق ممكن ومقدور مع تصديق الرسول عليه السلام فيما جاء به
متوقف على كف النفس عن التصديق فيكون واجبا فيكونون مكلفين بالتصديق وكف النفس عن التصديق فيكونون مكلفين
بالجمع بين الضدين والجمع بين الضدين ممتنع لذاته ولا مخلص عن هذا الا بان يقال انما ما يتوقف عليه الواجب الشرعي انما يكون
واجبا شرعا اذا كان من الشرائط الشرعية فلا وفيه نظر فانه ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب سواء كان شرطا شرعيا او سببا
كمماسة النار لاحتراق الحطب او غير سبب اما ان ترك ضد الواجب الذي لا يتم الواجب الا به او فعل ضد المحرم الذي لا يتم ترك
المحرم الا به او طريقا الى الاتيان بالواجب كالكف عن الايمان على التقدير المذكور ويمكن ان يقال ان وجوب ما لا يتم الواجب الا به
وجوب بالتبع فالتكليف به تكليف بالتبع والمراد بقولنا التكليف بالممتنع لذاته غير واقع ان التكليف بالاصالة بالممتنع لذاته
غير واقع واما التكليف بالتبع لذاته فجاز ان يكون واقعا وهاهنا التكليف بالجمع بين النقيضين انما نشأ من التكليف بالكف
عن الايمان والتكليف بالكف عن الايمان تكليف بالتبع فالتكليف بالجمع بين النقيضين تكليف بالتبع ضرورة كون التكليف
باحد النقيضين وهو التكليف بالكف عن الايمان بالتبع وهذا غاية ما يقال في هذا الموضع قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ۝ لما ذكر في الآية الاولى انهم لا يؤمنون ذكر سبب ترك الايمان
فقال تعالى ختم الله على قلوبهم الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل
اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء والقلوب جمع القلب وهو قطعة
من دم جامد وهو مسكن في الفؤاد وقيل انه الشكل الصنوبري المعلق بالوتين معلوقا والوتين عرق في القلب اذا انقطع مات
صاحبه وبالجملة بيت النفس ومسكن العقل ومحل العلم والفهم ولهذا خصه بالختم والختم على الوعاء يمنع الدخول فيه والخروج
منه كذلك الختم على قلوب الكفار يمنع دخول الايمان فيها وخروج الكفر منها والسمع قوة في الصماخ يسمع بها السامع ويدرك
المسموعات ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فان البطن الواحد
لا يكون للجماعة فتقديره في بطن كل واحد منهم فاذا امن من اللبس فان البطن الواحد لا يكون للجماعة فتقديره في بطن
كل واحد منهم فاذا امن من اللبس كقوله فرعهم وثوبهم رفضوه فانه يحتمل ان يكون من الجميع ويحتمل انه لان السمع
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه قوله تعالى وفي آذاننا وقر فانه لما كان الاذن مصدرا جمع ويحتمل
ان يقدر مضاف محذوف اي وعلى حواس سمعهم قال سيبويه انه توحد لفظ السمع لانه ذكر ما قبله وما بعده بلفظ الجمع
وذلك يدل على ان المراد منه الجمع قال تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وعن اليمين وعن الشمائل الا ان الراعي بها خفيف الحشى فاما
بطونها فبيض واما جلدها فصليب ويحتمل ان يكون السمع داخلا في حكم التغشية وفي حكم
الختم والتعويل على ما يدل على ذلك قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ووقفهم على سمعهم لكن
قلوبهم ولما كانت القلوب والاسماع محجوبة كان اسناد الختم اليها اولى والابصار لما كانت بارزة ادراكها متعلق بظاهر
ما كان الغشاوة لها اليق وفائدة تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم لتكون ادل على شدة الختم في الموضعين فانه لو لم يكرر لكان
انتظاما للقلوب والسمع في تعدية واحدة والابصار جمع بصر وهو نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات
كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وقيل كان البصر والبصيرة جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى
في العين والقلب آلتين للابصار والاستبصار ذهب بعض الناس الى ان السمع افضل من البصر لانه تعالى قدم السمع على البصر
في الذكر ولان السمع شرط النبوة بخلاف البصر ولهذا ما بعث رسولا اصم وقد كان منهم من هو مبتلى بالعمى ولان السمع
يصل نتائج العقول من بعض الى بعض فالسمع له مدخل في غير المبصرات ولان السمع متصرف في الجهات الست بخلاف
البصر ومن الناس من ذهب الى ان البصر افضل لان آلة القوة الباصرة اشرف ولان متعلق القوة السامعة هو الريح
مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه اي منع ومنه العذاب لانه يقمع العطش
ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم العذب نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته اي يكسره
على القلب اي على قلب بعض الحروف ثم اتسع في العذاب فسمي كل الم فادح اي مثقل هنا باوان لم يكن نكالا اي عقابا يردع
الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما
ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير في
ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام
العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اعلم ان الناس اختلفوا في هذا الختم ووجه اسناده الى الله تعالى اما القائلون بان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى فعلى مذهبهم ظاهر فمنهم من قال معنى الآية طبع الله على قلوبهم واقفلها فليس يدخلها نور ولا
يدل عليه قوله تعالى ام على قلوب اقفالها ومنهم من قال معناه حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يقال للرجل ختمت عليك فلان
لا يفلح ابدا وعلى سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به ومنهم من قال الختم خلق الكفر في قلوبهم ومنهم من قال الخلق الداعية
اذا انضمت الى القدرة صار القدرة معها سببا موجبا لوقوع الكفر تقريره ان القادر على الكفر ان لم يقدر على تركه كانت
القدرة عليه موجبة له لخلو القدرة يستلزم خلقه وان قدر على الترك كانت نسبتها اليهما على السوية وحينئذ ان لم
يتوقف صدوره منها على انضمام مرجح اليها فقد وقع الممكن اي الكفر من غير مرجح وتجويزه يقتضي انسداد باب اثبات الصانع
وان توقف فذلك المرجح اذا كان من الله وجب توقعه والا يلزم الترجيح بلا مرجح او التسلسل وهما محالان ان كان المرجح لا يكون

من الله تعالى

من الله تعالى لا من العبد لئلا يلزم حدوث شيء بلا مؤثر او التسلسل وهما محالان فثبت ان خلق الداعية الموجبة للكفر من الله تعالى
فيكون ختما على القلب ومانعا من قبول الايمان ولهذا لما حكم الله عليهم بانهم لا يؤمنون ذكر عقيبه ما يجري مجرى السبب الموجب
له لان العلم بالسبب والعلم بالمسبب لا يكمل الا اذا استفيد من السبب واما المعتزلة الذين قالوا ان الافعال الاختيارية الصادرة
عن الانسان انما هو بقدرته واختياره فقد قالوا لا يجوز اجراء هذه الآية على ظاهرها قال صاحب الكشاف لا ختم ولا تغشية
ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق
لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله والتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء
اليه وتعاف استماعه كانما مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها
اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واعلم ان هذه استعارة تحقيقية تبعية
اما انها استعارة فلانه شبه عدم نفوذ الحق في قلوبهم وعدم خلوص الحق الى ضمائرهم ومج اسماعهم الحق ونبوه عن الاصغاء اليه
وكراهة استماعه باستيثاقها بالختم وعدم اجتلاء ابصارهم آيات الله ودلائله المنصوبة بالغطاء عليها بحال القلوب
والاسماع المشبهة بالختم والاستيثاق وحال الابصار بالغطاء والغشاوة وذكر احد طرفي التشبيه فيكون استعارة واما
انها استعارة مصرح بها فلان الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به فان الختم والغشاوة هما المشبه بهما واما انها
تبعية فلانها وقعت في الفعل والصفة فالفعل ختم والصفة غشاوة قال واما التمثيل فان تمثل قلوبهم واسماعهم وابصارهم
حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها
بالختم والتغطية فهذه الاستعارة بالكناية لانها شبه القلوب والاسماع والابصار هي المشبهة ولا شك ان كلا
من الاستعارة المصرح بها التحقيقية التبعية والاستعارة بالكناية من انواع المجاز اللغوي المفيد للتضمين للتشبيه
وسمى صاحب الكشاف الاستعارة بالكناية التمثيل وجعله قسيما للاستعارة لانه اراد بالاستعارة المصرح بها
التبعية ثم قال جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس
على الكلام بقادر ۝ واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر قال صاحب الكشاف فان قلت فلم اسند
الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح
علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم
عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي الا ترى الى
قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك من ان الختم مسند الى الله تعالى
وقد وردت الآيات ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ثم قال ويجوز ان يضرب
الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي
ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال
من طارت به العنقاء فكذا مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغنام
التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مختوم الله عليها حتى لا تعي شيئا
ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك الثالث يجوز ان يستعار
الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة بيان هذا
ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل
حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء بطريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل
كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم
السيل يفعم الوادي اي يملأه فجعل الفاعل مفعولا وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله
قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره
ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب الرابع هو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم
الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة والمقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان
يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم
لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار
عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال
والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة قال صاحب الانتصاف من الكشاف فيه هذه اول عشواء خبطها بحيث تزلزل عن صحة الايمان بالنص الحقيقي
تأويله ابتغاء الفتنة وتسنيما لما كتب عليه من المحنة فالطوق كلامه هنا على ضلالة لا تعرضها واوردها الاولى ما
دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاها ان الحادثات لا يقدر عليها الا الله تعالى لا شريك له في الاحداث والامتناع من

الحي من جملة الحوادث موجب لنظامه في سلك مخلوقات الله تعالى الحادثة بقدرته العامة المتعلقة بالكائنات والممكنات
الثانية مخالفة دليل النقل المضاف الى دليل العقل مثل قوله تعالى الله خالق كل شيء هل من خالق غير الله وهذه الآية ايضا
فان الختم فيهما مستند الى الله تعالى وصاحب الكشاف لا يأبى ذلك ولكنه يدعي الالتجاء الى تأويلها لدليل قام عنده تطلبه فاذا ثبت
ان الدليل العقلي يطلق وفق ما دلت عليه الآية وجب اقرارها على ظاهرها بل لو دلت على خلاف ذلك الظاهر لوجب تأويلها ابدا
جمعا بين العقل والنقل الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبيحا الى الله تعالى تنزيها على زعمه الى الاشراك في اعتقاده
الشيطان هو الذي يخلق الختم او الكافر يخلقه في نفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المتأهل (?) الوبا
وتردى من حميم البدعة مولدا العذاب الاليمة الغلط باعتقاده ان ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا
في الشاهد وجب على زعمه ان يكون قبيحا من الغائب وهذه قاعدة تتفرع من بطلانها في فيها الخامسة اعتقاده لو فرض وجوده
بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه عن الظلم بقوله وما انا بظلام للعبيد ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم فانه
التصرف في ملك الغير بغير اذنه فكيف يتصور حقيقة الظلم لله تعالى وكل موجود ممكن ملك له فالملك لله الواحد القهار السادسة
انه من اعتقاده نسبة الظلم الى الله تعالى فيتوطيه (?) الى عنقه فانه قد جعل ان المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان
ظلما تعالى الله فيقام البرهان على انه من فعل الله تعالى فيلزم منه ان يكون ظالما تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا في الخيال الذي
يرتدون حوله لا ان افعال العبد لو كانت مخلوقة له تعالى لما نعاها الى عباده ولا عاقبهم ولا اقام حجة عليهم وهذه الشبهة
قد اجراها في ادراج كلامه المتقدم فيما لو لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لما ولا عاقبهم ولا اقام حجة الله عليهم وهذه الشبهة
قد اجراها في ادراج كلامه المتقدم فيما لو لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لما نعاها الى عباده فان اهل السنة لا ... الملازمة ولكن
يعللون الى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما اذا كانت المعاقبة من الفاعل
فيلزم طرد ذلك غائبا قال الصاحب بن عباد في فصل له في هذا الباب كيف يأمره بالايمان وقد منعه منه وينهاه عن الكفر وقد حمله
عليه وكيف يصرفه عن الايمان ثم يقول انى تصرفون ويخلق فيهم الافك ثم يقول انى تؤفكون وانشأ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون
وخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل وصدهم عن سبيل الله ثم يقول لم تصدون عن سبيل الله وحال
بينهم وبين الايمان ثم قال وماذا عليهم لو آمنوا وذهب بهم عن الرشد ثم قال فاين تذهبون واضلهم عن الدين حتى اعرضوا
ثم قال فما لهم عن التذكرة معرضين وقال انها اثابنا (?) قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ثم قال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى فلو كان
الكفر بفعله لكان ذلك من اعظم الاعذار واقوى الوجوه الدافعة للعقاب عنهم قيل لهم ويقبح في الشاهد ايضا ان يمكن الانسان
عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على منعه وصده في الاول عنها فيقولون
اجل انه يقبح في الشاهد ولكن لله تعالى حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده
من الفواحش مع القدرة على ان لا يقع منه ولم يحسن ذلك في الشاهد فعند هذا الموطن تزل اقدامهم وتنكس اعلامهم
اذ لا حث لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين عنهما المانع ان تكون تلك الافعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها
لمصلحة وحكمة استأثر بها كما زعمتم منه الان فلم يسد الناقد كم الطريق المستقيم وسنطر عاقبة هذا الامر فيصير احرى
انه يفوض من الابتداء الى خالقه ويلقي حجة الله بالقبول والتسليم ويسلك الطريق الافضل مهتديا بنور العقل
ومقتديا بدليل الشرع فان نازعته النفس وجاذبته الهواجس ورغب في منح من خبايا النظر بانس برق مفاوز الفكر بالخطر
بالله ما ذكرنا عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريبا قوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ● افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر باطنا وظاهرا قلوبا والسنة
ثم بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا
وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين
وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن
آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة قال صاحب الكشاف اصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا
كما قيل لوقة في الوقة وحذفت الهمزة مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس قال صاحب الصحاح فيه ولم يجعلوا الالف
واللام فيه عوضا من الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه في قول الشاعر ان المنايا يطلعن على الا
ناس الامنينا ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن
لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا وقيل سمي الانسان به لانه انس بحوا وقيل لانه انس بربه ووزن ناس فعال لان الزنة على
الاصول لا الزائد تقول في وزن قه افل وليس فعال من ابنية الجمع وهو من اسماء الجمع كرخال جمع رخل بكسر الخاء الا
من اولاد الضان قال الكسائي وعند بعضهم ليس الرخال الجمع بل هو اسم جمع وقيل الفرق بين الجمع المبني على المفرد وبين اسم الجمع ان اسم
الجمع في حكم الافراد بدليل جواز التصغير فيه ولا يجوز تصغير الجمع الحقيقي اذا كان جمع كثرة واما اذا كان جمع قلة فتصغيره كما هو
وجمع الكثرة يرد الى واحده او الى جمع قلته واما ناس فقياسه انيس لان اصل ناس اناس وعند التصغير يرد الاسم الى اصله فتقول انيس

الا انه على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل تصغير انسان ورجل وذهب الكسائي الى انه من نوس وهو الحركة قلبت الواو الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وذهب بعضهم الى انه من نسي ووزنه فعل والاصل نسي قلبت اللام الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الياء الفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها سموا بذلك لنسيانهم قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي قال الشاعر فان نسيت عهودا منك
سالفة فاغفر فاول ناس اول الناس فوزنه على الاول فعال وعلى الثاني فعل وعلى الثالث فلع قال صاحب الكشاف واللام
في الناس للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي
واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام
وقيل الوجه ان يقال اللام للعهد ولا وجه للجنس لان من الناس حينئذ من يقول فلو كان للجنس لكان المعنى من يقول من الناس فلا
انه لا فائدة فيه واما اذا كانت للعهد فمعناه ومن الناس المذكورين جماعة يقول كذا فلا يلزم ان يكون من موصوفة في العهد
موصولة كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي لانه اذا جعلت اللام للجنس لم تفد تعريفا فناسب ان يكون من موصوفة لانها
نكرة لا موصولة لانها معرفة وان جعلت اللام للعهد افاد تعريفا فناسب ان يكون من موصولة لانه معرفة مناسبة الجنس للجنس
والعهد للعهد فان قلت كيف يجوز ان تجعل اللام في الناس للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم فيكون من يقول
آمنا اي المنافقون بعض اولئك اي الذين كفروا لانه حينئذ يكون معناه المنافقون بعض الناس المعهودين وهم الذين كفروا
الذين كفروا وهم المختوم على قلوبهم وهذا تناقض بين لحسبان الكفر جميع الفريقين معا المنافقين الذين لم يختم على قلوبهم
والمصممين المصرين الذين ختم على قلوبهم وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر
بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما
تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية والحاصل ان الذين كفروا
عام شامل للفريقين المصممين المصرين المختوم على قلوبهم وخص هنالك بارادة الفريق الاول بقرينة وهذا الاحتمال فيه فان ذكر
بطريق العهد لا بد من دليل على الطارد بعينه فانه لو اعيد بعينه واريد المنافقون هنا مع ان المراد بالمصرين هنالك لكان صحيحا لكن
ذكره بطريق العهد وهذا الجواب انما يتضح على تقدير ان يكون التعريف في الذين للجنس لا للعهد والحاصل ان التعريف في الذين ان كان
للعهد وجب ان يكون في الناس للجنس وان كان في الذين للجنس يجوز ان يكون في الناس للعهد او الجنس ويقول فاعله ضمير
المن وهو لفظ مفرد للعقلاء يتناول الواحد والجمع والذكر والانثى ووحد في يقول نظرا الى اللفظ وجمع في وما هم بمؤمنين نظرا
الى معناها والقول اللفظ الموضوع لمعنى حقيقة ويطلق على اللفظ الدال على ما اشتمل على النسبة الاسنادية وعلى الكلام
النفساني قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله واصل تعديته لواحد نحو قلت خطبة ويحكى جملة تكون في محل نصب
مفعولا بها وآمنا فعل وفاعل وبالله وباليوم الآخر متعلقان به والجملة في محل نصب بالقول وهذه الجملة اي يقول آمنا لا يكون لها محل من الاعراب
على تقدير ان يكون من موصولة لانها صلتها والصلة لا محل لها من الاعراب ومحلها الرفع على تقدير ان يكون موصوفة لكونها صفة
لمن ومن مرفوع المحل لانه مبتدأ واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة اي
الفسق فان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله وباليوم الآخر ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله واعتقادهم في اليوم الآخر على خلاف صفته
فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر لو صدر عنهم على وجه النفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لان عزير ابن الله وان النار لا تمسنا الا اياما معدودة وغيره فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق
خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد ادعوا حيازة
انهم تحملوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة
الصحة كما تقدم فعلى قلوبهم وعلى سمعهم والاستحكام قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين
قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل اي احداث الايمان لا الكفر ليس لذكر شأن الفاعل ولا لقال نحن
مؤمنون لا غيرنا والثاني وهو قوله تعالى وما هم بمؤمنين في ذكر شأن الفاعل لان ما هم بمؤمنين بل غيرهم لذكر شأن الفعل لا لقال
ما آمنوا بل كفروا فكيف يتطابقان قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه من الفعل بطريق ابلغ فسلك فيه هذا الطريق ادى
الى الغرض المطلوب الذي هو انكار ما ادعوه وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون
طائفة من طوائف المؤمنين وذلك ابلغ في نفي ما ادعوه وقد تبين ان الثاني لنفي الفعل لكن بطريق ابلغ لانه اخراج ذواتهم
من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم
على هذه الصفة وهو خروج ذواتهم من ان يكونوا من طوائف المؤمنين فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بهذا النفي ما انتحلوا اثباته
لانفسهم بقولهم آمنا على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك
وما يخرجون منها وما نافية ويحتمل ان يكون هي الحجازية ترفع الاسم وتنصب الخبر فيكون هم اسمها وبمؤمنين خبرها والباء زائدة
تأكيدا او يكون التميمية فلا تعمل شيئا فيكون هم مبتدأ وبمؤمنين خبره والباء زائدة ايضا واما نفي الايمان في الاول فتقييد
بقوله بالله وباليوم الآخر وفي الثاني مطلقا فيحتمل ان يراد في الثاني ايضا التقييد وترك لدلالة المذكور اولا عليه وان
يراد بالاطلاق ثانيا سلب الايمان مطلقا على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان
بغيرهما واليوم الآخر يحتمل ان يكون هو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع سمي به لتأخره عن الاوقات
المنقضية وان يكون الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي
لا حد للوقت بعده قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون هذه الجملة الفعلية

يحتمل ان يكون مستانفة جوابا لسؤال مقدر وهو ما بالهم قالوا امنا وما هم بمؤمنين فقيل يخادعون الله وان يكون بدلا
من الجملة الواقعة صلة لمن وهي يقول ويكون بدل الاشتمال لان قولهم كذا مشتمل على الخداع وعلى الوجهين لا محل لها من الاعراب
والجمل التي ليس لها محل من الاعراب اربعة المبتدأة والصلة والمعترضة والمفسرة وان يكون حالا من الضمير المستتر في يقول
فيكون في محل النصب ولا يجوز ان يكون صفة لقوله بمؤمنين ولا حالا من الضمير فيه لاستدعائه نفي خداعهم والخدع اصله
الاخفاء سميت الخزانة مخدعا والاخدعان عرقان في العنق لانهما خفيان واما حده فهو اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان
ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه قال صاحب الكشاف الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب
خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واعلم انه لا يمكن اجراء قوله
يخادعون الله والذين آمنوا على ظاهره لانه لا يصح مخادعة الله والمؤمنين لان الله تعالى يعلم السر واخفى لا يعزب عنه مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء فلا يخدع ولان المنافقين لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في نفاقهم مخادعة الله
فلا يخدع ولا يخدع لان الخدع صفة نقص والله تعالى منزه عنه والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله
واستمطروا من قريش كل منخدع ○ وقول ذي الرمة ○ ان الحليم وذا الاسلام يختلب ○ فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت
بالخدع فلا بد من التاويل وهو على وجوه منها ان صورة صنع المنافقين مع الله حيث يتظاهرون بالايمان ويبطنون الكفر صورة
صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك
الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم
بجريان التوارث واعطاء السهم من المغنم وغيرهما ومنها ان يكون قوله تعالى يخادعون ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح
خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان له تعالى يعلم الكليات والجزئيات
والضمائر والسرائر فلم يبعد منه تجويز ان الله يخدع ويصاب بالمكروه من وجه خفي ويجوز ان يدلس على عباده ويخدعهم
ومنها ان يذكر الله ويراد به رسوله عليه السلام على عادته في تفخيم امره وتعظيم شانه لانه خليفته في ارضه والناطق بنواهيه واوامره
كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه
قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومنها ان يكون على طريق قولهم
اعجبني زيد وكرمه اي اعجبني كرم زيد فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص فزيد
اختصاص بكرمه ولما كان المؤمنون من الله تعالى بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه اي
ورسول الله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون رسول الله ونظائره في كلامهم غير [illegible]
فالمقصود الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكر زيد
توطئة وتمهيد لذكر فضله ومنها ان قوله يخادعون بمعنى يخدعون بني يخادعون لكن ذكر في زنة المفاعلة لان زنة
المفاعلة في اصلها للمغالبة والمباراة اي المعارضة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله
وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ومخادعتهم
من اغراضهم ومقاصدهم منها متاركة المسلمين والمنافقين فلا يتعرض المسلمون لهم ويمنعوهم عن المحاربة ومنها ان يطرف
المسلمين به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم ما يصطنعون بالمؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ
من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم
اي مخالفيهم فان قيل الله تعالى كان قادرا على ان يوحي الى النبي عليه السلام كيفية امرهم وخداعهم فلم لم يطلع المؤمنين
على المنافقين حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها اجيب بان الله تعالى قادر على استئصال ابليس وذريته لكنه
تعالى ابقاهم عليهم وابقاهم وقواهم اما لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل او لحكمة لا يطلع عليها
الا هو قوله تعالى وما يخادعون قرأ الحرميان يخادعون والباقون يخدعون فيحتمل ان يكون القراءتان بمعنى واحد فيجيء
يخدعون على لفظ يخادعون على ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
يحيق بهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية
اياه ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخادعون الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما
يحدثونها به وانفسهم تخادعهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام
قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يقال عندي كذا نفسا اي شيئا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به
الا ترى الى قولهم المرء باصغريه القلب واللسان وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس وفي الحديث ما ليس له نفس سائلة
لا ينجس الماء اذا مات فيه لان قوام النفس بالدم وللماء نفس لفرط حاجة النفس الى الماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء
حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل اي اصيب صدره وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد
في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس
واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا حقيقتهم
وذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم لان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد
بانفسهم قلوبهم ودواعيهم واراؤهم قوله الا انفسهم الاخير استثناء وهذا تسمية النحويين الاستثناء المفرغ لانه
فرغ له العامل قبل الا بحذف المستثنى منه وجعل اعرابه لما بعد الا وسمي باسمه وان كان في المعنى مخرجا من مستثنى منه

للمبالغة المذكورة ويحتمل ان يكون يخادعون

محذوف

محذوف الا ترى ان معنى ما قام الا زيد ما قام احد الا زيد والا لم يستقم الاستثناء ولم يفهم ومما يدل على انهم اعتبروا ذلك قولهم ما قام
الا هند واستقبح قامت هند لان هند في قولك قامت هند فاعل في التحقيق وفي قولهم ما قام الا هند العامل في التحقيق المستثنى
منه وهند مستثنى ولكنه لما حذف المستثنى منه تفرغ العامل له فعمل عمله في المحذوف والاستثناء
المفرغ في غير الموجب بعيد مثل ما ضربني الا زيد وقل ضربني الا زيد لان هذا هو الكثير في هذا الباب لان المستثنى منه
محذوف ولا يتعين تقديره بمعنى وانما يقدر عاما اي جنس المستثنى وهذا التقدير انما يستقيم مع النفي وما يشبهه من النهي
والاستفهام الا ترى انك اذا قلت ما ضربني الا زيد استقام تقديره ما ضربني احد ولو قلت ضربني الا زيد لم يستقم في المعنى
مثل ذلك بوجه وقد جاء في المثبت قليلا لكونهما كالنفي فضلة والمعنى مستقيما نحو قرأت الا يوم كذا لانه يجوز ان تقرأ الايام كلها
الا يوما بخلاف ضربني الا زيد فانه لا يستقيم ان يضربه كل احد ويستثنى زيد فيكون تقديره وما يخدعون احدا الا
انفسهم فانفسهم منصوب بيخدعون لانه مفعول به قوله وما يشعرون الشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب
يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتماديهم في الغفلة كالذي
لا يحس وهذه الجملة الفعلية اي وما يشعرون يحتمل ان يكون لها محل من الاعراب وهو ان يكون منصوبا على الحال من فاعل
يخدعون على معنى الحال انهم لا يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم فان دعاء الخداع عليهم راجع الى انفسهم ومفعول
يشعرون محذوف للعلم به تقديره وما يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم وان وبال خداعهم راجع على انفسهم
او اطلاع الله عليهم والاولى ان لا يقدر له مفعول لان الغرض نفي الشعور على الاطلاق عنهم من غير تقييد بمتعلقه
والاول يسمى حذف الاختصار اي حذف الشيء لدليل والثاني يسمى حذف الاقتصار وهو حذف الشيء لا لدليل
وقوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ○ المرض بالاشتراك
يقال للالم وللصفة حالة او ملكة تقتضي صدور الافعال عن موضوع تلك الصفة غير سليمة والاول اثر الثاني
والثاني اثر تفرق الاتصال او سوء المزاج وقد يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى
المعاصي والعزم عليها واتباع الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة تشبيها بالمرض كما استعيرت الصحة
والسلامة في نقائض ذلك ووجه التشبيه ان الاثر الخاص بالقلب انما هو معرفة الله تعالى والايمان به وبملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره وطاعته وعبوديته والخوف منه ونهي النفس عن الهوى فاذا وقع في القلب ما صار مانعا
من هذه الاثار صارت الصفات المانعة من هذه الاثار شبيهة بالمرض والمراد بالمرض هاهنا المعنى المجازي المستعار للموصوف

من الصفا ثم

ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم تغلي على رسول الله عليه السلام والمؤمنين غلا
اي غشا وحسدا وحنقا اي غيظا ويبغضونهم البغضاء اي شدة البغض التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من
افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من عبد الله بن
ابي روي انه عليه السلام مر بعبد الله بن ابي على حمار فقال عبد الله للنبي عليه السلام نح حمارك يا محمد فقد اذانا ريحه فقال سعد بن
معاذ رضي الله عنه لرسول الله حين شكا رسول الله من عبد الله بن ابي اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد
اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اي اتفق اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه
شرق بذلك ويحتمل ان يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا
يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملك قلوبهم الياس عند انزال الله
على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله
في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله اياهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر
قوله فزادهم الله مرضا جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها مسببة عنها فان زيادة المرض مسببة عن المرض
والجملة الاسمية مستانفة جواب لسؤال مقدر وهو ما بالهم يخادعون الله والذين آمنوا فقيل في قلوبهم مرض ويحتمل ان
يكون جوابا لسؤال مقدر هو وما بالهم وما يشعرون وعلى التقديرين لا محل لها من الاعراب وضعف جعلها حالا من الضمير
في يخدعون او يشعرون لعدم الواو وزاد يستعمل لازما يقال زاد المال ومتعديا الى مفعولين ثانيهما غير الاول كاعطى وكسى
فيجوز حذف مفعوليه واحدهما اختصارا او اقتصارا قال الله تعالى وزدناهم فزادهم الله مرضا وزدت زيدا ولا تذكر ما زدته
وزدت مالا ولا تذكر من زدته والف زاد منقلبة من ياء لقولهم يزيد وقيل فزادهم الله مرضا دعاء عليهم وقيل هو خبر ان الله
كما فعل بهم ذلك بان زادهم غما على غمهم بما يزيد في اعلاء امر النبي عليه السلام وبتتابع الوحي وبتطهير البلاد او زاد في سوء الاعتقاد
والكفر على تقدير ان يكون المراد بالمرض في قلوبهم مرض سوء الاعتقاد والكفر فان الزيادة من جنس المزيد عليه قال اصحابنا
بناء على اصله الفاسد وهو ان الله تعالى لا يفعل الكفر والقبيح معنى زيادة الله اياهم مرضا انه لما انزل على رسوله الوحي
فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده
الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف
الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد
بزيادة المرض الطبع قال الامام الاولى ان يحمل المرض على الم القلب وذلك ان الانسان اذا صار مبتلى بالحسد والنفاق ومشاهدة
المكروه فاذا دام ذلك صار سببا لتغير مزاج القلب وتالمه فانه يكون حملا للفظ على مفهومه الحقيقي وقوله ولهم عذاب اليم يقال الم
فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم

كما أن الجنة للجاد قوله بما كانوا يكذبون متعلق بالاستقرار المقدر في لهم أي استقر لهم عذاب أليم بسبب كذبهم والكذب الخبر الذي
على خلاف ما هو به والجاحظ لا يسميه كذبا إلا إذا اعتقد المخبر أن الخبر على خلاف ما هو به والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر
وتعليق عذابهم الأليم بالكذب المطلق إشارة إلى أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم فيكون دالا على أن الكذب حرام قبيح
ونحوه قوله مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خص الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها وأما ما يروى عن إبراهيم صلوات الله
عليه أنه كذب ثلث كذبات فالمراد بها قوله لسارة أختي وثانيها إني سقيم وثالثها بل فعله كبيرهم فالمراد التعريض وهو خلاف التصريح وهو تضمين
الكلام دلالة ليس لها ذكر فيه كقولك ما أقبح البخل تعريضا بأنه بخيل ولكن لما كان صورة ما قاله إبراهيم صورة الكذب سمي به
وقد رخص في التعريض عند الحاجة عن النبي عليه السلام إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن أبي بكر رضي الله عنه موقوفا وروي
مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب الإيمان أي في جانب آخر غير جانب الإيمان وما يجوز أن تكون مصدرية أي بكونهم يكذبون فلا
حاجة إلى ضمير عائد عليها لأنها حرف مصدري ويجوز أن تكون اسما موصولا بمعنى الذي وحينئذ يحتاج إلى ضمير عائد عليها أي بالذي
كانوا يكذبونه والعائد محذوف وجاز حذفه لكونه منصوبا متصلا بفعل وليس ثم عائد آخر وقرئ يكذبون من كذبه نقيض صدقه ومن
كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة كموتت
موتت البهائم وبركت الإبل ومن توهم كذبا لو حتى إذا جرى شوطا نزر وقف لينظرها وراءه لأن المنافق متردد متوقف في أمره ولذلك
قيل له مذبذب وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة

قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ●

إذا ظرف زمان مستقبل يتضمن معنى الشرط غالبا ولا يستعمل غالبا إلا في الأمر المحقق أو المرجح وقوعه فلذلك لم يجزم إلا في الشعر
لمخالفتها أداة الشرط فإنها للأمر المحتمل وقد يكون للزمن الماضي وقد يكون لمجرد الظرفية كقوله تعالى والليل إذا يغشى وللمفاجأة أيضا
وهل هي حينئذ باقية على زمانيتها أو صارت ظرف مكان أو حرفا ثلثة أقوال أصحها الأول استصحابا للحال وقيل فعل ماض مبني للمفعول
[illegible]

ألا إنهم

إذا وليهما ما الزائدة بطل عملهما وذهب اختصاصهما بالأسماء ونحن ضمير مرفوع منفصل للمتكلم ومن معه أو المعظم نفسه ومصلحون
خبره والجملة في محل النصب لأنها محكية لقالوا ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفتنا المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة
قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والذين قالوا إنما نحن مصلحون هم المنافقون ولما كان ما نهي عنه هو الإفساد في الأرض كان
قولهم إنما نحن مصلحون كالمقابل لذلك فظهر أنهم إنما لم يمتنعوا لأنهم اعتقدوا أن دينهم هو الحق وكان سعيهم لإصلاح حال
لأجله قالوا إنما نحن مصلحون لأنهم في اعتقادهم ما سعوا إلا ليطهروا وجه الأرض عن الفساد ومنها أنا إذا فسرنا الإفساد
بمداراة المنافقين للكفار يحتمل قولهم إنما نحن مصلحون يعني أن هذه المداراة ليست إلا للإصلاح بين الفريقين ولذلك حكى الله
عنهم أنهم قالوا إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا وقد يستدل بهذه الآية على أن من أظهر الإيمان وجب إجراء حكم المؤمنين عليه
وتوبة الزنديق مقبولة قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون وقيل ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع
الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم أي الجملة المحققة نحو إن ولام التأكيد وأختها التي أما من مقدمات اليمين وطلائع
أما والله لا يعلم الغيب غيره أما والذي أبكى وأضحك وقيل الأحرف استفتاح وتنبيه وليست مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية
بل هي بسيطة مثل كم ويؤتى بها للاستفتاح فتدخل على الجملة اسمية كانت وفعلية وإنهم إن واسمها وهم يحتمل أن يكون تأكيدا
إن الأول الضمير المرفوع المنفصل يؤكد به جميع ضروب الضمير المتصل وأن يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر أن وعلى الاحتمالين
الأولين المفسدون خبر لأن رد الله تعالى ما ادعوه من قولهم إنما نحن مصلحون أبلغ رد وأدله على سخط عظيم لأنهم أخرجوا الجواب
جملة اسمية مؤكدة بإنما والمبالغة فيه من جهة الاستئناف والاستفتاح والتنبيه وما في الآية من التأكيدين وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون وفيه تأكيد أيضا لأن الشعور علم الشيء علم حس فإذا نفى شعورهم كان أدعى لظهور
فسادهم وهو تأكيد ولكن لا يشعرون الواو عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها ولكن معناها الاستدراك وهو معنى لا يعقل
ويكون عاطفة في المفردات ولا يكون إلا بين المتنافيين ومعنى الاستدراك في هذه الآية أنهم لما نهوا عن الفساد فقالوا
ذلك بأنهم مصلحون وأخبر تعالى بأنهم هم المفسدون كانوا حقيقين بأن يعلموا أن ذلك كما أخبر تعالى وأنهم ليسوا بمصلحين
فاستدرك عليهم هذا المعنى فقال ولكن لا يشعرون محذوفا ما حذف اختصارا أي لا يشعرون بأنهم هم المفسدون
وإنما حذف اختصارا وهو أحسن أي ليس لهم شعور أصلا قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما
آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ● قوله وإذا قيل لهم آمنوا الكلام فيه كالكلام على قوله وإذا قيل لهم
لا تفسدوا وآمنوا فعل أمر والفاعل أمر والكاف وقوله كما في محل النصب قيل لكونه نعتا لمصدر محذوف وما مع صلته
بمعنى المصدر أي آمنوا إيمانا كإيمان الناس وعند سيبويه منصوب على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم
لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لا يجوز في مثل هذا الموضع وما مصدرية في محل الجر بالكاف وإذا آمن الناس صلتها
قال صاحب الكشاف فيما يجوز أن تكون كافة للكاف عن العمل مثلها في ربما قام زيد ولا ضرورة تدعو إلى هذا الاحتمال
مصدرية مبق الكاف على ما عهد لها من العمل بخلاف من جعلها كافة واللام في الناس فيها وجهان أحدهما أنها للعهد أي كما
آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم وأبناء جنسهم لأنهم كانوا
يهوديين مثلهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم وثانيهما أنها للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية فهو جعل المؤمنين
كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل قال الله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل
فإن فضل الإنسان على سائر الحيوانات بالعقل المميز بين الحق والباطل والفكر الهادي والاستفهام في أنؤمن للإنكار واللام في
السفهاء للعهد مشارا بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه فاللام في السفيه
للعهد مشارا بها إلى المعهود مع أنه من غير لفظه ويجوز أن يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم
لأن المؤمنين عندهم أعرق الناس في السفه لأن المنافقين لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه
هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأن المنافقين كانوا في رياسة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين
فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم
دينهم وما غاظهم من إسلام من أسلم منهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه
بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم واعلم أن المؤمنين نصحوا المنافقين في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه
مما يفضي إلى الفساد والفتنة وهو قولهم لا تفسدوا وثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عداد
الناس كما أجابوهم في الأول إنما نحن مصلحون وفي الثاني أنؤمن كما آمن السفهاء فسفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي
جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة قيل ما أمر بالدوام أي الناس بتضليل أن يجالس من لا يجانس وإنما فصلت
الآية بلا يعلمون والآية التي قبلها بلا يشعرون لأن النفاق وما فيه من البغي المفضي إلى الفساد في الأرض والفتنة أمر حسي
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان بينهم من التغاور وإغارة بعضهم
على بعض والتحارب والتقاتل وأصله التضارب في الحرب والتحازب أي التفرق من الحزب أو من حزبه أمر إذا نابه فهو كالمحسوس
المشاهد وأما أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم
وأيضا فقد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ● مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول القصة

وهو قوله ومن الناس من يقول آمنا لان اول القصة في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه
مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار
دينهم الذين اعيوا اهلهم خبثا ودعارة صدقوهم ما في قلوبهم وليس هذه الآية تكريرا لما سيقت له اول القصة عن ابن عباس
رضي الله عنهما كان عبد الله بن ابي بن سلول الخزرجي عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة وكان اذا لقي سعدا قال نعم الدين
دين محمد وكان اذا رجع الى رؤساء قومه من اهل الكفر قال شدوا ايديكم فانزل الله تعالى هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه
وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي
فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه السلام فقال له علي اتق الله ولا تنافق فان المنافقين
شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن اتقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال
عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا لا نزال بخير ما عشت فرجع
المسلمون الى النبي عليه السلام فاخبروه بذلك فانزل الله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا لقوا فعل وفاعل اصله لقيوا
فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت الى القاف بعد اسقاط كسرتها فالتقى ساكنان الياء التي هي لام الفعل والواو التي هي
ضمير جماعة الذكور الغائبين فحذفت الياء فصارت لقوا على وزن فعوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه
وخلوت بفلان واليه انفردت معه ويحتمل ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون
الخالية ومن خلوت بفلان واليه انفردت معه ويحتمل ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا وذممته اليك واصل خلوا خلووا قلبت الواو الاولى التي هي لام الفعل
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنة وبعدها واو الضمير الساكنة فالتقى ساكنان فحذفت اولاهما وهي الالف وبقيت
الفتحة دالة عليها الى شياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم جمع شيطان وهو المتمرد من الجن وقال ابو عبيدة الشيطان
اسم لكل عات متمرد من الجن والانس والحيوانات وقد يطلق على كل قوة ذميمة في الانسان قال صلى الله تعالى عليه وسلم الحسد
شيطان والغضب شيطان وذلك لانهما يبتنيان عنه واختلف اهل اللغة في اشتقاقه فقال جمهورهم هو مشتق
من شطن يشطن اي بعد لانه بعيد من رحمة الله والصلاح والخير وحمل سيبويه في موضع من كتابه نون الشيطان
اصلية والدليل على اصالتها قولهم تشيطن اي فعل فعل الشيطان فهذا كله يدل على انه من شطن لثبوت النون
وسقوط الالف في تصاريفه ووزنه على فيعال وقيل مشتق من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل وقيل شاط اي هلك
واحترق وهذا موجود فيه فاخذوا بذلك انه مشتق منها لكن لم يسمع في تصاريفه الا ثابت النون محذوف الالف
فعلى هذا وزنه فعلان فاذا لم يسم بشيطان فهو منصرف لمجيء شيطانة والا فعلى الاول منصرف وعلى الثاني غير منصرف
قالوا انا معكم انا هو ان واسمها ومعكم خبرها واصل انا اننا كقوله تعالى اننا سمعنا مناديا واما حذفت احدى النونين
لما اتصلت بنونا نون تخفيفا وكم في محل الخفض باضافة مع اليها فتعلق معكم بمحذوف وهو ظرف مكان اما انه ظرف فلانه
يدل على الفتحة ومن لوازمها الظرفية واما انه ظرف مكان فلانه مخبر به عن الجثث نحو زيد معك وهي من الاسماء
اللازمة للاضافة وقد يقطع لفظا فينتصب حالا غالبا تقول جاء الزيدان معا فقوله انا معكم اي انا مصاحبوكم
على دينكم او انا معكم على النصرة والمعاضدة خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهي قولهم آمنا وخاطبوا شياطينهم
بالجملة الاسمية محققة بان لان ما خاطبوا به المؤمنين غير جدير باقوى الكلامين وآكدهما لانهم في مقام احداث
الايمان منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم اي غير مسبوقين وذلك اما لان انفسهم
لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد
واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة شياطينهم
فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة
ونشاط ووفور وارتياح للتكلم وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد
قوله انما نحن مستهزئون كقوله انما نحن مصلحون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو
القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت ولغبت فظننت لاهزأن على مكاني اي لاموتن وناقته تهزأ به
اي تسرع وتخف وقيل في تخفيف همزة مستهزئون ونحوه ان يجعل بين بين اي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها وهو الواو او يحذف
لقلبها ياء محضة وقوله انما نحن مستهزئون اما تأكيد لقوله انا معكم لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله
انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به
ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته واما بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر واما استئناف كأن شياطينهم
اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما لكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون

قوله تعالى الله يستهزئ بهم [illegible]

لقولهم انما نحن مستهزئون لما انه لم يعطف فلانه استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده استهزاء لانه يستهزئ بهم يعني حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات
فيهم وبلاياه النازلة بهم قال الله تعالى ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم
من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم قال الله تعالى يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون
من مد الجيش وامده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه
فعلى هذا يكون من المدد ومنهم من زعم انه من المد في العمر والامهال وهو غير مستقيم لان قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم
وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم تدل على انه من المدد دون المد والذي بمعنى امهل انما هو مد له كأملى له اي امهله قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما
ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين
والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله
لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه
واقداره والتخلية بينه وبين اغوائه عباده فلما منعه ان يقدم على ظلمه ويبقيه في نصابه لانه توحيد محض وحق صرف
والقدرية من التوحيد على مراحل ثم قال فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع
اللغة لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه
اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة
فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل وتعقيبه ما قلنا قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل
الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو قال صاحب الكشاف فان قلت فاي نكتة في اضافته الطغيان اليهم
قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته نفوسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا لاعتقاد
الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان
الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر
من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم
في الغي واعلم ان كل فعل يصدر من العبد بالاختيار فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص
فانسبه الى قدرة الله وارادته وخلقه لا شريك له وان نظرت الى تعينه عن القسري الاضطراري فانسبه من هذه
الجهة الى العبد وهي النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب في مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله تعالى
بما كسبت ايديكم وهي المحققة ايضا اذا امعنت في فصل الحركتين الاضطرارية كالرعشة والاختيارية فانك تميز بينهما الا
بتلك النسبة فاذا تقرر تعدد الاعتبار نجد هو في الطغيان مخلوق الله تعالى فاضافه اليه ومن حيث كونه واقعا منهم على
وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب اضافه اليهم فرع على اصول السنة تجده مادر وعلى غير الجادة لا كما تفرع القدرية
فانهم يحجبون ويكرون على انفسهم الى ما ابقى التحقيق وايدنا بالتوفيق والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي
خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم بالطريق وسألت ارضا عمها
لا امارات بها وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اولئك
مبتدأ خبره الذين وصلته اشتروا اصل اشتروا اشتريوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا وحذفت لالتقاء
الساكنين وقيل استثقلت الضمة على الياء فسكنت وحذفت لالتقاء الساكنين وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين

بعدها وخصت بالضم للفصل بينها وبين واو او وانما حركت بالكسر ولم يعكس لانه واو جماعة ففعل بها ما فعل بنون نحن ومعنى
اشتروا الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة ووجه شبه استبدال الضلالة بالهدى بالاشتراء
اعطاء شيء واخذ آخر بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
قال الله عز وجل فيما يعيبه بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قيل كيف اشتروا
الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى اجيب عنه بوجهين احدهما ان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو
مستبدل لخلاف الفطرة وثانيهما جعلوا لتمكنهم من الهدى وتيسره لهم بمنزلة تحققه لهم ودخوله تحت ايديهم فاذا تركوه واستبدلوا الضلالة
فقد عطلوه واستبدلوها به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ويقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير
للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف اي الفضل من قولك اشف بعض ولده على بعض
اذا فضله ولهذا على هذا شف اي فضل والتجارة صنعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها و
سمنها تبيع نفسها واسناد مقابل الربح الذي هو الخسران الى التجارة والحال ان الخسران لاصحاب التجارة من الاسناد
وهو اسناد الفعل الى شيء هو من ملابسات الذي الفعل له في الحقيقة كما تلبست التجارة بالمشترين واذا اشترى الرجل عبدا
او جارية فربح او خسر في العبد او في الجارية يصح ان يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي اذا دلت الحال
اي وجدت القرينة وكذلك الشرط اي دلالة الحال في صحة ذلك الاسناد فان لم تدل الحال عليه لم يصح قال صاحب
الكشاف فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على
الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها
واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني
قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة
تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين وان
ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه
من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد انه اذا حزبت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غائلتها وما يسوء من خلقها
فاستعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا
لخسارتهم وتصويرا لحقيقته ومعنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان
سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا المطلوبين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم
يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر هالك ولانه لا يقال لمن لم
يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر واعلم ان هذا
النوع من المجاز يسمى مجازا عقليا وحكميا وحاصله راجع الى ايقاع نسبة في غير موضعها عند المتكلم مع التسنية بين الربح
والتجارة وقد جعل صاحب المفتاح هذا من قبيل الاستعارة بجعل التجارة استعارة بالكناية عن العامل الحقيقي بواسطة
المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة وجعل نسبة الربح اليها قرينة الاستعارة قوله تعالى مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ● لما بين الله تعالى حال المنافقين
وجاء بحقيقة صفاتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان والمثل في الاصل بمعنى المثل وهو النظير يقال
مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده اي الذي يضرب لانه يورده في
الذي تقدم فيه اولا ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض
الوجوه ومن اجل انه تشبيه ما يضرب له المثل بما ورد فيه حوفظ على ما ورد ولم يغير عن اصله ولضرب العرب الامثال واستحضار
العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق تريك المتخيل في صورة المتحقق
والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفي ضرب الامثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة وقمع لسورة الجامح الابي
فانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ولامر ما اكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وفي سائر كتبه الامثال
وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين
باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومن سور الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وقوله
مثلهم مبتدأ وكمثل جار ومجرور متعلق بمحذوف ساد مسد الخبر اي مثلهم مستقر كمثل وقيل جاز ان يكون الكاف اسما هو
الخبر ولا يتعلق بمحذوف وسيبويه لا يجيز ذلك الا في شعر والاولى ان يقال للكاف التشبيه ثلاثة احوال حال يتعين فيها ان يكون
اسما لكونها فاعلة ومجرورة بحرف جر او اضافة كقول الشاعر اتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت
والفتل وقوله ورحت بكالهراوة اعوجي وقوله فصيروا مثل كعصف ماكول وحال يتعين فيها ان يكون حرفا وهو ان تقع
صلة نحو جاء الذي كهذا وحال يجوز فيه الامران وهي ما عدا ذلك نحو زيد كعمرو وقول من زعم انها في الآية الكريمة زائدة اي
مثلهم مثل الذي بعيد فان قيل قوله تعالى مثلهم كمثل الذي يقتضي تشبيه مثلهم بمثل المستوقد فما مثل المنافقين ومثل المستوقد
حتى شبه احد المثلين بالآخر اجيب بانه قد استعير المثل للحال او الصفة او القصة استعارة الاسد للمقدام اذا كان

الحال

الحال او الصفة او القصة شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له
شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير
والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان والذي
في محل خفض بالاضافة وهو موصول للمفرد المذكر ولكن اريد به هنا الجمع ولذلك روعي معناه في قوله ذهب الله بنورهم وتركهم
فلعاد الضمير عليه جمعا قال صاحب الكشاف فان قيل كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي
خاضوا والذي مسوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان
الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه
اي نقصوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحده في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس
بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن
واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد
حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد قيل فيما ذكر الزمخشري في الوجه الاول من الامرين المسوغين لوضع
الذي موضع الذين نظر اما اولا فلان نظامه الى كون الذي اصله الذين حذفت النون تخفيفا ولو كان كذلك لوجبت مطابقة الضمير جمعا
كما في قوله كالذي خاضوا فلما استوقد بلفظ الافراد تعين ان لا يكون كذلك واما ثانيا فلانه يظهر من قوله ان ال الموصولة
الذي وليس كذلك واما ثانيا فلانه يظهر من قوله ان ال الموصولة بقية الذي وليس كذلك بل ال الموصولة اسم موصول
غير ماخوذ من شيء على ان الراجح من جهة الدليل كون ال الموصولة حرفا لا اسما قيل والاولى ان يقال ان الذي وقع وصفا لشيء
الجمع ثم حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه والتقدير مثلهم كمثل الجمع او الفوج الذي استوقد وقد روعي الوصف مرة فعاد الضمير
عليه مفردا في قوله استوقد وحوله والموصوف اخرى فعاد الضمير عليه مجموعا في قوله بنورهم وتركهم واستوقد بمعنى اوقد كاستجاب
بمعنى اجاب قول الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب اراد فلم يجبه وهذا قول جمهور
منهم الاخفش وابن قتيبة وقيل ان السين للطلب اي طلب نارا من غيره ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومنه
اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها
من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا واضاء لازما ومتعديا يقال اضاء القمر بمعنى ضاء واضاء غيره والاضاءة في الآية متعدية اي فلما
اضاءت النار ما حول المستوقد ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول
المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وهي لازمة وفيه وجه آخر يجعل اضاءت لازمة وهو ان يستتر
في اضاءت ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق ضوء النار نفسها على ان ما مزيدة لان النار لا يعرى حوله
فلما اضاءت النار حول المستوقد وما موصولة في معنى الامكنة ظرف لاضاءت وحوله نصب على الظرف اي جملة ظرفية صلته
اي فلما اضاءت النار في الاماكن التي هي حوله المستوقد ويجوز ان تكون ما نكرة موصوفة وحوله جملة ظرفية صفته وتاليف
الحول للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم وحينئذ يكون الضمير الذي اضيف
اليه النور راجعا الى الذي استوقد لانه في معنى الجمع وانما جمع هذا الضمير ووحده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى
اخرى ويحتمل ان يكون محذوفا كما حذف في قوله تعالى فلما ذهبوا به تقديره فلما اضاءت ما حوله طفئت فبقوا حيارى خابطين
في ظلمات متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار وانما جاز حذف الجواب لاستطالة الكلام مع امن الالباس
الدال عليه وهو قوله ذهب الله بنورهم والحذف احسن من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الكشف عن الصفة التي حصل عليها
المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى وحينئذ يكون قوله ذهب الله بنورهم ويكون بدلا من جملة التمثيل وهي قوله مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا الى آخره على سبيل البيان وعلى التقدير الاخير يلزم البدل ويكون الضمير الذي اضيف اليه النور
راجعا الى المنافقين ومعنى اسناد الفعل في قوله ذهب الله بنورهم الى الله تعالى انه اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او
مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الحرب والفتنة
والعداوة للاسلام وهذا استعمال متعارف مثله قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وخيبة
امانيهم ثم وصف النار المجازية باضاءة ما حول المستوقد هو خارج على طريقة المجاز المرشح وانما قال ذهب الله بنورهم ولم يقل
بضوئهم حتى يكون مطابقا لقوله تعالى فلما اضاءت لان الذهاب بالنور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله
بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا ولهذا ذكر عقيبه وتركهم
في ظلمات فجمعها ونكرها واتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون وانما قال اضاءت ولم
يقل انارت تنبيها على قوة ظهوره او الافادة للباطل ضوء له ثم يضمحل وريح الضلالة عصفة ثم تخفت اي شديدة ثم تسكن
ونار العرفج مثل لذلك كل طالع العرفج ياخذ سريعا في الاشتعال ثم ينطفي وانما قال بنورهم ولم يقل بنارهم والمذكور في اول
الآية لان في النار شيئين الحرارة والنور فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله
وجعله ذاهبا وذهب به استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق
ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق

بمفعول واحد كقوله تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله فتركته
جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وانطماسه وقيل عرض ينافي
النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية والمفعول الساقط
من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا
نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله لا يبصرون حال مؤكدة لان من كان في ظلمات لا يبصر وصاحبها اما
الضمير المنصوب او المرفوع المستكن في الجار والمجرور ويجوز ان يكون لا يبصرون مفعولا ثانيا لتركهم وحينئذ يتعلق في
ظلمات وعلى تقدير ان يكون ترك متعديا الى واحد كان في ظلمات متعلقا بترك ولا يبصرون حال مؤكدة ويجوز ان يكون في
ظلمات حالا من الضمير المنصوب في تركهم فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون من المنصوب
في تركهم فيكون له حالان واما من الضمير المرفوع المستكن في الجار والمجرور قبله فيكون حالا متداخلان اما وجه تشبيه
حال المنافقين بحال المستوقد فقد ذكر العلماء من وجوه منها ما نقل عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي
ان مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفى ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر
ويخاف وامن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان واستناروا
بنورها واعتزوا بعزها وآمنوا فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة
والخوف وبقوا في العذاب والنقمة ومنها ما نقل عن مجاهد ان اضاءة النار اقبالهم على المسلمين والهدى وذهاب نورهم
اقبالهم على المشركين والضلالة ومنها ما ذكره صاحب الكشاف ان المستوقد بعد عقيب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة
والاضاءة في حال المنافق ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله المؤمنين على اسرارهم وافتضاحهم بين المؤمنين واتسامهم بسمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله
صم بكم عمي فهم لا يرجعون وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب
ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع على قلوبهم بذهاب
الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم قوله تعالى صم بكم عمي ● كانت مشاعرهم سليمة ولكن
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكر
بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا
واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار وطريقة صم عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء
الا ان هذا اي صم بكم في الصفات وذاك اي هم ليوث في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات
والافعال والحروف جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صماما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق واتى الموت وقد اختلف
علماء البيان في تسمية ما في الاية من قولهم صم بكم عمي استعارة والمحققون يسمونه تشبيها بليغا لان وجه التشبيه
مع حرف التشبيه غير مذكور ولا يسمونه استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون ولا يطلقون الاستعارة
الا عند طي ذكر المستعار له ولا ينتقض بالاستعارة بالكناية فان المستعار له يثبت له المستعار منه ادعاء واذا لم يذكر
له يجعل الكلام خاليا عن ذكره صالحا لان يراد به المنقول عنه اي المشبه به والمنقول اليه اي المشبه لولا دلالة الحال او
فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم
يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وقال بعضهم
لا تعجبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل فان قيل صم بكم عمي خبر مبتدا محذوف تقديره هم صم بكم
عمي فقد طوي ذكر المشبهين عن الجملة بحذف المبتدا فيصح ان يسمى استعارة اجيب بان المبتدا المحذوف في حكم المذكور نظيره
قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر قوله تعالى فهم لا يرجعون ● جملة خبرية
معطوفة على الجملة الخبرية قبلها فان الجملة التي قبلها وهي قوله صم خبرية لا دعائية كما ظن بعضهم ورجع يكون لازما
من الرجوع ومتعديا من الرجع فاذا كان بمعنى عاد يكون لازما واذا كان بمعنى اعاد يكون متعديا فاذا كان لازما يكون معنى قوله
فهم لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا اي حكما منه تعالى
عليهم بالطبع اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
ولا يدرون كيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه وقيل لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى وقيل في الاية يحتمل ان يكون متعديا
والمفعول محذوف وتقديره لا يرجعون جوابا قال صاحب المفتاح ان التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان
منتزعا عن عدة امور خص باسم التمثيل كالذي في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الاية رفع الطمع الى تسني مطلوب
بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب وانه امر توهمي غير حقيقي منتزع من عدة امور
قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله
محيط بالكافرين ● ثم ثنى الله سبحانه في شان المنافقين بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا بعد ايضاح

وكما

وكما يحسن للبليغ ان يجمل ويوجز في مقام تقتضي الحال الاجمال والايجاز فكذلك يحسن له ان يفصل ويشبع في مقام
التفصيل والاشباع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء انظر الى ذي الرمة
كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه وقد وقع في القرآن تثنية التمثيل
كثيرا منها قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء
ولا الاموات فلما انه قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاستضاءة وانتفاعه بالاضاءة
وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وفي التمثيل الثاني شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر
وما يتعلق به من الاحكام من شبه المنافقين بالظلمات وما في دين الاسلام من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق واصل الكلام او كمثل ذوي صيب فحذف ذوي لدلالة قوله يجعلون
اصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس
بين المستوقدين وموصوفهم بالحية الشان وبين ذوات ذوي الصيب انما التشبيه بين صفة اولئك وبين صفة هؤلاء
ونظيره قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله فان التشبيه بين
كون الحواريين انصار الله وبين قول عيسى للحواريين من انصاري الى الله وانما المراد كونوا انصار الله مثل كون الحواريين
انصاره وقت قول عيسى من انصاري على ان ما مصدرية فاستعمل قوله ما قال الاستعمال لتقدم الحاجة ثم نظير المذكور في حذف
المضاف والمضاف اليه قول القائل اسال الجارة فانجي العقيق وقول الآخر فقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي اسال سقيا
سحابة وذا مسافة اصبع وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة شايع من ذلك قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين قال صاحب الكشاف المراد كمثل قوم اخذتهم السماء
على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي
الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد
واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ
هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت و
تلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بكيفية اخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال
اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل
اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب قال صاحب المفتاح وجه التشبيه بين
اخبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل الاسفار هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء
بالانتفاع به من الكد والتعب قال صاحب المفتاح وجه التشبيه بين اخبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا
بذلك وبين الحمار الحامل الاسفار هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه والمشبه
كونه مركبا من عدة معان قال صاحب الكشاف وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيره شيئا
واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم
بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف الصواعق
فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب
قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة
من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به او لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحياة الدنيا الاية كيف
ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما
الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة
زوالها وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم وتركها خلاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ تمثيل المستوقد او
تمثيل الصيب ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون
الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك
فيهما ثم استعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس
ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية
قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان شبهتها
بهما جميعا فكذلك وقيل ان او ههنا للابهام ونظيره على ان الله تعالى علم تفصيله فانهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله لنكتة قال مثلهم
كاحد هذين ومثله قوله تعالى فهي كالحجارة او اشد قسوة والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله قال لبيد تمنى ابنتاي
ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اي هل انا الا احدهما ذي الفريقين وقد فنيا فسبيلي ان افنى كما فنيا

وقيل انه بمعنى بل وانشد الفراء ، بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح وقيل انه
للتفصيل ومعناه بعضهم يشبه بالذي استوقد نارا وبعضهم باصحاب الصيب ومثله قوله تعالى كونوا هودا او نصارى
اي قال بعضهم وهم اليهود كونوا هودا وقال بعضهم وهم النصارى كونوا نصارى وكذلك قوله تعالى فجاءها باسنا بياتا
او هم قائلون اي جاء بعضهم باسنا بياتا وجاء بعضهم وقت القائلة وقيل انه بمعنى الواو كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت
اباءكم وقيل انه للشك في حق المخاطبين تنزهه تعالى عن الشك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع فيعل من الصوب
وهو نزول المطر اصله صيوب ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه
اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت نار في التمثيل الاول والسماء تذكر وتؤنث ويجمع على اسمية وسموات وهو كل ما علاك
فاظلك فاراد ها هنا هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع من النزول والفائدة في ذكر قوله من السماء وان كان
الصيب لا يكون الا من السماء ان يجاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل
افق من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطبقات سماء في قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها والدليل على ان كل افق من افاقها سماء قوله
ومن بعد ارض بيننا وسماء ... بعض الارض ارضا وبعض السماء سماء وقوله وسماء
عطف على قوله ارض اي بعد ارض بيننا ... الارض التي بينهما والمعنى انه غمام
مطبق اي اصاب مطره جميع الارض لكل الافاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب لانه من الصوب
وهو غزارة المطر ومن جهة البناء لان فيعلا من اوزان الصفات المشبهة وفيها مبالغة من جهة الدلالة على معنى الثبوت
فهو ابلغ من اسم الفاعل ومن جهة التنكير امد ذلك بان جعله مطبقا ومن الفائدة في ذكر قوله من السماء ان السحاب
يخذ بونها بالحنياء لا كزعم من زعم انه ياخذه من البحر ... قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وقوله ظلمات
مرتفع بالظرف اذ وقع وصفا لشيء متقدم كما في الاية فان الظرف فيها وصف لقوله صيب فان تقاعد ما بقائل عند
من لا يشترط الاعتماد لعمل الظرف فظاهر واما عند من اشترطه فلاعتماده على الموصوف وهو الذي يرجع اليه الضمير
في فيه والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك
من الارتعاد وقيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب روي هذا مرفوعا الى النبي عليه السلام وبه قال ابن عباس ومجاهد وفي بعض
عن مجاهد انه صوت ملك يسبح وقال عكرمة هو ملك يزجر السحاب كالحادي يحدو الابل وقيل ان الرعد ريح تختنق بين السماء
والارض وقيل انه اصطكاك اجرام السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع وقيل البرق مخاريق
يسوق بها الملك السحاب روي هذا مرفوعا الى النبي عليه السلام وهو قول علي بن ابي طالب وفي رواية عن علي هو ضرب مخراق
من حديد وعن ابن عباس انه ضرب بسوط والمخاريق ثياب تلف ويضرب بها بعض الغزو فشبه الصوت الذي يضرب به السحاب
بها وقال مجاهد البرق مصع ملك والمصع الضرب والتحريك وقيل ان البرق الماء وحكي ان البرق تلالؤ الماء وقيل انه نار تنقدح
من اصطكاك اجرام السحاب لشدة ضرب بعضه لبعض والصيب يحتمل ان يراد به السحاب وحينئذ يكون الظلمات التي
جعل الصيب مكانا لها اذا كان اسم ظلمة سحمته وتطبيقه ضم اليها ظلمة الليل ويحتمل ان يراد به المطر وحينئذ يكون
الظلمات التي جعل مكانا لها ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل ولما كان الرعد
والبرق في خلال المطر ومصبه وملتبسين في الجملة بجعل مكانهما وان كان مكانهما بالحقيقة السحاب كما يقال فلان في
البلد وهو من البلد لا في حيز شيء من جرمه قال صاحب الكشاف فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده ، وكما قيل ظلمات قلت فيهما وجهان احدهما ان يراد العينان
اي عين الرعد وعين البرق يعني ذات الرعد وذات البرق لا الصوت ولا اللمعان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال
رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل
ارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاسماء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف
باق معناه وان سقط لفظه انظر الى حسان كيف عول على بقاء معنى المحذوف في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى
يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لانه مستانف فانه لما ذكر الرعد والبرق
على وجه يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الاذن فهلا
قيل اناملهم اجيب بان هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق
الذي هو الى المرفق وقوله فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر
الانامل لانه يوهم ادخالها بتمامها فكانهم يبالغون في ادخال اصابعهم في اذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت
فان قيل الاصبع الذي تسد به الاذان اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص اجيب بان السبابة فعالة من السب
فكان اجتنابها اولى باداب القران ولهذا قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة ولم يذكر شيء من
هذه الكنايات لانها مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد ذلك الحق انه لا وجه لهذين
التوجيهين اما الاول فلانه عز وجل لم يرد ان يجعلوا السبابة في اذانهم في تلك الحالة فانها حالة حيرة ودهشة فاي اصبع اتفق لهم
يجعلونه في اذانهم جعلوا من غير تحر على ترتيب معتاد في ذلك فذكر مطلق الاصابع ادل على الدهش والحيرة او لعلهم

وفي تلك الحالة

وفي هذه الحالة يخافون سد اذانهم بالوسطى لانها املأ للاذن واسمع لوصول الصوت وبجميع اصابعهم مبالغة في الحذر من الموت
واما الجواب عنه فان اجتنابها اولى باداب القران فليس بشيء لان هذا حكاية حالهم وبيان فعلهم فلا استبشاع في ذكر ما فعلوه واما
السؤال الثاني فمتفرع على الاول ويبطل ببطلانه بل يدل على بطلانه عدم ذكر بعض هذه الكنايات لان الغرض من التمثيل تصوير المعاني في الاذهان
بصور المحسوسات فالمقام يقتضي ذكر الصرائح دون الكنايات والصواعق جمع صاعقة وهي قصفة رعد اي صوته الشديد ينقض
اي يسقط معها شقة من نار وهي شظية تسطع من خشبة او لوح يقال للعضبان احد فطارت منه شقة وقيل الصاعقة
نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار حديد لطيفة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها سريعة الخمود ويحكى انها سقطت
على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال الصعقة الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت وهو الجزء الاول
من الصاعقة واما بالاحراق وهو الجزء الثاني منها فانها عبارة عن المجموع ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وصيغة الصاعقة اما ان
تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية يقال رجل راوية للشعر اي كثير الرواية والتاء للمبالغة واما
مصدر كالكاذبة والعافية وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك
سقاه من العيمة اي من اجل العيمة وهي شهوة اللبن وقد عام الرجل يعيم عيمة فهو عيمان وامرأة عيمى فيكون من الابتداء
لان الابتداء معنى التعليل حذر الموت انتصب على انه مفعول له ناصبه يجعلون ويجوز تعدد المفعول له وقيل انه منصوب على انه
مفعول مطلق وعامله محذوف تقديره يحذرون حذرا مثل حذر الموت والمفعول له على ثلاثة اقسام قسم يكثر نصبه وهو ما كان
غير معرف باللام ولا بالاضافة نحو جئت اكراما لك وقسم يقل نصبه وهو ما كان معرفا باللام وقسم يستوي فيه الامران وهو
المضاف كقوله في الاية حذر الموت وكقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت الكيفية القبيحة والموت
مقابل الحياة قيل تقابل العدم والملكة فبناء على هذا فسر بفساد بنية الحيوان وقيل عدم الحياة عما من شأنه ان يحيا وقيل عدم الحياة
عما من شانه الحياة وقيل تقابل التضاد وفسر بانه عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة واضافة الحذر الى الموت اضافة
المصدر الى المفعول وفاعله محذوف قوله والله محيط بالكافرين جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب فان جملة قوله يجعلون
اصابعهم وجملة قوله يكاد البرق شيء واحد لانهما من قصة واحدة وقع بينهما اعتراضا واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى
انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة وفيه ثلاثة اقوال احدها انه عالم بهم قال الله تعالى وان الله قد احاط بكل
شيء علما وثانيها قدرته مستولية عليهم والله من ورائهم محيط وثالثها مهلكهم فان الاحاطة الاهلاك قال الله تعالى واحيط بثمره
وقوله تعالى حكاية عن يعقوب الا ان يحاط بكم قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير ● يكاد مضارع كاد وهي لمقاربة الفعل يقال
كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة اي قارب ولم يفعل وكاد عمل كان الا ان خبرها لا يكون الا مضارعا وشذ مجيئه اسما صريحا
قال فابت الى فهم وما كدت آيبا والاكثر في خبرها تجرده من ان لانها تخلص الفعل للاستقبال وكاد لمقاربة الفعل فبينهما تنافي
وقد تدخله الاتيان بان بعدها تشبيها بعسى قال رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا اي ان يذهب وينقطع واذا كانت مثبتة
يكون خبرها منفيا في المعنى لانها للمقاربة فاذا قيل كاد زيد يفعل كان معناه قارب الفعل ولم يفعل واذا كانت منفية تكون
خبرها منفيا بطريق الاولى لان مقاربة الفعل اذا كانت منفية فبطريق الاولى ان يكون الفعل منفيا ولهذا قولهم لم يكد
يراها ابلغ في نفي الرؤية من قولهم لم يرها لان لم يقارب الرؤية فكيف يراها وذهب بعض النحويين الى ان نفيها اثبات واثباتها نفي
لما انشد ذو الرمة قوله اذا غير الهجر المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح عيب عليه لانه يكون قد برح
فغيره الى قوله لم يزل والذي غرهم قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون قالوا كاد هنا منفية وخبرها مثبت
في المعنى والذي يدل على ان كاد اذا دخل عليها النفي تفيد نفي الخبر ان كل فعل لم يدخل عليه حرف نفي فمعناه على حسبه
فاذا دخل عليه النفي كان نفيا لذلك المعنى مما نسب اليه وهذا معلوم من لغتهم فوجب ان يندرج كاد في هذا الامر العام المعلوم
من لغتهم واما الجواب عما عيب به قول ذي الرمة فبان يقال لا عيب فيه الا ترى الى قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها لو حمل هذا على انه يراها بعد المشقة
ويكون مثل تلك الظلمة العظيمة ليس فوقها ظلمة لشدتها اذا اخرج الانسان يده يراها وهذا ظاهر الفساد فوجب
حمله على نفي المقاربة اي اذا اخرج يده لم تقارب رؤيتها ولا شك ان هذا ابلغ من نفي الرؤية لانه اذا انتفت المقاربة
كانت الرؤية ابعد فقول ذي الرمة لا ينبغي ان يخطا بل يحتمل هذا المعنى فيكون قصده اذا غير النائي المحبين لم يقارب
التغير وهو ابلغ من نفي نفس التغير واما قوله وما كادوا يفعلون فمعناه انهم ما قاربوا ان يفعلوا قبل الذبح يدل على
ذلك ما تقدم من تعنتهم في قوله اتتخذنا هزوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وهذا التعنت داب من لا يفعل ولا يقارب ان يفعل وفعلهم بعد ذلك لا ينافي
نفي مقاربتهم الفعل قبله ولولا ما دل على الذبح من قوله فذبحوها وشبهه لم يفهم من نفي الفعل الا نفي المقاربة ثم
لا ينكر ان الفعل في مثل ذلك يجري على نحو ذلك في المعنى فاذا قيل ما كاد زيد يسافر فمعناه سافر بعد ان لم يقارب في ذلك
وفاعل الفعل الذي هو خبر كاد ضمير يعود على اسمها والخطف الاستلاب بسرعة وقوله يكاد البرق يخطف جملة
استئنافية لا محل لها من الاعراب كانه جواب لمن قال كيف كان حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم قوله
كلما كل نصب على الظرف لانها اضيفت الى ما الظرفية والعامل فيها جوابها وهو مشوا وقيل ما نكرة موصوفة ومعناها الوقت ايضا
والعائد محذوف تقديره كل وقت اضاء لهم فيه فعلى الاول لا محل له لكونه صلة وعلى الثاني محله الجر لكونه صفة للمضاف اليه المجرور

وقوله كلما اضاء لهم استيناف ثالث فان الاستيناف الاول يجعلون اصابعهم والثاني يكاد البرق كأنه جواب لمن يقول كيف حالهم مع
في تارتي خفوق البرق وخفيته والمقصود تمثيل شدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير
والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم
واضاء اما متعد بمعنى كلما نور البرق ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف فعلى الاول بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره ملتبسين
ضوئه والمشي جنس الحركة المخصوصة المشهورة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس
لانه لا حرص لهم عليه فما يكون كلما في طرف الاضاءة مناسبا لانه يفيد التكرار والمشي متكرر عند تكرر الاضاءة قطعا ولا يكون
كلما مناسبا في طرف الاظلام بل المناسب اذا لان التوقف والتحبس غير متكرر عند تكرر الاظلام اذ يمكن المشي في الاظلام
واظلم يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا مأخوذا من ظلم الليل وجاء في شعر حبيب هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما
عن وجه امرد اشيب قال صاحب الكشاف حبيب بن اوس وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل
ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا
وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب الذي هو قوله لذهب بسمعهم
وابصارهم يدل عليه وقد تحذف حذف شاء واراد والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها كثيرا لا يكاد يظهر
الا في الشيء المستغرب كما في قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ولو اردنا ان نتخذ ولدا وقول الشاعر
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته والمراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق ولو للامتناع
الشيء لامتناع غيره ومنهم من منع ذلك زاعما انه لا يفيد الا الربط بين الاول والثاني واحتج عليه بالآية والخبر اما الآية فقوله
تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون بيانه لو افاد لو امتناع الشيء لامتناع غيره لزم التناقض
واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة انه يقتضي قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ان الله تعالى ما علم فيهم
خيرا فما اسمعهم وقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون انه تعالى ما اسمعهم فانتفى عدم توليهم خيرا فيكون قد علم
فيهم خيرا ولم يعلم فيهم خيرا فيلزم التناقض واما الخبر فقوله عليه السلام نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه بيانه ان
ما اقترن بلو من جملتين اذا كانا مثبتين يلزم نفيهما واذا كانا منفيين يلزم اثباتهما واذا كان الاول مثبتا والثاني منفيا يلزم نفي
الاول واثبات الثاني واذا كان بالعكس كان بالعكس وفي الخبر كلاهما منفيان فيلزم اثباتهما فيلزم ان صهيبا خاف الله وعصاه
فيلزم اجتماع المتنافيين فان خوف الله وعصيانه متنافيان فعلم ان لو لا يفيد امتناع الشيء لامتناع غيره والجواب عنه ان غالب
استعمال لو في امتناع الشيء لامتناع غيره وقد يستعمل على خلاف الغالب وهو ارتباط الاول بالثاني على سبيل الفرض لبيان ان
الاول ملزوم للثاني وفي الآية والخبر مستعمل على هذا الوجه والمقصود من مثل هذا الاستعمال ان هذا المشروط ملزوم
لهذا الشرط الذي يتوهم بعده منه فلزومه لغير هذا الشرط اولى اما في الآية فلان توليهم اذا كان لازما لاسماع الله تعالى اياهم
الذي هو بعيد منه فلزومه لعدم اسماع الله تعالى اياهم اولى فلو في الجملة الاولى من الآية وهو قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
مستعملة على الغالب وفي الجملة الثانية منها وهو قوله ولو اسمعهم لتولوا مستعملة على خلاف الغالب والحاصل ان مقصود المتكلم
من مثل هذا الكلام ان هذا المشروط حاصل على كل تقدير لانه اذا كان حاصلا على تقدير الشيء ونقيضه كان حاصلا على كل تقدير
لحصول الحكم ومثل هذا الكلام انما يأتي عند قيام القرائن الدالة على ثبوت الحال وقوله ان الله على كل شيء قدير قال صاحب الكشاف
الشيء ما صح ان يعلم ويخبر به وعنه قال سيبويه الشيء يقع على كل ما اخبر عنه وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم
والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي
الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل
مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس
اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه اعلم ان المتكلمين
اختلفوا في ان المعدوم شيء فذهب الاشاعرة والحكماء الى ان المعدوم ليس بشيء سواء كان ممكنا او مستحيلا على معنى انه ليس
بثابت في الاعيان متميز فيها وذهب المعتزلة الى ان المعدوم الممكن اي الذي يصح وجوده شيء على معنى انه ثابت في الاعيان متميز
فيها والظاهر ان النزاع انما هو في ان المعدوم هل هو شيء في الاعيان بالمعنى المذكور لا انه شيء باعتبار انه يصح ان يعلم ويخبر عنه
فانه لا ينبغي ان ينازع في ذلك فان المعدوم الممكن والمستحيل يصح ان يعلم ويخبر عنه فيكون شيئا بهذا الاعتبار ولا محذور فيه
من جهة الشرع ولا من جهة العقل وما وقع فيه النزاع فالصواب فيه ما ذهب اليه الاشاعرة المبين في اصول الدين والحق ان الشيء
مصدر شاء فيطلق تارة ويراد به الشائي اطلاقا للمصدر وارادة الفاعل ويطلق اخرى ويراد به المشيء اطلاقا للمصدر وارادة
المفعول كما بين في المقدمة الثالثة مشروحا وفي مثل قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير يراد به المشيء وحينئذ يندفع ما قيل ان في الاشياء
ما لا يتعلق به القادر كالمستحيل وفعل قادر آخر لان الشيء اذا اريد به المشيء كما في قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير لا يتناول القادر
والمستحيل فلا يفتقر الى التخصيص والاستثناء وكما اذا اريد به الشائي وكالشيء لا يتناول المستحيل واذا اريد به كل ما يصح ان يعلم كما
في قوله تعالى والله بكل شيء عليم يتناول الشائي والمشيء والمستحيل والمحدث وغيرها واما الفعل بين قادرين فانه متفرع على اصل فاسد
وهو ان ما يتعلق به قدرة العبد يستحيل ان يتعلق بقدرة الرب لان قدرة العبد خالقة فيستغني الفعل بها عن قدرة خالق آخر

تعالى الله عما يشركون والحق ان الخالق القادر هو الله تعالى وافعال العباد مخلوقة لله تعالى فلا يتصور وقوع مقدور بين قادرين لان
القادر على كل المقدورات واحد هو الله تعالى وقد بين هذا في المقدمة التاسعة عشر وقدير فعيل من قدر على الشيء اقتدر قدرة
وقدرانا والقدرة القوة والاستطاعة وهو ابلغ من القادر قال صاحب الكشاف واشتقاقه من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار
قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز ومعنى على كل شيء متعلق بقدير وقوله ان الله على كل شيء قدير جملة استينافية
مؤكدة لمعنى ما قبلها قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما ذكر الله
تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت كل فرقة بما يسعدها
ويشقيها ويحظيها عند الله تعالى وبديعها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين
وهو فن من الكلام جزل وفيه فوائد منها ان فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته
كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة
في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت
اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه لا تجده اذا استمررت على
لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول
ومنها انه تعالى كأنه يقول جعلت الرسول بيني وبينك اولا والآن ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة لتحصل لك
مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة ومنها انه مشعر بان العبد اذا كان مشتغلا بالعبودية فانه ابدا يكون
في الترقي بدليل انه في هذه الآية انتقل من الغيبة الى الخطاب ومنها ان الآيات المتقدمة كانت في حكاية احوالهم واما هذه الآية ففيها
امر ونهي وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة تقابل هذه الكلفة وتلك الراحة هي ان يرفع ملك الملوك الواسطة
من البين ويخاطبهم بذاته كما ان العبد اذا الزم تكليفا شاقا فلو شافهه المولى وقال ابد منك ان تفعل كذا فانه يصير ذلك الشاق
لذيذا لاجل ذلك الخطاب واختلف العلماء فيمن عني بالناس في هذا الخطاب عن ابن عباس انه عام في جميع الناس المكلفين وعن الحسن
ومجاهد انه خطاب لليهود دون غيرهم وعن مقاتل انه خطاب المنافقين واليهود وعن السدي انه خطاب للكفار من مشركي
العرب وغيرهم وعن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة وقيل عليه ان سورة البقرة مدنية وفيها يا ايها الناس اعبدوا ربكم وفيها يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا والنساء مدنية واولها يا ايها الناس اتقوا ربكم وسورة الحج مكية وفيها يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ولعله
اراد ان الاعم الاغلب كذلك وقيل هذا الذي ذكره ان كان الرجوع فيه الى النقل فمسلم وان كان السبب فيه حصول المؤمنين
بالمدينة على الكثرة دون مكة فهذا ضعيف لانه يجوز ان يخاطب المؤمنين مرة بصفتهم ومرة باسم جنسهم وقد يؤمر من ليس
بمؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمن بالاستمرار على العبادة والازدياد منها والخطاب في الجميع ممكن فلا وجه الا ان يحمل على جميع المكلفين
ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد وهو صوت يصوت به الرجل من يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل يا في
نداء من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي
يتلوه معنى به جدا وانما يقول الداعي في دعائه يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد استبعادا لنفسه من مظان
الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين كسرا لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع شدة الحرص على استجابة
دعوته والاذان لاستماع ندائه وابتهالا لمن يتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم واي وصلة الى
وصف المعرف باللام واي اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه ويوضحه فيجب ان يتبعه اسم جنس كالناس او ما يجري مجراه كاسم
الاشارة يتصف به اي حتى يصح المقصود بالنداء الذي يعمل فيه حرف النداء هو اي الذي هو منادى وهو في محل النصب
مبني على الضم لانه منادى مفرد معرفة والاسم التابع له صفته كقوله يا زيد الظريف لكن اي لا يستقل بنفسه استقلال زيد
فلم ينفك من الصفة وها حرف التنبيه مقحمة بين اي الموصوف وصفته لفائدتين احديهما معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه وثانيتهما
وقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكثر في كتاب الله تعالى النداء
على هذه الطريقة دون غيرها لان النداء على هذه الطريقة مستقلة باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة منها ما في يا من التأكيد
والتنبيه وما في ها من التنبيه وما في التدرج من الابهام الى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لان كل ما نادى الله له
عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة اي الماضية على عباده
وغير ذلك مما انطق الله به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم
غافلون فاقتضى الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ قوله اعبدوا اي وحدوا ربكم اقيمت العبادة مقام التوحيد لاستلزامها اياه
وقيل اطيعوا والحق انهما جميعا مرادان قال صاحب الكشاف لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكفار
جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا
كقوله فلو اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت
المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فشرط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما
يشترط على المأمور بالصلاة والزكاة شرائطهما من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به
وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان ذلك لازما على ان مشركي مكة كانوا يعرفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا امرا بالشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وكذلك ثباتنا

والاولى ان يقال يصح استعمال اللفظ الواحد في المعاني المختلفة الغير المتنافية كما بين في المقدمة الحادية عشر ثم قال صاحب الكشاف فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد بربكم اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اصح واوضح وقوله يا ايها الناس اعبدوا خطاب للذين كانوا موجودين وقت الخطاب وليس خطابا لمن بعدهم لكونه خطاب مشافهة فلا يتناول المعدومين وتعلق الحكم الذي هو مقتضى ذلك الخطاب بمن لم يكن موجودا وقته انما هو بدليل آخر من نص او اجماع او قياس وقوله اعبدوا لا يقتضي طلب كل عبادة لان معناه طلب حصول حقيقتها وهي تتحقق باتيان فرد منها فيحصل الامتثال باتيان فرد منها فاذا اريد ان يحمل دالا على العموم يقال الامر بالعبادة يدل على انه لاجل كونها عبادة لان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية خصوصا اذا كان الوصف مناسبا للحكم ولا يخفى ان العبادة مناسبة للامر بها لانها تعظيم اقصى واظهار الخضوع والتذلل له فيكون مناسبا وحينئذ يكون كل عبادة مامورا بها ضرورة تحقق الحكم عند تحقق علته قوله الذي خلقكم لما امر الله تعالى بالعبادة اردفه بما يدل على وجوده وهو خلق المكلفين وخلق من قبلهم وهذا يدل على ان الاستدلال والنظر طريق الى معرفة الله تعالى ولا التفات الى قول الحشوية القائلين بان الاشتغال بالنظر والاستدلال بدعة والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس لما امر الله بعبادته وهو موقوف على معرفته ووجوده لا يكون ضروريا بل استدلاليا اورد ما يدل على وجوده وقد تقرر في اصول الدين ان الطريق الى اثباته اما الامكان او الحدوث او مجموعهما والثلثة اما في الجواهر او في الاعراض فهذه ستة الاول الاستدلال بامكان الذات كقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء الثاني الاستدلال بامكان الصفات كقوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية الثالث الاستدلال بحدوث الاجسام واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام لا احب الآفلين الرابع الاستدلال بحدوث الاعراض وهذا اقرب الطرق الى افهام الخلق وذلك منحصر في امرين دلائل الانفس ودلائل الآفاق والكتب الالهية في الاكثر مشتملة على هذين الوجهين وقد جمع الله بينهما هاهنا اما دلائل الانفس فهي ان كل احد يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا قبل ذلك وانه صار موجودا وان كل ما وجد بعد ما لم يكن فلا بد له من موجد لا يكون نفسه ولا الابوين ولا سائر الناس لان عجز الخلق عن مثل هذا التركيب معلوم بالضرورة فلا بد من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه ايجاد هذه الاشخاص وقوله الذي جعل لكم الارض فراشا من دلائل الآفاق وجواب لسؤال مقدر على دلائل الانفس ويدخل في الآفاق كل ما يوجد من تغيرات الاحوال من الرعد والبرق والسحاب والمطر واختلاف الفصول وحاصلها يرجع الى ان الاجسام الفلكية والاجسام العنصرية متشاركة في الجسمية فاختصاص بعضها ببعض الصفات من المقادير والاشكال والاحياز لا يمكن ان يكون للجسمية ولا لشيء من لوازمها والا لاشترك الكل فيها فيجب ان يكون لامر منفصل غير جسم والا لعاد البحث في اختصاصه بالمؤثرية من بين تلك الاجسام وغير الجسم لا يجوز ان يكون موجبا لامتناع اختصاص بعض الاجسام ببعض الصفات فتعين ان يكون مختارا فثبت افتقار جميع الاجسام الى مؤثر قادر مختار ليس بجسم ولا جسماني واما انه جواب لسؤال مقدر هو انه لم لا يجوز ان يكون المؤثر في الانفس الطبائع الفصولية والافلاك والنجوم فلان هذه الاشياء مفتقرة الى المحدث كما بينا وانما خص الله تعالى في اول كتابه هذا النوع من الدلالة بالايراد لانه اقرب الطرق الى الافهام وابينها للعقول السليمة ولان الدلائل المذكورة في القرآن يجب ان تكون ابعدها عن الدقة واقربها الى الافهام لينتفع به كل احد من الخواص والعوام ولانه ليس الغرض من الدلائل القرآنية المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة في القلوب وهذا النوع من الاستدلال اقوى من سائر الطرق في هذا الباب لان هذا النوع من الدلائل كما يفيد العلم بوجود الخالق المذكور فهو نعم الخالق علينا فان الوجود والحياة من النعم العظيمة علينا وتذكير النعم مما يوجب المحبة وترك المنازعة وحصول الانقياد فلهذا السبب كان ذكر هذا النوع من الادلة اولى من سائر الانواع واعلم ان للسلف طرقا لطيفة في هذا الباب منها ما روي ان بعض الزنادقة انكر الصانع عند جعفر الصادق فقال جعفر رضي الله عنه هل ركبت البحر قال نعم قال هل رأيت اهواله قال بلى هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين فتعلقت انا ببعض الواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فاذا انا مدفوع في تلاطم الامواج حتى دفعت الى الساحل فقال جعفر هل كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح تنجيك فلما ذهبت عنك هذه الاشياء هل اسلمت نفسك للهلاك ام كنت ترجو السلامة بعد قال بل رجوت السلامة قال ممن ترجوها فسكت الرجل فقال جعفر ان الصانع هو الذي كنت ترجوه ذلك الوقت وهو الذي انجاك من الغرق فاسلم الرجل على يده ومنها ما جاء في كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن الحصين كم لك من اله قال عشرة قال فمن لكربك ونعمك من جملتهم قال الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم ما لك من اله الا الله ومنها ان ابا حنيفة رحمه الله كان سيفا على الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو يوما في مسجده قاعدا اذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال اجيبوني عن مسئلة ثم افعلوا ما شئتم فقالوا هات فقال ما تقولون في رجل يقول لكم اني رأيت سفينة مشحونة بالاحمال مملوة من الاثقال قد احتوشتها في لجة البحر امواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل قالوا لا هذا شيء لا يقبله العقل فقال ابو حنيفة سبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينة تجري مستوية من غير متعهد ولا مجري فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف احوالها وتغير اعمالها وسعة اطرافها وتباين اكنافها من غير صانع وحافظ فبكوا جميعا وقالوا صدقت واغمدوا سيوفهم وتابوا ومنها سألوا الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على

الصانع

الصانع فقال ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم قال فيأكلها دود القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر ويأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعل هذه كذلك مع ان الطبع واحد فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا على يديه ومنها سئل ابو حنيفة عن الصانع فقال الوالد يدل على الذكر ويكون انثى وبالعكس فيدل على الصانع ومنها ان احمد بن حنبل تمسك بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل عنى بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ ومنها سأل هارون الرشيد مالكا عن ذلك فاستدل باختلاف الاصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات ومنها سئل ابو نواس عنه فقال

تأمل في نبات الارض وانظر الى آثار ما صنع المليك * عيون من لجين ناظرات على اطرافها ذهب سبيك * على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك *

ومنها سئل اعرابي عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج اما تدل على العليم القدير ومنها قيل لطبيب بم عرفت ربك قال باهليلج مجفف اطلق ولعاب ملين امسك ومنها الذي في قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وفائدة قوله والذين من قبلكم من وجهين احدهما ان طريقة العلم واحد في الاستدلال بخلقهم كالاستدلال بخلق من قبلهم وثانيهما ان من قبلهم كالاصول لهم وخلق الاصول يجري مجرى الانعام على الفصول كانه تعالى يذكرهم عظيم انعامه عليهم ويقول لا تظنوا اني انما انعمت عليكم حين وجدتم بل كنت منعما عليكم قبل ان وجدتم بالوف سنين بسبب اني كنت خالق اصولكم وآبائكم قوله لعلكم تتقون لعل للترجي والاشفاق في الاستعمال وهي من الحروف المشبهة بالفعل وكم اسمها وتتقون خبرها تقول لعل زيدا يكرمني للترجي ولعله يهينني للاشفاق قال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى للترجي وقال تعالى لعل الساعة قريب للاشفاق كما في قوله تعالى والذين آمنوا مشفقون منها والترجي والاشفاق بالنسبة الى الله تعالى محال لانهما انما يحصلان عند الجهل بالعاقبة وذلك على الله محال فلا بد من التأويل وهو من وجوه احدها ان لعل على بابها من الترجي ولكن بالنسبة الى المخاطبين اي اذا امرتكم بعبادة ربكم رجوتم التقوى ومنه قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه قال صاحب الكشاف قد جاء لعل على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن وقال المعاني وقطرب وابن كيسان انها بمعنى كي وانشدوا

فقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق *

يريد لكي نكف قال صاحب الكشاف لعل لا يكون بمعنى كي بل للاطماع ولكن لما كان الاطماع اطماعا من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لان اطماعه جرى مجرى وعده المحتوم الى الواجب وفاقه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت عليك وايضا فان من ديدن الملوك اي خلقهم وعاداتهم وما طبعوا عليه ان يصلح امرهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او على ان يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة اي الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى هذا الطريق ورد لفظ لعل في كلام الله مالك الملك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع فعن التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ثم قال صاحب الكشاف لعل في الآية ليست مما ذكرنا في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا لانهم ما كانوا راجين وقت خلقهم ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى انما خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار ولقائل ان يقول لا نسلم ان الله تعالى اقدرهم فانه لا قدرة للعبد على الفعل ولا نسلم انه اراد منهم الخير والتقوى بل اراد من كل احد ما فعله من خير وشر ولكن طلب الخير والتقوى منهم اجمعين والطلب غير الارادة وغير مشروط بها كما بيّنه في اصول الدين وما ذكره مبني على معتقده وقوله وحمله ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا انما يستقيم اذا جعل قوله لعلكم تتقون متعلقا بقوله خلقكم اما اذا كان متعلقا بقوله اعبدوا لا يكون سديدا اي اعبدوا ربكم راجين التقوى من اصناف جهنم ثم ذكر صاحب الكشاف على تقدير ان يتعلق قوله لعلكم تتقون بقوله خلقكم فقال فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم اجاب بانه لم يقصرها عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا ثم قال فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم اجاب بانه ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لتحمل خريطة الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع وانت تعلم انه اذا تعلق قوله لعلكم تتقون بقوله اعبدوا لم يرد السؤالان فلا يحتاج الى الجواب عنهما قال ابن عطية يتجه تعلقها بخلقكم اي لما ولد كل مولود على الفطرة فهو ان تأمله متأمل توقع له ورجي ان يكون متقيا وتتقون مأخوذ من الوقاية اصله توتقيون فعلت حركة الياء الى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وادغمت الواو الاولى في التاء. قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون • الذي كلمة موضوعة للمفرد المذكر مستعملة لتعريف

بعضه معلومة وهذا معنى قولهم انه يستعمل لوصف المعارف بالجملة الموصول مع صلته اما ان يكون فى محل النصب وصفا
لربكم كالذى خلقكم او على المدح والتعظيم تقديره اعنى الذى او بدلا من ربكم او مفعولا لقوله تتقون وقيل وصفا للموصول
الاول وهو ليس بشيء لان النعت لا ينعت واما ان يكون مرفوعا على الابتداء وفيه ما فى النصب من المدح وخبره قوله فلا تجعلوا
والاولى ان يكون على الخبر او هو الذى فيدخل فى الرفع على الابتداء نظرا من وجهين احدهما ان صلته ماضية فلم يشبه الشرط
فلا يدخل الفاء فى خبره وثانيهما عدم الربط الا ان يجعل الرابط بتكرار الاسم الظاهر اذا كان بمعناه فيجعل الجلالة مقام
الضمير كانه قال الذى جعل لكم فلا تجعلوا له اندادا وقوله الذى جعل لكم الارض فراشا يقتضى انهم كانوا معترفين بان
ما جعل الارض فراشا هو الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ذكر الله تعالى انواعا
خمسة من الادلة اثنين من الانفس وثلثة من الآفاق فبدأ اولا بقوله خلقكم وثانيا بقوله والذين من قبلكم وثالثا
بقوله جعل لكم الارض فراشا ورابعا بقوله والسماء بناء وخامسا بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم ولهذا الترتيب سببان الاول ان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه وعلم الانسان باحوال نفسه اظهر من
علمه باحوال غيره ولما كان المقصود من الاستدلال افادة العلم كان كلما هو اظهر دلالة كان اقوى افادة فكان اولى
بالذكر فلهذا قدم ذكر نفس الانسان ثم ثناه بآبائه وامهاته ثم ثلث بالارض لان الارض اقرب الى الانسان من السماء
والانسان اعرف بحال الارض منه بحال السماء وانما قدم ذكر السماء على نزول الماء من السماء وخروج الثمرات بسببه
لان ذلك كالامر المتولد من السماء والارض والسبب الثانى ان خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض
والسماء والماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة فلهذا قدم ذكر الاصول على الفروع
فالمصالح الكثار قدم الله سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين ولانه تعالى
وصول النعم ومقدماتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم
الذى لا بد لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة
المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه الله تعالى من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء عليها والاخراج
به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبنى آدم ليكون لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى
التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرضون بها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوق
له اندادا وهم يعلمون انها لا يقدر على نحو ما هو قادر عليه جعل لكم الارض فراشا اما بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين الارض اولها
وفراشا ثانى او بمعنى خلق فيتعدى الى واحد هو الارض وفراشا حال ومعنى جعلها فراشا للناس انهم يقعدون عليها وينامون
ويتقلبون كما يتقلب احدكم على فراشه وجعلها فراشا للناس لا يدل على ان الارض مسطحة وليست بكرية وانما يدل على ان الناس
يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع
جرمها وتباعد اطرافها واذا كان لنا متسهلا فى الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو فى الارض ذات الطول والعرض اسهل وجعل
الارض ساكنة شاهد من قوله جعل الارض قرارا ليست فى غاية الصلابة كالحجر حتى لا يكون النوم عليها والمشى ايلاما للانسان
ولا يتعذر الزراعة عليها وحفرها وتركيبها كما يراد ولا فى غاية اللين والرطوبة كالماء يغوص فيها الرجل ولا فى غاية اللطافة و
الشفافة كالهواء فان الشفاف لا يستقر النور عليه فلا يسخن من الشمس والكواكب فيبرد جدا فجعلت غبراء ليستقر النور عليها
ويسخن فيصلح ان يكون فراشا للناس واخرج بعضها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلحت ان تكون فراشا للناس كل ذلك بقدرته
وعنايته وحكمته ورحمته وللارض منافع لا يحصيها الا الله تعالى منها الاشياء التى خلقها تعالى فيها من المعادن والنبات
والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومنها ان يتحجر الرطب به فيحصل التماسك فى اجرام المركبات
وفيها قطع متجاورات فمنها رخوة ومنها صلبة ورملية وحرة وسبخة قال الله تعالى وفى الارض قطع متجاورات وقال الله تعالى
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا ومنها اختلاف الوانها قال الله ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات قال الله تعالى والارض ذات الصدع ومنها انها تسكن الماء ومنها قال الله
تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض ومنها انفجار العيون فيها قال الله تعالى وفجرنا الارض عيونا وقال تعالى وجعل
رواسى وانهارا ومنها ما فيها من المعادن والجبال قال الله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون
ومنها الخبء الذى يخرجه الارض من الحب والنوى قال الله تعالى يخرج الخبء فى السموات والارض ومنها احياؤها بعد موتها قال
تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ومنها ما فيها من الدواب المختلفة الالوان والصور والخلق واليه الاشارة
بقوله ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه ومنها ما فيها من النبات المختلف الوانه وانواعه ومنافعه قال الله تعالى
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فمنها قوت الانسان ومنها قوت البهائم قال الله تعالى كلوا وارعوا انعامكم ومنها ما للبشر من
الطعام والادام ومنها الفاكهة المختلفة فى الحلاوة والحموضة ومنها كسوة البشر لان الكسوة اما نباتية وهى القطن والكتان
واما حيوانية وهى الشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها ما فيها من الاحجار المختلفة من صغارها ما يصلح للزينة كالعقيق
والياقوت والزمرد والفيروزج ومن المعادن الشريفة الذهب والفضة ثم تأمل فان البشر يتمكن من استخراج حرف دقيقة
وصنائع جليلة واصطياد السمكة من قعر البحر والطير من اوج الهوى عاجز عن عمل الذهب والفضة والسر فيه انه لا فائدة
فى وجودهما الا الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة فلو قدر الانسان على عملها لبطلت هذه الحكمة فلذلك ضرب الله

دونه بابا

دونه بابا مسدودا [illegible]

[illegible]

انشقت يوم نطوى السماء وتكون السماء كالمهل يوم تمور السماء مورا فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فذلك
مبدأها فقال ثم استوى الى السماء وهى دخان وقال ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فهذا الاستقصاء فى التدبر
فى كيفية ابتداعها وفنائها يدل على ان الله تعالى خلقها لحكمة بالغة على ما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا وقد جعل الله تعالى السماء قبلة الدعاء فالايدى ترفع اليها والوجوه يتوجه نحوها وهى منزل الانوار ومحل
الضياء والصفاء والطهارة والعصمة عن الخلل والفساد وقيل خلق الله السموات والارض على صفة الاصول فالسموات
بمنزلة الاباء والارض بمنزلة الام وقد ذكر السماء على الارض فى الاكثر وايضا فى الاكثر ذكر السموات بلفظ الجمع والارض
بلفظ الواحد قيل لانه لا بد من السموات الكثيرة ليحصل منها الاتصالات الكثيرة المختلفة الكواكب وتغير مطارح الشعاعات
واما الارض فواحدة لانها قابلة منفعلة واحدة وجعل السماء فى المرأى زرقاء لان الزرقة اشد الالوان موافقة للبصر وتقوية
فان صاحب الرمد قد يؤمر بما ادام النظر الى الزرقة جعل الله تعالى لون السماء انفع الالوان وهو المستنير وشكله افضل الاشكال
وهو المستدير المحيط بالارض ولهذا قال او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ولو كان
سقفا غير مستدير لم يكن محيطا بالارض بل كان فوقها ولكانت الفروج حاصلة واختلفوا فى ان السماء افضل ام الارض
فقيل السماء افضل لانها متعبد الملائكة وليس فيها بقعة عصى الله فيها ولهذا لما اتى آدم عليه السلام فى الجنة بما نهى عنه من قرب الشجرة
قيل اهبطوا من الجنة ولانه قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ولم يذكر فى الارض
مثل ذلك ولتقديم ذكر السماء على الارض فى الاكثر وقيل الارض افضل لان الله تعالى وصف بقاعا فى الارض بالبركة قال ان اول
بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وقال فى البقعة المباركة من الشجرة وقال الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وقال
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وقال وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ولان الانبياء والمرسلين والصديقين
والشهداء والصالحين خلقوا من الارض قال الله تعالى منها خلقناكم ولم يخلق من السموات شيئا ولان الارض جعلت مسجدا وترابها
طهورا واما بيان فضائل الماء والسماء والارض فهو يأتى فى مواضعها قيل اذا تأملت فى هذا العالم وجدته كالبيت المعمور
جميع ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم مقصودة كالمصابيح والانسان كصاحب البيت
المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وضروب الحيوان مصروفة فى مصالحه فهذه جملة واضحة شاهدة على انه وانزل
من السماء ماء عطف على جعل ومن السماء متعلق به وهى لابتداء الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من ماء
لانه صفة النكرة اذا قدمت عليها انتصبت حالا وحينئذ معناه التبعيض والمحذوف المتعلق به مضاف اى من مياه السماء
ماء واصل ماء موه كقولك ماهت الركية وفى جمعه مياه وامواه وتصغيره مويه فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فاجتمع
حرفان خفيفان الالف والهاء فابدلوا من الهاء الهمزة التى هى اختها لانها اقوى منها فاخرج عطف على انزل ومرتب عليه
متعلق به والباء للسببية ومن الثمرات متعلق به ايضا ومن للتبعيض ويشاهده قوله من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات
ولان المنكرين اعنى ماء ورزقا يكتنفانه وقد حصل تنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا
به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه ما انزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات
ولا جعل الرزق كله فى الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم النافعة فاذا كانت من للتبعيض يكون
من الثمرات فى محل النصب فانه مفعول به لاخرج ورزقا منصوب على المفعول له ولكم محل النصب بانه مفعول به لقوله رزقا
لانه المصدر المتعدى وقيل يجوز ان يكون حالا بمعنى المرزوق ومحل لكم النصب على الصفة لرزقا واذا كان من للبيان يكون
من الثمرات فى محل النصب على الحال من رزقا فانه لو تأخر يكون صفة ورزقا بمعنى المرزوق منصوبا بانه مفعول لاخرج ولكم
فى محل النصب بانه يكون صفة لرزقا فان قيل فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات التى هى جمع قلة دون الثمار التى

دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير

مي جمع كثرة لجيب بوجهين احدهما ان يقصد بالثمرات جمع الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره
قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وانما هي كلمات مجتمعة متلاحق بعضها ببعض وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق
وثانيهما ان الجموع استعمل بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء قيل ان الله هو الخالق
لهذه الثمرات عقيب وصول الماء اليها بمجرى العادة وقيل ان الله تعالى خلق في الماء طبيعة مؤثرة وفي الارض طبيعة قابلة
فاذا اجتمعا حصل الاثر من تلك القوى التي جعلها تعالى وعلى كلا التقديرين لابد من الصانع الحكيم فلا شك ان الله تعالى قادر
على خلق هذه الثمار ابتداء من غير هذه الوسائط لان الثمرة لا معنى لها الا جسم قائم به طعم ولون ورائحة ورطوبة والجسم
قابل لهذه الصفات وهذه الصفات مقدورة لله تعالى ابتداء لان المصحح للمقدورية اما الحدوث او الامكان او هما وعلى التقادير
يلزم ان يكون تعالى قادرا على خلق هذه الاعراض في الجسم ابتداء بدون هذه الوسائط ومما يقوي هذا الدليل العقلي من الدلائل السمعية
ما ورد الخبر بانه تعالى يخترع نعيم اهل الجنة للثابتين من هذه الوسائط لكن قدرته على خلقها ابتداء لا ينافي قدرته عليها بواسطة
خلق هذه القوى المؤثرة والقابلة في الاجسام واخراج الثمرات ان كانت بقدرته ومشيئته لكن لما جعل الماء سببا في خروجها
ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد قال فاخرج به فان قيل لما كان قادرا على خلق هذه الثمار بدون هذه الوسائط فما الحكمة في
خلقها بهذه الوسائط في هذه المدة المتطاولة اجيب بانه يفعل الله ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وبان في انشاء الاشياء
مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها الملائكة والنظار يعتبرون الاستبصار من
من عباده عبرا وافكارا وترتيبه بان المكلفين اذا تحملوا المشقة في الحرث والغرس طلبا للثمرات وكيفية القسم في ذلك
حالا بعد حال لعلموا انهم لما احتاجوا الى تحمل هذه المشاق الدنيوية لطلب المنافع الشريفة الاخروية كانوا اولى فصار
هذا كما قيل انه تعالى قادر على خلق الشفاء من غير تناول الدواء لكنه اجرى عادته بتوقيفه عليه فانه اذا تحمل مرارة الادوية
دفعا لضرر المرض فلان يتحمل مشاق التكليف دفعا لضرر العقاب كان اولى وبانه تعالى لو خلقها دفعة من غير هذه الوسائط
يحصل العلم الضروري باسنادها الى القادر الحكيم وذلك كالمنافي للتكليف والابتلاء ولهذا قيل لولا الاسباب
لما ارتاب مرتاب قوله وانزل من السماء ماء يقتضي نزول المطر من السماء وليس الامر كذلك فان الامطار انما تتولد من
ابخرة ترتفع عن الارض وتتصاعد الى الطبقة الباردة من الهواء فتتكاثف هناك فتصير سحابا بسبب البرد وينزل القطر
متكاثفة من خلاله المطر قال الله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى
الودق يخرج من خلاله اجيب بان المراد بالسماء ههنا السحاب لان السماء يطلق على كل ما علاك وبانه لما كان السماء سببا
لاثارة تلك الاجزاء الرطبة قال انزل من السماء سببا بالنسبة الى السحاب ومن السحاب الى الارض والثمرة حمل الشجرة في الاصل
ثم قيل لكل ما ينتفع به مما هو زيادة على اصل المال يقال ثمر الله ماله وعقل مثمر اذا كان يهدي صاحبه الى الرشد كأنما استعمل
فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع الاصل وقيل اراد بالثمرات جميع ما ينتفع به مما يخرج من الارض قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون الفاء للتسبيب ولا ناهية فتجعلوا مجزوم بها علامة جزمه حذف النون وتجعلوا بمعنى تصيروا وقيل بمعنى
تسموا وعلى التقديرين يتعدى الى مفعولين اولهما اندادا وثانيهما الجار والمجرور قبله وهو واجب التقديم وقوله فلا تجعلوا لله اندادا
فيما تعلق به ثلثة اوجه احدها ان يتعلق بقوله اعبدوا اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها
التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك وثانيها ان يتعلق بقوله لعلكم على ان يكون لا نافية وان ينتصب تجعلوا انتصاب
فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم فقوله تجعلوا
منصوب باضمار ان في جواب الترجي والمعنى خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تجعلوا لله اندادا اي لا تشبهوه بخلقه
فانه من اعظم موجبات العقاب وثالثها ان يتعلق بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا اذا نصبتا الذي على انه خبر المبتدأ
اي هو الذي جعل لكم الارض فراشا اي هو الذي خصكم بهذه الايات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية
فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي في المعادي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي
حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند يند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده
ونفي ما ينافيه وقيل الند المقاوم المضاهي سواء كان مثلا او خلافا او ضدا ومن حيث قاوم وضاهى حصل المماثلة وعن ابي
عبيدة معنى الند الضد وقيل الند الكفو قال حسان اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء اي لست بكفو قال
صاحب الكشاف فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف
الله عز وجل وتناويه فلم قال فلا تجعلوا لله اندادا والند هو المناوي المنازع اجاب بانهم لما تقربوا اليها وعظموها وسموها
آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط واعلم انه لم يوجد في العالم الى الان احد يثبت لله شريكا
يساويه في وجوب الوجود والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين احدهما حكيم يفعل الخير والثاني سفيه
يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كثرة منهم عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم قالوا ان الله تعالى
خلق هذه الكواكب مدبرات لهذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله ومنهم الذين يعبدون المسيح
ومنهم عبدة الاوثان ولا دين اقدم من دينهم فان اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هم نوح وهو عليه السلام انما جاء بالرد
عليهم كما اخبر الله تعالى عن قومه في قوله وقالوا لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فعلم ان هذه المقالة
كانت موجودة قبل نوح عليه السلام وهي باقية الى الان بل اكثر اهل العالم مستمرون على هذه المقالة والدين والمذهب والعلم

بانهم

بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقه وخلق السماء والارض ضروري فيستحيل اطباق الجمع العظيم
عليه فيكون لعبدة الاوثان غرض اخر سوى ذلك وللعلماء ذكروا فيها وجوها منها ما ذكره ابو معشر المنجم البلخي في مصنفاته
ان كثيرا من اهل الصين والهند قائلون بالله وملائكته ويعتقدون انه تعالى جسم وذو صورة كاحسن ما يكون من الصور
وهكذا حال الملائكة ايضا في صورهم الحسنة وانهم كلهم احتجبوا عنا بالسماء فانا لو اوجب عليهم ان يصوغوا تماثيل
انيقة المنظر حسنة الذي على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صورة الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين بها طلب
الزلفى الى الله سبحانه وملائكته فكانوا الذين قال الله تعالى فيهم والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ومنها ما ذكر اكثر العلماء ان الناس راوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان بحسب
قرب الشمس وبعدها عن سمت الرأس تحدث الفصول المختلفة والاحوال المتباينة ثم انهم رصدوا احوال سائر الكواكب
فاعتقدوا ارتباط السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس فبالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد
انها اشياء واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة للاله الاكبر خالق العالم
الا ان الاولين اعتقدوا انها هي الاله في الحقيقة والاخرون انها هي الوسائط بين الله وبين البشر فاشتغلوا بعبادتها
والخضوع لها ثم راوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار فاتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين
بتلك العبادة الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ثم لما طالت المدة الغوا ذكر الكواكب وتجردوا للعبادة
تلك التماثيل فهي لاولي الحقيقة عبدة الكواكب ومنها ان اصحاب الاحكام كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة
نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في الاحوال المخصوصة نحو السعادة
والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك
التعظيم صار ذلك كالعبادة ولما طال العهد ذلك الفعل نسوا مبدأ الامر واشتغلوا بعبادتها على الجهالة باصل الامر
ومنها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون في انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته
فيعبدونه على ما اخبر الله عنهم في قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنها لعلهم اتخذوها محاريب لصلواتهم وطاعاتهم
ويسجدون اليها لا لها كما يسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن الجهال من القوم انه يجب عبادتها
ومنها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل واعلم ان اليونانيين قبل خروج الاسكندر
عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى المفروضة الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودا لهم على حدة فقد كان
هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهو هيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس
الصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا
وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ
ان عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى عليهم وولي البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام
فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم
المعروف بهبل فسار به الى مكة فوضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن
بيوت الاصنام المشهورة بغمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها
نوبهار بلخ الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل وسواع
لبني هذيل ويغوث باليمن لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب
للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل وفي ذلك قال حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير • قوله وانتم
تعلمون جملة من مبتدأ وخبر في محل النصب على الحال ومعناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد
والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا يمنعون عنه وهكذا
كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها
ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل المعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه من امر
دياناتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل وقيل وانتم تعلمون انه لا تماثل وقيل معناه وانتم
تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وقيل معناه وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء وقيل معناه وانتم تعلمون انه خلق ما ذكر في هذه الايات وقيل معناه وانتم تعلمون انه لم يأت بذلك في
كتابكم التورية والانجيل وقيل معناه وانتم تعلمون انها حجارة ولا امتناع في كون جميع هذه الامور مرادا قوله تعالى

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

لما احتج عليهم بالبراهين القاطعة الدالة على الوحدانية المحققة لها المبطلة للاشراك الهادمة له وعلم الطريق
الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم الله عليه من معرفته وتمييزه عطف
على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد عليه السلام وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يعرفون اهو من
من عند الله كما يدعيه محمد ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم اياهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم

انا جنته واهل جلدته وذلك يدل على بطلان قول التعليمية القائلين بان معرفة الله انما تستفاد من الرسول
وقول الحشوية الذين يقولون لا يحصل معرفة الله الا من القرآن والاخبار ولما كانت نبوته عليه السلام مبنية على كون القرآن
معجزا اقام الحجة على كون القرآن معجزا اقام الحجة على كونه معجزا وكونه معجزا يمكن اثباته من طريقين احدهما ان يقال ان هذا الكلام
اما ان يكون مساويا لكلام البلغاء او زائدا عليه بقدر غير خارق للعادة او بقدر خارق لها والاولان باطلان لانه
لو كان كذلك لاتوا بمثل سورة منه مجتمعين او منفردين فان وقع التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام يزيلون
الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لانهم كانوا في معرفة كلام البلغاء والاطلاع على اساليب البلاغة في الغاية وهم حراص
على ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن وكانوا في الحمية والانفة على حد لا يقبلون
الحق فكيف الباطل وكل ذلك يوجب الاتيان بما يقدح في قوله والمعارضة اقوى القوادح فلما لم ياتوا بمثلها علم عجزهم عنها
فان القرآن ليس مساويا لكلام البلغاء ولا زائدا عليه بقدر غير خارق للعادة فتعين الثالث وهو ان يكون القرآن زائدا
على كلام البلغاء بقدر خارق للعادة فيكون معجزا وثانيهما ان يقال القرآن اما ان يكون بالغا في البلاغة الى حد الاعجاز
وحينئذ يكون معجزا او لا يكون كذلك وحينئذ امكن معارضته فعدم معارضتهم مع توفر دواعيهم على الاتيان
بها فانهم ان اتاهم احد بمعجز اتوه بمفاخرهم اتاهم بمباينة القوم بما هو خارق للعادة فيكون معجزا فثبت ان القرآن
معجز على التقديرين فقد بان ان الله تعالى لم يكتف في معرفة التوحيد بالتقليد كذا في معرفة النبوة لم يكتف بالتقليد
واعلم ان ان حرف شرط يجزم فعلين شرطا وجزاء كانه من شانهما الجزم والاصل فيهما الخلو عن الجزم بوقوع الشرط
كما تقول القائل ان تكرمني اكرمك وهو لا يعلم اتكرمه ام لا فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة والامتناع
الجزم بتحقق الجزاء المعلق بالشرط الذي في تحققه تردد وشبهة فيما ترك المضارع في الجزاء في بليغ الكلام الى الماضي
المؤذن بالتحقق نظرا الى اللفظ من غير نكتة ومحل كان الجزم وهي وان كانت ماضية لفظا فهي مستقبلة معنى لان
التعليق انما يكون في المستقبل وفي ريب خبر كان وهو مجاز من حيث انه جعل ظرفا محيطا بهم بمنزلة الجزاء كثرة وقوعه
منهم ومما يتعلق بمحذوف صفة لريب في محل جر ومن لابتداء الغاية وما موصولة او نكرة موصوفة والعائد
على الوجهين محذوف قال صاحب الكشاف فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول
على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى
سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن
لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او
رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا
نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذا التبكيت منتهى ازاحة العلل وقيل يجوز ان
يكون من في مما نزلنا للسببية ويتعلق بريب اي ان ارتبتم من اجل والتضعيف في نزلنا للتعدية مرادفا لهمزة التعدية
وقال [illegible] هذا الذي ذهب اليه صاحب الكشاف في تضعيف الكلمة ويعبر عنه بالكثرة وذهول صاحب الكشاف
عن فائدة وهي ان التضعيف الدال على ذلك من شرطه ان يكون في الافعال المتعدية قبل التضعيف غالبا نحو جرحت
زيدا وفتحت الباب ولا يقال جلس زيد ولم يكن متعديا قبل التضعيف وانما جعله متعديا تضعيفه وغالبا
التضعيف الدال على الكثرة نحو الازم قليلا نحو موت المال لكن التضعيف الدال على الكثرة لا يجعل القاصر متعديا
كما في موت المال ونزل كان قاصرا فصار بالتضعيف متعديا فدل ذلك على ان تضعيفه للنقل لا للتكثير وايضا يحتاج
قوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة الى تاويل وايضا جاء التضعيف حيث لا يمكن فيه التكثير نحو قوله تعالى
وقالوا لولا نزل عليه آية وقوله لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الا بتاويل بعيد جدا اذ ليس المعنى على انهم اقترحوا
تكثير نزول آية ولا على تكثير نزول ملك رسول هذا ما قاله وهو كلام طويل لا يجدي كثير نفع فان صاحب الكشاف فسر
التنزيل بما ذكره بالعقل وانما فسره بالنقل والسماع وهو معنى مستقيم مطابق لبلاغة القرآن واستعماله في غيره
لا يقتضي عدم جواز استعماله فيما ذكره ولا نسلم ان التنزيل بالمعنى الذي ذكره هو وغيره مجاز والمجاز لا يتوقف على
استعمال اهل اللغة ويجوز ان يستعمل لفظ واحد في معان كثيرة في موارد متعددة بحسب القرائن الدالة
على ما هو المقصود وفي قوله تعالى نزلنا التفات من الغيبة الى التكلم لان قبله اعبدوا ربكم فلو جاء الكلام عليه
لقيل مما نزل على عبده ولكنه التفت فيهما تفخيما لشان القرآن والرسول وتقريرا لكونه من عند الله لا من عند غيره قوله
فاتوا جواب الشرط والفاء لازمة لان ما بعدها لا يصح ان يكون شرطا بنفسه واصل فاتوا ايتوا مثل اضربوا فالهمزة
الاولى للوصل والثانية فاء الكلمة اجتمع همزتان وجب قلب ثانيهما ياء على ايمانا واستثقلت الضمة على الياء التي هي
لام الكلمة فحذفت فسكنت الياء وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء التي
قبلها للمجانسة فوزن ايتوا افعوا والسورة قد مر معناها واصلها في المقدمة الثالثة وفائدة تفصيل القرآن
وتقطيعه سورا كثيرة وكذا ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحى تعالى الى انبيائه على هذا المنهاج
مسورة مترجمة السور اي معنونة بلفظة اخرى وبوب المصنفون في كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم من فوائده

ان الجنس

ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا
ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل
منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه
ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه
اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه
حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل
ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملائمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم
الى غير ذلك من الفوائد والمنافع وقوله من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله وفي عود الضمير من مثله
وجهان احدهما انه يعود الى ما في قوله مما نزلنا ومعناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان البليغ وعلو الطبقة وحسن
النظم وثانيهما انه يعود الى عبدنا ومعناه فاتوا بسورة ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من
العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على
الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج
ورد الضمير الى ما اوجه لانه مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدي كقوله تعالى فاتوا بسورة مثله وقوله فاتوا
بعشر سور مثله وقوله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان القرآن حقيق ببلاغة الترتيب والوقوع على احسن
الاساليب والكلام مع رد الضمير الى ما احسن وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط
به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما
يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في
ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما
به هذا الواحد الامي ولانه لو عاد الضمير الى ما فكونه معجزا انما يكمل بكمال حاله في البلاغة والفصاحة ولو عاد الضمير
على عبدنا فكونه معجزا انما يكمل بتقرير كمال حاله في كونه اميا بعيدا عن التعلم وهذا وان كان معجزا ايضا الا انه لما
لم يتم الا بتقرير نقص ما في حقه صلى الله عليه وسلم كان الاول اولى ولانه لو عاد الضمير الى عبدنا لكان يوهم
ان صدور مثل هذا القرآن عمن لم يكن مثل محمد في كونه اميا ممكن ولو عاد الى ما دل ذلك على ان صدور مثله من الامي
وغير الامي ممتنع فهو اولى لانه مطابق لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولان الاول هو الملائم لقوله تعالى وادعوا شهداءكم قوله وادعوا شهداءكم في محل
الجزم لانه معطوف على قوله فاتوا بسورة ووزن ادعوا افعوا لان لام الفعل محذوفة دالة على السكون في الامر والواو
ضمير الفاعلين والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء
الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال
هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذ من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر وحذف
ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء
عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك
من دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم تنلها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم
فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق
او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفخامرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه من غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا
من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم اي زعماء القوم والمتكلمون عنهم الذين هم
وجوه المشاهد وفرسان المقاول والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة
بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز
وحينئذ يكون معناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد بان ما ندعيه حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين بشهاداتهم تصح بها الدعاوى عند الحكام و
هذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم
هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسب فقال قرشي والحمد لله
فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعمالكم
ودعوا الحكم والجن والانس شاهدا لكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده
على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية وانما ذكر الاستعانة بلفظ
الدعاء على عادة العرب في دعائهم القبائل والاحياء في وقائع العظمة والحرب والشدائد قوله وان كنتم صادقين شرط جزاؤه محذوف

تقديره فافعلوا ومتعلق الصدق محذوف اي صادقين في قولكم انه القرآن ليس من عند الله روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقيل صادقين فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة يؤيده قوله تعالى حكاية عن الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا وقيل
صادقين في ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه وقيل صادقين فيما قلتم من الريب قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ۞ ان الشرطية داخلة على جملة لم تفعلوا وهو مجزوم بلم كما تدخل ان الشرطية
على فعل منفي بلا نحو ان لا تفعلوا فيكون لم تفعلوا في محل جزم بان وقوله فاتقوا جواب الشرط ولن تفعلوا لا محل له لانها
جملة اعتراضية وقعت بين الشرط وجوابه وقد ارشدهم الله الى الجهة التي منها يعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء
به حتى يطلعوا على حقيقته وسره ويميزوا حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وظهر لكم
انه معجوز عنه وقد انكشف الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العقاب المعد لمن كذب وعنده دلالة على انه معجزة
من ثلاثة اوجه احدها الاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله وقد وقع مخبر هذا الخبر على ما اخبر من وقت بعثته الى
هذا العصر الذي نحن فيه لم يخل وقت من الاوقات من طوائفهم اهل الدين ولم يعارضوا قط وثانيها انه علم بالتواتر ان العرب
كانوا في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حراصا على ابطال امره واضيف الى هذا مثل هذا التقريع وهو من لعمرهم

[illegible]

غير ملجئ

غيرها من النيران انها نار لا تتقد الا بالناس والحجارة او قد قرن بهم حيث طرح فيها ما ترادا احراقا ونحوها وتلاها ذنبا ايتها
بها رحمة الواسعة تتقد بنفس ما يحرق ويجيء في النار وغايتهما انما لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل
به نار اشتعلت وارتفع لهبها واعلم ان نار الجحيم ليس كلها موقدة بالناس والحجارة بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقوله فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين
بالحجارة وجعلت معهم وقودا لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه
قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله
في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء
والشهداء الذين يستشفعون ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها
ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت لانها اشد الاشياء
حرا اذا احميت قال صاحب الكشاف وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل قيل
ان اهل النار اذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فينشئ الله سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم اليها فتمطرهم حجارة عظاما كحجارة
الرحا فتزداد النار اتقادا او انها ... الدنيا اذا ... اعدت فعل ماض مجهول والعائد مقام الفاعل ضمير مستتر
عائد على الناس والنار وهي جملة لا لاسناد الفعل الى ضمير المؤنث والكافرين متعلق به ومعناه خلقت وهيئت للكافرين وجعلت
عدة لعذابهم وهذه الجملة تاكيد للجملة المتقدمة لان اتقادها بالكافرين واعدادها لهم متقارب في المعنى او بدل عنها او حال
وليس لها محل من الاعراب كانها جواب لمن قال لمن اعدت نار وقودها الناس والحجارة اجيب لانها اعدت للكافرين فانها لما احتملت
تعذيب الكافرين كان احتمالا بان يكون يعذبوا قوما مغرورين بآلهتهم وفيها دليل على ان النار مخلوقة لان المعد لا يكون الا موجودا

قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون ۞ ومن عادة الله ان يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف اي يقرب والتثبيط عن اقتراف ما
يتلف فلما ذكر الكفار نعتا وعدتهم بالعذاب نعقه ببشارة عباده الذين جمعوا بين الايمان والاعمال الصالحات من الثواب
البشارة هي الخبر الاول بما يظهر سرور المخبر والبشير هو اول الخبر السار الذي يظهر اثر السرور في بشرة السامع ومن
ثم قال العلماء اذا قال الرجل لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره
بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح
ما ظهر من اوائل ضوئه هذا هو الاصل واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ
المستهزأ به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحات
نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما
استقام من الاعمال بدليل الكتاب والسنة قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله وعملوا الصالحات اخلصوا العمل كما قال
يعلم قوله تعالى فليعمل عملا صالحا لان المنافق والمرائي لا يجزى عملهما صالحا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اقاموا الصلوة
المفروضات دليله قوله تعالى اقاموا الصلاة اما لا يصح من الحسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما عملوا الصالحات اي اطاعوا
فيما بينهم وبين ربهم وقال معاذ بن جبل العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال
سهل بن عبد الله لزموا السنة لان عمل المبتدع لا يكون صالحا وقيل ادوا الامانة بدليل عليه قوله عز وجل وكان ابوهما صالحا
اي امينا وقيل تابوا دليله قوله عز وجل ... قال صاحب الكشاف واللام
في الصالحات للجنس والفرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على الجمع انه يصلح ان يراد به جميع الجنس وان
يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في
وحدانه فالمراد بهذا المجموع مع اللام الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف
والمأمور بقوله بشر يجوز ان يكون رسول الله وان يكون كل احد كما قال صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور
التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة
شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة قال صاحب الكشاف فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق
امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد
بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق
وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر
يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفيه نظر لان فاتقوا جواب الشرط وقوله وبشر لا يصلح ان يكون جوابا للشرط اذ لا يصح
ان يقال فان لم تفعلوا فبشر الذين آمنوا وانما في المثال الذي اورده لعطف الامر على الامر نظر لانه عطف فيه الجملة
الندائية المشتملة على الطلب وهو قوله وبشر يا فلان على جملة مثلها وهو يا بني تميم احذروا وليس فيه عطف الامر على الامر وحده
قال صاحب المفتاح ويحتمل عندي ان يكون معطوفا على قوله قل مقدرا قبل يا ايها الناس اعبدوا ربكم لكون ارادة القول
بانصباب الكلام الى معناه غير عزيز في القرآن من ذلك وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي وقلنا او قائلين كلوا ومن ذلك

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب [illegible] يا موسى كلوا واشربوا من ذلك واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا اي قلنا او قائلين خذوا وكذلك عطف قوله وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة على قل مرادا
قبل يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة وكذلك عطف وبشر المؤمنين في سورة الصف عندي على قل مرادا يا ايها
الذين آمنوا هل ادلكم ويحتمل ان يكون معطوفا على قل تبلغ له فان لم تفعلوا بيان ذلك انه تعالى لما اقام الحجة على توحيده
ونبوة نبيه امر النبي صلى الله عليه وسلم بتخويف الكافرين وبشارة المؤمنين ولما ذكر الايمان وعطف عليه العمل الصالح
دل على ان العمل غير داخل في الايمان والا لزم التكرار لان الاصل عدمه قوله ان لهم جنات تجري اسم ان نصبها بالكسر لانها
جمع مؤنث سالم ولهم خبر مقدم عليه ولا يجوز تقدمه عليها وعلى اخواتها الا اذا كان ظرفا او جارا او مجرورا ويقدر به
بان لهم فحذف حرف الجر وهذا الحذف مطرد مع ان وان الناصبة للمضارع بشرط امن اللبس بسبب طولهما بالصلة
وعند الخليل والكسائي ان مع اسمها وخبرها في محل جر لان حرف الجر في حكم الثابت وعند سيبويه والفراء في محل
نصب لانه اذا حذف الحرف نصب والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال الزهير تسقي
جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر كانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر
جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والحق ان الجنة مخلوقة لقوله
تعالى لآدم اسكن انت وزوجك الجنة ولانها جاءت في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول
والكتاب والاعلام لا يكون الا موجودا والوجه في جمعها وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات
كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاق اهلها لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان قال صاحب الكشاف فان قلت ما شرط
في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجد
من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة
مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب
بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن
اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم
كالداخل تحت الذكر اعلم ان صاحب الكشاف اورد هذا السؤال وبناه على اصولهم واجاب عنه
بما هو مقتضى اصولهم والبيضاوي اورد السؤال بناء على اصولنا فقال في السؤال قوله لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح
بفضل الله تعالى لا بايجاب عمله الصالح كما بين في اصول الدين وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفيه عن عائشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعلموا ان لن يدخل احدكم عمله الجنة والعمل الصالح
علامة مخصوص للثواب تعالى ما قوله لم يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر
والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فليس بمستقيم فان الكبائر لا تحبط
العمل بل الموت على الارتداد يحبط العمل بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله
وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه
لا يبقى مع وجود مفسده احسانا للقائل ان يقول هذا بالنسبة الى المثيب الذي ينتفع باحسان فاعله ويتضرر
بتركه واما بالنسبة الى من لا ينتفع باحسان فاعله ولا يتضرر بتركه فلا يستقل العقل به بل يستفاد من النبي
عليه السلام بانه الا الوحي اليه والانهار جمع النهر والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل
نهر مصر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري اليه من الاسناد المجازي فان النهر لا يجري بل الماء في النهر يجري وذلك
كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان اي يطؤهم اهل الطريق وهذا وصف لهم بالكرم وانهم مقصد
للعفاة وصيد على الفرس وحوش يومين وتعريف الانهار للجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
وانواع الفواكه يشير الى الانواع التي في علم المخاطب او تعريفها باللام عوض من التعريف بالاضافة كقوله تعالى واشتعل
الرأس شيبا اي رأسي او تعريفها باللام للعهد بالاشارة الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه الآية وصورة جري الانهار من تحتها كجري الانهار الجارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها
وعن مسروق انهار الجنة تجري من غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجارها مظللة والانهار
في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الرياض والجنان وان كانت آنق شيء و
احسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وان لم يجر الماء
كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما
قدمه على سائر نعوتها قوله كلما رزقوا منها اي من الجنات متعلق برزقوا ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية
وذلك كما في قولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فوقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما
رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل من
الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول

رزقني فلان

رزقني فلان فيقال لك من اين فيقول من بستانه فيقال اي ثمرة رزقك من بستانه فيقول الرمان وتحريره ان
رزقا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة
الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار قال صاحب الكشاف ووجه آخر وهو ان يكون
من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة قيل
وفي هذا الوجه نظر لان من شرط ذلك ان يجعل محلها موصولا او ان يكون ما قبلها محلى باللام للجنس فليس قبلها شيء يبين بها
وكونها بيانا لما بعدها بعيد جدا ورزقا مفعول ثان لرزقوا وهو بمعنى مرزوق وكونه مصدرا بعيد لقوله هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها والمصدر لا يؤتى به متشابها انما يؤتى بالمرزوق كذلك قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل مبتدأ
وخبر في محل النصب بالقول والعائد الى الموصول محذوف لاستكمال الشروط اي رزقناه ومن قبل متعلق به ومن
لابتداء الغاية ولما انقطعت قبل بنيت وهذه الجملة وهي قوله كلما رزقوا الى الاخر اما في محل النصب بانه صفة ثانية لجنات او في
محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف ولا محل لها من الاعراب بانها جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار
جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله تعالى فان قيل كيف يقال هذا الذي رزقنا من قبل وكيف
يكون ذات الحاضر عندهم بعينه هو الذي ذات التي رزقوه في الدنيا اجيب عنه بانه اشارة بقوله هذا الى النوع فان الشخص هو
النوع المقيد بالعوارض المخصصة ووجوده بعينه وجود النوع فالاشارة الحسية الى الشخص هي بعينها الاشارة الى النوع
وبانه لما اتحدا بالنوع وان تغايرا بالتعيين صح ان يقال هذا هو الذي رزقنا من قبل بحسب النوع فان الوحدة النوعية لا تنافي
التعدد بالشخص وبان معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة يريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في به راجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان
قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين لانه لما كان التقدير مثل الذي رزقناه كان قد
انطوى على المرزوقين معا ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير بدلالة قوله غنيا
او فقيرا على الجنسين ولو اعتبر عود الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد اذ التقدير ان يكن احدهما فالله اولى به وكذا
لو اعتبر عود الضمير الى المتكلم به في قوله واتوا به لقيل واتوا بهما وانما يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ولم يكن ثمر الجنة اجناسا اخر
لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه
واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان
فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا
ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل على حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن اي اهل الدار النبقة
اي ثمرة السدر الذي هو عذب السويق من نبق الدنيا في حجم الفلكة اي المغزل ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل
الشجرة في الجنة من شجرة الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك
ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما
وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى
ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى
فرعها اي ثمارها متصعدة ولا يكون لطلعها ساق وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود
اثنى عشر ذراعا ويحكى عن ابن عباس والحسن والضحاك انهم قالوا ان معنى قوله هذا الذي رزقنا من قبل هذا الذي طعمنا من قبل
ورزق الغداة كرزق العشي وقيل ان ثمرة الجنة اذا جني خلفه مثله واذا رأوا ما خلف اشتبه عليهم فقالوا هذا الذي رزقنا
من قبل هذا اشارة الى الخارج في موضع المجني وعن الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم
مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس شيء في الجنة مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات
فمتباينة وقيل معناه هذا الذي وعدنا به في الدنيا كانهم قد رزقوا في الدنيا اذ وعد الله منجز وعن ابن عباس ومجاهد
والحسن في قوله واتوا به متشابها ان معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في الطعم يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة
فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن عكرمة يشبه ثمر الدنيا
في المنظر ويباينه في جل الصفات وعن قتادة متشابها معناه خيارا لا رذل فيه كقوله كتابا متشابها كان بعضه يناسب في
ان كل صنف هو اعلى جنسه وقيل متشابها اي يشبه ثمر الدنيا في الاسماء لا في غيرها من هيئة او طعم ولا محل لقوله واتوا به متشابها
في الاعراب قال صاحب الكشاف هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير وقيل هو عطف على قالوا او
محلها النصب على الحال من فاعل قالوا اي قالوا هذا الكلام في هذه الحالة قيل على لسان اهل المعرفة ان كمال السعادة الانسانية
بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله والملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السماوات وهذه
المعارف انما يحصل بامتثال اوامر الشرع والاجتناب عما نهي عنه وتزكية الباطن عن الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاخلاق الحميدة
فاذا امتثل اوامر الله وكف عما نهى الله عنه وزكى نفسه من الاخلاق الرذيلة وحلاها بالاخلاق الحميدة صارت نفسه مرآة
مجلوة يحاذي بها شطر القدس فينتقش فيها صور عالم القدس والمعارف لكن لا يحصل بها كمال الابتهاج والسرور لان العلائق البدنية

عايقة عن ظهور تلك اللذات فاذا زال هذا العائق وتجرد الى عالم القدس ووصل الى حق اليقين حصلت السعادة العظمى
والبهجة الكبرى ونال اللذة القصوى فيقول هذا الذي رزقنا من قبل اي هذا الابتهاج والسرور هو الذي كان حاصلا لي
لكن لم يكن كاملا بسبب وجود العلائق العائقة عنه وكماله حصل في الآخرة بسبب زوال العوائق والاولى ان يقال ان
الجميع مراد اذ لا منافاة بينهما قوله ولهم فيها ازواج مطهرة لهم خبر مقدم وازواج مبتدأ وهي جمع زوج والزوج لغة الرجل
والمراة والفرد والنوع واللون وقد يقال للمراة زوجة ايضا قال الفرزدق وان الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع الى اسد الشرى
يستبيلها وقال عمار بن ياسر في شان عائشة ام المؤمنين والله اني لاعلم انها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم
ذكر البخاري وغيره الحديث بطوله وفيها متعلق بالاستقرار الذي تعلق به لهم وقوله مطهرة صفة وجاءت الصفة مجموعة
كالموصوف وغير مجموعة هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه
بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى جماعة ازواج مطهرة والمراد
بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وطبع الاخلاق ودنس الاخلاق الذي عليه
النساء مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذ به من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن
وخبثهن وكيدهن ومن الاقذار والادناس وانما قال مطهرة ولم يقل طاهرة لان في مطهرة فخامة ليست في طاهرة وهي الاشعار
بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز شانه المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ازواج اهل الجنة ليغنين ازواجهن باحسن اصوات ما سمعها احد قط
فان مما يغنين به نحن الخيرات الحسان ازواج قوم كرام ينظرون بقرة اعيان وان مما يغنين به نحن الخالدات فلا يمتن نحن الآمنات
فلا نخاف نحن المقيمات فلا نظعن وقال يحيى بن ابي كثير ان الحور العين ليتلقين ازواجهن باصوات حسان ويقلن طال
ما انتظرناكم نحن الراضيات الناعمات الخالدات اذا جئنا ونحن حبكم ليس دونكم مقصد ولا وراكم معدل وقال الحسن هن
عجائزكم العمش الرمص طهرن من قذرات الدنيا قوله تعالى وهم فيها خالدون هم مبتدا خالدون خبره وفيها متعلق به وقدم
ليوافق رؤس الاي والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن
الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال العصر والعصر والعصر واحد والاستفهام في قوله وهل ينعمن بمعنى النفي
والاوجال جمع وجل وهو الخوف والخلد من الاسماء الغالبة المعنى كالدابة للعين لانه وضع للاصل الدوام الذي لا ينقطع

[illegible]

وانه من عند الله كما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء
كالنمل والذباب والعنكبوت مضروبا بها المثل فانه لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها قدح في فصاحته
وبلاغته فضلا عن كونه معجزا فرد ذلك بان ما استنكروه واستغربوه ليس في محل الاستنكار والاستغراب
لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان
الممثل له عظيما كان الممثل به عظيما وان كان حقيرا كان الممثل به حقيرا كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا
تستدعيه حال الممثل له فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان جليا واضحا كيف تمثل له
بالظلمة وكما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الوهن وجعلت
اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للممثل استحي
من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سابق بالمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه العالم الحكيم
وليبان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا
التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر حوله الشبهة ولا يعرف الريب ساحته وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم
وغضب على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا

اذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين
في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الفصحاء والبلغاء يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة
واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض
ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير
والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها لا يخفى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له
تمسك بدليل ولا تشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم
والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة ومقاتل انه لما نزلت
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فطعن في اصنامهم
ونزل قوله تعالى كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فشبه عبادتها ببيت العنكبوت قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت
حتى يضرب الله المثل بهما وضحكوا وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية وروى السدي عن اشياخه انه لما ضرب الله
المثلين المتقدمين وهما قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب طعن المنافقون وقالوا الله اجل واعلى من ان يضرب
الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق فنزلت هذه الاية وقيل انه طعن المشركين والكل يحتمل لان المشركين والمنافقين
واليهود متوافقون في ابطال الرسول وتعييبه وكذا المؤمنين واليهود فاشار في هذه الاية الى صفة الكل بقوله فاما الذين
آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اشارة الى صفة المؤمنين واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا الى صفة المشركين
والمنافقين واليهود فان كلهم من الذين كفروا وقوله يضل به كثيرا اشارة الى المستمرين على الكفر من الاصناف الثلاثة وقوله
وما يضل به الا الفاسقين اشارة الى المستمرين على الكفر مع زيادة بيان وقيل الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف
ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء نسي الرجل
فهو نس على فعل اذا اشتكى نساه وهو بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ
الحافر فاذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان
وماتت الربلتان اي لحم الفخذين وخفي النسا وخشي بالكسر اذا اشتكى الحشا اذا اصابه الربو والشظي عظم مستدق ملزق
بالذراع فاذا تحرك من موضعه قيل شظي الفرس بالكسر وبعض الناس يجعل الشظي انشقاق العصب فجعل الحيي من الانكسار
والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب
حياء في مكانه خجلا قال صاحب الكشاف فكيف جاز وصف القديم سبحانه بالحياء ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك
في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك
رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل
بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء
يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال
لله درك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولولا سبوطة
الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا يكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه
على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه قال اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
قال صاحب الانتصاف قلت قال القائل انه تعود لما الذي دعاه الى تاويل الاية مع ان الحياء الذي يخشى نسبته ظاهره الى الله مسلوب
في الاية كقوله لله ليس بجسم ولا جوهر في معرض التنزيه والتقديس تعالى واما قوله في الحديث فمستقيم لان الحياء فيه مثبت
لله عز وجل وللزمخشري ان يجيب بان السلب في مثل هذا انما يطرق على ما يمكن نسبته الى المسلوب عنه اذ مفهوم نفي الحياء
عنه في شيء خاص يستدعي ثبوت الاستحياء له في غيره فالحاجة داعية الى تاويله لما افضى اليه مفهومه مما يوجبه
السؤال ولو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول لكان ذلك لا يحتاج الى تاويل بل هو الله تعالى مقدس
عن الحلول والزوال المنزه مطلقا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب
مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن قال صاحب الكشاف ووجه آخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها معنى
الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد مثلا ما من الاشياء
المحقرة مثلا بالبعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد
وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزا او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه
او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الزمهم بقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء وهذا من القرآن واعجازه

الرفع نسبوها الى رؤبة بن العجاج وهو من افصح العرب الشيخ والفيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به
الحسن البصري في الفصاحة قال صاحب الكشاف وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه اي الاستفهام
المطابق لفصاحته قال صاحب الانتصاف حملها على الاستفهامية بالمعنى الذي قرره فيه نظر لان قوله تعالى فما فوقها
في الحقارة فيكون معناه فما دونها وكما انها اذا فما هو اكبر منها حجما وعلى كلي التقديرين يبعد الاستفهام لانه انما يستعمل
في مثل ما ذكرنا وقد بان التنبيه على المستفهم عنه بما هو اولى منه مشكو باعتبار معنى الكلام فلان لا يبالي بعطاء الكثير الجواد
وديناران اي اذا جاد بالكثير في القليل واذا ذهبت في الآية هذا المذهب لم يجد الصحة مجالا اذ يكون المراد ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا بالمحقرات في البعوضة وما هو احقر منها وقد فرضنا انها في احد الوجهين نهاية في الحقارة وفي الوجه الاخر
ليست نهاية بل النهاية في قوله فما فوقها اي فما دونها فاذا اشتمل ما بعد الاستفهام على النهاية في الوجهين جميعا
لم ينتظم التشبيه المذكور بل ينعكس الغرض منه اذ المقصود في مثل قولنا فلان لا يبالي بعطاء الالوف في الدينار والدرهم
التنبيه على ان عطاء القليل منه محقق لعطائه الكثير بطريق الاولى ولا يتحقق في الآية على هذا التقدير انه لا يستحيي من ضرب
المثل بالمحقرات التي لا تبلغ النهاية فكيف يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية في الحقارة كالبعوضة هنا عكس لنظم
الاولوية ولو كانت الآية مثلا واردة على غير هذا النظم نحو قول القائل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا بالبعوضة
التي هي نهاية في الحقارة فالانعام التي هي انهى من البعوضة وابعد منها في الحقارة بالاحرى لكان تعديد الزمخشري
متوجها وما اراه والله اعلم الا وهم في هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت العبارة في الاعتراض عليه الا لانه
محل ضيق ومعنى متقاص لا يتخلص الى الفهم الا بمثل هذا المزيد من البسط وناهيك بموضع انعكس على فهم الزمخشري
مع نفوذ فهمه واصابته سهمه خصوصا في تنقيق المعاني وتفصيلها والله الموفق واما تبجحه بالعثور على الوجه الذي
ظن ان رؤبة بن العجاج دعاه في قراءته فكلام ركيك يوهم ان القراءة موكولة الى رأي القارئ وتوجيهها ونصرته
بالعربية وفصاحته وليس الامر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها وتعدد حروفها سنة تتبع وسماع يتلقى نقله
الفصيح وغيره على حد سوى لا حيلة للفصيح في تغيير شيء منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته في القرآن الذي
بذ كل فصاحة وعز كل بلاغة فالفصيح والمستعد ان كل قارئ من رؤبة الا اعمى سمعه من غيره فتلقفه من الافواه فاداه الى ان
ينتهي ذلك الى السماع من افصح من نطق بالضاد محمد عليه افضل الصلاة والسلام والجواب ان صاحب الانتصاف تجاوز
عن حد الانصاف وسلك طريق الاعتساف فما قال لمن دون النظر اذ قوله فما فوقها اما ان يراد به فما هو اكبر منها فيقال انه
يراد به فما هو اكبر منها حجما فحينئذ يتعين الاستفهام قلنا لا يتعين الاستفهام على هذا التقدير لانه حينئذ يكون ردا على
الكفار الذين قالوا ان الله لا يضرب المثل بالنحل والعنكبوت والذباب والنمل بابلغ وجه وهو ان الله تعالى لا يستحيي
ان يضرب للانداد ما هو احقر الاشياء مثلا ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب الله المثل بما هو احقر من ذلك بكثير
ولا شك انه ابلغ في افادة المقصود وظهر ان صاحب الكشاف كان واهما في هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت
العبارة في الاعتراض عليه الا لانه محل ضيق ومعنى دقيق لا يتخلص الى الفهم الا بمثل هذا المزيد من البسط ومع هذا انعكس
على فهم كثير من الافاضل ما يخرج صاحب الكشاف بان رؤبة بن العجاج ذهب الى هذا الوجه في هذه القراءة اي
برفع بعوضة وقوله هذا لا يوهم ان القراءة موكولة الى رأي القارئ بل غايته ان هذا الوجه في هذه القراءة ذهب اليه رؤبة
فان الضحاك وابراهيم بن ابي عبلة ايضا قد قرآ بعوضة بالرفع وروى الاصمعي عن نافع بعوضة بالرفع وانتصب مثلا
وبعوضة مفعولين جريا لضرب مجرى جعل والاحسن ان يكون يضرب متعديا الى واحد بمعنى تبيين ومثلا مفعول به
وما صفة للمثل وبعوضة بدلا عنه او عطف بيان واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بعضه البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه
والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش قوله فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد
عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك
تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه
من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانها اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال
فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت
هو لا يبالي يبخل بنصف درهم فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما في صحيح مسلم عن الاسود قال
دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط
فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو
نخبة النملة في قوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضة او
ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على الفسطاط قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة
وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك لان ليست البعوضة هي النهاية في الصغر فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت
في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا

لو حركها بيدك حادت عنه وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضائها الظاهرة والباطنة وتفاصيل
خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها
مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم * يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم
الاليل * ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل * اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول
والفاء في فما فوقها للعطف وما في فما فوقها منصوبة معطوفة على بعوضة ان نصبت بعوضة موصولة بمعنى الذي صلتها
الظرف او موصوفة وصفتها الظرف فان رفعت بعوضة وجعلت ما الاولى موصولة او استفهامية تكون الثانية معطوفة
على الاولى عطف المفرد على تقدير كونها موصولة وعطف الجمل على الجمل على تقدير كونها استفهامية وان جعلت ما الاولى
صفة لنكرة وبعوضة خبر لمبتدأ محذوف فما كانت ما معطوفة على بعوضة قوله فاما الذين آمنوا اما حرف فيه معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وما ذكره سيبويه يفيد فائدتين احديهما بيان
كونه تاكيدا والثانية انه في معنى الشرط قال صاحب الكشاف وفائدته اما في الكلام ان تعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا
قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب وكذا ايراد الجملتين مصدرتين
باما وهما فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا احماد عظيم للذين
آمنوا بحمدهم بالقرآن واعتدادهم بعلمهم وتوبيخ للذين كفروا وبحجتهم بالقرآن اعني الحق حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وقال بعض النحويين
اما تفصيل لما اجمله المتكلم او ادعاه المخاطب لا يليها الا المبتدأ ولا يحذف الفاء في جوابها الا مع قول ظاهر او مقدر كقوله تعالى
واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم اي فيقال لهم اكفرتم ولا يجوز ان يليها الفعل لانها شرط ولا تاتي بعدها بجزء جملة ولا يجوز اما
زيد منطلق في الدار فيجوز ان يتقدم معمول ما بعد الفاء عليها فيليها كقوله فاما اليتيم فلا تقهر ولا يجوز الفصل بين
اما والفاء بمعمول خبر ان خلافا للمبرد ولا بمعمول خبر ليت ولعل خلافا للفراء وان وقع بعدها مصدر نحو اما علما فعالم فان كان
نكرة جاز نصبه على التمييز وضعفه بعضهم وان كان معرفة التزموا فيه الرفع واجاز الحجازيون فيه النصب والرفع نحو اما العلم
فعالم ونصب النكرة عند سيبويه على الحال والمعرفة مفعول له واما الاخفش فنصبهما عنده على المفعول المطلق والنصب بفعل الشرط
المقدر او بما بعد الفاء ما لم يمنع مانع فيتعين فعل الشرط اما علما فلا علم له او فان زيدا عالم لان لا وان لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما واما
الرفع فالظاهر انه بفعل الشرط المقدر اي مهما يذكر علم او العلم فزيد عالم به ويجوز ان يكون مبتدأ وعالم خبر مبتدأ محذوف
والجملة خبره تقديره اما علم او العلم فزيد عالم به وجاز الابتداء بالنكرة لانه موضع تفصيل والذين آمنوا في محل رفع بالابتداء ويعلمون
خبره والفاء في فيعلمون جواب اما لتضمنه معنى الشرط وانه الحق ساد مسد المفعولين عند الجمهور ومسد المفعول الاول
فقط عند الاخفش والمفعول الثاني محذوف اي يعلمون حقيقته ثابتة وقال الجمهور لا حاجة الى ذلك لان وجود النسبة
فيما بعد ان كاف في تعلق العلم او الظن به والضمير المنصوب الذي هو اسم ان عائد على المثل المفهوم او على ان يضرب لانه في معنى
المصدر وقيل على ترك الاستحياء وقوله من ربهم في محل نصب على الحال من الحق اي كائنا من ربهم ومن لابتداء الغاية وفي ماذا وجهان
احدهما ان ما يكون اسم استفهام وذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون ما اسما مرفوعا على الابتداء وخبره ذا مع صلته
التي هي الجملة الواقعة بعدها والعائد محذوف والاصوب في جوابه ان يكون مرفوعا ليطابق الجواب السؤال وقد يجوز نصبه
كما تقول في جواب من قال ما الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا وقد قرئ ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب في
ثانيهما ان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون في محل النصب في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب
في جوابه ان يكون منصوبا ليطابق الجواب السؤال ويجوز الرفع كما تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا اي المرئي خير والارادة
من الصفات النفسانية التي يجدها العاقل من نفسه ويدرك بالبديهة التفرقة بينها وبين علمه وقدرته وطلبه ولذته
والمه فلا يفتقر الى تعريف بحسب الحقيقة وتعرف بحسب اللفظ وقال المتكلمون انها صفة ثبوتية قديمة زائدة على العلم
والقدرة والطلب يقتضي اختصاص احد الممكنات بالوقوع دون بعض واختصاصه بالوقوع بزمان دون زمان
وقال الجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري ارادة الله هي علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمونه
العلم بالداعي والصارف وقيل ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر
وقالت الكرامية ان ارادة الله تعالى صفة محدثة قائمة بذاته تعالى وقيل انها صفة حادثة موجودة لا في محل قال صاحب الكشاف
الارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وللقائل ان يقول لا نسلم ان قول القائل
اردت الشيء معناه طلبته فان الطلب غير الارادة فانه يعلم بالوجدان ان الطلب غير الارادة وقد بين ذلك في اصول الفقه وفي
حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم
على ان للباري مثل صفة المريد منا هي القصد وهي امر زائد على كونه عالما غير ساه ولا مكره وفي قول الكفار ماذا اراد الله بهذا
مثلا استرذال واستحقار للمثل كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على
التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث اي ضعيف رديء ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديئا كيف تنتفع بهذا سلاحا
او نصب على الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وعلى تقدير ان يكون حالا قيل صاحبها اسم الاشارة والعامل فيها معنى
الاشارة وقيل اسم الله تعالى قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لما حكى الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين بعلمهم بانه
هو الحق من ربهم وحكى عن الكفار استحقارهم كلام الله تعالى بقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا اورد قوله يضل به كثيرا الخ جاريا

مجرى التفسير للجملتين المصدرتين باما والبيان لان الفريق الذين يعلمون انه الحق من ربهم والفريق الذين يقولون ماذا اراد
الله مثلا كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فلا محل لهما من الاعراب والبيانية في الجملتين السببية
وهما من كلام الله تعالى وقيل الجملتان في محل النصب لانهما صفتان للنداء في مثلا يضل به كثيرا وعلى هذا هما من كلام الكفار
وقيل هما حالان من الله اي مضلا به كثيرا وهاديا به كثيرا وضمير الفاعل في يضل ويهدي لله والضمير في به فيهما الى المثل او ضرب
المضاف الى المثل تقديرا وقيل الضمير الاول للتكذيب والثاني للتصديق وقال ابن عطية يحتمل هو ان يكون قوله يضل به
كثيرا من كلام الكفار ويهدي به كثيرا الى آخر الآية ردا من الله تعالى على قول الكفار يضل به كثيرا وهذا غير ظاهر لان الناس في
التركيب واسناد الاضلال الى الله تعالى بطريق الحقيقة فانه تعالى فاعل الضلال والهداية هذا هو الحق المبني بيان ذلك المحال
في المقدمة الثامنة عشر ومفصلا في اصول الدين قال صاحب الكشاف واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل
الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس
قد اخذ بمال وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج وخبيص فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وهذا بنا اصله وهو ان افعال العباد
غير مخلوقة لله تعالى وانه تعالى منزه عن خلق القبيح والشر عصمنا الله من الاعتقاد الباطل قال صاحب الكشاف فان قلت لم وصف
المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقيل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ووجدت الناس
اخبر تقله قلنا اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا
فان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا اي ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا قال صاحب الانتصاف جواب صحيح ونظيره وتم لان الشاعر انما ذهب الى ان عدد الكرام وان كان
قليلا في نفسه فان الواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام الف من جنسه فعدد اللئام وان كثروا فالاكثرون منهم
يعدون بواحد من غيرهم لعل اليهم عا انقباضهم عن الجود وعدم تعدي نفع منهم الى غيرهم قول صاحب الانتصاف ان نظيره
بالبيت وهم خارج عن الانصاف بل هو وهم فان البيت نظير المعنى الثاني للآية ولا طائل فيما ذكر من الكلام في البيت ثم رد على
ما ذكره صاحب الكشاف ان المناسب للمعنى الثاني في الآية انه يضل به قليلا ويهدي به كثيرا حتى يكون نظير البيت والجواب
عنه ان البيت وذه نظير بالنسبة الى المهتدين والحاصل ان الكثير في قوله يضل به كثيرا بحسب العدد وكثير في يهدي به
كثيرا بحسب الحقيقة قوله وما يضل به الا الفاسقين الفسق الخروج عن القصد اي الطريق المستقيم او دونه قواله بنا
عن قصدها جوايرا قال الفراء الفاسق اصله من فسقت الرطبة من قشرها اي خرجت فالفاسق الخارج عن طاعة الله الى
معصيته لا عن الايمان قال صاحب الكشاف الفاسق في الشريعة هو الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين
المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه
حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه
واعتقاد عداوته وانه لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة
الفسقة ومنه الا انه في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم
الفاسقون اختلف اهل القبلة في ان الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة هل هو مؤمن ام لا فعند اصحابنا انه مؤمن ولا يخرج
عن الايمان بارتكاب الكبيرة وعند الخوارج انه كافر وعند المعتزلة لا مؤمن ولا كافر كما ذكره صاحب الكشاف وتفصيله
في علم الكلام والمراد بالفاسقين هاهنا ثلثة اقوال احدها انهم اليهود وهو قول ابن عباس ومقاتل وثانيها المنافقون
وهو قول ابي العالية والسدي وثالثها جميع الكفار وهذا الاستثناء مفرغ والمستثنى منه الذي ذكر مفعولا لما
بعد قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه النقض الفسخ وفك التركيب بعبارة اخرى الهدم واصله في ابرام
من حبل او بناء ونقيض الشيء ما ينقضه اي يهدمه ويرفع حكمه قال صاحب الكشاف فان قلت من اين ساغ استعمال النقض
في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما في العهد من ثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك
ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه
فينبهوا بذلك الرمز على مكانه ونحوه قول شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثقها
تقول هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الامان واليمين والذمة والوصية
والموثق اي الميثاق والعهد ليتذكر اذا وصاه به ووثقه وقوله ينقضون في محل النصب على انه نعت الفاسقين او على
الذم او في محل الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي قوله اولئك هم الخاسرون او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين
ينقضون والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون ومنافقوهم او الكفار جميعا وذكر المفسرون
في المراد بعهد الله وجوها منها عهد الله الذي اخذه من بني آدم يوم الميثاق بالاقرار بربوبيته وما ركز في عقولهم من
الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه وهو معنى قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ومنها اخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه الصلاة والسلام

سأنزل

سأنزل عليكم كتابا فيه يا بني اسرائيل وبيانا ما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما فعلوا
من نقض الميثاق وحين صنعة الذين قاموا بميثاقه واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف ان الله اشهد ونعمته بالذين غدروا و
نقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود نقضوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به
كما كفروا به ومنها اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وذلك قوله واذ
اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الى قوله ثم اقررتم وانتم تشهدون والاولى ان يحمل على الكل قيل عهود الله الى خلقه ثلثة عهود العهد
الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقوله من بعد متعلق بينقضون ومن لابتداء الغاية كانه قال ابتدأ
نقض العهد من بعد ميثاقه والضمير في ميثاقه للعهد وقيل لله تعالى وعلى التقديرين فالميثاق بمعنيان اما اذا كان الضمير راجعا
الى العهد فاحد المعنيين هو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم وثانيهما ان يكون ميثاق العهد بمعنى توثقته كما ان
الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واما اذا كان الضمير راجعا الى الله تعالى فاحد المعنيين التوثقة اي من بعد توثقته تعالى
عليهم وثانيهما اي من بعد ما وثق الله به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله لعل له ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
عطف على ينقضون فهي صلة ايضا وما في قوله ما امر الله به موصولة وامر الله به صلتها وفائدتها وقوله ان يوصل في محل الجر
على البدل من الضمير في به اي ما امر الله بوصله او في محل النصب على ان يكون بدلا من امر الله بدل اشتمال او مفعولا له على تقدير
كراهة ان يوصل او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يوصل ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل او في محل الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يوصل ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام والقرابة وموالاة المؤمنين قاله
ابن عباس وقتادة والسدي وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في التفريق بينهم في ايمانهم
ببعض وكفرهم ببعض قاله مقاتل وقيل قطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه قال الحسن والامر طلب الفعل
وبعثه عليه ومراد بعضهم من هو دونه به سمي الامر الذي هو الداعي الذي يدعوا اليه من يتولاه تشبيها بامر يامره به فقيل له امر
تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده
قوله ويفسدون في الارض عطف ايضا على ينقضون اي على الصلة وفي الارض متعلق به قال ابن عباس يحكمون بغير الحق
ويستدعون الناس الى الكفر وقيل يفسدون في الارض بالمعاصي قاله السدي ومقاتل وقيل يعوقون الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل يقطعون الطريق على من جاء مهاجرا الى النبي ليمنعوا الناس من الاسلام وقيل المراد يصدون الناس عن طاعة
الرسول لان تمام الصلاح الى العين وفيه زوال النظام ورفع والله اعلم الذي به قامت السموات والارض والحمل على الكل اولى
قوله اولئك هم الخاسرون يحتمل ان يكون خبرا عن الذين ينقضون اذا جعل الذين مبتدأ فيكون الجملة في محل الرفع واذا لم يجعل الذين
ينقضون مبتدأ تكون هذه الجملة مستأنفة فلا محل لها من الاعراب والخسر في التجارة هو نقصان رأس المال هذا هو الاصل ثم
قيل لكل صائر الى مكروه خاسر لنقصان حظه من الخير وانما هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح وعقاب النقض والقطع والفساد بثواب الوفاء والوصل والصلاح وقيل انهم خسروا نعيم الجنة لانه
لا احد الا وله في الجنة اهل ومنزل فاذا اطاع الله ورسوله وجدهما وان عصى الله ورسوله ورثه المؤمنون فذلك قوله تعالى هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقيل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة وقيل انهم
خسروا حسناتهم التي عملوها لانهم احبطوها بكفرهم فلم يحصلوا منها خيرا ولا ثوابا قال الآية في اليهود ولهم اعمال في شريعتهم
وفي المنافقين وهم يعملون في الظاهر ما يعمله المخلصون فيحبط ذلك كله وقيل انهم انما اجتهدوا على الكفر خوفا من ان يفوتهم اللذات
العاجلة وانما فاتتهم ما عند الله بتصديق الرسول ثم اذونا في الجهاد فقد فوتهم وبالجملة ان الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل
عملا لا يجدي عليه فيقال له خاسر كالرجل الذي يعني ويتصرف في امر فلم يحصل منه على نفع قيل له قد خاب واذا اعطي شيئا
ولم ياخذ بازائه ما يقوم مقامه قيل له قد خسر فسمى الكفار الذين يشترون الضلالة بالهدى خاسرين قال الله تعالى ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قوله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ۝ لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة وما
اعد للكافرين من النار وانذارهم وما اعد للمؤمنين من الجنات وما فيها وبشرهم بها ذكر في هذه الآية على سبيل الانكار وطريق التعجب
كفر الكفار الذين حالهم انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم وكيف اسم استفهام يسئل عن الحال وهو هنا متضمنه معنى
الاستفهام وكيف في الآية في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه اي في اي حال تكفرون وعلى الحال عند الاخفش
اي على اي حال تكفرون والعامل فيها على القولين تكفرون وصاحب الحال الضمير في تكفرون ومعنى الاستفهام الذي في كيف المقصود
التقرير والتوبيخ تقريع وتوبيخ كيف تكفرون بالله مع اتفاق الحجاج اطربا وانت قنسري اراد انطرب وانت شيخ كبير وقيل الانكار والتعجب
وهذا التعجب للمؤمنين اي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم قال صاحب الكشاف ومعنى الهمزة التي في كيف مثله
في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره اتطير بغير جناح فان قلت قولك
اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج
الكفر في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عنه والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان
باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء
تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر

الكفر ونبا بها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم
ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني
والواو في قوله وكنتم امواتا للحال والجملة في محل النصب فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير
ولكن وقد قام الامير الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون
بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت
ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون
فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم
عالمون بهذه القصة وباولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما
صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال المتضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل
ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء الثاني
والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل اسم ملك وفي الحيوين الموتى قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين
قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقتم فخرجتم الى الدنيا فاحياكم ثم اماتكم الموتة المتعارفة ثم يحييكم
للبعث يوم القيمة وقيل كنتم امواتا بكون آدم من طين قبل ان يحيى ثم نفخ فيه الروح فاحياكم بحياة آدم ثم يميتكم الموت
المتعارف ثم يحييكم للبعث يوم القيمة وقيل كنتم امواتا في اصلاب ابائكم فاخرجتم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم الموت المعهود ثم
يحييكم للبعث يوم القيمة وقيل كنتم امواتا في الارحام قبل نفخ الروح ثم احياكم بالاخراج الى الدنيا ثم يميتكم الموت المعهود
ثم يحييكم للبعث يوم القيمة وقيل ان الله تعالى اخرج نسم بني آدم امثال الذر ثم اماتهم بعد ذلك فهو قوله وكنتم
امواتا فاحياكم بالاخراج الى الدنيا ثم يميتكم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيمة وقيل كنتم امواتا بالموت المعهود
ثم احياكم بالسؤال في القبور ثم اماتكم فيها ثم احياكم للبعث وقيل كنتم امواتا بالخمول فاحياكم بما ذكر وشرفتم بهذا
الدين على النبي عليه السلام والقول الاول اولى لانه مجيد للكفار عن الاقرار به في اول ترتيبه ثم قوله اولا كنتم امواتا معدومين
ثم للاحياء في الدنيا لم يلاما مدتها لقوى عليهم لزوم الاحياء الاخر وما جحدهم له دعوى لا حجة عليها قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة
كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس
وهذا السؤال انما يتوجه على من اختار ان المراد بقوله امواتا نطفا في اصلاب ابائكم كما اختاره صاحب الكشاف وانما قال
انما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى فهو بنا على مذهب المعتزلة ان شرط الحياة البنية قال صاحب الكشاف يجوز
ان يراد بالاحياء الثاني الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد بالاحياء الثاني النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء قوله
ثم اليه ترجعون اي ثم الى الله ترجعون اي الى حكمه لانه تعالى يبعث من في القبور ويجمعهم في المحشر وذلك هو الرجوع
الى الله تعالى وانما وصف بذلك لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم الا الله كقولهم رجع امر فلان الى الامير اي لا يحكم غيره
او ثم ترجعون الى موضع الجزاء والمعنى ترجعون الى ارادته ومشيته لانه تعالى في جهة فيرجعون اليها كما توهمه المجسمة
وتمسكوا به على انه جسم تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانما عطف قوله فاحياكم على ما قبله بالفاء والبواقي بثم
لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ والاماتة تعقبت تراخت عنه والاحياء الثاني تراخى عنها ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه ايضا يعلم تراخيه عنها والرجوع الى الحساب وحكم الله تعالى ايضا متراخ
عن النشور احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية فانه تعالى بين انه يحييهم مرة في الدنيا واخرى في الاخرى ولم يذكر
عذاب القبر ويؤكده قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولم يذكر حياة فيما بينهما الحال القبر ولا يلزم
انه لا يلزم من عدم الذكر في هذه الاية لان قوله ثم يحييكم ليس هو الحياة الدائمة يدل على ذلك قوله تعالى ثم اليه ترجعون
فان الحياة الدائمة عقيبها الرجوع الى الله تعالى والاحياء المذكور الذي هو مذكور قبل الرجوع اليه لا يكون عقيبه الرجوع
الى الله تعالى لقوله تعالى ثم اليه ترجعون فيكون الحياة المستفادة من قوله تعالى ثم يحييكم بين الاماتة وبين الحياة الدائمة
وهي عذاب القبر قال الحسن ما ذكر في هذه الاية من الحياة والموت والاماتة والاحياء انما هو للعامة فاما بعض الناس فله
موتة ثالثة يدل عليه قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله
مائة عام ثم بعثه وقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وقوله فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وقوله وكذلك
اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها واعلم ان هذه الاية دالة على انه لا يقدر على الاحياء والاماتة
الا الله تعالى فيكون ردا على اهل الطبائع ما ظنوه من قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر
وعلى صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليها لانه تعالى بين انه احيا بعد الموت في المرة الاولى فيصح
في المرة الثانية وانكار وجود الكفر لهم لدلالة العلم بالقصة التي ذكرها في الاية من حيث انها مشتملة على آيات بينات صارفة
عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان يشكر موليها ولا يكفر به واحتج المعتزلة بهذه الاية على ان الكفر ليس مخلوقا بل من العباد
بسبب اسناده اليهم وانكاره عليهم وتوبيخه اياهم باطل بما ذكر في المقدمة التاسعة عشر مجلدة في اصول الدين

واسناده اخر الاماتة اليه تبارك وتعالى مما يقوي ذلك القول واذا اردت نفوس الكفار لكونهم امواتا

منع هذا بل للقائل ان يقول ان الله تعالى اشار الى عذاب القبر بقوله عذاب الاليم

قوله تعالى

قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء
عليم ● لما ذكر في الاية المتقدمة ما يقتضي امتناع الكفر بالله من الاحياء بعد الموت ثم الاماتة بعد الاحياء ثم الاحياء ثم
الرجوع الى الله تعالى التي هي آيات بينات صارفة من الكفر ونعم جسام باعثة على الشكر ذكر في هذه الاية ما هو اعلى مرتبة في افادة
المقصود قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ترقيا من الادنى الى الاعلى كما هو مقتضى البلاغة وقوله هو
مبتدا والموصول مع صلته خبره ولكم متعلق بخلق اي خلق لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فلصلاح
ابداننا والتقوي على الطاعة واما الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع الحكيم القادر وما فيه من
التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها فان ما في الارض جميعا اشتمل على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه
والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش
والسموم والغموم والمخاوف فكانه سبحانه وتعالى قال كيف تكفرون بالله وهو قادر على الاحياء والاماتة ثم الاحياء والاعادة
وعلى خلق ما في الارض منعم عليكم بهذه النعم العظام وما موصول وفي الارض صلته والموصول مع صلته في محل النصب على انه مفعول
خلق وجميعا حال من المفعول بمعنى كل ولا دلالة له على المعية في الزمان وهذا هو الفارق بين قولك جاؤا جميعا وبين قولك جاؤا معا
وقيل هنا حال مؤكدة لان قوله ما في الارض عام قال اصحابنا ان الله تعالى لا يفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو
محال وقالت المعتزلة انه تعالى يفعل فعلا لغرض عائد الى غيره لا يكون مستكملا بذلك الغرض وتمسكوا بهذه الاية واجيب عنه بان عود ذلك
الى الغير اما اولى له تعالى من لا عوده اليه او ليس اولى والاول يقتضي الاستكمال بالغير لحصول ما هو اولى له والثاني لم يكن غرضا فاما
قوله لكم وامثاله يدل على الغرض ظاهرا لكن البرهان القطعي صارف عن حمله على ظاهره فهو متاول فتاويله انه تعالى لما فعل ما لو فعله
غيره لكان يفعله لذلك الشيء لاجل الغرض اطلق عليه اللفظ الدال على الغرض بسبب هذه المشابهة قال صاحب الكشاف قد استدل
بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل مثل السموم والبذور وغيره من القاذورات
خلقت في الاصل مباحة مطلقة لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ومن تابعه ان افعال العقلاء
قبل الشرع لا حكم لها لان القول بالتقبيح والتحسين العقليين باطل لان العقل لا يحكم في فعل من حكم الله اي فعل المكلفين بان ذلك
الفعل حسن او قبيح وبعد الشرع واما المعتزلة فقالوا الافعال اما ان يكون اضطرارية كالتنفس في الهواء ونحوه اولا والاولى يجب
القطع باباحتها والثانية اما ان يقضي العقل فيها بحسن او قبح اي يدرك العقل الحسن او قبحها اولا يقضي اي لا يدرك العقل
الحسن او قبحها فالاولى تنقسم الى الخمسة اقسام لانه يختص العقل فيها اما بالحسن واما بالقبح والاول اما ان لا يترجح وجوده
على تركه وهو المباح او يترجح وجوده على تركه وحينئذ اما ان يلحق بتاركه الذم وهو الواجب والا وهو المندوب والثاني اما ان يلحق
فاعله الذم وهو الحرام والا وهو المكروه والثانية وهي ان لا يقضي العقل فيها بحسن ولا قبح اختلفوا فيها على ثلثة مذاهب
الاول الحظر وهو مذهب معتزلة بغداد والثاني الاباحة وهو مذهب معتزلة البصرة الثالث التوقف عن الحظر والاباحة احتج
القائلون بالاباحة بهذه الاية تقرير الاحتجاج ان الله تعالى خلق ما ينتفع به من المطعوم وغيرها لنا بقوله تعالى خلق لكم ما في الارض
وليست للاضرار بالاتفاق فهو للانتفاع وهو اما التلذذ او الاجتناب مع الميل او الاستدلال على الصانع ان الاصل عدم الغير
ولا يحصل شيء منها الا بالتناول فيكون التناول مباحا والجواب انا لا نسلم انه خلقها لنا لان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض
والاية مأولة لما ذكرنا ولئن سلم انه خلقها لنا فلا نسلم ان الانتفاع لا يحصل بدون التناول فانه يجوز ان يكون خلقه ليصبر
المكلف على ترك التناول فيثاب على الصبر ومن المفسرين من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها فانه اراد بالارض الجهات السفلية
دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية والغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية قوله ثم استوى الى السماء
فسويهن سبع سموات الاستواء في كلام العرب على جهتين احدهما ان يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته او يستوي من اعوجاج
فهذان وجهان ووجه ثالث ان تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي وعلي فهذا معنى
قوله ثم استوى الى السماء وسال احمد بن يحيى ثعلبا عن الاستواء في صفة الله تعالى فقال الاقبال على الشيء قال الخوفي في معنى
استوى الى السماء اي قصد وقال الزجاج قال قوم في قوله ثم استوى الى السماء اي عمد وقصد الى السماء كما تقول فرغ
من بلد كذا ثم استوى الى بلد كذا معناه قصد بالاستواء اليه وقول ابن عباس ثم استوى الى السماء اي صعد معناه صعد امره
الى السماء وحكى اهل اللغة ان العرب تقول كان الامير يدبر اهل الشام ثم استوى الى الحجاز اي تحول فعله وتدبيره اليهم قال
صاحب الكشاف الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته
بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والتسوية
جعل الشيئين على استواء فقال سويت الشيئين فاستويا والضمير المرفوع المستتر الذي هو الفاعل في قوله استوى وسويهن
يعود على الله تعالى والضمير المنصوب الذي هو مفعول سويهن يرجع الى السماء لان السماء في معنى الجنس وقيل انه جمع سماءة
قال صاحب الكشاف الضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقوله ربه رجلا وهذا الوجه هو العربي لما فيه من الابهام
ثم التفسير فان المبهم اذا بين كان افخم واعظم من ان يبين اولا لانه اذا ابهم تشوقت النفوس الى الاطلاع عليه فاذا بين بعد
ذلك حصل للنفس لذة ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وما افتر
الاستواء القصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض لا بين خلقه ثم ان كان بمعنى التراخي والمهلة لان
ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين

امنوا على ثم لو كان بمعنى التراخي في الوقت لا يناقضه لان المعنى حينئذ قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك التاني في نفوذ
القصد اليها خلقا آخر وقوله ثم استوى لا يناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض خلقه قبل خلق السماء
ودحوها اي بسطها متاخر عن خلق السماء وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه
الارض عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك
قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وهو الالتزاق قال الامام ولقائل ان يقول هذا مشكل من وجهين
احدهما ايضا متاخر عن خلق السماء وفيه نظر فان بعد امتناع انفكاك خلقها عن التسوية ممنوع فانه يجوز ان يكون جرمها
قبل التسوية صغيرا وعند التسوية عظيما بانه لا امتناع في ان يكون الجسم الصغير بخلع مقدار صغير ثم يقبل مقدارا
كبيرا بطريق التخلخل وثانيهما ان قوله خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل على ان خلق الارض وخلق
كل ما فيها متقدم على خلق السماء وحينئذ يتحقق التناقض وفيه نظر لانه يجوز ان يكون الخلق بمعنى التقدير فيكون معنى قوله
خلق لكم ما في الارض قدر لكم ما في الارض فيكون تقدير ما في الارض متقدما على تسوية السماء سبع سموات فلا تناقض
ومنهم من دفع التناقض بان قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضي تقدم خلق السماء على دحو الارض ولا يقتضي ان تكون
تسوية السماء مقدمة على خلق الارض فلا تناقض قال الامام ولقائل ان يقول قوله تعالى انتم اشد خلقا ام السماء بناها
رفع سمكها فسواها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها متقدمين على دحو الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية
السماء مقدمة على خلق الارض فلا تناقض قال الامام ولقائل ان يقول ايضا لكن دحو الارض ملازم لخلق ذاتها
وحينئذ يعود السؤال وفيه نظر لانا لا نسلم ان دحو الارض ملازم لخلق ذات الارض وسند المنع ما ذكر ثم قال الامام
والجواب الصحيح ان قوله ثم ليس للترتيب هنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله قول الرجل لغيره اليس قد اعطيتك النعم
العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ولعل بعض ما اخر في الذكر قد تقدم فكذا هنا وسبع سموات منصوب
على انه بدل من الضمير المنصوب الذي هو مفعول لسوى في فسواهن واعلم ان اصحاب الهيئات قالوا
الاجسام تنقسم الى فلكية وعنصرية والعنصرية تنقسم الى بسائط ومركبات فالبسيط هو الذي لا يكون فيه
تركيب من طبايع والمركب بخلافه والبسائط كرية الشكل والعناصر البسيطة اربعة كرة النار ومكانها الطبيعي
ان يكون فوق الهواء بان يكون شاملا للهواء مماسا لمقعر فلك القمر وكرة الهواء ومكانه الطبيعي ان يكون شاملا لمقعر كرة
النار شاملا للماء والارض وكرة الماء المحيطة بثلثة ارباع الارض وكان حقه ان يحيط بالارض احاطة النار بالهواء
الا انه للحاصل في جوانب الارض تلال ووهاد سال الماء الى الاغوار وانكشفت المواضع المرتفعة فصار الماء
والارض بمنزلة كرة واحدة وذلك لحكمة من الله تعالى ورحمة منه ليكون منشأ للنبات ومسكنا للحيوانات واما
المركبات فانما خلقها الله تعالى من امتزاج هذه الاربعة الارض والماء والهواء والنار وهي المعادن والنبات والحيوان
واما الفلكية فهي بسائط تنقسم الى افلاك وكواكب والافلاك طريق اثباتها الاستدلال بالحركات الموجودة بالرصد
بعد تقرير اصولهم وهي اسناد كل حركة الى جسم يتحرك بالذات وبحركة يحويه بالعرض ووجوب الاتصال في حركاتها
المستديرة البسيطة ووجوب المشابهة فيها وامتناع الخرق والالتيام على اجرامها والطريق الى معرفة وجود الكواكب
هي المشاهدة لا غير واما الافلاك فهي اما كلية يظهر منها حركة واحدة بسيطة او مركبة واما جزئية ينفصل الكلية اليها
والافلاك الكلية الثابتة بالارصاد على الوجه الذي اثبتها المتاخرون تسعة محيط بعضها ببعض بحيث تماس مقعر
الحاوي محدب المحوي ومركز الجميع مركز الارض الذي يقال له مركز العالم واحد من التسعة غير مكوكب محيط بالثمانية الباقية
يتحرك ويحركها بالحركة اليومية من المشرق الى المغرب يسمى الفلك الاعظم والفلك الاطلس والعرش العظيم والجسم المحيط
لسائر الاجسام والمحدد للجهات ثم فلك الثوابت المتحرك بالحركة البطيئة من المغرب الى المشرق على قطبين ومنطقة غير قطبي
الفلك الاعظم ومنطقته ويسمى فلك البروج والكرسي ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس على راي
الاكثرين منهم ثم فلك الزهرة ثم فلك عطارد ثم فلك القمر وهذه السبعة تسمى ممثلات بافلاك الفروع فهذه هي الافلاك
الكلية واما الافلاك الجزئية فكل فلك من الافلاك الكلية للكواكب السيارة سوى الشمس تشتمل بتدوير فيحيط بالارض
في ثخن الخارج المركز يماس محدبه سطحيه على نقطتين يسمى بعدهما عن مركز الارض اوجا والاقرب منهما حضيضا واما الشمس فانه
يكتفى فيها بايجاد الفلكين لغنى خارج المركز والتدوير من غير رجحان لاحدهما على الآخر لكن القدماء منهم راوا اثبات خارج
المركز لها اولى وقد اثبتوا لعطارد فلكا آخر ايضا خارج المركز فلعطارد فلكا خارج المركز يشتمل الممثل على احدهما اشتمال
سائر الممثلات على امثالها وهو المسمى بالمدير ويشتمل المدير على الثاني اشتمال الممثل عليه وهو المسمى بالحامل للتدوير
وقد اثبتوا للقمر فلكا آخر مشتملا على فلكيه خارج المركز والتدوير ويسمى ذلك الفلك بالمائل وممثل القمر محيط بالمائل
ويسمى بفلك الجوزهر فيكون جميع الافلاك اربعة وعشرين عشرة منها موافقة المركز لمركز الارض وثمانية خارج المركز
عن مركز الارض وستة افلاك تداوير يتحرك الفلك الاعلى بالحركة الاولى اليومية السريعة ويحرك ما دونه بحركته ويتحرك
فلك الثوابت بالحركة الثانية البطيئة ويحرك ما دونه بها ولكل فلك من الافلاك الباقية حركة خاصة الا الممثلات الستة
التي فوق القمر فانها لا تتحرك غير الحركتين المذكورتين واما الكواكب فهي اجسام بسيطة شفافة كرية مركوزة في الافلاك مضيئة
بالذات الا القمر فانه يستفيد الضوء من الشمس ويشهد له بفوات نوره بحسب قربه من الشمس وبعده عنها وسبعة منها سيارة
كل في فلك على الترتيب الذي ذكر ومن السيارات خمسة متحيرة لها رجوع واستقامة ووقوف وهو ما عدا الشمس والقمر

واما الثوابت

واما الثوابت فغير محصورة وقد رصد منها الف واثنان وعشرون كوكبا كلها في الفلك الثامن وهو فلك البروج ويمكن ان يكون
في الفلك كثيرة ثم قالوا هذه الافلاك هي التي دل الرصد عليها ويجوز ان يكون افلاك اخر غيرها اذ لا جزم بنفي غيرها غاية ما في الباب
انه لا دليل على وجودها وعدم الدليل على وجودها لا يدل على عدمها ولهذا قال بعض المحققين من اصحاب الرصد انه لم يتبين لي الى الآن
ان فلك الثوابت كرة واحدة او كرات محيط بعضها ببعض فان الذي استدل به على انه كرة واحدة تشابه حركاتها فانه يدل على انها
مركوزة في كرة واحدة ولقائل ان يقول لا نسلم انها متشابهة في نفس الامر وفي الحقيقة بل غايته انها متشابهة في الحس ولكنه
في الحس لا يدل على التشابه في نفس الامر ولئن سلم التشابه في نفس الامر فلا يلزم وحدتها فانه يجوز ان يكون كل واحد من الكواكب
الثابتة في كرة ويكون تلك الكرات محيطا بعضها ببعض وحركات الجميع متشابهات كما في ممثلات السيارة فانها في حركتها متشابهة
متشابهة بحركة فلك الثوابت فانه يحتمل ان يكون الفلك الاعظم المتحرك بالحركة اليومية ليس جرما واحدا بل اجراما كثيرة متشابهة
في حركاتها على ان بعضهم اثبت فلكا فوق فلك الثوابت تحت الفلك الاعظم بسبب اختلاف مقدار الميل الكلي بين منطقتي الفلك
الاعظم وفلك البروج وقيل ان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا اي قدر لكم ما في جهة السفل وتشمل العناصر الاربعة
والمركبات من الجبال والمعادن والنبات والحيوان وقوله ثم استوى الى السماء اي قصد جهة العلو فسواهن سبع سموات اي الافلاك
السبع السيارة وتسويتهن عبارة عن تساويهن في المناظر والمراكز والحركات والفلك الثامن هو الكرسي والتاسع هو العرش واعلم
ان اصحاب الارصاد اضطربوا اضطرابا كثيرا في مقادير جرم الشمس واختلفوا في العود هل يكون متساويا او مختلفا فمنهم
من زعم ان اختلاف حركتها بسبب حركة اوجها ومنهم من زعم ان سببه انتقال فلك البروج وارتفاع قطبيه وانحطاطه وهذا
والاختلاف بينهم يدل على انه لا سبيل للعقول البشرية الى ادراك حقائق هذه الاشياء وانه لا يحيط بها الا العليم الخبير
الذي احاط بكل شيء علما فينبغي ان يقتصر فيها على الدلائل السمعية والتنصيص على سبع سموات لا يدل على نفي الزائد وهو
بكل شيء عليم مبتدأ وعليم خبره والجار مع المجرور متعلق بالخبر والعلم يتعدى بنفسه وقد تضمن معنى الاحاطة والتعلق فعدي
بالباء ولما كان الله عليما بكل شيء علم خلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت وخلق ما في الارض على حسب حاجات
اهلها ومنافعهم ومصالحهم تفضلا ولطفا فان الخالق على الوصف المذكور يكون عالما بكلياتها وجزئياتها مفصلها ومجملها
فلا حاجة لقول الفلاسفة القائلين بانه عالم بالكليات دون الجزئيات تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانه تعالى خالق هذا العالم
على سبيل الاحكام والاتقان والفاعل على سبيل الاحكام يجب ان يكون عالما بما فعله فهذه الدلالة ذكرها الله تعالى فان قلت
فانه قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم عقبه بقوله وهو بكل شيء عليم ويعلم من هذا
فساد قول المعتزلة وهو ان العبد موجد لافعال نفسه لانه لو كان موجدا لافعال نفسه لكان عالما بها وبتفاصيلها في الحقيقة
لانه سبحانه بين ان الخالق على سبيل التقدير والتحديد يجب ان يكون عالما به وبتفاصيله لان خالق الشيء مخصص بعدد دون عدد
والتخصيص بقدر دون قدر لا يتصور الا بارادة مخصصة لامتناع الرجحان من غير مرجح والارادة لا تتحقق الا بالعلم فلما حصل
للعبد هذا العلم علم انه غير موجد لافعال نفسه قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ۝ اعلم انه تعالى لما ذكر
انه خلق لبني آدم ما في الارض والسموات بان انعامه عظيم عليهم عقبه بذكر ما يدل على كيفية تعظيم الله تعالى آدم فيكون ذلك انعاما
عاما على بني آدم مقتضيا لان يعبدوه ولا يجعلوا لله اندادا نقل عن ابي عبيدة انه قال اذ صلة زائدة ملغاة لكن العرب يعتادون
التكلم بها والقرآن نزل بلغتهم وتقدير الكلام وقال ربك وقد تبعه ابن قتيبة وعاب ذلك عليهما ابن القاسم والزجاج وغيرهما
من المفسرين فقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه وليس في القرآن ما لا معنى له واذ معناه الوقت قيل نصب باضمار
اذكر فاضمر لان المعنى معروف ولانه تعالى قد كشف ذلك في كثير من المواضع كقوله واذكر اخا عاد واذكر عبدنا في القرآن كله والكلمة
الواحدة فلا يبعد ان يكون هذه المواضع المصرحة نزلت قبل هذه السورة فتركها هنا اكتفاء بذلك فيكون مفعولا به ورد
عليه بانه لا يتصرف فلا يكون مفعولا به وقيل اذ ظرف زمان ماض كما ان اذا ظرف زمان مستقبل وقد يوضع احدهما موضع الآخر اذا
جاء مع المضارع يخلصه للمضي كقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واذ يقول يزيد واذ يمكر واذا جاء اذا مع الماضي كان معناه
مستقبلا كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة والصاخة واذا جاء نصر الله ويبنى لشبهه بالحرف في الوضع والاحتياج الى
الجمل فعلية او اسمية واذا كانت فعلية ضعف تقديم الاسم وتاخير الفعل نحو اذ زيد قام ولا يضاف
الا باضافة الزمان اليه نحو يومئذ وحينئذ وقد يحذف الجملة المضاف هو اليها للعلم بها ويعوض عنها التنوين كقوله تعالى
وانتم حينئذ تنظرون وهو منصوب بقالوا الفصل وقال ربك جملة فعلية في محل خفض باضافة الظرف اليها واضافة الرب الى محمد
صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف منه له واظهار لاختصاصه به وللملائكة متعلق بقال واللام للتبليغ والملائكة
جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وان ملكا اصله ملاك والهمزة فيه زائدة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام
وحذفت الهمزة تخفيفا والجمع جاء على الاصل وهو مشتق من الالوكة اي الرسالة ففاؤه همزة وعينه لام ولامه كاف ثم قلبت العين الى
موضع الفاء والفاء الى موضع العين فصار ملاكا على وزن مفعل فيكون وزن ملك معالا بحذف الفاء وقيل هو مشتق من لاك اي
ارسل ايضا ففاؤه لام وعينه همزة ولامه كاف ثم نقلت حركة الهمزة وحذفت كما تقدم فوزن ملائكة على القول الاول معافلة
بالقلب وعلى القول الثاني مفاعلة قال الامام من الناس من قال الكلام في الملائكة ينبغي ان يكون مقدما على الكلام في الانبياء
لان الله تعالى قدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالرسل في قوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا انما يأتي به الملك فالواسطة بين الله والرسول في تبليغ الوحي والشرع وكان مقدما على الرسول

ومنهم من قال الكلام في النبوات مقدم على الكلام في الملائكة لانه لا طريق لنا الى معرفة وجود الملائكة بالعقل بل بالسمع فكان
الكلام في النبوات اصل الكلام في الملائكة فيجب تقديم الكلام في النبوات وهذا احسن واعلم انه لا نزاع بين العقلاء في ان شرف
الرتبة للعالم العلوي بما فيه الملائكة كما ان شرف الرتبة للعالم السفلي بما فيه الانسان لكن اختلف الناس في حقيقة الملائكة
وطريق ضبط المذاهب ان يقال لا يخلو ان يكونوا ذوات قائمة بانفسها فان تلك الذوات اما ان تكون متحيزة او لا والاول فيه
اقوال احدها انها اجسام لطيفة هوائية قائمة بانفسها فان تلك الذوات اما ان تكون متحيزة او لا والاول فيه اقوال احدها
انها اجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهذا مذهب اكثر المسلمين وثانيها ان الكواكب
هي الملائكة الموصوفة بالاسعاد والانحاس فانها احياء ناطقة فمنها المسعدات فهي ملائكة الرحمة ومنحسات فهي ملائكة العذاب وهذا
معظم طوائف من عبدة الاوثان وثالثها ان هذا العالم مركب من اصلين ازليين وهما النور والظلمة وهما في الحقيقة
جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب كريم النفس
يسر لا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة على ضد ذلك ثم ان جوهر النور لم يزل يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل
التولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين لا على سبيل التناكح وهذا قول
المجوس في الثنوية والثاني وهو ان الملائكة ذوات قائمة بانفسها وليست بمتحيزة وفيه قولان احدهما ان الملائكة في
الحقيقة هي النفوس الناطقة المفارقة لابدانها على نعت الصفاء والخيرية فان هذه النفوس المفارقة ان كانت صافية
خالصة فهي الملائكة وان كانت كدرة خبيثة فهي الشياطين وهذا قول طوائف من النصارى وثانيهما انها جواهر مجردة قائمة
بانفسها ليست بمتحيزة وانها بحقائقها مخالفة لحقيقة النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة منها واكثر
علما منها وانها للنفوس الناطقة البشرية جارية مجرى الشمس للاضواء ثم ان هذه الجواهر على قسمين منها ما هو بالنسبة
الى اجرام الافلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة الى ابداننا ومنها ما هو اعلى شانا من تدبير اجرام الافلاك
بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته مشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون ونسبتهم الى الملائكة الذين
يدبرون السموات كنسبة الملائكة المدبرين الى نفوسنا وهذا قول حكماء الاسلام وقد اتفقوا على اثبات هذين القسمين
ومنهم من اثبت نوعا اخر من الملائكة وهي الملائكة الارضية المدبرة لاحوال هذا العالم السفلي ثم ان مدبرات هذا
العالم ان كانت خيرة فهم الملائكة وان كانت شريرة فهم الشياطين فهذا تفصيل مذاهب الناس في الملائكة وقد اختلفوا
في انه هل يمكن اثبات وجودها بالعقل او لا سبيل الى اثباتها الا بالسمع فزعم الحكماء ان في العقل دلائل تدل على وجود
الملائكة وقد اودعوها في كتبهم وللمحققين من اصحابنا الاشاعرة ابحاث دقيقة عميقة مذكورة في كتبنا في اصول الدين
لا وجه لايرادها ههنا ولكن قد ذكر بعض الناس وجوها عقلية اقناعية فلا باس بايرادها ههنا منها ان المراد من الملك
الحي الناطق الذي لا يكون ميتا فالقسمة العقلية تقتضي وجود اقسام ثلثة فان الحي اما ان يكون ناطقا وميتا وهو
الانسان او يكون ناطقا ولا يكون ميتا وهم البهائم او يكون ناطقا ولا يكون ميتا وهم الملائكة ولا شك ان اخس هذه المراتب
هو الميت غير الناطق واوسطها الناطق الميت واعلاها الناطق الذي ليس بميت فاذا اقتضت الحكمة الالهية والعناية
الربانية ايجاد اخسها واوسطها فالاولى ان تقتضي ايجاد اعلاها ومنها ان الفطرة السليمة تشهد بان العالم العلوي اشرف
من هذا العالم السفلي وتشهد بان الحياة والنطق من اشرف الامور فيستبعد في العقل ان يقتضي لوجود الحياة والنطق
في العالم السفلي الكدر الظلماني ولا يقتضي في العالم العلوي الذي هو عالم النور والصفاء والشرف ومنها ان اصحاب
المجاهدات الذين في حال حياتهم كانهم نضوا جلابيب ابدانهم وتجردوا الى عالم القدس يثبتونها من طريق المكاشفة
وجهة المشاهدة واصحاب الحاجات الضرورية اثبتوها من طريق اخرى وهي ما يشاهدون من عجائب اثارها في الهداية
الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج تاليف الترياقات ومما يدل على ذلك الرؤيا الصادقة
فهذه الوجوه اقناعية عند من يسمعها ولا مرية انها قطعية عند من جربها وشاهدها واطلع على اسرارها واما الدلائل
السمعية فانه علم بالتواتر ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم باجمعهم اثبتوا الملائكة فقال عليه السلام اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع والاط من الاطيط وهو صوت الرحل والابل
من ثقل احمالها يقال لا امك ما اطت الابل وروي ان بني ادم عشر الجن والجن وبنو ادم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم
عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء
الدنيا وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة سماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي
نزر قليل ثم هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طوله وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما فانها كلها تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا وما من مقدار
موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون
حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله تعالى قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم هؤلاء ملائكة
اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه الصلاة والسلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه الصلوة والسلام وهم كلهم
سامعون مطيعون لا يفترون مشتغلون بعبادته رطب الالسنة بذكره وتعظيمه يتسابقون في ذلك منذ خلقهم
لا يستكبرون عن عبادته اناء الليل ولا يسامون لا تحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفية عبادتهم قال الامام رأيت
في بعض كتب التذكير ان النبي عليه السلام حين عرج به رأى ملائكة في موضع بمنزلة سوق يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم
قد رايته قبل ذلك ثم سالوا واحدا منهم فقيل له منذ كم خلقت قال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق كوكبا في كل اربعمائة
الف سنة فخلق ذلك الكوكب منذ خلقني اربعمائة الف مرة فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اجل كماله واعلم انه تعالى
ذكر في القرآن اصنافهم واوصافهم اما الاصناف فاحدها حملة العرش وهو قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
وثانيها الحافين حول العرش على ما قال سبحانه وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وثالثها اكابر
الملائكة منهم جبريل وميكائيل قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
ثم انه سبحانه وصف جبريل بانه صاحب الوحي الى الانبياء قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين الثاني انه
تعالى ذكره قبل سائر الملائكة في القرآن قال تعالى من كان عدوا لجبريل ولان جبريل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب
الارزاق والاغذية والعلم الذي هو الغذاء الروحاني اشرف من الغذاء الجسماني فيكون جبريل اشرف من ميكائيل الثالث
انه تعالى جعله ثاني نفسه قال تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الرابع سماه روح القدس قال في حق عيسى اذ
ايدتك بروح القدس الخامس انه تعالى مدحه بصفات ستة فقال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين فهو رسول الله الى جميع الانبياء والرسل واشتهر كرمه على ربه انه جعله واسطة بينه وبين اشرف عباده
وهم الانبياء وقوته انه رفع مدائن لوط الى السماء وقلبها ومكانته عند الله انه جعله ثاني نفسه في قوله فان الله هو مولاه
وجبريل وكونه مطاعا انه امام الملائكة ومقتداهم وكونه امينا فهو قوله نزل به الروح الامين على قلبك ومن اكابر الملائكة
اسرافيل وعزرائيل وقد ثبت وجودهما بالاخبار وثبت بالخبر ان عزرائيل هو ملك الموت على ما قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم ولما قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فذلك يدل على وجود ملائكة موكلين بقبض الارواح وقال
تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم واما اسرافيل فقد دلت الاخبار على انه صاحب
الصور على ما قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
ورابعها ملائكة الجنة قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وخامسها ملائكة النار قال تعالى
عليها تسعة عشر وقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ورئيسهم مالك وهو قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
واسم جملتهم الزبانية وسادسها الموكلون ببني ادم لقوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة وسابعها كتبة الاعمال وهو قوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وثامنها الملائكة الموكلون
باحوال هذا العالم وهم المرادون بقوله والصافات صفا الى قوله فالتاليات ذكرا وبقوله والذاريات ذروا الى قوله فالمقسمات
امرا وبقوله تعالى والنازعات غرقا الى قوله فالمدبرات امرا وعن ابن عباس قال ان لله تعالى ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط
من ورق الشجر فاذا اصاب احدكم عرجة بارض فلاة فليناد اعينوا عباد الله واما اوصاف الملائكة فمن وجوه احدها ان الملائكة
رسل الله قال تعالى جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة اما قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا فهو يدل على ان بعضهم رسل
وثانيها قربهم من الله تعالى ويمتنع ان يكون بالمكان والجهة فلم يبق الا ان يكون ذلك القرب بالشرف وهو المراد من قوله ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته وقوله بل عباد مكرمون وقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وثالثها وصف طاعتهم
وذلك من وجوه الاول قوله تعالى حكاية عنهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقال تعالى في موضع اخر وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون واستمرار ما كانوا عليه في ذلك فثبت بذلك مواظبتهم على العبادة الثاني مبادرتهم الى امتثال امر الله تعالى
له وهو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الثالث انهم لا يعملون الا بوحيه وامره قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون ورابعها وصف قدرتهم وذلك من وجوه الاول ان حملة العرش وهم ثمانية يحملون العرش والكرسي الذي هو اصغر من العرش
اعظم من جملة السموات السبع لقوله وسع كرسيه السموات والارض فانظر الى نهاية قدرتهم وقوتهم الثاني ان علو
العرش لا يحيط به الوهم ويدل عليه قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم انهم
لغاية قدرتهم وشدة قوتهم ينزلون منه في لحظة واحدة الثالث قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فصاحب الصور بلغ في القوة الى حيث بنفخة واحدة
منه يصعق من في السموات والارض وبالنفخة الثانية يعودون احياء فاعرف عظم هذه القوة الرابع ان جبريل بلغ من
قوته ان قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة وخامسها وصف خوفهم ويدل عليه وجوه الاول انهم مع كثرة عباداتهم
وعدم اقدامهم على الزلات البتة يكونون خائفين وجلين حتى كان عباداتهم معاصي قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال
وهم من خشيته مشفقون الثاني روى البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس قال بينما رسول الله ومعه جبريل
اذ انشق افق السماء فاقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله
فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويخيرك بين ان تكون نبيا عبدا وبين ان تكون نبيا ملكا قال جبريل عليه السلام
الي بيده اي تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت عبدا نبيا فعرج ذلك الملك الى السماء فقلت يا جبريل قد كنت اردت
ان اسالك عن هذا فرايت من حالك ما شغلني عن المسئلة فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه
صافا قدميه لا يرفع طرفه وبين الرب وبينه سبعون نورا ما منها نور يدنو منه الا احترق بين يديه اللوح المحفوظ
فاذا اذن الله في شيء من السماء او من الارض ارتفع ذلك اللوح حتى يضرب جبينه فينظر فيه فان كان من عملي امرني به وان كان

من عمل ميكائيل امره به وان كان من عمل ملك الموت امره به قلت على اي شيء انت قال على الرياح والجنود قلت على اي شيء ميكائيل
قال على النبات قلت على اي شيء ملك الموت قال على قبض الانفس وما ظننا الا انه هبط لقيام الساعة وما ذاك الذي
رايت مني الا خوفا من قيام الساعة واختلفوا في ان المراد من الملائكة في قوله واذ قال ربك للملائكة كل الملائكة او بعضهم
قال السدي نقلا عن ابن عباس انهم جميع الملائكة وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم الذين كانوا مع ابليس حين اهبط الى الارض
ونقل انه كان في الارض قبل آدم خلق فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا فبعث الله ابليس في جماعة
من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة
وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر المفعول الاول خليفة والثاني في الارض ومعناه مصيّر
في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والقائم مقامه يقال خلف فلان وخليفته والاصل خليف بغير هاء فدخلت
الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف كما قالوا علامة ونسابة والمعنى خليفة منكم لان الملائكة كانوا سكان الارض فخلفهم
فيها آدم وذريته وذلك ان الله تعالى خلق السموات والارض وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن
الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة
يقال لهم الجن رئيسهم ابليس وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا الى الارض وطردوا الجن عن وجهها
الى شعاب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وكانوا اخف الملائكة عبادة لان اهل السماء الدنيا اخف عبادة من
الذين فوقهم وكذا اهل كل سماء ثم الملائكة لما صاروا سكان الارض خفف الله عليهم العبادة فاحبوا البقاء
في الارض وكان الله تعالى قد اعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنان وكان يعبد الله تارة في الارض
وتارة في السماء وتارة في الجنة فاعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله تعالى على ما انطوى عليه من الكبر فقال له ولجنده
اني جاعل في الارض خليفة وهو قول ابن عباس والحسن ولم يقل خلائف او خلفاء فانه اراد بالخليفة آدم واستغنى بذكره
عن ذكر ذريته كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اراد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحّد لذلك وقيل
المعنى خليفة مني الله تعالى في اقامة شرعه ودلائل توحيده والحكم في خلقه وهو قول ابن مسعود ومجاهد لان آدم خليفة الله
في ارضه وكذلك كل نبي قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وقيل المراد بقوله خليفة ولد آدم وانما سماهم
خليفة لانهم يخلفون بعضهم بعضا وهو قول الحسن ويؤكده قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض والخليفة اسم
يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والانثى والارض ههنا الغبراء باسرها من المشرق الى المغرب وروي عن عبد الرحمن بن
سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دحيت الارض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهو اول من طاف
وهي الارض التي قال الله اني جاعل في الارض خليفة والمقصود في اخبار الله تعالى الملائكة بذلك اي بانه جاعل في الارض
خليفة ليسئلوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل وجود بني آدم صيانة للملائكة
عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها
على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة وقيل ان الله تعالى علم في نفس ابليس
كبرا فاحب ان يطلع الملائكة عليه وان يظهر ما سبق في علمه رواه الضحاك عن ابن عباس والسدي عن اشياخه
والثاني انه اراد ان يبلو طاعة الملائكة قاله الحسن والثالث انه لما خلق النار خافت الملائكة فقالوا ربنا لمن خلقت
هذه قال لمن عصاني فخافوا وجود المعصية منهم وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم فقال لهم اني جاعل في الارض خليفة
قاله ابن زيد والرابع انه اراد اظهار عجزهم عن الاحاطة بعلمه فاخبرهم حتى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فاجابهم
اني اعلم ما لا تعلمون والخامس انه اراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده ليكونوا معظمين له اذا اوجده والسادس
انه اراد اعلامهم بانه خلقه ليسكنه الارض وان كان ابتداء خلقه في السماء قوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء الهمزة في اتجعل للاستفهام على بابها وقيل للتعجب وقيل انها على صورة الاستفهام ومعناها
الايجاب تقديره ستجعل قاله ابو عبيدة وقيل انهم قالوا الاستفهام من وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض ذكره الزجاج
وقيل انهم سألوا عن حال انفسهم فتقديره اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك ام لا قال صاحب الكشاف
اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد
الا الخير وفيه رائحة الاعتزال وفيها الاولى متعلقة بتجعل ان قيل ان قوله تجعل بمعنى يخلق ومن له من يفسد
مفعول به لتجعل وان قيل ان قوله تجعل بمعنى يصير يكون فيها الاولى مفعولا ثانيا قدم على الاول وهو من يفسد ويحتمل ان يكون
من موصولة صلتها يفسد وحينئذ لا محل للجملة التي هي صلة ويحتمل ان يكون موصوفة صفتها يفسد وحينئذ يكون محلها النصب
لانها صفة لقوله من الذي هو في محل النصب على انه مفعول به وفيها الثانية متعلقة بيفسد ويسفك عطف على يفسد
والسفك هو الصب ولا يستعمل الا في الدم وقال الجوهري يستعمل في الدمع ايضا والدماء جمع دم وهو اسم معرب فيه لم
اذ يكون لامه محذوفة فيجوز ان يكون واوا وان يكون ياء لقولهم في التثنية دموان ودميان ووزنه فعل بسكون العين
او فعل بفتحها قولان واصل الدماء دماو او دماي قلبت عين العلة همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وقد
اختلفوا في اخبار الملائكة عن الفساد وسفك الدماء حصل عن الوحي او قالوه استنباطا وظنا فمنهم من ذكر
ذلك استنباطا وظنا ثم ذكر فيه وجهان الاول عن ابن عباس والكلبي انهم قاسوا احد الثقلين اعني الانس على الاخرى
اي الجن حيث اسكنوا الارض قبل آدم فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة والثاني انهم عرفوا خلقته وعرفوا انه مركب من الاخلاط

الاربعة

الاربعة الصفرا والدم والسودا والبلغم وتولد الشهوة والغضب اللذين يقتضيان الفساد وسفك الدماء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك [illegible]
[illegible] التسبيح [illegible]
في الذات والصفات والافعال [illegible]
[illegible] الجسمية والعرضية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سبحانه هو الغني ومنها انه الذي بيده
ملكوت كل شيء فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ومنها انه العالم بالغيب ومنها انه المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه
ان يكون له ولد ومنها انه المنزه عما يصفون سبحانه وتعالى عما يصفون واما الثاني وهو التعجب ففي وجوه منها انه الذي
سخر لنا البهائم القوية سبحان الذي سخر لنا هذا ومنها هو الذي اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون سبحانه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون ومنها انه الذي لا علم لاحد الا بتعليمه سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والواو في قوله ونحن نسبح
للحال والجملة من مبتدا وخبر في محل النصب على الحال وبحمدك متعلق بمحذوف لانه في موضع الحال والباء فيه للمصاحبة
اي نسبح ملتبسين بحمدك اي حامدين لك فهما حالان متداخلان اي حال في حال وقيل الباء للسببية وقيل يحتمل ان تكون
بحمدك اعتراضا بين الكلامين كان الملائكة قالوا ونحن نسبح ثم اعترضوا على جهة التسليم اي وانت المحمود في الهداية الى
ذلك ونقدس لك وكان نجعل الباء للسببية ويكون متعلقة بفعل محذوف مناسب المعنى اي حصل لنا التسبيح والتقديس
بسبب حمدك والحمد مصدر مضاف الى المفعول وفاعله محذوف اي يحصل لنا التسبيح والتقديس بسبب حمدنا
اياك ونقدس عطف على نسبح ومفعوله محذوف اي نقدس ونطهر لاجلك نفوسنا من الشرك بك والالتفات الى غيرك وابداننا
عن معصيتك وقيل معنى قولك نقدس لك اي نقدسك اي نعظمك ونطهر ذكرك عما لا يليق بك فتكون اللام زائدة
لان ما قبلها متعد بنفسه قيل هذا ضعيف لان اللام لا تزاد الا مع تقديم المعمول او يكون العامل فرعا وقيل اللام للتعدية
نحو سجدت لله وقيل للبيان كهي في قولك سقيا لك فعلى هذا يتعلق بمحذوف ويكون خبر مبتدا مضمر اي تقديسنا لك
وقيل معناه نحن نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك كما قال داود عليه السلام يا رب كيف اقدر
ان اشكرك وانا لا اصل الى شكر نعمتك الا بنعمتك فاوحى الله اليه الآن قد شكرتني حيث عرفت ان كل ذلك مني قال الحسن معناه
نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الملائكة وتسبيحهم وعليها يرزقون ويدل عليه الحديث المروي عن ابي ذر انه
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل فقال لنا ما اصطفاه الله عز وجل للملائكة سبحان الله وبحمده
وقيل معناه ونحن نصلي لك بامرك والتسبيح يكون بمعنى الصلاة ومنه قيل للصلاة سبحة وقيل معناه نصلي ونقرأ فاتحة
الكتاب وقيل في الآية تقديم وتأخير والتقدير نحن نسبح ونقدس لك بحمدك لانه اذا حملت الآية على التأويل الاول
ضاهى قول الملائكة التزكية والادلال بالعمل واذا حملت على هذا التأويل ضاهى قوله التحدث بنعمة الله واضافة المنة
الى الله تعالى فكانهم قالوا وان سبحنا وقدسنا واطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بانفسنا اتفق الجمهور من علماء الدين
على عصمة الملائكة من الذنوب وخالفهم طائفة من الحشوية في ذلك احتج الاولون بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يشمل جميع فعل المأمورات وترك
المنهيات وبقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وبقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومن كان
هذا شانه امتنع عصيانه احتج المخالف بقوله تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الآية وهذا يقتضي صدور الذنب
عنهم لان هذا اعتراض على الله تعالى وهو من اعظم الذنوب ولانهم طعنوا في بني آدم بالفساد وسفك الدماء وهو غيبة
والغيبة ذنب ولانهم ليس طعن في بني آدم مدحوا انفسهم بما قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وبما قالوا وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وهذا للحصر فكانهم نفوا كون غيرهم كذلك وذلك يشبه العجب والغيبة وهو من الذنوب
المهلكة قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وذكر فيها اعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ولا تزكوا انفسكم ولان
قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا يشبه الاعتذار والاعتذار دليل صدور الذنب ولان قوله انبئوني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين يدل على انهم كانوا كاذبين والكذب ذنب ولان قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون يدل على انهم كانوا مرتابين بذلك قبل هذه الواقعة وانهم كانوا شاكين في ان الله تعالى عالم بكل المعلومات
ولانهم قالوا اتجعل فيها من الاستنباط والظن والقدح في الغير على سبيل الظن لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به

سبحانه عالم الغيب

نزلوا ويفعلون ما يؤمرون

علم وجهه انه الطعن لا يبني من الحرث شيئا والجواب عن قولهم انهم اعترضوا على الله وهذا من اعظم الذنوب انه ليس غرضهم من هذا السؤال
الاعتراض على الله تعالى ولا التنبيه على شيء كان غافلا عنه فان اعتقاد ذلك كفر بل المقصود من هذا السؤال امور منها ان الانسان
اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رأى ان ذلك الغير يفعل فعلا لا يطلع على وجه الحكمة فيه فيقول اتفعل هذا كانه يتعجب من كمال حكمته
وعلمه ويقول اعطاء هذه النعم العظيمة لمن يفسد ويسفك الدماء لا تهتدي العقول فيها الى وجه الحكمة فاذا كنت تفعلها واعلم
انك لا تفعلها الا لحكمة بالغة انت مطلع عليها فما اعظم حكمتك واجل علمك فالحاصل ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها كانه
تعجب من كمال علم الله واحاطة حكمته بما خفي على اولي الالباب ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب المزيل له مستحسن فاوردنا
هذا الاشكال لنعلم الجواب ومنها ان الشرور وان كانت حاصلة في تركيب هذا العالم السفلي لكنها من لوازم الخيرات الحاصلة منه
غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر عظيم فالملائكة ذكروا تلك الشرور فاجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون يعني ان
الخير الحاصل فيهم اكثر من الشر الذي ذكرتم والحكمة تقتضي ايجادها لهذا السبب وهذا جواب الحكماء ومنها ان سؤالهم كان صادرا
عن شدة حبهم لله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه وعن قوله انهم طعنوا في بني آدم
والطعن غيبة وهي ذنب ان المراد من السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال لا للغيبة فلهذا ذكروا من بني آدم ما بين الصفتين وعن
قولهم انهم مدحوا انفسهم وذلك يورث العجب والتزكية بان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا لقوله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث وبانه يحتمل ان يكون قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لم يريدوا به مدح النفس بل مقصودهم ان هذا السؤال ما
اوردناه لنقدح به في حكمتك فانا نسبح بحمدك ونقدس لك ونعترف لك بالالهية والحكمة بل اوردناه لطلب وجه الحكمة
على سبيل التفصيل وعن قوله لا علم لنا الا ما علمتنا يشبه الاعتذار الدال على صدور الذنب بان هذا السؤال وان لم
يكن معصية لكن تركه اولى فلما تركوا هذا الاولى كان ذلك الاعتذار من ترك الاولى لا لارتكاب الذنب وعن قوله ان كنتم
صادقين يدل على انهم كانوا كاذبين بل انما ذكره على سبيل الفرض ليعلموا على سبيل التحقيق وعن قوله ان قوله تعالى الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات الى آخره يدل على انهم ما كانوا عالمين وانهم كانوا شاكين في ان الله تعالى عالم بكل المعلومات بانه لا يدل
على ذلك اصلا لا على سبيل القطع ولا على وجه الظهور وعن قوله انهم قالوه لاستنباط على الظن لا على وجه القدح والطعن
بل على وجه الحكمة قوله تعالى قال اني اعلم ما لا تعلمون فاعل قال هو الله واصل اني انني فاجتمع ثلث نونات فالنهاية نون الوقاية
محذوفة لثانية والجملة في محل النصب لانه مقول قال واعلم فعل مضارع وما مفعول بها اما موصولة او نكرة موصوفة وعلى
التقديرين العائد محذوف اي تعلمونه ولا يلتفت الى قول من يقول اعلم اسم بمعنى عالم وما في محل جر بالاضافة وبنصب باعلم ولم
يوجد العلم بعدم انصرافه ولا الى قول من يقول اعلم على بابه من كونها للتفضيل والمفضل عليه محذوف اي اعلم منهم وما منصوبة
بفعل محذوف دل عليه افعل اي علمت ما لا تعلمون فان ادعاء مثل هذا في الآية الكريمة بعيد عن البلاغة وقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون
جواب عن السؤال الذي ذكره الملائكة وفيها اقوال منها ان معناه اعلم ما في نفس ابليس من البغي والمعصية قال ابن عباس كان
ابليس قد اعجب ودخله الكبر لما جعله الله خازن سماء الدنيا وشرفه وقيل لما بعثه الله الى قتال الجن الذين كانوا افسدوا في الارض
فهزمهم وقتلهم بجنده فاعتقد ان ذلك لمزية له واستحق الكفر والمعصية في جانب آدم فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وهم لا يعلمون ان في نفس ابليس خلاف ذلك قال الله لهم اني اعلم ما لا تعلمون يعني ما في نفس ابليس ومنها اني اعلم
انه سيكون من ذلك الخليفة الانبياء والصالحون قاله قتادة ومنها اني اعلم ما لا تعلمون من تفضيل آدم عليكم وما اتعبدكم
به من السجود واظهار فضله بعد علمكم من تعليم الاسماء وذلك انهم قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا افضل ولا
اكرم عليه منا وان كان خيرا منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فلما اعجبوا بعلمهم فضل الله آدم عليهم ومنها
اني اعلم انهم يذنبون فيستغفرون الحق يقولون ربنا ظلمنا انفسنا والخ اغفر لهم ومنها اني اعلم من المصالح والحكمة في ذلك ما لو
ظهر عليكم وانما بينت لكم ان تعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليكم وجه الحسن والحكمة فانبأكم بعض
ذلك على وجه التفصيل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين ● لما سأل الملائكة عن وجه الحكمة في ذلك فاجابهم على سبيل الاجمال بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اراد ان
يبين لهم بيانا وان يفصل لهم ذلك المجمل فبين تعالى لهم من فضل آدم ما لم يكن معلوما لهم وذلك بان علم آدم الاسماء كلها
ثم عرضهم عليهم ليظهر كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتاكد الجواب الاجمالي بالجواب التفصيلي قوله وعلم هذه الجملة
يحتمل ان يكون استئنافا فلا يكون لها محل من الاعراب وان يكون معطوفا على قوله قال ربك فيكون في محل الجر لكونهما
مضافا اليهما اذ وعلم متعدية الى مفعول واحد لانها بمعنى عرف فتعدت بالتضعيف الى مفعولين وفاعل علم ضمير مستتر
عائد الى قوله ربك ومفعولها الاول آدم والثاني الاسماء والآدم جمع ادم وربما سمي وجه الارض اديما والادمة باطن الجلد
الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها والادمة السمرة والادمة ايضا الوسيلة الى الشيء والادم من الناس الاسمر والادم
ابو البشر قيل انه مشتق من الادمة اي السمرة وهي حمرة الى السواد وقيل انه مشتق من اديم الارض وهو وجهها وهو على القولين
ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل لانه افعل لكن همزته الثانية فاذا احتجت الى تحريكها جعلتها واوا فقلت اوادم
في الجمع لانه ليس لها اصل في الياء معروف فجعلت الغالب عليها الواو واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو
اشتقاقهم يعقوب من العقب لانه يعقب عيصا في الولادة وادريس من الدرس وابليس من الابلاس اي الاياس لانه ايس
من رحمة الله تعالى وما آدم الا اسم عجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك
الاسماء كلها اسماء اولاد آدم واحتج من قال اللغات توقيفية بظاهر هذه الآية بانه لو لم تكن معلمة من عند الله تعالى واللازم

فالملزوم كذلك والملازمة ظاهرة اما بطلان اللازم فان قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها يدل على ان الاسماء معلمة من عند الله
واذا ثبت التعليم في الاسماء ثبت في الافعال والحروف اذ لا قائل بالفصل ولان التكلم بالاسماء وحدها متعذر فلا بد من تعليم
الاسماء من تعليم الافعال والحروف ايضا الافعال والحروف اسماء من حيث انها ترفع المسمى الى الاذهان او سمة والتخصيص بهذا
النوع من الالفاظ من اصطلاح اهل العربية واورد على هذا الدليل بانه لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله تعالى وعلم آدم الاسماء
كلها انه تعالى الهمه الاحتياج الى هذه الالفاظ واعطاه من العلوم ما لاجله قدر على وضع الاسماء فيكون المراد من التعليم جعله
صالحا لترتب العلم عليه لا ايجاد العلم فعله بذلك يقال علمه فلم يتعلم ولو كان التعليم ايجاد العلم لما صح ذلك الكلام ولئن
سلمنا انه ليس المراد الالهام ولكن لم لا يجوز ان يكون اصطلاحات قوم خلقهم الله تعالى قبل خلق آدم فعلمه الله سبحانه
وتعالى الاصطلاحات السابقة واجيب عن المعنيين بانه خلاف الظاهر فان الاصل في التعليم ايجاد العلم لا الالهام وكذا
الاصل عدم اصطلاح سابق وان كان خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل واورد ايضا على الدليل المذكور فانه
قالوا المراد من الاسماء في الآية المذكورة حقائق الاشياء وصفاتها فيكون معنى قوله وعلم آدم الاسماء ان الله تعالى
علم آدم حقيقة كل شيء وصفته مثل ان الخيل حقيقة كذا وانه يصلح للكر والفر والجمل للحمل والثور للزرع والذي
يدل على انه اراد الحقائق لا الالفاظ قوله تعالى ثم عرضهم لانه لما كان الضمير راجعا الى الحقائق وفيها ذوو عقول اختار
ضمير العقلاء تغليبا لهم فلو كان المراد من الاسماء الالفاظ لما عرضها اجيب بان المراد من الاسماء الالفاظ لا الحقائق بدليل
قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء فانه اضاف الاسماء الى هؤلاء فلو كان المراد من الاسماء الحقائق لزم اضافة الشيء الى نفسه
والضمير في قوله تعالى ثم عرضهم راجع الى المسميات ولا منافاة بين كونه راجعا الى المسميات وبين كون الاسماء الفاظا و
لترجح التفسير لان الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم
يستلزم المسمى وعوض عن المضاف اليه كقوله تعالى واشتعل الرأس قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك علمه اسم كل
شيء حتى القصعة والقصيعة قال بعضهم خلق الله تعالى كل شيء من الحيوان والجماد وغيرهما ثم علم آدم اسماءها وقال له يا آدم هذا
حمار وهذا بغل يعني تعليمه اسماء المسميات انه اري آدم الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا
اسمه كذا وهذا اسمه كذا حتى انتهى الى آخرها وعلمه احوال الاجناس وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية وقيل علم آدم
اسماء معدودة لمسميات مخصوصة ثم فيها اربعة اقوال احدها اسماء الملائكة وهو قول ابي العالية وثانيها اسماء ذريته
قاله عبد الرحمن بن زيد وثالثها اسماء الاجناس دون انواعها نحو انسان وملك وجني وطائر وهو قول عكرمة ورابعها اسماء
ما خلق في الارض من الدواب والهوام والطير وهو قول الكلبي ومقاتل وابن قتيبة وقيل معناه وعلم آدم مسميات الاسماء
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ورد بان التعليم يجب تعلقه بالاسماء لا المسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء
وقوله انبئهم باسمائهم وقوله فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا المسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وانبأهم
بهم وجب تعليق التعليم بالاسماء قوله ثم عرضهم على الملائكة العرض لغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت
المتاع على البيع اذا اظهرته للمشتري قال الله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اي ابرزناها حتى رأوها اي عرض المسميات
العقلاء تغليبهم قال ابن عباس للملائكة هنا هم الذين كانوا مع ابليس خاصة قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين انبئوا الخبر يقال نبأ وانبأ اي اخبر واصل انبأ ان يتعدى الى مفعولين اولهما بنفسه وثانيهما بالباء كما في هذه الآية
وقد يحذف الباء قال تعالى من انبأك هذا وقد يتضمن معنى اعلم اليقينية فيتعدى الى ثلثة مفاعيل نبأ واخبر وخبر وحدث مثل
انبأ وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يطمعون انهم علم من الخليفة الذي يجعل الله
في الارض ومن الناس من تمسك بقوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق لانه تعالى امر الملائكة بان يخبروا مع
انه عالم بعجزهم عنه وهو ضعيف لقوله تعالى انما استنبائهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت فان قرينة الحال دالة على
ان المراد بانبئوني ليس طلب وجود الانباء بل اظهار عجزهم وتبكيتهم قوله تعالى ان كنتم صادقين كنتم في موضع الجزم بان وجواب
الشرط محذوف عند سيبويه اي ان كنتم صادقين فانبئوني وما تقدم قرينة دالة على الجواب المحذوف وقيل ما تقدم جواب
وهو ضعيف لانه يكون صدر الكلام ولانه يلزم ان يتخلل ان لم يمنع ان يكون الشرط جوابا لان جواب الشرط متأخر اي
قوله ان كنتم صادقين في زعمكم ان الخليفة الذي جعله في الارض يفسد فيها ويسفك الدماء اراد الله تعالى بذلك الرد اي
كيف تدعون علم ما لم يكن بعد ثم لا تعلمون علم ما ترون وتعاينون قال الحسن وقتادة ان كنتم صادقين انه لا اخلق
خلقا الا كنتم اعلم وافضل منه وقيل انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في ذلك الانباء وقيل انبئوني لا تقولوا الا
صدقا وحقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور والعجز لانه متى ثبت في نفوسهم انهم ان اخبروا ولم يكونوا صادقين
ولا لهم اليه سبيل علموا ان ذلك متعذر عليهم وقيل ان كنتم صادقين في قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون
له وتقومون به وهو قول ابن مسعود وابن عباس قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم ● سبحانك منصوب على المصدر عند الخليل وغيره اذا قلت سبحان الله فكانك قلت سبحت الله تسبيحا
فجعل السبحان في موضع التسبيح كما تقول كفرت عن يميني كفرانا وتكفيرا وكلمته كلاما وسلمت سلاما قال الله تعالى وسرحوهن
سراحا قال سيبويه يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر وقيل مصدر
وهو من الاسماء اللازمة للاضافة وقد يفرد فيكون غير منصرف للتعريف والالف والنون والعرب يقولون سبحان من كذا
اذا تعجب منه قال الاعشى اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر يقول العجب اذ فخر واضافته هنا الى المفعول لان المعنى

نحن وقيل اضافة الى الفاعل والمعنى تنزهت بما صدنت عن التسوية العامل في سبحانك منصوب المحل بالقول خطابا الملائكة
اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك على التقدير الملائكة قالوا التسبيح سبحانك قال ابن عباس تنزيها لك ان يعلم الغيب
احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك قوله لا علم لنا كقوله لا ريب فيه والخبر لنا والموصول بدل
صلتها والعائد محذوف على ان يكون علم بمعنى معلوم ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي في محل نصب على الاستثناء ولا يجوز
ان يكون منصوبة بقوله علم لانه مبني ولا يعمل الا اذا كان معربا وقيل ما في محل رفع على البدل قيل هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم
ما يعلمهم الله فكانهم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام مختصرا وقيل ان الملائكة انما قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك اعلمتنا انه يفسد في الارض ويسفك الدماء واما هذه الاسماء فانك
ما علمتنا فكيف نعلمها والذين اعتقدوا ان الملائكة اتوا بالمعصية في قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قالوا
قالوا ان الملائكة لما عرفوا خطاهم في هذا السؤال رجعوا وتابوا واعتذروا واحتج اصحابنا بقوله لا علم لنا الا ما علمتنا
على ان المعارف والعلوم مخلوقة لله تعالى قالت المعتزلة التعليم عبارة عن افادة الامر الذي يترتب عليه العلم مع تحقق الشرط
وانتفاء المانع ولذلك يقال علمته فما تعلم والامر الذي يترتب عليه العلم هو وضع الدليل والله قد فعل ذلك والجواب ان التعليم
تحصيل العلم في الغير كالتسويد هو تحصيل السواد في الغير واجمع اهل الاسلام بهذه الاية على انه لا سبيل الى معرفة المغيبات
الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة ونظيره قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قوله انك انت العليم الحكيم انت ضمير مرفوع منفصل للمفرد
المذكر المخاطب ويحتمل ان يكون تاكيدا لاسم ان فيكون في محل النصب وان يكون مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وان يكون
فصلا لا محل له في الاعراب وقيل له محل من الاعراب باعراب ما قبله فيكون في محل النصب او باعراب ما بعده فيكون في محل الرفع
والعليم من صيغ المبالغة في العلم والمبالغة التامة لا تتحقق الا عند الاحاطة بكل المعلومات وما ذاك الا الله سبحانه
فلذلك قال انك انت العليم الحكيم على سبيل الحصر وصاحب الحكمة والمتقن للامور والاول صفة ذات والآخر صفة فعل
واصل الحكمة في كلام العرب المنع من الفساد وكذا المحدث المعترضة فمنه الدابة حكمة اللجام لانها تمنع الدابة عن الاعوجاج
يمنع من الباطل قالت الملائكة انك انت العليم الذي يكون عالما بكل المعلومات الفاعل لما لا اعتراض لاحد عليه في فعله وقيل الحكيم
يقال انه تعالى حكيم في الازل وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل خليفة في الارض وهذه الاية
دالة على شرف العلم وفضله فان الله سبحانه لما اظهر كمال الحكمة في جعله في الارض خليفة الا بان اظهر علم الخليفة فلو كان في الوجود
شيء اشرف من العلم في الامكان لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم قوله تعالى قال يا آدم انبئهم باسمائهم
فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ● آدم مبني على
الضم لانه مفرد معرفة والمنادى المفرد المعرفة يبنى على ما يرفع به ورفعه بالضم وهو في محل النصب لانه واقع موقع المفعول
به وانبئهم امر وفاعله ضمير مستتر عائد الى آدم وهم مفعوله الاول عائد الى الملائكة وباسمائهم متعلق بانبئهم وهو المفعول
الثاني والضمير الذي اضيف اليه الاسماء عائد الى المسميات قال المفسرون لما ظهر عجز الملائكة وباسمائهم متعلق بانبئهم وهو
المفعول الثاني والضمير الذي اضيف اليه الاسماء عائد الى المسميات قال المفسرون لما ظهر عجز الملائكة عن علم اسماء المسميات
قال الله عز وجل يا آدم انبئهم باسمائهم فسمى كل شيء باسمه والحق كل شيء بجنسه فلما انباهم باسمائهم قال لما ظرف زمان
ماض متضمن معنى الشرط ولا اقتضائها لجملة يليها كاقتضاء اذا فلا تضاف الا الى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط
تكون الا للامر المحقق وتقتضي جملتين احدهما الشرط والاخرى جوابها وكلتا الجملتين فعليتين ماضيتين والعامل فيها
فمنهم من يقول لشرطها ومنهم من يقول لجوابها وهم الاكثرون لان وضعها للوقت المعين ولا يتعين الا بنسبته الى ما يبين
به من شرطه فيصير مضافا الى الشرط ويبعد عمل المضاف اليه في المضاف فلانه موديا الى ان يكون الشيء عاملا معمولا من جهة
واحدة وجاز ان يكون العامل هو الجواب وللقائل ان يقول لا معنى لتقدير اضافتها الى الفعل ونسلم ان لما للوقت المعين لكن
لا نسلم ان تعينها انما يكون باضافتها الى الفعل بل تعين وقتها حاصل بذكر الفعل بعدها كما يحصل في قولك زمانا
طلعت فيه الشمس فانه يحصل فيه التعيين ولا يلزم الاضافة واذا لم يلزم الاضافة لم يلزم فساد عمل الشرط وقوله انباهم
باسمائهم شرط وقوله قال جوابه وفاعل انبا ومفعوله الاول ومفعوله الثاني كما في انبئهم باسمائهم وقوله فلما انباهم عطف
على قوله قال يا آدم والمعنى فلما اخبر آدم الملائكة باسماء المخلوقات قال الله تعالى للملائكة الم اقل لكم والهمزة للتقرير اذا دخلت
على نفي قررته فيصير اثباتا واقل مجزوم بلم وحذفت عينه لالتقاء الساكنين ولكم متعلق به واللام للتبليغ والجملة
من قوله اني اعلم في محل نصب بالقول غيب السموات اي ما غاب فيهما عنكم واعلم ما تبدون من قولكم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء او ما اظهروه من السمع والطاعة لله حين مروا على جسد آدم فقال ابليس ان فضل عليكم هذا ما تصنعون
فقالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه لئن فضلت عليه لاهلكنه وان فضل علي لاعصينه وما كنتم تكتمون من اعتقادكم
ان الله لا يخلق اكرم منكم او ما اسره ابليس من الكبر والعصيان وان الله بين للملائكة بعض ما اجمله من ذكر المصالح في استخلاف
آدم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء على وجه ابسط من ذلك واشرح وهو ان الاقسام التي يمكن ان تقع في الوجود خمسة
خير محض وشر محض وخير غالب وشر غالب والذي يتساوى فيه الشر والخير فالحكمة تقتضي ايجاد الخير الغالب لان ترك الخير
الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة ذكروا الافساد والسفك وهو شر قليل بالنسبة الى ما يحصل منه من الخيرات
فقوله اني اعلم غيب السموات والارض يعني اعلم ان خيرهم غالب على هذه الشرور فاقتضت الحكمة ايجاده وكذا في انبائهم

[illegible]

خصصته بذلك قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين

[illegible]

السجود شأن الطاعة وقيل معطوف على اذ المتقدمة وقيد بانه لا يصح لاختلاف الوقتين وفي اذ قلنا محل جر بالظرف في
تقديره ان يكون اذ ظرفا لا مفعولا به وفيه التفات من الغيبة الى التكلم للتعظيم وضمير الجمع لزيادة التعظيم واللام للتبليغ آدم خلق
في الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فقال الاكثرون من اشياخه انهم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل لانه تعالى قال فسجد الملائكة
كلهم اجمعون وفيه تاكيد للعموم وقيل طائفة من الملائكة وهم الذين كانوا مع ابليس في الارض روي عن ابن عباس في
السجود الخضوع والتذلل وغايته وضع الجبهة على الارض واسجدوا في محل نصب بقلنا واللام في آدم متعلقة باسجدوا
والتعليل اي لاجله وكان سجود الملائكة لآدم سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة نظيره قوله تعالى في قصة يوسف
وخروا له سجدا وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الارض انما كان على الانحناء والتقبيل فلما جاء الاسلام
ابطل ذلك بالسلام وفي الحديث ان معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجه النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما هذا قال رايت اليهود يسجدون لاحبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم مه يا معاذ كذبت اليهود والنصارى انما السجود لله عز وجل وقيل كان سجودا على الحقيقة واللام بمعنى الى اي
جعل آدم قبلة لهم والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى قال ابن مسعود امرهم الله عز
وجل ان ياتموا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله تعالى فيكون اللام بمعنى مع وقال ابي بن كعب معناه اقروا لآدم بانه خير واكرم على الله
منكم فاقروا بذلك والفاء للتعقيب والتقدير فسجدوا فحذف الجار والمجرور للعلم به الا ابليس الا حرف استثناء
ابليس قال اكثر اهل اللغة والتفسير سمي به لانه ابلس من رحمة الله اي يئس والابلاس الاكتئاب ومنه المبلس الكئيب الآيس
وقيل لا يجوز ان يكون مشتقا من الابلاس لانه لو كان كذلك لانصرف كما انصرف نحو الكليل والاكليل وبالادراك تنوينه في القرآن يدل
على انه عجمي معرفة والاعجمي لا يعرف له اشتقاق فنصب على الاستثناء نصبا لازما لانه بعد الايجاب الصفة في كلام موجب
والعامل فيه قيل ما قبل الا بواسطة وقيل الا وحدها وقيل الفعل بعدها وقيل انه بعد الا وقيل استثنى بعد الا مضمر واختلفوا
في ان الاستثناء متصل او منقطع وهذا مبني على انه هل كان من الملائكة قال مجاهد وعطاء وروي عن ابن عباس كان ابليس قبل
ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى
السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس وهذا قول ابن مسعود وابن جريج وقتادة واكثر المفسرين وقالت
لما خلطنا الملائكة والجن جنس واحد فمن كان خيرا فهو ملك ومن كان شريرا فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جني وقال اكثر
المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم واحتجوا بوجوه احدها انه كان من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا
يكون من الملائكة لان الجن جنس يخالف الملائكة ورد بان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الستر ولهذا سمي الجنين جنينا والجنة جنة
وتقدر ان التركيب دال على الستر والملائكة مستترون عن الاعين فجاز ان يطلق الجن عليهم فهذا القدر لا يفيد المقصود
قيل ان ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة لقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن فانه صرح في الفرق بين الملائكة والجن فان قيل لا نسلم انه كان من الجن
اما قوله كان من الجن فيحتمل ان يكون المراد من الجنة على ما روي عن ابن مسعود انه كان من الجن اي انه كان خازن الجنة سلمنا ذلك
ولكن يحتمل ان يكون قوله كان من الجن اي صار من الجن كما ان قوله وكان من الكافرين اي صار من الكافرين سلمنا انه دل
على انه من الجن فلم قلتم ان كونه من الجن ينافي كونه من الملائكة وما ذكرتم من الاية معارض باية اخرى وهي قوله تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا وذلك لانهم قالوا الملائكة بنات الله فهذه الاية دالة على ان الملك يسمى جنا والجواب انه لا يجوز ان يكون

ايجعل

والحكيم

ومعنى الثاني انه الحكيم في الازل م

تعين ٢

وكان ذلك تحية الناس م

المراد من قوله كان من الجن انه كان خازن الجنة لان قوله الا ابليس كان من الجن يشعر بان تركه للسجود بسبب كونه جنيا ولا يمكن
ان يكون تركه للسجود بسبب كونه خازنا للجنة قوله كان من الجن اي صار قلنا خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا للضرورة قوله
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قلنا يحتمل ان يكون بعض الكفار اثبت ذلك النسب في الجن كما اثبته في الملائكة وايضا
فان الجن بحسب اللغة هو كل ما يستتر سواء كان ملكا او غيره وبحسب العرف اختص بالبعض كما ان لفظ الدابة بحسب اللغة
يعم كل ما يدب وبحسب العرف اختص ببعض ما يدب فيحتمل ان يكون هذه الاية على اصل اللغة قوله ثانيها ان ابليس له ذرية
لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لان الذرية انما تحصل من الذكر والانثى والملائكة
لا انثى فيها لقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم انكر على من حكم
عليهم بالانوثة وثالثها ان الملائكة معصومون لقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وابليس
لم يكن كذلك واحتج القائلون بكونه من الملائكة بامرين الاول ان الله استثناه من الملائكة فيكون منهم لان الاستثناء يفيد
اخراج ما لولاه لدخل فيه لا يقال هذا الاستثناء منقطع والاستثناء المنقطع في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابرهيم
لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض وقال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ لانا نقول حمل الاستثناء على المنقطع
على خلاف الاصل فلا يصار اليه الا عند الضرورة والدلائل التي ذكرتموها في انه ليس من الملائكة لا اعتماد فيها الا
على العمومات فلو جعلناه من الملائكة لزم تخصيص ما عولتم عليه من العمومات ولو قلنا انه ليس من الملائكة لزم حمل
الاستثناء على المنقطع وتخصيص العمومات كثير في كتاب الله من حمل الاستثناء على المنقطع فكان تخصيص العموم اولى الثاني
لو لم يكن ابليس من الملائكة لكن بان معهم وطالت خلطته بهم فلهذا تناوله الخطاب ولئن سلم ان الخطاب غير
متناول له لكن امره الله تعالى بالسجود بلفظ آخر شاهده قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لانا نقول ان المخالطة لا تقتضي
تناول الخطاب له فان خطاب الذكور لا يتناول الاناث مع شدة المخالطة وان ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية
فذكر الاباء والاستكبار عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم مشعر بان الاباء انما حصل بسبب مخالفة هذا
الامر لا بسبب مخالفة امر آخر اذا عرفت هذا فنقول من ذهب الى ان ابليس من الملائكة جعل الاستثناء منقطعا الا صاحب
الكشاف فانه ذهب الى انه ليس منهم وجعل الاستثناء متصلا فانه قال الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم
ويجوز ان يجعل منقطعا قوله ابى واستكبر جملتان على سبيل الاستئناف كانه جواب لمن قال فما فعل ابليس فقيل في
جوابه ابى واستكبر فيكون الوقف على ابليس تاما ولا محل لهما من الاعراب ويحتمل الجملتان في محل النصب على الحال من ابليس
تقديره ترك السجود ممتنعا ومستكبرا عنه فالوقف على واستكبر وكان من الكافرين ايضا استئنافا او حال والاباء
الامتناع وهو من الافعال المفيدة للنفي ولذلك وقع بعده الاستثناء المفرغ قال صاحب الكشاف اي امتنع مما امر
به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن
امر ربه اختلف العقلاء في ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا فمنهم من قال انه كان كافرا ابدا يدل على ذلك
ما نقل عن شارح الاناجيل الاربعة انه وقع المناظرة بين الملائكة وبين ابليس بعد الامر بالسجود واباءه قال ابليس للملائكة
اني اسلم ان الله خالقي وخالق الخلق لكن لي على حكمه اسولة سبعة الاول ما الحكمة في الخلق لا سيما اذا كان عالما
بان الكافر لا يستوجب عند خلقه الا الالام الثاني ما الفائدة في التكليف مع تنزيهه عن عود الفائدة اليه وما يعود الى
المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف الثالث هب انه كلفني بمعرفته وطاعته فلماذا كلفني السجود
لادم الرابع لم عاقبني بترك السجود لادم فلم لعنني واوجب عقابي مع انه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولي فيه اعظم
الضرر الخامس ثم فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ووسوسة آدم السادس لما فعل ذلك فلم سلطني على اولاده
ومكنني من اغوائهم واضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلم امهلني ومعلوم ان العالم لو كان خاليا
عن الشر لكان ذلك خيرا فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس انك ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت انه
لا اعتراض علي في شيء من افعالي فاني انا الله لا اله الا انا لا اسأل عما افعل اعلم انه لا جواب عن هذه الشبهات الا
الجواب الذي ذكره الله ومنهم من قال انه كان مؤمنا ثم كفر وقال معنى قوله وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى
كان ظالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم وقيل انه لما كفر في وقت معين بعد ان كان
تعبد مضى كفره صدق عليه انه كان من الكافرين وقيل المراد من كان صار ثم اختلفوا فمنهم من قال ان قوله وكان من
الكافرين يدل على انه وجد قبل ابليس جمع من الكافرين يدل على انه وجد قبل ابليس جمع من الكافرين لان من للتبعيض
فيقتضي وجود قوم آخرين من الكفار ليكون هو بعضا منهم شاهده ما روي عن ابي هريرة ان الله خلق خلقا من الملائكة
ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله
عليهم نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك الذين ابوا ومنهم من قال هذه الاية لا تدل على ذلك فان معنى الاية انه صار
من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك ومنهم من قال ان هذا اضافة فرد من افراد الماهية الى تلك الماهية فلا يقتضي
وجود تلك الماهية كما ان الحيوان الذي خلقه الله اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد الحيوان لا بمعنى انه فرد من افراد الحيوان
الموجودة خارج الذهن بل بمعنى انه فرد من افراد هذه الماهية ويتفرع على هذا ان ابليس هو اول من كفر بتلك المعصية و[illegible]

بانه اذا كان

بانه لو كان ابليس كافرا من اول الامر [illegible]

[illegible]

ذلك توقف [illegible] ان يكون افضل من جبريل [illegible] من الملائكة لانهم موجودون [illegible] ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم على العالمين فيلزم ان يكون الله تعالى قد اصطفاهم على جبريل وايضا فهذه الاية قد خصصت لقيام الدليل
عليه فهنا لا دليل يوجب التخصيص فيجب اجراؤه على ظاهره في العموم الرابع قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة
منهم فيكون محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لهم فيكون افضل منهم الخامس ان طاعة البشر اشق من طاعة الملك لان طاعة البشر
مع الموانع من الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الداعي الى سفك الدماء ووسوسة الشيطان الداعية الى المعصية
والشبهات الصارفة عن الطاعة والحاجة الى الاستنباط وطاعة الملك خالية عن هذه الموانع والصوارف والفعل مع الموانع
والصوارف اشق منه بدونها فيكون افضل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل العبادة احمزها اي اشقها السادس انه تعالى
خلق للملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وللبشر عقلا وشهوة فالبشر بالعقل فوق البهائم وبالشهوة دون
الملائكة فغلبة شهوته على عقله يصير دون البهائم قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقال ثم رددناه اسفل سافلين
فاقتضى غلبة عقله على شهوته ان يصير اعلى رتبة من الملائكة اعتبارا لاحد الطرفين بالاخر قال الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم اجر غير ممنون السابع قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض اما اللذان في السماء فجبريل
وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر ولا شك ان صاحب الوزير [illegible] واجابوا عن الوجه الاول بانه لا يجوز
في امر الله تعالى الملائكة الذين اشرف من آدم بالسجود له فان الحكمة قد تقتضي ذلك كثيرا من جهة الاشرف لاظهار النهاية الانقياد
والطاعة وايضا يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وعن الثاني بانا لا نسلم ان آدم اعلم منهم غاية في الباب ان آدم
كان عالما بجميع اللغات وهم ما علموها فيحتمل ان يكونوا عالمين باشياء لم يكن آدم عالما بها والذي يدل على هذا انا اتفقنا ان محمدا افضل
من آدم مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما بجميع اللغات وعن الثالث انه لما ترك العمل بهذا من لم يكن نبيا من الانبياء ترك
العمل به في الملائكة العلوية بان لا دليل الدال على شرفهم وعن الرابع بانه لا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لهم ان يكون افضل
منهم فانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم رحمة لهم من وجه آخر وعن الخامس بانه منقوض بحمل كثير من اهل الجاهلية المشاق
والمتاعب في طريق الجاهلية مع علمنا بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل مثلها وهو افضل من الكل وعن السادس بانه جمع بين الطرفين
من غير جامع واحتج الاخرون بوجوه الاول قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته وله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجه
الاستدلال به من وجهين احدهما انه ليس المراد من هذه العندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وهذا القرب والشرف
لهم لا لغيرهم ورد بان هذه العندية في الاخرة حاصلة لاحاد المؤمنين شاهده قوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
واما في الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عنه تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وهذا اكثر اشعارا بالتعظيم لدلالته
على انه تعالى عندهم ولا شك ان كونه تعالى عندهم ادخل في التعظيم من كون الملائكة عنده تعالى وثانيهما انه تعالى احتج بعدم استكبارهم
على ان غيرهم ينبغي ان لا يستكبروا ولو كان البشر افضل منهم لما تم هذا الاحتجاج فان السلطان اذا اراد ان يقرر قوما على وجوب
طاعتهم يقول الملوك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين حتى يستكبروا عن طاعتي وبالجملة ان يقول
لا نزاع في ان الملائكة اشد قوة وقدرة من البشر ويكفي في صحة الاحتجاج هذا القدر من التفاوت فانه تعالى يقول
الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من الهرم والمرض وطول اعمارهم لا يتركون العبادة
لحظة واحدة فالبشر مع نهاية ضعفهم ووقوعهم في المرض في اسرع الاوقات والهرم وانواع الآفات اولى ان لا يستكبروا وهذا
القدر كاف في صحة هذا الاحتجاج ولا نزاع في حصول التفاوت في هذا المعنى انما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب
فلم قلتم ان هذا الاحتجاج لا يصح الا اذا كان الملك اكثر ثوابا من البشر ولا بد فيه من دليل مع ان المتبادر الى الفهم
هو الذي ذكرناه الثاني ان عبادة الملائكة اشق من عبادة البشر لان الملائكة كل واحد منهم مواظب على عمل واحد لا يميل الى
غيره قال الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وكذ

عباداتهم اشق فيكون افضل لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها والقايل ان يقول لا نسلم ان من كان عبادته
اشق يكون ثوابه اكثر فان بعض السالكين قد يحتمل في طريق المجاهدة من المشاق والمتاعب ما يقطع بان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يحتمل بعض ذلك ثم انا نقطع بان النبي صلى الله عليه وسلم افضل منه فعلمنا ان كثرة المشقة في العبادة لا يقتضي كثرة
الثواب لان تحصيل الاجر بناء على الدواعي والقصود فلعل الفعل الواحد ياتي به مكلفان في السوا فيما يتعلق بالاعمال الظاهرة
ويستحق احدهما به ثوابا عظيما دون الاخر لما ان اخلاص احدهما اشق واكمل من اخلاص الثاني فان كثرة العبادات ومشقتها
لا تقتضي التفاوت في الفضل ولين سلمنا ان الاشق افضل ولكن لا نسلم ان عبادات الملايكة اشق وتوهم المواظبة على نوع
واحد من العمل شاقة قلنا لا نسلم بل الامر بالعكس فان من اعتاد نوعا واحدا من العبادة صار كالمجبور الذي لا يقدر خلافه
فكان اسهل الثالث عبادة الملايكة ادوم لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون والادوم اشق والاشق افضل والقايل
ان يقول لا نسلم ان الادوم اشق وان الاشق افضل لما ذكر ان كثرة الثواب ترجع الى الدواعي والقصود ويجوز ان يكون الطاعة
القليلة تقع من الانسان على وجه يترتب عليه كثير والطاعات الكثيرة تقع على وجه لا يترتب عليها الا القليل من الثواب
الرابع ان الملايكة اسبق السابقين في كل العبادات بالاجماع والسابقون افضل لقوله تعالى والسابقون السابقون
اولئك المقربون ورد هذا بانه منقوض لان ادم اسبق في العبادة من محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكون افضل منه ويجوز
ان كثرة الثواب ترجع الى الدواعي والقصود لا الى السبق الخامس ان الملايكة رسل الانبياء والرسول افضل من المرسل اليه
والقايل ان يقول ان الرسل افضل من المرسل اليه اذا كان حاكما عليه واما اذا لم يكن حاكما عليه بل رسولا يخبره عن بعض الامور
فلا فالملايكة بالنسبة الى الانبياء على الوجه الثاني فلا يكونون افضل من الانبياء بخلاف الانبيا بالنسبة الى امتهم فانهم
مرسلون اليهم على الوجه الاول فلا جرم كانوا افضل من امتهم السادس قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملايكة المقربون يخرج مخرج التاكيد المعتبر مثل هذا التاكيد انما يكون بذكر الافضل والترقي من الادنى الى الاعلى يقال فلان
العالم لا يستنكف الامير من خدمته ولا السلطان ولا يقال لا يستنكف الامير من خدمته ولا البواب والقايل ان يقول سلمنا
الاية تقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لكن لا يقتضي ان يكون الملايكة المقربون افضل بل ذلك لان النصارى لما رفعوا عيسى الى
غير مرتبته من جنس البشر وخروجه من زمرة العبيد واعتقدوا انه لا يكون عبدا لله تعالى فالله سبحانه وتعالى رد عليهم بان كون المسيح مولودا
بلا واسطة اب من جنس البشر لا يقتضي خروجه عن زمرة العبيد فان المسيح وان خلق بلا واسطة اب لا يستنكف ان يكون
عبدا لله ولا الملايكة المقربون الذين خلقهم الله تعالى بلا واسطة فالترقي من الادنى الى الاعلى في الشرف السابع قوله تعالى
حكاية عن ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولو لم يكن متقررا عند ادم وحوى لما اغترا بذلك والقايل
ان يقول هذا قول ابليس فلا يكون حجة لا يقال ان ادم اعتقد صحة ذلك والا لما اغتر واعتقاد ادم حجة لانا نقول لعل ادم
في ذلك ما لان الزلة جايزة على الانبيا او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا فهب انه حجة لكن ادم لم يكن قبل الزلة نبيا
فلم يلزم من فضل الملك عليه في ذلك الوقت فضل الملك عليهما لما صار نبيا وايضا فهب ان
الاية تدل على ان الملك افضل من البشر في بعض الامور المرغوبة فلم قلتم انها تدل على فضل الملك على البشر في باب الثواب وذلك
انه لا نزاع ان الملك افضل من البشر في باب القدرة والقوة وفي باب الحسن والجمال وفي باب الصفا والنقا عن الكدورات الحاصلة
بسبب التركيبات فان الملايكة خلقوا من الانوار وادم مخلوق من التراب فلعل ادم وان كان افضل منهم في كثرة الثواب الا انه
رغب في ان يكون مساويا لهم في تلك الامور التي عددناها فكان التعلم حاصلا من هذا الوجه الثامن قوله تعالى قل لا اقول لكم
عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك والقايل ان يقول يحتمل ان يكون المراد لا اقول لكم اني ملك في شدة القوة
والذي يدل على صحة هذا الاحتمال انهم كانوا طالبوه بالامور العظيمة وهذه الامور لا يمكن تحصيلها الا بالقدرة الشديدة
التاسع قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم والقايل ان يقول لقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن
نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا
وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني
فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ظاهر كالتصريح في ان مراد
النساء بقولهن ان هذا الا ملك كريم تعظيم امر يوسف في الصورة والجمال لا في السيرة والكمال لانه ظهر عذرها في شدة عشقها
انما يتحقق بسبب فرط يوسف في حسن الصورة والجمال لا في السيرة والكمال لان ذلك لا يناسب شدة عشقها له العاشر قوله
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا تقريره ان المخلوقات اما المكلفون او غيرهم ولا خلاف في ان المكلفين افضل من غيرهم والمكلفون
انواع اربعة الملايكة والانس والجن والشياطين ولا شك ان الانس افضل من الجن والشياطين فيتعين ان يكون الملايكة افضل
من الانس والا لكان لقوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فايدة بل ينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا
تفضيلا والقايل ان يقول هذا تمسك بدليل الخطاب لان التصريح بقوله على كثير ممن خلقنا لا يدل على ان الباقي افضل منهم بل
غايته انه يدل بدليل الخطاب على انه ما فضلهم على الباقي ولم يلزم ان يكون الباقي افضل منهم لا بالتصريح ولا بدليل الخطاب ولين سلم
انه يدل على ان جنس الملايكة افضل من جنس بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد الجنسين افضل من الجنس الاخر ان يكون كل واحد من
افراد احد الجنسين افضل من افراد الجنس الاخر الحادي عشر ان الانبيا ما استغفروا لاحد الا وقد ابتدأوا بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم
قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم رب اغفر لي ولوالدي وقال موسى
رب اغفر لي ولاخي وقال لمحمد واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملايكة لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤ

من البشر

من البشر يدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقال ويستغفرون للذين امنوا ولو كانوا محتاجين
الى الاستغفار لبدءوا بانفسهم لان دفع الضرر عن النفس مقدم على دفع الضرر عن الغير قال النبي صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك ثم بمن
تعول وهذا يدل على ان الملك افضل والقايل ان يقول هذا يدل على ان الملايكة ليس من شانهم صدور المعصية وان البشر من
شانه ذلك والتفاوت في ذلك لا يقتضي التفاوت في الفضيلة ثم ان من الناس من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيه بقوله اتجعل
فيها من يفسد فيها الثاني عشر قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وهذا عام في جميع المكلفين من بني ادم فيدخل فيه الانبيا
وغيرهم وهذا يقتضي كونهم افضل من البشر لان الحافظ للمكلف عن المعصية لا بد ان يكون ابعد عن الخطا والزلل من المحفوظ وذلك
يقتضي كونهم ابعد من الخطا واقرب الى الطاعات من البشر وهذا يدل على زيادة الفضل وايضا ان الله تعالى جعلهم حجة على البشر في
الطاعات وعليهم في المعاصي وذلك يقتضي ان يكون قولهم اولى بالقبول من قول البشر ولو كان البشر اعظم حالا منهم لكان الامر
بالعكس والقايل ان يقول لا يلزم ان يكون الحافظ افضل من المحفوظ فان الملك قد يوكل بعض العبيد على ولده ولا يكون الحافظ
اشرف من المحفوظ ولا يلزم ان يكون من كان قوله اولى بالقبول افضل فان الشاهد قد يكون ادون حالا من المشهود عليه الثالث عشر
قوله تعالى والمؤمنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله بدا بنفسه وثنى بملايكته وثلث بالكتب وربع بالرسل وقوله شهد الله
انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم وقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الفضل
فان العرف يستقبح تقديم الادون على الاشرف فانا نسلم لما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر رضي الله عنه لو قدمت
الاسلام لاجزتك ولما كتبوا الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا
في كتاب الصلح بين علي ومعاوية وهذا يدل على ان التقديم في الذكر يدل على مزيد الشرف فيكون في الشرع كذلك لقوله صلى الله عليه
وسلم ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقايل ان يقول التقديم في الذكر لا يدل على التقديم في الشرف بدليل تقديم
سورة الاخلاص الرابع عشر قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جعل
صلاة الملايكة على النبي كالتشريف له وهذا يدل على انهم اشرف منه والقايل ان يقول هذا ينتقض بقوله يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه فامر المؤمنين بالصلاة عليه ولم يلزم ان يكونوا افضل منه الخامس عشر في فضل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم قال تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون وصف جبريل
بست صفات كونه رسولا كريما على الله ذا قوة عند الله ومكينا عند الله ومطاعا في السموات وامينا في كل الطاعات ثم وصف
النبي بقوله وما صاحبكم بمجنون وهذا يدل على ان جبريل عليه السلام افضل من محمد صلى الله عليه وسلم والقايل ان يقول الاجماع
حاصل بان للنبي صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكرها هنا من انه ليس بمجنون فيجوز ان يكون تلك الفضايل التي هي غير مذكورة
هنا تكون مقتضية لان يكون النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وقد وصف الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بصفات
ثمان وهي قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا السادس عشر ان الملك اعلم من البشر
لان جبريل كان معلما لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون افضل منه لقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
والقايل ان يقول لا نسلم انه اعلم من النبي ولكن لا يلزم ان يكون افضل منه لما عرفت انه لا يلزم ان يكون الاعلم اكثر ثوابا من غيره
السابع عشر قوله صلى الله عليه وسلم رواية عن الله تعالى اذا ذكرني عبدي في ملا ذكرته في ملا خير من ملايه وهذا يدل على
ان الملا الاعلى اشرف والقايل ان يقول هذا خبر واحد وايضا انه يدل على ان ملا الملايكة افضل من ملا البشر وملا البشر عبارة
عن العوام لا عن الانبيا فلا يلزم ان يكون الملك افضل من البشر الثامن عشر ان الملايكة هي الارواح السموية مبراة من القوى الكثيرة
التي هي مبادي للافعال المختلفة والارواح البشرية فيها قوى كثيرة وهي مبادي للافعال المختلفة فالارواح السماوية ابسط من الارواح
البشرية وما هو ابسط اشرف ورد هذا بانا لا نسلم ان ما هو ابسط اشرف فان الارواح السماوية ليس لها الا جانب واحد
والارواح البشرية لها جانبان وما له جانبان اشرف مما له جانب واحد ولهذا امر الله تعالى الملايكة بالسجود لادم التاسع
عشر ان الارواح السموية مبراة عن الشهوة التي هي منشا الغضب والغضب الذي هو منشا السفك والدما والارواح البشرية مقارنة لهما
والخالي عما هو منشا الشر اشرف من المقارن له ورد بان الارواح البشرية وان كانت مقارنة لهما لكنها كالات للترقي كما القوى الارواح السموية
يدل عليه قوله تعالى ثم عرضهم على الملايكة فقال انبيوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين وقوله قال يا ادم انبيهم باسمايهم قال الم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض وجعلنا ادم مسجودا للملايكة العشرون ان الارواح السماوية مبراة عن طبيعة القوة
وان كلما امكن لها بحسب انواعها التي هي في اشخاصها فقد حصل بالفعل والارواح البشرية ليست كذلك اذ ما بالفعل
اشرف مما بالقوة ورد بانا لا نسلم ان الارواح السماوية مبراة عن طبيعة القوة بل في بعضها بالقوة فان تحريكها السما لاخراج
التعقلات التي هي بالقوة الى الفعل فان الحركات التي لها بالنسبة اليها كالحركات الفكرية والخيالية بالنسبة الى الارواح
البشرية لاستخراج التعقلات التي هي بالقوة الى الفعل الحادي والعشرون ان الارواح السماوية نورانية علوية لطيفة والارواح
البشرية ظلمانية سفلية كثيفة وبديهة العقول السليمة شاهدة بان النوراني العلوي اللطيف اشرف من الظلماني السفلي الكثيف
ورد بانا لا نسلم ان الارواح البشرية بهذه الصفات ولا يلزم من كون الابدان البشرية بهذه الصفات كون الارواح البشرية
كذلك وهذا الوجه هو حجة ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فهذه الوجوه التي ذكرها الفريقان بعض
حججهم ولم يفد شي منها القطع قال الله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وليس من شرط صحة الايمان العلم بفضل احد الجنسين
على الاخر فانه لو كان العلم به شرطا لصحة الايمان لكان واجبا على الرسول ان لا يحكم بايمان احد الا بعد ان يعرف انه هل عرف الحق
في هذه المسالة ولو كان الامر كذلك لاشتهر قوله صلى الله عليه وسلم في تلك المسالة بين اصحابه ولنقل ذلك على سبيل التوا

لنا الرسول وكذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما وقفنا الايمان عليها فالاولى ان يتوقف في هذه المسئلة ولا يذكر تفضيل احد الجنسين
على الاخر قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين ۝ قلنا عطف على قلنا اي اذكر اذ قلنا يا آدم وقيل عطف على اذ قلنا الاحلى قلنا وحين زمانهما اسكن امر
من سكن يسكن سكونا اي اتخذ الجنة مسكنا ومأوى وليس معناه لا تتحرك فان هذا اللفظ مشترك قال صاحب الصحاح
سكن الشيء سكونا وسكنه غيره تسكينا وسكنت داري واسكنتها غيري والاسم منه السكنى كما ان العتبى اسم من الاعتاب وهم
سكان فلان والسكان ايضا ذنب السفينة وانت تاكيد المستكن في اسكن ليصح العطف عليه اذ كان المعطوف عليه ضميرا
مرفوعا متصلا ولا يشترط الفاصل ان يكون تاكيدا بل لا بد من فاصل نحو ما اشركنا ولا آباؤنا وزوجك عطف على الضمير المستكن
في اسكن ومنع بعضهم ان يكون من وجه عطفا عليه لان حق المعطوف حلوله محل المعطوف عليه ولا يصح حلول زوجك محل الضمير
المستكن في اسكن لانه فعل الامر الواحد المذكر وفاعله لا يكون الا ضميرا مستكنا فلا يصح وقوع الظاهر موقعه اذ لا يصح
اسكن زوجك فان الغائب لا يؤمر بلفظ الحاضر وهذا ليس بشيء لان الغائب قد يندرج في حكم الحاضر تبعية للعطف فيستحب
حكمه عليه فانه لا يعتد في صحة قولك تقوم هند وزيد ولا يصح تقوم زيد والجنة مفعول به لا ظرف نحو سكنت الدار
وقيل هي ظرف على الاتساع وكان الاصل تعديته بفي لكونها ظرف مكان معين وما بعد قلنا في محل النصب بقوله وكلا منها
الجملة معطوفة على اسكن فهو في محل نصب بقل واصل كل اكل بهمزتين الاولى همزة وصل والثانية فاء الفعل فلو جاءت
على الاصل لقيل اؤكل بابدال الهمزة الثانية الساكنة حرفا مجانسا لحركة ما قبلها الا ان العرب حذفت الهمزة التي هي فاء الفعل
في الامر تخفيفا فاستغنت حينئذ عن همزة الوصل فوزنه عل ومثله خذ ومر ولا يقاس على هذه الثلاثة غيرها ومن للتبعيض
وهاء اليه الى الجنة ومنها متعلق بقوله كلا ولا بد من حذف مضاف اي من ثمارها والاخفش ان يجعل من لابتداء الغاية
ورغدا وصف لمصدر محذوف اي اكلا رغدا اي واسعا رافها يقال عيشة رغد ورغداء واسعة طيبة والرغد
ان ياكل ما شاء متى شاء حيث شاء وقيل رغدا نصب على الحال اي كلا طيبين متهنئين وحيث ظرف المكان المبهم اي مكان
من الجنة شئتما والمشهور انها مبنى لشبهها بالحرف في الافتقار الى الجملة وبنيت على الضم تشبيها بقبل وبعد ونقل
الكسائي اعرابها وهي لازمة للظرفية لا تتصرف وقد تجر بمن كقوله من حيث لم تكم وهي لازمة للاضافة الى جملة مطلقا
ولا يضاف الى المفرد الا نادرا وقد تزاد ما فيجزم فعلين شرطا وجزاء والعامل فيها كلا وشئتما في محل الخفض باضافة الظرف
اليه وكره الشي كقولك هيتما وخفيتما لانشاء فعل بكسر العين وقيل الكسر منقولة من فتحة ليدل على الياء نحو بعتما
لان شاء فعل بفتح العين نحو كاد ولا تقربا من قرب الشيء اقربه بالفتح قربا ادنو منه وقرب الشيء يقرب بالضم قربا
اي دنا وقيل ولا تقربا بالفتح معناه لا تلتبس بالفعل ولا تقرب بالضم معناه لا تدن منه ولا ناهية وتقربا مجزوم بها وحذفت
نونه والالف فاعل وهذه مفعول به اسم اشارة المؤنث والشجرة واحد الشجر اسم جنس وهو ما له ساق يبقى في الشتاء
قال صاحب الصحاح فيه الشجر والشجرة ما كان على ساق من نبات الارض والنجم من النبات ما لم يكن على ساق قال الله تعالى والنجم
والشجر يسجدان نعت لهذه وان كان وضعها الذات لانه دلالتها على الذات فيتعين دلالة الشجرة على المعنى لتقدم
ما يدل على الذات وهو معنى الصفة ولا يوصف عن اسم الاشارة لا دلالة فيه على حقيقة الذات فاحتيج الى بيان حقيقتها فاتى
باسم الجنس لذلك ومثل اسم الاشارة في ذلك قولهم يا ايها الرجل ومنهم من قال الشجرة بدل من هذه لان النعت يجب ان يكون
مشتقا وقيل الشجرة نعت لهذه لتناولها بمشتق اي بهذه الحاضرة من الشجر وعند المحققين كما دل على معنى في متبوعه
يصح ان يكون نعتا سواء كان مشتقا او غيره ولكن لما كان الاكثر في هذا المقصود وضع المشتق توهم كثير من النحويين ان الاشتقاق
شرط حتى تاولوا غير المشتق قوله فتكونا من الظالمين فيه وجهان احدهما ان يكون مجزوما عطفا على تقربا والثاني ان يكون
منصوبا على جواب النهي كقوله تعالى لا تطغوا فيه فيحل والنصب باضمار ان عند البصريين وبالفاء نفسها عند الجرمي و
بالخلاف عند الكوفيين ومن الظالمين خبر كان والظلم اصله وضع الشيء في غير موضعه ومن امثال العرب من اشبه اباه فما
ظلم قال الاصمعي اي ما وضع الشبه غير موضعه فقوله من الظالمين اي من العاصين الذين وضعوا امر الله في غير موضعه
وقيل قوله تعالى اسكن امر على الحقيقة عن قتادة ان الله تعالى ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود فكلفه
بان يسكن الجنة ياكل منها حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فبدت سوآته
عند ذلك واهبط من الجنة فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع انه منعه عن تناوله من اشد التكاليف وقيل
اباحة لان الاسكان في الموضع النزه الذي يتمتع به لا يدخل تحت التعبد كما ان اكل الطيبات لا يدخل تحت التعبد قوله
وزوجك اتفقوا على ان الله لما امر الملائكة بالسجود لآدم وابى ابليس السجود صيره الله ملعونا ثم امر آدم بان يسكن
الجنة مع زوجه حواء واختلفوا في الوقت الذي خلقت فيه زوجته حواء فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس
من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فبقي فيها وحده وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه
فالقى الله عليه النوم فخلق الله تعالى زوجته حواء من ضلع من اضلاعه الضلع الذي يلي الشاكلة وهي الواهنة من اسفل الاضلاع
من شقه الايسر من غير ان احس آدم بذلك ولا وجد الما ولو الم من ذلك لما عطف رجل على امرأة فلما هب آدم من نومه
اذا هو بحواء جالسة عند رأسه كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت زوجك خلقني الله عز وجل لتسكن
الي واسكن اليك فقالت الملائكة عند ذلك امتحانا لعلم آدم يا آدم ما هذه قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا ولم
سميت حواء قال لانها خلقت من حي قالوا اتحبها يا آدم قال نعم فقالوا لحواء اتحبينه يا حواء قالت لا وفي قلبها اضعاف

[illegible]

وقع النهي على جنس من الشجر وقال الآخرون وقع النهي على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها فقال ابن عباس وابن سلام وكعب
الاحبار ووهب بن منبه وقتادة وعطية العوفي ومحارب بن دثار هي السنبلة وقيل انها الكرم روي عن ابن مسعود وابن
عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة انها السنبلة وروي عن الحسن وعطاء بن ابي رباح وابن جريج وقيل انها شجرة يقال لها شجرة
العلم فيها من كل شيء روي عن قتادة وابي صالح وقيل انها شجرة الكافور ونقل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل هي النخلة
روي عن ابي مالك وقيل هي شجرة الخلد روي عن وهب بن منبه وهذا لا يعتد به لان الله تعالى سماها شجرة الخلد لا
خدعهما وزعم اليهود انها الحنظلة كانت حلوة فمرت حينئذ وقيل هي شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث
وليس في شيء من هذه التعيينات ما يعضده خبر صحيح ولا حاجة الى بيانه لانه ليس المقصود من هذا الكلام ان يعرفنا عين
تلك الشجرة وما ليس بمقصود في الكلام لا يجب على الحكيم ان يبينه بل ربما كان بيانه عبثا والصواب ان الله تعالى نهى آدم عن شجرة
ان ياكل منها واخطرها على آدم لما يدل على ان سكانه في الجنة لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى وقوله فازلهما
الشيطان الى حين قرأ حمزة فازالهما والباقون فازلهما الاولى من الزوال عن المكان اي ازالهما عن الجنة ان كان الضمير في عنها للجنة
او ازالهما عما كانا فيه من النعيم والكرامة ان كان الضمير في عنها للشجرة وقيل معناه صرفهما عن طاعة الله فاوقعهما في الزلة
لان اغواءه وايقاعه لهما في الزلة سبب للزوال والثانية من الزلة اي حملهما الشيطان على الزلة بسبب الشجرة وحقيقته
فاصدر الشيطان زلتهما عن هذه الشجرة فعلى هذا عن فيه بمعنى السببية نحو هذه مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن امري
اي صدرت الفعل عن امري او كونوا فاعلية ما صدر عن امري ومنه قول الشاعر ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما
اي اذهبهما عن الجنة وابعدهما عنها كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وعنها متعلق
بقوله فازلهما او بقوله فازالهما على القراءتين والضمير عنها عائد على الجنة في الوجه الاول من معنى القراءة الاولى وفي الوجه
الثاني من معنى القراءة الثانية وعلى الشجرة في الوجه الثاني من معنى القراءة الاولى وفي الوجه الاول من معنى القراءة الثانية
وعن فيه بمعنى السببية على الوجه الاول من معنى القراءة الثانية وعلى الوجه الاخير على بابها من المجاوزة وقيل
الضمير في عنها للطاعة او للحالة او السماء وان لم يجر لها ذكر لدلالة السياق عليها وهذا بعيد جدا لقوله فازلهما عطف على قوله
وقلنا يا آدم اسكن قوله هما مفعول به والشيطان فاعله لا مفعول هما واجب التقديم لانه ضمير متصل والفاعل ظاهر وقيل
قوله فازلهما معطوفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق فاكلا قوله فاخرجهما مما كانا فيه الفاء فيها للسببية اي
فاخرجهما الشيطان مما كانا فيه قوله مما كانا فيه متعلق باخرج وما في مما يجوز ان تكون موصولة اسمية وان تكون
نكرة موصوفة اي فاخرجهما من المكان او النعيم الذي كانا فيه او من مكان او نعيم كانا فيه والجملة التي هي قوله كانا فيه على
التقدير الاول صلة لما لا محل لها من الاعراب وعلى التقدير الثاني صفة لما محلها من الاعراب وهو الجر
وقيل ان لعل فازلهما بمعنى ازلهما عن المكان كان قوله فاخرجهما مما كانا فيه توكيدا اذ قد يمكن ان يزلهما من مكان كانا فيه الى مكان
آخر وقيل عليه هذا اشبه شيء بالتاسيس لا بالتاكيد لافادة معنى جديدا ولقائل ان يقول المراد من التاكيد هنا تقوية
المعنى المقصود وهو لا ينافي التاسيس قيل كيف توصل الشيطان ابليس الى ازلالهما واغوائهما بعدما قيل له اخرج منها فانك

رجيم اجيب بانه منع من دخولها على جهة التعزيز والتكرمة كدخول الملائكة ولم يمنع من دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء
لآدم وحوا وقيل كان يدنو من السماء فيكلمها وقيل انه وقف على باب الجنة ونادى كما قاله الحسن وقيل ان ابليس اراد الدخول
ليوسوس لآدم وحوا فمنعته الخزنة فاتى الحية وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة
وكانت صديقا لابليس فسألها ان تدخله الجنة في فمها اي لحيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان آدم
لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه من قبل الخلد فلما دخل
الجنة وقف بين يدي آدم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة احزنتهما وبكى فقالا له ما يبكيك فقال ابكي عليكما
تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك فقال يا آدم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما كانا يظنان ان احدا يحلف
بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى اكلها وقيل لما اكل آدم من الشجرة وهو متغفل ولكن حوا سقته حتى اذا
سكر قادته اليها فاكل وقيل ان حوا اعطى على عقله ضعفا عن امر ربه فاكل فلما اكلا تهافتت عنهما ثيابهما وبدت
سوآتهما واخرجا من الجنة قيل ولعنت الحية وقطعت قوائمها فهي تمشي على بطنها وجعلت العداوة بينها وبين بني آدم وقيل لحوا كما ادميت الشجرة
فكذلك يصيبك الدم في كل شهر وكذلك تحملين كرها وتضعين كرها تشرفين به على الموت مرارا وقيل ويصيبك النعاس وتكونين
سفيهة وقد كنت حليمة قال الامام الاخير من الاقوال ما روي عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس
ان لا يلتفت اليه لان ابليس لو قدر على الدخول في الحية لقدر على ان يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ولانه لو فعلت الحية
ذلك فلم عوقبت مع انها ليست بعاقلة مكلفة واختلف العلماء في معصية آدم بالاكل فقال قوم انه نهى عن شجرة بعينها فاكل
من جنسها وقال آخرون تاولها الكراهة في النهي دون التحريم واختلفوا في عصمة الانبياء والاختلاف فيها راجع الى اربعة اقسام
الاول ما يقع في باب الاعتقاد الثاني ما يقع في باب التبليغ الثالث ما يتعلق بباب الاحكام والفتيا الرابع ما يتعلق بافعالهم
وسيرهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عنه عند جل الامة وقال الاكثر الفضيلية من الخوارج انه قد وقع منهم ذنب
والذنب عندهم كفر فلا جرم قالوا بوقوع الكفر واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر تقية واما الثاني فقد اجمعت الامة على
كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ والا لارتفع الوثوق بالتبليغ واتفقوا على ان ذلك كما لا يجوز
وقوعه منهم عمدا لا يجوز ايضا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن عادة واما الثالث فاجمعوا
على انه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد واما على سبيل السهو فجوزه قوم واباه آخرون واما الرابع فقد اختلف الامة
فيه على خمسة اقوال احدها جواز الكبائر على سبيل العمد وهو قول الحشوية وثانيها انه لا يجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز
عليهم الصغائر على سبيل العمد الا صغيرة منفرة كالكذب وتطفيف حبة وهو قول اكثر المعتزلة وثالثها انه لا يجوز ان ياتوا
بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد البتة الا على جهة التاويل ورابعها انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا
لكنهم ماخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وان كان موضوعا عن امتهم وذلك لان معرفتهم اقوى ودلائلهم اكثر وانهم
يقدرون على ما لا يقدر عليه غيرهم وخامسها انه لا يقع الذنب منهم لا الكبيرة ولا الصغيرة لا عمدا ولا سهوا ولا تاويلا ولا خطأ وهو مذهب الرافضة واختلفوا
في وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الروافض وثانيها قول من ذهب الى ان
وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو قول اكثر المعتزلة وثالثها قول من ذهب
الى ان ذلك لا يجوز وقت النبوة اما قبل النبوة فجائز وهو قول اكثر اصحابنا وقول ابي الهذيل وابي علي من المعتزلة والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم الذنب حين حال
النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة ويدل عليه وجوه احدها انه لو صدر الذنب لكانوا ادنى درجة من عصاة الامة وانه
باطل بالاجماع بيان الملازمة ان درجات الانبياء كانت في غاية الجلالة والشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه افحش
الا ترى الى قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين والمحصن يرجم وغيره يجلد
وحد العبد نصف حد الحر وثانيها لو صدر منهم ذنب لكانوا فساقا والفاسق لا تقبل شهادته لقوله تعالى ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا واللازم باطل والا لكان اقل حالا من عدول الامة وكيف لا تقبل شهادتهم ولا معنى النبوة والرسالة
الا الشهادة على الله تعالى بانه شرع هذا الحكم وفي الشهادة ايضا في يوم القيامة شاهد على الكل لقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وثالثها انه لو اقدم النبي على الكبيرة لوجب زجره عنها واللازم باطل والا لم يكن ايذاؤه محرما لكنه
محرم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ورابعها انه لو اتى النبي المعصية لوجب علينا
اتباعه لقوله فاتبعوني فيفضي الى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال واذا ثبت ذلك في حقه عليه السلام ثبت في حق سائر
الانبياء اذ لا قائل بالفرق وخامسها قوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل ويدخل
فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي وهو ينافي صدور الذنب عنهم وسادسها قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
وهذا يتناول الاصطفاء والخيرية في جميع الافعال والتروك فكانوا في كل الامور فلا يصدر منهم ذنب وسابعها انه تعالى
قال حكاية عن ابليس فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاستثنى المخلصين فثبت عصمتهم فثبت عصمة الكل
اذ لا قائل بالفرق اما المخالف فقد تمسك في كل واحد من الاقسام الاربعة بآيات اما في باب الاعتقاد فبقوله تعالى هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها الآية فالنفس الواحدة هي آدم وزوجها المخلوق منها هي حوا
والكنايات عائدة اليهما وقوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون تقتضي صدور الشرك
عن آدم وحوا والجواب انا لا نسلم ان النفس الواحدة هي آدم وليس في الآية ما يدل عليه بل الخطاب لقريش وهم آل قصي

خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجا عربية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما وبقوله تعالى حكاية عن ابرهيم
هذا ربي وبقوله رب ارني كيف تحيي الموتى فدل الآية الاولى ان ابرهيم عليه السلام ما كان عالما بالله والثانية انه ما كان عالما باحياء الموتى
والجواب انه قال هذا ربي استفهاما على سبيل الانكار واما قوله ارني فليس طلبا للمعاينة لاطمئنان القلب من المعاينة فوق الطمانينة
من العلم وبقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين فانه يدل على ان النبي كان في شك مما اوحي اليه والجواب ان كونه في شك على سبيل الفرض فلا يستدعي وقوع الشك
واما في باب التبليغ فبقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فهذا الاستثناء يدل على وقوع النسيان في الوحي والجواب
ليس المعنى من النسيان الذي هو ضد الذكر لان ذلك غير داخل في الوسع بل النسيان بمعنى الترك فيحمل على ترك الاولى وبقوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وجوابه سياتي في سورة الحج واما في باب الفتيا
فبقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث وسياتي في سورة الانبياء وبقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآية
فلولا انه اخطا في الحكومة والا لما عوتب وبقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم والجواب عن الكل انما نحمله على ترك الاولى واما في الافعال
فكثيرة منها قصة آدم وتمسكوا بها من وجوه الاول انه عصى وغوى لقوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى ومن عصى وغوى فقد صدر
منه الذنب الثاني انه تاب والتوبة من الذنب الثالث انه ارتكب المنهي لقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الى قوله فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة الرابع انه ظالم لقوله تعالى فتكونا من الظالمين وقد كان ظالما والظالم ملعون لقوله تعالى الا
لعنة الله على الظالمين والظالم صاحب الكبيرة الخامس انه اعترف بانه لولا مغفرة الله اياه والا لكان خاسرا بقوله وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وذلك يقتضي ان يكون صاحب كبيرة السادس انه اخرج من الجنة بسبب وسوسة
الشيطان وان ذلك لجزاء على ما اقدم عليه من طاعة الشيطان وذلك يدل على انه صاحب كبيرة ثم قيل هب ان كل واحد من هذه
الوجوه لا يدل على صدور الكبيرة منه لكن مجموعها يدل عليه قطعا ولا يبعد ان المجموع ما يكون ما صدر منه كبيرة وان لم
يدل كل واحد عليه والجواب عنها ان كلامكم لا يتم الا بان يثبت انه صدر منه حال النبوة وهو ممنوع فانه يحتمل انه لا يكون نبيا
حين صدور هذه الزلة عنه ثم لو فرض صدورها عنه بعد النبوة فذهب طائفة من المتكلمين الى ان صدورها كان حال النسيان
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما قيل قوله ما نهاكما ربكما عن الشجرة وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسي
النهي حال الاقدام ولانه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل واللازم باطل لقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة والجواب انا لا نسلم
ان آدم وحوا قبلا من ابليس ذلك الكلام وصدقاه لانه لو قبلاه لكانت معصيتهما في ذلك اعظم من اكلهما لانه يلزم من القبول
سوء الظن بالله وترك التسليم لامره وترك الرضى بحكمه واعتقادا ان ابليس ناصح لهما وان الله قد غشهما ولا شك ان هذه الذنوب
اعظم من اكلها وان العتاب انما حصل على ترك التحفظ من اسباب النسيان وهذا الضرب موضوع عن المسلمين وقد كان يجوز
ان يؤاخذوا به وليس بموضوع عن الانبيا لعظم خطرهم والانصاف ان هذا الجواب غير صحيح شاهده قوله تعالى فدلاهما بغرور وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وقوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وذهب قوم الى انه كان ذلك
عمدا فمنهم من حمل النهي على الكراهة والظاهر خلافه ومنهم من ذهب الى انه عمد وكبيرة وجوز صدور الكبيرة عن الانبياء وقد
عرف فساده ومنهم من ذهب الى انه عمد صدر منه مع الوجل والوجل صيره في حكم الصغيرة وهذا ليس بشيء فان صدور الكبيرة
مع الوجل لا يصيرها في حكم الصغيرة ومنهم من ذهب الى انه اقدم على الاكل بالاجتهاد لخطا فيه فلا يكون الذنب كبيرة فانه لما قيل له
ولا تقربا هذه الشجرة ظن ان النهي عن تلك الشجرة المعينة فتركها وتناول من غيرها من نوعها لكنه مخطئ في ذلك الاجتهاد لان المراد
من هذه الشجرة النوع لا الشخص والاجتهاد في الفروع اذا كان خطا لا يوجب استحقاق العقاب لاحتمال كونه صغيرة مغفورة
وهذا ليس بشيء فان المجتهد مكلف بحمل اللفظ على مفهومه الحقيقي اذا لم يجد قرينة صارفة وآدم لما حمل لفظة هذه الشجرة
على المعينة كان قد فعل الواجب ولا يجوز له حمله على النوع فيكون اجتهاده غير معصية فلا يكون هذا التاويل صحيحا فانه
المسألة ظنية والاجتهاد فيها جائز فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا يتحقق الخطا فيها اصلا وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ
فيها معذور بالاتفاق فلا يكون معصية مقتضية لنزع لباس آدم عنه واخراجه من الجنة واهباطه الى الارض قوله تعالى وقلنا
اهبطوا بعضكم لبعض عدو عطف على قوله قلنا يا آدم اسكن وقوله اهبطوا جملة امرية في محل نصب بقل قبلها والهبوط النزول
من علو الى سفل وقيل التحول من موضع الى غيره كقوله اهبطوا مصرا وفي من توجه هذا الخطاب اليه ستة اقوال احدها
انه خطاب لآدم وحوا والحية قاله ابو صالح عن ابن عباس والثاني انه لآدم وحوا وابليس والحية حكاه السدي عن ابن عباس
والثالث لآدم وابليس قاله مجاهد والرابع لآدم وحوا وابليس قاله مقاتل والخامس لآدم وحوا فحسب ولفظ الجمع واقع على التثنية
كقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين ذكره العلة في قول مجاهد والسادس لآدم وحوا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس
ومتشعبهم جعلا كانهم الانس كلهم والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على
ذلك قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا الآية وما هو الا حكم يعم الناس كلهم والظاهر
هذا الامر للاباحة واختلف العلماء هل اهبطوا جملة او متفرقين على قولين احدهما اهبطوا جملة لكنهم نزلوا في البلاد متفرقة قاله
كعب ووهب والثاني انهم اهبطوا متفرقين فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود وقيل واقم وحوا بجدة

والبليس بالابلة قاله مقاتل والحية بنصيبين وقيل باصبهان روي عن ابن عباس ان الله تعالى امر جبريل باخراج آدم فقبض
على ناصيته وخلصه من الشجرة التي تشبثت عليه فقال ايها الملك ارفق بي قال جبريل اني لا ارفق بمن عصى الله تعالى فارتعد
آدم واضطرب وذهب كلامه وجبريل يعاتبه في معصيته ويعدد له نعم الله عليه قالوا دخل الجنة ضحوة واخرج منها بين
الصلاتين فمكث فيها نصف يوم خمسمائة عام مما يعد اهل الدنيا قوله بعضكم لبعض البعض في الاصل مصدر بعض الشيء يبعضه
اذا قطعه فاطلق على القطعة من الناس لانها قطعة منه وهو يقابل الكل وحكمه في لزوم الاضافة وانه معرفة بنية الاضافة
فلا يدخل عليها اللام وينتصب على الحال تقول مررت ببعض جالسا والعدو للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل
اورد لفظ عدو وان كان المراد جميعا لوجهين اما اعتبارا بلفظة بعض فانه مفرد واما لان عدوا يشبه المصادر في الوزن
كالقبول فيجمع وقيل انه مصدر كالقبول والولوع فلذلك لم يجمع قال تعالى فانهم عدو لي وقال هم العدو واشتقاقه من عدا
يعدو اذا ظلم وقيل من عدا يعدو اذا جاوز وقيل من عدوتي الجبل وهما طرفاه واللام في لبعض متعلقة بعدو وقوله لا يجوز
ان يكون في الاصل صفة لعدو فلما قدم عليه انتصب حالا فيتعلق اللام بمحذوف وقوله بعضكم مبتدأ وعدو خبر والجملة
في محل نصب على الحال اي متعادين وان كان الاكثر في الجملة الاسمية الواقعة حالا ان يقترن بالواو وقيل لا محل لها لانها استئناف
اخبار بالعداوة وفي العداوة المذكورة هاهنا ثلاثة اقوال احدها ان ذرية آدم بعضهم اعداء البعض وهو ما عليه الناس
من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض قاله مجاهد والثاني ان ابليس عدو لآدم وحواء وهما عدو له قاله مقاتل والثالث
ان ابليس عدو للمؤمنين وهم اعداؤه قاله الزجاج قوله ولكم في الارض مستقر المستقر من القرار وهو اللبث ولذلك
سميت الارض قرارا ويجوز ان يكون اسم مكان او مصدرا فمعناه موضع استقرار ومتاع هو ما تمتعت به من اي شيء كان
وكل ما حصل التمتع به فهو متاع وقيل متاع اي تمتع بالعيش والحين قطعة من الزمان طويلة كانت او قصيرة قال الجوهري الحين
الوقت يقال حينئذ قال خويلد كابي الرماد عظيم القدر جفنته حين الشتاء كحوض المنهل اللقف والحين ايضا المدة ومنه
قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر وحان له ان يفعل كذا يحين حينا اي آن وحان حينه اي قرب وقته واحينت
بالمكان اذا اقمت به حينا وحينت الناقة اذا جعلت لها في كل يوم وقتا تحلبها فيه وفلان ياكل الحينة والحينة وربما ادخلوا
عليه التاء قال العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والجملة التي هي قوله ولكم في الارض مستقر
يجوز فيها الوجهان المتقدمان في الجملة التي قبلها من الاستئناف والحالية كانه قيل اهبطوا متعادين ومستحقين
الاستقرار ولكم خبر مقدم وفي الارض متعلق بما تعلق به على وجهين احدهما انه حال والثاني انه غير حال بل كسائر الظروف
ويجوز ان يكون في الارض هو الخبر ولكم متعلق به هو من الاستقرار لكن لا على انه حال لئلا يلزم تقديم الحال على عاملها
المعنوي على ان بعض النحويين اجاز ذلك اذا كانت الحال نفسها ظرفا او حرف جر كهذه الآية فيكون في لكم ايضا وجهان و
لا يجوز ان يكون في الارض متعلقا بمستقر سواء جعل مكانا او مصدرا اما كونه اسم مكان فلان اسماء الامكنة لا تعمل
واما كونه مصدرا فلان المصدر الموصول لا يجوز تقديم معموله عليه ولقائل ان يقول هو متعلق به على انه مصدر لكن
غير مؤول بحرف مصدري والحين الظاهر انه متعلق بمتاع فيكون من باب تنازع العاملين لان كلا من قوله مستقر ومتاع
متوجه من جهة المعنى اليه وجاء الاعمال هنا باختيار البصريين وهو اعمال الثاني واهمال الاول ولذلك حذف منه الكناية
والتقدير ولكم في الارض مستقر اليه ومتاع الى حين ولو جاء على اعمال الاول لاضمر في الثاني وقيل من شرط الاعمال
ان يصح تسلط كل من العاملين على المعمول ومستقر لا يصح تسلطه عليه لانه لا يصح الفصل بين المصدر ومعموله والمصدر
بمعنى الموصول اجيب بانه انما لا يصح الفصل في المصدر الذي يراد به الحدث وهذا لم يرد به حدث فلا يؤول بموصول
وفي المستقر قولان احدهما ان المراد به القبور حكاه السدي عن ابن عباس وثانيهما انه موضع الاستقرار قاله ابو العالية
وابن زيد والزجاج وابن قتيبة وفي الحين قولان احدهما الى يوم القيامة والثاني الى الموت روي عن ابراهيم بن ادهم انه قال
اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم
تلقى استقبل والفاء عاطفة هذه الجملة على ما قبلها وقراءة العامة برفع آدم ونصب كلمات وقرا ابن كثير بنصب آدم
ورفع كلمات فعلى الاول معناه استقبل آدم كلمات ربه بالاخذ والقبول والعمل بها قال ابن قتيبة كان الله تعالى اوحى اليه ان
يستغفره بكلام من عنده ففعل فتاب عليه والثاني معناه استقبلت كلمات آدم بان بلغته واتصلت به والكلمات
جمع كلمة وهي لفظة وضعت لمعنى مفرد وقد تطلق على الجمل المفيدة مجازا تسمية للكل باسم الجزء قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا ثم فسرها بقوله الا نعبد الا الله وقال انها كلمة يريد قوله تعالى رب ارجعون وقال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد وفي الكلمات اقوال احدها انه قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعطا
الخراساني وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب وابن زيد وثانيها انه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم
تسبق رحمتك الى قبل غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال فلم اخرجتني منها قال بشؤم معصيتك
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم حكاه السدي عن ابن عباس وثالثها انه قال اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي
فارحمني وانت خير الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم رواه ابن
كثير عن مجاهد وعن ابن عباس ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك

وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ولكني نذكر توبة آدم دون توبة حوا لانها كانت تبعا
له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقيل لان المراة مستورة
فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى آدم ربه قوله فتاب عطف على ما قبله والفاء للتعقيب والسببية
فيما اي فعلمها فتاب عليه والتوبة في اللغة الرجوع كالاوبة يقال تاب يتوب توبا وتوبة ومتابا فهو تائب وتواب كما يقال آب
يئوب اوبا واوبة فهو آيب واواب والتوبة لفظ يشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد يكون معناه يرجع العبد
من المعصية الى الطاعة فان العاصي كالهارب من ربه فاذا تاب فقد رجع عن هربه الى ربه واذا وصف به الرب يكون معناه رجع
عليه بالمغفرة والقبول او بمعنى توفقه اي فتاب عليه اي عاد عليه بغفر ذنوبه وقبل طاعته قال الغزالي التوبة تتحقق من ثلاثة امور علم
وحال وعمل فالعلم هو الاول والحال ثاني والعمل ثالث والعلم موجب للحال والحال موجب للعمل ايجابا اقتضاه سنة الله في
الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الله فاذا عرف ذلك معرفة
محققة حصل من هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات المحبوب فان القلب متى شعر بفوات المحبوب تالم فان كان فواته بفعل
جهته تاسف بفوات المحبوب على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات فيسمى ذلك التاسف ندما ثم ان ذلك الالم اذا تاكد
حصلت منه ارادة جازمة لها تعلق بالحال والمستقبل والماضي اما تعلقها بالحال فترك الذنب الذي كان ملابسا له
واما بالمستقبل فالعزم على ترك ذلك الفعل المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضا ان كان
قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني به اليقين بان هذه الذنوب سموم مهلكة فهذا اليقين نور
هذا النور موجب لان الندم فيتالم به القلب حيث ابصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور
الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع عليه النور بانقشاع السحاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب
في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي
في الماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع
المتاخر وبهذا الاعتبار قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا ينفك الندم عن علم اوجبه وعن عزم يتبعه فيكون الندم
محفوظا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وقال العلماء لا بد في التوبة من ترك الذنب ومن الندم على ما سبق ومن العزم الا يعود الى مثله
ومن الاشفاق فيما بين ذلك كله اما الترك فلانه لو لم يترك لكان فاعلا له فلا يكون تائبا واما الندم فلانه لو لم يندم
لكان راضيا بكونه فاعلا والراضي بالشيء قد يفعله والفاعل للشيء لا يكون تائبا عنه واما العزم على الا يعود الى مثله فلان ذلك
معصية والعزم على المعصية معصية واما الاشفاق فلانه مامور بالتوبة فلا سبيل له الى القطع بانه ادى التوبة كما لزمته فيكون خائفا
ولهذا قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا والتوبة واجبة لقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا واحتج المعتزلة على وجوب التوبة دافعة للضرر الذي هو العقاب او الخوف منه ودفع الضرر
واجب فما به يدفع الضرر ايضا يكون واجبا وبان الندم على فعل القبيح او على الاخلال بالواجب واجب قطعا فيكون التوبة واجبة
قالوا ويجب على التائب ان يندم على فعل القبيح لقبحه اذ لو لم يكن الندم على القبيح لقبحه لا تنتفي التوبة فانه من ندم من المعصية
لحفظ صحة بدنه او لغرض آخر لا يحصل التوبة له وان كان غاية التوبة هو حصول تحقق التوبة لان توبة الخائف ليس بندم
لقبح الفعل بل يكون لكن ندم حفظا لسلامة بدنه وكذا الاخلال بالواجب انما يكون الندم عليه توبة اذا كان الندم لانه اخلال
بالواجب واما اذا كان الندم عليه حفظا لسلامة بدنه او لخوف النار لم يكن توبة وذهب ابو هاشم الى انه لا يصح الندم من قبيح
دون قبيح لانه اذا ندم من قبيح دون قبيح ظهر انه لم يندم على القبيح لقبحه بل لغيره فلا يصح الندم وذهب ابو علي الى انه يصح كما يصح
الاتيان بواجب دون واجب فانما يجب ترك القبيح لقبحه كذلك يجب عليه فعل الواجب لوجوبه فلو لزم من اشتراك القبائح في القبح
عدم صحة الندم على قبيح دون قبيح لزم من اشتراك الواجبات في الوجوب عدم صحة الاتيان بواجب دون واجب ورد بالفرق
بان ترك القبيح لكونه نفيا يكون للتعميم فلا يحصل الا بترك جميع القبائح بخلاف الاتيان بالواجبات لكونه شيئا لا يكون للتعميم
فيحصل بالاتيان بواجب دون واجب ولذلك كان من حلف ان لا ياكل الرمانة لحصول حنثه يجب ان يجتنب عن اكل كل رمانة حامضة
ولو اعتقد التائب في بعض القبائح الحسن صحت توبته عن قبيح اعتقد قبحه دون قبيح اعتقد حسنه لحصول شرط التوبة وهو الندم
على القبيح لقبحه واذا استحقر احد الفعلين من حيث القبح والآخر استعظمه من حيث القبح حتى اعتقد بالحقارة وجوده بالنسبة
الى العظيم كعدمه فتاب من العظيم تقبل توبته لانه تاب عنه لقبحه ويصح التوبة من قبيح دون قبيح اذا كان الداعية الى ترك بعض
القبائح راجحة على داعية بعض آخر ولا يصح التوبة من قبيح دون قبيح اذا كانت دواعي الجميع متساوية وذلك لان ترجح الى الندم
عن البعض يبعث الى ذلك الندم وان اشترك الدواعي في الندم على القبيح فيتحقق الندم عن البعض بسبب ترجح داعيته ولم
يحصل الندم عن البعض واذا اشترك الجميع في الدواعي لان رجحان الداعي يخصص ذلك البعض بالوقوع ولا يكون مع الندم
عن البعض الآخر لا على انه ما ترك القبيح لقبحه بل لان داعي ذلك الندم الى الواقع لما ترجح بذلك كان الداعي الى الفعل فان الاول
تقع بحسب الدواعي فاذا كان داعية البعض لا تعادل راجحة على داعية بعض آخر يختص الفعل الذي يكون داعيته راجحة بالوقوع
واذا اشترك مع غيره في الدواعي واذا اشتركت الدواعي في الترجيح اشترك وقوع الندم ولا يصح الندم عن بعض دون بعض
ويهدينا ما دل كلام علي رضي الله عنه واولاده من ان التوبة لا تصح عن بعض القبائح دون بعض فانه لو لم يقل بهذا لزم الحكم بقبول
الكفر على التائب من الكفر المقيم على صغيرة مثل الكذب وهو خلاف الاجماع ثم التوبة ان كانت من ذنب يتعلق بحق الله تعالى فان كان
عن فعل قبيح كشرب الخمر فالذي يكفي فيها الندم والعزم وان كان عن الاخلال بالواجب اختلف حكمه في بقائه وقضائه وعدمه ففي بعضه

يسقط عنه بمجرد الندم والعزم على ترك المعاودة وبعضه يحتاج الى القضاء كالصلوة وبعضه يحتاج الى ان يؤدى كالزكوة
فان كانت عن ذنب يتعلق بحق الآدمي تستتبع ايصاله اليه ان كان ظلما وان تعذر الايصال بان كان صاحب الحق او وارثه باقيا وتمام ايصال
الحق الى المستحق بان يرد المال او يسلم البدن او العضو للقصاص او العليا المقتول لاستيفاء الحق وان تعذر وجب العزم على ترك
المعاودة وان كان الذنب الذي يتعلق بحق الآدمي اضلالا وجب ارشاد من اضله ورجوعه عما اعتقده بسببه ان امكن ذلك
وهذه التوابع ليست من اجزاء التوبة فان العقاب يسقط بالتوبة ويبقى المكلف بالتوابع اتماما للتوبة فان ترك التوابع لا يمنع
سقوط العقاب بالتوبة وان كان الذنب الذي يتعلق بحق الآدمي هو الاغتياب وجب على المغتاب الاعتذار ممن اغتابه ان بلغ الاغتياب
اليه لانه اوصل اليه غما بسبب الاغتياب فوجب عليه الاعتذار فيندم لله عليه وان لم يبلغ اليه لا يلزمه الاعتذار
لانه لم يوصل اليه بسبب الاغتياب غما الكرب يجب في كلا القسمين الندم لله تعالى فانه خالف نهيه والعزم على ترك المعاودة
وقيل يجب على التائب التفصيل اذا كان يعلم القبائح مفصلا بان يتوب عن كل واحد منها وان كان يعلم القبائح مجملا يجب
عليه التوبة عن القبائح مجملا وان علم بعضها مجملا وبعضها مفصلا وجب عليه التوبة عن المفصل بالتفصيل وعن المجمل
بالاجمال وفيه نظر لان الاجزاء يمكن ان يحصل بالندم على كل قبيح صدر منه وان لم يذكره مفصلا وقيل اذا تاب المكلف عن
المعصية ثم ذكرها يجب عليه تجديد التوبة لانه اذا ذكر المعصية ولم يندم عليها لم يصر نادما وفيه نظر لانه يجوز ان لا يتجدد
المعصية منه عند ذكرها بل يعود الندم واذا صدر العلة من المكلف وجب الندم عن العلة مع المعلول كما اذا رمى فاصاب
فانه رمى علة الاصابة فيجب الندم عن الرمي والاصابة وذهب بعض المعتزلة الى وجوب سقوط العقاب بالتوبة فان
من اساء الى غيره واعتذر اليه بعد عرفه الانزعاج عن تلك الاساءة بالكلية فانه يلزم عند العقلاء ان يقبل اعتذاره وان
بعد الاعتذار والعقاب يسقط بالتوبة لا بكثرة ثوابها والتوبة على معنى ان التوبة اذا وقعت على شروطها اسقطت العقاب
من غير اعتبار امر زائد وقال قوم انها تسقط العقاب بكثرة ثوابها واحتج على الاول بوجوه الاول ان التوبة قد تقع محبطة
بغير ثواب كتوبة الخارجي من الزنى فانه يسقط بها عقابه من الزنى ولا ثواب لتوبته اصلا الثاني انه لولا سقوط العقاب
بالتوبة وحدها بل بكثرة ثوابها لما بقي الفرق بين تقدم التوبة على المعصية وتاخيرها عنها في ذلك واللازم باطل اما الملازمة
فانه حينئذ يكون التوبة كغيرها من الطاعات التي تسقط العقاب بكثرة ثوابها والطاعات التي هي غيرها لا فرق بين
تقدمها وتاخيرها عن المعاصي اذا كفر او فسق سقط عنه العقاب الثالث انه لو اسقطت التوبة العقاب بكثرة ثوابها
لا يتاتى اختصاص بعض العقاب بالاسقاط دون بعض لان الثواب لا اختصاص له ببعض العقاب دون بعض واللازم باطل لان
بعض العقاب يختص بالسقوط بان يكون التوبة من ذنب يستحق ذلك العقاب فان قيل لو كانت التوبة بنفسها مسقطة للعقاب
لا بكثرة ثوابها لكانت مقبولة في الآخرة اجيب بانها انما لم تقبل في الآخرة لانتفاء الشرط لان التوبة مشروطة بان يقع
ندما على القبيح لقبحه وفي الآخرة يقع الالجاء فلا يكون الندم على القبيح للقبح فلم يتحقق شرطها فلهذا لا تقبل قال صاحب الكشاف
الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها
من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال
واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته
في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة قوله انه
هو التواب الرحيم هذه الجملة استينافية لا محل لها من الاعراب وبنية التواب للمبالغة والتكثير اي كلما تكررت توبة العبد
تكرر قبوله ولا يقال لغير الله التواب الرحيم لمناسبة فتاب عليه ولانه من ختم الفواصل بالرحيم وايضا لما كان قبول
التوبة من ازالة العقاب يقتضي حصول الثواب وكان الثواب من رحمته ونعمته وصف نفسه مع كونه توابا بانه رحيم قوله
انه هو التواب الرحيم نظير قوله انك انت العليم الحكيم تنبيه في هذه الآية فوائد منها تحريض العبد على التوبة
روى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مرة وروي ان رجلا سال عليا رضي الله عنه عن الرجل يذنب ثم يستغفر ثم يذنب ثم يستغفر قال علي ثم يستغفر ابدا
حتى يكون الشيطان هو الخاسر فيقول لا طاقة لي معه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في
سبعين مرة والغين شيء يغشي القلب فيغطيه بعض التغطية وهو كالغيم الرقيق الذي في الهواء فلا يحجب عن الشمس ولكن
يمنع كمال ضوئها ولهذا الحديث تاويلات احدها ان الله اطلع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يكون في امته من الخلاف
والمعاصي فكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وثانيها ان القلب لا يخلو عن الخطرات والخواطر والشهوات
وانواع الميل والارادات فكان يستعين بالله في دفعها وثالثها انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل من حالة الى حالة
ارفع من الاولى فكان الاستغفار لذلك ورابعها ان الغين عبارة عن السكر الذي كان لحقه من فرط المحبة حتى يصير
فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو كان الاستغفار من ذلك الصحو وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل
تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة فانطلق الى ارض كذا فان بها اناسا يعبدون الله
فاعبد معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق فاتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاه ملك في صورة آدمي فتوسط بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما

ولا يطلق عليه تائب وان خرج بفعله مسند اليه تعالى وقدم التواب م

فقالت ملائكة العذاب

كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض لانه اراد السير فقبضه ملائكة الرحمة من باب الثاني لعنا ان ابليس
قال رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال الله جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني
قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد فقال فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني
وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء
قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد منهم التوبة ما لم يغرغر وعن ابي موسى الاشعري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من
مغربها رواه مسلم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت حديثا ينفعني الله به ما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد
من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن فوائدها ان آدم عليه السلام لما استغفر مع علو شانه فالواحد منا اولى به
ومن فوائدها انه ما ظهر من آدم عليه السلام من البكاء على زلته تنبيه لنا ايضا لانا احق بالبكاء من آدم وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح لكان
بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح وبكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر سئل ذو النون
عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولهن الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك الذنوب في المستقبل والثالث
اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم
نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن الم الطاعات كما اذاقه حلاوة المعصية قوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرر قلنا اهبطوا للتاكيد ولما نيط به كل منهما
حكم غير حكم الآخر فعلق بالاول عداوة بعضهم لبعض وعلق بالثاني اتيان الهدى قال الجبائي الهبوط الاول غير الثاني والاول
من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وزيف بانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فلو كان
الاستقرار في الارض في الهبوط الثاني لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيبه اولى وبانه قال في الهبوط الثاني اهبطوا
منها جميعا والضمير في منها عائد الى الجنة وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة قال الامام وعندي فيه وجه ثالث اقوى
من الوجهين وهو ان آدم وحواء لما اتيا بالزلة امرا بالهبوط فتابا بعد الامر بالهبوط مرة ثانية فعلمنا ان الامر بالهبوط ما كان جزاء على
ذلك بان له حتى يزول بزوالها بل الامر بالهبوط باق بعد التوبة لان الامر بالهبوط كان تحقيقا للوعد المتقدم في قوله اني جاعل
في الارض خليفة جميعا حال من فاعل اهبطوا اي مجتمعين اما في زمان واحد او في ازمنة متفرقة لان المراد الاشتراك في اصل
الفعل وهذا هو الفرق بين جاؤوا جميعا وجاؤوا معا فان معا تفيد مجيئهم جميعا في زمن واحد لان مع يدل على الاصطحاب بخلاف
جميعا فانه لا يفيد الا انه لم يتخلف احد منهم من المجيء من غير تعرض لاتحاد الزمان وجميع في الاصل من الالفاظ التي هي للتاكيد
قوله فاما الفاء مرتبة معقبة واما اصلها ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذا يتكرر في محل جزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وفعل ان باشرته هذه النون في الامر يبنى على الفتح طلبا للخفة وقيل بني على السكون
وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين وذهب الزجاج والمبرد الى ان الفعل الواقع بعد ان الشرطية المؤكدة بما يجب تاكيده بالنون
ولذلك لم يقع في القرآن الا مؤكدا به وذهب سيبويه الى انه جائز لا واجب لكثرة ما جاء منه في الشعر غير مؤكد ومني لابتداء
الغاية متعلق بياتين ويجوز ان يكون في محل الحال من هدى لانه في الاصل صفة من نكرة قدمت عليها ونظيره قوله من ربه كلمات وفمن
فاعل ومن شرطية مبتدا وتبع في محل جزم لانه فعل شرط وخبرها في قوله فمن تبع شرط ثان وقوله فلا خوف جوابه والشرط الثاني
مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك ولا في قوله فلا خوف يحتمل ان يكون عاملة عمل ليس
فيكون خوف اسمها وعليهم في محل نصب خبرها ويجوز ان يكون غير عاملة فيكون خوف مبتدا وعليهم في محل رفع خبره وفيها
اولى بما قبله لان عملها عمل ليس قليل ولان الجملة التي بعدها وهي ولا هم يحزنون يتعين ان يكون لا فيها غير عاملة لانها لا تعمل
في المعارف فيجعلها غير عاملة فيه مشاكلة لما بعدها في المعنى فاما ياتينكم مني هدى يعني رسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم
بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي قوله فلا خوف اي فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه
من العذاب والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة ضد الامن ويستعمل في الامور الدينية والدنيوية ولا هم يحزنون
على ما فاتهم من الدنيا والخوف لامر مستقبل والحزن لامر ماض قال صاحب الكشاف فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى
كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث
رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال قال صاحب الانتصاف ها هنا نزعتان احداهما خفية والاخرى جلية اما الخفية فهي ان الهدى على الله
واجب والثانية بناء الوجوب على ان الوجوب يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق ان الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى عن
الايجاب رب الارباب وانما يدخل تحت ربقة التكاليف المربوبة الارباب واما وجوب النظر في ادلة التوحيد فانما
ثبت بالسمع لا بالعقل عادة كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف لا على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه
بالاتفاق قال الامام الهدى المراد منه عندنا كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه
تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء فكانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم الى الجنة

فقال لا يولد ولد لآدم الا ولد لك عشرة
قال رب زدني قال تجري مجرى الدم
قال رب زدني م

ووقع في قلبهما ان الامر في الهبوط لما كان من الزلة
فبعد التوبة وجب ان لا يبقى الامر بالهبوط فاعاد
الله تعالى الهبوط م

وقيل مبني مطلقا

مرة اخرى مع الدوام الذى لا ينقطع فمن تبع هداى بالاقدام على ما امر الله به والاحجام عما نهى الله عنه يصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعانى لان قوله تعالى فاما ياتينكم منى هدى يدخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية الواردة للبيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداى تامل الادلة والنظر فيها واستنباط المعارف منها والعمل بها وجمع قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضى الوصول الى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغى مقدم على طلب ما ينبغى وهذا يدل على ان المكلف الذى اطاع الله لا يلحقه خوف فى القبر ولا عند نصب الموازين ولا عند الصراط كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون قيل قوله تعالى فمن تبع هداى يدل على امور منها ان الهدى قد يتحقق بدون الاهتداء ولا يتحقق بدون الهدى ومنها ابطال القول بان المعارف ضرورية ومنها ان استحقاق الجنة باتباع الهدى ومنها ابطال التقليد لان المقلد لا يكون متبعا للهدى

قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● لما وعد متبع الهدى بعدم الخوف والحزن عقبه بايعاد الذين كفروا وكذبوا والذين مبتدأ وما بعده جملة وعائده وبآياتنا متعلق بكذبوا ويجوز ان يكون كفروا وكذبوا تنازعاها لان كلا منهما يطلبها ويكون من اعمال الثانى والحذف من الاول والتقدير والذين كفروا بها وكذبوا بآياتنا واولئك مبتدأ ثان واصحاب النار خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له واصحاب خبر المبتدأ الموصول وقوله هم فيها خالدون جملة اسمية فى محل نصب على الحال للتصريح بذلك فى مواضع قال تعالى اصحاب النار خالدين ويحتمل ان يكون فى محل رفع خبر لاولئك ايضا فيكون قد اخبر عنه بخبرين احدهما مفرد وهو اصحاب النار والآخر جملة وفيها متعلق بخالدون قيل وقد حصل من الكلام الاول لما اثبت الثانى من الحالين ما اثبت فى الاول والتقدير فمن تبع هداى فلا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ومن كفر وكذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار والمراد بالآيات آيات الكتب التى تتلى وقيل معجزات الانبياء وقيل القرآن وقيل دلائل الله فى مصنوعاته واصحاب النار سكانها سموا اصحابا للنار لصحبتهم اياها بالملازمة قال الامام وهنا آخر الآيات الدالة على النعم التى انعم الله بها على جميع آدم وهى دالة على التوحيد من حيث ان هذه النعم التى انعم الله بها على جميع بنى آدم امور حادثة لا بد لها محدث وعلى النبوة لان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عنها موافقا لما فى التورية والانجيل من غير تعلم وعلى المعاد من حيث ان من قدر على خلق هذه الاشياء ابتداء قدر على خلقها اعادة

قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون ● اعلم انه سبحانه وتعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد واكد ذلك بذكر الانعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود كسرا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم فذكرهم اولا النعم على سبيل الاجمال فقال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وفرع على تذكرها الامر بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ثم عقبها بذكر الامور التى تمنعهم عن الايمان به ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الاجمال ثانيا بقوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم تنبيها على غاية غفلتهم ثم اردف هذا التكرير بالترهيب البالغ بقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا الخ ثم شرع بعد ذلك فى تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وانصف علم ان هذا هو النهاية فى حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد فى قلب المستمع بنى اسرائيل منادى منصوب لانه مضاف وعلامة نصبه الياء لانه جمع مذكر سالم وحذفت نونه للاضافة وهو جمع المكسر لتغير مفرده ولذلك عاملته العرب ببعض معاملة جمع التكسير فالحقوا فى فعله المسند اليه تاء التأنيث نحو قالت بنو فلان قال تعالى حكاية عن فرعون آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل واسرائيل مخفوض بالاضافة غير منصرف للعلمية والعجمة واتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهو مركب تركيب اضافة قيل ان اسر فى لغتهم هو العبد وايل هو الله وقيل اسر بالعبرانية هو الانسان وكانه قيل رجل الله وقيل معناه صفوة الله فقوله يا بنى اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب فى ايام محمد صلى الله عليه وسلم والذكر بكسر الذال وضمها بمعنى واحد يكونان باللسان وبالجنان وقال الكسائى هو بالكسر للسان وبالضم بالقلب والذى بالقلب ضده النسيان والذى باللسان ضده الصمت والنعمة اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك ولفظها واحد ومعناها جمع يدل على ذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وحد النعمة المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو كان نفعا وقصد الفاعل نفسه لا يقع المنفعة به كمن احسن الى جاريته ليربح عليها او اراد استدراجه الى ضرر كمن اطعم خبيصا مسموما ليهلك لم يكن ذلك نعمة فاما اذا كان المنفعة مفعولة على قصد الاحسان الى الغير كانت نعمة واعلم ان كل ما يصل الينا فى الدنيا والآخرة من المنافع ودفع المضار فهو من الله تعالى قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم ان النعمة على ثلاثة اوجه احدها نعمة تفرد الله تعالى بها نحو ان خلق ورزق وثانيها نعمة وصلت الينا من جهة غيره بان خلقها وخلق المنعم ومكنه من الانعام وخلق فيه قدرة الانعام وداعيته ووفقه عليه وهداه اليه فهذه النعمة فى الحقيقة ايضا من الله تعالى الا انه لما خلق واجراها على يد عبده كان ذلك العبد مشكورا ولكن المشكور فى الحقيقة هو الله تعالى ولهذا قال تعالى ان اشكر لى ولوالديك فبدأ بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وثالثها نعم وصلت من الله تعالى بواسطة طاعتنا وهى ايضا من الله لانه لولا ان الله وفقنا للطاعة واعاننا عليها وهدانا اليها وازاح عنا الاعذار لما وصلنا

الى شيء منها فظهر ان جميع النعم من الله تعالى ونعم الله على عبده مما لا يمكن عدها ولا حصرها قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها بيان ذلك انه كلما اودع فينا من المنافع واللذات التى ننتفع بها والاعضاء التى نستعملها فى جلب المنافع ودفع المضار وما خلق فى العالم مما يلتذ به وما يستدل به على وجود الصانع وما وجد فى العالم مما يحصل به زجر الارواح عن ها مما لا يحصى عدده وكل ذلك منافع لان المنفعة هى اللذة او ما يكون وسيلة الى اللذة وجميع ما خلق الله كذلك لان كل ما ابتلينا به اما وسيلة اليها او وسيلة الى دفع الضرر وما لا يكون جالبا للنفع الحاضر ولا دافعا للضرر الحاضر فهو صالح لان يستدل به على الصانع الحكيم فهو وسيلة الى معرفته وطاعته وهما وسيلتان الى اللذات الابدية فثبت ان جميع مخلوقاته نعمة على العبيد وان العقول قاصرة عن تعديدها فان قيل اذا كانت العقول قاصرة عن تعديدها فلا يحصل العلم بها فالامر بتذكرها فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم من قبيل تكليف ما لا يطاق اجيب بان العقول قاصرة عن تعديد اشخاصها وانواعها لا عن تعديد اجناسها والامر بتذكرها انما هو بحسب اجناسها فان تذكر اجناسها كاف فى معرفة الصانع الحكيم واول ما انعم الله تعالى على عبيده هو ان احياهم قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وهذه النعمة يشترك فيها المؤمن والكافر والصالح قيل ليس لله نعمة على الكافر لا فى الآخرة ولا فى الدنيا اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان هذه النعم القليلة فى الدنيا لما كانت مؤدية الى الضرر الدائم فى الآخرة لم تكن نعمة فان من جعل السم فى الحلوا واطعم غيره فانه لم يعد منعما لما كان ذلك سببا الى الضرر العظيم ولهذا قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ثم قال ان الله تعالى وان لم ينعم على الكافر بنعمة الدين فانه انعم عليه بنعمة الدنيا يدل على ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء نبه على انه يجب على الكل طاعته وعبوديته لمكان هذه النعمة التى هى نعمة الخلق والرزق وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الخ ذكر ذلك فى معرض الامتنان وشرح النعم ولو لم يصل اليهم من الله شيء من النعم لما صح ذلك وقوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وهذا صريح فى ان الله تعالى انعم على الكافر اذ المخاطب بنو اسرائيل اهل الكتاب وكانوا من الكفار وقالت المعتزلة ان الله تعالى قد انعم على المكلفين بنعم الدنيا وسوى بين الجميع فى النعم الدينية والدنيوية اما فى الدينية فلانه فعل بهم كل ما كان فى المقدور من الالطاف فقد فعل بهم وان الذى لم يفعله غير داخل فى القدرة اذ لو قدر على لطف لم يفعله بالمكلف عند المكلف واما فى الدنيا فعلى قول معتزلة بغداد خاصة لان عندهم يجب رعاية الاصلح فى الدنيا وعند معتزلة البصرة لا يجب وفى المراد بالنعمة فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ثلاثة اقوال احدها انها ما استودعهم من التورية التى فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وثانيها ما انعم الله به على آبائهم واجدادهم اذ انجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واتاهم التورية ونحو ذلك قاله الحسن والزجاج وانما من عليهم بما انعم على آبائهم لان فخر الآباء فخر على الابناء وثالثها جميع نعمه على تصريف الاحوال والمراد من ذكرها شكرها والاعتداد بها واستعظامها وطاعة مانحها وقوله واوفوا بعهدى اوف جملة امر يعطف على الامر التى قبلها اوفيت بالشيء ووفيت بالغت فى اتمامه ووفيت مخففا ايضا اتممته ووفى واوفى بمعنى تركا الغدر من الوفاء وهو ضد الغدر والعهد الامان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية وقد عهدت اليه اى اوصيته ومنه اشتق العهد الذى يكتب للولاة وتقول عهد الله على لافعلن كذا والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا وقال الخليل اصله الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وتسمى الموثق عهدا للزوم مراعاته والعهد يضاف الى المعاهد اى الفاعل والمعاهد اى المفعول جميعا كقوله تعالى ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اى بما عاهدت عليه ومعنى اوفوا بعهدى اوفوا بما عاهدتمونى عليه وفى المراد بعهده اربعة اقوال احدها ما عهد اليهم فى التورية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيبعثه على ما قال تعالى فى الاعراف ورحمتى وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل رواه ابو صالح عن ابن عباس الثانى انه امتثال الاوامر واجتناب النواهى رواه الضحاك عن ابن عباس الثالث الاسلام قاله ابو العالية والرابع انه العهد المذكور فى قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية قاله قتادة قال صاحب الكشاف واوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله اى الايمان والطاعة ومنهم من عاهدوا الله اى على الايمان والطاعة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من ادخالكم الجنة قاله ابن عباس وقيل اتمم ذكركم بالقبول وحسن الثواب على حسناتكم قال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله اوف مجزوم على جواب الامر وهل الجازم الجملة الطلبية بنفسها او لما تضمنته من معنى الشرط او حرف شرط مقدر تقديره ان توفوا بعهدى اوف بعهدكم ثلاثة اقوال وهكذا كل ما جزم فى جواب طلب يجرى فيه هذا الخلاف قال الامام عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان عهد الى بنى اسرائيل فى التورية انى باعث من بنى اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذى ياتى به اى بالقرآن غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وسائر انبياء بنى اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبى الامى من ولد اسمعيل وتصديق هذا فى القرآن فى قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وفى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته قيل لو كان كذلك فكيف يجوز منهم انهم جحدوا واجيب بان هذا العلم عند العلماء فى كتبهم لكن لم يكن لهم العدد الكثير فى زمنهم كتمانه ولان ذلك النص كان خفيا لا جليا فجاز وقوع الشك فيه والشبهة ولنذكر بعض ما جاء فى كتب الانبياء المتقدمين من البشارة بمقدم النبى صلى الله عليه وسلم فمنها ما جاء فى الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما اغضبتها سارة ترائى لها ملك فقال لها يا هاجر اين تريدين ومن اين اقبلت قالت اهرب من سيدتى سارة فقال لها ارجعى الى سيدتك واخضعى لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك

وسماعيل وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع تلبيتك وخشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد
الجميع مبسوطة اليه بالخضوع والاستدلال بهذا الكلام اخرج مخرج البشارة وليس يجوز ان يبشر الملك من الله تعالى بامر
لا يتم الا بالكذب على الله ومعلوم ان اسمعيل وولده لم يكونوا متصرفين في الكل في معظم الدنيا ومعظم الامم وما كانوا مخالطين
بالكل على سبيل الاستيلاء الا بالاسلام لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في اوائل
العراق واوائل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الشرق والغرب بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم
ومازجتهم الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة فلو لم يكن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم لكان الملك
كاذبا في هذه البشارة والله تعالى لا يبشر بما هذا سبيله ومنها ما جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس ان الرب الهكم
يقيم لكم نبيا من بنيكم ومن اخوتكم وفي هذا الفصل ان الرب تعالى قال لموسى اني اقيم لهم نبيا من بين اخوتهم واي رجل لم يسمع
كلامي الذي يؤديه انا انتقم منه وهذا الكلام يدل على ان النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني اسرائيل كما ان من قال لبني هاشم
انه سيكون من اخوتكم امام عقل منه انه لا يكون من بني هاشم وان يعقوب هو اسرائيل ولم يكن له اخ الا العيص ولم يكن للعيص
ولد سوى ايوب وانه كان قبل موسى ولا يجوز ان يكون مبشرا به واما اسمعيل فانه كان اخا لاسحق والد يعقوب ثم لم يكن نبي بعد
موسى كان من بني اسرائيل والنبي عليه السلام وما كان منهم لكنه كان من اخوتهم لانه من ولد اسمعيل الذي هو اخو اسحق عليه السلام فان قيل
قوله من بينكم يمنع ان يكون محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لم يقم من بين بني اسرائيل قلنا بل قام من بينهم لانه عليه السلام ظهر بالحجاز
بمكة وبها تكامل امره وقد كان حول المدينة بلاد ليهود خيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم وايضا الحجاز يقارب الشام و
جمهور اليهود كانوا اذ ذاك بالشام فاذا قام محمد بالحجاز فقد قام من بينهم وايضا فانه اذا كان من اخوتهم فقد قام من بينهم
لانه ليس ببعيد منهم قوله فاياي فارهبون اي ضمير منصوب منفصل ونصبه بفعل محذوف يفسره الظاهر بعده والفعل المحذوف
بعد اياي لان تقدير الفعل مقدما على اياي لا يحسن انفصاله والتقدير اياي ارهبوا فارهبون ولا يجوز ان يكون انتصاب
اياي بقوله فارهبون لانه مشغول بالضمير والفاء في قوله فارهبون جواب لمقدر اي وتنبهوا فارهبون ان تخافوا شيئا
فاجمع حرف العطف واخرت الفاء وقدم المفعول عليها ثم اعيد تاكيدا وله لتكميل الفاصلة ولانه يفيد تاكيد ضمير المنفصل
كعكسه نحو كرمتك اياه نظير قوله زيدا فاضرب تقديره تنبه فاضرب زيدا ثم حذف تنبه فوقع الفاء صدرا فقدموا الاسم
اصلاحا للفظ ودخول الفاء لربط الجملتين والرهبة الخوف والخوف من الله تعالى هو الخوف من عقابه والخوف على وجهين احدهما
مع العلم والاخر مع الظن اما العلم فاذا كان على يقين من انه اتى بكل ما امر به وتحرز عن كل ما نهي عنه فان خوفه انما يكون عن
المستقبل وعلى هذا تتصف الملائكة والانبياء بالخوف قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم واما الظن فاذا لم يقطع بانه فعل المامور
واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف الا يكون من اهل الثواب واعلم ان كل من كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة
اكثر وبالعكس روي انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين وقال العارفون الخوف خوفان
خوف العقاب وخوف الجلال لان الاول نصيب اهل الظاهر والثاني نصيب اهل القلوب الاول يزول والثاني لا يزول قال صاحب
الكشاف واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وفيه وجوه
من التاكيد بتقديم الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه تقديره واياي فارهبوني واذا احدهما المضمر
والثاني مظهر في ذلك من تكرار الرهبة واياي فارهبون تدل على ان المرء يجب ان لا يخاف احدا الا الله قوله تعالى وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم ● جملة امرية معطوفة على الامرية التي قبلها وما في قوله بما انزلت موصولة وانزلت صلتها
والعائد محذوف ومصدقا حال من الضمير المحذوف الذي هو مفعول انزلت والعامل فيه انزلت وقيل حال من الموصول والمخاطبون
فيه امنوا والمخاطبون بقوله آمنوا اهل بني اسرائيل وقوله بما انزلت هو القران ومعنى قوله مصدقا انه حصلت البشارة بمحمد
بالقران في التورية والانجيل فكان الايمان بالقران ومحمد تصديقا للتورية والانجيل فيلزم الايمان به لان التورية والانجيل قد
شهدا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكر الله تعالى هذا الكلام ليكون حجة على بني اسرائيل في وجوب الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وهو دال على نبوته من وجهين الاول ان شهادة كتب الانبياء عليهم السلام لا يكون الا حقا والثاني انه صلى الله عليه
وسلم لم يقرا كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ● الاول نقيض الاخر افعل وموته اولى وقال سيبويه اصله اوول ففاؤه وعينه
واو ولم يستعمل منه فعل لاعتلال فائه وعينه واستثقال اجتماع الواوين ولم يحفظ ما فاؤه وعينه من جنس واحد
الا ددن وقفص وبين وعند الكوفيين افعل من وال اذا نجا اصله اوال فابدلوا من الهمزة الثانية واوا مفتوحة وادغمت الاولى
فيها وقيل فوعل اصله ووول من آل يؤول ثم قلبت الواو همزة ثم خففت بابدال الهمزة واوا فادغمت قال صاحب الصحاح اول اذا
جعلته صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما اول واذا لم تجعله صفة صرفته تقول لقيته عاما اولا قال ابن السكيت لا تقل عام الاول
وتقول ما رايته مذ عام اول ومن رفع الاول جعله صفة لعام كانه قال اول من عامنا ومن نصبه جعله كالظرف كانه قال مثل
قبل عامنا واذا قلت ابدا بهذا اول ضممته على الغاية كقولك افعله قبل وان اظهرت المحذوف نصبت قلت ابدا به اول فعلك كما
تقول قبل فعلك وتقول ما رايته اول من امس ولم يجاوز ذلك تقول هذا اول بين الاولية وقيل استعمل اول استعمالين
احدهما ان يجري مجرى الاسماء فيكون منصرفا وتليه العوامل كافكل وافكل افعل لرعدة ولا يبنى منه فعل يقال اخذه افكل
اذا ارتعد من برد او خوف وهو منصرف واذا كان اول يجري مجرى الاسماء يكون معناه قديما وعليه قول العرب ما تركت له
اولا ولا آخرا اي قديما وحديثا وثانيهما ان يجري مجرى افعل التفضيل فيستعمل بمن ملفوظا بها او مقدرة او باللام او بالاضافة

واذا

واذا اضيف افعل التفضيل [illegible]

وهي بدل لقليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير وكل كبير بالنسبة اليه قليل وحقير فبالقليل الحقير التي
كانت تبذلها لهم عوامهم يبيعون اخبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الذي يتبعوا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يتبعوه تقوى بهم بها الماكل والرياسة فاختاروا الدنيا على الاخرة كما قال تعالى فاياي فاتقون فتقرب معنى قوله
فاياي فارهبون والفرق ان الرهبة عبارة عن الخوف واما الاتقاء فانما يحتاج اليه عند الجزم بحصول ما يتقى منه فكانه تعالى
امرهم بالرهبة لاجل ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى لان تعين العقاب قائم وقيل الفرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ
قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ● اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوب
اللبس بالفتح مصدر قولك لبست عليه الامر البس خلطت من قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون واللبس بالفتح اختلاط
الظلام وفي الامر لبسة بالضم اي شبهة ليس بواضح تلبسوا جزم بالنهي وتكتموا عطف عليه في موضع جزم داخل تحت حكم
النهي بمعنى ولا تكتموا ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع ويسمى واو الصرف اي يصرف المعطوف
عن اعراب المعطوف عليه اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت فعلى اي تقدير
يلزم جواز اللبس بدون الكتمان اجيب بان الكتمان مقيد بقوله وانتم تعلمون اي لا تكتموا الحق حال كونكم عالمين بانه حق اي لا يكون
منكم لبس حق مع علمكم بكتمان الحق فالنهي عن جمع اللبس مع العلم بكتمان الحق واللبس الذي لم يكن مع العلم ليس منهيا عنه
لان اللبس الذي لا يعلم صاحبه يعذر فيه ارتكابه لانه لا احتراز عنه فيه مقتصد قال صاحب الكشاف فان قلت لبسهم
وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس
مغايرة احدهما من الاخر فان لبس الحق بالباطل هو كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة
صفة محمد او حكم كذا او ان يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه والباء في قوله بالباطل صلة كالباء في قولك لبست
الشيء بالشيء وخلطته به اي لا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فتخلط الحق المنزل بالباطل الذي
تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وتبديل نعته حتى لا يميز بين حقها اي التوراة وباطلكم ويحتمل ان يكون الباء للاستعانة
كالتي في قولك كتبت بالقلم اي ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم اي بسبب باطلكم الذي تكتبونه وقيل ان اليهود
اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا ليصدقوا في ذلك فقال الله تعالى ولا تلبسوا الحق الذي تقرون
به بالباطل يعني بما تكتمونه فالحق بيانهم والباطل كتمانهم وقيل معناه ولا تلبسوا الحق يعني صفة محمد ونعته
بالباطل بصفة الدجال وتكتموا الحق اي ولا تكتموا الحق كقوله تعالى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم اي ولا تخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل قد يعذر صاحبه والمقصود النهي
من الاغواء والاضلال لان الغير طريقين احدهما ان لا يسمع دليل فتشوش عليه بالشبهات والاخر اخفاء الدليل الا يتمكن
منه ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل نهي عن الاول وقوله وتكتموا الحق نهي عن الاخر والاية دالة على
ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وهذا الخطاب وان كان فيهم فهو تنبيه لساير الناس وتحذير من مثله
قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين ● امرهم الله تعالى بالايمان اولا ونهاهم عن لبس الحق
بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانيا ثم امرهم بالصلاة والزكوة لانهما اتم العبادات البدنية والمالية وهما العمادان
على غيرهما فان النبي صلى الله عليه وسلم سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكوة
قنطرة الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة خصصهما بالذكر من بين ساير العبادات
فان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها وعنى صلاة المسلمين وزكاتهم لقوله وحافظوا على الصلوات الخمس وقيل
وركوعها وسجودها واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين

الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه
قيل اقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين والزكاة في اللغة عبارة عن النما يقال زكى الزرع اذا نمى والطهارة
قال الله تعالى اقتلت نفسا زكية اي طاهرة وفي الشرع المقدار المخرج من المال المسمى بها لانه في اخراج ذلك المال تنمية للباقي
قال عليه الصلوة والسلام عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ثلثة في الدنيا وثلثة في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد
في الرزق وتكثر المال وتعمر البلاد واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وتطهير
المخرج عن الذنوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وفي هذه الاية دليل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع
فانها خطاب مع اليهود ودليل انما امر الله تعالى بني اسرائيل بالزكوة لانهم كانوا لا يؤتون الزكوة واليه الاشارة بقوله تعالى
واكلهم السحت واكلهم اموال الناس بالباطل واظهر الله تعالى في قوله ما كانوا يكتمونه ما يحترزون الى ان يفضحهم في سائر
اسرارهم ومعاصيهم فيصير هذا كالاخبار عن الغيب الذي هو احد دلائل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم واعلم ان القائلين
بجواز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب قالوا هذا الخطاب مجمل لانهم ما عرفوا ان الصلاة ما هي وقد ورد بدون بيانه
والفائدة ان يوطن السامع نفسه على الامتثال اذا بين والقائلون بعدم جواز تاخيره عن وقت الخطاب قالوا انما ورد
قوله واقيموا الصلاة بعد ان كان النبي صلى الله عليه وسلم وصف لهم اركان الصلوة وشرايطها فكانه تعالى قال اقيموا الصلاة
التي عرفتموها ● قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ● لما
امرهم الله تعالى بالايمان والشرايع بعد امرهم بذكر ما خصهم به من النعم وبعثهم في ذلك بناء على ما اخذ نحوه وهو ان امر الناس
بالبر مع نسيان انفسهم مستقبح عقلا اذ المقصود من امر الناس بالبر اما النصيحة واما الشفقة وليس من العقل ان
يشفق الانسان على غيره او ينصح غيره وينسى نفسه فحذرهم تعالى بان قرعهم بهذا الكلام وقد نزلت هذه الاية
في علماء اليهود فان الرجل منهم كان يقول لصهره وقريبه ورضيعه وحليفه من المسلمين في السر اذا سأله عن محمد صلى الله
عليه وسلم اثبت على الدين الذي انت عليه وما يأمرك به هذا الرجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فانه امر حق وقوله صدق
فانزل الله تعالى أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته
ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت حتى قال المؤذن الصلاة خير من النوم اي نطقت برا في هذا التصديق
وعكسه كما يقال كذب وفجر اي فجر في كذبه قيل كان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا
يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وقيل ان اليهود كانوا يأمرون
غيرهم باتباع التورية ثم خالفوها لانهم حرفوا فيها ما يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم ما امنوا والنسيان
عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف ومن لا يكون مكلفا لا يجوز ان يذمه الله تعالى على ما صنع
منه فالمراد بقوله وتنسون انفسكم انكم تتركونها من البر كالمنسيات قوله وانتم تتلون الكتاب جملة حالية تبكيت لهم
مثل قوله وانتم تعلمون اي تعرفون التورية وفيها نعت محمد وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل واصل
التلاوة من قولهم تلاه يتلوه اذا اتبعه والتلاوة اتباع الحروف بالقراءة قوله تعالى افلا تعقلون والعقل هو الادراك الذي
يمتاز الانسان عن جميع الحيوانات سمي عقلا لانه يعقله اي يمنعه عن التورط في المهلكة مع الفاء فالواو للعطف والمعطوف
عليه تتلون والاصل تقديم حرف العطف على الهمزة لكن وقع صدارة الاستفهام فقدم الهمزة على الفاء العاطفة وقيل
ان حرف العطف واقع في موقعه والهمزة تستدعي فعلا مدلولا عليه بقرائن سياق الكلام فيكون التقدير اتغفلون
الكتاب فلا تعقلون وهذا توبيخ عظيم وتعجيب بليغ بمعنى افلا تعقلون قبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه
عن ارتكابه فكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون وسبب التعجب وجوه منها ان من وعظ ينبغي ان يسعى في ان يكون وعظه مؤثرا في القلوب والاقدام على ما يمنع
التاثير منفر عن القبول فالمقصود من الوعظ التاثير في القلب والاقدام على ما يمنع التاثير يقتضي عدم التاثير
فالجمع بينهما لا يكون مقتضى العقل ومنها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة
وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك معلوم بحسب العقل والنقل فمن
وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بفعل متناقض لا يرتكبه الا من لا عقل له عن انس بن مالك انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة اسري بي على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا
ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق
نفسه وقيل ليس لتارك المأمور به والمرتكب المنهي عنه ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى اتأمرون الناس
بالبر الاية فانه ذكر في معرض الذم ولقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ولانه
لو جاز ذلك لجاز لمن زنى بامرأة ان ينكر عليها في اثناء الزنا على كشفها وجهها اجيب بان المكلف مأمور بشيئين احدهما
ترك المعصية والثاني منع الغير عنها والاخلال باحد الواجبين لا يستدعي الاخلال بالاخر واحتجت المعتزلة بهذه الاية
على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى فقالوا أتأمرون الناس الاية انما يقبح ويحسن لو كان ذلك الفعل منهم فاما اذا كان
مخلوقا فيهم على سبيل الاضطرار فلا يحسن اذ لا يجوز ان يقال للاسود لم لا تبيض لما كان السواد مخلوقا فيه وقد
عرفت جوابه في المقدمة الثانية والعشرين والجواب الحق انه لا يسأل عما يفعل ● قوله تعالى واستعينوا بالصبر
والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ● اختلفوا في

المأمورين

المأمورين بقوله واستعينوا فقال طائفة هم المؤمنون لان من ينكر الصلوة اصلا والصبر على دين الاسلام يبعد ان
يقال لهم استعينوا بالصبر والصلاة ولا يمتنع ان يكون الخطاب لبني اسرائيل ثم رجع الى خطاب المسلمين فقال لهم
ان تستعينوا على ما تطلبونه من رضاء الله تعالى ونيل جنته بالصبر والصلاة قال الامام والاقرب ان المخاطبين هم بنوا
اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك النظم واما قولهم من ينكر الصلاة والصبر على دين الاسلام يبعد ان يقال لهم
استعينوا بالصبر والصلاة فيقال الامتثال بالبعث فانه تعالى لما امرهم بالايمان وبترك الاضلال والتزام الشرائع وهي
الصلاة والزكاة وان كان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه عالج الله هذا المرض بقوله
والصبر والصلاة وذكروا وجوها في المستعان عليه فمنها استعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلاة اي بالجمع بينهما
بان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس و
مراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات
ليسأل فلما لرفع سخطه وعذابه عنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ومنها استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر
عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اي لجأ الى الصلاة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم قال انا لله وانا اليه راجعون وتنحى
من الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل
الصبر الصوم لانه حبس للنفس عن المفطرات من الطعام والشراب وقضاء شهوة الفرج ومنه قيل لشهر رمضان
شهر الصبر فان الصائم صابر عن المفطرات فيزول عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلاة استنار القلب
بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلاة لان تاثير الصوم في التخلية عما لا ينبغي وتاثير الصلاة في التحلية بما ينبغي والتخلية
مقدمة على التحلية ويجوز ان يراد بالصلاة الدعاء فيكون معناه واستعينوا على البلايا بالصبر والدعاء والتجاء
الى الله والابتهال اليه في دفعه قوله وانها لكبيرة الضمير الذي هو اسم ان للصلاة لانها الاقرب ولانها الاعظم والافضل
والاهم كقوله تعالى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها والاستعانة المعلومة
من قوله واستعينوا او لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى قوله واستعينوا وقوله لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا القول وكل ما ثقل على الانسان كبر عليه كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين اي المطيعين الساكنين الى الطاعة والخشوع الاخبات والطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته وانما لم تثقل على الخاشعين لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين والمصلين
على متاعبها فتهون عليهم واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمرائين باعمالهم
والمنافقين فانه من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة على مقدار عمله فتراه يعمله برغبة ونشاط وانشراح صدر
ومضاحكة لحاضريه كانه يتلذذ بمزاولته بخلاف عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و
جعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا فان قيل لما كانت ثقيلة على هؤلاء غير ثقيلة على الخاشعين وجب
ان يكون ثوابهم اكثر وثواب الخاشعين اقل وذلك منكر من القول اجيب بان المراد انها ثقيلة على من لم يخشع
وكيف يكون ذلك والخاشع يستعمل عند صلاته جوارحه وقلبه وسمعه وبصره ولا يغفل عن تدبر ما ياتي به من الذكر
بغاية التذلل والخضوع واذا تذكر الوعيد لم يخل من حسرة وغم واذا كان هذا فعل الخاشع فالثقل بفعل الصلاة اعظم
والمراد بقوله انها ثقيلة على من لم يخشع من حيث انه لا يعتقد في فعلها ثوابا ولا في تركها عقابا فيصعب عليه فعلها قوله
الذين يظنون والظن الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض اعتقادا راجحا الا ان العلم راجح مانع من النقيض والظن
راجح غير مانع من النقيض فلما اشتركا في الوجه المذكور صح اطلاق اسم احدهما على الاخر مجازا قال الله تعالى اني ظننت اني ملاق
حسابيه وقال الا يظن اولئك انهم مبعوثون ذكر الله تعالى انكارا عليهم وبخا على الظن ولا يجوز ان يبخهم على الاعتقاد
المجوز للنقيض فيكون المراد بالظن ههنا العلم وقال ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وقال اني ظننت ان
يقينا فالظن في جميع هذه الايات بمعنى اليقين وقال دريد فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد
اي ايقنوا والظن في قوله الذين يظنون بمعنى العلم لان الظن الحقيقي يقتضي ان يكون صاحبه غير جازم بلقاء ربه
وهذا كفر والكفر مذموم والله تعالى مدح على هذا الظن فتعين ان يكون المراد بالظن ههنا العلم وقيل المراد بالظن
في هذه الاية المعنى الحقيقي ثم ههنا وجوه الاول ان يجعل ملاقاة الرب عبارة عن الموت بطريق المجاز وذلك لان ملاقاة
الرب مسبب عن الموت فاطلق المسبب واريد السبب فيكون المعنى الذين يظنون انهم يموتون في كل لحظة وذلك
لان من كان متوقعا للموت في كل لحظة فانه لا يفارق قلبه الخشوع الثاني ان يراد بملاقاة الرب ملاقاة ثواب الرب
فان المؤمن الصالح العابد لا يقطع بملاقاة ثواب الرب بل يظن ذلك والظن يحمل على الخشوع ويكون معناه الذين
يتوقعون انهم ملاقوا ثواب ربهم ويطمعون فيه الثالث ان المعنى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لان الانسان
الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيحمله على الخشوع واستدل بعض الاصحاب بقوله ملاقوا ربهم على رؤية الله تعالى وجه
الاستدلال ان الملاقاة وصول احد الجسمين الى الاخر بحيث يماسه يقال التقى فلان بفلان اذا ماسه واتصل به وملاقاة
احد الجسمين الاخر سبب لحصول الادراك فلما كان من شأن الجسم الادراك حيث امتنع اجراء اللفظ على ظاهره يحمل على
الادراك فان اطلاق اسم السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فتعين حمل الملاقاة على الادراك لا سيما الحمل على رؤية

الحقيق قال لنا المعتزلة اللقاء لا يفيد الرؤية والدليل عليه القرآن والخبر والعرف أما القرآن فقوله تعالى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم
إلى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه وقوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقوله واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وهذا يتناول المؤمن
والكافر والكافر لا يرى الله وأما الخبر فقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان
وليس المراد رأى الله لأن ذلك وصف أهل النار وأما العرف فهو قول المسلمين من مات لقي الله ولا يعنون أنه رأى الله وأجيب
بأن مرجعنا [illegible] لمانع يخصصها فلا يلزم [illegible] قوله وأنهم إليه راجعون عطف
على قوله أنهم ملاقوا ربهم أي يصدقون بالبعث ويقرون بالنشأة الثانية وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعا إلى الله
وذلك لأن رجوعهم إلى المحشر رجوع إلى حيث لا يكون لهم مالك سوى ربهم ولا يملك لهم أحد نفعا ولا ضرا غير ربهم كما كانوا
كذلك في النشأة الأولى فجعل مصيرهم إلى مثل ما كانوا عليه رجوعا إلى الله وقد احتجت المجسمة بهذه الآية بأن الرجوع إلى غير الجسم
محال وعند المشبهة إلا أن الرجوع إلى الله تعالى يكون جسما والتناسخية أيضا احتجت بها بأن الرجوع إلى الشيء مسبوق بكونه عنده
فتكون الأرواح قديمة والجواب علم من معنى الرجوع قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين ● أعاد هذا الكلام توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقرنه بنعمة أخرى
عظيمة وهي تفضيلهم على العالمين وبالوعيد وهو قوله واتقوا يوما كأنه قال إن تطيعوا لأجل النعم المذكورة أولا فأطيعوا
لأجل النعمة العظيمة التي هي التفضيل والخوف من عقابي في المستقبل وأني فضلتكم في محل النصب عطف على نعمتي أي اذكروا
نعمتي وتفضيلي والتفضيل يقابله التسوية يقال فضله إذا أعطاه الزيادة وفضله إذا حكم له بالزيادة في الفضل وهذا
التفضيل هو ما ذكره في قوله إذ جعل فيكم أنبياء الخ وقوله وأني فضلتكم على العالمين يقتضي أن يكونوا أفضل من محمد صلى الله عليه
وسلم أجيب عنه من وجوه أحدها أن المراد بالعالمين الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس
يراد الكثرة وثانيها يعني عالمي زمانهم قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد وقال ابن قتيبة من العالم الذي كان بين الخاص
والمراد بفضل سلفهم ولكن في تفضيل الآباء شرف الأبناء لذلك قال لهم وأني فضلتكم على العالمين والنبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن موجودا في ذلك الوقت فلا يلزم من تفضيل بني إسرائيل على عالمي زمانهم تفضيلهم على النبي صلى الله عليه وسلم وثالثها
قوله وأني فضلتكم على العالمين عام في العالمين ولكن مطلق في التفضيل والمطلق يحصل مدلوله بصورة واحدة فيقتضي
تفضيلهم على العالمين في أمر ما وهو لا يقتضي تفضيلهم على كل العالمين في كل الأمور فجاز تفضيل غيرهم عليهم فيما عدا ذلك
الأمر فعلى هذا لا يصح الاستدلال بهذه الآية وأمثالها على فضل الأنبياء على الملائكة وقيل أراد بالمخاطبين المؤمنين لأن
غير المؤمنين منهم مسخوا قردة وخنازير على ما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وقال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل
قوله وأني فضلتكم على العالمين يدل على أن الأصلح لا يجب على الله تعالى لأن تفضيلهم لو وجب لم يجعله منة عليهم لأن من أدى
ما وجب عليه لا منة له على أحد وأنه لم يجب مع أنه خصص البعض به دون البعض فهذا دل على أن الأصلح لا يجب عليه تعالى
قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
لما أمرهم بذكر النعم العظيمة أردف ذلك بأمرهم بالحذر عن العذاب الشديد الذي لا دافع له بسبب المخالفة والعصيان فإن المخالفة
والعصيان مع عظيم النعمة يكونان أقبح وأشد واخشوا يوما يريد يوم القيمة وهو مفعول به لا ظرف لأن الأمر بالتقوى لا يقع في يوم القيمة
وأتقوا باليوم اتقاء لما يقع فيه من العقاب والشدائد لأن نفس اليوم لا يتقى أي اتقوا واخشوا عقابا بيوم ثم حذف العقاب وأقيم
اليوم مقامه تنبيها على أنه لا خلاص من العقاب في ذلك اليوم وقيل يصح أن يكون نصبه على الظرف ومفعول اتقوا محذوف
وهو العذاب والعامل في الظرف المفعول المحذوف لا اتقوا وقوله لا تجزي جملة منصوب المحل صفة لقوله يوما والعائد
محذوف تقديره لا تجزي فيه نحو ما أنشد أبو علي: وتحت أجدر أن تقيلي • أي بما أجدر بأن تقيلي فيه تروحي من
الرواح وتقيلي من القيلولة أو طالبي بالرواح أي بالشمس بعد الزوال ما أجدر وأجدر منصوب لأنه مفعول تروحي مكانا أجدر
ذلك المكان بأن تقيلي فيه من مكان أنت فيه ومن البصريين من قال التقدير لا تجزي فيه ثم اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به
فحذف الجار واتصل الضمير بنفسه بتجزيه ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أو مالا أصابوا أي أصابوه يقول جزى عني هذا
الأمر أي قضى أي لا تجزي نفس عن نفس شيئا أي لا تقضي نفس عن نفس شيئا من الحقوق وفي حديث أبي بردة بن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن أحد بعدك أي تقضي وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله ولا
تظلمون شيئا ومعنى التنكير في النفس والشيء أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس من الأنفس شيئا من الأشياء قوله
ولا يقبل يقال قبلت الشيء أقبله قبولا وقبولا [illegible] والقبول أن تقبله النفس ومعنى الشفاعة كلام الشفيع من فوقه
في حاجة يسألها لغيره وهو من الشفع الذي هو خلاف الوتر وذلك أن سؤال الشفيع يصير شفعا لسؤال المشفوع
قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء والباقون بالياء لأن التأنيث فيها غير حقيقي قوله ولا يؤخذ منها عدل العدل خلاف الجور يقال
عدل عليه في القضية فهو عادل وبسط الوالي عدله ومعدلته وفلان من أهل المعدلة أي من أهل العدل ورجل عدل أي رضى
ومقنع في الشهادة وهو في الأصل مصدر وقوم عدل وعدول [illegible] الرجل بالضم عدالة قال الأخفش العدل بالكسر المثل
وبالفتح أصله من قولك عدلت بهذا عدلا حسنا تجعله اسما للمثل ليفرق بينه وبين عدل المتاع وقال الفراء العدل ما عادل
الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك وعدل شاتك إذا كان غلاما يعدل غلاما أو شاة تعدل
شاة فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين وربما كسرها بعض العرب وكأنه منهم غلط لتقارب معنى العدل في
الأعدال أنه عدل بالكسر ومعناه في الآية معناه فدية لأنها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي

توبة ولا

أي توبة ولا فدية ومعنى التنكير في الشفاعة والعدل كما التنكير في النفس والشيء وهو الإقناط الكلي القطاع المطامع الضمير
في قوله ولا يقبل منها يرجع إلى النفس الثانية العاصية غير المجزي وهي التي لا يؤخذ منها عدل ولا يقبل منها شفاعة شفيع [illegible]
منها ويجوز أنه يرجع إلى النفس الأولى على معنى أن النفس الأولى لو شفعت للنفس الثانية لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها
شيئا ولو أعطت عدلا عنها النفس الثانية لم يؤخذ منها أي من النفس الأولى قوله ولا هم ينصرون ضمير الجمع باعتبار النفوس
الكثيرة التي دلت عليها النفس المنكرة والتذكير باعتبار معنى العباد والأناسي كما تقول ثلاثة أنفس والنصرة لما كانت في
الدنيا بالخلة والقرابة وقد أخبر الله تعالى أنه يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وأنه لا أنساب بينهم يومئذ وقوله يوم يفر
المرء من أخيه وأمه وأبيه وقيل النصر أريد بها المعونة كقوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما وفيه معنى الاستعانة تقول
العرب أرض منصورة أي ممطورة والغيث ينصر البلاد إذا أنبتها كأنه أغاث أهلها وقيل في قوله من كان يظن أن لن ينصره الله
أي أن لن يرزقه الله كما يرزق الغيث البلاد ويسمى الانتقام نصرة قال تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا قيل معناه
فانتقمنا له وقوله ولا هم ينصرون يحتمل هذه الوجوه فإن يوم القيمة لا يعاونون ولا يغاثون ولا يجدون من ينتقم لهم
من الله والحاصل أن النصر هو دفع الشر وأخبر الله تعالى أنه لا دافع هنالك عن عذابه أجمع الأمة على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم شفاعة
في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وأجمعوا على أنه
ليس لأحد الشفاعة في حق الكفار ثم اختلفوا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون فذهبت المعتزلة إلى أن الشفاعة للمؤمنين
المستحقين للثواب وتأثير الشفاعة زيادة المنافع على قدر ما استحقوه وذهب أصحابنا إلى أن الشفاعة لأهل الكبائر
المستحقين للعقاب وتأثيرها في إسقاط العقاب عن المستحقين له إما بأن يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار
فإن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة احتج أصحابنا بأنه تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار
لذنوب المؤمنين بقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وصاحب الكبيرة مؤمن فيستغفر له امتثالا لأمره
وصيانة لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مخالفة أمره وإذا استغفر النبي صلى الله عليه وسلم قبل توبته يقبل الله شفاعته
صلى الله عليه وسلم تحصيلا لمرضاته لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى فثبت أن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
مقبولة في حق صاحب الكبيرة قبل التوبة وفي صحيح البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال
العنزي قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة
فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من
حديث الشفاعة فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال حدثنا محمد
صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست
لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول
لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فيأتوني فأقول أنا لها
فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد
ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه
مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك
واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فأنطلق فأفعل
ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب
أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق
فأفعل فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن
مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة
فقال هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزد لنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين
سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا قلنا يا أبا سعيد فحدثنا فضحك وقال خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأنا أريد
أن أحدثكم به حدثني كما حدثكم ثم قال أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله واحتج المعتزلة على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا أثر لها في إسقاط العذاب
بآيات منها قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا دل على أنه لا تجزي نفس عن نفس شيئا على سبيل العموم فإن النكرة
في سياق النفي تفيد العموم وتأثير الشفاعة في إسقاط العذاب ينافي مقتضاه فلا يثبت وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة
دل على أنه لا يقبل شفاعة من أحد لأحد لأنها نكرة في سياق النفي تعم جميع أنواع الشفاعة من كل أحد لأحد وقوله تعالى ولا هم
ينصرون دل على أن العصاة لا ينصرون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم شفيعا لأحد من العصاة لكان ناصرا له وهو مناف
لمقتضى الآية ومنها قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون للظالمين شفيع على سبيل
العموم والعصاة ظالمون فلا يكون لهم شفيع أصلا ومنها قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
دل على سبيل العموم على نفي الشفاعة على الإطلاق ومنها قوله تعالى ما للظالمين من أنصار فلا يكون للظالمين شفيع
فالعصاة ظالمون فلا شفيع لهم والجواب عن هذه الآيات بأنها غير عامة في الأعيان ولا في الأزمان فلا يلزم تناولها المحل النزاع

ولئن سلم عمومها في الازمان والاعيان فهي مخصصة بما ذكرنا من الايات الدالة على ثبوت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم
في حق العصاة فيتاول الايات بتخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة واما الاية المذكورة ههنا فقيل ان الخطاب
لليهود زعموا ان اباءهم الانبيا تشفع لهم يوم القيمة فايسهم الله بهذه الاية من ذلك وقال صاحب الكشاف في هذه الاية دليل
على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة لانه نفي ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفي ان تقبل منها شفاعة
شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة قيل ليس في الاية دليل لمنكريها لان قوله يوما اخرجه منكرا ولا شك ان في القيمة
مواطن ويومها معدود بخمسين الف سنة فبعض اوقاتها ليس زمانا للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود فيه المقام
المحمود لسيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد وردت ايات كثيرة ترشد الى تعدد ايامها واختلاف اوقاتها منها قوله تعالى
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيتعين حمل الايتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين احدهما محل التساءل
والاخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وادلة ثبوتها لا تحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة
قيل في تاويل الشفاعة ان البارئ عز اسمه عام الفيض تام الجود بحيث لا بخل فيه فاما لا يحصل لعدم استعداد القابل
ثم الجاني ان لا يكون ذلك مستعدا لقبول الفيض من الباري تعالى الا بواسطة الفيض منه الى متوسط فيقبل الفيض
من المتوسط مثاله في عالم الشهادة ان الشمس لا تضيء الا المقابل وسقف البيت لما لم يكن مقابلا لها لم يكن مستعدا
لقبول النور من الشمس فاذا وضعت طست مملو من ماء صاف في مقابلة الشمس ووقع ضوءها عليه انعكس الضوء من
الماء الى السقف فيكون الماء الصافي المقابل لها متوسطا في وصول النور من الشمس الى السقف الذي هو غير مقابل لها فالارواح
الانبيا كالوسائط بين الباري عز شانه وبين ارواح سائر الناس في وصول الفيض من الله تعالى الى ارواحهم
قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم ● اعلم ان الله سبحانه لما امر بني اسرائيل بذكر نعمه على سبيل الاجمال شرع فاخذ يذكر تلك النعم
على سبيل التفصيل ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة قوله واذ نجيناكم عطف على قوله نعمتي فيكون في محل النصب
على انه مفعول به للعامل فيه اي اذكروا نعمتي وتفضيلي ووقت انجائكم ويكون جملة واتقوا يوما اعتراضا بين
المعطوف والمعطوف عليه وقيل ظرف لانه لا ينصرف والعامل فيه فعل مقدر اي وانعمنا عليكم اذ نجيناكم الانجاء
والتنجية التخليص وبنيوته الشيء من الشيء حتى لا يتصل به ويقال للمكان العالي نجوة لان من صار اليه نجا اي تخلص ولان
الموضع المرتفع بائن عما انحط عنه فكانه يتخلص منه واصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله
باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وقيل الاهل اعم من الآل يقال اهل الكوفة
واهل البلد واهل العلم ولا يقال آل الكوفة وآل البلد وآل العلم وآل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه قيل
اصله من الاول وهو الرجوع كانه يؤول اليك وفي آل فرعون ثلثة اقوال احدها انهم اهل مصر قاله مقاتل وثانيها اهل بيته
خاصة قاله ابو عبيدة وثالثها اتباعه في دينه قاله الزجاج والمراد ههنا بال فرعون الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل
وفرعون اسم اعجمي علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس والعمالقة قوم ينسبون الى عمليق بن لاوذ
بن سام بن نوح وهم كانوا ولاة مصر وقيل العمالقة ولاد لاوذ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكانوا سكان مكة وقيل العمالقة
جمع عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وقيل فرعون لقبه وفي اسمه اربعة اقوال احدها الوليد بن مصعب قاله الاكثرون
والثاني قنطوس قاله مقاتل والثالث مصعب بن ريان حكاه ابن جرير الطبري والرابع مغيث ذكره بعض المفسرين
قال وهب ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وليس بصحيح اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين ان دخلها موسى اكثر
من اربعمائة سنة ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم ● قد جاءه الموسى الكلوم
فزاد في افعى تفرعنه وفرط عرامه ● يصف غلاما والموسى ما يحلق به الراس والعرام سوء الخلق يسومونكم من سامه
خسفا اي اولاه ذلا وظلما واصله الكلفة المشقة والذل قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ● ابينا
ان نقر الخسف فينا ● واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء
[illegible] نقول اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما والمعنى سوء العذاب العذاب بكل شيء اشده وافظعه
قبيحة بالاضافة الى سائره قوله يسومونكم رفع على الاستيناف او الجملة في موضع نصب على الحال اي سامين لكم سوء
العذاب ويجوز ان لا يقصد هنا الحال ويكون حكاية حال ماضية قوله يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك
ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقيل لا يجوز ان يكون قوله يذبحون ابناءكم تفسيرا وبيانا لقوله
يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم وانما سوء العذاب استخدامهم في اصعب الاعمال وقال الفراء الموضع الذي
طرحت فيه الواو تفسير لصفات العذاب والموضع الذي فيه الواو يبين انه قد مسهم من العذاب غير الذبح فكانه
قال يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح قوله ويستحيون نساءكم اي يتركونهن احياء فلا يقتلونهن بل يستخدمونهن
قيل معنى يذبحون ابناءكم يذبحون رجالكم يسمون ابناء لانهم كانوا كذلك ويشهد له قوله تعالى نساءكم وفي مقابلة
والنساء البالغات فانهم يقتلون الرجال الذين يخافون منهم الخروج عليهم والتجمع لافساد امرهم واكثر المفسرين
على ان المراد بالابناء الاطفال دون البالغين حملا للفظ الابناء على ظاهره ولانه يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم
لانهم كانوا محتاجين اليهم في استعمالهم في الصنائع الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في التابوت معنى
وبالنساء الاطفال الاناث تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه فان البنات لما لم يقتلن بل وصلن الى حد النساء

اسم النساء

اسم النساء عليهن وقيل المراد بقوله يستحيون يفتشون حياهن هل بها حمل ام لا وهذا ليس بشيء والبلاء يستعمل في الخير
وهو الاختبار والمحنة يقال بلاه يبلوه بلوا اذا جربه والبلاء يكون حسنا ويكون سيئا والله تعالى يبلو عباده بالصنيع الحسن
ليمتحن شكرهم عليه ويبليهم بالبلوى التي يكرهونها ليمتحن صبرهم وقيل المحن بلاء والنعمة بلاء لان اصلهما المحنة ومنه قوله
تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والذي في هذه الاية يحتمل الوجهين فان حملته
على النعمة كان المعنى في انجائكم من آل فرعون نعمة عظيمة وهو قول مجاهد والسدي وان حملته على المحنة كان معناه في تذبيح الابناء
واستحياء البنات للخدمة محنة عظيمة وهو قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي قيل سبب ذلك ان فرعون راى في منامه
نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك فدعا بالسحرة
والكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فامر
فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا ذبح
ولا جارية الا تركت ووكل بهن من يفعل ذلك فاسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت
قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة
فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها وقيل ان الكهنة والمنجمين اخبروا فرعون بانه قد اظلك زمن مولود في بني اسرائيل يخرب
ملكك ويغير الدين في هذه السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة وقيل ان فرعون وقومه تذاكروا وعد الله لابرهيم
ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على ذبح الذكور من المولودين في بني اسرائيل ووكل بكل عشر نساء
رجلا يحفظ من تحمل منهن وقيل وكل بذلك القوابل والقابلة وفي ذكر هذه النعمة وجوه منها ان هذه الاشياء لما ذكرها الله تعالى
لما كانت من اعظم ما يمتحن بها الناس من جهة الملوك الظلمة صار تخليص الله اياهم من هذه المحن من اعظم النعم وذلك
لانهم ما نالوا [illegible] ولا شك ان ذلك من اعظم النعم وعظم النعم يوجب
الانقياد والطاعة ويقتضي نهاية قبح المخالفة فلهذا السبب ذكر الله هذه النعمة العظيمة مبالغة في الزام الحجة عليهم
وقطعا لعذرهم ومنها انهم لما عرفوا انهم كانوا في نهاية الذل فخلصهم في نهاية العز ولكنهم كانوا محقين وكان خصمهم
مبطلا فاعز الله المحقين واذل المبطلين فكانه قال لا يغرنكم نعم محمد وقلة انصاره في الحال فانه محق وسيصير الى العز
والذل الى جانب اعدائه ● قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ●
فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صار فيه مسالك لكم وفي معنى بكم اوجه احدها انه يراد انهم كانوا يسلكون ويتفرق
الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم بين الشيئين بما توسط بينهما وثانيها ان يراد فرقنا بسببكم وبسبب انجائكم وثالثها
ان يكون في موضع الحال بمعنى فرقنا ملتبسا بكم كقول المتنبي ● تدوس بنا الجماجم والتريبا ● اي الخيل تدوس الجماجم والترائب
في الحال التي نحن راكبوها وحكايته انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى ان يامر بني اسرائيل ان يستعيروا من القبط الحلي ليخرجوا
خلفهم لاجل المال وليبقى اموالهم في ايديهم ثم نزل جبريل بالعشي فقال لموسى اسر ببني اسرائيل من مصر ليلا وهو المعنى بقوله
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا بيوتهم الى الصبح واخرج الله كل ولد زنا في القبط
من بني اسرائيل واخرج كل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط اليهم حتى رجع كل واحد منهم الى ابيه والقى الله تعالى على القبط
الموت فمات كل ذكر لهم فاشتغلوا بدفنهم حتى طلعت الشمس وخرج موسى في ستمائة الف وعشرين الفا لانهم كانوا اثني عشر
سبطا كل سبط خمسون الفا وقيل في ستمائة الف وعشرين الفا مقاتلين لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين
لكبره سوى الذرية فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسالهم عن
ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق
فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي فقال انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرني ومن
لم يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بالرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت ارايتك ان دللتك
على قبر يوسف اتعطيني كل ما سالتك فابى موسى عليها وقال حتى اسال ربي فامره الله عز وجل باتيان سؤلها فقالت انا
عجوز كبيرة لا استطيع المشي فاحملني واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من الجنة
الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا ان
يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر يوسف فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام
وفتح لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهرون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وامرهم ان لا يخرجوا في طلب
بني اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فلما اصبح دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول
كبد هذه الشاة حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى مقدمته هامان في الف الف
وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الف ادهم من الخيل وكل واحد منهم على فرس حصان فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا
البحر والماء في غاية الزيادة فاتبعهم فرعون وجنوده وهو قوله تعالى فاتبعوهم مشرقين اي بعد طلوع الشمس فنظر اصحاب موسى
فاذا هم بفرعون ومن معه وهو قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون فبقوا متحيرين فقالوا يا موسى كيف نصنع
وما الحيلة فرعون خلفنا والبحر قدامنا فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فلما سار موسى واتى البحر قال له يوشع بن نون
اذ يسوق فرسه في البحر وكان يخوض في الماء حتى بلغ الغمر الى ... وهو معهم ثم رجع وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر
والله ما كذبت ولا كذبت يفعل ذلك ثلاث مرات فاوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله عز وجل اليه

أن كذب فضرب به موسى بعصاه وقال انفلق يا أبا خالد بإذن الله عز وجل فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وانفرق
اثني عشر فرقا لكل سبط طريق فقال له ادخل فكان فيه وحل فأرسل الله تعالى ريح الصبا والشمس على
قعر البحر فصار طريقا يبسا كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا قال سعيد بن جبير أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله
عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة فكتب إليه المكان الذي انفلق من البحر لبني إسرائيل فخاض بنو إسرائيل كل سبط
في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وكل سبط قالوا قد غرق إخواننا فقالوا لموسى
أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم أعني على أخلاقهم
السيئة فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا فأشار بها إلى الحيطان فصار فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم
حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر أي فلقنا فيه المسالك فأنجيناكم ثم اتبعهم فرعون
بجنوده فلما وصل إلى البحر ورآه منفلقا قال لقومه انظروا إلى البحر انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي الذين
أبقوا مني [illegible] من الدخول وهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى
وإنما كانت كلها ذكورا فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شمت الحصن
الفرعونية ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول
لهم الحقوا بأصحابكم حتى إذا خرج جبريل من البحر وهم أولهم أن يخرج أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم وانطبق عليهم فأغرقهم
أجمعين وذلك بمرأى من بني إسرائيل وذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون أي إلى ذلك وتشاهدونه
لا تشكون فيه وقيل وأنتم تنظرون إلى انطباق أمواج البحر بفرعون وقومه وقيل إن بني إسرائيل سألوا موسى أن يريهم
آية [illegible] فلفظهم البحر ألف ألف نفس ومائة ألف نفس وفرعون معهم فنظروا إليهم طافين وإنما لفظهم
[illegible]
ليراه الناس وتكون عبرة لمن خلفه واعلم أن هذه الواقعة تضمنت نعما كثيرة في الدنيا والدين أما نعم الدنيا في حق
بني إسرائيل فهي أنهم لما وقعوا في ذلك المضيق الذي من ورائهم فرعون وجنوده وقدامهم البحر فإن توقفوا أدركهم
فرعون وأهلكهم بأشد العذاب وإن ساروا غرقوا فلا خوف أعظم من ذلك ثم إن الله تعالى نجاهم بفرق البحر فلا فرج
أشد من ذلك وإن الله خصهم بهذه النعمة العظيمة مع المعجزة الباهرة وهذا يدل على كرامتهم على الله وإنهم
شاهدوا أن الله تعالى أهلك أعداءهم وأورثهم أرضهم وديارهم وهو من أعظم النعم وإنما لو لم يغرق آل فرعون وأنجى
بني إسرائيل لكان نعمة عظيمة فإنه لو خلص موسى وقومه من تلك الورطة وما أهلك فرعون وقومه لكان الخوف باقيا
من حيث إنهم ربما اجتمعوا واحتالوا بحيلة وقصدوا إيذاء موسى وقومه ولكن الله تعالى لما أغرقهم فقد حسم مادة
الخوف بالكلية وإنه وقع ذلك الإغراق بمحضر من بني إسرائيل وأما النعم الدينية في حق بني إسرائيل فهي أنهم لما شاهدوا
تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات فإن دلالة هذه المعجزة على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق
موسى تقرب من العلم الضروري فكأنه تعالى رفع عنهم تحمل النظر الدقيق والاستدلال الشاق وإنهم لما عاينوا
ذلك صار داعيا إلى ترك تكذيب موسى وإذ عرفوا أن الأمور بيد الله تعالى فإنه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون
ولا شدة أشد مما كان لبني إسرائيل ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلا والذليل عزيزا وذلك يستدعي
قطع العلائق والإقبال بالكلية على عبادة الخالق والتوكل عليه في كل الأمور وأما النعم الحاصلة لأمة محمد صلى الله
عليه وسلم من ذكر هذه القصة فكثيرة منها أنها حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أميا لم يقرأ ولم يخالط
أهل الكتاب فإذا أورد عليهم من أخبارهم المفصلة ما لا يعلم إلا من الكتب علموا أنه أخبر عن الوحي وأنه صادق
فصار ذلك حجة على اليهود وحجة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في تصديقه ومنها أنهم إذا تصوروا ما جرى
لبني إسرائيل وعليهم من هذه الأمور العظيمة علموا أن من خالف الله شقي في الدنيا والآخرة ومن أطاعه فقد سعد في الدنيا
والآخرة فصار ذلك مرغبا لهم في الطاعة ومنفرا لهم عن المعصية ومنها أن أمة موسى عليه السلام مع أنهم خصوا بهذه المعجزات
الظاهرة والبراهين الباهرة فقد خالفوا موسى في أمور حتى قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وأما أمة محمد عليه السلام
مع أن معجزتهم هي القرآن الذي لا يعرف كونه معجزا إلا بالدلائل الدقيقة انقادوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وما خالفوه
قط في أمر وهذا يدل على أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أمة موسى وشاهده قوله تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فإن قيل هذه النعم إنما كانت بالنسبة إلى أسلاف اليهود الذين كانوا في زمن موسى
عليه السلام فكيف خاطبهم الله تعالى وامتن بها عليهم أجيب بأنهم نجوا بنجاتهم ومآثر الآباء مفاخر الأبناء قوله تعالى
وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم
تشكرون ● هذه هي النعمة الثالثة قرأ أبو عمرو وعدنا موسى بغير ألف في السور الثلاث البقرة والأعراف وطه
لأن الله هو المنفرد بالوعد كما القرآن ينطق به كقوله عز وجل إن الله وعدكم وعد الحق ونحوها والباقون بالألف فيها
لأن الله تعالى وعد الوحي وموسى وعد المجيء للميقات إلى الطور وقيل المفاعلة قد تجيء من واحد كقولهم عاقبت اللص
وطارقت النعل وعافاك الله وقيل إن الوعد من الله وقبوله من موسى وقبول الوعد يشبه الوعد لأن القابل يقول
أفعل ذلك قال القفال ولا يبعد أن يكون الآدمي يعد الله ويكون معناه يعاهد الله ومنه قوله تعالى بما أخلفوا الله
ما وعدوه وقيل الأمر جرى بين اثنين فجاز أن يقال واعدنا وقيل وعد إذا طلبه وواعد إذا طلب موسى [illegible]

للعلمية والعجمة قيل مركب من اسمين بالعبرانية مو وهو الماء وشا وهو الشجر فلما عرب أبدلوا الشين سينا وإنما سمي بذلك
لأنه جعلته في التابوت وألقته في اليم فدفعته أمواج البحر حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري آسية امرأة
فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأخذنه فسمي باسم المكان الذي أصيب فيه وهو الماء والشجر وقيل موسى من أوسيت رأسه
إذا حلقته والموسى ما يحلق به فالميم فيه زائدة وقيل هو فعلى من ماس يميس إذا تبختر في مشيته فإنه عليه السلام كان يمشي كذلك
فالميم أصلية والياء بدلت بالواو لانضمام ما قبلها كما قالوا الموقن والموسر وموسى مفعول أول لوعدنا وأربعين مفعول ثان له على أنها
الموعودة أو على حذف مضاف أي تمام أربعين أو انقضاء أربعين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه كما في قوله
واسأل القرية ولا يجوز أن ينتصب أربعين على الظرفية لأنه معدود فيلزم وقوع العامل في كل فرد من أفراده ولم تقع المواعدة
كذلك ليلة منصوب على التمييز والعامل فيه اسم العدد تشبيها بضاربين ولا يتقدم التمييز عليه إجماعا وإنما ذكر الليل دون
النهار لأن شهور العرب وضعت على سير القمر والهلال إنما يهل بالليل وأول الشهر الليلة فصارت الأيام تبعا لليالي وقيل
لأن الظلمة أقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار قال الله عز وجل وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله ثم اتخذتم العجل
الاتخاذ الشيء أخذه وتناوله والأخذ بالكسر الإثم والأمر منه خذ وأصله أأخذ إلا أنهم استثقلوا الهمزتين فحذفوها
تخفيفا وجوزوا خذ عنك أي خذ ما أقول ودع عنك الشك والمراء ويقال أخذ الخطام وأخذ بالخطام والاتخاذ افتعال من
الأخذ إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل
يفعل فقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه أجرا وقيل إنه افتعال من وخذ وتخذ ضعيف لأنه إثبات بنية لا دليل عليها وقيل
أصل اتخذ ايتخذ فأبدلت الهمزة واوا فقيل أوتخذ ثم قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء ففي أصل اتخذ ثلاثة أقوال أحدها ما مر
وثانيها من تخذ وثالثها من أخذ على أنها أبدلت الهمزة تاء أو واوا ثم قلبت الواو تاء وأدغمت لأن اتخذ يتعدى إلى واحد كقوله
اتخذ بيتا وإلى اثنين بمعنى صير كقوله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وههنا يحتمل تعديته إلى واحد وحينئذ يحتاج إلى تقدير
جملة يدل عليها المعنى أي اتخذتم العجل وعبدتموه أو إلى اثنين والثاني محذوف أي اتخذتم العجل إلها وقوله من بعده من لابتداء
الغاية قيل إنما دخل من هنا لأنها تقتضي ابتداء الغاية في البعدية التي تلي المواعدة إذ التقدير من بعد الوعد لاستحالة بعدية
الذات ثم تقتضي تراخيا فلا بد من تجوز في من أو ترك استعمالها في غير موضعها والأولى أن يقدر من بعد مضيه إلى الطور كما
قدره صاحب الكشاف فلا تعارض حينئذ لأن ابتداء الغاية في بعدية المضي إلى الطور والتراخي للاتخاذ عن المواعدة فلم تتواردا
على شيء واحد وبعد ظرف زمان وحكمه حكم قبل في بنائه على الضم إذا قطع عن الإضافة وفي إعرابه إذا أضيف والجملة في وأنتم
ظالمون أي بإشراككم جملة من مبتدأ وخبر في موضع الحال قال المفسرون إن الله تعالى لما أنجى موسى وبني إسرائيل وأغرق فرعون
وقومه وأمنوا من عدوهم ودخلوا مصر لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة
فيها بيان ما يأتون وما يذرون وضرب له ميقاتا أي أعد أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف عليهم
أخاه هارون فقال له اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس
يقال له فرس الحياة لا تصيب شيئا إلا حيي ليذهب بموسى إلى ربه أي إلى الطور لمناجاة ربه فلما رآه السامري وكان في قومه
مع موسى إلى البحر وكان رجلا صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الإسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فدخل حب البقر في قلبه فلما رأى جبريل على ذلك الفرس قال إن لهذا شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل
وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فأهلك الله قوم فرعون وبقي
تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل إن الأمتعة والحلي التي استعرتموها من آل فرعون
غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري
وصنع منها عجلا ثم ألقى القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون
وخار خورة قال السدي كان يخور ويمشي فقال السامري هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي تركه ههنا وخرج
يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم والليلة يومين فلما مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في
العجل وسمعوا قول السامري افتتن بالعجل ثمانية آلاف رجل منهم وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله فذلك قوله
عز وجل وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده قيل إنما سمي عجلا لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى من بعد
مضيه إلى الميعاد وأنتم ظالمون ضارون لأنفسكم بالمعصية وواضعون العبادة في غير موضعها وقوله ثم عفونا عنكم
أي محونا عنكم الذنوب مأخوذ من قولهم عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها وعفو الله محو الذنوب عن العبد وقيل ثم عفونا
عنكم أي تركناكم فلم نستأصلكم من بعد ذلك [illegible] من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون
لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم قال صاحب الكشاف إرادة أن تشكروا نعمة العفو عنكم تفسيره لعل بالإرادة على
أن مراد الرب منه ما يقع ومنه ما يتخلف وعند الأصحاب لا يصح تفسير لعل بالإرادة لأن الله تعالى لو أراد الشكر لشكروا لأن
ما أراده الله أن يقع البتة والتفسير الصحيح عند الأصحاب لكي تكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل على نعمه فيصرفها إلى ما أمر واختلف
العلماء في حقيقة الشكر فقال ابن عباس هو طاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية وقال الحسن شكر النعمة ذكرها
قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بتلك النعمة وقال أبو بكر الوراق الشكر معرفة المنعم
أن لا تعرف لنفسك في النعم حظا بل تراها من الله عز وجل قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ويدل عليه ما روي عن الحسن أنه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال موسى يا رب كيف يستطيع آدم أن يؤدي شكر ما أجريت عليه من نعمك خلقته بيدك وأسجدت له ملائكتك

واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى اليه يا ادم علمت ان ذلك كله منى ومن عندى فذلك شكره وعن وهب بن منبه قال قال داود الهى
كيف لى ان اشكرك وانا لا اصل الى شكرك الا بنعمك فاوحى الله تعالى اليه الست تعلم ان الذى بك من النعم منى قال بلى يا رب قال
ارضى بذلك شكرا قال وهب وكذلك قال موسى انعمت على النعم السوابغ وامرتنى بالشكر لك عليها وانما شكرى اياك نعمة
منك على فقال الله له يا موسى تعلمت العلم الذى لا يفوته علم حسبى من عبدى ان يعلم ان ما به من نعمة فهو منى وقال الجنيد حقيقة
الشكر العجز عن الشكر [illegible] داود عليه الصلوة والسلام فانه قال سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه
بالعجز عن المعرفة معرفة وقال بعضهم الشكر ان لا ترى النعمة البتة بل ترى المنعم وقال ابو عثمان الحيرى صدق الشكر ان لا تمدح
بلسانك غير المنعم عليك وعن الشبلى الشكر التواضع تحت رؤية المنة وقيل الشكر خمسة اشياء مجانبة السيئات
والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات ومراقبة جبار الارض والسموات وقيل الشاكرون ثلاثة
الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والجاهد فى النوافل بعد اداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضى بالقليل
من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والدائب فى العمل يعد نفسه
من [illegible] الشاكرين وعن ذى النون المصرى يقول الشكر لمن فوقك بالطاعة ولنظيرك بالمكافاة ولمن
دونك بالاحسان والافضال [illegible] فى هذه القصة انها تدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم خير الانبياء
اليهود مع انهم شاهدوا فلق البحر لبنى اسرائيل اغتروا بهذه الشبهة الركيكة جدا واما امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم مع انهم يحتاجون فى ثبوت كون القرآن معجزا الى الحجج الدقيقة لم يغتروا بالشبهات القوية وهذا يدل على ان هذه
الامة خير من اولئك واكمل عقلا وازكى خاطرا ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم استفاد هذا من الوحى ومنها التحذير
عظيم من التقليد والجهل بالحجج فان اولئك لو عرفوا بالدليل معرفة تامة لما وقعوا فى شبهة السامرى ومنها تسلية
النبى صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهد من مشركى العرب واليهود والنصارى وكانه تعالى امره بالصبر على ذلك كما صبر موسى
فى هذه الواقعة المنكرة فانهم بعد ان نجاهم الله من فرعون واراهم المعجزات العجيبة من اول ظهور موسى الى ذلك الوقت اغتروا
بتلك الشبهة الركيكة ثم ان موسى صبر على ذلك فلان يصبر محمد صلى الله عليه وسلم على اذية قومه كان ذلك اولى ومنها ان
اشد الناس مجادلة مع الرسول وعداوة له هم اليهود وكانه تعالى قال انهم يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا فى البلادة
والجهالة والعناد الى هذا الحد فكيف هؤلاء الاخلاف والمعتزلة استدلوا بهذه الآية على ان المعاصى ليست بخلق الله
تعالى لانه تعالى ذمهم عليها ولو كانت مخلوقة لله تعالى لكانوا مطيعين لله بفعلها لان الطاعة عبارة عن فعل المراد ولو
كان العصيان مخلوقا لله تعالى لكان الذم بسببه يجرى مجرى الذم بسبب كونه اسود وابيض وطويلا وقد مر جوابه
فى مباحث خلق الافعال وفى الآية تنبيه على ان ضرر الكفر لا يعود الا اليهم فانهم ظلموا انفسهم بسبب الكفر
وذلك يدل على ان الله تعالى منزه عن الاستكمال بطاعة السعداء والانتقاص بمعصية الاشقياء قالت المعتزلة المراد من
ثم عفونا عنكم ان العفو بسبب اتيانهم بالتوبة وهى قتل بعضهم بعضا وهو ضعيف لان قبول التوبة عندهم واجب
قطعا عقلا فلو كان المراد ذلك لما جاز عده من معرض الانعام لان اداء الواجب لا يعد من باب الانعام والمقصود من هذه
الآيات تعديد نعم الله تعالى عليهم ولان العفو عبارة عن اسقاط العقاب المستحق واسقاط الواجب لا يسمى عفوا ثم انه
تعالى لو علم ان التوبة حاصلة وهذه الصورة يدل عليه فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فعلم ان قبول التوبة غير واجب عقلا
واذا الله تعالى قد اثبت عفوه بتهم مع جواز [illegible] عقلا وشرعا وهذا خلاف قول المعتزلة واذا ثبت انه عفا عن كفار قوم
موسى فلان يعفو عن فساق امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم خير امة اخرجت للناس كان اولى قوله تعالى
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ● هذه هى النعمة الرابعة وموسى مفعول اول لآتينا والكتاب
والفرقان مفعول ثان له تعالى الكتاب هو التوراة واما الفرقان ففيه خمسة اقوال احدها انه نعت للتوراة يعنى الجامع
بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة
ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعنى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا
قال الكسائى وانشد وذلك ● الى الملك القرم وابن الهمام ● وليث الكتيبة فى المزدحم ● وثانيها البرهان الفارق
بين الكفر والايمان من انفلاق البحر والعصا واليد وغيرها من الآيات ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم وثالثها الشرع
الفارق بين الحلال والحرام ورابعها النصر على الاعداء الذى نبه وسيعلم بان نصر الله تعالى موسى واهلك فرعون
وقومه يدل عليه قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان اراد به يوم بدر قاله ابن عباس وخامسها القرآن
ومعنى الكلام ولقد آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان ذكره الفراء وهو قول قطرب لعلكم تهتدون بما آتيناه من الكتاب
والفرقان واستدل المعتزلة بقوله لعلكم تهتدون على ان الله اراد الاهتداء من الكل وذلك يبطل قول من يقول اراد
الكفر من الكافر وقد تقدم جوابه فى قوله لعلكم تشكرون قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
هذه هى النعمة الخامسة قيل هذه الآية وما بعدها منقطعة عما تقدم من التذكير بالنعم المتقدمة لانها امر بالقتل
والقتل لا يكون نعمة ورد بان الله نبههم على ما به يتخلصون من ذلك الذنب العظيم وذلك من اعظم النعم فى الدين
واذا كان الله قد عدد التوبة لما لم يكمل بعضها الا بتقدمة ذكر المعصية كان ذكرها اتصالا بتمام النعمة فصار كل ما تضمنه
هذه الآية معدودا فى نعم الله فجاز التذكير بها وبانه تعالى لما امرهم بالقتل رفع ذلك عنهم قبل افنائهم بالكلية فكان

ذلك نعمة

ذلك نعمة فى حق الباقين منهم وفى حق الموجودين فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم قوله واذ قال اى اذكروا اذ قال موسى لقومه
الذين عبدوا العجل بعد ما رجع من الموعد الذى وعده ربه فرآهم قد اتخذوا العجل يا قوم اسم جمع قال صاحب الصحاح
القوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء قال زهير وما ادرى
وسوف اخال ادرى ● اقوم آل حصن ام نساء ● وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع يا قوم منادى مضاف الى ياء المتكلم وحذف
منه الياء واجتزئ عنها بالكسرة وهو اكثر ما جاء فى القرآن والمنادى اذا اضيف الى ياء المتكلم يحذف منه الياء واجترئ
عنها بالكسرة وهو اكثر ما جاء فى القرآن والمنادى اذا اضيف الى ياء المتكلم جاز فيه ثلاث لغات حذف الياء واثباتها وفتحها
فحذف الياء كقوله يا عباد فاتقون والفتح كقوله يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم قرئ من فتح الياء انكم ظلمتم انفسكم اى نقصتم
حظ انفسكم او مضرين بانفسكم فان الظلم هو الاضرار الذى ليس بمستحق ولا فيه نفع ولا دفع ضرر بسبب اتخاذكم العجل الها
وذلك لان اتخاذ العجل الها يؤدى الى الضرر الابدى فيكون اعظم انواع الظلم ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم قوله فتوبوا
الى بارئكم هذا القول من موسى بامر الله والفاء للسببية لان الظلم سبب التوبة والبارئ هو الله تعالى الذى خلق الخلق
بريئا من التفاوت ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة قراءة
غير ابى عمرو باظهار الهمزة وكسرها وابو عمرو باسكان الهمزة وروى سيبويه عنه اختلاس
الحركة وهو حسن والتسكين حسن فى توالى الحركات وقال المبرد لا يجوز التسكين مع توالى الحركات فى حرف الاعراب
وقراءة ابى عمرو بارئكم لحن ورد بانها متواترة وفيه نظر فان التواتر ليس بشرط فيما هو من هذا القبيل قال ابن عطية وقد روى عن
العرب التسكين فى حرف الاعراب قال الشاعر ● اذا اعوججن قلت صاحب قوم ● وقال امرؤ القيس ● فاليوم
اشرب غير مستحقب ● اثما من الله ولا واغل ● ومن انكر التسكين فى حرف الاعراب فحجته ان ذلك لا يجوز من حيث كان علما للاعراب
واما حركة البناء فقال ابو على الفارسى لا خلاف بين النحاة فى جواز تسكينها مع توالى الحركات وانما اختص هذا الموضع بذكر
البارئ تقريعا لهم بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت
والتنافر الى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغباوة والبلادة فى امثال العرب البليد حتى عرضوا انفسهم لسخط الله
ونزول امره بان يفكك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة وغمطوها بعبادة ما لا يقدر
على شىء منها قوله فاقتلوا انفسكم قيل على ظاهره وهو البخع اى يقتل كل احد نفسه بخعا اى قتلها غما قال بعض المفسرين
اجمعوا على انهم ما قتلوا انفسهم بايديهم ولو كانوا مامورين بذلك لصاروا عصاة بتركه قال القاضى عبد الجبار ان القتل
هو نقض البنية الذى عنده يجب ان يخرج عن كونه حيا وما عدا ذلك مما يؤدى الى الموت قريبا او بعيدا يسمى قتلا على طريق
المجاز فلا يجوز ان يامر الله تعالى به لان العبادات الشرعية انما تحسن لكونها مصالح لذلك المكلف ولا مصلحة له فى قتل نفسه
وهذا بخلاف ما يفعله الله تعالى من الاماتة لان ذلك يحسن منه اذا كان صلاحا لمكلف آخر ويجوز ان يامر الله تعالى بان يجرح
نفسه او يقطع عضوا من اعضائه ولا يحصل الموت عقيبه لانه اذا اتى بعد ذلك الفعل لم يمتنع ان يكون ذلك الفعل
صلاحا فى الافعال المستقبلة قال الامام ولقائل ان يقول لا نسلم ان القتل اسم للفعل المزهق للروح فى الحال بل هو فعل
مؤد الى الزهوق فى الحال او بعده والدليل عليه انه لو حلف لا يقتل انسانا فجرحه جراحة سرت الى النفس بعد زمان فانه
يحنث فى يمينه وتسميه اهل اللغة قاتلا والاصل فى الاستعمال الحقيقة ولئن سلم ان القتل اسم للفعل المزهق
فى الحال فلا نسلم انه لا يجوز ورود الامر به قوله لانه ليس فى ورود الامر به مصلحة مستقبلة قلنا لا نسلم لانه لا يرد الامر
بالشىء الا يقتضى مصلحة والدليل عليه امر من يعلم موته على الكفر بالايمان ولا مصلحة فى ذلك ولئن سلم انه يقتضى مصلحة ولكن
لا نسلم وجوب عود المصلحة اليه فلم لا يجوز ان يقال ان قتله نفسه مصلحة لغيره فان الله تعالى امره بذلك لينتفع به الغير
وانه تعالى يوصل العوض اليه ولئن سلم انه يقتضى عود المصلحة اليه فى الاستقبال لم لا يجوز ان علمه المامور بانه لو اتى بذلك
الفعل مصلحة له فانه اذا علم انه مامور بذلك الفعل عقيبه يصير ذلك العلم داعيا له الى ترك القبائح من ذلك الزمان
فسقط ما قاله القاضى والوجه هو الاول ويجوز صرف اللفظ عن ظاهره فقيل معناه قتل بعضهم بعضا اى ليقتل
معناه ليقتل بعضكم بعضا وهو كقوله فى موضع آخر لا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا وتحقيقه ان المؤمنين
كالنفس الواحدة وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة قال قتادة جعل الله توبة بنى اسرائيل القتل لانهم ارتدوا
فان الكفر يبيح القتل ولما امرهم الله بالقتل قالوا نصبر لامره تعالى فجلسوا بالافنية محتبين فاتصلت العقوبة عليهم
الخناجر فكان الرجل يبصر ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لامر الله عز وجل فقالوا يا موسى كيف
نفعل فارسل الله تعالى ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها اى لا يبصر بعضهم بعضا وامروا ان يحتبوا بافنية
بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل
يقولون آمين فكانوا يقتلونهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وجزعا وقالا يا رب هلكت
بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله عنهم السحابة وامرهم ان يرفعوا السلاح عنهم ويكفوا عن القتل فكشف عن الوف من
القتلى قيل كان من قتل سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله عز وجل اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول
الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفرا عنه ذنوبه فلذلك قوله تعالى فتاب عليكم والفاء فى قوله فاقتلوا انفسكم
للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام
توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والفاء للتعقيب ايضا وقيل ان التوبة نفس القتل

يكون الجملة في الامر قوله فتوبوا والفاء للسببية كما في قوله تعالى فتوبوا قوله ذلكم خير لكم ذلكم اشارة الى المصدر
المفهوم من قوله فاقتلوا او قيل الى المصدر المفهوم من قوله فتوبوا وقيل اليهما ووقع المفرد موقع التثنية كما في قوله
تعالى عوان بين ذلك اى بين الفارض والبكر قوله خير لعل التفضيل حذف همزته شذوذا في الكلام لنقص بناؤه
فانصرف قال صاحب الصحاح الخير ضد الشر تقول منه خرت يا رجل فانت خائر وخار الله لك وقد يطلقونه بهمزة خير في
الشر قال الله خير الناس وابن الاخير وقد يجي لغير التفضيل يقال في زيد خير اى خصلة حميدة ويخفف من خير وكما
ان يكون فيهن خيرات حسان منه قال صاحب الصحاح رجل خير وخير مشدد ومخفف وكذا امرأة خيرة وخيرة
وقال تعالى اولئك لهم الخيرات جمع خيرة وهي الفاضلة من كل شيء وقال تعالى فيهن خيرات حسان فادخلوا فيه الهاء
للمؤنث ولم يريدوا به افعل فان اردت التفضيل قلت فلان خير الناس ولم تقل خيرة وفلانة خير الناس ولم تقل خيرة لانه لا يثنى
ولا يجمع لانه في معنى افعل واما قول الشاعر الا بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد فانما
ثناه لانه اراد خيري بخففه مثل ميت وميت وهين وهين قوله ذلكم خير لكم جملة من مبتدا وخبر ذكرها تنبيها على انه لا
يكن تحمل هذه المشقة وذلك لانه انهم كانت دائرة بين ضرر الدنيا وعقاب الآخرة والاول اسهل لانه متناه وضرر
الآخرة غير متناه ولان الموت لابد منه فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير واما الخلاص من العقاب
والفوز بالثواب فذلك العرض الاعظم قوله فتاب عليكم الفاء متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى
فيتعلق بشرط محذوف كانه قال موسى فان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم فيكون الفاء لجزاء الشرط واما ان يكون خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات في التكلم من الغيبة فيكون التقدير ففعلتم ما امركم الله به موسى فتاب عليكم بارئكم
فيكون الفاء للعطف ويكون فصيحة قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون هذه هي النعمة السادسة
ولما لم يتم وصفها الا بمقدمة ذكر المعصية لان ذكرها ايضا من تمام النعمة فصار كل ما تضمنته هذه الآيات
معدودة في نعم الله تعالى لان التذكر بها وفي التذكر بها فوائد منها ان فيها تحذيرا لمن كان في زمان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم عن فعل ما يستحق منه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيههم في جحودهم معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم بجحود اسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم عظم تلك الآيات الظاهرة وتنبيها على انه تعالى
انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولاستحقوا العقاب مثل ما استحق
اسلافهم ومنها ان فيها تسلية للنبي عليه السلام مما كان يلاقي منهم وتثبيتا لقلبه على الصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها
ازالة شبهة من يقول انه لو صح نبوة محمد عليه السلام لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب لما انهم عرفوا خبره فاذا علم
بيان اسلافهم مع مشاهدتهم تلك الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوة موسى كانوا يرتدون كل وقت ويحملون عليه نوع
فلا يتعجب من مخالفتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم الاخبار عن نبوته ومنها ان لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذه القصص مع انه كان اميا لم يشتغل بالتعليم والتعلم كان دليلا قاطعا على انه انما اخبر من الوحي اختلف المفسرون
في وقت هذه الواقعة وفي اي وقت اختيارهم فقيل اختارهم حين خرجوا من البحر وطلب الميعاد واكثر المفسرين ان ذلك بعد
عبادة العجل اختارهم ليستغفروا لبني اسرائيل وهو لا يصح لان خلفه هؤلاء فقيل كان قبل ان كلفوا بعقوبة العجل بقتل انفسهم
قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه وراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال للسامري وقال لاخيه ما قال وحرق
العجل والقاه في البحر قال طائفة ممن لم يعبدوا العجل نحن لم نكفر ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين
فلم يجد الا ستين فاوحى الله تعالى اليه ان اختر من الشبان عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان اختار ستة من كل سبط
فزادوا اثنين على السبعين فتنازعوا فيمن يتاخر فاوحى الله ان من تاخر له اجر من مضى فتاخر يوشع بن نون وكالب بن يوفنا
فامرهم ان يجتنبوا النساء ثلثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هارون عليه السلام على قومه فلما خرجوا قالوا لموسى سل
ربك حتى نسمع كلامه فسال موسى عليه السلام فاجابه الله اليه ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل
كله ودنا موسى حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع
احد من بني آدم النظر اليه وسمع القوم كلام الله عز وجل مع موسى فلما تم انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه قالوا انا
سمعنا كلام الله يامره وينهاه فلم نطيق سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى سامعا ومعبرا لهم ففعل فلما فرغوا
ورجعوا بدلت طائفة منهم ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من
بعد ما عقلوه وهم يعلمون فاضطرب ايمانهم وامتحنهم الله بذلك فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول يا الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا
ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معي واحد منهم فما الذي يقولون في فلم يزل موسى مشتغلا بالدعاء
حتى رد الله اليهم ارواحهم وطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة
كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل من عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله تعالى ان ياتيه موسى في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة فماتوا وقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء فاذا اتيت
اليهم ولا يكون معي منهم احد فماذا اقول لهم فاوحى الله تعالى الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى

[illegible]

في المستقبل او الا لوجب حصول الرؤية لوجوب حصول المشروط عند وجود شرطه الذي تم به العلة فان ما دخل عليه ان فهو
شرط يتم به علية العلة ولم يتحقق الحصول بالاتفاق فعلم ان استقرار الجبل لم يكن متحققا فيكون متحركا بالضرورة اذ لا واسطة بينهما فاذن
الجبل حال ما علق الله تعالى الرؤية باستقراره كان متحركا واستقرار الجبل من حيث هو متحرك محال فالتعليق عليه لا يدل على امكان
الرؤية لان التعليق على الشرط الممتنع لا يدل على امكان المشروط لانا نقول سلمنا ان الجبل في تلك الحال كان متحركا لكن الجبل من حيث هو
جبل يصح السكون عليه والمذكور في الآية ليس الا ذات الجبل لا المقتضي لاستحالة السكون وهو حصول الحركة فاذن القدر
المذكور في الآية متناول لصحة الاستقرار وما هو منشأ لامتناع الاستقرار غير مذكور فيها فوجب القطع بالصحة قيل عليه
ان المذكور في الآية هو وقوع الاستقرار حال النظر الى الجبل الذي عبر عنه بقوله تعالى فان استقر مكانه لا صحة الاستقرار الذي
تلزم الجبل عند عدم الاشتراط الحركة وتلك الحال تستلزم الحركة فلا يصح معها الاستقرار ولقائل ان يقول سلمنا ان المذكور
في الآية وقوع الاستقرار ووقوع الاستقرار في تلك الحال ممتنع لكن لا يلزم من امتناعه في تلك الحالة عدم صحته بحسب الذات
فان الممتنع بالغير ممكن بالذات فيكون المعلق عليه ممكنا بالذات وان كان ممتنعا بالغير فيكون المعلق ايضا ممكنا بالذات وان كان
ممتنعا بالغير والمطلوب ههنا هو امكان الرؤية بالذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وجه الاحتجاج ان النظر اما
الرؤية او تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته والثاني ممتنع لاقتضائه كونه تعالى في جهة فتعين الاول وهو المطلوب قيل النظر لا يكون

لان الجهر لا يستعمل الا في الصوت فشبهوا احدهما بالاخر كما هو طريق الاستعارة م

اي وانتم تنظرون م

وان كان في محل نزوه من جملة الاعراض فثبت ان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام م

على الرؤية ولهذا يقال نظرت الى الهلال فلم اره واذا لم يدل النظر على الرؤية لم يتعين الرؤية للارادة بل يجوز ان يراد غيرها على ان
لنا تأويلا آخر وهو ان يحمل الى على واحد الآلاء وحينئذ يكون معناه وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة اى منتظرة لكن على حذف المضاف
وهو الثواب وحينئذ المضاف ناضرة الى ثواب ربها ناظرة قيل التأويل باطل اما الاول فلان الانتظار سبب الغم والآية مسوقة لبيان
النعم واما الثاني فلان النظر الى الثواب لا يتعدى ان يحمل على رؤية الثواب لان تقليب الحدقة نحو الثواب من غير الرؤية لا يكون من النعم
البتة واذا وجب حمله على الرؤية لا محالة كان اضمار الثواب زيادة من غير دليل اجيب بان الآية دالة على ان ذلك الوقت قبل استقرار اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار بدليل قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة اى تظن ان يفعل بها فعل في شدته وفظاعته
فاقرة داهية تقصم فقار الظهر واذا كانت تلك الحالة سابقة على الاستقرار كان انتظار النعم بعد البشارة بها سرورا بل يستتبع
نضارة الوجه ومثل ذلك الانتظار لا يكون مستدعيا للغم كانتظار اكرام الملك وعطائه لا يكون موجبا للغم اذا تيقن وصول
اليه وانتظار العقاب بعد الانذار بوصوله غم يستتبع بسارة الوجه اى شدة عبوسه كانتظار عقاب الملك اذا تيقن عقابا
فلا حاجة الى اضمار الرؤية في النظر الى الثواب بمعنى الانتظار لان النظر عبارة عن تقليب الحدقة وتقليب الحدقة نحو الثواب بعد
البشارة انتظار لوصوله من النعم وللقائل ان يقول لا نسلم ان انتظار النعم لا يخلو عن الغم فانه كلما كانت النعمة اعظم كان الوصول
اليها الذ كانت حالة الانتظار حالة عدم الوصول مقتضية غما وألما ويعلم من هذا ان انتظار العقاب لا يكون في الشدة والفظاعة
كوقوع العقاب الرابع قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فذلك يدل على ان المؤمنين يومئذ غير محجوبين عن ربهم
والا لم يكن الاخبار عن الكفار على سبيل الوعيد انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فائدة واذا لم يكن المؤمنون يومئذ محجوبين عن ربهم
يرونه واما الثاني وهو ان يرى من غير ان يرتسم صورة المرئي في العين او اتصال الشعاع الى المرئي وحصوله في جهة فلانه تعالى
لما تقدس عن الجهة منزه عن المكان متعال عن المواجهة احتجت المعتزلة بوجوه الاول قوله تعالى لا تدركه الابصار في نحو
من الاوقات لان قولنا تدركه الابصار يناقض قولنا لا تدركه الابصار بدليل استعمال كل من القولين في تكذيب الآخر
وصدق احد النقيضين يستلزم كذب الآخر وصدق قوله لا تدركه الابصار فوجب كذب قولنا تدركه الابصار في
يستلزم كذب قولنا تدركه بصر واحد وبصران اذ لا قائل بالفصل واجيب بان الادراك هو الاحاطة التامة وهي
رؤية الشيء من جميع جوانبه لان اصله اللحوق والاحاطة انما تتحقق في المرئي الذي يكون له جوانب فمعنى الآية نفي الرؤية
على سبيل الاحاطة ولا يلزم من نفي الرؤية على سبيل الاحاطة نفي الرؤية فان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام ورد
هذا الجواب بان قولكم الادراك رؤية الشيء من جميع جوانبه ليس بصحيح فانهم يقولون ادركت الشيء ولا يريدون رؤيته
من جميع جوانبها واجيب ايضا بان الابصار جمع معرف باللام مفيد للعموم فقولنا لا تدركه الابصار الا يناقض قولنا تدركه
بعض الابصار فهم صدق قولنا لا تدركه الابصار يستلزم كذب قولنا تدركه الابصار قلنا لا نسلم فانهما مطلقتان
فلا يستلزم صدق احدهما كذب الآخر ولئن سلمنا فلا نسلم ان كذبه يستلزم كذب قولنا تدركه بصر واحد او بصران
ممنوع قوله اذ لا قائل بالفرق قلنا ممنوع فان المؤمنين عندنا يدركونه ولا تدركه الكفار ولئن سلمنا هذا الدليل نقول
بموجبه ولا يلزم المطلوب فانه لا يلزم من قولنا لا تدركه الابصار ان لا يراه اصحاب الابصار لان الابصار
لا تبصر ولا يلزم من عدم ادراك الابصار عدم ادراك اصحاب الابصار والحق ان الله تعالى نفى الادراك بالابصار
الذي من شرطه ارتسام الشبح او خروج الشعاع ولا يلزم منه نفي الرؤية مطلقا لم يكن فيها احدهما الثاني قوله تعالى
لموسى لن تراني وجه الاحتجاج به ان كلمة لن لتأبيد النفي بدليل قوله قل لن تتبعونا فنفى الرؤية على التأبيد في حق موسى
فيكون نفيها في حق غيره اذ لا قائل بالفصل اجيب بالمنع اولا فانا لا نسلم ان كلمة لن لتأبيد النفي بل للتأكيد بدليل قوله تعالى
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فانه قيد بقوله ابدا ومع هذا لم يستلزم تأبيد النفي لانهم يتمنون في الآخرة على ان نفي الرؤية
على التأبيد لا يقتضي نفي صحة الرؤية الثالث قوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي الآية وجه الاحتجاج انه تعالى نفى الرؤية وقت الكلام فانه تعالى نفى التكليم الا على احد الوجوه الثلاثة الوحي
ومن وراء حجاب وارسال الرسول وكل منها يستلزم عدم الرؤية اما بالوحي فلانه لم يكن مشافهة فلا يكون عند الرؤية
واما من وراء حجاب فظاهر انه يستلزم عدم الرؤية واما ارسال الرسول والايحاء فانه يدل على عدم المشافهة المستلزم لعدم
الرؤية واذا ثبت نفي الرؤية وقت الكلام يلزم نفيها في غير وقت الكلام اذ لا قائل بالفصل واجيب عنه بانا لا نسلم
انه نفى الكلام وقت الرؤية قولهم لانه نفى التكليم الا على احد الوجوه الثلاثة قلنا مسلم قولهم كل منها يستلزم عدم الرؤية
ممنوع قولهم اما الوحي فلا يكون مشافهة ممنوع لان الوحي كلام يسمع بسرعة سواء كان المتكلم محجوبا عن السامع او لم يكن
الرابع انه تعالى استعظم طلب الرؤية ورتب الوعيد والذم عليه فقال يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اى قال الكفار لولا انزل علينا الملائكة ليخبروا
ان النبي عليه السلام مرسل او نرى ربنا ليأمرنا باتباعه وتصديقه فاقسم الله تعالى فقال لقد استكبروا في انفسهم بطلب الرؤية
وعتوا عتوا كبيرا اى طغوا بطلبهم الرؤية طغيانا كبيرا وقال تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون وقال عبد الجبار لو كانت الرؤية جائزة لكانوا قد التمسوا امرا مجوزا فوجب ان لا ينزل بهم العقوبة
كما التمسوا النقل من قوت الى قوت من طعام الى طعام في قوله تعالى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض وقال ابو الحسين انه
تعالى ما ذكر سؤال الرؤية الا استعظمه وذلك في آيتين احديهما هذه الآية فان الرؤية لو كانت لكان قولهم لن نؤمن لك حتى نرى

جهرة لو

جهرة كقول الامم لانبيائهم لن نؤمن لك الا بآيات مع انه لا يستعظم ولا تأخذهم الصاعقة وثانيهما قوله تعالى يسألك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم سمى
ذلك ظلما وعاقبهم في الحال فلو كانت الرؤية جائزة يجري سؤالهم مجرى سؤال المعجزة الزائدة فان قيل لم لا يجوز ان يكون تعالى ذكر
ان انزال الكتاب من السماء يجري مجرى الرؤية في كون كل واحد منهما ممتنعا لما ان انزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سؤال الرؤية
قلت الظاهر يقتضي كون كل واحد منهما مستعظما ترك العمل به في انزال الكتاب فبقي معمولا به في الرؤية اجاب الامام بان تعديد
الوجوه مشترك في حرف واحد وهو ان الرؤية لو كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا وتكبرا وذلك ممنوع قوله اذا طلب شيئا
المنافع من النقل من طعام الى طعام لما كان ممكنا لم يكن طالبه عاصيا وكذلك القول في طلب سائر المعجزات قلنا لم قلت
انه لما كان طلب ذلك الممكن ليس بعتو وجب ان يكون طالب كل ممكن غير عات والاعتماد في مثل هذا التصحيح يدل على مبلغ الاصحاب
لا يليق باهل العلم كيف وانا نقول ان الله تعالى لما ذكر الرؤية الاول ذكر معها شيئا حكما عليه بالامكان وهو انزال الكتاب من السماء
ونزول الملائكة وانت منعت العلو وعول على انهما لما حصلت لاجل كون المطلوب ممتنعا اما قول ابي الحسين الظاهر كونها كل
ترك العمل به في البعض فبقي معمولا به في الباقي قلنا لما ثبت ذلك دليلا على ان الاستعظام لا يتحقق الا اذا كان المطلوب ممتنعا
وانما عولت فيه على ضرب الامثلة والمثال لا ينفع في هذا الباب فبطل قولك الظاهر يقتضي كون الكل ممتنعا فظهر بما قلناه
سقوط كلام الخصم فان قال قائل ما السبب في استعظام سؤال الرؤية فالجواب انه يحتمل في ذلك وجوه منها ان رؤية
الله تعالى لا تحصل الا في الآخرة فكان طلبها في الدنيا تكبرا ومنها انهم طلبوا الرؤية على سبيل التعنت والعناد والتعنت
يستوجب التعنيف والعقوبة ومنها انه لا يمتنع ان يعلم الله تعالى ان في منع الخلق عن رؤيته في الدنيا ضربا من المصلحة المهمة فلذلك
استنكر طلبها في الدنيا كما علم ان انزال الكتاب من السماء وانزال الملائكة من السماء مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب ذلك
والحق ان طلب الرؤية التي هي مشروطة بارتسام صورة المرئي وشبحها وخروج الشعاع ممتنع في حق الله تعالى وقولهم ارنا الله
جهرة طلب للرؤية على هذا الوجه يدل على ذلك ذكر قوله جهرة والاستعظام انما هو بسبب طلب الرؤية على هذا الوجه
فانه طلب للمحال وطلب المحال عتو واستكبار وتكبر ولنرجع الى تفسير قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم هو جملة معطوفة
على قوله فاخذتكم الصاعقة واصل البعث اثارة الشيء من محله قال المفسرون لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول
يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
فلم يزل يناشده حتى احياهم الله جميعا رجلا بعد رجل قال قتادة بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم ولو ماتوا
بآجالهم لم يبعثوا وكان ذلك الموت عقوبة لهم وانما قال من بعد موتكم لان البعث قد يكون بعد الموت بقوله تعالى فضربنا على آذانهم
في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ولم يحصل لموسى في هذا الخطاب لانه خطاب لقومه
فلا يجب ان يتناول موسى عليه السلام وعلى تقدير تناوله وجب تخصيصه لقوله تعالى في حق موسى فلما افاق لان الافاقة انما تستعمل
في غير الموت قوله تعالى لعلكم تشكرون نعمة البعث او نعمة الله تعالى بعدما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة
واذاقتكم الموت قال الزجاج وفي الآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث فاحتج النبي عليه السلام باحياء من بعث بعد موته
في الدنيا بما يوافقه اليهود والنصارى قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وظللنا هذه الجملة معطوفة على قوله ثم بعثناكم اى وجعلنا الغمام
عليكم ظلة اى سترا من الشمس والغمام والظل لغة الستر يقال لا زال الله عنا ظل فلان اى ستره وظل الشجرة سترها
ويقال لظلمة الليل ظل لانها تستر الاشياء ومنه قوله تعالى كيف مد الظل والغمام جمع غمامة وهي سحاب سمي غماما
لانه يغم السماء اى يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه قال مجاهد هو ابرد من السحاب وارق واصفى وهو الذي يأتي الله فيه
يوم القيمة وهي بعض رحمة وليس بسحاب المطر وانه ارق منه واطيب هذه هي النعمة السابعة وظاهر الآية ان هذا الاظلال
كان بعد ان بعثهم وذلك في التيه وذكر المفسرون ان بني اسرائيل لما كان من امرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا
في التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بان بقوا
في التيه اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة وقيل انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون
حيث كانوا بكرة امس فهذه معجزة لموسى على نبوته فقيل لا تأس على القوم الفاسقين وروي انهم ماتوا باجمعهم في التيه ونشأ
بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من التيه وقاتلوا الجبارين واذا كان جميعهم في التيه قالوا لموسى من لنا من حر الشمس فظلل الله
عليهم الغمام تسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه قالوا من لنا بالطعام فانزل الله
عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع وقيل صمغة حلوة وقيل الذي ينزل على الشجر
اليوم فيأكله الناس وقيل شيء يشبه الرب الغليظ وقيل شراب حلو وقيل خبز رقاق مثل الذرة او النقي وقيل عسل وقيل الزنجبيل
وفي بعض هذه الاقوال بعد وقيل المن مصدر يعني به جميع ما من الله به عليهم ولذا قال النبي عليه السلام الكماة مما من الله به على بني اسرائيل
وماؤها شفاء للعين فقيل اراد عليه السلام ان الكماة نفسها مما انزل الله نوعها على بني اسرائيل وقيل انه اراد انه لا تعب في الكماة
ولا جذاذ ولا حصاد فهي منة دون تكلف من بني اسرائيل في انه كان دون تكلف وقيل ينزل عليهم فيأخذ منه الرجل ما يكفيه يومه
فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة والمن
اسم جمع لا واحد له من لفظه والسلوى هي السماني فيبعث الله الجنوب وهو ريح من مقابل القطب من يمين من هو متوجه الى المشرق
فيحشر عليهم السلوى فيذبح الرجل منها ما يكفيه قيل جمعه وواحده بلفظ واحد قال الخليل السلوى جمع وواحده سلواة وقال الكسائي

السلوى واحدة جمعها سلاوى وكلاهما اسم مقصور لا يظهر فيه الاعراب قالوا من لنا بالماء فامر الله موسى ان ضرب
بعصاه الحجر قالوا من لنا باللباس فطولوا ان لا تتسخ ثيابهم ولا تبلى وقوله كلوا على ارادة القول اي قلنا لهم كلوا فحذف
اختصارا لدلالة الظاهرة عليه وقوله من طيبات من للتبعيض طيبات حلالات لذيذة والطيب الحلال لانه طاب لم
يكن خبيثا واسم الطيب الطاهر سمي الحلال طيبا لانه طاهر لم يتدنس بكونه حراما ما رزقناكم ما موصولة والعائد محذوف
اي رزقناكموه وقيل مصدرية بمعنى المفعول اي من رزقكم فلا يحتاج الى تقدير ضمير وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه
النعمة وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه اي ما نقصونا وما ضرونا بالمعصية ولكن كانوا انفسهم
اي ظلموا انفسهم ونقصوا حظ انفسهم وضروها باستيجابهم عذابه وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا كلفة
ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى ولكن احسن موقعها ان تكون بين متضادين او نقيضين ونحو وقوعها
بين الخلافين نحو ما زيد قائما لكن ضاحك واتفقوا على انها تقع بين المتماثلين وقد تحقق هنا الحسن موقع لتقدم النفي
عليها ومجيء الايجاب بعدها وطباق الكلام ان يثبت ما بعد لكن على نحو ما نفي قبلها لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم لكن دخلت هنا كان مشعرة بان ذلك شأنهم انفسهم يظلمون ويظلمون مضارع اللفظ ماضي المعنى وقدم
مفعوله عليه لموافقة رؤس الآي والاعتناء باخبار من حل به العقاب كالاختصاص قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين
اي اذكروا اذ قلنا هذه هي النعمة التاسعة وهي معطوفة على الآيات السابقة المذكورة للنعم فانه تعالى لما بين نعمه عليهم
بان ظلل الغمام عليهم وانزل عليهم من المن والسلوى وهو من النعم العاجلة اتبعه الله بنعمة عليهم في باب الدين
حيث امرهم بما يمحو ذنوبهم ويبين لهم طريق التخلص عما استوجبوه من العقوبة والقرية المدينة من قريت اي جمعت والقراة
الحوض يجمع فيه الماء يقال قريت الماء في الحوض اي جمعته ويقال لبيت النمل قرية لانه يجمع النمل والقرية تجمع اهلها وهذه
في محل النصب على الظرف لانه اشارة الى المكان قال سيبويه دخل متعد الى ظرف المكان المختص الحقيقي بغير واسطة
والى المكان المجازي يتعدى بواسطة في نحو دخلت في الامر وذهب الاخفش والجرمي الى انه في محل النصب على انه مفعول
به والقرية منصوبة على انها نعت له وهي بيت المقدس قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي والربيع وروي عن ابن
انها اريحا وهي من ارض بيت المقدس وقيل انها قرية من ادنى قرى الشام قال ابن وهب قال المفسرون ان بني اسرائيل
لما خرجوا من التيه قال الله لهم ادخلوا هذه القرية قيل المأمورون بدخول القرية ذرية بني اسرائيل واما الشيوخ فماتوا فيه
وروي ان موسى وهارون ماتا في التيه وحكى الزجاج ان موسى وهارون لم يكونا في التيه لانه عذاب والاول اكثر والامر
بالدخول تكليف لان الامر بدخول الباب سجدا تكليف لانه فعل شاق وكذا دخول الباب سجدا مشروط بدخول القرية
القرية فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فكلوا
منها حيث شئتم رغدا موسعا عليكم طيبا وادخلوا الباب قال مجاهد والضحاك وقتادة انه باب يدعى باب الحطة وقيل
باب القبة التي كانوا يصلون اليها لانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى وقيل انه باب من ابواب القرية وكان لها سبعة
ابواب وعن مجاهد انه باب في الجبل الذي كلم عليه موسى كالفرجة قوله سجدا جمع ساجد حال من فاعل ادخلوا امروا بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويطأطئوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط وهو وضع
الشيء من اعلى الى اسفل يقال حط الحمل عن الدابة والسيل يحط الحجر عن الجبل قال امرؤ القيس • كجلمود صخر
حطه السيل من عل • فالحطة من الحط مثل الردة من الرد وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك
حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى
والاصل صبرا على اصبر صبرا وقيل امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونستقر وقيل ان الله تعالى تعبدهم بان يدخلوا
الباب على وجه الخضوع امرهم بان يقولوا ما يدل على التوبة وذلك لان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا
اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته وان لم يوجبه الكلام لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى
التوبة ولاجل ازالة التهمة عن نفسه وكذلك من عرف بمذهب خطاء ثم ظهر له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوا
منه ذلك المذهب لتزول عنه التهمة في الثبات على الباطل وليعودوا الى الموالاة بعد معاداته فلهذا السبب الزم
الله تعالى بني اسرائيل مع الخضوع الذي هو صفة القلب ان يذكروا اللفظ الدال على تلك التوبة وهو قوله حطة فالحاصل
انه امرهم ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم
القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقيل ان هذه اللفظة من الفاظ اهل الكتاب لا يعرف معناها في العربية
وروي عن ابن عباس انهم امروا بهذه اللفظة بعينها وقيل انهم امروا بان يقولوا قولا دالا على التوبة والندم والخضوع حتى
لو قالوا مكان الحطة اللهم انا نستغفرك ونتوب اليك لكان المقصود حاصلا لان المقصود من التوبة اما القلب واما
اللسان اما القلب فالندم واما اللسان فذكر لفظ يدل على حصول الندم في القلب وذلك لا يتوقف على ذكر لفظة
بعينها وقوله نغفر لكم قرأ نافع على البناء للمفعول بالياء وابن عامر بالتاء والباقون بالنون وابو بكر عن عاصم بفتح
الياء اي يغفر الله والمعنى في هذه القراآت واحد لان الخطايا اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما يغفرها
الله والفعل اذا اسند الى الظاهر هو مؤنث غير حقيقي جاز فيه التذكير والتأنيث وفي قراءة ابي بكر التفات لان

صدر الآية واذ قلنا ويحتمل ان يكون في قراءته يكون الفاعل ضميرا عائدا الى القول المفهوم من قوله وقولوا او اسناد الغفران
الى الحطة باعتبار ان القول سبب الغفران وقراءة الباقين هي الجارية على قوله واذ قلنا وعلى ما بعده وهو قوله وسنزيد المحسنين
بنون العظمة جواب الامر وقوله خطاياكم قال صاحب الصحاح الخطأ ضد الصواب وقد يمد وقرئ بهما قوله تعالى ومن قتل مؤمنا
خطاء تقول منه اخطأت وتخطأت بمعنى ولا تقل اخطيت وبعضهم يقوله والخطأ الذنب في قوله تعالى ان قتلهم
كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة ولك ان تشدد الياء لان كل ياء ساكنة
قبلها كسرة او واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للالحاق ولا هما من نفس الكلمة فانك تقلب الهمزة بعد الياء ياء وبعد
الواو واوا وتدغم فتقول في خبيء خبيّ وفي مقروء مقروّ بتشديد الياء والواو وجمع الخطيئة خطايا وكان الاصل خطائي على
فعائل فقلبت الياء همزة فصار خطائئ فالهمزة الاولى بدل من الياء الزائدة في خطيئة والهمزة الثانية لام الفعل فاستثقل الجمع
بين الهمزتين فابدلت الثانية بقلبها ياء فصار خطائي ثم فتحت الهمزة الاولى المنقلبة من ياء المد في خطيئة فصار خطاءى فانقلبت الياء
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فوقعت همزة بين الفين فقلبت ياء فصار خطايا ومنهم من قلب الهمزة التي هي لام الفعل التي هي قبل
الياء فصار خطائي على فعالي ثم فتحت الهمزة فصار خطاءى ثم انقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار خطاءا
او تعتمد همزة بين الفين هي شبيهة بالالف فكانه قد اجتمع ثلاثة امثال فابدلوا من الهمزة ياء فصار خطايا فالاولى فيه
خمس مراتب من الاعتلال وفي الاخيرة فيه اربع والقراء السبعة على خطاياكم وقوله وسنزيد المحسنين اي الذين لم يكونوا من اهل
تلك الخطيئة احسانا ومثوبة قال صاحب الكشاف وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان
مسيئا كانت له توبة ومغفرة وقيل كان ذنب بني اسرائيل من عجل كما امر ان يقال لا اله الا الله وهم المحسنون قوله تعالى
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • بدل يتعدى الى
اثنين الثاني بالباء نحو بدلت دينارا بدرهم اي اخذت مكان درهم دينارا وقد يحذف الباء لفهم المعنى قال الله تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وما دخل عليه الباء هو المتروك والآخر هو الباقي وتبديل الشيء ايضا تغييره وان لم يأت
ببدل ذهب ابو مسلم الى ان التبديل ههنا هو التغيير من غير بدل اي انهم لم يفعلوا ما امروا به لا انهم اتوا له ببدل فيكون المعنى
انهم لما امروا بالتواضع وسؤال المغفرة لم يمتثلوا امر الله ولم يلتفتوا اليه وذهب جمهور المفسرين الى ان التبديل
ههنا هو التغيير الى بدل اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول
ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا باللفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم
لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو كان مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف
عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاتا اي حنطة حمراء استهزاء منهم
بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وقيل استهزاء بموسى وقالوا لموسى ما شاء موسى
ان يلعب بنا الا حطة وانما وصفهم الله بقوله الذين ظلموا اما لانهم سعوا في نقصان خيراتهم في الدين والدنيا او لانهم
اضروا بانفسهم وذلك ظلم وفي تكرير الذين ظلموا وايراد المظهر مكان المضمر الذي هو اخراج الكلام على مقتضى الظاهر
زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار على الاصل وهو
اخراج الكلام على مقتضى الظاهر والرجز العذاب روي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل
سبعون الفا وقيل انه الثلج هلك به سبعون الفا قوله بما كانوا يفسقون بسبب انهم خرجوا من طاعة الله الى معصيته
قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد
علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين • هذه هي النعمة التاسعة
من النعم المعدودة على بني اسرائيل وهو جامع لنعم الدنيا والدين اما الدنيا فلانه تعالى ازال عنهم الحاجة الشديدة الى الماء
ولولاه لهلكوا في التيه كما انه لولا انزاله المن والسلوى لهلكوا قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
وقال وجعلنا من الماء كل شيء حي بل الانعام بالماء في التيه اعظم من الانعام بالماء المعتاد لان الانسان اذا اشتدت
حاجته الى الماء في المفازة وقد انسدت عليه ابواب الرجاء لكونه في مكان لا ماء فيه ولا نبات فاذا رزقه الله الماء من حجر
ضرب بالعصا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا علم ان هذه النعمة لا يكاد يعادلها شيء من النعم واما الدين فلانه من اظهر
الدلائل على وجود الصانع وقدرته وعلمه ومن اصدق الادلة على صدق موسى في دعوى النبوة واذ متعلق بفعل مضمر
تقديره واذكر اذ استسقى معناه طلب السقيا سقيت فلانا واسقيته اي جعلت له سقيا سقاه الله الغيث واسقاه والاسم
السقيا والف استسقى منقلبة عن ياء لانه من السقي ومفعوله محذوف وهو المستسقى منه اي استسقى موسى ربه كقوله اذ استسقاه
قومه وقيل وحذف مفعول آخر وهو المستسقى اي سقيا اتفق جمهور المفسرين على ان هذا الاستسقاء كان في التيه لان الله تعالى
لما ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش وقالوا يا موسى من اين لنا الشرب
فاستسقى لهم موسى فقال الله تعالى اضرب بعصاك الحجر قيل كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من آس الجنة طولها عشرة
اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمه عليق وكان آدم عليه السلام حمله معه من الجنة الى الارض فتوارثها
الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واللام في الحجر للعهد والاشارة الى حجر معلوم روي انه حجر طوري حمله معه وكان
حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم
وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبط آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه الى موسى مع العصا

وقيل الحجر وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر الحجر بثوبه ومر به على ملأ من بني اسرائيل حتى علموا انه ليس بآدر
فلما وقف الحجر اتاه جبريل فقال يا موسى ان الله عز وجل يقول لك ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله موسى في مخلاته
وكان اذا احتاج الى الماء ضربه بعصاه وقد روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون
عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما منع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب
مرة ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى اي اسرع في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل
الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد ما نظر اليه فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال ابو هريرة والله انه
لندبا اي اثر الجرح بالحجر ستة او سبعة اثر ضرب موسى وقيل كان موسى يضرب به اثنتي عشرة ضربة وكان يظهر على كل ضربة مثل
ثدي المرأة ثم يتفجر منه الانهار ثم تسيح بالانهار المطردة واما الجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره
ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وقيل كان موسى يضرب لهم اقرب حجر من عرض الحجارة فتنفجر لهم عيونا
لكل سبط عين ثم انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى الرمل والى ارض ليست فيها حجارة فحمل موسى حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه
وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله الى موسى لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وقيل كان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان قوله فانفجرت
الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت ويكون نحو قوله فانفجرت جملة معطوفة على جملة محذوفة تدل عليها وجود الانفجار
مرتبا على ضربه او فان ضربت فقد انفجرت فعلى الاول الفاء للعطف وعلى الثاني للجزاء وعلى التقديرين هي فاء فصيحة لا
تدل على معنيين على ما تقدم من المحذوف وعلى معنى في نفسه ولا تقع الا في كلام بليغ ورد التقدير الثاني بان الشرط
لا يحذف ولئن سلم فليس ههنا ما يدل على المعنى في التركيب لان قوله فانفجرت ماض لفظا ومعنى والفاء لا تدخل على الماضي الا
اذا كان الفعل ماضيا لفظا ومعنى ويلزم مع الفاء قد ايضا وحينئذ لا يصلح ان يكون جوابا للشرط لان الشرط مستقبل
وجوابه المرتب عليه مستقبل قطعا والانفجار ماض لفظا ومعنى لما ذكر ولان المفهوم من الاية ولهذا قال الكشاف قد علم كل اناس

بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كل هذا القول منهم في التيه قال الحسن
كانوا فلاحة اهل كراث وابصال واعداس فنزعوا الى عكرهم اي اصلهم الشر واشتاقت طباعهم الى ما جرت عادتهم فاجموا اي كرهوا
ما كانوا فيه من النعمة فقالوا لن نصبر على طعام واحد واطلقوا اسم الواحد لما انهم كانوا لما رزقوا في التيه من المن والسلوى
قالوا واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عديدة يداوم عليها كل يوم
لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما
معا من طعام اهل التلذذ والترف اي الشعر ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة
كالبقول والحبوب ونحو ذلك قوله فادع لنا ربك اي سل لنا وادع لاجلنا ربك يخرج لنا مما يظهر لنا ويوجده مما تنبت الارض من التبعيض
وما موصولة وتنبت الارض صلتها والعائد محذوف وقوله مما تنبت الارض في محل النصب صفة لمفعول محذوف اي يخرج لنا ما
مما تنبت الارض من بقلها بدل من قوله مما تنبت الارض على اعادة حرف الجر والبقل ما انبتته الارض من الخضر فكل نبات لا يبقى
ساق اذا رعته الماشية والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقثائها وهو نوع
من الخضراوات وفومها الحنطة ومنه فوموا لنا اي اختبزوا وقيل هو الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو العدس والبصل
او في قوله قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قال موسى على سبيل الانكار اتستبدلون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة
وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك
فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو بالذي هو خير بالرفيع الجليل ومعناه اتتركون الذي هو خير وتريدون
الشر ويجوز ان يكون الخير والشر منصرفين الى اجناس الطعام وانواعه ويجوز ان يكونا منصرفين الى اختيارهم واختيار الله
لانفسهم ويجوز ان يكون معنى الدنو متعلقا بالقيمة اي اتستبدلون الذي هو اقل قيمة بالذي هو خير في القيمة ومعنى الاية
اتستبدلون البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل الذي هو ادنى بالمن والسلوى الذي هو خير ووجه الذي يقتضي
فضل المن والسلوى على ما طلبوه يحتمل تفاضلهما في القيمة لان هذه البقول لا خطر لها ويحتمل ان يكون تفاضلهما لان الطعام
الذي من الله به وامرهم باكله وفي استدامته امر الله وشكر نعمته اجر وذخر في الاخرة وما طلبوه عار من هذه الخصال فكان ادنى
من هذا الوجه ويحتمل ان يتفاضلا في الطيب واللذة فالبقول لا محالة ادنى من هذا ويحتمل ان يتفاضلا في حسن الغذاء ونفعه
فالمن والسلوى خير لا محالة من هذا الوجه ويحتمل ان يتفاضلا من جهة انه طعام لا كلفة فيه ولا تعب ويحتمل ان يتفاضلا
في خلقه وخلوصه لنزوله من عند الله وما طلبوه يتخللها الشوائب والغصوب وربما يتخللها الشبهة والاولى ان يحمل على
جميع هذه الوجوه وفي الكلام حذف تقديره فدعا موسى ربه فاجابه فقال لهم اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ وقيل
انه يراد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف فاذا اريد به البلد فما
فيه الا سبب واحد وهو كثير في كلامنا ان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين
كقوله تعالى ادخلوا مصر قال ابو صالح عن ابن عباس اراد مصر فرعون وهذا قول ابي العالية والربيع واختاره الفراء واستشهد
بما في القرآن من ان الله تعالى اورث بني اسرائيل ديار آل فرعون وقال مجاهد وغيره اراد مصرا من الامصار غير معين لما سئلوا بما
اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه قوله فان لكم ما سألتم الفاء لما
في الامر المتضمن معنى الشرط من اهبطوا وفي الجملة ضمير ان يحذف فعل انما ربط الجملة بما قبلها وان ثاني يعود الى ما الموصولة اي
فان لكم فيه ما سألتموه من نبات الارض فانه لا يكون الا في القرى والامصار قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة الذلة فعلة
من الذل الذي هو ضد العز كانها الهيئة والحال والمسكنة مصدر تمسكن اذا صار مسكينا والمسكين الفقير وقد يكون بمعنى
الذليل والضعيف وكان يونس يقول المسكين اشد حالا من الفقير قال وقلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين
وفي الحديث ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان وانما المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيعطى وقال الشافعي
الفقير اسوأ حالا من المسكين لقوله تعالى واما السفينة فكانت لمساكين فضربت عليهم الذلة والمسكنة اي وجعلت الذلة و
المسكنة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب
كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم
خيفة ان تضاعف عليهم الجزية قال الحسن وقتادة ضربت عليهم الذلة انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وقال عطاء
بن السائب هي زي اليهودية والمسكنة زي الفقر فترى اهلها كانهم فقراء وكانوا مياسير وقيل الذلة فقر القلب فلا ترى في اهل الملل
اذل ولا احرص على المال من اليهود قوله وباؤا بغضب من الله باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته
اي صاروا احقاء بغضب من الله وقال الاخفش وباؤا بغضب من الله رجعوا بالذي صار عليهم وقال الكسائي اي انصرفوا به
ولا يكون باؤا الا بشيء اما بخير واما بشر يقال باء يبوء بوءا ولا يكون بوءا بمعنى مطلق الانصراف وقال ابو عبيدة والزجاج
باؤا بغضب احتملوه يقال قد بؤت بهذا الذنب اي احتملته ومنه قوله ان تبوء باثمي واثمك وغضب الله ارادة الانتقام و
العقوبة وتنكير غضب من الله يفيد التعظيم اي بغضب عظيم من الله صفة لغضب ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم بآيات الله قال ابن عباس يريد بها الحكمة التي انزلت على محمد صلى الله عليه
وسلم ويحتمل ان يراد الايات التسع وغيرها مما يخرق العادة وهي علامة لصدق الانبياء ويحتمل ان يراد آيات التوراة التي كتمت

كانات القرآن ويقتلون النبيين النبيون جمع النبي والنبي فعيل اما من النبوة وهي ما ارتفع من الارض وحينئذ يكون معناه
الذي شرف على سائر الخلق فاصله غير الهمزة وهو فعيل بمعنى مفعول لان الجمع انبياء واما من النبأ الذي هو الخبر يقول نبأ ونبأ وانبأ
اذا اخبر فالنبي من انبأ عن الله وهو فعيل بمعنى فاعل قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم
تركوا الهمزة في النبي كما تركوه في الذرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون غيرها جمع النبي نبآء
قال الشاعر: يا خاتم النبآء انك مرسل ... بالخير كل هدى السبيل هداكا ويجمع ايضا على انبياء لان الهمزة لما ابدل
[illegible]
بقوله يا نبي الله الخارج من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمز وقيل النبي هو الطريق ومنه قيل للرسل عن الله انبياء لكونهم طرق
الهداية اليه هذا بحسب اللغة واما بحسب الشرع فالنبي من اصطفاه الله تعالى بالتبليغ عنه تعالى وقيل ان النبي من كان مختصا
بخواص ثلث الاطلاع على الغيب بصفاء جوهره وشدة اتصاله بالمبادئ العالية من غير سابقة كسب وتعليم وتعلم وكونه
[illegible]

من بدلا من الاصناف الثلثة المعطوفة على اسم ان اي ان الذين آمنوا من غير الاصناف الثلثة ومن آمن من الاصناف الثلثة فلهم
اجرهم قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل لا ينالهم خوف في الدنيا ولا حزن في الآخرة وهذا اصح لان قوله لا خوف عليهم
عام في النفي وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا خصوصا في المكلفين لان في كل وقت لهم خوفا وحزنا اما في اسباب الدنيا او في
امور الآخرة فكانه سبحانه وتعالى وعدهم في الآخرة بالاجر لجزائنا عندية بهم ممكنا عليهم فبين انه من صفته ذلك الاجر انه يكون
خاليا عن الخوف والحزن وذلك يوجب ان يكون نعيمهم دائما لانهم لو جوزوا كونه منقطعا لاعتراهم الخوف العظيم والاجر بمعنى
بمعنى المفعول وعندية بهم ظرف يعمل استقر فيه العامل في لهم ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال والعامل فيه محذوف اي
كائنا عند ربهم وفي لدى عند ربهم ايضا تبليغ على حصر لفضله قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لكنتم من الخاسرين ● هذه هي النعمة العاشرة فاذا اخذنا ميثاقكم لاجل مصلحتكم والطور اسم الجبل الذي ناجى عليه
موسى قاله ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم اسم للجبل وقال ابن عباس ايضا الطور كل جبل ينبت وكل جبل لا
ينبت فليس بطور وهذا كله على ان اللفظة عربية وقال ابو العالية الطور الجبل بالسريانية وتكلمت به العرب قال العجاج داني
جناحيه من الطور فمر والظاهر انه اسم للجبل وبالغلبة صار علما للذي ناجى موسى عليه قوله وإذ أخذنا ميثاقكم معطوفة
على ما قبلها ورفعنا معطوف على اخذنا قيل لما جاء موسى الى بني اسرائيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة قال لهم خذوها
والتزموها فابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاصار والاثقال التي كانت فيه وكانت شريعة ثقيلة وقالوا لن نؤمن الا ان يكلمنا
الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ
في فرسخ على قدر عسكرهم فرفع الله فوق رؤسهم مثل الظلة واضرم نارا من قبل وجوههم واخرج البحر الملح من خلفهم فقيل لهم
خذوا ما آتيناكم بقوة اي اعطيناكم بقوة اي بجد واجتهاد قاله ابن عباس وقتادة والسدي وقال ابو العالية بطاعة وقال
مجاهد بالعمل بما فيه وقال ابن زيد بصدق وكان فيما امرهم الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار اي وقلنا لهم خذوا
واذكروا ما فيه اي ما في ما آتيناكم اي احفظوا ما في التورية من الحلال والحرام وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وقيل ما فيه
من الثواب والعقاب لعلكم تتقون اي لكي تتقوا المحارم فتتركوها وقال ابن عطية تتقون العقوبة قال صاحب الكشاف رجاء منكم ان
تكونوا متقين او وقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا وهذا لا يستقيم الا على اصل المعتزلة وفيه ما فيه وقيل لكي تنجوا من الهلاك
في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتموه وفعلتم ما امرتم والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه
النار فلما رأوا ان لا مهرب منها قبلوا ما فيه واخذوه بالميثاق وسجدوا من الفزع وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فمن اجل
ذلك تسجد اليهود على انصاف وجوههم بهذا المعنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لانه في هذه الحال قيل لهم خذوا
ما آتيناكم بقوة فسجدوا توبة لله كي اخذوا التوراة بالميثاق ولو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق فلما رحمهم الله استحالوا
لا سجدة تقبلها الله ورحمهم بها قال ابن عطية والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان لانهم
آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة قوله ثم توليتم التولي اصله الاعراض عن الشيء بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان
اي اعرضتم عن امر الله وتركتم طاعته من بعد اخذ الميثاق ورفع الجبل ولولا حرف لامتناع الشيء لوجود غيره ويكون لها جواب
ويكون بعده اسم مرفوع بالابتداء عند البصريين وخبره محذوف وهو موجود وقيل جملة الجواب هي الخبر وقال الكسائي مرفوع
بفعل محذوف وهو حصل ونحوه وقال الفراء مرفوع بها والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته موجود بان ازال [illegible] بالامهال
لتكون من تبتكم من تؤمن لكنتم من الخاسرين من المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة هذا اذا كان قوله ثم توليتم
بالكفر اما اذا كان توليتم بالمعاصي يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالتوبة والامهال الى ما لكنتم من الخاسرين
وقيل المراد بالمخاطبين من لحق محمدا صلى الله عليه وسلم وبالفضل والرحمة القرآن ويكون معناه ولولا فضل الله
عليكم بالاسلام ورحمته بالقرآن لكنتم من الخاسرين وفيه اشارة الى ان الفضل والرحمة ادركهم زمان محمد صلى الله عليه
قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ● لما عدد الله تعالى وجوه النعم عليهم شرع في ذكر ما وجه اليهم
من انواع التشديدات لاعتدائهم هذا هو النوع الاول قوله ولقد علمتم اللام للتوكيد وتسمى لام الابتداء وعلمتم بمعنى
عرفتم فيتعدى الى مفعول وهو الموصول اي الذين والمخاطبون هم اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اعتدوا
جاوزوا ما حد لهم اي ما امروا به من التجرد للعبادة وتعظيمه وتركوا الصيد واشتغلوا بالصيد والسبت القطع يقال
سبت رأسه اذا حلقه وقطع الشعر منه ويقال النعل سبتية اذا كانت مدبوغة بالقرظ محلوقة الشعر وسمي السبت من
الايام به لان الله تعالى ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الارض او لان الله تعالى امر فيه بني اسرائيل بقطع الاعمال وتركها
وقيل سمي به لان الله تعالى امرهم بالاستراحة فيه من الاعمال والسبت الراحة وقيل السبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت يوم السبت منكم في موضع نصب على الحال اي كائنين منكم واعتداؤهم ان الله تعالى امر موسى بيوم الجمعة وعرفه
فضله كما امر به سائر الانبياء فذكر ذلك موسى لبني اسرائيل عن الله وامرهم بالتشرع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت
فاوحى الله تعالى الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك فامرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة
الى زمن داود فلما كان زمن داود كان من حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت قوم بارض يقال لها ايلة على ساحل
بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء من كثرتها وفي غير ذلك

الشهر في كل سبت خاصة وهي القرية المذكورة في قوله تعالى وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون
بعد يوم السبت وكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لامنها فاذا
مضى يوم السبت تفرقن ولزمن مقل البحر وذلك قوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منها اليه الانهار فاذا كانت عشية يوم الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج
بالحيتان الى الحياض فلا يطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل كانوا ينصبون
الحبائل والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا فأثروا واستغنوا بذلك وكثرت اموالهم وهم خائفون
من انزال العقوبة فلما طال العهد ولم تنزل عقوبتهم فتسقاوتهم وتجرؤا على المعصية فقالوا ما نرى السبت الا وقد
احل لنا ففعلوا ذلك يوم السبت واصطادوه علانية وباعوه في الاسواق وصار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا
ثلاثة اصنافا فصنف كرهوا الصيد في يوم السبت ونهوا الصائدين عنه وصنف كرهوه وما نهوا عنه وصنف انتهكوا الحرمة
واصطادوه وكان الذين نهوا اثني عشر الفا فابى المنتهكون قبول نصحهم وقالوا نحن في هذا العمل وما زادنا الله به الا غنى
وشرفا فقيل لهم لا تعتدوا فربما ينزل بكم من العذاب وقال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار
وغبروا ذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج
لم يفتحوا بابهم لا يخرج منهم احد فلما ابطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا قردة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث
مسخ فوق ثلاثة ايام ولم يتوالدوا فذلك قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين مطرودين بلغتكم بقردة خا
خبر كان اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهي الصغار والطرد وروي عن مجاهد انه تعالى مسخ قلوبهم ثم ردت افهامهم
كافهام القردة لان الله سبحانه مسخ صورهم وهو مثل قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ العلم
للمتعلم البليد الذي لا ينجع تعليمه فيه كن حمارا واستدل على امتناعه بان الانسان هو هذا الهيكل المشاهد والبنية
المحسوسة فاذا ابطلها واحدث فيه تلك صورة القردة وشكله كان اعداما للانسان وايجادا للقرد لا مسخا واجيب
بان الانسان ليس تمامه هذا الهيكل لانه قد يصير سمينا بعد ان كان هزيلا وبالعكس فالهيكل والشكل يتبدل والانسان
المعين هو الذي كان موجودا والباقي غير الزائل فالانسان امر وراء هذا الهيكل المحسوس وذلك الامر اما ان يكون جسما
ساريا في البدن وجزءا في بعض جوانب البدن كقلب او دماغ او موجودا مجردا وعلى جميع التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك
مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ فثبت جواز المسخ فيجب اجراء الاية على ظاهرها ولا حاجة الى تأويلها
وقيل خاسئين يعني خرسا لا يتكلمون دليله قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وقيل مبعدون من كل خير وقوله تعالى كونوا
هو امر تسخير لا طلب لانهم ما كانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم على صورة القرد بل المراد منه سرعة التكوين كقوله تعالى
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله ائتيا طوعا او كرها وقوله يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي والمعنى
انه تعالى قادر على اراداته لا يمتنع ... لما قال لهم كونوا قردة صاروا كذلك اي لما اراد بهم ذلك صاروا كما
اراد وقوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين فجعلناها اي المسخة قاله الفراء وقال الكسائي
والزجاج الامة التي مسخت وقال قتادة وابن قتيبة القرية والمراد اهلها وروى عطية عن ابن عباس انها العقوبة نكالا
قال ابن قتيبة والزجاج عبرة ينكل من اعتبر بالمسخة اي يمنعه ومنه النكل بالكسر القيد لمنعه من المشي والنكل ايضا حديدة
اللجام وقال ابو عبيد النكل لجام البريد ورجل نكل ونكل مثل شبه وشبه كانه ينكل به اعداؤه ورماه الله بنكلة اي
بما ينكله ويقال نكل به تنكيلا اذا جعله نكالا وعبرة لغيره ويقال لكل عقوبة منكلة لما بين يديها لما قبلها من المسخة
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين خلف
لما بين يديها وما خلفها عبارة عن الامم ... من القرون ... القرون قاله عطية عن ابن عباس وقال
عكرمة عن ابن عباس لما بين يديها لاجل ما مضى وتقدمها من ذنوبهم وما خلفها لمن يعدهم من بني اسرائيل ان يستنوا بسنتهم
ويعملوا بعملهم وعلى الثانية تكون بمعنى عن وروى محمد بن الحصين عن ابن عباس يعني ما بين يديها من القرى وما خلفها
بهم فلا يعملون عملهم وموعظة عظة وتذكرة وعبرة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من قومهم او لكل متق سمعها الى
يوم القيامة قال ابن عباس او لامة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ● واذ قال العطف على قوله واذ اخذنا هذا
هو النوع الثاني من التشديدات وجد في بني اسرائيل قتيل اسمه عاميل ولم يدر من قتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله
فقال عطاء والسدي رجل كثير المال قتله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم
وكانت تحت عاميل بنت عم له يضرب بمثلها في بني اسرائيل في الحسن والجمال فقتله ابن عمها لينكحها وقيل قتله ابن اخيه لينكح ابنته
فلما قتله حمله من قريته الى قرية اخرى فالقاه هناك وقيل القاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر
بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط قتل وجر الى باب سبط اخر فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله
القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب بثاره ودمه ويدعيه عليه قالوا فجاء اولياء القتيل الى موسى واتوا
بناس وادعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى ووقع الاختلاف فيه
قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربه فامرهم بذبح
بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فقالوا اتتخذنا هزوا اي تهزأ بنا او المراد نفسه لفرط الاستهزاء حين نسألك عن القتيل

تأمرنا بذبح البقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر وجهلهم بحكمته والبقر اسم جنس والبقرة تقع على الذكر
والانثى ونحوه النملة والحمامة على انه واحد من الجنس والله تعالى امر بذبح بقرة من بقر الدنيا وهذا هو الواجب المخير فيدل ذلك على صحة
قولنا بالواجب المخير وقرأ ابو عمرو باختلاس ضمة الراء في يأمركم وابدل الهمزة الفا والباقون بضم الراء ...
وهو على اسقاط الباء وايجاب تذبحوا فان الامر من الافعال التي يجوز معها اجراء الجر كما قيل امرتك الخير وان يجوز معها حذف الجار
اذا لم يلتبس وقرأ حمزة هزؤا باسكان الزاي وبالهمز وحفص بضم الزاي وبالواو بدل الهمز والباقون بضم الزاي وبالهمز وكذلك كفوا
وانتصابه على انه مفعول ثان لقوله اتتخذ وهذا القول من بني اسرائيل ظاهر في فساد اعتقادهم فانه لا يصح الايمان لمن يقول لنبي
قد ظهرت معجزته قال ان الله يأمركم بكذا اتتخذنا هزوا ولو قال الرجل اليوم لاحد في بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه
وقيل ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء والمعصية على نحو ما قال القائل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم حنين
ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وكما قال الاخر اعدل يا محمد قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي اعوذ بالله ان
اكون من المستهزئين بالمؤمنين وقيل استعاذ بالله من الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله قوله
تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون ● لما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل سألوا الوصف ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها
لاجزأت منهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وقالوا لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما تلك البقرة
التي نذبحها لاجل القتيل سؤال عن حالها وصفتها لا عن ماهيتها وشرح حقيقتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة مذبوحة يضرب
ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة مما عليه البقر لهذا حسن ذكر الصفات الخارجة عن
الحقيقة في الجواب قال موسى ان الله يقول انها بقرة لا فارض لا مسنة قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك
فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل تسميته فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها يقال فرضت البقرة فروضا
اي كبرت وطعنت في السن قال الراجز بين بكار وعوان وفي المثل العوان لا تعلم الخمرة تقول منه عونت المرأة تعوينا وعانت تعون عونا
قوله فارض وبكر صفة البقرة والصفة اذا كانت منفية بلا وجب تكريرها عوان خبر مبتدا اي هي عوان والجملة تفسير لا نفته
قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك بين بمعنى وسط تقول جلست بين القوم كما تقول وسط القوم بالتخفيف وهو ظرف فيما يمكن
فيه البينة قال صاحب الكشاف دخلت بين لا يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث
وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز
ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال كثيرة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد
ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت
لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق
فقل كأنهما فقال اردت كان ذلك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع قوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به قال امرتك الخير فافعل
ما امرت به ... يدل على حذف الباء من الخبر ...
حذف الضمير هذا اذا كان ما موصولة ويحتمل ان تكون مصدرية ويكون المعنى امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير والمعنى فافعلوا ما تؤمرون به من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال وفيه تحريض للامر وتنبيه على ترك التعنت
وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون
لما سألوا عن حال السن وبين الله تعالى لهم سألوا عن حال اللون فاجابهم الله تعالى بانها بقرة صفراء فاقع اي شديدة الصفرة وقد فقع لونه
يفقع فقوعا والفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه اي اخلصه يقال في التوكيد اصفر فاقع وناصع ووارس
والورس نبت اصفر باليمن يتخذ منه الغمرة للوجه يقول اورس المكان فهو وارس اي اصفر ورقه بعد الادراك فهو وارس
ولا يقال له مورس وهو من النوادر ويقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر
ومدهام واورق خطباني وارمك رداني قال صاحب الكشاف فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيدا للصفرة فاقع
هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا للصفرة الا انه ارتفع باللون ارتفاع الفاعل واللون سببها وملتبس بها فلم يكن
فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها نحو هند حاملة الوشاح وهند حامل وشاحها فان قلت فهلا قيل صفراء
فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها تسر
الناظرين السرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه ... قوله تعالى تسر الناظرين
وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه
فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ومعنى تسر الناظرين تعجب
الناظرين بحسنها وصفاء لونها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشيء الحسن قوله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي مرة ثانية
للسؤال عن حالها وصفتها اسائمة ام عاملة استكشافا زائدا ليزدادوا بيانا لوصفها قال صاحب الكشاف وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب

باتي قوم منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتكم ان تعطوا فلانا شاة فسالتموني

الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه باتهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر فسالتني اصاب
امر ما عن غافل بينت لك قلت اذكر امر الذي فانا اخبرتك تعلمنا اسود ام ابيض فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث اعظم
الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم لاجل مسالته قوله تعالى ان البقر تشابه علينا اي ان
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثيرة اشتبه علينا ايها نذبح وذكر الفعل لان فاعله ضمير عائد الى البقر لان البقر
مذكر قال المبرد سئل سيبويه عن هذه الاية فقال كل جمع حروفه اقل من حروف واحده فان العرب تذكره وتحتج بقوله
تعالى اعجاز نخل منقعر وقال الزجاج البقر اسم جنس معناه ان جنس البقر تشابه علينا
وقوله انا ان شاء الله لمهتدون قوله لمهتدون خبر ان والجملة معطوفة على قوله ان البقر تشابه علينا وقوله ان شاء الله
شرط جوابه محذوف يدل عليه مضمون الجملة اي ان شاء الله اهتدينا وتوسط بين اسم ان وخبرها ليحصل الاتفاق
قوله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها هذا قول الاكثرين او الى ما يخفى علينا من امر القاتل ذكره ابو صالح عن ابن عباس وعن
النبي عليه السلام انه قال وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى الابد قال ابن عباس لولا انهم استثنوا ما اطلعوا على القاتل
وقيل انا ان شاء الله على هدى في استقصائنا في السؤال عن صفة البقرة اي نرجو ان لا ضلالة فيما نفعله من هذا البحث
قال موسى عليه السلام انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل لاثارة الارض والكراب
اي تقلبها للحراثة وفي المثل الكراب على البقر ومعنى اثارة الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث وليست من سانية
تسقي عليها السقي الحرث والسانية الناضحة وهي الناقة التي يستقى عليها وفي المثل سير السواني سفر لا ينقطع يقال سنت الناقة
تسنو اذا سقت الارض والحرث الزرع ويراد به ههنا الارض المهياة للزرع ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى
لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة سلمها الله من العيوب قال ابن
عباس وقتادة وابو العالية وقال الحسن من العمل اي معناه من العمل سلمها اهلها منه كقوله ومعبر الظهر ينبي عن وليته
ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمر وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها اي لا لمعة
في نقبتها اي لونها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشى القوائم قالوا الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البين التام الذي دل على التمييز من اخواتها وما بقي اشتباه واشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه
الاوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة
استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها
لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقال محمد بن كعب ما كادوا يجدونها باجتماع اوصافها وروي
انه كان في بني اسرائيل رجل بار بابيه فطلب منه رجل ان يبيع له لؤلؤة كان ثمنها خمسين الفا وكان فيها فضل فقال للبائع ان
ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ فاعطيك الثمن قال فايقظ اباك واعطني الثمن فقال
ما كنت لافعل ولكني ازيدك عشرة الاف وانظر حتى ينتبه ابي فقال الرجل فانا احط عنك عشرة الاف ان ايقظت اباك
وعجلت النقد فقال وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباهه فلم يفعل ولم يوقظ الرجل اباه فاعقبه الله ببره بابيه
ان جعل تلك البقرة عنده وامر بني اسرائيل ان يذبحوا تلك البقرة بعينها فقال ابن عباس ووهب وغيرهما كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له ابن طفل وكانت له عجلة فاتى بها الغيضة وهي الاجمة وهي مغيض ما يجتمع فينبت فيه الشجر فقال اللهم
اني استودعكها لابني حتى يكبر فعاش وكان برا بوالديه ومات الشيخ فشبت وصارت عوانا وكانت من احسن البقر واسمنه
وكانت تهرب من كل من رامها فلما كبر الابن وكان يقسم الليل ثلاثة اقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا
فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه
ثلثه فقالت له امه ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها الله فانطلق اليها وادع اله ابراهيم واسحق
ويعقوب ان يردها عليك وان من علامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى
المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها فقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى وقفت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله عز وجل وقالت
ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة
باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك
بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال ايها الفتى اني رجل من رعاة البقر اشتقت
الى اهلي فاخذت ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد
الجبل وما قدرت عليه واني اخشى على نفسي الهلكة فان رايت ان تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت واعطيك اجرها
بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال
ابليس ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها فاعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك
فبينما هو كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى باسم اله ابراهيم
فرجعت اليه وقالت ايها الفتى البار بوالدته الم تر الى الطائر الذي طار انه ابليس عدو الله اختلسني اما انه لو ركبني لما
قدرت علي ابدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بامك وطاعتك لها فجاء بها الفتى

الى امه

الى امه فقالت له امه انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ
ثمنها قال بكم ابيع قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها
الفتى الى السوق فبعث الله عز وجل ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك
بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك ستة دنانير ولا تستامر امك فقال
الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه منك الا برضا امي فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة
دنانير على رضاي قال فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق واتى الملك فقال استامرت والدتك فقال الفتى انها امرتني ان لا انقصها
من ستة على ان استامرها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر على ان لا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان
ذلك الرجل الذي ياتيك ملك من الملائكة ياتيك في صورة ادمي ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فنفعل
ذلك فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل
فلا تبيعها الا بملء مسكها دنانير فامسكوا البقرة فقدر الله عز وجل على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وامرهم بها فما زالوا يستوصفون
ويوصف لهم حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته تفضلا منه ورحمة فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها
الا عند الفتى فساموها الفتى وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا اختلف العلماء
في ان قوله تعالى ان تذبحوا بقرة هل هو امر بذبح بقرة معينة غير مبينة او امر بذبح بقرة غير معينة فذهب طائفة الى الاول واخرى
الى الاخر واحتج الاولى بوجوه منها انه سبحانه وتعالى عينها بعد سؤالهم عن البقرة وطلبهم بيانها ولو لم تكن البقرة معينة لم
يكن للسؤال والجواب معنى ومنها انه لو لم تكن البقرة معينة لكان المامور بها في الاية الثانية معينة وفي الاولى غير معينة
فيكون المامور بها في الاية الثانية متجددة ومنها ان المامور بها لو كانت غير معينة لما طابقت المامور بها المذبوح لان البقرة
المذبوحة معينة واللازم باطل بدليل مطابقة المامور بها المذبوح ومنها ان قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما لونها
وما هي وقوله تعالى انها بقرة لا فارض ولا بكر انها بقرة صفراء انها بقرة لا ذلول ينصرف الى ما امروا بذبحه من قبل وهذه الكنايات
تدل على ان المامور به ذبح بقرة ومنها ان الصفات المذكورة في الجواب عن السؤال الثاني اما ان يقال انها صفات البقرة التي
امروا بذبحها اولا او صفات بقرة وجبت عليهم عند ذلك السؤال ونسخ ما كان واجبا عليهم قبل ذلك والاول هو المطلوب
والثاني يقتضي الاكتفاء بالصفات المذكورة اخرا وان لا يجب حصول الصفات المذكورة قبل ذلك لكن اجمع المسلمون
على ان تلك الصفات باسرها معتبرة علمنا فساد هذا القسم واحتج الاخرى بوجوه منها ان البقرة المامور بها غير معينة
لقوله تعالى ان تذبحوا بقرة فانها نكرة والنكرة غير معينة بحسب الظاهر خلاف الاصل فلا يصح القول به ومنها قول ابن عباس
لو ذبحوا اي بقرة ما لاجزاتهم لكنهم شددوا في السؤال فشدد الله عليهم وذلك دليل على ان البقرة غير معينة لان طلب
البيان ليس بتشديد ومنها ان البقرة لو كانت معينة لما عنفهم الله تعالى على طلب البيان لان طلب البيان يوجب استحقاق المدح
واللازم باطل لقوله تعالى وما كادوا يفعلون قال صاحب الكشاف كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر اي فرد من افراده
غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول لحلت رجع منسوخا لانتقال الحكم
الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الحكم جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة المخصوصة كما يتناول غيرها
وايضا لو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع بذلها عليها بعد التخصيص
ويتفرع على هذا القول ان التكاليف متغيرة فكلفوا في الاول بقرة ما وفي الثاني ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما
لم يفعلوا ذلك كلفوا بان يكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ان يكون مع ذلك لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف
القائلون بهذا القول فمنهم من قال في التكليف الواقع اخرا يجب ان يكون مستوفيا صفة تقدم حتى يكون البقرة مع
الصفات المترتبة في الاجوبة ومنهم من قال انه لا يجب ان يكون مستوفيا صفات تقدمت بل يكون البقرة مع الصفة الاخرى
فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد
عليهم وان ثبت ان البيان لا يتاخر فلا بد من كونه تكليفا بعد تكليف وذلك يدل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق ويدل
على جواز النسخ قبل الفعل ولكنه لا يدل على جواز النسخ قبل وقت الفعل ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ولذلك انما
يتعلق بمسالة ان الزيادة على النص هل هو نسخ او لا ويدل على حسن التكليف ثانيا لمن عصى ولم يفعل ما كلف اولا ويتفرع
على القول بجواز تاخير بيان المجمل الى وقت الحاجة فان البقرة غير معينة بحسب الظاهر لانها نكرة وكان المراد بها بقرة معينة
فيكون مجملا ولم يقترن بها بيان اصلا واحتج القائلون بان الامر للوجوب بهذه الاية فانه لم يوجد في هذه الصورة الا مجرد
الامر ثم انه تعالى ذم المتثاقل فيه والمتكاسل في الامتثال وهذا يدل على الوجوب فقد تبين انه يقتضي الوجوب بقرينة صارفة
عن غيره ولانه اذا كان الغرض من المامور بيانا له تعالى وقته دل على وجوبه لما امر الله تعالى بذبحها لكي يظهر القاتل فيزول
الاختلاف والفتنة والشر والخوف منهم والتحرز عن هذا الجنس من المضار واجب وايضا ليس بعيد ان التعبد بالقربان
كان واجبا في تلك الشريعة وتقدم علمهم بذلك فافاد الامر بالذبح الوجوب بهذا الاعتبار وايضا ان الذي ذكر مجرد قوله
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة ثم ذكر التوبيخ على ترك المامور وعلمنا ان ذلك الذم هو بمجرد ورود الامر به فان ترتب الحكم على الوصف
مشعر بعليته له واحتج القائلون بان الامر يفيد الفور بهذه الاية فان التعنيف على ترك المامور به عند مجرد الامر دل على انه
للفور والله اعلم قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون هذا عطف على قوله واذ قال موسى لقومه

هاهنا كانه قال واذ قتلتم نفسا واضاف القتل اليهم وان كان القاتل واحدا لما هو عادة العرب انهم
جماعة القبيلة يقولون فعلتم كذا وان كان فعله بعضهم
وانما لم تقص على ترتيبها لان كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم
من الجنايات وتقريعا لهم عليها

وهو المراد من قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اذ عرفت هذا فنقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على الدعاء الى الحق
وقبولهم الايمان منهم وكان يضيق صدره بسبب عنادهم وتمردهم فقص الله تعالى عليه اخبار بني اسرائيل في العناد العظيم
مع مشاهدة الآيات الباهرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ظهر من اهل الكتاب في زمانه من قلة القبول
والاستجابة فقال تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم الهمزة للانكار والتعجب والفاء للعطف على ما قبل الهمزة عليها عناية بالاستفهام
وقيل للعطف على فعل محذوف بعد الهمزة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قال ابن عباس ومقاتل وقيل للذين
فانهم لما اسلموا اخبروا اسلام اليهود للرضاعة التي بينهم ذكره النقاش وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط والضمير الذي هو فاعل يؤمنوا عائد
على اليهود وقد كان فريق منهم اي جماعة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما يتلونه من التورية فيحرفونه كما حرفوا صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم قاله مجاهد والسدي فاخبر انه فكيف سماعهم لكلام الله تبليغ نبيهم يحرفونه
تغيير ما فيها وقيل السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى فلما رجعوا الى قومهم
قالوا انا لنا كذا وكذا وقال في آخره ان لم تستطيعوا ترك ما انهاكم عنه فافعلوا ما تستطيعون هذا قول ابن عباس والاول
اصح وقد انكر بعض اهل العلم منهم الترمذي صاحب النوادر هذا القول انكارا شديدا وقال انما خص بالكلام موسى
وحده والا فاي مزية وجعل هذا من الاحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابا من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم لم يفعلوا ذلك عن خطاء ونسيان بل فعلوه عن قصد وتعمد وانهم كاذبون
مفترون وقيل يعلمون ان التحريف موجب للعقاب والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم وتحريفهم
قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني
وان هم الا يظنون ● هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال اليهود الذين كانوا اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا بانكم على الحق وان
محمدا نبي صادق نجده مبشرا به نجد في كتابنا نعته واذا خلا بعض الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم
لم تحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين الله لكم في التورية من صفة محمد انه النبي المبشر به او قال المنافقون للاعقاب
اي بقايا الذين نافقوا يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا شيئا عليكم في كتابهم فينافقون
المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم ليجادلوكم ويحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم
هذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اي ليحاجوكم
بما في كتاب الله فحاجتهم عند الله قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال لك عند الله
اي في حكمه وهذا يحل عند الله اي في حكم الله والمعنى ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة افلا تعقلون
وهذا من كلام بعضهم لبعض في لومهم اياهم وقيل هو خطاب من الله للمؤمنين اي افلا تعقلون ان بني اسرائيل لا يؤمنون وهم
بهذه الاخلاق فقال الله تعالى اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر والكذب
واعلانهم الايمان والتصديق ومنهم اميون اي من اليهود لما وصفهم الله تعالى بالعناد ازال الطمع عن ايمانهم بين فرقهم فالفرقة
الاولى هي الضالة المضلة وهم الذين يحرفون كلام الله والفرقة الثانية المنافقون والفرقة الثالثة الذين يجادلون
المنافقين ويلومونهم والفرقة الرابعة الاميون قال الزجاج معنى الامي في اللغة المنسوب الى ما عليه جبلة الامة اي لا
على ما ولدته عليه فقيل الذي لا يكتب امي لان الكتابة مكتسبة اي هو على ما ولدته امه لم يتعلم الكتابة فيطالع التورية
ويتحقق ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الاماني جمع امنية واصلها انموية على وزن افعولة اجتمع الواو والياء
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء وكسر ما قبلها فصارت امنية وقيل من تمنى الرجل
الرجل لا يعلمون التورية الا ما هم عليه من امانيهم وهي ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم
الانبياء يشفعون لهم والاماني اخبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل من تمنى الكتاب اذا قرأه ومنه قوله تعالى
اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ومنه قول الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر فمعنى الآية انهم لا يعلمون
الكتاب الا سماع شيء يقرأ لا علم لهم بصحته وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد قال اعرابي
لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه
ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا في الاماني من الاستثناء المنقطع وان هم الا يظنون
قال ابن عباس لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن قال ابو حيان قال اصحاب العلم ذم الله تعالى
بهذه الآية قوما من اليهود لا يحسنون شيئا وليسوا على بصيرة الا ما يحدثون به الا ما يقرؤونه من غير علم به ففيه حث على تعلم
العلم حتى لا يحتاج الانسان الى تقليد غيره ولا اخذ شيئا لا يكون له به معرفة قال صاحب الكشاف ذكر الله تعالى الذين عاندوا
بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي
ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ● قال الجوهري ويل
كلمة مثل ويح الا انها كلمة عذاب يقال ويله وويلك وويلي وفي الندبة ويلاه قال الاعشى ويلي عليك وويلي منك يا رجل
وقد يدخل عليها الهاء فيقال ويلة قال مالك بن جعدة التغلبي لامك ويلة وعليك اخرى فلا شاة تنيل ولا بعير ويقول ويل

لزيد ويل

كان قومه

في زمن النبي عليه السلام قال ابن عباس والحسن وقتادة كانوا يعني منافقي اليهود كذا قولهم

لزيد وويلا لزيد النصب على اضمار الفعل اي الزمه الله ويلا والرفع على الابتداء اذا لم تضفه فاذا اضفت فليس الا النصب
لانك لو رفعته لم يكن له خبر قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيها الجبال لماعت من حرها وقيل هو دعاء الكفار
على انفسهم بالويل والثبور يكتبون الكتاب المحرف وذلك ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم حين قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان به فعمدوا الى صفة محمد في التورية وكان صفته
فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن محمد صلى الله
عليه وسلم قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته فيكذبونه قوله بايديهم تاكيد حسن بليغ هو من مجازه كما تقول لمن ينكر
معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه ثم يقولون هذا من عند الله فالمراد ان من يكتب هذا المحرف في نهاية الرداءة لانه غير
فاذا اسنده الى الله تعالى وادعى انه من عند الله يكون ذنبه اعظم فان الكذب فيما يفضي الى الضلال كذب في غاية القبح فاذا افترى على
الغير يكون اقبح واذا اسنده الى الله تضاعف الذنب قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب قوله ليشتروا به ثمنا قليلا دلالة
على انهم في نهاية الشقاوة لان العاقل ينبغي ان لا يرضى بان يكتاب بالدنيا القليل الاجل الاجر العظيم في العقبى وتنبيه على
انهم ما كتبوا الكتاب المحرف بايديهم ديانة بل انما كتبوه ليشتروا به ثمنا قليلا اي طلبا لشيء قليل من المال والجاه فويل لهم
مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون يعني ان كتبتهم لما كتبوه ذنب عظيم بانفراده وكذلك اخذهم المال عليهم هذه
الطريق واختلفوا في قوله مما يكسبون فقيل المراد به ما كانوا ياخذون على هذا الكتب المحرف وقيل المراد سائر
معاصيهم والاول اقرب من جهة السياق والثاني من جهة العموم قال الواحدي الاول ارجح لانه لم يتقدم ذكر كسب عمل الا
عليه لان الكسب هنا والحلال والحرام فلا بد من تقييده والاولى ان يقيد بما تقدم ذكره قوله تعالى وقالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون ● هذا
هو النوع الثالث من قبائح اعمالهم وافعالهم وهو اعتقادهم وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة واياما اصله ايوما الا
ايا استثناء مفرغ معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود
تقول انما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع عنا العذاب والمعدودة
معناها القليلة كقوله دراهم معدودة قال الشيخ وجل قل لهم يا محمد اتخذتم الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة
استغنى بهمزة الاستفهام واتخذ يتعدى هنا الى واحد ويحتمل ان يتعدى الى اثنين فثانيهما الظرف اي عند الله متعلق باتخذ
قوله فلن يخلف الله قال صاحب الكشاف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وقيل انه
اعتراض كانه زيادة في الجملتين اللتين وقع التعادل بينهما وهما اتخذتم ام تقولون فلا موضع لها من الاعراب وقيل انه معمول القول محذوف
وذلك القول منصوب في جواب الاستفهام تقديره فيقول لن يخلف الله ام متصلة معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهو قولهم على الله ما لا تعلمون كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان
يكون منقطعة بمعنى بل والهمزة وهو استفهام انكار لانه قد وقع منهم قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● بلى اثبات لما بعد حرف النفي قال الفراء بلى يكون جوابا للكلام
يجد فيه الاستفهام تقول بلى ونعم جواب لكلام لا جحد فيه يقال هل يقوم زيد فتقول نعم قال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى
وقال تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم والآية رد على اليهود في قولهم لن تمسنا النار الا اياما بدليل قوله هم فيها خالدون
والسيئة العمل القبيح اي الجرم سواء كان كفرا او غيره صغيرة او كبيرة وقرأ اهل المدينة خطيئاته بالجمع والباقون خطيئته على التوحيد
لما اضيف الى المفرد لم يجمع وجمع في قوله خطاياكم لاضافته الى الجمع والخطيئة وان كانت مفردة لا يمتنع وقوعها على الكثرة كقوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فالنعمة تماما في الكثرة والجمع باعتبار ان المعنى على الكثرة والضمير المضاف اليه جمع في المعنى
بدليل قوله فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والخطيئة والسيئة متقاربان لكن كثر استعمال الخطيئة فيما لم يقصد
اليه في نفسه بل القصد الى شيء آخر فتولد عنه ذلك وليس المراد بالسيئة ههنا الفعل القبيح
مطلقا قال صاحب الكشاف من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما
يحيط العدو بعدوه ولم يتفص عنها بالتوبة وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسئل رجل الحسن عن قوله تعالى سبحان الله الا
آية منها فيها الله عنها اخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة وقال اصحابنا اهل السنة والجماعة المراد بالسيئة
ههنا الشرك قاله ابن عباس والضحاك وابو وائل وابو العالية والربيع وابن زيد هي الشرك يموت عليه الانسان لان الله تعالى اوعد
بالخلود في النار من كسب سيئة والمؤمن وان كان صاحب كبيرة لا يخلد في النار واحاطت به خطيئته يدل على ان المراد بها
الشرك اي سدت عليه مسالك النجاة في الخروج من النار كما ان السور المحيط بالمدينة سد مسالك الخروج منها وهذا شأن
الشرك قالت المعتزلة الاحاطة حقيقة في اشتمال جسم على جسم كاحاطة السور بالمدينة ولا يمكن حمله على المفهوم الحقيقي
ههنا فيحمل على ما اذا كانت السيئة كبيرة فان الكبيرة لكونها محيطة لثواب الطاعة كالساتر لتلك الطاعات كان المحيط
ساتر للمحاط به فالمشابهة متحققة من هذا الوجه وكالمستولي على الطاعات كاحاطة المتمكن العدو بالانسان بحيث
لا يمكنه التخلص منه فان قيل الآية نزلت في حق اليهود اجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومنعت المعتزلة
كون صاحب الكبيرة لا يخلد في النار واحتجوا على ان صاحب الكبيرة يخلد في النار بالعمومات الواردة في هذا الباب منها قوله تعالى في آية
المواريث تلك حدود الله الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها بان من ترك الصلاة والزكاة
والصوم والحج والجهاد وارتكب شرب الخمر والزنا وقتل النفس المحرمة فهو متعد حدود الله وكل من يتعدى حدود الله يدخله

الا اياما معدودة اي بل تمسكم النار

خالدا لان من في معرض الشرط يفيد العموم فحمله على الكافر خلاف للاصل ومما يدل على انه غير مختص بالكافر قوله تلك
حدود الله فانه اشارة الى الحدود المذكورة تتعلق بالطاعة فيها الوعد والمعصية فيها الوعيد فاقتضى سياق الآية
تعليق الوعيد بالمعصية في هذه الحدود فقط من غير ضم شيء معه وآخر الدلالة وطنا المؤمن مزجورا بهذا الوعيد بتعدي
هذه الحدود فقط وبين المحدودة ولو كان جمعا مضافا الى الضمير غير مفيد للعموم فهنا القرائن الصارفة عن العموم منها تقيد
قوله تلك حدود الله فان قوله حدوده ينصرف اليها ومنها الاجماع على ان الامة مزجورة بهذه الآية عن كلها فلو عم لم يكن المؤمن
مزجورا بهذا ومنها انه لو عم لم يكن الوعيد بها الا ناحيتان المكلفين لا يتعدى جميع حدود الله فان فيها حدودا لا يمكن الجمع
والتعدي لتضادها ولم يوجد في المكلفين من يعصي الله في جميع المعاصي ومنها قوله تعالى فقاتل المؤمن عمدا ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها دلت الآية على ان ذلك جزاؤه وجب له ان يحصل هذا الجزاء لقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ومنها قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الى قوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ومنها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الى قوله ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ومنها قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته
مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى بين ان الكافر والفاسق من اهل العقاب الدائم كما ان المؤمن من
اهل الثواب الدائم ومنها قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وصاحب الكبيرة قد حمل ظلما فهو داخل في الوعيد ومنها
قوله تعالى بعد تعداد المعاصي ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا بين ان
الفاسق والكافر في انه يخلد فيه مهانا الا من تاب من الفساق وآمن من الكفار ومنها قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار دل على ان المعاصي كلها متوعد عليها ومنها قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى
ومنها قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فهذه هي الآيات التي تمسكوا بها الاستدلال على صيغة من في معرض الشرط انما
بيانا ان لفظة من في معرض الشرط تفيد العموم في اصول الفقه قد تمسكوا بالآيات المشتملة على صيغة الجمع وغيرها مما يفيد
العموم منها قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا ومنها قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ومنها قوله تعالى ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى بين ان عقابهم مؤخر الى يوم آخر وذلك انما يصدق لو حصل
عقابهم في ذلك اليوم ومنها قوله تعالى وان الفجار لفي جحيم ومنها قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
ومنها قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ومنها قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ومنها قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
ومنها قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الى قوله
العظيم من العذاب في الدنيا والآخرة ومنها قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم ومنها قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ومنها قوله تعالى
ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وقد تمسكوا ايضا بالاخبار المشتملة على صيغة من والجمع المفيد للعموم
وهي مذكورة في كتب الحديث والجواب عنها من وجوه الاول لا نسلم ان صيغة من في معرض الشرط للعموم ولا نسلم ان
صيغة الجمع المعرفة باللام او الاضافة للعموم فانه قد يدخل عليها لفظتي كل وبعض فيقال كل من دخل داري اكرمته
وبعض من دخل داري اكرمته وكل الناس كذا وبعض الناس كذا ولو كانت هاتان اللفظتان تفيدان العموم لكان ادخال لفظ
البعض عليهما نقضا ولئن سلم انهما يفيدان معنى العموم لكن على سبيل الظن فلا يصح الاحتجاج بها في هذه المسألة لانها
قطعية ولئن سلم انهما يفيدان معنى العموم على سبيل القطع لكن انما يلزم الاحتجاج بها اذا لم يوجد شيء من المخصصات
ولا نزاع في جواز تخصيص العام فلم قلتم انه لم يوجد شيء من المخصصات غاية ما في الباب ان يقال بحثنا فلم نجد شيئا من المخصصات
لكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود كيف وآيات العفو مخصصة لها لان آيات العفو بالنسبة الى آيات الوعيد خاصة
ولئن سلم انه لم يوجد مخصص ولكن عمومات الوعيد معارضة لعمومات الوعد فلا بد من الترجيح وهو معنا من وجوه منها
ان الوفاء بالوعد ادخل في الكرم من الوفاء بالوعيد ومنها ان رحمة الله سابقة على غضبه وغالبة عليها فكان ترجيح عمومات
الوعد اولى ومنها ان الوعد حق العبد والوعيد حق الله تعالى وحق العبد اولى بالتحصيل من حقه تعالى ولئن سلم انه لم يوجد المعارض
لكن هذه العمومات نزلت في حق الكفار فلا تكون قاطعة في العموم فمن الناس من قطع بنفي العقاب عن اصحاب الكبائر واحتج
عليه بوجوه منها قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وقوله تعالى ان العذاب على من كذب وتولى دلت الآية الاولى على
ان الخزي مختص بالكفار والآية الثانية على ان العذاب مختص بمن كذب وتولى ومنها قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا بين الله تعالى انه يغفر كل الذنوب ولم يعتبر التوبة ولا غيرها وهذا يفيد القطع بغفران
كل الذنوب ومنها قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وكلمة على تفيد الحال كقوله رأيت فلانا على اكله اي
حال اشتغاله بالاكل ويتبين انه يغفر الذنوب حال اشتغالهم بها ويستحيل حصول التوبة حال الاشتغال
بالظلم فيحصل الغفران بدون التوبة ومنها قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى ومنها
قوله تعالى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في
ضلال كبير والجواب عنها المعارضة بعمومات الوعيد والكلام في تفسير كل واحد من هذه الآيات يجيء في موضعها وذهب اصحابنا
اهل السنة والجماعة الى القطع بعفو الله عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي والتوقف في البعض من غير حكم على احد على التعيين

والقطع

[illegible]

النعم وهي الجنة ... كلفهم باشياء الاول ان لا تعبدوا الا الله قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعبدون بالياء
من اسفل والباقون بالتاء وجه الاول انهم غيب والثاني حكاية لما خوطبوا به قوله لا يعبدون الا الله اخبار في معنى النهي
كما يقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح النهي كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر
عن الامتثال والانتهاء ويدل على انه اخبار في معنى النهي قوله وقولوا للناس حسنا فان المناسب عطف الانشاء على الانشاء ويؤيده في معناه
وقراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ... بانه اخبار في معنى النهي ولا بد من اضمار القول اي وقلنا لا تعبدوا وقيل لا تعبدون
جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل انه
بان لا تعبدون قال سيبويه لا تعبدون متعلق بالقسم والمعنى واذ استحلفناهم والله لا تعبدون وقيل ان تقديره معناه
ان لا تعبدوا اي اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا فحذف حرف الجر ثم حذفت ان فلما حذفت ارتفع الفعل كقول
الشاعر الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي الوغى الصوت ومنه قيل للحرب الوغى
والتقدير ان احضر الوغى فلما حذف ان ... يقول الشاعر وهو طرفة ايها اللائمي على حضور الحرب وشهود اللذات هل تخلدني
ان كففتها ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان في لا تعبدوا مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا
من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقيل ان لا تعبدون الا الله في موضع الحال اي اخذنا ميثاقهم غير
عابدين الا الله اي اخذنا ميثاقهم موحدين قال ابن عطية وهذا انما يتجه على قراءة ابن كثير ونظام الآية يدفعه ...
الحال الحال المصاحبة ومقدرة لانهم كانوا وقت اخذ ميثاقهم موحدين وما التزموا الدوام على التوحيد ولو جعلتها حال المصاحبة
على ان يكون التقدير اخذنا ميثاقهم ملتزمين الاقامة على التوحيد جاز ولو جعلتها حالا مقدرة على ان يكون التقدير اخذنا
ميثاقهم مقدرين التوحيد ابدا ما عاشوا لجاز قوله وبالوالدين احسانا اي وتحسنوا بالوالدين احسانا او واحسنوا بالوالدين
فعلى هذا الباء تتعلق بتحسنون او احسنوا وقيل الباء متعلقة بالميثاق عطفا على الباء المقدرة على قول من قال التقدير
بان لا تعبدوا وقيل متعلق بقوله احسانا والتقدير قلنا لهم لا تعبدوا الا الله واحسنوا احسانا بالوالدين ويلزم هذا القول
ان المصدر قد تقدم عليه ما هو معمول له وفي الاحسان يدخل انواع بر الوالدين كلها والتنكير يفيد عظم الاحسان اي احسانا
لا يدرك كنهه واتبع عبادة الله بالاحسان الى الوالدين لان نعم الله تعالى على العبد اعظم النعم فلا بد من تقديم شكره على شكر
ثم بعد نعمة الوالدين اعظم النعم لان الوالدين هما الاصل والسبب في وجود الولد وتربيته ولانهما لا يطلبان على الانعام
على الولد عوضا ماليا ولا ثوابا كما ان الله تعالى لا يطلب على انعامه على العبد عوضا البتة ولانهما لا يملان من الانعام على
الولد كما ان الله تعالى لا يمل من الانعام على العبد ولو اتى العبد باعظم الجرائم فظهر تنزل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله
تعالى ولهذا يجب تعظيم الوالدين وان كانا كافرين وعدم التقييد بالايمان يدل على هذا قال الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه
حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به
علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا قوله وذي القربى عطف على الوالدين والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر
كالرجعى والعقبى والقربى كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين والاتصال بالولادة
مقدم على الاتصال بذي القربى قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقوي الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك
من القطيعة قال الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذاك لك وقال الرحم شجنة من الرحمن
مشتقة من الرحمن ... والمساكين جمع يتيم ... وفعيل على فعالى قليل ...

لاب وفي البهائم فقد الامهات وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد البلوغ وحكى الماوردي ان اليتيم يقال في بني آدم
في فقد الام وهذا يتضمن الرأفة باليتامى وحفظ اموالهم والمساكين جمع مسكين اخذ من السكون كان شدة حاله وعدمه
قد سكنه والمسكين اسوأ حالا من الفقير عند ابي حنيفة وجمع من اهل اللغة لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة اي ملتصقا بالتراب
لشدة حاله او مطروحا في المزابل لا يلتفت اليه وعند الشافعي الفقير اسوأ حالا لان الفقير اشتقاقه من فقار
الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والذي يدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وتاخيرهم
متاخرة عن اليتامى لان المسكين قد يكون بحيث ينتفع به في الاستخدام فالميل الى مخالطته اكثر من الميل الى مخالطة
اليتامى ولان المسكين يمكنه الاشتغال بتعهد نفسه ومصالح معيشته وقولوا للناس حسنا قرأ حمزة والكسائي بفتح
الحاء والسين على معنى الوصف للقول كانه قال قولوا قولا حسنا والباقون بضم الحاء وسكون السين اي قولا هو حسن في نفسه
لافراط حسنه ووصف بالمصدر للمبالغة نحو رجل عدل قال الواحدي الحسن لغة في الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد
وحكى الزجاج عن الاخفش هذا القول فقال الزجاج زعم الاخفش انه يجوز ان يكون حسنى على فعلى وهذا لا يجوز عند
سيبويه لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة الا ان يزال عنها معنى التفضيل وتبقى مصدرا كالعقبى فذلك جائز وهو وجه القراءة
بها والى هذا اشار صاحب الكشاف بقوله وحسنى على المصدر كبشرى واما وجه عطف الامر على الخبر فمن وجوه احدها انه
على طريقة الالتفات وثانيها قد حذف قلنا اي اخذنا ميثاقهم وقلنا لهم قولوا وثالثها انه عطف على لا تعبدون فانه خبر
في معنى النهي كانه قيل لا تعبدوا وقولوا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل والاكثرون معناه وقولوا للناس صدقا
وحقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا له صفته ولا تكتموا امره ولا تغيروا نعته وقال
محمد الباقر والربيع وعطاء هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم وقال الحسن والثوري يعني الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر اي امروهم بما امرهم الله به وانهوهم عما نهاهم الله عنه وعن ابن عباس ان المراد بالناس هنا محمد عليه السلام لقوله ام يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله فكانه قيل قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم حسنا ومن توهم ان قوله تعالى وقولوا للناس حسنا
منسوخ باية السيف فقد سها لان الخبر عن بني اسرائيل بما امروا به فلا نسخ فيه وما خوطب هذه الامة به في صدر الاسلام وعلى
تقدير ان يكون هذه الامة خوطبت به يجوز ان يكون المراد بالناس المؤمنين فلا منافاة بينه وبين اية السيف وعلى تقدير ان
يكون المراد بالناس جميعهم فلا منافاة بينه وبينها ايضا لان المراد بالقول الحسن قول لم يمنعه الشرع فيندرج فيه القول
الواجب والمندوب والمباح فيشمل جميع ما ذكر من الاقوال في تفسيره [illegible]
على ما يستقبل بعد زكاتنا وعن ابن عباس انها الزكاة التي امروا بها طاعة الله والاخلاص ثم توليتم على طريق الالتفات اي
توليتم عن الميثاق ورفضتموه والخطاب لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم لانهم على طريقتهم
الا قليلا نصب على الاستثناء اي قليلا منكم من جميع المؤمنين منهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره وقيل هم الذين
اسلموا منهم والقلة في عدد الاشخاص ويحتمل ان يكون القلة في الايمان اي لم يبق حين عصوا وكفر آخرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام
الا ايمان قليل لا ينفعهم وهذا ليس بقوي وانتم معرضون اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق [illegible]
قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون
قيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل خطاب لاسلافهم اي اخذنا ميثاق آبائكم وقيل
خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف والسفك صب الدم والدماء جمع دم اصله دمي وتثنيته دميان وقيل اصله دمو بسكون
الميم وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغير الذي في الواحد ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا ولما كانت ملتهم واحدة وامرهم واحدا كانوا في الامم كالشخص الواحد جعل قتل
بعضهم لبعض ونفي بعضهم بعضا لانفسهم ونفيها وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم اي
بعد سلفنا ان هذا الميثاق اخذ عليكم والتزمتموه ويجوز ان يكون من الاقرار الذي هو مقابل الجحود فيتعدى بالباء
الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق وقلتم به [illegible] وانتم تشهدون قيل الخطاب يراد به من سلف منهم
وانتم تشهدون اي تحضرون اخذ الميثاق والاقرار [illegible] على نفسه بكما شاهد عليها وقيل ان المراد من كان في زمان النبي
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق قوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا
ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ● ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل
والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون اي الحاضرون
يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت
به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء كانه لما قيل ثم انتم هؤلاء قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم وتفسير له
فهؤلاء لا دلالة على ان المخاطبة للحاضرين لا يحتمل ردا الى الاسلاف فكانه نحى الكلام ان قيل ثم انتم بعد اخذ الميثاق عليكم
واقراركم به وشهادتكم عليه نقضتم العهد فتقتلون انفسكم جملة مبينة مستقلة لتفيد ان الذي هو الذات ذات الذات
الموصوفة بتلك الصفات يبعد ان يكون بعينها موصوفة بصفات مناقضة لتلك الصفات نعيا عليهم ببعده
اخذ الميثاق ثم [illegible] فيهم قلة المبالاة به وقيل تقدير الكلام ثم انتم يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه

مع البينات

مع المبهمات لا تقول هذا فعل وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي تقديره ثم انتم الذين تقتلون فتقتلون صلة لها والاظهر ان الاية
خطاب لقريظة والنضير وبني قينقاع وذلك ان قريظة والنضير حلفاء الاوس وبني قينقاع حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل حلفاءه
واذا غلبوا خربوا ديارهم اي مساكن الاقامة ومحال القوم ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب
وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم قتالهم علينا ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا تظاهرون قرأ عاصم
وحمزة والكسائي تظاهرون بتخفيف الظاء وهذا على حذف التاء الثانية من تتظاهرون كراهة لاجتماع المثلين وقرأ بقية السبعة
بالتشديد على ادغام التاء في الظاء لمقاربتها والمعنى على القراءتين يتعاونون على اهل ملتكم بالمعصية وهو ماخوذ من الظهر كان
المتظاهرين يسند كل منهما ظهره الى صاحبه والاثم الفعل الذي يستحق عليه الذم من المعاصي والعدوان الافراط في الظلم وتجاوز الحد
قوله وان ياتوكم اسارى تفادوهم حسن لفظ الاتيان من حيث هو مقابلة الاخراج فيظهر التضاد المقبح لفعلهم في الاخراج اي
ان اتوكم ماسورين يطلبون الفداء فديتموهم وقرأ حمزة اسرى تفدوهم ونافع وعاصم والكسائي اسارى تفادوهم وابو عمرو وابن عامر وابن
كثير اسارى تفدوهم وهما جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد سمي بذلك لانه يشد اي يستوثق منه ثم كثر استعماله فصار اسما له
وان لم يكن ثم ربط ولا شد والاسير فعيل بمعنى مفعول ولا يجمع بالواو والنون وانما يجمع على فعلى نحو لديغ ولدغى وقتيل وقتلى وجريح
وجرحى فالاسرى هو القياس وعن قال اسارى تشبيه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كان الكسلان
محتبس من ذلك لعادته شبه به فعيل في جمعه اسارى كما قيل كسالى قال سيبويه قالوا في جمع كسلان كسلى شبهوه باسرى كما قالوا
اسارى شبهوه بكسالى وقيل انما تجيء فيما اذا كان فيه تحمل على المرء وتفادوهم اي تطلقونهم بعد ان تاخذوا منهم شيئا يقال فاد
الاسير اذا اطلقه واخذ عنه ومعنى فديته بالشيء اي خلصته به وجعلته عوضا منه صيانة له ومعناهما واحد وهما فعلان
يتعديان الى المفعول الثاني منهما بحرف جر يقول فديته بمال وفاديته بمال والمفعول الثاني محذوف في الاية لان تفدوهم وتفادوهم
بالمال قيل في قراءة تفادوهم معاملة في اسرى باسرى وقوله وهو محرم الضمير راجع الى الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله تخرجون
فريقا ثم بين ان في الكلام ان ذلك الذي جرى للاخراج فقال وهو محرم عليكم ولو اقتصر على هذا القدر اشتبه ان يرجع ذلك
الى فداء الاسرى فاظهر الكنى عنه واعاده فقال اخراجهم ونظم الاية على التقديم والتاخير لان التقدير وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسرى تفدوهم والمحرم الممنوع منه وقيل هو ضمير الشان تقديره والشان محرم عليكم
اخراجهم وقيل يجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم تقديره والامر محرم عليكم وتفسير الامر الاخراج قوله افتؤمنون ببعض الكتاب
يعني التورية اي بفداء الاسرى وتكفرون ببعض اي بالقتال والاخراج من الديار وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم فما جزاء من يفعل
ذلك منكم استفهام في معنى توبيخ الا خزي والخزي هو الفضيحة والعقوبة يقال خزي الرجل يخزى اذا ذل من الفضيحة والخزي في الحياة
الدنيا قتل قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية في الدنيا ماخوذ من دنى يدنو واصل الدنيا دنوى لكن ابدلت فرقا بين الاسماء
والصفات ثم اعلم الله تعالى ان الخزي في الحياة الدنيا غير مكفر ذنوبهم فقال ويوم القيامة يردون اي يرجعون الى اشد العذاب لانه
عصيان اشد وما الله بغافل قرأ نافع وابن كثير يعملون بالياء على ذكر الغائب والخطاب بالاية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والا
لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاية واعظة لهم بالمعنى لان الله تعالى بالمرصاد لكل عاص وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب
ان يكون لامة محمد [illegible] قال ابن عباس ان قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد قوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ● جعل الله
الاخرة واخذ الدنيا تبعا لتمكنهم من التمسك بالاخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم [illegible]
الجزية والهوان ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا
من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ● الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة وقفينا اي اتبعناه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اذا اتبعه اياه اي وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشموئيل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات
التورية والامر بلزومها الى عيسى وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال
وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه والزير هو الرجل الذي يكثر زيارة النساء ومريم التي تكثر زيارة الرجال كانها سميت
كما يقال كافور للاسود ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت [illegible] ولا يمنع
العين فيه وقيل بضم الفاء وسكون العين [illegible] وهو غير منصرف للتانيث والعلمية والبينات
المعجزات الواضحات والحجج التي اعطاها الله عيسى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه والايد
القوة بروح القدس قال قتادة والربيع والضحاك والسدي وعطاء عن ابن عباس انه جبريل وكان يعينه ويسير معه حيث سار
وصعد به الى السماء لما قصد قتله [illegible] قوله نزله روح القدس يعني جبريل وانما سمي بذلك لان الغالب على جسمه الروحانية
لرقته وكذلك سائر الملائكة واضيف الى القدس قال صاحب الكشاف اي الروح المقدسة كما يقول حاتم الجود ورجل صدق
فهو من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في الاختصاص [illegible] ووصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة
وقيل وصفها بالقدس لانه لم تضمنه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل ايده بالانجيل سمي الانجيل بالروح كما قال في القرآن روحا
من امرنا وقيل ايده باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره واضافه الى القدس لاضافة الملائكة الى الله تعالى وقيل القدس الطهارة
وقيل البركة افكلما جاءكم يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا يوافق انفسكم والهوى اكثر ما يستعمل

بما لا تهوى انفسكم استكبرتم تعظما عن الايمان به وذلك لانهم كانت لهم الرياسة وكانوا متبوعين فآثروا الدنيا على الاخرة وتوسط بين الفاء وما تعلقت به اعني اتينا وايدنا همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك بعد دخول الفاء لعطفه على المقدر وهو ما فعلتم على الاول دخلت الفاء لربط ما بعدها بما قبلها والهمزة للتوبيخ على الثاني بما عقيب الايتاء مختلف وعوض له فعلتم ما فعلتم فهو كناية عن غير التكذيب والقتل من قبائحهم وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا لهم مصدر الجملة بهمزة الانكار يعني افكلما جاءكم رسول على تقدير كفرتم وبخ القسم فكلما جاءكم رسول ويجوز ان يكون ففعلتم ما فعلتم كناية عن جميع القبائح الصادرة منهم ثم خصص التكذيب والقتل من بينها لانهما اهم من باقي القبائح الصادرة منهم قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم وقال وفريقا تقتلون قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند وفاته يا عائشة ما زالت اكلة الطعام الذي اكلت بخيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري من ذلك السم اخرجه البخاري والابهر عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم تبق معه حياة قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون • غلف جمع اغلف وكل شيء في غلاف فهو اغلف يقال سيف اغلف ورجل اغلف اذا لم يختتن اي قلوبنا مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا يفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن قال ابن عباس انهم قالوا ذلك استهزاء وانكارا لما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى هي اوعية للعلم والمعارف بزعمهم فلا تحتاج الى علم محمد فكذبهم الله بما قالوه بقوله بل لعنهم الله بكفرهم اي ابعدهم من رحمته وطردهم واللعن لغة الابعاد ثم سمي التعذيب والسب لعنا اي ليس كما ذكروا من ان قلوبهم في الغلاف او اوعية للعلوم والمعارف ولكن الله لعنهم واخزاهم ولم يجعل لهم الى فهم ما يقول محمد سبيلا لانهم حرموا الانتفاع به بانهماكهم على كفرهم وتركهم الايمان بجزاءهم على ذلك ان لعنهم قال صاحب الكشاف اي قلوبنا خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بل لعنهم الله وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين اغلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين على ما يقتضيه مذهبه والجواب عنه لا نسلم ان معنى قولهم قلوبنا غلف اي خلقة وجبلة مغشاة باغطية فان قولهم غلف معناه مغشاة باغطية سواء كانت مخلوقة كذلك او طارئة عليها وكونه مستعارا من الاغلف الذي لم يختن لا يستدعي ان تكون خلقة وجبلة وحينئذ لا نسلم ان الله تعالى لم يرد ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك بل اراد الله تعالى ان تكون قلوبهم غلفا سواء فسر غلف بالاول او الثاني ولا يلزم من لعنهم بسبب كفرهم انهم غلفوا واحدثوا الكفر وتسببوا بذلك لمنع الالطاف قوله فقليلا ما يؤمنون اي فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم اي عدم الايمان كما يقال قلما رايته فقط ويجوز ان يكون قلة الايمان لان من آمن بمحمد قليل فقلة الايمان لقلة الرجال الا ان وقت ايمانهم حين ما يستحقون به قبل بعثته قيل لانهم كفروا [illegible] لم يبق لهم بعد ذلك الا توحيد على غير وجهه اذ هم مجسمون قال الواحدي معناه لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين اكثر ممن آمن من اليهود وما صلة وانتصاب قليلا على الحال اي فقد يؤمنون قليلا كعبد الله بن سلام واصحابه ولا يجوز ان يكون ما نافية لانه حينئذ لا يبقى ناصب لقليلا لان المصدر لا يعمل فيما قبله ولا النفي قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين • كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم اي التوراة لا يخالفه لانه جاء على ما تقدم به الاخبار في التوراة فهو مصدق التوراة وكان اليهود من قبل مجيء هذا الكتاب يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا اي المشركين بالقرآن والنبي المبعوث في آخر الزمان قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعادت اليهود بهذا الدعاء وقالت اللهم انا نسالك بحق النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان ان تنصرنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله هذه الاية وهو قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي بالكتاب بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة وذلك انهم كانوا قد قرءوا في التوراة ان الله يبعث في آخر الزمان نبيا ينزل عليه قرآنا مبينا بعد قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وكان سبب خروج النبي المنتظر نقلهم الى الحجاز وسكناهم بها فانهم كانوا على صنع المبعوث ويظهر من هذه الاية ان معنى ذكرهم كان نوع معرفة ومعاينة وقيل يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم قوله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا اي ابتداء على سبيل القصد [illegible] جنسا ويدخل فيه شيئا فشيئا من غير قصد كما اذا ظلمك انسان فتقول لعنة الله على الظالمين فيدخل فيه من ظلمك دخولا اوليا ويدخل غيره وجواب لما الاولى محذوف نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك وحذف للاستغناء عنه بدلالة الظاهر من الكلام عليه قال المبرد جوابهما اي لما الاولى ولما الثانية في هذه الاية كفروا واعيدت لما الثانية لطول الكلام ويفيد

اذ ذلك

اذ ذلك تقرير الذنب وتاكيدا له وقال الفراء جواب لما الاولى في الفاء وما بعدها وجواب لما الثانية كفروا وقال ابو البقاء هذا ضعيف لان لما الاولى جواب لم يجب الفاء الا ان يذهبوا به مذهب الاخفش في قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين • بئس فعل وضع لانشاء ذم وما في بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس الشيء شيئا اشتروا به انفسهم اشتروا اي باعوا انفسهم صفته ما والمخصوص بالذم محذوف اي بئس الشيء شيئا اشتروا به انفسهم الكفر والمخصوص بالذم ان يكفروا ومبتدا وما قبله خبر له وكان الاصل الكفر بئس ما اشتروا به انفسهم واستغنى بالجملة التي هي الخبر عن العائد الى المبتدا لان فاعل بئس هو المبتدا في المعنى فلم يحتج الى رابط اذ هو مرتبط بنفسه والظاهر قد يقوم مقام المضمر وهذا حين من قول القائل انما استغنى الجملة التي هي خبر عن عائد لان الفاعل من صيغ العموم لان جنس المذموم وغلط لان قصد المتكلم ذم الجنس وانما يقصد ما يطابق هذا الفاعل المذكور وجعله للعموم غلط فانما عبر عن الاصل اي تقدم المبتدا وتاخير الخبر تقدم الخبر وتاخير المبتدا ليحصل الابهام والتفسير وذهب سيبويه الى انها فاعل بئس ودخلت عليها بئس كما تدخل على اسماء الاجناس والنكرات لمشابهتها في الابهام والتقدير على هذا بئس الذي اشتروا به انفسهم ان يكفروا كقولك بئس الرجل زيد ومعنى هذا القول ما موصوله والجملة صلتها بعد قوله واستعد عليه واشتروا بمعنى باعوا قوله بما انزل الله اي القرآن ويحتمل ان يراد التوراة لانهم اذ كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفروا بالتوراة ويحتمل ان يكون المراد به الجميع اي التوراة والانجيل والقرآن لان الكفر بالبعض يستلزم الكفر بالكل قوله بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم مفعول له وهو علة اشتروا قرأ ابو عمرو وابن كثير ان ينزل مخففا والاول على التخفيف والباقون بالتشديد ونصب على المفعول له وهو علة بغيا او في موضع الجر بتقدير على او الباء اي بغيا اي حسدوا على ان ينزل الله او بان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء يعني محمدا لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب قال ابن عباس ان كفر اليهود لم يكن شكا ولا اشتباها ولكن بغيا منهم حيث صارت النبوة في ولد اسمعيل فباءوا بغضب على غضب [illegible] لانهم كفروا بالحق وبغوا عليه وقال قتادة الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بكفرهم بمحمد والقرآن وقال السدي الاول بعبادة العجل والثاني بمحمد وقال مجاهد الاول بتبديلهم التوراة قبل بعثة محمد والثاني بمحمد وبما جاء به وقيل بحمد بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وذلك من انواع كفرهم والكافرون يعني الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عذاب مهين يهانون فيه ولا يعزون قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • انه هذا النوع من قبائح افعالهم واذا قيل لهم اي اليهود آمنوا بما انزل الله اي بكل ما انزل الله والقائلون بعموم ما احتجوا بهذه الاية على ان لفظة ما يعني الذي يفيد العموم لان ما احسن الذم قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التوراة قوله ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة اي بما بعد التوراة يريد الانجيل والقرآن وقيل بما وراءه بما سواه قال الفراء وكثير في العربية يتكلم الرجل بالكلام الحسن فيقول السامع ليس وراء هذا الكلام شيء وهو الحق اي والحال ان ما وراء ما انزل عليهم اي الانجيل والقرآن هو الحق مصدقا لما معهم ومصدقا حال مؤكدة لان معنا يتحقق في قوله هو الحق وفيه رد لما قالوه لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم انبياء الله وكذبهم في قولهم نؤمن بما انزل علينا فاذا ادعاهم الايمان بما انزل عليهم كذب لان ما انزل عليهم اي التوراة لا يسوغ قتل الانبياء وجاء تقتلون بلفظ الاستقبال والمراد به الماضي ذلك لامر لا يذهب الوهم الى غيره لقوله من قبل ولقوله في اول الاية وماذا جاءكم رسول من قبل بالبينات فلم قتلتموهم وسوق الكلام في لفظ المستقبل تصوير على سبيل المشاهدة في القلوب واستحضاره في النفوس واضاف القتل اليهم وان كان اسلافهم قد قتلوا لانهم على مذهبهم وان كانوا راضين بفعلهم وان كانوا كذلك فقد شركوهم قال ابن عباس كلما غلبت معصية في اكبرها او صغرها رضي بها كان كمن شهدها [illegible] ان كنتم مؤمنين اي بمعنى الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبلها عليها تقديره ان كنتم مؤمنين فلم تقتلوا انبياء الله لانه ليس سبيل المؤمنين ان يقتلوا الانبياء وقيل ان نافية قوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون • البينات العصا واليد وفلق البحر وما اوتي موسى من الدلالات الواضحة ثم اتخذتم بدلالة على ان اتخاذهم العجل بعد مهلة من النظر في الايات وهذا اعظم في دينهم والضمير في قوله من بعده عائد على موسى اي من بعد زمان غيبته عنكم في المناجاة ويجوز ان يكون عائدا على المجيء وهذه الاية رد على اليهود في ادعاءهم انهم آمنوا بما انزل عليهم لاتخاذهم العجل وتوبيخ لهم على كفرهم وعبادتهم العجل بعد ما راوا الايات وبيانا انهم ان كفروا بمحمد فليس بعجيب من كفرهم [illegible] وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعين العبادة غير موضعها ويجوز ان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم والفرق بين الاعتراض والحال ان الحال بيان هيئة المعمول والاعتراض لتاكيد الجملة بتمامها وايضا الاعتراض يقع بين الكلام وكلاهما متصلان معنى قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين • كرر رفع الطور لما يلحقه من زيادة ليست في الاولى وهي قوله واشربوا مع ما في التكرير من التوكيد اسمعوا ما امرتم به اي ما فيه من حلاله وحرامه واطيعوا وليس المراد السماع فقط قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك قال صاحب الكشاف فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا ولكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم [illegible]

جمع اذا كان بحالطهم جمع اي تداخلهم حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ الذي هو الحبة واقيم المضاف
اليه مقامه افادة لشدة تمكن حب العجل وتوكده في قلوبهم بيان لمكان الاشراب بيان محل ذلك الحب قلوبهم وان الخلط
يحصل منها فاسند الفعل اولا الى الجملة ثم خص القلوب كما تقول اضربوا على رؤسهم بكفرهم اي بسبب كفرهم قل بئسما
يأمركم به ايمانكم اي بئس الايمان ايمان يامر بالكفر واسناد الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك قوله
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم وجواب الشرط محذوف لما تقدم عليه ان كنتم مؤمنين بئسما
ايمان يامركم بالكفر قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ● كانت اليهود يقولون لن يدخل الجنة الا من كان
هودا خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد
فيها سواكم حق اذ كان الناس للجنس او للبيض المؤمنين منها حتى انه كان الناس للعهد ان كنتم صادقين عند انفسكم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا فتمنوا الموت فان من كان لا يشك انه صائر الى الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى نعيمها
او التخلص من الدنيا التي هي ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة انهم تمنوا الموت روي ان عليا رضي الله عنه كان يطوف
في الصفين بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين
فقال له يا بني ابوك لا يبالي على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل
واحد من العشرة يحب الموت وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي
على وجه الارض يهودي ثم اخبر انهم لا يتمنون الموت فقال ولن يتمنوه ابدا امر الله تعالى نبيه ان يدعوهم الى تمني الموت واعلمهم
ان من تمناه منهم مات ففعل النبي ذلك فعلم اليهود صدقه فما تجرؤا على تمنيه خوفا من الله بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من
معاصيهم ومن الكفر بمحمد وبما جاء به وتحريف كتاب الله ومعرفتهم بكذبهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا فاسند ذلك
الى اليد لان اكثر الجنايات تكون بها فيسند الى اليد الجنايات باسرها وان لم يكن لليد فيها عمل وقوله ولن يتمنوه من المعجزات
لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به قال صاحب الكشاف فان قلت ما ادراك انهم لن يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل
سائر الحوادث وكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك فان قلت
التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان
بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من
قولهم للمسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت
الخالص ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم
واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى
الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين ظاهره الخبر وتضمنه التهديد والوعيد اي عليم بظلمهم ومجازاتهم وفائدة تخصيص
الظالمين تخصيصهم حصول الوعيد قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم
لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون ● دخلت اللام والنون لان القسم مقدر
تقديره والله لتجدنهم يعني علماء اليهود الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم احرص الناس على حياة لانهم علموا انهم
صائرون الى النار اذا ماتوا ولتجدن من وجد المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ يعني علمت المفعول
الاول هم والمفعول الثاني احرص قوله على حياة بالتنكير اي حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ومعنى الحرص شدة الطلب
ومن الذين اشركوا اي واحرص من الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس حذف من واضيف
على اثبات من وانما جيء بمن في الثاني دون الاول لان افعل اذا اضيف الى جنسه لم يحتج الى ذكر من يقال زيد افضل الناس واذا
اضيف الى غير جنسه احتاج الى ذكر من يقال زيد افضل من اخوته ولا يقال زيد افضل اخوته لان اخوة زيد غيره وهو خارج
عنهم ولما كان علماء اليهود من جنس الناس لم يحتج الى ذكر من فقال احرص الناس ولم يكن من المشركين لان معنى الاشراك
عبادة غير الله مع الله والمشرك هو الذي يجعل عبادته مشتركة بين الله وغيره قال ابو العالية والربيع اراد بالذين اشركوا
المجوس فانهم يقولون بالنور والظلمة ويزدان واهرمن وهم موصوفون بالحرص على الحياة ولهذا جعلوا التحية بينهم هزار
سال زي اي عش الف سنة قال ابن عباس اراد بالذين اشركوا منكري البعث ومن انكر البعث احب الحياة لانهم لا يرجون
بعثا بعد الموت والذين اشركوا داخلون تحت الناس وانما افردوا بالذكر لشدة حرصهم على الحياة ويجوز ان لا يكون ومن الذين
اشركوا محمولا على المعنى بل يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها غير مستبعد لانها جنتهم فاذا كان علماء اليهود
زادوا عليهم في الحرص وهم يعترفون بعاقبة ويعرفون كانوا احقاء باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين اشركوا لانهم
يعلمون انهم صائرون الى النار لا محالة والذين اشركوا لا يعلمون ذلك وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومن الذين اشركوا
ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم تقديره وما منا احد الا له مقام معلوم والذين
اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اقيم المظهر مقام المضمر تنبيها على ان اليهود هم المشركون واشعارا

بان الموحد يحب لقاء الله كما ان المشرك يكره لقاء الله يود احدهم اي يريد احد اليهود يقال وددت اوده ودا وودادا وودادة
لو يعمر الف سنة يقال عمر الله تعميرا اذا اطال عمره وقوله يود على الوجه الاول والثاني هو بيان الزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
ولو ههنا ليست هي التي لامتناع الشيء لامتناع غيره وانما هي بمعنى ان المصدرية وفيها معنى التمني يتمنى احدهم ان يعمر الف سنة
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه
جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن والضمير في وما هو يعود الى احدهم اي وما احدهم بمزحزحه
بمبعده من العذاب والزحزحة الابعاد والتنحية وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره او وان يعمر
وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون هو
مبهما وان يعمر موضحه قوله والله بصير البصير قد يراد به انه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها والبصير بالمعنى الذي
ههنا يصح اطلاقه على الله تعالى وكذا بالمعنى الثاني الا انه يقال ان الاعمال لا يصح ان تعمل حينئذ يحمل على العلم قوله تعالى
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا
لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ● النحو له قل من كان عدوا لجبريل لا بد له من سبب
وانه على ظهر حيث امر الله تعالى بان يخاطبهم بذلك والمفسرون ذكروا امورا قال ابن عباس ان حبرا من احبار اليهود من فدك
يقال له عبد الله بن صوريا حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن اشياء فلما اتجهت الحجة عليه قال اي ملك
يأتيك بالوحي من السماء قال جبريل قال لم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه فقال ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك
ان جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وقد عادانا مرارا اشدها ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل
له بخت نصر فاخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما وجب وقته بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق حتى
لقيه ببابل غلاما مسكينا ليس له قوة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم اذن في هلاككم فلن تسلط
عليه وان لم يكن هذا فعلى اي حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع الينا وكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة
فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة وعكرمة والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود
فكان عمر اذا اتى ارضه يجلس اليهم ويسمع كلامهم ويكلمهم فقالوا يا عمر ما في اصحاب محمد احب الينا منك
انهم يمرون بنا فيؤذوننا وانت لا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر رضي الله عنه والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك
في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال
جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب
والسلم فقال لهم عمر اتعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل
وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر ان كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوهما كان عدو الله ثم رجع عمر الى رسول الله
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك
ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اشد من الحجر قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص جبريل بكسر الجيم والراء
من غير همز وقرأ ابن كثير بفتح الجيم والكسائي جبرئيل بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء ... فارسي معرب
بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله جبر العبد بالسريانية وايل الله فانه
نزله اي فان جبريل نزل القرآن على قلبك يعني قلب محمد صلى الله عليه وسلم واضمار القرآن فان لم يسبقه ذكر فخامة لشأنه
فان اضماره من غير سبق ذكر فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح
بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمك لحق فيه معنى الاستيلاء والاستعلاء يعني ان جبريل القاه
على قلبك استولى على قلبك وجعل جامعه بحويه ويمكن فيه فلا يشذ منه شيء باذن الله قال صاحب الكشاف فان قلت كيف
استقام قوله على قلبك قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه
نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب
فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم
ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون
للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسات
اليه قوله مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتب الانبياء ولا معنى للتخصيص بكتاب دون كتاب وعليه اكثر المفسرين
ومنهم من خصه بالتوراة وانما اشار الى ان القرآن موافق للتوراة في الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
وهدى وبشرى اي القرآن مشتمل على بيان ما وقع به التكليف من اعمال القلوب واعمال الجوارح وبيان الهدى كيف يكون
ثوابه في الوجه الاول هدى وبشرى الوجه الثاني الذي بشر فيه وهو الاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم لفظ الهدى على
لفظ البشرى وخصهما الله بالمؤمنين لانهم هم الذين اهتدوا بالكتاب والبشرى لا يكون الا لهم لانها الخبر الدال على حصول
الخير العظيم وهذا لا يحصل الا للمؤمنين قوله من كان عدوا لله اي من كان عدوا لرسله ومن كان عدوا للكتاب من كتب الله
فهو عدو لجميع كتبه ومن كان عدوا لملك من الملائكة كان عدوا للملائكة ومن كان عدوا لهما كان عدو الله معا وحولهم من هؤلاء

يستلزم عداوة الجميع والمراد بعداوة الله كراهة القيام بطاعته وعبادته وافرد الملكان بالذكر وان دخلا في ملائكته
لفضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير في الوصف تنزيل منزلة التغاير في الذات علم ان عداوة اليهود للرسول صلى الله
عليه وسلم بعينها عداوة رسله فلهذا لم يفرد الرسول بالذكر وعداوة الرسل بسبب نزول الكتب بتنزيل
الملائكة في الذكر تفضيلهم على الرسل لان التقديم وجها آخر غير الشرف واما تقديم جبريل على ميكائيل فليس يبعد ان يكون للشرف
كما ان تخصيصهما بالذكر لفضلهما قرا ابو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء ونافع ميكائل بهمزة مكسورة من غير ياء والباقون
ميكائيل بياء بعد الهمزة قوله فان الله عدو للكافرين اي عليهم اقيم الظاهر مقام المضمر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم لكفرهم
قال صاحب الكشاف وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله
التعصب ولا ليس للكلام اشعار به وعداوة الله تعالى للكافرين عبارة عن عقابه اشد العقاب قوله تعالى ولقد
انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ● قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال للرسول
صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآية والبينة
الدالة الفاصلة بين القصة الصادقة والكاذبة لانها مأخوذة من ابانة احد الشيئين من الآخر فيزول الالتباس بها والمراد
بالآيات البينات القرآن مع سائر الدلائل بل نحو اخبارهم من تمني الموت وسائر المعجزات والفسق خروج الانسان عما حده له
قال الله ففسق عن امر ربه فيقول العرب للنواة اذا خرجت من الرطبة فسقت والفاسقون هم الخارجون عن دينهم
واليهود خرجوا بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة موسى وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع
على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون لليهود قوله تعالى اوكلما عاهدوا
عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ● الواو في اوكلما للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات
وكلما عاهدوا ودخل عليها همزة الاستفهام لان لها صدر الكلام وكلما نصب على الظرف والعامل فيه نبذه لا عاهدوا لانه
صلة ما او صفتها والنبذ الرمي بالذمام ورفضه قال فريق منهم لان منهم من لم ينقض واليهود موسومون بالغدر ونقض
العهد كم اخذ الله تعالى الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان اليهود عاهدوا فيما بينهم لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه
على مشركي العرب فلما بعثه الله تعالى نقضوا العهد وكفروا به وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به وقيل اكثرهم لا يؤمنون
لانهم من بين كافر ينقض العهد وكافر يجحد لمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ● مصدق لما
من التوراة اي من نعته وصفته جاءهم على النعت الذي نعت به في التوراة نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله التوراة
لانهم بكفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم نبذوا التوراة وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم
تلقيه بالقبول لانهم ملوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى وراء الظهور استغناء عنه وقلة
الالتفات اليه واستخفافا به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه
في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ قوله كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا وقيل علم الله انهم نبذوا كتاب الله ورفضوا
عن علم نعظم ما يفعلون حتى كانهم لا يعلمون لما يستحقون من العذاب فراحوا بهم رضوا بكتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين
قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ● اي اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا
الشياطين قال ابن عباس المراد من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد السدي من كان في عهد سليمان
وقيل الجميع وتتلو قال عطاء يقرأ من التلاوة وقال ابن عباس يتبع كما تقول جاء القوم يتلو بعضهم بعضا وتتلو بمعنى تلت
وضع المستقبل موضع الماضي وقال الكوفيون المعنى ما كانت تتلو وقوله على ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان وزعمنا
فيلزم تقدير مضاف وعلى بمعنى في ويحتمل ان يكون تتلو مضمنا معنى الاملاء تعدى بعلى ولا بد من تقدير المضاف والمعنى واتبعوا
ما املى الشياطين على الناس اي على ناس عهد ملك سليمان وقيل المعنى في ملك سليمان في قصصه واخباره وصفته
قال الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا على ملك سليمان اي على شرعه ونبوته وحاله اي فضل اليهود ما تتلو الشياطين على شرع سليمان
ونبوته وحاله قيل ان الشياطين كانت تصعد الى السماء فيقعدون منها مقاعد للسمع فيسترقون السمع فيسمعون كلام الملائكة
فيما يكون في الارض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذبا فيزيدون مع كل كلمة سبعين كذبة ويلقونها
الى الكهنة فتقيدوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في بني اسرائيل في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب
فاطلع سليمان على ذلك فبعث في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول
ان الشياطين يعلمون الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب

وخلف

[illegible]

السحر ويحكى ابن القوة فيما بين الناس ويعتقدون انه امر واصل كفرهم فالناس المعلمون اتباع الشياطين من بني اسرائيل بين السحر
تان ليعلمون في موضع يعلمون نصب على الحال الواو في تختص ان والسحر لغة ما خفي ولطف وقيل العلم الخفي الذي [illegible]
بايتها الساحر ادع [illegible] العالم وقيل هو التمويه بالشيء حتى يتوهم المتوهم انه شيء ولا حقيقة له كالشراب [illegible] من جاه
قال الله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون
وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد
فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز المنافيه من الدقة لان في الاصل لما خفي سببه وقد اختلفوا في ان تعلم السحر هل هو حرام ام لا
على ثلاثة اوجه احدها انه حرام وثانيها انه مكروه وثالثها انه مباح والحق انه ان كان تعلمه ليعمل به فهو حرام وان كان ليتوقاه ولا يغتر به
فهو مباح عرفه الشرع للشر لكن للتوقي وفعله حرام من الكبائر واعتقاد حله كفر قوله وما انزل على الملكين عطف على السحر
اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو اي واتبعوا ما انزل على الملكين فعلى
الاول محله نصب على ان يكون مفعولا ثانيا لقوله يعلمون وعلى الثاني نصب على انه مفعول اتبعوا ومعنى انزل على الملكين ملكه
الهما وقذف في قلوبهما من التفرقة بين المرء وزوجه قيل هو رقيه وليس بسحر ويدل على هذا عطفه على السحر فان العطف يقتضي
تغاير المعطوفين فان قيل على الوجه الآخر وهو انه معطوف على قوله ما تتلو لم يلزم ان يكون غير سحر اجيب بان ما تتلو سحر ايضا
بدليل قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والرخصة في الرقية واردة عن عوف بن مالك الاشجعي قال كنا نرقي
في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك اخرجه مسلم ونظرا لانه
يجوز ان يكون نوعا من السحر غير النوع الاول لتصحيح العطف فعلى هذا هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف ولا يكونان من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم ولو كانا من ذلك لانصرفا وبابل لا ينصرف
للتأنيث والتعريف وهي بقعة من الارض قيل هي العراق قال ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقال قتادة هي
من نصيبين الى راس العين وقيل لما انزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به او اعتقد حله كان كافرا
وما يعلمان اي الملكان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه
حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي
يكون سبب التفريق بين المرء وزوجه من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغض والنشوز
والخلاف ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه اختلفوا اي ان السحر له حقيقة روي عن ابي جعفر الاسترابادي من اصحاب الشافعي
انه قال لا حقيقة للسحر وانما هو تخييل والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة
قال الامام الخلاف في ان الساحر هل يبلغ سحره الى [illegible] على سبيل [illegible] الاجسام والحياة وتغيير
البنية والشكل اما المعتزلة فاتفقوا على تكفير من يجوز ذلك لانه لا يمكن حينئذ صدق الانبياء ولجواز ان من ادعى
النبوة وكان كاذبا [illegible] من الله تعالى [illegible] على [illegible] التلبيس وعلم السحر وقيل الشياطين [illegible]

بالسحر من احد الا باذن الله والمراد بالاذن ارادة التكوين اي لا يضرون بالسحر احدا الا بارادة الله تعالى ان يلحقه ذلك الضرر
واختلف العلماء في تعليم الملكين السحر فذكر اهل التفسير واصحاب المعاني فيه وجهين احدهما انهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر
ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه وكانا يعلمان الناس ما نهيا عنه ويامران باجتناب ما حرم عليهم وطاعة الله
فيما امروا به ونهوا عنه وفي ذلك حكمة لان سائلا لو سال ما الزنا وما اللواط لوجب ان يوقف عليه ويعلم انه حرام فكذلك مجيء
الملكين السحر فامرهما السائل باجتنابه بعد الاعلام والاخبار بانه كفر ويؤيد هذا الوجه ما روي عن العباس عن الاعمش
انه قال تعلم بمعنى اعلم فعلى هذا التعليم الانذار من الاعلام كما تقول تعلم بمعنى علم لان من تعلم شيئا فقد علمه فيوضع التعلم موضع
العلم قال ابن الاعرابي ومن هذا قوله تعالى وما يعلمان من احد قال معناه ان الساحر ياتي الملكين فيقول اخبراني عما نهى الله عنه
حتى انتهي فيقولان ننهاك عن كذا فيستوصفهما الزنا فيصفانه فيقول وعن ماذا فيقولان عن اللواط ثم يقول وعن ماذا فيقولان عن
السحر فيقول وما السحر فيقولان كذا فيحفظه وينصرف فيخالف فيكفر فهذا معنى يعلمان انما هو يعلمان ولا يكون تعليم السحر اذا كان
اعلاما كفرا ولا تعلمه اذا كان على معنى الوقوف عليه كفرا كما ان من عرف الزنا لم ياثم بالعلم الوجه الثاني ان الله عز وجل امتحن
الناس بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويؤمن بترك التعلم ولله
تعالى ان يمتحن عباده بما يشاء كما امتحن بنهر طالوت في قوله ان الله مبتليكم بنهر يدل على صحة هذا قوله انما نحن فتنة فلا تكفر
اي محنة من الله نخبرك ان تعلم السحر كفر بالله وننهاك عنه فان اطعتنا في ترك العمل بالسحر نجوت وان عصيتنا في ذلك
هلكت وقصة الملكين على ما ذكره ابن عباس والمفسرون ان الملائكة رات ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة
وذنوبهم الكبيرة وذلك في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم بذلك ودعوا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال الله عز وجل لهم لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم ما ركبوا فقالوا
سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت
وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى لهم اختاروا ثلثة فاختاروا عزا وهو هاروت
وعزايا وهو ماروت وعزائيل وانما غير اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وانزلهم الى الارض
وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه
استقال ربه وساله ان يرفعه الى السماء فاقاله فسجد اربعين سنة ثم رفع راسه ولم يزل بعد ذلك مطاطئا راسه
حياء من الله تعالى واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا
الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا انه اختصمت اليهما ذات يوم امراة من احسن الناس وجملهم
قال علي رضي الله عنه وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما راياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت
وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس
وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله عز وجل نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من
خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم
واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمراة وزنيا فلما فرغا راهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا
للصنم فمسخ الله المراة عند ذلك كوكبا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والسدي والكلبي انها قالت لهما لن تدركاني حتى تعلماني
بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاعظم قالت فما انتما مدركاي حتى تعلمانيه فقال احدهما لصاحبه علمها فقال
اني اخاف الله قال الآخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا فعلى قول هؤلاء
هي الزهرة بعينها فقالوا هي الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية ناهيد وبالنبطية بيذخت قال الثعلبي يدل على صحة هذا
ما روي عن علي رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن
ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين وروي عن مجاهد قال كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال ارمق الكوكبة فاذا طلعت فايقظني
فلما طلعت ايقظته فجعل ينظر اليها ويسبها سبا فقلت رحمك الله تسب نجما ساميا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا
فلقي الملكان منها ما لقيا وروي عن نافع قال كان ابن عمر اذا راى الزهرة قال لا مرحبا بها ولا اهلا وروي عن ابن عباس ان المراة
التي فتن بها الملكان مسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة وانكر الآخرون هذا القول ان الزهرة من الكواكب السبع
السيارة كما جعلها الله قواما للعالم واقسم بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وانما كانت هذه التي فتنت هاروت
وماروت امراة كانت تسمى زهرة لجمالها فلما بغت جعلها الله شهابا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المراة
لموافقة الاسمين فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلعنه يدل
عليهما ما روي عن مجاهد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امراة فضلت على النساء بالحسن كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب
ومثله قال كعب الاحبار وغيره والله اعلم قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء
فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل
وقالا انا رايناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما
الله عز وجل بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع قال عطاء فبلغني انهما معلقان باجنحتهما
منكوسة رؤوسهما تحت اجنحتهما ببابل وروي عن عبد الله بن مسعود قال انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال
كذا من قدميهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ان جبا ملئت نارا فجعلا فيها وقيل معلقان منكسان في السلاسل وقيل

منكوسا

تسمى

منكوسان يضربان بسياط الحديد وروي ان رجلا اراد ان يتعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بارجلهما
مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله
مكانهما فقال لا اله الا الله وقد نهي عن ذكر الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال انا رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال من امة
محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل وبما استبشاركما
قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا قالوا ومن ثم استغفار الملائكة لبني آدم قوله ويتعلمون ما يضرهم في الآخرة ولا
ينفعهم لانهم يقصدون به الشر ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي اختاره ما تتلوا الشياطين اي السحر على
كتاب الله ما له في الآخرة من نصيب ولبئس ما شروا به اي باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله لو
كانوا يعلمون عاقبة ما يصيرون اليه من خسران حظهم من الآخرة اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون لانهم لا يعملون بالعلم فجعلوا حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه قوله تعالى ولو انهم آمنوا
واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ● لما بين فيهم الوعيد بقوله ولبئس ما شروا به انفسهم اتبعه بالوعد
جامعا بين الترهيب والترغيب كما هو عادته لان الجمع بينهما ادعى الى الطاعة وترك المعصية اي ولو ان اليهود الذين تقدم
ذكرهم آمنوا بمحمد الذي هو مصدق لما معهم وبكتاب الله الذي نبذوه وراء ظهورهم اي القرآن او التوراة واتقوا الله فيما
امر عليهم من نبذ كتابه واتباع ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم واختيار الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما في الاسمية من
الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما اختار الرفع على النصب في سلام عليكم كذلك وانما قال لمثوبة من عند الله ولم يقل
لمثوبة الله خير بيانا لان شيئا من الثواب من عند الله خير لهم مما جمع من النعم والملك ايا ما كان لعدد اليسير من الثواب في الآخرة
مع الدوام خير من كثير ثواب الدنيا مع الانقطاع فكيف وثواب الله كثير دائم ويجوز ان يكون لو هنا للتمني لايمانهم كانه قيل
وليتهم آمنوا لتبيينها من الله تعالى على انه لا ممكن بما نهيهم لان الله تعالى يريد الكفر منهم ثم لطلب المحالات التي يتمناه الانسان ثم ابتدا
لمثوبة من عند الله خير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم
● راعنا من المراعاة المراقبة وحفظ ما يكون من احوال الشيء يقال راعنا سمعك اي اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا
والعرب تقول ارعنا سمعك وارعنا سمعك بمعنى واحد كان المسلمون يقولون يا رسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله
اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت راعنا بلسان اليهود شيئا قبيحا فلما سمعوا يقول المؤمنين راعنا
لرسول الله اعجبتهم فكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخاطبونه بها ويعنون بها تلك المسبة ويضحكون فيما بينهم
فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل
منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالت اليهود اولستم تقولونها فانزل الله هذه الآية ونهوا عنها
وهذا النهي مختص بهذا الوقت قال الواحدي لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن وقولوا انظرنا اي انتظرنا يقال نظرت
فلانا اي انتظرته اي اصبر حتى نفهم منك ما تقول ويجوز ان يكون انظرنا انظر الينا فحذف الجار امروا ان يقولوا بدل راعنا انظرنا قوله
واسمعوا اي ما يقال لكم وما تؤمرون به سماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا اي واسمعوا
ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وللكافرين اي اليهود الذين
تهاونوا برسول الله عذاب اليم قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير
من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● ان المسلمين كانوا اذا قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا
بمحمد قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم ومعنى الآية ان ما
منهم وضعهم بما يوجب الحذر مما يودون اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين من العرب
ان ينزل عليكم من خير من ربكم فاعل ينزل خير ومن صلة مؤكدة لاستغراق الخير ومن في قوله من اهل الكتاب للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون ومن في قوله من خير مزيدة لاستغراق الخير لان خير نكرة واقعة في سياق النفي
مفيدة للاستغراق فدخول من فيه تفيد تاكيد الاستغراق ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالوحي والنبوة
من يشاء يقال اختصه بالشيء واختصه به اذا افرده به دون غيره والله ذو الفضل العظيم اشعارا بان الوحي والنبوة من الفضل العظيم
كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وفي جعل الذين كفروا فاعل ما يود وجعل كفروا صلة الذين وبيانه بقوله من اهل الكتاب
واقامة المظهر مقام المضمر اشعارا بان كلا منهم يدعوهم الى متابعة الحق لكن كفرهم يمنعهم وفيه ان الكفر شر كله لانه هو الذي
يورث الحسد ويحمل صاحبه على ان يبغض الخير ولا يحبه وان الايمان خير كله لانه هو الذي يحمل صاحبه على تفويض الامور كلها
الى الله تعالى واقامة الرحمة مقام ضمير المنزل من خير اشعارا بان تنزيل الوحي الذي هو الخير هو الرحمة كما ان رسالته محض الرحمة
كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واقامة لفظ الجلالة مقام ضمير ربكم وتعقيبه على قوله يختص ايذانا بان الله هو
جامع لصفات الالوهية يختص من يشاء برحمته لا غيره قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها
او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ● روي ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين طعنوا في القرآن فقالوا
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما هذا القرآن الا كلام محمد

يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام يناقض بعضه بعضا فنزلت هذه الآية وقرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين
والباقون ننسخ بفتح النون والسين قال صاحب الكشاف نسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان
يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها قال الواحدي اصل النسخ ابطال الشيء واقامة آخر مقامه يقول العرب
نسخت الشمس الظل اذا ذهبت به وحلت مكانه فهذا النسخ الى بدل لان الظل يزول ويبطل ويكون الشمس بدلا عنه وقد يكون
النسخ الى غير بدل وهو رفع الحكم وابطاله من غير ان يقيم له بدلا يقال نسخت الريح الاثار اي ابطلتها وازالتها والمعروف من
النسخ في القرآن ابطال الحكم مع اثبات الخط وهو ان يكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة الا ان المنسوخة
لا يعمل بها مثل عدة المتوفى عنها زوجها كانت سنة كقوله تعالى متاعا الى الحول غير اخراج ثم نسخت بقوله يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا وكقوله ان يكن منكم عشرون صابرون الآية ثم نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم الآية وننسخ بضم
النون من انسخ الآية اي وجدتها منسوخة كقولهم احمدت الرجل واكذبته واجبنته وابخلته اي وجدته على هذه الاخلاق
فيكون معنى قوله ننسخ نجده كذلك انسخه اياه واذا كان كذلك كانت القراءتان متفقتين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ
الثعلبي النسخ في اللغة التغيير والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فيقال ما فيه الى غيره قال انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اي نامر الملائكة بنسخها قال ابن عباس في هذه الآية [illegible]
فبهذا الوجه القرآن كله منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ [illegible] عن ابن عباس قال انزل الله القرآن جملة واحدة
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل به جبريل على محمد آية بعد آية والنسخ ايضا في اللغة رفع الشيء وابطاله يقال نسخت
الشمس الظل اي ذهبت به وابطلته واياه عنى بقوله ما ننسخ من آية وهذا الوجه على نوعين احدهما ان يكتب اللفظ ويرفع
الحكم وثانيهما ان يرفع الحكم واللفظ عن الكتاب وبعضها من قلوب الرجال ايضا يروى انه نزلت سورة [illegible] كانت تعدل سورة
فقام يقرأ من الليل فلم يقدر عليها وقام آخر يقرؤها فلم يقدر عليها فاصبحوا فاتوا رسول الله فقال بعضهم يا رسول الله
قمت البارحة لاقرأ سورة كذا وكذا فلم اقدر عليها فقال الآخر يا رسول الله ما جئت الا لذلك وقال الآخر وانا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نسخت البارحة او ننسها قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بضم النون وكسر
السين وابن كثير وابو عمرو بفتح النون والسين مهموزة من النسا بمعنى التاخير يقال نسأت الابل عن الحوض اي اخرتها
عنه ومعنى التاخير في الآية ان يؤخر التنزيل فلا ينزل ولا يعلم ولا يعمل به ولا يتلى والمعنى يؤخر الى وقت ثان فياتي بدلها
في الوقت المتقدم ثم يقوم مقامها قال الواحدي الانساء منقول من النسيان يقال نسي الشيء وانسيته الشيء اي جعلته
ينساه ومعنى الآية انا اذا رفعنا آية من جهة النسخ او الانساء لها اتينا بخير من الذي نرفعه باحد الوجهين النسخ والانساء
لها ومعنى بخير منها اي اصلح لمن تعبد بها وانفع لهم واسهل عليهم واكثر لاجرهم لا ان تكون آية خيرا من آية اخرى مثلها في النفع
والمثوبة بان يكون ثوابها اكثر او خيرا من قبلها والفائدة في ذلك ان يكون الناسخ اسهل في المأخذ من المنسوخ والايمان به
والناس اليه اسرع نحو القبلة التي كانت على جهة ثم حولت الى الكعبة فهذا وان كان السجود الى سائر النواحي متساويا
في العمل والثواب الذي امر الله به في ذلك الوقت كان الاصلح والادعى للعرب وغيرهم الى الاسلام قال صاحب الكشاف
ننسها اي نذهب بها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة
من ازالة لفظها وحكمها معا او عن احدهما الى بدل او غير بدل نأت باية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب
او مثلها في ذلك ما في قوله ما ننسخ شرطية ومحلها النصب وعاملها ننسخ وهو مجزوم بما ولا امتناع في كون كل منهما
عاملا ومعمولا بالنسبة الى الآخر لاختلاف الجهتين فان فعل الشرط عامل في اسم الشرط باعتبار تعلقه واسم الشرط عامل
في فعله باعتبار تضمنه حرف الشرط ونأت مجزوم لانه جواب الشرط واعلم ان النسخ في عرف علماء الشرع رفع الحكم الشرعي
بدليل شرعي متراخ فقوله رفع الحكم كالجنس يشمل النسخ وغيره وقوله الشرعي يخرج رفع براءة الذمة قبل الشرع الوارد
منها بالمباح الذي ثبت بالاصل لان براءة الذمة قبل الشرع ليست بحكم شرعي لان العقل حكم بانتفاء شغل الذمة عند
انتفاء الشرع وقوله بدليل شرعي يخرج رفع الحكم الشرعي بالنوم والغفلة فان رفع وجوب الصلاة عن النائم والغافل لم
والغفلة فقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث لا يقتضي ان يكون رفع الحكم عنهما بدليل شرعي فانه يدل على ان
مولى النوم والغفلة لا انه هذا القول هو الرافع وقوله متراخ يخرج الحكم الشرعي بالمتصل متصلا كما اذا قيل اقتلوا المشركين
ولا تقتلوا اهل الذمة او غير مستقر كالرفع بالاستثناء كما اذا قيل صوموا هذا الشهر الا اليوم العاشر منه وكالرفع بالغاية
مثل صل الى آخر الشهر وكالرفع بالشرط مثل صل ان كنت صحيحا واراد برفع الحكم الشرعي رفع الحكم المتعلق بفعل المكلف
التعلق التنجيزي فلا يرد ان الحكم قديم والقديم لا يرتفع لان الحكم بهذا المعنى لم يكن ثم حدث لان الحكم بهذا المعنى مشروط بامكان
الاستماع وتكليف العاقل والتعلق حادث والفرق بين التخصيص والنسخ ان التخصيص يفيد عدم ارادة المخرج من العام في الاصل
والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستمر وان التخصيص غير مشروط بالتراخي بخلاف النسخ وان التخصيص غير مشروط
بالنص بخلاف النسخ واجماع المسلمين على جواز النسخ ووقوعه وخالفه اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني في الوقوع
وانعقاد الاجماع على الوقوع مع مخالفة ابي مسلم محمول على ان الاجماع ليس بصريح [illegible] او على ان مخالفته الواحد
لا تخل بالاجماع تمسك اليهود في استحالة النسخ بشبهة منها ان الله تعالى اما ان يكون عالما باستمرار الحكم الى وقت النسخ فينتهي الحكم بنفسه
فلا رفع فلا نسخ وان كان عالما باستمرار الحكم المنسوخ ابدا فلا نسخ والا يلزم خلاف ما علم الله اجيب باختيار الشق الاول
فانه تعالى عالم باستمرار الحكم الى النسخ وعالم برفع الحكم بالنسخ وعالم بانه لولا طريان النسخ لاستمر حكمه ومنها انه لو نسخت

موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض والقدح باطل لان موسى رسول صادق
بالاتفاق بان الذين رووا ان قوله يدل على شريعة مؤبدة عليكم فلو نسخت بطل قوله اجيب بان هذا القول مفترى افتراه ابن الراوندي
ليعارض دعوى الرسالة من نبينا صلى الله عليه وسلم والحال انه لو كان صحيحا عندهم لعارضوا العادة بذكرهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنها انه لو نسخ لحكمة ظهرت لم تكن ظاهرة له قبل النسخ يلزم البداء الا ظهور ما لم يكن ظاهرا وان لم يكن لحكمة فيلزم
يلزم العبث اجيب بان هذه الشبهة مبنية على اعتبار المصلحة والحكمة وهو قاعدة الحسن والقبح العقليين وهي باطلة وعلى
تقدير التسليم فالمصالح تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء في وقت او حال ومضرته في آخر واحتج على الجواز
بانا نقطع انه لا يستحيل على الله تعالى ان يامر عباده بفعل في وقت ويرفعه عنهم وان اعتبرت المصالح كما هو مذهب المعتزلة فالجواز ايضا
ثابت للقطع بان المصلحة قد تختلف بالاوقات كما تختلف بالاشخاص وايضا قد ثبت في التوراة ان الله تعالى امر آدم بتزويج بناته
من بنيه وقد حرم ذلك بعده بالاتفاق واحتج على الوقوع باجماع الصحابة على ان شريعتنا ناسخة لكل شريعة تخالفها وبان وجوب التوجه
الى بيت المقدس منسوخ بوجوب التوجه الى الكعبة وبان وصية الوالدين والاقربين منسوخة باية المواريث وذلك كثير كنسخ تقديم
الصدقة بين يدي الرسول على مناجاته وكنسخ صوم عاشوراء واختلف العلماء في جواز النسخ قبل وقت الفعل والمختار جواز النسخ
قبل وقت الفعل والمختار جوازه خلافا للصيرفي والمعتزلة مثل ان يقول حجوا هذه السنة ثم يقول قبل الحج لا تحجوا واحتج عليه
بانه ثبت ان التكليف يتوجه قبل المباشرة فوجب جواز رفع التكليف الثابت قبل الفعل بالناسخ كما جاز رفعه بالموت وبان
كل نسخ كذلك اي تكليف قبل وقت الفعل لان النسخ رفع التكليف والرفع لا يكون الا قبل الفعل لان التكليف بعد الفعل مستحيل
وبعده ممتنع احتجت المعتزلة بان المكلف ان كان مامورا بالفعل في وقته فلو نسخ في ذلك الوقت لزم توارد النفي والاثبات
على شيء واحد في زمان واحد وهو محال وان لم يكن مامورا به في ذلك الوقت فلا نسخ اجيب بانه لم يكن مامورا به في ذلك الوقت
لوجود الناسخ فيه بل كان مامورا به قبله وانقطع التكليف عنه بدخول وقته بالناسخ كما ينقطع التكليف عند الموت ذهب
اكثر الاصوليين الى جواز نسخ الامر المقيد بالتابيد مثل صوموا ابدا بخلاف الخبر المقيد بالتابيد مثل الصوم واجب مستمر
ابدا فان اكثرهم على انه لا يجوز نسخه لانه يوهم التناقض واحتج على جواز الاول بان قوله صوموا ابدا لا يزيد في الدلالة على تعيين
الوقت والتنصيص عليه على قوله صم غدا ثم نسخ قبل دخول الغد لما ذكر وكما جاز نسخ قوله صم غدا قبل دخول الغد فكذلك
جاز نسخ قوله صوموا ابدا قيل الامر المقيد بالتابيد يوجب التناقض لان صيغته التابيد يقتضي الايجاب ابدا ونسخه
يقتضي عدم الايجاب في بعض الاوقات فيتناقض اجيب بانه لا منافاة بين ايجاب صوم غد وبين انقطاع التكليف قبل الغد
بالناسخ كانقطاع التكليف قبل الغد بالموت ذهب اكثر الاصوليين الى جواز نسخ الحكم من غير بدل والدليل عليه ان الحكم
ان تبع المصالح فيجوز نسخه بلا بدل لان مصلحة المكلف قد تكون في رفع التكليف عنه من غير بدل وان لم يتبع المصالح فجوازه
اظهر لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ايضا وقد نسخ وجوب الامساك بعد الفطر ونسخ تحريم ادخار لحوم الاضاحي من غير بدل
والوقوع دليل الجواز المانعون من جواز النسخ بلا بدل قالوا قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها يدل على عدم جواز
نسخ الحكم بلا بدل اجيب بانه غير محل النزاع فان الخلاف في جواز نسخ الحكم بلا بدل لا في اللفظ والآية تدل على الاتيان ببدل
في نسخ اللفظ لان الضمير يرجع الى الآية والآية لفظ ولئن سلم ان هذه الآية تتناول نسخ الحكم ايضا لكن مخصص الحكم بما
ذكرنا من الصور ولئن سلم بقاؤها على العموم لكن الآية تدل على عدم النسخ بدون الاتيان بما هو خير والنسخ بلا بدل خير
من لغا الحكم لمصلحة يعلمها الله تعالى ولئن سلم ان الآية تدل على ان النسخ لا يقع بدون بدل لا نسلم انه لا يجوز فان عدم
الوقوع لا يقتضي عدم الجواز احتج القائلون بوقوع النسخ بهذه الآية وقد اجيب عنه بهذا الجواب واحتج القائلون بالجواز
بما ورد بان صدق الشرطية لا يقتضي جواز الطرفين كما في قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فهذا حجة
المنكرين للجواز كاليهود فلا يحتج بها عليهم احتج القائلون بعدم جواز النسخ بلا بدل بهذه الآية بيانه ان بدل المنسوخ
يجب ان يكون خيرا من المنسوخ او مثله والاثقل لا يكون خيرا ولا مثلا اجيب بان خير المكلف باعتبار الثواب وذهب
الجمهور الى جواز نسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس ونسخهما معا والدليل على جواز نسخ التلاوة الوقوع اما الاول
فلما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال كان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وقد نسخ تلاوته ولم ينسخ حكمه
واما الثاني فلان قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول قد نسخ حكمه دون
التلاوة واما الثالث فلما روي عن عائشة انها قالت كان فيما انزل عشر رضعات محرمات فنسخن بخمس وقد كان منسوخ
التلاوة ايضا بلا شبهة ان منسوخ التلاوة يجوز مسه للمحدث ويجوز نسخ تكليفنا بالاخبار عن شيء بتكليفنا بالاخبار عن
نقيضه خلافا للمعتزلة مثل ان كلفنا بالاخبار عن وجود زيد ثم كلفنا بالاخبار عن عدمه واما مدلول الخبر فان كان مما لا يتغير
فنسخه باطل مثل الوحدانية وكونه سميعا بصيرا وان كان مما يتغير فنسخه باطل على المختار خلافا لبعض المعتزلة كايمان زيد
وكفره واستدل المجوزون لجواز نسخ مدلول الخبر اذا كان حكما مثل انتم مامورون بصوم كذا ثم نسخ بخلاف المجوزين
والمانعين لان هذا الخبر بمعنى الامر نحو والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فيجوز نسخه عند المانعين ايضا ولا يكون
نسخا لمدلول الخبر بل لمدلول الامر فارتفع الخلاف بينهم ويجوز نسخ القرآن بالقرآن كنسخ العدة بالحول بالعدة باربعة
اشهر وعشر وذهب الجمهور الى جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة ومنع الشافعي جوازه حجة الجمهور بالجواز نسخ القرآن
بالسنة المتواترة ومنع الشافعي جوازه حجة الجمهور ان كلا من القرآن والخبر المتواتر من الله تعالى فلا يمتنع نسخ احدهما بالآخر
لمنافاته ولا لغيره اذ الاصل عدمه حجة الشافعي ان الناسخ لا بد ان يكون خيرا من المنسوخ او مثله لقوله تعالى نأت بخير منها او مثلها

والسنة ليست بخير من القرآن ولا بمثل له وايضا قال تعالى نأت بخير منها او مثلها والضمير في نأت لله تعالى فيكون الآتي بالناسخ
هو الله تعالى اجاب الجمهور عن الاول ان المراد بالنسخ في الاية نسخ الحكم لا اللفظ لان القرآن لا تفاضل فيه بحسب اللفظ
ويجوز ان يكون حكم السنة خيرا من حكم القرآن ومثلا له لانه يجوز ان يكون حكم السنة اصلح للمكلف من حكم القرآن او مثلا له
وعن الثاني انه يصح اطلاق نأت على ما اتى به الرسول عليه السلام لان ما اتى به الرسول ايضا من عند الله لقوله تعالى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقائل ان يقول لو كان المراد بالنسخ هو نسخ الحكم لا اللفظ خلاف الظاهر فان الاية
فيها لفظ وحكم تخصيصها بالحكم تخصيص بلا مخصص على ان الاية ورودها في شأن اهل الكتاب عند ودادهم ان لا ينزل
تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب فينسخ به كتابهم لفظا وحكما ورد الله لما حصل به تمنيهم وانه هو الذي
من تلقاء نفسه بشهادة سبب النزول ويدل عليه قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
من خير من ربكم وانه لو صح اطلاق نأت على ما اتى به الرسول لم يرد ولان الضمائر في ننسخ وننسها ونأت دالة على تعظيم
الفاعل ومنادية على جلالته واستبداده بما فعله بحيث لا يحتاج الى الغير مع انه خلاف الظاهر معوت المطلوب وان ضمير الخطاب في قوله
الم تعلم اذ لم يخص بالنبي او عم والاستفهام المفيد للتقرير بناء على اشتراكه في تلك الضمائر وكذا وضع المظهر موضع المضمر تخصيصه
باسم الذات مكررا والاستدلال بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ضعيف لان الكلام هنا في المنزل لان
الكفار كانوا ينسبونه الى الجن ويسمون قائله مجنونا ويدل عليه قوله علمه شديد القوى قوله الم تعلم ان الله على كل شيء
قدير على النسخ والتبديل وعلى الخير وعلى مثله قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ● استفهام على سبيل التقرير للملك بتمام القدرة واستحكامها والمعنى ان مالك
السموات والارض ومن فيهن ويدبرها ويجريها على وفق مشيئته وارادته فهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ والولي
فعيل بمعنى فاعل يقال هو ولي الامر ووليه اي القائم به والمعنى ما لكم من دون الله وال يلي امركم ولا نصير يمنعكم من العذاب
قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل قيل المخاطبون في هذه الاية المسلمون ويدل على ذلك قوله في اخر الاية ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا انما
يصح في حق المسلمين وعن ابن عباس ان المخاطبين اهل مكة قال ان عبد الله بن امية المخزومي ورهطا من قريش قالوا
يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة وفجر الانهار خلالها تفجيرا نؤمن بك وقال مجاهد لما قالت قريش
هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهي كالمائدة لبني اسرائيل ان لم تؤمنوا عذبتم فابوا ورجعوا وقيل ان عبد الله
بن امية المخزومي قال للنبي بكتاب من السماء فيه من رب العالمين الى ابن امية اعلم اني قد ارسلت محمدا الى الناس وقيل
انها نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة فان هذه السورة مدنية ويصدقه
هذا قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك ووجه اتصالها
بما قبلها انه لما بين لهم انه مالك الامور ومدبرها على حسب مشيئته اراد ان يوصيهم بالثقة فيما يتعبدهم به وينزله
عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم
اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وذلك وام منقطعة معناه بل اتريدون فهو استفهام منقطع بما قبله قال الزجاج
معنى الاية انهم نهوا ان يسألوا رسول الله ما لا خير لهم في السؤال عنه والسؤال بعد قيام البراهين كفر كذلك ومن
يتبدل الكفر بالايمان اي ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي ذهب
عن الاستقامة والضلال الذهاب وسواء السبيل وسطه قوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان
الله على كل شيء قدير ● نزلت هذه الاية في نفر من اليهود منهم فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس وذلك انهم
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا
فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت
الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه
بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي تمنى واراد كثير من اهل الكتاب لا جميعهم لان من آمن منهم قبل
كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار لو يردونكم يا معشر المؤمنين كفارا حسدا من عند انفسهم يجوز ان يكون من عند
انفسهم متعلقا بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل
التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وان يكون متعلقا
بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم اي هذا الحسد مذهب لهم لم تؤمروا به من بعد ما تبين لهم الحق في التوراة
ان قول محمد صدق ودينه حق فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يساوي كلا منهم من غل قلوبهم
حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية عليهم وقال قتادة
يأمر بالقتال في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الى قوله وهم صاغرون قوله تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير ● لما امر الله تعالى المؤمنين بالعفو والصفح
عن اليهود عقبه بالامر بالصلاة والزكاة تنبيها على انه كما الزمهم صلاح غيرهم بالعفو والصفح لزمهم صلاح انفسهم

باقامة

باقامة الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين تجدوا ثوابه عند الله وقيل المراد بالخير المال كقوله عز وجل ان ترك خيرا تجدوا له
التمرة واللقمة في الاخرة مثل احد ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الاعمال لا يضيع عنده عمل عامل
وهذا ترغيب في العمل الصالح والخير وتحذير من خلافه في العمل السيء والشر في الحديث اذا مات العبد قال الناس ما خلف
قالت الملائكة ما قدم عن انس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي بن ابي طالب
عليه السلام الدار وانشأ يقول لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل وان افتقادي
فاطما بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل يريد الفتى ان لا يفارق اهله وليس الى ما يبتغيه سبيل
ثم دخل المقابر فقال السلام عليكم يا اهل القبور اموالكم قسمت ودوركم سكنت ونساؤكم نكحت هذا خبر ما عندنا
فما خبر ما عندكم فهتف هاتف وعليكم السلام ما اكلنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا قوله تعالى
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله
وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● اي وقال اهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد
الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا
اي تابوا من عبادة العجل قال الفراء اراد يهودا فحذف الياء الزائدة وقال الاخفش الهود جمع هائد كعائذ وعوذ من الفتيان(؟) والاولاد
والحائل الحديثة النتاج توصف بذلك عشرة ايام من وقت نتاجها او خمسة عشر وحائل وحول كبازل وبزل ووحد قوله
الا من كان هودا ووحد الاسم حملا على لفظ من وجمع الخبر حملا على معناه تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة تلك اشارة الى
الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم
اي تلك الاماني الباطلة المذكورة امانيهم ولا يكون اشارة الى قوله لن يدخل الجنة وحده لان تلك الامنية
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه ويعني المثال
لعظم شأنها وقيل الامنية الواحدة جمعت اشعارا بانها بلغت منهم كل مبلغ كما قالوا معا جياعا فجمعت لزيادة تاكيدا لواحد
زيادة على نظرائه وقيل انما جمع ليدل على تردد الامنية في نفوسهم وتكررها فصيرها في حقيقة وقيل ان الاماني هي الاباطيل
والاقاويل وهذه الجملة اعتراض لان ذلك نفت دخول غيرهم الجنة وادعى النصارى الجنة وهي اباطيل واقاويل قوله تلك امانيهم اعتراض
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة قل هاتوا برهانكم اي هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول
الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين ودليل على ان كل قول لا برهان عليه فهو باطل قيل هاتوا
اصله آتوا قلبت الهمزة هاء وقيل هات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر ثم قال تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم بلى اي ليس كما قالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى بلى من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وقيل اخلص دينه لله وقيل فوض
امره الى الله وقيل تواضع لله واصل الاسلام الاستسلام والخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود
لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن في عمله وهو ان يعمل كانه يرى الله فان لم يكن يراه فانه يراه وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص فله
اجره الذي وعده الله لا الاجر الذي يستوجبه كما قال صاحب الكشاف فان الاجر على العبادات بمقتضى وعد لا باستحقاقها
لا يقال ان دخول الفاء في قوله فله اجره يدل على ان حصول الاجر له انما هو باستحقاق سلام الوجه لله على وجه الاحسان لانا
نقول لما كان وعد الله تعالى لا يخلف صار الموعود بسبب الجزم بوقوعه بمثابة المسبب الذي يمتنع انفكاكه عن السبب فاستعمل
استعمال المسبب مجازا لا يقال العدول عن الظاهر فلا يصار اليه لان الاصل عدمه لانا نقول يصار اليه اذا دل دليل
صارف عن الظاهر وههنا قد دل الدليل عليه يقتضي صرفه عن الظاهر وههنا قد دل الدليل عليه وهو الدليل الدال على
ان حصول الاجر على الطاعة لا باستحقاقها اياه بل بمقتضى وعد وقوله من اسلم مبتدأ ويكون من متضمنا معنى الشرط
وجوابه فله اجره ويكون جوابا عن سؤال مقدر بيانه ان اهل الكتاب لما نفوا دخول الجنة عن غيرهم واثبتوا لانفسهم قيل لهم
هذا القول الباطل بلى اي ليس الامر كما زعمتم ثم استأنف القول الحق فقيل من اسلم وجهه لله وهو محسن
فله اجره عند ربه يعني الجنة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما
معطوفا على يدخلها من اسلم بيانه ان اهل الكتاب لما ادعوا انهم يدخلون الجنة وان غيرهم لا يدخلونها حيث بنوا كلامهم
على النفي والاثبات المفيد للحصر فقيل لهم بلى يدخل غيركم ولما اريد ان يطلعهم على خطأهم في تلك المقالة على وجه يبعثهم
على التفكر وتوخي الصواب ويرشد غيرهم الى تحري ما به يفوزون بالفلاح عاجلا واجلا قال من اسلم وجهه لله وهو محسن
اي يدخل الجنة من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره واجتنب الشرك الجلي والخفي عقيدة وعملا وتوافق ظاهره مع باطنه
اخلاصا واحسانا كائنا من كان فاذا نظر الناظرون في هذا الكلام الذي سلك فيه طريق الانصاف وتفكروا في حال
انفسهم وما هم فيه من سوء الاعتقاد والاعمال والاقوال وحال المؤمنين واخلاصهم لله ظاهرا وباطنا وصدقهم
في المقال اذعنوا للحق ان شاء الله ثم انه تعالى ما اكتفى بهذا القدر من الجواب بل ضم اليه على وجه التعميم قوله فله اجره عند
ربه فاطلق الاجر ليشمل ما لا يدخل تحت الوصف وجعله من عند مالكهم ومدبر امرهم الرؤوف الرحيم واردفه بما يتجلى من
حصول الامر التام عاجلا واجلا فقال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ● لما وقع من قدح اهل الكتاب في غيرهم اتبعه بما يختص بهم وبما بينهم من القدح فيهم

واخرى الأول فضلهم وفيهن ونزلت هذه الآية في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت لهم اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت لهم النصارى ما انتم على شيء وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة قال صاحب الكشاف لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق
لفظ الشيء على ما عليه اليهود او النصارى فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء قيل
لا يصح قول صاحب الكشاف على مذهب اهل السنة ولا المعتزلة لان الاباطيل التي يستحيل وجودها لا تسمى شيئا
اتفاقا اعلم ان اهل السنة يقولون المعدوم ليس بشيء في الخارج اي ليس له ثبوت في الخارج والمعتزلة يقولون المعدوم
الممكن شيء في الخارج اي ثابت فيه واتفقوا على ان المحال ليس بثابت في الخارج ولا يقولون ان المحال والمعدوم لا يسمى شيئا فان
المحال والمعدوم يحكم عليهما وكل ما يحكم عليه يكون متصورا لامتناع الحكم على ما لا يتصور اصلا واذا كان كذلك يصح اطلاق
اسم الشيء عليه لا يكون منافيا لما ذهب اهل السنة والمعتزلة قوله وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل
واحد من الكتابين مصدق للآخر شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا فدل بهذا
على ضلالهم ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الانكار لدين الله من مشركي العرب وغيرهم فقال كذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم اي مثل ذلك القول الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام
والمعطلة ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فعلى ما في
الكشاف قوله كذلك في موضع رفع بالابتداء والجملة بعده اي قوله قال الذين لا يعلمون خبره والضمير العائد الى الابتداء محذوف
اي قاله الذين لا يعلمون ومثل قولهم صفة مصدر محذوف او مفعول ليعلمون والمعنى مثل قول اليهود والنصارى قال الذين
لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى ويجوز ان يكون الكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف منصوب بقال او هو مصدر مقدم
على الفعل التقدير قولا مثل قول اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون فعلى هذا مثل قولهم منصوب بيعلمون على انه مفعول به وفي
التشبيه مبالغة نحو قوله تعالى انما البيع مثل الربا وقيل الذين لا يعلمون آباؤهم الذين مضوا وقال مقاتل الذين لا يعلمون مشركو العرب
كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ونقل عن عطاء انه قال الذين لا يعلمون امم قبل اليهود والنصارى
مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في نبيهم انه ليس على شيء قوله فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى
خصص اليهود والنصارى لان المراد توبيخهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم شيئا فالواجب تهديدهم
والدليل عليه السياق قوله تعالى فالله يحكم بينهم وانما ذكر لا يعلمون على مثل قولهم يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي وعدهم به وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله
ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب
عظيم ● قال ابن عباس نزلت هذه الآية في طيطوس الرومي واصحابه من النصارى وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا
مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان
خرابا الى ان بناه المسلمون في ايام عمر بن الخطاب وقال قتادة والسدي هو بختنصر واصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس

[illegible]

ان يطلبوا

ان يطلبوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح ان الله ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين
ويروى انه لا يدخل بيت المقدس من النصارى احد الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا
وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت
عريان وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة مطلقا ولم يجوزه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره وقيل ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين خبر في معنى النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه اي ينبغي ان نمنعهم
بالقتال حتى لا يدخلها احد منهم الا خائفا من القتل والسبي كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله قوله لهم في الدنيا خزي اي هوان وعذاب
اي وقال قتادة هو القتل للحربي والجزية للذمي وقيل فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية قال السدي اذا قام
المهدي فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو النار روي عن
ابي هريرة قال لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن المؤذنون فيها ويقسم المال فيها بالترسة فيقبلون بالكثير
اموالهم اما الناس فطرفينا هم كذلك اذا اتاهم صريخ ان الدجال قد خلفكم في اهليكم فيلقون ما في ايديهم ويخرجون فيقاتلونه
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ● اختلفوا في سبب نزول هذه الآية
فالاكثرون انها نزلت في امر يختص بالصلوة والاقلون انها نزلت فيما لا يتعلق بالصلاة والاولون فرقوا ما المروي عن الصحابة
والتابعين ثم اختلف هؤلاء فذهب فريق الى ان تعالى اراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فبين تعالى
ان المشرق والمغرب وجميع الاقطار والجهات مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم الله باستقباله فهو القبلة لان القبلة
ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة فان جعل الكعبة قبلة فلا تنكروا ذلك لانه يدبر عباده كيف يشاء فانه تعالى
واسع الرحمة عليم بالمصالح وكانه تعالى ذكر ذلك بيانا لجواز نسخ القبلة من جانب الى جانب آخر فيصير ذلك مقدمة لما كان
يبين بعده من نسخ القبلة وقال ابن عباس لما تحولت القبلة من بيت المقدس انكرت اليهود ذلك فنزلت الآية ردا
عليهم وقيل ان اليهود والنصارى كل واحد منهم قال ان الجنة له لا لغيره فرد الله عليهم بهذه الآية لان اليهود انما استقبلوا
بيت المقدس لانهم اعتقدوا ان الله تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هناك على ما حكى
الله ذلك في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما معبوده بالحلول في المكان ومن كان
كذلك فهو مخلوق لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة فهم لا يفرقون بين الخالق والمخلوق وقال قتادة ان الله تعالى نسخ بيت المقدس
بالتخيير الى اي جهة شاء بهذه الآية فكان للمسلمين ان يتوجهوا الى حيث شاؤوا في الصلاة الا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يختار التوجه الى بيت المقدس مع انه كان له ان يتوجه حيث شاء ثم نسخ ذلك بتعيين الكعبة فان لهم ان يستقبلوا من اي
جهة شاء وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا
ولم نعرف القبلة فجعل الرجل ياخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما اصبحنا اذا نحن صلينا الى غير القبلة فقلنا يا رسول الله
لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل الله تعالى هذه الآية وهذا الحديث يدل على انهم كانوا قد تحولوا الى الكعبة لان
القتال لم يكن قبل الهجرة وبعد تحويل القبلة وقال ابن عمر نزلت هذه الآية في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته
تطوعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته متوجها من مكة الى المدينة وقال عكرمة نزلت في تحويل
القبلة لما حولت الى الكعبة انزل الله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا وجوهكم ايها المؤمنون في سفركم وحضركم
فثم وجه الله اي جهة الله التي وجهكم اليها فاستقبلوها يعني الكعبة وقال ابو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة
عير اليهود المؤمنين في انصرافهم من بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الآية حجة لهم وقال عطاء وقتادة نزلت في النجاشي
توفي فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا عليه فقال الصحابة يا رسول الله كيف نصلي على رجل مات وهو الى غير قبلتنا وكان النجاشي يصلي الى بيت المقدس
حتى مات فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد والحسن والضحاك لما انزل قوله تعالى ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت
ولله المشرق والمغرب مكانا وخلقا فاينما تولوا اي تحولوا وجوهكم فثم وجه الله قال الكلبي والقتيبي معناه فثم الله يعلم ويرى
والوجه صلة كقوله تعالى يريدون وجهه اي يريدونه بالدعاء وقوله كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو وقوله ويبقى وجه ربك
اي يبقى ربك وقوله انما نطعمكم لوجه الله وقال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة ومقاتل فثم قبلة الله اضافها
الى نفسه تخصيصا وتفضيلا كما يقال رسول الله وناقة الله والوجه والجهة القبلة ان الله واسع المغفرة لا يتعاظمه
مغفرة ذنب والواسع الغني يعطي من سعة اي من غنى قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته وقال الفراء الواسع
الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء وقيل الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء قال الله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض
اي علمه عليم بنياتهم حيثما صلوا قال بعض السلف دخلت دير النجاء وقت الصلاة فقلت لبعض من في الدير من النصارى دلني
على بقعة طاهرة اصلي فيها فقال الحظيرة قلت ما سواه وحيث شئت ... والاقرب انها لما حولت القبلة
الى الكعبة كان اليهود يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم الى الكعبة ويسعون في تخريب الكعبة بان يحملوا بعض الكفار
على تخريبها وسعوا ايضا في تخريب مسجد الرسول ليعطلوا ... ذلك يعني لعمري اظلم ممن منع مساجد الله الآية ثم وسع
الامر وبشر عليهم بهذه الآية اي لله المشرق والمغرب كلها لله هو يحكم فيها فاينما تولوا فيها اي مكان فعلتم التولية
اي تولية وجوهكم شطر الكعبة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا

تصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وتفعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إمكانها
في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات
والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ۝ هذا من قبائح أفعال اليهود
والنصارى والمشركين قرأ ابن عامر قالوا بغير واو على الاستيناف كأنه سائل سأل هل انقطع حبل افترائهم على الله أو
امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا أعظم من ذلك وهو نسبة الولد إلى الله سبحانه وقرأ الباقون وقالوا بالواو معطوفا على
قوله وقالت اليهود وضمير الجمع فيها عائد على اليهود والنصارى والمشركين فإن اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله
والمشركين قالوا الملائكة بنات الله وقوله سبحانه كلمة تنزيه نزه بها ذاته عما قالوه ثم احتج على هذا التنزيه بقوله بل له
ما في السموات والأرض هو خالقه ومالكه ومن جملته عزير والمسيح والملائكة كل له قانتون أي كل ما في السموات والأرض منقادون
له لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد تعريضا هذا المعنى هو أنه تعالى
عم جميع الخلق بقوله ما في السموات والأرض وإن كان سوق الكلام فيمن جعل لله ولدا لقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا
اتباعا لأولي العلم غير أولي العلم للاختلاط بأن عزيرا والمسيح والملائكة في غاية البعد عن معنى الربوبية وفي نهاية التذلل
إلى معنى العبودية إهانة لهم وتنبيها على إثبات مجانستهم للمخلوقات المنافية للربوبية ثم جمع بتغليب العقلاء على غيرهم في قوله كل له
قانتون إيذانا بأن كل ما في السموات والأرض في التسخير والانقياد بمنزلة المطيع المنقاد الذي يمتثل لا يتوقف عن
الأمر فعلى هذا كان القصد في الإيراد إلى من اتخذ ولدا من العقلاء انخرطوا في سلك هذا السلك انخراطا أوليا إيذانا
بأن من كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد ويجوز أن يراد بقوله كل له قانتون كل من جعلوه
ولدا لله له قانتون مطيعون خاضعون مقرون بالربوبية قائمون بالشهادة منكرون لما أضيف إليهم وحينئذ
لا يكون ما في السموات مما قبله بل يجري للعقلاء بإرادة الوصفية التي هي المملوكية والمخلوقية قال صاحب الكشاف
فإن قلت كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون الذي لأولي العلم قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا أي سبحان
الملك القادر الذي سخركن لنا بكمال ملكوته وتمام قدرته وعظمته فإنه ليس من شأنكن أن تكن مسخرات لغرض الدهاء والمكر
وكأنه جاء بما في قوله له ما في السموات دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
العلة سماهم جنة وهم ملائكة مكرمون لأنهم جعلوا بين الله وبين الجنة نسبا والفرق بين الوجهين أن التحقير في الأول
يعلم من قوله تعالى له ما في السموات بطريق الكناية والتسخير من قوله كل له قانتون كذلك وفي الثاني بطريق التصريح قوله بديع
قال الواحدي البديع الذي ابتدع الأشياء أي أحدثها بما لم يكن وبديع بمعنى مبدع قال أبو إسحاق الزجاج بديع السموات
والأرض منشئها على غير مثال وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه فقد أبدع ولهذا قيل لمن خالف السنة مبتدع لأنه أحدث في الإسلام
ما لم يسبق إليه السلف قال صاحب الكشاف يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع أي ظريف وحسن فهو
ظريف وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن
السميع في قول عمرو أمن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر لجواز أن يكون السميع في البيت بمعنى السامع على أنه
قوله وإذا قضى القضاء في الأصل القطع يقال قضى القاضي لفلان على كذا لأنه قطع للدعوى ولهذا يقال الحاكم فصل
إذا كان قاطعا للخصومات وحكى الأنباري عن أهل اللغة أنهم قالوا القاضي معناه القاطع للأمور وقولهم قضى حاجته
معناه القاطع للأمور وقولهم قضى حاجته معناه قطعها عن المحتاج ودفعها عنه والقضاء في القرآن يجيء على وجوه
أحدها بمعنى الخلق قال الله تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وثانيها بمعنى الأمر قال الله وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وثالثها بمعنى الإخبار قال الله تعالى وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب أي أخبرناهم ورابعها الفراغ قال الله فلما
قضي ولوا إلى قومهم منذرين يعني لما فرغ من ذلك وقال تعالى وقضي الأمر واستوت على الجودي يعني فرغ من هلاك الكفار
إذا عرف هذا فنقول قوله وإذا قضى أمرا أي قدره وأراد خلقه والمراد بالأمر هنا الفعل والشيء قوله فإنما يقول له كن فيكون
من كان التامة أي احدث فيحدث قرأ ابن عامر فيكون بالنصب جوابا للأمر بالفاء فظاهر اللفظ والباقون بالرفع
على يقول لهم مثله يوم يأتيهم العذاب فيقولوا أو بالاستيناف على معنى فهو يكون أي الكلام ثم عند قوله كن ثم قال فيكون
ما أراد الله قال صاحب الكشاف لا قول ثم أي حال الإيجاد كما لا قول في قول الشاعر إذ قالت الأنساع للبطن الحق
قدما فأضحى كالفنيق المحنق الأنساع جمع النسعة وهي التي تنسج عريضا للتصدير الحق أمر من لحق بالكسر لحوقا أي ضمر
البطن لاحقا الفنيق الفحل المكرم والمحنق من الحنق وهو الحقد قال الجوهري معنى قدما أي تقدم ولم ينثن يعني سريعا
بل هذا مجاز من الكلام وتمثيل أي وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وإنما المعنى أنه لما قضاه من الأمور وأراد كونه
يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون
منه الإباء فيفعل كما يمتثل ثم استعير لهذه الحالة التمثيلية في تلك الحالة فإذن لا قول ثمة أكد بهذا استبعاد
الولادة لأنه من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حالة مباينة لحال الأجسام في توالدها قوله تعالى وقال الذين
لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم
يوقنون ۝ قال الحسن وقتادة هم الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب قال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد
وقال مجاهد هم النصارى ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا
وقيل قال المشركون العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم لا نؤمن لك حتى يكلمنا الله أنك رسوله أو تأتينا آية مثل الآيات التي أتت

الرسل جحودا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم يعني كفار الأمم الخالية أعلم إن كفرهم
في التعنت بطلب الآيات على أنبيائهم ككفر الذين من قبلهم في قولهم لموسى أرنا الله جهرة وما أشبهه تشابهت قلوبهم أي
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والكفر والقسوة ومشاكلة الحال كقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قد بينا الآيات لقوم
يوقنون ويطلبون الحق يوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها أي المسلمين ومن لم يعاند من
اليهود لأن القرآن برهان كاف شاف قوله تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم
لما قال قد بينا الآيات لقوم يوقنون أوضح الآيات فقال إنا أرسلناك بالحق قال ابن عباس بالحق القرآن كقوله جاءهم الحق
وقوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان الحق هنا الإسلام ونحو قوله وقل جاء الحق وزهق الباطل والباء في قوله بالحق
بمعنى مع كقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والحق والصدق اعتبر فيهما مطابقته لما في نفس الأمر ومطابقة الشيء
من الجانبين أي كما أنه هنا مطابق لذلك الشيء ذاك الشيء مطابق له فإذا اعتبر مطابقته لما في نفس الأمر فهو الصدق وإن اعتبر مطابقة
ما في نفس الأمر له فهو الحق واعتبر في المرسل به مطابقة ما في نفس الأمر على معنى أنه الأصل في المطابقة مبالغة في حقيته
قوله بشيرا هو فعيل بمعنى فاعل من بشر يبشر بشرا أعني بشيرا ونذيرا أي منذرا بمعنى مخوفا محذرا كالبديع بمعنى المبدع أي أرسلناك
لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان فهو قصر إفراد وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه أي الكشف
عنه لأنه صلى الله عليه وسلم كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر قوله ولا تسأل قرأ نافع بضم التاء
والرفع على الخبر ونافع بفتح التاء والجزم على النهي أما الرفع فعلى وجهين أحدهما أنه استيناف كأنه قيل ولا نسألك يا محمد عن أصحاب
الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله تعالى فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وثانيهما أنه حال أي
أرسلناك غير مسؤول عن أصحاب الجحيم وأما الجزم فإما أن يجري النهي على ظاهره والمخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي نهي الله
لنا الرسول عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قبر أبويه فدله
عليهما فذهب إلى القبرين فقال ليت شعري ما فعل أبواي وتمنى أن يعرف حالهما في الآخرة فنزل ولا تسأل عن أصحاب الجحيم
وإما أن يكون النهي لتعظيم ما وقع فيه أصحاب الجحيم من العذاب كما يقول لك كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك
لا تسأل عنه والمخاطب كل من يتأتى منه السؤال ووجه التعظيم إما أن يكون المسؤول لجزعه أن يجري على لسانه
لشدة البلية التي هو فيها لفظاعتها فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره وإما أنك أيها السائل لا تقدر على استماع
خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل والجحيم النار الملتهبة العظيمة يقال جحمت النار تجحم جحوما فهي جاحمة وجحيم
قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم
بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ۝ قال المفسرون كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله
عليه وسلم الهدنة ويطمعونه ويرونه أنه إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه فأنزل الله هذه الآية وحكي عن ابن عباس هذا في القبلة
وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة
شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية اتصالها بما قبلها أنه لما بين في الآية المتقدمة
إصرارهم وتصميمهم على الكفر والتكذيب مع تبيين الآيات الدالة على حقية الإسلام ودين الإسلام عقب ذلك بأن يبلغ حالهم
في تشددهم وثباتهم على كفرهم أنهم لن يرضوا عنك إلا أن تتبع ملتهم أي كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في ابتغاء رضانا
حتى تتبع ملتنا أي ديننا حكى عنهم إقناطا لأنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم وكذلك قال
قل إن هدى الله هو الهدى على طريقة أجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق وهو الذي يصح
أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما يدعون إلى اتباعه ليس بهدى وإنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت
أهواءهم أي ملتهم أي هي هوى وبدع بعد الذي جاءك من العلم أي بأن دين الله الإسلام بالبراهين الصحيحة وأن القبلة
في الكعبة التي هي قبلة إبراهيم ما لك من الله من ولي ولا نصير أي معين يعصمك ويدفع عنك بل الله يعصمك من الناس إذا
على الطاعة والاعتصام بحبله وفي الآية مبالغات ودلالات على أمور أما المبالغات ففيها إضافة الهدى إلى الله تعالى
ومقارنته بأن وكناية بإعادة الحكم في الخبر على نحو أنا أبو النجم وشعري شعري وتسمية الدين الهدى الحقيقة جوابا عن قولهم
ملتنا وجعله مصدرا وتوسط ضمير الفصل وتعريف الخبر باللام الجنسية وأما الدلالات ففيها أن من علم الله منه أنه لا يفعل
الشيء يجوز أن يتوعده على فعله فإن الله علم أنه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم ومع ذلك فقد توعده عليه ومنها أن قوله
تعالى من بعد ما جاءك من العلم يدل على أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد نصب الأدلة وإذا صح ذلك فإنه لا يجوز الوعيد إلا بعد التمكن
أو المخيفة بقول من يجوز تكليف ما لا يطاق ومنها أن اتباع الهوى لا يكون إلا باطلا فيدل على بطلان التقليد قوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة وكانوا من أهل الكتاب آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقال الضحاك نزلت في مؤمني اليهود مثل عبد الله بن سلام وغيره لما ذكر المتعنتين الجاحدين الطالبين الرئاسة
ذكر أن منهم أهل الكتاب بغير تعنت ولا حاسدين لا طالبين رياسة يتلون الكتاب حق التلاوة لا يحرفونه عن مواضعه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ويتبعونه حق اتباعه
ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه أو [illegible] يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
بالكتاب من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي

أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون قد تقدم تفسيره قوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس
إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ○ لما استقصى الله تعالى في بيان وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم
بيان قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما به بدأ فهو قوله يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي إلى قوله ينصرون
شرع في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم وكيفية أحواله والسر فيه أن إبراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف
أهل الملل والمشركون فحكى الله عن إبراهيم أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود وعلى النصارى قبول الإيمان به والاعتراف برسالته
وقوله وإذ ابتلى الابتلاء الاختبار والامتحان قال صاحب الكشاف اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين
ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك يعني مكن الله تعالى إبراهيم من الفعل
والترك وأن يختار أيهما شاء فقوله ما يريد الله وما يشتهيه العبد على قاعدة الاعتزال من أن أفعال العباد باختيارهم وذكر
الفعل حسنا أراده الله تعالى وإن كان قبيحا لا يريده والابتلاء في الشاهد لاستفادة علم خفي على الممتحن من الممتحن وذلك
غير جائز في حق الله تعالى لأن الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها من الأزل إلى الأبد يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور وأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فالابتلاء من الله تعالى يعود إلى إعلامه لا إلى استعلامه
قيل الابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء الذي هو بمعنى إيصال المكروه لا من البلاء الذي هو الامتحان
فإن البلاء لغة يطلق على ثلاثة معان الامتحان وإيصال المكروه وإيصال النعمة وإبراهيم غير منصرف للعجمة والتعريف
ابن عامر إبراهام بالألف وقرأ الباقون بالفتحة الهاء بالياء والعامل في إذ إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلاه أو وإذ ابتلى كان
كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فعلى الأول موقعه استئناف كأنه قيل فماذا قال ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك
للناس إماما وعلى الوجه الثاني جملة معطوفة على ما قبلها فيكون قال في التقدير مقدما على إذ رتبة لأنه عامله
ومؤخرا عن حرف العطف والجملة معطوفة على جملة قبلها وهي قوله يا بني إسرائيل ويجوز أن يكون قال بيانا لقوله
ابتلى والعامل في إذ اذكر قوله بكلمات قيل إنها عشر خصال خمس في الرأس وخمس في الجسد فالتي في الرأس الفرق
والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك والتي في الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط
عن ابن عباس أوحى الله تعالى إلى إبراهيم يا خليلي تطهر فتمضمض فأوحى الله إليه أن تطهر فاستنشق فأوحى الله
إليه أن تطهر فاستاك فأوحى الله إليه أن تطهر فحلق عانته فأوحى الله إليه أن تطهر فنتف إبطه فأوحى الله إليه
أن تطهر فقلم أظفاره فأوحى الله إليه أن تطهر فأقبل بوجهه على جسده ينظر ماذا يصنع فاختتن بعد مائة وعشرين
سنة روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن
ثمانين سنة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه قال اختتن إبراهيم النبي بعدما هو ابن عشرين ومائة سنة
ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وكان ابن المسيب يقول كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف وأول من اختتن وأول من
قص شاربه وقلم أظفاره واستحد وأول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا فقال له هذا الوقار قال يا رب
زدني وقارا وقيل ابتلاه بثلاثين من شرائع الإسلام عشر في براءة وهي التائبون العابدون الآية وعشر في الأحزاب
إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك
الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف أي الوقوف بعرفة وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان
وذبح ولده والنار والهجرة وقيل هي الآيات التي بعدها في قوله إني جاعلك للناس إماما وتطهير البيت ورفع قواعد
والإسلام الذي هو قبل الأمة وقيل هي قوله إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت ربنا تقبل منا
بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل هو محاجة قومه قال الله تعالى وحاجه قومه إلى قوله وتلك
حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وقيل هي قوله الذي خلقني فهو يهدين إلى آخر الآيات وقيل إن الله ابتلاه في ماله وولده
ونفسه وقلبه فسلم ماله للضيفان وولده إلى القربان ونفسه إلى النيران وقلبه إلى الرحمن فاتخذه خليلا وقيل
هي سهام الإسلام وهي عشرة شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة والصلاة وهي الفطرة والزكاة وهي الطهرة والصوم وهي
الجنة والحج وهو الشريعة والغزو وهو النصرة والطاعة وهي العصمة والجماعة وهي الألفة والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهي
عن المنكر وهي الحجة قوله فأتمهن أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم
الذي وفى والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم أصله من أم القصد
قال إبراهيم ومن ذريتي عطف على الضمير المخاطب الذي أضيف إليه جاعل كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لمن
ذلك العطف تلقين كأنه تلقنه بأن يقول كذا كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا والذرية الأولاد الصغار مشتق
من الذر لكثرته وقيل من الذرء وهو الخلق فخفف الهمزة وأدخل التشديد عوضا عن الهمزة وموقعها على الاستيناف كأنه
قال فماذا قال إبراهيم حين قال له ربه إني جاعلك للناس إماما فقيل قال ومن ذريتي أي ماذا تقضي من ذريتي معطوفا قدر أنه
عن أن ترك الإمامة التي تفضلت بها علي وجعلتني أهلا لها فاجعل فيها بعض أولادي أئمة يقتدى بهم قوله قال
لا ينال عهدي الظالمين موقع قال أيضا على الاستيناف كأنه قيل فماذا قال الله حين قال إبراهيم ومن ذريتي فقيل قال
لا ينال عهدي الظالمين قيل العهد عهد الإمامة المذكورة فيما قبل أي من كان ظالما من ذريتك لا ينالها استخلافي وعهدي
إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم قالوا وفي هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة قال صاحب الكشاف وكيف

يصلح

يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته [illegible]

وفي سائر المساجد فلا يستوفى فيه ويخرج الجاني من المسجد الحرام وغيره من المساجد لأجل الاقتصاص وكان الرجل لو لقي
قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا توارثوه من دين إسمعيل فبقوا عليه إلى أيام النبي صلى الله عليه وسلم فاليوم
من أصاب في الحرم جريرة أقيم عليه الحد بالإجماع قوله واتخذوا قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر بلفظ الماضي وتوكيد
أن الذي قبله والذي بعده خبر على لفظ الماضي وهو قوله وجعلنا وعهدنا فيكون عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس
مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها والباقون بالكسر على الأمر على
إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب لا الوجوب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال له هذا مقام إبراهيم فقال عمر يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم قال بلى قال عمر
أفلا نتخذه مصلى [illegible] فلم
تغب الشمس حتى نزلت واتخذوا الآية وعن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام
إبراهيم مصلى فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين
بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم قال فدخلت عليهن
أستقريهن واحدة واحدة قلت والله لتكفن عن رسول الله أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على زينب
فقالت يا عمر أما كان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله عز وجل عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا
خيرا منكن الآية أمروا بالصلوة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله وقيل مصلى مدعى والمقام لغة موضع القدمين حين
يقوم عليه الإنسان ومقام إبراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدمي إبراهيم وعن أنس قال رأيت المقام فيه أصابعه وأخمص قدميه
والعقب غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت
سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت وعنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال أشهد بالله أشهد بالله أشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق
والمغرب وعن ابن عباس أنه قال ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا
مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأن إبراهيم قام
في هذه المواضع ودعا فيها وقيل يعني الحرم كله مقام إبراهيم وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أي أمرناهما ووصينا إليهما
بأن طهرا أي طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه للطائفين والعاكفين والركع
السجود لا يغشاه غيرهم قيل الطائفون من أهل الحرم والعاكفون أهل البلد والركع السجود أهل الصلوة وقيل إذا كان
طائفا فهو من الطائفين وإذا كان جالسا فهو من العاكفين وإذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز أن يراد بالعاكفين
الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن
القيام والركوع والسجود هيئات المصلي قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله
من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير

او اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا كل موضع من الارض عامر او غامر مسكون او خال بلد والمقطعة منه
بلدة آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم وعن ابن عباس يريد حرما محرما لا يصاد طيره
ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه قوله وارزق اهله من الثمرات اي انواع حمل الاشجار من اي نوع كان فاستجاب الله تعالى
دعاء ابرهيم عليه السلام في المسلمين جميعا وذكر المفسرون ان الله بعث جبريل الى الشام حتى اقتلع الطائف من موضع الاردن
ثم طاف بها حول الكعبة فسميت الطائف ثم انزلها تهامة فمنها يجبى الى مكة الثمرات قوله من آمن منهم بدل من اهله بدل
البعض عن الكل اي وارزق المؤمنين من اهله خاصة وانما خص ابرهيم المؤمنين بطلب الرزق لان الله تعالى ادبه بقوله لا ينال
عهدي الظالمين فتوهم انه كما لا ينال عهده الا اذا كانوا مؤمنين كذلك لا يرزق اهل مكة الا ان يكونوا مؤمنين فقال تعالى
ومن كفر وهو عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله
وسلامه عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح
للمرعي وابعد الناس من النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق
من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرأ
ابن عامر فامتعه بضم الالف وسكون الميم من الامتاع والباقون بالتشديد من التفعيل وعليه التنزيل كقوله يمتعكم متاعا
حسنا امتعناه متاع الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين وافعل قد يكون بمعنى فعل نحو فرحته وافرحته ونزلته وانزلته
ومعنى قليلا اي زمانا قليلا يعني مدة عمره وانما وصف بالقلة لنفاده وان طال قوله ثم اضطره اي الجئه واصل
الاضطرار عدم الامتناع عن الشيء قهرا الى عذاب النار الجاء لا يمكنه الامتناع منه وبئس الموضع عذاب النار قوله

قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ● يرفع حكاية
حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك
الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى
الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بالقواعد ساقات البناء فوق الحائط لان كل ساق قاعدة للذي
يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع ساقا فوق ساق فقد رفع الساقات ويجوز ان يكون
المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء قيل
خلق الله تعالى موضع البيت قبل الارض بالفي عام فكانت زبدة على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله
آدم كان رأسه يمس السماء حتى صلع واورث اولاده الصلع ونفرت من طوله دواب البر فصارت وحشا من يومئذ
وكان يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم فانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه فنقصه الله تعالى
الى ستين ذراعا بذراعه فلما فقد آدم ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسبيحهم شكا ذلك الى الله تعالى فانزل الله
تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من قناديل الجنة فوضعه على موضع
البيت الان ثم قال يا آدم اني اهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي وانزل عليه الحجر
الاسود ليمسح به تبركا وكان ابيض فلما لمسه الحيض في الجاهلية اسود فتوجه آدم من ارض الهند الى مكة ماشيا
وقيض الله له ملكا يدله على البيت قيل لمجاهد يا ابا الحجاج الا كان يركب قال واي شيء كان يحمله فوالله ان خطوه مسيرة
ثلثة ايام وكل موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعداه مفاوز وقفار فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته
الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند
الى مكة على رجليه فهذا بدو امر الكعبة حرسها الله تعالى فكانت كذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وبعث الله جبريل حتى
خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له عن الغرق وكان موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم ثم ان الله امر ابرهيم بعد ما ولد له
اسمعيل واسحاق فامر ببناء بيت يعبد الله ويذكر فيه فلم يدر ابرهيم اين يبني فسأل الله عز وجل ان يبين له موضعه
فبعث الله اليه السكينة تدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية فتبعها ابرهيم حتى اتيا مكة فتطوقت
السكينة على موضع البيت كتطوق الحية وامر ابرهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى وهذا القول يروى عن علي بن ابي طالب
وقال ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة تسير وابرهيم يمشي في ظلها الى ان وافت مكة ووقفت على موضع البيت
ونودي منها ان يا ابرهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص فبنى بحيالها وقال بعضهم ارسل الله جبريل ليدله على موضع
[illegible]

[illegible]
الى الركن وابو عمرو وطلب الخفة فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال يا ابرهيم عرفت قال
نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا اي تجاوز عنا وارجع علينا بالرأفة والرحمة انك انت التواب المتجاوز الراجع
بالرحمة على عباده الرحيم قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ● اي في الامة المسلمة رسولا من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر
الزمان فبعث الله فيهم محمدا قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك اي
يقرأ عليهم كتابك ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة اي الشريعة
وبيان الحلال والحرام والمواعظ وقيل العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل كل كلمة وعظتك او زجرتك
او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة وقيل الحكمة كل صواب من القول ورث فعلا صحيحا او حالا صحيحا وقيل
الحكمة جند من جنود الله يرسلها الله الى قلوب العارفين حتى يروح عنها وهج الدنيا وقيل وضع الاشياء مواضعها
وقيل كل ما وجب عليك فعله وقيل هي الاحكام والقضاء وقيل هي السنة ويزكيهم يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل
يأخذ زكوة اموالهم وقيل يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ من الشهادة قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا العزيز الذي ليس له مثل قال تعالى ليس كمثله شيء وقيل
المنتقم ممن يشاء قال تعالى والله عزيز ذو انتقام وقيل العزيز الغالب قال تعالى وعزني في الخطاب اي غلبني وقيل العزيز الذي
لا يعجزه شيء قال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وقيل العزيز المنيع الذي لا تناله الايدي ولا
[illegible] ولا يغلب فيما اراد قال تعالى [illegible] وقيل بمعنى المعز قال تعالى وتعز من تشاء وقيل هو القوي قال تعالى فعززنا
بثالث اي قوينا والاولى ان يحمل الحكمة وقوله ويزكيهم وقوله العزيز على جميع المعاني المذكورة فاستجاب الله تعالى دعاء ابرهيم وبعث
فيهم محمدا سيد الانبياء وخاتمهم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه
نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ●
روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله
تعالى ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم اي يترك دين ابرهيم
وشريعته يقال رغبت في الشيء اذا اردته ورغبت عنه اذا تركته واصل الرغبة رفع الهمة عن الشيء واليه يقال رغب فلان
اذا سمت نفسه اليه والاصل فيه السعة في الشيء والكره فمعناه يرفع نفسه عنها [illegible] ومن مبتدأ خبره
يرغب الا من نصب استثناء او رفع بدل من الضمير في يرغب وجاز البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد
الا زيد سفه نفسه امتهنها اي احتقرها واستخف بها لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في ازالة نفسه
وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه قال الزجاج معنى سفه نفسه جهل نفسه
ضمن سفه معنى الجهل لانه لازمه وعدي تعديته لانه من عبد حجرا او قمرا او شمسا فقد جهل نفسه لانه لم يعلم خالقها ولم يعلم
ان الله خلقها والعرب تضع سفه في موضع جهل ومنه الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس اي تستحقرهم ولا تراهم
شيئا ويؤيد هذا القول ما روي في الحديث من عرف نفسه عرف ربه فقيل في معناه انما يقع الناس في البدع والضلالة
لجهلهم انفسهم وظنوا انهم يملكون الضر والنفع دون الله وحكي عن ابي بكر الوراق انه قال في معنى هذا الحديث من عرف نفسه
مخلوقة مرزوقة بلا حول له ولا قوة عرف ربه خالقا رازقا بالحول والقوة وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام كيف عرفتني وكيف
عرفت نفسك فقال عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء وعرفت نفسي بالضعف والعجز والفناء قال الآن عرفتني اذا كان من عرف

نفسه عرف ربه وكان من جهل نفسه جهل ربه حتى يرغب عن ملة ابرهيم قيل رغبت عن ملة ابرهيم اليهود والنصارى واتخذوا اليهودية والنصرانية دينا بدعة ليست من الله وتركوا ملة ابرهيم وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه اي نقص فهو غبين اي ضعيف الراي والمراد وجاز تعريف المميز في شذوذ نحو ولا بفزارة الشعر الرقابا. الشعر جمع اشعر كثير الشعر والرقبة اوله. وما قومي بثعلبة بن بكر وثعلبة وفزارة قبيلتان وقوله اجب الظهر ليس له سنام وقوله وان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام ونمسك بعده بذناب عيش الشعر للنابغة يمدح النعمان بن المنذر ربيع الناس سبب طيب عيشهم والشهر الحرام الامن وذناب الوادي منتهاه وذناب الشيء بالكسر عقبه الاجب المقطوع السنام وافتقى بعد الممدوح في طرف عيش قد مضى صدره وخيره وبقي ذنبه وما لا خير فيه واستشهد بنصب الرقابا في البيت الاول والظهر في الثاني على التمييز فلم يجوز النصب في البيتين على التشبيه بالمفعول لا على التمييز كقولك الحسن الوجه وقيل نفسه تاكيد لقوله من الذي هو منصوب على الاستثناء كما يقال ما قام احد الا زيدا نفسه قوله ولقد اصطفيناه بيان لخطا راي من رغب عن ملة ابرهيم لان من اختاره تعالى للرسالة وجمع الكرامة عند الله في الدنيا بان كان صفوته وخيرته وفي الاخرة بان كان مشهودا له بالاستقامة في الخير وبانه من الصالحين لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه واصل الطائفة التاء لتخلل الطاء مخرجها ولتطويع اللسان بتقبل الذال وبالصالحين الفائزين لان الصالح في الاخرة فائز قوله اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت وانتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملته مثله قال ابن عباس ان ابرهيم لما خرج عن باب السرب يخرج منه فنظر الى الكواكب والقمر والشمس كما ذكر الله عنه في قوله فلما جن عليه الليل فقال له ربه اسلم اي اخلص دينك لله تعالى بالتوحيد او اسلم نفسك الى الله وفوض امرك اليه او انقد واطع او اخطر ببالك النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام قال اسلمت اي اخلصت بان لا اله الا الله بقلبه ولسانه وجوارحه وقيل اي نظرت فعرفت

قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

قرا نافع وابن عامر واوصى بالف مخففا والباقون بغير الف مشددا يقال وصى يوصي توصية ووصاه ويقال اوصيته بكذا ووصيته به اذا امرته وقيل ان لوصى لما امثلة من الكتاب مثال التشديد قوله فلا يستطيعون توصية وقوله ووصينا الانسان بوالديه ومثال المخفف قوله تعالى يوصيكم الله وقوله من بعد وصية توصون بها وقيل ووصى ابلغ من اوصى لان اوصى جاز ان يكون قال مرة واحدة ووصى لا يكون الا مرات كثيرة واصل الوصية الامر والتقدم الى الغير متصلا بوعظ ومنه تواصى النبات اتصل بعضه ببعض وارض واصية متصلة النبات وقيل التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وقصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لكلمة الاخلاص لا اله الا الله او بالوصية او بالطاعة كناية عن غير مذكور لفظا ولكن في حكم المذكور وقيل الضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه وذلك ان ابرهيم ومن بعده يعقوب وصيا اولادهما بلزوم التوحيد وقال لهم يا بني ان الله اصطفى لكم الدين قال ابن عباس يريد دين الاسلام الحنيفية يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر الهمزة بتقدير القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بفعل الاخبار ان الله اصطفى اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان يعني دين الاسلام ووفقكم للاخذ به لا تعدلوا بالله شيئا ولو نشرتم بالمناشير وقرضتم بالمقاريض وحرقتم بالنار قوله فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته قال صاحب الكشاف فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انها انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت الا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتقادا بسنته اظهارا لفضلها على غيرها وانما حقيقة بان يحث عليها

قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ●

نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فنزلت ام كنتم ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة فكانه قيل بل اكنتم شهداء اذنت بالاضراب عما قبلها والهمزة للانكار تدل على نفي ما بعدها اي ما كنتم شهداء والاضراب الاعراض عن الشيء بعد الاقبال عليه فان الله تعالى اخبر اولا ان ابرهيم ويعقوب وصيا بنيهما بالاسلام ثم اعرض عن هذا الخبر واقبل على الاستفهام تنبيها على ان الاستفهام على سبيل الانكار هنا ام فقال ام كنتم اي ما كنتم حاضرين والشهداء جمع الشهيد بمعنى الحاضر اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين

بمعنى

بمعنى بل ما شاهدتم ذلك انما حصل لكم العلم به من طريق الوحي اتشاهدونه لان المؤمنين كانوا يقولون ان ابرهيم حرض بنيه على التوحيد وملة الاسلام ويفتخرون بذلك وقيل الخطاب لليهود وعلى هذا القول ايضا ام منقطعة في الخبر لانه لما اخبر عن اكثر اعرض عن الاخبار واقبل على الاستفهام على سبيل الانكار لانه روي انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فقال تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فرد صاحب الكشاف هذا القول وقال انهم لو شهدوا يعقوب وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوا بنوه حين احتضر لعلموا على الاسلام ولم يقولوا انه وصى بنيه باليهودية فالآية منافية لقولهم لما ذكر فيها من قوله نعبد الهك واله ابائك فيمتنع انه قال ام كنتم شهداء انكارا عليهم فان الانكار عليهم انما يصح لو كان مضمون هذه الاية موافقا لقولهم بان يعقوب قال لبنيه قوله نعبد الهك يكون يهودا ولكن على تقدير ان يكون الخطاب في الاية لليهود فالوجه ان يكون ام متصلة وهذا الوجه ينبغي المتصل لان في الاستفهام يقتضي قبل ام محذوف نحو اتدعون ان الانبياء كانوا هودا ام تعطف عليه بام المتصلة فيقال ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت على سبيل التعريض للمشاهدة والانكار للدعوى كما في قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوله قل انتم اعلم ام الله فالكم من بني اسرائيل كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فكانكم شاهدتموه فلم تدعون عليهم ما هم منه براء لكن في حمل ام على المتصلة اشكال لان ام المتصلة تقتضي الترديد عن تعيين احد الامرين وههنا كل واحد من دعوى اليهودية على الانبياء وحضور اوائلهم حين احتضر يعقوب ووصى بنيه معلوم عند المتكلم اجيب بان السؤال سؤال تبكيت وان المسؤل عنه امرين ابهما اختاروه لزمهم الحجة كما تقول انما المعاندون ادعوا على الانبياء اليهودية دعوى مجردة من غير دليل ام يدعون حضورا في ايام حين وصى يعقوب بنيه فلا بد ان يختاروا الثاني فيقولوا انا لما كانوا شاهدين له اذ اراد بنيه فيقال لهم انهم قد علمتم حضور اوائلكم عند الوصية بالتوحيد فكيف تدعون وقد تدعون على الانبياء ما هم عنه براء وتمام تقريره في تعليقنا ولما كان المراد بالهمزة في حقيقة الاستفهام تدل على ثبوت احدهما ويكون السؤال عن التعيين والمراد ههنا ليس حقيقة الاستفهام بل تقريع وتعريض من غير معنى الاستفهام فيكون شائعا الى ان احدهما او كونهم شهداء حاصل فيلزم منهم انكار ادعاء اليهودية لان شهودهم ينافي ذلك الادعاء. قال الكلبي لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الاوثان والنيران فجمع ولده وخاف عليهم فقال لهم ما تعبدون من بعدي قال ابن عباس ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي فما اريد ان اسألكم ما تعبدون من بعدي يعني اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء يسئل به عن كل شيء ما لم يعلم فاذا علم انه عاقل فرق بما ومن اي اذا علم انه ما قيل اختص بمن وغيره ما قيل اختص بما وكفاك دليلا على عموم ما عند الابهام قول العلماء من ليعقل لانه يعلم منه انه ما دام مبهما يستعمل فيه ما وان كان ما قاله كان خاف الواقع ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يكون ما تعبدون سؤالا عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات قالوا نعبد الهك الذي لا اله الا هو واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك ادخل اسمعيل في جملة الاباء وكان اسمعيل عم يعقوب لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال صلى الله عليه وسلم في العباس هذا بقية ابائي وقال صلى الله عليه وسلم ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود يعني العباس الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة لان النكرة الموصوفة يصح ان تقع بدلا من المعرفة او على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون

قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ●

تلك اشارة الى الامة المذكورة يعني ابرهيم وبنيه ويعقوب وبنيه قد خلت مضت لها ما كسبت من العمل ولكم يا معشر اليهود ما كسبتم والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا فكذلك لا ينفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا باوائلهم ونحوه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون اي حسابهم عليهم وانما تسئلون عن اعمالكم لا عن اعمالهم

قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ●

قال ابن عباس نزلت في رؤس يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى اهل نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك ودعوهم الى دينهم فقال الله تعالى قل يا محمد بل ملة ابرهيم اي بل نتبع ملة ابرهيم وقيل بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يعني اهل دين حنيفا قيل نصب على القطع اراد بل ملة ابرهيم الحنيف فلما اسقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قاله نحاة الكوفة وقال اهل البصرة نصب على الحال من المضاف اليه

وانتصاب الحال من المضاف اليه لا يحسن حتى يكون المضاف والمضاف اليه متصلين او ملتبسين جاريين مجرى شيء واحد
كقوله تعالى ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فميتا حال من اخيه لان اللحم والاخ كالشيء الواحد وفي ملة ابراهيم
حنيفا الاتصال الحاصل بين الملة وابراهيم فان الملة بمنزلة البعض منه وهذا صحيح ونظيره رأيت وجه هند قائمة والحنيف
المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام والحنف الميل في القدمين الى داخل وتحنف اذا مال وانشد ٭ ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين ٭ وسمي الاسلام الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية قال الاصمعي ومن عدل عن دين اليهود
والنصارى فهو حنيف عند العرب قال الاخفش الحنيف المسلم وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت حنيف لان
العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين ابراهيم غير الختان وحج البيت فلما جاء الاسلام عادت الحنيفية اي اتباع ابراهيم
فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس وما كان من المشركين تعريض لاهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي
اتباع ابراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ليلقيهم مجرى التوحيد وطريق الايمان ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذا قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على معنى بل اتبعوا انتم ملة
ابراهيم وكونوا اهل ملته وما انزل الينا اي القرآن وما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
اولاد يعقوب والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب
ذراري ابنائه الاثني عشر سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس قال الزجاج الاسباط في ولد اسحاق
بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل وقيل اصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الاغصان من شجرة واحدة كذلك
الاسباط كانوا من يعقوب وكان في الاسباط انبياء ولذلك قال وما انزل اليهم وما اوتي موسى وعيسى اي التوراة
والانجيل وما اوتي النبيون من ربهم من المعجزات والكتب لا نفرق بين احد منهم اي لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض كما فعلت
اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه ونحن له مسلمون مخلصون ديننا من الشرك نقل
عن الحسن انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا
بما جاؤوا به وقال بعض العلماء لا يكون الرجل مؤمنا حتى يؤمن بسائر الانبياء السابقين وجميع الكتب التي انزلها الله
تعالى على الرسل ويجب على الرجل ان يعلم صبيانه ونساءه اسماء الانبياء ويأمرهم بالايمان بجميعهم لئلا يعتقدوا
انهم كلفوا الايمان بمحمد فقط قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون ٭ قيل لما نزلت
قولوا آمنا الآية قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى وقال ان الله امرني بهذا فلما سمعت اليهود
بذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس هو مثل سائر الانبياء ولكنه ابن الله فانزل الله تعالى فان آمنوا
قيل معناه فان آمنوا بما آمنتم به فزيدت الباء للتأكيد كما زيدت في قوله وهزي اليك بجذع النخلة وقيل معناه فان آمنوا
بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فالمثل ههنا المراد به الكتاب وقيل معناه فان آمنوا بما آمنتم به فقد يذكر المثل ولا يراد به
الشبه والنظير كقول الشاعر ٭ يا عاذلي دعني من عذلكا ٭ مثلي لا يقبل من مثلكا ٭ اي انا لا اقبل منك وكان ابن
عباس يقرأ فان آمنوا بما آمنتم به وهذا يدل على ان المثل في قراءتنا صلة قال صاحب الكشاف قوله بمثل ما آمنتم به من
التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد
اذن دين يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة التشكيك
على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم
الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي
تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد
تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان تكون الباء صلة ويكون بالاستعانة كقولك كتبت بالقلم
وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا واعرضوا
عن الايمان بكتابكم ونبيكم فانما هم في شقاق اي خلاف ومعاداة ومنافاة ومعاندة لا غير والشقاق والمشاقة المخالفة
يقال شاق يشاق مشاقة وشقاقا اذا خالف كان كل واحد يأخذ في شق غير شق صاحبه قوله فسيكفيكهم الله وعد من الله
لرسوله بكفايته امر من عاداه من مخالفيه وقد انجز الله وعده بكفاية امر اليهود بالقتل والسبي في قريظة والجلاء
والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة فان تأخر الى حين وهو السميع
العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك
قوله صبغة الله الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ المصدر والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع
عليها الصبغ وهي مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عن قوله ينصر في قوله يومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم اذ الوعد هو الاخبار عن شيء نافع قبل وقوعه في الآتي من الازمان فقد انتصب بهذه المنزلة
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا اذا ولد لاحدهم ولد فاتى عليه سبعة ايام
غمسوه في ماء اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ويقولون هو تطهير لهم مكان الختان فاذا فعل الواحد منهم بولده
ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة وطهرنا به تطهيرا

لا مثل

لا مثل تطهيرنا هذا على تقدير ان يكون قولوا اتباعا لقوله بل ملة او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم
على تقدير ان يكون قولوا ابتداء امر وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان
تريد رجلا يصطنع الكرام وقيل صبغة الله وجهة الله يعني القبلة وقيل حجة الله التي احتج بها على عباده وقيل خلقة الله الخلق
اي انه تعالى ابتدأ الخلق على الاسلام كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها او دين الله فانه حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ ويصححه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة فهل
تجدون فيها من جدعاء حتى انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرأيت من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين وقيل سنة
الله وقيل الختان لانه يصبغ صاحبه بالدم وقيل صبغة الله بدل من ملة ابراهيم وقيل انتصابه بفعل محذوف اي اتبعوا دين الله
وقيل صبغة الله منصوب على قوله بل نتبع ملة ابراهيم اي نتبع صبغة الله او على بل نكون اهل صبغة الله وقيل صبغة الله
على الاغراء ومن احسن من الله صبغة لانه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته قال
صاحب الكشاف ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب
على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه لانه يلزم تخلل الاجنبي وهو قوله
صبغة الله بين المعطوف والمعطوف عليه وانتصابها على انها مصدر هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام لانه على تقدير
ان تكون صبغة الله مصدرا مؤكدا لا يلزم تخلل الاجنبي لانه حينئذ لا يكون صبغة الله اجنبيا عن قوله آمنا قوله تعالى
قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ٭ خاصمت يهود المدينة ونصارى نجران
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان انبياء الله كانوا منا وديننا هو الاقدم وكتابنا هو الاسبق ولو كنت نبيا لكنت منا
فانزل الله قل اتحاجوننا استفهام ومعناه التوبيخ اي اتخاصموننا في دين الله وقيل في شأن الله واصطفائه النبي من العرب
دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل الله علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم اي نحن وانتم له عبيد يصيب برحمته
وكرامته من يشاء من عباده وهو نصيب في ذلك الاصطفاء لا يختص بعجمي دون عربي ولنا اعمالنا التي نجازى بحسبها وانتم كذلك
على مثل سبيلنا لا يؤخذ بعضنا بذنب بعض ونحن له مخلصون جاء بما هو علامة الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان
قيل في الآية اضمار يعني وانتم غير مخلصين فحذف اكتفاء بقوله ونحن له مخلصون ومعنى الآية لا حجة لكم علينا في دين الله فانا نخلص
له ولا نعبد معه سواه وانتم تجعلون له الشركاء والاخلاص قيل ان يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي
بعمله احدا وقيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقال يحيى بن معاذ الاخلاص
تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الانسان
وقال رويم هو ارتفاع رؤيتك من الفعل وقيل هو ما اريد به الحق وقصد به الصدق وقيل هو ما لا تشوبه الآفات ولا تتبعه
رخص التأويلات وقيل هو ما استتر من الخلائق واستصفي من العلائق وقيل هو ان تستوي افعال العبد في الظاهر والباطن
وقيل ان تكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وقيل هو الاخلاص روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاخلاص ما هو قال
سألت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال هو سر من سري استودعته قلب من احببت
من عبادي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء
من عمل الله قوله تعالى ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أأنتم
اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ٭ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص
بالتاء من فوق والباقون بالياء من تحت فمن قرأ بالتاء فلان ما قبله من قوله اتحاجوننا وما بعده من قوله قل أأنتم اعلم ومن قرأ
بالياء فلان المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وام على قراءة التاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون
المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة
بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وعلى قراءة الياء لا تكون الا منقطعة لانتقال الكلام من الخطاب الى الغيبة قل أأنتم
اعلم ام الله يعني ان الله اخبرنا ان الانبياء كان دينهم الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ولا احد
اعلم من الله تعالى قوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم
بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه
الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر
شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله اي
شهادة كائنة من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبراءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم وما الله بغافل الآية
وعيد لهم لكتمانهم شهادة عندهم من الله وهو تعالى يجازيهم على ذلك قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ٭ هذه الآية اعيدت ههنا لان الحجاج اذا اختلفت مواطنه حسن تكريره للتذكير
قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم ٭ نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة والسفهاء الخفاف الاحلام جمع السفيه قيل السفيه الذي يعمل بخلاف
ما انه لا يلتفت الى دليل ولا يتوقف الى ان لاح له بل يتبع هواه او يدعي غير الدليل دليلا وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة
وانهم لا يرون النسخ والمنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء والمشركون فانهم قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها
والله ليرجعن الى دينهم ما ولاهم اي صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس

الفعلة من المقابلة والعرب تقول ما له قبلة ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره والفائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه
ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب
العتيد قبل الحاجة اقطع للخصم وارد لشغبه فان قبل الرمي يراش السهم وتعديل القوس قل لله المشرق والمغرب بلاد
المشرق والمغرب بل الارض كلها ملكه والخلق عبيده اى له ان يأمر بالتوجه الى اى جهة شاء يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
اى الدين مستقيم ودين الله يسمى الصراط المستقيم لانه يؤدي الى الجنة كما يؤدي الطريق المستقيم الى المطلوب قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم ● الكاف منصوب المحل على المصدر ومعنى المثل الذي يعطيه في الصفة والحالة لا النظير
والشبيه والمشار اليه ما يفهم من مضمون قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو الامر العجيب الشان اى ومثل ذلك
الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا وقيل انهم لما طعنوا بقولهم ما ولاهم عن قبلتهم جيء بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
جوابا له وجعل لله المشرق والمغرب توطئة للجواب وهو نظير قوله يهدي الله لنوره من يشاء فعلم من قوله من يشاء تعظيم
للمسلمين وانهم المختصون بهذا الفضل دون سائر الناس ومن قوله صراط مستقيم تعظيم التوجه الى القبلة وانه هو الدين
وهو الصراط المستقيم يعني كما جعلناكم في الدنيا افضل الامم وقبلتكم افضل القبل جعلناكم في الاخرة شهداء على الناس
تشهدون كما تشهد الانبياء على اممهم امة وسطا اى خيارا او وسطا للامة وهو الاسم للذي وسط الشيء ولذلك استوى
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم انطوا النمجة اى اعطوا الوسيطة بين السمينة والعجفا
وصفا بالشيء وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف تقول العرب انه لوسط الوادي اى خير موضع
فيه ويقال للرسول الله صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش نسبا اى خيرهم قال تعالى قال اوسطهم اى خيرهم واعدلهم
وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والفساد والاوساط محمية محوطة قال الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم ● اذا نزلت
احدى الليالي بمعظم ● والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفي الشيء كمركز الدائرة وبالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة
مثلا ولذا كان ظرفا الاول يجعل مبتدأ وفاعلا ومفعولا به داخلا عليه حرف الجر ولا يصح شيء من هذا في الوسط بالسكون
تقول وسطه خير من طرفه وحسن وسطه وضربت وسطه وجلست في وسط الدار وجلست وسطها بالسكون لا غير ووسط
عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض اى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في الدين قوله
لتكونوا شهداء على الناس الى جميع الامم يوم القيمة روى ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار
الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسئل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم واعذرنا
اليهم فيجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد عليه السلام
فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا ذلك وبيننا وبينهم مدة مديدة فيقولون قد علمنا ذلك
باخبار الله تعالى ايانا في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وشهادة النبي صلى الله عليه
وسلم لهم لا عليهم لكن لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له ضمن معنى الرقيب فجرى في الاستعمال الذي يعدى
الرقيب به ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد وان قيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا

العلم بانه سيوجد وعند وجوده تغير هذا التعلق وحدث تعلق انه وجد وفي الحالين لم يتغير العلم ولم يلزم حدوث
علم الله بل تغير التعلق وحدث تعلق آخر وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى
ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل ليميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
لان العلم يقع به التمييز وقيل المراد من قوله الا لنعلم الا لنمتحن من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فانه سبق
ذلك في علمه ان تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة آخرين وليس المراد من تعلق علمه بالحال والاستقبال حدوثه
في الحال او الاستقبال بل وجوده في الحال او الاستقبال الحكمي بمعناه ان علمه المتعلق في الازل ثابت في الحال او الاستقبال مستمر
من الازل الى الابد من غير تجدد وحدوث وتغير وان كانت لكبيرة ان هي المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من التولية اى تولية القبلة وتحويلها او الردة او الجعلة وقيل راجعة
الى القبلة يعني انها لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله اى ثبتهم على اتباع الرسول وقال صاحب الكشاف الا على الثابتين
الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وهذه دسيسة منه اوقعها فيها لحرصه على تعريف
مذهبه لا ان الاية تدل عليها قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اى تصديقكم بامر تلك القبلة وبكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم والمفسرون يجعلون الايمان ههنا بمعنى الصلاة اى وما كان ليبطل صلاتكم
قبل بيت المقدس عن ابن عباس قال لما ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ماتوا على القبلة الاولى
منهم اسعد بن زرارة وابو امامة احد بني النجار والبراء بن معرور احد بني سلمة في اناس آخرين فجاءت عشائرهم فقالوا يا رسول الله
توفي اخواننا وهم يصلون الى القبلة الاولى وقد صرفك الله الى قبلة ابرهيم فكيف باخواننا فانزل الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة على فعول كان اكثر
اسماء الله على فعول وفعيل والباقون بهمزة مضمومة من غير واو بعدها على وزن فعل والرأفة اشد من الرحمة ثم نعم الناس بالرحمة لانه
ايام في الخلق والرزق والصحة ومن خص الرحمة بالمؤمنين خاصة قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ● قيل اول ما نسخ من امور الشرع امر القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقدمها لليلتين
خلتا من ربيع الاول امره الله تعالى ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع
ما يجدون من نعته في التورية هذا قول عامة المفسرين وقيل كان الله تعالى لنبيه فاينما تولوا فثم وجه الله قال رسول الله لولا انهم
يستقبلون بيتا من بيوت الله فلو استقبلناه فاستقبله عليه السلام فصلى عليه السلام واصحابه نحو بيت المقدس سبعة
عشر شهرا وقيل ستة عشر شهرا وكانت الانصار قد صلوا قبل بيت المقدس سنتين قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وقيل لان اليهود قالوا محمد يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا وقيل لما امر الله رسوله
عليه السلام ان يصلي نحو بيت المقدس قالت اليهود يزعم محمد انه نبي وما نراه احدث في نبوته شيئا اليس صلى الى قبلتنا واستن
بسنتنا فان كانت هذه نبوة فنحن اقدم واوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه وزاد شوقا
الى الكعبة وقيل لما استقبل عليه السلام نحو بيت المقدس بلغه ان اليهود تقول والله ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فاني ابغضهم وابغض موافقتهم
فقال جبريل انما انا عبد مثلك ليس لي من الامر شيء واسئل ربك فادع ربك وسله فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء اى ربما نرى
كثرة الرؤية كقوله قد يترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك في النظر الى السماء فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا عليه او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس او فلنصيرنك
تستقبل بوجهك قبلة ترضاها تحبها وتهواها لاغراض الصحيحة التي اضمرتها فول اى فاقبل وحول وجهك شطر اى نحو
المسجد الحرام واقصده وحيث ما كنتم في بر او بحر سهل او جبل شرق او غرب فولوا وجوهكم شطره عند الصلاة تحولت
القبلة الى الكعبة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين وقيل نزلت هذه الاية ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد بني سلمة قبيلة من الانصار وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب
وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
وابن ماجه عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة
عشر شهرا وكان يعجبه ان يكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل
ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة
فداروا كما هم قبل البيت وفي رواية عن مسلم وابي داود عن انس وهم ركوع في صلوة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى الا ان القبلة
حولت فمالوا كما هم نحو الكعبة وشطر المسجد نصب على الظرف قال صاحب الكشاف اى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد
اى في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة

[illegible]

قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ●

[illegible]

قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ●

[illegible]

قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ●

[illegible]

اذ زاد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فبادروا الى القبلة من الله تعالى وولوا وجوهكم خيار امركم الله ان تولوا اينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزيكم باعمالكم قال الصاحب الكافي ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلة من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ● ثم اكد امر استقبال القبلة بما بين الايتين وانما كررت هذه الايات لان هذا من مواضع التاكيد لاجل النسخ الذي نقلوا من جهة فان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخرى فاختلفت فوائدها وحيث من الظرف فيما بعده وانما بنيت لاحتياجها الى الجملة معها كاحتياج الحرف الى الجملة معه وانما احتاج الى الجملة من جهة وضعها لكانه منسوبا الى نسبته وتلك النسبة لا تحصل الا بالجملة فلذلك لا تضاف الا الى الجملة كما في الاكثر وحيث ظرف مكان لا غير وبنيت على الضم لشبهها بالغايات من حيث ملك فيها الاضافة وقد تدخل اهل حيث او تكون من المجازاة اي من اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت فيما اهلها الى قوله لئلا يكون معنى تفسير واللام في لئلا لام كي دخلت على ان لا قوله للناس قال اكثر المفسرين الناس هنا اليهود كانوا يحتجون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس ويقولون ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن ويقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ومعناه كان حجتهم التي كانوا يحتجون بها على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال انقطعت بالقبلة الى الكعبة بطلت هذه الحجة والحجة فعلة من حج وهو المقصود منه المحجة وهي الطريق الواضح المسلوك لانه مقصود ويقال للمخاصمة محاجة لقصد كل واحد من الخصمين الى اقامة بينته وابطال ما في يد صاحبه ثم قال الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء ولو لم يحول لكانت تكون للمتعنتين حجة وهي ان يقولوا ما له لا يتحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية فاحترز من تلك الحجة وتلك بحجة المعاندين واطلق الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المراد بالناس العرب ومعناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ابرهيم ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم فلا تخافوهم في توليكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم في المحاجة وفي مطاعنهم فانهم لا يضرونكم واخشوني فخالفوا امري قوله ولاتم متعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم ولارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او معطوف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ● الكاف للتشبيه يحتاج الى شيء يتعلق به فاما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول فيكم ان ابرهيم دعا بدعوتين احداهما قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله فيهم رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد في هذه الاية بان يجعل من ذريته امة مسلمة يعني لاتم نعمتي ببيان شرائع ملتكم الحنيفية واهديكم لدين خليلي ابرهيم كما ارسلنا فيكم رسولا يعني كما اجبت دعوته ببعث الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واما ان يتعلق بما بعده وهو فاذكروني اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي قوله تعالى

يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

قيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين اي انا معكم بنصركم ولا اخذلكم اي اظهر دينكم على سائر الاديان لان من كان الله معه فهو الغالب قوله ولا تقولوا نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وذلك ان الناس كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم او ما هم فيه من الكرامة والنعيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تسرح في ثمار الجنة وتشرب من انهارها وتأوي بالليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع قوله ولنبلونكم النون فيه للتاكيد واللام جواب قسم محذوف تقديره والله لنبلونكم والمعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر لاحوالكم لان الله تعالى يعلم عواقب الامور فلا يحتاج الى الابتلاء ليعلم العاقبة

يسيبهم بذلك اصابته شدة فمثل المخبر لاخوالهم فلا يصبرون ويثبتون على ما امرهم عليهم من الطاعة قبل ولكن
حكمه املا من صبرا ثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب بشيء بقليل من الخوف وخوف العدو والجايعة
انما قال بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عنهم ويريهم ان رحمته معهم في
كل حال واعلمهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف يعني وشيء من نقص الاموال
والنقصان في المال والهلاك المواشي والانفس يعني بالموت والقتل والمرض والشيب والثمرات يعني الجوائح وان
لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج ونقل عن الشافعي انه قال ولنبلونكم بشيء من الخوف يعني خوف الله تعالى والجوع يعني صيام شهر رمضان
ونقص من الاموال يعني اداء الزكاة والصدقات والانفس اي الامراض ويحتمل ان يكون بالشهادة من الجهاد والثمرات موت
الاولاد لان ولد الرجل ثمرة قلبه يدل على ذلك ما روى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله عز وجل
لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ثم ختم الاية ببشارة الصابرين ليدل على ان من صبر على

[illegible]

بحار أكثر لهم دار واحدة وشخص واحد وعن بعض أصحابنا عن التوحيد فقال هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله
واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها
لا إله إلا هو تقرير لوحدانيته بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فإن كل
ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ● قيل لما نزلت وإلهكم إله واحد تعجب المشركون
وقالوا إن محمدا يقول إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله هذه الآية وعلمهم كيفية الاستدلال
على الصانع وعلى توحيده وردهم إلى التفكر في آياته والنظر في مصنوعاته وجمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير
الأخرى ووحد الأرض لأنها كلها تراب واختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء والاختلاف افتعال من خلف
يخلف خلوفا يعني كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلافه بعده وبهذا فسر قوله تعالى جعل الليل والنهار
خلفة وقدم الليل على النهار لأنه هو الأصل والأقدم قال الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار كتقدم الصوامع
والبيع والصلوات على المساجد والفلك التي تجري في البحر يعني السفن واحده وجمعه سواء قال الله تعالى وآية لهم أنا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون وقال إذ أبق إلى الفلك المشحون وقال تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فيذكر
ويؤنث والتذكير على لفظ الواحد والتأنيث على معنى الجمع بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يركبونها والحمل فيها للتجارات
والمكاسب وأنواع المطالب فهي تنفع الحامل لأنه يربح والمحمول إليه لأنه ينتفع بما حمل إليه أو ينفع الناس فيكون مصدرية
وما أنزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل ثلاثة ما نطق بعلمهن إلا الله الرعد والبرق والغيث ما يدري ما هو فقيل
إن الله أنزل من السماء قال نعم ولا ندري أنزل من السماء على السحاب أم خلق في السحاب فأحيا به الأرض بعد موتها أراد
فتجدد نبتها ويبوستها سماه موتا مجازا وذلك أن الأرض إذا لم يصبها مطر لم تنبت ولا تتم نباتا فكانت من هذا الوجه
كالميت وإذا أصابها المطر أنبتت واهتزت كان كالإحياء للموات وبث فيها من كل دابة البث النشر والتفريق ومنه
قوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وكالفراش المبثوث قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض من جميع الخلق من الناس
وغيرهم قال صاحب الكشاف فإن قلت قوله وبث فيها عطف على أنزل أم أحيا قلت الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم
الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد وكأنه قيل وما أنزل في الأرض
من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والحاصل أن أحيا مستقلا بنفسه فيصح عطفه على صلة الموصول على أن يكون آية أخرى مثل أنزل الماء من السماء
لأجل فاء السببية في أنزل إذ الأحيا كالسبب وكذا بث فصارا جميعا كشيء واحد وصلة واحدة بخلاف قوله وبث
أن يصح جعله صلة معطوفة على الصلة لاستقلاله واشتماله على ما تبين الموصول من قوله من كل دابة كقوله من ماء
بيانا لقوله ما أنزل والعائد المنصوب محذوف أي ما بثه الله من كل دابة فتكون آية أخرى مثل تنزيل من السماء ماء فأحيا به
الأرض ألا ترى كيف صرح بالبيانين في قوله وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة والمطلوب تكثير الآيات
فكان هنا العطف ظاهرا وأما إذا عطف على فأحيا وكان من تتمة الصلة مسببا عما هو المعطوف عليه مسبب عنه في
مسبب عما الحيي مسبب عنه فيحتاج إلى تقدير حرف السبب وإظهار السبب الذي هو الماء وجعل من في قوله من كل دابة زائدة
وكان التقدير وبث فيها من كل دابة بسبب الماء لأن تعيشها به ولا شك أن هذا التقدير أدق معنى وأخفى من الأول لأنه جعلنا
على وزن قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا والحكم أنه إذا
عطف على أحيا يفيد ترتبه على أنزل في العبارة كما أنه ثابت في الواقع بخلاف ما إذا عطف على أنزل فإنه لا يفيد الترتيب
في العبارة ولا شك أن الأول أبلغ وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة
ولينة وعاصفة وعقيما وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب بغير الرحمة والكسائي الريح بغير ألف على الإفراد والباقون الرياح
بالجمع قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجت الريح يقول اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا والريح تذكر وتؤنث ووجه الجمع أن كل واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية بتصريفها
ووجه التوحيد أنه يريد بالريح الجنس فيفيد ما يفيد الجمع والسحاب المسخر أي المذلل المطيع لله سمي سحابا لأنه ينسحب
أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر وقيل تسخيره الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء وقيل لا ينزل ولا يصعد
ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما لأنه لو كان كثيفا يقتضي النزول وإن كان لطيفا يقتضي الصعود وإن كان
متوسطا بينهما يقتضي الانقشاع لآيات في هذه الأشياء التي ذكرت دلالات وعلامات على وحدانيته لقوم يعقلون
ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون أنها دلائل على عظيم القدرة وظاهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه
الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها والمج في الأصل حذف الماء من الفم واعلم أن العالم الذي هو عبارة عما سوى الله
أي الممكنات الموجودة دالة على وجود الباري ووحدانيته وهو على قسمين قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف
أهل الشرع الشهادة والخلق والملك وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى الغيب والأمر والملكوت والقسم الأول
يدركه عامة الناس والثاني يدركه أولو الألباب الذين عقولهم خالصة عن أوهام ووساوس الشياطين والقسم الأول هي
السموات والأرض وما بينهما وما فيهما وما عليهما وكل واحد منها آية تدل على وحدانيته تعالى قال الله وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ولكن تفقهون

ولكن لا تفقهون تسبيحهم وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وهو يحتوي على جمل وتفاصيل يستدل بها على وحدانيته
بعضها أوضح من بعض وعقول الناس في قبولها متفاوتة فإن عقل بعض الناس قد يكون له قابلية أن يأخذ من بعض هذه
الوجوه وقد لا يكون له قابلية الأخذ من البعض الآخر فالله تعالى بكمال عنايته ورأفته ورحمته في القرآن الكريم بين الوحدانية
بجملها وتفاصيلها من وجوه متعددة وطرق شتى حتى يحصل لكل حظ ونصيب اللهم إلا أن يكون من أهل الشقاء
فحينئذ يبقى محروما ولا تعد الآيات المذكورة على وجوده تعالى ووحدانيته من وجوه كثيرة تعجز القوة البشرية عن بيان
تفاصيلها ولنذكر وجها مجملا وهو أن الأمور المذكورة في هذه الآية ممكنة واقعة على أخص نظام وأتمه مع إمكان أن يوجد على
خلافه فلا بد لها من موجد قادر عالم مريد مختار يوجدها على ما تقتضيه إرادته واختياره وحكمته من غير معارض ومنازع
وإلا لم يكن ولم يتم على هذا النظام البديع قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ثم إنه ذكر أولا ما هو أول وأكبر وأظهر
وهو السموات والأرض قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وهو أول الأسباب فالمناسب ضم إليه اختلاف
الليل والنهار الذي هو من أسباب الحوادث المتجددة التابع لخلق السموات والأرض الدال على كمال القدرة ودلالته ظاهرة لما يتجدد
على سبيل التعاقب ثم ذكر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فإن جري الفلك على الماء من أوضح الدلائل على وحدانية الخالق
القادر الحكيم ولهذا إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ثم ذكر ما أنزل الله من السماء من ماء فإنه بنفسه من الآيات
الظاهرة التي يفتقر إليه ما على وجه الأرض من الحرث والشجر والدواب قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ثم ذكر ما يترتب
عليه ويعقبه من إحياء الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وهو من الآيات البينات كما أنه من الآيات الظاهرة تصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض من الحوادث الدالة على وجود المحدث ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته أدرجهما
في الآيات المذكورة ثم بين أن هذه الأمور المذكورة آيات لقوم يعقلون الذين لا يتخذون أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله
فإن من يتخذ أندادا من دون الله فقد أفسد فطرته التي فطر الناس عليها وأتلف العقل ودخل في زمرة الأشقياء ولم تغن عنه
الآيات ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب قوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة
لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين
اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار
لما ذكر الله تعالى الآيات الدالة على وحدانيته أعلم أن قوما مع هذه الدلالات البينة يتخذون الأنداد أندادا أمثالا من
الأصنام المعبودة من دون الله وقيل سادتهم وذوو سادتهم الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم في معصية الله ويتركون
على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله تعالى إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون
لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له أي كما يحب الله على أنه مصدر من المبني للمفعول وإنما استغني عن ذكر
من يحبه لأنه غير ملتبس وقيل كحبهم الله أي يحبونهم كما يحبون الله أي يسوون بين الله وبين الأنداد في محبتهم كانوا لهم
كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فعلى هذا لا يكون المصدر من المبني للمفعول
والذين آمنوا أشد حبا لله أي أثبت وأدوم لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله
عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ويعبدون صنما فإذا رأوا شيئا أحسن منه تركوا ذلك وأقبلوا على عبادة الأحسن أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلها كان لها
من حيس عام المجاعة وقيل لأن حب المشركين لأوثانهم مشترك لأنهم يحبون أندادا كثيرة وحب المؤمنين لله غير مشترك لأنهم
يحبون الله وحده وقيل لأن حبهم هوائي وحب المؤمنين عقلي وقيل لأن حبهم بالتقليد وحب المؤمنين لله بالدليل وقيل
لأن الله أحب المؤمنين أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أشد قوله ولو يرى قرأ غير نافع وابن عامر
بالياء على الغيبة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أو كل مخاطب بناء على الأول ولو يرى الذين
ظلموا باتخاذهم من دون الله أندادا حين يرون العذاب الشديد يوم القيامة أن القوة لله جميعا أي أن القدرة التامة
كلها لله تعالى على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم لندموا على الكفر وآمنوا ولعلموا مضرة الكفر وكان ندمهم ما لا يكاد
يحيط به الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
وقوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت وكقولك لو رأيت
فلانا والسياط تأخذه فيستغني عن ذكر الجواب لأن المعنى مفهوم فعلى هذا يكون قوله أن القوة لله جميعا في محل النصب
على أنه مفعول يرى وبناء على الثاني ولو ترى يا محمد أو يا مخاطب الذين ظلموا باتخاذهم من دون الله أندادا إذ يرون العذاب
الشديد من الله تعالى لرأيت أن القوة لله جميعا فعلى هذا قوله أن القوة لله جميعا مفعول لقوله رأيت الذي هو الجواب وبعضهم
من قدر هكذا لرأيت أمرا عظيما فيكون أن القوة لله جميعا واقعا في موضع قوله أمرا عظيما فيكون الفعل مع المفعول محذوفا
قرأ ابن عامر يرون بضم الياء من الإراءة لا الرؤية وقرأ الباقون بفتح الياء من الرؤية وإذ تستعمل للماضي ووقع هنا المستقبل كما في قوله
ونادى أصحاب الجنة وضع للماضي واستعمل جميعا نصب على الحال وأن الله شديد العذاب عطف على قوله أن القوة لله جميعا
قوله إذ تبرأ المتبوعون الذين هم رؤساء من الذين اتبعوا أي من أتباعهم أي السفلة والأتباع ورأوا العذاب الواو للحال
في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم أي عنهم الأسباب في اللغة الحبال ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى
موضع أو حاجة تريدها سبب يقال للطريق سبب لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريد قال تعالى فأتبع سببا أي طريقا والمودة

بين القوم وسمي سببا لانهم يتواصلون والاسباب في الاية هي الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب
والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وقال الذين اتبعوا عطف على قوله وتقطعت والذين اتبعوهم الاتباع
لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم جواب لو لان لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل
ليت لنا كرة فنتبرأ منهم في الدنيا كما تبرؤوا منا اليوم كذلك اي كتبري بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
في الاخرة وقيل كذلك الاراءة الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل يريهم
ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم ولا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار وافادة تقديم هم الاختصاص
فان العصاة من المسلمين سواء كانوا اصحاب الكبائر او الصغائر يخرجون من النار وهذا هو الحق قال صاحب الكشاف هم بمنزلة
في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة ● وفي دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص لما عرفت ان تقديم المسند
اليه على المسند اذا كان المسند فعلا او ما في معناه تارة يكون لتقوية الاسناد وتاكيده وتارة للاختصاص وفي البيت
لتقوية الاسناد لا للاختصاص فكذلك هاهنا وللقائل ان يقول وما هم بخارجين ليس نظير البيت لتسلط حرف النفي على
الفاعل المعنوي وليس كما نظيره ولا نسلم ان البيت لا يفيد الاختصاص فانه يحتمل التخصيص نصا بالادعاء قوله
وما هم بخارجين نظير قوله وما انت علينا بعزيز اتفق علماء هذا الفن ان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص قال صاحب الانتصاف
قد اخرج الزمخشري في قوله ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون وبالاخرة هم يوقنون ولكن هنا الاختصاص لا يوافق
مذهبه فاعمل الحيلة في صرف الكلام عنه فجعلها لتعيين الاحقية فان العصاة وان خلدوا عنده فالكفار احق منهم
بالخلود فسبحان من بلاه بالمحنة مع حذقه وفطنته قال صاحب الانتصاف الاية فيمن اتخذ اندادا من الكفار والكفر امر من الله
وجميع اهله ليسوا بخارجين من النار فلا اختصاص لهؤلاء بالخلود دون غيرهم من الكفار والذي قاله الزمخشري صحيح فيها
قال صاحب الانتصاف نظر لان التخصيص انما يعتبر بالنسبة الى من هو مخالف المسند اليه فيما هو مقتض لثبوت المسند له
والكفر وان كان اعم من اتخاذ الانداد ولكن سائر الكفار تشارك الذين يتخذون من دون الله اندادا في المقتضي لعدم الخروج
من النار الكفر فلا يعتبر التخصيص بالنسبة الى غيرهم من الكفار بل يعتبر التخصيص بالنسبة الى العصاة من المسلمين الخارجين
الذين يتخذون من دون الله اندادا في الكفر المقتضي لعدم الخروج من النار على ان الاية غير مخصصة بطائفة من الكفار بل عامة
في جميع من خالف المؤمنين من اهل الملل المختلفة لان الانداد في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا رؤساء يتبعونهم
ويطيعونهم كما صرح الزمخشري به واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ويؤيده ولو يرى الذين ظلموا فانه
عام لجميع الكفار لا يحتمل عدم تخصيصه بالذين يتخذون اندادا وايضا اذ تبرأ بدل من اذ يرون تقوية لان الكلام في المتبوع
والاتباع سواء كانوا مشركين او غير مشركين ومما يدل على ان الاية عامة في جميع من خالف المؤمنين من اهل الملل المختلفة ما روى
البخاري ومسلم والنسائي عن ابي سعيد في حديث طويل اذا كان يوم القيمة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى
احد يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى
اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد الى قوله فيتساقطون
في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة
ولا ولد الحديث فلا تعتد بان تكون الاية مخصوصة بعبدة الاصنام وهي مقابلة للمؤمنين بدليل قوله يحبونهم كحب الله
والذين امنوا اشد حبا لله فيكون الكلام في مقابلة المؤمنين وهم هؤلاء القوم فلا يدخل في الاختصاص غيرهم قوله

تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم
بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ● قال ابن عباس في رواية ابي صالح نزلت في ثقيف وخزاعة
وعامر بن صعصعة وبني مدلج حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والوصيلة والسائبة والحام وقال في رواية
عطاء يعني المؤمنين خاصة والامر للاباحة ودخل من للتبعيض لانه ليس كل ما في الارض يحل اكله ويحل اكله والحلال
المباح الذي انحلت عقدة الحظر فيه يقال حل الشيء يحل حلالا وحلا وحلالا منصوب على انه مفعول كلوا او حال مما في الارض
طيبا طاهرا من شبهة والاصل في الطيب ما يستلذ ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه لان
النجس تكرهه النفس فلا يستلذ والحرام ايضا غير مستلذ لان الشرع زجر عنه ولما وصف الحلال بالطيب وصف الحرام
بانه خبيث قال تعالى لا يستوي الخبيث والطيب واراد بالحلال الطيب ما احل الله اكله مما حرمه المشركون على انفسهم
من الزرع والانعام وهو قوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الاية ولا تتبعوا خطوات الشيطان قرأ نافع
وعاصم في رواية ابي بكر وحمزة وابو عمرو وابن كثير في رواية البزي خطوات بسكون الطاء في جميع القرآن وقرأ ابن عامر والكسائي
بضم الخاء والطاء فمن خفف ابقاه على الاصل وطلب الخفة لانها جمع خطوة ساكنة الطاء ومن ضم الطاء تبعها ضمة الخاء
والخطوة ما بين القدمين ومعنى قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه ولا تقفوا اثره
ولا تأتموا به ولا تطيعوه فيما يزين لكم من تحريم حلال واستحلال حرام في الشرع انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء فانه
ابى السجود لادم ابيكم واخرجه من الجنة ثم بين تعالى عداوته فقال انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته انما يامركم بالسوء والفحشاء لا يامركم بخير قط والسوء كل ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة
اذا احزنه وسؤته فسيء اي احزنته فحزن قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا قال الشاعر ان يك هذا الدهر قد ساءني
فطالما قد سرني الدهر ● الامر عندي فيهما واحد ● لذا الصبر ولذا الشكر ● والسوء هنا عصيان الله وقال [illegible] والفحشاء ما

الحد في القبح

الحد في القبح من العظائم وهو مصدر كالبأساء والضراء ويجوز ان يكون نعتا وقيل السوء من الذنوب ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل هو البخل وقيل هو الزنا وقيل ان جميع ما في القرآن من ذكر
الفحشاء فهو الزنا الا قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه منع الزكاة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف كان
امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه
بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله
وقال تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت وللقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف وصرف
اللفظ عن الحقيقة فان الامر حقيقة هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء ولا شك ان الشيطان يطلب السوء والفحشاء منا
على سبيل الاستعلاء وكيف لا وقد قال انا خير منه وان تقولوا على الله عطف على قوله بالسوء ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام
وقيل المخاطبون هم المشركون وكفار اهل الكتاب يعني في نسبتهم اشياء مما شرعوها الى الله تعالى كما ذكر عنهم في قوله واذا
فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا
دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ● قيل دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم
عذاب الله ونقمته فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا واعلم منا فانزل الله هذه الاية فعلى هذا تكون
قصة مستانفة والضمير في لهم راجع الى غير مذكور وقيل هذه الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم للناس وعدل بالخطاب
عنهم الى الغيبة على طريق الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يقولون وقيل هم مشركو العرب وكفار قريش قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا من الدين فقال الله تعالى اولو كان
اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من التوحيد ومعرفة الله ولا
الحجة البالغة وقيل لا يعقلون شيئا اصلا او لا يعقلون شيئا من امر الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب مثلا للكفار
فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق الاية فيه لا بد من مضاف محذوف اما في جانب المثل وقيل الذين واما في جانب كمثل وقيل
فعلى الاول تقديره ومثل واعظ الذين كفروا او داعي الذين كفروا الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة
ودوي الصوت من غير القاء اذهانهم للاستبصار كمثل الذي ينعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت
بها وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون شبه العقلاء داعي الذين كفروا بداعي البهائم والذين كفروا
بالبهائم ومعناه الذين كفروا بالبهائم الذي ينعق بالبهائم واراد بما لا يسمع البهائم ويجوز ان يراد بما لا يسمع الرجل الاصم الاصلخ
الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وعلى هذا المثل الاول الا انه في الاول
ما لا يسمع البهائم وفي هذا الرجل فيكون تقديره ومثل داعي الذين كفروا الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس
النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الذي ينعق بالرجل الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع
صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم الحروف فعبر عن الرجل الاصم الذي هو [illegible] بالنعيق لانه في ذلك
ما لا يعقل وعلى الثاني تقديره ومثل الذين كفروا في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل بهائم الرجل الذي ينعق بها لا تسمع الا
ظاهر الصوت ولا يفهم ما تحته فكذلك الذين كفروا يتبعون اباءهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل والمراد
بما لا يسمع البهائم وضع ما وضع المضمر لكون المرجع اليه محذوفا وقيل لا حاجة الى تقدير مضاف لا في المشبه ولا في المشبه
به بل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم للاصنام كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام
لا تسمع شيئا يقال نعق الراعي بالضأن ينعق نعيقا ونعقا ونعاقا ونعقانا اذا صاح به وزجره قال الاخطل فانعق بضأنك
يا جرير فانما ● منتك نفسك في الخلاء ضلالا ● ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي هم صم عن الحق فلا يسمعونه بكم
عن الحق فلا ينطقون به عمي عن الحق فلا ينظرون فهم لا يعقلون شيئا من التوحيد ومعرفة الله تعالى قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ● الامر هنا للاباحة من طيبات من حلالات
ما رزقناكم من الحرث والانعام وما حرمه المشركون منها على انفسهم وسائر المأكولات على الحقيقة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء يقول يا رب يا رب
اشعث اغبر مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب له قال صاحب الكشاف من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا تمثيل لتفسير الطيبات بالمستلذات لان قوله ما رزقناكم محمول على الحلال لان ما رزق
الله لا يكون الا حلالا عند المعتزلة وعند اهل السنة ما رزق الله اعم من ان يكون حلالا او حراما وهو الحق فتفسر الطيبات
بالحلالات لتكون الاكل المأمور به حلالا واشكروا لله على نعمه ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي النعم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري ثم بين ما حرم عليهم

قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه
ان الله غفور رحيم ● انما كافة للحصر والميتة ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح والدم اراد به الجاري مثل قوله
تعالى او دما مسفوحا كانت العرب تجعل الدم في المباعر وتشويها ثم تأكلها فحرم الله تعالى الدم وخصت الميتة والدم بالسنة
وهو قوله عليه السلام احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والسمك واما الدمان فالكبد والطحال [illegible]

بالميتة والدم ما يتعاهده الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الوهم إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما لم يحنث بأكل السمك وإن أكل لحما باعتبار الحقيقة اللغوية قال تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ولحم الخنزير يعني الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لأنه معظمه وقوامه ولأنه المقصود بالأكل قال صاحب الكشاف لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم وما أهل به لغير الله الإهلال في اللغة رفع الصوت عند هلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبية قال ابن أحمر يصف فلاة * يهل بالفرقد ركبانها * كما يهل الراكب المعتمر * ومنه أهل الصبي واستهل وهو صياحه عند خروجه من بطن أمه ومنه إهلال المطر واستهلاله وانهلاله وهو صوت وقوعه بالأرض وما أهل به لغير الله أي ما ذبح به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذكر عليه غير اسم الله وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله سبعة من خلقه ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيئا من البهائم ملعون من جمع بين امرأة وابنتها ملعون من عق والديه ملعون من انتمى إلى غير مواليه ملعون من غير حدود الأرض فمن اضطر قرأ عاصم وحمزة بكسر النون تحريكه وفي أخواته مثل أن اقتلوا أو اخرجوا لأن الساكن يحرك بالكسر والباقون بضم النون لما سكنوا أولى الفعل الذي عليه لأجل الثقل نقل ضمته إلى النون ومعناه ألجئ وأحوج وأجهد إليه وهو افتعل من الضرورة قال الأزهري معناه من ضيق عليه الأمر بالجوع وقيل معناه أكره عليه كالرجل يأخذه العدو فيكرهه على أكل لحم الخنزير غير باغ نصب على الحال العامل فيه الاضطرار وإذا رأيت غير يصلح في موضعها إلا فهي حال وإذا صلح في موضعها لا فهي استثناء أصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا إذا انتهى إلى الفساد ومنه قيل للزنا بغاء قال تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والزانية بغي قال تعالى وما كانت أمك بغيا والبغي الظلم أيضا قال الله تعالى والذين إذا أصابهم البغي وأصل العدو الظلم يقال عدا عليه عدوا وعدوانا إذا ظلم اختلف المفسرون في معنى قوله غير باغ ولا عاد فقيل غير باغ على مضطر آخر بالاستئثار عليه ولا عاد بسد الجوعة وقيل غير باغ غير قاطع للطريق ولا عاد مفارق للأئمة مشاق للأمة خارج عليهم بسيفه فمن خرج يقطع الرحم أو يخيف ابن السبيل أو يفسد في الأرض أو أبق من سيده أو فر من غريمه أو خرج عاصيا بأي وجه كان فاضطر إلى الميتة لم يحل أكلها أو اضطر إلى الخمر عند العطش لم يحل له شربها لأنه لا رخصة له ولا كرامة فأما إذا خرج مطيعا ومباحا له ذلك فإنه يرخص له فيه وهو مذهب الشافعي قال إذا أباح الله ذلك فقد أعانه على الفساد وذلك الظلم لكن يتوب ويستبيح ذلك وقيل هذا البغي والعدوان راجعان إلى الأكل وإليه ذهب أبو حنيفة وأباح تناول الميتة للمضطر وإن كان عاصيا وقيل غير باغ بأكله من غير اضطرار ولا عاد متعد يتعدى الحلال إلى الحرام فيأكلها وهو غني عنها وقيل غير باغ أي غير مستحل لها ولا عاد أي متزود منها وقيل غير باغ في الأكل شهوة فيأكلها تلذذا ولا عاد يأكل حتى يشبع منه ولكن يأكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه وقيل غير باغ أي مجاوز للحد الذي يحل له ولا عاد أي لا يقصر فيما يحل له فيدعه ولا يأكله قال مسروق من اضطر إلى الميتة فلم يأكلها حتى مات دخل النار وقد اختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يمسك به رمقه وهو أحد قولي الشافعي واختيار المزني والقول الآخر يأكل منها حتى يشبع وقيل لا يزاد على الثلث وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة فلم يرخص للمبتدع تناول المحرمات عند الضرورة فلا إثم عليه ولا جرح عليه في أكلها إن الله غفور للعاصي وفيه إشارة إلى أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يؤاخذ بما جعل فيه الرخصة رحيم حيث رخص للمضطر في أكل الميتة

قوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

● عن ابن عباس رضي الله عنهما سألت الملوك اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ما الذي تجدون في التوراة فقالت اليهود إنا نجد في التوراة أن الله عز وجل يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الزنا والخمر والملاهي وسفك الدماء فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ونزل المدينة قالت الملوك لليهود هذا النبي تجدونه في كتابكم فقالت اليهود طمعا في أموال الملوك ليس هذا بذلك النبي فأعطاهم الملوك الأموال فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لليهود وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه فأنزل الله عز وجل إن الذين يكتمون أولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه ذكر البطون ههنا للتوكيد لأن الإنسان قد يقول أكل فلان مالي إذا أفسده ويقال كلمته في فيه لأنه قد يكلمه مراسلة ومكاتبة وناول يده من يده ونحوهما قال الشاعر نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار يعني ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة وثمن الدين والإسلام لما كانت عاقبته النار سماه في الحال نارا كقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم

نارا

نارا يعني أن عاقبته تؤول إلى النار وقوله عليه السلام في الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم أخبر عن المآل في الحال قال صاحب الكشاف لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدله قال أكلت دما إن لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافا أراد ثمن الإكاف فسماه إكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيمة كلاما ينفعهم ويسرهم تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامهم وقيل لا يكلمهم الله معناه يغضب عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه ولا يزكيهم ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يثني عليهم قوله فما أصبرهم على النار قيل ما للتعجب وأصبرهم فعل التعجب تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن يريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب نقل عن الكسائي أنه قال أخبرني قاضي اليمن أن خصمين اختصما إليه فوجبت اليمين على أحدهما فحلف فقال له خصمه ما أصبرك على النار أي ما أجرأك عليه وقيل فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار لأن هؤلاء كانوا علماء بأن من عاند النبي صلى الله عليه وسلم صار من أهل النار وقيل معناه فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه وقيل ما أعلمهم بأعمال أهل النار وقيل ما أبقاهم على النار وقيل ما استفهام ومعناه أي شيء صبرهم على النار أي شجعهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل يقال أصبره وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب وقيل هذا على وجه الاستهانة ذلك أي ذلك العذاب الأليم بسبب أن الله نزل الكتاب أي التوراة بالحق فاختلفوا في الكتاب وفعلنا ذلك بهم بأن الله عز وجل نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وكفروا وإن الذين اختلفوا في كتاب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب لفي شقاق أي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس وذلك إشارة إلى كفرهم أي كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق كعلم أهل الكتاب وإن الذين اختلفوا من المشركين فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وبعضهم أساطير الأولين لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك المشركين لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما اجترأ هؤلاء أهل الكتاب أن يكفروا

قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

● قرأ حمزة وحفص ليس البر بنصب الراء والباقون بالرفع فمن رفع جعله اسم ليس وجعل خبره في قوله أن تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب جعل أن وصلتها في موضع الرفع على اسم ليس توليتكم وجوهكم البر قيل عنى الله تعالى بهذه الآية اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم أن البر في ذلك فأخبر الله أن البر غير دينهم وعملهم ولكن البر ما بيناه في هذه الآية وقيل المراد بهذه الآية المؤمنون وذلك أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل فتلاها عليه وقد كان الرجل قبل نزول الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم صلى الصلوات إلى أي ناحية كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة وحدت الحدود أنزل الله تعالى هذه الآية فقال ليس البر كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر من آمن البر اسم للخير وهو اسم معنى فلا يصح أن يكون خبره اسم ذات إذ لا يقال البر زيد بل يحتاج إلى تأويل لما تقدم مضافا في الأولى أو في الثانية أي ولكن ذا البر من آمن ولكن البر بر من آمن وأما بأن يجعل البر نفس المؤمن كأن المؤمن تجسد من البر لكثرة البر منه كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار جعلت الناقة لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبتهما عليها وأنه لم يكن لها حال غيرهما كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار قرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف ورفع الراء والباقون بالتشديد ونصب الراء والكتاب جنس كتب الله لأنه اسم جنس فيجوز وقوعه على الكثير وآتى المال على حبه مع حب المال والشح عن ابن عباس وابن مسعود هو أن تؤتيه وأنت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير راجع إلى الله أي ولكن المال على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وابن السبيل المسافر المنقطع عن أهله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأن السبيل رعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب يعني المكاتبين أي وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فداء الأسارى وفك رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم ذكر إيتاء الزكوة بعده يحتمل أن يكون في المال حق سوى الزكوة عن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكاة ويحتمل أن يكون ذلك بيانا لمصارف الزكوة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة والموفون بعهدهم عطف على من آمن أي بعهدهم فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس إذا عاهدوا أي إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أو نذروا وفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا وقيل في هذه الآية من أعطى عهد الله ثم نقضه فالله تعالى ينتقم منه ومن أعطى ذمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم غدر فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيمة والصابرين منصوب على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال والبأساء الشدة والفقر والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت القتال في سبيل الله والبأس اسم للحرب والقتال وأصله الشدة أولئك أي

اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم فمن شرائط البر وتمام شرائط البار ان تجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام
بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ● قيل سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى الاحكام التي كانت قبل مبعث محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك لان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى كانوا يوجبون العفو والعرب تارة يوجبون
القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كلا الحكمين اما القتل فلانه اذا وقع القتل بين قبيلتين احدهما
اشرف من الاخرى فالاشرف كانوا يقولون نقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين و
كانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك واما الدية فهو انهم ربما جعلوا دية الشريف
اضعاف دية الرجل الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص
ونزلت هذه الاية كتب اي فرض فانه مستعمل في الشرع قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وقال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية ومنه الصلوات المكتوبات اي المفروضات وقال عليه السلام ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم وايضا لفظة
عليكم مشعرة بالوجوب قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت والقصاص عبارة عن المقاصة وهي المساواة في النفس والجراح
والديات واصله من قص الاثر اذا اتبعه فكان المقتول يتبع ما عمل به فيعمل مثله في القتلى اي بسبب القتلى لان كلمة في قد
تستعمل في السببية كقوله في النفس المؤمنة مائة من الابل فان قيل لو وجب القصاص فاما ان يجب على القاتل نفسه وهو باطل
لان القاتل لا يجب عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك او على الولي وهو ايضا باطل لانه مخير في الفعل والدية بل تركه مندوب
او على الاجنبي وهو باطل لان الاجنبي لا تعلق له به ولانه معنى الاية ايجاب التسوية في القتل ولا يلزم منه ايجاب القتل اجيب
بان المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجراه فانه متى حصل شرائط وجوب القود لا يحل للامام ان يترك القود
والتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاء القصاص ان اراد الولي او ايجاب تسليم القاتل نفسه عند مطالبة الولي بالقصاص
فانه لا يجوز للقاتل ان يمتنع وبان ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة القتل وايجاب الصفة تقتضي ايجاب
الموصوف ومذهب ابي حنيفة ان موجب العمد القصاص عينا واحد قولي الشافعي ان موجبه احدهما اما القصاص والدية وظاهر
الاية ان الموجب هو القصاص لكن لولي الدم العفو بعوض وبدونه والشافعي راعى في المماثلة جهة القتل الاول فان كان
بقطع اليد قطع يد القاتل فان مات عنه والا يجز رقبته وابو حنيفة يقول المراد بالمثل تناول النفس حجة الشافعي ان الله تعالى
اوجب التسوية من جميع الوجوه الممكنة بدليل صحة الاستثناء اذ يصح ان يقال كتب التسوية في القتل الا في كيفية القتل وكون
التسوية في كيفية القتل داخلا تحت النص وانه لو لم يحكم بدلالة هذه الاية على التسوية في جميع الامور صارت الاية مجملة
ولو حكم فيها بالعموم صارت مخصوصة وتقدم بعض الظهور والتخصيص على الاجمال ثم يؤكد هذا النص بالنصوص المقتضية
للمماثلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها ثم تاكدت هذه النصوص المقتضية للمماثلة بالخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حرق حرقناه
ومن غرق غرقناه وروي ان يهوديا رضخ راس صبية بالحجارة فقتلها فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضخ راس اليهودي
بالحجارة حجة ابي حنيفة قوله عليه السلام لا قود الا بالسيف وقوله عليه السلام لا يعذب بالنار الا ربها والجواب ان الاحاديث
متعارضة فلنا النصوص فيعمل بها ثم اتفقوا على انه ان القاتل اذا ارتكب واصر على ترك التوبة يكون القصاص عقوبة
في حقه عقوبة من الله تعالى اما اذا كان تائبا فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة لان توبته مقبولة لقوله تعالى
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات واذا كانت التوبة مقبولة لا يبقى استحقاق العقوبة لقوله
عليه السلام التوبة تمحو الحوبة ثم قال اصحابنا اهل السنة والجماعة يفعل الله ما يشاء ولا اعتراض عليه في شيء وقالت المعتزلة
انه شرع القصاص ليكون لطفا له ثم سألوا انفسهم فقالوا كيف يكون هذا القتل لطفا له ولا تكليف بعد القتل واجابوا
عنه بان هذا القتل منفعة لولي المقتول من حيث التشفي كسائر المكلفين من حيث انه زجر سائر الناس عن القتل ومنفعة
للقاتل من حيث انه متى علم انه لا بد ان يقتل ترك الامر او التمرد قوله الحر بالحر قيل كان بين حيين من احياء العرب دماء
في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر وكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور فقتل الاوضع منها الشريف فحلف الشريف
ليقتلن الحر بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام
فنزلت فامرهم ان يتباوؤا اي يتساووا ومذهب الشافعي ان الحر المسلم كفو للحر المسلم وكذلك العبد للعبد والذكر للذكر
والانثى للانثى واستدل الاية بمنطوقها على ان الذكر لا يقتل بالانثى ولا ان العبد لا يقتل بالحر لكن بحسب المفهوم يدل
على ان الحر لا يقتل بالعبد لان تقييد الحكم باحد وصفي الذات يدل على نفي الحكم عما عدا الوصف وهو مذهب الشافعي
فان قيل لا يخلو اما ان يعتبر مفهوم الصفة او لا فان لم يعتبر لم يلزم ان لا يقتل الحر بالعبد وان اعتبر يلزم ان لا يقتل
العبد بالحر اجيب بان مفهوم الصفة معتبر ولكن اذا لم يكن غير المذكور اولى بالحكم من المذكور او مساويا له واذا لم يكن
التقييد لنفي الباطل وههنا التقييد في قولنا بالحر يقتضي ان يكون غير المذكور الذي هو العبد ليس اولى بالحكم من المذكور
فانه اذا قتل الحر بالحر لم يكن العبد اولى بالحكم منه ولا مساويا له ولم يكن الحر والعبد لنفي الباطل فيكون المفهوم معتبرا فلا يقتل
الحر بالعبد واما التقييد بالعبد في قوله بالعبد يقتضي ان يكون غير المذكور الذي هو الحر لا ينتفي عنه الحكم لان العبد اولى
بالحكم من الحر لان الحر الذي هو اشرف اذا كان يقتل بالحر فالعبد اولى ان يقتل بالحر فالمفهوم معتبر في الاول دون الثاني

عليه السلام

يعتبر

يعتبر المفهوم في قوله العبد بالعبد في الاول لانه ليس باولى ولا مساويا له ولا ورد لنفي الباطل ولم يعتبر في الثاني لان غير المذكور
الذي هو الحر اولى وكذلك لا يعتبر في قوله والانثى بالانثى لان غير المذكور في الطرفين مساو للمذكور في الحكم فيقتل الذكر
والانثى بالذكر ومذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد وتمسكوا
بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به والجواب
اما عن قوله انها منسوخة بقوله تعالى ان النفس بالنفس فلا نسلم انها منسوخة بقوله ان النفس بل مخصصة ومفسرة لها
اذا دار اللفظ بين كونه مخصصا للعام ومفسرا للكلام سواء كان بمفهومه او بمنطوقه وبين كونه منسوخا فالحمل على انه
مخصص ومفسر اولى وايضا فقوله ان النفس بالنفس وارد لحكاية ما كتب في التوراة على اهلها لقوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس وهذه مخاطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها فلا يجوز ان تكون منسوخة به واما عن الاستدلال
بقوله عليه السلام والمسلمون تتكافأ دماؤهم فانه مخصص بمفهوم قوله تعالى الحر بالحر واما عن قولهم ان التفاضل غير معتبر
في النفس قلنا ان اردتم ان التفاضل غير معتبر في الانفس مطلقا فممنوع وان اردتم به في بعض الصفات فمسلم ولا يلزم
منه ان يكون التفاضل في الحرية والرق غير معتبر قوله فمن عفي له من اخيه شيء العفو اسقاط الواجب عقوبة كان او دينا ومن
ارش جناية والضمير المجرور في قوله واخيه يرجعان الى من هو القاتل والاخ ولي المقتول وشيء مفعول مطلق معناه فمن عفي له من اخيه
شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى العفو
بنفسه بل بواسطة الحرف وانما قيل لولي المقتول الاخ لانه بينه وبين القاتل ملابسة من قبل انه ولي الدم ومطالب القاتل به
كما يقول الرجل للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكر ولي المقتول بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه
بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام اعلم ان عفى يتعدى الى الجاني والى الذنب بعن يقال عفوت عن فلان وعن ذنبه
قال تعالى عفا الله عنك وقال عفى الله عما سلف فقال العفو اسقطها وعدي بنزع الخافض من الذنب فيقال عفوت له ذنبه فاذا تعدى
الى الذنب سواء بعن او بدونه قيل عفوت لفلان عما جنى وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية
قال صاحب الكشاف فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفى الشيء بمعنى تركه ليس بثبت
ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له
من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال
الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه
المشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها ثم قال فان قلت لم قيل شيء
من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو
وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فاعل الفعل محذوف تقديره فليكن اتباع بالمعروف او خبر مبتدا
محذوف اي فالامر اتباع وهذه توصية لولي المقتول الذي هو العافي وللقاتل الذي هو المعفو عنه جميعا يعني وليؤد القاتل
بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة
جميلة ذلك الحكم المذكور من القصاص والدية والعفو اي التخيير بين هذه الاشياء تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل
التوراة كتب عليهم القصاص وحرم عليهم العفو والدية واهل الانجيل كتب عليهم العفو وحرم عليهم القصاص والدية
وخيرت هذه الامة بين الثلاثة القصاص والدية والعفو تخفيفا وتيسيرا وتوسعة عليهم فمن اعتدى بعد ذلك
التخفيف والتخيير فتجاوز ما شرع له فقتل غير القاتل بعد اخذ الدية فله نوع عظيم من العذاب شديد الالم في الاخرة قيل كان
الرجل في الجاهلية اذا قتل قتيلا فر الى قومه فيجيء قومه فيصالحون بالدية فيقول ولي المقتول اذا قبلت الدية حتى يامن القاتل
ويخرج عن قومه فيقتله ثم يرمي اليهم بالدية فذلك الاعتداء وقيل عذاب اليم يقتل في الدنيا ولا يعفى عنه قال عليه السلام
لا اعافي رجلا قتل بعد اخذ الدية في الاخرة عذاب النار وفي هذه الاية دليل على ان القاتل الذي هو متعمد لا يصير كافرا بالقتل
ولا يبقى خالدا في النار بما اتاه لان الله عز وجل خاطبهم فقال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص ولا خلاف في
ان القصاص واجب في العمد فلم يسقط عنه اسم الايمان بارتكاب هذه الكبيرة وقال في اخر الاية فمن عفي له من اخيه
شيء فسمى القاتل اخا وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما لا يحصلان للمؤمنين دون الكافرين وقال ابن عباس سمى الله القاتل
في اول الاية مؤمنا وفي وسطها اخا ولم يؤيسه في اخرها من التخفيف والرحمة قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
يا اولي الالباب لعلكم تتقون ● كلام فصيح بليغ لما فيه من الغرابة اللطيفة الحسنة الوجيزة فان القصاص الذي
هو قتل وازالة للحياة جعله ظرفا للحياة والظرف اذا احتوى المظروف يمنعه من التفويت ومن اصابة محز البلاغة تعريف القصاص
وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد جماعة
وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التقاتل والتشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه
حياة او نوع من الحياة عظيم وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لحصول العلم للقاتل بالاقتصاص اذا هم بالقتل
فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة النفسين وعلى هذا
حيوة هو العلم في الايجاز واصابة المحز بفضله على ما كانوا يعتقدونه اوجز كلام في هذا المعنى وذلك قولهم القتل انفى للقتل فانه
اربعة عشر حرفا وليس فيها الا نفي القتل ومع هذا لا يفي بالمقصود الا بتقدير قصاصا بعد القتل السابق وظلما بعد الذي
كما يقال القتل قصاصا انفى للقتل ظلما وقوله في القصاص حياة احد عشر حرفا ليس فيها قتل ولا نفي بل فيها الحياة المضادة للقتل

المفهوم م

والذكر والانثى م

او قتل القاتل

نفسين وسببا حياة م

وان المقصود من غير المقصود ومن غير شيء اخر يا اولي الالباب اي العقول الصرفة الصافية عن نزغات الشيطان الملامة كنفوذ
في العواقب المستدعية لاستعمال القوى الغضبية فيما امر به الشيطان من الامور المضادة لمقتضيات الدين والعقل
لعلكم تتقون من كل معصية مستدعية لدخول النار قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا
الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم
اي حضر اذا حضر اسبابه وظهرت اماراته ومقدماته من الامراض خيرا قيل مالا قليلا او كثيرا فان الخير يراد به المال في
كثير من القرآن كقوله وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد اني لما انزلت الي من خير فقير وهذا لا يدل على ان المال القليل
خير بل غايته انه اطلق الخير واريد به المال وقيل ان المراد بالخير هنا المال الكثير روي ان عليا قال لعائشة رضي الله عنها
ان مولى له اراد ان يوصي قالت كم ماله قال ثلاثة الاف قالت كم عياله قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وانما هو شيء يسير فاتركه لعياله وعن علي
رضي الله عنه انه قال لمولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال ثم
اختلفوا فقيل الكثير مقدر بمقدار معين [illegible] عن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فان بلغ ثمان مائة درهم اوصى
وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم وقيل غير مقدر بمقدار معين بل يختلف ذلك باختلاف حال الرجل
لانه قد يوصف الرجل بمقدار من المال بانه غني وغيره لا يوصف بانه غني بهذا المقدار بسبب كثرة العيال وكثرة النفقة والوصية
مرفوع بكتب لاقامتها مقام الفاعل وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله
بعدما سمعه واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل كانت الوصية للوالدين والاقربين فرضا واجبا على من مات
وله مال في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث في سورة النساء وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وتلقته الامة بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته
وقيل نسخت الوصية للوالدين والاقربين الذين يرثون وبقي فرض الوصية للاقارب الذين لا يرثون وللوالدين الذين
لا يرثان بكفر او رق وعلى من كان له مال لخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية فقال الا ان الله تعالى اعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين ان الميراث والوصية لا يجتمعان فاية الميراث ناسخة وقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو المبين وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها
كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر
ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف اي بالعدل
الذي لا ينكر بان لا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير قال ابن مسعود الوصية للاخل فالاخل اي الاحوج فالاحوج
حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا اي وجب على المؤمنين وجوبا وقيل مفعول به اي جعل الوصية حقا على المتقين
على المؤمنين الذين يتقون الشرك قال الواحدي كان السبب في نزول هذه الاية ان اهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم
للبعداء رياء وسمعة فقضى الله بهذه الاية [illegible] الى الاخل والاقرب فعل بها ما كان [illegible] ثم نسخها
اية المواريث في سورة النساء وكانت الوصية للوالدين والاقربين فرضا على من مات وله مال حتى نسخ حكم الاية وبقيت
على حد الندب [illegible] ان يوصي لكل من شاء من الاقارب [illegible] الا الوارث [illegible] وقال النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا يجوز لوارث وصية عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة قوله فمن بدله اي غيره من الاوصياء
الواقع على الوجه المشروع من الاوصياء او الاولياء او الشهود بعدما سمعه من الموصي الميت وتحققه فانما اثمه اي
التبديل فانما اثم التبديل الا على الذين يبدلونه لا الايصاء ولا الموصي الميت لانه برئ من الحيف ان الله سميع لما قاله
الموصي عليم بنيته وما اراد عليم بما يفعله الوصي وعيد للمبدل قوله فمن خاف من موص جنفا او اثما قيل كان الاولياء
والاوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول الاية المتقدمة وان كانت مستغرقة للمال فانزل الله هذه الاية فمن خاف توقع
وعلم واستعمال الخوف بمعنى التوقع والعلم شائع [illegible]
فان القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كان [illegible] وانما يخاف لعلمه بوقوعه [illegible] استعمل الخوف في العلم ومنه قوله
تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا وقوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله من موص قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي
وابن عامر وحفص بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد قوله جنفا اي ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية يقال جنف يجنف
جنفا اذا مال وكذلك تجانف ومنه قوله غير متجانف لاثم او اثما او تعمدا للحيف قال المفسرون الجنف الخطأ والاثم العمد
قيل معنى الاية ان من حضر مريضا وهو يوصي فخاف ان يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له او يتعمد جورا فيها فامره بالحق
فلا حرج على من حضره ان يصلح بينه وبين ورثته بان يامره بالعدل في وصيته [illegible] فلا اثم على وليه او وصيه
او والي امر المسلمين ان يصلح بعد موته بين الموصى لهم وبين ورثته بارجاعهم الى العدل او طريق الشرع لان تبديله تبديل باطل
الحق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون كتب

فرض عليكم الصيام مصدر صام كالقيام من قام واصله في اللغة الامساك عن الشيء والترك له ومنه قيل للصمت صوم قال
تعالى اني نذرت للرحمن صوما وصام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السماء وقفت وامسكت
من السير سويعة قال الراجز حتى اذا صام النهار واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل وصام الريح
اذا سكنت وتمسكت عن الهبوب وصام الفرس اذا وقف وامسك عن السير قال النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة الصيام هو الامساك من حين طلوع الفجر الى غروب الشمس عن المفطرات
من الطعام والشراب والجماع وغيرها مقرونا بالنية قوله كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم
قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من ايجابها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم
وفائدة هذا الكلام ان الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق اذا عم سهل تحمله في موضع كما وجوه احدها انه منصوب على المصدر
وما في كما مصدرية اي فرض عليكم مثل الفرض الذي كتب على الذين من قبلكم وثانيها انه منصوب على انه صفة مصدر محذوف
تقديره فرضا كالفرض الذي كتب على الذين من قبلكم وثالثها انها في موضع النصب على الحال تقديره كتب عليكم الصيام مماثلا
لما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لتكونوا من المتقين الذين اثنى عليهم واثبت ان الكتاب هدى لهم بالمحافظة
عليها وتعظيمها لاصالتها فان المحافظة على الصوم تورث التقوى لما فيها من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فانه يردع عن
الاشر والبطر وموافقة السوء قال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء
او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه كتب عليكم الصيام كصوم الذين من قبلكم
يعني النصارى في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان [illegible]
عشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان يقع صومهم في الحر الشديد او البرد الشديد وكان يشق عليهم
وليشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين
الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين يوما ثم ان ملكا لهم
اشتكى فجعل لله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم
ملك آخر فقال اتموه خمسين يوما وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان تتقوا المفطرات بعد ان تصلوا العشاء وبعد ان تناموا
قوله اياما معدودات اياما انتصابها بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم وقلة
كقوله دراهم معدودات واصله ان المال القليل يقدر بالعدد واختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان وهو
قول معاذ وقتادة وعطاء ورواه عن ابن عباس ثم اختلف هؤلاء فقيل ثلاثة ايام من كل شهر عن عطاء وقيل ثلاثة ايام من كل
شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ثم اختلفوا ايضا فقال بعضهم انه كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء
على انه منسوخ بصوم رمضان قبل قتال بدر بشهر وايام واحتج القائلون بان المراد بهذه الايام غير رمضان بما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] انه قال صوم رمضان نسخ كل
صوم فانه يدل على انه قبل وجوب صوم رمضان كان صوم آخر وبانه تعالى ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية
ثم ذكر حكمهما ايضا في الاية التي بعد هذه الاية الدالة على صوم رمضان فلو كان هذا الصوم صوم رمضان لكان تكريرا
محضا من غير فائدة وبان قوله تعالى في هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية يدل على ان هذا الصوم واجب على التخيير يعني
ان شاء صام وان شاء افطر واعطى الفدية واما صوم رمضان فواجب على التعيين فوجب ان يكون صوم هذه الايام غير صوم رمضان
والثاني وهو اختيار اكثر المحققين كابن عباس والحسن وابي مسلم ان المراد بهذه الايام المعدودات شهر رمضان وبيانه
انه تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل يوما ويومين وايام ثم بينه بقوله اياما فزال بعض الاحتمال لكنه يحتمل
ان يكون اياما موقتة بعدد معلوم او غير موقتة فوصفها بقوله معدودات فزال بعض الاحتمال ثم ابهمه ثم بينه بقوله
شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فعلى هذا التقدير يجوز ان يجعل الايام المعدودات بعينها شهر رمضان واذا
جاز ذلك فلا وجه لحمله على غيره واما اثبات النسخ اما تمسكهم بقوله عليه السلام صوم رمضان نسخ كل صوم
انه ليس في الخبر انه نسخ عنه وعن امته كل صوم فلم لا يجوز ان يكون المراد انه نسخ كل صوم في الشرائع المتقدمة
فيكون وجوب صوم رمضان ناسخا لوجوب صوم الشرائع المتقدمة واما قولهم ان هذه الايام لو كانت رمضان لكان
حكم المريض والمسافر مكررا فالجواب ان في الابتداء كان صوم رمضان واجبا على التخيير بينه وبين الفدية وكان
المريض والمسافر رخص لهما في الفطر ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو لم يذكر المريض والمسافر لظن ان
الرخصة التي لهما ايضا نسخت فكرر حكم المريض والمسافر دفعا لهذا الظن واما قولهم ان صوم هذه الايام واجب
مخير وصوم شهر رمضان واجب معين فالجواب ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا ثم صار معينا قوله تعالى فمن كان منكم
مريضا او على سفر اي او راكب سفر فافطر فعليه عدة كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق
او قصر فعليه فدية والعدة العدد من ايام اخر غير ايام مرضه او سفره واخر غير منصرف [illegible] المرض
عبارة عن الحالة التي تقتضي صدور الافعال عن الاعضاء غير سليمة سلامة تليق بها واختلفوا في المرض المبيح
للفطر فقيل اي مرض كان لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل
فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه
فقال انه في سعة من الافطار وقيل ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة [illegible]

على اكل الاحوال وقيل هو الذي يؤدي الى ضرر النفس او زيادة في العلة وهو اختيار الشافعي واصل السفر الكشف
وسمي السفر سفرا لانه يكشف عن وجوه المسافرين واخلاقهم ويظهر ما كان خافيا منه واختلف الفقهاء في حد السفر
المبيح للفطر فقيل اي سفر كان طويلا او قصيرا لان الحكم متعلق بمن كان على سفر وهو عام في الطويل والقصير وقيل حد
السفر الذي يجوز فيه الافطار ستة عشر فرسخا ضاعفا كل فرسخ ثلثة اميال كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة
الاف خطوة وقيل الافطار في السفر عزيمة واجبة وليس برخصة فمن صام في السفر فعليه القضاء اذا اقام وهو قول
عمر وابن عباس وابي هريرة وعلي بن الحسين وعروة بن الزبير والضحاك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر
الصيام في السفر وبما روي عن عبد الرحمن بن عوف انه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وقيل الافطار في السفر
رخصة من الله والفرض الصوم فمن صام ففرضه ادى ومن افطر فبرخصة الله اخذ فلا قضاء على من صام اذا اقام
وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فمنا الصائم
ومنا المفطر فلم يكن يعيب بعضنا على بعض وعن عائشة رضي الله عنها ان حمزة بن عمرو قال يا رسول الله اني كنت اسرد
الصوم افاصوم في السفر قال ان شئت فصم وان شئت فافطر وعن حمزة بن عمرو انه قال يا رسول الله اجد لي قوة
على الصيام في السفر فهل علي جناح قال هي رخصة من الله عز وجل فمن اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح
عليه واما قوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر فان تمام الخبر يدل على تاويله وهو ما اخبر عن جابر بن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء قال ما بال صاحبكم هذا قالوا
يا رسول الله انه صائم قال انه ليس من البر ان تصوموا في السفر وعليكم برخصة الله الذي رخص لكم فاقبلوها
وكذلك تاويل قوله صلى الله عليه وسلم الصائم في السفر كالمفطر في الحضر يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر انه
رجل ينضح الماء على وجهه وهو صائم فقال له افطر ويحك فاني اراك لو مت على هذا لدخلت النار والجامع بين
الاخبار والمؤيد لما هو الصحيح ما روي عن عروة وسالم انهما كانا عند عمر بن عبد العزيز اذ هو امير على المدينة فتذاكروا
الصوم في السفر فقال سالم كان ابن عمر لا يصوم في السفر وقال عروة كانت عائشة تصوم في السفر فقال سالم
انما اخذت عن ابن عمر وقال عروة انما اخذت عن عائشة فارتفعت اصواتهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم غفرا اذا كان
يسرا فافطروا ثم اختلفوا في المستحب منهما فقال قوم الصوم افضل وهو قول معاذ بن جبل وانس وابرهيم ومجاهد
يروى ان انس بن مالك امر غلاما له بالصوم في السفر فقيل له في هذه الاية فقال نزلت ونحن نرتحل يومئذ جياعا وننزل
على غير شبع فمن افطر فبرخصة الله اخذ ومن صام فالصوم افضل وقال الاخرون المستحب الافطار لما روي عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس فبلغه ان الناس
قد شق عليهم الصوم فدعا بقدح ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعض فبلغه
ان ناسا صاموا فقال اولئك العصاة وعن انس قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا
المفطر فنزلنا في يوم حار فسقط الصوام وقام المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر واختلف في القضاء فعامة الفقهاء على التخيير بين التتابع وعدمه لما روي عن
ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر
وان شئت ففرق ولانه قوله تعالى فعدة من ايام اخر نكرة في سياق الاثبات فيكون ذلك امرا بصوم ايام على عدد تلك
الايام مطلقا فيكون التقييد بالتتابع خلاف الظاهر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم علي ايام من رمضان
افيجوز ان اقضيها متفرقا فقال له لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين اما كان يجزيك فقال نعم
قال فالله احق ان يعفو ويصفح قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها او فعدة الايام المعدودة
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها اعلم انه لا يؤتى على عددها فاغنى
ذلك عن التعريف بالاضافة قوله وعلى المطيقين الصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية قرا اهل المدينة والشام
في رواية ابن ذكوان لان هذا ما نون الفدية وجمع المساكين فدية طعام مضافا مساكين جمعا اما نون الطعام الى الفدية
لان الفدية اسم للقدر الواجب والطعام اسم يعم الفدية وغيرها وهذا كقولك ثوب خز وخاتم حديد وجمع المساكين
لان الذين يطيقونه فافطروا جماعة كل واحد منهم يلزمه طعام مسكين والفدية الذلك وقد مر ذكره وقرا الباقون فدية
منونة طعام رفعا مسكين خفضا على الواحد جعل ما بعد الفدية تفسيرا لها ووحد المسكين لان المعنى على كل واحد
لكل يوم طعام مسكين ومثل هذا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة وليس جميع القاذفين يفرق فيهم جلد ثمانين بل على كل واحد منهم ثمانين وقال ابن زيد يقال اتينا الامير فكسانا
كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واختلف العلماء في تاويل هذه الاية وحكمها فقال قوم كان ذلك في ابتداء ما فرض الصوم وذلك
ان الله تعالى لما انزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله وامر اصحابه بذلك شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا
الصيام فخيرهم الله تعالى بين الصيام والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء افطر واتى بالطعام ثم نسخ الله ذلك بقوله
فمن شهد وعلى هذا القول معاذ بن جبل وانس بن مالك وسلمة بن الاكوع وابن عمر وعلقمة وعمرو بن مرة وعكرمة والشعبي والزهري
وابراهيم والضحاك وهي احدى الروايات عن ابن عباس وقال اخرون بل هذا خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة اللذين
يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما رخص الله لهما ان شاءا ان يفطرا ويطعما الفدية لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله

فمن شهد

فمن شهد وثبت الرخصة للذين لا يطيقون وقالت طائفة هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك لانه ذكر المسافر والمريض فذكر
منهما من لا يطيق الصوم ومنهم من يطيق الصوم اما الذين لا يطيقون الصوم فقد علم حكمهم من قوله تعالى فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر واما الذين يطيقون الصوم منهما فعليهما فدية فكانما اثبت للمريض والمسافر حالتين احديهما ان لا يطيقا
الصوم فلهما ان يفطرا وعليهما القضاء بعدده والثانية ان يطيقا الصوم فيكونان مخيرين بين ان يصوما وبين ان يفطرا مع الفدية
ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد وعلى الاقوال الثلاثة الاية منسوخة وقال قوم لم تنسخ هذه الاية ولا شيء منها فاما تاويل ذلك
وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مساكين اضمر فيه
كانوا قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه مما تستدل المعتزلة به على اثبات القدرة على الفعل للانسان فان الضمير المنصوب في
يطيقونه للصوم ويجري على الذين يطيقونه يدل على انه قادر على الصوم وجوابه يجري بسائر الايات الدالة على اسناد الفعل الى العبد قوله فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية
بان يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب او اطعم مسكينا فصاعدا او جمع بين الصوم والطعام فهو خير له وان تصوموا
ايها المطيقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض
والمسافر فيكون خطابا مع كل من تقدم وهذا اولى لان اللفظ عام ولا يلزم من اتصاله بقوله وعلى الذين يطيقونه ان يكون
حكمه مختصا بهم يعني والصوم خير لكم ان كنتم تعلمون ان الصوم عليكم فاعلموا ان الصيام خير لكم ويجوز ان
يكون المراد منه ان كنتم من اهل العلم لان اهل العلم يعلمون ما في الصوم من المنافع اعلم ان كبار الفقهاء المؤمنين في افطار شهر
رمضان اربعة احدهم عليه القضاء والكفارة والثاني عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء والرابع
لا قضاء عليه ولا كفارة اما الاول فهو المفطر في قضاء شهر رمضان حتى دخل رمضان آخر والحامل والمرضع اذا خافتا على
اولادهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة فان خافتا على انفسهما فهما كالمريض حكمهما الحكم هذا قول ابن عمر ومجاهد ومذهب
الشافعي وقال بعضهم في الحامل والمرضع اذا خافتا على انفسهما وولدهما ان عليهما الكفارة ولا قضاء وهو قول ابن عباس
وقال قوم عليهما القضاء ولا كفارة وهو قول ابرهيم والحسن وعطاء والضحاك ومن قبل العراق ومالك والاوزاعي ومن تابعهم
واما الثاني فالمريض والمسافر والحائض والنفساء فعليهم القضاء دون الكفارة واما الثالث الذي عليه الكفارة دون القضاء
فالشيخ الهرم والشيخة الكبيرة ومن به مرض دائم لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة ولا قضاء هذا قول عامة الفقهاء وروي عن ربيعة
بن عبد الرحمن وخالد بن [illegible] انهما قالا في الشيخ والشيخة اذا استطاعا صاما والا فلا كفارة عليهما وليس عليهما [illegible]
وقال مالك لا ارى ذلك واجبا عليهما واحب الي ان يفعلا واما الرابع فالمجنون واختلف في قدر الفدية فقال اهل العراق
الواجب نصف صاع من كل يوم يفطر وقال قوم منهم نصف صاع من بر وصاع من تمر او زبيب وسائر الحبوب وقال بعض الفقهاء
ما كان قوت المفطر يومه الذي افطر وقال محمد بن الحنفية يطعم مكان كل يوم مدا للطعام ومدا لادمه وقال ابن عباس يعطي
مسكينا واحدا عشاءه حتى يفطر وسحوره حتى يتسحر وقال بعضهم يطعم كل يوم مسكينا واحدا مدا وهو قول ابي هريرة ومحمد بن عمرو بن
حزم والليث بن سعد ومالك بن انس والشافعي وعامة فقهاء الحجاز قوله تعالى ايام الصيام فقال شهر رمضان الذي انزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه الاية قال الفراء شهر رمضان رفع على البدل
من الصيام المعنى كتب عليكم شهر رمضان وقال الاخفش رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي شهر رمضان وقيل ذلكم شهر
رمضان وقيل فاعل فعل محذوف اي اتاكم شهر رمضان وقيل مبتدا وما بعده خبره ورمضان غير منصرف للتعريف والالف
والنون مثل عثمان وسعدان واختلفوا في اشتقاقه فقيل مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء اي الحجر والارض من حر الحجارة
من شدة حر الشمس والاسم الرمضاء والارض رمضة اضيف اليه الشهر وجعل علما وسمي هذا الشهر رمضان لان الصوم
فيه عبادة قديمة وكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي
يزعجهم اضجارا لشدته عليهم وحكى الاصمعي عن ابي عمرو انه سمي شهر رمضان لان وجوب صومه وافق شدة الحر وحكي
عن الخليل انه ماخوذ من الرمض وهو مطر ياتي في الخريف فسمي هذا الشهر رمضان لانه يغسل الابدان من الاثام غسلا
ويطهر قلوبهم تطهيرا قال صاحب الكشاف فان قلت التسمية واقعة مع المضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو
قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن باب
الالباس انزل فيه القران قيل ابتدى فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر عن ابن عباس ان عطية بن الاسود ساله فقال انه
وقع في قلبي الشك في قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة
وقد انزل في سائر الشهور فقال تعالى وقرانا فرقناه الاية وقالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة الاية فقال انزل القرآن
في رمضان في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ في بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل
على محمد عليهما السلام نجوما نجوما في عشرين سنة فذلك قوله تعالى بمواقع النجوم وقال داود بن ابي هند قلت للشعبي شهر رمضان
الذي انزل فيه القران اما كان ينزل عليه في سائر السنة قال بلى ولكن جبريل كان يعارض محمدا عليهما السلام في رمضان
ما انزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابرهيم في ثلث ليال مضين من رمضان وانزلت
توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل الانجيل على عيسى في ثلث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة
ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من رمضان وقيل شهر رمضان الذي
انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا قوله هدى نصب على الحال اي انزل القران
وهو هداية للناس من الضلالة الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات تهدي الى الحق وتفرق بين الحق والباطل وكذا اوله هدى

وذكر انه بينات موضحة لما هو الهدى وموصل الى الحق من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة [illegible] من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار [illegible] قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم [illegible] وهو شهر اوله رحمة واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار [illegible] فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما [illegible] فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار [illegible]

[illegible] فمن شهد منكم الشهر فليصمه [illegible] ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [illegible] ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون [illegible]

[illegible] واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان [illegible]

الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي بالطاعة اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم يقال اجاب واستجاب بمعنى واحد واجابة العبد لله تعالى الطاعة وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو نقيض الغي فان قيل ما وجه قوله اجيب دعوة الداعي اذا دعان وقوله ادعوني استجب لكم وقد يدعى كثيرا فلم يجب اجيب بانه قد [illegible] الطاعة ومعنى الاجابة الثواب كانه قيل اجيب دعوة الداعي بالثواب اذا اطاعني وقيل معنى الايتين خاص وان كان لفظهما عاما تقديرهما اجيب دعوة الداعي ان شئت فاجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء اجيب دعوة الداعي ان لم يسأل محالا واجيب دعوة الداعي اذا كانت الاجابة له خيرا يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلم دعا الى الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه بها احدى ثلاث خصال اما ان يعجل دعوته واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله اكثر وقيل هو عام وليس في الاية اكثر من اجابة الدعوة فاما اعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور في الاية وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة لان قوله اجيب واستجيب خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ لانه اذا نسخ صار المخبر كاذبا تعالى الله عما يقول الظالمون عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له في الدعاء فتحت له ابواب الاجابة واوحى الله عز وجل الى داود قل للظلمة لا تدعوني فاني اوجبت على نفسي ان اجيب من دعاني واني اذا اجبت الظالمين لعنتهم وقيل ان الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت الا انه يؤخر اعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته واخرها فاني احب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي هذا حاجته عاجلا فاني اكره ان اسمع صوته وعن يحيى بن سعيد انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب كم ادعوك فلا تستجيب فقال يا يحيى اني احب ان اسمع صوتك وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط هي اسباب الاجابة ونيل المنية فمن راعاها واستكملها كان من اهل الاجابة ومن اغفلها واخل بها فهو من اهل الاعتداء في الدعاء وحكي ان ابراهيم بن ادهم قيل له ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوه وعرفتم القران فلم تعملوا به واكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ● كان الرجل في اول ما فرض الصوم اذا امسى فافطر حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء الاخرة او رقد قبل الصلوة ولم يفطر حرم عليه الطعام والشرب والجماع الى مثلها من القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر اليك والى الله من نفسي هذه الخطيئة اني رجعت الى اهلي بعدما صليت العشاء الاخرة فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فهل تجد لي من رخصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بالذي كانوا صنعوا بعد العشاء الاخرة فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي اطلق وابيح لكم ليلة الصيام الرفث كناية عن الجماع وفي الاصل هو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وهو من لوازم الجماع فاطلق على اللازم وابتغاء الملزوم فيكون كناية وعن ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم فما ذكر الله تعالى في القران من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما يعني به الجماع قال القتيبي الرفث هو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه من ذكر النكاح واصله الفحش وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء قال الشاعر

ويرين من انس الحديث زوانيا ... وبهن عن رفث الرجال نفار

وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا ... ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له اترفث فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم وانما عدي الرفث بالى لتضمينه معنى الافضاء هن لباس لكم اصل اللباس ما يلبسه الانسان مما يواري جسده ثم المراة تسمى لباس الرجل والرجل يسمى لباس المراة لاشتمال كل واحد منهما على صاحبه في عناقه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا للاخر قال نابغة بني جعدة

اذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا

فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس يدل على صحة هذا التاويل قول الربيع بن انس في هذه الاية هن لحاف لكم وانتم لحاف لهن وقيل لما ستر الشيء وواراه لباس فجائز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما ورد في الخبر من تزوج فقد احرز دينه وسترا ايضا فيما يكون بينهما من الجماع من ابصار الناس والمفسرون يقولون هن سكن لكم وانتم سكن لهن والمعنى انكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة وهن كذلك ومن كونهن لباسا استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تفتعلون من الخيانة والخيانة

اذ الرفث له والمعنى علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بالجامعة بعد العشاء الآخرة في ليالي الصوم وتخونونها الحصة
اى لا تؤدون الامانة بالامتناع من المباشرة والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة
فتاب عليكم بالرخصة وعفا عنكم ما فعلتم قبل هذا فالآن باشروهن الآن حد مشترك بين زماني ماضي ومستقبل والامر
للاباحة والمباشرة المجامعة سميت المجامعة مباشرة لتلاصق البشرتين وابتغوا اى اطلبوا ما قضى الله لكم واثبت
في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل
وقيل وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وقيل هو نهى عن العزل وقيل وابتغوا
ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقيل وابتغوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها
قال صاحب الكشاف وهو قريب من بدع التفاسير قال الامام وهو قول معاذ بن جبل وابن عباس وجمهور المفسرين استبعدوه
وعندى انه جائز بعد ذلك لان الانسان اذا قضى وطره من المباشرة وصير فارغا من داعية الشهوة المانعة من التفرغ للطاعة
يمكنه ان يتفرغ لها اى اذا تخلصتم من تلك الخواطر المانعة عن الاخلاص فابتغوا ما كتب الله لكم من الاخلاص في العبودية
من الصلوة والذكر وطلب ليلة القدر وكلوا واشربوا الاية نزلت في رجل من الانصار بعد ذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض
له وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمى الطعام فارادت المرأة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت تعمل له
سخينة وكان في الصوم الاول من صلى العشاء الآخرة او نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع فلما فرغت من طعامه
اذا هي به قد نام وكان قد اعيا فايقظته فكره ان يعصى الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف
النهار حتى غشى عليه فلما افاق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
ما لك امسيت طليحا قال ظللت امس في النخل نهارى كله فاتيت اهلى فارادت امرأتى ان تطعمني شيئا سخنا فابطأت
على فنمت فايقظت وقد حرم على الطعام والشراب وطويت فاصبحت وقد اجهدنى الصوم فاغتم لذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وكلوا الاية والخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود
والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل اى البقية من الليل وقيل ظلمة آخر الليل شبها بخيطين ابيض واسود
قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى
عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله وهذا من
التشبيه فان قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع
تشبيها وانما زيد من الفجر حتى كان تشبيها ولم يقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة
لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر
فكان تشبيها بليغا وخرج عن ان يكون استعارة وعن عدى بن حاتم قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة
والصيام فقال صل كذا وكذا وصم فاذا غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الابيض من الخيط الاسود
وصم ثلثين يوما الا ان ترى الهلال قبل ذلك قال فاخذت خيطين من شعر ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتى فكنت اقوم
من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لى الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فضحك حتى بدت نواجذه وقال ان وسادك لعريض وفى رواية انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار من سواد الليل
قال صاحب الكشاف فكيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان قلت قد غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسادة لو قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته قال وانشدنى بعض البدويا
لبدوى   عريض القفا ميزانه في شماله   قد انحص من حسب القراريط شاربه   وعن سهل بن سعد
الساعدى انها نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا فانزل الله
عز وجل من الفجر فعلموا انه انما يعنى بذلك الليل والنهار فان قيل هذا الحديث يدل بظاهره على جواز تاخير البيان عن
وقت الحاجة وهذا يقتضي جواز تكليف الغافل وهو باطل اجيب بان من جوز تكليف الغافل بنا على انه عبث والعبث على الله
محال فمنهم من يجوز تاخير البيان التفصيلي دون الاجمالي عن وقت الحاجة فيقول لا نسلم ان تاخير البيان التفصيلي
يقتضى العبث فان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد والجواب انه لا يجوز تاخير
البيان مطلقا عن وقت الحاجة وعليه اكثر الفقهاء والمتكلمين وحينئذ يكون الجواب عنه انا لا نسلم انه قبل نزول من
الفجر تكون الاية مجملة وانما يلزم من ذلك لو لم تكن هذه الاستعارة مشهورة متعارفة عندهم وهو ممنوع قال الشاعر
فلما اضاءت لنا سدفة   ولاح من الصبح خيط انارا   وقال آخر   الخيط الابيض وقت الصبح منصدع
والخيط الاسود جنح الليل مكتوم   وقوله من الفجر لزيادة البيان فان مراتب الناس في فهم المعاني من الاستعارة
متفاوتة فبعضهم يفهم بسرعة وبعضهم في فهمه بطؤ وبعضهم يحتاج الى زيادة بيان وقول صاحب الكشاف اما
من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابى على وابى هاشم فلم يصح هذا الحديث عندهم
ليس بشيء فان الحديث رواه البخارى ومسلم فكيف يقال انه لم يصح قوله ثم اتموا الصيام الى الليل قال عبد الله بن ابى
اوفى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم فلما غربت الشمس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل
الليل من هنا وادبر النهار من هنا وغابت الشمس فقد افطر الصائم قيل فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان

وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفى صوم الوصال اما الاول فوجهه ان حتى في قوله ثم اتموا الصيام بعد قوله كلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ابتدوا بالصوم تاما فيكون اتيانا بالصوم مامورا به بعد الفجر والنية
مع الفعل فيلزم ايقاع النية بعد الفجر وقيل ثم بحا به الاتمام مامور به بعد الفجر وهو مسبوق بالامر بالشروع والشروع لكل
قبل الاتمام لا يلزم ان يكون بعد الفجر بل يكون مع الفجر والنية قبل الشروع فيكون في الليل وفيه نظر فانه ان اريد
ان الاتمام المامور به بعد الفجر متصل به فهو ممنوع لان ثم للتراخى وان اريد التراخى فيجوز ان يسبق الشروع والنية قبل
الاتمام وبعد الفجر والجواب انه ليس في الاية ما يوجب النية ولا تعيين زمانها ولا ما ينافيه وليس فيها الا الامر بالاتمام
ووجوب النية وتعيين زمانها انما يستفاد من الحديث اما وجوب النية فمن قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات واما تعيين زمانها
فمن قوله عليه السلام من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له واما الثاني وهو جواز تاخير الغسل الى الفجر فوجهه ان الكل
اذا كان مباحة الى الفجر لم يمكنه الاغتسال الا بعد الصبح واما الثالث وهو نفى صوم الوصال فوجهه انه تعالى جعل غاية
الصوم الليل وغاية الشيء منقطعه ومنتهاه وما بعد الغاية يخالف ما قبله فلا يكون بعده صوم وفيه نظر فانه تعالى
بين الغاية وهو لا يفيد حرمة الوصال وانما حرم الوصال بالسنة وهى ما روى عن عائشة انها قالت نهاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل قال انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقين وتمسك الحنفية
بهذه الاية على ان صوم النفل يجب اتمامه واجيب بان الالف واللام في الصيام للعهد والمعهود صوم الفرض فلا يتناول
لبيان ان القرائن معينة له قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد العكوف والاعتكاف اللبث والاقامة يقال عكف
بالمكان اذا اقام به قال تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم   قال الفرزدق يصف القيود   ترى حولهن
المعتفين كانهم   على صنم في الجاهلية عكف   وقال الطرماح   فبات بنات الليل حولى عكفا
عكوف البواكى بينهن صريع   والاعتكاف في الشرع   لبث المسلم العاقل الجنب في المسجد قيل المباشرة التى نهى

بقصد القربة

المعتكف عنها هى المجامعة خاصة معناه ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجد فان الاعتكاف يفسد بالجماع
قيل نزلت هذه الاية في نفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم حاجة
الى اهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا ان يجامعوا نساءهم ليلا او نهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم
وقيل المباشرة الجماع وغير الجماع من اللمس والقبلة وانواع التلذذ فالجماع يفسد الاعتكاف بالاجماع واما المباشرة غير الجماع
فهى على ضربين ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند اكثر الفقهاء وقال مالك يفسده
قال ابن جريج قلت لعطاء الجماع المباشرة قال الجماع نفسه قلت له فالقبلة في المسجد والمسة قال اما ما حرم فالجماع
وانا اكره كل شيء من ذلك في المسجد والضرب الثاني ما لا يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مباح كما جاء في خبر عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل الينا راسه من المسجد فنرجله وهو معتكف وقيل فيه دليل على ان الاعتكاف
لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبى وهو احد المساجد الثلثة لقوله عليه السلام
لا تشد الرحال الا الى المساجد الثلثة وقيل الا في مسجد جامع وقيل الا في مسجد جماعة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في المعتكف هو يعتكف عن الذنوب ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين تلك الاحكام التى ذكرت في الصيام والاعتكاف حدود الله الحد
المنع وقيل للبواب حداد ومعنه حدود الله لانها تمنع ما تمنع عن ان يدخل فيها وسمى الحديد به لتمنع به الاعداء ويقال
حدت المرأة على زوجها واحدت اذا منعت نفسها من الزينة وحدود الله هى ما منع الله منها او منع من مخالفتها والمعتدى
الى غيرها وقيل شروط الله وقيل فرائض الله وقيل معصية الله وقيل الحد الموقف الذى يقف الانسان عليه ويضعه له
حتى يتميز من سائر الموصوفات والحد فصل ما بين الشيئين والحد منتهى الشيء وقال الخليل الحد الحاجز المانع وقال الزجاج
ما منع الله تعالى من مخالفتها فلا تقربوها فلا تغشوها اى لا تاتوها يقال قربت الشيء اقربه وقربت منه قربا اذا دنوت
منه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان
في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهى ان يتعداه لانه من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى
ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيز الحق والباطل لئلا يدانى الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا
ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
فالراتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهى حدود
لا تقربها كذلك يبين الله آياته مثل هذا البيان الذى ذكر يبين الله آياته للناس لكى يتقوا ما حرم الله ومنع منه قوله تعالى

ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون

قيل نزلت هذه الاية في امرئ القيس بن عابس الكندى وفي عبدان بن اشوع الحضرمى وذلك انهما اختصما الى النبى صلى الله
عليه وسلم في ارض فاراد امرؤ القيس ان يحلف فانزل الله ان الذين يشترون بعهد الله الاية فقراها النبى صلى الله عليه
وسلم عليه فابى ان يحلف وحكم عبدان في ارضه ولم يخاصمه فانزل الله تعالى ولا تاكلوا اى ولا ياكل بعضكم مال بعض
بالباطل بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه واصل الباطل الشيء الذاهب الزائل يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا اذا
ذهب والباطل في الشرع ما لم يكن مشروعا اعم من ان يكون باصله او بوصفه او بهما وعند ابى حنيفة الفاسد يقابله الصحيح
الصحيح المشروع باصله ووصفه والباطل ما ليس بمشروع باصله ولا بوصفه والفاسد ما هو مشروع باصله دون وصفه

عباس بالباطل اى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع الرجل بها مال اخيه المسلم والاكل بالباطل على وجهين احدهما ان يكون على جهة
الظلم من نحو الغصب والخيانة والسرقة والثاني على جهة الهزء واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك وتدلوا بها
الى الحكام اى ولا تلقوا امر تلك الاموال بينكم والحكومة فيها الى الاحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس
بالاثم بالباطل والاثم التقصير في الامر ثم جعل التقصير في امر الله اثما وقيل بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع
العلم بان المقضى له ظالم اى لانها تعد اثما ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقا لغيركم وانتم تعلمون انه لا يحل لكم وانكم على
الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه
بينة فيجحد المال ويخاصم فيه الى الحكام وهو يعرف ان الحق عليه ويعلم انه آثم آكل حرام قال صلى الله عليه وسلم للمختصمين
انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا يأخذن منه فانما اقطع له قطعة من النار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا
فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه ومعنى الادلاء في اللغة ارسال الدلو والقاؤه في البئر يقال ادلى دلوه
اذا ارسلها ومنه قوله تعالى فادلى دلوه ثم جعل كل القاء لما وفعل ادلاء يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصل
الى مراده ادلاء المستقي الدلو ليصل الى مطلوبه من الماء وفلان يدلي الى الميت بقرابة او رحم اذا كان ينتسب اليه وتدلوا مجزوم
داخل في حكم النهي معناه ولا تأكلوا ولا تدلوا او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق قوله تعالى يسألونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها
واتقوا الله لعلكم تفلحون ● نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة فانزل الله يسألونك يا محمد عن الاهلة
وهي جمع هلال وهو غرة القمر حين يراها الناس سميت هلالا لان الناس يهلون بذكر الله اى يرفعون اصواتهم مواقيت
جمع الميقات من الوقت وقيل الزمان المحدود للشيء والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة
الفلك من مبدئها الى آخرها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر ما ومعنى قوله مواقيت
للناس معالم يوقت الناس بها مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدة حملهن وصومهم
وفطرهم وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته انما فعل فيها هذه الهيئات المختلفة ليعلم الناس ما ذكرنا ولهذا خالف
بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة وليس البر قال المفسرون كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا
احرم الرجل منهم بالحج والعمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا خباء ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر
بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة او الفسطاط ولا يدخل من
الباب ولا يخرج منه حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو
عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل عليه رجل من الانصار يقال له رفاعة بن تابوت على اثره
من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم قال رايتك دخلت
فدخلت على اثرك فقال رسول الله اني احمسي قال الرجل ان كنت احمسيا فاني احمسي ديننا واحد رضيت بهديك
وسمتك ودينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى محارم الله قال صاحب الكشاف
فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله
الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر
في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج
ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخل من ظهرها والمعنى ليس البر وما ينبغي
ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها
اى باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب
على ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال
من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر ونافع في رواية
قالون البيوت بكسر الباء في جميع القرآن لمكان الياء والباقون بضمها على الاصل واتقوا الله لعلكم تفلحون فاندرج فيها
جميع ما يجب ان يعتبر فيها من الاوامر والنواهي على واتقوا الله بعضها كان مشتملا عليه وهو القتال للمشركين الى انه لهم
ليبين بحسب اقتضاء الوقت ان العطف من باب قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ● قيل هذه اول آية نزلت في القتال والمقاتلة في سبيل الله هو الجهاد
لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت
واقتلوا المشركين فنسخت هذه الآية وامر بالقتال مع المشركين كافة فهذه الآية منسوخة الذين يقاتلونكم اى يناجزونكم
القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل
المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم
فهم في حكم المقاتلة قاتلوا اولم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع

من قابل

[illegible]

حفظتها انك ستمر على قوم حبسوا انفسهم في الصوامع زعموا لله فدعهم وما حبسوا له انفسهم وستمر على قوم
قد فحصوا عن اوساط رؤسهم وتركوا منها مثل العصائب فاضرب ما فحصوا منه بالسيف ثم قال لا تقتلوا امرأة
ولا صبيا ولا شيخا فانيا ولا تعقروا شجرا مثمرا ولا تغرقن نخلا ولا تحرقن ولا تذبحوا بعيرا ولا شاة الا لماكل ولا تخربوا
عامرا قوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم ● اى حيث وجدتموهم
في حل وحرم واصل الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود وقيل اصل الثقافة الحذق والبصر بالامر يقال رجل ثقف لقف اذا كان حاذقا في الحرب بصيرا بمواضعها
جيد الحذر فيها فمعناه واقتلوهم حيثما بصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح ذلك والفتنة اى المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان
ويتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن
من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا ● على النفس من قتل بحد فراق
وقيل الفتنة الشرك بالله يعني شركهم بالله تعالى اعظم من قتلكم اياهم في الحرم فانهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون
به المسلمين فقيل الشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه وقيل الفتنة العذاب فانهم كانوا يعذبون من اسلم
فقال تعذيبهم من اسلم اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم ويجوز ان يراد وفتنتهم
اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم اذ قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم والاولى ان يحمل
على جميع هذه الامور قوله ولا تقاتلوهم قرا حمزة والكسائي ثلاثتها بغير الف من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم حمل
القتل على بعضهم كقولهم قتلنا بنو تميم وانما قتلوا البعض فلفظه عام ومعناه خاص وقال فان قتلوكم
نعم الباقون ثلثها بالالف من القتال نهى عن ابتدائهم بقتلهم او قتالهم في الحرم حتى يبتدئ المشركون به كذلك جزاء الكافرين
ان يقتلوا حيثما وجدوا فان انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور يغفر ما كان في شركهم رحيم يرحمهم اذا اسلموا كقوله
تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل هذه الآيات منسوخة بهو عن الابتداء في القتال ثم نسخ ذلك بقوله وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة وقيل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث ادركتموهم في الحل والحرم نسخها قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
ثم نسخها آية السيف في براءة فهي ناسخة ومنسوخة وقيل هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم قوله
تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ● اى وقاتلوا المشركين
حتى لا تكون فتنة اى شرك اى قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يرضى منه الا الاسلام وليس
كاهل الكتاب الذين تؤخذ منهم الجزية قيل والحكمة فيها ان مع اهل الكتاب كتبا منزلة فيها الحق وان كانوا قد حرفوها
فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل ولهم باصغارهم بالجزية لينظروا في كتبهم وليتدبروها فيقفوا على الحق منها
فيتبعوه كفعل مؤمني اهل الكتاب ولم يكن لاهل الاوثان ما يرشدهم الى الحق وكان امهالهم زيادة في شركهم فابى الله تعالى ان يرضى
منهم الا الاسلام او القتل عليه ويكون الدين الطاعة والعبادة لله وحده خالصا ليس للشيطان فيهم نصيب فلا يعبد دونه
شيء فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين قال صاحب الكشاف فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان
وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او يراد ان الخبر في معنى الطلب فيكون قوله فلا عدوان الا على
الظالمين كناية عن قولنا فلا تعتدوا على المنتهين وذلك لان اثبات العدوان على الظالمين على سبيل الحصر في هذا
المقام مفيد لنفي العدوان على المنتهين فقوله لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم تعليل لوضع الا على الظالمين موضع المنتهين
يعني مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ومقاتلة الظالمين غير المنتهين حق وصواب فاصل الكلام فان انتهوا عن الشرك فلا تقاتلوهم
ثم وضع فلا عدوان عليهم موضع فلا تقاتلوهم ثم وضع قوله فلا عدوان الا على المنتهين موضع فلا عدوان عليهم ثم كنى عن معنى قوله
فلا عدوان على المنتهين بقوله فلا عدوان الا على الظالمين فقول صاحب الكشاف فوضع قوله الا على الظالمين موضع المنتهين معناه

انما له يرجع اليه ثم قال صاحب الكشاف او فلا تظلموا الا على الظالمين غير المنتهين قوله او فلا تظلموا معطوف على قوله فلا تعدوا
تعالى هنا الا على الظالمين واقع في موضعه لكن فلا عدوان وضع موضع لا تقاتلوا ولا تتعرضوا على سبيل المشاكلة بحسب المعنى
ولهذا قال فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد
انكم ان تعرضتم لمنتهين صرتم ظالمين فتسلط عليكم من يعدو عليكم قال الواحدي فلا عدوان اي فلا نهب ولا قتل ولا
استرقاق الا على الظالمين الكافرين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها وسمى ما عليهم عدوانا لانه لا يكون منهم من الكفر
عدوان فسمى جزاء ذلك عدوانا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل فلا عدوان فلا سبيل ولا حجة الا على الظالمين
يدل عليه قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي اي فلا سبيل علي قوله تعالى الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
نزلت في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل مكة عام الحديبية على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع
العام القابل على ان يخلوا له مكة ثلاثة ايام حتى يدخلها هو واصحابه ويعتمرون ويطوفون بالبيت فلما كان العام القابل فخافوا ان لا
يخلوها الا بسلاح الراكب في غمد ولا يخرج باحد معهم من اهل مكة فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
يرجع العام القابل في ذي القعدة ودخلوا مكة واعتمروا وطافوا ونحروا واقاموا بمكة ثلاثة ايام فانزل الله تعالى الشهر الحرام
بالشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي
صددتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم في سنة ست قال صاحب الكشاف قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر
الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال لذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام
اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم وعن ابن عباس في رواية عطاء
يريد ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في مثله والحرمات جمع الحرمة كالظلمات جمع الظلمة والحرمة ما يجب حفظه وترك
انتهاكه وانما جمع الحرمات لانه اراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام فقصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل
بالفاعل مثل ما فعل من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فان هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك
ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي من ظلم عليكم فقاتل فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم اي جازوا باعتدائه وقاتلوه وسمي الثاني اعتداء للمشاكلة واتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه في
حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصرة قوله تعالى
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ● [illegible]
في سبيل الله واكثر ما يستعمل في الجهاد لانه السبيل الذي يقاتل فيه والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للانقياد
والتهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وهو تفعلة من الهلاك قيل لم يحك في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا
قيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك اي لا تجعلوا الهلكة آخذة بايديكم مالكة لكم قيل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
اي لا تاخذوا في ذلك ويقال لكل من اخذ في عمل القى يديه اليه وفيه ومنه قول لبيد حتى اذا القت يدا في كافر يعني
الشمس اذا بدت في المغيب وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان
نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها قال الزجاج والمعنى لا تعرضوا لما يهلككم لانه من القى بيده الى الشيء فقد قرب منه وصار بيده
في الرجوع وتاكيد في النهي وكان المعنى ولا تقربوا من ترك الانفاق في سبيل الله اي لا تمسكوا ولا تخلوا الامر بسبب الهلاك
وقيل المعنى النهي عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله والنهي عن الاستقتال والاخطار بالنفس في الحرب
عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وقد روي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة
فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا
معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واولادنا واموالنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى
اهالينا واموالنا واولادنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وعن ابن عباس في النفقة
في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم اني لا اجد شيئا واحسنوا ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس احسنوا
الظن بالله فانه يضاعف لكم الثواب ويخلف لكم النفقة وقيل واحسنوا اي جاهدوا في سبيل الله والمجاهد المحسن قوله
تعالى واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ●
قيل معناه اتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وشرائطهما وسننهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما
قال ذو الرمة: تمام الحج ان تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام ... جعل الوقوف عليها كبعض مناسك
الحج الذي لا يتم الا به نقل عن بعض السلف الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال لصاحبه هلم نتمم حجنا الم تسمع قول
ذي الرمة وانشد البيت المتقدم وحقيقة ما قاله هؤلاء انه لما قطع البوادي حتى وصل الحرم الله ينبغي ان يقطع اهواء النفس
ويخرق الحجب من القلب حتى يصل الى مقام المشاهدة ويتصل [illegible] الرجوع عن حرمه وقيل تمامهما ان تحرم بهما من دويرة
اهلك وقيل تمامهما ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل تمام الحج ان ياتي بمناسكه
كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل
اتمامهما ان تخلصهما للعبادة بان تخرج من اهلك لهما لا تريد غيرهما ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة وعن انس بن مالك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يحج اغنياء الناس للنزهة واوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة

ولهذا المعنى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول الوفد كثير والحاج قليل اختلف العلماء في العمرة فقال قوم هي سنة حسنة
وليست بفريضة واجبة وهو مذهب اهل العراق ومالك بن انس وابي حنيفة وقول الشافعي في القديم واختيار محمد بن جرير الطبري
واحتجوا بقراءة الشعبي واتموا الحج والعمرة لله رفعا وبما روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم انه
سئل عن العمرة اواجبة هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم وفي خبر آخر الحج فريضة والعمرة تطوع وقالوا ايضا لما ذكر الله تعالى
فرض الحج لم يذكر معه العمرة فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال آخرون العمرة فريضة وهي الحج الاصغر
وهو قول علي وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين وعطاء وقتادة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وقول الشافعي
في الجديد الاصح من مذهبه واختيار احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه واحتجوا في ذلك بقراءة العامة والعمرة بنصب على
واتموا فرض الحج والعمرة لله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة وروى عكرمة
عن ابن عباس انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال ليس من خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة
واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا كما قال الله تعالى فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع وقال مسروق امرنا في كتاب الله باربعة
اقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج والعمرة فنزلت العمرة من الحج منزلة الركوع من الصلاة ثم تلا هذه الاية واتموا الحج والعمرة لله
سئل سعيد بن جبير عن العمرة فريضة ام تطوع قال فريضة قيل ان الشعبي يقول هي تطوع قال كذب الشعبي ثم قرأ واتموا الحج
والعمرة لله من قال ان العمرة ليست بفرض تاول الاية على معنى اتموهما اذا دخلتم فيهما اي لم يرد ابتداء الدخول فيه كالمتطوع
بالحج لا خلاف بينه اذا احرم بان عليه المضي فيه وتمامه وان لم يكن فرضا علينا ابتداء الدخول فيه فكذلك العمرة ودليله
ما روي عن ابن زيد قال ليس العمرة واجبة على احد من الناس فقلت له قول الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله قال ليس
احد من الخلق ينبغي له اذا شرع في امر الا ان يتمه فاذا دخل فيها لا ينبغي له ان يهل يوما او يومين ثم يرجع كما لو صام يوما لم ينبغي
ان يفطر في نصف النهار يدل على هذا التاويل قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم لم يرد به الابتداء وانما اراد به تمام
ما مضى من العهد كما تقدم تقرير وجوب العمرة تاويل الاتمام على معنى الابتداء والاداء اي اقيموها وافعلوها يدل عليه قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن اي فعلهن وقال تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل اي ثم ابتدئوا الصيام واتموه
لانه ذكر عقيب الاكل والشرب وهذا هو الاصح والاوضح لانه جمع بين الامرين وحمل الاية على عمومها ومعناه ابتدئوا العمرة
فاذا دخلتم فيها فاتموها فيكون جامعا بين معنى الاتمام لان من اوجبها اكثر الاخبار في ايجاب الحج والعمرة متقارنين
اظهر عن ابي رزين العقيلي انه قال يا رسول الله ان ابي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال صلى الله عليه وسلم
حج عن ابيك واعتمر قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك
على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من
قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله تعالى فاصطادوا فانتشروا
ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن
ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي
عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وتمسك
الحج في الامر بالاتمام وكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال
حج فلان واعتمر والحاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر
فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه باهلالته بهما جميعا واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل
الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال
انك تامره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو
الوجوب انتهى كلام صاحب الكشاف وفيه نظر اما اولا فلان قوله ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين
غير صحيح فانه يدل بظاهره على ان كل واحد من الحج والعمرة مامور باتمامه والامر للوجوب ووجوب الاتمام دال على وجوب الاصل
ظاهرا فيكون دليلا على ان كلا من الحج والعمرة واجب قوله فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا قلنا خلاف الظاهر
فلا يصار اليه الا بدليل قوله الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر في اصله
للوجوب الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب قلنا دلالة وجوب الاتمام على وجوب الاصل فلا حاجة الى صرف اللفظ عن ظاهره
قوله فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك
وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع قلنا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان
ان استطاع الى ذلك سبيلا وبقوله صلى الله عليه وسلم لابي رزين حج عن ابيك واعتمر واما ثانيا فلان قوله وكونها
قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر قلنا دلالته على كونها قرينته في الوجوب اظهر من دلالته على
ان القارن يقرن بينهما ويقترنان في الذكر على ان كون القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر يصلح ان يكون قرينة
دالة على الاقتران بينهما في الوجوب واما ثالثا فلان قوله واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه
اهللت بهما جميعا قلنا انه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس يعني اني لما
اهللت بهما لاني وجدتهما مكتوبين علي واما رابعا فلان قوله الدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب قلنا الدليل الذي
ذكرتم لا يخرج العمرة من صفة الوجوب لما عرفت قوله فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال قلنا ممنوع ولو سلم

كدلالة وجوب الاداء ووجوب الاقامة على وجوب الاصل

فلم قلتم انه الصوم شهر رمضان وستة من شوال فاذا انك تامره بفرض وتطوع بل يدل ظاهرا انك تامره بفرضين
الا ان يدل دليل يصرفه عن الظاهر وكما رابعا فلان قوله في قراءة علي وابن مسعود كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم
الحج فهو الوجوب قلنا وهذا ايضا قرينة دالة على انه يفيد وجوب العمرة ظاهرا قوله تعالى فان احصرتم الحصر والاحصار
الحبس والمنع يقال احصره اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله عز وجل الذين احصروا في سبيل الله وقال
ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي
او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم والحصر والاحصار بمعنى المنع
في كل شيء مثل صده واصده اختلف العلماء في المعنى من الاحصار المذكور في الاية فقيل كل منع من عدو كان او مرض او حبس
او جرح او كسر او خوف او لدغ او ذهاب نفقة او ضلال راحلة او غيرها من الاعذار معتبر في حكم الاحصار وعليه قول
ابي حنيفة وابراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير ومقاتل والكلبي وقيل الاحصار هو حبس
عدو او قاهر من بني ادم عن الوصول الى البيت فاما المرض وسائر الاعذار فهو غير داخل في هذه الاية وهذا قول ابن عمر
وابن عباس وعبد الله بن الزبير وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب ومذهب الشافعي واهل المدينة
واحتج الاولون بان الاحصار في كلام العرب هو منع العلة من المرض واشباهه غير القهر والغلبة فاما منع العدو
والحبس بالقهر من سلطان قاهر فان ذلك حصر لا احصار كذا قاله الكسائي وابو عبيدة والفراء قالوا وانما جعلنا
حبس العدو احصارا قياسا على المرض لا بدلالة الظاهر قال صاحب الكشاف هذا هو الاكثر والحصر والاحصار بمعنى
واحد فحينئذ يكون حبس العدو والقاهر بدلالة الظاهر لا بالقياس وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج
فقد حل وعليه الحج من قابل واحتج الاخرون بان نزول هذه الاية في قصة الحديبية وذلك احصار عدو ويدل
عليه ايضا قوله تعالى في سياق الاية فاذا امنتم ولا يكون الامن الا من الخوف وفي الحديث لا احصار الا من حبس عدو وقال ثعلب
تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور واحصره العدو اذا منعه من السير فهو محصر وذكر يونس عن ابي
عمرو قال اذا منعته من كل وجه فقد حصرته واذا منعته من التقدم فقد احصرته قال الشافعي فاذا احصر المحرم بالحج
او بعموم الحج عن الوقوف بعرفات او عن البيت او طواف الركن بعدو كافر او مسلم او سلطان يحبسه في سجن تحلل
بنية التحلل مع الحلق وهو ازالة ثلاث شعرات او تقصيرها مع ذبح شاة حيث احصر ليفرق اللحم على مساكين
موضع الاحصار ولا قضاء عليه الا ان يكون واجبا فيقضي وعند ابي حنيفة ان كان حلالا فينحر بالحرم متى شاء في ايام
الحج او يبعث به ويجعل المبعوث على يديه يوما امارة فيعود المبعوث على يدي النحر يوم كذا فاذا جاء ذلك اليوم وغلب على
ظنه انه نحر حينئذ يتحلل وعند ابي يوسف ومحمد يختص بايام النحر بالحرم واذا كان معتمرا فبالحرم في كل وقت وعندهم جميعا
قوله فما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على اهدوا ما استيسر اي تيسر يقال يسر الامر واستيسر
كما يقال صعب واستصعب من الهدي جمع هدية مثل جدي جمع جدية بتسكين الدال شيء محشو تحت دفتي السرج
والهدي ما يهدى الى بيت الله تعالى سمي بذلك لانه يتقرب الى الله تعالى بمنزلة الهدية يهديها الانسان الى غيره متقربا به
اليه والمعنى فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بالحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي
من بعير او بقرة او شاة فقال علي وابن عباس شاة وهو قول الاكثر بالصواب لانه اقرب الى اليسر ولان الله تعالى سمى الشاة
هديا في قوله هديا بالغ الكعبة وفي النظر شاة وقال الحسن وقتادة اعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة وقال ابن
عمر ما استيسر من الهدي الابل والبقر ناقة دون ناقة وبقرة دون بقرة سن دون سن وانكر ان يكون الشاة من الهدي
وقال بعض الفقهاء اذا لم يقدر على الهدي يتحلل بالنية والحلق والطعام المساوي لقيمة الشاة المتفرق على مساكين
ذلك الموضع الذي احصر فيه او الصيام لكل مد يوم الصوم في موضع الاحصار ولا يتوقف التحلل عليه بل يصوم متى
شاء حيث شاء واعلم ان المريض ايضا يتحلل بالنية وحدها ان شرط التحلل في الاحرام عند المرض فان شرط لم يحرم
انه حلال عند المرض فيحصل التحلل ايضا من غير النية فعلم ان كل ما وجب على المحرم في ماله من فدية وجزاء او هدي وصدقة
فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا في موضعين احدهما دم الاحصار بالعدو فانه ينحر حيث حبس والاخر من ساق
هديا فعطب في طريقه فنحره وخلى بينه وبين المساكين ولا لرفقائه ان ياكلوا منه شيئا وان كان لمساكين
فان كان مما ساقه لغرض مثل ان يكون قارنا او متمتعا جاز له ان ياكل ويطعم غيره قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تتحللوا من احرامكم حتى ينحر الهدي اي حيث يحل ذبحه واكله والانتفاع به لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في اللحم
الذي تصدق على بريرة قال هو لها صدقة ولنا هدية فقد بلغ محله يعني قد بلغ محل طيبه وحلاله بالهدية الينا بعد ان كان صدقة
على بريرة وهذا قول من حمل الاحصار على احصار العدو يدل عليه فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
بالحديبية حين صدوا عن البيت نحروا هديهم بالحديبية والحديبية ليست من الحرم روي في قصة الحديبية انه
لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب القضية بينه وبين مشركي قريش عام الحديبية قال لاصحابه قوموا فانحروا
واحلقوا فما قام احد منهم حتى قال ثلاث مرات فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ذلك فقالت
ام سلمة يا نبي الله اخرج لا تكلم احدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ولم يكلم حتى فعل ذلك
فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ولان المحصر سواء كان في الحل
او في الحرم مامور بنحر الهدي واقل درجات المكلف ان يكون له التمكن من الفعل المامور به ولانه تعالى انما شرع التحلل للمحصر ليتخلص

من الخوف

من الخوف في الحال او لو فرض ضرب يوم امارة الطالب علينا المدة سيما اذا احصر بعيدا من الحرم وفات المقصود من شرعية
هذا الحكم ولان الموصل الى الحرم هو الخايف كيف يامنه بهذا الفعل مع قيام الخوف وعدم الرجا الى ان يبعثه بنا ثم
لذلك ولان قوله تعالى فما استيسر من الهدي يدل ظاهرا على ان الشارع بنى امر الهدي ونفسه على السهولة واليسر فكيف يشدد في محله
وموضع نحره ولا منافاة بانه امر الدين على التخيير والتسعة حيث قال فمن كان
منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك على التساهل وعدم الحرج قال اصحابنا الكناية في
قوله ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه
حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة قوله تعالى فمن كان منكم مريضا
او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب ● معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى الحلق لما
لمرض يحتاج الى مداواته واما الاذى براسه من هوام او صداع او حرارة الحلق او تداوي ففدية من صيام ثلثة ايام او صدقة
على ستة مساكين نصف صاع او نسك هو مصدر وقيل جمع النسيكة وهي الذبيحة اعلاها بدنة واوسطها بقرة
وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ايها شاء فعل كما دل عليه ظاهر الاية نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة قال كعب بن عجرة
صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ولي وفرة من شعر فيها القمل والصئبان وهي تتناثر على وجهي وانا اطبخ قدرا لي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايؤذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او
اطعم ستة مساكين او انسك شاة قوله فاذا امنتم الاحصار ومن خوفكم بان امنتم من مرضكم وكنتم في حال امن وسعة
وصحة فمن تمتع بالعمرة وهو ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج على مسافة القصر من الحرم من ميقات بلده فاذا قضى عمرته اقام حلالا
بمكة ثم يحرم بالحج من جوف مكة في عام العمرة من غير عود الى الميقات واستمتاعه بالعمرة الى الحج انتفاعه بالتقرب بها
الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فيتمتع
التلذذ واصله التزود والمتاع الزاد فجعل لكل تلذذ قال الفقهاء التمتع الذي يجب فيه الهدي هو ان يجتمع فيه شرائط
اربع وهي ان يحرم في اشهر الحج وان يحرم بالحج من عامه ذلك من مكة ولا يرجع الى الميقات وان يكون من غير الحرم حتى لو انخرم
شيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعا قوله فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو عند الشافعي يجري
مجرى الجنايات ولا ياكل منه شيئا ويجوز ذبحه اذا احرم بالحج وعند ابي حنيفة هو نسك وياكل منه ويذبحه يوم النحر
وقيل معناه فمن احصر حتى فاته الحج ثم قدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة واستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة
المستقبلة ثم حج ويكون متمتعا بذلك الاحلال من لدن حل الى احرامه الثاني من القابل وقيل معناه فاذا امنتم
وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقضوا عمرة تخرجون بها من احرامكم بحجكم ولكنكم حللتم حين احصرتم بالهدي
واخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى حجكم فعليكم ما استيسر من الهدي
وقيل فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فاذا اخر العمرة حتى يجمعها مع الحج فعليه الهدي وقيل معناه فمن فسخ حجه بعمل
عمرة واستمتع بعمرته الى حجه فعليه ما استيسر من الهدي اعلم ان الحج على ثلاثة اقسام الافراد والقران والتمتع اما التمتع
فقد عرفته واما الافراد فهو ان يحج بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة واما القران
فهو ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه وكذا لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل عليها الحج يصير
قارنا وعند الشافعي الافضل من هذه الثلاثة الافراد ثم التمتع وعند مالك التمتع افضل من الافراد وعند ابي حنيفة القران
افضل ثم الافراد وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وعند ابي يوسف ومحمد القران ثم التمتع حجة الشافعي من وجوه الاول
قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيانه ان الاية اقتضت عطف العمرة على الحج والعطف يقتضي المغايرة وهي لا تتحقق الا عند
الافراد فان عنى القران الموجود شيء واحد وذلك مانع من صحة العطف فاقتضت الافراد بدلالة قوله تعالى
فان احصرتم فما استيسر من الهدي والقارن يلزمه فيما بيان عند الخصم ولان الاية تدل على وجوب الاتمام والاتمام
لا يحصل الا عند الافراد الثاني ان الافراد يقتضي كونه اتيا بالحج مرة ثم بالعمرة بعد ذلك فيكون الاعمال الشاقة في
الافراد اكثر فوجب ان يكون افضل لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها الوجه الثالث انه عليه السلام كان
مفردا لان الصحابة اختلفت رواياتهم في هذا المعنى فروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم افرد الحج وروي عن جابر وابن عمر انه افرد واما انس فقد روي عنه انه قال كنت واقفا عند راحلة ناقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بحجة وعمرة معا ورجح الشافعي رواية عائشة وابن
عمر وجابر على رواية انس من وجوه احدها بحال الرواة اما عائشة فلانها كانت عالمة ومع علمها كانت اشد الناس
التصاقا برسول الله صلى الله عليه وسلم واشد الناس معرفة باحواله واما ابن عمر فانه كان مع فقهه قريبا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اخته حفصة كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم واما جابر فانه كان اقدم
صحبة للرسول صلى الله عليه وسلم من انس وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت فلعل العلم [illegible]

بالاستيفا والثالث ان الافراد تقتضي تكثير العبادة والقران يقتضي تقليلها فكان الحاق الافراد بالنبي صلى الله عليه
اولى واذا ثبت ان النبي عليه السلام كان مفردا وجب ان يكون الافراد افضل لانه عليه السلام كان يختار الافضل لنفسه حجة
ابي حنيفة من وجوه الاول التمسك بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فانه يحتمل ان يراد ايجاب كل واحد والجمع بينهما على سبيل
التمام والحمل على الاول لا يفيد الثاني والحمل على الثاني يفيد الاول فكان الثاني اكثر فائدة فيحمل اللفظ عليه لان حمل كلام الله
على ما هو اكثر فائدة اولى الثاني ان القارن جمع بين النسكين فيكون افضل من الاتيان بنسك واحد الثالث ان في القران
مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احد النسكين فالقران افضل لقوله تعالى وسارعوا والجواب عن الاول
انا بينا ان هذه الاية تدل على ثلثة اوجه على ان الافراد افضل وما ذكرتموه مجرد حسن ظن حيث قلتم حمل اللفظ على ما هو اكثر
فائدة اولى فاذا كان كذلك كان الترجيح لقولنا والجواب عن الثاني والثالث ان كل ما يفعله القارن يفعله المفرد ايضا
الا ان القارن كانه خيل في اسقاط الطاعة فيمن الامر فيه ان يكون مرخصا فيه فاما ان يكون افضل فلا وبالجملة الشافعي
لا يقول ان الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنه يقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فالمجموع هذين الامرين
افضل من الاتيان بالحجة المقرونة قوله فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج فصيام ثلثة ايام في وقت اشتغاله بالحج وهو بعد احرام الحج ولا يجوز
صومه بعد احرام العمرة قبل احرام الحج عند الشافعي وقال ابو حنيفة يصح قبل احرام الحج بعد احرام العمرة والافضل ان يصوم
يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزيه الا الدم حجة الشافعي وجوه الاول انه صام قبل وقته
فلا يجوز كمن صام رمضان قبله وكما اذا صام السبع قبل الرجوع وانما قلنا انه صام قبل وقته لان الله تعالى قال فصيام ثلثة
ايام في الحج والمراد به احرام الحج لان ساير افعال الحج لا تصلح ظرفا للصوم والاحرام يصلح فوجب حمله عليه والثاني ان الا
الاحرام بالحج ليس بوقت للهدي الذي هو اصل فكذا لا يكون وقتا للصوم الذي هو بدل اعتبارا بساير الاصول والابدال
وتحقيقه ان البدل لحال عدم الاصل يقوم مقامه فيصير في الحكم كانه الاصل فلا يجوز ان يحصل في وقت لو وجد الاصل لم يجز
اذا عرفت هذا فنقول لقد اتفقوا على انه يجوز بعد الشروع في الحج الى يوم النحر والاصح انه لا يجوز يوم النحر ولا ايام التشريق لقوله
عليه السلام لا تصوموا في هذه الايام والمستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا وقوله وسبعة اذا رجعتم
قال الشافعي في الجديد هو الرجوع الى الاهل والوطن وقال ابو حنيفة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج فاذا
صام الايام السبعة بعد الرجوع عن الحج وقبل الوصول الى وطنه لا يجزيه عند الشافعي ويجزيه عند ابي حنيفة واما قوله تلك
عشرة كاملة فقد طعن الملحدون لعنهم الله فيه من وجهين احدهما انه معلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة فذكره
ايضاح الواضح والثاني ان قوله كاملة يوهم وجود عشرة غير كاملة في كونها عشرة وذلك محال والعلماء ذكروا انواعا من الفوائد
منها ان الواو قد تجي للاباحة في قول الناس جالس الحسن وابن سيرين اي جالس هذا وهذا الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا فذلكت نفيا لتوهم الاباحة ومنها ان فايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به
من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم كقول الاعشى ثلاث بالغداة فهن حسبي وست حين يدركني
العشاء فذلك تسعة في اليوم ريي وشرب المرء فوق الري داء وقال الفرزدق ثلاث واثنتان فهن خمس
وسادسة تميل الى سمام كذلك كاملة تاكيدا اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص
من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا
من الهدي وقيل كاملة بشروطها وحدودها وقيل لفظه خبر وحكمه امر اي فاكملوها ولا تنقصوها ذلك اشارة الى الامر
والى الاقرب الامور المذكورة ذكرها يلزم المتمتع من الهدي وبدله وهو الصيام وابعد منه ذكر تمتعهم فلهذا اختلفوا فقال
الشافعي ذلك اشارة الى الاقرب وهو لزوم الهدي وبدله الذي هو الصيام على المتمتع انما يكون اذا لم يكن المتمتع من حاضري المسجد
الحرام اي لمن لم يكن اهله من اهل الحرم فاما اذا كان من اهل الحرم فانه لا يلزمه الهدي ولا بدله وذلك لان هذا الهدي عند الشافعي
انما لزم الافاقي لانه كان من الواجب عليه ان يحرم عن الحج في الميقات فلما احرم في الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا من الميقات فقد حصل
هنالك الخلل فجعل مجبورا بهذا الدم التام او بدله [illegible] والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فاقدامه على التمتع
لا يوقع خللا في حجه فلا جرم لا يجب عليه الهدي ولا بدله وحاضروا المسجد الحرام عند الشافعي اهل الحرم ومن كان من الحرم على
مسافة اقل من مسافة القصر وقال ابو حنيفة ذلك اشارة الى التمتع ومعناه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام ومن تمتع منهم
او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه اما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وحاضروا
المسجد الحرام اهل المواقيت وهو ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وكل من كان دون اهل ميقات من هذه المواقيت وما دون
الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقال مالك هم اهل مكة واهل ذي طوى قال فلو ان اهل مكة خرجوا الى العمرة من حيث يجوز لهم
ثم اقاموا بمكة حتى حجوا كانوا متمتعين وسئل مالك عن اهل الحرم ايجب عليهم ما يجب على المتمتع قال نعم وليسوا مثل اهل مكة
قيل له فاهل منى قال لا ارى ذلك الا لاهل مكة خاصة قال الامام ومذهب الشافعي اقرب الى ظاهر الاية لان اهل مكة هم الذين يحضرون
المسجد الحرام ويحضرونه ولفظ الاية لا تدل الا عليهم الا ان الشافعي قال كثيرا ما ذكر الله المسجد الحرام فالمراد منه الحرم قال
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما اسري به من الحرم لا من المسجد
وقال تعالى ثم محلها الى البيت العتيق والمراد الحرم لان الدماء لا تراق في البيت والمسجد اذا ثبت هذا فنقول المراد من المسجد
الحرام ههنا ما ذكرناه ويدل عليه وجهان الاول الحاضر ضد المسافر فكل من لم يكن مسافرا كان حاضرا ولما كان حكم السفر انما ثبت
في مسافة القصر لم يكن مسافرا كان حاضرا الثاني ان العرب يسمي اهل القرى حاضرة وحاضرين واهل البر بادية وبادين ومشهور

فكل من كان دون مسافة القصر

كلام

كلام الناس من اهل البدو والحضر يراد بها اهل الوبر والمدر قال الفراء اللام في قوله لمن معناه على اي ذلك الهدي او بدله واجب
على من لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي لم يكن حاضري المسجد الحرام فذكر اهله حضور الاهل والمراد به حضور المحرم لان الغالب على الرجل
ان يسكن حيث اهله ساكنون وكل من كان داره على مسافة لا تقصر اليها الصلاة من مكة فهو من حاضري المسجد لانه يقرب من مكة
واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه تهاون بحدوده قوله
تعالى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ● اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران واما الصيف شهران
او وقتهما واما الطيلسان ثلثة اشهر اي وقت لبس الطيلسان وقيل معناه اشهر الحج اشهر معلومات شوال وذو القعدة والعشر الاول
من اشهر الحج وتسع من ذي الحجة وليلة يوم النحر عند الشافعي وعند ابي حنيفة وعشر من ذي الحجة وعند مالك ذو الحجة كله
حجة مالك من وجوه الاول ان الله تعالى ذكر الاشهر بلفظ الجمع واقله ثلثة الثاني ايام النحر يفعل فيها بعض ما يتصل بالحج وهو رمي
الجمار والمرأة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى انقضاء ايام بعد العشر ومذهب عمر جواز تأخير طواف الزيارة
الى اخر الشهر والجواب عن الاول من وجهين الاول ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما والثاني
انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها والجواب عن الثاني ان رمي الجمار يفعله الانسان
وقد حلق وحل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طافت بعده فكانه في حكم القضاء لا في حكم
الاداء حجة ابي حنيفة من وجهين الاول ان جماعة من المفسرين زعموا ان يوم الحج الاكبر هو يوم النحر والثاني ان يوم النحر وقت لركن من اركان الحج
وهو طواف الزيارة حجة الشافعي ان الحج يفوت بطلوع الفجر يوم النحر والعبادة لا تكون فائتة مع بقاء وقتها فان قيل اشتهر عن اكابر
الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله ومن بعدت داره البعد الشديد لا يمكنه ان يحرم من دويرة اهله بالحج الا
قبل اشهر الحج وهذا يدل على ان اشهر الحج غير مقيدة بزمان مخصوص اجاب الامام بان النص لا يعارضه الاثر المروي عن الصحابة والحق
ان الاحرام من دويرة اهله انما يصح اذا امكن المسير في اثناء اشهر الحج واما اذا لم يمكن ذلك فلا قوله معلومات اي انما يكون الحج
في السنة مرة واحدة في اشهر معلومات من شهورها ليست كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا وانما حال المعرفة تلك الاشهر على انها كانت
علمت قبل نزول هذا الشرع فعلى هذا لم يات الشرع على خلاف ما علموه والمجاز مقرر له وقيل المراد بها معلومات ببيان الرسول
عليه السلام وقيل المراد بها معلومات اوقات معينة لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها الا كما يفعله الذين انزل فيهم انما النسيء زيادة في
واعلم ان من احرم بالحج قبل اشهره لم يجزه ذلك عن حجه فيكون ذلك عمرة كمن دخل في صلاة قبل وقتها تكون نافلة وهو مذهب الشافعي
واحمد وقال مالك وابو حنيفة يجوز في جميع السنة حجة الشافعي قوله تعالى الحج اشهر والاشهر جمع قلة على سبيل التنكير فلا يتناول
الكل بل يكون من ثلثة الى عشرة واذا كان منكرا ينصرف الى الادنى فثبت ان اشهر الحج ثلثة والمفسرون اتفقوا على ان تلك الثلثة
شوال وذو القعدة وذو الحجة واذا ثبت هذا فنقول وجب ان لا يجوز الاحرام بالحج قبل الوقت ويدل عليه ثلثة اوجه الاول ان الاحرام
بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلاة الثاني ان الخطبة في صلاة الجمعة لا تجوز قبل الوقت لانها اقيمت مقام الركعتين
من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى الثالث ان الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء
فلان لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء حجة ابي حنيفة وجهان الاول قوله تعالى يسئلونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج جعل الاهلة كلها مواقيت الحج وهي ليست بمواقيت للحج فثبت انها مواقيت للاحرام بالحج
ان يسمي الاحرام حجا مجازا كما يسمي الوقت حجا في قوله تعالى الحج اشهر بل هذا اولى لان الاحرام الى الحج اقرب من الوقت الثاني ان الاحرام
التزام للحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر والجواب عن الاول ان الاية التي ذكرناها اخص من الاية التي تمسكتم بها وعن الثاني الفرق
بين النذر وبين الاحرام ان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدأ واما الاحرام
فانه مع كونه التزاما فهو ايضا مشروع في الاداء ومعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قوله فمن فرض اي فمن اوجب على نفسه فيهن
الحج بالاحرام اي بالنية عند الشافعي فانه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية والنية مع التلبية عند ابي حنيفة فانه
لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليها التلبية او سوق الهدي حجة الشافعي ظاهر قوله عليه السلام لكل امرئ ما نوى
والقياس وهو ان ابتداء الحج كف عن المحظورات فيصح الشروع فيه بالنية كالصوم حجة ابي حنيفة ما روى منصور المديني في
تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى وان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيه بنفس النية كالصلاة قوله
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال قرأ ابو عمرو وابن كثير برفع الاولين وتنوينهما ونصب الثالث والباقون قرؤوا الثلاث بالنصب
بنى القرآن مسبوق بمقدمة هي الاولى ان كل اسم له جوهر واحوال طارية عليه كان المسمى ايضا كذلك فجوهر الاسم دال
على جوهر المسمى واحواله دالة على احواله فقولك رجل يفيد الماهية المخصوصة وحركة اخره اي رفعه او نصبه او جره دالة
على احوال تلك الماهية وهي الفاعلية والمفعولية والاضافة وهذا هو الترتيب اللايق حتى يكون الاصل بازاء الاصل و
بازاء الصفة فعلى هذا الاسماء الدالة على جواهر المسمى ينبغي ان يتلفظ بها ساكنة الاواخر فيقال رجل شجر جحر لانك لو
الحركات لتعريف احوال مختلفة في ذات المسمى بحيث ان يكون تعريفا المسمى من غير التفات الى تعريف شيء من احواله وجب جعل
اللفظ خاليا من الحركات فان زيد في بعض الاوقات بحركة وجب ان تختار النصب لانه اخف الحركات واقربها الى السكون
الثانية اذا قلت لا رجل بالنصب فقد نفيت الماهية وانتفاء الماهية يوجب انتفاء جميع افرادها قطعا اما اذا قلت لا رجل
بالرفع والتنوين فقد نفيت رجلا منهما منكرا وهذا بوضعه لا يوجب انتفاء جميع افراد هذه الماهية الا بدليل منفصل فثبت
ان قولك لا رجل بالنصب ادل على عموم النفي من قولك لا رجل بالرفع والتنوين فلنذكر الفرق بين القراءتين اما نصب الثلاثة

العقلي في

فلا اشكال واما رفع الاولين والتنوين ونصب الثالث فيدل على ان الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث
والفسوق لان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة
عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش المؤدي الى العداوة والبغضاء فلما كان الجدال
مشتملا على جميع انواع القبح لاجرم خصه الله في منع القراءة بمزيد الزجر والمبالغة في النفي وقيل برفع الاولين محمولا على النهي
كانه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث على الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
اخرى وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي
عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر
الجدال واختلف المفسرون في تفسير الرفث هنا فقال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وعمرو بن دينار
ومجاهد وقتادة وابرهيم والربيع والزهري والسدي وعطا بن ابي رباح وعكرمة والضحاك الرفث الجماع قيل لانه يفسد الحج
وقال طاوس وابو العالية الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين ايديهن وقال عطا الرفث قول الرجل للمرأة في حال الاحرام
اذا حللت اصبتك قيل كان ابن عباس في الاحرام فقال — وهن يمشين بنا هميسا — ان تصدق الطير ننك لميسا
وقيل له ارفثت وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النساء وقيل الرفث كل ما يتعلق بالجماع فالرفث باللسان ذكر
الجماع وما يتعلق به والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث الفحش والقول القبيح والفسوق الخروج
عن حدود الشريعة وقيل الفسق المعاصي كلها وقيل التنابز بالالقاب بدليل قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان وقيل الذبح للاصنام بدليل قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقوله تعالى او فسقا اهل لغير
الله به وقيل هو السباب بدليل قوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقيل هو ما نهي عنه المحرم في حال
الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الاشعار والجدال قيل ان تماري صاحبك وتخاصمه حتى تغضبه وقيل هو
السباب والمنازعة وقيل كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا اتم من حجكم وقال هؤلاء حجنا اتم من حجكم وقيل هو ان
بعضهم الحج اليوم وبعضهم الحج غدا وقيل كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي ان موقفه موقف ابرهيم فقطعه
الله تعالى حين اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بمناسكهم وقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من لم يكن معه
هدي فليحل من احرامه وليجعلها عمرة فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا اهللنا بالحج فنزلت الجدال وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الامام والحكمة في ذكر هذه الالفاظ الثلاثة
لا زيد ولا انقص انه قد ثبت في العلوم العقلية ان الانسان فيه اربع قوى شهوانية بهيمية وغضبية سبعية ووهمية
شيطانية وعقلية ملكية والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاث اعني الشهوانية والغضبية والوهمية فقوله
فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية وقوله ولا فسوق اشارة الى قهر القوة
الغضبية وقوله ولا جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الجدال في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله
واحكامه واسمائه وهي الباعثة للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم في كل شيء فلما كان منشأ الشر محصورا
في هذه الامور الثلاثة لاجرم قال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج اي لمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله
والانخراط في سلك الخواص من عباده وهذا سر نفيس هو المقصد الاقصى من هذه الآيات فلا ينبغي ان يكون
العاقل غافلا عنها ومن الله التوفيق في كل الامور واعلم ان الجدال على قسمين جدال في تقرير الباطل وطلب المال والجاه
مذموم قال تعالى ولا جدال في الحج وقال تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وجدال في تقرير الحق ودعوة الخلق
الى الحق والذب عن دين الله تعالى قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال تعالى حكاية
عن قوم نوح عليه السلام يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ولا شك ان ذلك الجدال ما كان الا لتقرير اصول الدين
واثبات الحق وقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن قوله وما تفعلوا امر الله تعالى في الآية المتقدمة بفعل
الخير والطاعة فقال واتموا الحج والعمرة لله ونهى عن فعل الشر والمعصية فقال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم عقبهما
بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله حض على الخير بانه يعلمه الله لفوائد ولطائف منها انه اذا علم منك
الخير ذكره واذا علم منك الشر ستره لتعلم انه اذا كانت رحمته بك في الدنيا هكذا فكيف في العقبى ومنها ان
السلطان اذا قال لعبده المطيع كل ما تحمله من انواع المشقة والخدمة معلوم فانا عالم به كان هذا وعدا له بالثواب العظيم
ولو قال ذلك لعبده المذنب المتمرد كان توعدا بالعقاب الشديد ولما كان الباري جل سلطانه اكرم الاكرمين ذكر ما يدل على
الوعد بالثواب ولم يذكر ما يدل على الوعيد بالعقاب ومنها ان العبد اذا علم اطلاع السيد على جميع ما يفعله كان اجد في
الطاعات واحترز عن المحظورات ولا سيما اذا لم يكن كذلك ولهذا عقب الامر باتمام الحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال
بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال صاحب الكشاف حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام
الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم
حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويتيسر من قوله وتزودوا اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وذكر
الله تعالى سفر الآخرة وحثهم على التزود لدار اليقين فان التقوى زاد الآخرة قال الشاعر المتنبي من وجه غالب

لا يعجب الانسان في قبره — مقالة من شفق ناصح
يا نفس لي قائل فاسمعي — تذهب فيه حيلة السابح

عن القبيح

عن القبيح والعمل الصالح وقال الاعشى — اذا انت لم ترحل بزاد من التقى — ولاقيت بعد الموت من قد تزودا — ندمت
على ان لا تكون كمثله — وانك لم ترصد لما كان ارصدا — قيل كان ناس من اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن نحج بيت الله فلا يطعمنا فيتوصلون بالناس ويكونون كلا على الناس وربما ظلموا الناس وغصبوهم فامرهم الله ان يتزودوا
ولا يظلموا ولا يكونوا كلا ووبالا على الناس فقال تعالى وتزودوا ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى قوله واتقون خافوا عقابي يا اصحاب العقول الخالصة عن شوب الاوهام
المزاحمة المجردة عن الوساوس والنزغات الشيطانية فان قضية اللب التقوى ومن لم يتقه من الالباب فكانه لا لب له

قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام
واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ۝ فضلا عطاء منه وتفضلا وهو الربح بالتجارة والنفع قيل
كان ناس من العرب لا يتجرون في ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن الشراء والبيع فلم تقم لهم سوق وكانوا يسمون من يخرج الى الحج معه
التجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج والداج هم الذين يكونون مع الحاج مثل الاجراء والجمالين والخدم واشباههم
فانزل الله تعالى الآية واباح التجارة في الحج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية كانوا يتجرون فيها في ايام
المواسم وكانت اكثر معايشهم منه فلما جاء الاسلام كانهم تاثموا بها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
الآية ورفع عنهم الجناح في ذلك واباح لهم وانما اباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه
وان قوما يزعمون انه لا حج لنا فقال الستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت بلى قال انت حاج
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الذي سالتني عنه فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية فدعا به فقال
انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج
قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا
وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه قيل الا فاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات
علم للموقف سمي بجمع كاذرعات ولم يمنع من الصرف لانه ليس فيها الا سبب واحد وهو التعريف وليس فيها تانيث لانه اما ان
التي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها
بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كالتاء
فابت تقديرها قيل سميت بعرفات لان آدم لما اهبط وقع بالهند وحوا بجدة فجعل آدم يطلب حوا وهي تطلبه فاجتمعا بعرفات
يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقيل سميت بها لان هاجر حملت اسمعيل عليه السلام فاخرجته من عند سارة
وكان ابرهيم عليه السلام غائبا فلما قدم لم ير اسمعيل وحدثته سارة بالذي صنعت هاجر فانطلق في طلب اسمعيل فوجده
وهاجر يوم عرفة بعرفات فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم عليه السلام
حلفت سارة ان لا ينزل من على ظهر دابته حتى يرجع اليها من الغيرة فاتى اسمعيل ثم رجع فحبسته سارة سنة ثم استاذنها
فاذنت له فخرج حتى بلغ مكة وجبال الحافيات ليلة يسير ويسمي حتى اذن الله عز وجل له في ثلث الليل الآخر عند جبل عرفة
فلما اصبح عرف البلاد والطريق فجعل الله عرفات حيث عرفه وقيل بعث الله تعالى جبريل الى ابرهيم عليه السلام فحج به حتى اذا اتى عرفات
قال قد عرفت وكان قد اتاها مرة قبل ذلك فسميت عرفات وقيل ان جبريل كان يري ابرهيم في ذلك اليوم بقاع مكة ومشاهدها
فكان يقول يا ابرهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا فيقول قد عرفت قد عرفت ولما اذن ابرهيم في الناس بالحج اجابوه بالتلبية
واتاه من اتاه امر الله عز وجل ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة فاستقبله الشيطان على الجمرة الاولى فرماه
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه فكبر فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما راى انه لا يطيعه
ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فلذلك سمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فلما نظر اليها عرفها
بالنعت فقال قد عرفت فسمي عرفات وسمي ذلك اليوم عرفة حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسميت المزدلفة قيل ان ابرهيم راى ليلة
التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح روى يومه اجمع اي فكر امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فسمي اليوم يوم التروية
ثم راى ليلة عرفة ذلك ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمي اليوم عرفة وقيل سميت بذلك لان الناس يعترفون
في هذا اليوم على ذلك الموقف بذنوبهم والاصل فيه ان آدم عليه السلام لما امر بالحج وقف بعرفات يوم عرفة فقال ربنا ظلمنا انفسنا
وقيل هي ماخوذة من العرف وهو الطيب قال الله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي طيبها فان منى موضع يلقى فيه الدماء وكذلك سميت منى
ففيه الفروث والاقذار والدماء فليست بطيبة وعرفات ليس فيها تلك الاقذار فهي طيبة فلذلك سميت عرفات وسمي يوم
الوقوف عرفة وقيل لان الناس يتعارفون بها وقيل هذا الاسم من الصبر يقال الرجل عارف اذا كان صابرا خاضعا خاشعا
وفي المثل يقال النفس عروف وما حملتها تتحمل وقال ذو الرمة — عروف لما خطت عليها المقادر — اي صبور على قضاء الله
فسميت بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وانواع البلاء واحتمال الشدائد والمشقات لاقامة هذه
العبادة قال صاحب الكشاف عرفات من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وحينئذ
تكون من الاعلام المنقولة قوله فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعاء وقيل بصلاة المغرب والعشاء
عند المشعر الحرام وما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر
الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وقوله تعالى عند المشعر معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب
من جبل الرحمة ولو لم يحمل على الفضل لا يستقيم المعنى لان المزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت عند المشعر الحرام

وقيل انما سميت عرفات لان جبريل كان يري ابراهيم المناسك فيقول عرفت عرفت ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات

أعقاب المزدلفة أي أطرافها لكونها في حكم المشعر الحرام ومتصلة به تسمية الكل بالجزء والمشعر المعلم من الشعار أي العلامة
لأنه معلم الحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل سمي المشعر لأنه أشعر المؤمنون أنه حرام كأنه
ومكة أي علموا ووصف بالحرام لحرمته وقيل وصف بالحرام لأنه ممنوع من أن يفعل فيه ما حرم ولم يؤذن في إتيانه وأصل الحرام
من المنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس في هذه الليلة لا ينامون وقيل
سميت المزدلفة وجمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أي دنا منها وقيل لأنها يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز
أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف ولنشر إلى ترتيب أعمال الحج حتى يسهل الوقوف
على معنى الآية فمن دخل محرما في ذي الحجة أو قبله فإن كان مفردا أو قارنا طاف طواف القدوم وأقام على إحرامه حتى يخرج
إلى عرفات وإن كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته وأقام إلى وقت خروجه إلى عرفات وحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج
وكذلك إذا أراد الحج من أهل مكة والسنة للإمام أن يخطب يوم السابع من ذي الحجة بعدما صلى الظهر خطبة واحدة يأمر
الناس فيها بالذهاب غدا بعدما صلى الصبح إلى منى ويعلمهم تلك الأعمال ثم إن القوم ينهضون يوم التروية إلى منى بحيث
يوافوا الظهر بمنى ويصلون بها مع الإمام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم إذا طلعت الشمس على ثبير
يتوجهون إلى عرفات فإذا دنوا منها فالسنة أن لا يدخلوها بل ينزل الإمام بنمرة وهي قريبة من عرفة فيمكثون هناك حتى
تزول الشمس فيخطب الإمام خطبتين يعرفهم مناسك الحج ويحرضهم على إكثار الدعاء والتهليل بالموقف ثم إذا فرغ من الخطبة
الأولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يأخذون في الأذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين
من الأذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال ويصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد
الفراغ من الصلاة يتوجهون إلى عرفات فيقفون عند الصخرات لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف هناك وإذا وقفوا
استقبلوا القبلة يذكرون الله ويدعونه إلى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج إلا به فمن فاته الوقوف في وقته
وموضعه فقد فاته الحج ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد إلى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم
وليلة كاملة وإذا حضر الحاج هناك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد كفى وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع
الفجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر وإذا غربت الشمس دفع الإمام من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء
بالمزدلفة جمع المغرب والعشاء بإقامتين ثم يبيتون بها فإن لم يبت بها فعليه دم شاة فإذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس
والتغليس بالفجر ههنا أشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فإذا صلوا الصبح أخذوا منها الحصى للرمي يأخذ كل إنسان
سبعين حصاة ثم يذهبون إلى المشعر الحرام وهو قزح جبل إن أمكنه وقف بالقرب منه إذا لم يمكنه ويحمد الله ويكبره ويهلل
ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكون المكث كما في عرفة ثم ينهضون منها إلى وادي محسر فإذا بلغوا
بطن محسر يستحب إن كان راكبا أن يحرك دابته وإن كان ماشيا أن يسعى سعيا شديدا قدر رمية فإذا أتوا منى رموا جمرة العقبة
من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية إذا ابتدأ الرمي ثم بعدما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي إذا كان معه هدي
وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لأنه ربما لا يكون معه هدي ثم بعدما ذبح الهدي يحلق رأسه ويقصر والتقصير أن يقطع أطراف
شعره ثم بعد الحلق يأتي مكة ويطوف بالبيت طواف الإفاضة ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد
ذلك يعودون إلى منى في بقية يوم النحر وعليهم المبيت بمنى ليالي التشريق لأجل الرمي واتفقوا على أنه يحصل التحلل بالرمي والحلق
والطواف فيحصل التحلل والمراد من التحلل حل اللبس والقلم والحلق ... فهذا هو الكلام في أعمال الحج وأهل الجاهلية كانوا قد غيروا
مناسك الحج عن سنة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وذلك أن قريشا وقوما آخرين سموا أنفسهم بالحمس وهم أهل
الشدة في دينهم والحماسة الشدة يقال رجل أحمس وقوم حمس ثم إن هؤلاء كانوا لا يقفون في عرفات ويقولون
لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة يفيضون قبل أن تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة
يفيضون إذا طلعت الشمس ويقولون أشرق ثبير كيما نغير ومعناه أشرق ثبير بالشمس كيما نندفع من مزدلفة فيدخلوا في غور
الأرض وهو المنخفض وذلك أنهم إذا جاوزوا المزدلفة صاروا في غور من الأرض فأمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة
القوم قبل طلوع الشمس والآية لا دلالة فيها على ذلك بل السنة دلت على هذه الأحكام في الآية دليل على وجوب الوقوف
بعرفة لأن الآية دالة على وجوب ذكر عند المشعر الحرام عند الإفاضة من عرفات والإفاضة من عرفات مشروطة بالحصول
في عرفات وما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فثبت أن الآية دالة على أن الحصول في عرفات واجب
في الحج فإذا الآية تدل على أن ... لم يكن إتيانا بالحج المأمور به فوجب أن لا يخرج عن العهدة وفيه نظر فإن غاية ما في الباب أن تلك الآية دالة على
أن الحصول في عرفات شرط لبعض الواجبات التي يحصل الحج بدونها حتى إن كثيرا من العلماء ذهبوا إلى أن الآية لا دلالة فيها على
أن الوقوف شرط ونقل عن الحسن أن الوقوف بعرفة واجب إلا أنه إن فاته ذلك قام الوقوف بجمع مقامه وسائر الفقهاء أنكروا
ذلك واتفقوا على أن الحج لا يحصل إلا بالوقوف بعرفة وقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام يدل على أن الحصول عند المشعر الحرام
واجب ويكفي فيه المرور كما في عرفات فإن الوقوف هنا مسنون وروي عن علقمة والنخعي أنهما قالا الوقوف بمزدلفة ركن فمن لم
الوقوف بعرفة ووجههما قوله تعالى فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وذلك أن الوقوف بعرفة لا ذكر له صريحا
في الكتاب وإنما وجب إثباته بالسنة والمشعر الحرام فيه أمر وقال جمهور الفقهاء إنه ليس بركن واحتجوا بقوله عليه السلام
الحج عرفة فمن وقف بعرفة فقد تم حجه وبقوله من أدرك عرفة فقد أدرك الحج ومن فاته عرفة فقد فاته الحج وفي الآية إشارة إلى ما ذكر
لأن الله تعالى قال فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام أي الذكر لا الوقوف بالمشعر الحرام سنة وليس بأصل في الركن

بعرفة وهو أصل لأنه قال فإذا أفضتم من عرفات ولم يقل فالذكر بعرفات قوله واذكروه كما هداكم ما مصدرية أو كافة والمعنى
اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله لمن الضالين
لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ● ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس أي من عرفات ولا يكون من المزدلفة
والأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس لما كان على الحمس بما لترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظيمهم إياها وهم في الموقف هو
من لهم بعنا أهل قطان حرم فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ووقع من بعضهم في ذلك الحمس إلى الناس ثم
إلى عرفات ثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من
عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والأخرى خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ثم الحمس
أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات أي أفضتم من المزدلفة بعد ما أفضتم من عرفات ولا تكونوا أفضتم من المزدلفة
استنانا من غير تقدمها أفضتم من عرفات قيل وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع
بلا شك فكيف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله ثم بعد ما قال الناس ... ذكر قبل وتعيين موقع ثم على الوجه الذي
ذكر لا يخلو من تكلف وتعسف وقيل وجهه على ما قلنا إن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام فعلى الأول الناس غير الحمس وعلى الثاني
الحمس وقيل الناس الحمس وقيل الناس هم أهل اليمن وربيعة وقيل الناس ههنا إبراهيم عليه السلام يدل عليه قوله تعالى أم يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود الأشجعي
إن الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان وإنما يقال للذي يقتدى به ويكون لسان قومه وإمامهم كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا
ذكر الواحد بلفظ الجمع وقيل الناس ههنا آدم عليه السلام دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي وقال هو
آدم نسي ما عهد إليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة وعليه السكينة وردفه أسامة
وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل فما رأيتها رافعة يديها عادية حتى أتى جمعا وقال الكلبي عن أبي
صالح عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق على الحج وأمره أن يخرج بالناس جميعا إلى عرفات فيقف
بها حتى إذا غربت الشمس أفاض بالناس منها حتى يأتي بهم جمعا فيبيت بها حتى إذا أصبح بها صلى الفجر ثم وقف بالناس في المشعر
الحرام ثم يفيض منها إلى منى قال فتوجه أبو بكر رضي الله عنه نحو عرفات فمر بالحمس وهم وقوف بجمع فلما ذهب ليجاوزهم قالت
له الحمس أين تجاوزنا يا أبا بكر ما هنا مفيض الناس فلا تذهب حتى يفيض أهل اليمن وربيعة من عرفات فمضى أبو بكر لأمر الله
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفات وبها أهل اليمن وربيعة وهم الناس في هذه فوقف بها حتى غربت الشمس ثم
أفاض بالناس إلى المشعر الحرام حتى وقف بها حتى إذا كان عند طلوع الشمس أفاض منها واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وغير
ذلك من جاهليتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وكان يستغفر فيغفر لهم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج قوله تعالى فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم يقال نسك الرجل ينسك نسكا ونسيكة ومنسكا إذا ذبح نسيكته والمنسك
الذبح مثل المشرق والمغرب والمناسك جمع المنسك الذي هو المصدر بمعنى النسك أو بمعنى موضع النسك في الحج
فيه وفي الحاشية يعني كل القرآن مثل نسككم لأنهما سواء فاذكروا الله العلي قوله فاذكروا يريد أن الفراغ من المناسك يوجب
هذا الذكر فعلى هذا يحتمل أن هذا الذكر أي هو ... محمول على الذكر الذي هو التكبيرات بعد الصلوات في يوم النحر وأيام التشريق
على حسب اختلافهم في وقته أولا وآخرا لأنه بعد الفراغ من الحج لا ذكر مخصوص إلا هذه التكبيرات فاذكروا الله أي فأكثروا ذكر الله
وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون
فضائل آبائهم ويذكرون محاسن آبائهم في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الأشعار ويتكلمون بالمنثور
من الكلام ويريد كل واحد منهم من ذلك الفعل حصول الشهرة والترفع بمآثر سلفهم فلما أنعم الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون
ذكرهم لربهم لا لآبائهم قال صاحب الكشاف قوله أو أشد ذكرا في موضع جر عطفا على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول
كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا قال ابن الحاجب فيه نظر لأنه يلزم العطف على الضمير المجرور بغير إعادة حرف الجار وذلك
لا يجوز عندهم ... قرأ حمزة ... تساءلون به والأرحام بالجر ولقائل أن يقول إن طائفة من النحويين جوزوا العطف على الضمير المجرور
والمجرور بحرف الجر فيجوز أن يكون الأول ... وصاحب الكشاف رده في النساء العطف على الضمير المجرور لعله لشدة الاتصال
على أن من الجائز أن يكون الفاصل بين المعطوفين هو المصحح للعطف على المرفوع المتصل ثم قال صاحب الكشاف أو أشد في موضع نصب
عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور ... على أنه من صفة المفعول قال ابن الحاجب وفيه نظر لأنه يؤدي
إلى أن يكون أفعل للمفعول وهو شاذ لا يرجع إليه إلا بثبت وفعل لا يكون إلا للفاعل كقولهم ما أضرب الناس على أنه فاعل الضرب
... ولقائل أن يقول الصيد ... يأتي من فعل كما يأتي من فعل كقوله تعالى من بعد غلبهم المعنى من بعد
كونهم مغلوبين فكذا الذكر في قوله أو أشد ذكرا من ذكر آبائكم فيكون الكاف نعتا لمصدر محذوف ... والأولى أن يجري
الكاف على ظاهرها ولا يلزم ما ذكره من أن المعطوف يشارك المعطوف عليه في العامل الأول وذلك فإن المعرفات تقول فاذكروا الله

نحو ثوبوا واقلي ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء وابذلوا جهدكم في الثناء على الله وشرح آلائه ونعمائه كما بذلتم جهدكم
في الثناء على آبائكم لأن هذا أولى وأقرب إلى العقل من الثناء على الآباء فإن ذكر مفاخر الآباء إن كان كذبا فذلك يوجب الدناءة
في الدنيا والعقوبة في العقبى وإن كان صدقا فذلك يوجب العجب والكبر وكل ذلك من أمهات المهلكات فثبت أن اشتغالكم بذكر الله
أولى من اشتغالكم بمفاخر آبائكم فإن لم يحصل الأولوية فلا أقل من التساوي وقيل المعنى اذكروا الله بالوحدانية كذكركم
آباءكم بالوحدانية فإن الواحد منهم لو نسب إلى والدين لتأذى وأنف واستنكف عنه ثم كان يثبت لنفسه الحمية فقيل لهم
اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آباءكم بالوحدانية بل المبالغة في التوحيد هاهنا أولى من هناك وهذا هو المراد بقوله
أشد ذكرا وقيل أشد ذكرا معناه بل أشد ذكرا لأن مفاخر آبائهم كانت قليلة وهمية أو ظنية أما صفات الكمال لله فغير
متناهية يقينية فيجب أن يكون اشتغالهم بذكر صفات الحق أشد من اشتغالهم بذكر مفاخر آبائهم وقوله فمن الناس
بين الله تعالى أولا تفصيل مناسك الحج ثم أمر بذكره على الإطلاق فقال فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله عند المشعر الحرام
ثم أمر بذكره على الوجه الذي هداه الله إليه فقال واذكروه كما هداكم ثم أشار إلى أنهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا
ضالين فلا يكون ذكرهم إلا على وجه الضلال له ثم بين أن الأولى أن يتركوا غيره الذي كانوا عليه في وقت الضلال والجاهلية
وأن يقتصروا ويخلصوا ذكره فقال فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ثم بين بعد الذكر كيفية الدعاء فقال فمن الناس من يقول
ربنا آتنا وما أحسن هذا الترتيب وأبلغه فإن تقديم العبادة واجب لكسر النفس فإذا كملت أعضاؤها ثم بعد العبادة لا بد
من الاشتغال بذكر الله لتنوير القلب بتجلي نور جلاله ثم بعد الذكر يشتغل المرء بالدعاء فإن الدعاء إنما يكمل إذا كان مسبوقا
بالذكر كما حكي عن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه أنه قدم الذكر على الدعاء فقال الذي خلقني فهو يهدين ثم قال رب هب لي
حكما وألحقني بالصالحين فقدم الذكر على الدعاء ثم إن الناس بعد ما ذكروا الله ودعوه فإن الناس بين مقتصر همه
قاصر لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين واعلم أن [illegible] الناس تفضيلية والمحمل ما عليه
الناس في نفس الأمر يعلم من سياق الآيات ومن النظم وذلك أنه تبارك وتعالى لما بين الأركان [illegible] إلى هذا الكلام
العظيم أشار ثانيا فإذا قضيتم مناسككم أي إذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم إلى أوطانكم لا تقولوا قضينا ما علينا
بل اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم قسم الناس أربع فرق أحدهم الكافرون الذين غاية مقصدهم ومنتهى همتهم أغراض الدنيا
والإعراض عن المعاد وهم المرادون بقوله فمن الناس من يقول ربنا آتنا وثانيهم المقتصدون الذين يطلبون خير الدنيا
والآخرة وهم المرادون بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وثالثهم المنافقون الذين كانت
تحلو ألسنتهم وتغلو قلوبهم أمر من الصبر وهم المرادون بقوله ومن الناس من يعجبك ورابعهم السابقون الذين يبذلون
نفوسهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته وهم المرادون بقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
والثاني في مقابلة الأول والرابع في مقابلة الثالث فلعل ذكرهم على هذا الترتيب لإرشادهم إلى اختيار ما هو
الأصوب دينا وما يرفعهم إلى الله والإعراض عما يبعدهم عن رضوان الله ومانع من ذلك ولذا شرع في قصة بني إسرائيل
بما يخلصهم إليها فقال يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة قوله فمن الناس من يقول ربنا أعطنا في الدنيا إبلا
وبقرا وغنما وعبيدا [illegible] عموم أغراض الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما هم المشركون كانوا يسألون
المال والإبل والغنم وكانوا يقولون اللهم اسقنا المطر وأعطنا على عدونا الظفر ولا يسألون حظا في الآخرة لأنهم
كانوا غير مؤمنين بالآخرة وما له في الآخرة من خلاق وهو النصيب وإنما لهذا الداعي في الآخرة واختلفوا في الحسنتين
قيل إنما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي كرم
الله وجهه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور وعذاب النار امرأة السوء وقيل حسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل في الدنيا حسنة رزقا حلالا واسعا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة
المغفرة والثواب وقيل في الدنيا حسنة العلم والعمل به وفي الآخرة حسنة تيسير الحساب ودخول الجنة وقيل
في الدنيا حسنة التوفيق والعصمة وفي الآخرة حسنة النجاة والرحمة وقيل في الدنيا حسنة أولادا أبرارا
وفي الآخرة حسنة مرافقة الأنبياء عليهم السلام وقيل في الدنيا حسنة المال والنعمة وفي الآخرة حسنة تمام
النعمة وهو الفوز من النار ودخول الجنة وقيل في الدنيا حسنة الثبات على الإيمان وفي الآخرة حسنة السلامة
والرضوان وقيل في الدنيا حسنة الدين واليقين وفي الآخرة حسنة اللقاء والرضا وقيل في الدنيا حسنة الإخلاص
وفي الآخرة حسنة الخلاص وقيل في الدنيا حسنة حلاوة الطاعة وفي الآخرة لذة الرؤية وقيل في الدنيا حسنة
وفي الآخرة الجنة وقيل من آتاه الله عز وجل الإسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة قيل لأنس بن مالك ادع لنا فقال اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقالوا زدنا فأعادها
قالوا زدنا قال ما تريدون قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة قوله حسنة في الموضعين على التنكير الحسنة
لا تكتبه ولا يكون قوله حسنة تشمل جميع الحسنات في الدنيا والآخرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر أن يدعو بها اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب أي الداعون
بالحسنتين لهم نصيب أي حظ مما كسبوا أي من جنس ما كسبوا من أعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة
أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم ما يستحقونه في الدنيا والآخرة وسمي
كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا

من جنس

من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب فعيل بمعنى فاعل من السرعة يقال سرع يسرع سرعا وسرعة فهو سريع والحساب
مصدر كالمحاسبة يعني أن الحاسب بحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا روية فكر وقيل أسرع من لمح
البصر وفي الخبر أن الله تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وقيل هو أنه إذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع الخلق
ومعنى الحساب تعريف الله عز وجل عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك يدل عليه قوله عز وجل
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وفيه وعد ووعيد وبشارة وإنذار ووصف لنفسه
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه ورجاء الرحمة قال الله تعالى
نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم قوله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل
في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ۝ يعني أيام التشريق
أيام منى ورمي الجمار سماها معدودات لقلتها كقوله دراهم معدودة وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها يوم القر وهو
اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يستقر الناس فيه بمنى والثاني يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم
من منى والثالث يوم الثالث عشر وهو يوم النفر الثاني وهذه الأيام الثلاثة مع يوم النحر كلها أيام النحر وأيام رمي الجمار وهذه
الأيام الأربعة مع يوم عرفة أيام التكبير والذكر المأمور به التكبير عند الجمرات يكبر مع كل حصاة وأدبار الصلوات وغيرها من الأوقات
قال نافع كان عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما يكبران بمنى تلك الأيام جميعا خلف الصلوات وفي المجالس وعلى الفراش وفي الفسطاط
والطريق ويكبر الناس بتكبيرهما وأجمعوا على أن التكبير في هذه الأيام سنة واختلفوا في وقتها فوقتها في الأشهر من مذهب
الشافعي أنه يبتدئ التكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق اقتداء بالحاج لأنهم يقطعون التلبية
ويأخذون في التكبير يوم النحر في صلاة الظهر والصبح من آخر أيام التشريق آخر صلاة يصليها الحاج بمنى وكان الناس لهم تبع
وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإليه ذهب
أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وهو جمع الأقاويل وكان ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم يكبران من صلاة الظهر من يوم النحر
إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو قول عطاء وكان عبد الله بن مسعود يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة
العصر من يوم النحر وإلى هذا ذهب أبو حنيفة وأما لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله أكبر الله أكبر الله أكبر
ثلاثا نسقا وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وأهل المدينة وكان ابن مسعود يكبر اثنتين وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه
وأهل العراق وروي عن مالك أنه كان يقول الله أكبر الله أكبر ثم يقطع فيقول الله أكبر لا إله إلا الله وروي عن قتادة
أنه كان يقول الله أكبر كبيرا الله أكبر على ما هدانا الله أكبر ولله الحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله وعن [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا فنادى في أيام التشريق ألا إنها
أيام أكل وشرب وبعال فمن تعجل فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل
في الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل فإنه قابل المستعجل بالمتأني وتعجل المستعجل مطاوع عجل
المتأني الذي هو لازم في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس
الأضاحي واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي
حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث رمي الجمار ثم ينفر مع الناس ولا يجوز تقديم الرمي
في اليوم الثالث على الزوال عند الشافعي وعند أبي حنيفة يجوز [illegible] صاحب الكشاف فإن قلت كيف قال فلا إثم عليه في التعجل
والتأخر جميعا قلت دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا فإن قلت أليس التأخر أفضل قلت
بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل التخيير
بين الفاضل والمفضول يوجب التساوي وينافي طلب أحد الطرفين وكيف يستقيم اجتماعهما طلب ترجيح ووجود فيما التساوي
كذلك إنما الزمخشري أخل في التقسيم فلزمه السؤال وهو هذا لا من أن نفي الحرج في الأمرين لا يلزم منه التخيير وغايته
اشتراكهما في نفي الحرج لكن أحدهما مطلوب دون الآخر فلا يحتاج إلى الجواب لاندفاع السؤال وتحقيقه أن الأفعال التي
يتعلق بها الحكم أعني خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير خمسة أقسام واجب ومندوب ومباح
ومكروه وحرام والأربعة الأول مشاركة في نفي الحرج في فعله والأخير متميز عنها بالحرج في فعله والثلاثة التي
بين الأول والأخير متميزة عن الأول بعدم الحرج في تركها بخلاف الأول فإن في تركه حرجا ومتميزة عن الأخير بعدم الحرج في
فعلها بخلاف الأخير فإن في فعله حرجا والثلاثة المذكورة مشاركة في عدم الحرج في الفعل والترك والأوسط متميز
عن الطرفين بعدم ترجح كل من الفعل والترك على الآخر وبعدم طلب أحدهما والطرف الأول من الثلاث متميز عن الطرف
الثاني بترجيح الفعل على الترك بخلاف الطرف الثاني فإنه يترجح تركه على الفعل والطرف الأول مطلوب الفعل والطرف الثاني
مطلوب الترك والطرف الأول الذي ترجح فعله على تركه على مراتب بعضها أرجح من بعض فيجوز التخيير بين الراجح والأرجح
ولا يوجب التخيير التساوي ألا ترى أن الواجب الموسع مثل صلاة الظهر المكلف مخير بين إيقاعها في أول الوقت ووسطه وآخره مع
أن الإيقاع في أول الوقت أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله فإن قيل ما الفائدة في إيراد
الخبر بنفي الإثم قلنا إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن
بنفي الإثم عنهما جميعا رفعا لاعتقاد الفريقين مع حصول المقصود قوله لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر

لأجل الحاج بتضييع شيئاً مما حده الله وأمره به حتى لا يلحق أن من تعجل أو تأخر لحقه إثم فإذا المتقي حذر متحرز من كل
ما يريبه وقيل لمن اتقى شيئاً في حجه مما نهى الله عز وجل وقيل لمن اتقى عبادة الأوثان وقيل لمن اتقى معاصي الله أما
قوله تعالى واتقوا الله طلب التقوى في المستقبل وهو مخالف لقوله لمن اتقى الذي هو خبر عن التقوى في الماضي فليس في ذلك
تكرار وأما قوله واعلموا أنكم إليه تحشرون فهو توكيد للأمر بالتقوى وحث على التشدد فيه لأن من علم أنه لا بد من حشر
وحساب ومسائلة ومجازاة بعد الموت تقوى به الدواعي إلى التقوى والحشر اسم واقع على أول خروجهم من الأجداث
إلى انتهاء الموقف لأنه لا يتم كونهم هناك إلا بجميع هذه الأمور والمراد بقوله إليه أنه لا مالك سواه ولا ملجأ إلا إياه
ولا يستطيع أحد دفعاً عن نفسه كما قال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله قوله تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس
المهاد ● نزلت هذه الآيات في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الأخنس لأنه خنس يوم
بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلوا بالجحفة فقال لهم يا بني زهرة
إن محمداً ابن أختكم فإن يك صادقاً لن تغلبوه وكنتم أسعد الناس بصدقه وإن يك كاذباً فأنتم أحق الناس من كف
عنه لقرابتكم وكفاكم إياه أوباش العرب قالوا نعم الرأي رأيك فسر كما شئت نتبعك فقال إذا نودي في الناس
بالرحيل فإني أخنس بكم فاتبعوني ففعل وفعلوا فسمي لذلك الأخنس وكان رجلاً حلو المنطق حسن المنظر وكان يأتي رسول
الله فيجالسه ويظهر الإسلام ويخبر أنه يحبه ويحلف بالله على ذلك وكان منافقاً فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدني مجلسه ويقبل عليه ولا يعلم أنه يضمر خلاف ما يظهر ثم إنه كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً وأهلك
مواشيهم وأحرق زروعهم وكان حسن العلانية سيء السريرة وقيل مر بزرع للمسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر وقيل خرج
إلى الطائف مقتضياً مالاً على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً وهذه الآيات وإن نزلت فيما ذكر فلا يمتنع أن تكون عامة
في كل من كان موصوفاً بهذه الصفات قوله ومن الناس إشارة إلى البعض فيحتمل الواحد ويحتمل الجمع أي يروقك ويعظم
في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس يقال في الاستحسان أعجبني كذا وفي الإنكار والكراهية
عجبت من كذا والتعجب حالة تعتري الإنسان عند ذلك كالجهل بالسبب وصف هذا المذكور بخمس صفات أولاها
قوله يعجبك في الحياة الدنيا وقوله في الحياة الدنيا متعلق بقوله أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة
بالباطل يطلب به حظاً من حظوظ الدنيا ولا يريد بها الآخرة كما يراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فكلامه إذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك
في الآخرة لما يعتريه في الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه والثانية قوله
ويشهد الله على ما في قلبه أي يقرر صدقه في كلامه ودعواه بالاستشهاد بالله أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في
قلبي من محبتك ومن الإسلام ويحتمل أن يراد ويحلف ويقول ويشهد والله إن محبتك في قلبي والثالثة قوله وهو ألد
الخصام أي شديد المخاصمة يقال منه لددت يا هذا وأنت تلد لداً ولدادة وإذا أردت أنه غلب خصمه قلت لده
يلده لداً يقال رجل ألد وامرأة لداء ورجال ونساء لد قال الله تعالى وتنذر به قوماً لداً وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم قيل اشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه وتأويله أنه إن أخذ في
وجه من يمين وشمال في أبواب الخصومة غلب في ذلك والخصام مصدر خاصمته خصاماً ومخاصمة وإضافة الألد
بمعنى في كقولهم ثبت الغدر والخصومة حقيقة التعمق في البحث عن الشيء والمضايقة فيه ويجوز أن يجعل الخصام
الألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب أي أشد الخصوم خصومة وقيل ألد الخصام أي أعوج الخصومة
وقيل لا يستقيم على خصومة وقيل هو كاذب القول وقيل شديد القسوة في معصية الله جدل بالباطل عالم اللسان
جاهل القلب يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة والرابعة قوله وإذا تولى أي تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء
الكلام سعى في الأرض أي اجتهد في إيقاع الفساد وأصل السعي هو المشي بسرعة ولكنه يستعار لإيقاع الفتنة
والتضريب بين الناس ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى أي وإذا كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء
من الفساد في الأرض ليقطع الرحم ويسفك دماء المسلمين والفساد اسم لجميع المعاصي أي ليعصي الله في جميع أوامره
ونواهيه وقيل ليشتغل بإدخال الشبه في قلوب المؤمنين وفي استخراج الحيل في تقوية الكفر قال الله تعالى حكاية
عن قوم فرعون حيث قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا فيها أي ليزيلوا قومك عن دينهم ويفسدوا عليهم شريعتهم
وقال أيضاً إني أخاف أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد وإنما سمي هذا المعنى فساداً في الأرض لأنه يوقع الاختلاف
بين الناس ويفرق كلمتهم ويؤدي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض فينقطع الأرحام وينسفك الدماء قال الله تعالى فهل عسيتم إن توليتم
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم فأخبر أنهم إن تولوا عن دينه لم يحصلوا إلا على الفساد في الأرض وقطع الأرحام
وذلك من حيث قلنا وهو كثير في القرآن وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل والحرث الزرع
والمراد بهما هنا ما يحدث من النبات والنسل نسل كل دابة والناس منهم يعم الولد اشتقاقه من نسل ينسل إذا خرج فسقط
الولد لخروجه ومعنى ظهر الإفساد قيل هو سقوطه ومن فسر الفساد بإلقاء الشبهة كأن الدين الحرث وإنما العلم ونماؤه
العمل الصالح فكذا الدنيا لباطل أمرنا وكما الشبهات وثانيها فعل السيئات فالله تعالى ذكر أولاً أن ذلك الإنسان إلقاء الشبهات

وهو المراد بقوله ليفسد فيها ثم ذكر ثانياً إقدامه على فعل السيئات وهو المراد بقوله ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد أي لا يرضى الفساد والعمل بالمعاصي وقيل الفساد قطع الدراهم وشق الثياب والخراب لا على وجه المصلحة واستدلت المعتزلة بالآية
على أن الله تعالى لا يريد القبائح بناء على أن المحبة هي الإرادة فلو أراده لأحبه وإنما يكون خالقاً للقبيح لا يكون إلا مع الإرادة فيضاف منه
الآية دالة على مسألة الإرادة وخلق الأفعال والجواب يجوز أن الإرادة غير المحبة كما ذكرنا في المقدمات وفي استشهاد قوله وإذا قيل له
اتق الله أخذته العزة بالإثم أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الإثم الذي نهي عنه وألزمته
ارتكابه وإنه لا يخلي عن نفسه لجاجاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإجابة افتضاحاً في ظاهره وباطنه فدعاه
الأنفة والكبر إلى الإثم والظلم ومعنى العزة ههنا المنعة والقوة وقيل معناه أخذته العزة الحاصلة بسبب الإثم الذي
في قلبه فإن العزة إنما حصلت بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل نظيره قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فأقام
الباء مقام اللام قوله فحسبه جهنم أي يكفيه جهنم جزاء ووعيداً يقال حسبك درهم أي كفاك قال امرؤ القيس و
حسبك من غنى شبع وري أي يكفيك الشبع والري وجهنم اسم لمكان النار التي يعذب الله بها في الآخرة قيل هي عجمية
وقيل جهنم اسم عربي سمي به مكان النار في الآخرة لبعد قعرها ومنه قولهم ركية جهنام بعيدة القعر ولبئس المهاد
أي ولبئس المهاد جهنم على معنى بئس الموضع والمقر والمهاد جمع المهد وهو الموضع المهيأ للنوم قوله تعالى ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ● نزلت هذه الآية في صهيب بن سنان الرومي مولى عبد الله بن
جدعان التيمي أخذه المشركون في رهط من المؤمنين ليردوهم فعذبوهم على ترك الإسلام وقتلوا نفراً كانوا معه فقال
لهم صهيب أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا
ماله وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في رجال
فقال له أبو بكر رضي الله عنه ربح بيعك يا أبا يحيى فقال صهيب وبيعك لا يخسر ما ذاك فقال إن الله أنزل فيك هذه الآية
وقيل أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ثم قال يا قريش لقد علمتم
أني من أرماكم رجلاً والله لا أضع سهماً مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب
بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم فقالوا دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل
فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى وأنزل الله ومن الناس من يشري والشراء من الأضداد يقال
شرى إذا باع وشرى إذا اشترى قوله يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل
سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون
قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل عن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن
عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ابتغاء مرضات الله على المفعول له والمرضاة الرضى رضي رضا
ومرضاة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله
عزيز حكيم ● يا أيها الذين آمنوا قيل نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم قاموا بشرائعه وشرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا فأنكر ذلك
عليهم المسلمون فقالوا إنا نقوى على هذا وعلى هذا وقالوا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها في صلاتنا بالليل فأنزل
الله عز وجل الآية فعلى هذا الخطاب لمؤمني أهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو المنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز
أن يكون للمؤمنين قرأ ابن كثير ونافع والكسائي السلم بفتح السين وكذا في قوله وإن جنحوا للسلم وقوله وتدعوا إلى السلم وقرأ
عاصم في رواية أبي بكر بن عياش بكسر السين في الكل وقرأ حمزة بكسر السين في هذه التي في البقرة وفي قوله وتدعوا إلى السلم وقرأ أبو عمرو
وابن عامر بكسر السين في هذه التي في البقرة وحدها وبفتح السين في الأنفال وفي سورة محمد والسلم والكسر الاستسلام والطاعة
أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم يده من طاعته وقيل هو الإسلام وهو اسم جمع بمنزلة المصدر كالعطاء من
أعطيت والنبات من أنبت ويجوز أن يراد بالكسر والفتح الصلح والمراد بالصلح الإسلام لأن الإسلام صلح الأديان أن القتال
بين أهله موضوع وإنهم أهل اعتقاد واحد في نصرة بعضهم بعضاً فسمي الإسلام صلحاً لذلك كافة من كففت الشيء إذا
وضممت بعضه إلى بعض والكافة الحاجزة المانعة لغة والكافة اسم للجملة الجماعة لأنها تمتنع من التفرق وهي
من الواو الذي هو ضمير الفاعل في ادخلوا والمعنى ادخلوا في السلم جميعاً حتى يمنعوا أحداً من أن لا يدخل فيه ويجوز أن يكون
حالاً من السلم لأنها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع والمعنى ادخلوا
في شرائع الإسلام جملة مانعة من شريعة أن تدخلوا فيها ولا تخلوا بشيء منها وادخلوا في الطاعات كلها ولا تدخلوا
في طاعة دون طاعة قال الإمام اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى ليفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل أمر المسلمين
بما يضاد ذلك وهو الموافقة في الإسلام وفي شرائعه فقال يا أيها الذين آمنوا ادخلوا وفي الآية إشكال لأن كثيراً من المفسرين
حملوا السلم على الإسلام والإيمان هو الإسلام فيصير تقدير الآية يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإيمان أو يا أيها الذين آمنوا
ادخلوا في الإسلام وهذا غير جائز ذكر المفسرون وجوهاً في تأويل هذه منها أن الخطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا
بألسنتهم ادخلوا بكليتكم في الإسلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي آثار تزيينه وغروره والإقامة على النفاق ويدل
عليه ورودها عقيب ما مضى من ذكر المنافقين وهو قوله ومن الناس من يعجبك الآية فلما وصف المنافق بما ذكر دعاه إلى الإيمان

[illegible]

في الدنيا

في الدنيا كثيرا من امور خلقه فاذا صاروا الى الآخرة فلا مالك للحكم من العباد سواه كما قال والامر يومئذ لله وهذا كقوله
ترجع امرنا الى الامير اذا كان مختصا بالنظر فيه واذا كان كذلك فالمقصود الا ينبغي ويطاع فيدخل في السلم كما امر ويجتنبون
خطوات الشيطان كما نهى قوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته
فان الله شديد العقاب ● سل اصله اسأل فخففت الهمزة التي هي عين الفعل لكثرة الدور في الكلام تخفيفا ونقلت
حركتها الى الساكن الذي قبلها فاستغني عن همزة الوصل فصار سل امر للرسول ولكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع
للسؤال عنه لانه يعرف منه كما يقال السائل كم انعمت عليك فكفرت نعمتي وكم حذرتك ويحتمل ان يكون استفهاميه ومعنى الاستفهام
للتقرير آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزات موسى من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وتكليم الله موسى فمن آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ومن حجة بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم تعلم بها صدقه ومن
يبدل التبديل تصيير الشيء على غير ما كان ونعمة الله آيات الله وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم
اياها ان الله تعالى اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم او تبديلهم
اياها بان حرفوا آيات الكتب الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله من بعد ما جاءته اي من بعد ما تمكن من معرفتها او من بعد
ما عرفها كقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وهنا اذا فسرنا النعمة بانها
الآيات والدلائل واما اذا فسرنا النعمة بما يتعلق بالدنيا من الصحة والامن والكفاية فتبديلها اياها ان الله تعالى آتاهم ليكون
اسبابا للشكر فجعلوها اسبابا للكفر انهم تكبروا [illegible] قال فان الله شديد العقاب ففيه اضمار اي شديد العقاب
لمن فعل ذلك والاولى ترك هذا الاضمار لان المقصود من الآية التخويف بكونه في ذاته موصوفا بانه شديد العقاب من غير
التفات الى كونه شديد العقاب لهذا او لذاك العقاب عذاب يعقب الجرم قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا
ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ● لما ذكر الله من قبل
حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته وهم الكفار الذين كذبوا بالآيات والادلة وبدلوها اتبعه بذكر السبب الذي من اجله
كانت هذه طريقتهم فقال زين لتعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني على الباقي قيل نزلت هذه الآية في مشركي
العرب ابي جهل واصحابه كانوا يسخرون من فقراء المسلمين كابن مسعود وعمار وصهيب وسالم مولى ابي حذيفة وابي عبيدة
بن الجراح وبلال وخباب فانه بسط لهم في الدنيا فكذبوا بالمعاد ويسخرون من المؤمنين الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على
عبادة الله تعالى وطاعته ويقولون هؤلاء المشركون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا والله ما اتبعه الا الفقراء وقيل نزلت في المنافقين
عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء
الذين يزعم محمد انه يغلب بهم وقيل نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم من بني قريظة والنضير وقينقاع سخروا من فقراء
ووعدهم الله ان يعطيهم اموال بني قريظة والنضير بغير قتال ويحتمل نزولها في الجميع والمزين للكفار الدنيا الشيطان زين
لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خلق فيهم
استحسانها او حبها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل
والحق ان المزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا هو فاعله فالله تعالى خالق كل شيء اي شيء ما للشيء المقدور الذي تعلق
به المشيئة والمقدور الذي تعلق به المشيئة هو الممكن الواقع فيكون الله تعالى خالق كل ممكن واقع والتزيين ممكن واقع فيكون الله
خالقه وخلقه للاشياء [illegible] بسبب او بغير سبب يفعل الله ما يشاء ولم يخلقه لغرض لان افعاله تعالى لا تعلل
وان كان الخلق موافقا للحكمة فليس على سبيل الوجوب بل على وجه التفضل والله ذو الفضل العظيم ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ويسخرون من الفقراء المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا ويعيرونهم بالفقر ويقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات
الدنيا ولذاتها وشهواتها وتحملوا المشاق والمتاعب لطلب الآخرة وما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وهذه السخرية منقلبة
عليهم لان من اعرض عما يتوصل به الى اللذة العظمى وجنة الخلد دار لا تبلى واقبل على الدنيا ونعيم لا يبقى لكان احق
بالسخرية منه [illegible] والذين اتقوا الشرك كعمار وبلال والفقراء وقوله والذين يسخرون منهم يوم القيامة لانهم في جنة عالية
وهم في نار حامية هنا تقديره ان يكون الفوقية بحسب المكان واما اذا كان الفوقية بحسب الرتبة فلانهم في كرامة وسعادة
والذين يسخرون في ملامة وشقاوة وهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون
الفضل عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون [illegible] علوهم في الآخرة فوق تطاولهم وعلوهم في الدنيا وانما قال والذين
آمنوا ثم قال والذين اتقوا ليريهم ان الذين آمنوا هم الذين اتقوا الشرك فلا يسعد عنده الا المتقي من الشرك والمؤمنون هم
المتقون من الشرك فيكون بعثا للناس على الايمان اذا سمعوا ذلك والله يرزق من يشاء حين يبسط للكافرين ويقتر على المؤمنين
بغير حساب من غير ان يكون ذلك المعطى مؤمنا او كافرا محسنا او مسيئا بل بمحض المشيئة فقد وسع الدنيا على قارون وغيره
وضيقها على ايوب فهذه التوسعة عليه والتضييق له من الله تعالى بمحض المشيئة لا لغرض خالص منزه ان يفعل لغرض وقيل المعنى ان الله يرزق
من يشاء في الدنيا من مؤمن وكافر بغير حساب لاحد عليه فلا ينبغي ان يغتر الكافر لو كان المؤمن على الحق لوسع عليه في الدنيا لانه لا
يسأل عما يفعل وقيل الله يرزق من يشاء في الآخرة وهم المؤمنون بغير حساب اي رزقا واسعا ممتدا لا الى غاية الانقطاع
كقوله فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب لان ما يدخل تحت الحساب محصور متناه وقيل الرزق للمؤمنين
في الآخرة على سبيل التفضل وما هو على سبيل التفضل بغير حساب وقيل بغير حساب اي بغير استحقاق يقال لفلان على فلان
حساب اذا كان له عليه حق وهذا يدل على انه لا يستحق احد عليه شيئا وليس لاحد عليه حساب اعطاه الله تعالى على سبيل التفضل

قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ● لما بين الله تعالى أن إصرار الكفار على كفرهم بحب
الدنيا بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان بل في الأزمنة المتقادمة فإن الناس كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا
وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والحسد وحب الدنيا والتنازع في طلبها والأمة القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي
بعضهم ببعض وهو مأخوذ من الائتمام دلت الآية على أنهم كانوا أمة واحدة ولم يدل على أنهم كانوا في الحق أم الباطل وقد اختلف
المفسرون فيه على أقوال القول الأول أن الناس كانوا أمة واحدة متفقين على دين الإسلام والقرآن وعليه أكثر المحققين
أنهم اختلفوا فبعث الله وإنما حذف فاختلفوا لدلالة قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل
على المحذوف قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا والفاء في فبعث الله يدل على أن بعثة النبيين بعد الاختلاف
فلو كانوا قبل ذلك أمة واحدة في الكفر لكانت بعثة النبيين قبل هذا الاختلاف أولى لأن بعثتهم عند كون الكل على الكفر
أولى من بعثتهم عند كون بعضهم على الكفر وبعضهم على غيره وقوله وما اختلف فيه بين الظاهر أن المراد من هذا الاختلاف
الاختلاف الحاصل بعد الاتفاق المشار إليه بقوله كان الناس أمة واحدة ثم حكم على هذا الاختلاف بأنه إنما حصل بسبب البغي
وهو لا يليق إلا بالمذاهب الباطلة فدلت الآية على أن المذاهب الباطلة حصلت بعد الاتفاق فالاتفاق الذي كان قبل المذاهب
الباطلة إنما كان في الحق لا في الباطل ثم اختلفوا أي إنه متى كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الحق قيل كان آدم وأولاده أمة
واحدة متفقين على الحق مسلمين مطيعين لله تعالى ولم يحدث فيما بينهم اختلاف في الدين إلى أن قتل هابيل قابيل فاختلفوا حينئذ
فبعث الله النبيين وقيل من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة فإنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق
والهدى فاختلفوا في زمن نوح فبعث الله إليهم نوحا وكان أول نبي بعث نوح ثم بعث بعده النبيين وقيل هم نوح ومن كان
معه في السفينة كانوا مؤمنين كلهم ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقيل كل أحد بحسب الفطرة يكون على الحق وإنما ينصرف
إلى الباطل لأسباب خارجية يدل عليه قوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة فلا يمكن أن يكون إلا بحسب الفطرة
خاليا عن شوب الباطل وقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين وقوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه يدل الحديث على أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية لما كان على
شيء من الأديان الباطلة وإنما يقدم على الدين الباطل لأسباب خارجية وحرص الأبوين لأن الاعتقاد الباطل بحسب التقليد
إنما هو باتباع الآباء قال الله تعالى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإنا على آثارهم مهتدون وأمثال ذلك في القرآن كثيرة وقيل إن المراد من الناس هاهنا أهل الكتاب ممن آمن بموسى لأنه قد تبين
أن هذه الآية متعلقة بما تقدم من قوله يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة وقد زعم كثير من المفسرين أن الآية نازلة
في اليهود فقوله تعالى كان الناس أمة واحدة أي كان الذين آمنوا بموسى أمة واحدة على دين واحد ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد
فبعث الله النبيين وهم الذين جاءوا بعد موسى وأنزل معهم الكتاب كما بعث الزبور إلى داود والإنجيل إلى عيسى والقرآن إلى محمد صلى
الله عليه وسلم لتكون تلك الكتب حاكمة في تلك الأشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول مطابق لنظم الآية وموافق لما قبلها القول
الثاني أنه كان الناس أمة واحدة كفارا كلهم ثم اختلفوا أي إنه متى كان الناس أمة واحدة كفارا عن ابن عباس كان الناس
على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفارا كلهم وولد إبراهيم عليه السلام في جاهلية فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم وغيره
من النبيين وقيل من وفاة آدم إلى زمن نوح كانوا كفارا ثم سألوا أنفسهم سوء الأفعال وإن كان فيهم من كان مسلما موحدا
وثبت على الحق أجابوا بأن الغالب كان هو الكفر والحكم للغالب ولا يعتد بالقليل في الكثير كما لا يعتد بالقليل في الشعير
الكثير القول الثالث أن الناس كانوا أمة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته المذكورة
والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والجهل والعبث وأمثالها والذي يدل على هذا أن لفظ النبيين يفيد العموم
والاستغراق وحرف الفاء يفيد التراخي في قوله فبعث الله فظهر من هذا أن بعثة جميع الأنبياء كانت متأخرة عن كون
الناس أمة واحدة فتلك الوحدة المتقدمة على بعثة جميع الشرائع للأنبياء لا تكون في شريعة مستفادة من الأنبياء فتعين
أن تكون في شريعة مستفادة من العقل وأيضا العلم بحسن شكر المنعم وطاعة الخالق والإحسان إلى الخلق والعدل
والصدق وبقبح الظلم والكذب والجهل مشترك فيه بين الكل وهذا يعترف به منكروا النبوة فالظاهر أن الناس كانوا
في أول الأمر على ذلك ثم اختلفوا بعد ذلك لأسباب طارئة فإن قيل أليس أول الناس آدم عليه السلام وأنه كان نبيا فكيف
يصح إثبات الناس مكلفين قبل بعثة الرسل أجيب بأنه يحتمل أنه عليه السلام مع أولاده كانوا مجتمعين على التمسك بالشرائع العقلية
أولا ثم إن الله تعالى بعثه بعد ذلك رسولا وشرعه منذ نشأة الناس حتى لا يحتاج إلى التمسك بالشرائع العقلية وهذا القول متفرع على أن
قاعدة تحسين العقل وتقبيحه وفيه ما فيه القول الرابع أن الآية دلت على أن الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها أنهم كانوا على الإيمان
أو الكفر فهو موقوف على الدليل فبعث الله النبيين قيل كان الناس أمة واحدة في الجملة لا أمر عليهم ولا نهي فبعث الله
سبحانه النبيين جملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم
ثمانية وعشرون نبيا مبشرين ومنذرين وصف النبيين بصفات ثلاث الأولى كونهم مبشرين بالثواب لمن آمن وأطاع والثانية
بالعقاب على من كفر وعصى والأول جار مجرى حفظ الصحة والثاني جار مجرى إزالة المرض والأول مقصود بالذات فقدم في الذكر
الثالثة قوله وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أي الكتب مع كل واحد كتابه بالحق بالصدق والعدل ليحكم الله أو الكتاب أو النبي

المنزل

المنزل عليه لأن قوله ليحكم يستدعي مضمرا ولم يوجد أو مضمر أبعد مذكور والذي تقدم ذكره أمور ثلثة أقربها الكتاب ثم النبي
الذي اشتمل عليه لفظ النبيين ثم الله ولكل واحد منها ترجيح أما الكتاب فلأنه أقرب وأما النبي فلأنه هو المظهر وأما الله فلأنه
هو الحاكم في الحقيقة فيصح إضمار كل من الثلثة والأولى إضمار الله ثم إضمار الكتاب ثم إضمار النبي فلهذا ذكر على هذا الترتيب
فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف في الحق وقيل فيما اختلفوا فيه من الأحكام
وما اختلف فيه في الكتاب والمراد بالكتاب المختلف فيه التوراة فعلى الأول الكنايتان فيه في الموضعين راجعتان إلى الحق
وعلى الثاني إلى الكتاب قوله إلا الذين أوتوه أي الكتاب يعني إلا الذين أوتوا الكتاب لكن لا لإزالة الاختلاف أي اليهود زادوا في
الاختلاف فلما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا لشدة الاختلاف واستحكامه وذلك بتبديل بعضهم
وتحريفهم من بعد ما جاءتهم البينات الدلالات الواضحات في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحة نبوته والظاهر
أن إيتاء الله تعالى إياهم الكتاب كان بعد مجيء البينات فيكون مغايرة للكتاب فيكون البينات الدلائل العقلية التي نصبها
الله على إثبات الأصول التي لا يمكن القول بالنبوة إلا بعد ثبوتها فإنه ما لا يصح إثبات النبوة إلا بعد ثبوته لا يمكن إثباته
إلا بالدلائل العقلية وأما النعم فهذه الدلائل في البينات المتقدمة على إيتاء الله الكتاب إياهم بغيا بينهم حسدا وظلما
لحرصهم على الدنيا وقلة إنصافهم وذلك لأن إثبات الحق إنما هو بإقامة الدلائل وهي إما سمعية وقد حصلت بالبينات المتقدمة
على إيتاء الكتاب وإما عقلية وقد حصلت بالبينات المتقدمة على إيتاء الكتاب وعند ذلك قد تمت البينات ولم يبق في العدول
عن الحق عذر فلو حصل الإعراض والعدول لم يكن ذلك إلا بسبب البغي والحسد والحرص على طلب الدنيا أما قوله تعالى فهدى
فاعلم أنه تعالى لما وصف حال أهل الكتاب وأنهم بعد كمال البيان أصروا على الكفر والجهل بسبب البغي والحسد بين أن حال الذين آمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك فإن الله عصمهم عن الزلل والبغي وهداهم للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان
لما اختلفوا فيه قيل هديته للشيء وإلى الشيء قيل اختلفوا في القبلة فصلت اليهود إلى بيت المقدس وصلت النصارى إلى المشرق
فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في يوم الجمعة فأخذت اليهود السبت والنصارى الأحد فهدانا الله واختلفوا في إبراهيم
فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدى الله الذين آمنوا للحق من ذلك وقلنا إنه كان حنيفا مسلما واختلفوا
في عيسى فجعلته اليهود لفرية وجعلته النصارى إلها فهدى الله الذين آمنوا للحق من ذلك وهو أنه عبد الله ورسوله عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا
فيه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى بإذنه أي بعلمه وإرادته فيهم قال ابن عباس بإذنه يريد كان ذلك في قضائي وقدري قوله تعالى
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ● قال الله تعالى في الآية السابقة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والمراد به هداية
الحق وطلب الحق متعب بين في هذه الآية أن ذلك الطلب لا يفضي إلى المطلوب الذي هو دخول الجنة إلا باحتمال الشدائد في التكليف
فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضر
عليهم لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
عليه تطييبا لقلوبهم وقيل نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والبرد
وسوء العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل لو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الأسر والقتل فأنزل الله هذه
الآية أم حسبتم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وإنكار الحسبان واستبعاده وأم استفهام متوسط بخلاف هل فإنه
استفهام سابق يجيء أن يقول هل عندك رجل ولا يجوز أن يقول ابتداء أم عندك رجل فأما إذا كان متوسطا جاز سواء كان
مسبوقا باستفهام آخر أو لا يكون أما إذا كان مسبوقا باستفهام آخر فكقولك أنت رجل لا تنصف أفمن جهل تفعل هذا
أم سلطان أما الذي لا يكون مسبوقا بالاستفهام فكقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون
افتراه وهذا القسم يكون في تقدير القسم الأول والتقدير أيؤمنون به أم يقولون افتراه فكذا تقدير هذه الآية فهدى
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فصبروا على استهزاء قومهم بهم أفتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة
من غير سلوك سبيلهم لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة
الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ولما يأتكم وأصله لم زيدت عليها ما وفيها معنى التوقع وهي في النفي نظير قد في
الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر قال المبرد إذا قال القائل لم يأتني زيد فهو نفي لقولك أتاك زيد وإذا قال لما يأتني
فمعناه أنه لم يأتني بعد وأنا أتوقعه أم حسبتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان وتصديق رسولي دون
أن تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وأن ينالكم من أذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة
الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الأهوال في مجاهدة العدو كما قال ذلك من قبلكم من المؤمنين والمراد من قوله ولما يأتكم
مثل الذين والمثل هو المثل والشبيه وهما الشبه ومثل كشبه وشبيه إلا أن المثل مستعار للحالة الغريبة أو القصة العجيبة
لها شأن ومنه قوله تعالى ولله المثل الأعلى أي الصفة التي لها شأن عظيم ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم
بيان المثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء الفقر الشديد والضراء المرض والجوع وزلزلوا
وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من أنواع البلايا والرزايا والأهوال والأفزاع حتى يقول إلى الغاية التي

فهدانا الله للكعبة واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض يوم ومنهم من يصوم بعض ليلة

قال الرسول والذين آمنوا معه فيها أي في تلك البلايا والزلازل والأهوال والأفزاع متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ومسهم الجهد
إلى أن استبطأوا النصر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذا دليل
على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم
فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول
يعني فقيل لهم ألا إن نصر الله قريب إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرأ نافع يقول بالرفع والباقون بالنصب ووجه الرفع
أن الفعل الواقع بعد حتى في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا أنها حال ماضية محكية ثم هذا
قد يصدق عند انقضاء السبب وحده دون المسبب كقولك سرت حتى أدخلها يحتمل أن السير والدخول قد وجدا
وحصلا وقد يحتمل أن يكون قد وجد السير والدخول بعد لم يوجد ووجه النصب أن حتى إذا نصبت الفعل المضارع على إضمار
أن ومعنى الاستقبال لأن أن علم للاستقبال وفي هذا يكون الفعل الذي قبل حتى والفعل الذي بعدها قد وجدا ومضيا
تقول سرت حتى أدخلها أي إلى أن أدخلها فالسير والدخول قد وجدا وقوله في الآية تدل على أن الزلزال والقول قد وقعا جميعا

قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ● بين الله تعالى حال من زين له الحياة الدنيا وحال من أعرض عنها وأقبل على الآخرة
ثم شرع في بيان الأحكام التكليفية وهو من هذه الآية إلى قوله ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم فإن عادته أن يكون بيان
التوحيد والوعظ والنصيحة والأحكام مختلطا بعضها بالبعض ليكون كل واحد منها مقويا للآخر ومؤكدا له فهذه الآية
مشتملة على الحكم الأول عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عمرو بن الجموح الأنصاري وكان شيخا كبيرا عنده مال عظيم
فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي
دينارا فقال عليه السلام أنفقه على نفسك قال إن لي دينارين فقال أنفقهما على أهلك فقال إن لي ثلاثة فقال أنفقها
على خادمك قال إن لي أربعة قال أنفقها على والديك قال إن لي خمسة قال أنفقها على قرابتك قال إن لي ستة قال
أنفقها في سبيل الله وهو أحسنها وفي ماذا وجهان أحدهما أن يجعل ماذا بمنزلة الاسم الواحد ويكون في موضع النصب
على أن يجعل منصوبا بالفعل الذي بعده فماذا هنا منصوب بينفقون وثانيهما أن يجعل ذا بمعنى الذي فيكون ما رفعا
بالابتداء وذا خبرها فعلى هذا يكون تقدير الآية يسألونك ما الذي ينفقون فإن قيل سؤالهم عما ينفقون لا عمن تصرف
النفقة إليهم فكيف طابق الجواب السؤال أجيب فإنه قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقون وهو كل خير
دل عليه لما أنفقتم على سبيل الإبهام والعموم وقوله من خير بيان له فيكون الجواب مطابقا له وبني الكلام على ما هو أهم وهو
بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن يقع موقعها فإن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
الصنيعة أو مصرفها ثم قدم الوالدين في الإنفاق عليهما لأنهما سببا الوجود وقد ربياه في الحال الذي كان في غاية الضعف
فكان إنعامهما على الإنسان أعظم من إنعام غيرهما عليه ولذلك قال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا
وفيه إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله شيء أوجب من رعاية حق الوالدين لأن الله تعالى هو الذي أخرج الإنسان من العدم إلى الوجود
في الحقيقة والوالدان هما اللذان أخرجاه إلى الوجود في عالم الأسباب الظاهرة فثبت أن حقهما أعظم من حق غيرهما فلذا وجب
تقديمهما على غيرهما في رعاية الحقوق ثم ذكر بعد الوالدين الأقربين لأن الإنسان غير قادر على القيام بمصالح جميع الفقراء
والقيام بمصالح البعض يستدعي ترجيحه والترجيح يستدعي مرجحا والقرابة صالحة للترجيح لأن قريب الإنسان
جار مجرى الجزء منه والإنفاق على النفس ومن يجري مجرى النفس أولى من الإنفاق على الغير فلهذا السبب الإنفاق على القريب
أولى من الإنفاق على البعيد ثم ذكر بعد الأقربين اليتامى وذلك لأنهم لا يقدرون على الاكتساب لصغرهم وليس لهم أحد يكتسب لهم
فاليتيم في معرض الضياع فيفتقر إلى نفقة تسد خلته ثم ذكر بعدهم المساكين لأن حاجتهم أقل من حاجة اليتامى لأن
قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى ثم ذكر بعدهم ابن السبيل فإنه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الاحتياج
والفقر فهذا هو الترتيب الصحيح الذي رتبه الله في كيفية الإنفاق ثم أردف هذا التفصيل الحسن الكامل بالأمر المجمل فقال
وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم أي وكل ما فعلتم من خير مع هؤلاء المذكورين أو مع غيرهم حسبة لله وطلبا لجزيل ثوابه
وهربا من أليم عقابه فإن الله به عليم وهو مبني على المبالغة يعني لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فيجازيكم أحسن
الجزاء عليها كما قال الله تعالى إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا وقال إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى وقال فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره والخير المال لقوله تعالى وإنه لحب الخير لشديد وقال إن ترك خيرا والمعنى وما تفعلوا من إنفاق شيء من المال
قل أم كثر وقيل وما تفعلوا من خير يتناول هذا الإنفاق وسائر وجوه البر وعن السدي أن هذه الآية منسوخة بفرض
الزكاة قال ابن الأنباري إن عمرو بن الجموح سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة لمن يخص بها عند الموت فلما
نزلت آية المواريث نسخت من هذه الآية التصدق على الوالدين وقيل إن الإنفاق في هذه الآية لا يراد به الصدقة عند
الموت إنما يراد به النفع في الدنيا والإيثار بما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى فأخبر الله أن من قصد ذلك ينبغي له أن يبدأ
بهؤلاء المذكورين وهذه الآية محكمة لم ينسخ منها شيء كثير من أهل التفسير هنا أنها نزلت قبل فرض الزكاة فلما فرضت الزكاة
بالآية التي في سورة براءة نسخت الزكاة هذه الآية وهذا ضعيف لأنه يمكن حمل هذه الآية على وجه لا يتطرق النسخ
إليها منها قال أبو مسلم الإنفاق على الوالدين واجب عند قصورهما عن الكسب والملك والمراد بالأقربين الولد وولد
الولد وقد تلزم نفقتهم عند فقد الملك وإذا حملنا الآية على هذا الوجه فلا وجه لنسخها بآية المواريث لأن هذه النفقة تلزم

في حال الحياة والميراث يصل بعد الموت لا يوصف بنفقة ومنها أن يكون المراد من جهة التقرب إلى الله في باب النفقة فالأولى
بها أن ينفق في هذه الجهات فقدمتهم الأولى فالأولى فيكون المراد به التطوع قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم
وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون اعلم أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان غير مأذون في القتال مدة إقامته بمكة فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين ثم أذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الجهاد واختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم إنها تقتضي وجوب القتال على الكل وعن مكحول أنه
كان يحلف عند البيت بالله أن الغزو واجب ونقل عن ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء أن هذه الآية تقتضي وجوب القتال على
أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فقط حجة الأولين أن قوله كتب يقتضي الوجوب وقوله عليكم يقتضيه أيضا
والخطاب بالكاف في قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد بعد ذلك كما في قوله كتب عليكم أو على كل واحد
من آحادكم كما في قوله كتب عليكم الصيام حجة عطاء أن قوله كتب عليكم القصاص كما كتب عليكم الصيام يقتضي الإيجاب
ويكفي في العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الحال ومن سيوجد بعد ذلك
بدلالة منفصلة وهو الإجماع وقالوا إنه مفقود ههنا فوجب أن يبقى على الوضع الأصلي ومما يدل على صحة
هذا القول قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد مضيعا فرضا لما كان موعودا بالحسنى اللهم إلا أن يقال
الفرض كان ثابتا ثم نسخ لكن التزام النسخ من غير أن يدل عليه دليل غير جائز ويدل عليه أيضا قوله تعالى وما كان المؤمنون
لينفروا كافة والقول بالنسخ غير جائز على ما بيناه والإجماع اليوم منعقد على أنه فرض كفاية إلا أن يدخل المشركون دار
المسلمين فإنه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو أي القتال كره لكم والكره المشقة يقال قمت على كره إذا أكرهت عليه وهذا
المعنى لم يقرأ ههنا الكره بالفتح كما قرئ في سائر المواضع بالضم والفتح لأن المشقة الداخلة على النفس وعلى المال من المؤنة
لأنهم كانوا يكرهون فرض الله قال صاحب الكشاف الكره من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى
الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها ● فإنما هي إقبال وإدبار ● ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت
كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقال الزجاج
هما واحد وقيل الكره بالفتح المشقة التي تنال الإنسان من خارج مما يحمل عليه بإكراه وبالضم ما ناله من ذاته
وهو ما يعافه إما طبعا أو عقلا أو شرعا ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث
الطبع ويراد من حيث الشرع أما الكره من حيث الطبع فلما يدخل فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من
الخطر وأما الإرادة من حيث الشرع فلما فيه من إحدى الحسنيين وعسى أن تكرهوا عسى فعل لا يتصرف وحده وأكثر استعماله في
أكثر تصاريفه يقال عسيت عسى عسيتما عسيتم قال الله تعالى فهل عسيتم ويرتفع الاسم بعده كما يرتفع بعد الفعل ويقول عسى
كما يقول قام زيد ومعناه قرب قال الله تعالى عسى أن يكون ردف لكم أي قرب ويقولون عسى زيد أن يقوم تقديره عسى قيام
زيد أن يقوم تقديره عسى قيام زيد وعسى أن تكرهوا شيئا من حيث الطبع وهو خير لكم من حيث الشرع كالغزو فإنه مما
يكره من حيث الطبع لما يدخل فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر وهو خير لكم من حيث الشرع
لما فيه من إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وعسى أن تحبوا شيئا كالقعود عن الغزو وهو شر لكم لما
فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر وعسى توهم الشك مثل لعل وهو من الله يقين وقيل إنها كلمة مطمعة فهي لا تدل
على حصول الشك للسامع وعلى هذا التقدير لا يحتاج إلى التأويل أما إذا قلنا إنها بمعنى لعل فالتأويل فيه هو الذي ذكرنا في قوله
تعالى لعلكم تتقون قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد جاء وعسى الله أن يأتيني
بهم جميعا وقد أتاه بهم جميعا والشر السوء وأصله من شررت الشيء إذا بسطته يقال شررت اللحم والثوب إذا بسطته ليجف
واللهب لانبساطه فعلى هذا الشر انبساط الأشياء الضارة والله يعلم ما فيه مصالح الحكم ومنافعكم وأنتم لا تعلمون فبادروا
إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم والمقصود منه الترغيب في الجهاد لأن الإنسان إذا علم أن الله يعلم كثيرا من الأشياء التي لا يعلمها هو
ثم علم أنه سبحانه لا يأمر العبد إلا بما فيه خيره وصلاحه علم قطعا أن الذي أمره الله وجب امتثاله سواء كان مكروها
للطبع أو لم يكن فكأنه قال يا أيها العبد فاعلم أني أعلم وأنك لا تعلم فاشتغل بطاعتي ولا تلتفت إلى مقتضى طبعك فهذه الآية
في هذا المقام تجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة إني أعلم ما لا تعلمون قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● قيل السائلون هم المسلمون فإن الله تعالى لما كتب
عليكم القتال وقد كان عندهم الشهر الحرام والمسجد الحرام حرمة في المنع من القتال لم يبعد عندهم أن يكون الأمر بالقتال
مقيدا بأن يكون في غير الشهر الحرام وغير المسجد الحرام فلذلك سألوا عن ذلك فنزلت هذه الآية وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية
رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله
عز وجل ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت منزلتين فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن
أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله

بمن معك من اصحابك حتى تنزل ببطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه بخبر فقال عبد الله سمعا وطاعة
لاصحابه من احب منكم الشهادة فلينطلق معي فاني ماض لامره ومن كره ذلك فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف
عنه منهم احد حتى اذا كان بمعدن عند الفرع يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما
فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش
تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل
بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا
منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك اول يوم من رجب
وهم يظنونه من جمادى الاخرة فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم
وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
فسفك فيه الدماء وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه
وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا واقد وقدت الحرب فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه
ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا
انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري
في رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل
مكة في فداء اسيريهم فقال بل نقفهم حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم
بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله
فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع
فرسه فتحطما جميعا فقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه
خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول قوله يسألونك وقيل هذا السؤال من الكفار فانه لما قتل ابن الحضرمي
وفد كفار قريش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اتحل القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الاية
قوله عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الاسنة ومنصل
الال لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول رجب امتناعا عن القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع
فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما يقال ليل نائم ومما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان رجبا شهر الله
ويدعى الاصم وكان اهل الجاهلية اذا دخل رجب يعطلون السلاح ويضعونها وكان الناس يامنون فيه من السبل ولا
يخاف بعضهم بعضا حتى ينقضي قوله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر قل قتال فيه مبتدا تخصص بقوله فيه فحسن
جعله مبتدا على التنكير لتخصيصه كبير اي اثم كبير خبره وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر فحلف بالله ما يحل
ان يغزو في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والاكثر على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله اي منع عن سبيل الله على الابتداء وخبره اكبر وذلك حين منعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه عن البيت عام الحديبية وكفر به اي بالله والمسجد الحرام بخفض العطف على سبيل الله وعن المسجد
واخراج اهل المسجد الحرام ومنه اكبر واعظم وزرا عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا و
على الظن واهل المسجد الحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والفتنة الاخراج او الشرك او المحنة التي تصيب المؤمنين
من جهة الدين تارة بالقاء الشبهات واخرى بالتعذيب اكبر من القتل اي من قتل الحضرمي ولا يجوز ان يعطف المسجد
الحرام على الهاء في به عند البصريين لانهم لا يجيزون العطف على المضمر المجرور الا باعادة الجار ولانه يفسد المعنى اذ لا يحسن
لقولنا وكفر بالمسجد الحرام قيل لا يجوز عطف المسجد الحرام على سبيل الله لانه حينئذ يكون من سبيل الله اي المسجد الحرام من صلة
الصد لان المعطوف على الصلة في حكم الصلة فيلزم عطف وكفر به على قوله وصد عن سبيل الله قبل الفراغ منه وهذا لا يجوز
اجيب عنه من وجهين احدهما ان قوله وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه قال وصد
عن سبيل الله وعن المسجد الحرام الا ترى الى قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والحاصل ان قوله وكفر به عطف
على وصد عن سبيل الله على سبيل التفسير كانه قيل وصد عن سبيل الله اي بالله وعن المسجد الحرام وثانيهما انه موضوع
عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدمه لفرط العناية به كما في قوله لم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال ولم يكن
احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له كفوا فقدم له لفرط العناية قال ابو البقاء والجيد ان يكون متعلقا بفعل محذوف دل
عليه الصد اي ويصدون عن المسجد الحرام كقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام وقيل هو عطف على الشهر
فقد عظموا القتال في الشهر وفي المسجد الحرام فسئلوا عنهما وقيل لما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة
اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول من مكة ومنع المؤمنين عن البيت ثم قال ولا
يزالون يعني المشركين يقاتلونكم ايها المؤمنون حتى يردوكم عن دينكم الاسلام الى الكفر ان استطاعوا اخبر عن دوام عداوة الكفار

للمسلمين

المسلمين وانهم لا ينفكون عن العداوة حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي
يقاتلونكم كي يردوكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه
لا يظفر به ومن يرتدد منكم اي ومن يرجع عن الاسلام الى الكفر يقال ومن يرتدد اي ومن يرجع منكم عن دينه الاسلام الى دينهم الكفر
ويطاوعهم على ردته اليهم فيمت على الردة وهو جزم بالعطف على يرتدد وليس جوابا للشرط بل الجواب قوله فاولئك
حبطت اعمالهم اي حسناتهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستيثاقها
والموت عليها من ثواب الاخرة يقال حبط عمله يحبط حبطا وحبوطا واحبطه الله احباطا اعلم ان ظاهر هذه الاية يقتضي
ان الارتداد انما يتفرع عليه الاحكام المذكورة اذا مات المرتد على الكفر اما اذا تاب بعد الردة لم يثبت شيء من هذه الاحكام
وقد تفرع على هذه النكتة بحث اصولي وبحث فرعي اما الاول فهو ان جماعة من المتكلمين زعموا ان شرط صحة الايمان والكفر
حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان
مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله لا يكون ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة والا لاستحق عليه الثواب الابدي ثم بعد كفره
يستحق العقاب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان وهو محال واما ان يقال ان الطاري يزيل السابق وهو محال
لان المنافاة حاصلة بين السابق والطاري فليس كون الطاري مزيلا للسابق اولى من كون السابق دافعا للطاري بل السابق
اولى لان الدفع اهون من الرفع ولقائل ان يقول الايمان والكفر قابل للزوال والتجدد فيكون الايمان حاصلا حقيقة
ثم ان يبطل بالكفر وكذا الكفر يبطل بطريان الايمان فكل منهما يترتب عليه احكامه الدنيوية حال تحققه لا بحسب
استحقاقه بالذات لتلك الاحكام بل بحسب الشرع واما الاحكام الاخروية فانها باعتبار تحققه عند الموت فان كان
الايمان متحققا عند الموت يترتب عليه في الاخرة احكام الايمان وان كان الكفر متحققا عند الموت يترتب عليه في
الاخرة احكام الكفر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون
علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار واما البحث الفرعي فهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد في الوقت قال الشافعي لا اعادة
عليه وقال ابو حنيفة لزمه قضاؤها وكذلك الحج حجة الشافعي قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم شرط في حبوط العمل ان يموت وهو كافر وهذا الشخص لم يوجد في حقه هذا الشرط فلا يصير عمله محبطا
قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم
قيل ان عبد الله بن جحش واصحابه قالوا يا رسول الله ان سلمنا من الاثم بالقتال في الشهر الحرام وبقتل الحضرمي فيه فهل نطمع ان
يكون هذه غزوة نعطى فيها اجر المجاهدين في سبيل الله فانزل الله فيهم قوله ان الذين امنوا بمحمد والقران والذين هاجروا
فارقوا اوطانهم وعشائرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل ومنه قيل للكلام القبيح الهجر لانه مما ينبغي ان يهجر والمهاجرة
يهجر فيه العمل وجاهدوا المشركين اي حملوا انفسهم على الجهد والمشقة في قتالهم ويجوز ان يكون المراد بالمهاجرة ان الاحباب و
الاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة بذل الجهد في قتال العدو
عند فعل العدو مثل ذلك فصير مفاعلة ويجوز ان يكون معنى المجاهدة ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله كما ان
المساعدة عبارة عن ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه ليحصل التاييد والقوة اولئك يرجون رحمة الله الرجاء ظن المنافع
التي يتوقعها والمراد ان اولئك يطمعون في ثواب الله لان اصحاب السرية ما قطعوا بالفوز والثواب في عملهم بل يرجون وانما
جعل الوعد مقابلا برجاء الرحمة دون القطع بالرحمة لان الثواب على الايمان والعمل غير واجب عقلا بل بحكم الوعد فلهذا علقه
بالرجاء ولانه معلق بان لا يكفر وهذا الشرط غير متيقن لان العاقبة مستورة فلا يحصل له الا الرجاء قال اهل التحقيق ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ليستقصرون انفسهم في حق الله وعبادته فلا يجزمون بثواب الله بل يرجون رحمة الله
ويخافون عذاب الله ان الله يحقق لهم رجاءهم اذا ماتوا على الايمان فيغفر لهم ويرحمهم عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله
اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ● نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم يومئذ حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية فيهما اثم كبير ومنافع للناس فتركها قوم لقوله فيهما اثم
كبير وقالوا لا حاجة لنا في شيء فيه اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس وكانوا يستمتعون بمنافعها ويجتنبون ما فيه اثمهما
بمنافعها الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه طعاما فدعا ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم
فاتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
هكذا الى اخر السورة بحذف لا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم
السكر في اوقات الصلاة فقل من يشربها وتركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وقال قوم نشربها ونجلس
في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلوات ويشربونها في غير وقت الصلاة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله عز وجل يقال
في النهي عن شرب الخمر وما اراه الا سيحرمها ثم اتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا قوما فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى راس بعير

فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار وانشد سعد شعرا فيه
هجاء الانصار وفخر لقومه فقام رجل من الانصار فاخذ لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة
المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت قطرة في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو
حمله على الذين اتقوا الله حق تقاته قال انس حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر
قال فاخرجنا الحباب الى الطريق فصببنا ما فيها فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت ازقة المدينة
بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها اعلم ان هذه الاية دالة على تحريم الخمر فيتوقف على معرفة
الخمر قال الشافعي كل شراب مسكر خمر وقال بعض العلماء الخمر ما غلا بنفسه واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب فهو حرام
وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان
وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اول امره حلال
فهو حرام ولان اجزاء السكر تتقطع
رضي الله عنه هو حرام كالخمر وكذا كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكر
اي تحجزهما وسميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والذي يدل على ان كل شراب مسكر خمر وجوه منها ما روي عن عمر قال
نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل
من ثلاثة اوجه احدها ان عمر رضي الله عنه اخبر ان الخمر حرمت يوم حرمت وهي تتخذ من الحنطة والشعير كما انها كانت تتخذ من العنب
والتمر فهذا يدل على انهم يسمونها خمرا وثانيها انه قال حرمت يوم حرمت وهي تتخذ من هذه الاشياء الخمسة وهذا كالتصريح
بان تحريم الخمر يتناول تحريم هذه الانواع الخمسة وثالثها ان عمر الحق بها كل ما خامر العقل من شراب ولا شك ان عمر رضي الله عنه
كان عالما باللغة وروايته ان الخمر اسم لكل ما خامر العقل معتبرة ومنها ما روى ابو داود عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا والاستدلال به من وجهين
احدهما ان هذا صريح في ان هذه الاشياء داخلة تحت الاية الدالة على تحريم الخمر وثانيهما انه ليس مقصود الشارع تعليم اللغات
فوجب ان يكون مراده من ذلك بيان ان الحكم الثابت في الخمر ثابت فيها قال الخطابي وتخصيص الخمر بهذه الاشياء الخمسة
ليس لاجل ان الخمر لا يكون الا من هذه الخمسة باعيانها وانما جرى ذكرها خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان فكل ما في معناها من ذرة او
او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة في خبر الربا لا يمنع من ثبوت حكم الربا في غيرها
ومنها ما روى ابو داود ايضا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومنها
ما روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال شراب يتخذ من
العسل وفيه ابطال كل تاويل يذكره اصحاب تحليل الانبذة وافساد لقول من قال ان القليل من المسكر مباح لانه صلى الله عليه
وسلم سئل عن نوع واحد من الانبذة فاجاب عنه بتحريم الجنس فيدخل فيه القليل والكثير منها ولو كان هناك تفصيل في شيء
من انواعه ومقاديره لذكره ولم يهمله ومنها ما روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره
فقليله حرام ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مسكر حرام وما
اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة
لجميع اجزاء الشراب ومنها ما روي عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر
كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء ولا شك ان هذا متناول لجميع انواع الاشربة فهذه الاحاديث دالة على ان كل مسكر
فهو خمر وهو حرام ومما يدل على ان كل مسكر خمر الاشتقاق فالخمر لغة التغطية سمي الخمار خمارا لانه يغطي راس المرأة والخمر ما واراك
من شجر وغيره من وهدة واكمة وخمرته اي اخفيته وقيل سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه يقال خامره الداء اذا خالطه
وانشد لكثير هنيئا مريئا غير داء مخامر فهذه الاشتقاقات دالة على ان الخمر ما يكون ساترا للعقل كما سميت سكرا
لانها تسكر العقل اي تحجزه وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة ويرجع حاصله الى ان الخمر هو المسكر لان
السكر يغطي العقل ويمنع من وصول نوره الى الاعضاء فهذه الاشتقاقات من اقوى الدلائل على ان مسمى الخمر هو المسكر فكيف
اذا اضيفت اليها الاحاديث الكثيرة لا يقال هذا اثبات اللغة بالقياس وهو غير جائز لانا نقول ليس هذا اثباتا للغة
بالقياس بل هو تعيين المسمى بواسطة هذه الاشتقاقات كما ان اصحاب ابي حنيفة يقولون ان مسمى النكاح هو الوطء
ويثبتونه بالاشتقاق ومسمى الصوم هو الامساك ويثبتونه بالاشتقاق ومما يدل على ان الخمر هو المسكر ان الامة
مجمعة على ان الايات الواردة في الخمر ثلاثة اثنتان منها وردتا بلفظ الخمر احداهما هذه الاية والثانية اية المائدة والثالثة
في السكر وهو قوله لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى وهذا يدل على ان المراد من الخمر هو المسكر ومنها ان سبب تحريم الخمر هو
السكر ومعاذ قال يا رسول الله ان الخمر مذهبة للعقل فوجب ان يكون كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا
واما ان يكون مساويا للخمر في هذا الحكم ومنها ان الله تعالى علل تحريم الخمر بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ولا شك ان هذه الافعال معللة بالسكر وهذا يقيني فهذا يكون

نصا

نصا في ان علة تحريم الخمر معللة بكونها مسكرة فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واذا لم يكن كذلك فلا بد من ثبوت الحكم
في كل مسكر وكل من انصف وترك العناد علم ان هذه الوجوه ظاهرة جلية في اثبات هذا المطلوب واحتج ابو حنيفة بوجوه احدها
قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا امتن الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن وما
فيه مسكر فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون الا بالمباح وثانيها ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى السقاية عام حجة الوداع فاستند اليها فقال اسقوني فقال العباس الا نسقيك مما ننبذه في بيوتنا فقال مما يسقي
الناس فجاءه بقدح من نبيذ فشمه فقطب وجهه ورده فقال العباس يا رسول الله افسدت على اهل مكة شرابهم فقال
صلى الله عليه وسلم ردوا علي القدح فردوه عليه فدعا بماء زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة
فاقطعوا متونها بالماء وجه الاستدلال ان التقطيب لا يكون الا من الشديد ولان المزج بالماء انما كان لقطع الشدة
ولان اغتلام الشراب شدته كاغتلام البعير سكره والجواب عنه ان قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا نكرة في الاثبات
فلم قلتم ان ذلك السكر والرزق الحسن هو هذا النبيذ ثم اجمع المفسرون على ان تلك الاية كانت نازلة قبل هذه الايات الثلاثة
الدالة على تحريم الخمر فكانت هذه الثلاثة ناسخة او مخصصة لها واما حديث العباس فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه
تمرات ليجتذب الملوحة وطبعه تغير الى الحموضة وطبعه صلى الله عليه وسلم كان في غاية اللطافة فلم يحتمل ذلك الطعم
فلذلك قطب وجهه والمراد بصب الماء فيه ازالة تلك الحموضة او الرائحة وبالجملة فكل عاقل يعلم ان الاعراض
عن تلك الدلائل التي ذكرناها الى هذا الاستدلال الضعيف غير جائز واعلم ان هذه الاية دالة على تحريم الخمر من وجوه منها ان هذه
الاية دالة على ان الخمر مشتملة على الاثم والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
والبغي فكان مجموع هاتين الايتين دليلا على تحريم الخمر ومنها ان الاثم قد يراد به العقاب وقد يراد به ما يستحق به العقاب من الذنوب وايهما كان فلا يصح
ان شرب الخمر مشتمل فيه ذلك الاثم فوجب ان يكون محرما اجيب بان السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر فلما بين تعالى ان فيه
اثما كان المراد ان ذلك الاثم لازم له على جميع التقديرات فكان شرب الخمر مستلزما لهذه الملازمة المحرمة ومستلزم
المحرم محرم فوجب ان يكون الشرب محرما ومنهم من قال ان هذه الاية لا تدل على حرمة الخمر واحتج عليه بوجوه منها انه تعالى اثبت
فيهما منافع للناس والمحرم لا يكون فيه منفعة ومنها انه لو دلت هذه الاية على حرمتها فلم لم يقنعوا بها حتى نزلت اية المائدة واية
تحريم الصلاة ومنها انه تعالى اخبر ان فيهما اثما كبيرا فمقتضاه ان ذلك الاثم الكبير يكون حاصلا ما داما موجودين فلو كان
ذلك الاثم الكبير سببا لحرمتهما لوجب القول بثبوت حرمتهما في سائر الشرائع والجواب عن الاول ان حصول النفع العاجل
فيه في الدنيا لا يمنع كونه محرما واذا كان كذلك لم يكن حصول النفع فيهما مانعا من حرمتهما لان صدق الخاص يوجب صدق
العام وعن الثاني انا روينا عن ابن عباس انها نزلت في تحريم الخمر والتوقف الذي ذكرتموه غير مروي عنهم وقد يجوز ان يطلب الكبار
من الصحابة نزول ما هو اكد من هذه الاية في التحريم كما التمس ابراهيم صلوات الله عليه مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمأنينة
وعن الثالث ان قوله فيهما اثم كبير اخبار عن الحال لا عن الماضي فعنينا ان الله تعالى علم ان شرب الخمر مفسدة لهم في ذلك الزمان
وعلم انه ما كان مفسدة للذين كانوا قبل هذه الامة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا
قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سبب يساره وعن ابن
عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب بماله واهله قال الشاعر اقول لهم بالشعب
اذ ييسرونني ليس تفعلون بي ما يفعل اي تاسرون اي القائلون في القمار بالمكيور اي المغلوب في القمار ييسر ويجنى
فتقسمني كما تقسم اعضاء الجزور في الميسر وقيل الميسر من يسرت الشيء اي قسمته فالجزور نفسه يسمى ميسرا لانه يجزأ
فكانه موضع التجزئة وكل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزئ لحم الجزور ثم قيل للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور انهم
ياسرون وقيل من يسر لي اذا وجب ييسر يسرا وميسرا والياسر الواجب بقدح وجب ذلك او صاحبه او من هما ثم قيل للقمار
ميسر وللمقامر ياسر ويسر وقيل سمي ميسرا لانهم كانوا يقولون يسروا لنا ثمن الجزور وكان اصل الميسر في الجزور وذلك
ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا ويجزئونها ثم كانت لهم عشرة اقداح الازلام والاقلام
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد ولكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين جزءا الا لثلاثة
وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم
سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة
ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب
الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء
الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال المتمم بن نويرة ولا برما تهدى النساء
لعرسه اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا وهذا اصل القمار التي كانت العرب تفعله وقيل انما عنى الله تعالى بالميسر في هذه
الاية انواع القمار كلها عن طاوس وعطاء ومجاهد الميسر القمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشئومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان
عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع المال او اخذ مال وهذا ليس

وشرحه مذكور في كتاب السبق والرمي من كتب الفقه قوله فيهما اثم كبير اى في تعاطيهما اثم كبير من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش
والزور وزوال العقل والمنع عن الصلاة واستحلال اموال الغير بغير حق وحمزة والكسائي كثير بالثاء المثلثة من فوق
والباقون بالباء المنقوطة من تحت وجه الاول ان اللّٰه تعالى وصف انواعا كثيرة من الاثم في الخمر والميسر وهو قوله انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر اللّٰه وعن الصلاة ولان الاثم في هذه الاية
كالمضاد للمنافع لانه قال فيهما اثم كبير ومنافع وكما ان المنافع اعداد كثيرة فكذا الاثم فيصار التقدير كأنه قال
فيهما مضار كثيرة ومنافع كثيرة ووجه الثاني ان المبالغة في تعظيم الذنب انما تكون بالكبر لا بالكثرة يدل عليه كبائر الاثم
وكبائر ما تنهون عنه انه كان حوبا كبيرا اعلم فيهما انهما اكبر من نفعهما ومنافع للناس وهي ما كانوا يصيبون فيها في الخمر من
التجارة واللذة عند شربها كقول الاعشى ● لنا من ضحاها خبث نفس وكآبة ● وذكرى هموم ما تغب اذاتها وعند عشائها
طيب نفس ولذة ومال كثير عدة نشواتها ● ومنفعة الميسر ما يصاب من القمار ويرتفق به الفقراء واثمهما وعقاب الاثم
في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم
والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام قال المفسرون اثم الخمر هو ان الذي
يشرب فيسكر فيؤذي الناس واثم الميسر ان يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم وقيل المنافع قبل التحريم والاثم بعد التحريم
قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين اللّٰه لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة
ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم واللّٰه يعلم المفسد من المصلح ولو شاء اللّٰه لاعنتكم
ان اللّٰه عزيز حكيم ● لما سألوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقالوا على من نتصدق وبما ذا ننفق فانزل اللّٰه هذه الاية
وهذا السؤال قد تقدم ذكره فاجيب عنه بذكر المصرف واعيد هنا فاجيب بذكر الكمية واصل العفو في اللغة
الزيادة قال اللّٰه تعالى حتى عفوا اى زادوا على ما كانوا من العدد والمراد ههنا ما فضل من المال عن العيال وقيل هو ان لا
يجهد ماله في النفقة ثم تقعد تسأل الناس قال صاحب الكشاف العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وعن النبي صلى اللّٰه عليه
وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه
وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقيل الوسط من النفقة ما لم يكن اسرافا ولا اقتارا وقيل الطاقة وقيل ما اتوك به من شيء قليل او كثير فاقبله
منهم وقيل ما تيسر والعفو اليسير من كل شيء وقيل العفو الطيب من الفضل من المال اطيبه وكلها متقاربة في المعنى
والعفو ايضا ما ينقص الانسان يعطيه عفوا من غير ان يعطيه سهلا بلا تكلف من قول العرب خذ ما عفا اى ما اتاك سهلا
من غير كراهة قال اهل التفسير كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له مال من ذهب او فضة او زرع او ضرع نظر الى ما يكفيه
وعياله لنفقة سنة امسكه وتصدق بسائره فان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق
بالباقي حتى نزلت اية الزكاة المفروضة فنسخت هذه الاية وكل صدقة امروا بها قبل نزول الزكاة وقرأ ابو عمرو العفو بالرفع
والباقون بالنصب وجه الرفع ان يجعل ذا اسما بمعنى الذي وينفق صلته والصلة مع الموصول خبر المبتدأ وهو ما كأنه
قيل ما الذي ينفقون فقيل في جوابه هو العفو فيكون العفو خبر مبتدأ محذوف ووجه النصب ان يجعل ما ذا اسما واحدا
في موضع نصب بينفقون المذكور ويجعل العفو منصوبا بمقدر تقديره ينفقون العفو ليكون الجواب وفق السؤال
كذلك اشارة الى ما بين في الانفاق يبين لكم الايات قيل انما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب الجماعة لان الجماعة معناها
القبيل كأنه قال كذلك ايها القبيل يبين اللّٰه لكم ويجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى اللّٰه عليه وسلم والمراد خطاب امته
كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون
في امر الدنيا والاخرة فتعرفوا فضل الاخرة على الدنيا او فيما تجدوا لما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد
في النفقة او تتفكرون في الدنيا والاخرة لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم قال المفسرون لعلكم
تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها واما ان يتعلق بيبين على معنى
يبين اللّٰه لكم الايات في امر الدنيا والاخرة وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون فيها لما نزل قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اعتزلوا اموال اليتامى وعزلوا طعامهم من طعامهم و
اجتنبوا مخالطتهم في كل شيء حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيحبس له حتى يأكله او يفسد فاشتد ذلك
عليهم وكانوا وقعوا في الحرج فسألوا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فنزل قوله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير اى الاصلاح لاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم تشاركوهم في اموالهم وتخلطوها باموالكم في نفقاتكم و
مطاعمكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم بامورهم على ما تقتضيه اموالهم فهم
اخوانكم في الدين والاخوان تصيب بعضهم بعضا وبتجنب بعضهم مال بعض على وجه الاصلاح والرضا وقيل المخالطة ركوب
الدابة وخدمة الخادم وشرب اللبن اذا اقام على مال اليتيم قالت عائشة رضي اللّٰه عنها اني لاكره ان يكون مال اليتيم عندي
كالغدة حتى اخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي قيل هذا اصل شاهد للذي يفعله الرفاق في الاسفار فانهم
يخرجون النفقات بالسوية ويتباينون في قلة المطعم وكثرته فلما جاز هذا في اموال اليتامى واسعا كان في غيرهم بحمد اللّٰه اوسع

واللّٰه يعلم

واللّٰه يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على اللّٰه من داخلهم بافساد او اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاتقوا اللّٰه في مال
اليتيم ولا تجعلوا مخالطتكم اياهم ذريعة الى افساد اموالهم واكلها بغير حق ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء اللّٰه لاعنتكم
لحملكم على العنت وهو المشقة اى لا نطاق واحرجكم ولم يطلق لكم مداخلتهم فعال الاعنات فلان اى اوقعه فيما لا
يستطيع الخروج منه قال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما ولو شاء اللّٰه لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وقيل ولو شاء اللّٰه لكلفكم
ما يشتد عليكم ... في مخالطتهم ومعناه التذكير بالنعم في التوسعة ان اللّٰه عزيز غالب على ان يعنت عباده ويحرجهم
ولكنه حكيم لا يكلف نفسا الا وسعها قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة
ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار واللّٰه يدعو
الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ● نزلت هذه الاية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان شجاعا
قويا بعثه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين ظاهرا فلما سمعت به امرأة مشركة يقال لها
عناق وكانت خليلة له في الجاهلية اتته وقالت الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيننا
وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فاستأمره فقالت
ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى بمكة حاجته وانصرف الى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه
وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق وما لقي بسببها فقال يا رسول اللّٰه ايحل لي ان اتزوجها فانزل اللّٰه الاية والنكاح لغة الجماع
ثم استعمل في العقد في الشرع وكثر استعماله فيه وغلب حتى صار حقيقة شرعية فاذا اعتبر استعماله في الشرع فهو حقيقة
شرعية في العقد مجاز شرعي في الجماع وفي اللغة بالعكس والذي يدل على انه حقيقة شرعية في العقد تبادر العقد الى الفهم
عند التجرد عن القرائن وذهبت الحنفية الى انه حقيقة في الوطء لانه لغة الضم ومعنى الضم في الوطء اتم منه في العقد ف
حمله عليه واجيب بان معنى الضم حاصل في العقد لانا نسلم ان الضم في الوطء اتم منه في العقد فان العقد الشرعي اعتبر فيه
الضم على اتم الوجوه وتفاصيل ادلى على الفائدة انا لم نعرف بالاستعمال الفرق العلمي حتى يحصل الالتباس فاذا قالوا انكح
فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا انكح امرأته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة لانه اذا ذكر امرأته
او زوجته فقد استغنى عن ذكر العقد فلم يحمل الكلمة غير المجامعة فهذا ايضا دليل على انه حقيقة في العقد مجاز في الجماع
لتوقف فهم الجماع منه على القرينة بخلاف فهم العقد والاكثر على ان المشركات تتناول اهل الكتاب اليهود والنصارى لقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن اللّٰه وقالت النصارى المسيح ابن اللّٰه الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله تعالى ان اللّٰه لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء دلت الاية على ان ما سوى الشرك يغفر في الجملة فلو كان كفر اليهود
والنصارى ليس بشرك لوجب بمقتضى الاية ان يغفره اللّٰه تعالى في الجملة ولما كان ذلك باطلا علمنا ان كفرهما شرك ولقوله
تعالى لقد كفر الذين قالوا ان اللّٰه ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد دل على ان النصارى جعلوا الالهة ثلاثة فانهم مشركون
فيكون اليهود ايضا مشركين اذ لا قائل بالفرق ولعموم اسم المشرك على الكافر ليس من الاسماء اللغوية بل من الاسماء الشرعية
اذا عرفت فمن قال ان اسم المشركات لا يتناول الا عبدة الاوثان قال ان قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات نهي عن نكاح الوثنية
فتكون الاية ثابتة لا منسوخة ولا مخصصة ومن قال اسم المشرك يتناول اليهود والنصارى فالاية عنده اما منسوخة
ان ثبت حرمة نكاح اليهودية والنصرانية ثم زالت الحرمة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما
مخصصة ان لم يثبت حرمته قوله حتى يؤمن الا اقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام واحتجت الكرامية بهذه الاية
على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار وقالوا ان اللّٰه تعالى جعل الايمان ههنا غاية التحريم والذي هو غاية التحريم هنا الاقرار
فثبت ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار والجواب ما قد بينا في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب ان الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب لانه يتعلق به احكام الاخرة وهو الخروج من النار والدخول في الجنة واحكام الدنيا مثل
عصمة الدم وجواز التزويج واخذ الميراث وتصديق القلب حتى يمكن الاطلاع عليه فاقيم الاقرار باللسان الذي هو
بحسب الغالب غير مفارق للتصديق القلبي مقامه كما هو عادة الشرع فانه اذا كان مناط الحكم امرا خفيا يجعل امرا ظاهرا
يجامع المناط الخفي بحسب الغالب قائما مقامه نقل عن الحسن ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من تزويج المشركات قال
القاضي تزويجهم المشركات قبل نزول هذه الاية ان كان على سبيل العادة لا من قبل الشرع امتنع وصف هذه الاية بانها
ناسخة لانه ثبت في الاصول ان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين ولو كان من جهة الشرع كانت هذه الاية
ناسخة قوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة قيل اللام في قوله ولأمة في افادة التوكيد تشبه لام القسم ولأمة مبتدأ
ومؤمنة صفتها وخير خبرها والنكرة اذا قربت من المعرفة صح ان يكون مبتدأ ومما يقربها الى المعرفة كونها موصوفة لانها اذا
اتصفت تخصصت فقربت من المعرفة وجعل المقرب ههنا كونها موصوفة قال ابن الحاجب في شرح المفصل المراد كل امة
مؤمنة ومثل ذلك ليس الصفة فيه بمصححة للابتداء بل مثلها في قولك التمرة خير من جرادة يوضح ذلك صحة
رجل خير من امرأة وقولهم تمرة خير من جرادة وذلك ان الجاري في كل نكرة لم يقصد بها واحد مخصص فكان في معنى العموم وذلك صحيح
مستقل ولقائل ان يقول قولهم رجل خير من امرأة انما لم يقصد به واحد مخصص لان خيرية الرجل انما هي باعتبار حقيقة الرجل
المتعين مختصة بواحد دون غيره لا باعتبار خصوصية الواحد فكان في معنى العموم وذلك صحيح مستقل وكذا قولهم تمرة
خير من جرادة واما قوله تعالى ولأمة مؤمنة فلو لم يعتبر انها موصوفة بكونها مؤمنة لم تعد خيريتها الا باعتبار حقيقة
الامة بل باعتبار كونها موصوفة بها فلا تكون في معنى العموم فلا تكون مصححا استقلالا فاذا قيل مع الصفة تفيد العموم فان

خيرية الامة المؤمنة باعتبار حقيقة الموصوف مع الصفة لا باعتبار خصوصية الواحد فالمصحح كونه مفيدا للعموم
لا كونه موصوفا بخلاف قولهم فى الدار رجل عالم فان المصحح كونه عاما لا كونه مفيدا للعموم فانه غير مفيد للعموم اجيب
بانه لما كان الصفة افادت معنى العموم جعلت مصححة بخلاف رجل خير من امرأة وتمرة خير من جرادة فان العموم مستفاد
من حقيقة الرجل والمرأة فلم يحمل المصحح الصفة بل معنى العموم المستفاد من الحقيقة قال صاحب الكشاف والامة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذا العبد ولعبد مؤمن او رجل مؤمن حرا كان او مملوكا لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه
والاولى انه لا يعدل عن الظاهر بحمل الامة على المرأة والعبد على من هو شامل للحر والمملوك ويعلم خيرية الحرة والحر بطريق الاولى
والمعنى ان المشركة لو كانت رائعة فى النسب والمال والجمال فالامة المؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والنسب
والمال والجمال يتعلق بالدنيا والدين خير من الدنيا لانه اشرف الاشياء عند كل احد فعند التوافق فى الدين تكمل المحبة فتكمل
منافع الدنيا من الصحبة والطاعة وحفظ الاموال والاولاد وعند الاختلاف فى الدين لا يحصل شىء من منافع الدنيا
ولم يذكر الموصوف لمشركة ليعم الحرة والامة تنبيها على ان خيرية الامة المؤمنة على المشركة انما هى باعتبار الشرك لا باعتبار
الحرية قوله ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان الامة المؤمنة خير منها قيل ان الاية دالة على ان
القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابى حنيفة وذلك لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة
يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة وهذا استدلال لطيف فى هذه المسألة وفيه نظر فان
الاية لا تدل الا ان الامة المؤمنة خير من مشركة ولم يوجد فيها تعرض لشرط نكاح الامة ولا لعدمه فلا يدل على ان القادر
على طول الحرة يجوز له نكاح الامة لا بالمنطوق صريحا وغير صريح ولا بالمفهوم قيل ولا تنكحوا المشركات يقتضى حرمة نكاح
المشركة وقوله ولامة مؤمنة خير من مشركة يقتضى جواز التزوج بالمشركة لان افعل يقتضى المشاركة فى الصفة ولا
مزية اجيب بان نكاح المشركة فيه نفع الدنيا ونكاح المؤمنة فيه نفع الدنيا والآخرة فالنكاحان يشتركان فى اصل النفع
الا ان نكاح المؤمنة نفعه ازيد واعظم وقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف فى ان المراد الكل وان المؤمنة
حرة او مملوكة لا يحل تزويجها من الكافر كتابيا او غيره كما فى قوله اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر
لحقهم انه لا يألونكم خبالا ولا يكون بينهم وبين المسلمين الا المناصبة والقتال وقوله يدعون الى النار معناه يدعون الى
ما يؤدى الى النار فان الظاهر ان النكاح مظنة الالفة والمحبة وكل ذلك يوجب موافقة فى المطالب والاغراض وربما
ادى ذلك الى انتقال المسلم عن الاسلام بسبب موافقة حبيبه فان قيل احتمال المحبة حاصل من الجانبين فكما يحتمل ان
يصير الكافر مسلما بسببه فاذا تعارض الاحتمالان تساقطا فيبقى الاصل وهو الجواز اجيب بان الترجيح لهذا الجانب لانه
بتقدير ان ينتقل المسلم عن الاسلام استحق العقوبة العظيمة والاقدام على هذا اثر بين ان يحصل مزيد نفع وبين
ان يحصل ضرر عظيم فيجب الاحتراز عن الضرر فلهذا السبب ترجح جانب المنع على جانب الجواز وقيل اولئك يدعون
الى النار معناه انهم يدعون الى ترك المحاربة والقتال وفى تركهما وجوب استحقاق النار والعقاب وعلى هذا تحقق
الفرق بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على القتال والله يدعو اى واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة
والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم كانه قيل اعداء الله يدعون الى النار
واولياء الله يدعون الى الجنة والمغفرة فينبغى للعاقل ان لا ينكح المشركات اللاتى هن من عداة الله وان ينكح المؤمنات اللاتى
يدعون الى الجنة والمغفرة باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقيل حاله يدعو الى الجنة
والتوحيد والعمل الموجب لهما باذنه اى بامره او بالدعوة يدعوكم قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ○
ان الله تعالى ذكر قوله يسئلونك فى ستة مواضع فذكر الثلاثة الاول بغير الواو وذكر الثلاثة الاخيرة بالواو والسبب
ان سؤالهم عن الحوادث الاول وقع فى احوال المتفرقة لا اتصال بينها فلم يؤت فيها بحرف العطف لان كل واحد من تلك السؤالات
سؤال مبتدأ وسؤالهم عن المسائل الثلاث الاخيرة فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال
عن الخمر والميسر والسؤال عن المنفق والسؤال عن اليتامى والسؤال عن المحيض روى ان العرب
فى الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود
والمجوس فسأل ابو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن
فانزل الله تعالى الاية فلما اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلوهن فى كل شىء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين والمحيض مصدر
يقال حاضت محيضا وحيضا ومحاضا واصل الحيض الانفجار هو اذى اى الحيض شىء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه
وكراهة له فاعتزلوا اى فاجتنبوا مجامعتهن اذا حضن قال الامام قد ذكر العلة وهو الاذى ثم رتب الحكم عليه وهو وجوب
الاعتزال فان قيل ليس الاذى الا الدم وهو حاصل فى وقت الاستحاضة مع ان اجتنابها غير واجب فقد انتقضت هذه العلة قلنا العلة
غير منتقضة لان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم ولو احتبست تلك الفضلة لمرضت
المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا واما دم الاستحاضة فليس كذلك بل هو دم صالح يسيل من عروق

تنفجر

تنفجر من عنق الرحم فلا يكون اذى فاى هذا ما عندى فى هذا الباب وهو قاعدة طيبة اعلم ان دم الحيض يخرج من الرحم قال الله تعالى
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن قيل فى تفسيره المراد منه الحيض ودم الاستحاضة لا يخرج من الرحم بل من عرق
ينقطع فى فم الرحم قال صلى الله عليه وسلم فى صفة دم الاستحاضة انه دم عرق انفجر ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
دم الحيض بصفات منها انه اسود ومنها انه ثخين ومنها انه محتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه يخرج بقوة ولا يسيل
سيلانا ومنها ان له رائحة كريهة بخلاف سائر الدماء لانه من الفضلات التى تدفعها الطبيعة ومنها انه بحرانى وهو الشديد
الحمرة وقيل ما يحصل منه كدورة تشبيها له بماء البحر ومن الناس من قال دم الحيض يتميز عن دم الاستحاضة فكل دم كان موصوفا
بهذه الصفات فهو دم حيض وما لا يكون كذلك لا يكون دم حيض وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكاليف التى كانت حتى
ومن الناس من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل فى تلك الدماء وفى تلك الصفات يقتضى عسرا
فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض كيف كانت تلك الدماء ومتى حصلت خارج ذلك الوقت
لم يكن حكمها حكم الحيض كيف ما كانت صفة تلك الدماء والمقصود من هذا اسقاط العسر والمشقة عن المكلف ثم الاحكام الشرعية
للحيض هى المنع من الصلاة والصوم ثم يلزمها قضاء الصوم ولا يلزمها قضاء الصلاة عن معاذة العدوية ان امرأة سألت عائشة
رضى الله عنها ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة فقالت لها احرورية انت فقالت لست بحرورية ولكنى اسأل فقالت
كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله
فقال اليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل فذلك من نقصان عقلها اوليس اذا حاضت
لم تصل ولم تصم فذلك من نقصان دينها وتمنع ايضا من قراءة القرآن وقد رخص فيها مالك بعض الرخصة اذا طالت المدة لخوف
من نسيان القرآن وكافة الفقهاء على خلافه وتمنع من مس المصحف ودخول المسجد والاعتكاف والطواف بالبيت ومن الوطء اتفق
الائمة على حرمة الجماع زمن الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بما فوق السرة ودون الركبة وهذا الاخير منشأ الاختلاف فى
الاعتزال فمذهب الشافعى وابى حنيفة وابى يوسف وجوب اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن وجوب اعتزال
الفرج لا غير حجتهم قول ام سلمة رضى الله عنها نال منا ما ينال الرجل من امرأته الا ما تحت الازار وما نقل عن عبد الله بن عمر
سأل عائشة رضى الله عنها هل يباشر الرجل امرأته وهى حائض فقالت تشد ازارها على اسفلها ثم ليباشرها ان شاء وما
روى ان عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الحائض فقال عليه الصلاة والسلام ما فوق الازار وما روى
زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امرأتى وهى حائض فقال لتشد عليها ازارها ثم شأنك
باعلاها اى استمتع بما فوق فرجها فانه غير مضيق عليك فيها شأنك منصوب باضمار فعل ويجوز رفعه بالابتداء وحجة محمد ما روى عن
عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك والشعار العلامة وشعار الدم الخرقة او الفرج على الكناية لان كلا
منهما علم للدم وقيل اريد بشعار الدم الازار فعلى هذا تكون حجة عليه لا له وعلى الاول يكون حجة له وما روى عن انس انه
قال انزل الله ويسئلونك عن المحيض فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شىء الا الجماع والجمع راجح ولا امر ينبغى
اى لا يجامعوهن فى الفرج وقيل ان العرب اذا جامعها ههنا اذا اريد بالاعتزال التنحى عما تحت الازار ففيه خبث لا بعد
ما تحت الازار وههنا الطهر حتى يطهرن قرأ عاصم فى رواية ابى بكر وحمزة والكسائى يطهرن اى يغتسلن والطهر انقطاع
دم الحيض اختلف الفقهاء فى وقت الحيض وفى مدته ومأخذهما الاستقراء قال الشافعى رضى الله عنه اعجل من سمعت
من النساء تحيض نساء تهامة يحضن لتسع سنين قيل يا الطاعنة فيه بنت تسع وحبلى بعد ستة اشهر قلنا المجازفة
واقله يوم وليلة ونقل يوم والمراد بليلة وقال مالك لا يقدر بل الشىء ان القلة والكثرة فان وجد ساعة فهو حيض وان
وجد اياما فكذلك لانها تترك العبادة اول ما ترى الدم بالاتفاق واذا جاوز الاكثر قال ابو حنيفة ثلاثة ايام ولياليها قلنا
قال الزهرى وجدنا فى نساء من تحيض يوما وليلة وفيهن من تحيض خمسة عشر وهو اكثره وتعدى فى الحديث المشهور
تقعد احداكن شطر دهرها لا تصلى وعند ابى حنيفة اكثره عشرة ايام الطهر خمسة عشر وفاقا فلو طرد خلاف ثم انت على المعول
على الوجود وقيل لا وقيل ان خالف الجميع لان بحث الاولين وقد اختلف الفقهاء فى الحائض متى يحل وطؤها فقال ابو حنيفة
وصاحباه اذا طهرت المرأة لعشرة ايام حل وطؤها قبل ان تغتسل وان طهرت لما دون العشرة لا يحل وطؤها الا بعد ان
ان تغتسل او يمضى عليها وقت صلاة فيحكم بذلك الحكم الطاهر بحذو وجوب الصلاة فى ذمتها او تتيمم قال ابو حنيفة
من قرأ بالتخفيف فهو من طهرت المرأة تطهر طهرا وطهارة ومعناه حتى يفعلن الطهارة التى هى الغسل وقال الشافعى لا يحل وطء
الحائض الا بشرطين انقطاع الحيض والاغتسال والدليل عليه ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وامكن
الجمع بينهما وجب الجمع بينهما والتخفيف والتثقيل قراءتان والجمع بينهما ممكن فوجب حمل الآية على وجوب الامرين فوجب ان لا
ينتهى الحرمة الا عند حصول الامرين وايضا قوله فاذا تطهرن فأتوهن علق الاتيان على التطهير بكلمة اذا وكلمة اذا للشرط
والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهير وحجة ابى حنيفة ولا تقربوهن حتى يطهرن
نهى عن قربانهن وجعل غاية ذلك النهى ان يطهرن بمعنى ينقطع حيضهن فاذا كان انقطاع الحيض غاية النهى وجب ان لا يبقى
هذا النهى عند انقطاع الحيض لجاب القاضى عنه بانه لو اقتصر على قوله حتى يطهرن لما ذكرتم لازما اما اذا ضم اليه قوله
فاذا تطهرن فصار المجموع هو الغاية فلا بد مع انقطاع الحيض من التطهير وقد اختلفوا فى ذلك التطهير فقال الشافعى رضى الله عنه
واكثر الفقهاء هو الاغتسال وقال بعضهم غسل الموضع وقال عطاء وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضأ والصحيح هو الاول لان

نظام قوله فاذا تطهرن بحكم عايد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل هذا التطهير في كل بدنها الا في بعضه قوله فأتوهن اي جامعوهن
من حيث امركم الله به وحلله لكم وهو القبل وقيل ايت الامر من اتاه اي من الوجه الذي يؤتى منه وقيل معناه فمن حيث امركم الله وهو
الفرج كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة ان الله يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين
بالماء من الاحداث والحيض والجنابات والنجاسات بآية نزلت في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب التوابين من الذنوب
والمتطهرين من ادبار النساء ان يأتوهن قيل من اتى امرأة في دبرها فليس من المتطهرين فان دبر المرأة مثل الرجل وقيل المتطهرين من الدنس
وقيل التوابين من الكفر والمتطهرين بالايمان وقيل التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب وقيل التوابين من الذنوب لا يعودون
فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وقيل التوابين من الافعال والمتطهرين
من العقود كي لا حتمال التوابين من الآثام والمتطهرين من الاجرام التوابين من الجرائر والمتطهرين من خبث السرائر التوابين من
الذنوب والمتطهرين من العيوب والتواب الذي كلما اذنب تاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا ممن كان قبلكم
في بني اسرائيل بحجة فنظر اليها فقال اي رب انت انت وانا انا انت العواد بالمغفرة وانا العواد بالذنوب ثم خر ساجدا فقيل
ارفع رأسك فانا العواد بالمغفرة وانت العواد بالذنوب فرفع رأسه فغفر له قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا
حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ● عن جابر ان اليهود قالوا للمسلمين
من اتى امرأته وهي مدبرة جاء ولدها احول فانزل الله الآية وقيل ان عمر رضي الله عنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
هلكت وحكى لوقوع ذلك منه فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار اخذوا ذلك من فعلهم
وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون
المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انما كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع
ذلك والا فاجتنبني فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم مواضع حرثكم وهذا
مجاز شبههن بالحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والحرث مصدر ولهذا وحد الحرث
فكان المعنى نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون الولد فحذف المضاف وايضا قد يسمى موضع الشيء باسمه على سبيل المبالغة
كقوله فانما هي اقبال وادبار وقال تعالى هذا امر الله اي مأموره وهذا شهوة فلان اي مشتهاه وكذلك حرث الرجل محرثه فأتوا
حرثكم انى شئتم تمثيل باعتبار تشبيه مجموع اتيان قبل المرأة اي شيء كان بمجموع اتيان الارض التي يراد حرثها فان وجه
الشبه اذا كان مجموعا ماخوذا من الامور يسمى تمثيلا اي فاتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة
شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث قال
صاحب الكشاف هو ذي فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم
ومكاتباتهم وعن سعيد بن المسيب هذا في العزل يقول ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا والدليل عليه انه سئل ابن
عباس عن العزل قال حرثك ان شئت فاعطش وان شئت فارو وقيل تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الامة قال الثعلبي
في هذه الآية ادل دليل على تحريم ادبار النساء لانها موضع الفرث لا موضع الحرث وانما قال نساؤكم حرث لكم وهذا من لطائف
كنايات القرآن حيث عبر بالحرث عن الفرج فقال نساؤكم حرث لكم اي مزدرع ومنبت الولد اراد به المحرث والمزدرع ولكنهن
لما كن من اسباب الحرث جعلن حرثا وقال اهل المعاني تقدير الآية نساؤكم كحرث لكم كقوله تعالى اذا جعله نارا اي كنار وقد
تسمى النساء حرثا قال الشاعر اذا اكل الجراد حروث قوم فحرثي همه اكل الجراد يريد امرأتي وقال

حبذا من هبة الله البنات الصالحات | هن للنسل وللزرع وهن الشجرات | يجعل الله لنا فيها نشاء البركات
انما الارحام ارضون لنا محترثات | فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات | وتقدم بعض الفقهاء في تأويل

هذه الآية وتعلق بظاهره جماعة وعن مالك بن انس عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه نساؤكم حرث لكم
فقال اتدري فيمن نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امرأته في دبرها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق
عليه ذلك فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وعن المزني سمعت ابن وهب نحن نسمع منه رواية مالك يحكي
في اتيان الدبر فضحك فقام رجل يقال له فتيان بن ابي السمح فقال يا ابا محمد انقل لنا ما رويت فامتنع عليه فقال لا هكذا
يصحب العالم فاذا تعلم منه لم يوجب له من حقه ما يمنعه من نقل ما تكلم عنه وابى ان ينقل لنا قول مالك في الدبر قال الثعلبي
قلت ولقد اصاب ابن وهب فاحسن في امساكه عن ذكر زلل العلماء وزجره عن تتبع رخص الفقهاء واما حديث ابن عمر
رضي الله عنهما فانه سئل سالم بن عبد الله فقيل يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله قال العبد هو قال زعم انه لم يكن
يرى بأسا باتيان النساء في ادبارهن قال كذب العبد واخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم
الادبار ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم قال
لا يكون الحرث الا من حيث يكون النبات وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي
من الحق لا تأتوا النساء في ادبارهن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل اتى
رجلا او امرأة في دبرها وعن ابي هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها وايضا ان الله
قال في آية المحيض هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض جعل قيام الاذى علة لحرمة اتيان موضع الاذى ولا معنى للاذى
الا ما يتأذى الانسان منه وهاهنا يتأذى الانسان بنتن روائح ذلك الدم وحصول هذه العلة في محل النزاع اظهر فاذا كانت

تلك العلة

تلك العلة قائمة هنا وجب حصول الحرمة وايضا قوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله وظاهر الامر للوجوب ولا يمكن ان يقال
انه يفيد وجوب اتيانهن لان ذلك غير واجب فوجب ان يقال الآن المراد منه انه من اتى امرأة وجب ان يأتيها من ذلك الموضع
الذي امر الله به ثم هذا غير محمول على الدبر لان ذلك غير واجب بالاجماع فتعين حمله على القبل ومن جوز اتيان دبرهن تمسك
بوجوه الاول بهذه الآية من وجهين الاول انه تعالى جعل الحرث اسما للمرأة فقال نساؤكم حرث لكم ولم يجعل اسما للموضع فيكون
المراد من قوله فأتوا حرثكم انى شئتم فأتوا نساءكم انى شئتم فيكون هذا اطلاقا في اتيانهن على جميع الوجوه فيدخل فيه محل
النزاع الثاني كلمة انى معناها اين قال الله تعالى انى لك هذا قالت هو من عند الله والتقدير من اين لك هذا فصار تقدير الآية
فأتوا حرثكم اين شئتم تدل على تعدد الامكنة يقال اجلس اين شئت كان هذا تخييرا بين الامكنة اذا ثبت هذا فنقول ظهر انه لا يمكن
جعل الآية على الاتيان من قبلها في قبلها او من دبرها في قبلها لانه على هذا التقدير المكان واحد والتعدد انما وقع في طريق
الاتيان واللفظ اللائق به ان يقول اذهبوا اليه كيف شئتم فلما لم يكن المذكور لفظة كيف بل المذكور لفظة انى وثبت
ان لفظة انى مشعرة بالتخيير بين الامكنة ثبت انه ليس المراد ما ذكرنا الثاني التمسك بعموم قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم ترك العمل به في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق النساء الثالث توافقنا على انه لو قال للمرأة دبرك
علي حرام ونوى الطلاق انه يكون طلاقا وهذا يقتضي كون دبرها حلالا اجيب بانا بينا انه يجوز ان يكون المراد من هذه الآية
اتيان النساء في غير الدبر وقوله لان الحرث اسم لموضع الحراثة ومعلوم ان المرأة بجميع اجزائها ليست محلا للحراثة فامتنع اطلاق
اسم الحرث على ذات المرأة فيقتضي هذا الدليل ان لا يطلق لفظ الحرث على ذات المرأة الا انا تركنا العمل بهذا الدليل في قوله نساؤكم
حرث لكم لان الله تعالى صرح هنا باطلاق لفظ الحرث على ذات المرأة فحملناه على المجاز المشهور من تسمية محل الشيء باسم ذلك الشيء
وهذه الضرورة مفقودة في قوله فأتوا حرثكم فوجب حمل الحرث فيه على موضع الحراثة على التعيين فثبت ان هذه الآية لا دلالة فيها
الا على اتيان النساء الثاني الرواية المشهورة في ان سبب نزول هذه الآية اختلافهم في جواز الاتيان من الدبر في القبل وسبب
النزول لا يكون خارجا عن الآية فوجب ان تكون الآية متناولة لهذه الصورة ومتى حملناها على هذه الصورة لم يكن بنا حاجة
الى حملها على الصورة الاخرى فثبت ان ما ذكروه ليس مرادا من الآية والحكي عن هذه الوجوه التي ذكروها على التفصيل اما الوجه
الاول فقد بينا ان معناه فأتوا موضع حرثكم واما الثاني فلانه لما كان المراد بالحرث في قوله فأتوا حرثكم ذلك الموضع المعين
لم يمكن حمل انى شئتم على التخيير في المكان وعند هذا يضم فيه زيادة وهي ان يكون المراد من انى شئتم فيفهم لفظة من لانا
ليس حمل لفظ الحرث على حقيقته والزام هذا الاضمار اولى من حمل لفظ الحرث على سبيل المجاز لانا نقول بل هذا اولى لان الاصل
في الابضاع الحرمة واما الثاني فجوابه ان قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم عام ودلائلنا خاصة والخاص مقدم على العام
واما الثالث فجوابه ان قوله دبرك علي حرام انما يكون كناية عن الطلاق لانه محل الاستمتاع مع المجامعة فصار ذلك كقوله يدك
علي حرام قوله وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد
وقيل هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحا وقيل التسمية على الجماع وقيل اذا اتى اهله فليدع عن ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم ان يأتي اهله فليقل بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فان قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان وقيل قدموا لانفسكم كل ما احل الله لكم وحرمه عليكم وما تعبدكم به فان تصدقكم
الله ورسوله بحل ما احل لكم وحرم عليكم وما تعبد به قدم صدق لكم عند ربكم واتقوا الله فيما امركم ونهاكم واسألوا
ولا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحوا به وبشر المؤمنين خاصة بالثواب والكرامة والمراد
الشيء المعين في القرآن يتعلق بحصول مع كل وعد ووعيد قال صاحب الكشاف فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم انى شئتم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم
الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله
غفور رحيم ● قيل نزلت في عبد الله بن رواحة نهاه من قطيعة ختنه على اخته بشير بن النعمان وذلك انه كان بينهما
شيء فحلف عبد الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له وجعل يقول قد حلفت بالله ان لا افعل ولا
يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا يصل ابنه عبد الرحمن
حتى يسلم وقيل في ابي بكر الصديق حين حلف لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة
والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر اي المنصوب له قال فلا تجعلوه عرضة للوائم والحاصل العرضة المانع من الشيء تقول
العرب هو له دونه عرضة اذا كان يمنعه من الوصول اليه على الاول وعلى الثاني المنصوب للامر وقيل العرضة اصلها الشدة
والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر وتعد له عرضة لقوتها عليه يقال عرضت ناقتي لكذا اي اتخذتها له ثم قيل لكل ما
هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة النكاح اذا صلحت له وقويت عليه وفلان عرضة للشر والحرب وقال حسان وقال الله
قد يسرت جندا من الانصار عرضتها اللقاء قال المفسرون هذا في الرجل يحلف بالله على بعض الخيرات مثل ان لا يصل رحمه
او لا يكلم قرابته او لا يتصدق او لا يصنع خيرا او لا يحسن الى احد ولا يصلح بين اثنين فيعرضنا نداء احدهما فيحلف بالله
لا يصلح بينهما ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه قال الله لا تجعلوا الله عرضة ليمينه افعالا

عليه يسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت
غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا عطف بيان لايمانكم
اي الامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وقوله ان تبروا معناه ان لا تبروا كقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا وقال امرؤ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
يعني لا ابرح واللام في لايمانكم متعلق بقوله ولا تجعلوا الله لايمانكم عرضة اي برزخا وحاجزا ويجوز ان يكون متعلقا بعرضة
لما فيها من معنى الاعتراض اي المنع يعني لا تجعلوا الله شيئا يعترض البر بمنعه من اعترضني كذا اي منعني
والحاصل ان اللام متعلق بقوله ولا تجعلوا الله او بقوله عرضة فعلى الاول يجعلوا متعد الى ثلثة مفاعيل احدها بالواسطة
وعلى الثاني الى مفعولين وايمانكم على التقديرين بمعنى المحلوف عليه وان تبروا بقوله ولا تجعلوا فيكون قوله لا تجعلوا
متعديا الى ثلثة مفاعيل ثانيها عرضة وثالثها ان تبروا بواسطة حرف الجر ثم حذف الجر لان حذفه مع ان قياس مستمر
اي ولا تجعلوا الله لايمانكم عرضة لان تبروا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بقوله عرضة وهي
مفعول ثان لقوله ولا تجعلوا الله وعلى التقديرين قوله لايمانكم مفعول له والايمان جمع اليمين بمعنى المصدر واذا جعل
العرضة بمعنى المعرض للشيء يكون معناها ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به نهى عن الجراءة على الله
بكثرة الحلف به فان من اكثر من ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة له يقول الرجل قد جعلتني عرضة للومك قال الشاعر
ولا تجعلني عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين بابلغ المذام وجعل الحلاف
مقدمة لها والعرب كانوا يمدحون الانسان بالاقلال من الحلف والحكمة في الامر بتقليل الايمان ان من حلف في كل قليل وكثير
بالله انطلق لسانه بذلك ولا يبقى لليمين في قلبه وقع فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة فيختل ما هو الغرض الاصلي
من اليمين وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله تعالى كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم ان يكون ذكر الله اجل واعلى
عنده من ان يستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية واما قوله ان تبروا فهو علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا تقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وسائطهم
واصلاح ذات بينهم والله سميع لايمانكم عليم بما في قلوبكم ونياتكم ان تركتم الحلف تعظيما لله واجلالا له من ان
تستشهد باسمه الكريم في الاغراض العاجلة قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به
من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو قال ذو الرمة ويهلك بينها المرئي لغوا كما
الغيت في الدية الحوارا يعني الماية التي تساق في الدية اذا وضعت ناقة منها حوارا لم يعتد به والمرئي منسوب
الى امرئ القيس بن زيد واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل على
لا عقد له قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء
فيه فقال الشافعي هو ما سبق به لسان الانسان من الايمان على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد
مثل قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم
تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة عن عائشة رضي الله عنها لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم هو قول الانسان لا والله وبلى والله وقد رفعه بعضهم وهذا لا كفارة فيه ولا اثم وقال ابو حنيفة واصحابه
هو ان يحلف الانسان على الشيء يظنه على ما حلف عليه اي يرى انه صادق فيه ثم يظهر خلافه فهو خطأ منه
غير عمد ولا كفارة فيه ولا اثم وقيل لغو اليمين في حال الغضب والضجر من غير عقد ولا عزم يدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم لا يمين في غضب وقيل هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث بل يحنث في يمينه ويكفر وقيل ليس
فيه كفارة وقيل كفارته ان يتوب منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نذر فيما لا يملك فلا نذر له ومن حلف
على معصية فلا يمين له وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على قطيعة رحم او معصية
فبره ان يحنث فيها ويرجع عن يمينه وقيل ان يحلف على نفسه كقول الرجل اعمى الله بصري ان لم افعل كذا واخرجني الله
من مالي ان لم آتك غدا او يقول هو كافر ان فعل كذا فهذا كله لغو وكان باللسان دون القلب لا يؤاخذه الله به حتى يكون
ذلك من قلبه وقيل هو اليمين المكفرة وسمي لغوا لان الكفارة تسقط الاثم تقديره لا يؤاخذكم الله بالاثم في اليمين اذا كفرتم
وقيل هو ان يحلف الرجل على الشيء ثم ينسى فيحنث ناسيا فلا يؤاخذه الله يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم رفع
عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قوله ولكن يؤاخذكم اي بايمانكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وقيل لا يؤاخذكم
اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت
من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور ستار الذنوب مسقط عقوبتها على طريق المبالغة حليم لا يعجل
بالعقوبة بل يؤخر عقوبة الكفار والعصاة والحليم في كلام العرب الاناة والسكون واعلم ان الايمان على وجوه منها
على طاعة كقوله والله لاصلين او لاصومن او لاحجن او لاتصدقن ونحوها فان كان فرضا عليه فالواجب ان لا يحنث
فان حنث فعليه الكفارة لانه كان فرضا عليه فزاده تاكيدا باليمين فان كان تطوعا ففيه قولان احدهما ان عليه الكفارة
بالحنث فيه وثانيهما ان عليه الوفاء بما قاله لا يجزيه غيره ومنها ان يحلف على معصية وقد سبق ومنها ان يحلف على
مباح فهو على ضربين ماض ومستقبل فاليمين على المستقبل مثل ان يقول والله لا افعلن كذا فعليه الكفارة بالحنث فيه

بلا خلاف

بلا خلاف واليمين على الماضي مثل ان يقول والله لقد كان كذا او لم يكن كذا وقد كان بخلافه وهو عالم به فهو اليمين الغموس
التي يغمس صاحبها في الاثم لانه تعمد الكذب فتلزمه الكفارة عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يلزمه الكفارة واحتج
الشافعي على وجوب الكفارة في اليمين الغموس فان الله تعالى ذكر ههنا ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وعقد اليمين
يحتمل لان يكون المراد منه عقد القلب به ولان يكون المراد به العقد الذي يضاده الحل فلما ذكر ههنا قوله بما كسبت قلوبكم
علم ان المراد من ذلك العقد هو عقد القلب وذكر المؤاخذة ههنا ولم يبين ان تلك المؤاخذة ما هي وبينها في المائدة
بقوله فكفارته اي المؤاخذة هي الكفارة وكل من الآيتين مجملة من وجه مبينة من وجه آخر فصارت كل منهما مفسرة للاخرى
وحصل من كل واحدة منهما ان كل يمين ذكر على سبيل الجد وربط القلب به فالكفارة واجبة فيها ويمين الغموس كذلك
فكانت الكفارة واجبة فيها ثم اليمين في الشريعة تحقيق ما يحتمل خلافه بذكر اسم الله او صفة من صفاته وانما ينعقد
بذكر ما لا يطلق الا على الله تعالى كوالله والرحمن ورب العالمين والحي الذي لا يموت والخالق والرب مجردا او بما يطلق عليه
وعلى غيره بالنية كالحي والعالم والرحيم والموجود وكصفاته ان لم ينو مجازا كقدرة الله تعالى وعلمه وعظمته وكلامه ونحوها
او بكنايات اليمين كقوله ايم وحق الله ولعمر الله فهذه تعتبر فيها النية فان نوى اليمين فذاك والا فلا والمراد باليمين قلنا
واما الحلف بغير الله مثل ان يقول والكعبة والصلاة واللوح والقلم وحق محمد وابي وحياتي وحياة فلان وراس فلان
ونحوها فهذا ليس بيمين ولا يلزم الكفارة بالحنث فيه وهو يمين مكروهة قال الشافعي واخشى ان يكون معصية عن عمر
رضي الله عنهما قال كانت قريش تحلف بآبائها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله ولا تحلفوا
بآبائكم وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر يقول وابي فنهاه عن ذلك فقال عمر ما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا قوله تعالى
للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم
الايلاء الحلف يقال آلى يؤلي ايلاء والاسم الالية قال الشاعر على الية وصيام شهر امسك طائعا الا بكوف • هذا بحسب
اصل اللغة وقد خص في عرف الشرع باليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك ولا اقربك قال قتادة كان الايلاء
طلاقا في اهل الجاهلية كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فكان يتركها بذلك لا ايما ولا
ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية وفي الاسلام فازال الله ذلك وامهل الزوج مدة
حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ذلك ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة عن المرأة فارقها فجعل
الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة اربعة اشهر فانزل الله سبحانه للذين يؤلون والايلاء يجب ان يحلف الزوج على
الامتناع من وطي المنكوحة فوق اربعة اشهر او مطلقا قوله من نسائهم فيه سؤال وهو ان يقال آلى على كذا
فكيف عدي بمن والجواب عنه من وجهين احدهما انه قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم
مؤلين وثانيهما ان المراد من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا فيتعلق بقوله لهم وقوله تربص مبتدأ خبره
للذين يؤلون ومن يتعلق بالجار والمجرور لا بالصلة اي للذين يؤلون تربص اربعة اشهر حاصل لهم من نسائهم ومن الابتداء
وقوله لهم عبارة عن قوله الذين يؤلون وضع الضمير موضع الموصول مع صلته ليظهر تعلق من بالجار والمجرور واختلفوا في مدة
الايلاء فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف ان لا يطأ ابدا وعن الحسن البصري اي مدة حلف عليها كان موليا وان كان
يوما وذهب ابو حنيفة والثوري انه لا يكون موليا حتى يكون المدة اربعة اشهر فصاعدا وذهب الشافعي انه لا يكون موليا
حتى تزيد المدة على اربعة اشهر وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان مكنه او بالقول ان عجز حنث ولزمته كفارة اليمين
وان مضت بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم توقف المولى فاما ان يطلق
واما ان يطلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم يقتضي كون هذين
الحكمين مشروعين متاخرين عن انقضاء الاربعة الاشهر لا يقال لا نسلم ان الفاء في قوله فان فاؤا يقتضي كون هذين الحكمين
متاخرين عن انقضاء الاربعة الاشهر وذلك لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل
يعقب المفصل كما يقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اي وجدتكم محمودا اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول
لانا نقول هذا ضعيف لان قوله للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر اشارة الى الحكمين احدهما صدور الايلاء عنهم
والثاني وجوب تربص هذه المدة على النسوان والفاء في قوله فان فاؤا ورد عقيب ذكرهما معا فلا بد ان يكون هذا الحكم
مشروعا عقيب الامرين الايلاء والتربص في هذه المدة بخلاف ما ذكرتم وهو انا نزيلكم هذا الشهر لان الفاء هناك صار
مذكورا عقيب شيء واحد وهو النزول وقال الشافعي ان قوله وان عزموا الطلاق صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع
الزوج لا بمضي المدة لا يقال الايلاء طلاق في نفسه فالمراد من قوله وان عزموا الطلاق الايلاء لانا نقول هذا بعيد لان
قوله وان عزموا الطلاق الايلاء لانا نقول هذا بعيد لان قوله وان عزموا الطلاق معناه وان عزم الذين يؤلون من نسائهم
فجعل المولى عازما وهذا يقتضي ان يكون الايلاء والعزم قد اجتمعا واما الطلاق فهو متعلق العزم متاخر عن العزم والايلاء
للعزم او متقدم عليه فلا يكون الطلاق هو الايلاء حجة ابي حنيفة قراءة ابن مسعود فان فاؤا فيهن والجواب ان القراءة الشاذة
ليست بحجة اما قوله فان فاؤا اي فان رجعوا والفيء لغة رجوع الشيء الى ما كان عليه من قبل ولهذا قيل لما نسخته الشمس
من الظل ثم يعود فيء وفرق اهل العربية بين الفيء والظل فقالوا الفيء ما كان بالعشي لانه الذي نسخته الشمس والظل ما كان
بالغداة لانه لم تنسخه الشمس وفي الجنة ظل وليس فيها فيء لانه لا شمس فيها قال الله تعالى وظل ممدود فقوله فان فاؤا اي
رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور للمولي ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب

وان كان يجوز ان يكون علي رضي منهن علا الولد من الفيل رحيم بهم لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة اما قوله وان عزموا الطلاق
فيقتضي تطليقة المرأة ومعناه حل عقد النكاح بما يكون حلالا في الشرع فان الله سميع لما قاله المطلق عليم بما في قلبه قال
صاحب الكشاف فان قلت عزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو
من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة
الشيطان هذا ما يتعلق بتفسير الآية واما الاحكام فكثيرة ونذكر ههنا بعض ما يستخرج من الاحكام كل زوج يتصور
منه الوقاع وكان تصرفه معتبرا في الشرع فانه يصح منه الايلاء وهذا القيد معتبر طردا وعكسا اما الطرد فهو ان كل من كان
كذلك صح ايلاؤه ويتفرع عليه احكام الاول يصح ايلاء الذمي وهو قول ابي حنيفة والدليل عليه ان قوله تعالى للذين يؤلون
عام يتناول الكافر والمسلم وابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق الثاني قال الشافعي مدة الايلاء
لا تختلف بالحر والرق سواء كان الزوجان حرين او رقيقين او احدهما حرا والآخر رقيقا وعند ابي حنيفة ومالك تتنصف بالرق
الا ان ابا حنيفة قال تتنصف برق المرأة وقال مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق حجة الشافعي عموم قوله تعالى للذين يؤلون
والتخصيص خلاف الظاهر وان تقدير المدة انما كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج
فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة الثالث يصح الايلاء في حال الرضا والغضب وقال مالك لا يصح الا في حال
الغضب لنا ظاهر الآية ويصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او كانت مطلقة طلقة رجعية فان الرجعية
تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها واما العكس وهو ان من لا يتصور منه
الجماع فلا يصح ايلاؤه وفيه مسائل الاول ايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل انما المفقود في حقه الانزال وذلك
انزله فلانه داخل تحت عموم الآية الثاني المجبوب ان بقي منه ما يمكنه ان يجامع به صح ايلاؤه وان لم يبق ففيه قولان احدهما
لا يصح وهو قول ابي حنيفة والثاني يصح لان قصد المضارة باليمين قد حصل منه ولعموم الآية والقيد الثاني ان يكون
زوجا فلو قال للاجنبية والله لا اجامعك ثم نكحها لم يكن موليا لان قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم يفيد ان هذا
الحكم لهم لا لغيرهم اما المحلوف به فالحلف اما ان يكون بالله او بغيره فان كان بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء
خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين فيه قولان الجديد وهو الاصح وهو قول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين
والقديم انه اذا فاء بعد مضي المدة او في اثنائها فلا كفارة عليه حجة الجديد ان الدلائل الموجبة للكفارة عند الحنث في اليمين
بالله عامة ولا فرق بين ان يقول والله لا اقربها وبين ان يقول والله لا اكلمها ثم يكلمها حجة القديم قوله فان فاؤا
فان الله غفور رحيم وله الاستدلال به من وجهين احدهما ان الكفارة لو كانت واجبة لذكرها الله ههنا لان الحاجة ههنا
ماسة الى معرفتها وتاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والثاني انه تعالى لما لم يذكر وجوب الكفارة فنبه على سقوطها بقوله
فان الله غفور رحيم والغفران يوجب ترك المؤاخذة والجواب انه لم يذكر الكفارة ههنا لانه بينها في القرآن وعلى لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر المواضع وقوله غفور رحيم يدل على عدم العقاب لكن عدم العقاب لا ينافي وجوب
الفعل كما ان التائب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء
بغير الله كما اذا قال ان وطيتك فعبدي حر او انت طالق او ضرتك طالق او التزم امرا في الذمة فقال ان وطيتك فلله علي
عتق رقبة او صوم او صدقة او حج او صلاة فهل يكون موليا للشافعي فيه قولان القديم لا يكون موليا وبه قال احمد
في ظاهر الرواية ودليله ان الايلاء معهود الجاهلية وثبت ان معهود الجاهلية في هذا الباب هو الحلف بالله وايضا روي
انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف فليحلف بالله فمطلق الحلف يفهم منه الحلف بالله والجديد وهو قول ابي حنيفة
ومالك وجماعة العلماء انه يكون موليا لان لفظ الايلاء يتناول الكل وعلى القولين يمينه منعقدة فان كان قد علق به
عتقا او طلاقا فاذا وطيها يقع ذلك المعلق به وان كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال
اصحها ان عليه كفارة اليمين والثاني ان عليه الوفاء بما سمى والثالث انه يتخير بين كفارة اليمين وبين الوفاء بما سمى وفائدة
هذين القولين انا ان قلنا انه يكون موليا فبعد مضي اربعة اشهر يضيق الامر عليه حتى يفيء او يطلق وان قلنا لا يكون موليا
لا يضيق عليه الامر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ● ذكر الله تعالى للطلاق احكاما كثيرة منها وجوب العدة
واراد بالمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقراء قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم
في تناول الجنس صالح لكله ولبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك بيانه ان المطلقات المدخول بهن والمطلقات
اللاتي لم يدخل بهن والمطلقات ذوات الاقراء والمطلقات ذوات الاشهر والمطلقات الحوامل وهذه جموع متمايزة كل واحدة
من تلك الجموع عن الاخرى بمنزلة الشخص المميز للافراد فنسبة المطلقات الى هذه الجموع كنسبة الانسان الى زيد
وبكر وعمرو وخالد فكما ان الانسان بالنسبة الى افراده وكذا المطلقات بالنسبة الى هذه الجموع وهذا لا ينافي كون المطلقات
عاما فان عمومها باعتبار آخر وهو النظر الى كل واحدة واحدة من الافراد التي يصدق عليها انها مطلقة هذه المطلقة
بها وتلك المطلقة المدخول بها فالمطلقات بالنظر الى كل واحدة من مطلقة مطلقة عام وباعتبار الجمعية المشتركة بين
الجموع مطلقة قال الامام واعلم ان المطلقة هي المرأة التي اوقع الطلاق عليها وهي اما ان تكون اجنبية او منكوحة
فان كانت اجنبية فاذا اوقع الطلاق عليها فهي مطلقة بحسب اللغة لكنها غير مطلقة بحسب عرف الشرع والعدة غير واجبة

عليها

[illegible]

وفي جمع الكثرة وجمع القلة اورد صاحب الكشاف فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة
ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلاثة شسوع وثلاثة منتصب على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص ثلاثة قروء وقال صاحب الكشاف
نصب ثلاثة على الظرف كما ان كل عدد يضاف الى زمان او مكان والقرء يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة القرء من الاضداد
في كلام العرب والمشهور انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعا وقال آخرون انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر
ومنهم من عكس الامر ومنهم من قال انه موضوع بحسب معنى مشترك بين الحيض والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا
على ثلاثة اقوال الاول ان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو
قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي والثاني انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيدة والثالث
ان القرء هو الوقت يقال اقرأت النجوم اذا طلعت واقرأت اذا افلت ويقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها وانشدوا
للهذلي   اذا هبت لقاريها الرياح   ولذا يقال ان القرء هو الوقت فدخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا
معينا واعلم ان الله تعالى امر المطلقة ان تعتد بثلاثة اقراء والظاهر يقتضي انها اذا اعتدت بثلاثة اشياء تسمى بثلاثة
اقراء ان تخرج عن عهدة التكليف الا ان العلماء اجمعوا على انه لا يكفي ذلك بل عليها ان تعتد بثلاثة اقراء من احد الجنسين
واختلفوا فيه فمذهب الشافعي رضي الله عنه انها الاطهار وهو قول ابن عمر رضي الله عنه وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك
وربيعة واحمد في رواية ومذهب ابي حنيفة رحمه الله انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي موسى الاشعري ومجاهد
وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي واحمد في رواية واهل الكوفة وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعندهم اطول حتى لو طلقها
في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت في الحال فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة
ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء
عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل واذا طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل
او يتيمم حجة الشافعي وجوه الاول قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في وقت عدتهن كقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة اي في يوم القيامة واقم الصلاة لدلوك الشمس اي وقت دلوكها فهذا الوقت لا ينبغي ان يكون وقت الحيض لان
الطلاق فيه منهي لما روينا في صحيحي البخاري ومسلم والموطأ وسنن ابي داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنه
انه طلق امرأته وهي حائض فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ فيه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض
فتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء اجاب صاحب الكشاف
عنه فقال معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما يقول لثلاث بقين من الشهر يريد مستقبلات لثلاث وعدتهن الحيض
الثلاث والحاصل ان المعنى مستقبلات لحيضهن واستقبال الحيض انما يتحقق اذا كانت في الطهر قال الامام هذا الكلام
يقوي استدلال الشافعي رضي الله عنه لان قول القائل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلاث
عقيبه فكذا ههنا معناه فطلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن بالتطليق حاصلا في جميع
زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة تقريره ان العدة عبارة عن الزمان الذي تتربص
فيه المرأة بعد الفراق وله مبدأ ومنتهى ومبدأه عقيب حصول الفراق سواء كان طهرا او حيضا وتعيينه بدليل فاحتج بدليل
ان ابن عمر رضي الله عنهما لم يفهم من الآية الا ما حكى بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فتلك العدة التي
امر الله الثاني ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هل تدرون الاقراء الاطهار قال الشافعي رضي الله عنه النساء
بهذا اعلم لان هذا مما تبتلى به النساء الثالث ان القرء عبارة عن الجمع يقال ما قرأت الناقة سلا قط اي ما جمعت في رحمها ولدا

قط ومن قولهم قرأت القرآن أي تلفظت به وسمي القرآن قرآنا لاجتماع حروفه وكلماته ولاجتماع العلوم الكثيرة فيه وقرأ
القارئ أي جمع الحروف بعضها الى البعض ومنه قول عمرو بن كلثوم * هجان اللون لم تقرأ جنينا * وقال الاخفش يقال ما قرأت
حيضة اي ما ضمت رحمها على حيضة وسمي الحوض مقراة لانه يجتمع فيه الماء واقرأت النجوم اذا اجتمعت للغروب اذا ثبت
هذا فنقول وقت اجتماع الدم انما هو زمان الطهر لان الدم يجتمع في ذلك الزمان في البدن فاما حال الحيض فانه يخرج وان نقول زمان
الحيض اولى بهذا الاسم لان الدم في هذا الزمان يجتمع في الرحم قلنا البتة لا يجتمع في الرحم البتة بل ينفصل قطرة قطرة
اما وقت الطهر فالكل مجتمع في البدن فكان الاجتماع وقت الطهر اتم وتمام التقرير فيه ان اسم القرء لما دل على الاجتماع
فاكمل احوال الرحم اجتماعا واستتماما للدم آخر الطهر اذ لم يمتل بذلك المفاض ما سال الى الخارج من اول الطهر ياخذ
في الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال كمال الاجتماع فكان آخر الطهر هو القرء في الحقيقة الرابع ان الاصل ان لا سلطان
لاحد على احد من العقلاء المكلفين حق الحبس والمنع من التصرفات تركنا العمل به عند قيام الدليل وهو الاطهار والاعتداد
بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فاثبتنا الاول صونا عن العمل بهذه الآية واطرحنا الاكثر وفاء بالدلائل الدالة على
ان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره قدرة الحبس والمنع الخامس ان ظاهر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء يقتضي
انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قروءا تخرج عن العهدة وكل واحد من الطهر والحيض يسمى بهذا الاسم فوجب ان تخرج
المرأة عن العهدة بايهما كان على سبيل التخيير الا انا بينا ان مدة العدة بالاطهار اقل من مدة الحيض فعلى هذا تكون المرأة
مخيرة بين ان تعتد بالمدة الناقصة او بالمدة الزائدة واذا كان كذلك كانت متمكنة من ترك الاعتداد بالزائد الى بدل
وكلما كان كذلك لم يكن واجبا فاذن الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب وذلك يقتضي ان لا يكون الاعتداد
بالحيضة واجبا حجة ابي حنيفة من وجوه الاول ان الاقراء في اللغة وان كانت مشتركة بين الاطهار والحيض الا ان لفظ القرء
غلب استعمالها في الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة ايام اقرائك الثاني قوله صلى الله عليه وسلم طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران ثم اجمعوا على ان عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب ان تكون عدة الحرة هي الحيض
الثالث انه تعالى نقل الى الشهور عند عدم الحيض فقال واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة
اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار وايضا لما كانت الاشهر شرعت بدلا عن الاقراء والبدل يعتبر بتمامه فان الاشهر
لا بد من تمامها وجب ايضا ان يكون الكمال معتبرا في المبدل فلا بد وان يكون القرء كاملة والقرء الكاملة هي الحيض لان الاطهار
فالواجب فيها ثلاث وبعض الرابع اجمعنا على ان الاستبراء في شرع الجواري يكون بالحيضة فكذا العدة تكون بالحيض لان
المقصود من الاستبراء والعدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر الخامس ان القول بانه
هو الحيض احتياط وتغليب لجانب الحرمة لان المطلقة اذا مر عليها بقية الطهر وطعنت في الحيضة الثالثة فان جعلنا
القرء هو الحيض فحينئذ يحرم على الغير التزوج بها وان جعلنا القرء طهرا فحينئذ يحل للغير التزوج بها وجانب التحريم اولى
بالرعاية لقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع الحلال والحرام الا وغلب الحرام الحلال ولان الاصل في الابضاع الحرمة ولانه
اقرب الى الاحتياط فكان اولى لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك السادس ان القول بالاقراء الحيض يمكنه
استيفاء ثلاثة اقراء بكمالها لان هذا القائل يقول ان المطلقة يلزمها ان تتربص ثلث حيض وانما تخرج عن العهدة بزوال الحيضة
الثالثة ومن قال انه طهر يجعلها خارجة من العدة بقرئين وبعض الثالث لان عنده المطلق اذا طلقها في آخر الطهر يكون ذلك قرءا
فاذا كان في احد القولين تكمل الاقراء الثلاثة دون القول الآخر كان القول الاول اليق بالظاهر اجاب الشافعي رضي الله عنه
من ذلك بان قال تعالى الحج اشهر معلومات والاشهر جمع واقله ثلثة ثم انا حملنا الآية على شهرين وبعض الثالث وهو شوال
وذو القعدة وبعض ذي الحجة فكذا هاهنا جاز ان نحمل هذه الثلاثة على طهرين وبعض طهر اجاب الجبائي من شيوخ المعتزلة عن هذا
الجواب من وجهين الاول انا تركنا الظاهر في تلك الآية لدليل فلم يلزمنا ان نترك الظاهر هاهنا من غير دليل الثاني ان في العدة تربصا
متصلا فلا بد من استيفاء الثلاثة وليس كذلك اشهر الحج لانه ليس فيها فعل متصل فكانه قيل هذه الاشهر وقت الحج لا على
سبيل الاستغراق واجاب المتأخرون من اصحابنا عن هذه الحجة من وجهين الاول كما ان حمل القرء على الاطهار يوجب النقصان
على الثلثة فحمله على الحيض يوجب الزيادة لانه اذا طلقها في اثناء الطهر كان ما بقي من الطهر غير محسوب من العدة فيحصل الزيادة
لا بد من تحملها لاجل الضرورة لانه لما نهى عن الطلاق في الحيض لامرنا بالطلاق في آخر الحيض حتى تعتد باطهار كاملة فاذا
اختص الطلاق بالطهر كانت تلك الزيادة متحملة بالضرورة فنحن ايضا نقول لما صارت الاقراء مفسرة بالاطهار وانه تعالى
امرنا بالطلاق في الطهر صار تقدير الآية يتربصن بانفسهن ثلاثة اطهار طهر الطلاق وطهران آخران ثم لم يكن
الطهر الاول طهر المطلقة فلا يكون ذلك الطهر الا نصفا لتعقل وقوع الطلاق فيه وقالوا الثاني انا بينا ان القرء اسم للاجتماع
وكمال الاجتماع انما يحصل في آخر الطهر فكان في الحقيقة الجزء الاخير من الطهر اسما تاما وعلى هذا التقدير لم يلزم دخول النقصان
في شيء من القرء قال الامام واعلم ان عند تعارض هذه الوجوه يضعف الترجيح ويكون حكم الله في حق كل احد ما ادى اليه اجتهاده
قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اعلم ان انقضاء العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء
وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى ذلك للعلم على الرجال متعذرا جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها
اذا ادعت انقضاءها في مدة يمكن ذلك فيها وهو على مذهب الشافعي اثنان وثلاثون يوما ولحظتان لحظة للطهر
الاول ولحظة للشروع في الحيض وثلثون يوما للطهرين الباقيين والحيضتين المتخللتين بين الطهر الاول والثاني وبين الطهر
الثاني والثالث لانه يحتمل انها طلقت في آخر الطهر فحاضت بعد لحظة يوما وليلة وهو اقل مدة الحيض ثم طهرت خمسة عشر

يوما

يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر يوما ثم حاضت فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى
ادعت هذا او اكثر من هذا قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت انها اسقطت كان القول قولها لانها على اصل امانتها
وللمفسرين في قوله تعالى ما خلق الله في ارحامهن ثلثة اقوال الاول انه الحبل والحيض معا وذلك لان المرأة لها اغراض في كتمانهما
اما كتمان الحبل فلان انقضاء عدتها بالقروء اقل زمانا من انقضاء عدتها بوضع الحمل فاذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها
فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج وربما احبت التزوج بزوج آخر او احبت ان يلحق ولدها بالزوج الثاني فلهذه الاغراض
تكتم الحمل واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها
الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعته ولا يتم لها ذلك الا بكتمان بعض الحيض في بعض الاوقات لانها اذا حاضت
اولا فكتمته ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة واذا كتمت الحيض واظهرت ان الطهر فقد
قطعت حق الرجعة على زوجها فقد ثبت انه كما ان للمرأة غرضا في كتمان الحبل فكذلك في كتمان الحيض فوجب حمل النهي على مجموع الامرين
القول الثاني ان المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لانه هو الذي يختص ذكره بالارحام كما بيناه ولان الحيض خارج عن الرحم
لا مخلوق في الرحم ولان حمل قوله تعالى ما خلق الله في ارحامهن على الولد الذي هو جوهر شريف اولى من حمله على الحيض الذي هو في
غاية الخساسة والقذارة وهذه الوجوه ضعيفة لان المقصود منع المرأة عن اخفاء هذه الاحوال التي لا اطلاع لغيرها عليها
وبسببها تختلف احوال الحل والحرمة في النكاح فوجب حمل اللفظ على الكل والقول الثالث ان المراد منه هو النهي عن كتمان الحيض
لان هذه الآية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وهذا ايضا ضعيف لان قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق
الله في ارحامهن كلام مستأنف مستقل بنفسه من غير ان يرد الى ما تقدم فيجب حمله على كل ما يخلق في الرحم ان كن يؤمن
بالله واليوم الآخر ليس المراد ان ذلك النهي مشروط بكونها مؤمنة بل هذا تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ
على مثله من العظائم قوله وبعولتهن البعول جمع بعل والهاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة وبعولتهن اي
ازواجهن ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن يقال بعلت المرأة اذا تزوجت
ومنه قيل للجماع بعال وانما سمي الزوج بعلا لقيامه بامور زوجته واصل البعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة
كما يقال من ربها وبعل اسم صنم كانوا يتخذونه ربا قال الله تعالى اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قوله احق بردهن
اي برجعتهن في ذلك اي في زمان التربص والمعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق
منها لانهما احق في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وذلك
ان الرجل في الجاهلية كان اذا اراد الاضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها ثم راجعها
ليضرها بذلك فجعل الله الرجعة على وجه الاصلاح لا على الاضرار فان قيل ما معنى الرد في المطلقة الرجعية وهي
ما دامت في العدة كانت زوجة كما كانت فالجواب ان الرد تضمن ابطال التربص في الحرمة في العدة فهي ما دامت في العدة
كانها كانت جارية الى ابطال حق الزوج وبالرد بطل ذلك الاجر سميت الرجعة ردا لا سيما مذهب الشافعي رضي الله عنه
يحرم الاستمتاع بها الا بعد الرجعة فالرد على مذهب الشافعي معناه ان حرمتها ثابتة من التربص الى الطلاق فبرد الثاني ردها
من الحرمة الى الحل وفائدة قوله في ذلك ان حق الرد انما يثبت في الوقت الذي هو وقت التربص فاذا انقضى ذلك الوقت فقد بطل
حق الرد والرجعة فان قيل كلمة ان للشرط والشرط يستلزم انتفاء المشروط عند انتفائه فيلزم اذا لم يوجد ارادة الاصلاح
ان لا يثبت حق الرجعة والجواب ان الارادة صفة باطنة لا اطلاع لنا عليها فالشرع لم يوقف صحة المراجعة عليها بل جوازها
فيما بينه وبين الله تعالى موقوف على هذه الارادة حتى انه لو راجعها لقصد المضارة استحق الاثم قوله ولهن مثل الذي عليهن
لما بين انه يجب ان يكون المقصود من المراجعة اصلاح حالها لا ايصال الضرر اليها بين ان لكل واحد من الزوجين حقا على
الآخر فيجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس
الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال روي ان امرأة معاذ قالت
يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها عن مضجعها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا وانما اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم خيار الرجال من امتي خيرهم لنسائهم وخير النساء
من امتي خيرهن لازواجهن يكتب لكل امرأة منهن كل يوم وليلة اجر الف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين وفضل احداهن
على الحور العين كفضل محمد صلى الله عليه وسلم على ادنى رجل منكم وخير النساء من امتي من تأتي مسرة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا
معصية الله وخير الرجال من امتي من يلطف باهله لطف الوالدة بولدها يكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة اجر مائة شهيد
قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين فقال عمر رضي الله عنه وكيف تكون للمرأة اجر الف شهيد وللرجل اجر مائة شهيد فقال
او ما علمت ان المرأة اعظم اجرا من الرجال وافضل ثوابا وان الله تعالى ليرفع الرجل في الجنة درجات برضى زوجته عنه في الدنيا
وبدعائها له او ما علمت ان اعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة اذا عصت زوجها الا فاتقوا الله في الضعيفين فان الله سائلكم
عنهما اليتيم والمرأة فمن احسن اليهما فقد بلغ طاعة الله ورضوانه ومن اساء اليهما فقد استوجب من الله سخطه حق الزوج
على المرأة كحقي عليكم فمن ضيع حقي فقد ضيع حق الله ومن ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير قوله
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة والدرجة المنزلة اصلها من درجت الشيء ادرجه درجا اذا طويته ودرج القوم

قرنا بعد قرن اى فوجا ومعناه انهم طووا اعمارهم شيئا فشيئا والمدرجة قارعة الطريق لانها تطوى منزلا بعد منزل والدرجة
المنزلة من منازل الطي ومنه الدرجة التي يرتقى فيها قيل للرجل الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها وسوق
المهر اليها وقيل بالعقل وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالجهاد وقيل بصلاحيته الامامة والقضاء والشهادة وقيل له
ان يتزوج عليها او يتسرى عليها وليس لها ان تفعل ذلك مع الزوج وله القدرة على تطليقها وعلى رجعتها شاءت ام
ابت بخلاف المراة وان نصيب الرجل في سهام الغنيمة اكثر من نصيبها والله عزيز غالب لا يمنع حكيم مصيب في احكامه
وافعاله لا يتطرق اليهما احتمال العبث والسفه والغلط والباطل قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فاولئك هم الظالمون
الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم عن عائشة رضي الله عنها ان امراة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ثم يراجعها
يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية اذا طلق امراته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلثا فهذه الاية ليست كلاما مبتدأ بل هي متعلقة بما قبلها فانه تعالى
بين في الاية التي قبلها ان حق المراجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان ذلك كالمجمل
المفتقر الى المبين او كالعام المفتقر الى المخصص فبين في هذه الاية ان ذلك الطلاق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة
هو ان يوجد طلقتان فقط واما بعد الطلقتين فلا يثبت له حق الرجعة بان يطلقها ثم يراجعها او بعد الطلقتين فامساك
بمعروف بابقاء الطلقة الثالثة او تسريح باحسان بعدهما ولا يضارها ثم ان طلقها واحدة او اثنتين فهو املك
برجعتها ما دامت في العدة فان انقضت العدة فهي احق بنفسها وكان له ان يراجعها عن تراض منهما بنكاح فان طلقها الثلثة
بانت منه بينونة كبرى وكانت احق بنفسها ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والالف واللام في قوله الطلاق للعهد
الثاني يعني بعد ان الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة فيه هو ان يوجد طلقتين وانما قال مرتان ولم يقل طلقتان
تنبيها على انه الاولى ان يطلق مرتين لا دفعة واحدة او الواجب ان يطلق مرتين على اختلاف القولين وكذا كان الامر بيان
عدد المراجعة دائما التي عليها اهل الجاهلية وبيان الحق الذي ينتهي اليه حق الرجعة للزوج صرح بذلك وبه قال
الاخر روي ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او تسريح
باحسان والامساك خلاف الاطلاق والتسريح الارسال ومنه تسريح الشعر تخليص بعضه من بعض وسرح الماشية
اذا ارسلها لترعى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اما مبتدأ محذوف الخبر اي فعليه امساك بمعروف
وعليه تسريح باحسان فمعنى الاية ان الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة للزوج هو ان يوجد مرتين ثم بعد المرتين اما
امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح
والايقاع ومعنى تسريح باحسان هو التطليقة الثالثة اي يطلقها ولا يظلمها ولا ينقص من حقها شيئا وقيل معنى تسريح
باحسان اي يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة قال الامام هذا الوجه هو الاقرب لوجوه احدها ان الفاء
في قوله فان طلقها تقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرا عن ذلك التسريح ولو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان
قوله فان طلقها طلقة رابعة وانه لا يجوز وهذا ليس بمستقيم فذلك لان قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير
بين الامساك والتسريح الذي هو التطليق لا انه تعيين للتطليق حتى يلزم ان يكون قوله فان طلقها طلقة رابعة والحاصل
انه بعد التطليقتين خير بين الامساك وبين التطليق فان اختار التطليق فلا تحل له من بعد هذا التطليق حتى تنكح زوجا
غيره ولا يلزم ان يكون هذا التطليق تطليقة رابعة وانما قال فان طلقها ولم يقل فان سرحها ولم يقل او تطليق باحسان
حتى يعلم ان التسريح ايضا من صرائح الطلاق شاهده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الثالثة هي تسريح
باحسان وثانيها انا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الاية متناولة لجميع الاحوال لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو المراد بقوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي العدة وتحصل البينونة وهو المراد
بقوله او تسريح باحسان او يطلقها وهو المراد بقوله فان طلقها فكانت الاية مشتملة على بيان كل الاقسام واما
لو جعلنا التسريح بالاحسان طلاقا لزم اهمال احد الاقسام الثلثة ولزم التكرير في ذكر الطلاق وكلام الله تعالى (وانه اذا اختار التطليق)
لانه ليس المقصود ههنا بيان الاقسام الثلثة بل المقصود بيان انه بعد التطليقتين مخير بين الامساك الذي هو مراجعة
بنكاح او بغير نكاح وبين التطليق وبعد طلاقها لا يبقى له هذا التخيير بل لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولا يلزم تكرير
لما مر وثالثها ان التسريح هو الارسال والاهمال فحمل اللفظ على ترك المراجعة اولى من حمله على التطليق وهذا ايضا
غير مستقيم فان التسريح وان كان بحسب اصل اللغة الارسال لكن بحسب العرف الشرع التطليق فحمله على المدلول
العرفي والشرعي اولى من حمله على المدلول اللغوي وقيل ان قوله الطلاق مرتان حكم مبتدأ ومعناه ان التطليق الشرعي
يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا قول من قال الجمع بين الثلاث
حرام قال صاحب الكشاف لم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين
اثنتين ونحو ذلك من التثنية التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام
بواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وهذا عند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة
والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وحجته ان لفظ الطلاق يفيد الاستغراق لان الالف واللام

اذ لم يكن

اذ لم يكن معهود فافاد الاستغراق فصار تقدير كل الطلاق مرتان ومرة ثالثة ولو قال هكذا لافاد ان الطلاق المشروع
متفرق لان المرات لا تكون الا بعد تفرق الايقاع وهذا الكلام وان كان لفظه لفظ الخبر الا ان معناه هو الامر
اي طلقوا مرتين يعني دفعتين وانما وقع العدول عن لفظ الامر الى لفظ الخبر لان التعبير عن الامر بلفظ الخبر يفيد تاكيد
معنى الامر فثبت ان هذه الاية دالة على الامر بتفريق الطلقات وعلى التشديد في ذلك الامر والمبالغة فيه ثم القائلون
بهذا القول اختلفوا على قولين الاول وهو اختيار كثير من علماء اهل البيت انه لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا الواحدة
وهذا القول هو الاقيس لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول الثاني وهو قول ابي حنيفة انه
وان كان محرما الا انه يقع وهذا بناء على ان النهي لا يدل على البطلان وهذا ضعيف لانا اذا جعلنا هذا الكلام مبتدأ كان قوله
الطلاق مرتان يقتضي حصر كل الطلاق في المرتين وهو باطل بالاجماع لا يقال انه ذكر الطلقة الثالثة وهو قوله او تسريح
باحسان فصار تقدير الاية الطلاق مرتان ومرة لانا نقول ان قوله او تسريح باحسان عطف على قوله فامساك
بمعروف وعلى هذا القول تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين الامساك والتسريح وحينئذ
لا يفيد الا التخيير بين الامساك ابتداء وبين التسريح ابتداء وقد عرفت ان سبب نزول هذه الاية ان امراة شكت الى عائشة رضي
الله عنها ان زوجها يطلقها ويراجعها كثيرا بسبب المضارة وقد اجمعوا على ان سبب نزول الاية لا يجوز ان يكون خارجا
عن عموم الاية فكان تنزيل هذه الاية على هذا المعنى اولى وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك
بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها مراجعة لا يريد بها تطويل العدة عليها او ضرارها وقيل بان يطلقها
الثالثة في الطهر الثالث وقيل الحكمة في اثبات حق الرجعة ان الانسان ما دام يكون مع صاحبه لا يدري انه هل يشق عليه
مفارقته ام لا فاذا فارقه فعند ذلك يظهر فلو جعل الله الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الانسان
بتقدير ان يظهر المحبة بعد المفارقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلا جرم اثبت تعالى حق المراجعة بعد المفارقة
مرتين وعند ذلك قد جرب الانسان نفسه في تلك المفارقة وعرف حال القلب في ذلك الباب فان كان الاصلح امساكها
راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح له تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال
رحمته ورافته قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا في حال الاستبدال او الطلاق مما اعطيتموهن شيئا من المهور وغيرها ثم
استثنى الخلع فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نزلت هذه الاية في جميلة بنت عبد الله بن ابي اوفى كانت تحت ثابت
ابن قيس بن شماس وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه
زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال لها ارجعي الى زوجك فاني اكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو
زوجها فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله لا اعيب عليه في دين ولا خلق
ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال والذي
بعثك بالحق نبيا ما على ظهر الارض احب الي منها غيرك قال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سالها قالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت ان يهلكني فاخرجني منه يا رسول الله فقال ثابت قد اعطيتها حديقة
فقل لها تردها علي وانا اخلي سبيلها فقال لها ما تقولين تردين عليه حديقته ويخلي امرك قالت نعم وانا ازيده قال
لا حديقته فقط قالت يا رسول الله ما كنت احدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافه غدا هو من اكرم الناس حبا لزوجته
ولكني ابغضه فلا انا ولا هو فقال الله للنبي صلى الله عليه وسلم خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها فاختلعت منه وهو
اول خلع كان في الاسلام فانزل الله تعالى ولا يحل لكم قال صاحب الكشاف فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا
ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله لان الخطاب فيه للائمة والحكام وان قلت للائمة
والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهم ولا بمؤتيهم قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة
والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء
عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون قوله الا ان يخافا اي يعلما الزوجان والخوف يكون بمعنى العلم لان
في الخوف طرفا من العلم لانك تخاف مما تعلم وما لا تعلم لا تخافه كما ان الظن لما كان فيه طرف من العلم جاز ان يكون علما
او يخاف المراة ان لا تقيم حدود الله فيما يلزمها من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها وعصيانها
لله تعالى في امر زوجها بغضا له وخاف الزوج اذا لم تطعه امراته ان يتعدى عليها فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها
فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بدل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه
وهو جائز في الحكم روي ان امراة نشزت على زوجها في عهد عمر رضي الله عنه فباتت في بيت الزبل ثلث ليال ثم
دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال
يعني بما لها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا قرا حمزة يخافا بالضم وقرا الباقون بفتحها
قال صاحب الكشاف وجه قراءة الضم الذي هو البناء للمفعول ابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو قائم مقام الفاعل
وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا ويجوز ان يكون الخوف
بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريد اظن وللفقهاء في الخلع قولان احدهما انه فسخ للعقد لا طلاق وهو

قول ابن عباس وقول الشافعي في القديم بالعراق ثم رجع عنه بمصر وثانيهما ان الخلع تطليقة باينة وهو قول عثمان بن عفان
والقول الجديد من مذهب الشافعي حجة من قال انه طلاق ان الامة اجمعوا على انه فسخ او طلاق والاول باطل لانه لما
صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وانه لو كان فسخا فاذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يجب عليها المهر كالا
قالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع طلاق وحجة من ادعى انه فسخ انه تعالى قال فان خفتم الا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به ثم ذكر الطلاق فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو كان
الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وقد عرفنا انه لم يلزم ان يكون الطلاق اربعا وقد عرفنا انه لم يلزم ان يكون الطلاق ار
فان قوله تسريح باحسان لم يمكن لا يكون طلاقا بل ذلك يكون قسيما لقوله فامساك بمعروف ومن حجتهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة امراته مع ان الطلاق في زمن الحيض وفي طهر جامعها فيه حرام فلو كان
الخلع طلاقا لكان الواجب على النبي ان يستكشف الحال في ذلك فلما لم يستكشف بل امر بالخلع مطلقا دل على ان
الخلع ليس بطلاق وفيه نظر فانه ليس كل طلاق في الحالتين يكون حراما لاختلاف الاشياء في قوله تعالى الا ان
يخافا متصل او منفصل وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة فقهية وهي اذا كانوا مجتهدين قال بعضهم يجوز الخلع في
حالة الخوف والغضب وقال الزهري والنخعي وداود لا يجوز الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله
فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد وحجتهم ان هذه الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة
عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا فكانت الاية صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير
حالة الخوف واما جمهور المجتهدين فقالوا الخلع جائز في غير حالة الخوف والدليل عليه قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان تحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك الجواز
في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها والاستثناء منقطع كما في قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي لكن
ان كان خطأ فدية مسلمة الى اهله اختلفوا في القدر الذي يجوز به الخلع فقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطى حتى يكون الفضل له
واكثر الفقهاء جوزوا المخالعة بالازيد والمساوي والاقل حجة الاول قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا
ثم قال بعده فلا جناح عليهما فيما افتدت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها واذا كان كذلك لم يدخل فيما اباحه الله
الا القدر ما آتاها من المهر ومما روي ان ثابتا لما طلب من جميلة ان ترد عليه حديقته قالت اجميلة وازيد فقال عليه الصلوة
والسلام لا حديقته فقط والقياس ايضا انه استباح بضعها فلو اخذ منها ازيد مما دفع اليها لكان ذلك اجحافا بجانب المراة والحاق
الضرر بها والجواب عنه بان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا معناه انه لا يحل اخذ شيء بدون المخالعة
فيجوز ان ياخذ اكثر منه يدل على ذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وهو اعم من ان يكون مساويا للمهر او اقل او اكثر واما
قوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط فهو محمول على ان ثابت بن قيس ما طلب الا رد حديقته ولم يدل على انه لا يجوز
الخلع باكثر مما اعطاها واما القياس فلا يقتضي ان يكون العوض في الخلع مثل الصداق بل يقتضي ان يكون العوض في الخلع
يجوز ان يكون اكثر قياسا على العوض في النكاح فانه كما جاز ان يكون العوض في النكاح اكثر من مهر المثل جاز ان يكون العوض
في الخلع اكثر وكما ان العوض في النكاح غير مقدر مقدرا بمعين فكذلك العوض في الخلع حجة الفقهاء ان الخلع عقد
معاوضة فلا يجب ان يتقدر العوض فيه مقدرا بمعين وكما ان المراة لا ترضى عند عوض النكاح الا بصداق كثير فكذا
الزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بعوض كثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته
ويتاكد هذا بما روي عن عمر رضي الله عنه من حبس المراة في بيت الزبل وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان جاءت امراة قد اختلعت
من زوجها بكل شيء لها وبكل ثوب عليها الا درعها فلم ينكر عليها واعلم ان ظاهر هذه الاية يدل على ان شرط جواز الخلع حصول
الخوف للرجل والمراة قال الامام ولا بد هاهنا من بيان تحقيق الاقسام الممكنة في هذا الباب فنقول لانه اما ان يكون
من قبل المراة فقط او من قبل الزوج فقط او من قبلهما معا او لم يكن خوف من قبل واحد منهما اما القسم الاول فمثل ان تكون
المراة ناشزة مبغضة للزوج فيحل للزوج اخذ المال منها يدل على ذلك حديث جميلة فانها اظهرت البغض نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان قيل فقد شرط في الاية كونهما معا خائفين اجيب بان الخوف وان كان اوله من جهة المراة الا انه قد يترتب
عليها الخوف من قبل الزوج لان المراة تخاف على نفسها من عصيان الله في امر الزوج والزوج يخاف انها اذا لم تطعه فانه
يضربها ويشتمها وربما زاد على قدر الجائز فكان الخوف حاصلا لهما جميعا وقد يكون ذلك لمعنى لا امر يتعلق بالزوج نحو ان
تكره المراة مصاحبة ذلك الزوج لفقره او لقبحه او لمرض تنفر منه وعلى هذا التقدير يكون المراة خائفة من معصية الله
في ان لا تطيع الزوج ويكون الزوج خائفا من معصية الله من ان يقع منه تقصير في بعض حقوقها واما القسم الثاني
مثل ان يضربها ليفتدي بها حتى تلزمه الفدية فهذا المال حرام بدليل اول هذه الاية وبدليل سائر الايات كقوله تعالى ولا
تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الى قوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وهذه مبالغة عظيمة في تحريم اخذ المال واما القسم الثالث فاخذ
المال حرام ايضا لان الايات التي تلوناها تدل على حرمة اخذ ذلك المال اذا كان السبب حاصلا من قبل الزوج وليس
فيه تقييد بقيد ان يكون من جانب المراة سبب ذلك ام لا ولان الله تعالى افرد لهذا القسم اية اخرى وهي قوله تعالى وان خفتم
شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ولم يذكر فيه حل اخذ المال واما القسم الرابع فقد ذكرنا ان اكثر المجتهدين
ان هذا الخلع جائز والمال الماخوذ حلال وقيل انه ابدا ان الخوف في الاية ليس لان الله الا فيما لا يجوز عند عدم الخوف الا ان

الغالب

الغالب انما يقتدي عند حصول الخوف واعلم ان هذا الذي ذكر من هذه الاقسام انما هو فيما بين المكلف وبين الله تعالى واما
في الظاهر فهو جائز هذا هو قول الفقهاء قوله تعالى تلك حدود الله اي ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع من شرايع
الدين التي حدها الله تعالى فلا تعتدوها الى غيرها اي فلا تتجاوزوا عنها الى غيرها ثم بعد هذا النهي المؤكد اتبعه بالوعيد
فقال ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون انفسهم قال الامام وفيه وجوه احدها انه تعالى ذكر في سائر الايات
الا لعنة الله على الظالمين فذكر الظلم هاهنا تنبيها على حصول اللعن وثانيها ان الظلم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم
يكون جاريا مجرى الوعيد وثالثها انما اطلق لفظ الظلم تنبيها على ان ظلم الانسان على نفسه حيث اقدم على المعصية
وظلم ايضا الغير بتقدير ان لا يتم المراة عدتها او كتمت شيئا مما خلق الله في رحمها او الرجل ترك الامساك بالمعروف او التسريح
بالاحسان او اخذ من جملة ما اتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المراة ففي كل هذه المواضع يكون للغير فلما اطلق لفظ
الظالمين دل على كونه ظالما لنفسه وظالما لغيره وفيه اعظم التهديدات قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد
حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم
يعلمون ۝ لما خير بين الامساك بالمعروف وبين التسريح بالاحسان بعد الطلاق مرتين قال فان طلقها اي فان اختار التطليق
فصارت مطلقة ثلاثا فلا تحل له من بعد فقوله فان طلقها اشارة الى الطلقة الثالثة وهو احد شقي التقسيم المخير فيه قال
الامام الذين قالوا ان قوله او تسريح باحسان اشارة الى الطلقة الثالثة قالوا ان قوله فان طلقها تفسير لقوله تسريح باحسان لكن
بينا ان الاولى ان لا يكون المراد من قوله تسريح باحسان الطلقة وقد عرفت ان ما ذكره الامام غير مستقيم فان قوله تسريح باحسان
اشارة الى الطلقة الثالثة لا الى ابقائها وقوله فان طلقها اشارة الى ايقاعها قال صاحب الكشاف فان طلقها الطلاق
المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين والاول لا يكاد
اللفظ عليه لكن لما فسر الاية الاولى قوله الطلاق مرتان بما فسره احتاج الى هذا التعسف والتكلف وعلى الوجه الذي ذكرنا ظاهر
مطابق لما هو المقصود واعلم ان موقع اية الخلع فيما بين هاتين الايتين كالاجنبي ونظم الاية الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره لكن لما كان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة
الثالثة فاما بعد الطلقة الثالثة فلا يصح لا الرجعة ولا الخلع ذكر حكم الرجعة ثم اتبعه بحكم الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة
فلا يصح لا الرجعة ولا الخلع ذكر حكم الرجعة ثم اتبعه بحكم الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة لانها كالخاتمة لاحكام الطلاق
قوله فلا تحل له اي فلا تحل المطلقة من بعد التطليقة الثالثة للزوج المطلق حتى تنكح المطلقة زوجا غير المطلق والنكاح
يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج والزوج يطلق على المراة كما يطلق على الرجل ومذهب جمهور المجتهدين ان
المطلقة الثلاث لا تحل للزوج المطلق الا بخمس شرائط تعتد من المطلق وتتزوج من الثاني ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد
منه وقال سعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد واختلف العلماء فقيل ان شرط الوطي ثبت بالسنة وقيل الامران معلومان
بالكتاب قال الامام وهذا هو المختار وقبل الخوض في الدليل لا بد من التنبيه على مقدمة قال عثمان بن جني سالت ابا علي عن قولهم
نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فاذا قالوا نكح فلانة وبنت فلان ارادوا انه عقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته
ارادوا به المجامعة واقول هذا الذي قاله ابو علي كلام محقق بحسب القوانين الاصلية لان الاضافة الحاصلة بين الشيئين
مغايرة لذات كل واحد من المضافين فاذا قيل نكح فلان زوجته فهذا النكاح امر حاصل بينه وبين زوجته مغاير له ولزوجته
ثم الزوجة ليست اسما لتلك المراة بحسب ذاتها بل اسم لتلك الذات بشرط كونها موصوفة بالزوجية فالزوجة مركبة
من الذات ومن الزوجية والمفرد مقدم على المركب اذا ثبت هذا فنقول اذا قلنا نكح فلان زوجته فالنكاح متاخر عن المفهوم
من الزوجة والزوجية مقدمة على الزوجة من حيث انها زوجة تقدم المفرد على المركب واذا كان كذلك لزم قطعا ان ذلك
النكاح غير الزوجية اذا ثبت هذا كان قوله حتى تنكح زوجا غيره يقتضي ان يكون ذلك النكاح غير الزوجية وكل من قال
بذلك قال انه الوطي فثبت ان الاية دالة على الوطي وقوله زوجا يدل على العقد واما قول من يقول ان الاية غير دالة على الوطي
وانما ثبت الوطي بالسنة فضعيف لان الاية تقتضي نفي الحل ممدودا الى غاية وهي قوله حتى تنكح وما كان غاية للشيء يجب انتهاء
الحكم عند ثبوته فيلزم انتهاء الحرمة عند حصول النكاح فلو كان النكاح عبارة عن العقد لكانت الاية دالة على وجوب انتهاء الحرمة
عند حصول العقد فكان رفعها بالخبر نسخا للقرآن بخبر الواحد وانه غير جائز اما اذا حملنا النكاح على الوطي وحملنا قوله زوجا
على العقد لم يلزم هذا الاشكال واما الخبر المشهور في المسئلة فما روي ان تميمة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعة
بن وهب بن عتيك القرظي ابن عمها فزوجها وطلقها ثلاثا فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها فاتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب
وانه طلقني قبل ان يمسني افارجع الى ابن عمي زوجي الاول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى
رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وابو بكر رضي الله عنه جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم وخالد
بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة فطفق خالد ينادي ابا بكر الا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم والعسيلة اسم للجماع واصلها من العسل شبه اللذة التي ينالها الانسان في تلك الحال بالعسل يقال عسلها
عسلا اذا جامعها فلبثت ما شاء الله ان تلبث ثم رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها
كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله
ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك

ما قال للغلام ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالت له مثل ما قالت لأبي بكر فقال عمر لئن رجعت
إليه لأرجمنك فإن الله تعالى قال فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اعلم أن المقصود من توقيف حصول الحل
على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لأن الغالب أن الزوج يستنكر أن يستفرش زوجته رجل آخر وهذا الزجر إنما يتحقق
إلا بتوقيف الحل على الدخول فأما مجرد العقد فليس فيه زيادة نفرة فلا يحصل به هذا الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه لعن المحلل والمحلل له وعن النبي صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على التيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال المحلل والمحلل
له وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب على المنبر وهو يقول والله لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وعن ابن عمر رضي الله
عنهما أن رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال لا إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها بشرط أنه إذا أحلها
للأول بأن أصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة بأجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط أن يطلقها إذا أحلها للأول
ففيه قولان أحدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال أبو حنيفة ولو تزوجها مطلقا معتقدا أنه إذا أحلها
طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك ويؤجر وقال مالك والثوري وأحمد هذا النكاح باطل دليل مذهب الشافعي أن الآية دلت
على أن الحرمة تنتهي بوطء مسبوق وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وحيث حكمنا بفساده فوطئها هل يقع به
التحليل فيه قولان والأصح أنه لا يقع به التحليل وقال الشافعي إذا طلق زوجته واحدة أو ثنتين ثم نكحت زوجا آخر وأصابها
ثم عادت إلى الأول بنكاح جديد لم يكن عليها إلا طلقة واحدة وهي التي بقيت له من الطلقات الأولى وقال أبو حنيفة الزوج
الثاني يهدم الطلقة والطلقتين بل يملك عليها ثلاثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلاث حجة الشافعي أن هذه طلقة ثالثة
فوجب أن تحصل الحرمة الغليظة وإنما قلنا إنها طلقة ثالثة لأنها طلقة وجدت بعد الطلقتين والطلقة الثالثة
موجبة للحرمة الغليظة لقوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد أي بعد الطلقتين والطلقة الثالثة موجبة للحرمة الغليظة
لقوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح وقوله فإن طلقها أعم من أن يطلقها الثالثة مسبوقا بنكاح غيره أو غير
مسبوق فكان داخلا فيه قوله فإن طلقها الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة وقد وطئها فلا جناح
على المرأة المطلقة ثلاثا وعلى الزوج الأول أن يتراجعا بنكاح جديد فذكر لفظ النكاح بلفظ التراجع لأن الزوجية
كانت حاصلة بينهما قبل ذلك فإذا تناكحا فقد تراجعا إلى ما كانا عليه من النكاح وقوله أن يتراجعا في محل الخفض بإضمار
الخافض تقديره في أن يتراجعا وقال الفراء محلها النصب بنزع الخافض وظاهر قوله فإن طلقها يقتضي أن الزوج الثاني
تحل المراجعة للزوج الأول لكن خصص بقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقد تمسك سعيد بن المسيب
بهذا الظاهر في أن التحليل يحصل بمجرد العقد لأن الوطء لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة وهذه الآية تدل على سقوط
العدة لأن الفاء في قوله فلا جناح عليهما يدل على أن حل المراجعة حاصل عقيب طلاق الزوج الثاني قوله إن ظنا أن
في ظنهما أنهما يقيما حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله قال صاحب الكشاف
ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى أما اللفظ فلأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد
ولكن علمت أنه يقوم وأما المعنى فلأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا قوله وتلك الأحكام التي تقدمت هي حدود الله
يبينها كمال البيان على لسان نبيه لقوم يعلمون فإنهم الذين ينتفعون بالآيات فخصهم بالذكر لأن غيرهم بمنزلة من لا يعتد بهم وقيل
العرب يعلمون باللسان والمقصود أنه لا يكلف إلا عاقلا عالما بما يكلفه لأنه حينئذ قد أزيح عذر المكلف فإن العاقل هو الذي
يعلم أن الله أنزل الكتاب وبعث الرسول ليمتثل بأمره وينتهي عما نهى عنه قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن
أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا
آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء
عليم ● فإن قيل معنى هذه الآية هو بعينه معنى قوله الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فذكر هذه
الآية بعد ذكر تلك تكرار من غير فائدة أجيب بأن من حمل تلك الآية على ... شرعية الجمع بين الطلقات
سقط عنه هذا السؤال لأن تلك الآية في بيان كيفية الجمع والتفريق وهذه الآية في بيان كيفية الرجعة ومن حمل تلك الآية
على بيان كيفية الرجعة فهذا السؤال وارد عليه وله أن يقول إن من ذكر حكما يتناول صورا كثيرة وكان إثبات ذلك
الحكم في بعض تلك الصور أهم لم يبعد أن يعاد بعد ذلك الحكم العام تلك الصورة الخاصة مرة أخرى ليدل ذلك التكرار
على أن في تلك الصورة من الاهتمام ما ليس في غيرها وههنا كذلك لأن قوله الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
فيه بيان أنه لا بد في مدة العدة من أحد هذين الأمرين وأما في هذه الآية ففيها بيان أن عند مشارفة العدة على الزوال لا بد
من رعاية أحد هذين الأمرين ومن المعلوم أن رعاية هذين الأمرين عند مشارفة زوال العدة أولى بالوجوب من سائر الأوقات التي
قبل هذا الوقت وذلك لأن أعظم أنواع الإيذاء أن يطلقها ثم يراجعها مرتين عند آخر الأجل حتى تبقى في العدة تسعة أشهر
فلما كان أعظم أنواع المضارة حسن إعادة حكم هذه الصورة تنبيها على أن هذه الصورة أعظم الصور اشتمالا على المضارة
وأولاها بأن يحترز المكلف عنها قوله فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها
يقال لعمر الإنسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والأمد يقول النحويون من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية
وقال الشاعر ... إذا انتهى أمده ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد إذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما
شارف ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنه بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل

عليها

[illegible]

بمعروف في الحال ولكن في قلبه أن يضارها في المستقبل فلهذا قال تعالى ولا تمسكوهن ضرارا ...
والضرار المضارة ومعناه راجع إلى إثارة العداوة وإزالة الألفة وإيقاع الوحشة وموجبات النفرة وقيل الضرار سوء العشرة
وتضييق النفقة وفي الجاهلية كانوا يفعلون أكثر هذه الأعمال رجاء أن تختلع المرأة منه بما لها قوله ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويت منافع الدين والدنيا عليها فإنه إذا اشتهر بين الناس بهذه المعاملة القبيحة لا يرغب
في التزوج به ولا في معاملته أحد وأما الدين فالثواب الحاصل على حسن المعاشرة مع الأهل والثواب الحاصل على الانقياد
لأحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد
اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل
كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد
النكاح والطلاق والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليكم من القرآن
والحكمة السنة وذكرها مقابلتها بالشكر والله يعظكم بما أنزل عليكم واتقوا الله في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيه
واعلموا أن الله بكل شيء عليم قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن
إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون
عن معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال كنت زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فأبى أن يرجعها
وكان رجل صدق وكانت المرأة تحب رجعته فقلت له زوجتك وأكرمتك وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها
لا والله لا تعود إليها أبدا فأنزل الله تعالى هذه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقلا وتلا عليه فقال ... أومن
بالله واليوم الآخر فأنكحها إياه وكفر عن يمينه رواه البخاري عن أحمد بن حفص هذا قول أكثر المفسرين وقال السدي نزلت
الآية في جابر بن عبد الله الأنصاري وكانت له بنت عم فطلقها زوجها تطليقة واحدة وانقضت عدتها ثم أراد رجعتها
فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمي ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها فأنزل الله وإذا طلقتم النساء فبلغن
أجلهن بانقضاء العدة وأنها على الحقيقة والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة ببيضها إذا نشب فلم
يخرج وأنشدوا لابن هرمة ● وإن قصائدي لك فاصطنعني ● عقائل قد عضلن عن النكاح ● فقال ... فتعضل
صفة لها أي لا أمدح بشعري غيرك إنما هو مخصوص بك فادع حقي واحفظني وقال الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلام
على افتراق البلوغين البلوغ الأول في قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف والثاني وإذا
طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما
وقسرا لحمية الجاهلية لا يتركوهن يتزوجن من شئن من الأزواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن قال الإمام اختلف المفسرون في أن قوله ولا تعضلوهن خطاب
لمن فقال الأكثرون إنه خطاب للأولياء وقال بعضهم إنه خطاب للأزواج وهذا هو المختار يدل عليه أن قوله تعالى وإذا طلقتم
النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن جملة واحدة مركبة من شرط وجزاء فالشرط قوله وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن والجزاء
قوله فلا تعضلوهن ولا شك أن الشرط وهو قوله وإذا طلقتم النساء خطاب مع الأزواج فوجب أن يكون الجزاء وهو قوله
ولا تعضلوهن خطابا معهم أيضا وإلا لصار تقدير الآية إذا طلقتم النساء أيها الأزواج فلا تعضلوهن أيها الأولياء وحينئذ
لا يكون بين الشرط والجزاء مناسبة أصلا وذلك يوجب تفكك النظم وكلام الله منزه عن مثله ثم أكد ذلك بوجهين آخرين الأول
أن ما قبل الآية إلى هذا الموضع كان الخطاب كله مع الأزواج ولم يجر للأولياء ذكر فكان صرف هذا الخطاب إلى الأولياء
على خلاف النظم الثاني أن ما قبل هذه الآية خطاب مع الأزواج في كيفية معاملتهم مع النساء قبل انقضاء العدة فإذا

جعلنا هذه الآية خطابا لهم في كيفية معاملتهم مع النساء بعد انقضاء العدة كان نظم هذا الترتيب حسنا لطيفا
فكان صرف الخطاب إلى الأزواج أولى الحجة من قال هذه الآية خطاب للأولياء وجوه الأول وهو عمدتهم الكبرى أن الروايات
المشهورة في سبب نزول هذه الآية دالة على أنها خطاب مع الأولياء لا مع الأزواج قال الإمام ويمكن أن يجاب عنه بأنه
لما وقع التعارض بين هذه الحجة وبين الحجة التي ذكرناها أولى بالرعاية لأن المحافظة على نظم كلام الله أولى من المحافظة
على خبر الواحد وأيضا فإن الروايات متعارضة عن معقل وعن جابر وإذا تعارضت الروايات تساقطتا فبقي ما ذكرناه
من التمسك بنظم كلام الله سالما عن المعارض الثاني أنها لو كانت خطابا مع الأزواج فإما قبل انقضاء العدة وهو باطل
لأن ذلك مستفاد من الآية الأولى فيلزم تكرار لا فائدة فيه وأيضا فقد قال تعالى ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا
بينهم بالمعروف فنهى عن العضل حال حصول التراضي ولا يحصل التراضي بالنكاح إلا بعد التصريح بالخطبة ولا يجوز
التصريح بالخطبة إلا بعد انقضاء العدة وقال الله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله وإما
بعد انقضاء العدة فباطل أيضا لأنه حينئذ ليس للزوج قدرة على عضل المرأة فكيف يصرف هذا النهي إليه قال الإمام
ويمكن أن يجاب عنه بأن الرجل يمكن أن يشتد ندمه على مفارقتها بعد انقضاء العدة وتلحقه الغيرة إذا رأى من يخطبها
وحينئذ يعضلها عن أن ينكحها غيره إما بأن يجحد الطلاق أو يدعي بأنه كان راجعها أو يدس إلى من يخطبها بالتهديد
والوعيد أو يسيء القول فيها بأن ينسبها إلى أمور تنفر الرجال عن الرغبة فيها فالله تعالى نهى الأزواج عن هذه الأفعال وعرفهم
أن ترك هذه الأفعال أزكى لهم وأطهر من دنس الآثام الثالث أن قوله تعالى أن ينكحن أزواجهن معناه ولا تمنعوهن من أن
ينكحن الذين كانوا أزواجا لهن قبل ذلك وهذا الكلام لا ينتظم إلا إذا جعل الخطاب للأولياء لأنهم كانوا يمنعونهن
من العود إلى أزواجهن قبل ذلك فأما إذا جعلنا الآية خطابا للأزواج فهذا الكلام لا ينتظم ويمكن أن يجاب عنه
بأن معنى قوله أن ينكحن أزواجهن أي من يريدون أن يتزوجنه فيكونون أزواجا لهن ويسمي العرب الشيء باسم ما يؤول إليه
قال صاحب الكشاف والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم
العاضلين اعلم أن الشافعي تمسك بهذه الآية على أن النكاح بغير ولي لا يجوز ووجه الدليل أن الخطاب في هذه الآية للأولياء
لأنه حينئذ يكون التفويض إلى الأولياء لا إلى النساء لأنه لو كان للمرأة أن تزوج نفسها أو توكل من يزوجها لما قدر الولي
على عضلها من النكاح ولو لم يقدر الولي على عضلها لما نهاه الله عن العضل وحيث نهاه عن العضل كان قادرا عليه فلا
تكون المرأة متمكنة من النكاح قال الإمام وهذا الاستدلال بناء على أن الخطاب للأولياء وقد تقدم ما فيه ثم لو سلم
هذه المقدمة لا يجوز أن يراد بقوله لا تعضلوهن أن تخلوها ورأيها في ذلك لأن الغالب في النساء الأيامى أن
يرجعن إلى رأي الأولياء في النكاح وإن كان الاستبداد بالشرع حاصلا لهن فإن يكن تحت رأيهم وتدبيرهم وحينئذ
يكونون متمكنين من منعهن كتمكنهم من تخليتهن فيكون النهي محمولا على هذا الوجه وأيضا فثبوت العضل في حق
الولي ممتنع لأنه مهما عضل انعزل فإذا انعزل لا يبقى لعضله أثر على هذا الوجه لا يتصور صدور العضل منه والجواب أن
الخطاب للناس فيدخل فيه الأولياء والأزواج فيتصور عضل الأولياء فلا تمكن المرأة من تزوجها بنفسها وأما المنع
على وجه التعزز فهو المستفاد ومنع المستشار لا يكون عضلا وثبوت العضل للولي غير ممتنع فإنه يجوز أن يعضل فيما
بينهم ولم يثبت عند الحاكم فلم ينعزل ولهذا قال الفقهاء لا يتحقق العضل حتى يمتنع بين يدي الحاكم وذلك بأن يحضر
الخاطب والمرأة والولي ويأمره الحاكم بالتزويج فيقول لا أفعل أو يسكت وحينئذ يزوجها القاضي وتمسك أبو حنيفة
بقوله تعالى أن ينكحن أزواجهن على أن النكاح بغير ولي جائز وقال إنه تعالى أضاف النكاح إليهن إضافة الفعل إلى فاعله والتصرف
إلى المباشر ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه وهذا متأكد
بقوله حتى تنكح زوجا غيره وبقوله فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف وتزويجها
نفسها من الكفء فعل بالمعروف فوجب أن يصح وحقيقة هذه الإضافة على المباشرة دون الطلب أجاب أصحابنا بأن الفعل
كما يضاف إلى المباشر قد يضاف إلى السبب يقال بنى الأمير دارا وضرب دينارا وهذا وإن كان مجازا إلا أنه يجب المصير إليه
لدلالة الأحاديث على بطلان هذا النكاح قوله إذا تراضوا أي إذا تراضى الخطاب والأولياء والنساء بالمعروف بما
يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل مهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر
مثلها فللأولياء أن يعترضوا لقوله تعالى إذا تراضوا بينهم بالمعروف وهو مهر المثل قوله ذلك يوعظ به الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد لما بين حكمة التكليف فيها بالتهديد فقال ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر لأن من حق الوعظ أن يتضمن التحذير من المخالفة كما يتضمن الترغيب في الموافقة وكانت الآية تهديدا
من هذا الوجه وخص هذا الوعظ بالمؤمنين لأنهم المنتفعون به كقوله هدى للمتقين ولأن بيان الأحكام وإن
كان عاما في حق المكلفين إلا أن كون ذلك البيان وعظا مختص بالمؤمنين لأن التكاليف إنما توجه على الكفار [illegible]
الملزم القاهر أما المؤمن الذي يقر بحقيقتها فإنما تذكر له على سبيل الوعظ والتحذير ومن تمسك بهذه الآية
على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الإسلام لأن ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من بيان الأحكام وقد خص في ذلك
بالمؤمنين دل على أن التكليف بفروع الإسلام غير حاصل إلا في حق المؤمنين فقد أخطأ لأن التكليف بها عام في المكلفين
ولكن على سبيل الوعظ مختص بالمؤمنين وعلى سبيل الإلزام والإفحام للكفار قوله ذلكم أزكى لكم يقال زكى الزرع
إذا نمى فقوله أزكى لكم إشارة إلى استحقاق الثواب الدائم وأطهر إشارة إلى إزالة الذنوب لما طهر من أدناس الآثام

المصير

وقيل

وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهارة وأنتم لا تعلمون أو والله يعلم ما تستصلحون
به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث
مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح
عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ○ والوالدات سواء كن مطلقات
أو مزوجات فإن اللفظ عام وإن ظهر ما يخصصه وقيل المطلقات فإن الله تعالى ذكرهن في الآية تتمة لتلك الآيات
ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها أنه إذا حصلت الفرقة حصل التباغض والتعادي وذلك يحمل المرأة على إيذاء الولد
من وجهين أحدهما أن إيذاء الولد يتضمن إيذاء الزوج المطلق وثانيهما أنها ترغب في التزوج بزوج آخر فيهمل أمر الطفل
ندب الله الوالدات المطلقات إلى رعاية جانب الأطفال والاهتمام بشأنهم فقال والوالدات يرضعن أولادهن والمراد
وقال السدي والمراد بالوالدات المطلقات لأن الله تعالى قال بعد هذه الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية
باقية لوجب على الزوج ذلك بسبب الزوجية لا لأجل الإرضاع ولقائل أن يقول هذه الآية مشتملة على حكم مستقل بنفسه
فلم يجب تعلقها بما قبلها وليس ببعيد أن تستحق المرأة قدرا من المال لمكان الزوجية وقدرا آخر لمكان الإرضاع فلا منافاة
بينهما قال الواحدي الأولى أن يحمل على الزوجات في حال بقاء النكاح لأن المطلقة لا تستحق الكسوة وإنما تستحق الأجرة قيل
إذا كانت الزوجية باقية فهي مستحقة النفقة والكسوة بسبب النكاح سواء أرضعت الولد أو لم ترضعه فما وجه تعليق
الاستحقاق بالإرضاع أجيب بأن النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فإذا اشتغلت بالحضانة والإرضاع
لم تتفرغ لخدمة الزوج فربما يتوهم متوهم أن نفقتها وكسوتها تسقط بالخلل الواقع في خدمة الزوج فقطع الله ذلك الوهم
بإيجاب الرزق والكسوة وإن اشتغلت المرأة بالإرضاع قوله يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد وهو أمر ندب
لا أمر إيجاب بدليل أنه لا يجب على الأم الإرضاع من غيرها إذا وجد ذلك من حيث إن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من غيرها ومن حيث إن
شفقة الأم أكثر ولو وجب عليهن الإرضاع لما وجبت لهن الأجرة في سورة الطلاق هذا إذا لم يبلغ الحال إلى الحد [illegible]
بأن لا يوجد غير الأم أو لا يرضع الطفل إلا منها فإنه يجب حينئذ على الأم الإرضاع كما يجب على كل أحد مواساة المضطر في الطعام
عند الاستطاعة حولين تثنية حول من حال الشيء يحول إذا انقلب فالحول منقلب من الوقت الأول إلى الثاني كاملين توكيد
لرفع التوهم من أنه على مثل قولهم أقمت بمكان كذا حولين ولم تستكملهما بل تمام حول وبعض الآخر وهذا التحديد يقطع التنازع
بين الزوجين إذا اختلفا في مدة الرضاع فجعل الحولين ميقاتا لهم يرجعان إليه عند الاختلاف وهذا ليس تحديد
إيجاب وقيل المقصود من هذا التحديد إثبات حكم خاص للرضاع في الشريعة وهو قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من
النسب على معنى أن الإرضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله
هيت لك بيان المهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع يقال رضع المولود يرضع رضاعة ورضاعا والمعنى أن هذا
التقدير والتبيان لمن يريد تمام الرضاعة من الأب والأم وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال
لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر
وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن
الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا
تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت
عدتها جاز بالاتفاق وعلى المولود له هو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم
وإنما قال المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات
وأنشد للمأمون بن الرشيد ○ فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء ○ فكان عليهم أن يرزقوهن
ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا واعلم أنه تعالى كما أمر الأمهات بتربية الأولاد في قوله والوالدات يرضعن
أولادهن حولين كاملين أوجب على الآباء رزق الأمهات وكسوتهن بالمعروف علم الله تعالى تفاوت أحوال الخلق في الغنى والفقر
فقال بالمعروف أي على قدر الميسرة وجعل الحضانة على الأم والنفقة على الأب قال صاحب الكشاف بالمعروف تفسيره ما بعده
وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه والتكليف الإلزام يقال كلفه الأمر فتكلف وقيل إن أصله من الكلف وهو
الأثر على الوجه من السواد فمعنى كلف الأمر اجتهد أن يبين فيه أثره وكلفه ألزمه ما يظهر فيه أثره والوسع ما يسع الإنسان
فيطيقه أخذه من سعة المسلك إلى الغرض ولو ضاق لعجز عنه فالسعة بمنزلة القدرة ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة والمعنى
أن المولود له لا يكلف من الإنفاق على الأم إلا ما يتسع مقدرته لأن الوسع في اللغة ما يتسع به المقدرة ولا يبلغ [illegible]
وبيانه لا يلزم المولود له الأداء لما هو في وسعه وهو بين في قوله تعالى في سورة الطلاق فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ثم قال
وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ثم بين أن النفقة إنما على قدر الإمكان بقوله لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها وإن المعتزلة تمسكوا بهذه الآية على أن الله تعالى لا يكلف العباد
إلا ما يقدرون عليه لأنه أخبر أنه لا يكلف أحدا إلا ما يتسع له قدرته فإن لا يكلف ما لا قدرة عليه أولى ولا يخفى أن
هذه الآية دالة على أن التكليف بما ليس في الوسع غير واقع أما أنه غير جائز فلا والتمام فيه تحقيقه لا تضار قرأ ابن كثير وأبو عمرو

عقب آية الطلاق هذه الآية

لبن م

وقد راجب لبن الأم

وعلى الذي يولد له

بضم الراء مشددة اما الضم فهو الرفع على الاخبار ويحتمل البناء للفاعل ويكون الاصل يضارر بكسر الراء الاولى وللمفعول ويكون الاصل يضارر بفتحها وعلى التقديرين ادغمت الراء في الراء فصارت بالضم مشددة واما الفتح فعلى النهي والاصل لا يضارر فادغمت وحركت الراء لالتقاء الساكنين وفتحت لانها اخف الحركات وعلى القراءتين معناه لا تضار والدة المولود له بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او ياخذه منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت الوالدة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك لما نهي المولود له عن المضارة اضيف اليه الولد استعطافا له عليه وانه ليس باجنبي منه فمن حقه ان يشفق عليه قوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى الوارث مثل ما وجب على المولود له من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم الوارث ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرائط التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار ولما تقدم ذكر المولود له وذكر الولد وذكر الوالدات احتمل ان يكون الوارث مضافا الى كل منهم فلذلك اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد وارث المولود له لو مات وقيل هو وارث الولد الذي لو مات الولد ورثه ثم اختلفوا اي وارث من ورثته فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه من الرجال والنساء يجبر على قدر النصيب من الميراث وعند ابي حنيفة هو من كان ذا رحم محرم اي الذي لا يجوز له النكاح مثل العم والاخ وابن عم لم يكن محرما مثل ابن العم والمولى وما اشبههما فليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله وعلى الوارث مثل ذلك لا يجبرون على النفقة قال لا يجبر على نفقة الولد الا ذو رحم محرم وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي لا نفقة للاصل على غير الفرع ولا للفرع على غير الاصل فان كان للولد مال فاجرة رضاعه في ماله وان لم يكن له مال اجبرت امه على رضاعه اذا كان الاب توفي ولا يجبر على نفقة الولد الا الوالدان وقيل الوارث هو عصبته كائنا من كان من الرجال دون النساء مثل الجد والاخ وابنه والعم وابن العم ونحوهم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومذهب سفيان ان الرضيع اذا لم يكن له مال اجبرت العصبة الذين يرثونه على ان يسترضعوه وقيل المراد وارث المولود له وهو الرضيع وجب عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل المراد بالوارث الباقي من الابوين بعد وفاة الآخر منهما عليه مثل ما كان على الاب من اجرة الرضاع والنفقة والكسوة من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا اي واجعله الباقي منا اول الدعاء المأثور اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا اي اجعل ثارنا على من ظلمنا اي اجعل كل واحد من المذكورات في انعمه لنا مدة الحياة كانه باق بعد الموت وقيل معنى جعله الوارث اي اجعل كل واحد من السمع والبصر صحيحا سليما الى ان نموت وقيل اراد بقاءهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقي بعدها قيل ومن اسماء الله تعالى الوارث وهو الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم قوله فان ارادا يعني الوالدين فصالا اي فطاما قبل الحولين او بعدهما واصل الفصل القطع يقطعا لا صادرا عن تراض منهما بدا تفاق عليه وتشاور وهو استخراج الرأي واصله من شرت الدابة وشورتها اذا اختبرت ما عندها من الجري والشوار متاع البيت لانه يظهر للناظر والاشارة اخراج ما في نفسك واظهاره للمخاطب بالنطق وبغيره فلا جناح عليهما فيما زاد على الحولين او نقص وقيل المراد من الآية ان الفطام قبل الحولين جائز لانه تعالى لما بين ان الفطام عند تمام الحولين كان دليلا على جواز الزيادة على الحولين وان كان كذلك بقيت هذه الآية دالة على جواز الفطام قبل تمام الحولين فقط وجه الاول ان الولد قد يكون ضعيفا فيحتاج الى الرضاع ويضره قطعه كما يضره ذلك قبل الحولين فجيء بان المضرة في الفطام بعد الحولين نادر ومحمل الكلام على المعهود متعين هنا لاية دالة على ان الفطام قبل حولين لا يجوز الا عند تراض من الوالدين وتشاور ومراجعة التجارب لان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفصال والاب ايضا قد يمل عطاء الاجر على الارضاع فقد يحاولان الفصال دفعا لذلك لكنهما قل ان يتفقا على الاضرار بالولد لغرض النفس ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما وعند ذلك يبعد ان يحصل موافقة الكل على ما يكون فيه الاضرار بالولد وعند اتفاق الكل يدل على ان الفطام قبل الحولين لا يضره البتة فانظر الى لطف الله تعالى واحسانه في حق الولد الصغير كم شرط في جواز فطامه دفعا للمضار عنه ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالاذن بل قال فلا جناح عليكم وهذا يدل على ان الانسان كلما كان اكثر ضعفا كانت رحمة الله تعالى اكثر وعنايته به اشد قوله وان اردتم ان تسترضعوا منقول من رضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة فاذا ذكر من استنجحته وكذلك كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة من الاخرى قال الواحدي اي تسترضعوا لاولادكم مراضع غير الوالدة حذف اللام اكتفاء بدلالة الاسترضاع لانه لا يكون الا للاولاد فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف اي اذا سلمتم الى الامهات اجرتهن بمقدار ما ارضعن وقيل اذا سلمتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرأ ابن كثير اتيتم بالمعروف ابن كثير اتيتم بالقصر من قولهم احسانا اتيت اي فعلته ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع

من اهنا المكون ليكون تطييبا للنفس رضية فيكون ذلك اصلح لشان الصبي واحتياطا لامره فامر بان يتاجروا ما ينكحهم اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجر مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن ثم اوصى بالتقوى فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد لانه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم لانه بصير بها قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير يتوفون يقبضون ويموتون واصل التوفي اخذ الشيء وافيا يقال توفيت الشيء واستوفيته اي والذين يتوفون منكم ويذرون بعدهم اسقط تعبيرهم اسقطت لظهوره كما في السمن منوان بدرهم وقيل التقدير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا ازواجهم يتربصن واضمار المبتدأ ليس بغريب قال الله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم النار اي هو النار وقد اضماره قال الله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل قوله ويذرون ازواجا اي يتركون ولا يستعمل منه الماضي ولا المصدر مثل يدع وقوله يتربصن بانفسهن اي يتربصن بعدهم ويتركن ازواجا اي نساء تعتدون اربعة اشهر وعشرا ذكر العشر بلفظ التانيث والمراد بها الايام تغليبا لليالي على الايام وذلك لان ابتداء الشهر يكون بالليل يقال صمنا خمسا من الشهر فيغلبون الليالي على الايام لان ليلة كل يوم قبله وابتداء العدة من حين وفاة الزوج لان السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التي لا علم لها يكون في انقضاء عدتها مثل المدة وقيل سببها العلم بالوفاة فما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا بانه تعالى قال يتربصن بانفسهن ويتربصن بانفسهن لا يحصل الا اذا قصدن هذا التربص والقصد الى التربص لا يحصل الا مع العلم بذلك وقيل انما حد العدة بهذا العدد لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة فاذا بلغن اجلهن اي فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء في تخلية سبيلهن ليفعلن في انفسهن بالمعروف لما يريدن من تزوج الاكفاء يرون ان يتولوا ذلك بالمعروف وقيل فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن فان فرطوا كان عليهم الجناح والمراد من تربصها بنفسها الامتناع من الخروج عن المنزل الذي توفي زوجها فيه والامتناع من التزين وهذا اللفظ كالمجمل لانه ليس فيه بيان انها تتربص في اي شيء الا ان النقل الامتناع عن النكاح مجمع عليه واما الامتناع عن الخروج عن المنزل فواجب الا عند الضرورة والحاجة واما ترك التزين فهو واجب لما روي عن عائشة وحفصة امي المؤمنين رضي الله عنهما لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تفتي المتوفى عنها زوجها ان لا تلبس معصفرا ولا تلبس البياض ولا تتزين ولا تلبس حليا ولا تكتحل بالاثمد ولكنها تكتحل بالصبر وما يشاكلها من الاكحال سوى الاثمد بما ليس فيه طيب وعن ام سلمة ان امرأة من قيس جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها حتى خفت على عينيها وهي تريد الكحل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت احداكن تلبس اطمار ثيابها وتجلس في احلس بيوتها وتمكث حولا في بيتها فاذا كان الحول خرجت فرمت بكلب ببعرة افلا اربعة اشهر وعشرا وقال الشعبي والحسن هو غير واجب لان الحديث يقتضي حل الاحداد لا وجوبه واحتجوا بما روي عن اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت وهذه العدة واجبة في كل امرأة مات عنها زوجها الا في صورتين احديهما ان تكون امة فانها تعتد عند اكثر الفقهاء بنصف عدة الحرة وقال ابو بكر الاصم عدتها عدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وايضا الله تعالى جعل وضع الحمل في حق الحامل بدلا عن هذه المدة فيجب ان يشترك فيه وسائر الفقهاء قالوا التنصيف في هذه المدة ممكن وفي وضع الحمل غير ممكن فظهر الفرق وثانيهما ان تكون المرأة حاملا فان عدتها تنقضي بوضع الحمل فاذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة وعن علي رضي الله عنه انما تتربص بابعد الاجلين والدليل عليه والسنة اما القرآن فقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن الناس من جعل هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا والشافعي رضي الله عنه لم يقل بذلك لوجهين الاول ان كل واحدة من الآيتين اعم من الاخرى من وجه واخص من وجه آخر لان الحامل قد يتوفى عنها زوجها وقد لا يتوفى كما ان التي يتوفى عنها زوجها قد تكون حاملا وقد لا تكون واذا كان كذلك امتنع جعل احدى الآيتين مخصصة للاخرى والثاني ان قوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ورد عقيب ذكر المطلقات لا في المتوفى عنها زوجها فلهذين السببين لم يعول الشافعي في هذا الباب على القرآن وانما عول على السنة وهي ما روى ابو داود باسناده ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية كانت تحت سعد بن خولة فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فلما طهرت من دمها تجملت للخطاب فقال لها ابو السنابل ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالت فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي ذكر هذا هنا فلا تفاوت في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة واذا تمت اربعة اشهر وعشرا انقضت عدتها اذا لم يعد لها من الحيض وقال مالك لا تنقضي عدتها حتى ترى عادتها من الحيض في تلك الايام مثلا ان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها اربع حيض وان كان عادتها ان تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كان عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة فعليها الشهور وقال الشافعي ان الآية دلت على ان المتوفى عنها زوجها عدتها اربعة اشهر وعشر ولم يزد عليها فتكون كافية ثم قال

انها اذا ثبتت استبرأت نفسها من الريبة كما انه ذات الاقراء بانه يجب عليها ان تحتاط قال اما الزوج فان كان
بقي من شهر الوفاة اكثر من عشرة ايام فالشهر الثاني والثالث والرابع يوخذ بالاهلة سواء خرجت ناقصة او كاملة ثم يكمل الشهر
الاول بالخامس ثلثين ثم تضم اليه عشرة ايام وان مات وبقي من الشهر اقل من عشرة ايام اعتبر اربعة اشهر بعد ذلك بالاهلة
ويكمل العشر من الشهر السادس واجمع الفقهاء على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت متقدمة في التلاوة
غير ابي مسلم الاصفهاني فانه لم ينسخها ولا تقدم في التلاوة لا تمنع التاخر في النزول اذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب النزول
احتج من قال ان الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشرايع بقوله تعالى والذين يتوفون منكم فان الخطاب مع المؤمنين فقط اجيب
بان المؤمنين لما كانوا هم العاملين بذلك خصهم بالذكر كقوله انما انت منذر من يخشاها قيل قوله تعالى فيما فعلن في انفسهن
دال على وجوب الاحداد فان ظاهره يقتضي ان يكون الملامة ما تنفرد المرأة بفعله والنكاح ليس كذلك فانه لا يتم
الا مع الغير فتعين حمله على ما يتم بالمرأة فقط من التزين والتطيب وغيرهما وتمسك الحنفية بهذه الاية في جواز النكاح
بغير ولي فان قوله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن يدل عليه لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة
حقيقة وتمسك اصحاب الشافعي في ان هذا النكاح لا يصح الا بولي بان قوله لا جناح عليكم مع الاولياء اي لا اثم عليكم في ان
العقد لا يصح الا من الولي وانما صار الولي مخاطبا قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم ● ولا جناح عليكم يا
معشر الرجال والتعريض لغة ضد التصريح ماخوذ من عرض الشيء وهو جانبه يقال اضرب به عرض الحائط كانه يحوم حوله
ولا يظهره والتعريض قد يسمى تلويحا والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية ان يذكر لازم الشيء وتريد الملزوم كقولك
فلان طويل النجاد كثير الرماد والتعريض ان تذكر كلاما ظاهرا في معنى وتقصد به غير معناه الظاهر ولكن لا يفهم المقصود
الا بالقرائن كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم
مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده والخطبة التماس النكاح وهو مصدر
قولك خطب الرجل يخطب خطبة وخطبا قيل ان الخطبة من الخطب الذي هو الامر والشان يقال ما خطبك اي ما شانك
فقولهم خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشانا في نفسها وقيل من الخطاب الذي هو الكلام يقال خطب المرأة خطبة لانه
خاطب في عقد النكاح وخطب خطبة اي خاطب بالزجر والوعظ والخطب الامر العظيم لانه يحتاج فيه الى خطاب عظيم
كثير والنساء في حكم الخطبة على ثلثة اقسام التي يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي التي تكون خالية عن الازواج والعدة
لانه لما جاز نكاحها في هذه الحالة جاز خطبتها بطريق الاولى نعم يستثنى عنه صورة وهي ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يخطبن احدكم على خطبة اخيه وفيه ثلثة اقوال الاول اذا خطب امرأة فاجيب صريحا لا يحل لغيره خطبتها الحالة
الثانية اذا وجد صريح الاباء من الاجابة يحل لغيره الخطبة الثالثة اذا لم يوجد صريح الرضى ولا صريح الرد للشافعي قولان
احدهما انه يجوز للغير الخطبة لان السكوت لا يدل على الرضى والثاني انه لا يجوز لان السكوت وان لم يدل على الكراهة
فربما كان لرغبة خاصة من بعض الوجوه فتصير الخطبة الثانية مزيلة لذلك القدر من الرغبة القسم الثاني التي لا يجوز
خطبتها لا تصريحا ولا تعريضا وهي اذا كانت منكوحة للغير لان خطبته اياها ربما صار سببا لتشويش الامر على زوجها
من حيث انها اذا علمت رغبة الخاطب فربما حملها ذلك على الامتناع من تادية حقوق الزوج والتسبب الى هذا حرام وكذا
الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد عنه عدة الوفاة ويتوارثان القسم الثالث
التي يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية وهي ايضا على ثلاثة اقسام القسم الاول التي تكون
في عدة الوفاة فيجوز خطبتها تعريضا لا تصريحا اما جواز التعريض فلقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء فظاهرها انها المتوفى عنها زوجها لان هذه الاية مذكورة عقيب تلك الاية اما انه لا يجوز التصريح فقال الشافعي
رضي الله عنه لما خصص التعريض بعدم الجناح وجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح
بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فلا يؤمن ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء
العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب القسم الثاني المعتدة من الطلقات الثلث
قال الشافعي في الام ولا احب التعريض لخطبتها وقال في الاملاء والقديم يجوز لانها ليست في النكاح فاشبهت
المعتدة عن الوفاة يؤمن عليها بسبب الخطبة من الخيانة في امر العدة فان عدتها تنقضي بالاشهر اما ههنا تنقضي
بالاقراء فلا يؤمن عليها الخيانة بسبب رغبتها في هذا الخاطب وكيفية الخيانة هي ان تخبر بانقضاء عدتها
القسم الثالث البائن التي يجوز لزوجها نكاحها في عدتها وهي المختلعة والتي انفسخ نكاحها بعيب او عنة او اعسار
نفقة فهاهنا لزوجها التصريح والتعريض لانه لما كان له نكاحها في عدتها فالتصريح اولى واما غير الزوج فلا شك
فانه لا يحل له التصريح وفي التعريض قولان احدهما يحل كالمتوفى عنها زوجها والمطلقة ثلثا والثاني وهو الاصح انه لا يحل
لان المعتدة يحل للزوج ان يستبيحها في عدتها فلم يحل التعريض لها كالرجعية وتعريض الخطبة المذكور في الاية هو ان
تقول لها وهي في العدة انك لجميلة او صالحة او نافعة وان من غرضي ان اتزوج وان قلبي لراغب [illegible]
وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ولعل الله ان يسوق اليك خيرا ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها
حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وقيل

لا باس ان يتكلم او يتقوم بشغلها في العدة وروى ابن مبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته سكينة بنت حنظلة قالت دخل
علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال يا بنت حنظلة قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي وقدمي
في الاسلام فقلت غفر الله لك يا ابا جعفر اتخطبني وانا في عدتي وانت يؤخذ عنك العلم فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي منه قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها
ابي سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها زوجها فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر لها منزلته من الله
وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده فما كانت تلك خطبة قوله او اكننتم اي سترتم واضمرتم في انفسكم
فلم تذكروه بالسنتكم لا تعريضا ولا تصريحا اي اضمرتم خطبتهن ونكاحهن يقال كننت الشيء واكننته قيل اكننت الشيء اخفيته في نفسي
وكننته سترته قال الكلبي هو ان يدخل فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن
النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولكن لا تواعدوهن
سرا والمستدرك محذوف لدلالة قوله ستذكرونهن عليه فتقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الجماع لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا
ثم عبر بالسر عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح قال بعضهم هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من اجل
الريبة وهو يعرض بالنكاح فيقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهى الله عز وجل عن ذلك وقيل هو ان يقول
الرجل للمرأة لا تفوتي بنفسك فاني ناكحك وقيل لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره وقيل لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة
الجماع فيقول اتيتك الاربعة والخمسة واصل السر ما اخفيته في نفسك فاستعمل النكاح والزنا والجماع سرا لانه يكون
بين الرجل والمرأة في خفاء ويقال للفرج ايضا سر لانه لا يظهر ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال الا ان تقولوا قولا معروفا وهو
ان تعرضوا ولا تصرحوا وجاز الاستثناء متعلق بقوله لا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير
منكرة او لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض
والتعريض غير موعود وقيل معنى قوله ولكن لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما
يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني غير رفث ولا فحش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر يعني
ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره قوله ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر
العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا
تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل قال الواحدي اي لا تصححوا عقدة النكاح يعني لا تتزوجوا المعتدة حتى يبلغ الكتاب
والفرض من العدة اجله اي اخر المدة اي حتى تنقضي العدة وانما سماها كتابا لانها فرض من الله كقوله تعالى كتب عليكم الصيام وقال
الزجاج الكتاب القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب يعني ما فرض في القرآن من العدة والاجل المضروب لها واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه خافوه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة قوله
تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ● نزلت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم
لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فانزل الله هذه الاية المطلقات اربع احدها المطلقة التي تكون مفروضا لها ومدخولا
بها وقد ذكر الله تعالى فيما تقدم احكام هذا القسم وهو انه لا يؤخذ منهن على الفراق شيء على سبيل الظلم ثم اخبر ان لهن كل
المهر وان عدتهن ثلثة قروء الثانية المطلقة التي تكون مفروضا لها المهر ولكن لا تكون مدخولا بها وهي المذكورة في الاية
التي بعد هذه الاية وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الثالثة المطلقة التي تكون مدخولا بها ولكن لا يكون
مفروضا لها وحكم هذا القسم مذكور في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن الرابعة المطلقة التي لا يكون
مفروضا لها ولا مدخولا بها وهو الذي ذكره سبحانه في هذه الاية وذكر انه ليس لها مهر وان لها المتعة بالمعروف واعلم ان عقد
النكاح يوجب بدلا على كل حال ثم البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان البدل مذكورا فان حصل الدخول استقر
كله وهذا هو حكم المطلقات اللاتي ذكرهن قبل هذه الاية وان لم يحصل الدخول سقط نصفه بالطلاق وهذا
هو حكم المطلقات اللاتي ذكرهن الله تعالى في الاية التي بعدها وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فهي هذه
المطلقة التي ذكر الله حكمها في هذه الاية وحكمها انه لا مهر لها ولا عدة عليها ويجب المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور
في هذه الاية الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل ولنرجع الى تفسير الاية قوله لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن ما لم تجامعوهن قرأ حمزة والكسائي تماسوهن بالالف على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه
ويتماسان جميعا وله شاهد قوله تعالى من قبل ان يتماسا وقرأ الباقون تمسوهن بغير الف لان الغشيان انما هو من فعل الرجل
شاهده قوله تعالى حكاية عن مريم ولم يمسسني بشر قال الزجاج اعلم الله في هذه الاية ان عقد التزويج بغير مهر جائز وانه
لا اثم على من طلق من تزوج بها بغير مهر كما انه لا اثم على من طلق من تزوج بمهر وقيل ما الوجه في نفي الجناح عن المطلق وهل على
الرجل جناح لو طلق قبل المسيس اجيب بانه روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال اقوام يلعبون بحدود الله يقولون
طلقتك راجعتك وقال صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وقال

صلى الله عليه وسلم ابغض الاشياء الى الله الطلاق وقال ان الله يبغض كل مطلاق ومذواق فلما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ظنوا انهم يأثمون في ذلك فاخبر الله تعالى انه لا جناح في تطليق النساء اذا كان على الوجه
المستحب وربما كان الفراق انفع من الامساك وقيل لا جناح عليكم اي تبعة عليكم من ايجاب مهر او لا يجب المهر على من طلق
قبل الدخول او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا لهن فريضة وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك
ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف المهر ولكن المتعة
والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اثبت
للجناح المنفي ثمة فلما كان المثبت هاهنا هو لزوم المهر وجب ان يقال الجناح المنفي هناك هو لزوم المهر فان اصل الجناح في اللغة
الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها والذنب يسمى جناحا لما فيه من الثقل قال الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ولزوم المال ثقل فكان جناحا واعلم ان هذه الآية مشتملة على بيان حكم ثلثة اقسام من الاربعة المذكورة فانها
افادت ان المطلقة لا مهر لها اذا لم تكن ممسوسة ولا مفروضا لها وعلم منها انها اذا لم تكن ممسوسة لا مفروضا لها وعلم
منها انها اذا كانت ممسوسة ولم تكن مفروضا لها ولم تكن ممسوسة ومدخولا بها حكمه مذكور في الآيات المتقدمة قوله
او تفرضوا اي تقدروا لهن مقدارا من المهر توجبونه على انفسكم لان الفرض في اللغة التقدير ومتعوهن او قدره ومتعوهن
واعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمطلقة قبل الجماع وقبل تسمية المهر مستحقة للمتعة بالاجماع ولا مهر لها والمتعة
والمتاع ما يتبلغ به من الزاد على الموسع الذي له سعة وهو الغني قدره وعلى المقتر الضيق الحال الفقير قدره اي مقداره
الذي يطيقه لانه ما يطيقه هو الذي يخصه قرأ حمزة والكسائي بفتح الدال فيه من الغاية والباقون بسكونه
وهما لغتان وقد نطق بهما القرآن فمن التحريك فسالت اودية بقدرها ومن التسكين وما قدروا الله حق قدره وتقول العرب
القصها القدر بالفتح ومنهم من يقول القصها والقدر بالسكون المصدر وبالفتح الاسم متاعا نصب على المصدر
اي متعوهن متاعا بالمعروف بما يعرفون انه القصد وقدر الامكان ويقال بما امركم الله به من غير ظلم وسطل حقا صفة لمتاعا
اي واجبا عليهما او نصب على المصدر اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل
الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه اختلف العلماء في متعة المطلقة غير المذكورة فقال
قوم لكل مطلقة متعة كاينة من كانت وعلى اي وجه وقع الطلاق فالمتعة واجبة تقضى بها من مال المطلق كما يقضى
بها من مال المطلق كما يقضى عليه بسائر الديون الواجبة عليه سواء دخل بها او لم يدخل بها فرض لها او لم يفرض اذا كان الطلاق
من جهته فان كان الفراق من قبلها فلا متعة لها ولا مهر لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين واوجب المتعة
بجميع المطلقات ولم يفرق ومعنى الآية على هذا القول ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة او لم تفرضوا لهن فريضة لان كل منكوحة اما هي احدى ثنتين اما مسمى لها الصداق او غير مسمى فعلم بالذي
يتلو ان ذلك من قوله او لم تفرضوا لهن فريضة ان المتعة بقوله لا جناح عليكم ان طلقتم النساء المفروضات لهن
من قبل ان تمسوهن وغير المفروض لها اذ لا معنى لقول القائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تفرضوا لهن فريضة لم
تفرضوا لهن فريضة ثم قال ومتعوهن الجميع وقال آخرون المتعة واجبة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها اذا طلقت
قبل الدخول فانه لا متعة لها فانما لها نصف الصداق المسمى وهو مذهب الشافعي وقول ابن عمر ونافع وعطاء ومجاهد
وعلى هذا معنى الآية لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الا لغة زائدة كقوله تعالى او يزيدون
وقال الزهري والذين سوى الطائفة الاولى الآية ان الجناح هو المهر والمعنى لا تبعة عليكم من ايجاب المهر ان طلقتم النساء قبل
المسيس الا ان تفرضوا لهن المهر قبل الطلاق فحينئذ يجب عليكم نصف المهر ثم بين حكم اللاتي طلقتموهن قبل المسيس ولكن
لهن مهر فمتعوهن فعلم ان المطلقات قبل المسيس اللاتي لم يفرض لهن المتعة ولم يحتج الى ان يجعل الا لغة زائدة وقال الزهري
متعتان يقضي باحديهما السلطان ولا يقضي في الاخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله فاما التي يقضي بها السلطان فهو من
طلق قبل ان يفرض لها ويدخل بها فانه يؤخذ بالمتعة وهو قوله حقا على المحسنين واما التي تلزمه فيما بينه وبين الله ولا يقضي
بها السلطان فهي من طلق بعد ان دخل بها وفرض لها وهو قوله حقا على المتقين وقال بعضهم ليس في شيء من ذلك
بواجب واما المتعة احتياطا فالامر بها امر ندب واستحباب لا امر فرض وايجاب روي ان رجلا طلق امرأة
وقد دخل بها فخاصمته الى شريح في المتعة فقال شريح لا تأب ان تكون من المحسنين ولا تأب ان تكون من المتقين ولا تأب
ان تكون من المتقين ولم يجبر على ذلك واختلفوا في قدر المتعة ومبلغها فقال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة
اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية او شيء من الورق وهذا مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها
ثوب واقلها اقل ماله ثمن قال الحسن ثلثون درهما وكان شريح يمتع بخمسمائة درهم ومتع عبد الرحمن بن عوف امرأة
حين طلقها بجارية سوداء والحسن بن علي رضي الله عنهما متع امرأة له بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وقال ابو حنيفة درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل
ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والصحيح ان الواجب من ذلك على قدر عسر الرجل
ويسره كما قال عز وجل ولو كان المعتبر فيه المهر لكان يقول ومتعوهن على قدرهن وقدر نصف مهر مثلهن فلما قال على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره دل على ان المعتبر فيه حال الزوج لا حال المرأة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج
امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال امتعها بقلنسوتك قال صاحب الكشاف

يجب لها المهر وانها اذا كانت مفروضا لها

وقيل القدر والسكون

دعنده

وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وهي مستحبة لسائر المطلقات [illegible]
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم [illegible]

[illegible]

كما يعبر عن الجماع فانهم يستعملون الكناية حيث لا يمكنهم التصريح بالوطء ولهذا تارة يعبر عنه بالجماع واخرى بالتنحي والمسيس وغير ذلك
قوله وقد فرضتم لهن فريضة حال اي وقد طلقتموهن وقد فرضتم لهن فنصف ما فرضتم اي فالواجب عليكم نصف ما فرضتم اي فلم يسقط النصف المهر وقد
ليكن ان سميتم لهن المهر الا ان يعفون اي المطلقات فلا يأخذن شيئا والفعل للنساء يعفون والواو
في الاول ضمير الرجال الذي هو الفاعل والنون علم الرفع تسقط عند دخول الناصب والجازم والواو في الثاني لام الفعل
والنون ضمير النساء الذي هو الفاعل والفعل مبني لا اثر للعامل في لفظه سواء كان ناصبا او جازما وهو في محل النصب
بدخول الناصب ويعفو منصوب معطوف على محله او الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج يعني الا ان تعفو المطلقة
عن النصف الواجب عليه اذا لم يسق لها المهر كاملا يعني المرأة ما مسني ولا استمتع بي فكيف آخذ
شيئا او يعفو الزوج عن النصف الذي يجب عليها رده ان ساق لها المهر كاملا يعني لانا احق بالعفو منها وذكر
الله تعالى عفو المرأة عن النصف الواجب لها عليه على تقدير عدم اخذ المهر وذكر عفو الزوج عن النصف الذي يجب عليها رده
على تقدير اخذها كل المهر يحتمل لها ان تعفو فلا تطالبه بشيء وللزوج ان يعفو فلا يسترد شيئا اختلف العلماء
في الذي بيده عقدة النكاح فقال بعضهم هو الولي الذي يلي عقد نكاحهن ومعنى الآية الا ان يعفون اي يهبن ويتركن
النصف فلا يطالبن الا ان يعفو به اذا كن ثيبات بالغات رشيدات جائزات الامر او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
وهو وليها فيترك ذلك النصف اذا كانت بكرا او غير جائزة الامر فيجوز عفو وليها فان كرهت ان عفت المرأة وابى الولي
فالعفو جائز وان عفى الولي وابت المرأة فالعفو جائز بعد ان لا يرتضيه وهذا قول علقمة واصحاب عبد الله وابراهيم وعطاء
والحسن والزهري والسدي وابي صالح والقاسم بن محمد وربيعة وقال عكرمة اذن الله تعالى في العفو ورضي به فان المرأة عفت جاز
عفوها فان شحت وضنت بعفو وليها جاز عفوه وهو القول القديم للشافعي وهو مذهب فقهاء الحجاز الا انهم قالوا
يجوز عفو ولي البكر واما ان كانت ثيبا فلا يجوز عفوه عليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ومعنى
الآية الا ان يعفوا النساء فلا يأخذن شيئا من المهر او يعفو الزوج فيعطيها الصداق كاملا وهذا قول علي رضي الله عنه
وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي ونافع والربيع وقتادة والضحاك ورواية عمار بن ابي عمار عن
ابن عباس رضي الله عنهما وهو مذهب اهل العراق والقول الجديد للشافعي الذي هو المذهب لانه لا يجوز للولي ان يهب شيئا
من صداقها الا باذنها ثيبا كانت او بكرا فالاجماع على ان ولي المرأة لو ابرأ زوجها من مهرها قبل الطلاق لا يجوز
فكذلك ابراؤه وعفوه بعد الطلاق والاجماع على انه لو وهب شيئا من مالها لزوجها او غيره بعد البيونة بغير اذنها
لم يكن له ذلك فكانت الهبة باطلة بالمهر لانه مال من اموالها فوجب ان يكون حكمه حكم سائر اموالها وروي ان شريحا
قال انا لو هب جارية عفا عنه عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت هذا الى الله تعالى قال لا بل هو الزوج وروي ان رجلا زوج
فطلقها زوجها قبل ان يدخل عليها فعفا اخوها عن المهر فاجازه شريح ثم قال انا اعفو عن نساء بني مرة فقال الشعبي لا والله
ما قضى شريح قضاء اردى منه ولا احمق فيه ثم ان رجع بعد شريح عن قوله وقال هو الزوج ورجع الى ان الذي
الكوفة كانوا يأتون شريحا فيخاصمونه في قوله الذي بيده عقدة النكاح حتى يجثو على ركبتيه فيقول شريح انه الزوج وعن
سعيد بن جبير هو الزوج وتروى عن طاوس ومجاهد انه الولي ثم رجعا في ذلك فرجعا من قولهما وقالا هو الزوج وروي
ان جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وتأول قوله تعالى
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فيكون وجه الآية على هذا التأويل الذي بيده عقد نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق
وبعده فلما ادخل الالف واللام حذفت الهاء المضاف اليه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى يعني مأواه قال النابغة
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس والاحلام غير عوازب يعني احلامهم وكذلك قوله عقدة النكاح عقدة
نكاحه قال الامام فخر الدين الذي بيده عقدة النكاح الزوج بان الذي بيد الولي عقد النكاح فاذا عقد حصلت العقدة
لان بناء الفعلة يدل على المفعول كالاكلة واللقمة فاما العقدة المعقدة فالاكلة والتمرة من المعلوم ان العقدة الحاصلة بعد
العقد في يد الزوج لا في يد الولي قال صاحب الكشاف الظاهر ان الولي كان تسميته الزيادة على الحق عفوا فيها تفصد

الا انه قال لكانا لغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها
فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص
فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما طلقها بعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده
قيل له لم بعثت بالصداق قال فاين الفضل قوله وان تعفوا خطاب للرجال والنساء جميعا غلب التذكير وموضعه
الرفع بالابتداء وخبره اقرب واللام في للتقوى بمعنى الى والمعنى عفو بعضكم عن بعض اقرب الى التقوى لان من سمح بحق
حقه فهو محسن ومن سمح يستحق الثواب فيتقي به العقاب ولان العفو ينبغي ان ... لما كان منها اشد
تجنبا ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وليس المراد
النهي عن النسيان لان ذلك ليس في الوسع بل المراد به الترك اي لا تتركوا الفضل ... النصف الذي له ان يسترده على تقدير
السوق اليها وترك المرأة النصف الذي لها ان تطالبه به على تقدير عدم السوق اليها ... الزوج والمرأة
على التفضيل والاحسان وامرهما جميعا ان يستبقا الى العفو فان الرجل اذا تزوج بالمرأة فقد تعلق قلبها به فاذا
طلقها قبل المسيس تأذت منه وان المرأة اذا كلفته ان يعطيها ... من غير ان ينتفع بها البتة صار ذلك سببا
لتأذيه منها فندب الله تعالى كل واحد منهما الى ما يزيل التأذي عن قلب الآخر فندب الزوج الى تطييب قلبها بان لا يسترد
منها شيئا وندب المرأة الى تطييب قلبه بان لا تأخذ منه شيئا ثم ختم الآية بما يفيد الوعد على الاحسان والوعيد على
الاساءة على تبيين عادته فقال ان الله بما تعملون بصير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا
لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ● لما بين الله تعالى
للمكلفين الاحكام المتعلقة بمصالح الدنيا امرهم بعد ذلك بالمحافظة على المصالح التي هي من مصالح الاخرى حافظوا
على الصلوات اي واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وجميع ما يجب فيها من شرائطها اعني طهارة
البدن والثوب والمكان وستر العورة واستقبال القبلة واركانها من قيامها وقراءتها وركوعها وسجودها وقعودها
وتشهدها وبالاحتراز عن مبطلاتها سواء كانت من اعمال القلوب او من اعمال اللسان او من اعمال الجوارح والاهم
رعاية النية فانها هي المقصود الاصلي قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمحافظة لا تكون الا بين اثنين
اما بين الله وبين العبد وبين الصلوة فكأنه قيل احفظ الصلوة يحفظك الله الذي امرك بالصلوة ومنه قوله
اذكروني اذكركم واما بين العبد والصلوة فكأنه قيل احفظ الصلاة وحفظ الصلاة للمصلي من الفحشاء والمنكر
قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن البلايا والمحن قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة والصلاة
الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم الافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلاة لانفرادها
بالفضل واختلف العلماء في الصلاة الوسطى فذهب بعضهم الى ان الله لم يبين ان الصلاة الوسطى ما هي لانه لم يبين
بطريق قطعي لا في هذه الآية ولا في خبر متواتر وهذا ظاهر والطريق الظني ان خبر الواحد والقياس لا يفيد الا الظن والمسألة
لا تكون علمية حتى يفيد الطريق الظني والسر فيه ان الله تعالى لما خصها بمزيد التوكيد مع انه لم يبينها جوز في كل صلاة انها
هي الوسطى فيكون ذلك داعيا الى المحافظة على الكل على نحو ما اخفى الله تعالى ليلة القدر في رمضان
واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة والاسم الاعظم في جميع الاسماء واخفى وقت الموت ليكون المكلف خائفا في كل الاوقات
تائبا فيها عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات تصبها وعن الربيع
انه سأل واحد عنها فقال يا ابن عم الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال الربيع ارأيت
لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال لا فقال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت
على الوسطى وقال بعضهم ان الوسطى هي مجموع الصلوات الخمس لان هذه الخمس هي الوسطى من الطاعات وتقريره ان
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فهي واسطة
بين الطرفين وقال بعضهم انها صلاة الصبح وهو قول علي ومعاذ بن جبل وابن عباس وابن عمر وجابر ومن التابعين عطاء وعكرمة
ومجاهد لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل ولانها تصلى في الغلس فاولها يقع في الظلام فاشبهت صلاة
الليل وآخرها يقع في الضوء فاشبهت صلاة النهار ولانها تؤدى بعد طلوع الصبح وقبل طلوع الشمس وهذا القدر
من الزمان لا يكون الظلمة فيه تامة ولا يكون الضوء ايضا تاما فكأنه ليس بليل ولا نهار فكان متوسطا بينهما
قيل هذه المعاني حاصلة في صلاة المغرب اجيب بان ترجيح الصبح بكثرة فضائل صلاة الصبح ولان الظهر والعصر
يجمعان في وقت واحد وكذا المغرب والعشاء وصلاة الفجر منفردة بوقت واحد فكان وقت الظهر والعصر وقتا
واحدا ووقت المغرب والعشاء وقتا واحدا ووقت الفجر متوسط بينهما ولان الله تعالى
قال ان قرآن الفجر كان مشهودا وقد ثبت بالتواتر ان المراد منه صلاة الفجر وانما جعلها مشهودا لانها تؤدى
بحضرة ملائكة الليل والنهار فضل تلك الآية وجب ان تكون هي المراد بالتأكيد المذكور في هذه الآية ولان
الملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فلا يجتمع ملائكة الليل والنهار في وقت واحد الا في صلاة الفجر فثبت ان صلاة
الفجر متوسطة بين الليل والنهار ولانه تعالى قال بعد ذكر الصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين قرن هذه
الصلاة بذكر القنوت وليس في الشرع صلاة يقنت فيها بالاخبار الصحيحة الا في الصبح فدل على ان المراد بالصلاة
الصلاة الوسطى صلاة الصبح ولان الله تعالى انما افردها بالذكر لاجل التوكيد وصلاة الصبح احوج الصلوات الى

التأكيد

التأكيد لانها اشق منها فانها تجب على الناس في اثقل الاوقات عليهم حتى ان العرب كانوا يسمون نوم الصبح العسيلة الذي تهواه
انفسهم لشدة اللذة التي يجدونها في ذلك الوقت واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد والتأهب للصلاة شاق صعب على النفس
فيجب ان يكون هي المرادة بالصلاة الوسطى اذ هي اشق الصلوات واحوجها الى التأكيد ولان صلاة الصبح افضل الصلوات فيجب
ان تكون هي الصلاة الوسطى والذي يدل على انها افضل الصلوات وجوه منها ان الله تعالى ختم طاعاتهم الشريفة وعباداتهم
الكاملة بذكر كونهم مستغفرين بالاسحار حيث قال الصابرين والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار فوجب ان يكون
اعظم انواع الاستغفار اداء الفرض لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه لن يتقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت
عليهم فيكون افضل الطاعات بعد الايمان صلاة الصبح ومنها انه ثبت في الاخبار الصحيحة ان صلاة الصبح مخصوصة
بالاذان مرة قبل طلوع الفجر ومرة اخرى بعده لان المقصود من المرة الاولى ايقاظ الناس حتى يقوموا ويتشمروا للوضوء ومنها
ان الله تعالى سماها باسماء فانه سماها في بني اسرائيل قرآن الفجر وقال في النور من قبل صلاة الفجر وقال في الروم وحين تصبحون وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه المراد من قوله تعالى وادبار النجوم صلاة الفجر ومنها ان الله تعالى اقسم بها فقال والفجر وليال عشر
ولا يعارض هذا بقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر لانا لا نسلم ان المراد منه القسم بصلاة العصر ولئن سلم ان
المراد منه القسم بصلاة العصر لكن في صلاة الفجر تأكيد وهو قوله اقم الصلاة طرفي النهار وكما ان احد الطرفين هو
الصبح وهو واقع قبل الطلوع فالطرف الآخر هو المغرب لانه هو الواقع بعد الغروب فقد اجتمع في الفجر القسم به مع التأكيد
بقوله اقم الصلاة طرفي النهار ومنها ان التثويب في اذان الصبح معتبر وهو ان يقول بعد الفراغ من الحيعلتين الصلاة خير من النوم
مرتين ومثل هذا التأكيد لم يوجد في سائر الصلوات ولانه روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سئل عن الصلاة
الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه الصلاة الوسطى وقال بعضهم انها صلاة الظهر وهو قول
عمر وزيد وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعها في وقت القيلولة
وشدة الحر في المبالغة اليه وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلاة
على اصحابه وربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلاة
بيوتهم فنزلت هذه الآية ولان صلاة الظهر تقع وسط النهار وليس في المكتوبات صلاة تقع في وسط الليل او النهار غيرها
ولانها بين البردين برد الغداة وبرد العشي ولانها اول صلاة فرضت واول صلاة توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه الى الكعبة وهي التي ترفع فيها الدعوات ولان صلاة الجمعة اشرف الصلوات وهي صلاة الظهر وقال بعضهم انها صلاة العصر
وهو مروي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة
لما روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله
بيوتهم وقبورهم نارا وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسألة وفي صحيح مسلم شغلونا
عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ولانه روي في صلاة العصر من التأكيد ما لم يرو في غيرها قال صلى الله عليه وسلم من فاته
صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وايضا اقسم الله به فقال والعصر ان الانسان لفي خسر فدل على ان احب الساعات اليه
ولان العصر بالتأكيد اولى لان المحافظة على سائر الصلوات اخف واسهل من المحافظة على وقت صلاة العصر والسبب فيه ان
وقت صلاة العصر اخفى الاوقات لان دخول صلاة الصبح بطلوع الفجر الصادق ودخول الظهر بظهور الزوال ودخول المغرب
بغروب القرص ودخول العشاء بغروب الشفق وصلاة العصر لا يظهر وقتها الا بنظر دقيق وتأمل عظيم في حال الظل فلما كانت
معرفته اشق لا جرم كانت الفضيلة فيها اكثر ولان الناس عند العصر يكونون مشتغلين بالمهمات فكان الاقبال على الصلاة
اشق فكان صرف التأكيد الى هذه الصلاة اولى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة الوسطى العصر وفي
الاخبار وهي التي فرط فيها سليمان عن البراء بن عازب قال نزلت حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فهي صلاة العصر قال لا ادري
كيفية النسخ كيف نسخها عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي عنها انها قالت لكاتب مصحفها اذا بلغت مواقيت
الصلاة فاخبرني حتى اخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
صلاة العصر وعن عروة بن الزبير قال كان في مصحف عائشة رضي الله عنها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة
العصر ولان العصر متوسطة بين صلاتين نهاريتين وصلاتين ليليتين ولانها بين صلاتين بالنهار وصلاتين بالليل وقال بعضهم
انها صلاة المغرب لانها بين بياض النهار وسواد الليل وهذا المعنى وان كان في الصبح الا ان المغرب ترجح بوجه آخر وهو انه ازيد
من ركعتين كما في الصبح واقل من الاربع كما في الظهر والعصر والعشاء فهي وسط في الطول والقصر ولان صلاة الظهر هي
الصلاة الاولى لابتداء جبريل فيها بالامامة فيكون الوسطى هي المغرب وقال بعضهم انها صلاة العشاء لانها متوسطة
بين الصلاتين لا يقصران وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى العشاء الآخرة في جماعة
كان كقيام نصف ليلة ولما كانت دلائل هذه الاقوال الظنية متعارضة في القوة والضعف وترجح بعضها على بعض لا يخلو
عن تكلف وتعسف اعرضنا عنه وقد استدل بهذه الآية على ان الوتر ليس بواجب والا لكانت الصلاة الواجبة ستا فلا يكون
لها وسطى والآية دلت على حصول الوسطى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون المراد بالوسطى ... في الفضيلة او في الزمان او في
الصفة والاولى ان يستدل على عدم وجوب الوتر بما روي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال جاء رجل من اهل
نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم خمس

صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرهن قال لا الا ان تطوع قال فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح الرجل ان صدق وقوموا لله قانتين قال الزجاج القنوت العبادة والدعاء لله في حال القيام ويجوز ان يقع في سائر الطاعات لانه ان لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قانتين مطيعين وقال مقاتل والكلبي لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم مطيعين وقوموا لله في الصلاة ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان يذكر الله قائما وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو طاعة وعن مجاهد القنوت الخشوع والركود وخفض الجناح وسكون الاطراف من رهبة الله وروي انه اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا الا ناسيا ما دام في صلاته قوله فان خفتم اي عدوا او سبعا او غيرهما فصلوا رجالا او ركبانا جمع راجل مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب وقائم وقيام وجمع رجل كشبع وسباع يقال رجل رجل اي يمشي بالرجل وركبانا جمع راكب مثل فارس وفرسان ومعنى الاية فان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين الصلاة حقها فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على ظهور دوابكم واعلم انه اذا التحم القتال فلم يمكن لاحد ترك القتال فمذهب الشافعي انهم يصلون مشاة على اقدامهم او ركبانا على دوابهم الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح اذ لا ضرورة فيه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر واحتج الشافعي بهذه الاية من وجهين الاول ان ابن عمر رضي الله عنهما قال فرجالا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها قال نافع لا ارى ابن عمر ذكر ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان الخوف الذي يجوز معه الصلاة مع الرجل والمشي ومع الركوب والركض لا يمكن معه المحافظة على الاستقبال فصار قوله فرجالا او ركبانا يدل على الرخصة في ترك التوجه وترك الركوع والسجود الى الايماء لان مع الخوف الشديد من العدو لا يأمن الرجل على نفسه ان وقع في مكان ان لا يتمكن من الركوع والسجود ولنتكلم فيما يسقط عنه عند الخوف وفيما لا يسقط فنقول ان الصلاة لا تتم الا بفعل القلب الذي هو النية ولا يسقط لانه لا يتبدل حال الخوف بسبب ذلك وبفعل اللسان وهو القراءة وهي لا تسقط عند الخوف ولا يجوز ان يتكلم حال الصلاة بكلام اجنبي ولا ان يصيح صياحا الا من ضرورة تليه وبافعال الجوارح والقيام والقعود ومنها ما يسقط عنه لا محالة والاستقبال ايضا فاما الركوع والسجود فيقوم مقامهما الايماء فيجب ان يكون ايماء السجود اخفض من ايماء الركوع لان هذا القدر ممكن واما ترك الطهارة فغير جائز لاجل الخوف فانه يمكنه بالماء او بالتراب التطهير انما الخلاف في انه اذا وجد الماء وامتنع عليه التوضي من قبل الخوف ان يتيمم بالغبار الذي لا يتمكن منه حال الركوب والاصح انه لا يجوز لانه اذا كان خوف العطش رخص فيه والاعتماد على قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واحتج ابو حنيفة بانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فوجب علينا ايضا ذلك والجواب ان يوم الخندق لم يبلغ الخوف هذا الحد ومع ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة فيحتمل كون هذه الاية ناسخة لذلك الفعل وقوله فان خفتم يتناول الخوف في القتال الذي يباح فيه الهرب والخوف من الحرق والغرق والسبع ومن المطالب بالدين اذا كان معسرا خائفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار لان قوله فان خفتم مطلق يعم الجميع قوله فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله اي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وكما بينه بشرعه لانه لا سبب الرخصة الخوف فاذا زال عاد الوجوب كما كان من قبل والصلاة قد تسمى ذكرا كقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله لان المقصود الاعظم من الصلاة ذكر الله قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وقال اقم الصلاة لذكري وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن ثم ان اصحابنا فسروا هذا التعليم بخلق العلم فينا والمعتزلة فسروه بوضع الدلائل وفعل الالطاف وتفسير اصحابنا ظاهر وتفسيرهم ما قيل ولا ضرورة فيه وقوله ما لم تكونوا تعلمون اشارة الى ما قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم من زمان الجهالة والضلالة

قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون ●

قرا ابن كثير ونافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب اما الرفع فبان يجعل خبر مبتدا محذوف تقديره ووصية الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم فالمحذوف هو المبتدا المضاف والمضاف اليه باق وحينئذ اما ان يقام مقام المضاف فيكون في محل الرفع او لم يجعل قائما مقام المضاف ويكون المضاف في حكم المذكور ويكون المضاف اليه في محل الجر ويكون قد اضيف اليها الاهل الذي هو خبر المبتدا ثم حذف الاهل واقيم الوصية مقامه تقديره والذين يتوفون منكم اهل وصية لازواجهم ومنهم من جعل مبتدا وخبره محذوف تقديره فعليهم وصية لازواجهم اما النصب فتقديره والذين يتوفون يوصون وصية كقوله انما انت بشير [illegible] او والزم الذين يتوفون وصية فالذين مفعول ووصية مفعول ثان قوله متاعا اي متعوهن متاعا الانفاق عليهن الى الحول وقيل متاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل مذهب المبرد انه يعمل المصدر اعمال الفعل وحينئذ متاعا يكون منصوبا بالفعل الذي هو يوصون قوله الى الحول صفة لقوله متاعا او متعلق به تقديره متعوهن متاعا حولا او وصية متاعا حولا وقوله غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول والمراد انهم يوصون لازواجهم ان يمتعوهن بعد الحول على انهن

ويصلون السجود

لا يخرجن فاكد ذلك بقوله غير اخراج تقديره متعوهن في البيوت متاعا غير اخراج وبدل من متاع او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واعلم ان في هذه الاية ثلاثة اقوال الاول اختيار جمهور المفسرين انها منسوخة فان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل لم يكن لامراته شيء من الميراث الا النفقة والسكنى سنة وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج ولكنها كانت مخيرة في ان تعتد في بيت الزوج او تخرج قبل الحول لكنها متى خرجت سقطت نفقتها وهذه الوصية واجبة مقدرة بالمتاع والنفقة الى الحول وبالسكنى الى الحول ثم ذكر تعالى انهن ان خرجن فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب بعد التشوف الى النكاح والتصنع للازواج من معروف مما ليس بمنكر شرعا وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان احدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن ان خرجن قبل انقضاء الحول وثانيهما لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله في ذلك الى ان نسخه فثبت ان هذه الاية توجب النفقة والسكنى من مال الزوج سنة ووجوب الاعتداد سنة لان وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة يوجب المنع من التزوج بزوج اخر في هذه السنة ثم نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فلان القرآن دل على ثبوت الميراث لها والسنة دلت على انه لا وصية لوارث فصار المجموع ناسخا الوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول واما وجوب العدة في الحول فمنسوخ بقوله يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فهذا القول هو الذي اتفق عليه اكثر المتقدمين والمتاخرين من المفسرين والثاني وهو قول مجاهد ان الله تعالى انزل في عدة المتوفى عنها زوجها ايتين احداهما ما تقدم وهو قوله يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا والاخرى هذه الاية فوجب تنزيل هاتين الايتين على حالتين فنقول انها ان لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا على ما في تلك الاية المتقدمة وان اختارت السكنى في دار زوجها والاخذ من ماله وتركته فعدتها هي الحول والاتيان بتنزيل الايتين على هاتين الحالتين اولى ليكون كل واحد منهما معمولا به والثالث وهو قول ابي مسلم الاصفهاني ان معنى الاية ان من يتوفى منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بنفقة الحول وسكنى الحول فان خرجن قبل ذلك وخالفن وصية ازواجهن بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى لهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة قال والسبب انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا كاملا وكان يجب على المراة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب وعلى هذا التقدير فالنسخ زائل واحتج على قوله بوجوه احدها ان النسخ خلاف الاصل فوجب المصير الى عدمه بقدر الامكان والثاني يجب ان يكون الناسخ متاخرا عن المنسوخ في النزول واذا كان متاخرا عنه في النزول كان الاحسن ان يكون متاخرا عنه في التلاوة وهو وان كان جائزا في الجملة الا ان تنزيه كلام الله تعالى عن سوء الترتيب واجب بقدر الامكان ولما كانت هذه الاية متاخرة عن تلك في التلاوة كان الاولى ان لا يحكم بكونها منسوخة بتلك والثالث وهو انه ثبت في اصول الفقه انه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص كان التخصيص اولى وهاهنا ان خصصنا هاتين الايتين بالحالتين على ما هو قول مجاهد اندفع النسخ فكان المصير الى قول مجاهد اولى من التزام النسخ من غير دليل واما على قول ابي مسلم فالكلام اظهر لانكم تقولون تقدير الاية فعليهم وصية لازواجهم او تقديرها فليوصوا وصية فانتم تضيفون هذا الحكم الى الله وابو مسلم يقول بل تقدير الاية والذين يتوفون منكم ولهم وصية لازواجهم او وقد اوصوا وصية لازواجهم فهو يضيف هذا الكلام الى الزوج واذا كان لا بد من الاضمار فليس اضماركم اولى من اضماره ثم على تقدير ان يكون الاضمار ما ذكرتم يلزم تطرق النسخ الى الاية وعلى تقدير ان يكون الاضمار ما ذكره ابو مسلم لم يلزم تطرق النسخ الى الاية فيكون هذا يشهد كل عقل سليم بان اضمار ابي مسلم اولى من اضماركم وان التزام هذا النسخ التزام له من غير دليل مع ما في القول بهذا النسخ من سوء الترتيب الذي يجب تنزيه كلام الله عنه وهذا كلام واضح واعلم ان هذه الاية من اولها الى اخرها جملة واحدة شرطية فالشرط هو قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج والجزاء هو قوله فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف فهذا تقرير قول ابي مسلم قال الامام وهو في غاية الصحة والمعتدة من الوفاة لا نفقة لها ولا كسوة حاملا كانت او حائلا وروي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم ان لها النفقة اذا كانت حاملا وعن جابر وابن عباس رضي الله عنهم انهما قالا لا نفقة لها حسبها الميراث وهل تستحق السكنى فيه قولان احدهما لا تستحق وهو قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ومذهب ابي حنيفة والمزني والثاني تستحق وهو قول عمر وعثمان وابن عمر وابن مسعود وام سلمة رضي الله عنهم وبه قال مالك والثوري واحمد ومبنى القولين على قول فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما تركني في منزل يملكه فقال عليه السلام نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله واختلفوا في تنزيل هذا الحديث فقيل لم يوجب في الابتداء ثم اوجب فصار الاول منسوخا وقيل امرها بالمكث في بيتها على سبيل الاستحباب لا على سبيل الوجوب واحتج المزني على انه لا سكنى لها بان قال اجمعنا على انه لا نفقة لها لان الملك انقطع بالموت فكذلك السكنى بدليل انهم اجمعوا على ان من وجب له نفقة وسكنى من ولد او والد على رجل فمات انقطعت نفقتهم وسكناهم لان ماله صار للوارث فكذا هاهنا اجاب الاصحاب بانه لا يمكن قياس السكنى على النفقة لان المطلقة الثلاث تستحق السكنى بكل حال ولا تستحق النفقة لنفسها عند المخالف النفقة وجبت في مقابلة التمكين من الاستمتاع ولا يمكن هاهنا واما السكنى فوجبت لتحصين الماء وهو موجود هاهنا فان قيل فاذا قال الله تعالى ذكر الوفاة ثم امر بالوصية فكيف يوصي المتوفى اجيب بان المعنى والذين يقاربون الوفاة ينبغي ان [illegible]

هذه وبان هذه الوصية يجوز ان يكون مضافة الى الله تعالى بمعنى امره وتكليفه كانه قيل وصية من الله لازواجهم كقوله
يوصيكم الله في اولادكم قوله وللمطلقات قيل لما نزلت قوله تعالى على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين
ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات الى قوله حقا على المتقين اي المتقين عن الكفر والمراد
بالمتاع هاهنا المتعة وظاهر هذه الاية تقتضي وجوبها لكل المطلقات بالايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن
وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وانما اعاد الله تعالى ذكرها هاهنا لما فيها
من زيادة المعنى على ما سواها وهي ان فيما سوى هذا بيان حكم غير المدخول بها اذا طلقت وههنا بيان حكم جميع المطلقات
في المتعة وعن علي رضي الله عنه لكل مؤمنة مطلقة حرة او امة متعة وتلا قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وقال
الشافعي لكل مطلقة الا المطلقة التي فرض لها مهر ولم يوجد المسيس وقال ابو حنيفة المتعة لا تجب الا للمطلقة التي
لم يفرض لها مهر ولم يوجد في حقها مسيس وقيل يتناول الاية التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة
العدة قوله كذلك اي مثل البيان الذي تقدم فيما ذكر من الاحكام يبين آياته يفسر لكم فرائضه لعلكم بها حتى تفهموا
وهو قوله لعلكم تعقلون اي بينت لكم صفة العقلاء باستعمال ما بينا لكم قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي الم ينته علمك الى هؤلاء ومعنى الرؤية رؤية القلب وهو بمعنى العلم ثم ان هذا اللفظ قد يستعمل فيما تقدم للمخاطب
العلم به فيكون تقريرا لمن سمع بقصصهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجبا من شانهم وقد يستعمل فيما لم يتقدم للمخاطب
العلم به وقد لم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب فعلى هذا لا يحتمل تعريفه ابتداء الم تر الى كذا
على كذا فيكون هنا ابتداء تعريف وهذا الكلام ظاهره خطاب مع النبي عليه السلام الا انه لا يبعد ان يكون المراد هو وامته
الاية وجميع الانبياء بالخطاب معه كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ويجوز ان يكون خطابا لكل من يسمع قال اكثر
المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فخرجت طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة
فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم
لو صنعنا كما صنعوا لبقينا فلئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها
فخرجوا حتى نزلوا واديا فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة ناداهم ملك من اسفل الوادي وآخر من اعلاه ان موتوا
فماتوا جميعا ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه روي عن الاصمعي انه قال لما وقع الطاعون بالبصرة
خرج رجل من اهلها عنها على حمار له ومعه اهله وولده وخلفه عبد حبشي يسوق حماره فطفق العبد يرتجز ويقول
لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي منعة طيار ... قد يصبح الله امام الساري ... فرجع الرجل لما سمع قوله بعياله
وحكى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا
وقع وانتم فيه فلا تخرجوا فرارا وقيل مر عليهم خرقيل بعدما طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما راى فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فلما راهم الملك
قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار
منك فلما خرجوا قال لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا فمات دوابهم كموت رجل واحد الى ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت
اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع وتركوهم ثم احياهم الله وبقي فيهم شيء
من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى اليوم وقوله وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة زائدا على عشرة لان ما دون ذلك لا يقال لهم الوف
انما يقال ثلاثة آلاف خمسة آلاف الى عشرة آلاف لان الالوف جمع الكثرة والآلاف جمع القلة فقيل عشرة آلاف وقيل
ثلاثون الفا وقيل سبعون الفا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود قوله فقال
لهم الله موتوا فاماتهم الله وانما جيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك
ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى
ان يكون في سبيل الله ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم
باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث ولكن اكثر
الناس لا يشكرون انعام الله عليهم بفضله والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر
بالقتال في سبيل الله قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم ● قال جمهور المحققين ان هذا
استئناف خطاب للحاضرين يتضمن الامر بالجهاد الا انه سبحانه بلطفه ورحمته قدم على الامر بالقتال ذكر الذين خرجوا
من ديارهم لئلا ينكص عن امر الله محب الحياة بسبب خوف الموت وليعلم كل احد ان ترك القتال لا يوجب السلامة من
الموت كما في قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ليشجعهم على القتال الذي
به وعد احدى الحسنيين اما في العاجل الظهور على العدو وفي الآجل الفوز بالخلود في النعيم والوصول الى ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين في سبيل الله السبيل هو الطريق وسميت العبادات سبيلا الى الله تعالى من حيث ان الانسان
يسلكها ويتوصل الى الله تعالى ومعلوم ان الجهاد تقوية للدين فكان طاعة فلا جرم كان المجاهد مقاتلا في سبيل الله

ان الله

ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء وقيل سميع كلامهم في ترغيب
الغير في الجهاد او في ترغيبا لغيرهم عنه عليم بما في قصدهم من البواعث والاغراض وبان ذلك الجهاد لغرض الدين او لا
او لغرض الدنيا والعاجل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض
ويبسط واليه ترجعون ● لما امر الله تعالى بالقتال في سبيل الله اردفه بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
والمراد منه القرض في الجهاد خاصة فندب العاجز عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد
ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد ثم اكد ذلك بقوله والله يقبض ويبسط لان من علم ذلك كان اعتماده على فضل الله اكثر
من اعتماده على ماله وذلك يدعوه الى انفاق المال في سبيل الله والاحتراز عن البخل بذلك الانفاق وعلى هذا يكون هذه الاية
متعلقة بما قبلها وقيل هذه الاية كلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله فقيل ان القرض غير انفاق المال الذي روي عن بعض اصحاب ابن مسعود
انه قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفيه بعد لان الاقراض في عرف اللغة لا يقع عليه ولا يمكن حمل
هذا القول على الصحة الا ان يقول الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه انه لو كان قادرا لانفق واعطى فحينئذ يكون
تلك النية قائمة مقام الانفاق كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة
وقيل القرض انفاق المال وهو انفاق ما ليس بواجب من الصدقة لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولانه
نزلت في ابي الدحداح قال يا رسول الله ان لي حديقتين فان تصدقت باحديهما افلي مثلها في الجنة قال نعم قال وام الدحداح
معي قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فرجع ابو الدحداح الى اهله وكانوا في الحديقة التي تصدق
بها فقام على باب الحديقة وذكر ذلك لامراته فقالت ام الدحداح بارك الله لك فيما اشتريت فخرجوا منها فكان عليه السلام
يقول كم من نخلة تدلي عروقها في الجنة لابي الدحداح فظهر ان المراد بهذا القرض ما كان تبرعا لا واجبا وقيل المراد بهذا
القرض الانفاق الواجب في سبيل الله يدل على ذلك قوله تعالى واليه ترجعون وذلك كالزجر ولا يليق الا بالواجب وقيل ان المراد
بالقرض كلا القسمين والقرض ان تعطي شيئا ليرجع اليك مثله او ليقضي شبهه شبه الله عمل المؤمنين لله عز وجل على ما يرجون
من ثوابه بالقرض لانهم انما يعطون ابتغاء ما وعدهم الله من جزيل الثواب فالقرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه
قال لبيد: واذا جوزيت قرضا فاجزه ... انما يجزي الفتى ليس الجمل ... وقيل في الاية اختصار واضمار مجازها من ذا الذي
يقرض عباد الله والمحتاجين من خلق الله كقوله ان الذين يؤذون الله فاضافه الله هاهنا الى نفسه بالتفضيل والاستعطاف
كما جاء في الحديث ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة استطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني واستكسيتك
فلم تكسني فيقول العبد وكيف ذاك يا سيدي فيقول لعبدك فلان الجائع وفلان العاري فلم تعد عليه من فضلك فلا منعك
اليوم فضلي كما منعته وقيل امر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض اظهارا لمحبته لعباده المؤمنين وذلك انما يستقرض
من الاحبة وقيل هذا ترغيب من الله في المواساة والاقراض لعباده وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رايت
مكتوبا على باب الجنة القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر فقلت يا جبريل ما بال القرض اعظم اجرا قال لان صاحب القرض لا يأتيك
الا محتاجا وربما وقعت الصدقة في غير اهلها وعنه صلى الله عليه وسلم من اقرض اخاه المسلم فله بكل درهم وزن احد وثبير
وطور سيناء حسنات قال صاحب الكشاف اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه وقيل قوله يقرض ليس لحاجة
بالله ولكن كقول العرب عندي قرض صدق وقرض سوء لامر يأتي فيه مسرته ومساءته وقيل القرض في اللغة البلاء الحسن والبلاء
السيء قال امية بن ابي الصلت: كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ... او سيئا ومدينا مثل ما دانا ... وقال آخر: تجازى القروض بامثالها
فبالخير خيرا وبالشر شرا ... ومن في الاية من الاستفهام ومحله رفع بالابتداء وذا خبره والذي صفة الخبر وقوله يقرض الله صلة الذي
اي ينفق في طاعته واصل القرض القطع ومنه قرض الفار الثوب وسمي الشعر قريضا لانه يقتطعه من ماله قرضا حسنا
طيبا به نفسه وقيل ان يكون المال من الحلال وقيل هو ان لا يمن به ولا يؤذي وقيل هو ان يعتقد بقرضه عوضا قال صاحب الكشاف
القرض الحسن اما المجاهد في نفسها واما النفقة في سبيل الله قرأ عاصم فيضاعفه نصبا وابن كثير بالالف بالتشديد
والنصب وابن كثير بالتشديد والرفع والآخرون بالالف والتخفيف والرفع فالرفع عطف على قوله يقرض وقيل هو يضاعفه
ومن نصب جعله جوابا للاستفهام بالفاء وقيل باضمار ان والتشديد والتخفيف لغتان ودليل التشديد قوله اضعافا كثيرة
لان التشديد للتكثير قيل هذا التضعيف لا يعلمه الا الله وهو مثل قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقيل الواحد سبع مائة
والله يقبض ويبسط اي يمسك الرزق عمن يشاء ويقتر ويضيق عليه ويوسع الرزق على من يشاء فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
لا يبدلكم الضيقة بالسعة قال الله ويقبضون ايديهم اي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله وقال الله تعالى ولو بسط الله
الرزق لعباده والاصل في هذا قبض اليد عند البخل وبسطها عند البذل وقيل هو الاحياء والاماتة فمن اماته الله فقد قبضه
ومن مد له في عمره فقد بسط له وقيل والله يقبض الصدقة ويبسط بالخلف وقيل هذا في القلوب لما امرهم الله تعالى بالصدقة
اخبرهم انهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه فقال والله يقبض ويبسط يعني يقبض بعض القلوب فيزويه كيلا ينبسط الخير ويبسط
بعضها فيقدم خيرا لنفسه واليه ترجعون اي والى الله ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم وقيل الهاء راجعة الى التراب كناية
عن غير مذكور اي من التراب خلقتم واليه ترجعون تعودون قوله تعالى الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى
اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ●
تعلق هذه الاية بما قبلها من حيث انه تعالى لما فرض القتال بقوله وقاتلوا ثم امر بالانفاق فيه ذكر قصة بني اسرائيل وهي انهم لما امروا بالقتال

فتكلوا وخالفوا ذمهم الله تعالى عليه ونسبهم الى الظلم والمقصود منه ان لا يقدم المامورون بالقتال لتوطين الانفس على الاجابة
على ترك القتال وان يكونوا متشمرين في القتال مع اعداء الله والملأ الاشراف من القوم ووجوههم وهو اسم للجماعة من الناس لا واحد له
من لفظه كالابل والخيل والغنم والرهط والجيش وجمعه املاء قال الشاعر [illegible] لعل الله يكشف في البلاء
من بعد موسى اي من بعد موت موسى اذ قالوا لنبي هو يوشع بن نون وقيل هو شمعون وقيل اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال
معنى ملكا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم
نقاتل بالجزم على جواب الامر وهو ابعث وسبب سؤالهم ذلك انه لما مات موسى خلف بعده في بني اسرائيل يوشع يقيم فيهم التوراة
وامر الله حتى قبضه الله ثم خلفه فيهم كالب يقيم فيهم التوراة وامر الله حتى قبضه الله ثم خلف فيهم حزقيل كذلك حتى قبض الله
ثم قبض حزقيل وكثرت الاحداث في بني اسرائيل وعظمت فيهم الخطايا ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم
الياس نبيا فجعل يدعوهم الى الله وانما كانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة ثم خلف بعد
الياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله ان يكون ثم قبضه الله وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم الاحداث وظهر لهم عدو يقال له
البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا
على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم
ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكانوا يسألون الله عز وجل ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه في سبيل الله
وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدله بغلام
لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله
دعائي فكبر الغلام فاسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام ان يبعثه الله نبيا
اتاه جبريل والغلام نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال
يا ابتاه دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقام الغلام ايضا
اليه فقال دعوتني فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له اذهب الى قومك
فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم ينلك وقالوا ان كنت صادقا
فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم
وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه وقيل بعث الله اشمويل نبيا
فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
قال هل عسيتم وقرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وهي لغة والباقون بالفتح وهي اللغة الفصحى ان كتب عليكم القتال الا
ان لا تقاتلوا معه ولا تفوا بما تقولون وخبر عسى ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى ان قاربتم ان لا تقاتلوا
اي هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما
عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير والتثبيت لان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى
على الانسان حين من الدهر معناه التقرير قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله واي غرض لنا فيه ودخول
ان وحذفها لغتان فصيحتان قال الله تعالى ما لك ان لا تكون مع الساجدين وما لكم لا تؤمنون وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
بالسبي والقهر على نواحينا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بان قالوا انما كنا نزهد في الجهاد اذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر
علينا عدونا فاما اذا بلغ الامر هذا فلا بد من الجهاد فنطيع ربنا في الجهاد فلما كتب عليهم القتال فرض عليهم الجهاد تولوا اعرضوا عن
القيام به الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر وسيذكرون والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال
وترك الجهاد قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي
ملكه من يشاء والله واسع عليم ● وقال لهم نبيهم ان الله قد اجابكم الى ما سألتم قد بعث لكم طالوت ملكا تقاتلون
معه وطالوت اسم عجمي كجالوت وداود منع من الصرف للعلمية والعجمة وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة
في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فصار طالوت الا ان
امتناع صرفه يدفع ان يكون من الطول الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول لما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا ثم ان الله تعالى لما عين
ان يكون ملكا لهم ظهر التولي عن طاعة الله والاعراض عن حكمه وقالوا انى كيف ومن اين يكون له الملك علينا وهو انكار لتمليكه
عليهم واستبعاد له ونحن احق بالملك منه لانه من سبط المؤاخذة ولم يؤت سعة من المال [illegible]
[illegible] ولم يؤت سعة من المال [illegible]
ولم يؤت لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا فقد انتظمت الواو الثانية الجملتين معا في حكم واو الحال [illegible]
[illegible] ومن اين يملك علينا والحال انه لا يستحق
التمليك لوجود من هو احق بالملك منه وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لانهم كان في بني اسرائيل سبطان
سبط نبوة وسبط مملكة فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهارون وسبط المملكة سبط [illegible]

ابن يعقوب

[illegible]

واهيب في القلوب واصطفاه اي اخذ الملك من غيره صافيا له اصطفاه اي استصفاه الاستخلاص وهو ان ياخذ
الشيء خالصا لنفسه وهو ماخوذ من الصفو والاصل اصتفى بالتاء فابدل بالتاء الطاء ليسهل النطق بها بعد الصاد
وهذا يدل على بطلان قول من يقول ان الامامة موروثة وعلى رجحان العلم والقدرة في استحقاق الملك على النسب والمال
واحتج اصحابنا بان خلق الاعمال لتعلق له قدرة وبسطة في العلم ان العلم حصل بخلق الله تعالى والمعتزلة قالوا هذا الاسناد
باعتبار اعطاء العقل ونصب الدلائل والجواب ان الاصل في الاسناد المباشرة دون الدلالة وبسطة السعة
الامتداد وتقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم تنبيه على ان الفضائل النفسانية اعلى واشرف من الفضائل
الجسمانية والله يؤتي ملكه اي لا تنكروا تملك طالوت مع كونه من غير اهل الملك فان الملك ليس بالوراثة انما هو بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع النعم والعطاء والفضل والرحمة يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر ووسعت رحمته
كل شيء عليم بمن يصطفيه للملك ثم انهم سالوا نبيهم آية على تمليك طالوت فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين
التابوت صندوق التوراة وكانت قصة التابوت وصفتها على ما ذكر اهل التفسير واصحاب الاخبار ان الله انزل
تابوتا على آدم فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الانبياء كلهم وآخرهم بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة
حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا اول من يتبعه من امته ابو بكر رضي الله عنه وعن يساره
الفاروق مكتوب على جبينه قرن من حديد لا تاخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبينه بار
من البررة ومن بين يديه علي بن ابي طالب شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه هذا اخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من الله
وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء وهم انصار الله وانصار رسوله نور يحف من حواليهم مثل نعت النبي
في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاث اذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاد الذي تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب وكان
عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم فلما مات كان عند اسمعيل لانه اكبر ولده
فلما مات اسمعيل كان عند ابنه قيذار فنازعه ولد اسحق وقالوا ان النبوة قد صرفت عنكم فليس لكم الا هذا النور فاعطنا
التابوت فكان قيذار يمتنع عليهم ويقول انه وصية ابي ولا اعطيه احدا من العالمين فذهب ذات يوم يفتح ذلك
التابوت فعسر عليه فتحه فنادى مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي
لا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد ارض كنعان وكان بها
يعقوب فلما قرب منها صر التابوت صريرا سمعها يعقوب فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا
نحوه فقام يعقوب واولاده جميعا اليه فلما نظر يعقوب اليه فلما نظر يعقوب الى قيذار استعبر باكيا
وقال يا قيذار مالي اراك متغيرا لونك ضعيفة ارهقك عدو ام اتيت معصية بعد ابيك اسمعيل قال ما رهقني عدو ولا
اتيت معصية بعد ولكن نقل من ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال الا في بنات اسحق
قال لا في العربية الجرهمية قال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وانا مبشرك
ببشارة قال وما هي قال ان الغاضرة قد ولدت غلاما البارحة فقال قيذار وما علمك يا ابن عمي وانت بارض الشام وهي بارض
الحرم قال يعقوب علمت ذلك لاني رأيت ابواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والارض ورأيت الملائكة
ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم فسلم قيذار التابوت ورجع الى اهله
فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حمل وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل
الى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل
وكان فيه ما ذكره الله عز وجل في كتابه فيه سكينة من ربكم واختلفوا في السكينة ما هي

علي بن ابي طالب رضي الله عنه السكينة ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقيل لها راس كراس الهرة وذنب
كذنبها وجناحان وقيل راس هرة ميتة كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وقيل طست
من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شيء اخبرهم ببيان ما يريدون وقيل صور
من الآيات فيسكنون اليها وبقية هي رضاض الالواح فكسرها وذلك ان موسى لما القى الالواح تكسرت فرفع
بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى
وعمامة هرون وعصاه قال وكان التابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال
قدموه بين ايديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه
وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي الذي ربى اشمويل ابنان وكان عيلي حبرهم وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن
فيه كان مسوط القربان الذي يسوطونه كلاليب فلما اخرجاها كان للكاهن الذي يسوط فجعلاه كلاليب وكان النساء يصلين
في القدس فتشبثان بهن فاوحى الله تعالى الى اشمويل انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي
وان يعصياني فلانزعن منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل عيلي بذلك ففزع فزعا شديدا فسار اليهم عدو
حولهم فامر ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع
الخبر ما صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه واخبره ان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت
قال ذهب به العدو فشهق شهقة ووقع على قفاه من كرسيه فمات فمرج امر بني اسرائيل واختل وتفرقوا الى ان بعث
الله عز وجل طالوت ملكا فسالوه البينة فقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت ووزن التابوت لا يكون
فاعولا لانه قل في كلام العرب نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك
المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء وتودعه فلا يبرح يرجع
اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والسكينة فعيلة من السكون مما ترك
ال موسى وال هرون يعني موسى وهرون انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما وقيل ال موسى وال هرون الانبياء من بني يعقوب
بعد موسى وهرون لان عمران هو ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب تحمله الملائكة اي تابوت بني اسرائيل وهم ينظرون
اليه وكان اية لاصطفاء الله طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين وقيل ان في ذلك لاية
لكم اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين بتمليكه عليكم
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين وجه اتصال هذه الاية بما قبلها يظهر بتقدير محذوف يدل عليه سياق الكلام والتقدير
انه لما اتاهم باية التابوت اذعنوا له واجابوا الى المسير تحت رايته فلما فصل بهم فصل عن موضع كذا انفصل عنه
وجاوزه واصله فصل نفسه من موضع كذا ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل واستعمل
استعمال اللازم فجيء بمصدره على طريقة مصدر اللازم فقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله في اصله
متعديا حقيقة لان مصدره فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود اي سار بهم وقطعهم
عن بلدهم بيت المقدس لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه او مريض لمرضه او ضرير لضرره او معذور لعذره وذلك
انهم لما راوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة
لي في كل ما ارى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج
امراة ولم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا شديد
الحر وسلكوا مفازة فشكوا قلة المياه وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت
ان الله مبتليكم مختبركم بنهر ليظهر طاعتكم فعليهم ليتميز الكاذب من الصادق والمحقق من المقصر قيل هو نهر فلسطين وقيل
نهر بين الاردن وفلسطين عذب فمن شرب من النهر فليس مني من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء
اذا ذاقه ومنه الطعم لمذاقه قال فان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا • اراد لم اذق
بالنقاخ الماء العذب الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء به اهل الله من
تردد الصبر مع اتيان الحيات شرعا بل الابتلاء بالنهر اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي ان
كان نبيا فبالوحي الا من اغترف غرفة الاغتراف الاخذ من الشيء باليد وبالة والغرفة الالة التي يغترف بها والكوفيون وابن عامر
الذين قالوا الباقون بفتحها والغرفة المرة الواحدة وهي مصدر والغرفة بالضم الشيء المغترف بعد المعروف وقوله الا من اغترف
استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية وهي قوله ومن لم يطعمه في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كقوله
من شرب منه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده ومن لم يطعمه فانه مني ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع
والدليل عليه قوله فشربوا منه اي كرعوا الا قليلا منهم والقليل الذين لم يشربوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا يدل عليه قول البراء
ابن عازب قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه
الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا لو انما اغترف غرفة كما امر اعتصم قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته

تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا
وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح وتلك الغرفة لم تكن ملء الكف ولكن المراد بالغرفة ان يغترف مرة
واحدة بقربة او جرة ومما اشبه ذلك الكفية ويكفي دابته فلما جاوزه اي فلما جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني القليل
قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فانصرفوا عن طالوت
ولم يشهدوا قتال جالوت قال الذين يظنون يستيقنون انهم ملاقوا الله راجعون اليه وهم القليل الذين اغترفوا وبقوا مع طالوت
كم من فئة جماعة قليلة في العدد غلبت فئة كثيرة عددهم باذن الله بارادته ذلك والله مع الصابرين على القتال اعلاما بالنصر والمعونة
يعني ان النصر مع الصبر قوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ● ولما برزوا اي خرج طالوت وجنوده المؤمنون لقتال جالوت
وجنوده من المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى كرئهم اهل البصيرة والطاعة والاخلاص ربنا
افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا اتم صب كما يفرغ الدلو وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا وانصرنا واحسن معونتنا على القوم
الكافرين بجالوت وجنوده فهزموهم متصل بما قبله بتقدير محذوف كانه قيل فانزل الله عليهم صبرا ونصرا فهزم طالوت جنود
جالوت وجنوده اي كسروهم والهزم الكسر يقال هزمت العظم والقصب هزما اذا كسرته وقتل داود جالوت قال المفسرون كان
ايشى ابو داود ممن عبر النهر في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى اشمويل ان
داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت وطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت انك
تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت ابنته وروي ان طالوت حسد داود واراد قتله
ثم تاب واتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء
من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك كالتقدير في السرد وكان يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده هذا
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير وكلام الحكل وهو النمل وقيل هو الزبور وقيل الصوت الطيب والالحان
ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرا الزبور تدنو الوحوش حتى يوخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء
وتسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته ولولا دفع الله قرا نافع دفاع الله بالالف ههنا وفي الحج
لانه قد يكون الفعال من واحد وقولهم عاقبت اللص واحسن الله عنك الدفاع وعافاك الله وعافيته الله والباقون بغير الف
لان الله لا يغالبه احد وهو الدافع وحده قال ابن عباس رضي الله عنه لولا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون
على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد وقيل لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض
بمن فيها كما هو في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء وقيل لولا ان الله يدفع بعض
الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وسائر ما يعمر الارض وقيل لولا ان الله ينفع الكفار بالمسلمين لعمهم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين حيث لم يهلكهم بكفرهم ولم ياخذهم عاجلا بمعاصيهم وخطاياهم قوله تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك
بالحق وانك لمن المرسلين ● اي تلك القصص التي اقتصصناها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره
بالاية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي ايات الله وعلاماته التي تدل على توحيده نتلوها نقرؤها عليك
على لسان جبريل بالحق بالصدق واليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها
من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من
بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا
بعضهم على بعض على سبيل التفضيل حيث [illegible] الا لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات كما قال صاحب الكشاف
نستفيد من الاية معرفة انهم متفاوتون في الفضيلة وينهى عن الكلام في ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عنه منهم من فضل الله
بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم
في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته
احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف اية او اكثر ولو لم يؤت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي
لانه الاية الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى من الشهادة على
انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد الذي تعورف واشتهر
بنحو من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت
لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره اعلم ان المسلمين اجمعوا على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض
وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من الكل ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلزم من هذا
ان يكون افضل من العالمين ومنها قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقيل فيه لانه قرن ذكره بذكره في كلمة الشهادة وفي الاذان وفي
التشهد ولم يكن ذكر سائر الانبياء كذلك ومنها انه تعالى قرن طاعته بطاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته

الداعي لأن يزال اختلافهم فالذين يدعون الى المقاتلة وذلك يدل على ان المقاتلة لا تقع الا عند الداعي وعلى انه متى حصل
هذا الداعي وقعت المقاتلة فظهر ان الكل بقضاء الله وقدره لان الداعي يستند الى داع يخلقه الله في العبد دفعا
للتسلسل فكانت الآية دالة من هذا الوجه على صحة مذهبنا واحتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى هو خالق لايمان المؤمن فقال
للايمان هو الله تعالى فهذه الآية تدل على خلق الاعمال والمعتزلة يقولون المراد انه يفعل ما يريد من افعال نفسه وهذا ضعيف لانه
تقييد المطلق من غير دليل ولانه تصير الآية بيانا للموضحات لانه حينئذ يفعل ما يفعله روي انه قام رجل الى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه قال اخبرني يا امير المؤمنين عن القدر فقال
رضي الله عنه ايها السائل ان الله خلقك كما شاء او كما شئت قال كما شاء قال فيبعثك الله يوم القيمة كما شاء او كما شئت قال
كما شاء فقال ايها السائل الك مع الله مشيئة او فوق مشيئته او دون مشيئة الله فان زعمت ان لك فوق الله مشيئة فقد
زعمت ان مشيئتك غالبة على مشيئة الله وان زعمت ان لك مع الله مشيئة فقد ادعيت الشركة وان زعمت ان لك دون الله
مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله الست تسأل ربك العافية قال بلى قال فمن اي شيء تسأله ان ابتلاك الذي ابتلاك
به ام من البلاء الذي ابتلى به غيرك قال من البلاء الذي ابتلاني الله به قال الست تقول لا حول ولا قوة الا بالله قال فتعلم
تفسيرها قال الا تعلمني يا امير المؤمنين مما علمك الله قال تفسيرها ان العبد لا يقدر على طاعة ولا يكون له قوة على معصية
الله تعالى في الامرين جميعا الا بالله ايها السائل ان الله يسقم ويداوي فمنه الداء ومنه الدواء اعقلت عن الله قال نعم قال علي
رضي الله عنه الآن اسلم اخوكم فقوموا فصافحوه ثم قال لو ان عندي رجلا من اهل القدر لاخذت برقبته فلا ازال اطأها
حتى اكسرها فانهم يهود هذه الامة ونصاراها ومجوسها قال ابو مسلم الاصفهاني وجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى
انبأ محمدا صلى الله عليه وسلم من اخبار الانبياء السالفة مع قومهم كسؤال قوم موسى ارنا الله جهرة وقولهم اجعل لنا الها
كما لهم آلهة وكقوم عيسى بعد ان شاهدوا منه احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص باذن الله فكذبوه وراموا قتله ثم اقام فريق
على الكفر به وهم اليهود وزعم فريق انهم اولياؤه وادعت على اليهود من قتله وصلبه ما كذبهم الله فيه وكالملأ من بني
اسرائيل حسدوا طالوت ودفعوا ملكه بعد المسألة وكذلك ما جرى من امر النهر فعزى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب
والحسد فقال تلك الرسل الذين كلم الله بعضهم ورفع الباقين درجات وايد عيسى بروح القدس فقد نالهم من قومهم
ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات فاصبر كما صبر رسلهم ولا يحزنك ما ترى من قومك فلو شاء الله لم يختلف امم اولئك
ولكن ما قضى الله فهو كائن وما قدره فهو واقع وبالجملة المقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
عن ايذاء قومه له قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
والكافرون هم الظالمون ۝ وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو انه تعالى امر بالقتال فيما سبق بقوله تعالى وقاتلوا
في سبيل الله ثم عقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والمقصود منه انفاق المال في الجهاد وذكر ها
المفروضة وبالجملة الانفاق الواجب لاتصاله بالوعيد والانفاق مطلقا سواء كان واجبا او مندوبا وليس في الآية
وعيد مرتب على ترك الانفاق وقيل هذه الآية تدل على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه امر بالانفاق من كل ما كان رزقا والآية
لا يجوز انفاق الحرام واجيب بان ظاهر الآية وان دل على الامر بالانفاق من كل ما كان رزقا ولكن لا يجوز ان يكون من للتبعيض
ويكون الامر بانفاق بعض ما رزقه الله وهو الحلال فالرزق عام والمنفق بعضه الذي هو الحلال وفي الابهام تفخيم لشأن
الحلال قرأ ابن كثير وابو عمرو لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وفي ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تأثيم
بالفتح في السبعة بلا تنوين بناء على ما تبعه على الفتح كان قائلا قال هل من بيع فاجيب بالجواب بما على وفق السؤال فقيل
لا بيع وغير الاسم بالبناء ومحل لا مع الاسم رفع بالابتداء وخبر والباقون جميعا بالرفع على جعل لا بمعنى ليس والمقصود
من الآية ان الانسان يجيء وحده ولا يكون معه شيء مما حصله في الدنيا قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع حتى تبتاعوا
ما تنفقونه ولا خلة ولا مودة مقصد الخليل حتى يسامحكم اخلاؤكم به لان الخلة ينقطع يوم القيمة بين الاخلاء الا المتقين
قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة نفي الخلة والشفاعة عاما لانه اراد الكافرين فان
هذه الاشياء لا تنفعهم ولهذا قال والكافرون هم الظالمون لان الادلة من القرآن والسنة دالة على ثبوت المودة والمحبة
بين المؤمنين وعلى ثبوت الشفاعة بين المؤمنين والكافرون هم الظالمون نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول والحمد لله الذي
قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون ولما قال ولا خلة ولا شفاعة اوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة
مطلقا فذكر عقيبه والكافرون هم الظالمون ليدل على ان نفي الخلة والشفاعة في حق الفساق من المؤمنين والمعنى والكافرون
هم الواضعون لانفسهم الامور في غير موضعها فانهم يتودون من كان عدو الله ويرجون الشفاعة ممن لا يشفع لهم عند الله
فانهم كانوا يقولون للاوثان هؤلاء شفعاؤنا وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن عدل الى من هو مستحق لان يعبد جمادا
توقع ان يكون شفيعا له فهو الكامل في الظلم المبلغ العظيم قال صاحب الكشاف ولا شفاعة اي ولا ندتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم
من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون
اراد التاركون الزكاة هم الظالمون فقال الكافرون للتغليظ كما جاء في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه ترك الزكاة
من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقوله لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير بناء على مذهبه الباطل
فان الشفاعة في الذنوب الكبائر قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وقوله والكافرون مراده التاركون الزكاة فليس

فقال انا الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته فقال فلله العزة ولرسوله ورضاه برضاه واتيه ورسوله احق
[illegible] فاجابته باجابته يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول ومنها انه صلى الله عليه وسلم بعث الى كل الناس
[illegible] يقتضي ان يكون مشقته اكثر فيجب ان يكون افضل اما انه بعث الى الناس فلذلك يقتضي ان يكون مشقته اكثر فيجب
[illegible] افضل اما انه بعث الى سائر الناس اجمعين فلقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما انه يقتضي ذلك
[illegible] مشقته اكثر فلانه كان انسانا فردا من غير مال ولا اعوان ولا انصار فاذا قال لجميع الناس يا ايها الكافرون نصارى الكل
[illegible] وحينئذ يصير خائفا من الكل فكانت المشقة عظيمة ولذلك كان موسى عليه السلام لما بعث الى بني اسرائيل فهو كان
[illegible] هنا الا من فرعون وقومه واما محمد عليه السلام فالكل كانوا اعداء له بين ذلك ان انسانا لو قيل له هذا البلد الخالي
[illegible] صديق وما لو فيه رجل واحد ذو قوة وسلاح فاذهب اليه اليوم وحيدا وبلغ اليه خبرا يوحشه ويؤذيه فانه
[illegible] نفسه بذلك مع انه انسان واحد ولو قيل له اذهب الى بادية بعيدة ليس فيها انيس ولا صديق وبلغ الى اصناف
[illegible] كذا وكذا من الاخبار الموحشة لشق ذلك على الانسان واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان مأمورا بان يذهب [illegible]
[illegible] كل عمر الى الجن والانس الذي لا عهد له بل المعاندين انهم يعادونه ويؤذونه ويستخفون به ثم انه صلى الله عليه وسلم
[illegible] هذه الحالة بل يسارع اليه سامعا مطيعا فهذا يقتضي انه تحمل في اظهار دين الله اعظم المشاق فلهذا قال تعالى لا يستوي منكم
[illegible] من قبل الفتح وقاتل ومعلوم ان معظم البلاء كان على الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا اعظم بعض الصحابة بسبب ذلك
[illegible] فظنك بالرسول فظهر ان مشقته اعظم من مشقة غيره لقوله افضل العبادات احمزها ومنها ان امة محمد صلى الله عليه وسلم
[illegible] الامم لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولانه صلى الله عليه وسلم انما نال هذه الفضيلة بمتابعته صلى
[illegible] وسلم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفضيلة التابع تدل على فضيلة المتبوع ومنها انه خاتم النبيين
[illegible] ين فهو افضل ومنها قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وسلم انا
[illegible] سيد ولد آدم ولا فخر وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد من النبيين حتى ادخلها ولا يدخلها احد من الامم
[illegible] حتى يدخلها امتي وقوله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
[illegible] بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جلس ناس من الصحابة يتذاكرون فسمع حديثهم
[illegible] صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال

لأنه يلزم منه أن التاركين للزكاة هم الظالمون دون غيرهم أو هم الكاملون في الظلم وهو باطل بالاتفاق ولا يخفى أن تفسير
على الوجه المذكور المستقيم ظاهر قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ● إن من عادته تعالى في القرآن الكريم أن يذكر علم التوحيد
وعلم الأحكام وعلم القصص مرتبطا بعضها ببعض والمقصود الأعظم علم التوحيد وإنما ذكر علم الأحكام ليتوسل بها إلى الأعمال
[illegible]
ليحصل فهم حقائق التوحيد وأما ذكر القصص فللمبالغة في إلزام الأحكام وكالتعليق وتقرير لأدلة التوحيد عما الطريق
لتقرير الطريقة وكلاهما فإن الإنسان إذا بقي على نوع واحد يفضي إلى الملالة والسآمة والانتقال من نوع إلى آخر ينشرح به الصدر ويفرح
القلب فلما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام والقصص عقبها بما يتعلق بعلم التوحيد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له أي آية من كتاب الله أعظم قال قلت الله ورسوله أعلم حتى أعادها ثلاثا ثم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في
صدري ثم قال ليهنك العلم بالمنذر والذي نفسي بيده إن لها لسانا تقدس الملك عند ساق العرش وعن ابن عمر رضي الله
عنهما أن عمر خرج ذات يوم على الناس سماطين فقال أيها الناس أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن فسكت القوم فقال هل فيكم ابن
قالوا نعم وكان جالسا في أخريات الناس فادعوا إليه وقال هاهنا يا أبا عبد الرحمن ادن منه فقال هل أنت مخبري بأعظم آية في القرآن
فقال على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أعظم آية في القرآن الله لا إله إلا هو وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار إلا اهتجرها الشيطان ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي
تعلمها أهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل
صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على
نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أين أنتم
عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس
سلمان [illegible]

الذي لا سبيل عليه للفناء فحسن مدح نفسه بها وأما إطلاق الحياة في غير الذي يصح أن يعلم ويقدر فبطريق المجاز فلا
الحركة لما اتصفت بصفة تقتضي صحة الزرع أو الغرس ما لا ينافيها النحو كما أنها سميت تلك الصفة فيها أحيا بطريق المجاز والقيوم
فيعول من القيام والأصل قيووم اجتمع الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء الأولى في الثانية
فصار قيوما وهو المبالغ في القيام على خلقه وقيل القيوم القائم على كل شيء وقال الله القائم بتدبير أمر الخلق في إنشائهم وأرزاقهم
وقيل القيوم الدائم الوجود الذي يمتنع عليه التغير والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس وهو مصدر وسن يوسن
سنة ووسنا قال ابن الرقاع العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم الثقيل الزائد
للقوة الذي يهجم على القلب فيقطعه عن معرفة الأمور فإن قيل إذا كانت السنة عبارة عن مقدمة النوم فإذا قال لا تأخذه
سنة فقد دل على أنه لا تأخذه نوم بطريق الأولى فكان ذكر النوم تكريرا قلنا تقدير الآية لا تأخذه سنة فضلا أن يأخذه نوم
وأيضا الملك لا يضعف المزاج نومه خفيفا وقوي المزاج نومه ثقيلا فجاز أن يتوهم متوهم أنه تعالى من أهل القوة فيأخذه النوم الثقيل
لقوته ولا تأخذه السنة فنفى عنه النوم الثقيل أيضا دفعا للتوهم المذكور والدليل على أن النوم والغفلة والسهو محال
على الله تعالى لا يخفى لأن الأشياء إما أن تكون عبارة عن عدم الشيء أو من أضداده وعلى التقديرين يخل نظرا بأنها يقتضي
تعالى العلم الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فلو كان كذلك لكان ذاته تعالى مفتقرا في حصول صفة العلم إلى فاعل وهو
محال وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم تأكيدا للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه حكى عن موسى عليه السلام أنه وقع في نفسه هل ينام الله تعالى فأرسل إليه ملكا فأرقه ثلاثا ولا يتركه ينام ثم قال
خذ بيدك قارورتين مملوءتين في كل يد واحدة وأمره بالاحتفاظ بهما فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى
فانكسرتا ثم أوحى الله إليه فقال إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا واعلم أن هذا السؤال
من الجهال الذي من شك في أن الله تعالى لا ينام كان كافرا فلا يجوز نسبته إلى موسى عليه السلام له ما في السموات وما في الأرض
اللام في له للاختصاص والمراد منه الاختصاص من جهة الخالقية والملك تعالى لما بين أنه لا إله إلا هو وكل موجود سواه محدث
مبتدع بإبداعه فيكون ما في السموات وما في الأرض مخلوقا له وملكا وإنما قال لما في السموات وما في الأرض ولم يقل من في السموات
ومن في الأرض لأن المراد إضافة كل ما سواه إليه بالمخلوقية وكان الغالب عليه ما لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه
بما ولأن الاختصاص الكلي من جهة المخلوقية وهي من حيث إنها مخلوقة غير عاقلة فعبر عنه بلفظ ما تنبيها على أن المراد من هذا
الاختصاص من جهة المخلوقية واحتج الأصحاب بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن ما في الأرض يعم كل ما في
ومن جملته أفعال العباد والدليل لم يدل على خلافه فلم يعدل عن ظاهره بالدليل العقلي بل النص قوله من ذا الذي يشفع
عنده رد لعبدة الأصنام القائلين هؤلاء شفعاؤنا عند الله أي لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولم يحصل الإذن
في الشفاعة فلا شفاعة لها عند الله قال صاحب الكشاف بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة
إلا إذا أذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم الضمير الذي أضيف إليه أيدي وخلف
راجع إلى ما في السموات وما في الأرض لأن فيهم العقلاء أو إلى ما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء ما بين أيديهم
ما كان قبلهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقيل ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقيل ما بين أيديهم من الآخرة
لأنهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقيل ما بين أيديهم من السماء إلى الأرض وما خلفهم ما في
السموات وقيل ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم وما خلفهم أي ما كان قبل أن يخلقهم وقيل ما بين أيديهم ما فعلوا من خير
وشر وما خلفهم أي ما يفعلونه واعلم أن المقصود من هذا أنه تعالى عالم بأحوال الشفيع والمشفوع له لأنه عالم بجميع المعلومات
والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن الله تعالى هل أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا والمراد بهؤلاء المذكورين الملائكة وسائر من
يشفع يوم القيامة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلوماته إلا بما
شاء الله أن يحيطوا به وهذا يدل على أن علم الإنسان بمشيئة الله تعالى وإرادته لا باختيار الإنسان وإرادته قوله وسع
كرسيه الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل من مقعد القاعد وسع كرسيه أي احتمل وأطاق وأمكنه القيام به ولا
يسعك هذا أي لا يطيقه ولا يحتمله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي أي لم يحتمل
غير ذلك وفي قوله وسع كرسيه السموات والأرض أقوال أحدها أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السموات
السبع عن أبي ذر أنه قال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة وقال الحسن الكرسي هو العرش لأن السرير قد يوصف بأنه عرش لكونه كل واحد منهما
بحيث يصح التمكن عليه وقيل وسع كرسيه أي وسع علمه سمي العلم كرسيا لأن الكرسي مكان العالم سمي العلم الذي هو صفة
العالم باسم مكان العالم وقيل وسع كرسيه أي وسع ملكه تسمية للملك بمكان صاحب الملك الذي هو كرسيه وقيل
إن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه تقريره أن الله تعالى خاطب الخلق بتعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه
في ملوكهم وعظمائهم فمن ذلك جعل الكعبة بيتا يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما
يزورون بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم
وكذلك ما ذكره في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين فعلى هذا القياس
أثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ثم وصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء وقال وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقال الذين يحملون العرش

ومن حوله قرائب لنفسه كرسيا فقال وسع كرسيه السموات والارض لبسطته وسعته
فما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله
وما قدروا الله حق قدره ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه ولا يجهده شيا الاوده يؤده اودا اذا اثقله حفظهما حفظ السموات والارض

تليل به الاصوات ذي كلاء محلى   ولم يكن فطلجنا   نكالا لغوى   فان تكن الايام احسن مرة   الى فقد عادت
لهن ذنوب   والآية دالة على ان الايمان بخلق الله لانه لو كان بفعل العبد لكان العبد هو الذي اخرج نفسه من الكفر
الى الايمان والآية تنافيه قال المعتزلة الاخراج من الظلمات الى النور محمول على نصب الدلائل وارسال الانبياء وانزال الكتب
والترغيب في الايمان بابلغ الوجوه والتحذير عن الكفر باقصى الوجوه وقد نسب الله الاضلال الى الاصنام بقوله رب انهن
اضللن كثيرا من الناس لاجل ان الاصنام سبب اضلالهم فبان ينسب الاخراج من الظلمات الى النور الى الله تعالى مع قوة الاسباب
التي فعلها بمن يؤمن كان اولى والجواب ان الاخراج حقيقة في الفعل مجاز في الحث والترغيب ونصب الادلة والاصل الحقيقة
فلا تعدل عنه الى المجاز الا بدليل صارف عن الحقيقة ولم يوجد دليل يصرفه عنها بل الدليل العقلي دل على معناها قال صاحب
الكشاف الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي
صمموا على كفرهم امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها
حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمة الشك
والشبهة وهذا مدلول لفظ الحق من غير دليل وقيل [illegible] بالحق مع الحق وقيل يخرجهم
من ظلمات نفوسهم الى آدابها كالرضا والصدق والتوكل والمعرفة والمحبة وقيل يخرجهم من رؤية الافعال الى [illegible]
والاوصاف وقيل يخرجهم من ظلمات الوحشة والفرقة الى نور الوصلة والقربة اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله
لا يهدي القوم الظالمين ● ذكر الله قصصا ثلاثا الاولى منها في بيان اثبات العلم بالصانع والثانية والثالثة في بيان
الحشر والنشر والبعث فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم مع ملك زمانه وهي هذه الاولى ألم تر هل انتهى اليك يا محمد
الى الذي حاج جادل وخاصم وهو نمرود بن كنعان وهي كلمة توقف بها المخاطب على تعجيب منها ولفظها لفظ الاستفهام وهو
تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به قيل هذه المحاجة وقت كسر الاصنام فانه لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود
ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ربي الذي يحيي ويميت وقيل بعد القائه في النار وقوله
ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر و
العتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكأن المحاجة كانت لذلك
كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقيل ان آتاه [illegible] حاج وقت ان آتاه الله قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر
قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده
ولقائل ان يقول هذا السؤال انما يرد على اصل المعتزلة فان تغليب الكافر وتسليطه قبيح والقبيح لا يصدر من الله وفيه ما فيه
على اصلنا وهو ان الخير والشر والايمان والكفر والهداية والضلالة من الله تعالى فالسؤال ساقط قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وقوله تعالى اذ قال ابراهيم اذ نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت
ربي الذي يحيي ويميت قال ابن عباس ان ابراهيم دخل بلدة نمرود ليمتار فارسل اليه نمرود فقال له من ربك قال ربي الذي
يحيي ويميت قرأ حمزة والكسائي ربي باسكان الياء والباقون بفتحها لمكان الالف واللام قال نمرود انا احيي واميت اقتل
من شئت واستحيي من شئت يريد العفو عن القتل وانه قتل فسمى العفو احياء والقتل اماتة قرأ نافع انا باثبات الالف بعد النون
في جميع القرآن وهي لغة قوم يجعلون الوصل فيه كالاصل وذلك انما يجوز في الوقف دون الوصل لكنه اجرى الوصل مجرى
الوقف باثبات الالف كما انشد الكسائي   انا سيف العشيرة فاعرفوني   حميدا قد تذريت السناما ● وكان اعتراض
ابراهيم على ما قال نمرود عتيدا حاضرا ولكن ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى
حجة مسكتة لا يمكنه ان يقول انا افعل ذلك ليبهته اول شيء وهو قوله قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها
من المغرب فبهت الذي كفر اي تحير ودهش وانقطعت حجته يقال بهت الرجل اذا تحير فهو مبهوت وهذا دليل على جواز
الانتقال من حجة الى حجة اخرى عند الجدال لقصد الالزام والله لا يهدي القوم الظالمين الى الحجة وقيل لا يجعل جزاءهم على ظلمهم ان يهديهم
وذكر المعتزلة في تأويله وجوها منها انه لا يهديهم لظلمهم وكفرهم للحجاج والحق كما يهدي المؤمن [illegible]
وينقطع قال الامام وهذا ضعيف لانه تعالى لا يهديهم للحجاج انما يصح حيث يكون الحجاج موجودا ولا حجاج على الكفر
فكيف يصح ان يقال ان الله لا يهديه اليه ومنها انه لا يهديهم بزيادات الهدى والالطاف من حيث انهم بالكفر والظلم سدوا على
انفسهم طريق الانتفاع به قال الامام وهذا ايضا ضعيف لان تلك الزيادات ان كانت في حقهم ممتنعة عقلا لم يصح
ان يقال انه تعالى لا يهديهم كما لا يقال انه تعالى لا يجمع بين الضدين ولا يجمع بين الوجود والعدم ومنها انه تعالى لا يهديهم الى الجنة
قال الامام وهذا ايضا ضعيف لان المذكور ههنا امر الاستدلال وتحصيل المعرفة ولم يجر للجنة ذكر فيبعد صرف اللفظ
الى الجنة والحق على اصولنا ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى الحجج والبينات الدالة على الحق ولم يذكر المفعول للعموم
واختصارا للفظ افادة لزيادة المعنى وهو من اللطائف القرآنية قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام

كيف

كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ● هذه هي القصة الثانية والمقصود منها اثبات
الاعادة قال صاحب الكشاف معناه او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ألم تر وأرأيت كلمة تعجب وانما كانت
مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الاخبار استعملوا أرأيت بمعنى اخبر ومعنى التعجيب فيها ان اجراء على
ظاهره لا يجوز لان الاستشهاد على ما لم يتبع الشهادة محال فهو تنبيه المخاطب على ما شاهده واحاط به علما اظهارا للمعنى الغرابة فيه
وايجابا عليه ابدا ما لا يجوز اخفاؤه واما معنى ألم تر ففيه تنبيه للمخاطب على التعجيب فيما يشاهده وانما عطف الكاف على ألم تر
لان الاول تعدى بنفسه والثاني بالي فيجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر ويكون هذا
عطفا على المعنى وهو قول الكسائي والفراء وابي علي الفارسي واكثر النحويين قالوا ونظيره من القرآن قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف لان معناه
لمن السموات فقيل لله وقيل ان الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم والى الذي مر على قرية وقيل بضمير في الآية
زيادة من كان تقديره ألم تر الى الذي حاج ابراهيم او ألم تر من كان كالذي مر على قرية قيل الذي مر بالقرية كان كافرا شاكا
في البعث وهو قول مجاهد واكثر المفسرين قال صاحب الكشاف ومن اطال الانتظام مع نمرود في سلك وكلمة الاستبعاد التي
هي انى يحيي ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وهذا يدل على انه قبل ذلك لم يكن ذلك التبيين حاصلا له ولانه قال اعلم ان الله
على كل شيء قدير وهذا يدل على ان هذا العلم انما حصل له في ذلك الوقت وهذه الاوجه ضعيفة اما الاول فلانه معارض
بانتظامه مع ابراهيم فان قيل انتظامه مع نمرود اقوى لان قصة المار عطفت على قصة نمرود عطف تشريك في الفعل
والاول معطوفة الى الثانية [illegible] وقصة ابراهيم مصدرة بالواو التي لتحسين النظم يتوسط بين جمل متعاطفة
للتحسين بخلاف [illegible] لا يستعمل الا مشتركة بما بين قصة المار وبين قصة ابراهيم من التناسب المعنوي فان كليهما
طلب المعاينة للاحياء باعتبار المعنى اولى واما الثاني فلاحتمال ان ذلك الاستبعاد لم يكن بسبب الشك في قدرة الله
على ذلك بل كان بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب لم يصيره الله معمورا واما الثالث فلانه تبين الاحياء على سبيل
المشاهدة ما كان حاصلا له قبل ذلك واما الرابع فلان تلك المشاهدة افادت نوع تاكيد وطمانينة ووثوق وهذا انما حصل
في ذلك الوقت وهذا لا يدل على ان اصل العلم ما كان حاصلا قبل ذلك فقيل انه كان مؤمنا ويدل عليه قوله تعالى انى يحيي هذه الله بعد
موتها فانه يدل على انه كان عالما بالله وعلى انه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة لان تخصيص هذا باستبعاد الاحياء انما يصح عند
تحقق الاعتراف بالقدرة على الاحياء في الجملة فقيل هو عزير وهو قول قتادة وعكرمة والضحاك والسدي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو ارميا ثم قيل ان ارميا هو الخضر وقيل هو النبي الذي بعثه الله لما خرب بخت نصر بيت المقدس واحرق التوراة اراد
ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة وطمانينة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي اعترافا بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس وهي خاوية اي ساقطة متهدمة يقال خوى الحائط اذا تهدم وخوى ينقطع من اصله
ومنه قوله تعالى اعجاز نخل خاوية اي منقلعة من اصولها وقوله على عروشها اي سقوفها وذلك ان الحيطان كانت قائمة وقد
سقطت سقوفها ثم انقلعت الحيطان فسقطت على السقوف وقيل خاوية على عروشها اي خاوية عن عروشها فجعل على بمعنى عن كقوله
اذا اكتالوا على الناس وقيل ان القرية كانت خاوية مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب في القرية الخالية
الخاوية ان يبطل ما فيها من عروش الفاكهة فلما خربت القرية مع بقاء عروشها كان التعجب اكثر وقيل القرية هي التي خرج منها الالوف
قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها الذين قالوا ان المار كان كافرا حملوه على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على الاستبعاد
بحسب مجاري العرف والعادة او كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التاكيد وقوله انى اي من اين كقوله انى لك هذا
والمراد باحياء القرية عمارتها اي متى يفعل الله ذلك على معنى انه لا يفعله فاحب الله ان يريه في نفسه وفي احياء القرية آية
فاماته الله مائة عام وكان معه تين وعصير وحماره فاماته الله وحماره ايضا قال الامام فان قيل ما الفائدة في اماتته مائة
عام مع ان الاستدلال بالاحياء بعد يوم او بعد بعض يوم حاصل قلنا لان الاحياء بعد تراخي المدة ابعد في العقول من الاحياء
بعد قرب المدة والعجب فيه ثم بعثه يقال بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها وانما قال بعثه ولم يقل احياه لان قوله بعثه يدل
على انه عاد كما كان اولا حيا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية قيل احيى الله منه عينيه وسائر جسده
وهو ميت ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تبيض تلوح فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تكتسي لحما وجلدا
فكان كذلك ثم قام باذن الله ونهق قال كم لبثت قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بالادغام في جميع القرآن لقرب المخرج والباقون
بالاظهار لزيادة التنفيس وكلاهما عربيان فصيحان اي قال الله كم لبثت اي كم مكثت ههنا والمقصود من هذا السؤال
التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق قال لبثت يوما او بعض يوم بناء على الظن وروي انه مات ضحى في اول النهار وبعثه الله بعد
مائة سنة في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض
يوم بمعنى بل بعض يوم قال الله بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك اي التين وشرابك اي العصير لم يتسنه لم يتغير فوجد التين كما
جني والشراب على حاله قرأ الجميع لم يتسنه باثبات الهاء في الوقف وكذا في اقتده وماليه وسلطانيه وماهيه وابن كثير ونافع وابو
عمرو وابن عامر وعاصم اثبتوا الهاء في الوصل ايضا في لم يتسنه واقتده وحمزة والكسائي بحذف الهاء فيهما وصلا واشتقاقه من السنة
لان الشيء يتغير بمرور الزمان ثم ان قلنا الهاء اصلية لا هاء السكت [illegible] زعم قوم ان اصل السنة سنهة لانه يقال
في تصغيرها سنيهة ويقال سانهت النخلة بمعنى عاومت واجرت الدار مسانهة فيكون الجزم [illegible] فلم يحذف
وقفا ووصلا وقيل الهاء هاء السكت لان اصل السنة سنوة لانهم يقولون في جمعها سنوات وفي الفعل سانهت

الرجل مساناة اذا عاملته سنة سنة وفي التصغير سنية فابدلتا الواو ياء في الفعل والتصغير لان الياء اخف من الواو وقيل
وحذفت الواو من سنوة فالهاء اصلية وقيل لم يتسنه اصله لم يتسنن اجتمع ثلاث نونات فقلبت احديها ياء
وحذفت الياء للجزم والحق بها هاء السكت ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان
كانه لم يلبث مائة سنة ومن جعل الهاء للسكت حذفها في الوصل ومن جعلها اصلية اثبتها في الوصل والوقف
ضميره يرجع الى الشراب لانه اقرب المذكورين واكتفى بذكر احد المذكورين على الآخر لانه في معنى الثاني لان الطعام ايضا لم يتغير
وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته
وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغيير قوله ولنجعلك عطف على محذوف
تقديره اريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس وقيل الواو زائدة وقيل تمامها الواو وجعل فيه دلالة على انها شرط لفعل
بعدها اي ولنجعلك آية فعلنا ذلك للناس احياه بعد الموت وحفظ ما معه قيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقالوا
هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد
قبل عزير وذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر
الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وقيل عظام نفسه كيف ننشزها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
ننشزها بالزاي وضم النون وكسر الشين من النشوز التحريك والارتفاع اي نحركها ونرفعها فنردها الى مواضعها من الجسد ونركب
بعضها على بعض وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب كيف ننشرها بالراء وضم النون وكسر الشين اي كيف نحييها يقال انشر الله الميت
قال الله تعالى ثم اذا شاء انشره ونشر نشورا بمعنى انتشر قال تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا وكذلك النشور واليه النشور
فلما تبين لعزير عيانا ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم
ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه من امر احياء الموتى قرأ حمزة والكسائي اعلم موصولا مجزوما على الامر
اعلم والباقون اعلم مقطوعا مرفوعا على الخبر عن نفسه قال … الثاني الاول قوله تعالى واذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ● هذه القصة الثالثة في بيان كيفية احياء الموتى
وهي ايضا دالة على صحة البعث قيل العامل في اذ اذكر قول ابرهيم وقيل معطوف على قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم والتقدير
الم تر اذ حاج ابرهيم في ربه الم تر اذ قال ابرهيم رب ارني ذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها منها انه رأى جيفة بساحل
البحر اكل منها دواب البحر عند المد والسباع والطيور عند الجزر فقال ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء الحيوان من بطون
دواب البحر والطيور والسباع فقيل له اولم تؤمن قال بلى يا رب علمت وآمنت ولكن اردت ان اعاين واشاهد ليطمئن قلبي
ويسكن قلبي الى المعاينة والمشاهدة ويصير علم اليقين عين اليقين ومنها ان ابرهيم لما احتج على نمرود وقال ربي الذي يحيي
بان يقصد الى جسد ميت فيحييه ويجعل الروح فيه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ان يقول نعم رأيته فقال رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حتى اذا قال لي قائل هل عاينت وقد احتججت عليه باحياء الموتى قلت
عاينت وليعلم نمرود ان الاحياء كما فعلت لا كما فعل ومنها ان نمرود قال لابرهيم انت تزعم ان ربك يحيي الموتى وتدعوني
الى عبادته فقل لربك يحيي الموتى ان كان قادرا والا قتلتك فقال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي ونجاتي من القتل فان عدو الله توعدني بالقتل اذ لم تحيي ميتا ومنها ان الله تعالى اوحى اليه اني
متخذ بشرا خليلا فاستعظم ابرهيم ذلك وقال الهي ما علامة ذلك قال علامته انه يحيي الموتى بسؤاله
فلما عظم مقام ابرهيم في درجات العبودية واداء الرسالة خطر بباله اني لعلي ذلك الخليل فسأل احياء الموتى فقال اولم
تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك ومنها انه عليه السلام سأل ذلك لقومه لان اتباع الانبياء كانوا يطالبونهم
باشياء باطلة او حقة فسأل ابرهيم ذلك ليشاهده قومه فيزول الانكار عن قلوبهم ومنها ان المراد من الموتى القلوب المحجوبة
عن انوار المكاشفات والتجلي والاحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي والانوار الالهية فقوله ارني كيف تحيي الموتى طلب التجلي
والمكاشفة فقال اولم تؤمن قال بلى اومن ايمانا بالغيب ولكن اطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي وقوله
فخذ اربعة من الطير بعيد من هذا الوجه ومنها ان العلم الاستدلالي قد يتطرق اليه الشكوك والشبهات فطلب علما ضروريا
على سبيل المشاهدة ليطمئن القلب ولا يختلج الشبهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله ابرهيم نحن احق بالشك
منه قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي معنى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من
ابرهيم اي ما شك ابرهيم لحجته الله عز وجل الى ما سأل الامر وقيل من الخليل الى صنع خليله ولم يتهمه فذلك قوله عز وجل
اولم تؤمن بمعنى انت مؤمن شهد له بالايمان قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين بالحجة وتحقيق الخلة واجابة
الدعوة وانما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين
في ليطمئن متعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ليطمئن قلبي قال الله عز وجل لابرهيم عليه السلام فخذ اربعة من الطير
مختلفة اجناسها وطباعها ليكون ابلغ في القدرة وخص الطير من سائر الحيوانات لخاصية الطيران … تلك
الطير هي قيل اخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكا وقيل حمامة مكان نسر قال الامام ما خص هذه الطيور لان
الطاووس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه والترفع والنسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل والغراب
اشارة الى شدة الحرص على الجمع والطلب فان من حرص الغراب انه يطير بالليل ويخرج بالنهار في غاية البرد للطلب والديك

اشارة الى شدة الشغف بقضاء شهوة الفرج والاشارة فيه الى ان الانسان ما لم يرتع في كسر شهوة البطن والفرج وابطال
الحرص والتزين للخلق لم يجد في قلبه روحا وراحة من نور جلال الله قوله فصرهن قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي
وابو عمرو بضم الصاد وحمزة بكسر الصاد معناه املهن واضممهن يقال صرت الشيء اصوره اذا املته
● وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح اي يميله لكثرته
وفيه اضمار معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك
وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة وقرأ عاصم جزءا مثقلا مهموزا والباقون مهموزا مخففا ومعناه النصيب
قيل امر الله ان يذبح الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ثم يجزئها
اربعة اجزاء على اربعة اجبل ففعل ذلك ابرهيم وامسك رؤسهن عنده ثم دعاهن تعالين باذن الله فجعلت اجزاء الطيور تطير
الى بعض ثم اتينه سعيا على ارجلهن وتلقى كل طائر راسه فذلك قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا اي ساعيات مسرعات وطائرات
او في مشيهن على ارجلهن قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف
اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات
لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يدبر ويفعل يفعل الاشياء كما هي ويفعل كما ينبغي قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ● قيل
وكيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك في هذه
الآيات تلك الاضعاف وانما ذكر بين الآيتين الادلة على قدرته بالاحياء والاماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالانفاق
لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب لكان الانفاق وسائر الطاعات عبثا فكانه قال لمن رغبه في الانفاق قد عرفت اني خلقتك
واكملت نعمتي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة والاثابة فليكن علمك بهذه الاحوال داعيا الى انفاق المال
فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو ان من بذر حبة اخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فصارت
الواحدة سبعمائة وقيل انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في الجهاد
بالنفس والمال لاجل نصرته واعلاء شريعته وقيل المثل بالانبياء والمؤمنين والكفار اولياء الطاغوت ثم بين مثل ما ينفق في سبيل الله
مثل الذين ينفقون لابد من حذف مضاف من مثل الذين او من كمثل حبة اي مثل نفقة الذين او كمثل زارع حبة انبتت سبع
سنابل والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع
سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة فان قلت
هل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت هذا ممثل لا يستحيل ان يكون موجودا فذلك صحيح على سبيل الفرض والتقدير
على معنى انكم تعلمون انه لو طلب الزيادة والربح ان اذا بذر حبة كان يخرج له من ذلك هذا التضعيف فكذلك ينبغي لمن
طلب الاجر في الآخرة عند الله ان لا يتركه اذا علم انه يحصل له على الواحدة عشرة ومائة وسبعمائة واذا كان هذا المعنى معقولا
فسواء وجد في الدنيا حبة بهذه الصفة او لم توجد كان المعنى مستقيما ويمكن هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخ
ساق البر في الارض العزيزة المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ادغم ابو عمرو وحمزة والكسائي تاء انبتت في سين سبع لانهما
مهموستان واظهرها الباقون لانهما كلمتان والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت
احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد اضعافها لمن يشاء لا لمن يستوجب ذلك والله واسع عليم
جواد لا ينقصه ما يتفضل به عليم بمن ينفق قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني
حليم ● نزلت هذه الآية في عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما اما عثمان فجهز جيش العسرة في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها
واحلاسها والف دينار فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه واما عبد الرحمن فتصدق
بنصف ماله اربعة آلاف درهم فنزلت الآية وقيل الآية المتقدمة مختصة بمن انفق على نفسه وهذه فيمن انفق على غيره فبين تعالى ان الانفاق على الغير
انما يوجب الثواب العظيم المذكور في الآية المتقدمة اذا لم يتبعه منا ولا اذى قيل وهذا الشرط معتبر ايضا فيمن انفق
على نفسه في بعض الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ابتغاء لمرضاة الله ولا يمن بذلك على النبي والمؤمنين
ولا يؤذي احدا من المؤمنين مثل ان يقول لو لم احضر لما تم هذا الامر ويقول لغيره انت ضعيف بطال لا منفعة فيك في الجهاد
واصل المنة النعمة يقال من عليه منة ومنينا اذا انعم واعطى ثم ان الله تعالى هو المعطي فاذا من اي اعطى ثم كثر حتى صار ذكر
النعمة والاعتداد بها منة والمن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا وكانوا يقولون
اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم ● وقيل صنوان من منح سائله ومن
ومن منع نائله وضن طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازاله اي اعطى وقيل هو
ان يذكر احسانه لمن لا يحب ان يقف عليه ونحو ذلك مما اشبه ذلك من القول الذي يؤذيه قيل اذا اعطيت احدا شيئا
فظننت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه ومعنى ثم … اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما
خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا … قوله لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى يفيد
ان انتفاء كل منهما شرط لحصول الاجر والذين ينفقون اموالهم … وقوله لهم اجرهم … وعدم دخول الفاء في الخبر اشارة الى ان اجرهم
عند ربهم انما هو على سبيل التفضل لا بايجاب الانفاق وقوله ولا خوف عليهم اي اذا انفقتم في سبيل الله لا ينبغي ان تغتموا بسوء …

يوم القيمة لا يخافون تبعاته ولا يحزنون فواته وقيل يوم القيمة لا يخافون العقاب كما قال تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وقال
لا يحزنهم الفزع الاكبر قول معروف كلام حسن ورد على السائل جميل وعدة حسنة من المسئول ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد
منه ما يثقل على المسئول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل عن المسئول بان يعذر المسئول
اذا رد السائل ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اعطى ثم اتبع الاعطاء بالايذاء فقد جمع بين الانتفاع والاضرار وربما
لم يف ثواب الانتفاع بعقاب الاضرار واما القول المعروف ففيه انتفاع من حيث افادة ايصال السرور الى قلب السائل من غير تعرض
بالاضرار فهو خير من الصدقة المذكورة والله غني عن صدقة العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته وهذا
سخط منه ووعيد له عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسئلته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه
بوقار ولين او ببذل يسير او برد جميل فانه قد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل
صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ⊙ وصف الله
تعالى حال الانفاق الذي يتبعه المن والاذى والذي لا يتبعه المن والاذى وضرب لكل منهما مثلا فقال في الاول يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قيل معناه لا تأتوا به باطلا وذلك بان ينوي بالصدقة الرياء والسمعة فيكون هذه
الصدقة حين وجدت حاصلة باطلة وهو موافق لما ذهب اليه الاصحاب وقيل الابطال ان يأتي بها على وجه يوجب الثواب
ثم يبطله بعد ذلك اذا اتبع بالمن والاذى صار عقاب المن والاذى مزيلا لثواب تلك الصدقة وهذا التأويل ينفع المعتزلة
فانه يفيد ان العقاب الذي هو سبب المن والاذى يحبط ثواب الصدقة قال الجبائي كما دل هذا النص على صحة قولنا
فالعقل دل عليه ايضا لان من اطاع وعصى فلو استحق ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب ان يستحق النقيضين لان
شرط الثواب ان يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال وشرط العقاب ان يكون مضرة خالصة دائمة مقرونة
بالاذلال فلو لم يكن المحابطة لحصل استحقاق النقيضين وذلك محال ولانه حين يعاقبه فقد منعه الاثابة ومنع
الاثابة ظلم وهذا العقاب عدل فلزم ان يكون هذا العقاب عدلا من حيث انه استحقه وان يكون ظلما من حيث انه منع
الاثابة فيكون ظالما بنفس الفعل الذي هو عادل فيه وذلك محال فصح قولنا في الاحباط والتكفير بهذا النص وبدلالة
العقل واما اصحابنا فانهم قالوا ليس المراد بقوله لا تبطلوا النهي عن ازالة هذا الثواب بعد ثبوته بل المراد به ان لا يأتي
بهذا العمل باطلا وذلك لانه اذا قصد به غير وجه الله فقد اتى به من الابتداء على نعت البطلان واحتج اصحابنا على بطلان
قول المعتزلة بوجوه منها ان الباقي والطارئ ان تنافيا لم يكن اندفاع الطارئ بزوال الباقي اولى من
اندفاع الطارئ بل العكس اولى لان الدفع اهون من الرفع واعلم انه تعالى ذكر بكيفية ابطال الصدقة
بالمن والاذى مثلين احدهما مثله تعالى بالعمل الاول وهو كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
اذ من المعلوم ان المراد من كون عمل هذا باطلا انه دخل في الوجود باطلا لا انه دخل صحيحا ثم يزول لان المانع من صحة
هذا العمل هو الكفر والكفر مقارن له فيمتنع دخوله صحيحا في الوجود فهذا المثل يشهد لما ذهب اصحابنا اليه في التأويل
واما المثل الثاني وهو الصفوان اي الحجر الاملس الذي عليه تراب فاصابه وابل اي المطر القوي فازال ذلك التراب
عنه فتركه صلدا اي اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه فيشهد لتأويل المعتزلة فان الكافر كالصفوان والتراب
مثل ذلك الانفاق والوابل كالكفر الذي يحبط عمل الكافر وكالمن والاذى الذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما
ان الوابل ازال التراب الذي وقع على الصفوان فكذا المن والاذى يجب ان يكونا مبطلين لاجر الانفاق بعد حصوله
لكن لاصحابنا ان يقولوا لا نسلم ان المشبه بوقوع التراب على الصفوان حصول الاجر للكافر بل المشبه بذلك
هذا العمل الذي لولا كونه مقرونا بالنية الفاسدة لكان موجبا لحصول الاجر والثواب فالمشبه بالتراب الواقع
على الصفوان هو ذلك العمل الصادر منه وحمل الكلام على هذا اولى لان التراب اذا وقع على الصفوان لم يكن ملتصقا
به ولا غائصا فيه البتة بل كان الاتصال كلا اتصال فهو في رأي العين متصل وفي الحقيقة منفصل فكذا الانفاق
المقرون بالمن والاذى يرى في الظاهر انه عمل من اعمال البر وفي الحقيقة ليس كذلك فظهر ان استدلالهم بهذه الآية
ضعيف وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن على الله وبالاذى للفقير والاول اوجه فان الانسان اذا انفق متبجحا
بفعله سالكا طريق التكبر غير معترف بان ذلك من فضل الله وتوفيقه ولطفه فكأنه كالمان على الله تعالى والثاني ظاهر كالذي
ينفق قيل الكاف متعلق بمحذوف تقديره كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو المنافق بين الله تعالى ان المان
والمؤذي يبطلان صدقاتهم بالمن والاذى كما ان المنفق المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يبطل نفاقه
بالرياء والنفاق وتحقيق ذلك ان المنافق المرائي انفق لا لوجه الله تعالى والمتصدق المقرن صدقته بالمن والاذى تصدق
لا لوجه الله اذ لو تصدق طالبا لمرضاة الله لما من على الفقير ولا آذاه فثبت اشتراكهما في كون ما اتى به لا لوجه الله
تعالى والكاف على هذا في محل النصب لانه صفة مصدر محذوف اي ابطالا كابطال الذي ينفق وقيل الكاف في محل النصب
على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق ماله رئاء الناس اي يرائي الناس بصدقته لا يريد بانفاقه رضا الله
ولا ثواب الآخرة ورئاء مصدر كالمراءاة كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة اي مثل هذا المرائي المنافق كمثل صفوان قوله لا يقدرون
اي لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثواب ما عملوا كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فالضمير راجع الى الكاف فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله

قال ابن عباس لا تبطلوا صدقاتكم بالمن على الله بسبب صدقتكم وبالاذى لذلك السائل وقال الآخرون بالمن على الفقير وبالاذى للفقير

كالذي

كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وقيل انه
مردود على قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم اذا ابطلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فرجع عن الخطاب
الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين لا يجعل جزاءهم على كفرهم ان يهديهم
قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت
اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ⊙ لما ذكر مثل المنفق الذي يكون مانا ومؤذيا ذكر مثل المنفق
الذي ينفق ابتغاء مرضات الله الابتغاء افتعال من بغيت اي طلبت بين الله تعالى ان غرض هؤلاء المنفقين من هذا الانفاق
امران احدهما طلب مرضاة الله وثانيهما تثبيت النفس قيل معناه وليثبتوا من انفسهم ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله
اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة اي ليثبتوا من انفسهم على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت
بالتحامل عليها وتكليفها الامر الذي يصعب عليها لم تنزل لصاحبها وقوي طمعها في اتباعه لشهواتها فعلى هذا من للتبعيض مثلها
في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه لكي يكون مفعولا به للمصدر اي تثبيتا بعض انفسهم معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد
ثبت بعض نفسه اي من بعض الوجوه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها اي من كل الوجوه وتجاهدون في سبيل
الله باموالكم وانفسكم فكأن انفاق المال تثبيت النفس على الايمان واليقين من بعض الوجوه وبذل المال والروح تثبيت النفس على
الايمان واليقين من كل الوجوه والجود بالنفس اقصى غاية الجود وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم
ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه فعلى هذا من لابتداء الغاية كقوله
من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه قوله كمثل جنة
اي ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها ونمائها عند الله كمثل جنة اي بستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها
ازكى واحسن ثمرا قرأ عاصم وابن عامر بفتح الراء هاهنا وفي المؤمنين وهي لغة بني تميم والباقون بضم الراء فيهما لانها اكثر
اللغات وفيها ثلاث لغات وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيها الانهار فلا تعلوه الماء ولا يعلو على الماء وانما سميت ربوة
لانها ربت فغلظت وعلت من قولهم ربا الشيء يربو اذا انتفخ فعظم اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها قرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو بالتخفيف والباقون بالتثقيل الذي هو الاصل والاكل الثمر الذي يؤكل قال الله تعالى تؤتي اكلها كل حين اي ثمرتها
وما يؤكل منها اي اعطت ثمرتها ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل قيل حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين
وقيل حملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي مطر صغير القطر وهو ضعيف القطر والبلة وقيل هو الندى اي فطل يكفيها
لكرم منبتها وقيل معناه ان هذه الجنة ان لم يصبها وابل فيصيبها مطر دون الوابل الا ان ثمرتها باقية بحالها على التقديرين
لا تنقص بسبب انتقاص المطر وقيل معنى الآية ان لم يصبها وابل حتى يضاعف ثمرها فلا بد ان يصيبها طل يعطي ثمرا دون
ثمر الاول فهي على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر كذلك المؤمن المخلص اذا اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قليلا كان او كثيرا وقيل مثل
حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك
نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان تطلب بها وجه الله وتبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده
والله بما تعملون بصير عليم بكمية النفقات وكيفيتها وبالامور الباعثة عليها فيجازيها ان خيرا فخير وان شرا فشر قوله تعالى
أيود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ⊙ هذه الآية متصلة
بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانه مثل آخر ذكره الله تعالى في حق من يتبع انفاقه بالمن
والاذى والود هو المحبة الكاملة والهمزة فيه للانكار وتكون له جنة من نخيل واعناب لا يكون الجنة من النخيل والاعناب
لكن بسبب كثرة النخل والاعناب في الجنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات لما كان اكثر الشجر واكثرها منافع
خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات
بعد ذكر قوله تجري من تحتها الانهار فان الجنة الموصوفة من ابهى الجنان لانها حسنة المرأى والمنظر كثيرة المنفعة والريع وكذا
الزيادة على هذا في حسن الجنة ثم شرع تعالى في بيان شدة حاجة مالكها اليها فقال واصابه الكبر وذلك لانه اذا كبر
عجز عن الاكتساب وكثرت جهات حاجاته بحسب مطعمه وملبسه ومسكنه وافتقاره الى من يقوم بخدمته وتحصيل مصالحه
فاذا تزايدت جهات الحاجات وتناقصت وجوه الدخل والكسب وتحقق في تلك الجنة يكون الاحتياج اليها في الغاية
والواو في قوله واصابه الكبر للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة على هذه الصفة وقد اصابه الكبر ويحتمل ان يكون للعطف
على المعنى فانه يقال وددت لو يكون كذا فعطف ودت لو كان كذا كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر فحمل العطف على
المعنى ثم انه تعالى زاد في بيان احتياج ذلك الانسان الى تلك الجنة فقال وله ذرية ضعفاء بحسب الصغر والطفولية
فيصير المعنى ان ذلك الانسان كان في غاية الضعف والحاجة الى تلك الجنة بسبب الكبر وله ذرية ضعفاء في غاية الضعف
والحاجة بسبب الطفولية والصغر ثم قال فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار
فاحترقت جنته فاذا اصبح الانسان وشاهد تلك الجنة محترقة بالكلية فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة والحيرة
تارة بسبب انه ضاع مثل تلك الجنة النفيسة واخرى بسبب انه بقي في الحاجة والشدة مع العجز عن الاكتساب واليأس عن
ان ينفع اليه شيء يسد خلله وبسبب تعلق ذريته الضعفاء وافتقارهم الى الانفاق عليهم كذلك من ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر او يبطل صدقاته بالمن والاذى فاذا قدم يوم القيمة وكان في غاية الاحتياج الى الانتفاع

ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها واذا لم تذلل النفس بالتحامل عليها وتكليفها الامر الذي يصعب عليها

والله تعالى

سادس

... ا غصان آلناية فاالمن والاذى فالذى فيه نار آلنفاق قد احرقت جنة نفاقه وتصدق ...

... له جنة بالصفة المذكورة فهلكت بالضياع ... عمر رضى الله عنه سال اصحاب ...

... عن هذه فقالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس ...

... منى قال عمر قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك قال ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب مثلا لعمل ...

... الشيطان فنسى فى آخر عمره ... حتى ...

... التى مات عليها كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ...

... لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا من ...

الكبائر، لولا ان ناصر الانسان من يدفع الضرر عنه فلو اندفعنا العقوبة عنهم بشفاعة الشفعاء لكان الشفعاء انصارا لهم وهو باطل لقوله تعالى وما للظالمين من انصار والجواب عنه من وجوه منها ان الانصار غير الشفعاء لقوله تعالى لا يقبل شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون والعطف يقتضي التغاير ومنها انه لا يلزم من نفي الانصار للظالمين على سبيل الجمع نفيه عن البعض ولا يلزم من مقابلة الجمع بالجمع فقط دون مقابلة الفرد بالفرد ومنها انه هنا الدليل النافي للشفاعة عام في حق الكل في كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض في بعض الاوقات والخاص مقدم على العام ومنها انه يستلزم العمل بهما ومنها ان اللفظ العام لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا فلا تمسك به في المسئلة القطعية

قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ● اعلم انه تعالى بين ان الانفاق منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يكون كذلك وذكر حكم كل واحد ثم ذكر ان الانفاق قد يكون من طيب ومن خبيث وذكر حكم كل واحد من القسمين ثم ذكر في هذه الاية ان الانفاق قد يكون باديا وقد يكون خفيا وذكر حكم كل واحد من القسمين فقال ان تبدوا الصدقات اي المتطوع بها لا الواجبة فان الافضل في الفرض ان يظهر بها وفي المتطوع بها ان يخفوها عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل الله صدقة التطوع في السر يفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة يفضل علانيتها سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل وانما كان المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة لئلا يسيء الناس الظن به ولانها في الفرض واما النوافل فاخفاؤها افضل لبعدها من الرياء والآفات واذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل قوله فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي فنعم الشيء الصدقات التي تبدوا قرأ نافع وعاصم وابو عمرو فنعما بكسر النون وسكون العين واختاره ابو عبيد وذكر انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص نعما بالمال الرجل الصالح هكذا روي في الحديث وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وابن كثير بكسر النون والعين وهي لغات صحيحة فصيحة ونعم ونعم لغتان جيدتان ان من كسر النون فالعين اتبع الكسرة الكسرة لئلا تلتقي ساكنان سكون العين والادغام وان تخفوها تسروها وتؤتوها تعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم وافضل وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل لقوله صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم يمينه ما انفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ويكفر عنكم قرأ ابن عامر وحفص يكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء اي والله يكفر او الاخفاء ويكون عطفا على محل ما بعد الفاء في قوله فهو خير لكم او على انه خبر مبتدأ محذوف اي الله يكفر او الاخفاء يكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأ وقرأ ابو بكر عن عاصم وابو عمرو وابن كثير بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على جملة من فعل وفاعل وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وموضعها جزم بالجزاء قوله من سيئاتكم ادخل من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر بذلك وابهم الكلام في بعض لان بيانه كالاغراء بارتكاب ذلك البعض واعلم انها مكفرة بل الخطايا تكون العبد في كل احواله بين الخوف والرجاء وذلك انما تكون مع الابهام وقيل من بمعنى من اجل والمعنى ويكفر عنكم من اجل ذنوبكم كما تقول ضربتك من سوء خلقك وقيل انها صلة زائدة كقوله تعالى فيها من كل الثمرات والاول اصح قوله والله بما تعملون خبير اي والله عالم بما تعملون بالسر والعلانية وانتم انما تريدون بالصدقة طلب مرضاته فقد حصل مقصودكم في السر فلا حاجة الى الابداء فاذن الاخفاء ابعد من الرياء فهو اولى الى التفضيل صدقة السر على العلانية

قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ● قيل اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها يسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما وقيل ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا فاستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فاعطوهم بعد نزولها وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله ليس عليك هداهم فمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها وهذا صدقة التطوع اباح الله ان يتصدق على المسلم والذمي فاما صدقة الفرض فلا يجوز ان يتصدق بها الا على المسلمين وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره ولكن الله يهدي من يشاء اي ليس يجب عليك ايجاد الهداية فيهم بل عليك دعوتهم وصدق البيان والتبليغ قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى وما على الرسول الا البلاغ وقال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكن الله تعالى يخلق الهداية لمن يشاء اي لمن يريد هدايته فنفس الهداية بمشيئة الله تعالى واما قول صاحب الكشاف ولكن الله يهدي من يشاء بلطف من ينفع فيه

عما نهى عنه فهو مبني على شدة محبته لمذهب الاعتزال وتعصبه لنصرته فان الاية لا تدل على ما ذكره لا نصا ولا ظاهرا ولا صريحا ولا كناية وما تنفقوا من خير من مال الشرط وجوابه فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وقيل يحصل لانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وقيل المعنى ولستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله فقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذ كنتم انما تبغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الانفاق عليهم وقيل ظاهره خبر وتأويله نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله سواء كان انفاقكم على من هو على دينكم او على خلاف دينكم او على من هو على غير دينكم وفي قوله الا ابتغاء وجه الله قولان احدهما ان المراد منه تحقيق الاضافة فلان الوجه يرفع الابهام انه له ولغيره وذلك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على ان ذلك يصرف الوهم عن الاشتراك الى تحقيق التخصيص فكنت بذلك تحقيقا لما اضافه وهذا لان الابهام الشركة وثانيهما انك اذا قلت فعلته لاجل وجه زيد فالاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يذكر شرف الذكر من غير تحقيق للوجه وانما يراد اشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه وما تنفقوا من خير شرط وجزاء يوف اليكم ولهذا سقط النون من الاول والياء من الثاني اي يوف اليكم والتوفية اكمال الشيء قال ابن عباس يجازيكم في الاخرة جزاء اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية اي يؤد اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية اي يوفر لكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا كقوله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص

قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ● لما بين في الاية الاولى انه يجوز صرف الصدقة الى اي فقير كان بين في هذه الاية ان الذي يكون اشد الناس استحقاقا بصرف الصدقة اليه من هو فقال للفقراء الذين احصروا والجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا الفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وصف الفقراء بانهم الذين احصرهم الجهاد وقيل حبسوا انفسهم في سبيل الله اي في طاعته للغزو فلا يتفرغون الى طلب المعاش وقيل هم قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى فاحصرهم المرض فلا يمكنهم الضرب في الارض وقيل هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد يقال ضرب في الارض ضربا اذا سار فيه ومنه قوله تعالى واذا ضربتم في الارض اي لا يقدرون منعهم عن جهاد العدو وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من المهاجرين لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار اي يكسرونه ويصرفون بها في النفقة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي قوله يحسبهم الجاهل قرأ عاصم وحمزة يحسب بفتح السين وجميع القراء والباقون بالكسر وقيل انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم اي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من تعففهم عن السؤال والتعفف من العفة وهو الترك يقال عف عن الشيء اذا كف وتعفف اذا تكلف في الامر اي يحسبهم الجاهل مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة والحاصل ان علو همتهم يمنعهم في حال حاجتهم الا ان حالهم تعرف بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال قرأ حمزة والكسائي بالامالة والباقون بالتفخيم والسيما العلامة التي يعرف بها الشيء من السيمة وقيل هو التخشع والتواضع وقيل اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل صفرة الوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم والجوع خفي وقيل السكون والسكينة وقيل فرحهم بفقرهم واستقامة احوالهم عند موارد البلاء عليهم وقيل غيرتهم على الحق وملازمتهم وقيل ايثار ما يملكون مع الحاجة اليه وقيل بطيب قلوبهم وبشاشة وجوههم وحسن حالهم ونور اسرارهم وجولان ارواحهم في ملكوت ربهم لا يسألون الناس الحافا والالحاف هو الالحاح واللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وقيل من لحاف الجبل وهو خشونته كانه استعمل الخشونة في الطلب قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل معناه لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف لانه قال من التعفف ترك السؤال اصلا وقال ايضا تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم بسيماهم اراد نفي السؤال من حالهم وهذا كما تقول في الكلام قلما رأيت مثل هذا الرجل ولعلك لم تر مثله قليلا ولا كثيرا قال الله عز وجل فقليلا ما يؤمنون وهم كانوا لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا كذلك معنى الاية ليس لهم سؤال فيقع فيه الالحاف كقول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء وقيل معناه انهم ان سألوا بلطيف ولم يلحوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم ويبغض السائل الملحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله اربعون درهما فقد الحف وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين من ترده اللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرأوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا قوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم لما ذكر صفة هؤلاء الفقراء قال بعده وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وهو نظير ما ذكر قبل هذه الاية من قوله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون وليس هذا من باب التكرير لان فوائدها انه تعالى قال في الاية الاولى وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذلك

ان يوفيه الاجر من غير بخس ولا نقصان لا يحكى الا عند العلم وكيفياتها ومنها انه لما رغب في التصدق على الملي و الذمي
قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم يعني يوفا اجره لا محالة ثم لما رغب في التصدق على الفقراء الموصوفين بهذه الاوصاف
الكاملة وكان هذا الانفاق اعظم وجوه الانفاقات لاجرم اردفه بما يدل على عظم ثوابه فقال وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم وهو يجري مجرى ما اذا قال السلطان العبد الذي استحسن خدمته اما يكفيك ان يكون علي شاهدا بكيفية طاعتك
وحسن خدمتك فان هذا اعظم وقعا مما لو قال له انا اجزيك وكمل اليك قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل و
النهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● لما بين في الاية المتقدمة ان اكمل من يصرف اليه
النفقة من هو في هذه الاية ان اكمل وجوه الانفاق كيف هو فقال الذين ينفقون الاية وقيل ذكر لنا كرما تقدم ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وقيل انه هذه الاية اخر الايات المذكورة في احكام الانفاقات فلاجرم ارشد الخلق الى اكمل وجوه الانفاق
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم سرا وبدرهم
علانية وبدرهم ليلا وبدرهم نهارا فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله
وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الاية واذا مر بفرس اعجف سكت وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتبط
فرسا في سبيل الله فانفق عليه احتسابا كان شبعه وجوعه وريه وظمأه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيمة وعنه صلى الله
عليه وسلم المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة فلهم اجرهم خبر الجزاء لما كان المبتدأ موصولا
صلته فعل وصح دخول الفاء دليل على ان حصول الاجر انما كان بسبب الانفاق على صفة الانفاق بالسر والعلانية والليل
والنهار علامة حصول الاجر لا انه سبب حقيقي كما هو مذهب المعتزلة وتقديم الليل على النهار والسر على العلانية
في الذكر اشارة الى ان صدقة الليل والسر افضل من صدقة النهار والعلانية والاية دلت على ان اهل الثواب لا خوف
عليهم يوم القيمة ولا هم يحزنون وهذا مشروط بان لا يحصل عقيبه الكفر قوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ● لما كان بين الصدقة
والربا تضادا لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب امر الله به والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع
نهي الله عنه فلهذا قال يمحق الله الربا ويربي الصدقات فعادة القران جارية بتعقيب حكم احد الضدين بالاخر كذا
عقب حكم الصدقات حكم الربا كتب الربوا على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها
بواو الجمع والتغاوم منه الحديث من اجبى فقد اربى اي عامل بالربوا وفي الشرع هو اسم لزيادة على اصل المال من غير بيع والربوا
قسمان ربا النسيئة وربا الفضل اما ربا النسيئة فهو الامر الذي كان مشهورا متعارفا في الجاهلية يتعاملون به
واما ربا الفضل فهو ان يباع من من الحنطة بمنوين منها وما اشبه ذلك والمروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يحرم
الا ربا النسيئة لقوله صلى الله عليه وسلم انما الربوا في النسيئة وفي بعض الالفاظ لا ربا الا في النسيئة وفي بعض الالفاظ
لا ربا الا في النسيئة ويجيز بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة متفاضلا فقال له ابو سعيد الخدري شهدت
ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع ثم روى له الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب
والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد
اربى الاخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك ظل بيت ما دمت على هذا ثم رجع ابن عباس عنه عن ابن سيرين
كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال الرجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت
الصرف برأيي ثم بلغني انه عليه السلام حرمه فاشهدكم اني حرمته وبرئت الى الله تعالى منه ومعنى قوله انما الربوا في النسيئة
في الجنسين كما روي في حديث عبادة بن الصامت الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر
بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلف هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فتبين ان النسيئة
في الجنسين من النقد اي الذهب والفضة والمطعوم اي الاربعة الباقية واباح التفاضل واعلم ان الربوا في الشرع
يقع على معان لم يكن الاسم موضوعا لها في اللغة ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى النسيئة ربا وقال عمر
رضي الله عنه ان من الربوا ابوابا لا يخفى منها السلم في السن يعني الحيوان وقال عمر ايضا ان اية الربوا من اخر ما نزل من القران
وان النبي صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يبينه لنا فدعوا الربوا والريبة فثبت بذلك ان الربا كان اسما شرعيا لانه
لو كان باقيا على حكمه في اصل اللغة لما خفي على عمر لانه لو كان عالما باسماء اللغة لانه من اهلها ويدل عليه ان العرب
لم تكن تعرف بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نساء ربا وهو ربا في الشرع فصار الربوا بمنزلة الاسماء المجملة
المفتقرة الى البيان وهو من الاسماء المنقولة الشرعية لمعان لم يكن الاسم موضوعا لها في اللغة نحو الصلوة والزكوة و
الصوم ولا يصح الاستدلال بعمومه في تحريم شيء من العقود الا فيما قامت دلالته انه مسمى في الشرع بذلك وقد بين
النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من مراد الله بالاية نصا وتوقيفا وبين صلى الله عليه وسلم الربوا بقوله صلى الله
عليه وسلم كثيرا من مراد الله بالاية نصا وتوقيفا وبين صلى الله عليه وسلم الربوا بقوله صلى الله عليه وسلم
كثيرا من مراد الله بالاية نصا وتوقيفا وبين صلى الله عليه وسلم الربوا بقوله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة
بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا

كيف

[illegible]

يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فاربى في بطونهم حتى اثقلهم فلا
يقدرون على الايفاض وفي الاسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما اسري بي الى السماء رأيت رجالا بطونهم
كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء اكلة الربا اعلم ان اكل الربا مخالف
لما امر الله تعالى به فهو على صراط غير مستقيم فان الممتثل لامر الله والمنتهي عما نهى الله على الصراط المستقيم وهو صراط النبي
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله و
الصراط الغير المستقيم صراط الشيطان فان الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر والمعصية فسلوك الصراط الغير
المستقيم سلوك صراط الشيطان ومن سلك غير الصراط المستقيم فهو خبط عشواء اذ سلوكه مضطرب مختلف
وهو من الشيطان فاذا مات على ذلك من غير توبة فالخبط الذي كان حاصلا بسبب الربا في الدنيا مخالفة امر الله تعالى ومتابعة
الشيطان اورث التخبط في الاخرة قال صلى الله عليه وسلم كما تموتون تبعثون ذلك الذي نزل بهم من العقاب بسبب انهم
قالوا انما البيع مثل الربا يدل على ان الوعيد انما يحصل لهم بقولهم واستحلالهم الربا دون الاقدام عليه اذ لو كان الوعيد
يحصل لهم بهذا القول فالاكل وسائر التصرفات اولى ان يحصل الوعيد لان القول اهون ثم لو قالوا ذلك لانهم
اعتقدوا بان البيع لان الكلام في الربا لا في البيع وجب ان يقال انهم شبهوا الربا بالبيع وكانت شبهتهم انهم قالوا
لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه
قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع لكن بين الله تعالى ان احل الله

خبط م

مثل الربا الى الزم الوعيد بان الفرق قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل انما الربا مثل البيع م

[illegible]

فاذا اتاكما على اما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المراة فقد مضى
وان لم تقبضه فلها مهر مثلها دون المهر قوله ان كنتم مؤمنين معناه اذ كنتم مؤمنين كقوله وانتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين وقيل انه من كان مؤمنا فهذا حكمه كما يقول ان كنت اخي فاكرمني اي لانك اخي فاكرم اخاه وقيل علم الله تعالى ان من كان
قبل عن الله امره ومنه انه من حرب وقال صاحب الكشاف ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به
من ذلك قيل قوله ان كنتم مؤمنين كالدلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق في
يجتنب كل الكبائر واجيب بانه لما دلت الدلائل على ان العمل خارج عن مسمى الايمان كانت هذه الاية محمولة على كمال الايمان
وشرائعه فكان التقدير ان كنتم عاملين بمقتضى شرائع الايمان هنا وان كان تركا للظاهر لكنه ذهبنا اليه لتلك الدلائل
قوله فان لم تفعلوا فاذنوا قرا عاصم وحمزة فآذنوا مفتوحة الهمزة ممدودة مكسورة الذال على وزن فآمنوا والباقون فأذنوا
ساكنة الهمزة مفتوحة الذال وقصر فمن قرا فآذنوا ممدودة معناه فاعلموا غيركم قال الله تعالى آذناك ما منا من شهيد واصله
الكلمة من الاذن اي اوقعوا في الآذان والمفعول محذوف والتقدير فاعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله ورسوله فاذا
امروا باعلام غيرهم علموا هم لا محالة فقوله فأذنوا مقصود معناه فاعلموا انتم واستمعوا يقال اذن للشيء يأذن اذنا واذانا
واذانة اذا سمعه قال الله تعالى واذنت لربها وحقت قال ابو عبيدة يقال اذنت بالشيء فانا اذن به اي عالم والمعنى فان لم تتقوا
الربا الذي هو مقام الله بوضعه عن الناس فاعلموا بحرب من الله ورسوله وهو القتل في الدنيا والنار في الآخرة اي فانتم
لكم تستحقون القتل والعقوبة بمخالفة امر الله ورسوله قال سعيد بن جبير يقال يوم القيمة لآكل الربا خذ سلاحك
للحرب وانما قال بحرب من الله ولم يقل بحرب الله لانه ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم من معاملة الربا فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون بالنقصان منها قيل انما شرط التوبة لانهم ان لم يتوبوا كفروا برد حكم الله واستحلال ما حرم الله فيصير مالهم
فيئا للمسلمين قيل فلما نزلت هذه الاية قال بنو عمرو الثقفيون نتوب الى الله فانه لا يدي لنا بحرب من الله ورسوله ورضوا براس
المال وسلموا لامر الله فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروا فانزل الله عز وجل وان
كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة اي فان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اعني اعسار والعسرة الضيق والشدة وقوله
فنظرة اي فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار اي الامهال الى ميسرة الى يسار والميسرة مفعلة من اليسر الذي هو ضد العسر وهو
تيسر الموجود من المال المعنى ما علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه ووجب انظاره
الى وقت يساره سواء كان الدين في الربا او غيره وقيل مختص بالربا فنظرة امر في صيغة الخبر قرا نافع ميسرة بضم السين والباقون
بفتحها قوله وان تصدقوا اي ان تتصدقوا تصدقوا برؤس اموالكم او ببعضها على المعسر ولا تطالبوه خير لكم
ان كنتم تعلمون اي خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه قرا عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون
بالتشديد وحد الاعسار ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكنه اداء الدين من ثمنه ولهذا من وجد
دارا وثيابا لا يعتد في ذوي العسرة اذا امكنه بيعها واداء ثمنها ولا يجوز ان يحبس لاجل ثوبه لنفسه وعائلته وما لا بد
لهم من كسوتهم وسترتهم ودفع الحر والبرد عنهم واختلفوا اذا كان ذو قوة هل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب الدين وغيره فقيل
نعم كما يلزمه اذا احتاج لنفسه او لعائلته وقيل لا واختلفوا اذا كان معسرا وقد بذل غيره له ما يوجبه هل يلزمه القبول
ام لا والاولى انه فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب ان يبيعها بالنقصان ان لم يكن له الا ذلك ويؤديه في الدين واعلم
انه اذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فلا يخلو اما ان يكون الدين عن عوض حصل له كالبيع والقرض فلابد له من اقامة بينة
عدلين على ان ذلك العوض قد هلك واما ان يكون عليه لا بعوض مثل اتلاف او ضمان كان القول قوله وعلى الغريم البينة لانه
هو الفقير قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ● قيل نزلت
هذه الاية في العظماء الذين كانوا يعاملون بالربا وكانوا اصحاب ثروة وانصار واعوان وكانوا متغلبين على الناس بسبب
فاحتاجوا الى مزيد زجر وتهديد ووعيد حتى يمتنعوا عن الربا واخذ اموال الناس بالباطل فلذا توعدهم الله بهذه الاية وخوفهم
على اعظم الوجوه وهي وعظ لجميع الناس الى العالمين وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل فقال ضعها على راس مائتين وثمانين
من سورة البقرة وقال صلى الله عليه وسلم بين آية الربا والدين وقيل عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده احدا
وثمانين يوما وقيل احد وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ليال وقيل ثلث ساعات ثم مات
ايامه ويحتمل قراءة الباقين ثم ردوا الى الله والمخاطبة في القراءتين بالتاء على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير ويوما منصوب
على المفعول به لا على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم ولكن المعنى تاهبوا للقاء هذا اليوم بما تقدمون من العمل
الصالح والتنكير فيه للتعظيم وهو يوم القيمة قال الله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وقيل هو يوم الموت
والمراد بالرجوع الى الله الرجوع الى ما اعد الله لهم من ثواب وعقاب وقيل ان للانسان احوالا ثلثة على الترتيب الحالة الاولى
كونه في بطن الام لا يملك نفعه ولا ضره بل المتصرف فيه ليس الا الله والثانية كونه بعد البروز عن بطن الام وهناك يكون
المتكفل باصلاح احواله الاب والام اولا ثم بعد ذلك يتصرف البعض في البعض في حكم الظاهر والثالثة بعد الموت
وهناك لا يكون المتصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله فكانه بعد الخروج عن الدنيا عاد الى الحالة التي كان عليها قبل الدخول
في الدنيا فهذا معنى الرجوع الى الله تعالى ثم توفى كل نفس جزاء ما كسبت من الاعمال قال ابن عباس ثواب عملها خيرا او شرا
بشر وهم لا يظلمون وهم لا ينقصون لا اهل الثواب ولا اهل العقاب والمعتزلة يتمسكون بهذه الاية على القطع بوعيد

الفساق واصحابنا يتمسكون بها في القطع بعدم الخلود لانه لما امن لابد وان يصل الى ثواب الايمان ولا يمكن ذلك الا
بخروجه من النار ودخول الجنة وقيل وهم لا يظلمون تكرير لانه لا معنى لقوله توفى كل نفس ما كسبت الا انهم لا يظلمون لما
المعتزلة بانه لما قال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت كان ذلك دليلا على ايصال العذاب الى الفساق والكفار فكان لقائل
ان يقول كيف يليق باكرم الاكرمين تعذيب عباده فاجاب عنه بقوله وهم لا يظلمون والمعنى ان العبد هو الذي اوقع نفسه في
الورطة لان الله مكنه وازاح عذره وسهل عليه طريقه وامهله فمن قصر فهو الذي اساء الى نفسه واجاب اصحابنا بانه
سبحانه مالك الخلق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظالما فكان قوله وهم لا يظلمون بعد ذكر الوعيد
المذكور قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب
كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان
كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم
فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد
وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم قال ابن عباس لما حرم الله تعالى الربا اباح السلم
الاية قيل في كيفية النظم انه تعالى لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم الاول الانفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال
والثاني ترك الربا وهو ايضا سبب تنقيص المال ختم الحكمين بالتهديد العظيم فقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
والتقوى يوما ترجعون فيه الى الله والتقوى تسد كثيرا من ابواب المكاسب والمنافع اتبع ذلك بان ندبه الى كيفية حفظ
المال الحلال وصونه عن الفساد والبوار فان القدرة على الانفاق في سبيل الله وترك الربا وملازمة التقوى لا يكمل الا عند
حصول المال ولاجل هذا المعنى بالغ في الارشاد بحفظ المال الحلال عن وجوه التلف والبوار والذي يدل على ذلك ان
الفاظ القرآن جارية في الاكثر على الاختصار وفي هذه الاية بسط شديد والتداين تفاعل من الدين ويقال تداينوا
اي جازى بعضهم بعضا وتداينتم اي تبايعتم بدين والدين ما كان غير حاضر بل مرسلا في الذمة والعين ما كان حاضرا يقال
دان فلان يدينه اذا اعطاه الدين فهو داين والمعطي مدين ومديون قال صاحب الكشاف اذا تداينتم اي اذا داين بعضكم
بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة ٭ داينت اروى
والديون تقضى ٭ فمطلت بعضا وادت بعضا ٭ والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير
يقال اجل الشيء ياجل اجولا اذا تاخر والاجل نقيض العاجل قيل المراد بهذه المداينة السلم عن ابن عباس
انها نزلت في السلف لان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر السنتين والثلاث فقال عليه السلام
من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم ثم ان الله تعالى عرف المكلفين وجه الاحتياط في الكيل
والوزن والاجل فقال اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وقيل انه القرض وهو ضعيف لان القرض لا يمكن ان يشترط
فيه الاجل قال اهل اللغة القرض غير الدين لان القرض ان تقرض دراهم او دنانير او حبا او تمرا وما اشبه ذلك ولا يجوز
فيه الاجل والدين المذكور في هذه الاية قد اشترط فيه الاجل وفيه نظر فان الدين المذكور في الاية لم يشترط فيه الاجل
بل قال الاكثر من المفسرين ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة اصلا والثاني بيع الدين بالدين
وهو باطل فلا يكون داخلا تحت الاية والثالث بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل والرابع بيع الدين بالعين
وهو المسمى بالسلم وهذان داخلان في هذه الاية فان قيل المداينة مفاعلة وهي تقتضي ان يحصل من كل واحد منهما
دين وذلك هو بيع الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق اجيب بان المراد من تداينتم يداين الدين فما الفائدة في قوله بدين
قال صاحب الكشاف ذكر ذلك ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم
بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وقيل ذكر للتاكيد كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقيل التداين
يكون لمعنيين احدهما التداين بالمال والثاني التداين بمعنى المجازاة من قولهم كما تدين تدان والدين الجزاء فذكر الله تخليص احد المعنيين
وقيل معناه اذا تداينتم فدين كان قليلا او كثيرا سلما او بيعا قال الامام ما خطر ببالي انا ذكرنا ان المداينة مفاعلة وذلك
انما يتناول بيع الدين بالدين وهو باطل اما اذا قال تداينتم بدين كان المعنى اذا تداينتم تداينا يحصل فيه دين واحد وحينئذ
يخرج من النص بيع الدين بالدين ويبقى بيع العين بالدين وبيع الدين بالعين فان الحاصل في كل منهما دين واحد لا غير فان قيل
المداينة لا تكون الا مؤجلة فما الفائدة في ذكر الاجل اجيب بانه لا نسلم ان المداينة لا تكون الا مؤجلة فان الدين هو الذي
يكون مرسلا في الذمة لا عينا حاضرا اعم من ان يكون مؤجلا او حالا وقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى يتناول العقود
التي يصح فيها التاجيل ولا دلالة فيه على جواز التاجيل في الجميع لان الاية ليس فيها بيان جواز التاجيل في الديون وانما
كذلك لا يدل على جواز شرط الاجل في الديون بعمومها وانما فيه الامر بالكتابة اذا كان دينا مؤجلا والفائدة في قوله مسمى ان يعلم ان من حق
الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الى الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
قوله فاكتبوه امر تعالى في الدين المؤجل بكتبته والاشهاد عليه لانه اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود
للذي عليه الدين اذا كانت الشهود والبينة قبل تحديثه نفسه بالقطع فذهب بعضهم الى ان الامر بالكتبة والاشهاد للندب
والارشاد لان جمهور المسلمين في جميع ديار الاسلام يبيعون بالاثمان المؤجلة من غير كتابة ولا اشهاد ولا ينكر احد من العلماء

فيكون اجماعا وان الكتابة والاشهاد ليسا بواجبين ولان في ايجابهما تشديدا كثيرا وعسرا وحرجا وقال تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وقيل الامر فيهما للوجوب لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة يدعون الله فلا يستجاب لهم
رجل كان له دين فلم يشهد ورجل اعطى سفيها ماله وقد قال تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ورجل كانت عنده امرأة سوء فلم
يطلقها وقيل كان كتب الدين والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ ذلك كله بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن
امانته ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب بالعدل قال الامام الرازي رحمه الله تعالى فاكتبوه ظاهره يقتضي ان يكون
كل احد مامورا بالكتبة لكن ذلك غير ممكن فقد لا يكون ذلك الانسان كاتبا فصار معنى قوله فاكتبوه اي حصول هذه الكتبة
مامورا به ثم تأكد هذا المعنى بقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل فانه يدل على ان المقصود حصول الكتبة من اي شخص
كان قوله بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط والحق والانصاف
لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص منه ولا يقدم الاجل ولا يؤخر ولا يكتب فيه شيئا يبطل به حقا لاحدهما هذا
قول العدل معناه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب
وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال ابن عطية الباء في قوله بالعدل متعلقة بقوله وليكتب وليست متعلقة بكاتب لانه
كان يلزم ان لا يكتب وثيقة الا العدل في نفسه وقد يكتبها الصبي والعبد [illegible] ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب
وهو معنى تنكير كاتب [illegible] الشيء يأباه اذا امتنع عنه وابى يأبى شاذ لانه لا يجيء فعل يفعل بفتح العين في المضارع
الا اذا كان عينه او لامه حرف حلق [illegible]
كاتب عن الامتناع من الكتبة وامر بالكتبة على كل من كان كاتبا وهذا على سبيل الارشاد الى الاولى لا على سبيل الايجاب [illegible]
ان يكتب كما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما
نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية فان لم يجد احدا يكتب الا ذلك الواحد وجب الكتبة عليه وان وجد جماعة كان الامر
على واحد منهم ان يكتب وقيل كان واجبا على الكاتب ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وقيل متعلق الايجاب
هو ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله ولا يخل بشرط من الشرائط وكما علمه الله يجوز
ان يتعلق بان يكتب فنهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة اي الكتابة التي علمه الله اياها ثم قيل له فليكتب اي فليكتب تلك
الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان يتعلق بقوله فليكتب فنهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة
قوله وليملل الذي عليه الحق يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه
هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن قال الله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا واصل
الاملال الاعادة الشيء مرة بعد اخرى ثم خوفه فقال وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اي لا ينقص من الحق الذي عليه شيئا
والبخس النقص امر الذي عليه الحق اذ يقر بمبلغ المال الذي عليه لا ينقص شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل والمعنى ان من عليه الدين اذا لم يكن اقراره معتبرا فالمعتبر اقرار وليه [illegible]
حرفا وبين السفيه والضعيف ومن لا يستطيع ان يمل تقتضي التغاير لان معناه ان الذي عليه الحق اذا كان موصوفا
باحدى هذه الصفات الثلث فليملل وليه بالعدل يجب ان يكون متغايرة فالسفيه ضعيف الرأي ناقص العقل من البالغين
الذي لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشتبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفة وهو محجور عليه
في الشرع لتبذيره وجهله بالتصرف ويتولى عليه ابوه او وصي او حاكم والضعيف الصغير والمجنون والشيخ المختل وهم الذين
فقدوا العقل بالكلية ويتولى عليهم اما الاب او الوصي او الحاكم والذي لا يستطيع ان يمل من ضعف لسانه [illegible]
[illegible] او غيبة او نحو ما ذكر او حبس لا يمكنه حضور الكاتب اي يمل ماله وعليه فوليه او وكيله او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه
من لم يتصف باحدى هذه الصفات لا يمل الا لنفسه فان كان عليه الحق فليملل هو بنفسه ومن اتصف باحدى هذه الصفات
لا يصح منه الاملاء والاقرار فلا بد من ان يقوم غيره مقامه قال تعالى فليملل وليه بالعدل اي بالصدق والحق والانصاف قال
ابن عطية الضعيف هو المدخول العقل الناقص الفطرة وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذي لا يستطيع ان
يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد اما لمرض او غير ذلك من العذر ووليه وكيله واما الاخرس
فيسوغ ان يكون من الضعفاء والاولى انه ممن لا يستطيع فهذه اصناف تتميز وجد من ينفرد بواحد منها وقد يجتمع منها
اثنان في شخص وقد يجتمع كلها في شخص وهذا الترتيب ينتزع من قول مالك رحمه الله وغيره من العلماء الحذاق وقال بعض الناس
السفيه الصبي الصغير وهذا خطأ وقال قوم الضعيف هو الكبير الاحمق وهذا قول حسن وذهب الطبري الى ان الضمير
في وليه عائد الى الحق واسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس قال ابن عطية وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس قال
ابن عطية وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس وكيف تشهد البينة على شيء وتدخل مالا في ذمة السفيه باملاء الذي
له الدين هذا شيء ليس في الشريعة والقول ضعيف الا ان يريد قائله ان الذي لا يستطيع ان يمل لمرضه اذا كان عاجزا
عن الاملاء فليمل صاحب الحق بالعدل ويسمع الذي عجز فاذا كمل الاملاء اقر به وهذا معنى لم تعن الاية اليه ولا يصح هذا الا
فيمن لا يستطيع ان يمل لمرض فقط قوله واستشهدوا الاستشهاد طلب الشهادة فان السين في الاستفعال للسؤال
والطلب اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين وذكر بناء المبالغة في شهيدين دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه
فكانها اشارة الى العدالة قوله من رجالكم من رجال المؤمنين الذكور فالبلوغ والعقل والحرية والاسلام شرط في الشهادة

عند الشافعي وابي حنيفة ومالك وسفيان الثوري وذكرها الفقهاء اما الذكورة والبلوغ والعقل والاسلام فلدلالة
قوله من رجالكم فانه نص يقتضي الكفار والصبيان والنساء ويقتضي المجنون بطريق الاولى واما الحرية فلما في فحوى الخطاب
من الدلالة على ذلك من جهتين احدهما قوله اذا تداينتم بدين الى قوله وليملل الذي عليه الحق وذلك في الاحرار دون العبيد لان العبد
لا يملك عقود المداينات ولا يصح اقراره بدون اذن مولاه والخطاب يتوجه الى من يملك ذلك على الاطلاق من غير اذن الغير فدل
ذلك على ان من شرط هذه الشهادة الحرية وثانيهما قوله من رجالكم يقتضي الاحرار كقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم ثم قال في
الاخر فانه عطف عليه والصالحين من عبادكم وامائكم وايضا قوله تعالى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقتضي وجوب
الذهاب على كل من كان شاهدا الى موضع الشهادة اذا ما دعي والاجماع دل على ان العبد لا يجب عليه الذهاب فلا يكون
العبد شاهدا وقال شريح واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل شهادة العبد جائزة فان قوله تعالى واستشهدوا شهيدين
من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم والمعنى المستفاد من النص ايضا دال عليه لان عقل الانسان ودينه وعدالته
تمنعه من الكذب فاذا شهد عند اجتماع هذه الشرائط تاكد بقوله قول المدعي فصار ذلك سببا في احياء حقه والعقل والدين
والعدالة لا تختلف بالحرية والرق فوجب ان تكون شهادة العبد مقبولة قوله فان لم يكونا رجلين اي فان لم يكن الشهيدان
رجلين يعني فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان او فالمستشهد رجل
وامرأتان او فليكن الشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال في الاموال
جائزة واختلفوا في غير الاموال فقال الشافعي ومالك والاوزاعي وابو عبيد وابو ثور واحمد بن حنبل لا يجيزونها في غير الاموال
وكان ابو حنيفة وسفيان واصحابه يجيزون شهادتهن مع الرجال فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالته
يعني ممن كان مرضيا في ديانته وامانته وكفايته قال عمر بن الخطاب من اظهر لنا خيرا ظننا به خيرا واحببناه عليه ومن اظهر لنا
شرا ظننا به شرا وابغضناه عليه واذا احمد الرجل جاره وقرابته ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه وقال النخعي العدل من
لم يظهر منه ريبة وقال الشعبي العدل من لم يطعن عليه في بطن ولا فرج وقال الحسن هو من لم تعلم له خربة وقال صلى الله عليه
وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب عليه شهادة زور ولا القانع مع اهل
البيت يعني الخادم لهم وجملة هذا القول فيمن تقبل شهادته ان يجتمع فيه عشر خصال ان يكون حرا بالغا مسلما عدلا
عالما بما يشهد به ولا يجر بشهادته منفعة الى نفسه ولا يدفع عنها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون
بينه وبين من يشهد عليه عصبية فاذا اجتمعت هذه الخصال كان مقبول القول جائز الشهادة وتقبل شهادة النساء على الا
نفراد في موضع في عيوب النساء وهو ما يكون عيبا في موضع عورة منها في الحرة في جميع بدنها الا وجهها وكفيها ومن الامة ما بين
سرتها الى ركبتها وفي الرضاع والولادة وفي الاستهلال ولا خلاف في ذلك كله الا في الرضاع فان ابا حنيفة ذهب الى ان شهادة
النساء على الانفراد لا تقبل فيه حتى يشهد رجلان او رجل وامرأتان قوله ان تضل احداهما قرأ حمزة ان تضل بكسر الهمزة على الشرط فتذكر
بالرفع ومعناه الجزاء وموضع تضل جزم بان الا انه لا يتبين في التضعيف وموضع الشرط وجوابه رفع بكونه صفة لقوله
وامرأتان وارتفع تذكر كما ارتفع قوله ومن عاد فينتقم الله منه والمعنى ان تضل احداهما فهي تذكر الاخرى
تذكر احديهما الاخرى والاولى ان الضمير للذاكرة واحديهما مظهر وضع موضع المضمر وهذا مطرد في جميع المواضع التي تذكر
فيها الشرط فيرفع جزاؤه مع الفاء والباقون بفتح الهمزة ونصب فتذكر على انه عطف على الفعل المنصوب بان وتضل نصب
بان وان تضل في محل النصب على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قيل كيف يكون ضلالها مرادا لله
تعالى قلنا لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لا
لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى
ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه والغرض هو الدعم
والدفع لا ميل الحائط ومجيء العدو ولكنهم اخبروا بعلة الحائط فادعم بها ما تقدم هو كالمادة لينا ليتمسك به قال الامام رحمه الله
غرضان احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتاتى الا بتذكير احدى المرأتين للاخرى وثانيهما بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين
ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المرأتين فاذا كان كل واحد من
هذين الامرين اعني الاشهاد وبيان فضل الرجل على المرأة مقصودا ولا سبيل الى ذلك الا بضلال احديهما وتذكر الاخرى
لا جرم صار هذان الامران مطلوبين هذا معنى الاية فرجل وامرأتان كي تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وهذا من المقدم المؤخر
كقولك في الكلام انه ليعجبني ان يسال السائل فيعطى يعني يعجبني ان يعطى السائل اذا سال لان العطاء هو المعجب لا السؤال وقال
تعالى ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الاية ومعناه لولا ان يقولوا اذا اصابتهم
مصيبة هلا ارسلت الينا رسولا ومعنى قوله ان تضل ان تنسى كقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى وقوله تعالى فعلتها اذا وانا
من الضالين والاصل في الضلال هلاك الشيء وذهابه تقول العرب ضل الماء في اللبن قال الله تعالى ائذا ضللنا في الارض وقرأ
ابن كثير وابو عمرو فتذكر خفيفة والباقون مشددة وذكر واذكر بمعنى واحد وهما من الذكر الذي هو ضد النسيان وعن
سفيان بن عيينة انه من الذكر فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انها اذا شهدت مع اخرى صارت شهادتهما
كشهادة الذكر لان شهادة امرأة نصف شهادة فاذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر وهذا بعيد لانه لا يحسن مقابلة
الضلال الا بالذكر وذكرت تتعدى الى مفعولين واحدهما محذوف في الاية تقديره فتذكر احداهما الاخرى الشهادة
التي ضلتها والنسيان غالب على طباع النساء لكثرة البرودة والرطوبة في امزجتهن واجتماع المرأتين على النسيان

ابعد في العقل من صدور النسيان من المرأة الواحدة فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى ان احداهما لو نسيت ذكرتها
الاخرى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اي ليقيموا الشهادة ويؤدوها ومعنى الاية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة
اي اذا ما دعوا ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحي
العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه احد منهم فنزلت والحق اجماعات من الناس مجتمعة وقال الشعبي هو مخير في تحمل الشها
دة اذا وجد غيره فان شاء شهد وان شاء لم يشهد فاذا لم يوجد غيره فرض عليه وقيل هذا امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال
فان شاء شهد وان شاء لم يشهد وقال الحسن والشعبي هذه الاية في الامرين جميعا في التحمل والاقامة اذا كان فارغا قوله
ولا تسأموا ولا تملوا يقال سئمت اسأم سأما وسآمة قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا
لا ابا لك يسأم وقال لبيد ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد قال صاحب الكشاف
كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق فلم يعبر به لئلا ينطق الكسل على المؤمنين ولهذا في الحديث لا يقول المؤمن كسلت
وانما يقول ثقلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما كثر الكتب قوله ان
تكتبوه في محل النصب تقديره ولا تسأموا كتابته والضمير راجع الى الدين او الحق اي ان تكتبوا الحق او الدين صغيرا او كبيرا
على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب اي ان تكتبوا الكتاب مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته
الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط
اي القسط عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة واصوب طال الزمان او
قصر وادنى الا ترتابوا واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة ومبلغ الحق والاجل اذا كان مكتوبا نظيره قوله تعالى ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها وهو افعل من الدنو قال صاحب الكشاف وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل
اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذي قسط واقوم من قويم ثم استثنى تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة وقرأها عاصم بالنصب على خبر كان واضمر الاسم الا ان تكون
التجارة تجارة او المبايعة تجارة حاضرة كقول الشاعر بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم
يوما والباقون بالرفع على كان التامة بمعنى وقع اي الا ان تقع تجارة وحينئذ لا خبر له وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة
حاضرة والخبر تديرونها ومعنى الاية الا ان تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها اجل ولا نسيئة فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها يعني التجارة لانه لا يتوهم فيها التجاحد لان كل واحد من المتداينين المتعاملين اخذ حقه في المجلس ولم يكن هناك
خوف التجاحد فلم يحتج الى الكتابة ولان هذا النوع من التجارة كثير يجري بين الناس فلو تكلف فيها الكتابة لشق على الناس
فنفى الجناح في ترك الكتابة اي لا مضرة عليكم في ترك الكتابة ولم يرد لا اثم عليكم ولو كانت الكتابة واجبة وقد ثبت
خلافه قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وان كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى
ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها تعاطيهم اياها يدا بيد قوله واشهدوا اذا تبايعتم
امر الله بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا قليلا او كثيرا لانه احوط وابعد مما عسى ان يقع في الاختلاف وقيل
واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة واختلفوا في
ان هذا الاشهاد واجب او ندب فعن الضحاك انه واجب عزيمة من الله تعالى ولو على باقة بقل وعن الحسن انه ندب ان شاء اشهد وان
شاء لم يشهد فان الوجوب في ذلك عسر اما في الدقائق فشاق واما الكثير فربما يقصد التاجر الاستعجال فلا يشهد عليه لما فيه
من المصلحة ولا شك ان المقصود من الامر الارشاد فيكون ندبا قوله ولا يضار على لفظ النهي عن الغائب وهذه الصيغة صارت مشتركة
بين المبني للفاعل والمبني للمفعول بسبب الادغام فان المبني للفاعل اصله لا يضارر بكسر الراء الاولى وادغمت في الثانية
وفتحت لاجتماع الساكنين لان الفتح اخف الحركات فصارت لا يضار والمبني للمفعول اصله لا يضارر فعمل به ما عمل في المبني
للفاعل فصار لا يضار فصارت الصيغة مشتركة بينهما فبعضهم اجراها على المبني للفاعل وجعل الفاعل الكاتب والشهيد
والمعنى فلا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه ويزيد او ينقص او يحرف او يترك الاجابة الى ما طلب منه ولا شهيد فيشهد بما لم
يستشهد عليه او يمتنع من اقامة الشهادة او يترك الاجابة الى ما طلب من تحمل الشهادة واجراها اخرون على المبني للمفعول
وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعنى الاية النهي عن الضرر بالكاتب والشاهد وهو ان الرجل يدعو الكاتب
والشاهد ويدعوهما الى الكتابة والشهادة وهما على حاجة مهمة فيقولان انا مشغولان او انا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا فيقول الذي يدعوهما ان الله امركما ان
تجيبا في الكتابة والشهادة ويلح عليهما ويشغلهما عن حاجتهما او لا يعطي الكاتب حقه من الجعل ولا يحمل الشهيد مؤنة مجيئه
من بلد فنهى الله تعالى عن ذلك وامر ان يطلب غيرهما فيكل بما تركت قوله تعالى ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله وقوله ولا
يأب الشهداء اذا ما دعوا كان احدهم يجيء الى الكاتب فيقول له اكتب لي فيقول اني مشغول ولي حاجة فانطلق الى غيري
فيلزمه ويقول انك قد امرت بالكتابة فلا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره وكذلك يفعل مع الشاهد فانزل
ولا يضار كاتب ولا شهيد والاولى ان يحمل على الامرين حملا للمشترك على المدلولين وان تفعلوا ما نهيتم عنه
من الضرار فانه فسوق بكم اي خروج عن امر الله وطاعته وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فان فعل
المنهي عنه فسوق بكم واتقوا الله من المضارة او واتقوا الله في جميع اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما يكون ارشادا
واحتياطا في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في امر الدين والله بكل شيء عليم فيكون عالما بجميع مصالح الدنيا
والآخرة قوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي

مجاهد وعكرمة عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى فيما قبله ولا تكتموا الشهادة وقيل هذه الآية عامة ثم قيل لما نزلت هذه الآية
شق على أصحابه رسول الله وقالوا أهلكنا يا رسول الله ان حديث النفس بالخواطر يعرض لنا فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلكم
تريدون ان تقولوا كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوها فأنزل الله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكشفت عنهم الكربة فنسخت بهذه الآية فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل
تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا به هذا معنى الحديث المروي وقد روت الرواة بألفاظ مختلفة وقد
يعرض عن الجميع النسخ عن سعيد بن مرجانة بينا انا جالس عند عبد الله بن عمر اذ تلا هذه الآية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فقال
لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه قال ابن مرجانة فذكرت ذلك لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد
المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وكانت الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها
للمسلمين بها فصار الامر الى القول والفعل ونسخت الوسوسة وقال بعضهم هذه الآية محكمة غير منسوخة لان الآية خبر والخبر
لا يدخلها النسخ الاخير في معنى ابراز نفسها وشرط قبل هذا في معنى الامر ويدل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة قولوا
سمعنا واطعنا فانه يجيء منه الامر بان يلتزموا ويحترزوا لطفا للغفران واعلم ان محل البحث من هذه الآية قوله وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها
فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق والعلماء اجابوا عنه من وجوه الاول ان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها
ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود ومنها ما لا يكون كذلك بل تكون امورا خاطرة بالبال مع ان الانسان
يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن نفسه فالقسم الاول يكون مؤاخذا به والثاني لا يكون مؤاخذا به الا ترى الى قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال في آخر هذه السورة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة فهذا قوله وان تبدوا ما في انفسكم يعني ان ما تقرر في النفس واعتقد واستحسن النفس فيه فمن القسم الاول
فان الخواطر التي لا يمكنه دفعها ليست متقررة في النفس وحينئذ لا نسخ ولا تخصيص والجواب الصحيح هذا والثاني ان كل ما كان
في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فالمراد منه ان يدخل ذلك العمل في الوجود
اما ظاهرا واما على سبيل الخفية واما ما وجد في القلب من العزائم والارادات ولم يتصل بالعمل فكل ذلك في محل العفو
وهذا الجواب ضعيف لانه يقتضي ان لا يؤاخذ بشيء من افعال القلب وليس كذلك لان اكثر المؤاخذات واعظمها انما يكون
بافعال القلوب فان الاعتقاد الفاسد من الكفر والبدع من افعال القلوب واعظم انواع العذاب مرتب عليه وافعال الجوارح
اذا خلت من افعال القلب لا يترتب عليها عقاب كافعال الساهي والناسي والنائم والثالث انه تعالى يؤاخذ بها لكن مؤاخذتها
هي الهموم والغموم في الدنيا روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه
به في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الآخرة لم يسأل عنه ولم يعاقب عليه وروت انها سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية
فاجابها بما هذا معناه فان قيل المؤاخذة كيف تحصل في الدنيا مع قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت قلنا هذا خاص فيكون
مقدما على العام والاولى ان يحمل ما حدث العبد به نفسه على القسم المذكور في الجواب الاول فلا يكون منافيا له والرابع انه
تعالى قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به ومعنى يحاسبكم يعلمكم على هذا اي يعلم كل ما في الضمائر سواء ابديتموه او اخفيتموه
روي عن ابن عباس انه تعالى اذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان في نفوسهم فالمؤمن يخبره ثم يعفو عنه واهل الذنوب يخبرهم بما اخفوا
من التكذيب والذنب والخامس انه تعالى ذكر بعد هذه الآية فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيكون الغفران نصيب الكارهين
لتلك الخواطر والعذاب نصيب المصرين عليها المستحسنين لها والسادس ان المراد بهذه الآية كتمان الشهادة فيكون ما في انفسكم
مخصصا والسابع ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وهذا ضعيف لان الامر لم يرد قط بدفع تلك
الخواطر التي يعجز عن دفعها لانه تكليف ما لا يطاق ولم يقع قط والله اعلم فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي فيغفر ويعذب بالجزم عطفا على جواب الشرط وابن عامر وعاصم مرفوعين على ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي
فهو يغفر ويعذب وهو رفع الفعل الواقع موقع خبر المبتدأ على ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدم وروي عن ابن عباس
فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والحاصل ان الغفران والتعذيب
بمشيئة الله تعالى لا باستحقاق الطاعة والمعصية كما قال صاحب الكشاف فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة
مما اظهر منها واضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار والعجب انه مع كمال بلاغته وقوة استنباطه للمعاني
اللطيفة اعرض عن المعنى الصحيح الذي يدل اللفظ عليه على طريق التنصيص الذي لا يحتمل غيره وتعلق بالمعنى الفاسد
الذي لا دلالة للفظ عليه لا على سبيل القطع ولا على سبيل الظهور وما ذاك الا لمتابعة الهوى واحتج
اصحابنا بقوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله لانها من جملة ما في الارض بدليل صحة الاستثناء
لان اللام في لله ليس لام الغرض فانه ليس غرض الفاسق من فسقه طاعة الله فيكون لام الملك والتخليق واحتجوا بقوله فيغفر
لمن يشاء على جواز غفران الكبائر لان المؤمن المطيع مقطوع بانه يثاب ولا يعاقب والكافر مقطوع بانه يعاقب ولا يثاب فلم
يبق الا ان يكون الغفران المنوط بالمشيئة والتعذيب المنوط بها نصيبا للمؤمن المذنب بالعمل له ثم قال والله على كل شيء قدير
بين بقوله لله ما في السموات وما في الارض انه كامل الملك والملكوت وبين بقوله ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله انه كامل العلم والاحاطة ثم بين بقوله والله على كل شيء قدير انه كامل القدرة مستول على كل الممكنات
بالايجاد والتكوين والاعدام وكمال الخلق لا يحصل الا بكمال هذه الصفات والموصوف بهذه الكمالات يجب على كل

حقا ان يكون عبدا منقادا لله خاضعا لاوامره ونواهيه عن مساخطه ومناهيه قوله تعالى آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير ● قيل لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والطلاق والايلاء والجهاد ختمها
بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم بجميع ذلك وهو قوله كل آمن بالله وقيل لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
واشتق منها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا ورجعوا الى التضرع والاستكانة
مدحهم الله واثنى عليهم في هذه الاية وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم وكشفه لذلك الكرب فجمع لهم التشريف بالمدح
ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى كما جرى لبني اسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم المشاق
من المذلة والمسكنة والجلاء اذ قالوا سمعنا وعصينا وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله اعاذنا الله من نقمه وقيل انه
تعالى بدأ السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وبين في آخر السورة
ان الذين مدحهم في اول السورة هم امة محمد عليه الصلوة والسلام فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وهذا هو المراد بقوله في اول السورة يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا وهو المراد بقوله في اول السورة
وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا واعف عنا واغفر لنا
الى آخر السورة وهو المراد بقوله في اول السورة اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين
اول السورة وآخرها وقيل انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة كمال الملك والعلم والقدرة لله وذلك يوجب كمال صفة الربوبية
اتبع ذلك بان بين كون المؤمن في نهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله وذلك هو كمال العبودية وقيل لما قال ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فبين انه لا يخفى عليه من سرنا وجهرنا وباطننا وظاهرنا شيء ثم ذكر عقيب ذلك
ما يجري مجرى المدح والثناء علينا فقال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كانه بفضله يقول عبدي ان كنت
كنت اعلم جميع احوالك فلا اظهر من احوالك الا ما يكون مدحا لك وثناء عليك حتى تعلم اني كما انا الكامل
في الملك والعلم والقدرة فانا الكامل في الجود والرحمة وفي اظهار الحسنات وفي الستر على السيئات وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الملك من عند الله تعالى وقال له ان الله بعثك رسولا الى الخلق لا يمكنه ان يعرف صدق
ذلك الملك الا بمعجز يظهره الله على صدق ذلك الملك في دعواه ولولا ذلك المعجز لجوز الرسول ان يكون ذلك المخبر شيطانا
ضالا مضلا وذلك الملك ايضا اذا سمع كلام الله افتقر الى معجز يدل على ان المسموع كلام الله فهذه المراتب معتبرة اولها
قيام المعجز على ان المسموع كلام الله لا غيره ليعرف الملك بواسطة ذلك المعجز انه سمع كلام الله وثانيها ان يقوم المعجز
عند النبي على ان ذلك صادق في دعواه وانه ملك بعثه الله وليس بشيطان وثالثها ان يقوم المعجز على يد الرسول عند
الامة حتى يستدل الامة بها على ان الرسول صادق في دعواه فالرسول لا يعرف كونه رسولا من عند الله لا يمكن الا
بان يعرف ذلك فلما ذكر الله تعالى في هذه السورة انواع الشرائع واقسام الاحكام قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
فبين ان الرسول عرف ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي جاء بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف
وليس بشيطان يضله ثم لما ذكر بيان ان الرسول لا بد له من هذه المرتبة المتأخرة فقال والمؤمنون كل آمن بالله قال الامام ومن تأمل
في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو ايضا
بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب اسلوبه ارادوا ذلك الا اني رأيت جمهور المفسرين معرضين
عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الامور وليس الامر في هذا الباب الا كما قيل والنجم تستصغر الابصار رؤيته والذنب
للطرف لا للنجم في الصغر قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه معناه ان الرسول صلى الله عليه وسلم عرف بالدلائل القاهرة
والمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة والبينات الساطعة ان القرآن وجميع ما فيه من الشرائع منزل من عند الله وليس
ذلك من باب القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة قوله والمؤمنون ان عطف على الرسول يتم الكلام عنده ويوقف عليه
والمعنى آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه والمؤمنون مرفوع بالفاعلية لانه معطوف على الفاعل ثم ابتدأ بعد ذلك
بقوله كل وهو مبتدأ وقوله آمن خبره والتقدير كلهم والتنوين في كل نائب عن الضمير وهو راجع الى الرسول والمؤمنين
اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان كان المؤمنون مبتدأ يكون كل مبتدأ ثانيا وهو تأكيد لقوله والمؤمنون
او انه مبتدأ وقوله آمن خبره والجملة خبر لقوله والمؤمنون والضمير الذي يكون التنوين نائبا عنه للمؤمنين وحده
ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن ويجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين والمعنى آمن الرسول بكل ما انزل اليه
من ربه واما المؤمنون كلهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله قال الامام الوجه الاول يشعر بانه عليه الصلاة والسلام كان
مؤمنا بربه ثم صار مؤمنا ويحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وعلى الوجه الثاني يشعر اللفظ بان الذي حدث
هو ايمانه بالشرائع التي نزلت كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فاما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال
فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر ولا يستبعد ذلك فان عيسى عليه السلام حين انفصل عن امه قال اني عبد الله آتاني الكتاب
فاذا لم يستبعد ان يكون عيسى رسولا من عند الله حين كان طفلا فكيف يستبعد ان يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان عارفا بربه من اول ما خلق كامل العقل وعلى الوجه الثاني دلت الاية على ان الرسول آمن بما انزل اليه من ربه وان المؤمنين
آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وانما خص الرسول بذلك لان الذي انزل اليه من ربه قد يكون كلاما متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكن ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون مختصا بالايمان به ولا يتمكن غيره من الايمان به فلهذا السبب

كان

كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختصا في باب الايمان بما لا يمكن حصوله في غيره ثم قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله والاية دالة على ان هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله فانه ما لم يعلم ان الصانع
صانع تعالى قادر على كل المقدورات عالم بجميع المعلومات غنيا عن كل المخلوقات والكل مفتقر اليه لا يمكن معرفة صدق الانبياء
عليهم السلام فكانت معرفة الله تعالى هي الاصل فلذلك قدم الله هذه المرتبة بالذكر والمرتبة الثانية الايمان بالملائكة
فانه تعالى انما يوحي الى الانبياء بواسطة الملائكة قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
باذن الله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده فيوحي باذنه ما يشاء فيكون الملائكة واسطة بين الله وبين
البشر فلهذا السبب جعل ذكر الملائكة في المرتبة الثانية والمرتبة الثالثة الايمان بالكتب وهي الوحي الذي ينزل به الملك الى الانبياء
فالملائكة متقدمة على تنزيل الكتب التي هي الوحي فلهذا السبب كانت الكتب متأخرة في المرتبة عن الملائكة في الذكر والمرتبة
الرابعة الرسل فانهم الذين ينزل اليهم الكتب فلهذا السبب اخر ذكر الرسل في الذكر متأخرا عن الكتب قال الامام المراد بالايمان
بالله هو الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو ان يعلم ان وراء المتحيزات شيئا
لا يكون خلاف فيه مع اهل السنة والجماعة في اثبات ذات الله تعالى اما المعتزلة والفلاسفة فهم معترفون باثبات موجود سوى
المتحيزات موجد لها فلا يكون خلاف فيه اهل السنة والجماعة معهم لا في الذات بل في الصفات واما الايمان بصفاته فالصفات
اما سلبية وهي المعبر عنها بصفات الجلال واما ثبوتية وهي المعبر عنها بصفات الاكرام اما السلبية فهي ان يعلم انه فرد منزه
عن جميع جهات التركيب فان كل مركب مفتقر الى غيره ممكن لذاته وكل ممكن لذاته ليس بواجب لذاته وكل مركب
ليس بواجب لذاته وكل مركب ليس بواجب لذاته واذا كان فردا في ذاته لا يكون متحيزا ولا جسما ولا جوهرا ولا في مكان ولا
ولا محلا ولا متحيزا ولا متغيرا ولا محتاجا بوجه من الوجوه واما الصفات الثبوتية فان يعلم ان الواجب لذاته تستند
اليه جميع الممكنات تنتسب الى الواجب فهذا اذا تأملنا هذه المحدثات وقعت على وجوه يمكن وقوعها على خلاف تلك الاحوال علمنا انه
فيها قادر مختار لا موجب بالذات ثم يستدل بما في افعاله من الاحكام والاتقان على كمال علمه فيعرف انه قادر عالم حي
بصير موصوف بنعوت الجلال وصفات الكمال واما الايمان بافعاله فان يعلم ان كل ما سواه فهو ممكن محدث وتعليمه
عقلا ان الممكن المحدث لا يوجد بذاته بل لا بد له من موجد يوجده وهو القديم فهذا الدليل يحصل العلم بان كل ما سواه
فانما يحصل بتخليقه وايجاده وتكوينه الا انه وقع فيها البحث وهي الحادثات التي هي الافعال الاختيارية للحيوانات فالحكم
الاول وهو انها ممكنة محدثة لا بد من اسنادها الى الواجب الوجود مطرد فيها فان قلت افعل بنفسي ان شئت ان اتحرك
وان شئت ان لا اتحرك فكانت حركاتي وسكناتي لا يجري حصولها بعد تعلق حركتي بمشيتي وسكوني بمشيتي
فقبل حصول مشية الحركة لا اتحرك وقبل مشية السكون لا اسكن وعند حصول مشية الحركة لا بد وان تحركت في ذلك
هذا فنقول ان هذه المشية كيف حدثت فان حدوثها اما ان يكون لمحدث اصلا او يكون لمحدث ثم ان ذلك المحدث
ذلك المحدث اما ان يكون هو العبد او الله فان حدثت لا لمحدث لزم نفي الصانع وان كان محدثها العبد افتقر في احداثها الى مشية
اخرى ولزم التسلسل فثبت ان محدثها هو الله سبحانه واذا ثبت هذا فنقول لا اختيار للانسان في حدوث تلك المشية
وبعد حدوثها لا اختيار له في ترتب الفعل عليها فاذا لم يكن له اختيار في المشية ولا في حصول الفعل بعد المشية ثبت
ان الانسان مضطر في صورة مختار فهذا كلام قوي وفي معارضته اشكالان احدهما انه كيف يليق بكمال الحكمة ايجاد هذه
القبائح والفواحش من الكفر والفسق والثاني انه لو كان الكل بتخليقه فكيف توجه الامر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب
على العبد فهذا هو الحرف المعول عليه من جانب الخصم الا انه وارد عليه ايضا كما هو مقرر في اصول الدين واما المرتبة الرابعة
في الايمان بالله فهو معرفة احكامه ويجب ان يعلم في احكامه امورا اربعة احدها انها غير معللة بعلة اصلا لان كل من كان
فعله معللا بعلة كان مستكملا ناقصا بذاته كاملا بغيره وذلك على الله محال وثانيها ان يعلم ان المقصود من شرعها منفعة عائدة
الى العبد لا الى الحق فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وثالثها ان يعلم انه لا يجب على الحق سبحانه لعبده فعله
شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ورابعها انه لا ينتفع منه شيء ولا يجب عليه شيء لان الكل ملكه والمملوك المجازي
لا حق له على المالك المجازي فكيف الحقيقي مع الحقيقي واما المرتبة الخامسة من الايمان بالله فمعرفة اسمائه قال الله ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها وقال اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وقال له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات
والارض والاسماء الحسنى هي الواردة في كتاب الله المنزل على السنة انبيائه المعصومين واما الايمان بالملائكة فهو من وجوه
اربعة اولها الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة او جسمانية او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية
فهي اجسام نورانية وان كانت كذلك فكيف يمكن ان يكون مع لطافة اجرامها بالغة في القوة الى الغاية القصوى فذلك مقام
العلماء الراسخين في العلوم الحكمية القرآنية والبرهانية والمرتبة الثانية في الايمان بالملائكة العلم بانهم معصومون مطهرون
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وان لذتهم بذكر الله وانسهم بعبادة
الله وكما ان حياة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن استنشاق الهوى فكذلك حياتهم بذكر الله ومعرفته وطاعته
والمرتبة الثالثة انهم وسائط بين الله وبين البشر فكل طائفة منهم موكل على قسم من اقسام هذا العالم كما قال تعالى
والصافات صفا فالزاجرات زجرا والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالعاصفات عصفا والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والمرتبة الرابعة ان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء بواسطة الملائكة قال الله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فهذه المراتب لا بد منها في حصول الايمان بالملائكة وكلما كان الغوص في هذه المراتب اشد

كان ايمانه بالملائكة اتم واما الايمان بالكتب فلا بد فيه من اربعة امور اولها ان يعلم ان هذا الكتب وحى من الله الى رسوله
وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القا الشياطين والارواح الخبيثة وثانيها ان يعلم ان الوحى بهذه الكتب
وان كان من قبل الملائكة المطهرين فان الله تعالى لم يمكن احدا من الشياطين من القا شىء من ضلالتهم فى اثناء الوحى الطاهر
وعند هذا يعلم ان من قال ان الشياطين القت فى قوله تلك الغرانيق العلى فى اثناء الوحى فقد قال قولا عظيما والمرتبة الثالثة
ان القرآن لم يغير ولم يحرف وتمسكه الذى يبين القرآن على هذا الوجه شىء فعله عثمان رضى الله عنه فاسد فان من قال ذلك اخرج
القرآن عن كونه حجة والمرتبة الرابعة ان يعلم ان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان
بالرسل فلا بد فيه من امور اربعة الاولى ان يعلم كونهم معصومين عن الذنوب والمرتبة الثانية من مراتب الايمان بالرسل
ان يعلم ان النبى افضل ممن ليس بنبى وقول بعض الصوفية بخلاف هذا باطل والمرتبة الثالثة انهم افضل من الملائكة وقال كثير
من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم وهم افضل من الملائكة الارضية وقد ذكر هذه المسئلة فى تفسير قوله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم المرتبة الرابعة ان يعلم ان بعضهم افضل من بعض فهذا هو الاشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله قرأ حمزة والكسائى وكتابه على الواحد ارادا القرآن او الجنس يقول العرب كثر الدرهم والدينار
فى ايدى الناس يريدون الدراهم والدنانير بدليل قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
بالحق قيل الكتاب اكثر من الكتب لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شىء واما
الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع والباقون وكتبه على الجمع قوله لا نفرق اى يقولون لا نفرق بين احد من رسله
فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت النصارى واليهود واحد فى معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وقال
الامام لا يجوز ان يكون احد هنا فى معنى الجمع لانه يصير التقدير لا نفرق بين جميع رسله وهو لا ينافى كونهم
مفرقين بين بعض الرسل بل بين البعض وهو محمد صلى الله عليه وسلم فثبت ان التأويل الذى ذكروه باطل بل معنى الآية
لا نفرق بين احد من الرسل وبين غيره فى النبوة قوله واطعنا امره خلافا لليهود الذين قالوا سمعنا وعصينا فحذف قوله
من سمعنا ولم يذكر مفعول اطعنا للدلالة الآية عليه من حيث انهم مدحوا به قيل هذا المعنى لهم الظاهر وتقديره
التقدير سمعنا قوله واطعنا امره فاذا لم يقيد فيه ذلك فاذا انه ليس
فى الوجود شىء يجب سمعه الا قوله وليس فى الوجود من يجب فى مقابلته اطعنا الا اوامره فكان تحرير المعقول الصورة ومعنى
فى هذا الموضع ان المراد منه ليس السماع الظاهر لان ذلك لا يفيد المدح بل المراد السماع بالاذن بمعقولنا او عقلناه وعلمنا
صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء الينا فهو حق واجب القبول والسمع بمعنى القبول والفهم وارد
فى القرآن قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والمعنى لمن سمع الذكرى بفهم حاضر وعكسه
قوله تعالى كان لم يسمعها كأن فى اذنيه وقرا ثم قولهم واطعنا افاد انهم كما علموا ان التكليف حق عملوا به كما ينبغى ثم حكى عنهم بعد ذلك
انهم قالوا غفرانك ربنا واليك المصير غفرانك منصوب باضمار فعله اى اغفر غفرانك ونستغفرك ولا نكفرك وقيل اللغو غفرانك
نستغفر بالمصدر من الفعل فى الدعا نحو سقيا ورعيا فان قيل انهم قبلوا التكليف وعملوا به فاى حاجة بهم الى طلب المغفرة
اجيب بانهم كانوا خائفين من تقصير يصدر منهم فقالوا غفرانك ربنا ومعناه انهم يطلبون الغفران فيما يخافون من تقصير
فيما يأتون به وبان جميع الطاعات فى مقابلة حقوق الربوبية جنايات وكل انواع المعارف الحاصلة عند الخلق فى مقابلة الالوهية
تقصير وقصور وجهل ولذلك قال وما قدروا الله حق قدره والعبد فى اى مقام كان من مقام العبودية وان كان فى الغاية
اذا قوبل بجلال كبرياء الله صار عين التقصير الذى يوجب الاستغفار عنه وهذا هو السر فى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فان مقامات عبوديته وان كانت عالية الا انه كان ينكشف له فى درجاتها انها
انما بالنسبة الى ما يليق بالحضرة الصمدية عين التقصير فكان يستغفر منها ووجه نظم هذه الآيات ان كمال الانسان
ان يعرف الحق لذاته والخير لا لعمل به فاستكمال الاولى بالقوة النظرية والثانى بالعملية والقوة النظرية اشرف من القوة
العملية ولهذا يكون القرآن مملوا من ذكرهما قال الله تعالى عن ابراهيم رب هب لى حكما وهو كمال القوة النظرية والحقنى
بالصالحين كمال القوة العملية قوله كل آمن بالله الى قوله من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف
الشريفة وقوله سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بهذه الاعمال الفاضلة وقيل فى وجه النظم ان للانسان
ايام ثلاثة امس والاطلاع عليه يعبر عنه بمعرفة المبدا واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والبحث عنه يسمى بعلم المعاد
والقرآن مشتمل على رعاية هذه المراتب الثلاث فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقوله سمعنا
واطعنا اشارة الى العلم الوسط وهو معرفة الاحوال التى يجب للانسان استعدادها ما دام فى الحياة الدنيا وقوله غفرانك
ربنا واليك المصير اشارة الى علم المعاد قيل فى غفرانك ان العبد يتعلق لكل صفة من صفات جلال الله وكبريائه انما تظهر
آثارها فى محل معين فان اثر القدرة انما يظهر فى الموجود بعد العدم واثر العلم يظهر فى الترتيب العجيب والتاليف الانيق
على وجه الاحكام واثر الغفران يظهر فى المذنبين فقوله غفرانك معناه طلب الغفران الذى لا يظهر اثره الا فى حق العصاة
من امثالنا قوله ربنا اشارة الى انك ربيتنى حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك ان تربينى حين افنيت عمرى
فى توحيدك قوله واليك المصير اشارة الى ان العبد متى علم انه لا بد من المصير اليه كان اخلاصه فى الطاعات اتم واجتنابه
من المعاصى اكمل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا

وارحمنا

وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ● قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها [illegible]

[illegible]

لحق بكسبه من والده وولده وسائر الناس اجمعين واستنبط من هذا مسائل كثيرة من الفقه منها ان المضمونات
لا تملك باداء الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان
وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبرة ومنها اذا غصب ساجة فادرجها في بنائه او غصب حنطة فطحنها لا يزول
الملك لقوله لها ما كسبت ومنها ان القطع لا يوجب سقوط الضمان لان المقتضي لبقاء الملك قائم وهو
قوله لها ما كسبت والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق حتى كان باقيا يجب رده على المالك لا يكون مقتضيا لزوال
ملكه عنه واحتج من ينكر وجوب الزكاة بهذا والجواب ان الدليل الموجب للزكاة اخص والاخص يقدم على العام قوله ربنا لا تؤاخذنا
قال الحسن معناه قولوا ربنا على التعليم للدعاء وقيل حكى عن المؤمنين دعاءهم لان الآدمي يشاهد نفسه في مقام الفقر والحاجة
والذلة والمسكنة ويشاهد جلال الله وكرمه وعزه وعظمته بنعت الاستغناء والتعالي والمقصود من جميع العبادات
والطاعات التعظيم لامر الله والدعاء خلاصة العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فلهذا السبب ختم
السورة الشريفة المشتملة على هذه العلوم الشريفة بالدعاء والتضرع الى الله واعلم ان الله علم المؤمنين او حكى عنهم اربعة
انواع من الدعاء وذكر في مطلع الثلثة الاول ربنا ولم يذكر في مطلع الرابع ربنا النوع الاول قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطانا اي لا تعاقبنا قيل انما خرج على لفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسيء قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله
فكانه اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به فشاركه قال الامام وعندي فيه وجه آخر وهو ان الله يأخذ المذنب بالعقوبة
والمذنب كانه يأخذ ربه بالمطالبة بالعفو والكرم فانه لا يجد من يخلصه من عذابه الا هو فلهذا يتمسك العبد عند الخوف
به فلما كان كل واحد منهما يأخذ الآخر عبر عنه بلفظ المؤاخذة قيل المراد من النسيان نفسه الذي هو ضد الذكر فان قيل
النسيان متجاوز عنه فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة لانه لا يجوز تكليف الغافل ولقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ و
النسيان وما استكرهوا عليه اجيب بان النسيان منه ما يعذر فيه صاحبه ومنه ما لا يعذر فيه الا ترى ان من رأى دما في ثوبه
فاخر في ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته واما اذا لم يره في ثوبه فانه يعذر
فيه ومن رمى صيدا في موضع فاصاب انسانا فقد يكون بحيث لا يعلم الرامي انه يصيب ذلك الصيد او غيره فاذا رمى وترك التحرز
كان ملوما فاذا لم يكن امارات الغلط ظاهرة ثم رمى واصاب انسانا كان ههنا معذورا وكذلك الانسان اذا تغافل عن
الدرس والتكرار حتى نسي القرآن يكون ملوما اما اذا واظب على القراءة لكنه نسي القرآن فهاهنا يكون معذورا ومنه ما لا يكون
معذورا او روي انه عليه السلام كان اذا اراد حاجة شد خيطا في اصبعه فثبت بما ذكرنا ان النسيان قد لا يكون معذورا
وذلك بما اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر فاذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء وقيل الخطا من القصد والعمد
يقال خطئ بالذنب اذا تعمده يخطأ خطأ قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال الشاعر
عبادك يخطئون وانت رب بكفيك المنايا لا تموت وقيل من الخطا الذي هو الجهل والسهو وهو الاصح لان ما كان عمدا من الذنب
غير معفو عنه بل هو في مشية الله ما لم يكفر فقد وقيل ان نسينا او اخطانا يعني ان جهلنا او تعمدنا وقيل ان نسينا شيئا مما
افترضت علينا او اخطانا شيئا مما حرمت علينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال
ان الخطا مغفور ولكن قل اللهم اغفر لي عمدي قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا النوع الثاني من الدعاء الاصر في اللغة الثقل
الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك فقيل للثقل والشدة ثم سمي العهد اصرا لانه ثقيل قال تعالى واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي
وميثاقي والاصر العطف لان من عطفت عليه يصل على قلبك كلما يصل اليه من المكاره قيل معناه ولا تحمل علينا عهدا فيك
معناه لا تحمل علينا عهدا او عقدا وميثاقا لا نطيق ذلك ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا
يعني اليهود فلم يقوموا به فاهلكتهم وعذبتهم يدل عليه قوله تعالى واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي وقيل لا تشق علينا ولا تشدد
علينا ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من كان قبلنا من اليهود وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع المال
في الزكاة ومن اصاب ثوبه نجاسة امر بقطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال
التي كانت عليهم يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم قيل دلت الدلائل العقلية والسمعية على انه
تعالى اكرم الاكرمين وارحم الراحمين فما السبب في تشديد التكليف على اليهود حتى ادى ذلك الى وقوعهم في المخالفة والتمرد قال
المتعصب له من الجانبين انه يكون الشيء مصلحة في حق انسان ومفسدة في حق غيره فاليهود كانت الفظاظة والغلظة غالبة على طباعهم
فكانوا لا يصلحون الا بالتكاليف الشاقة الشديدة وهذه الامة كانت الرقة وكرم الخلق غالبا على طباعهم فكانت مصلحتهم
في التخفيف وترك التغليظ اجاب الامام بان السؤال الذي في المقام الاول ينتقل الى المقام الثاني فيقال لم خص اليهود
بغلظ الطبع وقسوة القلب ودناءة الهمة حتى احتاجوا الى التشديدات العظيمة في التكاليف ولم خص هذه الامة بلطافة الطبع
وكرم الخلق وعلو الهمة حتى صار يكفيهم التسهيل في حصول مصالحهم ومن تأمل وانصف علم ان هذه التعليلات عليلة فلا جواب
الا انه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هذا هو النوع الثالث
من دعاء المؤمنين الطاقة اسم من الاطاقة كالطاعة وهي توضع موضع المصدر وقيل ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا
طلبوا الاعفاء من التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم سألوا ان يعفيهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وتمسك
اصحابنا به في جواز التكليف بما لا يطاق قالوا لانه لو لم يكن جائزا لما حسن طلبه بالدعاء اجاب المعتزلة من وجوه الاول انه لا طاقة لنا به
اي ما يشق فعله مشقة غليظة وفي الحديث عنه عليه السلام قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق اي ما يشق

عليه والثاني انه تعالى لم يقل لا تحملنا ما لا طاقة لنا بحمله فيكون المراد منه العذاب والمعنى لا تحملنا عذابا لا نطيق احتماله
فلو حملنا الآية على ذلك كان قوله لا تحملنا حقيقة فيه ولو حملناه على التكليف كان قوله لا تحملنا مجازا فيه فكان الاول اولى الثالث
هب انهم سألوا الله ان لا يكلفهم بما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل بخلافه لانه لو دل لدل قوله رب احكم بالحق
على جواز ان يحكم بالباطل اجاب الاصحاب عن الاول بانه مدفوع من وجهين الاول انه لو كان قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به محمولا على انه لا تشدد
عليهم في التكليف لكان معناه ومعنى الآية المتقدمة وهو قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا واحدا فيكون هذا
تكرارا محضا الثاني انا بينا ان الطاقة هي الطاقة والقدرة فقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ظاهره لا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه
اقصى ما في الباب انه جاء هذا اللفظ بمعنى الاستثقال في بعض وجوه الاستعمال على سبيل المجاز الا ان الاصل حمل اللفظ على
الحقيقة ومن الثاني ان الحمل مخصوص في عرف القرآن بالتكليف ولئن سلم ان هذا العرف لم يوجد الا ان قوله لا تحملنا ما لا طاقة
لنا به عام في العذاب وفي التكليف فوجب اجراؤه على ظاهره اما التخصيص فمن غير حجة فلا يجوز ومن الثالث ان الشيء اذا كان ممتنعا
لم يحسن طلب الامتناع منه على سبيل الدعاء والتضرع ويصير ذلك جاريا مجرى ما يقول في دعائه وتضرعه ربنا لا تجمع الضدين ولا تجعل
القديم محدثا والتحميل بما لا طاقة لنا به لان الاصر هو الشاق فيمكن حمله وما لا طاقة لنا به هو الذي لا يكون مقدورا فلا يمكن حمله فحصل الفرق
بالحمل والثاني بالتحميل [illegible] لما طلبا ان لا يكلفه بالفعل الشاق فقوله لا تحمل علينا اصرا كان من لوازمه ان لا يكلفه بما لا يطيق
فعكس هذا الترتيب كان اولى اجيب بان للعبد مقامين احدهما قيامه بنظام الشريعة والثاني غوصه في بحار المكاشفة وذلك
بالتوجه الى جناب القدس وخدمته وطاعته وشكر نعمته ففي المقام الثاني قال لا تطلب مني حمدا يليق بالالوهية [illegible]
يليق بك من عظمتك فان ذلك لا يليق بذكري وشكري وفكري وطاقتي بذلك ولما كانت الشريعة مقدمة على الحقيقة قدم
قوله ولا تحمل علينا اصرا على قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به في الذكر واما الرجوع الى المؤمنين وحكى عنهم هذه الادعية لان قبول الدعاء
عند الاجماع اكمل لان الهمم اذا تظاهرت والنفوس واجتمعت الارواح على شيء واحد كان حصوله اكمل قوله تعالى واعف عنا اي اسقط
عنا العقاب واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا وتجاوز عنا ولا تفضحنا وارحمنا بثقيل الميزان مع انا لا نستحق فانا نرجو رحمتك فكانت العبد
يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستر علي فان الخلاص من العذاب انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة
فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني فلما تخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان ثواب جسماني وهو نعيم الجنة
ولذاتها وطيباتها وثواب روحاني وغايته ان يتجلى له نور جلال الله وينكشف له بقدر الطاقة علو كبريائه وذلك بان يصير غائبا عما
سوى الله مستغرقا بالكلية في نور جلال الله فقوله وارحمنا طلب الثواب الجسماني وقوله انت مولانا طلب لان يصير العبد
مقبلا بكليته على الله وقوله انت مولانا اشارة الى انهم في غاية الخضوع ونهاية التذلل وانهم معترفون بانه سبحانه وتعالى هو المولى
لكل نعمة يصلون اليها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم كونهم متكلين على فضله واحسانه كالعبيد الذين لا يستطيعون
شيئا ثم مهماتهم الا باصلاح مولاهم وفي الانواع الثلثة من الادعية الاول كان المطلوب فيها الترك فكانت مقرونة بلفظ ربنا
والادعية الثلثة الاخيرة لم يقترن بلفظ ربنا اشعارا بان العبد اذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى فلم يحتج الى النداء لانه
انما يحتاج اليه عند البعد قوله فانصرنا على القوم الكافرين اي انت سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا
على القوم الكافرين في محاربتنا وفي مناظرتنا بالحجة معهم وفي اعلاء كلمة الايمان على كلمتهم لتعلي ومن حق المولى ان ينصر عبيده
فان ذلك عادتك وقيل ذلك من سورة التحقيقات تولينا ومن المحققين من قال فانصرنا على القوم الكافرين المراد منه اعانة الله
القوى الروحانية الملكية على قهر القوى الجسمانية الداعية الى متابعة الهوى والشيطان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله
عز وجل آمن الرسول الى قوله واليك المصير قال غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال
لا اؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخر السورة
قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وعن معاذ بن جبل انه كان اذا ختم البقرة قال آمين وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي
وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل في سورة البقرة

سورة آل عمران

وهي اربعة عشر الفا وخمسة وعشرون حرفا وثلثة آلاف واربعمائة وثمانون كلمة ومائتا آية قيل نزلت صدر هذه السورة
الى آية المباهلة في النصارى وفد نجران وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر
يؤول اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم
واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه
في دينهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله ودخلوا مسجده حين صلى
العصر عليهم ثياب الحبرة جبب واردية في جمال رجال الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما

(Marginal note:) ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا للصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخنزير قالوا فإن لم يكن ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا
يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم
على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض
ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون
أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فأنزل الله تعالى فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية فقال عز من قائل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قوله الم قرأ الجميع بفتح الميم والفتح حركة الهمزة ألقيت على الميم حين أسقطت الهمزة للتخفيف لا للدرج لأن الميم في حكم الوقف
بالسكون والجزم في حكم الثابت وإنما حذفت تخفيفاً وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان
بإلقاء حركة الهمزة على الدال ولا يكون حركة الميم لالتقاء الساكنين لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف نحو قولك هذا إبراهيم
وداود وإسحق ولو كان التقاء الساكنين في الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر
ساكن آخر وهو حرف التعريف فزعم من يقول إن اللام في الله حرف التعريف فإن قلت إنما لم يحركوا الميمين في ألف لام ميم لالتقاء
الساكنين فيهما لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء بساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا الميم لأن النطق
بالساكن الثالث غير ممكن مع سكون الميم فحركوا الميم لالتقاء الساكنين قلت هذا لا يصح لأنا لا نسلم أن الحركة فيه لالتقاء الساكنين
لعدم إمكان النطق بهما والذي يدل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح
الهمزة لالتقاء الساكنين فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة للتخفيف
لا غير وليست لالتقاء الساكنين فإن قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وما هي بمقبولة قال ابن الحاجب لا وجه لعدم إعرابها إلا البناء لأنها لما تجردت من التركيب فقد منها مقتضى الإعراب فإذا فقد فيها مقتضى
الإعراب وجب البناء إذ لا متوسط فإذا كان كذلك وجب الحكم بالبناء قال ابن الحاجب من جعل السكون سكون وقف أجرى الوصل
في الأمر مجرى الوقف فتكون الميم باقية على نية السكون والهمزة باقية على نية الثبات مبتدأ بها وجاز أن تعطى أيضاً أحكام الوصل
لفظاً بدليل حذف قوله ثلاثه اربعه فلم ننقل حركة الهمزة إلى الهاء فأجرى الوصل مجرى الوقف قبل ذلك إلا لم يقلب التاء هاء
هنا قال الذي حمله على هذا أمران أحدهما استبعاد البناء على السكون مع سكون ما قبل الآخر لما يؤدي إلى اجتماع الساكنين
في غير الوقف والثاني مجيئها مفتوحة الميم ولو كانت حركتها لالتقاء الساكنين لكانت مكسورة ثم قال وهذا لا يعتسف
لأن الأسماء إذا جردت عن التركيب وجب بناؤها فيكون السكون في هذا الموضع سكون بناء وأيضاً فيما ذكره حمل ما أجمع
عليه القراء على الوجه الضعيف لأن إجراء الوصل مجرى الوقف ليس بقوي في اللغة اعلم أن صاحب الكشاف يلزمه القول بإجراء
الوصل مجرى الوقف لما ذكر في الفواتح أن هذه الأسماء معربة وأن سكونها سكون وقف لا بناء وحقق القول فيه وبين وجه
ضعف القول بالبناء ومن ثم افتتح هذه السورة بقوله ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف لام وأن يبدأ بما بعدها
وأن يقرأ وهل هم مستشهداً لذلك وقد بينا أيضاً أن ألف لام ميم رأس آية بلا خلاف ثم إنها إن جعلت اسم سورة فالوقف
عليها لأنها كلام تام كما ذكره صاحب الكشاف وإن جعلت على نمط التعديد للأسماء والحروف على ما ورد في العصى وتقدمة لدلائل
الإعجاز فالواجب أيضاً القطع والابتداء بما بعدها تفرقة بينها وبين الكلام المستقل المفيد بنفسه فإذن القول بنقل
الحركة هو القول لإشعاره بإبقاء أثر الهمزة المؤذن بالابتداء والوقف ولا كذلك القول بأن الحركة لالتقاء الساكنين ومذهب
سيبويه أن الميم فتحت لالتقاء الساكنين واختاروا الفتح لئلا تجتمع بين كسرة وياء قبلها كسرة واعلم أن الأقوال
المذكورة في الم في أول سورة البقرة منصوصة في الم في هذه السورة وذهب الجرجاني إلى أن أحسن الأقوال هنا أن يكون إشارة
إلى حروف المعجم كأنه يقول هذه الحروف كتابك أو نحو هذا ويدل قوله الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب على ما ترك
ذكره مما هو خبر عن الحروف وذلك في نظمه مثل قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وترك الجواب لدلالة قوله
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله عليه تقديره كمن قسا قلبه ومنه قول الشاعر ● فلا تدفنوني إن دفني محرم ● عليكم ولكن خامري
أم عامر ● تقديره ولكن اتركوني للتي يقال لها خامري أم عامر قال ابن عطية يحسن في هذا القول أن يكون نزل خبر قوله الله
حتى يرتبط الكلام إلى هذا المعنى وفيما ذكره الجرجاني نظر لأن مثله ليست صحيحة الشبه بالمعنى الذي نحا إليه وما قاله في الآية
محتمل ولكن الأبرع في نظم الآية ألم لا يضم ما بعدها إلى نفسها في المعنى وأن يكون الله لا إله إلا هو الحي القيوم كلاماً مبتدأ
رداً على وفد نجران إذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى لأنهم يقولون إنه صلب وذلك موت في معتقدهم ومن البين
أنه ليس بقيوم قال الإمام إن مطلع هذه السورة له نظم عجيب لطيف وذلك لأن أولئك النصارى الذين نازعوا الرسول صلى الله عليه وسلم
كأنه قيل لهم إما أن تنازعوا في معرفة الإله أو في النبوة فإن كان الأول فإنهم يثبتون له ولداً فالموضعة بالدلائل العقلية
فإنه ثبت بالبرهان أنه حي قيوم والحي القيوم يستحيل عقلاً أن يكون له ولد وإن كان النزاع في النبوة فهذا أيضاً باطل لأنه
النبوة فإنهم سلموا أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عرفوا أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فإن
المعجز هاهنا لما اعترفوا أن الله أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى وهي حاصلة هنا فكيف يمكن منازعته في صحة النبوة
فهذا هو وجه النظم وهو مضبوط حسن جداً قوله الله مبتدأ وما بعده خبر الحي القيوم يمتنع أن يكون له ولد لأن كل ما سواه

محدث حصل بتكوينه وتخليقه فامتنع كون شيء منه ولداً كما قال إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وقال لن
يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون نزل نجوماً شيئاً بعد شيء والتنزيل مرة بعد أخرى الكتاب القرآن
بالحق بالعدل والصدق مصدقاً لما بين يديه لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات وبعض الشرائع وقيل الحق فيما تضمنه من الأخبار
من الأمم السالفة وقيل بما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والأعمال ويمنعه عن سلوك الطريق
الباطل وقيل بالحق معناه أنه قول فصل وما هو بالهزل وقيل أنزله بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية وشكر النعمة
وإظهار الخضوع ويجب لبعضهم على بعض من العدل والإنصاف في المعاملات وقيل أنزله بالحق لا بالمعاني الفاسدة المتناقضة
كما قال أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً واعلم أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن
ملتبساً بالحق مصدقاً لكتب الأنبياء ولما أخبر به عن الله لأنه أمي لم يختلط بأحد من العلماء ولا تلمذ لأحد ولا قرأ على أحد شيئاً
فإن المفتري إذا كان هكذا امتنع عادة أن يسلم من الكذب فلما لم يكن كذلك ثبت أنه من عند الله وقال أبو مسلم إنه تعالى لم يبعث
نبياً قط إلا بالدعاء إلى التوحيد والإيمان به وتنزيهه عما لا يليق به والأمر بالعدل والإحسان وبالشرائع التي هي صلاح أهل
كل زمان فالقرآن مصدق لكل الكتب وذلك أنزل التوراة والإنجيل جملة واحدة قال صاحب الكشاف التوراة والإنجيل
اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الأنجيل
بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة قال الإمام هنا القول هو الحق الذي لا محيد عنه ومع هذا فننقل كلام الأدباء أما لفظ
التوراة ففيه أقوال الأول أنه الضياء والنور من قولهم ورى الزند وري إذا قدح وظهر منه النار ووريته أنا قال الله تعالى أفرأيتم
النار التي تورون وقال تعالى فالموريات قدحاً فسمي توراة لأنه نور وضياء بدليل قوله تعالى وضياء وذكراً للمتقين وقيل
من التورية وهو كتمان السر والتعريض بغيره ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً ورى بغيره
وكان أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير إيضاح وتصريح قال الكوفيون هي تفعلة مثل توصية وتولية فقلبت الياء ألفاً
كما يقال في لغة طي في توفية تسمية ناصاة والتوصية توصاة نقلت حركة الياء إلى ما قبلها وقلبت الياء ألفاً وقيل أصله تورية
على وزن تفعلة بفتح العين واللام قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها قال البصريون أصلها وورية على وزن فوعلة
مثل دحرجة وحوقلة فحولت الواو الأولى تاء وجعلت الياء المفتوحة ألفاً فصارت توراة ثم كتبت بالياء على أصل الكلمة وأما
الإنجيل فإفعيل من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلاً لخروجه وسمي إنجيلاً لأنه أخرج به دارساً من الحق عافياً ويقال هو من
النجل الذي هو سعة العين يقال طعنة نجلاء إذا كانت واسعة سمي بذلك لأنه أصل أخرجه لهم ووسعه عليهم قوله من قبل أي من قبل القرآن
حذف المضاف إليه وبني على الضم كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد هدى للناس يعني لقوم موسى وعيسى
وقيل بنيته لأنه مصدق وهو محل النصب على الحال ومعنى الحال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فتحمله على العموم وصف القرآن بالحق ووصف
التوراة والإنجيل بأنه هدى وما وصفهما معاً بأن القرآن هدى لطيفة وصف القرآن في أول سورة البقرة بأنه هدى للمتقين وما وصفه
هنا لأن المتقين هم المنتفعون به فصار من هذا الوجه كأنه لا لغيرهم أما هنا في المناظرة كانت مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن
فلا جرم لم يقل هاهنا في القرآن إنه هدى بل قال إنه حق في نفسه سواء قبلوه أو لم يقبلوه وأما التوراة والإنجيل فهم يعتقدون صحتهما
ويدعون بأنا إنما نتوغل في ديننا لأجلهما فلا جرم وصفهما الله لأجل هذا التأويل بأنه هدى وقيل أنه تعالى وصف الكتب الثلاثة القرآن والتوراة
والإنجيل بأنها هدى للناس فهذا الوصف عائد إلى كل ما تقدم غير مختص بالتوراة والإنجيل قوله وأنزل الفرقان أي جنس الكتب
السماوية لأنها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب الثلاثة التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق بين
الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبوراً أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت
له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله قال الإمام والمختار عندي أن المراد
من الفرقان المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب وذلك لأنهم لما جاؤوا بهذه الكتب وادعوا أنها كتب أنزلت عليهم من عند الله
وافتقروا في إثبات هذه الدعوى إلى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكاذبين فلما أظهر الله على وفق دعواهم تلك
المعجزات حصلت المفارقة بين دعوى الصادق وبين دعوى الكاذب فالمعجز هو الفرقان فلما ذكر الله تعالى أنه أنزل الكتاب بالحق وأنه
أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك بين أنه تعالى أنزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز القاهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق
بينها وبين سائر الكتب المختلفة والظاهر أنه أراد بالفرقان القرآن باعتبار أنه معجز فإن الأمر في هذا المقام ذكر ما يفيد إفحام
الخصم ما يدل على أن القرآن نزل من الله بالحق فإنه لما قال نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه استبعد الخصوم من نزول الكتاب
الموصوف عليه فذكر قوله وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس رفعاً للاستبعاد فإنهم معترفون بأنه أنزل التوراة
والإنجيل من قبل هدى للناس فكأنه قال لا استبعاد في أن نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه فإنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل
هدى للناس فكما لا استبعاد ذلك لا استبعاد هذا ولكن كانوا في ريب مما نزل عليه ومع رفع الاستبعاد لا بد من رفع الريب فأقام
الحجة على دعواه وهو أنه نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه لرفع الريب بقوله وأنزل الفرقان الذي هو المعجز الفارق بين الحق
والباطل فلما كان باعتبار كونه منزلاً غير اعتبار كونه معجزاً فإن الأول لكونه دعوى والثاني لكونه حجة فإنهما متغايران بالذات
فحسن العطف والذي يشهد لهذا قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأما حمل الفرقان
على المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب غير مناسب للمقام لأن الخصوم غير منكرين لأن هذه الكتب حتى يحتاج في
إثباته إلى دليل ولما أقر بالمعجزات وأوجز أشار بجميع ما يتعلق بمعرفة التوحيد وما يتعلق بمعرفة النبوة عموماً ومعرفة نبينا
صلى الله عليه وسلم خصوصاً أتبع ذلك بالوعيد زجراً للجاحدين والمعرضين عن هذه البينات القاطعة والآيات الساطعة فقال

ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ووروده بسبب النصارى لا يمنع العموم فيتناول كل من كفر بآيات الله والله
عزيز غالب قوي منيع ذو انتقام عقوبة شديدة لا يقدر على مثله منتقم قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ● قال الامام لما ذكر انه قيوم وهو القائم
باصلاح مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بمجموع امرين احدهما كونه عالما بحاجاتهم على جميع الوجوه وثانيهما ان يكون بحيث يقدر
على دفعها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بكل شيء والثاني لا يتم الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء اشارة الى انه عالم بكل شيء فيكون عالما بمقادير الحاجات ومراتب الضرورات لا يشغله شأن عن شأن
وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اشارة الى كونه قادرا على كل الممكنات فيكون قادرا على تحصيل جميع مصالح
[illegible]

تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وقول جرير احكموا سفهاءكم اي امنعوهم
وبناء محكم اي وثيق يمنع من تعرض له وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع مما لا ينبغي واما التشابه فهو ان يكون الشيء مشاركا لغيره في الصفة
بحيث يعجز الذهن عن التمييز قال الله تعالى حكاية عن بني اسرائيل ان البقر تشابه علينا وقال تعالى في وصف ثمار الجنة واتوا به متشابها
وقال تعالى تشابهت قلوبهم ومنه يقال اشتبه على الامر اذا لم يفرق بينهما ويقال لاصحاب المخاريق اصحاب الشبه وقال
صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات واعلم ان في القرآن ما يدل على انه بكليته محكم وفيه ما يدل على
انه بكليته متشابه وفيه ما يدل على ان بعضه محكم وبعضه متشابه اما ما يدل على انه بكليته محكم فهو قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب الحكيم
الر كتاب احكمت آياته فذكر في هذه الآية ان جميعه محكم والمراد من المحكم بهذا المعنى انه محكم بالنظم العجيب والمعنى البديع اي كلام حق فصيح الالفاظ
صحيح المعاني افضل من كل كلام في فصاحة اللفظ وقوة المعنى فبهذا المعنى وصف جميعه بانه محكم واما ما يدل على انه بكليته متشابه
فهو قوله تعالى كتابا متشابها مثاني والمعنى انه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والبلاغة ويصدق بعضه بعضا لا اختلاف
فيه ولا تناقض والى هذه الاشارة بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لكان بعضه واردا على نقيض
الآخر والمحكم والمتشابه بهذا المعنى صفتان للقرآن بكليته لا يتنافيان فيه واما ما يدل على ان بعضه محكم وبعضه متشابه فهو
هذه الآية فنقول اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى فاما ان يكون محتملا لغير ذلك المعنى ولا يكون فان كان الثاني سمي ذلك
اللفظ نصا وان كان الاول فلا يخلو اما ان يترجح احد الاحتمالين على الآخر او لا فان كان الاول سمي ذلك اللفظ بالنسبة الى الراجح
ظاهرا وبالنسبة الى المرجوح مأولا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى
كل واحد منهما على التعيين مجملا والنص والظاهر يشتركان في الرجحان والنص راجح مانع من احتمال الغير والظاهر غير مانع من
احتمال الغير فالقدر المشترك يسمى محكما والمجمل غير مرجوح والمأول مع كونه مرجوحا والقدر المشترك بينهما يسمى
متشابها وقيل اللفظ الذي يكون معناه ظاهر المراد للسامع مقرونا بقصد المتكلم غير محتمل التخصيص والتأويل والنسخ يسمى
محكما واللفظ الذي لم يظهر المراد منه بالصيغة ولم يمكن ادراك المراد منه بالتأمل ولا يرجى بيانه فيسمى متشابها
والمحكم على التفسير الاول لا ينافي النسخ وعلى الثاني ينافيه والمتشابه على التفسير الاول اعم من ان يكون ادراكه ممكنا بالتأمل
ويرجى بيانه او لا وعلى الثاني لا يمكن ادراك المراد منه بالتأمل ولا يرجى بيانه فيه والمتشابه على الاول هو القدر المشترك
بين المجمل والمأول لان عدم الفهم حاصل في القسمين جميعا واللفظ اذا كان بالنسبة الى المفهومين على التسوية
يتوقف الذهن مثل القرء بالنسبة الى الحيض والطهر وانما المشكل اذا كان اللفظ بحسب اصل الوضع راجحا في احد المعنيين
ومرجوحا في الآخر ثم كان الراجح باطلا والمرجوح حقا كقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها
فان الظاهر انهم يؤمرون بان يفسقوا ومرجوحه انهم يؤمرون بشيء فيفسقوا فيما امروا به ومحكمه قوله تعالى ان الله لا يأمر
بالفحشاء ردا على الكفار فيما حكى عنهم من قولهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها وكذلك قوله
نسوا الله فنسيهم وظاهر النسيان ما يكون ضد العلم ومرجوحه الترك والآية المحكمة فيه قوله تعالى وما كان ربك نسيا
وقوله لا يضل ربي ولا ينسى قال الامام هذا موضع عظيم فان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة
وان الآيات الموافقة لقول خصمه متشابهة فالمعتزلي مذهبه ان قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وقوله
وما تشاؤون الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر في ذلك فلا بد ههنا من قانون يرجع اليه في هذا الباب فنقول
اللفظ اذا كان محتملا لمعنيين بالنسبة الى احدهما راجحا والى الآخر مرجوحا فان حملناه على الراجح ولم نحمله على المرجوح فهو المحكم
وان حملناه على المرجوح ولم نحمله على الراجح فهو المتشابه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وذلك
اما لفظي او عقلي والاول لا يظهر لامتناع الترجيح بلا مرجح واما الثاني فلان الدليل اللفظي لا يكون قاطعا لانه موقوف على
نقل اللغات ووجوه النحو والتصريف وموقوف على عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض
العقلي والنقلي وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يكون شيء من الدلائل اللفظية قطعيا
فصرف اللفظ عن ظاهره الى المعنى المرجوح بدليل لفظي وان كان راجحا ظنيا لا يعول عليه في المسائل الفقهية والثاني
هو ان يكون الدليل المنفصل عقليا يمكن اعتباره فاذا تعذر حمل اللفظ على ظاهره بان يكون معناه الراجح محالا عقلا
جاز صرفه عن معناه الراجح بدليل عقلي قاطع ثم اذا عرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند ذلك
لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك
الترجيح لا يمكن الا بالدليل اللفظي والدليل اللفظي في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر في غاية الضعف فلا يفيد الا الظن
الضعيف والتعويل على مثل هذا في المسائل القطعية الاصولية محال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف
بعد اقامة الدليل العقلي القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التأويل فهذا منتهى ما وصل اليه
الذهن السليم والنظر المستقيم في هذا الباب ولنذكر اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس رضي الله
عنهما المحكمات هي الثلاث الآيات في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر الآيات الثلاث والمتشابهات
هي التي تشابهت على اليهود وهي حروف التهجي في اوائل السور فانهم اولوها على حساب الجمل وطلبوا ان يستخرجوا منها مدة
بقاء الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقيل
هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة مثل ما اخبر الله من انشاء الخلق في قوله تعالى ولقد خلقنا النطفة علقة وجعلنا من الماء كل شيء
حي وقوله وانزلنا من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل نحو الحكم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم

المراد به

باذن الله يبعثهم بعد ان صاروا ترابا وقيل المحكم ما امكن تحصيل العلم به سواء كان بدليل جلي او بدليل خفي والمتشابه
ما لا سبيل الى معرفته فذلك هو المتشابه وذلك كالعلم بوقت قيام الساعة والعلم بمقادير الثواب ولم يخرج الى تفسيرها
محكمات متقنات مبينات مفصلات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اي اصلها الذي يحمل عليه
في الاحكام ويرجع الحلال والحرام ومفزع لاهل الاسلام والكتاب الجنس اي منها ام التورية والانجيل والقران وقيل ام الكتاب
يحمل المتشابه عليها ويرد اليها ومثاله لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها والعرب تسمي كل
فاصل جامع اما كما قيل اللوح المحفوظ ام الكتاب وقيل الفاتحة ام القران ومكة ام القرى وللدماغ ام الراس وللوالدة ام الرجل
الذي يقوم بامر العيال ام والبقرة والناقة والشام التي تعيش بها اهل الدار ام وانما قال هن ام الكتاب ولم يقل هن امهات
الكتاب لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل معناه كل اية منهن ام الكتاب كما قال تعالى
وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحد منهما اية واخر جمع اخرى ولم يصرف للوصف والعدل لانه عدل عن الاخر وقيل
من اخريات المطلبات الكاف فان قلت فهلا كان القران كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا
عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله
وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح
في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا تناقض
في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع
نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه قال الامام
من الملحدة من طعن في القران لاجل اشتماله على المتشابهات فقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القران
الى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبري يتمسك بايات الجبر كقوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا والقدري يقول هذا مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكى ذلك عنهم في معرض الذم في قوله
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وفي موضع اخر وقالوا قلوبنا غلف ومنكر الرؤية متمسك بقوله لا تدركه
الابصار ومثبت الجهة متمسك بقوله يخافون ربهم من فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى والنافي متمسك بقوله ليس
كمثله شيء ثم يسمي كل واحد الايات الموافقة لمذهبه محكمة والايات المخالفة لمذهبه متشابهة وانما ال في ترجيح بعضها
على البعض الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه في كل الدين الى يوم
القيامة هكذا اليس انه لو جعله ظاهرا جليا نقيا عن هذه الشبهات كان اقرب الى حصول الغرض واعلم ان العلماء ذكروا فوائد
المتشابهات وجوها الاول انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب
مزيد الثواب قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الثاني لو كان القران
محكما بالكلية لما كان مطابقا الا لمذهب واحد وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر ارباب
المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به اما لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بدليل
العقل وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويتصل الى ضياء الاستدلال والتبيين اما لما كان مشتملا على المحكم وعلى المتشابه
فيطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يقوي مذهبه ويؤيد مقالته فينظر فيه جميع ارباب المذاهب ويجتهد في التامل فيه
صاحب كل مذهب واذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويتصل
الى الحق الثالث ان القران اذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الى العلم بطريق التاويلات وترجيح بعضها على بعض
وافتقر في تعلم ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان واصول الفقه ولو لم يكن الامر كذلك لما
كان يحتاج الانسان الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فكان في ايراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة الرابع السبب الاقوى في هذا
الباب ان القران مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية وطبائع العوام تنفر في اكثر الامر عن درك الحقائق فمن سمع من
العوام في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان
الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم
الاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر يكون من باب المتشابهات والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في اخر الامر هو من
المحكمات قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ لما بين ان الكتاب اي القران منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
بين ان اهل الزيغ يتبعون ما تشابه منه والزيغ الميل عن الحق يقال زاغ زيغا اي مال قيل هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق
ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه
قال الراغب التاويل من الاول اي الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع اليه وذلك هو رد الشيء الى الغاية المرادة
منه علما كان او فعلا ففي العلم نحو وما يعلم تاويله الا الله وفي الفعل كقول الشاعر   وللنوى قبل يوم البين تاويل
وقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله اي بيانه الذي هو الغاية المقصودة منه وقيل هم وفد نجران لما حاجوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الاية ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم وقيل هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء الامة واستخراجه من الحروف المقطعة في اوائل السور وقيل هم الملحدة
الذين ينكرون البعث لانه قال في اخر الاية وما يعلم تاويله الا الله وما ذلك الا وقت القيمة فانه تعالى اخفاه عن الخلق

والملائكة

الملائكة وقيل يعم جميع المبطلين وكل من احتج لباطله بالمتشابه لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ
فيه كل الناس ثم بين متشابه ومن جملة ما وعد الله الرسول من النصرة وما اوعد الكفار من النقمة فيقولون ائتنا بعذاب الله
ائتنا بالساعة ولو ما تاتينا بالملائكة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فانه
لما ثبت بصريح العقل ان كل ما كان مختصا بالحيز فاما ان يكون في الصغر كالجزء الذي لا يتجزى وهو باطل بالاتفاق واما ان يكون اكبر
منه فيكون منقسما مركبا وكل مركب ممكن ومحدث فيمتنع ان يكون الاله في مكان فيكون قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
متشابها من تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل
الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل
يتوقف على حصول الداعي وثبت ان حصول ذلك الداعي من الله ثبت انه متى كان الامر كذلك كان حصول الفعل عند
الداعية واجبا وعند عدمها ممتنعا فبطل ذلك التفويض وثبت ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيته فيصير استدلال
المعتزلة بتلك الظواهر وان كثرت استدلالا بالمتشابهات لاجل ان في قلوبهم زيغا عن الحق وطلبا لتقرير الباطل واعلم
انك لا ترى طائفة في الدنيا الا وتسمي الايات المطابقة لمذهبه محكمة ومذهب خصمه متشابهة قال الجبائي المجبرة الذين يضيفون
المجبرة الذين يضيفون الظلم والكذب وتكليف ما لا يطاق الى الله هم المتمسكون بالمتشابهات وقال ابو مسلم
الطالب للفتنة هو من يتعلق بايات الضلالة ولا يتاول على المحكم بينه بقوله فاضلهم السامري واضل فرعون
قومه وما يضل به الا الفاسقين ولو اتق له تعالى زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون على انه تعالى زين لهم العمه
ونقضوا بذلك ما في القران كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فانما يهتدي لنفسه وقالوا ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم قال الامام هذا ما قاله ابو مسلم وكل يشير ان يحكم على الايات الموافقة لمذهبه بانها محكمات وعلى
المخالفة لذلك بانها متشابهات ولم يوجب في تلك الايات المطابقة لمذهبه حملها على الظاهر ومعلوم ان ذلك لا يتم
الا بالرجوع الى الدلائل العقلية فاذا دل الدليل العقلي على بطلان مذهب كان الايات الموافقة لذلك المذهب تكون
متشابهة واعلم ان الايات التي تاكد ظاهرها بالدلائل القطعية هي المحكمات والايات التي يخالف ظاهرها الدلائل
القطعية التي يحكم فيها بان مراد الله غير ظاهرها والايات التي لم يوجد دليل قطعي على طرفي ثبوتها او انتفائها يتوقف فيها وهي
المتشابها حقا بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الاخر الا ان الظن الراجح حاصل في اجرائها على ظواهرها
من الايات الدالة على الاحكام الفرعية والا فيتوقف فيها ولما بين الله تعالى ان الزائغين يتبعون ما تشابه منه بين ان لهم
فيه غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وثانيهما ابتغاء تاويله والفتنة الاستهتار بالشيء والغلو فيه يقال فلان مفتون
بطلب كذا اي قد غلا في طلبه وتجاوز القدر وذكر المفسرون في تفسير هذه الفتنة وجوها منها انه متى وقعوا في ذلك المتشابه
في الدين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين فيفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة ومنها ان التمسك بذلك
المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا بذلك الباطل عاكفا عليه لا ينقطع عنه ان الفتنة في الدين هو الضلال
عنه ومعلوم انه لا فتنة ولا فساد اعظم من الفتنة في الدين والفساد فيه واما المراد من ابتغاء التاويل طلب ما لا دليل
عليه في كتاب الله والبيان ان الساعة متى تقوم وان مقادير الثواب والعقاب لكل طائع ومطيع كم تكون وان يحملوه على
الحق ثم بين الله تعالى ما يكون زيادة في ذم طريقة هؤلاء الزائغين فقال وما يعلم تاويله الا الله واختلف الناس في هذا
الموضع قال صاحب الكشاف وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه
الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله
الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون امنا به ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة من اياته كعدد
الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون
بالتاويل يقولون امنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه
من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن
التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين قال صاحب الانتصاف لا يجوز اطلاق الاهتداء على الله لما فيه من ايهام
سبق جهل عنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانعقد الاجماع
على امتناع اطلاق الالفاظ الموهمة عليه فاذا انكر على القاضي ابي بكر الباقلاني حده مطلق العلم بكونه معرفة ودخول علم
الله فيه سماه فيه هنا الاهتداء الى الراسخين في العلم مع غفلته عن شمول ذلك الحق تعالى على قوله ايضا
وبمعرفة الحكمة من اياته يريد هذا الاعتراض قال الامام فمنهم من قال تم الكلام ههنا ثم الواو في قوله والراسخون في العلم واو
ابتداء وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه الا الله وهذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس والكسائي والفراء
ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي وهو المختار عندنا والقول الثاني ان الكلام انما يتم عند قوله والراسخون في العلم وهذا القول
مروي عن ابن عباس ايضا ومجاهد والربيع بن انس واكثر المتكلمين والذي يدل على صحة القول الاول ان اللفظ اذا كان له معنى راجح
ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض
على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية والترجيحات اللغوية لا تفيد الا الظن الضعيف فاذا كانت المسئلة قطعية يقينية
كان القول فيها بالدلائل الظنية باطلا وايضا قال تعالى الرحمن على العرش استوى ودل الدليل على انه يمتنع ان يكون الاله في

فعلمنا انه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا انه في مجازات هذا اللفظ كثرة فصرف اللفظ الى البعض
دون البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية والقول بالظن في ذات الله تعالى وصفاته غير جائز بالاجماع وهذه حجة
قاطعة في المسألة والقلب الخالي عن التعصب يميل اليه والفطرة الاصلية تشهد بصحته الثاني ما قبل هذه الآية يدل على ان طلب تأويل
المتشابه مذموم حيث قال فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولو كان طلب تأويل
المتشابه جائزا لما ذم الله ذلك فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد منه طلب وقت قيام الساعة كما في قوله يسألونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي وطلب مقادير الثواب والعقاب وطلب ظهور الفتح والنصر كما قالوا لولا تأتينا بالملائكة
اجيب بانه تعالى لما قسم الكتاب الى قسمين محكم ومتشابه ودل العقل على صحة هذه القسمة من حيث ان حمل اللفظ على معناه
الذي هو غير راجح هو المتشابه ثم انه تعالى ذم طريقة من طلب تأويل المتشابه كان تخصيص ذلك ببعض المتشابهات دون البعض
تركا للظاهر وانه لا يجوز الثالث ان الله تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في اول البقرة فاما الذين آمنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان
كل من عرف شيئا على سبيل التفصيل فانه لا بد وان يؤمن به وانما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى
عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا انه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القطعية على انه لا يجوز ان
يكون ظاهرها مراد الله تعالى بل مراده منه غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء
كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد على التعيين
عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن الرابع لو كان قوله والراسخون معطوفا على قوله الا الله لصار
قوله يقولون آمنا به ابتداء وانه بعيد عن الفصاحة بل كان الاولى ان يقال وهم يقولون آمنا به او ويقولون آمنا به فان قيل
في تصحيحه وجهان الاول ان قوله يقولون حال من الراسخين والثاني ان قوله يقولون كلام مستأنف والتقدير هؤلاء العالمون
بالتأويل يقولون آمنا به اجيب عن الاول بان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا تقدم ذكر الله وذكر الراسخين في العلم
وجب ان يجعل قوله يقولون حالا من الراسخين لا من الله فيكون ذلك تركا للظاهر فثبت ان ذلك المذهب لا يتم الا بالعدول عن
الظاهر ومذهبنا لا يحتاج فكان هذا القول اولى وعن الثاني بانه مدفوع بان تفسير كلام الله بما لا يحتاج معه الى الاضمار
اولى من تفسيره بما يحتاج معه الى الاضمار الخامس قوله تعالى كل من عند ربنا يعني انهم آمنوا بما عرفوا على التفصيل وبما لم يعرفوا تفصيله
وتأويله فلو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة السادس نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير
القرآن على اربعة وجوه حلال وحرام لا يسع احدا جهالتهما وتفسير تعرفه العرب بالسنتها ووجه تأويل يعلمه العلماء ووجه
تأويل لا يعلمه الا الله من انتحل فيه علما فقد كذب وسئل مالك بن انس عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء
معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يسألون عما تشابه منه ويجادلون فيه فهم الذين
عنى الله سبحانه فاحذروهم ولا تجالسوهم والراسخون الرسوخ لغة الثبوت في الشيء يقال رسخ الايمان في قلب فلان فهو
يرسخ رسخا ورسوخا وكذلك في كل شيء قال الامام الراسخ في العلم هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القاطعة
وعرف ان القرآن كلام الله بالدلائل اليقينية فاذا رأى متشابها ودل الدليل القاطع على ان ظاهره ليس مراد الله علم حينئذ قطعا
ان مراد الله شيء آخر دون ما دل عليه ظاهره وان ذلك المراد حق ثم حكى عنهم ايضا انهم يقولون كل من عند ربنا والمعنى ان كل
واحد من المحكم والمتشابه من عند ربنا ولما كان الايمان بالمتشابه يحتاج فيه الى مزيد التأكيد قال كل من عنده ثم قال وما يذكر
الا اولوا الالباب وهذا ثناء من الله على الذين قالوا آمنا به ومعناه وما يتعظ بالقرآن الا ذوو العقول الكاملة الخالصة
عن نزغات الشيطان الصافية عن شوائب الوهم والخيال الباطلة والظنون الفاسدة وهذا الوصف دال على انهم يستعملون عقولهم
في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلائل العقول فيكون محكما وما الذي يخالف ظاهره دلائل العقول فيكون
متشابها ثم يعلمون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض والباطل فيعلمون ان ذلك المتشابه لا بد وان يكون له معنى
صحيح عند الله وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها الى معرفة ذات الله
وصفاته ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويوافق اللغة كانت درجته هذه الدرجة العظمى
عظم الله الثناء عليه ولذلك من تكلم في القرآن من غير ان يكون متبحرا في علم الاصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية البعد
عن الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار [illegible]
قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم الكتاب قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب
لا يحتاج فيه الى النظر ولا يتعلق به شيء يلتبس ويستوي في علمه الراسخ وغيره والمتشابه يتنوع منه ما لا يعلم البتة كامر الروح
وامر الساعة ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول وجه تأويله المستقيم ويزال ما فيه مما عسى ان يتعلق به من تأويل غير مستقيم
كقوله وعيسى وروح منه الى غير ذلك فلا يسمى احد راسخا الا بان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له والا فمن لا يعلم
سوى المحكم فليس يسمى راسخا وقوله تعالى وما يعلم تأويله الضمير عائد على جميع متشابه القرآن وهو نوعان كما ذكرنا فقوله
الا الله مقتض ببديهة العقل انه يعلمه على الكمال فان جعلنا قوله والراسخون عطفا على اسم الله فالمعنى ادخالهم في علم التأويل
لا على الكمال بل علمهم انما هو في النوع الثاني من المتشابه وبديهة العقل تقضي بهذا والكلام مستقيم على فصاحة العرب كما تقول ما قام

القوم الا زيدا وفلان ولم يخرجهما الا بضربك بانه ضارب معك والآخر انما اعانك بكلام فقط فالمعنى وما يعلم تأويل المتشابه
الا الله والراسخون كل بقدره وما يصلح له والراسخون يقولون آمنا بجميعه واذا تحصل لهم في الذي لا يعلم ولا يتصور عليه
تمييزه من غيره فلذلك قدر من العلم بتأويله وان جعلنا قوله والراسخون رفعا بالابتداء مقطوعا عما قبله فتسميتهم راسخين يقتضي
بانهم لا يعلمون اكثر من المحكم الذي يستوي في علمه من يفهم كلام العرب وفي اي شيء هو رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم الجميع وما الرسوخ
الا المعرفة بتصاريف الكلام وموارد الاحكام ومواقع المواعظ وذلك كله بقريحة معدة فالمعنى وما يعلم تأويله على الاستيفاء الا
الله والقوم الذين يعلمون منه ما يمكن ان يعلم يقولون في جميعه آمنا به كل من عند ربنا وهذا القدر هو الذي تعاطى ابن عباس رضي الله
عنهما وهو ترجمان القرآن ولا يتأول عليه انه تعاطى علم وقت الساعة وامر الروح وما شاكله فاعراب الراسخين يحتمل الوجهين ولذلك
قال ابن عباس بهما والمعنى فيهما يتقارب بهذا النظر الذي ذكرنا فاما من يقول ان المتشابه انما هو ما لا سبيل لاحد الى علمه فيستقيم
على قوله اخراج الراسخين من علم تأويله لكن تخصيصه المتشابهات بهذا النوع غير صحيح والصحيح في ذلك ان قولنا المحكم
ما لا يحتمل الا تأويلا واحدا والمتشابه ما احتمل من التأويل اوجها وهذا هو مذهب اهل التحقيق وعلى هذا ترتب النظر الذي ذكرناه وقال
من العلماء الحذاق ان الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه بما اراد الله بهذا النوع وخافوا ان يظن احد ان الله وصف الراسخين
بعلم التأويل على الكمال قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
اي يقولون ربنا لا تزغ كما حكى عن الراسخين في العلم انهم يقولون ربنا لا تزغ وتحقيقه يقولون بالدلالة الاولى عليه قال الامام
في هذه الآية احتج بها اهل السنة فظاهرها ان القلب صالح لان يميل الى الجانبين الا ان يحدث فيه داعية وارادة يحدثها
الله تعالى فان كانت تلك الداعية داعية الكفر فهي الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين والقسوة والوقر
والاكنة وغيرها من الالفاظ الواردة في القرآن وان كانت تلك الداعية داعية الايمان فهي التوفيق والارشاد والهداية والتسديد
والتثبيت وغيرها من الالفاظ الواردة في القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن والمراد من هذين الاصبعين الداعيتان وكما ان الشيء يكون بين اصبعي الانسان يتقلب كما يقلبه الانسان بواسطة تينك
الاصبعين كذلك القلب بين تينك الداعيتين يتقلب كما يقلبه الحق بتينك الداعيتين ومن انصف ولم يتعسف وجد هذا
المعنى كالشيء المحسوس ولو جوز حدوث احدى الداعيتين من غير محدث ومؤثر لزم نفي الصانع وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ومعناه ما ذكرنا ولما آمن الراسخون بكل ما انزل الله من المحكمات و
المتشابهات تضرعوا اليه سبحانه في ان لا يجعل قلوبهم مائلة عن الحق وهذا كلام برهاني محقق ومما يؤكده ما ذكرنا ان الله
مدح هؤلاء المؤمنين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال وترك الخوض فيها فيبعد منهم ان يتكلموا
في مثل هذا الوقت بالمتشابه فلا يبعد ان يتكلموا بهذا الدعاء لاعتقادهم انه من المحكمات ثم انه تعالى حكى ذلك عنهم في معرض
المدح لهم والثناء عليهم بسبب انهم قالوا ذلك فهذا يدل على ان هذه الآية من اقوى المحكمات وهذا كلام بين واما المعتزلة فقد
قالوا لما دلت الدلائل على ان الزيغ لا يجوز ان يكون بفعل الله وجب صرف هذه الآية الى التأويل وما ذكروا من التأويل فقد ذكر في
موضع اخر ومما احتج به بعضهم في هذا الموضع خاصة قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهو صريح في ان ابتداء الزيغ منهم ثم ذكروا
تأويلاتهم في هذه الآية من وجوه الاول وهو الذي قاله الجبائي واختاره القاضي ان المراد بقوله لا تزغ قلوبنا لا تمنعنا الالطاف
التي معها تستمر قلوبنا على صفة الايمان وذلك لانه تعالى لما منعهم لطافه عند استحقاقهم منع ذلك جاز ان يقال ازاغهم
ويدل على هذا قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الثاني قال الاصم لا تبتلينا ببلوى تزيغ فيها قلوبنا وهو كقوله ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ
والثالث قال الكعبي لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك بعد اذ هديتنا وهذا قريب من الوجه الاول لانه يحمل على شيء آخر وهو
انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر فقوله لا تزغ قلوبنا محمول على ان يميته قبل ان يصير
كافرا وذلك لان ابقاءه حيا الى السنة الثانية يجري مجرى ما اذا ازاغه الله عن طريق الجنة الخامس قال الاصم لا تزغ قلوبنا
عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل السادس قال ابو مسلم [illegible] من الشيطان ومن شرور انفسنا
حتى لا نزيغ والكل ضعيف اما الاول فلان مذهبهم ان كل ما في مقدور الله تعالى ان يفعله في حقهم من الالطاف فقد فعله
[illegible] الى الدعاء في طلبه لكن هذا القول
يتم على قول بشر بن المعتمر واصحابه الذين لا يوجبون على الله جميع الالطاف واما الثاني فلان التشديد في التكليف ان علم الله
انه يحمل المكلف على القبيح فيقبح من الله وان علم انه لا اثر له اصلا في حمل المكلف على فعل القبيح كان وجوده كعدمه فيما يرجع
الى كون العبد مطيعا او عاصيا فلا فائدة في الدعاء واما الثالث فلان التسمية بالزيغ والكفر دائر مع فعل الزيغ والكفر
وجودا وعدما فالكفر والزيغ باختيار العبد فلا فائدة في قوله لا تسمنا باسم الزيغ والكفر واما الرابع فلانه لو كان في علمه
تعالى انه يكفر في السنة الثانية يوجب عليه ان يميته لكان كل من علم انه لا يؤمن قط ويكفر طول عمره يوجب عليه ان لا يخلقه
واما الخامس وهو حمله على ابقاء العقل فضعيف لان هذا متعلق بما قبل هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ واما السادس
فهو ان الحراسة من الشيطان ومن شرور النفس ان كان مقدورا وجب فعله فلا فائدة في الدعاء فان قيل فما قولكم كيف
في تفسير قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اجيب بانه لا يبعد ان يقال ان الله تعالى [illegible] فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اخرى
سوى الاولى ثم قوله بعد اذ هديتنا اي بعد ان جعلتنا مهتدين وهذا ايضا صريح في ان حصول الاهتداء في القلب بخلق الله تعالى
وهب لنا من لدنك رحمة واعلم ان تطهير القلب عما لا ينبغي مقدم على تنويره بما ينبغي فهؤلاء المؤمنون سألوا ربهم اولا ان لا يجعل

الى الاباطيل والعقائد الفاسدة وطلبوا ان يثبت قلوبهم بانوار المعرفة ويحلي ارواحهم واعضاءهم بزينة الطاعة قوله
من لدنك رحمة اى رحمة عظيمة شاملة لجميع انواعها فاولها ان يحصل في الاعضاء والجوارح نور الطاعة والعبودية وثانيها
ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة وثالثها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت ورابعها
ان يحصل بعد الموت سهولة السؤال والقبر وخامسها ان يحصل في القيمة سهولة الحساب وغفران السيئات
وترجيح الحسنات وقولهم من لدنك رحمة يتناول جميع هذه الانواع فانه رحمته وسعت كل شيء ولما ثبت بالبراهين القاطعة
والحجج الساطعة ان لا رحيم الا هو ولا كريم الا هو اكد بقوله سبحانه تنبيها للروح والعقل على ان المطالب لا تحصل الا منه ولما كان
هذا المطلوب في غاية العظمة بالنسبة الى العبد ذكره على سبيل التنكير كانه يقول اطلب رحمة تليق بك وذلك لوجب
قوله انت الوهاب كان العبد يقول الهي هذا الذي طلبته منك في هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى حقيقتي لكنه حقير بالنسبة الى كمال كرمك
وغاية جودك وسعة رحمتك فانت الوهاب الذي من هبتك حصل حقائق الاشياء وذواتها ووجوداتها فكل ما سواك فمن جودك واحسانك
وكرمك يا دائم المعروف يا قديم الاحسان لا تخيب رجاءنا ولا ترد دعاءنا واجعلنا بفضلك اهلا لرحمتك يا اكرم الاكرمين قوله
تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ● هذا الدعاء من بقية كلام الراسخين
في العلم فانهم لما سالوا من الله ان لا يزيغ قلوبهم بعد الهداية وطلبوا من لدنه رحمة قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق
بمصالح الدنيا فانها منقضية منقرضة انما الغرض الاعظم منه ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم يا الهنا انك جامع الناس
للجزاء في يوم لا ريب فيه ونعلم انك لا تخلف الميعاد فالذين في قلوبهم زيغ يبقوا هنالك في العذاب ابد الاباد ومن وفقته
للهداية ووهبت له رحمة بقي هنالك في السعادة والكرامة جامع الناس ليوم اي لجزاء يوم كقوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا شك فيه وهو يوم القيمة وتم الكلام عند قوله عز وجل لا ريب فيه
فانصرف من الخطاب الى الغيبة فقال ان الله لا يخلف الميعاد وهو مفعال من الوعد قال الجبائي كلام المؤمنين تم عند
قوله لا ريب فيه وقوله ان الله لا يخلف الميعاد كلام الله لما قال المؤمنون انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه صدقهم الله
في ذلك وايد كلامهم بقوله ان الله لا يخلف الميعاد ونظيره [illegible] لا يستبعد [illegible] الخطاب
الى الغيبة ومثله في كتاب الله كثير قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح [illegible] الاية
ان الله لا يخلف الميعاد وقال في اخر السورة انك لا تخلف الميعاد اجيب بان هذه الاية في بيان الحشر والنشر
المطلوب منه من اظهار الهيبة [illegible] باسم الله الاعظم [illegible] لطلب العبد من ربه
ان ينعم عليه بفضله وان يتجاوز عن سيئاته فلم يكن مقام الهيبة فلهذا قال انك لا تخلف الميعاد واحتج الجبائي
بهذه الاية على القطع بوعيد الفساق فان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد بدليل قوله تعالى ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والموعد والميعاد واحد فقد اخبر في هذه الاية انه لا يخلف الميعاد فكان هذا
دليلا على انه لا يخلف في الوعيد اجيب بانا لا نسلم ان الله تعالى توعد الفساق مطلقا بل ذلك الوعيد عندنا مشروط بشرط
عدم العفو كما انه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة وكما انكم اثبتم ذلك الشرط بدليل منفصل فكذا نحن اثبتنا شرط
عدم العفو بدليل منفصل سلمنا انه توعدهم ولكن لا نسلم ان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد وقوله بدليل قوله تعالى
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك كقوله فبشرهم بعذاب اليم وقوله ذق انك انت العزيز الكريم
والاولى ان يقال الميعاد في هذه الاية [illegible] للوعيد فان المقام مقام البشارة للراسخين وسؤالهم الرحمة العظيمة من
لدنه فلا يناسب ذكر الوعيد [illegible] ان يحمل هنا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند
العرب والدليل عليه انهم يمدحون بذلك قال الشاعر اذا وعد السراء انجز وعده وان اوعد الضراء فالعفو
مانعه [illegible] المناظرة [illegible] بين ابي عمرو بن العلاء وبين عمرو بن عبيد فقال ابو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد ما تقول في اصحاب
الكبائر فقال اقول ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو بن العلاء انك رجل اعجم
لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب ان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد فاني
وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي ● قيل لما قال ابو عمرو بن العلاء هذا المقال قال عمرو بن عبيد يا ابا عمرو
فهل يسمى الله مكذب نفسه فقال لا فقال عمرو بن عبيد فقد سقطت حجتك فانقطع ابو عمرو بن العلاء ولقائل
ان يقول ان ابا عمرو بن العلاء ان يقول انك قسيت الوعيد على الوعد وانا انما ذكرت هذا لبيان الفرق بين البابين وذلك
لان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم
فظهر الفرق بين الوعد والوعيد وبطل قياسك وانما ذكرت هذا الشعر لايضاح هذا الفرق فاما قولك لو لم يفعل
لكان كاذبا ومكذبا نفسه فجوابه ان هذا انما يلزم لو كان الوعيد ثابتا جزما من غير شرط والحق ان جميع الوعيدات
مشروطة بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم
الله بذنوبهم والله شديد العقاب ● لما حكى تعالى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة
عقابهم فقيل ان الذين كفروا وفد نجران فان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك
اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة وقيل هم قريظة
والنضير والظاهر ان المراد كفرة رسول الله [illegible] خصوص السبب لا يمنع العموم لن تغني عنهم لن تنفع ولن تدفع اموالهم ولا اولادهم

من الله شيئا اي بدل من عذاب الله وقيل عند الله شيئا من بمعنى عند قال صاحب الكشاف من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن
لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعته شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع
ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه لا ينفع منك
ذا الغنى غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والداب
مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه يقال دأب دأبا اذا اجتهدت في الشيء وتعبت والداب الامر والشان والعادة وقيل
الداب العادة قال صاحب الكشاف وضع الداب موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره هو داب
الكفرة كداب من قبلهم من ال فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن ال فرعون
او بالوقود اي توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب
ابيه كما حورف ابوه قوله والذين من قبلهم من مكذبي الرسل قوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه
جواب سؤال مقدر عن حالهم اي ما حالهم كذبوا باياتنا اي المعجزات يعني كذبوا بالمعجزات فعقدوا الرسل قوله فاخذهم الله
بذنوبهم وانما استعمل فيه الاخذ لانهم بمنزلة المعاقب كالماخوذ الاسير الذي لا يقدر على التخلص قال القفال يحتمل
ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى والعادة المضافة الى الكفار فكانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم
في ايذاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كعادة من قبلهم في ايذاء رسلهم وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء الكفار كعادتنا في اهلاك
اولئك الكفار المتقدمين والمقصود على جميع التقادير نصر النبي والمسلمين على ايذاء الكفار وبشارتهم بان الله ينتقم منهم
قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ● قرا حمزة والكسائي سيغلبون
ويحشرون بالياء فيهما والباقون بالتاء المنقوطة من فوق فيهما والمعنى على الاول بلغهم انهم سيغلبون وعلى الثاني
خبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم قيل لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر وقدم المدينة
جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود اسلموا قبل ان يصيبكم مثل ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك
نفسك ان قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الاية وقيل ان يهود اهل
المدينة لما شاهدوا وقعة اهل بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى في التوراة ونعته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم
لبعض لا تعجلوا فلما كان يوم احد ونكب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا
وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف
في ستين راكبا الى اهل مكة ابي سفيان واصحابه فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكونن كلمتهم
واحدة ثم رجعوا الى المدينة وانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى بين في الاية المتقدمة
ان الكافر لا يدفع عنه العذاب المعجل ثم يصيرون الى دوام العذاب يعني ان من كذب بمحمد عليه السلام نال احدهما العجل وهو القتل والسبي
والاذلال ثم يكون بعده المصير الى العذاب الاليم قوله ستغلبون اخبار عن امر يحصل في المستقبل وقد وقع مخبره على وفقه
فكان اخبارا عن الغيب وقد دلت الاية على حصول البعث والقيامة وحصول الحشر والنشر وان مرد الكافرين الى النار
والمهاد الموضع الذي يتمهد فيه وينام عليه فلما ذكر ان مصير الكافرين الى جهنم حين عنها بالشر لان بئس ماخوذ من الباس
والباساء وهو الشر والشدة قوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ● لم يقل كانت لان التاء
مؤنثة لان مردها الى البيان اي قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة
على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين فرقتين وجماعتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض التقاتل
التقتا في محل الجر نعت لفئتين وفي فئتين في محل الرفع نعت لاية وفئة مبتدا حذف خبره اي احديهما فئة او مبتدا
خبره محذوف اي منهم فئة تقاتل في سبيل الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا على
عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وما جاوز معه الا مؤمن سبعة وسبعون من المهاجرين ومائتان وستة
وثلثون من الانصار وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب
راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل في جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بعيرا والخيل فرسين
فرس المقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن ابي مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد من المسلمين
يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة ومن الانصار ثمانية قوله واخرى اي وفرقة اخرى كافرة وهم مشركو مكة وكان رئيسهم
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا مقاتلة وكان فيهم مائة فرس وكان حرب يوم بدر اول مشهد
شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سبب ذلك عير ابي سفيان قوله يرونهم قرا نافع بالتاء المنقوطة من فوق والباقون
بالياء والاية تحتمل ان يخاطب بها المؤمنون وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها مشركو قريش وبكل احتمال منها
قال قوم وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبيت نفوسهم وتشجيعهم لانه لما قال للكفار ما امر به احتمل ان يبعد المنافقون وبعض
ضعفة المؤمنين كما قال قائل يوم الخندق يعدنا محمد اموال كسرى وقيصر ونحن لا نامن على انفسنا فنزلت الاية مقوية لقلوب المؤمنين
فمن قرا ترونهم بالتاء من فوق فهي مخاطبة لجميع المؤمنين اذ قد اريد به الجمهور وضمير المفعول في ترونهم لجميع المشركين وفي
مثليهم لجميع المؤمنين ومن قرا بالياء من تحت فالمعنى يرى المؤمنون جميع الكفار مثلي جميعهم او ان الخطاب لجميع الكفار
او ان الخطاب لليهود فالاية عندهم داخلة في امر محمد صلى الله عليه وسلم انه يقولها احتجاجا عليهم وتبيينا لصورة الوعيد

المقدم فانهم سيغلبون حتى قرأ يرونهم بالياء من تحت فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلى جمع المؤمنين ومن قرأ بالتاء
من فوق فالمعنى لو حضرتم اياها كنتم حضرتم مشاهدة هذه العبادة لوضوح الامر في نفسه ووقوع اليقين بكل انسان نحو ذلك
العضو والرؤية في هذه الايام تؤيد حينئذ ولذلك تعدت الى مفعول واحد مثليهم ونصب على الحال من مفعول يرونهم
على انه يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه الامر من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لا بتقليل العشرة الاضعاف فكانوا الكافرون ثلثة امثالهم قال صاحب الكشاف قراءة
نافع لا تساعد عليه اذ لا يستقيم ان يكون المعنى ترونها المسلمون المشركين وقيل يرونهم مثليهم اي يرى المشركون المسلمين
مثلى عدد المشركين قريبا من الفين او مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم ضعفاهم ليهابوهم ويجبنوا
عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلى فئتكم الكافرة او مثلى انفسهم قال صاحب الكشاف فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم
قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين
مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون
وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية قوله رأى العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس
فيها معاينة كسائر المعاينات يقال رأيته الشيء رأيا ورؤية ورؤيا بالتنوين مصادر الا ان الرؤيا اكثر ما تستعمل في المنام
والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ان في ذلك الذي ذكر لعبرة تعبر بها من منزل الجهل
الى منزل العلم من العبور وهو النفوذ من احد الجانبين الى الآخر ومنه العبارة وهي الكلام الذي يعبر بالمعنى الى المخاطب
وعبارة الرؤيا من ذلك قوله لاولي الابصار لذوي العقول وقيل لمن ابصرهم قوله تعالى زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك
متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ● قيل في كيفية النظم ان ابا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لاخيه
بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يقر بذلك خوفا من ان يأخذ منه ملوك الروم المال والجاه
وانه عليه الصلوة والسلام دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر فاظهروا من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالمال
والسلاح فبين الله تعالى في هذه الاية ان هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة باطلة وان الآخرة خير وابقى ووجه آخر
انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ذكر بعد هذه الاية ما هو كالشرح
والبيان لتلك العبرة وهو انه تعالى بين انه زين للناس حب هذه الشهوات الجسمانية واللذات الدنيوية ثم انها فانية منقضية تذهب
لذاتها وتبقى تبعاتها ثم انه تعالى حث على الرغبة في الآخرة فقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ثم بين ان تلك الجنات تجري من تحتها الانهار
في الآخرة معدة لمن واظب على العبودية من الصابرين والصادقين الى آخر الاية قوله من المزين هو الله اما عندنا فلان الله
خالق جميع الافعال واما عند المعتزلة فلقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وعن الحسن الشيطان
وكان يحلف بالله على ذلك ويقول والله ما زينها الا الشيطان لا نعلم احدا اذم لها من خالقها وقيل كل ما كان من هذا الباب حراما
كان التزيين فيه من الشيطان وكل ما كان من هذا الباب واجبا او مندوبا او مباحا كان التزيين فيه من الله والشهوات جمع الشهوة
وهو توقان النفس وميلها اليه حرك الهاء في الجمع ليكون فرقا بين الاسم وجمع النعت لان النعت لا تحرك نحو ضخمة وضخمات
وعلبة وعلبات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان تقصد
تخسيس هذه الاعيان فسماها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية
وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه
الاعيان فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والحب غير
الشهوة لان الحب يتعدى الى المضاف اليه قيل الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه مثل المسلم فانه قد يميل طبعه
الى المحرمات لكنه يحب ان لا يحبه اما من احب شيئا واحب ان يحبه فذلك كمال المحبة فان كان ذلك في جانب الخير فهو كمال السعادة
كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان اني احببت حب الخير معناه احب الخير واحب ان يكون محبا للخير وان كان ذلك في جانب الشر فهو غاية
فان قوله زين للناس حب الشهوات يدل على امور ثلاثة اولها انه يشتهي انواع المشتهيات وثانيها انه يحب شهوته لها وثالثها انه يعتقد
ان تلك المحبة حسنة وفضيلة ولما اجتمعت في هذه القضية الدرجات الثلاث بلغت الغاية القصوى في الشدة والقوة ولا
يكاد يتخلى الا بتوفيق عظيم من الله ثم انه تعالى اضاف ذلك الى الناس ولفظ الناس عام لانه دخله حرف التعريف فيفيد الاستغراق
فظاهر اللفظ يقتضي ان يكون هذا المعنى حاصلا لجميع الناس واعلم ان الله تعالى في تزيين حب الشهوات بالناس حكمة بالغة
لان صلاح حال الناس في الدنيا وحسن انتظام معاشهم لا يتيسر الا بهذه المشتهيات فلولا هذا الحب لاختل النظام وفسد
المعاش وهذه المحبة كانها جبلية ولهذا كان هذا الحب حاصلا لجميع الناس قوله من النساء من للتبيين كما في قوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان وكما ان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان فكذا ايضا معنى هذه الاية زين للناس حب الشهوات التي
هي المشتهيات السبع اي النساء والبنين وغيرهما وقدم النساء من المشتهيات السبع لان جهة الاشتغال لاجل الالتذاذ بهن اكثر
والاستيناس بهن اوفر شاهده قوله تعالى خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومما يؤكد ذلك
ان العشق الشديد المقلق المهلك قلما يتفق في غير هذا النوع من الشهوة الثاني الولد وخص البنين لان حب البنين اكثر واشد
من حب البنات شاهده قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به

احتياج

احتياج فلاح المعاش الى الذكور اشد فجعل الله حبهم اشد الثالث والرابع القناطير من الذهب والفضة القناطير جمع القنطار
وهو المال الكثير الذي يتوثق الانسان به في النوائب وقيل المال العظيم وحكي عن ابي عبيدة ان العرب يقولون انه لا يحد وقال الباقون
هو محدود ثم اختلفوا فيه فعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال القنطار اثنا عشر الف اوقية وعن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال القنطار الف دينار وعن معاذ بن جبل القنطار الف ومائتا اوقية وهو قول ابن عمر وروي عن ابي بن كعب
القنطار الف ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ومائة دينار وقيل مائة
رطل وقيل القنطار ما بين السماء والارض من المال وقيل ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقيل … وقيل القنطار سبعون الفا
وقيل اربعون الف مثقال وقيل القنطار دية احدكم وقيل القنطار بلسان افريقية والاندلس ثمانية الاف مثقال من ذهب وقيل اربعة
الاف مثقال وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة رجال قد قنطروا قال الثعلبي رأيت في بعض الكتب
ان القنطار العقار والعقد واصلها من الاحكام تقول العرب قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه سميت القنطرة والمقنطرة
المحكمة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقيل المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير
وقيل المضعفة كان القناطير ثلثة والمقنطرة تسعة وقيل هي مفعللة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة
وبدرة مبدرة والذهب والفضة محبوبان لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فالكمال بهما يتوصل الى تحصيل المشتهيات
المحبوبة والوسيلة الى المحبوب محبوب وقدم الذهب على الفضة لانه احب منهما الخامس الخيل جمع لا واحد له من لفظه
كالقوم والنساء والرهط وقيل جمع خائل سمي به الفرس لانه يختال في مشيته فهو كطائر وطير واختلفوا في معنى المسومة
فقيل هي الراعية يقال اسام الخيل تسوم سوما فهي سائمة واسمتها انا اسامة فهي مسامة وسومتها تسويما فهي مسومة ومنه
قوله تعالى فيه تسيمون وقيل المطهمة الحسان والمطهم في الاصل المرأة الجميلة وقيل المصورة تحسينا وتسويمها حسنها
وقيل المعلمة من السومة وهي العلامة يقال سومت الخيل تسويما اذا اعلمتها وقيل المسومة المعدة للحرب والجهاد وقيل
… عن انس قال لم يكن شيء احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل … رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير السادس الانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم وهي الازواج الثمانية المذكورة
في الانعام السابع الحرث الزرع ثم انه تعالى لما عدد هذه السبعة قال ذلك متاع الحياة الدنيا … المعاد والعقبى
الاشتغال بمتاع الدنيا اما ان ينتفع به على وجه يتوصل به الى مصالح الآخرة فهو ممدوح واما ان ينتفع به في وجه مباح من غير
ان يتوصل بذلك الى الآخرة فلم يتعلق بذلك لا مدح ولا ذم واما ان ينتفع به في وجه محرم فهو مذموم ثم قال والله عنده حسن
المآب والمآب المرجع من آب يؤوب اوبا اشار بذلك الى ان من آتاه الله المشتهيات ينبغي ان يجعلها وسيلة الى سعادة
الآخرة وما فيه رضى الله تعالى فان الله عنده حسن المآب وخصص حسن المآب بانه عند الله لان حسن المآب هو الجنة فالقرب
من الله وهو مقصود بالذات واما الثاني فهو مقصود بالعرض لانه تعالى خلق الجنة للرحمة لا للعقاب كما قال سبقت رحمتي غضبي
قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج
مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ● لما قال الله عنده حسن المآب بين في هذه الاية ان ذلك المآب كما هو حسن
في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا فقال قل أؤنبئكم وقيل لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها وقيل كانه
تعالى نبه على ان امر منافع الدنيا وان كان حسنا منتظما الا ان امر منافع الآخرة خير وافضل والمقصود منه ان ينزل العبد انه كما ان الذي
اطيب واوسع وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة اطيب واوسع وافسح من الدنيا فان نعيم الدنيا مشوبة بالمضرة زائلة ونعيم الآخرة
صافية عن الكدر خالية عن المضرة باقية فيكون نعيم الآخرة خيرا من متاع الدنيا قل يا محمد للمؤمنين او للمشركين او لليهود أؤنبئكم اخبركم
بخير من ذلكم الذي ذكر قال ابو البقاء ذلكم في موضع نصب بخير اي بما يفضل ذلك ولا يجوز ان يكون صفة لقوله بخير لانه
يلزم على تقدير ان يكون صفة ان يكون الجنة وما فيها مما رغبوا فيه بعضا لما زهدوا فيه من الاموال ونحوها والاستفهام فيه تقرير عند
قوله من ذلكم وقوله للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف الذين اتقوا خبر مبتدأ مقدم على المبتدأ وهو جنات وفيه
دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كذا وكذا وقيل تم الاستفهام عند قوله
عند ربهم ثم بين ثوابا جنات اي هي جنات … قوله الذين يتعلق بخير وخص المتقين لانهم هم المنتفعون به وقوله عند
ربهم اشارة الى انما هو خير من ذلكم لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى ويخرج منه المنافق ويدخل فيه من كان مؤمنا
في علم الله قوله من تحتها يعني من تحت اشجارها وقوله خالدين نصب على الحال … جنات تجري من تحتها الانهار دخل
فيه جميع النعم الموجود فيها من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر وبالجملة الجنة مشتملة على جميع المطالب كما قال فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم قال تعالى وازواج مطهرة عطف على قوله جنات … لا تكامل الا بالازواج
التي لا يحصل الانس الا بهن ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة لكل مطلوب وهي قوله مطهرة اي مطهرة من الحيض
والنفاس وسائر الاحوال التي تظهر من النساء في الدنيا مما ينفر عنه الطبع ويدخل فيه كونهن مطهرات من سوء العشرة ثم قال
ورضوان من الله قرأ العامة بكسر الراء وقرأ ابو بكر عن عاصم بضم الراء في جميع القرآن وهي لغة تميم كالغفران والكفران
والطغيان قال الامام قال المتكلمون الثواب له ركنان احدهما المنفعة وهي التي ذكرناها والثاني التعظيم وهو المراد
بالرضوان وذلك لان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بانه تعالى راض عنهم حامد لهم مثن عليهم هي ازيد في ايجاب السرور
من تلك المنافع وقال اهل التحقيق الجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية والرضوان اشارة الى الجنة الروحانية واعلى
المقامات انما هو الجنات الروحانية وهي عبارة عن تجلي نور جلال الله في روح العبد واستغراق العبد في معرفته ثم يصير صاحب

المقامات التي عظمنا شأنها الا رضوان الله بقوله راضية مرضية ونظير هذه الآية قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان اهل الجنة اذا استقروا فيها يحصل لكل احد منهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم ان الله تعالى
لمرات يقول ان اعطيكم ما هو افضل من هذا قالوا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله تعالى احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا
والله بصير بالعباد اي عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور
الدنيا وقيل بصير بالعباد فيثيب ويعاقب على ما يشاء وقيل بصير بالذين اتقوا واحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات قوله تعالى الذين
يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار ● الذين يقولون نصب على المدح اي اعني الذين او رفع اي هم الذين يقولون ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد ثم انه تعالى
حكى عنهم انهم قالوا ربنا آمنا ثم انهم قالوا بعد ذلك فاغفر لنا ذنوبنا وذلك يدل على انهم توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة
والله تعالى حكى عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم فدل هذا على ان العبد بمجرد الايمان يستحق الجنة والمغفرة من الله فان
قيل الايمان عبارة عن جميع الطاعات اجيب بما دل الدليل ان الايمان عبارة عن التصديق المذكور في تفسير قوله يؤمنون
بالغيب وايضا فمن اطاع الله في جميع الاوامر وتاب من جميع الذنوب كان ادخاله في النار قبيحا من الله عند المعتزلة فيبقى
هو كذلك يلزم من فعله اما الجهل واما الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فكان ادخال الله تعالى اياه في النار محالا فكان
محال الوقوع فعلى هذا كان الدعاء والتضرع في ان لا يفعله الله عبثا وقبيحا فان قيل انه تعالى اعتبر الطاعات في حصول المغفرة حيث
اتبع هذه الآية بقوله الصابرين والصادقين اجيب بان هذه الآية تركيبها ذكره لانه تعالى جعل مجرد الايمان وسيلة الى
طلب المغفرة ثم ذكر بعدها صفات المطيعين وهو كونهم صابرين صادقين ولو كانت هذه الصفات شرائط لحصول المغفرة
لكان ذكرها قبل طلب المغفرة اولى فلما رتب طلب المغفرة على مجرد الايمان ثم ذكر بعد ذلك هذه الصفات علمنا ان هذه
الصفات غير معتبرة في حصول المغفرة واعلم ان قوله الصابرين يجوز نصبه على المدح تقديره اعني الصابرين والجر على النعت
والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها على معنى ان كل من كان معه واحد من هذه الخصال داخل
تحت المدح العظيم مستوجب هذا الثواب الجزيل والمراد من الصابرين من يصبر في اداء الواجبات والمندوبات وفي الاجتناب عن المحرمات
قال سفيان بن عيينة في قوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ان هذه الآية تدل على انهم انما استحقوا تلك الدرجات
العالية من الله بسبب الصبر ويروى انه وقف رجل على الشبلي فقال اي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال
مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف والصادقين في اقوالهم بالاجتناب
عن الكذب وفي افعالهم بترك الانحراف فيها قبل تمامها وفي نياتهم بالاخلاص والعزم على العبادة لله وحده من غير شركة
الغير والعبادة هم من صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا في السر والعلانية والقانتين المطيعين
المصلين المواظبين على الطاعة والمنفقين اموالهم في طاعة الله فيدخل فيه الانفاق على نفسه واهله واقاربه وصلة رحمه
والانفاق في الزكاة والجهاد وسائر وجوه البر وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا
ينادي اللهم اعط ممسكا تلفا واعط منفقا خلفا والمستغفرين بالاسحار والسحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر وتسحر
اذا اكل في ذلك الوقت قيل المصلين بالاسحار المستغفرين بعده بالدعاء لان الانسان لا يشتغل بالدعاء والاستغفار
الا بعد الصلاة وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه عن زيد بن اسلم هم الذين يشهدون الصبح يعني صلاة الصبح في جماعة وعن الحسن مدوا الصلاة الى السحر
ثم استغفروا وعن نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن حاطب انه سمع رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول يا رب امرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي
فنظرت فاذا هو ابن مسعود وعن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل يقول اني
لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والى المتهجدين والى المتحابين فيّ والى المستغفرين بالاسحار صرفته عنهم
وعن ام سعد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ثلاثة اصوات يحبهم الله صوت الديك وصوت الذي
يقرأ القرآن وصوت المستغفرين بالاسحار وروي ان داود عليه الصلاة والسلام سأل جبريل اي الليل افضل فقال ما ادري الا
ان العرش يهتز في السحر وعن سفيان الثوري ان لله ريحا يقال لها الصبحية تهب وقت الاسحار تحمل الاذكار والاستغفار
الى الملك الجبار وعنه انه قال بلغنا انه اذا كان اول الليل نادى مناد الا ليقم العابدون فيقومون كذلك يصلون الى
السحر فاذا كان السحر نادى مناد اين المستغفرون فيستغفر اولئك ويقوم آخرون يصلون فيلحقون بهم فاذا طلع الفجر نادى
مناد الا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم وقال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس
منك ينادي بالاسحار وانت نائم قال الامام ان لله على عباده انواعا من التكاليف والصابر من يصبر على اداء جميعها ثم ان العبد قد يلتزم
من عند نفسه انواعا اخر من الطاعات اما بسبب النذر او بسبب الشروع فيه وكمال هذه المرتبة انه اذا التزم طاعة بعقد
نفسه في اتمامه وجب ان يأتي بذلك الملتزم من غير خلل البتة ولما كانت هذه الرتبة متأخرة عن الاولى ذكر سبحانه
الصابرين اولا ثم الصادقين ثانيا ثم انه تعالى ندب الى المواظبة على هذين النوعين من الطاعة فقال والقانتين فهذه الانواع
الثلاثة ترغيب في المواظبة على جميع انواع الطاعات ثم ذكر بعد ذلك الطاعات المعينة وكان اعظم الطاعات قدرا
امرين احدهما الانفاق الذي هو شفقة على خلق الله والثاني التعظيم لامر الله الذي هو الاستغفار بالاسحار وقدم ذكر المنفقين

على ذكر

على ذكر المستغفرين لان هذه الآية في بيان تصاعد العبد من الادنى الى الاعلى وفي قوله التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله قدم الاعلى على الادنى لانه في بيان تنزل العبد من الاعلى الى الادنى قوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ● لما مدح الله المؤمنين واثنى عليهم بقوله الذين
يقولون الى قوله والمستغفرين بالاسحار اردفه بدلائل ظاهرة تدل على فضلهم وكمالهم فقال شهد الله واعلم ان كل ما يتوقف
العلم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم على العلم به لا يمكن اثباته بالدلائل السمعية وما لا يكون كذلك فيمكن اثباته بالدلائل
السمعية قال الاصحاب العلم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بالوحدانية فيجوز اثبات انه لا اله الا الله
بالدلائل السمعية القرآنية فاصل الشهادة الحضور ومنه قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر ثم نقل الى الاخبار عما شاهده وعلمه بالنفس
قيل ان شهادة الله والملائكة واولي العلم بمعنى واحد بان يجعل الشهادة عبارة عن الاخبار عما تقرر وعلمه عند المخبر او بان
يجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والتبيين او الاخبار فان الاظهار حاصل في حق الله وفي حق الملائكة وفي حق اولي العلم وقيل
شهادة الله على انه لا اله الا هو عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولي العلم عبارة عن اقرارهم
بذلك شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم
بذلك واحتجاجهم عليه فيكون قوله شهد الله استعارة تبعية مصرحة بها الحقيقية مطلقة واعلم ان الشاهد الحقيقي هو
الذي خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله وهدى اليها لعجز العقول عن التوصل
الى معرفة الوحدانية فانه تعالى وفقهم حتى ارشدوا الى المعرفة التوحيدية واذا كان الامر كذلك كان الشاهد على الوحدانية
ليس الا الله وحده ولهذا قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله قال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبي صلى الله
عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما
دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا احمد قالا نسألك
عن شيء ان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله قال شهادة ان لا اله الا هو
فاسلم الرجلان قال ابن كيسان شهد الله بتدبيره العجيب وصنعه المتقن وامره المحكمة عند خلقه انه لا اله الا هو
وهذا كما يقول القائل وفي كل تحريكة وتسكينة ابدا شاهد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وقيل لبعض الاعراب ما
الدليل على ان للعالم صانعا فقال البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز
سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على الصانع الخبير قوله واولوا العلم قيل هم الانبياء عليهم السلام وقيل هم المهاجرون والانصار
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ونظيره قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الآية وقوله بل هو
آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقوله ومن عنده علم الكتاب وقيل هم علماء المؤمنين كلهم نعرفها الله شهادة العلماء ايضا
لان العلم صفة الله العليا ونعمته العظمى والعلماء اعلام الاسلام والسابقون الى دار السلام وسرج الامكنة وحملة الدين
عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين
عاما وعن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ومدارسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه من لا يعلم صدقة وتذكيره لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار وهو الانيس
في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء يرفع الله به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتص آثارهم ويرمق اعمالهم ويقتدى بافعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها
تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع الارض وانعامها
والسماء ونجومها الا وان العلم حياة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل
الابرار ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام
وهو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال الامام واولوا العلم هم الذين عرفوا وحدانية الله بالدلائل القاطعة
لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد
وهذا يدل على ان هذه الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست الا للعلماء بالاصول قال صاحب الكشاف فان قلت ما المراد
باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين
يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد يعني ان علماء العدل
والتوحيد علماء اهل السنة والجماعة قوله قائما بالقسط اي بالعدل قال اهل المعاني معناه مدبر رازق مجاز بالاعمال
كما يقال فلان قائم بامر فلان اي مدبر له ومتعهد لاسبابه وقائم بحق فلان اي مجاز له قال صاحب الكشاف معناه مقيما
العدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب والحمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله
وهو الحق مصدقا وجاز افراده بالحال دون المعطوفين بالحال لعدم الالباس كما جاز في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة ان تنتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز للالباس وقيل هو حال عن هو في قوله لا اله الا هو
لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي تكون الحال زيادة في فائدتها عامل فيها ولذا كان في الجملة عامل
كقوله شهد الله انه لم يكن فيها عامل غيره كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه
من انتصابه عن الاسم في شهد وقيل هو نصب على المدح وان كان من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد

انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب فرجاء المنتصب على المدح نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي ● وقيل قائما صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو فانهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف وانتصابه حالا من هو اوجه من انتصابه حالا من فاعل شهد ومن انتصابه على المدح ومن انتصابه صفة للمنفي اما انه اوجه من جعله حالا من فاعل شهد فلم يرجع لانه اذا جعلته حالا من هو دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية بخلاف ما اذا جعلته حالا من فاعل شهد فانه لا يدخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم واما انه اوجه من انتصابه على المدح فلانه سالم عن عدم الفصل بين الصفة والموصوف قال صاحب الكشاف اذا جعل حالا من هو او نصبا على المدح او صفة للمنفي دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقيل قائما بالقسط حال من اولي العلم اي حال كون كل واحد قائما بالقسط في اداء هذه الشهادة وهذا ضعيف قال الامام واعلم ان هذا العدل منه ما هو متصل بباب الدين ومنه ما هو متصل بباب الدنيا اما المتصل بالدنيا فانظر اولا في كيفية خلقه اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل من الله وحكمة وصواب ثم انظر في كيفية العناصر واجرام الافلاك وتقدير كل واحد منها بقدر معين وخاصية معينة واقطع بان ذلك حكمة وصواب اما ما يتصل بامر الدين فانظر الى اختلاف الخلق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان ذلك عدل وقسط ثم اعاد قوله تعالى لا اله الا هو وقيل الاولى حلت محل الدعوى والثانية حلت محل الحكم وقال جعفر الصادق الاولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم يعني قولوا لا اله الا الله اي لما اخبر الله انه شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملائكة واولوا العلم صار بذلك التقدير كانه قال يا امة محمد قولوا انتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة واولي العلم لا اله الا هو فكان الغرض من الاعادة الامر بذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادة فلا جرم ان المسلم يجب ان يكون ابدا في تكرير هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها الانسان هي هذه الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها الانسان هي هذه الكلمة واذا كان في اكثر الاوقات مشتغلا بذكرها وتكريرها كان مشتغلا باعظم انواع العبادة وقيل ذكر لا اله الا هو اولا ليعلم انه لا يستحق الالوهية الا هو وذكر ثانيا ليعلم انه القائم بالقسط لا يجور ولا يظلم وقوله العزيز الحكيم العزيز اشارة الى اقتداره على كل شيء لا يغلبه شيء ويفعل ما يشاء فلا ينصرف في ملكه احد والحكيم اشارة الى انه عالم بلطيف غوامض العلوم التي تخفى على الغير خالق للعالم على الوجه الذي ينبغي فلا يقف على اسرار حكمته احد منكم وانه صفتين لما تقرر قبلهما فانه تعالى لما ذكر التوحيد والقيام بالعدل ارادهما على وجه التكميل والتوكيد العزيز الحكيم ليدل قوله تعالى لا اله الا هو على التوحيد الصرف وقائما بالقسط على انه تعالى يجري الامور كلها على الاستقامة والسداد وقدم العزيز على الحكيم في الذكر لان العلم بكونه تعالى قادرا مقدم على العلم بكونه عالما في طريق المعرفة الاستدلالية قوله ان الدين عند الله الاسلام الدين لغة الجزاء ويسمى الطاعة والشريعة به لانهما سبب الجزاء وقيل الدين هو المعتقد الذي يعتقده كل امة من الاصول والفروع والاسلام الدخول في السلم اي في الانقياد والطاعة يقال اسلم اي دخل في السلم واستسلم كقولهم اشتى وارتبع واحطل واخصب اي دخل فيها عن قتادة في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام قال شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزي الا به قيل من الاسلام ما هو متابعة وانقياد باللسان دون القلب وهو قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومنه متابعة وانقياد باللسان والقلب وهو قوله قال اسلمت لرب العالمين فقوله ان الدين عند الله الاسلام اي ان الدين المستقيم المرضي عند الله الاسلام هو انقياد ومتابعة باللسان والقلب لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قرأ الكسائي ان بالفتح والباقون بكسر ان وجه الفتح قيل التقدير شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام وكونه بعيدا لحسن الحاصل في ذلك لان كونه تعالى واحدا قائما بالقسط يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام هو المشتمل على الوحدانية والقيام بالقسط وقيل ان التقدير شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام وقيل ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والمبدل هو المبدل منه في المعنى فكان صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل ووجه الكسر ظاهر لان الكلام الذي قبله قد تم وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى وفائدة التوكيد بها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو التوحيد والعدل وهو الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو التوحيد والعدل وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين فالقراءتان شاهدتان على ان دين الاسلام هو التوحيد والعدل وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين فالقراءتان شاهدتان على ان دين الاسلام هو التوحيد والعدل وهو ما عليه اهل السنة والجماعة فمن ذهب الى التشبيه والتجسيم او عقد اعتقادا يتخالف الوعيد ما لا يريده ولا يرتضيه ووجوب شيء على الله الذي هو محض الشرك والظلم فليس دينه الذي هو الاسلام وهذا بعينه قول صاحب الكشاف قرئ انه وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى التشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور

لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام وقد هو البدل لمنه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك قال الامام ... صاحب الكشاف بالغ هنا في التعصب للاعتزال وزعم ان الآية دالة على ان الاسلام هو العدل والتوحيد وكان ذلك المسكين بعيدا عن معرفة هذه الاشياء الا انه يتعصبون لكثير الخوض فيما لا يعرف وزعم ان الآية دالة على ان من اجاز الرؤية او ذهب الى الجبر لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وان اكابر المعتزلة وعظماءهم افنوا اعمارهم في طلب الدليل على انه لو كان مرئيا لكان جسما وما وجدوا فيه سوى الرجوع الى الشاهد من غير جامع عقلي قطعي وهذا المسكين لا يعلم ثم رجعة العلماء في صحة ذلك حديث الجبر فالخوض فيه من هذا المسكين خوض فيما لا يعنيه لانه لما اعترف بان الله عالم بجميع الجزئيات واعترف بان العبد لا يمكنه ان يفعل ما استجهله فقد اعترف بهذا الجبر فان الخوض في هذه المباحث قوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب ● المقصود من الآية بيان ان الله تعالى اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما كفروا الا لاجل التقصير قيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من بني اسرائيل واستودعهم التوراة وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين من بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم طلبا للملك والرياسة وتحاسدا على حظوظ الدنيا فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل اراد وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم فآمن به بعضهم وكفر بعض وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم بان الله اله واحد وان عيسى عبده ورسوله وقيل هم اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام الذي هو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم بان الدين عند الله الاسلام الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالوا المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا نحن احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى قال الاخفش انتصاب بغيا على مفعول له اي بغى كقولك جئتك طلب الخير ومنع الشر وقيل انه انتصب على المصدر من المعنى والفرق بينهما ان المفعول له غرض الفعل والمصدر هو الذي احدثه الفاعل وقال الاخفش قوله بغيا بينهم من صلة قوله اختلفوا والمعنى وما اختلفوا بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم الا انه قدم بغيا فيكون هذا اخبارا عن انهم اختلفوا للبغي قوله ومن يكفر بآيات الله تهديد في الآخرة ومن يكفر بآيات الله فانه سيصير الى الله فيحاسبه اي يجازيه على كفره قوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ● لما ذكر الله تعالى ان اهل الكتاب ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وانهم اصروا على الكفر امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان حاجوك اسلمت اي اخلصت نفسي وجملتي لله ما انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي لم اجعل لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني الاسلام وهو الدين الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه فقل اسلمت دفعا للمحاجة بانه هو عليه ومن معه من المؤمنين هو الحق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان وفيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه التي دونها الوجه وقيل اسلمت وجهي معناه اخلصت عملي لله يقال اسلمت الشيء لفلان وسلمته اليه اي دفعته واخلصته له ومن هذا اسلمت الغلام الى الكتاب وفي صناعة كذا اي اخلصته لها والوجه العمل والقصد ● استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل فعطف العمل على الوجه وهما واحد لاختلاف اللفظ قوله ومن اتبعن ذلك اي ومن اتبعني اسلم وجهه لله كما اسلمت واثبت بعضهم الياء في قوله اتبعن على الاصل وحذفها الآخرون على الخط لانها محذوفة بغير ياء ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم لفظه استفهام والمراد منه الامر وانما جاء الامر في صيغة الاستفهام لانه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء اليه وانما عدل عن الامر بلفظ الاستفهام ليكون دالا على معاندة المخاطب ومعناه انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار اي نسبة الى التقصير وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية عليهم فقال اهل الكتاب اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فذلك قوله وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى فاذا بلغت فقد اديت ما عليك وليس عليك هداهم والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن وباهل الثواب فهو يجازيهم بالوعد والوعيد

قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم • لما ذكر حال من تولى ذكر بعده ذكر ثلاثة الكفر بآيات الله وقتل النبيين وقتل الذين يأمرون
بالقسط قوله بآيات الله اي القرآن ومحمدا اذا كان المراد بها المعهود او جميع آيات الله على العموم فان من كذب محمدا صلى الله عليه
وسلم يلزمه ان يكون مكذبا بجميع آيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وهم اهل
الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم الذين يأمرون بالقسط وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يأمرون بالقسط لولا عصمة الله قيل ادابه ملوك بني اسرائيل كان الوحي يأتي انبياء بني اسرائيل ولم
يأتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون ايضا فهم الذين يأمرون
بالقسط من الناس وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اشد عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله عز وجل في هذه الاية قرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون
بالقسط والباقون وهما سواء لانهم قد يقتلون بالقتال وقد يقتلون ابتداء من غير قتال فبشرهم بعذاب اليم انما دخل الفاء
في الخبر لانه في معنى الجزاء لان الاسم متضمن لمعنى الشرط لانه اسم موصول صلته فعل قوله تعالى اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين • اي ذهبت وبطلت واصله من الحبط وهو ان ترعى الماشية نباتا رديئا
فينتفخ لذلك بطونها وربما ماتت منه ثم جعل كل شيء يهلك حبطا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وان مما ينبت الربيع ما يقتل
حبطا او يلم في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي والقتل والاسر في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قيل لما وصفهم بصفات
ثلاث ذكر وعيدهم من ثلاثة اوجه الاول فبشرهم بعذاب اليم الثاني اولئك الذين حبطت اعمالهم وما لهم من ناصرين بين في الوجه الاول
اسباب الالام والمكروهات في الدنيا والاخرة وفي الثاني زوال المنافع عنهم بالكلية وفي الثالث وقع ذلك في حقهم على وجه لا يكون لهم ناصر ولا دافع
قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون
ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • لما نبه تعالى على عناد القوم
بقوله فان حاجوك بين في هذه الاية غاية عنادهم الذين اوتوا احبار اليهود من الكتاب اي التوراة فانهم حصلوا نصيبا وافرا
منها فيكون من للتبعيض او لبيان الجنس او من الكتاب اي من جنس الكتاب اي الذين حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح
التوراة وهو نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله قيل الى القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله
عز وجل جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا
عنه وعن قتادة هم اعداء الله اليهود دعوا الى حكم القرآن والى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاعرضوا وهم يجدونه مكتوبا عندهم
في كتبهم وعن السدي دعى النبي صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال له نعمان بن اوفى هلم يا محمد نخاصمك الى الاحبار
فقال له رسول الله بل الى كتاب الله فقال بل الى الاحبار فانزل الله تعالى الاية وقيل كتاب الله هو التوراة ليحكم بينهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدراسهم فدعاهم الى الاسلام فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي
دين انت يا محمد قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا فانزل الله
عز وجل هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا في شرف منهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
عليهما بالرجم فقال له النعمان بن ابي اوفى وبحري بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم قالوا لقد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له
ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام
رضي الله عنه يا رسول الله قد جاوزها ووضع كفه عليها فقام ابن سلام الى ابن صوريا فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها
حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانزل
[illegible]
فكيف اذا جمعناهم ليوم

لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • لما ذكر الله اغترارهم بما هم عليه من الجهل بين انه سيجيء يوم يوفى
فيه ذلك الجهل وينكشف فيه ذلك الغرور فقال فكيف وفي الكلام حذف والتقدير فكيف يصنعون او فكيف يكون حالهم
وهذا استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه
عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وعن ابن عباس ان اول راية ترفع لاهل الموقف ذلك اليوم من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار قوله ليوم اي لحساب يوم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اذا قلت جمعوا ليوم الخميس
معناه جمعوا لفعل يوجد يوم الخميس قوله ووفيت كل نفس ما كسبت فان حملت ما كسبت على عمل العبد حصل في الكلام حذف
والتقدير ووفيت كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب وعقاب وان حملت ما كسبت على الثواب والعقاب استغنيت عن الاضمار
فلا ينقص ثواب الطاعات ولا يزيد عقاب السيئات استدل الوعيدية بانه لا شك ان صاحب الكبيرة مستحق للعقاب بتلك
الكبيرة والاية دلت على ان كل نفس توفى عملها بما كسبت وذلك يقتضي وصول العقاب الى صاحب الكبيرة واستدل اصحابنا بان
المؤمن استحق ثواب الايمان فلا بد وان يوفى عليه ذلك الثواب لقوله ووفيت كل نفس ما كسبت فاما ان يثاب في الجنة ثم ينقل
الى دار العقاب وهو خلاف الاجماع فتعين ان ينقل الى دار الثواب بعد العقاب وحينئذ الوعيد يخص ببعض العمومات وقد علم ان في
العمومات وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد الاشخاص قوله تعالى
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء
قدير • قيل اللهم اصله يا الله حذف الياء وعوض الميم منها ولذلك لا يجتمعان وهذا التعويض من خصائص هذا الاسم كما
اختص بالباء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبتفخيم لامه وبجره بغير جار وقيل
كان اصلها يا الله امنا بخير فلما كثر في الكلام حذف حرف النداء وحذفوا الهمزة من امنا فصار كالكلمة مع غيره والنحو مفعول وليس
اللهم قيل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس
وانس بن مالك رضي الله عنهم لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون
واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس
والروم فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين
ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار
سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان
بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت ذي باب اخرج الله من الخندق صخرة مروة كسرت
حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها
فان المعدل قريب واما ان يأمرنا فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب
عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها
قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الخندق والتسعة
على شفير الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين
لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون فاخذ بيد سلمان ورقى
فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم
فقال ارأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى
كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور
الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم
اضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله
موعد صادق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل قوله تعالى واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله في هذه القصة قل اللهم مالك الملك اي تملك جنس الملك
فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون قيل قال الله عز وجل في بعض الكتب انا الله ملك الملوك مالك الملوك قلوب الملوك
ونواصيهم بيدي فان العباد اذا اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب
الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تؤتي الملك من تشاء قيل ملك النبوة وقيل تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع
الملك ممن تشاء ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء الروم والعجم وسائر الامم
وقيل تؤتي الملك من تشاء لان الله لا يبتلي الملك الا عباده بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء تنزعه من الجبابرة بكفرهم وعنادهم
بخلافهم وقيل تؤتي الملك من تشاء داود وتنزع الملك ممن تشاء طالوت وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني ملك النفس حتى يغلب
هواه وكان سليمان عليه السلام كان يأكل خبز الشعير ويطعم الحواري وكان ربما لم يرفع طرفه اربعين سنة الى السماء تخشعا لله وكان من ملك

فيرتاد فقيرا فيقعد الى جنبه ويقول مسكين جالس مسكينا وتنزع الملك ممن تشاء حتى يغلبه هواه فيتخذه
الها كما قال الله افرأيت من اتخذ الهه هواه وقيل هو ملك العافية قال الله تعالى وجعلكم ملوكا وقال صلى الله عليه وسلم
من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل هو القناعة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ملوك الجنة من امتي القانع يوما بيوم من اوتي ذلك فلم يقبله بقبوله ولم يصبر عليه بشكر انعم
عليه فقد عقله وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني الملك على ابليس وقهر الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ليفرق من حس عمر رضي الله عنه وما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا آخر وتنزع الملك ممن تشاء حتى يغلبه الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني ملك المعرفة كما اتى السحرة وتنزع الملك ممن تشاء كما نزع من بلعام وابليس
وقيل ملك المؤمنين كما اتى الحواريين قال الله وملكا كبيرا وتنزع الملك ممن تشاء كما تنزع من الكفار في اهل النار وقيل اراد بالملك
توفيق الايمان والطاعة وقيل هو قيام الليل وقيل هو الاستغنا بالمكون عن الكونين وقيل فتح الملك بالملك
ان الملك غاية عندهم لقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وقيل تؤتي الملك من تشاء يعطي من تشاء النصيب
الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول تام شامل
والملك الآخر خاص او بعض من الكل قالت الحكماء في هذه الآية تنبيه واخبار عن كمال القدرة فانه القادر على الكمال والقادر
على الشيء وضده قوله وتعز من تشاء قيل تعز من تشاء من المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل وتعز من تشاء
محمدا واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء ابا جهل واصحابه حتى حزت رؤسهم والقوا في القليب وقيل
وتعز من تشاء بالايمان والمعرفة وتذل من تشاء بالكفر والنكرة وقيل وتعز من تشاء بالطاعة وقيل وتعز من تشاء بالتوفيق
والمعونة وتذل من تشاء بالخذلان والحرمان وقيل وتعز من تشاء بالتمليك والتسلط وتذل من تشاء بسلب الملك
وتسليط العدو عليه وقيل وتعز من تشاء بقهر النفس ومخالفة الهوى وتذل من تشاء باتباع الهوى وقيل تعز من تشاء بترك
من تشاء بقهر الشيطان واباه وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع وقيل وتعز من تشاء
بالاخلاص وتذل من تشاء بالرياء وقيل وتعز من تشاء بالجنة والرغبة وتذل من تشاء بالنار والحجاب قوله بيدك الخير اي
فاكتفى بذكر الخير لانه الاغلب والافضل كقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد قال صاحب الكشاف ذكر الخير دون الشر لان
الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك
ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر من الحكمة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه قوله تعالى انك على كل شيء قدير تأكيد
لما تقدم من كونه مالكا لايتاء الملك ونزعه والاعزاز والاذلال قوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ● لما قال تعالى انك على كل شيء قدير ذكر قدرته
الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير
حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده
فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم تولج الليل اي تدخل الليل في النهار او تجعل الليل قصيرا
وتجعل ذلك القدر داخلا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل
خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما زاد في هذا نقص من الآخر وانما فعل ذلك لانه علق به امر العالم ونظامه به قوله
وتخرج الحي من الميت قيل يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الحي من الميت اي الفرخ من البيضة
وتخرج البيضة من الطير وقيل تخرج النخلة وتخرج السنبلة من الحبة وتخرج الحبة من السنبلة وقيل تخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن فالمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد شاهده قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه عن الزهري ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا بامرأة حسنة الهيئة فقال من هذه فقالت احدى خالاتك فقال
ان خالاتي بهذه البلدة لغرائب اي خالاتي قالت هذه خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال سبحان الله الذي يخرج الحي
من الميت وكانت امرأة صالحة ابوها مات كافرا وقيل يخرج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث قرأ عاصم في رواية
ابي بكر وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الميت بسكون الياء في جميع القرآن والباقون وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء في هذه
الآية وفي قوله لبلد ميت والى بلد ميت مخففة والكسائي في هذه الحروف قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى
الله المصير ● لما ذكر الله تعالى ما دل على كمال قدرته وانه يرزق من يشاء بغير حساب بين ما يجب على المؤمن في المعاملة مع
الناس لان كمال الامر ليس الا في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقال لا يتخذ المؤمنون وايضا لما بين
انه مالك الدنيا والآخرة بين انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه قال ابن عباس كان الحجاج
بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير
وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فابى اولئك النفر
الا مباطنتهم وملازمتهم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة
فنهاهم الله عن ذلك وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويخبرونهم بالاخبار
يرجون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ونهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم وقيل نزلت في عبادة بن
الصامت وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي

خمسمائة

خمس مائة رجل من اليهود وقد رأيت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فانزل الله هذه الآية نهى الله تعالى عن اتخاذ المؤمنين
الكافرين اولياء لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادقون بها ويتعاشرون وقد كرر ذلك
في القرآن قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم من اصول
الدين من دون المؤمنين من غير المؤمنين اي ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة وسعة عن موالاة الكفار فليس من ولاية الله في شيء
يقع الاسم الولاية عليه يعني منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
قال تود عدوي ثم تزعم انني ● صديقك ليس النوك عنك بعازب ● ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا
ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه فقوله منهم اي من جهتهم حال من تقاة متقدمة على ذي الحال تقاة وتقية
كتقية فاذا قلت تقية كان مصدره الاتقا وانما قال تتقوا من الاتقا ثم قال تقاة ولم يقل اتقاء لان العرب اذا كان معنى الكلمتين
واحدا واختلف الفاظهما اخرجوا مصدر احد اللفظين على مصدر اللفظ الآخر فيقولون التقيت فلانا لقاء حسنا قال القطامي
وصيف غيث ● ولاح بجانب الجبلين منه ● تكاد تخف للترب احتقارا ● ولم يقل احتفارا قال الله عز وجل والله انبتكم من الارض
نباتا ولم يقل انباتا وقال وتبتل اليه تبتيلا قال ابو علي يجوز ان يكون تقاة مثل رماة حالا من تتقوا وهو جمع فاعل وان كان لم يستعمل
منه فاعل ويجوز ان يكون جمع تقي وفعيل بمنزلة فاعل قال صاحب الكشاف وقيل المتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير
للمضروب رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالطة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضا
وانتظار زوال المانع من قشر العصا لقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا قيل نهى الله المؤمنين من ملاطفة الكفار
وموالاتهم ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم كفار ليس فيهم غيرهم
فيداهنهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او تظاهر الكفار على عورة
المسلمين فالتقية لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية كفعل عمار بن ياسر قيل قدم رجل على النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة قال لما رآني الاقرن هلكت قال لما قال الله تعالى لعذبتني قريش حتى قلت لهم ما شاؤوا قال كيف قلبك قال كان ثابتا قال
فان عادوا لك فعد لهم بمثل ذلك قالها ثلاث مرات وقيل التقية رخصة وانكر قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل
كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغي لاهل
الاسلام ان يتقوا من عدوهم ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم عقابه على موالاة الكفار وارتكاب المنهي عنه ومخالفة المأمور به
من نفسه قيل من عذاب نفسه وعقوبته وبطشه وقيل ويحذركم الله نفسه ان تعصوه فتستحقوا عقابه وفائدة
ذكر النفس انه لو قال ويحذركم لا يفيد ان الذي اريد التحذير منه هو عقاب يصدر من الله او من غيره فلما ذكر النفس زال
هذا الاشتباه ومعلوم ان العقاب الصادر عنه يكون اعظم انواع العقاب لكونه قادرا عليها لا قدرة لاحد
على دفعه والمعنى ان الله يحذركم نفسه فمنه مصيركم اليه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يعني
تتقوا مصدرا وتخافوا مفعولا به وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته وقرأ حمزة والكسائي
تقية بالامالة والباقون بالتفخيم قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما
في الارض والله على كل شيء قدير ● لما نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء ظاهرا وباطنا واستثنى التقية في الظاهر
اتبعه بالوعيد على ان يصير الباطن موافقا للظاهر وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم فانما قال صدوركم
والقلوب لان القلب في الصدر من موالاة الكفار او تبدوه قولا وفعلا يعلمه الله فيكون الخطاب للمؤمنين وقيل ان تخفوا
ما في قلوبكم من التكذيب او تظهروه بحربه وقتاله فيكون الخطاب للكفار يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم عليه
عليه وقوله ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه شرط وقوله يعلمه الله جزاء لا شك ان الجزاء مرتب على الشرط متأخر عنه فكون
تعلق العلم متأخرا عن الاخفاء والابداء لان نفس العلم كان متعلقا عند الله بان الاخفاء والابداء حصل الآن لا يحصل الا عند
حصولهما الآن فالتجدد انما وقع في التعلق لا في حقيقة العلم قوله ويعلم رفع على الاستئناف كقوله قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم الآية الى ان قال ويتوب الله على من يشاء بالرفع وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ثم قال ويحق الحق
الآية ومعنى الآية انه اذا كان يعلم ما في السموات وما في الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكافرين وميلكم اليهم بمودة بالقلب
ومعونة بالقول والفعل ثم قال والله على كل شيء قدير تتميما للتحذير وذلك لانه لما بين انه تعالى كان عالما بكل المعلومات
بما في قلبه ومقادير استحقاقه من الثواب والعقاب ثم انه قادر على كل شيء اي مقدور وكان لا محالة قادرا على ايصال
حق كل احد اليه فكان من حقه ان يحذر ويتقى فلا يجسر احد على ارتكاب معصية واجتناب واجب فلو علم بعض عبيد السلطان
ان السلطان اراد الاطلاع على احواله وكل همه بما يورده العبيد ويصدره ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن
اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بالك بمن علم ان العالم الذي يعلم السر واخفى مهيمن وهو آمن
قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رؤوف بالعباد ● قيل العامل في يوم المصير وقيل قدير وخص يوم تجد وان كان غيره من الايام عند
الله تفضيلا له لعظم شانه كقوله مالك يوم الدين وقيل يحذركم في الآية السابقة وقيل اذكر وقيل الضمير في بينه لليوم اي يوم
القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا وقيل اذكر يوم تجد
كل نفس وقوله عملت مفعول اول وقوله محضرا مفعول ثان له قيل العمل عرض لا يبقى فلا يكون وجدانه يوم القيمة

فلا بد فيه من التأويل وفيه وجهين الاول ان تجد صحائف الاعمال شاهدة وقوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون والثاني
ان تجد جزاء الاعمال لقوله محضرا اي صحائف الاعمال محضرة يوم القيمة او جزاء العمل محضرا وعلى الوجهين الترغيب والترهيب
حاصل قوله وما عملت من سوء مرتفع على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه اي تتمنى
ما عملت من سوء وعلى هذا لا تكون الاية دليلا على القطع بوعيد العصاة لانه نص في جانب الثواب على كونه محضرا واما جانب العقاب
فلم ينص على الحضور بل ذكر انهم يودون الفرار منه والبعد عنه وذلك تنبيه على ان جانب الوعد اولى بالوقوع من جانب الوعيد
ولا يصح ان يكون ما عملت من سوء شرطية لان تود مضارع مرفوع والشرط مما يقتضي جزم الفعل المضارع ولم يقرأه احد الا بالرفع
ولم يقرأه احد الا بالرفع لا يقال يجوز ان يقدر محذوفا فهو تود لانا نقول هذا ضعيف كما لا يجوز حمل كلام الله على ما هو
ضعيف فان قيل فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت اجيب بانه لا كلام في صحته بل الكلام في صحته على
الحمل على الابتداء والخبر لقوة المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم فلا مناسبة للشرط والجزاء لانه حينئذ بمنزلة قوله
ان عمل تجد ومثل هذا لا يكون حكاية الواقع الثابت كقوله وبدوا لله وقوله ونادى اصحاب الجنة وثابت لموافقة قراءة العامة
ويجوز ان تعطف وما عملت من سوء على ما عملت من خير ويكون تود حالا اي يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء وادة تباعد ما بينها
وبين اليوم او وبين ما عملت من سوء وقيل يجوز ان تكون تود صفة لسوء اي ما عملت من سوء تود ان يبعد ما بينها وبينه والامد
الغاية المحدودة التي ينتهي اليها من المكان او الزمان قال النابغة سبق الجواد اذا استولى على الامد • فهذه
غاية المكان وقال الطرماح كل حي مستكمل عدة العمر • ومود اذا انقضى امده • فهذه غاية الزمان والمراد به هنا غاية
المكان كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه تاكيدا للوعيد ليكون على بال منهم لا يغفلون
عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه كمال علمه وقدرته من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة
وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه قال الحسن ومن رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان
يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم وقوله نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقيل رؤف بالعباد حيث امهلهم للتوبة والتدارك والتلافي وقيل انه لما
قال ويحذركم الله نفسه اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو الوعد ليعلم العبد ان وعده ورحمته غالب على وعيده وسخطه
وقيل اراد بالعباد المؤمنين لما ذكر وعيد الكفار ذكر وعد المؤمنين فقال والله رؤف بالعباد اي كما هو منتقم من الكفار رؤف
بعباده المؤمنين قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل
اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين • اختلف المفسرون فيمن امر الله النبي صلى الله عليه وسلم
ان يقول له هذه المقالة قيل زعم قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا
فانزل الله هذه الاية وجعل اتباع نبيه علما لحبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش
وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانهم الشنوف وهم يسجدون لها فقال
يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت له قريش يا محمد انما نعبد هذه
حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته
عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم وقيل ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه انزل الله هذه الاية فلما نزلت عرضها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فابوا ان يقبلوها وقيل في نصارى نجران وذلك انهم قالوا انا نعظم المسيح ونعبده
حبا لله وتعظيما له فقال الله عز وجل قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم
وحب المؤمنين لله اتباعهم امره وقصدهم طاعته ورضاه وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك
قوله ويغفر لكم وقيل يحتمل ان تكون الاية عامة في اليهود والنصارى لانهم يدعون انهم يحبون الله ويحبهم فانهم قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه فقال لرسوله قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله كونوا منقادين لاوامره محترزين عن مخالفته
فان من كان يحب الله يجب ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلالة القاطعة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وجب متابعته فان لم يحصل هذه المتابعة دل ذلك على ان تلك المحبة ما حصلت قال الشاعر تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا محال في الفعال بديع • لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع • قال المتكلمون محبة الله تعالى
عبارة عن محبة اجلاله واعظامه او محبة طاعته او محبة ثوابه لان المحبة من جنس الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالجائزات
والمنافع قال الامام وهذا ضعيف اذ لا يمكن ان يقال في كل شيء انه انما كان محبوبا لاجل معنى اخر والا لزم التسلسل او الدور
فلا بد من الانتهاء الى شيء يكون محبوبا لذاته كما انا نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها وكذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فانا اذا
احببنا [illegible] والاستعداد في شجاعتهما مال القلب اليهما مع انا نقطع بانه لا فائدة في ذلك الميل بل ربما نعتقد ان تلك
المحبة معصية لا يجوز لنا ان نصر عليها فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته كما ان اللذة محبوبة لذاتها ولما كان الكمال لله كان ذلك
يقتضي كونه محبوبا لذاته من ذاته ومن المقربين منه الذين تجلى لهم اثر من اثار كماله وجلاله وقال المتكلمون محبة الله تعالى العبد
عبارة عن ارادته ايصال الخيرات والمنافع في الدين والدنيا اليه قيل ان القوم كانوا يدعون انهم يحبون الله وكانوا يظهرون الرغبة
في ان يحبهم الله والاية مشتملة على الالزام من وجهين احدهما ان كنتم تحبون ان يحبكم الله فاتبعوني لانكم اذا اتبعتموني فقد
اطعتم الله والله يحب كل من اطاعه والثاني انه ليس في متابعتي الا اني دعوتكم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره ومن
احب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض عن غيره قال صاحب الكشاف ومن الحسن [illegible]

[illegible]

الى هذا كانت الولي هكذا فكيف حال النبي الحركة مثل عروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المعراج وعروج عيسى حيا
الى السماء واما القوى الروحانية فهي في غاية الكمال ونهاية الصفاء فالله سبحانه وتعالى اصطفى آدم على العالمين من الملك والبشر
على قول من قال ان البشر افضل المخلوقات تخصيص بكمال القوى الروحانية ثم شعبه من اولاد آدم هو شيث ولاولاده الى ادريس
عليهم السلام ثم الى نوح عليه السلام ثم الى ابرهيم عليه السلام ثم حصل من ابرهيم شعبتان اسمعيل واسحق عليهما السلام فجعل اسمعيل
عليه السلام مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة
في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى ان ظهر كمال النبوة والرسالة في سيد المرسلين وخاتم النبيين
محمد صلى الله عليه وسلم فختم به النبوة والرسالة ووضع الملك والدين في امته واتباعه الى يوم الدين قوله تعالى ذرية بعضها
من آل ابرهيم وآل عمران وقيل نصب على الحال اي اصطفاهم حال كونهم ذرية بعضها من بعض وقيل نصب على المدح قوله بعضها
من بعض مبتدأ وخبر في محل النصب لانه صفة لذرية والمعنى ان الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض اي
بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض قوله تعالى والله سميع
اي لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم وانما يصطفي من عباده من يعلم استقامته قولا وفعلا ونظيره قوله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وقيل تعلق قوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقيل ان اليهود
كانوا يقولون نحن من ولد ابرهيم عليه السلام ومن آل عمران فنحن ابناء الله واحباؤه والنصارى كانوا يقولون المسيح ابن الله وكان بعضهم

عالما بان هذا الكلام باطل الا انه لتطييب قلوب العوام بقي مصرا عليه فكانه تعالى يقول والله سميع لاقوالهم الباطلة
عليم باغراضهم الفاسدة من هذه الاقوال فيجازيهم عليها وكان اول الآية بيانا لشرف الانبياء والرسل وآخرها تهديدا
لهؤلاء الكذابين الذين يزعمون انهم مستغرقون قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
فتقبل مني انك انت السميع العليم ● فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ● قيل لما فرغ من محاجة نصارى نجران والرد عليهم وبيان فساد ما هم
عليه جاءت هذه الآيات وقوله تعالى ان الله اصطفى آدم الى قوله انك انت السميع العليم معلمة بصورة الامر الذي قد
ضلوا فيه ومبينة عن حقيقته فبدأ بذكر اصطفائه الآل المذكورين وابان لعمران منهم ثم ذكر قصصا كثيرة فالقصة
الاولى قصة حنة ام مريم لان القصد وصف قصة القوم الى ان تبين امر عيسى عليه السلام قيل اذ منصوب بقوله سميع وقوله
والله سميع اي لقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران وقيل منصوب باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران
بن ماثان وليس بعمران ابي موسى وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وامرأة
عمران حنة هي ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو ابن ماثان
جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من
هرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون
قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا ابنته
ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت القصة في ذلك ان زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت ايشاع
بنت فاقوذ ام يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقوذ ام مريم عند عمران وكان امسك عن حنة الولد حتى اسنت وعجزت
وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينا هي في ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت لذلك نفسها للولد فدعت
الله تعالى ان يهب لها ولدا وقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من سدنته وخدمته قوله رب اني نذرت لك ما في بطني فقالت نذرت لك الذي جعلته في بطني محررا والنذر
ما اوجبه الانسان على نفسه بشريطة كان ذلك او بغير شريطة قال الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي اوجبت وقال
صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه وقال الاعشى عشقت لليلى بليلى حدو
وطالبتها ونذرت النذورا ● ومن هذا قولهم نذر فلان دم فلان اي اوجب على نفسه قتله قال جميل فليت رجالا
فيك قد نذروا دمي ● وهموا بقتلي يا بثين لقوني ● محررا معتقا خالصا لله لخدمة بيت المقدس حبيسا عليه مفرغا
لعبادة الله لا يتولى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء من الدنيا فكل ما اخلص محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته
وحررت الكتاب اذا اخلصته او خلصته فلم تبق فيه ما يحتاج الى اصلاحه ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه
تعلق والطين الحر الذي خلص من الرمل والحمأة والعيوب ومحررا نصب على الحال قال الكلبي وغيره كان المحرر اذا حرر
جعل في الكنيسة يقوم عليها ويخدمها ويكنسها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ان يقيم فيها اقام وان احب
ان يذهب ذهب حيث شاء فان اراد ان يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبياء والعلماء الا ومن نسله
محرر لبيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح له لما يصيبها من الحيض والاذى
قوله فتقبل مني التقبل اخذ الشيء على الرضى به وفي كلامها خضوع وتذلل فتقبل مني اي ارض مني ذلك واجعله فعلا مقبولا
مجازى به انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو وانما بنت الامر على التقدير وطلبت ان ترزق
ذكرا فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك وهلك
عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اي ولدتها اذ هي جارية والهاء في وضعتها راجعة الى ما في بطني وانما انث على المعنى
لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة او النفس او النسمة وانثى حال من الضمير في وضعتها والاصل وضعته
انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال كالشيء الواحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا
اثنتين فاما على تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى وانما قالت اني وضعتها انثى
اعتذارا الى الله وتحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد
ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها والله اعلم بما وضعت
قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء حكاية عن كلام ام مريم على تعزيتها لما قالت وضعتها انثى خافت ان يظن
بها انها تخبر الله فازالت الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت وبينت انها انما قالت ذلك للاعتذار والتحسر لا للاعلام
قال صاحب الكشاف على قراءة وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها والباقون
بسكون التاء على انه من كلام الله والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها بقدر ذلك الموضوع
اي والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك
لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت قوله وليس الذكر كالانثى قيل هذا من كلام ام مريم ومرادها تفضيل الذكر على الانثى
وسبب هذا التفضيل من وجوه احدها ان شرعهم جواز تحرير الذكر دون الانثى الثاني ان الذكر يصح منه خدمة موضع
العبادة لقوته وشدته دون الانثى لضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس وسائر عوارض النسوان الثالث ان الذكر
لا يلحقه عيب في الخدمة ولا تهمة بالاختلاط بالناس بخلاف الانثى فلعل ان يعتل جعل الانثى اصلا في التشبيه لان باب

تفضيل

تفضيل الذكر على الانثى وقيل مرادها تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت الذكر مطلوبي وهذه الانثى موهوبة الله
وليس الذكر الذي هو مطلوبي كالانثى التي هي موهوبة الله وهذا مناسب لجعل الانثى اصلا في التشبيه وهذا الكلام
يدل على ان امرأة عمران كانت مستغرقة في جلال الله عالمة بان ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه وقيل قوله وليس الذكر كالانثى
من كلام الله وهو بيان لقوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم لموضوعها والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لها واللام فيها للعهد قوله واني سميتها مريم عطف على قوله اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله
تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب الى الله تعالى
وطلبت منه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها ولهذا اتبعته طلب الاعاذة لها ولذريتها فقالت واني
اعيذها بك وذريتها اولادها من الشيطان الرجيم اي المطرود اللعين المرمي بالشهب وكانت من اجمل النساء في وقتها
وافضلهن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان
فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه ثم قال ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال
اهل التفسير افاد هذا الحديث ان الله تعالى استجاب دعاء ام مريم وان الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الانبياء والاولياء الا مريم وابنها
قال قتادة كل مولود يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وامه جعل بينهما حجاب فاصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ
لهما منه شيء قال اهل التفسير ان لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ولا يلزم من هذا ان نخس الشيطان يلزم منه اضلال الممسوس
واغواؤه فان الشيطان قد تعرض للانبياء والاولياء بانواع الافساد والاغواء الا ان الله تعالى عصمهم مما يرومه الشيطان كما قال الله
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان هذا مع ان مريم وابنها وان عصمها من نخس الشيطان لم يعصمها من ملازمته لهما ومقارنته قال صلى الله
عليه وسلم ان كل واحد من بني آدم قد وكل به قرينه من الشيطان فقال القاضي عبد الجبار وهو من كبار المعتزلة طاعنا في الحديث
فهذا الخبر واحد على خلاف الدليل لان الشيطان انما يدعو الى الشر من له تمييز ولانه لو تمكن من هذا النخس لجاز ان يهلك الصالحين
وايضا لم خص عيسى عليه السلام دون سائر الانبياء ولانه لو وجد النخس لدام اثره وما ذكره القاضي كلام ساقط فانه لا يلزم من نخس
الشيطان دعوته للشر ولئن سلمنا انه يلزم من نخسه دعوته الى الشر ولكن لا نسلم انه انما يدعو الى الشر من له تمييز كالاحمق
والمعتوه ولا يلزم من تمكن الشيطان من النخس تمكنه اكثر من ذلك من اهلاك الصالحين وافساد احوالهم فانه يجوز ان يمكنه
من النخس ولا يمكنه من فعله اكثر من ذلك ولا امتناع من تخصيص مريم وابنها بهذا دون سائر الانبياء وانما خص عيسى لاجل دعوة من
[illegible] وبحاله من المهذب ومثل هذا الكلام من الشخص يدل على بلادة ذهنه وقلة فهمه وانه ما شم رائحة المعقول قال صاحب
الكشاف وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه الحديث فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه
الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما لقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله
صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن
الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو
سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه وتشنيع صاحب الكشاف في صحة
هذا الحديث من اعتقاده الفاسد تعصبا للاعتزال وزعما ان الشيطان التي هي غيرها لا تنخسه فان الحديث اخرجه الشيخان
البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابي هريرة واتفقا على صحته وقد علم مما ذكر افساد تاويله وقوله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان ينخسه او يمسه يفيد الحصر مع التاكيد فلو كان داخلا في الصفة التي هي قوله والشيطان ينخسه كان
تاكيدا للصوق ولا معنى لقوله كل من كان في صفتهما لانه لا يتحقق اختصاصهما بهذه الفضيلة من دون الانبياء قوله تعالى
فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ● فتقبل الله مريم من حنة امها ورضي بها مكان الذكر المحرر لخدمة بيت الله
بقبول حسن يقال تقبل الشيء اذا ارتضيه وقبله قبولا بالفتح وهو مصدر مثل الولوع والوزوع ولم يات غيرهن في اللغة
والقياس الضم مثل الدخول والخروج والتقدير فتقبلها بتكفل حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون
معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا
اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي باوائله
فان قلت لم قال بقبول حسن ولم قال فتقبلها لان ما كان من باب التفعل يدل على شدة اعتناء الفاعل بالفعل كالتصبر والتجلد فالتقبل
يفيد المبالغة في اظهار القبول ولم يقل بتقبل حسن حتى تصادف المبالغة الحمل لان التقبل وان ادى ما ذكر الا انه يفيد نوع
تكلف على خلاف الطبع اما القبول فانه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول
ليفيد ان ذلك ليس على خلاف الطبع بل على وفق الطبع وهذه الامور وان كانت ممتنعة في حق الله تعالى الا انها من حيث تدل
على حصول العناية العظيمة في تربيتها ويجوز ان يكون القبول اسم ما تقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به واللدود لما يلد به
لاختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او اختصاصه لها بان تسلمها من امها عقيب الولادة
قبل ان تنشأ وتحصل للسدانة وقيل التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وقيل قبول حسن معناه انه ما عذبها ساعة من ليل
ونهار قوله وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها النافعة لها بما يصلحها في جميع احوالها ثم ان منهم
من عرف النبات الحسن بما يتعلق بالدين لانها نشأت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة ومنهم من عرف بما يتعلق بالدنيا

عن ابن عباس انبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام
واحد وقيل انبتها اي جعل ثمرها في غذاء وتربيته نباتا حسنا حتى صارت امرأة بالغة تامة في مدة قليلة وكفلها زكريا
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس
ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم اي خذوا هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احقكم بها عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل
ذلك لانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها لكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين
رجلا الى نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على ان يرتفع قلم زكريا فوق الماء فكفلها
زكريا وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم برواية ابي بكر وابو عمرو وابن عامر كفلها مخففة الفاء وحينئذ يكون زكريا في محل الرفع
اي ضمها الى نفسه وقام بامرها

عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم فلان يركب الخيل ويركب فلان في السفن وانما ركب فرسا واحدا وخرج على بغال البريد وانما
خرج على بغل واحد وسمعت هذا الخبر من الناس وانما سمعه من واحد ونظيره في القرآن قوله تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم
بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان بن حرب وقيل اذا كان القائل رئيسا فيجوز الاخبار عنه بالجمع لاجتماع اصحابه معه فلما كان
جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه جمع منهم جرى على هذا قوله وهو قائم يصلي في المحراب يعني في المسجد
نظيره قوله فخرج على قومه من المحراب اي من المسجد وقوله اذ تسوروا المحراب وهو في المسجد وهو مفعال من الحرب قيل سمي بذلك
لانه يحارب فيه الشيطان كما قيل مضمار للميدان الذي تضمر فيه الخيل واما ابن عامر فالمحراب في جميع القرآن فتحها الباقون
قوله ان الله يبشرك قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان الله او لان النداء
نوع من القول وقرأ الباقون بالفتح بايقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بان الله يبشرك واختلف القراء في مستقبل
الفعل وتحمله في القرآن عشرة مواضع ههنا وفي السورة التي يبشرهم ربهم وفي الحجر انا نبشرك بغلام فبم تبشرون
وفي سبحان وفي الكهف ويبشر المؤمنين وفي مريم موضعان يا زكريا انا نبشرك لتبشر به المتقين وفي حم عسق ذلك الذي
يبشر الله عباده فهذه عشرة مواضع اتفقوا على واحد منها انه مشدد وهو قوله فبم تبشرون واختلفوا في التسعة الباقية
فقرأ حمزة كلها بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين وتخفيفها وافقه الكسائي في خمسة منها مخففة موضعان ههنا وفي الكهف
وفي سبحان وفي حم عسق وخففها ابن كثير وابو عمرو منها حرفا واحدا وهو قوله في حم عسق والباقون بضم الياء وفتح
الباء وكسر الشين وتشديدها بيحيى منع من الصرف للتعريف والعجمة اذ كان اعجميا كموسى وعيسى وهو الظاهر في التعريف
ووزن الفعل ان كان عربيا كيعمر قيل انما سمي يحيى لان الله تعالى احيا قلبه بالنبوة وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يعص
ولم يهم بمعصية عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة او عملها الا
يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها وقيل انما سمي بذلك لانه استشهد والشهداء احياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله
عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحيى بن زكريا قتلته امرأة وقيل اوحى الله عز وجل الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل لسارة
وكان اسمها كذلك اني مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه حي فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له حرفا من اسمها
فصار يحيى وصارت سارة قوله تعالى مصدقا نصب على الحال بكلمة من الله يعني بعيسى سمي كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة
الله وحدها وهي قوله كن لا انه تعالى قال كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة وقيل يحيى اول من آمن بعيسى وصدقه
وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان يرفع عيسى وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمى
الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وتقول العرب انشدني كلمة فلان اي قصيدته
وسيدا السيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وقيل اراد سيدا
وقيل السيد الذي يطيع ربه وقيل الفقيه العالم وقيل السيد الذي يفوق في العلم والعبادة والورع وكان يحيى فائقا لقومه
وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة وقيل السيد الحليم وقيل التقي وقيل
الذي لا يغضب وقيل الكريم على الله وقيل الشريف الكريم وقيل الذي لا يحسد وقيل ان الحسود لا يسود وقيل سيدا
اي مطاعا وقيل الذي يفوق في كل شيء من الخير اقرانه وقيل القانع بما قسم له وقيل الراضي بقضاء الله وقيل المتوكل على الله
وقال ابو بكر الوراق هو الذي قد عظمت همته وجل قدره ان يحدث نفسه بكل الدنيا وقيل هو المسمى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله قال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل
بل سيدكم عمرو بن الجموح وعن ابن عباس انه كان قاعدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بضعة عشر رجلا عليهم ثياب
السفر فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى القوم فقالوا من السيد فيكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فغمزوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله فما في امتك قال نعم
بلى الرجل اعطي مالا ورزق سماحة وادنى الفقراء وقلت شكايته في الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما بلغنا ان اسد بن عبد الله
قال لرجل من بني شيبان بلغني ان السؤدد فيكم رخيص فقال اما نحن فلا نسود الا من يوطئنا رحله ويفرشنا عرضه ويعطينا
ماله فقال له والله ان السؤدد فيكم لغال قوله وحصورا اصله من الحصر وهو الحبس يقال حصرت الرجل عن حاجته اذا حبسته
وحصرت من كذا احصر اذا منعت منه وحصر فلان في قراءته اذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها ومنه احصار العدو وقال الله
تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا ويقال للرجل الذي يكتم سره ويحبسه هو حصير وحصور والحصور في قول
ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء وابي الشعثاء والحسن والسدي وابن زيد الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن حصرا
لنفسه اي منعها من الشهوات فعلى هذا القول بمعنى فاعل وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والعبث والاباطيل
واصله من قول العرب للبخيل الذي لا يدخل في الميسر حصور قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور
ولا فيها بسوار وروي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
لانه كان من اصلاب الانبياء او كان من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قوله تعالى قال رب انى يكون لي
غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلثة
ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ● قال زكريا يا الله يا رب انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي غلام استبعادا
من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اني قد كبرت واضعفت قيل يوم بشر بالولد
كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة فذلك قوله وامرأتي عاقر اي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامرأة عاقر

وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة ويقال للكلم فلان حتى عقر بكسر القاف يعقر عقرا اذا افنى ولم يقدر على الكلام ثم
حذفنا الهاء من العاقر لاختصاص الاناث بهذه الصفة وقيل للنسبة اى ذات عقر كما يقال امرأة مرضع اى ذات ولد رضيع
وقيل وامرأتى شئ عاقر لنبي شخص عاقر فان قيل لم انكر زكريا الولد وسال الاية بعدما بشرته الملائكة اكان ذلك شكا في وحيه
وانكارا لقدرته فهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء قيل الجواب عنه ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه
الشيطان فقال يا زكريا ان هذا الصوت الذى سمعت ليس من الله انما هو من الشيطان ليسخر بك ولو كان من الله لاوحاه
اليك خفيا كما ناديته خفيا وكما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وقيل انه لم يشك في الولد
انما شك في كيفيته والوجه الذى يكون منه الولد فقال انى يكون لى ولد اى كيف يكون لى ولد ايجعلني
وامرأتى شابين ام ترزقنا ولدا على كبرنا ام ترزقني من امرأتى العاقر ام من غيرها من النساء فقال ذلك مستفهما لا منكرا قوله
كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر وقيل
كذلك مثله مصدر ويكون الله مبتدأ وكذلك خبر مقدم عليه اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان
له اى يفعل ما يشاء من الافاعيل الخارقة للعادات قوله قال رب اجعل لى اية اى علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت
بالشكر فابتدى في العبادة قال ايتك الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة
على تكليمهم خاصة لا على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعني انه بحبس لسانه عن تكليم
الناس وقدرته على ذكر الله والتسبيح مع حبس لسانه عن القدرة على تكليم الناس خاصة من الايات الباهرة وقيل ايتك ان
تؤمر بان لا تتكلم ثلثة ايام ولياليها مع الناس وان تكون مشتغلا بالذكر والتسبيح والتهليل معرضا عن الخلق والدنيا
شكرا لله تعالى على اعطاء مثل هذه الموهبة فاذا امرت بهذه الطاعة فاعلم انه قد حصل المطلوب قال صاحب الكشاف
لم يحبس لسانه عن كلام الناس الا ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها الذى طلب الاية من اجله كانه لما طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب وانفعه ما كان مشتقا من السؤال منتزعا منه قوله الا رمزا الاشارة بيد او راس او عين او شفة او حاجب
واصل الرمز التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقيل الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير نطق وصوت
انه عليه السلام كان يمكنه ان يتكلم بالكلام الخفي ولكن رفع الصوت بالكلام كان ممنوعا منه فان قيل الرمز ليس من الكلام
فكيف استثنى منه اجيب بانه لما ادى ما هو المقصود من الكلام سمي كلاما ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا فلو حمل
الرمز على الكلام الخفي لم يبق اشكال وقيل حبس الله لسانه عن امور الدنيا الا رمزا تاما في الذكر والتسبيح
فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة وقيل المراد منه الذكر بالقلب لان المستغرقين في بحار معرفة الله
عادتهم في اول الامر المواظبة على الذكر اللساني مدة فاذا امتلا القلب من نور ذكر الله سكت باللسان وبقي الذكر في القلب ولذلك
قيل من عرف الله كل لسانه فكان زكريا امر بالسكوت باللسان واستحضار معاني الذكر والمعرفة واستدامتها قوله وسبح
بحمد ربك بالعشي وهو من حين نزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقيل وسبح اي وصل
لان الصلاة قد تسمى تسبيحا قوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين ◉ قيل عامل اذ هو سميع وهو عطف على قوله اذ قالت امرأة عمران وقيل العامل في اذ فعل مضمر تقديره
واذكر اذ قالت الملائكة وقيل المراد بالملائكة جبريل وهذا وان كان عدولا عن الظاهر لكنه يجب المصير اليه لانه
مريم دلت على ان الكلام مع مريم من جبريل وهو قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا يا مريم قيل ان الملائكة
كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى او كرامة لمريم فانه يجوز كرامات الاولياء وقيل ان ذلك
كان على سبيل النفث في الروع والالهام والالقاء في القلب كما كان الوحي الى ام موسى في قوله واوحينا الى ام موسى
اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك وخصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال
ومما قذفك به اليهود خراجهم الله واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك
لاحد من نساء العالمين وبان شهد لك عيسى في المهد بما دل على براءتك وجعلك وابنك اية للعالمين قوله تعالى يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ◉ لما بين تعالى انها مخصوصة بمزيد الطول والمواهب من الله تعالى اوجب عليها
مزيد العبادات شكرا لتلك النعم السنية امرت بالصلاة بايجاب القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها
ثم قيل لها واركعي مع الراكعين اى ولتكن صلاتك مع المصلين اى في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم
في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيهم من يركع فامرت
بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع قيل امرت بالعبادة على العموم ثم امرت بفضل فقال واسجدي وقدم السجود على الركوع
لان غاية قرب العبد من الله ان يكون ساجدا فلما كان السجود مختصا بهذا النوع من الرتبة والفضيلة قدمه على الركوع وانما قال
مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان الاقتداء بالرجال افضل من الاقتداء بالنساء قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ◉ ذلك اشارة الى ما تقدم من انباء
زكريا ويحيى وعيسى ومريم وانها يعني ان ذلك من اخبار الغيب التي لم تعرفها الا بالوحي لانه لم يثبت بالمشاهدة والسماع ولا
بعلوم بغير شبهة وترك نفي استماع هذه الانباء من حفاظها وهو مرهوم لعجب بانه كان معلوما عندهم علما يقينا ان النبي صلى الله
عليه وسلم ليس من اهل السماع والقراءة ولم يستمع من حفاظها وكانوا منكرين لنزول الوحي اليه فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية

الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين لنزول الوحي اليه مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت
بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم ما غاب عنك وقال الوحي يقال الموحى اليه بامر خفي
من اشارة او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقوله ان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله القى هذه الانباء الى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة
جبريل بحيث يخفى ذلك على غيره سماه وحيا قوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم وسهامهم التي طرحوها في
النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة وكانت بايديهم فالقوها في الماء ايهم يكفل مريم يحضنها ويربيها اختاروا
للقرعة تبركا بها وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها وقوله ايهم يكفل متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين
لما ذكر حال مريم فاقدارها شرح كيفية ولادتها بعيسى فقال اذ قالت وهو بدل من قوله واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل
من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما يقول لقيته سنة كذا قوله بكلمة منه من هاهنا لابتداء الغاية
لان لم يكن الكلمة بعضا بينه وبين الله فكان كلمة من الله لا من غيره لا للتبعيض كما توهمه النصارى والحلولية قوله اسمه ذكر
ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر قوله المسيح قيل لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا وكذلك عيسى معرب من ايشوع ويحتمل ان اشتقاق المسيح والعيسى كالراقم في الماء لا يجعل الا
طائل تحته وقيل المسيح فعيل بمعنى المفعول يعني انه مسيح من الاقذار وطهر وقيل مسح بالبركة وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا
بالدهن وقيل لان مسح العينين لا اخمص له وقيل مسحه جبريل بجناحه حرزا من الشيطان حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل في
ولادته وقيل هو بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم سمي بذلك لانه كان يمسح المرضى فيبرؤن باذن الله وقيل سمي بذلك لانه كان يمسح عين
الاعمى فيبصر وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض ويجيء بها ولا يقيم في مكان وعلى هذا القول يكون الميم زائدة وقيل المسيح
وقيل المسيح الصديق والدجال المسيح ايضا فعيل بمعنى المفعول لانه ممسوح احدى العينين كانها عنبة طافية او كانه يمسح الفلك
لانه يسيح في الارض ويطوف الارض كلها الا مكة والمدينة وبيت المقدس قوله عيسى ابن مريم مع ان الخطاب لمريم لان الابناء
ينسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء
العالمين وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى والمسيح لقب وابن مريم صفة لان الاسم للمسمى
علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة قوله وجيها حال من كلمة وكذلك
قوله ومن المقربين وقوله ويكلم وقوله ومن الصالحين اى يبشرك بكلمة موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها
موصوفة وجيها اى شريفا ذا جاه وقدر والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة
في الجنة ومن المقربين عند الله رفعه الى السماء وصحبته الملائكة والمهد ما يمهد من مضجعه سمي بالمهد في المهد
النصب على الحال وكهلا عطف عليه اى يكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء
من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قيل وكهلا يعني بعد انه يرجع قبل
انه رفع الى السماء وقيل بعد نزوله من السماء وقيل كهلا اى حليما والعرب تمدح بالكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن
واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة قوله قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ◉ انما قالت ذلك لان البشرية تقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة ولم تكن
العادة جارية على حدوث الانسان على سبيل التولد من غير والد قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ◉ قرا نافع
وعاصم نعلمه بالياء والباقون بالنون وهي مثل قراءة الياء في المعنى لكن جاءت بنون العظمة قال صاحب الكشاف ونعلمه عطف
على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا هذا على قراءة الياء ظاهر واما على قراءة النون
الكرامة من المسيح التي توجب تعظيم شانها قال الامام ومن قرا بالنون قال التقدير لاية انها قالت رب انى يكون لى ولد قال الله
كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فلما اخبرها على جهة المعاينة قال ونعلمه الكتاب والمراد
بالكتاب الخط والكتابة والمراد بالحكمة العلوم وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به
ومجموعهما هو المسمى بالحكمة ثم بعد ان صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم النظرية والعملية يعلمه التوراة وانما اخر تعليم
الخط وتعليم الحكمة لان التوراة كتاب الهي وفيه اسرار عظيمة والانسان ما لم يتعلم العلوم النظرية والعملية لا يمكنه ان يخوض
في البحث عن اسرار الكتب الالهية وانما اخر الانجيل عن التوراة لان من تعلم الخط ثم تعلم علوم الحق ثم احاط باسرار الكتاب الذي
انزل الله على من قبله من الانبياء فقد عظمت درجته في العلم فاذا انزل الله بعد ذلك كتابا اخر وفقه على اسراره فذلك
هو الغاية القصوى والمرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالاسرار العقلية والشرعية والاطلاع على الحكم العلوية
والسفلية قال الامام هذا ما عندي في ترتيب هذه الالفاظ الاربعة قوله ورسولا قال بعضهم معطوف على ويعلمه ان التقدير
ويعلمه الكتاب ههنا كله معطوف بالمعنى على وجيها ويحتمل ان يكون قوله ورسولا حالا من قوله ويكلم الناس فيكون عطفا على كهلا

[illegible] ان يكون التقدير ويجعله رسولا قال الامام تقدير الاية ويعلمه الكتاب والتوراة والانجيل ويبعثه رسولا الى بني اسرائيل
[illegible] اني قد جئتكم باية من ربكم والحذف حسن اذا لم يفض الى الاشتباه وقال الزجاج الاختيار عندي ان التقدير ويكلم الناس
[illegible] وانما اضمر ذلك لقوله اني قد جئتكم والمعنى ويكلمهم رسولا باني قد جئتكم قال صاحب الكشاف فان قلت علام تحمل
[illegible] ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم وكلا بين يدي باي يحمله عليها قلت هو من المضايق وفيه
[illegible] عنها ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
[illegible] والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم اني ارسلت بذلك فحذف لما
[illegible] بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرا ابن كثير بكسر همزة اني
[illegible] على الاستيناف وقطع الكلام عما قبله او على ان فسر الاية بقوله اني اخلق ويجوز ان يفسر الجملة المتقدمة بما بعدها
[illegible] لا تبعا قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم فسر الموعود بقوله لهم مغفرة وقال ان مثل عيسى عند الله
[illegible] كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وقرا الباقون بالفتح على معنى باني اخلق اصور واقدر لكم من الطين مثل هيئة الطير
[illegible] الطين والهيئة الصورة المهياة وهي من قولهم هيات الشيء اذا قدرته واصلحته فانفخ فيه الضمير للكاف اي
[illegible] في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير حيا طيارا كسائر الطيور وقرا نافع طائرا بالالف على الواحد والطير لانه خلق
[illegible] خفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل الطير خلقا ليكون ابلغ في القدرة لان لها ثديا واسنانا وهي تحيض وتطير بغير ريش
[illegible] الجمع لانه خلق طيرا كثيرة والطير اسم الجنس يقع على الواحد والجمع يروى ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات
[illegible] يعنتونه فطلبوا منه ان يخلق خفاشا فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير
[illegible] الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم ان الكمال لله وقوله باذن
[illegible] الله وتخليقه كقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بان يوجد الله الموت وانما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد
[illegible] الشبهة وتنبيها على ان عمل هذا التصوير وما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد الرسول
[illegible] انه عليه السلام انما خلقه الله من نفخ جبريل عليه السلام روح محض فلا جرم كانت نفخة عيسى عليه السلام سببا للحياة
[illegible] وافصح يقال ابراه فبرئ هو يبرا وبرء يبرئه ويجوز برا فيهما الاكمه الذي ولد اعمى او قيل هو الذي عمي بعد ان كان بصيرا

[illegible]

وجئتكم باية من ربكم يعني ما ذكر من الايات وانما وحد لانها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته وانما اعاده لان الرجوع
الاساس من المالوف والمعتاد من تعظيم الزمان قد ذكر هذه المعجزات ليظهر كلامه مؤثرا في طباعهم ثم خوفهم فقال فاتقوا الله
واطيعون لان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله فبين انه اذا لزمكم ان تتقوا لزمكم ان تطيعوني فيما امركم به عن ربي ثم انه ختم
كلامه بقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لمقصوده ظهور الخضوع والاعتراف بالعبودية لكي لا يتقولوا عليه الباطل ويقولوا انه
اله وابن اله لان الاقرار لله بالعبودية منع مما يدعيه جهال النصارى عليه ثم قال فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى انه
تعالى لما كان رب الخلائق باسرهم وجب على الكل ان يعبدوه ثم اكد ذلك بقوله هذا صراط مستقيم قال صاحب الكشاف وجئتكم
باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهو قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرى فالرفع
على البدل من اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة
يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه النظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم
باية من ربكم اي قد جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره
من ولادتي من غير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك فاتقوا الله لما جئتكم من الايات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا
فقال ان الله ربي وربكم فاعبدوه اعتراضا وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اعلم انه
تعالى لما حكى بشارة مريم بكلمة منه واستقصى في بيان اسمه وصفاته وشرح معجزاته ترك هاهنا قصة ولادته فقد ذكرها
في سورة مريم على الاستقصاء وشرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات واظهر لهم تلك الدلائل وقصدوا قتله فلما احس
عيسى منهم الكفر وانهم ارادوا قتله اي فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحس وقيل وجد وقيل
قبل سبب ذلك انه تعالى لما بعث عيسى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم الى دين الله تمردوا وعصوا فخافهم واختفى منهم فخرج
هو وامه يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان لتلك القرية جبار متعنت فجاء ذلك
الرجل يوما حزينا فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم لها ما شان زوجك اراه كئيبا قالت لا تسالي قالت اخبريني
لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما ان يطعمه هو وجنوده ويسقيهم الخمر فان لم يفعل عاقبه واليوم
نوبتنا وليس عندنا سعة فقالت لها مريم فقولي له لا يهتم فاني امر ابني فيدعو الله فيكفي ذلك قالت مريم لعيسى يا ولدي ادع الله
ليكفي ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت لا تبال انه قد احسن الينا واكرمنا
قال عيسى عليه السلام فقولي له اذا اقترب مجيء الملك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله فتحول ما في القدور
لحما ومرقا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك اكل وشرب وسال من اين هذا الخمر فتعلل الرجل في الجواب فلم يزل الملك يطالبه بذلك
حتى اخبره بالواقعة وكان للملك ابن اراد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بايام فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن
له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه قال
عيسى عليه السلام لئن احييته تتركوني وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله سبحانه فعاش الغلام فلما راه اهل المملكة
قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا
وذهب عيسى وامه فمر بالحواريين وهم يصطادون فقال لهم عيسى ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال افلا تمشون حتى نصطاد
الناس قالوا وكيف ذلك قال من انصاري الى الله قالوا ومن انت قال انا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فامنوا به وانطلقوا معه
الحواريون وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا من اول الامر طاعنين
فيه طالبين قتله فلما اظهر الدعوة اشتد غضبهم واخذوا في ايذائه والجناية عليه وطلبوا قتله وقيل ان عيسى ظن ان قومه الذين
دعاهم الى الايمان لا يؤمنون وان دعوته لا تنجع فيهم فاحب ان يمتحنهم ليتحقق ما ظنه بهم فقال لهم من انصاري الى الله فما اجابه
الا الحواريون فعند ذلك احس بان من سوى الحواريين كافرون مصرون على انكار دينه وطلب قتله قوله الى الله من صلة انصاري
مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حال من الياء اي من انصاري
ذاهبا الى الله ملتجئا اليه او الى بمعنى مع وقيل الى ان يظهر دينه ويكون الى هاهنا غاية كانه اراد من يثبت على نصرتي الى ان تظهر دعوتي ويظهر امر الله
هاهنا بمعنى مع تقول العرب الذود الى الذود ابل اي مع الذود وقال النابغة ولا تتركني بالوعيد كانني الى الناس مطلي به القار
اجرب اي مع الناس نظيره قوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم وقيل الى بمعنى في اي من اعواني في الله اي في ذات الله
وسبيله قال ابو ذؤيب ونار قد حضات بعيد هدء بدار ما اريد بها مقاما
اي انصار دينه ورسوله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن
ونظافتهن قال ابو جلدة اليشكري فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وقيل هو من الحور وهو شدة البياض فعلى هذا الحواريون
هم صفوة الانبياء الذين خلصوا واخلصوا في التصديق بهم وقيل كانوا ملاحين يصطادون السمك وحوارييون لبياض
ثيابهم وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل سلمته امه الى اعمال شتى وكان اخر
ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال
لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها
بخيط على اللون الذي يصبغ به فاجب ان تكون فارغا منها وقت رجوعي فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا على لون واحد وادخله
جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال ما فعلت قال لقد فرغت منها قال

اين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال كيف يكون في جب واحد لعلها فسدت تلك الثياب قال لا نعم فانظروا فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا احمر وثوبا ابيض الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الحواري يتعجب ويعلم ان ذلك من الله فقال للناس تعالوا فانظروا ما صنع فآمن به هو واصحابه فهم الحواريون وقيل الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الارض سهلا كان او جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما فاذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الارض سهلا كان او جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكرا وقيل سموا الحواريين لصفاء قلوبهم وقيل سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها واصل الحور عند العرب شدة البياض يقال رجل احور وامرأة حوراء شديدة بياض مقلة العين ويقال للدقيق الابيض حواري وكل شيء بيضته فقد حورته ويقال للبيضاء من النساء حوارية وقيل صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من انت قال عيسى ابن مريم قال اني اترك ملكي هذا واتبعك فانطلق بمن اتبعه فهم الحواريون وقيل الحواريون الانصار والحواري الناصر وقيل الحواري صاحب السر وقيل الحواري الوزير وقيل هم الذين تصلح لهم الخلافة وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواريي الزبير وقيل ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم قوله آمنا بالله يجري مجرى ذكر العلة والمعنى يجب علينا ان نكون من انصار الله لاجل انا آمنا فان الايمان يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون اي واشهد بانا منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله وانما طلبوا شهادة عيسى باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل تشهد يوم القيامة لقومهم وعليهم ولما اشهدوا عيسى على اسلامهم تضرعوا الى الله وقالوا ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وذلك لان القوم آمنوا بالله حين قالوا في الآية المتقدمة آمنا بالله ثم آمنوا بكتب الله حين قالوا آمنا بما انزلت وآمنوا برسول الله حيث قالوا واتبعنا الرسول فعند ذلك طلبوا الزلفة والثواب فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقوله مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون بالوحدانية وبالتصديق للانبياء وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس قال الله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل اكتبنا مع الشاهدين اشارة الى ان كتاب الابرار انما يكون في السموات مع الملائكة قال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين فاذا كتب الله ذكرهم مع الشاهدين كان ذكرهم مشهورا في الملأ الاعلى وعند الملائكة المقربين وقيل انه تعالى قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فجعل اولي العلم من الشاهدين وقرن ذكرهم بذكر نفسه وذلك درجة عظيمة ومرتبة عالية فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنت ذكرهم بذكرك وقيل انجبني بقوله عليه السلام لما سأل محمد عليه الصلاة والسلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فهذا غاية درجة العبد في الاشتغال بالعبودية وهي ان العبد في مقام الغيبة فهؤلاء القوم لما صاروا كاملين في درجة الاستدلال طلبوا الترقي من مقام الاستدلال الى مقام الشهود والمكاشفة فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين وقيل من كان في مقام شهود الحق لم يبال بما يصل اليه من المشاق والمتاعب فلما قبلوا من عيسى عليه السلام ان يكونوا انصارا له ذابين عنه قالوا فاكتبنا مع الشاهدين اي فاجعلنا ممن يكون في شهود جلالك حتى نصير مستحقرين لكل ما يصل الينا من المشاق والمتاعب فحينئذ يسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك ونبيك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ● اي ومكر كفار بني اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكرهم تدبيرهم في قتل عيسى والمكر لطف التدبير وذلك ان عيسى عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم وقيل المكر السعي بالفساد في ستر ومخادعة واصله من قول العرب مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة ومن الله استدراجه العباد قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وقيل مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم وقيل سأل رجل الجنيد كيف يرضى المكر لنفسه وقد عاب به غيره قال لا ادري ما تقول ولكن انشدني فلان الطبراني

فديتك قد جبلت على هواكا ... فنفسي لا تنازعني سواكا

احبك لا ببعضي بل بكلي ... وان لم يبق حبك لي حراكا

ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال اسألك عن آية من كتاب الله وتجيبني بشعر الطبراني فقال ويحك قد اجبتك ان كنت تعقل ان تخليته اياهم مع المكر به مكر منه بهم ومكر الله بهم خاصة في هذه الآية القاؤه الشبه على صاحبهم الذي اراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء قال ابن عباس ان ملك بني اسرائيل اراد قتل عيسى وقصده اعوانه فدخل خوخة فيها كوة فرفعه جبريل من الكوة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فالقى الله عز وجل شبه عيسى عليه فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب طرقوا عيسى في بعض الليل فاسروه ونصبوا خشبة ليقتلوه فلما ارادوا صلبه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبينه فصلبوا مكانه رجلا يقال له يهوذا وهو الذي دلهم عليه وذلك ان عيسى عليه السلام جمع الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة

فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله شبه عيسى لما دخل البيت ورفع عيسى واخذ الذي دلهم عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يقبلوا قوله ولم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت ام عيسى مريم وامرأة كان عيسى دعا لها فابرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما علام تبكيان ان الله تعالى قد رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله عز وجل انزل على مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك احد عليك بكاءها ولم يحزن احد حزنها ثم ليجتمع لك الحواريون فبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليه فذلك قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اي اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ● اذ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اختلفوا في معنى التوفي هاهنا قيل معناه اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله فلما توفيتني اي الى السماء وانا حي لان قومه انما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته وعلى هذا القول للتوفي تأويلان احدهما اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي من قولهم توفيت كذا واستوفيته اي اخذته تاما وثانيهما اني متسلمك وقابضك من الارض من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وقيل معناه متوفي نفسك بالنوم يدل عليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فينيمكم لان النوم اخ الموت وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها ورافعك الي في النوم حتى لا يلحقك خوف وانت في السماء آمن مقرب وقيل اي مميتك يدل عليه قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقوله انه متوفيك فله على هذا القول تأويلان احدهما انه توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه وثانيهما ان في ذلك الكلام تقديما وتأخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ومخرجك من بينهم ومتوفيك منهم لان كونه في جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم ومتوفيك بعد انزالك من السماء كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى تقدير الآية ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما وقيل اني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك لان عيسى لما رفع الى السماء صار حاله كحال الملائكة قوله وجاعل الذين اتبعوك هم اهل الاسلام الذين اتبعوا دين عيسى من امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم صدقوه بانه رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والله ما اتبعه من دعاه ربا وقيل هم الحواريون فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة والبرهان وفي اكثر الاحوال بالسيف والغزو والغلبة على الذين كفروا هم اليهود وقيل وجاعل النصارى فوق اليهود فليس يوجد بلد فيه احد من النصارى الا واليهود مستذلون مقهورون ثم رجع عن الغيبة الى الخطاب فقال ثم الي مرجعكم معناه انه تعالى بشر عيسى عليه السلام بانه يعطيه في الدنيا تلك الرتبة والدرجات الرفيعة وفي الآخرة احكم بين المؤمنين به وبين الجاحدين برسالته فاحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين وامر عيسى وكيفية ذلك الحكم ما ذكره في الآية التي بعد هذه الآية قوله فاما الذين كفروا الى ما ذكر قوله الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من ذلك مفصلا كالاختلاف في الحكم فمن كفر ومن آمن واما الحكم فهو ان يعذب الله من كفر وان يوفي اجور من آمن قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والجزية والذلة وفي الآخرة بالنار وما لهم من ناصرين مانعين يمنعونهم من عذاب الله واما الذين آمنوا بمحمد وعيسى وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم يتمم جزاءهم من الثواب والله لا يحب الظالمين اي لا يرحمهم ولا يثني عليهم وهم الذين لا يطيعون الله فيما امرهم به من الايمان بالرسل والكتب ذلك اشارة الى ما تقدم من نبأ عيسى وزكريا ويحيى وغيرهم والحكيين وهو مبتدأ خبره نتلوه من الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف على مذهب الكوفيين فان ذا عندهم بمعنى الذي كما استدلوا بقول الشاعر

عدس ما لعباد عليك امارة ... نجوت وهذا تحملين طليق

اي عدس وهو في الاصل زجر البغلة فسماها به وهو علم هاهنا وانما بني لانه حكاية صوت ويجوز ان يكون زجرها بذلك ثم قال ما لعباد وهو اسم مالك هذا الاولى ان يكتب منفصلة غير متصلة في قابينه وبين اسم الاشارة يريد بالذي يحمله نفسه اي انت طليق بعدما صرت اسيرا وبعضهم قال هنا فهذا البيت اصله وهو اسم الاشارة ومحله رفع بالابتداء وطليق خبر وتحملين حال اي وهذا طليق حال كونك حاملة له وسيبويه لم يثبت ذا بمعنى الذي الا في قولهم ماذا وما ذكره الكوفيون ليس بثبت لخروجه عن القياس والعلة وقيل يجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه قال ابن عباس نتلوه عليك نخبرك به بتلاوة جبريل عليك وتلاوته بامر الله ومثله نحن نقص عليك من الآيات اي من العلامات الدالة على نبوتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب الله او من يوحى اليه وانت امي لا تقرأ قوله والذكر الحكيم يعني القرآن وصفه بصفة من هو سببه او كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وقيل القرآن الحاكم اي المانع من الفساد وكل ما يقبح ويجوز ان يكون بمعنى المحكم اي الممنوع من الباطل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين ● نزلت في وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته

القاها الى العذراء البتول وقالوا هل رأيت انسانا خلق من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم اى ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله عند الله عبارة عن الحق فى نفسه اى هكذا هو الامر فيما غاب
عنكم خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اى خلق آدم من تراب بلا اب ولا ام وكذلك حال عيسى اعلم ان
البرهان القاطع دال على انه لا بد للناس من والد اول اذ لو كان خلق الانسان بحسب النوع مسبوق بوجود العناصر الا بعده سبقا
زمانيا لا كما يقول القائلين بحوادث لا اول لها ان يقولوا كما جاز ان يكون كل حادث مسبوقا بحادث آخر لا الى اول جاز ان يكون
كل ابن مسبوقا باب آخر لا الى اول لانا نقول خلقة نوع الانسان مسبوق بوجود العناصر سبقا زمانيا فبالضرورة يكون شخص
الذى لا اب له ولا ام والقرآن دل على ان ذلك الوالد الاول هو آدم عليه السلام قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقال هو الذى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ثم انه تعالى
ذكر فى كيفية خلقة آدم وجوها كثيرة احدها انه من تراب والثانى انه مخلوق من الماء قال تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله
نسبا وصهرا والثالث انه مخلوق من الطين قال تعالى الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين والرابع انه مخلوق
من حمإ مسنون وهو الطين المتغير بريح الحمأ والخامس من صلصال من حمإ مسنون وهو ما حصل من الحمإ المسنون يابسا
قال تعالى انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون وقال خلق الانسان من صلصال كالفخار وكما كان التراب اظهر اركانه وقلب
صرح بذكره وكرره قيل انما خلق الانسان من تراب ليكون من الارض فيكون اشد التصاقا بها لانه جعله خليفة فى الارض قال
تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولانه تعالى اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى اضوأ الاجرام واعلاها ثم ابتلاهم بالظلمة
الضلالة وخلق آدم من التراب الذى هو اكثف الاجرام ثم اعطاه المحبة والمعرفة كالنور والهداية ليكون برهانا باهرا ودليلا
ظاهرا على انه المدبر بغير احتياج والخالق بغير علاج قال صاحب الكشاف فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير
اب وام قلت هو مثيله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاص آدم دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى
اربعة انواع المشابهة فنوع من الكيفيات كالمشاركة فى الالوان والمضاهاة فنوع من الاضافة كاشتراك زيد وعمرو فى النسبة
الى خالد بالبنوة والمشاكلة فنوع من الجواهر على رتبة واحدة كزيد وعمرو والمساواة هى المشاركة فى نوع من الكمية كثوبين طول
كل منهما خمسة اذرع والمماثلة انما تثبت بالاوصاف عند المتكلمين وعند بعض المماثلة هى المشاركة فى تمام الماهية فان لم
وان كان كثيرا لا يكون مماثلة الانسان هذا بحسب الاغلب وقد يستعمل بعض هذه الاسماء فى غير ما ذكر من معناه ثم قال
صاحب الكشاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وآدم وعيسى نظيران فى ذلك لان الوجود
من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته
اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وهذا التجنيس احسن وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له
قال آدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال حزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف قالوا
كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان قيل
هذا يدل على انه خلق آدم قبل قوله له كن فيكون والامر بالعكس اجيب بان معناه قدره جسدا من تراب فان الخلق هو التقدير
والتسوية ويرجع معناه الى علم الله تعالى بكيفيته وقوعه وارادة ايقاعه على هذا الوجه لا شك ان هذا مقدم على وجود آدم
تقدما من الازل الى الابد واما قوله كن فهو عبارة عن ادخاله فى الوجود فان قيل الضمير فى خلقه راجع الى آدم حين كان ترابا
وحينئذ لم يكن موجودا اجيب بانه لما كان ذلك الهيكل بحيث سيصير آدم سماه آدم تسمية للشىء باسم ما يؤول اليه ثم قال له كن اى
انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية ولا يكون ايضا لان الامر طلب مستقبل فاتى بما يترتب عليه
ايضا استقبالا وقيل الضمير فى له لعيسى كن فيكون اى فكان قوله الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف او هو الحق من ربك
خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق من ربك كقولك اهل خبير محمد والجنس اى هذا محمد وهذا الجنس قال الزجاج الحق مرفوع على
محذوف على تقدير الذى انبأتك من قصة عيسى الحق فحذف لتقدم ذكره وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما تقول الحق
من الله والباطل من الشيطان قوله فلا تكن من الممترين الامتراء الشك والممترى الشاك ويقال للشاك المرية والخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء قال صاحب الكشاف نهى النبى صلى الله عليه
وسلم عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون
لطفا لغيره قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ⊙ بين الله تعالى فى صدر هذه السورة وجوها من الدلائل
القاطعة على فساد قول النصارى بان عيسى ابن الله واتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم على سبيل الاستقصاء وختم
الكلام بهذه النكتة القاطعة بفساد كلامهم وهو انه لما لم يلزم من عدم الاب لآدم عليه السلام ان يكون ابنا لله لم يلزم
ايضا من عدم الاب لعيسى عليه السلام لان تخلق عيسى من الدم الذى يجتمع فى رحم ام عيسى ومن نصفه وطلب
الخصم لما ان البيان قد بلغ الى الغاية القصوى فعند ذلك قال تعالى فمن حاجك قيل لما احتج على النصارى من طريق العلم البرهانى
بما تقدم امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم من طريق الاعجاز وهى المباهلة فمن حاجك خاصمك وجادلك من النصارى
يا محمد فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم بانه عبد الله ورسوله المستفاد من البينات فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأى
والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسألة فان الاصل فيه تعاليوا لانه تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء
فحذفت الضمة فالتقى ساكنان فحذفت الياء التى هى لام الفعل وبقيت اللام التى هى عين الفعل على فتحها قال

معنى تعالى ان تقع وقيل معناه ايتوا قوله ندع جزم بجواب الامر وعلامة الجزم فيه سقوط الواو اى يدع كل منا ومنكم ابناءه
ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة
وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل فى
دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا قوله فنجعل عطف على قوله نبتهل لعنة الله مقصورة على الكاذبين منا ومنكم فى امر عيسى لما
قرأ النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم
ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد علمتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم
بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان
ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى
خلفها وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها
لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال صلى الله عليه وسلم فانى اناجزكم بالحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب
طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف
فى رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو
لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى هلكوا وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود
فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال صاحب الكشاف
فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى
ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ
كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال
ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم
حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم
حماة الحقائق وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس
مفدون بها وفيه دليل لا شىء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك وقد تمسكت الشيعة بهذه الآية على ان عليا رضى الله عنه افضل
الصحابة ووجه احتجاجهم والجواب على الاستقصاء مذكور فى شرح التجريد قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق
وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ⊙ ان هذا الذى نقص عليك من نبأ
عيسى لهو القصص وهو مصدر قولك قص فلان الحديث يقصه قصا وقصصا واصلها تتبع الاثر يقال خرج فلان
قصصا فى اثر فلان وقصا وذلك اذا اقتص اثره ومنه قوله وقالت لاخته قصيه وقيل القاص يقص لانه يتبع خبرا
خبرا بعد خبر والقصص الحق القرآن الصادق فيما اخبر به وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق
خبره والجملة خبر ان واللام اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ واصلها ان تدخل
على المبتدأ ومن فى قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد به
نفى جميع من ادعاه المشركون انهم آلهة والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم وان عيسى ليس باله كما زعموا وان الله لهو العزيز الحكيم
اى لا احد يستحق اطلاق هذه الصفة له الا هو فان تولوا فاعرضوا عن قبول الحق والايمان فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم
بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون اى فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس الى عبادة غير الله فيجازيهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
قيل هم اهل الكتابين وقيل يهود المدينة وقيل وفد نجران فانه صلى الله عليه وسلم لما اورد عليهم انواع الحجج وانقطعوا ثم دعاهم
الى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار والجزية وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمانهم قال تعالى يا محمد اترك
ذلك المنهج من الكلام واعدل الى منهج آخر يشهد كل عاقل سليم الطبع مستقيم الفكر انه كلام مبنى على الانصاف وترك الجدال
وقل يا اهل الكتاب تعالوا انتقل من المجادلة وطلب الافحام والالزام خاطبهم بقوله يا اهل الكتاب فانه من احسن الاسماء واكمل
الالقاب حيث جعلهم اهلا لكتاب الله فان هذا اللقب يدل على ان قائله اراد المبالغة فى تطييب قلب المخاطب وانما قال تعالوا لاجل
ترجيههم الى النظر فى تعيين ما دعوا اليه لكن لم يكن ارتفاع من مكان الى مكان عال ثم كثر استعماله فى طلب التوجه الى النظر فيما
يدعى اليه قوله الى كلمة سواء نعت لكلمة يريد ذات سواء اى كلمة عادلة مستقيمة مستوية بيننا وبينكم اذا اتينا بها نحن
وانتم كنا على السواء والاستقامة لا تختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل قوله ان لا نعبد تفسير للكلمة قيل هو فى محل
الخفض بدل من كلمة اى تعالوا الى ان لا نعبد الا الله وقيل هو فى محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف فكانه قال لما قال الكلمة قيل

هو ان لا نعبد الا الله يعني تعالى الواحد الحق لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع
احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل هو سجود بعضهم لبعض وقيل هو سجود بعضهم لبعض وقيل انهم كانوا
يطيعون احبارهم في المعاصي ولا معنى لاتخاذهم اربابا الا ذلك ونحوه قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وعن عدي بن حاتم
ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي
اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد والاجابة فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم
الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون مخلصون موحدون او اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان
تسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم الغلبة ويجوز
ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره قوله تعالى يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ● قيل ورد احبار المدينة فالتقوا
فاختصموا في ابراهيم عليه السلام فاتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا يا محمد انا اختلفنا في ابراهيم ودينه فزعمت النصارى
انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وانهم على دينه واولى الناس به فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم فقال تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم تزعمون انه على دينكم وانما
اليهودية حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وانما انزلت التوراة والانجيل بعد ابراهيم بزمان طويل
وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة
افلا تعقلون فساد هذه الدعوى ودحوض حجتكم وبطلان قولكم حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال الباطل قوله تعالى
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ● قرأ ابن كثير
هانتم على وزن هعنتم نافع وابو عمرو بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة استفهاما واراد ءانتم وقد
قراءة نافع وابي عمرو واحد الامرين اما ان يكون ها التي للتنبيه دخلت على انتم ويكون ها التنبيه داخلة على الجملة كما دخل في قوله
هلم وكما دخلت يا التنبيه في قوله الا يا اسجدوا وفي قول الشاعر يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار
وخففت الهمزة بعد الالف تخفيفا واما ان يكون الهاء في انتم بدلا من همزة الاستفهام كوجه قراءة ابن كثير ويكون الالف هي التي
تدخل بين الهمزتين للفصل بينهما ووجه قراءة الباقين ها انتم بهمز بعد ها ويحتمل الوجهين اللذين في قراءة نافع وابي عمرو في
تخفيف الهمزة التي بعد الالف ولم يحققوها كما خففها ابو عمرو ونافع فمن لم يلحق الالف للفصل بين الهمزتين كراهة
ابن عمرو وغيره ينبغي ان يكون ها في قوله للتنبيه ولا يكون بدلا من همزة الاستفهام واما اعرابه فقيل ها انتم مبتدأ وهؤلاء بدل
او صفة ويكون الخبر حاججتم وقيل حاججتم صلة لاولاء والخبر قوله فلم تحاجون وقيل ها للتنبيه وانتم مبتدأ
وهؤلاء خبر وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى وقيل حاججتم في موضع حال لا يستغنى عنها والمعنى انتم هؤلاء
الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل في امر محمد لانهم
كانوا يعلمونه بما يجدون من نعته فكأنهم حاجوا فيه بالباطل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر لكم في كتابكم انه
كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم شأن ابراهيم وما حاججتم فيه وانتم جاهلون به قال الامام في قوله حاججتم فيما لكم
به علم انهم زعموا ان شريعة التوراة والانجيل مخالفة لشريعة القرآن فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به وهو ادعاؤكم
ان شريعة ابراهيم كانت مخالفة لشريعة محمد ويحتمل في قوله فيما لكم به علم انه لم يقصد بالعلم حقيقة وانما اراد انكم
تستجيزون المحاجة فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كانت
حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون كيفية تلك الاحوال ثم بين حال ابراهيم مفصلا فقال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ● وهو تعريض بكون اليهود والنصارى مشركين
وهو تعريض بكون اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله والمراد به ان ابراهيم كان موحدا ودينه
التوحيد كدين محمد صلى الله عليه وسلم لا مشركا وليس دينه الشرك كدين اليهود والنصارى قوله تعالى ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ● قيل ان رؤساء اليهود قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم لقد علمت انا اولى بدين ابراهيم منك وانه كان يهوديا وما بك الا الحسد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان عمرو
بن العاص اراد ان يغضب النجاشي على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنجاشي انهم يشتمون عيسى فقال النجاشي ما يقول
صاحبكم في عيسى قالوا يقول انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم فاخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين
فقال والله ما زاد المسيح على ما يقول صاحبكم ما يزن هذا القذى ثم قال ابشروا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال
عمرو بن العاص ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم فانزل الله يوم خصومتهم على النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الاية ومعناه ان اولى الناس واخصهم بابراهيم واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده و
النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقوله والنبي عطف على الذين والذين آمنوا عطف على النبي والله ولي المؤمنين اي ناصرهم
ومعينهم ووعد منه لهم بالنصرة في الدنيا والنعيم في الاخرى قوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ● ودت طائفة اي جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود دعوا معاذ بن جبل
وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر الى اليهودية لو يضلونكم يستزلونكم عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون

الا انفسهم

الا انفسهم وقيل وما يهلكون الا انفسهم باستحقاق العقاب على قصدهم اضلال الغير وقيل ما يعودون بالاضلال الا عليهم
لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون
ان هذا يضرهم ولا يضر المسلمين قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ● لما بين حال
الطائفة التي لا تشعر بما في التوراة من دلالة محمد صلى الله عليه وسلم بين حال الطائفة العارفين بذلك من احبارهم
قوله لم اصلها لما لانها ما التي للاستفهام دخلت عليها اللام فحذفت الالف لطلب الخفة قوله بآيات الله بالتوراة
والانجيل وكفرهم انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم
بانها آيات الله وقيل بآيات الله بالقرآن ودلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون ان نعته مذكور في
التوراة والانجيل وقيل تكفرون بآيات الله جميعا اي بالمعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون
انها حق لانكم علمتم ان المعجزات التي ظهرت على الانبياء دالة على صدقهم من حيث ان المعجز قائم مقام تصديق الله فاذا
شهدتم بان المعجز انما دل على صدق سائر الانبياء من هذا الوجه ثم انتم تشاهدون حصول هذا الوجه في حق محمد عليه الصلاة
والسلام فكان اصراركم على انكار نبوته مناقضا لما شهدتم بتحقيقه من دلالة معجزات سائر الانبياء على صدقهم
قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ● لعلماء اليهود رذيلتان
احديهما انهم يكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا يعلمون انه رسول الله فنهاهم عنها في الاية المتقدمة و
ثانيتهما انهم كانوا ساعين في لبس الحق بالباطل وكتمان الحق فنهاهم الله عنها في هذه الاية فالاولى الغواية والثانية
الاغواء والاضلال وانتم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا وان عقاب من يفعل مثل هذه الافعال عظيم قوله تعالى وقالت
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ● لما حكى الله تعالى
عن اليهود انهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق اردف ذلك بان حكى عنهم نوعا آخر من تلبيساتهم فقال وقالت طائفة قيل
تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد وجه النهار اي اوله سمي
لانه احسنه واول ما يواجه به الناظر فيراه قال الشاعر من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار وكان
مرادهم انه لا يتدين على المقبول الا بعد اخذ ثأر من غير حقيقة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بالمنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقالوا انهم اهل كتاب وهم اعلم به منا
فيرجعون عن دينهم الى دينكم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم كفروا به آخره ورجعوا
الى قبلتكم وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء هم اهل الكتاب وهم اعلم منا فقد رجعوا فيرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم مكرهم واطلعه على سرهم قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ●
ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا وقيل معناه على تقدير كلام الطائفة اي لبعضهم لبعض لا تؤمنوا ابن كثير أأن يؤتى بالمد على جهة الاستفهام
الذي هو تقرير والباقون بالقصر واختلفوا فيه فقيل هو متعلق بقوله ولا تؤمنوا وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض بينهما
ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله
مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين
يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد
ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم ومنعكم واخفاء تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق وقيل تم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر
وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم
ولان ارتدادهم كان اغيظ لهم ويكون معنى قوله ان يؤتى لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي قلتم ذلك القول وهو ولا تؤمنوا ودبرتم
هذا التدبير لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل الكتاب
والعلم دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير يعني أأن يؤتى احد ومعنى قوله او يحاجوكم على هذا القول دبرتم وقلتم
ما قلتم لكن يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولان يحاجوكم اي لما يحاجونكم عند ربكم ويغالبونكم عند الله بالحجة ويجوز ان يكون هدى الله
بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبرا له على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فيخصموكم بالحجة
ويقهروا باطلكم بحجتهم على هذا او بمعنى الى ان وقيل قوله ان يؤتى منصوب بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
تقديره قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل
ما اوتوا وقيل قالت اليهود لسفلتهم لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل يكون لكم عليهم حيث علموا
ما علمتم وحينئذ يحاجوكم عند ربكم فيقول لكم فيتمان ذلك الحق ولا يصدق قومهم لئلا يعلموا ما علمتم ولا يحاجوكم عند ربكم ويجوز
ان يكون على هذا القول لا مضمرا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا قوله يختص في نبوته ودينه ونعمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
اجمل القول ليتوهم رجاء الراجي وخوف الخائف قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون ● لما حكى الله تعالى في الاية المتقدمة قبائح اعتقادهم حكى عنهم في هذه الاية قبائح اعمالهم وهو اصرارهم على الخيانة

دالة على انهم طائفتان منهم اهل الامانة ومنهم اهل الخيانة اراد بالقنطار المال الكثير واراد بالدينار المال القليل
قيل اهل الامانة منهم هم الذين اسلموا واهل الخيانة هم الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل
كل من خالفهم في الدين واخذ امواله ونظير هذه الاية قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم
يسجدون مع قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود وقيل من
ان تامنه بقنطار يؤده عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه قيل فقد ثبت في الاخبار وقد علمنا ان الكفار
كلهم لم يزالوا كذلك منهم الامين ومنهم الخائن اجيب بانه تحذير من الله المؤمنين ان يأمنوهم على اموالهم او يغتروا بهم لاستحلالهم
اموال المؤمنين قرأ ابو عمرو وعاصم وحمزة يؤده ساكنة الهاء والباقون مكسورة مشبعة قوله الا ما دمت عليه قائما الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل
قائما ملحا وقيل ملازما وقيل مرابطا وقيل مواظبا وقيل قائما بتقاضيه وقيل مواظبا بالاقتضاء لان المطالب الذي يقوم فيه
ويتصرف والتارك يقعد عنه وقيل يعترف لك بما دمت قائما على رأسه فان سألته اياه في الوقت حين دفعته اليه رده
عليك وان انظرته واخرته انكر قوله ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس
علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين اي لا اثم علينا في حبس اموال العرب قد احلها الله
لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم فيقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل قالت اليهود ان
الاموال كلها كانت لنا فما في ايدي العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا وغصبونا عليها فلا سبيل علينا في اخذنا اياه منهم وقيل بايع
اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم الذي
كنتم عليه وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل بقوله ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون في ذلك الخبر لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس
علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا
بطيب انفسهم قال تعالى ردا عليهم بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين
اي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل قوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
راجعة الى من اوفى والمعنى ان كل من اوفى بعهده الذي عهده الله اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
واتقى الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحبه اي يحب من هذه صفته قال صاحب الكشاف فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى
اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم
في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز عود الضمير
في بعهده الى الله على ان كل من اوفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء فان قيل فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من اجيب بان عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس
هذه الاية في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعنه صلى الله عليه وسلم قال
التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا
قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم لما وصف الله اليهود
بالخيانة في اموال الناس والخيانة في اموال الناس لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة ذكر في هذه الاية
وعيد من يقدم على الايمان الكاذبة قيل نزلت هذه الاية في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤساء
اليهود كتموا ما عهد اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله
لئلا يفوتهم الرشا والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم
ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا
لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت
الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس انه قال كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب
شاهده قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار وقوله
بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله قوله يشترون بعهد الله يستبدلون بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق
لما معهم واداء الامانة وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من طلب الرياسة
والاتباع اولئك لا خلاق لهم لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وثوابها قوله ولا يكلمهم الله كناية عن شدة غضب الله عليهم لان من
منع غيره كلامه فانما ذلك لسخطه عليه واذا سخط انسان على آخر قال له لا اكلمه ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط

عليهم

عليهم يقال فلان لا ينظر الى فلان يريد نفي اعتداده به واحسانه فانه اذا سخط انسان على آخر يقول لا اريد وجه فلان ولا يزكيهم
لا يثني عليهم فانه اذا سخط انسان على آخر اذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن
يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه
واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان
مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر فان الكناية لا تنافي الحقيقة والحق انه لا يجوز ان يكون النظر هاهنا الرؤية لان الله
لا يجوز عليه النظر بل الله تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد النظر تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته لان هذا من
صفات الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك ولهم عذاب اليم لما بين حرمانهم من الثواب بين كونهم في العقاب الاليم قوله تعالى
وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون اي وان من اهل الكتاب الذين تقدم ذكرهم وهم اليهود لفريقا منهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلون بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقيل يعطفون السنتهم
بالكتاب بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره ولوى بالشيء
عما كان عليه اي غيره [illegible] قوله لتحسبوه اي لتظنوا المحرف من الكتاب [illegible]
من الكتاب الذي انزله الله والمحرف وان لم يجر له ذكر لكن يدل عليه قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل يجوز ان يكون المراد يعطفون
السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب
وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يوردون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله
تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم وقساوة قلوبهم وياسهم من الآخرة وقوله وما هو من الكتاب نفي خاص وما هو من عند الله نفي عام
ويقولون على الله الكذب انهم يتعمدون ذلك الكذب مع انهم يعلمون انه ليس من عند الله قوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم

[illegible]

ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له قوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
اعلم ان المقصود من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا
لعذرهم واظهارا لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله في هذه الآية وهو انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين الذين آتاهم الكتاب والحكمة
انه كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه واخبر انهم قبلوا ذلك وحكم تعالى بان من رجع عن ذلك كان من الفاسقين
فهذا هو المقصود في الآية قوله واذ قيل معناه واذكر يا محمد اذ اخذ الله وقيل معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله ميثاق
النبيين وتلك ميثاق النبيين على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بما في الآية وقيل اضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى
الموثق لا الى الموثق عليه كما يقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه على الانبياء على اممهم وقيل المراد
ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف وقيل المراد اهل الكتاب ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون يدل على ذلك قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب بقوله لما قرأ حمزة لما بكسر اللام وتخفيف الميم والمعنى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على
معنى اخذ الله ميثاقهم ليؤمنن بالرسول ولينصرنه لاجل ان آتيتكم الكتاب والحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة وحينئذ يكون آتيتكم صلته وقوله ثم جاءكم عطف على آتيتكم داخل تحت
حكم الصلة لا محذوف بعينه لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل الذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما
بفتح اللام وتخفيف الميم واللام لام التوطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف واللام في لتؤمنن لام جواب
القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا ويحتمل ان تكون موصولة
بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به فاللام ايضا موطئة للقسم لان الموصولة وصلتها في معنى الشرط على تقدير انه لا تدخل اللام
على غير الشرط وقيل يجوز ان تدخل الموطئة على غير الشرط وقيل اللام لام الابتداء وما موصولة وهو الذي بعده صلته والموصول
مع صلته مبتدأ وقوله لتؤمنن به خبره ويحتمل ان يكون من كتاب خبرها ويكون من زائدة معناه لما آتيتكم كتاب
اثناء فقال لما كم يعني بحكم ويجوز ان يكون التقدير ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه واللام فيها
لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه فذكر في اول الكلام بلام التأكيد وفي آخر الكلام بلام القسم قوله أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي على ذلكم عهدي ونظيره قوله تعالى ان اوتيتم هذا فخذوه اي فاقبلوه وقوله لا يؤخذ منها عدل اي لا يقبل
منها فداء ويأخذ الصدقات اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به قالوا
اقررنا قال تعالى فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وشهادتكم من الشاهدين هذا توكيد
عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض فمن تولى بعد ذلك الاقرار والميثاق والاشهاد
وتأكيده فاولئك هم الفاسقون العاصون الخارجون عن الايمان المتمردون من الكفار قوله تعالى افغير دين الله يبغون
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ● لما بين في الآية الاولى ان الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم شرعه الله واوجبه على جميع من مضى من الانبياء والامم بين في هذه الآية ان كل من كره ذلك فانه يكون طالبا دينا
غير دين الله فقال افغير دين الله وعن ابن عباس اختصم اهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا بينهم
من دين ابراهيم كل فرقة زعمت انهم اولى بدينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا
والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فانزل الله تعالى افغير دين الله دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة
اي عطف قوله غير دين الله يبغون على قوله فاولئك هم الفاسقون والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون
ثم توسطت الهمزة بين الجملتين ويجوز ان يعطف قوله افغير دين الله على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون
وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله
على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل قرأ ابو عمرو ويعقوب بالتاء مفتوحة
وترجعون بالتاء مضمومة في الآية الاولى لخاصة والثاني عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى وحفص عن عاصم يبغون
ويرجعون بالياء معجمة من تحت فيهما لقوله فاولئك هم الفاسقون والباقون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله لما آتيتكم
من كتاب وحكمة قوله يبغون اي يطلبون وله اسلم خضع وانقاد من في السموات والارض والملائكة والثقلان طوعا
بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه والطوع الانقياد والاتباع بسهولة وكرها بمشقة واباء من النفس وقيل
بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشراف على الموت فلما رأوا
بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين وكارهين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فان اصحابي اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف السيوف وقيل الطوع لاهل السموات خاصة واهل
الارض منهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها عن ابن عباس عبادتهم لله اجمعين طوعا وكرها وانقيادهم له وقيل طوعا
وكرها اي كل آدمي اقر على نفسه بان الله ربي وانا عبده فهذا الاسلام لو استقام عليه فانما تكلم به صادقا ثم اشرك
في عبادته فهو الذي اسلم كرها ومنهم من شهد ان الله ربي وانا عبده ثم اخلص له العبودية فهذا الذي اسلم طوعا وقيل هذا

حين اخذ

حين اخذ منه الميثاق فاقر به وقيل طوعا المؤمن وكرها الكافر يدل عليه قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله تعالى يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقيل هو استعاذتهم به
عند اضطرارهم يدل عليه قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل المؤمن اسلم طوعا والكافر كرها
فاما المؤمن فاسلم طوعا فنفعه ذلك وقبل منه واما الكافر فاسلم كرها في وقت البأس والمعاينة حين لا ينفعه ذلك ولا يقبل
منه يدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل طوعا الذين ولدوا في الاسلام وكرها الذين جبروا على الاسلام
ممن [illegible] وقيل كرها من اضطرته الحجة الى التوحيد يدل عليه قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقيل وله اسلم اي خضع من في السموات والارض فيما دبرهم عليه وصورهم فيه وما يحدث
فيهم لا يمتنعون من ذلك كرهوا او احبوا واليه يرجعون وعيد لكل من اعرض عن دين الله والحق ابتغوا غير دين الله مع انه مرجعهم اليه
فيجازيهم على تركهم دينه قوله تعالى قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ● لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة انه
اخذ الميثاق على الانبياء وابنائهم بتصديق الرسول الذي يأتي مصدقا لما معهم بين في هذه الآية من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال قل آمنا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ليدل على انه لا مبلغ لهذا التكليف من الله الى الخلق الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال آمنا تنبيها على انه حين آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم شاركه في الايمان بالله وبما انزل عدي على
في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر قال صاحب الكشاف ومن قال انما قيل علينا لقوله قل واليكم لقوله قولوا تفرقة بين الرسول
والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك
وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا
في عبادتنا وقيل المراد اقرارنا بنبوة هؤلاء الانبياء انما كان لاجل كوننا منقادين لله مستسلمين لحكمه وامره وفيه تنبيه على ان
حاله على خلاف الذين خاطبهم الله بقوله افغير دين الله يبغون وقيل ونحن له مسلمون اي مستسلمون لامره بالرضا وترك المخالفة
وتلك صفة المؤمنين بالله وهم اهل الاسلام والكافرون يوصفون بالمحاربة لله كما قال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
وقيل ان قوله ونحن له مسلمون يفيد الحصر والتقدير له اسلمنا لا لغرض آخر من سمعة ورياء وطلب مال وهذا تنبيه على ان حالهم
بالضد من ذلك فانهم لا يفعلون ولا يقولون الا للسمعة والرياء وطلب الاموال قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ● لما قال في آخر الآية المتقدمة ونحن له مسلمون اتبعه بان بين في هذه الآية ان الدين
ليس الا الاسلام وان كل دين غير الاسلام فهو غير مقبول لان القبول للعمل هو ان يرضى ذلك العمل ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه ولهذا
قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع والخسران
في الآخرة يكون بحرمان الثواب وحصول العقاب ويدخل فيه ما يلحقه من التأسف والتحسر على ما فاته في الدنيا من الاسلام وعلى ما تحمله من التعب
والمشقة في الدنيا من اتباع ذلك الدين الباطل اعلم ان من جعل الايمان هو الاسلام تمسك بهذه الآية بان قال لو كان غير الاسلام
لم يقبل الايمان ممن يبتغيه واللازم باطل لان الايمان غير الاسلام لنفيه واثبات الاسلام واجيب بان من ابتغى دينا غير الاسلام لن
يقبل منه والايمان غير الدين فان الدين هو الانقياد والعمل الظاهر والايمان هو التصديق ولاحدهما غير الآخر قوله تعالى كيف
يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم ● قيل نزلت هذه الآيات في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة الى مكة وحلوا بمكة
كفارا منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد الانصاري اخو الجلاس بن سويد وقيل نزلت في يهود قريظة
والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات
والمعجزات كفروا بغيا وحسدا وقيل انه قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام الى قوله واولئك هم الضالون نزلت في قصة واحدة ابتداء
القصة من قوله الا الذين كفروا وماتوا وقد نزلت في اهل الكتاب وقيل في قوم مرتدين عن الاسلام آمنوا ثم ارتدوا وقوله كيف يهدي الله
استفهام ومعناه جحد اي لا يهديهم الله واختلفوا في تفسير قوله كيف يهدي الله فقيل لا يهديهم الى الجنة قال تعالى ان الذين كفروا وظلموا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقال يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل
السنة المراد من الهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في دار التكليف ان كل فعل يعزم العبد على تحصيله يخلقه عقيب عزمه
فكأنه قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم عزموا على الكفر والمعتزلة لما كانت اصولهم تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق
الى الدين بمعنى التعريف وتوضيح الادلة وفعل الالطاف وكيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل
على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بها
النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل
هم القوم الذين اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام قوله وشهدوا قيل انه معطوف على ما في ايمانهم من الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى
فاصدق واكن قوله فاصدق منصوب بجواب التمني وعطف عليه واكن حملا على المحل سأل سيبويه الخليل عن قوله لولا اخرتني الآية فقال الخليل
جزم واكن لان الفعل الاول يكون مجزوما اذا لم تكن الفاء وهو من قبيل العطف على المحل وهو في كلامهم سائغ شائع كانه قيل اخرني اكن
قريب فاصدق واكن ومنه قول الشاعر
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب الا ببين غرابها

نعب الغراب بصالح تقول لهم مشائيم لا يصلحون حال العشيرة ولا ناعب غراب بينها الا ببين وناعب مجرور وعطف على محل مصلحين لانه
مصلحين ولا ناعب [illegible] كان الشاعر قدر ان الباء في مصلحين ثابتة لانها تدخل في خبر ليس كثيرا ثم عطف عليه المجرور وكل
عطف على كفروا [illegible] المعطوف [illegible] ان الشهادة قبل الكفر والواو لا تقتضي الترتيب واعلم انه تعالى استعظم كفر القوم من حيث
انه حصل بعد الايمان والشهادة على ان الرسول حق وبعد مجيء البينات فان الكفر بعد هذه الامور اقبح قوله تعالى والله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يهدي من نقض عهود الله وظلم نفسه وقيل لا يرشدهم الى منافعهم وليس يكرر لما قال في اول الاية فان الاول خاص
في المرتدين والشاهدين ان الرسول حق وقبل بعثه والآخر عام في المرتدين وغيرهم وقيل والله لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين لانه
علم ان اللطف لا ينفعهم وهذا على اصل المعتزلة قوله اولئك جزاؤهم حكم الله تعالى بان الظالمين الذين كفروا بعد ايمانهم ثم بين

[illegible]

فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابرهيم فنحن نحله فقال لنا اليهود كل شي اصبحنا اليوم نحرمه كان محرما على نوح ونوح وهلم جرا حتى انتهى الينا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم قوله كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام فان الطعام اسم لما يؤكل ويشبه ... صالح للقليل والكثير فان حمل التعريف فيه على الاستغراق يحتج الى تقدير لفظ الكل تاكيدا للاستغراق وان حمل على الجنس يكون المضاف محذوفا والتقدير كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشي حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه اي كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صيرورته حلالا لاحرامه ووقت ارادته الاحرام ولما كان الحل مصدرا استوى في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم قوله الا ما حرم اسراييل اي يعقوب على نفسه من قبل ان تنزل التورية قيل هي لحوم الابل والبانها عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرم اسراييل على نفسه من قبل ان تنزل التورية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله لين عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه لحم الابل والبانها فقالوا اللهم نعم وقيل لما اصاب يعقوب عرق النسا وصف له الاطبا ان يجتنب لحوم الابل فحرم اسراييل على نفسه لحوم الجزور تعبدا لله عز وجل فسال ربه ان يجيز ذلك له فحرم الله عليه وقيل حرم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين والشحم الا ما على الظهور وقيل حرم لحوم الانعام وقيل العروق كان عرق النسا فنذر لئن شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا وقيل باجتهاده والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسراييل من قبل ان تنزل التورية واختلفوا هل اثبت تحريم الطعام الذي حرمه الله على بني اسراييل فقيل لما انزل الله التورية حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتدا بابيهم يعقوب مما كان ذلك حراما عليهم بتحريم اسراييل ذلك عليهم وذلك حين اصابه النسا فاقسم لئن اشفاني الله منه لا اكله ابدا فلذلك لم يكن في التورية عليهم في التورية وقيل تحريم ما حرم عليهم منها بكفرهم وظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسراييل على نفسه متبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وكان بنو اسراييل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت عن الكلبي قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما الاية الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكذبهم الله حيث ارادوا براة ساحتهم مما نعي عليهم وجحود ما غاظهم واشتيافهم منه واستعصوا اي يعضوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم بكفرهم وظلمهم وقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالكفر والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما قدم من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قوله قل فاتوا اي قل يا محمد امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يحاجهم بالتورية ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يأتوا بالتورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك كان محرما على بني اسراييل قبل انزال التورية من بعدما لزمتهم من الحجة القاطعة بتكويرهم على احضار التورية فاوليك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات المستحقون لعنة الله والملايكة والناس اجمعين في الدنيا والعذاب الشديد في الاخرة قوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اي قل صدق الله في ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسراييل واولاده بعد ان كان حلالا لهم وقيل صدق الله في ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابرهيم وانما حرمت على بني اسراييل لان اسراييل حرمها على نفسه وثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتى بحل لحوم الابل والبانها فقد افتى بملة ابرهيم وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت حلالا لبني اسراييل وانما حرمت على اليهود بكفرهم وظلمهم وقبايح اعمالهم وقيل صدق الله في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وفي الجملة تعريض بكذبهم اي ثبت انا ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم التي عليها محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسويه لغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ومن تبعه قوله وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الها اخر كما فعل اليهود من ادعا ان عزير ابن الله وفعله النصارى من ادعا ان المسيح ابن الله فهو تعريض بشرك اليهود والنصارى قال الامام المقصود منه بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم في الاصول والفروع قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين لما قال في الاية المتقدمة فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابرهيم الحج ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وايضا لما كان اليهود والنصارى يزعم كل فرقة منهم انه على ملة ابرهيم وقد سبقت هذه المناظرة في الايات المتقدمة بين الله تعالى كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم واليهود والنصارى لا يحجون فدل هذا على كذبهم في ذلك وقيل تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل من الكعبة وقال المسلمون الكعبة افضل فانزل الله تعالى الاية قيل الاول الفرد السابق فاذا قال الرجل اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لان الاول هو الفرد

ثم لو اشترى

[illegible]

على تكثير الامثلة كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في الكشف قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ولم يذكر الثلث الصميم اي الخالص منهم لانه هجاهم فكره ان يذكر الخالص منهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة ترك الثالث فان قوله وقرة عيني في الصلاة ليس بمعطوف على المذكورين الاولين وانما هو ابتدا كلام كانه لما ذكر الاولين سقط في يده فقال ما لي وللدنيا فاعرض فقال وقرة عيني وسروري وقلبي في الصلاة فان قيل قوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية او شرطية فكيف يكون عطف بيان للايات اجيب من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دال على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله قيل ان الغنم في مقام ابرهيم انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جا زايرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل فجاته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى الشق الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وقال بعض اهل التحقيق مقام ابرهيم هو الخلة من شاهده فيه مقام ابرهيم الخليل فهو شريف ومن شاهده في مقام الحج هو اثر قدمه وقيل مقام ابرهيم بذله النفس والمال والولد في رضا خليله ثم نظر الى المقام ولم يعمل بما تحلى به الخليل من النفس والمال والولد لم يسلم فقد بطل سعيه وخاب حجه وقيل من يعمل في قلبه سلطانا للاطلاع كان امنا من هواجس نفسه ووساوس الشيطان وقيل من دخله على شرط الحقيقة

او جاء وقلبه الايمان كان آمنا من عقوبات نفسه وقيل من دخله كان آمنا من عقابه ولله عز وجل في الدنيا نوائب وعقاب فيعاقبه
العافية وعقابه البلى فالعافية ان يتولى عليك امرك والبلاء ان يكلك الى نفسك وقيل من دخل الايمان في قلبه كان آمنا
من الكفر وقيل من دخله على الصفة التي دخلها الانبياء والاصفياء والاولياء كان آمنا من عذابه كما امنوا وقيل من دخله عام
عمرة القضاء مع محمد صلى الله عليه وسلم كان آمنا دليله قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل قوله ومن دخله
كان آمنا لفظه خبر ومعناه امر تقديره ومن دخله فآمنوه كقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال اي لا ترفثوا ولا تفسقوا
ولا تجادلوا قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها قيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وهما واحد
في المعنى وقيل هما جائزان مطلقا في اللغة وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر اعلم ان شرائط وجوب الحج تسعة البلوغ والعقل
والاسلام والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق لقوله صلى
الله عليه وسلم ايما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة اخرى وايما اعرابي حج ثم هاجر فعليه حجة اخرى والامن
وامن الطريق وهو ان يكون الطريق آمنا مسلوكا من عدو ونحو ذلك فان كان غير مسلوك لم يجب عليه الحج والدليل عليه
انه لو كان محرما فحصره العدو فله ان يحل منه فاذا جاز له الخروج منه بالحصر كان تسقط الفرض عنه والقضاء فيه مع وجود
الحصر اولى وامكان المسير وهو ان يكون في الوقت سعة يمكنه فيها الحج اذا وجد شرائط الحج وهو بعيد الدار وقد بلغ الحاج الى الكوفة
مثلا فلا يجب عليه لانه قد حصل شرائطه في وقت تعذر فعله عليه فيه كمن بلغ او اسلم في آخر يوم من الصوم فلا يجب عليه صوم
ذلك اليوم والزاد والراحلة مبلغة وغير مؤدية واختلف الفقهاء في تفصيل هذه الشرائط الثلثة فقال الشافعي الاستطاعة
وجهان احدهما ان يكون مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج والثاني ان يكون معضوبا في بدنه لا يثبت على مركبه
وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه باجرة وغيرها اما المستطيع ببدنه فانه يلزمه فرض الحج بنفسه وهو ان يكون
لا تلحقه مشقة في الركوب على الراحلة فان هذا اذا ملك الزاد والراحلة لزمه فرض الحج بنفسه وان عدم الزاد والراحلة سقط
عنه فرض الحج وان كان قادرا على المشي مطيقا له ووجد الزاد او قدر على كسب الزاد في طريقه بصنعته مثل الخرز والحجامة ونحوهما
فالمستحب له ان يحج ماشيا رجلا كان او امرأة والرجل اقل عذرا من المرأة لانه اقوى وهذا على طريق الاستحباب لا على طريق
الايجاب فاما ان قدر على الزاد بالسؤال في الطريق كره له ان يحج لانه يصير كلا على الناس وهذا الذي ذكرنا من ان وجود الزاد
والراحلة شرط في وجوب الحج هو قول عمر وابنه وعبد الله بن عباس ومن التابعين الحسن البصري وابن جبير ومجاهد وعطا
واليه ذهب الشافعي والثوري وابو حنيفة واصحابه واحمد واسحق ودليله ما روي ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
ما السبيل الى الحج فقال الزاد والراحلة وعن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة
تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا فان الله عز وجل يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقال مالك اذا قدر على المشي ووجد الزاد فعليه فرض الحج
وان لم يجد راحلة وقدر على المشي نظر فان كان مالكا للزاد فعليه فرض الحج بلا خلاف وان لم يكن مالكا للزاد ولكنه يقدر
على كسب حاجته منه في الطريق اختلف هذا باختلاف الرجل فان كان من اهل المروءات ممن لا يكتسب بنفسه لم يجب عليه وان كان
ممن يكتسب كفايته من تجارة او صناعة لزمه فرض الحج فاوجب مالك على المطيق المشي الحج اذا لم يكن له زاد ولا راحلة وهو قول
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما والشعبي وعكرمة رحمهما الله وعن الضحاك ان اذا قدر ان يواجر نفسه فهو مستطيع
وذلك فقال الان كان لبعضهم ميراث بمكة كان يترك بمكة كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج واحتج هؤلاء بقوله
تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا اي مشاة وقالوا لان الحج من عبادات الابدان من فرائض الاعيان فوجب ان لا يكون من شرط
وجوبها الزاد والراحلة كالصلاة والصيام واذا تقرر ان وجود الزاد والراحلة شرط في وجوب الحج على قول اكثر العلماء يجب
ان يبين كيفية اعتبار الزاد والراحلة وذلك يختلف باختلاف احوال الناس فاما الراحلة فهي ما لا يلحقه مشقة شديدة
في الركوب عليها فاما النفقة فاذا كان ذا اهل يجب عليه نفقتهم فلا يلزمه الحج حتى يكون واجدا لنفقتهم مدة غيبته
لذهابه ورجوعه لان فرض الانفاق فرض على الفور والحج فرض على التراخي فكان تقديم الانفاق على العيال اولى وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت فان لم يكن له اهل وعيال فلا بد من نفقته لذهابه وهل يعتبر نفقة
رجوعه فيه قولان للفقهاء قال بعضهم لا يعتبر لانه ليس عليه كثير مشقة في ترك الاقامة ببلده لانه لا اهل له
بكل البلاد له وطن وقال الآخرون يعتبر وهو الظاهر من مذهب الشافعي لانه قال في الاملاء لا يجب عليه الحج حتى
يكون له نفقة ذاهبا وجائيا فاطلق ولم يفرق وهذا القول اولى بالصواب لان الانسان يستوحش لفراق وطنه كما
يستوحش لفراق مسكنه فان كان له عقار يشغله ودابات وعبيد الزمه فرض الحج وبيع العقار ورقاب الاموال وصرفها
في الحج فاما المسكن والخادم فقال الشافعي في الام اذا لم يكن له مسكن وخادم وله نفقة اهله بقدر غيبته لزمه الحج وظاهر هذا
انه اعتبر مال الحج فاضلا عن الخادم والمسكن لانه قدمه على نفقة اهله فكانه قال بعد هذا كله وقال اصحابنا يلزمه ان يبيع المسكن
والخادم ويكري مسكنا وخادما لاهله فاما اذا كان له بضاعة يتجر بها وربحها قدر كفايته وكفاية عياله على الدوام ومتى انفق من اصل
البضاعة اختل عليه ربحها ولم يكن ربحها قدر كفايته فهل يلزمه الحج من اصل البضاعة ام لا فيه وجهان احدهما لا يلزمه ذلك ويبقى
البضاعة على ما هي ولا يحج من اصلها لان الحج انما يجب عليه في الفاضل من كفايته وقال الآخرون يلزمه ان يحج من اصل البضاعة
وهو الصحيح وعليه الجمهور لانه لا خلاف انه لو كان صاحب عقار تكفيه غلته لزمه بيع اصل العقار في الحج وكذلك البضاعة

وكفاية

وجملة

وجملة ان فرض الحج يتعلق بما يتعلق به زكاة الفطر فما وجب بيعه في زكاة الفطر وجب بيعه في الحج وهذا القول في احد
وجهي الاستطاعة واما الوجه الآخر فهو ان يكون معضوبا لا يمكنه ان يثبت على الراحلة بحال او يكون نضو الخلقة ابدا او يكون
مريضا مرضا شديدا مزمنا وهذا لا يرجى برؤه او يكون شيخا ضعيفا ولكن يكون قادرا على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه فهذا
ايضا مستطيع استطاعة ما وهو على ضربين احدهما ان يكون قادرا على مال يستاجر به من يحج عنه فانه يلزمه الحج وهذا قول علي
بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لشيخ كبير لم يحج جهز رجلا يحج عنك واليه ذهب الشافعي والثوري وابو حنيفة
واصحابه وعبد الله بن المبارك واحمد واسحق والثاني ان يكون قادرا على من يبذل الطاعة له في النيابة فيحج عنه فهذا ايضا يلزمه
الحج عنه عند الشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الحج ببذل الطاعة بحال وقال مالك اذا كان
معضوبا سقط عنه فرض الحج اصلا سواء كان قادرا على من يحج عنه بالمال او بغير المال لانه لو كان عاجزا ولو وجب عليه الحج ثم عضب
او زمن سقط عنه فرض الحج ولا يجوز ان يحج عنه في حال الحياة بحال واحتج بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فاخبر انه ليس
للانسان الا ما سعى وقال انه ما سعى غيره فعلى هذا ظاهر الآية وبقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الحج
هو قصد البيت بنفسه ومن طريق الاعتبار انه غير متمكن من الحج بنفسه فوجب ان لا يلزمه الحج عن نفسه كما لو كان معضوبا لا مال له
ودليل الشافعي ما روى عن الزهري عن سليمان بن يسار عن ابن عباس ان امرأة من خثعم سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان فريضة الله في الحج على عباده ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة فهل يجزئ ان احج
عنه فقال نعم قالت هل ينفعه ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته اما كان يجزئ
عنه قالت بلى قال فدين الله احق فاوجب النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة ابنتها اياه وبذلها نفسها له بان تحج عنه فاذا وجب ذلك بطاعة
البنت له كان بان يجب عليه بقدرته على مال يستاجر به اولى فاما ان بذل له المال دون الطاعة فالصحيح انه لا يلزمه قبول
والحج به عن نفسه ولا يصير ببذل المال له مستطيعا فاما من به مرض يرجى زواله كالبرسام والحمى الشديدة فلا يجوز له ان يحج
عن نفسه لانه ليس بآيس عن الحج بنفسه فليس له ان يامر بالحج عنه كالصحيح وعكسه المعضوب وقال ابو حنيفة واصحابه
يجوز له ان يحج عن نفسه ولو حج عنه سقط عنه فرض الحج ومن استطاع بدل من الناس والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى
الله فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام من التوكيد والتشديد ما في قوله ولله على الناس حج البيت فانه حق واجب لله في رقاب الناس
لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته لان المعبود له عبيده هذه العبادة فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة
او لم يعرفوا ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية المراد
وتكرير له وذلك دليل على شدة العناية والثاني انه الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين
وذلك يدل على شدة الاهتمام ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل
على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وانه لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه
اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع
عبارة عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت
حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك
من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه وذلك
على ان الامر المطلق لا يقتضي الا مرة واحدة وقيل ومن كفر معناه ومن جحد وجوب الحج وقيل لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به اهل ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل
قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فانزل الله عز وجل ومن كفر وقيل ومن كفر بالبيت وقيل من كفر بهذه الآيات التي ذكرها الله
في قوله فيه آيات بينات وقيل من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج
لم يقبل الله له يوم القيامة عملا وعن عمر رضي الله عنه لقد هممت ان ابعث رجالا الى الامصار فينظرون الى من كان له مال ولم يحج
فيضربون عليه الجزية اعلم ان تكاليف الشرع في العبادات قسمان قسم اصله معقول وتفاصيله غير معقولة مثل الصلاة
فان اصلها تعظيم الله وهو معقول اما كيفية الصلاة فغير معقولة فكذلك الزكاة اخذها دفع لحاجة الفقير وكيفيتها
غير معقولة والصوم اصله معقول وهو قهر النفس وكيفيته غير معقولة اما الحج فهو سفر الى موضع معين على كيفية
مخصوصة فاصله غير معقول وكيفيته ايضا غير معقولة فقال المحققون ان الاتيان بهذا النوع من العبادات ادل على كمال
العبودية والخضوع والانقياد من الاتيان بالنوع الاول لان الآتي بالنوع الثاني فانه لا ياتي به الا لمجرد الانقياد والطاعة والعبودية
فلهذا اشتمل الامر بالحج في هذه الآية على الانواع المذكورة من التاكيدات قال اهل التحقيق لم يخاطب الله تعالى في شيء من العبادات
بان لله عليهم الا الحج وفي هذه الآية انه ليس من العبادات عبادة يشترك فيها المال والنفس الا الحج ومنها انه عبادة يكون
فيها التعب والنصب غالبا لله بل يكون عونا له في مباشرة تحملها يؤدي ما الله عليه في ذلك ومنها انه فيه اشارات الى
ما في القيامة من التجريد والوقوف وغيره كانه قيل الله عليك الحج ليتحقق لك الموقف الاكبر كما هيأت ظاهرك لهذا الموقف
وفي الحج اشارات حتى قيل انه جاء رجل الى الشبلي فقال له الى اين قال الى الحج قال الرجل فخرجت من عنده فلما رجعت قال الى حججت
قلت نعم قال لي اي شيء عملت قلت اغتسلت واحرمت وصليت ركعتين ولبيت فقال عقدت نية الحج قلت نعم قال لي اي شيء
عملت قلت اغتسلت واحرمت وصليت ركعتين ولبيت فقال عقدت بنية الحج قلت نعم قال فسخت بعقدك كل عقد عقدته

نعم قال

منذ خلقت مما يضاد هذا العقد قلت لا قال لما عقدت ثم قال نزعت ثيابك قلت نعم قال تجردت عن كل فعل فعلته قلت
لا قال فما نزعت ثم قال تطهرت قلت نعم قال أزلت عنك كل علة يطهرك قلت لا قال لما تطهرت ثم قال لبيت قلت نعم قال
ما لبيت ثم قال دخلت الحرم قلت نعم قال عهدت بدخولك تحريم ترك كل محرم قلت لا قال لما دخلت الحرم ثم قال اشرفت على [قلت نعم]
الحرم قال اشرف عليك نور من الله حال اشرافك على مكة قلت لا قال لما اشرفت على مكة ثم قال دخلت المسجد الحرام قلت نعم قال
في قربه من حيث علمه قلت لا قال لما دخلت المسجد الحرام ثم قال رأيت الكعبة قلت نعم قال ما رأيت ما قصدت له قلت لا قال
ما رأيت الكعبة ثم قال رملت ثلثا ومشيت اربعا قلت نعم قال هربت من الدنيا وما علمت انك قد قطعتها وانقطعت عنها
ووجدت بمشيك الاربع امنا مما هربت منه فازددت لله شكرا لذلك قلت لا قال لما طفت ثم قال لمست الحجر قلت
نعم قال ويلك ان من صافح الحجر فقد صافح الحق ومن صافح الحق فهو في محل الامن اظهر عليك اثر الامن قلت لا قال لما صافحت
الحجر ثم قال اصليت ركعتين بمقام قلت نعم قال وقفت الوقفة بين يدي الله واوقفت على مكانك من ذلك وادّيت قصدك
لا قال لما صليت ثم قال هل خرجت الى الصفا ووقفت بها قلت نعم قال فأيش عملت قلت كبرت عليها قال هل صفى سرك بصعودك
على الصفا وصغر في عينك الاكوان بتكبيرك ربك قلت لا قال لما صعدت ولا كبرت ثم قال هرولت في سعيك قلت نعم قال
هربت منه اليه قلت لا قال لما هرولت ولا سعيت ثم قال وقفت على المروة قلت نعم قال رأيت نزول السكينة عليك بوقوفك
على المروة قلت لا قال لم تقف على المروة ثم قال هل خرجت الى منى قلت نعم قال اعطيت ما تمنيت قلت لا قال لما خرجت الى منى
ثم قال دخلت مسجد الخيف قلت نعم قال هل تجدد عليك خوف بدخولك مسجد الخيف قلت لا قال لما دخلت ثم قال مضيت الى
عرفات قلت نعم قال هل عرفت الحال التي خلقت لها والحال التي تصير اليه وهل عرفت من ربك ما كنت منكرا له وهل تعرف الحق
الذي يبتني عليه معرفة الخواص قلت لا قال لما مضيت الى عرفات ثم قال انفرت الى المشعر الحرام قلت نعم قال هل ذكرت الله فيه ذكرا
انساك فيه ذكر ما سواه وهل شعرت بما اذا اجبت وبماذا احتجبت قلت لا قال لما نفرت الى المشعر الحرام ثم قال هل ذبحت قلت نعم
قال افنيت شهواتك وارادتك في رضاء الحق قلت لا قال لما ذبحت ثم قال هل رميت قلت نعم قال رميت جهلك منك بزيادة
علم ظهر عليك قلت لا قال لما رميت ثم قال هل زرت قلت نعم قال كوشفت عن شيء من الحقائق او رأيت شيئا من الكرامات عليك
بالزيارة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج والمعتمر زوار الله عز وجل وحق على المزور ان يكرم زواره قلت لا قال لما زرت ثم
قال هل احللت قلت نعم قال اعزمت على اكل الحلال قلت لا قال لما احللت ثم قال ودعت قلت نعم قال خرجت من نفسك وروحك
بالكلية قلت لا قال لما ودعت ولا حججت وعليك العود ان احببت واذا حججت فاجتهد ان تكون كما وصفت لك قوله تعالى
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ۝ لما اورد الله الدلائل على نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
مما ورد في التوراة والانجيل من البشارة بمقدمه ثم عقب ذلك بشبهات القوم فالشبهة الاولى فيما يتعلق بتحليل الطعام
والشبهة الثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها في الصلاة ووجوب حجها فاجاب عنها بقوله ان اول بيت وضع
للناس الآية فلما تمت وظيفة الاستدلال وكمل الجواب عن شبهات اصحاب الضلال فبعد ذلك خاطبهم بالكلام
اللين فقال لم تكفرون بآيات الله يعني بعد ظهور الآيات وسقوط الشبهات وهذا هو الغاية القصوى في ترتيب الكلام وحسن
نظمه والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجترئوا على الكفر قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها
عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ۝ ثم انه تعالى لما انكر عليهم في ضلالهم ذكر بعد ذلك الانكار عليهم
في اضلالهم لضعفة المسلمين فقال قل يا اهل الكتاب لم تصدون اي تصرفون عن دين الله من يريد صحته صدا وصدودا
امتداد كمعنى وصدهم عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وذلك بالقاء الشبهة
والشكوك في قلوب الضعفة من المسلمين وكانوا يفتنونهم ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه
قوله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة والعوج بالكسر الميل في الاستواء في الدين
والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار والحائط وكل شخص قائم قيل الاول فيما لا يرى والآخر فيما يرى وقوله تبغونها في
محل النصب على الحال والضمير المنصوب فيها عائد على السبيل قال صاحب الكشاف فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت
فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا
يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم
شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار ثم قال وما الله بغافل عما تعملون
وهذا تهديد كقول الرجل لعبده وقد انكر طريقته لا يخفى علي ما انت عليه ولست غافلا عن امرك وانما ختم الآية الاولى بقوله
والله شهيد على ما تعملون وهذه بهذا لانهم كانوا يظهرون الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما القاء الشبهة في قلوب
المؤمنين فكانوا يخفونه ويستعملون الحيل في ذلك فلا جرم قال فيما اظهروه والله شهيد وفيما اضمروه وما الله
بغافل عما تعملون وانما كرر في الآيتين قوله يا اهل الكتاب لان المقصود التوبيخ على الطف الوجوه وتكرير هذا الخطاب
اللطيف اقرب الى التلطف في صرفهم عن طريقتهم في الضلال والاضلال وادل على النصح لهم في الدين والاشفاق
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ۝ لما حذر
الفريقين من اهل الكتاب عن الاغواء والاضلال حذر المؤمنين عن ان يطيعوا فريقا من اهل الكتاب [illegible] ان شاس بن قيس اليهودي

وكان

وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فيه
فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر
شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قالوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت
فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا وتغاضبوا حتى تواثب
رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال احدهما للآخر ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا
قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي
كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا
الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم سامعين ومطيعين فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
اي الاوس والخزرج فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين قوله تعالى وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ۝ معنى الاستفهام فيه الانكار
والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظكم وينبهكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله اي يتمسك بدينه او
ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى صراط مستقيم لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا
فقد افلحت كان الهدى قد حصل ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده
والاعتصام في اللغة الاستمساك بالشيء واصله من العصمة والعصمة المنع والعاصم المانع واعتصم فلان بالشيء اذا امسك
به فمنع نفسه من الوقوع في آفة ومنه قوله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولما ذكر الوعيد اردفه بهذا الوعد قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ لما حذر المؤمنين في هذه الآيات من اتباع
الطاغوت ومعاقد الخزرج امرهم بتقوى الله وهو قوله اتقوا الله ثانيا بالاعتصام بحبل الله وهو قوله واذكروا نعمة الله عليكم
والسبب في هذا الترتيب ان فعل الانسان معلل اما بالرهبة او بالرغبة والرهبة مقدمة على الرغبة لان دفع الضرر مقدم على
جلب النفع فقوله اتقوا الله حق تقاته اي اتقوا عقاب الله ثم جعله سببا للامر بالتمسك بدين الله والاعتصام
بحبل الله ثم اردفه بالرغبة وهو قوله واذكروا نعمة الله عليكم فكأنه قال خوف عقاب الله يوجب ذلك وكثرة نعم الله عليكم
يوجب ذلك فلم يبق جهة من الجهات الموجبة للفعل الا وهي حاصلة في وجوب انقيادكم لامر الله ووجوب طاعتكم لحكم الله فظهر
بما ذكرنا ان الامور الثلثة المذكورة في هذه الآيات مرتبة على احسن الترتيب قيل كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية حتى
هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك رجلان ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة
من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح ومنا سعد بن معاذ
الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت
وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا فقال الخزرجي اما والله لو تأخر الاسلام
قليلا وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم لقتلنا ساداتكم واستعبدنا ابناءكم ونكحنا نساءكم من غير مهر وقال الاوسي
قد كان الاسلام مستأخرا كثيرا فهلا فعلتم ذلك فقد ضربناكم حتى ادخلناكم الديار وانشدا الاشعار وتفاخرا ونادى كل
الى الاوس والخزرجي الى الخزرج فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا فاتاهم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية
فقرأها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وقال يا معشر المسلمين
ما لي اوذى في اهل بيتي يعني عايشة رضي الله عنها في قضية الافك فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت
منه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك يا رسول الله ان كان من الاوس
ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن
احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله [illegible] لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس
والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ودعوا السلاح فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا فانزل الله يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم
يريد بالغ في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق تقاته ان يطاع فلا يعصى
وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر وقيل هو ان لا يعصى الله طرفة عين وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان يطيعه فيما يعبده به وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن
لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت
عليه في وقت الاتيان قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ۝
لما امر الله تعالى بالاتقاء عن المحظورات امرهم بالتمسك بالاصل لكل الخيرات والطاعات وهو الاعتصام بحبل الله واصل الحبل السبب

يوصل به الى البغية والحاجة وكل من يمشي على طريق دقيق يخاف من ان تزلق رجله فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك
الطريق امن الخوف ولا يخفى ان دقة الصراط المستقيم وتزلق رجل اكثر الناس فمن اعتصم بدين الحق فقد امن الخوف وقد اختلف
المفسرون في المراد من الحبل هاهنا فقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالحبل هاهنا عهد الله المذكور في قوله تعالى واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم وقال الا بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من الله فانما سمي العهد حبلا لانه يزيل الخوف عنه من الذهاب
الى موضع شاء فكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف وقيل الحبل القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين
لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذكر
الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس فيه الالسن ولا تشبع به العلماء من قال به صدق ومن عمل به
رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم وقيل الحبل هو طاعة الله وقيل الجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون
في الطاعة والجماعة خير مما تحبون في الفرقة شاهده انه تعالى ذكر عقيبه ولا تفرقوا وقيل اخلاص التوحيد وقيل الاسلام وهذه
الاقوال متقاربة على جميعها يجوز ان تكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل
وثيق يأمن انقطاعه فيكون تشبيها مجموع بمجموع فيكون تمثيلا ويجوز ان يكون الحبل استعارة لعهده او دينه او غيرهما مما ذكر
والاعتصام استعارة لوثوقه بالعهد او غيره مما ذكر او يكون الاعتصام ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى على الوجه
الاول اي التمثيل واجتمعوا على استظهار ذكر واستعانتكم به بوثوقكم بحمايته ولا تفرقوا عنه والمعنى على الوجه الثاني اي الاستعارة
واجتمعوا على التمسك بعهد الله او دينه وهو الايمان والطاعة او كتابه او بغيره مما ذكر ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كما اختلف اليهود والنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحدة
فقيل يا رسول الله ومن هم فقبض على يده وقال الجماعة ثم قرأ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق من المعاداة والمخاصمة ومما يزول معه الاجتماع
والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
اضافة النعمة الى الله تفيد انه نعمة عظيمة على سبيل الاجمال ثم بين تفصيلها بقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا فانه اشارة الى عظمة نعمته في الدنيا فانه كان في الجاهلية بينهم العداوات والاحن والحروب المتواصلة فالف الله
بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على كلمة واحدة قد نظم
بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه نعمة الله
عليكم في الدنيا وهي عظيمة فان تأليف القلوب وحصول الاخوة بينهم نعمة عظيمة وحصولها بعد العداوة والاحن والمحاربة
اعظم وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اشارة الى عظم نعمته في الآخرة فان الانقاذ من النار نعمة عظيمة
والانقاذ هو التخليص كانوا على شفا حفرة منها اعظم شفا الحفرة وشفتها طرفها وحرفها يذكر ويؤنث ولامها واو والالف في الشفا
في المذكر مقلوبة نحو المؤنث محذوفة ونحوه الشفاه والشفة الجانبة والمعنى وكنتم مشفين مشرفين على ان تقعوا في نار
جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع
في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك التمثيل ذلك البيان البليغ يبين لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى
قال الجبائي الآية تدل على انه تعالى يريد منهم الاهتداء اجيب بان الفعل لتكون على رجاء هدايته قال الامام وهو ضعيف لانه
يلزم انه يريد الله منهم ذلك الترجي [illegible] انما تدل لا يريد ذلك الرجاء والحق انها كلمة لعل للترجي والله
انما فعلنا فعل من يترجى قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك هم المفلحون ● انه تعالى في الآيات المتقدمات خاطب اهل الكتاب بالكفر فقال
يا اهل الكتاب لم تكفرون ووبخهم على سعيهم في القاء الغير في الكفر وصدهم عن سبيل الله من آمن فانتقل الى مخاطبة
المؤمنين فامرهم اولا بالتقوى والثبات على الاسلام فقال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا
بحبل الله ثم امرهم بالسعي في ايصال الخير الى الغير والطاعة والايمان فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهذا هو الترتيب البليغ المطابق
للعقل قوله ولتكن امر للايجاب ومن في قوله منكم للتبعيض وامة اسم تكن والمعنى اوجب الله على جماعة منكم الدعوة
الى الخير فعلم من هذا ان الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولا تتم الدعوة الى الخير والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالعلم بكيفيتها وشرائطها فانه لا يصلح لها الا من علم الخير والمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامتها وكيف يباشرها فان الجاهل ربما امر فيها ودعا الى غير الخير وامر بغير المعروف ونهى عن غير المنكر او عرف مذهبه وجهل
مذهب صاحبه فامره بما ليس بمعروف في مذهب صاحبه او نهاه عما ليس بمنكر في مذهبه وربما تغلظ في موضع اللين ولين
في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر واصحاب المكس
والجلادين واضرابهم وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون العلم بها ايضا من فروض الكفايات وفي قوله منكم امة دليل على
ان الامر على فرض الكفاية على البعض منهم وعلى لحوق الاثم بترك الكل وقيل من للتبيين والمعنى كونوا امة تدعون الى الخير وتأمرون
بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف فانه لا مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اما الدعوة الى الخير اي الاسلام فافضلها الدعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات شاهده قوله تعالى ادع الى

بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وقيل الدعوة
الى الخير جنس تحتها نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والتنفير عن فعل ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس
اولا ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان قوله تعالى واولئك هم المفلحون قيل ان الفاسق ليس له الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان
الآية تدل على ان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المفلحين والفاسق ليس من المفلحين اجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب
فان الظاهر ان من امر بالمعروف ونهى عن المنكر لم يشرع الا بعد اصلاح نفسه لان العاقل يقدم مهمه على مهم الغير وقال العلماء
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه وجب عليه الاتيان بالمعروف والانتهاء عن المنكر فترك احد الواجبين لا يقتضي ترك الآخر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه قوله
تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله هم فيها خالدون ● قيل انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة انه ذكر في التوراة ما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فاحتال اليهود في القاء الشكوك والشبهات في تلك النصوص لظاهرهم ثم انه تعالى امر المؤمنين بالايمان بالله والدعوة الى
ثم ختم ذلك بان حذر المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في نصوص القرآن واستخراج التأويلات
الفاسدة لها فقال ولا تكونوا ايها المؤمنون عند سماع هذه البينات كالذين تفرقوا واختلفوا من اهل الكتاب من بعد
ما جاءهم التوراة وقيل لما امر جماعة من المؤمنين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية المتقدمة نهى
جميعهم عن ان يكونوا مثل الذين اوتوا الكتاب الذين تفرقوا اي الذين تفرقوا واختلفوا اهل اليهود والنصارى فانهم تفرقوا في الحق
بسبب اتباع الهوى وطاعة النفس والحسد كابليس وقيل تفرقوا حتى صار كل فرقة منهم مصدقا من الانبياء بعضا دون بعض
وصاروا بذلك الى العداوة وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمرجئة والحشوية والقدرية واشباههم وقيل تفرقوا
واختلفوا معناهما واحد ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين وقيل تفرقوا بسبب استخراج التأويلات الفاسدة
لتلك النصوص ثم اختلفوا بان حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه وقيل تفرقوا بابدانهم بان صار كل واحد من اولئك الاحبار
رئيسا في بلد ثم اختلفوا بان صار كل واحد منهم يدعي انه على الحق وان صاحبه على الباطل قال الامام اقول انك اذا انصفت علمت
ان اكثر علماء هذا الزمان موصوفون بهذه الصفة نسأل الله العفو والرحمة وقوله من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق
كلمة واحدة في الحق واولئك يعني الذين تفرقوا واختلفوا لهم عذاب عظيم في الآخرة بسبب تفرقهم فكان ذلك زجرا للمؤمنين
عن التفرق قوله تعالى يوم تبيض لما امر المؤمنين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونهاهم عن ان يكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واخبر بان اولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات لهم عذاب عظيم
عقبه بذكر حال الممتثلين لامر الله المجتنبين من التفرق والاختلاف والمتفرقين والمختلفين المخالفين لامر الله المرتكبين لما نهى
الله عنه يوم القيامة فقال يوم تبيض وجوه يوم منصوب على الظرف والعامل فيه ما تعلق به لهم في قوله تعالى لهم عذاب عظيم اي لهم عذاب عظيم
في يوم تبيض وجوه وقيل منصوب باضمار اذكروا اي يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تسود وجوه المنافقين
وتسود وجوه اهل البدعة والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه
وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده
واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب وقيل البياض الفرح والسواد الغم وهذا كقوله تعالى وجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة فجعل الله الغبرة والقترة في مقابلة الضحك والاستبشار فيكون المراد بالغبرة والقترة الغم
والحزن والانسب ذكرهما في مقابلة الضحك والاستبشار لاهل الحقائق يوم تبيض وجوه بالشهادة وتسود وجوه باحتجابهم
من مولاهم وقيل تبيض وجوه بالشهادة وتسود وجوه بالفرار من الزحف وقيل تبيض وجوه بالقناعة وتسود وجوه بالطمع
قوله فاما الذين اسودت وجوههم جواب محذوف اي فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب
من حالهم قيل الذين اسودت وجوههم كل من كفر بعد ايمانه بالله يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب آدم وقال لهم الست بربكم قالوا بلى
فيعيرهم الله تعالى بكفرهم يوم القيامة فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق وقيل هم المنافقون اعطوا كلمة الايمان بالسنتهم
وانكروها بقلوبهم وقيل هم قوم من اهل الكتاب مصدقين بانبيائهم مصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
فلما بعث كفروا به فذلك قوله اكفرتم بعد ايمانكم وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وقيل هم الخوارج ودليل
هذا التأويل قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون ذكر ذلك ليشمل الوعيد لمن كفر بعد ايمانه ولمن كان كافرا اصليا قوله واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم
فيها خالدون هؤلاء اهل الطاعة والوفاء بعهد الله ففي رحمة الله اي في نعمة الله وهي الثواب المخلد قوله هم فيها خالدون
كأنه قيل كيف يكونون في رحمة الله فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وانما ابتدأ بقوله يوم تبيض وجوه ثم
بقوله واما الذين ابيضت وجوههم لان عادة القرآن الافتتاح باهل الخير والختم عليهم قوله تعالى تلك آيات الله
نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور ● تلك
اشارة الى آيات الله الواردة في الامر والنهي والوعد والوعيد المتضمنة لتعذيب الكفار وتنعيم المؤمنين نتلوها اي
نقصها عليك متلبسا بالحق والعدل من جزاء المحسنين على سبيل التفضل وجزاء المسيء على سبيل العدل من جزاء المحسنين على
سبيل التفضل وجزاء المسيء على سبيل العدل وقيل معناه نتلوها عليك متضمنة للاخبار التي هي حق لكونه من الموحي الحق

وتعذيبا لكافر الحي وما الله يريد ظلما فلا يتفضل على المحسن وينقص من ثوابه الموعود ولا يأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم على ما هو مقتضى عدله ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فان العالم على احسن النظام قائم بعدله اذا لم يرد ظلما لاحد من العالمين لم يقع لان كل ما وقع بارادته تعالى فسبحان من يعلم عمن يعتقد ان يقع شئ في الوجود بدون ارادته وتصور ان يقبح شئ بالنسبة الى الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا او لأن العقول البشرية محجوبة وتوقف فان ذلك الوجه الذي به خص الله تعالى طائفة بعمل يرحمهم به ويدخلهم الجنة واخرى بعمل يعذبهم عليه ويدخلهم النار لما ذكر الحجة القاطعة فان جميع المخلوقات ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال ولله ما في السموات وما في الارض ذكر ما دون من حيث جمل واجناس والى الله ترجع الامور اعاد ذكره في الآيتين لاجل تفخيم الكلام والتنبيه على عظم المعنى قيل لما كان لكل من الآيتين واحد جملتين مستقلتين متفرقتين في المعنى حسن اظهار الاسم فيهما فانه اذا تكرر في جمل كثيرة على هذا الحد حسن فيها كلها اظهار الاسم وليس للتعويض بالضمير في ذلك بعرف ولما كان المخلوقات منه تبدأ واليه تعود قال ولله ما في السموات وما في الارض اشارة الى انه تعالى هو الاول والى الله ترجع الامور اشارة الى انه هو الآخر وذلك يدل على احاطة علمه وحكمه وتصرفه وتدبيره باولهم وآخرهم فان الاسباب والمسببات منتسبة اليه وان الحاجة منتهية قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ● قيل لما امر الله المؤمنين ببعض الاشياء ونهاهم عن بعضها وحذرهم ان يكونوا مثل اهل الكتاب في التمرد والعصيان وجحود الحق وذكر عقيبه ثواب المطيعين وعقاب الكافرين وكان المقصود من كل هذه الامور حمل المؤمنين والمكلفين على الانقياد والطاعة ومنعهم من التمرد والمعصية اردف ذلك بطريق آخر يقتضي حمل المؤمنين على الانقياد والطاعة فقال كنتم خير امة والمعنى انكم كنتم في اللوح المحفوظ خير امة وافضلهم فلا ينبغي ان لا تبطلوا على انفسكم هذه الفضيلة وان تكونوا منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكليف قيل نزلت هذه الآية في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله تعالى هذه الآية قوله كنتم خير امة قيل كان ههنا زائدة والمعنى انتم خير امة وذكر كان للتأكيد ورد بان كان تلغى متوسطا او مؤخرا ولا تلغى متقدما تقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان على انه ملغاة ولا تقول كان عبد الله قائما على الغائها لانها اذا تقدمت ادت بنا ما يشعر في العناية اليه والملغى لا يكون في محل العناية وقيل كان ههنا بمعنى صار اي صرتم خير امة اخرجت للناس بسبب كونكم آمرين بالمعروف وقيل كان ههنا تامة بمعنى الوقوع والحدوث وهو لا يحتاج الى خبر والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم ووقعتم خير امة منصوب على الحال وقيل كان ههنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى ... وقيل كنتم منذ آمنتم خير امة والتقدير ان يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير امة فاستحققتم ما انتم فيه من الجنة بسببه قيل هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل هم اصحاب النبي خاصة والكلام عام في كل الامة فان ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل اخرجت اظهرت قوله للناس متعلق بقوله اخرجت ومعناه ما اخرجت للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم فهم خير امة اخرجت للناس وقيل للناس متعلق بقوله كنتم والتقدير كنتم للناس خير امة اخرجت قوله تأمرون بالمعروف كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم فانه تبيان الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فهنا حكم بثبوت وصف الخيرية ثم ذكر عقيب هذا الحكم وصف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدل على ان كونهم خير امة معلل بالاوصاف المذكورة قوله وتؤمنون بالله يتحمل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث وحساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله شاهده قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما رضوا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع عوامهم ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا وعار دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى لن يضروكم ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك فان قيل الوصف انما يذكر للمبالغة فاي مبالغة تحصل في وصف الكافر بانه فاسق اجيب بان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه فيكون مردودا عند الطوائف لان المسلمين لا يقبلونه لكفره والكفار لا يقبلونه لكونه فاسقا في دينهم فكانه قيل اهل الكتاب فريقان منهم من آمن واكثرهم ما آمنوا فهم الفاسقون في دينهم فليس امرهم بحسب اقتدائهم البينة عند احد من العقلاء وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن آمن منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون بان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام بهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل ثم لا ينصرون عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون والجزم لو يعدل عن حكم الجزاء لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم مثل تولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولين

منتف

منتف عنهم النصر والقوة [illegible]

قوله تعالى ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ● ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين اينما ثقفوا اينما وجدوا ولقوا قوله بحبل من الله اي بعهد من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال يعني لا عز لهم وهو حصن ولجأ ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم او تمسكهم والتباسهم بحبل من الله وحبل من الناس يعني بعهد الله وذمته اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى العهد والذمة لما قبلوه من الجزية وعطف حبل من الناس على حبل من الله يقتضي تغايرهما فالاول العهد الذي نص الله عليه وهو اعطاء الجزية والثاني هو الذي فوض الى راي الامام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قوله ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب من الله اي ذلك كائن بكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال ذلك بما عصوا اي كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق كائن بسبب عصيانهم وتوغلهم في العصيان لما امر الله به ونهي عنه فكانت ظلمات المعاصي تتزايد حالا فحالا ونور الايمان يضعف حالا فحالا ولم يزل كذلك الى ان بطل نور الايمان وحصلت ظلمة الكفر واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فقوله ذلك اشارة الى السبب ولهذا قال الائمة للعامل الكامل من ابتلي بترك الاداب وقع في ترك السنن ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفرائض ومن ابتلي بترك الفرائض وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلي بذلك وقع في الكفر قال صاحب الكشاف ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم الله واعتدائهم حدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاقهم سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحو ما خطيئاتهم اغرقوا اي ان خدمهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل قوله ليسوا سواء الضمير في ليسوا لاهل الكتاب في ليسوا اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تعالى تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا كعبد الله بن سلام واصحابه قوله يتلون آيات الله قيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لان تلاوة القرآن مع السجود ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم آناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معى وامعاء قال الشاعر

حلو ومر كعطف القدح شيمته في كل ان قضاه الليل ينتعل

اي في ساعات الليل وقال الزجاج ان واحده انى مثل نحى وانحاء قال الزجاج مثل قيل آناء الليل جوفه وهم يسجدون اي يصلون لان التلاوة لا تكون في الركوع والسجود نظيره قوله تعالى وله يسجدون اي يصلون واختلفوا في نزول هذه الآية ومعناها قيل هو قيام الليل وقيل صلاة العشاء روي عن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لقوله امة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله آناء الليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاخراجهم بدعوتهم وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا من الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم وعن الحسن هم انبياؤها الصالحين المسلمين قيل في الآية اختصار وحذف تقديره ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة واخرى غير قائمة فترك ذكر الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين على طريقة العرب من ذكر احد الضدين والاكتفاء عن ذكر الضد الآخر وتحقيقه من حيث ان الضدين يعلمان معا فذكر احدهما يستقل بافادة العلم بهما فيغني عن ذكر الآخر وقال ابو ذويب

دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها

اي ام غي فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين ● لما ذكر الصفات التي هي صفة

لتلك الأمة من أهل الكتاب ذكر قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه الكسائي وحفص بالياء فيهما على المغايبة إخبارا
عن الأمة القائمة لأن الكلام متصل بما قبله من ذكرهم والباقون بالتاء فيهما على الخطاب لقوله كنتم خير أمة ومعنى الآية وما
تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه ولن يجحد جزاؤه بل يشكر لكم لما جاء وصف الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى
توفية الثواب نفي عنه نقيض الشكر وهو الكفران وإنما عدي إلى مفعولين لأنه ضمن معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا
جزاءه والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا المتقون من الشرك قوله تعالى إن الذين
كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● قيل لما ذكر الله مؤمني أهل
الكتاب ذكر كفارهم وقيل لما ذكر في هذه الآيات مرة أحوال الكافرين في كيفية العقاب وأخرى أحوال المؤمنين في الثواب جامعا
بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فلما وصف مؤمني الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة أتبعه بوعيد الكفار وقيل أريد
بالذين كفروا بنو قريظة والنضير فإن رؤساء اليهود مقصودهم في معاندة الرسول المال شاهده قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي
ثمنا قليلا وقيل أريد بهم مشركو قريش فإن أبا جهل وأصحابه كانوا كثيرا الافتخار بالمال وقيل نزلت الآية في أبي سفيان فإنه أنفق
مالا كثيرا على المشركين يوم بدر وأحد في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الآية عامة في حق جميع الكفار وذلك لأنهم
كانوا يتعززون بكثرة الأموال وكانوا يعيرون الرسول وأصحابه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه في هذا الفقر والشدة
ولأن اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب إجراؤه على عمومه وللأول أن يقول إن الله تعالى قال عقيب هذه الآية مثل ما ينفقون
الضمير في قوله ينفقون عائد إلى الذين كفروا في هذه الآية وقوله ينفقون مخصوص ببعض الكفار فوجب أن يكون هذا مخصوصا
وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن أنفع الجمادات هو الأموال وأنفع الحيوانات هو الولد فإذا لم ينفعا الكافر في الآخرة
لم ينفع غيرهما بطريق الأولى قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا
أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ● لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئا ثم إنهم ربما أنفقوا
أموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك أزال الله هذه الشبهة بهذه الآية والمثل الشبه الذي يصير كالعلم
للثوب لكثرة استعماله فيما يشبه به والمقصود أن كفرهم يبطل ثواب إنفاقهم كما أن الريح الباردة تهلك الزرع والصر الريح الباردة
قال الشاعر لا تعدلن أتاويين تضربهم * نكباء صر بأصحاب المحلات * كما قالت ليلى الأخيلية ولم تغلب
الخصم الألد ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر لا تعدلن لا تسوين الأتاوي الغريب البعيد الدار والنكباء الريح التي
تنكب عن مهاب الريح والصر الريح الباردة والمحلات المواعين الفأس والقدر والدلو وغيرها يقول لا تسوين الغرباء
الفقراء الذين لا منزل لهم ولا ديار ونكبتهم من البرد والرياح بأصحاب الديار والمنازل والأثاث والبيت الأخرى ترثي ليلى
والألد شديد الخصومة والجفان جمع الجفنة وهي القصعة والسديف قطع السنام وتعدد مناقبه في النسبة وقيل الصر
في صفة الريح بمعنى الباردة توصف بها القرة أي البرد على معنى ريح فيها قرة صر كما يقال فيها برد بارد على المبالغة
وقيل الصر مصدر في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والمعنى ريح فيها برد وقيل في زائدة والمعنى ريح باردة وتكون
زيادة في الريح كزيادتها في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي لكم رسول الله أسوة حسنة وفي قولك
فلان في الله كاف وكافل أي الله كاف وكافل والحق في الرحمن للضعفاء كاف أي الرحمن للضعفاء كاف قيل شبه الله ما ينفقون
من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد أي
أهلكه واستأصله فذهب حطاما مكسورا من البرد وقيل شبه الله ما ينفقون من أموالهم في القربة التي يتقربون به
إلى الله مع كفرهم بالزرع المذكور وقيل شبه الله ما ينفقون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم
لأنهم لم يبلغوا بإنفاقها المقصود الذي أنفقوه لأجله والضياع يترتب على القولين الأخيرين لا الأول لما كان يحصل
لهم من حسن الثناء والوجه هو القول الأول وهو أن يكون في المكارم لا ينفق لها في هذه الحياة الحقيرة القليلة التي ينبغي أن
يكون في مرضاة الله وكذلك خاب سعيهم وبطل عملهم ولما كان إنفاقهم في هذه الحياة الدنيا فيه شيوع يحتمل الكل
تلك الأموال الثلاثة والأصوب أن يحمل على الجميع لعدم التعرض للمنفق فيه فحينئذ يكون من قبيل اختصار اللفظ لإفادة
زيادة المعنى وتشبيه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ قال صاحب
الكشاف فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه على القولين الأخيرين بالحرث الذي
ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث مثل ما ينفقون بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله تعالى
كمثل الذي استوقد نارا وهو أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد
وإنما شبهت قصتهم بقصته وكذلك ها هنا لم يشبه النفقة بالريح وإنما شبهت حال نفقتهم في قلة جدواها
وضياعها بالحرث الذي ضربته الصر فأهلكته ويجوز أن يكون من التشبيه المركب العقلي الذي يوجد فيه التركيب والخلاصة
من المجموع فيراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك الريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث قيل ويجوز أن يكون
من التشبيه المفرق الذي يتكلف لكل واحد من المشبه به شيء يقدر شبهه في المشبه فشبه إهلاك الله بإهلاك الريح
وما ينفقون بالحرث وما غضب الله من حبط أعمال المرائين هنا منشورا بالريح الباردة من حس الزرع وجعله حطاما
قال صاحب الانتصاف وفي لفظ السؤال الذي ذكره صاحب الكشاف سوء أدب وهو أن الكلام غير مطابق للغرض وكان
أدنيا لما وجه مطابقته ولو ورد هذا اللفظ على إمام معتبر بحضرته لتلطف في إيراده مع أنه قد يكون ذلك الأمر
محققا لاختلاف عنه فلم لا يتأدب مع العالم بالسر والأخفى وكلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم

جوابه الثاني بأن السؤال باق على تقدير إهلاك ما ينفقون إذ لا يشبه المصدر بالاسم الذي هو الريح المهلكة وتقديره
والله أعلم مثل ما ينفقون في هذه الحياة كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح فيها صر فأهلكته لكن حذف ذلك
لغاية جلية وهي تقديم الأهم وهي الريح التي هي مثل العذاب تهديدا واعتمادا على الأفهام الفصيحة قيل إنما أخذته وأصله
في اللفظ المؤذن بسوء الأدب فليس بذاك لأن مراده من سوء الأدب أن كلام الله فيه مطابق للغرض الذي ذكره وهو قوله تشبيه ما كانوا
ينفقون من أموالهم في المكارم بزرع حسه البرد فالإنكار متوجه على نفسه وأما قوله إذ لا يشبه المصدر بالاسم الذي هو
الريح خطأ فإنه قصد المضاف في الطرفين لأنه قال مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح وأما أنه ما استنبط من الوجه
فيحول قول صاحب الكشاف فتشبيه ما كانوا ينفقون بالزرع الذي حسه البرد والسؤال لا يدل على تصحيح ذلك المعنى قوله وما ظلمهم
الله الضمير على معنى وما ظلمهم الله بأن لا يقبل نفقاتهم ولكن ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول ويجوز أن
يكون الضمير لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلم الله أصحاب الحرث بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي
فأهلكته الريح وفائدة تقديم المفعول للاختصاص قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم
أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم
إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط ● قيل الذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم اليهود لأن المسلمين كانوا يشاورونهم
في أمورهم ويؤانسونهم لما كان بينهم من الرضاع والحلف ظنا منهم أنهم وإن خالفوهم في الدين ينصحون لهم في أسباب
المعاش فنهاهم الله تعالى عنه بهذه الآية وحجة هذا القائل أن هذه الآيات من أولها إلى آخرها مخاطبة مع اليهود فتكون هذه الآيات أيضا كذلك وقيل هم المنافقون لأن المؤمنين
كانوا يغترون بظاهر أقوال المنافقين ويظنون أنهم صادقون فيفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فالله
منعهم من ذلك شاهده قوله بطانة من دونكم منع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا لهم عن اتخاذ
جميع الكفار بطانة ويجوز أن يكون سبب النزول خاصا والحكم عاما وخصوص آخر الآية لا يمنع عموم أولها وبطانة الرجل
خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره أي بحاجاته وأموره الأصيقة بالقلب المهمة عن الأصمعي بطن فلان
بفلان يبطن به بطونا وبطانة إذا كان خاصا به داخلا في أمره وهي مصدر يسمى به الواحد والجمع شبهه ببطانة الثوب كما يقال
فلان شعاري وهو ما يلي الجسد من الثياب لما استتر الشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار وهو
ما كان من الثياب فوق الشعار من دونكم من دون المسلمين ومن غير أهل ملتكم ويجوز أن يتعلق بلا تتخذوا فيكون مفعولا
وبطانة على الوصف أو بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى
إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد
والشر والضرر والمعنى لا يمنعونكم فسادا وشرا والمعنى لا يقصرون جهدهم في مضرتكم وفسادكم وقيل معناه لا يتفوتون
في لقائكم في ضركم وخبالا تمييز أو حال ودوا ما عنتم ما مصدرية والمعنى ودوا عنتكم وهو دخول المشقة على الإنسان
ووقوعه فيما يعسر الخروج منه وقيل تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وأصل العنت شدة الضرر والمشقة
وأصله انهياض العظم بعد جبره قد بدت البغضاء من أفواههم تدل من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم
أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقيل قد بدت البغضاء من أفواههم لأوليائهم
من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما تخفي صدورهم من العداوة والخيانة أكثر مما ظهر قد بينا لكم
الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به
والجمل الثلاث أي لا يألونكم وودوا وقد بدت البغضاء مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كأنه قيل
لا تتخذوهم بطانة فقال لأنهم لا يقصرون في إفساد أمركم فقيل لم لا يفعلون ذلك فقال لأنهم يودون عنتكم فقيل لم يودون
عنتنا فقيل لأنهم يبغضونكم ولما كان كل من ذلك مترتبا على الآخر صح أن يقال مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم
بطانة قيل والأولى أن يجعل الكل جوابا عن السؤال عن النهي ويكون كل واحدة منها علة مستقلة في المنع من اتخاذ البطانة
وترك العطف ليدل على استقلال كل واحد ولو عطف لتوهم أن الجميع علة واحدة قيل يجوز أن يكون الجملة صفات البطانة
كأنه قيل بطانة غير آلينكم خبالا أي وادين عنتكم بادية بغضاؤهم وقيل ويجوز أن يكون ودوا حالا من الضمير الذي هو المفعول في
لا يألونكم وقد معها مقدرة وأما قد بينا فكلام مبتدأ وكلمة ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة
منافقي أهل الكتاب تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول بمعنى الذين
تحبونهم صلته كأنه قيل ها أنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم أي تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء وهم يريدون لكم
على الكفر وهو الهلاك وشر الأشياء والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون
بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وقيل يراد بالكتاب الجنس أي
الذي أنزل على محمد والذي أنزل على عيسى والذي أنزل على موسى وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم
قوله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض ظهر واشتد العداوة واشتد الغيظ على المؤمنين حتى يبلغ ذلك
إلى عض الأنامل كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوت مطلوبه ولما كثر هذا الفعل من الغضبان صار
كناية عن الغضب حتى يقال في الغضبان إنه يعض يده وإن لم يكن هناك عض ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان

قال الحرث المري   فاقتل اقواما لئاما اذلة   يعضون من غيظ رؤس الاباهم   وانما حصل لهم هذا الغيظ الشديد
لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به
والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي ان الله عليم
بذات الصدور من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض قيل هو كلام داخل في جملة المقول
والمعنى اخبرهم بما يسرّونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرّونه بينكم وهو مضمرات الصدور
فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه وقيل هو كلام خارج من جملة المقول والمعنى قل لهم موتوا بغيظكم ولا تتعجب من اطلاعي
اياك على ما يسرّون فاني عليم بما هو اخفى مما يسرّونه بينهم وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويحتمل ان لا
يكون ثمة قول بان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا للرسول صلى الله عليه وسلم بتطييب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله
ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك قوله ان تمسسكم حسنة من تمام وصف المنافقين
الحسنة الرخاء والخصب والغنيمة ونحوها من المنافع تسؤهم اي تحزنهم يقال ساءه كذا احزنه يسوءه مساءة والسيئة
ضد الحسنة وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة والمس
مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا يدل على ذلك قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة وقوله
تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وانما
ذكر في الاول المس وفي الآخر الاصابة افتنانا في الكلام لانه افصح واحسن وقيل ذكر المس في الحسنة ليبين انه بادنى وصول
الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين فذكر الاصابة في السيئة وهي عبارة عن التمكن لان الشيء المصيب
متمكن منه او فيه وهذا يدل على شدة العداوة والبغضاء قوله وان تصبروا على ما تسمعون من اذاهم وتتقوا موالاتهم
في دينهم والمحبة لهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله لا يضركم
قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره ضيرا اذا اضره والباقون بضم
الضاد والراء المشددة من ضره يضره واصله يضرركم فادغمت الراء في الراء ونقلت ضمة الراء للادغام الى الضاد
نحو مد يا هذا والكيد هو ان يحتال الانسان ليوقع غيره في مكروه وعن ابن عباس انه فسر الكيد هاهنا بالعداوة وشيئا نصب
على المصدر اي شيئا من الضرر اي ضررا ما قيل ضمن الله تعالى للمؤمنين النصر ان صبروا واعلمهم ان عداوتهم وكيدهم
وكيدهم غير ضار لهم وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان
تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط عالم به لا يخفى عليه شيء منه

قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● لما قال وان تصبروا وتتقوا لا يضركم اتبعه بما يدلهم على سنة الله فيهم
في باب النصرة والمعونة ودفع مضار العدو اذا هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك اذا لم يصبروا واذ كان غدوت من اهلك
بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر موضع وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين
وقال آخرون يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت
في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فافعلوا فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا وقد لبس لامته ندموا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي
لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف
من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله
في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا اي ادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا
من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا
من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف رأي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصاني
ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا
فيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بالمنافقين وكان جملة عسكر المسلمين
الفا فانهزم عبد الله بن ابي بقيت سبعمائة ثم قواهم الله تعالى حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون وكان الله
تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين فاراد الله ان يفطمهم من هذا الفعل لئلا يقدموا على مخالفة
الرسول صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم انما يحصل ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركوها لم يبق الله مع عدوهم الخوف
لهم فنزع الله الرعب عن قلوب المشركين فكروا عليهم المشركون وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى اذ تصعدون
ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه

ولم يبق

ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قد قتل وكان رجل يكنى بابي سفيان
من الانصار نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثر فيهم الجراح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على المشركين بمن معه حتى كشفهم عن القتلى والجرحى والمقصود
من القصة ان الكفار كانوا ثلاثة آلاف والمسلمون كانوا الفا او اقل ثم رجع عبد الله بن ابي مع ثلثمائة من اصحابه فبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع سبعمائة فاعانهم الله حتى هزموا الكفار ثم لما خالفوا امر رسول الله واشتغلوا بطلب الغنائم
انقلب الامر عليهم فانهزموا ووقع ما وقع وكل ذلك يؤكد قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وان القبول من
اعانه الله وان المدبر من خذله الله قوله تبوئ المؤمنين تنزلهم مقاعد مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار
استعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم قوله اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم طائفتان حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من العسكر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون
في ثلثة الاف ووعدهم الله الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ان الله تعالى ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا يجوز لنا ان نهتك
ذلك الستر والفشل الجبن والخور فان قيل الهم بالشيء هو العزم فالطائفتان عزمتا على الفشل وهو معصية فكيف قال والله وليهما
اجيب بان الظاهر انما كانت الا همة وحديث نفس وما كانت الا ما لا تخلو النفس عنه عند الشدة من بعض الهلع اي الجزع
ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه واعتبه من هذا الجنس من الانسان يصح ان يقال انهم همت بالفشل
من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف القلب لا يكون معصية فيكون صغيرة ويجوز ان يكون وليا لله ولاصحاب الصغيرة وقيل ان ذلك الهم
حديث النفس لا العزيمة لانها لو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما معناه والله ناصرهما ومتولي
امرهما فما بالهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا وقيل ان ذلك
الهم ما اخرجهما عن ولاية الله قال صاحب الكشاف ما معنى ما نقل عن بعضهم عند نزول هذه الآية والله ما يسرنا انا لم نهم
بما هممنا به وقد اخبر الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة
بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
التوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفي الآية اشارة الى انه ينبغي ان يدفع الانسان ما يعرض
من مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم ظالمون ● لما ذكر الله قصة احد اتبعها بقصة بدر وذلك ان المسلمين يوم احد كانوا في غاية الشدة
والقوة ثم انه تعالى سلط المشركين على المسلمين ويوم بدر كانوا في غاية الضعف والقلة ثم انه تعالى سلطهم على المشركين فصار ذلك
من اقوى الدلائل على ان العاقل يجب ان لا يتوسل الى تحصيل غرضه ومطلوبه الا بالتوكل على الله والاستعانة به والمقصود بذكر
هذه القصة تاكيد قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وتاكيد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقيل انه تعالى حكى
عن الطائفتين انهما همتا بالفشل ثم قال والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي من كان الله ناصره ومعينه كيف يليق
به الفشل والجبن والضعف ثم اكد ذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا في غاية الضعف ولكن لما كان الله ناصرا لهم فازوا بمطلوبهم وقهروا
خصومهم وقيل امرهم ان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر الله لهم من الفتح يوم
بدر وهم في حالة قلة وذلة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به والاذلة جمع قلة جاء بجمع القلة ليدل على انهم
على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب
النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد للمقداد بن الاسود وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الشكة اي السلاح والشوكة اي شدة الباس والحد في السلاح قوله وانتم
اذلة في موضع الحال فاتقوا الله في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم الله به عليكم من
نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان تقول لهم
ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا واخذوا الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة عليهم ولو صبروا على ما شرط عليهم لنزلت كما قال تعالى ولقد نصركم الله
الى قوله تشكرون اعتراضا بين الكلام جميلا والنص ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش ويوم بدر يوم سبعة عشر من رمضان
يوم جمعة لثمانية عشر شهرا من الهجرة وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوي قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله
الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا كالقليلين
وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر قيل بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق ذلك عليهم فنزل
الن يكفيكم بلى تصديق لوعد الله بالامداد وايجاب لما بعد لن ان تصبروا على لقاء العدو وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه وقيل الى بحار

أي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد ويأتوكم من فورهم هذا من فور
قفل من غزوته ويخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول من قال الامر على الفور لا على التراخي وهو
مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها
عليه فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث والمعنى ان الكفار ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة
في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقيل من فورهم هذا اي من غضبهم
هذا وقيل من غضبهم قرأ ابن عامر منزلين مشدد الزاي والباقون مخففا وهما لغتان وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو اي معلمين
على انفسهم بما كانوا اعلموا عليها والباقون بفتح الواو اي سومهم الله قيل معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقيل معلمين
بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وقيل بعهن (?) في اذنابها وقيل كانوا على خيل بلق وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء
فنزلت الملائكة كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله اي
ما جعل الله ذكر المدد الا بشرى لكم والبشرى اسم من الابشار والتبشير وقيل وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم
تنصرون ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة العدو وقلة عددكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة
ويربط على قلوب المجاهدين اراد الله ان لا يركن المؤمنون الى الملائكة واعلمهم انهم لا يحصل لهم النصر الا من عند الله ليستعينوا
به ويتوكلوا عليه العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر لمن يشاء ليقطع طرفا اي ليهلك طائفة منهم بالقتل
والاسر قال السدي ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون
او يكبتهم الكبت صرع الشيء على وجهه يقال كبته فانكبت ثم استعمل في معنى الاخزاء والاهلاك والغيظ والهزيمة والاذلال
والمعنى هاهنا يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم اي فيرجعوا لم ينصروا ولم يدركوا ما املوه وقال
كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا وارى عدوا هو من الكبد والرئة
واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله قوله ليس لك من الامر شيء او
او يتوب عطف على ما قبله من قوله ليقطع او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل او يتوب منصوب باضمار ان
وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من الامر في عذابهم
او استصلاحهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شج عتبة بن ابي وقاص يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن قوله فانهم ظالمون
جملة مستقلة والمقصود من ذكرها تعليل حسن التعذيب والمعنى او يعذبهم فان عذبهم انما عذبهم لانهم ظالمون قوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ● المقصود من هذه
تأكيد ما ذكره اولا من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى ان الامر انما يكون لمن له الملك وملك السموات والارض ليس الا لله
فاذا ثبت ما قلنا ... الاشارة الى الماهيات فيدخل فيه الكل قوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء له ان يغفر لمن يشاء مؤمنا
او كافرا بحكم الهيته ويعذب من يشاء مؤمنا او كافرا لا اعتراض عليه في فعل هذه الاشياء والآية دالة بمعناها على هذا المعنى
ظاهرة البرهان العقلي مؤكد لها فان فعل العبد يتوقف على الارادة المخلوقة لله تعالى فاذا خلق الله تلك الارادة اطاع واذا خلق
النوع الآخر من الارادة عصى وطاعة العبد من الله ومعصيته ايضا من الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا فلا الطاعة
توجب الثواب ولا المعصية توجب العقاب بل الكل من الله بحكم الهيته وقهره وقدرته فلو شاء لعذب جميع المقربين
ولو شاء رحم جميع الكفار حسن منه ذلك فان قيل اليس ثبت انه لا يغفر للكافر ولا يعذب الملائكة والانبياء اجيب بانه ملك
الا انه لو شاء فعل ولا اعتراض عليه وهذا لا يقتضي انه يفعل او لا يفعل ثم ختم الكلام بقوله تعالى والله غفور رحيم اي وان حسن
كل ذلك منه لكن جانب المغفرة والرحمة غالب على سبيل التفضل والاحسان قال صاحب الكشاف عن الحسن يغفر الله لمن يشاء بالتوبة
ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما ثم قال وما ابهام الامر وابهام الله قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب
عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون
على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير واعلم ان ما ذكره صاحب الكشاف
عدول عن الطريق المستقيم وتصامم وتعام عن آيات الله فلهذا خبط خبط عشواء وطيب نفسه بما فسر برأيه الذي هو منشأ
ومعتقده الذي هو مؤكد بتقليده لمشايخ المعتزلة الذين ضلوا واضلوا عن سواء السبيل لا جرم دخل تحت الطاعنين
من المفسرين برأيه وهم الذين اخطؤوا في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله برأيه واصاب فقد اخطأ قال في الحواشي
لا بعد في ان هذا معاتبة من الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعجيله في القول بنفي الفلاح عن القوم يوم احد كما ان
قوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا معاتبة على اصحابه رضي الله عنهم وتعييرهم بالفشل يدل على ان هذا معاتبة ما روي انه
قال حين كسر رباعيته وشج في وجهه كيف يفلح قوم شجوا نبيهم اي لن يفلحوا ابدا فرد قوله ليس لك من الامر شيء كيف تستبعد الفلاح

وبيد الله

[illegible]

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي
اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

[illegible]

على العسكر وتمكنوا من الاستئصال منهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك نهى الله تعالى عن الربا مع توبيخ ما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل
في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم الى اجل فبلغ الدين محله ولم يتمكن المديون من ادائه قال له زدني في المال حتى ازيد في الاجل
فيفعل مثل ذلك مرة بعد اخرى فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون فيأخذ بسبب تلك المائة اضعافها وانتصب اضعافا على
الحال ومن يعمل بمفهوم الصفة لا يعتبر المفهوم في هذه لان فائدة ذكر الصفة بيان ما كانوا عليه قوله واتقوا الله فيما نهاكم عنه
النهي واجب والفلاح موقوف عليه فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وهذا يتضمن ان الربا من الكبائر ثم قال واتقوا النار التي اعدت
للكافرين فان قيل النار التي اعدت للكافرين بقدر كفرهم ودركات زيدت للمسلمين بحسب فسقهم فلم جعلها للكافرين واتقوا النار التي اعدت
للكافرين اجيب بان التقدير اتقوا ان تجحدوا تحريم الربا فتصيروا كافرين والمقصود من وصف النار بانها اعدت للكافرين تعظيم الزجر
لان المؤمنين المخاطبين باتقاء المعاصي اذا علموا انهم اذا فارقوا التقوى دخلوا النار التي اعدت للكافرين كان انزجارهم عن المعاصي
اتم نقل ان ابا حنيفة كان يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
قال صاحب الكشاف وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن تأمل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع
وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه
ولقائل ان يقول ما المانع عن حمل لعل على القطع مجازا كما ذكرت في اول البقرة في ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي
يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل فاذا اعتبر ذلك لم يبق للطالب ما عندكم شك في النجاح والفوز بالمطلوب
لا سيما وقد عقب بالترغيب البليغ وهو سارعوا من قوله اطيعوا الله لما ذكر الوعيد ذكر بعده الوعد على ما هو العادة المستمرة في القرآن
قيل هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله حين امرهم بما امرهم يوم احد قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم
اجر العاملين ● قرأ نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام والباقون بالواو وكذلك هي في مصاحف
مكة والعراق ومصحف عثمان فمن قرأ بالواو عطفها على ما قبلها والتقدير واطيعوا الله واطيعوا الرسول وسارعوا ومن ترك الواو
فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لان كل واحد منهما متصل بالآخر في المعنى فسقط العاطف كذا في الكشاف
والامالة في سارعوا واولئك يسارعون نوع الكلام من حذف المضاف والتقدير سارعوا الى موجب مغفرة من ربكم وهو الاعمال التي
هي فعل المأمورات وترك المنهيات وكان هذا امرا بالمسارعة الى فعل المأمورات وترك المنهيات فيدخل فيه الاخلاص وادراك
الاسلام والتكبيرة الاولى من الصلاة والطاعة والتوبة والحج والجهاد والصلوات الخمس والاعمال الصالحة كلها تسمى
الى الجنة مأمور بها وانما ذكرهما لان المغفرة معناها حصول الثواب فجمع بينهما تنبيها على ان المكلف يجب عليه الاتيان بالاعمال التي
ثم وصف الجنة بان عرضها السموات والارض لا نفس السموات لا يكون عرضا للجنة وقيل اراد بالعرض الثمن والمعنى ان الجنة
لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكان ثمنها السموات والارض
يقول اذا ابتاع الشيء بالشيء الآخر عرضت عليه وعارضته فصار العرض يوضع موضع المساواة بين الشيئين في القدر وقيل
معناه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من سطوح ثم وصل البعض
بالبعض طبقا واحدا لكان مثل عرض الجنة وهذا غاية من السعة لا يعلمها الا الله وقيل المراد بالعرض السعة لا ما هو خلاف
الطول والعرب تقول بلاد عريضة اي واسعة قال النبي صلى الله عليه وسلم للمنهزمين يوم احد لقد ذهبتم فيها عريضة ولا
يريد انما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت
باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض كذلك فالطول اعظم كما
في قوله بطائنها من استبرق فاذا كانت البطائن التي هي ادون من الظهائر هكذا فكيف الظهائر قيل اذا كانت الجنة

في السماء كيف يكون عرضها كعرض السموات أجيب بأن المراد أنها فوق السموات تحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة
الفردوس سقفها عرش الرحمن أعدت للمتقين الشرك والفواحش الذين ينفقون لما ذكر أن الجنة أعدت للمتقين ذكر صفة المتقين
حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات في السراء في حال الرخاء والضراء في حال الضيقة
والعسر في السراء هو الغنا والضراء هو الفقر لا يخلون بالإنفاق في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل وكثير كما يحكى عن بعض
السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب ويجوز أن يكون المراد جميع الأحوال لأنها
لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كانوا في
عرس أو في حبس فإنه لا يدع الإحسان إلى الفقراء نعم رغبوا في معاملة الله فلم يبطرهم الرخاء فنسيهم ولم يمنعهم الضراء
فيبخلوا وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الحاجة للمجاهدة
العدو ومواساة فقراء المسلمين قال أهل الإشارات الذين يبذلون من الأموال والأنفس والقلوب وينفقونها في رضى الله
ولا يبخلون بشيء عليه قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ
وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه
ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء
فيه مبالغة عظيمة وفصاحة بليغة حيث لم يبق لصاحب غيظ مجال التشفي والعافين عن الناس إذا جنى عليه أحد لم يؤاخذه
قيل هم التائبون عن المماليك وهذا حسن على جهة المثال إذ هم الخدمة فيذنبون كثيرا والقدرة عليهم متيسرة وإنفاذ العقوبة
سهل وقيل على إطلاقها أي عن ظلمهم وأساء إليهم روي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من
عفا روي أن عيينة روى هذا الحديث عند الرشيد حين غضب الرشيد على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت قوله والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس
فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن يكون للعهد فيكون إشارة إلى الموحدين الذين فيهم هذه الخصال
اعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه وهو المراد بقوله الذين ينفقون في السراء ويدخل فيه إنفاق
العلم بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه إنفاق المال في الخيرات والعبادات وإما أن يكون بدفع الضرر عنه
بأن لا يقابل الإساءة بالإساءة وهو المراد بكظم الغيظ أو في الآخرة بأن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة ولما
كانت هذه الأمور مشتركة في كونها إحسانا إلى الغير ذكر ثوابها فقال والله يحب المحسنين بأن محبة الله للعبد أعظم درجات
الثواب قوله والذين إذا فعلوا عطف على قوله الذين ينفقون بين أن المتقين صنفان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات
والعبادات وهم الذين ينفقون والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وثانيهما الذين أذنبوا ثم تابوا وهم الذين إذا فعلوا فاحشة
وقيل إنه تعالى ذكر في الآية الأولى الإحسان إلى الغير وفي هذه الآية الإحسان إلى النفس فإن المذنب العاصي إذا تاب كانت
توبته إحسانا إلى نفسه قال صاحب الكشاف والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك إشارة
إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك قيل نزلت في أنصاري وثقفي آخا النبي صلى الله عليه وسلم بينهما
فخرج الثقفي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وكان الأنصاري يتعاهد أهل الثقفي فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد
اغتسلت وهي ناشرة شعرها فدخل ولم يستأذن فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبله ثم ندم فأدبر راجعا
فقالت سبحان الله خنت أمانتك فخرج يسيح في الجبال ويتوب من ذنبه فلما قدم الثقفي أخبرته المرأة فخرج يطلبه
فوافقه ساجدا يقول ذنبي ذنبي فقال يا فلان انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ذنبك لعل الله
يجعل لك منه مخرجا فخرج إلى المدينة فنزلت هذه الآية وقيل إن المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنو إسرائيل
كانوا أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه فنزلت هذه الآية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأ هذه الآية والتي قبلها وقيل إن امرأة أتت إلى نبهان التمار
تشتري منه تمرا فضمها وقبلها ثم ندم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت هذه الآية فاحشة
صفة لمحذوف أي فعلة فاحشة قال صاحب الكشاف متزايدة في القبح وقيل هي الكبيرة وقيل هي الزنا قوله أو ظلموا أنفسهم
أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل ظلم النفس ما دون الزنا من القبلة والمسة والنظرة ونحوها وقيل ظلم النفس
الصغيرة قوله ذكروا الله قيل ذكروا العرض الأكبر على الله وقيل ذكروا الله تذكروا أن الله سائلهم وقيل ذكروا بالثناء
والتعظيم والإجلال وذلك لأن من أراد أن يسأل الله مسألة فالواجب أن يقدم على تلك المسألة الثناء على الله فههنا لما كان
المراد من الاستغفار دفع الذنوب وقيل تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء
منه قوله فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عن الذنوب توبة على وجه صحيح وهو الندم على فعل ما مضى والترك في الحال
والعزم على الترك في الاستقبال فهذا هو حقيقة التوبة وأما الاستغفار باللسان مثل أن يقولوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا
فإنا تبنا إليك وندمنا من غير الندم على فعل ما مضى والترك في الحال والعزم على الترك في الاستقبال فلا أثر له في إزالة الذنب
بل يجب إظهار هذا الاستغفار لإزالة التهمة ولإظهار كونه منقطعا إلى الله قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله والمقصود منه
أن لا يطلب العبد المغفرة إلا منه لأنه تعالى هو القادر على عقاب العبد في الدنيا والآخرة فكان هو القادر على إزالة ذلك العقاب
عنه قال صاحب الكشاف وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع
للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه

ويحب العفو

ويحب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب
وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم وقوله ومن يغفر الذنوب جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
[illegible]

أن المطلوب بالتوبة الأمن من العقاب وأكيد الإشارة بقوله مغفرة من ربهم وإيصال الثواب وأكيد الإشارة بقوله وجنات تجري
من تحتها الأنهار ونصبها على تقدير أن يكون قوله والذين إذا فعلوا فاحشة مبتدأ وأولئك خبره وأما على تقدير أن يكون قوله والذين
إذا فعلوا عطفا على قوله الذين ينفقون أولئك جزاؤهم مبتدأ وخبر على سبيل الاستئناف ويكون إشارة إلى الفريقين ثم بين
أن الذي يحصل لهم من ذلك وهو المغفرة والجنات تكون أجرا لعملهم وجزاء عليه بقوله ونعم أجر العاملين والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم أجر العاملين ذلك أي المغفرة والجنات قال صاحب الكشاف أجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد
وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما قال المبطلون يروى أن الله تعالى أوحى
إلى موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي ومن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط
بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة
لا تجري على اليبس ما ذكره صاحب الكشاف وهو أنه إنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه
لا كما قال المبطلون فمن مذهبه وهو أن الجزاء واجب على الله من غير دليل لأن الآية إنما تدل على أن العاملين يجازون بعملهم فأما أنه
على الله غير مستفاد منها فهو مبطل في هذا قيل كما تفاوت بين القبيلتين أي الذين ينفقون والذين إذا فعلوا إنه فصل قوله
الذين ينفقون في السراء إلى قوله والله يحب المحسنين فإنه بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله لأنهم حافظوا على حدود
الشرع وتخطوا إلى التخصيص بمكارمه وفصل قوله والذين إذا فعلوا إلى قوله ونعم أجر العاملين لأن المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير ولعل تبديل لفظ الأجر بالجزاء لهذه النكتة وقيل تنكير وجنات
ونعم أجر العاملين وجوه من المحسنات أحدها أنها كالتذييل للكلام السابق فيفيد مزيد التأكيد للاستغفار بذكر الوعد عليه ثانيها
بإقامة الأجر موضع الجزاء فضمن الجزاء الأجر الأصلي ونعم جزاؤهم لتحايب ما دار هذا الوعد وتضمين صورة العمل والعمالة
تنشيطا للعامل وثالثها في تعميم العاملين وإقامته مقام الضمير للدلالة على حصول المطلوب المذكور بطريق برهاني

قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۞ لما وعد على الطاعة
والتوبة من الذنوب المغفرة والجنات أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة وعلى التوبة من الذنوب وهو النظر في أحوال القرون
الخالية من المكذبين فقال قد خلت أصل الخلو في اللغة الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه ويستعمل أيضا في الزمان
بمعنى المضي لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه وكذا الأمم الخالية والسنن جمع السنة وهي الطريقة المستقيمة والمثال
المتبع فعلة من سن الماء يسنه إذا والى صبه والسن صب الماء شبهت الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب فإنه لتوالي أجزاء
الماء فيه على نهج واحد وقيل مأخوذة من سن الإبل إذا أحسن الرعي والفعل لما داوم عليه النبي صلى الله عليه وسلم سمي سنة
لأنه عليه الصلاة والسلام أحسن رعايته وإدامته يقول الله تعالى قد مضت من قبلكم من الأمم الماضية المكذبين الكافرين
سنن بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته في إهلاكهم ونصب لهم آثار في الدنيا فيها أعظم الاعتبار
فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي آخر أمرهم وغرض الله تعالى أمة محمد في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك
داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه وقيل أراد سنن الله في المؤمنين والكافرين فإن
الدنيا ما بقيت لا مع المؤمنين ولا مع الكافرين ولكن المؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة
والكافر يبقى عليه اللعن في الدنيا والعقاب في العقبى والتأمل في حال أحد الفريقين يكفي في معرفة حال الفريق الآخر
وقيل الغرض منه زجر الكفار عن كفرهم وذلك إنما يحصل بتأمل أحوال المكذبين وليس المراد بقوله فسيروا في الأرض فانظروا الأمر
بالسير كما أن المقصود تعرف أحوالهم فإن تيسر بدون السير في الأرض كان المقصود حاصلا قوله تعالى هذا بيان للناس

وهدى وموعظة للمتقين . البيان الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد حصولها والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغي وأما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في الدين وقيل البيان الدلالة والهدى الدلالة بشرط كونها مفضية إلى الاهتداء والبيان للناس كافة والهدى والموعظة للمتقين لأن الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة إلى البغية ولا شك أن هذا المعنى لا تفيد إلا في حق من يحسن الظن بالمواعظ من المتقين أما من لا يحسن الظن به فلا يفيد في حقه قال صاحب الكشاف هذا بيان للناس أي إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يريد بقوله هذا بيان للناس حثهم على النظر بقوله فانظروا في سوء عاقبة المكذبين من الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين فهذا على تقدير أن لا يجعل قوله قد خلت إلى آخره معترضة بل يكون ذكره مقصودا بالذات كالكلام المتقدم ثم قال ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيانا إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين فإنه بين حال المتقين بقوله للمتقين الذين ينفقون إلى قوله المحسنين وحال التائبين بقوله والذين إذا فعلوا فاحشة وحال المصرين بقوله ولم يصروا وقيل هذا إلى القرآن بيان للناس عامة من العمى وهدى من الضلالة وموعظة من الجهل للمتقين يعني هذه الأمة وقيل هذا إشارة إلى شرح أخبار الأمم السالفة قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ● الذي تقدم من قوله قد خلت وقوله هذا بيان كالمقدمة لقوله تعالى ولا تهنوا كأنه قال إن بحثتم عن القرون الماضية علمتم أن أهل الباطل وإن اتفقت لهم الصولة لكن كان مآل الأمر إلى الضعف والفتور وصارت دولة أهل الحق عالية وصولة أهل الباطل مندرسة فلا ينبغي أن تصير صولة الكفار عليكم يوم أحد سببا لضعف قلوبكم وجبنكم وعجزكم فإن الاستعلاء سيحصل لكم والقوة والدولة راجعة إليكم وقيل سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزموا يوم أحد أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدون أن يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك فنزلت هذه قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عما أصابهم يوم أحد من القتل والجرح وتقوية من قلوبهم يقال وهن يهن وهنا إذا ضعف عن العمل أي ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم يعني لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وقيل على من قتل منكم وجرح وقيل على هزيمتهم وقيل على ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شجه وكسر رباعيته وأطلق قوله ولا تحزنوا ليعم المحزون عليه ليفيد الجميع وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب في القتل لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد وقيل وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وقيل وأنتم الأعلون من حيث إنكم في العاقبة تظفرون بهم وتستولون عليهم وهذا شديد المناسبة لما قبله لأن القوم انكسرت قلوبهم بسبب ذلك الوهن فهم كانوا محتاجين إلى ما يفيدهم قوة في القلب وفرحا في النفس فبشرهم بذلك وقوله الأعلون يفيد جميع هذا وقوله إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي أي ولا تهنوا إن صح إيمانكم لأن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه وقيل متعلق بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة فإن الله تعالى قد ضمن نصر هذا الدين قوله إن يمسسكم قرح قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بضم القاف وكذلك القرح في قوله من بعد ما أصابهم القرح والباقون بفتح القاف فيهما وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى إن أصابكم جرح يوم أحد فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر وهذا من تمام قوله ولا تهنوا أي إن الذي يصيبكم من القرح لا ينبغي أن يزيل جدكم واجتهادكم في جهاد العدو فإنه كما أصابكم القرح فقد أصاب عدوكم مثله قبل ذلك فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى وقيل إن يمسسكم قرح يوم أحد فقد مس القوم قرح مثله يوم أحد فإن المشركين قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجرح وقيل لأنه قتل منهم نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم والجراحات كثرت فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار فإن قيل كيف قال قرح مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين أجيب بأنه يعتبر القرح في هذا المقام بمجرد الاسم لا بكثرة القتل وتلك الأيام أي أيام الدنيا وقيل أيام الظفر والغلبة نداولها نصرفها تارة لفرقة وتارة عليها وقيل نداولها بالنعمة فكأنه طاق لا كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر ومن أمثالهم الحرب سجال والمداولة الكرة والمداولة مثل المعاودة قال ابن دريد المداولة فلان ... الشيء يتمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه قوله وليعلم الله الذين آمنوا قيل المعلل محذوف أي ليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ليتعلق به الجزاء مميزين بالإيمان من غيرهم جعلنا الدولة للكفار على المسلمين ليتميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة والمعنى ليقع ما علمه غيبا والمجازاة إنما تقع بما تعلمه موجودا لا بما علمه غيبا قال صاحب الكشاف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل وليعلم معطوف على علة محذوفة والمعنى وتلك الأيام نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم وليرفع درجاتكم ولا ... وليتميز الثابتون من المتزلزلين قوله ويتخذ منكم أي وليكرم قوما بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد وقيل وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين

بعض التعليل

بعض التعليل وبعض في والله لا يحب الظالمين الذين لا يثبتون على الإيمان ولا يجاهدون في سبيل الله قوله وليمحص الله ليطهر الذين آمنوا من ذنوبهم ويسقطها عنهم ويخلصهم منها ويمحق الكافرين يستأصلهم ويهلكهم يعني يمحص المؤمنين إن أدال عليهم ويمحق الكافرين إن أدالهم عليهم فقابل تمحيص المؤمنين بمحق الكافرين لأن تمحيص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق الكافرين بإهلاك أنفسهم قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ● لما بين في الآية الأولى الأمور التي هي اقتضت مداولة الأيام ذكر في هذه ما هو السبب الأصلي لذلك فقال أم حسبتم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار بمعنى الإضراب عن الكلام الأول وما اشتركه وفيها الإنكار ومعنى الاستفهام لذلك قدرها ... بل والهمزة الاستفهام كأنه أضرب عن قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وعن قوله إن يمسسكم قرح فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجهم وثبتوا على ألم الجراح والضرب من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ... لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد وقيل في ... الكلام بكلمة التي أكثر ما تأتي في كلامهم بين خبرين لا يشك في أحدهما لا بعينه يقولون إن زيدا ضرب أم عمرا مع تعين وقوع الضرب على أحدهما وعادة العرب هذا من الاستعارة توكيدا فلما قال ولا تهنوا ولا تحزنوا كأنه قال أفتعلمون أن ذلك كما تؤمرون به أم حسبتم أن تدخلوا من غير مجاهدة وصبر وإنما استبعد هذا لأن الله تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة وأوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح فيها في الدين والدنيا فلما كان كذلك فمن البعيد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع ترك الجهاد ولما بمعنى لم إلا أن فيها ضربا من التوقع نفي العلم وأراد نفي المعلوم من نفي العلم منزلة نفي متعلقه الذي هو المعلوم لأن المعلوم يستلزم علم تحققه فإذا نفي العلم الذي هو لازم المعلوم الذي هو ملزومه وهو نوع من الكناية والقصد في أمثاله نفي المعلوم على طريق البرهان والمعلوم ههنا الجهاد والمعنى ولما تجاهدوا كقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا أي ما في فلان خير حتى يعلمه فكذلك نفي الجهاد فيما مضى وكان توقعه فيما يستقبل ويقول الواحد إن يفعل كذا فلما ... ليفعل وإذا توقع فعله قد ... ويعلم بنصب على إضمار أن والواو بمعنى الجمع كقوله لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهذا الواو تسمى واو الصرف الذي ينصب ما بعدها على خلاف ما قبلها بأن يقع على الجمع ... للأول ومثله قوله لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم والمعنى أن دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد لا يجتمعان قوله ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب مع الذين لم يشهدوا بدرا ... الذين شهدوها لما نالوا من الكرامة فكان هؤلاء المتخلفين الذين لم يشهدوا يتمنون قتالا ليستشهدوا فيه فيلحقوا بإخوانهم ويصيبوا من كرامة الشهداء ما نال الشهداء يوم بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين وكراهية رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين وكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإقامة بالمدينة من قبل أن تلقوه أي تلقوا الموت الذي هو بالشهادة وقيل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته يوم أحد فقد رأيتموه يومئذ أي رأيتم أسباب الموت وما يوجد معها الموت كالسيوف والأسنة وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وقيل وأنتم بصراء تتأملون الحال في ذلك كيف هي فلم انهزمتم وهو مراد لأنه موضع العتاب قال صاحب الكشاف وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكفار المسلمين قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك التضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا قوله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ● عن ابن عباس لما أنزل النبي صلى الله عليه وسلم الرماة أن يلزموا أصل الجبل وأن لا ينتقلوا عن ذلك سواء كان الأمر لهم أو عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن طلحة صاحب لواء المشركين والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فهزموا أبا سفيان ثم إن بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة إلى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة المشركين فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين وهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا أي انهزموا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بقتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن مالك يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه

فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم ومعنى الاية وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان
الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومهم قوله افان مات الفاء معلقة للجملة
الشرطية بالجملة قبلها اي بالجملة المعقدة بها والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا
للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند
المخاطبين فان قلت اما علموا من اخباره وقوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم
سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وهو ضعيف لانه لم يرتد احد من المسلمين يوم احد الا ما
من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم اي على المسلمين فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله
واسلامه للهلكة قوله فلن يضر الله شيئا اي انما ضر نفسه باستحقاق العذاب لان الله تعالى منزه عن ان ينتفعه شيء او
يضره وسيجزي الله الشاكرين الطائعين لله من المهاجرين والانصار الثابتين على دينهم قال علي رضي الله عنه وكان ابو بكر رضي الله
عنه امين الشاكرين وقيل الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام
فيما فعلوا قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب
الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ○ ان المنافقين لما ارجفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل قالوا لو كان
نبيا لما قتل فقال تعالى وما كان لنفس اي لا تموت نفس الا باذن الله وقضائه وقدره وكان قتله لا يحصل الا في الوقت
المقدر وكما انه لو مات حتف انفه لم يدل ذلك على انه ليس بنبي فكذا اذا قتل والمقصود ابطال قول المنافقين وقيل
المراد تحريض المسلمين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا ينفع القدر فان احدا لا يموت الا باجل ولا تاثير في الحرب
والتقاعد عن الجهاد قيل الاذن الامر والمعنى ان الله يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل
الاذن المشية والمراد ان موت الانفس محال الا بمشية الله واخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن
له فيه قاله صاحب الكشاف وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر
لا ينفع وان احدا لا يموت قبل اجله وان خوض المهالك واقتحام المعارك وثانيهما ذكر ما صنع الله برسوله صلى الله عليه
وسلم عند غلبة العدو والتفافهم واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل قوله كتابا مصدر
مؤكد منصوب بفعل دل عليه ما قبله فان قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله قام مقام ان يقال كتب الله
الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتاخر ولا يتقدم والمراد بالكتاب المؤجل الكتاب المشتمل على الاجال وقيل اللوح
المحفوظ واعلم ان جميع الحوادث معلومة لله تعالى وجميع حوادث هذا العالم من الخلق والرزق والاجل والسعادة و
الشقاوة مكتوبة في اللوح المحفوظ فالكل بقضاء الله وقدره ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم
يوم احد فان الذين حضروا يوم احد فريقان فريق يريدون ثواب الدنيا من الغنائم كالذين تركوا المركز وفريق يريد ثواب الاخرة
يعني ومن يرد بطاعته وجهاده الدنيا وعمل لها نؤته منها ما يكون بحسب العمل اي نؤته منها ما نشاء لمن نشاء يشاهده قوله
تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها يعني
الذين ثبتوا حتى قتلوا وسنجزي الشاكرين اي الذين شكروا نعم الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكرر ذكره ما يجزيهم في الدنيا
ليعم جميع ما يجزيهم والمعنى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي في الاخرة من الجزاء ما لا يدخل
تحت الحصر كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي ان الله تعالى يجازي كلا على قصد عمله وارادته قال صلى الله عليه
وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب
المحسنين ○ قرا ابن كثير كائن ممدودا مهموزا مخففا على وزن فاعل والباقون كاين مشددا بوزن كعين وهما لغتان
وكلتاهما صحيحة بمعنى كم واختيرت الكاف فيه للتشبيه ضمت الى اي الاستفهامية ولم يقع التنوين صورة في الخط الا في هذا
الحرف خاصة وكاين في هذه الاية في موضع رفع بالابتداء وهي مبنية ككم ومعناها التبعيض وفي الاغلب للتكثير قرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو قتل بضم القاف وكسر التاء والباقون قاتل والمفعول الذي لم يسم فاعله في قتل ربيون او ضمير النبي وحسنه النبي قتل
عن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال وعلى التقديرين يجوز ان يكون قتل او قاتل صفة لنبي فيقدر للمبتدا الذي
هو كاين خبر تقديره في اخر الكلام مضى او ذهب او فقدنا وقتلوا ويجوز ان يجعل قاتل وقتل خبر المبتدا الذي هو كاين
فلا يحتاج الى تقدير خبر وعلى تقدير ان يكون الفاعل والمفعول ضمير النبي يكون ربيون حالا منه بمعنى قتل النبي كائنا معه
ربيون وربيون مرتفع بالظرف ويجوز ان يكون معه ربيون صفة لنبي فيقدر للمبتدا الذي هو كاين خبر في اخر الكلام
تقديره مضى او ذهب او فقدنا اذا جعلته صفة فالضمير في معه عائد الى نبي واذا جعلته حالا فالضمير في معه عائد الى
الضمير الذي هو في قتل وعلى الوجهين من الصفة والحال معه ربيون متعلق بمحذوف وليس متعلقا بالفعل قيل اسناد قتل الى

راجح بدلا له تارك له محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان المؤمنين لما تخاذلوا لما قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم فضرب الله
مثلا بنبي قتل واذا اسند الفعل الى نبي فانما يجيء معنى الاية تحبيب المؤمنين بعدوه من انفسهم فقط ولو لم يرد جهادا نفعل
الى النبي قوله تعالى افان مات او قتل حجة من قرا قاتل انه اعم في المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي ويحسن على هذه القراءة الاسناد
الى الربيين قال صاحب الكشاف الربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب
وقيل جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل علماء فقهاء كبراء وقيل هم الاتباع وقيل الولاة
وقيل الرعية وقيل الذين يعبدون الرب والعرب تنسب الشيء الى الشيء فتغير حركته كما تقول بصري في النسبة الى البصرة وكذلك ربيون منسوب
الى الرب وقيل مطيعون منسوبون الى الله فما وهنوا اي فما فتروا ولم ينكسر جدهم ولكنهم عند القتال وعند قتل النبي وقتل اصحابه
وما ضعفوا عن الجهاد بعد قتله وقتلهم وقيل يحتمل ان يفسر الوهن باستيلاء الخوف عليهم وما استكانوا اي وما خضعوا
لعدوهم وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك
عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل ما
استكانوا لما ارتدوا عن نصرتهم ودينهم ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله والله يحب الصابرين والمعنى
انه من صبر على تحمل الشدائد في سبيل الله ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه
وتعظيمه والحكم له بالثواب والجنة مدحهم الله تعالى بصفات النبوة اولا وهو قوله تعالى فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا ثم اتبع ذلك بان مدحهم بصفات النبوة ثم قال وما كان قولهم بالنصب على انه خبر كان والمعنى وما كان قولهم عند
قتل نبيهم واصحابه او عند ما نالهم من الجراح الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها
واستقصارا والدعاء بالاستغفار من الذنوب والاسراف مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون
طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر والثناء
الجميل وانشراح الصدور بنور الايمان وتبعد الظلمات الشبهات وحسن ثواب الاخرة من الجنة وما فيها من اللذات وانواع السرور ودرجات
هي حاصلة في تلك الحالة المكنونة انه تعالى حكم لهم بحصولها في الاخرة فقام حكم الله تعالى بذلك مقام حصول ثواب الاخرة وخص ثواب
الاخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة قال الامام ذكر لفظ من الدالة
على التبعيض في قوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وقال في هذه الاية فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة ولم يذكر كلمة من والفرق ان الذين يريدون ثواب الاخرة انما اشتغلوا بالعبودية لطلب الثواب فكانت مرتبتهم
في العبودية نازلة واما المذكورون في هذه الاية فانهم لم يذكروا من انفسهم الا الذنب والقصور وهو المراد من قوله اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا ولم يروا التدبير والنصرة والاعانة الا من ربهم وهو المراد من قوله وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وكان مقام هؤلاء في العبودية في غاية الكمال فلاجرم الذين فازوا ببعض الثواب هؤلاء فازوا بالكل ثم قال والله يحب المحسنين
ولما كان هؤلاء من اهل الاحسان فانهم عبدوا الله وجاهدوا في سبيله كانهم يرونه ويعلمون انه يراهم ولم يطلبوا من عبادتهم
وجهادهم غير وجه الله سماهم محسنين كان الله تعالى يقول اذا اعترفتم لله تعالى وجه الاحسان تكونوا محسنين وحينئذ تكونون
ممن يحبهم الله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم
وهو خير الناصرين ○ قيل اراد بالذين كفروا اليهود لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون
لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل
ابا سفيان واصحابه وقيل المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان نبيا ما قتل والاولى ان اللفظ
عام وخصوص السبب لا يمنع العموم فانه يجب على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ومشورتهم
حتى لا يستجروهم الى موافقتهم قوله يردوكم اي يردوكم الى الكفر بعد الايمان اي يرجعوكم الى اقدامكم الى الشرك بالله فتنقلبوا
فتصيروا خاسرين في الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا فلان اشق الاشياء على العقلاء الانقياد الى العدو واظهار الحاجة
اليه واما خسران الاخرة فالحرمان من الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد ثم قال بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون
الى نصرة غير الله تعالى وولايته وهو خير الناصرين لانه هو القادر على نصرتكم في كل ما تريدون وانه العالم الذي لا يخفى عليه ما تحتاجون
اليه والكريم الذي لا يبخل في جوده ونصرة العبيد بعضهم لبعض ليس كذلك من كل هذه الوجوه ولانه ينصر في الدنيا والاخرة
وغيره ليس كذلك ولانه ينصر قبل السؤال ويعرفكم بالحاجة قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين ○ قيل لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين نحو
مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وقيل القى الله في قلوب الذين كفروا الخوف يوم احد فانهزموا
الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة قوله بما اشركوا ما مصدرية تقديره بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل الله باشراكه حجة
وبيانا وهذا دليل برهانا لانه تعالى بين ان هذا ليس حجة ولا تنزيل عليهم لان الشرك لا يقوم عليه حجة بل المراد نفي الحجة ونزولها وفيه
دليل على فساد التقليد لانه يدل على ان الشرك لا دليل عليه فيكون القول به باطلا وكل ما لا دليل عليه يلزم ان يكون القول
به باطلا ثم قال تعالى وماواهم النار لما ذكر احوال هؤلاء المشركين في الدنيا القاء الرعب في قلوبهم وفي الاخرة وهو انهم في مسكنهم النار
وبئس مثوى الظالمين المكان الذي يكون مقر الانسان وماواه من ثوى يثوي ثويا وهذا ذم لمكانهم في النار قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد

الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين قيل وعدهم الله النصر
بشرط الصبر والتقوى في قوله إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم فكان لو عدوه به كما سنلقي
في قلوب الذين كفروا فلما فشلوا وتنازعوا لم ينجز لهم وقيل لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة وقد
أصابهم ما أصابهم يوم أحد قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين
أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم قوله
إذ تحسونهم تقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم ومعنى التنازع الاختلاف وأصله من نزع القوم
الشيء بعضهم من بعض وكان اختلافهم أن الرماة قال بعضهم قد انهزم المشركون فما لقيامنا ها هنا وقال بعضهم لا نجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير مع نفر من الرماة دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة وانطلق الباقون
ينتهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فلما نظر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل إلى ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير
وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا
يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من الدهش ونادى إبليس لعنه الله ألا إن محمدا قد قتل فانهزموا وكان
من قتلوا كان سبب هزيمة المؤمنين من بعد ما أراكم ما تحبون يا معشر المؤمنين وهو الظفر والغنيمة قوله ثم صرفكم عنهم
أي رد كرتكم عنهم بالهزيمة ليبتليكم ليختبر صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم فلم يستأصلكم بعد
المعصية والمخالفة وقيل تجاوز عنكم فلم يؤاخذكم بذنبكم والعفو منكم بفضل الله لا بذنبكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول
صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالفضل لا باستحقاقهم العفو بسبب الندم والتوبة وقيل
حتى إذا فشلتم بمعنى حتى إذا فشلتم منعكم نصره وقيل معناه صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم قوله تعالى
إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير
بما تعملون ۝ إذ نصب بقوله عفا أي ولقد عفا عنكم إذ تصعدون أو بقوله ليبتليكم أي ليختبركم إذ تصعدون أو بقوله
صرفكم أي صرفكم إذ تصعدون أو بإضمار اذكروا أي اذكروا إذ تصعدون من الذكر بضم الذال وقيل بإضمار اذكر والمعنى
اذكر يا محمد وقت إذ تصعدون فيكون من الذكر بكسر الذال لغة الإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد في الذهاب يقال صعد
في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقيل الإصعاد الابتداء في كل سفر والانحدار الرجوع منه
يقال أصعدنا من بغداد إلى مكة إذا خرجنا إليها وأخذنا في السفر وانحدرنا أي رجعنا وقيل صعد وأصعد بمعنى واحد
ولا تلوون لا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم لا يلتفت بعضكم إلى بعض هربا وأصله من لي العنق في الالتفات ثم استعمل
في ترك التعريج على الشيء وترك الالتفات إليه يقال فلان لا يلوي على أحد أي لا يعطف عليه ولا يبالي به والرسول يدعوكم
كان يقول إلي عباد الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال
جاء فلان في آخر الناس وآخرة الناس وأخراهم وأخرياتهم كما يقال في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم و
جماعتهم الأولى قوله فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم أذقتموه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له ومخالفة أمره فالغم الأول لكم والغم الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى أثابكم
غما بغم أوقعه الله على أيديكم بالكفار يوم بدر فالباء للمقابلة والمعادلة كما قال أبو سفيان يوم بيوم وقيل المعنى أثابكم غما على غم
وغما متصلا بغم فالغم الأول سماعهم ألا إن محمدا قد قتل والثاني القتل والجرح الواقع فيهم وقيل الغم الأول القتل والجرح
والثاني سماعهم ألا إن محمدا قد قتل وقيل الغم الأول القتل والجراح وما جرى في ذلك والغم الثاني إشراف أبي سفيان على النبي وكان
معه وقيل ما أراد بقوله غما بغم اثنين بل أراد اتصال الغموم واستمرارها أي أن الله تعالى أثابكم بغموم كثيرة مثل قتل إخوانكم وأقاربكم
ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم وإقدامكم على المعصية فكأنه قال أثابكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زاجرا لكم عن
الإقدام على المعصية ومخالفة أمر رسول الله قوله لكيلا تحزنوا قيل متعلق بقوله عفا أي ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا
لأن في عفوه ما أزال كل غم وحزن وقيل لكيلا تحزنوا متعلق بقوله فأثابكم أي لتتمرنوا على تجرع الغموم وتصبروا في ... وتعتادوا
احتمال الشدائد فلا تحزنوا بعد هذا على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ولا بد من هذا التأويل لأن الإثابة بالغم سبب
للحزن لا لعدمه وقيل ضمير الفاعل في قوله فأثابكم للرسول أي فآساكم الرسول في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشجه
وغيرهما اغتم بما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل
ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا ما أصابكم من غلبة العدو وقوله والله خبير بما تعملون
بجميع أعمالكم ومقصودكم ودواعيكم قادر على مجازاتكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر وذلك من أعظم الزواجر للعبد عن الإقدام
على المعاصي قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا
يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ۝ إن الله تعالى بين نصر المؤمنين أولا ثم بعض
تبعيضهم بتسلط الخوف عليهم ثم ذكر إزالة الخوف عن قلوب من كان صادقا في إيمانه مستقرا على دينه بحيث غلبه النعاس قيل
إن المشركين لما انصرفوا يوم أحد كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع ولم يأمن المسلمون كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين

للقتال

والفشل الجبن وضعف الرأي ٣

للقتال فأنزل الله تعالى على المؤمنين دون المنافقين أمنة نعاسا وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وقال ابن
عباس رضي الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وإنما ينعس من أمن والخائف لا ينام قال أبو طلحة رفعت رأسي يوم أحد
فجعلت لا أرى أحدا من القوم إلا وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن ألقي عليه النعاس يومئذ وكان السيف يسقط
من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وقال عبد الله بن الزبير عن أبيه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا
من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا والأمنة مصدر كالأمن يقال أمن يأمن أمنا وأمنة وأمانا والنعاس بدل من الأمنة وقيل يجوز أن يكون
النعاس هو المفعول وأمنة حال لأمنة معدة عليها وكونه أمنة مفعولا له ويجوز أن تكون أمنة جمع آمن كبار وبررة قوله تعالى
تغشى قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء ردوه إلى الأمنة والباقون بالياء ردوه إلى النعاس طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين الجازمون
بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي حق وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكانوا قد سمعوا من النبي صلى الله عليه أن الله تعالى سينصر
هذا الدين ويظهره على الدين كله وطائفة هم المنافقون الذين كانوا شاكين في نبوته وما حضروا إلا لطلب الغنيمة قد أهمتهم
أنفسهم ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم
في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباكي والواو في قوله وطائفة واو الحال كما تقول جئت وزيد قائم وطائفة مبتدأ وقد أهمتهم
ويجوز أن يكون قد أهمتهم صفة لطائفة وقوله يظنون خبر غير الحق أي أمر محمد يضمحل ويذهب غير الحق في حكم المصدر
أي يظنون بالله غير ظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية
وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وهذا القول لا غير ما تقول وهذا القول لا
قولك وقيل غير الحق وظن الجاهلية كلاهما مفعولا يظنون ثم أضيف الموصوف إلى الصفة لزيادة التخصيص كما في ...
... الصفة جعلت الصفة مصدرا ... ولا بد ههنا من تقدير موصوف ليستقيم المعنى أي ظنا مختصا
بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون حكاية قولهم
يقولون لرسول الله هل لنا معاشر المسلمين من الأمر من شيء هذا استفهام معناه الجحد أي ليس لنا من الظفر والنصر شيء كما وعدنا
بل هو للمشركين يقولون ذلك على جهة التكذيب وقيل لما قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الأمر من شيء أراد أن الرأي
ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم نخرج فلم يقتل أحد منا وهذا منهم قول باطل وكان كلامهم يحتمل الكفر والنفاق
على معنى ليس لنا من أمر الله شيء ولا نحن على حق في اتباع محمد ثم إنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة بقوله قل إن الأمر كله لله قرأ أبو عمرو كله
بالرفع فكله مبتدأ ولله خبره والجملة خبر إن والباقون بالنصب فكله تأكيد لاسم إن ولله خبر إن ومعناه إن الأمر كله لله من النصر
والغلبة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني بالتكذيب بالقدر وذلك أنهم تكلموا في القدر
فقال الله تعالى قل إن الأمر كله لله يعني القدر خيره وشره من الله وقال الحسن البصري إن الأمر كله لله وللمؤمنين وهو النصر والغلبة
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون قوله يخفون في أنفسهم أي يقولون لك فيما يظهرونه هل لنا من الأمر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين ويخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك من الشك والنفاق وتكذيب الوعد بالنصر
يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الأمر شيء أي لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر
كله لله ما قتلنا ها هنا وقيل معناه أنهم خرجوا كرها ولو كان الأمر بيدهم لم يخرجوا فرد الله تعالى عليهم هذا الكلام بقوله قل
لو كنتم في بيوتكم أيها المنافقون لبرز الذين كتب عليهم القتل يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب في اللوح
المحفوظ أنه يقتل لم يكن بد من وجود القتل فلو قعدتم في بيوتكم لبرز الذين علم الله أنهم يقتلون من بينكم إلى مضاجعهم ...
قوله وليبتلي الله يجوز أن يكون علة لفعل محذوف أي وليختبر ما في صدوركم من الإخلاص وغيره وليمحص أي ليطهر قلوبكم مما فيها
من الشك والارتياب فعلنا ما أريتكم من عجائب صنعه في القتال والأمنة ومصع العدو وإظهار أسرار المنافقين ويجوز أن يكون
معطوفا على علة محذوفة أي فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والله عليم بذات الصدور أي بما فيها من خير وشر وإخلاص
ونفاق قال صاحب الكشاف قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون ويجوز أن يكون قوله يقولون هل لنا الذي هو مسألة عن الأمر
بدل من الإخبار بالظن لأن مسألتهم صادرة عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي
الحال ويقولون لو كان بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافا قوله تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ۝ يعني الذين انهزموا منكم يوم
أحد يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان أي حملهم على الزلل وهو استفعل من الزلة وهي الخطيئة وقيل طلب زللهم
كما يقال استعجلت فلانا أي طلبت عجلته واستعملته أي طلبت عمله ببعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم وقيل بتركهم
المركز وقيل ما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس لهم من الهزيمة والمعنى أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا
أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا وقيل ذكرهم الشيطان تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا الأمر
ويجاهدوا على حالة مرضية قال صاحب الكشاف في قوله ببعض ما كسبوا كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم
تلك الزلة التي ليست بكفر ولا معصية بالتوبة فقول صاحب الكشاف لتوبتهم واعتذارهم تقييد للمطلق لأجل
التعصب لمذهبه الباطل إن الله غفور لذنوب المؤمنين على الإطلاق حليم لا يعاجل بعقوبة الكافرين قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله

ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير
مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ● كان المنافقون يضعفون المؤمنين في الجهاد مع الكفار ويظهرون [illegible]
المؤمنين قتل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع وعفا الله بفضله ذلك عنهم فنزل هذه الآية نهيا للمؤمنين عن أن يكونوا
كالكافرين الذين قالوا لإخوانهم لقوله المذكور قوله كالذين كفروا قيل يريد عامة المنافقين ممن بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من السرايا إلى بئر معونة فأصيبوا وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه وقالوا لإخوانهم أي لأجل إخوانهم كقوله تعالى
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه لإخوانهم في النفاق والكفر أو في النسب إذا ضربوا في الأرض أي
سافروا فيها للتجارة وغيرها أو كانوا غزى غزاة جمع غاز [illegible]
لا يتبين لفظها في الرفع والنصب والخفض وفي الآية محذوف يدل عليه الكلام والتقدير إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا
غزى فقتلوا وقوله لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يدل على موتهم وقتلهم وقوله إذا ضربوا حكاية حال ماضية فلهذا ذكر
مع قالوا وقيل إذا بمعنى إذ وقوله ليجعل متعلق بقوله قالوا أي قالوا ذلك الكلام ليجعل حسرة في قلوبهم لما كان إيقاع الحسرة مترتبا
على قولهم صير كأنه غرض مطلوب [illegible] ثم استعير لترتب
المشبه كلمة الترتيب للمشبه به وهي اللام كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل إن اللام في قوله
ليجعل متعلقة بقوله لا تكونوا مثل الذين كفروا في النطق بذلك القول وفي اعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة
ويصون منها قلوبكم وقيل يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما قالوا واعتقدوا يقتضي حسرة في قلوبهم
والحسرة الاغتمام على فائت يتعذر تلافيه وإسناد الحسرة إلى الله تعالى على طريق الحقيقة لأن الله تعالى خالق كل شيء [illegible]
تعالى والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الإحياء والإماتة بيد الله لا يمنعهما السفر ولا يتأخران بالحضر فيحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت البعير
فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالياء للغيبة ردا على ما قبلها وهو قوله
وقالوا لإخوانهم والباقون بالتاء للخطاب وهو قوله ولا تكونوا قوله ولئن قتلتم اللام في لئن لام القسم تقديره والله
لئن قتلتم في سبيل الله أيها المؤمنون أو متم في سبيل الله والخطاب للمؤمنين واللام في قوله لمغفرة من الله جواب
القسم وقيل اللامان للتأكيد والمعنى إن وجب أن تقتلوا في سفركم وغزوكم فقد وجب أن تفوزوا بالمغفرة وأيضا كذب
الكافرين [illegible] أن من ضرب في الأرض من إخوانهم وغزا لو كان بالمدينة لما مات نهي للمسلمين عن أن يكونوا مثلهم لأنه سبب
التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن قتلتم ما تخافون من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالون من مغفرة
من الله ورحمة خير مما يجمعون من أعراض الدنيا التي تتركون القتال في سبيل الله للاشتغال بجمعها قوله ولئن متم قرأ نافع
وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف والباقون بضم الميم من مات يموت ككان يكون [illegible] ومعنى
ولئن متم منغمسين على الجهاد أو قتلتم مجاهدين لإلى الله تحشرون في الحالين ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه
وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وهذا تهديد بالحشر وتحذير من القيامة قال الإمام وانظر إلى ترتيب هذه الآية
فإنه تعالى قال في الآية الأولى لمغفرة من الله وهو إشارة إلى التعبد خوفا من عقابه ثم قال ورحمة وهي إشارة إلى التعبد لطلب
ثوابه ثم قال في خاتمة هذه الآية لإلى الله تحشرون وهو إشارة إلى من تعبده بمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلى المقامات
وأبعد النهايات في العبودية قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ● إن القوم لما انهزموا
عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتغليظ والتشديد وإنما خاطبهم
باللين فأخبر الله تعالى أن هذا اللين برحمة الله فإنه تعالى أرسله رحمة للعالمين وما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه
لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وقيل يحتمل أن يكون ما استفهاما للتعجب تقديره فبأي رحمة من الله
لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد يقال لان يلين لينا إذا رق له وحسن
خلقه قال صاحب الكشاف ومعنى الرحمة ربطه على جأش النبي وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم [illegible]
بعدما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا يقال فظظت يا رجل تفظ فظاظة وفظاظا فأنت فظ
والأنثى فظة والجمع فظاظ غليظ القلب قاسيه والفرق بينهما أن الفظ سيئ الخلق الجافي في القول وغليظ القلب هو الذي
لا يتأثر قلبه عن شيء فقد لا يكون الإنسان سيئ الخلق ولا يؤذي أحدا ولكن لا يرق لهم ولا يرحمهم لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فتجاوز عنهم فيما يختص بك وهو ما أتوا به يوم أحد واستغفر لهم فيما يختص بحق الله
[illegible] إتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم مأخوذ من قولهم شرت الدابة
وشورتها إذا استخرجت جريها وعلمت خبرها واختلف العلماء في المعنى الذي لأجله أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة
مع كمال عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على أمته فيما أحبوا وكرهوا فقيل هو خاص وإن كان عاما
في اللفظ يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليه فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم
وقيل شاورهم في جميع الأمور لأن سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم
في الأمر فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم وأطيب لأنفسهم فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم ولئلا يثقل عليهم

استيذانه

استبداده بالرأي دونهم وقيل علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ويشاهده ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما شقي عبد قط بمشورة وما سعد باستغناء برأي يقول الله وشاورهم في الأمر [illegible]
غني عن المشورة ولكن الله أراد أن تكون سنة فلا تترك من أمر الدنيا والدين حتى يتشاوروا وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين
فقال وأمرهم شورى بينهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم
فظهر الأرض خير من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم ولم يكن أمركم شورى بينكم فبطن الأرض خير من ظهرها
قيل المشاورة في الحرب التي هي من خصائص النبي [illegible] فإذا عزمت فقطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء
أمرك على الأرشد الأصلح لا على مشاورتهم فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور ومعنى التوكل الأمر إلى الله ثقة
بحسن تدبيره والتوكل التفعل من الوكالة يقال وكلت الأمر إلى فلان فتوكل أي ضمنه وقام به وقيل التوكل إظهار العجز والاعتماد
على غيرك قال بعض أهل التحقيق أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء
لا يكون له حركة ولا تدبير وقيل التوكل الطمأنينة إلى الله وسئل ذو النون ما التوكل قال خلع الأرباب وقطع الأسباب
فقيل له زدني فيها حجة فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية وقيل إسقاط الخوف والرجاء مما سوى الله
وقيل هو العيش بلا هم [illegible] وقيل التوكل على الله الأخذ من الله وقيل انقطاع المطامع وقيل أن لا تطلب
لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وقيل الاتصال بالكلية على ربك وتعرض عن دونه وقيل
أن تفني تدبيرك في تدبيره وترضى بالله وكيلا ومدبرا قال تعالى وكفى بالله وكيلا وقيل اكتفاء العبد الذليل بالرب الجليل كاكتفاء
الخليل بالجليل حين لم ينظر إلى عناية جبريل وقيل السكون عن الحركة باعتماد على خالق الأرض والسموات وقيل لبهلول متى
يكون العبد متوكلا قال إذا كان بالنفس غريبا بين الخلق وبالقلب قريبا إلى الحق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وعنه صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أقوى الناس
فليكن بما في يد الله أوثق منه مما في يده وقيل دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقوله بعض الجهال وإلا لكان
الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل بل التوكل مراعاة الأسباب الظاهرة مع التعويل على عصمة الحق إن الله يحب
المتوكلين المقصود منه ترغيب المكلفين في تفويض الأمر إلى الله وقطع النظر عن كل ما سوى الله قوله إن ينصركم
الله ينصركم الله ويمنعكم من عدوكم فلا غالب لكم كما نصركم يوم بدر وإن يخذلكم يترككم ولا ينصركم كما خذلكم يوم أحد
فمن ذا الذي ينصركم تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه أو من بعد الله كقولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني لما ثبت أن الأمر كله لله وأنه لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه وجب أن لا يتوكل المؤمن إلا
عليه فإنه يفيد الحصر قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون ● قيل نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذها ويقال إنما نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد
إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم
فأنزل الله هذه الآية وقيل بعث رسول الله طلائع فغنم [illegible] ولم يقسم للطلائع فأنزل الله هذه الآية يعني
كان على النبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر
وقيل هذا في الوحي يقول ما كان لنبي أن يكتم شيئا من وحي الله رغبة أو رهبة أو مداهنة وذلك أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن
من عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يطوي ذلك فأنزل الله هذه الآية قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين
والباقون بضم الياء وفتح الغين يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم
شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة
يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا
وجده غالا كقولك أبخلته وأجبنته والمعنى وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك معنى المبني للمفعول
راجع إلى معنى الأول لأن معناه ما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وقيل اللام فيه منقولة وما كان
نبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أي ما كان الله ليتخذ ولدا وقيل هذا من اللطف التعريض لما كان من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم من الغلول دل على أن الغلول في غيره وقيل معناه ما كان يظن به ذلك وما يليق به ذلك وقيل معناه على البناء للمفعول
ما كان لنبي أن يخان أي يخونه أصحابه [illegible] أو يوجد خائنا أو يعد من جملة
الخائنين فيكون أغل وغل بمعنى واحد قوله ومن يغلل يأت بالشيء الذي غله بعينه يوم القيامة يحمله على عنقه عن أبي هريرة قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر الغلول وعظمه وعظم أمره قال لا ألفين أحدكم يوم القيامة يجيء وعلى رقبته بعير له
رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته بقرة لها
خوار يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولا ألفين أحدكم يوم القيامة يجيء وعلى رقبته شاة لها
ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته صامت يقول يا
رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله

[illegible]

من اتبع رضوان الله ونزلت الاية في واقعة معينة لا يخصص بعموم قوله ومأواه جهنم متصل بما قبله اي من باء بسخط
من الله وكان مأواه جهنم قوله وبئس المصير منقطع عما قبله كانه لما ذكر جهنم اتبعه بصفته قوله تعالى هم درجات
عند الله والله بصير بما يعملون ● هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات هو من التشبيه في هم كدرجات يعني انهم متفاوتون
تفاوت الدرجات قال الامام هذا الحذف حسن لان اختلاف اعمالهم قد صيرتهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها
فكان هذا المجاز ابلغ من الحقيقة قوله هم ضمير عائد الى ما تقدم ذكره وقد تقدم ذكر من اتبع رضوان الله وذكر من باء بسخط
فيحتمل ان يكون عائدا الى الاول او على الثاني او عليهما فعلى الاول تقديره من اتبع رضوان الله هم درجات عند الله على حسب
اعمالهم لان اهل الجنة بعضهم افضل من بعض وكل في فضل وكرامة ومما يدل عليه ان الغالب في العرف استعمال الدرجات
لاهل الجنان والدركات لاهل النيران وانما يقول له افمن اتبع رضوان الله ويعقبه بقوله كمن باء بسخط من الله ومأواهم
بئس مأواهم جهنم وبئس المصير ترجيح بوصف من اتبع رضوان الله كما ان عادة القرآن جارية بان يفتتح باهل الرحمة ويختم
بهم مثل قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى قوله واما الذين ابيضت وجوههم وعلى الثاني المراد بيان ان اهل النار متفاوتون
في مراتب العذاب وعلى الثالث المعنى ان المؤمنين ذوو درجات رفيعة والكافرون ذوو دركات خسيسة ولمن اتبع رضوان الله
الكرامة والثواب ولمن باء بسخط منه المهانة والعذاب واهل الجنة بعضهم افضل من بعض وكل في فضل وكرامة واهل النار
بعضهم اشد عذابا من بعض وكل في عذاب وهوان قوله عند الله اي في حكم الله وعلمه وهو كما يقال هذه المسألة عند
كذا وعند ابي حنيفة كذا فهذا يبطل فساد استدلال المشبهة بقوله ومن عنده لا يستكبرون قوله والله بصير
بما يعملون لما ذكر قوله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا لا يتم الا اذا كان عالما بجميع افعال العباد على التفصيل
قال والله بصير بما يعملون ولما كان الاعمال من المبصرات بحسب الغالب قال بصير قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين ● لما بين خطأ من نسبه الى الغلول والخيانة اكد ذلك بهذه الاية وذلك لان الرسول ولد في بلدهم ونشأ
فيما بينهم ولم يظهر قبل بعثته منه الا الصدق والامانة والدعوة الى الاعراض عن الدنيا فكيف يليق بمن يكون حاله هذا
قبل البعثة الغلول والخيانة على انا نسوق الكلام نادا الغلول وقيل لما بين خطأهم في نسبته الى الغلول قال ان وجوده فيهم
من اعظم نعم الله عليهم انه منكم ومن اهل بلدكم وانتم ارباب الجهل والذلة فاذا شرفه الله وخصه بجميع الفضل والكمال
من جميع حصل لكم شرف عظيم بسبب كونه فيكم فطعنكم فيه واجتهادكم في نسبة القبائح اليه على خلاف العقل فقيل
لما كان في الشرف والمنقبة بحيث شرفه الله به على عباده وجب على كل عاقل اعانته باقصى ما يقدر عليه فوجب عليكم ان
تحاربوا اعداء الله وان تكونوا معه باليد واللسان والمقصود منه ترغيب المسلمين في مجاهدة الكفار قوله لقد من الله على
المؤمنين اي انعم على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه من انفسهم من جنسهم
عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده ووجه المنة عليهم في انه كان من انفسهم انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل
اخذ ما يجب عليهم اخذه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه

فانفسهم

في انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب
والحكمة اي القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم قوله وان كانوا ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية تقديره وان الشأن والحديث كانوا قبل بعثة محمد عليه السلام لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة
فيه قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء
قدير ● اخبر بعض المنافقين انهم طعنوا في الرسول بان نسبوه الى الغلول والخيانة حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم
لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وهو المراد من قولهم انى هذا فاجاب الله عنه بقوله قل هو من عند
انفسكم اي هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وانى نصب
لانه مفعول والهمزة للتقرير والتقريع والواو عطفت هذه الجملة على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم ويجوز ان تكون
معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حين اصابتكم مصيبة اي هذا يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين
منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين انى هذا اي من اين هذا كقوله انى لك هذا اي
لكم من اين اصابنا هذا القتل والهزيمة وقد تقدم الوعد بالنصر ونحن مسلمون ورسول الله فينا قل هو من عند انفسكم
اي انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وطلبكم الغنيمة وعصيانكم الرسول او قبلكم
الشروع في ... قوله قل هو من عند انفسكم اي باخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم التخيير جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى
فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل ناخذ فداءهم فنتقوى به على قتال العدو
ويستشهد منا بعدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون رجلا عدد اسارى اهل بدر فهو معنى قوله قل هو من عند انفسكم
اي باخذ الفداء واختياركم القتل قوله ان الله على كل شيء قدير على النصر مع الطاقة وعلى ترك النصر مع المخالفة على ان
يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى قوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل
فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ● قوله وما اصابكم متعلق بقوله اولما اصابتكم فذكر في الاية الاولى انما اصابهم
بذنبهم ومن عند انفسهم وذكر في هذه اصابتهم لوجه آخر وهو ان يتميز المؤمن عن المنافق وما اصابكم يوم احد التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بعلمه كقوله اذان من الله اي اعلام وقوله فأذنوا بحرب من الله وكل ذلك
بمعنى العلم وقيل بامره وقيل بقضاء الله وقدره وحكمه لان الاية تسلية للمؤمنين فيما اصابهم والتسلية انما تحصل اذا قيل
ان ذلك واقع بقضاء الله وقدره وقال صاحب الكشاف بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم
لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده ولا يخفى ان حمل الاذن على التخلية ابعد من حمله على العلم والامر والقضاء قوله وليعلم
اي وليعلم ان ما اصابكم كان لتمييز المؤمنين وليتميز المنافقين وليظهر ايمان المؤمنين بثباتهم على ما نالهم ويظهر نفاق
المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما نزل بهم ... الذين نافقوا عبد الله بن ابي واصحابه
وذلك انهم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله وقيل لهم عطف على قوله نافقوا فهو ايضا من جملة الصلة
اي وليعلم الذين نافقوا بقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم
وقيل كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا ومنعا للعدو قالوا لو نعلم ... الكرام
لهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لم نقل فقالوا ويجوز ان تكون الصلة نافقوا وحده ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ
قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ...
ان لم يكن بهم هم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه ...
اي فسادهم قالوا لو نعلم قتالا اي لو نعلم انكم تقاتلون فيما اسلمناكم تعنون لا يكون اليوم قتال ولو نعلم انه يكون لاتبعناكم
وقيل معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب
ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله بن ابي كان في الاقامة بالمدينة وما كان
يستصوب الخروج قوله هم للكفر يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن
بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم
لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم
لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان
ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم
تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا قيل الذين نصب على الذم
وقيل على انه بدل الذين نافقوا فيكون منصوبا على انه مفعول وليعلم وقيل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين

قالوا وقيل مرفوع على انه بدل من الفاعل الذي هو واو يكتمون وقيل مجرور بدل من الضمير المجرور في قوله بأفواههم وقيل مجرور
بدل من الضمير المجرور الذي هو في قلوبهم وقوله لاخوانهم من جنس المنافقين المقتولين منهم يوم احد او اخوانهم في النسب
وفي سكنى الدار وقوله وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود وانصرفوا معنا ما قتلوا
كما لم نقتل قل فادرأوا معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم
لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم
سبب من تلك الاسباب ثم قالوا هذه المقالة تثبيطا منافقا قال صاحب الكشاف فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم
دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود
عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم
ان سبب نجاتكم القعود وانكم لصادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين
في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرأوا عن
انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرأوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا قوله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● لما ثبط المنافقون الراغبين في الجهاد بان قالوا الجهاد يفضي
الى القتل والقتل مكروه فوجب الحذر عن الجهاد ودفع الاول بقوله فادرأوا عن انفسكم الموت ودفع الثاني بهذه الاية وقيل
نزلت هذه الاية في شهداء احد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوي الى قناديل
من ذهب معلقة تحت العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق
لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله
نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي يوم احد وترك علي دينا وعيالا فقال
رسول الله الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسألك
ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال اني قد قضيت انه لا يعود الى الدنيا خليقة قال يا رب فمن يبلغ قومي
فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في شهداء بدر وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وقيل نزلت في الشهداء كافة قوله ولا تحسبن
اي لا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد الذين قتلوا هو المفعول الاول قرأ ابن عامر بالتشديد
والباقون بالتخفيف امواتا كمن لم يقتل في سبيل الله ونصب امواتا على المفعول الثاني لان الحسبان يتعدى الى
مفعولين فاذا قلت حسبت زيدا لا يكون كلاما تاما حتى تقول قائما او قاعدا قوله بل احياء اي بل هم احياء قيل يعني
احياء في الدين وقيل في العلم وقيل ببقاء الذكر كما قيل موتى التقى حياة لا فناء لها ● قد مات قوم وهم في الناس احياء
وقيل سماهم احياء لانهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل لانه يكتب لهم في كل سنة ثواب غزوة ويشركون
في فضل كل جهاد يكون الى يوم القيامة لانهم تمنوا رد ارواحهم الى اجسادهم في الدنيا حتى يقتل في سبيل الله ترجيع
من يقتدي بهم اليهم وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة كارواح المؤمنين الذين
باتوا على الوضوء وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تأكله الارض قال الواحدي الاصح في حياة الشهداء ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون قوله عند ربهم اي في دار
كرامتهم ومعنى عند معنى القرب والاكرام يعني بدار السلام وقيل عند ربهم اي في علمه كما يقال عند الشافعي اي في علمه
وقيل عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون اي من ثمار الجنة كما ذكر وقيل يرزقون مثل
ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين
نصب على الحال بما آتاهم الله من فضله يعني ثوابه او التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم
من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها قيل ان اشرف الارواح القدسية المطهرة عن دنس الشهوات
واتباع الاهواء اذا بدت الالهية كانت مبتهجة بوجهين احدهما بكونها مستنيرة مشرقة بتلك الجلايا القدسية والكمالات
الالهية وثانيهما بكونها ناظرة الى منبع النور ومصدر الرحمة والابتهاج بالثاني اتم منه بالاول فقوله يرزقون اشارة
الى الدرجة الاولى وقوله فرحين اشارة الى الدرجة الثانية ولهذا قال فرحين بما آتاهم الله من فضله يعني فرحهم ليس
بالاشياء الرزق لان المشتغل بالرزق مشتغل بنفسه والناظر الى ايتاء الرزق مقبل على الرازق ومن طلب الرزق لغيره
فهو محجوب وقال بعض المحققين المقتول على الشهادة اما برؤية شاهد واما ممن عاش في رؤية نفسه ومتابعة
هواه وقال بعضهم لا تظنن ان الهالكين في طرق الارادة وطلبه لوصاله مردودين الى مقاماتهم بل قد بلغوا غاية ما قصدوا
من القرب والوصال احياء بربهم الحي عند ربهم في مجلس المشاهدة يرزقون بزيادة الفوائد من انواع الاطلاع فرحين
بالغنى في الرضى ويستبشرون الاستبشار السرور والحاصل بالبشارة ومعناه يسرون ويفرحون وليس الاستفعال
في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة بل هو لمستبشر بمنزلة من طلب السرور فوجده بالبشارة قوله بالذين لم يلحقوا اي بهم
يفرحون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع النبي
صلى الله عليه وسلم فيستشهدون كما استشهدنا فينالون من كرامة الله مثل ما نحن فيه فيسرون بذلك فذلك قوله بالذين لم يلحقوا

اي باخوانهم

اي باخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا فلم يلحقوا بهم اي لم يلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم
قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم قوله ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال الذين تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون انهم يبعثون آمنين يوم القيامة
بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله
لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وقيل الذين لم يلحقوا بهم جميع المؤمنين اي لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة
ولكن الشهداء لما رأوا ثواب الله تيقنوا ان الدين الاسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه فهم فرحون لانفسهم بما آتاهم من فضله
ومستبشرون للمؤمنين بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان لا خوف مفعول لاجله والتقدير بان لا خوف عليهم قوله
كرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان الله يعني بان الله
في محل الخفض عطفا على قوله بنعمة وقرأ الكسائي بالكسر على الاستيناف وعلى ان الجملة اعتراض وقوله وفضل اشارة الى النعم
والكرامات والامر الذي حصل لهم انما هو بفضل الله لا بعمل احدهم ثم بين ان الذي يقدم من الكرامات والثواب الى الشهداء ليس
مخصوصا بهم بل كل من آمن انه لا يضيع اجر ايمانه بل يثيبه ويدخله الجنة بفضله لان سنة الله التي لا تبديل لها ان لا يضيع اجر
المؤمنين فلا يلتفت الى قول صاحب الكشاف ان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع
لم يذكر في الاية ما يدل على هذا ولا مساعدة للعقل قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ● الذين مبتدأ وقوله للذين احسنوا خبر لقوله اجر عظيم والجملة خبر
قوله الذين استجابوا او صفة للمؤمنين في قوله وان الله لا يضيع اجر المؤمنين او نصب على المدح استجاب بمعنى اجاب اي
اجابوا الله ورسوله من بعد ما اصابهم الجراحات والظاهر الذين احسنوا منهم في طاعة الله ورسوله كانهم يتقون الله ولم
يكونوا ينقضونه فان برائهم واتقوا معصية الله تعالى لهم اجر عظيم قال صاحب الكشاف من في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها
في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم لا
بعضهم روي ان ابا سفيان وحزبه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء وهي موضع بين المدينة ومكة قريب من المدينة ندموا على
انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم
ارجعوا فاستأصلوهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من
القرح والالم الذي اصابهم يوم احد حتى بلغوا حمراء الاسد وهو من المدينة على ثمانية اميال فلما سمع بذلك ابو سفيان وحزبه فالقى الله
الرعب في قلوبهم فذهبوا من مخرجه الى مكة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت له يا ابن اختي كان ابوك الزبير وابو بكر منهم
قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ● الذين مبتدأ خبره فزادهم وقيل انه بدل من قوله للذين احسنوا وقيل صفة
للمؤمنين في قوله وان الله لا يضيع اجر المؤمنين روي ان ابا سفيان حين اراد ان ينصرف يوم احد قال يا محمد انه موعدنا بيننا وبينك
موسم بدر الصغرى القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا ان شاء الله فلما كان العام القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مجنة وقيل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له
ابو سفيان يا نعيم اني واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذا عام جدب ولا يصلح لنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه
اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي فالحق بالمدينة
فثبطهم واعلمهم اني في جمع كثير ولا طاقة لكم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها فقال سهيل نعم يا نعيم
انا ضمنته وانطلق الى محمد فثبطه فقال نعم فخرج نعيم حتى قدم المدينة فوجد الناس يتجهزون فقال لهم اين تريدون قالوا واعدنا
ابو سفيان بموسم بدر ان نقتتل بها فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وجاء ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان
ثبطوهم وكره المسلمون الخروج فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج فاما الجبان
فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله وسلامه
عليه حين القي في النار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق
لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ببدر ثمانية ايام وكانت معهم
تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وانصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة
جيش السويق انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان كان المثبط
نعيما وحده فاطلاق الناس عليه كما تقول اذا انتظرت قوما فجاء واحد منهم قد جاء الناس وقيل ذلك لانه من جنس الناس
كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد واحد وقيل لانه حين قال ذلك لم يخل عن اناس من اهل المدينة
يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فاخشوهم كما تقدم قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا وقيل
زادهم ذلك الحق يقينا وثباتا في دينهم واقامة على نصرة نبيهم وقيل زادهم الناس اذا اريد به نعيم وحده قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية

وان الله

فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجه
العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله
ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان يأخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به
حسبنا الله اي كافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف
به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل اي الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا وفضل وهو الربح في
التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء ما يسوؤهم من كيد عدو
ولا جراح واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم في طاعة الله ورسوله والله ذو فضل عظيم تفضل على المؤمنين
بما تفضل به عليهم وفي ذلك القاء الحسرة في قلوب المتخلفين عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فازوا به وروي انهم
[illegible] قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان مبتدأ وخبر يعني
انما ذلكم المثبط الذي قال لكم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستأنفة لبيان
لشيطنته التي في اوليائه ويجبنوا عنهم وقيل الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان
نعيم وابو سفيان قيل ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي انما ذلكم قول الشيطان او قول ابليس لعنه الله وقيل
يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه يعني يخوف المؤمنين باوليائه الكافرين وقيل لم يظهر اولياءه في صدورهم ليخافوهم وقيل
يخوف الناس اولياءه فيكون كقولك فلان يعطي الدراهم الناس ويكسو الناس الثياب يدل عليه قراءة ابن مسعود يخوفكم
اولياءه قوله فلا تخافوهم اي لا تخافوا اولياء الشيطان وخافوني في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي صلى الله عليه وسلم
وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين مصدقين بوعدي وقد اعلمكم اني انصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف وقيل يريد
ان الايمان يقتضي ان يؤثر خوف الله على خوف غيره شاهده قوله ولا يخشون احدا الا الله قوله تعالى ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ● قرأ نافع يحزن
بضم الياء وكسر الزاء وكذلك جميع ما في القرآن الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر في سورة الانبياء وضم الزاء والباقون
كلها بفتح الياء وضم الزاء يقال حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وهما بمعنى واحد قيل الذين يسارعون هم كفار قريش وقيل
هم المنافقون يقعون في الكفر سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وقيل هم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام اي لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون الله بمسارعتهم
في الكفر بل يضرون بمسارعتهم في الكفر انفسهم ووبال ذلك عائد عليهم لا على غيرهم ثم بين كيف يعود وبال الكفر
عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا اي نصيبا من الثواب في الجنة ولهم بدل الثواب في الجنة عذاب
عظيم وهذا غاية ما ضرب به الانسان وهذا يدل على المعتزلة وتنصيص على ان الخير والشر والايمان والكفر بارادة الله تعالى
قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي
الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم قيل السؤال والجواب مبني على مذهبه والسؤال من اصله غير متجه
لانه عدول عن الظاهر فان قوله يريد الله ان لا يجعل لهم استئناف لبيان الموجب كأنه قيل لم يسارعون في الكفر مع ان المضرة
عائدة اليهم فاجيب بانه تعالى يريد ذلك منهم فكيف لا يسارعون والآية دالة على ان الارادة تتعلق بالعدم قالت المعتزلة
لكنه تعالى ما اراد ذلك كما قال ولا يريد بكم العسر واجيب بان هذا عدول عن الظاهر من غير دليل قوله ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
تكريرا لذكرهم للتأكيد او للتسجيل عليهم بما اضاف اليهم او لبيان ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق او ارتد من
الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر قوله تعالى ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ● قيل الذين كفروا المنافقون وقريظة
والنضير وقيل مشركو مكة قرأ حمزة بالتاء والباقون بالياء فمن قرأ بالتاء يكون الذين كفروا مفعولا وانما نملي لهم خير لانفسهم
بدله وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاء
خير وكان حقها ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في
خط المصاحف وانما صح مجيء البدل وان لم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد
من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا ترى انك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك
على متاعك وقيل يجوز ان يقدر مضاف محذوف اي ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او لا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومن قرأ بالياء فالذين كفروا رفع فاعل والفعل متعلق بان وما بعده والاملاء
الامهال والتأخير يقال املى عليه الزمان اي طال عليه وامل له اي طول له وامهله قال صاحب الكشاف والاملاء لهم تخليتهم
وشأنهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء قوله انما نملي لهم حقها ان تكتب متصلة لانها
كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما
نملي لهم ليزدادوا اثما قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة
للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض

وانما هو

وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء
كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله
وبسببه على طريق المجاز يوجهه انه سبق في علمه تعالى بانهم مزدادون اثما ولا بد ان يقع الازدياد لان المعلوم تابع العلم
وذلك الازدياد موقوف على حصول الاملاء والامهال والموقوف على الشيء لا يكون علة له فجعله علة مجاز فكان الاملاء
وقع من اجله وبسببه قيل بناء على ان الاثم الواقع منهم خلاف الارادة فاهل السنة تحمله سببا وليس غرضا
وقيل اللام في ليزدادوا لام الارادة وارادة زيادة الاثم جائزة عندنا اهل السنة ولا تخلو من حكمة قوله تعالى ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ● هذه الآية من بقية الكلام في قصة احد واخبر تعالى
ان الاحوال التي وقعت في تلك الواقعة من القتل والهزيمة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم اياهم مع ما كان بهم من الجراحات الى
الخروج لطلب العدو ثم دعاهم مرة اخرى الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان انما كان لامتياز المؤمنين من المنافقين قيل سأل
المؤمنون ان يعطوا علامة يميز بها المؤمن من المنافق فانزل الله الآية قيل الخطاب للكفار والمنافقين اي ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين الذين اخبر عنهم
اي ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالكافر والمنافق حتى يميز الخبيث من الطيب فعلى
هذا التفات من الغيبة الى الخطاب للمصدقين باللسان جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين
منكم على الحال التي انتم عليها من التباس بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق باللسان
جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم واللام في ليذر لتأكيد النفي حتى يميز قرأ حمزة والكسائي حتى يميز
بضم الياء والتشديد وكذلك التي في الانفال والباقون بفتح الياء وكسر الميم مخففا يقال ماز الشيء يميزه ميزا وميزه
تمييزا اذا فرقه وقيل مزت الشيء امزه من كثرته وفرزته وكذلك ميزته تمييزا بعضه من بعض حتى يميز الخبيث من الطيب اي المنافق
من المؤمن ميز الله المؤمنين يوم احد من المنافقين حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله وقيل حتى يميز المؤمن من الكافر
بالهجرة والجهاد وقيل ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه من الاقرار حتى يفرض عليهم الجهاد والفرائض التي فيها تكليفهم
ليتبين بها من ثبت على ايمانه ممن ينقلب على عقبيه وقيل ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه في اصلاب الرجال وارحام النساء
يا معشر المنافقين والكافرين حتى يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو
المنافق من الطيب وهو المؤمن اي يخلص الاخيار من المؤمنين بما يصيبهم من نكبة ومحنة ومصيبة قوله وما كان الله ليطلعكم على
الغيب فتعرفوا المنافق من المؤمن قبل التمييز والاطلاع ان يطلع انسانا على امر لم يكن علم به يقال اطلعته على كذا اي اعلمته
اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيب وقيل وما كان الله ليطلعكم على الغيب وانتم لا تلاحظون اسبابكم ودواعيكم
وانما يطلع على الغيب من كان امينا على السر والعلانية الظاهر والباطن ثم يفتح له من طرق الغيب بعدد الامانة قال الله عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لعدم التنافي بين اوصافه المتصف باوصاف الحق قوله ولكن الله يجتبي
اي يختار من رسله من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات فيخبر بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه
الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله تعالى لا من جهة اطلاعهم على المغيبات قيل ولكن يجتبي من رسله من يشاء وانه يجتبي
من يصطفيه واطلعه على هذا الغيب الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كيف حكم على الغيب بعد العشرة في الجنة ثم امر بالايمان
بالله وبجميع الرسل بان تعلموا انه لا اله الا هو وانه لا يعلم الغيب الا هو وبان تنزلوا الرسل منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيب ثم وعدهم الاجر العظيم على ذلك بقوله وان تؤمنوا
وتتقوا فلكم اجر عظيم قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ● لما حث الله تعالى وحرضهم على بذل النفس
في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع ههنا في التحريض على بذل المال في الجهاد وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال قرأ حمزة
لا تحسبن بالتاء والباقون بالياء اما من قرأ بالتاء فتقديره مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم واما
من قرأ بالياء فكذلك ان جعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد وان جعل فاعل يحسبن الذين
يبخلون كان المفعول الاول محذوفا تقديره ولا تحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه
قوله هو فصل اي بل البخل شر لهم لانه سيعاقب ببخلهم عليهم قوله سيطوقون تفسير لقوله شر لهم والسين في قوله سيطوقون
سين الوعيد اي سوف يطوقون قيل معناه يجعل ما بخل به من المال حية يطوقها يوم القيمة في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع يفر منه وهو يتبعه حتى
يطوقه في عنقه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيطوقون ما بخلوا به الآية وقيل معناه سيلزمون وبال ما بخلوا
الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم قوله ولله ميراث يعني ان يفنى اهلها ويبقى الاملاك
والاموال لا مالك لها الا الله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض مما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه
ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والله بما تعملون قرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء المنقوطة
من تحت على الظاهر والباقون بالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم

وأن الله ليس بظلام للعبيد ● الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ● لما أمر الله تعالى المكلفين في هذه الآية ببذل النفس والمال في سبيل الله ...

[illegible]

والزامًا لهم قوله قد جاءكم يا معشر اليهود رسل من قبلي بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليكم التصديق وجاؤوا بالذي قلتم
من القربان فلم قتلتموهم يعني زكريا ويحيى وعيسى وغيرهم من الأنبياء وأراد بذلك أسلافهم ونسبه إليهم لأنهم رضوا
بفعل أسلافهم إن كنتم صادقين أن الإيمان يلزمكم بإتيانها قوله فإن كذبوك يعني كذبهم يا محمد مع علمهم بصدقك
كتكذيب أسلافهم الرسل والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول أي لا يحزنك تكذيبهم فإن هذا التكذيب ليس بمختص بك بل
الرسل من شأن الكفار تكذيب الرسل والطعن فيهم مع أنهم جاؤوا بالبينات المعجزات الظاهرة والزبر الكتب جمع زبور
وهو الكتاب بمعنى المزبور أي المكتوب يقال زبرت الكتاب أي كتبته وقرأ ابن عامر وبالزبر بإعادة الباء وذلك مستغنى عنه
والكتاب المنير الهادي إلى الحق من قولك أنرت الشيء إنارة أي أوضحته وصححته وقيل الكتاب المنير التوراة والإنجيل والزبور
عطف الكتاب المنير على الزبر وهو من الزبر لأن الكتاب المنير أشرفها وأحسنها كما في قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة
فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ● المقصود من هذه الآية تأكيد تسلية الرسول والمبالغة في إزالة الحزن
من قلبه فإن عاقبة كل نفس الموت فهذه الهموم والأحزان تذهب وتزول فلا يبقى شيء منها وبعد هذه الدار يتميز فيها
المحسن من المسيء ذائقة فاعلة من الذوق أي كل نفس من أصحاب الجنة وأصحاب النار بدليل فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد
فاز وهذا يدل على أن النفوس لا تموت بموت البدن الذي هو بمفارقة النفس عنه لأن الله تعالى جعل النفس ذائقة الموت والذائق
لا بد أن يكون باقيًا لحصول الذوق وأيضًا يدل على أن النفس غير البدن وهذا وعيد من الله بالموت للمؤمنين ووعيد
للمكذبين بالقرآن لأنهم إذا ماتوا حصلوا على خيبة وحسرة وإنما توفون أجوركم يوم القيامة بين أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى
المؤمنين إلا يوم القيامة وقوله إنما توفون أجوركم ينفي توهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار لأن لفظ التوفية
إن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل يوم القيامة فبعض الأجور والزحزحة التنحية والإبعاد تكرار الزح
زحه أي جذبه عن موضعه وزحزحه عن كذا أي أبعده عنه فمن زحزح أي نحي قال ذو الرمة يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا
وغافر الذنب زحزحني عن النار أي من بعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالخير ونجا من الشر قال الكل من نجا من هلكة و
ما يغتبط به فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من البعد عن الجحيم ونيل الرضوان
والنعيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا
الله وأن محمدًا رسول الله ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه قوله وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور المتاع السلعة والمنفعة
وما يتمتع به والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده
والشيطان هو المدلس الغرور وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرأوا إن شئتم
فمن زحزح إلى قوله وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قوله تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ● لما سلى الرسول صلى الله عليه وسلم
بقوله كل نفس ذائقة الموت زاد في تسليته بهذه الآية فبين أن الكفار بعد أن آذوا الرسول والمسلمين يوم أحد فسيؤذونهم
أيضًا في المستقبل بكل طريق فيما يمكنهم من الإيذاء بالأنفس والإيذاء بالمال والغرض من هذا الإعلام أن يوطنوا أنفسهم على الصبر وترك
الجزع لأن الإنسان إذا لم يعلم نزول البلاء عليه شق ذلك عليه فأما إذا كان عالمًا بأنه سينزل فإذا نزل لم يعظم وقعه عليه والسلو
اللام لام القسم والنون دخلت مؤكدة خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد ويصبروا
عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه لتبلون أي لتختبرن
في أموالكم بالإنفاق في سبيل الله بالحوادث والنقصان حتى يتبين الجازع من الصابر والمخلص من المنافق وفي أنفسكم بالأمراض
والقتل والأسر والجراح وما يرد عليه من أنواع المخاوف والمصائب قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم من الطعن
في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض
المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير ومن الذين أشركوا من تحريض المشركين على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيط
المؤمنين عن نصرته فإن تصبروا على الأذى لكم وتتقوا بترك المعارضة فإن ذلك الصبر والتقوى من عزم ومعزمات الأمور أي مما
يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون أي أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا قوله تعالى
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما
يشترون ● قيل لما حكى الله عن اليهود شبهًا طاعنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أجاب عنها بين ههنا أنه تعالى
أوجب عليهم في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أن يشرحوا للخلق ما في الكتابين من الدلائل الدالة على صدق
نبوته ودينه وقيل لما أوجب في الآية المتقدمة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم احتمال الأذى من أهل الكتاب وكان من جملة
أذاهم للرسول أنهم كانوا يكتمون ما في التوراة والإنجيل من الدلائل الدالة على نبوته وكانوا يحرفونها ويذكرون لها تأويلات فاسدة
بين أن هذا من تلك الجملة التي يجب فيها الصبر واذكر إذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ليبيننه قرأ أبو عمرو وأبو بكر
عن عاصم بالياء فيهما لأنهم غيب والباقون بالتاء فيهما على الخطاب أي على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب
لتفسدن والضمير في الفعلين للكتاب أكد عليهم ذلك إيجاب بيان الكتاب للناس واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم
عليه وقيل له آلله لتفعلن بدليل اللام في لتبيننه لأنه لام جواب القسم يعني الميثاق وتأكيده عليهم فنبذوه أي طرحوه وضيعوه
وتركوا العمل به ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه

والقاه بين عينيه واشتروا به ثمنا قليلا اي ما كانوا ياخذون من سفلتهم برياستهم في العلم تبجحا في ... قال
صاحب الكشاف وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد
من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة
او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن علي رضي الله عنه ما اخذ
على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وعن محمد بن كعب القرظي لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله

قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم
عذاب اليم ● قيل ان هذه الاية نزلت في رجال المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو
ويفرحون بقعودهم عنه فاذا قدم اعتذروا اليه فيقبل عذرهم واحبوا ان يحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان وقيل هم اليهود
فرحوا باضلال الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا كذلك لا تحسبن قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة يعني لا تحسبن انفسهم الذين يفرحون
فرحهم منجيا لهم من العذاب فلهم بما اتوا بما فعلوا اي اعتذارهم من عوض من الغزو بحيلة فلا تحسبنهم قرا ابن كثير وابو عمرو
فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء والباقون بالتاء وفتح الباء وقيل نزلت في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود
عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله
رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم
عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب وقيل يفرحون بما اوتوا
من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع
دين ابراهيم عليه السلام حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه قوله ولله ملك السموات
والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم قوله تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا
بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
انك لا تخلف الميعاد ● المقصود الاعظم من القران تنوير القلوب بمعرفة الحق وذلك لا يتيسر الا بالانقياد والتسليم
واتباع الملة الحنيفية وذلك يتوقف على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دين الاسلام فذكر في الايات كثيرة دلائل على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وازال الشبهات التي هي من قبل اهل الكتاب بحيث تظهر للنبي صلى الله عليه وسلم مكابرتهم وكذبهم وافتراءهم
على الانبياء ثم شرع فيما هو وسيلة الى المعرفة التي هي المقصود الاصلي عن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى
الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله والله اني لاحب قربك واحب
هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه ثم بكى ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال رضي الله عنه يوذنه بصلاة
الغداة فراه يبكي فقال يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم
قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك
ثم ينظر الى السماء ثم يقرا ان في خلق السموات والارض وذكر الله تعالى في سورة البقرة ثمانية انواع من الدلائل وختمها بقوله
لايات لقوم يعقلون وفي هذه الاية ذكر ثلاثة انواع منها وهي السموات والارض والليل والنهار وختمها بقوله لايات
لاولي الالباب والسر فيه ان السالك الى الله يفتقر في ابتداء سلوكه الى كثرة الادلة فاذا استنار القلب بمعرفة الله
كانت كثرة الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفة الله تعالى فذكر في سورة البقرة ادلة كثيرة تنبيها على ان السالك الطالب
لمعرفة الله يفتقر في ابتداء السلوك الى كثرة الدلائل وذكر هاهنا ثلاثة انواع تنبيها على ان السالك عند العروج الى المنتهى لا يتفرغ
لكثرة الادلة فتحجبه من الاستغراق في معرفة المدلول فذكر في هذه الاية الادلة الثلاثة وترك الادلة الخمسة التي هي
الادلة الارضية لان الادلة السماوية اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال القلب منها الى عظمة الله وكبريائه اشد
وختم الاية في سورة البقرة بقوله يعقلون لان العقل في اول الامر لم يتخلص من وساوس الشيطان وشوائب الوهم المانعة من
وصوله الى الحق اليقيني في الابتداء فلا يكون لبا بل عقلا فان اللب هو العقل الخالص من وساوس الشيطان وشوائب الوهم وختم
هذه الاية بقوله لاولي الالباب لما ذكر اولا في تلك لقوم يعقلون وفي هذه لاولي الالباب مما يحقق ترتيب ما ذكر وقوله
لايات لادلة واضحة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وقوله لاولي الالباب الذين خلصوا من وساوس الشيطان وتجردوا عن هواجس
الوهم وشغل فكرهم عما يكون مانعا من الاعتبار والنظر في ملكوت السموات والارض وفي عجائبها ولطائفها قيل من لم يكن من اولي الالباب

لم يكن

لربك له في النظر الى ملكوت السموات والارض اعتبارهم واولو الالباب هم الناظرون الى الخلق بعين الحق فوصف اولي الالباب
فقال الذين يذكرون الله دائما على الحالات كلها قياما وقعودا واضطجاعا فان احوال الانسان لا تخلو عن هذه الثلاثة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه
حجة الشافعي في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي واذا وجد خفة قعد قال بعض اصحاب الحقائق
يذكرون الله قياما في مشاهدات الربوبية وقعودا في اقامة الخدمة وعلى جنوبهم في رؤية الزلفة وقال بعضهم يذكرون الله قياما
بقيوميته اي هو قائم على كل نفس بما كسبت وقعودا بمجالسته انا جليس من ذكرني وعلى جنوبهم اشارة يا حسرتى على ما فرطت
في جنب الله وقال بعضهم الذين يذكرون الله قياما باتباع اوامره وقعودا عن زواجره ونواهيه وعلى جنوبهم عطف على الحال
على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا او مضطجعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله علم الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان
وحرز من النيران وقال الله عز وجل اجعلني منك على بال ولا تنس ذكري على كل حال قوله ويتفكرون
اعلم ان الله تعالى وصف اولي الالباب بانهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وبانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وذلك
لان معرفة الحق والتوحيد انما يكون بالعقل والعقل في ابتداء السلوك الى معرفة الحق قاصر عنها لان غلبة قوة الشهوة والغضب
تورثه تحت ظلمة الشيطان ومتابعة الهوى فلم يتخلص من نزغات الشيطان ووساوسه وخطرات النفس الامارة بالسوء ومعارضات
الوهم فاحتاج في الخلاص عنها الى العبادات المشفوعة بالفكر فاذا عبد الله تعالى وتفكر في مصنوعاته صار ذا اللب الخالص
قابلا لتجليات الحق فقوله يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اشارة الى المواظبة على العبادة وقوله ويتفكرون في خلق
السموات والارض اشارة الى كون تلك العبادة مشفوعة بالتفكر في الله تعالى والتفكر في خلقه قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا
في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره قال تعالى ما قدروا الله حق قدره بل يعرف باضافة الافعال اليه وكذلك
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفكر في الله وامر بالتفكر في الخلق واما الذكر فهو بالنسبة الى الله لا بالنسبة الى خلقه
فلهذا وصف الله تعالى اولي الالباب بانهم يذكرون الله ويتفكرون في خلق السموات والارض وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء
فقال اشهد انك ربنا وخالقنا فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر
الله اليه فغفر له وروي ان عابدا تعبد في بني اسرائيل ثلاثين سنة وكان الرجل اذا تعبد ثلاثين سنة اظلته غمامة فلم ير
شيئا فشكى ذلك الى امه فقالت يا بني فكر هل اذنبت منذ تعبدت في عبادتك قال لا ولا اعلم اني هممت منذ ثلاثين سنة
قالت يا بني بقيت واحدة ان نجوت منها رجوت ان يظلك الغمام قال وما هي قالت هل رفعت طرفك الى السماء ثم رددته بغير فكرة
قال كثيرا قالت فما اتيت الا من ذلك وكما كانت افعاله اشرف واعلى كان وقوعها في العقل على كل تفاصيل اللطف اجلى والايات
الدالة على التوحيد اما في الافاق واما في الانفس وآيات الافاق اجل واعظم قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فلهذا ذكر في وصف اولي الالباب انهم يتفكرون في خلق السموات والارض فانه لا نهاية لعجائبه وشواهدها اعظم وكيف لا ولو
ان الانسان نظر الى ورقة صغيرة من اوراق شجرة صغيرة راى في تلك الورقة عرقا واحدا ممتدا في وسطها ثم يتشعب من ذلك
العرق عروق كثيرة الى الجانبين ثم يتشعب من تلك العروق عروق كثيرة ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يتشعب من كل
عرق عروق شعرية لا يراها البصر فيعلم ان الصانع تعالى وتقدس في تدبير هذه الورقة على هذه الخلقة حكما بالغة واسرارا
عجيبة فان الله تعالى اودع فيها قوة جاذبة لغذائها من قعر الارض ثم ان ذلك الغذاء يجري في تلك العروق حتى يتوزع على كل جزء
من اجزاء تلك الورقة جزءا من اجزاء ذلك الغذاء بتقدير العزيز العليم ولو اراد الانسان ان يعرف كيفية خلقة تلك الورقة وكيفية
التدبير في ايجادها وايداع القوة الغاذية والنامية فيها لعجز عنه ونسبة تلك الورقة الى السموات مع ما فيها من الشمس
والقمر والنجوم والى الارض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والاشجار والحيوان كالعدم فاذا عجز عن
معرفة تلك الورقة الصغيرة علم انه لا سبيل له الى الاطلاع على عجائب حكمته في خلق السموات والارض بل يعرف على سبيل
الاجمال ان في خلقها حكمة بالغة ويعرف انه ما خلقها باطلا لا حكمة فيه فيقول ربنا ما خلقت هذا باطلا قوله ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال على معنى يتفكرون قائلين ما خلقت خلقا باطلا بغير حكمة بل
خلقته بحكمة بالغة يقصر اولو الالباب عن تفصيل الاحاطة بها ومن جملتها ان يكون ادلة على معرفتك وعظم شانك وكبرياء
سلطانك فقوله هذا اشارة الى الخلق والخلق بمعنى المخلوق كانه قيل يتفكرون في مخلوق السموات والارض لانهما في معنى المخلوق
كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون
باطلا حالا من هذا ويجوز ان يكون صفة لمصدر خلقت والاية تدل على انه تعالى خلق السموات
والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة بحيث يحصل من حركاتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع
سكان البقاع الارضية وجعلها اسبابا لها على مجرى العادة لا على ان يكون موثرة وقوله سبحانك فقنا عذاب النار تنزيها
اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا باطلا اي سبحانك عما يقول الظالمون الذين يقولون خلقت هذا باطلا بغير
حكمة وعما يقول الظالمون الذين يقولون اطلعنا على كل الحكمة في خلقها واحطنا بجميع ما خلقت لها ان الخالق اذا تفكروا في خلق

السموات والارض لم يعرض الا ان خالقها ما خلقها باطلا بل خلقها بحكمة عجيبة فيها اسرار عظيمة واثار عجيبة واذا كان
اولى الالباب ... فالمقصود منه تعليم العباد كيفية الثناء وادب الدعاء فينبغي ان يقدم الثناء ثم يذكر ما
بعده ثم ذكر ان اولى الالباب مع انهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض يطلبون
من الله ان يقيهم عذاب النار لما انه يخشى من الله تعذيبهم والا لكان هذا الدعاء عبثا فلا يلتفت الى قول المعتزلة انه
تعالى يقبح منه تعذيب المطيع قوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ... ذلك بما يدل على
عظم ذلك العقاب وشدته وهو الخزي ليكون موقع السؤال اعظم ... ان يفعل شيئا او لا يفعله اذ من عظم ذلك
المطلوب وعظمه كانت داعية في ذلك الدعاء اكمل واخلاصه اتم لانه لا يحصل الاجابة الا اذا كان مقرونا بالاخلاص فهذا
تعليم الاستعاذة وكيفيته ... قوله فقد اخزيته فقد بلغنا التحقيق هو نظير قوله فقد فاز ونحوه
في كلام منهم من ادخله عمل الصالح فقد ادركه العمل الذي ليس بعده مرتجع ومن سبق ولاذنا فقد سبق وبلغ غاية السبق
وقيل فقد فضحته وقيل اهلكته وقيل فضحته خزي بالكسر يخزى خزيا اذا وقع في بلية وخزي يخزى خزاية
خزاية اي استحيا فهو خزيان وقوم خزايا قالت الوعيدية هذه الاية دالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلاة ليس بمؤمن وذلك
لان صاحب الكبيرة اذا دخل النار فقد اخزاه لدلالة هذه الاية والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه اجيب عنه بانه مخصوص بمن يدخل النار للخلود ورد هذا الجواب بان مذهب المعتزلة ان كل من دخلها فانما
دخلها للخلود والجواب لا نسلم ان المؤمن لا يخزى قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه قلنا خاص بالصحابة
بقرينة معه وايضا يمكن نفي الخزي عن ذلك اليوم ولا يلزم من نفيه في ذلك اليوم نفيه مطلقا احتجت المرجئة بهذه
الاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لان صاحب الكبيرة مؤمن والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه والجواب نتيجة الثانية مما ذكره في جواب الوعيدية قوله وما للظالمين من انصار ... الكشاف اللام اشارة
الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها قوله تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم
فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع ...
حالا عن الرجل في قولك سمعت زيدا يتكلم فاغناك الوصف او الحال عن ذكر المسموع ولولا الوصف والحال لم يكن بد
من ذكر المسموع ومن ان يقال سمعت كلام فلان او قوله ... الاحسن ان اللام اشارة الى من يدخل النار وانه
اريد بالظالمين الكافرون والمعنى ما للكافرين من انصار اي من يمنعهم من عذاب الله ولئن سلم ان اللام اشارة الى من يدخل
النار ولكنه لا يلزم منه نفي ناصر نفي شفيع لما في الاحاديث الصحيحة الواردة في شفاعته لاهل الكبائر قوله ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن فليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ينادي للايمان وقيل الى الايمان
كقوله تعالى ... وقيل اللام بمعنى الى قاله صاحب الكشاف فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي
وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه
قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب
او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت
ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له
واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا قوله ان آمنوا ان اما مفسرة
اي آمنوا او مصدرية يعني بان آمنوا فآمنا قوله ربنا فاغفر لنا طلبوا من الله تعالى في هذا الدعاء ثلاثة اشياء اولها الغفران
وثانيها تكفير السيئات وثالثها توفيهم مع الابرار وقيل جمع بين غفران الذنوب وتكفير السيئات لان غفران الذنوب بفضله
ورحمته وتكفير السيئات بالطاعات كتكفير الحنث بالصوم والظهار بالاعتاق والمغفرة بفضله من غير سبب والتكفير
بسبب طاعة والسيئات الاعمال القبيحة وقيل الغفر الستر والتغطية والتكفير ايضا هو التغطية فالمراد بهما شيء
واحد وانما اعيد ذلك للتاكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب وقيل المراد بالذنوب الكبائر وبالسيئات
الصغائر قوله وتوفنا مع الابرار قال ابن عباس رضي الله عنه مع الانبياء اي توفنا في جملتهم واحتج الاصحاب بهذه الاية على حصول
العفو بدون التوبة لانهم طلبوا المغفرة مطلقا ثم ان الله تعالى اجابهم اليه قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة
رسلك من الفضل والنعمة والثواب والجنة وقيل ما وعدتنا على تصديق رسلك قال صاحب الكشاف الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي
للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق وقيل يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا وعدا منزلا
على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليهم ما حمل وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن توتيهم ما وعدتهم
على السنة رسلك ويستحقون ثوابك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لهذه الكرامة فسالوا ان يجعلهم مستحقين لها ولو كان
القوم شهدوا بذلك لانفسهم لكانوا قد زكوها وليس ذلك من صفة الابرار وقيل انما سالوا ربهم تعجيل ما وعدهم من النصر
على الاعداء واعزاز الدين لانها حكاية عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووقوع ربنا بين قوله وآتنا وبين المعطوف عليه الذي
هو قبله يكون مناسبا لهذا الوجه ولا تخزنا يوم القيامة اي لا تفضحنا ولا تهنا ولا تهلكنا فان قيل حصول الثواب يستلزم
اندفاع العقاب فطلب ترك العقاب ينبغي ان يكون مقدما على طلب الثواب اجيب بان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة
بالتعظيم والسرور فقوله آتنا ما وعدتنا على رسلك المراد منه المنافع وقوله ولا تخزنا المراد منه التعظيم وقيل المقصود
من هذا الدعاء طلب التوفيق على الطاعة والعصمة من المعصية كانه قيل وفقنا بالطاعات واعصمنا عما يبطلها ويوقعنا في الخزي

والمراد

والهلاك قوله انك لا تخلف الميعاد قال الواحدي علمنا انك لا تخلف الميعاد اي وعدك من النصر والظفر على الكفار ولكن لا صبر لنا
على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم ... رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ... من وعده
عملا ... بالخيار قيل لا يخلف الله وعده لان في خلف الوعد ملامة الذم وقد يخلف وعيده لان في خلف الوعيد
اظهار الكرم قال الشاعر ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ولا اختشي من خشية المتهدد واني اذا اوعدته
او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي فان قيل ما وجه قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقد علموا ان الله
لا يخلف الميعاد اجيب بان لفظه الدعاء ومعناه الخبر تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ل
تؤتينا ما وعدتنا على السنة رسلك وقيل ليس المقصود من ذكره طلب الفعل بل المقصود منه اظهار الخشوع والذلة في
العبودية وقيام رسم الدعاء فانا نعلم قطعا انه لا يرتد لا محالة وقد كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع
علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع
عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب
اعلم انه عز وجل حكى عنهم انهم عرفوا الله بالدليل وهو قوله ان في خلق السموات والارض ثم حكى عنهم انهم اثنوا على الله
وهو قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ثم حكى عنهم انهم بعد الثناء اشتغلوا بالدعاء وهو من قولهم فقنا عذاب
النار الى قوله انك لا تخلف الميعاد ثم بين في هذه الاية انه تعالى استجاب دعاءهم وفي هذا تنبيه على ان استجابة الدعاء مشروطة
بهذه الامور ولما كان تحقق هذه الشرائط عزيزا لا جرم كان من يستجاب دعاؤه عزيزا يقال استجاب له واستجابه
قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقال تعالى يا ايها الذين
آمنوا استجيبوا لله وكذلك قوله اني لا اضيع اي باني لا اضيع لا احبط ولا ابطل عمل عامل منكم ايها المؤمنون من ذكر او انثى بيان
لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد وكل واحد منكم من الاخر اي من اصل الاخر والمعنى كلكم من آدم وحواء
عليهما السلام وقيل كل واحد منكم كانه من الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام اي في الدين والنصرة والموالاة
وقيل حكم جميعكم في الثواب واحد وقيل رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة نظيره قوله تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين
وهذا يدل على ان من كان في قلبه ايمان لا يخلد في النار وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال
في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل على سبيل التعظيم للعمل والتفخيم والمراد بالذين هاجروا الذين
اختاروا المهاجرة من اوطانهم الى حرم النبي صلى الله عليه وسلم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة والمراد بالذين اخرجوا من
ديارهم الذين الجاهم الكفار واضطروهم الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤوا بها ... المشركون ... وقوله في
سبيلي اي من اجل سبيله ... قوله وقاتلوا وقتلوا قرا نافع وعاصم وابو عمرو وقاتلوا بالالف وقتلوا مخففا والمعنى
انهم قاتلوا ثم قتلوا وقيل قاتلوا معه حتى قتلوا وابن كثير وابن عامر وقاتلوا بالالف وقتلوا مشددة للمبالغة وكون
القتل فيهم وحمزة والكسائي وقتلوا بغير الالف وقاتلوا بالالف بعده اي قتلوا وقاتل من بقي منهم ولم يضعفوا كقول العرب
قتلنا بني تميم وانما قتلوا بعضهم وقيل باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا ثم قال تعالى لاكفرن عنهم سيئاتهم وذلك هو الذي
طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها الثواب العظيم وهو قوله ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
وهو الذي طلبوه بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وثالثها ان يكون ذلك الثواب ثوابا عظيما مقرونا بالتعظيم والاجلال
وهو قوله ثوابا من عند الله ولا شك ان الثواب الذي هو من عند الله يكون في غاية العظمة والشرف قال صاحب الكشاف ثوابا في موضع
... انه يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه
وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب
حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وعن جعفر الصادق من حزبه
امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الاية قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد ● اعلم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا
في نهاية الفقر والشدة وكان الكفار في النعيم ذكر هذه الاية تسلية لهم ... ذلك انهم
كانوا في رخاء ولين من العيش وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع
والجهد فنزلت هذه الاية وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فانزل الله تعالى لا يغرنك الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى تقلب الذين كفروا وضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات
والبياعات وانواع المكاسب ... وما هم عليه من سعة الرزق ... وانما هي حظوظ الدنيا لا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في الارض فان قيل كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهي عن الاغترار اجيب
عنه بان الخطاب وان كان لكل احد فقد سقط السؤال وان كان للنبي فقد يخاطب سيد القوم ... والمقصود
خطابه مع خطابهم كانه قيل لا يغرنكم وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان
عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر
اهدنا الصراط المستقيم قوله متاع قليل ... فانه نعمة زائلة لانه ... قليل قوله ثم ماواهم جهنم اي مع قلته

الوقوع في نار جهنم ابد الآباد وبئس المهاد اي الفراش قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ● لما ذكر الوعيد للذين كفروا اتبعه بالوعد للذين اتقوا والنزل ما يعد
للنازل قال الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال
من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام في لهم ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما
عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا من المتاع القليل الزائل عن انس بن مالك قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مرمول بالشريط وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف فدخل عليه عمر و
ناس من اصحابه فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم انحرافة فراى عمر اثر الشريط في جنبه فبكى فقال له ما يبكيك يا عمر فقال ...

[illegible]

سورة النساء

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم

[illegible]

اللفظ الى قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء [illegible]
دون النساء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والنجم والطور والتين لعمرك وقيل هذا الكلام يأباه نظم الكلام وبديعه وتقابل انا لا نسلم ان نظم الكلام يرد
ويأباه بل هو كلام مناسب لنظم الكلام على وفق البلاغة فانه لما بين ان المخاطبين خلقهم من نفس واحدة علم ان بينهم وصلة رحم
وان خالقهم قادر على اخبار بكل المعلومات متفضل بخلقهم على هذا الوجه وبما فيه صلاح حالهم وان المخاطبين بالتقوى حقها
نهي عنه وعلم ان له عناية بوصلهم ورحمهم والارحام دال على ان الله تعالى كان عليهم رقيبا والله ان يقسم بها ولعل الا
كما ثبت في المعتمد ان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على المعنيين ويجوز اطلاق اللفظ على مدلوليه الحقيقي والمجازي اذا اريد
بالجر في الارحام العطف على الضمير المجرور وكذا القسم من الله تعالى ليفيد انه تعالى بمكان من جهة الاقتراب بنفسه وجعلها مقسما بها
وقيل مع قراءة الجر على تقدير تكرير الجار وانا قلنا انما ذكره النحويون من عدم صحة قراءة الجر مردود لانهم ما اقاموا حجة على
عدم صحتها وكل ما ذكروه من الدلائل من رتبة لا يعول عليها واما ثانيا فلان ائمة الدين لا يجيزون رد هذه القراءة بمجرد
النحويين لا نخرج احد القراء السبعة الذين قرأوا انهم متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة
والقياس المشتمل على الشرائط يتضاءل عند السماع لا سيما مثل هذه الاقيسة التي هي اوهن من بيت العنكبوت فمن رد هذه
القراءة فقد رد على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا معاد محذور ولا ينبغي ان يقلد فيه ائمة اللغة والنحو فان العربية تتلقى من القرآن
والنبي صلى الله عليه وسلم والعجب من هؤلاء النحويين انهم يثبتون صحة اللغة ببيت من شعر الجاهلية ولا يثبتونها بقراءة
حمزة وجماعة من اكابر علماء السلف في علم القرآن واهل اللسان اتفقوا على ان صلة الرحم واجبة وان قطيعتها محرمة وقد صح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما وقد سألته صلي امك امرها بصلتها وهي كافرة [illegible]
فمن تأكيد ذلك في صلة الكافر ولهذا قال جماعة من العلماء تورث ذوو الارحام اذا لم توجد عصبة ولا اصحاب فرض واختلفوا فيمن
ذي رحم محرم يعتق عليه لحرمة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم من ملك ذا رحم محرم فهو حر وللعلماء فيه ثلثة اقوال الاول
الاصول والفروع وهو مذهب الشافعي والثاني الحاق الاخوة والاخوات والثالث ذو رحم وهو مذهب ابي حنيفة والرحم
اسم لكافة الاقارب من غير فرق بين المحرم وغيره وعن الحسن ان اسألك بالله وبالرحم والرحم حجة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه وسئل ابن عيينة عن قوله
صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان تضع ولدك في الحلال الم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي
تساءلون به والارحام وليس من صلته ان تجعله في الموضع الحلال لا تقطع رحمه ولا نسبه فانما العاهر الحجر ان يختار الصحة ويجتنب
الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير رضا الله قوله ان الله كان عليكم رقيبا والرقيب هو المراقب من رقب الشيء
ارقبه اذا احددت النظر البصر اليه بالبصيرة الى امر لتحققه على ما هو عليه ويعبر به عن الحفظ والمشاهدة وفي عليكم ضرب من
الوعيد فيجب ان يكون المرء حذرا خائفا فيما ياتي ويترك قوله تعالى **وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا لما افتتح السورة بذكر ما يدل على انه يجب على العباد ان يكونوا منقادين
محترزين عن مساخطه شرع بعد ذلك في بيان اقسام التكاليف فالنوع الاول ما يتعلق باموال اليتامى ومنه هذه الآية وايضا
وصى في الآية السابقة بالارحام وكذلك في هذه الآية بالايتام لانهم قد صاروا بحيث لا كافل لهم ولا مشفق شديد
الشفقة عليهم قيل انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع
اليه ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى
ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف
بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده لانه كان مشركا وآتوا خطاب للاولياء
والاوصياء وقوله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتيم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة واليتيم
في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه في العرف
اختص هذا الاسم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا صار بحيث يستغني بنفسه في تحصيل مصالحه من كافل يكفله وقيم يقوم بامره
زال عنه هذا الاسم وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد حلم هو تعليم الشريعة لا تعليم اللغة يعني اذا احتلم فانه لا يجري عليه
احكام الصغار وان قيل كيف جمع اليتيم على يتامى وفعيل يجمع على فعلى كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى قال صاحب
الكشاف فيه وجهان الاول ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى
او يجمع على يتائم لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس ثم يتامى على القلب فان قيل قد ذكرنا ان اسم اليتيم مختص بالصغير وما دام
يتيما لا يجوز دفع ماله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم اجيب عنه
من وجوه منها انه سماهم يتامى على اصل اللغة ومنها انه تعالى سماهم باليتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا باليتم وان كان قد زال في
هذا الوقت تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين ولا سحر مع السجود ولكن سموا بما كانوا عليه
قبل السجود وكذلك قوله وآتوا اليتامى اموالهم وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان
اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ومنها ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال
ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي الاموال اليتامى اذا بلغوا
سالمة غير منقوصة قوله ولا تتبدلوا اي ولا تستبدلوا مال اليتيم الذي هو حرام عليكم بالمال الحلال عليكم وما ابيح لكم
من المكاسب وقد رزقكم الله المشوش في الارض فتأكلوا اموال اليتيم مكانه الكم واختلفوا في معنى هذا التبديل وكيفيته

فاتقوا الارحام ان تقطعوها كما انكم ...

محرم

أي لا تأكلوا ...

فقيل لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها فالتبدل بمعنى الاستبدال
والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز بل كثير منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار [illegible]
الذين تحملوا عن الدارية المستخلفة المتبرك اراد بالورع ما استخلفته الدارية واستبدلته وقيل كان اولياء اليتامى
واوصياؤهم ياخذون الجيد والرفيع من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء والخسيس فربما كانوا ياخذون الشاة السمينة
من مال اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم فذلك
تبديلهم فنهاهم الله عنها قال صاحب الكشاف وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه
عجفا مكان سمينة من مال الصبي وقيل لا تتبدلوا اي لا تتبدلوا امر يتيمك الذي هو عندك وهو صغير وقيل كان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء والصغار وانما ياخذ الاكابر من الرجال الميراث فنصيب الرجال من الميراث طيب وما اخذوه من حق
اليتامى خبيث وقيل لا تأكلوا اموال اليتيم بدلا من مالكم وقيل لا تتعجل الرزق الحرام قبل ان ياتيك الحلال ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم كقوله تعالى من انصاري الى الله وقول الشاعر يشدون ابواب القباب بضمر الى
عنن مستوثقات الاواصر اي مع غيرها المعنى ولا تنفقوا اموالهم مع اموالكم وحقيقته ولا تضموا اموالكم في الانفاق
حتى لا تفرقوا بين اموالهم واموالكم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بين ما لا يحل لكم وبين الحلال فان قيل انه تعالى
حرم عليهم اكل اموال اليتامى مع اموالهم وبدونها اذ كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال
وهم على ذلك يطمعون في اموال اليتامى كان القبح ابلغ والذم احق وانهم يفعلون كذلك اي ياكلون اموال اليتامى مع اموالهم فنعى
عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم قيل طريق البلاغة الترقي بالنهي عن الادنى تنبيها على الاعلى وههنا ليس كذلك
النهي ان ياكل مال اليتيم مع غنى اذ ما هيها اكلها وهو فقير فيقال ما وجه وروده على عكس القانون وجوابه انه ابلغ الكلام ما
وجوه افادته وفي النهي عن الاخلاط فائدة جليلة لا توجد في المنهي عنه متى كان ابشع كانت النفس منه انفر والاكل من الغني ابشع
لما استشنع المنهي عنه ذلك الى الاحجام عنه وعن اكل ماله مطلقا وفي هذا تخصيص النهي بالاكل مع انه حرام
به محرم فان العرب كانت تذم الاكثار من الاكل وتعيب على من جعل ذلك دابه بخلاف سائر الملاذ فخص النهي بالاكل لكونه
ابشع الملاذ حتى اذا نفرت النفس بمقتضى الطبع عن ذلك الملاذ فينفر عن اخذ مال اليتيم بسائر الملاذ ومثله لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة ولا يخفى ان لهذه المبالغات في الكتاب العزيز قوله انه كان حوبا كبيرا الحوب الذنب العظيم وكانه قيل
انه كان ذنبا عظيما كبيرا والضمير يعود الى الاكل في قوله ولا تأكلوا اي ان الاكل قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك
ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ● وان خفتم
شرط قوله فانكحوا اجمع المفسرين في كيفية تعلق هذا الجزاء بهذا الشرط اقوال منها ما روي عن عروة انه قال قلت
لعائشة ما معنى قول الله وان خفتم الا تقسطوا فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها
ويريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقيل لهم ان لم تقسطوا الحق في كمال الصداق فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس
استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء قالت وقوله تعالى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد منه هذه الآية وهي
قوله وان خفتم الا تقسطوا وقيل لما نزلت الآية المتقدمة في اموال اليتامى وما في اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم
الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى فاخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما تحته العشر من الازواج
واكثر والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا في اليتامى اي لا تعدلوا
بينهن فخافوا في النساء ان لا تعدلوا بينهن ولا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم امساكهن والقيام بحقهن لان النساء كاليتامى في الضعف
والعجز ما لكم تراقبون الله في شيء وتعصونه في مثله وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم فتحرجتم من ولاية اليتامى واموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا ما حل لكم
من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا انفق ماله
على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا اخذ في انفاق اموال اليتامى على النساء فقيل لهم امسكوا على النساء ولا تزيدوا
على الاربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى كثرة الزوجات وقيل انهم تحرجوا من نكاح اليتامى كما تحرجوا من اموالهم
تحرجا لعظم هذه الآية فيهن وقصر من عدد يمكنهم العدل فيهن فكانه قيل وان خفتم يا اولياء اليتامى
ولاءهن ان لا تقسطوا اذا نكحتموهن ولا تزيدوا على اربع لتعدلوا فان خفتم ان لا تعدلوا فيهن فواحدة فذكر الطرف الزائد
وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك ما بينهما فكانه قال فان خفتم من الاربع فثلاث وان خفتم فاثنتان
وان خفتم فواحدة قوله فانكحوا ايد عليه اصحاب الظاهر على وجوب النكاح لان ظاهر الامر للوجوب وتمسك الشافعي
في بيان انه ليس بواجب بقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم الى قوله ذلك
لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله [illegible] في هذه الصورة خير من فعله وذلك يدل على انه ليس
بمندوب فضلا عن ان يقال انه واجب قوله ما طاب قيل ما ذهابا الى الصفة نحو قوله سبحان ما سخركن لنا او تعظيما
المقام وقيل لان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم وقيل اراد به الفعل اي النكاح

دون اعداد

[illegible]
عددا بينها اختص بهذه الآية بان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد وما لذلك لا ينفي ثبوت الحكم في الباقي
بل يقول لما ذكر من الاعداد يدل على رفع الحرج والحجر مطلقا فان الانسان اذا قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى
المدرسة والى البستان كان تنصيصا في تفويض زمام الخيرة اليه مطلقا ورفع الحجر والحرج عنه مطلقا ولا يكون ذلك
تخصيصا للاذن بتلك الاشياء المذكورة بل كان اذنا في المذكور وغيره وكذا ههنا ايضا فذكر جميع الاعداد بتعدد
فاذا ذكر بعض الاعداد بعد قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء كان ذلك تنبيها على حصول الاذن في جميع الاعداد وبان الواو
للجمع المطلق فقوله مثنى وثلاث ورباع يفيد حل هذا المجموع وهذا يفيد تسعة بل يفيد ثمانية عشر لان قوله مثنى ليس عبارة
عن اثنين فقط بل عن اثنين اثنين وكذا القول في البواقي وبانه ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ثم ان الله امر
باتباعه فقال فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وبان سنة الرسول طريقته فكان التزوج باكثر من الاربع طريقته فكذلك
لقوله صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني واعلم ان اعتماد الفقهاء في اثبات الحصر على امرين الاول الخبر وهو ما روي
ان غيلان اسلم وتحته عشر نسوة فقال عليه السلام امسك اربعا وفارق سائرهن قيل هذا الطريق ضعيف من وجهين احدهما
ان القرآن لما دل على عدم الحصر فكان هذا الخبر نسخا للقرآن وهو غير جائز ثانيهما ان هذا الخبر واقعة حال فلعله عليه السلام انما امر
بامساك اربع ومفارقة البواقي لان الجمع بين الاربعة وبين البواقي غير جائز اما بسبب النسب او بسبب الرضاع وبالجملة فهذا الا

قوله في هذا الخبر فلا يمكن نسخ القرآن بمثله والثاني وهو اجماع فقهاء الامصار على انه لا يجوز الزيادة على الاربع وهذا هو
المعتمد فيه وفيه سؤالان الاول ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ فكيف يقال الاجماع نسخ هذه الاية الثاني ان في الامة اقواما
لا يقولون بحرمة الزيادة على الاربع والاجماع مع مخالفة الواحد والاثنين لا ينعقد والجواب عن الاول الاجماع يكشف عن حصول
الناسخ في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الثاني ان مخالفة هذا الاجماع من اهل البدعة فلا عبرة بمخالفته والحق ان الخبر
والاجماع مخصص لا ناسخ ويجوز تخصيص الكتاب بالاجماع وبالخبر الواحد قوله فان خفتم اي فان خفتم الا تعدلوا بين هذه
الاعداد كما خفتم ان لا تعدلوا فيما فوقها فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور على العدل فاينما
وجدتم العدل فعليكم به او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت
عدد ولعمري انهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل
فبين من الحقوق ما لم يمكن في الحرائر ولا قسم فيهن عليكم ولا وقت عليكم في عددهن ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري
ادنى اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال الميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وعن اعرابي حكم عليه
حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعولوا الا تجوروا وروي
لا تميلوا وكذا المفسرين على هذا قال الشاعر قالوا اتبعنا رسول الله واطرحوا قول الرسول وعالوا في الموازين وقال ابو
طالب بميزان صدق لا يغل شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وقيل عول الفرائض ونقل عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر الا تعولوا
الا تكثر عيالكم قال ابو بكر الرازي في احكام القرآن وقد خطاه الناس في ذلك من ثلثة وجه احدها انه لا خلاف بين
السلف وكل من روي عنه تفسير هذه الاية ان معناه ان لا تميلوا ولا تجوروا وثانيها انه خطأ في اللغة لانه انما يقال اعال الرجل
اذا كثر عياله وثالثها انه تعالى ذكر الزوج الواحدة وملك اليمين والاماء في العيال بمنزلة النساء ولا خلاف في ان له ان يجمع من شاء
بملك اليمين فعلمنا انه ليس المراد كثرة العيال وقد زيد وجه رابع في الطعن وهو انه تعالى قال في اول الاية فان خفتم ان لا تعدلوا
فواحدة ولم يقل ان تفتقروا فوجب ان يكون الجواب معطوفا على هذا الشرط ولا يكون جوابا الا بضد العدل وذلك هو الجور لا
العيال قال الامام اما السؤال الاول فضعيف لانه لم ينقل عن الشافعي رضي الله عنه انه طعن في قول المفسرين ان معنى
الاية ان لا تجوروا ولا تميلوا ولكنه ذكر فيه وجها آخر وقد ثبت في اصول الفقه ان المتقدمين اذا ذكروا وجها في تفسير الاية
لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها ولولا جواز ذلك والا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في تفسير
كلام الله مردودة باطلة ومعلوم ان ذلك لا يقوله الا مقلد جلف وكيف يضر الذي ذكره الرازي ان هذا الوجه الذي ذكره
لم يذكره احد من الصحابة والتابعين وكيف لا يقول ذلك وقد ليستوعب ادراك مثل هذه الاشياء هذه الاية وهذه
شدة جهل الرازي في هذا الطعن في نفس المجتهدين والاعلام وشدة بلادته ما عرفت ان هذا الطعن الذي ذكره المبرد
وبيان فساده من وجوه الاول انه يقال عال الرجل اذا ادى سهامها وكثرت وهذا المعنى قريب من الميل لانه اذا مال كثرت
جهات الغيبة موجبا الاركدة واذا كان كذلك كان معنى الاية ذلك ادنى ان لا تكثروا واذا لم تكثروا لم يقع الانسان في الجور
والظلم هي الكثرة والمخالطة وبهذا الطريق يرجع هذا التفسير الغريب من التفسير الاول الذي اختاره الجمهور والوجه
ان الانسان اذا قال فلان طويل النجاد كثير الرماد فاذا قيل ما معناه حسن ان يقال معناه انه طويل القامة كثير الضيافة فرئي
المراد منه ان تفسير طويل النجاد هو انه طويل القامة بل المراد منه ان المقصود من ذلك الكلام هو هذا المعنى وهذا من الكلام
الذي تسميه علماء البيان التعبير عن الشيء بالكناية والتعريض وحاصله يرجع الى حرف واحد وهو الاشارة الى الشيء بذكر
لوازمه فهاهنا كثرة العيال مستلزمة للميل والجور لما ان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور فجعل هذا التفسير الا على سبيل
المطابقة بل على سبيل الكناية والاستلزام وهذه طريقة مشهودة في كتاب الله والشافعي لما كان محيطا بوجوه
كلام العرب استحسن ذكر هذا الكلام فاما ابو بكر الرازي لما كان بليد الطبع بعيدا عن اساليب كلام العرب لا جرم لم يعرف
الوجه الحسن فيه الوجه الثالث ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان هذا التفسير مأخوذ من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم
مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والرزق الطيب فثبت بهذه الوجوه ان الذي ذكره امام المسلمين الشافعي رضي الله عنه في غاية الحسن وان الطعن من
النقص لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة اما السؤال الثالث وهو قوله ان كثرة العيال لا يختلف بان يكون
المراة زوجة او مملوكة فجوابه من وجهين الاول ما ذكره القفال وهو ان الجواري اذا كثرت فله ان يكلفهن الكسب واذا اكتسبن
انفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا وحينئذ يقل العيال اما اذا كانت المراة حرة لم يكن الامر كذلك فظهر الفرق الثاني
ان المراة اذا كانت مملوكة فاذا عجز المولى عن الانفاق عليها باعها وتخلص منها واما اذا كانت حرة فلا بد له من الانفاق عليها
والعرف يدل على ان الزوج ما دام يمسك الزوجة فانها لا تطالبه بالمهر فاذا حاول طلاقها طالبته بالمهر فيقع الزوج في
ولما السؤال الرابع فالجواب عنه من وجهين الاول ما ذكره القفال وهو ان الوجه الذي ذكره الشافعي رجح لانه لو حمل على الجور لكان
تكريرا لانه فهم ذلك من قوله فان خفتم الا تقسطوا اما اذا حملناه على ما ذكره الشافعي لم يلزم التكرار فكان اولى الثاني
يقول هب ان الامر كما ذكرتم ولكن بينا ان التفسير الذي ذكره الشافعي راجع عند التحقيق الى ذكر التفسير الاول لكن على سبيل
الكناية والتعريض واذا كان كذلك فقد زال هذا السؤال فهذا تمام البحث في هذا الموضع قوله تعالى وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ● قيل هذا الخطاب للاولياء وذلك لان العرب
في الجاهلية لا تعطي النساء من مهورهن شيئا وكانت المراة اذا زوجها وليها يحملونها اليه على بعير ولا يعطونها من مهرها

عن ذلك ...

[illegible]

ولا تعلق ...
وفريضة فنصف ما فرضتم يدل على انه لا يجب فيها الا نصف المهر وهذه الاية خاصة ولا شك ان الخاص مقدم على العام قوله فان
طبن لكم الامر للازواج باتيان صدقاتهن عقيبه بذكر قبول ابرائها وهبتها له لئلا يظن ان عليه قبول ما طابت نفسها بتركه اوهان طابت
نفوسهن بشيء من ذلك فوهبنه والضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
بعد ذكر الشهوات من الحج المسموعة من افواه العرب ما دعونه وبيده انه قيل لروبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان
ذلك وقيل الضمير في منه يرجع الى الصداق الذي في معنى الصدقات لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو
نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ولكن نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه
فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبا غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء
معاشرتكم قيل والمعنى فان طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبنه منكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرة
ولذلك وحد النفس كما قال تعالى وضاق بهم ذرعا وقرى عينا قال تعالى وضاق بهم ذرعا وقري عينا وقيل لفظها واحد ومعناها جمع
تقول ذلك كثيرا قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقال آخر في حلقكم عظم
وقد شجينا وقيل اراد بالنفس الهوى والهوى مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع قوله فكلوه اي فان طبن لكم شيئا من الصداق
فانفقوا وقيل فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية
اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه
لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار وصداقا
كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية
التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت
ان ترجع فلها ذلك وعن ابن عباس انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية
طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الاخرة وقيل ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في
شيء مما ساق الى امراته فقال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا من غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيئا مريئا اي سائغا طيبا وفي الاية
دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن
اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل
الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز
ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض
الصدقات واحدة منها فصاعدا قوله هنيئا مريئا الطعام هنا في هنائه اي صار هنيئا وكذلك هني الطعام مثل فقه وفقه قال
الاخفش هنأني الطعام يهنئني ويهنؤني ولا نظير له في المهموز هنأ وهنئا ويقال هنيئا لك الطعام اي تهنأت به وكلوه هنيئا
وكل امر ياتيك من غير تعب فهو هني وكذلك المري من المري الطعام يمرو مراءة فهو مري وكذلك مري الطعام قال الاخفش كما يقول فقه وفقه وفي
الثاني ويضمونهما وامراني الطعام يمرئني وقال الفراء يقال هناني الطعام ومراني فاذا اتبعوها هناني قالوا امراني بغير الف فاذا افردوها
قالوا امراني وهو طعام مري وقد مري الطعام استمراته والمري لكل في صفتان من هنؤ الطعام وقد مرؤ اذا كان سائغا لا تنغص فيه
وقيل الهني ما يلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته وقيل الهني الذي لا ينغص ولا يؤذي وقيل هو ما يساغ في مجراه وقيل للمدخل الطعام

من الحلقوم الى فم المعدة والمرئ لمرور الطعام فيه وهو انسياغه وقيل الذي لا يخاف في الدنيا به مطالبة ولا في الآخرة
تبعة وهما وصف للمصدر اي كلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه هنيئا مريئا وقد يوقف على فكلوه هنيئا مريئا على
الدعاء وعلى انهما صفتان اي يكون الدعاء بالمصدر كقولهم سقيا ورعيا اقيما مقام المصدر كانه قيل هنأ مرء وهذه عبارة
عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة وليس المراد بقوله فكلوه نفس الاكل بل المراد حل التصرفات والانفاق
وانما خص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود ولا فرق بين الدين والعين وان الله تعالى لا يفرق بين الحالتين وعلم من الآية
جواز هبتها المهر للزوج وجواز ان يأخذ الزوج قوله تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ وجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى كانه يقول اني وان كنت
امرتكم بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع الصدقات الى النساء فانما قلت ذلك اذا كانوا عاقلين بالغين متمكنين من حفظ
اموالهم فاما اذا كانوا غير بالغين او بالغين عاقلين لكن سفهاء مسرفين فلا تدفعوا اليهم اموالهم وامسكوها لاجلهم
الى ان يزول عنهم السفه والمقصود من كل ذلك الاحتياط في حفظ اموال الصغار والعاجزين قيل الخطاب للاولياء الا
الذين تحت ولايتكم وكانوا سفهاء اموالهم يدل عليه قوله وارزقوهم واكسوهم فان قيل فعلى هذا كان يجب ان يقال ولا تؤتوا
السفهاء اموالهم فكيف اضاف الاموال الى الاولياء اجيب بان الاموال اضاف اليهم لانها الجنس الذي جعله اموالا للناس ويقوم
به معايشهم كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ردها الى الجنس فقال من ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات وقال
لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم فكذا هاهنا المال شيء ينتفع به نوع الانسان
محتاج اليه فلاجل هذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم وقيل انه تعالى اضاف الاموال اليهم
لا لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل ان هذه الآية خطاب للآباء فنهاهم الله اذا كان
اولادهم سفهاء لا يستقلون بحفظ المال واصلاحه ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم لما كان في ذلك من الافساد فعلى
هذا الوجه تكون اضافة الاموال الى الاولياء حقيقة ويكون الغرض من الآية الحث على حفظ المال والسعي في ان لا يضيع
ولا يهلك وذلك يدل على انه ليس له ان يأكل جميع امواله ويهلكها واذا قرب اجله فانه يجب عليه ان يوصي بماله الى ان يحفظ
ذلك المال على ورثته والقول الاول ارجح لان النهي للتحريم ظاهر والاجماع على انه لا يحرم على الانسان ان يهب من اولاده الصغار
وغيرهم للنسوان ما شاء من امواله والاجماع على انه يحرم على الولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم فتعين حمل الآية على الاول ولا بد في
في آخر الآية وقولوا لهم قولا معروفا وهذه الوصية بالايتام اشبه لان المرء مشفق بطبعه على ولده فلا يقول له الا المعروف
وانما يحتاج الى هذه الوصية مع الايتام الاجانب ويجوز ان يحمل الآية على الوجهين قيل هذا بعيد لانه يقتضي حمل قوله اموالكم
على الحقيقة والمجاز جميعا قيل يمكن ان يجاب عنه بان قوله اموالكم يفيد كون تلك الاموال مختصة بهم اختصاصا يمكنه
التصرف فيها ان هذا الاختصاص حاصل في المال الذي يكون مملوكا له وفي المال الذي يكون مملوكا للصبي لكن تحت تصرفه
فهذا التفاوت واقع في امر خارج عن المفهوم المستفاد من قوله اموالكم واذا كان كذلك لم يبعد حمل اللفظ عليهما من حيث
افاد معنى واحدا مشتركا بينهما والاولى ان يقال لا امتناع في حمل اللفظ على المفهوم الحقيقي والمجازي جميعا واختلفوا في المراد
بالسفهاء فقيل هم النساء سواء كن ازواجا وامهات وبنات فانه عد من دفع ماله الى امرأة سفيهة عن الحق فانه قال الله هذه الآية
يدل على هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا الا وان السفهاء النساء
وجاز ان يجمع السفيهة على سفهاء كما جاء الفقراء في جمع الفقيرة وقيل المراد بالسفهاء هاهنا الاولاد يقول لا تعط ولدك
السفيه اموالكم التي جعل الله قياما لكم فيفسده وقيل هم النساء والصبيان اي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة
وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده قال قتادة امر الله بهذا المال ان يخزن فيحسن
خزانته فلا تملك المرأة السفيهة والغلام السفيه فيبذره قال الله عز وجل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل عن الضحاك
لا تعطوا نساءكم واولادكم اموالكم فيكونوا عليكم اربابا عن ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعل لك معيشة فتعطيه
امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم
في رزقهم وكسوتهم ومؤنتهم قال النخعي لا تعطي المرأة مالها حتى تتزوج وان قرأت التوراة والانجيل والفرقان ولا تعطي
الغلام ماله حتى يحتلم وقيل السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها
والتصرف فيها فيتناول النساء والصبيان والايتام وكل من كان موصوفا بهذه الصفة والاولى ان يحمل السفهاء على
هذا لان التخصيص بغير دليل لا يجوز لان السفه خفة العقل ولذلك سمي الفاسق سفيها على هذا لاستخفاف العقل
عند اهل الدين والعلم قال الامام انه تعالى امر المكلفين في مواضع من كتابه بحفظ الاموال منها قوله تعالى ولا تبذر تبذيرا ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقد رغب الله في حفظ المال في آية المداينة حيث امر بالكتابة والشهادة والرهن
والعقل ايضا يؤيد ذلك لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل امر الدنيا والآخرة ولا يكون فارغ البال
الا بواسطة المال لانه به يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار فمن اراد الدنيا لهذا الغرض كانت الدنيا في حقه من اعظم الاسباب
المعينة على اكتساب سعادة الآخرة اما من ارادها لنفسها او ليتوسل بها الى المعاصي كانت من اعظم المعوقات عن سعادة الآخرة
قوله جعل الله لكم قياما قرأه نافع وابن عامر قيما بكسر القاف من غير الف والباقون قياما وقيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا
واصل قياما قواما فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهي جمعا لما به الامر وما يقوم به الامر والمعنى جعل الله لكم قياما اي

بها تعيشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم فلما كان المال سببا للقيام سماه بالقيام
تسمية للمسبب باسم السبب على سبيل المبالغة كان المال نفس قيامكم وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك
مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولا المال لتمندل بي بنو العباس وعن غيره
وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا
فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك قوله وارزقوهم فيها
على ايتاء الاموال السفهاء امر بثلاثة اشياء الاول قوله وارزقوهم فيها اي اجعلوا اموالكم مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا
حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل معنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف لوقت معلوم
يقال الاكلة يرزق جنده اي يجري عليهم وانما قال فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك امرا بان يجعلوا بعض اموالهم رزقا لهم بل يجعلوا
اموالهم مكانا لرزقهم والثاني قوله واكسوهم والمراد ظاهر وقيل هو لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل
او امرأة يعلم انه يضيعه فيما لا ينبغي ويفسده والثالث قوله وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا
اليكم اموالكم وقيل اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان كان ليس ممن وجبت عليك
نفقته فقل له قولا معروفا عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته من قول او عمل فهو معروف
وما انكرته وكرهته ونفرت منه فهو منكر وقيل علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقيل كقول
المعروف هو ان كان المولى عليه صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه وان كان المولى
عليه سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة ورغبه في ترك التبذير والاسراف وعرفه ان عاقبة التبذير الاحتياج الى الخلق قال
الشافعي البالغ اذا كان مبذرا للمال مفسدا له يحجر عليه وقال ابو حنيفة لا يحجر عليه حجة الشافعي انه سفيه لان السفه
لغة خفة وسوء التدبير لبذل المال المفسد له من غير فائدة له تكون دفع عند العقلاء فكان خفيفا لو وزن عندهم فوجب ان يحجر عليه
لانه تعالى ندب الى اخذه تحت قوله ولا تؤتوا السفهاء قوله تعالى ﴿وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾ لما امر الله تعالى في الآية المتقدمة بايتاء اليتامى
اموالهم شرط في دفع اموالهم اليهم شرطين البلوغ وايناس الرشد قيل نزلت الآية في ثابت بن رفاعة وفي عمه فان رفاعة توفي وترك
ابنه ثابتا وهو صغير فاتى عم ثابت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه
ماله فانزل الله هذه الآية وابتلوا اي اختبروا اليتامى في عقولهم واديانهم وحفظ اموالهم ودفعوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف
قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال من النساء فان آنستم ابصرتم قال الله آنس من جانب الطور نارا اي ابصر
قال صاحب الكشاف حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم
لانه يصلح للنكاح عند الاحتلام ولطلب ما هو مقصود بالنكاح وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين
تنكير رشدا يفيد عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه وقيل ان الرجل لا يأخذ بلحيته وما بلغ رشده فلا يدفع
الى اليتيم ماله وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده وقيل لا تعطى اليتيم وان بلغ مائة سنة حتى يعلم منه اصلاح لماله
ان الله علق زوال الحجر على اليتيم الصغير وجواز دفع ماله اليه بشيئين البلوغ والرشد بعدهما امر الاولياء بالابتلاء ومعنى الابتلاء
على ما ذكره الفقهاء هو ان الصغير لا يخلو من ان يكون غلاما او جارية فان كان غلاما امر بالنظر اليه في نفقة الدار شهرا
واعطاه شيئا نزرا يتصرف فيه ليعرف كيف تدبيره وتصرفه فيه وان كانت جارية رد اليها ما يرد الى ربة البيت من تدبير
بيتها والنظر في الاستعمال والاستقصاء على الغزال في دفع القطن واجرته واستيفاء الغزل لجودته فان رشدا دفع
تحت الحجر حتى يؤنس رشدهما وقال ابو حنيفة تصرفات الصبي المميز العاقل باذن الولي صحيحة وقال الشافعي غير صحيحة احتج
ابو حنيفة بهذه الآية لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد
من هذا الابتلاء اختبار حاله في انه هل له تصرف صالح للبيع والشراء وهذا الاختبار انما يحصل اذا اذن له في البيع والشراء
وان لم يكن هذا المعنى نفس الاختبار فلا بد منه لانه يصح الاستثناء فيقال وابتلوا اليتامى الا في البيع والشراء فثبت ان قوله وابتلوا
اليتامى امر للاولياء بان يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضي صحة تصرفاتهم اجاب الشافعي بانه ليس المراد
وابتلوا اليتامى الاذن له في التصرف حال الصغر بدليل قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فانما
امر بدفع الاموال اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد واذا ثبت بموجب الآية انه لا يجوز دفع المال اليه حال الصغر وجب
ان لا يجوز تصرفه حال الصغر اذ لا قائل بالفرق والابتلاء اختبار عقله وتتبع احواله انه هل له فهم وعقل وقدرة في معرفة
المصالح والمفاسد وتصرفه في الاخذ والاعطاء وذلك في اثناء الولي واشترى بحضور الصبي ثم يستكشف عن الصبي احوال
ذلك البيع والشراء وما فيهما من المصالح والمفاسد ولا شك ان هذا القدر يفيد الابتلاء وايضا هب انا سلمنا انه يدفع اليه
شيئا ليبيع او يشتري وعلى هذا قلنا ان هذا القدر يدل على صحة ذلك البيع وذلك الشراء بل اذا باع واشترى وحصل به اختبار عقله
فالولي بعد ذلك يتم ذلك البيع وذلك الشراء وهذا محتمل والمراد من بلوغ النكاح هو الاحتلام المذكور في قوله تعالى واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم وهو عند عامة الفقهاء عبارة عن البلوغ مبلغ الرجال الذي عنده يجري على صاحبه القلم ويلزمه الحدود والاحكام
وعلامة البلوغ خمسة اشياء ثلاثة منها مشتركة بين الذكور والاناث واثنان تختص بهما النساء فالذي يشترك فيها الرجال
والنساء فالاحتلام وهو انزال المني فان نزل واحد منهما فقد بلغ سواء كان من جماع او احتلام او غيرهما والدليل عليه قوله تعالى واذا

الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وقول النبي صلى الله عليه وسلم خذ من كل حالم دينارا والسن قال الشافعي وابو يوسف ومحمد
اذا استكمل خمس عشرة حكما ببلوغه وقال ابو حنيفة ان كانت جارية فبلوغها لسبع عشرة سنة وروي عنه ثماني
عشرة وهي الاشهر وقال مالك وداود لا يبلغ بالسن ثم اختلفا فقال داود لا يبلغ ما لم يحتلم ولو بلغ اربعين سنة وقال
مالك بلوغه ان يغلظ صوته او تنشق ارنبته والذي يدل على ان حد البلوغ بالسن خمس عشرة سنة حديث عبد الله بن عمر قال
عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ولم يرني بلغت وعرضت عليه عام الخندق
وانا ابن خمس عشرة فاجازني في المقاتلة واما الانبات وهو نبت العانة للغلام او الجارية الشعر الخشن حول الفرج فللشافعي في الانبات
قولان اصحهما انه بلوغ في حق الكفار دون المسلمين وقال ابو حنيفة لا يتعلق بالانبات حكم وليس هو ببلوغ ولا دلالة له بلوغ
والدليل على ان البلوغ يتعلق بالانبات ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم ان كشف
عنهم فمن انبت قتله ومن لم ينبت جعله في الذراري فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
واما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقبل الله صلاة حائض
الا بخمار فجعلها مكلفة بالحيض واما الرشد فقال الشافعي هو الصلاح في ماله حتى لا يقع منه اسراف ولا يكون بحيث يقدر
الغير على خديعته ولا يتحقق هذا الا بان يكون مع الحال في دينه مصلحا لماله والصلاح في الدين هو ان يكون مجتنبا عن
الفواحش التي يفسق بها وتسقط عدالته كالزنا واللواط والقذف وشرب الخمر ونحوها لان الفسق مفسد للمال والاصلاح
المال هو ان لا يبذر ولا يغبن في التصرف غبنا فاحشا ولا يضيع فالرشد عنده جواز الشهادة واصلاح المال وهو قول
الحسن وربيعة ومالك وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد اذا بلغ عاقلا مصلحا لماله زال عنه الحجر بكل حال سواء كان فاسدا
في دينه او فاسقا واصلاح المال ولم يعتبروا اصلاح الدين فاذا بلغ ولم يونس منه رشدا فعند الشافعي وابي يوسف ومحمد
لا يزال الحجر عنه ولا يدفع ماله اليه الا بايناس الرشد وقال ابو حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان بلوغ الذكر عنده
بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم
بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يونس وقوله رشدا منكرا معناه نوع من الرشد وهو الرشد في التصرف
والتجارة اختبروا انس الرشد ومخايله من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد الصالح للكفاية فما بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم
اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل اي احمر
مشاكل الدم والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وقوله ولا تأكلوها يا معشر
الاولياء والاوصياء اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق
كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينزعوها من ايدينا والاسراف مجاوزة الحد والاصل اطلاق الخطأ ووضع الشيء في غير موضعه
والسرف ضد القصد والسرف الاغفال والخطأ وقد سرفت الشيء بالكسر اذا اغفلته وجهلته وحكى الاصمعي عن بعض الاعراب
وواعده اصحاب له من المسجد مكانا فاخلفهم فقيل له في ذلك فقال مررت بكم فسرفتكم اي اغفلتكم ومنه قول جرير يمدح
هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف اي لا يخطئون موضع العطاء بان يعطوا من لا يستحق
ويحرموا المستحق ثم بين ما يحل للاولياء والاوصياء من اموال اليتامى فقال يا معشر الاولياء ومن كان منكم غنيا فليستعفف
عن اكلها اي من اكل اموال اليتامى فلا يطمع ولا يقتنع بما رزقه الله من الغنى ولا يرزؤها الا قليلا ولا كثيرا والعفة الامتناع
عما لا يحل عف عن الحرام يعف عفا وعفة اي كف فهو عف وعفيف والمرأة عفة وعفيفة واستعف عن المسألة اي عف
قيل استعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة ومن كان فقيرا محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل
بالمعروف اي قوتا مقدرا قيل على وجه الاجرة فان لفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله
قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط
حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب
بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم النخعي لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى
العورة وقال محمد بن كعب القرظي من كان غنيا فليستعفف عن مال اليتيم لا يأكل منه شيئا واجره على الله ومن كان فقيرا فليأكل
بتقدير تقوم البهيمة وينزل نفسه بمنزلة الاجير فيما لا بد له منه وقال الشعبي لا يأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة وقيل على وجه القرض
دليله قوله بالمعروف وجعل الامر بالصدقة او بمعروف يعني القرض ومعنى الآية ليستقرض من مال اليتيم فاذا ايسر قضاه فان
لم يقدر على قضائه فلا شيء عليه وقيل يستلف منه فيتجر فيه فاذا ايسر ادى دليله ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الا اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت
قضيت وقيل لا تأكله الا ان تضطر اليه كما تضطر الى الميتة وقيل بالمعروف هو ان تأكله من غير اسراف ولا قضاء عليه فيما يأكل
يأكل باطراف اصابعه ولا يسرف في الاكل ولا يكتسي منه وقيل هو ان يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء
عليه فاما الذهب والفضة فلا فان اخذ منه شيئا فلا بد من ان يرده وقيل كان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على
صلاحه وسقيه فيصيب من ثمرته ويكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها وعلاجها فيصيب من جزازها ونسلها

وعوارضها

وعوارضها فاما رقاب المال واصلها فليس له ان يستهلكها وحمل المعروف ركوبا للدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل
من المال شيئا قوله تعالى فاذا دفعتم قيل هذا ادب من الله تعالى ليعلم ان الولي قد ادى الامانة وينقطع عنه الظنة وتبعد عنه
الخصومة وليس بفريضة واعلم ان الاجماع متحقق على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم عند تحقق شرائط الدفع الاحوط
ان يشهد عليه بقبضه لتسلم به ذمته عنه وذلك انفى للتهمة وابعد من التجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة فلو لم
يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة
عليهم امرهم بظاهر الامر الوجوب ولان القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وانما هو مؤتمن من جهة الشرع قال الامام فخر
الدين في هذا الكلام مع المساهمة الشديدة ولو كان ما ذكره علة لنفي التصديق لوجب ان لا يصدق القاضي اذا قال
لليتيم قد دفعت اليك لانه لم يأتمنه وكذلك يلزمه ان يقول في الاب اذا قال بعد بلوغ الصبي قد دفعت مالك اليك ان لا
لانه لا يأتمنه ويلزمه ايضا ان يوجب الضمان عليهم اذا تصادقوا بعد البلوغ انه قد هلك لانه امسك ماله من غير ائتمان له عليه
فيقال له اما النقض بالقاضي فبعيد لان القاضي حاكم فيجب ازالة التهمة عنه ليصير قضاؤه نافذا ولولا ذلك لم يتمكن كل من قضى
عليه بان ينسب الى الكذب والميل والمداهنة وحينئذ يحتاج القاضي الى قاض آخر ويلزم التسلسل ومعلوم ان هذا
غير موجود في حق وصي اليتيم واما الاب فالفرق ظاهر لوجهين احدهما ان شفقته اتم من شفقة الاجنبي فلا يلزم من قبوله في حق الاب قبوله في حق الاجنبي والثاني انه صلى الله عليه وسلم قال انت ومالك لابيك وهذا غير موجود في
الاجنبي واما اذا تصادقوا بعد البلوغ انه قد هلك فنقول ان كان قد اعترف بانه هلك بسبب تقصيره فههنا يلزمه الضمان
اما اذا ادعى انه هلك لا بتقصيره فههنا يجب ان يقبل قوله والا لصار ذلك مانعا للناس من قبول الوصاية فيقع الخلل في
المهم العظيم فاما الاشهاد عند الرد اليه بعد البلوغ فانه لا يقتضي الحكمة المقصودة وظهر الفرق قوله تعالى وكفى بالله حسيبا
انه تعالى ذكر قبل هذه الآية ما يدل على ان وصي اليتيم حصل في حقه ما يوجب التهمة وهو قوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا وهذا يدل على ان جريان العادة بكثرة اقدام الولي على ظلم الايتام والصبيان فاذا دلت هذه الآية على تأكيد موجبات
التهمة في حق ولي اليتيم ثم قال بعده فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اشعر ذلك بان الغرض منه رعاية جانب الصبي
لانه اذا لم يتمكن من ادعاء دفع اليه الا بحضور الشاهد صار ذلك مانعا له من الظلم والبخس والنقصان واذا كان الامر كذلك
علمنا انه لما لم يصدق قوله فاشهدوا انه يجب بظاهر الامر فكذلك نفيد انه يجب بحسب القرائن والمصالح ثم قال هذا الذي ذكر
علينا انه يصدق فيه بغير اشهاد فان اتفاق الجميع على انه مؤتمن بحفظه وامساكه على وجه الامانة حتى يوصله الى اليتيم في وقت
استحقاقه فهو بمنزلة الودائع والمضاربات فواجب ان يكون مصدقا على الرد كما يصدق على رد الوديعة فيقال له الفرق
بين هذه الصورة وصورة الوديعة قد ذكره الشافعي واعتراضك على هذا الفرق قد سبق ابطاله فاما قولك فانه ترك
الالتفات الى كتاب الله لقياس ركيك تخيلته ومثل هذا الفقه مشكل لك ولا يحب المشاركة فيه وكفى
بالله حسيبا اي محاسبا وكافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض وهذا وعيد لولي اليتيم واعلام له انه يعلم باطنه
كما يعلم ظاهره فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب والباء في قوله وكفى بالله وكفى بربك في جميع القرآن زائدة وحسيبا
نصب على الحال اي كفى الله حال كونه محاسبا وحال كونه مكافيا قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان و
الاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ● قيل سبب نزول هذه
الآية ان اوس بن ثابت الانصاري توفي عن امرأته ام كجة وثلاث بنات له منها فجاء رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه
واختلف في اسميهما فقيل سويد وعرفطة وقيل سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكان اهل
الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال وان كان الولد ذكرا وكانوا يقولون لا يرث الا من يقاتل ويطاعن بالرماح ويذود عن الحوزة
ويحوز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ بالمدينة موضع بالمدينة
فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفقه عليهن وقد ترك ابوهن
لهن اموالا حسانا وهو عند سويد وعرفجة فلم يعطياني ولا بناته من المال شيئا وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ولا
يرفع لهن رأس فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله فيهن فانصرفوا فانزل الله هذه الآية اي للرجال
وللنساء نصيب فاثبت لهن في الميراث حقا ولم يبين المقدار فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما لا تفرقا
من مال اوس بن ثابت شيئا فان الله تعالى جعل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل الله فيهن فانزل الله يوصيكم
الله فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوصيين ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين
ولكما باقي المال فبين الله في هذه الآية ان الارث غير مختص بالرجال بل هو مشترك بين الرجال والنساء فذكر في هذه الآية هذا
ثم ذكر التفصيل بعد ذلك قال الامام ولا يمتنع اذا كان للقوم عادة في توريث الكبار دون النساء والصغار ان ينقلهم
سبحانه وتعالى عن تلك العادة قليلا قليلا على التدريج لان الانتقال عن العادة شاق ثقيل على الطبع فاذا كان دفعة عظم
وقعه على القلب واذا كان على التدريج سهل فلهذا المعنى ذكر الله هذا المجمل اولا ثم اردفه بالتفصيل قوله للرجال اي للذكور من
اولاد الميت واقربائه نصيب حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به وقيل هو مصدر
انتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة الحجة الذي بهذه الآية على توريث ذوي الارحام لان العمات

والخالات والأخوال فلولا أن الناس الأقربين يجب دخولهم تحت قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون لقطع
بأن أولئك قد يكون لهم النصيب غير مذكور في هذه الآية إلا أنا نثبت كونهم مستحقين لأصل النصيب بهذه الآية وأما المقدار
فنستفيده من سائر الدلائل أجاب أصحابنا عنه من وجهين أحدهما أنه تعالى قال في آخر الآية نصيبا مفروضا أي نصيبا مقدرا
وبالإجماع ليس لذوي الأرحام نصيب مقدر فثبت أنهم ليسوا داخلين في هذه الآية وثانيهما أن هذه الآية مخصوصة بالأقربين
فلم قلتم أن ذوي الأرحام من الأقربين وتحقيقه أنه إما أن يكون المراد من الأقربين من كان أقرب من شيء آخر أو المراد منه
من كان أقرب من كل شيء والأول باطل لأنه يقتضي دخول أكثر الخلق فيه لأن كل إنسان فله نسب مع غيره إما بوجه قريب أو
بعيد وهو الانتساب إلى آدم عليه السلام ولا بد وأن يكون هو أقرب إليه من ولده فيلزم دخول كل الخلق في هذا النص وهو
باطل فتعين الثاني وهو أن يكون المراد من الأقربين من كان أقرب الناس إليه وما ذاك إلا الوالدان والأولاد فثبت أن
هذا النص لا يدخل فيه ذوو الأرحام فإن قيل لو حملنا الأقربين على الوالدين لزم التكرار أجيب بأن الأقرب جنس يندرج
تحته نوعان الوالدان والأولاد فثبت أنه تعالى ذكر الوالدين ثم ذكر الأقربين فذكر النوع ثم ذكر الجنس فلم يلزم التكرار قوله
تعالى وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ● ليس فيها
بيان أي قسمة هي فلهذا حصل للمفسرين فيه أقوال قيل إنه تعالى ذكر في الآية الأولى أن للرجال والنساء نصيبا مما
ترك الوالدان والأقربون وعلم أن في الأقارب من يرث ومن لا يرث وأن الذين لا يرثون إذا حضروا وقت القسمة فإن تركوا
محرومين بالكلية ثقل ذلك عليهم فأمر الله أن يدفع إليهم شيء عند القسمة حتى يحصل حسن العشرة ثم القائلون
بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال إن ذلك واجب ومنهم من قال إنه مندوب أما القائلون بالوجوب فقد اختلفوا في
أمور أحدها أن منهم من قال الوارث إن كان كبيرا وجب عليه أن يرضخ لهم شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وإن
كان صغيرا اعتذر الولي أو الوصي إليهم فيقول إني لا أملك هذا المال إنما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون
ما عليهم ولو كان لي من الميراث شيء لأعطيتكم وإن يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وثانيها قال الحسن
والنخعي هذا الرضخ يختص بقسمة الأعيان فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والأرقاء وما أشبه ذلك قال لهم قولا معروفا
مثل أن يقول لهم ارجعوا بارك الله فيكم وثالثها قال بعضهم مقدار ما يجب فيه الرضخ شيء قليل ولا تقدير فيه بالإجماع
ورابعها على تقدير وجوب هذا الحكم قال قوم هي منسوخة كان هذا قبل آية المواريث لأهلها ونسخت هذه الآية وجعلت
الوصية لذوي القربى الذين يحزنون ولا يرثون والمساكين وقال آخرون هي محكمة غير منسوخة وهو واجب على
أهل الميراث ما طابت به أنفسهم وعن الحسن ليست بمنسوخة ولكن الناس شحوا وبخلوا وقيل كان التابعون يعطون
التابوت والأواني ورثة الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيى من قسمته وقيل فارزقوهم أمر على الندب قيل كان المؤمنون
يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من
غير أن يكون فريضة ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه
قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه من تركة أبيه وتلا هذه
الآية قيل ذكر ذلك لابن عباس فقال ما أصاب ليس ذلك إنما ذلك في الوصية وقيل المراد بالقسمة الوصية فإذا حضر
من لا يرث من الأقارب واليتامى والمساكين أمر الله الموصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا
معروفا في الوقت فيكون ذلك سببا لوصول السرور إليهم في الحال وفي الاستقبال وهذا ضعيف لأنه تقدم ذكر الميراث ولم
يتقدم ذكر الوصية وقيل المراد من أولي القربى الذين يرثون والمراد من اليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله فارزقوهم
راجع إلى أولي القربى الذين يرثون وقولوا لهم قولا معروفا راجع إلى اليتامى والمساكين الذين لا يرثون قوله تعالى وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ● لو مما في خبره صلة للذين
والمعنى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم والذي يخشى فيه مخصوص
عليه وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيقولون انظر لنفسك فإن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا قدم لنفسك
أعتق وأعط وتصدق فلان كذا وفلان كذا حتى يأتي على عامة ماله إلى أن يستغرقه بالوصايا ولا يبقى لورثته شيء فأمروا
بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ولا يحمل المريض على
أن يحرم أولاده الضعفاء من ماله وحاصله أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم عن أنس قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقيل المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا
على من في حجرهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في النفس
ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة وقيل المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هو متصل بما قبله
تهوام الورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا
أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة وليقولوا قولا سديدا وهو كالتقرير لما
تقدم كأنه قيل فليتقوا الله في الأمر الذي تقدم ذكره والاحتياط فيه والقول السديد العدل والصواب من القول والمراد
سيأتي أن يكونا سديدا والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم
يا بني ويا ولدي والقول السديد من الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك
مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان

الصحابة

الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث والقول السديد
من الورثة المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ويخصوهم بالإكرام قوله تعالى إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ● أكد الله الوعيد في أكل مال اليتيم ظلما وقد كثر الوعيد
في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يأكل مال اليتيم ظلما كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان
حوبا كبيرا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم ذكر بعدها هذه الآية مفردة في وعيد من يأكل أموالهم كل ذلك رحمة
من الله تعالى على اليتامى لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة قيل نزلت في رجل من غطفان يقال
له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله فأنزل الله الآية قوله ظلما أي بغير حق وهو مصدر في موضع الحال أي ظالمين
ومفعول له أي على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه
والأكل وإن كان لا يكون إلا في البطن لكن ذكره للتأكيد كقوله يقولون بأفواههم والقول لا يكون إلا بالفم وقوله ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور وقوله ولا طائر يطير بجناحيه وجميع أنواع الإتلافات في حكم الأكل وإنما خص الأكل بالذكر لأن
الأكل هو المعظم المقصود من سائر التصرفات المتلفة ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر إلى النار ويستدعيها فكأنه
نار في الحقيقة وقيل هذا يجري على ظاهره يروى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه
وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم وسيصلون سعيرا قرأ ابن عامر وعاصم بضم الياء مجهولا أي سيدخلون
النار ويحرقون والباقون بفتح الياء أي سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف قال النبي صلى الله عليه وسلم
رأيت ليلة أسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من
أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فدل الكتاب والسنة أن أكل مال اليتيم من الكبائر
قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت
واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه
الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم
نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ● قيل في تعلق هذه الآية بما قبلها أنه تعالى بين الحكم في مال الأيتام وما على
الأولياء فيه بين كيفية تملك هذا اليتيم المال بالإرث ولم يكن ذلك إلا ببيان جملة أحكام الميراث وقيل إنه تعالى أثبت حكم
الميراث بالإجمال في قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون فذكر عقيب ذلك المجمل هذا المفصل اعلم أن الوراثة في
الجاهلية بالنسب والعهد أما النسب فهم ما كانوا يورثون النساء والصغار وإنما كانوا يورثون من الأقارب الرجال
الذين يقاتلون على الفرس ويأخذون الغنيمة وأما العهد فمن وجهين الحلف كان الرجل في الجاهلية يقول لغيره دمي دمك
وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك فإذا تعاهدوا على هذا الوجه فأيهما مات قبل صاحبه كان للحي ما اشترط من مال الميت
والتبني فإن الرجل منهم كان يتبنى ابن غيره فينسب إليه دون أبيه من النسب ويرثه وهذا التبني نوع من أنواع المعاهدة ولما
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم تركهم في أول الأمر على ما كانوا عليه في الجاهلية وقيل قررهم على ذلك تعالى ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ثم إنه تعالى أبطل ذلك بالهجرة بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ثم نسخ هذا كله وصارت الوراثة في النسب والسبب فالسبب هو النكاح والولاء
وأما النسب فهو القرابة قال تعالى وأولوا الأرحام بعضهم يرث وبعضهم لا يرث والوارثون يحجب بعضهم بعضا وهذا علم
عريض ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بتعلم الفرائض فإنه نصف العلم وهو أول علم ينزع من أمتي ولا يمكن معرفة ذلك
إلا بمعرفة الورثة والسهام ونذكر على سبيل الاختصار ما يتعلق بتركة الميت من الحقوق ومن يرث ومن لا يرث فنقول إذا مات
ميت أولا يبدأ من تركته بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بإنفاذ وصاياه فما فضل يقسم بين الورثة ومن يرث بالفرض وهو
سهم مقدر معلوم ومنهم من يرث بالتعصيب فيأخذ ما فضل من الفروض عند وجود صاحب الفرض والكل عند عدمه
وإن لم يفضل شيء يكون محروما ومنهم من يرث بهما فأصحاب الفروض مثل البنات وبنات الابن والأخوات من أي جهة كانت والأمهات
والجدات والأزواج والزوجات وأصحاب التعصيب مثل الابن وابنه والأخ وابنه والعم وابنه والذي يرث بالوجهين الأب والجد
مع البنت وبنت الابن يأخذ السدس بالفرض ثم يأخذ ما فضل منهما وجملة الورثة من الرجال عشرة الابن وابن الابن وإن سفل والأب
وأبو الأب وإن علا والأخ وابن الأخ وإن سفل والعم وإن علا وابن العم وإن سفل والزوج ومولى العتاق ومن النساء سبع البنت
وبنت الابن وإن سفلت والجدة وإن علت والأخت والزوجة ومولاة العتاق والذين لا يحجبهم أحد خمسة الأولاد والأبوان
والزوجان لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة والذين لا يرثون أصلا ستة العبد والمدبر والمكاتب وأم الولد والقاتل
وأهل الملتين والفروض المذكورة في كتاب الله ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض
ثلاثة للبنت وبنت الابن إذا لم يكن بنت الصلب وللأخت المفردة للأب والأم وللأخت المفردة للأب إذا لم يكن أخت للأب والأم وللزوج
إذا لم يكن للميتة فرع وارث والربع فرض الزوج إذا كان للميتة فرع وارث والثلثان فرض اثنين فصاعدا ممن فرضها النصف والثلث
فرض الأم إذا لم يكن للميت فرع وارث ولا اثنين من الإخوة والأخوات إلا في مسألتين زوج وأبوان وزوجة وأبوان فإن للأم فيهما
ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من ولد الأم وفرض الجد مع الإخوة والأخوات إذا كان خيرا
من المقاسمة والسدس فرض سبعة بنت الابن مع بنت الصلب والأخت للأب مع الأخت للأب والأم والواحد من ولد الأم والأم
وللأم إذا كان للميت فرع وارث أو اثنان من الإخوة والأخوات وفرض الجدات وفرض الأب مع فرع وارث وفرض الجد مع الابن أو ابن الابن

وأما العصبات فاقربهم البنون ثم بنوهم وإن سفلوا يقاسمون اخواتهم للذكر مثل حظ الانثيين اذا كن معهم
ثم الأب وله ثلثة احوال حال ينفرد بالتعصيب اذا لم يكن معه ذو فرض وحال ينفرد بالفرضية وهو مع الابن وابنه وحال
يجتمع فيه الفرض والتعصيب وهو مع البنت وبنت الابن ثم الجد ان لم يكن للميت اخوة وان كان له اخوة والمقاسمة خير له من الثلث
بدون ذي فرض ومعه والمقاسمة خير من السدس وثلث الباقي ثم الاخوة للابوين ويعصبون الاخوات لهم ويقتسمون المال بينهم
للذكر مثل حظ الانثيين والواحدة منهن عصبة مع البنت وسائر العصبات ينفرد ذكورهم بالتعصيب دون الاناث ثم بنو الاخ
للاب ثم العم للابوين ثم العم للاب ثم كذلك ثم عم الجد على هذا الترتيب لا يرث بنو ابي العلى وبنو ابي اقرب منهم موجود
ثم المولى المعتق ثم عصباته المتعصبة بانفسهم على هذا الترتيب ثم جهة الاسلام على راي فلنرجع الى التفسير قيل
ان جابر بن عبد الله قال مرضت فعادني رسول الله وابو بكر فاغمي علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اقضي في مالي كيف اصنع
في مالي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت في آية المواريث وقيل استشهد سعد بن الربيع النقيب
يوم احد وترك امرأة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فاتت امرأة سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد فقالت
يا رسول الله ان هاتين بنتا سعد وان سعدا قتل يوم احد وان عمهما اخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله ارجعي
لعل الله سيقضي في ذلك فاقامت حينا ثم عادت وشكت وبكت فنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيكم الله
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما وقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم
في الاسلام وقيل نزلت في رحمة وقد مضت القصة وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وخلف
امرأة وخمس اخوات فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله آية المواريث قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت المواريث للاولاد والوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك
وانزل آية المواريث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات
واعطى كل ذي حق حقه الا فلا وصية لوارث قيل قوله يوصيكم الله اي يقول الله لكم قولا يوصلكم الى ايفاء حقوق اولادكم
بعد موتكم فان الايصاء الايصال ماخوذ من قولهم وصيت الشيء بكذا اذا وصلته به فالسدوا الرحمة تصل الليل بالايام
حتى صلوتا مقاسمة يشق انصافها الشعر وارض واصية متصلة النبات وقد وصت الارض اذا اتصل نباتها وتمام
قالوا توصي النبات اذا اتصل وهو نبت واص وقد اوصى يوصي اذا وصل فاذا قيل اوصى فمعناه وصل الى علمنا احتياج الحكم
وكذا التوصي وهو على المبالغة وقيل معناه يعهد اليكم ويامركم في شان ميراث اولادكم وقيل معناه يفرض عليكم فامر الله
اذا انتم لان الوصية من الله انما هي فرض والدليل عليه قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا
من الفرض المحكم علينا قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مجمل فيما اوصى به ثم فصل بينه ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين
على سبيل الاستيناف بدأ بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بهم اشد قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة
مني والاولاد حالة انفرادهم عن الوالدين اما ذكور واناث فقط وذكور فقط والاول بين الله تعالى الحكم فيه بقوله للذكر
مثل حظ الانثيين فافاد ان للذكر سهمين وللانثى سهما فان الاولاد اذا كانوا جماعة ذكورا وجماعة اناثا كان لكل ذكر سهمان
ولكل انثى سهما انه اذا كان مع الاولاد جمع آخرون من الورثة كالابوين والزوجين فهم ياخذون سهامهم وكان الباقي
بعد ذلك بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فقوله للذكر مثل حظ الانثيين يفيد هذه الاحكام وانما لم يقل للانثى
مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر ليدل ابتداء حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لفضله ولان قوله للذكر
مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا
الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره ومنع لانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب
لورود الآية فقيل كفى الذكر ان ضوعف له نصيب الاناث فلا ينبغي له ان يطمع في جعل الانثى محرومة من الميراث بالكلية
مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع الى اولادكم لانه مفهوم كقولهم
السمن منوان بدرهم والثاني اذا كان الاولاد الاناث فقط بين بقوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
اي فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فلهن ثلثا ما ترك الميت الذي
مات فالميت علم ان التارك هو الميت وقوله فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان ويجوز ان يكون صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة اي وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها
النصف قرأ نافع واحدة بالرفع على كانت التامة والباقون بالنصب على خبر كان وهو اوفق لقوله تعالى فان كن نساء ولان
وان يكون الضمير ان في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة فان قيل قوله للذكر مثل حظ
الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف يحسن ان يردف قوله فان كن نساء
وهو بيان حظ الاناث اجيب بان الكلام وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر من الاولاد لكن قد دل على انهم كانوا يحرمون
الاناث فبين حالهن مجتمعة مع الذكور ثم منفردة عنهم وقيل انه لما بين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للذكر
جميعا الاجتماع والانفراد فلذلك حسن ان يقال فان كن نساء فان قيل نساء جمع واقل الجمع ثلثة فما الفائدة في التقييد
بقوله فوق اثنتين اجيب بانه على قول من يقول اقل الجمع اثنان لا يرد هذا السؤال بل هذه الآية حجته ومن يقول هو ثلثة
يقول هذا للتاكيد كقوله لا تتخذوا الهين اثنين فان قيل قوله وان كانت واحدة غير مطابق لقوله فان كن نساء بل المطابق
وان كانت امرأة اجيب بان الغرض ثمة ان كن نساء خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن لان قسمتهم لقوله للذكر مثل حظ الانثيين

للابوين ثم الاخوة للاب يعصبون الاخوات ٢

فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتي سعد ... ٢

ليعلم حكم اجتماعهن مع الذكور اولا في قوله للذكر مثل حظ الانثيين ثم يعلم حكم انفرادهن اناثا ثانيا فوجب النص على خلوصهن
نساء والغرض هاهنا اي في قوله وان كانت واحدة بيان العدد ليعلم الحكم حال الوحدة اذ لا قرينة لها فوجب النص على العدد
والحاصل ان مجيء الاناث على الاول مقصود بالذكر وعلى العدد تابع وعلى الثاني بالعكس وهاهنا غير العبارتين اعلم ان الله تعالى لم يبين
حكم البنتين في حال الانفراد بالقول الصريح فاختلف فيه فعن ابن عباس انه الحق بينهما بمنزلة الواحدة وجعل فرض البنتين
النصف واحتج عليه بقوله فان كن نساء فوق اثنتين وذلك ينفي حصول الثلثين للبنتين من وجه انتفاء المشروط عند انتفاء
الشرط واجيب اولا بان هذا لازم على ابن عباس ايضا لانه قال تعالى وان كانت واحدة فلها النصف فجعل حصول النصف مشروطا
بكونها واحدة وذلك ينفي حصول النصف للبنتين وقد جعل ابن عباس النصف للبنتين وثانيا بانا لا نسلم ان كلمة ان تدل
على انتفاء الحكم عند انتفاء ما دخل عليه ان ويدل على هذا انه لو كان الامر كذلك يلزم ان لا يكون نصيب البنتين النصف ولا الثلثين
وهو باطل لان الاجماع دال على نصيب البنتين اما النصف واما الثلثان نعم انه قال تعالى فان لم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة وقال
لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ان خفتم واما سائر الامة فقد اتفقوا على ان فرض البنتين الثلثان قالوا انما
عرفنا ذلك بوجوه منها انه عرف من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين لانه دل على حكم الانثيين حكم الذكر فكما ان الذكر
الثلثان مع الواحدة كذلك نصيب الانثيين الثلثان فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ثلثا ما ترك الذي للانثيين لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم
ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وفيه نظر لان قوله للذكر مثل حظ الانثيين حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر
والانثيان والا اذا كان التقدير كما ذكر وكيف يصح فعلم منه ان للذكر حينئذ الثلثين فان ليس له الثلثان نصا لحال الانفراد
مخالف لحال الاجتماع واجيب عنه بان هذا الكلام مبني على دلالة اشارة النص وعبارته لقوله لحال الاجتماع واجيب عنه
بان هذا الكلام مبني على دلالة اشارة النص وعبارته لقوله وان كان مسوقا فقوله للذكر مثل حظ الانثيين وان كان
مسوقا لبيان حظ الذكر لكن دل بتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين الاجتماع والانفراد وقيل في الآية
دليل على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد الذكر والانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث
فقد بان ان للبنتين الثلثان فاعلم الله تعالى ان ما فوق الانثيين لهن الثلثان وقيل ان البنت لما وجب مع اخيها الثلث
كان اولى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اختها لان الذكر اقوى من الانثى ويكون لاختها مثل ما كان يجب لها ايضا
مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وقيل ان البنتين اشد رحما بالميت من الاختين فلا يجعل للبنتين ما اوجب الله للاختين
ولا يريد ان يقصروا بالبنتين عن حظ من هو ابعد رحما منهما اعلم انه تعالى ذكر في هذه الآية حكم بنت واحدة وحكم بنات فوق اثنتين
ولم يذكر حكم البنتين وفي آية ميراث الاخوات قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك ولم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة فصار كل واحدة من الآيتين مجملا من وجه مبينا فعلم نصيب البنتين
هاهنا من نصيب الاختين ثمة بطريق الاولى من جهة النقصان ومن نصيب فوق اثنتين هاهنا من جهة الزيادة وقيل ان قوله
تعالى للذكر مثل حظ الانثيين انه يدل ان حظ الانثيين ازيد من حظ الواحدة والا لزم ان يكون حظ الذكر مثل حظ الانثى الواحدة او انقص وذلك على خلاف
النص واذا ثبت ان حظ الانثيين ازيد من حظ الواحدة يلزم ان يكون حظ الانثيين هو الثلثان اذ لا قائل بالفرق وقيل قد ذكر
سببه نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم اعطى بنتي سعد بن الربيع الثلثين ولو لم يذكر في الآية ما يدل على حكم الانثيين
لما اعطى بنتي سعد الثلثين والثالث وهو ان يخلف الاولاد الذكور فقط فالابن الاحد المنفرد ياخذ كل المال لقوله
تعالى للذكر مثل حظ الانثيين مع قوله وان كانت واحدة فلها النصف وقوله عليه السلام ما ابقت السهام فوجب فيما اذا لم يكن
سهام ان ياخذ الكل وايضا اقرب العصبات الى الميت الابن وليس له بالاجماع قدر معين من الميراث فاذا لم يكن معه صاحب
فرض لم يكن له قدر معين وجب ان ياخذ الكل فان قيل حظ الانثيين الثلثان فقوله للذكر مثل حظ الانثيين
يقتضي ان يكون حظ الذكر مطلقا الثلثان اجيب بان ذلك حال الاجتماع لا حالة الانفراد يدل عليه وجهان احدهما ان قوله
يوصيكم الله في اولادكم يقتضي حصول الاولاد وقوله للذكر مثل حظ الانثيين يقتضي حصول الذكر والانثى هناك وثانيهما
انه تعالى ذكر عقيبه حال الانفراد وهذا اذا كان الميت خلف ابنا واحدا فقط اما اذا خلف اثنين فصاعدا كانوا مشتركين في
جهة الاستحقاق ولا رجحان فوجب قسمة المال بينهم بالسوية قيل اسم الولد واقع على ولد الصلب على طريق الحقيقة
ولا شك انه مستعمل في ولد الابن قال تعالى يا بني آدم وقال للذين كانوا في زمن النبي عليه السلام يا بني اسرائيل فانه كان في ولد الابن
مجازا فيمتنع ان يريد الله باولادكم في قوله يوصيكم الله في اولادكم ولد الصلب وولد الابن معا اذ لا يجوز ان يستعمل في معنييه
الحقيقي والمجازي معا قال الامام الطريق في دفع هذا ان يقال انا لا نستفيد حكم ولد الابن من هذه الآية بل من السنة
او من القياس واما ان اردنا ان نستفيد من هذه الآية فنقول الولد وولد الابن ما صار مرادين من هذه الآية جميعا وذلك لان
اولاد الابن لا يستحقون الميراث الا في احد الحالتين اما فقد عدم ولد الصلب راسا واما عند ما لا ياخذ ولد
الصلب كل الميراث فحينئذ يقتسمون الباقي واما ان يستحق ولد الابن مع ولد الصلب على وجه الشركة بينهم كما يستحقه
اولاد الصلب بعضهم مع بعض فليس الامر كذلك وعلى هذا لا يلزم من دلالة هذه الآية على الولد الابن ان يكون مدلولا بالآية
ولد الصلب فالحاصل ان هذه تارة تكون خطابا مع ولد الصلب واخرى مع ولد الابن وفي كل واحدة من هاتين الحالتين يكون
المراد به شيئا واحدا وهذا الجواب ليس كما ينبغي فان قوله اولادكم لم يستعمل الا مرة واحدة وحينئذ اما ان يراد به اولاد الصلب
فقط او اولاد الابن فقط وعلى كل من التقديرين لم يعلم منه حكم كل منهما بل حكم احدهما وان اريد كل منهما يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز

ربما انه لم يذكر ما حكمهما ٢

فلهن ثلثا ما ترك وكلمة ان في اللغة للشرط وذلك يدل على ان اخذ الثلثين مشروط بكونهن فوق اثنتين ٢

ثم كلمة ابن الاولى ٢

فلاولى عصبة ذكر ولما كان الابن الواحد اخذ ما بقي بعد السهام ٢

على ولد الواحد حقيقته ومجازه معا لانه حين اريد به ولد الصلب ما اريد به ولد الابن وحين اريد به ولد الابن ما اريد به ٢

والاولى ان يمتنع عدم جواز استعمال اللفظ في مفهوميه الحقيقي والمجازي ثم قال الامام اما اذا قلنا ان وقوع الابن على
ولد الصلب وعلى ولد الابن بطريق الحقيقة فان جعلنا اللفظ مشتركا بينهما عاد الاشكال لانه ثبت انه لا يجوز استعمال
اللفظ المشترك لافادة معنييه معا بل الواجب ان نجعله متواطئا فيهما كالحيوان بالنسبة الى الانسان والفرس وكذا
يدل على صحة ذلك قوله تعالى ابنائكم الذين من اصلابكم واجمعوا انه يدخل فيه ابن الصلب واولاد الابن فعلمنا ان لفظ الابن
متواطئ بالنسبة الى ولد الصلب وولد الابن وعلى هذا التقدير يزول الاشكال ولقائل ان يقول اذا كان الولد متواطئا
بالنسبة اليهما لم يكن حقيقة في ولد الصلب بخصوصه وهو باطل لانه لا خلاف في انه حقيقة في ولد الصلب بخصوصه
واذا كان حقيقة في ولد الصلب بخصوصه يكون مجازا في القدر المشترك الذي جعل متواطئا فيه والحيوان بالنسبة الى
الانسان بخصوصه لا يكون متواطئا ولا حقيقة في ولد الصلب فيهما بل باعتبار استعماله في القدر المشترك بينهما يكون
متواطئا وحقيقة والعجب انه لم يذكرها هنا ما ذكره في الحقيقة والمجاز فانه يمكن ان يقال ان نحوه تارة تكون خطابا مع ولد
الصلب واخرى مع ولد الابن وفي كل واحد من هاتين الحالتين يكون المراد به شيئا واحدا والاولى ان يقال لا نسلم عدم
جواز استعمال المشترك في مدلوليه دفعة واحدة ثم قال الامام ان هذا البحث الذي ذكرناه في ان الابن هل يتناول ابن الابن
قائم في ان لفظ الاب هل يتناول الاجداد والام هل يتناول الجدات ولا شك ان ذلك واقع بدليل قوله نعبد الهك واله ابائك
الاظهر انه ليس على سبيل الحقيقة فان الصحابة اتفقوا على انه ليس للجد حكم مذكور في القرآن ولو كان اسم الاب يتناول
الجد على سبيل الحقيقة لما صح ذلك اما قلنا ان قوله تعالى في اولادكم عام يتناول ولد المسلم والكافر والحر والرقيق والقاتل وغيره
وقد خص عنه صور منها الحر والرقيق لا يتوارثان ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين لا المسلم من الكافر ولا الكافر من
المسلم ومنها ان اولاد النبي لا يرثون منه لما ان فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث منعوها منه واحتجوا عليه بقوله
عليه الصلوة والسلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة قوله ولابويه لما ذكر كيفية ميراث الاولاد ذكر بعده
ميراث الابوين ولابويه يعني ابوي الميت ولم يجر له ذكر فكنى عن غير مذكور والمراد بالابوين الاب والام وهو تثنية ابو على
والاصل في الام ان يقال لها ابة ولكن استغنى عنها بام ولكل واحد منهما بدل من ولابويه بتكرير العامل وفائدة هذا
البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما
على التسوية وعلى خلاف التسوية وانما لم يقل ولكل واحد من ابويه ثم ابدل بقوله لكل واحد منهما السدس لان في الابدال
والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والمفسر والسدس مبتدا وخبره لابويه
ثم تفصيل بقوله لكل واحد منهما السدس ودل التفصيل على المبتدا ويستقيم على هذا جعله من بدل التقسيم كقولك الدار
لي ثلثها ولعمرو ثلثها ولبكر ثلثها ولا يستقيم هذا اذا لم يقدر المبتدا ولا يخفى انه لا فائدة في تقدير المبتدا بل الا
حسن ابقاء المقام التي حصلت من الابدال والتفصيل بعد الاجمال والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكمه في ذلك
وللابوين ثلث احوال الحالة الاولى ان يحصل معهما ولد وهذه الحالة يتصور وقوعها على ثلاثة اوجه احدها ان يحصل
مع الابوين ولد ذكر واحدا او اكثر من واحد فههنا للابوين لكل واحد منهما السدس وثانيها ان يحصل معهما بنتان فصاعدا
فالحكم كما ذكرناه وهو ان يكون لكل منهما السدس وثالثها ان يحصل معهما بنت واحدة فللبنت النصف وللام السدس
وللاب السدس بحكم هذه الاية والباقي له بحكم التعصيب قوله فان لم يكن له ولد الحالة الثانية للابوين وهي ان لا يكون
معهما ولد ولا يكون هناك وارث سواهما وهو المراد من قوله وورثه ابواه فلامه الثلث وذلك فرضها والباقي للاب
فان قيل قد تبين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة
في قوله وورثه ابواه اجيب بان معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قيل لكل واحد منهما
السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا
عند ابن عباس فانه قال يدفع الى الزوج نصيبه والى الام الثلث ويدفع الباقي الى الاب وقال الاصم في كتابه قلت ما بقي
والمعنى ان الابوين اذا خلصا يقتسمان الميراث للذكر مثل حظ الانثيين الثلث للام والثلثان للاب لكن ياخذ الاب السدس
بالفريضة والنصف بالتعصيب فاذا انفرد الاب ياخذ كل المال لان خاصية العصبة هو ان ياخذ الكل عند الانفراد
هذا كله اذا لم يكن للميت وارث سوى الابوين او معهما اخوة والكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد كسرة
والباقون بضمها على الاصل قوله تعالى فان كان له اخوة الحالة الثالثة ان يكون مع الابوين الاخوة والاخوات اتفقوا على
ان الاخت الواحدة سواء كانت للابوين او للاب وحده او للام وحدها وارثة او غير وارثة لا تحجب الام من الثلث الى السدس
وان الاخوة اي الثلثة فما فوقها يحجبون الام من الثلث الى السدس سواء كانت بني الاعيان او العلات او للام وحدها او مختلفة
ذكورا او اناثا او مختلفة وارثة او غير وارثة او مختلفة ولا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس السدس
بالفريضة والباقي بالعصبة واختلفوا في الاثنين من الاخوة والاخوات فعن ابن عباس من الصحابة والتابعين وغيرهم
قالوا انهما يحجبان الام من الثلث الى السدس كما في الثلثة وقال ابن عباس لا يحجبان كما في الواحد واحتج ابن عباس بان الاية
دالة على ان هذا الحجب مشروط بوجود الاخوة ولفظ الاخوة جمع فلا يتناول الاخوين لان الجمع خلاف التثنية وروي ان
ابن عباس قال لعثمان لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا
باخوة فقال عثمان هل استطيع نقض امر قد كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار وفيه جرى بين عثمان وابن عباس
دلالة على ان اقل الجمع ثلثة لان ابن عباس ذكر ذلك مع عثمان وعثمان ما انكره وهما كانا من صميم العرب ومن علماء اللسان فكان

اتفاقهما حجة في ذلك والظاهر ان الجمع حقيقة في الثلثة فما فوقها الا انه يستعمل في الاثنين بطريق المجاز لان الاخوة
تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل
بالاخوة عليه لان الجمع ضم الشيء الى الشيء وقد كثر استعمال الجمع على التثنية قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما والعرب تقول
ضربت من زيد وعمرو روسهما واوجعنا اخوتك ظهورهما وانشدوا اثنتان بالخبر يعلن ان الامر فينا قد شهر وانشد
بالسلام عني ثوى ويحل بالسلام على الفقير   اليس الموت بينهما سواء اذا ماتوا وصاروا في القبور   والعدول عن الحقيقة
الى المجاز الشهير يجوز بصارف وقد تاكد هذا باجماع الناس بغير على سقوط مذهب ابن عباس والاجماع بعد الخلاف حجة وعن قتادة
ان الاخوة ياخذون السدس الذي حجبوا الام عنه وما بقي فللاب لان الاستحقاق دل على انه الارث لا يحجب والاخوة يحجب
فيرثوا والجمهور انه عند عدم الاخوة المال للابوين وعند وجود الاخوة لم يذكر هو الله الا ان
يحجبون الام من الثلث الى السدس ولا يلزم من كونه حاجبا كونه وارثا فيبقى المال عند الحجب على ملك الاب كما كان قبل ذلك
قوله تعالى من بعد وصية توصى بها او دين قرا ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله والباقون
بكسرها اسنادا الى الموصي الميت وهو متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذا
من بعد وصية يوصي بها وانما قدم الوصية على الدين في الاية بحسب اللفظ والدين مقدم عليها في الشريعة لان الوصية مشبهة
بالميراث في كونها توخذ من غير عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط
بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فقدمت على الدين في اللفظ بعثا على ادائها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك
جيء بكلمة او تنبيها على التسوية بينهما في وجوب الاخراج قبل قسمة الباقي بين الورثة ومعنى او الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما
على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين قوله اباؤكم وابناؤكم كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله
فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يكون موكدا للكلام الذي تقدمه ومناسبا له لما ذكر الله تعالى انصباء الاولاد وانصباء الابوين
وتقديم الوصية على الانصباء وكانت تلك الانصباء مختلفة مخالفة لقسمة العرب الموروثة والعقول لا تهتدي الى كيفية تلك
التقديرات المخالفة لما جرت عادتهم به فربما خطر ببال الانسان ان القسمة لو كانت على غير هذا الوجه وعلى الوجه المعتاد او
كانت الوصية غير متقدمة على الانصباء لما ورثه كان انفع واصلح فازال الله هذه الشبهة بان عقولكم لا تحيط بمصالح الحكم
ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم المفسد من المصلح فانه هو العالم بالمصالح والمفاسد
وعواقب الامور فكانه قال للمخاطبين بقوله يوصيكم الله اتركوا تقدير المواريث التي جرت عادتكم عليها واستحسنته عقولكم انما
لامر الله الذي اوصاكم به فانكم لا تدرون من انفع لكم من اباءكم وابناءكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني فان
تقدير الانصباء على هذا الوجه المعتاد لكم ومن ترك الوصية وعدم تقديمها فان التقدير على هذا الوجه وتقديم الوصية
على الانصباء عرضكم لثواب الاخرة فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى من التقدير على الوجه المعتاد وترك الوصية وترك تقديمها
فان غايته ان يتوفر عليكم عرض الدنيا ولا شك ان ثواب الاخرة اقرب نفعا واحضر جدوى من عرض الدنيا اذ هما بالحقيقة
ان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان وهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا
انه هو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن اذا كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال الله ان يرفع ابوه اليه وكذلك الاب اذا كان
ارفع درجة من ابنه سال الله ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على
ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة
على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهما اقرب نفعا وقيل لا تدرون من انفع لكم من اباءكم
وابناءكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام لم يوص بعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى
ممن ترك الوصية فوفر عليكم قال صاحب الكشاف وليس شيء من هذه الاقاويل المتقدمة على الاخير بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه
الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول هو الاخير ولقائل ان يقول العدول لا يلائم المعنى
ولا مجاوب له ولا يبعد ارادة هذه الاقاويل جميعا فريضة نصب نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا من الله ان الله كان عليما حكيما
ان الله كان عليما بجميع المعلومات فيكون عالما بما في قسمة الانصباء من المصالح والمفاسد حكيما في كل الامور فلا يأمر الا بما هو الاحسن
في قسمة هذه المواريث اولى من القسمة التي جرت العادة بها في الجاهلية فان قيل لم قال كان عليما حكيما مع انه الان كذلك اجيب بان
الخبر من الله بهذه الالفاظ كالخبر بالحال والاستقبال لانه منزه عن الدخول تحت الزمان وقيل لما شاهدوا علما وحكمة وفضلا
اخبر انه كان كذلك لم يزل موصوفا بهذه الصفات قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين   قد ذكر الله تعالى اقسام الورثة في هذه الايات
على احسن الترتيب لان الوارث اما متصل بالميت بغير واسطة او بها الاول سبب الاتصال فيه اما النسب او الزوجية والثاني
الكلالة فقدم القسم الاول لقوته وقدم من القسم الاول الاولاد على الابوين لما بين من الاعتناء بهم وقدم القسم الثاني على الثالث
لعدم الواسطة وقدم من القسم الثاني الرجل على المراة لان الرجل افضل من المراة قال تعالى الرجال قوامون على النساء فان كان
لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل في الزواج الذي هو السبب كما جعلت على النصف في النسب ولهن
في الجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا فرق بين الولد كابنه ولا بني البنت وابن ابنه الانثى قال الشافعي
يجوز للزوج غسل زوجته لانها تبقى زوجته لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم سماها زوجة بعد الموت وقال ابو حنيفة

لا يجوز لانها ليست زوجة له لعدم حل وطئها وجواز نكاح اختها وجمع اربع سواها والجواب ان جواز هذه الامور في حال
حياتها وجواز الغسل لم يشترط الحياة فيه قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد
منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله
عليم حليم   هذا هو القسم الثالث من اقسام الورثة وهم الذين ينتسبون الى الميت بواسطة من مات فلا ولد له ولا والد
فهو كلالة ورثته وان شئت قلت ليس بالوالد للميت ولا ولد فهو كلالة موروثه فالكلالة اسم يقع على الوارث والموروث فان كان اسما
للميت فالمعنى رجل كلالة وامراة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء
الكلالة ما خلا الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة وهو ذهاب
القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة   فاستعيرت الكلالة للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانه
القرابة من غير جهة الولد بالنسبة الى قرابة الولد والوالد كالة ضعيفة واذا جعل الكلالة للموروث او الوارث فمعنى
كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق يقال رجل هجاجة
اي احمق ورجل فقاقة اي احمق والمراد بالكلالة في هذه الاية الاخ والاخت للام وقوله وله اخ او اخت يعني من الام باجماع
المفسرين ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر
السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا انما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث
شيئا انه يعني بهم الاخوة الاخر والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والذين امهم واحدة
وآباؤهم شتى والاعيان للاب والام والعلات للاب قوله تعالى وان كان رجل يعني الميت يورث من ورث اي يورث منه
وهو صفة الرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجوز ان يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير
في يورث وكذا اخ او اخت اي وللرجل الموروث منه اخ او اخت فلكل واحد من الرجل الوارث واخيه واخته السدس فاذا انفردا
استوى الاخ والاخت في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر والانثى لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت
على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وقوله تعالى فان كانوا اكثر من ذلك بيان نصيبهم كانوا لا يزادوا على الثلث قوله غير مضار
منصوب على الحال اي يوصى بها وهو غير مضار لورثته والضرار في الوصية يقع على وجوه منها ان يوصي بزيادة على الثلث ومنها
ان يقر بكل ماله او ببعضه لاجنبي ومنها ان يقر على نفسه بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن الورثة ومنها ان يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه ومنها ان يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لغرض ان لا يصل
المال الى الورثة ومنها ان يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغايظتهم قال العلماء الاولى ان يوصي باقل من الثلث
عن علي لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع ولان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث والاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما
يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان في المال كثرة اوصى بحسب
المال وبحسب حاجتهم وفي القلة والكثرة قيل والاضرار في الوصية من الكبائر لقوله تلك حدود الله الى قوله ومن يعص الله ورسوله
قال ابن عباس في الوصية ومن يعص الله ورسوله قال في الوصية وقوله صلى الله عليه وسلم الاضرار في الوصية من الكبائر
وقوله عليه السلام من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة ولا شك ان الزيادة في الوصية قطع من الميراث ومن
المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار بوكه وصية منه مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله
فريضة من الله وقيل وصية منصوبة بقوله غير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادتها على الثلث وقيل
لا يضار بوصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية ويعضد هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله
بالاضافة فان الاضافة تدل على انه مفعول به وكون خاتمة الاية الاولى فريضة من الله وخاتمة هذه الاية وصية من الله
تدل على ان رعاية حق الاولاد اولى وان كان الكل واجب الرعاية لان لفظ الفريضة اكد واقوى من لفظ الوصية والله عليم بكل شيء
فيكون عليما بمن جار او عدل في وصيته حليم عن العصاة لا يعاجلهم بالعقوبة ويقبل توبته قوله تعالى تلك حدود الله
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين   بعد بيان سهام المواريث ذكر الوعد والوعيد ترغيبا في الطاعة
والانقياد لاوامر الله وترهيبا عن المعصية فقال تلك حدود الله اشارة الى الاحكام التي ذكرت من اول السورة الى ههنا
في باب اليتامى والاموال والانكحة وباب الوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة
للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق وقوله ومن يطع الله ورسوله وقوله ومن يعص الله ورسوله
اي عصى الله ورسوله في هذه التكاليف المذكورة في هذه السورة وغيرها لان من عام ووقوعه عقيب هذه التكاليف
لا يقتضي تخصيصه قرأ نافع وابن عامر ندخله جنات ندخله نارا بالنون فيهما والباقون بالياء فيهما الاول على طريقة الالتفات
كما في قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي والثاني ظاهر ووحدة الضمير في قوله يدخله وخالدين جمعا باعتبار لفظ من
واعتبار معناه في الثاني وانتصاب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان يكون خالدين صفة لجنات وخالدا صفة لنارا لانهما
جريا على غير من هما له ولم يبرز ضمير لانهما لو كانا صفتين لهما لوجب ابراز الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها
قوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا   لما ذكر في الايات المتقدمة ما يقتضي الاحسان الى النساء

ومعاشرتهن

ومعاشرتهن بالجميل وما يتصل بهذا الباب ضم الى ذلك التغليظ عليهن فيما ياتينه من الفاحشة فان ذلك في الحقيقة
احسان اليهن ونظر لهن في امر آخرتهن وايضا فيه فائدة اخرى وهو ان لا يجعل امر الله الرجال بالاحسان اليهن سببا لترك اقامة
الحدود عليهن فيصير ذلك سببا لوقوعهن في الفحش والمفاسد وفيه فائدة
اخرى وهي بيان ان الله تعالى كما يستوفي لعباده عليهم فلا تساهل في احكامه محاباة وان مدار الشرائع على الانصاف والاحتراز في كل باب
عن طرفي الافراط والتفريط واللاتي جمع التي قوله ياتين الفاحشة اي يفعلنها يقال اتى امرا قبيحا اي فعله ويقال اتى الفاحشة
وجاءها وغشيها بمعنى والفاحشة الفعلة القبيحة وهي مصدر عند اهل اللغة كالعاقبة والجمهور على ان الفاحشة
ههنا الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح قوله من نسائكم اي ازواجكم كقوله والذين يظاهرون من نسائهم اي من الحرائر
كقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم والغرض ان لفظة الاية تقتضي الحرائر وقيل من الثيبات قوله فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم اي من المسلمين فان شهدوا عليهن بالزنا فامسكوهن في البيوت احبسوهن في السجون حتى يتوفاهن الموت او يجعل
الله لهن سبيلا وكان هذا في ابتداء الاسلام المراة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت وان كان لها زوج كان لها المهر حتى نزلت
الزانية والزاني فاجلدوا الاية هذا حكم البكرين فان كانا محصنين رجما بسنة رسول الله فهو سبيلهما الذي جعله
الله لهما قوله او يجعل الله لهن سبيلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
الثيب بالثيب الرجم والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ثم نسخت تلك الاية بعض هذه الاية وهو الامساك في البيوت وبقي
بعضها محكما وهو الاشهاد وقيل يجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى
بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
وقوله او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى يتوفاهن
الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يريد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين
تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم
فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما   قرأ ابن كثير اللذان وهذان بتشديد النون والباقون
بالتخفيف وابو عمرو وافق ابن كثير في قوله فذانك وجه التشديد الفرق بين تثنية الاسماء المتمكنة وغيرها بتثقيل النون فيهما
ليستوي ذا التثنية فاذا اريد الفرق بينهما وتخصيص ابي عمرو التعويض في المبهمة دون الموصولة يشبه ان يكون ذلك
لان الحذف في المبهمة الزم فكان استحقاقه العوض بسبب قوله واللذان ياتيانها يعني الزاني والزانية فآذوهما اي وبخوهما وعنفوهما
باللسان وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله حين اتيتما الفاحشة وقيل سبوهما واشتموهما وقيل بالتعيير وضرب النعال
فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا الاذية عنهما وانما كان هذا قبل نزول الحد فلما نزلت
الحدود نسخت هذه الاية كما نسخت الامساك بالرجم للثيب والجلد والنفي للبكر فالجلد في القرآن والنفي والرجم في السنة
عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني انهما قالا ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما اقض يا رسول الله
بيننا بكتاب الله وائذن لي في ان اتكلم قال تكلم فقال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامراته فاخبروني
ان على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية ثم سألت اهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وانما الرجم
على امراته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك
وجلد ابنه مائة وغربه عاما وامر انيسا الاسلمي ان ياتي امراة الرجل فان اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها وعن بريدة ان ماعز بن
مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب اليه فرجع
غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب اليه قال فرجع غير بعيد ثم قال مثل ذلك حتى
اذا كانت الرابعة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابك جنون فاخبر انه ليس بمجنون فقال اشرب خمرا فقام رجل فاستنكهه
فلم يجد منه ريح خمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ازنيت قال نعم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فرجم فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم فقال استغفروا لماعز فقالوا يغفر الله لماعز فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت
بين امة لوسعتها وقيل يجوز ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام
والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاية الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
وحد السحاقات الحبس الى الموت وحد اللواطين الاذى بالقول والفعل والمراد بالاية المذكورة في النور الرجل والمراة وحد
في البكر منهما الجلد وفي المحصن الرجم حجته ان اللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم مخصوص بهن واللذان ياتيانها منكم مخصوص
بالرجال لانه تثنية الذكور ولا يجوز ان يراد به الذكر والانثى وتغليب الذكر لانه لو كان كذلك لما افرد ذكر النساء من قبل ولا حاجة
الى التزام النسخ في شيء من الايات بل يكون حكم كل منها باقيا مستمرا وهو اولى من التزام النسخ وقيل المراد باللاتي الثيبات وفي
باللذان البكر من الذكور والاناث والدليل عليه قوله من نسائكم فاضافتهن الى الازواج وسماهن نساء وهذا الاسم اليق
بالثيب والاذى اخف من الحبس في البيت وهو اليق بالبكر قوله ان الله كان توابا رحيما التواب الذي يعود على عبده بفضله
ومغفرته اذا تاب العبد اليه من ذنبه قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما   لما ذكر في الاية الاولى ان الآتيين بالفاحشة اذا تابا واصلحا يجب
الاعراض عنهما واخبر على الاطلاق وايضا انه تواب رحيم ذكر وقت التوبة وشرطها وفيه ترغيب في تعجيلها لئلا ياتيهم
الموت وهم مصرون فلا ينفعهم التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند او تكون من معاوضة قال صاحب الكشاف التوبة

من تاب الله عليه اذا قبل توبته وعفى له بعد ما الفعل لو الغفران واجب على الله تعالى لما اوكده وقد بني على اصول الذين لا يجب
على الله شيء وعدا شيوا اليه في المقدمات واعلم انه تعالى ممدوح لقبول التوبة فاذا وعد شيئا لا بد وان ينجز وعده لان الخلف في وعده
محال ولما كان ذلك شبيها بالواجب قيل على الله اي هو مقتضى الوجوب عليه مجازا فقوله على الله اعلام بان الله يقبل التوبة
على سبيل التفضل قوله بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب السوء مما يدعو اليه السفه
لا مما يدعو اليه العقل والحكمة وقيل معناها العمد وقيل جهل عقوبته وقيل المعاصي كلها من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن
معصيته وقيل اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او غيره قيل يعني
بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية نظيرها في الانعام انه من عمل منكم سوءا بجهالة قوله ثم يتوبون من قريب قيل معناه
قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها وقيل من قريب ما دام في صحته قبل المرض والموت وقيل ما قبل الموت فهو قريب وقيل قبل
معاينة ملك الموت وقيل ان يتوب قبل موته بفواق ناقة روي انه اجتمع اربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
احدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بيوم فقال الثاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم فقال الثالث وانا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بضحوة فقال الرابع وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه وعن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته
بسنة تاب الله عليه ثم قال ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته
بجمعة تاب الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال ان الساعة لكثير من تاب قبل
ان يغرغر تاب الله عليه والظاهر ان الزمان القريب ما قبل حضور الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين
ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وروي ان ابليس لما اهبط الى
الارض قال وعزتك لا افارق ابن آدم حتى يفارق روحه جسده فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي وعظمتي لا احجب التوبة عن عبدي
حتى يغرغر بها ومن في قوله من قريب للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء من اجزاء هذا الزمان تاب فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد قوله فاولئك يتوب الله عليهم
اخبار بانه تعالى سيفعل ذلك على سبيل التفضل قال صاحب الكشاف فان قلت ما فائدة قوله انما التوبة على الله ثم قوله فاولئك
انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما
وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب قلنا لا نقول انه كما يجب على العبد بعض الطاعات
تبارك من غير حاجة لا يليق بمن له معرفة فيما يتعلق بجلال الله تعالى قال صاحب الانتصاف هذا تقشعر منه الجلود من لطف الله
تعالى انه حكى لبدعة ليس ببدع ووجهه عندنا ان الله تعالى وعد بقبول التوبة بشروطها ووقوع الوعد به واجب الصدق
فكل ما ورد من صيغ الوجوب فهو منزل على وجوب صدق الوعد وقولنا صدق الخبر واجب كقولنا وجود القدرة واجب
قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون
وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ● ذكر الله تعالى شرائط التوبة المقبولة ثم ذكر التوبة التي لا تكون مقبولة قوله
ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون وقوله وهم كفار منصوب المحل على انه حال من المعطوف فظاهره انه يكون المراد
بالذين يعملون السيئات الكفار الذين ماتوا على الكفر ثم تابوا حين حضرهم الموت كفرعون قال الله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وبالذين يموتون الكفار الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه
من غير ان يخطر ببالهم التوبة سوى بين الكفار الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الكفار الذين لم يخطر ببالهم التوبة
اصلا فانه لا توبة لهم لانه اذا حضر الموت وآل احوال الآخرة وكما ان الذي مات على الكفر فاتته التوبة على اليقين فكذلك الكافر
المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما اوان التوبة وقيل المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون عن سعيد بن جبير
نزلت الاولى يعني قوله انما التوبة على الله في المؤمنين والوسطى في المنافقين يعني ولا الذين يموتون والاولى ان يحمل كل من
الوسطى والاخرى للمشركين والمنافقين لكن الوسطى في المشركين والمنافقين الذين اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن
والاخرى في المشركين والمنافقين الذين لم يخطر ببالهم التوبة وماتوا على ما كانوا عليه وقيل المراد بالذين يعملون السيئات الفساق
لان الكلام انما وقع في التائبين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان
مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة الا عند حضور الموت حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا
قلب خال عن الايمان وقيل المراد بالفساق وقوله وهم كفار مختص بالآخر وكل من الوجهين مبعد عن الظاهر من جهة دليل اما الاول
فلانه صرف الكفار عن ظاهره بالحمل على الفساق واما الثاني فلان اختصاص المعطوف بالحال خلاف الظاهر قوله اولئك
اعتدنا لهم اي هيأنا لهم يقال اعتدت الشيء فهو معتد وعتيد واولئك اشارة الى الذين في الوسطى والاخرى على تقدير ان يكون
المراد بكل منهما المشركين فقط او المشركين والمنافقين او يعني في الوسطى المنافقين وفي الاخرى المشركين ومن حمل الذين في
الوسطى الفساق فمنهم من جعل اولئك اشارة الى الذين في الوسطى والذين في الاخرى وهم الوعيدية وتمسكوا بهذه الآية على
مذهبهم من وجهين الاول انه تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات وهو المعطوف مغاير للمعطوف عليه فثبت ان الطائفة
الاولى ليسوا من الكفار ثم انه تعالى قال في حق الكل اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما فهذا يقتضي شمول هذا الوعيد الكفار والفساق

الثاني

الثاني انه اخبر انه لا توبة لهم عند المعاينة فلو كان يغفر لهم مع ترك التوبة لم يكن لهذا الاعلام معنى والجواب عن الاول انه
لا يلزم من تشارك المعطوفين ان يكون الطائفة الاولى غير كفار فانه يجوز ان يكون الطائفتان كفارا لكن نفي ما استغفر الاخرى
ذكر للآية دلالة على ان الطائفتين كفار ولا دليل لتخصيص المعطوف بالحال وهو خلاف الظاهر وعلى تقدير ان تكون الطائفة الاولى
غير كفار يجوز ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون لانه اقرب مذكور له اولئك وعن الثاني انا لا نسلم ان اخباره تعالى عنهم بانه لا
لهم عند المعاينة يستلزم ان لا يغفر لهم قوله لو كان يغفر لهم مع ترك التوبة لم يكن لهذا الاعلام معنى قلنا فانه اخبر انه لا توبة لهم عند
المعاينة واذا كان لا توبة لهم حصل هناك تجويز العقاب وتجويز المغفرة وهذا لا يخلو من نوع تخويف فهو كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على ان هذا امساك بدليل الخطاب والوعيدية لا يقولون به قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن
بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ● عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية
اذا مات كان اولياؤه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها فانزلت هذه الآية والله اعلم ان ذلك حرام وان الرجل
لا يرث المرأة من الميت وقيل كان اهل المدينة في الجاهلية وفي اول الاسلام يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم
كان الرجل اذا مات وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من عصبته فالقى ثوبه عليها او على خبائها فصار احق بها من نفسها او من غيرها فان شاء
ان تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء
عضلها وضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقي
عليها ثوبه فهي احق بنفسها وكانوا يفعلون ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية
فقام ابن له من غيرها يقال له حصن فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه بمالها
وكذلك كانوا يفعلون اذا ورثوا نكاحها فان كانت جميلة موسرة دخل بها وان لم تكن جميلة طول عليها لتفتدي منه فاتت كبيشة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه وقد اضرني وطول علي فلا هو ينفق علي
ولا هو يدخل بي ولا هو يخلي سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك امر الله فانصرفت وسمعت
بذلك النساء بالمدينة فاتين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ فقلن يا رسول الله ما نحن الا كهيئة كبيشة غير انه
لم ينكحنا الابناء ونكحنا بنو الاعمام فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم اي لا يحل لكم ان تأخذوهن على طريق الارث كما يحاز
المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات قرأ حمزة والكسائي بضم الكاف هاهنا وفي التوبة والباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان
الكره بالضم وبالفتح المشقة فما اكره عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل نفسه فهو كره بالضم ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
كفعل اهل المدينة والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه وقيل نزل
قوله ولا تعضلوهن في الرجل يكون في حجره اليتيمة فيكره ان يزوجها لمالها او يتزوجها لاجل مالها ان تكون تحته العجوز ونفسه
تتوق الى الشابة فيكره فراق العجوز لتوقع وفاتها ليرث مالها وهي معتزلة فراشها وقيل هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره
صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارها لتفتدي بالمهر او ترد ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك ولا تعضلوهن اعرابه
النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن ثم قال الا ان يأتين بفاحشة
مبينة فحينئذ يحل لكم ضررهن حتى يفتدين فقوله الا ان يأتين استثناء من عموم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن
في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة مبينة فحينئذ يحل لكم ضررهن او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين
بفاحشة قيل الفاحشة النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن
فعذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا فان زنت حل لزوجها ان يسألها الخلع
وقيل كان الرجل اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وقيل
لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر مبينة ومبينات
في الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وهما لغتان فصيحتان التبيين الايضاح والوضوح وكانوا يسيؤن
معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف اي قبل الاتيان بالفاحشة وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول
وقيل اصحبوهن بما يجب لهن عليكم بالحق وقيل عاملوهن بالسنن والفرائض وقيل العشرة الصحيحة ما لا يورثك الندم عاجلا
وآجلا وقيل المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال ... فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن
بالمعروف فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله في ذلك الشيء المكروه خيرا كثيرا وصح قوله
فعسى ان تكرهوا جزاء الشرط من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا
ليس فيما تحبونه قيل الخير الكثير في المرأة المكروهة الولد الصالح وربما يكون فرطا وقيل السكون الى كراهية النفس يجعل الله
خير الدارين وقيل الخير الكثير ما يتصل بالعقبى ... لا يسكن الى ما الوصف ولا ينفر من مكروه
منهما ان الجهل يستحكم ... فيختار له فيسخط على ربه فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له ويجعل الله بالرفع
على انه في موضع الحال قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه
شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ● لما اذن
في الآية السابقة مضارة الازواج اذا اتين بفاحشة بين في هذه الآية تحريم المضارة في غير حالة الفاحشة وكان الرجل اذا مال
الى التزوج بامرأة اخرى وطمحت عينه الى استطرافها رمى التي تحته بفاحشة ويضطرها الى الافتداء منه بما آتاها ليصرفه

[illegible]

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا [illegible]

[illegible]

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما [illegible]

وقيل اصل الام امة وانشد في ذلك تقبلتها من امة لا [illegible] فالصواب الجمع امات قال وجثا الظلام امات [illegible]
وقيل الامهات للناس والامات للبهائم حرم الله تعالى في هذه الآية نكاح اربعة عشر صنفا من النساء سبعة منهن بالنسب فالاول
فقوله امهاتكم الى قوله وبنات الاخت واما السبب فقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين وازواج الآباء
مذكورة هنا وازواج الآباء في الآية المتقدمة قيل هذه الآية مجملة لان اضافة التحريم الى الاعيان غير ممكن وتحريم الافعال متصور
الفعل الذي يصح اضافة التحريم اليه هنا غير مذكور وليست اضافة هذا التحريم الى بعض الافعال التي لا يمكن نقلها فيها اولى
والبنات اولى من بعض فصارت الآية مجملة واجيب بان تقديم قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم يدل على ان المراد تحريم نكاحهن فهو الذي
يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله والحاصل ان اضافة التحريم الى الاعيان لا يمكن
حمله على ظاهره فلا بد من حمله على المفهوم المجازي فان وجد ما هو اعظم مقصودا او اظهر عرفا واقرب الى الحقيقة يحمل عليه ولا
ان النكاح بالنسبة الى النساء اعظم مقصودا والشرب بالنسبة الى الخمر اعظم مقصودا واضافة التحريم الى الاعيان تفيد
تأكيد التحريم والمبالغة في الاجتناب عما هو المراد وتحريم الامهات والبنات كان ثابتا من لدن آدم الى هذا الزمان ولم يستحل [illegible]
في دين من الاديان الحقة وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او امك باناث رجعت اليها او ذكور فهي امك وكل انثى
رجع نسبها اليك بالولادة بغير واسطة او بواسطة اناث او ذكور فهي بنتك وكل من البنت والام في الاصلية حقيقة
وفي غير الاصلية مجاز وصح اطلاق اللفظ على المفهوم الحقيقي والمجازي ولا حاجة الى ارتكاب تكلف واخواتكم كل انثى ولدها [illegible]
ولداك في الدرجة الاولى فهي اختك سواء كانت من الابوين او الاب وحده او من الام وحدها فقيل نكاح الاخوات كان مباحا في
اولاد الصلب لآدم بحكم الضرورة وعماتكم وخالاتكم كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام [illegible]
اخت اب امك وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك وبنات
الاخ وبنات الاخت وتحديدهن هؤلاء كالتحديد في بنت الصلب وهؤلاء النسوة اللاتي ذكرن محرمات من جهة النسب ثم ذكر المحرمات
بسبب حيث فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم سماهن الله امهات واضافهن الى المؤمنين للحرمة كل انثى انتسبت باللبن
اليها فهي امك فالتي ارضعتك او ارضعت امرأة ارضعتك او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولده فهي امك من الرضاعة
وكذلك كل امرأة ولدت امرأة ارضعتك او رجلا ارضعت [illegible] امك من الرضاعة وقد نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى
المرضعة ام الرضيع والمرضعة اختا وكذلك زوج المرضعة التي ارضعته بلبانه ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له
من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم
اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه فعلم انه تعالى نص في هذه الآية على حرمة الامهات والاخوات من جهة
الرضاعة والحرمة غير مقصورة عليهن لقوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فاعلم فنقول ان الامر كذلك
لانه تعالى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا فقد نبه بذلك على انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب وذلك لانه تعالى حرم بسبب النسب سبعا
اثنتان منهما المنتسبتان بطريق الولادة وهما الامهات والبنات وخمس منها بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات
وبنات الاخ وبنات الاخت ثم انه تعالى لما شرع بعد ذلك في احوال الرضاع ذكر من كل من هذين القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي
فذكر من قسم قرابة الولادة الامهات ومن قسم قرابة الاخوة الاخوات ونبه بذكر هذين المثالين من هذين
القسمين على ان الحال في باب الرضاع كالحال في النسب ثم انه عليه السلام اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من
النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف وتوكيد لما حرمت الولادة حرمه الرضاع وعن علي [illegible] قلت
يا رسول الله ما لك تتوق في قريش وتدعنا قال وعندك شيء قلت نعم بنت حمزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ابنة
اخي من الرضاعة وعن عائشة ان افلح اخا ابي القعيس جاء يستاذن على عائشة بعد آية الحجاب قالت فابيت ان آذن له فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال ائذني له فانه عمك فقلت انما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل قال انه عمك فليلج عليك وانما يحرم
بالرضاع بشرطين احدهما ان يكون خمس رضعات عن عائشة رضي الله عنها كان فيما انزل عشر رضعات معلومات يحرمن فنسخن
بخمس معلومات وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرضاع فقال لا تحرم الاملاجة والاملاجتان والمصة والمصتان والثاني
ان يكون في الحولين وما بعد الحولين لا يحرم وكان ابو حنيفة يقول بعد الحولين بستة اشهر ومالك بعد الحولين بشهر والدليل
ان بعد الحولين من الرضاع لا يحرم قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وليس بعد الكمال
شيء وقوله صلى الله عليه وسلم لا رضاع بعد الحولين وانما الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم قوله وامهات نسائكم جميع امهات المرأة
يحل امك سواء كانت من النسب او الرضاع وهي تحرم بنفس العقد على ابنتها لان الله تعالى اطلق التحريم ولم يقيده بالدخول وهو مذهب اكثر
من الصحابة والتابعين ان من تزوج بامرأة حرمت عليه امها سواء دخل بها او لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول
بالبنت كما ان الربيبة انما تحرم بالدخول بامها وروي هذا عن علي وعبد الله بن عمر وابن الزبير وجابر وظاهر الروايات عن ابن عباس و
حجتهم انه تعالى ذكر حكمين وهما قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن لا يخلو من ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ثم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن لا يخلو اما ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم دون قوله وربائبكم وهو باطل ولزم القول بتحريم الربائب مطلقا وهو خلاف
الاجماع او بهن بالربائب وهو لا يجوز لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناها مع الآخر لانك اذا قلت وامهات نسائكم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة ولا يصح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيين

مختلفان ويمكن ان يجاب عنه فيقال انه اخلق بالنساء واللبايب واجعل من الاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض وقال النابغة فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب
متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن على انه يمنع عند صحة استعمال الكلمة الواحدة في خطابين بمعنيين مختلفين وقيل ان قوله
تعالى وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يرد الدليل على تعلق قوله من نسائكم بها فوجب القول بعمومها على عمومها وانما قلنا
انه غير متعلق بها لانه لا بد من تعليقه بشيء تقدم ذكره فاذا علق باحدى الجملتين لم يصح تعليقه بالجملة الثانية فكان تعليقه بالجملة
الثانية ترك الظاهر من غير دليل وهو غير جائز لان عموم قوله وامهات نسائكم معلوم وتعلق قوله من نسائكم محتمل لاحتمال انه يكون
مختصا بالجملة الاخيرة فقط ويجوز ان يكون متعلقا بالجملتين فالقول بتعلقه بالجملتين ترك للظاهر العموم بتخصيص مشكوك فيه وهو
غير جائز وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل المراة فلا يحل له ان يتزوج بامها
دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج بالبنت وطعن محمد بن جرير الطبري في صحة هذا
الحديث وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المراة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فسالوهم فاجمعوا على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول
عن تلك المراة وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وعن سعيد بن المسيب عن زيد
اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك
كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يربي ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا
بذلك وان لم يربهما وفائدة قوله في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم
المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كان عقد العقد على بناتهن كالعقد على بناتكم وعن علي رضي الله
عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود ومعنى دخلتم بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وادخلتموهن
الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا
ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لابنه بحال
وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده
واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع
وحده وقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن [illegible] وحلائل ابنائكم الحلائل جمع الحليلة الفعيلة
فيمكن ان يكون بمعنى المفعول فيمكن ان يكون ماخوذا من الحل الذي هو الاباحة فالحليلة تكون بمعنى المحللة اي المحلالة ولا شك
ان الجارية كذلك فيجب كونها حليلة له ويحتمل ان يكون ماخوذا من الحلول فالحليلة عبارة عن الشيء الذي يكون محل الحلول
ولا شك ان الجارية موضع حلول السيد وكانت حليلة له واما اذا قلنا الحليلة بمعنى الفاعل ففيه وجهان الاول انهما لشدة
اتصال كل واحد منهما بالاخر كانهما يحلان في ثوب واحد وفي منزل واحد ولا شك ان الجارية كذلك الثاني ان كل واحد منهما كانه
حال في قلب صاحبه وفي روحه لشدة ما بينهما من المحبة والالفة فثبت ان جارية الابن حليلته وحليلة الابن محرمة على الاب
لقوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم واراد بقوله وحلائل ابنائكم ازواج ابنائكم وحليلهن كما ان حرمة التزوج
بحليلة الابن تحصل بنفس العقد وعن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم انه تعالى لم يبين
ان هذا الحكم مخصوص بما اذا دخل الابن بها او غير مخصوص بذلك فقال ابن عباس ابهموا ما ابهمه الله فليس المراد من الابهام الاجمال
بل المراد التابيد قال ابن عباس في السبعة المحرمة من جهة النسب انها من المبهمة اي من المحرمات اللاتي ثبتت
حرمتهن على سبيل التابيد كذا هنا قوله الذين من اصلابكم دون من تبنيتم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج
زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فظاهر قوله ابنائكم الذين من اصلابكم لا يتناول حلائل الابناء من الرضاعة وقال في اخر الاية
واحل لكم ما وراء ذلكم فمقتضى الظاهر التزوج بحليلة الابناء من الرضاعة لكن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
فاقتضى تحريم نكاح الابن من الرضاع فخصص عموم القرآن بخبر الواحد لان الابناء يتناول الولد قوله وان تجمعوا بين الاختين
في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والجمع اما بالنكاح او بالملك او بهما والجمع بينهما بالنكاح
بان يعقد عليهما جميعا فالعقد فاسد او بان يتزوج احديهما ثم يتزوج الاخرى فالنكاح الثاني باطل والجمع بين الاختين
بالملك او بهما بان ينكح احديهما ويشتري الاخرى فقال عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما والباقون
جوزوا ذلك اما الاولون فقد احتجوا على قولهم بان ظاهر الاية يقتضي تحريم الجمع بين الاختين مطلقا فوجب ان يحرم الجمع
بينهما على جميع الوجوه وعن عثمان انه قال احلتهما اية وحرمتهما اية والتحريم اولى بالاية الموجبة للتحليل واراد باية التحريم هذه
الاية وباية التحليل قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل والمذهب المشهور انه يجوز الجمع بين الاختين
بالملك فالجمع بينهما اما بالنكاح والملك وفي صورة الجمع بالملك اذا وطي احديهما حرمت الثانية ولا تزول هذه الحرمة
ما لم تزل الحل عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج وفي الصورة الثانية بنكاح احديهما ووطي الاخرى قوله الا ما قد
سلف اولكن ما قد مضى مغفور عنه بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقيل معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين
ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف وكانتا اختين قال الشافعي نكاح الاخت في عدة الاخت جائز لان الجمع بين الاختين

فيه لقوله

فيه لقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لان النكاح باق من بعض الوجوه بدليل وجوب العدة ولزوم
النفقة عليها اجيب بان النكاح له حقيقة واحدة غير متجزئة وقال الشافعي اذا اسلم الكافر وتحته اختان اختار احديهما وفارق الاخرى
سواء تزوجهما دفعة واحدة او على الترتيب دخل بهما او لم يدخل بهما اصلا وقال ابو حنيفة ان كان تزوجهما دفعة واحدة
فرق بينه وبينهما وان كان تزوج باحديهما اولا وبالاخرى ثانيا اختار الاولى وفارق الثانية قوله تعالى والمحصنات
من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم
به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ● النساء
من اللاتي يحرمن بالسبب المحصنات بفتح الصاد هن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات
ومحصنات من الاحصان الذي هو المنع وكذلك الحصانة يقال مدينة حصينة ودرع حصينة اي مانعة صاحبها من الجراح
قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم معناه ليمنعكم والحصن لمنعه من يريده بالسوء والحصان بالكسر الفرس الفحل
لمنعه صاحبه من الهلاك والحصان بالفتح المراة العفيفة لمنعها فرجها من الفساد قال والتي احصنت فرجها والاحصان
في القرآن جاء على وجوه احدها الحرية كما في قوله تعالى والذين يرمون المحصنات يعني الحرائر ولهذا لو قذف غير حرة لم يجلد ثمانين وكذا
قوله فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر وثانيها العفاف وهو محصنات غير مسافحات وقوله محصنين غير مسافحين وقوله التي
احصنت فرجها اي اعفته وثالثها الاسلام من ذلك قوله فاذا احصن قيل في تفسيره اسلمن ورابعها كون المراة ذات زوج وقوله
والمحصنات من النساء يعني ذوات الازواج والدليل عليه انه تعالى عطف المحصنات على المحرمات فيجب ان يكون الاحصان سببا
للحرمة ومعلوم ان الحرية والعفاف والاسلام لا تاثير له في ذلك فوجب ان يكون المراد المزوجة لان كون المراة ذات زوج له تاثير
في كونها محرمة على الغير قوله الا ما ملكت ايمانكم وحرمت عليكم المحصنات اي ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين
ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لكم اي لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق فعند الشافعي بمجرد السبي وعند ابي حنيفة بالاخراج من دار الحرب الى دار الاسلام وقيل المراد
اذا كانت ذات زوج حرمت على غير زوجها الا اذا صارت ملكا للانسان فانها تحل للمالك وقيل المراد بملك اليمين ان ملك اليمين
ملك النكاح والمعنى ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع البينونة بينهن وبين ازواجهن
والمقصود الزجر عن الزنا والمنع من وطيهن الا بنكاح جديد او بملك يمين ان كانت المراة مملوكة وعبر عن ذلك بملك اليمين لان
اليمين لان ملك اليمين حاصل في النكاح وفي الملك وقيل المراد بالمحصنات ههنا الحرائر والدليل عليه قوله تعالى من بعد هذه الاية
فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم ذكر ههنا المحصنات ثم ذكر العبيد فمن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات كان المراد بالمحصنات ههنا هو المراد منها ثمة والمراد من المحصنات هناك الحرائر فكذا ههنا
فيكون المعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعله الله ملكا لكم وهو الاربع وقيل معناه حرمت الحرائر عليكم الا ما اثبت
الله لكم ملكا عليهن وذلك عند حضور الولي والشهود وسائر الشرائط المعتبرة في الشريعة قوله كتاب الله عليكم مصدر
مؤكد اي كتب الله عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم قوله واحل لكم قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر احل بفتح
الهمزة معطوفا على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم والباقون على ما لم يسم فاعله
عطفا على قوله حرمت عليكم قوله ما وراء ذلكم اي ما سوى ذلكم الذي ذكر لكم من المحرمات قوله ان تبتغوا محل هو بدل
من قوله ما وراء على القراءتين اي واحل لكم ان تبتغوا ويجوز على قراءة من قرا بفتح الهمزة محله النصب وعلى قراءة ما لم يسم فاعله محله الرفع
وقيل على القراءتين النصب بنزع الخافض على انه مفعول له بمعنى واحل لكم ما وراء ذلكم لان تبتغوا اي ارادة ان يكون ابتغاؤكم
باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل
فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام
والاموال المهور وما يخرج في المناكح ويجوز ان يكون مفعول تبتغوا مقدرا وهو النساء اي تبتغوا مقيدين هو النساء اي
تبتغوا النساء والاحسن ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول
للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي قوله فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد
عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط عليه المشتمل على الضمير الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور
باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في قوله فما استمتعتم بمعنى النساء ومن في قوله منهن للتبعيض او للبيان ورجع الضمير الى ما
على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن وعلى تقدير ان يكون من للتبعيض فالتقدير فما استمتعتم به بعض المنكوحات وعلى تقدير ان يكون
من للبيان فالتقدير فما استمتعتم به اللاتي هن المنكوحات والمراد باجورهن مهورهن لان المهر عوض عن البضع اي عن منفعة البضع
وعوض المنفعة تسمى اجرا قوله فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت فريضة موضع ايتاء لان ايتاء المهر فرض او مصدر
مؤكد اي فرض فريضة فان استمتعتم بالدخول بهن فاتوهن مهورهن بالتمام وان استمتعتم بعقد النكاح فاتوهن نصف المهر
قوله ولا جناح عليكم اي لا اثم عليكم في ان تحط المراة عن الزوج من المهر او تهب له مهرها او تهب الرجل تمام المهر اذا طلقها
قبل الدخول او يزيدها على مقداره وقيل معناه لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من اقامة او فراق وقيل قوله فما استمتعتم به منهن
نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا
معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما
يعطيها وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابيحها ثم اصبح

يقول يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين
وعن الشافعي لا اعلم شيئا في الاسلام احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وعن ابن عباس هي الاية محكمة اي لم تنسخ ويرخص
في المتعة وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وسئل رجل ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرا سورة النساء
قال بلى قال فما تقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قال لا اقراها هكذا قال ابن عباس والله لهكذا انزلها الله ثلاث مرات
وعن سعيد بن جبير انه قرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لولا ان عثمان نهى عن المتعة
ما زنى الا شقي وعن عمران بن حصين قال نزلت اية المتعة في كتاب الله لم تنزل اية بعدها تنسخها فامرنا بها رسول الله وتمتعنا
مع رسول الله ومات ولم ينهنا عنها فقال رجل برايه ما شاء فلم يرخص في نكاح المتعة الا عمران بن حصين وابن عباس
وبعض اصحابه وطائفة من اهل البيت وسائر العلماء والفقهاء من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين على ان هذه الاية
منسوخة ومتعة النساء حرام وسئل الحسن عن نكاح المتعة فقال انما كانت ثلثة ايام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم نهى عنه وقال الكلبي كان ذلك في اول الاسلام احلها رسول الله ثلثا ثم حرمها وذلك انه اذا تم الاجل بينهما اعطاها
الاجر وفارقها ثم نسخت باية الطلاق والعدة والميراث وعن علي بن ابي طالب قال لابن عباس نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسية وعن ابن ابي مليكة سئلت عائشة رضي الله عنها عن المتعة فقالت
بيني وبينكم كتاب الله وقرات والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والله ما نجد في
كتاب الله الا النكاح والملك وقال ابن عمر المتعة سفاح وقال عطا المتعة حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير وروي ان ابن عباس
رجع عنه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف اي في البيع وقوله تعالى واحل لكم
ما وراء ذلكم يقتضي حل كل من سوى الاصناف المذكورة لكن دل الدليل على تحريم اصناف اخر سواها لان المذكورات منها الجمع
بين المراة وعمتها او بينها وخالتها قال عليه السلام لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ومنها المطلقة ثلثا لا تحل الا ان التحليل
ثبت بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومنها المعتدة ومنها الامة على القادر على طول الحرة ومنها
الخامسة ومنها الملاعنة وقوله ان الله كان عليما حكيما لما ذكر في هذه الاية انواعا كثيرة من التكاليف والتحريم والتحليل بين انه
عليم بجميع المعلومات لا يخفى منها خافية اصلا وحكيم لا يشرع الاحكام المذكورة الا على وفق الحكمة وذلك يوجب التسليم
لاوامره والانقياد لاحكامه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات
غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي
العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ● لما بين من يحل ومن لا يحل بين في هذه الاية من يحل وعلى اي وجه يحل الطول
الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل
امرئ غير طائل ● ومنه قولهم ما حلي منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة كما ان القصر
قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة وطولا منصوب على انه
مفعول لقوله يستطع بمعنى القدرة وهو فضل كما ان النكاح فضل وحرة وقوله ان ينكح [illegible] وقيل هو مفعول له وفيه
وجهان احدهما ان يكون طولا بدلا منه لان الطول هو القدرة او الفضل والنكاح قوة وفضل
وثانيهما ان يكون منصوبا بطولا اي ومن لم يستطع ان ينال نكاح المحصنات من قولك طلته اي نلته ويجوز ان يقدر حرف الجر اي
ومن لم يستطع طولا الى نكاح المحصنات وحمل الطول على الغنى والفضل لان تاثير الغنى في عدم القدرة على العقد او على
من عدم القدرة على الوطي وايضا انه تعالى ذكر عدم القدرة على طول الحرة ثم ذكر عقيبه التزوج بالامة وهذا الوصف انما يناسب
هذا الحكم لان الانسان متى يحتاج الى التزوج فاذا لم يقدر على الحرة بسبب كثرة مؤنتها وغلاء مهرها يؤذن له في نكاح الامة وعن ابن
عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء ومذهب الشافعي ان من كان له سعة في المال يبلغ نكاح
الحرة لا يجوز له نكاح الامة ومن لم يكن له سعة في المال بحيث يبلغ به نكاح الحرة له ان يتزوج امة وابو حنيفة يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وقوله المحصنات قرا الكسائي
بكسر الصاد وكذلك محصنات غير مسافحات وكذا التي على المحصنات كلها بكسر الصاد والباقون بالفتح والمراد بها الحرائر
والعفائف هاهنا بدليل انه تعالى قال فمما ملكت ايمانكم فانه جعل الاماء مقابلة وقسيما للمحصنات والوجه في تسمية الحرائر
بالمحصنات على قراءة من قراها بالفتح انهن احصن بحريتهن عن الاحوال التي تقدم عليها الاماء فان الظاهر ان الامة تكون
خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة والحرة مصونة من هذه النقصانات واما على قراءة من قرا بكسر الصاد فالمعنى انهن احصن انفسهن
بحريتهن مذهب الشافعي شرط نكاح الاماء ثلثة اثنان منها في الناكح والثالث في المنكوحة اما اللذان في الناكح فاحدهما ان يكون
غير واجد لما يتزوج به الحرة المؤمنة من الصداق وهو معنى قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فعدم
استطاعة الطول عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة فان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة السادات
وثانيهما هو المذكور في قوله ذلك لمن خشي العنت منكم اي بلغ الشدة في العزوبة والثالث المعتبر في المنكوحة ان تكون الامة
مؤمنة فان الامة اذا كانت كافرة كانت ناقصة من جهة الرق والكفر ولان الولد تابع للام في الحرية والرق وحينئذ يكون الولد رقيقا
على ملك الكافر فيتحقق فيه نقصان الرق ونقصان كونه ملكا للكافر وابو حنيفة لم يجوز نكاح الامة اذا كانت تحته حرة واذا
لم يكن تحته حرة تزوجها سواء قدر على نكاح الحرة او لم يقدر فلم يظاهر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات

يقتضي

يقتضي كون الايمان معتبرا في الحرة فقط هنا لو قدر على نكاح حرة كتابية ولم يقدر على طول حرة مسلمة فانه يجوز له ان يتزوج بالامة
والاكثرون على ان اعتبار الايمان في الحرائر على سبيل الندب كانه لا فرق بين الحرة الكتابية والمؤمنة في كثرة المؤنة وقلتها فيكون
التزوج بالكتابية جائزا لانه تعالى بين انه متى عجز عن نكاح الحرة المسلمة يتعين له نكاح الامة المسلمة فلو كان التزوج بالحرة
الكتابية جائزا لكان عند العجز عن الحرة المسلمة لم تكن الامة المسلمة متعينة وذلك ينافي دلالة الاية ويؤكد هذه الدلالة بقوله
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقد ثبت ان الكتابية مشركة قوله فمما ملكت ايمانكم اي فليتزوج مما ملكت ايمانكم من فتياتكم
اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان الانسان ليس له ان يتزوج بجارية نفسه من فتياتكم
المملوكات جمع فتاة تقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن [illegible] والامة تسمى فتاة عجوزا
كانت او شابة لانها كالشابة في انها لا توقر توقير الكبير وانما انحط نكاح الامة عن نكاح الحرة لما فيه من اتباع الولد الام في الرق
ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المؤمنين قوله والله اعلم بايمانكم قيل معناه والله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه
ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة وربما كانت المراة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين
ان يعتبروا الامة الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه
وقيل معناه اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله يتولى السرائر قوله بعضكم من بعض اي كلكم
اولاد ادم فلا يتداخلكم انفة من تزوج الاماء عند الضرورة وقيل معناه انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون مشتركون
في الايمان الذي هو من اعظم الفضائل لا يفضل حر عبدا الا برجحان في الايمان فاذا حصل الاشتراك في الايمان كان التفاوت
فيما وراءه غير ملتفت اليه ثم انه تعالى شرح كيفية نكاح الاماء فقال فانكحوهن باذن اهلهن اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن السيد
باطل وقال ابو حنيفة ان للاماء ان يباشرن العقد بانفسهن لانه تعالى اعتبر اذن الموالي لا عقدهم [illegible]
الاية وقال الشافعي لا تصح مباشرتهن للعقد سواء اذن السيد او لم ياذن والاية لا تدل على [illegible]
فليس في الاية دلالة عليه كما انه لا دلالة على اذن السيدة كاف اذا كانت الامة ملكا لامراة بل لا بد من اذنها قوله واتوهن
اجورهن اي مهورهن اي وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء والمضايقة والالحاح وقيل ان الامة هي
المستحقة لقبض مهرها بدليل انه تعالى قال واتوهن اجورهن والجمهور على ان مهرها للمولى هاهنا بدليل قوله تعالى ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فانه نفى ان يكون المملوك مالكا لشيء ولان المهر وجب عوضا عن منافع البضع وتلك المنافع مملوكة
للسيد وهو الذي اباح للزوج بعقد النكاح فوجب ان يكون هو المستحق لبدلها والجواب عن التمسك بالاية انهن وما في ايديهن مال
الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي وعلى ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه [illegible] لانه عوض
بضعهن فليس في قوله فاتوهن ما يوجب كون المهر ملكا لهن وقيل المراد باجورهن النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط [illegible]
المعروف فيه بيان انه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على ما
وقوله محصنات عفائف وهو حال من قوله فانكحوهن باذن اهلهن وهذا يدل بظاهره على ان نكاح الزواني لا يجوز واختلف الفقهاء فيه
والاكثرون على جوازه والاية محمولة على الاستحباب قوله غير مسافحات اي غير زوان ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصديق
وهو الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن قال اكثر المفسرين المسافحة هي التي تواجر نفسها مع اي رجل ارادها والتي تتخذ
الخدن هي التي تتخذ خدنا معينا وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن بكونها
زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم افرد الله كل واحد من القسمين بالذكر ونص على حرمتهما معا وقيل الاخدان الاخلاء في السر
كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له قوله فاذا احصن قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم احصن بفتح الهمزة والصاد
بفتحها فعلى الاول معناه اذا احصن فروجهن بالتزويج وعلى الثاني فمعناه واذا احصن بالتزويج فان اتين بعد الاحصان بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من الحد اي من الحد والعذاب الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما ويدرؤ عنها العذاب
ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف وفيه التنصيف [illegible] نصف ما على المحصنات
اما الحرائر المتزوجات فالواجب في الحرائر المتزوجات الرجم فيجب في زنا الاماء الرجم وهو باطل
او الحرائر الابكار ونصف ما عليهن وهو خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنا الامة سواء كانت محصنة بالتزويج او لم
فالحكم معلق بصدور الزنا عنهن وظاهر الاية يقتضي كونه معلقا بمجموع الامرين الاحصان والزنا لان قوله فاذا احصن فان
اتين بفاحشة فعليهن شرط فيقتضي كون الحكم مشروطا بهما فهذا اشكال قوي في الاية والجواب ان [illegible] قوله فاذا
احصن ليس المراد منه جعل هذا الاحصان شرطا في تنصيف العذاب عليهن بل المراد انه حد الزنا يغلظ عند التزوج فهذه
اذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليها فبان يكون قبل التزوج حدها هذا القدر ووجب حدها خمسون
جلدة لا يزيد عليها فبان يكون قبل التزوج هذا القدر اولى مما يجري مجرى المفهوم بالنص والغرض منه حصول ما يغلظ الحد به في
تخفيف الحد لمكان الرق فلا يجب هذا القدر عندنا الا وجب ذلك التغلظ كاملا قوله ذلك الاشارة الى نكاح الاماء اي
فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات لمن خشي العنت لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم
بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم وقيل ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة مما يحمله على
[illegible] في الحد في الدنيا والعذاب العظيم في الاخرة فهذا هو العنت وقيل ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة قد تؤدي
بالانسان الى الامراض الشديدة اما في حق النساء فقد تؤدي الى اختناق الرحم واما في حق الرجال فقد تؤدي الى اوجاع الوركين والظهر

قوله وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم والمعنى ان نكاح الاماء نعمة بعيانة شرائطه
الثلاثة وصبركم عنه وترككم اياه خير لكم لما فيه من المفسدة من كون الولد رقيقا وغيره ثم ختم الاية بقوله والله غفور
رحيم يعني انه وان تحصل لما يقتضي المنع من نكاح الاماء الا انه تعالى اباحه لكم لاحتياجكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة
قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ● قيل اللام
ان في العرب تعاقب بين لام كي وبين ان فتضع احدهما مكان الاخر كقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم وامرنا لنسلم لرب
العالمين وقال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم وفي موضع آخر يريدون ان يطفئوا قال الشاعر اريد لانسى ذكرها
فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل وقيل اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين فانه لو قال
يريد الله ان يبين لكم مثلا ارادة التبيين فزيادة اللام دلت على تأكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتأكيد معنى
الاضافة والمعنى يريد الله ان يبين لكم شرائع دينكم ومصالح اموركم وقيل يعلمكم ما تتعبدون وما تأتون وقيل يبين لكم ما يقربكم
منه وقيل يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم ويهديكم سنن شرائع الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي
تسلكونها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وقيل ويرجع بكم من المعصية التي
كنتم عليها قبل هذا الى طاعته التي امركم بها في هذه الاية وقيل ويتوب عليكم بتشديد الطاعات ان قمتم بها كانت كفارات
لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفرها والله عليم باحوالكم حكيم في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم قوله تعالى والله يريد
ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ● والله يريد ان يتوب عليكم يخرجكم من كل ما يكره
الى ما يحب ويرضى وقيل والله يريد ان يتوب عليكم ان وقع منكم تقصير في امره ويريد الذين يتبعون الشهوات اي
الفجرة ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه لمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات
قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس وذلك انهم كانوا يحلون نكاح الاخت من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما
حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول
يريدون ان تكونوا زناة مثلهم وقيل هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتكونون مثلهم تزنون كما يزنون وقيل هم جميع
اهل الباطل في دينهم قوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ● يريد الله ان يخفف عنكم
في نكاح الامة اذا لم تجدوا طول الحرة وفي احكام الشرع في جميع ما يسره الله لكم وسهله عليكم ولم يثقل التكليف كما ثقل
على بني اسرائيل وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعن الجماع وعن النساء فلذلك اباح له نكاح الامة وقيل يميل
هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك وقيل لا يكون الانسان في شيء اضعف منه في امر النساء عن سعيد بن المسيب ما ايس
الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى
وانا اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتم بحملكم من عظيم الامانة وخلق الانسان
ضعيفا ضعيف الرأي ضعيف العقل الا من امده الله بنور اليقين فهو يقوى باليقين لا بنفسه قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم
رحيما ● لما بين كيفية التصرف في النكاح لاجل حفظ النسب ذكر بعده كيفية التصرف في الاموال فقوله بالباطل اي
بالحرام وبما لا يحل لكم في الشريعة كالربا والغصب والسرقة والخيانة فالباطل اسم جامع لكل ما لا يحل نهى الله سبحانه
في الاية من جميع المكاسب الباطلة بالشرع وخص الاكل بالذكر وان كانت سائر التصرفات الواقعة على الوجه الباطل محرمة
لما ان المقصود الاعظم من الاموال الاكل ثم قال الا ان تكون تجارة استثناء منقطع لان التجارة ليست بباطل وقرأها
حمزة والكسائي تجارة بالنصب على معنى الا ان تقع تجارة والمعنى لكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون
تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض منكم صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب
الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي قيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد عقد البيع حتى يتفرقا عن مجلسهما الذي
تعاقدا عليه فيه لقوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا
محقت بركة بيعهما وابتاع عمرو بن حريث فرسا ثم خير صاحبه بعد البيع فقال سمعت ابا هريرة يقول هذا البيع عن تراض وهذا
قول الشافعي فان مذهبه ان التراضي ان يكون تفرقهما من مجلس العقد متراضيين والتراضي عند ابي حنيفة هو ان يحصل
بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول قوله ولا تقتلوا انفسكم اتفقوا على ان هذا نهي ان يقتل بعضهم بعضا وانما
قال انفسكم لقوله عليه الصلاة والسلام المؤمنون كنفس واحدة ولان العرب يقولون قتلنا ورب الكعبة اذا قتل بعضهم
لان قتل بعضهم يجري مجرى قتلهم وقيل اراد لا تقتلوا من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن ولا تقتلوا اخوانكم
او لا يقتل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه قال لما بعثه رسول الله عام ذات السلاسل احتلمت في ليلة
باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي صلاة الصبح فلما قدمنا المدينة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب قلت يا رسول الله اني احتلمت
في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك وذكرت قول الله ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما
فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وسئل فضيل بن عياض عن قوله ولا تقتلوا انفسكم
قال لا تغفلوا عن حفظ انفسكم فمن غفل عن حفظ نفسه فكانما قتلها قوله ان الله كان بكم رحيما اي نهاكم عما يضركم
لاجل رحمته عليكم وقيل معناه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث

لم يكلفكم

لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة قوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله
يسيرا ● ذلك اشارة الى القتل المحرم لان الاشارة الى اقرب المذكورات اولى وقيل اشارة الى قتل النفس واكل المال بالباطل
لانهما مذكوران في الاية التي قبلها وعن ابن عباس انه اشارة الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هذا الموضع وقيد بالعدوان والظلم
لاخراج ما اذا كان على سبيل الخطأ وانما قيد بهما اقتصاصا على القول الاول لان قتل النفس قد يكون عدوانا وظلما وقد يكون
حلالا كما في الدية وغيرها واما على القول الثالث فلان كل فعل نهى الله عنه قد يقع على وجه لا يكون منهيا عنه فلا يكون عدوانا وظلما وقد يقع
على وجه يكون منهيا عنه فيكون عدوانا وظلما وكل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هذا الموضع ان فعل على الوجه الذي
يكون عدوانا وظلما يترتب عليه ما اوعد وان لم يفعل على الوجه الذي يكون عدوانا وظلما لم يترتب عليه وهذا مناسب للقول
الثالث وكان ذلك على الله يسيرا او سهلا قادرا على ايقاع ما توعد به من ادخال النار قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ● لما ذكر الوعيد اتبعه بتفصيل ما يتعلق به الوعيد والاجتناب المباعدة عنه
وتركه جانبا واختلفوا في الكبائر فقيل كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة وهو ضعيف لانه يخالف التصريح بهذه الاية وعن علي
رضي الله عنه هي سبع الاشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنة واكل مال اليتيم واكل الربا والفرار يوم الزحف والتعرب
بعد الهجرة والتعرب الارتداد بان يعود الى البادية ويعود اعرابيا بعد الهجرة من البادية الى المدينة وفي البخاري في كتاب الحدود
في باب رمي المحصنات اجتنبوا السبع الموبقات الاشراك بالله والسحر وقتل النفس واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي
يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هي تسع الاشراك بالله والقتل والفرار
والقذف واكل الربا واكل مال اليتيم والالحاد في المسجد الحرام والذي يستسحر وعقوق الوالدين وعن عبد الله بن مسعود هي
الاربعة الاشراك بالله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وعن ابن مسعود ايضا هي ثلاث القنوط
واليأس والامن المتقدمة وعن ابن عباس وغيره الكبائر كل ما اوعد الله عليه بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك
وعن ابن مسعود ايضا الكبائر ما نهى الله عنه من اول السورة الى ثلاثين اية وتصديقه قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
وقيل قال رجل لابن عباس اخبرني عن الكبائر السبع فقال هي الى السبعين اقرب وقيل قال ابن عباس الى سبع مائة اقرب منها
الى السبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومن الكبائر عند العلماء القمار والسرقة وسب السلف الصالح
وعدول الحكام عن الحق واتباع الهوى واليمين الفاجرة والقنوط من رحمة الله وسب الانسان ابويه بان يسب رجلا فيسب
الرجل ابويه والسعي في الارض فسادا الى غير ذلك مما يكثر تعداده حسب ما جاء بيانها في القرآن وفي احاديث خرجها الائمة
وقد ذكر مسلم في كتاب الايمان منها جملة وافرة وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها لاختلاف الاثار فيها وعندي انه قد جاءت
فيها احاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر لكن بعضها اكبر من بعض بالنسبة الى ما يليه فالشرك اكبر ذلك كله وهو
الذي لا يغفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وبعده اليأس من رحمة الله لان فيه تكذيب القرآن فان الله تعالى قال ورحمتي
وسعت كل شيء وهو يقول لا يغفر له فقد حجر واسعا هذا اذا كان معتقدا لذلك ولهذا قال انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وبعده القنوط لقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وبعده الامن من مكر الله
فيسترسل في المعاصي ويتكل على رحمة الله من غير عمل قال تعالى افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وبعده القتل لان فيه اذهاب النفوس واعدام الوجود واللواط
فيه قطع النسل والزنا فيه اختلاط الانساب بالمياه وشرب الخمر فيه ذهاب العقل الذي هو مناط التكليف وترك الصلاة والاذان
فيه ترك اظهار شعائر الاسلام وشهادة الزور فيها استباحة الدماء والفروج والاموال الى غير ذلك مما هو بين الضرر وكل ما
عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده او عظم ضرره في الخمس الكلية حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال
فهو كبيرة وما عداه صغيرة واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة من الفقهاء واهل الحديث يرون ان الرجل اذا اجتنب الكبائر
وادى الفرائض كفرت صغائره كالنظر وشبهه قطعا بظاهر الاية وظاهر الاحاديث واما الاصوليون فقالوا لا يجب على
القطع تكفير الصغائر باجتناب الكبائر وانما محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء والمشيئة ثابتة ودل على ذلك انه لو قطعنا
لمجتنب الكبائر ويمتثل الفرائض بتكفير صغائره قطعا لكانت في حكم المباح الذي يقطع بان لا تبعة فيه وذلك نقض
لعرى الشريعة ومحل الكبائر عند الاصوليين في هذه الاية اجناس الكفر وانما لم يعين الكبائر من الصغائر في القرآن على سبيل
التفصيل ليجتنب العبد عن جميع المعاصي وقيل لا تنظر الى صغر الذنب وانظر من عصاه فحينئذ يكون جميع الذنوب ههنا
بالاعتبار كبائر وانما تسمية بعضها صغيرة فبالنسبة الى ما هو اكبر ولا ذنب يغفر باجتناب ذنب آخر بل كل ذلك كبيرة وتكفيره بحسب
المشيئة غير الكفر بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد استدل على هذا بقراءة
من قرأ ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه على التوحيد وكبير ما تنهون عنه الشرك والمراد اجناس الكفر على الجمع قال صاحب
الكشاف كبائر ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله عنها والرسول صلى الله عليه وسلم نكفر عنكم سيئاتكم
نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر
وصبركم عنها على عقاب السيئات وهذا الكبيرة والصغيرة انما وصفا بالكبر باضافتهما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما
والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد
او بندم على الطاعة وهو الذي ذكره بناء على معتقد المعتزلة وقيل الكبيرة ما سماه الله تعالى في القرآن كبيرا او عظيما نحو قوله
انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطأ كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله

وقيل الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل كل ذنب اصر عليه العبد فهو كبيرة وما ليس من الكبائر ما تاب
عنه العبد واستغفر وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان والاكراه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة
وقيل الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله لان الله كريم يغفر روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ينادي يوم القيمة مناد من بطنان العرش يا امة محمد ان الله يقول اما ما كان لي قبلكم فقد وهبتها
لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وقيل الكبائر ذنوب المذنبين المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب
المستغفرين مثل ذنب آدم وقيل الكبيرة ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيها الصالح والفاسق
مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه وقيل الكبيرة ما يقبح في العقل والطبع مثل القتل والظلم والزنا والكذب ونحوها والصغيرة ما نهى الله عنه شرعا
وسمعا وقيل كل ذنب يتجاوز الله عنه يوم القيمة بفضله فهو صغير وكل ذنب يعذب الله به فهو كبير وقيل الكبائر الذنوب الباطنة
والسيئات الذنوب الظاهرة وقيل الكبائر ما يستحقر العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعتها قال انس
انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر وندخلكم مدخلا كريما وقرئ
مدخلا بفتح الميم وهو موضع الدخول وهو الجنة والباقون بالضم على المصدر يعني الادخال وقيل بمعنى المكان والمصدر
فيهما وصف المكان والمصدر بالكرم على خلاف الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم عن ابي هريرة وابي سعيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل رجل منا يبكي حزنا ليمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يأتي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر الا فتحت له ابواب الجنة يوم
القيمة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية وعن احمد بن حنبل انه قال المسلمون كلهم في الجنة فقيل
كيف قال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فاذا كان الله عز وجل يغفر ما دون الكبائر والرسول صلى الله عليه وسلم يشفع
في الكبائر فاي ذنب على المسلمين وقال الكبائر عند اهل السنة تغفر لمن اقلع عنها قبل الموت وقيل تغفر لمن مات عليها من المسلمين
كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بذلك من مات على الذنوب فلو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن
للتفرقة بين الاشراك وغيره معنى اذ التائب ايضا مغفور له وروي عن ابن مسعود انه قال خمس آيات من سورة النساء هي
احب الي من الدنيا جميعا قوله ان تجتنبوا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه وقوله
ومن يعمل سوءا ويظلم نفسه وقوله ان تك حسنة يضاعفها وقوله والذين آمنوا بالله ورسله وعن ابن عباس ثمان
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ويظلم نفسه
ما يفعل الله بعذابكم وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما قيل لما نهى الله في الآية المتقدمة عن اكل الاموال بالباطل وقتل
النفس امرهم في هذه الآية بما يسهل عليهم ترك هذه المنهيات وهو ان يرضى كل احد بما قسم الله له فانه اذا لم يرض به وقع
في الحسد فيقع في اخذ الاموال بالباطل وفي قتل النفس فاما اذا رضي بما قدره امكنه الاحتراز عن الظلم في الاموال والنفوس وقيل
اخذ المال بالباطل وقتل النفس من اعمال الجوارح فامرهم بتركهما ليصير الظاهر طاهرا عن المعاصي بحسب الشرع ثم امر بعده بترك
التعرض لنفوس الناس واموالهم بالقلب على سبيل الحسد ليصير الباطن طاهرا عن الاخلاق الذميمة بحسب الطريقة ليكون
الظاهر موافقا للباطن ويكون جمعا بين الشريعة والطريقة قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله الله رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكر النساء
نخشى ان لا يكون فينا خير ولا فينا حاجة فانزل الله هذه وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله اني لا اضيع عمل عامل منكم
من ذكر او انثى وقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء
نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الآية وقالت
ام سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو فنبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت هذه الآية وقيل لما نزل قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن بالميراث فيكون اجرنا على الضعف من
اجر النساء وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم
في الدنيا فانزل الله ولا تتمنوا نهى الله تعالى المخاطبين عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من المال والجاه وغيرهما
لان ذلك التفضيل قسمة من الله على سبيل التفضل يقتضي مشيئته تعالى امام مراتب السعادة نفسانية متعلقة
بالقوة النظرية كالذكاء التام والحدس الكامل وزيادة المعارف الكلية والكيفية او بالقوة العملية كالعفة التي هي
وسط بين الجمود والفجور والشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن والسخاوة التي هي وسط بين الاسراف والبخل واستعمال
هذه القوى على الوجه الذي ينبغي وهو العدالة وبدنية كالصحة والجمال والعمر الطويل في ذلك مع اللذة والبهجة وخارجية
مثل كثرة الاولاد الصلحاء وكثرة العشائر وكثرة الاصدقاء والاعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه
محبوبا للخلق حسن الذكر فيهم فهذه مجامع الامر فهنا هو الاشارة الى مجامع السعادات وبعضها فطرية لا مدخل للكسب فيه
وبعضها كسبية متى تأمل العاقل فيه يجد محض عطاء الله والله تعالى فضل بعضهم على بعض فيها والانسان اذا شاهد

انواع

انواع السعادات حاصلة لانسان ووجد نفسه خاليا من جملتها او اكثرها فيتألم قلبه ويتشوش خاطره ثم يعرض له
حالتان احدهما ان يتمنى زوال تلك السعادة عن ذلك الانسان والاخرى ان يتمنى حصول مثلها فالاول هو الحسد المذموم
لان الله تعالى اراد حصول هذه السعادات له فالتمني زوالها عنه كالاعتراض على الله فيما اراده وربما اعتقد في نفسه انه احق
بتلك النعم من ذلك الانسان فيكون هذا ايضا اعتراضا على الله وقدحا في حكمته وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة
ويزيل عن قلبه نور الايمان وكما ان الحسد سبب للفساد في الدين فكذلك هو سبب للفساد في الدنيا فانه يقطع المودة والموالاة
وينقلب الى الضد فلهذا السبب نهى الله عباده عنه فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض واعلم ان سبب
النهي على مذهب اهل السنة والجماعة هو انه تعالى فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا اعتراض عليه في فعاله
ولا ملامة في صنعه وحينئذ ينسد باب السؤال وطريق الاعتراضات وعلى مذهب المعتزلة هذا الطريق ايضا مسدود
لان الله علام الغيوب وهو اعلم بمصالح خلقه فهذا التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد
وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم
من مصلحته ولو كان خلافه كان مفسدة فلا يحسد اخاه على حظه ويجب على كل احد الرضا ايضا اشعر لهذا المعنى حكى
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله انه قال من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم
القيمة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليطلب ربا سواي وهذا اذا تمنى زوال
تلك النعمة من ذلك الانسان وقيل لا يحل لاحد ان يتمنى مال اخيه ولا امرأته ولا خادمه ولا دابته قال صلى الله عليه وسلم لا يخطب
الرجل على خطبة اخيه ولا تسأل المرأة طلاق اختها لتقوم مقامها فان الله هو رازقها اما اذا تمنى حصول مثلها له
من غير زواله فقال المحققون لا يجوز ذلك لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة عليه في الدنيا قال الله
تعالى في قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له
من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا وقال المحققون انه لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار
فلان وزوجا مثل زوج فلان بل يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي واحسن الدعاء ان
يقول آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ثم قال للرجال نصيب قيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الدنيا وفيه وجوه
منها ان يكون المراد لكل فريق نصيب مما اكتسب من نعيم الدنيا فينبغي ان يرضى بما قسم الله له ومنها ان يكون المراد للرجال نصيب
مما اكتسبوا من الميراث وللنساء نصيب مما اكتسبن من الميراث للذكر مثل حظ الانثيين والاكتساب على هذا الوجه بما فيه
من دواعي الحسد ومنها ان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان فابطل الله ذلك بهذه الآية وبين ان لكل واحد منهم
نصيبا ذكرا كان او انثى صغيرا كان او كبيرا وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من الثواب والعقاب وللنساء
كذلك فلا تتمنوا خلاف ذلك ومنها للرجال اجر ما اكتسبوا من الطاعات وللنساء كذلك فلا تتمنوا خلاف ذلك ومنها للرجال
جزاء ما اكتسبن من الطاعات وللنساء كذلك فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد ومنها للرجال نصيب مما اكتسبوا من حفظ
حقوقهن والانفاق عليهن بالمعروف وللنساء نصيب مما اكتسبن من حفظ فروجهن وطاعة ازواجهن وقيامهن
بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش فالنصيب هو الثواب وقيل المراد منه جميع هذه الامور
واسألوا الله من فضله قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز بشرط ان يكون امرا من السؤال وبشرط ان يكون قبله واو
او فاء فيكون كما حذفوا الهمزة الى السين واستغنى عن همزة الوصل فحذفوها والباقون بالهمزة في كل القرآن على الاصل يقيل من فضله في محل
المفعول الثاني وقيل المفعول الثاني محذوف وصفة قائمة مقامه كأنه قيل واسألوا نعمة من فضله اي ولا تتمنوا انصباء
غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من فضله من خزائنه التي لا تنفد تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يعين شيئا في الطلب
والدعاء ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاحه في دينه ودنياه على الاطلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلوا الله من فضله وافضل العبادة انتظار الفرج قوله ان الله كان بكل شيء عليما بما يكون سببا لصلاح السائلين فليقتصر
السائلين على طلب فضله على الاطلاق وليحترزوا في طلبه عن التعيين وربما كان التعيين محض المفسدة والضرر قوله تعالى
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قيل معناه
لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي عصبة وارثا يلونه ويحرزونه فيكون المضاف اليه لكل وهو
شيء محذوف والمفعول الاول لقوله جعلنا موالي والمفعول الثاني لجعلنا هو لكل وقوله مما ترك تبيين لكل وقيل المضاف
اليه لقوله لكل قوم وقوله جعلنا في محل الجر لكونه صفة لكل والضمير الراجع الى لكل محذوف وقوله مما ترك صفة لموصوف
محذوف هو نصيب وقوله لكل خبر مبتدأ محذوف والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وقوله هم مفعول اول لقوله جعلنا وقوله موالي مفعول ثان فيكون موالي على القولين في ان الوالدان والاقربون مورثين
وعلى القول الاول كل شيء تركه وعلى القول الثاني كل قوم هم الموالي الوارثون وقيل المضاف اليه لكل احد وهو الميت وهو
مفعول ثان لقوله جعلنا وموالي مفعول اول له وقوله من في قوله مما ترك صلة موالي لانهم في معنى الوارث وفاعل ترك ضمير
كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون والمعنى ولكل احد جعلنا موالي وراثا مما ترك هو يعني احد الموالي الوارث هم الوالدان
والاقربون فعلى القول الاول اذ يكمل المال المراد بالموالي الورثة وبالوالدين والاقربين المورثين وعلى القول الثاني ان يدخل الشخص الذي

من الوارث وبالوالدان والاقربون الموروثين وعلى القولين فاعل ترك الوالدان والاقربون وعلى الثالث ان يدخل الشخص
الذي هو الميت الموروث وبالموالي الورثة وبالوالدان والاقربون هنا الموالي فاعل ترك ضمير كل وقوله والذين عاقدت مبتدأ متضمن
معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون الذين عاقدت منصوبا كقولك زيدا
فاضربه ويجوز ان يعطف والذين على الوالدان والضمير الذي هو مفعول فآتوا للموالي على الفعل الاول والمعنى
يكون الذين عاقدت ورثة كالوالدين والاقربين لانه حينئذ يكون تفسيرا للموالي كالوالدين والاقربين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
عقدت بغير الف وبالتخفيف والباقون بالالف والتخفيف وعقدت يدل على اضافة العقد الى واحد والاختيار عاقدت
لدلالة المفاعلة على عقد الحلف من الفريقين والايمان جمع اليمين واليمين يحتمل ان يكون بمعنى اليد وان يكون بمعنى القسم
فان كان المراد اليد ففيه مجاز لان المتعاقدين هم الذين اسند اليهم المعاقدة على الحقيقة كاسنادها الى ايديهم بطريق
المجاز فانهم كانوا يضربون صفقة البيع بايمانهم ويأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد وان كان المراد القسم
كانت المعاقدة في ظاهر اللفظ مضافة الى الايمان وفي الحقيقة مسندة الى الحالفين فيكون اسنادها الى الايمان بطريق
المجاز فان سبب المعاقدة اليمين قيل المراد بالذين عاقدت موالي الموالاة او الحلفاء كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل
فيقول دمي دمك وهدمي هدمك يقال دماؤهم بينهم هدر اي هدر وهدم ايضا بالتسكين وذلك اذا لم يؤد وثاري
ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف فعاقد ابو بكر مولى له فورثه فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم ثم نسخ بقوله تعالى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقيل المراد بالذين عاقدت الحلفاء والمراد بقوله فآتوهم نصيبهم من النصر والعقد
والرفد والنصيحة والمصافاة في العشرة والمخالصة في المخالطة ولا ميراث فلا تكون الآية منسوخة كقوله تعالى اوفوا
بالعقود وكقوله صلى الله عليه وسلم اوفوا للحلفاء بعهودهم التي عقدت ايمانكم وكقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح
مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وقيل نزلت
هذه الآية في الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة فكانوا
يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض وقيل نزلت هذه الآية في الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة فكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض وقيل
نزلت الآية في الذين يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال
التبني وكانوا يتوارثون بذلك السبب ثم نسخ الله ورد الميراث الى ذوي الارحام وابى الله ان يجعل للمدعين ميراثا
ممن ادعاهم وتبناهم ولكن جعل الله لهم نصيبا من الوصية فذلك قوله فآتوهم نصيبهم وقيل تقدير الآية ولكل شيء
مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم موالي وورثة فآتوهم نصيبهم اي فآتوا الموالي والورثة نصيبهم
فقوله والذين عاقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون والمعنى ان ما ترك الذين عاقدت ولهم وارث هو اولى
به وسمى الله الوارث مولى والمعنى لا تدفعوا المال الى الحليف بل الى المولى والوارث فلا نسخ في الآية وقيل المراد بالذين عاقدت
ايمانكم الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا قال تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح فذكر تعالى الوالدين والاقربين وذكر معهم
الزوج والزوجة فلا نسخ في الآية وقيل المراد الذين عاقدت ايمانكم من اهل الولاء وقوله فآتوهم نصيبهم من الميراث الحاصل
بسبب الولاء فلا نسخ ايضا وقيل نزلت الآية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابنه عبد الرحمن وكان حلف ان لا ينفق عليه
ولا ينفعه ولا يورثه شيئا من ماله فلما اسلم عبد الرحمن امره ان يؤتي نصيبه من المال فلا نسخ وقيل اراد نصيبهم على سبيل التحفة
والهدية كما امر تعالى لمن حضر القسمة ان يجعل له نصيب وقال الشافعي ومالك لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا ثم مات فلا وارث له لا ارث له بل ميراثه للمسلمين وقال ابو حنيفة رحمه الله يرث وحجته ان معنى هذه الآية ولكل من مما ترك
الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فقد جعلنا له موالي وهم العصبة ثم هؤلاء العصبة اما الخاصة وهم الورثة
واما العامة وهم جماعة المسلمين فاذا لم يوجد العصبة الخاصة وجب صرفه الى العصبة العامة قال الجمهور والفقهاء
المولى الاسفل لا يرث من الاعلى وعن الحسن بن زياد انه يرث لما روي عن ابن عباس ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك
الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الميراث له ولانه داخل في عموم قوله تعالى والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم
نصيبهم واجيب عن التمسك بالحديث بانه يحتمل ان يكون ذلك المال لبيت المال فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم لفقره وان
المال الذي لا وارث له فسبيله ان يصرف الى الفقراء قال تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا هذا وعد للمطيعين ووعيد
للعاصين والشهيد الشاهد والمراد بالشهادة اما علمه بجميع الاشياء او شهادته على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوا

قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ● لما قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال
نصيب مما اكتسبوا وقد ذكر ان سبب نزول هذه الآية ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال على النساء في الميراث لان الرجال
قوامون على النساء فانهما وان اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالآخر امر الله الرجال ان يدفعوا المهر اليهن وينفقوا عليهن
فصارت الزيادة في احد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر فكانه لا فضل البتة قيل نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع
وكان من النقباء ونشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار فلطمها فانطلق بها ابوها الى النبي صلى الله

عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا
والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها وجرحها
لم يكن عليه قود وكان عليه العقل الا ان يقتلها فيقتل بها وقيل لا قصاص الا في القتل والجرح واما اللطمة ونحوها
فلا وقوامون اي الذين القوامون في القيام عليهن بتعليمهن وتاديبهن واصلاح امورهن آمرين ناهين كما تقوم الولاة على الرعايا
والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كان الرجال مسيطرين متسلطين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم
وهم الرجال على بعض وهم النساء بزيادة العقل وبزيادة الدين واليقين والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية
والرمي والجهاد وقال للرجال انفروا خفافا وثقالا وقال للنساء وقرن في بيوتكن وبالجمعة والجماعات والاذان
وان منهم الانبياء وفيهم الامامة الكبرى وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق
والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم والاعتكاف وتكبير التشريق عند ابي حنيفة وبما انفقوا
من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت
آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال الرجال قوامون على النساء قوله فالصالحات قانتات
مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب ويجوز ان الشهادة والمعنى حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج
غائبين عن بيوتهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه
وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا صلى الله
عليه وسلم الرجال قوامون على النساء وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بحفظهن اوصى بهن الازواج وكما في حيث قال وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج الآية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء خيرا وقيل بما حفظهن الله
بعصمتهن وتوفيقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظهن الله حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب
الشديد على الخيانة وما في قوله بما حفظ الله مصدرية واللاتي تخافون لما ذكر الصالحات ذكر مقابلاتهن والخوف
حال تحصل في القلب عند حدوث مكروه ونشزت المرأة تنشز وتنشر نشوزا استعصت على بعلها وابغضته
ونشز بعلها عليها اذا ضربها او جفاها ومنه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا قال صاحب الكشاف نشوزها
ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج قال الشافعي دلالات النشوز قد تكون قولا وقد تكون فعلا فالقول
مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له بالقول اذا خاطبها ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم اليه اذا دخل اليها
او كانت تسارع الى امره وتبادر الى فراشه باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت عن كل ذلك فهذه امارات دالة على نشوزها
وعصيانها فحينئذ ظن نشوزها فمقدمات هذه الاحوال توجب خوف النشوز واما النشوز فهو معصية الزوج والترفع
عليه بالخلاف واصله من قولهم نشز الشيء اذا ارتفع ومنه يقال للارض المرتفعة نشز ونشز قوله تعالى فعظوهن قال الشافعي
فانه يقول لها اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان
طاعتي فرض عليك ونحو هذا ولا يضربها في تلك الحالة لجواز ان يكون لها في ذلك كفاية فاذا اصرت على ذلك النشوز هجرها في
ذلك يهجرها في المضجع في المرقد اي لا تدخلوهن تحت اللحاف وهو كناية عن الجماع والمضجع اسم لمكانه قال ابن عباس
ولا يزيد في هجر الكلام على ثلاث اذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه
وافقها ذلك الهجران وكان ذلك دليلا على كمال نشوزها وقيل هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في
المضاجع ثم الضرب بان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل وقيل معناه اكرهوهن على الجماع
واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا تعسف قال صاحب الكشاف هذا من تفسير الثقلاء وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه ضرب امرأته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسأل الرجل فيم ضرب اهله والضرب
في هذه الآية ضرب التاديب غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين عضوا وان يكون مفرقا على بدنها ولا يوالي به في
موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين وقيل لا يبلغ به عشرين لانه حد كامل في حق العبد
وقيل ينبغي ان يكون الضرب بمنديل ملفوف او بيده ولا يضربها بالسياط ولا بالعصا وبالجملة التخفيف مراعى في هذا
الباب على ابلغ الوجوه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح وعنه صلى الله عليه وسلم
اضربوا النساء اذا عصينكم في معروف ضربا غير مبرح وعن النبي صلى الله عليه وسلم علقوا سوطكم حيث يراه اهلكم وعن
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها قالت كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب
حتى يكسره عليها ثم قال فان اطعنكم فيما تلتمسون منهن ورجعن الى الطاعة عند هذا التاديب فازيلوا عنهن التعرض بالاذى
والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز
وعن ابن عباس لا تحملوا عليهن العلل ان الله كان عليا كبيرا اي لا تعلو الجهة ولا تكبر الجثة بل هو علي كبير بكمال القدرة
ومشيئته في المجازاة للعصاة منه تهديدا للرجال على ظلم الازواج والمعنى فاحذروه واعلموا ان قدرة الله عليكم
اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم من النساء فانهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله على كبريائه
قادر ينتصف لهن منكم ويستوفي حقهن منكم فلا تغتروا بكونكم اعلى يدا منهن وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع
سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به يا ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى السوط

واعتق العدادم وقيل ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبر سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم
احق بالعفو وبان تقبلوا توبتهن وتتركوا معاقبتهن اذا تبن ورجعن عن النشوز قوله تعالى وان خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ● لما ذكر ما عند
نشوز المراة ان الزوج يعظها ثم يهجرها ثم يضربها بين بعد الضرب الا المحاكمة الى من ينصف المظلوم من الظالم فقال
وان خفتم وهذا يجري مجرى لم يخافون نشوزهن فان ذلك يحمل على الظن والفرق بين الموضعين انه عند ما ظهرت النشوز
يحصل ظن النشوز واما بعد الوعظ والهجر والضرب اذا اصرت على النشوز يحصل العلم بانها ناشزة فيحمل الخوف في
تخافون على الظن وفي خفتم على العلم قيل هل … على … خطا فانا لو علمنا الشقاق لم يحتج الى بعث الحكمين لتعلم الظالم
من المظلوم والشقاق الخلاف والعداوة اي يفعل كل منهما ما يشق على الاخر وكل منهما في شق بالعداوة والمباينة واصله
شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وقيل يجوز ان يجعل بينهما
مشاقا اي فاعلا واضافة الشقاق اليه اضافة المصدر الى الفاعل وان يجعل الليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك
صائم قيل المخاطبون في قوله خفتم والمامورون في قوله فابعثوا هم ولاة الامر والامام ومن يلي من قبله ان تنفيذ الاحكام
الشرعية اليهم وقيل كل احد من صالحي الامة لان خفتم خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على غيره فتعين
حمله على الكل فيكون المخاطبون والمامورون جميع المؤمنين فعلى هذا ان لم يوجد الامام او لم يتجدد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها للاصلاح وايضا يجري هذا مجرى دفع الضرر ولكل واحد ان يقوم به وضمير التثنية في قوله بينهما للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء والحكم بمعنى الحاكم وهو المانع من الظلم وهو رجل مقنع
كان عدل يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما قال الشافعي المستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى
ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف ببواطن احوالهما من الاجانب واشد طلبا للصلاح واما …
اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته
ويخفيانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة
الحال ليعرفا ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمع الحكمان فيفعلان ما هو الصواب من جمع بينهما او تفريق
بطلاق او خلع وهل يجوز للحكمين الجمع بين الزوجين والتفريق بدون اذن الزوجين ان رايا او لا للشافعي فيه قولان
احدهما نعم وبه قال مالك والثاني … وبه قال ابو حنيفة وعلى هذا هو وكالة كسائر الوكالات حجة الاول ما روى
ابن سيرين عن عبيدة السلماني انه شهد عليا رضي الله عنه وقد جاءته امراة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس واخرج
هؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة
فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي … ما
جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما حجة القول الثاني ان تعالى لما ذكر الحكمين لم يضف اليهما
الا الاصلاح وهذا يقتضي ان يكون ما وراء الاصلاح غير مفوض اليهما وان الزوج لما لم يرض توقف علي ومعنى قوله كذبت
لست بمنصف في دعواك حيث لم تفعل ما فعلت هي … يحكمان ولا يفرقان وضمير الفاعل في قوله يريدا ضمير الحكمين
وفي قوله يوفق الله بين الزوجين او يوفق … وساطتهما واوقع الله في نفسهما حسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة
وقيل الضميران للحكمين والاول على ما ذكروا والثاني معناه يوفق الله بين الحكمين فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساعدان
في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين والثاني على ما ذكر ان يريدا الزوجان اصلاح ما بينهما
وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يوفق الله بينهما الالفة ويبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة وقيل الاول للزوجين
والثاني للحكمين اي ان يريدا الزوجان اصلاحا يوفق الله بين الحكمين فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساعدان في طلب الوفاق
والتوفيق اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعة والاية دالة على انه لا يتم شيء من الاغراض والمقاصد الا بتوفيق الله
قوله ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبكم ولكن الله الف بينهم والمراد منه الوعيد للزوجين وللحكمين في سلوك ما يخالف طريق الحق قوله تعالى
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار
الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ● لما ارشد كل واحد من
الزوجين الى المعاملة الحسنة مع الاخر والى ازالة الخصومة والخشونة ارشد في هذه الاية الى سائر الاخلاق الحسنة
وذكر منها عشرة انواع الاول فاعبدوا الله والعبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به بمجرد امر الله تعالى بذلك وهذا
يدخل فيه جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح فقد تقدم في سورة البقرة تحقيق الكلام في العبادة وقيل العبودية ترك
الاختيار وملازمة الذل والافتقار وقيل العبودية اربعة اشياء الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود
والصبر على المفقود وقيل حقيقة العبودية قطع العلائق والشركاء عن السر وقيل ان … من … الخاطر
تستغيث به فهو معبودك الثاني ولا تشركوا به شيئا لما امر بالعبادة بقوله واعبدوا الله امر بالاخلاص في
العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا لان من عبد مع الله غيره كان مشركا ولا يكون مخلصا ولهذا قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقيل الشرك … التقصير والعشيرة من نفسه والملازمة عليها وقيل الشرك
ان تطالع غيره او ترى من سواه ضرا الثالث وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا اي البر بهما مع اللطف

[illegible]

خلف وعن … قيل يا رسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها … فقال
عليه السلام لا خير فيها هي في النار وروي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده لا يؤدي حق الجار الا من رحم الله وقليل ما هم
اتدرون ما حق الجار اذا افتقر اغنيته واذا استقرض اقرضته واذا اصابه خير هنأته واذا اصابه شر عزيته واذا مرض عدته
واذا مات شيعت جنازته الخامس والجار الجنب فعل بمعنى فاعل واصله من الجنابة ضد القرابة وهو البعيد يقال
جنب اذا كان بعيدا متباعدا عن اهله ورجل اجنبي وهو البعيد منك في القرابة وقال تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي
بعدني وجانبا فان الاجنبي يبعد كل واحد منهما عن الاخر السادس والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان يحصل بجنبك
اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم وحرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى
صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب
المراة فانها تكون معك وتضجع الى جنبك السابع وابن السبيل هو المسافر الذي انقطع من بلده وقيل الضيف قال بعض
اصحاب التحقيق من الصوفية الجار ذي القربى هو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب هو العقل الذي يطيع
اقتداء السنة والشرع وابن السبيل الجوارح المطيعة لله الحادي عشر وما ملكت الاحسان الى المماليك طاعة عظيمة
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابتاع شيئا من الخدم فلم توافق شيمته شيمته فليبع
وليشتر حتى توافق شيمته شيمته فان للناس شيما ولا تعذبوا عباد الله وروي انه عليه الصلاة والسلام اخر كلامه الصلاة
الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم والاحسان الى المماليك ان لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به ولا يؤذيهم بالكلام الخشن ويعاشرهم
معاشرة حسنة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع الى ابي ذر غلاما
فقال يا ابا ذر اطعمه مما تاكل واكسه مما تلبس قال ابو ذر ولم يكن لي غير ثوب واحد فجعلته نصفين فرحت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما شان ثوبك فقلت يا رسول الله الفتى الذي دفعته الي امرتني ان اطعمه مما اكل واكسوه مما البس وانه لم يكن لي الا هذا الثوب
فناصفته اياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن اليه فاعتقته فسالني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل
الغلام فقلت ليس لي خادم فقال اجرك الله يا ابا ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها والخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيامة والعبد اخوك فان عجز فاعنه وقيل كل حيوان مملوك والاحسان اليه مما يليق به طاعة عظيمة قوله ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتلطف بهم ولا يلتفت
اليهم قيل انما ذكر الاختيال هنا لان المختال يانف من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا ضعفاء ولا يحسن عشرتهم
والفخر التطاول والفخور الذي يعدد مناقبه كبرا وتطاولا وعن ابن عباس الفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما اعطاه
الله من انواع نعمه وانما خص الله هذين الوصفين بالذم في هذا الموضع لان المختال هو المتكبر وكل من كان متكبرا فانه قلما يقوم
برعاية الحقوق ثم اضاف اليه ذم البخل لانه لا يقدم على رعاية الحقوق الا لاجل الرياء والسمعة لا لامر الله تعالى قوله تعالى الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ● قيل نزلت هذه الاية
في اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبينوها للناس وهم يجدونها مكتوبة في كتبهم وقيل نزلت في جماعة
من اليهود وهم حيي بن اخطب ورفاعة … واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع كانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم
وينصحونهم فيقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون الذين يبخلون في محل
نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا على الذم بتقدير المبتدا اي هم الذين وان يكون مبتدا لخبر محذوف كانه قيل
الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة البخل في كلام العرب منع الرجل سائله ما لديه مما فضل عنه وقيل
منع ما يجب وفيه اربع لغات البخل بضم الباء والخاء وهي قراءة حمزة والكسائي والبخل بفتح الباء وسكون الخاء وهي قراءة
الباقين وهي اللغة العالية ذكر الله تعالى في هذه الاية من الصفات المذمومة ثلاثا اولها كونهم بخلاء ثانيها الاشارة بقوله
الذين يبخلون … [illegible]

وهذا هو النهاية في البخل فانهم يبخلون بما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال
العرب البخل من الضنين بمال غيره وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل قال صاحب الكشاف ولقد رأينا ممن
بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت
خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجود الجود وثانيها يكتمون ما آتاهم الله من فضله فيموهون الفقر مع الغنى والاعسار مع
اليسر مع الامكان ثم هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية عن الله ولا يرضى بالقضاء والقدر
هذا ينتهي الى حد الكفر ولهذا قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب
ان ترى نعمته على عبده وقيل بنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال العامل يا امير المؤمنين ان الكريم
يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ● والذين عطف على الذين يبخلون ويجوز ان يكون عطفا على الكافرين قوله
واعتدنا للكافرين نزلت في اليهود او المنافقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاولى ان يقال انه تعالى لما امر بالاحسان الى ارباب الحاجات بين ان من لم يحسن اليهم فرقتان فرقة يبخلون ولا ينفقون
اصلا وفرقة ينفقون لا لوجه الله تعالى بل للرياء والسمعة والفخار [illegible] ما اسخاهم وما اجودهم ومن يكن الشيطان
له قرينا اي ان الشيطان قرين لاصحاب هذه الافعال ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا فانه يضلهم ويحملهم على الرئاء
والسمعة ويهديهم الى عذاب السعير ويقرنهم في النار ثم انه تعالى عنفهم وبين سوء اختيارهم في ترك الايمان فقال
وماذا عليهم استفهام على سبيل الانكار اي اي تبعة او اي وبال عليهم في الايمان بالله واليوم الآخر والانفاق مما
رزقهم الله في سبيل الله وهذا احتجاج على الفريقين اي الذين يبخلون والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس وذلك ان
الانسان يحاسب نفسه فيما عليه وله فاذا ظهر له ما عليه في فعل شيء من استحقاق العقاب تركه واذا ظهر
ما يستحق من الثواب في عمل شيء عمله ولو عرف ان الشيء [illegible] لو تفكر ولو نظر ماذا عليهم في الايمان بالله واليوم الآخر
والانفاق في سبيل الله وهذا احث الله لهم على الايمان والنظر في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه والانفاق في سبيل الله
وكان الله بهم عليما يعلم ما ينفقونه رئاء الناس قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما ● هذه الآية متعلقة بقوله وماذا عليهم فكأنه قال فان الله لا يظلم من كان هذه حاله مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت فرغب بذلك في الايمان والطاعة وهذه الآية مشتملة على الوعد بامور ثلثة
الاول قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهي النملة الصغيرة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعه ثم نفخ فيه فقال
كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة ومثقال مفعال من الثقل يقال هذا على مثقال ذرة اي ما يكون
وزنه وزن ذرة والمعنى انه لا يظلم قليلا ولا كثيرا وذكر اصغر ما يتعارفه الناس [illegible] انه لا يظلم الناس شيئا والمعنى
انه لا يظلم الناس شيئا [illegible] انه لا يظلم المؤمن بان وعده المغفرة ودخول الجنة ولا يغفر له الجنة بل يفي بوعده المغفرة في
ولا يظلم الكافر بان لا يعاقبه ويدخله الجنة ويغفر له ويزيد في عقابه على الذي وعد والثاني من الامور الثلثة قوله وان تك
حسنة يضاعفها اي وان تك مثقال ذرة حسنة انث ضمير المثقال لاضافته الى المؤنث يضاعفها من جهة الثواب
يجعلها عشرين وثلثين واكثر وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين
هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول
الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة ضعفها الله لعبده وادخله الجنة بفضله ورحمته
مصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب
عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بها في الدنيا فاذا كان في الآخرة لم تكن له حسنة قال بعض
اهل العلم هذا قال لان تفضل حسناتي على سيئاتي بوزن ذرة احب الي من ان يكون لي الدنيا جميعا وعن ابي سعيد الخدري
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص المؤمنون من النار يوم القيمة فما مجادلة احدكم صاحبه في الحق
يكون له في الدنيا باشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم الذين ادخلوا النار يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا
ويصومون معنا ويحجون معنا فادخلتهم النار فيقول الله عز وجل اذهبوا فاخرجوا من عرفتم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم
لا تأكل النار صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم من اخذته الى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا
اخرجنا من امرتنا فيقول الله تعالى اخرجوا من في قلبه وزن ذرة فيقولون ربنا اخرجنا من امرتنا فلم يبق في النار احد فيه
خير قال ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفع المؤمنون فبقي ارحم الراحمين فيقبض الله قبضة
من النار او قبضتين فيخرج ناسا لم يعملوا خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما قال فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحياة فيصب
عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فيخرجون من اجسادهم مثل اللؤلؤ وفي اعناقهم الخواتم هؤلاء عتقاء الله
فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم او رأيتم من شيء فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين قال
فيقول ان لكم عندي افضل من ذلك فيقولون وما هو فيقول رضائي عنكم فلا اسخط عليكم ابدا وقيل هذا في الخصوم عن عبد الله بن مسعود
قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والآخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذ
قال فيفرح والله المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخته فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق

ذلك

ذلك وكان الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم قال فيؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا
فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا في اعماله
الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا هو اعلم بذلك منهم فطلبت كل ذي حق حقه
وبقي له مثقال ذرة من حسنة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقيت سيئاته وبقي طالبون كثيرة فيقول الله
عز وجل خذوا من سيئاتهم واضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار يعني الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال
ذرة بحق الخصوم بل يثيبه عليها ويضعفها له في التحقيقه وان تك حسنة يضاعفها قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع
على كان التامة بمعنى حدث ووقع او وجد والباقون بالنصب على كان الناقصة بمعنى وان تك مثقال ذرة حسنة وقرأ ابن كثير
وابن عامر يضعفها بالتشديد بغير الف من التضعيف والباقون يضاعفها بالالف والتخفيف من المضاعفة قيل يضعفها
يجعلها ضعفين ويضاعفها يجعلها اضعافا كثيرة قال الثالث من الاحوال قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي من عنده
قيل في لدن اربع لغات لدن ولدى ولد فاذا اضافوه الى انفسهم شددوا النون وقيل ان لدن اكثر تمكنا من عند لان عند لك
تقول عندي مال اذا كان له ببلد آخر ولا يقال لدني مال الا ما كان حاضرا قيل الاجر العظيم هو الجنة وعن عثمان النهدي
بلغني عن ابي هريرة انه قال ان الله عز وجل يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فقلت له بلغني عنك انك تقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية [illegible]
او قال من لدنه اجرا عظيما قال صاحب الكشاف ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه
تابع للاجر لا يثبت الا بثباته قال الامام لا بد من الفرق بين هذا وبين قوله وان تك حسنة يضاعفها ولكن
تحقيق والعلم عند الله ان ذلك التضعيف يكون من جنس ذلك الثواب والظاهر ان ذلك التضعيف يكون من جنس ذلك
الثواب فاما هذا الاجر العظيم فلا يكون من جنس ذلك الثواب والظاهر ان ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعودة
بها في الجنة واما هذا الاجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة وانما
خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والبهجة والكمال لا ينال بالاعمال الجسمانية بل انما ينال
بما يودع الله في جوهر النفس القدسية من الاشراق والصفاء والنور وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات الجسمانية
وهذا الاجر العظيم الى السعادات الروحانية قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ● بين الله تعالى في الآية المتقدمة
ان الله لا يظلم مثقال ذرة في الآخرة ويجازي المحسن على احسانه وان كان في غاية الصغر ويزيد على قدر حقه فبين في هذه
الآية ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق لتكون الحجة على المسيء ابلغ والتبكيت له اعظم
والحسرة اشد والسرور لاهل الطاعة والاحسان اكثر وهذا وعيد للكافرين الذين قال الله فيهم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة ووعد للمؤمنين الذين قال الله فيهم وان تك حسنة يضاعفها فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
والمشركين والمنافقين اذا جئنا من كل امة بشهيد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لي اقرأ القرآن علي فقلت يا رسول الله انا الذي علمتنيه فقال اني احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء
فلما انتهيت الى هذه الآية بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا [illegible] يشهدون
للرسل بالابلاغ والرسول صلى الله عليه وسلم يشهد لامته بالتصديق ولهذا قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم وصف الله ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا اي يوم اذ ذاك اي يوم القيمة
اذ جئنا من كل امة بشهيد يود الذين كفروا يتمنون وعصوا الرسول في الدنيا والواو في قوله وعصوا الرسول للحال اي الذين
كان من فعلهما ان معصية الرسول في الدنيا قرأ ابن كثير وعاصم وابو عمرو تسوى مضمومة التاء مخففة السين يعني تسوى
فادغم التاء في السين لقرب مخرجيهما ولا يكره اجتماع التشديدين في هذه القراءة لانه جاء نظائره في التنزيل كقوله اطيرنا وازينت
وتذكرون وتحضض القراءة [illegible] وتسوى الى الارض وحمزة والكسائي تسوى مفتوحة التاء خفيفة حذفا التاء
التي ادغمها نافع وابن عامر لانها تارة تحتمل الادغام واخرى الحذف قيل معناه لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى
وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيود الكفار حال البهائم قال الكلبي يقول الله للبهائم
والوحش والطير والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا يمشي عليه اهل الجمع بيانه
قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قوله ولا يكتمون الله حديثا قيل لا يقدرون على كتمان الحديث لانه ظاهر لا يخفى على الله يقدرون
على كتمانه ولان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا
ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم بعملهم
تكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وفي الآية دلالة على ان الكفار مكلفون
بالفروع لانهم عصيان الرسول غاية الكفر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء

فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا ۝ قيل نزلت الآية في اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشربون الخمر ويشهدون الصلاة وهم نشاوى فلا يدرون كم يصلون وما يقرؤن ولا ما يقولون في صلاتهم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا ودعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وقيل معنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله جنبوا صبيانكم مساجدكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم … والسكارى جمع سكران وكل نعت على فعلان فانه يجمع على فعالى وفعالى مثل كسالى وكسالى واصل السكر في اللغة سد الطريق ومن ذلك سكر البثق وهو سده وسكرت عينه تسكر اذا تحيرت ومنه قوله تعالى انما سكرت ابصارنا اي حبست عن النظر وحيرت وقيل غطيت وغشيت فليس ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقيقتها والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فلا ينفذ رأيه على حد نفاذه في حال الصحو قوله ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لانه محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء مفرغ من عامة احوال المخاطبين اي الجنب والمعنى ولا تقربوا الصلاة في حالة من احوال الاجناب الا في حال السفر وانتصابه على الحال فقد جمع بين هذه الحال اي عابري سبيل والحال التي قبلها اي جنبا كانه قيل لا تقربوا في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيه وهو حال السفر وعبور السبيل عبارة عن السفر … الا في حال السفر يعني لا تقربوا الصلاة وانتم جنب في حال من الاحوال الا في حال السفر وقيل يجوز ان لا يكون حالا ويكون صفة والا بمعنى غير لا استثناء اي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين والفرق بين كونه حالا وبين كونه صفة هو انه اذا كان حالا يفيد انه لا يجوز قربان الصلاة في حال الجنابة قط الا ان يكون مسافرا واذا حمل على كونه صفة … يكون المعنى لا تقربوا الصلاة جنبا مقيمين فلم يفد ان العذر ينحصر في السفر ضرورة عدم افادة الحصر وقال صاحب الكشاف فان قلت كيف تصح صلاة على الجنابة لعذر السفر قلت اريد الجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين ومن فسر الصلاة بالمسجد معناه ولا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان مسجدي حرام على كل حائض من النساء وعلى كل جنب من الرجال الا على محمد واهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى جمع مريض واراد به مرضا يضره اصابة الماء مثل الجدري والقروح والجروح او كسر قد وضع عليه الجبائر فانه خص له في التيمم هذا قول عامة الفقهاء وقيل انه لا يتيمم مع وجود الماء لعموم قوله فلم تجدوا ماء وهذا واجد للماء ويرد هذا بما روى جابر انا خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل اصحابه فقال هل تجدون لي رخصة فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده او على سفر طويل او قصير فله التيمم عند عدم الماء فاما اذا لم يكن هناك مرض ولا سفر لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا مثل ان يكون في مصر فانقطع الماء عنه راسا او في قرية فانقطع ماؤها فمذهب الشافعي ومحمد بن الحسن الى ان عليه التيمم والصلاة ويعيد الصلاة وذهب الاوزاعي وابو يوسف انه يتيمم ويصلي بلا اعادة وذهب ابو حنيفة الى انه لا يتيمم ولكنه يصبر حتى يجد الماء فيتوضأ ويصلي قوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط ۝ واصل الغائط المطمئن من الارض الواسع كان الرجل منهم اذا اراد ان يقضي الحاجة اتى الغائط فقضى حاجته فقيل لكل من قضى حاجته قد اتى الغائط يكنى به عن العذرة وقد تغوط قوله تعالى او لامستم النساء قرأ حمزة والكسائي او لمستم النساء بغير الف ههنا وفي المائدة والباقون بالالف فيهما ومعنى المس والملامسة والمجامعة وقيل هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع واختلف الفقهاء في حكم الآية فقال الشافعي اذا افضى الرجل بشيء من بدنه الى بدن المرأة سواء كان باليد او بغيرها الى عضو من الجسد تعلق نقض الطهر به وقيل اذا كان اللمس باليد نقض الطهر وان كان بغير اليد لم ينقضه لجريه مجرى مس الفرج وقال مالك والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ان كان المس بشهوة نقض وان كان بغير شهوة لم ينقض وقال ابو حنيفة وابو يوسف ان كانت الملامسة فاحشة نقضت والا لم تنقض والملامسة الفاحشة ما يحدث الانتشار من الفرجين بلا حائل وذهب طائفة الى ان الملامسة لا تنقض الطهارة بحال الدليل للشافعي في الآية ان الملامسة قد تكون باليد ما روي عن النبي انه قال لماعز لعلك لامست والمس اكثر ما يستعمل في لمس اليد وانشد الشافعي لمست بكفي كفه اطلب الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي وتفصيل كيفية الملامسة على وجه تلك الملامسة تنقض الوضوء قولان احدهما لمس المرأة الشابة الاجنبية بلا حجاب ولا حائل بشرة ولمس لا ينقضه كلمس الشعر والسن والظفر … مختلف

فيه

فيه لمس صبية صغيرة او عجوز كبيرة او ذات محرم لا يحل له نكاحها ففيه قولان اصحهما لا ينقض لانه لا مدخل للشهوة فيهن … ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل امامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سجد وضعها واذا قام رفعها فهذا حكم الملامسة بلا حائل فاما الحائل فانها لا تنقض الطهارة سواء كان الحائل ضعيفا او رقيقا ومنهم من قال ينقض اذا كان رقيقا والدليل على انها لا تنقض ظاهر الآية او لامستم النساء فاذا كان مع الحائل … الملموس للشافعي قولان اصحهما ينقض لاشتراكهما في الالتذاذ به والثاني لا ينقض لقول عائشة وقعت يدي على اخمص رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فلم تجدوا ماء لما ذكر الاسباب الاربعة قال فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة يطلب الماء فاذا لم يجد يتيمم وقال ابو حنيفة لا يجب تجديد الطلب فيجب في كل مرة سبق الطلب واتفقوا على انه اذا وجد الماء وهو محتاج اليه لعطشه او عطش محترم معه جاز له التيمم ولو كان الاحتياج في الماء … لا يكفيه للوضوء فعند الشافعي في … ان يستعمل … ثم يتيمم لظاهر الآية والقياس على الجرح وعند ابي حنيفة ومالك لا يجب قياسا على … في الكفارة والقياس الاول ارجح … ثم قال فتيمموا التيمم لغة القصد وتيممت الصعيد للصلاة اصله التعمد والتوخي من قولهم تيممتك وتاممتك قال ابن السكيت قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا الصعيد طيبا ثم كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب والتيمم من خصائص هذه الامة قال النبي صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة واما بدء التيمم فعن عائشة رضي الله عنها قالت كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي وكانت استعارته من اسماء بنت عميس فاخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام بالتماسه فالتمس فلم يوجد فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم واناخ الناس فباتوا ليلتهم تلك واقاموا على التماسه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس ابا بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى ما صنعت عائشة حبست الناس على غير ماء فجاء ابو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فعاتبني وقال ما شاء الله ان يقول … حبست الناس على غير ماء وقد حضرت الصلاة ثم طعن في خاصرتي فما منعني من التحرك الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته فقال اسيد بن حضير ما هذا باول بركتكم يا آل ابي بكر جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين خيرا فاعلم ان التيمم بخمس شرائط احدها دخول وقت الصلاة فلا يجمع بالتيمم بين صلاتي فرض وهو قول الشافعي ومالك واحمد بن حنبل لانها طهارة ضرورة فقاسوا على المستحاضة ولقوله صلى الله عليه وسلم اينما ادركتني الصلاة تيممت وصليت وذهب طائفة الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلاة ويصلي به من الحدث الى الحدث ما شاء الله من الفرائض والنوافل وهو مذهب ابي حنيفة لقوله عليه السلام الصعيد وضوء المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج والشرط الثاني الطلب وكيفيته ان يبدأ بطلبه في رحله ثم طلب من اصحابه فان لم يجد نظر يمينا ويسارا وامامه وخلفه وان كان هناك تل صعده ونظر وان رأى انسانا قادما يطلب منه فان تيمم قبل الطلب لم يصح عند اكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة ليس بشرط حتى جاز ان يتيمم … وهو مستحب فان طلبه قبله جاز لانه لو كان شرطا فيه لكان شرطا في النافلة كعدم الماء والشرط الثالث عوز بعد الطلب فاما اذا كان بينه وبين الماء حائل من عدو او سبع … فهو كعادم للماء وكذلك اذا كان عليه ضرر في … مثل ان يخاف على رحله ان غاب عنه وكذلك اذا كان الماء في بئر ولا يمكنه الوصول اليه … والشرط الرابع العذر من مرض او سفر لقوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر والمرض على ثلاثة اضرب ضرب لا يستضر باستعمال الماء معه فلا يجوز التيمم ومرض يخاف باستعمال الماء الزيادة في العلة او ابطاء البرء او الشين ففيه قولان احدهما انه يجوز التيمم والثاني انه لا يجوز ولو كانت الجراحة في بعض جسده دون بعض غسل ما لا ضرر عليه ويتيمم عن الباقي لا يجزيه احدهما دون الآخر وقال ابو حنيفة اذا كان اكثر بدنه سليما لزمه الوضوء واستعمال الماء ولم يجز معه التيمم واذا كان اكثر بدنه جريحا سقط عنه فرض استعمال الماء ويجزيه التيمم في الجميع ولا يجوز استعمال الماء في بعض الاعضاء اذا وجد الجنب او المحدث من الماء ما يغسل بعض الاعضاء … او للمحدث من الحكم ما … المحدث لوضوئه ولا الجنب لاغتساله فعلى الاول ان كان جنبا غسل من اعضائه ما شاء ثم تيمم على الوجه واليدين وان كان محدثا غسل به وجهه ثم يديه على الترتيب ثم يتيمم لما بقي من اعضائه ووقت غسله حتى لو غسل جميع اعضاء وضوئه وبقيت لمعة من رجله لم يصبها الماء فانه يتيمم لها فان انكسر بعض اعضائه وجبرها فانه لا يعدو بالجبائر موضع الكسر ولا يضعها الا على وضوء كالخفين فان وضعها على ذلك ان يمسح على الجبيرة ما دام العذر باقيا وفي قضاء الصلوات التي صلاها على الجبائر قولان احدهما عليه الاعادة والثاني لا وهو اختيار المزني لما روي ان عليا انكسر احد زنديه فامره النبي عليه السلام ان يمسح على الجبائر وان وضعها على غير الطهارة او تعدى بها موضع الكسر نظر فان لم يخش تلف بدنه او عضو من اعضائه نزعها وان خاف ذلك لم ينزعها ولكنه يغسل ما يقدر على غسله ويعيد الصلاة اذا قدر على نزعها والماء … السفر وهو كل ما يقع عليه اسم سفر طال ام قصر لان الله تعالى لم يفرق وعن ابن عمر انه اقبل من الجرف حتى اذا كان بالمربد تيمم فمسح وجهه ويديه وصلى العصر ثم دخل المدينة والشمس مرتفعة فلم يعد الصلاة قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ترابا نظيفا والصعيد التراب وقيل وجه الارض لقوله تعالى فتصبح صعيدا زلقا وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهورا وهو مذهب ابي حنيفة فانه يجوز التيمم بالارض وبما كان من جنسها وان لم يعلق بيده شيء فيجوز بالكحل والزرنيخ والجص والجوهر المسحوق وعند الشافعي يعتبر الغبار حتى …

بيده على صخرة ملساء فمسح به اجزأه فاذا تيمم بسحالة الذهب والفضة والنحاس والرصاص لم يجز لانه ليس من جنس الارض
وقال ابو حنيفة يجوز بالارض وبكل ما اتصل بها فاجاز التيمم باجناس الارض والشجر فقال لو ضرب يديه على صخرة ثم مسح بها
اجزأه وقال الاوزاعي والثوري يجوز بالارض وبكل ما عليها من الشجر والحجر والمدر وغيرها حتى قالا لو ضرب بيديه على الجمد
والثلج اجزأه لما روي انه صلى الله عليه وسلم اقبل من بئر الجمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه وذهب الشافعي الى ان الممسوح به تراب طاهر ذو غبار يتعلق باليد لانه
تعالى قال فتيمموا صعيدا والصعيد اسم للتراب والطيب اسم لما ينبت لقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ولقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب
لذلك ولقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض اي ببعضه للصعيد وهذا لا يتأتى في
الصخر الذي لا تراب عليه قيل من لابتداء الغاية فلا دليل فيه ان يكون المسح ببعض الصعيد قال صاحب الكشاف فان قلت قولهم
انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا
معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ● قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم ● اختلف العلماء
في كيفية التيمم فقيل يمسح على الوجه واليدين الى الآباط والمناكب لما روي انه لما نزلت آية التيمم ضربوا بايديهم الى الارض
ثم رفعوا ايديهم ولم يقبضوا من التراب شيئا فمسحوا وجوههم وايديهم الى المناكب ثم بطون ايديهم الى الآباط وقيل
ثلاث ضربات ضربة للوجه وضربة للكفين وضربة للذراعين وذهب الشافعي الى انه ضربتان ضربة للوجه وضربة
لليدين الى المرفقين وبه قال من الصحابة عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله ومن التابعين الحسن البصري والشعبي ومن الفقهاء
ابو حنيفة والثوري ومالك والليث واحتجوا بما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه
وروي انه عليه السلام قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وقيل ضربة للوجه والكفين
وهو قول سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد واسحق واحتجوا بقوله تعالى وايديكم واليد على الاطلاق يتناول الكف
الى الكوع بدليل ان السارق يقطع يده من الكوع مع قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وبما روي عن عمار بن
ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في التيمم ضربة للوجه والكفين والتيمم من الجنابة كالتيمم من الحدث ولا خلاف
فيه الا ما روي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود انهما قالا لا يجوز التيمم للجنب ولكن يصبر حتى يجد الماء فيغتسل
ويصلي ورأيا قوله او لامستم النساء باليد دون الجماع وروي ان رجلا سأل عمر رضي الله عنه عن الجنب لا يجد الماء
فقال لا يصلي حتى يجد الماء فقال له عمار بن ياسر اما تذكر حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت فاجنبت فتمعكت
في التراب فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما كان يكفيك ان تفعل كذا وكذا فضرب بكفيه على
الارض فمسح وجهه ويديه فقال له اتق الله يا عمار فقال ان شئت لم اذكره ابدا والدليل على جواز صلاة الجنب بالتيمم
ما روي عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل في القوم فقال يا فلان ما منعك
ان تصلي في القوم فقال يا رسول الله اصابتني جنابة ولا ماء قال عليك بالصعيد فانه يكفيك [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فينا رجل فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتيمم ويصلي فلما ... امره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يغتسل ولم يأمره ان يعيد الصلاة قوله تعالى ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير
لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم اولى ان يكون ميسرا غير معسر قال صاحب الكشاف فان قلت كيف نظم
في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب
لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون
للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض
والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم
آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض وقيل وجه هذا التقسيم ان المرخص بالتيمم اما محدث
او جنب والحال المقتضية للترخص بحسب الغالب مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا
كانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء وهذا متفرع على مذهب من
لا يرى الملامسة على هذا بمعنى المس بل الجماع ● قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ● لما ذكر من اول السورة الى ههنا
انواعا كثيرة من التكاليف والاحكام الشرعية قطع ههنا بيان الاحكام وذكر احوال اعداء الدين واقاصيص المتقدمين لان
البقاء في النوع الواحد من العلم مما يكد الطبع ويكل الخاطر واما الانتقال من نوع الى نوع فانه ينشط الخاطر ويقوي القريحة قوله
الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او من رؤية البصر على معنى الم تنظر الى الذين يعني يهود المدينة
وعن ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما
وعاباه نصيبا من الكتاب حظا من التوراة لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى عليه السلام ولم يعرفوا منها نبوة محمد فاما الذين
اسلموا كعبد الله بن سلام وغيره فالامر بخلافه وصفهم الله بان معهم علم الكتاب فكفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
يشترون الضلالة وصفهم الله تعالى بامرين الضلال والاضلال اما الضلال فهو قوله يشترون الضلالة قيل معناه يؤثرون تكذيب

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذوا الرشى على ذلك ويحصل لهم الرياسة ذكر بلفظ الاشتراء لان من اشترى شيئا آثره
وقيل معناه يستبدلون الضلالة بالهدى والضلالة هي البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل واما الاضلال فهو قوله ويريدون ان تضلوا ايها
المؤمنون السبيل الحق يتوصلون الى اضلالكم والتلبيس عليكم كما ضلوا وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون
ان يضل غيرهم ولذلك قال ... من ضل واضل والله اعلم باعدائكم بما في قلوبهم وصدورهم من عداوتهم اياكم وقد اخبركم
بعداوتهم واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا
يتولى امركم وكفى بالله نصيرا فثقوا به واكتفوا بنصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم عداوتهم ومكرهم
تكرار لان المراد بالولي المتصرف في الشيء لا يجب ان يكون ناصرا او لا الناصر ان يكون متصرفا والفائدة في تكرار كفى ان يكون الكلام
مبالغة واشد تأثيرا في القلب قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع
غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن
لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ● لما حكى الله عنهم انهم يشترون الضلالة بين كيفية تلك الضلالة قوله من الذين هادوا
يجوز ان يكون متصلا بما قبله وحينئذ يكون بيانا للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم
باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيانا لاعدائكم وقوله وكفى بالله
نصيرا جملتان توسطتا بينهما على سبيل الاعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم
الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله ويكون قوله يحرفون صفة لمبتدأ محذوف وتقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون او يكون من الذين هادوا في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مقدر كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وكقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم
عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اماله عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازاله
عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من
ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه
الكلم كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان
متقاربان قال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم يأخذون
بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في انفسهم وعصينا واسمع غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو
قول ذو وجهين يحتمل المدح والذم اما المدح فمعناه واسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه واما الذم
فمعناه اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على
قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
لا تعيه نبوا عنه قيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ويقولون في انفسهم لا سمعت ...
وراعنا ذكر في سورة البقرة ان هذا كان سبا بلغتهم وقيل وراعنا قول ذو وجهين يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل
شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله يكلمونه بكلام محتمل ينوون به
الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام قوله ليا اصله لويا من لويت اجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون
قلبت الواو ياء وادغمت في الياء قوله ليا بالسنتهم اي فتلا بها وتحريفا او فتلا بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا
وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وقولهم انهم كانوا يحرفون راعنا من طريق المراعاة الى السب بالرعونة ولو انهم
قالوا سمعنا واطعنا مكان قولهم سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا بدل راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله واقوم اي اعدل
واصوب قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع
الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوا وعصينا فيما بينهم ويجوز
ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به والضمير في قوله لكان خيرا لهم راجع الى قوله انهم قالوا لان
المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ابعدهم عن رحمته مكافاة لهم بكفرهم ...
صاحب الكشاف بناء على اصله الفاسد او خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا قليلا منهم قد آمنوا
كعبد الله بن سلام واصحابه ... جعل قليلا مستثنى من الواو الذي هو فاعل يؤمنون وقيل فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا
اي ايمانا ضعيفا ركيكا لا يعبأ به ولا يحمل ان يسموا به مؤمنين وهو ايمانهم ببعض ... واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وقالوا ونقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض فعلى هذا الا قليلا استثناء مفرغ من مصدر
يؤمنون وقيل اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك اي عديم التشكي
والمعنى على هذا فلا يؤمنون الا ايمانا لا اصل له ... قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا

لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا
للمحكي من اليهود ابلغ مكرهم وايذائهم امرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد على الترك امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم يعني القرآن من قبل ان نطمس وجوها الطمس المحو اي نمحو ما فيها من عين وفم وانف وحاجب فنردها على ادبارها فنجعلها
على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها او فيه تعقيب الفاء للتسبيب فانجعل الفاء للتعقيب على ان الله تعالى ابدهم
بعقابين احدهما عقيب الاخر وهو ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فنقلبها منكس الوجوه الى
والاقفاء الى قدام وقيل الطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة والوجوه رؤسهم ووجهائهم اي

من لا يؤمن له الرهبوت والجمع الطواغيت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل انهما حيي بن اخطب
وكعب بن الاشرف سميا بهما لانهما كانا يحملانهم على ان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه قال الزجاج وهذا دليل
على معاندة اليهود لانهم زعموا ان المشركين الذين لا يصدقون بشيء من الكتب ويعبدون الاصنام اهدى طريقا من الذين
يرافقونهم على كثير مما يصدقون به ثم ان الله قال فيهم اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا فبين ان
عليهم اللعن وهو الخذلان والابعاد وهو ضد ما للمؤمنين من القربة والزلفى واخبر بعده بان من يلعنه الله فلا ناصر له
ينصره ويمنعه من عذاب الآخرة وفيه وعد بالنصر للرسول وللمؤمنين قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا ● وصفهم في الآية المتقدمة بالجهل والعناد ثم وصفهم بالبخل في هذه الآية والبخل هو ان لا يدفع الى
من يستحق ان يدفع اليه شيء مما آتاه الله من النعمة وام منقطعة والاستفهام للانكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا اي لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل للقلة كالفتيل
والقطمير والمراد بالملك ما ملك اهل الدنيا واما ملك الله عز وجل كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق وحمل الملك على التأويل وتوقع الحساب بعثته لما هو منتظر في التوراة وقيل الجحود انه يكون منهم النبي فحرم
انهم قد اوتوا نصيبا من الكتاب وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك فانهم لا يؤتون
احدا مما يملكون شيئا فالاول انكار لانهم لا يؤتون الناس نقيرا اي لا يؤتون الناس نقيرا ام ان لهم نصيبا من الملك قال الامام
انه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم وهذا يدل على ان الملك والبخل لا يجتمعان وتحقيق الكلام فيه من حيث العقل
ان الانقياد للغير مكروه لذاته لان الانسان لا يتحمل المكروه الا اذا وجد في مقابلته امرا مطلوبا مرغوبا فيه وجهات
الحاجات محيطة بالناس فاذا صدر من انسان احسان الى الغير صارت رغبة المحسن اليه في ذلك المال سببا لصيرورته منقادا
مطيعا فلهذا قيل بالبر يستعبد الحر فاذا لم يوجد هذا بقيت النفرة الطبيعية عن الانقياد للغير خالصا عن المعارض فلا
يحصل الانقياد البتة فثبت ان الملك والبخل لا يجتمعان ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا ملك
الملوك وملك على البواطن فقط وهو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن معا وهو ملك الانبياء عليهم السلام فاذا كان
الجود من لوازم الملك وجب في الانبياء ان يكون في غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة ليصير كل واحد من هذه الاخلاق
سببا لانقياد الخلق لهم وامتثالهم لاوامرهم وكمال هذه الصفات كان حاصلا لمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ام يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ● وصفهم الله بالحسد والحسد تمني ان لا يعطي الله غيره شيئا من النعم
والبخل والحسد يشتركان في ان صاحبه يريد منع النعمة من الغير فالبخيل يمنع نعمة نفسه على الغير والحاسد يريد منع نعمة
من عباده عليهم الله وصفهم بالجهل الى وصفهم بالبخل والحسد لان الجهل سبب لهما والسبب مقدم على المسبب وقدم
البخل على الحسد لان البخل يقتضي الضرر الى الغير والحسد يقتضي لا لحاسده ما يستلزم الضرر الى الغير اشد مما
لا يستلزم الا لنفسه وام منقطعة والتقدير بل يحسدون الناس على انكار الحسد واستقباحه قيل كانوا يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوة والكتاب والحكمة والنصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم
كل يوم وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء والمراد بالناس في هذه الآية رسول الله باعتبار انه اجتمع عنده من خصال الخير
ما لا يجتمع في الناس اجمعين وقيل المراد الناس العرب حسدوهم على النبوة وعلى ان الله تعالى اكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل المراد بالناس رسول الله وابا بكر وعمر روي ان علي بن ابي طالب قال على المنبر في قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله نحن رسول الله وابو بكر وعمر قوله تعالى فقد آتينا آل ابرهيم الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين
هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وآتيناهم اي آتينا آل ابرهيم ملكا
عظيما قيل النبوة لان الملك هو الامر والطاعة والانبياء لهم الطاعة والامر وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك
يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه صلى الله عليه وسلم فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود
مائة ولسليمان الف ثلاثمائة بالمهر وسبعمائة سرية قوله فمنهم من آمن به اي فمن اليهود من آمن به ومنهم من صد عنه وقيل
بما ذكر من حال حديث آل ابرهيم فمنهم من صدق به ومنهم من انكره مع علمه بصحته وقيل من اليهود من آمن برسول الله ومنهم
من انكر نبوته وقيل فمنهم اي من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والمعنى
ان الانبياء مع ما خصصناهم به من النبوة والملك جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم آمن به وبعضهم بقوا على الكفر
فانت يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء القوم فان احوال جميع الامم مع جميع الانبياء هكذا كانت وذلك تسلية من الله
ليكون اشد صبرا على ما ينال من قبلهم وكفى بجهنم سعيرا لمن كفر من المتقدمين والمتأخرين والسعير الوقود اوقدت
النار كانه قيل معيدا قوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما ● لما بين الوعيد بالطائفة الخاصة من اهل الكتاب بين
ما يعم الكافرين من الوعيد قوله بآياتنا يدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه والملائكة والكتب
والرسل وكفرهم بالآيات ليس بالجحد لكن بوجوه منها ان ينكروا كونها آيات ومنها ان يغفلوا عنها فلا ينظروا فيها ومنها ان يلقوا
الشكوك والشبهات فيها ومنها ان ينكروها مع العلم بها على سبيل العناد والحسد قوله سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد
يقال سوف افعل وينوب عنها حرف السين كقوله سأصليه سقر وقد يرد سوف في الوعد ايضا قال الله تعالى ولسوف يعطيك

ربك فترضى وقال السدي استغفر لكم ربي نصليهم نارا كلما انضجت لا نسعوا واحترقت جلودهم بدلناهم جلودا
غير الجلود المحترقة عن ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وحكي ان هذه القراءة قرئت عند عمر بن الخطاب كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فقال عمر اعدها فاعادها وقال معاذ بن جبل عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة قال عمر هكذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم فانضجتهم قيل لهم
عودوا فيعودوا كما كانوا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث فان قيل
كيف جاز ان يعذب جلدا لم يعصه اجيب بان العاصي والمتألم انما هو الحي لا الجلد فانه لا يعصي ولم يتألم بل ذلك لدوام
العذاب وقيل معناه تبديل جلودهم تلك الجلود المحترقة فذلك تغيير الصفة من غير مضادة فتبديل غير التبديد
نحو الفيل عبدا بينا له الذكر غير الانثى وغير التبديل تعقيل قولك للصائغ صغ لي من هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ لك منه
خاتما فالخاتم المصوغ هو الاول الا ان الصياغة قد تغيرت والفضة واحدة وهذا كالعهد لك صحيحا ثم تراه بعد ذلك
سقيما مدنفا فتقول كيف انت فيقول انا غير الذي عهدت فهو هو لكن حاله تغيرت ونظيرها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
وهي تلك الارض بعينها الا انها قد تبدلت اكامها وجبالها وانهارها واشجارها وكذا قول الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت اعرف ● قوله ليذوقوا العذاب يفيد دوام العذاب وعدم انقطاعه بل يزداد ويقوى والمعنى
ان احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق المذوق من حيث انه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب
ذلك الاحتراق قوله ان الله كان عزيزا حكيما لا يمتنع عليه شيء مما يريده قادر عليه غالب فاعل لما ينبغي ان يفعل على الوجه
الذي يريده وذكر العزيز الحكيم في هذا الموضع في غاية الحسن لان هذه نهاية في الحسن والفصاحة فانه قد يقع في القلب تعجب انه كيف
يمكن بقاء الانسان في النار الشديدة ابد الآباد فقيل هذا ليس بعجيب من الله لانه القادر على جميع الممكنات الغالب عليه فقد
علي ان الطبيعة النار ويقع في القلب انه كريم رحيم فكيف يليق برحمته تعذيب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم فقيل
كما انه رحيم فهو ايضا حكيم والحكمة تقتضي ذلك فان نظام العالم لا يبقى الا بتهديد العصاة والتهديد الصادر لا بد
على وجه الصواب قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ● قد جرت عادة الله في القرآن الكريم بتعاقب الوعيد والوعد على سبيل
الاغلب قوله ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك والظليل
فينانا اي كثيفا لا افتنان فيه متصلا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه
ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ● قيل لما شرح الله تعالى احوال الكفار وشرح وعيدهم عاد الى ذكر
التكاليف مرة اخرى وقيل الحكي عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق حيث قالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا
امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت تلك الامور من باب المذاهب او الديانات او من باب الدنيا
والمعاملات وقيل لما ذكر في الآية السابقة الثواب العظيم للذين آمنوا وعملوا الصالحات وكان من اجل الاعمال الامانة لا جرم امر بها
وظاهر الآية للخطاب لهم ولكل احد في كل امانة نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة
فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه
وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه
ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية مع السدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال
لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته موجودة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان الى
يوم القيامة قوله واذا حكمتم هو خطاب للولاة بأداء الامانات والحكم بالحق والامانة عبارة عما اذا وجب لغيرك عليك
حق فاديت ذلك الحق اليه فهذا هو الامانة والحكم بالعدل عبارة عما اذا وجب لانسان على غيره حق فامرت من وجب عليه
ذلك الحق بان يدفعه الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح في الكلام تقديم الفصل بالذكر ما يتعلق بالانسان
نفسه من جلب المنافع ودفع المضار ثم ما يتعلق بغيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة اولا ثم بعده ذكر الامر بالحكم بالحق
اجمعوا على ان من كان حاكما وجب عليه ان يحكم بالعدل لقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل والتقدير ان الله
يأمركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
ذا قربى وقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق قال الشافعي ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين
في خمسة اشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم عليهما والمأمور به التسوية
بينهما في الافعال دون القلب فان كان يميل قلبه الى احدهما ويحب ان يغلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه لانه لا يمكنه التحرز
منه قال ولا ينبغي ان يلقن احدهما حجته ولا شاهدا شهادته لان ذلك يضر باحد الخصمين ولا يلقن المدعي على الدعوى والاستحلاف
ولا يلقن المدعى عليه الانكار والاقرار ولا يلقن الشهود ان يشهدوا ولا ان لا يشهدوا ولا ينبغي ان يضيف احد الخصمين دون الآخر
لان ذلك يكسر قلب الآخر ولا يجيب هو الى ضيافة احدهما ولا الى ضيافتهما وتمام الكلام مذكور في الفقه وقوله واذا حكمتم

بين الناس ان تحكموا بالعدل يفهم انه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم بل لبعضهم ثم بقيت الاية مجملة في انه باي
طريق يصير حاكما ولما دلت سائر الدلائل على انه لا بد للامة من الامام الاعظم وانه هو الذي ينصب الولاة في البلاد صارت
تلك الدلائل كالبيان لما في هذه الاية من الاجمال ثم قال ان الله نعما يعظكم به ما في نعما اما ان يكون نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم
واما ان يكون مرفوعة موصولة بيعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم الله به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم
به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم ان الله كان سميعا لما تقولون في الامانة والحكم بصيرا بما تعملون
فيهما قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا ۝ لما امر الله تعالى الولاة والرعاة بالعدل
في الرعية امر الرعية بطاعة الولاة فقال يا ايها الذين آمنوا والطاعة موافقة الامر وقالت المعتزلة الطاعة موافقة
الارادة واعلم ان النزاع في ان المامور به هل يجب ان يكون مرادا ام لا فاذا ثبت ان المامور به قد لا يكون مرادا ثبت ان الطاعة
ليست عبارة عن موافقة الارادة بيان ان المامور به قد لا يكون مرادا مذكور في اصول الدين اعلم ان هذه الاية مشتملة
على ترتيب الاصول الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس على هذا الترتيب اما الكتاب والسنة فالاشارة
اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان قيل طاعة الرسول طاعة الله فما معنى هذا العطف اجيب بان المقصود
بيان الدلالتين فالكتاب يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه
امر الله لا محالة فثبت بما ذكرنا ان قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول يدل على ان اجماع الامة حجة والدليل على ذلك
ان الله تعالى امر بطاعة اولي الامر على سبيل الجزم في هذه الاية ومن امره الله بطاعته على سبيل الجزم يجب ان يكون
معصوما عن الخطا اذ لو لم يكن معصوما عن الخطا كان بتقدير اقدامه على الخطا يكون قد امر الله بمتابعته فيكون ذلك
امرا بفعل ذلك الخطا لكونه خطا منهيا عنه فهذا يفضي الى اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد وانه محال فثبت
ان الله تعالى امر بطاعة اولي الامر على سبيل الجزم وثبت ان كل من امر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب ان يكون معصوما
عن الخطا فثبت قطعا ان اولي الامر المذكور في هذه الاية لا بد ان يكونوا معصومين ثم نقول ذلك المعصوم اما
مجموع الامة او بعض الامة لا جائز ان يكون بعض الامة لانا بينا ان الله اوجب طاعة اولي الامر في هذه الاية قطعا وايجاب
طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول اليهم والاستفادة منهم ونحن نعلم بالضرورة
انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه واذا كان كذلك علمنا
ان المعصوم الذي امر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضا من ابعاض الامة ولا طائفة من طوائفهم ولما بطل هذا وجب ان يكون
ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله واولي الامر اهل الحل والعقد من الامة وذلك يوجب القطع بان اجماع الامة
حجة واعلم ان ما ذكره الامام مطول فيه تعسف وتكلف غير واف بالمقصود والاولى ان يقال اولوا الامر الذين
امر الله تعالى بطاعتهم اما ان يكون المراد به كل الامة او بعضهم والاول باطل لانه يلزم ان يكون الآمرون هم المامورون والثاني
لا يخلو اما ان يكون اهل الحل والعقد او المجتهدون او غيرهم والثاني باطل فتعين الاول وهو المطلوب وقيل المراد باولي الامر
ابو بكر وعمر لقوله عليه السلام اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وان لي وزيرين في الارض ووزيرين في السماء اما اللذان
في السماء فجبريل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر هما عندي بمنزلة الراس من الجسد ومثلهما في الانبياء بالرافة مثل
ابرهيم وعيسى حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثل عمر كمثل موسى ومثل
نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقيل الخلفاء الراشدون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
يدل عليه قوله عليه السلام الخلافة بعدي في امتي في اربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد جاء ابو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه ثم جاء عثمان
بحجر فوضعه ثم جاء علي بحجر فوضعه فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء ولاة الامر من بعدي وقيل هم المهاجرون
والانصار والتابعون باحسان دليله قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقيل هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقيل هم الفقهاء
والعلماء واهل الدين والفضل يعلمون الناس معالم دينهم ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاوجب الله طاعتهم
على العباد ويدل عليه قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ما اعز من العلم الملوك
حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقيل اولوا العقل والراي الذين يدبرون امر الناس قال ابن عباس ان الدين
مبني على العقل وفرضت الفرائض على العقل وربنا يعرف بالعقل ويتوسل اليه بالعقل والعاقل اقرب الى ربه من جميع المجتهدين
بغير عقل ولمثقال ذرة من بر العاقل افضل من جهاد الجاهل الف عام عن الشعبي واوحى الله الى نبي من الانبياء اذا رايت عاقلا
فكن له خادما وقيل امراء السرايا وعن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن حذافة السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم
في السرية وقيل هم الامراء والسلاطين لما امروا باداء الامانة في الرعية امرت الرعية بحسن الطاعة لهم عن علي رضي الله عنه حق على الامام
ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا اذا دعوا قال الشافعي رضي الله
عنه ان من كان حول مكة من العرب لم يعرفوا الامارة وكانت تانف ان تعطي بعضها بعضا طاعة الامارة فلما دانت لرسول الله
بالطاعة لم تكن ترى ذلك يصلح لغير النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يطيعوا اولي الامر عن النبي صلى الله عليه وسلم من
اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وعن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ان بني اسرائيل كانت تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي قام نبي وانه ليس بعدي نبي فقال رجل فما يكون بعدك يا رسول الله فقال يكون
خلفاء ويكثرون قالوا كيف نصنع قال اوفوا ببيعة الاول فالاول وادوا اليهم ما لهم فان الله سائلهم عن الذي لكم وعن ابن عباس وقد جاء رجل
سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايت ان كان علينا امراء يمنعونا حقنا ويسالونا حقهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسمعوا واطيعوا فان عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع وهو على الجدعاء واضعا رجليه
ورجلاه في الركاب يتطاول ليسمع الناس فقال الا تسمعون يطول بها صوته فقال قائل من طوائف الناس يا رسول الله ما تعهد الينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكوة اموالكم تدخلوا جنة ربكم
وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ اطع كل امير وصل خلف كل امام ولا تسبن احدا من اصحابي
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا
لهم واطيعوا في كل ما وافق الحق فصلوا وراءهم فان احسنوا فلهم ولكم وان اساؤا فلكم وعليهم قال اصحاب هذا القول انه تعالى امر الولاة باداء
الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل ثم امر الناس بان يطيعوهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور
الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين
لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء
يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم ثم قال فان تنازعتم في شيء قال الامام يدل على ان القياس حجة
لان قوله تعالى فان تنازعتم في شيء اما ان يكون المراد فان اختلفتم في شيء حكمه منصوص عليه في الكتاب او السنة او الاجماع
او المراد فان اختلفتم في شيء حكمه غير منصوص عليه في شيء من هذه الثلاثة والاول باطل لانه على ذلك التقدير وجب عليه طاعته
فكان ذلك داخلا تحت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وحينئذ يصير قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والى الرسول اعادة لعين ما مضى وانه غير جائز واذا بطل هذا القسم تعين الثاني وهو ان المراد فان تنازعتم في شيء حكمه غير مذكور
في الكتاب والسنة والاجماع واذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله فردوه الى الله والرسول طلب حكمه من نصوص الكتاب
والسنة فوجب ان يكون المراد ردها الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة لها وذلك هو القياس فثبت ان الاية
دالة على الامر بالقياس وهذه الاية دالة على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقا فلا يجوز ترك العمل بهما
بسبب القياس ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس البتة سواء كان القياس جليا او خفيا سواء كان ذلك النص مخصوصا قبل
ذلك او لا ويدل عليه انا بينا ان قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بطاعة الكتاب والسنة وهذا الامر مطلق فثبت
ان متابعة الكتاب والسنة سواء حصل قياس يعارضهما او يخصصهما او لم يوجد ومما يؤكد ذلك وجوه اخرى منها ان كلمة ان على
قول كثير من الناس للاشتراط وعلى هذا كان قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول صريحا في انه لا يجوز العدول الى
القياس الا عند فقدان الاصول الثلاثة ومنها انه تعالى اخر ذكر القياس عن ذكر الاصول الثلاثة وهذا مشعر بان العمل به مؤخر
عن الاصول الثلاثة ومنها انه صلى الله عليه وسلم اعتبر هذا الترتيب في قصة معاذ حيث اخر الاجتهاد عن الكتاب والسنة
وعلق جوازه على عدم وجدانهما فاما الدلائل الدالة على تقديمهما عليه فاكثر من ان تحصى كما هو مذكور في الاصول قال الامام هذه الاية
دالة على ان ما سوى هذه الاصول الاربعة اعني الكتاب والسنة والاجماع والقياس مردود باطل لانه تعالى قسم الوقائع الى قسمين
احدهما ما يكون احكامها منصوصة عليها وامر فيها بالطاعة وهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم والثاني ما لا يكون احكامها منصوصا عليها وامر فيها بالاجتهاد وهو قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والى الرسول فاذا كان لا مزيد على هذين القسمين وقد امر الله تعالى في كل واحد منهما بتكليف خاص معين دل ذلك على انه ليس للمكلف
ان يتمسك بشيء سوى هذه الاصول الاربعة واذا ثبت هذا فنقول القول بالاستحسان الذي يقول به ابو حنيفة والقول
بالاستصلاح الذي يقول به مالك ان كان المراد به احد هذه الامور الاربعة فهو تغيير عبارة ولا فائدة فيه وان كان مغايرا
لهذه الاربعة كان القول به باطلا قطعا لدلالة هذه الاية على بطلانه كما ذكرنا وقيل ان المنقول عن الرسول ان الفعل يجب
طاعته لقوله تعالى فاتبعوه والامر للوجوب فقوله اطيعوا الله يوجب الاقتداء بالرسول في كل افعاله واطيعوا الرسول يوجب
الاقتداء به في جميع اقواله واعلم انه تعالى قال اطيعوا الله فافرد هذا الذكر ثم قال واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهو تعليم من الله
لهذا الادب وهو ان لا يجمعوا في الذكر بين اسمه واسم غيره واما اذا آل الامر الى المخلوقين فيجوز ذلك بدليل انه تعالى قال واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم وهذا تعليم لنا ان الجمع بين الذكر في اللفظ يوهم نوع مناسبة تعالى عن ذلك قوله فان تنازعتم اي فان اختلفتم
انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي الى الكتاب وسنة رسوله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر والتنازع اختلاف الاراء فيتعاطى كل واحد ما يرى خلاف راي صاحبه يعني النزع كان المتنازعين يتجاذبان
ويتمانعان وينتزعه قيل المناقلة منازعة قال صاحب الكشاف وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما
لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء
الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى الكتاب ولا الى سنة رسوله انما يتبعون شهواتهم حيث
ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اي ردكم
ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير لكم واصلح واحسن تاويلا اي عاقبة والعاقبة تسمى تاويلا
واحسن تاويلا لانها مال الامر يقال الى هذا مال الامر اي عاقبته وقيل واحسن تاويلا من تاويلكم انتم قوله تعالى الم تر
الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد

الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك
صدودا ● لما امر المؤمنين في الاية المتقدمة بطاعته تعالى وطاعة الرسول واولي الامر اخبر في هذه الاية ان المنافقين الذين
في قلوبهم مرض يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ولا يطيعون الرسول مع زعمهم زعما وزعما قال او لا تستعمل
في الاكثر الا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان اذا شك فيه فلم يعرف كذبه او صدقه وقيل هنا هذا بمعنى اي تعمد
الكذب وفي هذه الاية الكذب قيل في سبب نزول هذه الاية انه نازع رجل من المنافقين يهوديا فقال اليهودي بيني وبينك
ابو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الاشرف فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقضي بالحق ولا يلتفت الى الرشوة
وكعب بن الاشرف ياكل الرشوة واليهودي كان محقا والمنافق مبطلا فلهذا كان اليهودي يريد التحاكم الى الرسول صلى الله عليه
وسلم والمنافق يريد كعب بن الاشرف ثم اصر اليهودي على قوله فذهبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم الرسول صلى الله عليه وسلم
فحكم الرسول لليهودي على المنافق فقال المنافق لا ارضى انطلق بنا الى ابي بكر فحكم ابو بكر لليهودي فلم يرض المنافق وقال
بيني وبينك عمر فذهبا الى عمر فقال اليهودي لعمر ان الرسول عليه السلام وابا بكر حكما عليه فلم يرض بحكمهما فقال للمنافق اكذلك
قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل على سيفه ثم خرج عمر فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت الفاروق فعلى هذا الطاغوت هو كعب بن الاشرف وقيل انه اسلم ناس من اليهود ونافق بعضهم وكانت قريظة
والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه دية مائة وسق من تمر واذا قتل نضيري قرظيا لم يقتل به لكن
اعطى ديته ستين وسقا من التمر وكان النضير اشرف وهم حلفاء الاوس وقريظة حلفاء الخزرج فلما هاجر رسول الله عليه السلام
الى المدينة قتل نضيري قرظيا فاختصما فيه فقالت بنو النضير لا قصاص علينا انما علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا
عليه وقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد ولا فضل بيننا فابى النضير ذلك فقال
المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون بل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا
الى الكاهن ليحكم بينهم فانزل الله هذه الاية ودعا الرسول عليه السلام الكاهن الى الاسلام فاسلم فعلى هذا الطاغوت هو
الكاهن وقيل ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه
وثم رجل يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت هو الرجل المترجم اتفق المفسرون على ان هذه الاية نزلت في بعض المنافقين وظاهر الاية
دال على انه كان منافقا من اهل الكتاب كاليهود يهوديا فاظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق والمقصود ان بعض الناس اراد ان يتحاكم الى بعض اهل الطغيان ولم يرد التحاكم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيكون التحاكم الى هذا الطاغوت كالكفر وعدم الرضا بحكم النبي صلى الله عليه وسلم كفر
كفر ويدل على ذلك قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به فجعل التحاكم الى الطاغوت مقابلا
للكفر به فهذا يقتضي ان التحاكم الى الطاغوت كفر بالله كما ان الكفر بالطاغوت ايمان بالله وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقوله وقد امروا اي قد امروا ان لا يتولوا
غير اهل دينهم ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اي ضلالا لا يرجعون عنه الى دين الله ابدا وهو النفاق و
معنى الاية التعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من جهل من يعدل عن حكم الله الى حكم الطاغوت مع زعمه بانه يؤمن بالله ورسوله
وما انزل اليه وما انزل من قبله قوله واذا قيل لهم بين في الاية رغبة المنافقين في التحاكم الى الطاغوت وبين في هذه الاية
نفرتهم عن التحاكم الى الرسول عليه السلام اي واذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا الى ما انزل الله يعني في القرآن من الاحكام
والى الرسول والى حكمه رايت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون عنك الى غيرك وذكر المصدر للتاكيد والمبالغة
كانه قيل صدودا اي صدود قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله
ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
قيل انه تعالى لما قال فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم وما قبله متصل بما بعده هكذا واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
يعني انهم في اول الامر يصدون عنك صدودا ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون بالله كذبا على انهم ما ارادوا بذلك
الصد الا احسانا وتوفيقا فعلى هذا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم كلام وقع في البين على سبيل
ومن شرط الاعتراض ان يكون له تعلق بذلك المقصود والاية كذلك لان اول الاية واخرها في شرح
المنافقين وفضائحهم وانواع كيدهم ومكرهم فانه تعالى حكى عنهم في اول الاية انهم يتحاكمون الى الطاغوت مع انهم
امروا بالكفر به ويصدون عن الرسول مع انهم امروا بطاعته فذكر عند هذا ما يدل على شدة الاحوال عليهم بسبب
هذه الاعمال القبيحة في الدنيا والاخرة فقال فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فكيف حال تلك الشدة و
تلك المصيبة وقيل الكلام متصل بما قبله فانه تعالى لما حكى عنهم في الاية المتقدمة انهم يتحاكمون الى الطاغوت ويفرون
من الرسول عليه السلام اشد الفرار وذلك يدل على شدة نفرتهم من الحضور عند الرسول والقرب منه فلما ذكر فكيف اذا
اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم يعني اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول والقرب منه فلما ذكر فكيف اذا اصابتهم
مصيبة بما قدمت ايديهم يعني اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون حالهم
في شدة الغم والحسرة اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك شاءوا ام ابوا يعتذرون اليك ويحلفون بالله

[illegible]

بفساد منصبه رغب في هذه الاية مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع من تاكيد اي وما ارسلنا
رسولا قط الا ليطاع باذن الله يعني ان طاعة الرسول وجبت بامر الله الذي دل على وجوب طاعته ولذا امر المبعوث اليهم
ان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل باذن الله بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت وبغضا لما حكموا لانهم لكفار حتى يحكموك قوله جاؤك
نادمين على ما فعلوا فاستغفروا الله اي تابوا عن النفاق وتنصلوا عما تقدم عليه بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك
برد قضائك واستغفر لهم الرسول اي سال الله لهم ان يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله تعالى توابا اي قابلا لتوبتهم
عدل عن الخطاب الى الغيبة على طريق الالتفات تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها
على ان شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بمكان قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ● قيل نزلت الاية في الزبير بن العوام وخصمه قيل
هو حاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الرجل وقال يا رسول الله لان كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الماء
الى جارك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ الرجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم فخرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب فقال
قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني
محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا
والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب وقوله فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم
ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم وقوله لا يؤمنون جواب القسم قال صاحب الكشاف
فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون اي يكون تاكيدا للنفي وتكريره وتقويته قلت ياباه ذلك اي كونها زائدة
لاجل التظاهر والتعاضد استواء النفي والاثبات في الاتيان بلا مزيدة لاجل ذلك وذلك ان بعدها جواب مؤكد لمعنى القسم لا لتوافق لا في
لا يؤمنون لان اثباتها في القسم سواء كان الجواب منفيا او مثبتا جائز تقول لا والله اقسم فلو كان للتظاهر لما جاءت
في المثبت وفيه نظر اذ يحتمل ان يقال انها لتاكيد النفي في المنفي فقط والوجه المنع ان لا حينئذ تقدم الجواب فيلزم الفصل
بين اجزاء الجواب بالجملة القسمية فيقال ان القسم لما اقحم الجواب صار كالمفرد في قوله تعالى [illegible]
اكتفى بالجواب في مقام مشكلة للموصول اغتفر الفصل به قال ابو البقاء فيه وجهان احدهما ان لا الاولى زائدة وفيه ان الثانية

زايدة و القسم معترض بين النفي والمنفي وثانيهما ان لا لنفي امر مقدر اي فلا تعقلون ثم قال وربك لا يؤمنون قيل اراد
الزمخشري انها المزيدة بحيث لا يكون القسم نفيا دلت على انها انما زادت لتاكيد القسم فجعلت كذلك في النفي والظاهر انها
هنا لتوطية القسم وهو لم يذكر ما تعلم فيه انما ذكر مجملا لغيره في النفي على الوجه الاخر من التوطية على ان
دخولها على المثبت فيه نظر فلم يات في الكتاب العزيز الا مع القسم بالفعل كلا اقسم بهذا البلد لا اقسم بيوم القيمة لا اقسم
بمواقع النجوم ولا اقسم بما تبصرون ولم يات الا في القسم بغير الله وله سر وهو ان يكون هاهنا لتاكيد القسم وذلك
بما تعظيم المقسم به في الايات المذكورة وكانه بدخولها يقصد اعظامها لحرمة الاشيا بها كلا اعظام اذ هي تستوجب فوق ذلك
وبما يذكر هذا التوهم وقوع عدم تعظيمها فيوكد ذلك ويفعل القسم ظاهرا وفي القسم بالله لو هم زايل شجر بينهم اي
اختلط واختلف ومنه الشجر لتداخل اغصانه يقال شجر يشجر شجرا وشاجره في الامر اذا نازعه وتشاجروا اذا تنازعوا
لتداخل كلام بعضهم في بعض ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا مما قضيت اي بقضايك وقيل لا تضيق صدورهم
من حكمك وقيل لا يجدوا في انفسهم شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا ينقادوا ويذعنوا لما تاتي به
من قضايك لا يعارضونه بشي من قولك سلم الامر لله واسلم له وحقيقته سلم نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة
يدل لو الرضا بحكمك ويتركون التسخط والمنازعة قوله تسليما تاكيد الفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا
قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا
مستقيما ◉ هذه الاية متصلة بما تقدم من امر المنافقين وترغيب لهم في الاخلاص وترك النفاق يعني ولو انا فرضنا واوجبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم مثل ما كتبنا وفرضنا واوجبنا على بني اسرائيل قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم بالهجرة كما كتبنا على
بني اسرائيل الخروج من مصر حين استتيبوا من عبادة العجل وقيل كما كتبنا على المهاجرين ان يخرجوا من ديارهم ما فعلوه الا
قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والضمير في قوله عليهم قيل انه يعني المنافقين اي لو كتبنا القتل والخروج عن الوطن على هؤلاء
المنافقين ما فعلوه الا قليل منهم اي الناس على اختلاف القولين وضمير المفعول في فعلوه عايد على نفس القتل والخروج
الفعل وان اختلف الخاسه ثغاية واحدة في قوله الا قليل قرا ابن عامر قليلا بالنصب على اصل الاستثنا او على الا فعلا قليلا
والباقون بالرفع على البدل اي الا اناس قليل منهم قوله ولو انهم فعلوا اي ولو ان المنافقين فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم
في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا تصديقا بامر الله وابعد من الاضطراب فيه اي كان ذلك اشد تثبيتا منهم لانفسهم
في الايمان والدين قوله واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم
لان اذا جواب وجزا من لدنا من عندنا مما لا يقدر عليه غيرنا اجرا عظيما وهو الجنة قال صاحب الكشاف كقوله ويوت من لدنه اجرا
عظيما في ان المراد التفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته قوله ولهديناهم اي لارشدناهم
الى دين مستقيم يريد دين الحنيفية لا دين اليهودية قال الامام انه تعالى جمع في هذه الاية فوايد كثيرة كل واحد منها
يدل على عظم الاجر منها انه ذكر نفسه بصيغة العظمة وهو قوله لاتيناهم وقوله من لدنا والمعطي الكريم الحكيم اذا ذكر نفسه
باللفظ الدال على العظمة عند الوعد بالعطية دل ذلك على عظمة تلك العطية ومنها قوله من لدنا وهذا التخصيص يدل
على المبالغة كما في قوله وعلمناه من لدنا علما ومنها ان الله وصف هذا الاجر بالعظيم والشي الذي وصفه اعظم العظماء
بالعظمة لا بد ان يكون في نهاية الجلالة وكيف لا يكون عظيما وقال عليه السلام ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ◉ لما امر الله بطاعته وطاعة الرسول بقوله
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ثم زيف طريقة الذين تحاكموا الى الطاغوت وصدوا عن الرسول ثم اعاد
الامر بطاعة الرسول مرة اخرى فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ثم رغب في تلك الطاعة بقوله لكان خيرا
لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما اكد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول
في هذه الاية مرة اخرى فقال ومن يطع الله والرسول وقوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين بيان لقوله تعالى
انعمت عليهم في قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقيل نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله وكان
شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ويعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين
واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا فانزل الله هذه الاية وقيل
قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لا نراك الا في الدنيا فاما في الاخرة فانك
ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فانزل الله هذه الاية قال الامام قال المحققون لا ننكر صحة هذه الروايات الا ان سبب
نزول هذه الاية يجب ان يكون شيا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانك تعلم ان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العلى والمراتب
العظمى عند الله قوله ومن يطع الله والرسول يوجب الاكتفا بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت

حصول

حصول ذلك المسمى مرة واحدة قيل ومن يطع الله في الفرايض والرسول في السنن وقيل ومن يطع الله في كونه الها وطاعته
كونه الها معرفته بالاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال
المعاد فالاول هو ان تنشا جميع السعادات يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه
اكثر وصفاوها اقوى وبعدها عن التكدر بمحبة عالم الاجسام اتم كان الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل
والثاني انه تعالى ذكر في الاية المتقدمة وعد اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجزيل والهداية الى الصراط المستقيم
ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا الذي وقع به الختم لا بد وان يكون
اشرف واجل مما قبله ومعلوم انه ليس المراد من كونهم معهم انهم يكونون في عين تلك الدرجات لان هذا ممتنع بل لا
بد وان يكون معناه ان الارواح الناقصة اذا استكملت علايقها مع الارواح الكاملة في الدنيا بسبب الحب الشديد فاذا فارقت
هذا العالم ووصلت الى عالم الاخرة بقيت تلك العلايق الروحانية هناك ثم تصير تلك الارواح الصافية كالمرايا المجلوة
المتقابلة فكما ان هذه المرايا تنعكس الشعاع في بعضها على البعض وبسبب هذه الانعكاسات تصير انوارها في غاية القوة
فكذا القول في تلك الارواح فانها لما كانت مجلوة بصقالة المجاهدة عن غبار حب ما سوى الله وذلك هو المراد من طاعة الله
وطاعة الرسول ثم ارتفعت الحجب الجسمانية اشرقت عليها انوار جلال الله ثم انعكست تلك الانوار من بعضها الى البعض
فصارت الارواح الناقصة كاملة بسبب تلك العلايق الروحانية فهذا الاحتمال يتحقق وليس المراد بكون هؤلاء
مع من انعم الله عليهم كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وانه لا
بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا
واذا ارادوا الزيادة والتلاقي قدروا عليه فهذا هو المراد من هذه المعية ذكر الله تعالى بعد النبيين اصنافا ثلثة الصديقين
والشهداء والصالحين واتفقوا على ان النبيين مغايرون للصديقين والشهداء والصالحين فاما هذه الاصناف
الثلثة فقد اختلفوا فيها فقيل هذه الثلثة تغايرهم باعتبار الاوصاف الثلثة فالاوصاف الثلثة متداخلة فانه يصح
في الشخص الواحد ان يكون صديقا وشهيدا وصالحا فيجوز ان يكونوا كلهم صنفا واحدا وقيل كل واحد صنف من الناس مغاير
لصنف اخر لان المعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فكما ان النبيين غير من ذكر بعدهم فكذلك الصديقون
يجب ان يكونوا غير من ذكر بعدهم وكذا القول في سائر الصفات والصديق من عادته الصدق وكل من غلب على عادته
فعل اذا وصف بذلك الفعل قيل فعيل كما يقال سكير وشريب والصدق صفة كريمة فاضلة من صفات المؤمنين
وكفى الصديق فضيلة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى الكذب مذمة ان الكفر ليس الا التكذيب وقيل الصديقون
الذين لا يتخالج فيهم شك يدل عليه قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقيل هم افاضل
صحابة الانبيا الذين تقدموا في تصديقهم وقيل هم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين تقدموا في تصديقه
وكان ابو بكر رضي الله عنه اولى الخلق بهذا الوصف لانه سبق الى تصديق الرسول عليه السلام فانه قد اشتهرت الرواية
عن الرسول انه قال ما عرضت الاسلام على احد الا وله كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم دل هذا الحديث على انه صلى الله
عليه وسلم لما عرض الاسلام على ابي بكر قبله ابو بكر ولم يتوقف فلو قدرنا ان اسلامه تاخر عن اسلام غيره لزم ان يقال ان
النبي صلى الله عليه وسلم قصر حيث اخر عرض الاسلام عليه وهذا لا يكون فتعين ان ابا بكر يكون متقدما في عرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما بطل نسبة هذا التقصير الى الرسول علمنا انه صلى الله عليه وسلم ما قصر في عرض الاسلام
عليه والحديث يدل على ان ابا بكر رضي الله عنه اسبق الناس اسلاما قال الامام ان ابا بكر رضي الله عنه قدوة سائر
الناس في ذلك الوقت انه على تقدير ان يقال ان اسلام علي كان سابقا على اسلام ابي بكر الا انه لا شك في ان عليا
ما صار قدوة في ذلك الوقت لانه كان في ذلك صبيا صغيرا في تربية الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان ابو بكر شديد الحرص
والقرابة منه واما ابو بكر فانه كان شيخا معظما سابقا للناس في الاسلام وذلك لانهم اتفقوا على انه رضي الله عنه
لما امن جاء بعد ذلك بمدة قليلة عثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم
حتى اسلموا فكان اسلامه سببا لاقتداء اولئك الاكابر به فثبت انه رضي الله عنه كان اسبق الناس اسلاما وثبت
ان اسلامه سببا لاقتداء اولئك الاكابر فثبت انه رضي الله عنه كان اسبق الناس اسلاما وثبت ان اسلامه
صار سببا لاقتداء افاضل الصحابة في ذلك فثبت ان احق الامة بهذه الصفة ابو بكر رضي الله عنه وهذا يفيد انه
افضل الخلق بعد رسول الله لانه لما كان اسلامه اسبق من اسلام غيره وجب ان يكون ثوابه اكثر لقوله صلى الله عليه
وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ولانه بعد ان اسلم جاهد في الله وصار جهاده
مفضيا الى حصول الاسلام لاكابر الصحابة مثل عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن مظعون رضي الله
عنهم وجاهد علي رضي الله عنه يوم احد ويوم الاحزاب في قتال الكفار ولكن جهاد ابي بكر افضى الى حصول الاسلام
لمثل هؤلاء الذين هم اعيان الصحابة وجهاد علي افضى الى قتال الكفار ولا شك ان الاول افضل وايضا فان
ابا بكر جاهد في اول الاسلام حين كان الدين ضعيفا وعلي انما جاهد يوم احد ويوم الاحزاب وكان الاسلام قويا
في هذه الايام ومعلوم ان الجهاد وقت الضعف افضل من الجهاد وقت القوة ولهذا المعنى قال تعالى لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فبين ان نصرة الاسلام وقت ضعفه
اعظم ثوابا من نصرته بعد قوته فثبت من مجموع ما ذكرنا ان افضل الناس بعد الانبيا ابو بكر فلهذا اجمع المسلمون على

هذا الاسم له الا من لا يلتفت اليه فانه ينكره ودل تفسير الصديق بما ذكرنا على ان لا مرتبة بعد النبوة في الفضل والعلو
الا هذا الوصف وهو كون الانسان صديقا وكما دل الدليل عليه فقد دل لفظ القرآن عليه فانه اينما ذكر الصديق
والنبي لم يجعل بينهما واسطة فقال في صفة اسمعيل انه كان صديقا نبيا وقال في هذه الاية من النبيين والصديقين
اي لا واسطة بين الصديق والنبي فان الترقي من الصديقية الى النبوة والتنزل من النبوة الى الصديقية وقال والذي
جاء بالصدق وصدق به فلم يجعل بينهما واسطة وكما دلت هذه الدلائل على نفي الواسطة فقد وفق الله هذه الامة الموصوفة
بانها خير امة حتى جعلوا الامام بعد الرسول عليه السلام ابا بكر على سبيل الاجماع ولما توفي رضي الله عنه دفنوه الى جنب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ذاك الا ان الله رفع الواسطة بين النبيين والصديقين قوله والشهداء هم الذين استشهدوا في
سبيل الله وقيل الشهداء هم القائمون بالقسط وهم الذين ذكرهم الله في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
قائما بالقسط ويقال للمقتول في سبيل الله شهيد من حيث انه بذل نفسه في نصرة دين الله وشهادته له بانه الحق وما سواه
هو الباطل واذا كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله في الاخرة كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس والصالحين هم الصالحون في اعتقادهم وفي عملهم فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في العمل واذا عرفت
تفسير الصديق والشهيد والصالح ظهر ما بين هذه الصفات من التفاوت فان كل من كان اعتقاده صوابا وعمله طاعة فهو صالح
والصالح قد يكون شهيدا لدين الله بانه الحق وما سواه باطل وهذه الشهادة تارة بالحجة واخرى بالسيف وقد يكون الصالح من لا
يكون قائما بهذه الشهادة فثبت ان كل من كان شهيدا كان صالحا وليس كل من كان صالحا كان شهيدا فالشهيد اشرف من الصالح
والشهيد قد يكون صديقا وقد لا يكون فثبت ان كل من كان صديقا كان شهيدا وليس كل من كان شهيدا كان صديقا
فثبت ان افضل الخلق الانبياء وبعدهم الصديقون وبعدهم من ليس له درجة الا محض درجة الشهادة وبعدهم من ليس
له الا محض درجة الصلاح فمثال النبوة ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديق ابو بكر الصديق والشهداء
عمر وعثمان وعلي والصالحون سائر الصحابة رضي الله عنهم وحسن اولئك رفيقا الرفيق فعيل من الرفق وهو لين الجانب ولطافة الفعل
وصاحبه رفيق لارتفاقك به وبصحبته ومن هذا قيل للجماعة في السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض والرفيق كالصديق
والخليط يستوي الواحد والجمع فيه وقيل يجوز ان يكون رفيقا مفردا بين به الجنس في باب التمييز وهو نصب على التمييز
وقيل على الحال اي حسن كل واحد منهم مرافقا قال صاحب الكشاف وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما
احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن
وجهك بالضم والفتح مع التسكين بين الله تعالى من اطاع الله ورسوله انه يكون مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولم يكتف بذلك بل ذكر انه يكون رفيقا لهم فهؤلاء المطيعون يرتفقون بهم اي ينالون منهم رفقا وخيرا
فان الانسان قد يكون مع غيره وقد لا يكون رفيقا له واما اذا كان كثير الشفقة شديد الاحسان ثبت انه كان رفيقا لمعنى
تحت ان النبيين والصديقين والشهداء والصالحين رفقاء لهم لشدة محبتهم وسرورهم برؤيتهم قوله ذلك اي جميع
ما ذكر من الاجر العظيم والهداية الى الصراط المستقيم ومرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين فضل من الله تفضل به عليهم ليس بواجب عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وذلك مبتدأ والفضل
صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره وكفى بالله عليما اي انه لا يضيع عمل عامل عنده لانه عليم
لا يخفى عليه شيء وله موقع عظيم في توكيد ما تقدم من الترغيب في طاعة الله لانه تنبيه يدل على انه تعالى يعلم كيفية الطاعة وكيفية
الجزاء والتفضل فانه مما يرغب العاقل في اكمال الطاعة واجتناب المعصية قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم
فانفروا ثبات او انفروا جميعا ● انه تعالى بعد الترغيب في طاعته وطاعة رسوله عاد الى ذكر الجهاد الذي تقدم فقال
يا ايها الذين آمنوا الحذر والحذر بمعنى واحد كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته
التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم جعل الحذر بمنزلة السلاح
قال تعالى خذوا حذركم وقال تعالى وليأخذوا اسلحتهم ونظيره قوله تعالى تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان متبوأ بمنزلة الدار
اي هم متمكنون في الايمان كتمكنهم في الدار وقوله فانفروا اي اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او
جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني
كنت معهم فافوز فوزا عظيما ● قوله وان منكم يجب ان يكون راجعا الى المؤمنين الذين ذكرهم الله بقوله يا ايها الذين
آمنوا خذوا حذركم قيل نزلت هذه الاية في المؤمنين لان الله خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق الله تعالى بين المؤمنين
والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم وقيل انها نزلت في المنافقين وانما جمع الله بينهم في الخطاب من جهة الجنس
والنسب لا من جهة الايمان واللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله لغفور واللام في قوله ليبطئن جواب قسم محذوف
تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع من الصلة الى الموصول ما استكن في
ليبطئن ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ والمبطئون منهم المنافقون
لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا فان قيل اذا كان المبطئون منافقين فكيف جعلهم من المؤمنين في قوله وان منكم اجيب بانه
جعلهم من المؤمنين باعتبار الجنس والنسب والاختلاط وبحسب الظاهر لانهم كانوا في الظاهر متشبهين باهل الايمان
او باعتبار زعمهم ودعواهم وقيل ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المؤمنين والتبطئة بمعنى الابطاء ايضا وفائدة التشديد تكرير

الفعل منهم

والبريد

الفعل منهم وحكى اهل اللغة ان العرب تقول ما ابطأ بك يا فلان عنا فعداه بالباء فدل على انه في نفسه غير متعد وفي نفسه فعلى
هذا معنى الاية ان منكم من يبطئ عن هذا الغرض ويتثاقل عن هذا الجهاد فان ظفر المسلمون تمنوا ان يكونوا معهم ليأخذوا
الغنيمة وان اصابتهم مصيبة سرهم ان كانوا متخلفين وهؤلاء هم الذين ارادهم الله بقوله ليبطئن اي ابطأ انهم لا تثبيط
غيرهم ما حكاه تعالى من قولهم يا ليتني كنت معهم عند الغنيمة ولو كان المراد تثبيط الغير لم يكن لهذا الكلام معنى وقيل هذا القول
ضعيف لانه تعالى حكى ان هؤلاء المبطئين يقولون عند مصيبة المؤمنين قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا فيعد قعوده
عن القتال نعمة من الله ومثل هذا الكلام لا يليق بالمؤمنين وايضا لا يليق بالمؤمنين ان يقال لهم كان لم يكن بينكم وبينه مودة حمل
ليبطئن على معنى الابطاء والتثاقل يصح في المنافقين لانهم كانوا يتأخرون عن الجهاد ويتثاقلون ولا يسرعون اليه وان حمل على
تثبيط الغير صح ايضا فيهم فانهم كانوا يثبطون كثيرا من المؤمنين عما يوجب عليهم من انواع التلبيس وكلا الوصفين صحيح
في المنافقين واكثر المفسرين حملوه على تثبيط الغير وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد قوله
فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة او جهد من العيش قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي شاهدا حاضرا حتى
تصيبني ما اصابهم من البلاء والشدة ولئن اصابكم فضل من الله من فتح وظفر وغنيمة ليقولن وقوله كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو قوله يا ليتني والمعنى كان لم تتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى
عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم
كان لم تكن بالتاء المنقوطة من فوق والباقون بالياء المنقوطة من تحت لتقدم الفعل وكلا القراءتين قد جاء التنزيل بهما
قال تعالى قد جاءتكم موعظة من ربكم وقد جاءه موعظة من ربه فالتأنيث هو الاصل والتذكير حسن اذا كان التأنيث غير حقيقي
سيما اذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل قوله فافوز فوزا عظيما اي آخذ نصيبا وافرا من الغنيمة فافوز نصب على جواب التمني
بالفاء وفي التمني معنى ليتني بفعل فافعل قوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ● قيل نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن احد وقيل
نزلت في المؤمنين المخلصين اعلم ان يشرون قد يجيء بمعنى يشترون ويبيعون وهو من الاضداد قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامه   فعلى هذا القول الاول يشرون بمعنى يشترون اي المنافقون المبطئون الذين يشرون
الحياة الدنيا بالاخرة ينبغي ان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق
الجهاد وعلى القول الثاني يشرون بمعنى يبيعون اي المؤمنون المخلصون الذين يبيعون الحياة الدنيا بالاخرة ويختارون
الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها ينبغي ان يقاتلوا في سبيل الله يعني ان صد هؤلاء المبطئون الذين مرضت قلوبهم
وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في سبيل الله الذين آثروا الحياة الآجلة الباقية على العاجلة
الفانية والاولى ان يحمل على الفريقين حملا للمشترك على المعنيين فانه يفيد المعنى المقصود على ابلغ الوجوه واتمها واحسنها
ثم قال ومن يقاتل سواء كان من المبطئين او من المخلصين ظافرا او مظفورا به فسوف نؤتيه اجرا عظيما على اجتهاده في اعزاز
[illegible]
قوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء
الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ● [illegible]
فالمؤمنون يقاتلون [illegible] في سبيل الطاغوت [illegible]

وتشجيعهم تشجيعا بالجنان انهم انما يقاتلون في سبيل الله وهو وليهم وناصرهم واعداؤهم اي الذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت اي الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان والمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه
قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا
قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ۝ قيل نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن
الاسود وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا
الى المدينة يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله ايذن لنا في قتال هؤلاء فانهم قد آذونا
فيقول لهم رسول الله كفوا ايديكم عن القتال فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله عز وجل بقتال المشركين
وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بدر شق القتال كراهة بعضهم فشق عليهم فانزل الله هذه الآية وقيل
نزلت في المنافقين لان الآية مشتملة على امور تدل على انها مختصة بالمنافقين منها قوله تعالى في وصفهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية وهذا الوصف لا يليق الا بالمنافق لان المؤمن لا يجوز ان يكون خوفه من الناس ازيد من خوفه
من الله ومنها انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال والاعتراض على الله ليس الا من صفة الكفار والمنافقين
ومنها انه تعالى قال للرسول قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهذا الكلام يذكر مع من كانت رغبته في الدنيا اكثر من
رغبته في الآخرة وذلك من صفات المنافقين اجيب عن هذه الوجوه بان حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع كالخشية
المذكورة فهذه الآية محمولة على هذا المعنى وقولهم لم كتبت علينا القتال محمول على التمني لتخفيف التكليف لا على وجه الانكار
لا اعتراضا على الله وقوله قل متاع الدنيا قليل مذكور لا لان القوم كانوا منكرين لذلك بل لاجل ان سماعه لهم هذا الكلام مما
يهون على القلب امر هذه الحياة فيقع لهم من قلبه نفرة القتال وحب الحياة ويقدمون على الجهاد بقلب قوي وحمل هذه
الآية على المنافقين لانه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك وقد دلت الآية على ان ايجاب الصلاة والزكاة كان مقدما على ايجاب القتال قوله كخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول ومحله من الاعراب النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين
لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله فاشد معطوف على الحال وقيل
كخشية الله صفة لمصدر محذوف تقديره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قيل لا يجوز ان يكون
قوله كخشية الله صفة لمصدر محذوف لان قوله او اشد خشية معطوف على قوله كخشية الله وهما في حكم واحد
المعطوف عليه لا يجب ان يكون المعطوف عليهما ايضا فاذا قيل يخشون الناس اشد خشية لم يكن قوله اشد خشية الا حالا
عن ضمير الفاعل اي الواو في يخشون ولا ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية
وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم
الا ان تجعل الخشية خاشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية او
خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على
خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية من خشية الله قوله او اشد يوهم الشك وذلك على علام الغيوب
محال وفيه وجوه من التأويل الاول ان المراد منه الابهام على المخاطب بمعنى انهم على احد الوصفين من المساواة والشدة وذلك
لان كل واحد من الخوفين بالنسبة الى الآخر اما انقص او ازيد او مساو فبين الله بهذه الآية ان خوفهم من الناس ليس انقص
من خوفهم من الله بل بقي اما ان يكون مساويا واما ان يكون ازيد فلا يكون الابهام بالنسبة الى المخاطب الثاني ان يكون بمعنى
الواو والتقدير كخشية الله واشد خشية وليس بين هذين القسمين منافاة لان من هو اشد خشية معه من الخشية
خشية مثل خشية الله وزيادة الثالث ان هذا نظير قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول هذا الكلام
فكذا هاهنا ثم قال تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال القائلون ان كانوا مؤمنين انما قالوا ذلك لضجرهم من الموت وحبا
للحياة لا اعتراضا وان كانوا منافقين فمعلوم انهم كانوا منكرين لكون الرب تعالى كتب القتال عليهم فقالوا ذلك على معنى
انه تعالى كتبه عليهم بزعم الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله ثم قال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
عن القتال واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وهذا كالعلة لكراهتهم لايجاب القتال عليهم
اي هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا ثم انه تعالى اجاب عن شبهتهم فقال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى لان نعم الدنيا
منقطعة قليلة مشوبة بالغموم والهموم والمكاره مشكوكة ونعم الآخرة كثيرة مؤبدة صافية عن الكدر خالية عن المنغصات
يقينية لكن نعم الآخرة انما تحصل للمؤمنين المتقين عن الشرك والنفاق قوله ولا تظلمون فتيلا قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء على انه راجع على المذكورين في قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا والباقون بالتاء على سبيل الخطاب اي لا ينقص من ثواب
اعمالكم مثل فتيل النواة وهو ما تفتله بيديك ثم تلقيه احتقارا قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة ۝ هذا تبكيت من حكى عنهم انهم عند فرض القتال يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال فقال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت وفي الجهاد موت مستعقب لسعادة
الآخرة فاذا كان لا بد من الموت فبان يقع على وجه يكون مستعقبا للسعادة الابدية كان اولى من ان لا يكون كذلك وما في
اينما تأكيد الشرط وقوله يدرككم جواب الشرط ولو كنتم في بروج حصون مشيدة مطولة رفيعة وقيل يعني بروج السماء

الآية عشر يقال شاد بناؤه واشاده وشيده اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص قوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
قيل انه حكى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين من الموت غير راغبين الى سعادة الآخرة حكى عنهم في هذه الآية
خصلة اخرى اقبح من الاولى وقيل ان الخائفين من الموت المتثاقلين في الجهاد من عادتهم انهم اذا جاهدوا فاذا اصابتهم حسنة
غنيمة وظفر بها قالوا هذه من عند الله وان اصابتهم سيئة قالوا هذه من شؤم مصاحبة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يدل
على غاية حمقهم وجهلهم وشدة عنادهم وقيل ان الآية نزلت في المنافقين واليهود وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فانزل الله عز وجل وان
تصبهم يعني اليهود والمنافقين حسنة اي خصب ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله لنا وان تصبهم جدب
وغلاء اسعار وقحط المطر يقولوا هذه من عندك اي من شؤم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل الحسنة النصر على الاعداء
والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة اعلم ان الحسنة تقع على النعمة والطاعة قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات وتوكيد وان تصبهم حسنة يفيد العموم في كل الحسنات وكذا قوله وان تصبهم
سيئة يفيد العموم في كل السيئات فقوله قل كل من عند الله يفيد ان جميع الحسنات والسيئات من عند الله والطاعات
والمعاصي داخلتان تحت الحسنة والسيئة فالآية دالة على ان جميع الطاعات والمعاصي من الله قيل الحسنة والسيئة هاهنا ليست
هي الطاعة والمعصية لان الآية نزلت في الخصب والجدب فكانت مختصة بهما ولان الحسنة التي هي الطاعة لا يقال
فيها اصابتني فان العرب لا تقول اصابت فلانا حسنة واصابته سيئة بمعنى عمل طاعة ومعصية ثم لو كان المراد
الطاعة والمعصية لقال ان اصبتم حسنة ولان لفظ الحسنة واقع بالاشتراك على النعمة والطاعة وقد اجمع المفسرون
على ان النعمة مرادة فلا تكون الطاعة مرادة اذ لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا اجيب بان خصوص السبب
لا يمنع افادة العموم وبانه يصح ان يقال اصابه توفيق من الله وعون منه واصابه خذلان منه ويكون المراد من التوفيق والعون
الطاعة ومن الخذلان المعصية وبانه يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه او يراد بالحسنة المنفعة فان كانت
المنفعة اخروية فهي الطاعة وان كانت دنيوية فهي السعادة الحاضرة فاسم الحسنة بالنسبة اليهما بطريق التواطؤ
ومما يؤيد هذا المعنى ان فاعل الممكنات باسرها هو الله تعالى للبرهان القاطع كما هو مبين في اصول الدين ثم قال تعالى فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا لما كان البرهان القاطع على ان الكل من عند الله في غاية الوضوح والجلاء قال تعالى فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا على طريق التعجب لعدم فهمهم مع الظهور والوضوح قوله تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال ابو علي الجبائي قد ثبت ان لفظ السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة
تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها
الى العبد بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق بين هاتين الآيتين وازالة التناقض عنهما
ولما كانت السيئة بمعنى البلاء والشدة مضافة الى الله وجب ان تكون السيئة بمعنى المعصية مضافة الى العبد حتى
يزول التناقض بين هاتين الآيتين قال وقد حمل المخالفون انفسهم على تغيير الآية وقرأوا فمن نفسك فغيروا القرآن وسلكوا
مثل طريقة الرافضة في ادعاء التغيير في القرآن ثم قال فان قيل فلماذا فصل تعالى بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فاضاف الحسنة
التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة وكلاهما فعل العبد عندكم قلنا لان الحسنة وان كانت من فعل العبد فانما وصل اليها
بتسهيله والطافه فصحت الاضافة اليه واما السيئة التي هي من فعل العبد فهي غير مضافة الى الله تعالى لا بانه تعالى فعلها ولا
ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها فلا جرم انقطعت اضافة هذه السيئة من جميع الوجوه الى الله تعالى هذا منتهى كلام الرجل
وهنا الموضع ونحن نقول هذه الآية دالة على ان الايمان حصل بتخليق الله والقوم لا يقولون به فصاروا محجوجين بالآية بيانها
ان الآية دالة على ذلك لان الايمان حسنة وكل حسنة فمن الله واما قلنا ان الايمان حسنة لان الحسنة هي الغبطة الخالية
من جميع جهات القبح ولا شك ان الايمان كذلك فوجب ان يكون حسنة لانهم اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
المراد به كلمة الشهادة وقيل في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان هو قول لا اله الا الله فثبت ان الايمان حسنة واما قلنا ان كل حسنة
من الله لقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وقوله ما اصابك من حسنة يفيد العموم في جميع الحسنات ثم حكم على جميعها
بانها من الله فيلزم من هاتين المقدمتين ان الايمان حسنة وكل حسنة من الله فالقطع بان الايمان من الله فان قيل لم لا يجوز
ان يكون المراد من قوله من الله هو ان الله اقدره عليه وهداه الى معرفة حسنه والى معرفة قبح ضده الذي هو الكفر قلنا جميع الشرائط
مشتركة بالنسبة الى الايمان والكفر عندكم ثم ان العبد باختياره اوجد الايمان باختياره ونفسه ليوجد الايمان ولا مدخل لقدرة الله
واعانته في نفس الايمان وكان الايمان منقطعا عن الله من كل الوجوه وكان هذا مناقضا لقوله ما اصابك من حسنة فمن الله
بيان دلالة هذه الآية ان الايمان من الله والخصوم لا يقولون به فصاروا محجوجين في هذه المسألة ثم قال الامام اذا ثبت ان
الكفر ايضا من الله لعدم القائل بالفصل وجوابا اولا ان كل من قال ان الايمان من الله قال الكفر من الله وكل من قال الايمان من العبد قال
الكفر من العبد فالقول بان احدهما من الله والآخر من العبد خلاف الاجماع الثاني ان العبد لو قدر على تحصيل الكفر فالقدرة الصالحة لايجاد
الكفر اما ان تكون صالحة لايجاد الايمان او لا تكون فان كانت صالحة لايجاد الايمان فحينئذ يعود القول بان ايمان العبد منه
وان لم تكن صالحة لايجاد الايمان فحينئذ يكون القادر على الشيء غير قادر على ضده وذلك عندكم محال ولانه على هذا التقدير يكون
القدرة موجبة للمقدور وذلك يمنع من كونه قادرا عليه فثبت انه لما لم يكن الايمان منه وجب ان لا يكون الكفر منه الثالث ان العبد

لما لم يكن موجدا للايمان فبان لا يكون موجدا للكفر اولى وذلك لان المستقل بايجاد الشيء هو الذي يمكنه تحصيل مراده
ولا ترى في الدنيا عاقلا الا ويريد ان يكون الحاصل في قلبه هو الايمان والمعرفة والحق وان احدا من العقلاء لا يريد ان يكون
الحاصل في قلبه هو الايمان والمعرفة والحق وان احدا من العقلاء لا يريد ان يكون الحاصل في قلبه هو الجهل والضلال والاعتقاد
الخطأ فاذا كان العبد موجدا لافعال نفسه وهو لا يقصد الا تحصيل العلم الحق المطابق وجب ان لا يحصل في قلبه الا الحق
فاذا كان الايمان الذي هو مقصوده ومطلوبه ومراده لم يقع بايجاده فبان لا يكون الجهل الذي ما اراده وما قصد تحصيله
وكان في غاية النفرة عنه والفرار منه غير واقع بايجاده وتكوينه كان ذلك اولى والحاصل ان الشبهة في ان الايمان واقع
بقدرة العبد اشد من الشبهة في وقوع الكفر بقدرته ثم بين الله في الايمان انه منه ثم ان الكفر الذي ذكرنا اولى بالكلام
في بيان دلالة هذه الاية على مذهبنا اما ما احتج الجبائي على مذهبه من قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فالجواب
عنه من وجهين الاول انه تعالى قال حكاية عن ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفين اضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله ولم
يقدح ذلك في كونه تعالى خالقا للمرض والشفاء بل انما فصل بينهما رعاية للادب فكذا ههنا كانه قيل الايمان الذي وقع على وفق
قصده قد بينا انه ليس واقعا بل من الله فهذا الكفر ما قصده وما اراده وما رضي به البتة اولى ان لا يدخل في العقل انه واقع
به فاما بينا ان الحسنة في هذه الاية يدخل فيها الايمان والسيئة يدخل فيها الكفر اما قراءة من قرأ فمن نفسك فنقول ان صح انه
قرأ بهذه الاية واحد من الصحابة والتابعين فلا طعن فيه وان لم يصح ذلك فالمراد من حمل الاية على انها وردت على سبيل
الاستفهام على وجه الانكار كان المراد انه غير مضاف اليهم فذكرنا القائل قوله فمن نفسك كقولنا انه استفهام على
سبيل الانكار ومما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الايات اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله تعالى بعد هذه الاية
وارسلناك للناس رسولا يعني ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد بلغت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك
وعدم تقصيرك في اداء الرسالة والتبليغ ومن حصل ذلك فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله ونظيره قوله تعالى ليس لك من
الامر شيء وقوله انك لا تهدي من احببت وقوله للناس اي رسولا للناس جميعا لا للعرب وحدهم بل انت رسول العرب والعجم
كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي
لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا
ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا ● قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله
فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فانزل الله عز وجل الاية اي من يطع الرسول
فيما امره فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امره به والانتهاء عما
نهى عنه طاعة لله ومن تولى عن طاعة الله فاعرض عنه فما ارسلناك يا محمد الا نذيرا وما ارسلناك حفيظا حافظا من المعاصي
والاعراض ويقولون اي المنافقون كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا آمنا بك فمرنا فامرك طاعة وهم يكفرون به
في السر وقوله طاعة مرفوعة على امرنا طاعة او شاننا طاعة او امرك طاعة وكذا قوله تعالى لا تقسموا طاعة معروفة
اي قولوا سمع وطاعة وقول معروف وليست مرتفعة بقولهم بل هي مرتفعة على الوجه الذي ذكر قال سيبويه سمعنا بعض
العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء
عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة اي زورت طائفة
وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وامرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة وانما ينافقون بما يقولون
والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها
ويسويها وقيل هيأ وقيل غير وبدل الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم والله يكتب يحفظ عليهم ما يبيتون اي ما يغيرون
ويفعلون ويقدرون والمعنى يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم على سبيل الوعيد وقيل يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك
على اسرارهم فلا يحسبوا ان تبييتهم يخفى عليه قال ابن عباس يعني ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم يا محمد ولا تعاقبهم ولا تحدث
نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وفسادهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام
وعز انصاره فان قيل ما السر في انه تعالى ذكر جميعهم ثم صرف الخطاب عن جملتهم الى طائفة منهم قيل انه انما عبر عن حال من علم
انه بقي على كفره ونفاقه فاما من علم انه رجع عن ذلك فانه صفح عن ذكرهم وقيل انه عبر عن حال من شهد تلك الليلة ودبر في امرهم وما
سكت فانه لم يذكرهم قوله من يطع الرسول من اقوى الدلائل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطأ
في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وفي جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله فاتبعوه والمتابعة هي الاتيان بمثل
فعل الغير على الوجه الذي اتى به ذلك الغير فكان الاتي بمثل ذلك الفعل مطيعا لله في قوله فاتبعوه فثبت الانقياد لكل
اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة لله قال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة في باب فرض طاعة الرسول ان قوله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء والصلاة والزكوة والصوم والحج
وسائر الابواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن فحينئذ لا سبيل لنا الى القيام بتلك التكاليف الا ببيان
الرسول واذا كان الامر كذلك لزم القول بان طاعة الرسول عين طاعة الله فيكون قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
يدل على ابطال قول من زعم ان السنة تعرض على الكتاب ثم يعمل بها وذلك ان كل ما نص الله عليه فانما هو فرض ما في الكتاب
فاذا عدم النص من الكتاب وردت به السنة وجب اتباعها ومن خالفها فقد خالف رسول الله ومن خالف رسول الله

فقد خالف الله

فقد خالف الله لان طاعة رسول الله طاعة الله فمن زعم انه لا يقبل خبره الا بعد العرض على الكتاب فقد ابطل حكم هذه
كتاب الله الاية الدالة على ان من لم يعتقد الطاعة فليس بمطيع على الحقيقة لان الله لم يحقق طاعتهم فيما اظهروه فقال ويقولون
طاعة فلو كانت الطاعة حقيقة بلا اعتقاد لحكم لهم بها فثبت انه لا يكون المطيع مطيعا الا باعتقاد الطاعة مع وجودها قرا ابو عمرو
وحمزة بيت طائفة بادغام التاء في الطاء لانهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وسكنت التاء لكثرة الحركات فادغمت في الطاء لان التاء والطاء من مخرج واحد
فالتقارب الذي بينهما يجريهما مجرى الامثال في الادغام ومما يحسن هنا الادغام ان الطاء تزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام
الانقص صوتا في الازيد صوتا والباقون بالاظهار لانهما حرفان من مخرجين في كلمتين منفصلتين فوجب ابقاء كل منهما على حاله
قيل كان الامر بالاعراض عن المنافقين في ابتداء الاسلام ثم نسخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا
الكلام ضعيف لان الامر بالاعراض مطلق فلا يفيد الا المرة الواحدة فورود الامر بعد ذلك بالجهاد والغلظة لا يكون ناسخا له
قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ● لما حكى الله عن المنافقين انواع
مكرهم وكيدهم وكان كل ذلك لاجل انهم ما كانوا يعتقدون كونه محقا في ادعاء الرسالة صادقا فيه بل كانوا يعتقدون
ان القرآن من عند غيره امرهم الله تعالى بقوله افلا يتدبرون تدبر الامر تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه
ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تدبر معانيه وتبصر ما فيه قيل ظاهر الاية يدل على انه تعالى احتج بالقرآن
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ لو لم تحمل الاية على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها ويبين ان دلالة القرآن على صدق
محمد من ثلاثة اوجه فصاحته واشتماله على الاخبار عن الغيب وسلامته من الاختلاف وفي الاية اشارة اليها لو كان القرآن
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من الوجوه المذكورة اي لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته
ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز في بلاغته وفصاحته وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه اخبارا
بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر كله صدق
اخبار وصحة معان علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قيل اليس قوله
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كالمناقض لقوله لا تدركه الابصار وقوله فاذا هي ثعبان مبين كالمناقض لقوله كأنها
جان وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين كالمناقض لقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وآيات الجبر كالمناقضة لايات
القدر اجيب بان لا منافاة ولا مناقضة بين شيء منها عند المتدبرين الراسخين في العلم والاية دالة على ان القرآن معلوم المعنى
خلاف من يقول انه لا يعلم معناه الا النبي والامام المعصوم لانه لو كان كذلك لما تهيأ للمنافقين معرفة ذلك بالتدبر ولما
امرهم به ولم يجعل القرآن حجة في صحة نبوته ولا عجزهم عن مثله حجة عليهم كما لا يجوز ان يحتج على كفار الزنج والاية دلت على وجوب
النظر والاستدلال وعلى القول بفساد التقليد لانه تعالى امر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته وعلى ان
القرآن من عند الله واذا كان لا بد فيهما من الاستدلال فلان يحتاج في معرفة ذات الله وصفاته الى الاستدلال كان اولى قوله
تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ● حكى الله عن المنافقين نوعا آخر من الاعمال الفاسدة
وذلك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون بالاستخبار عن حال السرايا
فيفشون ويحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله ويقال هم ناس من ضعفة المسلمين لم تكن لهم خبرة بالاحوال ولا استبطان
للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به
وافشوه وكان اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم الرؤساء من الصحابة
وهم كبار الصحابة البصراء بالامور مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا
به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها استنبط الماء من البئر اذا
استخرجه وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور والغلبة على بعض
الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه تدبير كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه
وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على
المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين
يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول
واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال: اذاع به في الناس حتى كأنه
بعلياء نار اوقدت بثقوب ● ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه والنبط الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر واستنباطه اخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني
والتدابير فيما يعضل ويهم وهذه الاية دالة على ان القياس حجة في الشرع لان قوله الذين يستنبطونه منهم صفة لاولي الامر
وقد اوجب الله على الذين يجيئهم امر من الامن او الخوف ان يرجعوا في معرفته اليهم في معرفة هذه الوقائع مع حصول النص
فيها او لا مع حصول النص فيها والاول باطل لانه على هذا التقدير لا يبقى الاستنباط لانه من روى النص في واقعة لا يقال
انه استنبط الحكم فثبت انه تعالى امر المكلف برد الواقعة الى من يستنبط الحكم فيها ولولا ان الاستنباط حجة لما امر المكلف
بذلك والقياس اما استنباط او داخل فيه فوجب ان يكون حجة والاية دالة على امور منها ان في احكام الحوادث ما لا يعرف بالنص

بل بالاستنباط ومنها ان الاستنباط حجة ومنها ان غير العلماء يجب عليه تقليد العلماء في احكام الحوادث ومنها
ان النبي عليه السلام كان مكلفا باستنباط الاحكام لانه تعالى امر بالرد الى الرسول والى اولي الامر ثم قال تعالى لعلمه
الذين يستنبطونه منهم ولم يخصص اولي الامر بذلك دون الرسول وذلك يوجب ان الرسول واولي الامر كلهم مكلفون
بالاستنباط قوله ولولا فضل الله ظاهر الاستثناء يوهم ان ذلك القليل وقع لا بفضل الله ولا برحمته ومعلوم ان ذلك
محال فلهذا اختلف المفسرون وذكروا وجوها فقيل هذا الاستثناء راجع الى قوله اذاعوا به الا قليلا فلم يذع
ولم يفش فاخرج الله بعض المنافقين عن هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة منهم غير الذي تقول بيانه ان علم السرايا
اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعة قد تكون في بعض دون بعض فلذلك استحسن الاستثناء من الاذاعة وقيل الاستثناء
عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه اي لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وقيل القول الاول اولى لان ما يعلم
بالاستنباط يعلمه الاقل ويجهله الاكثر وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك ورد هذا بانه ليس المراد من
هذا الاستنباط هنا ما يستخرجه بنظر دقيق وفكر عميق انما هو استنباط خبره الاكثر ونعرفه نحن الا الذي لا يعرفه هو البالغ
في البلادة والجهالة وهو قليل وهذا الرد انما يتمشى اذا حمل الاستنباط على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف اما اذا حمل
على الاستنباط في جميع الاحكام فلا وقيل انه متعلق بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال
الكتب وقيل فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القرآن والتقدير ولولا ارسال محمد والاسلام والقرآن لاتبعتم الشيطان
وكفرتم بالله الا قليلا منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم بعثة الرسول وعدم انزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان
يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وهم الذين كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل المراد بفضل الله ورحمته نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما فبين
تعالى انه لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اهل البصائر
النافذة والنيات الخالصة والعزائم القوية من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة
في الدنيا فاذا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه محقا ولا تواتر الانهزام والانكسار يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه
حقا وباطلا مبني على الدليل وعلى هذا الاستثناء في الاخير ظاهر لانه يصرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به ولمن صرفه الى
البعيد منه والاستثناء في الاقوال الثلثة عائد الى الفاعل ويحتمل ان يكون عائدا الى مصادر الافعال اي الا اذاعة
قليلا والا استنباطا قليلا والا اتباعا قليلا قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله
ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا ● لما ذكر في الآي التي قبلها تثبيطهم عن القتال واظهارهم
الطاعة واضمارهم خلافها حض على القتال وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى هو وابو سفيان يوم احد وكان
من امرهم ما كان ورجع ابو سفيان الى مكة واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى وخرج في القعدة فلما بلغ
الميعاد دعا الناس الى الخروج الى العدو فكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله الآية وقيل لما في قوله
تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب لانه يدل على معنى ان دنا العدو فقاتل في سبيل الله وقيل متصل
بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين والمعنى انه من اخلاق المنافقين كذا وكذا فلا تعبأ بهم ولا تلتفت الى افعالهم فقاتل دلت
على ان الله تعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد ولو وحده وقد دلت الآية على انه صلى الله عليه وسلم اشجع الخلق واعرفهم
بكيفية القتال لانه تعالى ما كان يأمره بذلك الا وهو صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفات ولقد اقتدى به ابو بكر
رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة قوله لا تكلف الا نفسك لا ضرر مكلف في فعل غيرك
فلا تهتم بتخلف من تخلف عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك والعلم بهذا تكليف الامر لانه يقتضي على هذا القول انه كان
غير مأمور الا بالقتال وحرض المؤمنين على الجهاد ورغبهم في الثواب وعرفهم فضل الشهادة وما عند الله في شانهم الاخرى
والترغيب يعتبر بفضل الجهاد لا التعنيف بهم وحرضهم رسول الله على الجهاد ورغبهم فيه فخفتا قلوا فيه ولم يخرج
معه الى القتال فخرج رسول الله في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله العدو فلم يوافهم ابو سفيان ولم يكن
قتال يومئذ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وذلك قوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي
قتال المشركين وصولتهم وهم قريش وقد كف باسهم والله اشد باسا من المشركين اي قريش واشد تنكيلا تعذيبا وعسى
عسى من الله واجب حيث كان وعدا وعسى في كلام العرب يعني اليقين قال ابن مقبل ظني بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون
جوائز الامثال فان قيل اذا كان من قولهم ان عسى من الله واجب وقد قال تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ونحن نراهم
في باس وشدة قلنا ذلك الوعد قد تم لهم قد قيل ان المراد منهم الكفرة الذين كف باسهم ببدر الصغرى وبالحديبية
كقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية وان كان ظاهرها العموم فالمراد منه الخصوص وقيل اراد به المدة التي امر الله فيها بالقتال
لئن قيل الكفر بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فعند ذلك يكف الله بأس الذين كفروا وهو الوقت
الذي ينزل فيه عيسى عليه السلام فيكون حكما مقسطا فيظهر الاسلام على الدين كله وقيل ان ذلك في القوم الذين قذف الله
في قلوبهم الرعب فخرجوا من ديارهم واموالهم بغير قتال المؤمنين لهم فهذا باس قد كفه الله تعالى عن المؤمنين وقيل اراد به اليهود
والنصارى الذين دخلوا في الجزية وتركوا المحاربة فكف باسهم عن المؤمنين وصاروا يؤدون الجزية صاغرين قوله تعالى
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل
شيء مقيتا ● قيل لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغبهم في القتال ويحرضهم عليه وكان بعض المنافقين يشفع

الى النبي

الى النبي صلى الله عليه وسلم في ان ياذن لبعضهم في التخلف عن الغزو فنهى الله عن مثل هذه الشفاعة وبين ان الشفاعة انما تحسن
اذا كانت وسيلة الى اقامة طاعة فاما اذا كانت وسيلة الى معصية كانت محرمة منكرة وقيل ان بعض المؤمنين في الجهاد
لكنه لم يجد اهبة الجهاد فيصير المؤمن شفيعا له الى مؤمن آخر ليعينه على الجهاد فكانت هذه شفاعة في اقامة الطاعة
فرغب الله في مثل هذه الشفاعة فانزل الله هذه الآية والشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب
اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة
ما كان بخلاف ذلك عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في نفسك
لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشفاعة الحسنة ان تشفع ايمانا بالله بقتال
الكفار والشفاعة السيئة ان تشفع كفرا بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها
في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقيل الشفاعة التي بين الناس بعضهم لبعض في حاجة
في الدنيا ان تشفع فيما يجوز فهي شفاعة حسنة وما لا يجوز ان تشفع فيه فهي شفاعة سيئة قال الحسن من يشفع شفاعة
حسنة كان له فيها اجر وان لم يشفع لان الله تعالى قال من يشفع ولم يقل من يشفع وتأييده قوله صلى الله عليه
وسلم اشفعوا تؤجروا والكفل الحظ مأخوذ من قولهم كفلت البعير واكتفلته اذا ادرت على سنامه كساء وركبت عليه
وانما قيل كفل واكتفل البعير واكتفلته اذا ادرت على سنامه كساء وركبت عليه وانما قيل كفل واكتفل البعير لانه لم يستعمل
كل الظهر انما استعمل نصيبا من الظهر والاكثار فان قيل لم قال في الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها وقال في الشفاعة
السيئة يكن له كفل منها وهل لاختلاف هذين اللفظين فائدة قلنا الكفل اسم للنصيب الذي عليه اعتماد الانسان
كفل البعير لانه حشية فوق ظهر البعير بدلا لكفل او الاداة وحمى الراكب بذلك الكفل عن ايذاء ظهر البعير فيتأذى به ويقال
كفيل ومنه قوله تعالى وكفلها زكريا وكافل اليتيم فها هنا اخبر ان الكفل هو النصيب الذي يعتمد عليه الانسان في تحصيل المصالح
لنفسه ودفع المفاسد عن نفسه واذا ثبت هذا فنقول قوله من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها اي يحصل
له منها نصيب يكون ذلك النصيب ذخيرة لمعاشه ومعاده والمقصود منه التهكم بضد ذلك التحقيق مثل فبشرهم
بعذاب اليم والغرض منه التنبيه على ان الشفاعة المؤدية الى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عند الله تعالى قال
وكان الله على كل شيء مقيتا شهيدا حفيظا مقتدرا واقات على الشيء اذا اقتدر عليه قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن
كففت السوء عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان
على كل شيء حسيبا ● قيل لما امر الله المؤمنين بالجهاد امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة كونوا انتم راضين
بها وقيل ان الرجل في الجهاد كان يلقاه الرجل في دار الحرب فيسلم عليه فلا يلتفت الى سلامه عليه
ويقتله وربما ظهر انه كان مسلما فمنع الله المؤمنين عنه وامرهم ان كل من يسلم عليهم ويكرمهم بنوع من الاكرام فقابلوه
بمثل ذلك الاكرام ثم يقابلونه بمثل ذلك الاكرام وان يفعلوا ان كان كافرا لم يضر المسلم ان قابل اكرامه ذلك بنوع من اكرام
اما ان كان مسلما وقتله فيعظم المفسدة والتحية في الاصل الملك قال زهير بن الكلبي ولكل ما نال الفتى قد نلته
الا التحية وانما ادغمت لانها تفعلة قال عمرو بن معدي كرب اسير بها الى النعمان حتى انيخ على تحيته بجند اي على ملكه ويقال
حياك الله اي ملكك والتحيات لله الملك لله وعادة العرب قبل الاسلام انه اذا لقي بعضهم بعضا قالوا حياك الله
واشتقاقه من الحياة كانه يدعو له بالحيوة وكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك الله فلما جاء الاسلام
ابدل ذلك بالسلام فجعلوا التحية اسما للسلام قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ومنه قول المصلي التحيات لله
اي السلام من الآفات لله وقيل في قوله واذا حييتم في العطاس والرد على المشمت وقيل اذا دعي لاحدكم بطول البقاء فقولوا
عليه بالاحسن وقيل التحية هاهنا الهدية ارادوا الكرامة بالمال والعطية قال الشاعر اذ تحيى بعض من اندادني
وقال آخر تحيتهم بيض الولائد بينهم اي المراد بهذه الكرامة بالمال الاحسان او ردوها ولا يمكن حمله على السلام وظاهر الآية
يقتضي رد التحية بعينها وهي الهدية فاما بالتعويض او الرد بعينه وهذا لا يمكن في السلام ولا يصح في العارية لانه
ترد العين واجب من غير تخيير وقيل سلام عليكم وهو الاكثر والاولى ان يحمل على الجميع فان كان جمعا بين المفهومين اي ترد
او جمعا بين المفهوم الحقيقي والمجازي والسلام هو مصدر سلم بمعنى سلامة من الآفات سلامة وسلاما والسلام الاسلام
والسلام الاسم من التسليم والسلام اسم من اسماء الله تعالى لانه لا يلحقه نقص ولا تدركه آفات الخلق والسلام
البراءة من العيوب ومنه قيل للجنة دار السلام للبراءة من العيوب ومنه قيل الجنة دار السلام لانها دار السلامة من
والتغير والآفات فحكم فحيوا باحسن منها وهو ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام وان زيد بركاته
اذا قال ورحمة الله روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله قوله
او ردوها اي اجيبوا بمثلها ورد السلام وجوابه بعينه لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره والسلام سنة
فهو حسن والمشهور انه يستحق لما الجواب عن السلام فهو واجب لاجماع على الدليل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية

فحيوا بأحسن منها او ردوها فان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام وعن ابن عباس ما من رجل يمر على
قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة والتحية تمام
بالزيادة وتركها وقيل الاحسن منها هو في المسلم وردها بعينها هو في الكافر ورد الجواب فرض على الكفاية ان
كانت جماعة اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى ان يجيب كلهم اظهارا للاكرام ومبالغة فيه والجواب
على الفور يدل عليه قوله تعالى فحيوا فاذا اخر انقضى الوقت فان اجاب بعد فوت الوقت كان ذلك ابتداء سلام ولا يكون
جوابا وقيل ان لقي واحد واحدا فالسلام فرض مع المعرفة سنة مع الجهالة لان المعرفة تغيره ان لم يسلم والسنة اذا
التقيا ان يبتدئا بالسلام اظهارا للتواضع ومنتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فان هذا القدر هو الوارد في التشهد والمبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليكون الافتتاح
والاختتام بذكر الله فلو قال المبتدي وعليكم السلام فقد خالف السنة والاولى للمجيب ان يقول وعليكم السلام لان
الاولى ان يبدأ الافتتاح بذكر الله والاختتام بذكر الله وللتحية بابتدائه قوله سلام عليكم والسلام عليكم
والسلام عليكم قال الله تعالى في حق نوح يا نوح اهبط بسلام منا وقال عن الخليل سلام عليك سأستغفر لك ربي وفي
قصة لوط قالوا سلاما قال سلام وقال عن يحيى وسلام عليه وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم قل الحمد لله وسلام
على عباده وقال عن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام قولا من رب رحيم وقال فقل
سلام عليكم واما بالالف في قوله عن موسى عليه السلام فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى وقال عن عيسى عليه السلام والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ثبت ان الكل جائز وقيل التنكير افضل ويدل عليه ان لفظ السلام على التنكير كثير في القرآن فكان افضل
وان كل ما ورد من الله والملائكة والمؤمنين فقد ورد بلفظ التنكير كما ورد في الايات واما بالالف واللام فانما
ورد في تسليم الانسان على نفسه قال موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى وقال عيسى عليه السلام والسلام
علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم السنة ان يسلم الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل
على الاكثر والقائم على القاعد والسنة في السلام الجهر لانه اقوى في ادخال السرور وفي العلانية الافشاء والتعميم
لان التخصيص يوحش والمصافحة عند السلام عادة الرسول قال صلى الله عليه وسلم اذا تصافح المسلمان
تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر واذا استقبلك رجل واحد فقل سلام عليكم واقصد الرجل والملكين فانهما
اذا سلمت عليهما ردا عليك السلام ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله فاذا دخلت بيتا خاليا فسلم لانك
تسلم من الله على نفسك وتسلم على من فيه من الجن وتطلب السلامة ببركة السلام ممن في البيت من الشياطين
والمؤذيات وعن ابي يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا مني السلام وجب عليه ان يفعل واذا ورد عليه سلام في كتاب يجيب
بالكتابة ايضا واجب واعلم ان لفظ التحية صار كناية عن الاكرام فجميع انواع الاكرام يدخل تحت لفظ التحية وقال
ابو حنيفة من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثيب منها فلا رجوع فيها وقال الشافعي
له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي احتج ابو بكر الرازي بهذه الاية على صحة قول ابي حنيفة لان
قوله واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها يدخل فيه التسليم ويدخل فيه الهبة ومقتضاه وجوب الرد او العوض
مقابلة بالاحسن فاذا لم يثبت الوجوب فلا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب بدليل انه لو اتى
بما هو اقل منه سقط عنه الرد بالاجماع مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن ثم احتج الشافعي بقوله
عليه السلام لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده
وهذا نص في ان هبة الاجنبي يحرم الرجوع فيها وهبة الولد يجوز الرجوع فيها والسنة
ان يكون المبتدئ بالسلام على الطهارة وكذا المجيب وروي ان رجلا سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو كان في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد السلام وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأ اليهودي بالسلام
وعن ابي حنيفة انه قال لا تبدأ بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت
فقل السلام على من اتبع الهدى ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت اليه حاجة
واذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقال وعليك والاصل فيه انهم كانوا يقولون عند الدخول على الرسول عليه السلام
السام عليك فيقول وعليكم فجرت السنة بذلك واذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فيه قال الحسن يجوز ان يقال
للكافر وعليكم السلام ولكن لا يقال ورحمة الله لانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش ولا باس بالدعاء بما يصلحه في دنياه واذا دخل يوم الجمعة والامام يخطب
فلا ينبغي ان يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فان سلم فرد بعضهم فلا باس ولو اقتصروا على الاشارة كان احسن
واذا دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القارئ لانه
ان اشتغل بالجواب يقطع عليه التلاوة وكذلك القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة العلم ولا يسلم على المشتغل
بالاذان والاقامة للعلة المذكورة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وفي معناه كل من
كان مشتغلا بنوع معصية ولا يسلم على من كان مشتغلا بقضاء الحاجة روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر برجل
وهو يقضي حاجته فسلم عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم الى الجدار فتيمم ثم رد الجواب وقال لولا اني خشيت ان تقول
سلمت عليه فلم يرد الجواب والا لما اجبتك اذا رأيتني على هذه الحالة فلا تسلم علي فانك ان سلمت لم ارد عليك
اذا دخل الرجل بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية لم يسلم عليها وان سلمت المرأة الاجنبية عليه وكان يخاف
في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجب الرجل بل الاولى ان لا يفعل واما التسليم على النساء فجائز الا على الشابات
منهن خوفا من الفتنة من حكاية المنهن بنفخة الشيطان وخائنة الاعين واما على العجائز فحسن للامن
تكن ذات محرم وقالوا لما سقط عن النساء الاذان والاقامة والجهر بالقراءة في الصلوة سقط عنهن رد السلام فلا يسلم
عليهن والصحيح الاول لما خرجه البخاري عن ابن سعد قال كنا نفرح بيوم الجمعة قيل ولم قال كانت لنا عجوز تأخذ من اصول السلق
فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير فاذا صلينا الجمعة انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه لنا فنفرح من اجله وعن الحسن انه
كان لا يرى التسليم على الصبيان قال لان الرد فرض والصبي لا يلزمه الرد فلا ينبغي ان يسلم عليهم وروي عن ابن سيرين انه
كان يسلم على الصبيان ولكن لا يسمعهم وقال اكثر العلماء التسليم عليهم افضل من تركه وعن ثابت انه كان يمشي مع انس فمر
بصبيان فسلم عليهم وحدث انه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم وهذا من خلقه
العظيم وفيه تدريب الصغير وحرص على تعليم السنن ورياضة لهم على اداب الشريعة وحيث لا يسلم فلو سلم لم يجب عليه الرد
لانه لو فعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه قوله ان الله كان على كل شيء حسيبا الحسيب المحاسب على العمل والمكافي او كافيا في
كل شيء من التحية وغيرها او مكافئكم في جميع اعمالكم فهو وعد بالنسبة الى المطيعين ووعيد بالنسبة الى العاصين قوله
تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ۞ قيل المقصود من قوله واذا
حييتم بتحية الايمان لا يصير المسلم مقتولا ثم انه اكد ذلك بالوعد والوعيد في قوله ان الله كان على كل شيء حسيبا
ثم بالغ في تاكيد الوعد والوعيد بهذه الاية يبين فيها ان التوحيد والعدل لما ذكر انه قوله لا اله الا هو اشارة الى التوحيد
وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة اشارة الى العدل وهو كقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وكقوله
طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري وهو اشارة الى التوحيد ثم قال ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى
كل نفس بما تسعى وهو اشارة الى العدل فكذا في هذه الاية بين انه يجب في حكمته وحكمه ان يجمع الاولين والاخرين في عرصة
القيامة فينتصف للمظلومين من الظالمين ولا يخفى انه وعد عظيم وتهديد شديد وقيل كانه تعالى يقول من سلم عليكم وحياكم
فاقبلوا سلامه واكرموه وعاملوه على الظاهر فان الباطن انما يعلمه الله الذي لا اله الا هو وانما تنكشف بواطن الخلق للخلق
يوم القيامة قوله لا اله الا هو اما خبر مبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم
اليه فيكون القسم مع جوابه خبر المبتدأ كما كان صلة الموصول في ليبطئن وسميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم
او لقيامهم للحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وفي الاية دلالة على ان
القيامة ستوجد وهي حق فان صحة النبوة غير مفتقرة الى اثبات القيامة فيمكن اثباتها بالقرآن قوله ومن اصدق من الله حديثا
استفهام على سبيل الانكار والمقصود منه بيان انه يجب كونه صادقا وان الكذب والخلف في قوله محال لانه لو كان كاذبا لكان
كذبه قديما فامتنع زواله فامتنع كونه صادقا لان وجود احد الضدين يمنع وجود الضد الاخر لكن يمتنع كونه صادقا لانا نعلم
بالضرورة ان كل من علم شيئا فانه لا يمتنع عليه ان يحكم عليه بحكم مطابق للمحكوم عليه فامكان صدقه حاصل فامتنع كذبه
فيلزم القطع بكونه صادقا قال صاحب الكشاف ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك
لان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه هو كونه كذبا والاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه
لم يكذب الا لانه يحتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق
بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب
على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الغني
الحكيم الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح قوله تعالى فما لكم في المنافقين
فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ۞ قيل نزلت الاية في ناس
من قريش قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا واقاموا بها ثم ندموا على ذلك وارادوا الرجعة فقال بعضهم
لبعض كيف نخرج هيئة البلاء فان فطن بنا قلنا خرجنا نتنزه واذ غفل عنا مضينا فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى تباعدوا
ثم كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان والتصديق بالله وبرسوله ولكنا اجتوينا
المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم لبعض ما يمنعنا ان
نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا وتركوا هجرتنا فظاهروا اعداءنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم وقالت طائفة منهم كيف
تقتلون قوما على دينكم خرجوا الى ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى واحدا من
الفريقين حتى نزلت هذه الاية فالايات بعدها فبين الله تعالى للنبي شأنهم وقيل نزلت في ناس خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فرقتين فرقة تقول
نقتلهم وفرقة تقول لا نقتلهم فنزلت فيهم هذه الاية وقيل كان رجلان من قريش بمكة على الاسلام ولم يهاجرا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فلقيهما ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين الى مكة فقال بعضهم ان دماءهما واموالهما
حلال وقال بعضهم لا يحل ذلك فتشاجروا فانزل الله الاية وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسار مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم ناس من قريش اسلموا واخذوا الاموال من المشركين فانطلقوا بها الى اليمامة واختلف المسلمون فيهم

نزلت هذه الآية وقيل هم قوم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم ارتدوا بعد ذلك واستأذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم ارتدوا بعد ذلك واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم
يتجرون فيها فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون فبين الله عز وجل نفاقهم وقيل هم
قوم اظهروا الاسلام بمكة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجروا فاختلف المسلمون فيهم وقيل انهم ناس
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون فقوله فما لكم يا معشر المؤمنين
في المنافقين فئتين فرقتين في محل جر ونصب فئتين على الحال كقوله فما لك قائما ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا
نفاقا ظاهرا وتفرقتم في شأنهم فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي اهلكهم ونكسهم وردهم في
الضلال لهم بما كسبوا اي بكسبهم غير الزكي يقال اركست الشيء وركسته اي نكسته ورددته قال صاحب الكشاف اي ردهم
اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
او اركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم وهذا منه صرف عن ظاهر الآية ليوافق معتقده الفاسد
أتريدون ان تهدوا اي ترشدوا الى الهدى من لم يرشده الله اي تقولون هؤلاء مهتدون والله اضلهم ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا الى الجنة وقيل ومن يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى قال صاحب الكشاف
من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك على تفسير الاول او خذله حتى ضل على التفسير الثاني وهذا حمل للكلام
على غير مراده تعالى بناء على اصله الفاسد قوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم
اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ۞ لما قال في الآية
المتقدمة أتريدون ان تهدوا من اضل الله وكان ذلك مشعرا بأن المسلمين كفار بالغوا في تعصبهم في الكفر الى هذه
الغاية فكيف تطمعون في ايمانهم قوله ودوا اي تمنوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي شرعا واحدا في الكفر والضلال
واتباع دين الآباء اسماهم كفارا لتكونون عطف على تكفرون اي ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا
لو تدهن فيدهنون اي ودوا لو تدهن وودوا لو يدهنون ومثله ود الذين كفروا لو تغفلون وودوا لو يميلون
ولا يجوز ان يجعل قوله فتكونون جواب التمني لانه جواب التمني بالفاء منصوب قوله فلا تتخذوا لما بين كفرهم وشدة
قلوبهم فيه امرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء اي لا توالوهم فانهم اعداء لكم حتى يهاجروا هجرة صحيحة
هجرة ثانية وبيعة اخرى وقيل والهجرة على ثلاثة اوجه اما هجرة المؤمنين في اول الاسلام فهي قوله عز وجل للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس
بعدها ابدا ولا نزاع اي ارتداد فقوله فان تولوا اعرضوا عن التوحيد والايمان المظاهر بالهجرة المستقيمة وقبول حكم الاسلام
فخذوهم بالاسر واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يتولى شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم
على اعدائكم اي وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم قوله الا الذين يصلون في
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى قوله يصلون ينتهون اليهم ويتصلون بهم اي يلجؤون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم وقيل يصلون معناه
ينتسبون يقال اتصل اليه اذا انتمى اليه ورد هذا بان الانتساب لا اثر له في منع القتال فان اهل
مكة اكثرهم متصلين بالنبي عليه السلام من جهة النسب وقد قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل الا الذين
بين المؤمنين وبينهم ميثاق هم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند
خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم
بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة قوله او جاؤكم لا يخلو اما ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون
بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم قال صاحب الكشاف والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي
استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم ثم قال صاحب الكشاف فان قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة
الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول
في حكمهم فهل يجوز ان يكون العطف على صفة قوم فيكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم
بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام قوله حصرت صدورهم ضاقت صدورهم عن قتالكم
او كراهة ان يقاتلوكم وهو في موضع الحال باضمار قد وقيل صفة لموصوف محذوف على معنى او جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وعلى التقديرين حصرت في محل النصب اما على الاول فلانه حال واما على الثاني فلانه صفة لموصوف منصوب على الحال الا
ان حذف الموصوف المنتصب على الحال لو اقيمت صفته مقامه وقيل هو بيان لجاؤكم فلا يكون المراد بالمجيء هو المجيء حقيقة بل المراد به
كفهم عن القتال اذ كفوا عن قتالهم فكأنهم جاؤهم وهؤلاء الذين وصفوا بضيق الصدر عن القتال بنو مدلج كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ان لا يقاتلوه نهى الله عن قتل هؤلاء ولا المرتدين ان اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضاف

او جوار

او جوارا لان الضم الى قوم ذوي عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فلهم مثل حكمهم في حقن الدم والمال قوله او جاؤكم ذوي نعت
قوم قيل كلف الواو وكانه الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاؤكم ضيقة صدورهم عن قتالهم وعن القتال معكم وهم قوم هلال
الاسلميون وبنو بكر بن زيد مناة قال الامام اختلفوا في الذين استثناهم الله من الكفار عن المؤمنين فقال الجمهور هم من
الكفار لانه تعالى اوجب قتل الكافر الا اذا كان معاهدا او كان تاركا للقتال فانه لا يجوز قتلهم وعلى هذا التقدير فالقول بالنسخ
لازم لان الكافر وان ترك القتال فانه يجوز قتله وقال ابو مسلم الاصفهاني انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من
له عذر فقال الا الذين يصلون قوم من المؤمنين قصدوا الرسول للنصرة والهجرة الا انه كان في طريقهم من الكفار ما لم يجدوا
طريقا اليه خوفا من اولئك الكفار فصاروا الى قوم بين المسلمين وبينهم عهد واقاموا عندهم الى ان امكنهم الخلاص وسبق
بعد ذلك من صار الى الرسول ولا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه او لانه ترك اولاده
وازواجه عندهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده وازواجه فهذان الفريقان من المسلمين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ولا مقاتلة الكفار قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم التسليط من السلاطة وهي الحدة والمقصود ان الله
من على المؤمنين بكف بأس المعاهدين والمعنى ان ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو لان الله قذف في قلوبهم الرعب ولولا ان الله
قوى على قتال المسلمين لسلطهم عليهم وهذا يدل على انه لا يقبح من الله تسليط الكافر على المؤمن وتقويته عليه قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة
يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط الذي يدفعه في قوله لمصلحة يراها
قوله فلقاتلوكم اللام فيه جواب لو على التكرير او البدل على تأويل ولو شاء الله لقاتلوكم قوله فان اعتزلوكم اي ان لم يتعرضوا
لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة في قتالهم وسفك دمائهم
وما اذن لكم في اخذهم وقتلهم قوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة
اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا ۞ قيل هم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى
قومهم فلا يتعرضوا لهم يرضون المسلمين ويرضون قومهم عن ابن عباس هم بنو عبد الدار وكانوا بهذه الصفة كلما ردوا الى الفتنة
كلما دعاهم قومهم الى الشرك او الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وعادوا اليه ويضعف لطلبه وكانوا
شرا فيه من كل عدو لهم بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم امرهم فقال فان لم يعتزلوكم فان لم يكفوا ايديهم عن قتالكم
ويعتزلوكم حتى تسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي الاستسلام والانقياد للصلح ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم
واقتلوهم حيث ثقفتموهم تمكنتم منهم واولئكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام وقيل اراد تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم
قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة
الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ۞
لما رغب الله في مقاتلة الكفار وحرض عليها ذكر بعد ذلك بعض ما يتعلق بهذا القتال منها انه تعالى اذن في قتال الكفار
فلا يبعد ان قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه مسلم فذكر الله حكم قتل الخطأ ليشمل
هذه الواقعة وغيرها قيل نزلت هذه الآية في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا
من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فأتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما
فلما فسحا عن المدينة اي بعدا عنها كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال عياش للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله
علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا تحل كتافه حتى يكفر بالذي آمن به ففعل ثم هاجر بعد ذلك
ثم ان الحارث اسلم وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وليس عياش حاضرا ولم يشعر
باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس ويحك اي شيء صنعت انه
قد اسلم فأتى عياش رسول الله فقال يا رسول الله قد كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت
هذه الآية قوله وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها
وليس بمعنى قوله وما كان على النفي وانما هو على التحريم والنهي كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله كان على النحو
لما وجدت مؤمنا قتل مؤمنا قط ابتداء غير قصاص وقوله الا خطأ قال الامام فيه قولان احدهما انه استثناء متصل
فيه وجوه منها ان هذا الاستثناء ورد على طريق المعنى لان قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ان جد
الانسان على القتل الا اذا كان القتل خطأ فانه لا يؤاخذ به ومنها ان الاستثناء صحيح على ظاهر اللفظ ايضا والمعنى انه
ليس لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما اذا رأى عليه شعار الكفار او وجده في عسكرهم فظنه مشركا
فههنا يجوز قتله ولا شك ان هذا خطأ فانه ظن انه كافر مع انه كان مسلما ومنها ان في الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير
وما كان مؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ ومثله ما كان لله ان يتخذ من ولد لانه لا يحرم عليه شيء انما ينفى عنه ما لا يليق به واما قال ما كان لكم

ان تنبتوا شجرها معناه ما كنتم لتنبتوا لا ان الله تعالى لم يحرم عليهم ان ينبتوا الشجر انى نهيهم ان يمكنهم اثباتها فانه تعالى هو القادر
على اثبات الشجر ومنها ان توجيه الاشكال في حمل هذا الاستثناء على الاستثناء المتصل وهو ان يقال الاستثناء من النفي اثبات
وذلك مختلف فيه بين الاصوليين والصحيح انه لا يقتضيه لان الاستثناء يقتضي صرف الحكم فقط فيبقى المستثنى غير محكوم
عليه لا بالنفي ولا بالاثبات وحينئذ يندفع الاشكال ومما يدل على ان الاستثناء من النفي ليس باثبات قوله عليه السلام لا صلوة
الا بطهور ولا نكاح الا بولي ونفى الامساك الا بالرجال ولا رجال الا بالمال والاستثناء في جميع هذه الصور لا يفيد
ان يكون الحكم المستثنى من النفي اثباتا وفيه ما قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة تقدير الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا ان يقتله خطا فيبقى حينئذ مؤمنا قال والمراد وقتل المؤمن المؤمن يخرجه عن كونه مؤمنا وهذا بناء ان الفاسق
ليس بمؤمن وهو اصل باطل وثانيها ان هذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن ونظيره في القرآن كثير قال تعالى لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة وقال والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال لا يسمعون فيها لغوا
ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وانتصاب خطا على انه مفعول له اي ما ينبغي لمؤمن ان يقتل مؤمنا لعلة من الاحوال
الا في حال الخطا او يجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه
وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد مثل ان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا
هو مسلم قوله ومن قتل مؤمنا خطا قال الشافعي رضي الله عنه القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا اما العمد فهو
ان يقصد الفعل المعقب للتلف والشخص معا بما يقصد به الهلاك كثيرا ان كان جارحا او غالبا ان كان غير جارح وشبه
العمد هو الذي يقصد فيه قصد الفعل والشخص لكن لا بما يهلك غالبا ان كان غير جارح وكثيرا ان كان جارحا والخطا ان لا
يقصد الشخص او لا يقصد الفعل اما لا يقصد الفعل كان زلق على صبي فمات واما لا يقصد الشخص كما اذا رمى الى
صيد فاصاب انسانا وقال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطا او شبه عمد فيكون داخلا تحت هذه
الاية فتجب فيه الدية والكفارة ولا يجب فيه القصاص اما بيانا انه عمد فقد دل عليه العقل والنقل اما القرآن فهو انه
تعالى حكى عن موسى انه وكز القبطي فقضى عليه ثم ان ذلك الوكز مسمى بالقتل بدليل انه تعالى حكى عن القبطي انه قال يوم
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وكان الصادر عن موسى بالامس ليس الا الوكز فثبت ان القبطي سماه قتلا وايضا ان موسى
صلوات الله عليه سمى قتلا حيث قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واجمع المفسرون على ان المراد منه
قتل ذلك القبطي بذلك الوكز وايضا الله تعالى سماه قتلا حيث قال وقتلت نفسا فنجيناك من الغم فثبت ان الوكز قتل واما الخبر فهو قوله
صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل الخطا قتيل السوط والعصا فيه مائة من الابل فسماه قتيلا واما انه عمد فلا شك
فيه داخل في السفسطة فان من ضرب انسانا بحجر الرحا او صلبه او حرقه او خنقه ثم قال ما قصدت به قتله كان ذلك
انكارا للضروري فاما انه عمد عدوان فلا نزاع فيه فيجب فيه القصاص بالنص والعقل اما بالنص فبالايات والاخبار الدالة
على وجوب القصاص واما العقل فلان المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس عن الاهدار قال تعالى ولكم في القصاص
حيوة وكما ان المقصود من شرعه صون الارواح عن الاهدار والاهدار بالمثقل كما في المحدد وكانت الحاجة الى شرع
الزاجر في احدى الصورتين كالحاجة اليه في الصورة الاخرى ولا تفاوت بين الصورتين في نفس الاهدار انما التفاوت
حاصل في آلة الاهدار وهذا لا يعد التفاوت حاصلا لان ذلك غير معتبر والكلام في الفقهيات اذا وصل الى هذا الحد
فقد بلغ الغاية القصوى في التحقيق لمن ترك التقليد احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم الا ان قتيل الخطا قتيل السوط
والعصا فيه مائة من الابل وهو عام سواء كان السوط والعصا صغيرا او كبيرا والجواب ان قوله قتيل الخطا يدل على انه لا بد
وان يكون صفة الخطا حاصلا فيه وقد بينا ان من حز راس انسان او ضرب راسه بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله
يعلم كل عاقل ببديهة عقله انه كاذب فوجب حمل هذا الضرب بالعصا الصغير حتى يبقى معنى الخطا فيه وقال ابو حنيفة
القتل العمد لا يوجب الكفارة وقال الشافعي يوجب حجة ابي حنيفة هذه الاية فقال قوله ومن قتل مؤمنا خطا شرط لوجوب
الكفارة وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط والذي يدل على وجوب الكفارة الخبر والقياس اما الخبر فهو ما روي
واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا اوجب النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق
الله بكل عضو منه عضوا منه من النار واما القياس فهو ان الغرض من الاعتاق هو ان يعتقه الله من النار والحاجة الى هذا المعنى في القتل
العمد اتم فكانت الحاجة فيه الى ايجاب الكفارة اتم وذكر الشافعي حجة اخرى من قياس السنة فقال لما وجبت الكفارة
في قتل الصيد في الحرم وفي الاحرام سوينا بين العامد والخاطئ الا في الاثم فكذا في قتل المؤمن وهذا الكلام تاكيد اخر
ان يقال نص الله هناك على العامد واوجب على الخاطئ فها هنا نص على الخاطئ فبان نوجبه على العامد مع ان احتياج
العامد الى الاعتاق المخلص له من النار اشد كان ذلك اولى قوله فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر
والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وهو
الخد وقولهم للئيم هذا حر الفعل اي ليس من الفعل والرقبة النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك
كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام فيجزي الصبي اذا كان احد ابويه
مسلما قال قوله ومن قتل مؤمنا خطا لا يدخل فيه الصغير فكذا قوله فتحرير رقبة مؤمنة والمؤمن من يكون موصوفا بالايمان
والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات كلها فانه ينتفي عن الصبي فلم يكن مؤمنا فلا يجزي وقيل لما اخرج
نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق

ممنوع

ممنوع من تصرف الاحرار وان الظاهر من مذهب الشافعي انه يجزي اعتاق رقبة ذكرا او انثى صغيرا او كبيرا ما لم يضعف
بالهرم مؤمنة ولو بتبعية الدار او السابي سليمة عما يخل بالعمل كالهرم والعمى والجنون المطلق او الغالب كاملة الرق فلا يجزي
المستولدة ومن بعضه حر بلا سراية معوض علو اعتقها بعتين ولو غصب وكذا لو رهن وكذا الجاني على غيره وكذا
لو مرض مرضا مرجو البرء وكذا لو خرس وكذا لو قطعت اصابع رجليه وكذا لو قطع من اصابع يده انملة واحدة لا ان
قطعت من الابهام وكذا ان قطعت خنصر من يديه وبنصر من رجل الا ان قطعتا من يد واحدة وكذا لا يجزي الجنين فانه غير
متيقن حيوته وكذا لا يجزي صحيح الكتابة وكذا لا يجزي منقطع الخبر ويشترط نية الكفارة مقترنة باعتاق لا تعيينها
فلو كانت عليه كفارتان كفارة القتل وكفارة الوقاع واعتق عبدا بنية الكفارة من غير تعيين كونه عن كفارة القتل او الوقاع
اجزاه عن احديهما ولا يجب التعيين فان اخطا في التعيين كما اذا كان عليه كفارة القتل فعين كفارة الوقاع عمدا او سهوا لم يجزه
ذلك الاعتاق عن كفارة القتل قوله ودية مسلمة الى اهله والدية ما يؤدى كالشية من الوشي والاصل ودية فحذفت الواو كالعدة ولفظ الدية
اذا ادى دية فان الشرع خصص هذا اللفظ بما يؤدى في بدل النفس دون ما يؤدى في بدل الاطراف والاعضاء قوله مسلمة
الى اهله اي مؤداة الى ورثة المقتول يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة وكل شيء تقضى منها
الدين وتنفذ الوصية وان لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه وسلم
انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم
لك شيئا انما هي للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل
وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة
والدية في الخطا الغير ذي حرم او محرم بالقرابة في حرم مكة او في الاشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب
مخففة مخمسة عشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون بنو لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وابو حنيفة
اوجب بني مخاض بدل بني لبون والدية في قتل شبه العمد مغلظة مثلثة ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة
في بطونها اولادها بقول عدلين من اهل البصيرة بالخبرة ان لم يصدق المستحق الجاني فيها فاذا اخطا اهل الخبرة او المستحق في تصديق
الجاني في كونها حاملة تدارك المؤدى واذا ماتت عند المستحق ان يعطى مكانها خلفة ويضمن المستحق ما اخذه منه فان كانت
الابل باقية ردها اليه واخذ الخلفة مكانها وتؤخذ دية الخطا وشبه العمد مؤجلة في آخر كل سنة من الموت ثلث الدية
من مال الغني الفاضل عن حاجته شيء عند آخر السنة نصف دينار ومن مال المتوسط ربع دينار فاضلا عن حاجته
من اولياء النكاح لو قبض الجاني امراة من العقل الا المعتق احتراز عمن ليس كذلك عند الموت كما اذا كان صبيا او مجنونا
او رقيقا او كافرا عند الفعل وحينئذ آخر السنة وبينهما فانه لا يؤخذ منه شيء واذا كان ولي النكاح هو القاضي لم يؤخذ
منه الفاسق وليا ويؤخذ منه ترتيبهم اي يؤخذ من اولياء النكاح ترتيبهم ان وفوا بالواجب فذاك وان لم يفوا بقلتهم
او كثرة الواجب يؤخذ ممن هو بعدهم في الولاية ايضا وبعضية الجاني مانعة من تحمل العقل بخلاف النكاح فان البنوة فالك
غير مانعة من الولاية وان لم تكن موجبة لها فلا يحمل اصول الجاني وفروعه العقل وكذلك بعضية المعتق مانعة من تحمل
العقل لان عمر رضي الله عنه لم يعقل موالي صفية بنت عبد المطلب بن اخيها علي رضي الله عنه ولم يأخذ من ابنها الزبير
واذا اشترك جماعة في عتق واحد وجنى العتيق خطا يحمل جميع الشركاء تحمل الشخص الواحد حتى لو كانوا اغنياء اشتركوا في
تحمل نصف الدينار وان كانوا متوسطين اشتركوا في تحمل ربع الدينار وان كانوا مختلفين تحمل الاغنياء ما يخصهم من نصف
الدينار لو كان الكل اغنياء وتحمل المتوسطون ما يخصهم من الربع لو كان الكل متوسطين وكل واحد من عصبة كل معتق
كذلك المعتق فلو اعتق واحد ومات عن ثلاثة اخوة تحمل كل اخ مما كان يتحمله المعتق لو كان حيا ولو اعتق جماعة واحدا
ومات لكل عن ثلاثة اخوة تحمل كل اخ ما كان يتحمله لو كان حيا من حصته النصف والربع ويتحمل الذمي من الذمي وان اختلف
ملتاهما ولا يتحمل الحربي من الذمي وان اتفقت ملتاهما ويتحمل المعاهد من الذمي وبالعكس ولا يتحمل الذمي عن المسلم ولا المسلم
عن الذمي ولو لم يجد الجاني احدا من اولياء النكاح او كانوا معسرين او فضل عنهم شيء من واجب كل سنة اخذ من بيت المال
ولكن انما يؤخذ منه اذا كان الجاني مسلما فان لم يكن مسلما اخذ من الجاني لا من بيت المال ثم تؤخذ الدية المسلم بعد فقدان
بيت المال من الجاني اذا كان مسلما وفي الذمي بعد فقدان اولياء النكاح يؤخذ من الجاني كما بعد فقدان العاقلة اي تؤخذ الدية
من الجاني مع وجود اولياء النكاح وبيت المال حيث اعترف بالقتل الخطا او شبهه وانكرت العاقلة ولم يحلفوا على نفي العلم
بما اقر الجاني به لكن تؤخذ الدية مؤجلة كما تؤخذ من العاقلة والدية في العمد المحض مغلظة مثلثة معجلة من الجاني
من غالب ابل البلدان لم يكن له ابل ومن ابله ان كان له ابل فان لم يكن في البلد غالب فالخيرة الى المعطي وان تنوع ابله اخذ
منه بالقسط الا انه يعطي من الاشرف ويجبر المستحق على اخذه والمراد الغالب من الاصناف وهي الارحبية والمهرية والعرب
الجاني ونحوها ولا يؤخذ من المعيب الا برضا اي يؤخذ من غالب ابل اقرب بلد اليه ان لم يكن له ابل ولا في بلده ابل ثم القيمة
ان عدم الابل ولا في بلده ابل ولا في اقرب البلاد اليه يؤخذ قيمته يوم وجوب التسليم في مكان الاعواز الذي لو وجد
فيه لزم تسليمه وقيل اذا لم توجد الابل فالواجب الف دينار او اثنى عشر الف درهم وقيل الدية واجبة على القاتل
فانه قوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة ودية يجب على ايجاب التحرير كايجاب الدية على شخص واحد وهو القاتل والعاقلة لم يصدر
منهم جناية ولا شبهة الجناية فوجب ان لا يلزمهم شيء لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها

وقولها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت والقايلون بان الدية على العاقلة في الخطا وشبه العمد تمسكوا فيه بالخبر والاثر اما الخبر فما روى المغيرة ان امراة ضربت بطن امراة اخرى فالقت جنينا ميتا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاقلة الضاربة بالغرة فقام حمل بن مالك فقال كيف يدي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من سجع الجاهلية واما الاثر فهو ان عمر قضى على علي رضي الله عنهما بان يعقل عن مولى صفية بنت عبد المطلب حين جنى مولاها وعلي كان ابن اخي صفية بنت عبد المطلب وقضى للزبير بميراثها وشاع وذاع ولم ينكر عليه احد ومذهب اكثر الفقهاء ان دية المراة نصف دية الرجل وقيل ديتها مثل دية الرجل حجة الاكثرين ان عليا وابن مسعود رضي الله عنهم قضوا بذلك ولان المراة في الميراث والشهادة على النصف من الرجل فكذلك في الدية وحجة من قوله ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله وقع الاجماع على ان هذه الاية دخل فيها حكم الرجل والمراة فوجب ان يكون الحكم فيها ثابتا بالسوية قوله تعالى الا ان يصدقوا اي الا ان يتصدقوا عليه بالدية فيعفوا ويتركوا الدية ومعنى التصدق هنا العفو لان ذلك اسقاط الحق واسقاط الحق يسمى عفوا قوله تعالى الا ان يعفون وان تصدقوا اقرب ان يكون متعلقا بقوله مسلمة كانه قيل يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحل ان يتصدقوا النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان ويجوز ان يكون حالا من اهله والمعنى تجب الدية عليه في كل حال الا في حال التصدق عليه بها فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن اي من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهل الحرب شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش للمسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنون انه كافر مثلهم قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي من قوم كفرة بينكم وبينهم عهد كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فدية مسلمة الى اهله فيجب دية كدية المسلم قال ابن عباس والشعبي والنخعي المقتول من اهل العهد خطا لا يبالي مؤمنا كان او كافرا على عهد قومه فيه دية كدية المسلم وهو قول ابي حنيفة والثوري وعثمان البتي جعلوا الديات كلها سوا المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي والمعاهد والذمي وهو قول عطا والزهري وسعيد بن المسيب وحجتهم في قوله تعالى فدية مسلمة الى اهله وذلك يقتضي الدية كاملة كدية المؤمن ويعضدوا هذا بما رواه محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قصة بني قريظة والنضير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ديتهم سوا كاملة قيل هذا حديث لين ليس في مثله حجة وقيل هي على النصف من دية المسلم ودية المجوسي ثمانماية درهم ودية نسائهم على النصف من ذلك وهو قول مالك واصحابه ويروى هذا القول عن عمر بن عبد العزيز وعروة بن الزبير وعمرو بن شعيب قال احمد بن حنبل وهذا المعنى يروى فيه شي انزل به ذلك عن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن ابي ربيعة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية اليهودي والنصراني على النصف من دية المسلمين قال عبد الرحمن هذا يروى عنه الثوري ايضا وقيل دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم وبه قال الشافعي وحجته انه اقل ما قيل فهو ثابت بالاجماع والزائد غير محقق فان الذمة مقرونة بالاصل يروى هذا عن عمر وعثمان وبه قال ابن المسيب وعطا والحسن وعكرمة وعمرو بن دينار وابو ثور واسحق قوله فتحرير رقبة قدم تحرير الرقبة على الدية في الاية الاولى وبالعكس بالنسبة الى هذه قوله تعالى فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن الشعبي ان صيام شهرين بدل عن مجموع الكفارة والدية وحكي هذا القول عن مسروق قوله توبة من الله انزله الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه قال الامام قوله توبة من الله انتصب بمعنى ما تقدم كانه قيل اعملوا ايما او وجبه انه لاجل التوبة من الله اي ليقبل الله توبتكم وهذا كما يقال فعلت ذلك حذر الشر فان قيل قتل الخطا لا يكون معصية فما معنى قوله توبة من الله قلنا فيه وجوه الاول ان فيه نوعا من التقصير فان الظاهر انه لو بالغ في الاحتياط لما صدر عنه ذلك الفعل الا ترى ان من قتل مسلما على ظن انه كافر حربي فلو انه بالغ في الاحتياط والاستكشاف فالظاهر انه ما وقع ومن رمى الى صيد فاخطا واصاب انسانا فلو احتاط فلا يرمي الا في موضع يقطع بانه ليس هناك انسان فانه لا يقع في تلك الواقعة قوله توبة من الله تنبيه على انه كان مقصرا في ترك الاحتياط الثاني ان قوله توبة من الله راجع الى انه تعالى اذن في اقامة الصوم مقام الاعتاق عند العجز عنه وذلك لان الله تعالى اذا تاب على المذنب فقد خفف عنه فلما كان التخفيف من لوازم التوبة اطلق لفظ التوبة لارادة التخفيف اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم الثالث ان المؤمن اذا اتفق له مثل هذا الخطا فانه يندم ويتمنى ان لا يكون ذلك فسمى ذلك التمني توبة ثم قال تعالى وكان الله عليما حكيما اي عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما بانه ما واخذ بالفعل الخطا فان الحكمة تقتضي ان لا يواخذ الانسان الا بما يتعمده ويختاره قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما ذكر حكم القتل الخطا ذكر بعده حكم القتل العمد وله احكام مثل وجوب القصاص والدية وقد ذكر تعالى في سورة البقرة واقتصر هنا على بيان ما فيه من الاثم قال ابو عبيدة نزلت هذه الاية في مقيس بن صبابة الكناني وذلك انه وجد هشام بن صبابة قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من بني فهر فقال لبني النجار فاقرهم عن السلام وقال لهم ان رسول الله يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى مقيس بن صبابة فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم

فقالوا سمعا

فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته قال فاعطوه ماية من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شي صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل مقيس الفهري فرماه بصخرة فشدخ راسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فجعل يقول في شعره

قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع

فنزلت فيه الاية فقالت الخوارج والمعتزلة انها نزلت في المؤمن اذا قتل مؤمنا وهذا الوعيد لاحق به وقالت المرجئة انها نزلت في كافر قتل مؤمنا والوعيد عليه ثابت الا ان يتوب ويستغفر وقالت طائفة منهم كل مؤمن قتل مؤمنا فهو خالد في النار غير مؤبد ويخرج منه بشفاعة الشافعين وزعمت طائفة ان لا توبة لمن قتل مؤمنا متعمدا فانه لا يكفر بقتله ولا يخرج به من الايمان الا اذا فعل ذلك على وجه الاستحلال والديانة فاما اذا لم يفعله على وجه الاستحلال والديانة فان اقيد ممن قتله فذلك كفارة له وان كان تائبا من ذلك لم يكن مقادا ممن قتل كانت التوبة ايضا كفارة له وان خرج من الدنيا بلا توبة ولا قود فامره الى الله ان شاء غفر له وارضى خصمه بما شاء وان شاء عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التي وعده بايمانه لان الله لا يخلف له وعدا وترك المجازاة بالوعد يكون خلفا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وترك المجازاة بالوعيد يكون تفضلا والذي يدل على ان المؤمن لا يصير بقتل المؤمن كافرا ولا خارجا عن الايمان ان الله تعالى ذكر اية ايجاب القصاص وسمى القاتل مؤمنا بقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى والقصاص لا يكون الا في قتل العمد فسماهم مؤمنين واخا بقوله فمن عفي له من اخيه شي ولم يرد به الا اخوة الايمان فان الكافر لا يكون اخا للمؤمن ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ولا يلحق ذلك الكفار بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فخاطب القاتلين كما خاطب المصلين فلو كان القتل يخرجهم عن الايمان لما جاز مخاطبتهم به وكذلك قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الاية واقتتال الطائفتين كان على العمد لا على الخطا وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يبايع اصحابه على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وعلى ما في القران من بيعة النساء ثم يقول بعد ذلك فمن فعل من ذلك شيئا فاقيم عليه الحد فهو كفارة له ومن ستر عليه فامره الى الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه وروي ان مؤمنا قتل مؤمنا متعمدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يامر القاتل بالايمان من فعله ولو كان كفرا وخروجا من الايمان لامره اولا بالايمان وقال لطالب الدم اتعفو قال لا ثم قال اتاخذ الدية قال لا فامر بقتله ثم اعاد عليه مرتين او ثلاثا حتى قبل الدية ولم يحكم على القاتل بالكفر ولو كان ذلك كفرا لبينه رسول الله لان ذلك شبه دين بما اقدم عليه ولم يجز على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاغفال عنه لانه الناصح الشفيق المبعوث للتاديب والتعليم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل والجهاد ماض مذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال والايمان بالاقدار ودليل اخر على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل وهو انما هو الجحود والاباء والشرك والقاتل لم يجحد ولم يابى عن الفرائض ولا اضاف الى الله شريكا ان استدلوا بالوعيد بهذه في امرين احدهما على القطع بوعيد الفاسق والثاني على خلوده في النار وقد استقصينا تقرير كلامهم والجواب عنه في قوله في سورة البقرة بلى من كسب سيئة قال الواحدي ان الاصحاب سلكوا في الجواب عن هذه الاية طرقا كثيرة وانا لا ارتضي شيئا منها لان الذي ذكروه اما تخصيص واما معارضة واما اضمار واللفظ لا يدل على شي من ذلك قال والذي اعتمده وجهان الاول اجماع المفسرين على ان الاية نزلت في كافر قتل مؤمنا ثم ذكر تلك القصة الثاني ان قوله فجزاؤه جهنم معناه الاستقبال والتقدير انه سيجزيه وهذا وعيد وخلف الوعيد كرم وعندنا يجوز ان يخلف الله وعيد المؤمنين قال الامام هذا حاصل كلامه والذي عول عليه غيره واقول اما الوجه الاول فضعيف لانه ثبت في اصول الفقه ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحكى القفال في تفسيره وجها اخر في الجواب فقال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر لكن ليس فيها انه تعالى يوصل هذا الجزاء اليه ام لا وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا وكذا الا اني لا افعله قال الامام وهذا الجواب ايضا ضعيف لانه ثبت بهذه الاية ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وثبت بسائر الايات انه تعالى يوصل الجزاء الى المستحقين قال تعالى من يعمل سوءا يجز به وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره بل انه تعالى ذكر في هذه الاية على انه يوصل اليهم هذا الجزاء وهو قوله واعد له عذابا عظيما فان بيان انه تعالى اخبر بان هذا الجزاء محصل بقوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولو كان قوله واعد لهم عذابا عظيما اخبارا عن الاستحقاق كان تكرارا فلو حملناه على الاخبار على انه تعالى سيفعل لزم التكرار فكان ذلك اولى واعلم انا نقول هذه الاية مخصوصة في موضعين احدهما ان يكون القتل العمد غير عدوان كما في القصاص فانه لا يحصل فيه هذا الوعيد واذا ثبت دخول التخصيص فيه فها نحن نخصص هذا العموم فيما اذا حصل العفو بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وايضا هذه الاية احد عمومات الوعيد وعمومات الوعد اكثر من عمومات الوعيد وما ذكروه في ترجيح عمومات الوعيد قد اجبنا عنه وبينا ان عمومات الوعد هي الراجحة قال صاحب الكشاف هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب يمحى بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ

مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هدم الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه
وقيل من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله قال العجب من قوم يقرؤن هذه الآية
ويرون ما فيها او يسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطاوعتهم الفارغة في
اتباع هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ذكره
سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن
تنادي ولعله ذكرنا انه يعول الله تعالى اكرم من ان يجمع من يحله مع من يحبه في العذاب الاليم وقد وعد بانه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء
ومن اوفى بعهده من الله وان رغم انف المعتزلة واشياعها قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر
قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن
ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله وقال انا نقول دلائله اكثر من ان تحصى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور كقوله
تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والحديث المشهور المذكور فيه وان زنى وان سرق وان رغم انف ابي ذر
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون
عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا
قيل المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمن وامر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دما حراما بتاويل ضعيف
مبني على ظن وهذه الآية دالة على ان الآية المتقدمة خطاب مع المؤمنين قرأ حمزة والكسائي فتثبتوا وكذا في الحجرات من
الثبات والباقي بالتبيين من البيان والمعنيان متقاربان لان كلا منهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا
فيه اي لا تتعجلوا فيه من غير روية والضرب في الارض السير فيها بالسفر للتجارة والجهاد واصله من الضرب باليد وهو كناية
عن الاسراع في السير فان الماشي يضرب اليكم السلم قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحفص عن عاصم والكسائي السلام بالف بعد
السين ونافع وابن عامر وحمزة وخلف وجبلة عن المفضل عن عاصم السلم بفتح السين واللام من غير الف وهما الاستسلام وقيل الاول
وقيل السلام الذي هو تحية اهل الاسلام وابان بن يزيد عن عاصم بكسر السين واسكان اللام من غير الف بمعنى السلم الصلح في
سبب نزول هذه الآية اقوال الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيها المقداد بن الاسود فلما اتوا القوم وجدوهم
قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال اشهد ان لا اله الا الله فقتله المقداد فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا رسول الله ان رجلا شهد ان لا اله الا الله فقتله المقداد فقال يا مقداد قتلت رجلا قال لا اله الا الله فكيف لك بلا اله الا الله
غدا فنزلت هذه الآية وقيل انه مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم
فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فعمدوا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله فنزلت هذه الآية وقيل انه نزلت في
من اهل فدك سمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها تريدهم فهربوا واقام رجل منهم يقال له مرداس وكان على
السرية رجل يقال له غالب بن فضالة فلما رأى مرداس الخيل كبروا ونزل فسلم عليهم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه ورجعوا
الى النبي عليه السلام فاخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا فنزلت هذه الآية وقيل كان اسامة
امير السرية وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا حدرد الاسلمي وابا قتادة ومحلم بن جثامة في سرية الى اضم فلقوا
عامر بن الاضبط الاشجعي فحياهم بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه بعيرا وسقاء فلما قدموا على النبي اخبروه فقال
اقتلته بعدما قال آمنت فنزلت هذه الآية قوله تبتغون تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد وهو الذي يدعوكم الى
ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه قوله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام
ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله قيل هي ثواب الجنة وقيل هي ابواب الرزق في الدنيا قوله كذلك كنتم من قبل هذا
تشبيه حال المخاطبين باولئك الذين القوا السلم ولم يذكر فيه بيان ان هذا التشبيه فيماذا وقد ذكر المفسرون
فيه وجوها قيل المراد اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما
فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا انه تهليل هذا
لا تقاة القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقيل المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم
عن قومكم كما يخفي هذا المقتول ايمانه عن قومه ثم من الله عليكم باعزاز دينكم حتى اظهرتم دينكم فانتم عاملوهم بمثل هذه المعاملة وقيل
المراد كذلك كنتم من قبل الهجرة حين كنتم فيما بين الكفار تأمنون من اصحاب رسول الله بكلمة لا اله الا الله فاقبلوا منهم ذلك
وقيل انه من ينتقل عن دين الى دين ففي اول الامر يحدث ميل قليل بسبب ضعيف ثم لا يزال ذلك الميل يتأكد ويتقوى الى ان يكمل
ويستحكم ويحصل الانتقال فكانه قيل لهم كنتم في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الحق
فاقبلوا منهم هذا الاسلام فان الله يؤكد حلاوة الايمان في قلوبهم ويقوي تلك الرغبة في صدورهم قوله فتبينوا تكرير
للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك والمراد به
الوعيد والزجر عن الاظهار بخلاف الاضمار قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قيل انه تعالى لما رغب
في الجهاد اتبعه ذلك ببيان احكام الجهاد ثم انه اعتذر للمسلمين عن قتل المسلمين حيا ان قال من قتلهم على

سبيل الخطأ كيف فلما ذكر ذلك الحكم اتبعه بحكم آخر وهو فضل المجاهد على غيره وهو هذه الآية وقيل لما عاتبهم الله
على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهادة ذكر عقيبه فضيلة الجهاد كأنه قيل من اتى بالجهاد فقد فاز بهذه الدرجة العظيمة
عند الله فليحترز صاحبها من تلك الهفوة لئلا يخل منصبه العظيم في الدين بسبب هذه الهفوة وقيل لما عاتبهم الله على
ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهادة فلعله يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد لئلا يقع بسببه مثل
هذا المحذور فلا جرم ذكر الله عقيبه هذه الآية وبين فيها فضل المجاهد على غيره وهو هذه الآية قيل لما ذكر الله فضيلة المجاهدين على
القاعدين ورغبهم في الجهاد اتى نبي الله عبد الله بن ام مكتوم وعبد الله بن جحش وليس بالاسكوهما اعميان فقالا يا رسول
الله ذكر الله فضيلة الجهاد على القاعدين وامر بالجهاد وحالنا على ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فهل لنا من رخصة فانزل
غير اولي الضرر فجعل لهم من الاجر مثل ما للمجاهدين لزمانتهم وقيل لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
في سبيل الله قال ابن ام مكتوم اللهم انزل عذري فنزل غير اولي الضرر فوضعت بينهما وكان بعد ذلك يغزو ويقول ادفعوا الي
اللواء واقيموني بين الصفين فاني لا استطيع ان افر وقد روي عن زيد بن ثابت قال كنت الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم
وفخذه على فخذي وهو املى علي ان لا يستوي القاعدون من المؤمنين فعرض ابن ام مكتوم قال فغشيت رسول الله على فخذي
حتى كادت تحطم ونزلت عليه غير اولي الضرر ومعناه لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن الجهاد الذين هم غير اولي الزمانة
والضعف في البدن كالعمى والعرج والمرض لحال العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون
عن بدر والخارجون اليها ومن مقاتل الى تبوك قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة غير برفع الراء ونافع وابن عامر والكسائي
بنصبها وقرئ بالجر فالرفع صفة القاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة المؤمنين وفائدة نفي الاستواء
مع العلم بان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويرتفع
بنفسه مع انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به
التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهب الى التعلم المجاهدين باموالهم وانفسهم مع القاعدين اولي الضرر مع المجاهدين ان ابان
حال القاعد من اولي الضرر مع المجاهدين كانه قيل ما حال المجاهدين مع اولي الضرر في الاستواء وعدمه فقيل فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين اولي الضرر يعني اهل العذر درجة لان المجاهدين باموالهم وانفسهم باشروا الجهاد
فلهم فضيلة على القاعدين اولي الضرر وان كانوا على نية الجهاد وقصده فهي درجة منصوبة لوقوعها موقع المرة من
التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة كقولك ضربته ضربة وكلا وعد الله الحسنى اي كل فريق من المجاهدين باموالهم وانفسهم
والقاعدين اولي الضرر المعذورين وعد الله الحسنى اي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين اولي الضرر درجة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم
ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من الضرر قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين
غير اولي الضرر والمجاهدين الا الاول وفضل المجاهدين على القاعدين اولي الضرر درجة اراد ان يبين تفضيل المجاهدين على
القاعدين غير اولي الضرر اجرا عظيما والمجاهدون مفضلون على القاعدين غير اولي الضرر بدرجات يعني منازل الكرامة
قيل سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقيل فضلوا بسبعمائة درجة وروى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين
السماء والارض وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا جهاد في سبيله
لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته بان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال
من اجر وغنيمة قوله اجرا منصوب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا قوله درجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب
درجات نصب درجة كما تقول ضربته اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال
عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وكان
غفورا رحيما للفريقين جميعا للمجاهدين والقاعدين قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا لما ذكر الله المجاهدين اتبعه بعقاب من قعد عن الجهاد ورضي
بالسكون في دار الحرب قوله توفاهم يجوز ان يكون ماضيا فيكون الآية اخبارا عن حال اقوام معينين انقرضوا ومضوا
ويجوز ان يكون مستقبلا والتقدير تتوفاهم فحذف احدى التائين فتكون الآية عامة في حق كل من كان بهذه الصفة
قيل نزلت هذه الآية في ناس من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
واشباههما اظهروا الايمان واسروا النفاق فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين الى حرب المسلمين فقتلوا فرماهم الملائكة
فقتلوا يوم بدر يضربون الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه وهو قوله فيم كنتم قيل معنى يقبض الملائكة
ارواحهم عند الموت ولا تنافي قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقوله الذي خلق الموت والحياة وقوله كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله قل يتوفاكم ملك الموت لانه تولى وسائر الملائكة اعوانه وقيل يتوفاهم الملائكة للتوفين (?)
فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم او كنتم في المشركين او في المسلمين وهذا سؤال توبيخ وتعيير وقالوا فيم كنتم
خبر ان قالوا لهم فيم كنتم في امر دينكم او كنتم في المشركين او المسلمين وهذا سؤال توبيخ وتعيير وقالوا فيم كنتم

فحذف لدلالة الكلام عليه وقيل خبر ان قوله فاولئك مأواهم جهنم وقيل ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر المراد
بقوله قالوا فيم كنتم فاعتذروا بالضعف عن مقاومة اهل الشرك وهو قوله تعالى قالوا كنا مستضعفين في الارض
اي في ارض مكة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان
حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا ولم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا
على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة
حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اراد انكم كنتم قادرين
على الهجرة من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون
الى ارض الحبشة فانتم بين الكفار لا للعجز عن الهجرة بل مع التمكن منها فلا جرم ذكر الله وعيدهم فقال فاولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا قال صاحب الكشاف وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب
والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين اقعدهم عن الهجرة الضعف قال ابن عباس يريد قوما
من المسلمين كانوا بمكة لا يستطيعون ان يخرجوا منها فعذرهم الله فهم اولئك قال كنت انا وامي ممن عذر الله لا يستطيعون
حيلة اي لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا لا يعرفون طريقا الى المدينة دار
الهجرة يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الاية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة بن حبيب لبنيه احملوني
فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان
شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قيل كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من الوعيد فان الاستثناء انما يحسن لو كانوا مستحقين
للوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا اجيب بان سقوط الوعيد انما كان بسبب العجز والعجز تارة
يحصل بسبب الفقر وعدم الاهبة وتارة يكون بعدم الاهتداء الى الطريق وتارة بسبب الصبى فلا يتوجه على الولدان
وقيل لان العجز يمكن فيهم لا ينفكون عنه فحسن استثناء الولدان ايضا هذا اذا اريد بالولدان الاطفال وقيل يجوز
ان يراد بالولدان المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيتوجه التكليف نحوهم فيما بينهم وبين الله وقيل
اريد بالولدان العبيد والاماء البالغون ولا يستطيعون صفة المستضعفين او للرجال والنساء
والولدان لا يقال لا يجوز ذلك لان المستضعفين والرجال والنساء والولدان وان كان فيها حرف التعريف فليس لشيء
بعينه فصح وصفها بالجملة كقول الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبني قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
فان قيل المستضعفون من الرجال والنساء والولدان كانوا عاجزين عن الهجرة والعاجز عن الشيء غير مكلف به واذا لم يكن
مكلفا به لم يكن عليه في تركه عقوبة فلم قال عسى الله ان يعفو عنهم والعفو لا يتصور الا مع الذنب وايضا عسى كلمة
الاطماع وهذا يقتضي عدم القطع بحصول العفو في حقهم اجيب عن الاول بان المستضعف قد يكون قادرا
على ذلك الشيء مع ضرب من المشقة وتمييز الضعف الذي يحصل الرخصة عنه شاق ومشتبه فربما ظن الانسان بنفسه
انه عاجز عن الهجرة ولا يكون كذلك لا سيما في الهجرة عن الوطن فانها شاقة على النفس وبسبب شدة النفرة قد يظن
الانسان كونه عاجزا مع انه لا يكون كذلك فلهذا المعنى الحاجة الى العفو شديدة في هذا المقام وعن الثاني بان الانسان
لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عنها مع انه لا يكون كذلك في الحقيقة فلهذا المعنى ذكر العفو بكلمة
عسى لا بالكلمة الدالة على القطع وذكر صاحب الكشاف ما يقرب هذا بانه انما قال بكلمة الاطماع للدلالة على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره ثم قال تعالى
وكان الله عفوا غفورا ذكر الزجاج في كان ثلثة اوجه الاول كان قبل ان يخلق الخلق موصوفا بهذه الصفة الثاني انه كان
مع جميع العباد بهذه الصفة والمقصود بهذه الصفة بيان ان هذه عادة الله اجراها في حق خلقه الثالث انه تعالى لو قال انه
عفو غفور كان هذا اخبارا عن كونه كذلك فقط ولما قال كان الله عفوا غفورا كان هذا اخبارا وقع مخبره على وفقه فكان
ذلك دليلا على كونه صدقا وحقا وبريا عن الكذب والخلف قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
لما رغب الله تعالى في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمتنع الانسان من الهجرة وبين الجواب واعلم ان المانع امران الاول انه يكون
في وطنه في نوع راحة ورفاهية فيقول لو فارقت الوطن وقعت في الشدة والمشقة وضيق العيش الثاني ان الانسان
يقول ان خرجت عن بلدي في طلب هذا الغرض فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى ان لا اضيع الرفاهية الناجزة
بسبب طلب شيء ربما اصل اليه وربما لا اصل اليه فاجاب الله عن الاول بقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله
لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت فلانا اي هجرته وفارقته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك قال النابغة
الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقيل مراغما الخروج من العدو برغم انفه وقيل المراغم والمهاجرة
واحدة يقال راغمت وهاجرت وذلك ان الرجل كان اذا اسلم خرج من قومه مراغما لهم اي مغاضبا لهم فقيل للمذهب مراغم وعن
ابن عباس متحولا من ارض الى ارض وقيل متزحزحا عما يكره وقيل ان هذه المراغمة انما حصلت بسبب انهم فارقوا وخرجوا عن ديارهم

وقال انه

وقيل انه وجد في المهاجرة النعمة والخير ما يكون سببا لرغم انف اعدائه الذين كانوا معه في وطنه الاصلي لان من فارق الى بلدة
اجنبية فاذا استقام امره في تلك البلدة الاجنبية ووصل ذلك الخبر الى اهل البلدة خجلوا من سوء معاملتهم معه ورغمت
انوفهم بسبب ذلك قوله وسعة اي من الرزق وقيل سعة من الضلالة الى الهدى وقيل وسعة في اظهار الدين وذلك ان الكفرة
كانوا قد ضيقوا عليهم من اظهار دينهم حتى منعوهم من اظهاره والمعنى ايها الانسان انك ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفا من
ان تقع في المشقة والمحنة وضيق العيش في السفر فلا تخف فان الله يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير
سببا لرغم انوف اعدائك ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم قوله مراغما على قوله وسعة
لان سرور الانسان بما يراغم انف عدوه اشد من سروره بسعة عيشه والجواب عن الثاني بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله اي وجب ثوابه على سبيل التفضل وبحكم الوعد لا بحسب الاستحقاق اذ العبد
لو لم يفعل لم يخرج عن الالهية وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال
هذه لك ولرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لو توفي في المدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني
من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله والمؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة
ثم قال وكان الله غفورا رحيما مع ما وقع منه من القعود الى ان خرج رحيما باعطاء الاجر قوله تعالى واذا ضربتم
في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
مما يحتاج المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة وقت الخوف والاشتغال بالمحاربة للعدو فلهذا المعنى ذكره الله تعالى في هذه الاية
الضرب في الارض هو السفر وقيل القصر في الصلاة واقصرها وقصرها كل ذلك جائز ولفظ القصر مشعر بالتخفيف والتخفيف
في كمية الركعات وكيفية ادائها ولم يعرض في الاية للاول ولا للثاني فلهذا اختلفوا على قولين فذهب الجمهور الى ان المراد منه
قصر عدد الركعات ثم القائلون بهذا القول ايضا اختلفوا على قولين الاول ان المراد منه صلوة السفر وهو ان الرباعية
تصير في السفر ركعتين فيدخل القصر في الظهر والعصر والعشاء ولا يدخل في الصبح والمغرب والثاني ان المراد منه صلاة
الخوف عن ابن عباس فرض صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم فهذان القولان
متفقان على ان المراد قصر الركعات وذهب طائفة الى ان المراد بالقصر التخفيف في كيفية اداء الركعات وهو ان يكتفي في الصلاة
بالايماء والاشارة بدل الركوع والسجود وان يصلي ماشيا وحالة تلطخ الثوب بالدم وهذه الصلاة التي يؤتى بها حالة
التحام القتال واحتجوا على صحة هذا القول بان خوف الفتنة لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك فيما
يشتد فيه الخوف حالة التحام القتال وهذا ضعيف لانه يمكن ان يقال ان الصلاة اذا كانت قليلة الركعات امكنه
ان ياتي بها على وجه لا يكون خصمه عالما بكونه مصليا اما اذا كثرت الركعات طالت المدة فلا يمكنه ان ياتي بها على حين
غفلة من العدو والاقرب ان يحمل القصر على اسقاط الركعات لما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر رضي الله عنه كيف
نقصر وقد امنا وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وهذا يدل على ان القصر المذكور في الاية هو القصر في عدد
الركعات وان ذلك كان مفهوما عندهم من معنى الاية ولان القصر هو الاتيان ببعض الشيء والاقتصار عليه فاما الاتيان
بشيء آخر فلا يسمى قصرا ولا اقتصارا ومعلوم ان اقامة الايماء مقام الركوع والسجود وتجويز المشي في الصلاة وتجويز
الصلاة مع الثوب الملطخ بالدم ليس شيء من ذلك قصرا بل كلها اثبات لاحكام جديدة واقامة لشيء مقام شيء
آخر ولان من في قوله من الصلاة للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة ولان لفظ القصر كان مخصوصا
في عرفهم بنقص عدد الركعات ولهذا المعنى لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين قال ذو اليدين اقصرت الصلاة
ام نسيت قال الشافعي القصر رخصة فان شاء المكلف اتم وان شاء اكتفى على القصر وقال ابو حنيفة القصر عزيمة غير رخصة
لا يجوز غيره فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين فسدت صلاته وان قعد فيهما مقدار التشهد تمت صلاته
واحتج الشافعي بوجوه منها قوله تعالى ان تقصروا من الصلاة مشعر بعدم الوجوب فانه لا يقال لا جناح عليك في اداء الصلاة
الواجبة بل هذا اللفظ انما يذكر لرفع التكليف بذلك الشيء فاما ايجابه على التعيين فهذا اللفظ غير مستعمل فيه واجاب صاحب
الكشاف بان هذا الاحتمال انما يخطر بباله اذا قال الشارع رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر
او حرمت عليكم الاتمام فعلتم فسدت الصلوة عليكم فهذا الاحتمال لا يخطر ببال العاقل اصلا فلا يكون هذا الكلام مبهما ومنها
ما روت عائشة رضي الله عنها قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله
بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي ومنها ان عثمان كان يتم ويقصر وما
ظهر انكار من الصحابة عليه ومنها انه رخص السفر شرعت على سبيل التخفيف لا على سبيل التعيين كما في كذا وما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر واحتج الحنفية بما روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر
على لسان نبيكم وبما روي عن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وبما روي
عن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال انه صدقة تصدق بها على عباده فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب والجواب
ان هذه الاحاديث تدل على كون القصر مشروعا ولا يدل على انه لا يجوز غيره ولما كان لفظ القرآن دالا على جواز غيره كان القول

لا جناح عليكم ٢

عن هذا بان قال كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه ورد ما قال صاحب الكشاف ٢

الصلوة فرضت ٢

به اولى قيل ان السفر القصير والطويل سواء لظاهر الآية فان قوله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
جملة شرطية فيه شرط وهو الضرب في الارض وجزاء وهو نفي الجناح في القصر فوجب ان يترتب الجزاء على الشرط الذي هو الضرب
في الارض الذي هو السفر سواء كان طويلا او قصيرا وذهب جمهور الفقهاء الى ان السفر ما لم يتقدر بمقدار مخصوص لم يحصل فيه
رخصة القصر فان السلف اجمعوا على ان اقل السفر مقدر والذي يدل عليه انه حصل في المسألة روايات عن عمر رضي الله عنه
انه قال يقصر في يوم تام وبه قال الزهري والاوزاعي ومنها ما قاله ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر ومنها ما قال انس
يقصر في خمسة فراسخ ومنها ما قال الحسن مسيرة ليلتين ومنها ما قال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المداين مسيرة ثلاثة
ومذهب الشافعي ان مدة السفر الذي يجوز فيه القصر اربعة برد مسيرة يومين كل بريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة اميال
باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة آلاف
خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة وعول اصحاب الشافعي على ما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا
الصلاة في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان وعند ابي حنيفة ان مدة السفر مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي
الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب وباسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة
ايام لم يقصر وعول اصحاب ابي حنيفة في تقدير المدة بثلاثة ايام على قوله صلى الله عليه وسلم يمسح المسافر ثلاثة ايام وهذا يقتضي
انه اذا لم يحصل المسح ثلاثة ايام لا يكون مسافرا واذا لم يكن مسافرا لم يحصل الرخص وعند هذا السفر زعم اهل الظاهر
ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف لقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فان المشروط بالشيء عدم عند
ذلك الشيء فوجب ان لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد
قال الامام وقد صعب هذا الكلام على قوم فذكروا وجوها متكلفة في الآية ليتخلصوا من هذا الكلام وعندي انه ليس في هذا
غموض لانا بينا في تفسير قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان كلمة ان وكلمة اذا تفيدان انه عند حصول الشرط يحصل الشيء
واستدل الشافعي على صحة هذا الكلام بآيات كثيرة واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى ان خفتم يقتضي انه لا تحصل الرخصة عند
عدم الخوف وحينئذ تكون الآية ساكتة عن حال الامن بالنفي والاثبات فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا
لحكم سكت عنه القرآن بخبر الواحد وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات حكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن ونحن
لا نقول به فان قيل فعلى هذا ما الفائدة في التقييد بحال الخوف قلنا ان الآية نزلت على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم
واكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله هذا الشرط من حيث انه هو الاغلب في الوقوع قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
عن اتمام الركوع والسجود وقيل ان خفتم ان يقتلكم الذين كفروا ومثل هذا قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم
اي يقتلهم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره قوله ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا والمعنى ان العداوة الحاصلة
بينكم وبين الكافرين قديمة والآن قد اظهرتم خلافهم في الدين فازدادت عداوتهم لكم وبسبب شدة العداوة اقدموا
على محاربتكم وقصدوا اتلافكم ان قدروا فان طالت صلاتكم فربما وجدوا الفرصة في قتلكم فلعلى هذا رخصت لكم في قصر
والعدو يستوي فيه الواحد والجمع. قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا
اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او
كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ● لما بين حال قصر الصلاة بحسب الكمية
في العدد في الآية المتقدمة بين في هذه الآية حالها في الكيفية قال الحسن ابن زياد صلوة الخوف من خواص الرسول صلى الله
عليه وسلم ولا يجوز لغيره واحتج ابو يوسف بظاهر هذه الآية فانه يقتضي ان اقامة هذه الصلوة مشروطة بكون النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم لان كلمة اذا تفيد الاشتراط وايضا تغيير هيئة الصلوة على خلاف الدليل لكن جوزنا في حق الرسول
ليحصل للناس فضيلة الصلاة خلفه واما في حق غير الرسول فهذا المعنى غير حاصل لان فضيلة الصلاة خلف الثاني كهي خلف
الاول فلا يحتاج هناك الى تغيير الصلاة واما سائر الفقهاء فقد اتفقوا على ان صلاة الخوف بعد رسول الله لانه لما ثبت هذا
الحكم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره لقوله تعالى فاتبعوه الآية وقوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم به دون غيره من الائمة بعده وبان
الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون
حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام الرسول صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها واما التمسك
بلفظ اذا فالجواب ان مقتضاه هو الثبوت عند الثبوت واما العدم عند العدم فغير مسلم واما التمسك بادراك الفضيلة
في الصلاة خلف النبي عليه السلام فليس يجوز ان يكون علة لاباحة تغيير هيئة الصلوة لانه لا يجوز ان يكون طلب الفضيلة
يوجب ترك الفرض. واما سبب نزول هذه الآية ان المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
قاموا الى الصلاة الظهر يصلون جميعا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ندموا الا كانوا اكبوا عليهم
فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر فاذا رايتموهم
قد قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فلما قاموا الى صلاة العصر نزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله تعالى
يقول واذا كنت فيهم اي كنت في الخائفين فقمت بنفسك معهم فحرستهم وخوفهم فاقمت لهم الصلاة اي ابتدأتها
واقامة الصلاة الاتيان بها بتمامها فلتقم طائفة منهم معك اي فلتقف يقال قام الرجل اذا وقف ومنه قوله تعالى واذا اظلم عليهم

قاموا

قاموا اي وقفوا اي فاجعلهم طائفتين فلتقف احدى الطائفتين معك فصل بهم وليأخذوا اي المصلون معك
فليأخذوا المصلون معك اسلحتهم التي لا تشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وقيل وليأخذوا الباقون
الذين تجاه العدو لان المصلين غير مقاتلين ويجوز ان تكون الجماعة المصلون امروا بحمل السلاح لانه ارهب للعدو
واحرى ان لا يقدموا عليهم فاذا سجدوا اي المصلين معك فليكونوا اي فلتكن الطائفة التي لم تصل من ورائكم يحرسون الطائفة
المصلية معه وقيل فليكن المصلون من ورائكم امر المصلون اذا سجدوا ان ينصرفوا الى الحرس واختلف العلماء كيف ينصرفون
بعد السجود فقال قوم اذا اقام الامام ركعة اتموا لانفسهم ركعة ثم سلموا وانصرفوا وقد تمت صلاتهم وقال الآخرون ينصرفون
عن ركعة واختلفوا هل لا فقال بعضهم اذا صلوا مع الامام ركعة وسلموا فهي تجزيهم وقال الآخرون بل ينصرفون عن تلك
الركعة الى الحرس وهم على صلاتهم فيكونون في وجه العدو مكان الطائفة التي لم تصل فتأتي تلك الطائفة واختلفوا في الطائفة
الاخرى فقال قوم اذا صلى بهم الامام اطال التشهد حتى يقضوا الركعة الثانية ثم يسلم بهم وقال الآخرون بل يسلم هو عند
فراغه من الصلوة بهم فاذا سلم قضوا ما فاتهم وقال الآخرون بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة ويسلم هي بل ترجع الى وجه العدو
ثم تجيء الاولى فتقضي ما بقي من صلاتها وتسلم وتمضي وتجيء الاخرى فتتم صلاتها. اعلم ان العلماء اختلفوا في كيفية صلاة الخوف
من عدو غير مأمون فصلى الامام بطائفة ركعة وطائفة تجاه العدو فاذا فرغ منها قام وثبت قائما واطال القيام لطائفة
التي بقيت عليها يقرأ بام القرآن وسورة وتخفف ثم تسلم وتنصرف فتقف تجاه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي بهم
الامام الركعة الثانية بام القرآن وسورة قصيرة ثم يجلس مع الامام وقد اتموا لانفسهم يتشهدوا ثم يسلم بهم وقد صلت الطائفتان
جميعا مع الامام واخذت كل واحدة منهما مع الامام ما اخذت الاخرى واحتج الشافعي بقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة
وبان النبي صلى الله عليه وسلم فعل نحو ذلك يوم ذات الرقاع وان كانت صلاة المغرب فان صلى ركعتين بالطائفة
الاولى وثبت قائما واتموا لانفسهم فحسن وان ثبت جالسا واتموا لانفسهم فجائز ثم تأتي الطائفة الاخرى فيصلي بهما ما بقي
عليهم ثم يثبت جالسا حتى يقضوا ما بقي عليها ثم يسلم بهم وان كانت صلوة حضر فلينتظر جالسا في الثانية او قائما في الثالثة
حتى تتم الطائفة التي معه ثم تأتي الطائفة الاخرى فيصلي بها كما وصفت في الاخرى وان كان العدو قليلا من ناحية
والمسلمون كثيرا يأمنونهم في مستو لا يسترهم شيء ان حملوا عليهم رآهم صلى الامام بهم جميعا وركع وسجد بهم الا صفا
او بعض صف ينظرون العدو فاذا قاموا بعد السجدتين سجد الذين حرسوا فاذا ركع ركع بهم جميعا وركع وسجد بهم الا صفا
له او بعض صف ينظرون العدو فاذا قاموا بعد السجدتين سجد الذين حرسوا ثم يتشهد ويتشهدون ثم يسلم بهم جميعا
معا فلو تأخر نصف الذين حرسوا الى الصف الثاني وتقدم الثاني وحرس فلا بأس هذا نحو صلاة النبي صلى الله عليه
وسلم يوم عسفان ولو صلى في الخوف بطائفة ركعتين ثم سلم ثم صلى بالطائفة الاخرى ركعتين ثم سلم جاز هكذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى الطائفتين ركعتين ثم صلى بالطائفة الاخرى
ركعتين فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وصلى كل طائفة ركعتين قال المزني وهذا يدل على جواز فريضة
خلف نافلة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالطائفة الثانية فريضة لهم ونافلة له صلى الله عليه وسلم هذا مذهب
الشافعي في صلوة الخوف وقال ابو حنيفة السنة ان يفرق الامام المسلمين فرقتين فيصلي بفرقة ركعة وفرقة وجاه العدو
ثم تنصرف الفرقة التي صلت مع الامام ركعة وهم في الصلاة فيقفون وجاه العدو وجاءت الفرقة الاخرى فصلت
الامام الركعة الاخرى ثم انصرفت وعادت الفرقة الاولى فاتمت الصلوة وعادت الى مواجهة العدو وانصرفت الفرقة الاخرى
فاتمت صلوتها وذهب ابو حنيفة في هذا الى حديث يرويه عن سالم ابن عبد الله عن عبد الله ابن عمر انه يحدث انه صلاها
مع النبي صلى الله عليه وسلم فصف معه طائفة منا واقبلت طائفة على العدو فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فاقبلوا على الصلاة فجاءت الطائفة الاخرى فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففعل مثل ذلك ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم فقام كل رجل من الطائفتين فصلى لنفسه ركعة وسجدتين قال
نافع عن ابن عمر فان كان الخوف اشد من ذلك فصلوا قياما وركبانا حيث وجهتهم وهكذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة الخوف بذي قرد فصف صفا موازيا للعدو فصلى بالصف الذي معه ركعة ثم ذهب هؤلاء الى مصاف هؤلاء
وجاء هؤلاء فصلى بهم ركعة ثم سلم بهم جميعا فانصرفوا فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل واحد من القوم
ركعة روي عن عروة بن الزبير يحدث عن مروان بن الحكم انه سأل ابا هريرة رضي الله عنه هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه
صلوة الخوف قال ابو هريرة نعم قال مروان متى فقال عام غزاة نجد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العصر وقامت
معه طائفة وطائفة اخرى مقابل العدو وظهورهم الى القبلة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر الذين معه والذين
يقابلون العدو جميعا ثم ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة واحدة وركع معه الطائفة التي تليه ثم سجد وسجدت
الطائفة التي تليه والآخرون قيام مقابل العدو جميعا ثم ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت معه الطائفة
الذين معه فذهبوا الى العدو فقابلوهم واقبلت الطائفة التي كانت مقابلة العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم قائم كما هو ثم قاموا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة اخرى وركعوا معه وسجد وسجدوا معه ثم
اقبلت الطائفة التي كانت مقابلة العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعتان ولكل واحدة
من الطائفتين ركعتان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك قال ابن عباس يريد الذين كانوا من ورائكم
من لم يكونوا صلوا فليصلوا معك قوله وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يريد الذين صلوا اولا وفي لفظ انه تعالى جعل الحذر وهو

هو ولا تسلم
فقال الشافعي اذا صلوا في سفر صلوة الخوف
التي بقيت عليه فيقرأ بها ابتداء بام القرآن وسورة قصيرة وتثبت جالسا وتقوم الطائفة فتتم لانفسها الركعة التي بقيت عليها
واذا سجد معه الذين حرسوا اولا الاصفا او بعض صف يحرسونه منهم فاذا سجدوا سجدتين وجلسوا
يبطن نخلة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه صلى مع النبي عليه السلام
عن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف بذي قرد
قائم
قاعد كما هو ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا جميعا فكان لرسول الله

الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين وفيه رخصة للخائف في
الصلاة بأن يجعل بعض فكره في غير الصلاة فإن قيل لم ذكر في الآية الأولى أسلحتهم فقط وذكر في هذه الآية حذرهم وأسلحتهم قلنا
لأن في أول الصلاة قلما يتنبه العدو لكون المسلمين في الصلاة بل يظنون كونهم قائمين لأجل المحاربة أما في الركعة الثانية
فقد ظهر للكفار كونهم في الصلاة فههنا ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم فلا جرم خص الله هذا الموضع بزيادة تحذير فقال
تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم قوله ود الذين كفروا تمنى الذين كفروا لو تكونوا مشتغلين عن أسلحتكم بالصلاة فتغفلون عن
أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة بالقتال يعني يشدون عليكم شدة واحدة قوله ولا جناح عليكم رخص لهم
في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يلحقهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا
فيهجم عليهم العدو وقوله في أول الآية وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم أمر وظاهر الأمر للوجوب فهذا يقتضي وجوب أخذ السلاح
ثم أكد هذا بدليل آخر وهو أنه قال لا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم فخص رفع الجناح
في وضع السلاح بهاتين الحالتين وذلك يوجب أن فيما وراء هاتين الحالتين يكون الإثم والجناح حاصلا بسبب وضع
السلاح وقيل إنه سنة قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا قلت
الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام وأخبرهم أن الله يهين عدوهم ويخذله
وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
قوله تعالى فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ● أي الصلاة فيه حال وقضيتم بمعنى فرغتم قيل المراد الذكر لله في غير الصلاة أي
واظبوا على ذكر الله في جميع الأحوال فإن ما أنتم عليه من الخوف والقتال مع العدو جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع
إليه والمراد بالذكر التسبيح والتكبير والدعاء والتحميد وقيل المراد بالذكر الصلاة أي صلوا قياما فإن لم تستطيعوا
فقعودا فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم وقيل المراد فصلوا قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح قوله فإذا اطمأننتم في بلادكم بالرجوع إلى الوطن من السفر وزال حركة السفر وقيل إذا أمنتم
بعد الخوف حين تضع الحرب أوزارها فأقيموا الصلاة قيل معناه أتموها من غير قصر البتة إذا اطمأننتم في بلادكم وقيل إذا أمنتم
من الخوف ولم يبق اضطراب القلب بسبب زوال الخوف فأقيموا الصلاة على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من
أحكامها وهيأتها قال صاحب الكشاف فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك
الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج وهذا إشارة إلى رحلة القضاء ثم إنه سبحانه في شرح أقسام الصلوة فذكر
صلوة السفر وذكر صلاة الخوف ثم ختم هذه الآيات بقوله إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي فرضا
موقتا والمراد بالكتاب ههنا المكتوب كأنه قيل إن الصلوة كانت على المؤمنين مكتوبة موقتة ثم حذفت الهاء من الموقوتة
للحمل على المصدر موقوتا أي محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال
كنتم خوفا أو أمنا قال صاحب الكشاف وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في إيجابه الصلاة على المحارب في حالة المسايفة
والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن قوله تعالى
ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما
حكيما ● لما ذكر الله بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة أخرى إلى الحث على الجهاد فقال ولا
تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال قيل أراد بالكفار أبا سفيان وأصحابه يوم أحد وقد مضت
القصة في آل عمران ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو
أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم
لا تصبرون مثل صبرهم ثم زاد في تقرير الحجة وهو أنكم أولى بالصبر على القتال منهم لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون
من إعلاء كلمتكم وإظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة إن الله كان عليما حكيما فلا يكلفكم شيئا
ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما هو عالم بأنه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم على سبيل التفضل لا على سبيل الوجوب قوله
تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله
كان غفورا رحيما ● قيل في كيفية النظم إنه لما شرح أحوال المنافقين على سبيل الاستقصاء ثم اتصل بذلك أمر
الجهاد واتصل به ما يتعلق به من الأحكام الشرعية مثل قتل المسلم خطأ على ظن أنه كافر ومثل بيان صلاة المسافر وصلاة
الخوف رجع بعد ذلك إلى أحوال المنافقين بعد أنهم كانوا يحاولون أن يحملوا الرسول عليه السلام على أن يحكم بالباطل
ويترك الحكم بالحق فأطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لا يلتفت إليهم ولا يقبل قولهم في هذا الباب وقيل إن كثيرا من
الأحكام المذكورة في هذه السورة بين أن كلها من الله وأنه ليس للرسول أن يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قومه وقيل
نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث وكان سرق درعا من جار له يقال له قتادة
بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق ثم خبأها
عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما أخذها وما له
بها علم فقال أصحاب الدرع بلى والله لقد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق فلما أن
حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق وشهد له ناس

من اليهود على ذلك فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلموا في صاحبنا فعذره
وجادل عنه فإن صاحبنا بريء مما يعتقد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلموه في ذلك فسألوه أن يجادل عن صاحبهم
وقالوا إنك إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي
وقيل هم أن يقطع يده فأنزل الله تعالى يعاتبه إنا أنزلنا وقيل لما تبين الله خيانته ارتد عن الإسلام ولحق بمكة ونقب حائطا بمكة
ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق أي بالأمر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما أراك
الله أي بما عرفك وأوحى إليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه
لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف قيل قوله بما أراك
الله يدل على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بالاجتهاد بأنا نقول إما أن يكون من الرؤية أو من الرأي ولا
أن يكون من الرؤية لأن الرؤية إما رؤية البصر أو الرؤية بمعنى العلم التي تتعدى إلى مفعولين والأول باطل لأن الحكم في الحادثة لا يرى
والثاني أيضا باطل لأنه يلزم أن تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل بسبب التعدية ومعلوم أنه لا يتعدى إلا إلى مفعولين أحدهما
الكاف التي هي للخطاب والآخر المفعول المقدر وتقديره بما أراكه الله ولما بطل لم يكن إلا من الرأي إذ لا ثالث لهما والرأي الاجتهاد
قوله ولا تكن للخائنين خصيما مخاصما للبرآء من الذنب يعني لا تخاصم اليهود لأجل المنافقين واستغفر الله مما هممت به من عقاب
اليهودي قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ● أي طعمة ومن عاونه
من قومه ممن علم كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وقيل لا تجادل عن الذين يخونون أنفسهم بالمعصية كقوله
علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم
فإن من أقدم على المعصية حرم على نفسه الثواب وأوصلها إلى العقاب فكان ذلك منه خيانة مع نفسه قال الإمام واعلم
أن في الآية تهديدا وتشديدا وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مال طبعه قليلا إلى جانب طعمة وكان في علم الله أن طعمة
كان فاسقا فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من إعانة المذنب فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالما ثم يعينه على ذلك
الظلم بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشد الترغيب قال صاحب الكشاف فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق
طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول
كل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه وقوله خوانا أثيما أي إن طعمة خان في الدرع وأثم في نسبة اليهودي إلى
السرقة فلهذا قال تعالى خوانا أثيما مع أن الصادر منه خيانة واحدة وإثم واحد لأن الله تعالى كان عالما بأنه أفرط من طعمة في الخيانة
وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وأيضا أنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع السرقة عنه
ويلحقها باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول إبطال رسالته بكذبه فهذا كفر فلهذا وصفه الله بالمبالغة في الخيانة
والإثم وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول
هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة قوله تعالى يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ● الاستخفاء الاستتار يقال
استخفيت من فلان أي تواريت منه قال الله تعالى ومن هو مستخف بالليل أي مستتر والمعنى يستترون من الناس أي طعمة
وقومه حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بما يخفون وبما يعلنون
لا يخفى عليه من سرهم شيء قال صاحب الكشاف وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم
مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح إذ يبيتون
يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو أن طعمة قال أرمي اليهودي بأنه
سارق الدرع وأحلف أني لم أسرقها فيقبل يميني لأني على دينهم ولا يقبل يمين اليهودي قال صاحب الكشاف ما لا يرضى من
القول هو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فإن قلت كيف سمي التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس
قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه
الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون محيطا أحاط بما يبيتون ما لا يرضى من القول وبسائر أعمالهم وهذا وعيد لهم لأنهم وإن كانوا
يخفون كيفية المكر والخداع عن الناس إلا أنها كانت ظاهرة في علم الله لأنه محيط بجميع المعلوم لا يخفى عليه شيء قوله تعالى
ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من يكون عليهم وكيلا ● ها للتنبيه
في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك
وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا
فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه والجدال شدة المخاصمة وجدال الحبل شدة الفتل ورجل مجدول كأنه
فتل والأجدل الصقر لأنه من أشد الطيور قوة هذا قول الزجاج وقال غيره سميت المخاصمة مجادلة لأن كل واحد من الخصمين
يريد فتل صاحبه عما هو عليه وصرفه عن رأيه وهذا الخطاب مع قوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه بسبب أنهم كانوا
في الظاهر من المسلمين قوله فمن يجادل الله عنهم استفهام على سبيل التوبيخ والتقريع قوله أم من يكون عليهم وكيلا قوله أم
يكون عطف على الاستفهام السابق والوكيل هو الذي وكل إليه الأمر في الحفظ والحماية والمعنى من الذي يكون حافظا ومحاميا
عنهم من بأس الله قوله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ● قيل السوء القبيح
يتعدى ضرره إلى غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع ومن رمي اليهودي بالسرقة أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وإنما خص

بما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك في الاكثر يكون ايصالا للضرر الى الغير والضرر سوء حاضر واما الذنب الذي يخص الانسان فذلك
في الاكثر لا يكون ضررا حاضرا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه
بالشرك وقوله ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيه بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة او لقومه لما فرط منهم من
نصرته والذب عنه والاية دالة على حكمين الاول ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب سواء كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال
لان قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه يعم الكل الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف وقيل يقيد بالتوبة
لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار وقوله يجد الله غفورا رحيما اي غفورا رحيما له وحذف له لدلالة الكلام عليه
قوله تعالى ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ◉ الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة
او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى به اي ومن يكسب اثما فانما ضره يعود الى نفسه ولا يتعداه ضرره الى غيره لانه
لا يؤخذ غيره بالاثم فليبق على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما بالسارق وبما في قلبه عند اقدامه على التوبة حكيما حكم
بالقطع على السارق في السرقة اقتضى حكمته ورحمته ان يتجاوز عن التائب قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم
به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ◉ قيل خطيئة صغيرة واثما كبيرة وقيل خطيئة ما يقتصر على فاعلها واثما ما يتعدى
الى الغير كالظلم والقتل وقيل خطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او بالخطا واثما ما يحصل بسبب العمد والدليل عليه
قوله تعالى ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فبين ان الاثم ما يكون سببا لاستحقاق العقوبة وقوله ثم يرم به وحد
باحد هذين المذكورين اي الخطيئة او الاثم وقيل به اي بالاثم وحده لانه هو الاقرب كما في التجارة في قوله واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وقيل اي بالكسب المتقدم بقوله يكسب بريئا قوله يكسب دال على الكسب وقيل المتهم [illegible]
الخطيئة فكانه قال ومن يكسب ذنبا ثم يرم به بريئا وقيل ومن يكسب خطيئة اي يمينه الكاذبة واثما بسرقة الدرع ورميه
اليهودي ثم يرم به بريئا اي يقذف باخاه بريئا منه فقد احتمل بهتانا والبهتان ان يبهت الرجل بما لم يفعل وقيل البهتان
الكذب الذي يتحير من عظمه واثما مبينا ذنبا بينا لانه بكسب الاثم او برمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين فالبهتان
مذموم في الدنيا اشد الذم ومعاقب في الاخرة اشد العقاب فقوله فقد احتمل بهتانا اشارة الى ما يلحقه من الذم العظيم
وقوله واثما مبينا اشارة الى ما يلحقه من العقاب العظيم في العقبى قوله ومن يكسب خطيئة او اثما يعني عبد الله
ابن ابي سلول ثم يرم به بريئا يعني عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها حين كذب عليها وكان من اهل الافك قوله تعالى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ◉ اي ولولا ان الله خصك بالفضل وهو
النبوة وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من قوم طعمة ان يضلوك
عن الحكم بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو طعمة وقيل ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة
وذلك انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجادل عن طعمة ويحيل سرقته الى اليهودي قوله وما يضلون الا انفسهم
لانهم يتلون عمل الضالين بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان وشهادتهم بالزور والبهتان لانه وبال ذلك عليهم وما
يضرونك من شيء لان الضرر على من شهد بغير حق وعصمك الله تعالى في هذه الاية اذ ادام العصمة لما يريدون من ايقاعك في الباطل
ثم ذكر منته عليه فقال وانزل الله قيل معنى وما يضرونك من شيء معناه انه تعالى وعدك بالعصمة في المستقبل فيكون قوله
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة مؤكدا لذلك الوعد يعني لما انزل عليك الكتاب والحكمة وامرك بتبليغ الشريعة الى الخلق
فكيف يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وقيل معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان معذورا في بناء الحكم على الظاهر كان المعنى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة واوجب فيهما بناء احكام الشرع
على الظاهر فكيف يضرك بناء الامر على الظاهر ثم قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قيل هذه الاية تحتمل وجهين احدهما ان
يكون المراد ما يتعلق بالدين كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وعلى هذا الوجه تقدير الاية انزل الله عليك
الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما واوقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك عالما بشيء منهما فكذلك يفعل
بك في مستانف ايامك لا يقدر احد من المنافقين على اضلالك عن ذلك وثانيهما ان يكون المراد وعلمك ما لم تكن تعلم
من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم ما تقدر به على الاحتراز عن وجوه كيدهم ومكرهم ثم قال
وكان فضل الله عليك عظيما وهذا من اعظم الدلائل على ان العلم اشرف الفضائل والمناقب وذلك لان الله تعالى ما اعطى
الخلق من العلم الا القليل كما قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونصيب الشخص الواحد من علوم جميع الخلق يكون قليلا
كما قال قل متاع الدنيا قليل فذلك يدل على غاية شرف العلم قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او
معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ◉ قيل هذه اشارة الى ما كانوا
يتناجون فيه حين يبيتون ما لا يرضى من القول قيل النجوى السر بين اثنين يقال ناجيت الرجل مناجاة ونجاء وتناجوا القوم
الرجل بمعنى ناجيته والنجوى قد يكون مصدرا بمعنى المناجاة قال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقد
يكون بمعنى المتناجين كما قال تعالى واذ هم نجوى على الاول معناه لا خير في كثير من تناجي قوم
طعمة او اليهود تناجوا في امر طعمة او الناس وعلى الثاني لا خير في كثير من الرجال الذين يتناجون في امر طعمة او من المنافقين على
العموم قوله الا من امر قيل المستثنى في محل الجر بدلا من كثير على معنى الا في نجوى من امر بصدقة ثم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقيل في محل النصب على ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل يجوز ان في

الرفع على لغة من يرفع المستثنى من غير الجنس كما قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس وقيل المستثنى
من بمعنى امر او الرجال المتناجين وهو الاستثناء المتصل وقيل على تقدير ان يكون النجوى هم المتناجون يجوز ان يكون في محل
الخفض من وجهين احدهما ان يجعله تبعا للكثير على معنى لا خير في كثير من نجواهم الا فيمن امر بصدقة كقولك لا خير
في القوم الا نفر منهم والثاني ان يجعله تبعا للنجوى كما تقول لا خير في جماعة من القوم الا زيد ان شئت اتبعت زيدا الجماعة
وان شئت اتبعته القوم قوله بصدقة ذكر ثلاثا من انواع الخير الامر بالصدقة والامر بالمعروف واصلاح بين الناس وذلك
لان عمل الخير اما الايصال المنفعة او لدفع المضرة والى الثاني اشار بقوله او اصلاح بين الناس والاول اما جسمانية
واليه اشار بقوله امر بصدقة او روحانية لتكميل القوة العلمية بالعلوم الناصعة الدينية او لتكميل القوة العملية
بالاعمال الصالحة والاخلاق الجميلة والى كليهما اشار بقوله او معروف وقوله امر بصدقة اي حث عليها وقيل المعروف القرض
وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل وقيل يجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ايوب الانصاري الا ادلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال نعم يا رسول الله
تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا وقد روي ان رجلا قال لسفيان ما اشد هذا الحديث فقال سفيان
الم تسمع قول الله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة فهذا هو بعينه قوله ومن يفعل ذلك والمعنى ان هذه الاقسام
من الطاعات وان كانت في غاية الشرف والجلالة الا ان الانسان انما ينتفع بها اذا اتى بها لوجه الله ولطلب مرضاته فاما
اذا اتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من اعظم المفاسد فهذه الاية من اعظم الدلائل على ان المطلوب من الاعمال
الظاهرة رعاية احوال القلب في اخلاص النية وتصفية الداعية عن الالتفات الى غرض سوى طلب رضوان الله ونظيره
قوله مخلصين له الدين وقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فان قيل كيف قال الا من امر بصدقة ثم قال ومن
يفعل ذلك وكان الاولى ومن يامر بذلك اجيب بانه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لان من امر بالخير اذا دخل في زمرة الخيرين كان
الفاعل للخير احرى ان يدخل في زمرتهم ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر فاعل الخير ووعده بالاجر العظيم اذا فعل ابتغاء
مرضات الله وذلك اشارة الى احد الامور الثلاثة الصدقة والمعروف والاصلاح بين الناس ويجوز ان يراد ومن امر بذلك
فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ◉ نزلت هذه الاية في طعمة بن ابيرق ايضا وذلك انه لما نزل
القرآن فيه وعلم قومه انه الجاني خاف هو على نفسه من القطع والفضيحة فهرب الى مكة فانزل الله تعالى فيه ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى اي من بعدما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام فان طعمة قد تبين له بما اوحى الله
من امره واظهر من سرقته ما دله على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول واظهر الشقاق من بعد ما تبين
له الهدى قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير دين الموحدين وهو السبيل الذي هم عليه الدين الحنيفي القيم وذلك
ان طعمة ترك دين الاسلام واتبع دين عبدة الاوثان نوله ما تولى نخله وما تولاه من الضلال له اي نتركه وما اختاره
لنفسه ونكله في الاخرة الى ما توكل عليه في الدنيا ونصله جهنم واصله الصلاء وهو لزوم النار وقت الاستدفاء وساءت
مصيرا انتصب مصيرا على التمييز روي ان الشافعي رضي الله عنه سئل عن آية في كتاب الله تعالى يدل على ان الاجماع حجة
فقرا القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الاية تقريره ان الله تعالى جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين
في الوعيد فيكون اتباع غير سبيل المؤمنين حراما فيجب اتباع سبيل المؤمنين اذ لا مخرج عن اتباع غير سبيل المؤمنين
واتباع سبيلهم فاذا كان الاول حراما يكون الثاني واجبا فان قيل رتب الوعيد على الكل اي مجموع المشاقة واتباع غير
سبيل المؤمنين لانه عطف الثاني على الاول بالواو كقولنا للرجل من دخل الدار وضرب الكلب من عبيده فهو معتق لا يحصل
الا بمجموع الدخول والضرب كما ان كل واحد من جزئي الشرط لا يقتضي وقوع الجزاء كذلك لا يقتضي في الاية كل واحد من المشاقة
والاتباع ترتب الوعيد عليه وحينئذ لا يلزم حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين اجيب بانا لا نسلم انه رتب الوعيد على المجموع
بل رتب الوعيد على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين لان المشاقة مستقلة
في ترتب الوعيد اذا كانت المشاقة مستقلة في ترتب الوعيد يكون ذكر اتباع غير سبيل المؤمنين بشرط تبين الهدى
شرطا في المعطوف عليه والشرط في المعطوف عليه شرط في المعطوف فلا بد من تبين الهدى للاستغراق فيكون حرمة اتباع
سبيل المؤمنين بعد تبين جميع انواع الهدى والدليل الذي لاجله ذهب اهل الاجماع الى الحكم واذا تبين ذلك الدليل
استغنى به عن الاجماع فلا يبقى فائدة في التمسك بالاجماع اجيب بانا لا نسلم ان حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين مشروط
بتبين الهدى فان تبين الهدى شرط في ترتب الوعيد على المشاقة لا على اتباع غير سبيل المؤمنين ولا نسلم ان الشرط في
المعطوف عليه شرط في المعطوف فان العطف يقتضي مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم الذي لاجله يكون الامر
لاجله لا في جميع الاحكام ولئن سلم ان الشرط في المعطوف فان تبين الهدى شرط في ترتب الوعيد على اتباع غير سبيل
المؤمنين لا يضر كون حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين مشروطة بتبين الهدى فان الهدى الذي هو شرط في ترتب الوعيد
على المشاقة هو دليل التوحيد والنبوة لا دلائل الاحكام الفرعية لان المعطوف مشروط بشرط المعطوف عليه لا غير
فيكون الاجماع دليلا قيل لو سلم حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين مطلقا فلا نسلم حرمة اتباع كل ما غاير سبيل
المؤمنين مطلقا فلا نسلم حرمة اتباع كل ما غاير سبيل المؤمنين بل حرمة ما غاير سبيل المؤمنين وهو الكفر فان غير
سبيل المؤمنين مفرد والمفرد لا يفيد العموم حتى يجب حرمة كل ما غاير سبيل المؤمنين اجيب بان غير سبيل المؤمنين يقتضي العموم

لجواز الاستثناء فانه يصح استثناء اي واحد من افرادها فاير سبيل المؤمنين هو دليل الاجماع فان لفظ السبيل حقيقة في الطريق
الذي يحصل فيه المشي وهو مراد هنا بالاتفاق فصار الظاهر متروكا فلا بد من صرفه الى المجاز فيحمل مجازا على دليل
الاجماع لان الدليل الذي ثبت به الحكم مشابه للطريق الذي يحصل فيه المشي فانه كما ان الحركة البدنية في الطريق المسلوك
توصل السالك الى المطلوب فكذلك الحركات النفسانية في مقدمات الدليل توصل النفس الى المطلوب والمشابهة
احدى جهات حسن المجاز وحينئذ يقتضي الاية وجوب اتباع دليل الاجماع وحاصله يرجع الى اتباع الحكم المجمع عليه
بالدليل الذي اجمعوا على الحكم به وحينئذ يخرج الاجماع عن كونه حجة اجيب بان حمل السبيل على الاجماع اولى من حمله
على دليل الاجماع كما صح حمله على الاجماع فان اهل اللغة يطلقون السبيل على ما يختاره الانسان لنفسه من قول او فعل
وحمله على الاجماع اولى لعمومه فان الاجماع يفيد المجتهد والمقلد بخلاف دليل الاجماع فانه لا يفيد الا المجتهد قيل
لو سلم حرمة كل ما غاير بعض سبيل المؤمنين لكن لا يلزم حرمة كل ما غاير كل سبيل المؤمنين بل حرمة كل ما غاير بعض
سبيل المؤمنين فيجب اتباعهم فيما صاروا به مؤمنين وكل ما غاير سبيلهم فيما صاروا به مؤمنين هو الكفر بالله وتكذيب
الرسول اجيب بانه حينئذ اتباع غير سبيل المؤمنين من المشاقة فانه لا معنى لمشاقة الرسول الا اتباع غير سبيل المؤمنين
فيما صاروا به مؤمنين فلو حمل على هذا يلزم التكرار قيل سلمنا حرمة اتباع غير سبيل المؤمنين على الوجه الذي ذكرتم لكن لا يلزم
من حرمة اتباع غير سبيلهم وجوب اتباع سبيلهم ووجوب اتباع سبيلهم قولكم لا يخرج من اتباع غير سبيل المؤمنين
واتباع سبيلهم ممنوع فان بينهما واسطة وهو ترك الاتباع راسا اجيب بان ترك اتباع سبيل المؤمنين حين
سبيلهم من ترك اتباع سبيلهم فقد اتبع غير سبيلهم لا يقال الشرط في كون الانسان متبعا لغيره كونه آتيا
بمثل فعل الغير لاجل ان ذلك الغير اتى به فمن ترك اتباع سبيل المؤمنين وهو مما تركه لاجل ان غير المؤمنين تركه كان
في ذلك غير سبيل المؤمنين اما من تركه لاجل الدليل الدال على وجوب ذلك الترك او لعدم الدليل على اتباع المؤمنين
فلا يكون متبعا لاحد فلا يدخل تحت الوعيد لانا نقول يفهم في العرف من قول القائل لا تتبع غير سبيل المؤمنين حتى لو
قال لا تتبع غير سبيل المؤمنين ولا تتبع سبيلهم ايضا لكان ذلك متناقضا ولو قال لا تتبع سبيل غير المؤمنين
لا يفهم منه وجوب اتباع سبيلهم ولذلك لا يستقبح ان يقال لا تتبع سبيل غير المؤمنين ولا سبيلهم وبالجملة الفرق
ثابت في العرف بين قولنا لا تتبع غير سبيل المؤمنين وبين قولنا لا تتبع سبيل غير المؤمنين قيل سلمنا وجوب اتباع سبيل المؤمنين
لكن وجوب اتباع سبيلهم في بعض الامور لا في كلها فانه لا يجب اتباعهم في فعل المباح واذا كان وجوب اتباع سبيلهم في بعض
الامور لم يلزم اتباعهم في الحكم الذي اجمعوا عليه اجيب بانه يجب اتباع سبيل المؤمنين في كل الامور بدليل صحة الاستثناء
ولانه لما ثبت النهي عن اتباع كل ما هو غير سبيل المؤمنين وثبت عدم الواسطة بين الاتباعين لزم وجوب اتباع سبيل المؤمنين
في كل الامور الا ما خص عنه الدليل وفعل المباح خص عنه الدليل كوجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فان الدليل
دل على وجوب اتباعه في كل الامور الا ما خص عنه الدليل قيل لو وجب اتباع سبيل المؤمنين في كل الامور لزم التناقض
واللازم باطل فالملزوم مثله بيان الملازمة ان اهل الاجماع اثبتوا الحكم المجمع عليه بالدليل على الحكم لا بد له من دليل لان
بلا دليل خطاء ولا يجوز ان يكون الاجماع نفسه هو الدليل لامتناع تقدم الشيء على نفسه فيكون سبيل المؤمنين اثبات
الحكم بدليل غير الاجماع فيجب اثبات الحكم الاجماعي لوجوب اتباع سبيل المؤمنين في كل الامور فيلزم ان لا يجوز اثبات ذلك
الحكم بالاجماع فيلزم التناقض اجيب بان الاية اقتضت وجوب اتباعهم في كل الامور لكن خص منها هذه الصورة
العمل ببعض الاية في هذه الصورة وترك العمل بمقتضى الاية في هذه الصورة لا ينافي الاجماع على انه لا يجب علينا الا
بما استدلوا به في كل الامور بكونها دليلا على وجوب اتباع سبيل كل المؤمنين لان لفظ المؤمنين جمع معرف باللام فيفيد
الاستغراق وكل المؤمنين هم الموجودون الى يوم القيمة ولا يكون الموجودون في العصر كل المؤمنين فلا يكون اجماعهم
اجماع كل المؤمنين فلا يكون حجة اجيب بانه لا يجوز ان يكون المراد بالمؤمنين جميع المؤمنين الى يوم القيمة بل المراد بالمؤمنين
الموجودون في كل عصر وذلك لان المقصود العمل فان الله تعالى رتب الوعيد على اتباع غير سبيل المؤمنين زجرا عن مخالفة
المؤمنين وترغيبا في الاخذ بقولهم والعمل به فلا يجوز ان يكون المراد جميع المؤمنين الموجودين الى يوم القيمة فانه حينئذ
لا فائدة في التمسك به اذ لا عمل في القيمة قيل هذه الاية دلت على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن جميع
الذنوب لانه لو كان يجوز منه ذنب لجاز منعه وكل من منع غيره عن فعله فعله كان مشاقا له لان كل واحد منهما يكون في شق
غير الشق الاخر فلو صدر عنه ذنب لوجب ان لا يشاق وبهذه الاية يجب ان لا يصدر عنه ذنب وقيل تدل الاية على انه
يجب الاقتدا بالرسول عليه السلام في افعاله اذ لو كان فعل الامة مخالفا لفعل الرسول لزم كون كل واحد منهما في شق آخر
من العمل فيحصل المشاقة لكن المشاقة محرمة فيجب الاقتدا به في افعاله وقيل كل مجتهد مصيب في الاصول لا بمعنى
ان اعتقاد كل واحد مطابق للواقع بل بمعنى سقوط الاثم عن المخطئ واحتجوا عليه بهذه الاية فانه تعالى شرط حصول الوعيد
بتبين الهدى والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط وهذا يقتضي انه اذا لم يحصل تبين الهدى لا يكون الوعيد
حاصلا ورد بانه احتجاج بالمفهوم ودلالته ضعيفة عند من يقول بها والدليل الدال على وعيد الكفار قطعي لانه تعالى
قال بعد هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به والظني لا يعارض القطعي وقيل ان الاية دالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالدليل
والنظر والاستدلال لانه تعالى شرط حصول الوعيد بتبين الهدى فلو لم يكن تبين الهدى معتبرا في صحة الدين لما كان
لهذا الشرط معنى الاية دالة على ان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لو كان الهدى اسما للعلم لكان اضافة التبيين الى الهدى اضافة

الى نفسه

[illegible]

يجعلهم عن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم
هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله قوله وان يدعون الا شيطانا مريدا يعني بعبادة الاصنام
شيطانا تامرهم بها اي ماردا وهو الشديد العاتي الخارج من الطاعة يقال مرد الرجل يمرد مرودا ومرادة اذا عتا وخرج عن الطاعة
لان الشيطان هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض للجند رزقه قال الحسن من كل الف تسع
مائة وتسعين الى النار ومن اطلاع ابليس فيما بنيه من نصيبه المفروض ثم قال ولاضلنهم يعني عن الحق والهدى
والصراط المستقيم واضلاله وسوس ودعا الى الباطل ولو كان اليه شيء من الضلالة سوى الدعاء اليها لاضل جميع الخلق
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء يزين للناس الباطل والكفر
والشهوات ولا يخلق لهم الضلالة قوله ولامنينهم التمنية تسهيل سبيل ادراك الشيء وهو ما يتمناه الانسان الشيطان
في الانسان بان يخيل ادراك ما يتمناه من الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال قال ابن عباس يريد تسويف التوبة
وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقال الزجاج اجمع لهم مع الاضلال ان اوهمهم انهم ينالون من
الاخرة حظا قوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع والتبتيك التقطيع وهو في هذا الموضع قطع اذان البحيرة كانوا يشقون
اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال
ابن عباس يريد تغيير دين الله او تبديل الحلال حراما والحرام حلالا وكل من ارتكب محظورا فقد غير دين الله وقيل
تغيير خلق الله فقو عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وفي بني ادم
محظور وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى اخصائهم وقيل
تغيير فطرة الله التي هي دين الاسلام فان الله تعالى فطر الخلق على دين الاسلام يوم اخرجهم من ظهر ادم كالذر واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فمن كفر فقد غير فطرة الله التي فطر الناس عليها وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال قد كذب عكرمة هو دين الله
وعن ابن مسعود هو الوشم وفيه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث قال الا
يجب دخول الساحقات في هذه الاية على هذا القول لان التخنث تشبه الذكر بالانثى والسحق العكس وقيل ان الله تعالى خلق
الانعام لياكلوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب والوصائل وخلق الشمس
والقمر والنجوم مسخرة للناس ينتفعون بها فعبدوها فغيروا خلق الله قوله ومن يتخذ الشيطان لما حكى الله عن الشيطان
مقالاته في الاغواء والاضلال حذر الناس عن متابعته فقال ومن يتخذ الشيطان وليا لا يختار احد ان يتخذ الشيطان
من دون الله لكن اذا فعل ما امره الشيطان به وترك ما امره الرحمن به صار كانه اتخذ الشيطان وليا لنفسه وترك
ولاية الله فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر وطاعة
الشيطان تفضي الى المضار الدائمة والاحزان والالام العاجلة ولا شك ان هذا خسران مبين قوله يعدهم ويمنيهم
وعد الشيطان وتمنيته ما يتصل الى قلب الانسان من تخيلات من انه سيطول عمره وينال من الدنيا لذاتها ويعلو على
اقرانه وكل هذا غرور عن قرب الاجل وقد يبطل امر عمره لم يدرك منه شيئا قال المعاني

لم يفرح لهذا وجد في الطاعة وعلم انه سينقطع عن الدنيا قريبا وصدق الله في قوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اي الا ما يغرهم بايهام النفع بما فيه الضرر والغرور ان يظن الانسان بالشيء انه نافع لذيذ ثم يتبين اشتماله على
الآلام والمضار وقيل الحالة التي تحصل للانسان عند وجدانه ان يستحسن ظاهره الا انه يعظم تاذيه به عند انكشاف
الحال فيه والاستغراق في طيبات الدنيا والانهماك في معاصي الله تعالى وان كان في الحال لذيذا الا ان عاقبته عذاب جهنم
وسخط الله والبعد عن رحمته فكان هذا المعنى مما يقوي ما تقدم ذكره من انه ليس الا الغرور وقوله اولئك الذين اتخذوا
الشيطان وليا مأواهم جهنم ومصيرهم الى جهنم ولا يجدون عنها محيصا يقال حاص عن الامر اذا حاد عنه والمعنى
انهم لا بد من ورودها قال الله وان منكم الا واردها والخلود فيها فلا معدل لهم عنها وهو نصيب الكفار قوله تعالى والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق
من الله قيلا ● لما ذكر الوعيد بالكفار اردفه بالوعد للمؤمنين قال الامام انه تعالى في اكثر آيات الوعد ذكر خالدين
فيها ابدا ولو كان الخلود يفيد التأبيد والدوام لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلمنا ان الخلود عبارة عن طول
المكث لا عن الدوام واما في آيات الوعيد فيذكر الخلود ولا يذكر التأبيد الا في حق الكفار وذلك يدل على ان عقاب
الفساق منقطع قوله وعد الله حقا هما مصدران الاول مؤكد لنفسه كانه قال وعد وعدا والثاني مؤكد لغيره اي حق
ذلك حقا قوله ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه تنبيها على ان وعد الله اولى واحق بالقبول والتصديق من قول
الشيطان الذي ليس احد اكذب منه قرأ حمزة والكسائي اصدق باشمام الزاي وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال
في القرآن نحو قصد السبيل فاصدع والقيل مصدر قال قولا وقيلا وقيل القيل والقال اسمان لا مصدران قوله
تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ● قيل ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب في ليس ضمير يعود الى وعد الله اي ليس
ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وقد جرى
ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وقيل الخطاب للمشركين والمشركون كانوا لا يؤمنون بوعد الله لكن
قالوا ان كان الامر كما يزعم هؤلاء اي المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا كما قال تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما
معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله والمعنى ليس ما وعد الله من الثواب بالاماني انما هو بفضل الله والايمان
والعمل الصالح علامته وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا
العمل قوله من يعمل سوءا يجز به قال الحسن هذا في الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير والمؤمن يجزى
باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ثم تلا ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا وقيل هذا عام في كل من عمل سوءا من مسلم وكافر ولكن
المؤمن يجزى به في الدنيا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قلت كيف الصلاح يا رسول الله بعد هذه الآية من يعمل سوءا
يجز به فقال غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب الست يصيبك الاذى قلت بلى قال فذلك ما تجزون به وعن ابي
هريرة لما نزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه من شيء
قال اما والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله
عنه بها خطيئة حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا تلا هذه الآية من يعمل سوءا يجز
به فقال انا لنجزى بما عملنا هلكنا اذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في مصيبة
في جسده مما يؤذيه قوله ولا يجد له من دون الله وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره وتاويل هذه الآية ظاهر في الكفار
واما في المسلمين فانه لا ناصر لاحد في القيمة دون الله ولا ولي للمسلمين على من ناواهم من اهل الايمان قوله تعالى ومن يعمل
من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ● قيل لما نزل قوله من يعمل سوءا يجز به
قال اهل الكتاب للمسلمين نحن وانتم سواء فنزلت ومن يعمل وما بعده من قوله ومن احسن دينا قرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم يدخلون
بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله وكذلك في سورة مريم وفي حم المؤمن والباقون بفتح الياء وضم الخاء في هذه
السور جميعا على ان الدخول مسندا اليهم وكلاهما حسن والاولى احسن لانه افخم ويدل على ان المثيب ادخلهم الجنة ويوافق
ولا يظلمون واما القراءة الثانية فهي مطابقة لقوله ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ولقوله ادخلوها بسلام ومن في قوله من
الصالحات للتبعيض اي من يعمل بعض الصالحات لان احدا لا يتمكن ان يعمل جميع الصالحات بل المراد انه اذا عمل بعض الصالحات
حال كونه مؤمنا يدخل الجنة على سبيل التفضل بمقتضى وعده قال صاحب الكشاف وذلك لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة
في بعض الاحوال وقوله من ذكر او انثى لتبيين الابهام في قوله من يعمل وهذه الآية دالة على ان صاحب الكبيرة لا يبقى مخلدا
في النار بل ينقل الى الجنة لان صاحب الكبيرة مؤمن اذا صلى وصام وزكى وحج يدخل الجنة بمقتضى الآية ويدخل النار
بحكم الآيات الدالة على وعيد الفساق ولا يدخل الجنة ثم ينقل الى النار بالاتفاق فتعين العكس والنقير النقرة التي

تكون في ظهر

[illegible]

والطبيعيون يستعينون بالافلاك والكواكب والطبائع وغيرها واليهود كانوا يقولون ...
من اولاد الانبياء والنصارى كانوا يقولون ثالث ثلاثة فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله واما المعنى لانهم في الحقيقة ما اسلمت
وجوههم لانهم يريدون الطاعة الموجبة لثوابهم من انفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون الا انفسهم ولا يخافون الا انفسهم واما
اهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق والابداع الى الحق سبحانه واعتقدوا انه لا موجد ولا مؤثر الا الله فهم
الذين اسلموا وجوههم لله واما الوجه الثاني في بيان فضيلة الاسلام وهو ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الخلق الى
دين ابرهيم عليه السلام فلقد اشتهر عند كل الطوائف ان ابرهيم عليه السلام ما كان يدعو الا الى الله تعالى كما قال اني بريء مما
تشركون وما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان دينه الدعوة
الى الله تعالى والاعراض عن كل ما سوى الله وشرع محمد عليه السلام فقد كان قريبا من شرع ابرهيم عليه السلام في الختان وفي الاعمال
المتعلقة بالكعبة مثل الصلوة اليها والطواف بها والسعي والرمي والوقوف والحلق والكلمات العشر المذكورة في قوله
تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن ولما ثبت ان شرع محمد عليه السلام كان قريبا من شرع ابرهيم ثم ان شرع ابرهيم مقبول عند الكل
وذلك لان العرب لا يفتخرون بشيء كافتخارهم بالانتساب الى ابرهيم واما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين
به واذا ثبت هذا لزم ان يكون شرع محمد صلى الله عليه وسلم مقبولا عند الكل قوله حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله
بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى الدين الاسلام لان ما سواه باطل والحق
مائل عن كل باطل فان قيل ظاهر الآية يقتضي ان شرع محمد عليه السلام نفس شرع ابرهيم وعلى هذا التقدير لم يكن لمحمد عليه السلام شريعة
مستقلة وانتم لا تقولون بذلك قال الامام قلنا يجوز ان يكون ملة ابرهيم داخلة في ملة محمد عليه السلام مع اشتمال هذه الملة
على زوائد حسنة وفوائد جليلة والاولى ان يقال المراد بالاتباع في الاصول ... قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا
مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وقيل الخليل هو الذي يدخل في خلال الامور ...
والذي دخل حبه في خلال اجزاء قلبك وهذا هو الغاية في المحبة قيل لما اطلع الله ابرهيم عليه السلام على ملكوت السموات والارض
وحاج القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجم والقمر والشمس وعبادة الاوثان وسلم نفسه للنيران وولده
للقربان وماله للضيفان جعله الله اماما للخلق ورسولا اليهم وبشره بان الملك في ذريته سماه خليلا لان خلة
الله لعبده عبارة عن ارادته لايصال الخيرات والمنافع اليه وقيل الخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك
او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك ... قيل
سبب تلقيبه بهذا اللقب انه لما اصاب الرمل الذي اتى به غلمانه دقيقا قالت امرأته هذا من عند خليلك المصري فقال ابرهيم
بل هو من عند خليلي الله وقيل هبط ملك في صورة رجل فذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم عليه السلام اذكره مرة اخرى
فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر
فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله اتخذه خليلا
وقيل ان جبريل والملائكة لما دخلوا على ابرهيم في صورة غلمان حسان وظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه
اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل انت خليل الله فنزل هذا الوصف ...
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا جبريل لم اتخذ الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام وهذه الجملة اعتراض
لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة وفائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان
اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته كما اتخذ ابرهيم خليلا فان نبينا كان خليل الله لو كنت متخذا خليلا في امتي لاتخذت ابا بكر
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ● في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه

انه تعالى لما ذكر الوعد والوعيد ولا يمكن الوفاء بهما الا عند حصول امرين احدهما القدرة التامة المتعلقة بجميع الممكنات
والثاني العلم التام المتعلق بجميع الكليات والجزئيات حتى لا يشتبه عليه المطيع بالعاصي والمحسن بالمسيء فدل على كمال
قدرته بقوله ولله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه بقوله وكان الله بكل شيء محيطا اي عالما علم احاطة وهو العلم
بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه شيء ومنها انه لما وصف ابرهيم بانه اتخذه خليلا بين انه مع الخلة عبد له وذلك لان له
ما في السموات وما في الارض ملكا وملكه وتحت تسخيره ونفاذ الهيته فكيف يعقل ان يقال ان اتخاذ الله ابرهيم خليلا يخرجه
عن عبوديته ومنها ان الله تعالى لم يتخذ ابرهيم خليلا لاحتياجه اليه في امر من الامور كما تكون خلة بني آدم وكيف يعقل
ذلك وله ما في السموات وما في الارض وانما اتخذه خليلا تفضلا واحسانا فلما كان اسلم وجهه لله واخلص في عبوديته
خصه الله بهذا التشريف والحاصل ان اتخاذه خليلا يوهم الجنسية فازال بهذا الكلام وهم المجانسة ومنها
انه تعالى ذكر في اول السورة الى هذا الموضع انواعا كثيرة من الامر والنهي والوعد والوعيد فبين ههنا ان لله ما في السموات
وما في الارض وطاعته واجبة عليهم قوله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى
بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ● قال الامام عادة الله في ترتيب هذا الكتاب الكريم واقعة على احسن
الوجوه وهو انه يذكر شيئا من الاحكام ثم يذكر عقيبه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويخلط
بها آيات دالة على كبرياء الله وجلاله وكمال قدرته وعلمه ثم يعود مرة اخرى الى بيان الاحكام وهذا احسن انواع الترتيب واقرب
الى التاثير في القلوب لان التكليف بالاعمال الشاقة لا يقع في موضع القبول الا اذا كان مقرونا بالوعد والوعيد وهما
لا يؤثران في القلب الا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد فظهر ان هذا الترتيب احسن الترتيبات
اللائقة بالدعوة الى الدين الحق اذا عرفت ذلك فنقول انه تعالى ذكر في اول هذه السورة انواعا كثيرة من الشرائع والتكاليف
ثم اتبعها بشرح احوال الكافرين والمنافقين واستقصى في ذلك ثم ختم تلك الآيات بالآيات الدالة على عظمة جلاله
وكمال كبريائه ثم عاد بعد ذلك الى بيان الاحكام فقال ويستفتونك قيل سبب نزول هذه الآية ان الرجل كان [illegible]
عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل بها ذلك لم يقدر احد ان يتزوجها ابدا فان كانت جميلة وهويها تزوجها واكل
مالها وان كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت فاذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك وانزل هذه الآية وقيل ان اهل الجاهلية
كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا وكانت المرأة يتيمة في الجاهلية دميمة ولها مال فكره وليها ان يتزوجها
من اجل دمامتها وكره ان يزوجها غيره من اجل مالها فكان وليها لا يتزوجها ويحبسها عنده حتى تموت فيرثها وقيل
ان اليتيمة اذا كانت ذات مال وجمال رغب وليها فيها فنكحها فانزل الله هذه الآية وقيل جاءت امرأة من الانصار
يقال لها خولة بنت حكيم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجي توفي وترك بنات وليس عندهن من الحسن
ما يرغب فيهن الرجال فلا يقسم لهن من ميراث ابيهن شيء وقيل نزلت هذه الآية في ام كحة وبنات لها من ابيهن وقد مضت
القصة في اول السورة وقيل ان رجلا كانت له امرأة كبيرة وله منها اولاد فاراد طلاقها فقالت لا تفعل واقسم لي
في كل شهرين ان شئت او اكثر فقال الرجل ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال
قد سمع الله ما تقول فان شاء اجابك فنزلت هذه الآية والتي بعدها قوله ويستفتونك يطلبون منك الفتوى
والفتوى وهي تبيين المشكل من الاحكام وقيل الاستفتاء الاستخبار يقال استفتيت الفقيه في مسئلة فافتاني
والاسم الفتيا والفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء يقال افتيت فلانا في رؤيا رآها اذا عبرها قال الله يوسف
الصديق افتنا في سبع بقرات ومعنى الافتاء اظهار المشكل واصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي [illegible]
قويا فتبين قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم الحكم فيهن قوله وما يتلى عليكم في محل الرفع عطف على اسم الله المعنى الله يفتيكم
وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم يعني آيات المواريث في يتامى النساء او في النساء اليتامى فاضيف الصفة الى الاسم كما تقول
كتاب الكامل ويوم الجمعة هذا قول الكوفيين وعند البصريين لا يجوز اضافة النعت الى المنعوت والمراد بالنساء ههنا امهات
اليتامى اضيفت اليهن اولادهن اي يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن قال صاحب الكشاف ما يتلى في محل الرفع اي
الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد
وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما
للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب
مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا
بمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى اما من حيث اللفظ فلان
الجار والمجرور كشيء واحد فلا يعطف على بعضه واما من حيث المعنى فلعدم دخوله في الاستفتاء ولانه لا يستقيم
يفتيكم في حق ما يتلى عليكم فان قلت بم تعلق في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير والاضافة في يتامى النساء بمعنى
من كقولك عندي سحق عمامة قوله اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وترغبون
في ان تنكحوهن لجمالهن ويحتمل عن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت

غنية

[illegible]
خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ●
[illegible]
والكسائي بضم الياء وسكون الصاد وكسر اللام من الاصلاح والباقون بفتح الياء وتشديد الصاد [illegible]
الصاد [illegible] اللام مفتوحة من التصالح [illegible] يتصالحا فسكنت التاء وادغمت في الصاد ووجه يصلحا
ان الاصلاح عند التنازع والتشاجر مستعمل قال تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم وقال او اصلاح بين الناس
ووجه يصالحا ان يتوافقا صلحا في كونه مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح ان [illegible] ان تطيب
لها نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها نوبتها وقيل صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول لها انك
امرأة دميمة او قد دخلت في السن واريد ان اتزوج عليك امرأة شابة جميلة واوثرها عليك في القسمة في الليل والنهار
لشبابها فان رضيت بهذا فاثبتي وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك
فان لم ترض بدون حقها كان الواجب على الزوج ان يوفيها حقها من المقام والنفقة او يسرحها باحسان ولا يحبسها على الخسف
وان اقام عليها ورضي ووفاها حقها مع كراهيته لصحبتها فهو المحسن الذي مدحه الله قوله والصلح خير من الفرقة او من
النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او والصلح خير من الخيور اي الخيرات كما ان الخصومة شر من
الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا
يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني ان النفوس مطبوعة على الشح والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير
قسمها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها قوله وان تحسنوا بالاقامة على
نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي
الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وقيل انه خطاب للازواج
ونسائهم اي وان يحسن كل واحد منهما الى صاحبه [illegible] وقيل خطاب لغيرهما يعني وان تحسنوا في المصالحة
بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما قال صاحب الكشاف وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت
في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين قوله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان
غفورا رحيما ● قيل لن تعدلوا في التسوية بين النساء في المحبة التي هي ميل الطبع لانه امر لا تقدرون عليه ولو
اجتهدتم وقيل لن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن
فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان
تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه
وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ في الصعوبة حتى ظن انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوي بينهن في القسمة والنفقة
والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة
هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن قوله فلا تميلوا فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها
قسمتها من غير رضى منها اي ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل
كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل قال الشاعر هل هي الا حظة او تطليق
او صلف او بين ذاك تعليق وقيل لا تميلوا الى الشابة كل الميل فتدعوا الاخرى كالمنوطة لا في الارض ولا في السماء
كذلك هذه لا تكون مخلية فتتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها وان تصلحوا بالعدل في القسم وتتقوا الجور فان الله
غفور رحيم يغفر ما ملت الى التي تحبها وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات

بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت له ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة
بماله وبنفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان يفعل اذا امر بان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى
فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد قوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ● ذكر
احوال التصالح بين الزوجين اذا ارادا ان يجتمعا بالالفة فان رغبا في المفارقة وتفرقا بالطلاق وعد الله لهما
ان يغني كل واحد منهما عن صاحبه بعد ان يغني الله المرأة بزوج والزوج بامرأة اي كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه
وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر وكان الله واسعا بجميع خلقه في الرزق
والرحمة حكيما فيما حكم ووعظ ثم ذكر ما يوجب الرغبة اليه وطلب الخير منه فقال لله اي هو مالك لما فيهما ثم قال
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والكتاب اسم الجنس يتناول الكتب السماوية من قبلكم
متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب ان اتقوا اي بان اتقوا او يكون ان المفسرة لان التوصية
في معنى القول قوله وان تكفروا عطف على قوله اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا
فان لله فيه وجهان الاول ان الله الخالق لهم ولما لهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون
مطاعا في خلقه غير معصي منقادا لاوامره ونواهيه يتقون عقابه ويرجون ثوابه الثاني انكم ان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض من اصناف المخلوقات من يعبده ويتقيه وكان مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم
ومستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم فهو في ذاته محمود سواء حمدوه او لم يحمدوه وتكرير قوله لله
ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل
الخير كله ذكر قوله لله ما في السموات في هذه الاية ثلاث مرات لتقرير ثلثة امور اولها انه قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته والمراد منه انه تعالى جواد متفضل فذكر عقيبه قوله ولله ما في السموات وما في الارض والغرض تقرير كونه
واسع الجود والكرم وثانيها قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات
المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينتقص بالمعاصي والسيئات فذكر عقيبه قوله
فان لله ما في السموات وما في الارض والغرض منه تقرير كونه غنيا لذاته عن الكل وثالثها قال ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا والمراد منه انه تعالى قادر على الافناء والايجاد فان عصيتموه قادر على اعدامكم
وافنائكم بالكلية وعلى ان يوجد قوما اخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه فالغرض ههنا تقرير كونه سبحانه
وتعالى قادرا على جميع المقدورات واذا كان الدليل الواحد دليلا على مدلولات كثيرة فانه يحسن ان يستدل
به على احد تلك المدلولات ثم يذكر مرة اخرى ليستدل به على الثاني ثم يذكر ثالثا ليستدل به على المدلول الثالث وهذه
الاعادة احسن واولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة لان عند اعادة ذكر الدليل يحضر في الذهن ما يوجب
العلم بالمدلول فكان العلم الحاصل بذلك المدلول اقوى واجلى فظهر ان هذا التكرير في غاية الحسن والكمال وايضا
فاذا اعيد ثلث مرات وفرع عليه في كل مرة اثبات صفة اخرى من صفات جلال الله تنبه الذهن حينئذ لكون خلق
السموات والارض دالا على اسرار شريفة ومطالب جليلة فعند ذلك يجتهد الانسان في التفكر فيها والاستدلال
بخواصها وصفاتها على صفات الخالق سبحانه وتعالى ولما كان الغرض الكلي من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والافهام
من الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفة الله وكان هذا التكرار مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكده لا جرم كان في غاية
الحسن والكمال وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم
وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشا يذهبكم
ويأت بناس اخرين يوالونه وروي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم
قوم هذا يريد قوم فارس قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا
بصيرا ● المعنى من كان يريد ثواب الدنيا اي من يجاهد للغنيمة فهو مخطئ فان عند الله ثواب الدنيا والاخرة
فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما
الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي له ذلك حتى يتعلق الجزاء بالشرط قالوا انها كان مشركو العرب
لا يؤمنون بالبعث والحساب وكانوا مقرين بان الله خالقهم وكان تقربهم الى الله انما هو ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف
عنهم شرها فاعلم الله ان خير الدنيا والاخرة عنده فينبغي ان يطلب من عنده ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا لكلامهم
انهم لا يطلبون من الجهاد سوى الغنيمة بصيرا بانهم لا يجتهدون في الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ● قيل الله
تقدم في هذه السورة امر الناس بالقسط كما قال وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وامرهم بالاشهاد عند دفع اموال
اليتامى اليهم وامرهم بعد ذلك ببذل المال والنفس في سبيل الله وجرى في هذه قصة طعمة بن الابيرق في
اجتماع قومه على الذب بالكذب عنه والشهادة على اليهودي بالباطل ثم انه تعالى امر في هذه الاية بالمصالحة مع الزوجة

ومعلوم

ومعلوم ان كل ذلك امر من الله عباده بان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل احد وعلى انفسهم فكانت هذه
الاية مؤكدة لكل ما جرى ذكره في هذه السورة من انواع التكاليف وقيل لما تقدم ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهم وبين
الازواج عقبه بالامر بالقيام بادا حقوق الله وفي الشهادة لاحيا حقوق الله وبالجملة فكانه قيل ان اشتغلت بتحصيل ما
كنت لنفسك لا لله وان اشتغلت بتحصيل امور الله كنت لله لا لنفسك ولا شك ان هذا المقام اشرف واعلى فكانت
هذه الاية تاكيدا لما تقدم من التكاليف قوامين بالقسط القوام مبالغة من قائم امر الله تعالى المؤمنين بان يكونوا مبالغين في
اقامة العدل والاحتراز من الجور قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت شهداء لله يقيمون شهاداتكم
لوجه الله كما امرتم باقامتها والمعنى قوموا بالعدل واشهدوا لله بالحق ولو على انفسكم يا شهداء او على الوالدين والاقربين وقيل ولو كانت
الشهادة على انفسكم او الوالدين والاقربين والشهادة على انفسكم اقراركم بما عليكم من الحق لان اقرار الانسان على نفسه في
معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وقيل معناه وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على الوالدين والاقربين وذلك
ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ونصب شهداء على انها حال من قوامين وقيل خبر كونوا على انهما خبران له وقيل
صفة قوامين قدم الامر بالقيام بالقسط على الامر بالشهادة في هذه الاية وفي قوله شهد الله بالعكس وذلك لان شهادة
الله عبارة عن كونه تعالى خالقا للمخلوقات وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية العدل في تلك المخلوقات فيلزم هناك ان تكون
الشهادة مقدمة على القيام بالقسط والقيام بالقسط في حق العباد عبارة عن كونه مراعيا للعدل ومباينا للجور ومعلوم
انه ما لم يكن الانسان كذلك لم تكن شهادته على الغير مقبولة ثم قال تعالى ان يكن غنيا او فقيرا اي يكن المشهود عليه غنيا لا تمتنعوا
لغناه طلبا لرضاه او فقيرا لا ترحموه لفقره اي لا تكتموا الشهادة لطلب رضى الغني او للترحم على الفقير فالله اولى بكم بالغني
والفقير او الله اعلم بما فيه منكم لانه يتولى احوالهما من الغنى والفقر وكان حق الكلام ان يوحد الضمير لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا
في معنى ان يكن احدهما ثني لا لاشتمال رجوعه الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور وهو جنس الغنى وجنس الفقير
كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ان كان من العدل
او ارادة ان تعدلوا عن الحق ان كان من العدول ويفيدهما وان تلووا قرا ابن عامر وحمزة تلوا من الولاية اي ان وليتم
اقامة الشهادة اي اديتم الشهادة او اعرضتم عنها والباقون تلووا من اللي اي بالواو من لوي حقه اذا مطله ومن لوي الشيء
اذا فتله والمعنى وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او تعرضوا عن الشهادة عندكم وتمنعوها فان الله كان بما تعملون
خبيرا وعيد للاخبار المطيعين ووعيد للمذنبين فيجازي المطيع باحسانه والمسيء المعرض باعراضه قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا ● قيل هذا خطاب للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه
وازدادوه وقيل معناه يا ايها الذين امنوا على سبيل التقليد امنوا على سبيل الاستدلال وقيل معناه يا ايها الذين امنوا
بحسب الاستدلالات الجملية وقيل معناه يا ايها الذين امنوا بحسب الاستدلالات الاجمالية امنوا بحسب الدلائل التفصيلية
وقيل معناه يا ايها الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله بالدلائل التفصيلية امنوا بان كنه عظمة الله لا تنتهي
اليه عقولكم وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي اليها عقولنا وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم
امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي ان الخطاب لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس
وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنوا بالله
ورسوله محمد وبكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فانزل الله الاية فامنوا كلهم وقيل الخطاب للمنافقين كانه قيل
يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا وقيل الخطاب لليهود خاصة والمعنى يا ايها الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره
وذلك قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل الخطاب لليهود
والنصارى ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية وعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا
مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به
هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض ولو كان ايمانهم بما امنوا به لاجل المعجزة لامنوا به كله فحين امنوا ببعضه علم
انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد تعالى في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقيل الخطاب للمشركين يعني الذين امنوا باللات والعزى والطاغوت
امنوا بالله ومعناه انه كان لا بد من الايمان بشيء فالايمان بالله ورسله وكتبه احق واولى مما لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يضر
ولا يغني قوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل اي جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب
والدليل عليه قوله وكتبه قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل على ما لم يسم فاعله لقوله تعالى لتبين للناس ما نزل
اليهم والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك والباقون بالفتح فيهما لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وقوله وانزلنا
اليك الذكر وانما قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن
يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله انظر كيف قدم الامر بالايمان جميعا وامر بالايمان باربعة اشياء اولها
بالله وثانيها برسوله وثالثها بالكتاب الذي نزل على رسوله ورابعها بالكتاب الذي انزل من قبل وذكر في الكفر امورا خمسة

اولها الكفر بالله وثانيها الكفر بملائكته وثالثها الكفر بكتبه ورابعها الكفر برسله وخامسها الكفر باليوم الآخر ثم قال فقد ضل ضلالا بعيدا ذكر الامام في الآية سؤالات منها لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر قلبنا القضية الجواب لانه في مرتبة النزول من معرفة الخالق كان الكتاب مقدما على الرسول وفي مرتبة العروج من الخلق الى الخالق يكون الرسول مقدما على الكتاب وثانيها لم ذكر في مراتب الايمان الله والرسول والكتاب وذكر في مراتب الكفر الخمسة والملائكة واليوم الآخر الجواب لان الايمان بالله وبالرسل وبالكتب متى حصل فقد حصل الايمان بالملائكة واليوم الآخر لا محالة اذ ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالله وبالرسل وبالكتب ثم انه ينكر الملائكة واليوم الآخر ويزعم انه يجعل الآيات الواردة في الملائكة واليوم الآخر محمولة على التأويل فلما كان هذا الاحتمال قائما نص على ان منكر الملائكة ومنكر القيمة كافر قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما ● لما امر الله بالايمان ورغب فيه بين فساد طريقة من يكفر بعد الايمان فذكر في هذه الآية قيل المراد منه ان الذين يتكرر منهم الكفر بعد الايمان تدل على انه لا وقع للايمان في قلوبهم لما تركوه بادنى سبب ومن لا وقع للايمان في قلبه فالظاهر انه لا يؤمن بالله ايمانا صحيحا معتبرا لم يكن الله ليغفر لهم ما قاموا على ذلك لا ان الله اخبر انه لا يغفر كفر الكافر اذا انتهى فاذا اطلق القول بانه لا يغفر لهم علمنا ان المراد به ما اقاموا عليه وقيل ان اليهود آمنوا بالتورية وموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد المنافقون فالايمان الاول اظهارهم الاسلام وكفرهم بعد ذلك نفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم والايمان الثاني هو انهم كلما لقوا جمعا من المسلمين قالوا انا مؤمنون والكفر الثاني هو انهم اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن وازديادهم في الكفر هو جدهم واجتهادهم في استخراج انواع المكر والكيد في حق المسلمين واظهار الايمان قد سمي ايمانا وليس المراد بيان هذا العدد بل المراد ترددهم كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والذي يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله عنهم بانهم قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وقوله ثم ازدادوا كفرا معناه انهم بلغوا في ذلك الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وهذه الآية دالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين بالموافاة وهي ان شرط صحة الايمان ان يموت الرجل على الاسلام وهم يجيبون عن ذلك بانا نحمل الايمان على اظهار الايمان وقد بينا انه على خلاف الاصل والآية دالة على ان الكفر يقبل الزيادة والنقصان فكذا الايمان ايضا لانهما ضدان فقبول احدهما التفاوت يقتضي قبول الآخر له وذكر في تفسير الزيادة وجوها منها انهم ماتوا على الكفر ومنها انهم ازدادوا كفرا بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم فعلى هذا اصابة الطاعات توجب للايمان زيادة ومنها ان الزيادة في الكفر انما حصلت بقولهم انما نحن مستهزؤن وهذا يدل على ان الاستهزاء بالدين اعظم درجات الكفر وقوله لم يكن الله ليغفر لهم فيه سؤالات منها ان الحكم المذكور في الآية اما مشروط بما قبل التوبة وهو باطل لان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحينئذ تضيع هذه الشرائط المذكورة في الآية او بما بعدها وهو ايضا باطل لان الكفر بعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة اجيب بان الذين كفروا محمول على المعهود السابق والمراد به اقوام معينون علم الله منهم انهم يموتون على الكفر ولا يتوبون عنه فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم على الكفر وبان هذا الكلام خرج على الغالب المعتاد وهو ان من كان كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه وقع فالظاهر من حال مثل هذا الانسان انه يموت على الكفر وبان الحكم المذكور في الآية مشروط بعدم التوبة عن الكفر وافراده بالذكر يدل على ان كفرهم افحش وجنايتهم اعظم وعقوبتهم اقوى ومنها ان اللام في قوله ليغفر لهم يفيد التاكيد وهذا غير مناسب للمقام انما المناسب له تاكيد النفي اجيب بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم كان المراد منه المبالغة في تاكيد النفي وقوله ولا ليهديهم سبيلا هذا يدل على انه لم يهد الكافر الى الايمان خلافا للمعتزلة قالوا انه محمول على المنع من زيادة اللطف او على انه تعالى لا يهديهم في الآخرة الى الجنة قال صاحب الكشاف لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية التي هي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله تعالى لان قلوب اولئك الذين هذا دينهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه مرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ● الذين نصب على الذم بمعنى اريد او رفع بمعنى هم الذين يتخذون المنافقين يتخذون الكافرين يعني اليهود كان المنافقون يمالئون اليهود ويوالونهم فيقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا

ان اليهود ذا القوة والمنعة وذا الشوكة يبتغون عندهم العزة اي القوة بالظهور على محمد واصحابه والمعنى ايطلبون ان يتقووا بظهورهم على المسلمين قوله فان العزة لله جميعا اي الغلبة والقوة والمعنى ان المنافقين كانوا يطلبون العزة والقوة بسبب اتصالهم باليهود فابطل الله عليهم هذا الرأي بقوله فان العزة لله جميعا ولا ينافي قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لان القدرة التامة والقوة الكاملة لله وكل من سواه فباقداره صار قادرا وباعزازه صار عزيزا فالعزة الحاصلة للرسول وللمؤمنين لم تحصل الا من الله تعالى فانه يعز من يشاء من عباده بما خلق له من العزة جميعا من كل وجه وقد وعد به المؤمنين وجعل العاقبة للمتقين قوله وقد نزل عليكم المخاطبون كل من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه ان يمتثل اوامر كتاب الله والاشارة بهذه الآية الى قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قوله ان اذا سمعتم آيات الله هي المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان اذا سمعتم فالشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل والمنزل عليهم في الكتاب اي القرآن وهو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهى المسلمون ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر لان من رضي بالكفر فهو كافر وهذا يدل على ان من رضي بمنكر يراه وخالط اهله كان في الاثم بمنزلة المباشر وقد عد النهي في هذه الآية من قعود مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل فلا يجوز القعود عند من يتكلم في القرآن بتفسيره بالباطل فلا يجوز القعود عند من يتكلم في القرآن بتفسيره بالباطل والمعنى اذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الآيات والمراد بها سماع الكفر بآيات الله والاستهزاء بها لكن اوقع فعل السماع على الآيات والمراد بها سماع الكفر والاستهزاء كما قال سمعت عبد الله يلام وقيل المعنى اذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غير الكفر وغير الاستهزاء والضمير في قوله غيره يرجع الى ما دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع المستهزئين بها قال صاحب الكشاف فان قلت لم يكونوا مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم لا لعجزهم قوله ان الله جامع المنافقين القاعدين والكافرين المقعود معهم في جهنم جميعا اي كما اجتمعوا على الكفر والاستهزاء بآيات الله في الدنيا كذلك يجتمعون في جهنم جميعا قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ● الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين في قوله جامع المنافقين والكافرين واما نصب على الذم من المنافقين يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظفر على اليهود قالوا للمؤمنين الم نكن معكم مظاهرين فاعطونا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب اي ظفر على المسلمين قالوا للكافرين الم نستحوذ عليكم الاستحواذ الاستيلاء على الشيء ومنه قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اي غلب قيل معناه الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ولم نفعل شيئا من ذلك ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقيل معناه ان اولئك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول في الاسلام ثم ان المنافقين حذروهم عن ذلك وبالغوا في تنفيرهم عنه واطمعوهم بانه سيضعف امر محمد وسيقوى امركم فاذا اتفقت لهم صولة على المسلمين قال المنافقون لليهود والكفار الم نغلبكم على رأيكم ونصرفكم عن الدخول في الاسلام ونمنعكم من المؤمنين بان نخذلهم عنكم ونرسل اليكم باخبارهم حتى ظفرتم بالمسلمين فهاتوا الكافرين نصيبا تعظيما لشأن المسلمين وتحقيرا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل الرحمة على اولياء الله واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيء ينقضي ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقوبة في الآخرة فالله يحكم بينهم اي بين المؤمنين والمنافقين يوم القيمة اي اخر عقاب المنافقين الى الموت ورفع عنهم السيف في الدنيا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في القيمة وذلك ان الله يظهر حجة ايمان المؤمنين ويفضح موعدهم ولم يشركهم الكفار في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم وقيل ان المراد به في الدنيا ولكنه مخصوص بالحجة والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة على حجة الكافرين وليس المراد ان نغلبهم بالحجة والدليل على المؤمنين وقيل عام في الكل غير مخصوص بالحجة الا ما خصه الدليل والشافعي رضي الله عنه بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ● قد مر تفسير المخادعة في سورة البقرة وقيل يخادعون الله اي يخادعون رسول الله باظهار الايمان وابطان الكفر وقوله وهو خادعهم اي مجازيهم بالعقاب على خداعهم وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور المؤمنين

ويناد ون انظرونا نقتبس من نوركم وإذا قاموا الى الصلاة مع المؤمنين قاموا كسالى جمع كسلان كسكارى
جمع سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين متأخرين كمن يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة وسبب ذلك
الكسل انهم يستعبون بهذا الحال ولا يرجون منها ثوابا ولا من تركها عقابا فكان الداعي
الى الترك قويا من هذا الوجه والداعي الى الفعل ليس الا خوف الناس يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء
لكي يراهم الناس لا يريدون بها وجه الله ولا يذكرون الله الا قليلا قيل لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين
عن عيون الناس الا ما يجاهرون وما يجاهرون به ايضا قليل لانهم ما داموا وجدوا من يراهم تكلفوا ما ليس في طوعهم
لم يتكلفوه وقيل لا يذكرون الله سبحانه في قلوبهم الا قليلا وهو الذي يظهر مثل التكبيرات فاما الذي يخفى وهو القراءة والتسبيح
فهم لا يذكرونها وقيل لا يذكرون الله في الصلاة وفي غيرها الا ذكرا قليلا
نادرا وترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن
حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه وقيل انما قل لان الله لم يقبله وما لم يقبله فكثيره قليل وما قبله فقليله
كثير وقيل يجوز ان يراد بالقلة العدم قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه
وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال رآى الناس
بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد رأت المرأة الرجل اذا امسكتها له
بوجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين
يقال ذبذبه فتذبذب اي حركه فتحرك فهو كتحرك شيء متعلق بين السماء والارض ومعنى بين ذلك بين المؤمنين
والكافرين يعني انهم مترددون بين الكفر والايمان قال السدي وقتادة ليسوا بمشركين مصرحين بالشرك وليسوا بمؤمنين
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال ابن عباس لا من النصارى ولا من اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين ان جاءت الى هذه نطحتها والى هذه نطحتها قال صاحب الكشاف مذبذبين ذبذبهم
الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا
الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى
كلما مال الى جانب ذب عنه قوله لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قال ابن عباس وهذه الآية تصريح بان الله تعالى اضله عن
الدين وذكر هذا الكلام عقيب قوله مذبذبين يدل على ان تلك الذبذبة من الله قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا
تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك
مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ● لما ذم الله المنافقين بتذبذبهم نهى المؤمنين عن ان يفعلوا
مثل فعل المنافقين والسبب فيه ان الانصار بالمدينة كان لهم في بني قريظة رضاع وحلف ومودة فقالوا لرسول الله
من نتولى فقال المهاجرين فنزل هذا النهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين يعني لا تتخذوا بينكم اخلاء وموالاة
المنافقين ومناهبتهم فلا تتخذوا منهم اولياء قال ابن عطية خطاب لله تعالى للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر
المنافقون المظهرون للايمان في اللفظ توبيخهم وهو المراد بقوله أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
لان هذا التوبيخ انما هو لمن يلم بشيء من الفعل المؤدي الى هذه الحال والمؤمنون المخلصون ما وافقوا شيئا من ذلك
ويقوي هذا قوله من دون المؤمنين اي المؤمنون العارفون المخلصون نهيت عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمؤمنين
والمخلصين بل المعنى يا ايها الذين اظهروا الايمان والتزموا لوازمه قوله أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة بينة في عقابكم بموالاة الكفار او انكم اذا واليتموهم صارت الحجة عليكم في عقابكم والسلطان
يذكر ويؤنث والتذكير اشهر وهي لغة القرآن حيث وقع واذا سمي صاحب الامر فهو على حذف مضاف والتقدير
ذي السلطان وهو الحجة على الناس اذ هو مدبرهم والناظر في مصالحهم ثم قال تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار قال الاخفش وابو عبيدة جهنم دركات اي منازل وكل منزل منها درك وقال الضحاك الدرج
اذا كان بعضها فوق بعض والدرك اذا كان بعضها اسفل من بعض والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
متتابعة بعضها اسفل من بعض والمنافق اشد عذابا لانه في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله
ومخادعتهم ولن تجد لهم نصيرا اي مانعا يمنعهم من عذاب الله من جهة شفاعة او غيرها الا الذين تابوا من النفاق
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص
اليه واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه ولا يطلبون غير رضاه الله لا يخرجون منها اخراها فاولئك
مع المؤمنين اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين عن علي رضي الله عنه المنافقون من كفر بالله ولازم
بعقبه وانعهم من الانابة الكلية لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام ولم يشترط ذلك على غيرهم
ثم شرط الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك
المؤمنون او من المؤمنين غيظا لهم ثم اوقع اجر المؤمنين في التسويف لانضمام المنافقين اليهم فقال وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم قال صاحب الكشاف المنافق في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر

وتسميته

واما تسميته من ارتكب ما يفسق به المنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان
وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم
بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وكان الله شاكرا عليما ● ما استفهام ومعناه التقرير يعني ان الله لا يعذب الشاكر المؤمن المعنى ايعذبكم لاجل التشفي
من الغيظ او لادراك الثار او لاستجلاب النفع او لاستدفاع الضرر كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي
لا يجوز عليه شيء من ذلك قال اصحابنا هذه الآية تدل على انه لا يعذب صاحب الكبيرة لانا نفرض الكلام فيمن شكر وآمن
ثم اقدم على الشرب والزنا فهذا لا يعذب لقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم عن ابن عباس ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم ثم اعترفتم باحسانه وآمنتم بنبيه قيل هذا على التقديم والتأخير اي ان آمنتم وشكرتم لان
الايمان يتقدم على سائر الطاعات ولا ينفع طاعة دون الايمان وقيل ان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في
خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا وكان
الشكر المبهم مقدما على الايمان وكأنه اصل التكليف ومداره وكان الله شاكرا للقليل من عملكم عليما بنياتكم وبكل
شيء فلا يقع الغلط له فيه فيوصل الثواب الى الشاكر والعقاب الى المعرض سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة
فالمراد من انه تعالى شاكر انه مثيب على الشكر وقيل ان الشكر مأخوذ من قول العرب دابة شكور اذا كان يظهر سمنها على
القليل من العلف وكان الله سمى نفسه شاكرا لانه يرضى من عباده قليلا من العبادة مع صحة التوحيد والشكر
من الله الثواب ومن العباد الطاعة وحقيقته مقابلة الطاعة بغيرها فاذا قابلت الطاعة بطاعتك فقد شكرت
واذا قابل الله طاعتك بثوابه فقد شكرك قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان
الله سميعا عليما ● قيل لما هتك الله ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر غير لائق بالرحيم الكريم ذكر
ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر بالسوء يعني ان الله لا يحب اظهار الفضائح والقبائح
الا في حق من عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهارها رفضا لحده ولهذا قال عليه السلام اذكروا
الفاسق بما فيه كي يحذره الناس وهؤلاء المنافقون كان قد كثر مكرهم وكيدهم وظلمهم في حق المسلمين ومن
قد عظم فلهذا المعنى ذكر الله فضائحهم وكشف اسرارهم وقيل انه تعالى ذكر في الآية المتقدمة ان هؤلاء المنافقين
اذا تابوا واخلصوا صاروا من المؤمنين فيحتمل انه كان يتوب بعضهم ويخلص توبته ثم لا يسلم بعد ذلك
من التعيير والكلام عن بعض المسلمين بسبب ما صدر عنه في الماضي من النفاق فبين الله تعالى في هذه الآية انه تعالى
لا يحب هذه الطريقة ولا يرضى بالجهر بالسوء الا من ظلم نفسه واقام على نفاقه فانه لا يكره وقيل نزلت هذه الآية
في الضيف النازل اذا لم يضيف ومنع حقه او اسيء قراه فقد رخص له ان يذكر منه ما صنع به روي ان ضيفا
تضيف قوما فاساؤوا قراه فشكاهم فنزلت هذه الآية رخصة في ان يشكو والضيافة ثلاثة ايام وما زاد فهو صدقة والمعنى
لا يحب الله الجهر بالقبيح من القول لكن المظلوم يجهر بشكواه وقيل هذه الآية عامة في كل مظلوم وله ان ينتصر من ظالمه
بالدعاء عليه بما لا يتعدى فيه وبيان انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر ايضا ولكنه تعالى انما ذكر هذا
الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله تعالى واذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين منهم واجب في الظعن
والاقامة قوله الا من ظلم قيل الاستثناء متصل تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وقال الزجاج ههنا اقيم مقام الفاعل والتقدير لا يحب الله المجاهر بالسوء من القول الا من ظلم واقيم الجهر مقام
المجاهر ليفيد ان انتفاء المحبة للجهر بالسوء وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن
المظلوم له ان يظهر بظلامته وكان الله سميعا لقول المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق قوله
تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ● لما رخص الله تعالى للمظلوم الجهر
في الآية المتقدمة حث في هذه الآية على العفو لاحسن وان كان على وجه الانتصار تعليما اطلق الجهر به وجعله
محبوبا حثا على الاحب ليبين الافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية فذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا
للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير رفيعا والذي يدل على ان العفو هو
المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله تعالى فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم
ان تقتدوا بسنة الله اعلم ان معاقد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين ايصال النفع ابداء او اخفاء ودفع الضرر فقوله
ان تبدوا خيرا او تخفوه اشارة الى ايصال الخير وقوله او تعفوا اشارة الى دفع الضرر فدخل في هاتين الكلمتين جميع انواع
الخيرات واعمال البر قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا ● قيل نزلت الآية في اليهود فانهم آمنوا بموسى وعزير والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن
جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله جميعا لان الدليل الذي
يدل على نبوة البعض ليس الا القطع بانه حيث حصل المعجز حصلت النبوة فان جوزنا في بعض المواضع حصول المعجز
بدون الصدق المعجز بعيد الصدق تعذر الاستدلال بالمعجز على الصدق وحينئذ يلزم الكفر بجميع الانبياء فثبت

ان من لا يقبل نبوة احد من الانبياء لزمه الكفر بجميع الانبياء لزمه ان يكفر بالله ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا اتخاذهم
دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا
في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون
حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقوله هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر
او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه وقيل جعلنا انه يحذون كأنه قيل جمعوا
بين الايمان والكفر وقيل جعلنا ان قوله اولئك قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف
نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ● لما ذكر الوعيد في حق المفرق بين الشيئين من ضياعنا الان احد لفظ يعم
المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم بدليل صحة الاستثناء تقول ما رأيت احدا الا
بني فلان والا بنات فلان والمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة قرأ عاصم في رواية حفص سوف يؤتيهم
بالياء والضمير راجع الى اسم الله تعالى والباقون بالنون والمعنى انا نؤتيهم اجورهم وادخل لفظة سوف تاخذ الغرض به تاكيد
الوعد وتحقيقه لا كونه متأخرا وكان الله غفورا رحيما وعدهم اولا بايتاء الاجور ثم اخبرهم بالغفران والرحمة ●
قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا
الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا
موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
واخذنا منهم ميثاقا غليظا ● روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان كنت نبيا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل المعنى نزل كتابا الى فلان وكتابا
الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم لكن انما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت لان فيما آتاهم من القرآن وغيره من المعجزات كفاية
فكان طلب الزيادة من باب التعنت فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى وهم
النقباء السبعون الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الجبل لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين
لهم في التعنت وقوله جهرة عيانا تلخيصه ارنا نره جهرة عيانا على سبيل المقابلة وفي الجهة وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة
وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع
من الرؤية على سبيل المقابلة في الجهة والمكان ولو طلبوا الرؤية من غير مقابلة وجهة لما سموا ظالمين ولما اخذتهم
الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة ولا يلزم من عدم
جواز الرؤية على سبيل المقابلة وفي الجهة عدم جوازها ان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام وان استدلال المعتزلة بهذه الآية
على نفي الرؤية غير صحيح لما عرفت ان نفي الخاص لا يستلزم نفي العام وقد بسطنا القول في اسناد لا لانهم والحق اعلى
في سورة البقرة قوله ثم اتخذوا العجل بيان كمال جهلهم واصرارهم على كفرهم فانهم ما اكتفوا بنزول التوراة عليهم وطلب
الرؤية جهرة بل ضموا اليه عبادة العجل ومما يدل على غاية بعدهم عن طلب الحق والدين قوله من بعد ما جاءتهم البينات
اي انهم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم معجزات موسى التي كان يظهرها في زمان فرعون وهي العصا واليد البيضاء وفلق البحر
وغيرها من المعجزات والمقصود من هذا الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء عنادا
ولجاجا فان موسى قد انزل الله عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات فاباهم ثم طلبوا الرؤية جهرة على سبيل العنت
واقبلوا على عبادة العجل وكل ذلك على غاية بعدهم من طريق الحق فعفونا عن ذلك اي عن قوم موسى وذلك انه قد بلغوا
في اظهار اللجاج والعناد معه فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا واستيلاء
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم [illegible] وفيه بشارة
للرسول صلى الله عليه وسلم على باطلهم احدها انه تعالى رفع الطور فوقهم بميثاقهم فسر في سورة البقرة الى قوله ولا
تعتدوا باقتناص السمك في السبت يقال عدا عدوا وعداء وعدوانا اي ظلم وجاوز الحد عنه قوله فيسبوا الله عدوا
قرأ نافع لا تعدوا بساكنة العين مشددة الدال والاصل لا تعتدوا ادغمت التاء في الدال لتقاربهما وروى ورش لا تعدوا
بفتح العين لانه لما ادغمت التاء في الدال نقل حركتها الى العين والباقون باسكان العين وضم الدال مخففة واخذنا
منهم ميثاقا غليظا عهدا مؤكدا على ذلك قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء
بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ● اي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء
اما ان تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا
غلف فعلنا بهم ما فعلنا اي لعناهم وسخطنا عليهم والحذف افخم لان الوهم عند الحذف يذهب كل مذهب
ودليل المحذوف ان هذه الاشياء المذكورة من صفات الذم فيدل على اللعن والسخط واما ان تتعلق بقوله
حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق اللعن
والسخط على الوجه الاول وتحقيق التحريم على الوجه الثاني لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل
الانبياء وغير ذلك قال الامام الوجه الاول اولى لوجهين احدهما ان قوله فبظلم من الذين هادوا بعيد جدا من قوله فبما

فجعله بدلا منه بعيد وثانيهما ان تلك الجنايات المذكورة عظيمة جدا لان كفرهم بالله وقتلهم الانبياء وانكارهم التكليف
بقولهم قلوبنا غلف اعظم الذنوب وذكر الذنوب العظيمة انما يليق ان يفرع عليه العقوبة العظيمة وتحريم بعض المأكول
عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقه بتلك الجنايات العظيمة وقيل ان المحذوف الذي تعلق به الباء دل عليه قوله بل
طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وقد كان انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله تعالى خلق
قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين ولو شاء الرحمن ما عبدناهم وكذب
المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة
للذكر ولا متمكنة من قبوله قيل ان صاحب الكشاف يقوله مثل التقدير انه لا يصح ان يتعلق لما بطبع متعديا بعلى فيه قوله
بل طبع الله عليها غير قابلة للوعظ فالوعظ منتف حقيقة ولا يفيد الطبع مثبتا متعلقا بالنقض قيل وفيه نظر لان قوله
بل طبع الله عليها ذكر على طريق المعارض بكفرهم فجاز ان يفيد طبع معارض بنقضهم فالطبعان متوافقان في الغرض وقيل المراد صاحب
الكشاف ان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فيكون متعلقا بقولهم قلوبنا غلف كما جاء صريحا
في البقرة وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون فلو قدر تعلق قوله فبما نقضهم متعلقا هو قوله طبع الله
على قلوبهم يصير التقدير هكذا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
فيكون رد الجنايات الكلام وانكارا له لا لقولهم قلوبنا غلف وقد صاحب الكشاف عن ذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا
غلف ان صاحب الكشاف بما ذكره تقرير ما فيه [illegible] وهو ان المعنى لم يخلق الله قلوبهم غلفا غير قابلة للذكر لا متمكنة من
قبوله بل خذلها ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت قلوبهم كالمطبوع عليها واما على اصل اهل السنة فلا احتياج الى
هذا التكلف اذ التقدير فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف طبع الله
عليها بكفرهم ليكون اشارة الى ان الكفر وحده كاف في سبب الطبع وان لم يكن معه نقض الميثاق وقتل الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف وقيل لا وجه للتشنيع ولا لقول صاحب الكشاف كمذهب المجبرة لان لاهل السنة ان يقولوا ان الله تعالى
اراد بقولهم لانهم ادعوا ان قلوبهم في اوعية او اغشية وانما يقوله عليه السلام لا تنفذ فيه فاضرب الله تعالى عن ذلك
بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم اي بل هو شيء اعظم منه وهو الطبع ابطلوا استعدادهم بالكلية بكفرهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم بعد وضوح البينات وايضا يجوز ان يدل بل طبع الله عليها اي الجنس كما ان في ان تخلقهم وعية للعلم كما ذكر في
البقرة وقيل هاهنا والا لزم ان يقيموا الحجة على الله بخلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة منه مكنهم بان الله تعالى خلق قلوبهم
على الفطرة والايمان من جنس مقدورهم كما هو جنس مقدور المؤمنين وهو المعنى عندنا بالتمكين فقامت حجة الله عليهم
والانسان يفرق بين تحرك يده للايمان وبين تحرك يد المرتعش فكان الاول له دون الثاني فلله الحجة البالغة عليهم
لا من الوجه الذي زعمه المعتزلة من اثبات قدرة يخلقون بها افعالهم الاختيارية [illegible]
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء بقوله قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فرد عليهم
ورد الامر الى المشيئة قال صاحب الكشاف والوجه ان تعطف قوله وبكفرهم على قوله فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم كلاما مبتدأ تبع قولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا انما جعل الوجه ذلك لان قوله فبما نقضهم مقصود بالذات في الكلام وقوله بل طبع الله كلام تابع الاستطراد
تكلفنا المقصود اولى فقوله وبكفرهم وقولهم على مريم اما ان يكون معطوفا على ما قبل حرف الاضراب اي قوله فبما نقضهم وعلى
ما بعد حرف الاضراب اي قوله بكفرهم قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكر الكفر بعض عطف
على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده ومع قولهم وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم فيكون المعطوف والمعطوف عليه واحدا
وهو فاسد لتعلقت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض
فلا يكون المعطوف والمعطوف عليه واحدا او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض
الميثاق والكفر بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم هذا على تقدير ان يكون معطوفا على ما قبل حرف الاضراب كي لا شك ان مجموع المعطوف
مغاير لمجموع المعطوف عليه واما ان عطف على ما بعد حرف الاضراب فكانه قيل بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فيكون عطف المجموع على كفرهم فلا يكون
المعطوف والمعطوف عليه واحدا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما حين رموها بالزنا بعد ان ظهر عند ولادة عيسى
من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل سوء نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وتكلم عيسى
في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا فان كل ذلك دلائل قاطعة على براءة مريم من كل ريبة فهذا قول اليهود في الطعن
على مريم صار بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فان قيل اليهود الذين قالوا انا قتلنا المسيح
عيسى ابن مريم كانوا كافرين بعيسى اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر بن الساحر الفاعل بن الفاعلة فكيف قالوا انا
قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اجيب عنه من وجهين احدهما انهم قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون وثانيهما انه يجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام
عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله وما قتلوه وما صلبوه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام استقبل

يهطانوا اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فحسبوه وسبوا امه فلما سمع عيسى ذلك
دعا عليهم فقال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن من سبني
وسب امي فاستجاب الله تعالى دعاءه ومسخ من سبهما خنازير فلما رأى ذلك يهوذا رأس اليهود وكبيرهم فزع لذلك
وخاف دعوته ايضا فاجتمعت اليهود على قتله واجتمعوا عليه يسألونه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته
غضبا شديدا فثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبريل عليه السلام فادخله خوخة فيها روزنة في سقفها فرفعه الله
الى السماء من تلك الروزنة فامر يهوذا رجلا من اصحابه ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه
يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ومنهم من قال ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا
يكون رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء جبريل فاخذ بضبعيه فرفعه الى السماء والقى الله شبهه
على الرقيب فلما رأته اليهود ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه فكان يقول لهم انا لست بعيسى انما انا فلان بن فلان فلم
يصدقوه وقتلوه ومن الناس من قال انهم حبسوه وعشرة من الحواريين في بيت فدخلوا عليه فقتلوه على انه عيسى وغير ذلك
ذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم رضي ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل
بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وما قتلوه وما صلبوه كذبهم
الله تعالى فقال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ثم اختلفوا فقال بعضهم
انه قتل وقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم
رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل
خيل لهم ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل على المقتول كانه قيل ولكن
شبه لهم من قتلوه ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم اي ولكنهم يتبعون الظن
فان قيل الشك ان لا يترجح احد طرفي الجانبين والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين اجيب عنه بانهم
شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
قط لكن يحصل لهم احيانا بما يلوح لهم من الامارات الظن ثم اذا خفيت الامارة عادوا الى التردد وهذه الحالة
في التحير من مجرد الشك فلذلك الظن ليس بظن لانه لم يخلص من ورطة الشك
زائدة لتاكيد النفي والظرف المتقدم خبر او حال من الضمير المستكن في الظرف وقيل يحتمل ان يكون التقدير انهم نفي
جميع الاوقات لا وقت اتباع الظن لظهور الامارات الا لاحت لهم فما لهم من علم قط ويكون الاستثناء متصلا مفرغا و
قوله ما لهم به من علم على الاستثناء لان المقصود من الكلام نفي العلم وقيل يحتمل ان يكون المراد بالشك في العلم الشامل
للشك المحض والظن او الاعتقاد وقوله ما لهم به من علم بيان له فنفى العلم مطلقا ثم خصصه بقوله الا اتباع الظن
قوله وما قتلوه يقينا اي وما قتلوا المسيح على يقين من انه المسيح قال صاحب الكشاف وما قتلوه قتلا يقينا او وما قتلوه
متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح قال الامام وما قتلوه يقينا يحتمل وجهين احدهما تعيين عدم القتل والثاني
الشك في القتل فعلى الاول يكون المعنى ان الله تعالى اخبر انهم شاكون في انه هل قتلوه ام لا ثم اخبر محمدا صلى الله عليه
وسلم بان اليقين حاصل بانهم ما قتلوا عيسى وعلى الثاني يكون المعنى انهم شاكون في انهم هل قتلوه ثم اكد ذلك بانهم قتلوا
ذلك الشخص الذي قتلوه لا على يقين انه عيسى بل حين ما قتلوه كانوا شاكين في انه هل هو عيسى ام لا والاول اولى لانه قال
بعد هذه الآية بل رفعه الله اليه وهذا الكلام انما يصح اذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل وقيل هو من قولهم
قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا بالغ فيه علمك قال صاحب الكشاف فيه تهكم لانه نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف
الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم لانه اذا نفى عنهم علم
احاطة لزم بالمفهوم اثبات علم لهم فلا يستقيم هذا مع نفي العلم على سبيل العموم الا بطريق التهكم قوله بل رفعه
الله اليه قرأ ابو عمرو والكسائي بادغام اللام في الراء والباقون بلا ادغام والمراد الرفع الى موضع لا يجري فيه حكم غير الله
كقوله تعالى الى الله ترجع الامور وقيل انه رفعه الله اليها والبسه النور وكساه الريش وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وقال وهب بن منبه اوحى الله الى عيسى
على راس ثلاثين سنة ورفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وكان الله عزيزا
في اقتداره على نجاة من يشاء من عباده حكيما في تدبيره في نجاة عيسى قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا لما ذكر فضائح اليهود وقبائح افعالهم وانهم قصدوا قتل عيسى
ولم يتيسر لهم المقصود وانه حصل لعيسى اعظم المناصب واعلى المراتب بين ان هؤلاء اليهود الذين كانوا بالغوا
في عداوته لا يخرج احد منهم من الدنيا الا بعد ان يؤمن به وان نافية ومن اهل الكتاب صفة خبر مبتدأ محذوف اي
وما من اهل الكتاب احد ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف جواب القسم محذوف تقديره والله
ما من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ونحوه وما منا الا له مقام معلوم واختلفوا في الكنايتين اي الضمير المجرور
في به وفي الضمير المجرور في قوله موته فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي في قوله به راجعة الى عيسى وفي موته
راجعة الى اهل الكتاب الذي يؤمن والمعنى وان من اهل الكتاب احد ليؤمنن قبل موته بعيسى بانه عبد الله ورسوله

يعني اذا عاين ملك الموت قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي
الحجاج اية من كتاب الله ما قراتها الا تخالج في نفسي منها شيء يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى
فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو
الله اتاك عيسى عبدا نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه ويؤتى بالنصراني فيقال له يا عدو الله اتاك
عيسى عبدا نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه ايمانه قال شهر وكان الحجاج متكئا فاستوى
جالسا فنظر الي وقال ممن حدثك بهذا الحديث قلت حدثني به محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم رفع راسه
الي وقال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت لشهر ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية
قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقيل له ارايت ان خر من فوق
بيت قال يتكلم به في الهوى قال ارايت ان ضرب عنق احدهم قال يتلجلج بها لسانه قال وان احترق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله السبع
او اي منية كانت لا يخرج روحه حتى يؤمن به ويدل على صحة ذلك قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان
منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع وفائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم الوعيد وليكون علما لهم بانهم
لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان قبل اوان الانتفاع به وليكون
الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
وعن الحسن وقتادة والربيع بن انس وابي مالك وبه قال الضحاك ان الضمير في به لعيسى والمعنى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى
وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال
ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة لله رب العالمين ويهلك الله
في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ثم قرأ ابو هريرة
ان شئتم وان من اهل الكتاب الاية ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موت عيسى على ان الله
يحييهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به راجع الى محمد صلى
الله عليه وسلم وفي موته راجع الى الكتابي اي لا يموت اليهودي ولا النصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير
به راجع الى الله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بالله قبل ان يموت عند المعاينة ولا ينفعه ايمانه عند المعاينة ولا ينفعه
ايمانه في غير الناس ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا بانه قد بلغهم رسالة ربه واقر بالعبودية على نفسه نظيره قوله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الآية وكل نبي شاهد على امته قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا وقال ويوم نبعث من كل امة شهيدا قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم
عذابا اليما لما شرح فضائح افعال اليهود ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فهو كما
حرم عليهم طيبات كانت محللة لهم قبل ذلك كما قال تعالى في موضع آخر وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم ثم انه تعالى بين ما هو كالعلة
الموجبة لهذه التشديدات ثم اعلم ان انواع الظلم منحصرة في نوعين الظلم على الخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق
فاليه الاشارة بقوله وبصدهم عن سبيل الله ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص في طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا
مع انهم نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشوة واليه الاشارة بقوله واكلهم اموال الناس بالباطل فهذه الاربعة هي
الذنوب الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والآخرة واما في الآخرة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما كثيرا اناسا كثيرا
او صدا كثيرا لحكمة قال تعالى حرمنا عليهم طيبات ويحل لهم الطيبات وقال تعالى كلوا مما في الارض حلالا طيبا فلم يحرم عليهم شيئا
بذنوبهم فكانما اشار من تحريم الطيبات التي ذكر في هذه الآية رجاء ان يؤمنوا في الآخرة من العذاب الذي قال واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين
الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما لما وصف طريقة الكفار
والجهال من اليهود وصف طريقة المؤمنين فاستثنى مؤمني اهل الكتاب فقال لكن الراسخون ليس يعني مؤمني اهل الكتاب
كلهم كما ذكر لكن الراسخون في العلم البالغون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم
او المؤمنون من المهاجرين والانصار وقال الراسخون مرفوع بالابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد قال صاحب الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف
وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان
وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب
المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل موضعه الخفض للعطف على
قوله بما انزل اليك والمعنى يؤمنون بما انزل اليك وبما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة ثم عطف على قوله والمؤمنون قوله
والمؤتون الزكاة والمراد بالمقيمين الصلاة الانبياء وذلك لانه لم يخل شرع احد منهم من الصلاة قال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات

واقام الصلوة وقيل المراد بالمقيمين الصلوة الملائكة الذين وصفهم الله بانهم الصافون وهم المسبحون وانهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون فقوله يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك يعني يؤمنون بالكتب وقوله والمقيمين الصلوة
يعني يؤمنون بالانبياء وبالملائكة قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ● رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله
عزيزا حكيما ● لما حكى الله تعالى ان اليهود يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء وذكر
تعالى بعده انهم لا يطلبون ذلك لاجل الاسترشاد بل للجاج والعناد وحكى انواعا كثيرة من فضائحهم وقبائحهم
واتصل الكلام الى هذا المقام شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقوله انا اوحينا اليك جواب لتلك الشبهة واحتجاج عليهم
بان شأنه في الوحي كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا والمعنى انا اتفقنا على نبوة نوح وابرهيم واسمعيل وجميع المذكورين
في هذه الاية وعلى ان الله اوحى اليهم ولا طريق الى العلم بكونهم انبياء الله ورسله الا ظهور المعجزات عليهم ولكل واحد منهم
نوع آخر من المعجز على التعيين وما انزل الله على كل واحد من هؤلاء المذكورين كتابا بتمامه مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن
انزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحة في نبوتهم بل كفى في نبوتهم نوع واحد من انواع المعجزات علمنا ان هذه الشبهة
زائلة فان اصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل وتحقيق القول فيه ان اثبات المدلول يتوقف على ثبوت الدليل ثم
اذا حصل الدليل وتم فالمطالبة بدليل آخر تكون طلبا للزيادة واظهارا للتعنت واللجاج والله سبحانه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فلا اعتراض عليه لاحد بان يقول لم اعطى هذا الرسول هذه المعجزة وذلك الرسول الاخر معجزة اخرى
وهذا الجواب هو الجواب المذكور في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربي
هل كنت الا بشرا رسولا يعني انك انما ادعيت الرسالة والرسول لا بد له من معجزة تدل على صدقه وذلك قد حصل
فاما ان ياتي بكل ما يطلب منه فذلك ليس من شرط الرسالة فهذا جواب معتمد عن الشبهة التي اوردها اليهود وهو
المقصود الاصلي من هذه الاية جعل الله وحيا الى محمد صلى الله عليه وسلم في موضعين من كتابه في اخذ الميثاق وقوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وفي الوحي فقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وانما قدم ذكر نوح
على ذكر النبيين لانه اول نبي من انبياء الشريعة شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام واول نذير على الشرك
قوله والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
ان الانبياء المذكورين في هذه الاية سوى موسى اثنى عشر ولم يذكر موسى معهم وذلك لان اليهود قالوا ان كان محمد نبيا
فأتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة كما اتى موسى بالتورية دفعة واحدة فالله تعالى اجاب عن هذه الشبهة بان هؤلاء
الانبياء ورسلا جميعا انبياء مع انه ما اتى بكتاب مثل التورية دفعة واحدة وان كان المقصود من تعديد هؤلاء
الانبياء هذا المعنى لم يجز ذكر موسى معهم ثم ختم ذكر الانبياء بقوله وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم بان الزبور من
عند الله وما انزل على داود دفعة واحدة على موسى عليه السلام في الالواح فدل على ان نزول الكتاب لا على الوجه الذي نزلت التورية
لا يقدح في كونه كتابا من عند الله وهذا الزام حسن قوي الزبور الكتاب وقرأ حمزة زبورا بضم الزاء في كل القرآن جمع زبر
بمعنى الكتاب والباقون بفتح الزاء وهو فعول بمعنى مفعول
من زبرت والزبور كتاب داود عليه السلام قوله ورسلا قد قصصناهم نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا
وما اشبه ذلك او نصب بمضمر على شريطة التفسير يفسره قصصناهم والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء في القرآن
والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل قوله وكلم الله موسى تكليما والمراد انه بعث هؤلاء الانبياء وخص موسى عليه السلام
بالتكليم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشريف الطعن في نبوة سائر الانبياء فلذلك لا يلزم من تخصيص موسى
بانزال التورية عليه دفعة واحدة طعن فيما انزل الله على غيره من الكتاب لا على هذا الوجه قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير
انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن قوله تعالى رسلا في انتصابه وجوه منها انه على المدح
ومنها انتصابه على البدل من قوله ورسلا ومنها ان يكون التقدير واوحينا اليهم رسلا ومنها ان يكون منصوبا على الحال والاول
اجود وهذا ايضا جواب عن شبهتهم تقريره ان المقصود من بعثة الانبياء ان يبشروا الخلق على اشتغالهم بعبودية الله
وان ينذروا على الاعراض عن العبودية فهذا هو المقصود الاصلي من البعثة فاذا حصل هذا المقصود فقد كمل الغرض وتم
المطلوب وهذا المقصود حاصل بانزال المشتمل على هذا المطلوب ومن المعلوم انه لا يختلف حال هذا المطلوب بان يكون
هذا الكتاب نازلا دفعة واحدة او منجما متفرقا بل لو قيل انزال الكتب منجما متفرقا اقرب الى المصلحة لكان اولى لان
الكتاب اذا نزل دفعة كثرت التكاليف وتوجهت باسرها على المكلفين فيثقل عليهم قبولها ولهذا السبب اصر قوم
موسى عليه السلام على التمرد ولم يقبلوا تلك التكاليف اما اذا نزل الكتاب منجما متفرقا لم يكن كذلك بل ينزل التكليف شيئا
فشيئا فحينئذ يحصل الانقياد والطاعة من القوم فكان اقتراح اليهود في انزال الكتاب دفعة واحدة اقتراحا فاسدا
عزيزا حكيما يعني هذا الذي يطلبونه من الرسول امر هين في القدرة ولكنكم طلبتموه على سبيل اللجاج والله تعالى عزيز
وعزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه وكذلك حكمته تقتضي هذا الامتناع لعلمه تعالى بانه لو فعل ذلك لبقوا مصرين
على لجاجهم كما بقي قوم موسى معه على المكابرة والاصرار واللجاج قوله لئلا يكون للناس على الله حجة احتج اصحابنا بهذه الاية
على ان وجوب معرفة الله لا يثبت الا بالسمع قالوا لان قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل البعثة

يكون للناس على الله حجة في ترك الطاعات والعبادات ونظيره قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل
في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا انهم رسل الله الا بالنظر قلت الرسل منبهون من الغفلة
وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكاليف وتعليم
الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة
وينبهنا لما وجب الانتباه له اعلم ان مذهب المعتزلة في التحسين والتقبيح يجرهم الى اثبات احكام اقتضاها العقل من غير بعثة
رسل فيوجبون ويحرمون ويبيحون ومما اوجبوا النظر في ادلة التوحيد قبل الشرع ومن تركه كان تاركا واجبا واستحق العقاب
وقامت عليه الحجة فاذا تليت عليهم هذه الاية وشهدت عليهم ان الحجة انما قامت على الخلق بالاحكام الشرعية اولوا
النص وقالوا الرسل هم حجج الله وبينوا على ما يوجبه العقل قبل بعثتهم وكذلك قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولما
كان اصلهم باطلا فلا تأول النص بما هو موافق لاهوائهم بل يجرى على ظاهره واعلم ان المعرفة والنظر والتوحيد طريقها
العقل لا النقل لان المعرفة والنظر والتوحيد طريقهما العقل لا النقل لان المعرفة متلقاة من العقل والوجوب متلقى
من الشرع لا العقل قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ●
لكن للاستدراك اي استدراك لما سبق ولا بد له من مستدرك قيل لما سأل اهل الكتاب انزال
الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم
لا يشهدون لكن الله يشهد فالمستدرك انهم لا يشهدون المعلوم من سياق الايات وقيل لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فان الله اوحى اليك كما اوحى اليهم فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته
لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات ولما كانت شهادته انما عرفت بواسطة انزال القرآن قال لكن الله يشهد
بالنبوة بواسطة ما انزل اليك من القرآن وقوله انزله بعلمه معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه
على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته
بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما
علم من مصالح العباد مشتملا عليه وقيل انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشيطان وشهادة الملائكة شهادتهم
بانه حق وصدق فان قلت بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يعلم بشهادة الله لانه لما علم
بالمعجز انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته وكفى بالله
شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله قوله تعالى ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ● يعني اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات في قلوبهم نحو قولهم لو كان رسولا لاتى بكتاب دفعة واحدة من السماء
كما نزلت التورية على موسى وقولهم ان الله ذكر في التورية ان شريعة موسى لا تبدل ولا تنسخ الى يوم القيمة وقولهم ان
الانبياء لا يكونون الا من ولد هارون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لان اشد الناس ضلالا كافر يعتقد انه محق ثم
يتوسل بذلك الضلال الى اكتساب المال والجاه ثم يبذل كنه جهده في القاء غيره في مثل ذلك الضلال
ولما وصف الله تعالى كيفية ضلالهم ذكر بعده وعيدهم فقال ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وظلموا اي صدوا عن سبيل الله بالقاء
الشبهات المذكورة لم يكن الله ليغفر لهم واعلم انا ان حملنا قوله ان الذين كفروا على المعهود السابق لم يحتج الى اضمار
شرط في هذا الوعيد لان الوعيد محمول على اقوام علم الله منهم انهم يموتون على الكفر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا لانه قادر على ان يخلق فيهم العذاب لا يمتنع عليه شيء قوله تعالى يا ايها الناس قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما ●
لما اجاب عن شبهة اليهود على وجوه كثيرة وبين فساد طريقتهم ذكر خطابا عاما يعمهم ويعم غيرهم
في الدعوة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق اي بالقرآن وهو معجز فيكون من عند الله
وقيل جاء بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره والعقل يدل على انه هو الحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم انتصاب
خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر وهو الايمان والتوحيد وذلك انهم لما بعثهم على الايمان علم انه يحملهم على امر فقال
خيرا لكم تقديره فآمنوا خيرا لكم اي يكن الايمان خيرا لكم فعلى الاول انتصابه على انه مفعول به وعلى الاخير على انه خبر
يكن وعلى التقدير الثاني انتصابه بمضمر وان تكفروا فان الله غني عن ايمانكم فان لله ما في السموات والارض فلا يحتاج الى
شيء ويحتمل ان يكون المراد فان لله ما في السموات والارض فهو قادر على انزال العذاب الشديد عليكم لو كفرتم ويحتمل
ان يكون المراد انكم ان كفرتم فان لله ملكا في السموات والارض عبيدا يعبدونه وينقادون لامره وحكمه وكان الله
عليما لا يخفى عليه من اعمال العباد المؤمنين والكافرين شيء حكيما لا يضيع عمل عامل منهم ولا يسوي بين المؤمن والكافر
قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد

سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ● لما اجاب الله عن شبهات اليهود خاطب
بعد ذلك النصارى فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اى لا تفرطوا في تعظيم المسيح غلو اليهود
في حط المسيح عن منزلته حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق اى لا تصفوه بالحلول والاتحاد ونزهوه عن الشريك و
الولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته قيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد
بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه
لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة
وقيل اذا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الاب وانما تكون من نفخة
جبريل وصف بانه روح ووصف بمنه للتشريف والتفضيل كما قال هذه نعمة من الله اى نعمة كاملة شريفة وقيل لانه كان سببا
لحياة الخلق في اديانهم ومن كان كذلك وصف بانه روح قال الله تعالى في صفة القرآن وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل
روح منه اى رحمة منه قيل في تفسير قوله وايدهم بروح منه فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث انه كان يرشدهم
الى مصالحهم في دينهم ودنياهم سمي روحا منه وقيل الروح هو النفخ في كلام العرب فان الروح والريح متقاربان
فالروح عبارة عن نفخة جبريل وقوله منه يعني ان ذلك النفخ من جبريل باذن الله فهو منه كقوله فنفخنا فيها من روحنا
والتنكير في روح للتعظيم فآمنوا بالله ورسله اى ان عيسى من رسل الله فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه
الها ولا تقولوا ثلثة الآلهة ثلثة خبر مبتدأ محذوف اى ولا تقولوا الله ثلثة يحكى عن النصارى انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة
اقانيم اقنوم الاب اى الذات واقنوم الابن اى العلم واقنوم روح القدس اى الحيوة وقيل معناه ولا تقولوا الآلهة ثلثة يدل عليه
القرآن قال الله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله قال صاحب الكشاف والذي
المستفيض عن النصارى انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح
عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث
انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب حيث قال القاها الى مريم فنفى ان يتصل به اتصال الابناء
بالآباء انتهوا خيرا لكم عما انتم فيه من التثليث وهو التوحيد ثم اكد التوحيد بقوله انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد
بقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله قول من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان
يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه اى كل ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف
يكون بعض ملكه جزءا منه لان الولد جزء من الوالد وانما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى
بالله وكيلا يكل الخلق كلهم اليه امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه فلا حاجة معه الى القول باثبات اله آخر
قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا ● لن يستنكف اى لن يتكبر فان الاستنكاف والاستكبار واحد وقيل لن يتعظم وقيل لن يانف ولن يمتنع
بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك تقول لن يستنكف لن ينقبض ولن يمتنع
وفي الكشاف روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي
شيء قلت قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار ان يكون عبد الله فنزلت
هذه الآية قال الامام رحمه الله لما اقام الحجة القاطعة على ان عيسى عبد الله ولا يجوز ان يكون ابنا له اشار بعده الى حكاية
شبهتهم واجاب عنها وذلك لان الشبهة التي عليها يعولون في اثبات انه ابن الله هو انه كان يخبر عن المغيبات وكان ياتي
بخوارق العادات من الاحياء والابراء فكانه قيل لن يستنكف المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله فان الملائكة
لم يستنكفوا عن عبودية الله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته ثم قال الامام واذا حمل هذه الآية على ما ذكرنا صارت
الآيات متناسبة متناسقة ومناظرة شريفة كاملة فالحمل عليه اولى وكيف لا وانه قال النصارى انما نفوا العبودية
بانه خبر عن الغيوب واتى بخوارق العادات فان سائر الانبياء شاركوا عيسى في هذا المعنى مع ان النصارى ما نفوا عنهم العبودية
بل انما نفوا العبودية بسبب انه وجد بلا اب فان بل شبهتهم ان عدم واسطة الاب لا يخرجه عن العبودية فان الملائكة
المقربين الذين لا واسطة لهم لا يستنكفون عن العبودية وانما لم يذكر آدم ههنا الذي بلا واسطة الاب والام لان نظر الآية
بالنسبة الى الملائكة المقربين اليق واكبر فان آدم خلقه من تراب قال صاحب الكشاف ولا الملائكة المقربون اي ولا من هو اعلى
قدرا منه واعظم خطرا منه وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين
دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما
سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا
من هو ارفع درجة منه كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون عن العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة
ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن
يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره ● لا شبهة انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له
ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين قال محيي السنة
تستدل بهذه الآية على تفضيل الملائكة على البشر لان الله ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا الى الاعلى
لا يقال لا يستنكف فلان من كذا ولا عبده وانما يقال

ولا مولاه ولا اخيه ممن هو فوقه لانه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل ردا على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على
النصارى قولهم المسيح ابن الله وقيل الآية رد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى لان
الكلام فيهم فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس
وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين
على الآخر مطلقا والنزاع فيه وقيل المسائل التي ذكرها صاحب الكشاف لا يصح بها الكلام لانها انما يليق السبق بعلم بزيادة الحجج
اما اذا قلت لا يتعالى زيد ولا عمرو ولم يفهم التفضيل فهذا لا تدل على تفضيل الملائكة بل يتوقف على معرفة افضليتهم او بالعكس
فيتنوع لان الواو لا توجب الترتيب على انه يدل على ان جميع الملائكة افضل لان الجمع معرف يفيد العموم لا ان كل واحد افضل
فهو المطلوب وان ادعى انه يجب ان يقال فقد يقع الوجدانيات الذي قيل لا يستدل بها على الخصم قيل الجواب الصحيح ان يقال
ان قوله ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع درجة
لان هذا الرد انما يمشي معهم وتنهض حجة عليهم اذا سلموا ان الملائكة افضل من عيسى وهم لا يسلمون هذا فانهم
يرفعون درجة عيسى وهم لا يسلمون هذا لانهم يرفعون درجته على الآلهة وقول صاحب الكشاف ان علم المعاني
لا يقتضي غير ذلك الحصر ممنوع وغايته انه من باب الترقي وتعقيبه بما ذكره الامام قيل والذي يقتضيه النظم ان يكون
الاسلوب من باب التتميم والمبالغة لا الترقي وذلك ان قوله تعالى انما الله اله واحد اثبات للتوحيد على الحصر ونفي ان يكون
له ولد انه على الوجه الابلغ لان المعنى ما الله الا اله متفرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها وان قوله له
ما في السموات وما في الارض اثبات لصفة المالكية والخالقية على الاختصاص ايضا وذلك بتقديم الظرف على المبتدأ وفيه
ان ما سواه مملوكه وتحت تصرفه وتدبيره ومن جملته المسيح والملائكة وكل ما عبد من دونه وقوله وكفى بالله وكيلا
تكميل لقدرته على الاختصاص ايضا وبيان ان غيره غير مستقل بنفسه وان امورهم موكولة اليه لا الى غيره ثم انه تعالى لما اورد الكل
في المالكية والقدرة التامة كل ذلك على الاختصاص اتبعه قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى آخر الآية تتميما
وتقريرا لاستحقاقه العبودية وانكارا لان احدا يستنكف ويستكبر عن عبادته فالمعنى لا يستقيم نفيهما ان المقربين
يستنكفون اذ لا احد يستكبر على الله ويستنكف عن عبوديته لا الذي تتخذونه انتم ايها النصارى الها لكمال فيه ولا الذي
غيركم من الملائكة لقربهم من الله وانما قال لكمال فيه لان في تصريح ذكر المسيح بعد سبق ذكره اشعارا بالعلية وانه على
التقرير ان العرف اذا اعتبد كان لتنافي اذا كان ذلك يحصل بين تخصيص ذكر الرفع وبين ذكر المقربين فرق
تعدو امر الجنس بلا دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لا يتخصص المقربون لانهم يعبدونهم ولا يعبدون
غيرهم فهذا النبأ يظهر ان ذكر الملائكة المقربين للاستطراد كما قال محيي السنة لانه لم يقل رفعا لمقامهم على مقام البشر
بل ردا على الذين يقولون الملائكة آلهة كما رد على النصارى ويتبين من قوله ومن يستنكف عن عبادته ان الكلام في العبودية
ونفي الاستنكاف لا الافضلية كما ترتيل الكلام السابق قوله ولا الملائكة عطف على المسيح ظاهرا ويعطفه على
الضمير المستتر في يكون ويؤدي الى الخلاف في الغرض ان يكون المسيح لا يستنكف ان يكون هو ولا الملائكة المقربون
عبدا لله لان عدم الاستنكاف يكون مسندا على هذا التقدير الى المسيح لا الملائكة والكلام سيق لعدم استنكاف
الملائكة ايضا قيل ويجوز ان يكون عطفا على الضمير المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف للدلالة على معنى العبادة
والذي يدل على ان عبدا بمعنى الوصف قولك مررت برجل عبد ابوه وفيه انحراف ايضا لانه حينئذ يكون معناه لن يستنكف
المسيح ان يعبد الله هو ومن فوقه فيلزم الحذف وجود الى المعطوف فيستدعي العطف على المسيح لانه المنفي اولا
قال صاحب الكشاف فان قلت علام عطفت والملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف اى عطف الملائكة على المسيح وعطفهم
على الضمير المستتر في يكون بيانه تقدير الكلام على الوجه الاول لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولن يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبدا لله وعلى الوجه الثاني لن يستنكف المسيح ان يكون هو ولا الملائكة المقربون عبدا لله فيلزم اطلاق
المفرد وهو العبد على الجمع وهم الملائكة فلا بد فيه من احد وجهين احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة المقربين ان يكون عبدا
وثانيهما ان يكون في الكلام حذف تقديره لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا
لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه ايجازا هذا على الوجه من وجوه العطف وثاني الوجهين على الوجه الثاني من وجهي
العطف الاول لن يستنكف المسيح ان يكون هو ولا كل واحد من الملائكة المقربين عبدا لله والثاني لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله هذا اذا عطف على المسيح او على الضمير في يكون
واما اذا عطف على الضمير في عبدا فالسؤال ساقط لان المعنى ان يكون عبدا هو ولا الملائكة اى يعبد هو والملائكة
لانه يمنى له قولك مررت برجل عبد ابوه لان العبد يدل على العبادة وفعل الجماعة اذ ثم اخبر تعالى عمن يستنكف
اى يانف عن عبادته ويستكبر بانه سيحشرهم يوم القيامة ويردهم الى الله قوله فسيحشرهم وعيد شديد وبين الله تعالى
ان المحشورين نوعان المؤمنين العاملين الصالحات انه يوفيهم اجورهم لا ينقص من اجورهم لا قليلا ولا كثيرا ويزيدهم
من فضله قيل يحتمل ان يكون هذه الزيادة المختص بها فان الحسنة بعشر الى سبعمائة ضعف ويحتمل ان يكون التضعيف الكثير
هو المشار اليه بقوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وقيل ويزيدهم من فضله من التضعيف ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر قال فان قلت التفصيل في قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقوله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما غير مطابق للمفصل لانه وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر

فيحشرهم اليه جميعا لان التفصيل يشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد فعلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله اي اعطاه الحمولة ومن خرج به فيقوله جمع الامام الخوارج من المفصل مثله قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقولك فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه جميعا وقوله فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به هو التفصيل لقوله فمن لم يخرج مثل قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله ومن خرج عليه مثل قوله واما الذين استنكفوا ثم قال صاحب الكشاف وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احد الفريقين في المفصل يدل على ذكر الثاني كما حذف ذكر احد الفريقين في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ولم يذكر الفريق الثاني وهو كثير عن المتصلات الاشيا انتبين بضدها والوجه الثاني بصحة ذلك هو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان الاحسان الى غيرهم داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راوا اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله قال الامام لم ذكر في تفسيرها اولا المستنكفين المستكبرين ثم ذكر ما يفعل بهم ثم ذكر اولا ثواب المؤمنين المطيعين فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ثم ذكر عقاب المستنكفين المستكبرين فقال واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا والمعنى ظاهر ولا اشكال فيه فلما قدم ثواب المؤمنين على عقاب المستنكفين لانهم اذا راوا اولا ثواب المطيعين ثم شاهدوا بعده عقاب انفسهم كان ذلك اعظم في الحسرة

قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ● اعلم انه تعالى لما اورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى واجاب عن جميع شبههم عمم الخطاب ودعا جميع الناس الى الاعتراف برسالة محمد عليه السلام فقال يا ايها الناس قد جاءكم برهان فالبرهان الحجة البينة الواضحة التي تعطي اليقين التام والمعنى قد جاءكم مقرونا بمحمد صلى الله عليه وسلم برهان على صحة ما يدعوكم اليه وفساد ما انتم عليه والبرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز ولما قرر على العالمين كون محمد رسولا وكون القرآن كتابا حقا امرهم بعد ذلك ان يتمسكوا بحجته ووعدهم عليه بالثواب فقال تعالى فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والمراد آمنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا اي بالله في ان يثبتهم على الايمان ويحصنهم من نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما فوعدهم بامور ثلثة الرحمة والفضل والهداية فالرحمة الجنة والفضل ما يتفضل عليهم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام قال الامام واقول الرحمة والفضل محمولان على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم واما الهداية فالمراد منها السعادات الحاصلة بتجلي انوار عالم القدس والكبرياء في الارواح البشرية وهذا هو السعادة الروحانية واخر ذكرها عن القسمين الاولين تنبيها على ان البهجة الروحانية اشرف من اللذات الجسمانية

قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم اعلم انه تعالى تكلم في اول السورة في احكام الاموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلا للاول ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين في الدين ذكر الله تعالى في النساء آيتين في الكلالة احديهما في وهي قوله وان كان رجل يورث كلالة او امرأة الآية والاخرى هذه الآية وروي ان هذه الآية آخر ما نزل من الاحكام عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني هو وابو بكر وهما ماشيان فوجدني قد اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان لي تسع اخوات ولم يكن لي والد ولا ولد فلم يجبني بشيء ثم خرج وتركني ثم رجع الي فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله تعالى قد انزل في اخواتك وجعل لهن الثلثين وقرأ علي هذه الآية وكان جابر يقول انزلت هذه الآية فيّ وعن ابن عباس نزلت هذه الآية في جابر بن عبد الله وفي لفظه اتى رسول الله فقال يا رسول الله ان لي اختا فما لي من مالها اذا ماتت فنزلت هذه الآية وابتدأ بالرجل فقال ان امرؤ هلك وعن قتادة قال اهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية يستفتونك اي يستخبرونك ويسألونك وعن الشعبي اختلف ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا الوالد والولد وقال عمر هو ما عدا الولد ثم قال عمر اني لاستحيي من الله ان اخالف ابا بكر قال عمر ثلاث لان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهن لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربا وعن ابن سيرين نزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره الى حجة الوداع والى جنبه حذيفة فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر فلما استخلف عمر سأل حذيفة رجاء ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لاحمق ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك بما لم احدثك يومئذ لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقنتكها كما لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيدك عليها شيئا ابدا فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله ثم قال عمر اللهم من كنت بينتها له فانها لم تبين لي فهمها فاني لم افهمها وخطب عمر رضي الله عنه الناس يوم الجمعة فقال انه والله اني ما ادع بعدي شيئا هو اهم الي من الكلالة فقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي فيها حتى طعن في فخذي فقال يكفيك آية الصيف

فاتحة سورة النساء وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في اول سورة النساء [illegible]

سورة المائدة

هذه السورة مدنية [illegible]

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد [illegible]

ان هذه الآية مخصوصة بالحج وهو قوله ملك صلاته والشكر المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة الجمع بين
الطلقات حرام لان النكاح من العقود لقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح فوجب ان يحرم رفعه لقوله تعالى اوفوا بالعقود
وترك العمل به في الطلقة الواحدة بالاجماع فوجب ان يبقى فيما عداه على الاصل وقال الشافعي لا يحرم وخصص هذا
العموم بالقياس وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم احلت لكم لما قرر بقوله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
ان جميع المكلفين يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله وذلك كالاصل الكلي والقاعدة الجملية شرع بعد ذلك في ذكر
التكاليف المفصلة فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل حي لا يميز من قولهم استبهم
الامر على فلان اذا اشكل وهذا باب مبهم اي مسدود الطريق سميت بهيمة لعدم نطقها ثم اختص هذا الاسم
بكل ذات اربع في البر والبحر والانعام وهي الابل والبقر والغنم واضافة البهيمة الى الانعام للبيان وهي الاضافة
التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام او للتاكيد كقولنا نفس الشيء وذاته وقيل المراد بالبهيمة شيء
آخر وعلى هذا التقدير ففيه وجهان احدهما ان المراد من بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما كانهم ارادوا ما يماثل
الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لحصول المشابهة وثانيهما ان المراد ببهيمة
الانعام الاجنة التي تكون في البطون روي عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنبها وقال هذا من بهيمة
الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكاته ذكاة امه ومذهب الشافعي ان الجنين يذكى بذكاة الام والانعام
الازواج الثمانية قيل احلت لكم بهيمة الانعام مجمل لان الاحلال انما يضاف الى الافعال وههنا اضيف الى الذات
فتعذر اجراؤه على ظاهره فيجب اضمار فعل وليس اضمار بعض الافعال اولى من بعض فيحتمل ان يكون احلال الانتفاع
بجلدها او بعظمها او بصوفها او بلحمها او المراد احلال الانتفاع بالكل واللفظ محتمل للكل فتكون مجملا لا يقال قد ورد
تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون دل على ان المراد احلال الانتفاع بالكل ويحمل على ما هو
اعظم مقصودا وهو الاكل فلا يكون مجملا قوله الا ما يتلى عليكم ظاهر هذا الاستثناء مجمل لان استثناء المجمل من المفصل
يجعل ما بقي بعد الاستثناء مجملا الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من هذا الاستثناء هو المذكور بعد هذه الاية وهو
قوله حرمت عليكم الميتة بيانه ان قوله احلت لكم بهيمة الانعام يقتضي احلالها على جميع الوجوه فبين الله تعالى انها
ان كانت ميتة او دما او لحم خنزير او ذبحت على غير اسم الله او منخنقة او موقوذة او متردية او نطيحة او افترسها
السبع فهي محرمة واستثناء ما يتلى من البهيمة غير مستقيم لان ما يتلى آيات القرآن فلا يستقيم استثناؤه من بهيمة
الانعام فيقدر مضاف كقوله ما يتلى اي الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن نحو قوله حرمت عليكم الميتة او يقدر في قوله
يتلى مفعول اقيم مقام فاعله الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فيكون يتلى في الاصل مسندا الى آية وهي مضافة الى تحريمه
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم استند يتلى الى الضمير الذي كان مجرورا باضافة تحريم اليه قوله غير محلى الصيد نصب
على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد لما احل بهيمة الانعام ذكر الفرق بين صيدها
ونعرفنا ان ما كان منها صيدا فانه حلال في الاحلال دون الاحرام وما لم يكن صيدا فانه حلال في الحالين وعن الاخفش
ان انتصابه على الحال من قوله اوفوا بالعقود غير محلى الصيد وفيه معنى النهي وانتم حرم حال من الضمير في محلى الصيد كانه
قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم وانتم حرم اي محرمون
اي داخلون في الاحرام بالحج والعمرة او احدهما يقال احرم بالحج او بالعمرة فهو محرم وحرم كما يقال اجنب فهو مجنب وجنب ويستوي
فيه الواحد والجمع فيقال قوم حرم كما يقال قوم جنب قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقولنا احرم الرجل له معنيان
احدهما دخل في الاحرام وثانيهما انه دخل الحرم فقوله وانتم حرم يشتمل على الوجهين فيحرم الصيد على من كان في الحرم
كما يحرم على من كان محرما بالحج او العمرة وظاهر الاية يقتضي ان الصيد محرم على المحرم اعم من ان يكون صيدا للبر او صيد البحر
ونظير هذه الاية قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا فان ذا الشرط في الحلق بكلمة الشرط على الشيء عدم عند عدم
الشيء الا انه تعالى بين في آية اخرى ان المحرم على المحرم صيد البر لا صيد البحر فقال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا
لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فصارت هذه الاية مبينة لتلك الايات المطلقة قوله ان الله
يحكم ما يريد استئناف هو جواب لسؤال مقدر تقديره انه تعالى احل بهيمة الانعام في جميع الاحوال واباح الصيد في بعض الاحوال
دون بعض فما وجه ذلك فاجاب بان هذا التفصيل والتخصيص فعل الله يحكم ما يريد اي لما كان مالك الاشياء
وخالقها يحكم ما يريد لم يكن على حكمه اعتراض بوجه من الوجوه قال الامام هذا هو الذي يقوله اصحابنا ان علة حسن
التكليف هو الربوبية والعبودية لا ما يقوله المعتزلة من رعاية المصالح قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا
شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وا
ذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ان الله تعالى لما حرم الصيد على المحرم في الاية
الاولى ذكر بعدها النهي في هذه الاية عن مخالفة تكاليف الله فقال يا ايها الذين آمنوا الخطاب للمؤمنين حقا لا تحلوا
حدود الله في امر من الامور قيل سبب نزول هذه الاية ان شريح بن ضبيعة اتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل
على النبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال انه حسن الا ان لي
امراء دونهم ارجع اليهم استشيرهم ثم خرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر

[illegible]

في التوصية بها لانها اشرف الهدي كانه قيل والقلائد منها خصوصا وقيل المراد منه النهي عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة
في النهي عن التعرض للهدي على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها وقيل ان المشركين كانوا ياخذون من لحاء شجر مكة
فيتقلدونها فيامنون بها في الناس فنهى الله ان ينزع شجرها فيتقلدونه كفعل الجاهلية ولا آمين البيت اي قاصدين البيت الحرام
يعني الكعبة وهم الحجاج والعمار اي لا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم يعني الرزق بالتجارة المباحة
لهم في حجهم كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم نزلت في تجاراتهم ايام الموسم والمعنى لا تمنعوهم فانما
قصدوا البيت لاصلاح معاشهم ومعادهم بابتغاء الفضل في الدنيا وابتغاء الرضوان في الاخرة وقيل ان المشركين كانوا
يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة
وقيل المراد بالفضل الثواب وبالرضوان ان يرضى الله عنهم وذلك انما كان لان الكافر وان كان لا ينال الفضل والرضوان لكنه
يظن انه بفعله طالب لهما فيجوز ان يوصف بذلك بناء على ظنه قال تعالى وانظر الى الهك وقال ذق انك انت العزيز الكريم
قيل هذه الاية منسوخة لان قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وذلك منسوخ
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام وذلك
منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الاية وقيل هذه الاية
محكمة غير منسوخة عن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وعن الحسن
ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل ان الله تعالى امرنا في هذه الاية ان لا نخيف
من قصد بيته من المسلمين وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين اذا كانوا مسلمين والدليل عليه اول الاية وآخرها
اما اولها فهو قوله لا تحلوا شعائر الله وشعائر الله انما يليق بنسك المسلمين لا الكافرين واما آخرها فهو قوله يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقيل المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم فلما زال العهد زال ذلك الحظر ونزل قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قوله واذا حللتم
فاصطادوا امر اباحة بعد حظر كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض لان الاصطياد كان محظورا عليهم كانه قيل واذا
حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا ولا يجرمنكم قيل قتل رجل مؤمن كان حليفا لابي سفيان بن حرب يوم الفتح بعرفة
لانه كان يقتل حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله من قتل بذحل الجاهلية اي بحقد
وثارها فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عليه السلام الا ان كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فانها تحت قدمي الا
سدانة الكعبة وسقاية الحاج وقيل نزلت في حجاج كفار العرب قيل معناه لا يحملنكم يقال جرمني زيد على ان صنعت
كذا اي حملني وقيل لا يكسبنكم جرم يجري مجرى كسب في تعديته الى مفعول واحد والى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه
وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم كسبته ذنبا
وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا شنآن
قوم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العداوة والشنآن شدة البغض والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان
صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وهو صدهم اياكم عن المسجد الحرام ومنع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وقيل لا يدعونكم وقيل لا يحقن لكم
ودليله قوله لا جرم اي حق ان لهم النار وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم واسمعيل عن نافع بسكون النون الاول من شنآن والباقون
بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الالف على الشرط والجزاء والباقون بفتح الالف وتعاونوا على البر والتقوى

ولا اقتصاصا ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ومعنى الاية ولا يحملنكم عداوتكم لقوم من اجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتمنعوهم عن المسجد الحرام فان الباطل لا يجوز ان يعتدى به وليس للناس ان يعين بعضهم بعضا على العدوان حتى اذا تعدى واحد منهم على الاخر تعدى ذلك الاخر عليه لكن الواجب ان يعين بعضهم على ما فيه البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب المراد منه التهديد والوعيد يعني اتقوا الله ولا تستحلوا شيئا من محارمه ان الله شديد العقاب لا يطيق احد عقابه قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم انه تعالى قال في اول السورة احلت لكم بهيمة الانعام ثم ذكر ان فيه استثناء الا ما يتلى عليكم فذكر تلك المستثناة من النعم وهي احد عشر نوعا كان اهل الجاهلية ياكلونها الميتة البهيمة التي تموت حتف انفها فكانوا يقولون انتم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وتحريم الميتة موافق للعقل لان الدم جوهر لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من اكله مضار والدم كانوا يملؤون المعاء من الدم ويشوونها ويطعمون الضيف فالله حرم ذلك عليهم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي انخنقوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت او انخنقت بسبب ~~والموقوذة التي انخنقوها ضربا بعصا~~ او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت اي وقعت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع اي بعضه السبع يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان والدواب وتفترسها مثل الاسد والنمر والذئب كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله قوله الا ما ذكيتم اي ما ادركتم ذكاته وهو مضطرب اضطرابا شديدا مع انفجار الدم فاذا ذبح فهو حلال فانه لولا بقاء الحياة فيه لما حصلت هذه الاحوال وقيل الاستثناء المذكور يرجع من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع وقيل الاستثناء مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع كانه قيل لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال وقيل انه استثناء من التحريم لا من المحرمات يعني حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه حلال لكم فالاستثناء على هذا التقدير ايضا منقطع وما ذبح على النصب والنصب ما نصب فعبد من دون الله واحد وقيل هو جمع والواحد نصاب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب قيل هي الاصنام وقيل ليست باصنام انما الصنم ما يصور وينقش وقيل يقدرون ما ذبح على اسم النصب وقيل وما ذبح على اسم النصب وما اهل لغير الله به واحد وقيل معناه وما ذبح للنصب التي لاجلها على بمعنى اللام وهما يتعاقبان في الكلام قال الله فسلام لك اي عليك وقال وان اسأتم فلها اي فعليها وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم مثل قلم وكان استقسامهم بالازلام ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وكانت قداحا مكتوبا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لامره وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اي الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا وعلة حرمة الاستقسام انه دخول في علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله قال الله تعالى لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وحق اعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه فقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها اي يديرونها ويحركون القداح عند اصنامهم فامره ظاهر في انه فسق علم الله تعالى لما عدد نعمه مضى ما حرمه من بهيمة الانعام وما احله منها ختم الكلام فيهما بقوله ذلكم فسق والغرض منه تحذير المكلفين من مثل تلك الاعمال وحرضهم على التمسك بما شرع لهم بكل ما يكون فقال اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم اي فلا تخافوا المشركين في خلافكم فاني انعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا مقهورين لكم ذليلين وحصل لهم اليأس من ان يصيروا قاهرين لكم مستولين عليكم فاذا صار الامر كذلك فيجب عليكم ان لا تلتفتوا اليهم وان تقبلوا على طاعة الله والعمل بالشرائع قوله اليوم ليس المراد يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسرحي تعضضت من ناجذ جديد وقيل اراد يوما معلوما وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي عليه السلام واقف بعرفات على ناقته العضباء اليوم يئس الذين كفروا من ان تحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة وقيل يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى كان قد وعد باعلاء هذا الدين على الاديان كلها وهو قوله ليظهره على الدين كله فحقق ذلك النصر وازال الخوف بالكلية وجعل الكفار مغلوبين بعد ان كانوا غالبين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين فلا تخشوهم بعد ظهور الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا

غالبين واخشوني واخلصوا الي الخشية قوله اليوم اكملت لكم دينكم اي كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم بازالة الخوف عنكم واظهاركم القدرة لكم على اعدائكم كما يقول الملك عند ما يستولي على عدوه ويقهره قد كمل لنا الملك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذ كفينا من ينازعنا في الملك ووصلنا الى اغراضنا ومباغينا وقيل المراد اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد وقيل ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا انه كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في آخر زمان المبعث فانزل شريعة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا قال اليوم اكملت لكم دينكم وقيل المراد باكمال الدين تبيين حكم جميع الوقائع بعضها بالنص وبعضها بتبيين طريق معرفة الحكم فيها على سبيل القياس فانه تعالى لما جعل الوقائع قسمين احدهما التي نص على احكامها والقسم الثاني التي يمكن استنباط الحكم منها بواسطة قياسها على القسم الاول ثم لما امر بالقياس وتعبد المكلفين به كان ذلك في الحقيقة بيانا لكل الاحكام واذا كان كذلك كان ذلك اكمالا للدين وبهذا يندفع ما قال نفاة القياس ان الآية تدل على انه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقائع اذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا واذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس ان كان على وفق ذلك النص كان عبثا وان كان على خلافه كان باطلا قال اصحاب الآثار لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لم يعمر الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة فكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا ومما يؤكد ذلك انه روي انه عليه السلام لما قرأ هذه الآية على الصحابة فرحوا جدا واظهروا السرور العظيم الا ابا بكر رضي الله عنه فانه بكى وسئل عنه فقال هذه الآية تدل على قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه ليس بعد الكمال الا الزوال وكان ذلك دليلا على كمال علم الصديق حيث عرف من هذه الآية سرا لم يقف عليه غيره قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت طائف عريان وقيل واتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان واعلمتكم بانه هو الدين المرضي عند الله ويؤكده قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قوله فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة والى غيرها اي اصيب بالذي لا يمكنه الامتناع معه من الميتة او من غيرها كالدم في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم معناه غير منحرف الى اثم كقوله غير باغ ولا عاد وغير نصب بفعل محذوف مقدر على معنى فتناول غير متجانف ويجوز ان ينتصب بقوله اضطر ويكون المقدر متاخرا على معنى فتناول غير متجانف لاثم فان الله غفور يغفر له اكل المحرم حين اضطر الى اكله رحيم بعباده حيث احل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى اكله قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب ● لما تلى عليهم ما حرم عليهم من خبائث المآكل سألوا عما احل لهم منها نزلت هذه الآية قيل قال ابو رافع جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن عليه فاذن له فابطأ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فخرج فقال له قد اذنا لك يا رسول الله فقال اجل يا رسول الله ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فنظر فاذا في البيت جرو فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع كلبا في المدينة الا قتلته فقتلت حتى انتهيت الى العوالي فانتهيت الى امرأة في ناحية المدينة عندها كلب يحرس غنمها فرحمتها فتركته ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بامره فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب جاء ناس فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت فانزل الله هذه الآية فلما نزلت هذه الآية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها وامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما يضر ويؤذي ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه وقيل نزلت الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما لا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية يسألونك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم فقيل لهم احل لكم الطيبات وهي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وقيل ما استطابه العرب مما لم يحرم من قبل لان العرب كانوا في الجاهلية يحرمون اشياء من الطيبات كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فهم كانوا يحكمون بكونها طيبة الا انهم كانوا يحرمون اكلها لشبهات ضعيفة فذكر تعالى ان كل ما يستطاب فهو حلال واكد هذه الآية بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وبقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

والطيب في لغة العرب هو المستلذ والحلال المأذون فيه يسمى ايضا طيبا تشبيها بما هو مستلذ لانهما اجتمعا
في انتفاء المضرة ولا يمكن ان يكون المراد بالطيبات هاهنا المحللات والا لصار تقدير الاية قل احل لكم المحللات
وهذا غير مستقيم فوجب حمل الطيبات على المستلذات المشتهيات والتقدير احل لكم كل ما يستلذ ويشتهى ثم اعلم ان
العبرة في الاستلذاذ والاستطابة باهل المروءة والاخلاق الجميلة فان اهل البادية يستطيبون اكل جميع
الحيوانات ويتاكد ما ذكرناه بقوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا فهذا يقتضي التمكن من الانتفاع بكل
ما في الارض الا انه ادخل التخصيص في ذلك العموم فقال ويحرم عليهم الخبائث ونص في هذه الاية على اباحة المستلذات
والطيبات فصار هذا اصلا كبيرا وبابا مرجوعا اليه في معرفة ما يحل ويحرم من الاطعمة منها ان لحم الخيل مباح عند الشافعي
لانه مستلذ مستطاب والعلم بذلك ضروري واذا كان كذلك وجب ان يكون حلالا لقوله احل لكم الطيبات ومنها ان
متروك التسمية عمدا عند الشافعي مباح لانه مستلذ مستطاب فوجب ان يحل لقوله احل لكم الطيبات ومنها ان لحم
الحمر الاهلية مباح عند مالك وبشر المريسي وقد احتجا بهذه الاية وعند الشافعي حرام لما روي انه صلى الله عليه وسلم
حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر قوله وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات والتقدير وصيد ما علمتم فحذف وقيل ما شرطية
وجوابها فكلوا مما امسكن عليكم اي وما علمتم من الجوارح فكلوا مما امسكن عليكم فلا تقدير مضاف والجملة معطوفة
على جملة قوله احل لكم الطيبات والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر
والبازي والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم واحدها جارحة سميت جوارح لانها كواسب من جرح اذا كسب قال تعالى
ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم وقيل سميت بها لانها تجرح ما تصيد غالبا والاية دالة على ان الاصطياد بالجوارح
انما يحل اذا كانت الجوارح معلمة لقوله وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله وقال عليه السلام لعدي اذا ارسلت
كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل قال الشافعي لا يصير معلما الا عند امور وهي اذا اشلي استشلى واذا اخذ حبس ولم
ياكل واذا دعاه اجاب واذا اراده لم يفر منه فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ولم يذكر حدا معينا بل قال انه اذا غلب على الظن
انه تعلم حكم به لان الاسم اذا لم يكن معلوما من النص والاجماع وجب الرجوع فيه الى العرف وهو قول ابي حنيفة في اظهر
الروايات وقال الحسن البصري يصير معلما بمرة واحدة وعن ابي حنيفة في رواية اخرى انه يصير معلما بتكرر ذلك
مرتين وهو قول احمد وعن ابي يوسف ومحمد انه يصير معلما بثلاث مرات والمكلب هو مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد
لصاحب الجوارح ورائضها للصيد بما علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب
اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه وقيل لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا
به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب
وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم
دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع
ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان
تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه
والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وقيل يوكل ما بقي من جوارح الطير ولا يوكل ما بقي من الكلب
والفرق ان سباع البهائم يمكن ان تؤدب على الاكل بالضرب ولا يمكن ان تؤدب سباع الطير على الاكل بالضرب
فاشترط في سباع البهائم ترك الاكل ولم يشترط في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق
بين امساك الكل والبعض وعن سلمان الفارسي وسعد ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم انه يحل وان اكل
وروي عنهم قالوا واذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل قوله مما امسكن عليكم قيل من صلة زائدة
كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر وقيل من للتبعيض لان الصيد لا يوكل كله لان العظم والدم والريش لا يوكل وقيل معناه
كلوا مما بقي لكم الجوارح بعد اكلها والاية دالة على ان الكلب اذا اكل من الصيد كانت البقية حلالا لان اكله من الصيد
لا يقدح في انه امسكه على صاحبه لان حقيقة الامساك هو ان ياخذ الصيد ولا يتركه حتى يذهب صاحبه اليه وهذا
المعنى حاصل سواء اكل منه او لم ياكل وقوله عليكم في محل الحال اي مستقرة على تعليمكم لا على طبيعته وجبلته كما
في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم على نفسه اي امسك مستقرا على حال نفسه وطبيعته وجبلته لا على
تعليمكم واذكروا اسم الله عليه قيل الضمير المجرور في قوله عليه عائد الى ما في قوله مما امسكن اذا ادركتم ذكوته وقيل
عائد الى ما علمتم من الجوارح اي سموا على ما علمتم من الجوارح عند ارساله او عند العقر وهذا هو المعتبر في مذهب الشافعي
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وقيل الضمير عائد الى الاكل اي واذكروا اسم الله
على الاكل لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن ابي سلمة سم الله وكل مما يليك واتقوا الله ان الله سريع الحساب الحدود
فمخالفة امر الله في تحليل ما احله وتحريم ما حرمه قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن
محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ● اذ انه تعالى

اي احل لكم الطيبات ٣

كل ٣

اي معنى سموا على ما امسكن ٣

احتج

احتج في الاية المتقدمة انه احل لكم الطيبات وكان المقصود من ذكره الاخبار عن هذا الحكم ثم اعاد ذكره في هذه الاية
والغرض من ذكره الاخبار عن هذا الحكم انه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فيما
يتعلق بالدين فكذلك اتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا ومنها احلال الطيبات فالغرض من الاعادة رعاية هذه النكتة
قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائح اهل الكتاب بدليل انه دل على ان المراد الذبائح واما ذبائح المجوس فاجمعوا
على تحريمها واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الاوثان فروي عن ابن عباس انه سئل عن ذبائح
نصارى العرب فقال لا باس بها وتلا قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي
وعكرمة وقتادة والزهري والحكم بن حماد وروي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما وآخرين ان ذبائحهم لا تحل
وعن احمد في نصارى بني تغلب روايتان احديهما تباح ذبائحهم وهو قول ابي حنيفة والرواية الثانية لا تباح وقال
الشافعي انما تحل ذبائح اهل الكتاب الذين تصح مناكحتهم وقيل المراد بطعامهم الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه
الى الذكوة وهو منقول عن بعض ائمة الزيدية وقيل المراد جميع المطعومات قوله وطعامكم حل لهم فلا باس عليكم ان تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم وقيل ان الحكم حلالا فاذا اشتري شيئا كان الثمن لنا حلالا
والمثمن لهم حلالا والفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة في الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين
لا جرم ذكر الله تعالى تنبيها على التمييز بين النوعين قوله تعالى والمحصنات من المؤمنات والحرائر وقيل العفائف فعلى هذا
يدخل فيه نكاح الامة والاول اولى لوجوه منها انه تعالى قال بعد هذه الاية اذا آتيتموهن اجورهن والامة لا يدفع اليها
بل الى سيدها ومنها ان الاية في تفسير قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات ان نكاح الامة انما يحل بشرطين عدم طول الحرة وحصول خوف العنت ومنها ان تخصيص العفائف
بالذكر يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم اما لو حملنا المحصنات على الحرائر يلزم تحريم نكاح الامة ونحن نقول
به على بعض التقديرات قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ذهب اكثر الفقهاء الى انه يحل التزوج بالذمية من اليهود
والنصارى وتمسكوا فيه بهذه الاية وروي عن عثمان انه تزوج نائلة وهي نصرانية وعن طلحة انه تزوج يهودية وقد روي
عنهم كراهة ذلك لقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله والنكاح يوجب
المودة وقيل ان ابن عمر لا يرى ذلك ويحتج عليه بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها
عيسى ومن قال بهذا القول اجاب عن التمسك بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب بوجوه منها ان المراد الذين آمنوا
منهم فانه كان يحتمل ان يخطر ببال بعضهم ان اليهودية اذا آمنت فهل يجوز للمسلم ان يتزوج بها ام لا فبين تعالى بهذه الاية
جواز ذلك ومنها ما روي عن عطاء انه قال انما رخص الله في التزوج بالكتابية في ذلك الوقت لانه كان في المسلمات قلة واما الآن
ففيهن الكثرة فزالت الحاجة فلا جرم زالت الرخصة ومنها الآيات الدالة على وجوب المباينة عن الكفار كقوله لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء وكقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم ولانه عند حصول الزوجية ربما قويت المحبة ويصير ذلك
سببا لميل الزوج الى دينها وعند حدوث الولد ربما استمال الولد الى دينها وكل ذلك القاء النفس في الضرر من غير حاجة
ومنها قوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وهذا من اعظم المنفرات عن التزوج بالكافرة
فلو كان المراد والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اباحة التزوج بالكتابية لكان ذكر عقيب هذه الاية كالمتناقض وهو
غير جائز واختلفوا في نكاح نساء بني تغلب فروي عن علي رضي الله عنه تحريمه وبه قال جابر بن زيد والنخعي وروي عن ابن عباس
الاباحة وعن احمد روايتان واختلفوا في اماء اهل الكتاب فروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد لا يجوز نكاحهن وبه قال مالك
والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واحمد لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وروي عن الشعبي وابي
ميسرة جواز ذلك وبه قال ابو حنيفة وتمسك بهذه الاية بناء على ان المراد بالمحصنات العفائف وعن سعيد بن المسيب
والحسن ان المحصنات من الذين اوتوا الكتاب يتناول الذميات والحربيات يجوز التزوج بكلهن وقيل انه مخصوص
بالذمية وهذا قول ابن عباس فانه قال من نساء اهل الكتاب من يحل لنا ومنهن من لا يحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى
قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فمن اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل وعليه معظم اصحاب الشافعي انما
تحل من الكفرة يهودية او نصرانية ذمية او حربية غير اسرائيلية علم انه آمن اول آبائها المؤمنين بنبيها عليه السلام قبل
النسخ فان علم دخول اول آبائها الاسرائيلية في ذلك الدين بعد التحريف وبعد النسخ او بعد التحريف وقبل النسخ او علم دخول
اول آبائها الاسرائيلية في ذلك الدين بعد النسخ او لم يعلم لم يحل نكاحها فلا يحل نكاح عبدة الشمس والقمر والصور والنجوم والمعطلة
والزنادقة والباطنية والمجوس ولا نكاح من احد ابويها وثني ولا منتقلة من احدى الملتين الى الاخرى حتى لو انتقلت في دوام
نكاح المسلم كان الحكم كما لو ارتدت المسلمة فلا يقبل منها الا الاسلام والصابئية ان خالفت اصول دين النصارى او
سامرية ان خالفت اصول دين اليهود واتفق الاكثر على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية دون
اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم نعم عن ابن المسيب انه اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر الله ويذبح فلا باس وقال
ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس قوله اذا آتيتموهن اجورهن روي ان رجالا قالوا لما نزل قوله تعالى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم كيف نتزوج نساء على غير ديننا فانزل الله قوله اذا آتيتموهن اجورهن وقيل ان الذين
احصن المسلمون من نساء اهل الكتاب يعني ان المسلمين احصانا لهن ابا عن الذين يخرجهن من الكفر وتقييد التحليل باتيان
الاجور يدل على تاكيد وجوبها وان من تزوج امرأة وعزم على ان لا يعطيها صداقها كان في صورة الزاني وتسمية المهر بالاجر يدل

يدل على ان اقل الصداق لا يتقدر قوله محصنين غير مسافحين قال الشعبي الزنا ضربان
السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا في السر والله تعالى حرمهما في هذه الاية واباح التمتع
بالمرأة على جهة الاحصان اي اعفاء ولا متخذي اخدان اصدقاء والخدن يقع على الذكر والانثى قوله ومن يكفر بالايمان
المقصود منه الترغيب فيما تقدم من التكاليف والاحكام اي ومن يكفر بشرائع الاسلام وبما احل الله تعالى وحرم فقد حبط عمله
وخسر في الدنيا والاخرة وقيل المقصود منه ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة في الدنيا بالمناكحة واباحة الذبائح
الا ان ذلك لا يفرق بينهم وبين المشركين في احوال الاخرة في الثواب والعقاب بل كل من كفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا
ولم يحصل شيئا من السعادات في الاخرة قيل الكافر انما يكفر بالله وبرسوله واما الكفر بالايمان فغير ممكن اجيب بان ابن
عباس ومجاهد قالا معناه ومن يكفر بالله وانما حسن هذا المجاز لانه تعالى رب الايمان ورب الشيء يسمى باسم ذلك الشيء
على سبيل المجاز وقيل ومن يكفر بالايمان اي بالشهادة ان لا اله الا الله فجعل كلمة التوحيد ايمانا لانه من لوازمها قوله
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم
الى الكعبين وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم
تشكرون ● انه تعالى افتتح السورة بقوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود لانه حصل بين الرب والعبد عهد الربوبية
وعقد العبودية فقوله اوفوا بالعقود طلب منه تعالى من عباده ان يفوا بعهد العبودية فكانه قيل الهنا العهد نوعان
عهد الربوبية منك وعهد العبودية منا فانت اولى بان تقدم الوفاء بعهد الربوبية ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة
في نوعين لذات المطعم وتوابعه ولذات المنكح وتوابعه ولما كانت الحاجة الى المطعوم فوق الحاجة الى المنكوح قدم عند
تمام البيان كانه يقول قد وفيت بعهد الربوبية فيما يطلب في الدنيا من المنافع واللذات فاشتغل انت في الدنيا بعهد
العبودية ولما كان اشرف العبادات بعد الايمان الصلوة وكانت الصلوة لا تمكن اقامتها الا بالطهارة لا جرم
تعالى ذكر شرائط الوضوء فقال يا ايها الذين امنوا اذا قمتم ليس المراد نفس القيام والا لكان الوضوء متاخرا عن الصلوة
وهو باطل بالاجماع ولانهم اجمعوا على انه لو غسل الاعضاء قبل الصلاة قاعدا او مضطجعا لكان قد خرج عن العهدة
بل المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلاما فهون
عليه في ان المراد ارادة الفعل قال ملا جامي انه عبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل يوجد بارادة الكاسب وهي قصده
اليه فهو مسبب عنها فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام
السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم
الى الصلوة قصدتم الصلاة لان من توجه الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام
اليه قيل الامر بالوضوء تبع الامر بالصلوة وليس تكليفا مستقلا بنفسه لان قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
جملة شرطية الشرط فيها هو القيام الى الصلوة والجزاء الامر بالغسل اذ المعلق على الشيء بحرف الشرط عدم عند عدم
الشرط فهذا يقتضي ان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلاة وقيل المقصود من الوضوء الطهارة وهي مقصودة بذاتها
لقوله تعالى ولكن يريد الله ليطهركم وقوله عليه السلام بني الدين على النظافة وقوله امتي غر محجلون من اثار الوضوء يوم القيمة
ولقائل ان يقول هذا لا ينافي كونه تبعا للامر بالصلاة قيل ظاهر الاية يدل على وجوب الوضوء لكل صلاة سواء كان القيام
الى الصلاة محدثا او غير محدث فان قوله اذا قمتم الى الصلوة لا يكون المراد منه قياما واحدا وصلاة واحدة والا لكان
الاية مجملة لان تلك المرة غير مذكورة في الاية والاجمال خلاف الاصل ولانه يصح ادخال الاستثناء وصحة الاستثناء
تنافي كون المراد منه قياما واحدا ولان الامة اجمعوا على ان الامر بالوضوء غير مقصور في هذه الاية على مرة واحدة فوجب حمله
على العموم عند كل قيام الى الصلاة وايضا تفيد هذه الاية العموم من ايماء اللفظ لان الصلاة اشتغال بعبادة
المعبود والاشتغال بها يستدعي ان يتاتى بافضل ما يقدر العبد عليه من التعظيم ومن وجوه التعظيم كونه اتيا بالصلاة
حال كونه في غاية النظافة وقد علم ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب دال على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
المناسب وذلك يقتضي عموم الحكم بعموم الوضوء فيجب الوضوء عند كل قيام الى الصلاة لا يقال ورد في القراءة
الشاذة اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون وهذا الخبر يخالفه لانا نقول لا يجوز العمل بالشاذ لانه ليس بقران لانه لو جعل
الشاذ قرانا لزم الطعن في كل القران وهو انه يقال لعل القران كان اكثر مما هو الان بكثير الا انه لم ينقل وكان اكثر ما هو الان
الا انه ابتغى منه السوء من القرآن بالشاذ ولا يجب الخبر الواحد بخلافه والا يلزم نسخ القرآن بخبر الواحد وهو غير جائز وقال
اكثر الفقهاء لا يجب الوضوء لكل صلاة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح
مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
يا عمر بيانا للجواز قيل ان خبر الواحد لا ينسخ القرآن وايضا هذا الخبر يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مواظبا
على تجديد الوضوء لكل صلاة وهذا يقتضي وجوب ذلك علينا لقوله تعالى فاتبعوه ثم ان نسلم فقد جاء في الخبر انه ترك
ذلك يوم الفتح فيقال لما وقع التعارض فالترجيح معنا من وجوه منها ان التجديد لكل صلاة ليس يوجب لكنه سند
والظاهر ان الرسول عليه السلام كان يزيد يوم الفتح في الطاعة ولا ينقص منها لان ذلك اليوم هو يوم تمام النعمة عليه
وزيادة النعمة تناسب زيادة الطاعات لا نقصانها ومنها ان الاحتياط لا شك انه من جانبنا فيكون راجحا بقوله دع

كما ان اقل الاجرة لا يتقدر

وان كنتم جنبا فاطهروا

قدم بيان المطعوم على المنكوح

تنبيه

اقول

الخبر

تنبيه

ما يريبك

ما يريبك الى ما لا يريبك ومنها ان نظام القرآن اولى من خبر الواحد ومنها ان دلالة القرآن على قولنا قولية ودلالة الخبر
رويتم على قولكم فعلية والدلالة القولية اقوى من الدلالة الفعلية لان الدلالة القولية غنية عن الفعلية من غير
عكس وقيل في الرد على القائل بانه يجب الوضوء لكل صلاة بان كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه لو قال لامرأته اذا دخلت
الدار فانت طالق فدخلت مرة طلقت فان دخلت مرة ثانية لم تطلق طلقة ثانية لان الاستيفاء وكذا لو قال لعبده اذا دخلت السوق
فادخل على فلان وقل له كذا وكذا فهذا لا يفيد الامر بالفعل الا مرة واحدة قيل القائل بانه يجب الوضوء لكل صلاة
ان يلتزم التكرار في الصورتين نعم انا نقول انا قد دللنا على ان كلمة اذا في هذه الاية تفيد العموم لان التكاليف الواردة
في القرآن مبناها على التكرير بخلاف الامر كما مر فاذكرتم من الصور فان القرائن الظاهرة دلت على النسخ فينبغي الامر فيها
على التكرير هذا ما قيل في هذه المسئلة قال الامام داود الظاهري في اثبات المذهب المشهور ان الله تعالى لو اوجب الوضوء لكل
صلوة كان الموجب للوضوء هو القيام الى الصلوة ولم يكن لغيره تاثير في ايجاب الوضوء لكن ذلك باطل لانه تعالى ذكر في
اخر هذه الاية او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا فاوجب التيمم على المتغوط وعلى
والمجامع اذا لم يجدا الماء وذلك يدل على كون كل واحد منهما سببا لوجوب الطهارة وذلك يقتضي ان يكون وجوب الوضوء
قد يكون لا بسبب القيام الى الصلاة قال صاحب الكشاف فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة
محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب ويكون
الامر عاما للمحدث وغيره وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين
على وجه الايجاب ولغيرهم على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية
فلا يجوز وقيل ان نفعله لا محذور فيه خصوصا اذا بين النبي صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله المراد وقيل كان الوضوء
لكل صلاة واجبا اول ما فرض ثم نسخ وقيل هذا من العام الذي اريد به الخاص فالمجمل الذي وكل بيانه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعنى الاية اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر يدل عليه ما روي عن عكرمة انه سئل عن هذه الاية فقال
افكل ساعة يتوضأ فقال ابن عباس لا وضوء الا من حدث وقال الفضل بن المبشر رايت جابر بن عبد الله يصلي
الصلوات بوضوء واحد فان بال واحدث توضأ ومسح بفضل طهوره الخفين فقلت اشيء تصنعه برايك فقال بل رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فانا اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن ابن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بوضوء واحد وقال المسور بن مخرمة لابن
عباس هل لك في عبيد بن عمير اذا سمع النداء خرج من المسجد فقال ابن عباس رضي الله عنهما هكذا يصنع الشيطان فاذا جاء
فقالوا ما يحملك على ما تصنع اذا سمعت النداء خرجت فتوضأت قال لان الله تعالى يقول اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم الاية قال ليس هكذا انا اتوضأ فاذا توضأت فانا على طهر حتى احدث ثم قال هكذا يصنع الشيطان اذا سمع
النداء فر وروى الاعمش عن عمارة انه كان للاسود قعب قدر ري رجل فكان يتوضأ به ثم يصلي بوضوء واحد الصلوات
كلها وقال زيد بن اسلم والسدي معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقال بعضهم اراد بذلك كل قيام للعبد
الى الصلاة من النوم وقال بعضهم المراد بذلك كل قيام العبد الى الصلاة ان يجدد طهرا على طريق الندب والاستحباب
قال عكرمة كان علي رضي الله عنه يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الاية وتوضأ ابن عمر للظهر ثم للعصر ثم للمغرب
قال فقلت يا ابا عبد الرحمن اسنة هذا الوضوء قال ان كان كافيا وضوئي لصلاتي كلها ما لم احدث ولكني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات فانا رغبت في ذلك يا ابن اخي وقيل كان الله
تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يتوضؤا لكل صلاة حتما واجبا ثم نسخ ذلك بالتخفيف وعن عبد الله
بن حنظلة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء
الا من حدث وكان علي رضي الله عنه يرى ان به قوة عليه فكان يتوضأ لكل صلاة وقيل هذا اعلام من الله لرسوله صلى
الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى صلاته دون غيرها من الاعمال وذلك انه كان اذا احدث امتنع من الاعمال
كلها حتى يتوضأ فاذن الله تعالى في هذه الاية ان يفعل كل ما بدا له من الافعال بعد الحدث غير الصلاة روى علقمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد البول نكلمه فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى يأتي منزله فيتوضأ وضوءه للصلاة حتى نزلت
اية الرخصة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة وفي هذه الاية دلالة على ان الوضوء شرط لصحة الصلاة لانه تعالى نفى
على فعل الصلاة بالطهور ثم بين انه متى عدم الوضوء لا يصح الا بالتيمم ولو لم يكن شرطا لما صح ذلك ولانه تعالى امر بالصلوة
مع الوضوء فالاتي بها دونه تارك لما امر به فيستحق العقاب ولا يخرج عن العهدة التكليف لان ذلك اذا ثبت هذا فهل يكون الوضوء
شرطا لصحة الصلوة بمقتضى هذه الاية وقال الشافعي النية شرط لصحة الوضوء والغسل لان الوضوء مأمور به وكل مأمور به
فانه يجب ان يكون منويا فوجب ان يكون شرطا انما قلنا ان كل مأمور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين واللام في قوله ليعبدوا الله ظاهر في التعليل ولكن تعليل احكام الله محال فوجب حمله على الباء لما
عرف ان اقامة بعض حروف الجر مقام البعض جائز للتقدير وما امروا الا بان يعبدوا الله مخلصين والاخلاص عبارة عن النية
الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة ثبت ما ذكر ان كل وضوء مأمور به وكل مأمور به يجب ان يكون منويا فكل وضوء
يجب ان يكون منويا وقال ابو حنيفة النية ليست بشرط لصحة الوضوء لانه تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الاية

ولو يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد والقياس غير جائز فالجواب انه يثبت
وجوب النية في الوضوء بدلالة القرآن فاغسلوا وجوهكم وحد الوجه من منابت شعر الرأس الى طرف الذقن وبعبارة
اخرى من مبتداء سطح الجبهة الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا ولفظ الوجه ماخوذ من المواجهة وقال كثير
منا يجب ايصال الماء الى داخل العين لانه وجب غسل كل الوجه والعين جزء من الوجه وقال الباقون لا يجب لقوله تعالى
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج فادخال الماء في العين حرج والمضمضة والاستنشاق لا يجبان في الوضوء والغسل
عند الشافعي لان الواجب غسل الوجه والوجه هو المواجهة وداخل الفم والانف غير مواجه فلا يكون من الوجه ويجبان
فيهما عند احمد واسحق ويجب في الغسل غير واجب في الوضوء عند ابي حنيفة وغسل البياض الذي بين العذار والاذن
واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد غير واجب عند ابي يوسف لنا ان ذلك من الوجه والوجه يجب غسله تحت
الشعر الكثيف في جميع مواضع العنفقة والحاجبين والشاربين والعذارين واهداب العينين سواء كانت كثيفة
او خفيفة لان قوله فاغسلوا وجوهكم يدل على وجوب غسل جميع خلقة الوجه ترك العمل به في اللحية الكثيفة دفعا
للحرج وهذه الشعور خفيفة بحسب الغالب فلا حرج في ايصال الماء الى الجلد فوجب ان يبقى على الاصل ويجب ايصال
الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة لقوله فاغسلوا وجوهكم والوجه اسم للجلدة المستمرة من الجبهة الى الذقن ترك العمل
به عند كثافة اللحية عملا بقوله في آخر الآية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وقال ابو حنيفة لا يجب وهل يجب امرار الماء
على ظاهر اللحية النازلة من الذقن طولا وعلى الخارج منها الى الاذنين عرضا للشافعي فيه قولان احدهما انه لا يجب وهو
مذهب ابي حنيفة واختيار المزني لان الشعر النازل عن الراس لا يحكم له بحكم الراس فكذلك من الوجه واصحهما انه يجب
لانه تقع به المواجهة فيكون من الوجه فيجب غسله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تغطية اللحية في الصلوة
وقال انها من الوجه ولو نبتت للمرأة لحية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه خلال الشعر وان كانت تلك اللحية كثيفة
لان ظاهر الآية يدل على وجوب غسل الوجه والوجه عبارة عن الجلدة الممدودة من مبتدا الجبهة الى منتهى الذقن ترك العمل
به في حق الرجل عند كثافة اللحية فعمل به في غيرها على الاصل وقال الشعبي ما اقبل من الاذن معدود من الوجه فيجب غسله
مع الوجه وما ادبر منه فهو معدود من الراس فيمسح وعندنا الاذن ليس من الوجه لان الوجه هو المواجهة والاذن
ليس كذلك قوله وايديكم الى المرافق غسل اليدين الى المرفقين واجب بالاجماع واختلفوا في المرفقين فقال الشعبي
ومالك وزفر ومحمد بن الحسن ومحمد بن جرير لا يجب لان الى لانتهاء الغاية وغاية الشيء وحده يكون خارجا عنه
كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل والليل غير داخل في الصوم والا لوجب الوصال وقوله فنظرة الى ميسرة
والميسرة غير داخلة في الانظار والا لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا او موسرا وهو باطل لان الاعسار علة الانظار
وبوجود الميسرة تزول العلة وقال الباقون يغسل اليدين الى المرفقين واجب معهما والجواب عما قال الشعبي ومالك
وزفر ومحمد بن الحسن ومحمد بن جرير من وجهين الاول ان الى لتعيين الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها
فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة وكذلك قوله ثم اتموا الصيام الى الليل وما فيه
دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق بحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى لو وقع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين
لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولهما في الغسل ولقائل ان يقول الحرى ان يعمل
بالمتيقن فلا يدخل في الثاني سلمنا ان المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لملتقى طرفي العظم فانه هو المكان الذي
يرتفق به اي يتكأ عليه ولا نزاع في انه اذا كان المرفق ملتقى طرفي العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وقيل ان حد الشيء
قد يكون منفصلا عن المحدود بمقطع محسوس فيكون الحد خارجا عن المحدود كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل
فان النهار منفصل عن الليل انفصالا محسوسا لان انفصال النور عن الظلمة محسوس وقد لا يكون كذلك كقوله
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم [illegible] وانفصال الساعد من المرفق ليس بمنفصل محسوس
فايجاب الغسل الى الحد اولى من ايجاب [illegible] بايجاب غسل المرفق وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدير
الماء على مرفقيه واذا كان الرجل اقطع مما دون المرفق وجب عليه غسل ما بقي من المرفق واذا كان اقطع مما فوق المرفق
فقال الشافعي يجب امساس الماء لطرف العظم الباقي قوله وامسحوا برؤسكم اختلف الفقهاء في قدر الواجب من مسح
الرأس فقال مالك والمزني يمسح جميع الراس في الوضوء ويجب وقال الشافعي اقل ما ينطلق عليه اسم المسح واجب وقال ابو حنيفة
مسح ربع الراس واجب وقال ابو يوسف مسح نصف الراس واجب قال صاحب الكشاف المراد الصاق المسح بالراس
وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق المسح براسه وقد اخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع
اسم المسح وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع
الراس مساحة وقد قيل حجة الشافعي انه لو قال مسحت المنديل لا يصدق الا عند مسح المنديل بالكلية ولو قال
مسحت يدي بالمنديل يكون في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل وقوله فامسحوا برؤسكم يكون في احتمال
اليد بجزء من اجزاء الراس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان وجب التقدير بمقدار معين لم يكن تعيين ذلك القدر
الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزم ضرورة ان يكون الآية مجملة والاصل عدمه فاذا قلنا انه يكفي فيه ايقاع المسح
على اي جزء كان من اجزاء الراس كانت الآية مبينة مفيدة ولا شك ان حملها على محمل يبقى الآية معه مجملة فكان المصير الى ما ذكر

اولى ولا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لنا ان الآية دالة على ان المسح على الراس
ومسح العمامة ليس مسحا للراس واحتجوا بما روي انه عليه السلام مسح على العمامة والجواب لعله مسح على العمامة وجوابه
لعله مسح قدر الفرض على الراس والبقية على العمامة عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته
وعلى عمامته وخفيه قوله وارجلكم قرا ابن عامر ونافع والكسائي وحفص ارجلكم بالنصب وقرا عروة بن الزبير وابنه هشام
ومجاهد وابراهيم النخعي وابو وائل والاعمش والمفضل ابن سلام ويعقوب به وهي قراءة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وروى
عاصم بن كليب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال قرا علي الحسن والحسين فقرآ وارجلكم الى الكعبين بالخفض فسمع علي ذلك وكان
يقضي بين الناس فقال وارجلكم بالنصب قال هذا من المقدم والمؤخر من الكلام وقراءة عبد الله واصحابه قال الاعمش
كان اصحاب عبد الله يقرؤنها وارجلكم بالنصب فيغسلون وقراءة ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة انه قراها وارجلكم بالنصب قال عاد
الامر الى الغسل اما حجة ابي عبيدة والباقون وارجلكم بالكسر وهي قراءة انس والحسن وعلقمة والشعبي واختيار ابي حاتم
من نصب فمعناه واغسلوا ارجلكم ومن خفض فله وجوه من التاويل احدها ان الارجل من بين الاعضاء الثلثة المغسولة تغسل
بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح اما الراس لا لتمسح ولكن لينبه
على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب
له غاية في الشريعة ومنها ان المسح بمعنى الغسل تقول العرب تمسحت للصلوة اي توضأت لان المتوضي لا يرضى ان يصب
على وجهه حتى يغسله ويعده حتى يمسحها ويغسلها لذلك سمي الغسل مسحا ومنها ان ارجلكم معطوفة على رؤسكم على الاتباع
والجوار لفظا لا معنى كقول العرب جحر ضب خرب وقولهم اكلت الخبز واللبن قال الله تعالى الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها وقال الشاعر ورأيت بعلك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا قال الرمح لا يتقلد وانما يحمل
وقال لبيد واطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها قال النعام لا تطفل وانما تفرخ وقيل الجر بالجوار في اللحن الذي يحمل
الضرورة في الشعر واما الكلام وكلام الله تعالى فيجب ان ينزه عنه وايضا انما يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس كما
في قولهم جحر ضب خرب فانه علم بالضرورة ان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر وفي الآية لا امن من الالتباس وايضا الجر بالجوار
انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف لم يوجد في كلام العرب ومنها ان المراد به المسح على الخفين لقرب الجوار كقولهم
[illegible] ويقال قبل الامير يده ورجله وان كان في العمامة راسه وفي الكمين يده وفي الخف رجله
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد انه لم يكن بينهما حائل وطائفة من العلماء
قالوا ان الآية على ظاهرها واجازوا المسح على القدمين وهو منقول عن ابن عباس قال الوضوء غسلتان ومسحتان وعن انس
عن موسى بن انس انه قال لانس ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر الطهور فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم
وانه ليس شيء من ابن آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق الله وكذب الحجاج قال الله
وامسحوا برؤسكم وارجلكم وكان انس اذا مسح قدميه بلهما وعن انس نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن الشعبي
قال نزل جبريل بالمسح الا ترى ان التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا وعن عكرمة
انه كان يمسح عليهما حتى خرج منها وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وهو مذهب
داود الاصفهاني ومحمد بن جرير الطبري والقاسانية وذهب بعضهم الى ان المتوضي مخير بين غسلهما ومسحهما والدليل على
وجوب غسل الرجلين في الوضوء قوله تعالى الى الكعبين فتحديده بالكعبين دليل على الغسل كاليدين لما حدهما الى المرفقين
كان فرضهما الغسل دون المسح وما روي عن عثمان وعلي وابي هريرة ومسعود وعبد الله بن زيد رضي الله عنهم
انهم حكوا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوا ارجلهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله
صلاة امرئ حتى يضع الوضوء مواضعه فيغسل وجهه ويديه ويمسح براسه ويغسل رجليه وعن جابر قال امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نغسل ارجلنا اذا توضأنا وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم
وعراقيبهم تلوح فقال اسبغوا الوضوء ويل للعراقيب من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى اعمى يتوضأ فقال
اغسل باطن قدميك فجعل يغسل حتى سمي بالغسل وعن عمر ان رجلا توضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء
والصلوة وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت
ان احدا من اصحاب رسول الله مسح على القدمين وعن الحسن انه جمع بين الامرين قوله الى الكعبين وهما العظمان الناتيان
من جانبي الساق وعليهما الغسل كالمرفقين والخلاف فيهما كالخلاف في المرفقين ثابت في الكعبين وقيل الكعب هو الناتي من ظهر القدم
الذي يجري عليه الشراك سمي بذلك لارتفاعه ومنه الكعبة والذي يدل على ان الكعبين العظمان الناتيان من مفصل الساق
قوله تعالى الى الكعبين بجمع الارجل وثنى الكعبين فثبت ان لكل رجل كعبين وقوله صلى الله عليه وسلم للمحرم فليلبس النعلين
فان لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما اسفل من الكعبين فدل هذا على ان الكعبين هما العظمان الناتيان ولو كان
الكعب هو الناتي من ظهر القدم لكان اذا قطع الخفين اسفل منه ما امكن لبسهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يامر باصحابه لما ... وما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر في سوق مكة ويقول قولوا لا اله الا الله
تفلحوا وابو جهل يتبعه ويرميه بالحجارة حتى ادمى كعبيه فما هو الناتي من ظهر القدم لما كانت تدمى اذا تبعه ورماه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقيموا صفوفكم او ليخالفن الله بين قلوبكم وكان الرجل منا يلصق كعبه بكعب صاحبه ومنكبه
بمنكبه وقال الشافعي رضي الله عنه الترتيب شرط لصحة الوضوء وقال سفيان الثوري وابو حنيفة وصاحباه الترتيب

في الوضوء سنة فان تركه ساهيا او عامدا فلا اعادة عليه وقال مالك ان ترك الترتيب في الوضوء عامدا اعاد وضوءه
وان تركه ناسيا لم يعده وهو اختيار المزني احتج الشافعي بهذه الاية على ما ذهب اليه من وجوه منها ان قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم يقتضي وجوب الابتداء بغسل الوجه لان الفاء للتعقيب واذا وجب الترتيب في هذا العضو وجب في غيره
اذ لا قائل بالفرق وقيل فاء التعقيب انما دخلت في جملة هذه الاعمال الجاري الكلام مجرى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فأتوا بجميع
هذه الافعال اجيب بان فاء التعقيب انما دخلت على الوجه لانها ملتصقة بذكر الوجه ثم ان عين بتقديرها على سائر الاعمال
فدخولها على غسل الوجه اصل ودخولها على سائر الافعال تبع لدخولها على غسل الوجه ولا منافاة بين ايجاب تقديم غسل
الوجه وبين ايجاب سائر الافعال اعتبارا دلالة الفاء والاصل اولى من اعتبارها في الشرع ومنها انه وقعت البداية بالذكر
للوجه فوجب ان يقع البداية في العمل لقوله تعالى فاستقم كما امرت ولقوله عليه السلام ابدؤا بما بدأ الله به وهذا الحديث وان
ورد في قصة الصفا والمروة فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اقصى ما في الباب انه مخصوص في بعض الصور
لكن العام حجة في غير محل التخصيص ومنها انه تعالى ذكر هذه الاعضاء لا على وفق الترتيب المعتبر في الحس ولا على
وفق الترتيب المعتبر في الشرع وذلك يدل على ان هذا الترتيب واجب بيان المقدمة الاولى ان الترتيب المعتبر في الحس ان
يبدأ من الراس نازلا الى القدم او من القدم صاعدا الى الراس والترتيب المذكور في الاية ليس كذلك واما الترتيب المعتبر
في الشرع فهو ان يجمع بين الاعضاء المغسولة ويفرد الممسوح عنها والاية ليست كذلك فانه تعالى ادرج الممسوح في اثناء المغسولات
وهذا يدل على ان الترتيب واجب والدليل عليه ان اهمال الترتيب في الكلام البليغ مستهجن فوجب تنزيه كلام الله تعالى
عنه ترك العمل به فيما اذا صار ذلك مخالفا للتنبيه على ان ذلك الترتيب واجب حقيقي وغير ذلك الصورة على الاصل ومنها
ان ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله
تعالى انما المشركون نجس وكلمة انما للحصر وقوله عليه السلام المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وتطهير الطاهر غير معقول ولان الشرع
اقام التيمم مقام الوضوء وهو ضد النظافة والوضاءة ولان الشرع اقام المسح على الخفين مقام الغسل ولا يفيد نظافة
في ممسوح العضو ولان الماء الكدر المتغير في نفسه يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها واذا كان ايجاب الوضوء غير معقول المعنى
وجب الاعتماد فيه على مورد النص لاحتمال ان يكون الترتيب المذكور معتبرا اما لمحض التعبد او لحكمة خفية لا
نعلمها فلهذا السبب اوجبنا رعاية الترتيب في اركان الصلوة واحتج ابو حنيفة على عدم وجوب الترتيب بان الاية
خالية عن ايجاب الترتيب فايجابه
زيادة على النص وهو نسخ والاية دالة على وجوب الترتيب من وجوه كثيرة وان سلم عدم دلالتها على ايجاب الترتيب
لكن لا دليل على عدم ايجابه واثبات الايجاب لا يكون نسخا والا لزم ان يكون اثبات حكم لم يدل النص عليه يكون نسخا
وهو باطل بالاتفاق والموالاة في افعال الوضوء ليست شرطا للصحة على القول الجديد للشافعي وهو قول ابي حنيفة
وشرط على القول القديم للشافعي وهو قول مالك والذي يدل على انها ليست بشرط انه تعالى اوجب هذه الافعال
وايجابها مشترك بين ايجابها على الولاء وايجابها على التراخي ثم حكم في اخر الاية بان هذا القدر يفيد حصول الطهارة
ولنذكر المسائل المتعلقة بالوضوء ومن ناقضه منها لو كان على وجهه او بدنه نجاسة فغسلها ونوى الطهارة عن الحدث
بذلك لا يصح وضوءه على الارجح لان الماء صار مستعملا في ازالة النجاسة فانه غير مفتقر الى النية والمستعمل في ازالة النجاسة
لا يرفع الحدث ومنها لو وقف تحت ميزاب يجري منه الماء ونوى رفع الحدث قيل لا يصح وضوءه لانه امر بالغسل
وهو عمل ولا عمل له فيه وقيل لان الغسل عبارة عن الفعل المفضي الى الانغسال والوقوف تحت الميزاب يفضي اليه
فيكون غسلا ومنها انه اذا غسل هذه الاعضاء ثم تقدده كشطت جلدة او قص الظفر فلا شك ان ما ظهر تحت الجلد
ومن الظفر تحت الجلدة ومن الظفر غير مغسول والاظهر انه يجب غسلها او غسل ما ترتب عليه لانه تعالى امر بغسل
هذه الاعضاء وهذا الموضع غير مغسول ومنها انه لو لبث هذه الاعضاء وما اسال الماء عليها لم يكفه لانه تعالى امر بالغسل
والبل ليس بغسل لان الغسل هو اسالة الماء وحكي في غسل الجنابة احتمالا للفرق ان الماء موسع في الوضوء للغسل
وفي الجنابة التطهير وهو حاصل بالبل وهو ممنوع ومنها لو اخذ الثلج وامره على وجهه فان كان الهواء حارا يذوب الثلج
ويسيل الماء على وجهه كان ان كان يتخلله لم يجز ومنها ان التثليث في اعمال الوضوء سنة لا واجب لانما الواجب المرة الواحدة
والدليل عليه انه تعالى امر بالغسل بقوله فاغسلوا وجوهكم وحقيقة الغسل يحصل بالمرة الواحدة والذي يؤكد هذا
ما روي انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به ومنها التثليث سنة قال ابو حنيفة
فلو تركه لا يقدح في الصلاة لنا ان التثليث غير مذكور في الاية وحكم بحصول الطهارة بقوله تعالى ولكن يريد ليطهركم
والتسمية في اول الوضوء سنة وان نسي في الوسط عن احمد واسحق انها واجبة فان تركها عامدا بطل وضوءه
لنا ان التسمية غير مذكورة في الاية ثم حكم بحصول الطهارة ويؤكده ما روي انه عليه السلام قال من توضأ وذكر اسم الله
عليه كان طهورا لجميع بدنه ومن توضأ ولم يذكر اسم الله عليه كان طهورا لاعضاء وضوئه ومنها تقديم غسل اليدين على
الوضوء سنة وقال بوجوبه بعض الفقهاء والاحتجاج بالاية كما مر والمضمضة والاستنشاق سنة في الوضوء
والغسل وتقديم اليمنى على اليسرى سنة وقال احمد واجب لنا انه ذكر الايدي والارجل ولم يذكر فيه تقديم اليمنى
على اليسرى ومما يدل على ان الواجب غسل اليدين باي صفة كان وصب الماء على الكف بحيث يسيل الماء من الكف
الى المرفق فان صب الماء على المرفق حتى سال الى الكف جاز وقال بعض الفقهاء لا يجوز لانه تعالى قال وايديكم الى المرافق فجعل المرافق منتهى

الغسل

الغسل فجعلها مبدأ او خلاف الاية وقال جمهور الفقهاء انه لا يخل بصحة الوضوء لكن يكون تاركا للسنة وتكرار مسح الرأس
سنة عند الشافعي كتكليه وعند ابي حنيفة ومالك التكرار ليس بسنة ويكمل المسح على العمامة سنة ولا يجوز الاكتفاء
بالمسح على العمامة وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لنا ان الاية دالة على ان المسح على الراس ومسح العمامة ليس مسحا
على الرأس ويتم البقية على العمامة ومسح الاذنين بماء جديد سنة والاذنان لا يكونان من الراس لاتفاق العلماء على انه
لا يحلق ما عليهما من الشعر في الحج وعند ابي حنيفة ومالك والثوري واحمد الاذنان من الراس وعند مالك واحمد يستأنف
لهما ماء جديدا سوى الماء الذي مسح به الرأس وهو الافضل وعند ابي حنيفة والثوري يمسحان مع الراس بماء واحد وقال القرطبي
اهل العلم يكرهون للمتوضي ترك مسح اذنيه ويجعلون تاركه تارك سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يوجبون
عليه اعادة الا اسحق فانه قال ان ترك مسح اذنيه لم يجزه وقال احمد ان تركهما عامدا احببت ان يعيد وروي عن علي بن زياد
من اصحاب مالك انه قال من ترك سنة من سنن الوضوء والصلاة عامدا اعاد وهذا عند الفقهاء ضعيف لانه [illegible]
ليتبين الفرض من غيره وقيل الاذنان من الوجه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده سجد وجهي للذي خلقه
وصوره وشق سمعه وبصره فاضاف السمع الى الوجه فثبت ان يكون لهما حكم الوجه وقيل ظاهرهما من الوجه وباطنهما
من الراس فيغسل ظاهرهما مع الوجه ويمسح باطنهما مع الراس واحتج عليه بان الله امر بغسل الوجه ومسح الراس فما واجهك
من الاذنين وجب غسله لانه من الوجه وما لم يواجهك وجب مسحه لانه من الراس ورد هذا بان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يمسح ظاهر اذنيه وباطنهما هكذا في حديث عثمان وعلي وابن عباس والربيع وغيرهم واحتج من قال انهما من الراس
بقوله صلى الله عليه وسلم من مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتى يخرج من اذنيه ولا خلاف في ان السنة ان يبدأ
في مسح الراس بمقدم راسه ثم يذهب بيديه الى مؤخره ثم يردهما الى مقدمه والسنة تخليل اللحية بخنصر اليد اليسرى في
من اسفل بخنصر اليمنى الى خنصر اليسرى وتطويل الغرة وان سقط الفرض بغسل ما ذكر والدوام وتثليث كل من الغسل والمسح
نقيضا وقال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر هذه الاية يقتضي الاتيان بالوضوء
عند كل صلاة ترك العمل به عند ما لم يخرج الخارج النجس من البدن فيبقى معمولا به عند خروج
النجس وقال الشافعي لا ينقض لانه صلى الله عليه وسلم احتجم ولم يغسل محاجمه ولم يتوضأ وصلى وقال مالك لا وضوء
من الخارج من السبيلين اذا كان غير معتاد ويستدل بخروج دم الاستحاضة وقال ربيعة لا وضوء ايضا في دم الاستحاضة
وقال ابو حنيفة القهقهة في الصلاة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء وقال الباقون لا تنقض ولابي حنيفة
التمسك بعموم الاية على ما سبق وهو يتأكد بظاهر قوله تعالى او لامستم النساء وحجة الخصم خبر واحد او قياس فلا
يعارضها وقال الشافعي مس فرج البشر ينقض الوضوء له ان يتمسك بعموم الاية وهو يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم
من مس ذكره فليتوضأ وقال ابو حنيفة لا ينقض والخلاف فيه تمسك بضعيف على خلاف في العموم اعلم ان جمهور الفقهاء
اتفقوا على ان المسح على الخفين وانكرت الشيعة والخوارج واحتجوا بقوله تعالى وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين
فان الاية تقتضي غسل الرجلين او مسحهما والمسح على الخفين ليس مسحا للرجلين ولا غسلا لهما فوجب ان لا يجوز بحكم
هذه الاية ثم قالوا ان القائلين بجواز المسح على الخفين تمسكوا بالخبر لكن الرجوع الى القرآن اولى من الرجوع الى هذا الخبر
ويدل عليه وجوه منها ان نسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز ومنها ان هذه الاية في سورة المائدة واجمع المفسرون على
ان هذه السورة ليس فيها شيء منسوخ ومنها ان خبر المسح على الخفين بتقدير تقدمه على نزول هذه الاية يكون منسوخا
بهذه الاية وبتقدير تأخره يكون ناسخا لها والاول اولى لان نسخ القرآن بخبر الواحد اولى من العكس ولان حمل الاية
اقرب الى الاحتياط ولانه صلى الله عليه وسلم قال اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه
وان خالفه فردوه وذلك يقتضي تقديم القرآن على الخبر ولان قصة معاذ تقتضي تقديم القرآن على خبر الواحد ومنها ان
خبر المسح على الخفين ضعيف لاختلاف العلماء فيه عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لان تقطع قدماي احب الي من ان امسح على
الخفين ومنها انه حكي عن مالك انكار جواز المسح على الخفين ولا نزاع انه كان في علم الحديث كالشمس الطالعة
فلولا انه عرف فيه ضعفا والا لما انكره وفي الرواية الثانية عن مالك انه ما اباح المسح على الخفين للمقيم وانما اباحه للمسافر
يشاء من غير تقدير اما الشافعي وابو حنيفة واكثر الفقهاء فانهم جوزوه للمسافر ثلثة ايام بلياليها من حدوث الحدث
بعد اللبس على طهارة تامة عند الشافعي وقال الحسن البصري ابتداؤه من وقت لبس الخفين وقال الاوزاعي واحمد
يعتبر من وقت المسح بعد الحدث قالوا فهذا الاختلاف الشديد بين الفقهاء يدل على ان هذا الخبر ما بلغ الظهور في
واذا كان كذلك وجب القول بان هذه الاقوال لما تعارضت تساقطت وعند ذلك يجب الرجوع الى ظاهر كتاب الله
ومنها ان الحاجة الى معرفة جواز المسح على الخفين عامة في حق المكلفين فلو كان ذلك مشروعا لعرفه الكل وبلغ
ذلك مبلغ التواتر ولما لم يكن الامر كذلك ظهر ضعفه واما الفقهاء فقالوا ظهر عن بعض الصحابة انه كان يمسح
على الخفين ولم ينكره الباقون فصار كالاجماع عليه وقال الحسن حدثني سبعون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
انه مسح على الخفين واما انكار ابن عباس فقد روي ذلك عنه فلما سئل ابن عباس عنه قال كذب علي وقال عطاء كان
ابن عباس يخالف الناس في المسح على الخفين لكنه لم يمت حتى وافقهم واما عائشة فقد روي ان شريح بن هاني قال سألتها
عن مسح الخفين فقالت اذهب الى علي فسله فانه كان مع الرسول في اسفاره قال فسألته فقال المسح ومما يدل
ان عائشة تركت ذلك الانكار واما انكار مالك فروي عنه ان الانكار هو منكر لا يصح والواجب مسح اعلى كل خف ظاهر فوق

يمكن المشي بها بحيث يحل القدم الا من الاعلى ولو كان الخف مشقوقا مستدودا لا مخرقا وسنن مسح الاسفل والعقب وعدم
الاستيعاب وعدم التكرار ولو مسح الخفين في الحضر وشك في انقضاء المدة بان نسي ابتداءها او نسي انه مسافر وكون
المسح في السفر او في الحضر او بدا بعض رجل رفع الشرح اوجب الغسل فانه لا يسوغ في المدة فيغسل الرجلين فقط
ان كان على طهارة المسح ولا يستأنف الوضوء وكذا الحدث والمتيمم لا لفقد الماء يمسح لما يحل له وتوضأ الذي لبس
الخف عليه مثلا دائم الحدث والمتيمم لا لفقد الماء اذا توضأ ولبس الخف ثم احدث وتوضأ ما مسحا على الخف فانما يستفيد
بهذه الطهارة ما كان يباح له لو بقيت طهارته الاولى من فرض واحد ونوافل ان اراد الفرض ولم يستفد بهذه الطهارة الا نوافل
دون الفرض ثاني ثم فيها قوله وان كنتم جنبا فاطهروا او فتطهروا اي ادغم التاء في الطاء لانهما من مخرج واحد
شكلا وان الكلمة فزيد فيها الف الوصل ليبتدا بها فقيل اطهروا ولما ذكر كيفية الطهارة الكبرى وهي الغسل عن الجنابة
وهي تحصل بنزول المني قال عليه السلام الماء من الماء وبالتقاء الختانين قال عليه السلام اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل
وختان الرجل الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وختان المراة الجلدة الرقيقة القائمة مثل عرف الديك واعلم
ان فرج المراة محيطة بثلثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج هي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى
اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر هي مخرج البول لا غير وثالث فوق ثقبة البول موضع ختانها فاذا غابت الحشفة
حاذى ختانه ختانها فقد طهرتم وامر بالطهارة على الاطلاق وعلى وجه لا يكون مخصوصا بعضو معين دون عضو فكان
ذلك امرا بتطهير كل البدن ولان الطهارة الصغرى لما كانت مخصوصة ببعض الاعضاء لا جرم بين الله تعالى تلك الاعضاء
على التعيين ولما لم تكن الطهارة الكبرى مخصوصة ببعض الاعضاء على التعيين بل في كل البدن امر بالطهارة لا على
التعيين بل في كل البدن فامر بالطهارة على الاطلاق وهذا التطهير هو الاغتسال الذي ذكر في النساء حيث قال ولا
جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا والدلك غير واجب لنا ان قوله فاطهروا امر بتطهير البدن من غير تقييد بالدلك
والذي يؤكده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاغتسال من الجنابة قال اما انا فاحثي على راسي ثلاث حثيات
فاذا انا قد طهرت اشترط حصول الطهارة بدون الدلك وتقديم الوضوء على الغسل سنة ليس بواجب وقال ابو ثور وداود
واجب لنا ان قوله تعالى فاطهروا امر بالتطهير وهو حاصل بمجرد الاغتسال ولا يتوقف على الوضوء بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم اما انا فاحثي على راسي الحديث والمضمضة والاستنشاق غير واجبات عندنا وعند ابي حنيفة لقوله تعالى
فاطهروا امر بتطهير انفسهم وهو لا يحصل الا بتطهير جميع اجزاء النفس تركنا العمل به في الاجزاء الباطنة التي يتعذر
تطهيرها وداخل الانف والفم يمكن تطهيرهما فوجب بقاؤهما في النص ولقوله عليه السلام بلوا الشعر وانقوا
البشرة فان تحت كل شعرة جنابة فقوله بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وقوله وانقوا البشرة يدخل
فيه جلدة داخل الفم ويجب ايصال الماء الى منابت الشعور وان كثفت والضفيرة ان كانت مفتولة مشدودة بعضها
ببعض نظر فان كان ذلك يمنع وصول الماء الى جلدة الراس وباطنها وجب نقضها والا فلا وقال مالك لا يجب
وقال النخعي يجب لنا قوله فاطهروا وتقتضي ايصال الماء الى جميع اجزاء البدن ولو كان يشد بعض الشعر
بالبعض بما انه منه لم يجب ازالته لان الطهر المقصود قد حصل مع الاكثر والترتيب في الغسل غير واجب وقال
اسحق يجب البداية باعلى البدن لنا قوله تعالى فاطهروا امر بالتطهير المطلق وذلك حاصل بايصال الماء الى كل البدن
وسن الدلك وتقديم اليمنى قوله وان كنتم مرضى نحو المريض ان يتيمم ولم يشترط فيه عدم الماء لان عدم الماء يبيح التيمم
فلا معنى لضمه الى المرض وان ما يجيء قوله فلم تجدوا الى المسافر ولو الصق على موضع التيمم لصوقا يمنع وصول التراب
الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق لتنقية قال الشافعي يلزمه نزع اللصوق عند التيمم حتى يصل التراب
اليه للاحتياط وقال الاكثرون لا يلزمه لان مدار الامر في التيمم على التخفيف وازالة الحرج على ما قال ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وايجاب نزع اللصوق حرج فلا يجب قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم عند العجز عن استعمال الماء بسبب المرض وعدم وجدان الماء ولكن يريد ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه وقيل المراد من التطهير التطهير من الاحداث والجنابات
وقيل تطهير القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله فان الكفر والمعاصي كذلك فكانت نجاسات روحانية وكما ان ازالة
النجاسات الجسمانية تطهير فكذلك ازالة العقائد الفاسدة والاخلاق الرذيلة تطهير قال تعالى انما المشركون
نجس فجعل شركهم نجاسة وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ولما امر الله تعالى
العبد بايصال الماء الى هذه الاعضاء المخصوصة وكانت هذه الاعضاء طاهرة لم يعرف العبد في هذا التكليف
فائدة فلما انقاد لهذا التكليف كان هذا الانقياد لمحض اظهار العبودية والانقياد للربوبية فكان هذا
الانقياد قد ازال عن قلبه اثار التمرد فكان ذلك طهارة فهذا وجه صحيح في تسمية هذه الاعمال طهارة ويتأكد
هذا بالاخبار الكثيرة الواردة فان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه وراسه
ورجليه عن عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فاحسن وضوءه ثم قام الى
الصلاة فصلاها غفر له ما بينها وبين الصلاة الاخرى وليتم نعمته عليكم بالترخيص في التيمم والتخفيف
حال المرض والسفر وقيل بالهداية الى الايمان واكمال الدين وقيل انه متعلق بما ذكر من اول السورة باباحة الطيبات
من المطاعم والمناكح ثم انه تعالى ذكر بعده كيفية فرض الوضوء وكانه قال انما ذكرت ذلك لتتم النعمة المذكورة اولا وهي نعمة

الدنيا

الدنيا والنعمة المذكورة ثانيا هي نعمة الدين ولعلكم تشكرون نعمه قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
[illegible]
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى بحرف الاستعلاء كانه قيل
ولا يحملنكم ويجوز ان يكون يجرمنكم في اول السورة بمعنى الاول ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا متعديا بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به بمعنى على ان تعتدوا الحق ثم اكد ذلك بقوله
يجرمنكم على ان لا تعدلوا وقوله صلى الله عليه وسلم من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل والمعنى ولا يحملنكم شدة
بغضكم لقوم مشركين على ان لا تعدلوا فتتعدوا ان تتركوا العدل فيهم لعداوتهم فتعتدوا عليهم بان تنتهبوا
منهم وتشتفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض
عهد تعتبر في الشرع او ما اشبه ذلك ثم قال اعدلوا اي لا تحملنكم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح
بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا فقال هو اي العدل اقرب للتقوى اي ادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى اي الاتقاء
من الله تعالى من عذاب الله وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله
اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياء الله واحباؤه قوله واتقوا الله وعد
للمطيعين ووعيد للمذنبين ثم ذكر وعد المؤمنين فقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر
عظيم بيان الوعد بعد تمام الكلام قبله فانه قال اولا وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات فكانه قيل واي شيء وعده
لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم ويجوز ان يكون على ارادة القول يعني وعدهم الذين امنوا وعملوا الصالحات وقال
لهم مغفرة واجر عظيم ويجوز ان يكون على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول قال الزجاج وعد بمنزلة
قال لان الوعد لا ينعقد الا بالقول ويجوز ان يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة اي يجعل هذه الجملة معمولا
به كانه قيل وعدهم هذا القول فان قيل لو وعدهم هذا القول لم يعلم منه ان هذا القول هو المغفرة والاجر
العظيم الذي هو المقصود اجيب بانه اذا وعدهم وهو لا يخلف الميعاد بهذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر
العظيم ولوعدهم القول فائدة زائدة وهي انهم يسمعون هذا القول عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون
اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى المغفرة والاجر العظيم ثم ذكر بعد ذلك وعيد الكفار فقال
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم وهذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان
قوله اولئك اصحاب الجحيم يفيد الحصر والصاحبة تقتضي الملازمة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون قيل نزلت هذه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة فاراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا به
صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فقالوا ان لهم صلاة هي احب اليهم من ابائهم وامهاتهم
فاذا سجدوا فيها وقعنا بهم فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فانزل صلوة الخوف وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلوة الخوف وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحارب وغطفان فقال رجل من
المشركين لقومه الا اقتل لكم محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك قد فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم متقلدا سيفه والنبي متقلده فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز سيفه وينظر
مرة الى السيف ومرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد من يمنعك مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله
فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واغلظوا له فشام السيف واغمده ومضى فانزل الله هذه الاية وعن جابر ان النبي

صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه
بشجرة فجاء أعرابي إلى سيفه فسله ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك
مني قال الله قالها الأعرابي مرتين أو ثلاثا من يمنعك مني والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
يقول الله فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى
جنبه وأبى أن يعاقب وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الأنصاري الساعدي وهو أحد النقباء ليلة
العقبة في جيش [illegible] كلهم من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة
وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري
فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء يسقط من خراطيمها علق الدم فقال أحد النفر قتل أصحابنا ثم أقبل يشتد حتى لقي
رجلا فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال الله أكبر الجنة ورب العالمين
ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا لهما إلى بني عامر
فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا
على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقليهما فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة
اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألتنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعضهم ببعض
وقالوا إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش
أنا فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها فأمسك الله يده وجاء جبريل وأخبره بذلك فخرج صلى الله عليه وسلم ثم دعا عليا فقال
لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل توجه إلى المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا إليه ثم تبعوه فنزلت
هذه الآية وهذا أقرب إلى الصواب لأن الله تعالى عقب هذه الآية بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم يقال
بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به يقال فلان
بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف أيديهم عنكم أي منعها أن تصل إليكم قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق
بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار
فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ● قيل إنه تعالى خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال اذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذي واثقكم به ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل فنقضوه وتركوا الوفاء فلا تكونوا أيها المؤمنون
مثل أولئك اليهود في هذا الخلق الذميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة والمسكنة وقيل لما ذكر قوله
اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم وأراد اليهود أتبعه ذلك بذكر فضائحهم وبيان أنهم كانوا أبدا مواظبين على نقض
العهود والمواثيق وقيل إن الغرض من الآيات المتقدمة ترغيب المكلفين في قبول التكاليف وترك التمرد والعصيان
فذكر الله أنه كلف من كان قبل المسلمين كما كلفهم ليعلموا أن عادة الله في التكليف والإلزام غير مخصوصة بهم بل هي
عادة جارية له مع جميع عباده أن الله تعالى وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام وكان
يسكنها الكنعانيون والجبارون فلما أراد أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل بعد هلاك فرعون أمرهم الله
بالمسير إلى أريحا من أرض الشام وهي الأرض المقدسة وقال تعالى يا موسى إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج إليها وجاهد
من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء
بما أمروا به توثقة عليهم فاختار موسى النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء فسار موسى ببني إسرائيل
حتى إذا قربوا من أرض كنعان وهي أريحا بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار فرأوا أجراما عظيمة وقوة
وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط
يهوذا ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها
كما قيل له عريف لأنه يتعرفها من النقب لأنه ينقب عن أحوالهم كما ينقب عن الأسرار ومنه المناقب وهي الفضائل لأنها لا تظهر
إلا بالتنقيب عنها وقيل هو المنظور إليه المسند إليه أمور القوم وتدبير مصالحهم فالأول فعيل بمعنى الفاعل والثاني
بمعنى المفعول وقال الله تعالى لبني إسرائيل إني معكم ناصركم على عدوكم ومعينكم ثم ابتدأ الكلام فقال لئن أقمتم الصلاة
واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا أو والله
لئن أقمتم الصلاة يا معشر بني إسرائيل وآتيتم الزكوة إلى قوله قرضا حسنا لأكفرن قوله إني معكم أي بالعلم والقدرة
فأسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على إيصال الجزاء إليكم فقوله إني معكم مقدمة معتبرة في الترغيب
والترهيب ثم ذكر بعد المقدمة جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وأخر الإيمان بالرسل عن إقامة الصلاة
وإيتاء الزكوة مع تقدمه عليهما لأن اليهود كانوا مقرين بأن حصول النجاة يستدعي إقامة الصلاة وإيتاء الزكوة
ولكن كانوا مصرين على تكذيب بعض رسل الله فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنه لا بد من الإيمان بجميع
الرسل حتى يحصل المقصود وإلا لم يكن لإقامة الصلاة وإيتاء الزكوة تأثير في حصول النجاة وتكفير السيئات
بدون الإيمان بجميع الرسل ومعنى عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه
لأنصرنك نصرا مؤزرا أي قويا والمراد بالإقراض إيتاء الصدقات المندوبة وخصها بالذكر تنبيها على شرفها لأكفرن عنكم

سيئاتكم

[illegible]

نفس خائنة أو على فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال الشاعر حدثت نفسك
بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع ● إلا قليلا منهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد قيل هم الذين آمنوا
من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وقيل يحتمل أن يكون هذا القليل من الذين بقوا على الكفر ولم ينقضوا
فاعف عنهم واصفح أي عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل إذا حمل القليل على الذين بقوا على الكفر ولم ينقضوا ولم
يخونوا فيكون الضمير في عنهم راجعا إليهم أي فاعف عنهم واصفح عن الإثم ما داموا باقين على العهد وقيل هو منسوخ
بآية السيف إن الله يحب المحسنين عن ابن عباس إذا عفوت فأنت محسن وإذا كنت محسنا فقد أحبك الله وقيل المراد
بالمحسنين الذين لا ينقضون العهد قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا
به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ● أي سبيل الذين
قالوا إنا نصارى سبيل اليهود في نقض الميثاق وإنما قال ومن الذين قالوا إنا نصارى ولم يقل ومن النصارى لأنهم إنما سموا
أنفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله وكان هذا الاسم في الحقيقة اسم مدح
على أنهم يدعون هذه الصفة ولكنهم ليسوا موصوفين بها أخذنا ميثاقهم أي أخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاق
من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم في التوحيد والنبوة وأفعال الخير فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم
أي ألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره وبينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بين النصارى
واليهود العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة بالأهواء المختلفة والجدال في الدين ونحوه قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون في الآخرة بالجزاء والعقاب وهذا وعيد
من الله لهم قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم
إلى صراط مستقيم ● لما حكى تعالى عن اليهود والنصارى نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم بعد ذلك إلى الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو آية الرجم
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه لأنه لا حاجة إلى إظهاره في الدين ولا فائدة في إظهاره إلا افتضاحكم وصفة
النبي مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه من إحياء شرعه وإماتة بدعة فلهذا بينه ولم يعف عنه وعن الحسن ويعفو عن
كثير ولا يؤاخذكم بكثير مما تخفون قد جاءكم من الله نور أي محمد لأنه يكشف ظلمات الشرك والشك وكتاب مبين أي القرآن لإبانته
ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز وإنما جاء متعديا ولازما وقيل النور الإسلام وقيل النور
والكتاب القرآن يهدي به الله أي بالكتاب المبين من اتبع رضوانه أي من كان مطلوبه من الدين اتباع الدين الذي يرضيه الله
لا من اتبع هواه وما وجد عليه آباءه سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله وسبل السلام هو الله
سبيل الله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وقوله من اتبع مفعول أول لقوله يهدي وسبل السلام مفعوله
الثاني فأهل النجاة يقبلونه حيث ينظرون وغيرهم يعرض عنه يهديهم إلى الطريق ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان
بإذنه بتوفيقه وهدايته وإرادته ومشيته والباء متعلق بقوله اتبع أي لا يتبع رضوان الله إلا بإرادته ويهديهم
إلى صراط مستقيم وهو الدين الحق قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير ● معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم
يقولون إن الله هو المسيح ابن مريم وقيل ما صرح به أحد من النصارى بذلك ولكن اعتقادهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه

قوله يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى

يخلق ويحيي ويميت ويخبر بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ويدبر امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا ان
يدفع من امر الله شيئا فيرده اذا قضاه وهو مثل قولك فلان يملك على فلان امره اذا كان لا يقدر ان ينفذ امرا الا به ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا شرط جزاؤه محذوف لما قبله وهو قوله فمن يملك ودل عليه تقديره
ان اراد الله ان يهلك المسيح ابن مريم فمن غالبه اي يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ودل بذلك على ان المسيح عبد مخلوق كسائر
العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية والمخلوقية
ولله ملك السموات والارض وما بينهما ولم يقل بينهن لان المعنى ما بين هذين النوعين من هذه الاشياء يخلق ما يشاء
اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم ويخلق ما يشاء كخلق الطير على
يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على
يده والله على كل شيء قدير قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير قيل
ان اليهود لا يقولون ذلك في حق عيسى لا في حق انفسهم فكيف يجوز هذا النقل عنهم ايضا اجاب المفسرون عنه
من وجوه انه هذا من باب حذف المضاف والتقدير نحن ابناء رسل الله ونظيره قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ومنها ان لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب فقد يطلق ايضا على من يتخذ ابنا واتخاذه ابنا معناه تخصيصه بمزيد
الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا ان عناية الله تعالى بهم اتم ادعوا انهم ابناء الله ومنها ان اليهود زعموا ان عزير
ابن الله والنصارى زعموا ان المسيح ابن الله ثم زعموا ان العزير والمسيح كانا منهم صار ذلك كانهم قالوا نحن ابناء الله
يرجعان الى الملك انا فاخر انسانا اخر فقد يقولون نحن ملوك الدنيا وغرضهم فيه كونهم مختصين بذلك الشخص
الذي هو الملك فكذا ههنا ومنها قال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم
بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه فهذا القول انما وقع من تلك الطائفة واما
النصارى فانهم يتلون في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اذهب الى ابي وابيكم وجملة الكلام ان اليهود والنصارى
كانوا يدعون لانفسهم فضلا على سائر الخلق بسبب اسلافهم الافاضل من الانبياء حتى انتهوا الى تعظيم انفسهم
الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ثم ان الله تعالى ابطل عليهم دعواهم فقال فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله
واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم احباؤه لما عصيتموه
ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق كسائر بني آدم مجزيون بالاحسان والاساءة يغفر لمن يشاء فضلا ويعذب
من يشاء عدلا وقيل يهدي من يشاء منكم في الدنيا فيغفر له ويميت منكم من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات
والارض يعني من كان هكذا لا يكون لاحد عليه حق واجب ولا يستحق بمعرفته القليلة وعبادته الناقصة ثوابا واجبا
ومغفرة بل الاجر والثواب والمغفرة بفضله ومشيئته واليه المصير اي واليه يؤول امر الخلق لانه لا مالك الضر والنفع
الا هو قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير ● قوله يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو احكام الدين
وشرائع الدين وحذفه لظهوره او ما كان الرسول لتبيينه فان كل احد يعلم ان الرسول انما جاء لبيان الدين والشرائع
او ما كنتم تخفون اي المبين المقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر المبين ويكون المعنى ويبذل
لكم البيان نحو فلان يعطي ويمنع اي يبذل الاعطاء وقوله يبين لكم في محل النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة من الرسل
متعلق بجاءكم اي جاءكم على حال الفتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي يقال فتر الشيء يفتر فتورا اذا سكنت حدته
وصار اقل مما كان عليه وسميت المدة التي بين الانبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع وقيل كان بين عيسى
عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقيل خمسمائة وستون سنة وقيل خمسمائة واربعون سنة
وقيل اربعمائة ونيف وستون سنة وقيل كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد
اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمقصود الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين
انطمست آثار الوحي اشتدت الحاجة الى بعثة رسول الله يبين لهم الدين والشرائع ليعيشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة
من الله وفتح باب الرحمة ان تقولوا اي لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قال الامام الفائدة في بعث محمد صلى الله
عليه وسلم عند فترة من الرسل هي ان التحريف والتغيير قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب
ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لانهم ان يقولوا
يا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا عليه السلام ازالة لهذا العذر
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين ● قال الامام وجه الاتصال انا لو اوحي قوله واذ قال موسى لقومه واو العطف وهو متصل بقوله
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا الميثاق
وخالفوه في محاربة الجبارين وعدد من الله تعالى في هذه الاية على بني اسرائيل بامور ثلاثة اولها جعل الانبياء فيهم
فقال اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وثانيها جعلهم ملوكا فقال وجعلكم
ملوكا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا وعن ابن عباس

ومجاهد

ومجاهد والحسن من كان له بيت وخادم وامرأة فهو ملك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى في بدنه
امنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل كانت منازلهم فيها مياه جارية فمن كان مسكنه
واسعا وفيه ماء جار فهو ملك وقيل وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعدما كنتم في ايدي القبط بمنزلة اهل الجزية
فينا فاخرجهم الله من ذلك الذل وقيل انه كان في اسلافهم واخلافهم ملوك عظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك
على سبيل الاستعارة وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك
وقيل الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق فهو ملك وقال
اتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني عالمي زمانكم من فلق البحر واغراق العدو
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى واخراج المياه العذبة من الحجر قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين ● لما ذكرهم موسى هذه النعمة وشرحها لهم امرهم بعد ذلك
على اعدائهم العدو الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض
الاردن روي ان ابراهيم عليه السلام حين رفع على جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك
وسمى الله الارض المقدسة لابراهيم ميراثا لولده وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وطهر من الافات
والشرك التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل وهبها الله لكم وقيل امركم بدخولها وفرض عليكم
ان تدخلوها كما امركم بالصلاة وفي قوله كتب الله لكم فائدة عظيمة وهي ان القوم وان كانوا جبارين الا ان الله تعالى لما وعد
المستضعفين بان تلك الارض لهم وانه كان مؤمنين مقرين بصدق موسى علموا قطعا ان الله ينصرهم عليهم ويسلطهم
على قتالهم من غير جبن وخوف ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا
وقيل ولا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة بفوت
الثواب ولحوق العقاب وقيل ترجعون الى الذل وقيل تموتون في التيه ولا تصلون الى شيء من مطالب الدنيا ومنافع
الاخرة ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
وذلك ان الجواسيس لما رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا قال لهم موسى اكتموا شانه ولا تخبروا به احدا من اهل العسكر
فيفشلوا فذهب كل رجل منهم فاخبر قومه الا رجلين وفيا بما قال لهما موسى وهما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فتى موسى وكالب بن
يوقنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وهما من النقباء فعلم جماعة بني اسرائيل بذلك ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا
متنا بارض مصر وليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا غنيمة لهم وقالوا تعالوا
نجعل علينا راسا وننصرف الى مصر جبنا من الجبابرة
على ما يريد قال قتادة كانت اجسادهم وخلقهم عجيبة ليس كغيرهم وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال
رجلان يوشع وكالب من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين وقيل الضمير في الذين يخافون لبني
اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره رجلان من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون والرجلان من
الجبابرة وعن سعيد بن جبير كانا من الجبارين فاسلما واتبعا موسى انعم الله عليهما بالايمان والتوفيق والعصمة قالا لهم ان العمالقة
اجسام لا قلوب فيها ادخلوا عليهم الباب يعني قرية الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون كانهما قالا متى دخلتم باب
بلدهم انهزموا ان الله منجز وعده بالنصر فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين ان كنتم مصدقين وعد الله بالنصرة فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من شدة قوتهم وعظم اجسامهم بل على الله توكلوا
في حصول هذه النصرة لكم ان كنتم مؤمنين بالله وبصحة نبوة موسى صلوات الله عليه ويجوز ان يكون نعتا لقوله
رجلان ومحله الرفع ويجوز ان كان معترضا فلا محل له وقيل رجلان من جهة اخبار موسى وقوله
كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر عدو
وما عرفا من حال الجبابرة والباب قريتهم قوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ● لما قال الرجلان ما قالا اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وقالوا لموسى انا
لن ندخلها ابدا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا
فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان يكون القوم مجسمة يجوزون الذهاب على الله تعالى ويحتمل ان لا يريدوا
الذهاب على الله تعالى ويحتمل انهم لم يقصدوا الذهاب حقيقة بل هو كما يقال كلمته فذهب يجيبني اي يريد يجيبني فالذهاب
بمعنى الارادة والقصد كذلك قال المتكلمون وارادة الاول كانهم قالوا فاردت وربك قال صاحب الكشاف والظاهر
انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم
التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت اني ذاهب بالهدي فانحره عند البيت فقال المقداد انا والله لا نقول
ما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وشمالك ومن بين يديك
ومن خلفك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو تسنمت جبلا لعلوناه معك فلما سمعها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
تابعوه على ذلك فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واشرق وجهه لذلك السرور قوله تعالى قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ● لما قال بنو اسرائيل ما قالوا اغضبوا موسى ودعا عليهم فقال

أني لا أملك إلا نفسي وأخي حكاية لموسى وهارون عليهما السلام حتى يحجبهما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما
وعصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون قال رب
إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى والحسرة ورقة القلب التي بمثلها
يستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وأخي منصوب عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل إني لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير المستتر في أملك وجاز العطف عليه للفصل أو مجرور عطفا على الضمير في نفسي قال صاحب
الكشاف وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار وإنما لم يذكر موسى الرجلين وقد كانا معه لأنه
لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق من طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر
إلا هارون الذي وثق به كل الوثوق واطمأن إلى ثباته وقيل ويحتمل أن يقال ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا
لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق فافصل فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين الخارجين
عن الدين وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين

قوله تعالى قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين

قال الله فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها وهو لا ينافي التي كتب الله لكم لوجهين أحدهما أن
كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم الثاني أنها أبدية فإنها محرمة عليهم أربعين
سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب والعامل في الظرف إما أربعين سنة إما محرمة وإما يتيهون وعلى هذا يتيهون
في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها قيل كان مساحة التيه تسعين فرسخا
لكنهم تاهوا في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا ساروا وأمسوا إذا هم في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان
الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم
وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله قال صاحب الكشاف فإن قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام
وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك الوالد
المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه قيل وكانوا ستمائة ألف مقاتل
وماتا النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر بغتة وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب
قيل موسى وهرون لم يكونا معهم في التيه لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا
معهم إلا أنه كان ذلك لهما روحا وسلاما كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب في جهنم ومات هارون
في التيه وموسى بعده فيه بسنة ولم يدخل أريحا أحد ممن قالوا إنا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون
سنة ونشأت النواشئ منهم ساروا إلى حرب الجبابرة واختلف فيمن تولى تلك الحرب وعلى يد من كان
الفتح قيل إنما فتح أريحا موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته فدخلها بأنهم يوشع وقاتل الجبابرة
الذين كانوا بها ثم دخلها موسى ببني إسرائيل فأقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم قبره أحد من الخلائق
قتل عوج بن عنق وقيل إنما قاتل الجبابرة يوشع بن نون ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى وقد أخبر من كان في التيه
إليها ومات موسى وهرون في التيه قوله فلا تأس فلا تحزن عليهم لأن موسى ندم على الدعاء عليهم

قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله
من المتقين

قيل إن هذه القصة متعلقة بما قبلها وهو قصة محاربة الجبابرة أي اذكر لليهود حديث ابني آدم
ليعلموا أن سبيل أسلافهم في الندامة والحسرة الحاصلة بسبب إقدامهم على المعصية كان مثل ابني آدم في إقدام
أحدهما على قتل الآخر وقيل هذا متصل بقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أي لا ينفعهم
كونهم من أولاد الأنبياء مع كفرهم كما لم ينفع ولد آدم عند معصيته كونه ابنا لنبي اجتباه الله تعالى وقيل لما كفر أهل الكتاب
بمحمد صلى الله عليه وسلم حسدا أخبرهم الله بخبر ابني آدم وأن الحسد أوقعه في سوء العاقبة والمقصود منه التحذير
عن الحسد والضمير في واتل عليهم أي على الناس وقيل على أهل الكتاب وابنا آدم هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل قابيل صاحب
زرع وهابيل صاحب غنم فقرب كل واحد منهما قربانا فطلب هابيل أحسن شاة كانت معه وجعلها قربانا وطلب
قابيل شر حنطة كانت عنده وجعله قربانا فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ولم تحمل قربان قابيل
فعلم قابيل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله وقيل إن آدم عليه السلام كان يولد له في كل بطن
غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن بغلام من بطن آخر فولد له قابيل وتوأمته وبعدهما هابيل وتوأمته وكانت
توأمة قابيل أحسن الناس وجها فأراد آدم أن يزوجها من هابيل فأبى قابيل ذلك وقال أنا أحق بها وهي أحسن وليس هذا
من الله وهذا رأيك فقال لهما آدم عليه السلام قربا قربانا فأيكما قبل قربانه يتزوجها فقبل الله قربان هابيل بأن نزلت عليه
نار فازداد قابيل حسدا له وعن الحسن البصري ما كانا ابني آدم لصلبه وإنما كانا رجلين من بني إسرائيل واستدل
لأن القربان لم يكن إلا في بني إسرائيل وبقوله في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد
في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا وظاهر أن هذا الذنب من ابني آدم لا يصلح أن يكون سببا لإيجاب القصاص
على بني إسرائيل أما لو أقدم رجل من بني إسرائيل على مثل هذه المعصية أمكن جعل ذلك سببا لإيجاب القصاص عليهم زجرا لهم من المعاودة
إلى مثل هذا الذنب وأن المقصود بيان إصرار اليهود من قديم الدهر على التمرد والحسد حتى بلغ بهم شدة الحسد إلى أن أحدهما

لما قبل الله قربان حسده الآخر وأقدم على قتله ولا شك أنه رتبة عظيمة في الحسد فإنه لما شاهد أن قربان صاحبه مقبول عند الله
حسده فأقدم على قتله فدل ذلك على أنه كان قد بلغ في الحسد إلى أقصى الغايات وإذا كان المراد من ذلك بيان أن الحسد دأب قديم
في بني إسرائيل وجب أن يقال هذان الرجلان كانا من بني إسرائيل والأول هو الذي عليه أكثر أصحاب الأخبار وفي الآية ما يدل
عليه لأن القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من عمل الغراب ولو كان من بني إسرائيل لما خفي عليه هذا الأمر واتل عليهم معناه
اقرأ وأسمعهم إياه وهذا من علوم الكتب السابقة التي لا يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم إلا من طريق الوحي فيكون دليلا على
نبوته والضمير في عليهم ظاهر أمره أنه أريد به بنو إسرائيل لأن نبأ ابني آدم إنما هو عندهم وعليهم تقوم الحجة فأريد به أيضا
الخبر بالحق صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة من عند الله وقيل حال من نبأ ابني آدم أي اتل عليهم
نبأ ابني آدم حال كون النبأ ملتبسا بالحق والصدق موافقا لما في كتب الأولين أو حال كون التالي ملتبسا بالغرض الصحيح وهو
تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه وقيل معناه
واتل عليهم وأنت محق صادق فيكون حالا من ضمير المخاطب في اتل وقوله إذ قربا نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت
ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم نبأ ابني آدم وقت تقربهما القربان على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب
به إلى الله تعالى من نسيكة أو ذبيحة وصدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى به وقرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب
مطاوع قرب يتعدى بالباء وقد يكون بمعنى ترتب وتقدير الكلام في القربان في سورة آل عمران قيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما
قربانا إلا أنه جمعهما في الفعل وأفرد الاسم لأنه يستدل بفعلهما على أن لكل واحد منهما قربانا وقيل إن القربان اسم جنس
يصلح للواحد والمثنى والمجموع وأيضا فالقربان مصدر كالرجحان والعدوان والكفران والمصدر لا يثنى ولا يجمع قوله فتقبل
من أحدهما قيل علامة التقبل أن تأكله النار وقيل لم يكن في ذلك الوقت فقير يدفع إليه ما يتقرب به إلى الله وكانت تنزل
النار من السماء فتأكله قال الذي لم يتقبل منه لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين وفي الكلام حذف والتقدير كان الذي
تقبل منه قال للذي لم يتقبل منه لم تقتلني إنما يتقبل الله من المتقين وفي الكلام حذف والتقدير كأن الذي تقبل
قال للذي لم يتقبل منه عدم قبول قربانك إنما هو من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك
لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم جامع مختصر لمعان وقيل قوله إنما
يتقبل الله من المتقين من كلام الله للنبي صلى الله عليه وسلم اعتراضا بين القصة كأنه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه إنما
لم يتقبل قربانه لأنه لم يكن متقيا واتفق أهل السنة والجماعة على أن المراد بالمتقين المتقون من الشرك فإن من اتقى الشرك
وهو موحد فأعماله التي يصدق فيها نيته مقبولة وأما المتقي من الشرك فله الدرجة العليا من القبول وعلم ذلك بإخبار
الله تعالى لا لأن ذلك واجب على الله عقلا ثم حكى تعالى عن الذي تقبل منه أنه قال لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي
إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين قيل كان الذي تقبل منه أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل
أخيه واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قيل ومن ههنا تحرى عثمان رضي أن يظلم
في الآخرة وهكذا فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه وإنما جاء الشرط وهو قوله لئن بسطت بلفظ الفعل والجزاء وهو قوله
ما أنا بباسط بلفظ اسم الفاعل ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي

قوله تعالى إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فإن قيل كيف يعقل أن يبوء
القاتل بإثم المقتول وقد قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى أجيب بأن معناه ترجع إلى الله بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله
لم يتقبل قربانك وبأن المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة عاصم وكتبت كتابة زيد بتقدير المثل وهو
اتساع شائع مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ومثل إثمي لو بسطت يدي إليك ومثل إثم شتمه صاحبه إذا كان البادي
كان سببا فيه فصاحبه إنما عليه إثم لكن ذلك الإثم محطوط عنه معفو لأنه مكافئ دافع عن عرضه الأول في الحديث قوله صلى
الله عليه وسلم ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج عن حد المكافأة واعتدى لم يسلم فإن قيل كيف هابيل عن قتل أخيه
وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان أجيب بأن إثم هابيل مقيد
لو تحمل مثل الإثم المقدر كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك وإثمك الذي لأجله لم يتقبل
قربانك فإن قيل فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار فإن الإنسان كما أنه لا يجوز أن يريد من نفسه المعصية
فكذلك لا يجوز أن يريد من غيره أن يعصي الله أجيب عنه من وجوه منها أن هذا الكلام إنما قاله هابيل عندما غلب على ظنه
أن قابيل يريد قتله وكان ذلك قبل إقدام قابيل على قتله وكان هابيل يعظه وينصحه فقال إن كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة
بسبب هذه النصيحة فلا بد أن ترتكب القتل في وقت تكون غافلا عنك عاجزا عن دفعك فحينئذ لا يمكنني الدفع إلا
وقتلك بمجرد الظن والحسبان كبيرة ومعصية وإذا دار الأمر بين أن يكون فاعل هذه المعصية أنا وبين أن تكون أنت
فأنا أريد أن تحصل هذه الكبيرة منك لا مني والإرادة لصدور الذنب من الغير في هذه الحالة على هذا الشرط لا يكون معصية
بل هو محض الطاعة يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وقيل معناه إني أريد
عقوبة قتلي ويجوز للمظلوم أن يريد عقاب ظالمه وقيل روي أن الظالم إذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه أخذ من سيئات
المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز أن يقال إني أريد أن تبوء بإثمي في أنه يحمل عليك يوم القيامة إذا لم تجد ما يرضيني
وبإثمك في قتلك قال صاحب الكشاف وقابيل ظالم وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد لأنه لا يراد إلا لحق وعدل وإذا جاز
أن يريده الله عز وجل جاز أن يريده العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب

قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين • اي فوسعت له نفسه قتل اخيه ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وتحقيقه ان الانسان اذا اعتقد ان قتل العمد العدوان من اعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير زاجرا له عن فعله فيكون الفعل كالشيء العاصي الذي لا يطيعه ولا يجده لذلك فاذا اوردت النفس الامارة انواع وساوسها صار هذا الفعل سهلا عليه كان النفس جعلت بوساوسها المتمرد عن هذا الفعل كالمطيع له بعد ان كان كالعاصي المتمرد عليه فهذا هو المراد بقوله فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله روي انه التمس الغرة في قتله حتى وجد نائما في غنمه فشدخ راسه بحجر وقيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس وجاء بطائر وحيوان غيره فجعل يشدخ راسه بين حجرين ليتعلم به قابيل ففعل مثله روي انه لما انصرف قابيل الى آدم فقال له اين هابيل قال لا ادري كانك وكلتني بحفظه فقال له آدم قتلته والله ان دمه لينادي من الارض اللهم العن ارضا شربت دم هابيل فروي انه من حين ذلك ما شربت الارض دما قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله في ثور جبل بمكة وقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة وفي موضع المسجد الاعظم ثم ان آدم بقي مائة عام لم يتبسم حتى جاء ملك فقال له حياك الله يا آدم وبياك فقال له آدم ما بياك قال اضحكك روي انه لما قتل [illegible] قال حينئذ تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح هكذا هو الشعر بنصب بشاشة وكفا التنوين وعن ابن عباس انه قال ان من قال الشعر فقد كذب على محمد والانبياء عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء لكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فهي مرثية بلسان السريانية اوصى بها الى ابنه شيث وقال انك وصيي فاحفظ مني هذا الكلام ليتوارث فحفظت منه الى زمان يعرب بن قحطان فترجم عنه بالعربية وجعلت شعرا قال صاحب الكشاف ويروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر وقيل لما مضى من عمر آدم مائة وثلاثين سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له شيثا وتفسيره هبة الله يعني خلفا من هابيل وقيل كانت قبل قتله السباع والطيور تستانس بآدم فلما قتل قابيل هابيل هربوا فلحقت الطيور بالهواء والوحش بالبرية ولحقت السباع بالغياض ويروى من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حوى وفيه قتل ابن آدم اخاه وثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل وهذا نص في التعليل وبهذا الاعتبار يكون على ابليس كفل من معصية كل من عصى بالسجود لانه اول من عصى به وكذا الكل من احدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والاهواء قال صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن في الاسلام سنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وهذا نص في الخير والشر قال صلى الله عليه وسلم انا اخوف ما اخاف على امتي الائمة المضلين وهذا كلام صريح ونص صحيح في معنى الآية هذا ما لم يتب الفاعل من تلك المعصية لان آدم عليه السلام كان اول من خالف في اكل ما نهي عنه ممن بعده بالاجماع لان آدم تاب من ذلك وتاب الله عليه فصار كمن لم يجن ووجه آخر فانه اكل ناسيا وهو الصحيح من الاقوال والناسي غير آثم ولا مؤاخذ فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته اما الدنيا فهو انه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيمة واما الآخرة فهو العقاب العظيم فاصبح عبادة من جميع وقلد اثمهم بعض الزمان معا ما [illegible] محض الصلاح لانه بدء النهار والانبعاث الى الامور ومظنة النشاط قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين • روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره مائة سنة وقيل سنة واحدة وقيل اربعين سنة وقيل اصبح في ثاني يوم قتله يطلب اخفاء امر اخيه فلم يدر ما يصنع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجله ثم القاه في الحفرة وقيل بعث الله غرابا حيا الى غراب ميت فجعل يبحث في الارض ويلقي التراب على الغراب الميت وروي ان الله تعالى انما بعث غرابا واحدا فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل وظاهر هذه الآية ان هابيل هو اول ميت من بني آدم ولذلك جهلت سنة المواراة ويبحث معناه ينبش التراب بمنقاره ويثيره قوله ليريه ليري الله او ليريه الغراب ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز والضمير الذي اضيف اليه الاخ يحتمل ان يعود على قابيل ويراد بالاخ هابيل ويحتمل ان يعود الى الغراب الباحث ويراد بالاخ الغراب الميت والاول اشهر في التاويل سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال الزجاج المقصود بالسوءة السوأى اي للفضيحة العظيمة فكني بالسوءة عن العورة وخصت السوءة بالذكر مع ان المراد جميع الجسد للاهتمام بها ولان سترها اوكد قوله قال يا ويلتى كلمة تحسر وتلهف قيل انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما تعلم ذلك من الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما اقدم على قتل اخيه بسبب جهله وقلة معرفته فندم وتلهف وتحسر على فعله وقيل انه كان عالما بكيفية الدفن فانه يبعد في الانسان العاقل ان لا يهتدي الى هذا القدر من العمل الا انه لما قتله تركه بالعراء فلما راى الغراب يدفن الغراب الآخر [illegible] ان هذا الغراب لما قتل ذلك الآخر فبعد ان قتله اخفاه تحت الارض افاكون اقل شفقة من هذا الغراب [illegible] وكان يحثي التراب على المقتول فلما رأى ان الله اكرمه حال حياته بقبول قربانه واكرمه بعد مماته بان بعث الغراب ليدفنه تحت الارض علم انه عظيم الدرجة عند الله فتلهف على

وعلم انه

وعلم انه لا قدرة له على التقرب الى اخيه الا بان يدفنه في الارض فلا جرم قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب قيل قوله يا ويلتى اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب وهي كلمة تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظها لفظ النداء كان الويل غير حاضر عنده فناداه ليحضر اي ايها الويل احضر فهذا اوان حضورك قوله فاواري سوءة اخي بالنصب عطفا على [illegible] فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر وتلمذ الغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه ولم يندم ندم التوبة قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا • من اجل ذلك اي بسببه وبعلته وقيل اصله من اجل عليهم شرا اذا جنى [illegible] اي جناه وهيجه قال الخوات بن جبير وهم اهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في ما جل من اجله اي انا جانيه كانت الذات من اجلك فعلت كذا اردت بعد ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قوله من جراك فعلته اي من ان جررته بجنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل وجر ما ذكر من قتل قابيل اخاه فرضنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس وجب عليه القصاص وانما قال ذلك تعظيما لامر القتل وانما ذكر بني اسرائيل دون الناس لان الكتاب نزل عليهم مبينا ووجب عليهم فكانت التوراة اول كتاب فيه تعظيم القتل ولانهم اشد تماديا في الطغيان قال الامام وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هاهنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان لانه تعالى حكم بان قتل نفس بمنزلة قتل جميع الناس ولا يخفى ان المقصود من هذه المبالغة ان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على غاية قساوة قلوبهم ونهاية بعدهم عن طاعة الله ولما كان الغرض من ذكر هذه القصص تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي ذكروا انهم عزموا على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وباكابر اصحابه لتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة العظيمة مناسبا للكلام ومؤكدا للمقصود قال القائلون بالقياس دلت الآية على ان احكام الله قد تكون معللة بالعلل وذلك لانه تعالى قال من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل كذا وكذا وهذا تصريح بان كتبه تلك الاحكام معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا دلت الآية على ان احكام الله تعالى معللة بمصالح العباد ومتى ثبت ذلك امتنع كونه خالقا للكفر والقبائح فيهم مريدا وقوعها منهم لان خلق القبائح وارادتها يمنع من كونه مراعيا للمصالح وذلك يبطل التعليل المذكور فاهل السنة والجماعة القول بتعليل احكام الله باطل بوجوه منها ان العلة ان كانت قديمة لزم قدم المعلول وان كانت محدثة وجب تعليلها بعلة اخرى ولزم التسلسل ومنها انه لو كان معللا بعلة فوجود تلك العلة وعدمها بالنسبة الى الله ان كان على التسوية امتنع كونه علة وان لم يكونا على التسوية فاحدهما به اولى مستفيدا تلك الاولوية من ذلك الفعل فيكون مستكملا بغيره وهو محال ومنها انه قد ثبت توقف الفعل على الداعية ويمتنع وقوع التسلسل في الدواعي بل يجب انتهاؤها الى الداعية الاولى التي حدثت في العبد لا من العبد بل من الله تعالى وحينئذ حدوث الداعية والفعل في الكل من الله وهذا يمنع تعليل افعال الله واحكامه برعاية المصالح واذا ثبت بالدلائل القاطعة امتناع تعليل افعال الله واحكامه ثبت ان ظاهر هذه الآية من المتشابهات والذي يؤكد ذلك قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وذلك نص صريح في انه يحسن من الله كل شيء ولا يتوقف خلقه وحكمه على رعاية المصلحة قوله بغير نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس على معنى من قتل نفسا بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق اعلم ان القتل يحل لاسباب منها القصاص ومنها الكفر بعد الايمان ومنها الكفر مع المحاربة ومنها قطع الطريق فقوله او فساد يتناول الجميع هذه الامور وقوله فكانما قتل الناس جميعا فان قيل كيف يكون قتل النفس الواحدة مساويا لقتل جميع الناس اجيب بان تشبيه احد الشيئين بالآخر لا يقتضي الحكم بمساواتهما من كل الوجوه فالمقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل الناس جميعا المبالغة في تعظيم امر القتل العمد العدوان وتفخيم شانه يعني كما ان قتل جميع الناس امر مستعظم عند كل احد فكذلك يجب ان يكون قتل النفس الواحدة مستعظما فالمقصود بيان مشاركتهما في الاستعظام لا بيان مساواتهما في مقدار الاستعظام وكيف لا يكون مستعظما وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما وقيل ان جميع الناس لو علموا من انسان واحد انه يقصد قتلهم جميعا فلا شك انهم يدفعونه دفعا لا يمكنه تحصيل مقصوده فكذلك اذا علموا منه انه يقصد قتل نفس واحدة يجب ان يكون جدهم في الدفع كذلك قال صاحب الكشاف لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك قوله ومن احياها اي ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما احيا الناس جميعا والكلام في ان احياء النفس الواحدة بالمعنى المذكور مثل احياء جميع الناس على قياس ما قرر في ان قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس والغرض في ذكر هذا التشبيه تعظيم قتل النفس واحيائها بالمعنى المذكور في القلوب ليشمئز الناس من الجسارة عليها ويترغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلك عليه فثبطه عنه وكذا عن مجاهد قال قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازن ذلك لا يغفر لك بكلا انه شيء سولته لك نفسك او الشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون • اي كثيرا من بني اسرائيل بعدما جاءتهم الرسل وبعدما كتبنا عليهم تحريم القتل لمسرفون في القتل لا يبالون بعظمته اشارة الى فعل اليهود بقتل النبي عليه السلام وغيره قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف

أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا
أن الله غفور رحيم ● لما ذكر في الآية التي قبل هذه الآية تغليظ الإثم في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الأرض أتبعه
ببيان أن الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو فإن بعض ما يكون فسادا في الأرض لا يوجب القتل فذكر في هذه الآية
الوعيد واختلفوا فمنهم من قال إنه مختص بالكفار ومنهم من قال إنه في فساق المؤمنين أما الأولون فقد ذكروا وجوها منها أنها نزلت في قوم من عكل
وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ثم إنهم مرضوا واستوخموا واصفرت وجوههم فأمرهم النبي عليه السلام
أن يكونوا في لقاح الصدقة وقال اشربوا من أبوالها وألبانها فخرجوا إليها فلما صحوا قتلوا الرعاة واستاقوا الإبل فجاء
الصريخ فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر فنودي في الناس يا خيل الله اركبي فركب رسول الله صلى الله
على أثرهم فأخذوا وقال جرير بن عبد الله فبعثني رسول الله في نفر من المسلمين حتى أدركناهم وقد أشرفوا على بلادهم
فجئنا بهم النبي صلى الله عليه وسلم قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم وأرجلهم من خلاف
وسمر أعينهم ويروى وسمل أعينهم وتركهم في جانب الحرة يستسقون فلا يسقون وفي حديث جرير فكانوا يقولون
الماء فيقول رسول الله النار وفي بعض الروايات عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرقهم بالنار بعدما قتلهم
فقال الله تعالى في هؤلاء وكفروا وقتلوا وأخذوا الأموال يحاربون الله ورسوله وعن بعض أهل العلم أن هذه الآية نزلت
ناسخة لما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالعرنيين ووقع الأمر على هذه الحدود فصارت تلك السنة منسوخة بهذا القرآن
وعند الشافعي لم يجز نسخ السنة بالقرآن وكان الناسخ لها سنة أخرى ونزل هذا القرآن مطابقا لتلك السنة
الناسخة وقال بعضهم جعل الله هذه الآية عتابا لنبيه عليه الصلاة والسلام على سمل الأعين وحكي عن جماعة من أهل
العلم أن هذه الآية ليست بناسخة لذلك الفعل لأن الفعل وقع في مرتدين قال ابن عطية لا سيما وفي بعض الروايات
أنهم سملوا أعين الرعاة ومنها أن الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله عهد فنقضوا العهد
وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض قال ابن عطية ويشبه أن يكون نزل في بني قريظة حين هموا بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم وقال عكرمة والحسن نزلت الآية في المشركين قال ابن عطية وفي هذا ضعف لأن توبة المشرك نافعة بعد القدرة
عليه وعلى كل حال ومنها أن الآية في هؤلاء الذين حكى عنهم من بني إسرائيل أنهم بعد أن غلظ عليهم عقاب القتل العمد
فهم مسرفون في القتل ويفسدون في الأرض فمن أتى منهم بالقتل والفساد في الأرض فجزاؤهم كذا وكذا
وأما الآخرون الذين قالوا نزلت الآية في قطاع الطريق من المسلمين فهم أكثر الفقهاء قالوا والدليل على أن حمل
هذه الآية على المرتدين غير صحيح وجوه منها أن قطع المرتد لا يتوقف على المحاربة ولا على إظهار الفساد في دار الإسلام
والآية تقتضي ذلك ومنها أنه لا يجوز الاقتصار في المرتدين على قطع اليد ولا على النفي والآية تقتضي ذلك ومنها
أن الآية تقتضي سقوط الحد بالتوبة قبل القدرة وهو قوله تعالى إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ومنها أن
غير مشروع فيما ومنها أن قوله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا يتناول كل من كان موصوفا بهذه
الصفة سواء كان كافرا أو مسلما أقصى ما في الباب أن يقال الآية نزلت في الكفار لكن تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب قوله الذين يحاربون هم القوم الذين يجتمعون ولهم منعة ممن أرادهم بسبب أنه يحمي بعضهم بعضا
ويقصدون المسلمين في أرواحهم أو في دمائهم أو في أموالهم وإنما اعتبرنا القوة والشوكة لأن قاطع الطريق إنما يتميز
عن السارق بهذا القيد واتفقوا على أن هذه الحالة إذا حصلت في الصحراء كانوا قطاع الطريق وأما لو حصلت في
نفس البلدة فقال الشافعي أيضا يكون ساعيا في الأرض بالفساد ويقام عليه هذا الحد وذلك لأنهم في المصر إن لم يكونوا
أعظم ذنبا فلا أقل من المساواة وقال أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من أهل العلم لا يكون محاربا إلا القاطع على الناس
في خارج الأمصار أما في المصر فلا يعني أن القاطع في المصر لا يقام عليه هذا الحد بل يلزمه حد ما اجترح
من سرقة أو غصب أو غير ذلك قيل إن المحاربة مع الله غير ممكنة فيجب حمله على المحاربة مع أولياء الله والمحاربة مع الرسول
ممكنة فلفظ المحاربة إذا نسب إلى الله كان مجازا لأن المراد منه المحاربة مع أولياء الله وإذا نسب
إلى الرسول كانت حقيقة فلفظ يحاربون الله ورسوله يلزم أن يكون محمولا على المحاربة على مخالفة الأمر والتكليف
والتقدير إنما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله ويسعون في الأرض فسادا كذا وكذا أو لا امتناع في حمل اللفظ
على الحقيقة والمجاز معا قوله ويسعون في الأرض فسادا انتصب على أنه مفعول مطلق على المعنى ويجوز أن يكون
مفعولا لأجله أي للفساد قوله أن يقتلوا فيه قولان أحدهما أن أو للتخيير على معنى أن الإمام مخير إن شاء قتل وإن شاء
صلب وإن شاء قطع الأيدي والأرجل من خلاف وإن شاء نفى أي واحد من هذه الأقسام شاء فعل وهو قول ابن
عباس في رواية علي بن أبي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد والثاني أن أو هاهنا ليست للتخيير بل هي
لبيان الأحكام أعني من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده
لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما
ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ وهذا قول أكثر العلماء
ويبين ضعف القول الأول أنه لو كان للتخيير لوجب أن يتمكن الإمام من الاقتصار على النفي
ولما أجمعوا على أنه ليس له ذلك علمنا أن ليس المراد من الآية التخيير ولأن هذا المحارب إذا لم يقتل ولم يأخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل
وذلك لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فثبت أنه لا يجوز حمل الآية على التخيير والقياس الجلي أيضا يدل على صحة القول الثاني

لأن القتل

لأن القتل إنما يجب لعدوان بقتل فتغلظ ذلك في قاطع الطريق بانحتام القتل حتما لا يصح العفو عنه وأخذ المال يتعلق
به القطع في غير قاطع الطريق فغلظ في قاطع الطريق بقطع الطرفين وإن جمعوا بين القتل وبين أخذ المال جمع في حقهم بين القتل والصلب
لأن بقاءه مصلوبا في ممر الطريق يكون سببا لاشتهار إيقاع هذه العقوبة فيصير ذلك زاجرا لغيره عن الإقدام على
مثل هذه المعصية وإن اقتصر على الإخافة فقط اقتصر منه على عقوبة خفيفة وهي النفي من الأرض واختلفوا في كيفية
الصلب فعن أبي حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت وقال الشافعي يقتل ويصلى عليه ثم يصلب واختلفوا في
النفي فقال أبو حنيفة الحبس لأن المحبوس يسمى منفيا من الأرض لأنه لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا ولذاتها فلا يرى
أحدا من أحبابه فصار منفيا عن كلها إلا عن البقعة الصغيرة ولما حبس صالح بن عبد القدوس على جهة
الزندقة في حبس ضيق وطال لبثه هناك ذكر شعرا منه خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا وقال الشافعي النفي المذكور في الآية محمول على معنيين
أحدهما أن المحاربين إذا قتلوا وأخذوا الأموال فالإمام إن أخذهم أقام عليهم الحدود وإن لم يأخذهم طلبهم أبدا
لكونهم خائفين من الإمام هاربين من بلد إلى بلد وهذا المرتضى من النفي والثاني القوم الذين يحضرون الواقعة ويكثرون جمع هؤلاء
المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما أخذوا المال فالإمام يأخذهم ويعزرهم ويحبسهم فالمراد بنفيهم من
الأرض هو هذا الحبس لا غير وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة
قوله ذلك لهم خزي في الدنيا أي ذل وفضيحة ثم قال إلا الذين تابوا قال الشافعي رحمه الله الشرع ما يجب على هؤلاء المحاربين من الحدود
والعقوبات استثنى عنه ما إذا تابوا قبل القدرة عليهم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو إلا أنه يزول
القتل بسبب هذه التوبة وإن أخذ مالا وجب عليه رده ولكن لم يكن عليه قطع اليد والرجل وأما إذا تاب بعد القدرة
عليه فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود فقوله إلا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق
خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاؤوا عفوا وإن شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحارث
ابن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ● اعلم أنه تعالى لما أخبر رسول الله أن قوما من اليهود هموا
أن يبسطوا أيديهم إلى الرسول وإلى إخوانه بالقتل بالمكر ومنعهم الله وكف أيديهم وشرح للرسول شدة عتوهم
مع الأنبياء وكمال إصرارهم على إيذائهم وامتد الكلام إلى هذا الموضع رجع بعد هذا إلى المقصود الأول وهو قال يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله كأنه قيل قد عرفتم كمال جسارة اليهود على المعاصي والذنوب وبعدهم عن الطاعات التي هي الوسائل
للعبد إلى الرب فكونوا أيها المؤمنون بالضد من ذلك وكونوا متقين عن معاصي الله متوسلين إليه بطاعاته وقيل إنه
حكى عنهم أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أي نحن أبناء أنبياء الله فكان افتخارهم بأعمال آبائهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
ليكن مفاخرتكم بأعمالكم لا بشرف آبائكم وأسلافكم فاتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وفيه الآية وجه أن الله تعالى
ذكر العقوبات للمحاربين وهذا أمر بالوعظ لأنه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة وعادة البشر إذا رأى
وتحمل محنة عظيمة شديدة أن يرق ويخشع فيؤثر الوعظ تأثيرا عظيما في تلك الحالة والوسيلة كل ما يتوسل به ويتقرب
به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد لبيد
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ● ألا كل ذي لب إلى الله واسل ● قال الإمام اعلم أن مجامع التكليف محصورة في نوعين
لا ثالث لهما أحدهما ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله اتقوا الله وثانيهما فعل الطاعات وإليه الإشارة بقوله وابتغوا
إليه الوسيلة ولما كان ترك المنهيات مقدما على فعل المأمورات لا جرم قدمه في الذكر وجاهدوا في سبيله أي في
عبوديته وطريق الإخلاص في معرفته لعلكم تفلحون لكي يحصل لكم الخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب قوله تعالى إن الذين كفروا
لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ● لما أرشد المؤمنين في هذه الآية إلى معاقد جميع الخيرات ومفاتح
كل السعادات أتبعه بشرح حال الكفار وبوصف عاقبة من لم يعرف لنفسه محبا ولا سعادة إلا في هذه الدار وذكر من
تلك الأمور العظيمة نوعين أحدهما قوله إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه
فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر
يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما في حيز
خبر أن فإن قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه
أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجع وينتصب
المفعول معه بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله ولهم عذاب أليم يحتمل أن يكون في موضع الحال
ويحتمل أن يكون عطفا على الخبر وثانيهما الوعيد المذكور في هذه الآية قوله يريدون أن يخرجوا من النار إرادتهم الخروج
يحتمل وجهين أحدهما أنهم قصدوا ذلك وطلبوا المخرج منها كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها قيل إذا
رفعهم لهب النار إلى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون من النار لقوة النار ورفعها المعذبين وثانيهما
أنهم تمنوا وأرادوا بقلوبهم كقوله تعالى في موضع آخر ربنا أخرجنا منها احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يخرج
من النار من قال لا إله إلا الله على سبيل الإخلاص لأنه تعالى جعل هذا المعنى من تهديدات الكفار وأنواع ما خوفهم به

الشديد ولولا ان هذا المعنى مختص بالكفار والا لزم تخصيص الكفار به معنى ومما يؤكد هذا قوله ولهم عذاب مقيم
وهذا يفيد الحصر وكان المعنى ولهم عذاب مقيم لا لغيرهم كما ان قوله لكم دينكم اى لكم لا لغيركم قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ● قيل لما اوجب في الاية المتقدمة قطع الايدي والارجل
عند اخذ المال على سبيل المحاربة بين في هذه الاية ان اخذ المال على سبيل السرقة يوجب قطع الايدي ايضا وقيل انه
لما ذكر تعظيم امر القتل حيث قال من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ذكر بعده الجنايات
المبيحة للقتل والقطع فذكر اولا قطع الطريق ثم ثانيا امر السرقة ظاهر هذه الاية ان قوله والسارق والسارقة فاقطعوا من باب ما اضمر عامله
على شريطة التفسير لانه شيء بعده فعل مسلط على ما يتعلق بضميره لو سلط عليه لنصبه لكنهم اتفق القراء على الرفع ارشد
ذلك الى ان المقصود غير الظاهر قال سيبويه التقدير فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة جملة ابتدائية مستقلة
مع قطع النظر عن الفعل الواقع بعد الفاء ولذلك لو وقف على قوله والسارقة لكان حسنا وقوله فاقطعوا ايديهما جملة اخرى
مستقلة ذكرت تنبيها للحكم المعهود بذكره فلا يكون من هذا الباب لانه لا يجوز ان يتقدم فاقطعوا مسلطا على السارق
والسارقة لانه مبتدأ مخبر عنه من جملة اخرى ولا يستقيم عمل فعل من جملة في مبتدأ مخبر عنه بغيره من جملة اخرى ومثاله
زيد فضربت عمرا فاكرمته ولا يستقيم ان يكون فاكرمته مسلطا على زيد عاملا نصبا لاختلال الكلام بذلك وقال المبرد
الالف واللام بمعنى الذي والفاء جيء بها للدلالة على السببية كما في قولك الذي ياتيني فله درهم فيكون التقدير والذي سرق
والتي سرقت فاقطعوا ايديهما فالذي والتي مبتدأ وقوله فاقطعوا ايديهما خبر ولا يكون من هذا الباب لان ما هو من هذا
الباب يصح عمله فيما قبله لو لم يسلط على ضميره او على ما يتعلق بضميره وهنا لا يصح عمله فيما قبله لانه لا يصح ان يعمل ما بعد
الفاء الجزائية فيما قبلها وهذه الفاء مشابهة لفاء الجزاء لانها تفيد توقف ما بعدها على ما قبلها كما ان فاء الجزاء ايضا
تفيد ذلك فهذه الفاء ايضا لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولذلك تعين الرفع فان قيل فما الفارق بين الفاء الجزائية وهذه الفاء
الدالة على السببية بان فاء الجزاء انما امتنع عمل ما بعدها فيما قبلها اجراء للجملة الواقعة بعد الفاء مجرى اختها الواقعة
بعد اداة الشرط وانما جعل الجملة الواقعة بعد فاء الجزاء اختا للجملة الواقعة بعد اداة الشرط لان معنى الشرط لا يتم الا بها
وهذا المعنى منتف في فاء السببية تقديره يمتنع عمل ما بعدها فيما قبلها وجوز عمل ما بعدها فيما قبلها الا ينصب الذي قبلها
بفعل مقدر يفسره ما بعد الفاء مثلا ينتصب السارق والسارقة بفاقطعوا مقدرة مفسرة بقوله اقطعوا المذكور
بعد الفاء حينئذ يفوت معنى السببية في القضية لان معنى السببية انما يستقر اذا كان الاسم الذي قبل الفاء مبتدأ
او في حكمه بان كان اسم ان على قول من لم يجعل ان مانعا من دخول الفاء في الخبر وكان الجملة المصدرة بالفاء خبرا له ولذا
ما قبل الفاء بفعل مقدر خرج عن كونه مبتدأ مخبرا عنه بجملة مصدرة بالفاء او في حكم المبتدأ ضرورة كونه منصوبا
بفعل مقدر فيفوت المعنى المقصود وهو السببية والحاصل ان القول بالسببية مناف لان يكون من هذا الباب
والمبرد قائل بالسببية فلا يكون من هذا الباب قيل اية السرقة مجملة من وجوه منها ان الحكم معلق على السرقة ومطلق
السرقة موجبة للقطع بل لا بد ان تكون سرقة لمقدار مخصوص من المال وذلك القدر غير مذكور في الاية ومنها
لم يبين ان القطع للايمان والشمائل وبالاجماع لا يجب قطعهما معا ومنها انه لم يبين ان القطع على الاصابع او الكف او الساعد
الى المرفق او على كل ذلك الى المنكب ومنها ان القطع يشمل الشق والابانة ومنها ان الخطاب يحتمل ان يكون كل الامة
او طائفة مخصوصة منهم او شخصا معينا منهم وهو امام الزمان وقال بعض المحققين الاية ليست مجملة اما
فلانها مناط الحكم فيعم الا اذا قام دليل منفصل يقتضي تخصيصها واما الايدي فعامة مقتضاها قطعها لكن
انعقد الاجماع على انه لا يجوز قطعهما معا فلا الابتداء باليسرى واما اليد فاسم لهذه الجارحة بين هذه الاعضاء ممنوع بل اليد
اسم لهذا العضو الى المنكب فظاهر الاية قطع اليدين من المنكب لكن تركنا الظاهر لدليل منفصل واما القطع فالابانة
والشق ابانة ايضا واما الخطاب فهو مع كل احد تركنا العمل به بدليل منفصل والحاصل ان الاية عامة صارت مخصوصة
بالدليل في بعض الصور فتبقى حجة في الباقي وجمهور الفقهاء ان القطع لا يجب الا بشرطين قدر النصاب والحرز وحكي
عن ابن عباس وابن الزبير والحسن البصري ان القطع غير مشروط باحد من الشرطين وتمسكوا بعموم الاية وحجة
جمهور الفقهاء انه لا حاجة الى القول بالتخصيص بل نقول لفظ السرقة بحسب عرف العام وبحسب العرف لا يتناول
السرقة لا خفية ولا اخذ المال من غير حرز ايضا السرقة ماخوذة من مسارقة عين المالك وانما يحتاج الى مسارقة
عين المالك لو كان المسروق قدرا يكون متعلق الرغبة وفي محل الشح والضنة حتى يرغب السارق في اخذه ويتضايق المسروق
منه في دفعه الى الغير فبهذا الطريق اعتبر في وجوب القطع الاخذ من حرز المثل لانه ما لا يكون موضوعا في الحرز لا يحتاج
في اخذه الى مسارقة الاعين فلا يسمى اخذه سرقة قال داود الاصفهاني نحن لا نوجب القطع في سرقة الحبة الواحدة
ولا في سرقة التبنة الواحدة بل في اقل شيء يسمى مالا وفي سرقة التبنة الواحدة بل في اقل شيء يسمى مالا واقل
شيء يجري فيه الشح والضنة وذلك لان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فربما استحقر الملك الكبير الالف مؤلفة
وربما استعظم الفقير طسوجا ولهذا قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة يقبل قوله فيه لاحتمال
انه كان عظيما عنده لغاية فقره وشدة احتياجه اليه ولما كانت مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة وجب بناء الحكم
على اقل ما يسمى مالا وليس لقائل ان يستبعد ويقول كيف يجوز قطع اليد في سرقة الطسوجة الواحدة فان الملحدة
جعلوا هذا طعنا في الشريعة وقالوا اليد لما كانت قيمتها خمسمائة دينار من الذهب فكيف تقطع لاجل القليل من المال

ثم انا اجبنا

اجبنا عن هذا الطعن بان الشرع انما قطع يده بسبب انه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة ذلك القدر القليل فلا يبعد ان
الشرع بسبب تلك الدناءة يده بالعقوبة العظيمة واذا كان هذا الجواب معقولا من الكل فليكن مقبولا ايضا منا في ايجاب
القطع في القليل والكثير قال الشافعي يجب القطع في ربع دينار او فيما قيمته ربع دينار وهو قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
وعلي بن ابي طالب وعائشة رضي الله عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث والاوزاعي وابو ثور وداود حجته قوله صلى الله عليه وسلم
لا تقطع اليد الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة لا يجب الا في عشرة دراهم مضروبة ودليله قوله عليه الصلاة والسلام لا قطع
الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة وقال مالك واحمد واسحق رحمهم الله تعالى مقدر بثلاثة دراهم
او ربع دينار وقال ابن ابي ليلى مقدر بخمسة دراهم قيل ان اخذ مال الغير يتنوع بحسب قرائنه فمنه الغصب وقرينته
علم المغصوب منه او علم مشاهد غيره ومنه الخيانة وقرينتها ان الخائن قد تطرق لكن المال المنتهب ومنه السرقة وقرينتها
ان يتخذه المتطرق [illegible] على غير علم من المسروق ماله وخفاء من جميع الناس فيما يرى السارق وهذا هو الذي يجب عليه
القطع وحده من بين اخذة الاموال بحيث هذا النوع وقلة العذر فيه وبين الله تعالى على لسان نبيه بان القطع لا يكون
الا بشرائط منها القدر المسروق وقد اختلف اهل العلم فيه وقد اشرنا اليه ومنها الاخراج من الحرز جمهور الناس على ان
القطع لا يكون الا على من اخرج من حرز ما يجب فيه القطع [illegible] الحسن بن ابي الحسن اذا جمع الثياب في البيت قطع وان لم يخرجها
والحرز هو ما نصب عادة لحفظ الاموال وهو يختلف في كل شيء بحسب حاله قال ابن المنذر ليس في هذا الباب خبر ثابت
لا مقال فيه لاهل العلم وانما ذلك كالاجماع من اهل العلم وحكي عن الحسن واهل الظاهر انهم لم يشترطوا الحرز وفي الموطأ
عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل
فاذا اواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن ولو سرق اثنان نصابا واحدا او اكثر منه ولم يبلغ نصابا بينهما لم يجب القطع على
احدهما وان اشتركا في الاخراج ولم يتميز فعل احدهما عن الاخر وان انفرد كل واحد بالاخراج فقطع من بلغ سرقته نصابا
ولو ملك السارق في المسروق قبل الاخراج من الحرز بابتياع او شراء او غيرهما فان اخراجه لا يوجب القطع بخلاف ما لو طرأ
ملك السارق في المسروق بعد الاخراج فانه ينفي القطع لكنه بعد ثبوت الاستحقاق بناء على ان القطع يتوقف على دعوى
المسروق منه المال ولو لم تعوذ فله بعد رفع الامر الى الحاكم لم يسقط لان صفوان بن امية نام في المسجد متوسدا رداءه
السارق واخذ من تحت راسه فاخذ صفوان السارق وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقطع يده فقال صفوان
لم ارد هذا هو عليه صدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا فعلت قبل ان تاتيني به ولو اخذ قدر الربع وتلف
قبل الاخراج كما لو اكل فيه او خرقه لم يجب القطع ولو كان للسارق في المسروق شركة كما لو اخرج النصف دينار له منها
دينار شائع او اقل لم يجب القطع وكذا لو كان للسارق في المسروق حق كما اذا سرق اليتيم وكذا الفقير بما في بيت المال او
سرق الفقير من مال الصدقات او المصالح او سرق الغني من المصالح وهو مسلم وغير ذلك او سرق شيئا من المسجد فانه لا يقطع
بخلاف ما اذا سرق ما يقصد به الزينة كالقناديل او من اجزاء المسجد كالابواب والجذوع فانه يجب القطع في جميع ذلك
واذا سرق واحد من الموقوف عليهم لو انه لا يجب قطعه وكذا اذا سرق فقير مالا وقع على الفقراء لا يقطع واذا طرأ السارق
ان المسروق ملكه او ملك احد اصوله او واحد فروعه او ملك سيده لا يجب القطع ولو هو غير يجب القطع بسرقة غير الموقوف عليه
واذا ادعى السارق ان المسروق ملك شريكه في السرقة لا يجب القطع عكسا لو ادعى السارق ان المسروق ملك الشريكين فلا يجب القطع
ولو اقر المسروق منه السارق بالمسروق او احد الشريكين في السرقة للاخر لا يقطع المقر وان انكر المقر له ويقطع المنكر
سرق المسروق من موضع مغصوب لا يقطع لان الموضع المغصوب لا يكون محرزا حتى لا يقطع مالك الحرز وغيره بسرقة ما فيه
واذا غصب الغاصب مال غيره واحرزه مع مال نفسه في موضع فسرق المغصوب منه مال الغاصب الموضوع مع ماله لم يقطع وكذا
دون ماله واما الاجنبي فلا يقطع بسرقة مال المغصوب ويقطع بالمال الذي مع المغصوب للغاصب بشرط اخرجه مع المغصوب
او دونه ولو كان المال المحرز في صحراء او مسجد او شارع مثلا اشترط دوام الملاحظة وقطع الاحراز كالصحراء والشارع والمسجد
والسكة المنسدة انما يكون بلحاظ شخص بالحافظ قادر لان لحاظ الصبي غير المميز والمجنون فان لاحظها الحافظ [illegible]
السارق يوم الملاحظة لم يجب القطع وبلا خوف ليظهر وعلم تشاغل عن الحفظ بالملاحظة لكثرة الطارقين [illegible]
الموضع في الشارع ونحوه وكذا الحكم عند اجتماع الناس على باب [illegible] كالجنازة [illegible]
واللحاظ اللازم هو الدائم بحسب العادة وهو الملاحظ في الاكثر وهو معتبر في موضع غير حصين وتعيين اللحاظ المعتاد في الموضع
الحصين كدار غلقت نهارا فان ما فيها محرز بلحاظ معتاد بان لا يغفل عنه جميع النهار ويراجعه حينا بعد حين هذا
اذا كان الدار متصلة بالبقاع الاهلة في زمان امن وزمان الجود والنهب اما اذا كانت الدار متصلة بالدور الاهلة
في الليل او في زمان خوف ونهب او منفصلة عن الدور الاهلة كما في البادية بحيث [illegible] البستان فالاحراز انما
يحصل بوجود حافظ فيها بلا فتح بابه ونوم حافظه بالليل والنهار في وقت الخوف والنهب فان الباب اذا كان مفتوحا
والحافظ فيها في الصورة الاولى ذكرناها لم يكن حرزا اما اذا كان الباب مغلقا وان كان من فيها نائما كان حرزا وكذا لو كان
من فيها مستيقظا والباب مفتوحا الا انه يتردد في اكناف الدار تغفله السارق فاخذ شيئا لم يجب القطع بل لا بد فيها
من الملاحظة كما في الصحراء والامتعة الموضوعة في الخيمة انما تكون محرزة ايضا بالاحتياط اللائق بالمحافظة فيها
والحانوت انما يكون حرزا بلحاظ الجيران فانه حرز الموضوع على بابه وكذا [illegible] المنفصلة عن الدور الاهلة والمتصلة
في الليل كالدور كانت محصنة بلحاظ الجيران [illegible] الخان حرز لبعض الاشياء كالدواب والاحمال الثقيلة التي يعتاد وضعها

في عرصة الخان كالقطن ونحوه وان غلقت بابا او كان فيها حافظ بلا فتح وتوقع لا يكون محرزا الصنف كتاب
الحانوت تحت الموضع عليه الا في حوانيت وعرصة الخان لبعض الامتعة لا للساكن في الخان ودابة الاصطبل
محرزة به وما بما الصحن محرزا بالصحن كثوب المبذلة فانه محرز بالصحن ومما يشبه بنا مغلق متصل بالعمارة محرز به سوا كان
صاحبها فيه او لم يكن فان لم يكن الباب مغلقا او متصلا بالعمارة فلا بد من حافظ فيه وكذا حكم الاسطبل و
نحو ستة في الغالب محرز بالقايد وصحر كحالته ولا سكة مستوية مع القافلة اليها وقتا وقتا وان لم يكن في صحرا
خالية ولا سكة مستوية فالمحرز بنفسها واحد ما الصحرا هي الموضع المنبسط الواسع والمركوب محرز بالراكب اما امام البات
محرز بشرط ان ينتهي بصره اليه والكفن للنزع محرز بالقبر بقبر ضايع بان لا يكون في عمارة ولا متصل بالمقابر ويحكم
في الكفن الزائد اذا سرقه النباش والحصير الاجنبي اذ كفن الميت والاخراج من الحرز فلو كان يحتمل عن ان يتخل الحرز
او اخراج قدر النصاب بدفعات بلا تخلل علم المالك واعادة الحرز يوجب القطع وكذا النقب في ليلة والاخراج في
اخرى بلا تخلل علم المالك وبعد تعيد الحرز لا يجب القطع واخراج قليل كمن خبيش في جنبه دينار او ما يبلغ قيمته دينارا
يوجب القطع وكذا اخراج دينار ظنه فلسا لا يبلغ قيمته الربع يوجب القطع وكذا النقب كمن فع وانصباب الحب منه
شيئا فشيئا يوجب القطع وكذا اخراج بذر ارض محرزة فانه يوجب القطع والارض المحرزة هي التي يكون تحت
المتاع واخراج مال الوقف عام والبدل والناظر او الخيونة يوجب القطع وكذا اخراج احد الزوجين مال الاخر من الحرز يوجب
القطع وكذا من المسروق من بيت الصحن لدار المفتوح بابها وتركه فيه من غير اخراج وكذا ابتلاع الدر في الحرز وخروج
الدر من جوفه خارج الحرز يوجب القطع وان لم يخرج من جوفه فلا قطع لانه تبين انه كالمستهلك في الحرز ضمانا وكذا اذا
اكل الطعام المسروق في الحرز ووضع المتاع المسروق على ماء جار وخروج الماء به او على دابة سائرة تسير بها السارق
حتى خرجت به يوجب القطع بخلاف ما لو كان لو وضع على دابة واقفة وسارت بنفسها اذ سيرها غير السارق فانه
لا يجب القطع ولو نام عنه على بعير وعليه امتعة تبلغ الربع فاخذ واحد بزمامه واخرجه من القافلة وجعله في مضيعة
يوجب القطع ايضا واما اذا كان حرا فلا قطع على المخرج ولو حمل صبيا صغيرا غير مميز نائما او سكران او مربوطا يوجب القطع
ولو اخرج العبد الصغير من دار سيده مال السيد محمله انسان يلزمه القطع لانه يكون محرزا ايضا بدار السيد
واذا حمله من دار سيده فالقطع اولى ولو دعا انسان عبدا مميزا اخادعا او مكرها لا يوجب القطع وكذا لو نقل
حراسته الذي يبلغ قيمته الربع فانه لا يوجب القطع سواء كان الحر صغيرا او كبيرا نائما او مستيقظا ولا ان اخرج بعض الذي
من الحرز من غير فصل عن البعض الاخر وتركنا الباقي في الحرز فانه لا يوجب القطع وكذا لو اخرج جانب الكرسي من الحرز
كالصليب والصنم وآواني الذهب والفضة بقصد الكسر او دون قصده ولكنه قبل رضاضه لا يبلغ قيمته
ربعا لا يوجب القطع واذا سرقا ولا قطعت ليده اليمنى من الكوع لا من المرفق ولو زاد اصبع على الخمس واكتفى بالقطع
باليمين الشلاء والناقصة بغير خمس اصبع اكثر ولو لم اليمين الا كفا وبعض كفا اكتفى به ولو كان زائد على بعض
اليمين كفان الزائد عن الاصلي وامكن الاقتصار على قطعها لم تقطع الزائد وان لم يمكن الاقتصار فقطعا
لم يمين الاصلي فهي الزائد فلا تقطع الا احدهما وقال الشافعي يرد المال المسروق الباقي مع القطع وغيرها لنا ان الله
دل على ان السرقة توجب القطع وقوله عليه السلام على اليد ما اخذت حتى ترد يوجب الضمان فبعد اجتماع الامرين
في السرقة يوجب ان يجب القطع والضمان وقال ابو حنيفة لا يجمع بين القطع والغرم فان غرم فلا قطع وان قطع
سقط الغرم لانه تعالى قال السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا ولم يذكر غرمها وقال ان
كان العين باقية ردها وان تلفت فان كان موسرا لم يكن عليه شيء والصحيح قول الشافعي بان السارق يغرم ما سرق موسرا
كان او معسرا قطع او لم يقطع وكذا اذا قطع الطريق فان الحد لله لا تسقطها ما اتلف العباد فان عاد الى السرقة
ثانيا ولو كان في المسروق الا ولا وقد قطعت يمينه في السرقة الاولى قطعت رجله اليسرى الا ان سقطت يمينه بعد السرقة
بآفة سماوية او بجناية فانه يكتفي بذلك ولا تقطع رجله اليسرى ولو لم تقطع يمينه حتى سرق ثانيا وثالثا تكفي
يمينه حتى سرق ثانيا فالثاني تكفي تقطع اليمنى للجميع كما اذا زنى مرارا يكتفي بحد واحد فان عاد ثالثا قطع رجله التي
قطعت يده اليسرى فان عاد رابعا قطعت رجله اليمنى ويندب ان يغمس موضع القطع في زيت مغلي لتحسم افواه العروق
لئلا تنزف ثم ان امر الامام بغمسه فلا حق فيه من ذا السارق وان لم يغمس الامام يندب للمقطوع ان يغمسه
وعلى السارق مؤنة الغمس فان عاد خامسا او سرق عزر بعد لا يقتل وقطع اليمنى من الذمي بسرقة مال مسلم بخلاف
ما اذا سرق مال ذمي لحر فانه لا يقطع حر وانما يقطع اذا زنى او البنا ولا يقطع يمين الذمي والمسلم بالمعاهد بخلاف
والقطع في السرقة انما يجب بطلب المالك المال وتقطع بالشهادة على السرقة بغيبة المالك ولكن لا يقطع السارق
الا بحضور المالك وتعاد الشهادة اذا حضر المالك لثبوت المال لوجوب القطع وثبت المال باليمين المردودة
على المالك ولا يثبت القطع بها وللحاكم تعريض السارق بانكار السرقة مثل ان يقول ما اخالك سرقت او ربما غصبت
او اخذت باذن المالك وليس له التصريح بالانكار بان يقول اجحد السرقة او قل ما سرقت هذا اذا لم تظهر السرقة
وقد قال اصحابنا ان له التعريض سواء ظهرت السرقة باقرار او لم تظهر وقد شرطا التعريض باقرار ما لم تظهر وقد
لتعريض الحاكم بانكار السارق والسرقة كونهما جاهلا بالقطع لقرب عهده بالاسلام او لنشوه في بادية بعيدة
عن الاسلام وقال الشيخ السيد يملك اقامة الحد على مملوكه لا دخوله فاقطعوا ايديهما عام في حق الكل الا ان هذا الخطاب

ليس فيه ما يدل على كونه مخصوصا بالبعض دون البعض فيدخل فيه السيد ايضا لكن العمل به في غير الامام والسيد يوجب ان يحمي
سمو له بسرقتهما وقال ابو حنيفة لا يملك لقوله تعالى جزاء بما كسبا نكالا او عقوبة مفعول له او التقدير فاقطعوا ايديهما للجزاء
وبكالهم والله عزيز في انتقامه حكيم في شرايعه وتكاليفه نقل عن الاصمعي قال كنت اقرأ سورة المائدة ومعي اعرابي فقرأت هذه الاية
فقلت والله غفور رحيم فقال الاعرابي كلام من هذا فقلت كلام الله قال اعد فاعدت والله غفور رحيم ثم تنبهت فقلت
والله عزيز حكيم فقال الآن اصبت قلت كيف عرفت قال يا هذا عز فحكم فامر بالقطع فلو غفر ورحم لما امر بالقطع قوله تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ● دلت الاية على ان من تاب فان الله يقبل توبته
فان قيل قوله واصلح يدل على ان مجرد التوبة غير مقبول اجيب بان المراد من قوله واصلح ان يتوب بنية صادقة وعزيمة صحيحة
خالية عن سائر الاغراض وقيل تاب من السرقة بعد مرتها واصلح امره بالتقصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط
عنه عقاب الاخرة واما القطع فلا يسقط بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان وقال بعض علماء التابعين يسقط عنه
لان ذكر الغفور الرحيم في اخر هذه الاية يدل على سقوط العقوبة عنه والعقوبة المذكورة في هذه الاية هي القطع وقيل الاية
دالة على ان قبول التوبة غير واجب على الله لانه تعالى تمدح بقبول التوبة والتمدح انما يكون بفعل التفضل والاحسان لا باداء
الواجبات قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء
قدير ● لما اوجب قطع اليد وعقاب الاخرة على السارق قبل التوبة ثم ذكر انه يقبل توبته ان تاب ردفه ببيان انه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة تقديم السرقة
على التوبة تعلق من ابي حنيفة ان الاية فاضحة في التعديل والتقدير وقول من يوجب الرحمة للمطيع ووجوب العذاب للعاصي
على الله لان الاية دالة على ان الحكم مفوضة الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك قال الامام وفي الاية وجه اخر يبطل
قولهم وذلك قوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فرتب عليه قوله يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وهذا يدل على
انه انما يحسن منه التعذيبات والمغفرة لاجل انه مالك الخلق وربهم والههم وهذا مذهب اصحابنا فانهم يقولون انه
تعالى يحسن كل ما يشاء ويريد لاجل كونه مالكا لجميع المحدثات والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء ويريد اما المعتزلة
فانهم يقولون يحسن هذه الافعال من الله ليس لاجل كونه تعالى الها للخلق ومالكا لهم بل لاجل رعاية المصالح والمفاسد
وذلك مبطل بصريح هذه الاية قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ● لما بين الله بعض التكاليف والشرائع وكان
قد علم من بعض الناس كونهم متسارعين الى الكفر لا جرم صبر رسوله على تحمل ذلك وامره بان لا يحزن لاجل ذلك
فقال يا ايها الرسول والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهار الكفر بما يلوح منهم من اثار الكيد
للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى
وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وقوله امنا
مفعول قالوا وقوله بافواههم متعلق بقوله قالوا اي قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقوله ومن الذين هادوا عطف
على قوله من الذين قالوا وقوله سماعون للكذب خبر ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب فيكون سماعون صفة المبتدأ
محذوف ويجوز ان يعطف قوله ومن الذين هادوا على قوله من الذين هادوا قوم سماعون للكذب فيكون سماعون صفة
المبتدأ المحذوف ويجوز ان يعطف قوله ومن الذين هادوا على قوله من الذين قالوا ويرتفع سماعون على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هم سماعون والضمير الى الفريقين الذين قالوا والذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون للكذب الذي كفروا به
الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده ولاستعمال
السمع بمعنى القبول نظائر مشهورة وقيل معنى سماعون للكذب سماعون لاجل الكذب لا القابلون واللام في قوله للكذب لام كي اي يسمعون
منك لكي يكذبوا بان يبدلوا او يغيروا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان وقوله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي قابلون
من اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء و
من العداوة فالمراد بقوم اخرين اليهود الذين افرطوا في العداوة الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوا سماعين عيونا ليبلغوهم ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر قوله يحرفون الكلم صفة لقوم يحرفون الكلم من مواضعه التي وضعه
الله فيها اي يميلونه ويغيرونه عن مواضعه بعد ان كان ذا مواضع يعني اية الرجم ووضعوا الجلد مكان الرجم يقولون ان اوتيتم هذا
المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به فان امركم محمد بالجلد فاقبلوا وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اياكم وانه هو الباطل والضلال فلا تقبلوه وروي ان شريفا من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم اي تسويد الوجه فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم
فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك

الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلام النبى فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى
العربى الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ولما بين فضائح احوال
هؤلاء اليهود قال ومن يرد الله فتنته يحتمل جميع انواع المفاسد لكن لما ذكره عقيب انواع كفرهم التى شرحها الله ظهر انه اراد بها
تلك الانواع فيكون المعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك منه ثم اكد هذا فقال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم من الشك والشرك ولو اراد اسلامهم لطهر قلوبهم من الشك والشرك لآمنوا وهذه الاية اشد الايات على
المعتزلة ولهذا اعتسف صاحب الكشاف فى تفسير الاية بما لا دلالة للفظ عليه فقال ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه
ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم
كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم قوله لهم فى الدنيا خزى فالمنافقين بهتك سترهم باطلاع الرسول عليه من خوفهم
من القتل وخزى اليهود وفضيحتهم وظهور كذبهم فى كتمان نص الله تعالى فى ايجاب الرجم واخذ الجزية منهم ولهم فى الآخرة عذاب
عظيم بسبب خلودهم فى النار قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ● قرأ ابن كثير وابو
عمرو والكسائى السحت بضم السين والحاء حيث كان وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم السين وسكون الحاء حيث كان
وعن نافع بفتح السين وسكون الحاء على لفظ المصدر والسحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه
مسحوت البركة كما قال الله تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه كانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن
كان الحاكم فى بنى اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه
فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكى ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة اى هدية القادم من سفره
وجعل يحدثهم بما جرى له فى عمله فقال اعرابى من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقيل كان
فقراؤهم يأخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية والفقراء كانوا يسمعون اكاذيب الاغنياء ويأكلون
السحت الذى يأخذونه منهم وقيل سماعون للكذب الذى كانوا ينسبونه الى التورية اكالون الربا لقوله تعالى واخذهم
الربا وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قوله تعالى فان جاؤوك خير الله النبى عليه السلام بين الحكم
بينهم وبين الاعراض عنهم قيل هذا التخيير فى امر خاص وهو زنا المحصن وقيل فى قتيل قتل من اليهود فى بنى قريظة
والنضير وكان فى بنى نضير شرف وكانت ديتهم دية كاملة وفى بنى قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم
فجعل الدية سواء وقيل هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم ان شاء حكم فيهم وان شاء اعرض عنهم وقيل
ان الاية عامة فى كل من جاءه من الكفار وقيل الحكم ثابت فى سائر الاحكام غير منسوخ وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم
بما انزل الله ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام
عليهم صغارا لهم واما المعاهدون الذين لهم عهد مع المسلمين الى مدة فليس يجب ان يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك
وتخيير الله فى هذه الاية مخصوص فى المعاهدين وعند ابى حنيفة اذا تحاكموا الى المسلمين حكموا على حكم الاسلام وان
زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون
الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول
الجزية قوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان
الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق ذلك عليهم وتكرهوا اعراضه وصاروا اعداء فبين الله تعالى انه لا تضره
عداوتهم له ثم قال وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت بالرجم قوله تعالى وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ● هذا تعجب من الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم من تحكيم الذين لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص عليه فى التورية فهو كتابهم الذى يدعون الايمان به
فيها حكم الله يجوز ان يكون جملة منصوبة المحل على ان يكون حالا من التورية والتورية مبتدأ خبره عندهم ويجوز ان يكون
مرفوعة المحل على ان يكون خبرا من التورية كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله ويجوز ان لا يكون له محل من الاعراب
فتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع
بغيره قوله ثم يتولون معطوف على قوله يحكمونك اى ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون
به وما اولئك بالمؤمنين بالتورية كما يدعون وقيل اخبار بانهم لا يؤمنون ابدا وهو خبر عن المستقبل لا عن الماضى وقيل
انهم وان طلبوا الحكم منك فما هم بمؤمنين بك والمعتقدين فى صحة حكمك وذلك يدل على انهم لا ايمان لهم بشىء اصلا
وان مقصودهم مصالح الدنيا فقط وقيل وما اولئك بالكاملين فى الايمان على سبيل التهكم بهم قوله تعالى انا
انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا
من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الكافرون ● هذا تنبيه من الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم وترغيب لهم فى ان يكونوا كمتقدميهم من مسلمى

احبارهم والانبياء المبعوثين فيها هدى اى بيان الاحكام والشرائع والتكاليف ونور اى بيان للتوحيد والنبوة والمعاد
وقيل هدى يهدى الى الحكم الذى هم يستفتون عنه النبى صلى الله عليه وسلم ونور اى بيان ان امر النبى صلى الله عليه وسلم حق يحكم
بها النبيون الذين كانوا بعد موسى وذلك ان الله تعالى بعث فى بنى اسرائيل الوفا من الانبياء ليس معهم كتاب انما بعثهم باقامة
التورية حتى يحدوا حدودها ويقيموا فرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها الذين اسلموا صفة اجريت على سبيل المدح
كالصفات الجارية على الله تعالى لا للتقييد والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التى هى
دين الانبياء كلهم فى القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا اشاد على انهم بعداء من ملة
الاسلام وقيل يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد عليه السلام لانه صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم
وكان هذا حكم التوراة وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقوله تعالى ام يحسدون الناس
بانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا للنبيين قوله للذين هادوا اى لاجل الذين هادوا فيما بينهم ويجوز ان يكون
المعنى على التقديم والتأخير اى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون الزهاد
والاحبار العلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود فى تفصيل دلت الاية على انه كان يحكم بالتورية
النبيون والربانيون والاحبار وهذا يدل على ان الربانيين اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار
كآحاد العلماء قوله بما استحفظوا بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اى بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه
من التغيير والتبديل وحفظ كتاب الله على وجهين احدهما ان يحفظ ولا ينسى وثانيهما ان يحفظ فلا يضيع
وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معا احدهما ان يحفظوه فى صدورهم ويدرسونه بالسنتهم
وثانيهما ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه ومن فى قوله من كتاب الله للتبيين وكانوا اى كان النبيون والربانيون
والاحبار عليه اى على كل ما فى التورية من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى
وعيسى وكان بينهما الف نبى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون
بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم شهداء ويجوز ان يكون الضمير فى
استحفظوا للنبيين والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء
قوله فلا تخشوا الناس لما بين الله ان النبيين والربانيين والاحبار كانوا قائمين بامضاء احكام التورية من غير مبالاة خاطب
اليهود الذين كانوا فى عصر رسول الله ومنعهم من التحريف والتغيير وكان اقدام اليهود على التحريف اما للخوف او
للطمع والخوف اقوى تاثيرا من الطمع قدم ذكره فقال فلا تخشوا الناس واخشون لا تخشوا الناس فى حكومة تكتمونها
منهم وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لا تخشوا اى ولتخشوا عقابى ولما ذكر امر الخوف ذكر امر الطمع فقال ولا تشتروا
ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس اى كما نهيتكم عن تغيير
احكامى لخشية من الناس فكذلك انهيتكم عن تغييرها للطمع فى المال او الجاه او الرشوة فانها متاع الدنيا وهو قليل لكونه
سحتا قليل البركة والبقاء والمنفعة ويحتمل ان يكون اقدامهم على التحريف والتبديل بمجموع الامرين الخشية من الرؤساء والطمع
فى المال والجاه والرشوة لما نهاهم الله من الامرين ونبه على ان ما فى كل واحد منها الذنب والسقوط كان ذلك تمهيدا لما قطع
التحريف والتبديل فاتبعه بالوعيد الشديد فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مستهينا به او منكرا
بقلبه وجاحدا بلسانه اما من اعتقد بقلبه واعترف بلسانه انه حكم الله ولكن اتى بما يضاده فهو حاكم بما انزل الله ولكنه تارك له
فلا يدخل تحت هذه الاية وعن ابن عباس ان الكافرون والظالمون والفاسقون اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو
فهو لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبى هذه
فى اهل الاسلام والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وعن ابن مسعود هو عام فى اليهود وغيرهم وعن حذيفة
انتم اشبه الامم سمتا ببنى اسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير انى لا ادرى اتعبدون العجل
ام لا قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ● بين الله
فى التورية ان حكم الزانى المحصن فى التورية هو الرجم واليهود غيروه وبدلوه وبين فى هذه الاية انه تعالى كتب عليهم
فى التورية ان النفس بالنفس فغيروه وبدلوه ايضا وخصصوا ايجاب القصاص ببنى قريظة دون النضير وقرأ الكسائى
العين والانف والاذن والسن والجروح جميعا بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس
بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع
الكتب على القراءة نحو كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم ان النفس
بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذا العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة وهو ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وقرأ
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بنصب الكل غير الجروح فان الجروح بالرفع والعين والانف والاذن منصوبة للعطف على
النفس والجروح مبتدأ وقصاص خبره وقرأ نافع وعاصم وحمزة بنصب الكل بالعطف على النفس ومعنى الجميع قصاص
وقرأ نافع الاذن بسكون الذال حيث وقع والباقون بالضم وهما لغتان وعن ابن عباس لا يقتل الرجل بالمرأة فنزلت وعنه

يريد فرضنا عليهم في التورية ان النفس بالنفس اي من قتل نفسا بغير قود قتل ولم تجعل الله لهم دية في نفس ولا جرح
انما هو العفو او القصاص واما الاطراف فكل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في جميع
الاطراف اذا تماثلا في السلامة واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف ولما ذكر الله تعالى بعض الاعضاء
عمم الحكم في كلها فقال والجروح قصاص قوله تعالى فمن تصدق من اصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
اي فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته وقيل كفارة للقاتل او الجاني اي المتصدق والعافي اذا عفى عن القاتل
او الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني لا يؤاخذ الله به بعد ذلك العفو واما المتصدق والعافي فاجره على الله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فقال في الاية الاولى فاولئك هم الكافرون وفي الثانية هم الظالمون والكفر
اعظم من الظلم والفائدة في ذكر الاخف بعد الاعظم ان الكفر من حيث انه انكار لنعمة المولى وجحود لها فهو كفر ومن حيث
انه يقتضي القاء النفس في العقاب الدائم الشديد فهو ظلم ففي الاية الاولى ذكر ما يتعلق بتقصيره في عبادة الله وفي هذه
الاية ذكر ما يتعلق بالنفس فحق فيه قوله تعالى وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه
من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ● قفيته مثل عقبته اذا اتبعته
ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء والمفعول الاول في الاية محذوف وقوله على آثارهم
كالساد مسده لانه اذا قفى به على آثارهم فقد قفاهم به والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا
فان قيل قوله مصدقا لما بين يديه من التورية يدل على ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التورية من الاحكام وظاهر قوله
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذا قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اجيب عنه بان معنى كون
عيسى مصدقا للتورية انه اعترف بانه كتاب منزل من عند الله حق وقيل في الجواب ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التورية
من الاحكام وفي الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه لا يرد
ذلك لان معناه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية وقوله ومصدقا لما بين يديه من
التورية لا يكون تكرارا لان الاول في وصف عيسى والثاني في وصف الانجيل وقوله هدى اي مشتمل على الدلائل الدالة
على التوحيد والتنزيه وبراءة الله عن الصاحبة والولد والمثل والضد وعلى النبوة وعلى المعاد وقوله ونور بمعنى
كونه كاشفا لايجاب العمل باحكام التورية عند من يرى انه كان متعبدا بما في التورية من الاحكام وقوله ومصدقا عطف
على محل فيه هدى ونور فانه جملة حالية محلها النصب بمعنى مصدقا للتورية في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله هدى ثانيا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب بشارته بمجيئه صلى الله عليه وسلم لما
كان اشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى هذا اعاده الله مرة اخرى تنبيها على ان الانجيل يدل
دلالة واضحة صريحة على محمد صلى الله عليه وسلم فكان نحو قوله في هذه المسألة التي هي اشد المسائل احتياجا الى البيان
والتقرير قوله وموعظة لاشتمال الانجيل على المواعظ البليغة المؤكدة وانما خصها بالمتقين لانهم المنتفعون بالهدى
كما في قوله هدى للمتقين قوله وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما
وانما حذف اللام منهما لاشتمالهما على شرائط حذف اللام كانه قيل للهدى والموعظة آتيناه الانجيل قوله وليحكم
قرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم وهو مفعول له عطف على قوله وهدى وموعظة على تقدير ان يجعلا مفعولا لهما كانه
قيل للهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام هذا اذا جعل هدى وموعظة مفعولا لهما واما
اذا جعلا في سلك مصدقا فيصنع بقوله وليحكم ما يصنع بقوله وهدى وموعظة حين جعلا مفعولا لهما فتقدر وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه فيكون مفعولا له لآتيناه المذكور المتقدم لتخلل الواو بينهما وانما لم يحذف اللام
لفقد شرط الحذف وقرأ الباقون بسكون اللام وسكون الميم على سبيل الامر بمعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون
اخبارا عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل وحذف قلنا لان ما قبله قفينا وكتبنا وقفينا
يدل عليه وحذف القول كثير قيل هل يحكم اليوم النصارى بالحكم بما في الانجيل وهو الدلائل الدالة على نبوة محمد
عليه السلام قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ● وانزلنا اليك الكتاب المعهود
اي القرآن مصدقا لما بين يديه من جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يكون للعهد ايضا لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم
الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا عليه رقيبا على سائر
الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات والمهيمن الرجل اذا كان رقيبا على الشيء اي شاهدا مصدقا ولا تتبع اهواءهم
اي لا تنحرف ضمن معناه فعدى بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة
والشريعة في كلام العرب التي شرعها الناس فيشربون منها وهي فعيلة بمعنى المفعول وهي الاشياء التي اوجب الله
على المكلفين ان يشرعوا فيها ومنهاجا طريقا واضحا في الدين يجرون عليه قيل هذه الاية دالة على انا غير متعبدين بشرع
من قبلنا فان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على انه يجب ان يكون كل رسول مستقلا بالشريعة خاصة وذلك
ينفي كون امة احد الرسل متابعا له على الثاني منها اما الاول فكقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده واما الثاني فيخص هذه الاية والجمع

الاول

[illegible]

فاصنعها كما شاء وليستغن عنه بغيره انا الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة ولا يبعد
من الظاهر ان يحمل على الكلام المقطوع عليه كما فعله صاحب الكشاف حيث قال في قوله يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم
قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح
او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ● الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون مثل عبد الله
بن ابي واصحابه يسارعون في موالاتهم ويرغبون فيها يقولون اي المنافقون يقولون على سبيل الاعتذار بانما نوالينهم
ونخالطهم لانا نخشى ان تصيبنا دائرة والدائرة من دوائر الدهر كالدولة وهي التي تتعدى من قوم الى قوم والدائرة التي
كالهزيمة والحوادث المخوفة والدوائر تدور والدوائل تدول وقيل نخشى ان لا يتم الامر لمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون
الامر كما كان قبله فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين على اعدائهم او يأتي بامر من عنده
يقطع اصل اليهود ويخرجهم من بلادهم فيصبح المنافقون الذين في قلوبهم مرض نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك
لان المنافقين الذين في قلوبهم مرض يشكون في امر رسول الله ويقولون لا نظن انه يتم له امره فالجري ان تكون الدولة
والغلبة لاعدائه وقيل او امر من عنده يعني ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا
على نفاقهم وقيل يعني او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا
بايديهم من غير ان يوجف عليهم خيل ولا ركاب قوله تعالى ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم

إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ● قرأ ابن عامر بغير واو وكذلك في مصاحف أهل الحجاز والشام والعراق
قال الواحدي حذف الواو ههنا كإثباتها لأن في الجملة المعطوفة ذكراً من المعطوف عليها فإن الموصوفين بقوله يسارعون
فيهم هم الذين قال فيهم المؤمنون أهؤلاء الذين أقسموا بالله فلما حصل في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن
العطف بالواو وبغير الواو قال صاحب الكشاف فحذف الواو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل
يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا والذين آمنوا إما أن يقول هذا القول بعضهم لبعض تعجباً من حالهم وتغبطاً
بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
وإما أن يقول الذين هذا القول لليهود لأن المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم ولئن قوتلتم
لننصرنكم قرأ أبو عمرو ويقول الذين آمنوا بالنصب على معنى وعسى أن يقول الذين آمنوا والباقون بالرفع فإنه يحتمل الواو لعطف جملة على
جملة وقوله حبطت أعمالهم يحتمل أن يكون من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه
معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم وأخسرهم ويحتمل أن يكون من قول الله شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجباً من سوء حالهم
فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة لأنه لما بطلت أعمالهم بقيت عليهم المشقة في الإتيان بها ولم يحصل لهم شيء
من ثمراتها ومنافعها بل استحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قرأ ابن
عامر ونافع يرتدد بدالين والباقون بدال واحدة مشددة وهذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها
قيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار
وهو الأسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الغد ولقي خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة
رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها
لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية
وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خالداً فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
ابن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء
في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في الدنيا وكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم معنى الآية
يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه
قيل هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الردة قالت عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت
العرب الفرق المذكورة ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وقيل نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على إظهار الدين وقيل نزلت في أهل اليمن [illegible] أشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة و
بجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الفرس لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
لما سئل عنهم ضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإسلام معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء
فارس وقيل نزلت في علي رضي الله عنه يدل عليه وجهان الأول أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي يوم خيبر قال لأدفعن
الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذا هو الصفة المذكورة في الآية والثاني أنه تعالى ذكر
بعد هذه الآية قوله إنما وليكم الله وهذه الآية في حق علي فكان الأولى جعل ما قبلها في حقه
أيضاً قوله يحبهم ويحبونه قد ذكر الكلام في المحبة في سورة البقرة في والذين آمنوا أشد حباً لله وفيه دقيقة وهي أنه
تعالى قدم محبته لهم على محبتهم له لأنه لولا أنه تعالى أحبهم لما وفقهم أن صاروا محبين والراجع من الجزاء إلى الاسم
المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة جمع ذليل
قال صاحب الكشاف وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولاً لا يجمع على أذلة
وليس المراد بكونهم أذلة هوانهم بل المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب فإن من كان ذليلاً عند إنسان لا يظهر
شيئاً من التكبر والترفع بل لا يظهر منه إلا الرفق واللين أعزة على الكافرين أي يغلظون عليهم بالشدة والترفع على
الكافرين وقيل يعادونهم ويغالبونهم من عزه أي غلبه كأنهم مستعدون عليهم بالقهر والغلبة وإنما قال أذلة
على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين لأنه ضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع

ولأنهم

[illegible]

ورسوله والذين آمنوا المذكورين في الكلام تمثيل وتبع قوله وليكم مرفوع على أنه مبتدأ وقوله الله خبره ورسوله والذين
يقيمون محله الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على أنهم الذين يقيمون تمييز الذين آمنوا الخلص من الذين آمنوا نفاقاً
قوله وهم راكعون الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا
وقيل هو حال من يؤتون الزكاة يعني يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل
وهو راكع فطرح له خاتمه كأنه كان مرجاً أي مدلساً في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته وإنما جيء على
لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين
يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في
الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها اعلم أن الشيعة تمسكوا بهذه الآية دالة على أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وتقرير احتجاجهم والجواب عنه مذكور في الكبير قوله تعالى ومن يتول
الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ● الحزب أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم
الذين يجتمعون لأمر حزبهم قال الحسن حزب الله جند الله وقيل أولياء الله وقيل شيعة الله وقيل أنصار الله وقيل
حزب الله الذين يدينون بدينه ويطيعونه وينصرونه وقوله فإن حزب الله هم الغالبون جملة واقعة موقع خبر المبتدأ
وقوله فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر جعلوا أعلاماً لكونهم حزب الله وقيل يحتمل أن يريد بحزب الله الرسول
والمؤمنين ومن يتول الرسول والمؤمنين فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم
مؤمنين ● نهى الله تعالى في الآية المتقدمة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ثم ذكر ههنا النهي عن اتخاذ
الذين اتخذوا دين الإسلام هزواً ولعباً وعن اتخاذ الكفار على العموم نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا
الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فكأنه تعالى يقول إن اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً لا يصح أن يقابل
باتخاذكم أولياء إنما يصح أن يقابل بالبغضاء والشنآن والمنابذة ومعنى اتخاذهم دينكم هزواً ولعباً إظهارهم ذلك
باللسان مع الإصرار على الكفر في القلب والكفار قرأ أبو عمرو والكسائي بالجر عطفاً على الذين أوتوا الكتاب يعني
من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار والباقون بالنصب عطفاً على قوله الذين اتخذوا وهذه الآية تقتضي امتياز
أهل الكتاب من الكفار والباقون بالنصب عطفاً على قوله الذين اتخذوا وهذه الآية تقتضي امتياز أهل الكتاب
من الكفار لأن العطف يقتضي المغايرة وقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب صريح في كونهم كفاراً والتوفيق أن
يحمل الكفار ههنا على المشركين خاصة لأن كفرهم أغلظ وأعظم فحسن لهذا السبب تخصيصهم باسم الكفر
والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم إن كنتم مؤمنين حقاً
لأن الإيمان حقاً يأبى موالاة أعداء الدين قوله تعالى وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك
بأنهم قوم لا يعقلون ● الضمير المنصوب في قوله اتخذوها للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى
بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال أحرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو
نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينادي للصلاة وقام المؤمنون إليها فقالت اليهود قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء فنزلت الآية
وقيل كان المنافقون يتضاحكون عند القيام إلى الصلاة تنفيراً للناس عنها وقيل قالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع

بما تقضي فان كنت نبيا فقد خالفت جميع الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فانزل الله هذه
الآية وقيل دلت الآية على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده قوله هزوا ولعبا امران لانهم عند اقامة الصلاة
يقولون هذه الأعمال التي اتيتها استهزاء بالمسلمين وسخرية منهم فانهم يظنون [illegible]
لما اعتقدوا انه ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب ذلك بانهم قوم لا يعقلون لانه لو كان
لهم عقل لعلموا ان تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بنهاية التعظيم لا تكون هزوا ولا لعبا بل هي احسن اعمال العباد
واشرف افعالهم وان هزؤهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون • المحكي انه تعالى عن اهل الكتاب
انهم اتخذوا المناداة هزوا ولعبا امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسألهم هل تنقمون منا يقال نقمت الشيء اذا
انكرته والمعنى يا اهل الكتاب هل تكرهون وتنكرون وتعيبون منا الا الايمان بالله وبما انزل الينا يعني ان هذا لا ينبغي
ان ينقم منا الايمان بالله فهذا من جميع الطاعات واما الايمان بالقرآن الذي انزل الينا وبما انزل من الكتب قبله فهو الحق
والصدق لانه ثبت حقيتها وصدقها بالمعجزات الساطعة والبينات القاطعة واما الاقرار بالبعض دون بعض
فهو باطل قوله وان اكثركم فاسقون قيل معطوف على آمنا يعني وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم
عن الايمان كانه قيل وهل تنقمون منا الا انا لعنتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه وقيل يجوز
ان يكون على تقدير حذف المضاف وهل تنقمون منا الا ايماننا بالله وما انزل الينا واعتقادنا ان اكثركم فاسقون
وقيل يجوز ان يعطف على المجرور اي وهل تنقمون الا انا آمنا بالله وبان اكثركم فاسقون وقيل انه منصوب بان اكثركم
فاسقون بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل يحتمل انه مرفوع على الابتداء والخبر
محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة والحرص على كسب
الاموال لا يدعكم فتنصفوا قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل
فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى قوله ونحن له مسلمون فلما سمعوا ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم
اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت هذه الآية والتي بعدها فان قيل اليهود كلهم
فاسقون فما وجه تخصيص اكثرهم بالفسق اجيب بانه ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من آمن منهم داخل في ذلك قوله تعالى
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل • سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين والله ما نعلم
اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم قوله ذلك اشارة الى المؤمنين اي هل انبئكم بشر من
المؤمنين على زعمكم من لعنه الله وقيل ذلك اشارة الى ما تنقمونه من ايماننا ولا بد من حذف مضاف قبل ذلك او قبل من لان
تقديره هل انبئكم بشر من اهل ذلك الايمان او التاني تقديره هل انبئكم بشر من ذلكم [illegible] قال من ذلك
فقيل هو من لعنه الله وقيل يجوز ان يكون على البدل من شر والمعنى انبئكم بمن لعنه الله قوله مثوبة منصوبة على التمييز
ووزنها مفعولة كمقولة ومعقولة وهو بمعنى المصدر يقع بمعنى المصادر على مفعول كالميسور والمعسور والمثوبة ان كانت
مختصة بالاحسان وضعت موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم
فهي استعارة تهكمية فان قلت المعاقبون من الفريقين اي المؤمنين واليهود هم اليهود فلم يشرك بينهم في العقوبة
فان قوله بشر من ذلك يقتضي مشاركتهم في اصل الشر اجيب بانه كان اليهود يعتقدون انا المسلمين ضالون
مستوجبون العقاب فقيل لهم من لعنه الله بالجزية وغضب عليه بعبادة العجل فهم شر مثوبة عند الله وعن
ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب السبت مسخ شبابهم قردة ومشايخهم خنازير وقيل القردة اصحاب السبت
والخنازير كفار مائدة عيسى وكان ابن قتيبة يقول انا اظن ان هذه القردة والخنازير هي الممسوخ باعيانها توالدت
واستدل بقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير فدخول اللام والالف يدل على المعرفة وعلى انها القردة [illegible]
تعاين ولو كان اراد شيئا انقرض ومضى لقال وجعل منهم قردة وخنازير قوله وعبد الطاغوت قرأ حمزة بضم الباء
والدال وضم الباء وخفض الطاغوت قال ثعلب ليس لها وجه الا ان يجمع فعل على فعل وقال الزجاج وجهها ان الاسم
بني على فعل كما يقولون رجل حذر اي مبالغ في الحذر والمعنى جعل منهم من بالغ في عبادة الطاغوت الى الغاية والباقون
بفتح العين والباء [illegible] ونصب الطاغوت وفيها وجهان احدهما ان المعنى وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد
الطاغوت فعلى هذا الموصول محذوف والثاني ان المعنى من لعنه الله وعبد الطاغوت قال اصحابنا هذه الآية تدل على ان
عبادة الطاغوت التي هي الكفر بارادته تعالى لان تقدير الآية وجعل الله منهم من عبد الطاغوت وانما يعقل معنى
هذا الجعل اذا كان هو الذي فيهم ذلك للعبادة وقالت المعتزلة معناه انه خذلهم حتى عبدوها او انه حكم عليهم
بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود
من دون الله ولان عبادتهم العجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
وعن ابن عباس الطاغوت هنا الكهنة والاحبار وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وروي انه لما نزلت كان المسلمون
يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك اي اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا
من المؤمنين جعل الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قوله اولئك شر لانه اذا نسب الشرارة الى المكان لا تعلق بمكانه

اهله وهو

اهله وهو من باب الكناية كقولهم فلان طويل النجاد كثير الرماد وحاصله يرجع الى الاشارة الى الشيء بذكر لوازمه وتوابعه
واضل عن سواء السبيل [illegible] قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما
كانوا يكتمون • قال قتادة هؤلاء ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه
انهم مؤمنون بما جاء به وهم على النفاق فاخبر الله لرسوله بشأنهم وانهم قد دخلوا بكفرهم وهم قد خرجوا من مجلسك بكفرهم
اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين فالكفر معهم في حالتيهم لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله وموعظتك قوله
بالكفر وبه حالان وتقديره متلبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وقوله وهم قد خرجوا حالان ولذلك دخلت قد تقريبا
للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله
ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم [illegible] فيذكر هم في قوله وهم قد خرجوا
التأكيد واضافة الكفر اليهم فلم يتعلق بهم شيء مما سمعوا من تذكيرك ولم يتغير حالهم وكفرهم وقيل فائدة هم نفي ان يكون من
النبي صلى الله عليه وسلم ما يقتضي كفرهم اي لم يسمعوا منك يا محمد عند دخولهم معك ما يوجب
كفرا فيكون انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر كما دخلوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون والغرض منه
المبالغة فيما في قلوبهم من الجد في الاجتهاد في المكر بالمسلمين والكيد بهم والبغض والعداوة لهم قوله تعالى وترى
كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون المسارعة في الشيء الشروع فيه
بسرعة في الاثم والكذب [illegible]

[illegible]

الله مرضنا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب وقيل انه اجابة لقال الحسن غلت ايديهم في نار جهنم على الحقيقة اي تشد
الى اعناقهم جزاء لهم على هذا القول فان قيل فاذا كان هذا القول انما حكم به جزاء لهم على القول لكان ينبغي ان يقال فغلت ايديهم
اجيب بان حرف الفاء حذف لفائدة وهي انه لما حذفت كان قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به فيفيد قوة وثاقة
لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره ونظيره قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا ولم يقل فقالوا وايضا يحمل بسؤال مقدر قال صاحب الكشاف المراد به الدعاء بالخذلان
الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم
وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم ومنها بناء على اصله قوله ولعنوا بما قالوا اي عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة
بالنار بل يداه مبسوطتان تثنية اليد وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات
غاية السخاء والجود له ونفي البخل عنه وذلك لان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز
على ذلك واعلم ان آيات كثيرة من القرآن ناطقة باثبات اليد فتارة مفردة قال تعالى يد الله فوق ايديهم وتارة
مثناة قال الله بل يداه وقال تعالى خلقت بيدي وتارة جمعا قال تعالى مما عملت ايدينا انعاما ولا ينبغي للعاقل ان يلتفت
الى المجسمة انها عضو جسماني كما في حق كل احد كما اتفق جمهور العقلاء الموحدين على ان الظاهر غير مراد ثم افترقوا
فرقتين فرقة يقولون لا نعلم تاويله الا الله فلا نشتغل بتاويله وهذا طريقة السلف وفرقة اخرى هم المتكلمون
يقولون لا نعلم تاويله الا الله ولكن نجوزه فيذكرون لها تاويلات منها ان اليد النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها
ومنها ان اليد القوة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار اي اولي القوى وقال المعقول حكى سيبويه انهم قالوا لا يدين
لك بهذا والمعنى سلب كمال القدرة ومنها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه قال تعالى الذي بيده عقدة
النكاح اي يملك ذلك ومنها كمال العناية والاختصاص قال تعالى لما خلقت بيدي والمراد تخصيص آدم بهذا التشريف
والعناية به فانه تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات اذا عرفت هذا فنقول اليد في حق الله تعالى يمتنع ان تكون بمعنى الجارحة
واما سائر المعاني فتحقق وزعم الشيخ ابو الحسن الاشعري ان اليد صفة قائمة بذات الله غير القدرة من شانها التكوين على
سبيل الاصطفاء والذي يدل على هذا انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه علة لكرامته واصطفائه فلو كانت اليد القدرة بالنسبة
الى كل المخلوقات على السوا فلا بد من صفة اخرى وراء القدرة يقع بها التكوين على سبيل الاصطفاء وزعم اكثر المتكلمين
ان اليد في حق الله تعالى عبارة عن القدرة والنعمة والتثنية باعتبار كمال القدرة وكمال النعمة فبني المجاز على ذلك
قوله تعالى ينفق كيف يشاء اي يخلق ويرزق كيف يشاء ان شاء وسع وان شاء قتر قال تعالى ويبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر قوله وليزيدن كثيرا من اليهود ما انزل اليك من ربك اي القرآن طغيانا اي تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله
والطغيان ههنا الغلو في الكفر وقيل وليزيدن رؤساء النضر ما انزل اليك من ربك من امر الرجم والدماء طغيانا وكفرا
والقينا بينهم اي بين اليهود والنصارى وقد تقدم ذكرهما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود فكلمهم
ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة كلما اوقدوا
نارا كلما ارادوا المحاربة احيى غلبوا وقهروا ولم يكن لهم نصر من الله على احد قط وايقاد النار عبارة عن اهاجهم للحرب
وقيل ان الاصل في استعارة اسم النار للحرب ان القبيلة من العرب كانت اذا ارادت حرب اخرى اوقدت النار
على رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة ليعلم استعدادهم للحرب فيتاهب من يريد اعانتهم وقيل كانوا اذا تحالفوا على
الجد في حربهم اوقدوا نارا وتحالفوا فيكون كلما ارادوا حرب رسول الله نصره عليهم وقيل كلما مكروا مكرا رده الله وكلما
جمعوا الجند ليحاربوه فرقهم وقيل انهم لا يسلمون وهم في مال المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر
ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين
وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون في الارض فسادا مجتهدين بالجنايات ويحوا ذكر النبي من كتبهم
ودفع الاسلام وبالكفر والظلم والله لا يحب المفسدين يدل على ان الساعي في الارض بالفساد ممقوت عند الله قوله
تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا الكفر لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ● لما بالغ في ذمهم وتقبيح
حالهم بين انهم مع ما عددنا من سيئاتهم لو آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا الشرك لكفرنا عنهم
سيئاتهم التي سلفت ولادخلناهم جنات النعيم وفيه اعلام بعظم سيئات اهل الكتاب اليهود والنصارى وكثرة
معاصيهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة عليهم وان عظمت معاصيهم وان النجاة من النار والفوز
بالجنة لا يمكن الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتقوى من الشرك وتقديم الايمان بالرسول وبما انزل اليه
على التقوى من الشرك لكونه اهم بالنسبة الى اليهود والنصارى لان معظم سعيهم واجتهادهم في تكذيب النبي صلى الله عليه
وسلم حتى انهم ما لغوا في محو ذكره من كتبهم قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ● لما بين في الآية الاولى انهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]

السماء بنزول المطر وبركات الارض بحصول النبات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في القول اما الفعل من غير غلو ولا تقصير وقيل المراد من الامة المقتصدة الذين آمنوا من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام
واصحابه وثمانية واربعون من النصارى فانهم على القصد من دينهم وعلى النهج المستقيم لم يميلوا الى الافراط والتفريط
وقيل المراد منها امة من اهل الكتاب لم يسلطوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون لهم عناد شديد ولا جحود
كامل وكثير من اهل الكتاب ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه
والروم قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس
ان الله لا يهدي القوم الكافرين ● امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين
وبان يبلغ جميع ما انزل اليك واوقع اذا انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائفا ان ينالك مكروه قوله وان لم تفعل
اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته قرأ نافع رسالاته وفي الانعام حيث يجعل رسالاته على الجمع وقرأ الاعراف
برسالاتي على الواحد وقرأ حفص عن عاصم على التوحيد في المائدة والانعام على الواحد وفي الاعراف على الجمع وابو عمرو
وحمزة في المائدة على الواحد وفي الانعام والاعراف على الجمع وابن كثير في الجميع على التوحيد وابن عامر وابو بكر عن عاصم في الجميع
الجمع قال صاحب الكشاف فعن رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك لان بعضها
ليس باولى بالاداء من بعض فان لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن
بكلها لا ادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير
مؤمن به في وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط وجهان احدهما انه اذا لم تمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمتها
كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا يخفى شناعته فقيل ان لم تبلغ ادنى شيء منها وان كانت كلمة واحدة فانت
كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما
يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وعن ابن عباس ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي ذكر المفسرون ان هذه الآية نزلت على اصحاب التخيير
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بعثني برسالاته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يهاب قريشا واليهود والنصارى فانزل الله تعالى هذه الآية وعن مجاهد لما نزلت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك قال صلى الله عليه وسلم يا رب كيف اصنع انما انا وحدي يجتمع علي الناس فانزل الله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس وعن مقاتل لما دعا اليهود واكثر عليهم جعلوا يستهزؤون به فعرض بهذه الآية قوله والله يعصمك
عدة من الله تعالى بالحفظ والعصمة والمعنى يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم قال وفيه ان ضمان
العصمة وقد شج جبينه وكسرت رباعيته واوذي بضروب الاذى قلت فيه جوابان احدهما ان يعصمه من القتل والاسر وتلف الجملة
فقيل انه عليه السلام ان يحتمل كل ما دونها القتل والاسر في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وثانيهما
ان هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه ذلك بعد احد لان المائدة من اواخر ما نزل والمراد بالناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي
القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزال الهلاك به وعن ابي هريرة نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه عليها فجاء رجل فاخذه فقال يا محمد من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم
الله فنزلت قوله يعصمك من الناس وعن عائشة سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلت ما شأنك قال الا رجل
صالح يحرسني الليلة فبينما نحن في ذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا فقال سعد وحذيفة جئنا نحرسك
فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه فنزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم راسه من قبة ادم وقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قوله تعالى يا اهل الكتاب
لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين ● لما امره بالتبليغ فقال قل يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى لستم
على شيء من الدين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغيره
شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء قوله فلا تاس اي فلا تتاسف عليهم ولا الغيظ والعذاب عليهم فانهم من الكافرين
لذلك قيل سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها
حق قال بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها فانا بريء من احداثكم فقالوا نحن على الهدى ونأخذ بما في ايدينا ولا نؤمن بك
نزلت هذه الآية قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
حذف الخبر وانشد سيبويه شاهدا له واذلا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم
كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان

الخبر لا تقول إن زيداً وعمرو منطلقان لأنك لو رفعته بالعطف على محل إن واسمها لكان العامل في محلها هو الابتداء
ولو كان كذلك لكان العامل في خبرهما هو الابتداء لأن الابتداء هو العامل في المبتدأ والخبر معاً وحينئذ يلزم في الخبر
وحينئذ يلزم أن يكون الخبر الواحد مرفوعاً بأن وبالابتداء فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وإنه محال
قال الإمام هذا الكلام ضعيف من وجوه منها أن هذه الأشياء التي تسميها النحويون رافعة وناصبة ليس معناها
أنها كذلك لذواتها فإن هذا لا يقوله عاقل بل المراد أنها معرفات بحسب الوضع كما اصطلح لهذه الحركات واجتماع
المعرفات الكثيرة على الشيء الواحد غير محال كالمحدثات بالنسبة إلى الله تعالى ومنها أنه بناء على أن رافعة في نصب الاسم
ورفع الخبر فالكوفيون ينكرون ذلك ويقولون لا عمل لها في الخبر ومنها أن الأشياء الكثيرة إذا عطف بعضها على البعض
فالخبر الواحد لا يكون خبراً عن الجميع لأن الخبر عن الشيء عبارة عن تعريف حاله وبيان صفته ومن المحال أن يكون حال الشيء وصفته
عين حال الآخر وعين صفته لامتناع قيام الصفة الواحدة بالذوات المختلفة فالخبر في اللفظ وإن كان واحداً إلا أنه متعدد
في التقدير وحينئذ لا يمتنع أن يكون البعض مرتفعاً بأن والبعض بالابتداء فلم يلزم اجتماع رافعين على مرفوع
واحد والذي يحقق ذلك أنه سلّم أن بعد ذكر الاسم والخبر جاز الرفع والنصب في المعطوف عليه وإذا عطف اسم على
اسم إن قبل ذكر الخبر حكم العقل بأنه لا بد من الحكم بتعدد الخبر وذلك إنما يحصل بإضمار الأخبار الكثيرة وعلى هذا
التقدير يسقط ما ذكره الإمام قال صاحب الكشاف فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها
قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيداً وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت
إن زيداً منطلق وعمرو قلت لأني إذا
رفعته رفعته عطفاً على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء
ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بأن
لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره
المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره وهذه الجملة لا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت
ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان
والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غياً وما سموا صابئين
إلا لأنهم صبؤوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف
بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت
قدماً فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلاً قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة
فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام
من الذين آمنوا قيل تارة بالذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وقيل أريد من آمن من ثبت على الإيمان واستقام ومن أحدث
ثباته فيه وتحقق من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء فيه لتضمن المبتدأ معنى الشرط فإنه موصول
صلته فعل ثم الجملة كما هي خبر إن وقيل محله النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو على البدل من المجموع من المعطوف
عليه والمعطوف أو على البدل من المعطوف على اسم إن والراجع إلى هذا المبتدأ محذوف تقديره من آمن منهم والمعنى
أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا ويبين أن هذا الحكم عام في الكل وأنه لا يحصل لأحد فضيلة ولا منقبة إلا
إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً وذلك لأن الإنسان له قوتان نظرية يعرف بها الحق وعملية يعمل بها الخير وأشرف المعارف
معرفة الله وكمال معرفته إنما يحصل بأن يعلم أنه قادر على الحشر والنشر فأشرف المعارف معارف الإيمان بالله واليوم
الآخر وأفضل الخيرات والأعمال المواظبة على الأعمال المشعرة بتعظيم المعبود والسعي في إيصال النفع إلى الخلق كما قال
عليه السلام التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ثم بين تعالى أن من آمن بالله وعمل صالحاً فلا خوف عليهم بسبب ما شاهدوه
من أهوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما فاتهم من طيبات الدنيا لوجدانهم ما هو أطيب وأشرف مما كان لهم في الدنيا

قوله تعالى لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم
فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ● لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل بالتوحيد والدلائل وخلق العقل الهادي إلى كيفية الاستدلال
قال مقاتل يعني أخذنا ميثاقهم في التوراة أن يعملوا بما فيها قال ابن عباس كانوا يعني كذبوا محمداً وعيسى وقتلوا زكريا ويحيى
قال الزجاج وأما التكذيب فاليهود والنصارى يشتركون فيه وأما القتل فيختص باليهود وأرسلنا إليهم رسلاً يعلمهم
الشرائع والأحكام وقوله كلما جاءهم رسول جملة شرطية صفة لقوله رسلاً والراجع محذوف أي كلما جاءهم رسول
منهم بما لا تهوى أنفسهم بما لا تحبه أنفسهم بأن يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكاليف والعمل بالشرائع
وجواب الشرط محذوف فإن قوله فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون يدل عليه كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوى
أنفسهم ناصبوه الحرب وعادوه وقوله فريقاً كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فقيل فريقاً كذبوا
وفريقاً يقتلون جيء بقوله يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك
الحال الشنيعة للتعجب منها قوله تعالى وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كثير منهم والله بصير بما يعملون ● قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو ألا تكون فتنة بالرفع والباقون بالنصب وذكر الواحدي
لهذا تقريراً حسناً فقال الأفعال على ثلاثة أضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره نحو العلم والتيقن والتبيين

فكان

فكان مثل هذا وقع بعد أن الثقيلة ولم يقع بعد الخفيفة الناصبة للمضارع لأن الثقيلة تدل على ثبات الشيء وتقرره
فإذا كان العلم بالله يدل على الثبات والاستقرار وأن الثقيلة تفيد هذا المعنى حصلت بينهما ملاءمة ومناسبة مثاله
من القرآن قوله تعالى ويعلمون أن الله هو الحق المبين ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ألم يعلم بأن الله يرى وفعل يدل
على عدم الثبات والاستقرار نحو أطمع وأخاف وأرجو فهذا لا يستعمل فيه إلا الخفيفة الناصبة للمضارع قال تعالى والذي أطمع
أن يغفر لي يخافون أن يتخطفكم الناس فخشينا أن يرهقهما طغياناً وفعل يقع على الوجهين نحو حسب
وأخواتها فتارة تستعمل بمعنى الطمع والرجاء فيما لا يكون ثابتاً مستقراً وتارة بمعنى العلم فيما يكون ثابتاً مستقراً إذا عرف
هذا فنقول يحتمل الحسبان هاهنا بحيث يفيد الثبات والاستقرار لأن القوم كانوا جازمين بأنهم لا يقعون بسبب
ذلك التكذيب والقتل في الفتنة والعذاب ويحتمل أن يجري بحيث لا يفيد الثبات من حيث إنهم كانوا يكذبون ويقتلون
بسبب حفظ الجاه والتبع كانوا يعلمون بهم عارفين بأن ذلك خطأ ومعصية وإذا كان اللفظ محتملاً لكل واحد
من هذين المعنيين لا جرم ظهر الوجه في صحة كل واحدة من هاتين القراءتين قال صاحب الكشاف النصب على الظاهر
والرفع على أن أن المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فدخل فعل الحسبان
على أن التي للتحقيق تنزيلاً للحسبان منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وأن أو ما يشتمل عليه صلتها أن وأن من المسند
والمسند إليه سد مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة
فعموا عن الدين وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم تاب الله على بعضهم حيث وفق للإيمان به ثم عموا وصموا
كثير منهم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم بأن أنكروا نبوته ورسالته وإنما قال كثير منهم لأن أكثر اليهود وإن أصروا
على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا أن جمعاً منهم آمنوا به مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وكثير منهم بدل من الضمير
المرفوع في قوله ثم عموا وصموا والإبدال كثير في القرآن قال تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه وقال ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلاً وهذا الإبدال في غاية الفصاحة فإنه لما قال ثم عموا وصموا أوهم ذلك أن كلهم صاروا كذلك
فلما قال كثير منهم عرف أن هذا الحكم حاصل للكثير منهم لا للكل وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هم كثير منهم وأولئك كثير
منهم وقيل على لغة أكلوني البراغيث والله بصير بما يعملون من تكذيب الرسل وقتل الأنبياء قوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ● لما استقصى في الكلام مع اليهود شرع في الكلام مع النصارى
فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلهاً
ثم حكى عن المسيح أنه قال يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب مثلهم
وقدم قوله ربي على قوله وربكم لأنه هو الأهم فإنهم معترفون بأن الله ربهم منكرون لأنه ربه وهذا احتجاج قطعي
على النصارى لأن عيسى عليه السلام لم يفرق بينه وبينهم فإنه مربوب محدث ثم قوله إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما
هو مختص به من صفاته وأفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع
المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار قيل من كلام الله على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على
عيسى فلذلك لم ينصرهم الله ولم يساعدهم على قولهم وردّه وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك القول ورافعين من مقداره
وقيل من قول عيسى على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لأنه محال في المعقول ولا ينصركم ناصر في الآخرة
من عذاب الله واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن عقاب الفساق من المؤمنين لا يكون مخلداً لأنه تعالى جعل أعظم أنواع الوعيد والتهديد
في حق المشركين هو أن الله حرم الجنة عليهم ومأواهم النار وأنه ليس لهم ناصر ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم فلو كان الحال في الفساق
من المؤمنين كذلك لما بقي لتهديد المشركين على شركهم بهذا الوعيد فائدة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله
ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ● ثلاثة مجرورة
بالإضافة ولا يجوز نصبها لأن معناه واحد ثلاثة أما لو قلت رابع ثلاثة فيجوز الجر والنصب لأن معناه الذي صير الثلاثة
أربعة بكونه فيهم وقولهم إن الله ثالث ثلاثة أرادوا أن الله ومريم وعيسى ثلاثة شاهده قوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة وواحد من ثلاثة آلهة ويدل على أن المراد ذلك قوله تعالى في
الرد عليهم وما من إله إلا إله واحد قال الواحدي ولا يكفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد به ثالث ثلاثة
آلهة فإنه ما من شيء إلا والله ثالثه بالعلم كقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
وقيل إنهم يقولون جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن اسم الشمس يتناول
القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة
وقالوا إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر أو الماء باللبن وزعموا
أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد وهذا معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة لا تكون
واحداً والواحد لا يكون ثلاثة ولا نرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى ثم قوله وما من إله
إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود
إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ثم قوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
أي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيراً منهم تابوا من النصرانية قال صاحب الكشاف من في قوله ليمسن الذين كفروا منهم

للبيان

للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر
مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام
في تفسير الذين كفروا بالنصارى على أنهم في النصارى بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب
أليم أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس
التي يجوز أن يتناولها عشرين قوله تعالى أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم
أي ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور
رحيم وعد عظيم أي يغفر لهؤلاء مع هذا الكفر العظيم إن تابوا عن الكفر ولغيرهم قوله تعالى ما المسيح ابن
مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول أي ما المسيح ابن مريم إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء المسيح
بآيات من الله كما أتى الرسل من قبله بآيات من الله إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا
وجعلها حية تسعى وفلق البحر وفجر من الحجر اثنتي عشرة عينا على يد موسى وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير
أب وأم صديقة أي وما أم المسيح إلا كبعض النساء المصدقات المؤمنات بهم وقيل صديقة أي صدقت بآيات
ربها وكتبه وقيل لأنه تعالى قال فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وكلمها جبريل فصدقته [illegible]
الصديقية وقيل إن المراد بكونها صديقة غاية بعدها من المعاصي وقوة جدها في العبودية فإن الكامل في هذه
الصفة يسمى صديقا قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والمعنى ما منزلة
المسيح وأمه إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صديق فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف
به سائر الأنبياء والصديقين مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما
نسبا إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والدفع لم يكن
إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وعضلات ورباطات وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم
شدة تشوق اللحم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام فكيف يكونان إلهين فإن الإله
هو الغني المطلق عن جميع الأشياء انظر كيف نبين لهم الآيات الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم
انظر أنى يؤفكون يقال أفكه يأفكه أفكا إذا صرفه والإفك الكذب لأنه صرف عن الحق ومعنى التراخي في قوله ثم انظر
ما بين العجبين يعني أن بياننا لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه قوله تعالى قل أتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ● هذا حجة أخرى على بطلان قول النصارى وذلك
أن الإله هو الغني عما سواه ويكون كل من سواه محتاجا إليه وهو مالك لكل ما شاء من ضرهم ونفعهم وعيسى لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا أتعبدونه من دون الله وأراد به أنه لا يقدر بقدرة البشر ولا يملك البشر منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن ما
ينافي الربوبية حيث جعله لا يملك لكم ضرا ولا نفعا فلا تخشونه وهو يسمع لكم ويعلم ما تفتقرون إليه [illegible]
العاجز والله هو السميع العليم أي يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولا يكون كذلك إلا وهو حي قادر قوله تعالى
قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
لما تكلم أولا على أباطيل اليهود ثم تكلم ثانيا على أباطيل النصارى وأقام الدلائل القاطعة والحجج
الساطعة على بطلانهما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الفريقين بهذا الخطاب لا تغلوا أي لا تجاوزوا
في دينكم الحد يقال غلا في الأمر يغلو غلوا أي جاوز فيه الحد غير الحق صفة للمصدر أي تغلوا في دينكم غلوا غير الحق
أي باطلا لأن الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن دقائقه ويجتهد في تحصيل
دلائله وتحقيق براهينه كما يفعله المتكلمون من أهل السنة والجماعة رضوان الله عليهم وغلو غير حق باطل وهو
أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة الواضحة والأشياء البينة واتباع الهوى والشبهة كما يفعله
المعتزلة وأهل الأهواء والبدع ولا تتبعوا أهواء قوم أي مذاهبهم التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما
ذكر الله لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك واتبع هواه فتردى وما ينطق عن الهوى أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه ولم يوجد الهوى يستعمل إلا في الشر لا يقال فلان يهوى الخير فيقال يريد الخير ويحبه وقيل الهوى إله
يعبد من دون الله وقيل سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على
هواك فقال ابن عباس كل هوى ضلالة أراد بقوله قوم أسلافهم من النصرانية وصفهم بثلاثة أوصاف بالضلال في قوله قد ضلوا
أنهم كانوا على الضلال من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والإضلال في وأضلوا كثيرا من تابعهم
على التثليث والضلال عن سواء السبيل أي وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين
كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل يحتمل أن يكون المراد من قوله وضلوا عن سواء السبيل ضلالهم بسبب اعتقادهم
في ذلك الإضلال إرشادا إلى الحق ويحتمل أن يكون المراد بالضلال الأول الضلال عن الدين وبالضلال الثاني
الضلال عن طريق الجنة قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ● لما خاطب أهل الكتاب بهذا الخطاب وصف أسلافهم

فقال

فقال لعن الذين كفروا أن لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى قال أكثر المفسرين إن أهل
أيلة لما اعتدوا في السبت فقال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال
عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا
خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي وقيل إن اليهود كانوا يفتخرون بأنا من أولاد الأنبياء فذكر الله
هذه الآية لتدل على أنهم ملعونون على ألسنة الأنبياء وقيل إن داود وعيسى عليهما السلام بشرا بمحمد ولعنا من يكذبه قوله
تعالى ذلك بما عصوا أي ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ بسبب العصيان والاعتداء ثم فسر العصيان والاعتداء
بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه فالتناهي تفاعل من النهي وقيل التناهي بمعنى
الانتهاء يقال انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كف عنه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس للقسم قوله لبئس ما كانوا
يفعلون اللام في لبئس للقسم قوله لبئس ما كانوا يفعلون التعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم والنهي ولا
من معاودة منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله وهيأوا أسبابه وأحضروا آلاته أو عن الإصرار على منكر فعلوه وأما
وقع التناهي على منكر فعلوه تفسيرا للعصيان والاعتداء من قبل أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية
وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه فتحا لباب الفساد وإغراء على الفساد فيكون اعتداء أنه تعالى
لما وصف أسلافهم بما تقدم وصف الحاضرين منهم بأنهم يتولون الذين كفروا وعبدة الأصنام ومشركي قريش وأهل الكتاب
كانوا يوالون المشركين وينصرونهم وقيل المراد كعب بن الأشرف وأصحابه حين استجاشوا المشركين على الرسول قوله لبئس
ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة قوله أن سخط الله هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله
أو ما هو علامة سخط الله قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا
منهم فاسقون ● أي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه إيمانا خالصا من غير نفاق
ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين واتخاذهم أولياء كفى به دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان
حق ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى وما أنزل
إليه في التوراة كما ادعوا ما اتخذوا المشركين أولياء لأن تحريم ذلك متأكد في التوراة وفي شرع موسى قوله تعالى لتجدن
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى
ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ● وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة
إجابتهم إلى الحق وغاية عداوتهم للذين آمنوا ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وقرب
مودتهم للذين آمنوا وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدم اليهود في شدة
العداوة بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري
إنهم كذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
وعطاء والسدي المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ولم يرد جميع
النصارى مع ظهور عداوتهم المسلمين وقال آخرون مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين
بأي طريق كان فإن قدروا على القتل فذاك وإلا فبغصب المال أو السرقة أو بنوع من المكر والكيد والحيلة وأما النصارى فليس
مذهبهم ذلك بل الإيذاء في دينهم حرام واللام في قوله لتجدن لام الابتداء وقال الزجاج لام قسم ودخلت النون الثقيلة
لتفصل بين الحال والاستقبال والكلام وقوله للذين آمنوا متعلق بقوله عداوة ومودة على معنى أن عداوة اليهود التي
اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودة وأدناها وجودا
وأسهلها حصولا ولم يصف الله تعالى النصارى بأنهم أهل ود وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين إلى مودة
المؤمنين بالنسبة إلى المتباعدين وفي قوله الذين قالوا إنا نصارى إشارة إلى أن المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم
من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية بل حالهم كحال من قال إنهم نصارى وزعم وقوله ذلك إشارة إلى كون النصارى أقربهم
مودة للذين آمنوا أي بسبب كون النصارى كذلك أن منهم قسيسين أي علماء ورهبانا أي عبادا وأنهم لا يستكبرون
أو أنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم بخلاف اليهود وعن عروة بن الزبير ضيعت النصارى الإنجيل وأدخلوا
فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الحق وكان اسمه قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس وقال قطرب القس
والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه توافق اللغتين وفيه دليل بين على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله
على الفوز حتى علم القسيسين وعلى أن الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وإن كان في راهب وعدم الاستكبار إن كان
في نصراني نافع قوله تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ● وإذا سمع القسيسون والرهبان ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض
من الدمع معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء وغيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي
هو من الامتلاء إقامة للمسبب مقام السبب لقصد المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض
بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا ومن في قوله مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض
الدمع ابتداء ونشأ من معرفة وكان من أجله وبسببه ومن في قوله من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما في قوله مما عرفوا
ويحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف لو عرفوه كله وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة وصفهم

تعالى برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القران يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون
الى الحبشة والمشركون هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ
سورة طه الى قوله هل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي واخذ تبنة من الارض وقال والله ما زاد على ما في الانجيل مثل هذا
وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة يس فبكوا قوله يقولون ربنا امنا اي انشأنا الايمان ودخلنا فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وهو ماخوذ من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس وذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وقيل فاكتبنا مع كل من شهد من انبيائك ومؤمني
عبادك بانك لا اله غيرك والغرنية فقوله ترى تعينه العين وقوله تفيض حال من اعينهم وكذا قوله يقولون حال
قوله تعالى وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ◉ انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان بالله وبما جاءهم من الحق مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم مع القوم الصالحين
وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او اراد وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس ايمانا
بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال يعني غير مؤمنين والعامل في الحال الثانية التي هي قوله ونطمع معنى هذا الفعل ولكن
مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما اذ لا معنى له ويجوز ان يكون ونطمع حالا
من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين او على معنى وما لنا
لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين قوله تعالى
فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ◉ ظاهر الاية يدل على انهم انما
استحقوا ذلك الثواب بمجرد القول لانه تعالى قال فاثابهم الله بما قالوا وذلك غير ممكن لان مجرد القول لا يفيد الثواب
واجيب عنه من وجهين الاول انه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة وذلك هو قوله مما
عرفوا من الحق فلما حصلت المعرفة والاخلاص وكمال الانقياد ثم انضاف اليه القول كمل الايمان وايضا قوله في اخر الاية
وذلك جزاء المحسنين يدل على انهم مشغولة بالعبادة المقرونة بالاخلاص فان الاحسان هو ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن ابن عباس انه قال بقوله تعالى بما قالوا يعني بما سألوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ◉ انه تعالى
لما استقصى في المواعظة والمجادلة مع اهل الكتاب وبين التفاوت بين الفريقين وما هو سبب التفاوت عاد بعده
الى بيان الاحكام وذكر جملة منها فبدا بما يتعلق بحل الطيبات فقال يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار
على التخويف فرق الناس فبكوا واجتمع عشرة من اصحابه في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا
الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا
ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون
فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان اخبرته
بذلك فاتى عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم
على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله فقال لهم اني لم امر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم
فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا
فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك
من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الاديار والصوامع فانزل الله هذه الاية
ومعنى لا تحرموا لا تمنعوا طيبات ما احل الله لكم انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم
في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وقوله طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ من الحلال وقيل طيبات ما احل
لكم يعني اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقيل معنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله لكم
وقيل لا تحرموا على غيركم بالفتوى ولا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين ونظير هذه الاية قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك وقيل
لا تخلطوا المغصوب بالمملوك اختلاطا لا يمكنه التمييز منه فتحرم الكل فذلك الخلط سبب لتحريم ما كان حلالا
والاية محتملة لكل هذه فيحمل على كلها وقوله ولا تعتدوا اي ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم
وقيل جعل الله تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا
لوروده عقيبه وقيل ولا تعتدوا بتحريم الطيبات فيكون المراد بالاعتداء هو تحريم الطيبات فقط قوله تعالى
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ◉ كلوا امر اباحة وقوله مما رزقكم الله من
للتبعيض كانه قال اقتصروا في الاكل على بعض ما رزقكم الله واصرفوا البقية الى الصدقات والخيرات ولا تسرفوا في الاكل

وهنا يدل على ان الله تعالى قد تكفل برزق كل احد فانه لو لم يتكفل برزقه لما قال كلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزقه وجب
ان لا يبالغ في الطلب وان يعول على وعد الله واحسانه فانه اكرم من ان يخلف الوعد ولذلك قال عليه السلام اتقوا الله
واجملوا في الطلب وقوله حلالا طيبا حال مما رزقكم الله وعن عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من جهته والطيب ما غذى
ونما فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على جهة التداوي وقوله واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد
للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما
نهى عنه قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا
ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون ◉ هذا نوع ثالث من الاحكام المذكورة قيل لما نزل قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على
ما عليه اتفقوا فانزل الله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص
عن عاصم عقدتم بتشديد القاف بلا الف وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بتخفيف القاف بغير الف وابن عامر عاقدتم
بالالف التخفيف فكل الوجهين بمعنى العقد فلانا اليمين كالعهد يقال عقد الحبل عقدا اذا اكده واحكمه ومثل ذلك يمينا عقد
بالتشديد اذ يكون مثله عاقده بالالف من قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير يقال عقد زيد يمينه وعقد فلان
ايمانهم ونعى ابو عبيدة قراءة التشديد للتكرير مرة بعد مرة فالتشديد يوجب سقوط الكفارة من اليمين الواحدة
لان الايمان تكرر الجانب الواحد وكلفه من وجهين الاول ان تعظيمهم العقد بالتخفيف والتشديد واحد في المعنى والثاني
ان تغليظ التكرير كما في قوله وغلقت الابواب لا انها التكرير يحصل بان يعقد بقلبه وبلسانه ومن جمع بين القلب
واللسان فقد حصل التكرير اما عقد اليمين باحدهما دون الاخر لم يحنث تعقيدا واما من قرأ بالالف فانه من المفاعلة
التي تختص بالواحد مثل عافاه الله وطارقت النعل وعاقبت اللص ومعنى قوله بما عقدتم مصدرية اي بعقدكم الايمان
او بتعقيدكم الايمان او بما عاقدتم الايمان ومعنى الجميع توثيقها بالقصد والنية وفيه حذف في المعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة وهو وقت الحنث لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف وقوله
فكفارته اي فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين
اعلم ان الاية دلت على ان الواجب في كفارة اليمين احد الامور الثلثة على التخيير فمن لم يجد احد الامور الثلثة فالواجب
عليه صيام ثلثة ايام والواجب المخير هو احد الامور الثلثة من غير تعيين فاذا اتى باي واحد من الثلثة فقد اتى بالواجب
كل واحد من الثلثة بعينه لا شخص من احد الثلثة من غير تعيين وهو الاتيان بالخاص يستلزم الاتيان بالعام وقالت المعتزلة
الكل واجب على معنى انه لا يجب الاتيان بالكل ولا الاخلال به فلا خلاف في المعنى وقيل الواجب معين عند الله تعالى
ورد بان التعيين ينافي التخيير الثابت بالنص فينتفي التعيين وانما قلنا ان التعيين ينافي التخيير لان لازم التعيين منع ترك
المعين وبين المنع والجواز منافاة وتنافي اللوازم يستلزم تنافي الملزومين قيل لا نسلم ان يكون التعيين منافيا للتخيير
فانه يجوز ان يختار المكلف المعين عند الله تعالى او يعين الله تعالى ما يختاره المكلف او يسقط المعين بفعل غيره وكذا
بفعل غيره وتفاوت المكلفين والنص يأباه والثاني ان الوجوب متحقق قبل اختيار المكلف والنص والاجماع دالان
على ان الاتي باي ما اتي بالواجب لا مسقطه قوله تعالى اطعام عشرة مساكين اختلفوا في قدرها فقال الشافعي طعام كل
مسكين مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث وكذلك في جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس
وابن عمر وسعيد بن المسيب والقاسم وسالم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واحتجوا بحديث الاعرابي جامع في نهار رمضان
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكتل فيه خمسة عشر صاعا من تمر فقال خذ هذا فاطعمه خمسة عشر صاعا اذا
على ستين مسكينا فيقع لكل مسكين مد وقال ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره او يغديهم ويعشيهم
وهو قول عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما والشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم والضحاك واحتجوا
بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بوسق ستين صاعا فاعطاه رجلا وجبت عليه كفارة وقال اطعمه ستين
مسكينا وقال علي بن ابي طالب ومحمد بن كعب رضي الله عنهما غداء وعشاء ومن اوسط ما تطعمون اهليكم قالوا انه يقتات
الرجل لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وقيل المراد ما كان متوسطا
في العرف وهو دون الحنطة اذا جعلت دقيقا وجعل خبزا يصير قريبا من المد وذلك كاف في قوت البوغ او للطعام
وقيل المراد ما كان متوسطا في الشرع فلم يعتبر الشرع له مقدارا الا في موضع واحد وهو ما روي في حديث الاعرابي
المفطر في رمضان فانه يطلق به اطعام المسكين ربع الصاع وهذا مذهب الشافعي لانه يطلق على ما يكون عند ابي حنيفة
الاوسط من الاهل وعند الشافعي لا يجوز اخذ القيم في الزكاة والكفارات اعتبارا بالنص وجوز ابو حنيفة
اعتبارا بالمنفعة والمصلحة وعند الشافعي لا يجوز ان يعطي اقل من عشرة مساكين وقال ابو حنيفة اذا اعطى مسكينا
واحدا عشرة ايام جاز وقال الشافعي لا يجوز ان يعطي الكفارة الا لمسلم محتاج ولا يجوز ان يعطي لعبد ولا
لكافر لقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم والكافر اسفه السفهاء لقوله تعالى الا انهم هم السفهاء وقال ابو حنيفة
ان اعطى الكفارة اهل الذمة جاز واما الزكاة فلا يجوز ان يعطى اهل الذمة لقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا والاسير لا يكون الا من الكفار وقوله او كسوتهم عطف على محل من اوسط لانه في محل الرفع بدلا من الاطعام او

هو المقصود لان المبدل منه في حكم المنفي فكانه قيل كفارته من اوسط ما تطعمون او كسوتهم والكسوة ثوب واحد ما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل او كساء او عمامة ونحوها وهو قول ابن عباس والحسن والحكم وعطاء والباقر واليه ذهب الشافعي وقال الاوزاعي ثوب جامع اي الذي ايد الرداء ولا تجزي عنه العمامة وهو مذهب النخعي وابي حنيفة وقال في الثاني ما يجزي فيه الصلاة وقال سعيد بن المسيب والضحاك لكل مسكين ثوبان واحتجا بان ابا موسى لزمته الكفارة فكسا عشرة مساكين لكل مسكين واحد ثوبين معقدا من معافر البحرين وقال شهر بن حوشب ثوب ثمنه خمسة دراهم قوله او تحرير رقبة وقال الشافعي الايمان شرط في كفارة اليمين والظهار والجماع ككفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل حجة الشافعي ان الله عز وجل قال في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة فقيده واطلقه في سائرها فيحمل المطلق على المقيد وانه روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اجب فقال اعتق رقبة فجاء برقبة اعجمية الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم من ربك فعرفتها فاشارت الى واحد فقال من انا فاشارت الى السماء اي انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مؤمنة واوجب لفظة مطلقة محتملة وروى ابو سلمة عن الشريد ان امه اوصت ان يعتق عنها رقبة فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي اوصت ان نعتق عنها رقبة وعندي جارية مؤمنة سوداء افاعتقها قال ادع بها فجيء بها فقال لها من ربك فقالت الله قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة وتمسك ابو حنيفة بظاهر الاية ويجوز في الكفارة من الرقاب الصغير والكبير والذكر والانثى فاما اذا كان معيبا بعيب يمنعه من العمل فلا يجزيه مثل الاعمى والاشل والمقعد والمجنون المطبق وان كان معيبا عيبا خفيفا لا يمنعه من العمل مثل الاعرج والمقطوع ونحوهما فيجزيه وهذا كما نقول في الكسوة ان الثوب قد بلي فان انقطع منه جل المنفعة لم يجز وان كان لبيسا خفيفا لم ينقطع منه جل المنفعة جاز قوله فمن لم يجد قال ابو حنيفة اذا كان عنده ما تا درهم او عشرون مثقالا او اقل مما يجب فيه الزكوة لم يجزه الصيام وان كان اقل من ذلك فهو غير واجد فيجزيه الصيام وقال بعض الفقهاء اذا كان له كفاية من المال يتصرف فيها لمعاشه فان فضل عن ترزق ماله مقدار ما يكفي بالاطعام فليس له ان يصوم وقال الشافعي اذا كان له قوته وقوت من يلزمه مؤنته يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالطعام وان لم يكن له هذا القدر فله الصيام وقال بعضهم اذا ملك ما يكفيه للطعام فليس له الصيام وان لم يفضل له من الكفارة شيء وهو قول سعيد بن جبير والحسن قالا اذا كان عنده درهمان او ثلثة فهو واجد وان لم يجد شيئا من هذا فصيام اي فعليه صيام ثلثة ايام قال في الصحيح فعليه ان يصوم ثلثة ايام ان شاء متتابعة وان شاء متفرقة وهو مذهب مالك لانه تعالى قال فصيام ثلثة ايام من غير تقييد بالتتابع فالاتي بصوم ثلثة ايام على التفرق كان اتيا بصوم ثلثة فوجب ان يخرج عن العهدة وقال ابو حنيفة والثوري واختار المزني يجب التتابع لما روي في قراءة ابن مسعود وابي بن كعب متتابعات وقراءتهما لا تنقص عن روايتهما ورد بان القراءة لا يعمل بها لانها ليست بقران لكونها غير متواترة ولا بخبر يصح العمل به لان نقلهما قرانا ينفي ان يكون خبرا وهما معترفان بانها ليست بخبر فكيف يجوز العمل به ومن صام ستة ايام عن يمين اجزاه سواء عين الثلث عن احد اليمينين ام لا قوله ذلك كفارة ايمانكم اي ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث للعلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف وقال الشافعي تكفير اليمين قبل الحنث جائز لان كل واحدة من الامور الثلثة كفارة لليمين عند وجود الحلف فاذا اداها بعد الحلف قبل الحنث جاز لانه قد ادى الكفارة عن ذلك اليمين واذا كان كذلك وجب ان يخرج عن العهدة وقال ابو حنيفة واصحابه لا يجوز وفي قوله اذا حلفتم تنبيه على ان تقديم الكفارة قبل اليمين لا يجوز واما بعد اليمين قبل الحنث فانه يجوز قوله واحفظوا ايمانكم قيل معناه لا تحلفوا واذا حلفتم فلا تحنثوا وقيل فبروا ولا تحنثوا ان الايمان التي يكون في الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان لا تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم فلا تنسوها تهاونا بها وقيل معناه قللوا الايمان ولا تكثروا منها قال الكثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان بدرت منه الالية برت [illegible] فان ندرت منه الالية على انه حافظ ليمينه ووصفه بانه لا يحلف قوله كذلك يبين الله لكم اياته لاعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون ◉ هذا من جملة الاحكام المذكورة ولما قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم من جملة الامور المستطابة المشتهاة الخمر والميسر بين انهما ليسا مما احل الله لكم سمي الخمر خمرا لمخامرته العقل اي خالطته وستره وقيل لتركه فاختمر اي تغير ريحها والميسر هو القمار في الجزور والانصاب الاوثان سميت بذلك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب والازلام القداح اي السهام التي يستقسمون بها والرجس لغة ما يستقذر سواء كان عينا او معنى عملا او غير عمل وفي الشرع يطلق تارة ويراد به النجس الذي هو من موانع الصلوة وهو حقيقة شرعية وتارة يطلق ويراد به ما هو غير ذلك اما بالاشتراك او بالمجاز واراد هنا المعنيين استعمالا للفظ المشترك في المعنيين او جمعا بين الحقيقة والمجاز فالاية نص في ان الخمر من النجاسات ولا يلزم من عطف الميسر والانصاب والازلام عليها ان تكون

من النجاسات

من النجاسات لانها ليست برجس بمعنى النجاسة لما عرفت من صحة استعمال اللفظ في المفهومين الحقيقيين وفي المفهوم الحقيقي والمجازي وصف الله تعالى هذه الاربعة بوصفين احدهما رجس والاخر من عمل الشيطان فافاد بالاول انهما في نهاية مراتب القبح والحرمة وبالثاني تاكيد كونهما رجسا لان الشيطان نجس خبيث لانه كافر والكافر نجس لقوله انما المشركون نجس والخبيث لا يدعو الا الى الخبيث لقوله الخبيثات للخبيثين ثم انه تعالى لما وصف الاربعة بهذين الوصفين قال فاجتنبوه لكي تكونوا اجانب منه والضمير عائد الى الرجس اي فاجتنبوا الرجس الذي هو من عمل الشيطان فيكون الامر بالاجتناب عن الاربعة لان الرجس واقع عليها وقيل عائد الى مضاف محذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر وتعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان واعلم انه تعالى لما امر بالاجتناب عن هذه الاشياء ذكر فيها نوعين من المفسدة الاول ما يتعلق بالدنيا وهو قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر والثاني ما يتعلق بالدين وهو قوله ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولنشرح اولا وجه العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اما في الخمر فان بحسب الغالب من شرب الخمر فانما يشربها مع جماعة ويكون غرضه من شربها معهم الاستيناس بهم والفرح بمحادثتهم لتتاكد الالفة والمحبة لكن ينقلب ذلك الى الضد غالبا لان الخمر تزيل العقل فيستولي الغضب والشهوة فيحصل المنازعة بينهم فيؤدي الى المشاتمة بالفحش بل الى المحاربة فيفضي الى العداوة والبغضاء التي هي مراد الشيطان [illegible] لما قلنا ان الاجتماع على الشرب يوجب تاكيد الالفة والمحبة فانقلب الامر وحصلت شدة العداوة وتهايج البغضاء واما في الميسر فلان من صار مغلوبا في المقامرة دعاه ذلك الى اللجاج فيه على رجاء انه ربما صار غالبا فيه وقد يتفق ان لا يحصل ذلك له الى ان لا يبقى له شيء من المال فيضيعه ويعجز عن حاجته وعن عياله واولاده واهله فيصير فقيرا ذليلا فيصير من اعدى الاعداء لمن غلبه فالخمر والميسر شيئان عظيمان في اثارة العداوة والبغضاء بين الناس وهي من اعظم المفاسد وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا لان الخطاب مع المؤمنين والمقصود نهيهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان الكل من اعمال الجاهلية واهل الشرك وكان لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الاسلام وبين من شرب الخمر او قامر فوجب اجتناب الكل ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر لان المؤمنين المخاطبين كانوا مجتنبين من الانصاب والازلام واما ما يتعلق بالدين من المفسدة فلان شرب الخمر يصد عن ذكر الله لانه يورث الطرب والبطر واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلوة وكذلك الميسر يصد عن ذكر الله وعن الصلوة وكذا الميسر يصد عن ذكر الله وعن العبادة لانه ان صار غالبا صار مستغرقا في لذة الغلبة مانعا من ان يخطر بباله شيئا سواه ولا شك ان هذه الحالة مما يصد عن ذكر الله وعن الصلوة اكد الله تحريم الخمر والميسر من وجوه كثيرة منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بالانصاب والازلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها جعلهما من عمل الشيطان ومنها انه امر بالاجتناب عنهما ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح فيكون الارتكاب خيبة ومنها انه ذكر افضاءهما الى العداوة والبغضاء بين اصحاب الخمر والميسر والى الصد عن ذكر الله وعن الصلوة ومنها قوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ◉ اي واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امر به من الواجبات ونهى عنه من المحرمات عموما وفيما تقدم ذكره من امرهما بالاجتناب عن الخمر واحذروا عن مخالفتهما في المحارم عموما وفي الخمر والميسر خصوصا فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين وما اتى به الا من ربه وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد في حق من خالف في هذا التكليف واعرض فيه عن حكم الله اي انكم ان توليتم فالحجة قد قامت عليكم والرسول قد خرج عن عهدة ما عليه من البلاغ المبين واما التوفيق والخذلان والثواب والعقاب فالى الله قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ◉ روي انه لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فانزل الله هذه الاية والمعنى لا اثم عليهم في ذلك لانهم شربوها حال ما كانت حلالا ونحو هذا قوله تعالى في نسخ القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وما كان الله ليضيع ايمانكم اي انكم حين استقبلتم بيت المقدس استقبلتموه بامري فلا اضيع ذلك كما قال فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم طعم يطعم طعما اذا ذاق او اكل فاذا طعمتم فانتشروا اي اذا اكلتم وقال تعالى ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه فالطعم بالمعنى الاول لا يتناول الشرب وبالمعنى الثاني يتناوله فقوله طعموا يتناول شرب الخمر واكل مال الميسر رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم الله عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا اي ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم واحسنوا الى الناس وواسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل انه لم يبق لهذا اذا ما اتقوا اذا عملوا الاتقاء وبقوله ثم اتقوا بعد قوله وعملوا الصالحات دوام الاتقاء والثبات عليه وبقوله ثم اتقوا بعد قوله وامنوا اتقاء ظلم العباد مع ضم الاحسان اليه وقيل اراد بالاتقاء الاول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول هذه الاية وبالثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الاية وبالثالث ما حدث تحريمه بعد هذه الاية وقيل ان الاول

بالاول اتقاء الكفر وبالثاني الكبائر وبالثالث الصغائر وقيل اراد بالاول الاتقاء عن القدح في صحة النسخ لان اليهود
يقولون النسخ يدل على البداء فاوجب على المؤمنين عند سماع تحريم الخمر بعد ان كانت مباحة ان يتقوا عن هذه الشبهة وبالثاني
استمرار الاتقاء المذكور اولا وبالثالث الاستمرار على التقوى المذكورة في الاول والثاني ثم يضم الاحسان الى التقوى والاحسان
الى الخلق وقيل ان المقصود من هذا التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى فان قيل لم شرط رفع الجناح
فيما طعموا من المباحات بالايمان والتقوى مع ان رفع الجناح في تناول المباحات غير مشروط بالايمان والتقوى فان من لا
يؤمن ولم يتق لا جناح عليه بتناول المباحات بل الجناح عليه بترك الايمان والتقوى اجيب بانه ليس هذا الاشتراط الا
ان اولئك الاقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان
ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم
وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا ان اتقى وهو مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم
الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ● هذا ايضا
من جملة الاحكام المذكورة في هذا الموضع ولما قال تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم واستثنى الخمر والميسر في الاول
حرام ايضا استثنى الصيد الذي هو حرام في وقت من الاوقات نزلت هذه الآية عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم
محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فبينما هم يسيرون
بين مكة والمدينة اذ عرض لهم حمار وحشي فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قد قتلت الصيد وانت
محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فانزل الله هذه الآية اللام في قوله ليبلونكم الله لام القسم
والنون قد يكون جوابا للقسم فاذا تلتا القسم جيء بهما دالا على القسم وفتح الواو لالتقاء الساكنين اي لنختبرن طاعتكم
من معصيتكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر بشيء بقليل يسير من الصيد ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تكون
التكليف فيها صعبا شاقا تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو ابتلاء سهل سببه
بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه تناله ايديكم وهي البيض والفرخ
لا يستطيع ان يفر من الصغار ورماحكم وهو الوحشي وكبار الصيد ومن في قوله من الصيد للتبعيض على معنى صيد البر دون
صيد البحر او صيد الاحرام دون صيد الاحلال ويحتمل ان يكون للتبيين كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والصيد بمعنى
المفعول لانه تناله الايدي والرماح لا المصدر لانه حدث والمعنى تناله الايدي والرماح لا الحدث قوله ليعلم
الله وقد علم الله ولم يزل يعلمه وقيل ليثيبنا الله وقيل ليعاملكم الله معاملة من يطلب ان يعلم وقيل ليظهر المعلوم وهو خوف
الخائف وقيل ليعلم رسول الله من يخافه بالغيب حال ايمانه بالغيب وقيل يخافه باخلاص وتحقيق ولا يختلف حاله
بسبب حضور واحد او غيبته فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء وتحريمه فله عذاب اليم اي عذاب في الآخرة وتعزير
في الدنيا عن ابن عباس هذا العذاب هو ان يضرب ظهره وبطنه وجيعا وينزع ثيابه فان اسم العذاب قد يقع على الضرب كما سمي
جلد الزانيين عذابا في قوله تعالى وليشهد عذابهما وقال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ
الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله
منه والله عزيز ذو انتقام ● قيل المراد بالصيد هاهنا المتوحش الذي يؤكل لحمه فلا يجب الضمان في قتل السبع وهو
قول الشافعي واحتج بان الذي يحرم اكله ليس بصيد لقوله تعالى احل لكم صيد البحر وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
فانه يقتضي حل صيد البحر مطلقا وحل صيد البر في غير وقت الاحرام فالصيد ما يحل اكله والسبع لا يحل اكله فلا يكون
صيدا فلا يكون مضمونا لان الاصل عدم الضمان ترك هذا الاصل في ضمان الصيد بحكم هذه الآية فيبقى ما ليس
بصيد على الاصل ولانه عليه الصلاة والسلام قال خمس فواسق لا جناح على المحرم ان يقتلهن في الحل والحرم الغراب والحداة
والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية اخرى والسبع العادي فانه عليه السلام وصفها بكونها فواسق ثم حكم
بحل قتلها والحكم المذكور عقيب الوصف يشعر بكون الوصف علة لحل قتلها ولا معنى لكونها فواسق الا كونها مؤذية وصفة
الايذاء في السباع اقوى فيجوز قتلها فلا يكون مضمونة وقيل المراد بالصيد هو الذي يتوحش سواء كان مما يؤكل او لم
يكن فعلى هذا المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن ولا يجاوز قيمته شاة وهو قول ابي حنيفة وحجته ان السبع صيد
يدل عليه قول الشاعر ليث ترى محاربه واصطيادا وقول علي رضي الله عنه صيد الملوك ارانب وثعالب
واذا ركبت فصيدي الابطال ● فيدخل تحت قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم واجيب بانه قد بين بدلالة ان المحرم
اكله ليس بصيد وذلك لا يعارضه شعر مجهول وما ينسب الى علي رضي الله عنه غير وارد لان الثعلب عندنا حلال
حرم محرمون بالحج او العمرة وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامرأة حرام وقيل وانتم في الحرم يقال احرم اذا دخل الحرم وقيل
الجمع بين الامرين قوله لا تقتلوا نهي عن القتل مباشرة او تسببا فليس له ان يتعرض للصيد ما دام محرما لا بالسلاح
ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم واما الحلال فله ان يصطاد في الحل وليس له
ان يصطاد في الحرم واذا قلنا وانتم حرم يتناول الامرين من كان محرما ومن كان داخل الحرم كانت الآية دالة على كل هذه
الاحكام قوله ومن قتله متعمدا اي ذاكرا لاحرامه فان قتله وهو ناس لاحرامه فهو مخطئ وقيل متعمدا اي عامدا لقتله
مما يحرم عليه قتله فانه قصد صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم الى صيد

فاصاب صيدا فهو مخطئ قوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر فجزاء بالرفع مضافة
الى مثل بالخفض مضافا الى ما واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثله بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول
عجبت من ضرب زيدا ثم يضيف فتقول من ضرب زيد وقيل لا ينبغي اضافة جزاء الى المثل لانه ليس عليه جزاء مثل المقتول في الحقيقة انما عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثل المقتول وقوله من النعم صفة لجزاء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي فجزاء مرفوع منون ومثل بالرفع بمعنى فعليه
جزاء من النعم يماثل ما قتله من الصيد وعند الشافعي رحمه الله ومحمد بن الحسن مثل ما قتل نظيره من النعم ان كان له مثل
وما لا مثل له فقيمة الصيد يقوم حيث صيد وعند ابي حنيفة مثل ما قتل قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن
هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به
حجة الشافعي قوله فجزاء مثل ما قتل والقيمة ليست بمثل وقوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل والقيمة ليست من النعم و
قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والقيمة ليست بهدي وما روى جابر بن عبد الله انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضبع
اصيد هو فقال نعم وفيه كبش اذا اخذه المحرم وهذا نص صريح والاجماع قال الشافعي فقد تظاهرت الروايات عن عمر وعثمان و
علي وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر في بلدان مختلفة وازمان شتى انهم حكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش
ببقرة وفي الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الارنب بجمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي
اليربوع بجفرة وشاة وداع ولم يحكوا احدا فدل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم لا بالقيمة
والقياس وهو ان المقصود من الضمان جبر الحال الفائت لا بد ان المماثلة كلما كانت اتم كان الجبر اتم وكان الايجاب اولى
حجة ابي حنيفة الاجماع ان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وكان المراد بالمثل في قوله فجزاء مثل ما قتل
من النعم هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون كذلك في سائر الصور لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على المعنى
الواحد اجيب بان حقيقة المماثلة امر معلوم فالشارع اوجب رعاية المماثلة فيجب رعايتها بقدر الامكان فان امكن
رعايتها في الصورة وجب ذلك وان لم يكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء به للضرورة على ان الصحيح ان اللفظ
الواحد يجوز حمله على المعنيين قال صاحب الكشاف فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وقوله
هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى
في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة
هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او
انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم الى الثلاث يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله
الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يتخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآ
لا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك
الا بالتقويم ثم جمهور الفقهاء اذا قتل الصيد خطأ يلزمه الضمان لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما ولما كان ذلك حراما بالاحرام صار فعله حراما فلا يسقط بالخطأ والجهل كسائر محظورات الاحرام فانه
يستوي فيه العمد والخطأ وعن سعيد بن جبير ان المحرم اذا قتل الصيد خطأ لا يلزمه شيء لان قوله تعالى ومن قتله
منكم متعمدا مذكور في معرض الشرط والمشروط ينتفي عند انتفاء شرطه فعند انتفاء التعمد لا يجب الجزاء
والذي يؤكد هذا قوله تعالى في آخر الآية ومن عاد فينتقم الله منه والانتقام انما يكون في العمد دون الخطأ وقوله ومن عاد
الى ما تقدم ذكره وما تقدم ذكره هو القتل المتعمد اوجب الجزاء لا الخطأ اجيب بان قيد التعمد لم يذكر للشرطية بل ذكر
مورد الآية فيمن تعمد وبان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال امره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي
عليهم جزاء واحد وهو قول حماد لقوله تعالى فجزاء مثل ما قتل الآية دال على ان الواجب هو المثل ومثل الواحد واحد وتأكد هذا
بما روي ان عمر وابن عمر قالا بمثل قولنا وقال ابو حنيفة ومالك والثوري يجب على كل واحد منهم فوجب ان يجب على كل واحد
جزاء كامل كما في القصاص المتعلق فانه يجب على جماعة يقتلون واحدا اجيب بان القتل شيء واحد يمتنع حصوله بتمامه
باكثر من فاعل واحد فاذا اجتمع الجموع على قتل واحد فيمتنع ان يكون كل واحد منهم قاتلا في الحقيقة فلم يتحمل كل واحد
فذلك ثبت على سبيل التغليظ كذلك القول في ايجاب الكفارات المتعددة والمحرم اذا دل غيره على صيد فقتله المدلول
عليه لم يضمن الدال الجزاء عند الشافعي لان وجوب الجزاء معلق بالقتل في هذه الآية والدلالة ليست بقتل فلا يجب
الضمان ولانه يدل على المتلف فلا يجب بالدلالة ككفارة القتل والدية وكالدلالة على مال المسلم وقال ابو حنيفة يضمن
لانه سئل عمر عن هذه المسألة فشاور عبد الرحمن بن عوف فاجمعا ان عليه الجزاء وعن ابن عباس انه اوجب الجزاء على الدال
اجيب بان نص القرآن خير من امر بعض الصحابة وقال الشافعي ان جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة شاة
وقال المزني عليه شاة وقال داود لا يضمن سوى القتل لدلالة الآية على ان شرط وجوب الجزاء هو القتل اجيب بان المعلق
بالقتل وجوب مثل المقتول فلا يجب المثل عند عدم القتل وقال الشافعي اذا رمى من الحل الى صيد في الحل فمر
السهم في بعض الحرم يحرم وعليه الجزاء لان سبب الذبح مركب من حلال وحرام فيغلب الحرام وقال ابو حنيفة لا يحرم
لقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهى عن الاصطياد حال كونه محرما وحال كونه في الحرم فلما لم يوجد احد من هذين

لامرين لا تحصل الحرمة وقال ابو حنيفة الحلال اذا اصطاد صيدا فادخله الحرم وجب عليه الارسال فان ذبحه
حرم ولزمه الجزاء لقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهى عن قتل الصيد حال كونه محرما وهذا نهيا في الصيد
الذي اصطاده في الحرم وقال الشافعي يحل ولا ضمان لقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم واذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر لقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم فانه يدل ظاهرا على ان علة وجوب الجزاء هو القتل فيتكرر الحكم عند تكرر العلة وهذا بخلاف ما اذا قال
لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين لم يتكرر الطلاق لان تكرر الشرط لا يقتضي تكرر المشروط وقال
داود لا يجب لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور
ومكسورا اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب الي وعلى هذا الكبير اولى من الصغير ويفدي الذكر بالذكر والانثى بالانثى والاولى
ان لا يغير لان نص القرآن ايجاب المثل فالانثى وان كانت افضل من الذكر من حيث انها تلد فالذكر افضل من الانثى من حيث ان لحمه
اطيب وصورته احسن قوله تعالى يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم مسلمان فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشياء
من النعم فيحكمان به حتى يعينه ويهديه الى الكعبة فذلك قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وانما ذكر اثنين لان الصيد
مختلف في نفسه فافتقر الحكم بالمثل الى عدلين وقوله منكم اي من اهل ملتكم واحتج من نصر قول ابي حنيفة في ايجاب القيمة
فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ورد بانه ليس المراد بالمثل المثل من النوع
بل المثل صورة ووجوه المشابهة بين النعم وبين الصيد كثيرة مختلفة فيحتاج الى الاجتهاد وزيادة التامل والدليل
على هذا ما روى ميمون بن مهران انه جاء اعرابي الى ابي بكر رضي الله عنه فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابو بكر ابي
كعب فقال الاعرابي اتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم
فسألت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء امرناك به قال الشافعي الذي له مثل ضربان فما حكمت فيه الصحابة يحكم لا يعدل به
الى غيره لان الاية تدل على انه يجب ان يحكم به ذوا عدل فاذا حكم به اثنان من الصحابة فقد دخل تحت الاية ثم ذلك
اولى لانهم شاهدوا التنزيل وحضروا التأويل وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع الى اجتهاد عدلين فينظران الى الاجناس
الثلاثة فكل ما كان اقرب شبها به يوجبانه وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم به وقال الشافعي
يجوز ان يكون القاتل احد العدلين اذا كان خطأ واما ان كان متعمدا فلا لانه يفسق به وقال مالك لا يجوز كما في تقويم المتلفات
حجة الشافعي انه تعالى اوجب ان يحكم به ذوا عدل واذا صدر عنه القتل خطأ كان عدلا فاذا حكم هو وغيره فقد حكم
ذوا عدل ولو حكم عدلان بمثل وحكم عدلان آخران بمثل فيه وجهان احدهما يتخير والاخر ياخذ بالاغلظ قوله هديا
حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن محل مثل فيمن جر مثل ويجوز ان ينتصب
حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان ينحر بالحرم واما
التصدق به ففي الحرم عند الشافعي وحيث شاء عند ابي حنيفة قوله او كفارة قرأ نافع وابن عامر او كفارة طعام على اضافة
الكفارة الى الطعام والباقون او كفارة بالرفع والتنوين طعام بالرفع من غير التنوين ووجه القراءة الاولى انه تعالى خير
المكلف بين ثلاثة اشياء الهدي والطعام والصيام فحسنت الاضافة فكانه قيل كفارة طعام لا كفارة هدي
ولا كفارة صيام فاستقامت الاضافة لكون الكفارة من هذه الاشياء ووجه القراءة الثانية انه عطف على قوله فجزاء
طعام مساكين عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة الى الطعام لان الكفارة ليست للطعام وانما
الكفارة لقتل الصيد قال الشافعي وابو حنيفة ومالك كلمة او في هذه الاية للتخيير لان كلمة او في الاصل للتخيير والعدول
عنها الى الترتيب ترك الاصل وقال احمد وزفر انها للترتيب لان او قد يجيء لغير التخيير كقوله تعالى ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف فان المراد تخصيص كل واحد من هذه الاحكام بحالة معينة فهنا اللفظ يحتمل الترتيب والذي
دل على ان المراد هو الترتيب لان الواجب ههنا شرع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله
منه والتخيير ينافي التغليظ واجيب بان اخراج المثل ليس اقوى عقوبة من اخراج الطعام فالتخيير لا يقدح في القدر
الحاصل من العقوبة في ايجاب المثل قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء اخرج المثل
وان شاء قوم المثل دراهم ويشتري بها طعاما فان شاء صام واما الصيد الذي لا مثل له فهو مخير بين شيئين بين
ان يقوم الصيد الذي له مثل انما يشتري الطعام بقيمة مثله وقال ابو حنيفة ومالك انما يشتري الطعام بقيمته
حجة الشافعي ان المثل من النعم هو الجزاء والطعام بناء عليه فيعدل به كما عدل الصوم بالطعام وانما يقوم مثل
الصيد اذا دخل في الضبط من تقويم نفس الصيد حجة ابي حنيفة ان مثل المتلف اذا وجب اعتبر بالمتلف لا بغيره انما اعتبر المثل
انما وجب مثلا للمتلف فوجب ان يقدر به واكثر الفقهاء انه يقوم في المكان الذي قتل الصيد فيه وقال الشعبي يقوم بمكة
لانه يكفر بها وقال الشافعي يطعم بمكة ولا يجزئ الاطعام والصوم يجزئ في اي موضع قوله او عدل ذلك صياما عدل الشيء
ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وصياما تمييز العدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في تعيين احد هذه الثلثة
الى قاتل الصيد لان ايجاب هذه الثلثة على قاتل الصيد فوجب ان يكون هو مخيرا فيما بينها شاء وقال محمد بن الحسن الخيار
الى الحكمين لانه تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم هديا وكذا وكذا والجواب ان تأويل الاية فجزاء مثل ما قتل من النعم او
كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما واما الذي يحكم به ذوا عدل فهو تعيين المثل اما في الخلقة او القيمة وقال
الشافعي يصوم لكل مد يوما وقال ابو حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما والاصل في هذه المسئلة توافقهما في تعديل الصوم

بطعام اليوم

بطعام اليوم وطعام اليوم عندنا الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف الصاع قوله ليذوق متعلق
بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي
ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل
على المعدة فلا يستمري وبالا لانه تعالى خيره بين ثلاثة اشياء منها ما يوجب تنقيص المال وهو ثقيل على الطبع وهما الجزاء
بالمثل او الاطعام والثالث يوجب ايلام البدن وهو الصوم وذلك ايضا ثقيل على الطبع والمعنى انه تعالى اوجب على
قاتل الصيد احد هذه الاشياء التي كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحترز من قتل الصيد في الحرم وفي حال الاحرام
قوله عفا الله عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما او لم يوجب
الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه في الاخرة قوله فينتقم الله خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو
ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ويحتمل من يؤمن بربه فلا يخاف وقيل عفا الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء
الجزاء والكفارة ومن عاد اليه مرة ثانية فلا كفارة لجرمه بل ينتقم الله منه لانه اعظم من ان يكفره التصدق بالجزاء وذلك
لان العاكف فهو لم ينتقم الله منه فالجزاء الحرم الكافي فالانتقام كان في هذا الذنب فيمنع وجوب شيء آخر قوله
تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي
اليه تحشرون ● احلت لكم صيدات البحر في الاحرام وغيره وصيدات البحر على ثلثة اجناس الحيتان وجميع انواعها
حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وما سوى هذين فيه قولان احدهما انه حلال وهو قول ابن ابي ليلى والاكثرين
وقد تمسكوا بهذه الاية وثانيهما انه حرام وهو مذهب ابي حنيفة وقيل كل ما كان مثله في البر حلالا فهو حلال في البحر
وما كان مثله في البر حراما فهو حرام في البحر والمراد بالبحر جميع المياه والاكثرون على ان طعامه معطوف على صيد البحر يعني
من صيده وانه احل لكم الاستمتاع بجميع ما يصطاد منه واحل لكم كل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة
وعند ابن ابي ليلى ما يصطاد منه على ان تفسيره الاية عنده احل لكم ان تطعموه وقيل صيد البحر ما صيد بالحيلة حال
حياته وطعامه ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء من غير الحيلة في اخذه وهو قول ابي بكر وعمر وابن عباس وابي
هريرة رضي الله عنهم وقيل صيد البحر هو الطري وطعامه هو المملح لانه لما صار عتيقا سقط عنه اسم الصيد وهو
قول سعيد بن جبير وعكرمة والنخعي وابن المسيب وقتادة قال الشافعي السمكة الطافية يحل اكلها وتكون طعاما
فيحل ولقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته قوله متاعا لكم منصوب لانه مفعول له
احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله
متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لكم تاكلونه
طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقيل متاعا منصوب على المصدر
لانه لما قيل احل لكم كان دليلا على متعتم كما ان قوله حرمت عليكم امهاتكم كان دليلا على انه كتب عليكم ذلك فقال كتاب
الله عليكم قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما والذي لا يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة
وفي البحر اخرى مثل هذا السلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر وقيل صيد البر ما صيد
وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه اصطياده
واختلفوا في الصيد الذي يصيده الحلال هل يحرم على المحرم بكل حال وهو قول عمر وابنه وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير
وطاوس وهو قول فيه على قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان صيد البر يعم ما اصطاده المحرم وما اصطاده
الحلال وقيل ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرط ان لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له وهو قول الشافعي لما روى
ابو داود في سننه عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحم صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه
او يصاد لكم وقيل انه اذا صيد للمحرم بغير اعانته واشارته حل له وهو قول ابي حنيفة لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد
حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل اشرتم هل اعنتم
فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء اوجب الاباحة عند عدم الاشارة والاعانة من غير تفصيل وما قتله المحرم يحل
للحلال عند الشافعي قوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون المقصود منه التهديد ليكون المرء مواظبا على الطاعة
محترزا عن المعصية قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله
غفور رحيم ● ان الله حرم في الاية المتقدمة الاصطياد على المحرم وعلى الداخل في الحرم فبين ان الحرم كما انه سبب
لامن الوحش والطير فكذلك هو سبب لامن الناس من الافات والمخافة وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا
والاخرة قرأ ابن عامر قيما بغير الف ومعناه المبالغة في كونه قائما باصلاح مهمات الناس كقوله دينا قيما والكعبة
بالالف البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما يجيء الصفة كذلك سمي البيت الحرام لانه
حرم فيه ومنع حرمته وفي الحديث مكتوب في اسفل المقام اني انا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والارض
ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتهما بسبعة املاك حنفاء من جاءني زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مذعنا
لي بالربوبية حرمت جسده على النار قياما للناس اي قواما لهم في امر دينهم ودنياهم وصلاحا لمعايشهم ومعادهم
لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم عن سعيد بن جبير من اتى هذا البيت يريد شيئا الله

والآخرة اصابة والشهر الحرام الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل اراد به الاشهر الاربعة الحرم بأمن الناس فيها لان العرب كان يقتل بعضهم بعضا فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على الاسفار والتجارات وصاروا آمنين على انفسهم واموالهم وكانوا يحصلون في الشهر الحرام من الاقوات كفاية السنة وكان الشهر الحرام سببا لقوام معاشهم في الدنيا وسببا لاكتساب الثواب العظيم بسبب اقامة مناسك الحج وهو ايضا سبب لقيام الناس لان الهدي ما يهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه على الفقراء والقلائد فيها وجه ذكرناها ان الناس آمن من البيت في الشهر الحرام لم يتعرض له احد ومن قصده في غير الشهر الحرام ومعه هدي قد قلده او قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له احد حتى ان الواحد من العرب يلقى الهدي مقلدا ويموت من الجوع فلا يتعرض له البتة ولم يتعرض لصاحبها ايضا كل ذلك لان الله تعالى اوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام فكل من قصده او تقرب اليه صار آمنا عن جميع الآفات والمخافات ولما ذكر الله انه جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس ذكر بعده هذه الثلثة وهي الشهر الحرام والهدي والقلائد لان هذه الثلاثة انما صارت سببا لقيام المعيشة لانتسابها الى البيت الحرام وكان ذلك دليلا على عظمة هذا البيت وغاية شرفه ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم قال الامام انه تعالى لما علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وعلم انه لو دامت بهم هذه الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون اليه من منافع المعيشة ولتأدى ذلك الى فنائهم وانقطاعهم بالكلية دبر في ذلك تدبيرا لطيفا وهو انه القى في قلوبهم اعتقادا قويا في تعظيم البيت الحرام وتعظيم مناسكه فصار ذلك سببا لحصول الامن في البلد الحرام وفي الشهر الحرام فحصل الامن في هذا المكان وفي هذا الزمان وقدروا على تحصيل ما يحتاجون اليه في هذا الزمان وفي هذا المكان فاستقامت مصالح معاشهم ومن المعلوم ان هذا التدبير لا يمكن الا اذا كان الله تعالى عالما في الازل بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يعلم ان الشر غالب على طباعهم وان ذلك يفضي بهم الى الفناء وانقطاع النسل وانه لا يمكن دفع هذا الا بهذا الطريق اللطيف وهو القاء تعظيم الكعبة في قلوبهم حتى يصير ذلك سببا لحصول الامن في بعض الامكنة وفي الازمنة فحينئذ تستقيم مصالح معاشهم في ذلك المكان وفي ذلك الزمان وهذا هو بعينه الدليل الذي تمسك به المتكلمون على كونه تعالى عالما فانهم يقولون ان افعاله تعالى محكمة متقنة مطابقة للمصالح وكل من كان كذلك كان عالما ومن المعلوم ان القاء تعظيم الكعبة في قلوب العرب لاجل ان يصير ذلك سببا لحصول الامن في بعض الامكنة وفي بعض الازمنة ليصير ذلك سببا لاقتدارهم على تحصيل مصالح المعيشة فعل في غاية الاحكام والاتقان فيكون ذلك دليلا قاهرا وحجة باهرة على ان صانع العالم سبحانه عالم بجميع المعلومات فلاجرم قال ذلك لتعلموا ان ذلك التدبير اللطيف لاجل ان تتفكروا فيه فتعلموا انه تدبير لطيف وفعل محكم متقن فتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ثم اذا عرفتم ذلك عرفتم ان علمه سبحانه صفة حقيقية ازلية واجبة الوجود وما كان كذلك امتنع ان يكون مختصا ببعض دون البعض فوجب كونه متعلقا بجميع المعلومات واذا كان كذلك كان الله سبحانه عالما بجميع المعلومات فلذلك قال تعالى وان الله بكل شيء عليم فما احسن هذا الترتيب وما احسن هذا التعريف الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قوله اعلموا ان الله شديد العقاب لما ذكر انواع رحمته لعباده ذكر بعده انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بالرجاء والخوف ثم ذكر عقيبه ما يدل على الرحمة وهو كونه غفورا رحيما وهذا يدل على ان جانب الرحمة اغلب لانه تعالى ذكر فيما قبل انواع رحمته وكرمه ثم ذكر انه شديد العقاب ثم ذكر عقيبه وصفين من اوصاف الرحمة وهو كونه غفورا رحيما وهذا تنبيه على ان الخلق والايجاد لاجل الرحمة وشدة العقاب لاجل اتمام الرحمة

قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ● لما تقدم الترهيب على الترغيب اتبعه بذكر ما على الرسول يعني ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن العهدة وبقي الامر من جانبكم وانا عالم بما تبدون وما تكتمون من افعالكم فان عصيتم فاعلموا ان الله شديد العقاب وان اطعتم فاعلموا ان الله غفور رحيم

قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون ● لما زجرهم عن المعصية بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب ورغب في الطاعة بقوله وان الله غفور رحيم اتبعه بما على الرسول من التبليغ ثم اتبعه بنوع آخر من الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب والخبيث والطيب قسمان احدهما الذي يكون جسمانيا وهو ظاهر لكل احد وثانيهما الذي يكون روحانيا واخبث الخبائث الروحانية الشرك والجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله وطاعته وذلك لان الجسم الذي يلتصق به شيء من النجاسات يصير مستقذرا عند ارباب الطباع السليمة فكذلك الارواح الموصوفة بالجهل بالله والشرك به والاعراض عن طاعة الله تصير مستقذرة عند الارواح الكاملة المقدسة واما الارواح العارفة بالله المواظبة على خدمة الله فانها تصير مشرقة بانوار المعارف الالهية مبتهجة بالقرب من الارواح المقدسة الطاهرة وكما ان الخبيث والطيب لا يستويان في العالم الجسماني فكذلك لا يستويان في العالم الروحاني

[illegible]

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم [illegible]

[illegible]

رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مرتين او ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقال آخر فقال يا رسول الله اين ابي قال في النار ولما اشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقبل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبك نبيا وبالقرآن اماما انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم واعلم ان السؤال على قسمين احدهما السؤال عن الاشياء ربما تؤدي الى ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وربما ترتب عليه تكاليف شاقة فالاولى بالعاقل ان يسكت عما لا تكليف عليه فيه الا ترى ان الذي سأل عن ابيه فان لم يأمن ان يلحقه الرسول عليه السلام بغير ابيه فيفتضح وان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من كان سببا لتحريم حلال وان الذي سأل عن الحج لم يؤمن ان يقول في الحج ليجاب في كل عام وقيل نزلت هذه الآية حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الآية بعده ما جعل الله من بحيرة الآية وقيل السؤال على قسمين احدهما السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وثانيهما السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهاهنا يجب السؤال وهو المراد بقوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم فان قلت قوله وان تسألوا عنها هذا الضمير عائد الى الاشياء المذكورة في قوله لا تسألوا عن اشياء فكيف يعقل في اشياء باعيانها ان يكون السؤال ممنوعا وجائزا اجيب عنه باعتبار وقتين فانه جاز ان يكون ممنوعا قبل نزول القرآن بها ومأمورا به بعد نزولها وقيل معنى قوله ان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها قوله عفا الله عنها اي عما سلف من مسألتكم واغضابكم للرسول فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يغضب عليكم وهذا اشارة لقوله عفا الله عنها الاما قال صاحب الكشاف ولا تبعا لكم بما يفرط منكم يعفو به فان قوله عفا الله بتأتيه قوله قد سألها قوم وهو قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فصار ذلك وبالا عليهم وبنو اسرائيل قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه فسألوا ثم كفروا وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها وكأنه تعالى يقول اولئك سألوا فلما اعطاهم سؤلهم ساءهم ذلك فلا تسألوا اشياء فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها اجيب بان الضمير في سألها ليس براجع الى الاشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين والحاصل في قوله عنها الضمير راجع الى المفعول به فيجب تعديته بعن وفي قوله قد سألها راجع الى المصدر فلا يتعدى به بل بنفسه

قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ● انه تعالى لما منع المؤمنين من السؤال عن اشياء ابتدأهم لسؤلهم منعهم من التزام امور ما كلفوا التزامها كما كان الكفار يحرمون على انفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات التي خلقها لينتفعوا بها بين ان ذلك باطل فقوله ما جعل الله اي ما شرع الله وما امر بالتبحير والتسييب اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ذبحها وركوبها فلا يجز وبرها ولا تحمل ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي من الاعياء لم يركبها واسمها البحيرة والسائبة فاعلة من ساب اذا جرى على وجهه يقال ساب الماء

فسائبة الحمية وسيبت الدابة تركتها تسيب حيث شاءت والسائبة الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه
وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل هي
البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت
فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة فتسمى البحيرة وهي بمنزلة امها والجمع سيب مثل نائمة
ونوم وقيل السائبة التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة
وهم خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث
والوصيلة اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا
الذكر والانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر والانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وقيل هي الشاة
تلد سبعة ابطن عناقين عناقين فان ولدت في الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم وان ولدت جديا وعناقا قالوا وصلت اخاها
فلا يذبحون اخاها من اجلها ولا تشرب لبنها النساء وكان للرجال وجرت مجرى السائبة والحام من حمى يحمي اي حفظ الفحل
اذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى وقيل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن فقالوا قد
حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ولكن الذين كفروا بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم
اي الجهال الذين يقلدون اكابرهم الذين يفترون على الله الكذب لا يعقلون قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ● الواو في قوله اولو كان
آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
والمعنى ان الاقتداء انما يجوز بالعالم المهتدي وانما يعرف انه عالم مهتد بالحجة والدليل فاذا لم يكن الحجة لم يجز الاقتداء به
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون ● لما بين انواع التكاليف ثم قال ما على الرسول الا البلاغ ثم حكى عنهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فكانه تعالى قال ان هؤلاء الجهال لم ينتفعوا بشيء مما تقدم من الانذار والتهديد والوعد
والوعيد والترغيب والترهيب بل بقوا مصرين على جهالتهم مجدين على ضلالتهم فلا تبالوا ايها المؤمنون بضلالهم
وجهالتهم بل كونوا منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه فلا يضركم من ضل اذا اهتديتم عليكم من اسماء
الافعال ليتعدون بها الى المفعول ويقيمونها مقام الفعل وينصبون بها اي احفظوا انفسكم من ملابسة المعاصي والاصرار
على الذنوب والزموا اصلاح انفسكم قوله لا يضركم مرفوع على انه خبر او مجزوم على انه جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم مرفوع على انه خبر او مجزوم على انه جواب [illegible]
هنا من ضاره يضوره قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبل من اهل الكتاب الجزية من بعض الكفار دون بعض نزلت هذه
الاية لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الحق وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار في كفرهم وضلالهم فقيل
لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم ضلال الضالين قيل ظاهر هذه الاية يوهم
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غير واجب وقيل ان الاية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يكون مؤاخذا
بذنوب العاصي واما وجوب الامر بالمعروف فثابت بالدلائل خطب الصديق رضي الله عنه يوما فقال انكم تقرؤون
هذه الاية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم وتضعونها غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا راوا المنكر ولم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بالعقاب وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال في قوله تعالى عليكم انفسكم
انفسكم هذا في آخر الزمان وقيل هذه اوكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه قال عليكم انفسكم يعني
عليكم اهل دينكم لا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم يعني اهل دينكم فقوله عليكم انفسكم
بان يعظ بعضكم بعضا ويرغب بعضكم بعضا في الخيرات وينفره عن القبائح والسيئات والذي يؤكد ذلك ما بينا
ان قوله عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم وكان ذلك امرا بان يحفظ انفسنا فاذا لم يمكن ذلك الحفظ الا
بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك واجبا وقيل ان الاية مخصوصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون
الكفر بسبب الامر بالمعروف فها هنا لا يجب على الانسان ان يامرهم بالمعروف والذي يؤكد هذا القول ما ذكر في سبب
النزول ان الاية نازلة في المنافقين من حيث انهم عيروا المسلمين باخذ الجزية من اهل الكتاب دون المشركين وقيل لا يضركم
اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ضلال من ضل فلم يقبل ذلك وقيل عليكم انفسكم في ذلك الوقت التي من حقها
الامر بالمعروف عند القدرة فان لم يقبلوا ذلك فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم فلا يضركم ضلال غيركم قوله الى الله مرجعكم
اي مصيركم ومصير من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون يجازيكم باعمالكم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت
تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن
الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ● نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر خرجوا من المدينة الى الشام
[illegible] تميم بن اوس الداري وهما نصرانيان وبديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام

مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدي وامرهما
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات بديل ففتشا متاعه فاخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال من فضة
مموها بالذهب فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا وقدما المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوا فاصابوا الصحيفة
فيها تسمية ما كان معه وفيها الاناء فجاؤا تميما وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا هل اتجر تجارة
قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه قالا لا قالوا فانا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما معه وانا فقدنا منها اناء من فضة
قالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الاية شهادة بينكم اي شهادة ما بينكم وتجنيبهم كما بين التنازع ان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع
وقد حذف ما من قوله لما بينكم لظهوره ونظيره قوله هذا فراق بيني وبينك اي ما بيني وبينك قوله اذا حضر احدكم الموت
يعني الشهادة المحتاج اليها عند حضور الموت وحين الوصية بدل عليه قوله اذا حضر احدكم الموت لان زمان حضور الموت
هو زمان الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الامرين الواقعين فيه والمراد فيه والمراد بحضور الموت مشارفته
وحضور امارات وقوعه كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا قيل اذا حضر احدكم الموت حين الوصية دليل على وجوب
الوصية لانه تعالى بين ان حضور الموت غير زمان الوصية وهذا لا يكون الا اذا كان متلازمين وانما يحصل هذا التلازم
عند وجوب الوصية قوله اثنان ذوا عدل رفع على انه خبر المبتدأ الذي هو شهادة بينكم شهادة اثنين وعلى انه فاعل شهادة
بينكم على معنى فيما فرض عليكم اي يشهد اثنان ذوا عدل منكم من اهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين وقيل منكم اي
من اقاربكم من جهة الموصي قيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الله تعالى تاكيد الامر [illegible]
الوصي شيئين يدل على هذا قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ولا يلزم الشاهدين ولان الاية نزلت في [illegible]
وعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور او آخران من غيركم قيل معناه من غير اهل دينكم وملتكم اي من اهل الذمة اذا لم يوجد
مسلمين فيشهد كافرين قال شريح اذا كان الرجل بارض غربة ولم يجد مسلما يشهد على وصيته فليشهد يهوديا او نصرانيا
او مجوسيا او عابد وثن او كافرا كان فشهادتهم جائزة ولا يجوز شهادة الكافرين على المسلمين الا في سفر ولا يجوز في سفر
الا في وصية فان جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما اجيزت شهادة المسلمين وابطلت شهادة الكافرين وقيل
معناه من غير حيكم وعشيرتكم لانه لا يجوز شهادة كافر على مسلم لا في حضر ولا في سفر يعني ان يشهد اثنان ذوا عدل من اقاربكم
او ذوا عدل من اقاربكم اذ ذوا عدل او آخران من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني اذا وقع
الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم
الميت وبما هو اصلح فهم له انصح قوله ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت
الشهادة [illegible] فان ارتاب بعض الورثة فاتهموهما في ذلك وادعوا عليهما خيانة فان الحكم حينئذ ان تحبس
من بعد الصلاة قال ابن عباس هذا صلة قوله او آخران من غيركم اي من الكفار واما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما قال
الشعبي وسعيد بن جبير وقتادة يعني صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر وفي حديث بديل
لما نزلت صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا بالله انه لم يوجد عندهما
خيانة في هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما وكتما الاناء ثم ظهر فيه وجد بمكة وقيل لما طالت
المدة ظهر الاناء قوله ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما
وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه
انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم يعني لا نستبدل بالقسم بالله كاذبين على عوض ناخذه عليه
او مال يذهب به او حق يجحده ولو كان المقسم له ذا قرابة منا [illegible]
بحيث قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة الله التي امرنا
الله بحفظها وتعظيمها انا اذا اي انا ان فعلنا ذلك لمن الآثمين [illegible] فان قلت ما موقع تحبسونهما
قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما
قوله فان عثر اي اطلع وظهر واصل العثور الوقوع والسقوط على الشيء ثم استعمل في [illegible]
على انهما اي الوصيين استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما [illegible] بايمانهما الكاذبة وخيانتهما
له فشاهدان آخران يقومان مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
قيل لما نزلت الاية [illegible] فقالوا [illegible]
لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر فكتمنا فرفعوا القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فان عثر فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى
اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعدما اسلم صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله تعالى قوله الاوليان
بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاع الاوليان على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هما الاوليان كانه قيل ومن هما
فقيل الاوليان [illegible] بدل من الضمير في يقومان [illegible]
ويجوز ان يرتفع الاوليان بقوله استحق [illegible] المضاف لان الواجب على اهل الميت [illegible]
من بينهم شخصين من اقارب الميت موصوفين بالاولوية من غيرهم لاطلاعهم على حقيقة الحال [illegible]

لوجهين الاول ان معنى الاوليان معنى الاوليان الاقربان الى الميت الثاني ان يكون المعنى الاوليان باليمين وكسبت
فيه ان الوصيين ادعيا ان الميت باع الانية فانتقل اليمين الى موالي الميت لان الوصيين قد ادعيا ان مورثهما باع الاناء
وهما انكرا ذلك فكان اليمين حقا لهما وهذا كما ان انسانا اقر لاخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى
الاداء لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه قرا حمزة وعاصم في رواية ابي بكر الاولين على الجمع وهو نعت الذين استحق عليهم
مجرورا او منصوب على المدح ومعنى الاولين المتقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرا حفص وحده استحق
بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام
بالشهادة قوله فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني يميننا احق من يمينهما نظيره قوله تعالى فشهادة احدهم اربع
شهادات في قصة اللعان وهذا كقول القائل اشهد بالله اي اقسم بالله وما اعتدينا في يميننا وفي طلب هذا المال
منهم وفي نسبتهم الى الخيانة انا اذا لمن الظالمين قوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ● ذلك الذي تقدم ذكره من بيان الحكم
ادنى ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها اي على ما كانت عليه او يخافوا اي واقرب الى ان يخافوا ان
ترد ايمان الى ان تكرر ايمان شهود اخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل فاتقوا الله ان تحلفوا
كاذبين او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة سمع اجابة وقبول قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ● عادة الله جارية في القران العزيز بانه اذا ذكر انواعا كثيرة من الشرايع والتكاليف
والاحكام اتبعها اما بالالهيات واما بشرح احوال الانبياء واما بشرح احوال القيامة ليصير ذلك موكدا لما تقدم ذكره
من التكاليف والاحكام فلما ذكر انواعا كثيرة من الشرايع اتبعها بوصف احوال القيامة اولا ثم بذكر احوال عيسى فاما
وصف احوال القيامة فهو قوله يوم يجمع الله الرسل فقوله يوم بدل من المفعول المنصوب في قوله واتقوا الله وهو بدل
الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما تفعل
بغيرهم او منصوب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وقوله ماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على
معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة سؤالهم توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد
فان قيل فكيف يقولون لا علم لنا وقد علم الرسل بم اجيبوا اجيب بانهم يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون
الامر الى علمه تعالى واحاطته بما منوا به وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجاء الى ربهم في الانتقام منهم وذلك
اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائهم عليهم
ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على
الانتصار له منه فجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم
بما فعل بي تفويضا للامر الى علم السلطان واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل ان للقيامة
زلازل واهوالا فالرسل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم
بالشهادة على اممهم وقيل انما قالوا لا علم لنا لان الاجر والثواب انما يحصل على الخاتمة وذلك غير معلوم لنا
وقيل ما حصل عند كل احد من حال الغير انما هو الظن لا العلم ولذلك قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر فالرسل قالوا لا علم
لنا الا علما الحاصل عندنا من احوالهم الظن والظن كان معتبرا في الدنيا لان الاحكام في الدنيا كانت مبنية على
الظنون اما الاخرة فلا التفات فيها الى الظن لان الاحكام في الاخرة مبنية على حقائق الاشياء وبواطن الامور فلهذا
السبب قالوا لا علم لنا ولم يذكروا ما معهم من الظن لان الظن لا عبرة به في القيمة قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت
بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ● قد تبين ان المقصود من
قوله تعالى للرسل ماذا اجبتم توبيخ المتمردين من اممهم واشد الامم افتقارا الى التوبيخ قوم عيسى لان سائر الامم
كان مقصورا على الرسل وتمرد قوم عيسى تعدى الى جلال الله وكبريائه حيث وصفوه بما لا يليق به عاقل ان يصف الاله
وهو اتخاذ الصاحبة والولد فعدد الله انواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة بعد واحدة لتوبيخ قوم عيسى على
سوء مقالتهم فان كل واحدة من تلك النعم المعدودة على عيسى تدل على انه عبد وليس باله والفائدة من ذكر هذه
في القران تنبيه النصارى الذين كانوا في وقت نزول هذه الاية على قبح مقالتهم وفساد عقيدتهم ويكون العامل
في اذ فعلا مضمرا تقديره اذكر يا محمد اذ قال وقال ههنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه في القيمة ويحتمل ان يكون
اذ بدلا من يوم يجمع وفائدة ايراده بلفظ الماضي التنبيه على قرب القيمة كانها قد قامت وقال الجبائي قد اي اذا قرب
الاتيان قال تعالى اتى امر الله والمعنى انه توبيخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبعد بما اظهره الله على
ايديهم من الايات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم الهة كما قال بنو اسرائيل
فيما اظهر الله على يد عيسى من البينات ان هذا الا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين قوله نعمتي عليك اراد الجمع
كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان المفرد المضاف الى المعرفة يفيد العموم ايدتك قويتك بروح القدس
بالكلام الذي يحيي به الدين واضافه الى القدس اي الطهر لانه سبب الطهر من اوضار الاثام يدل عليه قوله تكلم الناس

وفي المهد

وفي المهد في موضع الحال اي تكلمهم طفلا وكهلا وقيل روح القدس جبرئيل وقوله في المهد وكهلا تكلمهم في
هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد
الذي يستنبأ فيه الانبياء واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل خصهما بالذكر تشريفا كقوله حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى وقوله من النبيين ومنك ومن نوح وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب وقوله
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي
كان يخلقها عيسى ولا ترجع ها في فيها الى هيئة الطير لانها ليست من خلقه ولم ينفخ فيها فتكون اي فيكون مثل هيئة
الطير طيرا باذني قرا نافع طائرا بالالف والباقون طيرا بغير الف وطير يجمع طائر لغة وانه في خلق الطين كهيئة الطير
وفي صيرورته طيرا وانما اعاد قوله باذني تاكيدا لكون ذلك واقعا بقدرة الله وتخليقه لا بقدرة عيسى وتبرئ
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة باذني
يفعل الله ذلك عند دعائك وعند قولك للميت اخرج من قبرك باذن الله وذكر باذني في كل فعل من هذه الافعال ليدل
على ان هذه الافعال من الله تعالى لا من عيسى وقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اي اليهود حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات
التي ذكرت والالف واللام للعهد وبالبينات واللام للاستغراق وروي ان عيسى عليه السلام لما اظهر الله
هذه المعجزات العجيبة على يديه قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم حيث رفعه الى السماء وقوله تعالى ان هذا الا سحر مبين قرا
حمزة والكسائي ساحر بالالف وكذلك في يونس وهود والصف وابن كثير وعاصم في يونس بالالف فقط والباقون
سحر فالساحر اشارة به الى عيسى والسحر الى ما جاء به قوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون ● من قال ان الحواريين كانوا انبياء قال ان الوحي هو الوحي الذي يوحى الى الانبياء ومن
قال انهم ما كانوا انبياء قال ان الوحي هو الالهام كما في قوله واوحينا الى ام موسى وقيل معنى اوحيت الى الحواريين امرتهم
على السنة الرسل وانما ذكر هذا في معرض تعديد النعم لان صيرورة الانسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم
من اعظم نعم الله تعالى عليه وانما قدم الايمان على الاسلام لان الايمان صفة القلب والاسلام الانقياد والخضوع في الظاهر
يعني امنا بقلوبنا واسلمنا بظواهرنا قوله تعالى واذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ● قيل اذ قال منصوب بقوله اوحيت وقيل باذكر مضمرا هل يستطيع
قرا الكسائي هل تستطيع ربك بالتاء ونصب الباء معناه هل تقدر يا عيسى ان تسال ربك والباقون بالياء ورفع
الباء قيل كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم اجيب عنه من وجهين احدهما ان الله تعالى ما وصفهم
بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فاذن ادعاؤهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقولهم
هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله من مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا
في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها
وثانيهما ان قولهم هل يستطيع ربك لا يدل على انهم شكوا في استطاعة الله وهذا كما يقول الانسان لصاحبه هل تستطيع
ان تقوم معي وهو يعلم انه مستطيع ولكنه يريد هل تفعل مختارا ان تفعل او هل تفعل ذلك بمسئلتي اياه وهذا الوجه هو
الصحيح لانه لا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهو
من ماده اذا اعطاه واطعمه كانها تميد اي تعطي من تقدم اليها قال عيسى اتقوا الله ان تسالوه شيئا لم يسالها الامم قبلكم وقيل
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فلا تشكوا في قدرة الله وقيل اتقوا الله ليتضمن تقواكم وسيلة الحصول لهذا المطلوب
كما قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قوله تعالى قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن
قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ● كانهم لما طلبوا نزول المائدة من السماء قال عيسى انه قد
تقدمت معجزات كثيرة فاتقوا الله في طلب هذه المعجزة بعد تقدم تلك المعجزات القاهرة فاجابوا وقالوا انا لا نطلب هذه
المائدة لمجرد ان تكون معجزة بل لمجموع امور كثيرة احدها انا نريد ان ناكل منها فان الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاما اخر وثانيها
انا وان علمنا قدرة الله بالدليل ولكنا اذا شاهدنا نزول هذه المائدة تطمئن قلوبنا وثالثها نعلم ان قد صدقتنا
بانك رسول الله ورابعها نكون عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة ونكون عليها
من الشاهدين اذا رجعنا اليهم اي نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل قوله تعالى قال عيسى ابن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين ● اللهم
نداء ربنا نداء ثان تكون صفة للمائدة وليس بجواب للامر اي تكون يوم نزولها عيدا فيكون عيدا الى المائدة
والاصل تكون يوم نزولها عيدا فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه استتر في تكون ضمير المائدة فان قيل معناه
نتخذ اليوم الذي انزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقيل نصلي فيه قال الخليل العيد كل يوم مجمع كانهم عادوا
اليه وقيل سمي عيدا للعود الى المرح والفرح وهو يوم سرور الخلق كلهم الا ترى الى المسجونين في ذلك اليوم لا يطالبون
ولا يعاقبون ولا يصطاد الوحوش والطيور ولا ينفذ الصبيان الى المكاتب وقيل سمي عيدا لان كل انسان يعود الى قدر
منزلته الا ترى كيف تختلف ملابسهم وهياتهم وماكلهم فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ومنهم من يرحم ومنهم من يرحم
وقال بعضهم سمي بذلك لانه يوم شريف فاضل تشبيها بالعيد وهو فحل نجيب كريم مشهور عند العرب وينسبون اليه
فيقولون العيدية وقيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد وكذلك يقال يوم عيد فكان معناه

يكون لنا سرورا وفرحا وقوله لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا
وعن ابن عباس يعني ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقتدين والاتباع وآية منك دلالة وحجة لاهل
النظر في الاستدلال على توحيدك وصحة نبوة رسولك وارزقنا طعاما ناكله وانت خير الرازقين قوله تعالى
قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قرا ابن عامر وعاصم ونافع
منزلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما لغتان وقيل بالتشديد يدل على منزلها مرة بعد مرة وبالتخفيف مرة واحدة
فمن يكفر بعد نزول المائدة فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا لا اعذبه اي لا اعذب مثل ذلك العذاب احدا من العالمين
فروي انه قيل جحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير وقيل يجوز ان يكون ذلك العذاب معجلا
لهم في الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا في الآخرة وعن الحسن ومجاهد ما نزلت المائدة وعن مجاهد هذا مثل ضرب وعن الحسن
ان القوم لما سمعوا بالشرط وقيل لهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه استغفروا وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل
وقال الجمهور انما نزلت لقوله عز وجل اني منزلها عليكم ولا يقع في خبره الخلف وروي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء
لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
مثلة وعقوبة فقال لهم عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون
راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال عيسى ليس منهما
ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون لو
اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال عليه السلام يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعد ذلك فمسخوا قردة وخنازير قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أانت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ● واذ قال معطوف على قوله واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي أانت استفهام على سبيل الانكار ذكره توبيخا للنصارى وتقريعا لهم سبحانك من ان يكون لك شريك
ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله اي ما جبلتني على ان اقول مثل هذا لانه ليس لي ان اقوله
الحكم شرع في بيان انه لم يقع هذا القول منه ولم يقل ما قلته لانه لجري مجرى الطهارة والنزاهة والمقام مقام
الخضوع ولم يقل ما قلته لانه كذب بل فوض ذلك الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته وهذا مبالغة في الادب
واظهار الذلة في حضرة رب العزة وتفويض الامور بالكلية اليه تعلم ما في نفسي عن ابن عباس تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم
وقيل تعلم ما كان مني في الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في الآخرة وقيل تعلم ما اريد ولا اعلم ما تريد وقيل تعلم سري ولا اعلم
سرك لان السر موضعه النفس وقيل تعلم جميع ما اعلمه ولا اعلم لان النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته وملكه
وقيل تعلم ما في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام
وتبيينه تعليل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من الغيوب
ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ● قال صاحب الكشاف ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة
لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام
من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى
ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية
موصولة بالفعل اي بقول اعبدوا لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي
يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك
اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
بغير راجع اليه من صلته لان المبدل منه في حكم الساقط فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان القول
وهو الامر لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم
ويجوز ان يكون ان مصدرية موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وقوله لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه غير
سديد لانه قال في المفصل لا يجب ذلك الا ترى انك تقول زيد رأيت غلامه رجلا صالحا اذ لو جعلت الرجل الصالح بدلا من غلامه
لم يصح انه لا يقوم مقامه لانك لو قلت زيد رأيت رجلا صالحا كان فاسدا لعدم الراجع الى المبتدأ سلمنا لكن يجوز ان
يكون بدلا من امرتني به وكيف يصح ان يقوم مقامه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان ان
لا يقال قلت الاسلام ان العبادة لا تقال فانه يصح ان يقال معناه ما قلت لهم الا عبادته بالنصب اي الزموا عبادته ويكون هو المراد

[illegible]

الشرك اجيب انه على الوجه الذي فسرنا يندفع هذا السؤال وانه يجوز من الله تعالى ان يدخل الكفار الجنة وان يدخل الزهاد
والعباد النار لان الملك في ملكه ولا اعتراض لاحد عليه والمقصود من ذكر عيسى عليه السلام تفويض الامر الى الله تعالى يعني انت قادر على ما تريد
حكيم في كل ما تفعله لا اعتراض لاحد عليك قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ● قرأ نافع بالنصب على انه ظرف لقال
واخبر وقوله مبتدأ معناه هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز فتحا لقوله يوم لا يملك لانه
مضاف الى متمكن وقوله لهم جنات لما اخبر انه ينفع الصادقين صدقهم بين كيفية ذلك النفع قال الامام رضي الله عنه
ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم اشارة الى النعيم هذا على قول المتكلمين وعند اصحاب الارواح المشرقة بانوار جلال الله
تحت قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه اسرار عجيبة لا تسمح الاوراق بمثلها جعلنا الله من اهلها قوله ذلك اشارة الى جميع
ما تقدم من قوله لهم جنات الى قوله ورضوا عنه قوله لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير قيل
انه جواب عن سؤال مقدر كانه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والارض وما فيهن
قوله تعالى وما فيهن تغليبا لغير العقلاء على العقلاء تنبيها على ان كل المخلوقات مسخر في قبضة قدرته وهم في ذلك كالجماد

سورة الانعام

هي مكية في قول الاكثرين وعن ابن عباس هي مكية كلها الا آيتين منها نزلت بالمدينة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وقوله
تعالى وهو الذي انشأ جنات معروشات وقيل مكية الا ست آيات نزلت بالمدينة قوله وما قدروا الله الى آخر ثلاث آيات
وقوله قل تعالوا الى آخر ثلث آيات وباقي السورة كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد سدوا
ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها
من ليلتهم وهي مائة وخمس وستون آية كلها حجاج على المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذه
تقتضي انزالها جملة واحدة لانها في معنى واحد وانضم الى ذلك وجوه كثيرة وعليها بني اصول الدين اذ فيها آيات
تدل على القدرية قال الاصوليون هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة احدهما انها نزلت دفعة واحدة والثاني
انها شيعها سبعون الفا من الملائكة والسبب فيها انها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال
مذاهب المبطلين والملحدين وذلك يدل على ان علم الاصول في غاية الجلالة والرفعة وايضا فانزال ما يدل على الاحكام
قد تكون المصلحة ان ينزله الله على قدر حاجتهم وبحسب الحوادث والنوازل واما ما يدل على علم الاصول فقد انزله الله تعالى
جملة واحدة وذلك يدل على ان تعلم علم الاصول واجب على الفور لا على التراخي بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
من مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم من ربك قال الذي خلق السموات والارض فكذبوه فانزل الله تعالى
حامدا لنفسه دالا بصنعته على وجوده وتوحيده قال في الفاتحة الحمد لله رب العالمين وفي اول هذه السورة
الحمد لله الذي خلق السموات والارض والاول اعم لان العالم عبارة عن كل ما سوى الله فيدخل فيه كل موجود سوى الله
والارض والظلمات والنور لا يدخل فيه سائر الاشياء فالتحميد في هذه السورة كانه قسم من الاقسام الداخلة تحت التحميد

المذكور في سورة الفاتحة وتفصيل لتلك الجملة جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله وجعل
الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قيل الفرق بين
الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كجعله في ضمن آخر كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا
او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وجعلنا كذا ازواجا اجعل الالهة الها واحدا وقيل الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقد جعل الظلمات
والنور من كتابه وجعلنا كما ازواجا اجعل الالهة الها واحدا وقيل الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال قتادة
خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور قال الحسن وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والايمان وقال قتادة
يعني الجنة والنار وقال السدي يعني ظلمة الليل ونور النهار قال الواقدي كل ما في القران من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا
التي في هذه الآية فانه يريد بها الليل والنهار وقيل جعل هنا صلة والعرب تزيد جعل في الكلام كقول الشاعر
وقد جعلت ارى الاثنين اربعة   والواحد اثنين لما هدني الكبر
قيل انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى
والظلمة لا يتعدى وقال صاحب الكشاف افرد النور لقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة
لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار وقوله ثم الذين
كفروا قيل هو معطوف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به
يعدلون فيكفرون نعمته فيكون قوله يعدلون من العدول والباء في قوله بربهم صلة كفروا لا انه يعدلون بل طرفي الكلام
انما يحسن اذا قيل الحمد لله ثم الذين كفروا به يعدلون عنه فيكفرون نعمته كانه قيل الحمد حقه والذين كفروا بالجحود وقيل
معطوف على قوله تعالى خلق السموات والارض على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم الذين كفروا يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه فيكون قوله يعدلون من العدل وقوله بربهم من الظاهر الموضوع موضع المضمر اي ثم الذين
كفروا يعدلون به لانه لا بد في المعطوف على الصلة من ضمير يعود الى الموصول كما في المعطوف عليه لان التقابل انما يحسن
على تقدير العطف على خلق لو قيل هو خلق وهم يسوون به من لا يقدر على خلق ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا عنه على
الاول او ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده
ثم انتم تمترون ● قيل يحتمل ان يكون المراد منه ذكر دليل آخر من دلائل اثبات الصانع بيانه انه لما استدل بخلق
السموات والارض وتعاقب الظلمات والنور على وجود الصانع الحكيم اتبعه بالاستدلال بخلقه على اثبات هذا المطلوب
فقال هو الذي خلقكم من طين والمشهور ان المراد منه انه تعالى خلقهم من آدم وآدم كان مخلوقا من الطين فلهذا السبب
قال هو الذي خلقكم من طين وقيل ان الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما يتولدان من الدم والدم متولد من
الاغذية اما حيوانية واما نباتية فان كانت حيوانية كان الحال في تولد ذلك الحيوان كالحال في تولد الانسان فبقي ان يكون
نباتية فثبت ان الانسان من الاغذية النباتية من الطين فثبت ان كل انسان متولد من الطين وتولد المني بهذا
الطريق المذكور من الطين ثم تولد من المني انواع الاعضاء المختلفة في الصورة واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد
وانواع الاعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها وتولد الصفات المختلفة في المادة
المتشابهة لا يمكن الا بتقدير القدير الحكيم وتدبير العليم الرحيم وذلك هو المطلوب وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ذكر
الدليل الدال على صحة المعاد وصحة الحشر والنشر بيانه انه لما ثبت ان خلق بدن الانسان انما يحصل الا بالفاعل المختار
الحكيم القادر العليم الرحيم خلقه هذه الاعضاء على هذه الصفات المختلفة بحكمته وبقدرته وتلك القدرة والحكمة
باقية بعد الموت فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وهذا يدل على صحة القول بالمعاد والحق انه اريد بهما قوله
ثم قضى اجلا القضاء قد يراد به الحكم والامر قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وقد يراد به الخبر والاعلام قال
تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقد يراد به الفعل اذا تم قال تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين ومنه قولهم قضى
فلان حاجته واما الاجل فهو عبارة عن الوقت المضروب لانقضاء المدة واجل الانسان هو الوقت المضروب
لانقضاء عمره واجل الدين محله لانقضاء التاخير فيه واصله من التاخير يقال اجل الشيء ياجل اجولا وهو اجل اذا تاخر
والاجل نقيض العاجل فمعنى قضى اجلا انه تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته
بايقاع ذلك الموت في ذلك الوقت قوله واجل مسمى يدل على حصول اجلين لكل انسان قيل قضى اجلا اي اجل الماضين
من الخلق واجل مسمى اي اجل الباقين وخص الاجل الثاني بكونه مسمى عنده لان الماضين لما ماتوا صارت آجالهم
معلومة اما الباقون منهم فبعد لم يموتوا فلم تصر آجالهم معلومة فلهذا المعنى قال واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني فهو ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت
قوله مسمى عنده اي معلوم عنده او مذكور اسمه في اللوح المحفوظ وقوله واجل مسمى مبتدا وقوله عنده خبر
لما تخصص المبتدا بالصفة قارب المعرفة فجاز تاخير الخبر قال صاحب الكشاف فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي
ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما
لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم قوله ثم انتم تمترون تشكون في صحة التوحيد والبعث
قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ● ولما كانت الآيات
المتقدمتان تدلان على كمال القدرة وهذه الآية تدل على كمال العلم وحينئذ يكمل العلم بالصفات المعتبرة في الالهية

والمقصود

والمقصود من هذه الآية بيان الدلالة على صحة المعاد لان منكري المعاد انما انكروه لامرين احدهما انهم يعتقدون
ان المؤثر في حدوث بدن الانسان امتزاج الطبائع وينكرون ان يكون المؤثر فيه قادرا مختارا والثاني انهم يسلمون
ذلك الا انهم يقولون انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكن تمييز المطيع عن العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو ثم انه تعالى
اثبت بالآيتين المتقدمتين كونه تعالى قادرا مختارا لا علة موجبة واثبت بهذه الآية كونه تعالى عالما بجميع المعلومات وحينئذ
يبطل جميع الشبهات التي عليها مدار القول بانكار المعاد وصحة الحشر والنشر في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه
قيل وهو المعبود في السموات والارض ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي معبود وقيل هو المعروف
بالالهية في السموات والارض وقيل هو الذي يقال له الله في السموات وفي الارض لا يشرك به في هذا الاسم وقيل وهو الله في
تدبير السموات والارض وقيل ان قوله وهو الله كلام تام ثم ابتدا في السموات والارض يعلم سركم وجهركم والمعنى انه تعالى في
السموات يعلم سر الملائكة وفي الارض يعلم سر الانس والجن وقيل الكلام على التقديم والتاخير والتقدير وهو الله يعلم
ما في السموات والارض سركم وجهركم اراد تعالى التوحيد بالالهية كان قوله يعلم سركم وجهركم تقرير الآية لان الذي استوى
في علمه السر والجهر هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم
سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب قوله تعالى وما تاتيهم
من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون ● من
في قوله من آية للاستغراق وفي آيات للتبعيض جعل الله عز شانه احوال هؤلاء الكفار ثلثا الاولى انه ما يظهر آية من الآيات
التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا
لقلة خوفهم وتدبرهم العواقب الثانية كونهم مكذبين بها قوله فقد كذبوا متعلق بشرط محذوف كانه قيل ان كانوا
معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القران الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة
فعجزوا عنه وهذه المرتبة ازيد من الاولى لان المعرض عن الشيء قد لا يكون مكذبا بل يكون غافلا عنه غير متعرض له فاذا
صار مكذبا به فقد زاد على الاعراض الثالثة كونهم مستهزئين بها وهذه المرتبة ازيد من الثانية لان المكذب بالشيء قد
لا يبلغ تكذيبه الى حد الاستهزاء به فاذا بلغ الى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في الانكار فبين الله تعالى ان اولئك
الكفار وصلوا الى هذه المراتب الثلث على هذا الترتيب قيل الحق في قوله فقد كذبوا بالحق القران وقيل محمد عليه الصلاة
والسلام وقيل الشرع وقيل الاحكام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الوعد والوعيد الذي رغبهم به
ويحذرهم بشبهة اخرى وقيل المعجزات وقال ابن مسعود انشق القمر بمكة وانفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة
والاولى دخول الكل فيه فسوف ياتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء
استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا ويوم القيمة او عند ظهور الاسلام
وعلو كلمته قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء
عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين ● لما نبههم
عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد اتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في الباب وعظم
بالقياس القرون الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم القرن اهل زمان وهم القوم
المقترنون فيه زمان من الدهر والمدة التي يجتمع فيها قوم ثم يفترقون بالموت قرن لانه الذين ياتون بعدهم قوم آخرين ولقوله
عليه صلى الله عليه وسلم خيركم قرني واشتقاقه من الاقتران ولما كان اعمار الناس في الاكثر الستون والسبعون
والثمانون لاجرم قال بعضهم القرن هو الستون وقال آخرون هو السبعون وقال قوم هو الثمانون وقال الازهري لا يتحدد
بزمان معين لا يقع فيه زيادة ولا نقصان بل المراد اهل كل عصر فاذا انقضى منهم الاكثر قيل قد انقضى القرن ووصف الله القرون
الماضية بثلاثة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم يقال مكنه في الارض جعل له مكانا
ونحوه ارض له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض او لم نمكن لهم واما مكن له في الارض فمعناه اثبته فيها قوله تعالى ولقد
مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي اعطيناهم ما لم نعطكم
من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا عن ابن عباس مهلناهم في العمر والاجسام
والاولاد مثل قوم نوح وعاد وثمود الصفة الثانية قوله وارسلنا السماء اي المطر تسمية للشيء باسم سببه مدرارا غزيرة
كثيرة والمدرار يصح ان يكون نعتا للمطر كما في الآية ويجوز ان يكون نعتا للسحاب يقال مطر مدرار
اذا تتابع مطره وسحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال يجيء في نعت يراد المبالغة فيه قال مقاتل مدرارا متتابعة مرة
بعد اخرى ويستوي فيه المذكر والمؤنث الصفة الثالثة قوله وجعلنا الانهار تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين
والمقصود من هذه الاوصاف انهم وجدوا من منافع الدنيا ما لم يجد اهل مكة ثم جرى عليهم ما سمعتم وهذا المعنى يوجب
الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة والفائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم الدلالة على انه لا يتعاظمه
ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها قوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ● المتمردون نقول دعوة
الانبياء تارة يمردهم بسبب توغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتها وقد اشار اليهم في الآية المتقدمة فبين ان الدنيا
فانية والسعادة باقية وتارة بسبب حملهم معجزات الانبياء على السحر وفي هذه الآية اشارة اليه فقوله كتابا اي مكتوبا

فقرطاس ملموس بايديهم ولم نقتصر على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا يبقى لهم علة لقالوا ان هذا
الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل
ابن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة ملائكة يشهدون عليه انه من عند الله
وانك رسوله قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ● هذا نوع آخر من شبهات منكري النبوة فانهم قالوا لو بعث الله الى الخلق
رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة ليكون علمه اكثر وقدرته اقوى وامتيازه عن البشر اظهر
الشبهة في رسالته اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم فكل ما هو اشد افضاء الى تحصيل المطلوب كان اولى فاجاب الله عن هذه
الشبهة من وجهين احدهما قوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين
اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون لم يكن بد من اهلاكهم
بعذاب الاستيصال فان سنة الله جارية بان عند ظهور الآية الظاهرة الساطعة اذا لم يؤمنوا جاءهم عذاب
الاستيصال الوجه الثاني انه تعالى لو انزل الملك عليهم لزهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون فان الادمي اذا رأى الملك على صورته
البشرية لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو في نفسه بشرا او ملكا وانه لو رآه على صورته الاصلية لزهقت روحه من
ما شاهده قوله ثم لا ينظرون يعني ثم لا يمهلون بعدما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة
الشدة ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل عليه اي على محمد ملك وتارة يقولون
ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا اي في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله
في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة اذا كانوا في صورهم وللبسنا وخلطنا في
قلبهم ما يخلطون ويشبهون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك هو او ادمي فانهم يقولون اذا رأوا الملك في
صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك
لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
ان بعض الاقوام الذين قالوا لولا انزل عليه ملك انما قالوا هذا الكلام على سبيل الاستهزاء وكان يضيق صدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند سماعه فقال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قيل ما يلقى من قومك من الاستهزاء لست تنفرد به بل قد استهزئ برسل من قبلك فحاق بهم فاحاط بهم
الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيثما هلكوا من اجل الاستهزاء به وقيل فحاق اي فنزل وقيل فحل وقيل
وقيل الحيق في اللغة ما يشتمل على الانسان من مكروه وقيل وجب والحيق والحيوق الوجوب قوله تعالى قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ● حذر القوم بهذه الاية وقال للرسول صلى الله عليه وسلم قل لهم
لا تغتروا باعاجيلهم من متاع الدنيا وطيباتها بل سيروا في الارض لتعرفوا صحة ما اخبركم الرسول من نزول العذاب
على الذين كذبوا الرسل في الازمنة السالفة فانكم عند السير في الارض والسفر في البلاد لابد ان تشاهدوا
تلك الاثار فيكمل الاعتبار ويقوى الاستبصار فان قيل ما الفرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلنا الاول
جعل النظر مسببا عن السير كانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وفي الثاني ابيح السير في الارض
للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على هذا الفرق بكلمة ثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ● المقصود من هذه الاية تقرير اثبات الصانع والمعاد والنبوة بيانه ان احوال
العالم العلوي والسفلي يدل على ان جميع هذه الاجسام موصوفة بصفات مع جواز اتصافها باضدادها فاختصاص
كل جسم بصفته المعينة بارادة الصانع القادر الحكيم المختار العالم بما فيه فلا بد ان يكون قادرا على الاعادة لان
التركيب الاول لكونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات دون غيره والعلم يمنع بذلك ما يجوز الاعادة
ويكون ملكا مطاعا آمرا ناهيا مرسلا من يبلغ اوامره ونواهيه الى عباده فهذه الاية وافية باثبات المطالب الثلاثة
قل لمن سؤال التبكيت وقل لله جواب بعد امر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال اولا وبالجواب ثانيا وهذا انما
يحسن في الموضع الذي يكون الجواب قد بلغ في الظهور الى حيث لا يقدر على انكاره منكر ولما كانت آثار الحدوث
ظاهرة على صفحات ما في السموات والارض كان الاعتراف بانها لله لازما فامر بالسؤال اولا ثم بالجواب ثانيا تنبيها على
ان الاقرار بهذا المعنى مما هو ضروري ولا خلاف فيه بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين مخاطبيه ان ما في السموات والارض
لله ولا يقدرون ان يضيفوا منه شيئا الى غيره كتب على نفسه الرحمة لما بين كمال الهيته وقدرته ونفاذ تصرفه في الخلق
اردفه بكمال رحمته الى الخلق وكانه قال لم يكتف بالانعام والوعد وكتب على نفسه الرحمة ايجابا على وجه التفضل
قيل تلك الرحمة هي انه تعالى يمهلهم مدة عمرهم ويرفع عنهم عذاب الاستيصال ولا يعاجلهم بالعقوبة في الدنيا
وقيل كتب على نفسه الرحمة اي لم يكتب الرسل بعد اب وقيل شرعيتهم ذكر النفس هاهنا عبارة عن وجوده وتاكيد
وعده وارتفاع الوسائط دونه استعطافا منه تعالى للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبارا انه رحيم بعباده
لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الانابة والتوبة قوله ليجمعنكم اللام فيه لام القسم والنون نون التاكيد
فكانه قال والله ليجمعنكم في يوم القيمة بالبعث وقيل ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة قيل ليجمعنكم كلام مستانف غير متعلق بما

فانه بين

فانه بين كمال الهيته بقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله ثم بين انه تعالى برحمته في الدنيا لا يهملهم ويرفع عذاب الاستيصال
وبين انه يجمعهم الى يوم القيمة لا يهملهم بل يحشرهم ويحاسبهم على كل ما فعلوه وقيل انه متعلق بما قبله والتقدير كتب
ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم وقيل انه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل انه تعالى ليجمعنكم
الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف العذاب يوم القيمة لحصل الهرج والمرج ولارتفع الضبط وكثر الخبط فالجمع في يوم القيمة
من اعظم اسباب الرحمة الى يوم القيمة في الدنيا فكان قوله ليجمعنكم الى يوم القيمة كالتفسير لقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
قوله الذين خسروا في محل النصب على البدل من الضمير في قوله ليجمعنكم والمعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم وقيل
نصب على الذم اي اريد الذين خسروا وقيل رفع على الذم اي هم الذين خسروا انفسهم او مبتدأ وقوله فهم لا يؤمنون خبره لان قوله
ليجمعنكم مشتمل على الذين خسروا او على غيرهم والفاء في قوله فهم لتضمن المبتدأ معنى الشرط فان قيل ظاهر اللفظ يدل
على ان خسرانهم سبب لعدم ايمانهم والامر على العكس اجيب بان سبق القضاء بالخسران والخذلان هو الذي حملهم على
الامتناع من الايمان وذلك غير مذهب اهل السنة قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
ذكر في الاية الاولى السموات والارض اذ لا مكان سواهما وفي هذه الاية ذكر الليل والنهار اذ لا زمان سواهما فالزمان والمكان
ظرفان للمحدثات فاخبر سبحانه انه له المكان والمتمكنات والزمان والزمانيات ولما كان المكان والمكانيات اقرب الى عقول الجمهور
من الزمان والزمانيات ابتدأ بذكر المكان والمكانيات ثم ذكر عقيبه الزمان والزمانيات والتعليم الكامل هو الذي يبدأ بالاظهر
مترقيا الى الاخفى فالاخفى وتقديم له في الاية الاولى وله في الاية الثانية لقصد الحصر قوله وله ما سكن من السكون الذي
السكنى اي الحلول لا من السكون الذي هو مقابل الحركة يقال فلان يسكن بلد كذا وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في
مساكن الذين ظلموا فيكون المعنى وله ما حصل في الليل والنهار اي ما حصل في الزمان متحركا كان او ساكنا وقوله وهو
السميع لنداء المحتاجين العليم بحاجاتهم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان وهذا رد على من قال انه لا يعلم
بالجزئيات قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول
من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ● لما بين انه له ما في السموات والارض وانه
كتب على نفسه الرحمة وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم امره ان يقول اغير الله اتخذ وليا غير الله فانه
اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى
بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن لكم اغير الله مفعول اول لاتخذ ووليا مفعول ثان
اتخذ وليا اي ربا ومعبودا وناصرا ومعينا فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما ومبتدئهما والفطر الابتداء
قال ابن عباس كنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان
المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع قوله فاطر السموات بالجر صفة والمذكور نقصد بالاية هو المنع من اتخاذ
غير الله وليا واحتج عليه بانه فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم اشعر بالعلة لاتخاذه فكيف الا انما سواه
يحتاج في ذاته وجميع صفاته الى غيره والحق سبحانه هو الغني قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته
في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن
وقيل لي ولا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي فيما امرت به ونهيت
عنه صرت مستحقا للعذاب العظيم قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الياء والباقون بالاسكان قوله تعالى من يصرف
عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ● قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بفتح الياء وكسر الراء وفاعل الصرف
على هذه القراءة الضمير العائد الى ربي من قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم العذاب
فقد رحمه يعني من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم ان المدفوع عنهم المؤمنون وترك ذكر المصروف لكونه معلوما
او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم
اي هوله فقد رحمه وقرأ الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء على بناء ما لم يسم فاعله اي من يصرف عنه العذاب يومئذ
فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه يريد فقد اتممت الاحسان اليه
او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ● هذا دليل آخر في بيان انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا بعض شدة
وبلية وفقر ومرض وغير ذلك من بلايا فلا كاشف او دافع وصارف له الا هو وان يمسسك يصبك بخير ونعمة وسعة
وصحة وغنى ورخاء ونعمة فهو على كل شيء من الخير والضر قدير اي قادر ذكر مس الضر ومس الخير وعين الاول
بالجهتين الاول بتقديمه تنبيها على ان كل ضر لا بد ان يحصل عقيبه الخير والسلامة والثاني بجعل جزاء الشرط في الاول
قوله فلا كاشف له الا هو وفي الثاني قوله فهو على كل شيء قدير تنبيها على ان ارادة الله لايصال الخير غالبة على ارادته
لايصال الضر وعلى ان جانب الرحمة غالب يدل عليه قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقوله عليه السلام حاكيا عنه سبقت رحمتي غضبي
قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ● اي هو الغالب فوق عباده وفي القهر زيادة معنى على
القدرة وهو منع غيره من بلوغ المراد وهو الحكيم في امره الخبير باعمال العباد قوله فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة
والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون ووقوع فوق بين القاهر وعباده مشعر بان المراد فوقية القدرة لا الجهة ●

قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ● اعلم أن الآية تدل على أن أكبر الشهادات شهادة الله ولا يدل على أن تلك الشهادة فأي المطالب يحتمل الشهادة في إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني في الشهادة في إثبات وحدانيته أما الأول فقد قيل إن أهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أما وجد الله رسولا غيرك ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم فأنزل الله قل أي شيء أكبر أعظم شهادة فإن أجابوك وإلا فقل الله وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به لأخوفكم يا أهل مكة ومعنى من بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم قال الفراء العرب تضمر لها أو صلة الذي ومن وما فيقول الذي أخذت مالك أو أخذته ومن أكرمت أبوك أو أكرمته قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس بلغوا عني ولو آية من كتاب الله فإنه من بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه وقيل يا محمد أي شيء أكبر شهادة حتى يعترفوا بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله فإذا اعترفوا بذلك فقل الله شهيد لي بالنبوة لأنه أوحى إلي هذا القرآن وهو معجز لأنكم أنتم الفصحاء والبلغاء وقد عجزتم عن معارضته وإذا كان معجزا كان إظهاره تعالى إياه على وفق دعواي شهادة من الله على أني صادق في دعواي والحاصل أنهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد على نبوته فبين تعالى أن أكبر الأشياء شهادة هو الله ثم بين أنه شهد له بالنبوة وهو المراد من قوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ وأما الثاني فهو مسبوق بمقدمة هي أن نقول المطالب على أقسام ثلثة منها ما يمتنع إثباته بالعقل وهو كل شيء يتوقف صحة وجوده وعدمه مقبلا فالقطع بأحد الطرفين لا يمكن إلا بالدليل السمعي ومنها ما يمكن إثباته بالعقل والسمع معا وهو كل أمر عقلي لا يتوقف صحة السمع على صحته مثل العلم بكون الله عالما منزها عن الضد فإن العلم بصحة السمع لا يتوقف على العلم به فلا جرم أمكن إثباته بالدلائل العقلية إذا عرفت ذلك فقوله قل الله شهيد بيني وبينكم في إثبات الوحدانية والبراءة من الشرك والأضداد والأنداد والأمثال والأشباه ثم قال وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به وأبلغ أنا القول بالتوحيد هو الحق اليقيني وأن القول بالشرك باطل قوله قل الله يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدئ هو شهيد بيني وبينكم لكن هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له قوله قل أئنكم قرأ ابن كثير أئنكم بهمزة وكسرة بعدها خفيفة تشبه الياء ساكنة بلا مد وقالون الأنافع كذلك إلا أنه يمد والباقون بهمزتين بلا مد وهذا استفهام معناه الجحد والإنكار قوله أخرى لأن الآلهة جمع والجمع يقع عليه التأنيث كما قال الله ولله الأسماء الحسنى وقال فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين قل لا أشهد شهادتكم هذا الكلام دل على إيجاب التوحيد والبراءة عن الشرك من ثلاثة أوجه أولها قل لا أشهد بما تذكرونه من إثبات الشركاء وثانيها قوله قل إنما هو إله واحد وكلمة إنما تفيد الحصر ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء وثالثها قوله وإنني بريء مما تشركون وفيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشركاء فثبت دلالة هذه الآية على إيجاب التوحيد بأعظم طرق البيان وأبلغ وجوه التأكيد قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ● الذين آتيناهم اليهود والنصارى الكتاب التوراة والإنجيل يعرفونه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته وحليته الثابتين في التوراة والإنجيل معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم من بين الصبيان بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأجل أهل مكة بمعرفة أهل الكتاب بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته الذين خسروا صفة الذين الأولى فكيف تعاملها وإنما المقصود وعيد المعاندين الذين يعرفونه ويجحدون وقيل الذين خسروا أنفسهم مبتدأ وقوله فهم لا يؤمنون خبره أي الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون خسروا أنفسهم بمعنى أهلكوها بالدائم بسبب الكفر وقيل إن لكل عبد له منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة أي المؤمنين منازل أهل النار أي الكفار في الجنة وجعل لأهل النار أي الكفار منازل أهل الجنة أي المؤمنين في النار وذلك الخسران قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ● بين في هذه الآية بسبب الخسران وهو الافتراء على الله والتكذيب بآيات الله أما الأول فكما يقول أهل مكة هذه الأصنام شركاء الله والله أمرهم بعبادتها والملائكة بنات الله وكما تقول اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل إن هاتين الشريعتين لا يتطرق إليهما النسخ وإنه لا يجيء بعدهما نبي ونحن أبناء الله وأحباؤه ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة وكما يقول بعضهم إن الله فقير ونحن أغنياء وأمثال هذه الأمور التي ينسبونها إلى الله كثيرة وكلها افتراء على الله وأما الثاني فتكذيبهم بالقرآن والمعجزات فإنهم كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول إنه لا يفلح الظالمون أي لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا والآخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ● ناصب يوم محذوف تقديره ويكون كيت وكيت يوم نحشرهم فترك ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف وقيل معطوف على محذوف كأنه قيل إنه لا يفلح الظالمون أبدا ويوم نحشرهم العابدين والمعبودين جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء فحذف المفعولان وقيل تزعمون أنها تشفع لكم عند ربكم وإنما يقال لهم ذلك

وقيل تقديره اذكر يوم نحشرهم

على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم إذا لم ينفعوهم ولم يكن منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ● قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء المنقوطة من فوق وفتنتهم بالرفع وقرأ أبو عمرو ونافع وأبو بكر عن عاصم بالتاء المنقوطة من فوق وفتنتهم بالنصب وحمزة والكسائي بالياء المنقوطة من تحت وفتنتهم بالنصب فعلى الأول فتنتهم اسم تكن وخبره محذوف فيقوم مقامه أن قالوا وعلى الثاني اسم تكن محذوف يقوم مقامه أن قالوا وفتنتهم خبره وأنث لتأنيث الخبر وعلى الثالث كما في الأول محض فتنتهم في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وعلى الأخيرين محض قولهم والله ربنا ما كنا مشركين في فتنتهم قيل فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه فافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به وقيل فتنتهم جوابهم لأنه جواب أو تسمى فتنة لأنه كذب قال الزجاج تأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك وذلك أن الله تعالى بين أن المشركين مفتونون بشركهم متهالكون على حبه فأعلم في هذه الآية أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرءوا منهم وتباعدوا عنه فحلفوا أنهم ما كانوا مشركين ومثاله أن ترى شخصا مذموم الطريقة فإذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه فالمراد بالفتنة ههنا افتتانهم بالأوثان ويتأكد هذا الوجه بما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال ثم لم تكن فتنتهم معناه شركهم في الدنيا وهذا القول راجع إلى حذف المضاف لأن المعنى ثم لم تكن عاقبة فتنتهم إلا البراءة منه انظر كيف كذبوا على أنفسهم المراد منه إنكارهم كونهم مشركين وقوله وضل عنهم عطف على قوله كذبوا أي انظر كيف ضل عنهم أي غاب عنهم ما كانوا يفترون من إلهية الأصنام وشفاعتها قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما لا ينفعه وبما ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضي عليهم وأما قولهم ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا إلا أنا على الصواب في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ● روي أنه اجتمع أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان إني لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا فأنزل الله الآية ومنهم من يستمع إليك إلى كلامك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه والأكنة جمع الكنان وهو الغطاء والأكنة الأغطية والوقر الثقل في الأذن والأكنة على القلوب والوقر في الآذان أن يفقهوه في محل النصب على أنه مفعول له والمعنى وجعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى أن يفقهوه وإسناد الفعل إلى ذاته لأنه هو الفاعل الحقيقي لجميع الحادثات والممكنات والأفعال للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه وهي حكاية لما ينطقون به من قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كما ذكره صاحب الكشاف لأنه صرف اللفظ عن الظاهر المستقيم إلى خلافه الباطل وهذا لا يجوز وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لأجل أن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة حتى إذا جاءوك هي التي تقع بعدها الجمل والجملة إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إذا جاءوك شرط وجزاؤه يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن يكون حتى الجارة ويكون إذا جاءوك في محل الجر على معنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير لقوله يجادلونك والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم أنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات موضوعة من جنس الأباطيل والأحاديث وهي غاية التكذيب والأساطير الأباطيل الواحد أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ● لما بين أنهم طعنوا في كون القرآن معجزا فقالوا إن هذا إلا أساطير الأولين بين في هذه الآية أنهم ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول وأتباعه وتصديقه ويتباعدون هم عن الإيمان به ويبعدون بأنفسهم فيضلون ويضلون وما يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في أبي طالب قال والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت

ايضاً ومرضيةً بنا لا محالة آية من خير أديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
نا بك الله تعالى وهم ينهون الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم وينأون عنه اي يتباعدون عما جاء به من الهدى فلا يصدقونه
قوله وان يهلكون الا انفسهم لان اوزار الذين يصدونهم عليهم وما يشعرون ان اوزارهم عليهم قوله
تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ● لما ذكر في صفة من ينهى عن متابعة
الرسول وينأى عن طاعته انهم يهلكون انفسهم ذكر في هذه الآية كيفية ذلك الهلاك ولو ترى لرأيت امرا شنيعا حذف
تفخيما للامر وجاز حذفه لعلم المخاطب به واشباهه كثيرة في القرآن والشعر قوله اذ وقفوا قال الزجاج معناه وقفوا
على النار يحتمل ثلاثة اوجه الاول ان يكون قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون على ان يدخلوا النار الثاني
ان يكون وقفوا عليها وهي تحتهم بمعنى انهم وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم الثالث انهم عرفوا حقيقتها
تعريفا من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وفي المعنى ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها قوله يا ليتنا نرد تم تمنيهم
ثم ابتدأ فقال ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واضربنا الاخبار كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه
الاثبات وانهم لكاذبون في قولهم لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وتقدير الكلام يا ليتنا نرد ثم قال ولو رددنا
لم نكذب بالدين وكنا من المؤمنين ثم ان الله تعالى كذبهم وبين انهم لو ردوا لكذبوا ولاعرضوا عن الايمان وقيل قوله
ولا نكذب داخل في التمني معطوف على نرد لو صح لكان المعنى انهم تمنوا ان يردوا الى الدنيا وان لا يكذبوا وان يكونوا مؤمنين
فان قيل فقوله وانهم لكاذبون يدفع دخوله في التمني لان المتمني لا يكون كاذبا لان التمني لا يحتمل الصدق والكذب
اجيب بان هذا التمني تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك
واكافيك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب وكان له ان يقال انه تمنى
الله مالا كافيك على الاحسان قرأ ابن عامر نرد ولا نكذب بالرفع فيهما ونكون بالنصب وحمزة وحفص عن عاصم نرد
بالرفع ونكذب ونكون بالنصب فيهما والباقون بالرفع في الثلاثة وحصل من هذا انهم اتفقوا على الرفع في قوله نرد
فيكون داخلا في التمني واما الثالث فيحتمل ان يكونا معطوفين على نرد فالثلاثة داخلة في التمني فقد تمنوا الرد وان
لا يكذبوا وان يكونوا من المؤمنين ويحتمل ان ينقطعا من الاول فيكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين فهم تمنوا انهم لا يكذبون والمعنى يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا رددنا او لم نرد اي قد
عاينا وشاهدنا ما لا نكذب معه ابدا قال سيبويه هو مثل قولك دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني
او لا تتركني فههنا المطلوب بالسؤال الترك فاما انه لا يعود فغير داخل في الطلب فكذا ههنا قوله يا ليتنا نرد
الداخل في هذا التمني الرد فاما ترك التكذيب وفعل الايمان فغير داخل في التمني بل هو حاصل سواء حصل الرد او لم
يحصل واما الثاني فباضمار ان على جواب التمني والتقدير يا ليتنا نرد والا نكذب على معنى ان رددنا لم نكذب ونكون
من المؤمنين قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون
اضراب عن الكلام منهم والتقدير انهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل انهم
راغبون في الايمان بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وشهادة جوارحهم
عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم
الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه
وقيل بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر
والتكذيب وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به قوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين ● قيل وقالوا عطف على قوله لعادوا اي لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
اي لا نكون الحشر والنشر وقيل عطف على قوله وانهم لكاذبون في كل شيء يوم الذين قالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين وكفى به دليلا على كذبهم قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ● حكى عنهم في الآية الاولى انكارهم الحشر والنشر والبعث
والقيامة وبين في هذه الآية كيف حالهم في القيامة قوله وقفوا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد
الجاني بين يدي سيده للتوبيخ وقيل وقفوا على حكم ربهم وقضائه فيهم وقيل عرفوه حق التعريف قال الله اليس
هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما
هو الا باطل ولا تناقض بين هذا وبين قوله ولا يكلمهم الله لان معناه ولا يكلمهم الله الكلام الطيب النافع قالوا اي
قال الموقوفون على ربهم بلى وربنا انه حق مع القسم قال الله تعالى لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بلقاء الله
والبعث والنشر وما يتصل بهما وخص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق والمقصود من ذكر هذه
الآية الردع والزجر عن هذا المذهب والقول قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة
بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون ● المقصود من هذه
الآية بيان نوع آخر من احوال الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهي امران الخسران وحمل الاوزار
على ظهورهم اما الاول فتقريره انه تعالى بعث النفس الناطقة القدسية الى العالم السفلي واسبغ عليها انعاما ظاهرة

وهي الحواس

وهي الحواس الظاهرة وما يدرك بها والاعضاء والآلات الجسمانية والادوات الجسدانية وباطنة وهي العقل والفكر
وسائر القوى الباطنة ليتوسل باستعمال هذه القوى والآلات الى تحصيل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة التي
ينتفع بها فيما بعد الموت وبعث الانبياء ليهديهم الى صراط الله الذي لا اله الا هو واظهر المعجزة على ايديهم ليصدقوهم فيما يقولون
في احوال البعث وما يتصل بها فهم نبذوا جميع هذا وراء ظهورهم وكذبوا الرسل وانكروا البعث وقالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين واستعملوا هذه الآلات والقوى في هذه اللذات الدنية والشهوات الفانية فقد
خسروا خسرانا مبينا لان رأس المال قد فني وما طلبوه هو المطلوب قد انقطع فلم يبق في ايديهم شيء من رأس المال ولا من
الربح فهذا هو الخسران المبين وهذا الخسران انما يحصل للذين كذبوا بلقاء الله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين وهم يحسبون انهم ما فرطوا في تحصيل الزاد ليوم المعاد واما الثاني فتقريره ان كمال السعادات في الاقبال على الله و
الاجتهاد في رضاه وعبوديته والاعراض عن متاع الدنيا وترك اتباع الهوى والذين كذبوا بلقاء الله وانكروا الحشر والبعث
وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا اعرضوا عن ذكر ربهم واقبلوا على الدنيا ولذاتها وفاتهم ما يتوسل به الى السعادات
الاخروية فاذا مات بقي كالغريب في الدار الآخرة والمنقطع من احبائه واقاربه ويحصل له الحسرات العظيمة بسبب فقدان الزاد
وعدم الاهتداء الى صراط الجنة ويحصل له الآلام العظيمة بسبب الانقطاع عن اللذات الدنية الدنيوية والى الاول الاشارة
بقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها والى الثاني الاشارة بقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ولنرجع الى تفسير الآية قد خسر
التفصيل المراد من الخسران فوت الثواب العظيم وحصول العقاب الشديد الذين كذبوا بلقاء الله اي الذين انكروا الحشر والبعث
وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله حتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب
الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قيل انما يتحسرون عند موتهم قلنا لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها
جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل
مجيء الموت مجيء الساعة لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه
قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة
على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم
كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون
وزرهم كقوله ساء مثلا القوم قالوا يا حسرتنا قال الزجاج معنى دعاء الحسرة تنبيه الناس على ما سيحصل لهم من الحسرة
والعرب تعبر عن تعظيم امثال هذه الامور بهذه اللفظة كقوله يا حسرة على العباد يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله
يا ويلتا أألد وهذا ابلغ من ان يقال الحسرة علينا في تفريطنا ومثله يا اسفى على يوسف تأويله يا ايها الناس تنبهوا
على ما وقع من الاسف فوقع النداء على غير المنادى في الحقيقة وقال سيبويه انك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت يا عجب
احضر وتعال فانه من ابانك فحصل النداء على وجهين احدهما ان النداء للحسرة والمراد به تنبيه المخاطبين وهو قول
الزجاج والثاني ان المنادى هو نفس الحسرة على معنى انه هذا وقتك فاحضري وهو قول سيبويه قوله على ما فرطنا
قال ابو عبيدة يقال فرطت في الشيء اي ضيعته فرطنا اي تركنا وضيعنا وقال الزجاج فرطنا اي قدمنا العجز
من قولهم فرط فلان اذا سبق وفرط الشيء اذا قدمه قال الواحدي فالتفريط عنده تقديم التقصير وهم يحملون
اوزارهم قال ابن عباس الاوزار الآثام والخطايا والوزر الاثم والثقل واصله من الحمل يقال وزرت الشيء حملته اي ثقله ثم قيل
للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها ومنه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة وقال ابو عبيدة
يقال للرجل اذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع احمل وزرك واوزار الحرب اثقالها من السلاح قال الزجاج وهم يحملون
اوزارهم اي يحملون ثقل ذنوبهم وهذا مثل كما ذكر في الوزن فقد يكون ذلك في الحال الغمة يقال اثقل علي فلان بخطاب
فلان والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم قوله تعالى وما الحياة الدنيا
الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ● المنكرون للبعث رغبتهم في متاع الحياة الدنيا
فلذلك ذكر الله تعالى هذه الآية تنبيها على خساستها وقيل المراد منه حياة الكافر لان حياة المؤمن يحصل فيها
اعمال صالحة فلا تكون لعبا ولهوا وقيل هذا عام في حياة المؤمن والكافر والمراد منها اللذات الحاصلة والطيبات
المطلوبة فيها شبهها باللعب واللهو من حيث ان الاشتغال بها يحصل منه لذة ما وعند انقراضها لا يبقى منه
الا الندامة ومن حيث انها قليلة سريعة الانقضاء ومن حيث انها في اذى الآخرة يقتضيه وعند التأمل والكشف
لا يبقى اثره من حيث انها الالتذاذ بطيباتها والاستمتاع بخيراتها لا يحصل الا للصبيان والجاهلين الغافلين
واما العقلاء المحققون فانهم يعلمون ان لذاتها وطيباتها امور وهمية لا حقيقة لها ولهذا وللدار الآخرة خير لها لان
خيراتها روحانية وسعاداتها الشريفة دائمة مقدسة عن الكدر غير منقطعة ولا ممنوعة قرأ ابن عامر ولدار الآخرة
بالاضافة والباقون وللدار الآخرة على النعت والدار الآخرة هي الجنة وقيل المراد نفس الآخرة خير وقيل التمسك
بعمل الآخرة خير للذين يتقون الشرك والكفر واما المشرك والكافر فلا يكون الدار الآخرة خيرا له فان الدنيا بالنسبة
اليه خير قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر افلا تعقلون على معنى وقل لهم افلا تعقلون
ايها المخاطبون ان الدار الآخرة خير وقرأ الباقون بالياء على معنى افلا يعقل الذين
يتقون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لها الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفترون

لما يوصل إليك قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون ● قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله قد يهلك المال نائله والضمير الذي هو اسم إن
ضمير الشأن قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي وهما لغتان يقال أحزنه غيره
وحزنه أيضاً مثل أسلكه وسلكه قال اليزيدي حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم والذي يقولون هو قولهم ساحر
وشاعر وكاهن ومجنون وقيل إنهم كانوا يصرحون بأنهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه ولا شريعته قوله
فإنهم لا يكذبونك قرأ نافع والكسائي بالتخفيف من أكذبه إذا وجده كاذباً والباقون بالتشديد من كذبه
إذا جعله كاذباً في زعمه والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك
في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن
ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحو قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض
الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني وفي هذه الطريقة إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك
عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وأن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما
نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فأنزل الله هذه الآية وقال السدي التقى
الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب
فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيري فقال له أبو جهل والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وعن أبي يزيد المدني لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبا جهل فصافحه فلقيه بعض شياطينه فقال رأيتك تصافحه فقال والله إني لأعلم أنه صادق
ولكن متى كنا تبعاً لعبد مناف فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي كان يكذب
النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فإذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه إلا صادقاً
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لنعلم أن الذي تقول حق وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس
من أرضنا يعني العرب فإنما نحن أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم فأنزل الله هذه الآية ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
من إقامة الظاهر مقام المضمر ليدل على أن جحودهم ظلم قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ● أزال الحزن عن رسول الله
في الآية الأولى بأن بين أن تكذيبه تكذيب الله وفي هذه الآية أزال الحزن عن قلبه بطريق الأمر بالتأسي فقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم نصرنا فاصبر أنت يا محمد على تكذيبهم وجحودهم كما صبروا حتى
أتاك نصرنا فلا مبدل لكلمات الله لمواعيد الله إياك بالنصر فإن وعد الله بالنصر حق وصدق لا مبدل له قال الله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك بعض أنباء المرسلين وقصصهم في القرآن
وما كابدوا من مصابرة المشركين كيف أنجيناهم ودمرنا قومهم قوله تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت
أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ●
وإن كان كبر عليك يا محمد إعراضهم وكفرهم فإن استطعت فإن قدرت أن تطلب نفقاً منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض
حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلماً في السماء أي درجاً ومصعداً في السماء تصعد فيه فتأتيهم بآية فافعل
يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع
أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها
لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت أن تفعل كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك
لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فآمنوا كلهم ولكن لم يشأ
إيمانهم فلم يؤمنوا به فلا تكونن من الجاهلين بجهلك أن الإيمان والكفر والخير والشر بإرادة الله ومشيئته وفيه رد
لما هو خلاف [illegible] من أن الكفر والمعصية والشر ليست بإرادة الله قوله تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ● بين الله تعالى سبب كفرهم وعدم تركهم له يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة
الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب الذين يسمعون كقوله إنك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله معناه أن الله هو القادر
أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء فكذلك هاهنا إنه القادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة
الإيمان وأنت لا تقدر عليه وقيل المعنى هؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون
وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى إسماعهم قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية
ولكن أكثرهم لا يعلمون ● هذا نوع آخر من شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم قالوا لو كان رسولاً
من عند الله فهلا أنزل الله عليه آية قاهرة ومعجزة ظاهرة فإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل على رسول الله من الآيات
لتركهم الاعتداد بما أنزل الله عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات لتركهم الاعتداد بما أنزل الله عليه كأنه لم ينزل عليه
شيء من الآيات عناداً منهم أو لأنهم طلبوا المعجزات ظاهرة من جنس معجزات سائر الأنبياء مثل فلق البحر وتظليل الغمام ورفع
الطور والسلوى وإحياء الموتى وقيل المراد ما حكاه الله عن بعضهم وقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقل إن الله قادر على أن ينزل آية من جنس ما طلبوه وتحصيل ما اقترحوه ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وقيل لا يعلمون أنهم لما طلبوا ذلك على سبيل التعنت والعناد لا يعطيهم مطلوبهم
ولو كانوا إنما طلبوا ذلك على سبيل الفائدة وحينئذ كان الله يعطيهم ذلك المطلوب على أكمل الوجوه
قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم
يحشرون ● إنه تعالى بين في الآية الأولى أنه لو كان إنزال ما طلبوه من المعجزات مصلحة لهم لأنزلها على سبيل التفضل
لكن لما لم يكن إنزالها مصلحة للمكلفين لم ينزلها وهذا الجواب إنما يتم إذا ثبت أنه تعالى يراعي مصلحة المكلفين على سبيل الفضل
فبين أن الأمر كذلك أي يراعي مصلحة المكلفين تفضلاً لا إيجاباً كما هو مذهب المعتزلة في هذه الآية فقال وما من دابة
في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ذكر في الأرض مع دابة ويطير بجناحيه مع طائر
بياناً أن القصد من لفظ دابة ولفظ طائر إنما هو الجنسين كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرض وما من طائر
قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم وإنما قيل أمم مع إفراد الدابة والطائر لأن قوله وما من دابة ولا طائر دال
على الاستغراق وبعض قرأ ولا طائر بالرفع على المحل قوله أمم أمثالكم مخصوص بفضل الله وعنايته
ورحمته وإحسانه إليهم ومن أنها مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم وذلك كالتنبيه
المحسوس فإذا كانت رحمته واصلة إلى جميع الحيوانات فلو كان إنزال ما طلبوه مصلحة للمكلفين لأنزله ولامتنع
أن يبخل بها مع ظهور أنه لم يبخل على شيء من الحيوانات بمصالحها ومنافعها وذلك يدل على أنه تعالى لم ينزل ما طلبوه لأن إنزالها
يخل بمصالح المكلفين والدابة ما كان يدب والطائر ما يطير بجناحيه فيدخل فيهما جميع ما خلق الله من الحيوان وقيل
من الحيوانات ما لا يدخل في هذين القسمين مثل حيتان البحر وسائر ما يسبح في الماء ويعيش فيه وأجيب بأنه لا يبعد أن
يوصف بأنها دابة من حيث إنها تدب في الماء وهي كالطير لأنها تسبح في الماء وتعيش فيها إلا أن وصفها بالطيران في
اللغة غير وصفها بالطيران ما فرطنا ما تركنا وما أغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت
ما وجب أن يثبت مما يختص به وقيل في الكتاب في القرآن لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد ينصرف إلى المعهود
السابق والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن فإن قيل اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء والقرآن ليس
فيه تفاصيل علم الطب وعلم الحساب ولا تفاصيل كثير من المباحث في العلوم وليس فيه تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم
في علم الأصول والفروع أجيب بأن قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء يجب أن يكون مخصوصاً ببيان الأشياء التي يجب معرفتها
لأن لفظ التفريط لا يستعمل نفياً وإثباتاً إلا فيما يجب أن يبين لأن أحداً لا ينسب إلى التفريط والتقصير في أن لا
يفعل ما لا حاجة إليه وإنما يذكر هذا اللفظ فيما إذا قصر فيما يحتاج إليه ولأن جميع آيات القرآن أو أكثرها دالة بالمطابقة
أو التضمن أو الالتزام على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين ومعرفة الله ومعرفة أحكام الله وإذا كان هذا
التقييد معلوماً من كل القرآن كان المطلق هنا محمولاً على ذلك المقيد أما قوله ليس فيه تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم
في علم الأصول والفروع فنقول أما علم الأصول فإنه بتمامه حاصل فيه لأن الدلائل الأصلية مذكورة فيه على أبلغ الوجوه
فأما روايات المذاهب وتفاصيل الأقاويل فلا حاجة إليها وأما تفاصيل علم الفروع فنقول للعلماء قولان فيها الأول
أنهم قالوا القرآن دل على أن الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة في الشريعة وكل ما دل عليه أحد هذه الأصول الثلاثة
كان في الحقيقة موجوداً في القرآن وذكر الواحدي لهذا المعنى أمثلة الأول روي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول ما لي
لا ألعن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة وروي أن امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن
أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وإن مما آتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال لعن الله الواشمة والمستوشمة قيل يمكن وجدان هذا المعنى في كتاب الله بطريق أوضح منه
وذلك لأنه تعالى قال في سورة النساء وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنه الله حكم عليه باللعن ثم عدد قبائح أفعاله وذكر
من جملتها قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وظاهر الآية يقتضي أن تغيير الخلق يوجب اللعن الثاني ذكروا أن الشافعي جلس في المسجد
الحرام فقال لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم عنه من كتاب الله فقال رجل ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور فقال لا شيء عليه
فقال أين هذا في كتاب الله تعالى فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر إسناداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ثم ذكر إسناداً إلى عمر أنه قال للمحرم قتل الزنبور
فأجاب من كتاب الله مستنبطاً بثلاث درجات وقيل هاهنا طريق أوضح منه وهو أن الأصل في أموال الناس العصمة قال تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال ولا يسألكم أموالكم وقال لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة
عن تراض منكم ونهى عن أكل أموال الناس إلا بطريق التجارة فعند عدم التجارة وجب أن يبقى على أصل الحرمة وهذه العمومات
تقتضي أن لا يجب على المحرم الذي قتل الزنبور شيء وذلك لأن التمسك بهذه العمومات يوجب الحكم بمرتبة واحدة وأما الطريق
الذي ذكره الشافعي فهو تمسك بالعود إلى أربع درجات أولها التمسك بعموم قوله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وثانيها
النبي عليه السلام بمتابعة الخلفاء الراشدين وثانيها التمسك بعموم قوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين من بعدي وثالثها بيان أن عمر من الخلفاء الراشدين ورابعها الرواية عن عمر أنه لم يوجب في هذه المسألة شيئاً
الثالث روي في حديث العسيف الزاني أن أباه قال للنبي عليه الصلاة والسلام اقض بيننا بكتاب الله فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالجلد والتغريب على العسيف وبالرجم على المرأة إذا اعترفت وليس للرجم والتغريب

ذكر في نص الكتاب وهذا يدل على أن كل ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو عين كتاب الله فثبت بهذه الأمثلة
أن القرآن لما دل على أن الإجماع حجة وخبر الواحد حجة وأن القياس حجة فكل حكم ثبت بطريق من هذه الطرق الثلاث
كان في الحقيقة ثابتًا بالقرآن فعند هذا يصح قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء هذا تقرير هذا القول وهو الذي
ذهب إليه جمهور الفقهاء قال الإمام ولقائل أن يقول حاصل هذا الوجه أن القرآن لما دل على أن خبر الواحد
حجة فكل حكم ثبت بأحد هذين الأصلين كان في الحقيقة قد ثبت بالقرآن إلا أنا نقول حمل قوله ما فرطنا في الكتاب
من شيء على هذا الوجه لا يجوز لأن قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء ذكر في معرض تعظيم هذا الكتاب والمبالغة في مدحه
والثناء عليه ولو حملنا هذه الآية على هذا المعنى لم يحصل منه ما يوجب التعظيم وذلك لأنا لو فرضنا أن الله تعالى قال عولوا
بالإجماع وخبر الواحد والقياس كان المعنى الذي ذكروه حاصلًا من هذا اللفظ والمعنى الذي يمكن تحصيله من هذا
اللفظ القليل لم يمكن جعله موجبًا لمدح القرآن والثناء عليه بسبب اشتمال القرآن عليه لأنه إنما يوجب المدح
العظيم والثناء التام لو لم يمكن تحصيله بطريق آخر أشد اختصارًا منه فأما لما بينا أن هذا المقصود يمكن تحصيله
باللفظ المختصر الذي ذكرناه علمنا أنه لا يمكن ذكره في معرض تعظيم القرآن موجبًا مدحًا فثبت أنه لا يجوز حمل هذه الآية
على هذا المعنى فهذا أقصى ما يمكن أن يقال في تقرير هذا القول الثاني في قول من يقول القرآن وافٍ بجميع الأحكام وتقرير أن الأصل
براءة الذمة في حق جميع التكاليف وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل والتنصيص على أقسام ما لم يرد فيه التكليف ممتنع
لأن الأقسام التي لم يرد التكليف فيها غير متناهية ولله تعالى متى أراد التكليف على العباد ذكره في القرآن وأمر محمدًا بتبليغ
ذلك إلى العباد ثم قال بعده ما فرطنا في الكتاب من شيء فكان معناه أنه ليس لله على الخلق بعد ذلك تكليف
آخر ثم أكد هذه الآية بقوله اليوم أكملت لكم دينكم وبقوله ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقوله ثم إلى ربهم يحشرون
يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوض بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء. قوله تعالى والذين
كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ● لما بين الله من حال الكفار
أنهم بلغوا في الكفر إلى حيث كأن قلوبهم صارت ميتة عن قبول الإيمان بقوله إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله فذكر هذه الآية تقريرًا لذلك المعنى وقيل إنه تعالى لما ذكر من قوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير
بجناحيه إلا أمم أمثالكم وكونها دالة على كونها تحت تدبير مدبر قدير وتحت تقدير مقدر حكيم وعلى أن عناية الله
محيطة بهم ورحمته واصلة إليهم قال بعده والمكذبون بهذه الدلائل والمنكرون لهذه العجائب صم لا يسمعون
كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر غافلون عن تأمل هذه الدلائل والتفكر فيها قوله من يشأ الله يضلله صريح في أن
الضلال والهداية ليسا إلا من الله بمقتضى مشيئته وإرادته فإن الإسناد والإضلال إلى الله والجعل على صراط مستقيم
على حسب مشيئته وتفسيره يضلله يخذله ويخليه وضلاله ولم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف صاحب الكشاف
باطل لأنه صرف اللفظ عن الظاهر الصحيح وحمل اللفظ على خلاف الظاهر لكن هو فاسد من غير دليل بل مع وجود
الدليل الدال على بطلانه. قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين
بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ● أنه تعالى لما بين في الآية جهل أولئك الكفار بين
من حالهم أيضًا أنهم إذا نزل بهم بلية أو محنة فإنهم يفزعون إلى الله ويلجئون إليه ولا يتمردون عن طاعته قال الفراء
العرب في أرأيت لغتان إحداهما رؤية العين فإذا قلت للرجل أرأيتك وتريد أخبرني فإذا أردت هذا المعنى تركت التاء
موحدة على كل حال تقول أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم ومذهب البصريين أن الضمير الثاني لا محل له من الإعراب
والدليل عليه قوله تعالى أرأيتك هذا الذي كرمت علي ويقال أيضًا أرأيتك زيدًا ما شأنه فلو جعلت الكاف محلًا
لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدًا ما شأنه فلو جعلت الكاف محلًا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدًا
ما شأنه وهو خلف من القول باطل فثبت أن الكاف لا محل له من الإعراب بل هو حرف لأجل الخطاب وقرأ نافع أرأيتكم و
أرأيتم وأرأيت وأفرأيت وأشباه ذلك بتخفيف الهمزة الثانية في كل القرآن والكسائي ترك الهمزة في كل
القرآن والباقون بتحقيق الهمزة والألف على التحقيق ومفعول أرأيتكم محذوف تقديره أرأيتكم عبادتكم الأصنام
هل تنفعكم إن أتاكم عذاب الله عند الموت أو أتتكم الساعة القيامة قال صاحب الكشاف لا يجب الوقف هاهنا لأن
الشرط وهو إن أتاكم مما دل عليه استفهام التوبيخ في أغير الله وقيل جواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله
أو أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله تدعون يعني تخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم
ضر أم تدعون الله دونها بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فقل يا محمد لهؤلاء الكفار إن أتاكم عذاب الله في الدنيا
أو أتاكم العذاب عند قيام الساعة أترجعون إلى غير الله من الأصنام في دفع ذلك البلاء والضر أو ترجعون فيه
إلى الله ولما كان في دفع البلاء والمحنة إلا إلى الله إن كنتم صادقين فيعرض تقديره فادعوهما فيكشف الله ما تدعون
إليه لما تدعونه إلى كشفه إن أراد أن يتفضل عليكم بكشفه وتنسون ما تشركون أي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع وقيل تنسون من النسيان أي لا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة
بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر ونحوه وقيل تعرضون عنها إعراض الناسي وقيل ما مصدرية أي تنسون
إشراككم قال صاحب الكشاف ويجوز أن يتعلق الشرط وهو إن أتاكم بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أغير الله تدعون
إن أتاكم عذاب ثم أورد سؤالًا على تقدير تعلق الشرط بقوله أغير الله تدعون فقال فإن قلت إن علقت الشرط بقوله

أغير الله

أغير الله فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون إليه إن شاء مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين
قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله إن شاء إيذانًا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر
من الحكمة أرجح هذا ما قاله صاحب الكشاف فعلا نسلم أنه إن شاء كشف العذاب عن الكفار في القيامة [?]
الحكمة من الكفار وأما قول صاحب الكشاف إيذانًا بأنه إن فعل إلى آخره تقييد بلا دليل بل يدل الدليل على منع هذا التقييد لأن
وقوع الممكنات متعلق بمشيئته وإرادته من غير تقييد بوقوعها على وجه الحكمة لا وقوعها بوجه آخر من الحكمة أرجح منه
قوله تعالى ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا
تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ● اعلم أنه تعالى بين في الآية الأولى أن الكفار عند نزول
الشدائد يرجعون إلى الله تعالى ثم بين في هذه الآية أنهم لا يرجعون إلى الله عند كل ما كان من جنس الشدائد بل قد يبقون
مصرين على الكفر متجمدين عليه غير راجعين إلى الله وذلك يدل على مذهبنا من أن الله إذا لم يهدهم لم يهتدوا سواء شاهدوا الآيات
الهائلة أو لم يشاهدوها وفي الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلًا فخالفوهم فأخذناهم بالبأساء والضراء
وحسن الحذف لكونه مفهومًا من الكلام المذكور والبأساء البؤس والضراء الضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء
المرض ونقصان الأنفس والأموال والمعنى ولقد أرسلنا إليهم فكذبوهم فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
يتذللون ويخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم ثم قال فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا
إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بكلمة لولا ليفيد أنه ما كان
لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم. قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين ● هذا الكلام من تمام القصة الأولى فبين تعالى أنه أخذهم أولًا بالبأساء والضراء لكي
يتضرعوا ثم بين في هذه الآية أنهم لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم
يزجرهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء ونقلناهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء والمقصود
أنه تعالى عاملهم بتسليط المكاره والشدائد عليهم تارة فلم ينتفعوا به فنقلهم من تلك الحالة إلى ضدها وهو فتح أبواب
الخيرات وتسهيل موجبات المسرات والسعادات فلم ينتفعوا به أيضًا وهذا كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة
ويلاطفه أخرى طلبًا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الصحة والسعة وأصناف الخيرات وأنواع النعم لم يزيدوا على الفرح والبطر
من غير انتداب لشكر ولا إقدام على اعتذار وتوبة أخذناهم بغتة واعلم أن قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي أبواب الخيرات
ظنوا أن ذلك باستحقاقهم فعند ذلك ظهر أن قلوبهم قست وماتت وأنه لا يرجى لها انتباه بطريق من الطرق فأخذهم العذاب
من حيث لا يشعرون قال الحسن في هذه الآية مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي
فإن ذلك استدراج من الله ثم قرأ هذه الآية وقال أهل المعاني وإنما أخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم
[illegible]
قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ●
[illegible]
قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ●
[illegible]
قوله تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ●
[illegible]

عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبينات القاطعة والمعجزات الساطعة من ربهم وبما جاؤا به واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف به فلا خوف عليهم حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اذا حزن اهل النار والذين كذبوا بآياتنا اي بمحمد والقرآن يمسهم العذاب يصيبهم جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام بما كانوا يفسقون بكذبهم ويكفرون يدل على ذلك قوله والذين كذبوا بآياتنا قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون هذه الآية من تتمة الكلام على قوله لولا انزل عليه آية من ربه فقال الله تعالى قل لهم انما انا رسول الله بعثني مبشرا ومنذرا وليس لي ان احكم على الله وامره ان ينفي عن نفسه امورا ثلثة اولها قوله لا اقول لكم عندي خزائن الله لان القوم كانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله فاطلب من الله حتى يوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها ويفتح علينا ابواب سعادتها فقال الله تعالى قل لهم اني لا اقول لكم عندي خزائن الله فهو تعالى عنده خزائنه وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه بحيث لا يناله الايدي وثانيها قوله ولا اعلم الغيب اذ القوم يقولون له ان كنت رسولا من عند الله اخبرنا عما سيقع في المستقبل من المصالح والمفاسد حتى نستعد بتحصيل تلك المصالح ودفع تلك المفاسد فقال تعالى قل اني لا اعلم الغيب فانه تعالى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فكيف تطلبون مني الاخبار عن الغيب الذي لا اعلمه وثالثها قوله ولا اقول لكم اني ملك فان القوم كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج ويخالط الناس فقال تعالى قل لهم لا اقول لكم اني ملك فتنكرون قولي وجحدكم امري والفائدة في الامر بنفي هذه الامور الثلثة ان الرسول صلى الله عليه وسلم بين لهم انه لا يدعي الالهية ولا الملكية اي لا ادعي اني موصوف بالقدرة اللائقة بالاله ولا ادعي كوني موصوفا بعلم الغيب ومجموع هذين الكلامين تبين انه لا يدعي الالهية ولا ادعي الملكية فاقوى على الافعال التي لا يقوى عليها الا الملك ولم يذكر لا اقول لكم في ولا اعلم الغيب لان الامرين يعني لا ادعي الاول قال صاحب الكشاف اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسم بين الخلق وارزاقهم وعلم الغيب وادني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله تعالى وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة والحق ان المراد من قوله ولا اقول لكم اني ملك نفي قدرته من افعال لا تقوى عليها الا الملائكة فلا يدل على ان الملك افضل ومحل اعلم الغيب عطف على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول ان اتبع الا ما يوحى الي وذلك غير مستحيل ولا مستنكر في العقل مع قيام الدلائل والحجج البالغة ولا مستبعد فانما كان مثله محققا لكثير من البشر وهي النبوة قوله قل هل يستوي الاعمى والبصير هل مثل الضال والمهتدي او الكافر والمؤمن ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع ومثل هل يستوي من ادعى المحال وهو الالوهية والملكية او المستقيم وهو النبوة افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين الذين لا يميزون بين الاعمى والبصير اشباه العميان وقيل افلا تتفكرون فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر وقيل فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد منه قوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ● ان الله تعالى لما وصف الرسل بانهم مبشرين ومنذرين امر الرسول عليه السلام في هذه الآية بالانذار فقال وانذر به بما يوحى اليك الذين يخافون قيل المشركين الذين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث الحشر ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين وقيل الذين يخافون اهل الكتاب لانهم مقرون بالحشر وقيل الذين يخافون قوم داخلون في الاسلام معترفون بالحشر الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى اليه لعلهم يتقون فيدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين والحمل على الكل اولى وليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحالة قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ● قيل ذكر غير المتقين من المسلمين وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم ونهاه عن طردهم عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء عن قومك افنحن نكون تبعا لهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله الآية وعن سلمان وخباب فينا نزلت جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وهم المؤلفة قلوبهم فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وخباب وعمار في ناس من المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل بقوله تعالى ولا تطرد الذين

يدعون

يدعون فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا والممات الذين يدعون ربهم قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة بالغداة والعشي يعني صلوة الصبح والعصر وقيل المراد بالغداة والعشي طرفا النهار وقيل اثنى الله عليهم بانهم يواظبون على دعاء ربهم وعبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام ووصفهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته قرأ ابن عامر بالغدوة بالواو وضم الغين هنا وفي سورة الكهف مثله والباقون بالالف وفتح الغين ما عليك من حساب المشركين من شيء وما من حسابك على المشركين من شيء والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت مؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين والغرض من هذا الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل هؤلاء الاغنياء من هؤلاء المشركين لعلهم يدخلون في الاسلام ويتخلصون من عقاب الله فقال تعالى لا تكن في قيد ايمانهم (?) في الكفر فان الله تعالى هو الهادي والمدبر وقيل الضمير عائد الى الذين يدعون ربهم وهم الفقراء والمعنى ما عليك من حساب الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وذلك ان المشركين طعنوا في دين هؤلاء الفقراء واخلاصهم فقال تعالى ما عليك يا محمد من حساب هؤلاء الفقراء من شيء بعد شهادة ظاهر الاخلاص وعبادة وجه الله في اعمالهم (?) الفقراء المؤمنين على ما يقولون عند الله في الوجه الذي يدعونه من الاخلاص فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهؤلاء الفقراء باطن غير مرضي عند الله فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم حسابهم اليه وما من حسابك عليهم من شيء اجيب بانه قد جعلتا بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزق هؤلاء الفقراء من شيء فتملهم وتطردهم ولا حساب رزقك عليهم وانما الرزاق لهم ولك هو الله فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم قوله فتطردهم جواب النفي والمعنى ما عليك من حسابهم من شيء فتطردهم اي لم يكن عليك حسابهم حتى انك لاجل ذلك الحساب تطردهم فتكون من الظالمين جواب النهي ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم والمعنى فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد وقيل من الظالمين لهم لانهم استوجبوا مزيد التقريب والتكريم وانت طردتهم قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ● اي ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعض الشريف بالوضيع والغني بالفقير والعزيز بالذليل ليقول الاشراف والاغنياء والاعزة أهؤلاء يعني الوضعاء والفقراء والاذلة قد من الله عليهم من بيننا وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عند الله من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتنا بعضهم على ظاهرهم (?) الى ايمانهم (?) وحمله على خذلانهم فافتتنوا أليس الله باعلم بمن يشكر الايمان والاسلام اذا هديناه اليه قوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم ● قيل عام في كل من هذه صفته وقيل نزلت في اهل الصفة الذين سأل المشركون رسول الله طردهم ثم امره ان يكرمهم بهذا النوع من الاكرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام قيل السلام هو الله تعالى والمعنى السلام عليكم الله عليكم اي على حفظكم وقيل السلام جمع السلامة فمعنى قولنا السلام عليكم السلامة عليكم وقيل السلام مصدر سلمت تسليما وسلاما فقيل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم كتب على نفسه الرحمة كتب كذا على فلان يفيد الايجاب وعلى ايضا يفيد الايجاب والجمع بينهما يفيد المبالغة في الايجاب وعلى ايضا يفيد الايجاب والجمع بينهما يفيد التأكيد في الايجاب فهذا يقتضي كونه تعالى رحيما بعباده على سبيل الوجوب واختلف العقلاء في ذلك الوجوب فقال اصحابنا له ان يتصرف في عبيده كيف شاء واراد الا انه اوجب على نفسه الرحمة على سبيل التفضل بحكم مشيئته وقالت المعتزلة ان كونه عالما بقبح القبائح وعالما بكونه غنيا عنها يمنعه من الاقدام على القبائح ولو فعله كان ظلما والظلم قبيح والقبيح منه محال وقيل انه تعالى لما امر الرسول بان يقول لهم سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة كان هذا من قول الله وهذا يدل على انه سبحانه قال لهم في الدنيا سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وتحقيق هذا الكلام انه تعالى وعدهم بانه يقول لهم بعد الموت سلام قولا من رب رحيم ثم انهم لما افنوا اعمارهم في العبودية حتى صدقوا (?) الدنيا الى عالم القيامة لاجرم صار التسليم الموعود به بعد الموت نقدا في الدنيا لكونهم في الدنيا ومنهم من يقول هذا كلام آخر انه من عمل قرأ ابن عامر وعاصم انه بفتح الالف فانه بكسر الالف وقرأ نافع بفتح الاولى وكسر الثانية والباقون بالكسر فيهما اما فتح الاولى فعلى الابدال من الرحمة

وأما فتح الثانية فعلى أن يجعله بدلا من الأولى كقوله كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله وقوله ألم يعلموا أنه من يحادد الله
ورسوله فأن له نار جهنم وقال أبو علي الفارسي من فتح الأولى فقد جعلها بدلا من الرحمة وأما الثانية فعلى أنه
أضمر له خبرا تقديره فله أنه غفور رحيم وأما الكسر فيهما فلأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فقد تم هذا الكلام ثم
ابتدأ على سبيل الاستيناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم
ودخلت الفاء جزاء الشرط الذي تضمنه قوله من عمل وكسرت إن لأنها دخلت على المبتدأ والخبر كأنك قلت فهو غفور رحيم
لكنه أكد الكلام بأن قوله بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فعل فعل الجهال لأن
من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بما يؤول إليه الضرر أو ظان به فهو من أهل السفه والجهالة لا من أهل
الحكمة والتدبير وثانيهما أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله
وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما اقترحوه ولم يعلم أنها مفسدة قوله تاب إشارة إلى الندم على
الماضي وقوله وأصلح إشارة إلى كونه آتيا بالأعمال الصالحة في الزمان المستقبل فإنه غفور بسبب إزالة العقاب رحيم
بسبب إيصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة. قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
أي ومثل ذلك التفصيل البين الدال على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل آيات القرآن ونخصها في صفة
كل حق ينكره أهل الباطل ولتستبين قرأ نافع لتستبين بالتاء سبيل بالنصب والمعنى لتستبين يا محمد سبيل هؤلاء
المجرمين وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ليستبين بالياء سبيل بالرفع والباقون بالتاء سبيل بالرفع على
تأنيث سبيل وأهل الحجاز يؤنثون السبيل وبنو تميم يذكرونه يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته ومتعلق اللام في
ولتستبين محذوف والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع
على قلبه لا يرجى إسلامه ومن يرجى منه أمارات القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه
لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل وإنما قال ولتستبين
سبيل المجرمين ولم يذكر سبيل المؤمنين لأن ذكر أحد القسمين يدل على الآخر كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد
وأيضا الضدان إذا كانا بحيث لا يحصل بينهما واسطة فمتى بانت خاصية القسم الآخر كالحق والباطل لا واسطة
بينهما فإذا بعد الحق إلا الضلال فمتى استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين وبالعكس لأن رفع النقيضين محال. قوله تعالى قل إني على
بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين. لما ذكر في الآية المتقدمة
أنه يفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين سبيل المجرمين ذكر في هذه الآية أنه تعالى نهى الرسول عن سلوك سبيلهم فقال إني نهيت
منعت وزجرت عن عبادة ما تدعونه وتعبدونه من دون الله وقيل تستجيرها الضر وتستغيثون بها عند الوقوع في الشدائد وقيل في الكفر
غير بصيرة فإن عبادة الذين يدعون من دون الله بناء على محض الهوى والتقليد لا على الحجة والدليل لأن الجمادات
هي أخس مرتبة من الإنسان بكثير وكون الأشرف مشتغلا بعبادة الأخس أمر يدفع صريح العقل ثم نهى عن اتباع الهوى
ثانيا وقيل يا محمد لا أتبع أهواءكم لا أسلك سبيلكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل القويم
والصراط المستقيم وهو بيان السبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل قد
ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء والمقصود كأنه يقول لكم كذلك فلما نفى أن
يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة أي أني من معرفة ربي وأنه لا إله غيره على بينة ظاهرة و
قاهرة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتا
عندك بدليل صحيح ثم أعقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يعاقبوا
بالعذاب المستأصل وإنه عليه السلام كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم بسبب هذا الشرك وهم لما أصروا على
الكفر كانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب فقال تعالى قل يا محمد ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي يستعجلونه
في قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم والمراد أن ذلك العذاب
ينزله الله في الوقت الذي أراده الله فيه ولا قدرة لي على تقديمه وتأخيره إن الحكم إلا لله في كل الأمور والمراد هنا
أن الحكم إلا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو
خير الفاصلين قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من القصص أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره وقيل
معناه أن كل ما أنبأ الله به فهو من أقاصيص الحق كقوله نحن نقص عليك أحسن القصص والباقون يقضي الحق قال
الزجاج فيه وجهان أحدهما أن يكون الحق صفة للمصدر على تقدير يقضي القضاء الحق والثاني أن يكون يقضي الحق بمعنى يصنع الحق
لأن كل شيء صنعه فقد قضاه فيكون الحق مفعولا به وقضى بمعنى صنع قال الهذلي وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع
داود. قوله تعالى قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين. أي لو أن في قدرتي
وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم أي لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي واستعظاما لتكذيبهم
به ولتخلصت منكم سريعا والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره والمعنى أنه أعلم بوقت
عقوبة الظالمين والله يعلم ذلك فهو يؤخره إلى وقته. قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر
والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. لما قال
في الآية الأولى والله أعلم بالظالمين يعني أنه تعالى عالم بكل شيء فهو يعجل ما أراد تعجيله ويؤخر ما أراد تأخيره

وذكر في هذه الآية علمه بجميع الأشياء على سبيل التفصيل المفاتح جمع مفتح فقد جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن
المفاتح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق فيها بالأغلاق والأقفال فالعالم بالمفاتح وبكيفية استعمالها في فتح الأغلاق
والأقفال والأبواب كيف يفتح يتوصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح
الخزائن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في الخزائن وقيل المفاتح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن والمعنى عنده خزائن الغيب كالخزائن
تقوى أن ينتفع الأغنياء بخزائنه قال الإمام اعلم أن ههنا دقيقة هي أن القضايا العقلية المحضة يصعب تحصيل العلم
بها على سبيل التمام والكمال إلا للعقلاء الذين تعودوا الإعراض عن قضايا الحس والخيال وألفوا استحضار المعقولات
المجردة وقليل ما هم نادرا تولى لو قيل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وقضية عقلية مجردة والإنسان الذي يقوى
على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن إنما أنزل لينتفع به جميع الخلق فههنا طريق آخر وهو أنه ذكر القضية
العقلية المحضة المجردة وأراد أن تصل إلى العقل كل أحد ذكر لها مثالا من الأمور المحسوسة الداخلة تحت القضية العقلية
الكلية ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس لكل أحد والأمر في هذه الآية ورد على هذا النمط لأنه قال أولا وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ثم أكد هذا المعقول الكلي المجرد بمثال يجري مجرى المحسوس فقال ويعلم ما في البر والبحر
لأن أحد أقسام معلومات الله هو جميع ذرات البر والبحر والحس والخيال قد يقف عند عظم أحوال البر والبحر فذكر هذا المحسوس
يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول وعن دقيقة أخرى وهي أنه تعالى قدم ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر
وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن وأما البحر
فإحاطة العقل بأحوالها أقل إلا أن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات
وأجناس المخلوقات أعجب فإذا استحضر الخيال صورة البر والبحر على هذه الوجوه ثم عرف أن مجموعها قسم حقير من الأقسام الداخلة
تحت قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فيصير هذا المثال المحسوس مقويا ومكملا للعظمة الحاصلة تحت قوله
مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ثم ذكر البر والبحر ثم قال وما تسقط من ورقة إلا يعلمها وذلك لأن العقل يستحضر جميع
ما في وجه الأرض من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال ثم يستحضر كم فيها من النجم والشجر ثم يستحضر أنه لا تتغير
حال ورقة إلا يعلمها ثم تجاوز عن هذا المثال إلى مثال آخر أشد هيبة منه وهو قوله ولا حبة في ظلمات الأرض وذلك لأن
الحبة تكون في غاية الصغر وظلمات الأرض موضع يبقى أكثر الأجسام وأعظمها مخفيا فيها فإذا سمع أن تلك الحبة الصغيرة
الملقاة في ظلمات الأرض على اتساعها وعظمتها لا يخرج من علمه البتة صارت هذه الأمثلة منبهة على عظمة
وجلاله تعالى من المعنى المشار إليه بقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو بحيث تتحير العقول فيها وتتقاصر
الأفكار والألباب عن الوصول إلى مباديها ثم إنه تعالى لما قوى أمر ذلك المعقول المحض المجرد بذكر هذه الجزئيات المحسوسة
عاد إلى ذكر تلك القضية العقلية المحضة المجردة بعبارة أخرى فقال ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو عين
المذكور في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فهذا ما حصلناه في تفسير هذه الآية الشريفة العالية ومن الله
التوفيق قال المتكلمون إنه تعالى فاعل العالم بجواهره وأعراضه على سبيل الإحكام والإتقان ومن كان كذلك كان عالما بها وقال
الحكماء أنه تعالى مبدأ لجميع الممكنات والعلم بالأثر يوجب كونه تعالى عالما بكلها وهذا الكلام يدل على كونه تعالى
عالما بجميع الجزئيات الزمانية وقد سلموا أن العلم بالمبدأ يوجب العلم بالأثر فيجب كونه تعالى عالما بكلها ~~وهذا الكلام~~
~~يدل الدلائل على كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات الزمانية وقد سلموا أن العلم بالمبدأ يوجب العلم بالأثر فوجب كونه تعالى~~
عالما بهذه المتغيرات والزمانيات من حيث إنها متعينة وزمانية وذلك هو المطلوب قوله ولا حبة ولا رطب ولا يابس
عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما تسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه قوله إلا في كتاب مبين مثل قوله علم
الله لا يخير وقال الزجاج يجوز أن يكون الله عز وجل أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال تعالى ما أصاب
من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها. قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون. لما بين كمال علمه
في الآية الأولى بين كمال قدرته بهذه الآية وهو كونه قادرا على نقل الذوات من الموت إلى الحياة ومن النوم إلى اليقظة
واستقلاله بحفظها في جميع الأحوال وتدبيرها على أحسن الوجوه حالتي النوم واليقظة يتوفاكم أي يقبض أرواحكم
في منامكم من التصرف كما يقبضها بالموت ويعلم ما جرحتم ما كسبتم من العمل بالنهار وأصلها من جارحة اليد ثم قيل لكل
ما يعمل بالجوارح بأي عضو من الأعضاء يعمل ومنه جوارح الصيد ثم يبعثكم أي يثيركم ويوقظكم في النهار ليقضى أجل مسمى
أي أعماركم المكتوبة والمعنى يبعثكم من نومكم إلى أن تبلغوا آجالكم ومعنى القضاء فصل الأمر على سبيل التمام ومعنى قضى
الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت حتى ينقطع عن الحي ويدركها وفي هذا إقامة الحجة على منكر البعث يعني كما قدرت
أن أتوفاكم بالليل ثم أوقظكم بالنهار فكذلك أقدر على بعثكم بعد الموت ثم إليه مرجعكم في الآخرة فينبئكم بما كنتم تعملون
في ليلكم ونهاركم وجميع أحوالكم وأعمالكم. قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم
الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين. وهو القاهر
للعدم بالتكوين والإيجاد وللموجود بالإفناء والإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم وكل مستبد بصنع
فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم
وهم الكرام الكاتبون توفته رسلنا أي استوفت روحه ملك الموت وأعوانه وهم لا يفرطون أي لا يقصرون فيما أمروا به

والتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا
إلى الله يعني الملائكة وقيل العباد مولاهم مالكهم الذي يلي عليه أمورهم الحق الموجود الذي هو حق الأشياء بكونه
مولى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة ثم ردوا إلى تصرف مولاهم الحق ألا له الحكم يومئذ لا حكم
فيه لغيره وذلك يقتضي أن الخير والشر بحكم الله وقضائه فلولا أنه تعالى حكم للسعيد بالسعادة وللشقي بالشقاوة لما حصل
السعادة والشقاوة لأحد وهو أسرع الحاسبين لأنه لا يحتاج إلى فكر وعد وروية ولا عقد وكتابة ولا يشغله حساب
قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ● هذا أيضا نوع من الدلائل الدالة على كمال القدرة الإلهية وكمال
الرحمة والفضل والإحسان قرأ عاصم وحمزة والكسائي ينجيكم بالتشديد في الكلمتين والباقون بالتخفيف وهما
لغتان من نجا فإن شئت ثقلتها بالهمزة وإن شئت ثقلت بتضعيف العين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لئن أنجانا
على المغايبة وعاصم بالتفخيم وهما بالإمالة والباقون بالمخاطبة من ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل ومعناه إذا اشتد الأمر فيه وتشتبه
عليه كيفية الخروج ويظلم عليه طريق الخلاص ومنهم من حمله على حقيقته فظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب
والخوف الشديد من هجوم الأعداء والخوف الشديد من عدم الاهتداء إلى طريق الصواب وظلمات البحر ظلمة الليل وظلمة
البحر وظلمة السحاب وانصباب الرياح العاصفة والأمواج الهائلة إليها فلم يعرفوا كيفية الخلاص والخوف في المقصود فعند
أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا
لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله وهو المراد من قوله تضرعا
وخفية فبين تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة من التوجه إلى غير الله بأنه لا ملجأ إلا إلى الله وجب أن يبقى هذا
الإخلاص عند كل الأحوال وفي جميع الأوقات لكنه ليس كذلك فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة
يحيل تلك السلامة إلى الأسباب ويقدم على الشرك والآية تدل على أن عند حصول الإنسان في هذه الشدائد
يأتي بأمور أحدها الدعاء وثانيها التضرع وثالثها الإخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخفية ورابعها التزام الشكر
على تقدير النجاة ثم بين تعالى أنه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الخوف والكرب أي الحزن ثم إن ذلك
الإنسان يقدم على الشرك قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم
أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ● هذا نوع آخر
من الدلائل الدالة على كمال القدرة ممزوج بالتخويف فبين أنه هو القادر الذي عرفتموه قادر وهو الكامل القدرة
على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم بالصيحة والمطر والريح والحجارة كما فعل بثمود وقوم نوح وعاد ولوط وأصحاب
الفيل أو من تحت أرجلكم بالخسف كما فعل بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم
من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل من فوقكم من حبس المطر ومن تحت أرجلكم من حبس النبات أو يلبسكم شيعا
أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى ويذيق بعضكم بأس بعض يعني يقتل بعضكم بعضا بالسيوف المختلفة
كما فعل ببني إسرائيل ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل ما بقاء أمتي على ذلك فقال إنما أنا عبد مثلك فسل ربك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ
وصلى وسأل ربه أن لا يبعث على أمته عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولا يذيق بعضهم بأس بعض فأعطي
اثنين ومنع واحدة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من
تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف ومعنى
الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة قوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل
لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون ● أي وكذب بالعذاب قومك وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم وقيل به القرآن
وهو الحق في أنه منزل من عند الله وقيل به بتصريف الآيات وهو الحق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي
أمركم أمنعكم من التكذيب إجبارا أو أجازيكم على تكذيبكم إنما أنا رسول منذر لكل شيء ينبأ به يعني أنباءهم
بأنهم يعذبون وإيعادهم مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه أو موضع يستقر فيه وقيل لكل وعد ووعيد
من الله استقرار ولا بد أن يعلموا كما أخبر الله عند ظهوره ونزوله وهذا العذاب يجوز أن يكون المراد
به استئصال الكفار بالحرب والقتل والقهر في الدنيا ويجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة قوله
تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك
الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ● وإذا رأيت قيل الخطاب للنبي والمراد به غيره وقيل
الخطاب لكل أحد أي إذا رأيت أيها السامع الذين يخوضون في القرآن بالاستهزاء والطعن فيها والتكذيب
فأعرض عنهم أي اتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غير القرآن فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وذلك أن
المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوا واستهزؤوا وقرأ ابن عامر
ينسينك بتشديد السين وفتح النون والباقون بتخفيف السين وسكون النون ونسي وأنسي يجريان مجرى واحد

والمعنى

والمعنى وإن شغلك الشيطان بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد أن تذكر النهي [illegible]
[illegible]
[illegible] القوم الظالمين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ● [illegible]
[illegible]
قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ● [illegible]
[illegible]
الدنيا من اختار لتحصيل المناصب والرياسة وجمع الأموال والتفاخر وقد حكم الله على الدنيا بأنها لعب ولهو وإذا
تأملت في حال أكثر الناس وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وقيل الذين يعتقدون أن لا بعث فهم سعوا في شهواتهم
نصرفها للعب واللهو وقيل دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل
اتخذوا عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واتباع الهوى وعمل
بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد دينا لهم وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله
كل الناس من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله مثل الجمعة
والفطر والأضحى وغرتهم الحياة الدنيا وخدعتهم من الغرور وهو الإطماع بالأباطيل فاغتروا بنعم الله ورزقه وطمعهم ذلك
فيما لا يحصل من رحمته وقيل من الغرر بفتح الغين أي ملأت أفواههم وأشبعتهم وذكر به بالقرآن وقيل بالدين أن تبسل
نفس مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم
قال الشاعر وإبسالي بني بغير جرم ... ومنه هذا عليك بسل أي حرام ومحظور والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه أو لأنه شديد البسور بها بسر الرجل إذا اشتد عبوسه وإذا زاد قالوا أبسل والعابس منقبض الوجه
وعن ابن عباس تبسل نفس أي ترتهن في جهنم بما كسبت في الدنيا وعن الحسن ومجاهد تسلم للهلكة وعن
مرة تفضح وعن قتادة تحبس في جهنم وعن ابن عباس تفضح وأبسلوا فضحوا ومعنى الآية وذكرهم بالقرآن ومقتضى
الدين احتباسهم في نار جهنم بسبب جناياتهم لعلهم يخافون فيتقون ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل
أي وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وقوله لا يؤخذ
الراجع مفعول لا ضمير فاعل وأسند لقوله يؤخذ منها لا يجوز أن يجعل ضمير العدل قائما مقام الفاعل لأن العدل
هاهنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فيصح إسناد الفعل
إليه أولئك أي الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هم الذين أبسلوا أي الحرج من الكفر لهم شراب من حميم ماء حار وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون قوله تعالى قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا
الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى
وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون ● المقصود من هذه الآية
الرد على عبدة الأصنام وهي مؤكدة لقوله تعالى قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل في احتجاجك
أي تطلبون أن ندعو ونعبد من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا أي ما لا يقدر على منفعتنا ولا
مضرتنا وقيل الدعاء بمعنى العبادة وغيرها لأن من جعل شيئا موضع دعائه فإياه يعبد وعليه يتكل وهي الأصنام
التي لا ينفعهم الكفار ولذلك نفى الضر الذي يتوهمونه من تنزل المكانة الدنيوية ونرد على أعقابنا راجعين
إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام والأصل في ذلك أن يكون للإنسان مشي قدما وهي المشية
المستقيمة فيرد فيمشي القهقرى وهي المشية الردية فاستعمل المثل بما يجمع من خير إلى شر ووقعت في هذه الآية
في تمثيل الراجع من الهدى إلى عبادة الأصنام وقيل الرد إلى العقب بمن أمل أمرا فخاب أمله قال ابن عطية وهذا قول
كالذي الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره ردا كرد الذي ذهبت به الشياطين في الأرض
إلى المفازة البعيدة وقرأ حمزة استهواه بالإمالة لأنه ممال بالتذكير والباقون بالتاء لأن الجمع يصلح أن يذكر على معنى الجمع
ويصلح أن يؤنث على معنى الجماعة قيل مشتق من الهوى في الأرض وهو النزول من الموضع العالي إلى الوهدة السافلة العميقة

في قعر الارض فشبه الله حال هذا الضال به كقوله ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فلا شك ان الانسان
عند هويه من المكان العالي الى الوهدة العميقة المظلمة في غاية الاضطراب والحيرة وقيل مشتق من الهوى الذي هو
واستهوته بمعنى استند بحب هواه واما التحير ان تاه عن الامر الجادة لا يدري كيف يصنع مونثه حيرى فهو فيه منع
علما وغيره وهو منصوب على الحال من الضمير المنصوب الذي في استهوته او على الحال من الذي في قوله كالذي وقال العامل
الرد المقدر وقيل الضمير في نرد على اعقابنا اي ننكص مشبهين من استهوته الشياطين له اي لهذا المستهوي اصحاب يدعونه
الى الهدى الى ان يهدوه للطريق المستوي ويجوز ان يراد بالهدى الطريق المستقيم اي يدعونه الى الطريق المستقيم يقولون
ايتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعم العرب وتعتقده ان الجن تستهوي
الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله الذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات
الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله هو الاسلام والايمان هو الهدى وحده وما
وراءه ضلال وغي وامرنا لنسلم محل النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولا قل كانه قيل هذا القول
وامرنا لنسلم اللام فيه لام كي تعليل الامر على معنى امرنا كي نسلم فان مقدرة بعد اللام والمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا
لاجل ان نسلم فالمفعول بالامر مقدر وامرنا بالاخلاص قيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر حين دعا اباه الى الكفر
واريد بالاصحاب ابوه وامه قال صاحب الكشاف فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو الاصنام
الذي كان الرسول مع المؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق قال ابن عطية وهذا ضعيف لان في الصحيح
عائشة رضي الله عنها ما سمعت فيكم من يقول لنا ذلك قوله والذي قال لوالديه اف لكما نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قالت
كذبوا والله ما انزل فينا من القرآن شيء الا براءتي قوله تعالى وان اقيموا الصلاة معطوف على موضع لنسلم قيل وامرنا ان نسلم
وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلاة ويحتمل ان يكون معطوفا
على المفعول المقدر لامرنا اي امرنا بالاخلاص وبان اقيموا الصلاة **قوله تعالى** وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
لما بين في الايات المتقدمة فساد طريق عبدة الاصنام ذكر هاهنا ما يدل على انه لا معبود الا الله وهو هذه الاية
فذكر هاهنا انواعا كثيرة من الدلائل اولها قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض فقد ذكرنا في اول السورة
قوله بالحق على تفسير قوله في آل عمران ربنا ما خلقت هذا باطلا قال اهل السنة والجماعة انه تعالى المالك لجميع المحدثات
وتصرف المالك في ملكه حق وصواب وقالت المعتزلة معنى كونه حقا انه واقع على وفق مصالح المكلفين مطابق لمنافعهم
وقيل انه تعالى اودع في هذه الاجرام العظيمة قوى وخواص وجعلها قابلة لآثار عجيبة مطابقة لمصالح هذا العالم
ومنافعه وثانيها قوله ويوم يقول كن فيكون قيل ويوم عطف على السموات والارض والتقدير وهو الذي خلق
السموات والارض وخلق يوم يقول كن فيكون والمعنى وهو الذي خلق الدنيا وما فيها من الافلاك والطبائع والعناصر
وخلق يوم القيمة والبعث ورد الارواح الى الاجساد على سبيل كن فيكون وقيل الحق مبتدأ ويوم يقول كن فيكون
خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقوله يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى قوله الحق واقع
يوم يقول كن فيكون وقيل ويوم يقول انتصب على الظرف وهو متعلق بمفعول لفعل مضمر تقديره واذكر الخلق والاعادة يوم
يقول له واذكر الاعادة يوم يقول الله للاجساد كن معادة وقيل يحتمل ان يتم الكلام هنا ثم يبتدأ باخبار انه يكون قوله
الحق الذي كان في الدنيا اخبارا بالاعادة فقوله قوله الحق مبتدأ وخبر قال الزجاج قوله ويوم معطوف على الضمير
المنصوب في قوله واتقوه والتقدير اتقوا الله ويوم اي خافوا العقاب او الاهوال والشدائد يوم يقول للشيء الذي
وله الملك يوم ينفخ في الصور وله الملك مبتدأ وخبر وقوله يوم ينفخ ظرف له كقوله لمن الملك اليوم وقيل يوم بدل من الاول
على انه يقول مستقبلا على تقدير مضيه والصور جمع صورة والمعنى يوم يعاد العالم وقال الجمهور هو الصور القرآني
الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم البعث ورابعها قوله عالم الغيب والشهادة اعلم انه تعالى ما ذكر
احوال البعث في القيمة الا وقرر فيه اصلين احدهما كونه قادرا على كل الممكنات وثانيها كونه عالما بكل المعلومات لانه بتقدير
ان لا يكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث والحشر ورد الارواح الى الاجساد وبتقدير ان لا يكون عالما بجميع الجزئيات
لم يصح ذلك ايضا منه لانه ربما اشتبه عليه المطيع بالعاصي والمؤمن بالكافر والصديق بالزنديق فلا يحصل المقصود الاكمل
من البعث والقيمة اما اذا ثبت بالدليل حصول هاتين الصفتين كمل الغرض والمقصود فالاول لتنزيهه عن العجز عن البعث
والثاني تقرير الحكمة مبرأ عن العبث والباطل والعجز والثالث تقرير القدرة التامة الكاملة التي لا دافع لها ولا مانع
والرابع تقرير احاطة علمه بكل شيء فلهذا لزم ان يكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والعجز وان يكون حكمه صدقا
حقا قوله عالم الغيب فهو عالم الغيب والشهادة وارتفاعه على المدح وهو الحكيم الخبير في افعاله الخبير العالم
بحقايقها من جميع اشيائه **قوله تعالى** واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال
مبين ● انه تعالى كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابراهيم لانه عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف فالمشركون كانوا
معترفين بفضله ~~جميع الطوائف فالمشركون كانوا معترفين بفضله~~ مشرفين بانهم من اولاده واليهود والنصارى والمسلمون
كلهم معظمون له معترفون بجلالة قدره فلاجرم ذكر الله حكاية حاله في معرض الاحتجاج على المشركين قوله واذ قال
العامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر [illegible] لنبيه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من الاقتداء في محاجته عرضه الاقتداء آزرا

السبعة آزر بفتح الهمزة التي هي قبل الالف وفتح الزاء والراء وهو اسم ابي ابرهيم والاختلاف في ان اسمه آزر او تارح وفي انه
ابوه او عمه والاحتجاج والاعراض لا يجدي كثير نفع فالاولى الاعراض عنه والاختصار على ما دل عليه كلام الله والحمل
على الظاهر بيان لابيه وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن
ويجوز ان يراد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل آزر صفة ومعناه المعوج المخطي ورد هذا بانه
نكرة فلا ينعت المعرفة ودفع هذا بانه اريد فيه الالف واللام وان لم يلفظ بهما كما في معناه واذ قال ابرهيم لابيه المخطي وتعين
نصبه على الحال كانه قال اذ قال ابرهيم لابيه وهو في حال العوج وخطأ وقيل معناه الشيخ الهرم قيل اشتمل كلام ابرهيم في هذه الاية
على ذكر الحجة العقلية على فساد قول عبدة الاصنام من وجهين الاول ان قوله اتتخذ اصناما آلهة يدل على انهم كانوا يقولون
بكثرة الالهة لان القول بكثرة الالهة باطل بالدليل العقلي الذي ذكره في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثاني
ان هذه الاصنام لو حصلت لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على انها
وان كثرت فلا نفع فيها البتة وقيل دلت هذه الاية على ان وجوب الشكر معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم
بالضلال لعدم الوجوب العقلي والا لم يحكم عليهم بالضلال لان ذلك المذهب كان متقدما على دعوة ابرهيم وقد يقال ان الحكم
عليهم بالضلال لشرع الانبياء الذين كانوا متقدمين على ابرهيم واراد في هذا الموضع يشترك فيه البصر والقلب فهو مبني
بين واضح ظاهر وهو ما بان الشيء اذا ظهر **قوله تعالى** وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
الاية المتقدمة تقتضي بهداية ابرهيم الى انكار الكفر وقبح عبادة الاصنام والاشارة هنا بذلك الى الهداية اي مثل
وكما هديناه الى انكار الكفر وقبح عبادة الاصنام اريناه ملكوت السموات والارض ونري حكاية حال الماضية اي كنا نري
وقيل كما هديناك يا محمد اريناك ابرهيم ملكوت السموات والارض وليس ببعيد فان قوله قل اندعو من دون الله الى قوله
وهو الحكيم الخبير يفيد هذا المعنى وبعد الاشارة تيسير الحق تعالى اما من رؤية البصر او من رؤية العقل بمعنى المعرفة او بمعنى
العلم فالثالث باطل والا لتعدى نري الى ثلاث مفاعيل وليس كذلك لان الثالث محذوف لان حذفه كذكر الثالث في حذف الثاني
غير جائز فقيل ان الله تعالى ارى ابرهيم ملكوت السموات والارض بالبصر وان الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي
والى حيث ينتهي فوقه العالم الجسماني وشق له الارض الى حيث ينتهي الى السطح الآخر من العالم الجسماني ورأى ما في السموات
والارض من الغرائب والعجائب والبدائع روي ان الله عز وجل فرج لابرهيم عليه السلام السموات والارضين حتى رأى ببصره الملكوت
الاعلى والملكوت الاسفل فان صح هذا النقل ففيه تخصيص لابرهيم عليه السلام بما لا يدرك غيره قبله فلا تعدية وهذا قول
مجاهد قال تفرجت له السموات والارضون فرأى مكانه في الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل رأى ببصره من
الملكوت ما تيسر له منها من الاعيان ورؤية العقلية ما لم يتيسر لاحد من اهل زمنه لا لذي بعثنا اليهم قاله ابن عباس وغيره
ففي هذا تخصيص ما على جهة التقييد باهل زمنه وقيل هي رؤية بعين البصيرة والعقل لا بالبصر والحس الظاهر
فان ملكوت السموات والارض هي حقايقها وصفاتها واحوالها التي لا تدرك بالحس الظاهر وهو الملك ومما يدل
البصيرة والعقل هو الملكوت كاضافة الملكوت الى السموات والارض والى كل شيء في قوله تعالى سبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء يدل على مغايرة الملكوت للسموات والارض وكل شيء فالسموات والارض وكل شيء ملكه المدرك بالحس
الظاهر والبصر وملكوت السموات والارض وكل شيء ما يدرك منها بعين البصيرة والعقل وكذا في قوله تعالى آخر الاية وتلك
حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه لانهم ما رأوا بالبصر ما رأى ابرهيم به وكانوا يكذبون ابرهيم فيما ادعاه قوله وليكون
من الموقنين ان اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك وتقدير الاية نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض لاجل ان يصير من الموقنين واليقين مستفاد من التأمل والفكر فلا يكون بغير البصر وهذا ان القول
يناسب الاية لان الغاية التي نصبت لها هي ان يكون من الموقنين واليقين انما يقع بالتأمل والاجتهاد وكون
الثاني اولى لان التأمل والفكر مسبوق برؤية البصر لان الرؤية بالبصر يستفاد منها التأمل فيه بالبصيرة والعقل
والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة وفيه مبالغة من جهة الزيادة فملكوت كل شيء ماهيته
وقوامه وتحققه فاذا تأمل في ملكوت السموات والارض يعلم ان السموات والارض من الممكنات والمحدثات فلا بد لها
من موجد قادر مختار وعالم فيكون حجة على قومه قال صاحب الكشاف وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بها بين المعطوف
الذي هو قوله فلما جن عليه الليل والمعطوف عليه الذي هو قوله قال ابرهيم لابيه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير
نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره
وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك فعلى هذا هذا الكلام مستأنف لبيان
علة الاراءة والتقدير وليكون من الموقنين نريه ملكوت السموات وقيل ان الاراءة تحصل وتصير سببا لمزيد العلم
واليقين فيما حصلت الاراءة هذه الاحتمالين قال تعالى نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين لاجل الحجة
قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال
هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما
افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ● جن
عليه الليل يعني الليل جنونا وتنقيا الا [illegible] جنه الليل ولكن الاختيار جن عليه الليل وجنه الليل هذا قول جميع اهل
اللغة ومعنى جن ستر ومنه الجنة والجن والجنون والجان والمجن والجنين المستور كل هذا اصله يعود الى الستر والاستتار

وقال بعض النحويين جن عليه الليل اى اظلم عليه ولهذا دخلت على عليه كما يقول في اظلم فاما جنه فستره من
قيل يجن اظلم وقيل ان ابرهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعى الناس
الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه
ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبيا قال السدي راى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر
حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والحازة والقافة فسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود
يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في ناحيته تلك السنة
وامر بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل عشرة رجلا فاذا حاضت المراة خلى بينه وبينها فاذا طهرت حال بينهما فرجع
ابو ابرهيم فوجد امراته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابرهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة
حبلى بقريته فحبسها الا ما كان من ام ابرهيم عليه السلام فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف
الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم من ذلك المولود ان يكون فمكث بذلك ما شاء الله
ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فدعاه وقال ان لي اليك حاجة احب
ان اوصيك بها ولا ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك الا تدنو من اهلك ولا تواقعها قال آزر انا اشح على ديني
من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى ام ابرهيم لم يتمالك
حتى وقع عليها فحملت بابرهيم عليه السلام قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليلة فامر نمرود بذبح
الغلمان فلما دنت ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في
نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفا فرجعت فاخبرت زوجها بانها قد ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق
ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت
امه تختلف اليه فترضعه وقال السدي لما عظم بطن ام ابرهيم خشيت ان يذبح فانطلقت بها الى ارض بين الكوفة
والبصرة يقال لها اور فانطلقت في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من اصحابه
فولدت ابرهيم في ذلك السرب فشب وكان وهو ابن سنة كابن ثلث سنين وصار من الشباب بحالة انقطع عنه
طمع الذابحين ثم ذكر آزر لاصحابه ان لي ابنا كبيرا فانطلق به اليهم وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق خرجت
ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة
ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه وقيل كانت ام ابرهيم كلما دخلت
عليه وجدته يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق
وكان آزر قد سال ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان اليوم على ابرهيم
في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابرهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى رجع اليه آزر
فاخبره انه ابنه فاخبرته ام ابرهيم انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت في شانه فسر بذلك آزر وفرح فرحا شديدا قالوا
فلما شب ابرهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت
فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما
قال لها فاتاه ابوه آزر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال
فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت ثم قالا لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابرهيم
الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فتفكر
في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي ما لي اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قد طلع
ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة آخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى راى كوكبا قال هذا
ربي اختلفوا في اجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابرهيم مسترشدا متحيرا طالبا للتوحيد وفقه الله واتاه
رشده وانما كان هذا منه في حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه في تلك الحالة لا يكون كفرا ولا ايمانا يدل عليه ما روي
عن ابن عباس فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فعبده حتى غاب فقال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا قال هذا
ربي فعبده حتى غاب فقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فعبدها
حتى غابت فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وانكر الآخرون هذا القول وقالوا غير جائز ان يكون لله رسول ياتي عليه
وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه بريء قالوا وكيف يتوهم هذا من عصمه الله وطهره
في مستقره ومستودعه واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب سليم وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين افتراه اراه الملكوت ليوقن فلما ايقن راى كوكبا فقال هذا ربي على اعتقاده حقيقة
هذا ما لا يكون ابدا ثم قال فيه اربعة اوجه من التاويل الصحيح الوجه الاول ان ابرهيم اراد ان يستدرجهم بهذا القول
ويعرفهم خطاهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وليقيم عليهم الحجة فانه كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر
والكوكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى
ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر
طلوعها وافولها ومسيرها وانتقالها وسائر احوالها هذا ربي في قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير

متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجح في الشغب ثم يكر بعد حكايته فيبطله بالحجة الوجه الثاني ان ابرهيم عليه
السلام قال لهم يعبدون الشمس والقمر والكواكب فقال لهم على جهة الاستفهام والتوبيخ منكرا لفعلهم هذا ربي
ومثل هذا يكون ربا اي ليس هذا ربي لكن اسقط حرف الاستفهام عنه استغناء عنه لدلالة الكلام عليه الوجه
الثالث هذا ربي في زعمكم واعتقادكم على سبيل الاستهزاء وهذا كقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا
الوجه الرابع ان يكون القول مضمرا فيه والتقدير يقولون هذا ربي واضمار القول كثير كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا قرا ابو عمرو وورش عن نافع راى بفتح الراء وكسر الهمزة وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وخلف التميمي وابو بكر بكسرهما ويحيى عن ابي بكر ونصر عن الكسائي يكسرون الراء ويفتحون الهمزة والباقون يفتحون جميع
ذلك بفتح الراء والهمزة قال الواحدي اما من فتح الراء والهمزة قال الواحدي اما من فتح
الراء والهمزة فعلته واضحة وهي ترك الالف على اصلها ومن قرا اما من فتح الراء وكسر الهمزة فانه امال الهمزة نحو الكسر لتميل
الالف التي في راى نحو الياء وترك الراء مفتوحة على الاصل واما من كسرهما جميعا فلاجل ان يشبه حركة الراء مشابهة
حركة الهمزة فلما افل قال لا احب الآفلين الافول المغيب بعد الطلوع وافلت الشمس تافل وتافل افولا اذا غابت
واحتج ابرهيم عليه السلام بافول الكوكب على انه يستحيل ان يكون ربا لان افول الكوكب يدل على حدوثه وامكانه لان
الافول حركة والحركة تقتضي حدوث المتحرك وامكانه فيمتنع ان يكون المتحرك ربا والها فان قيل الافول انما يدل
على الحدوث من حيث انه حركة فيكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث الا ان الدليل الذي يحتج به الانبيا في معرض
دعوة الخلق الى الله تعالى يجب ان يكون ظاهرا بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل والغافل ودلالة الحركة على
الحدوث وان كانت يقينية الا انها دقيقة لا يعرفها الا الاذكيا الافاضل اما دلالة الافول فانها ظاهرة يعرفها
كل احد فان الآفل يزول سلطانه وقت الافول والطالع يظهر سلطانه وقت الطلوع والطالع يظهر سلطانه عند
الطلوع فكانت دلالة الافول على المقصود اتم قال الامام قال بعض المحققين الهوي في حضيرة الامكان افول واحق
وابلغه وافصحه ما للخواص فيه حصة وللاوساط نصيب وللعوام فيه حظ فالخواص يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن
لا يكون الها لانه محتاج فلا يكون منقطع الحاجة فلا بد من الانتهاء الى ما يكون منزها عن الحدوث متقدسا عن الامكان
حتى تنقطع الحاجات كما قال وان الى ربك المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة الدالة على حدوث
المتحرك والمتحرك المحدث محتاج الى القديم القادر المختار فلا يكون الآفل الها بل الاله هو الذي احتاج اليه الآفل
واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب والغائب يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول لحق كان كذلك
لا يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة وهي قوله لا احب الآفلين مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب
المكذبين والضالين قال الامام وفيه دقيقة اخرى وهي ان ابرهيم عليه السلام انما كان يناظرهم وهم كانوا منجمين و
مذهبهم ان الكوكب اذا كان في الربع الشرقي ويكون صاعدا الى وسط السما كان قويا عظيم التاثير اما اذا كان غربيا قريبا
من الافول فانه يكون ضعيف الاثر قليل القوة فنبه بهذه الدقيقة على ان الاله هو الذي لا يتغير عن حال الكمال الى حال النقصان
ومذهبكم ان الكوكب حال كونه في الربع الغربي يكون ضعيف القوة ناقص التاثير عاجزا عن التدبير وذلك يقدح في الهيته وطعن
ان الافول [illegible] ومن هذه الاية تدل على ان الدين يجب ان يكون مبنيا على الدليل لا على التقليد
والا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة قوله فلما راى القمر بازغا البزوغ الابتدا في الطلوع قال الازهري كانه ماخوذ من البزغ
الذي هو الشق كانه يشق بنوره الظلمة شقا وقوله لئن لم يهدني ربي يدل على ان الهداية ليست الا من الله وحمل الهداية على
ان الله الاعتبار والتمكين ونصب الدلائل عدول عن الظاهر من غير دليل بل الدليل قائم على المنع من الحمل عليها لان كل
ذلك كان حاصلا والهداية التي كان يطلبها بعد حصول تلك الاشيا ينبغي ان تكون زائدة عليها لان كل ذلك كان حاصلا
فالهداية التي كان يطلبها بعد حصول تلك الاشيا ينبغي ان تكون زائدة عليها قوله هذا اكبر من باب استعمال النصفة
مع خصومه وانما قال هذا والشمس مؤنثة لانه راعى لفظ الشمس ولم يرفعها ورده الى الشعاع وقيل اراد هذا الطالع ربي
او هذا النور او هذا ربي هذا اكبر لانه رآه اضوا وقيل جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شي واحد كقولهم ما كانت
امك ولم تكن ضنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا ترى انهم قالوا في صفته
علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث يا قوم اني بريء مما تشركون اي لما انتهى الدليل
القاطع ان هذه الكواكب لا تصلح للربوبية تبرا مما يشركون من الاجرام التي يجعلونها شركا لخالقها اخذ من الادنى مترقيا
الى الاعلى لان الاعلى اولى لوقوع التاثير في التقريب والبيان على هذا الوجه اشد واقوى وانما اقتصر في اثبات التوحيد وابطال الشرك
على هذه الثلثة لان القوم كانوا يشاهدونها من بين سائر الشركا قوله اني وجهت وجهي فتح اليا من وجهي نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم والباقون تركوا هذا الفتح والمعنى وجهت وجهي عبادتي وطاعتي لان الذي كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يتوجه
بوجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة والانقياد للذي فطر السموات والارض دلت هذه الاية على انه منشئها
ومبدعها قال الامام للذي فطر فيه دقيقة وهي انه لم يقل وجهت وجهي الى الذي فطر تنبيها على ان توجيه وجه القلب
اليه لا يمكن الا مع التنزه عن الحيز والجهة بل توجيه وجه القلب لاجل عبوديته قوله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني
في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شي علما افلا تتذكرون وكيف اخاف
ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون

آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ● لما أورد إبراهيم صلى الله عليه وسلم الحجة المذكورة
على القوم أوردوا الحجة على صحة مذهبهم فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين وخوفوه وقالوا إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء
من برص أو خبل لعيبك إياها قال تعالى وحاجه قومه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك قال إبراهيم أتحاجوني
في توحيد الله منكرين لذلك قال إبراهيم أتحاجوني في الله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي
أتحاجوني بإدغام النون الأولى في الثانية ونافع وابن عامر أتحاجوني بحذف إحدى النونين وقيل هي الأولى وقيل
أنها بقيت مكسورة وقيل الثانية لأنها هي التي حصل بها الثقل قال أبو علي الفارسي لا يجوز حذف الأولى لأن الباقية
لمجاورتها الياء وقد هدان أي أرشدني إلى معرفته وتوحيده وأمال الكسائي هدان قال إبراهيم جوابا لمن حاجه أتحاجوني
في معرفة الله وتوحيده وقد ثبت بالدليل الموجب للهداية وللحق اليقين صحة قولي فكيف يلتفت إلى حجتكم الواهية
وكلماتكم الباطلة ولا أخاف ما تشركون به لأن الخوف إنما يحصل ممن يقدر على النفع والضر والأصنام جمادات
لا قدرة لها على النفع والضر إلا أن يشاء ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبودكم
في وقت من الأوقات قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت
ذنبا فيستأهل العقوبة مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر وقيل إلا أن يشاء أن يبتليني بمحن الدنيا
أو يقطع عني بعض عادات نعمه وقيل إلا أن يشاء ربي أن أخاف ما تشركون به بأن يحييها ويمكنها من ضري ونفعي
ويقدرها على إيصال الخير والشر إلي واللفظ يحتمل كل هذه الوجوه وحاصل الأمر أنه لا يبعد أن يحدث للإنسان
في مستقبل عمره شيء من المكاره والحمقى من الناس يحملون ذلك على أنه إنما حدث ذلك المكروه بسبب أنه طعن في إلهية
الأصنام فذكر إبراهيم عليه السلام ذلك احتياطا لو حدث شيء من المكاره لم يحمل على هذا السبب وسع ربي كل شيء علما
يعني أنه عالم بكل شيء فيما هو صلاح وخير فلا يفعل إلا الصلاح والخير والحكمة فبتقدير أن يحدث من مكاره الدنيا
فذاك لأنه تعالى عرف وجه الصلاح والخيرية فيه لا لأجل أنه عقوبة على الطعن في إلهية الأصنام وعلما نصب على التمييز
وهو مصدر يجيء الفاعل معناه وسع علم ربي كل شيء أفلا تتذكرون فتميزوا بين الحق والباطل والقادر والعاجز وقوله
أفلا تتذكرون أن نفي الشركاء والأضداد والأنداد عن الله لا يوجب العذاب ونزول العقاب والسعي في إثبات التوحيد
لا يوجب استحقاق العقاب وكيف أخاف ما أشركتم أي الأصنام التي لا تتعلق بها الضر والنفع ولا تخافون أنكم أشركتم بالله
ما لم ينزل بإشراكه سلطانا أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة وكأنه قال فما لكم تنكرون علي الأمن في موضع
الخوف ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين أي فريق الموحدين
والمشركين ثم استأنف الجواب ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه إلى قوله
فأي الفريقين أي فريق الموحدين والمشركين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك والمراد بالظلم الشرك كقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بني لا تشرك بالله إن الشرك
لظلم عظيم ولأن هذه القصة من أولها إلى آخرها إنما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد وليس فيها
ذكر الطاعة والمعصية ويحتمل أن يراد بالظلم المعصية فإن وعيد الفاسق المؤمن على الاحتمال لاحتمال أن يعذبه الله
ويحتمل أن يعفو عنه وعلى التقديرين فالأمن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم الأمن القطع بحصول العذاب

قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ● تلك إشارة
إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون وتلك مبتدأ وحجتنا خبره وآتيناها
في موضع الحال ويجوز أن يكون حجتنا بدلا من تلك وآتيناها خبر تلك وإبراهيم مفعول أول لآتينا وها مفعول ثان
لها وعلى متعلق بقوله حجتنا وهذه الآية تدل على أنه فضل كثير وقيل يجوز أن يكون على متعلقا بآتيناها أي
أظهرناها لإبراهيم على قومه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر نرفع درجات من بإضافة الدرجات إلى من وعاصم
وحمزة والكسائي درجات بالتنوين والمعنى المقصود منهما واحد وحكيم عليم صفتان لأنه إنما يفعل ذلك بحسب
مشيئته واختياره فيحتاج إلى العلم والإحكام قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ● ومن
آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده
ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا
ذكرى للعالمين ● اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد
وجوه نعمه وإحسانه عليه فأولها قوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم والمعنى آتيناه تلك الحجة وهديناه إليها وأوقفناه
على حقيقتها وذكر نفسه باللفظ الدال على العظمة وهي كناية الجمع على وفق ما يقوله عظماء الملوك وذكر نفسه
تعالى ههنا باللفظ الدال على العظمة يدل على أن تكون تلك العطية عظيمة كاملة شريفة رفيعة وذلك تنبيه
على أن إيتاء الله إبراهيم عليه السلام تلك الحجة من أشرف النعم ومن أجل مراتب العطايا والمواهب وثانيها أنه تعالى خصه بالرفع
إلى الدرجات العالية الرفيعة وهو قوله تعالى نرفع درجات من نشاء وثالثها أنه جعله عزيزا في الدنيا لأنه تعالى جعل أشرف الناس

الأنبياء

الأنبياء والرسل وهم من نسله وذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة والمقصود من هذه الآيات تعديد
أنواع نعم الله على إبراهيم جزاء على قيامه بالذب عن دلائل التوحيد فقال ووهبنا له إسحق ويعقوب بعده من إسحق فإن قيل
لم يذكر إسمعيل مع إسحق بل أخر ذكره بعد جماعة من الأنبياء أجيب بأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد
إسحق وأما إسمعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يناسب ذكر محمد عليه السلام في هذا
المقام لأنه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد
رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولادا كانوا أنبياء وملوكا فإذا كان المحتج
بهذه الحجة هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يناسب أن يذكر نفسه في هذا المقام فلهذا السبب لم يذكر إسمعيل مع إسحق ونوحا
هدينا من قبل يعني أنه سبحانه جعل إبراهيم في أشرف الأنساب لأنه رزقه أولادا مثل إسحق ويعقوب وجعل أنبياء بني إسرائيل
من نسلهما وأخرج إبراهيم من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح وإدريس وشيث والمقصود بيان كرامة إبراهيم بحسب الأولاد والآباء
ومن ذريته داود أي من ذرية نوح لأنه أقرب ولأنه ذكر في جملتهم لوطا ولم يكن هو من ذرية إبراهيم بل من ذرية نوح ويونس
أيضا ما كان من ذرية إبراهيم وقيل من ذريته أي ذرية إبراهيم داود وسليمان لأن المقصود بالذكر في هذه الآيات هو إبراهيم
وإنما ذكر الله نوحا لبيان شرفه والأولى أن يقال الضمير راجع إلى كل منهما بناء على أن اللفظ الواحد يصح استعماله في المعنيين
وما ذكره من ذريته إنما يكون ذرية لكل منهما أو ذرية لنوح فقط ذكر الله تعالى أولا أربعة من الأنبياء وهم نوح وإبراهيم و
إسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهما أربعة عشر من الأنبياء داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى
وعيسى وإلياس وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا فإن قيل رعاية الترتيب واجبة والترتيب إنما يعتبر بالفضل أو الدرجة أو
الزمان والمدة والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الآية فما السبب فيه أجيب بأن الحق أن لزوم هنا
رعاية للترتيب لأنه تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل فمن المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق الملك
والسلطان والقدرة والله تعالى قد أعطى داود وسليمن من هذا الباب نصيبا عظيما والمرتبة الثانية البلاء الشديد
والمحنة العظيمة وقد خص الله تعالى أيوب بهذه المرتبة والمرتبة الثالثة اجتماع هاتين الحالتين وقد خص الله تعالى يوسف بهذه فإنه
نال البلاء الشديد الكثير في أول الأمر ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر والمرتبة الرابعة من فضائل الأنبياء وخواصهم قوة المعجزات
وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والصولة الشديدة وتخصيص الله إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام وذلك كان في حق موسى وهارون والمرتبة
الخامسة الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا كما في زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ولهذا وصفهم بأنهم من الصالحين والمرتبة
السادسة الأنبياء الذين لم يبق منهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع وهم إسمعيل واليسع ويونس ولوط فإذا اعتبر
هذا الوجه الذي رعي ظهر أن الترتيب حاصل في ذكر هؤلاء الأنبياء بحسب هذا الوجه وقد اختلفوا في الهداية في قوله كلا
هدينا وفي قوله ونوحا هدينا وفي قوله ذلك هدى الله يهدي به فقيل المراد منها الثواب العظيم وهي الهداية إلى طريق الجنة بدليل
على ذلك قوله بعدها وكذلك نجزي المحسنين وقيل الدين والمعرفة وقيل الإرشاد إلى النبوة والرسالة والأولى حمله على
الكل قرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة والآية تدل على أن الحسن
والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه جعل عيسى من ذرية إبراهيم واعلم أنه تعالى ذكر الآباء والذريات
والإخوان فالآباء هم الأصول والذريات هم الفروع والإخوان فروع الأصول وذلك يدل على أنه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء
الأنبياء الذين مضى ذكرهم قبل ذلك هم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم قبل ذلك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
على الكتاب بمقتضى تفاسيرها قال الإمام الحكام على الخلق ثلاث طوائف أحدها العلماء الذين يحكمون على بواطن الناس
وثانيها السلاطين الذين يحكمون على ظواهر الخلق بالقهر والسلطنة وثالثها الأنبياء وهم الذين أعطاهم الله من العلوم والمعارف
ما لأجلها يقدرون على التصرف في بواطن الخلق وأرواحهم وأعطاهم أيضا من المعجزات والقدرة والمكنة ما لأجله يقدرون
على التصرف في ظواهرهم فلما اجتمع في الأنبياء هذان الوصفان كانوا هم الحكام على الإطلاق فقوله آتيناهم الكتاب إشارة
إلى أنه تعالى أعطاهم العلوم والمعارف وقوله والحكم إشارة إلى أنه تعالى جعلهم حكاما على الناس نافذي الحكم فيهم بحسب الظاهر
وقوله والنبوة إشارة إلى أنه تعالى أعطاهم الدرجة العالية الرفيعة الشريفة التي يتفرع على حصولها حصول المرتبتين
المتقدمتين المذكورتين فإن يكفر بها أي بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعني كفار مكة فقد وكلنا بها قوما أي بالإيمان
بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي
قيل أراد بقوله قوما الأنبياء المذكورين ومن تابعهم بدليل قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل قوله
قوله فإن يكفر بها هؤلاء يعني أهل مكة وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وكل من آمن بالنبي عليه السلام وكل
مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وقيل الأنصار بأنهم وقيل الفرس والأولى أن يحمل على الكل أولئك الذين تقدم ذكرهم
من الأنبياء والمأمور بالاقتداء بهم هو الرسول صلى الله عليه وسلم فبهداهم اختص بهداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم
وههنا معنى بتقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة
وهي هدى ما لم ينسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا وقيل المراد الاقتداء بهم في جميع الأخلاق
الحميدة والصفات الشديدة من الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل المراد الاقتداء بهم في شرائعهم إلا ما خصه الدليل
فعلى هذا الآية دليل على أن شرع من قبلنا يلزمنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل إلا ما خصه الدليل المنفصل قرأ ابن عامر
اقتده بكسر الدال وبلوغ الياء قال ابن مجاهد وهذا غلط لأن هذه الهاء هاء وقف لا تعرب على حال قال أبو علي وجه ذلك أن تكون ضمير المصدر

كأنه قيل اقتدا وقرأ ابن كثير واهل مكة ونافع وابو عمرو واهل المدينة وعاصم اقتده بهاء السكت ثابتة في الوقف والوصل
وحمزة والكسائي اقتد بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو القياس ومن سببه القالون الوصل فانها
في الابتداء ويوصل غير مبتدأ بها فكذلك فيثبت في الوقف ويحذف في الوصل وقيل استحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف
عثمان قل يا محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسألكم على دعائي اياكم بالقرآن الى توحيد الله وعبادته اجرا ان هو الا ذكرى
الا موعظة وذكرى للعالمين يريد انه مشتمل على كل ما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم وهذا يدل على انه صلى الله عليه
وسلم مبعوث الى كل من في الدنيا قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ⊙ لما ذكر الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي الشرك شرع في اثبات النبوة
فقال وما قدروا الله ما عرفوه حق معرفته عن ابن عباس ما عظموا الله حق تعظيمه وعنه ما آمنوا ان الله على كل شيء قدير
وقيل ما وصفوه حق صفته قال الواحدي يقال قدر الشيء اذا حزره واراد ان يعلم مقداره يقدره بالضم قدرا ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ان غم عليكم فاقدروا له اي فاطلبوا ان تعرفوه هذا اصله في اللغة ثم قيل لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم
يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح في كل المعاني المذكورة اذ قالوا ما انزل الله يعني
انهم ما قدروا الله حق قدره بهذا السبب وذلك قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فاعلم ان كل من انكر النبوة والرسالة
فهو في الحقيقة ما عرف الله حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك
من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه
بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون به هم اليهود بدليل قراءة من قرأ يجعلونه
بالياء كذلك يبدونها ويخفون كثيرا وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم
وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس
مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء روي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم
كان سمينا فجاء يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي
تقرأ فيما انزل الله على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك
القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فعلى هذا الاحتجاج على اليهود مستقيم الا انه يلزم ان تكون الآية
مدنية وكذلك حكى النقاش انها مدنية فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا
مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا بانزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى
والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فكان الاحتجاج عليهم بقوله من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى احتجاجا بامر مشهور منقول من قوم لم تكن قريش مكذبة لهم ونورا وهدى نصب على المصدر ونورا وهدى اسمان
في موضع الحال اي نيرا وهاديا فان جعلناهما حالا من الكتاب فالعامل فيهما انزل وان جعلناهما حالا من الضمير في به فالعامل
فيه جاء قرأ ابن كثير وابو عمرو يجعلونه يبدونها ويخفون كلها بالياء من تحت على الاخبار عنهم والباقون بالتاء من فوق في الافعال
الثلاثة فمن قرأ بالياء رأى ان الاحتجاج على اليهود واستقامت له هذه القراءة وتناسقت مع قوله وعلمتم ما لم تعلموا ومن رأى انه
انما هو على قريش فيضطرب في هذه القراءة اذ لا يمكن دفعها الا ان يقول انه خرج من مخاطبة قريش الى استفهامهم وتقريعهم الى المخاطبة
بني اسرائيل بتوبيخهم وتقبيح فعالهم كالتي قبلها وهذا مع بعده اسهل من دفع القراءة فكأنه قيل لقريش من انزل الكتاب
ثم اعترض ببني اسرائيل فقال لهم خلال الكلام تجعلونه انتم يا بني اسرائيل قراطيس جمع قرطاس اي قطعا وورقات متفرقة
وتوبيخهم بالابداء والاخفاء هو على اخفائهم آيات محمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بنبوته وجميع ما فيه حجة وعلمتم
قيل الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم تعلمه
آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل المعنى
الامتنان عليهم وعلى آبائهم بان علموا من دين الله وهدايته ما لم يكونوا عالمين به لان آباء المخاطبين من بني اسرائيل كانوا
علماء ايضا وعلم بعضهم ليس ذلك في آباء العرب وقيل المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم وآباؤكم ما لم تعلموا بعد التعليم
ولا انتفعتم به لاعراضكم وضلالكم وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقيل الخطاب للعرب
والمعنى على هذا ذكر منة الله عليهم بهذا اي علمتم يا معشر العرب من الهدايات والتوحيد والارشاد الى الحق ما لم تكونوا عالمين به
ولا آباؤكم وعلمتم ما لم تعلموا يصلح على هذا المعنى لمخاطبة من انتفع بالتعليم ومن لم ينتفع به ويفيد الامتنان بتعليم الصنفين
وليس من شرط من علم ان يتعلم ولا بد تعميم التعليم الكامل هو الذي يقع بعد التعليم قل الله امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله انزله على موسى فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون
فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والخوض التخابط فيما لا يتحقق حقائقه واصله في الماء ثم يستعمل في المعاني المشكلة
ويلعبون في موضع الحال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له ولذرهم وعلى
ظرفه ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين
يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ⊙ لما ابطل بالدليل

قول من

قول من قال ما انزل الله على بشر من شيء ذكر بعده ان القرآن كتاب انزله الله تعالى على محمد عليه السلام لا من عنده مبارك كثير المنافع
والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب
والانذار وقرأ حمزة في رواية ابي بكر لينذر بالياء جعل الكتاب هو المنذر لان فيه انذارا فلا امتناع في اسناد الانذار
اليه على سبيل الاتساع والباقون بالتاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المأمور الموصوف بالانذار وهو قال تعالى
وانذر به الذين يخافون وقال انما انت منذر من يخشاها ام القرى يعني مكة سميت بها لانها مكان اول بيت وضع للناس
ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين بيت في فضل القربات رحلة ام
القرى ملتقى رحال ومنادي وعن ابن عباس لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها قوله ومن حولها تدخل فيه سائر البلدان والقرى
والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة والوعد والوعيد والثواب والعقاب يؤمنون بهذا الكتاب لانهم يعظم
رغبتهم في تحصيل الثواب ورهبتهم من حلول العقاب فيبالغون في النظر والتأمل في دلائل التوحيد فيتصل الى العلم
والايمان ولان دين محمد عليه السلام مبني على الايمان بالبعث والقيامة وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقريره مثل ما
في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتخصيص الآخرة اعز من ملائكته خص الصلاة لانها عماد الدين ومن آمن بالآخرة وحمله
الايمان بها على الايمان بمحمد والقرآن وكذلك يحمله على المحافظة على الصلاة قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ⊙ لما
بين ان القرآن كتاب منزل من عند الله مبارك مصدق الذي بين يديه ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة
على سبيل الكذب والافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كمسيلمة الكذاب صاحب اليمامة والاسود العنسي صاحب
صنعاء فانهما كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله على سبيل الكذب والافتراء وكان مسيلمة يقول محمد رسول
قريش وانا رسول بني حنيفة خصص المفسرون من كان شبيها لهما الى يوم القيمة (?)
كطليحة الاسدي والمختار بن ابي عبيد وسواهما عن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين
من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قيل المراد ما قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقوله في القرآن انه من اساطير الاولين وكل احد يمكنه الاتيان بمثله وقيل ومن قال هو عبد الله بن سعد بن ابي
سرح القرشي اخو عثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاع كان يكتب الوحي لرسول الله فكان اذا املى عليه سميعا عليما
كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية
عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع
مسلما قبل فتح مكة قوله ولو ترى اذ الظالمون الآية وهو قوله تعالى ومن اظلم يعني النحو في العظيم على سبيل الاجمال
وقوله ولو ترى كالتفصيل لذلك المجمل وترى وجوابه محذوف لو لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون الذين ذكرهم اليهود والمتنبئة
فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده جمع غمرة وهي شدة
الموت وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه واصلها ما يغمر من الماء فاستعير للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم
اليهم بالمكروه يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد
والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال لهم فانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملح الملازم يبسط يده
الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة فلا يمهله ويقول له اخرج الي ما لك علي الساعة ولا ابرح مكاني حتى انزعه من حدقتك
وقيل الملائكة باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب يبكتونهم يقولون اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه
الآفات والآلام قوله اليوم تجزون يحتمل ان يراد وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وسكرات الموت وان يراد
الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العقاب في البرزخ عذاب الهون اي العذاب الذي يقع به الهوان والشدة ابدا والمراد
سبحانه تعالى جمع هنا بين الايلام والاهانة فان الثواب جمع فيه المنفعة والتعظيم فالعقاب جمع فيه المضرة
والاهانة قوله بما كنتم تقولون على الله غير الحق افتراء الكذب وانه اوحي اليهم ولم يوح اليهم شيء وقولهم سانزل
مثل ما انزل الله وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها وهذا يدل على ان هذا العذاب الشديد انما حصل بسبب
مجموع الامرين القول على الله غير الحق والاستكبار عن آياته قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع
بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ⊙ ولقد جئتمونا يحتمل ان يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم
اليوم فبين تعالى انهم كانوا يقولون ذلك لهم على وجه التوبيخ كذلك يقولون حكاية عن الله ولقد جئتمونا فرادى ويكون
الكلام اجمع حكاية عنهم وانهم يؤدون ذلك عن الله الى هؤلاء الكفار وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون قائل هذا القول
الملائكة الموكلون بعقابهم ويحتمل ان يكون قائل هذا القول هو الله وفرادى كسكارى جمع سكران وقيل جمع فريد معناه
منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله
فهذا تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا جدهم وجهدهم الى تحصيل المال والجاه وعبادة الاصنام لاعتقادهم انها تكون

شفعاء لهم عند الله ثم انهم لما وردوا محفل القيامة لم يبق معهم من تلك الاموال شيء ولم يجدوا من تلك الاصنام
شفاعة لهم عند الله فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا وعولوا عليه بخلاف اهل الايمان فانهم صرفوا عمرهم
في تحصيل المعارف الحقة والاعمال الصالحة بقيت معهم في قبورهم وحضرت معهم في محفل القيامة فهم في الحقيقة
ما حضروا فرادى بل حضروا مع الزاد ليوم المعاد كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم
ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم
فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها شركاء في انفسهم وفي استعبادهم كما
خلقناكم في محل النصب صلة لمصدر اي جئتمونا مجيئا مثل خلقناكم قوله لقد تقطع بينكم قرأ نافع والكسائي وحفص عن
عاصم بينكم بالنصب والمعنى لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم والباقون بالرفع والمعنى لقد تقطع وصلكم
وضل عنكم اي تلف وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من انهم شفعاؤكم وانها تشفع وتشارك الله سبحانه وتعالى في الالوهية تعالى عما
يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت
من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم
اعلم انه تعالى لما تكلم في تقرير التوحيد ثم اردفه بتقرير امر النبوة ثم تكلم في بعض تفاريع هذا الاصل عاد ههنا الى ذكر الدلائل
الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على ان المقصود الاصلي من جميع المباحث العقلية والنقلية
والمطالب الحكمية والحكمية انما هو معرفة الله بذاته وصفاته وافعاله فالق الحب والنوى الفالق هو الفاطر
والفطر والفلق الشق فالشيء قبل ان دخل في الوجود كان معدوما محضا ونفيا صرفا والعقل يتوهم ويتخيل من
العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيه ولا انفلاق ولا انشقاق فاذا اخرجه من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل
والتوهم شق ذلك العدم وفلقه واخرج ذلك المحدث من ذلك الشق وبهذا التأويل لا يبعد حمل الفالق على الموجد
والمحدث والمبدع وقيل ان الفلق هو الشق والحب هو الذي يكون مقصودا بذاته مثل حبة الحنطة والشعير وسائر
الانواع والنوى هو الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر وغيرهما وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في
النواة والحنطة قال الامام اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر به قدر من المدة اظهر الله في تلك الحبة
والنواة فانه يخرج منه الشجرة الهابطة في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وتصير تلك الحبة والنواة سببا
لاتصال الشجرة الهابطة في الارض ثم ههنا عجائب الصاعدة في الهواء فاذا كانت تقتضي الصعود في الهواء فكيف
تولدت منها الشجرة الهابطة في الارض فلما تولدت منها هاتان الشجرتان مع ان الحس والعقل يشهد ان تكون طبيعة
احدى الشجرتين مضادة لطبيعة الشجرة الاخرى علمنا ان ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى الايجاد
والابداع والتكوين والاختراع وثانيها ان باطن الارض جرم صلب لا تنفذ المسلة القوية فيه ولا يغوص السكين
الحاد القوي فيه ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان باصبعه بادنى
قوة لصارت كالماء ثم انها مع غاية لطافتها تقوى على النفوذ في تلك الارض الصلبة والغوص في بواطن تلك الاجرام
الكثيفة فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام التي هي في غاية اللطافة لا بد وان تكون بتقدير العزيز العليم وثالثها
انه يتولد من تلك النواة شجرة ويحصل في تلك الشجرة طبائع مختلفة فان قشر الخشبة له طبيعة مخصوصة وفي داخل ذلك
القشر جرم الخشبة وفي وسط تلك الخشبة جرم رخو ضعيف يشبه العهن المنفوش ثم انه يتولد من ساق الشجرة اغصانها
ويتولد على الاغصان الاوراق اولا ثم الانوار والازهار ثانيا ثم الفاكهة ثالثا ثم قد يحصل للفاكهة اربعة انواع
من القشور مثل الجوز والموز فان قشره الاعلى هو ذلك الجرم الاخضر وتحته ذلك القشر الذي يشبه الخشب وتحته
ذلك القشر الذي كالغشاء الرقيق المحيط باللبة وتحته ذلك اللب وذلك اللب يشتمل على جرم كثيف وهو ايضا كالقشر
وعلى جرم لطيف وهو الدهن وهو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجسام المختلفة في طبائعها وصفاتها والوانها واشكالها
وطعومها مع تساوي تأثيرات الطبائع والنجوم والفصول الاربعة تدل على انها انما حدثت بتدبير الحكيم الرحيم المختار
القادر لا بتدبير الطبائع والعناصر ورابعها انك تجد الطبائع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار
يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه
حار رطب فتولد هذه الطبائع والخواص المتنافرة من الحبة الواحدة لا بد وان تكون بايجاد الفاعل المختار وخامسها
انك تجد احوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون اللب في الداخل والقشر في الخارج كالجوز واللوز وبعضها تكون
الفاكهة المطلوبة في الخارج فتكون الخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها تكون النواة لها لب كالمشمش والخوخ
وبعضها لا لب له كنوى التمر وبعضها لا يكون له من الداخل والخارج قشر بل يكون كله مطلوبا كالتين فهذه احوال مختلفة
في هذه الفواكه وايضا هذه الحبوب مختلفة في الاشكال والصور فشكل الحنطة كأنه نصف مخروط وشكل الشعير
كأنه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما وشكل العدس كأنه نصف دائرة وشكل الحمص على وجه آخر فهذه الاشكال المختلفة
لا بد وان تكون لاسرار وحكم علم الخالق ان تركيبها لا يكمل الا على ذلك الشكل وايضا فقد اودع الخالق تعالى في كل
نوع من انواع الحبوب خاصية اخرى ومنفعة اخرى وايضا فقد تكون الثمرة الواحدة غذاء لحيوان وسما لحيوان آخر
واختلاف هذه الصفات والاحوال مع اتحاد الطبائع وتأثيرات الكواكب يدل على ان كلها انما حصلت بتخليق
الفاعل المختار الحكيم وسادسها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت خطا واحدا مستقيما في وسطها

كانه بالنسبة الى تلك الورقة كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان وكما انه ينفصل من النخاع اعصاب كثيرة يمنة ويسرة
في بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبة اخرى ولا يزال يستدق حتى يخرج عن الحس والابصار بسبب الصغر
فكذلك في تلك الورقة ينفصل من ذلك الخط الكبير الوسطاني خيوط مختلفة وعن كل واحد منها خيوط اخرى ادق
من الاولى ولا يزال يبقى على هذا المنهج حتى تخرج تلك الخيوط عن الحس والبصر والخالق تعالى انما فعل ذلك حتى ان القوى
الجاذبة المذكورة في جرم تلك الورقة تقوى على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فلما وقفت
على عناية الخالق في ايجاد تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكمل وعرفت ان عنايته في تكوين
جملة النبات اكمل ثم اذا عرفت انه تعالى انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت ان عنايته في تخليق الحيوان اكمل ولما علمت
ان المقصود من تخليق جملة الحيوانات هو الانسان علمت ان عنايته في تخليق الانسان اكمل ثم انه تعالى انما خلق النبات والحيوان
في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للانسان بحسب جسده والمقصود من تخليق الانسان هو المعرفة والمحبة والعبودية
كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا نظرت ايها المسكين بعين رأسك في تلك الورقة الواحدة من
تلك الشجرة وعرفت كيفية خلقة تلك الورقة الواحدة من تلك الشجرة وعرفت كيفية خلقة تلك العروق والاوتار
فيها ثم انتقلت من مرتبة الى ما فوقها حتى عرفت ان المقصود الاخير منها حصول المعرفة والمحبة في الارواح البشرية فحينئذ
ينفتح عليك باب من المكاشفات لا آخر لها ويظهر لك ان انواع نعم الله في حقك غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وكل ذلك انما يظهر من كيفية خلقة الورقة من الحبة والنواة فهذا كلام مختصر في تفسير قوله تعالى
ان الله فالق الحب والنوى ومتى وقف الانسان عليه امكنه تفريعها وتشعيبها الى ما لا نهاية له ونسأل الله التوفيق
والهداية يخرج الحي الحيوان والنامي من النطفة والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الاشياء الميتة اي النطفة والبيض
والحب والنوى من الحيوان والنامي وعن ابن عباس يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابراهيم والكافر من المؤمن كما في ولد نوح
والمقصود منه ان الحي والميت متضادان متنافيان فحصول المثل عن المثل يوهم ان يكون بسبب الطبيعة والخاصية واما حصول
الضد من الضد دال على انه بتدبير المقدر الحكيم وتقدير المدبر العليم قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت
مشددة فيهما والباقون بالتخفيف فيهما وكذلك كل هذا الجنس في القرآن فان قيل انه قال ومخرج الميت من الحي
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت اجيب بان قوله ومخرج الميت من الحي معطوف على قوله فالق الحب والنوى لا على الفعل
ويخرج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ثم انا نقول الفعل يدل على ان الفاعل يعتني
بذلك الفعل في كل حين وزمان واسم الفاعل لا يفيد التجدد فلا يفيد الاعتناء ساعة فساعة ولا شك ان الاعتناء باخراج
الحي من الميت اكثر من العكس فلهذا وقع التعبير عن الاول بالفعل وعن الثاني بالاسم ذلكم المحيي والمميت المدبر الحكيم المختار هو الله
المستحق للربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح هذا نوع آخر من دلائل وجود الصانع
وعلمه وحكمته وقدرته والنوع الاول ماخوذ من العالم السفلي وهذا من العالم العلوي فالترقي من الاول ادل الى
الله لان فلق الظلمة بنور الصبح اعظم في كمال القدرة من فلق الحب والنوى بالنبات والشجر والاصباح مصدر
سمي به الصبح قيل فالق الاصباح معناه فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح وقيل
فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع وسموا الفجر فلقا بمعنى
مفلوق قال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه واول الصبح وهو المستطيل كذنب السرحان ثم تعقبه الظلمة
ثم يطلع بعده الصبح الثاني المستطير في جميع الافق والاول من اقوى الدلائل على كمال قدرة الله وحكمته لان ذلك
النور لا يكون من تأثير قرص الشمس لانه لو كان كذلك اذا وصل الى دائرة نصف الليل فالموضع الذي يكون تلك الدائرة افقا
قد طلعت الشمس من مشرقه واضاء في ذلك الموضع نصف كرة الارض فيحصل الضوء في الربع الشرقي من بلدتنا
وذلك الضوء يكون منتشرا مستطيرا في جميع الجو ويجب ان يكون ذلك الضوء في كل لحظة يقوى ويزيد والصبح الاول
لو كان من قرص الشمس لامتنع ان يكون خطا مستطيلا بل يجب ان يكون مستطيرا في الافق منتشرا فيه بالكلية مزدادا
لحظة فلحظة لكن ليس الامر كذلك فان الصبح الاول يبدو كالخيط الابيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان
ثم انه يحصل عقيبه ظلمة خالصة ثم يحصل الصبح الثاني الصادق المستطير فعلمنا ان الصبح الاول ليس من تأثير
الشمس فيكون بتخليق الله تعالى ابتداء تنبيها على ان الانوار ليس لها وجود الا بتخليقه وان الظلمات ليس لها
الا بتقديره وقيل انه تعالى فالق ظلمة العدم بصباح التكوين والايجاد وفالق ظلمة الجمادية بصباح الحياة و
وفالق ظلمة الجهالة بصباح العقل والعلم وفالق ظلمات عالم الجسم بتخليص النفس القدسية الى فسحة
عالم الامد لشوق فالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات
وقيل ان ظهور النور في الصباح لان الله تعالى فالق تلك الظلمة فقوله فالق الاصباح اي مظهر الاصباح
الا انه لما كان المقتضي لذلك الاظهار هو ذلك الفلق ذكر اسم السبب والمراد منه المسبب وقيل فالق وجاعل
الليل هنا ايضا من العالم العلوي والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه استئناسا به واسترواحا اليه من زوج
او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لا
ستراحته وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه قرأ عاصم والكسائي جعل على صيغة الفعل
ووجهه ان الشمس والقمر منصوبان ولنصبهما اما [illegible] وما ذكرنا الا قوله جعل والباقون جاعل على صيغة اسم الفاعل

فان المذكور قبله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل ايضا اسم الفاعل فيتبادر ان المعطوف عليه والشمس والقمر
حسبانا وهو مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ونصبهما على
قراءة جعل ظاهر واما انهما معطوفان على الليل الذي هو مفعول جعل وعلى قراءة جاعل على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل
اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان الصاحب الكاف فان قلت كيف يكون لليل محل
والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذا
فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد بهما زمانا دون زمان ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا
معين قدر حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبطوء بحيث تتم الدورة في سنة وبهذه المقادير ينتظم
مصالح العالم في الفصول الاربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الغلات ولو قدر
كونها اسرع او ابطأ مما وقع لاختلت هذه المصالح ذلك تقدير العزيز العليم فيه اشارة الى ما تقدم من فلق الحب والنوى و
اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي وفلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا بتقدير العزيز
الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وفيه تصريح بان حصول هذه الاحوال والصفات ليس بالطبع والخاصية
وانما هو بتخصيص الفاعل المختار قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد
فصلنا الايات لقوم يعلمون ● هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة وهو انه تعالى خلق
النجوم لمنافع العباد منها ليهتدي الخلق بها الى الطرق والمسالك في ظلمات الليل بالسير واضاف الظلمات الى البر
والبحر لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ومنها ان الناس يستدلون بحركة الشمس في النهار على القبلة
ويستدلون باحوال الكواكب في الليالي على معرفة القبلة قد فصلنا الايات لقوم يعلمون ويتفكرون ويتأملون في
يستدلون بالشاهد على الغائب قوله تعالى وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون ● هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على وجود الاله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وهو الاستدلال
باحوال الانسان والانشاء هو الخلق على وجه النمو والنشوء فمستقر قرأ ابن كثير وابو عمرو فمستقر بكسر القاف بمعنى القار
فيكون مبتدأ وخبره مضمر وهو منكم اي فمنكم مستقر والباقون بفتح القاف على انه اسم مكان بمنزلة المقر وخبره لكم
اي لكم مقر ومستودع ويصح ان يكون اسم مفعول فمن قرأ مستقر بالكسر يكون التقدير فمنكم مستقر فوق الارض ومنكم
مستودع تحتها ومن قرأ مستقر بالفتح يكون مستودع عنده اسم مكان مثله ويجوز ان يكونا مصدرين والمعنى فلكم
مستقر في الرحم ومستودع في الصلب ومستقر في الارض ومستودع تحتها والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر
اقرب الى الثبات من المستودع فالحاصل في موضع لا يكون على شرف الزوال يسمى مستقرا فيه والحاصل في موضع وهو
على شرف الزوال يسمى مستودعا لان المستودع في معرض الاسترداد حينا بعد حين ومن هذا تعرف الفرق بينهما اذا كانا
اسمي مكان او مصدرين والمقصود ان الناس على تولدهم من نفس واحدة وهي آدم قد اختلفوا في المستقر والمستودع والاحوال
في تلك الصفات ليس لجسمية ولوازمها فيكون للفاعل المختار الحكيم وقيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع انشاء بني
آدم لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي
هو استعمال الفطنة وتدقيق نظر مطابقا له قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء
فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها
وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون ● هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال
الله وعلمه وحكمته ورحمته ووجوه احسانه الى خلقه وهذه الدلائل كما انها دلائل فهي ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة
والكلام اذا كان من بعض الوجوه دلائل القدرة وكان احسانا وانعاما من سائر الوجوه كان تأثيره في العقل عظيما وعند
هذا يظهر ان المشتغل بدعوة الخلق ينبغي ان يسلك هذا المسلك ولا يعدل عن هذه الطريقة فاخرجنا به بالماء نبات كل
نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مختلفة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وهذا التفات من الغيبة الى التكلم فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر
وخضر كاعور وعور وهو الخضر ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض في
سنبله ويحصل فوق السنبل اجسام دقيقة حادة كانها الابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك
الحبات المتراكبة واعلم انه تعالى خص النبت في الاية المتقدمة بقسمين حيث قال ان الله فالق الحب والنوى فالذي ينبت من
الحب الزرع والذي ينبت من النوى هو الشجر فاعتبر في هذه الاية هذه القسمة فابتدأ بذكر الزرع واشار اليه بقوله
منه خضرا وهو الزرع وكما ذكر ان الحب اتبعه بذكر ما ينبت من النوى وهو الشجر واشار اليه بقوله ومن النخل وتقديم الحب على
المتقدمة والزرع في هذه الاية يدل على انه افضل من النخل والطلع اول ما يخرج من النخلة كما في اكمامه وقنوان جمع قنو وهو
العذق بكسر العين وهو الكباسة والعرجون عوده الذي ينتظم فيه التمر وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجه من طلع
النخل قنوان دانية سهلة المجتنى معرضة معدة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وانما قال دانية لان النخلة وان كانت
صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر
البعيدة لان النعمة فيها اظهر او ذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب قرأ عاصم بنصب التاء

وفيه وجهان احدهما بالرفع ثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصله او ومخرجه من النخل
قنوان وجنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصله او مخرجه من النخل قنوان وجنات
من اعناب اي نبات اعناب والباقون بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي فاخرجنا به جنات من اعناب وقيل عطف على قوله خضرا
وكذا قوله والزيتون والرمان بالعطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وقيل عطف على قوله خضرا وكذا قوله الزيتون
والرمان بالعطف على نبات كل شيء وقيل على قوله خضرا وقيل هما منصوبان على الاختصاص لفضل هذين الصنفين قيل بين انهما
شجرهما قال الامام انه تعالى ذكر هاهنا اربعة انواع من الاشجار وقدم الزرع على الشجر لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء
مقدم وقدم النخل لان ثمرها يجري مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب وقيل بينه وبين الحيوان مشابهة في خواص كثيرة لا توجد في النبات
ولهذا المعنى قال عليه السلام اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم قدم العنب لانه اشرف انواع الفواكه فانه من اول ما يظهر
يصير منتفعا به الى آخر الحال فاول ما يظهر على الشجر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم لذيذة ثم يظهر بعده الحصرم وهو طعام
شريف للاصحاء والمرضى وقد يتخذ منه رب الحصرم ويتخذ منه اشربة لطيفة المذاق نافعة لاصحاب الصفراء وقد يتخذ الطبيخ
وكانه الذ الطبائخ الحامضة ثم اذا تم العنب فهو الذ الفواكه واشهاها ويمكن ادخار العنب المعلق سنة او اقل او اكثر وهو الذ
الفواكه المدخرة ثم يتبقى منه الزبيب والدبس والخل والخمر ومنافع هذه الاربعة لا يمكن ذكرها الا في المجلدات والخمر وان كان الشرع
قد حرمها قال في وصفها ومنافع للناس ثم قال واثمهما اكبر من نفعهما واحسن ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنات
عظيمة النفع للمعدة الضعيفة الرطبة فثبت ان العنب كانه سلطان الفواكه ثم قدم الزيتون لانه كثير النفع لانه يمكن
كما هو وينفصل عنه ايضا دهن عظيم النفع في الاكل وسائر وجوه الاستعمال واما الرمان فحاله عجيب جدا لانه جسم مركب
من اربعة اقسام قشره وشحمه وعجمه وماؤه والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة قوية في هذه الصفات
والماء بضدها فانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطبائع المعتدلة وفي ذلك تقوية للمزاج
الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه قوله مشتبها يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا
والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا والمعنى بعض هذه الفواكه متشابه في القدر واللون والطعم وقيل تقديره والزيتون
متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وبعضهم اكتفى بوصف احدهما انظروا الى ثمره قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم
على ان يكون جمع ثمرة كخشبة وخشب او يكون جمع ثمار ككتاب وكتب وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم على ان يكون تخفيف ثمر
كرسل ورسل والباقون بفتح الثاء والميم على ان يكون جمع ثمرة كبقرة وبقر وشجرة وشجر والينع النضج يقال ينع الثمر يينع ويينع
بالعين في الماضي وفتحها وكسرها في المستقبل ينعا وينعا وينوعا اذا نضج ولم يسقط الياء في المستقبل لتقويها باختها امر
بالنظر في حال الثمر في اول حدوثها وامر بالنظر في ينعها وتمامها وكمالها اذا اجتمع ثمر كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به
وانظروا الى حاله اليانعة ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ وقيل ان الثمار في هذه الازهار حالة الثمار تتولد في اول حدوثها
على صفات مخصوصة وعند كمالها لا تبقى على حالتها الاولى بل تنتقل الى احوال مضادة للاحوال السابقة مثل انها كانت
موصوفة بالحموضة فصارت موصوفة بالحلاوة وربما كانت في اول الامر باردة بحسب الطبيعة فتصير في آخر الامر حارة
بحسب الطبيعة فحصول هذه التبدلات والتغيرات لا بد له من سبب وليس هو تأثير الطبائع والفصول والانجم والافلاك
لان نسبة هذه الاحوال بأسرها الى جميع هذه الاجسام النباتية متساوية متشابهة فلا تكون سببا لحدوث الحوادث
المختلفة فيكون بتدبير القادر المختار الحكيم المدبر للعلويات والسفليات على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة بطريق التفصيل ان في ذلكم
لايات لقوم يؤمنون وخص المؤمنين بالذكر لانهم الذين انتفعوا بها دون غيرهم وقيل المراد ان هذه الايات دالة
على اثبات الاله القادر العالم المختار ظاهرة وقوية جلية فكانه قيل لم وقع الاختلاف بين الخلق في هذه المسألة مع
وجود هذه الدلالة القوية الجلية فاجيب عنه بان قوة الدلالة وظهورها لا يفيد ولا ينفع الا اذا قدر الله للعبد حصول
الايمان فكانه قيل هذه الدلالة لعظمتها وظهورها انما ينفع لمن سبق قضاء الله في حقه بالايمان فاما من سبق قضاء الله
له بالكفر لم ينفعه هذه الدلالة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون ● لما ذكر الادلة من العالم الاسفل والعالم الاعلى على ثبوت الالهية وكمال القدرة والعلم
والرحمة ذكر بعد ذلك ان من الناس طائفة جعلوا لله شركاء الجن اعلم ان المشركين على اصناف فمنهم عبدة الاصنام الذين
اثبتوا لله شركاء في المعبودية لا في الخلق والايجاد وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة
ومنهم الذين يقولون ان مدبر هذا العالم هو الكواكب وهؤلاء فريقان فريق قالوا انها واجبة الوجود لذواتها وفريق قالوا
انها ممكنة الوجود لذواتها محدثة خلقها الله الا انه تعالى فوض تدبير هذا العالم الاسفل اليها وهؤلاء هم الذين حكى الله عنهم
ان الخليل صلوات الله عليه ناظرهم بقوله لا احب الآفلين وشرح ابطال قول الصنفين قد مضى ومنهم طائفة قالوا لجملة هذا
العالم بما فيه من السموات والارضين الهان فاعل خير وفاعل شر والمقصود من هذه الاية حكاية كفر هؤلاء فهذا هو تقرير نظم هذه
الاية والتنبيه على ما فيها من الفوائد ذكر عن ابن عباس انه قال قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله
وابليس اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب والانعام والخيرات وابليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور وهو
كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة وانما وصف بكونه من الجن لخفيه بمعنى الاستتار وكما قال ابن عباس هذا
قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله سمي بالزند والمنسوب اليه
سمي زنديا ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة والمجوس يقولون كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه

من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث ولهم في كيفية
حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم ثم على القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم
فخيره من الله وشره من ابليس فهذا شرح ما قاله ابن عباس فان قيل فعلى هذا التقدير القوم جعلوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف
حكى الله عنهم انهم جعلوا لله شركاء اجيب بانهم يقولون عسكر الله هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة
فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة ومقدسة وهم يلهمون الارواح البشرية بالخيرات والطاعات والشياطين فيهم ايضا
كثرة عظيمة وهم يلقون الوساوس الخبيثة الى الارواح البشرية والله مع عسكره من الملائكة يحاربون ابليس مع عسكره من
الشياطين فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم جعلوا لله شركاء الجن المفعول الاول لجعلوا شركاء ولله هو المفعول الثاني والجن بدل
من شركاء وقيل شركاء الجن مفعولان لجعلوا وقدم الثاني على الاول استعظاما لان يتخذ لله شريك سواء كان ملكا او جنيا
او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء والمعنى اشركوا الجن في عبادتهم لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل
هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم اي وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا
ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان لا يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير عائد الى الجن والمعنى انهم قالوا الجن
شركاء الله وهم معترفون بان الله خلق الجن وخرقوا قرأ نافع خرقوا بتشديد الراء والباقون خرقوا بتخفيف الراء والتشديد
للمبالغة ومعنى خرقوا اختلقوا او افتروا والخلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة
عربية كانت الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله وقيل ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه
اي اشتقوا له بنين وبنات والمعنى افتعلوا له بنين وبنات قيل ان الله تعالى حكى عن قوم انهم جعلوا لله شركاء الجن ثم بعد
ذلك عن قوم انهم اثبتوا لله بنات وبنين اما الذين اثبتوا البنين فهم النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله واليهود الذين
قالوا عزير ابن الله واما الذين اثبتوا البنات فهم العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع
في فساد هذا القول قوله سبحانه اي نزه الله من كل ما لا يليق به ومن وصفهم الفاسد قوله تعالى بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ۝ لما بين فساد قول طوائف المشركين
شرع في اقامة الحجة على فساد قول من يثبت له الولد بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك
فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم
النظير والمثل في السموات والارض وقيل البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع … وارتفاعه على انه خبر
مبتدا محذوف اي هو بديع السموات والارض وقيل بديع السموات مبتدا وقوله انى يكون له ولد خبره وقيل بديع السموات
فاعل لقوله تعالى عما يصفون ان تعالى بديع السموات والارض وقد ابطل ان يكون له ولد من اربعة اوجه احدها ان بديع السموات
والارض ليس بجسم وكل من كان له ولد فهو جسم لان الولادة من صفات الاجسام فلا يكون لبديع السموات والارض
ولد وثانيها انه بديع السموات والارض فلا يكون له صاحبة وكل من كان له ولد
يكون له صاحبة لان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد فلا يكون لبديع السموات والارض ولد وثالثها انه
خلق كل شيء لا يكون له ولد لان من خلق كل شيء لا يكون مثيلا ومن كان له ولد يكون مثيلا له فخالق كل شيء لا يكون له ولد
ورابعها انه تعالى عليم بكل شيء ومن كان له ولد لا يكون عالما بكل شيء وفي مقدما تحرير هذه الحجج تقليبها الخواص الذين لا تعمى عليهم الحجج
والبينات والعوام الذين قلوبهم سليمة عن الوساوس الشيطانية ومتابعة ما وجدوا عليه اباءهم الكافرين ويلزم اهل
الجدال له بما يسكتهم ويفحمهم قوله تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ۝ اقام الحجة على وجود الاله القادر الحكيم المختار الرحيم
وبين فساد قول من ذهب الى الاشراك بالله وفصل مذاهبهم على احسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها بما هو اللائق به ثم حكى
مذهب من اثبت لله البنين والبنات وبين بالبراهين القاطعة والبينات الساطعة فساد القول بها فثبت ان اله العالم فرد
احد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والند مقدس عن الاولاد من البنين والبنات ثم صرح بما هو المطلوب فقال ذلكم
الله اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات ذلكم مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق
بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه فانه هو المصلح لمهمات جميع العباد وهو الوكيل لكل احد على حصول تمام
المطالب لكل شيء من الارزاق والاعمال والاجال والالام ومن تامل في هذا النظم والترتيب في تقرير الدعوة الى التوحيد
والتنزيه وبيان فساد الشرك علم انه لا طريق اوضح ولا اصلح منه قوله لا تدركه الابصار قيل هذا يجري على عمومه بحسب
الازمان اي لا يحيط به الابصار بل تراه ولا تحيط به كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه وقال ولا يحيطون به علما كما نعرفه
في الدنيا … كذلك تراه في العقبى لا كالمرئيين وقيل يرى الشيء ولا يدرك كما اخبر الله تعالى عن اصحاب موسى حين قرب
منهم قوم فرعون انا لمدركون وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لان الله تعالى كان قد وعد موسى عليه السلام انهم لا يدركون
بقوله لا تخاف دركا ولا تخشى وعن سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وعن عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به
وعن الحسن لا تقع عليه الابصار ولا تهجم عليه العقول ولا تدركه الاذهان عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل لا تدركه
الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا وقيل هذا
يجري على الخصوص عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وهو يدرك … ولا يخفى عليه شيء ولا يفوته وقيل

لا تدركه

[illegible]

محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه ليلة المعراج تمسكت بهذه الاية فهذه الاية ان صحت تشتمل على المدح والثناء بقوله بعد
ذلك ايضا مدح فقوله لا تدركه الابصار ايضا مدح وكل ما كان عدمه مدحا كان ثبوته نقصا والنقص على الله تعالى محال
يكون تعالى منها محال والجواب ان لا نسلم ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فان الادراك هو الوصول الى الشيء والمرئي اذا كان
له حد ونهاية وادركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته صار كان ذلك الابصار احاط به فيسمى هذه الرؤية ادراكا
حقيقة فالرؤية جنس تحته نوعان رؤية مع الاحاطة ورؤية لا مع الاحاطة فلم يلزم من نفي الادراك نفي الرؤية فان قيل
لما بينتم ان الادراك امر مغاير للرؤية فقد افسدتم على انفسكم الوجه الذي تمسكتم به في هذه الاية في اثبات الرؤية اجيب
بان الادراك اخص من الرؤية واثبات الاخص يستلزم اثبات الاعم ونفيه لا يستلزم نفيه ولئن سلم ان الادراك بالبصر
عبارة عن الرؤية ولكن لا نسلم ان يفيد عموم السلب بل لا يفيد الا سلب العموم وتمسك عائشة بهذه الاية في نفي الرؤية
لا يقتضي عموم السلب لاحتمال ان يكون في الدنيا وما بصيغة الجمع كما يحمل على العموم يحمل على المعهود السابق
ايضا واذا كان كذلك فقوله لا تدركه الابصار يفيد ان الابصار المعهودة في الدنيا لا تدركه ونحن نقول بموجبه فان هذه
الابصار وهي الاحداق ما دامت تبقى على هذه الصفات التي هي موصوفة بها في الدنيا لا تدركه تعالى وانما تدركه اذا تبدلت
صفاتها وتغيرت احوالها فلم قلتم ان عند حصول هذه التغيرات لا يدرك الله ولئن سلم ان الابصار لا تدرك الله فلم
لا يجوز حصول ادراك الله بحاسة سادسة مغايرة لهذه الحواس … وعلى هذا التقدير فلا يبقى
للتمسك بهذه الاية فائدة وايضا هذه الاية عامة والايات الدالة على اثبات الرؤية خاصة والخاص مقدم على العام
ولئن سلم ان الابصار مدح فلنا نسلم ولكن انما يكون مدحا اذا كان الادراك بالبصر جائزا فان العدم الصرف والنفي
المحض لا يكون موجبا للمدح وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف باستخراج الاشياء خبير بمكانها وقيل اللطيف من دق
بالمعنى وتحجب بالعماء … وقيل اللطيف
اللطيف الذي يخفي على العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا وقيل اللطيف الذي يكتم من الطاعة ثم اهل للوصلة وقيل اللطيف
الذي يستقل الكثير ويستكثر القليل من طاعة عباده وقيل اللطيف الذي يعين ولا يعير وقيل اللطيف الذي
اذا دعوته لباك وان قصدته اواك وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك
وان اقبلت عليه هداك وقيل اللطيف لا يطلب من الاحباب الا سببا بعد الاسباب وقيل اللطيف الذي يغفر للمقترف الكبيرة
ويعز المفتخر به وقيل اللطيف من ادم بغربته وبهيبة تاديب وقيل اللطيف الذي اعطاه حينما ومنعه حين وقيل اللطيف
دقة النظر في الاشياء قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ
لما قرر الايات الظاهرة والبينات الباهرة في المطالب العالية الشريفة الالهية عاد الى تقرير امر الدعوة والتبليغ والرسالة والبصائر
جمع البصيرة وهي نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به يبصر والمراد بقوله قد جاءكم بصائر من ربكم
الايات المتقدمة وهي في انفسها ليست بصائر الا انها لقوتها وجلائها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها
فلما كانت هذه الايات اسبابا لحصول البصائر سميت انفسها بالبصائر او قد جاءكم من الوحي والبينة ما هو كالبصائر
وما لا يجوز وقيل هي الحجج البينة يبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل هي بينات القرآن والكل صحيح فمن
ابصر الحق فيها وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى
وما انا عليكم بحفيظ برقيب احصي عليكم اعمالكم انما انا رسول ابلغكم رسالات ربي والله هو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه
شيء من افعالكم قوله تعالى وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ۝ …

التخصيص ٢

اما اذا لم يحط البصر بجميع المرئي لم يسم تلك الرؤية ادراكا ٢

لا تدركه تعالى فلم قلتم ان المبصرين لا يدركون الله واما قولهم ان قوله لا تدركه الابصار ٢

وقيل اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي ٢

الى المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم وتزيينه
على الأمم هو ما يخلقه ويجتبيه في النفوس من المحبة للخير أو الشر والاتباع لطرقه قال صاحب الكشاف أي أمهلنا الشيطان
حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا وهذا عدول عن الظاهر إلى تأويل يدل العقل والنقل
على بطلانه ثم إلى ربهم مرجعهم وأمرهم مفوض إلى الله وهو عالم بأحوالهم مطلع على ضمائرهم فينبئهم بخيرهم بعملهم إن خيرا فخير وإن شرا
فشر وهذا يتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا شديدا للمسيئين **قوله تعالى** وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ● قيل إن الكفار لما نزلت إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين أقسموا أنها إن نزلت آمنوا فنزلت هذه الآية وقيل قالت قريش يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها
الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون أن آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا
حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفا
ذهبا فجاءه جبريل فقال له إن شئت أصبح ذهبا فإن لم يؤمنوا بالآيات لنعذبنهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم فنزلت وأقسموا الضمير في أقسموا عائد على المشركين المتقدم ذكرهم أي وحلف
هؤلاء المشركين بالله جهد أيمانهم نصب على المصدر والعامل فيه أقسموا عند من الأيمان وأشدها قال الكلبي ومقاتل
إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم آية اللام موطئة للقسم مؤذنة به ليؤمنن بها اللام فيها هي المتلقية للقسم
والمعنى والله لئن جاءتهم آية كما جاء من قبلهم من الأمم ليؤمنن بها قل يا محمد على جهة الرد إنما الآيات عند الله
وإنما هو قادر على إتيانها ليست عندي فتقترح علي وما يشعركم قيل المخاطبون بذلك الكفار وقيل المؤمنون في معناه وما
يدريكم أنها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الألف على القطع واستئناف الإخبار وقرأ تؤمنون بالتاء وهي قراءة ابن
عامر وحمزة فاستقامت له المخاطبة لأن في آخر الكلام ومن قرأ يؤمنون بالياء وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي
فيحتمل أن يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين ومفعول يشعركم الثاني محذوف
تقديره بحسب كل تأويل وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن عامر أنها بفتح الألف فمنهم من جعلها
أن التي تدخل على الجمل وتأتي بعد الأفعال كعلمت وظننت وأعمل فيها يشعركم ثم زعم بعضهم أن لا زائدة فتقوله لا يؤمنون
فإن معنى الكلام وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو تؤمنون كما زيدت في قوله وحرام على قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون لأن المعنى وحرام على قرية مهلكة رجوعهم وكما زيدت في قول الشاعر أبى جوده لا البخل واستعجلت
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله ● قال الزجاج أبى جوده البخل ودعا إلى نعم هنا حفظا للمعنى لأنها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام
عذرا للكفار وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا وقال هو غلط وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت
السوق أنك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وحكى سيبويه عن الخليل
وهو تأويل لا يحتاج معه إلى تقدير زيادة لا ويقوي بها قراءة أبي لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون وضعف أبو علي هذا بأن التوقع الذي
فيه لا يناسبه الآية بعد إن حكمت بأنهم لا يؤمنون ورجح عنده في الآية أن يكون أنها على بابها بأن يكون المعنى قل إنما الآيات
عند الله لأنها إذا جاءت لا يؤمنون فهو لا يأتي بها لإصرارهم على كفرهم فيكون الآية نظير قوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات
إلا أن كذب بها الأولون أي بالآيات المقترحة وقيل ويترتب على هذا التأويل أن يكون ما نافية فبعد ذلك أبو علي ورجح
عنه أيضا أن يكون لا زائدة وبسط شواهده في كتاب الحجة وحكى بعض المفسرين أن في آخر الآية حذفا يستغنى به عن زيادة
لا وعن تأويلها بمعنى لعل وتقديره عندهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون قيل وهذا قول ضعيف لا يعضده لفظ الآية
ولا يقتضيه ويحتمل أن يكون في الآية تضمين للإخبار أنهم لا يؤمنون وقيل لهم وما يشعركم بهذه الحقيقة أي لا سبيل إلى شعوركم
بها وهي في نفسها حق وهم لا يؤمنون أي لو جاءتهم وما استفهام على هذا التأويل ونقلب أفئدتهم عند ذم قيل عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم
وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول الآيات أولا لا يؤمنون بها لكونها مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم
أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقيل نقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار نحرقها
بلهيبها في الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا ثم استأنف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم يعمهون وقيل الكاف في الآية لمعنى
المجازاة أي كما لم يؤمنوا أول مرة نجازيهم بأن نقلب أفئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم وكأنه قال ونحن نقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من الشرع والضمير في به يحتمل أن يعود على الله أو على القرآن أو على النبي **قوله
تعالى** ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله
ولكن أكثرهم يجهلون ● بين الله تعالى في هذه الآية تفصيل ما ذكره على سبيل الإجمال في قوله وما يشعركم أنها
إذا جاءت لا يؤمنون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى بأن أحييناهم فيشهدون لك بالنبوة كما قالوا فأتوا بآبائنا
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا عيانا كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقرأ نافع وابن عامر ها هنا وفي الكهف قبلا بكسر القاف

وفتح الباء وعاصم وحمزة والكسائي بالضم فيهما والكوفيون وابن كثير وابو عمرو بالضم فيهما ههنا عن ابي زيد تقول
لقيت فلانا قبلا ومقابلة وقبلا وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القرائتين واحد وان اختلف اللفظان
ومن الناس من اثبت للفظين تفاوتا في المعنى فقال اما من قرا قبلا بكسر القاف وفتح الباء فقال ابو عبيدة والفراء والزجاج
معناه عيانا يقال لقيته قبلا اي معاينة عن ابي ذر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اكان آدم نبيا
فقال نعم كان نبيا كلمه الله قبلا واما قبلا ففيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جمع قبيل اي جمعنا عليهم كل شيء كفلا بصحة ما بشرنا
وانذرنا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق فاذا انطق الله الكل واطبقوا على قبول
هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات وثانيها ان يكون قبلا جمع قبيل بمعنى الصنف والمعنى حشرنا عليهم كل شيء قبيلا
قبيلا اي جماعة جماعة وموضع الاعجاز هو الحشر بعد الموت وكونها مجتمعة في موقف واحد على اختلاف طبايعها وثالثها ان يكون
قبلا بمعنى مقابلا اي مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا لو اظهرنا جميع تلك الاشياء العجيبة والامور الغريبة لهؤلاء
الكفار فانهم لا يؤمنون الا ان يشاء الله ايمانهم فلما لم يؤمنوا دل ذلك على ان الله تعالى ما شاء منهم الايمان وهذا دليل على ان
الايمان والكفر والخير والشر بمشيئة الله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون بان الكل بمشيئة الله تعالى وقضائه وقدره قال صاحب
الكشاف ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الايات او
ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت المقترحة قوله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون اي كذلك زينا لكل امة عملهم جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس والاية
تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض العذر عليه اي كما ابتليناك بامثال هؤلاء الاعداء كذا ابتلينا من قبلك
من الانبيا بعدو شياطين الانس والجن وعدوا مفرد في معنى الجمع ونصبه على المفعول الاول لجعلنا والثاني لكل
لكل نبي ونصب الشياطين على ان يكون بدلا من قوله عدوا وقيل عدوا وشياطين مفعولان لجعلنا كقوله وجعلوا
لله شركاء الجن وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من الانس والمتمردين من الجن الذين هم من فوق فعلهم طغيانهم
كالشياطين ويقويه حديث ابي ذر انه صلى يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ يا ابا ذر من شياطين
الجن والانس قال او ان من الانس لشياطين قال نعم وقيل المراد الشياطين الموكلون بالانس والشياطين الموكلون
بالجن فان ابليس قسم جنده فريقين فبعث منهم فريقا الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء لرسول الله
ولاوليائه فهم يلتقون في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا فاضلل صاحبك بمثله
ويقول شيطان الجن للانس كذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير يوحي بعضهم يوسوس شياطين الجن الى شياطين
وكذلك بعض الجن يوسوس الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول غرورا ما يزينه من القول والاغراء على المعاصي ويموهه
غرورا خدعا واخذا على غرة غرورا منصوب على المصدر وهذا المصدر محمول على معنى الكلام لان معنى ايحاء الزخرف
من القول معنى الغرور فكانه تعالى قال يغرون غرورا والتحقيق فيه ان الغرور هو الذي يعتقد في الشيء كونه مطابقا للمنفعة
والمصلحة مع انه في نفسه ليس كذلك فالغرور اما ان يكون عبارة عن عين هذا الجهل او عن حالة متولدة عن هذا الجهل
او عن حالة متولدة عن هذا الجهل فان بعضهم في بعض لا يمكن ان يعبر عنه بعبارة كما لا يقوى دلالة على تمام المقصود
من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما فعلوا ايحاءهم وقيل لما اوحى بعضهم الى بعض زخرف
القول وهذا يدل على ان الكفر والايمان بارادة الله فذرهم وما يفترون قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم
قوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون الصغو معناه الميل
يقال صغى السمع اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت ان يصغي ويقال اصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض
ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى فقوله ولتصغى اي ولتميل وجواب ولتصغى محذوف تقديره ولتصغى اليه
جعلنا لكل نبي عدوا وقيل ان اللام لام الصيرورة والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي وليميل
الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام
وقيل ولتصغى متعلق بقوله يوحي بعضهم الى بعض والتقدير ان بعضهم يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا الذنوب ويكون المراد ان مقصود الشياطين من ذلك الايحاء مجموع
هذه المعاني قوله تعالى افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
ليؤمنن بها اجاب عنه بانه لا فائدة في اظهار تلك الايات لانه تعالى لو اظهرها لبقوا مصرين على كفرهم ثم انه تعالى بين في هذه
الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلبا للزيادة وذلك مما لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا
ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل اليه الكتاب المفصل المبين
المشتمل على العلوم الكثيرة والبلاغة الكاملة والفصاحة الشاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وظهور المعجز عليه
يدل على انه تعالى قد حكم بنبوته فقوله تعالى افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل

الحق من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم
بالافتراء والثاني من الامور الدالة على نبوته ان القران منزل من ربك بالحق ان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب الى التحريض كقوله ولا تكونن من المشركين
وقيل فلا تكونن في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم وقيل فلا تكونن خطاب لكل احد
على معنى انه لما تظاهرت الايات وتعاضدت البينات على صحته وصدقه انه ينبغي فيه احد وقيل هذا الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بحسب الظاهر والمراد امته قرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف قوله تعالى وتمت
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم انه تعالى بين في الاية المتقدمة ان القران معجز فذكر في هذه
الاية انه تمت كلمة ربك اي تم القران في كونه معجزا دالا على صدق محمد فقوله صدقا وعدلا اي تمت تماما صدقا وعدلا وهما
مصدران منتصبان على الحال التقدير صادقة وعادلة قرا عاصم وحمزة والكسائي كلمة بغير الف على الواحد والباقون
كلمات على الجمع قيل الكلمة والكلمات ما جاء من وعد ووعيد وثواب وعقاب فلا تبديل فيه ولا تغيير له كما قال ما يبدل القول
لدي والكلمة في الاية موصوفة بصفتين كونها تامة اي وافية بكونها معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
كافية في بيان ما يحتاج اليها الناس الى يوم القيامة علما وعملا وقيل ان حكم الله هو الذي حصل في الازل لا يحدث بعد ذلك
شيء فهذا الذي حصل في الازل هو التمام والزيادة عليه ممتنعة والى هذا اشار بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو
كائن الى يوم القيامة وثانيهما كونها صدقا فان الكذب نقص والنقص على الله محال ولا يمكن اثبات امتناع الكذب على الله بالدلائل
السمعية لان صحة الادلة السمعية موقوفة على ان الكذب على الله محال فلو اثبتنا امتناع الكذب على الله بالادلة السمعية لزم
الدور قال الامام واعلم ان هذا الكلام كما يدل على ان الخلف في وعد الله محال يدل على ان الخلف في وعيده ايضا محال بخلاف
ما قاله الواحدي في تفسير قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا ان الخلف في وعيد الله جائز لان وعد الله ووعيده كلمة الله فاذا ثبت من
الاية ان كلمة الله يجب كونها موصوفة بالصدق وعلم ان الخلف كما انه ممتنع في الوعد كذلك ممتنع في الوعيد وثالثها كونها عدلا
قيل بيان ذلك ان ما وقع في القران من تكليف خبر فصدق والتكليف عدل وقيل انما امتن به وعد ووعيد وثواب وعقاب
فهو صدق لا شك فيه وانه يكون واقعا وتعبده فيه عدل لانه تعالى منزه عن الظلم ومنها لا مبدل لكلماته قيل معناه ان هؤلاء
الكفار يلقون الشبهات في كونها دالة على صدق محمد لكن تلك الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلالة التي لا تقبل التبديل لان تلك
الدلائل جلية قوية قاطعة لا تزول بشبهات الكفار وتمويهات اولئك الجهال وقيل المراد انها مصونة عن الاختلاف
والتناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل انها تبقى مصونة عن التحريف والتغيير كما قال
وانا له لحافظون وقيل ان احكام الله لا تقبل التبدل والزوال لانها ازلية والازلي لا يزول قال الامام واعلم ان هذا احد الاصول
القوية في باب الجبر لانه تعالى لما حكم على زيد بالسعادة وعلى عمرو بالشقاوة ثم قال لا مبدل لكلمات الله يلزم امتناع ان ينقلب السعيد
شقيا وان ينقلب الشقي سعيدا فالسعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه قوله تعالى وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اعلم انه تعالى لما ازال شبهات الكفار ثم بين صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ثم بين ان العاقل لا ينبغي ان يلتفت الى كلمات الجهال ولا
ينبغي ان يتشوش بسبب كلماتهم الفاسدة فقال وان تطع اكثر من في الارض لان اكثر الناس وهم الكفار يدل على ذلك قوله وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين فيما يعتقدون من الحكم على الباطل بانه حق وعلى الحق بانه باطل يضلوك عن الطريق الحق والمنهج الصدق
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون
في ان الله حرم كذا واحل كذا قيل من منصوب المحل بنزع الخافض اي اعلم بمن وقيل مرفوع المحل لانه بمعنى اي كانه قيل اي يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين قيل هذا ترجيح لوقوع التفاوت وعلم الله اجيب بان المراد من هذا ان العناية باظهار هداية المهتدين فوق
العناية باظهار ضلال الضالين قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين عن ابن عباس قال
المشركون للمؤمنين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقت الذبح اي المذكى باسم الله خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم وقيل انهم كانوا يحرمون
اصنافا من النعم ويحلون الاموات فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فاحلوا المذكى باسم الله وحرموا الميتة
قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين قرا نافع وحفص عن عاصم بالفتح فيهما على معنى فصل الله ما حرم عليكم فاسند
الفعل الى الفاعل وتقدم ذكره في قوله اسم الله وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالضم فيهما على ما لم يسم فاعله كقوله ذكر وحرم
والكسائي وابو بكر عن عاصم فصل بالفتح وحرم بالضم وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل بين لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله والمذكور حرمت عليكم الميتة وقيل انه يشكل بان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من اخر
ما انزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل يلزم منه ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المجمل والمتاخر من المدني يمتنع ان يكون
متقدما والاولى ان يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية وان كانت مذكورة بعد هذا
بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قوله الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم اذا دعتكم
الضرورة الى اكله بسبب شدة الجوع وان كثيرا ليضلون قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء ههنا وفي يونس ربنا ليضلوا
وفي ابراهيم ليضلوا وفي الحج ثاني عطفه ليضل وفي لقمان لهو الحديث ليضل وفي الزمر اندادا ليضل وعاصم وحمزة والكسائي جميع ذلك

بضم الياء وقرأ نافع وابن عامر ههنا وفي يونس بفتح الياء وفي سائر المواضع بالضم أي يضلون ويضلون فيحرمون
ويحللون بأهوائهم وشهواتهم بغير علم بشريعة إن ربك هو أعلم بالمعتدين الذين في قلوبهم وضمائرهم التعدي وطلب
الباطل والسعي في إخفاء الحق والمقصود التهديد والوعيد قوله تعالى وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون
الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون لما ذكر الله تفصيل المحرمات تبعه بالنهي عنها بالكلية والمراد بالإثم ما يوجبه فظاهر الإثم
ما أعلن به وباطنه ما أسر وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر الإثم الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وقيل النهي
عام في جميع المحرمات قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم
وإن أطعتموهم إنكم لمشركون لما بين أنه يحل أكل ما ذبح على اسم الله ذكر بعده تحريم ما لم يذكر عليه اسم الله ويدخل فيه ما قد مات
أو ترك ذكاته أو ذبح لغير الله وإنه أي وإن الأكل منه لفسق خروج مما لم يذكر اسم الله عليه لفسق جعل ما لم يذكر اسم الله عليه
في نفسه فسقا للمبالغة في الاجتناب عنه قال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله عليه حرام سواء ترك الذكر عمدا أو نسيانا وقال
أبو حنيفة رضي الله عنه إن ترك الذكر عمدا حرم وإن ترك نسيانا حل وقال الشافعي يحل متروك التسمية سواء ترك عمدا
أو خطأ إذا كان الذابح أهلا للذبح وخصص هذا النهي بما ذكر اسم غير الله عليه فإن هذا النهي مخصوص بما كان
فسقا وتوجيه الآية أخرج الفسق بتفسير قوله أهل به لغير الله وأيضا أراد بهذا الذكر ذكر القلب ومتروك التسمية
وجد فيه ذكر القلب لقوله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على قلب المؤمن قال أو لم يقل وإن الشياطين إبليس وجنوده
ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ما قتله الله وروي أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة
إذا ماتت من قتلها فقال صلى الله عليه وسلم الله قتلها قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب
حلال وما قتل الله حرام فأنزل الله هذه الآية وقيل إن الشياطين أي مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركي قريش وذلك
أن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا أولياءهم في الجاهلية وكانت بينهم
مكاتبة أن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوه فهو حلال وما ذبحه الله لا يأكلونه فوقع في نفس ناس من
المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله هذه الآية ثم قال وإن أطعتموهم في أكل الميتة إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه
فقد أشرك به قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك لأنه اتبع
سوى الله وهذا هو الشرك قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ● لما بين في الآية الأولى أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين
الله ذكر مثلا يدل على حال المهتدي المؤمن وعلى حال الضال الكافر فبين أن المؤمن المهتدي الذي هداه الله بعد الضلالة
وميز بين الحق والباطل والمهتدي والضال كمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز
بعضهم من بعض ويفصل بين ما كان حلالا وبين من بقي على الضلالة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهو
قوله في الظلمات ليس بخارج منها يعني هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها
هذه وهو قوله فيها أنهار الفاء للاستفهام دخلت على واو عطف جملة على جملة ومن بمعنى الذي والفاء في قوله فأحييناه
عاطفة والمعطوف عليه كان وجعلنا له نورا أيضا عطف على كان يمشي به يراد به جميع التصرف في الأفعال والأقوال في
الناس متعلق بيمشي ويصح أن يكون متعلقا بخارج منها وقوله من مبتدأ وقوله كمن مثله خبر وقوله مثله في الظلمات
مبتدأ وخبر صلة الموصول الذي هو من وقوله كمن قيل مثل زائد بتقدير أو كمن كان ميتا كمن هو في الظلمات كذلك زين
للكافرين متعلقة بمحذوف يدل ظاهر الكلام عليه بتقدير وكما أحيينا المؤمنين وجعلنا لهم نورا كذلك زين للكافرين
ويحتمل أن يتعلق بقوله كمن مثله أي كحسن الحال هو التزيين وقرأ نافع ميتا بالتشديد والباقون بالتخفيف قيل ما مثل به وإن
كان عاما فكل مؤمن وكل كافر فإنما نزلت في مخصوصين قال الضحاك المؤمن الذي كان ميتا فأحيي عمر بن الخطاب وقيل إنه
حمزة بن عبد المطلب وقيل عمار بن ياسر وقيل الذي في الظلمات أبو جهل روي أن أبا جهل لعنه الله رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى
علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال
حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم
وما يشعرون ● قيل وكذلك جعلنا يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها
ليمكروا فيها وقيل إنه معطوف على ما قبله أي كما زين للكافرين ما عملوا كذلك جعلنا وجعلنا بمعنى صيرنا فهي متعدية إلى مفعولين
فالأول مجرميها والثاني أكابر فقدم الثاني إذ تقديره كبراء مجرميها وقيل يحتمل أن يكون المفعول الأول أكابر ومجرميها بدلا منه والمفعول
الثاني في كل قرية وليمكروا نصب بلام الصيرورة وذلك يدل على أنه تعالى إنما جعلهم بهذا الوصف لأنه
أراد منهم أن يمكروا فيها وهذا يدل على أن الخير والشر بإرادة الله وخص الأكابر لأنهم لأجل رياستهم أقدر على المكر وترويج
الأباطيل ولأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم
يحيق بهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وهذا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم وعد
بالنصر عليهم قوله تعالى وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته
سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ● أي تسلطوا أو قالوا إنما يليق لنا [illegible]

انما يحصل

إنما يحصل لنا الموقف ونحو ذلك وقيل لن نؤمن حتى يحصل لنا هذا المنصب من عند الله وهذا يدل على نهاية حسدهم وأنهم
إنما بقوا مصرين على الكفر لا لطلب الحجة والدلائل لغاية الحسد روي أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت
بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الآية ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم
أن يؤتى صحفا منشرة الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله لا يصطفي للرسالة إلا من يشاء ويعلم أنه يصلح لها
وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم وأعلم متعلق بما عمل فيه حيث غير تقديره يعلم حيث ثم وقع موقع أن قال سيصيب
الذين أجرموا من أكابرها صغار وذلة في الدنيا بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الآخرة وعند متعلق بسيصيب ويصح
أن يتعلق بصغار لأنه مصدر قال الزجاج التقدير صغار ثابت عند الله قال أبو علي متعلق بصغار دون تقدير ثابت وذلك
غير قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ● من شرطية يشرح جوابها أي يوسع قلبه وينوره ليقبل الإسلام
روي أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح
له وينفسح فقالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
الموت ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا قرأ ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون ضيقا بكسر الياء وتشديدها وكذلك
في الفرقان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي حرجا بفتح الراء وعاصم ونافع في رواية أبي بكر حرجا بكسرها قال أبو علي من
فتح الراء كان وصفا بالمصدر كما تقول رجل عدل ومن كسر الراء فهو كدنف وفرق وحري وقال سيبويه الحرج
المصدر كالطلب والحلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقا لا يدخله الإيمان وقيل
حرجا شاكا وقيل ملتبسا وقيل قلقا وقيل ليس للخير فيه منفذ روي أن ابن عباس قرأ هذه الآية فقال هل
هاهنا أحد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المشتبك الذي لا طريق فيه قال ابن عباس
كذلك قلب الكافر وروي أن عمر بن الخطاب قرأها يوما بفتح الراء وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرجا بالكسر فقال عمر بن الخطاب ابغوا لي رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاءه قال له يا فتى ما الحرجة عندكم
قال الشجر يكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير كأنما يصعد
في السماء يعني يشق عليه الإيمان ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السماء أي كأن هذا الضيق الصدر يحاول الصعود
في السماء متى طولب بالإيمان أو فكر فيه ويجد صعوبة عليه كصعوبة الصعود في السماء قيل كأنما يزاول أمرا غير ممكن
لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع عادة ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة
والكسائي بإدغام التاء من تصعد في الصاد وعاصم في رواية أبي بكر يصاعد بإدغام التاء من تصاعد في الصاد والباقون
يصعد كذلك أي كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون كما جعل صدره ضيقا حرجا وقيل مثل ما قصصنا عليك يجعل
الرجس قيل الرجس هو الشيطان يسلط عليه وقيل هو المأثم وقيل ما لا خير فيه وقيل العذاب وقيل اللعنة في الدنيا
والآخرة وهذه الآية نص صريح في أن الله عز وجل يريد هدى المؤمن وضلال الكافر وإنما يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون
وأما قول صاحب الكشاف من يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له صلاحية اللطف عند الإسلام
حتى يرغب في الإسلام ويسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي
لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان يجعل
الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب بعيد عن ظاهر الحق الذي دل العقل والنقل على فساده قوله تعالى وهذا صراط ربك
مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ● هذا إشارة إلى ما تقدم ذكره وقيل إشارة إلى ما ذكر في الآية المتقدمة وهو
أن الفعل يتوقف على الداعي وهو من الله فالفعل من الله وهو التوحيد المحض وإنما وصفه بكونه مستقيما لأنه لا يتطرق إليه عوج
لأنه رجحان أحد طرفي الممكن على الآخر إن لم يتوقف على مرجح وجب عدم التوقف في المحدثات فيلزم نفي الصانع وإن توقف على
مرجح وجب عدم التوقف في المحدثات فيلزم نفي الصانع وإن توقف على مرجح من العبد لزم الدور أو التسلسل وإن توقف في
بعض الصور بحال توكله المعتزلة فهو غير مستقيم لأن المستقيم هو ثبوت الحاجة على الإطلاق وهو مذهب أهل السنة
وقيل هذا إشارة إلى كل ما سبق ذكره في القرآن قال ابن عباس يعني هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني
القرآن قال الإمام والأولى أولى لأن عود الإشارة إلى أقرب المذكورات أولى إلا أنه بمتابعة ما في الآية المتقدمة وجب يكون
من المحكمات يجب إجراؤها على ظاهرها ويحرم التصرف فيها بالتأويل مستقيما انتصابه على أنه حال مؤكدة قد فصلنا الآيات
ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر والله تعالى قد بين صحة القول بالقضاء والقدر في آيات كثيرة من هذه
السورة بوساطة الله من طرق كثيرة ووجوه مختلفة لقوم يذكرون قال الإمام والذي أظن والعلم عند الله أنه تعالى إنما
جعل مقطع هذه الآية هذه اللفظة لأنه تقرر في عقل كل أحد أن أحد طرفي الممكن لا يترجح إلا لمرجح فكأنه تعالى يقول للمعتزلة
تذكروا ما تقرر في عقلكم أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك بالكلية في مسألة القضاء
والقدر قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ● أي لقوم يذكرون دار السلام وذلك
الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها وخص من أسمائه السلام لأن أرضه السلامة من كل آفة ومن دخلها سلم من البلايا

قالت زكريا ومن الامراض والخوف والحزن والاعيا ولان كل حالة من حالات اهلها مقرونة بالسلام اما ابتداء فقوله ادخلوها
بسلام آمنين وبعد ذلك قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وبعده لا يسمعون فيها لغوا ولا
تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام وقوله سلام
قولا من رب رحيم فلما كانت حالات اهل الجنة مقرونة بالسلام اما من الخلق واما من الحق سماها الله دار السلام وايضا
الى اسمه السلام لان هذه كلها آثار اسمه السلام عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة
لا يعلمون كنهها لقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين او عنده كما تكون الحقوق معدة مهياة حاضرة
ونظيره قوله جزاؤهم عند ربهم وذلك نهاية في بيان وصولها اليهم وكونهم على ثقة من ذلك وهذا مشعر بان ذلك
الامر المدخر موصوف بالقرب من الله بالشرف والرتبة لا بالمكان والجهة لتنزهه تعالى عنهما او بان ذلك الشرف والكرامة
لا يعرف كنهها الا الله واضافة عند الى ربهم يشعر بان حصول الرحمة والنعم اليهم في الجنة مترادفة متوالية
ولا ممنوعة شاملة وقوله تعالى اكلها دائم وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم وقربهم عند ربهم يدل
على قربهم وقوله وهو وليهم يدل على قربه منهم ولا يتصور درجة اعلى من هذه الدرجة للعبد وايضا وهو وليهم
يفيد الحصر اي لا ولي لهم الا هو وهذا التشريف انما حصل على التوحيد المذكور في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام فهذا العبد قد عرف ان كل هذه الاشياء ان المدبر والمقدر والنافع والضار والمسعد والمشقي ليس الا هو وانه
لا سبيل للكائنات الا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه وما كان
انسهم الا به وخضوعهم الا له فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم وهذا اشارة الى انه تعالى متكفل
بجميع مصالحهم في الدين والدنيا ويدخل فيه الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وايصال الخيرات ودفع الآفات
والبليات بما كانوا يعملون يعني تولاهم في الدنيا بالتوفيق والعمل وفي الآخرة بالثواب وقيل بسبب اعمالهم وقيل تولاهم
بجزاء ما كانوا يعملون وهذا يفيد ان هذا بفضله لا بعمله وان كان مترتبا على العمل فمنشأ ترتيبه على العمل يكون العمل
كالسبب فاثبت به المسبب لانه سبب على الحقيقة قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم ● لما بين الله تعالى حال من يهديه الى الصراط المستقيم بين حال
من يضله ويجعله الى صراط الجحيم ويوم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم وقيل يحتمل ان يكون العامل وليهم
والعطف على موضع قوله بما كانوا يعملون وقيل الناصب المحذوف تقوله نحشرهم او يقول نحشرهم
اي الذين يجعل الله الرجس عليهم وهو جميع الكفرة جنا وانسا والذين لهم دار السلام جنا وانسا ويدل على ذلك التاكيد
التام بقوله جميعا وقيل راجع الى المعلوم لا الى المذكور وهو من يحشر من الثقلين وقيل هم الذين علم الله انه يحشرهم
وقيل انه راجع الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقرا حفص
عن عاصم يحشرهم بالياء والباقون بالنون ثم ذكر سبحانه ما يقال للجن الكفرة وفي الكلام فعل مضمر يدل عليه
ظاهر الكلام تقديره نقول يا معشر الجن وقيل الجن هم الشياطين والقائل هو الله كما ان الحاشر هو الله وهذا القول
منه بعد الحشر لا يكون الا تبكيتا وبيانا لانهم ما تمردوا في الدنيا فينتهي حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد
والاعتراف بالجرم وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يكلم الله بنفسه مع الكفار بدليل
قوله تعالى في صفة الكفار ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم قد استكثرتم من الانس اي اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم
اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاتباع وقال اولياؤهم من الانس
الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا ببعض اي الانس ببعض الجن
حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم
في شهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الجن بالانس هو ان الرجل كان اذا سافر وخرج فامسى بارض قفر واصاب صيدا
من صيدهم فخاف على نفسه منهم قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوار منهم واستمتاع الجن
بالانس هو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهو كقوله
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة واستمتاع الجن بالانس
اغواء الجن للانس واتباع الانس اياهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني الموت والبعث وهذا الكلام اعتراف
بما كان منهم من طاعة الجن واتباع الهوى قال تعالى النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله اي الا وقت مشيئة الله
مدة ما بين بعثهم الى دخولهم جهنم وقيل هي الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وعن ابن عباس
هذا الاستثناء هو انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا وقيل الا ما شاء الله وقيل معناه
النار مثواكم سوى ما شاء الله من سبق في علمه انه يؤمن فمنهم من آمن قبل الفتح ومنهم من آمن بعد ان ربك
حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب عليم بما يفعله قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون اي كما تركنا الجن والانس الذين تقدم ذكرهم العذاب الدائم الذي لا يخلص منه كذلك نولي اي نجعل
بعضهم اولياء بعض في الكفر والظلم وقيل يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل نولي ظلمة الانس ظلمة الجن
وبالعكس لبعض كقوله نوله ما تولى وقيل نسلط بعضهم على بعض يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من اعان ظالما سلطه

عن مالك بن دينار قرأت في بعض كتب الله المنزلة ان الله تعالى يقول افني اعدائي باعدائي ثم افنيهم باوليائي وعن ابن عباس تفسيرها
هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وفي الخبر يقول الله اني انا الله
لا اله الا انا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا
تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم بما كانوا يكسبون بسبب كونهم كاسبين الظلم لان الجنسية
علة الضم قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا
قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ● هذه الآية من بقية ما يذكر الله
في توبيخ الكفار يوم القيمة وبين انه لا يكون لهم الى الجحود سبيل فيشهدون على انفسهم بانهم كانوا كافرين وانهم لا يعذبون
الا بالحجة فيقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسول منهم فتعلق
بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وقال الضحاك
الضحاك من الجن هل كان منهم نبي من قبل ان يبعث رسول الله فقال الم تسمع الله يقول يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن وقال الآخرون لم يكن من الجن رسل وانما الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه
لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وعن الكلبي كانت الرسل قبل
ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن وقيل الرسل
من الانس وقيل الرسل من الجن الانذار بدليل قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن ابن عباس هم الذين استمعوا القرآن
فابلغوا الى قومهم يقصون عليكم آياتي فالمراد التنبيه على الادلة بالتلاوة والتاويل وينذرونكم اي يخوفونكم عذاب هذا
اليوم فلم يجيبوا عند ذلك الا ان قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة لما
دخلت على نفي اثبات الرسل للانكار كان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون
بها فان قيل ما الموقف في هذه الآية حاصل بين قوله والله ربنا ما كنا مشركين اجيب بانه يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك
اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض وعن ابن يزيد قوله شهدنا على انفسنا شهادة ايديهم وارجلهم
وجلودهم حين يختم على افواههم وغرتهم الحياة الدنيا الفانية فضيحة تضمنت ما ذكرهم كان بادي الوجوه وهو الافتراء
الذي لا يوافقه عاقل وشهدوا على انفسهم تكرير لشهادتهم على انفسهم الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون وتعريف
والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة
وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين
من مثل حالهم قوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ● لما بين انه ما عذب الكفار
الا بعد ان بعث اليهم الانبياء والرسل بين بهذه الآية ان هذا العدل لعله هو الواجب ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة
الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن تعليل اي الامر ما قصصنا عليك
لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم وان هي التي تنصب الافعال وقيل يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة والمعنى
لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم فيجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر
باصحابها ولا مقطوع بظلم بسبب ظلم قدموا عليه او ظالما اي ما كان ربك مهلك القرى ظالما عليهم كقوله وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فعلى الاول الظلم فعل الكفار وعلى الثاني يكون عائدا الى الله على انه
لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبههم برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم ومن كل قبيح قوله تعالى
ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ● لما شرح الله احوال اهل الثواب واهل العقاب ذكر كلاما كليا
في الفريقين فقال ولكل عامل صالح او طالح درجات مما عملوا في الثواب والعقاب على حسب اعمالهم في الدنيا فمنهم من
اجل ثوابا ومنهم من اشد عذابا وقرأ ابن عامر وحده تعملون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وقيل
ولكل درجات مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل
الكفر والمعصية قوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين ● لما بين لكل درجات مما عملوا في الثواب والعقاب
ذكر ان ذلك ليس لاجل انه مفتقر الى طاعة المطيع ومعصية العاصي فانه غني في ذاته وصفاته وافعاله وكل ما سواه مفتقر
اليه وربك الغني يفيد الحصر معناه لا غني الا هو وذو الرحمة لا رحمة الا له واذا تحقق انه لا غني الا هو وذو الرحمة لانه
لانه ثبت بالبرهان القطعي ان كل ما سواه ممكن وانه تعالى فاعل لا شك ان الخير غالب على الشر ومبدأ الخير هو الله
فثبت انه تعالى هو ذو الرحمة لا رحمة الا منه واذا تحقق انه لا غني ولا رحيم الا هو ثبت انه غني عن الكل فلا يستكمل
بطاعات المطيعين ولا ينتقص بمعاصي المذنبين فثبت انه ما رتب العذاب على الذنب ولا الثواب على الطاعة الا
لاجل الرحمة والتفضل والجود والاحسان ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويهلككم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم يعني اهل سفينة قوم نوح كانه تعالى نبه على ان
ليست بمقصورة على صنف دون صنف من الخلق الذين يصلحون للرحمة العظيمة التي هي الثواب بل بهذا الطريق انه تعالى
ابقاهم على هذه الصفة واهلكهم وانشأ امثالهم وافناهم وابدلهم ما يشاء ثم بين كونه تعالى
قادرا على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم آخرين لان المراد ان الانسان اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها

من صورته وصفته بقليل ولا كثير فلا يكون هذا الا بمحض القدرة والحكمة وكما قدر على تصوير هذه الصورة الخاصة
واحداثه على هيئة الصفة فلذلك قدر على تصوير موصوفة مخالفة لها انما توعدون عن الحسن من الساعة لانهم
كانوا ينكرون وقيل يعني كل ما تعلق بالوعد بالثواب فهو آت لا محالة فتخصيص الوعد بهذا الجزم يدل على ان جانب الوعيد ليس
كذلك وما انتم بمعجزين طالبكم حتى لا يدرككم بل يدرككم حيث كنتم فالاعجاز الاتيان بشئ يعجز عنه خصمه ويقصر دونه
فيكون قد قهره وجعله عاجزا عنه والحاصل انه لما ذكر الوعد جزم بكونه آتيا ولما ذكر الوعيد ما زاد على قوله وما انتم بمعجزين
وذلك يدل على ان جانب الرحمة والاحسان غالب قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ● لما بين بقوله انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين امر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يهدد من ينكر البعث من الكفار فقال يا قوم وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالالف على الجمع في كل القرآن والباقون مكانتكم
على الافراد في كل القرآن والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة
وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل اعملوا على مكانتكم وحالكم
التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه انى عامل
على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا
تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي تفويض الامر اليه على سبيل التهديد قال
صاحب الكشاف هي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى
عنه ويعمل بخلافه من تكون يحتمل ان يكون بمعنى اي فيكون في موضع رفع بالابتداء وعلق عنه تعلمون والخبر في قوله
تكون له على معنى اينا تكون له عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها فآخرة والكسائي يكون بالياء
هاهنا وفي القصص على تذكير معنى العاقبة التي هي المصدر لان تأنيثه غير حقيقي والباقون بالتاء في السورتين قيل انهم
اذا كانوا ليست لهم عاقبة الدار اجيب بان العاقبة تكون على الكافر ولا تكون له كما يقال لك الكرة ولهم الظفر وفي ضده
يقال عليهم الكرة وعليهم الظفر وقيل عاقبة الدار لعلها الآخرة ويحتمل ان يراد مآل الدنيا بالنصرة والظهور وهذا طريق من
الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر
مبطل ثم جزم الحكم بانه لا يفلح الظالمون اي لا ينجح سعيهم ولا يفوزون بما طلبوه قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ● لما بين الله تعالى قبح طريقتهم في انكار البعث والقيامة ذكر عقيبه انواعا
من جهالاتهم وبطلان اقوالهم تنبيها على سخافة عقولهم تنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى كلماتهم فمن جملتها انهم جعلوا لله
مما ذرأ اي جعل كفار العرب العادلين بربهم الاوثان مما ذرأ خلق وانشأ وبث في الارض يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم
ذرءا وذروءا اي خلقهم مما ذرأ ويتضمن بقيا نصيب لهم ليس بل احال حكم الاول فيه بقوله هذا لله وهذا لشركائنا
ثم اعترض عليهم انشاء القول بان ذلك منهم زعم والزعم قول غالب في غير اليقين والحق بعالة يرجع ازعم قرأ الكسائي
بزعمهم بضم الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان قال المفسرون كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم
نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون من ذلك كله شيئا
فما سقط مما جعلوا لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط مما جعلوه للاوثان في نصيب الله التقطوه
وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وكانوا اذا [illegible] من نصيب الله في حصة الصنم تركوه وما
من حصة الصنم في حصة الله ردوه وان انفجر من سقي ما جعلوه للشركاء في نصيب الله سدوه وان انفجر من سقي
ما جعلوه لله في نصيب الشركاء تركوه واذا هلك ما لشركائهم او اجدب وكثر الذي لله فقالوا ليس للشركاء بد
من نفقة فاخذوا الذي لله فانفقوه على آلهتهم واذا اجدب الذي لله وكثر الذي لآلهتهم قالوا لو شاء الله لازكى
الذي له فلا يردون عليه شيئا مما للآلهة واذا اصابتهم السنة استعانوا بما جعلوا لله ووفروا ما جعلوا للشركاء ثم
مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء وتزكية بزعمهم اي قد
زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة
فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى الشركاء
من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم
يشرع لهم قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله
ما فعلوه فذرهم وما يفترون ● هذا نوع من احكامهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو
تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله تعالى والآلهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لكثير من المشركين
ان شركاءهم من الشياطين امروهم بذلك التزيين له او من سدنة الاصنام الحاملين عليه ابتغاء من بني آدم والناقلين له
عصرا بعد عصر اذ كانهم مشتركون في قبح هذا الفعل ومتبعه فالاخرى زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد ونحرهم للآلهة وكان
الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب والحاصل ان جعلهم لله نصيبا وللشركاء
نصيبا نهاية في الجهل بمعرفة الخالق المنعم واقدامهم على قتل اولادهم نهاية في الجهالة والضلالة وذلك يفيدنا ان حكم
واعتقادهم كالبعض بعضا في القبح والفساد والسفاهة قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاي وكسر الياء ورفع قتل ونصب

اولادهم

على اضافة القتل الى الشركاء

[illegible]

يفترون ● هذا ايضا نوع آخر من احكامهم الفاسدة وهذه الآية متضمنة تقديما اشترطوه لانفسهم بمحض الهوى
حيث قالوا فيه كذبا منهم على الله وافتراء عليه فقالوا اي المشركون هذه انعام وحرث حجر اي ما كانوا جعلوه لله و
لآلهتهم وقيل يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام حجر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم
وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء قوله بزعمهم متعلق
بزعمهم هنا هو في قوله حجر وتحريمهم ذلك بما لم يحرمه الله وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي
يكون انما الانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل كانت لهم سادة من انعامهم
ان لا يحجوا عليها ولا يلبوا على ظهورها وكانت تركب في كل وجه الا في الحج فذلك قوله لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
افتراء مصدر نصب على انه مفعول له او على اضمار فعل تقديره يفترون افتراء على الله وقيل مصدر مؤكد لان قولهم
ذلك في معنى الافتراء وقيل حال والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه
انعام لا يذكر اسم الله عليها فجعلوها اقساما بزعمهم ونسبوا ذلك التحريم الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
وعيد شديد قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ● هذا نوع آخر من احكامهم الفاسدة وقال المشركون ما في
بطون هذه الانعام اي اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالصة للذكور لا تأكل منها الاناث وان يكن ما في
بطون هذه الانعام ميتة فالذكور والاناث فيه شركاء وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل
على اللفظ ونظيره في الحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى قوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز
ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذوو خالصة ويدل عليه
قراءة خالصة [?] بالنصب على انه حال مما هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم
عليه حاله وقرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة بالرفع ولم يلحق الفعل علامة التأنيث لان الفعل مسند الى الميتة وهو في اللفظ مؤنث
وانما اسند الفعل الى الميتة كما فعل ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر تكن بالتاء وميتة بالنصب فانث وان كان المتقدم مذكرا
لانه حمل على المعنى والتقدير وان تكن ما في بطون هذه الانعام اي النسمة ميتة وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم
في رواية حفص يكن بالياء وميتة بالنصب فذكر الفعل لانهم اسندوه الى ضمير ما تقدم من قوله ما في بطون هذه
الانعام لانه مذكر والميتة انتصب على الخبر وذكر الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى فكانه
قيل وان يكن ميتة فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اي سيجزيهم بوصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم كقوله وتصف
السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام انه حكيم فيما يفعله بهم عليم بما يقولون ويفعلون ويعتقدون قوله
تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ● اعلم انه تعالى ذكر

فيما تقدم قتلا لاولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء ومن ثم بشيعة
كل واحد منها سبب تام في حصول الذم نزلت في ربيعة ومضر واحيا العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي
والفقر الا ما كان من بني كنانة فانهم لا يفعلون ذلك قرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء للمبالغة والباقون
بتخفيف التاء سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازقهم واولادهم ما رزقهم الله من تلك الانعام والحرث
التي يعتقد بغير شرع ولا شبهة في معادل الافتراء على الله والكذب بعد ان ضلوا اخبار عنهم بالحيرة وما كانوا في هذه
الفعلة مهتدين ولكنهم ضلوا بهذه الفعلة ضلالا قبل ذلك بعدما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة قوله تعالى وهو الذي
انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا
من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ● انه تعالى جعل مدار القرآن الكريم على تقرير التوحيد
والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وبالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء
ثم انتقل منه الى تهجين طريقة من انكر البعث والقيامة ثم اتبعه بحكاية اقوالهم الباطلة وكلماتهم الفاسدة في مسائل
اربعة والمقصود التنبيه على ضعف عقولهم وقلة علومهم وتنفير الناس عن الالتفات الى قولهم والاغترار بشبهاتهم
فلما تمم هذه الاشياء عاد بعدها الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الحجة على تقرير التوحيد فذكر في هذه الانواع
الخمسة المذكورة منها فيما تقدم في قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء على ترتيب غير الترتيب الذي في هذه الاية
وابتدأ فيما تقدم بقوله وهو الذي انزل من السماء ماء وفي هذه الاية بقوله وهو الذي انشأ جنات معروشات لانه امر
في الاولى بالنظر اليه ثم في هذه الاية اذن في الانتفاع فقال كلوا من ثمره وكلاهما يفيد اثبات الصانع الحكيم لكن المقصود
بالقصد الاول في الاية الاولى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم فلهذا ابتدأها بقوله وهو الذي انزل من السماء
ماء وامر بالنظر في اخرها بقوله انظروا الى ثمره وختمها بقوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والمقصود بالقصد
الاول في هذه الاية الاذن في الانتفاع بها وامر بصرف جزء منها الى المستحقين فلهذا افتتح بقوله وهو الذي انشأ
جنات معروشات وذكر في اخره الانتفاع بها وامر بصرف جزء منها الى المستحقين بقوله كلوا من ثمره واتوا حقه
يوم حصاده وختمه بقوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والذي حصل بالاية الاولى من الامر بالنظر والاستدلال
على وجود الصانع الحكيم وههنا الاذن في الانتفاع والاستدلال مقدم على الانتفاع لان الحاصل من الاستدلال
بها سعادة روحانية ابدية ومن الانتفاع بها سعادة جسمانية سريعة الانقضاء والاول اولى بالتقديم يقال
عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا عطفت العيدان التي ترسل عليها قضبان الكرم اي انشأ جنات
من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم
والزرع كالبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق مثل النخل وسائر الاشجار وقيل المعروشات ما انبته
الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار مختلفا اكله اي ثمره الذي يؤكل منه النخل والزرع
اي مختلفا في الحجم واللون والطعم والرائحة والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال
مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك اي مقدرا اختلافه كذلك كقوله فادخلوها خالدين قرأ ابن كثير ونافع اكله
بسكون الكاف والباقون بضم الكاف وفي كل القرآن لما ذكر كيفية خلقه لهذه الاشياء ذكر ما هو المقصود الاصلي من خلقها
وهو الانتفاع فقال كلوا من ثمره اذا اثمر وفائدة قوله اذا اثمر مع العلم بانه اذا لم يثمر لم يؤكل منه انه تعالى لما اباح لهم الاكل من ثمره
قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وقيل فائدة
قوله كلوا الاباحة وقيل المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الحق فيه كان يجوز ان يحرم على المالك تناوله
لمكان شركة المستحقين بل هذا هو الظاهر فاباح هذا الاكل واخرج وجوب الحق عنه
وقيل ابيح تعالى ذلك ليبين ان المقصود من خلق هذه الثمرة الاكل وانما قدم ذكر الاكل على التصدق لان رعاية النفس
مقدمة على رعاية الغير قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك تمسك بعض العلماء بقوله
كلوا من ثمره بان الاصل في المنافع الاباحة لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل فصار هذا جاريا مجرى قوله خلق
لكم ما في الارض جميعا وايضا يمكن التمسك به على ان الاصل عدم وجوب الصنع وان من ادعى ايجابه كان هو المحتاج الى الدليل
فيتمسك به في ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لا يلزمه قضاء ما مضى وفي ان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام
قوله كلوا يدل على ان صيغة الامر قد ترد في غير موضع الوجوب وفي غير موضع الندب فعند هذا قيل الاصل في الاستعمال الحقيقة
فيقتضي جعل هذه الصيغة مفيدة لرفع الحجر فلهذا قيل الامر مقتضاه الاباحة والحق انه من لغة العرب ان هذه الصيغة
تفيد ترجيح جانب الفعل وان حملها على الاباحة لا يصح الا بدليل منفصل قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده قرأ ابن عامر
وابو عمرو وعاصم حصاده بفتح الحاء والباقون بكسرها وهما لغتان يريد به العشر فيما سقت السماء ونصف العشر
فيما سقت الدوالي وقيل لا يجوز ان يراد بالحق الزكوة لان الاية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة ولان ايتاء الزكوة
لا تجب يوم الحصاد وانما الحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض
العشر ونصف العشر ورد بانا لا نسلم ان الزكوة ما كانت واجبة بمكة بل لا نزاع في ان الاية المدنية ورد بايجابها
الا ان ذلك لا يمنع وجوبها بمكة وبان الاية مدنية والمراد بقوله واتوا اعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم
حصاده حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء قوله واتوا حقه يوم حصاده بعد ذكر الانواع الخمسة يدل على

على وجوب الزكوة في الكل وهذا يقتضي وجوب الزكوة في الثمار كما يقوله ابو حنيفة فان قيل لفظ الحصاد مخصوص بالزرع
اجيب بان لفظ الحصد في اللغة غير مخصوص بالزرع فانه القطع ولا تسرفوا السرف تجاوز القصد ومجاوزة الحد
وسرف المال ما ذهب منه من غير منفعة وقيل ان الانسان اذا اعطى كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه جاء
في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم
يدخل منها الى منزله شيئا فانزل الله واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله وقيل لا تسرفوا لا تمنعوا الصدقة
وهما يشتركان في ان المراد ولا تجاوزوا الحد الاول في البسط والاخر في القبض فيحمل عليهما ليكون موافقا لقوله
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وقيل
لا تنفقوا في المعصية قال مجاهد لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في
معصية الله كان مسرفا وفي هذا قيل لحاتم الطائي لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قوله تعالى ومن الانعام حمولة
وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن
المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ● قوله حمولة وفرشا معطوف
على قوله جنات وهو الذي انشأ من الانعام حمولة ما يحمل الاثقال وما يفترش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره
الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للركوب والحمل مثل الابل والبقر والخيل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل
والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم
الحرث والانعام من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثم بين الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا
اي وانشأ من الانعام ثمانية ازواج اي اصناف والواحد اذا كان وحده فهو فرد وان كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما
زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن
اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وهو تسمية الفرد بالزوج بشرط ان يكون آخر من جنسه تسميتهم
الرجل كما يشترط ان يكون نحوها معه وقيل نصب ثمانية ازواج بفعل مضمر تقديره كلوا لحم ثمانية ازواج فحذف الفعل
واقيم المضاف اليه مقامه وقيل على البدل من ما في قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل نصب على الحال وقيل نصب على البدل
من قوله حمولة وفرشا من الضأن اثنين يعني زوجين اثنين يريد الذكر والانثى اي الكبش والنعجة ومن المعز اثنين التيس والعنز
والضأن جمع ضائن وضائنة كتاجر وتجر قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي ومن المعز بسكون العين وهو جمع ماعز مثل
صحب والباقون بفتح العين كخادم وخدم ونصب اثنين على انه بدل من ثمانية قل يا محمد آلذكرين الاستفهام للانكار والمراد
بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز نصب الذكرين بقوله حرم والاسم
يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله والمعنى ان كان الذي حرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعيه ذكورها
واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا ومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله
فانكر ذلك عليهم وقيل هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكرين فيلزمكم تحريم
جميع الذكور او الانثيين فيلزمكم تحريم جميع الاناث او ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فيلزم تحريم الجميع وانتم تحرمون
شيئا مما يوجد منها التقسيم فهذه السؤالات تقريع وتعريض ثم اتبع تقريعهم بقوله نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم
من جهة الله ان كنتم صادقين في ان الله حرم ذلك ام كنتم شهداء بل كنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم
الله حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا
الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء اي انكم لا تؤمنون برسول فكيف عرفتم التوصية بهذا التحريم الا بان
كنتم شهداء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس قال ابن عباس هو عمرو بن لحي
الذي غير شريعة اسماعيل وبحر البحائر وسيب السوائب والاولى ان يحمل على كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والعلة
المقتضية لهذا الحكم ما تخصص بحكم قيل اذا ثبت ان من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد
فمن افترى على الله الكذب في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات وفي النبوات والملائكة كان وعيده اشد
ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم او لا يهدي اولئك المشركين اي لا ينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود
وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج
على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قوله تعالى قل لا اجد فيما
اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ● لما بين فساد طريقة اهل الجاهلية فيما
يحل ويحرم من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح فيما يحل ويحرم قرأ ابن كثير وحمزة الا ان تكون بالتاء ميتة بالنصب على تقدير

الا ان يكون لعينها او النفس او الجثة ميتة وابن عامر بالتاء ميتة بالرفع على معنى الا ان تحدث ميتة والباقون بالياء
ميتة بالنصب اي الا ان يكون المأكول او الموجود ميتة لما بين الله تعالى ان التحليل والتحريم لا يثبت الا بالوحي قال قل
لا اجد فيما اوحي الي تنبيها على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس وامر الله الرسول بان يقول لا اجد
فيما اوحي الي تنبيها على انه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وثبوت نبوته بالمعجزات القاهرة والبينات الظاهرة
لا يثبت تحليل شيء ولا تحريمه الا بالوحي اليه ولا اعتبار بعد بعثته بتحريم شيء وتحليله في شريعة اخرى اذا كانت
مخالفة لما اوحى الله اليه وهذه الاية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم
نزلت بمكة ولم الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات
كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانهن وان كانت في حكم الميتة فكان في النظر احتمال ان لا يلحق الكل
لانها باسباب كلبت حتف انفه فلما بين النص الحاقها بالميتة كانت زيادة في المحرمات ثم نزل تحريم الخمر وتحريم
بحرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريم كل ذي ناب من السباع فهذه كلها زيادات في التحريم ولفظ
التحريم اذا ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان ينتهي بالشيء المذكور غاية الحظر والمنع وصالحة
ان تقف دون الغاية فيحمل الكراهية فاقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتاولين واجمع الكل منهم عليه
ولم يضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاها الناس على دلالة وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر
والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلف الائمة
فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع حرام وقد ورد نهي رسول الله عن كل ذي
ناب من السباع ثم اختلف الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي
هو الكراهة ونحوها محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ذلك المحرم ميتة ذكر من المحرمات
امورا اربعة اولها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها لحم الخنزير ورابعها الفسق قوله او دما مسفوحا اي
مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على
المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله به فسقا فعلى هذا اهل معطوف على يكون والضمير راجع الى ما رجع اليه المستكن
في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد
متجاوز قدر حاجته من تناوله فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا لما ذكر الله ما حرم على امة محمد
صلى الله عليه وسلم اعقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود لما فيه من تكذيبهم في قولهم ان الله لم يحرم علينا
شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه ذي ظفر والحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع مثل
الابل والنعام والاوز والبط وقيل هو الابل فقط وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب
وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل على ذلك قوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد
اخذت حماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل
لم يحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى الا ما حملت ظهورهما ما علق بالظهر والجنب من داخل
بطونهما او الحوايا اي ما اشتمل على الامعاء وقيل الحوايا المباعر وقيل الحوايا جمع حوية على وزن فعيلة فوزن حوايا على هذا
فعائل كسفينة وسفائن وقيل هو جمع حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب وقيل جمع حاوياء
فوزنها على هذا ايضا فواعل كقاصعاء وقواصع والحوية ما يحوي في البطن واستدار وهي المصارين والحشو
ونحوها او ما اختلط بعظم مثل شحم الالية وقيل الحوايا عطف على ما في قوله الا ما حملت فهي في موضع نصب عطف
على المعطوف بالاستثناء وقيل معطوف على الظهور كانه قال الا ما حملت ظهورهما او ما حملت الحوايا وقيل عطف
على شحومهما او بمعنى لهما في قوله لهن الحسن وابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم
واستعصائهم على الانبياء وانا لصادقون في اخبارنا من امر اليهود وعما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم قال صاحب
فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقناهم الوعيد
واحللنا بهم العقاب فان كذبوك فيما اخبرت به ان الله حرمه وقالوا لم يحرم الله علينا شيئا وانما حرمنا ما حرم
اسرائيل على نفسه وقيل فان كذبوك في ادعاء الرسالة والنبوة وتبليغ هذه الاحكام فقل يا محمد على جهة التعجب من حالهم
والتعظيم لفريتهم في تكذيبهم اياك مع علمهم بحقيقة ما قلت ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة
مع شدة جرمكم ثم اعقب هذه المقالة بوعيد في قوله ولا يرد باسه عن القوم المجرمين الذين كذبوك فكانه قال لا
تغتروا ايضا بسعة رحمته فان له باسا لا يرد عن المجرمين اما في الدنيا واما في الاخرة قال صاحب الكشاف فان كذبوك
في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخالف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة
واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته
قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله
الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ● لما حكى الله من اهل الشرك اقدامهم على الحكم في دين الله بغير حجة

ولا دليل

ولا دليل حكى عنهم عذرهم في كل ما يقدمون عليه من الكفر والتكذيب فيقولون لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شيء مما حرمنا من البحائر والسوائب وغير ذلك لانه قادر ان يحول بيننا وبين ذلك حتى لا نفعله ولكن رضي منا ما نحن
عليه من عبادة الاصنام وتحريم الحرث والانعام واراده منا فقال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم كذلك كذب الذين
من قبلهم فانهم قالوا كما كان الكل بمشيئة الله وتقديره كان التكليف عبثا فكانت دعوى الانبياء باطلة ونبوتهم وقد سالهم
باطلة ثم انه تعالى بين ان التمسك بهذا الطريق في ابطال النبوة لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد
في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ومع هذا يبعث اليه الانبياء ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع
فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في ابطال نبوة الانبياء ثم بين ان هذا الاستدلال باطل
لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء قيل كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الامم الخالية حتى
ذاقوا باسنا عذابنا بتكذيبهم في قولهم ان الله رضي منا ما نحن عليه لانه لو لم يرضه واراد غيره لحال بيننا وبينه والدليل على ان التكذيب
ورد في هذا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال ولو كان نسبهم الى الكذب لقال كذب
وقيل ان الله تعالى ما كذب المشركين في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل انما كذبهم الله في قولهم انما شاء الله لا يقع عليه عقاب وفي
حذف يدل عليه سياق الكلام كانه قال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضي تكذيبهم
ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله حتى ذاقوا باسنا
دليل بين وليس في الاية رد منهم عن قولهم لو شاء الله ما اشركنا وانما ترك تعليمهم لوضوحه وقيل لو اخبروا بهذه المقالة
تعظيما واجلالا لله ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال ولو شاء الله ما اشركوا
والمؤمنون يقولون هذا ولكن المشركين قالوا ذلك تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وحقيقتهم هذا من غير علم
منهم بالله والمؤمنون يقولون بعلم منهم بالله ثم قال قل هل عندكم من علم من حجة على ما تقولون فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن
من غير علم ويقين وان انتم الا تخرصون ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبكيت المشركين على جهلهم بامره اياه بان يقول
مبينا مفصحا فلله الحجة البالغة غاية المقصد في الامر الذي يحتج عليه من اعلم بانه لو شاء لهدى العالم باسره قال صاحب الكشاف
لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا
مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل
ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود
القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع
وراء ظهره حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من
التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون
ان الامر كما تزعمون او تكذبون قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على
مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم ايضا بمشيئته مضادة قاده فوالوهم ولا تعادوهم ولا توافقوهم
ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه ولكان بطلانه مما ذكره معلوم مما سبق مخصوص عليه ولا بطول
الكلام قوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
بآياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون ● انه تعالى لما ابطل على الكفار جميع انواع حججهم بين انه ليس لهم
على قولهم شهود البتة هلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث
وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم على تحريم ما زعمتم ان الله تعالى حرمه ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فان شهدوا اي ان ادعى
احد منهم شهادة او خبرا من نبوة وبحوذ التجنب ان ذلك لا تشهد معهم وفي قوله فلا تشهد معهم وصف شهادتهم
بها بالكذب وقيل ان الله بين بان سبيلنا اقامة الشهداء من المشركين انه لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه ثم قال فان شهدوا فلا تشهد معهم
تنبيها على كونهم كاذبين قال صاحب الكشاف فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما
ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع
الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به
وقوله فلا تشهد معهم فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا والاصل ولا تتبع اهواءهم فوضع الظاهر موضع المضمر لدلالة على ان من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير
لانه لو تبع الحجة لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله وان قيل هكذا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه
وبين قوله شهداءكم الذين يشهدون اجيب بان المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود
لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء اليهم لذلك
وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا
تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك
فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم والذين لا يؤمنون بالاخرة عطف
نعت على نعت كما يقال العالم الزاهد العاقل وقيل نزلت في الدهريين الذين ... من هذا قوله تعالى قل تعالوا

أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا
تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ● إنه
لما بين فساد ما يقول الكفار إن الله حرم علينا كذا وكذا أردفه ببيان الأشياء التي حرمها الله عليهم وهي الأشياء
المذكورة في هذه الآية هذا أمر من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم ما حرم الله على جميع المكلفين وإنما
خصصهم بالذكر لاعتقادهم خلافه فقد تعالوا أمر من التعالي وأصله من العلو قال صاحب الكشاف تعال من الخاص الذي صار عاما
وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم فكان أن الذي للملك كان أمرا من الداعي
استعمل فيه ترفيع المدعو أتل اقرأ من التلاوة التي هي اتباع بعض الحروف بعضا ما حرم منصوب بقوله أتل أي أتل الذي
حرمه ربكم ويجوز أن يكون قوله أتل معلقا عن العمل وما بمعنى أي شيء ويكون منصوبا بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم
لأن التلاوة من القول ألا تشركوا مفسرة ولا للنهي وقيل أن مصدرية فأن لا تشركوا في محل النصب بدلا من ما
حرم ورد هذا بأنه حينئذ يجب أن يكون لا للنفي إذ لا يجوز أن يكون للنهي لأن الناصب والجازم يمتنع اجتماعهما على
واحد وإذا كان للنفي وبعده أمر لزم عطف الطلب على غيره وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا
وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت هذا المحذور وهو عطف الخبري على الطلبي متحقق فإنه من جملة المعطوف
قوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه مجرورا بالعطف وأما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلنا أن ناصبة للفعل
حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما أجيب بأن الواو ليست عاطفة بل
استئنافية والجملة معترضة مؤكدة بمضمون الجمل وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل
واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي فإنه مستقيم فإن قيل إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم
ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك لوجوب اشتراك النواهي والأوامر في التحريم أجيب بأنه لما ورد
هذه الأوامر مع النواهي وتقدمها جميعا فعل التحريم واشتركت في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي
الإساءة للوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله تعالى عن كعب الأحبار هذه الآيات
هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخرها وعن ابن عباس هذه الآيات
المحكمات التي ذكرها الله في سورة آل عمران أجمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة وقيل إنها العشر الكلمات المنزلة
على موسى ولا تقتلوا أولادكم نهي عن عادة العرب في وأد البنات من إملاق من أجل فقر نحن نرزقكم وإياهم لأنه تعالى متكفل برزق
ورزقهم عند وجود الفقر كما وجب على الولد تبقية نفسه والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حالة
الولد ولا تقربوا الفواحش نهي عام عن جميع الفواحش وهي المعاصي ما ظهر منها وما بطن [illegible] له
من الأشياء وقيل إن القصد بهذه الآية أشياء مخصصات قال السدي وابن عباس ما ظهر هو الزنا بالحوانيت الشهيرة وما بطن
هو متخذات الأخدان وكانوا يستقبحون الشهيرة ويحضرون الخفية فحرم الله الجميع وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن هو الزنا وقال
مجاهد ما ظهر هو نكاح حلائل الآباء ونحو ذلك وما بطن هو الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله داخل في جملة الفواحش
أفرده بالذكر للتعظيم لأمر الاستثناء الذي لا يتأتى في جميع الفواحش إلا بالحق الذي يوجب قتلها وهو الكفر بالله وقتل
النفس والزنا بعد الإحصان والحرابة وما تشعب من هذه قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى
خصال ثلاثة كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل نفس بغير حق فالقرآن دل على سبب رابع وهو المذكور في قوله
تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ذلكم إشارة إلى هذه المحرمات وصاكم لما ذكر هذه المحرمات أتبعه باللفظ الذي
يقربها إلى القلب لما في الوصية من اللطف والرأفة ثم أتبعه بقوله لعلكم تعقلون أي لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف
ومنافعها في الدين والدنيا قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
إنه تعالى ذكر في الآية الأولى خمسة أنواع من التكاليف وهي أمور جلية لا حاجة فيها إلى الفكر والاجتهاد ثم ذكر في هذه
الآية أربعة أنواع من التكاليف يحتاج في معرفتها إلى الاجتهاد فيها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن
نهي عن القرب إلى مال اليتيم وجوه التصرف فيه سدا للذريعة إلا بالتي هي أحسن ثم استثنى ما يحسن وهو تثميره والسعي
في نمائه وقيل هي التجارة فيه ثم فسر بلوغ أشده بالاحتلام بشرط أن يؤنس منه الرشد وقيل بلوغ الأشد ثلاثون
سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة وقيل ثمانية عشر سنة وقيل الأشد هاهنا من خمسة عشر إلى ثلاثين وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط أي تمام الكيل وأوفوا الكيل إذا كلتم ولا تنقصوا منه شيئا والميزان أي الوزن بالميزان بالقسط بالعدل
لا بخس ولا نقصان فيه فإن قيل إيفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما الفائدة في هذا التكرير قلنا أمر الله المعطي
بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق أخذ حقه من غير طلب الزيادة لا نكلف نفسا إلا وسعها
لما كان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج تبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان بقوله
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي المكلف لا يتجاوز الوسع فإن ما وراءه معفو عنه وهو من التكاليف المذكورة في هذه الآية
قوله وإذا قلتم فاعدلوا هذا أيضا من الأمور التي تحتاج إلى الاجتهاد وإذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والأحكام
والتوسط بين الناس ويدخل فيه كل ما يتصل بالقول فيدخل فيه ما يقوله المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الحجة بأن يذكرها

ملخصة

ملخصة من الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة قريبة من الأفهام عن القدر الواجب ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها
الرجل لا يزيد ولا ينقص فيها ومن جملتها تبليغ الرسالة عن الناس فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان ويدخل فيه
حكم الحاكم بالقول ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له وعليه في شهادة وغيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول
أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وفيها قوله وبعهد الله أوفوا وهذا أيضا من التكاليف التي تحتاج
إلى الاجتهاد لأن الرجل قد يحلف مع نفسه فيكون ذلك الحلف خفيا ويكون بره وحنثه أيضا خفيا ثم ذكر تعالى بعد هذه
الأنواع قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون فجعل خاتمة الآية المتقدمة بقوله لعلكم تعقلون لأن التكاليف المذكورة فيها
أمور جلية فوجب تعقلها وتفهمها وخاتمة هذه الآية بقوله لعلكم تذكرون لأنها لخفيتها محتاجة إلى الاجتهاد والفكر والتدبر
حتى يطلع على محل الاعتدال قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بالتخفيف والباقون بتشديد الذال وكلا القراءتين
بمعنى واحد قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون ● قرأ ابن عامر وأن هذا بفتح الألف وسكون النون وصراطي مفتوحة الياء وابن كثير ونافع وأبو عمرو وقنبل بالسين
وحمزة بين الصاد والزاي والباقون بالصاد أنه تعالى بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به وأجمل في آخرها إجمالا يقتضي
دخول ما تقدم فيه ودخول سائر الشريعة فيه فقال وأن هذا صراطي مستقيما فدخل فيه كل ما بينه الرسول من دين الإسلام
وهو المنهج القويم والصراط المستقيم فاتبعوا جملته وتفصيله ولا تعدلوا عنه فتقعوا في الضلالات وعن ابن مسعود أن الله
جعل طريقه صراطا مستقيما طرفه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعب منه طرق فمن سلك الجادة
نجا ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار وعنه أيضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
إليها ثم قرأ هذه الآية وقيل من حيث كانت المحرمات الأول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون
والمحرمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر جاءت العبارة لعلكم تذكرون وفي ركوب الصراط
المستقيم يتضمن فعل الفضائل والاجتناب عن الرذائل جاءت العبارة لعلكم تتقون قوله تعالى ثم آتينا موسى
الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ● فإن قيل كيف صح عطفه
عليه بثم والوصية بعد موسى بزمن طويل أجيب بأن هذه التوصية قديمة لم تزل يوصى بها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى
الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق
ويعقوب وقيل التقدير ثم إني أخبركم بعد تعديد المحرمات وغيرها من الأحكام أنا آتينا موسى الكتاب فذكر كلمة
ثم لتأخير الخبر لا لتأخير الواقعة تماما على الذي أحسن معناه تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن الطاعة
في التبليغ وكل ما أمر به وقيل تماما على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وقيل تماما على موسى في تتمة الكرامة
على العبد الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقيل
آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وتفصيلا
لكل شيء يحتاج إليه من شرائع الدين وهدى ورحمة لعلهم أي لكي يؤمنوا بلقاء ربهم أي لقاء ما وعدهم الله من ثواب
وعقاب وبالبعث الذي الإيمان به نهاية التصديق للأنبياء إذ لا يستقل العقول بدركها وإنما يثبت بالسمع مع تجويز العقل
قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة
من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
بما كانوا يصدفون ● هذا إشارة إلى القرآن مبارك لأنه لا يتطرق إليه النسخ كما في الكتابين وقيل كثير الخير والنفع
والبركة والزيادة والنمو فاتبعوه واعملوا بما فيه واتقوا أمر بالتقوى العامة في جميع الأشياء لعلكم ترحمون أن تقولوا
أن تقولوا في موضع نصب والعامل فيه أنزلناه والمعنى أنزلناه كراهية أن تقولوا وقيل العامل فيه قوله واتقوا كأنه
قال اتقوا أن تقولوا لأنه لا حجة لكم فيه والأول أليق بنظم الآية وهذا اعتراض فيه [illegible] لعلكم
ترحمون على طائفتين على أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن كنا هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم على أن الضمير المنصوب المحذوف الذي هو ضمير الشأن أي عن دراستهم
قراءتهم فلم نعرف مثل دراستهم وقيل هي إن النافية واللام بمعنى إلا فكأنه قال وما كنا عن دراستهم إلا غافلين والمعنى
هذه الآية أن له الحجة على أهل مكة وسائر العرب بأنهم لم يكن عندهم كتاب بحكايته قال وهذا القرآن يا معشر العرب كتاب
مبارك أنزلناه حجة عليكم لئلا تقولوا إنما أنزلت التوراة والإنجيل بغير لساننا على غيرنا ونحن لم نعرف غير ذلك فهذا
كتاب أنزلناه بلسانكم على رجل منكم قوله أو تقولوا الجملة معطوفة على الجملة الأولى وهي في عرضها من الاحتجاج على الكفار
وقطع تعلقهم في الآخرة بأن الكتب إنما نزلت على غيرهم وأنهم غفلوا عن دراستهم وأنهم لو نزل عليهم كتاب لكانوا
أسرع إلى الهدى من الناس كلهم فقطع احتجاجهم فقيل لهم قد جاءكم بينة من الله وهدى ورحمة أي بيان فيما تعلم سمعا
وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ولما تفرقت البينة والهدى والرحمة قد قامت حجة بعد ذلك أن يقع التقرير بقوله
فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقه جاءه وزاغ وأعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا

العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب **قوله تعالى** هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا قل انتظروا انا منتظرون ● قرا حمزة والكسائي ياتيهم بالياء وفي النحل مثله والباقون تاتيهم بالتاء انه تعالى لما
بين انه انزل الكتاب ازالة للعذر وازاحة للعلة بين انهم لا يؤمنون البتة وذكر ما يدل على الياس عن ايمانهم
هل ينظرون اي ينتظرون والضمير فيه للطائفة الذين قيل لهم فقد جاءكم بينة من ربكم فهم العادلون بربهم من
الذين نزلت اكثر ايات السورة في جدالهم والملائكة ملائكة الموت الذين مع عزرائيل وقيل ملائكة العذاب وقيل
الملائكة الذين يحضرون في قيام الساعة قرا حمزة والكسائي ياتيهم بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق او ياتي ربك
لا يجوز حمله على ظاهره فقيل ياتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيمة وقيل ياتي امر ربك كقوله اتى امر
وقيل ياتي عذاب ربنا لان سلطه فهو في الدنيا على من يشاء من عباده كالصيحة والرجفات والخسف ونحوه وقيل او ياتي
كل ايات ربك بقرينة قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيمة والهلاك الكلي فعلى كل تاويل انما هو على حذف المضاف
وانما حذف المضاف تهويلا للامر وتعظيما له او ياتي بعض ايات ربك يريد اشراط الساعة ذكرا ولا ما يدل على عظم الامر ثم
توعدهم بما يدل على العظائم من اشراط الساعة دون ان يخص من ذلك شرطا بعينه ليكون الابهام الذي يترك السامع حيران وقيل
طلوع الشمس من مغربها لانه قال بعد ذلك يوم ياتي بعض ايات ربك ولان اثار الصحاح في البخاري ومسلم تثبت ان الاية
التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب وقيل ايات ربك اشارة الى غرغرة الانسان عند الموت فما يكون فيه ايمانها
ممن لا يؤمن فقبل الحديث ان توبة العبد تقبل ما لم يغرغر وهذا مجمع عليه فانه من غرغر وعاين هو فطالبه وعدا بالموت وقع
الامن في هذه الحالة من اياته فخصصه بهذه الاية تهديدا للكافرين باحوال لا ينفعه ايمانها كانه قال هل ينظرون مع اقامتهم
على الكفر الا الموت الذي لهم بعده اشد العذاب او الاحداث المعهودة ثم عز وجل او الاية التي ترتفع التوبة معها
وقد دلت الاحاديث انها طلوع الشمس من مغربها عن البرا بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى
ونارا تخرج من عدن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا نفسا لم تكن
امنت من قبل ظهور الايات او لم تكن كسبت في ايمانها خيرا قبل ذلك قال صاحب الكشاف فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة
اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقته ولم تكسب في ايمانها
خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها
ويسعد والا فالشقوة والهلاك وقيل معنى الاية هل ينتظرون الا ان تاتيهم عذاب الدنيا بنزول الملائكة او عقاب
يشاء مثل ما فعل بالمكذبين من الامم السالفة او ياتي عذاب الاخرة وباسهم بان ياتي بعض [illegible] فحينئذ تفوت
الفرصة السابقة فلا ينفعهم شيء مما كان ينفعهم من قبل من الايمان او العمل الصالح مع الايمان فكانه قيل يوم ياتي بعض
ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها او كسبها في ايمانها خيرا وقيل في الاية لف لكن حذف احدى القرينتين باعانة النشر كما في قوله
تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا قيل في قول صاحب الكشاف فلم يفرق بحث لانه يريد
ان هذا اشارة الى نفسين احديهما نفس لم تكن امنت من قبل والثانية نفس امنت من قبل لكن لم تكن كسبت في ايمانها
خيرا او اشارة الى نفس متصفة باحد الامرين الاول انها ما امنت لكنها كسبت في ايمانها خيرا وليس كذلك بل هو اشارة
الى نفس لم ينفعها هذان الوصفان اي لم يكن له قبل ذلك الايمان ولا كسب الخير في الايمان فكانه قيل لما امنت ولا كسبت في ايمانها
خيرا فالمعنى اذا نفي انتفاء الامرين في النفي ولا يكون مخالفا لوصفها لان ذلك شيء عرض له من وقوعه في سياق النفي
ولان نقيض الايجاب الجزئي السلب الكلي فيكون معنى الاية انه لا ينفع الايمان في ذلك الا وان نفسا لم يكن لها الايمان قبل
ولا كسب الخير في الايمان فيفيد انه لو كان الايمان قبل ذلك نفعه ذلك الايمان وان لم يكسب خيرا في ذلك الايمان كما انه
[illegible] الله ليضيع ايمانكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قل انتظروا انا منتظرون وعيد وتهديد اي فستردون [illegible]
ما اخبر به قوله تعالى ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون قرا حمزة والكسائي فارقوا بالالف [illegible]

[illegible]

الا مثلها اي الاجزية يساويها ويوازيها وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم والتمثيل
والامثال انما يتحقق بوضع الشرع وحكمه ونحن نأخذه على سبيل التعبد وقيل هذا الحكم في جميع الحسنات والسيئات
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الاعمال ستة موجبة ومضعفة ومثل بمثل فلا اله الا الله توجب الجنة
والشرك يوجب النار ونفقة الجهاد سبعمائة ضعف والنفقة على الاهل حسنتها بعشرة والسيئة جزاؤها
مثلها ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة مثلها وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير
حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وعن ابي ذر رضي الله عنه قال حدثني الصادق المصدوق ان الله تعالى قال الحسنة
عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر والويل لمن غلبت احاده اعشاره ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا جعلت له
مثلها مغفرة وعن ابن عمر وابن عباس هذه للاعراب [illegible] فاما اهل القرى فقال وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما واقلها سبعمائة ضعف وعن سفيان الثوري لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال صلى الله عليه وسلم
رب زدني فنزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة قال رب
زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال رب زدني فنزلت انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب **قوله تعالى** قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين ● لما بين الله تعالى انواع الادلة
في التوحيد والرد على القائلين بالشركاء وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية في اباطيلهم امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالاعلان بشريعته ووصفها بما هي عليه من الحسن والفضل والاستقامة [illegible]
في قلبي دينا نصب على البدل من محل الصراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما وقيل نصب
[illegible] الذي يدل عليه هداني الاول [illegible]
[illegible] وقيل نصب دينا بفعل مضمر بتقدير عرفني دينا وقيل بتقدير فاتبعوا
او فالزموا دينا [illegible] قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو قيما بفتح القاف وكسر الياء
وتشديدها [illegible] والباقون بكسر القاف وفتح الياء على
فعل [illegible] وهو مصدر بمعنى القيام وصف به
للمبالغة ملة ابراهيم عطف بيان او بدل من الدين وحنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين نفي النقيصة عنه [illegible]
والمقصود منه الرد على المشركين [illegible]
[illegible] وقيل ذبحي جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل
صلاتي [illegible] ومحياي ومماتي اي وما اتيته في حياتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين
خالصة لوجهه وطلب رضاه وبذلك امرت من الاخلاص [illegible]
[illegible] قرا نافع محياي بسكون الياء [illegible] والباقون بفتح الياء وانا اول المسلمين من هذه الامة لان اسلام
كل نبي متقدم لاسلام امته [illegible]
في جميع اعماله [illegible] **قوله تعالى** قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل
نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ● [illegible]

[illegible]

قوله تعالى وهو الذي جعلكم
خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور
رحيم ● لان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم [illegible]

[illegible] تفسير سورة الانعام [illegible] وصلى الله على سيدنا [illegible]

سورة الأعراف

قال ابن عباس وغيره هي مكية كلها الا قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله واذ نتقنا الجبل فانه نزل بالمدينة بسم الله الرحمن الرحيم

المص ۝ كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ۝ اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ۝

[illegible]

اما انزلنا الكتاب على رسوله لتكون نذيرا في حق طائفة وذكرى في حق طائفة اخرى فالاولى ان يقال لتكون انذارا في حق الكل وذكرى في حق المؤمنين فان المؤمنين قد يحتاج الى الانذار قال تعالى انما انت منذر من خشيها اتبعوا قيل بعد اي قل اتبعوا ما انزل اليكم فحذف قل لدلالة الانذار عليه وقيل اتبعوا امر النبي صلى الله عليه وسلم واشباه اي القرآن ولا تتبعوا من دونه اولياء كل ما عبدتم دون الله كالاصنام والاحبار والكهان والنار والكواكب وقيل الضمير في دونه عايد الى ما في قوله اتبعوا الكتاب اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع وتضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه ويحتمل ان يكون المعنى ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله اي تذكيرا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره قليلا نصب نعت لمصدر محذوف بفعل مضمر اي تذكرون تذكرا قليلا وقيل منصوب بتذكرون نعته وما مزيدة لتوكيد القلة اي تذكرون تذكرا في غاية القلة وقيل ما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي مصدرية قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تذكرون بتشديد الذال والكاف وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص تذكرون بتخفيف الذال وتشديد الكاف وقرأ ابن عامر يتذكرون بالياء على الغيبة وروي عنه انه قرأ تتذكرون بتاءين على المخاطبة خاصة قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ۝ فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين ۝ فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ۝ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ۝ لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار والتبليغ وامر القوم بالقبول والمتابعة ذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والاعراض من الوعيد كم في موضع رفع بالابتداء واهلكناها خبر ويجوز ان يكون اهلكناها صفة قرية والخبر قوله فجاءها بأسنا ويصح ان يكون كم في موضع نصب بفعل مقدر بعدها تفسيره وكم اهلكنا قرية اهلكناها وقدر لفعل بعدها وهي خبرية تشبيها لها بالاستفهامية في ان لها صدر الكلام قيل في الآية محذوف تقديره وكم من اهل قرية وكم من قرية اهلكنا اهلها بدليل قوله فجاءها بأسنا وان البأس لا يليق بالاهل ونحو قوله او هم قائلون فعاد الضمير الى اهل القرية وابيلت في القائلة انما يكون الاهل وانما عبر بالقرية لانها اعظم في العقوبة اذ اهلك الاهل وقريتهم وقد يبقى في آخر الآية بعد الاهلاك خلو في الحال فالاية تتضمن هلاك القرية وهلاك اهلها جميعا وقيل لا حذف في الآية فان المراد اهلاك نفس القرية لان في اهلاكها اهلاك من فيها سواء كان اهلاكها بالخسف او غيرهما فلا حذف حينئذ يكون قوله فجاءها بأسنا محمولا على ظاهره مع احتمال ان يكون المعنى وجاء اهلها بأسنا او بياتا وقع موقع الحال بمعنى بائتين تقول بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا

هم قائلون

هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين نائمين ظهيرة اي فجاءهم بأسنا مرة ليلا ومرة نهارا وانما قدر الاهل قبل الضمير في فجاءها العود لها او هم قائلون فانه يعتل لانتقال لجاءهم بأسنا هم قائلون بغير واو اجيب بانه قد بعض النحويين الواو محذوف قد اي فجاءهم بأسنا بياتا او وهم قائلون وانما حذفوها استثقالا لم يستقيم لاستغني بعود الزجاج وقال الواحدي جاءهم بأسنا بياتا او هم قائلون او جاءهم بأسنا هم قائلون لم يحتج فيه الى الواو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح ان الحال اذا عطفت على حال قبلها اختصت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لانه واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءهم بأسنا بياتا او هم قائلون كلام فصيح وارد على حده واما قولك جاءهم بأسنا هم قائلون كلام غير مستقيم والقيلولة نومة نصف النهار وقيل القيلولة عند العرب استراحة نصف النهار اذا اشتد الحر وان لم يكن مع ذلك نوم والدليل عليه ان الجنة لا نوم فيها وقال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعنى الآية انهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون والمقصود انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكانه قيل للكفار لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا وقع وقع دفعة من غير سبق امارة فلا تغتروا باحوالكم فان قيل ظاهر قوله اهلكناها فجاءها بأسنا يدل على ان الاهلاك قبل مجيء العذاب لكن الاهلاك انما هو بعد مجيء البأس فما معنى قوله اهلكناها فجاءها بأسنا اجيب بان معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقيل معنى اهلكناها حكمنا بهلاكها وقيل فجاءهم اهلكناها الذين السبل وكذا هنا الذي يجيء البأس من الاهلاك لا يقال الفاء في فجاءهم بأسنا للتعقيب وهو يقتضي المغايرة لانا نقول الفاء قد تجيء بمعنى التفسير كقوله لا يقبل الله صلاة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فالذي هنا لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بالبأس فذكر البأس تفسيرا للاهلاك وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشنع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم الدعاء والادعاء اي فما كان دعاؤهم الا قولهم انا كنا ظالمين لانه لم يستطيعوا من الله بغيره من توكلهم دعاؤهم بالكعب قيل فما كان ادعاؤهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ودعواهم رفع اسم كان وان قالوا نصب خبر له ويجوز العكس ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم في الآية المتقدمة بالتبليغ وامر الامة بالقبول والمتابعة وذكر التهديد في ترك القبول والمتابعة بذكر نزول العذاب في الدنيا اتبعه بنوع آخر من التهديد وهو انه تعالى يسأل الكل عن كيفية اعمالهم يوم القيمة وقيل انه تعالى لما قال فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اتبعه بانه لا يقتصر على ذلك بل يسأل الكل عن كيفية اعماله وبين ان هذا السؤال يوم القيمة لا اختصاص له بما يكون منهم من الاعتراف بل ينضاف اليه لا يختص باهل العقاب بل هو عام في اهل العقاب والثواب ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل اذا كانوا معترفين بانهم كانوا ظالمين وكان عالما بذلك وكان يقص عليهم فما معنى سؤالهم وسؤال الرسل اجيب بان معنى سؤالهم التوبيخ والتقريع ومعنى سؤال الرسل انهم اذا اجابوا انه لم يصدر منهم تقصير البتة في التبليغ التحق التقصير بكليته بالمرسل اليهم فيتضاعف اكرام الله في حق الرسل لبراءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار لما ثبت ان ذلك التقصير كان منهم ونقص عليهم بعلم المراد انه يكرر ويبين للقوم ما اعلنوه واسروه من اعمالهم وليعرف الوجوه التي لاجلها اقدموا على تلك ثم بين انه انما صح منه ان يقص تلك الاحوال لانه ما كان غائبا عن احوالهم بل كان عالما بها وما خرج عن علمه شيء منها وذلك يدل على ان الاله لا يكمل الا اذا كان عالما بجميع الجزئيات حتى انه يمكنه ان يميز المطيع عن العاصي والمحسن عن المسيء فلو لم يكن تعالى عالما بالجزئيات امتنع منه الاحتراف بكونه آمرا ناهيا مثيبا معاقبا ولهذا السبب فانه تعالى انما ذكر احوال البعث والقيامة بين كونه عالما بجميع المعلومات قوله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ۝ ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ۝ انه تعالى لما بين ان من جملة احوال يوم القيمة السؤال والحساب بين في هذه الآية ان من جملة احوال يوم القيمة ايضا وزن الاعمال والوزن مبتدأ ويومئذ ظرفه والحق خبره وقيل يومئذ خبره والحق صفته اي والوزن في العدل يوم يسأل الله الرسل والمرسل اليهم واختلف في كيفية الوزن فقيل ان الله عز وجل اراد ان يعلم عباده ان الحساب والنظر يوم القيمة في غاية العدل فمثل في ذلك بالوزن بالميزان لانه لا يعرف البشر امرا اكثر تحريرا منه فاستعير العقصا والحق السوي والحكم العدل وكذلك استعير الثقل والخفة لكثرة الحسنات وقلتها وقيل ان الله اراد ان يعرض لعباده يوم القيمة تحرير النظر وغاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فيوزن صحف الاعمال بميزان له كفتان ولسان ينظر اليه الخلائق وقال آخرون بل يوزن الاعمال اما المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الناجون في الوعد كما قال في سورة الانبياء ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا واما كيفية وزن الاعمال على هذا القول ففيه وجهان احدهما ان اعمال المؤمن تصور بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فيوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عباس والثاني ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد مكتوبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وهذا مذهب المفسرين في هذه

القول

الآية وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان
على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن وجبرئيل آخذ بعموده ينظر الى لسانه
وعن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين
سجلا مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فيوضع في الاخرى فترجح فثقلت موازينه جمع ميزان او موزون
التي لها وزن وقدر وهي الحسنات واما الثقل في الجنة فان الاثار تظاهرت بان صحائف الحسنات والسيئات توضع في
الميزان فيحدث الله في الجهة التي يريد ثقلا او خفة على نحو احداثه ذلك في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقت نزول الوحي عليه ففي الصحيح من حديث زيد بن ثابت قال كنت اكتب حين نزلت غير اولي الضرر وفخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى كادت ترض فخذي وفي الحديث انه كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته
بركت به عجزا عن حمله لثقل الحادث فيه ولا بعد ان نعلم ان الثقل الحادث مع الحسنات انما يتعلق بذا العرض لا يقوم بذاته
فجاز ان يحدث الثقل في الصحائف والاظهر ان ثمة موازين يوم القيمة لا ميزان واحد يدل عليه قوله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة وقوله في هذه الآية فمن ثقلت موازينه فلا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح
ميزان آخر وقيل العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وجمع لفظ الميزان اذ في الميزان موزونات كثيرة وكانه التفت
عليها بجمعه لفظ الميزان وقيل اراد بالموازين الحسنات والسيئات فان المحققين هنا جمع موزون لا جمع ميزان ومن
الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون لا يجحدون يكون الآيات ان الله
الا كون كافرا بها قوله تعالى ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش
قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين لما امر الله تعالى الخلق بمتابعة الانبياء
وقبول دعوتهم وخوفهم بعذاب الآخرة وهو قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم وقوله والوزن يومئذ الحق رغبهم في قبول دعوة
الانبياء في هذه الاية بطريق اخرى وهو انه اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وهو يوجب الطاعة والخطاب مع
الناس مكناكم وجعلنا لكم مكانا وقرارا ومهادا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش
جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما او ما يتوصل به الى ذلك والياء في معايش اصلية فلذلك لا تهمز
قليلا نصب بتشكرون وما يحتمل ان يكون للتأكيد بمعنى القلة ويحتمل ان يكون مصدرية وقليلا نعت لمصدر محذوف
تقديره شكرا قليلا تشكرون امر تعالى ترغيب الخلق في قبول دعوة الانبياء بالتخويف ثم بالتنبيه على كثرة النعم
عليهم فبدأ في ذكر تلك النعم بقوله ولقد مكناكم ثم اتبعه بذكر خلق ابيهم آدم وجعله مسجود الملائكة والانعام
على الاب يجري مجرى الانعام على الاولاد فلهذا اعقبه بقوله ولقد خلقناكم بذكر ان المخاطبين بهذا الخطاب بنو آدم
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وظاهره يقتضي ان امر الملائكة بسجود آدم الثالث خلقناكم ثم صورناكم ثم
انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فهذا العطف يفيد ترتيب الخبر لا ترتيب المخبر الرابع ان الخلق في اللغة التقدير
وتقدير الله عبارة عن علمه بالاشياء ومشيئته لتخصيص كل شيء بمقداره المعين فقوله خلقناكم اشارة الى حكم
الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح صورة كل كائن محدث
الى قيام القيمة على ما جاء في الخبر انه تعالى قال للقلم اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة فخلق الله تقديره وتصويره احداث الله
آدم وامر الملائكة بسجوده من الساجدين ممن سجد لآدم ما منعك ان لا تسجد لا في الا تسجد صلة زائدة بدليل
قوله في ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وقيل ان كلمة لا هنا مفيدة
وليست لغوا وهذا هو الصحيح لان الحكم بزيادة كلمة من كتاب الله صعب فعلى هذا القول ففي تاويل الآية وجهان الاول
ان يكون التقدير اي شيء منعك عن ترك السجود ويكون هذا القول في تاويل الآية وجهان الاول ان يكون التقدير
اي شيء منعك عن ترك السجود ويكون هذا الاستفهام على سبيل الانكار ومعناه ما منعك عن ترك السجود
كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي أدينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه الامور
ولم يمنعك شيء منها الثاني انه تعالى ذكر المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله حالة عظيمة
يتعجب منها ويسأل عن الداعي اليها وتمسك بهذا ان الامر يقتضي الوجوب والفور فان قلت لم سأله عن المانع من السجود
وقد علم ما منعه اجيب للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف
امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فلهذا طلب الداعي الى ترك السجود
قال انا خير منه انما قال ذلك تعظيما لنفسه اخبر بانه خير منه وعلته كونه خيرا منه وهو ان خلقه الله من نار وخلق آدم
من طين فعلم ان الكون في زيادة عليه في الكمال والامر واستبعاده ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان
على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بذلك قوله تعالى قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من
الصاغرين قال الله تعالى لابليس فاهبط من الجنة فما يصح لك ان تتكبر في الجنة وتعصي فيها فان الجنة مكان المتواضعين
المطيعين فاخرج من الجنة انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله عز وجل وعلى اوليائه ذلك

ان ابليس لما ظهر الاستكبار البس الصغار عن النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وعن
عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض
قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال ابليس عند ذلك انظرني الى يوم يبعثون من
قبورهم وهو النفخة الاخيرة عند قيام الساعة اراد الخبيث ان لا يذوق الموت قال الله تعالى انك من المنظرين الى المؤخرين ثم
بين مدة النظرة والمهلة في موضع آخر فقال الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم الى يوم الوقت المعلوم
المراد منه الوقت المعلوم في علم الله قيل لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم اجيب بانه تعالى
لا يسأل عما يفعل يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد قال صاحب الكشاف علمه تعالى بما في ابتلاء العباد وفي تحمل المشقة من
الثواب بحكمه حكمة ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن
بها عباده قوله تعالى قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اي فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم ويجوز ان تكون الباء للقسم
اي اقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا للسعادة
الابدية فكان جديرا بان يقسم به على الوجهين ما مصدرية وقيل ما استفهامية كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ
وقال لاقعدن لهم وقيل انها لغة قليلة اذ دخل حرف الجر على ما الاستفهامية والاغواء ايقاع الغي في القلب والغي هو
الاعتقاد الباطل وذلك يدل على ان ابليس كان يعتقد ان الغي من الله تعالى والمعتزلة يفسرون ذلك تارة بما ذكرناه
ان هذا قول ابليس واعتقاده انه خالق الغي والجهل والكفر هو الله وليس بحجة وان الله لما امره بسجود آدم ظهر غيه عند ذلك
فلهذا اسنده الى الله تعالى وتارة يفسرونه بالاغواء باللعن والتخييب المعنى لاقعدن اي انما لعنتني بسبب آدم فانا
بسبب هذه العداوة التي لي لاوسوسن في قلوبهم قال صاحب الكشاف من تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في
المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء ممن يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له
اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ
من تمالكهم على اضافة القبائح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسل تعالى الله عما يقولون
ابليس اسند الاغواء الى الله وهذا هو الحق والذي لا يسنده الى الله يستحيل في الوجود مختار من الاختيار
مخالف للاختيار الاخر ولا شك ان من يسند الامر الى الله تعالى اعلم ممن لا يسنده الى الله لكن لما كان الحق المخالف
لمعتقد صاحب الكشاف قرع سمعه وعجز عن رده شرع في الشتم لاقعدن لهم اي لاجلسن لبني آدم على طريقك
القويم وهو الاسلام كما يقعد القطاع على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وتشبيه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه
فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ديارك
وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتنكح امرأتك ويقسم
مالك فعصاه فجاهد وقيل طريق مكة ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته
اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه بعض هذه الآية ان ابليس لعنه الله انه يأتي بني آدم من كل
يقتضي الاحاطة بهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثم لآتينهم من بين ايديهم يقول اشككهم في آخرتهم ومن خلفهم ارغبهم
في الدنيا وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وعنه من بين ايديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم
من امر آخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وقال قتادة اتيهم من بين ايديهم فاخبرهم
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ومن خلفهم من امر الدنيا فازينها لهم وادعوهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم ابطئهم
عنها وعن شمائلهم ازين لهم السيئات والمعاصي وادعوهم اليها وقيل ان في البدن قوى اربع هي الموجبة لفوات السعادات
الروحانية فاحداها القوة الخيالية التي تجتمع فيها مثل المحسوسات وصورها وهي موضوعة في البطن المقدم من الدماغ وصور
المحسوسات انما ترد من مقدمها واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم والقوة الثانية القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات
بالاحكام المناسبة للمحسوسات وهي موضوعة في البطن المؤخر من الدماغ واليها الاشارة بقوله ومن خلفهم والقوة الثالثة
الشهوة وهي موضوعة في الكبد وهي من يمين البدن والقوة الرابعة الغضب وهي موضوعة في البطن الايسر من القلب
فهذه القوى الاربع هي التي تتولد منها احوال مستدعية للحرمان من السعادات الروحانية وابليس لا يمكنه ان يأتي الا
من هذه القوى الاربع لم يمكن من تحسين القبائح وتزيين المنكرات وقيل لآتينهم من بين ايديهم المراد منه الشبهة في
الذات والصفات مثل شبهة المجسمة واما في الافعال مثل شبهة المعتزلة في التعديل والتجوير والتحسين
والتقبيح ومن خلفهم المراد منه الشبهات الناشئة من التعطيل وانما جعلنا قوله من بين ايديهم شبهات التشبيه
لان الانسان يشاهد هذه الجسمانية واحوالها وهي حاضرة بين يديه فيعتقد ان الغائب يشبه هذا الشاهد
وانما جعلنا قوله ومن خلفهم كناية عن التعطيل فلما جعلنا قوله من بين ايديهم كناية عن التشبيه تعين ان يكون قوله ومن خلفهم
كناية عن التعطيل واما قوله وعن ايمانهم المراد الترغيب في ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق ما من
صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله

غفور رحيم فاقرأ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة
في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني
من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون فإن قلت كيف قيل من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن
أيمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به وكما اختلفت
حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم
يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من
المستعلى عليه ومعنى عن يمينه أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي
وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعليها
إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ الرمي منها فكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن
بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل ولا تجد أكثرهم شاكرين
أخبر أن شأنه يفعل ذلك ظنا منه وتوهما وخلقه حين رأى من خلقته من أشياء مختلفة فعلم أنه سيكون لهم
شيم تقتضي طاعته كالغضب والحسد والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس وقتادة إلا أن إبليس لم يقل أن يأتي
بني آدم من فوقهم ولم يجعل له سبيلا إلى أن يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنته وما ظنه إبليس صدقه
الله عز وجل بقوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين فجعل أكثرهم الكفرة
شاكرين معناه مؤمنين لأن ابن آدم لا يشكر نعمة الله إلا بأن يؤمن قوله تعالى قال اخرج منها مذءوما مدحورا
لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ● لما وعد إبليس بالإفساد خاطبه الله بما يدل على الزجر والإهانة فقال
اخرج من الجنة أو من السماء مذءوما من ذأمه إذا ذمه بليغ الذم مدحورا مطرودا مبعدا يقال دحره دحرا ودحورا
إذا طرده وبعده لمن تبعك اللام موطئة للقسم ومن تبعك شرط ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم
أي منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله بل أنتم قوم تجهلون قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ● قال تعالى في سورة البقرة وكلا منها رغدا وقال
هاهنا فكلا بالفاء والواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل
تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن
تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ● وسوس تكلم كلاما خفيا يكرره وبه سمي صوت الحلي وسواسا
وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس
له وموسوس إليه وهو الذي يلقى إليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه
عن الحسن كان يوسوس من الأرض إلى السماء وإلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقيل كان آدم وإبليس في الجنة
لأن هذه الجنة كانت بعض جنان الأرض وقيل إن آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان إبليس واقفا من خارج الجنة
على بابها فيقرب أحدهما من الآخر وتحصل الوسوسة هناك ليبدي قيل اللام لام الغرض جعل ذلك غرضا لإبليس ليسوءهما
إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجنا في الطباع
مستقبحا في العقول وقيل يريد بالعورة كناية عن سقوط قدرهما عن الجاه أو غرض إبليس من تلك الوسوسة لآدم
أن يحرمه ثواب منصبه وقيل اللام لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لأن الشيطان
لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما ولم يعلم أنهما إن أكلا من الشجرة بدت عورتهما وإنما كان قصده أن يحملهما على المعصية
فقط ولم تقلب الواو المضمومة في ووري همزة كما في أويصل لأن الثانية مدة كالفاء في وافى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
إلا أن تكونا ملكين إلا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر أو تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون
في الجنة ساكنين وقاسمهما وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين قيل حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله
إني لكما لمن الناصحين أي قال إبليس إني خلقت قبلكما وأنا أعلم أحوالا كثيرة من المصالح والمفاسد لا تعرفانها فامتثلا قولي
أرشدكما المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا
بالله لنبيتنه كأنه قال لهما أقسم لكما إني لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم
أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما
نحوهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور أي ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال مقاتل فزين
الباطل وقيل فعلهما بغرور يقال تدلى نفسه ودلى غيره ولا يكون التدلي إلا من علو إلى سفل وقيل أضلهما ولستهما إلى
من انحط الأسفلين تأويل دلاهما أحطهما وحطهما من تدلية الدلو إذا أرسلها في البئر فلما ذاقا الشجرة أكلا منها ووصل
إلى بطونهما بدت ظهرت لهما سوآتهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة
صاحبه وكانا لا يريان ذلك من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد
بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار فلما واقعا الذنب كشط عنهما وبدت سوآتهما فاستحييا وقيل نور يحول بينهما وبين النظر

وطفقا [illegible]

تكون الأشياء التي منها يحصل اللباس والحاصل أن جعل ما في الأرض منزلا من السماء ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من
الأنعام ثمانية أزواج وريشا أي لباس زينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين
لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقيل ريشا مالا ومنه
تريش الرجل تمول وقيل ريشا جمالا ولباس التقوى قرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ولباس
بالرفع على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر
فيما يرجع إلى عود الذكر وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة المبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى الذي هو [illegible]
خير ولا يخلو من أن يراد بالإشارة تعظيم لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك
خير وقيل لباس التقوى لباس الورع والخشية من الله وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن
والمغافر وغيرهما مما يتقى به في الحرب وقيل لباس التقوى الحياء وقيل العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن ذلك أي إنزال
اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه قال صاحب الكشاف
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس
ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى قوله تعالى يا بني
آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ● المقصود من قصص الأنبياء الاعتبار لمن يسمعها فكأنه تعالى لما ذكر قصة
آدم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده أتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لا يفتننكم
لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها عودكم للناس في الطين بطاعتكم إياه إنه يراكم هو وقبيله تعليل
للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه
لشديد المؤنة إلا من عصمه الله وقبيله جيله وجنوده وهم الجن والشياطين إنا جعلنا الشياطين أولياء أعوانا وقرناء
للذين لا يؤمنون وقبيله معطوف على الضمير المستتر في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن قوله تعالى
وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون
الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوا فاحشة مثل طوافهم بالبيت عراة فإن الرجال والنساء كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وكانت المرأة تضع
قبلها النسعة وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله وفي الآية إضمار أي إذا فعلوا فاحشة فنهوا
عنها اعتذروا بأنا وجدنا عليها آباءنا وأن الله أمرنا بها وكلاهما باطل لأن الأول تقليد للجهال الضالين والثاني افتراء
على الله أما الأول فما ذكره الله عليهم حجة لأنه تقريع بفعل كل أحد يقلد الجاهل باطل وأما الثاني فقد أمر الله تعالى النبي
صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن الله لا يأمر بالفحشاء ثم قال أتقولون على الله ما لا تعلمون لأنكم ما سمعتم من الله بلا
واسطة وما نقل من الأنبياء إليكم أن الله تعالى أوحى إليهم به فقولكم إن الله أمرنا بها قول على سبيل الافتراء فيقولون
إنكار لإضافتهم الأمر بها إلى الله وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط والافتراء قوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا
الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ● لما ذكر تعالى أنه لا يأمر بالفحشاء بين أنه أمر بالقسط أي بالعدل

قال ابن عباس رضي الله عنه هو قول لا إله إلا الله يدل على ذلك قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله قائما بالقسط
أمر الله في هذه الآية بثلاثة أشياء أولها بالقسط وهو التوحيد الذي هو قول لا إله إلا الله وهو يشتمل على معرفة الله
بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأنه لا إله إلا الله وأنه واحد لا شريك له وثانيها أنه أمر بالصلاة وهو قوله وأقيموا وجوهكم والتقدير
قل أقيموا وجوهكم قال مجاهد والسدي وابن زيد يعني وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة وقال الضحاك
يقول إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي وإذا لم يكن عند مسجد فليأت
أي مسجد شاء وليصل فيه وقال الربيع معناه واجعلوا سجودكم خالصة لله دون ما سواه من الآلهة والأنداد وقيل
وأقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في وقت كل سجود أو في كل مكان
سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم أنشأكم
ابتداء تعودون أي يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق قال صلى الله عليه وسلم يبعث كل نفس
على ما كانت عليه وقال ابن عباس إن الله سبحانه خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا فيبعث
المؤمن مؤمنا والكافر كافرا وقال جابر يبعثون على ما ماتوا عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه وقيل عاد
إلى علمه فيهم وقيل من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه وإن عمل بعمل أهل السعادة ومن ابتدأ خلقه
على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه وإن عمل بعمل أهل الشقاوة كما أن إبليس عمل عمل أهل السعادة ثم صار إلى ما ابتدأ
عليه خلقه وكما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدأ خلقهم عليه وقيل كما كتب عليكم تكونون فريقا
هداهم الله للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة وهذا جار مجرى التفسير لقوله كما بدأكم تعودون وانتصاب فريقا
بقوله هدى وفريقا حق عليهم الضلالة منصوب بفعل مضمر أي وعذب فريقا أو وأضل فريقا حق عليهم الضلالة
إنهم أي الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء أنصارا وأصحابا وأعوانا ويحسبون أنهم
مهتدون فكل من شرع في باطل فهو يستحق الذم والعذاب سواء حسب كونه حقا أم لم يحسب وهذه الآية تدل على أن
مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ● إنه تعالى لما أمر
بالقسط في الآية وكان من جملة القسط أمر اللباس وأمر المأكول والمشروب لا جرم أتبعه بذكرهما قال ابن عباس إن أهل
الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانوا إذا وصلوا إلى مسجد منى
طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف في ثياب أصبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى
عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب وكانت المرأة منهم تتخذ سترا تعلقه على حقويها تستتر به عن الحمس وهم قريش فإنهم
كانوا لا يفعلون ذلك وكانوا يصلون في ثيابهم ولا يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما فقال المسلمون
يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله هذه الآية أي البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا
زينتكم يعني الثياب وقيل ما تواري به عورتكم ولو عباءة وقيل المشط وقيل زينتكم عند كل مسجد يعني رفع الأيدي
في الصلاة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة رفع الأيدي فيها في ثلاث
مواضع إذا تحرمت الصلاة وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع فكلوا واشربوا ولا تسرفوا يعني الحرام وقيل الإسراف
ما قصرت به عن حق الله فلو أنفقت مثل أحد في سبيل الله لم يكن سرفا ولو أنفقت درهما أو مدا في معصية الله كان
إسرافا وقيل ولا تسرفوا ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم إنه لا يحب المسرفين المجاوزين الحلال إلى الحرام في الشراب
والطعام ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب
شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله
كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال علي قد جمع رسولنا صلى الله عليه
وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته فقال
النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات المستلذة
من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء قيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج
منها لبنها وسمنها ولحمها فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني بالطيبات ما حرم أهل الجاهلية من البحائر
والسوائب والوصائل والحوامي قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يعني أن المؤمنين يشاركهم المشركون في
الطيبات في الدنيا فيأكلون من طيبات طعامها ويلبسون من جياد ثيابها وينكحون من صالح نسائها ثم خالصة يوم القيامة
لا يشركهم فيها أحد أي ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وإنما لم يقل هي للذين
آمنوا ولغيرهم لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم
أضطره إلى عذاب النار وقرأ نافع خالصة بالرفع على أنها خبر بعد خبر أي هي خالصة والباقون بالنصب على الحال كذلك نفصل
الآيات لقوم يعلمون النظر والاستدلال ليتوصلوا به إلى تحصيل العلوم النظرية قوله تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون
قرأ حمزة ربي بسكون الياء والباقون بفتحها اعلم أنه تعالى بين في الآية الأولى أن الذي حرموه ليس بحرام بين فيه المحرمات الفواحش

ما تفاحش

ما تفاحش قبحه أي تزايد وهي الكبائر وقيل الطواف عراة ما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل
وقيل هي الزنا والإثم الذنب وهو عام لكل ذنب وقيل الإثم الخمر قال الشاعر شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك
الإثم يذهب بالعقول والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وأن تشركوا أي حرم
ربي الإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره وأن تقولوا أي
وحرم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون وتفتروا الكذب من التحريم وغيره أفرد البغي والإشراك والقول على الله وإن كانت داخلة تحت
الفواحش والإثم تنبيها على أنه أقبح أنواع الذنوب قوله تعالى ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون ● لما بين الحلال والحرام وأحوال التكليف بين أن لكل أحد أجلا فإذا جاء أجله مات لا محالة والمقصود
التخويف ليتشدد المرء في القيام بالتكاليف كما ينبغي وقيل وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل بهم أجل معلوم عند الله تعالى
كما نزل بالأمم وقوله ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال العرف يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت
قوله تعالى يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● إنه تعالى لما بين أحوال التكليف وبين
أن لكل أحد أجلا معينا لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت إن كانوا متقين مصلحين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وإن كانوا مكذبين بآيات الله مستكبرين عنها فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إن هي الشرطية ضمت إليها ما
مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وجزاء هذا الشرط قوله فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم
فالفاء وما بعده من الشرط الأول وإنما قال رسل منكم وإن كان المراد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين
لأنه تعالى أجرى الكلام على ما يقتضيه سنته في الأمم وإنما قال منكم لأن كون الرسول منهم أقطع لعذرهم وأبين للحجة
عليهم يقصون عليكم آياتي يقرؤن القرآن وقيل الدلائل وقيل الأحكام والشرائع والأولى أن يحمل على الجميع لأن جميع هذه
الأشياء آيات الله لأن الرسل إنما جاؤا لأن يذكروا جميع هذه الأقسام فمن اتقى كما نهى عنه وأصلح أي وأتى بكل ما أمر
تعالى به فلا خوف عليهم بسبب الأحوال المستقبلة ولا هم يحزنون بسبب الأحوال الماضية ثم بين ما للكفار فقال والذين
كذبوا بآياتنا التي تقص الرسل عليهم واستكبروا أنفوا من قبولها وتمردوا عن التزامها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
وهذه الآية تدل على أن الفاسق لا يبقى مخلدا في النار قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته
أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا
وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ● أي من أشنع ظلما وأعظم ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب بآياته
فإن الأول هو الحكم بوجود ما لم يوجد والثاني هو الحكم بإنكار ما وجد ويدخل في الأول إثبات الشريك صنما أو كوكبا أو
وإثبات البنين والبنات لله وفي الثاني قول من أنكر كون القرآن كتابا نازلا من عند الله ومن أنكر نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل المراد بالنصيب الرزق والعمر أي ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال
فإذا فنيت جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقيل ما سبق في حكم الله وفي مشيئته من الشقاوة فإن قضى الله لهم بالختم على الشقاوة
أبقاهم على الكفر وإن قضى لهم بالختم على السعادة نقلهم إلى الإيمان والتوحيد وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا إذا كانوا
أهل ذمة لنا أن لا نتعدى عليهم وننصفهم وأن ندفع عنهم وكذلك هو معنى النصيب من الكتاب وقيل المراد نصيبهم من العذاب
والمعنى ينالهم العذاب المعين الذي جعل الله نصيبهم من الكتاب فقيل العذاب هو سواد الوجه وزرقة العين
حتى إذا جاءتهم غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام
ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا أين رسلنا يتوفونهم حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك
الموت وأعوانه وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين
قالوا أي المشركون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وشهدوا على أنفسهم اعترفوا بأنهم كانوا كافرين وإنهم
لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يجدوه في العاقبة قوله تعالى قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس
في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا
ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون ● هذه الآية من بقية شرح أحوال الكفار في الآخرة قال الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب في أمم في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين
لهم أي ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم وقيل في بمعنى مع أي ادخلوا النار لقوله ادخلوا
كلما دخلت أمة لعنت أختها في الدين والملة ولم يقل أخاها لأنه عنى بها الأمة والجماعة فيلعن المشركون المشركين واليهود
اليهود والنصارى النصارى والمجوس المجوس ويلعن الأتباع القادة يقولون لعنكم الله أنتم غررتمونا حتى إذا اداركوا
يعني تداركوا واجتمعوا في النار وتلاحق بعضهم ببعض قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة وهي القادة والرؤساء وقيل
لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم وقيل أخراهم آخر الأمم لأولاهم أول الأمم وقيل أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان
لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء أي الذين أضلونا بأمر الهدى أي القادة أضلونا فآتهم عذابا ضعفا
مضاعفا من النار قال الله تعالى لكل أي للقادة والأتباع ضعف لأن كلا من القادة والأتباع ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
ما لكل فريق منكم قرأ عاصم في رواية أبي بكر يعلمون بالياء والباقون بالتاء على مخاطبة أهل هذه الأمة الأخيرة متصلة

لقوله لهم لكل ضعف ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا
من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون
في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله تعالى لهم جميعا قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم
من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ۞ المقصود منه اتمام الكلام في وعيد الكفار لانه تعالى
قال في الاية المتقدمة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم بين في هذه الاية كيفية ذلك الخلود في حق اولئك المكذبين
المستكبرين قرا ابو عمرو بفتح التاء خفيفة وحمزة والكسائي بالياء خفيفة والباقون بالتاء مشددة لا تفتح لهم
ابواب السماء لاعمالهم ولا لدعائهم اى لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تفتح
لارواحهم ولا يصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين لانها خبيثة فلا تصعد بها بل يهوى بها الى سجين
وقيل لا ينزل عليهم البركة والخير ففتحنا عليهم ابواب السماء بماء منهمر وهذه الاية تدل على ان الارواح السعيدة تنزل عليها
من السماء الخيرات والبركة وتصعد اعمالها اليها ويظهر من هذا ان السماء محل بهجة الارواح ومسارها ومنها تنزل الخير
والبركات واليها تصعد الارواح حال فوزها بكمال السعادة فكان قوله لا تفتح لهم ابواب السماء من اعظم انواع الوعيد
واشد اصناف التهديد ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل الولوج الدخول والسم بفتح السين وضمها ثقب الابرة وقرئ
بالحركات الثلث والخياط ما يخاط به يقال خياط ومخيط وانما خص الجمل لانه مثل في عظم الجرم عند العرب قال
جسم الجمال واحلام العصافير وسم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت
لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر فكان ولوج الجمل في سم الابرة محالا عادة فلما وقف الله دخولهم في الجنة
على حصول هذا الشرط المحال عادة فيكون دخولهم الجنة محالا عادة فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج في باب واسع في سم الخياط وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة
استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وكذلك نجزي المجرمين اى ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
اى الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان التعريف في المجرمين للعهد لا للاستغراق والمعهودون هم الذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها فلا ينبغي ان يلتفت الى قول صاحب الكشاف المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل
الى العقاب وان كل من اجرم عوقب لهم من جهنم مهاد بيان لشدة عذابهم في جهنم مهاد جمع مهد وهو الفراش غواش اغطية
جمع غاشية ما يغشى الشيء كلحاف وكذلك نجزي الظالمين اى الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لان الالف واللام في التعريف
للعهد والمعهودون هم الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم
الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا
ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ۞ لما استوفى الكلام في وعيد الذين كذبوا بايات الله واستكبروا عنها
اتبعه بوعيد الذين امنوا وعملوا الصالحات في مقابلة واستكبروا ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين
المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب ما لا يكتنه وصفه الواصفين من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو
الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح ونزعنا اى قلعنا ونزع الشيء قلعه عن مكانه من غل حقد
وقيل الغل الذي يغل بلطفه الى صميم القلب اى يدخل في الغلول لعينه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب
الدقيقة ويقال انغل في الشيء وتغلغل فيه اذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في صميم الفواد اى ازلنا الاحقاد التي
كانت لبعضهم في دار الدنيا وصفينا الطباع واسقطنا الوساوس ومنعنا ان ترد على القلوب فان الشيطان لما
كان في اشد العذاب لم يتفرغ لالقاء الوساوس في القلوب فسلمت صدورهم عن ... ولم يكن بينهم الا التواد
التعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل المراد ان درجات اهل الجنة
متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فالله تعالى نزع ما في صدورهم من غل حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا يحسد
صاحب العالية وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اى اعطانا القدرة وضم اليها الداعية الجازمة وصير مجموع القدرة
والداعي سببا معينا لخلق الايمان والعمل الصالح فينا فالهداية بتقدير الله وتكوينه وقالت المعتزلة التحميد
وقع على انه تعالى اعطى العقل ونصب الدلائل وازال الموانع قال صاحب الكشاف اى وفقنا لموجب هذا الفوز
العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي وهذا يدل على ان المهتدي من هداه الله وان لم
يهده الله لم يهتد وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها جملة موضحة للاولى والباقون بالواو لقد جاءت رسل ربنا
بالحق هذا من قول اهل الجنة يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا
كما نرى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا ذلك النداء من الله
او من الملائكة ان مخففة من الثقيلة وتقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير للشان او قيل ان
في معنى تفسير النداء ويكون معنى اى لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها اى صارت
اليكم كما يصير الميراث الى اهله وقيل انهم اعطوا تلك المنازل من غير تعب في الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل

الجنة

[illegible]

او فهما ذلك المؤذن على الظالمين الموصوفين بهذه الصفات الثلثة كان ذلك تصريحا بان تلك اللعنة ما وقعت الا على
الكافرين وذلك يدل على فساد مذهب المعتزلة من ان ذلك المعنى يعم الفاسق والكافر قوله تعالى وبينهما حجاب وعلى
الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ۞ واذا
صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۞ بينهما اى بين الجنة والنار او بين اصحاب
الجنة واصحاب النار والحجاب هو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف الاعراف جمع عرف وهو كل عال
مرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه قيل الاعراف اعالي السور المذكور وعن ابن عباس
انه شرف الصراط وقيل الاعراف معرفة اهل الجنة والنار رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم
المرجون لامر الله تعالى يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله في دخول الجنة عن ابن عباس اصحاب الاعراف رجال استوت
حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك حتى يقضي الله
سبحانه فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم اخر من يدخل الجنة فيعرفون اهل الجنة واهل النار فاذا اراد الله
ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر الحيوة فيغمسون فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها فاذا قدمهم قيل لهم
تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت منيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين ضعفا فيدخلون الجنة
وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة وقيل انهم الاشراف من اهل الطاعة واهل الثواب وقيل هم الانبياء
اجلسهم الله تعالى على اعالي ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيمة واظهارا لشرفهم وعلو مرتبتهم واجلسهم على ذلك المكان العالي
ليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل هم الشهداء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لابائهم فقتلوا فاعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله
وحبسوا عن الجنة بمعصية ابائهم فهم اخر من يدخل الجنة وقيل هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن ابائهم وقيل هم ملائكة وقيل
هم اولاد الزنا وقيل هم اقوام رضي عنهم اباؤهم دون امهاتهم او بالعكس وقيل هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم
يعرفون اى اصحاب الاعراف يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها
اشد ذلك يعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون اخبر الله تعالى ان
اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة ومع ذلك هم يطمعون في دخولها لان الله تعالى اجلسهم في الاعراف وهم يطمعون من فضل الله واحسانه اذا
من الاعراف الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وجه المقابلة والمحاذاة يقال تلقاءك كما يقال حذاءك وهو في الاصل مصدر

استعمل ظرفا ومعنى الآية واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب تعوذوا واستعاذوا وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين • قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون • المعنى بقوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اتبعه ايضا بان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من رؤساء الكفرة يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم في الدنيا من الاموال والاولاد وما كنتم تستكبرون عن الايمان وعن قبول الحق والانقياد له قال الكلبي انهم ينادون وهم على السور يا وليد بن المغيرة ويا ابا جهل بن هشام ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الضعفاء والفقراء والمساكين ممن كان رؤساء الكفرة يستهزءون بهم مثل سلمان الفارسي وصهيب وخباب ونظرائهم فيقول اصحاب الاعراف لرؤساء الكفرة اهؤلاء اشارة منهم الى اهل الجنة الذين كان رؤساء الكفرة يستهزءون بهم ويحقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا يعني اهؤلاء الذين اقسمتم وانتم في الدنيا ان لا ينالهم الله برحمة افلا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة قيل القائل الله او بعض الملائكة الذين يامرهم الله تعالى بهذا القول يقول لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون فقوله اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من كلام اصحاب الاعراف وقوله ادخلوا الجنة من كلام الله او كلام بعض الملائكة فهنا مضمر تقديره فقال الله او بعض الملائكة وقيل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة بل يدخلون النار معهم فقالت الملائكة الذين حبسوا اصحاب الاعراف على الصراط لاهل النار اهؤلاء يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمتم يا اهل النار انهم لا ينالهم الله برحمة ثم قالت الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون • قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون • لما بين ما يقوله اصحاب الاعراف لاهل النار اتبعه بما يقوله اهل النار لاهل الجنة قال ابن عباس لما صار اهل الاعراف الى الجنة نادى اهل النار بعد اليأس فقالوا يا ربنا لنا قرابات من اهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فامر الله الجنة فتزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة وعرفوهم بسيماهم فقالوا افيضوا علينا من الماء فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن قالوا ان الله حرمهما اي ان الله حرم عليهم شراب الجنة وطعامها الكفار كما يمنع المكلف المحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى • الذين اتخذوا اللهو واللعب دينا دينا لانفسهم قال ابن عباس يريد المستهزئين وغرتهم الحيوة الدنيا لان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غرقا في طلب الدنيا لما وصف الله هؤلاء الكفار بهذه الصفات قال فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين نسوا عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به وبين ان كل هذه التشديدات انما كان لانهم كانوا باياتنا يجحدون وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا • قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون • لما شرح احوال اهل الجنة واهل النار واهل الاعراف ثم شرح الكلمات الدائرة بين هؤلاء الفرق الثلثة على وجه يصير سماع تلك المناظرات حاملا للمكلف على الحذر والاحتراز وداعيا له الى النظر والاستدلال شرع في بيان شرف هذا الكتاب الكريم وبيان منفعته بكتاب اي القرآن فصلناه ميزناه مبينا ارشدنا الى الرشد وبينا من الغلط والخبط عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وساير معانيه علما تاما هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من فاعله لقوم يؤمنون يدل على ان القرآن هدى للمؤمنين اي المؤمنون الذين اهتدوا به دون غيرهم • قوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون • لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب وجحد فقال هل ينظرون اي ينتظرون فان قيل كيف يتوقعون وينتظرون مع جحدهم وتكذيبهم اجيب بان منهم من هو في شك فينتظروا بانهم وان كانوا مكذبين جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد يوم منصوب بقوله يقول الذين نسوه معناه انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسي ويحتمل ان يكون معناه تركوا العمل له والايمان به ثم بين ان هؤلاء الذين نسوا يوم القيمة يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق وان ما جاءت به الرسل من ثبوت الحشر والنشر والبعث والقيمة والثواب والعقاب كلها كان حقا وبين الله انهم لما رأوا انفسهم في العذاب قالوا هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد والمعنى انه لا طريق لنا الى الخلاص مما نحن فيه الا احد هذين الامرين وهو ان يشفع لنا شفيع برفع العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل ورفع نرد لوقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد قد خسروا انفسهم ان

لم يجدوه وضل عنهم ما كانوا يفترون اي اضمحل ما كانوا يفترون على الله وكذبهم في جعل الاصنام آلهة ولم ينتفعوا باصنامهم التي عبدوها في الدنيا ولم ينتفعوا ببصيرة الاديان الباطلة التي بالغوا في نصرتها وهذه الاية تدل على انه لا تكليف في الآخرة لانه لو كان في الآخرة تكليف لما طلبوا الرد الى الدنيا ليعملوا اعمالا غير الذي كانوا يعملون • قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين • قال الامام قد تبين ان مدار القرآن على تقرير مسائل الاربع التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة والعلم فلما بالغ الله في تقرير امر المعاد عاد الى ذكر الادلة على التوحيد وكمال العلم والعلم لتصير تلك الادلة مقررة لاصول التوحيد ومقررة ايضا لاثبات المعاد وكل ساير الانبياء لخصوص تكون هذه الاشياء مخلوقة في ستة لا يمكن جعلها دليلا على اثبات الصانع وبيانه من وجوه الاول انه تعالى لانه هو المحتج على وجود الصانع بحدوثها او امكانها او بمجموعهما فاما وقوع هذه المحدثات في ستة ايام فلا اثر له في ذلك لان العقل يدل على ان الحدوث على جميع الاحوال جائز واذا كان كذلك لا يمكن الجزم بان هذا الحدوث وقع في ستة ايام الا باخبار مخبر صادق وذلك متوقف على العلم بوجود الاله الفاعل المختار فلو جعلنا هذه المقدمة مقدمة في اثبات الصانع لزم الدور الثاني ان حدوث السموات والارض دفعة واحدة ادل على كمال القدرة والعلم من حدوثهما في ستة ايام واذا ثبت ما ذكرنا من الوجوه الثلثة فنقول ما الفائدة في ذكر انه تعالى انما خلقهما في ستة ايام في اثبات ذكر ما يدل على وجود الصانع الرابع انه لما اقتصر على ذكر السموات والارض ولم يذكر خلق ساير الاشياء الخامس ان اليوم لا يمتاز عن الليلة الا بطلوع الشمس وغروبها فقبل خلق الشمس والقمر كيف يعقل حصول الايام السادس انه تعالى قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وهذا كالمناقض لقوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام السابع ما الحكمة انه تعالى خلق السموات والارض في مدة متراخية فما الحكمة في تقييدها وضبطها بالايام الستة فنقول اما [illegible] في الكل سؤال واضح لانه تعالى يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل فلا اعتراض عليه في امر من الامور وكل شيء بصنعه ولا علة لصنعه ثم نقول اما السؤال الاول فجوابه انه سبحانه وتعالى ذكر في التورية انه خلق السموات والارض في ستة ايام والعرب كانوا يخالطون اليهود والظاهر انهم سمعوا ذلك منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس انه هو الذي خلق السموات والارض على غاية عظمتها في ستة ايام واما السؤال الثاني فلانه ذكر ستة ايام انما هو لما ذكر في الجواب عن الاول لا يستدل به على وجود الفاعل المختار واما السؤال الثالث فجوابه ان المقصود منه انه سبحانه وان كان قادرا على ايجاد جميع الاشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا مقدرا فلا يدخله في الوجود الا على ذلك الوجه واما السؤال الرابع فجوابه انه ذكر السموات والارض في هذه الاية تشتمل على ذكر ما فيها والدليل عليه انه تعالى ذكر ساير المخلوقات في ساير الآيات فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام واما السؤال الخامس فجوابه ان المراد انه تعالى خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام هي كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا ليل ثم ولا نهار واما السؤال السادس فجوابه ان قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر محمول على ايجاد كل واحد منها لان ايجاد الذات الواحدة واعدام الموجود لا يقبل التفاوت فلا يمكن تحصيله الا دفعة واحدة واما الامهال والمدد فلا يحصل الا في المدة واما السؤال السابع وهو تقدير هذه المدة بستة ايام فهو غير وارد لانه لو احدثه في مقدار آخر من الزمان لعاد ذلك السؤال فعلمه انه ربكم الله الذي خلق السموات والارض والمعنى ان الذي ربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكروهات هو الذي بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته الى حيث خلق هذه الاشياء العظيمة واودع فيها اصناف المنافع وانواع الخيرات ومن كان له مربي موصوف بهذه الحكمة والقدرة والرحمة فكيف يليق به ان يرجع الى غيره في طلب الخيرات او يعول على غيره في تحصيل السعادات ثم في الاية دقيقة اخرى وهو انه تعالى لما اضاف الكلام في تلك الحالة بالرب وهو مشعر بالتربية وكثرة الفضل والاحسان فكانه يقول من كان له مربي مع كثرة هذه الرحمة والفضل فكيف يليق به ان يشتغل بعبادة غيره ثم استوى على العرش لا يمكن ان يكون المراد منه مستقر اعلى العرش لانه لو كان مستقرا على العرش لكان حاصلا في الجهة والحيز واللازم باطل فالملزوم مثله اما الملازمة فبينة واما بطلان اللازم فلانه كل ما كان حاصلا في الجهة والحيز كان مشارا اليه باشارة حسية وكل ما كان مشارا اليه بالاشارة الحسية فاما ان يقبل القسمة او لا يقبلها والقسمان باطلان اما الاول فلانه لو كان قابلا للقسمة كان مركبا وكل مركب مفتقر الى اجزائه التي هي غيره وكل مفتقر الى الغير ممكن لذاته وكل ممكن لذاته مفتقر الى موجد ومؤثر ويمتنع ان يكون الاله الواجب لذاته مفتقرا الى موجد واما الثاني فلانه لو كان غير منقسم لكان اما نقطة واما جوهرا فردا وكلاهما باطل بالاجماع واعلم ان الادلة العقلية والسمعية على انه لا يمكن ان يكون الاله تعالى مستقرا على العرش كثيرة لا يحصى فمن اراد الاستقصاء فليرجع الى الكتب الكلامية واذا ثبت بالادلة العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز فعند هذا للعلماء الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن [illegible] والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهو مذهب السلف والثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصه الاول ما ذكره القفال وهو ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال

عرشه اي انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير
ملكه هذا ما قاله القفال واقول ان الذي قاله حق وصدق وصواب ونظيره قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد
وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيبا وليس المراد في شيء من هذه الالفاظ
اجراؤها على ظواهرها انما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا ههنا يذكر الاستواء على العرش والمراد
نفاذ القدرة وجريان المشيئة ثم قال القفال الله تعالى دل على ذاته وعلى صفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي
الفوه من ملوكهم ورؤسائهم ليستقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله الا ان كل ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه
عالم فهموا منه انه لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لا يحصل ذلك العلم بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة واذا
قال قادر علموا منه انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم علموا بعقولهم انه غني في ذلك التكوين والايجاد
عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل صفاته واذا اخبر ان له بيتا
يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب لهم موضعا يقصدونه لمسألة ربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء
لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد عن
نفسه فاذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم انه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم
ولا يغتم بتركه والاعراض عنه اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى اخبر انه خلق السموات والارض كما اراد وشاء
من غير منازع ولا مدافع ثم اخبر بعده انه استوى على العرش اي حصل له تدبيرها استوى على عرش الملك والجلال ثم قال
القفال والدليل على ان هذا هو المراد من قوله ثم استوى في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش وهذا يغشي الليل النهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر فهذا يدل على ان قوله ثم استوى على العرش اشارة
الى ما ذكرناه فان قيل فاذا حملتم قوله ثم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك وجب ان يقال الله لم يكن مستويا
قبل خلق السموات والارض قلنا انه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تخليقها وتكوينها اما ما كان مكونا ولا موجدا لها
باعيانها بالفعل لان احياء زيد واماتة عمرو واطعام هذا وارواء ذاك لا يحصل الا عند حصول هذه الاحوال فاذا فسرنا العرش
بالملك والملك بهذه الاحوال صح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض فهذا جواب حق في هذا
الموضع والثاني ان نفسر العرش بالملك وتفسير استوى بمعنى استعلى فيكون المعنى انه تعالى استعلى على الملك بمعنى نفاذ قدرته
في تدبير الملك والملكوت قوله تعالى يغشي الليل النهار ● قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية
حفص يغشي بتخفيف الغين من الاغشاء وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بالتشديد من التغشية والاغشاء
والتغشية الباس الشيء الشيء والمعنى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا وقال القفال انه سبحانه لما اخبر
باستوائه على العرش عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته اراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر
ويبعد التشبيه عن كل الجهات فقال يغشي الليل النهار لانه تعالى اخبر في الكتاب الكريم بما في تعاقب الليل والنهار من المنافع
العظيمة والفوائد الجليلة فانه بتعاقبهما يتم امر الحياة ويكمل المنفعة والمصلحة يطلبه حثيثا الحث الاعجال
حثثت ومحثوثا اي مجدا سريعا ووصف الله تعالى هذه الحركة بالسرعة والشدة وذلك هو الحق لان تعاقب الليل والنهار
انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرأ ابن
عامر بالرفع على معنى الابتداء والباقون بالنصب على معنى وجعل الشمس والقمر قال الامام في هذه الآية لطائف فالاولى
ان الشمس لها نوعان من الحركة احدهما بحسب ذاتها وهي انما تتم في سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة والثانية
بحسب حركة الفلك الاعظم وهذه الحركة تتم في اليوم بليلته والليل والنهار لا يحصل بسبب حركة الشمس وانما يحصل
بسبب حركة السماء الاقصى التي يقال لها العرش فلهذا السبب لما ذكر العرش بقوله ثم استوى على العرش
ربط به قوله يغشي الليل النهار تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة الفلك الاقصى لا حركة الشمس
والقمر وهذه دقيقة عجيبة والثانية انه تعالى لما شرح كيفية تخليق السموات قال فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى
في كل سماء امرها فدلت تلك الآية على انه سبحانه خص كل فلك بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم قال في هذه
الآية والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال الا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله اما انه من عالم الخلق
او من عالم الامر اما الذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين
فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريا عن الجسمية والمقدار كان من عالم الامر فدل على انه سبحانه خص كل واحد من اجرام الافلاك
والكواكب التي هي من عالم الخلق بملك من الملائكة وهم من عالم الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لهذا وهي ما روي
ان لله ملائكة يجرون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذا القول في سائر الكواكب وايضا قوله سبحانه ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر علمت ان
عالم الخلق في تسخير الله وعالم الامر في تدبير الله واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا قال الا له الخلق
والامر ثم قال بعده تبارك الله رب العالمين والبركة لها تفسيران احدهما البقاء والثبات والثاني كثرة الآثار الفاضلة
والنتائج الشريفة وكلا التفسيرين لا يليق الا بالحق سبحانه فان حملته على الثبات والدوام فالثابت والدائم هو الله تعالى
لانه الموجود الواجب لذاته العالم بذاته الدائم القائم بذاته الغني في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه فهو سبحانه مقطع الحاجات

ومنتهى

ومنتهى الافتقارات وهو غني عن كل ما سواه في جميع الامور وايضا ان فسرنا البركة بكثرة الآثار الفاضلة فالكل بهذا
التفسير من الله تعالى لان الموجود اما واجب لذاته واما ممكن لذاته فالواجب لذاته ليس الا هو وكل ما سواه ممكن وكل
ممكن لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فكل الخيرات منه وكل الكمالات فائضة من جوده واحسانه فلا خير الا منه ولا احسان
الا وهو فائض من رحمته الا وهي حاصلة منه فلما كان الخلق والامر ليس الا منه لا جرم كان الثناء المذكور بقوله تبارك الله
رب العالمين لا يليق الا بحضرته وكمال افضاله ونهاية جوده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين ● اعلم انه تعالى لما ذكر الادلة
الدالة على كمال القدرة والحكمة والرحمة وعند هذا تم التكليف المتوجه الى تحصيل المعارف ومن الاشتغال بالدعاء
والتضرع فان الدعاء مخ العبادة فقال ادعوا ربكم قيل اعبدوا لان الدعاء طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة لا
تفعل تقربا وطلبا للمجازاة ولانه تعالى عطف عليه وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه
وقيل هو الدعاء والدعاء مغاير للعبادة في المعنى اختلف الناس في الدعاء فمنهم من انكره واحتج عليه بوجوه منها
انه تعالى ان كان قد اراد في الازل احداث ذلك الشيء فهو حاصل سواء حصل هذا الدعاء او لم يحصل وان كان قد اراد في الازل
ان لا يعطيه فهو ممتنع الوقوع فلا فائدة في الطلب وان لم يرد في الازل لا وجوده ولا عدمه ثم انه تعالى عند ذلك الدعاء صار
مريدا له لزم وقوع التغير في ذات الله وصفاته وهو محال وثانيها ان الله تعالى عالم بحاجة العبد والعبد اذا علم ان مولاه
عالم بحاجته فسكت ولم يذكر تلك الحاجة كان ذلك ادخل في الادب وفي تعظيم المولى مما اذا اخذ بشرح كيفية تلك الحالة
وتطلب ما يدفع تلك الحاجة واذا كان الحال على هذا الوجه في الشاهد وجب ان يكون الامر كذلك في حق الله تعالى ولذلك نقل عن الخليل
لما وضع في المنجنيق ليرمى الى النار قال له جبريل عليه السلام ادع ربك فقال الخليل حسبي من سؤالي علمه بحالي وثالثها ان الدعاء نوع
من انواع العبادات شاغل عن الله فاذا كان هذا الانسان مستغنيا في علمه انه لا حاجة الى الطاعات والعبادات وان كان
في علمه انه لا فائدة في تلك العبادات وايضا فوجب ان لا يقدم الانسان على كل الخبز وشرب الماء لانه ان كان هذا الامر
شيئا قد علم الله فلا حاجة الى كل الخبز وان كان جائعا فلا فائدة في كل الخبز ولما كان هذا الكلام باطلا فههنا فكذلك
فيما ذكروه بل نقول الدعاء يفيد معرفة ذل العبودية ويفيد معرفة عز الربوبية وهذا هو المقصود الاشرف الاجل
من جميع العبادات وبيانه ان الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه كونه محتاجا الى ذلك المطلوب وكونه عاجزا
عن تحصيله وعرف من ربه واله انه يسمع دعاءه ويعلم حاجته وهو قادر على دفع تلك الحاجة وهو رحيم يقتضي رحمته ازالة
تلك الحاجة واذا كان كذلك فهو لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف كونه موصوفا بالحاجة وبالعجز وعرف كون الاله سبحانه
موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة فلا مقصود من جميع التكاليف الا معرفة ذل العبودية وعز الربوبية فاذا كان
الدعاء مستجمعا لهذين المقامين لا جرم كان الدعاء اعظم انواع العبادات وقوله سبحانه ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اشارة الى المعنى الذي ذكرناه لان التضرع لا يحصل الا لناقص في حضرة الكامل فما لم يعتقد العبد نقصان نفسه وكمال
مولاه في العلم والقدرة والرحمة لم يقدم على التضرع فثبت ان المقصود من الدعاء ما ذكرناه فثبت ان القرآن دليل عليه
والذي يقوي ما ذكرناه ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء والدعاء هو العبادة ثم قرأ ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فعلم ان المقصود من الدعاء ان يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه
وعجزه ومشاهدا لكون مولاه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة وكل هذه المعاني دخلت تحت قوله ادعوا ربكم تضرعا ثم
اذا حصلت هذه الاحوال على سبيل الخلوص فلا بد من صونها عن آفة الرياء لان المبطل لحقيقة الاخلاص هو شوائب الرياء وذلك
هو المعنى المراد من قوله سبحانه تضرعا وخفية مشتملا على كل ما يراد تحقيقه وتحصيله في شرائط الدعاء وانه
لا مزيد عليه بوجه من الوجوه نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة
وهي الذل والتذلل وتملقا والخفية ضد العلانية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد
جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل ليفقه الفقه الكثير ولا يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة
الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية
ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ما لم يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك ان الله اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وقيل انه لا يحب المعتدين في ترك
التضرع والاخفاء فان الله لا يحبه ولا يثيبه البتة ولا يحسن اليه ولا تفسدوا يدخل فيه المنع من افساد
النفوس بالقتل وبقطع الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة ووجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر والبدعة
وافساد الانساب بالاقدام على الزنا واللواطة وافساد العقل بشرب المسكر لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه النفوس والاموال
والعقول والانساب والاديان فقوله ولا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الافساد في الوجود والمنع من ادخال الماهية
في الوجود يقتضي المنع من جميع انواعه واصنافه فيتناول المنع من الافساد في الاقسام الخمسة وقوله بعد اصلاحها اي بعد ان اصلح
الله الارض ببعث الرسل والامر بالحلال والنهي عن الحرام وكل ارض قبل ان يبعث اليها نبي فاسدة حتى يبعث الرسل
اليها فتصلح الارض بالطاعة وقيل لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الارض بمعاصيكم وهذه الآية دالة
على ان الاصل في المضار الحظر والمنع على الاطلاق وقوله لا يحب على التحريم الذي دل عليه هذا النص وهذه الآية تدل على ان كل

لقد وقع التراضي به من الخصمين فاذا انعقد وصح وثبت لانه رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح والصدق
على انه لا يجوز من هذه الاية من هذا الوجه متاكدة بعموم قوله تعالى اوفوا بالعقود وبعموم قوله لم تقولون ما لا تفعلون
فان قيل انما دل على نقض العقود التي وقع التراضي به من الجانبين غير صحيح قضينا انه بالبطلان تقديما للخاص
على العام وما الاحكام فيها بالصحة رعاية لمدلول هذه العمومات وادعوه خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده
من رحمته وقيل ادعوه خوفا من وقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء وطمعا في
تلك الشرائط بامرها وقيل خوفا من العاقبة وطمعا في الرحمة وقيل خوفا من العدل وطمعا في الفضل وقيل خوفا من النيران وطمعا في
الجنان وقال ذو النون المصري خوفا من الفراق وطمعا في التلاق ان رحمة الله قريب من المحسنين قيل الرحمة ايصال
الخير والنعمة وقيل ارادة ايصال الخير والنعمة وكان حقه ان يقال قريبة من المحسنين فقيل الرحمة هاهنا الثواب وقيل
المطر فيكون القريب نعتا للمعنى دون اللفظ كقوله واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم
منه ولم يقل منها لانه اراد بالقسمة الميراث وقيل القريب والبعيد يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
قال الشاعر ... اخلاي عنها نا نحو ن بعيد وقال سيبويه لما اضاف الى
المذكر اخرجه على مخرج التذكير وقيل اراد ان رحمة الله مكانها قريب كقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة
قريب وقيل الرحمة مصدر ومن حق المصادر التذكير كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وقال النضر معناه ان السماحة والمروة ضمنا ... على الطريق الواضح ولم يقل ضمنتا وقيل القريب في اللغة على ضربين
قريب قرب وقرابة يقول العرب هذه المراة قريبتي اذا كانت ... وقريب بمعنى المسافة والمكان قال امرؤ القيس
له الويل ان امسى ولا ام هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا وقيل القريب والبعيد يكونان للثابت
والتذكير وكل من آمن بالله وبرسله وبالنبوة فقد احسن فان الصبي اذا بلغ وقت الضحى وآمن بالله ورسوله
واليوم الآخر ومات قبل الظهر فاجمعت الامة على انه دخل تحت قوله للذين احسنوا الحسنى فهذا الشخص لم يات
بشيء من الطاعات سوى المعرفة والاقرار لانه لما بلغ بعد الضحى ومات قبل الظهر لم يجب عليه صلاة الظهر فظاهر
ان سائر العبادات لم تجب عليه انه محسن وثبت انه لم يصدر منه الا المعرفة والاقرار وجب ان يكون هذا القدر احسانا
فيكون فاعله محسنا وصاحب الكبيرة من المحسنين قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا
اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون ● قيل انه تعالى
لما ذكر الادلة الدالة على الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي وهو السموات والشمس والقمر والنجوم اتبعه
بذكر الادلة من بعض احوال العالم السفلي واحوال العالم السفلي محصورة في الاثار العلوية والمعادن والنبات
والحيوان ومن الاثار العلوية الرياح والسحاب والامطار ويترتب على نزول الامطار احوال النبات وقيل انه تعالى لما اقام
الدلالة في الاية الاولى على وجود الاله القادر اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر والبعث
والقيامة ليتحقق بمعرفة ما في الايتين كل ما يحتاج اليه في معرفة المبدا والمعاد وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على لفظ الواحد
والباقون الرياح على لفظ الجمع فمن قرا الرياح حسن وصفها بقوله نشرا ليتوافق الموصوف والصفة في الجمعية ومن قرا الريح
واحدة وقرا نشرا جمعا لانه اراد بالريح الكثرة وقرا اهل الحجاز والبصرة نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسول ورسل
والنشور هي الريح التي تهب من كل ناحية وتجيء من كل وجه وابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين كما يقال الكتب ورسل
وعاصم بالباء المضمومة والشين المجزومة اي بشرا بالمطر يدل عليه قوله تعالى يرسل الرياح مبشرات وحمزة نشرا بفتح النون وسكون
الشين وهي الريح الطيبة اللينة والنشر مصدر نشرها التي ضد طويته ويراد بالمصدر هاهنا المفعول والرياح كانها
كانت مطوية فارسلها الله بعد انطوائها فقوله نشرا انتصابه على الحال منشورات وقيل انتصابه على المصدر لان
ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا الريح الهواء المتحرك ويرسل الرياح اي يحركها فان حركة لا تكون لذات الهواء
ولا لذات بدوامه بل بالفاعل المختار وهو الله جل جلاله نشرا بين يدي رحمته اي منتشرة متفرقة فجزء من اجزاء الريح يذهب
يمنة وجزء آخر يذهب يسرة وكذا القول في سائر الاجزاء فكل واحد منها يذهب الى جانب آخر فاختصاص بعض اجزاء الريح بالذهاب
يمنة والآخر بالذهاب يسرة لا لذاتها لانها طبيعة واحدة ولا للفرق الافلاك والانجم لان نسبتها الى الكل واحدة بل
بتخصيص الفاعل المختار بين يدي رحمته اي بين يدي المطر وقيل بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها
اثرا وبين يدي رحمته مجاز عن المتقدمة يقال ان العرب تحدث بين يدي الساعة ... حتى اذا اقلت حملت ورفعت
الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا جمع سحابة ثقالا اي اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا
بما فيها من الماء والمعنى ان السحاب لا تعالى انما بقي معلقا في الهوا لانه تعالى امر بحكمته ان تحركه الرياح تحريكا شديدا ثلاث
الحركات الشديدة التي في تلك الرياح تحصل فوائد منها انضمام اجزاء السحاب بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف
الماطر ومنها انه بسبب تلك الحركات الشديدة التي في تلك الرياح يمنة ويسرة لا تنزل الاجزاء المائية فيبقى معلقا في الهوا
ومنها انه بسبب تلك الرياح ينساق من موضع الى موضع آخر وهو الموضع الذي علم الله تعالى احتياجهم الى نزول الامطار
وانتفاعهم بها ومنها ان حركات الرياح تارة تكون جامعة لاجزاء السحاب وتارة مبطلة لها ومنها ان هذه الرياح تكون معونة
للثمر والاشجار مكملة لما فيها من النشو والنما وهي الرياح اللواقح وتارة تكون مبطلة لها كما يكون في الخريف وتارة تكون

طسه

طيبة لذيذة موافقة للابدان وتارة تكون مهلكة اما بسبب شدة الحرارة كما في السموم واما بسبب البرد الشديد
كما في الرياح الباردة المهلكة وتارة تكون شرقية وتارة تكون غربية وتارة شمالية وتارة جنوبية وغيرها وتارة
تصعد من قعر الارض وتارة تنزل من فوق فاختلاف الرياح في الصفات المذكورة انما هو بتقدير الفاعل المختار لا بمقتضى
طبيعة ولا بتاثير الافلاك والنجوم واوضاعها سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما حمل
اللفظ على الوصف لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه والمعنى انا نسوق ذلك السحاب الى بلد ميت
لم ينزل فيه غيث ولم ينبت فيه خضرة فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج
وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فتؤمنون التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل منهما اعادة الشيء بعد انشائه
والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة الطيبة باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا
لانه واقع في مقابلة نكدا والبلد الذي خبث اي سبخ لا ينبت ما ينتفع به والنكد الذي لا خير فيه والذي خبث صفة للبلد اي
والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فمثل المؤمن كمثل البلد الطيب الذي اذا نزل به
المطر يحصل فيه انواع الازهار والثمار ومثل الكافر كمثل البلد الخبيث فهو وان نزل عليه المطر لم يحصل فيه من النبات الا
النزر القليل فكذلك الروح الطاهرة النقية عن شوائب الجهل والاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القرآن ظهرت انواع
من الطاعات والمعارف والاخلاق الحميدة والروح الخبيثة الكدرة وان اتصل به نور القرآن لم يظهر فيه من المعارف
والاخلاق الحميدة الا القليل كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فهم
ليشكروا فيها ويعتبروا بها وانما ختم هذه الاية بقوله لقوم يشكرون لان الذي سبق ذكره انه يرسل الرياح اللطيفة النافعة
ويجعلها سببا لنزول المطر الذي هو الرحمة ويجعل تلك الرياح والامطار سببا لحدوث انواع النبات النافعة
اللذيذة الطيبة فهذا من احد الوجهين ذكر الدليل الدال على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته ومن الوجه الاخر فيه
ايضا لهذه النعم العظيمة الى العباد ولا جرم كانت من حيث انها دالة على وجود الصانع وصفاته آيات ومن حيث انها نعم يجب
شكرها فلا جرم قال نصرف الايات لقوم يشكرون وانما خص كونها آيات لقوم الشاكرين لانهم هم المنتفعون بها فهو كقوله
هدى للمتقين قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون ● لما ذكر في تقرير المبدا والمعاد دلائل ظاهرة وبينات باهرة وبراهين
واضحة وحججا ساطعة اتبعها بذكر قصص الانبياء تنبيها على ان الاعراض عن قبول هذه الحجج والبينات ليس من خواص قوم محمد صلى الله
عليه وسلم بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في الامم السالفة وكان ذكر قصصهم وحكاية اصرارهم على الجحود والعناد
يفيد تسلية الرسول وتخفيف ذلك على قلبه وتقوية لقلوب المحقين المبطلين لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
فانهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد لان ...
ان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند
استماع المخاطب كلمة القسم نوحا الى قومه قيل هو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
النبي عليه السلام ما لكم من اله غيره قرا الكسائي غيره بكسر الراء على انه نعت للاله على اللفظ والباقون بالرفع على المحل كانه
قيل ما لكم اله غيره وقوله ما لكم من اله غيره بيان لوجه اختصاصه بالعبادة فانه اذا لم يكن اله غيره وجب ان لا تعبدوا الا
اياه وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بيان الداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله
قيل حكى الله عن نوح في هذه الاية ثلاثة اشياء احدها انه صلى الله عليه وسلم امرهم بعبادة الله والثاني انه لا اله غيره
والثالث اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فالمقصود من الاول اثبات التكليف ومن الثاني الاقرار بالتوحيد ومن الثالث
التخويف بالعذاب العظيم واليوم العظيم اما يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملا الاشراف والسادة
من قومه فيقتضي ان يكون الملا بعض قومه وذلك البعض لا بد وان يكونوا موصوفين بصفة لاجلها استحقوا هذا الوصف
وذلك بان يكونوا هم الذين يملؤون صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار من رؤيتهم وتوجه العيون
في المحافل اليهم وهذه الصفات لا تحصل الا للرؤساء وذلك يدل على ان المراد من الملا الرؤساء والاكابر وقيل الملا الذين
ليس معهم نساء انا لنراك الرؤية بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والرؤية في ضلال خطا وذهاب عن الحق
عن طريق الصواب مبين بين ظاهر قال يا قوم ليس بي ضلالة دالة على وحدة غير معينة وفي نفيها نفي معنى عام بخلاف ضلال
فانه مصدر يحتمل الواحد والتثنية والجمع فنفيه لا يقتضي نفي الكل كما لو قيل ليس بي ضلال لانه ابلغ في نفي الضلال
عن نفسه من قولنا ليس بي ضلال ... ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نفى عن نفسه الضلال ووصف نفسه باشرف الصفات
واجلها تعالى ولكني رسول من رب العالمين ولكن استدراك للانتفاء عن الضلالة فان كونه رسولا من الله مبلغا
رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة قرا ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف والباقون بالتشديد ابلغكم رسالات ربي اعرفكم انواع تكاليف الله واقسام اوامره ونواهيه وابين لكم مقادير الحدود
والزواجر في الدنيا والثواب والعقاب في الاخرة قيل ابلغكم كلام مستانف بيان لكونه رسول رب العالمين وقيل صفة
لرسول وعلى ان الرسول لو وقع خبرا عن ضمير المتكلم صح ان يكون ابلغكم صفة له فانه في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدرة
رسالات ربي ... الدعوة المتعلقة به او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشارة والنذارة يجوز

انه يريد رسالة البئد الى الانبيا قبله من صحف صحيفة ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح
لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا
بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسوله وانفعكم اى
ارغب لكم في الطاعة واحذركم عن المعصية واسعى في تقريرهما لكم بالترغيب والترهيب بابلغ الوجوه وحقيقة النصح الارشاد
الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه واعلم من الله ما لا تعلمون من صفات الله واحواله يعني قدرته البالغة وشدة
بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم الكافرين وقيل اعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان في الدنيا وعاقبكم
عقابا شديدا خارجا عما تتصوره عقولكم في الاخرى قوله تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوما عمين ● الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر نبوة ورسالة وقيل
بيان وقيل موعظة من ربكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عقاب الله ان لم تؤمنوا ولتتقوا
عاقبة الكفر ولتتقوا وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولكي ترحموا بالتقوى ان وجدت
منكم فكذبوه الملاء من قومه نوحا فانجيناه من الطوفان والذين معه قيل عشرة بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وستة
ممن امن به وقيل كانوا اربعين رجلا وامراة في الفلك متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك
ويجوز ان يتعلق بقوله فانجيناه اي انجينا نوحا والذين معه في السفينة من الطوفان واغرقنا الذين كذبوا باياتنا ثم بين
العلة في ذلك فقال انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين
والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت ونحوه قوله ضائق به صدرك قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملاء الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك
من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا
الاء الله لعلكم تفلحون ● اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم
افهم على رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له اي ولقد ارسلنا
الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى هودا وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال
يا قوم لم يذكر العاطف لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم قال الملاء الذين كفروا وصف الملاء
بالذين كفروا لانه كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه ولم يصف
الملاء من قوم نوح بالذين كفروا لانه لم يؤمن به احد من اشراف قوم نوح عليه السلام وقيل الذين كفروا وصف وارد للذم
لا غير انا لنريك في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل وجهالة وضلالة حيث تركت دين قومك وتاخذ دينا اخر
وجعلت الاخير انا لنريك في سفاهة في خفة علم وسخافة عقل وجهالة وضلال حيث تركت دين قومك وتاخذ
دينا اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز انه متمكن في السفاهة غير منفك عنها وفي اجابة الانبيا
عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة
بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم
لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم وانا لكم ناصح امين لما
عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم وقيل انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه
او امين على الرسالة واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد
استخلفكم فيها بعدهم اي اهلكهم وابقاكم فيها منكم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة
قيل كان طول كل رجل منهم اثني عشر ذراعا وقيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا الاء الله اي نعمه
ببسط اجرامكم وزيادة قوتكم وشدتكم وما سواها من عطاياه وواحد الالاء الى نحو اني وانا وضلع واضلاع وعنب
واعناب واذ في قوله اذ جعلكم خلفاء منصوب المحل لانه مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قوله
تعالى قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ● قال
قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ● اعلم
انه هودا دعا قومه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالدليل القاطع لانه بين انهم انعم عليهم كثيرة ولا نعمة للاصنام
عليهم لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء اصلا وظاهر ان العبادة نهاية التعظيم فهي لا تليق الا بمن تصدر منه
نهاية الانعام وذلك يدل على انه يجب عليهم ان يعبدوا الله وان لا يعبدوا شيئا من الاصنام والمقصود من ذكر تسلط
انكارهم على الجد هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد فقالوا اجئتنا لنعبد الله وحده لتستبعد اختصاص الله وحده بالعبادة
وترك دين الاباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه والفا لما صادفوا اباءهم يتدينون به قيل كان لهود مكان
معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم

وقيل

[illegible]

الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية فقوله لكم بيان لمن هي اية موجبة عليه
خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى
اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها ولانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله فذروها
تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات
من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تصيبوها بعقر ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله فياخذكم
عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم اسكنكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام
تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وبيوتا نصب على الحال كما
خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب
والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقد كانوا يسكنون بالسهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا
الاء الله اي تذكروا نعمه التي اتاكم الله من النعم وهو كالتكميل لقوله فاذكروا استرعبقولكم لما فيها ولا تعثوا في الارض
مفسدين نهى عن كل انواع الفساد وقيل نهي عن عقر الناقة قوله تعالى قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي
امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
من استضعفوا الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا منهم
اي من قومه فيكون من امن تفسيرا لمن استضعف منهم فيدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين ويحتمل ان يرجع
الضمير في منهم راجعا الى الذين استضعفوا وحينئذ يكون الاستضعاف مقصورا عليهم ويدل ان المستضعفين
كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله
فوق العرش قالوا اي قال الذين استضعفوا انا بما ارسل به مؤمنون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح قولهم انا
بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله وبما ارسل به لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه
وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون
فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة العقر كشف عرقوب
البعير ولما كان العقر سببا للنحر اطلق العقر على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا
تبين عتوا اذا استكبر ومنه جبار عات وقيل العتو الغلو في الباطل عن امر ربهم هو ما امر به الله
على لسان صالح من قوله فذروها تاكل في ارض الله وقيل عن امر ربهم اي عن شان ربهم وهو دينهم وقيل المعنى وصدر عتوهم
عن امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما فعلته عن امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا
وانما جاز الاطلاق لان كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين لصلا

ونحنا

الرجفة قيل هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقيل الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا
لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم اي في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم
ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم
الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا
كان بعث الى قوم فخالف امره وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا
الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال انه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم
فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم فاعرض عنهم صالح الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم
جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت لكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم النصيحة
لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب
وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي
فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
ولا يستبعد خطاب الموتى فان الرجل قد يقول لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في
التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية قوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل
انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ● اي وارسلنا لوطا
واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة السيئة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك
بها عكاشة ومن احد من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق ومن العالمين للتبعيض وقوله ما سبقكم
بها من احد من العالمين جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها بقوله انتم
اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا
ما لم تسبقوا اليه انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرأ نافع
وحفص عن عاصم انكم بكسر الالف على الاخبار المستانف وهو مذهب نافع انه يكتفي بالاستفهام في الاولى من اثنين في كل
القرآن وابن كثير ائنكم بهمزة غير ممدودة وتليين الثانية وابو عمرو بهمزة ممدودة للتخفيف وتليين الثانية والباقون
بهمزتين على الاصل لتاتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مصدر شهي يشهى شهوة وانتصابها اما على المصدر
لان قوله اتاتون الرجال بمعنى اتشتهون شهوة وقيل على الحال فانها مصدر وقع موقع الحال بمعنى مشتهين تابعين
للشهوة غير ملتفتين الى السماجة وقيل على انها مفعول له من الاتيان اي لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من
داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف له بالبهيمية فانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة بل انتم قوم مسرفون
اضراب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات فقال بل انتم قوم
عادتكم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فلهذا اسرفتم في باب قضاء الحوائج حتى تجاوزتم المعتاد الى غير المعتاد ونحوه
بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اي لم يجيبوا بما يكون جوابا عما كلمهم لوط عليه السلام من انكار
الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه
ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقوله
انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من
الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد قوله تعالى فانجيناه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ● واهله قيل ابنتاه وابناه
ومن يختص به من ذويه ومن يتصل به بالنسب وقيل اهله من يختص به من المؤمنين الا امرأته اي زوجته كانت من الغابرين
من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية وروي ان امرأة لوط
التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله
عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم
وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وامطرنا ارسلنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين فانظر يحتمل ان يكون المامور هو الرسول صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان يكون كل احد من المكلفين ليعتبر بذلك فينزجر ومذهب الشافعي ان اللواط يوجب الحد وقال
ابو حنيفة لا يوجب الحد وللشافعي ان يحتج بهذه الآية من وجهين احدهما انه ثبت في شريعة لوط رجم اللوطي والاصل في الثابت
البقاء الا ان يظهر طريان الناسخ ولم يظهر في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ما يوجب نسخ هذا الحكم فوجب القول ببقائه
وثانيهما انه تعالى قال فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والظاهر ان المراد من هذه العاقبة ما سبق ذكره وهو انه امطر عليهم
ومن المجرمين الذين يعملون عمل قوم لوط لان ذلك هو المذكور السابق فينصرف اليه فهاهنا تقتضي الآية فانظر كيف امطر الله الحجارة على

المجرمين

المجرمين الذين يعملون ذلك العمل المخصوص وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على ان ذلك الوصف علة لحصول ذلك
الحكم واذا ظهرت العلة وجب ان يحصل هذا الحكم بما حصلت العلة قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ● اي وارسلنا الى مدين اخاهم يعني الاخ كما في النسب
لا في الدين مدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة بسبب انهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام ومدين صار اسما للقبيلة كما يقال
بكر وتميم وشعيب من اولاده وهو شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين واعلم انه حكى عن شعيب انه امرهم في هذه الآية باشياء الاول انه امرهم
بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في جميع شرائع الانبياء عليهم السلام فقال اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره والثاني انه ادعى النبوة فقال قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان والاخذ بما
آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه والآية دالة على انه حصلت لشعيب معجزة دلت على صدقه لقوله قد جاءتكم بينة من
ولا يدعي النبوة من غير معجزة تشهد له بصدقه والا لم يكن نبيا بل متنبئا غير ان معجزة شعيب لم تذكر في القرآن كما ان اكثر
معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم لم تذكر فيه ومن معجزاته ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم
الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات
لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب وفيه نظر فانه يجوز ان يكون هذه الآيات
ارهاصا لنبوة موسى عليه السلام والثالث انه قال فاوفوا الكيل واعلم ان من عادة الانبياء عليهم السلام انهم اذا راوا قوما مقبلين على نوع
من انواع المفاسد اقبالا اكثر من اقبالهم على سائر انواع المفاسد بدأوا بمنعهم من ذلك النوع وكان قوم شعيب
فشا فيهم البخس والتطفيف فلهذا بدأ بذكر هذه الواقعة فقال فاوفوا الكيل والميزان قوله فاوفوا الكيل الظاهر
ان يكون الامر بايفاء الكيل والنتيجة لما تقدمه والمتقدم هاهنا قد جاءتكم بينة من ربكم فوجه ذلك انه تعالى
لما علم ان البخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العرف ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة
الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل فان قيل كيف قيل الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما في سورة
هود اجيب بانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اوفوا الكيل
ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر والرابع قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس
النقص يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس لما امرهم بايفاء
الكيل والوزن نهاهم عن البخس وقيل اشياءهم لانهم يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه كما تفعل امراء الحرمين ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع اموال الناس بطرق
الحيل وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم اخذوها
بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا والخامس قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا
فيها بعدما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة بل مكر الليل اي بل مكركم في
الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف وقيل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم منع من فساد الدنيا وقوله
ولا تفسدوا في الارض منع من فساد الدين ويجوز ان يكون الآية جامعة للنهي عن مفاسد الدنيا والدين وقيل بعد ان صلحت
الارض بمجيء النبي بعد ان كانت فاسدة بخلوها منه وقيل كان محتمل الفساد وقد ما دحضا لحة وقيل بعد ان اصلحها بتكثير
النعم فيها فحاصل هذه الامور الخمسة يرجع الى اصلين التعظيم لامر الله والاتفاق على الاقرار بالتوحيد والنبوة والشفقة
على خلق الله ويدخل فيه ترك البخس والافساد وحاصلها يرجع الى ترك الايذاء كانه يقول ان كف الضرر عن الكل
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الامور الخمسة وقيل الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل
بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم في الآخرة ان كنتم مؤمنين وقيل في الآية دليل على ان ما يطلبونه من التكسب والتربح لان الناس
ارغب في متاجرتكم الامناء اذا عرفوا امانتكم والعدل ان كنتم صادقين بقولكم وبفعلكم مؤمنين قوله تعالى ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف
كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين ● ضم شعيب عليه السلام الى ما تقدم من الامور الخمسة اشياء فالاول منعهم من القعود على طريق الدين ومنهاج
اليقين ليمنعوا الناس من قبوله وقيل حمل منعهم ان يقعدوا على الطريق الذي تسلكه الناس وذلك انهم كانوا يجلسون
على الطرق ويخوفون من آمن بشعيب قال صاحب الكشاف ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن
سبيل الله يقال قعد بمكان كذا وعلى مكان كذا وفي مكان كذا ومعنى الحروف تتعاقب في هذه المواضع استعارة بمعانيها
فالباء للالصاق وهو قد التصق بذلك المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا ذلك المكان وفي للحلول فقد حل ذلك
المكان ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا
والمعنى انه نهاهم عن القعود بكل صراط حال الايعاد والصد والبغي وهذه الامور الثلاثة متغايرة فالايعاد يكون بانواع
المضار بهم والصد قد يكون بالايعاد بالمضار وقد يكون بالوعد بالمنافع على تركه وقد يكون بان لا يمكنه من الذهاب

إلى الرسول ليتبع كالأمة وأما قوله تبغونها عوجاً فالمراد إلقاء الشكوك والشبهات والمراد من الآية أن شعيباً منع القوم
من أن يمنعوا الناس من قبول الدين الحق بأحد هذه الطرق الثلثة فإن قيل صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط أجيب بأن صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف
وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا واحداً يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه والضمير في آمن به راجع
إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه ووضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح
أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه ويبغونها عوجاً ويطلبون لسبيل الله عوجاً أن تصفوها للناس بأنها سبيل
معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكماً بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق
لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم فكثركم الله ووفر عددكم
والمقصود منه أنهم إذا تذكروا كثرة نعم الله عليهم فالظاهر أن ذلك يحملهم على الطاعة والاجتناب عن المعصية وقيل
كثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد العجز إنهم إذا كانوا فقراء وعاجزين فهم بمنزلة القليل في أنه لا يحصل
منه وجود قوة ولا شوكة وأما كثرة عددهم فقيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى رمى الله في نسلها بالبركة
والنماء فولدت حتى كثر عددهم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين أي آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وصالح ولوط وما حل بهم
من الخزي والنكال والمقصود أنهم إذا نظروا وتفكروا علموا أن عاقبتهم ليست إلا الخزي والنكال فاحترزوا عن الفساد والعصيان
وأطاعوا فكان المقصود من هذين الكلامين حملهم على الطاعة بطريق الترغيب أولاً والترهيب ثانياً وإن كان طائفة
المقصود منه ترغيب قلوب المؤمنين وزجر من لم يؤمن لأن قوله فاصبروا تهديد وكذا حتى يحكم الله بيننا فاصبروا أو
تربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وقيل هو موعظة للمؤمنين
وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطاباً
للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من
الطيب وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف والظلم فيخص المؤمن المتقي بالدرجات العالية
والكافر الشقي بأنواع العقوبات قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا
معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها
وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت
خير الفاتحين ● لما قرر شعيب تلك الكلمات قال الملأ الذين استكبروا أي أنفوا من تصديقه وقبول قوله لنكونن أحد الأمرين
إما أن نخرجك ونخرج أتباعك من قريتنا وإما أن تعودن في ملتنا فإن قيل كيف خاطبوا شعيباً عليه السلام بالعود في ملتهم مع
الكفر وكيف أجابهم شعيب بقوله إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء عليهم السلام
لا يجوز عليهم الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر أجيب عنه بوجوه الأول أنهم لما قالوا
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن في ملتنا
فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم جميعاً عائدين إجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب جوابه فقال إن عدنا
في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء للكلام على
حكم التغليب الثاني أن رؤساءهم قالوا ذلك على وجه التلبيس على العوام يوهمون بذلك أنه كان منهم وأن شعيباً ذكر جوابه
على وفق ذلك الإيهام الثالث أن شعيباً في أول أمره كان يخفي دينه ومذهبه فتوهموا أنه على دينهم الرابع لا يبعد أن يقال
إن شعيباً كان على شريعتهم ثم نسخ الله تلك الشريعة بالوحي الذي أوحاه الله إليه الخامس المراد من قوله أو لتعودن لتصيرن
إلى ملتنا فوقع العود بمعنى الابتداء يقول العرب قد عاد علي من فلان مكروه يريدون قد صار إلي منه المكروه ابتداء
قال الشاعر: فإن تكن الأيام أحسن مرة ‏ إلي فقد عادت لهن ذنوب ‏ أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد أن
ذنوباً كانت لهن قبل الإحسان قال أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال
كراهتنا ومع كوننا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم أي إن عدنا في ملتكم قد افترينا على الله كذباً فإن ادعاء
في النبوة والرسالة صنعة الحجة والبراءة عن الكذب فالعود في ملتكم يبطل النبوة ويزيل الرسالة بعد إذ نجانا الله منها
فيه تعذر وتقضيت الأدلة على أنه باطل وقيل المراد أن الله نجى قومه من تلك الملة إلا أنه نظم نفسه في جملتهم
وإن كان بريئاً منها إجراء للكلام على حكم التغليب وقيل إن القوم أوهموا أنه كان على ملتهم أو اعتقدوا أنه كان كذلك فقوله
بعد إذ نجانا الله منها أي على حسب معتقدكم وزعمكم أما قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا أي إلا أن يكون
قد سبق في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه وعلمه علينا وهذه الآية تدل صريحاً
على أن الكفر بمشيئة الله تعالى قال أصحاب الكلام معنى قوله إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بها فمنعنا الألطاف لعلمه أنه لا
فائدة فيكون عبثاً والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علماً أي هو عالم بكل شيء مما كان وما
يكون ومن ذلك أحوال العباد كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر
بعد الإيمان وهذا تصريح بأن [illegible] عليه قوله
وسع ربنا كل شيء علماً وقيل إن القوم لما قالوا لشعيب إما أن نخرجك أو أن تعود إلى ملتنا فقال شعيب وسع ربنا كل شيء علماً فربما كان
في علمه حصول قسم ثالث وهو أن يبقى في هذه القرية من غير أن أعود إلى ملتكم بل يجعلكم مقهورين تحت أمري ذليلين تحت حكمي

وسع ربنا كل شيء علماً يدل على أنه تعالى كان عالماً في الأزل بجميع الأشياء الأزلية لأن قوله وسع فعل ماض فيتناول كل ما مضى وكذا ثبت
أن تغير معلومات الله تعالى محال لأنه لهذا جفت الأقلام وطويت الصحف والسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله
وسع كل شيء منصوب على التمييز على الله توكلنا أخبر كالحاكم بأمرين الأول على الله توكلنا وهو يفيد الحصر كأنه في هذا المقام عزل
الأسباب الثاني ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي احكم بيننا والفتاح الحاكم وقيل يسمونه القاضي الفاتح والفتاح
لأنه يفتح مواضع الحق عن ابن عباس ما كنت أدري ما قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول
لزوجها تعال أفاتحك أي أحاكمك وقيل أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذاباً يدل على أنهم
على الباطل وأنت خير الفاتحين هو ثناء على الله تعالى كقوله وهو خير الفاتحين اعلم أن قوله قد افترينا على الله كذباً إن عدنا
في ملتكم إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاماً مستأنفاً فيه معنى التعجب كأنهم قالوا
ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث زعم أن لله
نداً ولا إله غيره والمرتد مثله في ذلك وزاد عليه حيث زعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون
قسماً على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذباً قوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها
الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ● بين الله شدة ضلالتهم بتكذيب شعيب أنهم لم يقتصروا على ذلك حتى أضلوا غيرهم ولاموهم على متابعته
فقالوا لئن اتبعتم شعيباً ثم بين أنكم إذاً لخاسرون أي قال أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان حطوا
على سبيلهم لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنها ويحملكم على
الإيفاء والتسوية لئن اتبعتم اللام موطئة للقسم وإن اتبعتم شرط وقسم وقوله إنكم إذاً لخاسرون ساد مسد جوابي
القسم وجواب الشرط فأخذتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة المهلكة ولما كان عندهما المقال كمال حالهم في الضلالة
أولاً والإضلال ثانياً استحقوا الإهلاك فلهذا قال فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم في مساكنهم جاثمين
أي خامدين ساكنين الذين كذبوا شعيباً مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى
الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا
شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباع شعيب فإنهم هم الرابحون وفي هذا
الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم
واستعظام لما جرى عليهم في قوله لم يغنوا قولان أحدهما غني القوم في دارهم إذا طال مقامهم فيها والمغنى المنزل الذي
كان بها أهلوها والثاني معناه قال الشاعر: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ‏ في ظل ملك ثابت الأوتاد ‏ أراد أقاموا
فيها فمعنى قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوا فيها والثاني كأن لم يعيشوا مستغنين يقال غني الرجل
إذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر وعلى القول الثاني شبه الله حال هؤلاء المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك
الدنيا فتولى عنهم بعد نزول العذاب بهم وقيل قبله وقوله آسى الأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط
الأسى ● اشتد حزنه على قومه لأنهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم قبول نصيحته فلما أنزل الله بهم ذلك الهلاك
الشديد عليهم من جهة الوصلة والمجاورة وطول الألفة ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم كافرين
لأنهم هم الذين تسببوا إلى هلاكهم لإصرارهم على الكفر وقيل يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل
بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فإذا لم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم يعني أنهم ليسوا أحقاء بأن يأسى الإنسان عليهم
قوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ● لما ذكر
أحوال هؤلاء الأنبياء وأحوال ما جرى على أممهم كان من الجائز أن يظن أنه تعالى ما أنزل عذاب الاستئصال إلا في زمن هؤلاء
الأنبياء فقط فبين في هذه الآية أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وبين السبب الذي به يفعل ذلك وبما ذكر
القرية لأنها تجمع القوم الذين إليهم يبعث الرسل ويدخل تحتها كل موضع يجتمع فيه القوم من بدو [illegible]
أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر ويعلمون أن تدبيرهم بما يكون لهم إلى الإيمان أقرب فقال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة والرخاء والسعة والصحة لفقههم أن الحسنات والسيئات اللذة والنعمة
في البدن والمال بعد البأساء والضراء يدعو إلى الانقياد والاشتغال بالشكر حتى عفوا حتى كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم
من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثر ومنه الحديث أنه قال عليه السلام أمر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى حتى توفر وتكثر
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء وبطرتهم النعمة فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا
نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فأخذناهم أشد الأخذ وأقطعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم والمعنى أنهم
نالهم شدة قالوا ليس هذا بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل وتلك عادة الدهر فلم ينتهم ما مسنا من البأساء والضراء
عقوبة من الله تعالى وهذه الحكاية تدل على أنهم لم ينتفعوا بما دبرهم الله عليه من الرخاء بعد الشدة والأمن بعد الخوف بل تمسكوا

وترقى منها إلى مسبب الأسباب

الى ان اخذه فادة ان نا في اهله فترة تحصل فيهم الشدة والضر ومرة تحصل لهم الرخاء والراحة فبين الله تعالى انه اذا لم
ينفعهم ذلك ما تاج عليهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك الامهال فاخذناهم بغتة والمعنى انهم لما اصروا على التمرد اخذهم
الله بغتة اين كانوا ليكون ذلك اعظم في الحسرة وقوله وهم لا يشعرون اي بنزول العذاب والحكمة في ذكر هذا المعنى ان يحصل
الاعتبار لمن سمع هذه القصة وعرفها قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ● لما بين الله تعالى
في الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم الله بغتة بين في هذه الآية انهم لو اطاعوا لفتح الله عليهم ابواب الخيرات
اللام في القرى للعهد والمعهود الذي دل عليه قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين
كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير
من كل وجه وقيل بركات من السماء المطر والارض النبات واصل البركة المواظبة على الشيء يقال بارك فلان على كذا
اذا واظب عليه والمعنى لتابعنا عليهم بالمطر والنبات والخصب ودفعنا عنهم القحط ولكن كذبوا فاخذناهم فجعلنا لهم
العقوبة بما كانوا يكسبون من المعصية والكفر والاعمال الخبيثة ثم انه تعالى اعاد التهديد بعذاب الاستيصال فقال افأمن اهل
القرى الفاء حرف عطف دخلت عليها همزة الانكار والمعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون
اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى والبيات بمعنى التبييت يقال بات بياتا ومنه قوله
تعالى فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد
بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتين ويكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بياتا او امن قرأ ابن عامر بسكون الواو
جعل او للاضراب وكان المعنى فعن امنوا هذه الضروب من العذاب والباقون بفتح الواو وضحى نصب على الظرف يقال
اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والمقصود انه تعالى خوفهم نزول
ذلك العذاب عليهم في الوقت الذي يكونون فيه في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه
الوقت الذي يغلب على المرء التشاغل باللذات وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون وقيل [...]
بامور الدنيا فهو لعب ولهو وقيل خوضهم في كفرهم لان ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع افأمنوا مكر الله تعالى افأمن
اهل القرى والمعنى افأمنوا ان يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا
يشعرون ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوف من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات
والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام فقال يا ابنتاه ان
اباك يخاف البيات اي قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وهم الذين لغفلتهم وجهلهم
لا يعرفون ربهم فلا يخافون ومن هذه سبيله فهو اخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة لانه اوقع نفسه في الدنيا في الضر
وفي الآخرة في اشد العذاب قوله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم و
نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
لما بين فيما تقدم حال الكفار الذين اهلكهم الله بالاستيصال مجملا ومفصلا اتبعه ببيان ان الغرض من ذكر هذه القصص
حصول العبرة لجميع المكلفين في مصالح اديانهم وطاعاتهم اولم يهد للذين ان لو نشاء فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة
والمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض ويكون منقطعا بمعنى
ونحن نطبع على قلوبهم يجري مجرى تفصيل الحاصل تلك مبتدأ القرى صفته نقص عليك خبر وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره
ونقص حال كقوله تعالى هذا [...] وهذا بعلي شيخا ويجوز ان يكون نقص خبرا بعد خبر وتلك القرى كلام مفيد بشرط التقييد
بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم ومعنى الاخبار عن الذي نقص عليك من انبائها ان تلك القرى
المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك والمراد بتلك القرى قرى الاقوام الخمسة الذين وصفهم الله
فيما سبق وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وانما خص الله تعالى انباء اهل هذه القرى لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة
النعم فتوهموا انهم على الحق فذكرها الله لقوم محمد صلى الله عليه وسلم ليكونوا على حذر من مثل تلك الاعمال ثم عزى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله ولقد جاءتهم رسلهم والانبياء الذين ارسلوا اليهم بالبينات فما كانوا اولئك الكفار ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات
بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل او يوم اخذ الميثاق حين اخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرها واقروا باللسان واصروا على التكذيب
وقيل فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا قبل رؤية تلك المعجزات نظيره قوله تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا
بها كافرين وقيل ما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم وردوا الى دار التكليف ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اهلاكهم نظيره
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب
من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات

ومعنى اللام

ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر ثم انه تعالى بين السبب في انهم لا يؤمنون فقال كذلك يطبع
الله على قلوب الكافرين الذين كتب في قلبهم انهم لا يؤمنون ابدا وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي لاكثر الناس نقض عهد الله وميثاقه
في الايمان والتقوى عن ابن عباس يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم اذ اخرجهم من صلب آدم حين قال الست بربكم قالوا بلى فلما
اخذ الله منهم هذا العهد واقروا به ثم خالفوا ذلك صار كانه ما كان لهم عهد ولهذا قال وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان
وجدنا ان مخففة من الثقيلة وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة [...]
ويجوز ان يرجع الضمير في قوله وما وجدنا لاكثرهم الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك [...]
والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ
والخبر والافعال الداخلة عليه قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين ● هذه القصة هي القصة السادسة من القصص التي ذكرها الله في هذه السورة وذكر فيها من
من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في سائر القصص لان معجزات موسى عليه السلام اقوى من معجزات سائر الانبياء عليهم السلام وجهل قومه
كان اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم الذين تقدم ذكرهم
باياتنا بدلائلنا [...]
على انه تعالى آتاه آيات كثيرة ومعجزات كثيرة من جملتها اول آياته العصا ثم اليد [...]
[...] فظلموا بها بالآيات التي جاءتهم بها لان الظلم
وضع الشيء في غير موضعه فلما كانت تلك الآيات ظاهرة ثم انهم كفروا بها فوضعوا الانكار في موضع الاقرار والكفر في موضع
الايمان فكان ذلك ظلما منهم بها وقيل ظلموا بها انفسهم وكفروا باياتنا اجرى الظلم موضع الكفر لانهما [...]
الشرك لظلم عظيم وقيل فظلموا انفسهم بسببها [...] فانظر [...] كيف كان
عاقبة المفسدين وكيف فعلنا بهم قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين
يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
ابن الريان اني رسول من رب العالمين فيه اشارة الى ما يدل على وجود الاله تعالى فان قوله رب العالمين يدل على ان العالم
موصوف بصفات لاجلها افتقر الى مربيه ويوجده ويخلقه حقيق على ان لا اقول المعنى ان الرسول لا يقول الا الحق كانه
قال انا رسول الله ورسول الله لا يقول الا الحق فانا حقيق بان لا اقول الا الحق فلما كانت المقدمة الاولى مفتقرة الى بينة
ذكر ما يدل على صدقها وهو قوله قد جئتكم ببينة من ربكم وهي المعجزة الظاهرة القاهرة ولما قرر رسالته فرع
عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل فلما سمع فرعون هذا الكلام قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت
من الصادقين واعلم ان فرعون ما نازعه فيما ذكره موسى عليه السلام الا في طلب المعجزة قرأ نافع حقيق علي بتشديد الياء والباقون
بسكون الياء اما قراءة نافع فحقيق يجوز ان يكون بمعنى فاعل اي حق لي اي واجب علي ان لا اقول على الله الا الحق
ويجوز ان يكون بمعنى مفعول اي محقوق علي ان لا اقول على الله الا الحق واما قراءة العامة المشهورة ففيها وجوه الاول ان
يجعل الباء في موضع على لتعلقه كقولك رميت على القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة وهذا كما قال لا
تقعدوا بكل صراط توعدون على كل صراط فقوله حقيق على ان لا اقول ويؤكد هذا الوجه قراءة عبد الله
حقيق بان لا اقول والثاني انه ما لزمك لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له
والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن
ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال
اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به
ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فاطلقهم وخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم
فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى اربعمائة عام قال
فرعون مجيبا لموسى ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك قوله
تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون ● لما طلب فرعون من موسى عليه السلام الاتيان بالآية وكان من معجزاته العصا القاها
ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا ووضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه
نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا
فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك
بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا كما كان ثم قال فرعون هل معك آية اخرى قال نعم فنزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين لها شعاع
غلب نور الشمس وكان موسى آدم اللون ثم ادخلها جيبه فصارت كما كانت قوله للناظرين يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي
بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع

النظار من العجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها
فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه
قد اخذ عيون الناس بخدعه من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض وانه على خلاف ما هو عليه وقد عزى هذا الكلام
هاهنا الى الملأ من قوم فرعون وعزي في الشعراء الى فرعون حيث قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم لانه قد قاله هو وقاله
الملأ لعله ثم روي لهم هاهنا او قاله فرعون ابتداء فتلقفه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ
كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فتكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه
في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم يريد ان يخرجكم يا معشر القبط من ارضكم … فماذا
تأمرون هذا من قول فرعون للملأ ولما قال فرعون فماذا تأمرون فامر بكذا اي شاورته فاشار على برأي … قوله
تعالى قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين لما قال الملأ لفرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم قال فرعون
فماذا تأمرون قالوا ارجه قرأ نافع والكسائي ارجه بغير همز وكسر الهاء والاشباع وعاصم وحمزة بغير الهمزة وسكون الهاء
وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ارجئه بالهمز وضم الهاء ابن كثير يشبع الهاء على اصله والباقون لا يشبعون والمعنى ارجه واخاه
اخرهما واصرفهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وارسل في المدائن حاشرين يعني الشرط يحشرون السحرة
كانوا كثيرا في ذلك الزمان … على ان في طباع الخلق معرفة المعارضة وانها اذا امكنت فلا نبوة واذا تعذرت
صحت النبوة يأتوك بكل ساحر قرأ حمزة والكسائي بكل سحار … يحسن لذلك ان يكون الاسم على
في السحر والباقون بكل ساحر وهو مناسب لقوله سحروا اعين الناس وجاء السحرة فرعون … دعا برؤساء السحرة
ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به
وروى انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر قيل
كان يعلمهم مجوسيان من نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا هو على تقدير سائل سال ما قالوا
اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ولهذا لم يقل فقالوا ان لنا لاجرا نافع وابن كثير وحفص عن عاصم ان لنا لاجرا بكسر الالف على الخبر والباقون
على الاستفهام احسن في هذا الموضع لانهم ارادوا ان يعلموا هل لهم اجر ام لا ولا يقطعون على ان لهم الاجر ويقوي ذلك
اجماعهم في سورة الشعراء على الهمز والاستفهام وقيل ان نافعا وابن كثير اذا همزوا … خففا الثانية
باقية في اللفظ … كثير من النحاة الى معناه اثبات الاستفهام …
التقدير اهذا ادرك وقيل اذا السحرة اثبتوا لانفسهم اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال فرعون نعم وانكم
لمن المقربين اي لا اقتصر على الاجر … من المقربين …
على … قوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين
الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين اما ان تلقي للتخيير ادخل ان في ان تلقي لانها في موضع الامر
بالاختيار وهي في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر اما ان تلقي او نلقي يريد اما ان تلقي عصاك …
ان نكون نحن الملقين اي ما معنا من الحبال والعصي … وتخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما
يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع ومن
حسن الادب … واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد
ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر والجام الفصل وقد سوغ لهم موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه …
مبالاة وثقة بما كان بصدده … وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس اي قلبوها عن
صحة ادراكها بسبب … وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى واحتج القائلون بان السحر محض التمويه بهذا لانه لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم
فثبت ان المراد انهم تخيلوا احوالا عجيبة مع ان الامر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه وقيل انهم اتوا بالحبال والعصي
[illegible]

بحيث

بحيث لا يمنع فيه البطلان كما لا يمنع في الواقع انحصر او اتحد وبطل ما كانوا يعملون اي زالت الاعيان التي افكوها
وهي تلك الحبال والعصي فقدت عند ذلك ظهرت الغلبة فلهذا قال تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين الصغار
الذلة هو تبين لانه لا اذل لاصغار افظع في حق المبطلين من ظهور بطلان قوله وحجته على وجه لا يمكن فيه حيلة ولا
اصلاح قوله تعالى والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون والقي السحرة ساجدين
فما ذاك الا انه تعالى يمكن ان فعل العبد مخلوق لله وقيل من شدة ما شهدوا كانما القاهم ملق وقيل لم يتمالكوا
مما رأوا كانهم القوا ثم قالوا آمنا برب العالمين الفائدة فيه مع ان الايمان يجب ان يكون متقدما على
شكر الله على الفوز بالمعرفة والايمان وعلامة على انقلابهم من الكفر الى الايمان واظهار الخضوع والتذلل لله وكانوا
جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الامور الثلاثة على سبيل الجمع وقيل يحتمل انهم كانوا عند السجود قالوا آمنا
برب العالمين قال لهم فرعون اياي تعنون فلما قالوا رب موسى قال فرعون اياي تعنون لاني ربيت موسى فلما قالوا وهارون
زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون وآمنوا باله السماء وقيل انما خصصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة
العالمين تشريفا وتفضيلا كقوله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال قوله تعالى قال فرعون آمنتم به
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلمين قرأ عاصم في رواية حفص آمنتم بهمزة واحدة على لفظ الخبر في تعليم هذا الفعل التشنيع والتوبيخ
لهم وتقريعا وكذلك في طه والشعراء وعاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي اأمنتم بهمزتين في جميعها والباقون بهمزة
واحدة ممدودة في جميعها على الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد لما رأى فرعون ان السحرة اقروا بنبوة موسى
عليه السلام عند اجتماع الخلق العظيم خاف من ان يصير ذلك حجة قوية على صحة نبوة موسى عليه السلام فالقى فرعون في الحال
شبهة وهي قوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة والمعنى انما آمنتم بموسى ليس لقوة الحجة بل لان صنعتكم هذه الحيلة لعلكم
انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا
بني اسرائيل فهذا الكلام من فرعون مموها على الناس لئلا يتبعوا السحرة بالايمان وروي ان موسى عليه السلام قال لكبير السحرة
الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبني سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف
تعلمون وعيد اجماله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا اما من اليد اليمنى والرجل اليسرى
او من اليد اليسرى والرجل اليمنى ثم لاصلبنكم قيل انه اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قال السحرة انا الى ربنا منقلبون اي
انا لا نبالي بالموت الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك وقيل ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع
والصلب وقيل انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا وقيل انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما
تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه ثم حكى الله عن القوم ما لا يمكن ان يقع من المؤمن احسن منه وهو قولهم لفرعون وما تنقم
منا فبينوا ان الذي كان منهم لا يوجب الوعيد ولا ان الاقتصار منهم يقتضي خلاف ذلك وهو ان يأتي منهم في الايمان
بالحق ولا اعتراض على الباطل عند ظهور الحجة والدليل عن ابن عباس … تعذبنا عليه الا ان آمنا بآيات ربنا
قيل فيه … الايمان بآيات … وما تعيب منا الا افضل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان … قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم … ربنا افرغ علينا صبرا … اذ كانه صب … واصله
افراغ الاناء … حتى يفيض علينا … كما يفرغ الماء … عند القطع
والصلب وقيل هب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم ان استقاموا وصبروا كان
ذلك مطهرا لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام والايمان والدين الحق الذي جاء به موسى قوله تعالى وقال الملأ من قوم
فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم
قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين بعد
وقوع هذه الواقعة العظيمة لم يتعرض فرعون لموسى فما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله فقال الملأ من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه قيل ان فرعون كلما رأى موسى عليه السلام خافه اشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا ان القوم لم يعرفوا ذلك
فحملوه على الجزع وحثوه على منعهم ليفسدوا في الارض ليفسدوا على الناس دينهم لانه كانوا اهليه واذا افسدوا اهلهم
اداهم ذلك الى … يسلبوا الملك … ويذرك وآلهتك … وكان ذلك … الى ما دعوا
فسادا … آلهتك فكانه تركهم لذلك وقيل هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم اك
… ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والتقدير اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك وقيل هو منصوب
باضمار ان تقديره اتذر موسى وقومه ليفسدوا وان يذرك وآلهتك قيل ان فرعون كان قد صنع لقومه اصناما وامرهم بعبادتها
تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى قال الامام والذي خطر بالبال
ان فرعون ان قلنا انه كان كامل العقل لم يجز في حكمة الله ارسال الرسول اليه وان كان … لم يجز ان يعتقد في نفسه
كونه خالق السموات والارض ولم يجز من الجمع العظيم من العقلاء ان يعتقدوا فيه ذلك لان فساده معلوم بالضرورة بل
الاقرب ان يقال انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب واما المخدوم في العالم
للخلق ولتلك الطائفة والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم اي مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وقوله

الاصنام

ما علمت لكم من اله غيري اي لا اعلم احدا يجب عليكم عبادته الا اياي واذا كان مذهبه ذلك لم يبعد ان يقال انه كان قد اتخذ
اصناما على صور الكواكب ويعبدها ويتقرب بها الى ما هو دين عبدة الكواكب وعلى هذا التقدير فلا امتناع في حمل قوله تعالى
ويذرك والهتك على ظاهره وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك
وخافوا ان يغلبوا على الملك فالقوم ارادوا بذكر هذا الكلام حمل فرعون على اخذ موسى عليه السلام وحبسه وانزال العذاب به
فعند هذا لم يذكر فرعون ما هو حقيقة الحال وهو كونه خائفا من موسى عليه السلام ولكنه قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
قرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون والتخفيف والباقون بضم النون والتشديد على التكثير في ابناء بني اسرائيل كما كنا نفعل من قبل
انما تمكن موسى من الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وذلك بان نقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وقيل سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا
كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد وانا فوقهم قاهرون والمقصود منه بيان ان موسى
وقومه لا عن عجز وخوف ولو اراد البطش لقدر عليه كما توهم قومه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه وبعدم خوفه
منه قال موسى لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا فسكنهم وسلاهم ووعدهم النصرة عليهم فيذكر
ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم وانما اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها لانها
جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون واللام في الارض للعهد
والمراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض ويحتمل ان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض والعاقبة
للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط قوله تعالى قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون لما سمع قوم موسى ما ذكره فرعون من التهديد
خافوا وقالوا اوذينا من قبل ان تأتينا اي قبل مولدك ومبعثك مستضعفين في يد فرعون وكان يأخذ منهم الجزية ويستعملهم
في الاعمال الشاقة ويؤذيهم ويقتل ابناءهم ويستحيي نساءهم فلما بعث الله موسى وقوي رجاؤهم في زوال ذلك الاذى والمضار
فلما سمعوا ان فرعون هددوا وعد باعادته عليهم بعد ذلك عظم خوفهم وحزنهم فقالوا هذا الكلام قال موسى عسى ربكم ان
يهلك عدوكم قوى موسى قلوبهم بهذا القول فصرح بما رمز اليهم من البشارة قبل وكشف عنه وهو هلاك فرعون واستخلافهم
بعده في ارض مصر فينظر فيرى ما الواقع منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعم وكفرانها فان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم
وانما يجازيهم على ما يقع منهم قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون
لما حكى موسى انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم بدأ في هذه الآية بذكر ما انزله بفرعون وقومه من المحن حالا
بعد حال الى ان انتهى الى الهلاك تنبيها للمكلفين على الاحتراز عن الكفر والتكذيب للرسل خوفا من نزول هذه المحن بهم والسنين
جمع السنة وللسنة معنيان احدهما العام والثاني الجدب وهو خلاف الخصب وههنا اريد به الجدب اي اخذنا
آل فرعون بسني القحط قال صاحب الكشاف والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها
فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا قال ابن عباس اما السنون فكانت لاهل باديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكانت
في امصارهم لعلهم يذكرون ظاهره انه انما انزل عليهم هذه المضار لاجل ان يرجعوا عن طريق التمرد والعناد الى العبودية
والانقياد وذلك لان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة شاهده قوله تعالى واذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها
في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب والخير
والثمار الموسع والرخاء والسعة في الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي مختصة بنا ونحن مستحقوها على العادة
التي جرت من كثرة نعمنا وسعة ارزاقنا ولم يعلموا انه من الله فيشكروه ويقوموا بحق النعمة وان تصبهم سيئة قحط وجدب
ومرض وبلاء يطيروا يتشاءموا والتطير التشاؤم بموسى ومن معه ويقولوا انما اصابنا هذه السيئة بشؤم موسى ومن معه
ولولا مكانهم لما اصابنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك وانما قال فاذا جاءتهم الحسنة
لان جنس الحسنة الواجب لكثرته واتساعه واما قال وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة لان السيئة لا تقع الا في الندرة
ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال
هنا اي سبب شؤمهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة كقوله
قل كل من عند الله فالطائر ههنا الشؤم قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم
المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية
ولا طائر اشأم من هذا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من الله وذلك لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب المحسوسة و
يقطعونها عن قضاء الله وتقديره قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين لما حكى الله عن
قوم فرعون في الآية الاولى انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وتقديره حكى عنهم في هذه الآية
نوعا آخر من انواع الجهالة والضلالة وهو انهم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا مهما ما في مهما هي المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها

ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير
المتجانسين وقيل انه مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به ومحلها الرفع بمعنى ايما شيء تأتنا
او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به من آية تبيين لمهما والضميران في به وبها لمهما ذكر احدهما على اللفظ والثاني
على المعنى لانه في معنى الآية قال صاحب الكشاف وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير
موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب
فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
من آية سموها آية اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء وقال التلهي قال ابن عباس ان القوم قالوا لموسى مهما تأتنا به من
آية فهي عندنا من باب السحر ونحن لا نؤمن لك به وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى له
فارسل الله عليهم الطوفان الدائم ليلا ونهارا من السبت الى السبت والطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل وقيل طغى الماء
فغرق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل
عليهم الماء حتى كانوا في مثل كون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء
الى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف
ودام عليهم سبعة ايام وقيل الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا الطوفان ونحن نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان
فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا كما كانوا فانبت الله لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم ينبته لهم قبل ذلك
واعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا الذي كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فاقاموا شهرا في عافية فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم واوراق الشجر وانواع الزرع حتى انها كانت تأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب
والثياب والامتعة ومسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم وابتلي الجراد بالجوع فجعلت لا تشبع ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وفزعوا الى موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى فكشف الله عنهم بعد سبعة ايام روي ان موسى
برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها وكان قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية
فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة
كبار القردان وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقيل السوس وقيل انه امر موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب اعفر
من قرية بمصر يدعى عين الشمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان اهيل عظيما فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فتتبع ما بقي من حروثهم
واشجارهم ونباتهم ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل احدهم الطعام
فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت
اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فلم يستطيعوا
له حيلة فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب فلا نعود فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء فدعا موسى فرفع الله عنهم القمل
بعدما اقام عليهم من السبت الى السبت فنكثوا وعادوا الى اخبث اعمالهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وقرة فرعون لا نصدقك
ابدا فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم دورهم وامتلأت منها بيوتهم
وافنيتهم وآنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في
الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم وكان احدهم
يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع ان ينصرف الى شقه الآخر ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع اكلته
الى فيه فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ
عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم بعدما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد
وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما
فشكوا الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا
من الماء شيئا الا دما عبيطا وكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي
دما ويستقيان من ماء فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول للجارية الاسرائيلية اجعلي الماء في
فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها
صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الذي سلطه الله عليهم كان الرعاف فاتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك
يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل آيات
على الحال مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم
وقيل مفصلات يتبع بعضها بعضا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين روي ان موسى عليه السلام مكث في فرعون بعدما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون
قيل الرجز الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وقيل الطاعون وهو العذاب السادس بما عهد عندك ما مصدرية والجملة

بعهد ربك وهو النبوة قالنا اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا ربك متوسلا اليه بعهد عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم الرجز فاجاؤا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ● اى لما كشف عنهم العذاب مرة بعد اخرى ولم يمتنعوا عن كفرهم ثم بلغوا الاجل الموقت انتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظمه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اى كان اغراقهم بسبب انهم كذبوا باياتنا وكانوا عن اياتنا غافلين لانهم كانوا لا يعتبرون بالايات التى تنزل عليهم قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ● الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بذبح الابناء واستخدام النساء والسخر والاستعباد ومشارق الارض ومغاربها يعنى مصر والشام التى باركنا فيها بالماء والاشجار والثمار والخصب وسعة الارزاق ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده اياهم بالنصر والتمكين وذلك قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بنى اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم على دينهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولى الصبر ودمرنا اهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وقيل من الثمار والاعناب وقيل يبنون البيوت والقصور والمساكن المشيدة المرفوعة فى السماء كصرح هامان وغيره وكان عنبهم غير معروش وقرا ابن عامر بضم الراء والباقون بالكسر هذا اخر ما اقتص من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بنى اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون واستعباده ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر من طلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصى ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادى الشكور وليسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى من بنى اسرائيل بالمدينة قوله تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ● جاوزنا قطعنا ببنى اسرائيل البحر وهو ... وصام موسى يومئذ شكرا لله فاتوا فمروا على قوم يعكفون يقيمون قرا حمزة والكسائى يعكفون بكسر الكاف والباقون بالضم على اصنام لهم اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها ... كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا اولئك القوم من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قال بنو اسرائيل لما راوا ذلك يا موسى اجعل لنا الها صنما نتخذه الها نعكف عليه كما لهم الهة قال موسى لهم انكم قوم تجهلون عظمة الله ونعمه وحرمته تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ما كان ... بعدها وعن على ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال على رضى الله عنه قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء اى القوم الذين يعكفون على اصنامهم متبر مهلك ومفسد ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اى ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان فى زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا ● قوله تعالى قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ● انه تعالى حكى عن موسى عليه السلام انهم قالوا له اجعل لنا الها كما لهم الهة ذكر فى جوابهم وجوها كثيرة منها حكمه عليهم بالجهل فقال انكم قوم تجهلون ومنها انه قال ان هؤلاء متبر ما هم فيه اى سبب الخسران والهلاك ومنها انه قال وباطل ما كانوا يعملون اى هذا العمل الشاق لا يفيد نفعا فى الدنيا والدين ومنها ما ذكره فى الاية من التعجب منهم على وجه الانكار والتوبيخ فقال اغير الله ابغيكم الها المستحق اطلب لكم معبودا وهو فضلكم دون غيركم على اهل زمانكم وخصكم بالنعم التى لم يعطها احدا غيركم لتختصوا بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين فى نعمة الله عبادة غير الله قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ● اعلم انه تعالى ذكر هذه الاية فى هذا الموضع مع انه ما ذكرها فى سورة البقرة انه تعالى هو الذى انعم عليكم بهذه النعمة العظيمة فكيف يليق بالاشتغال بعبادة غير الله قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ● قرا ابو عمرو ووعدنا والباقون وواعدنا بالالف على المفاعلة بين موسى عليه السلام وبنى اسرائيل وهو ... ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عنده

...

وتحدد تالى نحلة فيه معنى اللام الاختصاص فكانه قيل اختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه من غير واسطة كما يكلم الملك قال الامام دلت الاية على انه تعالى كلم موسى والناس مختلفون فى كلام الله فمنهم من قال كلامه عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة ومنهم من قال كلامه صفة حقيقية مغايرة للحروف والاصوات اما القائلون بالقول الاول فالكرامية والحنابلة اتفقوا على انه يجب كونه حادثا كائنا بعد ان لم يكن وزعم الحشوية ان الكلام المركب من الحروف والاصوات قديم وهذا القول اخس من ان يلتفت اليه العاقل والكرامية مذهبهم انه فى محل تلك الحروف والاصوات الحادثة ذهبت الكرامية الى ان محلها ذات الله وذهبت المعتزلة الى ان محلها جسم بائن لذات الله كالشجرة وغيرها واما القائلون بالقول الثانى وهم ان كلام الله صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات فهم اكثر اهل السنة والجماعة وقالوا تلك الصفة ازلية ثم اختلفوا فى ان الذى سمعه موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا وكما لا يبعد رؤية ذاته مع ان ذاته ليس جسما ولا عرضا لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون حرفا ولا صوتا وقال ابو منصور الماتريدى الذى سمعه موسى عليه السلام اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة فاما الصفة الازلية التى ليست بحرف ولا صوت فذلك لم يسمعه موسى عليه السلام هذا تفصيل مذاهب الناس فى سماع كلام الله والاولى ان تعتقد ان موسى عليه السلام سمع كلام الله وتسكت عن الكلام فى كيفية سماعه واختلفوا فى انه تعالى كلمه وحده او كلمه مع اقوام اخرين فظاهر الاية يدل على الاول وقيل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله لان الغرض باختيارهم ان يخبروا قوم موسى عليه السلام بما يجرى هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام وكيف ما كان فسماع موسى على هذا الوجه معجزة وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام فلا بد من ظهوره منه لغيره ... روى ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه فى الاربعين قال رب قال المفسرون ان موسى عليه السلام لما طهر ثيابه ... اتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وادناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى كلامه فاشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال له رب ارنى انظر اليك قال ابن عباس اعطنى انظر اليك فقال الله عز وجل لن ترانى وليس لبشر ان يطيق النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات قال موسى الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الى من ان اعيش ولا اراك فقال الله انظر الى الجبل وهو اعظم جبل بمدين يقال له زبير فلما سمعت الجبال ان الله تعالى يريد ان يتجلى لجبل تعاظمت رجاء ان يتجلى لها وجعل زبير يتواضع من بينهن فلما راى الله تواضعه رفعه من بينها وخصه بالتجلى وتمسكت ... بهذه الاية وقد استوفى البحث فيها فى سورة البقرة فلا حاجة الى تكرار ما قيل ومعنى الاية لن ترانى فى الدنيا وترانى فى العقبى قوله ارنى انظر اليك لا يقع على الاخرة لان موسى لم يقل ارنى انظر اليك فى الاخرة انما سال الرؤية فى الدنيا فاجيب بما سال فلا حجة فيه لمن ينكر الرؤية وقيل معنى قوله لن ترانى لا تقدر ان ترانى وقيل معناه لن ترانى بعين فانية وانما ترانى بعين باقية وقيل لن ترانى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وامته وقيل لن ترانى بالسؤال والدعاء وانما ترانى بالنوال والعطاء لانه تعالى لو اعطاها اياه بسؤاله لكانت الرؤية مكافاة السؤال ولا يجوز ان يكون فعله مكافاة فعل عبده وقيل معناه بالعين التى رايت بها عدوك وذلك ان الشيطان تراءى له ووسوس فقال الله يا موسى اما تعلم ان رؤية الحبيب والعدو لا يجتمعان فى حال واحد ومكان واحد وزمان واحد وقيل لو كان سؤال موسى عليه السلام الرؤية ممتنعا لما اقدم عليه نبى الله موسى مع علمه ومعرفته بالله كما لم يجز ان يسال لنفسه صاحبة ولا ولدا قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ... وذلك انما يصح فيما كان فى جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون فى جهة ومنع المجبرة احالته فى العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارنى انظر اليك فان قلت فهلا قيل ارهم ينظرون اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم

يسمعون فلما سمعوا الكلام قالوا رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية
على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله
وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم وقوله ارني انظر
اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب
الجمل ان يجعل الله تعالى منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطا وعمرو بن عبيد
والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين وانما قلت ان هذه الاية دالة على جواز رؤية الله تعالى من وجوه منها ان موسى عليه
السلام سال الرؤية ولا شك ان موسى عليه السلام كان عالما بما يجب ويجوز ويمتنع على الله فلو كانت الرؤية على الله تعالى
ممتنعة لما سالها والمعتزلة قالوا في ذلك اقوالا اربعة احدها ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وفيه الجهل بهذا المعنى قد يكون
عارفا بربه وبعدله وتوحيده فلا امتناع في توقف العلم بامتناع على السمع وهذا القول في غاية السقوط وبيانه
من وجهين الاول ان العقلاء اجمعوا على ان موسى كان اعلم بالله وبما يجوز عليه وبما لا يجوز عليه من اداني المعتزلة والمعتزلة
مع بلادتهم وغباوتهم عالمون بامتناع الرؤية على الله فهو اقل معرفة بالله من كل واحد من المعتزلة فذلك باطل بالاجماع والثاني
ان المعتزلة يدعون العلم الضروري بانه من شانه ان يكون جسما او عرضا قائما به فاما ان يقال ان موسى عليه السلام حصل
له هذا العلم او لا والاول يستلزم تجويزه ان يكون جسما او عرضا قائما به وتجويز هذا كفر عند المعتزلة فيلزمهم تجويز
كفره ولا يجوز ذلك عاقل والثاني يلزم ان لا يكون موسى عالما بجميع العلوم الضرورية فيلزم الحكم بانه عليه السلام ما كان كامل العقل
بل كان مجنونا وذلك كفر بالاجماع وثاني الاقوال انه عليه السلام انما سال الرؤية لقومه لا لنفسه وهذا ايضا ساقط وبيانه
من وجهين الاول انه لو كان كذلك لقال ارهم ينظروا اليك ولقال تعالى لن يروني والثاني انه لو كان كذلك لنهاهم عنه كما انهم
لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة منعهم عنه بقوله انكم قوم تجهلون وكان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اقامة الدلائل
القاطعة على انه تعالى لا يجوز رؤيته وان يمنع قومه بالدلائل القطعية عن هذا السؤال وايضا فاولئك الطالبون للرؤية
اذا كانوا آمنوا بنبوة موسى كان كفاهم في المنع عن هذا السؤال الذي ذكره موسى وان لم يؤمنوا بنبوته فلا فائدة في هذا
الجواب لانهم يقولون لا نسلم ان الله تعالى منع من الرؤية بل هذا قول افتريته وثالث الاقوال ان موسى عليه السلام سال الرؤية
المعرفة الضرورية ومنهم من يقول سال له اظهار الآيات الباهرة لتنقطع عنه دواعي الخواطر والوساوس عن معرفته وهو
باطل وبيان بطلانه من وجوه الاول انه تعالى اراه من الآيات الالهية ما يعجز عنها كالعصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم واظلال الجبال فلا يصح بعدها طلب آية قاهرة والثاني انه عليه السلام كان يتكلم معه بلا واسطة
فكيف يليق به ان يقول اظهر لي آية تدل على انك موجود والثالث انه لو كان المطلوب آية تدل على وجوده لاعطاه سائر
الآيات وكان لا معنى لمنعه من ذلك ورابع الاقوال المقصود من هذا السؤال ان يذكر تعالى من الدلائل السمعية ما يدل على
امتناع رؤيته حتى يتاكد الدليل العقلي بالسمعي وهو بعيد لانه لو كان المراد ذلك لكان الواجب ان يقول [illegible]
رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في العقل وحيث لم يقل ذلك بل طلب الرؤية علم ان هذه الاقوال باطلة ومن الوجوه المستنبطة
من هذه الاية الدالة على انه تعالى جائز الرؤية قوله تعالى لن تراني لانه لو كانت الرؤية ممتنعة لقال لا ارى الا ترى انه لو كان في يد رجل
حجر فقال له انسان ناولني هذا لآكله فانه يقول له هذا لا يؤكل ولا يقول له لا تاكل ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال له لا تاكل
اي هذا مما يؤكل ولكنك لا تاكله فلما قال لن تراني ولم يقل لا ارى علمنا ان هذا يدل على انه تعالى جائز الرؤية ومن الوجوه المستنبطة
من هذه الاية انه تعالى علق رؤيته على امر جائز فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قلنا انه تعالى علق رؤيته على امر جائز لانه
تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل بدليل قوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل امر جائز الوجود في نفسه
واعلم ان استدلال المعتزلة على امتناع الرؤية واعتراضاتهم على القول بصحة الرؤية والجواب عنها قد ذكر في سورة البقرة
والانعام مع علم فساد ما قاله صاحب الكشاف فلا نحتاج الى ذكرها هنا ولنرجع الى تفسير الاية قوله ارني مفعوله محذوف اي
ارني نفسك انظر اليك قال الامام وفي لفظ الاية سؤالات الاول النظر اما ان يكون عبارة عن الرؤية او عن مقدمتها
وهو تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته وعلى التقدير الاول يكون المعنى ارني حتى اراك وهذا فاسد وعلى التقدير
الثاني يكون المعنى ارني حتى اقلب الحدقة الى جانبك وهذا فاسد لوجهين احدهما انه يقتضي اثبات الجهة لله والثاني
ان تقليب الحدقة الى جهة المرئي مقدمة الرؤية فجعله كالنتيجة عن الرؤية فاسد والجواب ان قوله ارني معناه اجعلني متمكنا
من الرؤية حتى انظر اليك واراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله انظر
اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة للرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف
اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب المقصود منه تعظيم امر الرؤية وان احدا لا يقوى
على رؤية الله الا اذا قواه بمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي والرؤية للجبل اندك وتفرق فهذا ايضا هذا الوجه
يدل على تعظيم امر الرؤية فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر وبان من قولهم جلوت العروس اذا ابرزتها وجلوت المرآة والسيف اذا
ازلت ما عليه من الصدأ وقوله جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك
والشق وخر موسى صعقا وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من
صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه كالميت روي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه
بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وهذا يدل على ان طلب الرؤية من عنده لا من عند قومه

ايضا

ايضا على ان الرؤية جائزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك تنزيها لك عما يقول الظالمون علوا كبيرا تبت اليك
من سؤال الرؤية بغير اذنك وفي الدنيا وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا من بعض المحققين تبت اليك من الانبساط
في شيء لا تحتمله بنيتي وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا لاني [illegible] قوله تعالى قال يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ● لما طلب موسى الرؤية ومنعه الله عدد عليه
وجوه نعمه العظيمة التي له عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا
وكذا فلا يضيقن صدرك بمنع الرؤية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والمقصود تسلية
موسى عن منع الرؤية والاصطفاء استخلاص الصفوة اي اتخذتك صفوة على الناس اي اخترتك على اهل زمانك [illegible]
عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبتكليمي اياك قرا ابن كثير ونافع برسالتي على الواحد والباقون على الجمع فخذ ما آتيتك
اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم ولا يضيق قلبك بسبب منع الرؤية
قوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها
ساريكم دار الفاسقين ● لما بين انه اصطفى موسى بالرسالة ذكر في هذه الاية تفصيل تلك الرسالة روي ان موسى خر صعقا
يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر قيل ان الالواح عشرة وقيل سبعة وقيل لوحين وقيل انها من زمرد خضراء وقيل من ياقوت حمراء وقيل
امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه من كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم
من المواعظ وتفصيل الاحكام من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه ولما بين فوائد الالواح
فخذها بقوة اي فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها للالواح ولكل شيء
لانه في معنى الاشياء ومعنى بقوة بجد وعزيمة قوية ونية صادقة فعل اولي العزم من الرسل ثم امر قومه بان ياخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا انفسهم على الاخذ بما هو ادخل في الحسن
واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح وقيل ياخذوا
بما هو اولى به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين قيل المراد التهديد والوعيد على مخالفة
امر الله وهو دار الفاسقين هي جهنم اي فليكن ذكر جهنم حاضرا في خاطركم لتحذروا ان تكونوا من اهلها وقيل دار فرعون وقومه
وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود
والقرون الذين اهلكهم لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل سادخلكم الشام واريكم منازل الكفار الذين كانوا
متوطنين فيها من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها وما صاروا اليه من النكال وقيل المراد البشارة والوعد بانه تعالى سيورثهم
ارض عدوهم وديارهم قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا
بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين ● ذكر في الاية المتقدمة ساريكم دار الفاسقين وذكر في هذه الاية ما يفعله بهم وقيل حكم الاية لاهل مصر
خاصة وقيل في قوله آياتي الآيات التي اعطاها الله موسى وقيل هي عامة من الدلائل من خلق السموات والارض وما فيهما من
والقمر والنجوم والنبات وغيرها اصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقيل امنع قلوبهم عن التفكر في امري وقيل اصرفهم
عن فهم القرآن [illegible] ابى الله ان يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ساصرفهم عنها بمنع الطعن فيها
[illegible] باهلاكهم [illegible] الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا امثالهم
فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وقيل صلة لفعل التكبر
اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وقيل اظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق فان للمحق ان يتكبر على المبطل وفي الكلام
المشهور التكبر على المتكبر صدقة وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها والضمير المرفوع في يروا عائد الى الذين يتكبرون
وان يروا سبيل الرشد قرا حمزة والكسائي بفتح الراء والشين [illegible] والباقون بضم الراء وسكون الشين
قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا اي صلاحا وسبيل الرشد سبيل الهدى والدين الحق والصواب في العلم والعمل
لا يتخذوه سبيلا اي لا يرضوه ويعرضوا عنه وان يروا سبيل الغي الذي هو ضد الرشد يتخذوه سبيلا يختارونه لانفسهم
في دينهم ذلك في محل الرفع على انه مبتدأ او في محل النصب على انه مفعول مطلق اي ذلك الصرف [illegible]
بسبب تكذيبهم وكونهم غافلين قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون ● لما بين ما لاجله صرف المتكبرين عن الآيات بقوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين بين حال [illegible]
المكذبين فقد يجوز ان تظن انهم يختلفون في باب العقاب لان فيهم من يعمل اعمال البر [illegible]
او متواضعا او كان كثير الاحسان او قليل الاحسان او عديم الاحسان حاله واحد ولقاء الآخرة يحتمل ان يكون من اضافة
المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في
الآخرة [illegible] قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم
عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ● [illegible]
من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكان بنو اسرائيل في القبط بمنزلة اهل الجزية في الاسلام وكان لهم يوم عيد
يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا حلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر واغرق فرعون بقيت تلك الحلي في

ايديهم كما اتخذ السامري منها عجلا جسدا ولد البقرة مجسدا لا روح فيه له صوت البقرة خار خورة واحدة ثم لم يعد وقرأ حمزة
والكسائي حليهم بكسر الحاء وتشديد الياء والباقون بضم الحاء فانما قال واتخذ قوم موسى والمتخذ هو السامري لانه رضوا
منهم باشره ووجد فيما بين ظهرهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد منهم ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه
راضين به فكانهم اجتمعوا عليه وقيل معناه واتخذ قوم موسى عجلا جسدا له خوار الها وعبدوه الم يروا اي الذين اتخذوا
العجل الها حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل
ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال
اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم وكذا
[illegible] قوله تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ●
اي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها لان فاه قد وقع فيها او سقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقيل سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم
وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل
في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم تبينا كأنهم رأوه باعينهم ثم بين الله انهم عند ظهور هذا الندم
وحصول العلم بان الذي عملوه كان باطلا اظهروا الانقطاع الى الله فقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
هذا كلام من عرف تعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم عليه والحاصل انه هذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء وان لم تغفر لنا وترحمنا
قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ
برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين
قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ● قيل سمع خبرهم قبل البلوغ اليهم فان الاية تدل على
ان حاله كان ذا رجعا كان غضبان اسفا وهو انما كان ذا رجعا الى قومه قبل وصوله فدل هذا على انه كان قبل وصوله عالما بهم
عالما بهذا الحال وقد ذكر الله في سورة طه انه اخبره بوقوع تلك الواقعة في الميقات وقيل عند هجومه عليهم عرف ذلك
والاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين
قال موسى بئسما خلفتموني اي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب لا يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم
العجل مكان عبادة الله على التقدير الاول وحيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم وقوله من بعدي اي من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء
عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين
قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم
خلف اي من بعدها ولك الموصوف بالصفات الحميدة اعجلتم يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله
عنه غيره ويضمن معنى سبق فعدي تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما
وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وعن
ابن عباس اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وعن الحسن وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا ان الثلاثين
تمام الوعد فقال اعجلتم سخط ربكم وعن الكلبي اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وكان السامري قال لهم حين
اخرج لهم العجل وقال لهم هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وكنا نعتد عشرين يوما بلياليها فجعلوا اربعين
ثم اخلفوا ما اخلفوا والقى الالواح التي فيها التوراة لما كانت تلك الالواح من اعظم معجزاته ثم انه القاها دل ذلك على شدة الغضب
وفرط الدهشة والضجر عند استماعه حديث العجل وهذا الغضب لله وكان موسى في نفسه حديدا شديد الغضب وكان
هارون الين منه جانبا قيل ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى واخذ برأس اخيه اي بشعر راسه بذوائبه وبلحيته لما وجد
عليه من الامر كذا استقره ودهش بغيظه وظنا انه فرط في الكف قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بكسر الميم
وفي طه ايضا على تقدير ابن امي فحذف الياء وبقي الكسرة على الميم لتدل على الاضافة والباقون بفتح الميم في السورتين تشبيها
بخمسة عشر وقيل يجعل حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة واصله يا ابن اما وقيل كان هارون اخا موسى لابيه وامه وانما اضاف
الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها
ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم عبدة العجل استضعفوني يعني انه لم يقصر في كفهم
بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبقوا الا ان يقتلوه فلا تشمت
فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي ولا تجعلني في موجدتك وعقوبتك لي قرينا وصاحبا للقوم الظالمين
اي عبدة العجل وقيل ولا تعتقد انني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم ولما اعتذر هرون الى موسى وذكر له شماتة الاعداء
قال موسى رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر
لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا تتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا
والاخرة قوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين
عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ● المقصود من هذه الاية بيان ان عبدة العجل

ان الذين

ان الذين اتخذوا العجل الماشين المرغب هم ما امروا به من قتل انفسهم وقيل سينالهم في الآخرة غضب وهم بنو قريظة والنضير
من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به وكذلك نجزي المفترين الكاذبين
على الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا به وصدقوه
بانه لا اله غيره ان ربك من بعد السيئات لغفور لستور عليهم محاء لسيئاتهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل
تحته متخذوا العجل وغيرهم من الكافرين عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت
فان عفوه وكرمه اجل واعظم ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة من الكفر يدل على ذلك قوله وآمنوا
ولا يلتفت الى تاويل صاحب الكشاف حيث قال خلصوا الايمان الى قوله فمازال به طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حامل
قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ● لما بين
شدة الغضب بين في هذه الاية ما كان منه عند سكون الغضب ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب واصل السكوت الكف
ومنه لما سكت عن الكلام وقيل هذا استعارة كان هذا الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق
الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم
وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح بعد ما القاها وذهب ستة اسباعها
وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة [illegible] وفيما بقي ولم يذهب من الحدود والاحكام
عن ابن عباس صام موسى اربعين يوما فلما القى الالواح فتكسرت صام مثلها فردت عليه في لوحين مكانها ليكسر هدى من
الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يخشون فيعملون بها دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل
من مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ● الاختيار اخذ خير وخيار
قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقول الفرزدق ● ومنا الذي اختير الرجال سماحة ● وجودا اذا هب الرياح الزعازع
اي من الرجال قيل امر الله موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل وعدهم موعدا فاختار
موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فانك
قد كلمته فارناه فاخذتهم الرجفة فماتوا وقيل ليتوبوا اليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم وقيل اختار
لتمام الموعد وقيل قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ان طائفة يزعمون ان الله لا يكلمك ولو كلمك ما نفهم كلامه فاختر طائفة
منا يسألوا النظر فاتوا فلا دنا سأله ان يحضر طائفة منا حتى يكلمك فيسمعوا كلامه فيؤمنوا وتذهب التهمة فاوحى الله اليه
ان اختر من قومك سبعين رجلا فارتقى بهم الى الجبل انت وهارون واستخلف على بني اسرائيل يوشع بن نون ففعل كما امره الله
واختار سبعين رجلا وقيل كان السبعون ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك ان ابن عشرين قد ذهب
جهله وصباه وان من لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيئا وقيل كانوا شيوخا وقيل اختار موسى سبعين رجلا
معه الى الجبل فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختار فاصبحوا شيوخا واختار من
كل سبط ستة رهط فصاروا اثنين وسبعين فقال لهم موسى انما امرت بسبعين رجلا فيتخلف منكم رجلان فتشاحوا
على ذلك فقال ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد رجلان احدهما كالب والاخر يوشع وامر موسى السبعين ان يصوموا ويتطهروا
ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امر ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام
وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ انكشف الغمام عن موسى فاقبل اليهم فقالوا
يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وعن ابن عباس ان السبعين الذين قالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله موسى عليه
السلام ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه
احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وعن علي رضي الله عنه انما اخذتهم الرجفة
من اجل دعواهم على موسى قتل هارون وذلك ان موسى وهارون وشبرا وشبيرا انطلقوا الى سفح جبل فقام هارون على سرير
فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له اين هارون قال توفاه الله قالوا انت قتلته
حسدا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا وذهب بهم موسى فلما انتهوا الى القبر قال
يا هارون اقتلت ام مت فقال هارون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا يا موسى لن نعصي بعد اليوم فاخذتهم الرجفة
فصعقوا فماتوا فقال موسى يا رب ما اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم يقولون قتلتهم فاحياهم وجعلهم انبياء
كلهم وعن ابن عباس انما اخذتهم الرجفة لانهم لم يرضوا ولم ينهوا عن عبادة العجل وقيل اخذتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا قومهم
حين عبدوا العجل ولم يامروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر وقيل لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم
الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادوا ان تبين منهم مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم
الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم
تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله تعالى قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا

بما فعل السفهاء منا او عبدنا العجل وظن موسى انهم عوقبوا باتخاذ بني اسرائيل العجل اتهلكنا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا
وقد علم موسى ان الله اعدل من ان يؤاخذ بجريرة الجاني غيره ولكنه كقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ان هي الا فتنتك
وابتلاؤك تضل بها من تشاء اي لا تجد بهذا الامتحان الى الجنة والثواب بشرط ان لا يؤمن اذا من لا يبصر عليه وقيل
بالاضلال الاهلاك والمعنى تهلك من تشاء بهذه الرجفة وتصرفها عمن تشاء وقيل لما كان هذا الامتحان كالسبب في
هداية من اهتدى وضلال من ضل جاز ان يضافا اليه ويجوز ان ينتقل المعنى ان تلك الفتنة التي وقع السفهاء لم تكن الا
فتنتك اضللت بها قوما فافتتنوا وعصمت قوما عنها فثبتوا على الحق ثم اكد بيان ان الكل من الله فقال تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء انت ولينا لا ناصر ولا هادي الا انت فاغفر لنا اي فادا مقدم على قوله ان هي الا فتنتك جرأة عظيمة فطلب
من الله غفرانها والتجاوز عنها وانت خير الغافرين معناه ان كل ما سواك انما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او الثواب
الجزيل او دفعا للرقة عن القلب وبالجملة فذلك الغفران يكون لطلب نفع او لدفع ضرر واما انت فتغفر الذنوب لا
لطلب عوض وغرض بل بمحض الفضل والكرم فوجب القطع بكونه خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون هذا من بقية دعاء موسى عليه السلام عند مشاهدة الرجفة فانه لما قال
انه لا ولي الا الله وهو قوله انت ولينا وان المتوقع من المولى دفع الضرر وتحصيل النفع فبدا بطلب دفع الضرر فقال
فاغفر لنا وارحمنا لان دفع الضرر مقدم ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع فقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة وتوفيقا
في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اي انه لما قرر انه تعالى ولينا المعنى ثانيا ان يطلب العبد دفع المضار وتحصيل المنافع لتظهر
اثار كرمه والهيبة واستعمال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول اولا وهو
كونه تعالى وليا له ثم فرع عليه طلب هذه الاشياء ثم ذكر بعده السبب الثاني وهو استعمال العبد بالتوبة والخضوع فقال انا هدنا
اليك اي تبنا والهود التوبة وانما ذكر هذا السبب ايضا لان السبب الذي يقتضي حسن طلب هذه الاشياء ليس الا مجموع هذين
الامرين كونه تعالى ولينا وكوننا عبيدا له تائبين خاضعين خاشعين فالاول يشهد بعزة الربوبية والثاني يشهد بذلة العبودية
فاذا حصلا واجتمعا فلا سبيل عن حيثما قال عذابي اصيب به من اشاء وليس لاحد ان يعترض علي ورحمتي قيل رحمته في الدنيا
عم الكل واما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين والى هذه الاشارة بقوله فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير فلا موجود الا وقد
وصل اليه رحمته واقل المراتب وجوده وقيل الخير مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض وما بالذات راجح غالب وما بالعرض
مرجوح مغلوب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله للرحمة واللذة والخير لانه ان كان منتفعا او
من لا انتفاع فهو رحمة الله من جهات كثيرة وان حصل هناك الم فله الاعواض الكثيرة وهي من نعمة الله ورحمته فلهذا السبب
قال ورحمتي وسعت كل شيء وقال اصحابنا ورحمتي وسعت كل شيء من العام الذي اريد به الخاص كقوله واوتيت من كل شيء
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون واعلم ان التكاليف منحصرة في التروك والافعال وهي اما
المالية واما البدنية فقوله يتقون اشارة الى الاول وهي التروك والاتقاء عما نهى الله عنه والثاني الزكاة والى هذه الاشارة بقوله
ويؤتون الزكاة والثالث يدخل فيه ما يجب على الانسان علما وهو المعرفة الحاصلة بالقلب وعملا وهو الاقرار باللسان والعمل
بالاركان فيدخل فيه الصلاة والى هذا المجموع اشارة بقوله والذين هم بآياتنا يؤمنون قوله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك
هم المفلحون ● لما بين ان من تركيب له الرحمة في الدنيا والآخرة التقوى وايتاء الزكوة والايمان بالآيات ضم الى ذلك ان يكون
من صفته اتباع النبي الامي الرسول الذي يوحى اليه الكتاب مختصا به وهو القرآن صاحب المعجزات الامي الذي هو على صفة امة
العرب [illegible] انا امة امية لا نكتب ولا نحسب [illegible] كانوا يكتبون وما كانوا يقرؤون والنبي عليه السلام كان كذلك
فلهذا السبب وصفه بكونه اميا وكونه اميا بهذا التفسير من جملة معجزاته [illegible] والذين يتبعون من بني اسرائيل
[illegible] مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف [illegible] مكتوبا عندهم في
التورية انه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم ثقله الذي
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته [illegible] الاغلال
في شرائعهم من الاشياء الشاقة كوجوب القصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح
وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة ولما
وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات قال تعالى فالذين آمنوا به اي اليهود وعزروه وعظموه حتى لا يقوى عليه عدو
واصل العزر المنع ومنه التعزير [illegible] واتبعوا النور الذي انزل معه اي انزل
مع نبوته [illegible] القرآن [illegible] واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل
بالامر به [illegible] واتبعوا القرآن كما اتبعوا صاحبه [illegible] اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة

قل يا ايها

قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ●
[illegible]
من معجزاته صلى الله عليه وسلم [illegible]
وجلاد اميا لم يتعلم من استاذ ولم يطالع كتابا ولم يتفق له مجالسة احد من العلماء لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة غيبة طويلة يمكن ان يقال انه في تلك الغيبة تعلم العلوم الكثيرة ثم انه مع ذلك
فتح الله عليه باب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن المشتمل على علوم الاولين والآخرين وان كان الظهور هذه العلوم العظيمة
عليه مع انه كان رجلا اميا لم يلق استاذا ولم يطالع كتابا من اعظم المعجزات والى هذه الاشارة بقوله النبي الامي والثاني
من معجزاته الامور التي ظهرت عليه مع انه كان رجلا اميا لم يلق استاذا او لم يطالع كتابا من اعظم المعجزات مثل انشقاق القمر و
الماء من بين اصابعه وهو يسمى بكلمات الله لان عيسى عليه السلام لما كان نحو ذلك خارقا للعادة سماه الله كلمة فكذلك
المعجزات لما كانت امورا خارقة للعادة لم يبعد تسميتها بكلمات الله والى هذا الاشارة بقوله يؤمن بالله وكلماته اي يؤمن
بالله وبجميع المعجزات التي اظهرها الله عليه فهذا الطريق اقام الدليل على كونه نبيا صادقا من عند الله ولما ثبت بالدلائل
التي قررت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يذكر عقيبه الطريق الذي يمكن به معرفة شرعه على التفصيل ومالا
الا بالرجوع الى اقواله وافعاله والى هذه الاشارة بقوله واتبعوه وهذا يدل على انه يجب الانقياد له في كل ما امر ونهى ويجب
الاقتداء به في كل ما فعل الا ما خصه الدليل فان الاتباع يتناول الاتباع في القول والفعل اما القول فهو ان يمتثل المكلف
كل ما يقول له في طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب والاتباع في الفعل هو الاتيان بمثل ما اتى به المتبع على الوجه الذي
به لعلكم تهتدون ● قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما وصف الرسول وذكر انه يجب على
الخلق اتباعه ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى الى الدين وهم الموصوفون التابعون من بني اسرائيل الذين [illegible]
في الدين وتابوا حتى اقدموا على عبادة العجل ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وقيل اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن
به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا
سألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم
هنا الحنفاء المسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم
فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك
منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلاة والسلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت قوله
تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● المقصود من هذه الآية ذكر نوعين من احوال بني اسرائيل احدهما
انه كما جعلهم اثني عشر سبطا وقد تقدم هذا في سورة البقرة والمقصود انه تعالى فرق بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة لانهم
كانوا من اثني عشر من اولاد يعقوب فميزهم وفعل بهم ذلك لئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج فقوله وقطعناهم
قطعناهم فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة فوضع اسباطا
موضع قبيلة لكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة امما بدل من اثنتي عشرة اي وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة
وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وثانيهما قوله واوحينا الى موسى اذ استسقاه
وقد تقدم ذكره في سورة البقرة فانبجست فانفجرت يقال انبجس الماء فانبجس انفجر والانبجاس والانفجار
هو الانفتاح بسعة وكثرة قوله كل اناس يعني كل اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم اثنتي عشرة وظللنا عليهم الغمام
وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا واشربوا اي وقلنا كلوا واشربوا مما ظلمونا فيه حذف لان قوله الكلام انما يحسن
لو انهم تعدوا لما امرهم الله به وذلك بان تعالى لما قدم الى الاكل في وقت [illegible] انا الله منعهم منه

انه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار الى يوم القيمة تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على
الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وتاذن بمعنى اذن اجلم ولفظ تفعل ههنا ليس معناها انه يظهر شيئا ليس فيه بل معناه
فعل فقوله تاذن بمعنى اذن كما ان قوله تعالى عما يشركون معناه علا وارتفع لا بمعنى انه يظهر من نفسه العلو وان لم يحصل ذلك فيه
ليبعثن الامر فيه جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم في كونه جازما بذلك الخبر والمعنى اذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها
عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
انه لسريع العقاب المراد التحذير من عقابه في الاخرة مع الذلة في الدنيا وانه لغفور لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في الايمان
بالله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون • وقطعناهم تماما يدل على ان الذي تقدم من قوله ليبعثن عليهم جملة اليهود ومعنى
قطعناهم فرقناهم تفريقا شديدا فلذلك قال بعده في الارض وظاهر ذلك انه لا يكاد يخلو بلد من فرقة اليهود منهم الصالحون الذين
امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين وقيل المراد القوم الذين كانوا في زمن موسى لانه كان فيهم امة يهدون بالحق ومنهم من
دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة وقيل ومنهم قوم دون ذلك من يكون صالحا الا ان صلاحه كان دون
صلاح الاولين لان دونا الى الظاهر اقرب قوله تعالى بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بذلك من ثبت على اليهودية وخرج
من الصلاح ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة الموصوف محذوف اي ومنهم قوم او ناس منحطون عن الصلاح [illegible] الا انه
معلوم وبلوناهم بالحسنات والسيئات وعاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات بالنعم والسيئات بالنقم النعم لاجل الترغيب
والنقم لاجل الترهيب لعلهم يرجعون كي يتوبوا وقيل لعلهم ينتبهون فينيبون قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا
يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
انا لا نضيع اجر المصلحين • اي فخلف من بعد المذكورين الذين قطعناهم وقيل من بعد الصالحين المذكورين خلف نقيض قدم
[illegible] قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب • والخلف الردي من الفعل وقوله خلف هم الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم
ولا يعملون بها ياخذون متاع هذا الشيء الادنى يعني حطام الدنيا وما يتمتع به منها وقوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى
اما من الدنو بمعنى القرب واما من دنو الحال وسقوطها وتقليلها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وتبديل كتاب الله
وتغيير صفة رسول الله ويقولون سيغفر لنا ذنوبنا ما عملناه بالليل يمحاه عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يمحاه عنا بالليل يتمنون
على الله الاباطيل والمفعول الذي اقيم مقام الفاعل لنا وقيل المصدر الذي هو الاخذ وان ياتهم الواو للحال عن سعيد بن جبير انهم
[illegible] ما اشرف لهم اليوم من شيء من الدنيا حلالا كان او حراما يشتهونه اخذوه وكلما وصف لهم شيء من الدنيا
اكلوه ولا يبالون حراما كان او حلالا ويتمنون المغفرة فان يجدوا الغد مثله ياخذوه وعن السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون
قاضيا الا ارتشى في الحكم وان خيارهم اجتمعوا فاخذ بعضهم على بعض العهود ان لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم اذا استقضي ارتشى
فيقال له ما لك ترتشي في الحكم فيقول سيغفر لي فيطعن عليه البقية من بني اسرائيل فاذا مات او نزع جعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي
يقول وان يات الاخرين عرض مثله ياخذوه وقيل معناه وان يات يهود يثرب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرض من الدنيا مثله ياخذوه كما اخذ اسلافهم وقيل معناه يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين
وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له وهذا القيد اعتنى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب في التورية ان لا يقولوا
على الله الا الحق وقيل المراد منعهم عن تحريفهم الكتاب وتغيير الشرائع لاجل اخذ الرشوة قال صاحب الكشاف ومعناه في التورية من

ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما ذكر كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا
نهيا كأنه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه عطف على قوله الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل اخذ عليهم
ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقيل في محل الجر عطفا على
قوله للذين يتقون وقوله انا لا نضيع اعتراض وقع تأكيدا لما قبله والتمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة
الصلاة وانما افردها اظهارا لمرتبتها لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم
كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ● نتقنا قلعنا ورفعنا فوقهم الطور قال الجار
كما نتق الزبدة وقيل قطعنا وقيل زعزعنا وقيل علقنا وقيل اصل النتق والنتوق انقلاع الشيء من موضعه فيرمى به والظلة
كل ما اظلك من سقف بيت او سحابة او جناح حائط وهذه القصة مذكورة في سورة البقرة وظنوا انه واقع بهم قيل علموا وايقنوا انه
ساقط عليهم ان لم يؤمنوا وقيل قوي في نفوسهم انه واقع بهم ان خالفوا روي انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها
فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا
الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد
الا على حاجبه الايسر ويقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة فلما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق على وجه
الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا على ارادة القول
اي وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه
من الاوامر والنواهي ولا تنسوه واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم
تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة
الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا
بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ● لما ذكر قصة موسى عليه السلام على اقصى الوجوه ذكر في هذه الآية
ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين قال المفسرون لما خلق الله آدم عليه السلام مسح على ظهره واخرج منه ذريته كلهم
كهيئة الذر واختلف في موضع الميثاق فقال ابن عباس ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وروي عنه ايضا ان ذلك برهنا ارض الهند
وهو الموضع الذي اهبط الله آدم من الجنة بعد ما هبطه من السماء ثم مسح ظهره فاخرج ذريته قال فاخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية
بيضاء وقال السدي اخرج [illegible] مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي واخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء فقال
لهم ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة وروى مسلم بن يسار
الجهني ان عمر رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية
فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على
عمل من اعمال اهل النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى
القيامة وقيل قال الله لهم جميعا اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا وانا مرسل اليكم رسلا يذكرونكم
عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبي فتكلموا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاقروا كلهم يومئذ طائفة
طائعين وطائفة على وجه التقية فاخذ بذلك مواثيقهم وكتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى منهم
الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بينهم فقال اني احببت ان اشكر فلما رأى فيهم الانبياء
يومئذ مثل السرج ورأى آدم عليه السلام نورا ساطعا فقال من هذا فقيل هذا داود من ذريتك قال كم عمره قال ستون سنة
قال رب زده قال الذي جرى القلم به كلما جاء قال رب زده من عمري اربعين سنة فاثبت له اربعون وكان عمر
آدم الف سنة فلما استكمل تسعمائة وستين سنة جاءه ملك الموت فلما رآه آدم قال له ما لك قال قد استوفيت اجلك
قال آدم بقي من عمري اربعون سنة قال اليس قد وهبتها لابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته
ثم رجع ملك الموت الى ربه فقال ان آدم يدعي ان بقي من عمره اربعين سنة فقال اخبر آدم انه جعلها لابنه داود والاقلام رطبة
واثبت لداود فلما اقروا بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فذلك قوله عز وجل واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ولم يذكر ظهر آدم وانما
اخرجوا يوم الميثاق من ظهره لان الله اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء فاستغنى عن ذكر ظهر
آدم لقوله من بني آدم فلما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره ترك ذكر ظهره هذا ما ذكره المفسرون وقد اطبق
المعتزلة على انه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجوا على بطلانه بان هذا التفسير مبني على مقدمات فاسدة
ماخذها [illegible] من نزغات شيطانية لا يلتفت اليها الا من فهمه سقيم وفكره غير مستقيم فان كل ذرة من ذرات المخلوقات
فيها اسرار عجيبة ولطائف دقيقة لا يعرفها الا الراسخون في العلم قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم والنحو بان يجعل الله تعالى الامثال الذر فهما يعقل به كما قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله من ظهورهم

بدل من

وقال الثعلبي [illegible] وقال السدي اخرج الله آدم من الجنة

قال الامام

ظهر آدم

بدل من بني آدم بدل البعض من الكل وقيل اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم [illegible]

[illegible]

عن جمعه توسعة على البشر فانه يقع على الواحد كقوله ما هذا بشر وعلى الجمع كقوله ابشر يهدوننا وقوله ان انتم الا بشر مثلنا وكما
لا يجمع بشر بتصحيح ولا تكسير كذلك لا يجمع الذرية ومن جمع قال ان الذرية وان كان واحدا فلا اشكال في جواز الجمع
وان كان جمعا فجمعه ايضا حسن لانك تجد ايات الجموع المكسرة قد جمعت نحو الطرقات والجدرات قوله واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى على قول من اثبت الميثاق الاول يحمل ما ذكر على ظاهره وعلى قول من انكره يحمل على التمثيل والمعنى انه تعالى نصب
الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى
فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على
انفسنا واقررنا بوحدانيتك وقيل قوله شهدنا من كلام الملائكة لانهم لما قالوا بلى قال الله للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا
فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله بلى لان كلام الذرية قد انقطع ههنا وقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
تقديره ان الملائكة قالوا شهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا ما اقررنا فاسقط كلمة لا كما قال تعالى وفي الارض رواسي ان تميد
بكم اي لئلا تميد بكم هذا قول الكوفيين وعند البصريين تقديره شهدنا كراهة ان تقولوا وقيل قوله شهدنا من بقية كلام الذرية
وقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين متعلق بما قبله وهو قوله واشهدهم فلم يحسن قطعه عنه قال صاحب الكشاف
ان تقولوا مفعول له او فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد
وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة
التوحيد منصوبة لهم وقيل المعنى ان المقصود من هذا الاشهاد ان لا يقول الكفار انما اشركنا لان آباءنا اشركوا فقلدناهم
في ذلك الشرك فكان الذنب لآبائنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو المراد من قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل انه تعالى
لما اخذ عليهم الميثاق امتنع عليهم التمسك بهذا العذر قال صاحب الكشاف فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف
اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم
المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود
الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها هي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة
منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا
السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات
لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقيل والمعنى اي ومثل ما فصلنا وبينا في هذه الآية نبين سائر الآيات
ليتدبروها فيرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل وهو المراد من قوله لعلهم يرجعون وقيل يرجعون الى ما اخذ عليهم
من الميثاق في التوحيد قرأ ابو عمرو وحده ان يقولوا بالياء لان الذي تقدم من الكلام على الغيبة وهو قوله من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا والباقون بالتاء لانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم
قال ابن عطية ليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظ وتواترت الاحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم من
طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما ان الله عز وجل لما خلق آدم وفي بعض الروايات لما اهبط آدم الى الارض
وفي بعضها بارض الهند قاله ابن عباس وفي بعضها ان ذلك بنعمان وهي عرفة وما يليها قاله ايضا ابن عباس وغيره مسح على
ظهره وفي بعض الروايات ضرب منكبه فاستخرج منها اي من المسحة او الضربة نسم بنيه ففي بعض الروايات كالذر وفي
بعضها كالخردل وقال ابن كعب انها الارواح جعلت لها مثال وروى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذ

نهى والتي عطفت عليها

ذكره

من ظهورهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس وجعل الله لهم عقولاً كنملة سليمان وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله غيره فأقروا بذلك
التزموا وأعلمهم أنه سيبعث إليهم الرسل مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض قال أبي بن كعب وأشهد عليهم السموات السبع
فليس من أحد يولد إلى يوم القيمة إلا وقد أخذ عليه العهد في ذلك اليوم وفي المقام قال السدي أعطى الكفار العهد يومئذ كارهين
على وجه التقية فهذه جملة مجموع الروايات المطولة وكان ألفاظ هذه الأحاديث وقد أكثر الناس في وجه الجمع بينهما
فقال المعتزلة إن الآية مشيرة إلى هذا التناسل الذي في الدنيا وأخذ عليهم أو حجة على العهود وإذا الإشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو
قد أعطى الفهم ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع ونحا إلى هذا المعنى الزجاج وهو معنى تحتمله الألفاظ لكن يرد عليه
تفسير عمر بن الخطاب وابن عباس الآية بالحديث المذكور وروايتهما ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وطول الجرجاني في الآية
الكلام ومداره على أن المسح والإخراج هو من ظهر آدم بحسب الحديث وفي الآية من ظهورهم إذ الإخراج من ظهر آدم الذي هو الأصل
إخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع إذ الفرع والأصل شيء واحد إلى كلام كثير وقال غيره إن جميع ما في الحديث من مسح يمينه وضرب
منكبه ونحو هذا إنما هي عبارة عن إيجاد تلك النسم منه واليمين عبارة عن إيجاد تلك النسم عنه واليمين عبارة عن القدرة أو
يكون الماسح ملكاً بأمر الله فتضمن الحديث هذه القصة وإيجاد النسم من آدم وهذه زيادة على ما في الآية ثم تضمنت الآية سلخ العهد
من أخذ العهد حضور موجودين وهي تحتمل معنيين أحدهما أن يكون أخذ عاماً أو عهداً وتقديره بعد قوله ذرياتهم ويكون
قوله من ظهورهم بياناً لجنس النسم إذ المراد من الجميع التناسل وتشركه في لفظ بني آدم بنو لصلبه وبنو بالجد والشفقة
فيكون قوله ذرياتهم بدلاً من بني آدم والمعنى الآخر لما كانت نسمة هذا المنسية الذي هي من ظهرها كان تعين ذلك النسبة
كأنه أخذ من الظهر إذ يخرج منه في المستأنف وادعى بهذه النسبة وعرفونها فذلك أخذوا أخذاً على هذا الأمثل في ذرياتهم
وليس فيه مسح ولا وجه بل قد تقدم إيجادهم كما تقدم الحديث المذكور في الحديث بل يعني على الآية وهو ذكر آدم وأول إيجاد النسم
كيف كان وقيل التوفيق بين الآية والحديث أن يقال إن المراد من بني آدم في الآية آدم وأولاده فكأنه صار اسماً للنوع كالإنسان
والبشر والمراد من الإخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الأصل عن ذكر الفرع
وقيل ظاهر ألفاظ الآية من قوله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم دافعة لظاهر حديث عمر لكن لما كان المعلوم المقرر في بداية
العقول أن بني آدم من ظهر آدم فيكون كل ما أخرج من ظهور بني آدم فيما لا يزال إلى يوم القيمة هم الذين قد أخرجهم الله في الأزل عن
صلب آدم وأخذ منه الميثاق الأول وهو المقالي الأزلي كما أخذ منهم فيما لا يزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي
الأزلي والحاصل أن الله تعالى لما كانت له ميثاقان مع بني آدم أحدهما يهتدى إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على الاعتراف
الحالي وثانيهما المقالي الذي لا يهتدى إليه العقل بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الأزل إلى الأبد كالأنبياء عليهم
السلام أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلم الأمة ويخبرهم أن وراء الميثاق الذي يهتدون إليه بعقولكم ميثاقاً آخر أزلياً
فقال ما قال من مسح ظهر آدم في الأزل وإخراج الذرية وأخذ الميثاق الآخر قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن
تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ أي قص واسرد
عليهم والضمير في عليهم عائد إلى الحاضرين من محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار وغيرهم واختلف المتأولون في الذي أوتي الآيات
فقيل هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعياً إلى الله تعالى وإلى الشريعة وعلمه من آيات الله ما يمكن أن يدعو
به وإليه فلما وصل رشاه الملك وأعطاه على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل وفتن الملك به الناس وأضلهم
وقيل هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعام بن باعورا وقيل هو ابن دابر وقيل غير هذا مما ذكره تطويل لا فائدة فيه وكان قصته
على ما ذكره ابن عباس وابن إسحق والسدي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى
قوم بلعم وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها
بني إسرائيل وإنا قومك وبنو عمك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم
نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وأخراي
فما زالوا به وراجعوه في ذلك فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فوامر في الدعاء عليهم
فقيل له لا تدع عليهم فقال لهم إني وامرت ربي عز وجل في الدعاء عليهم وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها ثم راجعوه وقالوا
له ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فوامر فلم يجر إليه شيء فقال قد وامرت ربي فلم يجر إلي شيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم
لنهاك كما نهاك المرة الأولى فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً على بني إسرائيل يقال له
حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها
حتى إذا أذلقها أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم
فلا تدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حسبان جعل يدعو عليهم فلا يدعو عليهم
بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه إلى بني إسرائيل فقال له قومه هل تدري يا بلعم
ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا أملك هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم
قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن
السلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة منهن نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنا رجل منهم كفيتموهم
ففعلوا فلما دخلت النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن

شلوم

شلوم بن سبط شمعون بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل حتى وقف بها على
موسى عليه السلام فقال إني أظنك ستقول هذه حرام عليك قال أجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله لا نطيعك في هذا
ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن
هرون صاحب أمر موسى رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائباً حين صنع زمري ما صنع فجاء والطاعون
يحوس في بني إسرائيل وأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته
ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وجعل يقول اللهم
هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك في الطاعون من بني إسرائيل فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى
أن قتله فنحاص فوجد قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص
من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحيته
والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر العيزار بن هرون وفي بلعم نزل ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه﴾ وقيل كان
مجاب الدعوة وعنده اسم الله الأعظم فطلب منه أن يدعو على موسى فامتنع فما زالوا يطلبونه حتى دعا على موسى فاستجيب له
ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه فقال يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال
بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه اسم الله الأعظم والإيمان فسلخه الله
مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله تعالى فانسلخ منها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله
مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم حسده ثم مات كافراً ولم يؤمن
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه ومن شعره كشعر المؤمنين
إذ يمجد الله في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السموات والأرض وأحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في أبي
عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية فلما جاء الإسلام خرج إلى الشام
وأمر المنافقين باتخاذ مسجد ضرار واستنجد قيصر على النبي صلى الله عليه وسلم فمات هنالك طريداً وحيداً وقيل نزلت في
منافقي أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة أنه قال هذا في كل من أراد أنه ليست بخاصة وعن قتادة
هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه
تفعل وتركه على ما هو عليه فانسلخ منها وهذا باطل لا يمنع عن مجاهدته ما لا الله أعلم حيث يجعل رسالاته فإنه تعالى
لا يشرف عبداً من عباده بالرسالة إلا إذا علم امتيازه عن سائر العبيد بمزيد الشرف والكرامات والدرجات العالية والمناقب
السنية فمن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر ومعنى آتيناه قيل اسم الله الأعظم وقيل لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه
أو كتاباً من كتب الله عز وجل وقيل علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عالماً بها فانسلخ منها أي خرج منها كما تنسلخ
الحية من جلدها بمعنى خرج من محبة الله إلى معصيته ومن رحمة الله إلى سخطه وقال الكلبي فارق شيئاً بالكلية انسلخ منه
وقيل آتيناه آياتنا معناه بيناها فلم يقبل وعري منها فأتبعه الشيطان لحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له
الإنس أي الشيطان جعله كقائد لا يتبع ما يأمر به فكان من الغاوين أي فصار من الضالين الكافرين
بيان أنه رجع من الهدى فانسلخ منه إلى الضلال والغواية والعمى يميل إلى الدنيا حتى تلاعب به الشيطان كان منتهاه إلى البوار
والردى وخاب في الآخرة والأولى فذكر الله قصته ليحذر الناس من مثل حاله قوله ولو شئنا أي لو شئنا لرفعناه منزلته
بالآيات فضلناه وشرفناه وقيل لرفعناه بعمله بها وقيل لرفعنا عنه الكفر بالآيات وعصمناه ولم يذكر على أن الشيء إذا
ومنه الذي يدل على أنه تعالى قد لا يريد الإيمان وقد يريد الكفر وقالت المعتزلة لفظ الآية يحتمل وجوهاً أخرى سوى هذا الوجه
فالأول قال الجبائي ولو شئنا لرفعناه بإماتته قبل أن يعصي ونزل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى يسلم له الرفعة لكنا
عرضناه لزيادة التكليف بمعنى لفوائده فأبى ونحيته على الإيمان الثاني لو شئنا لرفعناه بأن نحول بينه وبين الكفر قهراً
وجبراً إلا أن ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وللقائل أن يقول حمل الرفعة على الإحياء والإماتة تعين أنه
إذا منعه منه قهراً لم يكن ذلك موجباً للتوبة والرفعة ولكنه أخلد إلى الأرض فركن إلى الأرض ومال وسكن وقيل رضي الدنيا
وقيل لزمها وأبطأ بها والمخلد من الرجال هو الذي يبطئ بمشيته ومن الدواب التي تبقى ثناياها حتى تخرج رباعيتاه قال الزجاج
خلد وأخلد أصله من الخلود وهو الدوام والبقاء فقال أخلد فلان بالمكان إذا أقام به وقيل مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل
إلى السفالة وقيل عبر عن الأرض في هذه الآية بالدنيا وذلك لأن الدنيا هي الأرض لأن ما فيها من العقار والضياع كلها أرض وسائر
أمتعتها من المعادن والنبات والحيوان تستخرج من الأرض وإنما تقوى وتكمل بها فالدنيا كلها هي الأرض فصلح أن يعبر عن الدنيا
بالأرض قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل
بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة
له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي
هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام محمولاً على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا
لم نشأ وللقائل أن يقول لما علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله لأن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وفعله لا يستحق
به الرفع والحاصل أنه إنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله المقتضي

لبعده وان عدمه دليل عدمها ولا دلالة لانتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من
الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك ونحن ... ولكنه اعرض عنها واوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ان ما حمله عليه هو هواه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فيكون قوله ولو
شئنا لرفعناه مجرى على ظاهره وقوله ولكنه اخلد محمولا على التأويل على عكس ما فعله صاحب الكشاف واعلم انه تعالى لما قال الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها ... ايتاء الايات تعقبها هو نفس الانسلاخ توهم منه انه مستقل في ايجاد الفعل فقيل
دفعا للتوهم ولو شئنا انه بعد بالايات الى المراتب العالية لفعلنا فلا تحصل منه الانسلاخ فوضع موضعه اخلد الى الارض
ليطابق الرفعة ... صاحب الكشاف ولكنه اخلد الى الارض فحططناه على عكس هذا التعبير لتحتمل مشيئة الله تابعة
لفعل العبد ... اخلد الى التلفيق ... وان كان الكلام محمولا على ظاهره ... ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا
لم نشأ ... لما ... الى الارض هذا ... الايات تابعا للمشيئة
كما هو الحق ... الكلام على طبعه واتبع هواه معناه اعرض عن التمسك بما آتاه من الايات واتبع الهوى ووقع في هاوية الردى وقيل
واتبع سافل الامور ... [illegible] ... ادار الدنيا وامام شيطانه فمثله كمثل
الكلب ... الكلب ... الكلب
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... الكلب ... اخرج اللسان ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
بالدعوات المستجابة لما اتبع الهوى انسلخ من الدين ... [illegible] ...
فاذا اعرض عن متابعة الحق ... [illegible] ...
الاتعاظ ... الحالة الشيطانية ... الكلب ... [illegible] ...
... ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... الكلب ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
الاحوال ... [illegible] ...
... [illegible] ... **قوله تعالى**
ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون ● لما قال ... ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
انفسهم بالظلم ... **قوله تعالى** من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ● ...
... المذكور ... الهداية والضلال من الله ...
فان من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ... الامام ... المعتزلة ...
وجوها منها ان المراد من يهدي ... الى الجنة والثواب في الآخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك طريقة الرشد ...
... الى الثواب في الآخرة ... ومن يضلل عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون ومنها ان في الآية حذفا
والتقدير من يهده الله فقبل ... فهو المهتدي ومن يضلل ... فهو الخاسر ومنها ان المراد من وصفه الله
بكونه مهتديا فهو المهتدي ... المدح ... الوصف الممدوح ومن وصفه
بكونه ضالا فاولئك هم الخاسرون ومنها ان يكون المراد من يهده ... الالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلل عن ذلك
بسوء اختياره ... الالطاف ... فاولئك هم الخاسرون واعلم انه قد ثبت بالدلائل القاطعة
والبراهين الساطعة ان الهداية والاضلال من الله تعالى فلا يجوز صرف الظاهر الموافق للحق اللائح والصدق الواضح الى التأويل
الباطل المخالف للحق وحمل من يهده الله على الهداية الى الجنة والثواب في الآخرة والمهتدي على السالك طريقة الرشد فيما كلف
في الدنيا ... بلاغة التركيب لان البلاغة تستدعي رجوع الهداية والاهتداء الى شيء واحد ليكون النظم حسنا وفي التأويل
اضمار ... الظاهر ... التعادي للنفي ... وجميع كلام الله ...

القائل فلان هدى الله لا يعني انه وصفه بكونه مهتديا وقياس هذا على قوله فلان ضلل فلانا وكفره قياس في اللغة وهو مردود
وكل ما في معتمد ... من الالطاف ... عند المعتزلة ... جميع الكفار ... **قوله تعالى** ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون ● ذرأ معناه خلق ... وانما قال ذلك ... بانهم يصيرون اليها
بكفرهم ... وقيل هذه اللام لام العاقبة ... ليكون لهم عدوا وحزنا **وانشد**
امو ... للذو ... ● ... ● ... ● ...
... قال ابن عطية وليس هذا بصحيح ولام العاقبة انما يتصور اذا كان
... [illegible] ... سعيد بن جبير انه
قال ... عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ... ان الله تعالى لما ذرأ لجهنم ما ذرأ
كان ولد الزنا ... لجهنم ... الكثير من الجن والانس الذين ذرأهم لجهنم ... لا يفقهون بها
لا يفهمون بها ... لا يبصرون بها طريق الهدى وسبيل الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها ...
... [illegible] ...
... حتى يواري جارتي الستر ● واصم ...
... قول الشاعر ... ● ...
لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوا من الآيات والمواعظ استوجبوا الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون
اولئك اشارة الى ما تقدم ذكره ... كالانعام في عدم الفقه والنظر ... بل هم اضل من الانعام لان الانعام
لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل ... الفضائل العظيمة مع القدرة
كانت اضل ... الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع وقيل لان الانعام تعرف منافعها
ومضارها ... وهؤلاء لا يعلمون ...
ولا يعتدون ... وقيل لان الانعام ... وهؤلاء ...
... وقيل لان الانعام تضل اذا لم يكن معها مرشد فاما اذا كان معها مرشد ... وهؤلاء ... الانبياء
وانزل عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلال ... اولئك هم الغافلون ... الانعام ...
الكاملون في الغفلة قال الامام هذه الآية هي الحجة القاطعة في هذا الموضع على صحة مذهبنا في مسألة
خلق الاعمال وارادة الكائنات ... الصريح ... كثيرا من الجن والانس ...
... [illegible] ... اهل النار ...
... [illegible] ... قال صاحب الكشاف ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...
اقول صاحب الكشاف ... خلقوا للنار ... الآية والاحاديث الواردة في الباب روى احمد بن حنبل
في مسنده عن عبد الرحمن بن قتادة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم ثم اخذ الخلق من ظهره
فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فقال القائل فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر وروى مسلم واحمد
والترمذي وابو داود ... التفسير ...
... ولقد ذرأنا ... الفرقة الضالة ... قوله لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ... ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ...
... [illegible] ...
... [illegible] ... ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ...
لهم ... قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ... القسمة ...
... [illegible] ...
... السماء والارض ... **قوله تعالى**
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ● لما وصف الله المخلوقين لجهنم
بقوله اولئك هم الغافلون امر بذكر الله تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها تنبيها على ان الموجب لدخول جهنم
هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص عن عذاب جهنم هو ذكر الله ... اصحاب الذوق والمشاهدة ...
فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على الدنيا وشهواتها وقع في نار الحرص ...
وطلب ... واذا انفتح على قلبه باب ذكر الله ... معرفة رب ...

قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون الاية
على ما ذكر ان ابا جهل سمع بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في صلوته ويدعو الرحمن فقال اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون
ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله ولله الاسماء الحسنى الاية والاسماء هنا بمعنى التسميات اجماعا من المتاولين
لا يمكن غيره والحسنى مصدر وصف به ويجوز ان يكون الحسنى تانيث الاحسن كالكبرى والصغرى فافرد وصف الجمع لانه
وحسن الاسماء انما تتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف الى ذلك انها اذا تضمنت معانيا
شريفة من تقديس وغير ذلك فادعوه بها فاستعملوا تلك الاسماء واعلم انا ذكرنا في المقدمات مباحث الاسماء وتقسيماتها
ولنذكر هنا ما يليق بهذا المقام فنقول الاسماء اما ان يمتنع اطلاقها على غيره
تعالى او لا يمتنع والاول كقولنا الرحيم الكريم العزيز اللطيف الكبير فان هذه الاسماء يجوز اطلاقها على العباد وان كان معناها
في حق الله تعالى معانيا لا يليق ما في حق العباد والثاني كقولنا الله ومن اسمائه ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا رحيم
يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كالمميت والضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع
والاول ما يعلم من صفاته تعالى كونه محدثا مبدعا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها لانا انما نعلم وجوده تعالى بواسطة الا
ستدلال بوجود المحدثات عليه فاذا دل الدليل على ان هذا العالم المحسوس ممكن الوجود والعدم لذاته قضى العقل بافتقاره
الى مرجح يرجح وجوده على عدمه وذلك المرجح ليس الا الله تعالى فثبت ان اول ما يعلم منه تعالى هو كونه مرجحا ومؤثرا ثم نقول ذلك المرجح
اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لدام العالم بدوامه وذلك باطل فبقي انه انما يرجح
على سبيل الصحة وكونه مرجحا على سبيل الصحة ليس الا كونه قادرا فثبت ان المعلوم منه تعالى بعد العلم بكونه مرجحا هو كونه
قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله متقنة محكمة على كونه عالما ثم انا اذا علمنا كونه تعالى عالما قادرا وعلمنا ان العالم
والقادر يمتنع ان لا يكون حيا علمنا من كونه قادرا عالما كونه حيا فظهر بهذا انه ليس العلم بها علوم مرتبة يستفاد بعضها
من بعض وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى ليست الا هو والبرهان العقلي قد دل على صحة هذا المعنى لان الموجود اما واجب
لذاته او ممكن لذاته والواجب لذاته ليس الا الواحد وهو الله تعالى واما ما سوى ذلك الواحد فهو ممكن لذاته وكل ممكن
لذاته محتاج في وجوده وصفاته الى الواجب لذاته فالله كامل بذاته وكمال كل ما سواه بجوده تعالى واحسانه فالكمال له لذاته
ولغيره على سبيل العارية فثبت ان الاسماء الحسنى ليست الا لله وان كل ما سواه فهو غرق في بحر الفنا وواقع في حضيض النقصان
ودلت هذه الاية على ان اسماء الله يجب كونها موصوفة بالحسنى والكمال فهذا يفيد ان كل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال
وجلال لا يجوز اطلاقه على الله تعالى قال الامام قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يدل على ان الانسان لا يدعو ربه الا بتلك
الاسماء الحسنى وهذا الدعو لا يتاتى الا اذا عرف معاني تلك الاسماء وعرف بالدليل ان له الها وربا موصوفا بتلك الصفات
الشريفة المقدسة فاذا عرف ذلك بالدليل فحينئذ يحسن ان يدعو ربه بتلك الاسماء والصفات ثم ان لتلك الدعوة
شروط كثيرة مذكورة بالاستقصاء في كتب اهل المعاني وينبغي ان يكون مستحضرا الامرين احدهما عزة الربوبية والثاني ذلة
العبودية وحينئذ يحسن ذلك الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر فاما اذا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة قوله وذروا
الذين يلحدون في اسمائه قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء ووافقه عاصم والكسائي في النحل والباقون بضم الياء
وكسر الحاء في الاعراف والنحل والسجدة والالحاد لغة الميل عن القصد والملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال
الحد في الدين ولحد ويقال الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر والالحاد
في اسماء الله المقدسة الطاهرة على طريقة مثل ان الكفار يسمون الاوثان الهة ومن ذلك انهم كانوا يسمون مسيلمة الكذاب
بالرحمن والثاني ان يسمى الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه ابا المسيح ومثل اطلاق المجسمة الجسم على الله تعالى
قال الامام ومثل ان المعتزلة قد يقولون في اثنا كلامهم لو فعل كذا وكذا لكان سفيها مستحقا الذم وهذه الالفاظ مشتملة على
سوء الادب قال اصحابنا وليس كل ما صح معناه جاز اطلاق لفظه في حق الله فانه ثبت بالدلائل انه تعالى هو الخالق لجميع افعال
الاجسام ثم لا يجوز ان يقال يا خالق الديدان والقرود والعذرات بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذه الاذكار وان يقال يا خالق
الارض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات الى غيرها من الاذكار الجميلة الشريفة والثالث ان يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف
معناه ولا يتصوره ومسماه فانه ربما كان مسماه امرا غير لائق بجلال الله تعالى فهذه الاقسام الثلثة هي الالحاد في الاسماء وادرج
الاصل في الاطلاق لفظ ما على الله تعالى لا بد من حيث اطلاق سائر الالفاظ المشتقة عليه فان لفظ علم ورد في حق الله
تعالى في ايات منها قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها وعلمك ما لم تكن تعلم وعلمناه من لدنا علما وفيها الرحمن علم القران ولا يجوز
ان يقال في حقه يا معلم وايضا ورد قوله تعالى يحبهم ويحبونه ولا يجوز ان يقال في حق الله تعالى يا محب وكذا ورد في حق الله
تعالى الفاظ ولا يجوز اطلاق مشتقاتها عليه تعالى وكذا ورد في حق الانبياء الفاظ ولا يجوز اطلاق
مشتقاتها عليهم فانه ورد في حق ادم وعصى ادم ربه فغوى ولا يجوز ان يقال انه كان عاصيا وغاويا والضابط ان هذه الالفاظ
الموهمة يجب الاقتصار فيها على الوارد فاما التوسع فيها باطلاق الالفاظ المشتقة منها فلا يجوز قال صاحب الكشاف وذروا
الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا
يجوز عليه كما سمعنا البدويين يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه
الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى
ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون

في اوصافه فيصفونه بمشية القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها ويتعين تجنب
التفسير بمعنى قوله يلحدون في اسمائه على الاول الالحاد في التسمية ان يقال يا ابا المكارم ونحوه وان يخص الله دون ذكر
وعلى الثاني الالحاد في الوصف وهو ما ذكر من المعاني التي دلت على مذهبه تحكما وتقابلا ثم نقول هذا الذي ذكره من الحاد
اهل العدل على مذهبه يحكي قلبه وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز
ومن المنان يعاقبهم على الالحاد فيها بقوله سيجزون ما كانوا يعملون واكده بالسين قوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون ● لما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقين للنار اتبعه بقوله وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون فلما اعاد الله تعالى هذا الكلام ههنا حمله اكثر المفسرين على ان المراد منه امة محمد صلى الله عليه وسلم
قال هذه لكم وقد اعطي قوم موسى مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال ان من امتي قوما على الحق
حتى ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم اي المهاجرين والانصار ومن الكتابيين الذين
امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين وقيل كل من هو من اولاد ادم عليه السلام والى قيام الساعة فلا تخلو الدنيا
في وقت من الاوقات من داع يدعو الى الحق قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم
ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون ● لما ذكر الله حال الامة الهادية العادلة اعاد ذكر
المكذبين بايات الله وما عليهم من التغليظ وهذا يتناول جميع المكذبين وعن ابن عباس المراد اهل مكة والاستدراج استفعال
من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال قال الاعشى: فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه ومعنى سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك لانهم كلما اتوا بجرم او اقدموا
على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب النعمة والخير في الدنيا فيزدادوا بطرا وانهماكا في الفساد وتماديا في الغي ويتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم ياخذهم الله دفعة واحدة على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل سناخذهم بالعذاب وقيل
نزين لهم اعمالهم فنهلكهم وقيل نستطيل اعمارهم في اعتداد امرهم وقيل الاستدراج ان ياتيهم من حيث لا يعلمون وقيل الاستدراج
ان يتدرج الى الشيء في خفية قليلا قليلا فلا يباغت ولا يجاهر ومنه درج الشيخ والصبي ليلة واخذ
ويقال استدرج فلان حتى يعرف ما صنع اي لا يهاجم ولا يلح عليه بالسؤال ولكن استخرج ما عنده قليلا قليلا واملي لهم
اي امهلهم واطيل لهم المدة والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة نقيض الاعجال والملي زمان طويل من الدهر ومنه قوله
تعالى واهجرني مليا ونحن نطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة على المعصية ليقلعوا عنها بالتوبة
والانابة واملي عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين اي اخذي قوي شديد سماه كيدا من حيث
انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان والاستدراج والاملاء والكيد المتين يدل على انه تعالى اراد بالعبد ما يسوقه
الى الكفر والبعد عن الله والجبائي قال المراد انه تعالى سنستدرجهم الى العقوبة حتى يقعوا فيها من حيث لا يعلمون استدرجا
لهم الى ذلك حتى يقعوا فيه بغتة وقد يجوز ان يكون هذا العذاب في الدنيا كالقتل والاستيصال ويجوز ان يكون عذاب الاخرة
ومعنى املي لهم ابقيهم في الدنيا مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة لانهم لا يفوتوني ولا يعجزوني وهذا هو معنى قوله
ان كيدي متين لان كيده هو عذابه وسماه كيدا لنزوله بالعباد من حيث لا يشعرون والجواب انه تعالى قال والذين كذبوا باياتنا
سنستدرجهم معناه ما ذكرنا انهم كلما ازدادوا تماديا في الذنب والكفر زادهم الله نعمة وخيرا ولئن سلم ان المراد منه الاستدراج
الى العقاب الا ان هذا ايضا يبطل القول بانه تعالى ما اراد بعبده الا الخير والصلاح لانه تعالى لما علم ان هذا الاستدراج
والاملاء مما يزيد به عتوا وكفرا وفسادا واستحقاقا للعقاب الشديد فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك
الزيادات من العقوبة وكان يجب في حكمته ورعايته للصلاح ان لا يخلقه ابتداء صونا له عن هذا العقاب او ان خلقه كان يميته
قبل ان يصير في حد التكليف او لا يخلقه في الدنيا والقاه في ورطة التكليف وما اطال عمره ومكنه من المعاصي علما بان ذلك
لا يفيده الا مزيد الكفر والعتو واستحقاق العقاب قال الامام وانا شديد التعجب من هؤلاء المعتزلة فانهم يرون القران كالبحر
الذي لا ساحل له مملوا من هذه الايات مع الدلائل العقلية القاهرة القاطعة مطابقة ثم انهم يكتفون في تاويلات هذه الاية
بهذه الوجوه الضعيفة والكلمات الواهية الا ان على ان ما اراد الله كائن يبين هذا التعجب اولم يتفكروا انه تعالى بالغ في تهديد
المعرضين عن ايات الله الغافلين عن التامل في دلائله وبيناته فرطا دالا على الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا امرا بالفكر والتامل
والتدبر والروية فالفعل محذوف والمعنى انهم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة من جنون وهو ما له من الجنون كالجلسة
ويدخل من يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو قريشا فخذا
فخذا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الاية وحثهم على
التفكر في امر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه انما دعا الى الله لا الى ما نسبته اليه الجهال وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان
يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي فيتغير لونه ويصفر وجهه ويعرض له حال تشبه الغشي فالجهال كانوا يقولون انه
جنون فقال الله تعالى مبينا انه ليس به جنة لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى الله ويقيم الدلائل القاطعة الباهرة
والبينات الساطعة القاهرة بالفاظ فصيحة بليغة بلغت في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضتها
وكان حسن الخلق طيب العشرة مرضي الطريقة نقي السيرة صفي السريرة مواظبا على اعمال صالحة صارت بسببها قدوة للعقلاء العالمين

ولا يخفى ان مثل هذا الانسان ما به من جنة فثبت ان اصراره على الدعوة الى الدين كان لانه نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب
الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على تقرير دلائل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
واعلم ان دلائل ملكوت السموات والارض على وجود الصانع ووحدانيته في القرآن الكريم كثيرة وما خلق الله من شيء تنبيه على
ان الدلائل على التوحيد غير مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات العالم برهان باهر قاطع ودليل قاهر ساطع على التوحيد
ولما كان ملكوت السموات والارض مما لا يدرك بالحواس الظاهرة بل بالبصيرة الباطنة قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
فان النظر بالبصر الى البصيرة [illegible] قال الله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله قال الشاعر وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد
وكتاب الله مملوء من الاسرار الشريفة والدقائق اللطيفة [illegible] ردفه بما يقتضي الترغيب في التفكر والنظر فقال وان عسى ان يكون
من الغفلة والاهمال وانه عسى ان الضمير ضمير الشان [illegible] اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم لعلهم
يموتون عما قريب فيهلكوا على الكفر ويصيروا الى النار واذا كان هذا الاحتمال قائما وجب عليهم ان يسارعوا الى التفكر وطلب
الحق سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم قبل اتيان الاجل وحلول العقاب ويحتمل ان يراد باقتراب الاجل
اقتراب الساعة ولما ذكر الله تعالى هذه البينات الجلية والدلائل العقلية قال فبأي حديث متعلق بقوله عسى كأنه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ● ثم بين العلة في اعراضهم عن القرآن وتركهم
الايمان فقال من يضلل الله فلا هادي له هذا شرط وجوابه فلا هادي له تنبيه على اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا
قد نزل بهم [illegible] قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع [illegible]
وكذلك عاصم في رواية ابي بكر على الاستئناف وروى حفص عنه بالياء والرفع وكذا ابو عمرو والمعنى اسم الله وحمزة والكسائي
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم قال ابو علي ومثله في الحمل قوله تعالى لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين لانك لو لم تلحق الفاء لقلت اصدق ● قوله تعالى يسألونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك
حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● وجه الاتصال انه تعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة والقضاء و
اتبعه بالكلام في المعاد لان المطالب الكلية في القرآن هذه الاربعة وقيل انه لما قال في الآية المتقدمة وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم بعثهم بذلك على المبادرة الى التوبة والاصلاح قال بعده يسألونك عن الساعة ليتحقق في القلوب ان وقت الساعة مكتوم
عن الخلق فيصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الواجبات قال ابن عباس ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا
متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم وكان ذلك امتحانا مع علمهم ان الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان بيننا
وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة والساعة من الاسماء الغالبة للقيمة كالنجم للثريا سميت القيمة بها لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان بمعنى متى ومنه قول الراجز ايان تقضي حاجتي ايانا
اما ترى لنجحها اوانا ومعناه الاستفهام عن الوقت الذي يجيء وهو سؤال عن الزمان وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه
لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آوٍ الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان
مرساها اي ارساؤها اي اثباتها واقرارها يقال رسا يرسو اذا ثبت وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به السفينة ترسو رسوا ورسوا اذا وقفت على البحر والمرساة التي ترسى بها السفينة
[illegible] ولا اثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله الساعة قل يا محمد انما
علم الساعة اي علم وقت ارسائها عند ربي استأثر بعلمها فلا يعلمها الا هو لم يخبر بها احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكاد
يخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال صاحب الكشاف كاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل
الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها تأكيد لهذا الخفاء لا يكشفها ولا يظهرها لوقتها الا هو قال صاحب الكشاف
لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه
لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض وصف الساعة بالثقل ونظيره قوله ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا وايضا وصف الله تعالى زلزلة الساعة بالعظم فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم ووصف عذابها بالشدة
فقال [illegible] وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال الحسن ثقل مجيئها على السموات والارض لانه عند مجيئها انشقت السموات
وتكور الشمس والقمر وانتثرت النجوم وثقلت على الارض لاجل ان في ذلك اليوم تبدل الارض غير الارض وتبطل الجبال والبحار
وقيل ان الساعة ثقلت عند اهل السموات والارض لان فيها فناءهم وهلاكهم وذلك يثقل على القلوب لان الخلق يعلمون ان مصيرهم
بعدها الى البعث والحساب والسؤال والخوف من الله وقيل خفيت في السموات والارض فلم يعلم احد من الملائكة المقربين والانبياء
المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها وقيل ثقلت على اهل السموات والارض تحصيل العلم بوقتها المعين وكما يقال في المحمول
الذي يتعسر حمله انه قد ثقل على حامله فكذلك الشيء في العلم الذي استأثر الله به يقال انه ثقل عليهم قال صاحب الكشاف اي كل من
اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شأن الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها
لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم الا بغتة اي فجأة على
غفلة منكم وهذا تأكيد لما تقدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها [illegible] لطيف

بهم

بهم العشيرة صديق لهم قريب منهم ويؤيد هذا القول ما روي ان قريشا قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة
فاذكر لنا متى الساعة فقال تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اي كأنك صديق لهم بار بهم بمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم
وقيل حفي عنها اشد تنقيبا للطلب [illegible] وهو فعيل من الاحفاء اي الالحاح والالحاف في السؤال ومن كثر السؤال عن الشيء وبحث
عنه علمه قال ابو عبيدة رضي الله عنه هو من قولهم تحفى اي استقصى فقوله كأنك حفي عنها اي كأنك اكثرت السؤال عنها وبالغت
في طلب علمها قال صاحب الكشاف كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقيب عنه
استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استئصاله واحفى في المسألة
اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمته وقيل عنها متعلق بيسألونك
عنها كأنك حفي بها اي عالم بها وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي
استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه وتكرير يسألونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي
عنها سؤال عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها المخالجة فلم يلزم التكرار والجواب عن الاول انما علمها عند ربي والجواب عن الثاني
بقوله انما علمها عند الله والفرق بين الصورتين ان السؤال الاول كان واقعا عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني واقعا عن
مقدار شدتها ومهابتها واعظم اسماء الله مهابة وعظمة هو قولنا الله فذكر عند السؤال عن مقدار شدة القيمة الاسم الدال
على غاية المهابة ثم انه ختم الآية بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها وقيل لا يعلمون ان امر الساعة
حق لان اكثر الخلق ينكرون المعاد ويقولون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين وقيل لا يعلمون السبب الذي
لاجله اخفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ● قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ● قيل هذا متصل بما قبله ومعناه لو اعلم الغيب
ان اسوق الى نفسي خيرا وادفع عنها شرا حتى [illegible] فكيف املك علم الساعة وترك الكلام متصلا بقوله لاستكثرت من الخير
وقيل ان قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وانا لا ادري علم الغيب ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ثم قال وما مسني السوء
اي ليس بي جنة قد لانهم نسبوه الى الجنون كما في قوله وما بصاحبكم من جنة ونظيره قوله تعالى في سورة يونس وما بصاحبكم
من جنة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالرخص والغلاء فتشتري وتربح وبالارض
التي تجدب فترحل عنها الى الارض الخصبة فانزل الله هذه الآية وقيل لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت
ريح في الطريق فنفرت الدواب فاخبر صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة بالمدينة وقال عليه الصلاة والسلام انظروا اين ناقتي فقال
عبد الله بن ابي مع قومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان
ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله الآية ثم ان
القوم طلبوه بالاخبار عن الغيوب وطالبوه باعطاء الاموال العظيمة قال الله تعالى قل يا محمد لا املك لا اقدر لنفسي نفعا
ولا ضرا اي في اجتلاب نفع ولا دفع ضر الا ما شاء الله ان املكه بتمليكه اي فان قدرتي قاصرة وعلمي قليل وكل من كان عبدا كان كذلك لان القدرة
الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله وهذا اظهار للعبودية والانقطاع عما يختص بالربوبية من علم الغيب واحتج النبي صلى الله
عليه وسلم عن عدم علمه بالغيب بقوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني المال والدنيا [illegible]
مسني السوء اي ما اصابني الفقر والذل [illegible] وقيل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا يعني الهدى والضلالة ولو كنت اعلم
الغيب متى اموت لاستكثرت من معرفته حتى لا يخفى علي شيء وما مسني السوء اي التكذيب وقيل لو كنت اعلم الغيب اي
اعلم ما ادعوكم الى الدين الحق من يؤمن منكم ومن لا يؤمن لكنت اشتغلت بدعوة هذا دون ذاك وقيل المراد ما يتصل
عن السؤال والتعنت لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير في الجواب عن المسائل التي سألتم عنها قبل السؤال عن وقت
قيام الساعة وغيرها وما مسني السوء اي لو كنت اعلم الغيب لاحترزت عن الشر حتى صرت بحيث لا يمسني السوء ولما لم يكن
كذلك ظهر ان علم الغيب غير حاصل عندي وقيل ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير
واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني منها شيء ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا
وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني اني اعلم الغيب لقوم
يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة انما ينفعان فيهم ويتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق
بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون ● قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل
منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ● رجع في هذه الآية الى تقرير امر
التوحيد وابطال الشرك من نفس واحدة هي نفس آدم وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع من اضلاع آدم وقيل من جنسها
ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل اليها ويستأنس بها ويأوي اليها لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس
واذا كان بعضا منه كان السكون اليه والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه
وقال ليسكن بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن
الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول

في ولدها ما كان اخف عليها كمرة حين حملته قبل ما اذكر خفيفا عليها فمرت به اي استمرت وقامت وقعدت به ولم تكترث بحملها
وقيل فمرت به اي استمرا بحملها فلما اثقلت اي كبر الولد في بطنها وتحرك وصارت ذات ثقل بحملها كما يقال اثمر اي صار ذا ثمر
دعوا الله اي آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجى اليه فقالا لئن آتيتنا وهبت لنا صالحا ولدا
سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين والضمير في آتيتنا
لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وقد كانا اشفقا ان يكون بهيمة او شيئا سوى الانسان قيل ان ابليس اتى حواء في صورة
رجل لما اثقلت في اول ما حملت فقال لها ما هذا الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة فقالت ذلك لآدم
فلم يزالا في هم من ذلك ثم عاد اليهما فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله انسانا افتسميه بي قالت نعم قال فاني ادعو
الله فاتاها وقد ولدت فقال سميه باسمي قالت وما اسمك قال الحارث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث فلما آتاهما ما سالا
من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا
قال فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك
ومعنى اشراكهم فيما آتاهم تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن
وعبد الرحيم وقيل الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قول الشاعر
ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها
عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في
وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص شركاء على الجمع جمع شريك
بلفظ الجمع كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ونحوها وعاصم في رواية ابي بكر عنه شركا بكسر الشين وسكون الراء
وتنوين الكاف ومعناه جعلا له ذوي شرك وهم شركاء او يقال المعنى احدثا لله تعالى اشراكا في الولد وقيل شركا اي حظا ونصيبا
وغيره واختلف المفسرون في تاويل الشرك المضاف الى آدم وحواء عليهما السلام فقال الكلبي جعلا لبعضهم شركا في التسمية والصفة
لا في العبادة والربوبية وقيل انهما لم يذهبا الى ان الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث لكنهما قصدا الى ان الحارث كان
سبب نجاة الولد وسلامة امه فسمياه به كما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على ان الضيف
ربه كما قال حاتم • واني لعبد الضيف ما دام ثاويا • وما في الا تلك من شيمة العبد • وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركاء
عبد العزى وعبد اللات وعبد مناف وقال عكرمة لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد آدم قال الحسين بن
الفضل رضي الله عنه وهذا اعجب الى اهل النظر لما في القول الاول من الصاق العظائم بنبي الله آدم ويدل عليه جمع الخطاب في قوله
هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم قال فلما تغشاها انصرف من الخطاب الى الخبر يعني فلما تغشى الرجل منهم امراته قال الله تعالى ايشركون
يعني الكفار منكم ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل ولد لآدم ولد فسمياه عبد الله فاتاهما ابليس فقال ما سميتما
ابنكما هذا قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الرحمن فمات فقالا سميناه عبد الله فقال ابليس اتظنان ان الله تارك
عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن ادلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس فذلك قوله عز وجل ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الشمس لا تخلق شيئا حتى يكون لها عبدا انما هي مخلوقة قال صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين
في الجنة وخدعهما في الارض وقيل انه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل وبيانا ان هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين
في جهلهم وقولهم بالشرك وتقرير هذا الكلام كانه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا يساويها في الانسانية فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن
من الشاكرين لآلائك ونعمائك فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما لانهم تارة ينسبون
ذلك الولد الى الطبائع كما هو قول الطبائعيين وتارة الى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة الى الاصنام كما هو قول عبدة الاصنام
فيرجح في طلب الخير وتبع الشر اليهما فذكر تعالى قصة آدم وحواء وحكى عنهما انهما قالا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اي قد كان
انه تعالى لما آتاهما ولدا سويا صالحا لاشتغلوا بشكر تلك النعم ثم قال فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء وذكر على الاستفهام
على سبيل الانكار والتبعيد والتقليل ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وينسبونه الى آدم عليه السلام ونظيره انه ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم عليه في حق فلان كذا
او احسنت اليه بكذا وكذا ثم اسئت اليه بالشر والاساءة انه مبرأ عن ذلك فرضه من قوله انه يقابل المنعم بالشر والاساءة النبي السعيد

قوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون • وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين • قال الامام ان هذه الآية من اقوى الدلائل على انه ليس المراد بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون ما ذكر من قصة ابليس
اذ لو كان المراد ذلك لكانت هذه الآية اجنبية عنها بالكلية وكان ذلك في غاية الفساد في النظم والترتيب بل المراد ما ذكر
في سائر الاجوبة ان المقصود في الآية السابقة الرد على عبدة الاوثان والمقصود من هذه الآية اقامة الحجة على ان الاصنام لا تصلح
للالهية فقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا معناه ايعبدون ما لا يقدر على ان يخلق شيئا وهم يخلقون فاجرى الاصنام
مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق
سبحانه وتعالى وهم يخلقون لان الله خالقهم ولا يقدر على اختلاق شيء بالايجاد وهم مخلوقون لان عبدتهم يخلقونهم

اعجز

اعجز من عبدتهم احتج اصحابنا بهذه الآية على ان العبد غير موجد ولا خالق لافعاله قالوا لانه تعالى طعن في الهية الاصنام بسبب انها
لا تخلق شيئا وهذا الطعن انما يتم لو قلنا انه بتقدير انها كانت خالقة لشيء لم يتوجه الطعن في الهيتها وهذا يقتضي ان كل من كان
خالقا كان الها فلو كان العبد خالقا لافعال نفسه لكان الها ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد غير خالق لافعال نفسه
ولا يستطيعون لهم اي الاصنام لعبدتهم نصرا معناه ان الاصنام لا تستطيع ان تنصر عبدتها ولا تنصر من عصاها والنصر المعونة
على العدو والمعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر عن العابد وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق
بالعاقل عبادتها ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتري بها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون
عليهم وان تدعوهم اي وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون
من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين ثم وصف هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وهذا مثل قوله سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم
فيما ذكره من المباحث عائد هنا الى ان الفرق ان في تلك الآية عطف الفعل على الفعل وهاهنا عطف الاسم على الفعل لان
قوله ادعوتموهم جملة فعلية وقوله ام انتم صامتون جملة اسمية وانما وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية لانهم كانوا اذا دهمهم
امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتم
لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ثم اكد الله بيان انها لا تصلح للالهية فقال ان الذين
تدعون اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم اي انهم مسخرون مذللون لامر الله وقضائه
احيانا اقعدا فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة وارباما ثم اكد
هذا البيان بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ومعنى هذا الدعاء طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم واللام في قوله فليستجيبوا
لام الامر على معنى التعجيز والمعنى انه لما ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للمعبودية ونظيره قول ابراهيم عليه
والصلاة لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا قوله ان كنتم صادقين في ادعائكم انها آلهة مستحقة للعبادة
ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون اي انما يكون امثالكم اذا كان فيهم الاعضاء الاربعة وهي الارجل التي يمشون بها والايدي
التي يبطشون بها والاعين التي يبصرون بها والآذان التي يسمعون بها ولا شك ان هذه الاعضاء اذا حصل في كل واحد منها
ما يليق بها من القوى المحركة والمدركة يكون افضل منها اذا كانت خالية عن هذه القوى فالرجل التي يمشى بها واليد التي يبطش بها
افضل من الرجل واليد الخاليتين عن القوى الباصرة والسامعة فهذه الاصنام ليست امثالهم بل هم افضل من العين والاذن الخاليتين
عن هذه الاصنام بكثير بل لا نسبة لفضيلة الانسان الى فضيلة هذه الاصنام البتة واذا كان كذلك فكيف يليق بالاكمل
الافضل الاشرف ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الذي لا يحصل منه فائدة لا في جلب المنفعة ولا في دفع المضرة قوله قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم ولا تقدرون على ايصال الاضرار الي بوجه من الوجوه
اشبع ابو عمرو الياء في كيدوني والباقون بحذفها وصلا ووقفا فلا تنظرون قال الواحدي ان الوصل في يستبقيه العقوق في
هذه الياءات اذا كانت في الفواصل وقد تجاوزها فلان الاصل فيها الاثبات ويستغنى له فلا تنظرون فلا تمهلون ولا تعجلون
وكيدي انتم وشركاؤكم فاني لا ابالي بكم لا يتوقع هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا يخوفونه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال
قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون

قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • لما بين في الآية المتقدمة ان هذه الاصنام لا قدرة لها
على النفع والضر بين بهذه الآية ان الذي يجب على العاقل عبادته هو الله لانه هو الله تعالى يحصل منافع الدين ومنافع الدنيا
فيتولى الصالحين قرأ العامة ان وليي الله بياءين الاولى ياء فعيل وهي ساكنة والثانية لام الفعل والثالثة ياء الاضافة لاولى
في الثانية فتضادت باشدد وروي عن ابي عمرو ولي الله بياء مشددة وتوجيهه
هي لام الفعل ثم ادغمت ياء فعيل في ياء الاضافة فقلت ولي الله وهذه الفتحة فتحة الاضافة واما الباقون فاجادوا اجتماع ثلاث
ياءات وان ناصري عليكم وحافظي الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته ومن كتاب المشتمل على هذه العلوم
العظيمة النافعة في الدين وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده ولا تضرهم عداوة من عاداهم
يابن المشركين من ان يضرهم كيدهم

قوله تعالى والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون • وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور
على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون
يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وقيل هذه الاحوال المذكورة صفات
لقول المشركين الذين يدعون غير الله يعني ان الكفار يخوفون رسول الله واصحابه فقال تعالى انهم لا يقدرون على شيء بل انهم
قد بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت اعظم انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون ان الذين يشبهون الناظرين
هذه اذا جعلت هذه صفات الاصنام واما اذا جعلت صفات المشركين فالمعنى ان المشركين وان كانوا ينظرون الى الناس الا انهم
لشدة اعراضهم عن الحق لم ينتفعوا بذلك النظر والرؤية فصاروا كانهم عمي قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
لما بين سبحانه وتعالى في الآية الاولى بان الله هو الذي يتولاه فان الاصنام وعابديها لا يقدرون على الايذاء والاضرار بين في هذه الآية

ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس والعفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم
وما اتى منهم وتسهل من غير تكليف ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا
تعسروا قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ العفو من
[illegible]
قيل هو كل امر عرف انه لا بد من الاتيان به وان وجوده خير من عدمه [illegible]
المعروف كان ذلك سعيا في تغيير الدين وابطال الحق اذا امر بالمعروف فقد رغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجهال
على السفاهة والايذاء فاعرض عن الجاهلين ولا تكافئهم في السفاهة مثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل
لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال جبريل لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يقول
هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قيل يا نجيب بل مطابق للفظ الآية لانك ان وصلت من قطعك فقد
عفوت عنه وان اعطيت [illegible] امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قيل لما نزل قوله تعالى واعرض عن الجاهلين قال صلى الله عليه وسلم
كيف يا رب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي ينخسنك نزغ من الشيطان فهو نخسه بان يحملك بوسوسته على
خلاف ما امرت به يقال نزغ بين القوم اذا افسد ما بينهم وقيل النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج
بالحركة الى الشر لما امر بالمعروف فعند ذلك ربما يهيج سفيه ويظهر السفاهة فعند ذلك امره تعالى بالسكوت عن مقابلته
فاعرض عن الجاهلين ولما كان من المعلوم ان عند اقدام السفيه على السفاهة يهيج الغضب ولا يبقى الانسان على حال السلامة
وعند ذلك يجد الشيطان مجالا في حمل ذلك الانسان على ما لا ينبغي لا جرم بين الله تعالى ما يجري مجرى العلاج لهذا المرض فقال
فاستعذ بالله ولا تطعه وقيل يجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا
يعتريني والاستعاذة بالله عند هذه الحالة انه يتذكر عظيم نعم الله عليه وشديد عقابه ويقيمه كل واحد من هذين الامرين
من الاعراض عن مقتضى الهوى وطاعة الشيطان والاقبال على اوامر الله واوامر الشرع وهذا الخطاب وان خص الله به النبي صلى
الله عليه وسلم فهو تأديب عام لجميع المكلفين لان الاستعاذة بالله لطف يمنع من تأثير نزغ الشيطان ولذلك قال تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا واذا ثبت بالنص ان لهذه الاستعاذة تأثيرا في دفع نزغ
الشيطان وجب المواظبة عليه فاكثر الاحوال انه سميع عليم كانه تعالى ذكر لنا ان لفظ الاستعاذة فانه سميع واستحضر
معناه بقلبك فانه عليم بضميرك قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون دلت هذه الآية على ان الرسول لا يحصل له من الشيطان الا النزغ الذي هو اول
الوسوسة واما المتقون فيمسهم طيف من الشيطان الذي هو ابلغ من النزغ قال صلى الله عليه وسلم ما من انسان الا ومعه
شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم [illegible]
في المصحف طائف قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف بغير الف والباقون طائف بالالف طيف لمة من الشيطان مصدر من طاف
يطيف طيفا اذا الم به الخيال الذي يلم في المنام ويجوز ان يكون طيف تخفيف طيف [illegible]
الحقوا احد الياءين وابقوا ياء ساكنة كالبين ومن طاف يطوف كهين والطائف يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الطيف مثل العافية والعاقبة
ويجوز ان يكون فاعلا من طاف يطوف او من طاف يطيف وقيل الطائف والطيف لغتان كالميت والميت ومعناهما الشيء الذي
يلم بالانسان وفرق بينهما فالطيف اللمم والمس [illegible] مسهم طائف نزغ من الشيطان وفرق بينهما فقالوا الطائف
ما يطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة والخطرة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان وقال الكلبي ذنب
مجاهد هو الغضب [illegible] تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان والمعنى ان المتقين هم الذين اذا
اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به وما نهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم
انفسهم تذكروا عرفوا وقيل ابتهلوا عن سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم غيظه وعن مجاهد هو الرجل
يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه [illegible] اذا لقي الشيطان [illegible]
انها معصية فابصروا ما فيها من مخالفة الله فاذا هم مبصرون مواقع خطيئتهم بالتفكر والتذكر يبصرون فيقصرون [illegible]
[illegible] فاذا هم مبصرون [illegible]
ثم ذكر الكفار فقال واخوانهم اي واخوان الشياطين وهم الكفار يمدونهم الشياطين في الغي اي يكونون مددا لهم في الغي ويعضدونهم
اي يطيلون لهم ويزيدونهم في الضلالة [illegible] يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم [illegible]
واحد [illegible] في القرآن [illegible] على الصلة [illegible]
[illegible]
[illegible] واستعمل ما هو الخلاف [illegible]
[illegible] ثم لا يقصرون ولا يمسكون عن اغوائهم ولا يرجعون وقيل لا يسأمون ولا يفترون وعن ابن عباس [illegible]
يقصرون بما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون [illegible]
[illegible] الى الجاهلين [illegible]
[illegible]

واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
[illegible]
والمعاد قسمان احدهما الذين بلغوا الى ذلك الحد الا انهم وصلوا الى حيث صاروا كالمشاهدين وهم اصحاب عين اليقين
الذين بلغوا الى ذلك الحد الا انهم وصلوا الى درجات المستدلين وهم اصحاب علم اليقين فالقرآن في حق الاولين والآخرين
[illegible] هدى وفي حق [illegible] رحمة ولما كانت الفرق الثلاثة من المؤمنين قال لقوم
يؤمنون قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون لما عظم الله شأن القرآن بقوله هذا بصائر
من ربكم اردفه بقوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له الآية والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة فقيل تجرى هذه الآية على عمومها فيلزم الانصات للقرآن
في كل الاحوال استماعه والسكوت على هذا القول يجب الانصات لقارئ الطريق ومعلم الصبيان وقيل انما نزلت في تحريم
الكلام في الصلاة عن ابي هريرة كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامر الله تعالى بالآية [illegible]
اذا كان في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلاة لحوائجهم فانزل الله
هذه الآية وقيل انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية وقيل انها نزلت في السكوت
عند الخطبة وقيل معناه واذا تلي عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
وقال ابن عباس قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية
قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين
لما قال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا اعلم ان قارئا يقرأ بصوت عال حتى يمكنهم الاستماع ومعلوم ان ذلك القارئ ليس الا
الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت هذه الآية جارية مجرى امر محمد صلى الله عليه وسلم بان يقرأ القرآن على القوم بصوت عال فانما
امره بذلك ليحصل المقصود من تبليغ الوحي والرسالة ثم انه تعالى اردف ذلك الامر بان امره في هذه الآية بان يذكر ربه في نفسه [illegible]
ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لانه بهذا الشرط اقرب الى الاخلاص والتضرع قيل هو عام في الاذكار
من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك قيل امر الله رسوله بالذكر مقيدا بقيود الاول واذكر ربك في نفسك
في نفسه كونه عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها [illegible] لصفات الجلال والعز والعلو فان الذكر باللسان عاريا عن الذكر القلبي غير مفيد
القيد الثاني حصول التضرع واليه الاشارة بقوله تضرعا وهذا القيد معتبر ويدل عليه قوله تعالى
من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية [illegible] لان كمال الانسان انما يحصل بانكشاف عزة الربوبية
وذلة العبودية وهذا المقصود انما يتم بقوله تعالى واذكر ربك في نفسك والثاني يتم باظهار العبودية وذلك انما يحصل بقوله تعالى تضرعا والانتقال
من الذكر الى التضرع يشبه النزول [illegible] والانتقال من التضرع الى الذكر يشبه الصعود وبهما يتم معراج الارواح القدسية القيد
الثالث قوله وخيفة [illegible] قال الامام وهذا الخوف يقع على وجوه منها خوف التقصير في الاعمال ومنها خوف الخاتمة [illegible]
خوفهم من السابقة لانها انما تظهر في الخاتمة بما سبق به في الفاتحة ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن
الى يوم القيامة ومنها ان كيف يقابل النعم التي لا تحصى بهذه الطاعة الناقصة والاذكار القاصرة القيد الرابع قوله ودون الجهر والمراد
[illegible] بحيث يكون متوسطا بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وعن
ابن عباس رضي الله عنه [illegible] ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه فان المراتب ثلاثة الذكر بالقلب [illegible]
[illegible] فيقوى الذكر القلبي ولا يزال يتقوى كل واحد من هذه الاذكار القلبية وينعكس الانوار من بعضها الى بعض فيزداد القوة
والجلاء والانكشاف ويرتقي من ظلمات عالم الاجسام الى انوار مدبر النور والظلمات القيد الخامس قوله بالغدو والآصال قيل الغدو
مصدر يقال غدوت غدوا [illegible]
[illegible] واما الآصال فقال الفراء واحدها اصل وواحد الاصل اصيل ويقال الاصيل مأخوذ من الاصل واليوم بليلته انما
يبتدئ في الشرع من اول الليل [illegible] يتصل باول ليلة اليوم الثاني [illegible] لكونه متصلا بما هو الاصل

الثاني خص الغدو والآصال بهذا الذكر والسر فيه أن عند الغدو انقلب الانسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي
كالحيوة والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعية وجودية وأما عند الآصال فالأمر بالضد لأن الانسان ينقلب فيه من الحياة
إلى الموت والعالم ينقلب فيه من النور إلى الظلمة ففي هذين الوقتين يحصل هذا النوع من التغير العجيب القوي القاهر ولا يقدر
على مثل هذا التغيير إلا الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة القاهرة فلهذا خص الله هذين الوقتين بالأمر بالذكر فيهما الثالث
قوله تعالى ولا تكن من الغافلين والمعنى أن الغدو والآصال دلت على أنه يجب أن يكون ذكره حاصلا في كل الأوقات وقوله ولا تكن
من الغافلين يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائما وأن لا يغفل الانسان لحظة واحدة من استحضار جلال الله وكبريائه
بقدر الطاقة البشرية قوله تعالى واذكر ربك في نفسك وإن كان ظاهره خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه عام في حق كل
المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة ومرتبة معينة بحسب استعداده كما قال في صفة الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم

قوله تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ۝ لما رغب الله سبحانه وتعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم في الذكر والمواظبة عليه عقبه بما يقوي دواعيه في ذلك فقال إن الذين عند ربك أي الملائكة
عند ربك يعني دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لا دنو المكان والمسافة لا يستكبرون عن عبادته مع نهاية
قربهم وتخلصهم عن دواعي الشهوة والغضب يسبحون الليل والنهار لا يفترون فالانسان مع كونه مبتلى بدواعي الشهوة
وبواعث الغضب أولى بالمواظبة على الطاعة ولهذا السبب قال عيسى صلى الله عليه وسلم وأوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت
حيا وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وله يسجدون يخصونه بالعبادة لا يشركون به
غيره وكذا يسبحونه والتسبيح تنزيه الله من كل سوء وذلك يرجع إلى المعارف ثم أردفه بقوله وله يسجدون
وذلك يرجع إلى أعمال الجوارح وهذا أول آية من السجدة عند من يراها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم
آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفع الله له درجة في الجنة وحط عنه بها خطيئة

سورة الأنفال

وألف ومائة وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف ومائة وثمانون حرفا وأكثر الناس على أنها مدنية كلها وعن مجاهد هي
مدنية غير آية واحدة وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية كلها وهذه الآية نزلت في قصة وقعت بمكة ويمكن أن تنزل الآية بعد ذلك
بالمدينة فلا خلاف في أن هذه السورة نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله
إن كنتم مؤمنين ۝ قوله يسئلونك يقتضي البحث عن السائل والمسئول وحقيقة النفل والأحكام التي تكون الأنفال
أما السائلون ففي قوله يسئلونك إخبار عمن لم يسبق ذكره وحسن ذلك لأن حال النزول كان السائل عن هذا السؤال
معلوما معينا فانصرف الضمير إليهم ولا شك أنهم كانوا أقواما لهم تعلق بالغنائم والأنفال وهم طائفة من الصحابة وأما
المسئول فهو النبي صلى الله عليه وسلم وأما الأنفال فهو جمع نفل قال الأزهري النفل والنافل ما كان زيادة على الأصل وسميت
الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لأنها زيادة على الفرض الذي هو
الأصل وقال تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل وأما السؤال فكان واقعا عن حكم الأنفال وذلك كما في
قوله تعالى يسئلونك عن المحيض ويسئلونك عن اليتامى فعلم منه أن السؤال عن حكم من أحكام المحيض واليتامى وذلك الحكم
غير معين إلا أن الجواب كان معينا لأنه تعالى قال في المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض فدل هذا الجواب على أن ذلك
السؤال كان سؤالا عن مخالطة النساء في المحيض وقال في اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم فدل هذا الجواب
على أن ذلك السؤال كان عن التصرف في مالهم ومخالطتهم في المؤاكلة فكذا ههنا إنما قال في جواب السؤال عن الأنفال
قل الأنفال لله والرسول فكأنهم سألوا من المستحق لها أو كيف تنفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال
[illegible] والغنيمة المال المأخوذ من الكفار قهرا وقيل النفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه
من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال للسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم
نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في أحد قوليه لا يلزم وعن ابن عباس الأنفال ما شذ
عن المشركين إلى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد
الأنفال التي جعلها الله لأهل الخمس والسؤال إنما هو عن الخمس ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم
إنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وعن ابن عباس
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من أتى مكان كذا وكذا فله من النفل كذا ومن قتل قتيلا فله كذا وكذا
ومن أسر أسيرا فله كذا فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات فلما فتح الله تعالى على المسلمين
جاؤوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها

[illegible]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله [illegible]
حاذ كان يوم بدر ملأ الناس بينهم غنيمة فقال الضعفاء ذهب الأقوياء بالغنيمة فنزلت قل الأنفال لله والرسول فاتقوا
وأصلحوا ذات بينكم إلى الضعفاء فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد بعضهم على بعض وأمرهم بالطاعة فيما أتى
مرهم من هذه الأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أكد ذلك بأن أمرهم بطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله وأطيعوا الله ورسوله ثم بالغ في هذا التأكيد بقوله إن كنتم مؤمنين قال صاحب الكشاف وقد
جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال
الإيمان موقوف على التوفر عليها فمعنى قوله إن كنتم مؤمنين كاملي الإيمان قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ۝ لما قال تعالى وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين
واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزما للطاعة شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل وبين أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول
هذه الصفات فقال إنما المؤمنون إشارة إلى المؤمنين في قوله إن كنتم مؤمنين أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم
كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا ذكر من صفاتهم أمورا خمسة الأول قوله إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت يقال وجل يوجل وجلا فهو وجل إذا خاف قيل إن المؤمن إنما يكون كامل الإيمان إذا كان خائفا من الله عز اسمه
الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قالت بلى قال فادعي الله فإن الدعاء يذهب بذلك [illegible]
استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رأفته ورحمته وثوابه وعن السدي هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه
الأمر الثاني إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا أي ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه
وأثبت لقدمه قال الله تعالى أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وعن ابن عباس رضي الله عنه تصديقا وعن الربيع بن أنس
خشية ومن رجح فكان له صحبة إن للإيمان زيادة ونقصا قيل فما زيادته قال إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته
وإذا سهونا وقصرنا وغفلنا فذلك نقصانه وعن عمر بن عبد العزيز إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل
الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وزيادة الإيمان الذي هو التصديق على وجهين الأول وهو الذي عليه عامة
أهل العلم على ما حكاه الواحدي أن كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأن عند حصول كثرة الدلائل
يزول الشك ويقوى اليقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح يريد أن معرفته
أقوى الثاني أنهم يعتقدون ويصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمان الرسول صلى الله
عليه وسلم متعاقبة فعند حدوث كل تكليف كانوا يزيدون تصديقا وإقرارا ومن المعلوم أن من صدق إنسانا في شيئين
فتصديقه أكثر من تصديق من صدقه في شيء فقوله وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا معناه فلما سمعوا آية جديدة فكان
ذلك زيادة في الإيمان والتصديق قال الإمام وفي الآية وجه ثالث وهو أن كمال قدرة الله وحكمته إنما تعرف بواسطة آثار
حكمته في مخلوقاته وهذا بحر لا ساحل له وكلما وقف عقل الإنسان على آثار حكمته في تخليق شيء انتقل منه إلى طلب حكمة

في تحلو شيء آخر فقد انتقل من مرتبة الى مرتبة اخرى اعلى منها واشرف واكمل ولما كانت هذه المراتب لا نهاية لها كانت مراتب التجلي
والكشف والمعرفة لا نهاية لها فلهذا وعلى ربهم يتوكلون هذا هو الامر الثالث ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون
ولا يرجون الا اياه وهذه مرتبة عالية ودرجة شريفة وهي ان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في امر من الامور الا على
الله وهذه الامور الثلثة مرتبة على احسن الترتيب فان المرتبة الاولى هي الوجل من عقاب الله والمرتبة الثانية
هي الانقياد لمقامات تكاليف الله والمرتبة الثالثة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الفناء
بالكلية عما سوى الله وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون هذا هو الامر الرابع والخامس واعلم ان اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة فالمراتب الثلثة المتقدمة احوال معتبرة
في القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى رعاية احوال الظاهر وراس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل النفس في الصلاة
وبذل المال في مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الزكوات والصدقات والصلوات ويدخل فيه بذل النفس في الجهاد ويدخل فيه
الانفاق على المساجد والقناطر ولما ذكر هذه الصفات الخمس اثبت للموصوفين بها امورا ثلثة الاول قوله اولئك هم المؤمنون
حقا صفة المصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقوله
هو عبد الله حقا وقيل حقا متصل بما بعده اي هم المؤمنون بالحقيقة وقيل ان الكلام تم عند قوله اولئك هم المؤمنون
ثم ابتدأ وقال حقا لهم درجات عند ربهم اتفق العلماء على انه يجوز للرجل المؤمن ان يقول انا مؤمن واختلفوا في انه هل يجوز
للرجل المؤمن ان يقول انا مؤمن حقا ام لا فقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله ولا يقول انا مؤمن
حقا وقال اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله قال الامام
اما الذين قالوا انا مؤمن ان شاء الله فلهم فيه مقامان الاول ان يكون ذلك لاجل حصول الشك في الايمان والثاني ان لا يكون
الامر كذلك اما المقام الاول فتقريره ان الايمان عند الشافعي عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل ولا شك ان كون
الانسان آتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فالانسان
وان كان جازما بحصول الاعتقاد والاقرار الا انه لما كان شاكا في حصول الايمان واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فلما كان
الايمان اسما للاعتقاد والقول وكان العمل خارجا عن مسمى الايمان لم يلزم من حصول الشك في الايمان فثبت ان من قال ان
الايمان عبارة عن مجموع الامور الثلثة يلزمه وقوع الشك في الايمان ومن قال العمل خارج عن مسمى الايمان يلزمه نفي الشك
عن الايمان فثبت ان هذا الخلاف في اللفظ فقط واما المقام الثاني فان نقول انا مؤمن ان شاء الله ليس لاجل
الشك ولكن فيه وجوه الاول ان كون الرجل مؤمنا اشرف صفاته واعظم نعوته واحواله فاذا قال انا مؤمن فكانه مدح نفسه
باعظم المدائح فوجب ان يقول ان شاء الله ليصير هذا سببا لحصول الانكسار في القلب ولزوال العجب وروي ان ابا حنيفة
رضي الله عنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة رضي الله عنه هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى قال قتادة ان يجيب ويقول انه بعد
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة وهذا يدل على انه لا يجوز ان يقول ان شاء الله الثاني انه تعالى ذكر في هذه الاية
ان الرجل لا يكون مؤمنا الا اذا كان موصوفا بالصفات الخمس الخوف من الله والاخلاص في دين الله والتوكل على الله والاتيان
بالصلاة والزكاة لوجه الله وذكر في اول الاية ما يدل على الحصر وهو قوله انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وكلمة انما تفيد
الحصر وذكر في آخر الاية اولئك هم المؤمنون حقا وهذا ايضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الاية على هذا الحصر ثم ان الانسان
لا يمكنه القطع على نفسه بحصول هذه الصفات الخمس كان الاولى ان يقول ان شاء الله وروي ان رجلا سأل الحسن
فقال امؤمن انت فقال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا
مؤمن حقا وان كنت تسالني عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله عند ربهم فوالله لا ادري
امنهم انا ام لا الثالث ان القرآن العظيم دل على ان كل من كان مؤمنا كان من اهل الجنة فالقطع بكونه مؤمنا يوجب القطع بكونه
من اهل الجنة وذلك لا سبيل اليه فكذا هذا وقال الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد
آمن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل الجنة فلا يقطع بانه مؤمن حقا الرابع انه يقول انا مؤمن ان شاء الله
عند الموت والمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة والعاقبة فان الرجل وان كان مؤمنا حقا في الحال الا انه على تقدير ان لا يبقى
ذلك الايمان في العاقبة كان وجوده كعدمه ولم يحصل غايته اصلا وكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء هذا المعنى
ان ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع الا ترى انه تعالى قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وهو تعالى منزه
عن الشك فثبت انه تعالى انما ذكر ذلك تعليما منه لعباده هذا المعنى فكذا ههنا الاولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض الامور
الى الله حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الايمان السادس ان جماعة من السلف ذكروا هذه الكلمة ورأينا له ما يقويه وكان
الله تعالى ومن قوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا وهم المؤمنون في علم الله وفي حكمه وذلك يدل على وجود جمع يكونون مؤمنين
ولا يكونون كذلك فالمؤمن يقول ان شاء الله حتى يجعله الله ببركة هذه الكلمة من الاولين لا من الاخرين الثاني من الامور التي
اثبتها الله للموصوفين بالصفات الخمس قوله تعالى لهم درجات عند ربهم اعلم ان شأن المؤمنين حقا ان يكون لهم درجات
اي لهم مراتب بعضها اعلى من بعض وكرامة وعلو منزلة قال عطاء يعني درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم وقيل يعني ما اعد الله لهم في الجنة من لذيذ المآكل والمشارب وقيل لهم درجات عند ربهم سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس
الجواد المضمر سبعين سنة قال الامام واعلم ان الصفات المذكورة قسمان الثلثة الاولى هي الصفات القلبية والاحوال الروحانية

وهي الخوف

وهي الخوف والاخلاص والتوكل والاثنان الاخيران هي الاعمال الظاهرة ولا شك ان المؤثر كلما كان اقوى كانت الاثار اقوى وبالعكس
ولا شك ان لهذه الاعمال والاخلاق تأثيرات في تصفية القلب وفي تنويره بالمعارف الالهية ولا شك ان المؤثر كلما كان اقوى
وبالضد فلما كانت هذه الاخلاق والاعمال لها درجات ومراتب كانت المعارف ايضا لها درجات وذلك هو المراد من قوله لهم درجات
عند ربهم واما الثواب الحاصل في الجنة ايضا مقدر بمقدار تلك الافعال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت
ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة كثيرة ومختلفة فلهذا المعنى قال لهم درجات عند ربهم الثالث والرابع قوله تعالى ومغفرة
ورزق كريم اي تجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني منافع حسنة دائمة خالصة مقرونة بالاكرام والتعظيم
قال العارفون المراد من المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق
في معرفة الله وفي محبته. قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق
بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ● قيل الكاف محله رفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وقيل الكاف محله منصوب على انه
صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا
مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون وقيل معنى ذلك فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم
كما كان اخراج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خيرا لكم وان كرهه فريق منكم وقيل معناه كما اخرجك ربك
يا محمد من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه كما فعلوا ببدر وقيل امر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يمضي لامره في الغنائم على كره من اصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته لطلب عير قريش وهم
كارهون وقيل معناه يسألونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا اخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد
وقيل معناه اولئك هم المؤمنون حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك
ربك من بيتك وقيل بمعنى القسم مجازه والذي اخرجك لان ما في معنى الذي وجوابه يجادلونك في الحق الذي اخرجك من
بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر اذ اخرجك ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها موضع هجرته
ومسكنه فهي في اختصاصها به صلى الله عليه وسلم كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وقيل اخرجك من بيتك بالحق بما يلزمك من الحق وان فريقا من المؤمنين في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن
هشام واخرون فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة
الخير وقلة العدو فلما خرجوا بلغ اهل مكة خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب
وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت
عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث
بها العباس فقال ابو جهل ما رضي رجالهم ان يتنبئوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر
لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير قد اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك
ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا فان محمدا لم يصب العير وانا قد
فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب
وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم
فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك
كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين
بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال اجل فقال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
انظر الآن الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
وكانت كراهة القتال لبعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلقي النفير لايثارهم العير يجادلونك في الحق بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير

وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم انه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر
والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو يشاهد اسبابه ناظرا لا يشك فيها وقيل كان
خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان منهم الا فارسان قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته
ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ● اذ منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل من
الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير
لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح
تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته
ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبامره الملائكة بالنزول للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم
وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر
عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم
والله تعالى يريد معالي الامور وما يرجع الى حماية الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين
المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا
تعادل ادناه العير وما فيها وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اظهار
الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحقه وليس بتكرير لما قبله لان المعنيين متباينان فان الاول بيّن ما
في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة لان الذي وقع من المؤمنين يوم بدر
كان سببا لعز الدين وقوته ولهذا قرنه بقوله ويبطل الباطل الذي هو الشرك وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والايمان
قال صاحب الكشاف الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ونصرتهم عليها
وانه ما نصرهم ولا خذلهم الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى
الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل متعلق بيقطع قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف
من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ● بدل من اذ
الاولى او متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل او على اضمار اذكر اذ تستغيثون وقيل هو بدل من اذ يعدكم الله وقيل متعلق
بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله تعالى يقولون اي
ربنا انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى كثرة
المشركين وهم الف وقلة المسلمين وهم ثلثمائة فدخل العريش هو وابو بكر واستقبل القبلة ومد يديه اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر والقاه على منكبيه والتزمه من ورائه
فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ولما حكى عنهم الاستغاثة بين انه تعالى اجابهم فقال اني ممدكم
اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله مردفين اي ممدكم ومرسل اليكم مددا ومردفا لكم بالف من الملائكة مردفين وقرأ
نافع وابو بكر عن عاصم مردفين بفتح الدال والباقون بكسرها فمعناه متتابعين بعضهم في اثر بعض يقال اردفته وردفته
بمعنى اتبعته قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا ● اردفتها وجاءت بعدها الا ان الجوزاء
بعد الثريا او من فعل المفعول لما اردف الله المسلمين وجاءهم بمدد من الملائكة فنزل جبريل في خمسمائة
ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض
وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت الملائكة يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ولا يوم حنين وعن ابي جهل انه قال
لابن مسعود من اين ذلك الصوت الذي كنا نسمع صوتا ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وعن
ابن عباس بينا رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر
مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود
المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتل الملائكة وانما
كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه
مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وما جعله الله اي جعل الضمير عائدا الى الامداد الا بشرى
وقال ابن جابر وما جعل الله المردفين الا بشرى لكم وهذا اولى لان بالامداد بالملائكة حصل البشرى وقيل راجع الى قوله اني
ممدكم لانه في استجاب لكم باني ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم
لقلتكم وضعفكم وذلتكم وكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا لكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا
ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله
والمنصور من نصره الله ويكون المؤمن متكلا على اعانة الله ونصره وهدايته وكفايته فان الله هو العزيز الغالب الذي
لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر الحكيم فيما يفعل ولا يفعل الا الحق قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم

شاقوا الله

شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ● اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم الله او منصوب
بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح الياء ورفع النعاس
على ان الفعل له واحتج بقوله في سورة آل عمران امنة نعاسا يغشى طائفة منكم فجعل الفعل له وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وكسر
الشين على ان الفعل لله موافقا لقوله وينزل عليكم وليطهركم ويثبت واحتج بقوله كانما اغشيت وجوههم وقرأ الباقون يغشيكم
بضم الياء مشددا كقوله فغشاها ما غشى والنعاس النوم الخفيف وهو منصوب على القراءتين ومعنى يغشيكم ويغشيكم واحد
وامنة مفعول له على القراءات الثلاث فان قيل اذا قرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس فالضمير لله وامنة مفعول
له اما اذا قرئ يغشاكم النعاس فكيف يمكن جعل قوله امنة مفعولا له مع ان المفعول له يجب ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل
اجيب بقوله وان كان في الظاهر مسندا الى النعاس لكنه في الحقيقة مسند الى الله تعالى فصح هذا التعليل نظرا الى المعنى
قال صاحب الكشاف فلما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة وان كان
كل نوم ونعاس يحصل الامن الا ان فيه فوائد منها ان الخائف اذا خاف من عدوه الخوف الشديد على نفسه واهله لا ياخذه النوم فحصول
النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على ازالة الخوف وحصول الامن ومنها انهم خافوا من قلتهم وكثرة الكفار وقتهم
والعطش الشديد فلولا حصول هذا النعاس والاستراحة حتى تمكنوا في اليوم الثاني من القتال لما تم الظفر ومنها انهم ما ناموا
نوما غرقا يتمكن العدو من معافصتهم بل كان ذلك نعاسا يحصل لهم به زوال الاعياء مع انهم كانوا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا
وصوله وقدروا على دفعه ومنها انه غشيهم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع الكثير في الخوف الشديد
امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان هذا النعاس كان في حكم المعجز ويجوز ان يكون على القراءتين الاخيرتين الامنة بمعنى الايمان
اي يغشيكم ايمانا او امنة على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا ويجوز ان ينتصب امنة على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم
اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في
انه يغشاكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله
لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قال صاحب الكشاف لا تبعد فصاحة القرآن من احتماله وله فيه نظائر وقد الم به
من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود قال صاحب الانتصاف فيه بعد لان هذه الاستعارة البعيدة للنوم
انما تستحسن في الشعر لبنائه على المبالغة ولا يوجد مثلها في الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قيل لا نمنع استعمال المجاز في كتاب الله بمثل هذا المعنى لا انه غير مستحسن لان هذا الاسلوب في الدرجة العليا من
وكلام الله انما كان معجزا من حيث اللفظ والمعنى اذا استعمل فيه امثال ذلك والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم
فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل
عليكم روي ان المسلمين نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى
وغلبوهم عليه واصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين واصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال تزعمون ان فيكم
نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا عليهم فارسل الله
تعالى عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفأ الغبار
ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وليربط على
قلوبكم بالثقة بلطف الله بالمطر وزال الخوف عنهم فكل من يثبت على امر يربط قلبه عليه كانه حبس قلبه من ان يضطرب قال الواحدي
انه يجوز ان يكون على ههنا صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع بينهم من الرعب قال الامام فيه انه لا يكون صلة لان كلمة على تفيد
الاستعلاء فالمعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ
في الرمل بتلبيد الارض وقيل بالنصر وتقوية القلب اذ يوحي ربك الى الملائكة ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم الله وان ينتصب
بيثبت اني معكم مفعول يوحي والمعنى اني معكم بالنصر معينكم على التثبيت فثبتوا الذين آمنوا اي قووا قلوبهم وصححوا عزائمهم
ونياتهم في الجهاد وقيل ان ذلك التثبيت حضورهم معهم في الحرب وقيل بمعونتهم اياهم في قتال عدوهم وقيل كان الملك
يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اني قد دنوت من المشركين فسمعتهم
يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه
قوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت
ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر ويجوز ان يكون غير تفسير فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل وكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام واضربوا هامة
البطل المدجج فقال عنترة وهو حار او باسلة عضب اصاب سواء الرأس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى
المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامروا ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم
قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولوا لهم قول سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب في العقاب العاجل بالقتل والخزي والنكال
ومحله الرفع على الابتداء بانهم بسبب انهم ذلك العقاب يجب عليهم بمشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا من المتعاديين

فخلاف شق صاحبه قال الزجاج جانبوا وصاروا في شق غير شق المؤمنين والشق الجانب وشاقوا الله مجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودين الله والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعني ان هذا الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيمة والمقصود منه الزجر من الكفر والتهديد عليه

قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار الكاف في ذلكم خطاب للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ذلكم العقاب او على انه خبر مبتدأ محذوف اي العقاب ذلكم ويجوز ان يكون نصبا على عليكم اي ذوقوا ذلكم فذوقوه والكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع عذاب النار الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع المضمر موضع الضمير بين الله تعالى ان العقاب تارة يكون معجلا في الدنيا وتارة يكون مؤجلا في الآخرة ونبه بقوله فذوقوه وهو المعجل من القتل والاسر على ان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل لهم في الآخرة فلذلك سماه ذوقا لان الذوق لا يكون الا بالقليل ليعرف به حال الكثير فجعل ما عجل لهم من الآلام في الدنيا كالذوق القليل بالنسبة الى الامر العظيم المعد لهم في الآخرة والذوق ايضا يدل على الوجدان

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف سمي به الجيش لانه يمشي لطائفتين اللتين يذهب كل واحدة منهما الى صاحبتها للقتال فمشي كل واحد منهما مشيا رويدا الى الاخرى قبل التداني للضرب وزحفا حال من الذين كفروا والمعنى اذا لقيتم الذين كفروا وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم ويجوز ان يكون حالا من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حالا من المؤمنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وقد نهى لهم عن الفرار يومئذ في قوله ومن يولهم يومئذ دبره اشارة عليه ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم ثم انه تعالى لما نهى عن هذا التولي بين ان هذه التولية محرم عظيم عند الله الا في حالتين احدهما ان يكون متحرفا لقتال وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها فيقال تحرف وانحرف اذا زال عن جهة الاستواء والثانية ان يكون متحيزا الى فئة جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها والتحيز التنحي وفيه لغتان التحيز والتحوز من الحوز وهو الجمع يقال حزته فانحاز وتحوز وتحيز اذا انضم واجتمع وسمي التنحي تحيزا لان المتنحي عن جانب ينفصل عنه ويجتمع الى غيره وقد علم ان هذا التحيز انما كان لا ينفرد كثرة وغلب على ظنه انه ان ثبت قتل من غير فائدة وان تحيز الى الجمع كان راجيا للخلاص وطامعا في العدو بالكثرة فيما وجب عليه التحيز الى هذه الفئة فضلا عن ان يكون جائزا ومن تولى بعد في غير هاتين الحالتين فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ومتحرفا نصب على الحال اي فلا تولوهم الادبار في حال من الاحوال الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة والا لغو من حيث اللفظ لان العامل يعمل في الحال استقلالا لا لكنها معطية في المعنى فائدتها او نصب على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا قيل حكم قوله تعالى ومن يولهم خاص باهل بدر وقيل عام في جميع المؤمنين في كل حرب بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فانه عام يتناول جميع الصور ونزول هذه الآية في اهل بدر لا يخصصه لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين قد فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر

قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم واثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان اثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول قيل ان الله تعالى اضاف القتل والرمي الى نفسه لانه كان منه التسبب والتسديد ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لان اثرها لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول قيل ان الله تعالى اضاف القتل الى نفسه لانه كان منه التسبب والتسديد ومن رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الحذف والضرب قالا بالحق كذلك سائر افعال الخلق المكتسبة من الله تعالى الانشاء والايجاد بالقدرة القديمة ومن الخلق الاكتساب بالقوى المحدثة وهذا دليل على ثبوت مذهب اهل الحق وبطلان قول القدرية وقيل انما اضافهما سبحانه الى نفسه لئلا يعجب المؤمنون وليبلي وليسم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والمثوبة وقيل ليعطيهم بالاحسان عطاء جميلا والمعنى ولاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم

قوله تعالى ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو

[illegible]

الى تنشر بكم اذا نابعد بعضي يكم شئ وطلب منها استمرار فئتي لكثرة منهم لا تنفعكم شيئا
لا يكون الا مع المؤمنين الذين لا يكونون للذنب وان الله مع المؤمنين بفتح نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ان الله مع الحق
فان ما الباقون بكسرها اما الفتح فعلى تقدير ولان الله مع المؤمنين وقيل هو معطوف على قوله ان الله موهن كيد الكافرين
اما الكسر فعلى الابتداء قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو
اسمعهم لتولوا وهم معرضون لما خاطب الله المؤمنين بقوله ان تنتهوا فهو خير لكم اتبعه بتأديبهم فقال يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولم يبين انهم ماذا يسمعون الا ان الكلام من اول السورة الى هنا
الموضع لما كان واقعا في الجهاد علم ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد والمعنى طاعة لرسول الله لان المعنى واطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله
فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة
ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وقيل وانتم تسمعون وقيل معناه ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه
وانتم تسمعون امره ونهيه والقرآن ومواعظه ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع
وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين على الحقيقة والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة
فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق فاشبه سماعكم
سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي شر من يدب على وجه الارض اي ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه
جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم قالوا ولو علم الله فيهم خيرا اي صدقا ورشدا لما لا يسمعهم اي لفهمهم
بالقرآن ولو اسمعهم لتولوا عن القرآن وهم معرضون عن الايمان لعلم الله فيهم وحكمه عليهم بالكفر والمراد الصم البكم الذي
علم الله فيهم ذلك الصمم البكم فيهم اي استماعا باللطف لا سمعهم لطفه بهم حتى يسمعه استماع المصدقين ثم قال ولو
اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف لا يرتدون بعد التصديق وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي
منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا
جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وقيل هم المنافقون وقيل هم اهل الكتاب قال اهل الصلاح لا انصاف الا لمن كان اللطف
يجعل من الله للعبد ولا ينفعه شيء وقد قال اللطف عنكما ان يحل في قلبه قبول الحق لا يضعف الله من عقيدة اهل الحق
ولا يبحث مسنا على مذهبه لم يستقيم قوله لو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ولو لطف بهم لتولوا فهم على تقدير علم الله
الخير فيهم يحب ان لا يحصل الاسماع الواقع شرطا للثانية ولو علم الله فيهم حتى لا سمعهم اسماعا يحصل لهم به الهدى وقال
ولو اسمعهم لا على ان يخلق لهم الهداية والقبول لو اسمعهم لا على ان يخلق لهم التمسي انما فالجرد التولي وهو معرض فكان الاسماع
الكل ما كان حاصلا فان حبا لعلمه تعالى بوجوده من لوازمه فلا يحصل التعبير عن عدمه وقيل
الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ولو اسمعهم بعد ان علم ان لا خير
فيهم لم ينتفعوا بها ولتولوا وهم معرضون وقيل ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره
من مواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم
ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانه لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن
الحق ولاعرضوا عنه ثم قال الامام ان هذا الحكم عليهم بالتولي عند انه يعلم الاعراض عن الحق وانهم لا يقبلونه بالبتة
بما تقرر وجب ان يكون تصديقهم بالايمان منهم محالا لانه لو صدقوا بالايمان لكان ما اخبر عنه عدم الايمان ثم تعاهد الجهل

او مع انقلابه كذبا والاول محال لان وجود الايمان مع ان الاخبار عن عدم الايمان يكون صدقا محال لانه جمع بين النقيضين
والثاني محال لان انقلاب خبر الله الصدق كذبا محال لا سيما في الزمان المنقضي وهكذا القول في انقلاب علم الله
جهلا وتقريره ما سبق مرارا ثم قال النحويون يقولون كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لاجل انتفاء غيره واذا قلت لو جئتني
اكرمتك افاد انه ما حصل المجيء وما حصل الاكرام ومن الفقهاء من قال انها لا تفيد الا الاستلزام فاما الانتفاء لاجل انتفاء الغير
فلا يفيده هذا اللفظ والدليل عليه الاية والخبر اما الاية فهي هذه الاية وتقريره ان كلمة لو لو افادت ما ذكروه لكان قوله
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يقتضي انه تعالى ما علم فيهم خيرا وما اسمعهم يقتضي انه تعالى ما علم فيهم خيرا وما اسمعهم ثم قال ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون فيكون معناه ما اسمعهم وانهم ما تولوا لكن عدم التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي
نفي الخير واخره يقتضي حصول الخير وذلك متناقض فثبت ان القول بان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره يوجب التناقض
فوجب ان لا يصار اليه واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فلو كانت لفظة لو تفيد
ما ذكروه لصار المعنى انه خاف الله وعصاه وذلك متناقض فثبت ان كلمة لو لا تفيد انتفاء غيره وانما تفيد مجرد الاستلزام
ثم قال الامام واعلم ان هذا الدليل حسن الا انه على خلاف قول جمهور الادباء ثم قال اعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام
احدها جملة الموجودات وثانيها جملة المعدومات وثالثها ان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله
ورابعها ان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والقسمان الاخيران
علم بالمقدر الذي هو غير واقع فقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم من القسم الرابع وهو العلم بالمقدر الذي هو غير واقع
وليس من اقسام العلم بالواقعات ونظيره قوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم
فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فعلم تعالى
في المعدوم انه لو كان موجودا كيف يكون حاله وايضا قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فاخبر عن المعدوم انه لو كان موجودا
كيف يكون حاله فان قيل لو في الجملتين اما لامتناع الشيء لامتناع غيره او لمجرد الاستلزام او في الاولى للامتناع وفي الثانية للاستلزام
او بالعكس والاول والثالث يقتضي امتناع التولي لامتناع الاسماع والثالث يقتضي استلزام علم الله فيهم الخير للتولي
المستلزم للمستلزم والرابع يقتضي استلزام الاسماع للتولي وهو محال اجيب بان الرابع غير مستلزم للمحال لان ذلك لان المقصود
المبالغة في التولي وبيانه ان المشروط الذي هو التولي اذا كان لازما للاسماع الذي يتوهم تعين عنده فهو في لزومه لعدم الاسماع
اولى فان التولي اذا كان لازما للاسماع الذي يبعد عنه فلزومه لعدم الاسماع اولى وهو المقصود لان التولي حاصل على كل
تقدير لانه اذا كان لازما للشيء ولنقيضه كان ثابتا على كل حال ومثل هذا الكلام انما يأتي عند قيام القرائن الدالة على ثبوت
الثاني وارتباط الكلام يعلم منه التولي الذي وقع جوابا للو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ● هذا الخطاب للمؤمنين المصدقين واستجيبوا
بمعنى اجيبوا واستجاب بمعنى اجاب ويتعدى بلام وبدون لام ووحد الضمير في دعاكم لان استجابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كاستجابة الله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالدعوة البعث والتحريض والاستجابة الطاعة والامتثال
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابي بن كعب وهو في الصلاة فصاح به فقال تعال يا ابي فعجل ابي في
صلوته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك قال كنت اصلي قال اليس الله
يقول يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وان كنت مصليا
قيل ان هذا مما اختص بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان
يقطع صلاته لما يحييكم قيل هو الايمان يحييهم بعد موتهم او كفرهم وقيل الحق وقيل هو القران فيه الحياة والسعة والنجاة في
في الدنيا والاخرة وقيل الحرب في الجهاد لانه اعزكم الله بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد قهره لكم وقيل
لما يحييكم اي الشهادة قال الله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم
حياة كما ان الجهل موت واعلموا ان الله يحول بين الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته وقيل يحول بين المرء ونيته فلا
ولا يدري ما يعمل وقيل يحول بين قلب الكافر وان يعمل خيرا وقيل يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن ولا ان يكفر الا
باذنه وقيل معناه انه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء اظهره او اسره وهو كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقيل ان القوم
لما دعوا الى القتال في تلك الحال الضعيفة ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جرأة وقيل يحول بينه وبين مراده لان الاجل حائل دون الامل
شبه ما تدبير قيل يحتمل انه تعالى يحول بينهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول مما حل بالكفار الذين هم ارادوا بقوله
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لان ختمه عليهم بانهم لو سمعوا او فهموا لم ينتفعوا يقتضي ان كان بينهم وبين قلوبهم وكان قوله
للمؤمنين في هذه الاية استجيبوا لله وللرسول ولا تأمنوا ان لم تفعلوا ما امرتكم ان ينزل بكم ما نزل بالكفار من الحول
بينكم وبين قلوبكم فنبه على ما جرى على الكفار بابلغ عبارة واعلمها بالنفس ويحتمل ان يكون المراد تجرئتهم بان الله يبدل الخوف
الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جرأة وقوة وبضد ذلك الكفار فان الله تعالى مقلب القلوب وقيل لما امرهم بالاستجابة
للطاعة حثهم على المبادرة وعلى الاستعجال قال واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه بالموت الذي لا بد منه فبادروا الطاعات
ويلتئم مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون اي فبادروا الطاعات وتزودوا منها ليوم الحشر فانه تعالى يجزيكم باعمالكم
ولا تتركون مهملين وفيه ترغيب شديد في العمل وتحذير من الكسل والغفلة قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا

منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ● انه تعالى كما حذر الانسان ان يحال بينه وبين قلبه فكذلك حذره من الفتن
والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وقوله
لا تصيبن جواب الامر والمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا
عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر اجيب بانه في معنى النهي اذا قلت
انزل عن الدابة لا تطرحنك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم ومن التبعيض لا انا المعنى لا تصيبنكم خاصة
على ظلمكم ومن التبعيض لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس وقيل هي نهي بعد امر وكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل
لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وقيل هي
صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق
هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لان سماره فيه لون الورقة التي هي لون الذئب وعن ابن عباس نزلت هذه الاية
في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة امر الله تعالى المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله تعالى بالعذاب وعن
الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن
المعنيون بها وقيل نزلت في اهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا وروي ان الزبير كان يسائر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي
اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله وعن عبد الله بن مسعود قال ما منكم من احد الا وهو مشتمل
على فتنة ان الله عز وجل يقول انما اموالكم واولادكم فتنة فايكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن واعلموا
ان الله شديد العقاب المقصود منه لزوم الاستقامة خوفا من عقاب الله قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ● لما
امرهم الله تعالى بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم باتقاء المعصية اكد ذلك التكليف بهذه الاية لانه تعالى
بين انهم كانوا قبل ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم في غاية القلة والذلة وبعد ظهوره في غاية العزة والرفعة
وذلك يقتضي الشكر بفعل الطاعة وترك المعصية اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم
في العدد مستضعفين في ارض مكة قبل الهجرة في ضعف الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يريد بهم الناس الى كفار
مكة وقيل فارس والروم لان الناس جميعا كانوا لهم اعداء مضادين منافين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار
وامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم التي احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون ربي
نقلناكم من الضعف الى القوة ومن البأساء الى الرخاء ومن البلاء الى الالاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فلا يليق ان
تشتغلوا بالمنازعة بسبب الانفال وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم بطونا
واعراهم جلودا وابينهم ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على راس الحجرين الشديدين
فارس والروم مكتوفين ولا يا كانوا في بلادهم شيء يحسدون عليه حتى جاء الله بالاسلام فمكن لهم في البلاد ووسع لهم
في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما رايتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم
يحب الشكر والشاكرون في مزيد من الله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم
تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ● لما ذكر الله تعالى انه رزقهم من الطيبات نهى عن
الاية المتقدمة منعهم من الخيانة في هذه الاية عن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان رضي الله عنه خرج من مكة فاتى جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان في مكان كذا
فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الاية وعن السدي
كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة
الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم
لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله اليهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار
بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
هذه الاية فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي
فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فحل نفسك
فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدقت به وعن المغيرة نزلت في قتل
عثمان بن عفان رضي الله عنه اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء
لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب
اذا انقطع به كانه لم يف له ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول بان تضمروا خلاف ما تظهرون وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله
عليه من فرائضه وحدوده وعن ابن عباس لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا اماناتكم يحتمل ان يكون

يحرما داخلاً في حكم النهي ولا تخونوا اماناتكم ويحتمل ان يكون نصبا باضمار ان على جواب النهي اي لا تخونوا الله والرسول
فانكم ان خنتم الله والرسول فقد خنتم اماناتكم ايضا بتضييع حرف النهي او الواو كما تنصب به بالفاء قال صاحب الكشاف
يحتمل ان يكون نصبا باضمار ان وتكتموا الحق وعن ابن عباس الامانة هي ما يخفى عن اعين الناس من فرائض الله والاعمال التي ائتمن
الله عليها العباد يقول لا تنقصوها وقيل معنى الامانات هنا الدين وهذا وذلك المنافقون ائتمنهم الله على دينه فخانوا
اذا اظهروا الايمان واشتروا الكفر وعن قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده
ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وانتم تعلمون تبعة ذلك الذنب ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني
الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن قوله تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة لما كان الداعي الى الاقدام على الخيانة هو حب الاموال والاولاد نبه تعالى على انه يجب على العاقل الحذر عن المضار المتولدة
من ذلك الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون
فيهم على حدوده ثم قال وان الله عنده اجر عظيم تنبيها على ان السعادة الاخروية خير من السعادة الدنيوية لانها اعظم في
الشرف في القوة والمدة لانها تبقى بقاء لا نهاية لها فعليكم ان تتوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا
تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
الصالحات خير وقيل هذه الاية من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم ● لما حذر الله تعالى عن الفتنة
بالاموال والاولاد رغب في التقوى التي توجب نهي النفس عن الهوى فان تتقوا الله بطاعته وترك معصيته واجتناب
خيانته يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل تعرفون به وتهتدوا به وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز
اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان وقيل فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي به باطل من خالفكم وقيل فرقانا
يفرق به في قلوبكم بين الحق والباطل حتى تعرفوه وتهتدوا به وقيل بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار
الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر وقيل مخرجا في الدين من الشبهات وتوفيقا للرجحان او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة ونجاة ويكفر عنكم سيئاتكم ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم
والمراد من تكفير سيئاتكم ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم والمراد من تكفير السيئات سترها في الدنيا
ومن المغفرة ازالتها في القيمة لئلا يلزم التكرار والله ذو الفضل العظيم لانه [illegible] ولا يطلب منه
شيئا من الاعواض لانه كامل لذاته فامتنع ان يستفيده من غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ● لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله
نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين عنه وهذه السورة مدنية وهذا القول والمكر انما كانا بمكة ولكن الله تعالى
ذكرهم ذلك بالمدينة كقوله الا تنصروه فقد نصره الله ليشكروا نعمة الله في نجاة الرسول من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح
له من حسن العاقبة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا على ما ذكر ابن عباس وغيره من المفسرين ان قريشا لما اسلمت
الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من اشرافهم وكبارهم في دار الندوة
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا جهل وابا سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن
الحارث وابا البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابني الحجاج وامية بن خلف فاعترضهم ابليس في
صورة شيخ فلما راوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك قبله من الشعراء زهير والنابغة وامثالهم
فصرخ عدو الله الشيخ النجدي لعنه الله وقال بئسما الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه منكم قالوا صدق
الشيخ فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا
غاب عنكم واسترحتم وكان امره في غيركم فقال ابليس بئس الراي يعمد الى رجل قد افسدكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم
افلم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه واخذه القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن
عليكم ثم لياتينكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل اشرافكم قالوا والله صدق الشيخ قال ابو جهل لاشيرن عليكم براي ما ارى غيره اني
ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش غلاما وتعطوا كل رجل منهم سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في
القبائل كلها فلا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلهم فانهم اذا راوا ذلك قبلوا العقل فعقلناه واسترحنا
فقال ابليس صدق هذا الفتى وهو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ان ينام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ
قبضة من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤوسهم ويقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون
ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه
وامانته وبات المشركون يترصدون يحرسون عليا وهو في فراش النبي صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم ورد مكرهم [illegible] الا وضع على راسه ترابا

فقالوا له

فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل مروا بالغار فراوا على بابه نسج العنكبوت
فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك وقيل
ليثبتوك في الوثاق وقيل ليحبسوك وقيل ليثخنوك بالضرب والجراح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وفلان
مثبت وجعا او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله [illegible] والله خير الماكرين [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون ● لما حكى الله مكرهم في ذات محمد
[illegible]

منسوخة بالآية التي تليها وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فمعنا كانوا اولياءه الحقيقة فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون فقاتلوا بمكة فاصابهم فيها الجوع والحصر وقيل وهم يستغفرون ناوعا اصلابهم من يستغفر وقيل ان
وما كان الله ليعذبهم حكاية عن المشركين انهم قالوها وهي متصلة بالآية الاولى وذلك ان المشركين كانوا يقولون والله
لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها وذلك من قولهم ورسول الله بين اظهرهم فقال الله تعالى لنبيه يذكر لهم جهالتهم
وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وما كان ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون ثم قال لهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد
الحرام قال صاحب الكشاف اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله
وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب الاستئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر
عنهم والدليل على هذا الاستغراق قوله وما لهم الا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم
اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وما لهم اي شيء يمنعهم من عذاب الله يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف
لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما
كانوا اولياءه ان اولياؤه اي اولياء البيت المحترمون عن الشرك والمعاصي قال صاحب الكشاف وما استحقوا مع اشراكهم
وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباته ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره
انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند
ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **قوله تعالى** وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ● لما قال الله في حق الكفار انهم كانوا اولياء البيت الحرام تعالى ان اولياؤه
الا المتقون بين بعد ما خرجوا من ان يكونوا اولياء البيت وهو ان صلوتهم عند البيت وتقربهم وعبادتهم مكاء وتصدية
والمكاء الصفير فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو ومكاء اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد
اذا ضج ومنه يصدون والتصدية صدهم عن بيت الله وعن دين الله وعن الصلاة وهو على هذا التاويل التصددة و
احد الدالين [illegible] قال ابن عباس كانت قريش يطوفون حول البيت وهم عراة يصفرون فيها ويصفقون وقال
مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم
في افواههم ويصفرون يخلطون عليه طوافه وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد قام رجلان
من المشركين عن يمينه فيصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم
من بني عبد الدار فقتلهم الله ببدر فذوقوا العذاب بالقتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة
قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون
والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في
جهنم اولئك هم الخاسرون ● لما شرح الله احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها بشرح احوالهم في الطاعات المالية
قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت في ابي سفيان ابن حرب استأجر يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه
وسلم سوى من استجاش من العرب وانفق على المشركين اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وقيل لما اصيب قريش
من اصحاب القليب يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل
وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان ومن كانت له في تلك
العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا
ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففعلوا ذلك فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل هم اهل بدر وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري والنضر بن
الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها اي سيقع هذا الانفاق ثم تكون عليهم
حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذات اموالهم تصير ندما وحسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم وبين
المؤمنين سجالا قبل ذلك [illegible] كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا منهم الى جهنم يحشرون [illegible]
من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله بذلك الحشر الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران
يجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعه حتى يضمه كالسحاب المركوم وهو المجتمع الكثير فيجعله في جهنم
الخبيث منهم [illegible] ليميز الله الخبيث فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يركبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا
اي لفرط ازدحامهم واللام في قوله ليميز متعلقة بقوله يحشرون وقيل العمل الخبيث من العمل الطيب الصالح فيثيب على الاعمال
الصالحة الجنة ويثيب على الاعمال الخبيثة النار وقيل انفاق الطيب في سبيل الله من الانفاق الخبيث في سبيل الشيطان
فيجعل نفقاتهم في قعر جهنم [illegible] هذا اللام في قوله ليميز الله متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة [illegible]

[illegible]

والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير
لما امر الله بالمقاتلة وكان من المعلوم ان عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة ذكر حكم الغنيمة الغنم لغة الفوز بالشيء يقال غنم
يغنم غنما فهو غانم والغنيمة في الشريعة ما دخل في ايدي المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل والركاب وما في
انما موصولة العائد اليه محذوف من شيء بيانه تقديره جميع ما غنمتموه حتى الخيط فان لله خبر مبتدأ اي فالحكم ان لله خمسه
او مبتدأ محذوف الخبر اي فان لله خمسه واجب ويحتمل ان يكون بدلا من الاولى وما لغا زائدة قيل فان لله خمسه مفتاح الكلام
ذكر اسم الله تبركا ولله الدنيا والاخرة وانما معنى الكلام فان للرسول خمسه قال الآية يقتضي ان يؤخذ خمسها قيل ان ذلك
الخمس يخمس فيه سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس
وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
لكونك منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن منك وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا
في الجاهلية والاسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه بالاخرى
وثلاثة اخماس صرف الخمس لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد وفاة الرسول فعند الشافعي انما يقسم على خمسة
اسهم سهم لرسول الله يصرف الى من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح وسهم لذوي القربى من اغنيائهم
وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وهي اليتامى والمساكين وابن السبيل وعند ابي حنيفة
رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه ساقط بسبب موته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهو اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال مالك الامر مفوض الى
اجتهاد الامام وقال ذلك وقيل ان خمس الغنيمة يقسم على ستة اقسام فواحد منها لله وواحد لرسول الله وواحد لذي
القربى والثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل والدليل عليه انه تعالى جعل خمس الغنيمة لله ثم اطلق نصف الخمس فيجعل
سهم الله يصرف الى الرسول وقيل يصرف الى عمارة الكعبة وقيل انه عليه السلام كان يضرب يده في هذا الخمس فما قبض عليه من شيء
جعله للكعبة وهو الذي سمي لله وعن ابن عباس سهم الله وسهم رسوله جميعا لذوي القربى وليس لله ولا لرسوله منه شيء وكانت
الغنيمة تقسم على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد تقسم على اربعة فربع لله وللرسول ولذوي القربى
فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا والربع
الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين والرابع لابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان على ستة لله وللرسول
سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثة لليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي
عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم
ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن
على ذلك [illegible] وقيل الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
علي رضي الله عنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسين في سهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر

ايام النصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة قوله ان كنتم متعلق بمحذوف يدل عليه قوله واعلموا اي اعلموا ان كنتم آمنتم بالله
ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم
المتضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا من الآيات والملائكة والفتح يوم الفرقان يوم فرق فيه بين الحق والباطل يوم بدر يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع الكافرين والقوم يوم بدر وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان والله
على كل شيء قدير فيقدر ان ينصر القليل الذليل على الكثير الجليل كما فعل بكم ذلك اليوم وفي قوله يوم الفرقان من
التتميم وان المراد بالآيات العدد وفيه تصوير تلك الحالة الدالة على ضعف احد الفريقين وقوة الآخر وغلبة الضعيف
على القوي بما ان لله من اسباب الفتح والنصر ولو قيل يوم بدر لم يفد هذا المعنى والذي يدل على التصوير ابدال قوله اذ انتم
بالعدوة الدنيا ثم تبيان اذ يريكهم انا التقيتم واعينهم قليلا وتقليلكم في اعينهم **قوله تعالى** اذ انتم بالعدوة
الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله سميع عليم ● اذ انتم بدل من يوم الفرقان وقيل مفعول اذكر وهو مقدر
والعدوة بكسر العين والضم والفتح شط الوادي قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بكسر العين في الحرفين والباقون بالضم فيهما والدنيا
تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى كلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى كالقود
في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا على القياس الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب
واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا هو شفير الوادي الادنى الى المدينة وهم اي المشركون بشفير الوادي الاقصى من المدينة
والركب يعني العير لانهم كانوا باسفله والعير اسفل منكم بساحل البحر واسفل نصب على الظرف معناه مكانا
اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا وفائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الجميع واتيان العير اسفل منكم الاخبار
عن الحالة الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله تعالى ودليلا على ان ذلك الامر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر
قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار
تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها
تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن
الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم
ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه
تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين
مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مخوفين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وتسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم
العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه
للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن التلاقي ما وقع ولكن الله سبب له ليقضي الله امرا كان مفعولا متعلق
بمحذوف اي ليقضي الله امرا اراد ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك ليهلك بدل منه وحمل الهلاك
والدمار على الكفر ضمائر الشرائع اليمن الظهر المعجزة والآيات على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن ربه
من وعد النصر والظفر والفتح وقوله ليهلك من هلك عن بينة اشارة الى هذا المعنى وهو ان الذين هلكوا انما هلكوا بعد مشاهدة
هذه المعجزة والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة والمراد من البينة هذه المعجزة وقيل ليموت من يموت
على بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه وكذا الحياة من يحيى بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل ليكفر
بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويؤمن من آمن على مثل ذلك قال صاحب الكشاف الهلاك والحياة استعير
للكفر والاسلام فالمعنى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم
ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي
من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها قرأ نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حيي باظهار الياءين والباقون بالادغام
والاظهار جائز على الاصل ثم ختم الآية بقوله وان الله لسميع عليم اي سميع بدعائكم عليم بحاجتكم وضعفكم او عليم بكفر من كفر وايمان من آمن
قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه
عليم بذات الصدور ● هذا من النعم التي انعم الله على رسوله يوم بدر اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بقوله عليم اي عليم بالمصالح اذ يقللهم في اعينكم في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه المشركين في
رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل
للقطيفة المنامة لانها ينام فيها قال صاحب الكشاف وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة
عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
اختلفتم في الامر وتفرقت كلمتكم فيما تصنعون لترجحتم بين الكرار والفرار ولكن الله سلمكم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم
بذات الصدور بما يحصل فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع **قوله تعالى** واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم

عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم

في اعينهم

[illegible]

ولا تختلفوا منصوب باضمار ان ويجوز جزمه لدخوله في حكم النهي اي التنازع ثم [illegible] الفشل وتذهب ريحكم
شبهت في نفوذ امرها وتمشيته بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل لم يكن قط
نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن مجاهد اي نصرتكم وذهبت ريح اصحاب محمد
حين تنازعوا يوم احد [illegible] واصبروا ان الله مع الصابرين
المقصود انه لما امر بالجهاد بالصبر ان الله مع الصابرين بالنصرة والمعونة ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين خرجوا من
ديارهم بطرا هم اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى
ابو جهل حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاءهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كاس المنية مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا
مثلهم بطرين مرائين باعمالهم والبطر الطغيان في النعمة فان النعمة اذا كثرت شغلت العبد عن صرفها في مرضاة
بها من الله فذلك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على اهل الزمان فذلك البطر ورئاء الناس هذا
على القصد الى اظهار الجميل مع ان في باطنه قبيحا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآهم في موقف بدر قال
اللهم ان قريشا اقبلت بفخرها وخيلائها تعارضه دينك وتحاربه رسولك ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون
من قبول دين الله الاسلام ويكون بطرا ورئاء الناس حالا اي بطرين مرائين ويصدون ويجوز ان يكون
بطرا او رئاء الناس مفعولا له قال الامام اما عطف الاولين بالمصدر والثالث بالفعل لان الاسم
يدل على الثبات والاستقرار والفعل على التجدد وابو جهل وشيعته كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب
عن سبيل الله انما حصل في الزمان الذي ادعى محمد صلى الله عليه وسلم النبوة والله بما يعملون محيط [illegible]
[illegible] الى الفعل المخصوص [illegible] في الحقيقة [illegible]
[illegible] من البطر والرياء والتصنع **قوله تعالى** واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
والله شديد العقاب ● قيل تقديره واذكر اذ وقيل هو عطف على ما تقدم تقديره واذ يريكم الله واذ زين لهم
التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون [illegible]
[illegible] الشيطان وطاعته [illegible] نكص على عقبيه [illegible]
كان ذلك على سبيل الوسوسة [illegible] وعن ابن عباس وابن اسحق والكلبي وغيرهم انه لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فكان ذلك يثنيهم فتمثل ابليس في جند من الشياطين معه راية في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة
فلما رأى الملائكة تنزل [illegible] نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم [illegible]

ولى مدبرا وقيل رجع القهقرى على عقبيه قفاه هاربا وقيل رجع من حيث جاء وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص
قال له الحارث يا سراقة أتخذلنا على هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون فقال والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب فقال إني أخاف الله فقال
الحارث فهلا كان هذا أمس فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فلما بلغ ذلك
سراقة قال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا في كذا فحلف لهم
فلما أسلموا علموا أنه الشيطان والله شديد العقاب قيل هذا حكاية عن إبليس وقيل انقطع الكلام عند قوله إني أخاف الله
ثم قال والله شديد العقاب وفي الحديث ما رئي إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة
إلا ما رأى يوم بدر قوله تعالى إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله
عزيز حكيم ● لم يدخل الواو في قوله إذ يقول ...

[illegible]

ظلمهم قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة وهم لا يتقون ● لما وصف الله تعالى كل الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين أفرد بعضهم بمزيد في الشر والفساد
فقال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا أي في حكمه وعلمه من حصلت لهم صفتان أحدهما استمرار الكفر والإصرار عليه
بحيث لم يتغير عنه أصلا والثانية نقض العهد ثم عطف المستقبل على الماضي لبيان أن من شأنهم نقض العهد مرة بعد أخرى
قال ابن عباس هم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح
ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف
إلى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون
الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار قوله تعالى فإما تثقفنهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ● إنه
تعالى أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفق تارة كما في قوله تعالى فاستغفر لهم وإلى التغليظ أخرى كما في هذه الآية فإنه
تعالى لما ذكر الذين ينقضون عهدهم في كل مرة بين أنه إذا عاملوا به تثقفنهم تصادفنهم وتدركنهم وتظفر بهم
وقيل بينهم في الحرب فشرد بهم ففرق بهم عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من خلفهم من
ورائهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم عن ابن عباس رضي الله عنهما فنكل بهم من وراءهم
عن قتادة عظ بهم من سواهم عن سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم ابن زيد أخفهم بهم وقيل أرهب بهم
جمع كل ناقض بما يبلغ من عطاء أثخن فيهم القتل حتى يخافك أهل مكة وأهل اليمن وغيرهم وعن ابن [illegible]
[illegible] واصل التشريد
التطريد والتفريق والتبديد لعلهم للمشردين من ورائهم يتعظون ويعتبرون فلا ينقضون العهد وإما تخافن تعلمن
يا محمد من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات تظهر لك منهم من آثار الغدر والخيانة ونقض العهد كما ظهر لك من بني قريظة
فانبذ إليهم فاطرح إليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بأن لا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك
خيانة منك أي أعلمهم قبل حربك إياهم أنك فسخت العهد وقطعت ما بينك وبينهم حتى يصيروا أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم
محارب فيأخذوا أهبتها وتبرأ من الغدر وقيل على سواء أي مهل [illegible] فسيحوا في الأرض أربعة أشهر إن الله لا يحب
الخائنين فلا يكن منك إخفاء نقض العهد والخداع قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ●
لما بين ما يفعله الرسول في حق من يثقفه في الحرب وما يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد بين حال من فاته يوم بدر وغيره لكيلا تبقى
حسرة في قلبه [illegible] فقال ولا تحسبن الذين كفروا أي
والكسائي وحفص عن عاصم بالياء على أن الفعل للذين كفروا [illegible] لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا بل فعل
أن سبقوا [illegible] واستدل عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا [illegible]
[illegible] لا يعجزون [illegible] في محل الحال يعني سابقين
[illegible] وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا [illegible]
الذين كفروا سبقوا قال صاحب الكشاف وهذه الأقاويل كلها متمحلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله [illegible]
صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا [illegible]
[illegible]
وكل واحدة من المفتوحة والمكسورة تعليل [illegible] لا يعجزون
ولا يعجزون [illegible] قوله تعالى وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ● لما أوجب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشرد من صدر منه نقض العهد وأن ينبذ
العهد إلى من خاف منه الخيانة والنكث [illegible] وقيل إنه لما اتفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة ولا أهبة أمرهم أن لا يعودوا لمثله وأن يعدوا ما استطاعوا من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عدد
أو من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من الخيل والسلاح والكراع وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ثلاثا ألا إن القوة الرمي [illegible]
[illegible] القوة الحصون ومن رباط الخيل [illegible] الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة
ويجوز أن يكون جمع ربيط [illegible] وخص من بينها الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل
وميكال ترهبون تخوفون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم أهل مكة وآخرين من دونهم قال مجاهد هم بنو قريظة وقال
ابن زيد هم المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويغزون معكم قال السدي هم أهل فارس وقيل

من كفار الجن وقيل كل عدو للمسلمين غير الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتركهم وما تنفقوا من شيء فهو عام في الجهاد وفي
سائر وجوه الخيرات يوف اليكم ... وانتم لا تظلمون
لا تنقصون من الثواب قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم لما بين ما يرهب به
العدو [illegible]
انحاها لغة السلم يؤنث تأنيث نقيضه وهي الحرب قال الشاعر السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع ● قرأ ابو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين والباقون بالفتح وهما لغتان قيل هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وقيل بقوله فاقتلوا المشركين وقيل غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان الصلاح فيها فاذا رأى مصالحتهم
فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة اذا كانت القوة للمسلمين وان كانت القوة للمشركين جاز مهادنتهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة
عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هادن اهل مكة عشر سنين وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر
في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من خديعتهم ومكرهم انه هو السميع بما يقولون العليم بما يضمرونه قوله تعالى
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ● لما امر بالصلح ان جنحوا اليه ذكر في هذه الآية انهم ان صالحوا وارادوا
ان يخدعوك فلا تمتنع من الصلح فان الله ينصرك ويؤيدك فان حسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان
تلبسوا خز الثياب وتشبعوا يقال حسبي وحسبك اي كفاك فهذا رجل حسبك من رجل وهو مدح للنكرة لانه في تأويل فعل كانه
قال محسب اي كاف لك عن غيره استوى فيه الواحد والجمع والتثنية لانه مصدر هو الذي ايدك بنصره يوم بدر وبالمؤمنين
بالانصار والف بين قلوب المؤمنين اي جمع بين قلوب الاوس والخزرج على دينه كان بين الاوس والخزرج ما كان بينهم
من الحروب ما لو تابع لاهلك ساداتهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي
يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب الاخرى وتكرهه وتنفر
عنه فانساهم الله ذلك حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اخوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه
وبليغ قدرته وقيل التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله من الآيات الباهرة لان العرب فيهم من الحمية والعصبية
والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا ... وذلك لما نظم الله الفتهم وجمع كلمتهم واحدث
بينهم من التحابب والتوادد ما اماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب
يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم
قوم لا يفقهون لما وعده بالنصر عند مخادعة العدو وعده بالنصر والظفر مطلقا قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الآية وقيل نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل
القتال فعلى الاول مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء الواو بمعنى مع وما بعده
منصوب بقولك حسبك وزيد درهم اي حسبك مع من اتبعك الله ولا يجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال الشاعر فحسبك
والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى تابعيك من المؤمنين الله ناصرا وقيل هو في محل الرفع عطفا على اسم الله تقديره
ومتبعوك من المؤمنين اي كفاك الله وكفاك من اتبعك من المؤمنين ثم بين انه وان كان يكفيك الله ومن اتبعك من المؤمنين لكن
بشرط ان تحرض المؤمنين على القتال فان الله انما يكفيك بالكفاية بشرط ان تحصل منهم بذل النفس والمال في الجهاد والتحريض
المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويبالغ فيه حتى يشفي على الموت وقيل التحريض تسميته حرضا
[illegible] على الاول معناه يا ايها النبي حث المؤمنين على القتال اي بالغ في الامر
بالقتال وعلى الثاني معناه سمهم حرضا ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون محتسبون يغلبوا مائتين من عدوهم ويهزموهم
وان يكن مائة صابرة محتسبة تثبت عند لقاء العدو يغلبوا الفا من الذين كفروا وليس المراد منه الخبر بل الامر كانه قال
ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين بانهم بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير
احتساب ولا طلب ثواب ... خشية ان يقتلوا وكل هذا يوم بدر ... كان عليهم
[illegible]

الان

ان لا يعلمون ... ويعدونه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكفار وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
اي لا ينفع الغلبة الا باذن الله وارادته والله مع الصابرين عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا باذن الله
وكيف لا يغلبون من كان الله معهم فردوا من عشرة الى اثنين فاذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا واذا كانوا اكثر من ذلك
لا يجب عليهم القتال ويجوز لهم الهزيمة قال صاحب الكشاف فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا يتفاوت لان الحال قد يتفاوت بين
مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين المائة المائتين والالف الالفين قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ● المقصود من هذه الآية تعليم حكم آخر من احكام
الجهاد في حق النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ابو عمرو تكون بالتاء لتأنيث لفظ الاسرى والباقون بالياء لتقديم الفعل ومعنى الاثخان كثرة القتل
والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة
حتى يثخن في الارض حتى يبالغ في قتل المشركين واسرهم وقهرهم ... في هذا الامر ... والثخانة معرفة
بعد قتل ... ويضعف حزب الكفر وتضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء ثم الاسر بعد ذلك
ومعنى ما كان لنبي ما صح له وما استقام قال قتادة كان هذا يوم بدر ففادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالاربعة الاف
... ما كان لنبي ... رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كان اول قتال قاتل المشركين وعن ابن عباس كان هذا يوم بدر
والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله
عليه وسلم في امر الاسارى بالخيار ان شاء قتلهم وان شاء استعبدهم وان شاء اعتقهم روي انه اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون
لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا
من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب لعمر فلاضرب عنقه وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب
فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطع الله رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس
يأخذ بقول ابي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر ... ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم قتلتموهم
وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد ... وكان فداء الاسير ...
اربعون ... العباس ... رسول الله صلى الله عليه
وسلم ... روي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وقال لو نزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ ...
... تريدون عرض الدنيا حطامها ...
المتكلمون ... لا ثبات له ... عرض الدنيا ...
[illegible]
... لولا كتاب من الله سبق ... لمسكم يا اهل بدر
في اللوح المحفوظ بان الله يحل لكم الغنيمة وعن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق من انه لا يعذب احدا ممن شهد
بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه
لا يأخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة وقيل لولا حكم من الله سبق انه لا يعاقب احدا بالخطأ وكان هذا خطأ في
الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله
عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل لولا كتاب من الله سبق في انه لا يعذب الا بعد النهي لعذبكم
فيما صنعتم والله تعالى ما نهاهم عن اخذ الفداء وقيل معناه لولا ان حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسكم
واصابكم فيما اخذتم من الغنيمة والفداء قبل ان تؤمروا بها عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم
اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم ومعنى الفاء التسبب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله ولا تقدموا على المعاصي بعد ذلك وقيل
لا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه واعلموا ان الله غفور لكم ما اقدمتم عليه من المعاصي قبله ورحيم بما اتيتم من الحسنات وقيل
واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية وقيل معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة

الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه فغفر لكم ورحمكم وتاب عليكم قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم لما اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الفداء من الاسارى وشق عليهم اخذ اموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استمالة لهم عن ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث كان العباس اسير يوم بدر ومعه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فاراد ان يطعم ذلك اليوم فقتل قبل ذلك وبقيت العشرون الاوقية مع العباس فاخذت منه في الحرب وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فكلم العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذلك الذهب عليه فابى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اما شيء خرجت لتستعين به علينا فلا اتركه وكلف فداء ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل وكان نفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فوضعها لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه فامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وهذه الآية وان نزلت في الاسارى فانما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل في الخير الايمان والعزم على الطاعة في جميع التكاليف والتوبة من الكفر ومن جميع المعاصي والعزم على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوبة من محاربته قل لمن في ايديكم من الاسارى الذين اخذتم منهم المال ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الاموال وان يريدوا خيانتك اي وان يريدوا الاسرى خيانتك نقض ما بايعوك عليه من الاسلام والردة وعدم ما ضمنوا له صلى الله عليه وسلم لما اطلقهم من الاسر وعاهدهم ان لا يعودوا الى المحاربة والى معاضدة المشركين فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه وقيل المراد انهم كانوا يقولون لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اذا خلصوا من البلية عادوا الى الكفر ونقض العهد ونقض الميثاق فامكن منهم كما رأيتم ببدر من قتل بعضهم واسر بعضهم فامكن المؤمنين منهم في كل حال منهم اذا عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم ببواطنهم وضمائرهم حكيم يجازيهم باعمالهم

قوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ان الله تعالى قسم المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام وذكر حكم كل قسم منهم وتقريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت بعثته بمكة وعاداه الناس الى ان هاجر الى المدينة فمنهم من وافقه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها اما الذين وافقوه في تلك الهجرة فهم الاولون لانه تعالى قال في آخر الآية والذين آمنوا من بعد وهاجروا وقوله الذين آمنوا اشارة الى الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وهاجروا اي فارقوا اوطانهم وهجروا اقوامهم وعشيرتهم حبا لله ورسوله وجاهدوا باموالهم بانفاقها في الجهاد وبانهم لما فارقوا الاوطان فقد ضيعوا الدور والمساكن والضياع والمزارع وبقيت في ايدي الاعداء وبانفاقها في المهاجرة وانفسهم باقدامهم على الجهاد بسبب غير آلة وعدة مع الاعداء الموصوفين بالكثرة والشدة فذلك يدل على انهم بذلوا انفسهم في سبيل الله والقسم الثاني من المؤمنين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين آووا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه الى ديارهم واسكنوهم منازلهم ونصروهم على اعدائهم وبذلوا النفس والمال في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار فعلم انهم آووا ونصروا وان المهاجرين اعلى مرتبة من الانصار لسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل وتحملهم المشقة والاذى زمانا مديدا من كفار قريش وصبرهم عليه وعلى المضار الناشئة من مفارقتها الاوطان والاهل والجيران وفتحهم الباب في قبول الدين والشريعة من الرسول صلى الله عليه وسلم اولئك بعضهم يتولى بعضا في الميراث دون اقاربهم الكفار عن ابن عباس كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابات وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فنسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الارحام بعضهم اولى ببعض من المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين شتى قال الامام ان لفظ الولاية غير مشعر بهذا المعنى لان اللفظ مشعر بالقرب فقط ومنه يقال في وصف الكتاب بعينه السلطان وولي الامر والولي له ولا يفيد الارث وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا يفيد الارث بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير الارث وهو كون بعضهم معظما للآخر مهتما بشانه مخصوصا بمعاونته ومناصرته والمقصود ان يكونوا كاليد الواحدة على الاعداء وان يكون حب كل واحد لغيره جاريا مجرى حبه لنفسه واذا كان اللفظ

محتملا

محتملا لهذا المعنى كان حمله على الارث بعيدا عن دلالة اللفظ لا سيما وهم يقولون ان ذلك الحكم صار منسوخا بقوله تعالى في آخر هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واي حاجة تحملنا على حمل اللفظ على هذا المعنى الذي لا اشعار لذلك اللفظ به ثم الحكم بانه صار منسوخا باية مذكورة معه هذا في غاية البعد اللهم الا اذا حصل اجماع المفسرين على ان المراد ذلك فحينئذ يجب المصير اليه لكن دعوى الاجماع بعيدة القسم الثالث من المؤمنين الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل بقوا في مكة ما لكم من ولايتهم يعني الميراث من شيء حتى يهاجروا لانهم توهموا ان الولاية سقطت مطلقا فازال الله هذا الوهم بقوله حتى يهاجروا يعني انهم لو هاجروا لعادت تلك الولاية على اكمل الوجوه فلا شك ان يعينهم في نصرهم مثاله في المهاجرين وان استنصروكم في الدين فواجب عليكم النصر على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في العون والنصر ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموادتهم والتجاوب بمباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان كانوا يتوارثون بعضهم بعضا عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في مواريث مشركي اهل العهد وقال رجل يورث دون وارثه المسلمين من المشركين فنزلت هذه الآية الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على النسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض وفساد كبير لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد وهاجروا القسم الرابع من المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا من بعد وهاجروا يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان عن ابن عباس رضي الله عنه هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد بدر وقيل بعد الهجرة الاولى هم التابعون باحسان كما قال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فاولئك منكم يدل على انه تبعا وان رد مرتبة المهاجرين السابقين لانه الحقهم بهم وجعلهم منهم في معرض التشريف واولوا الارحام اولو القرابات وهو نسخ التوارث بالهجرة والنصرة قال الامام اما الذين فسروا الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم قالوا ان تلك الولاية لما كانت محتملة للولاية بسبب الميراث بين تعالى في هذه الآية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة الا ما خصه الدليل فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم وهذا اولى لان تكثير النسخ من غير ضرورة وحاجة لا يجوز في كتاب الله [illegible] وقيل في القرآن وهي آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام واجاب اصحابنا بان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الشيء الذي جعلت فيه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التي بينها الله في كتابه وتلك الاحكام ليست الا ميراث العصبات فوجب ان لا يكون المراد من هذا المجمل هو ذلك المفصل [illegible] على توريث ذوي الارحام ثم قال في ختم السورة ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها شيء من العبث والباطل لان العالم بكل شيء لا يحكم الا بالصواب

سورة التوبة

وهي مائة وثلاثون آية واربعة آلاف وثمان وتسعون كلمة وعشرة آلاف واربعمائة وثمانية وثمانون حرفا قال صاحب الكشاف لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه عن ابن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمان رضي الله عنه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقال عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فاذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال وعن ابي بن كعب انه قال انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة التوبة سورة واحدة او سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لان كلتيهما نزلت في القتال ومجموعهما السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال انهما سورة واحدة وقيل انه تعالى

تم سورة الأنفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضاً وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله
تعالى براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيداً له وتقريراً له وقع الفصل بينهما فكان ايقاع الفصل بينهما تنبيهاً على كونهما
سورتين متغايرتين وترك كتبة بسم الله تنبيهاً على اتحاد المعنى وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت علياً رضي الله عنه
لم لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وليس
فيها امان وسئل سفيان بن عيينة رضي الله عنه فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة واكد بقوله تعالى
ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً فقيل له فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم
قال انما ذلك ابتداء منه يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الاسلام فاجاب ودعي الى الجزية
فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلّم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا
هذا انما نكله قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا
انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس
بصلة والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان وقيل يجوز ان يكون
براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين فانه منبوذ اليهم وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود
المشركين اليهم فانه تعلق المسلمين بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله تعالى النبذ اليهم خوطب
المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة
وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناساً منهم وهم بنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا
لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها
سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم
سنة تسع ثم اتبعه علياً رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني
الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور
قال مأمور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل علياً فرجع
ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي
فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا
عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر
ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا
هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فربما لم يقبلوا فازيحت علتهم بتولية ذلك علياً رضي الله عنه وقوله تعالى فسيحوا رجوع من الخبر الى الخطاب
اي قل لهم سيحوا اي سيروا في الارض مقبلين مدبرين آمنين غير خائفين احداً من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا اسر يقال ساح
في الارض يسيح سياحة وسيحاً وسيحاناً والسياحة في الارض الضرب فيها والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع
العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب يقال للصائم سائح لانه يشبه السائح لتركه الطعام والشراب اربعة اشهر قيل المشركون الذين
برئ الله ورسوله اليهم من العهود صنفان احدهما كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر فامهل تمام اربعة اشهر والآخر كانت مدة عهده
بغير اجل محدود فقصر بهم على اربعة اشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث ما ادرك ويؤسر
الا ان يتوب وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع الاول واما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ
الاشهر الحرم وذلك خمسون يوماً وعن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل
هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرماً لانهم أومنوا فيها وحرم قتالهم
وقتلهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون اربعة اشهر فاتم له الاربعة الاشهر ومن كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا الذي
امر ان يتم له عهده وقال فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال مقاتل نزلت في ثلاثة احياء من العرب خزاعة وبنو مدلج وبنو خزيمة
كانوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد هدنة لا يبدأ احداً من الناس وقال الحسن رضي الله عنه بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وامره
ان يدعو الناس الى التوحيد والطاعة وفرض الشرائع وامره بقتال من قاتله من المشركين بقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
وكان لا يقاتل الا من قاتله وكان كافة اهل العهود والذين كانوا معاهدين الثلاثة الاربعة الاشهر حتى ينظروا في امرهم فاما
ان يسلموا واما ان يؤذنوا بحرب من الله ورسوله ولم يكن لاحد منهم اكثر من اربعة اشهر لان من كان له عهد قبل البراءة
ومن لم يكن له عهد كانوا في الاجل جميعهم اربعة اشهر واحل دماء المشركين كلهم من اهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الاجل قال
الحسن بن يحيى نقض كل عهد كان دون اربعة اشهر فرده الى الاربعة وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

فدخلت خزاعة

فدخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش وكان مع ذلك عهود بين النبي صلى الله
عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص فعدت بنو بكر على خزاعة ونقضوا فيها العهد وامدتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر
بنو بكر وقريش على خزاعة قتلوا منهم ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا رب اني ناشد محمداً حلف ابينا وابيه الاتلدا كنت لنا اباً وكنا ولداً ثمت اسلمنا فلم ننزع يداً فانصر هداك
الله نصراً اعتدا وادع عباد الله يأتوا مدداً فيهم رسول الله قد تجردا ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ان قريشاً اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وزعموا ان لست تدعو احداً وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم فخرج الى مكة وتجهز وفتح الله مكة وهي سنة ثمان من الهجرة ثم لما خرج الى
تبوك وتخلف من تخلف من المنافقين وارجفوا الاراجيف جعل المشركون ينقضون عهودهم فامره الله تعالى بالقاء عهودهم اليهم
ليأذنوا بالحرب وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر تلك السنة اميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه باربعين آية من صدر براءة ليقرأها على اهل الموسم فلما سار ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فقال اخرج بهذه السورة من صدر براءة واذّن بذلك في الناس اذا اجتمعوا فخرج علي رضي الله
عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى ادرك ابا بكر رضي الله عنه بذي الحليفة فاخذها منه فرجع ابو بكر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبي انت وامي انزل في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني اما ترضى يا ابا بكر ان
كنت معي في الغار وانك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله قال جابر كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر فلما
كان بالعرج ثوّب بصلاة الصبح فلما استوى ابو بكر سمع الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لقد
بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فاذا علي عليها فقال ابو بكر امير او مأمور فقال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببراءة اقرؤها على الناس فسار معه ابو بكر اميراً على الحاج وعلي يؤذن ببراءة فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية قام ابو بكر فخطب الناس
وحدثهم عن مناسكهم وقام الناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى اذا كان
يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به فقرأ عليهم سورة براءة واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين ولا سابقين
وان امهلكم وقيل اعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن للطف ومصلحة ليتوب من تاب فقيل تقييد فسيحوا اعلموا انكم لا تعجزون
الله فكان المقصود اني امهلتكم واطلقت لكم فافعلوا كلما امكنكم فعله من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تعجزون الله بل الله
يعجزكم ويقهركم وقيل اعلموا ان هذا الامهال ليس لاجل انه لا يمكنه القتل لانكم حيث كنتم في ملك الله وسلطانه وان الله مخزي الكافرين
اي مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة وهذا ضمان من الله بنصرة المؤمنين على الكافرين والخزي الاذلال مع اظهار
الفضيحة والعار والخزي بالنكال الفضيح قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله
بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
واذان اعلام ومنه الاذان بالصلاة يقال آذنته فأذن اي اعلمته فعلم واصله من الاذن اي اوقعته في اذنيه وارتفاعه كارتفاع
براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على الجملة قال صاحب الكشاف ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو
معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والجملة الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت والبراءة
بالمعاهدين والناكثين منهم والاذان عام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث من الله ورسوله
اي اذان صادر من الله ورسوله واصل الى الناس كقولك اعلام صادر من فلان الى فلان يوم الحج الاكبر عن ابن عباس رضي الله عنهما
يوم عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ورواية
المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نافع بن جبير وقيس بن عباد وعبد الله بن شداد والشعبي والنخعي والسدي
وابن زيد هو يوم النحر وهو احدى الروايتين عن علي وعن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا
بعكاظ وذي المجاز ومجنة ويوم نادى علي بما نادى وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها مثل يوم صفين
ويوم الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياماً كثيرة ووصف الحج بالاكبر لاجتماع المسلمين
والمشركين فيه وقيل يوم الحج الاكبر كان حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين ولم يتفق ذلك
قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وقيل الحج الاكبر القران والحج الاصغر الافراد وقيل الحج الاكبر الحج والحج الاصغر
العمرة لنقصان عملها من عمل الحج وقيل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك اذا اريد به يوم النحر لان
ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر ثم استأنف بين ان ذلك الاذان باي شيء فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله بحذف الباء
التي هي صلة الاذان تخفيفاً ورسوله عطف على المنوي في بريء او مرفوع على الابتداء وخبره مضمر تقديره ورسوله بريء
فان تبتم اي رجعتم عن الشرك والغدر واخلصتم التوحيد فهو خير لكم وذلك ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب
لبراءة الله ورسوله منهم وان توليتم اعرضتم عن التوبة والايمان وثبتم على الاقامة على الكفر والاعراض عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا اي بشر الذين كفروا بعذاب اليم ثم قال الا
وهو مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الخطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ۝ والاستثناء بمعنى

الا استدراك فكانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر وقيل
استثناء من قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوكم وهم بنو ضمرة حي من كنانة
ثم لم ينقصوكم شيئا من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه ولم يظاهروا عليكم احدا من عدوكم
بانفسهم ولا بالسلاح ولا بالخيل ولا بالرجال ولا بالمال كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش
بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم فادوه اليهم تاما كاملا الى اجلهم الذي عاهدتموهم عليه ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان
التقوى لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ● انسلخ
انجرد وانقضى ومضى وخرج والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث
وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين التصرف في بلاد المسلمين واقعدوا
لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز ترقبونهم به يقال رصدت فلانا ارصده رصدا اذا ترقبته وانتصابه على الظرف كقوله
تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا من الشرك واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فدعوهم ليتصرفوا في امصارهم
ويتخلى امكنة فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله تعالى فخلوا سبيلكم وكقوله خل السبيل لمن يبني
المنار ان الله غفور رحيم يغفر ما سلف من الشرك والغدر رحيم بالمؤمنين التائبين عن الشرك قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون ● مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك
احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان احد من المشركين الذين امرت بقتالهم وقتلهم
استجارك اي استامنك وطلب منك الامان بعد انقضاء الاشهر الحرم لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق ليسمع كلامك اي ما تدعو اليه من
التوحيد والقرآن ويتبين ما بعث به فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر فتقيم عليه حجة الله وتبين له دين الله
ثم ابلغه بعد ذلك مأمنه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت
وان استلحقنا العز الاسلام وحمى الدين والآخرة وصار رجلا من المسلمين ومن الحشر في حكمه الى يوم القيمة وليست منسوخة
قال سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان الرجل اذا اراد منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع
كلام الله او يأتيه لحاجة قتل فقال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الاية ذلك الامر بالاجارة
في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الايمان وما تدعوهم اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق
قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ● كيف استفهام على سبيل الانكار والاستبعاد والمعنى لا يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله وهم اضداد وغرتهم صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا
في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني
ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين الموفين بالعهد يعني
ان التربص بهم من اعمال المتقين قوله تعالى كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم
فاسقون ● اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
هم المعتدون ● كيف تكرار على الاية الاولى وتكرار للاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف
يكون لهم عهد للمشركين وقيل وكيف لا تقتلونهم وحالهم هذه انهم ان يظهروا عليكم يظفروا بكم فيقتلونكم بعد ما سبق لهم من تاكيد
الايمان والمواثيق لا يرقبوا لم يحفظوا لم ينظروا في حلف ولا عهد ولا ميثاق ولم يبقوا عليكم والا العهد وقيل قرابة وحماسا
قول حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام السقب الذكر من ولد الناقة والرال ولد النعام الال الحلف
قول ابن جحش لولا بنو مالك والال مرقبة ومالك فيهم الالاء والشرف كاشتقاقه من الال الذي هو الجوار
ودعا الله اذا قلت ليت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق
وقيل الال الله عز وجل وفيه الحديث ان ناسا قدموا على ابي بكر رضي الله عنه من عند مسيلمة فاستقرأهم ابو بكر رضي الله عنه كتاب
مسيلمة فقرؤوا فقال ابو بكر ان هذا الكلام لم يخرج من ال اي من الله ولا ذمة عهدا يرضونكم كلام مستانف في وصف حالهم من مخالفة الظاهر
الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد اي يرضونكم بالسنتهم بما ليس في قلوبهم مثل حال المنافقين وتأبى قلوبهم الا
وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون ناكثون للعهد ناقضون
كافرون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن والاسلام ثمنا
قليلا وهو اتباع الهوى والشهوات وذلك انهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
باكلة اطعمهم ابن حرب وعن مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله فصدوا الناس عن دخول دينه
فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان رضي الله عنه واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا
يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة اي لا يبقون عليكم ايها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا واولئك هم المعتدون في نقض
العهد قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ● انه تعالى لما بين حال من لا يرقب في مؤمن

[illegible]

لما لم يوفوا بها صارت كانها ليست بايمان بدليل انه تعالى وصفها بالنكث اي ايمانهم ليست ايمانا على الحقيقة
وكيمانهم ليست بايمان وقوله وان نكثوا ايمانهم وبين قوله لا ايمان لهم لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اي فقاتلوا ائمة الكفر
لكي ... فقاتلوهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه من الكفر والطعن في
دينكم والمظاهرة عليكم وهذا من غاية كرمه سبحانه وتعالى وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد قوله تعالى الا
تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ● لما قال
تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اتبعه بذكر السبب الذي يبعث المؤمنين على مقاتلتهم بحملته الهمزة على الا تقاتلون استفهاما للنفي مقالته
والكلام مع الذين تقاعدوا من المقاتلة والمراد تحضيضهم عليها والمعنى انهم قد تستقرون على ما كنتم عليه من عدم المقاتلة توبيخا
على التثبط عن المقاتلة والمراد تحضيضهم عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة قيل انها نزلت في كفار
مكة الذين نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية وقاتلوا بني بكر على خزاعة وهذا دليل على انه تعالى الناكثين اولى من غيرهم من الكفار
ليكون ذلك زجرا لغيرهم وهموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له في
الخروج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة قيل بدؤكم بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بالقتال يوم بدر لانهم
حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا واصحابه ومن معه وقيل وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي
اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض
عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان
لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم كانه قيل اتركتم تخشون احدا فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين
يعني ان قضية الايمان الصحيح الا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله قوله تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على
من يشاء والله عليم حكيم ● لما وبخهم الله تعالى على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح
نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين ويبرئ داء
قلوب قوم مؤمنين بما كانوا ينالونه من الاذى والمكروه منهم وقيل يشف صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا من المشركين من المكروه وقد انجز الله
لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ثم قال مستأنفا اخبارا بان الله
يتوب على من يشاء من اهل مكة بهديه للاسلام كما فعل بابي سفيان وعكرمة وغيرهما فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم والله عليم حكيم
اي عليم بكل ما يفعل في ملكه وملكوته حكيم مصيب في احكامه وافعاله قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ● المقصود من الاية
مزيد في الترغيب ام منقطعة وهي من الاستفهام المتضمنة في وسط الكلام معناها تنبيه لا ابتداء كان بل
الميم يفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى
يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة واولياء من الكفرة والوليجة الرجل خاصة وبطانة
والمراد ان المخلف في هذه الواقعة لا يتخلص من العتاب الا عند حصول امرين الاول ان يعلم الله الذين جاهدوا منهم العلم المتعلق
بالواقع بان يصدر الجهاد منهم والثاني ان لا يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فان المجاهد قد يجاهد ولا يكون
مخلصا بل يكون منافقا باطنه مخالف لظاهره وهو الذي يتخذ الوليجة من دون الله ورسوله والمؤمنين فبين تعالى انه لا يتركهم الا اذا اتوا

بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن النفاق والرياء ولم يتردد الى الكفار والبطانة الى الذين والمعنى انها النوع وقد دلت على
ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلاة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة
فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني والله خبير
بما تعملون • قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم
خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين • لما بدأ الله السورة بذكر براءة من الكفار وبالغ في ايجاب ذلك وذكر من انواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب
البراءة حكى عنهم شبهًا عن ابن عباس انه لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر بالله وقطيعة الرحم واغلظ
علي له القول فقال لهما العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب البيت ونفك العاني فانزل الله ردا على العباس ما كان للمشركين ما ينبغي للمشركين وما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد
اي المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام قرأه ابن كثير وابو عمرو مسجد الله اي المسجد الحرام شاهدين ... ولا تقرأ المسجد
الحرام جميع والباقون مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر المساجد ولان كل بقعة منه مسجد ويجوز ان يراد
منه جنس المساجد واذا لم يصلح ان يعمروا جنسها دخل في ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو
آكد لان طريقه الكناية لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين حال من الضمير المرفوع
في يعمروا والمعنى ما صح لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة مسجد الحرام الذي هو شرف متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته
وهي شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف
عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
اولئك حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر الاعمال الثابتة الصحيحة فما ظنك بالمقارن
لها وذلك اشارة الى قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنوا بين العمارة والشهادة على انفسهم بالكفر في حال
واحدة وذلك غير مستقيم وفي النار هم خالدون يفيد الحصر اي هم فيها خالدون لا غيرهم
انما يعمر مساجد الله انما يصح ان يعمر مساجد الله ويكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها عمن لم تبن له المساجد
من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث من آمن بالله لان المسجد موضع العبادة فما لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يبني موضعا
يعبد الله فيه واليوم الآخر لان عبادة الله انما تفيد في اليوم الآخر فمن انكره لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بيتا للعبادة ولم
لم يذكر الايمان برسول الله لانه لما علم وشهر ان الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل دل
عليه باقامة ذكر الصلاة وايتاء الزكاة لان ذكر الصلاة وايتاء الزكاة لان ذكر الصلاة
بالالف واللام ينصرف الى المعهود السابق ثم المعهود السابق عند المسلمين الذين ياتي بها محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذكر
الصلاة دليلا على النبوة من هذا الوجه واقام الصلاة لان المقصود الاعظم من بناء المساجد اقامة الصلاة
والانسان ما لم يكن مقرا بوجوب الصلاة امتنع ان لا يتضح منه عمارة المساجد وآتى الزكاة قال الامام واعلم ان الاعتبار باقامة
الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المسجد كانه يدل على ان المراد من عمارة المسجد الحضور فيه وذلك لان الانسان اذا كان مقيما
للصلاة فانه يحضر في المسجد فتحصل عمارة المسجد واذا كان مؤتيا للزكاة فانه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين
لطلب اخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد به واما ان حملنا العمارة على مصالح البناء فايتاء الزكاة معتبر في هذا الباب ايضا
لان ايتاء الزكاة واجب وبناء المسجد نافلة والانسان ما لم يفرغ من الواجب لا يشتغل بالنافلة والظاهر ان الانسان ما لم يكن
مؤديا للزكاة لم يشتغل ببناء المساجد ولم يخش الا الله الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله غيره لتوقع
مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وروي ان ابا بكر رضي الله
عنه بنى في اول الاسلام على باب داره مسجدا وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن والكفار يؤذونه بسببه فيحتمل ان يكون المراد منه تلك الحالة
يعني انه يخاف الناس من بناء المساجد الا انه لا يلتفت اليهم ولا يخشاهم بل بنى المسجد للخوف من الله وقيل يحتمل ان يكون
المراد منه ان يبني المسجد لا لاجل الرياء والسمعة وان يقال ان فلانا بنى مسجدا ولكنه يبنيه لمجرد طلب رضوان الله ولمجرد
تقوية دين الله وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى من الله واجب تعالى بعيد عن التردد والشك
وقيل كانوا يخشون ويخوفونها وقيل يرجع الى العباد وهو يفيد الرجاء وكان المعنى ان الذين يأتون بهذه الطاعات انما يأتون بها
على رجاء الفوز بالاهتداء كقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا والتحقيق فيه ان العبد عند الاتيان بهذه الاعمال لا يقطع بالفوز
بالثواب لانه يجوز من نفسه انه قد اخل بقيد من القيود المعتبرة في حصول القبول قال صاحب الكشاف المراد منه تبعيد المشركين
من مواقف الاهتداء وحسم اطماعهم من الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها فانه تعالى بين ان الذين آمنوا وضموا
الى ايمانهم العمل بالشرائع وضموا اليها الخشية من الله فهؤلاء صار حصول الاهتداء لهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة
المشركين يقطعون بانهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية
على الرجاء • قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون
عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين • عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي

ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام
وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب ...

[illegible]

مقرونة بالتعظيم وذلك هو حد الثواب وفائدة تخصيصها بالذكر انه ينبغي ان يكون هذا الثواب على الدرجة كامل المرتبة
بحسب كل واحد من هذه القيود الاربعة وقيل يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان معناه حصلنا لهم في الدنيا ما يدل على رحمته تعالى
ويكون رضا عنهم وقوله ان الله عنده اجر عظيم المراد منه الاخلاد او التعظيم الذي يجب حصولها في الثواب وفي العبارة تنبيه
من قال المرتبة الاولى من المذكورة قوله تعالى يبشرهم ربهم منهم من كان فرحه بسبب الفوز بتلك الرحمة وانما فرح لان
مولاه خصه بتلك الرحمة فيكون فرحه بالراحم فمنهم من يكون فرحه بالراحم لانه رحم ومنهم من يتوغل في الخلوص فينسى الرحمة
ولا يكون فرحه الا بالمولى فان العبد دائما مرة مع الحق وتارة مع الخلق فاذا انقطع عن الخلق واغرق في بحر نور الحق غفل
عن الجنة والجنة والنعمة والآلاء والبلاء والمحققون وقفوا عند قوله يبشرهم ربهم فكان ابتهاجهم بهذا
اوفر وهم بذكر مولاهم عليه وجذبتهم اليه ومنهم من يتصل الى تلك الدرجة العالية فلا يفرح نفسه الا بمجموع يبشرهم
ربهم برحمة منه ومنهم من يتصل الى تلك المرتبة بل استبشاره بالرحمة وهذه المرتبة هي المرتبة النازلة عند المحققين
قال الامام ومن لطائف هذه الاية انه تعالى قال يبشرهم ربهم وهو مشتمل على انواع من الرحمة والكرامة ومنها ان البشارة
لا تكون الا بالرحمة والاحسان ومنها ان البشارة كلما حصلت من جنب الله فكانت البشارة اكرم الاكرمين لا بد ان يكون البشارة مما
تعجز العقول عن وصفها وتتقاصر الافهام من نعتها ومنها انه تعالى سمى نفسه بالرب كانه يقول انا الذي ربيتكم في الدنيا بالنعم
التي لا حد لها ولا حصر لها يبشرهم بخيرات عالية وسعادات كاملة ومنها انه تعالى قدم ذكرهم على ذكره فقال يبشرهم ربهم

ان البشارة هو الاخبار عن حدوث شيء ما كان معلوم الوقوع اما لو كان معلوم الوقوع لم يكن بشارة فتكون هذه البشارة بشارة
عن سعادات لا تصل العقول الى كنهها رزقنا الله تعالى الوصول اليها بفضله واعلم انه تعالى لما قال يبشرهم ربهم بين الشيء
الذي به يبشرهم ربهم وهو امور اولها قوله تعالى برحمة منه وثانيها برضوان واما الظن بطلان والله اعلم بهذين الامرين ما ذكره
في قوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية والرحمة كون العبد راضيا بقضاء الله تعالى وذلك لان من حصلت له هذه الحالة
كان نظره على المنعم والمبلي لا على النعمة والبلاء ومن كان نظره على المنعم والمبلي لم يتغير حاله لان الحاصلة بسببه تكون منزهة عن التغير
اما من كان طالبا لحظ النفس كان ابدا في التغير من الفرح الى الحزن ومن السرور الى الغم ومن الراحة الى الجراحة ومن اللذة الى الالم
فثبت ان الرحمة التامة لا تحصل الا عندما يصير العبد راضيا بقضاء الله فقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هو انه
يزيل عن قلبهم الالتفات الى غير هذه الالة ويجعل راضيا بقضاء الله ثم انه تعالى يصير راضيا وهو قوله تعالى ورضوان ثم
يبقى العبد لتناول رضاه ورضاهم وهذه هي الجنة الروحانية النورانية القدسية الالهية ثم انه تعالى بعد ذكر
هذه الجنة العالية المقدسة ذكر الجنة الجسمانية وهي قوله لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ولما ذكر هذه الاحوال قال ان الله
عنده اجر عظيم والمقصود شرح تعظيم هذه الاحوال قيل وهذه الاية تدل على ان الخلود هو طول المكث لا التابيد لانه لو كان
الخلود للتابيد لكان ذكره ابدا بعد ذكر الخلود تكرارا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ● عن مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت
في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما امر الله المؤمنين بالهجرة وكان قبل فتح مكة من آمن
ولم يهاجر لم يقبل الله ايمانه الا بمجانبة الاباء والاقرباء ان كانوا كفارا فقال المسلمون يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من
خالفنا في الدين نقطع آباءنا وعشائرنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالهجرة الى المدينة فاخرجوا منها اليها فمنهم من يتجه لذلك ويسارع اليه ومنهم من
يابى فاما صاحبه ان يهاجر معه فيقول الرجل لهم والله لئن ضممتموني واياكم دار الهجرة لا انفعكم بشيء ابدا ولا عليكم ولا انفق عليكم
ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده ويقولون ننشدك الله ان تضيعنا فيرق ويجلس ويترك الهجرة فنزلت هذه الاية وقيل
نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن ولايتهم فانزل الله هذه الاية اي لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا اختاروا
الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فيطلعهم على عورة الاسلام واهله ويؤثر المكث معهم على الهجرة والجهاد فاولئك هم الظالمون
الواضعون الولاية في غير موضعها قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين ● هذه الاية تقرير الجواب الذي ذكره في الاية الاولى وذلك لان جماعة من المسلمين قالوا
يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وابنائنا واخواننا وازواجنا وعشيرتنا
وذهاب تجارتنا وهلاك اموالنا وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليما قل
يا محمد للمتخلفين عن الهجرة والجهاد ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم عشيرة الرجل اهله الادنون الذين
يعاشرونه وقرا ابو بكر عن عاصم عشيراتكم بالجمع والباقون عشيرتكم على التوحيد واموال اقترفتموها اكتسبتموها وقيل
اصبتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها فسكنتموها اي المنازل والقصور احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا فانتظروا حتى ياتي الله بامره قيل بقضائه وقيل بعقوبة عاجلة او آجلة وقيل هو فتح مكة والمقصود منه
الوعيد والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها قال صاحب الكشاف
كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده
من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع
حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل
حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على الذباب فطيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان
حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس قوله تعالى لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم
انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ● لما ذكر في الاية المتقدمة ما يقتضي ترجيح رعاية امر الدين على الاشياء المذكورة
علم انه يشق ذلك على النفوس فذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه يوصله الله الى مطلوبه من الدنيا ايضا وضرب
لهذا مثلا وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم
صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما تضرعوا الى الله قواهم حتى هزموا الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا
فاته الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وكان ذكر هذا تسلية لاولئك
الذين امرهم الله بمقاطعة الاباء والابناء والاخوان والازواج والعشيرة والاموال والمساكن وبالصبر عليها وعدا لهم على سبيل
الرمز بانهم ان فعلوا ذلك فالله تعالى يوصلهم الى اقاربهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
مواطن كثيرة اي مشاهد واماكن في الحرب يستوطنون فيها انفسكم على لقاء عدوكم والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير

والحديبية وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف [illegible]
[illegible]
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلبي رضي الله عنه كان حول النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين وانهزم
عنه سائر الناس وقيل لم يبق يومئذ مع النبي صلى الله عليه وسلم غير العباس بن عبد المطلب وابي سفيان بن الحارث
ابن عمه وقيل لم يبق يومئذ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسعة كلهم من بني هاشم العباس وابناه الفضل وقثم
وابو سفيان ابن الحارث وايمن وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب وربيعة ابن الحارث وعبد الله بن الزبير وقطعا قال العباس رضي
رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر فاقشعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع وقتل ايمن يومئذ
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلته شهباء اهداها له فروة الجذامي وقيل
للبراء اكان النبي صلى الله عليه وسلم فر على دبره يوم حنين فقال لا والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
دبره قط قد رايته وابو سفيان بن الحارث اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
فما رئي من الناس يومئذ اشد منه قيل هذه شهادة صدق على نهاية شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال صلى الله عليه وسلم
يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا ناد يا معشر الانصار يا معشر المهاجرين فجعل العباس ينادي يا عباد الله يا
اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فعطف المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك فالتفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا عصابة من الانصار فقال اهل معكم غيركم فقالوا بلى يا رسول الله لو عمدت الى برك الغماد من ذي يمن لكنا
معك ثم اقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فتنادوا
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ بيده كفا من الحصى
فرماهم بها وقال شاهت الوجوه ثم قال انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال امرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله تعالى قال العباس
عطا فحدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد يومئذ الا امتلات عيناه من ذلك التراب قال يزيد بن عامر وكنت
في المشركين يومئذ فانصرفنا ما يلقى احد منا احدا الا وعينه تدمع فانجز الله وعده ونصر جنده ونصر عبده
وهزم المشركين ونصر المسلمين عن سعيد بن المسيب امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
وعن الحسن ومجاهد كانوا ثمانية الاف وعن عطاء كانوا ستة عشر الفا وعن سعيد بن جبير قال حدثنا رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى
اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقانا رجال بيض الثياب حسان الوجوه فقالوا لنا
شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها يعني الملائكة وفي الخبر ان رجلا يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد
القتال ان الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تلك الملائكة عن الزهري بلغني ان شيبة بن عثمان رضي الله عنه قال استدبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى
الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من
سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله قد اطلعك على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس
وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوطاس رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الناس
فسار اليهم فاقتتلوا بها ثم ان الله هزمهم وسبى المسلمون عيالات المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطائف فتحصن فيها واخذ ماله
واهله فيمن اخذ وقتل امير المسلمين ابو عامر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطائف فحاصرهم بقية
ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام لا يحل فيه القتال انصرف عنهم فاتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها النبي
والاموال غنائم حنين واوطاس وتالف ناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم وجعل يعطي الرجل

المئين والمائة من الابل فقالت الانصار امن الرجل وآثر قومه يا للعجب ان اسيافنا تقطر من دمائهم وان غنائمنا ترد عليهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من ادم فجمعهم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني عنكم فقالوا هو
الذي بلغك وكانوا لا يكذبون فقال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي وكنتم اذلة فاعزكم الله بي وكنتم وكنتم وقال سعد بن
عبادة ائذن لي يا رسول الله فاتكلم قال تكلم قال اما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكذلك كنا واما قولك كنتم اذلة فاعزكم الله
فقد علمت العرب انه ما كان حي من احياء العرب امنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد اتدري من تكلم فقال يا عمر اكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار واديا لسلكت واديا ولولا
الهجرة لكنت امرءا من الانصار كرشي وعيبتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال يا معشر الانصار اما ترضون
ان ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله
والله ما قلنا ذلك الا ضنا بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم فلما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قام خطيبا فقال اما انتم يا معشر الانصار لو شئتم لقلتم جئتنا طريدا فآويناك وجئتنا خائفا
فامناك وكنت مخذولا فنصرناك وكنت وكنت فبكت الانصار وقالت بل الله ورسوله اعظم علينا منة وافضل
بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة به على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه
بثياب السفر اي ملتبسا بها والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت
عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين
ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء
والذراري واخذ الاموال وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فيهديه الى الاسلام ولا يؤاخذه بما سلف
منه والله غفور لعباده المؤمنين رحيم بهم روي ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا
يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا
بنو هاشم فقد رددناها اليهم فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه ومن لم يرد فعليه خمسون من الابل فقال المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد قالوا يا نبي الله رضينا و
سلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا وسلموا وردوا جميعا
غير رجل واحد وهو صفوان بن امية لا ادري وقع على امرأة فاصابها فحبلت منه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم
لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يقرأ على مشركي مكة اول سورة براءة وينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة
ستعلمون ما تلقون من الشدة لانقطاع السبيل وفقد الحمولات فنزلت هذه الآية النجس مصدر يقال نجس نجسا
وقذر قذرا ومعناه ذو نجس اي ذو قذر لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ والفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
شرب من اوانيهم ولانه لو كانوا نجسة العين كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام فلا يقربوا المسجد الحرام قيل المراد به المنع
من دخول الحرم فقد قربوا المسجد الحرام عن عطاء الحرم كله قبلة ومسجد وقيل هذه الآية عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يدخل الحرم الا اهل الجزية او عبد لرجل من المسلمين وقيل نهوا عن ان يحجوا او يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية
بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد
وعند مالك يمنعون من المسجد الحرام ومن غيره من المساجد وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون عن المسجد الحرام خاصة ولا
مطابقة لقول الشافعي رضي الله عنه مخالفة لقول ابي حنيفة بمنطوقه ولقول مالك بمفهومه وعن عطاء ان على المسلمين ان لا
يمكنوهم من دخول الحرم ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة فقرا بسبب منع كون المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم من الارفاق
والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم باحوالكم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قال المفسرون
كان المشركون يجيئون الى البيت بالطعام ويتجرون ويتبايعون فلما منعوا من دخول الحرم شق ذلك على المسلمين والقى الشيطان
في قلوبهم الخوف وقال لهم من اين تأكلون وتعيشون وقد نفي المشركون وانقطعت عنهم الميرة فقال المؤمنون يا رسول الله قد كنا
نصيب من تجاراتهم وبياعاتهم فالآن تنقطع عنا الاسواق وتهلك التجارة وتذهب ما كنا نصيب فيها من المرافق فانزل الله
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله من فضله وذلك انه انزل عليهم مطرا مدرارا فكثر
خيرهم حتى ذهب المشركون واسلم اهل تبالة وجرش من اهل اليمن فحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم
الله ما كانوا يتخوفون وعن الضحاك وقتادة عوضهم الله تعالى منها ما هو خير لهم فامرهم بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وذلك
قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون نفى عن اهل الكتاب الايمان بالله لان اليهود مثنية

كنتم م

الانصار

برحبها لفرط الرعب

فكأنها م

فقام النبي عليه السلام خطيبا فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا

عليكم م

والنصارى

والنصارى مثلثة فلا يكون ايمانهم بالله حقيقة ولا ايمانا باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل
حرفوهما واتوا باشياء كثيرة من قبل انفسهم ولا يدينون دين الحق اي لا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه
باطل او الدين الحق واضاف الاسم الى الصفة وقيل الحق هو الله عز وجل ودينه الاسلام يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه
دينه ومعتقده وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام وكان من اطاع ملكا فقد دان له دينا من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين مع ما في حيزه حتى يعطوا الجزية ما تعطي المعاهد على عهده وهي فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه سميت جزية
لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد به يد
المعطي فمعناه عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط بيده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد
واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده من الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة
لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما ان يراد به يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار
والذل وهو ان يأتي بها ماشيا بنفسه غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه واختلف فيمن تضرب عليه الجزية فقال الشافعي رضي الله عنه تضرب على اليهود
والنصارى والصابئين والسامرة لان سبيلهم في اهل الكتاب سبيل اهل البدع فينا وعلى المجوس لانه قد قيل انهم كانوا من اهل
الكتاب فرفع كتابهم وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس هجر وان عمر اخذها
من مجوس السواد وان عثمان اخذها من بربر وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا ادري كيف اصنع بالمجوس فقال عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وانما استثنى نكاح نسائهم
واكل ذبائحهم لان اصل الابضاع والاطعمة على الحظر فلا يقدم عليها بالشك ولا تؤخذ الجزية من عبدة الاوثان من العرب
والعجم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه تضرب على كل كافر من مجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وادت لكم الجزية والماخوذ عند الشافعي
رضي الله عنه قدر دينار في آخر السنة من كل واحد غنيا كان او فقيرا كسوبا او زمنا ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي
والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن الكثير
الغنى ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما ولا يؤخذ من فقير لا كسب له قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون لما ذكر في الآية
المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بين في هذه الآية انهم اثبتوا لله ابنا ومن اثبت لله ابنا فلا يؤمن بالله حقيقة قرأ عاصم
والكسائي عزير ابن الله بالتنوين لانه عربي وقيل لانه اسم خفيف فوجب ان ينصرف وان كان اعجميا مثل نوح ولوط وهود
والباقون بغير تنوين لانه غير منصرف للتعريف والعجمة لانه اسم اعجمي كعازر وعزرائيل قال صاحب الكشاف واما قول
من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبود
فتمحل عنه مندوحة وعزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله تعالى المسيح ابن الله وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول
كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن
الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله وقيل قاله رجل واحد من اليهود فنحاص بن عازوراء
فعلى القول لبعض اليهود قائل بهذا الا انه نسب الله ذلك الى اليهود بناء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد
يقال فلان يركب الخيول ولعله لم يركب الا واحدا منها وفلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم ويحتمل ان
يكون اللام للمعهود وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة لانكار اليهود لذلك
فان حكاية الله عنهم اصدق وسبب هذا القول ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود بعد ان علموا بالتورية ما شاء الله
ان يعملوا اضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التورية ونسخها من صدورهم
شاء الله ان يمكثوا ثم نسخها من قلوبهم وكان عزير من علمائهم فدعا الله ان يرد اليه الذي محي من قلبه فبينما
هو يصلي مبتهلا الى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان محي من قلبه من التورية فاذن في قومه
قال يا قوم قد آتاني الله التورية وردها الي فعلقوا يتعلمونها منه فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو يعلمهم ثم ان التابوت
نزل بعد ذلك فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما اوتي عزير هذا الا
انه ابن الله وقيل ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير
وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها
عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب ذلك القول قولهم بافواههم اي قول لا يعضده برهان
وانما هو لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وما لا معنى له يستوي فيه الفم
ونظيره قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وقيل المراد بالقول المذهب كقولهم قول الشافعي يريدون مذهبه
وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وقيل

وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب م

وعيزار م

ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقرونا بالفم ومعناه مؤثر في م

ان الانسان قد يجاد مذهبا اما على سبيل الخفية واما على سبيل الرمز والتعريض فاما اذا صرح بذكره بلسانه وذب عنه
هو الغاية في اختياره لذلك المذهب وانها تحقق كونه ذاهبا اليه قائلا به والمراد ههنا انهم يصرحون بهذا المذهب
ولا يخفونه اصلا وقيل ان الله لم يذكر قولا مقرونا بذكر الافواه الا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم
وقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا يضاهئون تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين كفروا يضاهي قول المشركين حين قالوا اللات والعزى ومناة
والملائكة بنات الله وقيل قول الذين كفروا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قول
قدمائهم لانهم قدماؤهم قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا
قاتلهم الله ما اعجب فعلهم عن ابن عباس رضي الله عنه لعنهم الله وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق بعد قيام الدلالة عليه قرأ عاصم يضاهئون بالهمز وكسر الهاء والباقون بغير همز وضم الهاء فقال ضاهيت
وضاهأت لغتان قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ● ثم انه تعالى وصف اليهود والنصارى بضرب اخر من الشرك الاحبار العلماء
الواحد حبر وحبر والرهبان جمع راهب وهو الذي تمكنت الرهبة في قلبه فظهرت اثارها على وجهه ولباسه وقد عرف
الاستعمال اختصاص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع اتخاذهم اربابا
انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما احله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
فيما يوسوس به عبادة قال الله تعالى بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهيت
اليه وهو يقرأ من سورة براءة فقرأ هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا
نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم
واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في التوراة والانجيل والمسيح عليه السلام من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقيل معناه وما امر المتخذون اربابا الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا
وهم مامورون مستعبدون مثلهم سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد في ان يكون له شريك في الامر والتكليف
وان يكون له شريك في كونه مسجودا ومعبودا وان يكون له شريك في وجوب نهاية التعظيم قوله تعالى يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ● المقصود بيان نوع ثالث من الافعال القبيحة
عن رؤساء اليهود والنصارى وهو سعيهم في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم وجدهم في انكار نبوته بالتكذيب مثل حال من يريد ان ينفخ
في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه
وانما دخل الا لان يأبى في معنى النفي اي ولا يريد الله الا ان يتم نوره قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ● لما حكى الله عنهم انهم يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره اشار الى كيفية ذلك الاتمام فقال ارسل رسوله بالهدى ودين الحق فان اتمام نور الله
انما هو بارسال رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى بالمعجزات الدالة على انه رسول الله الحكيم ودين الحق اي المشتمل على ما ينبغي
لكل ما قيل انه موصوف بالتركيب والصلاح مطابق للحكمة نافع في الدنيا والاخرة ليظهره اي دين الحق على كل دين وليظهر الرسول
على اهل الاديان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ● لما وصف الله تعالى رؤساء اليهود
بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق وصفهم الله في هذه الاية بالطمع والحرص واكل اموال الناس بالباطل
تنبيها على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر والفخر اكل اموال الناس بالباطل يأكلون اي يأخذون الرشا
في احكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم كتبا يقولون هي من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم وهي المآكل
التي كانوا يصيبونها منهم على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو امنوا به لذهبت عنهم تلك المآكل فاستعار الاكل
للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله وقيل الاموال انما يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا اي يريد
علفا يشترى بثمن اكاف ويصدون يعرضون عن سبيل الله او يصرفون الناس ويمنعونهم عن سبيل الله دين الحق [illegible] كثيرا
ليدل بذلك على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا طريقة الكل فان العالم لا يخلو من الحق واطباق الكل على الباطل كالممتنع
وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم والذين يكنزون الذهب والفضة قيل الذين
هم الكثير من الاحبار والرهبان لانهم جمعوا خصلتين مذمومتين اخذ اموال الناس بالباطل وكنز الاموال والضن
بها عن الانفاق في سبيل الخير وقيل هم المسلمون الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقرن بينهم
وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في الوعيد
بالبشارة بالعذاب الاليم عن ابن عمر كل مال ادى زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد زكاته فهو
كنز وان كان فوق الارض وعن جابر بن عبد الله اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس هو بكنز وعن عمر

رضي الله عنه

رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك فقال يا امير المؤمنين
اليس بكنز فقال لا كل ما ادي زكوته فليس بكنز وعن علي رضي الله عنه كل ما زاد على اربعة الاف درهم فهو كنز اديت زكاته
او لم تؤد وما دونها نفقة وقيل ما فضل عن حاجة صاحبه فهو كنز [illegible] عن سالم ابن الجعد انها لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المهاجرون فاي المال نتخذ فقال عمر رضي الله عنه فانا اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال فادركته
فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فاي المال نتخذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
مؤمنة تعين احدكم على دينه وعن ابي ذر رضي الله عنه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة
ثم جلست فلم اتقار ان قمت قلت هل لشيء حدث في هذا اليوم قلت من هم فداك ابي وامي قال الاكثرون الا من قال بالمال كذا في
عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي انها لما نزلت [illegible] كان يقول ان كل صفراء
وبيضاء اوكى عليها صاحبها فهو كنز حتى يفرقها وعن ابي ذر قال من ترك بيضا او حمراء كوي بها يوم القيامة وعن ابي هريرة
من ترك عشرة الاف جعلت صفائح يعذب بها يوم القيامة قال المصنف وروي انه توفي رجل من اهل الصفة فوجد
في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي رجل اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قال واولى
الاقاويل بالصواب القول الاول لانا لو قلنا بعد اداء الزكاة لا في جميع الاموال الحلال يدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم من ادى زكاة ماله فقد ادى الحق الذي عليه ومن زاد فهو خير له وقوله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وقول ابن عمر وقد سئل عن هذه الاية فقال من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له [illegible] فجعل احدا
اعلى عدده وانكيه ما عمل بطاعة الله واصل الكنز في كلام العرب كل شيء مجموع بعضه الى بعض على ظهر الارض كان او في
بطنها [illegible] قول الشاعر لا در دري ان اطعمت نازلهم قرف الحتي وعندي البر مكنون اراد مجموعا بعضها
الى بعض وكذلك تقول العرب للشيء المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض قال صاحب الكشاف كان هذا قبل ان تفرض
الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب فيه ثم
يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم
احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم
صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه [illegible]
وعن كثرة ودنانير ودراهم فهو كنز [illegible] وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب [illegible]
قوله فان قيل لم ذلك وانما خص الذهب والفضة بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا
يكنزهما الا من فضل عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على
ما سواهما فبشرهم بعذاب اليم على سبيل التهكم لان الذين يكنزون الذهب والفضة انما يكنزونهما ليتوسلوا بهما الى
تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل هذا هو الفرج كما يقال تحيتهم ليس الا الضرب واكرامهم ليس الا الشتم يوم يحمى عليها
وهو ان قيل يحمى من [illegible] ولا يقال احميت على الحديد [illegible] معناه ان النار تحمى عليها اي توقد
ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى ويوم منصوب بقوله فبشرهم او بفعل
لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد من النار
اليها تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير [illegible]
على انه قرئ تحمى بالتاء فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم خص هذه الاعضاء لان الغني صاحب الكنز اذا رأى الفقير
انقبض جبينه [illegible] وقيل انهم لم يطلبوا بالمال من الخير لم ينفقوه في سبيل
الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام
ويحتشمون ومن اكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعم الثياب يطرحونها على ظهورهم
كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب
اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم يكوون على الجهات الاربع [illegible] هذا ما كنزتم على ارادة
القول اي يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم اي كنزتموه لتنتفعوا به انفسكم وتلتذوا وتحصلوا الاغراض التي حامت حولها
فما كنزتموه لتشقى به انفسكم وتعذب فذوقوا وبال المال الذي كنتم تكنزونه او فذوقوا ما كنتم تكنزونه
اعمال الكي بكم كانوا [illegible] قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله
مع المتقين ● هذا بيان نوع اخر من قبائح افعال الكفار وهو اقدامهم على تغيير احكام الله تعالى فان الحكم في كل وقت
بحكم خاص [illegible] وكان ذلك [illegible] ان عدة شهور السنة عند الله اي في حكم الله وعلمه
اثنا عشر شهرا لا اقل ولا ازيد في كتاب الله فيما اثبته من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح وقيل في القرآن
الذي قضاه الله يوم خلق السموات والارض منها من الشهور اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي

بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد
وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم وقيل ان تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء
فغيروا فلا تظلموا فيهن في الاشهر الحرم انفسكم بالعمل بمعصية الله وترك طاعته وقيل لا تجعلوا حلالها حراما
وحرامها حلالا كما فعل اهل الشرك وعن ابن عباس رضي الله عنه باستحلال القتل والغارة فيهن وقال قتادة ان العمل الصالح
والاجر اعظم في الاشهر الحرم فلا تظلموا فيهن انفسكم وان الذنب والظلم فيهن اعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم
من امره ما يشاء يصطفي صفايا وقاتلوا المشركين كافة جميعا عامة فهو مصدر في موضع الحال كما يقاتلونكم كافة حال من
الفاعل او المفعول واعلموا ان الله مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها قوله تعالى انما النسيء زيادة
في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم
سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ● قرأ نافع وابو بكر وابن عامر وابو عمرو وحمزة والكسائي النسيء مهموزا وهو
مصدر يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومسيسا ومساسا وابن كثير النسي باسكان الياء
وابن كثير وورش النسي بالتشديد بغير همز اي المتروك قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم من النسيان ويحتمل ان يكون اصله الهمز
فخفف والنسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة ومكثهم ثلاثة اشهر متوالية لا يغيرون فيها شيئا فيغيرون تخصيص الاشهر الحرم فكانوا يحرمون من
العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال الله تعالى ان
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسيء اي اذا احلوا شهرا
من الاشهر الحرم عاما حرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف
الكناني مطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم
يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وجعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد
كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقيل ان الحرم جميع حرام وان العرب
كانت تحرم الشهور الاربعة وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابرهيم الخليل واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب اصحاب
حروب وغارات فشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متوالية لا يغيرون فيها شيئا وقالوا لئن توالت علينا ثلثة اشهر حرم لا نصيب
فيها شيئا لنهلكن وانما نصيب على ظهورنا وانا ربما احتجنا مع ذلك الى تحليل غيره من الاشهر الحرم لحرب يكون بينهم فكرهوا
استحلاله ويكرهون تاخير حربهم فنسؤوا اي اخروا المحرم الى الشهر الذي يليه وكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه
ويستحلون المحرم ويقولون هذا احد الصفرين وقد تاول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفر على هذا ثم يحتاجون
ايضا الى تاخير صفر الى الشهر الذي بعده كحاجتهم الى تاخير المحرم فيؤخرون تحريمه الى ربيع ثم يمكثون بذلك ما شاء الله
ثم كذلك يتدافع شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى
موضعه الذي وضعه الله به وذلك بعد دهر طويل وعن مجاهد رضي الله عنه كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة
عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت حجة ابي بكر رضي الله عنه التي حجها قبل الوداع
في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام القابل حجة الوداع فوافقت ذي الحجة فذلك حين
قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ان اشهر الحرم رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء وقيل اول من نسأ النسأة بنو مالك بن كنانة يقال له نعيم بن
ثعلبة وكان من بعد نعيم رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادركه النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان اول من نسأ النساء عمرو بن لحي قرأ اهل المدينة وعاصم وابو عمرو ويضل بفتح الياء وكسر الضاد لانهم هم الضالون يحلونه
عاما ويحرمونه عاما وقرأ اهل الكوفة يضل على البناء للمفعول فاسندوا الفعل الى المفعول لقوله تعالى زين لهم سوء اعمالهم
يحلونه النسيء عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا ليوافقوا وعن ابن عباس رضي الله عنه ليشابهوا زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي
القوم الظالمين قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة
الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ● لما ذكر الله قبائح افعال الكفار رغبهم عاد الى الحث
على قتالهم كما في الآيات السابقة اشياء كثيرة مستدعية لقتالهم ومنافع معدودة مترتبة على قتالهم ولا يبقى للانسان
مانع من قتالهم الا حب الحياة فبين تعالى ان هذا المانع خسيس لان سعادة الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة قليل
وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر عظيم وقيل هذا حث من الله تعالى في غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الطائف اقام بالمدينة فامر الناس بجهاد الروم في سنة عشر واستنفر في وقت عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة
من الحر حين طابت الثمار وكانت مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم غزوة الروم واحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك لبعد شقتها وليتاهب الناس

بالجهاد واخبرهم بالذي يريد فلما علم الله تثاقل الناس نزلت الآية ما لكم اي شيء لكم اذا قال لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انفروا اخرجوا في سبيل الله واصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك اثاقلتم اصله تثاقلتم ادغمت التاء في الثاء
واحدثت همزة الوصل ليتوصل الى النطق بها فان الابتداء بالساكن متعذر وتثاقلتم معناه تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد
فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم ارضيتم بالحياة الدنيا بخفض الدنيا ودعتها من الآخرة بدل الآخرة وعوضا عنها كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة اي لجعلنا بدلكم ملائكة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ● لما حث في الآية الاولى على الجهاد اوعدهم
في هذه الآية على ترك الجهاد وتخويفا عظيما للمتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل هو حبس المطر
عنهم وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن هذه الآية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من احياء العرب فتثاقلوا
عنه فامسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم وقيل اراد بقوله قوما غيركم ابناء فارس وقيل اهل اليمن ولا تضروه اي ولا تضروا
الرسول شيئا لان الله تعالى عصمه من الناس وانه ينصره ووعد الله كائن لا محالة قوله تعالى الا تنصروه
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله
هي العليا والله عزيز حكيم ● ذكر الله تعالى طريقا آخر في الحث على الجهاد والمعنى ان لم تنصروه فقد نصره الله الذي نصره حين لم يكن
الا رجل واحد فلا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه وانتصاب ثاني على
الحال اذ هما في الغار وهو نقب في اعلى ثور وهو جبل بمكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ اخرجه منصوب بقوله نصره
وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه وقوله اذ يقول بدل ثان اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه
الصديق رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعون والنصر ولم يكن حزن ابي بكر رضي الله عنه جبنا منه ولا سوء ظن وانما كان
اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه رضي الله عنه قال يا رسول الله ان قتلت فانا رجل واحد وان قتلت هلكت
الامة وعن انس ان ابا بكر رضي الله عنه حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدهم نظر الى تحت قدميه
لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وعن عروة قال كان لابي بكر رضي الله عنه منحة من غنم فكان عامر بن فهيرة
يروح بتلك الغنم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار وقال قتادة كان عبد الرحمن بن ابي بكر يختلف اليهما فلما اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخروج جاءهم بناقتين فانطلقوا فكانوا اربعة النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله
ابن اريقط الليثي وعن الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعامر بن فهيرة الغار ارسل الله زوجا
من حمام حتى باضا في اسفل النقب والعنكبوت نسجت عليه فلما جاء الذين في طلبهما ورأوا بيض الحمام وبيت العنكبوت قالوا
لو دخله احد لتكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم عنه فعموا عن دخوله
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله ابصارهم عنه وعن ابن سيرين ذكر رجال كانوا في عهد عمر فكانهم فضلوا عمر
على ابي بكر رضي الله عنهما فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال والله لليلة من ابي بكر خير من آل عمر وليوم من ابي بكر رضي الله عنه خير من
آل عمر لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق الى الغار ومعه ابو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي ساعة بين يديه
وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي فقال
يا رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي امامك فقال يا ابا بكر لو كان شيء لاحببت ان يكون بك دوني قال
نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهينا الى الغار قال يا رسول الله مكانك حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأ حتى اذا كان
في اعلاه ذكر انه لم يستبرئ الحجرة فدخل فاستبرأ ثم قال انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر رضي الله عنه والذي نفسي بيده
لتلك الليلة خير من آل عمر وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال النبي ولم يجزع يوقرني ونحن في سنح من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا وقد تكفل لي منه بالظهار ● وانما كيد من تخشى بوادره كيد الشياطين قد غادت لكفار ● والله
مهلكهم طرا بما صنعوا وجاعل المنتهى منهم الى النار ● قالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك
كسائر الصحابة فانزل الله سكينته سكونه وطمانينته عليه قبل ذلك بما ابنه وايده بجنود لم تروها وهم الملائكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوتهم الى الكفر السفلى المقهورة المغلوب به وكلمة الله هي العليا وهي
الضمير فصل خبرهم وفيها تاكيد فضل الله كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم وعن ابن عباس الكلمة
السفلى كلمة الشرك والعليا لا اله الا الله قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ● لما توعد المتثاقلين عند امرهم بالنفر في سبيل الله ورغبهم في الجهاد وعدهم كما
ونبه عقبه بهذا الامر الجزم خفافا شبابا وثقالا شيوخا وقيل خفافا في المال اي فقراء وثقالا اغنياء وقيل خفافا اصحاء
وثقالا اهل صناع يكرهون ان يدعوا صناعتهم ويخرجوا وقيل خفافا الاصحة في النفور لنشاطهم له وثقالا الاعنة شقته
عليكم وقيل خفافا قلة العيال وثقالا كثرتها وقيل خفافا من السلاح وثقالا الامنة وقيل خفافا عزابا وثقالا
متاهلين وقيل خفافا مسرعين خارجين ساعة استماع النفير يقال خف الرجل خفوفا اذا مضى مسرعا وثقالا اي بعد
الروية فيه والاستعداد له وقيل خفافا ركبانا وثقالا مشاة وقيل خفافا مهازيل وثقالا سمانا وقيل خفافا اصحاحا

فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول

من مكة حين مكروا به وارادوا تثبيته وهموا بقتله واسند الاخراج الى الذين كفروا لانهم هموا بقتله اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه

اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاما النبي صلى الله عليه وسلم فكانت السكينة عليه

وتعالى امر لهما وقيل خفافا نزحاتا شبيتكم وثقالا متكثرين بهم والاولى ان يحمل على الكل اذ لا تنافي بينها عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه فقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري رضي الله عنه خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما على حسب الحال والمقتضى ذلكم خير لكم قيل كيف يصح ان يقال الجهاد خير من القعود عنه ولا خير في القعود عنه اجيب عنه من وجهين احدهما ان لفظ خير مستعمل في معنيين احدهما هذا خير من ذلك والثاني انه خير في نفسه كقوله تعالى اني لما انزلت الي من خير فقير وقوله وانه لحب الخير لشديد وقيل التقدير خير من الله ليس خيرا في نفسه حاصل من الله لكم خير لكم المراد هذا الوجه وثانيهما ان معناه ما يستفاد بالجهاد من نعيم الآخرة خير مما يستفيده القاعد من الراحة والتنعم وكذلك قال الحسن لكم ان كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الآخرة على الجهاد لا يدرك الا بالتامل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان القول بالقيمة وكذا القول بالثواب والعقاب صدق قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون لما بالغ في الحث على الجهاد وكان نحو قبل هذا يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تعرض لهم متثاقلين لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا غنيمة حاضرة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا وسطا مقاربا وقيل سفرا ذا قصد مثل تامر ولابن وقيل سهلا قريبا وقيل هو طريق مقصود فجعلت صفة على تقدير فاعل كقوله عيشة راضية لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة وقيل هي السفر البعيد سميت شقة لانها تشق على الانسان وسيحلفون بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون وقيل هو حال بمعنى مهلكين والمعنى يوقعون انفسهم في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف وقيل يجوز ان يكون حالا من قوله لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ظهر من الآية المتقدمة ان تخلف طائفة من ذلك الغزو ولم يتبين ان ذلك التخلف كان باذن الرسول صلى الله عليه وسلم ام لا فلما قال عفا الله عنك لم اذنت لهم دل على ان بعض المتخلفين تخلف باذنه صلى الله عليه وسلم قدم العفو على العتاب تنبيها على انه تعالى معني بشأنه متفضل باحسانه فقيل انه الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول المخاطب اذا كان كريما عنده عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ورضي الله عنك الا زرتني وعافاك الله ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التعظيم والتبجيل وقال علي بن الجهم فيما يخاطب به المتوكل وقد امر بنفيه عفا الله عنك الا حرمة تعود بعفوك ان ابعد ... وقيل معناه ادام الله لك العفو قال صاحب الكشاف عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت والقائل ان يقول لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك كناية عن الجناية قوله لان العفو رادف لها ممنوع فانه يجوز ان يدل به المبالغة في تعظيمه وتوقيره كما ذكر وايضا يجوز ان يكون كناية عن ترك الاولى فانه اذا كان امران متشاركين في الفضل احدهما افضل من الآخر يستعمل العفو عند ترك الافضل واختيار الآخر شاهده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله واما قوله اخطأت وبئس ما فعلت فهو في غاية البشاعة والشناعة قيل لا اعلم كيف ذهب الى هذا القول الشنيع وانه العالم المستخرج لطائف المعاني وذهب عنه ان في امثال هذه الاشارات اشعارا بتعظيم المخاطب وتوقيره لم اذنت لهم لم يرد به الانكار لانه ان لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ذنب امتنع الانكار عليه فيحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل لاسيما في هذه الواقعة المتعلقة بالحروب ومصالح الدنيا والمعنى لم اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وعن قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا في الجهاد فان ربنا ندبنا الى الجهاد مرة بعد اخرى فاي فائدة في الاستيذان ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا وكان بحيث لو امرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقعود لشق عليهم ذلك الا ترى الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما امره

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى وقيل لا بد هاهنا من اضمار لان ترك استيذان الامام في الجهاد غير جائز فالتقدير لا يستأذنك هؤلاء في ان لا يجاهدوا الا انه حذف للعلم كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والذي دل على هذا الحذف ان ما قبل الآية وما بعدها يدل على ان تخصيص هذا الذم انما كان لمن يستأذن في القعود والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في سلك المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا بين الله تعالى ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عمن عدم الايمان بالله واليوم الآخر ووجود الريبة والشك في قلوبهم فهم في ريبهم يترددون معناه ان الشاك المرتاب يبقى مترددا بين النفي والاثبات غير حاكم باحد النقيضين ... المتحير كما ان الثبات على الاستقامة من البصيرة الحاصل للمؤمن لا يستأذن للتخلف عن الغزو فخص بالمنافقين قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين عدة قوة واهبة وهي المتاع والكراع عن ابن عباس العدة الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد في زمان شديد وتركهم العدة دليل على انهم ما ارادوا الخروج بل ارادوا التخلف وقيل هذا اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم لم يرد الله انبعاثهم خروجهم فثبطهم منعهم وحبسهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به والمعنى انه تعالى كره خروجهم فصرفهم عنه وقيل اقعدوا في بيوتكم يعني المرضى والزمنى والصبيان والنساء ذمهم وتعجيز والحاق بهم لان الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت هم القاعدون والخالفون والخوالف وبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين بين الله تعالى في هذه الآية انواع المفاسد الحاصلة من خروجهم وهي ثلاثة الاول زيادة الخبال وهو الفساد والشر والنكد والمكر وقيل الا خبالا استثناء منقطع وليس بمستقيم وهو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه نحو قولك ما زادوكم الا خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وحينئذ وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو كل شيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض من العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا الثاني ايضاع ركائبهم بينكم او ... بينكم بالتقريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اذا حملته على الاسراع والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقيل لاسرعوا الفرار في اوساطكم واصل الخلال من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وقيل يبغون لكم ما تفتنون به من مخرجكم ومغزاكم يقولون لقد جمع لكم كذا وفعل كذا ليخذلوكم وقيل الفتنة العيب والشر وقيل الكفر النوع الثالث قوله وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم وقيل فيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم والله عليم بالظالمين انفسهم بسبب كفرهم وغيرهم بسبب انهم سعوا في القاء غيرهم في الفتنة قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين لما ذكر الله تعالى ابتغاء هؤلاء الفتنة من قبل وقعة تبوك اي طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم الى الكفر ... وتفريق اصحابك عنك كفعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف عنك باصحابه وقيل ... الرسول صلى الله عليه وسلم على الثنية يوم العقبة وكانوا اثني عشر رجلا ليفتكوا به وقيل في غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ... ودبروا لك الحيل والمكائد حتى جاء الحق النصر والظفر وقيل الحق تأييدك ونصرك وظهر امر الله اي غلب دين الله وعلا شرعه وهم لمجيء هذا الحق ولظهور امر الله كارهون ومنهم من يقول ائذن لي نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء يعني الروم سموا بذلك لان الحبش غلبت على ناحية الروم فولدت لهم بنات فاخذت من بياض الروم وسواد الحبش ... فلما قال ذلك له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد عرف قومي اني مشغوف بالنساء واني اخشى ان رأيت بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة اي الاثم واعينك بمالي فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومنهم من يقول ائذن لي في التخلف والقعود ولا تفتني ببنات الاصفر الا في الفتنة سقطوا فيها وهي فتنة الشرك والنفاق والتخلف وخلافهم امر الله ورسوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي تحيط بهم وقيل هي محيطة الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكأنهم في وسطها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ذكر الله تعالى نوعا آخر من خبث بواطنهم ان تصبك في بعض الغزوات حسنة نصر وظفر وغنيمة تسؤهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة نكبة قتل وهزيمة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل هذه المصيبة يعني امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون معجبون بما نالوا من المصيبة قل لهم يا محمد لن يصيبنا خير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا رجاء الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا واللام في قوله لنا يفيد معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة

فليكم او الشهادة هو مولينا ولينا وناصرنا وحافظنا ومتولي امورنا وعلى الله وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله
فليفعلوا ما هو حقهم قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون ● قل يا محمد هل تربصون تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين
اما النصر والغنيمة مع الاجر الكبير واما القتل والشهادة وفيها الفوز الكبير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمانا بالله وتصديقا لرسوله ان يرزقه الشهادة
او يرده الى اهله مغفورا له مع ما نال من اجر وغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوئيين من العواقب اما ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده مهلكم كما اهلك الله الامم الخالية قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الصواعق او بايدينا يعني
او نعذب بايدينا وهو القتل على الكفر اذا اظهرتم ما في قلوبكم فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه وعن الحسن تربصوا مواعيد الشيطان انا معكم
متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه وكان الشيطان يمني المنافقين موت النبي صلى الله
عليه وسلم قوله فتربصوا امر التهديد قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم
قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون ● لما بين في الاية الاولى ان عاقبة هؤلاء المنافقين ان يصيبهم الله بعذاب من عنده او بايدينا بين في
هذه الاية ان انفاقهم طوعا او كرها غير مقبول قل يا محمد لهؤلاء المنافقين انفقوا في سبيل الله ووجوه البر هو امر في معنى الخبر
كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحو قوله تعالى استغفر لهم
او لا تستغفر لهم وقول الشاعر ● اسيئي بنا او احسني لا ملومة ● اي لا نلومك احسنت الينا او اسأت وانما يجوز هذا اذا
دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له ولا بد في مثل هذا من نكتة فيه وهي انك كانك تقول للمخاطب
لطف محلك عندي وقوة محبتي اليك وما يلي بالاساءة والاحسان وانظر هل يتفاوت حالك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه
وقول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود ● وكذلك المعنى في الاية انفقوا وانظروا
هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه قوله لن يتقبل منكم
اي لن يتقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم ويرده عليكم بما تبذلونه منه او لن يتقبل الله منكم
طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين من غير الزام من الله ورسوله او مكرهين ملزمين ويسمى الالزام اكراها لانهم منافقون
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه وقيل معناه طائعين من غير كره من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا
يحملون على النفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هاهنا وفي النساء
والاحقاف وعاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم يعني المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من الاكراه والباقون بالفتح في الكل
فقيل هما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح الاكراه وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت الاية في الجد بن قيس حين تخلف عن
غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم
والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم ان تقبل قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف يقبل بالياء لتقدم الفعل والباقون
بالتاء على التأنيث قوله انهم فاعل منع وقوله ان تقبل مفعوله بين الله تعالى بتصريح هذا اللفظ ان المانع من القبول الكفر
فدل ان الفسق لا يحبط الطاعات فانه تعالى قال انكم كنتم قوما فاسقين فكان سائلا سأل وقال هذا الحكم صار معللا
بعموم كون تلك الاعمال فسقا او بخصوص تلك الاعمال موصوفة بتلك الفسقية فبين تعالى ان العلة ليست هو كونه
فسقا غير معلل بعموم كونه فسقا بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك الوصف الفسق كفرا ودل النص صريحا على ان الكفر
هو المانع من قبول نفقاتهم لا الفسق مطلقا ولا مانع من كون عدم القبول معللا بالكفر والكسل في اتيان الصلاة والانفاق
على سبيل الاكراه فان هذه معرفات لا مؤثرات ولا منافاة بين قوله طوعا وبين قوله وهم كارهون لان المراد بقوله طوعا
انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهية واضطرار لا عن
رغبة واختيار ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى متثاقلون لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فهي
ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما لا مغنما قوله تعالى
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ● لما قطع في الاية الاولى
رجاء المنافقين عن جميع منافع الاخرة بين في هذه الاية ان الاشياء التي يظنونها من باب المنافع في الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا
لتعذيبهم في الدنيا الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة
من اموالهم واولادهم لان العبد اذا كان من الله في استدراج كثر ماله وولده انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا عن مجاهد
وقتادة والسدي في الاية تقديم وتأخير اي فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة
وعن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا باخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله وقيل بالمصائب فيها وقيل بالتعب في جمعه
والوجل في حفظه والكره في انفاقه وتزهق انفسهم تخرج وتذهب انفسهم وهم كافرون على الكفر يقال زهقت الخيل اذا خرجت
من الحلبة وزهق السهم اذا خرج من الجانب الاخر وزهوقها اهلاكها قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم
وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ● ثم عاد الى ذكر قبائحهم
ويحلفون اي المنافقون يحلفون بالله لكم ايها المؤمنون انهم لمنكم اي من جملتكم وعلى دينكم وما هم من جملتكم ولا على دينكم ولكنهم

قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجؤون اليه متحصنين
به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات غيرانا في الجبال وقيل سراديب وقيل كما غرت فيه فغيبت فهي مغارة وهي مفعلة
من غار الرجل في الشيء يغور فيه ومنه غار الماء وغارت العين اذا دخلت في الحدقة ومنه غور تهامة والغور ما انخفض
من الارض او مدخلا موضع دخول وهو مفتعل من دخل يدخل قال مجاهد مدخلا محرزا وقال قتادة سربا وقال الكلبي نفقا
ينفق فيه اليربوع وقال ماوى ياوون اليه وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن كيسان
دخلا ... لولوا اليه باسرعهم وهم يجمحون وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام
قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ● هذا من جملة قبائحهم ومن
المنافقين من يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم قسما قال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اتاه ذو الخويصرة اصل الخوارج قال اعدل يا رسول الله
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي
فاضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه
فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم اياتهم رجل اسود احدى عضديه او قال احدى يديه مثل ثدي المرأة او مثل
غير هذا الحديث فاذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت ومنهم من يلمزك الاية قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشهد ان عليا رضي الله عنه قاتلهم وانا معه فجيء بالرجل على النعت الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الكلبي نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابو الجواظ الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون ثم وصفهم بانهم يرضون ويسخطون لانفسهم لا لله
ولا لصلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون
منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم
رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم فقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون وقال
يوسع علينا من فضله ويغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس عن ابن عباس رضي الله عنه راغبون فيما يعطينا من الثواب
ويصرف عنا العقاب قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ● لما لمز المنافقون رسول الله صلى الله عليه
بين ان مصرف الصدقات هؤلاء ولا تعلق للرسول بها ولا اخذ لنفسه نصيبا منها فلم يبق لهم طعن في رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسبب اخذ الزكاة والصدقات انما تفيد حصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا يتجاوزها
الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم قال الامام هنا مقامان
الاول بيان الحكمة في اخذ القليل من مال الاغنياء وصرفه الى المحتاجين من الناس والثاني بيان حال هؤلاء الاصناف الثمانية
المذكورين في هذه الاية اما الاول فهو الحكمة في ايجاب الزكاة وبعضها مصالح عائدة الى معطي الزكاة وبعضها عائد الى اخذ
الزكاة اما الاول فهو امور منها ان المال محبوب لانه من اعظم الوسائل الى تحصيل المطالب التي هي محبوبة وما يتوسل به الى
لكن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال الاخراج
طائفة منه من يده ليصير ذلك الاخراج كسرا من شدة الميل الى المال ومنعا من انصباب النفس بالكلية اليها وتطهيرا للنفس
عن رجس محبته بما يشغلها عن حب الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اي من حب الدنيا
واما الثاني فهو ايضا امور منها ان المال ليس بمطلوب بعينه فان الذهب والفضة لا ينتفع بهما في اعيانهما الا في الامر
القليل بل المقصود من خلقهما ان يتوسل بهما الى تحصيل المنافع ودفع المضار فان الانسان اذا حصل له من المال بقدر
حاجته كان هو اولى من اختصاص غيره به اما اذا فضل المال على قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج فهنا حصل سببان كل
منهما يوجب تعلق المال به اما في حق المالك فلانه كسبه وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فلاحتياجه اليه يوجب تعلقه
به فالسببان متعارضان فاقتضت الحكمة الالهية رعاية كل من السببين بقدر الامكان فرعاية المالك من جهة الاكتساب
ورعاية الفقير من جهة الحاجة فرجح جانب المالك بابقاء الكثير عليه وصرف الى الفقير جزء يسير منه توفيقا بين الجهتين
بقدر الامكان واما المقام الثاني فهو بيان حال هؤلاء الاصناف الثمانية المذكورين في الاية عن ابن عباس رضي الله عنه
والحسن وجابر بن زيد والزهري ومجاهد الفقير المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل وعن ابن عباس رضي الله عنهم
والنخعي الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين المحتاجين وعن قتادة الفقير الزمن المحتاج والمسكين
الصحيح المحتاج وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس الفقير الذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب وعن عكرمة رضي الله
عنه الفقراء فقراء المسلمين والمساكين من اهل الكتاب وعن ابي بكر العبسي رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكفوفا مطروحا على باب
المدينة فقال له عمر رضي الله عنه ما لك قال استكروني في هذه الجزية حتى كف بصري وتركوني فليس احد يعود علي بشيء

فقال عمر رضي الله عنه ما انصفت اذ امر له بقوته وما يصلحه ثم قال الغنائم للذين قال الله فيهم انما الصدقات فهم زمنى
اهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنه المساكين هم الطوافون والفقراء فقراء المسلمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ليس المسكين الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذي لا يجد غنى
يغنيه ويستحيي ان يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وقيل الفقراء اهل الصفة لم يكن لهم عشائر ولا اموال يلتمسون
الفضل ثم يأوون الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين الطوافون على الابواب وقيل المسكين الذي
يخشع ويسكن وان لم يسأل والفقير الذي يتحمل ويقبل الشيء سرا ولا يخشع وقيل الفقير الذي لا مال له ولكن له البلغة
من العيش والمسكين الذي لا شيء له واحتج بقول الشاعر اما الفقير الذي كانت حلوبته   وفق العيال فلم يترك
له سبد   فجعل له حلوبة وجعلها وفقا له اي عن افضل فيه يدل عليه ما روى عبد الرحمن بن ابزى قال كان
ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما
من الزكاة وعن محمد بن مسلمة الفقير الذي له المسكن يسكنه والخادم والذي هو اسفل من ذلك والمسكين الذي
لا مال له وكل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والمسكين
المحتاج الى كل شيء الم تر كيف حض على اطعامه وجعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الحاجة الى سد الجوعة
ولما قيل له تعالى اما السفينة فكانت لمساكين فان تسميتهم مساكين على جهة الرحمة والاستضعاف لا لملكهم السفينة
كما يقال لمن امتحن بنكبة او دفع الى بلية مسكين وفي الحديث مساكين اهل النار وقال مساكين اهل الحجيج تقدم عليها
تراب الذلة بين المقابر ولا خلاف ان الفقراء هم المحتاجون الذين لا يخرجهم بدخلهم فمذهب الشافعي رضي الله عنه
واصحابه الى ان الفقير احوج لان شدة حاجة هو الذي يكون اشد حاجة من المسكين ومن الناس من قال بانه لا فرق بين الفقراء و
المساكين والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين وهم شيء واحد وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واختيار ابي علي الجبائي
وقيل ذكرهم الله تعالى باسمين ليؤكد امرهم في الصدقات لانهم هم الاصل في الاصناف الثمانية وليصرف اليهم من الصدقات
سهمان لا كسائرهم حجة الشافعي رضي الله عنه انه تعالى انما اثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجتهم وتحصيلا
لمصالحهم وهذا يدل على ان الذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر وجوب تقديم الاهم على المهم ولكونه
مسكينا لا ينافي كونه مالكا للمال بدليل قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وعلى تحقيق كتاب الله تعالى يدل على ان الانسان
يسمى فقيرا مع انه يملك شيئا حجة ابي حنيفة رضي الله عنه قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة
وذلك يدل على نهاية الشدة وبدليل قوله تعالى فلا متربة وانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة ولا فاقة اعظم من الحاجة الى ازالة
الجوع الجيبع عن تمسكهم بالاية ان تأييد المسكين المذكور هنا بكونه ذا متربة يدل ذلك على انه قد يوجد مسكين لا يبلغ في المسكنة
الى هذا الحد والا لم يبق لهذا القيد فائدة وعن جعل الكفارات له بانه وجب صرفه الى المسكين المقيد بكونه ذا متربة وهذا يدل
على انه وجب الصرف الى مطلق المسكين والعاملين عليها هم الصنف الثالث يقبضونها وجباتها الذين يتولون
قبضها اي جمعها ويعملون عليها يعطون ذلك بالسعاية اغنياء كانوا او فقراء بقدر اجور اعمالهم وكلمة على تفيد الولاية
كما يقال فلان على بلد كذا اذا كان واليا عليها والمؤلفة قلوبهم هم الصنف الرابع وقيل هم اشراف العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في الاسلام قلة قال الكلبي هم ناس والشرف منهم [illegible]

[illegible]

في سهم الرقاب يدفعه الى السيد باذن المكاتب والدليل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة الذين
تقدم ذكرهم بلام التمليك وهو قوله انما الصدقات للفقراء ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بحرف في فقال وفي الرقاب فلا بد
لهذا الفرق من فائدة وتلك الفائدة وهي ان تلك الاصناف الاربعة المتقدمة يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات
حتى يتصرفوا فيها كيف ما شاؤوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون
من التصرف في ذلك كيف شاؤوا بل يوضع في الرقاب بان يؤدى عنهم وكذا القول في الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم
وفي الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاجون اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك والحاصل ان في الاصناف الاربعة
الاول يصرف اليهم حتى يتصرفوا فيه كيف شاؤوا وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة في
الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة والغارمين هم الصنف السادس قال الزجاج اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق
والغرام العذاب اللازم وسمي الغريم غريما لكونه ملازما ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسمي الدين غرما
لكونه شاقا على الانسان ولانه لازم له فالمراد بالغارمين المديونون الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب
وعن قتادة هم قوم غرقتهم الديون في غير املاق ولا تبذير ولا فساد وعن مجاهد رضي الله عنه الغارمون الذين يستدينون في غير
فساد ينبغي للامام ان يقضي عنهم من بيت المال وقال ابن زيد الغارم الذي يدخل عليه الغرم وقال الشافعي رضي الله عنه
الغارمون صنفان صنف دانوا في مصلحتهم او في معروف وغير معصية ثم عجزوا عن اداء ذلك في العرض والنقد فيعطون
في غرمهم وصنف دانوا في حمالات واصلاح ذات البين ومعروف ولهم عروض ان بيعت اضر بهم فيعطى هؤلاء ويوفر عروضهم
وذلك اذا كان دينهم في غير فسق ولا تبذير ولا معصية فاما من ادان في معصية الله فلا ارى ان يعطى وفي سبيل الله هذا
هو الصنف السابع هم فقراء الغزاة قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا منقطعا
وقال الشافعي ومالك واسحق وابو عبيدة وابو ثور يعطى الغازي منها وان كان غنيا يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة رجل عمل عليها او رجل اشتراها بماله او غاز في سبيل الله او ابن السبيل او رجل كان له
جار فتصدق عليه فاهداها له واعلم ان ظاهر لفظ في سبيل الله لا يقتضي القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض
الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله في سبيل الله
عام في الكل وابن السبيل هذا هو الصنف الثامن المسافر المجتاز المنقطع عن ماله قال مجاهد والزهري لابن السبيل
حق في الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا وقال مالك هو الحاج المنقطع وقال الشافعي رضي الله عنه ابن السبيل
من جيران الصدقة الذين يريدون السفر في غير معصية فيعجزون عن بلوغ سفرهم الا بمعونة نقلا عن قتادة رضي الله عنه
هو الضيف مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه انه يجوز للرب المال صرف الصدقة الى من شاء من الاصناف الثمانية وانما
سمى الله الاصناف الثمانية في الاية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الى غيرها لا ايجابا لقسمتها
بينهم وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحذيفة وابن عباس وابن جبير وعطاء وابي العالية وميمون بن مهران
عن سعيد بن جبير في قوله انما الصدقات للفقراء الاية قال اي الاصناف شئت ووجدت اجزأك ان تعطيه وحده
وكان الشافعي رضي الله عنه يجري الاية على ظاهرها ويقول اذا تولى رب المال تفريقها وضعها في ستة اصناف لان
سهم المؤلفة ساقط وسهم العاملين يبطل بقسمته اياها فان تولى الامام قسمتها فعليه ان يقسمها على سبعة اصناف
ولا يجزي ان يعطي كل صنف منهم اقل من ثلاثة انفس ولا يصرف منها سهم ولا شيء من اهله ما دام من اهله احد يستحق
ذلك ولا يخرج من بلد فيه اهله وترد حصة من لم يوجد من اهل السهمين على من وجد منهم وهو قول عمر بن عبد العزيز
والزهري ولا بد من التسوية في انصباء هذه الاصناف فمثلا اذا وجدت خمسة اصناف فعليه ان يتصدق بعشرة دراهم
جعلت العشرة خمسة اسهم كل سهم درهمان ولا يجوز التفاضل ثم يلزمه ان يدفع الى كل صنف درهمين واقل عددهم
ثلاثة ولا يلزمه التسوية بينهم فله ان يعطي فقيرا درهما وفقيرا خمسة اسداس وفقيرا سدس درهم قوله فريضة
في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة
هذا الظاهر والله عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الصواب قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
ثم رجع الى ذكر المنافقين اي من المنافقين الذين يؤذون النبي ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان
يبلغه ما تقولون فيقع بنا وقال الآخرون بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة ونظيره
قوله المرجف عين وجلاس منهم نازل في الاية الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد
سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين ورجل اذن هم قوله فيه اذن
قل اذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن في الخير والحق وفيما
يجب سماعه وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع
غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويصدق المؤمنين الخلص من المهاجرين
والانصار وانما عدي الايمان بالباء الى الله تعالى لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر وباللام الى المؤمنين
لانه قصد السماع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام وهو رحمة للذين آمنوا
منكم اي لاهل الايمان انما المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل

...وركبنا قد فقال انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
لا يلتفت اليه ولا يزيد على ذلك وعن قتادة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون
بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يظن انه يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله تعالى على ذلك نبيه صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من
امرك ولا من امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته
لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع
الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا باعتذاراتكم
الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان وقيل قد
كفرتم بقولكم هذا وان قد كذا ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه وقيل ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزئوا
لم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين وقرأ عاصم ان نعف
بنون مفتوحة وفاء مضمومة ونون نعذب مضمومة وكسر الذال الطائفة بالنصب والباقون بضم الياء في نعف والتاء في نعذب
على البناء للمفعول قيل الطائفة في هذه الآية رجل واحد قال المعنى ابن حمير الاشجعي انكر عليهم بعض ما سمع ولم يمالئهم عليه
يسير مجانبا لهم فلما نزلت هذه الآية برئ من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقرأ عني بها تقشعر منها الجلود وتوجل
منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد
من المسلمين الا وقد وجد وعرف مصرعه غيره قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون ● هذا نوع آخر من فضائح الكفار وقبائحهم
والمقصود ان المنافقين والمنافقات كالمنافقين في تلك الافعال القبيحة والخصال الخبيثة بعضهم من بعض في صفة النفاق كما يقول
الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد يعني انهم صنف واحد على امر واحد والمقصود نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم
يحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر
والمعصية وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم يمسكونها ويكفونها عن الصدقة والنفقة في الخير
ولا يبسطونها بخير واصل ذلك ان المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء وقيل لمن بخل ومنع نفقته قبض يده ومنه قوله تعالى وقالت
اليهود يد الله مغلولة اي ممسكة عن النفقة نسوا الله اي تركوا طاعة الله واغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم الله من توفيقه
وهدايته في الدنيا ومن فضله ورحمته في العقبى ان المنافقين هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ
من كل خير قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم
عذاب مقيم ● لما بين تعالى [illegible] بسبب كفرهم وتركهم الايمان والطاعة اتبعه الوعيد فضم المنافقين
الى الكفار فقال تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ولا شك ان الخلود في نار جهنم اشد العقوبات
هي حسبهم اي [illegible] العقوبات كافية فيهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منها وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم طردهم وابعدهم
من رحمته واهانهم على التكذيب ولهم عذاب نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار وقيل معناه ولهم عذاب
مقيم معهم في العاجل لا ينفكون وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف الباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا
من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون ● هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب والكاف للتشبيه ومحلها الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف اي فعلتم فعلا مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا [illegible]
ولا طلب باضمار ذلك اي قوله كالذين من قبلكم تشبيه منهم لتعلم انهم مثلهم من قبلكم وقوله كانوا اشد منكم تفسير
لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم وجه الشبه هو القوة والمال والتشبيه تمثيل حال المنافقين من تشبيه حال المخاطبين
بحالهم والمعنى انهم كالذين من قبلكم ذوو قوة وشدة واصحاب اموال واولاد بطرتهم واموالهم حتى استعجلوا بها اوقاتهم من حظوظ الدنيا
وشهواتها من طلب الفوز [illegible] انه تعالى نبطل ما كانوا فيه وخسروا خسرانا مبينا كانوا اشد منكم قوة وبطشا ومنعة واكثر
اموالا واولادا فاستمتعوا فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا عوضوا به عوضا من الآخرة والخلاق النصيب وهو
ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وعن ابي هريرة [illegible] بخلاقهم بدينهم
فاستمتعتم ايها المنافقون والكافرون سبيلهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم في اللهو والباطل
والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه قال
صاحب الكشاف فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي
خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم
بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي
به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل
بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده

اليه من السعة أولئك حبطت أعمالهم اي بطلت اعمالهم في الدنيا بسبب الموت والفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة
الى الضعف وفي الآخرة بسبب انهم لا يثابون بل يعاقبون اشد العقاب وأولئك هم الخاسرون حيث اتبعوا انفسهم الرد على
الانبياء والرسل وتجبروا فيه الا فوت الخيرات في الدنيا والآخرة والا حصول العقاب في الدنيا والآخرة نظير قوله واتيناه اجره
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين قوله تعالى ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب
مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ● لما شبه المنافقين بالكفار
المتقدمين فيما تقدم بين اولئك الكفار فذكر هؤلاء الطوائف الست فقال ألم يأتهم اي المنافقين والكافرين
نبأ خبر الذين من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا كيف اهلكناهم وعذبناهم فقال قوم نوح بالخفض بدلا من الذين
قوم نوح اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود بالصيحة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين
يعني قوم شعيب عذبوا بيوم الظلة والمؤتفكات مداين قوم لوط بالمنقلبات التي جعلت عاليها سافلها وقيل المؤتفكات
قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر أتتهم اي اتت كل واحد من هؤلاء الطوائف رسلهم بالبينات
فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر المنافقين والكفار فجعل الله هلاكهم فاحذروا تعجيل النقمة فما كان الله ليظلمهم
لان العذاب الذي اوصله الله اليهم ما كان ظلما من الله لانهم استحقوه بسبب افعالهم القبيحة وتمادي غيهم في تكذيب انبيائهم
ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا بما استحقوا عقابه قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو
الفوز العظيم ● لما بالغ في وصف المنافقين بالافعال القبيحة والاعمال الخبيثة ثم ذكر عقيبه انواع الوعيد في حقهم في الدنيا
والآخرة ذكر بعده في هذه الآية كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير واعمال البر ضد صفات المنافقين ثم ذكر بعده هذه الآية
انواع ما اعد لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم بعضهم اولياء بعض في الدين والملة والعون والنصرة والرحمة والمحبة
في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض عن جرير بن عبد الله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرين والانصار
بعضهم اولياء بعض في الدنيا والآخرة والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض في الدنيا والآخرة
قال الامام فان قيل ما الفائدة في انه تعالى قال في صفة المنافقين بعضهم من بعض يدل على ان نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب
التقليد لاولئك الاكابر وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة اما الموافقة الحاصلة من المؤمنين فانما حصلت لا بسبب
الميل والعادة بل بسبب المشاركة في الاستدلال والاستشهاد لا لقاء التوفيق والهداية ثم لما وصف المؤمنين بكون بعضهم اولياء
بعض ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير فقال يأمرون بالمعروف بالايمان والخير وينهون عن المنكر ما لا يعرف في شريعة
ولا سنة قال ابو العالية كل ما ذكر الله تعالى في كتابه من الامر بالمعروف فهو الدعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر
فهو النهي عن عبادة الاوثان والشياطين ويقيمون الصلاة المفروضة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله
السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قوله سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان
تبلغ مرادك ان يجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر
عليه وهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم مدبر امر عباده على ما تقتضيه الفضل والعدل او الصواب لما ذكر الوعيد في الآية
الاولى على الاجمال ذكره في هذه الآية ومساكن طيبة منازل طيبة في جنات عدن عن الحسن قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر
والزبرجد وقد يعلم تعميم قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده يدل عليه ما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جنات على حافاته قال الامام هذا هو البرهان
العظيم القاطع على ان السعادات الروحانية اشرف واكمل من السعادات الجسمانية والمذهب الصحيح الحق وجوب الاقرار بهما
معا كما جمع الله بينهما في هذه الآية وذلك الفوز العظيم لان الانسان مركب من جوهر لطيف علوي روحاني وكثيف سفلي
جسماني وانضم اليهما حصول لهما حصول سعادة وشقاوة فاذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم اليها
حصول السعادات الروحانية كان الروح فائزا بالسعادات الاخروية ولا شك ان ذلك هو الفوز العظيم ورضوان من الله
اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه تعظيمه وكرامته
والكرامة اكبر اصناف النعيم لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وانما تهنأ له برضاه
كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول الا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا يا ربنا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا ذلك اشارة الى وعد الله او الى
الرضوان او هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ● لما وصف الله المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بانواع العقاب
وكانت عادة هذا الكتاب العزيز جارية بذكر الوعد مع الوعيد ذكر عقيبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة ووعدهم
بالثواب العظيم ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة وعن ابن مسعود رضي الله عنه جاهد
المنافقين بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وعن ابن عباس رضي الله عنهما

بالسنان

باللسان وترك الرفق وعن الضحاك وابن جريج بتغليظ الكلام وعن الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم
في الجهاد بين ولا تحابهم قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم
ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ● عن ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة
فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله
الآية وعن الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض
سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما الذي بلغني عنكم فحلفوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله الآية تكذيبا لهم وعن الكلبي رضي الله عنه نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول
محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس للجلاس اجل والله ان محمدا
صادق وانت شر من الحمار فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر فاخبره بما قال الجلاس فقال
الجلاس كذب يا رسول الله علي ما قلت شيئا من ذلك فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر بعد العصر
وحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه
ثم رفع عامر يده الى السماء وقال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون آمين ونزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يا رسول
الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر فيما قال لك ولقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم توبته ثم تاب فحسنت توبته وعن قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار وكانت
جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا اخاكم والله ما مثلنا ومثل
محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله الآية يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا واهل الطعن في نبوته ونسبته الى الكذب والتصنع في ادعاء الرسالة والاولى ان تحمل هذه
الآية على ما روي ان المنافقين هموا بقتله عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك وهم خمسة عشر رجلا
تعاهدوا ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا
اعداء الله فهربوا والظاهر انهم لما اجتمعوا لذلك الغرض فقد طعنوا في نبوته ونسبوه الى الكذب والتصنع في ادعاء الرسالة وذلك
هو قول كلمة الكفر وكفروا اظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك فاخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو رجل
من قريش يقال له الاسود هم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا منهم وما انكروا منهم
ولا رأوا سوءا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك ان مولى الجلاس قتل فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بديته اثني عشر الفا فاستغنى وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم في ضنك من عيشهم فلا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم وهذا المثل اللؤم
ما احسنت اليه فان يتوبوا من نفاقهم وكفرهم يك خيرا لهم وان يتولوا يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله عذابا اليما
شديدا في الدنيا بالقتل والخزي وفي الآخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قوله تعالى ومنهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله
علام الغيوب ● اعلم ان هذه السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين وهم اصناف فذكرهم على التفصيل ومنهم من عاهد
روي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي
حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا فانقطع عن الجمعة والجماعة
فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم)
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا
قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل
منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابا بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان

عثمان بقوله لئن آتانا من فضله اي آتانا المال باي طريق كان سواء كان بطريق التجارة او بطريق الاستغنام او بغيرهما
لنصدقن الاصل لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجهما ولنكونن من الصالحين اي لنعملن ما عمل اهل الصلاح وعن
ابن عباس رضي الله عنه كان ثعلبة عاهد الله تعالى لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنحجن فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وتولوا عن العهد وهم معرضون عن تكليف الله وامره فاعقبهم الله تعالى نفاقا في قلوبهم اي فاعقبهم وقيل جازاهم عن الحسن
وقتادة ان الضمير للمستتر في بخلوا يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا لانه كان سببا فيه وداعيا اليه قال صاحب الكشاف
والظاهر ان الضمير لله وكما يعني خذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم
ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق قوله والظاهر ان الضمير
لله صحيح قوله والمعنى خذلهم باطل لانه عدل عن الظاهر من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر حق قال
صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر والآية تستفاد منها اهل الخصال
فالعهد من قوله عاهدوا الله والوعد من قوله لنكونن من الصالحين والكذب من قوله بما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله
يعلم سرهم ونجواهم وهو ما انطوى عليه صدورهم ونجواهم ما يفاوض فيه بعضهم بعضا فيما بينهم وهو ماخوذ من النجوة
وهو الكلام الخفي وان الله علام الغيوب يعني العلام مبالغة في العلم والغيبة كأنها بائن عن الخلق والمراد انه تعالى عالم بجميع
المعلومات فيكون عالما بالضمائر والسرائر فكيف يخفى عليه احوالهم قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ● هذا نوع آخر من
افعالهم القبيحة وهو لمزهم من اتى بالصدقات تطوعا الذين محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا
من الضمير في سرهم ونجواهم المطوعين المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث اصحابه على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك
باربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة آلاف لعيالي فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت
وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى صولحت امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي
بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وآتيتك بالآخر
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم
الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم يعني ابا عقيل فيسخرون منهم سخر الله منهم اي جازاهم كقوله الله يستهزئ بهم
فانه خبر غير دعاء الا تعالى قوله ولهم عذاب اليم قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ● سأل عبد الله بن عبد الله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وهذا الامر في معنى الخبر
كأنه قيل لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير
والسبعون عند العرب غاية مستقصاة لانه جمع السبعة والسبعة تمام عدد الخلق كالسموات والارض والبحار و
والاقاليم والاعضاء فعض الغايات ان تستغفر لهم سبعين مرة بان صلاتك على جزم لن يغفر الله لهم ذلك بانهم
كفروا بالله فبين ان العلة التي لاجلها لا ينفعهم الاستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم وان بلغ سبعين مرة هي
كفرهم وفسقهم الكامل وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين ايضا وهذا التعليل شاهد بان المراد قطع الطمع في ان ينفعهم
استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصرارهم على كفرهم ونبه كذلك بقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين والمعنى
ان فسقهم الكامل مانع من الهداية قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ● هذا نوع آخر من قبائح افعال المنافقين وهو فرحهم بالقعود وكراهتهم
الجهاد المخلفين الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين وخلفهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك اي الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم عن الغزو وعن ابن عباس رضي الله عنه
يريد المدينة فعلى هذا المقعد اسم للمكان خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مخالفة لرسول الله لانهم خالفوه
حين سار واقاموا انتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا المخالفة او مخالفين له وقيل خلاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويقوي هذا الوجه قراءة عمرو بن ميمون خلف رسول الله
فالخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف وكرهوا ان يجاهدوا والفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب فذكره للتأكيد وقيل
المراد طبعهم مال الى الاقامة لاجل الفهم تلك البلدة واستيناسهم باهلهم وولدهم كرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض
المال والنفس للقتل والاهدار وهذا تعريض للمؤمنين وتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوه من بذل
اموالهم وانفسهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض فكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وليس فيهم
ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فنهتهم من الخروج
في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم اشد حرا استحقها لهم لان من تصون من مشقة ساعة

فوقع

ضيع بسبب ذلك الصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا اي فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا
جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره وقيل تقديرها فليضحكوا فسيبكون كثيرا جزاء
بما كانوا يكسبون وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان اهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو اجريت السفن في دموعهم
لجرت ثم انهم ليبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اهل النفاق ليبكون في النار
عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ● لما بين مخازي المخلفين
وقبائح افعالهم بين من بعده ما عرف به ان الرسول صلى الله عليه وسلم ان الصلاح ان لا يستصحبهم في غزواته لان خروجهم
معه فيه مفاسد فان رجعك الله فان ردك الله الى طائفة من المخلفين وانما قال الى طائفة منهم لانه ليس كل من تخلف
عن تبوك كان منافقا فاراد بالطائفة المنافقين منهم وقيل لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف واعتذر
بعذر صحيح فاستأذنوك للخروج معك في غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا الى غزوة وسفر
ولن تقاتلوا معي عدوا تعليق بما علم الله من حالهم الذين علم الله انه لا يرجعهم الى النفاق بخلاف غيرهم من المخلفين ثم انه
تعالى علل ذلك المنع بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة في غزاة تبوك فاقعدوا مع الخالفين عن ابن عباس رضي الله عنه
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك بغير عذر من النساء والصبيان وقيل المرضى والزمنى
وقيل مع المخالفين يقال عبد خالف وصاحب خالف اذا كان مخالفا وقيل مع الخساس الادنياء وهم يقال فلان خالفة
اهله اذا كان دونهم وقيل من اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله اي خلف خلوفا فسد والاولى ان نحمل
على الجميع قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ●
انه تعالى امر رسوله ان يسعى في اهانتهم واذلالهم بمنعهم من الخروج معه الى الغزوات ثم بين نوعا آخر من اسباب اهانتهم
وفي هذه الآية منع الرسول صلى الله عليه وسلم على من مات منهم وهو نوع من الاهانة بسبب اذلالهم واهانتهم روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي ابن سلول
بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال صلى الله عليه وسلم اهلكك حب اليهود قال
يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأل ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات انطلق ابنه
الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه الى الجنازة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب فقال صلى الله عليه وسلم
انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام ليصلي عليه قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اتصلي على عدو الله ابن ابي بن سلول القائل يوم كذا وكذا كذا يعدد ايامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبسم حتى اذا اكثر عليه قال اخر عني يا عمر اني قد خيرت فاخترت فقيل لهم استغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم ولو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت ثم شهده وكفنه في قميصه ونفث في جلده ودلاه في قبره
قال عمر رضي الله عنه فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره ولا تقف على قبره ولا تتول دفنه من
قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون في النهي تعليل فما صلى النبي صلى الله
عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره ولما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على
قبره وما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله ابن ابي في تكفينه في قميصه وصلاته عليه وقيامه
على قبره قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة اثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة يبليهم الله بالدبيلة سراج من نار
تأخذ احدهم حتى تخرج الى صدره وستة يموتون موتا فسأل عمر حذيفة عنهم فقال ما انا بمخبرك باسمائهم ما كان
حيا فقال له عمر يا حذيفة أمنهم انا قال لا قال فهل فيهم احد فقال رجل واحد قال فكانما دل عليه عمر حتى نزعه
من غير ان يخبر به قوله مات صفة لاحد وانما قال مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون
والوجود لانه كائن موجود لا محالة قوله ابدا متعلق باحد والتقدير ولا تصل ابدا على احد منهم وتكفين النبي
صلى الله عليه وسلم في قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية الا انا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابه الى مسألته اياه فقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة فعمل بعادات الكرام واكرام الابن الرجل
الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء وعلما
بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان ليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد
روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل
في الاسلام كثير بهذا السبب روي انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى الترحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان
وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه قيل انما صلى عليه

لانه لم يقم به نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وقيل انه
لما مات جاء ابنه يعرف النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا تصلي عليه وادفنه فقال عمر رضي الله عنه اتصلي عليه
يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الآية واخذ جبريل عليه السلام بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا
وهذا يدل على منقبة عظيمة لعمر لان الوحي نزل على وفق كلامه في آيات كثيرة منها آية فداء الاسارى ومنها تحريم الخمر ومنها
تحويل القبلة ومنها آية الحجاب نزل الوحي على مطابقة قول عمر رضي الله عنه منصبا عاليا ودرجة رفيعة في الدين ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم في حق عمر رضي الله عنه لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ● هذه الآية قد سبق ذكرها وقد اعيدت لان
تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولا وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان
يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع
اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه قوله تعالى واذا انزلت سورة
ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع
الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ● بين في الآيات المتقدمة ان المنافقين احتالوا في رخصة التخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقعود عن الغزو وفي هذه الآية زاد دقيقة اخرى وهي انه متى نزلت آية مشتملة على الامر بالايمان
وعلى الامر بالجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم استأذن اولو الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو وقالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرنا نكن مع القاعدين سورة يجوز ان يراد بها السورة بتمامها وان يراد بها بعضها كما يقع
القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد اذ هي المعسرة اولوا الطول ذوو الفضل
والسعة من طال عليه طولا وقيل الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وقيل انما خصهم بالذكر لان الذم لهم الزم لكونهم
قادرين على السفر والجهاد وقيل لان من لا مال له ولا قدرة له على السفر لا يحتاج الى الاستئذان مع القاعدين
مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء واللواتي يتخلفن في البيت فلا يبرحن وطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والهلاك قوله تعالى لكن
الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ● لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد نهد
الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان
استكبروا فالذين عند ربك الخيرات الحسنات يتناول منافع الدارين كلها لانه جمع محلى بالالف واللام وقيل الحور
الفاضلات قال الله تعالى فيهن خيرات حسان قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ● المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى
ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له وقيل اصل المعذرون المعتذرون ادغمت التاء في الذال
ونقلت حركة التاء الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل عن الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم تبوك دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على
اهالينا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد انباني من اخباركم وسيغنيني الله عنكم
وقيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وعن مجاهد رضي الله عنه نفر من غفار
اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب
الذين كفروا من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على
المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا
ما ينفقون ● لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الصحيحة وبين ان تكليف الله
بالجهاد عنهم ساقط ليس على الضعفاء الزمنى والهرمى والعجزة ولا على المرضى وهم من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن
من القتال ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة حرج اثم وهو اسم ليس اذا نصحوا
لله ورسوله في سعيهم والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والبغض فيهما كما يفعل
الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل في نصحهم لا جناح عليهم ولا طريق
للعاتب عليهم قيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه وعن الضحاك نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر
فقال يا نبي الله اني شيخ ضرير البصر خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم هم الذين يجدون النفقة
ولا يجدون المركوب قلت حال من الكاف في اتوك باضمار قد لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع كقولك
تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل
ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز حزنا مفعول له الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه

حزنا ما ينفقون

حزنا ما ينفقون في المركوب ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا الخروج
والذين سألوا المعونة فلم يجدوها قيل ولا على الذين اذا ما اتوك نزلت في البكائين وكانوا سبعة معقل بن يسار وصخر
خنساء وهو الذي كان وقع على زوجته في رمضان فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفر وعبد الله بن كعب الانصاري
وعلية بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم
يبكون قوله تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ● ثم عاب اهل السعة والغنى ليس السبيل الا على الذين
يستأذنونك وهم اغنياء لا عذر لهم في التخلف رضوا استئناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا
في جملة الخوالف النساء اي رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة النساء وطبع الله على قلوبهم عطف على قوله
رضوا اي رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فلهذا استأذنوا وهم اغنياء فهم لا يعلمون اي لاجل ذلك الطبع لا يعلمون
ما في الجهاد من المنافع قيل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه استئنافا كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل
ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض يعتذرون اليكم قل لا تعتذروا لن نؤمن
لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بانا لا نصدقه وجب عليه ان يتركه
قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لانه عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم
من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون ثم تردون الى الله وهو
عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على ذلك فينبئكم بما كنتم تعملون من الحسن والسيء وفيه تخويف شديد وزجر
عظيم لهم قوله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ● ذكر في الآية المتقدمة انهم كانوا
يؤكدون الاعذار الفاسدة بالايمان الكاذبة سيحلفون بالله لكم حكاية انهم ما قدروا على الخروج اذا انقلبتم انصرفتم اليهم
من غزوكم لتعرضوا الصفح عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم ولا تعذبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم وما اختاروه لانفسهم
من النفاق وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ترك الكلام والسلام عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قال لا تجالسوهم
ولا تكلموهم قيل هؤلاء طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت انهم رجس تعليل لوجوب الاعراض عنهم وترك معاتبتهم
يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره من الرجس
بالحمل على الطاعة والتوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم بين في الآية الاولى انهم يحلفون بالله لتعرضوا عنهم ثم بين في هذه
الآية انهم يحلفون لكم لترضوا عنهم فغرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم وذلك لنفع يرجع اليهم في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قال ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى
المؤمنين يقتضي رضوان الله عنهم عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا
من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل نزلت في عبد الله بن ابي حلف
ان لا يتخلف عنه ابدا وليكونن معه على عدوه وطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه قوله تعالى الاعراب اشد
كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم
الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ● الاعراب اي اهل البدو اشد كفرا ونفاقا واجدر من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر واولى واحرى ان لا يعلموا حدود ما انزل
الله على رسوله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ثم قال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي غرامة وخسرانا
والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء الثواب عنده ويتربص بكم
الدوائر يعني صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر عن يمان يعني ان ينقلب الزمان عليكم بموت الرسول صلى الله عليه وسلم
ويظهر المشركون عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم قرأ ابن كثير وابو عمرو السوء بالضم هاهنا وفي سورة الفتح ومعناه الضر والشر والبلاء والمكروه والباقون بالفتح على
وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم
الصدقة عليم بما يضمرون وهم قيل اعراب اسد وغطفان وتميم قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم
قربات جمع قربة وهو مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لانه
كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل
عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد
من كون نفقته قربات عند الله وصلوات وتصديق لرجائه على سبيل الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين

بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين
وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها إن الله غفور لسيئاتهم رحيم بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات قرأ
نافع ورش بضم الراء والباقون بإسكانها وهما لغتان والأصل الضم والإسكان تخفيف نحو كتب ورسل وطنب قوله
تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم
جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ● لما ذكر فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون
قربات عند الله وصلوات الرسول وما أعد لهم من الثواب بين أن فوق منزلتهم منازل السابقين الأولين الذين هجروا قومهم
وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم ومنازلهم وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي رضي الله عنه
من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
من أهل المدينة وآووه وأصحابه وقيل أهل العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وهو أول من جمع الصلاة بالمدينة وكانت الأنصار
نجبة فأسلم معه سعد بن معاذ وعمرو بن الجموح وبنو عبد الأشهل كلهم وخلق من النساء والصبيان وكان مصعب بن عمير
صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم أحد حين انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوقاه بنفسه حتى قتل فاستشهد يومئذ والذين اتبعوهم بإحسان أي الذين سلكوا سبيلهم
في الإيمان والهجرة والنصرة إلى يوم القيمة وقيل هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالرحمة والدعاء ويذكرون
محاسنهم ويسألون الله أن يجمع بينهم وبينهم في الثواب فقال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه قرأ ابن كثير تجري
من تحتها الأنهار في مصاحف أهل مكة والباقون بغير من كما في سائر المصاحف قيل والفرق بينهما أن قوله تجري
من تحتها الأنهار معناه يجري من تحت الجنات وقوله تجري تحتها أنهم يجرون من تحت الجنات روي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل إنه السابقون قال قد مضى ناس فقال السابقون المستهترون بذكر الله ومن أحب أن
يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا
على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ● يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون
وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانت منازلهم حول المدينة ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدإ الذي هو ممن حولكم
ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدإ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة
موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون مردوا كلاما مبتدأ أو صفة لقوله منافقون
فصل بينها وبينها بمعطوف على خبره مردوا على النفاق أي عتوا فيه ومهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب
وضرى حتى لان عليه ومهر فيه وتدل على مرانتهم ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم يا محمد يخفون عليك مع فطنتك
وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع
على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين
لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا فيه ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هي
الفضيحة دعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرح بأنهم فيما ليس الطوى فسنعذبهم مرتين قيل هي الفضيحة
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق وأخرج من المسجد ناسا
وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وقيل العذاب الأول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقيل
الجوع والقتل وقيل السلب وعذاب القبر وقيل المرة الأولى بالمصائب في الأموال والأولاد والمرة الأخرى في جهنم
وعن ابن عباس رضي الله عنه المرة الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر وعن الحسن رضي الله عنه أخذ
الزكاة من أموالهم والأخرى عذاب القبر وقيل هما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم غيظا
في القبر إذا أصابوا إليه وقيل الأولى ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والأخرى عذاب القبر
وقيل تفسيره في سورة النحل زدناهم عذابا فوق العذاب وقيل الأولى بالسيف يوم بدر والأخرى عند
الموت والأخرى عذاب القبر وقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وعذاب القبر وقيل الأمراض في الدنيا
والآخرة وذلك أن من مرض من المؤمنين كفر الله عنه سيئاته ومحص عنه ذنوبه فأبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا
من دمه وأعقبه ثوابا عظيما ومن مرض من المنافقين زاده الله نفاقا وإثما وضعفا كما قال في هذه السورة أولا يرون
أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين يعني أنهم يمرضون في كل عام مرة أو مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى عذاب
النار قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور
رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ● أي وقوم
من أهل المدينة وليس براجع إلى المنافقين اعترفوا بذنوبهم لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا
على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة
بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك
وأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته
كلما قدم من سفر فقال من هؤلاء قالوا تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم

وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم رغبوا
عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فأنزل الله هذه الآية فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا
عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم خلطوا عملا صالحا خروجا
إلى الجهاد وآخر سيئا تخلفا منه وعن الحسن رضي الله عنه توبة وإثما قال صاحب الكشاف فإن قلت قد جعل كل واحد منهما
مخلوطا به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه
ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن واللبن مخلوطا بالماء لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته
بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم
بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم قال فإن قلت كيف قيل أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت إذا ذكر اعترافهم
بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم عسى الله أن يتوب بكلمة عسى من الله واجب وتحقيق القول فيه أن القرآن
ورد على عرف الناس في الكلام والسلطان إذا التمس المحتاج منه شيئا فإنه لا يجيب إليه إلا على سبيل الترجي مع كلمة
عسى ولعل تنبيها على أنه ليس لأحد أن يلزمني شيئا وأن يكلفني بشيء بل كل ما أفعله إنما أفعله على سبيل التفضل فذكر كلمة
عسى تفيد هذا المعنى مع أنه يفيد القطع بالإجابة وقيل المقصود منه أن يكون المكلف على الطمع والإشفاق لأنه
أبعد من الاتكال والإهمال وقيل عسى أن يتوب يقتضي أن هذه التوبة إنما تحصل في المستقبل وقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم
دل على أن ذلك الاعتراف حصل في الماضي وذلك يدل على أن هذا الاعتراف ليس نفس التوبة بل كان مقدمة للتوبة وأن
التوبة إنما تحصل بعده لما قال صلى الله عليه وسلم إنما أمرت أن آخذ أموالكم أنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة قال
الحسن هذا راجع إلى هؤلاء الذين تابوا لأنهم بذلوا أموالهم للصدقة فأوجب الله تعالى عليهم أخذها وصار ذلك
في حقهم جاريا مجرى الكفارة وليس المراد من هذه الصدقة الواجبة إنما هي صدقة كفارة الذنب التي صدرت منهم وقيل
إن هذه الآية كلام مبتدأ والمقصود منها إيجاب أخذ الزكاة من الأغنياء وعليه أكثر الفقهاء إذ استدلوا بهذه
الآية في إيجاب الزكاة أما القائلون بالقول الأول فقد احتجوا على صحته بقولهم بأن الآيات لا بد وأن تكون منتظمة متناسقة
فلو حملناه على الزكوات الواجبة ابتداء لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها فصار كلاما لا يليق بكلام الله وأما
القائلون بأن المراد منه أخذ الزكوات الواجبة قالوا المناسبة حاصلة على هذا التقدير أيضا وذلك أنهم أقروا بأن السبب الموجب
لذلك التخلف حبهم للأموال وشدة حرصهم على صونها عن الإنفاق فكأنه قيل إنما يظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة
والندامة لو أخرجتم الزكاة الواجبة ولم تضايقوا فيها لأن الدعوى لا تتقرر إلا بالمعنى فإذا أدوا تلك الزكاة
عن طيبة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة وإلا فهم كاذبون ومما يدل على أن المراد الصدقات الواجبة قوله
تطهرهم وتزكيهم بها فالمعنى تطهرهم من الذنب بسبب أخذ تلك الصدقات وهذا إنما يصح لو قلنا إنه لو لم يوجد
تلك الصدقة لحصل الذنب وذلك إنما يصح حصوله في الصدقات الواجبة وأما القائلون بالقول الأول فإنهم
قالوا إنه صلى الله عليه وسلم لما أعذر أولئك التائبين وأطلقهم قالوا يا رسول الله إنما تخلفنا عنك لأجل أموالنا
قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي بسببها تخلفنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه
وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله هذه الآية وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم
وترك الثلثين لأنه تعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم فإنه يفيد التبعيض وقوله تطهرهم تقديره تطهرهم
أنت وقيل تطهرهم الصدقة فيكون تطهرهم صفة لقوله صدقة وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء أن الصدقة
أوساخ الناس فإذا أخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ فكان اندفاعها جاريا مجرى التطهير قال الإمام
على هذا القول يجب أن قوله وتزكيهم يكون منقطعا عن الأول ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم
تلك الصدقة وتزكيهم أنت بها وقيل التاء في تطهرهم وتزكيهم للمخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت أيها الآخذ
بأخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة
في المال وقيل بصلحهم وقيل ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين وقيل تنمي أموالهم وصل عليهم واستغفر لهم
واعطف عليهم بالدعاء وترحم لهم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رضي الله عنه
أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما أبقيت إن صلوتك
قرأ حمزة والكسائي صلاتك بغير واو وفتح التاء على التوحيد والمراد به الجنس وكذلك في سورة هود أصلوتك تأمرك
بغير واو على التوحيد والباقون صلواتك على الجمع بالواو وكذلك في هود سكن لهم والسكن ما تسكن إليه والمعنى يسكنون
وتطمئن قلوبهم وعن ابن عباس رحمة لهم وعن قتادة رضي الله عنه وقار لهم وعن الكلبي طمأنينة لهم أن الله قد قبل منهم
وقيل تزكية لهم منك وقيل تثبيت لهم والله سميع عليم يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم
والغم لما فرط منهم قوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب
الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
فيه وجهان أحدهما أن المراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة
الصحيحة من عباده المخلصين ويقبل الصدقات إذا صدرت من خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله
من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله هو

يقبل التوبة فيردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقيل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا او شرا على الله
ورسوله والمؤمنين كما رايتم وتبين لكم وقيل انهما اي تحريض للتائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما نزلت توبة
هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فقال الله عز وجل الم
يعلموا الاية وقوله فسيرى الله عملكم وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وترغيب عظيم للمطيعين
وفي الخبر لو ان رجلا عبد الله تعالى في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا من كان قوله تعالى وآخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ● قسم الله تعالى المتخلفين ثلثة اقسام اولهم المنافقون
الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون الذين اعترفوا بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون في هذه
الاية والفرق بين الثاني والثالث ان الثاني تسارعوا الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قيل هم الثلاثة الذين
خلفوا لم يربطوا انفسهم ولم يبالغوا انفسهم في التوبة والاعتذار قرا نافع والكسائي وحفص عن عاصم مرجون بغير همز
والباقون بالهمز وهما لغتان من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة اي وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم ليقضي الله
فيهم ما هو كائن وسيجيء قصتهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما ان يتوب عليهم ان تابوا اي لكن امرهم على الخوف
والرجاء فجعل اناس يقولون هلكوا اذا لم ينزل الله لهم عذرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجين
لامر الله لا يدرون ايعذبون ام يرحمون قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ● قرا نافع وابن
عامر الذين اتخذوا بغير واو وكذلك في مصاحف [illegible] والعراق ثم قرا الباقون بواو فلانها قصة على حيالها ومن قرا بالواو
فعلى عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم ان بني عمرو بن عوف لما اتخذوا مسجد قبا
بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني
مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كما صلى في مسجد اخوتنا وليصل فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وكان ابو عامر رجلا منهم وهو والد حنظلة غسيل الملائكة
وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الذي
جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال بلى ولكنك
ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا فقال صلى الله عليه وسلم آمين لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود فمخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا
الى جنب مسجد قبا وكان الذي بنوه اثنا عشر رجلا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك
فقالوا يا رسول الله انا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تاتينا فتصلي لنا
فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
فخرجوا سريعا حتى اتوا سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال لهم مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار من اهلي
فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه
اهله وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام
وحيدا غريبا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعاندة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا
يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وانتظارا واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله من قبل وهو ابو عامر الراهب اعدوه له ليصلي فيه اذا رجع من الشام ويظهر على النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة ورياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار
وعن سفيان انه لم تدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي
فيه فانه بني ضرارا وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء
رضي الله عنه لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين
يضار احدهما صاحبه والذين اتخذوا محله النصب على الاختصاص كقوله والسارق والسارقة وقيل متصل
بقوله اتخذ والذين اتخذوا مسجدا من قبل بنيانه هؤلاء المتخلفون وليحلفن ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة
الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل الا الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في قولهم وحلفهم قوله تعالى لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم

الا ان تقطع

الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ● قوله لا تقم فيه نهي له صلى الله عليه وسلم عن ان يقوم فيه عن ابن جريج
فرغوا من اتمام ذلك المسجد يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم ويوم السبت ويوم الاحد وانهار
في يوم الاثنين ثم قال لمسجد اللام للابتداء او القسم بتقديره والله لمسجد اسس على التقوى اي بني اصله ومبدئ
بنيانه في اول يوم منه وقيل معناه منذ اول يوم وضع اساسه احق واولى ان تقوم فيه مصليا قيل هو مسجد قبا اسسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج
يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اليق وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
فيه منبره وقبره وعن ابن عمر وزيد بن ثابت وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم ان المسجد الذي اسس على التقوى
هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي من الاخباث والجنابات والنجاسات والذنوب والمعاصي
والكفر والنفاق وعن الكلبي هو غسل الادبار بالماء وعن عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون الليل على الجنابة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا لما نزلت هذه الاية ان الله تعالى قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا
انا نستنجي بالماء والله يحب المطهرين اصله المتطهرين ادغمت التاء في الطاء لقرب مخرجهما روي ان الحمى استاذنت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة جارية سوداء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قالت انا ام ملدم امص
الدم وآكل اللحم واصفر الوجه وانحل الجلد وادق العظم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفي الى
اهل قبا فاتتهم [illegible] فلما كان من الغد [illegible] فقال لهم قوموا بنا نعودهم فعادهم
فجعل يقول ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا يا رسول الله ادع الله ان يذهبها عنا قال اما حتى تكون كفارة لذنوبكم
فان الله يثني عليكم فيه رجال يحبون ان يتطهروا بالحمى من معاصيهم والله يحب المطهرين من الذنوب قوله
تعالى افمن اسس قرا نافع على فعل ما لم يسم فاعله وكذا قوله ام من اسس والباقون اسس على بناء المعروف والفاعل
هو الباني والمؤسس والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه
خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل
شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى شفا
كل شيء حرفه وشفيره وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر
وهو المنصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات
في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ومعنى الجرف الهائر مجازا
عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي
هو للجرف وليتصور ان المبطل كان اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها
ولا نرى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل قرا ابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم جرف
باسكان الراء والباقون بضم الراء وهما لغتان وعن قتادة رضي الله عنه والله ما تناهى ان وقع في النار وذكر لنا
بقعة من مسجد الضرار رئي الدخان يخرج منها وعن جابر رضي الله عنه رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار وعن خلف
بن ياسر الكوفي رضي الله عنه حججت مع ابي جعفر [illegible] بالمدينة قبلتين يعني مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقبا وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمن ابي جعفر قالوا يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة فرايت مسجد المنافقين
الذي ذكره الله في القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة شكا ونفاقا
يحسبون انهم كانوا في بنيانه محسنين كما حبب العجل الى قوم موسى وقيل حزنا وندامة لانهم ندموا على بنيانه
وقيل لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة اي حزازة وغيظا في قلوبهم وقيل كان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك
المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال الله تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم
من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال
هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول رسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم
قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ويجوز
ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن بقتلهم او في القبور
او في النار قرا ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء والطاء مشددة بمعنى تتقطع حذفت احدى التائين تخفيفا
وابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو والكسائي بضم التاء وتشديد الطاء على ما لم يسم فاعله وقيل معناه الا ان يتوبوا
توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا والله عليم باحوالهم حكيم في الاحكام التي يحكم بها فيهم قوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا
في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ●
لما بين الله تعالى فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان
لائقا به عاد الى بيان فضيلة المجاهدين باموالهم وانفسهم فبين انه تعالى اشتراهم بالجنة على بذلهم اموالهم وانفسهم في سبيله

بالشرع وذوي تلجئهم الله فاغلى لهم الثمن قيل لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة
وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال
صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه
انفسكم واموالكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نستقيل ولا نقيل فنزلت ان الله اشترى
اي ابتاع من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة عن قتادة رضي الله عنه ثامنهم والله فاغلى لهم وعن الحسن رضي الله عنه
اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن والله ما على الارض مؤمن الا دخل في هذه البيعة ومر اعرابي بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية فقال كلام من هذا قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج
الى الغزو واستشهد وعن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وعن عمر رضي الله عنه فجعل
لهم الصفقتين جميعا يقاتلون في سبيل الله بمعنى الامر كقوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقيل يقاتلون
كالتفسير لتلك المبايعة وكالامر اللازم فيقتلون ويقتلون قرأ حمزة والكسائي فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل على
معنى ان طائفة كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين من المقاتلة بل يبقون بعد
ذلك مقاتلين مع الاعداء قاتلين لهم بقدر الامكان وهو كقوله وما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا اي وما وهن من بقي منهم والباقون بالعكس على انهم يقتلون الكفار ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا
مقتولين وعدا عليه حقا مصدر مؤكد اي وعدهم بان لهم الجنة وعدا واخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله قد
ثبت وقد اثبته في التورية والانجيل انه اشترى من امة محمد صلى الله عليه وسلم انفسهم واموالهم بالجنة كما ثبت
في القرآن وقيل ان الامر بالجهاد ثابت في جميع الشرائع ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد ونقض العهد
قبيح لا يقدم عليه الكريم من الناس مع جوازه عليهم لحاجتهم فالغني عن كل الحاجات اولى ان يكون منزها
عنه من استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بعهده من الله ولا ترغيب في الجهاد احسن منه وابلغ ثم هنأهم
فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون
السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين
لما ذكر في الآية الاولى ان الله اشترى من المؤمنين بين في هذه الآية ان اولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات
التسع التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف
اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل
من الضمير في يقاتلون وقيل التائبون مبتدأ والعابدون خبره وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الصفات وعن الحسن رضي الله عنه الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق وقيل هم الذين
تابوا عن كل معصية وهم الراجعون الى الله بالكلية عن جميع ما هم عليه من صفاتهم واحوالهم العابدون المطيعون
الذين اخلصوا لله العبادة وعن ابن عباس رضي الله عنه الذين يؤدون عبادة الله الواجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا
بالعبادة التي هي الاتيان بفعل مشعر بتعظيم الله تعالى على اقصى الوجوه في التعظيم وعن الحسن رضي الله عنه الذين
عبدوا الله في السراء والضراء وعن قتادة رضي الله عنه هم الذين اخذوا ابدانهم في ليلهم ونهارهم الحامدون لله تعالى
على كل حال وفي كل نعمة وقيل هم الذين يعرفون ويشكرون الله تعالى على نعمه دنيا ودينا ويجعلون ذلك عادة لهم وقيل الحامدون
لنعم الله تعالى عليهم في كل خطرة وطرفة عين السائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من الشهوات
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم السائحون الصائمون لان الله عز وجل اذا ذكر الصائمين لم يذكر
السائحين واذا ذكر السائحين لم يذكر الصائمين وعن الحسن رضي الله عنه السائحون الغزاة والمجاهدون وقيل طلبة
العلم وقيل هم الذين حبسوا انفسهم عن ارادها طلبا لرضى الله الراكعون الساجدون المصلون قيل انما جعل الركوع
والسجود من الصلاة لان سائر اشكال المصلي موافق للعادة وهي قيامه وقعوده والذي يخرج عن العادة هو ذلك الركوع
والسجود وبه يتبين الفضل بين المصلي وغيره وحكي ان في العرف مراتب التواضع ادناها القيام والركوع اوسطها والسجود غايتها
فخص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع والعبودية تنبيها على ان المقصود من الصلاة نهاية الخضوع والتعظيم
قيل الراكعون الخاضعون له على الدوام الساجدون الطالبون قربه والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر البدعة
ومخالفات السنن قيل في دخول الواو في قوله والناهون لان النهي عن المنكر عبادة متعلقة بالغير وهذا النهي يوجب ثوران الغضب
وظهور الخصومة وربما اقدم ذلك المنهي على ضرب الناهي وربما حاول قتله فكان النهي عن المنكر اصعب اقسام العبادات
والطاعات فادخل عليها الواو تنبيها على ما يحصل من زيادة المشقة والحافظون لحدود الله عن ابن عباس القائمون
على طاعة الله عز وجل وقيل اهل الوفاء ببيعة الله وقيل المراعون لما اوجب الله عليهم في حق ربهم وفي انفسهم ولمن دونهم
وقيل الحافظون لحدود الله اي التكاليف المتعلقة بالاعمال الجوارح واعمال القلوب وبشر المؤمنين المقصود منه
انه تعالى قال في الآية المتقدمة فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فذكر هذه الصفات التسع ثم ذكر عقيبها وبشر المؤمنين
تنبيها على ان البشارة المذكورة في قوله فاستبشروا لم تتناول الا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات قوله تعالى
ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم ● انه تعالى بين من اول هذه

السورة

السورة الى هذا الموضع وجوب اظهار البراءة من المشركين والمنافقين من جميع الوجوه ثم بين في هذه الآية انه يجب اظهار البراءة
عن امواتهم وان كانوا اولي قربى كالاب والام ونحوهما كما يجب اظهار البراءة من احيائهم والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم
احياء وامواتا ومنع مواصلتهم روي انه لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي عم انك اعظم
الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا وانت اعظم حقا من والدي فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي يوم القيمة قل لا اله الا الله اشهد
لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء
تكلم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت الآية ونزلت انك لا تهدي
من احببت قيل هذا بعيد لان السورة من آخر ما نزل من القرآن ومات ابو طالب في عنفوان الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة
وقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ابرهيم لابيه وهو مشرك فلا ازال استغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال اصحابه ونحن
والله لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فانزل الله هذه الآية وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال
بلغني انه لما اشتكى ابو طالب شكواه التي مات فيها قالت قريش يا ابا طالب ارسل الى ابن اخيك فيرسل اليك من هذه الجنة
بشيء فيكون لك شفاء فخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه جالس معه فقال يا محمد ان عمك
يقول لك يا ابن اخي اني كبير ضعيف سقيم فارسل الي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئا يكون لي فيه شفاء فقال
ابو بكر رضي الله عنه ان الله حرمهما على الكافرين [illegible]
فقال له مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرمهما على الكافرين طعامها وشرابها ثم قام في اثر الرسول حتى دخل
معه البيت فوجده مملوءا رجالا فقال خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت احق به منا ان كانت لك قرابة فلنا
قرابة فجلس اليه فقال يا عم جزيت عني خيرا يا عماه اعني على نفسك بكلمة اشفع لك بها عند الله تعالى يوم القيامة قال
ابن اخي ما هي قال لا اله الا الله قال انك لي ناصح والله لولا ان تعير بها بعدي فيقال جزع عمك من الموت لاقررت بها عينيك قال فصاح القوم يا ابا طالب انت رأس الحنيفية
ملة الاشياخ فقال لا على ملة الاشياخ لا يتحدث نساء قريش ان عمك جزع عند الموت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ازال استغفر لك ربي حتى يردني فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذوي قرابتنا
قد استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه فاستغفر المسلمون للمشركين فنزلت
هذه الآية وعن ابي هريرة وابي بريدة رضي الله عنهما لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم اتى قبر امه آمنة فوقف عليها حتى حميت عليه
الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فقام وبكى فابكى من حوله
ثم قال اني استأذنت ربي ان ازورها فاذن لي واستأذنته ان استغفر لها فلم ياذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت
فما رأى باكيا اكثر من يومئذ وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا يستغفرون لامواتهم المشركين فنزلت هذه الآية فامسكوا
عن الاستغفار لامواتهم ولم ينههم ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا وعن قتادة رضي الله عنه قال رجال من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي الذمم افلا نستغفر
لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه فانزل الله تعالى
ما كان للنبي اي ما صح للنبي وما ينبغي له والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قيل ما كان في القرآن على وجهين احدهما بمعنى
النفي كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله والآخر بمعنى النهي كقوله تعالى وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله وقوله ما كان للنبي نهي من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الكفر والشرك وفيه
تنبيه [illegible] الاستغفار ثم هذه الآية على الصلوة ثم بيان النهي عن الاستغفار غير مختص بدين محمد صلى الله عليه وسلم بل
هو في شريعة ابرهيم عليه السلام ايضا فتكون المبالغة في تقرير وجوب المقاطعة والمباينة بين الكفار اكمل واقوى وعند ابرهيم
خليله عليه السلام فقال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وهو قوله تعالى لاستغفرن لك
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله تعالى قوله حكاية عن ابرهيم صلى الله عليه وسلم سلام عليك سأستغفر لك ربي
الآية سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت له لم تستغفر لهما فقال الم يستغفر ابرهيم عليه السلام لابيه فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله هذه الآية قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا عن موعدة
وعدها اياه وقيل الهاء في اياه عائدة على ابرهيم عليه السلام وذلك ان اباه وعده ان يسلم فقال له سأستغفر لك
ربي وقيل هي راجعة الى الاب فان ابرهيم عليه السلام وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه وهو قوله تعالى سأستغفر لك ربي وقوله
لاستغفرن لك فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وذلك ما رواه في الاخبار ان ابرهيم عليه السلام يقول يوم القيمة رب والذي
وعدتني فاذا كانت لنا النية يريه الله تعالى اباه فيقول له ابرهيم عليه السلام اوكنت امرتك في الدنيا فعصيتني فلست بتاركك
اليوم فخذ بحقوي فيتعلق به حتى يريد الجواز على الصراط فاذا اراد ان يجاوزه بجانب من ابرهيم عليه السلام التفت فاذا هو
بابيه في صورة ضبع فيتخلى عنه ويتبرأ منه يومئذ وعلى هذا التأويل يكون معنى الكلام على الاستقبال تقديره يتبين ويتبرأ
فان قيل كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده واجيب بانه يجوز انه ظن انه ما دام يرجى منه الايمان
جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر
ان ابرهيم لاواه فعال من قول الرجل اوه يا اوه اذا قال اوه والاواه هو الذي يكثر التأوه وقيل كان ابرهيم عليه السلام اذا ذكر النار
قال اوه وقيل الخاشع المتضرع وعن انس رضي الله عنه تكلمت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء كرهه فنهاها عمر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فانها اواهة قيل يا رسول الله وما الاواهة قال الخاشعة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الاواه الدعاء وعنه الاواه الرحيم

وعن الضحاك رضي الله عنه هو الجامع للدعاء وعن الحسن وقتادة الرحيم بعباد الله وقيل الأواه الرحيم بلغة الحبشة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما المؤمن بالحبشة وعنه المؤمن التواب وعنه الموقن وعن عكرمة رضي الله عنه هو المستيقن
بلغة الحبشة وقيل هو الملتوي وقيل المسبح الذي يذكر الله تعالى في الأرض القفرة الموحشة وقيل الكثير الذكر لله عز وجل روي
انه رجلا كان يكثر ذكر الله تعالى ويسبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه وقيل هو الذي يكثر تلاوة القرآن
عن ابن عباس رضي الله عنه دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا فقال رحمك الله ان كنت لأواها يعني تلاء للقرآن وقيل
هو الذي يجهر صوته بالبكاء والدعاء والقرآن وعن أبي ذر رضي الله عنه كان رجل يطوف بالبيت فيقول في دعائه أوه أوه
فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه أواه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح وعن النخعي رضي الله عنه الأواه الفقيه وعن الفراء هو الذي يتأوه من الذنوب وعن سعيد
بن جبير رضي الله عنه المعلم للخير وقيل هو المشفق وكان ابو بكر رضي الله عنه يسمى الأواه لشفقته ورأفته وعن عطاء الراجع
عن كل ما يكره الله تعالى الخائف من النار وعن ابي عبيدة رضي الله عنه هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة
قال الزجاج اصله من التأوه وهو ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه أوه وتأوه وقلما يستعمل منه [illegible]
ودنا له بالمكروه فانه صلى الله عليه وسلم استغفر لابيه عنده ووعده اياه بعد شتمه وقوله لئن لم تنته لارجمنك واهجرني
مليا فقال له صلى الله عليه وسلم سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وعن ابن عباس رضي الله عنه الحليم السيد [illegible]
الكتاب ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك وفي
[illegible] امر الله عز وجل باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه قوله تعالى وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ● لما نهى الله المؤمنين ان يستغفروا للمشركين والمؤمنون كانوا قد استغفروا لاقربائهم
قبل نزول هذه الاية فانهم كانوا قبل هذه الاية يستغفرون لابائهم وامهاتهم وسائر اقاربهم ممن مات على الكفر فلما
نزلت هذه الاية خافوا بسبب ما صدر منهم قبل ذلك من الاستغفار وغيره للمشركين وايضا ان اقواما من الذين استغفروا
للمشركين كيف يكون حالهم فازال الله عنهم بهذه الاية وبين انه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوا
ويتحرزوا عنه وما كان الله ليقضي ما امر الله عز وجل باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى الله عنه وبين
انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم الله الى الاسلام ولا يسميهم ضلالا الا اذا اقدموا عليه بعد ان حظر
عليهم وبين لهم حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب كالاتقاء ما قبل الحظر والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذ
بشرب الخمر وبيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل
قبل ورود النهي عنه وعن مجاهد رضي الله عنه بيان ان الله سبحانه المؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة
وبيانه لهم في ترك معصيته ومخالفته وطاعته عامة فافعلوا او ذروا وعن مقاتل والكلبي لما انزل الله تعالى الفرائض
فعمل بها الناس جاء نسخها من القرآن وقد مات ناس وهم يعملون الامر الاول من القبلة والخمر واشباه ذلك فسألوا
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم او وما كان الله ليبطل عملا
عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم ما يتقون ما يأتون وما يذرون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض لما
امر بالبراءة عن المشركين والمنافقين احياء واموات بين ان له ملك السموات والارض وهو ناصركم فيهم لا تقدرون [illegible]
قيل ان قوما من المؤمنين قالوا لما امرنا بالانقطاع من المنافقين والمشركين فحينئذ لا يمكن ان نختلط بآبائنا واولادنا
واخواننا لان بعضا كان الكثير منهم كافرين والمراد انكم وان صرتم محرومين عن معاونتهم ومناصرتهم بانقطاعكم عنهم فالله
لما امر الله تعالى بهذه التكاليف الشاقة كانه قال وجب عليكم ان تنقادوا لحكمي لكوني الهكم ولكونكم عبيدا له قوله
تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ● لما ذكر الله تعالى احوال الغزوة بتبوك وبين احوال المتخلفين عنها وبسط القول
في ذلك على الترتيب عاد في هذه الاية الى شرح ما بقي من احكامها لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث المؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار
حتى النبي والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء
عليهم السلام كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله على النبي باذنه للمنافقين في التخلف
عنه كقوله تعالى عفا الله عنك وقال اهل المعاني هو مفتاح كلام لما كان سبب توبتهم ذكر معهم كقوله تعالى
فان لله خمسه وللرسول والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه قيل ان المهاجرين والانصار رضي الله عنهم تحملوا مشاق
هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد والمحن احتاج ان تحمل تلك الشدائد ايضا تكفر لجميع الزلات
التي صدرت منهم في طول الزمان صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص عن كلها وقيل ان الرهبان لما اشتد
عليهم في ذلك السفر وكان الوساوس تقع في قلوبهم فكلما وقعت وسوسة في قلب واحد منهم تاب الى الله سبحانه
وتعالى منها وتضرع الى الله في ازالتها عن قلبه فلكثرة اقدامهم على التوبة بسبب خطرات تلك الوساوس بيانهم قال الله تعالى
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وقيل لا يبعد ان يكون قد صدر عنهم معاصي الا انه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم
بسبب انهم تحملوا مشاق ذلك السفر ثم انه تعالى ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم

في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة التي لاجلها صاروا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم في قوله التوبة في ساعة العسرة
ولم يرد ساعة بعينها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلقة كما استعملت الغداة والعشية واليوم في العرف
[illegible] والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة
من الظهر يتعقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة
وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فرثها وشربوا وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله
مثله وقرأ حمزة وحفص بالياء والباقون بالتاء كاد عند بعض العرب تفيد المقاربة وعند بعض تفيد المقاربة مع عدم الوقوع
فهذه التوبة توبة عن تلك المقاربة ثم تاب ذكر اولا التوبة قبل ذكر الذنب ثم ذكرها اخرى تعظيما لشأنهم وقيل انه تعالى
قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة بسبب الوساوس التي كانت تقع في قلوبهم
في ساعة العسرة ثم انه تعالى قال من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم فبين ان الزيغ في قلوب فريق منهم لا في كلهم وفي
الوسوسة العرضية فذكر التوبة مرة لجزئي بالنسبة اليها فلاما الفريق الذين [illegible] خاطر احدث شك في كونهم من
تلك الوساوس العرضية ثم قال انه بهم رؤوف رحيم قيل الرؤوف عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي في
ايصال النفع والرحمة عبارة من ايصال النفع وقيل احدهما الرحمة السابقة والاخرى اللاحقة قوله
تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا
ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ● وعلى الثلاثة عطف على من تقدم والتقدير لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الا انه اذا قيل العطف على الضمير الذي
في عليهم والضمير عائد على فريق منهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك فلم يخرجوا وقيل خلفوا عن توبة ابي لبابة
واصحابه وانجي امرهم والثلاثة كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع وهلال بن امية عن كعب بن مالك لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو
لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد الناس الجد فاصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين ثم الحقهم فغدوت
بعد ان فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم اقض شيئا فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط
الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فطفت فيهم احزنني اني لا ارى الا رجلا مغموصا عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني
سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله ما علمنا عليه الا خيرا يا رسول الله
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب رضي الله عنه فلما بلغني انه توجه قافلا فطفقت اتذكر الكذب واقول بما
اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما
زاح عني الباطل وعرفت اني لن اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما
وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه
ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم
ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي
ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت ان ساخرج من سخطه بعذر
ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك حديث كذب ترضى به ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك
حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة
فقالوا والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه
بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى
اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك
فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن امية فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت
في نفسي الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا
فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم
اصلي قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي اقبل الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة الناس
مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة رضي الله عنه وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام

فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت
عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام
يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان
فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت
لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأتيني فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل
فقال بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا
الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ
ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ
كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك
كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني
ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى
كملت لنا خمسون ليلة فأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت
علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا
وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله سبحانه وتعالى علينا حين صلى صلاة الفجر
فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل
وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله
ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس
فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين
غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب رضي الله عنه فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله
صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت
يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قال أمسك عليك
بعض مالك فهو خير لك قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله إن الله نجاني بالصدق وإن من توبتي
أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا
كذبا وإني لأرجو أن يحفظني الله سبحانه وتعالى فيما بقيت فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة إلى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله سبحانه
علي من نعمة قط بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته
فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا
عنهم إلى قوله فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب رضي الله عنه وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين
قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا
حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو
تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعتها
أي ضاقت عليهم الأرض برحبها فضاقت عليهم أنفسهم هما وغما وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها
مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم أنفسهم أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه أي من سخط الله إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم ثم رجع إليهم بالقبول
والرحمة تارة أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا أو ليتوبوا أيضا فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة إن الله
سبحانه وتعالى تاب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة إن الله هو التواب الرحيم سئل أبو بكر الوراق رضي الله عنه عن التوبة
النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه قال أبو يزيد البسطامي
رحمه الله عليه غلطت في أربعة أشياء في الابتداء ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني لقوله يحبهم ويحبونه وظننت أني
أرضى عنه فإذا هو رضي عني لقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وظننت أني أذكره فإذا هو ذكرني لقوله ولذكر الله
أكبر وظننت أني أتوب فإذا هو تاب علي لقوله عز وجل ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ذكر الرحيم عقيب
ذكر التواب تدل على أن قبول التوبة لمحض الرحمة والكرم لا للوجوب يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فيما حكم سبحانه وتعالى
بعقد التوبة منها ولأجله الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل ما مضى وهو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجهاد واتقوا الله سبحانه وتعالى في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا في دين

فسكت فعدت له فنشدته

من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة

أم من عند الله قال لا بل من عند الله تعالى وكان رسول الله عليه السلام

الله نية وقولا وعملا والذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على الطاعة من قوله سبحانه
وتعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعن سعيد بن جبير مع أبي بكر رضي الله عنه
وعمر وعن ابن جريج يعني الله عنه مع المهاجرين بدليل قوله تعالى للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون وعن
ابن عباس رضي الله عنه وأصحابه وقيل مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقيل مع الثلاثة أي كونوا مثلهم ولا تكونوا في صدقهم
وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار الذين صدقت نياتهم
فاستقامت قلوبهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ووافقوهم وانظموا في جملتهم واصدقوا
مثل صدقهم وقيل الخطاب لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل
ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤوا إن شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة قوله تعالى ما كان لأهل
المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع
أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون
لما بين الله سبحانه وتعالى بقوله وكونوا مع الصادقين وجوب الكون في موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الغزوات
والمشاهد أكده بالنهي في هذه الآية عن التخلف عنه فقال ما كان لأهل المدينة ظاهره خبر ومعناه نهي ومن حولهم من الأعراب
سكان البوادي مزينة وجهينة وأشجع وغفار أن يتخلفوا عن رسول الله إذا غزا ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أي ضنا
ومعاونتهم الجهاد معه في الحسن لا يربئون بأنفسهم أن يصيبهم الشدائد مثل ما يصيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله سبحانه وتعالى وأكرمها بكل عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في
شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيم لها قدرا ويكون أخف
شيئا عندهم وأهون فضلا أن يربئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي
بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية ذلك إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا
من وجوب متابعته كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب أنهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل
في طريق الجهاد ولا يطؤون موطئا مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم ونعالهم ولا يتصرفون
في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا قتلا أو أسرا أو غنيمة أو هزيمة يقال نال منه لشيء في سبيل
الله إلا كتب لهم به عمل صالح قال ابن عباس رضي الله عنه بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعين حسنة إن الله لا يضيع
أجر المحسنين فإن أصابه ظمأ سقاه الله من الحيوان لا يصيبه ظمأ بعده وإن أصابه نصب أظله العسل من نور الحيوان
وانقطع عنه النصب ومن خرج في سبيل الله لم يضع قدما ولا يدا ولا جبينا ولا أنفا ولا ركبة ولا ساعدا ولا راكعا
ولا ماشيا ولا ذكرا ولا بأمر من بقاع الأرض إلا ذكر الله به بالشفاعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا
الوطء بالأقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطئة وطئها الله بوج والموطئ إما مصدر كالمورد وإما مكان
فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال
نال إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه
فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعليه استشهد أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه في الغازي قبل
انقضاء الحرب بمشاركة الجيش في الغنيمة مما يغيظهم وينكيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر
وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين بأبان ابني سعيد وزياد بن أبي لبيب وعكرمة بن أبي جهل
مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين وعن قتادة رضي الله
عنه هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر فأما غيره من الأئمة
والولاة فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه إذا لم يكن بالمسلمين ضرورة حاجة إلى الحذر وكذا قالوا قال النبي صلى الله عليه
وسلم قال لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت خلف سرية تغزو في سبيل الله تعالى لكني لا أجد سعة فأنطلق بهم معي ويشق
علي أن أدعهم بعدي وقيل إنها لأول هذه الأمة وآخرها وقيل إنها كانت حين كان أهل الإسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى
وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط
سبيل الله ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في سيرهم مقبلين أو مدبرين والوادي
كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال
العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك إلا كتب لهم ذلك الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه
إلى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون من جزاء بالحسنة
خير منها قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ● قيل إن هذه الآية من بقية أحكام الجهاد وعن ابن عباس
رضي الله عنه أنه عليه السلام كان إذا خرج إلى الغزو لم يتخلف عنه إلا المنافق أو صاحب علة فلما بالغ الله في عيوب المنافقين
في غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع الرسول ولا مع سرية فلما قدم الرسول عليه السلام المدينة

ينفذ السرايا الى الكفار نفر المؤمنون جميعا الى الغزو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين
ان ينفروا بكليتهم الى الغزو بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلم تلك الطائفة
وتبلغها الى الغائبين فكان الواجب في ذلك الوقت ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الغزو وطائفة يقيموا في حضرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة
اعظم اثرا من الجهاد بالسيف فالطائفة الباقية من بينهم ولينذروا الفرقة النافرة قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم
بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم لعلهم يحذرون لانهم لا يعملون بخلافه وقيل ان هذه الآية ليست من بقايا
احكام الجهاد بل هو حكم مستقل بنفسه فانه تعالى لما بين في هذه السورة امر الجهاد والهجرة وهما عبادتان بالسفر
بين ايضا عبادة التفقه من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وله تعلق بالسفر فقال وما كان المؤمنون لينفروا
كافة الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وليس حاله كحال الجهاد معه الذي
يجب ان يخرج فيه كل من لا عذر له فلولا نفر من كل فرقة من الفرق الساكنين في البلاد طائفة الى حضرة الرسول صلى الله
عليه وسلم ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال والحرام ويعودوا الى اوطانهم فينذروا ويحذروا قومهم لكي يرجعوا
عن كفرهم وهذه الآية حجة على ان خبر الواحد حجة بيانه ان الله تعالى اوجب ان يخرج كل فرقة طائفة والفرقة
ثلاثة والطائفة واحدة او اثنين فقد اوجب العمل باخبار كل طائفة لقوله تعالى لينذروا اي ليخبروا قومهم وقوله
لعلهم يحذرون ايجاب على قومهم باخبارهم وهذا يقتضي ان يكون خبر الواحد والاثنين حجة في الدين والآية داله
على انه يجب ان يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم
وارشادا له على ان الله تعالى امرهم بالتفقه في الدين لاجل انهم اذا رجعوا الى قومهم ينذرونهم بالدين الحق ويحذرونهم عن
الجهل والمعصية ويرغبونهم في قبول الدين قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و
ليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين • عن الحسن رضي الله عنه انه قال هذه الآية نزلت قبل الامر بقتال
المشركين كافة ثم انها صارت منسوخة بقوله وقاتلوا المشركين كافة والمحققون انكروا هذا النسخ وقالوا الامر
القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الله تعالى ارشدهم الى الطريق الاصوب فامرهم بان يبتدؤا من
الاقرب فالاقرب ونظيره قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم
غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام يلونكم يقربون منكم عن ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك ونحوها
وقيل اراد بهم الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وهكذا المفروض على اهل كل ناحية
ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وليجدوا فيكم غلظة شدة وحمية وعن الضحاك عنفا وعن
الحسن صبرا على جهادهم ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف
في القتل والاسر ونحوه ولا تأخذكم بهم رافة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين بنصره من اتقاه فلم يشرك ولم يعص
تكون اقامته على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب الجاه والمال فاذا رآه قبل الاسلام احجم عن قتاله واذا رآه مائلا
الى تأدية الجزية وهو من اهلها تركه واذا كثر العدو واحجم النفس عن ... قوله تعالى واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون • لما ذكر قبائح افعال المنافقين بعضا بحسبهم قال واذا
ما انزلت سورة فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين
وباعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقيل مقصودهم تثبيت
قومهم على النفاق وقيل يقول المنافقون لعوام المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان ثم بين تعالى الجواب فقال فاما الذين
آمنوا فزادتهم السورة المنزلة ايمانا لانها تزيد اليقين وطمأنينة القلب وثلج الصدر وقيل فزادتهم عملا فان
زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل وهم يستبشرون بنزول الفرائض
وثواب الآخرة وما يحصل في الدنيا من النصر والظفر والفتح والسرور ثم حكم المنافقين امرين مقابلين للامرين
المذكورين للمؤمنين الاول زيادة الرجس والى هذا اشار بقوله واما الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين فزادتهم
رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم وضلالا الى ضلالهم وشكا الى شكهم وتماديهم لانهم كلما جددوا بتجدد
الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم والثاني انهم يموتون على كفرهم والى الاشارة بقوله وهم كافرون
واما الذين في قلوبهم مرض فمرضها الكفر والاخلاق الذميمة وصحتها العلم والاخلاق الجميلة قوله تعالى اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون • لما بين ان الذين في قلوبهم مرض يموتون
وهم كافرون وذلك يدل على عذاب الآخرة بين انهم لا يتخلصون في كل عام مرة او مرتين عن عذاب الدنيا قرأ حمزة
اولا ترون بالتاء على الخطاب للمؤمنين والباقون بالياء خبرا عن المنافقين فعلى قراءة المخاطبة كان المعنى ان المؤمنين
نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر وعلى الغائبة كان المعنى تقريع المنافقين بالاعراض عن ... بما يحدث
في حقهم في ذلك من الامور الموجبة للاعتبار انهم يفتنون يمتحنون في كل عام مرة او مرتين عن حذيفة رضي الله
عنه يكذبون كذبة او كذبتين يضلون فيه وعن مجاهد يفتنون بالقحط والشدة والمرض والوجع وعن قتادة بالغزو
والجهاد وقيل يفتنون فيعتريهم نوع من ... يمكرون اخرى وقيل يفتنون ... لينقضي بالجهاد

نفاقهم وعن عكرمة ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وعن يمان ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون
من نفاقهم ولا هم يذكرون بما صنع الله بهم ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم قوله تعالى واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون • هذا نوع آخر من قبائح
المنافقين ومخازيهم وهو انه اذا ما انزلت سورة مشتملة على ذكر المنافقين وفضائحهم وسمعوها تأذوا من سماعها
ونظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين ان قمتم فان لم يرهم
احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم قاموا وثبتوا ثم انصرفوا عن الايمان بها عن الضحاك هل يراكم من احد يعني
اطلع احد منهم على سرائركم مخافة القتل قال الله تعالى صرف الله قلوبهم عن الايمان بالقرآن عن ابن عباس عن كل رشد وخير
وهدى وعن الحسن صرف الله قلوبهم فطبع عليها بكفرهم وقيل اضلهم الله بانهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى
يفقهوا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم
لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ في هذه السورة الى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها
الا من خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان هذا الرسول
منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد اليكم من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم
تعرفون نسبه وحسبه ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه
شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وزوال المشقة والمضرة عليكم وعن ابن عباس ما ضللتم وعن الكلبي
والضحاك اثمتم وعن الكلبي ما اعنتكم نصركم وقيل ما اهلككم عليه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم اي على ايمانكم وهدايتكم وصلاح حالكم وعن قتادة حريص عليكم اي على ضلالكم ان يهديكم الله وقيل
حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف
رحيم وقيل رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين وقيل رءوف باقربائه رحيم باوليائه رءوف بمن رآه رحيم بمن لم يره وقوله بالمؤمنين
يتعلق برحيم يفيد الحصر بمعنى لا رافة ولا رحمة الا للمؤمنين واما الكافرون فليس لهم منه رافة ورحمة وعن الحسين
ابن الفضل لم يجمع الله لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم • فاذا اعرضوا عن الايمان بك يا رسول فقل حسبي
واستعن بالله تعالى وفوض امرك اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم تمت سورة التوبة بحمد الله وعونه

سورة يونس

وهي مائة وتسع آيات وعشرة آلاف وثمانمائة وتسعة وثمانون حرفا والفان وخمسمائة كلمة غير واحدة وعن ابن
عباس ان هذه السورة مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها بالمدينة نزلت
في اليهود بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب الحكيم
قرأ نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء انه على التفخيم وابو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الراء على الامالة وروى نافع وابن عامر
وحماد عن عاصم بين الفتح والكسر واعلم ان كلها لغات صحيحة قال الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات نحو ما
ولا لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء واما من امال فلان هذه الالفاظ اسماء الحروف المخصوصة فقصد بذكر الامالة
التنبيه على انها اسماء لا حروف واتفقوا على ان قوله الر وحده ليس آية واتفقوا على ان طه وحدها آية قال الامام والفرق
ان قوله الر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده بخلاف قوله طه فانه يشاكل مقاطع الآي التي بعده عن ابن عباس رضي الله
عنهما الر معناه انا الله ارى وقيل انا الرب لا رب غيري وقيل الر وحم ون حروف اسم الرحمن وقيل الر تنبيه الحروف على
طريق التحدي تلك آيات الكتاب قيل اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن وقيل اشارة الى ما تتضمنه هذه السورة
من الآيات وقيل الكتاب الحكيم هو القرآن وقيل هو الكتاب المخزون المكنون عند الله الذي منه نسخ كل كتاب كما قال تعالى
انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقيل الكتاب التوراة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمعنى ان القصص
المذكورة في هذه السورة موافقة للقصص المذكورة في التوراة والانجيل مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان
عالما بالتوراة والانجيل فحصول الموافقة لا يمكن الا اذا خص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بانزال الوحي اليه
وقيل تلك اشارة الى حروف التهجي يعني ان تلك الحروف هي الاشياء التي جعلت آيات وعلامات لهذا الكتاب الذي
وقع به التحدي فلولا امتياز هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف المعجز والا لكان اختصاصه بهذا النظم دون
سائر الناس القادرين على التلفظ بهذه الحروف محالا الحكيم قيل الحكيم بالحلال والحرام والحدود والاحكام وقيل
الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها وقيل وصف الكتاب بصفة من تكلم به قال الاعشى وغريبة تأتي
الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها وقيل الحكيم الحاكم فعيل بمعنى فاعل دليله قوله تعالى وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فاذا القرآن كالحاكم في الاعتقادات يميز حقها من باطلها وفي الافعال يميز صوابها

لم خطابنا وكالحاكم على ان محمدا صادق في دعوى النبوة لأن المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليست
الا القرآن وقيل الحكيم المحكم والإحكام المنع من الفساد والمراد منه انه لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا يغيره الدهور
والمراد بانه من الكذب والتناقض وعن الحسن وصف الكتاب بالحكيم لانه تعالى حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وحكم فيه بالجنة والنار لمن عصاه والجنة لمن اطاعه فعلى هذا الحكيم المحكوم فيه
فعيل بمعنى المفعول وعن عطاء حكيم بما حكم فيه من الارزاق والآجال وبما شاء وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة
والصواب فمن حيث انه يدل على هذه المعاني صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين
عن ابن عباس لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا تعجب كفار قريش من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه
وسلم بالرسالة والوحي اليه مع انه رجل منهم فانكر الله تعالى عليهم ذلك التعجب اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب
والتعجب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره تقديره اكان للناس عجبا ايحاؤنا الى رجل منهم يعني محمدا وللناس عجبا
اي انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم والذي تعجبوا منه ان
يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب
لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم قال الله تعالى لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس
على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق اي بان لهم الباء محذوف قدم صدق اجرا حسنا
بما قدموا من اعمالهم وقيل ثوابا صدقا وقيل الاعمال الصالحة وعن ابن عباس رضي الله عنه سبقت لهم السعادة في الذكر
الاول وعن قتادة رضي الله عنه سلف صدق وعن زيد بن اسلم محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم وعن يمان ايمانهم
وعن عطاء مقام صدق لا زوال فيه ولا بؤس نعيم مقيم وخلود لا موت فيه وعن الحسن رضي الله عنه عمل صالح يقدمونه
يقدمون عليه وقيل هو تقدير الله هذه الامة في البعث يوم القيمة بانه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
وقيل هو عدة الله لهم وقيل سابقة وفضل ومنزلة رفيعة سميت السابقة قدما لان السعي والسبق بالقدم كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد وكذا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل
وانه من السوابق العظيمة واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كالمسجد الجامع وحب الحصيد قال الكافرون ان
هذا لسحر قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لساحر اي ان محمدا لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون
لسحر اي ان هذا القرآن الذي جاء به محمد لسحر ووصف الكفار محمدا بالساحر والقرآن بالسحر دال على عظم محل القرآن عندهم
وعلى انهم عجزوا عن معارضته وعلى اعترافهم به وانهم كانوا كاذبين في تسميته سحرا قيل اراد به انه كلام مزخرف حسن
الظاهر لكنه باطل في الحقيقة ولا حاصل له وقيل اريد به انه لكمال فصاحته وتعذر مثله جار مجرى السحر
الكلام في غاية الفساد لانه صلى الله عليه وسلم كان منهم ونشأ بينهم وما غاب عنهم وما خالط احدا سواهم وما كان
بمكة بلدة العلماء والاذكياء حتى يقال انه تعلم السحر منهم او تعلم العلوم الكثيرة منهم فقدر على الاتيان بمثل هذا القرآن
وانا كان الامر كذلك كان حمل القرآن على السحر كلاما في غاية الفساد فهذا تمهيد السبيل لجواب قوله تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه
ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون • لما حكى عن الكفار انهم تعجبوا من امر الوحي والرسالة ثم انه تعالى ازال ذلك
التعجب في انه لا يبعد البتة في ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وعلى الاعمال
الباطلة الفاسدة بالعقاب كان هذا الجواب مما يتم ويكمل باثبات امرين احدهما اثبات ان لهذا العالم الها قادرا
قاهرا نافذ الحكم والنهي والامر بالتكليف والثاني اثبات الحشر والنشر والبعث والقيمة حتى يحصل الثواب والعقاب
اللذان اخبر الانبياء عليهم السلام عن حصولهما فلا جرم انه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقق هذين المطلوبين
اما الاول وهو اثبات الاله فبقوله ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض واما الثاني وهو اثبات المعاد والحشر
والنشر فبقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا فثبت ان هذا الترتيب في غاية الحسن يدبر الامر يقضي ويقدر
يقدره بارادته ومشيئته على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور و
عواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي والامر الشان اي يدبر احوال الخلق كله وامر ملكوت السماوات والارض
والعرش فقد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السماوات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير
وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره
ما من شفيع اي تدبير هذه الاشياء وصنعه لها لا يكون بشفاعة شفيع وتدبير مدبر ولا يستجري احد ان
يشفع عنده في شيء الا بعد اذنه لانه تعالى اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسألوه ما لا يعلمون انه
صواب وصلاح فان قيل ذكر الشفيع انما يليق باحوال القيمة فكيف ذكر في مبدأ الخلق اجيب بان الكفار كانوا يحتجون
بهذه الآية وكانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فالمراد منه الرد عليهم في هذا القول فهو دليل على ان

والكبرياء لقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وبانه تعالى بين كونه الها للعالم
مستقلا بالتدبير من غير شريك ولا منازع بين ان امر المبدأ يتعلق به يدبر الامر وبين حال المعاد بقوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه وبانه تعالى فيصح تدبير الامور نفاذ الخلق تعالى على احسن الوجوه وكلاهما يدل على انه اله العالم ناظر للعباد محسن اليهم
مريد الخير رحيم بهم ولا حاجة في كونه سبحانه كذلك الى شفيع يشفع فيه وقيل الشفيع هاهنا من الثاني فهو ماخوذ
من الشفع الذي يخالف الوتر يعني الآية خلق السماوات والارض ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والجن والبشر الا من بعد
اذنه اي لم يجد احدا ولم يدخل في الوجود الا من بعد قال له كن حتى كان وحصل ذلكم الله ربكم اشارة الى المعلوم بتلك
العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصفت هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا
به شيئا من ملك او بشر فضلا عن جماد لا يبصر ولا ينفع افلا تذكرون فانا ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم
عليه من عبادة الاصنام وهذا يدل على ان التفكر في مخلوقات الله والاستدلال بها على عزته وعظمته اعلى المراتب
اكمل الدرجات فانه يخلص من الشرك بالله قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • لما ذكر
الدلائل الدالة على المبدأ اردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه
فاستعدوا للقائه اي مرجعهم لا يجب لاحد سواه والمرجع بمعنى الرجوع وجميعا نصب على الحال ووعد الله منصوب على
انه مصدر مؤكد لان اليه مرجعكم في معنى وعدكم الله وعدا لان قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وقوله حقا مصدر
منصوب مؤكد لقوله وعد الله اي صدق ذلك حقا انه يبدأ الخلق لما اخبر عن وقوع المعاد ذكر بعده ما يدل على انه ممكن
في نفسه بانه تبين بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة كونه خالقا للسماوات والارض وخالقا لكل شيء اي شيء
قد ثبت في عقل كل عاقل ان كل من كان قادرا على كل شيء وكانت قدرته باقية يمتنع الزوال وكان عالما بجميع المعلومات
فانه يمكنه اعادته بعينه فقوله انه يبدأ الخلق استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع ليجزي الذين آمنوا المقصود
اقامة الحجة على انه لا بد من حصول المعاد حتى يحصل الفرق بين المحسن والمسيء حتى يحصل الثواب الى المطيع والعقاب على الكافر
في قوله ليجزي للعاقبة لا للتعليل حقيقة لما ثبت بالدلائل القطعية ان افعال الله لا تعلل بالقسط وهو متعلق بقوله ليجزي
والمعنى ليجزيهم بقسطه وخص المؤمنين بالقسط فاده لزيادة العناية في حقهم والمعنى ليجزي الذين آمنوا بقسطهم وبما
اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا انفسهم حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال
تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهذا الوجه اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم
شراب من حميم من ماء حار قد انتهى حره وهو بمعنى محموم يقال الحميم الماء اسخنته [illegible] قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم
يعلمون • لما ذكر الدلائل الدالة على الالهية ثم فرع عليها صحة القول بالمعاد عاد مرة اخرى الى ذكر الدلائل الدالة على الالهية
وهو الاحتجاج باحوال الشمس والقمر وهذا النوع راجع الى ما سبق كالدليل الدال على صحة المعاد لانه تعالى اثبت القول بصحة المعاد
[illegible]

لمن اطاعه

الكتاب الى ٢

للعالم

والعقاب على العاصي ٢

نهر جهيم ٢

اشارة

العقاب الى ٢

فان نور الصباح ٢

في الاجرام المقابلة للقرص الشمس على سبيل العادة والنور اسم لاصل هذه الكيفية واما الضوء فهو اسم لهذه الكيفية اذا كانت قوية والدليل على هذا انه تعالى سمى الكيفية ٢

تنبيه على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة في الزكاة ٢

في الفصول الاربعة ٢

ما خلق الله ذلك الا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا ونظيره قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يفصل الآيات يبين الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة واحدا عقيب الآخر فصلا
فصلا وبعد الشرح والبيان قرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم يفصل بالياء والباقون بالنون لقوم يعلمون
على ايم الكل ترك المفعول واطلاق العلم يفيد هذا وقيل يتفكرون ويعلمون فوائد مخلوقاته وآثار احسانه وخص العلماء
بالذكر لانهم المنتفعون بهذه الدلائل كما في قوله تعالى انما انت منذر من يخشاها قوله تعالى ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ۝ استدل على الالهية والتوحيد اولا بخلق
السموات والارض من احوال البروق والرعود والسحاب والامطار والثلوج ومن الاحوال الحادثة في التراب والهواء والماء
والارض واحوال البحار والجزر والمد واحوال الصواعق والزلازل والخسف واحوال المعادن واحوال النبات والحيوانات
وتفاصيل تلك الاحوال لا تستقصى في بيانها خارجة عن طاقة البشر لقوم يتقون لانهم يحذرون العاقبة
فيدعوهم الحذر الى النظر والتفكر فكل من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا غير مخلوقة لبقاء الناس فيها وان خالقها
ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من دار فيها ثواب وعقاب ليتميز المحسن من المسيء
فهذه الاحوال على الحقيقة تدل على صحة القول باثبات المعاد قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ۝ لما اقام الدلائل
القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد شرع بعده في بيان احوال من يكفر بها
واحوال من يؤمن بها فذكر احوال الكافرين في هذه الآية ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون
عقابنا ولا يرجون ثوابنا او لا يتوقعون لقاءنا اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات
وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب
ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا اليها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا
والذين هم عن آياتنا لا يتدبرونها غافلون لا يعتبرون بها وعن ابن عباس رضي الله عنه عن آياتنا محمد والقرآن غافلون معرضون
تاركون مكذبون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ۝ ذكر احوال الكافرين في الآية المتقدمة ثم ذكر في هذه الآية احوال المؤمنين
الذين عملوا الصالحات قال الامام ان النفس الانسانية لها قوتان نظرية وكمالها في معرفة الاشياء وسلطانها
معرفة الله تعالى وعملية وكمالها في فعل الخيرات والطاعات وسلطانها عبودية الله تعالى
فقوله ان الذين آمنوا اشارة الى كمال القوة النظرية بمعرفة الله وقوله وعملوا الصالحات اشارة الى كمال القوة
العملية بعبودية الله تعالى ولما كانت القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف والرتبة قدمها في الذكر
وقيل ان الذين آمنوا اي صدقوا بقلوبهم وعملوا الصالحات ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به
الانبياء والكتب من عند الله وقيل ان الذين آمنوا اشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة وعملوا الصالحات
شغلوا جوارحهم بالعبودية فاعينهم مشغولة بالاعتبار كما قال تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وآذانهم مشغولة
باستماع كلام الله كما قال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول والسنتهم مشغولة بذكر الله كما قال يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وجوارحهم مشغولة بطاعة الله كما قال تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء ثم لما وصفهم
بالايمان والعمل الصالح ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي ثلاثة الاول قوله يهديهم ربهم
بايمانهم الى الجنة كقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار وتفسيره لان التمسك بالايمان الذي هو المعرفة
اي يهديهم الى الجنة الخلد وملك لا يبلى وقيل يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وكقوله تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة
والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار تجري من تحتهم
الانهار يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من ضمير المفعول في يهديهم وقيل يجوز ان يكون خبرا ثانيا ولم يرد
انها تجري من تحتهم لانهم فوقها الانهار في الجنة تجري من غير اخاديد بل المراد منه انهم يكونون على سرر مرفوعة فوق الناس
والانهار تجري من بين ايديهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهي ما كانت قاعدة عليها ولكن المعنى بين
يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي اي بين يدي قال صاحب الكشاف فان قلت دلت هذه الآية على ان الايمان
الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون
بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف
اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه ولقائل ان يتعلق بمفهوم الترتيب دليل
على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل
الصالح كالتتمة والرديف له وعود الضمير في يهديهم في ايمانهم على الموصول مع صلته المشتملة على الحسنيين لا ينافي

استقلال

استقلال الايمان بالسببية والحق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يقتضي ان دخول الجنة
والذين لا يرجون لقاء الله والذين هم عن آياته غافلون اي الكفار مأواهم النار بكفرهم يقتضي الوعيد في الذين
آمنوا ولم يعملوا الصالحات خارجون عن الفريقين فهم تحت المشيئة ان شاء عفا عنهم وادخلهم الجنة وان شاء
ادخلهم النار لكن عاقبتهم الخروج من النار والدخول في الجنة بحكم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره دعواهم فيها دعاؤهم
يقال دعا يدعو دعاء ودعوى لان اللهم ربنا ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم
اياك نعبد ولك نصلي ونسجد وقيل دعواهم عبادتهم كقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي وما تعبدون
وقوله ما لكم وما تعبدون فاي تدعون على معنى ان لا عبادة لاهل الجنة الا سبحانك اللهم والحاصل ان لا تكليف
في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون تلذذا
فانها جاءت لا كلفة فيه كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير سبحان الله قال تنزيهه من كل سوء قال المفسرون هذه الكلمة علم بين اهل الجنة وبين الخدام في الطعام
فاذا اشتهوا شيئا من الطعام والشراب قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما يشتهون على مائدة ميلا في
ميل فاذا فرغوا من الطعام والشراب حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
ولم يرد آخر كلام يتكلمون به ولكن آخر دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وقيل اعلم ان اهل
الجنة يفتتحون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بتحميده وثنائه وقيل ان اهل الجنة لما استسعدوا بذكر سبحانك اللهم
وبحمده وعاينوا ما فيه من السلامة من الآفات والمخافات علموا ان كل هذه الاحوال السنية والمقامات القدسية
انما تيسر بفضل الله واحسانه اشتغلوا بالحمد والثناء قالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على هذا الكلام
لان اشتغالهم بتسبيح الله من اعظم نعم الله عليهم والاشتغال بالشكر المنعم متأخر عن رؤية تلك النعمة فلهذا السبب
صار آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وتحيتهم فيها سلام اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة
من عند ربهم بالسلام فالاول اضافة المصدر الى الفاعل والآخر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة
من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان وقيل ان لكل انسان بحسب مرتبته معراجا فتارة ينزل من ذلك
المعراج وتارة يصعد اليه فمعراج العارفين الصادقين معرفة الله وتسبيحه وتحميده فاذا قالوا سبحانك اللهم فهم
في عين المعراج ثم اذا نزلوا منه الى عالم المخلوقات كان الحاصل عند ذلك النزول المشاهدة اضافة الخير على جميع الحاضرين
واليه الاشارة بقوله وتحيتهم فيها سلام ثم انهم مرة اخرى يصعدون الى معراجهم وعند الصعود يقولون الحمد لله رب العالمين
فهذه الكلمة العالية اشارة الى الخلق حال العبد بحسب النزول والعروج قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ۝ لما وصف الله
الكفار بانهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وكانوا عن آياتنا غافلين بين ان من غفلتهم ان
الرسول صلى الله عليه وسلم متى انذرهم استعجلوا العذاب جهلا منهم وسفها اي ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله
لهم الخير ولو يعجل الله للناس اي لاهل مكة اجابة دعائهم في الشر كما يستعجل لهم بالاجابة لقضي
اليهم اجلهم اي لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء يدل عليه قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث والحساب
ولا يأملون الثواب وقوله ولو يعجل الله متضمن نفي التعجيل كانه قيل ولا يعجل الله لهم الشر ولا يقضي اليهم اجلهم فنذرهم في
طغيانهم يعمهون بحكم المشيئة قرأ ابن كثير لقضي بالفتح ونصب اجلهم على البناء للفاعل وهو الله والباقون بضم
القاف ورفع اجلهم قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه
ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ۝ بين الله تعالى في الآية الاولى انه لو انزل
العذاب على العبد في الدنيا لقضي اجلهم ثم بين في هذه الآية ما يدل على ضعفه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكر من انه
لو انزل عليه العذاب لمات ثم انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون في نزول العقاب ثم بين في هذه الآية انهم كاذبون
في ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه ويؤذيه فانه يتضرع الى الله في ازالته عنه
وذلك يدل على انه غير صادق في هذا الطلب والمقصود من هذه الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء
قليل الشكر عند وجود النعماء فاما اذا مسه الضر الشدة والجهد دعانا لجنبه مضطجعا في موضع الحال بدليل
عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما ومعناه ان الانسان اذا مسه الضر لا يزال داعيا
لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في جميع حالاته كان منبطحا عاجزا عن النهوض متحاملا للنوم او كان قاعدا لا
يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمحنة باسرها
وقيل يجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود
ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس فلما كشفنا عنه ضره مر اي مضى
واستمر على طريقته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والشكر والدعاء وقيل مر
عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كأن لم يدعنا اصله كأنه فخفف وحذف ضمير الشان كما قال
حتى كأن لم يكن كذلك مثل ذلك التزيين زين الله او الشيطان بوسوسته ما كانوا عليه من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات وقيل

زين للمسرفين المجاوزين الحد في الكفر والمعصية ما كانوا يعملون من الكفر والمعصية والإسراف يكون في النفس
والمال ومعنى الكلام أسرفوا في عبادتهم وأسرفوا في نفقاتهم قوله تعالى ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم
لننظر كيف تعملون ● لما بين أنهم كانوا يستعجلون في الطلب لأنه لو نزلت بهم آفة أخذوا في التضرع إلى الله في إزالتها وكشفها
عنهم بين في هذه الآية ما يجري مجرى التهديد وهو أنه تعالى قد ينزل بهم عذاب الاستئصال ولا يزيله عنهم والغرض منه
أن يكون ذلك رادعا لهم عن قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء لأنهم متى سمعوا أن الله
تعالى قد يجيب دعاءهم وينزل عليهم عذاب الاستئصال ثم سمعوا من اليهود والنصارى أن ذلك قد وقع مرارا كثيرة صار
ذلك الكلام لما ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اللام في ليؤمنوا لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا
لنفي إيمانهم وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفا على ظلموا فيكون تأكيدا لمضمون الكلام من عند مجيئهم بالبينات
فهو نفي إيمانهم ويجوز أن يكون اعتراضا فيكون تأكيدا لمضمون الكلام يعني أي أهلكنا القرون وجاءتهم رسلهم بالبينات
لأن إرسال الرسل إليهم لحال مجيئهم بالبينات لا يكون إلا لمن لم يؤمن وقطعا أن الله قد علم منهم أنهم يصرون على
كفرهم وكذبهم نجزي العقاب ونهلك القوم المجرمين المشركين بتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
تخويف لكفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم
أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناهم لننظر كيف تعملون وهو أعلم بهم وكيف يجوز النظر بقوله
يعملون لا ينظر بمعنى الاستفهام فيه بمعنى ليتبين علمه بما هو عامله فإن قيل كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
أجيب بأنه مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه قوله
تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي
أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت
ربي عذاب يوم عظيم ● هذا نوع آخر من شبهاتهم وكلماتهم التي ذكروها في الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
حكاها الله في كتابه وأجاب عنها وإذا تتلى عليهم يعني على مشركي مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي
والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة
الأوثان ووعيد المشركين قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بكلام تتكلم به أنت
من تلقاء نفسك وقال الكلبي نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك أو بدله أنت بأن تجعل
مكان آية عذاب آية رحمة وأن تسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل فقال قل يا محمد ما يكون لي أن أبدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي ومن عندي إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا آتي ولا أذر شيئا من نحو ذلك إلا متبعا لوحي الله وأوامره
إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس لي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم قال صاحب الكشاف فإن قلت أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان
بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون افترى على الله كذبا
فينسبونه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويزعمون أنه قادر عليه وعلى مثله فنسب إليهم بأن العرب مع كثرة فصحائها
وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز فإن قلت لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما
بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله قلت يرده قوله إني أخاف إن عصيت
ربي فإن قلت فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر أما اقتراح إبدال قرآن
مكانه آخر ففيه أنه من عنده وأنه قادر على مثله فيبدله مكانه وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما
أن يهلكه الله تعالى فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قوله تعالى
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ● قد بين فيما سلف أن
القوم لما التمسوا منه ذلك لا لالتماس لأجل أنهم اتهموه بأنه هو الذي يأتي بهذا الكتاب من عند نفسه على سبيل
الاختلاق لا على سبيل كونه وحيا من عند الله فلهذا المعنى احتج النبي صلى الله عليه وسلم على فساد هذا الوهم
بما ذكره تعالى في هذه الآية وتقريره أن أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره إلى ذلك
الوقت وكانوا عالمين بأحواله وأنه ما طالع كتابا ولا تعلم من أحد ثم بعد انقراض أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا
الكتاب العظيم المشتمل على حقائق علم الأصول ودقائق علم الفروع ولطائف علم الأخلاق وأسرار قصص الأولين وعجز
عن معارضته مصاقع الفصحاء وكافة البلغاء وكل من له عقل سليم فإنه يعرف أن مثل هذا لا يحصل إلا بالوحي من
عند الله لو شاء الله ما تلوته عليكم أي تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو
أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم ينشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا
فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما
يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء

من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به ولا أدراكم ولا أخبركم
به من الدراية بمعنى العلم فقد لبثت فيكم عمرا أي قد أقمت فيما بينكم أمدا طويلا ولم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا أقدر
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من قبلي وهذا جواب
عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب
بآياته إنه لا يفلح الظالمون ● إنهم التمسوا منه قرآنا من عند نفسه ونسبوه إلى أنه إنما يأتي بهذا القرآن من عند نفسه
ثم إنه أقام البرهان القاهر الظاهر على أن ذلك باطل وأن هذا القرآن ليس إلا بوحي الله وتنزيله قال عند هذا فمن
أظلم ممن افترى على الله كذبا والمراد أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد أظلم على نفسه مني حيث
افتريته على الله ولما أقام الدليل على أنه ليس الأمر كذلك بل هو بوحي من عند الله تعالى وتنزيله وجب أن يقال إنه ليس
في الدنيا أحد أجهل ولا أظلم على نفسه منكم لأجل أنه لما ظهر البرهان المذكور كونه من عند الله فإذا أنكرتموه
كنتم كذبتم بآيات الله فوجب أن تكونوا أظلم الناس والحاصل أن قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا المقصود
منه نفي الكذب عن نفسه وقوله أو كذب بآياته المقصود منه إلحاق الوعيد بهم حيث أنكروا الدلائل وكذبوا بآيات الله
وقيل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو زعم أن له شريكا أو صاحبة أو ولدا أو كذب بآياته بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن إنه لا يفلح المجرمون المشركون تأكيد لما سبق من الكلام ومن قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه
وتعالى عما يشركون ● لما التمسوا من الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا غير هذا القرآن أو تبديل هذا القرآن لأن
هذا القرآن مشتمل على ذم الأصنام التي جعلوها آلهة لأنفسهم ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما يدل على فساد عبادة
الأوثان ويعبدون من دون الله الأوثان التي هي جماد لا تضرهم ولا تنفعهم وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها
لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات
وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث إذا كان
يوم القيامة تشفع لي اللات والعزى قل أتنبئون الله قل لهم يا محمد أتنبئون أتخبرون الله بما لا يعلم يكون لهم شفعاء عنده
وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما لله تعالى وهو العالم بكل شيء المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا
أصلا ولا وجود له لأنه لو كان موجودا لكان معلوما لله تعالى وحيث لم يكن معلوما لله يمتنع أن يكون موجودا ومثل
هذا الكلام مشهور في العرف فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء عن نفسه يقول ما علم الله هذا مني ومقصوده أنه
لا وجود له أصلا لا في السموات ولا في الأرض وقوله أتنبئون الله تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو
شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فإنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه ثم نزه نفسه
فقال سبحانه وتعالى عما يشركون قرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء وفي النحل وفي الروم والباقون بالياء في المواضع الثلاثة
وما في ما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة
واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ● لما أقام البرهان القاطع والدليل
الساطع على بطلان القول بعبادة الأصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا الاعتقاد الباطل فقال وما كان الناس إلا
أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة على دين آدم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل أحد بني آدم قابيل أخاه هابيل
فاختلفوا عن ابن عباس كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا على زمن نوح فبعث الله نوحا
عليه السلام وقيل إنهم كانوا أمة واحدة مجتمعة على التوحيد في الميثاق حين خلقهم على الفطرة الإسلامية ثم اختلفوا في الأديان
وإليه الإشارة بقوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقيل أهل سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان حين لم يذر
من الكافرين ديارا وقيل كانوا على دين واحد الإسلام من لدن آدم إلى أن غيره عمرو بن لحي ولولا كلمة سبقت وهو تأخير الحكم بينهم
إلى يوم القيامة وقيل سبقت من ربك بأن جعل الدنيا دار ابتلاء ولكل أمة أجل لا تتقدم ذلك وقيل إنه سبحانه أخر هذه الأمة
لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا عاجلا فيما هم فيه يختلفون فأدخل المؤمنين الجنة بأعمالهم والكافرين النار بكفرهم ولكنه
سبق منه الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل لقضي بينهم لأقام عليهم الساعة وقيل لفرغ من هلاكهم قوله تعالى
ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين ● هذا نوع آخر من شبهاتهم في إنكار
نبوته ويقولون يعني أهل مكة أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها مما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي
لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على صفحات الدهر بديعة غريبة في الآيات
لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وجعلوا نزولها كلا
نزول وكأنه لم ينزل عليه قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات
المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم
وجحودكم الآيات القاهرة والبينات الباهرة وقيل فانتظروا قضاء الله بإظهار المحق على المبطل
السلطان وكانوا من الناس
قوله تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون

ولا أعلمكم

الوعيد

كقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق

لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون …

ما تمكرون ● وإذا أذقنا الناس أي كفار مكة رحمة رخاء وسعة من بعد شدة وبلاء وقحط خالطهم حتى أحسوا
بسوء آثارها فيهم وقيل سلط الله القحط على أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم وأنزل الأمطار
على أراضيهم ثم إنهم أضافوا تلك المنافع الجليلة إلى الأنواء والكواكب وإلى الأصنام وطفقوا يطعنون في آيات الله
ويكيدون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لهم مكر أي فاجؤوا الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق وإذا الأولى
الشرطية وقوله إذا لهم مكر جوابها وهي للمفاجأة إذا لهم مكر في آياتنا استهزاء وتكذيب وعن مقاتل لا يقولون
هذا رزق الله بل يقولون سقينا بنوء كذا قل الله أسرع مكرا أي قل لهم يا محمد الله أسرع مكرا أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على
الجزاء وعن مقاتل أصنع وقوله أسرع يقتضي سرعة مكرهم وإذا المفاجأة تدل على سرعة مكرهم كأنه قال وإذا رحمناهم
من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم
ولعمري إن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون
ما تمكرون أي يكتبون مكركم ويحفظونه ثم يعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيامة أعلم الله بأن ما يظنونه خافيا
مطويا لا يخفى على الله ويحفظهم ويعرض عليهم قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك و
جرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم
على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ● أنه تعالى لما قال وإذا أذقنا الناس رحمة
من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا وكان هذا الكلام كليا لا ينكشف معناه كل الإيضاح إلا بذكر مثال كامل ذكر الله تعالى
الإنسان من الضراء إلى النعماء مثالا ولكون الإنسان فيما الأحسن تكون هذه الآية كالمفسرة التي قبلها هو الذي ينشركم قرأ ابن عامر
ينشركم بالنون من النشر وهو البسط في البر على الظهر وفي البحر على الفلك والباقون يسيركم من التسيير
ويحملكم حتى إذا كنتم في الفلك أي في السفن يكون واحدا وجمعا وجرين بهم يعني جرت السفن بالناس صرف الكلام عن
الخطاب إلى الغيبة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح قال صاحب الكشاف فإن قلت
كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك
غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة
وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء وجواب إذا جاءتها وقوله دعوا الله
بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فبينهما ملابسة وقوله جاءتها أي جاءت الفلك الطيبة ريح عاصف أي شديدة
أي أحاط بهم الهلاك جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك والريح العاصف الشديد دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك
بل لأنهم لا يدعون حينئذ الأوثان معه وكان مشركهم حينئذ إلى الله دون الأوثان لئن أنجيتنا أي قالوا لئن خلصتنا
على إرادة القول ولأن دعواهم من جملة القول من هذه الريح العاصف لنكونن من الشاكرين لك بالإيمان والطاعة فلما أنجاهم
إذا هم يبغون في الأرض يفسدون فيها ويتجاوزون إلى غير أمر الله يعبثون متراقين في ذلك ممتنعين من قولك بغى الجرح إذا
ترامى في الفساد بغير الحق فالبغي قد يكون بالحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم
وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فبين الله تعالى أنهم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس
إنما بغيكم على أنفسكم قرأ الكل متاع بالرفع على أن يكون خبر المبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى
عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض
منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها وقيل يجوز أن يكون متاع خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو متاع الحياة الدنيا بتمام
المحاذر وحفص عن عاصم متاع بالنصب على أن يكون على أنفسكم خبرا ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل
يتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم إلينا أي إلى ما وعدنا من الجزاء إلى الله على أعمالكم مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا
وهو وعيد بالعذاب قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل
الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا
فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ● لما قال تعالى يا أيها الناس إنما بغيكم على
أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل البليغ الذي يضرب لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها ويقوى
إعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها إنما مثل الحياة الدنيا هذا من التشبيه المركب شبهت حالة الدنيا في سرعة تقضيها
وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وزين الأرض بخضرته ورفيفه
فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا إنما مثل الحياة الدنيا في فنائها وزوالها كماء أنزلناه من السماء
مما يأكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والأنعام من الحشيش والمراعي حتى إذا أخذت الأرض زخرفها حسنها وبهجتها
كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها
من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل ومعناه أنها بالزينة
وظن أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا إهلاكها وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع
في قطعه واستئصاله كأن لم تغن بالأمس كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه

ولا يستقيم المعنى والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا كذلك نفصل الآيات أي نذكر واحدة منها
بعد أخرى على الترتيب ليكون تواليها أكثر تقريرا لقوم يتفكرون في آيات الله ويستخرجون منها ما يزيل الشك والشبهة
ليستيقنوا بأنهم خلقوا للآخرة قوله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ● لما نفر الله تعالى
الناس من الدنيا بالمثل الأسبق رغبهم في الآخرة بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن السيد بنى دارا ووضع
مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل ولم يرض عنه السيد
فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وعنه أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبيها
ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق إلا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعو إلى دار السلام عن قتادة السلام هو الله
والدار الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وآفة قال الله تعالى ادخلوها
بسلام آمنين وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما وعن الحسن أن السلام لا ينقطع
عن أهلها وأنها تحيتهم كالجنة وعن المصري رحمه الله سميت لأن من دخلها سلم عليه المولى لأن الله تعالى يسلم على أهل الجنة من كرب
الذنوب والخطيئة سلام من الغيوب فيبدأهم بالسلام بسطا لهم وتقريبا وإيناسا وترحيبا قال يحيى بن معاذ يا ابن آدم
دعاك الله إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه فإن أجبته من دنياك دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها ويهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم عم بالدعوة إظهارا للحجة وخص بالهداية استغناء عن خلقه وقيل الدعوة إلى دار السلام عامة لأنها طريق
الجنة والطريق من النعمة والهداية إلى الصراط خاصة لأنها الطريق إلى المنعم وعن بعض المحققين خرجت عناية المريدين الأحبة
في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا وخرجت هداية المراد من المشيئة من قوله تعالى ويهدي من يشاء وهو الفرق بين المريد والمراد
تقصيهم والله يدعو إلى دار السلام بالأدلة ويهدي من يشاء بالحقائق مع المعانقة لدعوة الله والهدى من الله للذين أحسنوا
الحسنى لما دعا إلى دار السلام ذكر السعادات التي تحصل لأهل الإحسان فيها وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الآية فقال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا لم تروه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا وتزحزحنا
عن النار وتدخلنا الجنة فيكشف الحجاب تبارك وتعالى فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم منه وعن
ابن عباس للذين أحسنوا الحسنى يعني الذين شهدوا أن لا إله إلا الله الجنة وعنه أن الحسنى هي أن الواحد من الحسنات بواحد
والزيادة التضعيف إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وقيل الحسنى النضرة والزيادة النظر قال الله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة وعن علي رضي الله عنه أن الحسنى الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب وعن مجاهد الحسنى حسنة
حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة
وقيل الزيادة هي ما يمر السحاب بأهل الجنة فيمطرهم نعمات فيقولون لهم ما تريدون فما يمطر لهم ولا يريدون شيئا إلا أمطرهم
ولا يرهق ولا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا هوان وكآبة وكسوف البال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار
بما يقدم برحمته الأنعام الكريم ترهقها قترة وترهقهم ذلة قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون ● لما بين حال الذين أحسنوا في الآية المتقدمة بين في هذه الآية حال الذين كسبوا السيئات قيل والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها محمول على معنى جزاؤهم أن يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها فالطالحين الكافرين
وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين مختلفين كان الأخفش يجيزه وقيل يجوز أن يكون الجزاء مرفوعا بإضمار
لهم جزاء ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره بمثلها أي بمثلها والباء زيادة كقوله فحسبك بقول السوء والمراد بالذين كسبوا
السيئات الكفار بقرينة قوله كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لأن سواد الوجه من علامات الكفر بدليل
قوله تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا وكذلك قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وكأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية ويوم نحشرهم جميعا والضمير في قوله عائد إلى المذكور
والصيغة وإن كانت عامة إلا أن الدليل الذي ذكر يخصص بها ما لهم من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله
وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين كأنما أغشيت ألبست وجوههم قطعا قرأ ابن
كثير والكسائي قطعا بسكون الطاء القطعة وهي البعض والباقون بفتح الطاء جمع قطعة مظلما حال من الليل على قراءة
والعامل فيه أغشيت من قبل أن الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة ويجوز أن يكون
العامل فيه معنى الفعل في من الليل وعلى القراءة الأولى صفة لقوله قطعا والمعنى وصف وجوههم بالسواد حتى كأنها
ألبست سوادا من الليل قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ● هذا نوع آخر
من شرح أحوالهم في القيامة والضمير المفعول في نحشرهم عائد إلى المذكور المتقدم وهو قوله والذين كسبوا السيئات
وصف أنه تعالى الذين يحشرهم بالشرك دل على أن المراد من قوله والذين كسبوا السيئات الكفار والحاصل أنه تعالى
يحشر العابد والمعبود ثم إن المعبود يتبرأ من العابد والحاصل أن القوم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبين
تعالى أن المعبودين لا يشفعون لهؤلاء الكفار بل يتبرؤون منهم وذلك يدل على نهاية الخزي والنكال فهذا الكفار الخصم

لجنح من كل جانب الى موقف واحد وجميعا نصب على الحال اى نحشر الكل حال اجتماعهم فى مكانكم نسده مسد
الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا
وباعدنا بينهم بعد الجمع فى الموقف وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وتبرؤا منهم ومن عبادتهم وانما
اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فصيروهم شركاء لانفسهم فى تلك الاموال وقيل
ان الكفار هم الذين اثبتوا تلك الشركة فحسنت اضافة الشركاء اليهم وقيل لما خاطب الله العابدين والمعبودين بقوله
مكانكم صاروا شركاء فى هذا الخطاب وقيل الشركاء هم الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل هى الاصنام لان الخطاب مشتمل على التهديد والوعيد وذلك غير لائق بالملائكة
وان الله تعالى خلق الحياة والعقل والنطق فيها فقدروا على ذكر هذا الكلام وقيل انه تعالى يخلق فيها الكلام من غير ان يخلق
فيها الحياة حتى يسمعوا منهم هذا الكلام وقيل الشركاء كل من عبد من دون الله من صنم وشمس وقمر وانسى وجنى
وملك والمراد من قولهم ما كنتم ايانا تعبدون هو انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا بل لعلة ذلك ثم استشهدوا بالله
فى ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم وانهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم
زعموا انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقيل انهم تخيلوا فى الاصنام التى عبدوها صفات كثيرة فى الحقيقة انما عبدوا
ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذواتها خالية عن تلك الصفات فهم ما عبدوها وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا
وجود لها فى الاعيان وقيل ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم
ان كنا هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله
من اولى العقل قوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون
هذه الاية كالتتمة لما قبلها هنالك معناه فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف او فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو قرا حمزة والكسائى اى تتبع كل نفس ما قدمت من خير او شر وقيل تقرأ كل نفس ما قدمت من خير او شر فى صحيفتها
وقرا عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اى نختبر كل نفس بسبب اختبار ما اسلفت من العمل فيعرف حالها بمعرفة حال
عملها ان كان حسنا فهى سعيدة وان كان قبيحا فهى شقية والمعنى نفعل بها فعل المختبر كقوله ليبلوكم ايكم احسن
عملا والباقون تبلوا بالتاء والباء اى تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار
مقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشىء ويتعرفه ليعرف حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وردوا الى الله اى ردوا الى
الى الموضع الذى جاء منه امره وردوا الى الله ما ظهر لهم من الله من ثواب او عقاب منبها بذلك على ان حكم الله بالثواب
بالعقاب لا يتغير وقيل معناه جعلوا ملجئين الى الاقرار بالهيته بعد ان كانوا فى الدنيا يعبدون غير الله ولذلك قال
مولاهم الحق لا ما زعموا من المعبود الباطل ورجعوا الى المولى الحق وضل عنهم وذهب عنهم وبطل وضاع عنهم ما كانوا يفترون
انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء
والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله
فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
انهم لا يؤمنون ● لما بين فضائح المشركين اتبعها بذكر الدلائل على بطلان الشرك من السماء بنزول المطر والارض
بالنبات لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة اى يرزقكم منهما جميعا ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك
السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحفظهما
من الافات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شىء بكلاءته وحفظه عن على رضى الله عنه كان يقول
سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ومن يخرج الحى اى الانسان والطائر من الميت اى النطفة والبيضة
ويخرج الميت اى النطفة والبيضة من الانسان والطائر وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ومن يدبر
ومن يلى تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فانه تعالى ذكر الخصوص ثم ذكر بعده العموم على طريق الكل لان
تدبير اقسام العالم العلوى والعالم السفلى وعالم الارواح والاجساد امور لا نهاية لها وذكر كلها مفصلا لا تطيق
قوى البشر حملها فذكر البعض ثم عقبها بالكلام الكلى ليدل على الباقى ثم بين ان الرسول عليه السلام اذا سألهم من مدبر
هذه الاحوال فسيقولون ان الله هو الذى يفعل هذه الاشياء فعند ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم
فقل افلا تتقون ان تجعلوا هذه الاوثان شركاء لله فى العبودية مع اعترافكم بان كل خير فى الدنيا والاخرة انما يحصل
من رحمة الله افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقاب شرككم فذلكم الله الذى تكون هذه قدرته
وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اى اذا ثبت
ان هذا هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا اذ لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الباطل ومن التوحيد الى الشرك ومن السعادة الى الشقاوة ومعنى الكلمة كيف تصرفون
عن عبادته وانتم مقرون كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال كذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا اى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون وقيل كما حق انهم مصروفون
عنه كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم انهم لا يؤمنون وقيل
اراد بالكلمة العدة بالعذاب وقوله انهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون قرا نافع وابن عامر كلمات ربك على الجمع

وبعده

وبعده ان الذين حقت عليهم كلمات ربك وفى حم المؤمن وكذلك حقت كلمات كله بالالف على لفظ الوحدان والمراد بالكلمة
اما اخباره عن ذلك وخبره صدق لا يقبل التغير او قضاؤه وعلمه بذلك وعلمه حق لا يقبل التغير قوله تعالى قل هل
من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون ● هذا دليل ثان تقريره ما بين الله
فى سائر الايات من كيفية ابتداء تخليق الانسان من النطفة والعلقة والمضغة وكيفية اعادته وفى كيفية خلق السموات
فلما فصل الله هذه المقامات اكتفى بذكرها هنا على سبيل الاجمال والفائدة فى ذكر الحجة على سبيل السؤال
والاستفهام ان الكلام اذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على طريق الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤول كان ذلك ابلغ
واوقع فى القلب فان قيل القوم منكرون الاعادة فكيف يحتج عليهم بها اجيب بانه قد وضعت اعادة الخلق لظهور
برهانها موضع ما ان دفعه كان مكابرا لان الظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم فى انكارهم
لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال للنبى صلى الله عليه وسلم قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده امره
بان ينوب عنهم فى الجواب يعنى انهم لا تدعهم لجاجتهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون فانى تصرفون
من قصد السبيل والمقصود التعجب منهم فى ذهابهم عن هذا الامر الواضح الذى دعاهم الهوى واللجاج والمكابرة
الى مخالفته بانه لا اخبار عن كون الاوثان ناطقة كيف فانك قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق
قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا
ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ● هذا دليل ثالث والاستدلال على العلم بالصانع بالخلق
اولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة فى القرآن فحكى الله عن الخليل عليه السلام انه ذكر ذلك فقال الذى خلقنى فهو يهدين
وعن موسى عليه السلام انه ذكره فقال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وامر محمدا صلى الله عليه وسلم لذلك
فقال سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى فالاستدلال باحوال الجسد هو الخلق وباحوال
الروح الهداية فههنا ايضا لما ذكر الخلق فى الاية الاولى وهو قوله امن يبدؤا الخلق ثم يعيده اتبعه بذكر الهداية فى هذه
الاية والمقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون والمعقول مضطرب بعد ان الشيطان حيث تعدى طوره متبع والانكار مختلطة
بالحق مشغول بتسليم الاعتقاد فى الهداية الا من الله تعالى والهداية عبارة عن الدعوة الى الحق وتحصيل معرفته وتحقيق الاعتقاد
ليس الا من الله واما الاصنام فانها جمادات لا تاثير لها فى الدعوة الى الحق ولا فى الارشاد الى الصدق فاشرها هو اصل
لجميع الخيرات فى الدنيا والاخرة وان الاصنام لا تاثير لها فى شىء من ذلك فان الاشتغال بعبادتها جهل لا محصول لها
هدى وهدى لغتان يقال هدى للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هداه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى امن لا يهدى قرأ
ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع بفتح الياء والهاء والتشديد يعنى لا يهتدى لان اصله يهتدى ادغمت التاء فى الدال ونقلت
فتحة التاء المدغمة الى الهاء وقرأ نافع ساكنة الهاء مشددة الدال ادغمت التاء فى الدال وتركها على حالها فجمع فى قراءته بين
ساكنين كما جمع فى يخصمون وابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتحة والجزم تحرزا عن الكسر
مخالفة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف وعاصم بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لان الاصل لالتقاء الساكنين
والجزم تحرزا الى الكسر وحمزة والكسائى يهدى ساكنة الهاء وتخفيف الدال على معنى يهدى معناه ان الله هو الذى
يهدى للحق فهل من شركائكم الذى جعلتم انداد الله احد من الملائكة والمسيح وعزير يهدى الى الحق فانهم لا يقدرون على
ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله تعالى فكان اتباع دين الله اولى من قول غيره ثم قال افمن يهدى الى الحق وهو
الله احق بالاتباع ام الذى لا يهدى اى لا يهتدى بنفسه او لا يمكنه ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا
ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه والحاصل فى معنى الاية وجهين احدهما صرفها الى الرؤساء
اى لا يرشدون الا ان يرشدوا والثانى صرفها الى الاصنام وقيل هو وجه الكلام والمعنى لا يمكنها الا ان تحمل ولا تنتقل عن
مكانها الا ان تنقل كما قال الشاعر للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه يريد حيث تحمل فما لكم كيف تحكمون بالباطل
حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم فى اقرارهم بالله ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه
من اسلافهم وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم الاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن ان الظن فى معرفة الله
وفى اصول الدين لا يغنى من الحق اى من العلم شيئا ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد
الاباء قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
اعلم انهم قالوا لولا انزل عليه آية من ربه وكرروا ذلك لاعتقادهم ان القرآن ليس بمعجز وان محمدا انما اتى به من عند نفسه
على سبيل الاختلاق ثم انه تعالى ذكر الجواب عن هذا الكلام ولنثبت تلك البيانات على الترتيب الذى يذكر وفصل الجواب
ثم انه تعالى بين فى هذا المقام ان اتيان محمد بهذا القرآن ليس على سبيل الافتراء على الله ولكنه وحى نازل عليه من عند الله ثم
انه تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله فذلك يدل على انه معجز نازل
عليه من عند الله مبرأ من الافتراء والاختلاق وقيل ان ههنا نفى فى تقدير المصدر والمعنى وما كان هذا القرآن
افتراء من دون الله كما تقول ما كان هذا الكلام كذبا وقيل ان اللام بمعنى الا اى ما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله

كقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما كان الله ليذر المؤمنين وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي لم يكن
ينبغي لهم ان يفعلوا ذلك فكذلك ما كان ينبغي لهذا القرآن ان يفترى اي ليس وصفه وصفة شيء يمكن ان يفترى به
على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر والافتراء افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل في الكذب
كما استعمل قولهم اختلق فلان هذا الحديث في الكذب المعنى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو
امره واعجازه مفترى ثم احتج على صحة هذه الدعوى بامور الاولى ولكن تصديق الذي بين يديه تقرير هذه الحجة
من وجوه منها ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا ما سافر الى بلد لاجل التعلم وما كانت مكة بلدة العلماء
وما كان فيها شيء من كتب العلم ثم انه عليه السلام اتى بهذا القرآن وكان هذا القرآن مشتملا على اقاصيص الاولين والقوم كانوا
في غاية العداوة له ولو لم تكن هذه الاقاصيص موافقة لما في التورية والانجيل لقدحوا فيه وبالغوا في الطعن فيه
ولقالوا انك جئت بهذه الاقاصيص لا كما ينبغي فلما لم يقل احد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه وعلى تقبيح صورته
علمنا انه اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لما في التورية والانجيل مع انه ما طالعهما ولا تلمذ لاحد فيهما وذلك يدل على
انه عليه السلام انما اخبر بهذه الاشياء بوحي من عند الله ومنها ان كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد صلى الله عليه
وسلم تصديقا لما في تلك الكتب من البشارة بمجيئه صلى الله عليه وسلم فكان هذا عبارة عن تصديق الذي
بين يديه الثانية وتفصيل الكتاب ان القرآن مشتمل على العلوم الدينية الاعتقادية التي هي معرفة ذاته ومعرفة
صفات جلاله ومعرفة صفات اكرامه ومعرفة صفات افعاله ومعرفة احكامه ومعرفة
اسمائه وعلى دلائل هذه المعارف وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب الالهية
والعملية التي هي علم التكاليف المتعلقة بالظواهر وهو علم الفقه فان الفقهاء انما استنبطوها عن القرآن
وعلم صفة الباطن ورياضة النفوس وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يكاد يوجد في غيره
كقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فثبت ان القرآن مشتمل على تفاصيل العلوم الشريفة عقليها ونقليها اشتمالا
يمتنع حصوله في سائر الكتب فكان ذلك معجزا واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب اي اللوح المحفوظ الذي
كتب فيه كل شيء وقيل معناه وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله تعالى كتاب الله عليكم الثالثة
لا ريب فيه تقريره ان القرآن لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا وريبا وحيث لم يكن
فيه ريب وتناقض علم قطعا انه وحي من عند الله تعالى وقيل لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك
كأنه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون المراد ولكن
كان تصديق رب العالمين وتفصيله لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ولما ذكر في اول هذه الآية ان القرآن ما صح ان
يكون في علو امره واعجازه مفترى على الله تعالى واقام عليه الحجج المذكورة اعاد مرة اخرى بلفظ الاستفهام على سبيل الانكار
فقال ام يقولون افتراه اي بل يقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم وانكار لقولهم واستبعاد
متعلق بانتم ثم انه تعالى ذكر حجة اخرى على ابطال هذا القول فقال قل يا محمد ان كان الامر كما تقولون من انه افتراه
فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله او شبهه في البلاغة وحسن النظم فانكم مثلي في العربية
والبلاغة والفصاحة وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله سبحانه هو القادر
على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه وحده بل استعينوا بكل من دونه وقيل وادعوا من استطعتم
ممن تعبدون من دون الله ليعينوكم على ذلك وقيل ادعوا من استطعتم من الامم الخالية له ليعينوكم وقيل من استطعتم
اي ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه ثم قال بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه
في بديهة قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف
دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة
التاويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله
فكذبوا به بغيا وحسدا ومن الفضائل التي في عاقبة ما وعدنا الله عز وجل في القرآن انه كائن من الوعيد للناس بما
ما وعد الله عز وجل في القرآن انه كائن من الوعيد للناس قبل ما يوعد لا يتيقن الامر وقيل للحسين بن الفضل هل تجد
في القرآن من جهل شيئا عاداه قال نعم في موضعين قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية يعني قبل النظر في معجزات الانبياء
وقيل تدبرها من غير انصاف ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل يعني الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى
ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار والعواقب حتى يتبين لهم هو كذب ام صدق يعني انه كتاب
معجز من جهتين من جهة الاعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا
في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
اخر امر المكذبين المشركين بالهلاك والعذاب قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم

بالمفسدين ● وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ● لما ذكر في الآية المتقدمة قوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وكان المراد من ذلك تسليط العذاب عليهم في الدنيا اتبعه بقوله ومنهم من يؤمن به
بدلالة على ان الصلاح عنده كان في هذه التبقية دون الاستيصال لانه تعالى كان المعلوم انه منهم من يؤمن به قيل اي
ومنهم من سيؤمن بالقرآن ومنهم من لا يؤمن لعلم الله تعالى السابق فيهم وقيل ومنهم من يصدق بالقرآن في نفسه ويعلم
انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين على ان لا
يؤمنوا وان كذبوك يا محمد واصروا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقل لي عملي الايمان والطاعة
ولكم عملكم الشرك انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون
وعن مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية الجهاد قال الامام هذا بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم
المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا ينافي وجوب الجهاد
ولا تكون آية الجهاد رافعة لشيء من مدلول هذه الآية قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
في الآية الاولى قسم المشركين قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وفي هذه الآية قسم الذين لا يؤمنون قسمين منهم
من يكون في نهاية البغض له او نهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول في هذه الآية فقال
ومنهم من يستمعون اليك بمعناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعونه ولا يقبلونه
وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ولا ينفعهم ذلك ولا يستعيذون الى
الله عز وجل وعلمه فيهم ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم الذي له عقل
واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع الصمم وعدم العقل جميعا فقد
تحقق سلب الاسماع والكشف انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمى سلب البصيرة لان الاعمى الذي له بصيرة قد
يتفطن ويدرك بالبصيرة واما العمى البصري مع عمى القلب فهو نهاية في عدم الهداية يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا
كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله كما لا يقدر
على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي البصر والسمع راجحي العقل الا هو وحده والاسماع انما يمكن باسماع الصوت
الدال على المعنى وفهم المعنى والمانع من الاول الصمم ومن الثاني عدم العقل والهداية تمام هداية الطريق الظاهر وهداية
الطريق المعنوي والاولى لا يمكن الا بالبصر والاخرى لا يمكن الا بالبصيرة فلهذا ضم الى الصمم قوله ولو كانوا لا يعقلون
وضم الى العمى قوله ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا لانه متصرف في ملكه ومتفضل في جميع احواله ومع
ذلك لا يكون ظالما ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب والمعصية قرأ حمزة والكسائي ولكن الناس بتخفيف
ورفع الناس والباقون بفتح النون مشددة ونصب الناس قوله تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا
ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ● لما وصف هؤلاء الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر
اتبع بالوعيد فقال ويوم يحشرهم قرأ حفص عن عاصم يحشرهم بالياء والباقون بالنون كأن لم يلبثوا في موضع الحال اي يحشرهم مشابهين
من لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا لانهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها
لم ينتفعوا بعمرهم وكان وجود ذلك العمر كالعدم فلذلك استقلوه وقيل قل ذلك عندهم لما شاهدوا من اهوال الآخرة
وقيل قل مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة يستقربون وقت لبثهم في القبور لطول ما يرون وقوله كأن في محل
من الغفلة التقدير كأنهم لم يلبثوا يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا ثم ينقطع التعارف بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة لشدة الامر
وقوله يتعارفون متعلق بقوله ويوم يحشرهم وقيل مبين لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول
العهد وينقلب تناكرا وقد خسر حكاية لقول الذين يتعارفون بينهم قائلين قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على هذا يكون
قد خسر من كلامهم وقيل هو كلام الله وهي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى ان الذين باعوا الايمان بالكفر والآخرة بالدنيا
قد خسروا في تجارتهم باعطاء الشيء الشريف الكثير الباقي واخذ الخسيس القليل الفاني وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين
وهو استيناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم قوله واما نرينك جوابه محذوف في الموضعين واما نرينك بعض الذي نعدهم
في الدنيا فذاك او نتوفينك جوابه فالينا مرجعهم واما نتوفينك فالينا مرجعهم اي ان ما نتوفينك قبل ان نريك ذلك
الموعود فنحن نريكه في الآخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون في الدنيا وفي الآخرة معاقب عليه وقيل المراد ان الله مؤد شهادته
على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وارجلهم شاهدة عليهم قوله تعالى ولكل امة رسول
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ● لما بين الله تعالى حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين
ان حال كل امة مع رسولها كذلك اي ولكل امة متخلفة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق
فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي وبين مكذبيه بالعدل وهم لا يظلمون
لا يؤاخذون بغير حجة ولا يعذبون بغير ذنب ولا ينقصون ولا يزداد على سيئاتهم وقيل ولكل امة من الامم يوم القيمة
رسول ينسب اليه ويدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بالقسط كقوله وجيء بالنبيين

والشهداء وهم لا يظلمون فالتكرير لاجل التاكيد والمبالغة في نفي الظلم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
اي يقول المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد من العذاب ان كنت يا محمد وتابعوك صادقين
ويعدونا من العذاب استبعادا له والظاهر انهم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسول فيما اخبرهم به من نزول العذاب
للاعداء والنصرة للاولياء وعلى وجه الاستبعاد لكونه محالا في ذلك الاخبار وقيل هذا يدل على ان لكل امة فانما قال الرسل
مثل ذلك القول بدليل قوله ان كنتم صادقين وذلك لفظ جمع وهو موافق لقوله ولكل امة رسول ثم انه تعالى امر
رسوله بان يجيب عن هذا القول بجواب يحسم المادة وهو قوله قل لا املك الخ اي قل يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
لا اقدر على ضر ولا نفع الا ما شاء الله ان املكه وقيل الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من
الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا يستاخرون ساعة ولا تستعجلون ولا يستقدمون
فلا تستعجلوا قوله تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع
امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ۝ هذا
هو جواب ثان عن قولهم متى هذا الوعد والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطلبون نزول العذاب بتقدير ان يحصل
هذا الموعود فبين لهم هذا العذاب ما الفائدة لكم فيه فان قلتم نؤمن عنده فذلك باطل لان الايمان في ذلك الوقت
لا ينفع فثبت ان هذا الذي يطلبونه لو حصل لم يحصل منه الا العذاب في الدنيا ثم يحصل عقيبه يوم القيمة عذاب
اشد منه وهو ان يقال للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد فيقرن بذلك العذاب كلام يدل على الاهانة والتحقير وهو ان يقال
هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فحاصل هذا الجواب ان هذا الذي يطلبونه هو محض الضرر العاري عن جهات النفع
والعاقل لا يفعل ذلك البيات منصب على الظرف بمعنى وقت بيات واما قال بياتا ولم يقل ليلا لان المراد ان ياتيكم عذابه وقت
بيات فيبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبغت العدو والبيات اسم من التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا معناه وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون
ماذا يستعجل منه من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب
الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز ان يكون من البيان في هذا النص
وقيل الضمير في منه لله تعالى والاستفهام في ماذا منه المجرمون وجواب الشرط محذوف معناه ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اتندمون
على الاستعجال منه لانه الكلام لا يتعلق موجبة لان لا يستعجل الذهول الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على
اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله وقيل يجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك
ان اتيتك ماذا تعطيني وتتعلق الجملة بقوله ارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه تعذبوا حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء
في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى والاستفهام على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم
تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر
قبل الان والتقدير قيل الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
في الدنيا قوله تعالى ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت
به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ۝ انه تعالى اخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا
الوعد واجاب عنه بما تقدم ثم حكى عنهم انهم رجعوا الى الرسول مرة اخرى وقالوا احق هو ويستنبئونك اي ويستخبرونك
فيقولون احق هو ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء ثم انه تعالى امره بان
يجيبهم بقوله قل اي وربي يعني نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة قال صاحب الكشاف
وسمعتهم يقولون اي في التصديق فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده انه لحق كائن لا شك فيه وما انتم بمعجزين
لمن وعدكم بالعذاب ان ينزل عليكم والغرض منه التنبيه على ان احدا لا يجوز ان يعاند ربه ويدافعه عما اراد وقضى ولو ان لكل
نفس ظلمت اشركت صفة لنفس ما في الارض او ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها جميع منافعها على كثرتها لافتدت به يجعله
فدية لها يوم القيمة يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة واخفوا الندامة على كفرهم لما
راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم
يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما
دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشي لخالصه وفيه
تهكم بهم وباخطائهم وقت الاخلاص للندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره وليس
هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين ودل ذكر الظلم على ذلك قوله تعالى الا ان لله ما في السموات
والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون ۝ قيل تعلق هذه الاية بما قبلها
انه تعالى لما قال في هذه الاية ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به فلا جرم قال في هذه الاية ليس للظالم شيء يفتدي به

فان كل الاشياء ملك الله وملكه وقيل لما قال وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون [illegible] بان له الملك كله
[illegible] وهو القادر على الاحياء والاماتة [illegible]
[illegible] قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ۝
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة اي كتاب جامع لهذه الفوائد موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
قال الامام وصف الله تعالى القران بهذه الامور الاربعة الاول الموعظة فنقول الارواح لما تعلقت بالاجساد كان ذلك
التعلق بسبب عزيزة في الروح على الجسد وتلذذ الروح بمشتهيات هذه الحياة الدنيا وطيباتها بسبب طول المشاهدة
الجسد وتعودها الصفة الطريقة ولا يخفى ان نور العقل انما يحصل في اخر الدرجة حيث قويت العلائق الحسية
الجسدية وحينئذ حدث في الروح عقايد باطلة واخلاق ذميمة في الروح وهذه العقايد والاخلاق امراض روحانية فلا بد
ان يتفق له طبيب حاذق يعالج بعلاجات صحيحة والا مات لا محالة فان اتفق ان صادف مثل هذا الطبيب وكان الروح قابلا
للعلاج فربما صح ونال المرض فاذا عرفت هذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان الطبيب الحاذق والقران فيه الادوية التي
تعالج بها القلوب فان الطبيب في المعالجة يمنع المريض عن تناول ما هو سبب المرض وهذا هو الموعظة فانها زاجرة عن كل ما يشغل
القلب بغير الله وثانيها الشفاء وهو ان يسقيه ادوية تزيل من باطنه تلك الاخلاط الفاسدة المفضية الى المرض وكذلك الانبياء
اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهرة من فعل ما لا ينبغي ثم يامرونهم بطهارة الباطن وذلك بالمجاهدة
في تخلية الروح عن الاخلاق الذميمة وتحليته بالاخلاق الحميدة التي هي شفاء لما في الصدور وثالثها الهدى وهو لا يحصل
الا بعد الدرجة الثانية لان الروح قابل للجلايا القدسية والمعارف الالهية وفيض الرحمة غير منقطع على ما قال صلى الله
عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالمنع انما يكون للعجز والجهل او البخل والكل في حق الله تعالى ممتنع
فالمنع ممتنع وحقه في حق العبد وحصول هذه الاضواء الروحانية انما كان لاجل ان العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة
طبعها طبع الظلمة يمنع حصول النور فاذا زالت تلك الاحوال الحقيقة فلا بد ان يقع ضوء عالم القدس في جوهر النفس
القدسية ولا معنى لذلك الضوء الا الهدى وعند هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى
لها قدس اللاهوت واول هذه المرتبة قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واوسطها قوله
ففروا الى الله واخرها قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ومجموعها قوله ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وهذه المرتبة هي المراد بقوله وهدى ورابعها ان تصير النفس الواصلة
الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جرم الشمس على
اجرام هذا العالم وهذا هو المراد بقوله ورحمة للمؤمنين لان ارواح المعاندين لا تستضيء بانوار ارواح الانبياء عليهم السلام
لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس هو الذي يكون وجهه مقابلا لوجه الشمس فان لم تحصل هذه المقابلة لم يقع ضوء
الشمس عليه فلذلك كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء عليهم السلام المطهرين لم ينتفع بانوارهم ولم يصل اليها اثار
تلك الارواح المطهرة المقدسة كما ان الاجسام التي لا تكون مقابلة لقرص الشمس مختلفة الدرجات والمراتب في البعد
عن هذه المقابلة ولا يزال يتزايد درجات هذا البعد حتى ينتهي الى ذلك الجسم وكمل بعده عن مقابلة قرص الشمس فيبقى
في خالص الظلمة فكذلك تتفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الانوار من ارواح الانبياء عليهم السلام ولا يزال يتزايد حتى ينتهي
الى النفس التي كملت ظلمتها وعظم شقاوتها وانتهت في العقايد الفاسدة والاخلاق الذميمة الى اقصى الغايات والحاصل
ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الباطن عن العقايد الفاسدة
والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة
الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية
مدلول عليها بهذه الالفاظ القرانية لا يمكن تاخيرها ولا تقديمها ذكره [illegible] هذه الاسرار العالية
الالهية قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون [illegible]
من ان السعادات الروحانية افضل من السعادات البدنية الجسمانية وقيل قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة
وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقايد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن امن به منكم
وقيل الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب والهدى للاسرار والرحمة لمن هذه صفته وقيل شفاء لما في الصدور
وراحة لما في السر وقيل لبعضهم شفاء التسليم والرضاء ولبعضهم شفاء التوبة والوفاء ولبعضهم شفاء المشاهدة
ان اصل الكلام قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما وقيل يجوز ان يكون التقدير
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وقيل يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئها
فليفرحوا قيل فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران وقيل فضل الله التوفيق ورحمته
العصمة وقيل فضل الله النعم الظاهرة ورحمته النعم الباطنة وقيل فضل الله النعماء وهو ما اعطى وحبا ورحمته الالاء
وهي ما صرف وزوى وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة وقيل فضل الله دخول الجنة ورحمته النجاة من النار وقيل

فضل الله كشف الغطاء ورحمته الرؤية واللقاء وقيل انسبهم ان يكون لهم شيء من عندهم بقوله قل بفضل الله
وبرحمته قرأ ابن عامر تجمعون بالتاء اي مما تجمعون من ذكاتكم واحوالكم وقيل مما تملون على الثواب
على الافعال والباقون بالياء اي خير من الكفار اي مما يجمعون من الاموال من متاع الدنيا قوله تعالى قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ● لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومن فساد دينهم وشبهاتهم في انكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرائعهم
واحكامهم وبين ان الحكم التمييز بين هذه الاشياء بالحل والحرمة مع انه لم يشهد بذلك لا عقل ولا نقل طريق باطل قل اخبرني
ارايتم اخبروني ما انزل الله ما بمعنى الذي وهو منصوب بانزل او يجوز ان ينتصب بارايتم في معنى اخبرونيه وانزل الله اي
خلق الله لكم عبر عن الخلق بالانزال لان ما في الارض من رزق فمما انزل الله من السماء من زرع وضرع فجعلتم منه حراما
وحلالا اي ان الله تعالى اعطى حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام وهو ما حرموا من الحرث والانعام والبحيرة
والسائبة والحام وعن الضحاك هو قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل وهذا حرام كقولهم
وهذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل
اذن متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ... ام تفترون
تكذبون على الله في نسبته ذلك اليه وهو قولهم والله امرنا بها ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون
على الله تقريرا للافتراء وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ايحسبون
ان الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه ويوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع يوم القيامة وهو يوم الجزاء بالاحسان
والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وارسال الرسل وانزال الكتب
وبيان الحرام والحلال ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم حيث لا يستعملون العقل في التأمل في دلائل التوحيد
ولا يقبلون دعوة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا ينتفعون بما مدوا اليه قوله تعالى وما تكون في شأن وما
تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ● لما اطنب الكلام في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بايراد
الحجج على بطلان ما عليه الكفار وفي امره بايراد الاجوبة عن شبهاتهم وفي امره بتحمل اذاهم والرفق معهم ذكر هذه الاية لتحصيل
بها تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف للمذنبين وهو كونه عالما بعمل كل واحد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف
فان الانسان ربما اظهر من نفسه نسكا وطاعة وزهدا وتقوى ويكون باطنه مملوا من الخبث وربما يكون بالعكس من
ذلك فاذا كان الحق سبحانه عالما بما في البواطن كان ذلك من اعظم انواع البشر للمطيعين ومن اعظم انواع التهديد
للمذنبين وما تكون ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر والفعل والخطب واصله الهمزة
بمعنى القصد يقال شأنت شأنه قصدت قصده وما تتلو منه اي من الله من قرآن وقيل من التنزيل كانه قال وما تتلو
من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له وقيل من شأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن
النبي صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه قوله وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن خصوصا بالرسول
صلى الله عليه وسلم وما تعملون من عمل خاطبه وامته من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه من افاض
في الامر اذا اندفع فيه قيل تنشطون فيه اي تاخذون وتدخلون فيه اضغا الجمل عن ابن عباس رضي الله عنه تفيضون تعملون
وقيل تحملون وقيل تكثرون وقيل تخوضون وقيل تنتشرون كما يقال الحديث مستفيض وقيل تسعون وقيل تستمعون
في القرآن من الكذب وما يعزب قرأ الكسائي وما يعزب بكسر الزاء والباقون بالضم وما يغيب وما يبعد من مثقال ذرة
اي وزن ذرة هي النملة الصغيرة يقول العرب خذ هذا فانه اثقل منها مثقالا اي اخفهما مثقالا اي وزنا في الارض ولا في السماء
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قرأ حمزة برفع الراء عطفا على موضع المثقال قبل دخول من والباقون بفتحهما عطفا على
الذرة اي ولا مثقال اصغر واكبر قال صاحب الكشاف النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي
الرفع العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب
عليه شيء الا في كتاب مشكل واجيب عنه بانا نجعل الاستثناء من باب قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
يزول الاشكال او المعنى لا يعزب عنه شيء مثقال الصغر ولا الكبر الا في اللوح المحفوظ او في علمه ان تعدد المعنى العزوب
بين العزوب ومعلوم انه ليس من العزوب لانه حينئذ يلزم ان يكون ذلك الشيء في الكتاب خارجا عن علم الله تعالى انه باطل و
بعضهم بان يجعل كلمة الا فيه استثناء منقطعا على معنى لكن هو في كتاب مبين وقيل الا بمعنى الواو وهو ايضا ركيك
مبني وان العرب تضع الا في موضع واو النسق كثيرا على معنى الابتداء كقوله لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم
يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا وهذا الوجه فيه تعسف وقيل الاشكال
انما جاء اذا عطفنا قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر على قوله في الارض ولا في السماء اما بحسب الظاهر او بحسب المحل كما
لا يفيد الرفع في قراءة النصب في قوله لا اصغر من ذلك الحمل على نفي الجنس وفي القراءة بالرفع على الابتداء وخبره
قوله الا في كتاب مبين فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض اجيب بان حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على احوال اهل الارض واعمالهم

وفصل بذلك قوله لا يعزب عنه ما اشبه تقديم الارض على السماء في هذا الموضع على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية
قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ● لما بين بقوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
مما يقوي قلوب المطيعين ومما يكسر قلوب العاصين فاتبعه ببيان احوال المخلصين الصادقين الصديقين في هذه الاية اولياء
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر الله الاية في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فقوله آمنوا اشارة الى كمال
القوة العلمية وقوله وكانوا يتقون اشارة الى كمال القوة العملية وقيل الايمان مجموع الاعتقاد والعمل والولي من توفر في الكل اما
التقوى في موقف العلم فلان جلال الله اعظم من ان يحيط به عقل البشر فالصديق اذا وصف الله بصفة من صفات الجلال
فهو يقدس الله عن ان يكون كماله وجلاله مقتصرا على القدر الذي عرفه ووصفه واذا عبد الله فهو يقدس الله عن ان يكون
العبد في مقام الخوف والتقوى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين
من كان الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله
عز وجل قالوا يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم فقال هم قوم تحابوا في الله عز وجل على غير ارحام بينهم ولا
اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ
الا ان اولياء الله الاية وعن علي رضي الله عنه اولياء الله صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الخوى
وقيل هم الذين تولى هداهم بالبرهان الذي آتاهم وتولوا القيام بحقه والدعاء اليه وقيل الولي من لا يرائي ولا ينافق وما اقل
صديق من كان هذا خلقه وقيل قلوب اهل الولاية مصانة من كل شيء لانها موارد الحق وقيل علامة الولي اربعة الاول
ان يحفظ سر ما بينه وبين ربه مما يرد على قلبه من المصائب فلا يشكو والثاني ان يصون كرامته فلا يتخذها داعية
ولا سمعة ولا ينفعل عنها هوانا والثالث ان يحمل اذى خلقه فلا يكافئهم والرابع ان يداري عباده على تفاوت اخلاقهم
وسئل بعضهم ما علامة الاولياء قال هو كونهم مع الله وشغلهم بالله وفرارهم الى الله وقيل ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد
الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة ثم قال في صفتهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والخوف انما يكون في المستقبل اي لا يخافون نزول شيء في المستقبل من المكاره والحزن انما يكون في الماضي مما لا ينفعهم حصل
في الماضي ما كرهه او لانه فات شيء آخر ونفي الخوف والحزن يكون في الآخرة لا في الدنيا قال بعض العارفين ان الولاية عبارة
عن القرب فاولياء الله هم الذين يكونون في غاية القرب من الله وهذا القرب انما يحصل اذا استغرق في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر
بباله في تلك اللحظة شيء مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة حاصلة فان صاحبها
لا يخاف شيئا ولا يحزن بسبب شيء وكيف يعقل ذلك والخوف من الشيء والحزن على الشيء لا يحصل الا بعد الشعور به والمستغرق
في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله فيمتنع ان يكون له خوف او حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذقها لم يعرفها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون السامعين بالاثر الذين آمنوا اما في محل النصب لكونه صفة للاولياء او على المدح او في محل الرفع
على الابتداء وخبره لهم البشرى وكانوا يتقون لهم البشرى الرؤيا الصالحة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل لهم البشرى قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من النبوة الا المبشرات قيل يا رسول الله وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة
وقيل البشرى محبة الناس له والذكر الحسن عن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل
لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء رضي الله عنه لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة
قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين
بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات وقيل البشارة
حسن بشارة يظهر اثرها في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك يدخل في هذه الاية ومجموع الامور المذكورة مشتركة في الصفة فتكون
الكل داخلا فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالآخرة
فهو داخل تحت قوله وفي الآخرة لما ذكر صفة اولياء الله واحوالهم قال لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
كقوله ما يبدل القول لدي ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض قوله تعالى ولا يحزنك قولهم
ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون لما اوردوا الشبهات التي حكاها الله عنهم فيما تقدم من هذه السورة واجاب الله
عنها بالاجوبة الشافية الكافية تمسكوا بطريق اخر بان هددوه وخوفوه وزعموا انا اصحاب البيع والمال فتسعى في قهرك
وفي ابطال امرك فاجاب الله تعالى عن هذا الطريق بقوله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال
امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك نفى تعالى الحزن في الآخرة بقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
نفى هنا الحزن في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم وقول المشركين وتم الكلام ههنا ثم قال مستأنفا بمعنى التعليل
ان العزة لله جميعا اي الغلبة والقهر لله يعطي ما يشاء من اوليائه لا يعطي الكفار قدرة عليه بل يعطيه قدرة عليهم
فامنه الله بهذا القول عما ضر الكفار به بالقتل والايذاء ومثله قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا
هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات اي كل ما لا يعقل فهو ملك

لله وههنا ذكر من وهو يختص بمن يعقل ليدل على ان العقلاء داخلون تحت ملك الله فيكون الاتيان دالا على ان الكل
ملكه وملكه وقيل انما خصهم بالذكر ليؤذن بانهم اذا كانوا له في ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه ربهم لا يصلح احد
منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره
ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة
وقيل ما استفهامية كانه قيل اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمراد تقبيح فعلهم يعني
انهم ليسوا على شيء وشركاء نصب بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما
للدلالة وعلى الثاني نصب شركاء بيدعون ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون
من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون الا ظنهم انها شركاء او ما اتبعوا ظنونهم الباطلة ثم بين ان هذا الظن
لا حكم له وانهم الا يخرصون يكذبون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا. قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ● لما ذكر تعالى ان العزة لله جميعا بين في هذه الآية على عظيم
قدرته ونعمته الشاملة لعباده الذي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة والخضوع جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه مما تقاسون
في نهاركم من تعب التردد في المعاش وجعل النهار مبصرا مضيئا تبصرون فيه مطالب ارزاقكم ومكاسبكم والمطالب
تبصروا النهار تبصرون فيه وانما جعل مبصرا على طريق نقل الاسم من المسبب الى السبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع
معتبر مدبر منكم اي تدبرون ما يسمعون ويعتبرون. قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات
وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون ● هذا نوع آخر من اباطيلهم التي حكاها الله عنهم
وهو قولهم اتخذ الله ولدا ويحتمل ان يكون المراد حكاية قول من يقول الملائكة بنات الله ويحتمل ان يكون المراد قول من يقول
الاوثان اولاد الله ويحتمل ان يكون قد كان فيهم قوم من النصارى وقالوا ذلك ثم استنكر هذا القول فقال تعالى
الغني له ما في السموات وما في الارض سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد
مطلقا فانه لو كان محتاجا لافتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ليس باله اما ان الغني يمتنع ان يكون له ولد لان الغني فرد منزه
عن الاجزاء والابعاض وكل من كان كذلك فانه يمتنع ان ينفصل جزء من اجزائه والولد يقتضي انفصال الجزء من اجزاء الانسان
ثم يتولد من ذلك الجزء مثله فاذا كان هذا محالا ثبت ان كونه تعالى غنيا يدل على انه يمتنع ان يكون له ولد ولانه الغني انتفى
عنه الحاجة ومن كان الحاجة عنه منتفية كان الولد عنه منتفيا لان الحاجة هي التي تكون سببا لطلب الانسان الولد
حتى يعينه ويقوم مقامه اذ في له ما في السموات وما في الارض اي ما سواه تعالى ملك له وهو مستغن بملكه عن اتخاذ
احد منهم ولدا ولان ما سوى الواحد الاحد الحق ممكن وكل ممكن محتاج وكل محتاج محدث فكل ما سوى الواحد الاحد الحق
محدث والله تعالى محدثه وخالقه فلا يكون له صاحبة فلا يكون له ولد كما اشار اليه بقوله بديع السموات والارض
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الصادق الساطع امتناع ان يكون له ولد
ذكر انه لا حجة عندهم على ان يكون له ولد فقال ان عندكم من سلطان اي ما عندكم من حجة بهذا القول ومن صلة وسميت الحجة
سلطانا لقوتها واعتداد المتمسك بها وقهر الخصم بها حال من الضمير في الظرف العائد الى سلطان ومن سلطان فاعل
الظرف لانه اعتمد على النفي وبهذا ظرف والباء بمعنى في اي ما حصل عندكم في هذا سلطان ثم بالغ في ذلك الانكار فقال
اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة قوله تعالى قل
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
لما بين بالحجة البالغة ان قولهم اتخذ الله ولدا باطل ثم بين انه ليس لهذا القائل حجة على هذا القول ظهر ان القول بانه تعالى
اتخذ الولد افتراء على الله الكذب متاع اي افتراؤهم على الله الكذب منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم
في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به وقيل لا يفلحون لا يفوزون وقيل لا ينجون ولا يفوزون وقيل
لا يبقون في الدنيا ولكن متاع قليل يتمتعون به ويلتذون او ينتفعون به الى وقت انقضاء آجالهم ومتاع رفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم متاع ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. قوله تعالى
واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم و
شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت
ان اكون من المسلمين ● انه تعالى بالغ في تقرير الدلائل وفي الجواب عن الشبهة والسؤالات شرع بعد ذلك في قصص الانبياء
ليكون للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه اسوة بمن سلف من الانبياء فان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع ان معاملة
الكفار مع الانبياء عليهم السلام على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت ولان الكفار
اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذاء الانبياء المتقدمين فعاقبتهم نصرهم الله وايدهم وقهر اعداءهم
ينكسر قلوبهم ويقع الخوف والوجل في قلوبهم وحينئذ يقللون من انواع الايذاء والسفاهة واتل عليهم واقرأ يا محمد على اهل
مكة نبأ خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عظم وثقل وشق عليكم مقامي مكاني اي نفسي كما يقال فعلت كذا لمكان
فلان اي لفلان ومنه ولمن خاف مقام ربه وقيل مقامي اي طول مكثي بين اظهركم الف سنة الا خمسين
عاما وقيل مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى

لان شركة الله في الربوبية محال وقيل ما استفهام كانه قيل اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله

ثم انه هو الغني

يستدعي ان لا يكون له ولد ولان الغني ازلي باق وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء والولد انما يحصل للحي الذي ينقضي وينقرض فيكون ولده قائما مقامه فثبت ان كونه تعالى غنيا

كل قول لا برهان عليه لقائله

عن عيسى

عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وتذكيري ووعظي بآيات الله بحججه وبراهينه فعزمتم
على قتلي وطردي فعلى الله توكلت وبالله وثقت وقوله اذا كان كبر شرط وقيل فعلى الله توكلت جزاؤه والمعنى انه شق عليكم
حملكم على الاقدام على ايذائي فاني لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله وقيل جواب الشرط قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم
يعني اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال يا ليت شعري والمنى لا ينفع ● هل اغدون يوما وامري مجمع ● وشركاءكم الواو
بمعنى مع اي فاجمعوا امركم مع شركائكم واسناد الاجماع الى الشركاء على وجه التهكم يعني فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم
ثم كيدون وقيل فيه اضمار اي وادعوا شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي خفيا مظلما ملتبسا مبهما من غم الهلال
على الناس اذا اشكل عليهم فلم يتبينوه قال طرفة لعمرك ما امري علي بغمة نهاري ولا ليلي علي بسرمد ● وقيل غمة اي
غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والامر الاول القصد الى اهلاكه اي فاجمعوا ما يريدون من اهلاكي واحتشدوا
فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا
اليه سبيلا والامر الثاني فيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا معه فيه من الحال الشديدة عليهم المكروهة
عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة غما وهما والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول
والسترة من غمه اذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها اي ولا يكن
قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ادوا الي ما في انفسكم وافرغوا
منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا اداه وفرغ منه وقيل ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي
الى قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه
ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري وقولي وابيتم ان تقبلوا نصيحتي فما سألتكم من الدعوة
وتبليغ الرسالة من اجر جعل وعوض فما كان عندي ما ينفركم مني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري
ما اجري وجزائي وثوابي الذي يثبتني به في الآخرة على سبيل التفضل بمقتضى وعده الا على الله اي وما نصحتكم الا لوجه الله
لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين اي كما سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مأمور بان اكون على دين
الاسلام او واني مأمور بالاستسلام لكل ما يصل الي لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه اليق بهذا الموضع لانه لما قال
ثم اقضوا الي بين انه مأمور بالاستسلام لكل ما يصل اليه وقيل المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا
يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر
انه تولى لهم لم يبق من تفريطه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم
لا لغيره قوله تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ● لما حكى الكلمات التي جرت بين نوح عليه السلام وبين اولئك الكفار ذكر الى ماذا رجعت عاقبة
تلك الواقعة اما في حق نوح واصحابه فامران احدهما انه تعالى نجاهم من الكرب العظيم والثاني انه جعلهم خلائف اي خلفا ممن هلك
واما في حق الكفار فهو انه تعالى اغرقهم واهلكهم وهذه القصة زجر للمكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يخافون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح فيكون ذلك
تثبيتا للمؤمنين على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل
الحكاية عمن تقدم كانت ابلغ من الوعد والوعيد المبتدأ وعلى هذا الوجه كثر تعالى اقاصيص الانبياء فكذبوه فتموا على تكذيبه
وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اوائلها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف
سكان الارض يخلفون الهالكين بالغرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وآخر الذين انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا تعظيم
لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثله وتسلية له. قوله تعالى ثم بعثنا من
بعده رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ● ثم بعثنا
من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كان
ايمانهم الا ممتنعا لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل اي من قبل انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل
جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم قبل بعثة الرسل وبعدها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع على قلوب
المعتدين قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون ●
ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه اي اشراف قومه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا
عن قبولها واعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام
عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم فرعون وملأه الحق من عندنا اي فلما عرفوا انه الحق من عند الله
لا من قبل موسى وهارون قالوا لاستيلاء الهوى وحب الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي
ليس الا تمويها وباطلا وفيه سؤال وهو ان فرعون وملأه قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قال لهم
موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا على سبيل الاستفهام واجيب عنه بان معنى قول موسى اتقولون للحق تعيبونه
وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان
يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون ثم قيل اسحر هذا ويجوز ان يكون

انه

ما تقولون

جملة قوله أسحر هذا بأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان
به الفلاح ولا يفلح الساحر كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ولا يفلح الساحرون لأن حاصل
صنعتهم تخييل وتمويه ولا يفلح الساحر لأن ما قلب العصا حية وفلق البحر معلوم بالبديهة أنه ليس من باب التمويه والتخييل
فثبت أنه ليس بسحر قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما
نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال
موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ● أنه تعالى حكى
عن فرعون وملائه أنهم لم يقبلوا دعوة موسى وعللوا عدم القبول بأمرين الأول قوله أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه
آباءنا اللفت الصرف فاللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة
الأصنام والحاصل أنهم قالوا لا نترك الذي نحن عليه لأنا وجدنا آباءنا عليه فقد تمسكوا بالتقليد ودفعوا الحجة الظاهرة
بمجرد الإصرار والسبب الثاني في عدم القبول قوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض أي الملك والسلطان لأن الملوك
موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد الشوس واعلم أن السبب الأول إشارة إلى التمسك بالتقليد
والسبب الثاني إشارة إلى الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ولما ذكر القوم هذين السببين صرحوا بالحكم وقالوا
وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني لما ذكروا هذه المعاني حاولوا بعد ذلك
أن يعارضوا معجزة موسى عليه السلام بأنواع من السحر ليظهر عند الناس أن ما أتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة وأحضرهم
فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي كنتم لا بد ملقين فلما ألقوا حبالهم وعصيهم وخيل إليهم وظنوا أنهم
ينتصرون قال لهم موسى ما جئتم به السحر قرأ أبو عمرو آلسحر بالاستفهام فما في جئتم استفهام مرفوع بالابتداء وجئتم
به الخبر وهذا على جهة التقرير وقوله السحر استفهام أيضا أكد الفعل بدل من الاستفهام الأول ويجوز أن يكون ما في موضع
نصب بمضمر يفسره جئتم به تقديره أي شيء أتيتم جئتم به وما أتيتم به السحر فالرفع على الابتداء بمعنى الذي وصلتها
جئتم والعائد الضمير في به وخبرها السحر والتعريف في السحر لأنه قد تقدم منكرا في قولهم إن هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد
كما يقال في أول الرسالة سلام عليكم وفي آخرها والسلام عليك أي الذي جئتم به هو السحر لا ما قلتم فيه إن هذا لسحر مبين فإنه
من آيات الله ويجوز أن يكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتداء وجئتم به الخبر والسحر خبر ابتداء مضمر تقديره هو السحر إن الله
سيبطله سيظهر للناس بطلانه ويجعله هباء منثورا بإظهار المعجزة على الشعوذة ووجه استفهامه هنا على
التعبير والتوبيخ ويجوز أن يكون ما في موضع نصب بمضمر يفسره جئتم به على معنى أي شيء أتيتم جئتم به والسحر مرفوع على خبر المبتدأ
تقدير الكلام أي شيء جئتم به هو السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يجعل عملهم نافعا ولا يثبته ولا
يؤيده ولكن يسلط عليه الدمار ويصح أن يكون من كلام موسى عليه السلام ويصح أن يكون ابتداء خبر من الله ويحق الله الحق أي
يظهر الحق ويثبته بكلماته السابقة الأزلية في الوعد بذلك وقيل بكلماته بقوله لا تخف إنك أنت الأعلى وقوله ويحق الله
الحق يحتمل أن يكون من كلام موسى عليه السلام ويجوز أن يكون من إخبار الله وقيل يكون ذلك كله من كلام موسى عليه السلام إلى قوله وهو
الذي ذكره الطبري ولو كره المجرمون ذلك قوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم
أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم
مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ● إنه تعالى بين
فيما تقدم ما كان من موسى عليه السلام من المعجزات القاهرة والآيات الظاهرة وما ظهر من تلقف العصا لما يأفكون
بين أنهم مع مشاهدة هذه المعجزات العظيمة ما آمن به منهم إلا ذرية من قومه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فما آمن لموسى أي فما صدقه مع ما أتاهم به من الآيات وآل الأمر إلا طائفة من ذرية بني إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى
صلوات الله عليه لما مات آباؤهم لطول الزمان وهلكوا قال مجاهد وهم أبناء الذين أرسل إليهم نشأوا مع موسى حين كف فرعون
عن ذبح الغلمان وإنما قيل لهم ذرية وللذرية لأنهم الذين بعث إليهم موسى وكانوا أبناء الغير وعن ابن عباس الذرية
القليل وقيل إن الذرية قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط وإنما سموا ذرية كما قيل لأولاد أهل فارس الذين
سقطوا إلى اليمن الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس
آبائهم والذرية العقب من الصغار والكبار من قومه أي من قوم موسى وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل من قومه من قوم فرعون أي القبط والذرية الأولاد قال ابن عباس من قوم فرعون
وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته وعن ابن عباس أن الذرية سبعون
أهل بيت من القبط من آل فرعون أمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله على خوف من فرعون وملائهم فرعون
الضمير كما أضيف إليه الملأ لفرعون لما أنه جمع فرعون واحد لأنه ذو أصحاب يأتمرون له وقال الملأ إذا ذكر ذهب
الوهم إليه وإلى أصحابه كما يقال قدم الخليفة يراد هو ومن معه وقيل معنى فرعون آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ومن
جعل الضمير في قومه لفرعون جعل الضمير في ملائهم للذرية أي خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم
كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون وقيل
أن يقتلهم وإنما لم يقل يفتنوهم لأن قومه كانوا على مثل ما كان عليه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها قاهر متكبر
وإنه لمن المسرفين المجاوزين الحد في الظلم والفساد والكبر والعتو لأنه كان عبدا فادعى الربوبية قوله وقال موسى لما شكى

السحر

القوم لموسى جعل الضمير الذي أضيف إليه

بنو إسرائيل

بنو إسرائيل إلى موسى ما يتهددهم به فرعون من ذبح أولادهم واستحياء نسائهم قال لهم يا قوم إن كنتم آمنتم صدقتم بالله
وبآياته فعليه توكلوا أي فوضوا أمركم إليه في العصمة من فرعون ولا تتوكلوا على الغير ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا أنفسهم لله
أي يجعلوها له سالمة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط وجواب قوله إن كنتم آمنتم قوله فعليه توكلوا وجواب
قوله إن كنتم مسلمين محذوف يدل عليه ما قبله أي إن كنتم مسلمين إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ونظيره في الكلام إن ضربك
زيد فاضربه إن كانت بك قوة أي اضربه إن قويت على ضربه فقالوا على الله توكلنا أي لا نتوكل إلا على ربنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين
لا جرم أن الله سبحانه وتعالى قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن
يصلح التوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص ربنا لا تجعلنا أي لا تظهرهم علينا فيتوهموا أنهم على
الحق فيزدادوا طغيانا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقيل لا تهلكنا بعذاب على أيدي قوم فرعون لو كانوا على حق
ما عذبنا ولا سلطنا عليهم ونجنا برحمتك من القوم الكافرين قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ● روي أن بني إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم
وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعهم من الصلاة فأوحى الله إلى موسى
وهارون أن تبوآ أي اتخذا وتبوأ استعد يقال تقطعه وتعطعنه وتخلصه وقيل تبوأ لنفسي منزلا وتبوأ لغيري منزلا
بمصر قيل هي الإسكندرية ومصر ما بين البحر إلى أسوان والإسكندرية من أرض مصر ومعنى تبوأ المنزل اتخذه وهي لغة مستعملة
في الأماكن تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا
يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قيل القبلة وعن مجاهد القصور وعن مجاهد اجعلوها مساجد لأن
فرعون أمر بهدم مساجدهم فقيل لهم اجعلوا بيوتكم قبلة بدلا عن المساجد وعن ابن عباس اجعلوا بيوتكم قبل مكة وعن مجاهد
أمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة وعنه أيضا اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا وقيل اجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة
لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم وقيل واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان
موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم
جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهارون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم
سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم
بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقيل يا محمد المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى قوله تعالى وقال موسى
ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ● لما بالغ موسى
في إظهار المعجزات القاهرة ويعرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم
وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على إظهار المعجزات
الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعلى النصيحة إلا نفارا وعلم بوحي من الله تعالى أنهم لا يؤمنون اشتد غضبه عليهم
أخذ يدعو عليهم فقدم على الدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وفيه تنبيه على أن من يدعو على الغير ينبغي أن لا يسبب إقدامه على
ذلك إلا جرائمه وكان جرمهم هو أنهم بسبب حبهم للدنيا تركوا الدين فلهذا قال موسى صلوات الله عليه وسلم ربنا إنك آتيت
وملأه فرعون وأشراف قومه زينة ما يتزين به من حلي ولباس وفرش وأثاث ومراكب وغير ذلك وأموالا ذهبا وفضة ونحوهما وضياعا
في الحياة الدنيا وعن ابن عباس كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ربنا
تكرير استغاثة كما يقول الداعي بالله بالله ليضلوا قرأ عاصم وحمزة والكسائي ليضلوا بضم الياء يعني ليضلوا غيرهم والباقون
بفتح الياء على معنى ليضلوا في أنفسهم قيل اللام لام الأمر على وجه الدعاء عليهم أو ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال والإضلال وقيل
هي لام كي والاستفهام مقدر أي أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا لكي يضلوا ويضلوا عن سبيلك وقيل آتيتهم ملاءة واستدراجا
لكي يضلوا وقيل آتيتهم لتفتنهم بها فيضلوا ويضلوا ابتلاء منك تعالى كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقيل هي لام العاقبة
أو لكون عاقبة ذلك الضلال والإضلال كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا أي فآل أمرهم إلى أن صار لهم عدوا وحزنا لا أنهم قصدوا
ذلك وقيل لئلا يضلوا ولا مقدرة ربنا اطمس على أموالهم الطمس المحق والإذهاب قيل أهلكها وقيل امسخها وغيرها عن هيئتها فقيل
صارت دنانيرهم ودراهمهم ونقودهم وسكرهم حجارة وبقي شكلها أو نقشها واشدد على قلوبهم معنى الشد على القلوب الاستيثاق
منها حتى لا يدخلها الإيمان وقيل اطبع على قلوبهم وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان وقيل أهلكهم كفارا وقيل اشدد على
قلوبهم ليصبروا على الأموال المطموسة ولا ينفروا إلى الخصب والسعة فلا يؤمنوا وقيل عطف على قوله ليضلوا أي أنهم جعلوا
نعمة الله سببا في الضلال والإضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فلا يؤمنوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه حتى يروا العذاب الأليم هو الغرق قال قد أجيبت دعوتكما أي التقدير قال موسى وهارون
ربنا وهما يدعوان وقيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن فلهذا نسب الدعاء إليهما قال الله لموسى وهارون قد أجيبت دعوتكما أي
مستجاب وما طلبتما واقع ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والرسالة وما أمرتكما به والزيادة في إلزام الحجة
فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ولا تستعجلا عن ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة وقيل فاستقيما
على دينكما وعلى اتباع أمري وقيل فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه ولا تتبعان قرأ ابن عامر بتخفيف النون والباقون بتشديدها

ولا أسباب من قبل فيقول قوم فرعون ٢

عن الضحاك البيوت المساجد ٢

قبل القبلة وعنده ٢

أبشر ٢

القاهرة ٢

أنك ٢

قيل هو منصرف بالطلب للدعاء الذي هو شديد
وقيل دعاء بلفظ النهي كأنه قيل اللهم فلا يؤمنوا ٢

مع الاتفاق على تشديد نون تتبعان وقد الحاج محل تتبعان جزما الا ان النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة وكسرت لسكونها
وسكون النون التي قبلها واختير لها الكسر لانها شبهت بنون الاثنين والمعنى لا تتبعا طريق الجهلة اي الكفار
بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح على سبيل التفضيل ولا تعجلا فان العجلة من الشيطان وقيل سبيل الذين لا يعلمون
قضاء ولا تختلف في وعده ان يغرق فرعون وقومه قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ● لما اجاب الله تعالى دعاء
وعاد امر بني اسرائيل بالخروج من مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم اسبابه وكان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا وعزموا على
مفارقة مملكته خرج على عقبهم وجاوزنا اي قطعنا ببني اسرائيل البحر حتى جاوزوه وليس الباء في الشيء وجاوزه وجاز به اجازه
فارقه وصار خلفه وتجاوز بغيره الشيء جعله خلفه فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال اتبعه حتى اتبعه بغيا وعدوا
باغيا عاديا اي مستكبرا لهما وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل حتى اذا ادركه الغرق اي احاط به الغرق اي لحقه الموت
بالماء قال آمنت انه قرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت اي قال فرعون انه لا اله الا الذي وقيل باضمار
القول المفعول فرعون مستعملا انه لا اله الا الذي والباقون بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان نكرر فرعون المعنى
الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول فلم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يكن ينفعه ايمانه وكانت
الواحدة كافية في وقت بقاء التكليف آلآن اي قال جبريل وقيل قال الله الآن تؤمن في هذا الزمان الذي لا ينفع الايمان فيه
اي حين ادركك الغرق وايست من نفسك ولم يبق التكليف وقد عصيت قبل اي كفرت وكنت من المفسدين من الضالين
المضلين المانعين للناس من الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
روي ان جبريل صلوات الله عليه اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة
دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما
الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وهي
المكان المرتفع ببدنك بجسدك لا روح فيك ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن وقيل ببدنك
كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير وقيل عريانا لست الا بدنا من غير لباس وقيل بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف
بها وقيل من لؤلؤ قيل ان موسى عليه السلام واصحابه لما نجوا قال من بقي في المدائن من قوم فرعون ما غرق فرعون لكن هو واصحابه
يتصيدون في جزائر البحر فاوحى الله الى البحر ان القه عريانا فكانت نجاة فرعون عبرة وقيل ان اصحاب موسى قالوا انا
نخاف ان فرعون ما غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا موسى ربه فاخرجه حتى تيقنوا بهلاكه وقيل كان يعبد فرعون دون
الله امره فاغرقه هو واصحابه ثم اخرجه من بينهم لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان
في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يموت او يغرق وقد صح انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل لمن يأتي بعدك
من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان عليه من ادعاء الربوبية محال وانه مع ما كان عليه من عظم الشأن
وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترءوا على نحو
ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحال تعجرفك وتمردك على الله وقيل يحتمل ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من
المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي
لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك قوله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● ذكر الله
تعالى في الآية المتقدمة عاقبة حال امر فرعون وقومه وفي هذه الآية خاتمة امر بني اسرائيل قيل قوم موسى مبوأ صدق اي
انزلناهم منزلا صالحا مباركا مرضيا ومبوأ نصب على انه مفعول ويجوز ان يكون مصدرا والمفعول محذوف وانما
وصف المبوأ بكونه صدقا لان عادة العرب انها اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق يقولون رجل صدق وثوب صدق
وقدم صدق قال الله تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والسبب في ذلك ان ذلك الشيء اذا كان كاملا
في نفسه صالحا للغرض المطلوب منه فقد صدق ما يظن به من الخير يعني مبوأ صدقا انه يصدق فيه ظن قاصده وساكنه واهله
من الخير قيل هي الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة التي كتبها الله ميراثا لابرهيم عليه السلام وذريته وقيل هي الشام
وبيت المقدس وقيل هو مصر فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التورية وكسبوا العلم بين
الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه بنو اسرائيل
هم قريظة والنضير وبنو قينقاع فبوأناهم مبوأ صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات ما في تلك البلاد
من الرطب والتمر ثم انهم بقوا على دينهم ولم يظهر فيهم اختلاف حتى جاءهم العلم اي القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم سمي القرآن علما لانه سبب العلم تسمية السبب باسم المسبب واختلافهم انهم كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه
وسلم ويفتخرون به على سائر الناس فلما كذبوه حسدا وبغيا وايثارا لبقاء الرياسة وآمن به طائفة وقيل العلم محمد صلى الله
عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته وذلك لانهم لما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم فالعلم بمعنى المعلوم
قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
فتميز المحق من المبطل والصادق من الزنديق وقيل فيما كانوا فيه يختلفون في امرك بان يدخل المصدقين الجنة والمكذبين النار

قوله تعالى

قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ● لما ذكر الله تعالى في الآية الاولى اختلافهم

[illegible]

فسل في لا ان امرك بالسؤال لانك شاك لكن لتزداد يقينا وطمأنينة كما ازداد ابرهيم صلوات الله عليه بمعاينة احياء
الموتى فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اي مؤمني اهل الكتاب فسيثبتونهم وقيل عبد الله بن سلام ونظراؤه يخبرونك
بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان في شك ضيق صدر فان السائل الذي يضيق بالصدر يعني الضيق
شاك يعني ان ضقت بذلك ذرعا فاصبروا واسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف كان عاقبة
امرهم من النصر والتمكين فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله وقيل هذا على طريق التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك
عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك قرأ نافع وابن عامر كلمات على
الجمع والباقون كلمة على لفظ التوحيد اي الذين ثبتت عليهم قوله سبحانه وتعالى الذي كتبه في اللوح المحفوظ واخبر
الملائكة انهم يموتون وهم كفار وعن ابن عباس هو كلمة ربك بالسخط عليهم وعن قتادة سخط ربك بما عصوه وعن مقاتل
وجبت كلمة العذاب وقيل وجب عليهم الوعيد وقيل قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل كلمته لعنته في قوله
الا لعنة الله على الظالمين وقيل كلمة ربك اخباره انهم لا يؤمنون يريد به مشركي العرب ولو جاءتهم كل آية سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا فقال تعالى لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم فلا ينفعهم حينئذ ايمانهم كما لم ينفع فرعون ايمانه حين ادركه الغرق قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ● لما بين الله ان الذين حقت

عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم اتبعه بهذه الآية دلالة على أن قوم يونس آمنوا
بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الإيمان فذلك يدل على أن الكفار فريقان منهم من حكم عليه بخاتمة الكفر ومنهم من حكم
عليه بخاتمة الإيمان وكل ما قضى الله به واقع فلولا بمعنى لم النفي أي فما كانت قرية واحدة من القرى آمنت فنفعها إيمانها
إلا قوم يونس واستثنى قوم يونس استثناء منقطعا من القرى لأن المراد أهاليها ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون
متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء
وقيل لولا بمعنى هلا أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة
وبقاء التكليف ولم تؤخره كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله تعالى منها لوقوعه في وقت الاختيار
إلا قوم يونس خاتمهم لما رأوا أمارات العذاب آمنوا فنفعهم إيمانهم وهو قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي الهلاك في
الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين إلى آجالهم وقيل كشفنا عنهم العذاب الكائن يوم القيامة فيجازون بالثواب والعقاب
وقيل إنما نفعهم إيمانهم في حياتهم الدنيا لأن آجالهم قد بقيت منها بقية فنجوا لما بقي من آجالهم فأما إيمان من قد مضى أجله
فغير نافع عند حضور العذاب وقصة يونس على ما ذكره المفسرون أن يونس عليه السلام بعثه الله إلى أهل نينوى من أرض
الموصل فدعاهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه فأبوا ثم دعاهم فأبوا فأوحى الله إليه أن أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث
فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب
مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشت السماء غيما أسود هائلا يدخن
دخانا شديدا فهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا يونس عليه السلام فلم يجدوه
فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأخلصوا
النية وأظهروا الإيمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات
واختلطت أصواتها بأصواتهم وحنينها بحنينهم وعجوا وتضرعوا إلى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب
وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وتدلى عليهم وذلك اليوم يوم عاشوراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا
المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وروي أنه لما غشي قوم يونس العذاب خرجوا إلى
شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا
أنت فقالوها فكشف عنهم العذاب وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم
منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون ● قال الإمام اعلم أن هذه السورة من أولها إلى هذا الموضع بيان حكاية شبهات الكفار في إنكار النبوة
مع الجواب عنها وكانت إحدى شبهاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم بنزول العذاب على الكفار ونصرة
أتباعه بأن ينتقم منهم ويعلي شأنهم ويقوي جانبهم ثم إن الكفار ما رأوا ذلك فجعلوا ذلك شبهة في الطعن في نبوته
وكانوا يبالغون في استعجال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم إنه سبحانه بين أن تأخير العذاب لا يقدح في صحة
الوعد ثم ضرب لهذا أمثلة وهي واقعة نوح وواقعة موسى ثم امتدت هذه البيانات إلى هذا المقام ثم في هذه الآية
بين أن جد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوتهم إلى الإيمان لا ينفع ومبالغته في تقرير الدلائل وفي الجواب عن الشبهات
لا يفيد لأنه لا يحصل الإيمان إلا بمشيئة الله تعالى وخلقه وإرشاده وهدايته فإذا لم يحصل هذا المعنى لا يحصل الإيمان قال ابن عباس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمان جميع الناس فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبقت له
السعادة وقيل نزلت في أبي طالب ولو شاء ربك لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره أي لو شاء ربك إيمان كل من في
الأرض لآمن كل من في الأرض كلهم جميعا لكن لم يشأ إيمان من في الأرض كلهم جميعا فعلم من الآية أنه تعالى لو شاء إيمان الكفار
لآمنوا لكن لم يتحقق إيمان الكفار فهذه الآية حجة لنا على المعتزلة والتقييد بمشيئة الإلجاء على خلاف الظاهر من غير دليل
بل مع وجود الدليل على عدم التقييد جاء بقوله جميعا مع كل تأكيدا كقوله تعالى لا تتخذوا إلهين اثنين والمعنى لآمن
كل من في الأرض على وجه الإحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أفأنت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين بالقسر والإلجاء لا تقدر عليه لأن على الشيء في واحد والمقصود منه بيان أن القدرة القاهرة والمشيئة
النافذة ليست إلا للحق سبحانه وما كان وما ينبغي لنفس من النفوس أن تؤمن إلا بإذن الله أي بإرادته وقيل بقضاء الله وقيل بمشيئة الله وقيل
بعلم الله وقيل بتوفيق الله وقيل إلا بأمر الله فلا تجهد نفسك في هداها فإن ذلك إلى الله ويجعل الله الرجس
العذاب وقيل الإثم والعدوان وقيل الفتنة والعذاب وقيل الشيطان وقيل الغضب والسخط وقرأ أبو بكر عن عاصم ونجعل بالنون والباقون بالياء على الذين لا يعقلون دلائل الله وحجج تنزيهه وأوامره ونواهيه ●
قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ● قرأ عاصم
وحمزة قل انظروا بكسر اللام لالتقاء الساكنين والباقون بضمها لنقل ضمة الهمزة إلى اللام لما بين في الآية المتقدمة
أن الإيمان لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى أمر بالنظر في الدلائل حتى لا يعتقد أن الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا قال
الإمام هذا يدل على مطلوبين الأول أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالتدبر في الدلائل كما قال صلى الله عليه وسلم
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق والثاني أن الدلائل إما أن تكون من عالم السموات أو من عالم الأرض أما الدلائل

وهي حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد وأما الدلائل
السماوية وهي حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد
أما الدلائل الأرضية وهي أحوال العناصر والمعادن وأحوال العناصر والمعادن وأحوال النبات وأحوال الحيوانات
وأحوال الإنسان خاصة ثم تنقسم كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها ولو أن الإنسان يتفكر في كيفية حكمة الحق في خلق
جناح بعوضة لانقطع فكره قبل أن يصل إلى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد فلهذا أبهم قوله ماذا في السموات
والأرض ولم يذكر التفصيل كأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية حتى يتنبه لأقسامها ثم إنه تعالى لما أمرهم بالتفكر والتدبر
في هذه الآيات لا ينتفع بها من حكم الله تعالى في الأزل بالشقاء والضلال وقيل المراد بهم المشركين الذين يطلبون
منك الآيات انظروا ماذا في السموات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها
من الآيات وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون والإنذارات عن قوم لا يؤمنون أي علم الله أنهم لا يؤمنون في علم الله
بكفرهم وما نافية أو استفهامية أي في شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الإنكار قوله تعالى فهل ينتظرون إلا
مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ● فهل ينتظرون يعني مشركي مكة إلا أياما مثل أيام
الذين خلوا مضوا من قبلهم من مكذبي الأمم يعني وقائع الله في قوم عاد وثمود والعرب تسمي الوقائع أياما سواء كان من خير
أو شر قل فانتظروا مثلها إذا لم تؤمنوا إني معكم من المنتظرين لذلك وقيل انتظروا هلاكي إني معكم من المنتظرين هلاككم
حين قالوا نتربص بكم الدوائر قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين
ثم ننجي رسلنا معطوف على حكاية الأحوال الماضية أي كما أهلكنا الذين خلوا ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا معهم كذلك
أي مثل ذلك الإنجاء ننجي محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق
ذلك علينا حقا بحسب الوعد والحكم لا وجوبا بحسب الاستحقاق وقع تأكيدا للكلام أي حقا غير شك وقيل يجوز
أن يكون صفة لمصدر محذوف أي إنجاء حقا وقرأ الكسائي وحفص ننجي بالتخفيف من الإنجاء والباقون بالتشديد من التنجية
قوله تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله
الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ● لما ذكر الأدلة على أقصى الغايات أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بإظهار دينه وإفضاحا لدين المشركين قل يا محمد يا أيها الناس أهل مكة إن كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا
ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل للشك فيه وهو أني لا أعبد
الحجارة التي لا تخلق ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئا من دون الله الذي هو إلهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي
يتوفاكم وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق أن يخاف ويتقى فيعبد دون من لا يقدر على شيء الذي يتوفاكم يقدر أن يتوفاكم
ويقبض أرواحكم وأمرت أن أكون من المؤمنين بما أتى به الأنبياء قبل يعني أن الله أمرني بذلك بما أوحى إلي في كتابه وقيل
إن كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبينه لكم وقيل إن كنتم في شك من ديني فأنا على يقين وقيل إن شككتم فإن ديني أفضل
من دينكم فاسمعوا وجعلهم شاكين لاضطرابهم عند نزول الآيات وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني وما أنا عليه أتركه
وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال فلا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون
من دون الله ولا أختار الضلال على الهدى كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون قوله تعالى ولا
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ● وأن أقم معطوف
وفي المعطوف عليه وجهان أحدهما أنه قوله وأمرت أن أكون وقيل لكي أكون مؤمنا ثم عطفه على قوله وأن أقم وثانيهما أن قوله
وأن أقم وجهك قائم مقام قوله وأمرت بإقامة الوجه قال صاحب الكشاف فإن قلت عطف قوله وأن أقم على أن أكون فيه إشكال
لأن أن لا يخلو من أن تكون التي للعبارة أو المفسرة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر أي أن المصدرية فلا يصح
أن تكون التي للعبارة وإن كان الأمر يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة التي هي أن في قوله أن أكون يأبى ذلك
لأنها متصلة بالفعل مفيدة معه معنى المصدر وشرط المفسرة أن لا يتصل بها شيء من صلة الفعل الذي يفسره وإن لم تتصل
به شيء صار جملة ذلك الفعل ولم يكن تفسيرا له فإذا عطفتها على الموصولة اتصلت به لأن المعطوف في حكم المعطوف عليه
فيقتضي الاتصال بالفعل لكونها أن في قوله أن أكون موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة
حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي لأنهما دالان على المصدر
دلالة غيرهما من الأفعال وأن أقم وجهك أي أقم وجهك أي استقبل القبلة في الصلاة وتوجه نحوها وقيل أخلص عملك
وقيل استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله وقيل استقم إليه ولا تلتفت يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين أو الوجه
ولا تكونن من أهل الشرك لأن الشرك لظلم عظيم فلا أعبد الذين تعبدون ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك إن دعوته
وأطعته ولا يضرك إن خذلته وعصيته أي لا تدع آلهة كما تدع المشركون آلهة وهذا تحقير للأوثان وهو أن فإن فعلت معناه
فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك إن أطعته ولا يضرك إن عصيته تكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا من الظالمين
لأنفسهم إذ الصنعة لا تدعو في غير محلها فإنك إذا من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم قوله
تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده
وهو الغفور الرحيم ● أتبع النهي عن دعاء غير الله وصفه بأنه لا ينفعك ولا يضرك بأن الله هو الضار النافع الذي
إن قال إن يمسسك يصيبك بضر فلا كاشف لذلك الضر إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به

بخير يرد بل خيرا يوصله اليك فلا راد لمراده مع تعقيبه بالفضل تنبيها على ان ما يوصل اليه من الخير بفضله لا بالوجوب
فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن ان يعبد وحده وانما ذكر المس في احدهما والارادة في الآخر لانه اراد ان يذكرهما
جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به
اي بالخير من يشاء من عباده واراد بالمشية المشية المصلحية على الاطلاق لا مشية المصلحة فان التقييد بها عدول عن الظاهر
من غير دليل بل مع وجود الدليل الدال على ان الظاهر هو الحق وهو الغفور الرحيم فلا تيئسوا من غفرانه ورحمته
قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
وما انا عليكم بوكيل ● قل يا ايها الناس يا اهل مكة قد جاءكم الحق يعني محمدا والقرآن فمن اهتدى آمن بمحمد وعمل بما في الكتاب
فانما يهتدي لنفسه فلنفسه ثواب اهتدائه ومن ضل كفر بهما فانما يضل على نفسه وبال الضلالة واللام دل على معنى النفع
وعلى دل على معنى الضرر وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكل الى امركم وحملكم
على ما اريد انما انا بشير لمن اهتدى نذير لمن ضل قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين ● امره الله تعالى باتباع الوحي والتنزيل من التبليغ والتبشير والانذار واصبر على تبليغ الرسالة ودعوتهم
واحتمال المكاره والاذى واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع على السرائر

سورة هود عم

مكية بالاجماع وعن ابن عباس انها غير مكية الا آية واحدة وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن مقاتل
مكية كلها الا ثلث آيات قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به نزلت في عبد الله بن
سلام واصحابه وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في نبهان التمار وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل على
ان الاولى يشبه المكي وهي مائة وثلث وعشرون آية والف وتسعمائة وخمس وعشرون كلمة وسبعة الاف وستمائة
وستة احرف روي انه قيل يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني سورة هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم
يتساءلون وهل اتيك حديث الغاشية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
الر ● كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ● قيل الر اسم كتاب او حروف كتاب وعلى التقدير
مبتدا كتاب خبره ومن تاول الر بغير ذلك فالكتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب يعني الكتاب القرآن والتنكير
للتعظيم احكمت آياته من الباطل والتناقض والكذب وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها
الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وقيل جمعت وقيل احكمت من
ان ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وقيل احكمت آيات هذه السورة من النسخ فليس فيها منسوخ وقيل احكمت
آياته بالحجج والدلائل والامر والنهي وقيل احكمت نقل بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله
آيات الكتاب الحكيم وقيل احكمت آياته نظم عجيب بليغ بديع رصين محكم منيع لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم
المرصف وعم الآيات بالاحكام ههنا وخص بعضها به في قوله آيات محكمات هن ام الكتاب اما لحمل العام على الخاص
ولما لان المراد بالاحكام ههنا بلوغ نظمها في البلاغة والفصاحة بحيث يمتنع المعارضة وثمه زوال التباسه
والتبس لتسواء السامعين في معرفتها ثم فصلت الفصل ابانة احد الشيئين عن الآخر حتى يكون بينهما فرجة
ومنه قيل المفاصل والواحد مفصل وفصل القوم عن مكان كذا فارقوه قال الله تعالى فلما فصلت العير ويستعمل في
الافعال والاقوال قال الله تعالى انه لقول فصل وقوله ان يوم الفصل كان ميقاتا اي يفصل بين الناس بالحكم و
فصل الخطاب ما فيه قطع الحكم وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل
التوحيد والنبوة والشرائع والاحكام والامر والنهي والحرام والحلال والوعد والوعيد والثواب والعقاب
والقصص وبيان كل شيء مما يحتاج الناس اليه من الدنيا والآخرة وقيل فرقت في التنزيل فصلا فصلا ونجما
نجما ولم تنزل جملة واحدة او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية ثم معناها التراخي في الحال لا في الوقت كما تقول
هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل من لدن الموضع الذي
هو الغاية وهو ظرف غير متمكن بمنزلة عند لكنها مختصة باقرب مكان وعند للقريب والبعيد ولهذا تقول عندي
كذا لما تملكه حضر او غاب عنك ولا تقول لدي كذا الا لما هو بحضرتك وقد دخلوا عليها من وحدها من حروف الجر لكن
صفة للكتاب ثم فصلت عطف على احكمت من لدن صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة
لاحكمت وفصلت اي من لدن حكيم خبير احكامها وتفصيلها اي احكمها حكيم وفصلها بينها خبير عالم بكيفيات
الامور وفيه طباق بليغ حسن وحكيم مخفوض باضافة لدن اليه وابهامه وتنكيره ووصفه بالخبير على هذا النحو
يفيد التعظيم وانه لا يدرك كنهه قوله تعالى الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم

كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ● ان في محل نصب اما على اضمار فعل نحو كتبت ان لا تعبدوا واما بنزع الخافض
اي فصلت بان لا تعبدوا واما انه مفعول له على معنى لئلا تعبدوا اي كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله
وهذا التاويل يدل على انه لا مقصود من هذا الكتاب الا المنع من عبادة غير الله والحث على عبادة الله
لكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خسر خسرانا مبينا وضل ضلالا بعيدا وقيل يجوز ان يكون محله الرفع اي في الكتاب
ان لا تعبدوا الا الله او تفصيله ان لا تعبدوا الا الله وعلى التقادير ان مصدرية ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات
معنى القول كانه قيل امر ان لا الا الله او قال لا تعبدوا الا الله والمفسرة لا محل لها ويجوز ان يكون قوله ان لا تعبدوا كلاما مبتدا
منقطعا عما قبله من حيث اللفظ متصلا به من حيث المعنى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم امرا منه على التحضيض على التعبد
كانه لما قيل انزل اليك كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير امسنا فقال صلى الله عليه وسلم فاذا يجب علي اذ انعتك ان
تامر امتك ان لا تعبدوا الا الله ويدل على هذا قوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه
نذير وبشير اي اذا كان الا تعبدوا منقطعا فان لا بد ان يكون مصدرية فهو بمعنى ترك عبادة غير الله بحذف الفعل وقدم
المصدر واقيم منابه الفعل ثم اضيف الى المفعول لوقيه اختصار مع اعطاء معنى التاكيد لكم منه اي من الله اي انني
لكم منه اي من اجله اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم
وابشركم بثوابه ان آمنتم قوله ان لا تعبدوا الا الله نهي عن عبادة غير الله وامر بعبادة الله وهو نذير على الاول بشير على الثاني
والرسول صلى الله عليه وسلم ما بعث الا للانذار على فعل ما لا ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي وان استغفروا اي امركم بطلب
الاستغفار ثم توبوا اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا وقيل معنى قوله استغفروا اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي يطلب
به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والحامل عليها هو الاستغفار الذي هو طلب المغفرة وهذا يدل على
انه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا باظهار التوبة وقيل استغفروا من الذنوب ثم توبوا لما عسى يقع من الذنوب في
المستانف وقيل اخر التوبة لانا نقدر ان نسالوا المغفرة وتوسلوا اليها بالتوبة فالمغفرة اول في الطلب وآخر في السبب
يمتعكم متاعا حسنا مصدر جار على غير لفظه اي يعيشكم عيشا في خفض ودعة وامن وسعة ولا يهلككم ولا يستأصلكم
ويطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى لكل واحد وهو اجل الموت
وعن سعيد بن جبير يوم القيمة وعن ابن عباس الى وقت لا يعلمه الا الله ويعط كل ذي فضل عمل صالح فضله اجره وثوابه
في الدنيا والآخرة سمى الجزاء بالفضل تنبيها على انه على سبيل الفضل الى الوجوب او سمى العمل الصالح فضلا على سبيل
المشاكلة وقيل الضمير في فضله لله اي يؤت كل ذي فضل فضل الله وقيل يريد تضعيف الحسنات وقيل من كان ذا فضل
في دينه فضله الله في الدنيا بالمنزلة كما فعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي الآخرة بالثواب الجزيل فالصاحب الكبائر
ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيئا او فضله في الثواب والدرجات
يتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات عن ابن مسعود رضي الله عنه من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة
كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات فان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من
الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع ثم قال هلك من غلبت احاده عشراته وعن ابن عباس رضي الله عنه من زادت
حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت سيئاته وحسناته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
ويعطى من يحاسب فيما يحتسبه الانسان من كلام يقوله بلسانه او عمل يعمله بيده او رجله او ما يتطوع به من ماله وان تولوا
اي وان يتولوا وقيل وان تولوا ماض وعليكم بلفظ الخطاب على الالتفات فاني اخاف عليكم وقيل اعلم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وصف بالكبير كما وصف بالعظيم والثقل الى الله مرجعكم بين اياه ذي فضل بفضله وعذاب يوم كبير بانه مرجعهم الى الله لا الى
غيره وهو على كل شيء قدير اي قادر على ما يشاء من الثواب والعقاب والنفع والضر بيانا ذي الفضل فضله وعذاب المتولي
وهذا وعيد عظيم بالنسبة الى ذي الفضل ووعيد شديد بالنسبة الى المتولي قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم
ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ● انه تعالى لما قال لهم
ان تولوا يعني عن عبادة الله وطاعته فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير بين انه تولوا عن ذلك باطنا كما تولوا عنه ظاهرا فقال
انهم اي الكفار يثنون صدورهم على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يطوونها على الكفر وقيل على حديث النفس ليستخفوا منه يعني يريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسول الله والمؤمنين على ودادهم ونظيره اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الا انه
في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق وهذا يحتاج الى بيان فان ثني الصدور على الكفر و
العداوة لا يكون علة للاستتار من الله وتحقيق لا بد في التقدير ليستخفوا من حذف المضاف وما اسند الفعل
الى الضمير الذي هو المضاف اليه فارتفع به وتقدير التقدير ليستخفوا منه انما استحق المحذوف لان معنى استخفى به اخفاه ولجهل
جعل معناه ما اظهره لم يحتج الى هذا التاويل ويجوز ان يكون ضمير منه عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم الا حين يستغشون ثيابهم
اي ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها انفسهم ويتلبسون بها ايضا كراهية لاستماع كلام الله تعالى كقوله تعالى
نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم عن قتادة وذلك اخفى ما يكون ابن آدم اذا انحنى صدره
ثوبه واضمر همه في نفسه يعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما
يريدون من الاستخفاء والله سبحانه وتعالى مطلع على ثني صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده

ان لا تعبدوا ٢

انني لكم منه نذير وبشير اي اذا كان ان لا تعبدوا منقطعا فان لا بد ان يكون مصدرية فهو بمعنى ترك عبادة غير الله والاصل اتركوا عبادة غير الله تركا فحذف الفعل وقدم المصدر واناب منابه واضيف الى المفعول نحو فضرب الرقاب لان اصله فاضربوا الرقاب ضربا ٢
عطف على قوله ان لا تعبدوا الا الله ٢

لما معنى ٢

خسته ٢

دخل الجنة ومن زادت سيئاته ٢

يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه انحرف ثنى عنه صدره وطوى كشحه قيل على عداوة محمد ٢

روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحب
وكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وكان يبطن خلاف ما يظهر وقيل نزلت في بعض المنافقين
كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ● لما ذكر
في الاية الاولى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون [illegible]
[illegible]
قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ● لما اثبت بالدليل [illegible]
[illegible]

انه هذا

ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي تقول اي البعث بعد الموت الا باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او
السحر هنا الخداع اي ان هذا الا خداع منكم وضعتموه لتصرفوا وجوه الناس عن لذات الدنيا الى الانقياد لكم والدخول
تحت طاعتكم وقيل اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا باطلا فقد اندرج تحته انكار ما
فيه من البعث وغيره قوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ● اعلم انه تعالى حكى في الاية الاولى انهم يكذبون الرسول في قوله انكم
مبعوثون بعد الموت فحكى عنهم في هذه الاية نوعا آخر من اباطيلهم وهو قولهم ما يحبسه ولئن اخرنا عنهم اي عن اهل
مكة العذاب اي عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر الى امة معدودة اي الى جماعة من الاوقات معدودة محدودة معلومة
وقوله تعالى وادكر بعد امة اي جماعة من الزمان وقيل الى مجيء امة وانقراض امة وقوله معدودة قليلة ما يحبسه ما يمنع
العذاب من الوقوع استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم ياتيهم العذاب ليس مصروفا عنهم فيه فعل
الرفع بانه اقيم مقام الفاعل ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول
خبرها عليها فكان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم احاط
بهم ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه
جار على عادة الله في اخباره عن احوال القيمة بلفظ الماضي لتقريبه او لتاكيد تحقق وقوعه قوله تعالى ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه
لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير ● لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار يحيق بهم
قطعا ذكر بعده ما يدل على كفرهم واستحقاقهم للعذاب ولئن اذقنا اعطينا الانسان الجنس رحمة نعمة وسعة من صحة
وامن وجدة واذقناه حلاوتها ومكناه من التلذذ بها ثم نزعناها منه سلبنا تلك الرحمة منه انه ليئوس شديد الياس من العود
اليه تلك الرحمة المسلوبة قانط من رحمة الله وفضله من عدم صبره وتسليمه لقضاء الله تعالى ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساله ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته بعد الفقر الذي نال له والضر الفقر
الذي يظهر بالبدن لعدم المال ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه
الله سبحانه وتعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات وشكروا على النعماء
فان عادتهم ان الله ان نزعت عنهم نعمة ان يصبروا وان اذاقهم رحمة ان يشكروا اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة والا
صحيح لان الانسان اسم للجنس [illegible] الا المؤمنين وقيل منقطع ولكن الذين آمنوا قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على
كل شيء وكيل ● هذا نوع آخر من اباطيلهم كانوا يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا
مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء كافية في رشادهم وعن ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة
ذهبا ان كنت رسولا ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك فكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به
وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه
الله تعالى منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك فلعلك تترك ان تبلغه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم بان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اي هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه وقيل وضائق
به صدرك عن تبليغه اياهم [illegible] ولا تركن الى كلامهم ولا يضيق به صدرك باقتراحهم ولا تهتم له
[illegible] ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك [illegible]
يقولوا وقيل يجوز في الضمير ثلاثة اوجه احدها ان يعود الى بعض ما يوحى والثاني الى التبليغ والثالث الى التكذيب
ثم قال انما انت نذير ليس عليك الا ان تنذرهم بما يوحى اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا
او تهاونوا او اقترحوا وليس عليك ان تاتيهم باقتراحهم من الايات والله على كل شيء حفيظ يحفظ ما يقولون
ويفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وبلغ ما انزل اليك بقلب فسيح وصدر منشرح ولا تلتفت الى استكبارهم ولا تبال بهم
واستهزائهم والعدول عن ضيق الى ضائق للمناسبة وللتاكيد على انه عارض غير ثابت لانه صلى الله عليه وسلم
كان افسح الناس صدرا [illegible] فلعلك تارك قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ● اعلم ان القوم لما طلبوا منه المعجز قال معجزي هذا القرآن فلما
حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة تعنتا وجهلا ثم قرر كونه معجزا بان تحداهم بالمعارضة [illegible] ام منقطعة بمعنى بل والف
الاستفهام كانه اضرب عن الكلام الاول لما استعمل في الثاني على معنى التقريع والتوبيخ فقال افتراه لما يوحى اليك
اي يقولون ما يوحى اليك مفترى قل لهم فاتوا بعشر سور مثله مفتريات تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة
كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال لقد اقتصرت
على سطر واحد مثله [illegible] كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن
واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله [illegible] فقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي

تقديم

خبر ليس

لكن الذين صبروا

ولم يوح وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل
ما اتيت به من الكلام ومنها يقتضي ان يكون هود متقدمة على يونس وعن المبرد انكار نزول هود
متقدما على يونس وقيل معنى لغو سورة يونس فاتوا بسورة مثله في الخبر عن الغيب والنظم والوعد والوعيد فعجزوا
فقيل لهم في هذه السورة ان عجزتم بسورة مثله في الخبر والنظم والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا
وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة ههنا غاية التوسعة عكس المعنى ما رضوا عشر سور بعشر لان هذا مما كانت تتحدى
سورة بسورة مفتريات ولا تبالي من تقديم نزول هذه على هذه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله
وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى ويجوز ان يقال مثله
على زعمكم انه مفترى فان قيل كيف وحد القول في قوله قل وجمع في قوله فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا فجوابه ان احدهما ان الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم في الموضعين فيكون الخطاب له بقوله لكم تعظيما لان خطاب الواحد بلفظ الجمع تعظيم والثاني
معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع
آخر فان لم يستجيبوا لك وقيل يجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير المرفوع في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم
لكم يا ايها المشركون من تدعونهم من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا
ايها المشركون انما انزل بعلم الله ان لتلبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل للخلق اليه
واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد
هذه الحجة القاطعة والبينة الساطعة وعلى تقدير ان يكون الخطاب للمسلمين معناه فاثبتوا ايها المسلمون على العلم الذي انتم
عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون وانما
وجه التعليق بين الشرط المذكور في هذه الآية وبين الجزاء هو ان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله تعالى لو كان مفترى لكان
ان يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله
الحاكم هذا الحكم ثبت بعلمه وتعلق قوله وان لا اله الا هو بعجزهم عن المعارضة هو انه تعالى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يطلب من الكفار ان يستعينوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها حينئذ
ظهر انها لا تنفع ولا تضر في شيء من المقاصد واذا كان كذلك فقد بطل القول بانهم آلهة فصار عجز القوم عن المعارضة
بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا الهية الاصنام ودليلا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان قوله وان لا
اله الا هو اشارة الى ما ظهر من القول بفساد الهية الاصنام قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
اعلم ان الكفار كانوا ينازعون النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال وكانوا يظهرون من انفسهم ان محمدا مبطل ونحن محقون
وننازعه لتحقيق الباطل وكانوا كاذبين فيه بل كان غرضهم الحسد والاستنكاف عن متابعته فانزل الله تعالى
من كان يريد الحياة الدنيا بعمله واحسانه الى الناس كاطعام الفقير وكسوتهم والعدل بين الناس ولم يؤمن بالآخرة
نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة في الدنيا وهم في الدنيا لا يبخسون لا ينقصون اي من اراد بعمله
في الدنيا بالحظ منها والجاه والرياسة من غير بخس ولا نقص عن قتادة رضي الله عنه يقول الله تعالى من كانت الدنيا
همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء واما المؤمن فيجازى
بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم من احسن فقد وقع اجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة
قيل نزلت الآية في الكفار فاما المؤمن فانه يريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة على ارادته الدنيا يدل عليه قوله
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقيل هم اهل الرياء روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيمة دعا العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو رجل جمع القرآن
ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولي قال بلى قال فماذا عملت فيما
علمت قال كنت اقوم آناء الليل واطراف النهار فيقول الله له كذبت ويقول الملائكة له كذبت فيقول الله تبارك وتعالى بل اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ذلك فيؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال
فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الارحام واتصدق فيقول الله كذبت ويقول الملائكة له كذبت ويقول الله تبارك
وتعالى بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له فيماذا قتلت فيقول
امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان
جريء فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة
وقيل انهم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل
هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار لانهم استوفوا اجر اعمالهم في الدنيا وحبط ما صنعوا او صنيعهم في الدنيا اي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به وجه الله
والآخرة ولم يؤمنوا بها انما ارادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي حبط لان اعمالهم كانت لغير الله
لانه لم يعمل بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وتوفيتهم لانه جواب الشرط قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية

منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ● قيل معناه امن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه
كمن هو في الضلالة والجهالة او كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها فحذف الجواب لظهوره على بينة اي على برهان من الله وبيان
ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل وقيل برهان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله
بن سلام وغيره ويتلوه شاهد اي يتبعه من يشهد بصدقه وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن وعن ابن عباس رضي الله
عنه ويتلوه ويقرأه عليه شاهد جبريل منه من الله وقيل ويتلوه ويتبعه ملك يحفظه وعن الحسن رضي الله عنه شاهد
منه لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيكون معنى يتلوه يقرأه وعن محمد بن الحنفية انه قال قلت لابي انت التالي قال وما تعني
بالتالي قلت قوله سبحانه ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما الشاهد منه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون من كان هو المؤمن على بينة من ربه على بيان وبصيرة من ربه
ويتلوه شاهد يعني ويشهد محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيمة من قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل يتلوه يتبع
محمدا صلى الله عليه وسلم شاهد منه علي بن ابي طالب رضي الله عنه نزلت فيه قال علي رضي الله عنه ما من رجل من قريش الا وقد
نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل فانت اي شيء نزل فيك فقال علي رضي الله عنه ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه
شاهد منه وقيل شاهد منه ابو بكر رضي الله عنه وقيل افمن كان على بينة من ربه بيان وبصيرة ويتلوه شاهد منه
عقله وقيل الشاهد هو صورة النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان كل من كان له عقل ونظر اليه علم انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ملك يحفظه ويسدده ومن قبله كتاب موسى اي ومن قبل نزول القرآن
موسى التوراة او يتلوه ذلك البرهان ايضا من قبل نزول القرآن وقيل من قبل محمد كتاب موسى التوراة ويتلوه ذلك البرهان
ايضا من قبل نزول القرآن او محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى فيكون كتاب موسى عطفا على شاهد وقيل مبتدأ
ومن قبله كتاب موسى كذلك لان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة للناس
جميعا وقيل المنزل اليهم اي اليهود اولئك اي من كان على بينة يؤمنون به اي بالقرآن وقيل اصحاب موسى يؤمنون
بكتاب موسى قيل المراد بمن كان على بينة عبد الله بن سلام وهذا ضعيف لان السورة مكية وقيل فيمن آمن من اليهود بمكة ومن يكفر به
بمحمد وقيل بالقرآن وقيل بكتاب موسى من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجتمعوا اهل بيته على عداوته فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك في مرية منه اي في ان موعده النار وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ويحتمل ان يكون نهيا للسامع من قبل الشك في ذلك فلا تك في مرية منه
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بما تقدم ذكره قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك
يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ● اعلم ان الكفار لهم طرق مختلفة فمنها شدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها
وقد ابطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحياة الدنيا الآية ومنها انكارهم نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم
وقدحهم في معجزاته وقد ابطل تعالى ذلك بهذه الآية ومن اظلم اعتراض ذكره لمن افترى على الله كذبا ان له ولدا وشريكا
ووصفه بما هو منزه عنه وافترى عليه ما لم ينزله اولئك يعرضون على ربهم في المحشر للحساب يعني يحبسون في الموقف
ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقيل الانبياء وقيل الخلائق
يعرفونهم بسيماهم وقيل السنتهم وايديهم وارجلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقال الا لعنة الله
على الظالمين الكاذبين على ربهم وهم الذين يصدون عن سبيل الله دين الله ويبغونها عوجا عدولا عن طريق الصواب وهم
بالآخرة هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان
لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ● وصف الله هؤلاء المنكرين بصفات كثيرة في معرض
الذم منها كونهم مفترين على الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ومنها انهم يعرضون على ربهم ومنها حصول الخزي والنكال
ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ومنها كونهم ملعونين من عند الله الا لعنة الله على الظالمين ومنها كونهم
صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق الذين يصدون عن سبيل الله ومنها سعيهم في القاء الشبهات وتعويج
الدلائل ويبغونها عوجا كونهم كافرين وهم بالآخرة هم كافرون ومنها كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعذبهم لو اراد عذابهم وقيل اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
فائتين هربا يقال اعجزه الشيء اي فاته واعجزته فلان اي سبقه وحقيقته عاجزا وعن الواحدي الاعجاز المنع من تحصيل المراد يقال
اعجزني فلان اي منعني عن مرادي ومعنى لم يكونوا معجزين انه لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا فانهم لا يهربون من عذاب الله تعالى
محال لانه سبحانه تعالى قادر على جميع الممكنات ولا يتفاوت قدرته بالقريب والبعيد والقوي والضعيف ومنها انه ليس لهم
اولياء يدفعون عذاب الله عنهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه فجمع الله تعالى بين ما يرجع اليهم
وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة قيل المراد لم يكونوا معجزين
عما يريد الله عليهم من العذاب في الآخرة او في الدنيا ولا يجدون وليا ينصرهم ويدفع ذلك عنهم وقيل اراد ان عدم نزول
العذاب ليس لاجل انهم قدروا على منع الله من انزال العذاب ولا لاجل ان لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب عنهم بل انما حصل
ذلك الامهال لانه تعالى امهلهم كي يتوبوا فيزول عنهم كفرهم فان ابوا الا الاصرار على الكفر فلا بد من مضاعفة العذاب في الآخرة

ومنها انه يضاعف لهم العذاب وقيل بسبب تضعيف العذاب لهم انهم كفروا بالله وكفروا بالبعث والمعاد وقيل
سبب تضعيف العذاب انهم مع ضلالهم الشديد اضلوا غيرهم وصدوهم عن الدين الحق ومنها ما كانوا يستطيعون
السمع اى انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانوا لا يستطيعون السمع وعن قتادة صمّ عن سماع الحق فلا يسمعونه
فلا يبصرون الهدى كقوله انهم عن السمع لمعزولون عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى منع المشركين من الايمان فى الدنيا
والاخرة اما فى الدنيا ففى قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة ففى قوله ويدعون الى السجود
فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم وقيل المراد بقوله ما كانوا يستطيعون السمع استثقالهم له ونفورهم عنه كما يقول
يقولون نحن لسان هذا الكلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعى وقيل يحتمل ان يريد بقوله ما كان لهم
من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشئ فما كان لهم فى الحقيقة من اولياء ثم نفى كونهم اولياء
بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
ومنها قوله اولئك الذين خسروا انفسهم لعبادة الالهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم ما لا خسران
منه لهم انهم خسروا انفسهم والمعنى خسروا راحة انفسهم وسعادتها ومنها قوله وضل عنهم وبطل عنهم وضاع
ما افتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها وقيل بطل سعيهم وخاب رجاؤهم وقيل لم ينفعهم تكذيبهم
ومنها قوله لا جرم معناه حقا وقيل لا جرم معناه حق ذلك وقيل فى الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرى ذلك وكثر استعمالها
حتى صارت بمنزلة حقا وقيل لا جرم المعنى انه نفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون
اى كسب لهم ذلك الفعل الخسران وقيل لا رد لكلام سابق ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر تقديره كسب فعلهم انهم
فى الاخرة هم الاخسرون وكذلك معناه لا جرم ان لهم النار ومنه قول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا وقيل معنى جرم قطع اى لا قطع قاطع عن ذلك وقيل جرم اسم بمعنى لا كما فى الفتح كقوله
لا بد ولا محالة محل لا جرم رفع مبتدأ وقيل انهم فى الاخرة هم الاخسرون فى محلها رفع فاعل حق اى حق وجب
خسرانهم ومعنى لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون لانهم ضلوا واضلوا لا ترى احدا ابين خسرانا منهم قوله تعالى
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم
اتبعه بذكر احوال المؤمنين والاخبات الخضوع والخشوع وهو ماخوذ من الخبت والنبع الطيب القليل من الرزق ولا ينبغى
الكثير الخبيث وقيل التاء فيه بدل من الثاء واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وانقطعوا من الاوثان الى عبادة ربهم الخشوع
والخضوع والى ربهم يعنى تابوا الى ربهم وقيل اخلصوا وقيل انما ادرجت الى على اللام لعادة جارية بان يقال
اخبتوا الى ربهم لان الخضوع خوفهم وخشوعهم واخلاصهم الى ربهم واطمانوا الى ربهم قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۞ لما ذكر الفريقين المشركين والمؤمنين ضرب للفريقين مثلا
شبه فريق المشركين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
ويحتمل ان يشبه الفريق بشيئين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالجمع بين العمى
والصمم او الذى جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآيب هل يستويان اى الفريقان مثلا تشبيها وهو نصب على التمييز افلا تذكرون فتنتفعون بضرب المثل
قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم
بدا بذكر قصة نوح فى سورة يونس وقد اعادها فى هذه ايضا لما فيها من زوائد الفوائد قرأ ابو عمرو وابن كثير والكسائى انى
بفتح الهمزة اى بانى لكم ومعناه ارسلنا نوحا الى قومه المرسل اليهم ملتبسا بانى لكم نذير مبين جعل الجار والمجرور حالا
من المفعول والمعنى على الكسر لان قوله انى لكم نذير مبين فى الاصل معمول للقول لازم بعده القول فلما اتصل به الجار غير
اللفظ دون المعنى ففتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وهو قول الناس زيدا كالاسد قال ابو البقاء بالفتح على تقدير بانى وهو
فى موضع نصب اى ارسلناه بالانذار او منذرا والباقون بالكسر على ارادة القول اى فقال انى لكم نذير مبين قيل
المراد من النذير كونه مهددا للعصاة بالعقاب ومن المبين كونه مبينا ما اعد الله للمطيعين من الثواب والاولى ان يكون الكل
انه نذير للعصاة من العقاب وانه مبين بمعنى انه بين ذلك الانذار على الطريق الاكمل والبيان الاقوى الاظهر ان لا تعبدوا الا الله
بدل من انى لكم نذير او ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويجوز ان يكون نهيا من قبل النبى ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه واذا وصف به العذاب فمجازى
مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب نظيره قولك نهاره صائم وجد جده قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ۞
لما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم انهم طعنوا فى نبوته بثلاثة انواع من الشبهات
فالشبهة الاولى انه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة
لجميع العالمين والشبهة الثانية قولهم ما اتبعك الا اراذلنا كالحاكة واهل الصنائع الخسيسة ولو كنت صادقا لاتبعك
الاكياس من الناس والاشراف منهم ونظيره قوله تعالى قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة قوله تعالى وما نرى
لكم علينا من فضل لا فى العقل ولا فى رعاية المصالح العاجلة ولا فى قوة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا فى شئ
من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا فى اشرف الدرجات واعلى المقامات قال الامام الشبهة الاولى

لا يليق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق واما الشبهتان الباقيتان فيمكن ان يتمسك بهما من اقر بنبوة سائر الانبياء
الملأ الاشراف من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا آدميا مثلنا سمى الانسان
بشرا لظهور بشرته خلافا للسلحفاة والقنفذ وغيرهما من الحيوانات قال صاحب الكشاف تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو
اراد ان يجعلها فى احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ ومواز لهم فى المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى
الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغى ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع ارذل نقيض الافضل وقيل
جمع ارذل على انه جمع اراذل كالكلب واكلب واكالب وهذا اظهر لان افعل التفضيل الشركة اولا ثم الزيادة ومعنى اراذلنا
اخساؤنا الذى لا شرف لهم ولا مال بادى الرأى قرأه ابو عمرو بادئ بالهمز بالابتداء ويصح ان يكون من بدا مسهلا والرأى بلا
همز والباقون بادى بدون همز والرأى بالهمز والمعنى اتبعوك اول الرأى اى اوائل الرأى واستصوابه على الفور واصله
وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم من غير تعمق ذلك والتثبت فيه ومعامة وارادوا ان اتباعهم لك
انما هو شئ لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا
ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون
ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب احدا من الله عز وجل وانما يبعده ولا
يرفعه فضلا ان يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين فى طلب الاخرة ورفض الدنيا
مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله
وما نرى لكم عنوا نوحا واتباعه علينا من فضل اى ليس لكم علينا زيادة شرف ولا زيادة فى المال والنسب ولا دين
للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه وقيل نوحا فى دعواه وانتم فى تصديقكم اياه قوله تعالى قال يا قوم ارأيتم ان كنت
على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ۞ ارأيتم اى اخبرونى ان كنت على بينة
برهان ساطع وشاهد من ربى يشهد بصحة دعواى وآتانى رحمة نبوة ورسالة او معجزة دالة على النبوة والرسالة من
عنده وقيل البينة فى نفسها هى الرحمة ويحتمل ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فعميت قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم
فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله بمعنى اخفيت ولبست واشتبهت والباقون بفتح العين مخففة الميم
بمعنى خفيت والتبست واشتبهت حقيقته اى الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى
غيره بمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد انلزمكموها اى البينة والزام
استفهام معناه الانكار اى لا نلزمكم البينة وانتم لها كارهون لا تريدونها لا تختارونها ولا تتاملون فيها الا انه لا اكراه
قال تعالى لا اكراه فى الدين وقد جمع بين ضميرى المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثانى منفصلا كقوله انلزمكم اياها
فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم عن مقاتل لو استطاع نبى الله لالزمها قومه ولكن لم يملك ذلك اعلم ان النبى
المبعوث الى قومه امره الدعوة بالنسبة الى غير المعاند والمجادلة بالنسبة الى المعاند والدعوة الى سبيل الله بالحكمة
فى حق الكاملين فى العقول والموعظة والخطابة فى حق الناقصين الذين لا يعاندون ويحسنون الظن فى الداعى والمجادلة
فى حق المعاندين وهى لا تفيد الا الالزام على الظاهر مع الانكار فى الباطن قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن فقال نوح عليه السلام يا قوم ان كنت على برهان وحكمة شاهد على نبوتى
لقد خفيت عليكم واشتبهت بسبب ضعف عقولكم وقصوركم عن فهم ما يفيد البينة فلا ينفعكم البينة فلم يبق
الا الموعظة والخطابة وهى لا تفيد الا مع حسن الظن ومعه الانكار وعدم الكراهة والانكار فلا ينفعكم نصحى
ولا فائدة فى المجادلة الا الالزام والالزام مع كراهة الباطن والانكار لا منفعة لكم فيه قوله تعالى ويا قوم لا
اسئلكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اراكم قوما تجهلون ويا قوم
من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول
للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ۞ هذا هو الجواب عن قولهم ما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا والضمير فى عليه راجع الى قوله انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله الى تبليغ وقيل الى
الرسالة كما يتعين غير مذكور وقيل عليه اى على نصحى ودعائى مالا وجعلا فتتهمونى ان اجرى ما ثوابى الا على الله
والفضل كانه عليه السلام قال لعلكم لما نظرتم الى ظاهر الامر وجدتمونى فقيرا فظننتم ان نصيحتكم ودعوتكم الى سبيل ربى
فى مالكم وهذا الظن منكم خطأ فانى لا اسألكم على تبليغ الرسالة والنصح والتحقيق مالا وجعلا ان اجرى الا على ربى فلا
تحرموا انفسكم من سعادة الدين بهذا الظن الفاسد وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به
انفة من المجالسة معهم انهم ملاقوا الله فيعاقب من طردهم او ملاقوا الله فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت
كما ظهر لى منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الرأى من غير نظر وتفكر
وما على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون او انهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون
به عالمون انهم ملاقوه لا محالة وقيل يقرون بالبعث والنشور وقيل ملاقوا ربهم فيخاصمون عند الله ولكنى اراكم
قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او
تتسافهون على المؤمنين وتحرضوننى على طردهم سؤالكم طردهم وكفركم بآيات الله وتجهلون انهم خير
منكم لايمانهم ويا قوم من ينصرنى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم افلا تذكرون افلا تراجعون عقولكم فتعلمون ان

لا ينصح ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب معطوف على عندي
خزائن اعطافي ولا اقول اني اعلم الغيب معناه ولا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا
فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اقول انا اعلم الغيب فتنسبوني الى الكذب والافتراء وقيل حتى اطلع على ما
في قلوب اتباعي وضمائرهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا اي لست ادعي ما ليس لي ولا اقول للذين
تزدري تستحقرهم اعينكم وتحتقرهم والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازدرى به اذا قصر به
ببال ازدرته عينه واقتحمته عينه لن يؤتيهم الله خيرا توفيقا وايمانا واجرا كقولهم اتبعوك في ظاهر الرأي وباطنهم
على خلاف ذلك الله اعلم بما في انفسهم من السبق والعزم والخير والشر شيئا مأخوذا به اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والحاصل ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة
لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك قوله تعالى
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم
بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ● قد جادلتنا
ماريتنا وخاصمتنا فالجدال في قبيل الخصم عن رأيه بالحجاج قيل معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك
جادل فلان فاكثر واطاب عن الكلبي دعوتنا وقيل وعظتنا فاكثرت الدعوة وقيل فاكثرت الوعظ فاصحت لنا دعوتك
فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين ان يأتينا قال انما يأتيكم بالعذاب الله ان شاء عاجلا او آجلا
وليس الاتيان بالعذاب اليكم انما هو الى الله وما انتم بمعجزين اي اذا اراد انزال العذاب لا تقدرون على الهرب ولا تفوتون ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم لا ينفعكم نصحي هذا شرط دخل على شرط لما كان الله يريد
ان يغويكم جزاؤه محذوف دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء
بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فصار التقدير ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم هو ربكم خالقكم فيتصرف فيكم على وفق ارادته واليه ترجعون بالموت والبعث فيجازيكم
على اعمالكم قوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ● ام يقولون افتراه
عن ابن عباس يعني افترى نوح ما اخبر به من خبر وعن مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما اخبر به من نوح وقيل
ان افتريته فعلي اجرامي فعلي عقوبة جرمي … تقول اجرم الرجل اذا اذنب … وقيل لكسبي
من اجرامكم شيء ولا اؤاخذ بذنوبكم قوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون ● لما اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن استجاز الدعاء عليهم فدعا عليهم فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فلا تبتئس قيل هذا خطاب لنوح عليه السلام بعد الدعاء لانه لما دعا عليهم حزن واغتم
وقيل متصل بالاولى فان نوحا عليه السلام لشدة محنته لايمانهم كان يسأل ربه تبقيتهم فاعلمه الله انه لا يؤمن من قومك
الا من قد آمن ليزول عن قلبه ما كان قد حصل فيه من تلك المحنة فقال تعالى فلا تبتئس اي فلا تحزن من ذلك ولا يغمك
والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن اي فلا تحزن حزن بائس مستكين قال لما تقسم الله اقبل غير مبتئس بنبيه وبعد
كريما فانعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوا من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم ●
قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ● لما اخبره تعالى
ان الله لن يؤمن من قومك … معذبهم بان اسعدهم بالغرق ولما كان السبيل الذي يحصل به النجاة من الغرق يكون
الفلك امره الله بان يصنع الفلك باعيننا في موضع الحال يعني اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله
تكلؤه ان تزيغ في صنعته من الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه عن ابن عباس رضي الله عنهما بعين
منا … وقيل بحفظنا وقيل بعلمنا وقيل باعين اوليائنا اي الملائكة ووحينا اي وامرنا اليك وتعليمنا لك كيف
تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان اصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا
ولا تسألني العفو عن هؤلاء الكفار من قومك ودفع العذاب عنهم فانهم مغرقون بالطوفان قد قضي به القضاء وجف به القلم
وقيل اراد بالذين … زوجته واعلة وابنه كنعان قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ●
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية اي في ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك قيل واقبل يصنع الفلك
فاقتصر على قوله ويصنع وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله استهزأوا به وقالوا يا نوح صرت نجارا بعد النبوة
وانما سخروا لانه كان يعملها في برية ولا ماء هناك يحمل مثلها وقيل لم يكونوا راوا سفينة قبلها وكانوا ايضا يضحكون
ويتعجبون من عمله لما قال نوح ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل كما تسخرون … الساعة اي نسخر
سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل نجازيكم على سخريتكم وقيل ان تستجهلونا
فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا
فانا نستجهلكم واستجهالنا لكم لاجل كفركم واستجهالكم لنا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون
ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وبابها في عرضها وكانت من خشب الساج وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت ثلث

طبقات طبقة للناس وهي العليا منها وطبقة للدواب والانعام وهي الوسطى وطبقة للوحوش والسباع والهوام
وهي السفلى وعن وهب رضي الله عنه ثمانمائة سنة وقيل في اربعمائة سنة وركب هو ومن معه في الطبقة العليا
ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن رضي الله عنه كان
طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا كعب بن حام فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له
عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح
قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش
وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل
مذهب فقطعها وجعل يعمل سفينة ويمرون فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في
البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه
يفضحه ويهلكه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه ينزل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك
له عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب الآخرة قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ● حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الشرط
والجزاء ووقعت غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد وقوله وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه حال اي والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقوله قال ان تسخروا استئناف
على تقدير سؤال سائل ويجوز ان يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقوله قال جوابا لكلما اذا جاء امرنا بعذابهم
واهلاكهم وقيل هذا بابا وهو الماء وفار التنور … تفور فورا وفورانا … اذا جاشت
ونبعت … ذهبت في حاجة ثم اتيت فلانا من فوري اي قبل ان اسكن قيل التنور اسم فارسي معرب لا يعرف العرب له اسما
غير هذا ولذلك جاء في التنزيل لانهم خوطبوا بما عرفوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما التنور بكل لسان عجمي وعربي وهو الذي
يخبز فيه وعن علي رضي الله عنه هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رأيت الماء على وجه الارض فاركب انت ومن معك
وهذا قول ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة وقيل عن ابي جحيفة عن علي رضي الله عنه وفار التنور اي طلع الفجر
ونور الصبح وعن ابن قتيبة التنور عند الصلاة وعن قتادة التنور اشرف موضع في الارض واعلى مكان فيها وعن الحسن
والاكثرين انه اراد التنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح وكان ذلك علامة لمجيء العذاب
فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وهذا قول
مجاهد وعطية عن ابن عباس واختلفوا في موضعه عن مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة وكان التنور على يمين
الداخل مما يلي كندة وكان فوران الماء منه علما لنوح عليه السلام وذكر في هلاك قومه وعن مقاتل كان ذلك تنور آدم
عليه السلام وانما كان بالشام في موضع يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فار التنور بالهند وقيل فار
التنور كناية عن اشتداد الامر وصعوبته كما يقال حمي الوطيس اذا اشتد قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين
الزوج الفرد من قوله ثمانية ازواج والزوج ايضا اثنان مما لا يستغني احدهما عن الآخر كزوج نعل وزوج حمام والزوج الصنف
من قوله من كل زوج بهيج الزوجان عبارة عن كل شيئين يكون احدهما ذكرا والآخر انثى والتقدير من كل شيء كذلك احمل
منهما في السفينة اثنين واحدا ذكرا وآخر انثى فاثنين مفعول به وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين واحمل من كل
شيء زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج فزوجين مفعول به واثنين تأكيد واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن
آمن وعلى قراءة حفص يكون عطفا على زوجين اراد باهله عياله وولده اي واحمل عيالك وولدك الا من سبق عليه القول
من الله بالهلاك … امرأته وابنه كنعان وهو استثناء من اهله ومن آمن اي واحمل من آمن وما آمن معه الا قليل عن قتادة
لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم جميعهم ثمانية وعن الاعمش كانوا سبعة نوح
وثلاثة كنائن له وثلاثة بنين وعن ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة رجال ممن كان
آمن به وازواجهم جميعا وعن مقاتل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وبنيه الثلاثة ونساءهم فالجميع ثمانية وسبعون
نفسا نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح ثمانون انسانا احدهم جرهم وعن
مقاتل وحمل نوح معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والبهائم والوحوش و
الطير ليحملها وعن ابن عباس اول ما حمل نوح عليه السلام معه في الفلك الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل
صدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فنهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك
ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل الحمار ومعه فقال له نوح ويحك
ما ادخلك علي يا عدو الله الم تقل ادخل وان كان معك الشيطان قال اخرج عني يا عدو الله فقال لا بد ان تحملني معك
وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وقيل ان الحية والعقرب اتتا نوحا فقالتا احملنا معك قال نوح انكما سبب الضرر والبلاء
والاوجاع فلا احملكما قالتا احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين

شهد السفينة

عن الشعبي انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة

انا كذلك نجزي المحسنين لم يقض بكاؤه ابدا. قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي
لغفور رحيم ● وقال نوح للذين امر بحملهم اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها تجري مجرى المركوب
من الدواب وقال فيها لاستقرارهم فيها فلما ركبها نوح واصحابه ارسل الله عليهم السماء مدرارا وتفجرت الارض عيونا
والتقى الماءان حتى غرق الجبال ومن عليها قال ابن عباس ركبوا فيها لعشر مضين من رجب بسم الله مجريها قرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم مجريها بفتح الميم والباقون وهم ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم مجريها بضم الميم وكلهم
قرأوا بضم الميم من مرسيها … على معنى اجراها
وارساها … نافع وابو بكر عن عاصم بين اللفظين … وحمزة والكسائي … جعلهما نعتا لله
وانما جعل الوصفين نعتا لله الحسن وقتادة وحميد الاعرج واسمعيل بن مجالد عن عاصم فقرؤا مجريها ومرسيها بضم الميمين
وبيائين صحيحين بدل … قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها كلاما واحدا بان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو اي … على معنى اركبوا فيها مسمين
الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء
فانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول اي اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين او المكانين
الذين لا ينفك الركوب فيهما من الاجراء والارساء ولا يجوز ان ينتصبا باركبوا لانه ليس المعنى على اركبوا في وقت الاجراء والارساء
ويجوز ان يكون كلامين اما ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر على معنى ان نوحا عليه السلام
امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله او بامره وقدرته يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم
الله جرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله رست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها
وارساؤها اي بقدرته وامره ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله … ولكنه
كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال من ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة
ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور لمن آمن منهم رحيم حين خلصهم ولولا مغفرته
لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم. قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل
يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين ● وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها قائلين
بسم الله وهي تجري اي السفينة تجري بهم وهم فيها في موج كالجبال جمع موجة كتمر وتمرة والموج حركة الماء
الكثير بحمل الرياح الشديدة … كالجبال في العظم شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها قال
صاحب الكشاف فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض
وكان الفلك يجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان
الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء ونادى نوح ابنه كنعان وقيل اسمه يام ولا خلاف في انه
كان كافرا وجل المفسرين على انه ابنه لصلبه وعن علي رضي الله عنه والحسن انه ربيبه وانما كان ابن امرأته وكانا
يقولان انه كان … من الحسن انه قال لغير رشدة وهذا قول ساقط مرغوب عنه لان الله تعالى عصم انبياءه عن مثل هذا
وحمل المفسرون قوله تعالى فخانتاهما على الدين لا على الفرج وكان في معزل عن ابيه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده
يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه من ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني
بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين اي اسلم واركب وقيل كان ينافق قال
ابنه سآوي سأصير الى جبل يعصمني من الماء يعني من الغرق والعصمة المنع من الآفة قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم وهو الله تعالى وقيل لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحمه الله من المؤمنين وكان نظم غفور
رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله
كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج اي بين ابنه والجبال وقيل بين نوح وابنه فكان من المغرقين اي صار من المهلكين
بالماء. قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
بعدا للقوم الظالمين ● اعلم ان المقصود من هذه الآية شرح واقعة الطوفان فكان التقدير انه لما انتهى امر الطوفان
قيل يا ارض ابلعي … اجمع المعاندون الذين هم صفوة البلغاء وقدوة الفصحاء الذين هم قد حصلوا من البلاغة والفصاحة
ما لم يحصل بغيرهم من الامم … سحر البيان … نطاق البشر قاصر عن الاتيان بما يوازنه بل عاجزة
عن ايراد ما يدانيه بعدما استقصوا كلام العرب العرباء وتراكيب البلغاء فلم يجدوا ما يقاربها في فخامة الفاظها وحسن
نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال قال صاحب المفتاح والنظر في هذه الآية من اربع جهات
من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحتين المعنوية واللفظية اما النظر
فيها من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول انه عز سلطانه
لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء

حذف منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكون مكانا للاجراء والارساء ٣

فغاض

فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدنا من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت
وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه العصيان لكمال هيبة الآمر … فيقع
من التوقف دون الامتثال له والتحقق على مشيئته على الفور من غير ريث وبتشبيه تكوين المراد بالامر الجازم النافذ
في تكوين المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها
ما يشاء غير ممتنعة لارادته ايجادا واعداما ولمشيئته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب
وعقابه وقدرته على كل ما يشاء وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له واذعانهم لحكمه ووجوب بذل المجهود
في تحقيق ارادته فكما يرد عليهم امره كان المأمور مفعولا لا حبس ولا ابطاء ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال
عز سلطانه قيل على سبيل المجاز عن الارادة … وبالقول … [illegible]
مكان التشبيه وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال كما ترى يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة
للتشبيه المذكور وهو كون السماء والارض كالمأمور الذي لا يتأتى منه العصيان ثم هذه الاستعارة هي المكني عنها لان …
المذكور هو التشبيه ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو جذب المطعوم الى المعدة من غير مضغ للشبه بينهما
وهو الذهاب الى مقر خفي وهذه الاستعارة مصرح بها … استعارة الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء
لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة
للاستعمال في الغذاء دون الماء ثم امر على سبيل الاستعارة للتشبيه المقدم ذكره وهو كون السماء والارض كالمأمور الذي
لا يتأتى منه العصيان ثم هذه الاستعارة هي المكني عنها لان الخطاب في الامر اي ابلعي واقلعي ترشيح الاستعارة الندائية
وتعقيب النداء بلفظ ابلعي … انها منقادة لتكوينه فيها ما يشاء فان عادة من نادى المطيع للنداء ان يأمره …
اتباعها ان يتقدم النداء على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المأمور فيكون امتثاله للامر اسرع مما لم يكن معه النداء
سيما اذا كانها تدل على ان الخطاب المتوجه به جدا فالامر بعد النداء ترشيح الاستعارة النداء ثم قال ماءك باضافة الماء
الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير
الخطاب لاجل ترشيح استعارة النداء لان المخاطب وصف المشبه به ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو الامساك
يقال اقلع المطر واقلعت الحمى والاقلاع ترك الفاعل الفعل للشبه بين احتباس المطر وترك الفعل في عدمهما كان ثم
امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر قائلا اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال وغيض الماء اي نقص يقال غاض متعد
ولازم يقال غاض الشيء وغاضه اي نقصه كنقص وقضي الامر فرغ من اهلاك من هلك ونجى من نجا وانجز الله ما وعد نوحا
من انجائه ونجاته واهلاك من كفر واستوت واستقرت على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بالشام
ادم وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ويجوز ذلك ولذلك اختص بدعاء
السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول وعدم التصريح بمن غاض الماء ومن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا
القصد يقال يا ارض ويا سماء في صدد الآية سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية للدلالة على الجلال والكبرياء
وعلى ان تلك الامور العظام لا تتأتى الا من فاعل قادر لا يكتنه وقهار لا يغالب وواحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب
الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على
متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ثم ختم الكلام بالتعريض فلم يقل بعدا للقوم كذبوا نوحا تنبيها لسالكي
مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهارا لمكان السخط وان قيامه الطوفان وتلك الواقعة
الهائلة ما كانت الا لظلمهم واما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير
فيما بين جملها فذلك انه اختار يا دون سائر اخواتها لكونها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة
وابداء شأن العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارض بالكسر
لزيادة التهاون فان الكسر دال على اختصاص المنادى بالمنادي وفي الاختصاص ما ينافي التهاون ولم يقل يا ايتها الارض
لقصد الاختصار مع الاحتراز عما في ايها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون سائر اسمائها
لكونه اخف وادور واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في الارض مع قصد المطابقة اي بين السماء والارض …
بذكر السماء واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بالافراد دون الجمع
لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأبى عنها مقام اظهار الكبرياء والجبروت وهو الوجه في افراد الارض والسماء
وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات
الماء باسرهن نظرا الى مقام ورود الامر … ثم اختصر الكلام مع اقلعي فاقلعت واختير غيض على غيض المشدد لكونه اخصر
قيل … ان يقال ما طوفان السماء وكذا الامر في قضي الامر دون ان يقال امر نوح وهو انجاز ما كان الله وعد نوحا
من اهلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على
نحو قيل وغيض في البناء للمفعول لاعتبار ابتناء الفاعل مع السفينة في قوله تعالى وهي تجري بهم في موج مع قصد
الاختصار في اللفظ ثم قال بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة
ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى ان البعد حق لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع
حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم

المقصود ٣

معنى ٣

السفينة ٣

الذي هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذا بين المراد
احترازا عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه
في ان لم يقل قل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت
ويا سماء اقلعي فاقلعت

وأما من حيث النظر إلى تركيب الجمل فذلك أنه قد قدم النداء على الأمر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي دون أن يقال ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على
مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك
لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك في القصة منزلة الأصل والأصل
بالتقديم أولى ثم أتبعهما قوله وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتهما ألا ترى أصل الكلام قيل يا أرض ابلعي ماءك
فبلعت ماءها ويا سماء أقلعي عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله وغيض الماء النازل من السماء فغاض ثم أتبعه ما هو المقصود
من القصة وهو قوله وقضي الأمر أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ثم أتبعه حديث
السفينة وهو قوله واستوت على الجودي ثم ختم القصة بما ختم هذا كله نظر في الآية من جانب البلاغة وأما النظر
فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد
ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد بل إذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ومعانيها تسابق
ألفاظها فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق إلى أذنك إلا ومعناها أسبق إلى قلبك وأما النظر فيها من جانب الفصاحة
اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات
سلسة على الأسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم
آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على ما ذكرت فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت لأن المقصود
لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان وأن لا علم في التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على تعاطي
تأويل مشتبهاته ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه وهو الذي يوفي كلام رب العزة
من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيم حقها واستلبت
ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليس من أهل هذا العلم فأخذوا بها في مآخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة
وهم لا يدرون أنهم لا يدرون فتلك إلا من ما أخذهم في عويل ومن محاملهم على ويل طويل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا وعن قتادة رضي الله عنه استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت
بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروي
أن نوحا عليه الصلوة والسلام صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب
إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس
لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين
أي دعا نوح ربه فقال يا رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه وأراد بقوله ونادى
وأراد النداء أي الدعاء أو أراد نوح الدعاء فقال رب فلا يلزم عطف الشيء على نفسه أي ابني من أهلي أي إنه بعض
أهلي لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله وأنت أعدل الحاكمين لأنه لا شطط في حكمك ولا ميل حكمت على
قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك وقيل أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل قال صاحب الكشاف
ورب غريق في الجهل والجهل من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر
ويجوز أن يكون من الحكمة كحاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال الله يا نوح
إن ابنك ليس من أهلك الذين وعدتك إنجاءهم إنه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من أهله أي إنه ذو عمل غير صالح لأنه من الكافرين
ومخالفته أباه وقيل إنه نادى بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان
حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك
وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه وإنما لم يقل إنه عمل فاسد لأنه لما نفاه عن كونه من أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي
التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك
وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا وقرأ الكسائي عمل بكسر الميم ونصب اللام وفتح الراء غير أي عمل عملا غير صالح أي أن ابنك عمل عملا غير صالح
أي أشرك بالله وكفر وقيل سأل نوح قبل أن يعرف هلاكه وقيل سأل المغفرة بعد أن عرف هلاكه وقيل إن سؤاله
تخليصه بعد كفره وعمل غير صالح في عرف صحيح وقيل سؤاله تخليصه بعد قوله لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا عمل
غير صالح فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم قرأه ابن كثير ونافع وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون غير أن
نافعا وابن عامر كسرا النون وفتحها ابن كثير وحذفوا الياء في الوصل والوقف وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي بسكون
اللام وتخفيف النون غير أن أبا عمرو أثبت الياء في الوصل وحذفها في الوقف والباقون يحذفونها في الحالين من كسر النون فقد
عدى السؤال إلى مفعولين أحدهما اسم المتكلم والآخر الاسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات
وأما إثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها أخف والكسرة تدل عليها وتعلم أن المفعول الذي هو في معناه فلا تلتمس مني
ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين
خاف عليه وقيل ما ليس لك به علم بجواز مسألته وقيل لا تعلم أنه جائز في حكمي إني أعظك أن تكون من الجاهلين بوعدي وقيل
من الجاهلين بنسبك وهذا يشبه قول الحسن وقيل أعظك بمواعظي لئلا تكون من الجاهلين بما أمرتك وقيل من الجاهلين
فظن أنه ابني توعدني قال نوح رب إني أعوذ بك أعتصم وأمتنع أن أسألك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحتها

وان لم

وإن لم تغفر لي ما فرط مني من ذلك السيء بسؤالي وترحمني بفضلك أكن من الخاسرين قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ● قيل يا نوح اهبط انزل من السفينة
بسلام منا أي مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما وقيل بسلامة وخلاص من المكاره أي سالما وقيل بتحية منا
وبركات ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقيل زيادات في نسلك حتى صار أبا البشر بعد آدم وعلى أمم ممن معك
من يحتمل أن تكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات وقيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون
لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك يريد أولادا وأولاد أولاد ما تناسلوا إلى آخر الدهر وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه وقوله معك في
المعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وأمم ممتعون بالدنيا بالسعة في الرزق والخفض
في العيش ثم يمسهم منا عذاب أليم في العقبى وهم الكافرون وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان
معه في السفينة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سام بن نوح أبو العرب ويافث أبو الروم وحام أبو الحبش ولم يحصل
من غيره ممن كان معه نسل بقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
إلى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم
من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب قوله تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما
كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ● لما شرح قصة نوح على التفصيل قال تلك إشارة إلى قصة
نوح عليه السلام أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك لم يكن من عندك ولا من عند
قومك من قبل هذا الإيحاء إليك وإخبارك بها وقيل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة والقيام بأمر الله
وأذى قومك كما صبر نوح عليه السلام وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح عليه السلام ولقومه إن العاقبة للمتقين
في الفوز والنصر والسعادة للمتقين كما كان لمؤمني قوم نوح وقوله ولا قومك أي أن الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم
إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم أمي لم يخالط أهل العلم قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني
أفلا تعقلون ● وإلى عاد أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا وانتصاب أخاهم للعطف على نوحا أي عطف على قوله
قومه في قصة نوح وهودا عطف بيان لأخاهم وسماه أخاهم لأنه كان من نسبهم وجنسهم وقيل أخاهم أي واحدا منهم
جعل أخاهم باعتبار المنشأ واللسان والجيرة وقيل هو أخوهم من حيث أنه من ولد آدم وهم أولاده قال يا قوم اعبدوا الله
أي وحدوه وكل العبادة في القرآن بمعنى التوحيد ما لكم من إله غيره قرأ الكسائي غيره بالكسر حملا على لفظ إله على النعت
أو البدل والباقون بالرفع صفة أو بدلا من محل قوله من إله إن أنتم إلا مفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له
شركاء ما من رسول إلا وقد واجه قومه بهذا القول لأن شأن الرسل النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يخلصها إلا حسم
المطامع وما دام يتوهم شيئا منها لم تنجع ولم تنفع يا قوم لا أسألكم عليه على تبليغ الرسالة أجرا جعلا وقيل بدلا إن أجري
ثوابي ورزقي إلا على الذي فطرني خلقني أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله
وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم
مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ● استغفروا ربكم أي آمنوا به يغفر لكم والاستغفار ههنا بمعنى الإيمان
ثم توبوا إليه من عبادتكم غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان وقيل اطلبوا المغفرة وتوسلوا إليها بالتوبة والندم
على ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا إلى مثله متى فعلتم ذلك يرسل السماء أي المطر عليكم مدرارا كثيرا متتابعا المدرار
الكثيرة الدر كالمغزار يعني أنه أنفع ما يكون فحاصله موجود البلاد أن تتتابعا وقيل من المطر في وقته وقيل كثير البركة
وصفا له من بناء المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويزدكم قوة إلى قوتكم شدة إلى شدتكم وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان
وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وعمارات حراصا عليها أشد الحرص وكانوا أحوج
شيء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل
أراد القوة في المال وقيل أراد القوة على النكاح وذلك أن الله تعالى حبس عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلث سنين
فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد على الإيمان والاستغفار والتوبة ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه
مجرمين مصرين على الشرك قوله تعالى قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ● قالوا أي
قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة بحجة وبرهان على ما تقول حتى نسلم لقولك ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قد أظهر
المعجزات إلا أن القوم بجهلهم وعنادهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشيء من المعجزات وهذا كما كذب منهم ومحجوجا كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
أي لا نترك عبادة آلهتنا عن جهة قولك [illegible] عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك
آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح لأمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة
إن نقول إلا اعتراك أي ما نقول فيك إلا قولنا اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل أي خبلك بعض آلهتنا

او مسّك بجنون بسبب سبّك اياها وصدّك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بشرّ الجزاء ثم
تكلم بما تسمع من كلام المجانين قال هود اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي بريء من آلهتكم التي
تعبدونها اكد براءته من المتهمة وشركهم وفرقها بما يجانس شهادة الناس من تقريعهم لا شهادة الله وشهادة
العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعل كذا اشهاد الله على البراءة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدة معاقدة واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة
بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه
وبينه اشهد اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركون
من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا وقيل معناه اني بريء من الاصنام
فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم او هؤلاء ثم لا تنظرون ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم
ولا اخاف مضرتكم وان تعاونتم على وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف
تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى اني توكلت
على الله وثقت بحفظه وكلاءته من كيدكم وصفه بما يقتضي التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم وكون
كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه ربي وربكم خالقي وخالقكم ما من دابة حيوان يدب الا هو آخذ بناصيتها
اي هو مقتدر عليه متمكن من تصريفه فيما يريد والناصية شعر مقدم الرأس وقيل قصاص الشعر وقيل اخذ بناصيتها
يحييها ويميتها وقيل يقهرها لان من اخذت ناصيته فقد قهر ومنه لنسفعا بالناصية ويؤخذ بالنواصي والاقدام
ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي على طريق الحق يجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه لا يظلم احدا شيئا
ولا يقبل الا الاسلام وقيل فيه اضمار اي يدلكم ويحثكم ويحملكم على صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل هو كقوله
ان ربك لبالمرصاد قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ● ولما جاء امرنا عذابنا وقيل امرنا بعذابهم نجينا هودا
والذين آمنوا وكانوا اربعة آلاف برحمة منا لا باعمالهم وعملهم الصالح وقيل بما هديناهم اليه من الايمان والعمل الصالح
تفضيل نجاتهم في ذلك الوقت فيهم عن الكافرين في العقاب ونجيناهم من عذاب غليظ ذكره ثانيا لا حين اهلك عدوهم
ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم ريحا صرصرا سموما تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم
فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالعذاب الغليظ عذاب القيامة ولا عذاب اغلظ منه واشد اي كما نجيناهم في الدنيا
من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب وتلك عاد قبيلة جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله اي رسل الله
اي هودا او سائر الانبياء عليهم السلام لانهم اذا عصوا رسوله الذي ارسل اليهم فقد عصوا رسل الله لا نفرق
بين احد منهم وقيل لم يرسل اليهم الا هود وجمع فان اراد رسله هود ونظيره قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
اي محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن في عصره نبي سواه واتبعوا امر كل جبار كافر قهار يجبر غيره على ما يريد عنيد معاند
باغ لا يقبل الحق ولا يذعن له يقال عند عندا وعنودا اذا تجبر وطغى وعند عن الحق مال وقيل هو فعيل من عاند
كانه فيه معنى الاعجاب بحسن الظن بنفسه والمعنى عنده يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
امرهم طاعتهم والحاصل انهم عصوا من في طاعته نجاتهم والحاصل انهم عصوا من في طاعته سعادتهم واطاعوا من في طاعته
شقاوتهم واتبعوا واردفوا والحقوا في هذه الدنيا لعنة طردا او بعدا او عذابا او هلاكا وفي يوم القيامة لما كانوا تابعين
دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم الا تذكر وكل كلهم
موقعه وقيل كفروا نعمة ربهم والاول اولى فكل دعاء جامع للدعاء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع لشأنهم
وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وبعدا دعاء بالهلاك ومعنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم الدلالة على انهم
كانوا مستأهلين له لا يرقى الى الحق لا حرج في لا يعدوا انبعاثا بلى والله قد تعدوا او قوم هود عطف بيان لعاد وفائدة
في هذا البيان والتبيان حاصل بدونه ان يسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه او يخص لان
لعادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب
انشأكم ابتدأ خلقكم من وذلك ان آدم خلق من الارض وهم منه وقيل لان الانسان خلق من المني والمني خلق من الدم
والدم من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من الارض وقيل انشأكم في الارض واستعمركم فيها جعلكم عمارها
وسكانها وقيل كان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف
الرعايا فسأل نبي من الانبياء ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية انه اخذ في
الارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار وقيل
استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء اي اطال اعماركم فيها وقيل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في
اعمركم لما استهلكه في نفسه واهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان

يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم لغيره
ان ربي قريب لداعيه مجيب لداعيه وقيل قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله وقيل قريب سريع الاجابة
قالوا اي ثمود يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا القول كنت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد كنا نرجو ان تكون فينا
سيدا او تكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير
فيك وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن
عليه لانه كان يخالفهم في عبادة الاصنام ولا ينهاهم عنها قبل هذا اليوم اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من عبادة الله وتوحيده مريب موقع في الريبة من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس
وانتفاء الطمأنينة باليقين وقيل من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قوله تعالى قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ● ان كنت على بينة من ربي
ورد بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على
الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير
لي تنقيص من اعمالي وتبطلونها وقيل فما تزيدونني بما تقولون وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول انكم
خاسرون فيقول لخسرته كما يقول فسقته وفجرته اذا نسبته الى الفسق والفجور وعن ابن عباس رضي الله عنه غير بصارة في خسارتكم
وقيل غير تضليل وقيل معناه ما تزيدونني الا خسارا فنسبه الى نفسه لانهم اعطوه ذلك وكان يسألهم الايمان وقيل
ان اجبتكم الى ما تدعوني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران وقيل ما تزيدونني الا خسرانا قوله تعالى ويا قوم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب ● جرت العادة بطلب المعجز ممن يدعي النبوة فلم صالح هكذا روي ان قومه خرجوا في عيد لهم
فسألوه ان يأتيهم بآية ان يخرج لهم من صخرة معينة اشاروا اليها ناقة فدعا صالح ربه فخرجت كما سألوا هذه ناقة الله لكم آية نصب
على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل لكم متعلق بآية حال منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت
صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها دعوها تأكل في ارض الله ترتع في ارض الله والاكل مجاز كما يقال
اي ترعى نبات الارض وتشرب ماءها وتكدرها ولا تمسوها بسوء بعقر او نحر فان مسستموها بسوء فيأخذكم عذاب
قريب عاجل في الدنيا لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال لهم صالح
تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلادكم ومنازلكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار
لبلادهم ويقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في بلادكم في داركم في دار الدنيا وقيل
انما وحد لان المراد بها البلد ويحتمل كل واحد في داره ذلك وعد غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بجريه
مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدقه
ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق قوله تعالى فلما
جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ● اي ونجيناهم من العذاب
بالصيحة ومن الخزي قرأ نافع والكسائي يومئذ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن والمضاف الى المبني يجوز جعله
مبنيا وقرأ الباقون بالكسر للاضافة وتنوين اذ لانه عوض مما اضيف اليه من الجملة المقدرة ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله
ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وقيل يريد بيومئذ يوم القيامة ان ربك
هو القوي العزيز فلا يغلب ولا يمتنع عليه شيء واخذ الذين ظلموا كفروا الصيحة هي [illegible]
وقيل الصيحة العذاب كما يقول صاح لفلان اذا زجره وتوعده فاصبحوا في ديارهم في منازلهم جاثمين ميتين وهم على الجثوم
السقوط على الوجه وقيل القعود على الركب فاماتهم الله الا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله كأن لم
يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها لانقطاع آثارهم بهلاكهم باجمعهم الا من بقي من اجسادهم الدالة على الخزي النازل بهم الا ان
ثمود قرأ حفص عن عاصم وحمزة بفتح الدال من غير تنوين هنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم ووافقهما ابو بكر عن عاصم
في النجم والباقون بالتنوين في الاربعة الا بعدا لثمود قرأ الكسائي بخفض الدال مع التنوين والباقون بفتح الدال
من غير تنوين قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ● قيل دخلت كلمة قد هاهنا لان السامع لقصص الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد
قصة وقد للتوقع ودخلت اللام لتأكيد الخبر رسلنا يعني الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ثلاثة جبريل
وميكائيل واسرافيل وعن الضحاك تسعة وعن السدي احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم ابرهيم الخليل
عليه السلام بالبشرى بالبشارة بالولد واسحق ويعقوب وقيل بسلامة لوط واهلاك قومه قالوا اي الرسل سلاما قال
ابرهيم سلام اي امركم سلام او عليكم سلام وللرفع مزية على النصب لانه اخبار عن شيء ثابت والنصب طلب ان يقع سلام
يقع فصار متدرجا في قوله فحيوا باحسن منها وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين من غير الف ومثله في الذاريات قيل وهما لغتان مثل
سلم وسلام لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

سلم صلح لكم غير حرب والباقون سلام بفتح السين والالف بعد اللام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ نحو ذو من المشوي
بالحجارة المحماة وقيل مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل
حتى يقطر عرقا او يدل عليه بعجل سمين فلما رأى ابرهيم ايديهم لا تصل الى العجل الحنيذ نكرهم اي انكر
ذلك منهم نكره واستنكره بمعنى واحد قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
لجمع اللغتين في بيت واحد واوجس منهم خيفة اضمر ابرهيم واحس من الرسل خوفا وقيل وقع في قلبه خوفا وقيل
استشعر وقيل حدث به نفسه واصل الوجوس الدخول كان الخوف دخل قلبه قيل انما نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم
ظنوا انه لم يجئ بخير وانه يحدث نفسه بشر فقيل كان ابرهيم عليه السلام احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكونوا
نزلوا لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قول الرسل لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا
لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا قالوا لا تخف قال الرسل لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لا الى قومك وانما قالوا
لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم
كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته اي وامرأة ابرهيم سارة قائمة وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم وقيل
كانت قائمة تخدم الرسل وابرهيم جالس فضحكت سرورا بزوال الخوف وحصول الامن لانها خافت كما خاف ابرهيم وقيل
سرورا باهلاك اهل الخبائث وقيل ضحكت ضحك انكار لغفلة قوم لوط وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم
اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل ضحكت
من امتناع الضيف من الاكل ولم تكن رأت مثل ذلك وقيل ضحكت من خوف ابرهيم عليه السلام وهو في اهله وحشمه وقيل
ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فقيل هذا من المقلوب الذي معناه التأخير كان معنى
الكلام وامرأته قائمة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتى أألد وانا عجوز الاية وقيل
فضحكت فحاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت قال الشاعر وضحك الارانب فوق الصفا
كمثل دم الجوف يوم اللقا فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب
مولود او موجود ومن بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قال له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد
ولده وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب بالنصب بنزع الخافض اي ومن وراء اسحق بشرناه بيعقوب فلما
حذف الجار نصب وقيل باضمار فعل اي ووهبنا له والباقون برفعه قوله تعالى قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد
يا ويلتى ايذان بامر فظيع والويل حلول الشر والالف في اخره بدل من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا أألد وانا
عجوز وكانت ابنة تسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وهذا بعلي زوجي سمي بذلك لانه قيم امرها كما سمي
ما لا يسقى بعله والبعال الجماع ومنه بعل النخلة لاستغنائه عن كلفة السقي شيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة
وكان ابرهيم عليه السلام ابن مائة سنة وقيل ابن عشرين ومائة ان هذا الذي بشرت به لشيء عجيب ان تلد ولدا من شيخين
هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله
لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله
عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام
به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء عليهم السلام منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلام وقيل
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت دعاء وقيل اخبار وتذكير النعم ومن بركاته ان جميع الانبياء بعده من نسله انه
حميد محمود يفعل ما يحمد عليه وقيل حميد يحمد المؤمنين من عباده مجيد كثير الخير من قبله والمجد نيل الشرف مجد فهو ماجد
ومجد فهو مجيد وقيل المجيد الكريم وقيل العظيم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح
اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن قوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان
ابرهيم لحليم اواه منيب الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلب ابرهيم بعد الخوف
وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب
تقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او ابتداء فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما واتى به
مضارعا على حكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه
اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا او يكرر السؤال لاي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وان ذلك
واقع لا محالة ام على سبيل الاخافة ومجادلته ابرهيم الرسل انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ابرهيم
عليه السلام ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قال الرسل لا قال ابرهيم واربعون قالوا لا حتى وثلثون
وقالوا لا حتى بلغ عشرة قال وخمسة قالوا لا قال ابرهيم ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال ابرهيم عليه السلام
عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين قيل كان في قرى قوم لوط اربعة الاف

الف انسان

[illegible]

العرب كقولنا للناس الله اكبر فعل كذا لا ان الله احدا حتى يكون اكبر منه نزل عليه ما دعوا ابا سفيان الى الاسلام فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه قل الله اعلى واجل فقيل لم يكن قط هنالك فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تهينوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء في ضيفي في شأنهم فانه اذا خزي ضيف الرجل
او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل
والكف عن السوء وقيل مؤمن صالح سديد وقيل آمر بالمعروف ناه عن المنكر وقيل رجل يقول لا اله الا الله وكلمة من في الاية معنى
ما النفي والاستفهام للانكار [illegible]
استياضة مما امروا عليه طمعا فانه ان يستحي امنه ويرق له اذا سمع ذلك فيتركوا له ضيفه [illegible] الامر واستعمال العلم
[illegible] قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق [illegible]
وما هو الا مرضى [illegible] وقيل من حق من حاجة وشهوة وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم
انه الحق وان نكاح الاناث [illegible] كالباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق وشهوة قط لان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا
الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوا على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد اتيان الذكور وما لنا فيه من الشهوة
فقال لهم عند ذلك لو ان لي بكم قوة منعة وشيعة ينصرونني او آوي الى ركن شديد انضم الى عشيرة ومنعة وجانب يحميني
اي لو انا قويت بنفسي او اويت الى قوي استند اليه ويمنعني منكم شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته
[illegible] قالت الملائكة [illegible] عليك ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان
ياوي الى ركن شديد يريد نفسه [illegible] وقيل جواب لو محذوف [illegible] ما انتم عليه والله لاجبتكم وعن ابن عباس فابى لوط
بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت الملائكة
ما لقي لوط من المشقة والنصب بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك [illegible] الا انا مهلكوهم وقيل
لن يصلوا اليك والى ضيفك بمكروه فهون عليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل عليه السلام

في عقوبتهم باذن الله فقام في الصورة التي تكون فيها فنشر جناحا له عليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب
بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم
فانصرفوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن
يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب قرا نافع وابن كثير فاسر موصولة والباقون بقطع الالف وهما لغتان
والسرى سير الليل يقال سرى يسري اذا سار بالليل واسرى يسري مثله بقطع من الليل ببعضه وهو
مثل القطعة يريد اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح عن ابن عباس بقطع من الليل هو اخر الليل
وعن قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل فان في ذلك الوقت يقطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد نهى
من جهة من الالتفات فلا يتخلف منكم احد وقيل لا ينظر احد وراءه وقيل لا يلتفت الى ماله هناك اي لا يبالي به
الا امراتك قرا ابن كثير وابو عمرو امراتك بالرفع والباقون بالنصب قال الزجاج من قرا بالنصب فعلى معنى فاسر
باهلك الا امراتك فيكون استثناء من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله بن مسعود فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امراتك قال صاحب الكشاف ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل
اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم
احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها
فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين قال ابن الحاجب هذا التفصيل باطل لحمل القراءة
بالرفع محمولة على البدل من قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وقراءة النصب محمولة على الاستثناء الموجب من قوله فاسر
باهلك فان القراءتين ثابتتان قطعا فيمتنع حملهما على وجهين احدهما باطل قطعا والقصة واحدة فاما ان يكون سرى
بها او ما سرى فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله فلا يلتفت منكم احد وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من
قوله ولا يلتفت منكم احد وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله فاسر باهلك فقد ثبت ان احد التاويلين باطل
قطعا ولا يصار اليه فاحدى القراءتين قطعا والاولى ان يكون الا امراتك في الرفع والنصب مثل قوله ما فعلوه
الا قليل منهم ولا يبعد ان يكون اقل القراءة على الوجه الاقوى واكثرهم على الوجه الذي دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز
ان يجيء القراءة على قراءة غير الاقوى ولقائل ان يقول لو قال ابن الحاجب فان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله فاسر باهلك
غير لازم لجواز ان يكون لوط ما سرى بها وهي سرت بنفسها روي عن قتادة رضي الله عنه انه قال ذكر لنا انها كانت مع لوط
حين خرج من القرية فلما سمعت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها ويمكن ان يكون اختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين فعليها قطعا ان القراءة ليست بتابعة للرواية ولا يلزم التسوية كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا ريب
فيه انه ان الامر مصيبها من العذاب ما اصابهم من العذاب غير مخطئها ولا مخطئهم قال لوط للرسل متى موعد هلاكهم
قالوا الصبح فقال لوط اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب قوله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
عذابنا وقيل امرنا بالاهلاك اي قيل له كن وقيل امرنا الملائكة اي امرنا به الملائكة بعذابهم جعلنا عاليها
اي عالي قرى قوم لوط وهي المؤتفكات سافلها عن ابن عباس رضي الله عنه امر جبريل لوطا بالخروج فقال اخرج واخرج من
ويرك فقال الكيف لي بذلك وقد اغلقت ابواب المدينة فبسط جناحه فحمله وبنتيه وما لهم من شيء فاخرجهم من
المدينة فسال جبريل ربه فقال يا رب تول هلاكهم فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان تول هلاكهم
فلما ان بدا الصبح عدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه ورفعها حتى سمع اهل السماء اصوات دجاجهم وصياح الديكة ونباح
الكلب ثم جعل عاليها سافلها وامطرنا على القرى وقيل على الامة وقيل على شذاذها ومسافريها حجارة اي جعل الله
بدل الحجارة والمعنى اتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل عن ابن عباس رضي الله عنه فارسي معرب من سنك وكل
حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين يدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل من سجيل
اسم لسماء الدنيا فالمعنى حجارة من السماء الدنيا وقيل الشديد من الحجارة الصلب وقيل من مثل السجل في الارسال
وان السجيل الدلو وقيل من اسجلته اعطيته اي مثل العطية في الادرار منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب
وقيل نضد بعضه على بعض لانه طين جمع فجعل حجارة وقيل يرسل بعضه في اثر بعض حين امطرت كالمطر قطرة بعد
قطرة مسومة معلمة للعذاب من السومة وهي العلامة عن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل بسيما تعلم بها انها ليست
من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من رمي به وقيل انها مختومة فالحجر ابيض وفيه نقطة سوداء او اسود
وفيه نقطة بيضاء عند ربك اي جاءت من عند ربك مسومة وقيل معناه هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله
ايذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه وقيل في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها الا باذنه وما هي من الظالمين
قيل من كفار قريش يرهبهم الله بها وقيل انها لكل ظالم وقيل انهم قوم لوط اي من قوم لوط ببعيد لم تكن تخطئهم وقيل
الضمير للقرى اي هي قرى قوم لوط قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويحتمل ان يراد وما هي بمكان
بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هويت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه
قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم

بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اي وارسلنا شعيبا الى بني مدين
ابن ابراهيم وقيل الى ساكني مدين ومدين لا ينصرف لانه اسم اعجمي وهو اسم القبيلة او سميت البلدة باسمه ولا تنقصوا المكيال
الكيل بالمكيال والموزون بالميزان اي لا تبخسوا الناس حقوقهم كانوا مع كفرهم مطففين والكيل تعديل الشيء بالمكيال
في القلة والكثرة والميزان آلة الوزن تعديل الشيء في الخفة والثقل اني اراكم بخير بنعمة وخصب وثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف وقيل اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون وقيل اراكم بخير فلا تزيلوا عنكم ما انتم
عليه واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو وقيل هو غلاء السعر وقيل
الاستيصال في الدنيا والعذاب الاخرة ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف
العذاب بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اوفوا تمام الكيل لا ايفاء ايمانه بالعدل ولا تبخسوا ولا تنقصوا البخس الهضم
والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرء بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء
يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك
وكل اسم قال صاحب الكشاف نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا
على الناهي وتعييرا له ثم امروا بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به
مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما وراء
العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه
قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد ولا تعثوا في الارض مفسدين العثو في الارض اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان
يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما ابقى لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن فالتنزه عما هو
حرام عليكم من البخس والتطفيف خير لكم من التطفيف ان كنتم مؤمنين او بشرط ان تؤمنوا لان الله سبحانه وتعالى يجعل فيه
البركة وقيل طاعة الله لانها تبقى وقيل فرائض الله وقيل رزق الله وقيل رحمة الله من قوله وما عند الله خير وابقى وقيل
وصية الله قال صاحب الكشاف فان خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان
فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها
مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم
للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى
عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث انها
رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا وما انا عليكم بحفيظ الحفيظ عليكم
فاحفظوها بترك المعصية وقيل يحفظكم من البخس وقيل وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت
منبها على الخير والصلاح وقد اعذرت حين انذرت وانما قال هذا لان شعيبا لم يؤمر بالقتال قوله تعالى قالوا يا شعيب
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون صلواتك على الجمع امرهم شعيب بالتوحيد ونهاهم عن البخس فهم انكروا عليه
بهما فقوله ان نترك ما يعبد اباؤنا اشارة الى انه عليه السلام امرهم بالتوحيد وقوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء اشارة الى
انه نهاهم عن البخس عن ابن عباس رضي الله عنه كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا
فقصدوا بقولهم اصلاتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وانه يجوز ان يكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية
في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم
ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة امرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة
الاصنام باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل وانما دعاك اليه امر وطلبه فلم يبق الا ان تامر به امر هذيان
ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم ان الصلاة من باب الجنون ومما يتولع به المجانين
والموسوسون من بعض الاقوال والافعال والمعنى تامرك ان نترك تكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف
الذي هو التكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء عطف على ما اي ان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وليس بعطف على ان نترك لان ما نهاهم عنه وهو
لاجله قطع الدنانير والدراهم ولذلك قال او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقيل وفي الاية تغلب الولوع وقيل هو كقولك
تركيب الغل والغش في مرة هذا ومرة ذاك انك لانت الحليم الرشيد ارادوا به نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا
ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل هو على الصحة اي انك يا شعيب فينا
حليم رشيد فلا يحمل بك شق عصا قومك ولا مخالفة دينهم كما قال قوم صالح يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
قوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه

إن ربي رحيم ودود حكى الله عن شعيب ما ذكر في الجواب عن كلماتهم على بينة بيان وبرهان من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا من لدنه وهو ما قيل من البيان رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف وقيل رزقا حسنا علما ومعرفة
ونبوة وحكمة وجواب الشرط محذوف تقديره أتكرهون ذلك وقيل تقديره أفأعدل عنها وأتبع الضلال وأما
لأنا نثبت في القصتين أي قصة نوح ولوط دلالة على مكانه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين
من ربي وكنت على الحقيقة نبيا أيصح أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي التي أنتم عليها والأنبياء
لا يبعثون إلا كذلك وما أريد أن أخالفكم يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى
عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب
عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم والحاصل أنه تعليل لا أنهاكم عن شيء ثم آتيه وقيل معناه لا أحمل فعلي خلاف
لقولي إن أريد إلا الإصلاح أمركم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي
للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه وقيل بعيد أن يكون على
تقدير حذف المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو مفعولا له كقوله ضعيف النكاية أعداءه أي ما
أريد الإصلاح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم ثم أكد صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام بقوله وما توفيقي لدعائكم
إلى الإسلام وعبادة الله وترك التطفيف إلا بالله أي لا أكون أفعالي موافقة للصواب إلا بمعونة الله عليه توكلت استعنت
ووثقت به لأنه يرجع في السراء والضراء والمعاد فقوله وما توفيقي إلا بالله يفيد الحصر وعليه توكلت يفيد الحصر
أيضا من هذا أن اعتماده وتفيد كل الأعمال الصالحة على توفيق الله وهدايته وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتوكل على
أحد إلا على الله وهذا أعظم مراتب المبدأ وإليه أنيب لأنه لا مآب للخلق إلا إلى الله وهذا إشارة إلى معرفة المعاد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر شعيبا عليه السلام قال هو خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه ويا قوم لا يجرمنكم جرم مثل
كسب في تعديته إلى مفعول واحد وإلى مفعولين تقول جرمته ذنبا وكسبته إياه قال جرمت فزارة
بعدها أن يغضبوا ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقي خلافي وعداوتي أن يصيبكم
إصابة العذاب مثل ما أصاب قوم نوح الغرق أو قوم هود الريح أو قوم صالح الرجفة قرأ ابن كثير
بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جانيا له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه
المال من كسب فلا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه
والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته
والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء أكثر وهو أدور بينهم وما قوم لوط منكم
ببعيد أي أهلكوا في عهد قريب من عهدكم وقيل وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وقيل وما قوم لوط منكم ببعيد في الكفر
والمساوي واستحقاق الهلاك ويجوز أن يراد وما إهلاك قوم لوط أو وما هو بشيء بعيد أو زمان أو مكان بعيد
ويجوز أن يستوي في مكان بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الشهيق
والصهيل ونحوها واستغفروا ربكم من عبادة الأوثان ومن البخس والتطفيف وسائر المعاصي ثم توبوا إليه وتوبوا على التوبة
إن ربي رحيم بالمحسنين المستغفرين التائبين ودود عظيم الرحمة للمستغفرين التائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ الود
بمن يوده من الإحسان والإجمال قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا
ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز لما بالغ شعيب في النصح وتقرير الأدلة وبيانها أجابه قومه بكلمات فاسدة
ما نفقه ما نفهم ولا نعقل كثيرا مما تقول لأنهم لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة
أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة
به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف
لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كانوا لا يفهمون وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع
منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي الأعمى ضعيفا كما يسمى ضريرا وهذا
القول ضعيف لأنه ترك للظاهر من غير دليل ولأن فينا يمنع هذا القول لأنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن
مستقيما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك حملوا قومه بحيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل
إلى السبعة ولولا رهطك عشيرتك وكانوا في عزة ومنعة وإنما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا
على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وهو القتل برجم الحجارة وما أنت علينا بعزيز أي أنت لا تعز
علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل أي كون التردد في الفاعل
لا في الفعل وذلك بأن يكون هنا شيء يفعل بعلم به لكنه يخطئ في فاعله أو في تفصيل فاعله وأنت تقصد تقرير
إلى الفعل وهذا يقتضي أن يكون أصل الكلام ما عززت علينا تقديم للاختصاص وإنما الترجيح لتقديم الأمر ما ينفي
الحال على أن الاختصاص الزماني والقياس أن يكون مدخولها أفعالا وشبهه وحيث وجد الاسم لا اسما الفعل
فتدل حالا أن التقديم للاهتمام والاختصاص كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعز علينا ولذلك قال

في جوابهم أرهطي أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب لأن الكلام حينئذ في عزيزه فقط
فالجواب المطابق لم أكن عزيزا بما شرفني الله من رسالته أهديكم إلى سبيل الرشاد وأخلصكم من ورطة الضلالات
فإذا لا مدخل للقوم فيه ولا وجه لقوله أرهطي أعز عليكم من الله قوله تعالى قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ● إن القوم زعموا أنهم لم يرجموه لأجل العزة عليهم ولكن لعزة رهطه فقال
شعيب يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله وهذا إنكار أي حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي فإن قيل الكلام واقع
في شعيب وفي رهطه وأن القوم نفوا العزة عن شعيب وأثبتوها لرهطه فكيف يصح قوله أرهطي أعز عليكم من الله
أي علم ذكر الله شعيب وأي دخل له الذي يقتضي لشركته في العزة المنفية أجيب بأن تهاونهم بشعيب وهو نبي الله
تهاون بالله سبحانه حين عز عليهم رهطه دونه كأنه رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله
واتخذتموه أي الله وقيل واتخذتم أمره وراءكم ظهريا منسيا متروكا أي نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ خلف الظهر
لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى أمس إمسي إن ربي بما تعملون
محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم يجوز أن يكون مكانتكم بمعنى المكان يقال
مكان ومكانة ومقام ومقامة وأن يكون المعنى اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك وعبادة الأوثان و
الشنآن لي وأن يكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل على
حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله
كأنه سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وإدخال الفاء في سوف وصف ظاهر بحرف موضوع للوصل
ونزع الفاء من سوف وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن
على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء
العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا انتظروا العاقبة
وما أقول لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب
كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وقيل انتظروا هلاكي إني معكم رقيب لهلاككم
وقيل انتظروا العذاب إني معكم منتظر لكم عاقبة العاملين منه ومنهم فكأنما القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن
هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إليهم ومن هو صادق إليه لكنهم لما كانوا يدعون شعيبا كاذبا قال ومن هو
كاذب أي في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة
منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود جاثمين
لازمين لمكانهم لا يبرحون كاللابد يعني أن جبريل صلوات الله عليه صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو
قعصا قال صاحب الكشاف فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بعد ذكر
الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب بمجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم يقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع
على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى
الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله تعالى كما بعدت ثمود قال صاحب الكشاف وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى
في القراءتين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا
بين ضمان في الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد وقيل معناه بعدهم
من رحمة الله تعالى كما بعدت ثمود منها قوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه
فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود بآياتنا وسلطان مبين قيل يريد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين
لموسى على صدق نبوته وقيل يريد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها إلى فرعون وملائه فاتبعوا الملأ أمر فرعون و
خالفوا أمر موسى وما أمر فرعون برشيد بسديد وقيل ذي صلاح وصلاح وقيل الرشيد بمعنى المرشد وهذا تجهيل
للملأ الذين اتبعوا حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى
الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من كل شيطان مارد ومثله بمعزل عن الإلهية
ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد إنما هو في صريح وضلال
مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين
في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه
أي يتقدمهم ويقودهم إلى النار يوم القيامة أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه
وقيل يتبعونه وما أمر فرعون برشيد بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك أيضا
أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويستخف
قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وإنما قال فأوردهم بلفظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه

قيل يتقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد الجدود والمورود الذي ورد دون شبيه بالفارط الذي يتقدم
الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس
الرفد المرفود تعني هم وبئس العون المعان لان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة
وقيل بئس العطا المعطى قوله تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب
ذلك النبا بعض انباء القرى نقصه عليك ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نقصه خبر بعد خبر اي ذلك النبا
بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من القرى اي بعض القرى قائم باق عامر وبعضها حصيد خراب تداعت
والحصد قطع الشيء من اصله والحصيد المحصود وقيل قائم بناؤها خال عن اهلها وحصيد مطموس العين والاثر و
يحتمل ان يراد بالقرى قرى من تقدم ذكرهم وان القائم منها ديار قوم هود وصالح وموسى عليهم السلام والحصيد ديار قوم
نوح ولوط وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بالكفر و
عبادة الاوثان فما اغنت عنهم ما نفعتهم ولا دفعت عنهم آلهتهم التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية من دون الله
من شيء في محل النصب بما اغنت لما جاء امر ربك عذابه وما زادوهم غير تتبيب تخسير وتدمير يقال تب اذا خسر وتببه غيره
اوقعه في الخسران قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ● محل الكاف
الرفع وهو مبتدأ خبره اخذ ربك اي ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اهلها وهي ظالمة الضمير للقرى
اي اهلها كانوا ظالمين ان اخذه اليم مؤلم شديد صعب على الماخوذ من انه عذابه ليس بمقصور على من تقدم بل الحال شامل
كل ظالم كذلك وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره
او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيعاقب بها فيبادر بالتوبة ولا يغتر بالامهال
ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود ان في ذلك
الذي نزل بالامم المهلكة من انواع العذاب لآية لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة اي لمن اعتقد وجود عذاب الآخرة
وصحته لانه ينظر الى ما نزل بالكفرة في الدنيا وما هو الا امر يسير في جنب ما اوعدهم في الآخرة فاذا راى عظمته وشدته
اعتبر بعظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى وقيل لآية علامة ان الله ينجز وعده للمؤمنين وقيل للانبياء ان ينصرهم ذلك يعني يوم القيمة يدل
عليه ان الله ينجز وعده للمؤمنين وقيل للانبياء ان ينصرهم ذلك يعني يوم القيمة يدل عليه عذاب الآخرة يوم مجموع له
الناس والناس مرفوع بمجموع كما يرفع بيجمع اذا قيل يجمع له الناس اي يوم يحشر فيه الناس وليس يوم يهين الصفة
الا ليوم القيمة وانما اوثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من
ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس فيه وانه الموصوف بذلك الصفة لازمة وهو ايضا ابلغ لاسناد الجمع الى الناس
وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس
في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يجمعكم تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من
الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود اي يشهد اهل السموات والارض وهو يوم القيمة فاتسع بجرف الظرف
باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او المراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان
مجلس مشهود وطعام محضور قال الشاعر في محفل من نواصي الناس مشهود وانما جعل الناس مشهودا فيه
ولم يجعل مشهودا في نفسه كما قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم
وتميزه من بين الايام فان جعل مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها فجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز
كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام
الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا
به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في الوطن
في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم دون
المسافر وما نؤخره اي اليوم المذكور وقيل الجزاء الا لاجل الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف قوله
تعالى يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ● قرا ابن عامر وعاصم وحمزة باثبات حذف الياء
والباقون بالياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل قيل فاعل يأتي بالجزاء كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي
ربك وجاء امر ربك وقيل الفاعل ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الساعة وحينئذ يكون المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم نفس بشفاعة او وسيلة الا باذنه كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ويوم ظرف منصوب باضمار
اذكر وقيل بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي وذلك اليوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها
يجادلون عن انفسهم وفي بعضها لا ينطقون لا يؤذن لهم فيعتذرون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم

الا الله اي يوم يأتي الله م

لا تكلم

يختم م

وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون فهي الذي جمعوا في ذلك اليوم وقيل فمن اهل الموقف لم يذكر لان ذلك معلوم ولان
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي كتبت عليه الشقاوة فيدخل النار وسعيد
كتبت عليه السعادة فيدخل الجنة وقيل شقي معذب وسعيد منعم وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا ينافي ثبوت قسم
ثالث عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلى ماذا نعمل
على شيء قد فرغ منه فقال على امر جرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير هو اخراج النفس
وشهيق رده عن ابن عباس رضي الله عنه الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن الضحاك ومقاتل الزفير
اول نهيق الحمار والشهيق آخره حين يفرغ من صوته اذا رده في جوفه وعن ابي العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر خالدين
فيها لابثين مقيمين فيها حال مقدرة كقوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا والعامل فيه معنى الاستقرار في قوله
ففي النار ما دامت السموات والارض اي مدة دوام السموات والارض واريد بالدوام وقت الدوام وقيل الخلود بالدوام لانه
لا يقتضي خلودا لا نهاية له فهذه لفظة وضعت للدوام ولها امثال [illegible] احدهما ان السموات
والارض فانيتان وان بقاء اهل النار يتصف بالدوام فكيف علق ما يبقى بما يفنى والثاني [illegible] يتصل الاستثناء اما السؤال الاول
فالجواب عنه من وجوه منها ان اراد بقوله ما دامت السموات والارض التابيد وعدم الانتهاء ونفي الانقطاع والعرب تعلق
التابيد يقولون هو باق ما اقام ثبير وما لاح كوكب وفي المثل لا افعل ذلك ما حنت النيب وما اطت الابل وابيع الثمر واورق الشجر وما بل بحر صوفة او ما
اختلف الليل والنهار وما دامت السموات والارض واشباه هذا كثير ظنا منهم ان هذه الاشياء دائمة غير متغيرة فخاطبهم الله
بما يستعملون في كلامهم ومنها انها سموات الجنة والنار وارضهما وهي دائمة مخلوقة للابد ومنها انهما تعادان اذا اعيدتا بعدما
فنيتا يقويه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا وعن الحسن اراد ما دامت الآخرة كدوام السماء والارض في الدنيا
قدر مدة بقائهما وعن الحسن وابن عباس ما دامت السموات والارض من ابتداء كونهما الى وقت فنائهما ومنها ما دامت سماء سماوات
وارض ولا شيء لا يفارقهما فيدوا تهما بقيتا او فنيتا واما السؤال الثاني فالجواب عنه من وجوه منها ان الاستثناء المذكور في حق
اهل النار في الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة قاله ابن عباس والضحاك [illegible] انه استثناء لا يفعله الا الله كقولك والله
لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزيمتك على ضربه ومنها ان الاستثناء منصرف الى السموات والارض والخلود لحاله اي الا
ان يشاء الله في السموات والارض ما يشاء ومنها الا ما شاء الله من زيادة الدوام على دوام السموات ومنها ان المعنى خالدين
فيها ابدا غير انا نستثني حالة [illegible] ثم نجدد خلقهم فرجع الاستثناء الى الحالة واما الذين سعدوا
ومنها انما يعني من هم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة ويبقى الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم
اياها بكونهم في النار اياما [illegible] سعادة من يدخل النار [illegible] لا سعادة من لا تمسه النار ومنها
الا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان اللذان تقدما [illegible] لان المعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والارض
سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة ومنها ان هذا الاطلاق يوجب ان يكونوا في حال الاحياء في الجنة او في النار فاستثنى منه مدة لبثهم
في الدنيا والبرزخ وقيل انهم ما حشروا [illegible] فالاستثناء وقع في الخلود بمقدار موقفهم للحساب [illegible]
[illegible]

فهم م

فالمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا مقدار موقفهم للحساب م

البقرة الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي تشتمل على جنات كثيرة وهي على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام ومما
تلاذ الذوق السليم والطبع المستقيم اباه ان يقال ان المعنى سعدوا في الجنة خالدين فيها الا ان ينقلوا الى رضوان الله
ورضوان الله كائن في الجنة عن البخاري ومسلم والترمذي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول الله عز وجل هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول عز وجل ان لكم عندي ما هو اعظم من ذلك فيقولون ولعل [illegible] واي
شيء اعظم من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا هذا وقوله الاستثناء الثاني على تكذيبهم يعني
كما لا يوجب خروج اهل الجنة عن الجنة كذلك الاولى يرده تبديل كل شيء من الاثنين بما يخالف الآخر فان اختلفا فيما يدل
على اختلافهما الحكمين فان قوله تعالى فعال لما يريد لما عسى ان يقول المعتزلي في افعال الله بالحسن والقبح والثواب
والعقاب واجاب ربه بليغا بحيث جيء به مقصدا بان يقوي كل وجه يقوي الحكم وبنا فعال المبالغة وتعضيده للتنبيه
لما رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وللنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي لكل واحدة منكما ملؤها ثم ان قوله
عطاء غير مجذوذ يدل على ان هذا الاستثناء ليس على طريقة الاولى لانه اسم مصدر ربوي كمضمون الجملة فلو جعل
الاستثناء من الخلود في نعيم الجنة لخرج من ان يكون مؤكدا وجاز ان يجعل الاستثناء من اسلوب قوله لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى يعني ان انقضاء مدة بقائهم فيها محال فيخلدون فيها ابدا الا ما شاء ربك معناه هو كذا الا ان يشاء
ان يخرجهم منها كما يقول انا افعل كذا وكذا الا ان اشاء غيره انه يقيم على ذلك الفعل وانت قادر على غيره والفائدة
ان فيه انه تعالى لو شاء ان يخرجهم لقدر ولكنه قد اعلمنا انهم خالدون ابدا ما ذهب اليه من مذاهب اهل اللغة وصرح صاحب
الكشاف في الكهف في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ان الاستثناء بمعنى التأبيد واما قوله تولد
ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فليس من تلقاء انفسهم لانهم يرفعون حديث الخروج الى
الصدوق صلوات الله عليه روى البخاري ومسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار
قوم بالشفاعة كانهم الثعارير قيل الثعارير بالثاء المثلثة والعين المهملة صغار القثاء وروى البخاري والترمذي عن عمران
بن الحصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون
الجهنميين والاحاديث في هذا الباب بلغت مبلغ التواتر فصحة لكن الحديث الذي رواه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ونسبه الى اهل السنة فهم بريئون منه فقد صرح ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ورواه عن ابي امامة قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم احد تصفق ابوابها كانها ابواب الموحدين واما القول بالاستثناء
بالنقل من النار الى الزمهرير فما جاء فيه نقل يعتمد عليه ولعل قوله ما كان لابن عمرو في تسفيه ما يشغله عن تفسير هذا
الحديث تعنيه والعياذ بالله طعن فيمن هو من اكابر الصحابة ومن العلماء المشاهير المتقين منهم ومن العاملين فيهم
من وجهين احدهما انه عمد الى وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اجتهاد في تسفيه وثانيهما
انه قاتل عليا رضي الله عنه بسيفه لشانه وحياشيه هذا واشد جسارة عظيمة لا يعتد عليها من يتق الله قال ابن عبد البر
في الاستيعاب انه كان فاضلا حافظا عالما وكان يسرد الصوم ولا ينام الليل وحديث مراجعته مع النبي صلى الله عليه وسلم في
صيام وختم القرآن [illegible] وقال انه اعتدل من شهود صفين واقسم انه لم يرم فيها بسهم [illegible]

[illegible]

قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص

[illegible]

قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير

[illegible]

مع كل الانبيا

قال ان الله عز وجل

٢ بي نسخه

كما اختلف في القرآن فآمن به قوم وكفر به قوم

مع كل الانبياء عليهم السلام [illegible] ولولا كلمة سبقت من ربك [illegible]

[illegible]

قرئ لما بالتشديد كقوله كلا لما والمعنى وان كلا لملمومين مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم
اجمعون ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته من الكذبين ومن أخرت ومن صدق الرسل ومن كذب فحالهم سواء في انه تعالى يوفيهم
جزاء اعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد فان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم انه
بما يعملون خبير توكيد للوعد والوعيد قوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون
بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون ● انه تعالى لما بالغ في
شرح الوعد والوعيد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت قال الامام هذه الكلمة جامعة في كل
ما يتعلق بالعقائد والاعمال سواء كان مختصا او متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرائع ولا شك ان البقاء على الاستقامة
الحقيقية مشكل جدا فان معرفة الله بحصول هذه المعرفة يبقى العقل مصونا في طرفي الاثبات عن التشبيه وفي
النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك وايضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية
حصل لكل واحد منهما طرفا افراط وتفريط وهما مذمومان والفاضل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل الى احد الجانبين
والوقوف عليه صعب ثم العمل به اصعب فلما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية اشد ولا اشق من هذه الآية فلهذا قال شيبتني هود وقال لاصحابه حين قالوا
لقد اسرع اليك الشيب شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك
انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم
استقم استقامة من الاستقامة التي امرتها على جادة الحق غير عادل عنها وقيل فاستقم كما امرت اي كما امرت في
تبليغ الرسالة والدعاء الى الايمان بالله قالت عائشة في جماعة استقم على القرآن من كسب الخطاب للرسول
والمراد به الامة ومن تاب معك معطوف على المستتر في فاستقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
فاستقم وليستقم من تاب من الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تجاوزوا امر الله ولا تخرجوا عن حدوده انه بما تعملون بصير
فيجازيكم ولا تركنوا ولا تميلوا الى الذين ظلموا الركون هو الميل اليسير والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم
وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيمهم
والركون هو الميل اليسير الى الذين وجد منهم الظلم فتمسكم النار اي ان ركنتم اليهم تمسكم هذه عاقبته وما لكم
من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال التي ليس لكم اولياء يخلصونكم من عذاب الله
لا يقدر على منعكم من عذاب الله غيره ثم لا تنصرون لا يخلصون من ينصركم من تلك الواقعة وثم معناه الاستبعاد اي نصركم
من عذاب الله مستبعد قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ● لما امره بالاستقامة اردفه بالامر بالصلوة وذلك
يدل على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلوة عن ابن مسعود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني لقيت
امرأة في البستان فقبلتها وضممتها الي وباشرتها وفعلت بها كل شيء غير اني لم اجامعها فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله الآية فدعا الرجل فقرأها عليه فقال له عمر اهي له خاصة ام للناس كافة فقال بل للناس كافة وفي
رواية اخرى عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له فنزلت هذه الآية
فقال الرجل الي هذه الآية فقال لمن عمل بها من امتي وعن معاذ بن جبل كنت قاعدا عند رسول الله فجاءه رجل فقال يا رسول
ما تقول في رجل اصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته الا اصابه منها غير انه لم يجامعها فقال له النبي

والتهمة

على وجه

لعنا م

ظلموا الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين
وحكي عن بعض الصالحين انه صلى خلف الامام
فقرا بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له هذا
فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم

صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءا حسنا ثم قم فصل فأنزل الله هذه الآية فقال معاذ أهي له خاصة أم للمسلمين عامة
فقال بل هي للمسلمين عامة لا خلاف في أن المراد بالصلاة المفروضة وكذا الأوقات التي المراد بطرفي النهار وزلفا من الليل
قيل طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل ساعات من الليل وهي ساعات القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه
وأزلف إليه وصلاة الغداة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
قاله مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ورفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال في المغرب والعشاء هما زلفا الليل وقيل الطرف
الأول الصبح والثاني العصر قاله الحسن وقتادة والضحاك والزلف المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الآية
على هذا القول بل هي في غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس والحسن أيضا والزلف العشاء وليست الظهر
والعصر في هذه الآية وقيل الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح كأن هذا القائل راعى جهرة القراءة
والأول أظهر هذه الأقوال وترجح أن الطرفين الصبح والمغرب وإنه ظاهر إلا أن عموم الصلوات الخمس بالآية أولى وانتصاب طرفي
النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف الليل وأوله وآخره بنصب هذا كله
على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ونحوه وأطراف النهار إن الحسنات أي الطاعات يذهبن السيئات أي الصغائر
وفي الحديث أن الصلوة إلى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وأكثر المفسرين على أن الصلوات يذهبن الخطايا
وفيه حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه توضأ
وقال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر
ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم
إن قام وتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات والسيئات هي الصغائر من الله
قاله المفسرون وعن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أوصني قال اتق الله حيث ما كنت قال قلت زدني قال أتبع السيئة
الحسنة تمحها قلت زدني قال خالق الناس بخلق حسن وقيل الحسنات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر قيل هذا كله إنما هو على جهة المثال في الحسنات ومن أجل أن الصلوات الخمس هي أعظم الأعمال والظاهر أن لفظ
الآية عام في الحسنات مقيد بقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتنبت الكبائر ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله فاستقم وما بعده
وقيل إلى القرآن وقيل إلى إقام الصلوة وقيل إلى الإخبار بأن الحسنات يذهبن السيئات ذكرى للذاكرين وقيل التوبة وقيل موعظة
للذاكرين وقيل الذين شأنهم أن ينتبهوا وقيل للمريدين التوبة وقيل للمتعظين خاصة ثم كرر الأمر بالصبر والتذكير به
بعد ما جاء بما هو خاتم للتذكير بهذا الذكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر كأنه قال وعليك بما هو أهم
مما ذكرت به وألحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به وقيل واصبر
على ما تلقى من الأذى وقيل على الصلوة نظيره قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فإن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين
يعبدون الله كأنهم يرونه فإن لم يروه فإنه يراهم وقيل هم المصلون وقيل المخلصون وقيل المحسنون في أعمالهم وقيل جاء بما
يشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات على
وجه الإخلاص قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا
منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝ لما بين أن الأمم السالفة نزل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب
فيه أمران الأول أنهم ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض فقال فلولا فهلا للتحضيض لكن يقترن بها هنا
معنى التعجيب والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم الذين لم يهتدوا كأن من القرون الذين أهلكهم
من قبلكم أولو بقية فضل وعقل ودين وخير وسمي هؤلاء أولو بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار
مثلا في الجودة في الفضل وقيل لا بالشرائع والعدل ونحوها فيها فاقوا [illegible] لأن التضعيف من ثبت في وقت الضعف
فهو بقية الصدر الأول وقيل أولو بقية أصحاب جماعة تبقى من نسلهم وقيل من يبقى على نفسه وقومه من عذاب الله
ويجوز أن يكون البقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه
ينهون عن الفساد أي لم يكن منهم من هذه صفته لما نزل بهم العذاب إلا قليلا استثناء للتبعيض لأن النجاة إنما هي
للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا قال صاحب الكشاف فإن قلت
هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا
لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد إلا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ القرآن قومك إلا
الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم
فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء
وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا أي كانوا ذوي النهي عن الفساد في الأرض لم يهتموا بما هو من عظم
من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف
من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم من ترفهم ما أترفوا
أنعموا فيه وقيل نظروا فيه أمر الدنيا وآثروها على الآخرة ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء
إترافهم وهذا معنى قوي ويتقوى لا محالة قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر كأن معنى قوله واتبع الذين ظلموا
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو

[illegible]

مشيئة تعلقت بهداية البعض وضلالة البعض إلا من رحم ربك فهداهم إلى الإيمان وهم المؤمنون وأهل الحق ولذلك
خلقهم ولأجل ما هم عليه خلقهم فريق رحمهم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف فقيل إنه يرجع إلى الشقاوة والسعادة
لأجل اختلافهم مؤد بهم إلى الشقاوة والسعادة قاله ابن عباس واختاره الزجاج وعن ابن جريج أن اللام في قوله ولذلك بمعنى على
إشارة إلى الاختلاف ونحوه عن الحسن وقيل يرجع إلى الرحمة وقيل إلى الاختلاف والرحمة خلقهم عن الحسن خلق هؤلاء
لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه وتمت كلمة ربك وقيل هي لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين وقيل يمينه وهي لأملأن جهنم من الجنة والناس أي منهما لا من أحدهما وليس ذلك للإحاطة وقيل من
الجنة والناس أجمعين يكون للإحاطة قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ۝ التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ نقصه عليك من أنباء
الرسل بأن لكل ما نثبت به فؤادك بدل من كلا وقيل المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص
نقص عليك أي على الأساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة
قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم وجاءك في هذه الحق في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها
ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا
إنا منتظرون ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون
لما بلغ الغاية في الإنذار والإعذار والترغيب والترهيب أتبع ذلك بأن قال للرسول وقل للذين لا يؤمنون ولم يؤثر
فيهم هذه البيانات البالغة اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها إنا عاملون ما نحن عليه وانتظروا بنا الدوائر
وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان وقيل انتظروا ما يحل بنا من رحمة الله إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من
النقم النازلة بأشباهكم وقيل إنا منتظرون ما يعدنا ربنا إن الله تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب
الشريفة المقدسة فقال ولله غيب السموات والأرض أي يعلم ما غاب عن العباد فيهما لا تخفى عليه خافية مما يجري
بينهما فلا تخفى عليه أعمالكم وإليه يرجع الأمر كله قرأ نافع وحفص عن عاصم يرجع بضم الياء والباقون وأبو بكر
عن عاصم بفتح الياء والمعنى أن كل الأمور ترجع إليه في المعاد فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم فاعبده
وتوكل عليه وحده وثق بمعونته كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم تعملون
بالتاء والباقون بالياء من قرأ بالياء فالمعنى وما ربك بغافل عما يعمل المشركون من أهل مكة ومن قرأ بالتاء فالخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وهذا وعيد والمعنى يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

سورة يوسف

وهي مائة وإحدى عشرة آية وألف وستمائة وست وسبعون كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون
حرفا وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف والثانية والخمسون في النزول عن أبي بن كعب علموا أرقاءكم سورة
يوسف فإنما أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لا
يحسد مسلما ونقل أنه لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استروح قيل سبب نزول هذه السورة ما روي عن سعد بن أبي وقاص
أنه أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل
تعالى قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله نحن نقص عليك أحسن
القصص وروي أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلت السورة
وقيل سبب نزولها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف بيوسف وسورة
يوسف لم يتكرر من معناها في القرآن شيء كما تكررت قصص الأنبياء ففيها حجة على من اعترض بأن القرآن تمكنت بترادف القول

وفي تلك القصص حجة على من قال لو كذب لعرفت فضائحها بسم الله الرحمن الرحيم
الر ● تلك آيات الكتاب المبين ● تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب السورة وقيل القرآن اي تلك الآيات
التي انزلنا اليك في هذه السورة آيات القرآن المبين من ابان وهو لازم ومتعد يقال ابان الشيء فهو مبين اي اتضح
وظهر فهو واضح ظاهر فالمبين الواضح الظاهر وابنت الشيء اوضحته واظهرته فالمبين الموضح والمظهر وقيل المبين
الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر وقيل المبين حلاله
وحرامه وقيل المبين رشده وهداه وقيل الواضح الذي لا يشتبه على العرب لنزوله بلسانهم وقيل المبين فيها
ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف وقيل مواعظه ونوره وقيل المبين للحروف التي سقطت من السن الاعاجم
وهي ستة الصاد والضاد والطاء والظاء والعين والحاء وكذلك الثاء والقاف واما الذال المعجمة فلا نجد
ايضا في امثال الكلام العجمية واذا وقع في الحشو والاخر فهو من جملة الاول المعنى تبيين هذه الحروف انه نزل
القرآن عربيا وبلسانكم يا معشر العرب والاولى ان يحمل على جميع هذه المعاني لاطلاقه قوله تعالى انا انزلناه
قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ● اي انزلنا هذا الكتاب الذي فيه هذه المعاني وقصة يوسف في حال كونه قرآنا
عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا باعتبار ان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون طلبا منكم
ان تفقهوا معانيه وقيل ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه وقيل لتكونوا على رجاء من تدبره فمعنى الطلب الارادة يعود
الى الله تعالى ومعنى الرجاء يعود اليهم والطلب موافق لمذهبنا والارادة موافق لمذهب المعتزلة الا انه
يقال الفهم هذه القصة والاحاطة بمعانيها تحتمل لئن يخالف لمذهبنا قوله تعالى نحن نقص عليك
احسن القصص مصدر قولهم قص عليه الخبر قصصا اي نقص عليك احسن الاقتصاص بايحائنا اليك
هذه السورة فان اقتصاصه على ابدع طريقة واعجب اسلوب وكيف لا وهذا الحديث مقتص في كتب الاولين
وكتب التواريخ ولم يوجد اقتصاصه في كتب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن ويجوز ان يراد بالقصص المقصوص
من الاحاديث كيف لا وهو متضمن للعبر والنكت والحكم التي خلت عنها غيره من الكتب فان فيها ذكر حسن محاورة
يوسف حتى تبصر على اذاهم واغضائه عند التقائهم عن ذكر ما تعاطوه وكرمه في العفو عنهم حتى قال لا تثريب
عليكم اليوم وفيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والانس والجن والانعام والطير
وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والعمال والجهال والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها ذكر
التوحيد والنبوة والاعجاز وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش وجميع الفوائد التي تصلح
للدنيا والدين وفيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما واعلم ان كل قصة مذكورة في القرآن يتداخل شيء من غيرها
فيها وهذه القصة من اولها الى آخرها مذكورة من غير تداخل فيها وانقطاع وهذه القصة عقباها الى خير
وسلامة واجتماع شمل مع عفو الله تعالى وتجاوزه عن جميعهم من غير عذاب وعن عون عن سعيد بن جبير
انه قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الى سلمان فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها
حسنا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه
السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا
القرآن بايحائنا اليك وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث والظاهر
انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه واشتقاق القصص من قص
اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ
منه آية بعد آية وان مخففة من الثقيلة واللام هي التي فرق بينها وبين النافية والضمير في من قبله راجع الى القرآن
وقيل الى القصص وقيل الى قوله ما اوحينا والمعنى ان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عن قصة
يوسف ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه قوله تعالى اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ● اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان
الوقت مشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص وهو منصوب باذكر ويوسف اسم عبراني فيكون غير منصرف للعجمة
والتعريف وقيل عربي قيل الاسف لغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فلذلك سمي به ولهذا ليس بصحيح
لانه لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف يا ابت قرأ ابن عامر بفتح التاء في جميع القرآن ووقف بالهاء
وافقه ابن كثير فالوقف بالهاء والباقون بكسر التاء وهذه التاء تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة ومن فتح التاء
اراد يا ابتا فحذف الالف كما حذف الياء فبقيت الفتحة دالة على الالف ومن كسر التاء فالكسرة عنده هي التي كانت قبل
الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء التاء ان يكون ما قبلها مفتوحا واستقباح الكسرة
بالفتحة التي اقتضتها الياء وابقاء التاء ساكنة لان التاء اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما
جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها
فان قيل يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض لان التاء في حكم الياء اذا قلت يا ابتي فلا تجوز
يا ابت اجيب بان الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من الياء وحدها والكسرة غير معوض عنها فلا جمع بين العوض والمعوض

آيات السورة ٢

ومنهم من جعله ذا لام ٢

اراده ٢

بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين القصص ٢

اي نحن نقص عليك احسن ما يقتص ٢

فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص ٢

فتنام

والدليل على انها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف وانما جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة والكلمات التأنيث والاضافة متناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره ساغ تعويض التاء من ياء الاضافة ٢

يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي

بينهما الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف عوضا من الياء كيف جاز الجمع بين الالف وبين
التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض عنه فالكسرة ابعد من ذلك فان قيل دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة
لانها قرينة الياء ولصيقها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالياء المعوضة لغو وجودها كعدمها اجيب بان حال الكسرة مع التاء
كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي اني رأيت احد عشر كوكبا بني على الفتح لتضمن الحرف وكوكبا نصب على التمييز وهو النجم رأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لانه ذكر معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة
ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس روي ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن الكواكب
التي رآها يوسف عليه السلام في المنام ساجدة له ما اسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تؤمن ان اخبرتك باسمائها
قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلوا من السماء
وسجدوا له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وعن ابن عباس رضي الله عنه الشمس والقمر ابواه والكواكب اخوته وعن
السدي الشمس ابوه والقمر خالته لان ام يوسف راحيل كانت قد ماتت قبل ما بلغ يوسف بسنين ... راحيل وحضنته
عمته اخت يعقوب وعن وهب بن منبه كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي
عشرة سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصها على ابيه فقال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا فيفهموا التأويل فيحتالوا في هلاكك لانهم يعرفون تأويلها فيحسدونك وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير
اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون واخر الشمس والقمر ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما
بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليهم لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي
رأيت الكواكب مع الشمس والقمر رأيتهم كلام مستأنف وقع جوابا لسؤال مقدر كان يعقوب قال له عند قوله اني رأيت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال يوسف رأيتهم لي ساجدين وانما اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم
لي ساجدين لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس
الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة قيل كرر الرؤية لان الاولى متعلقة
بالذات والاخرى بالحال وقيل لما طال الكلام اعادها وقيل اذ يوسف رأى في المنام اخوته وابويه ساجدين له فكنى عنهم ذكرهم
عرف يعقوب لانه الرؤيا على ان الله يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف
عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي
التأنيث كما قيل القربة والقربى فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك ولتضمن فعل الكيد معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة مظهرها لما فعل بآدم وحواء من قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو
يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورطهم بحيله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله واعلم ان الرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة
قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح او ترى له وقال عليه السلام اصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على رأس اربعين سنة والصحيح في سنة ثلاث وستين سنة فان الحي
اليه ثلاث وعشرون سنة منها ستة اشهر الرؤيا الصادقة فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة يكون جزءا
من ستة واربعين جزءا وفي هذه الآية دليل على ان الرؤية لا تقص الا على شفيق ناصح قوله تعالى وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم
قال يعقوب ليوسف الاجتباء الاختيار ومعنى الامور المجتبي من جبيت الشيء اذا اخلصته لنفسك ومنه جبيت الماء في الحوض
اي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شان
كذلك يجتبيك لامور عظيمة للنبوة واعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة ومنها ان يجعل ذرية ابيه تابعا تفسيره قال الله تعالى وخروا له
سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك
من تأويل وهو ما يؤول اليه المعنى واكثر استعماله فيما يؤول اليه المعنى في الرؤيا والاحاديث الرؤى جمع الرؤيا التي يراها الناس
في المنام كالمشاهد سمي الرؤى احاديث لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها تعبيرها وتفسيرها سمي تأويلا
لانه يؤول امره الى ما رأى في منامه وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها وكان نبينا صلى الله عليه وسلم اعبر
الرسل وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اعبر الصحابة للرؤيا وكان ابن سيرين اعبر التابعين وسعيد بن المسيب رحمه الله
وقيل يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم
ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وكيفية الاستدلال باصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله وحكمته
وجلاله وسميت احاديث لانها يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فبأي حديث
بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع الحديث وليس بجمع احدوثة ويتم نعمته عليك بالنبوة ويعصمك
من ارتكاب ما لا يليق بالانبياء وبان يجعل اخوتك محتاجين اليك وبانجائك من كل مكروه ويتم نعمته على آل يعقوب

اصله احد وعشر كوكبا ٢

لا من الرؤية ٢

ولم يجبه بشيء فنزل جبريل فاخبره باسمائها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢

الدائرة ٢

فعل ٢

هذا حديث صحيح اخرجه مسلم في صحيحه قيل معنى قوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ٢

لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا في الدنيا ورفع لهم الدرجات في الآخرة ولا يستعمل
الآل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وآل الحجام وكذا أهلهما آل يعقوب نسله وأهله
وغيرهم فإن أصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل كما أتمها على أبويك من قبل بنعمته على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار
ومن ذبح الفداء قال الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا وقال تعالى فأنجاه الله من النار وقال تعالى وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت
الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وإتمام النعمة على إسحق بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه
وقيل بإنجائه من الذبح وإبداله بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهما في حكم الأب في الأصل له ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان
بينه وبين فلان عدة إبراهيم وإسحق عطف بيان لأبويك وقيل علم يعقوب بالوحي من عند الله وقيل علم يعقوب أن يوسف
يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال الدعاء لآل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه
وقالوا ما رضي أن سجد له إخوته حتى يسجد له أبواه وقيل كان يعقوب يؤثره بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه
من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ
فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل إن ربك عليم بمن يجتبيه
حكيم يفعل الأشياء على ما تقتضيه حكمته **قوله تعالى** لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين أي في قصته
وإخوته روبيل وهو أكبرهم شمعون لاوي يهودا ريالون يشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خالة يعقوب والأربعة الآخرون من أم
واحدة وهي ليا بنت ليان وليا ابنة خالة يعقوب دان نفتالي جاد آشر وهؤلاء الأربعة من سريتين ليعقوب اسم
أحداهما زلفة والأخرى بلهة فلما توفيت ليا تزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكانت
بنو يعقوب اثني عشر وقيل إن يعقوب عليه السلام وأخاه العيص كانا توأمين ولدتهما أمهما معا وكان أبوهما إسحق
عليه السلام ذكر أن العيص يتكلم في بطن أمه وسمعته أمه فأخبرت بها أباه إسحق عليه السلام فتعجب فقال إني سمعت كلام
يتحدث فقالت لها إذا سمعت ذلك فأعلميني وجعل يرتقب ذلك فدخلت يوما إليها فلما دنت سمعها فسمع العيص
وهو يقول ليعقوب يا أخي إن أصحبك برأسي فاقتلك وأقتل أمك فقال لا يا أخي لا تكن ابن حرمة أمك وأبيك ولا
تقصد ذلك يا أخي وكذلك كان هذا العيص يسابق إلى الخروج وتأخر يعقوب فخرج العيص ويعقوب في عقبه ممسكا بعقبه
وكانت الأم تحب يعقوب أكثر وسمي العيص عيصا لأجل عصيانه على أخيه حال المزاحمة في الخروج وكان إسحق عليه السلام
يحب العيص أكثر من يعقوب فلما كبر إسحق وطعن في السن قال لولده العيص يا بني أعلم أنه قد دنا أمري وأن القربان
فيا أستة ائتني بكبش سمين حتى أقربه فتكون بركة في بنيك وأدعو لك في عقب القربان دعوة ينتفع بها إن شاء الله
فمضى ليأتيه بذلك فعند سمعت أم يعقوب ما جرى بينهما فأخبرت يعقوب وقالت له يا بني عجل بكبش واخفض صوتك
والبس فروة مقلوبة على جسمك فإن أخاك العيص على بدنه شعر كثير كشعر المعز فإذا وضعت يد أبيك على بدنك فلا
ينكر ذلك ثم أسرع يعقوب فأتى بكبش إلى أبيه فقال له إسحق جئت به يا عيص فأخفى يعقوب صوته وقال نعم فطرح
إسحق يده على يده وقال له يا بني بارك الله فيك وجعل في نسلك النبوة والملك فغاب بها يعقوب ومضى مسرورا
وأتى العيص ومعه كبش فقال له إسحق لما كنت الساعة عندي حين جئت الذبيحة ودعوت على يديك دعوت لك بما
يفيد إن شاء الله وتجدني وتجد عاقبته من ذلك قال العيص لئن ما أتيتك فعدا أخاك يعقوب عليك فقال إسحق
يا بني قضي الأمر فسوف أدعو لك بكثرة المال والولد بجميع الروم من نسله ولهم الأموال ولم يكن من نسله نبي إلا أيوب
فتعجب كان إسحق يريد العيص وكان الخلافة من يعقوب فكأنما أراد فيعقوب الحسد في قلب العيص وعزم على قتل
يعقوب فخشي إسحق عليهما من فتنته فأشار على يعقوب بأن يذهب إلى خاله له وترك أخاه وكانت لخاله
بنتان راحيل وليا فخطب يعقوب راحيل فقالت له ادع غنمي عشر سنين حتى أزوجك راحيل فرعى عشر سنين فبعث إليه
ابنتها الكبيرة ليا فقال يعقوب ما اشترطت عليك إلا الصغيرة فقالت ما أزوج الصغرى وأدع الكبرى تزوج بهذه
وارع غنمي عشر سنين أخرى حتى أزوجك بالأخرى فرعى عشر سنين أخرى حتى زوجه براحيل فصار له اثنا عشر ولدا وخرج
إلى كنعان قال الأولاده إني أخاف من العيص أن يسبقني إليه فهو لا يعرفكم فإذا قال لكم أنتم فقولوا أولاد خادمك
يعقوب فلما وصلوا إليه وأخبروه بذلك طاب قلبه ليعقوب وذهب جميع ما كان في قلبه من الحسد وصار موضعه
رحمة وحنة على يعقوب وأولاده ووصل يعقوب إليه ولم يجد العيص بعد ذلك صبرا على فراقهم وصار العيص مشتملا
عليهم قوله آيات للسائلين أي في قصة يوسف وإخوته علامات ودلائل على قدرته تعالى للذين سألوا عن قصتهم
فإن كل حال من أحوالهم آية وقيل أدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير
سماع من أحد ولا قراءة كتاب ولا نظر فيه **قوله تعالى** إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا
لفي ضلال مبين ● اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا
شبهة فيه وأخوه بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل أحب في الاثنين لأن أفعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف
جاز الأمران ونحن عصبة الواو في ونحن للحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية
فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
إن أبانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا

بذلك

بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب **قوله تعالى** اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه
أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ● أي قال إخوة يوسف اقتلوا يوسف كأنهم اتفقوا على أحد الأمرين قتله أو طرحه
أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران يخل لكم يخلص لكم وتصفو لكم محبة أبيكم فيقبل عليكم إقباله ولا يلتفت
عنكم إلى غيركم والمراد به سلامة محبته ممن يشاركهم فيها فإنما رعيته إياها وتكونوا من بعد قتله أو طرحه أرضا تائبين
إلى الله تعالى مما جنيتم عليه وقيل يصلح حالكم عند أبيكم بعد توبته أو نصلح دنياكم وتنتظم أموركم بخلو وجه أبيكم
فيستقر بكم محبته وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب وكذلك المؤمن لا يتسلط على التوبة وإن كان من شأن الخطايا أن تكون
إما جزم عطفا على يخل لكم وإما نصب بإضمار أن فالواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق **قوله تعالى** قال قائل منهم لا
تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين ● قيل إنه روبيل وهو ابن خالة يوسف
وهو أكبرهم سنا وقيل شمعون وقيل يهودا وكان أحسنهم فيه رأيا فهو الذي قال فلن أبرح الأرض فقال لا تقتلوا يوسف
فإن قتله عظيم وألقوه في غيابة الجب في قعر البئر وغيابة الجب غوره وقعره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من
أسفله والجب البئر التي لم تطو إذ هي تحفر به لئلا يدري فيها وكأنما فيه غيابات الجب جعل كل جزء منه غيابة والباقون
غيابة على التوحيد في الحرفين عن مقاتل هو بأرض الأردن وقيل هو بأرض الأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وقيل
المقدس يلتقطه يأخذه بعض السيارة الذين يسيرون في الطريق من المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فيستر بحواشيه
إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي واختلفوا في إخوة يوسف حين فعلوا هذا
وفعلوا أفضيل أنهم كانوا أمر هيقين عن هكلفين وقيل إنهم كانوا بالغين ولم يكونوا أنبياء **قوله تعالى** قالوا يا أبانا
ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ● فمن ذلك أجمعوا
على رأي قائل لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب جاءوا إلى أبيهم لتفريق بينه وبين يعقوب وأحسنوا أمر يعقوب بأن
لا يأمنهم عليه فإن يعقوب أحس منهم ما استدعى أن لا يأمنهم عليه فقالوا ما لك لا تأمنا أي لم تخافنا على
يوسف وإنا له لناصحون نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا قبله إلا النصيحة وإذ بذلك استنزلوه عن رأيه
وعادته في حفظه منهم لما عزموا على التفريق بينه وبين أبيه أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع يتسع في أكل
الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو نرتع ونلعب بالنون فيهما وسكون العين وعاصم
وحمزة والكسائي يرتع ويلعب بالياء فيهما وسكون العين والباقون يوسف ونافع يرتع بكسر العين من يرتع من رعى
إلى الياء وقيل يرتع نلهو وقيل نسعى وقيل نأكل وقيل معنى يرتع نتحارس ويرعى بعضنا بعضا أي يحفظ ومنه قوله
رعاك الله أي حفظك ونلعب نلهو وننشط وقيل نلعب بالرمي وقيل بالرمي وقيل بالاستباق والعدو وروي هارون
صاحب أبي عمرو أنه قال قلت لأبي عمرو وكيف تقرأ نلعب بالنون وهم لم يكونوا يومئذ أنبياء وقيل كان لعبهم الاستباق
والانتضال ليمرنوا أنفسهم مما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه
في صورته ومن قرأه بالياء أي يرتع يوسف بأكله ويلعب وإنا له لحافظون مما يسوءه **قوله تعالى** قال إني ليحزنني
أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ● قال يعقوب لبنيه إني ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله إن
ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد سببي المضارعة وهما دخول اللام والسين الحال فالاستقبال اعتذر يعقوب إلى
بنيه بشيئين أحدهما أنه يحزنه مع جهله لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني أنه يخاف عليه من أن يأكله الذئب إذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم وقلة اهتمامهم ولم يصدق بحفظه وعنايتهم قيل رأى يعقوب في منامه أن الذئب قد شد
على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة في أمثال البلاء موكل بالمنطق وقيل رأى في منامه كأنه على ذروة
جبل وكان يوسف في بطن واد فجاء عشرة من الذئاب فقد احتوشته يريدون أكله فدرأ عنه واحد ثم انشقت
الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام فكان العشرة إخوته لما تمالؤوا على قتله والذي دفع عنه أخوه يهودا وتواريه في الأرض
هو مقامه في الجب ثلاثة أيام وقيل إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه وأنه أرادهم بالذئب تعريضا كأنه خاف من قتلهم له فكنى عنهم
بالذئب وقيل إنما خصهم كثرة الذئاب قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة الذيب بالهمزة في المواضع الثلاثة
والكسائي بغير همز والذئب مهموز في الأصل يقال تذاءبت الريح إذا هبت من كل جانب وأنتم عنه غافلون في اللعب وقيل
تشتغلون بغير عيكم **قوله تعالى** قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون ● قال إخوة يوسف لأبيهم
والله لئن أكله الذئب فالقسم محذوف واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب القسم مجزئ عن الجزاء
والواو في ونحن عصبة واو الحال حلف إخوة يوسف لأبيهم لئن كان ما خاف من أكل الذئب يوسف من بينهم والحال
أنهم عصبة عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون هالكون ضعفا وعجزا أو مغبونون
أي مستحقون أن يهلكوا لأنه لا يقع في جانبهم ولا غنا عندهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار فيقال
خسرهم الله حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذن وخسرناها
فقد اعتذر يعقوب إلى بنيه بعذرين فأجابوا عن أحدهما الأمر غيظهم وحقدهم بسبب ذلك العذر كأنهم
لم يجيبوا عنه وسكتوا عنه **قوله تعالى** فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم
بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ● روي أنه قال إخوة يوسف لأبيهم إنا نشتاق أن تخرج معنا فنلعب ونتصيد قال يعقوب
فاسألوا أباكم إن يأذن لكم معنا قال أفعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا

لقال ليعقوب ما تقول يا ابتِ قال نعم لا ابتداني من اخوتي الا اللين واللطف فانا احب ان تاذن لي فارسله معهم فلما اصحروا
اظهروا له العداوة واغلظوا له القول وجعل يلجأ الى هذا فيضربه والى هذا فيؤذيه فلما فطن لما قد عزموا عليه جعل ينادي
يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا عن ابن عباس فاخذه روبيل فجلد به الارض
وجثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال يا ابن راحيل صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك
من ايدينا ولوى عنقه ليكسرها فنادى يوسف يا يهوذا اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة فقال يهوذا
يا اخوتاه الا ادلكم على امر هو خير لكم وارفق به قالوا وما ذاك قال تلقونه في هذا الجب يلتقطه بعض السيارة قالوا نفعل
فانطلقوا به الى الجب فخلعوا قميصه فقال يا اخوتاه لم نزعتم قميصي ردوه علي استر به عورتي ويكون كفنا لي في مماتي وكان
له حجرا في البئر مرتفعا في الماء فاستقرت عليه قدماه وعن السدي جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا
يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا فدلوه في البئر حتى
اذا بلغ نصفها القوه ارادوا ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فيها فقام عليها فلما القوه فيها
فجعل يبكي فنادوه فظن انه رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام
وعن كعب جمعوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فبعث الله اليه ملكا فحل عنه واخرج له حجرا من الماء فقعد عليه وكان
يعقوب قد ادرج قميص ابرهيم الذي كساه الله اياه يوم القي في النار في قصبة وجعلها في عنق يوسف فالبسه اياه
الملك حينئذ واضاء له الجب وعن الحسن لما القي في البئر عذب ماؤه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه
جبريل فآنسه به فلما امسى نهض جبريل ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت
شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى
عليك شيء من امري فلما قالها حفته الملائكة فاستانس في الجب ومكث فيه ثلاثة ايام وكان اخوته يرعون حول
الجب وعن محمد بن مسلم الطائفي لما القي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب
اجعل لي فرجا مما انا فيه قيل سنه حين القي في الجب اثنتا عشرة سنة قاله الحسن وعن الضحاك ست سنين وعن
ابن السائب والحسن ايضا سبع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب قوله واوحينا اليه قيل انه الهام وقيل انه وحي حقيقة اوحى الله اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره
بما يئول اليه امره ومعناه لتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما صنعوا وانت عال عليهم وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات
والصور والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم
نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم
به فالقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس فعلى هذا يكون قوله وهم
لا يشعرون متعلقا بقوله لتنبئنهم ويجوز ان يتعلق بقوله واوحينا اي انا آنسنا يوسف بالوحي وازلنا عن قلبه
الوحشة وهم لا يشعرون انا اوحينا الى يوسف ويحسبون انه مرهون مستوحش لا انيس له قوله تعالى
وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ● يحكى ان يهوذا قال لهم انطلقوا فالطخوا قميصه بدم كذب يعضد به حكمكم ثم اخبروا
اباكم انه قد اكله الذئب وهذا قميصه فيه دمه حين افترسه فاقيموا انا ووعدي هذا ها هنا فاني اخاف ان يرد الوالد الى
الجب فيستغيث بهم فيرجعوه ويخرجوه ويبطل عملنا واخبروا اباكم انه [illegible] ان يطلب الذئب الذي اكله
على نفسه فلا يرجع ابدا حتى يقتل الذئب الذي اكله فصدقوه وانما اراد يهوذا ان يتخلف عنهم اذا ولوا عن الجب
ان يخرج يوسف من الجب ويرده على ابيه فلما ولوا عن يهوذا التفت منهم ملتفت فاذا هو يهوذا قد لحق به الى يوسف
ليلبسه فرجعوا اليه مقبلين فقال لهم يهوذا اني لم افعل ذلك متعمدا ولكني اردت ان انظر اشيء في الجب فاصغيت سمعي
لا اعلم اهو حي ام ميت فوقع في نفسي فلم اقدر على نزعه فرجعوا جميعا الى ابيهم وجاءوا اباهم عشاء اي ليلا باكين
ليكونوا اجرا في الظلمة على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين
ولا تعتذر بالنهار فتتلجلج في الاعتذار وتتردد في الكلام فلا تقدر على تمامه وهذه الآية دالة على ان بكاء الرجل
لا يدل على صدق مقالته لاحتمال ان يكون تصنعا ومن الناس من يقدر على ذلك وروي ان امراة حاكمت الى شريح
فبكت وكان الشعبي حاضرا عنده فقال لشريح يا ابا امية اما تراها تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم
ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من البينة وقد روي انه لما سمع يعقوب اصواتهم فزع وقال ما لكم يا بني
هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف فقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال
والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي
وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا رحلنا وثيابنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا لانك
لا تتهمنا لشدة محبتك له ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة مصدقين لاتهامك لنا في امر يوسف وكيف وما كنا
عندك صادقين لسوء ظنك بنا وتوقعك بقولنا قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ● وجاء اخوة يوسف على قميص يوسف بدم كذب اي مكذوب
فيه والعرب يجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولا فيقولون للكذب مكذوب وللعقل معقول وللجلد مجلود وقد
بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل
روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى
صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص فقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات دليلا ليعقوب على كذبهم والقاؤه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر على قميصه محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه
بدم كما تقول جاء على جماله باحماله ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان حال المجرور لا تتقدم عليه قال
يعقوب بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سولت سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهونته في اعينكم وزينت لكم غير ما تصفون استدل يعقوب على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص
او اوحي الى يعقوب بانهم قصدوه ففزع يعقوب الى الصبر والاستعانة من الله فقال فصبر جميل خبر مبتدا محذوف
اي فامري صبر جميل او مبتدا موصوف محذوف خبره اي فصبر جميل اجمل بي والصبر الجميل هو الذي لا شكوى الى الخلق فيه
ولهذا قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال لا اعانيكم على كابة لوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب
على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني
فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون من الكذب من هلاك الجسم من هلاك يوسف
والصبر على الرزية قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام
واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ● انه تعالى بين كيف سهل السبيل في خلاص يوسف من تلك المحنة
فقال وجاءت سيارة رفقة تسير للسفر من قبل مدين يريدون مصر فنزلت قريبا من الجب وذلك بعد
ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب واخطاوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق [illegible]
الى الارض التي فيها الجب [illegible] وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وكان ماؤه مالحا فعذب
حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ليستقي للقوم وهو مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فلما اتى
الجب فادلى دلوه اي ارسل دلوه في الجب يقال ادلى الدلو في البئر اذا ارسلها فيها ودلاها اذا اخرجها منها فتعلق يوسف
بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون من الغلمان في صحيح مسلم في حديث الاسرى قال النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا انا بيوسف اذا هو قد اعطي شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس عن كعب كان يوسف حسن الوجه جعد
الشعر ضخم العين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة
اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه شعاع النور يتبهر بين ثناياه ولا يستطيع
احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله عز وجل وصوره ونفخ
فيه من روحه قبل ان يصيب ما اصابه وقيل انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة ام اسحق بن ابرهيم [illegible]
عليهما الصلاة والسلام قال هبط علي جبريل فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول حبيبي اني كسوت حسن يوسف
من نور الكرسي وكسوت حسن وجهك من نور عرشي ما خلقت خلقا احسن منك يا محمد فلما رآه وارده يوسف نادى يا بشرى
يا ايها البشرى شبهه باصحابه المخاطبين لان البشرى لا تجيب ولا تعقل والمعنى ابشروا وقيل يا ايها البشرى تعالي فهذا اوان
اتيك وكذلك اذا قلت يا عجبا فكانك قلت يا عجبي ويا ايها العجب هذا اوانك قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يا بشراي بفتح
الياء واثبات الالف وروى ورش عن نافع يا بشراي [illegible] وعاصم وحمزة والكسائي يا بشرى بالف
بغير ياء [illegible] وحمزة والكسائي يميلانها وعن قراءة يا بشرى يجوز ان يكون المعنى يا بشرى هذا اوانك على معنى
ما تنبيها للمخاطبين وذكر السدي انه نادى صاحبا له من اصحابه اسمه بشرى [illegible] هذه
الاقوال ويجوز ان يكون اسم امراة [illegible] ان يكون المنادى محذوفا وتقديره يا قوم بشراي هذا غلام قيل
ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الاسرار ضد الاعلان والبضاعة ما يبضع اي
يقطع من المال للتجارة بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة وفي الضمير المرفوع في اسروه قولان احدهما عن
مجاهد هو ان الوارد مالك بن ذعر واصحابه اخفوه من التجار الذين معهم واخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
هو بضاعة استبضعناها بعض اهل الماء لنبيعه لهم بمصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا بثمنه والثاني
عن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه بالطعام كل يوم فلما [illegible] ثلاثة ايام فاتاه يهوذا
بالطعام فلم يجده في الجب فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر واصحابه نزول فاتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا
هذا عبد ابق منا فكتم يوسف شانه مخافة ان يقتله اخوته وقيل قالوا ليوسف بالعبرانية ان لم تقر بانك عبد لنا اسرناك
من السيارة ثم نقتلك فقال يوسف انا عبد لهم [illegible] بضاعة عن قتادة اسروا
[illegible] ويحتمل ان يكون المعنى اسروه بضاعة اظهروه [illegible]
[illegible] الضمير الى الوارد واصحابه او الى الاخوة وهذا كما تقول هذا شيء اظهرته [illegible]
بضاعة [illegible] والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع
لم يخف عليه اسرار الوارد واصحابه او اسرار اخوة يوسف وهو عبد لهم [illegible] اخوة يوسف [illegible]

قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وشروه من الاضداد
يقول شريت الشيء بمعنى بعته واشتريته فان كان بمعنى باعوه ففيه قولان احدهما ان السيارة شروه
يوسف من اخوته بثمن بخس بحق ليس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار حرام دراهم لا دنانير
معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها
وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين
وعشرين درهما وقيل عشرين درهما وحلة ونعلان وكانوا اي وكان السيارة فيه في يوسف من الزاهدين ممن يرغب عما
في يده فيبيعه بما طفيف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط يتهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحقه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن وقيل معنى شروه اشتروه اي الرفقة السيارة اشتروا يوسف من
اخوته وكان السيارة في يوسف من الزاهدين الغير الراغبين فيه لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على
الموصول وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فيه اي زهدوا فيه فان الزهد قلة الرغبة قوله تعالى وقال
الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه
من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون روي ان الذي اشتراه من اخوته او من السيارة
الواردين على الملا ذهب الى مصر وباعه والذي اشتراه من مصر هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن
الارض والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف الى الاسلام
فانما اشترى العزيز يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان ابن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك
في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وهو فرعون موسى ولد
فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا
في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ وقال لامرأته راعيل بنت رعايل اكرمي
مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله تعالى انه ربي احسن مثواي والمعنى تعهديه بالاكرام
وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن يريد نزل
او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى
ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته
او نتخذه ولدا او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة طاعمة في
دنيا قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك الكاف منصوب بمكنا
وذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه وقيل وكما انجينا يوسف من
اخوته وقد هموا بقتله واخرجناه من الجب بعد ان القي فيه فصيرناه الى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر كذلك
مكنا ليوسف في ارض مصر فجعلناه على خزائنها وتصرف فيها بالامر والنهي ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي تعبير الرؤيا مكنا له
في الارض اي كان ذلك الانجاء والتمكين لما تحدث اقتبسه من قبل ونعلمه ... ولنعلمه اما داخل الواو وتعلق بمضمر ... قبل قوله ولنعلمه
وتبدا الواو وقع اختصاصا ليوسف بذلك الذي نعلمه وتاويل اي ولنعلمه من تاويل الاحاديث وقيل مكنا له في الارض
لنوحي اليه ولنعلمه والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويحكم وقيل على امر يوسف اي والله
على امر يوسف يسوسه ويحفظه ويدبر امره فلا يكله الى غيره قال اهل العلم والله غالب على امره حيث امر يعقوب يوسف
ان لا يقص رؤياه على اخوته فغلب امره حتى قص ثم ارادوا قتله فغلب امره حتى لم يقتلوه ثم ارادوا ان يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب امره حتى لم يندرس بل اشتهر وصار
مذكورا مشهورا ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب امره حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ثم ارادوا ان يخلو لهم وجه ابيهم فغلب
امره حتى ضاق عليهم قلب ابيهم ثم ارادوا ان يغروا اباهم بالقميص والدم والبكاء فغلب امره حتى لم يخدع وقال بل سولت لكم
انفسكم امرا ثم تدبروا ان يكونوا من بعده قوما صالحين تائبين فغلب امره حتى نسوا الذنب واصروا الى ان قالوا ليوسف
في اخر الامر تالله ان كنا لخاطئين ثم احتالوا ان يمحوا محبته من قلب ابيه فغلب امره حتى ازدادت المحبة
في قلبه ثم راودته امرأة العزيز زليخا او راعيل عن نفسه فغلب امره حتى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون
ثم احتالت امرأة العزيز ليقع التهمة على يوسف حين قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فغلب امره حتى شهد شاهد من اهلها
ثم تدبر يوسف ان يتخلص من السجن بذكر الساقي حين قال اذكرني عند ربك فغلب امره حتى نسي الساقي ذكر يوسف
فلبث في السجن بضع سنين ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله وان الله غالب على امره وقيل ولكن اهل مكة هم
حصة لا يعلمون لطائف صنع الله قوله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ولما بلغ اشده
منتهى اشتداد جسمه وقوته وشبابه عن ابن عباس ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة وقيل ثماني عشرة وقيل ثلث وثلثون
وقيل اربعون وقيل ثلثون سنة وقيل ثمان وثلثون اتيناه حكما حكمة وعلما وقيل حكما في الناس وقيل نبوة

وقيل فقها وقيل اصابة القول والعمل وقيل علما بتاويل الاحاديث وكذلك اي ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته
نجزي المحسنين الذين يعبدون الله ويعملون الصالحات ويجتنبون الفواحش كانهم يرون الله فان لم يكونوا يرونه فانه تعالى
يراهم وقيل المحسنين المؤمنين وقيل المهتدين وقيل الصابرين على النوائب وعن محمد بن كعب هذا وان كان مخرج ظاهره على
محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم يقول كما فعلت هذا بيوسف بعد ما لقي من اخوته وقاسى من البلاء مكنته
في الارض وعاطا فكذلك افعل بك وانجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وامكن
لك في الارض وآتيك الحكم والعلم وهذا تنبيه على ان يوسف كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم
والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله قوله تعالى وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت
به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين المراودة مفاعلة من راد
يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده
يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها يعني زليخا طلبت من يوسف ان يواقعها وغلقت الابواب
وكانت سبعة وقالت هيت لك قرا ابن كثير هيت بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء ونافع وابن عامر بكسر الهاء وسكون الياء
وفتح التاء وعن ابن عامر بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء والباقون بفتح التاء والهاء وسكون الياء قال الزجاج هو اجود اللغات
واكثرها في كلام العرب ومعناها اقبل وتقديم تعالى واللام في لك لتبيين المخاطب ... قال يوسف معاذ الله اعوذ بالله معاذا اي
الامر لما تعصمني واستجير بالله مما تدعونني اليه انه ربي ان الشان والحديث ربي وسيدي اكرم احسن مثواي حين قال
للمتكلمين مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم ومنهم من جعل الضمير المنصوب الذي هو اسم
ان للعزيز اي ان زوجك قطفير سيدي احسن مثواي وقيل ان الضمير لله اي ان الله خالقي احسن مثواي وانقذني من الجب
عاما في انه لا يفلح الظالمون الزانون ... وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم
وقيل معناه انا الله تعالى احسن مثواي بجعل القطفير واسطة بان قال اكرمي مثواه فلا انسب الاحسان الا
نعمة ربي ولقد همت به بالامر اي قصدته وعزمت عليه وهم اي عزمت ولم افعل وكدت افعله تقول كما تقول همت على ما كان حلا ...
قولك لا افعل ذلك لا كيدا ولا هما اي لا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي
اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقيل الهم بالشيء في كلام العرب حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع فاما هم زليخا فعلى القصد
دعته الى نفسها واستلقت له واختلفوا في هم يوسف فقيل انه كان من جنس همها فلولا ان الله تعالى عصمه لفعل وذلك الى هذا
المذهب الحسن وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وهو قول عامة المفسرين المتقدمين واختاره من المتاخرين جماعة منهم
ابن الانباري وعن ابن قتيبة انه لا يجوز في اللغة همت بفلان وهم بي يعني لتخالف الهمين واحتج من نصر هذا القول بانه مذهب
الاكثرين من السلف والعلماء والاكابر الذين يؤخذ منهم التاويل ... ولما روي في الخبر
الصحيح ان يوسف لما دخل على الملك ... فقال له جبريل ولا حين هممت
بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي الاية وعن ابن عباس حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعنه
استلقت له على قفاها وقعد بين رجليها لينزع ثيابه عن سعيد بن جبير اطلق تكة سراويله وعن مجاهد حل السراويل وجعل يعالج ثيابه
الرجل من امرأته ... الشيطان ... يوسف ...
وعن السدي وابن اسحق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها
فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال هي اول ما يسيل
الى الارض من جسدي قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله فلم تزل تطمعه مرة وتخيفه اخرى وتدعوه الى اللذة وهو
شاب يجد من شبق الشباب ما يجد الرجل وهي حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى هم بها ...
وهم بها فهذا ما قيل المفسرين من السلف الصالح وقالت طائفة اي الهم انما همها هم عزم ونية ...
ورضي مثل هم امرأة العزيز ... عارض ... والنظرة والفكرة وحديث النفس من غير اختيار ...
مثل هم يوسف والعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم به او يعمل ... قال يقول الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة
ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبت له عشر حسنات الى سبع مائة ضعف واذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم
اكتبها عليه فان عملها كتبتها عليه سيئة واحدة فان تركها من اجلي كتبتها له حسنة والقول باثبات مثل هذه الزلات
والصغائر على الانبياء صلوات الله عليهم غير محظور بل فيه من الحكمة ... ان الله تعالى اذا ذكرها يجدون في
اشفاقهم ولا يتكلون على سعة رحمة الله ومنها ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم ومنها ليجعلهم ائمة لاهل
ورجاء في رحمة الله وترك الاياس من فضله وعفوه عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يلقى الله عز وجل
الا هم بخطيئة عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها واما البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فان العلماء اختلفوا
فيه فعن ابن عباس تمثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وعن الحسن وسعيد بن جبير
وعبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وابن سيرين وابي صالح وابن عطية والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب
عاضا على اصبعه وعن ابن جبير كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص
من شهوته حين رأى صورة ابيه وانه يخلعه عن قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب

في الاخبار عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال نودي يا يوسف تزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير بلا ريش
عن الشعبي نودي يا يوسف لا تواقعها مثلك الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض
لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها كمثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل
الثور حين يموت تدخل النمل في اصول قرنيه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل ان جبريل عليه السلام مثل يعقوب
فلم يزدجر فقيل فيكون مثل الطائر ينتف ريشه فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره فوثب وقيل انها
قامت الى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب فقال لها يوسف اي شيء تصنعين قالت استحي من الهي هذا ان يراني على هذه
الصورة فقال استحيين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت وقيل ان
الله بعث اليه ملكا فكتب في وجه المرأة بالدم ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وروي انه رأى هذه
الاية مكتوبة بين عينيها وفي رواية اخرى انه رآها مكتوبة في الحائط وروى مجاهد عن ابن عباس قال بدت فيما بينهما
كف ليس لها عضد ولا معصم وفيها مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت
فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعادا فلما قعدا اذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فقام هاربا فلما عادا قال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على كفه او اصبعه وهو
يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله في الانبياء وقيل ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب
بالعبرانية افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فانصرفا فلما عادا رجعت وعليها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فانصرفا فلما عادا عادت وعليها مكتوب ولا تقربوا الزنا فعادا فعادت الرابعة وعليها مكتوب واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فولى يوسف هاربا وقيل ان سيده العزيز دنا من الباب وعن علي بن يحيى ان البرهان انه دخل السيد عند
الباب فهرب وقيل ان البرهان انه علم ما احل الله مما حرم الله فرأى تحريم الزنا عن ابن الجوزي فهذه نسبتهم وامثالها
احاديث من اعمال القصاص قد اشرت الى فسادها في كتاب المغني في التفسير وكيف يظن بنبي انه يخوف ويرعب ويضطر الى
ترك هذه المعصية وهو مصر هذا غاية القبح قال الامام اعلم ان هذه الاية مما يجب الاعتناء بالبحث عنها وفي هذه الاية
مما يجب الاعتناء بالبحث عنها وفي هذه الاية مسائل الاولى في انه عليه السلام هل صدر منه ذنب ام لا وفي هذه المسألة
قولان الاول ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشة قال الواحدي في البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى
روايتهم هم يوسف ايضا بهذه المرأة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فلما رأى البرهان زال
كل شهوة عنه قال ابو جعفر الباقر باسناده عن علي كرم الله وجهه انه قال طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيها انه هم
ان يحل التكة وعن ابن عباس حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعنه ايضا انها استلقت له وقعد بين رجليها ينزع
ثيابه ثم ان الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب وما ذكر اية يحتج بها او حديثا صحيحا يعول عليه في تصحيح
هذه المقالة وما امعن في الكلمات العارية عن الفائدة روي ان يوسف عليه السلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي ثم قال والذين اثبتوا هذا العمل ليوسف
كانوا اعرف بحقوق الانبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب والقول الثاني
ان يوسف كان بريا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه
نقول وعنه نذب ثم قال الامام واعلم ان الدلائل الدالة على عصمة الانبياء عليهم السلام قد تقدمت فلا نعيدها الا ان ههنا
وجوها فالوجه الاول ان الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة
الاحسان العظيم بالذنب والاساءة الموجبة للفضيحة والعار الشديد من منكرات الذنوب وايضا الصبي اذا تربى في حجر
الانسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من اول صباه الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع
الاساءة الى ذلك المنعم المعظم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف عليه السلام
كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع فمثل هذه المعصية لو نسبت الى افسق خلق الله
وابعدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز اسناده الى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة الثاني انه تعالى
قال في غير هذه الواقعة كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء وماهية الفحشاء مصروفة
عنه ولا شك ان المعصية التي نسبوها اليه اعظم انواع السوء والفحشاء وايضا تدل على قولنا من وجه آخر وذلك
لانا نقول هب ان هذه الاية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ
ولا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكي عن انسان اقدامه على معصية عظيمة ثم يمدحه ويثني عليه باعظم المدائح والاثنية
عقيب ان يحكي عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب وافحش
الاعمال ثم يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا الثالث ان الانبياء عليهم السلام
متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة الكثيرة وكان من المحال ان لا يتبعها
بالتوبة والاستغفار ولو اتى الله بالتوبة لحكى عنه اتيانه بها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا انه
ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية الرابع ان كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف من
المعصية واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد
ببراءته عن الذنب وابليس اقر ببراءته ايضا عن المعصية واذا كان كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب اما بيان

ان يوسف

ان يوسف عليه السلام ادعى البراءة من الذنب وهو قوله عليه السلام هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وايضا قالت الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اقر بذلك فهو قوله انه من
كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك واما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها الاية واما
شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى في هذه الاية على طهارته
اربع مرات اولها قوله لنصرف عنه السوء واللام للتاكيد والمبالغة والثاني قوله والفحشاء والثالث قوله انه من عبادنا
والرابع قوله المخلصين وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل واخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات
مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته وعلى كلا الوجهين
فانه من ادل الالفاظ على كونه منزها عما اضافوه اليه واما بيان ان ابليس اقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين فاقر بانه لا يمكنه اغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين فكان هذا اقرارا
من ابليس بانه ما اغواه وما اضله عن طريقة الهدى وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة
ان كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته ولعلهم يقولون كنا في اول الامر تلامذة ابليس الى ان تخرجنا فزدنا
عليه في السفاهة وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال الامر حتى صار ابليس من جندي فلو مات قبلي
كنت احسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي فثبت بهذه الدلائل ان يوسف عليه السلام بريء عما يقوله
هؤلاء الجهال اذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر هذه الاية يقع في مقامين الاول ان نقول لا نسلم ان يوسف
عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وجواب لولا ههنا مقدم وهو كما يقال
قد كنت من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن الزجاج في هذا الجواب من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ وغير
موجود في الكلام الفصيح الثاني ان لولا يجاب باللام فلو كان الامر كما ذكرتم لقال لقد همت به وذكر الزجاج سؤالا ثالثا
وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا انه رأى برهان ربه فائدة ثم قال الامام ما ذكره الزجاج بعيد لانا نسلم ان تأخير
جواب لولا حسن جائز الا ان جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب وكيف وقد نقل عن سيبويه انه قال
انهم يقدمون الاهم فكان الامر في جواز التقديم والتأخير مربوطا بشدة الاهتمام فاما تعيين بعض الالفاظ
بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة وايضا ذكر جواب لولا باللام جائز وهذا لا يدل على ان ذكره بغير اللام لا يجوز ثم انا نذكر اية اخرى
تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها واما السؤال الثالث
وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة فنقول بل فيه اعظم الفوائد وهو بيان ان ترك الهم بها
ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل ثم نقول الذي يدل على
ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا يستدعي جوابا وهذا المذكور يصلح جوابا له فوجب الحكم بكونه جوابا لا يقال انا نضمر له
جوابا وترك الجواب كثير في القرآن فنقول لا نزاع انه كثير في القرآن الا ان الاصل ان لا يكون محذوفا وايضا فليس في اللفظ ما
يدل على تعيين ذلك الجواب فان ههنا انواعا من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها اولى من
اضمار الباقي فظهر الفرق المقام الثاني في الكلام
على هذه الاية ان نقول سلمنا ان الهم قد حصل الا انا نقول ان قوله وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لان تعليق الهم بذات المرأة
محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية فثبت انه لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك
الهم وذلك الفعل غير مذكور فهم زعموا ان ذلك المضمر هو ايقاع الفاحشة بها ونحن نضمر شيئا آخر يغاير ما ذكروه وبيانه من وجوه
لان الهم هو القصد فوجب ان يحمل في حق كل احد على القصد الذي يليق به واللائق بالمرأة القصد الى تحصيل اللذة والتنعم
والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى زجر العاصي عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
يقال هممت بفلان اي بضربه ودفعه فان قيل فعلى هذا التقدير لم يبق لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلنا بل فيه
اعظم الفوائد وبيانه من وجهين الاول انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم بدفعها لقتلته او لكانت تأمر الحاضرين
بقتله فاعلمه ان الامتناع من ضربها اولى صونا للنفس عن الهلاك والثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه
ربما تعلقت به فكان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن
ولو كان ثوبه ممزقا من خلف لكانت المرأة هي الخائنة فالله تعالى اعلمه هذا المعنى فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل
ولى هاربا عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية الوجه الثاني في الجواب ان تفسر الهم
بالشهوة وهذا مستعمل في اللغة الشائعة يقول القائل فيما لا يشتهيه ما يهمني هذا وفيما يشتهيه هذا اهم الاشياء
اي سمى الله تعالى شهوة يوسف هما فمعنى الاية ولقد اشتهته واشتهاها لولا انه رأى برهان ربه لدخل ذلك العمل في
الوجود الثالث ان تفسر الهم بحديث النفس وذلك لان المرأة الفائقة في الحسن والجمال اذا تزينت وتهيأت للرجل
الشاب القوي فلا بد ان يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى داعية
الطبيعة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب
العبودية ومثاله ان الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف اذا رأى الجلاب المبرد بالثلج فان طبيعته تحمله على شربه الا ان دينه
يمنعه منه فهذا لا يدل على حصول الذنب بل كلما كانت هذه الحالة اشد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية اكمل

وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته

بحمد الله صحة القول الذي ذهبنا اليه ولم يبق في يد الواحدي الا مجرد التصلف وتعديد اسماء المفسرين
ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لاجبنا عنها الا انه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين قال الامام
واما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان امورا الاول ان المرأة قامت الى صنم مكلل
بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف لم فعلت فقالت استحيي من الهي هذا ان يراني على المعصية
فقال يوسف تستحيين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحيي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل
ذلك ابدا قالوا فهذا هو البرهان الثاني نقلوا عن ابن عباس انه تمثل له يعقوب فرآه عاضا على اصابعه ويقول اتعمل عمل الفجار وانت
مكتوب في زمرة الانبياء فاستحيى منه قالوا وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك
ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله الثالث انه سمع في الهواء
قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير له ريش فاذا زنى ذهب ريشه الرابع نقلوا عن ابن عباس ان يوسف لم يزدجر
برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل فلم يبق فيه شيء من الشهوة الا خرج ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف
وقال هذا الذي ذكرناه قول ائمة التفسير الذين اخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل فيقال له انك لا تأتينا البتة الا بهذه
التصلفات التي لا فائدة فيها فاين الحجة واين الدليل وايضا ... حتى احتاج جبريل عليه السلام الى ان ركضه على ظهره ولو ان افسق الخلق واكفرهم كان مشتغلا بفاحشة فاذا دخل عليه
رجل على زي الصالحين استحيى منه وفر وترك ذلك العمل وههنا ذكروا ان يعقوب عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت
ثم ان جبريل على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل الى ان ركضه
على ظهره فنسأل الله ان يصوننا عن الغي والخذلان قال صاحب الكشاف ولقد همت به بمخالطته وهم بها بمخالطتها
لولا ان رأى برهان ربه جواب لولا محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك
هممت بقتله لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية
وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به
والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله
المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه
ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان
همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول
الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم
القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم
وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق
بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها
جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم
بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة
والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله
سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها [illegible] فوجب ان يكون
التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه
وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت
لولا حقيقة ان تعلق بهم بها وقد فسر هم يوسف بما ذكره المفسرون مما تقدم ذكره وفسر البرهان بما ذكروا ايضا وبنحوه مما
يورده اهل الحشو الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله
من سبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى
ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض
وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله ثناء فيما انزل
من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب
سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم صلوات الله عليه وليقتدي به الصالحون
الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون
انزل الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية
وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم
وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي
ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي
به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه اعلم ان الحق ان يوسف

ما وقع

ما وقع منه الهم الذي هو القصد ويدل على ذلك قوله معاذ الله انه ربي احسن مثواي وقوله هي راودتني عن نفسي وكيف
يجوز ان يقع الكذب منه وهو يكذب زليخا في قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فان زليخا ما نسبت الى يوسف الا ارادة
السوء والقصد اليه وهو من الارادة وقول الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر وان زليخا نسبت الى يوسف ارادة السوء ويوسف نفاها ولما
كذب زليخا وصدق يوسف فاستوى من يوسف ارادة السوء فيا اخوتي ان ينتفي عنه قصد السوء ولكن سيدنا ان كيدكن
عظيم فاستفيد تصديق يوسف في نفي الارادة وتكذيب زليخا في اثباتها وكذا قوله يوسف اعرض عن هذا وقوله لامرأته
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء وقوله انه من عبادنا المخلصين كل
هذا يفيد نفي السوء عموما بان يكون سوء الفعل وسوء القصد اذا عرفت هذا فنقول ينبغي ان يفسر قوله تعالى وهم بها
لولا ان رأى برهان ربه على وجه يطابق ما يدل على عدم قصد السوء من يوسف من غير اخلال بالبلاغة والفصاحة
ومن غير ارتكاب تعسف فاعلم ان كل حادث سواء كان ذاتا او وصفا عينا او معنى قولا او فعلا او اعتقادا فوقوعه متعلق
باسباب وشرائط وارتفاع موانع بتقدير الله تعالى ومشيته وارادته قال الله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم فما لم يتحقق اسبابه وشرائطه ولم يرتفع موانعه لم يقع ولا شك ان قصد السوء حادث
من الحوادث كما ان فعل السوء حادث من الحوادث فما لم يتحقق اسبابه وشرائطه ولم يرتفع موانعه لم يتحقق وقصد
فعل المواقعة من يوسف بالنسبة الى زليخا حادث لانه لم يكن موجودا فوقوعه موقوف على تحقق اسبابه وشرائطه
ما يمنعه من الوقوع ولا شك ان مما يعد من اسبابه القوة الشهوانية التي يكون كمالها بحسب كمال القوى البدنية
والمحل القابل المشتهى للفعل وغير ذلك مما يتوقف عليه الفعل ويوسف عليه السلام في كمال الشباب وكمال القوى البدنية
فقوة شهوته في غاية الكمال وزليخا في حسنة وهي جميلة والابواب مغلقة والدار خالية والموانع مرتفعة الا البرهان
فشارف ان يهم بها فاطلق الهم على تلك الهيئة الجامعة لاسباب الهم وشرائطه ولا ترتفع الموانع الا البرهان الذي
لا يتم الشيء الا بما يقاربه وليس بينه وبين الشيء الا مانع واحد كما يطلق على المرض القريب من الموت وعلى اجتماع ادوات
المعصية الى الهلاك فكذلك ههنا فقوله وهم بها اي شارف ان يهم بها لتوافي اسبابه لكن لما رأى برهان ربه ما هم
لان رؤية البرهان مانعة من وقوع الهم والمراد بالبرهان النبوة التي اودع الله في صدره وحجة الله عليه في تحريم الزنا
والعلم بما على الزاني من العقاب لان الله طهر نفوس الانبياء عن الصفات الردية والاخلاق الذميمة بل طهر نفوس المتعلقين
بهم عنها كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فالحق ان البرهان هو حجة الله القاطعة
على وجوب اجتناب المحارم فعلا وقولا ونية وعزما ورؤية البرهان ملاحظة تلك الحجة وتذكرها فقوله وهم
بها شارف ان يهم بها لولا ان رأى برهان ربه لهم بها لكن رأى برهان ربه فلم يهم بها فعلى هذا لم يقع هم يوسف اصلا
فان قيل لا نسلم انه جواب لولا لهم بها اجيب ان لولا لا بد لها من جواب وجوابها غير مذكور لفظا فلا بد من تقديره دل
عليه قرينة سابقة او لاحقة او غيرهما والاخيران مفقودان فتعين الاولى والقرينة السابقة ليست الا قوله
وهم بها بالمعنى الذي ذكرناه فيكون قوله وهم بها من حيث الحقيقة جوابا للولا وقوله وهم بها بالمعنى المذكور قرينة لها
فلا محذور في هذا التفسير مطابقا للحق الصريح موافق للبلاغة القرآنية جار على سنن تراكيب البلغاء من العرب فان
تفسير قوله وهم بها بقولنا وشارف ان يهم بها في غاية البلاغة وجعل وهم بها جوابا للولا وقوله وهم بها قرينة صالحة
للجواب المحذوف على سنن تركيب البلغاء كذلك وكذلك اريناه البرهان لنصرف عنه السوء اي قصد الخيانة والفحشاء
او فعل الزنا انه من عبادنا المخلصين قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام اي من عبادنا الذين اخلصوا دينهم لله
والباقون بفتح اللام اي الذين اخلصهم من السوء والفحشاء لطاعته قوله من عبادنا اي بعض عبادنا المخلصين
اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال الله تعالى فيهم انا اخلصناهم

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف
اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ● استبقا الباب اي تسابقا الى الباب على حذف الجار
وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه اي سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب وقيل على تضمين استبقا معنى
ابتدرا اسرع يوسف ليهرب منها واسرعت هي لتردّه الى نفسها ووحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه
اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العدو وقال كعب لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الابواب فادركت زليخا يوسف في الاستباق فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة من الخروج
فقدت قميصه من دبر اي شقت قميصه من خلف لا من قدام والفيا اي وصادفا يوسف والمرأة سيدها اي بعلها
قطفير لدى الباب كذلك تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا
لهما على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل الفياه جالسا مع ابن عم للمرأة لما اطلع منها سيدها على
الهيئة المريبة وهي متناضلة على يوسف اذ لم يأتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند سيدها
من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته

قالت

طلوعها قيل قالت لسيدها ادخلت خائنا وامنته على نفسك واهلك فانا نائمة فلم اشعر الا وهو اراد ان يدخل معي
في فراشي فوثبت اليه من نومي فبادرني الى الباب فادركته ابتوبه (?) منا من خوف ما فعل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
ما نافية اي ليس جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن وقيل ويجوز ان تكون ما استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
او عذاب اليم اي الضرب بالسياط كما تقول من في الدار الا زيد وانما لم تذكر يوسف انه اراد بها سوءا وقصدت العموم اي كل
من اراد باهلك سوءا تخفيفا ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف قال لسيدها يا يوسف خنتني
في اهلي مع اني كنت اتحقق من صلاحك ولما اغرته به وعرضته للسجن والعذاب غضب يوسف هي راودتني عن نفسي اي طلبتني
ودعتني الى السوء فابيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي ولو لم تقل ذلك لسيدها لكتم يوسف عليها ما
لم يحاول ذلك وشهد شاهد من اهلها اي الشاهد كان صبيا في المهد ابن خالها انطقه الله يدل عليه ما روي عن النبي صلى
عليه وسلم انه قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقيل كان ابن
عمها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف عليه السلام وانفى للتهمة
عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون
بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وانما سمي شهادة
مما هو بلفظ الشهادة لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها ان كان قميصه
وانما جاءت الجملة الشرطية حكاية بمعنى الشهادة لانها قول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال
ان كان قميصه قد من قبل قال صاحب الكشاف فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة لانها هي التي تبعته واجتذبت
ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي
دافعة عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني انه يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وانما
جاز الجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان احسنت الي فقد احسنت
اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي [illegible] فلما راى قطفير قميصه قد من دبر علم براءة
امرأته وبراءة يوسف وصدقه وكذبها قال لامرأته انه اي هذا الصنع من كيدكن وقيل اي هذا الامر وهو طمعك في يوسف وقيل ان قولك ما جزاء
قيل حاك السوء الذي دعته اليه وقيل انه من كيدكن من قول الشاهد كان الخطاب لها ولامثالها وانما استعظم كيد النساء لانه
وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله
ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء
اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم ثم قال قطفير يوسف اي
يا يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر
او الحديث واكتمه ولا تذكره وقيل لا تكترث له فقد بان عذرك وعرفت براءتك ثم امر يوسف بالاعراض عن هذا الامر
امر امرأته بالاستغفار فقال لها واستغفري لذنبك وقيل هذا من قول الشاهد ليوسف ولها اي واراد بقوله واستغفري
لذنبك يقول سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك ويصفح عنك وهذا معنى قول ابن عباس انك كنت من الخاطئين ولم يقل
من الخاطئات لانه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء وانما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك تغليبا للذكور على الاناث
وما كان قطفير الا رجلا حليما روي انه كان قليل الغيرة. قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها
عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين ● فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل
واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم ● قيل لما شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدثت بذلك النساء وقال نسوة جماعة من النساء في المدينة اي في مصر
وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب العزيز وهو قطفير وهو
الملك بلسان العرب تراود فتاها عبدها يقال فتاي وفتاتي اي عبدي وجاريتي وانما تكلمن بذلك وخضن فيها
طعنا فيها وتحقيقا لبراءة يوسف قد شغفها حبا اي احبته حتى دخل حبه شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه وقيل جلدة رقيقة
على القلب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب قال النابغة ... الدباغ وقد حال هم دون ذلك
والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع ● حبا نصب على التمييز انا لنراها في ضلال مبين في خطأ بين ظاهر من طريق الرشد بسبب
حبها اياه فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتهن اياها
وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل بقولهن وعيبهن لها سمي مكرا لانها كانت
اطلعتهن على امرها واستكتمتهن فمكرن وافشين سرها وقيل انه مكر حقيقة وانما قلن ذلك لتريهن يوسف وكان
يوصف لهن حسنه وجماله ارسلت اليهن دعتهن الى مائدة اتخذتها قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات اللاتي
اطلعتهن على سرها واستكتمتهن فافشين سرها واعتدت اعدت لهن من العتيد وهو المعد لهن متكأ ما يتكئن عليه
من نمارق ووسائد قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته
ويشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت وقعت يده على يده ولا يبعد ان يقصد الجمع بين المكر
بيوسف والنسوة فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين
نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس الطعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث

كعادة

كعادة المترفين ولذلك نهى ان ياكل الرجل متكئا واتت النساء السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا
عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ يتكئ عليه قال جميل فظللنا بنعمة
واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان القوم يقطعونه بالسكين لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين واتت كل واحدة منهن وقيل كانوا في ذلك الزمان لا ياكلون الا بالملاعق والسكاكين كفعل الاعاجم
والعرب تنهش نهشا لا تتخذ سكينا وقالت اي قالت ليوسف اخرج عليهن وذلك انها قد اجلست يوسف في مجلس غير المجلس
الذي كن فيه جلوسا فخرج يوسف عليهن فلما رأينه اكبرنه وكان فضل يوسف على الناس في الحسن والجمال كفضل القمر ليلة البدر
على نجوم السماء وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر يتلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس في الماء على الجدران فلما رأينه
اكبرنه اي اعظمنه وتاهن بجلاله وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل اكبرن
بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد
الكبر وقطعن ايديهن كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها وقيل حززن ايديهن بالسكاكين وخلن يقطعن
الاترج عن قتادة ابن ايديهن حتى القينها فما احسسن الا بالدم ولم يجدن من الالم لاشتغال قلوبهن بيوسف وعن وهب انه ماتت جماعة
من الاربعين منهن في ذلك المجلس وجدا بيوسف وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق
جميل مثله وقرأ ابو عمرو حاشا لله باثبات الالف على الاصل والباقون حاش لله بغير الف حذفوها لكثرة دورها على الالسن
وهي كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال الشاعر حاشا ابي ثوبان ان به
ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا لله براءة الله وتنزيه
الله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله وبما علمن من حسنه لما الفنه من محاسن الصور واثبتن له الملكية
وبتتن بها الحكم وذلك لان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما قال صاحب الكشاف وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع
ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك
وما هو الا من تعكيسهم الحقائق وجحودهم العلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب قيل اكثر صاحب الكشاف التشنيع
وحسب اذ نحن المسالة من الضروريات وقنع في ذلك بانه ركز في الطباع والمراد هنا طباع النساء وميلها الى الشهوات
والاشياء العاجلة ولا يقدر لسان صحيح كلام النسوة على ان الملك اجمل واحسن من البشر وليس الخلاف الا في انهما افضل ولا
يلزم من كونه اجمل ان يكون افضل وانما العمل لكن في اللغة القضايا الجارية وبها فسرنا القرآن ومنها قوله تعالى ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم وقيل لما قلن ما هذا بشرا لانهن لم يرين فيه طبع البشر من الشهوة وجواذب الغضب فيه كخلق الملائكة
قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونا من الصاغرين ● قالت امرأة العزيز فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعة لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به وربما بحالة كانه بعيد ذا الحال ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
يقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه
بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه لو تطرح حتى صرحت بمن يعتنبها فاستعصم امتنع
واستعفى الاستعصام بناء المبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها وهذا بيان لما كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل القاهر مما فسروا به الهم والبرهان
من التهمة فاستعصم بمعنى الشرع بالقاله الائمة ولا ادري ما الذي يحملهم على الحاق هذه الزيادة الباطلة بالكتاب
فقلن ليوسف اطع مولاتك ثم رحل ثم قالت امرأة العزيز ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن اي السجن يقصد به سجنا له
منعه من التصرف بالحبس والضمير في امره راجع الى الموصول اي ما امر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان يجعل
ما مصدرية فيرجع الى يوسف والمعنى ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونا من الصاغرين الاذلاء
ونون التاكيد تخفف وتثقل والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة وعلى قوله وليكونا بالالف لانها مخففة
وهي تشبه تنوين الاعراب في الاسماء كقولك رايت رجلا وزيدا واذا وقفت قلت رجلا وزيدا ومثله قوله تعالى لنسفعا بالناصية
قوله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
لما قالت امرأة العزيز ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين والنسوة يسمعن هذا التهديد
اجتمعن على يوسف وقلن له المصلحة لك في مخالفة امرها والا وقعت في السجن تعتذر لذلك فخرج يوسف عليه السلام
انواع الوسوسة منها ان امرأة العزيز كانت في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات المال والشرف وكانت على عزم ان تبذل
الكل ليوسف بتقدير ان يفعل ما امرته ومنها ان النسوة اجتمعن عليه وكل واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه بطريق
آخر ومكر النساء شديد ومنها انه عليه السلام كان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله او اهلاكه فاجتمع جميع جهات الرغبة في
موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها فخاف عليه السلام ان تؤثر هذه الاسباب الكثيرة فيه وعلم ان القوة البشرية
والطاقة الانسانية لا تفي بحصول هذه العصمة القوية فعند هذا التجا الى الله وقال رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه اسند الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار
فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية وكانت المشقة في نزول السجن احب الي مما يدعونني اليه

لذة عظيمة فآثر عند منظر أحسن الصبر على احتمالها لوجه الله في قبح المعصية وسوء عاقبتها كل واحد منهما لا ينظر إلى مشتهى
النفس ومكروهها وإلا تصرف عني كيدهن فإن لم تصرف عني كيدهن أصب إليهن فأتابعهن تقول صبا فلان إلى كذا مال
اشتاق إليهن إما بطبعي وغلبة شهوتي إلى إجابتهن وذكر بلفظ الجمع لأنهن قلن له أطع مولاتك وقيل أصب إلى قولهن
وقيل لكل واحدة منهن دعته إلى نفسها سراً وظاهراً إلا أنه يدل على أخذ ذلك وأكن من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن العالم الذي
لا يعمل بعلمه والجاهل سواء أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح قوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه
هو السميع العليم ● فأجاب الله دعاءه فصرف عنه كيدهن وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله وإلا تصرف
عني كيدهن فيه معنى طلب الصرف وطلب العصمة من الله تعالى إنه هو السميع لدعاء الداعين العليم بأحوالهم وإخلاصهم وبمصالحهم
ومقاصدهم قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ● ثم بدا ظهر للعزيز وأهله من بعد
ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبر وشهادة الشاهد وقطع النسوة أيديهن ليسجننه
إلى زمان فيه ونحوه ولهم وفعل فاعل بدا بداء أو رأي والعرب يقولون بدا له بداء لا ينكرونه بما كثرته قال الملك ومن لغو
حتى وقاه من تلك ليقلص بها والبداء الرأي الذي يحدث فيه قال الكوفيون فاعل بدا ليسجننه وعند البصريين
لا يقع الجملة فاعلة فقط بل قوله ليسجننه تفسير للبداء وقيل بدا لهم سجنه ليسجننه حتى حين قيل سبع سنين وقيل خمس سنين
كانت امرأة العزيز اقترحت أن يسجن زماناً حتى يتبصر ويكون عنه وقالت لهم إن لم تسجنوه كلما نال العقبة حتى لا يشيع في
وما كان ذلك الرأي إلا باستنزال امرأة العزيز له فيها وكان مطاوعاً لها وجملاً ذلولاً لأن زمامه في يدها حتى أنساه ذلك
ما عاين من الآيات وعمل برأيها في جميع الأمور في سجنه وإلحاق الصغار به كما وعدته امرأة العزيز وذلك لما أيست من
إجابته لها أن طمعها فيه انقطع وسجنه عن وهب بن منبه أشار النسوة على زليخا بسجن يوسف رجاء أن يتفق به
حتى يخلو لهن في السجن وقيل إن زليخا سجنته لتقطع بذلك عنها مقالة الناس التي قد شاعت وروي أنه لما بعضته
وبيلة السجن فقالت امرأة العزيز لسيدها إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني
راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر بعذري وإما أن تسجنه فحبسه
كما جنت فظهر للعزيز وأهله من الرأي حبس يوسف إلى الوقت الذي يعرف فيه رأيهم فحبسه بعد علمه ببراءته
قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً
تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ● ودخل مع يوسف السجن مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها
تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخول يوسف السجن مصاحباً للفتيين قيل هما مملوكان
كانا للملك الأكبر بن الوليد أحدهما خبازه صاحب طعامه والآخر ساقيه صاحب شرابه بلغ الملك أن خبازه يريد أن
يسمه وأن ساقيه مالأه فغضب عليهما فأمر بهما إلى السجن فدخلا السجن ساعة أدخل يوسف وكان يوسف لما دخل
السجن قال لأهله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين إذا رأى تعبير في المنام وهو حكاية حال ماضية أعصر خمراً أي عنباً
تسمية للعنب بما يؤول إليه العصر استخراج المائع وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب إنا نراك من المحسنين الذين يحسنون
عبارة الرؤيا أو يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فلذلك قالا إنا نراك من العالمين لأنهما
سمعاه يذكر ذلك لهم أو مما يعلمه أن المعنى المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأيناه
إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا يروى أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا ضاق أوسع له وإذا احتاج جمع له
ولما انتهى إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول اصبروا وأبشروا
تؤجروا إن لهذا أجراً فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك وأحسن حديثك لقد بورك لنا
في جوارك ما نحب أنا كنا في غير هذا منذ حبست لما تخبرنا من الأجر والثواب والكفارة والطهارة من أنت يا فتى قال أنا
يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم عليهم السلام فقال له صاحب السجن لو استطعت
لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت عن مجاهد لما رأى الفتيان يوسف
قالا والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل
علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما فأبيا إلا حبه وألفته
حيث كان وهو في السجن قيل إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي إني أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب
فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا
سباع الطير تنهش منها نبئنا أخبرنا بتأويله ما قصصنا عليك والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحو كان ذلك نبئنا
بتأويل ذلك قوله تعالى قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي
إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ● واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا
أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون كره يوسف عليه السلام
أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره وقيل لما استعبر فتيان
يوسف ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل بما وصف به نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه
ينبئهما بما يأتيهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله

وهذه

وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه أحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد
والموعظة والنصيحة أولاً ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم
إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب
التزكية وقيل لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا أخبرتكما قبل أن يصل إليكما بتأويله بتبيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك
يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه لأن يوسف كان يخبر بما غاب كعيسى وقيل لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام
إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة هذا قول أكثر المفسرين فقالا هذا فعل العرافين والكهنة فقال يوسف ما أنا بعراف
ولا كاهن إنما ذلكما التأويل والإخبار من فضل ربي ومما علمني ربي وما أوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجيم إني تركت يجوز أن يكون
كلاماً مبتدأ ويجوز أن يكون تعليلاً لما قبله أي علمني ربي ذلك لأني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
وأراد بالقوم الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة وأن
غيرهم كانوا قوماً مؤمنين وتركت معناه تخلصت من ملة قوم ويجوز أن يكون فيه تعريض بما هم فيه من حبسهم حين لم دعوه
السجن بعدما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء واتبعت ملة آبائي
إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهي الملة الحنيفية التي هي توحيد صرف لا شرك فيه وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما
أنه نبي يوحى إليه بما ذكر لهما من إخباره ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه والاتباع لقوله ما كان لنا ما صح وما استقام لنا معشر الأنبياء أن نشرك
بالله من شيء من ملك أو نبي أو صنم لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكما شيئاً ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
أو على الرسل والمرسل إليهم هذا يدل على أن نعمة الإيمان أشرف النعم وتحصيل الإيمان من الله ثم بين أنه الأمر كذلك في حق
بعثه وفي حق الناس ثم بين أن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة الإيمان قوله تعالى يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم
إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ● يريد يا صاحبي في السجن لما حصلت
مرافقتهما في السجن مدة قليلة أضيفا إليه وإذا كانت المرافقة القليلة كافية في كونه صاحباً فمن عرف الله وأحبه طول
عمره أولى أن يقع عليه اسم المؤمن العارف المحب ولما ادعى المحبة في الآية الأولى وكان إثبات النبوة مبنياً على إثبات الإله
القادر العليم شرع في إثبات الإله القدير لما لم يكن للخلق مقر بوجود الإله القدير العليم وإنما الناس
في أنهم يتخذون أصناماً يعبدونها أو يتوقعون منها الضر والنفع كان سعي أكثر الأنبياء في المنع من عبادة الأوثان
وكان الأمر كذلك في زمن يوسف عليه السلام فلهذا السبب شرع في ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الأصنام ودعا
هما إلى الإسلام فأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزاماً للحجة يا أرباب
متفرقون في العدد شتى مختلفة الذوات والحقائق والأعضاء وقيل متفرقون أي الأصنام من ذهب وفضة وحديد وملائكة
أعظم وأولى بالإتباع أم الله الواحد الذي لا ثاني له القهار الذي يقهر كل شيء ولا يقهره وقيل يعقل أن يكون لكما أرباب
شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية
بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه الله لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام وإنما سماها أرباباً على سبيل الفرض
والتقدير لاعتقادهم فيها أنها أرباب والمعنى إن كان أرباباً فهي خير أم الله الواحد القهار والتفاضل بين الله وبين
الأصنام على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخيرية أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
ثم بين عجز الأصنام وضعفها فقال ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من أصحاب السجن أي ما تعبدون من دون الله
إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم لأن تسميتهم إياها آلهة وأرباباً من غير أن يكون لتلك التسمية حقيقة وقيل الأسماء
لا طائل تحتها ولا مسمى فيها وقيل الأصحاب أسماء وقيل كأنهم اعتقدوا وجود ما ليس بموجود فصاروا يعبدون أسماء
ولا مسمى لها وقيل إنكم سميتموها آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا
معنى تحتها ونحن نسميها ما سميتم به أحياناً يقال سميته بزيد وسميته زيداً وقيل سميتها قال أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد
وذلك يدل على وجود هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الآية ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهذا يدل
على أن المسمى غير حاصل وبينهما تناقض والجواب أن الذوات موجودة إلا أن المسمى بالإله غير موجود لأن ذوات الأصنام
وإن كانت موجودة إلا أنها غير موصوفة بصفات الإلهية وإذا كان كذلك كان الشيء الذي هو مسمى بالإله في الحقيقة غير
موجود وكيف لا نطق آلهة من صنعت الأصنام قالوا لا نقول إن هذه الأصنام آلهة خلقت العالم ولكن سميناها آلهة
لتعبدها لأن الله تعالى أمرنا بذلك فأجاب الله عنه بأن ما أنزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة إن الحكم في أمر العبادة
والدين والقضاء والأمر والنهي إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين الذي دعوتكما إليه الدين
القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين القاطعة والحجج الساطعة ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيشركون بالله ويعبدون
الأصنام قوله تعالى يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر
الذي فيه تستفتيان ● لما قرر التوحيد عاد إلى الجواب عن سؤالهما فعبر رؤياه فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما
أي الساقي فيسقي ربه خمراً أي سيده وجازت تسميته رباً للإضافة وروي أنه قال للساقي ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن
حالك عنده وأما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك ويعود على ما كان عليه
وأما الآخر فيصلب وأما السلال الثلاث فإنها ثلاثة أيام ثم يخرجك الملك في اليوم الرابع فيصلبك فتأكل الطير

من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ من الامر الذي عنه تسألان وتم ووجب حكم الله بالذي اخبرتكما به
وهو هلاك احدهما ونجاة الاخر عن ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما راينا شيئا انما كنا نلعب فقال يوسف
قضي الامر الذي فيه تستفتيان صدقتما او كذبتما يعني ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعن عطاء
ابن ابي رباح انه قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رايت في المنام كان
سارية بيتي انكسرت وان زوجي غائب فقال صلى الله عليه وسلم هل قصصتها على احد قالت بلى على ابي بكر او قالت
على علي فقال لها ما ذا قال قالت قال القوامات فرجت فقال عليه الصلوة والسلام هو على ما قيل وعنه صلى الله
عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فان قيل استفتيا في امرين مختلفين فما وجه التوحيد اجيب بان المراد بالامر ما اتهما
من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا استفتيا في الامر الذي عاقبته
نجاة ام هلاك قوله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين قال يوسف للذي ظن يوسف انه ناج منهما والظن ههنا بمعنى اليقين وانما تيقنه لكان علمه
بطريق الوحي ومعناه الحقيقي اذ كان تاويله بطريق الاجتهاد وقيل وقال يوسف للذي ظن اي الساقي انه ناج منهما
فالظان هو الساقي اذكرني عند ربك سيدك اي الملك وصفني عنده واقصص عليه قصتي وقل له ان في السجن
غلاما محبوسا ظلما لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه اي انسى الشيطان
الساقي ان يذكر يوسف لربه فان قيل فما وجه اضافة الذكر الى ربه وما هي اضافة المصدر الى الفاعل او الى المفعول
اجيب بانه قد لابسه فجوزت فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه بحذف المضاف الذي هو الاخبار وانسى
يوسف الشيطان ذكر الله ربه حتى ابتغى الفرج من غيره ووكل امره الى غير الله واستعان بالمخلوق وتلك غفلة عرضت
ليوسف من قبل الشيطان فلبث في السجن بضع سنين وهو ما بين الثلث الى التسع والاكثرون على انه لبث
سبع سنين قيل ان جبرئيل اتاه في السجن فنظر في وجوه اهل السجن فعرفه يوسف فقال له يوسف يا اخا المنذرين
مالي اراك بين الخاطئين فقال له جبرئيل يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول الا ما استحييت
مني اذا استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا
لا ابالي ثم روي ان جبرئيل قال ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن انجاك
في البئر وانت عريان قال الله تعالى قال فمن اخرجك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال فكيف
استشفعت بآدمي مثلك قال صاحب الكشاف فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان به
وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث
الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة
عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب حرسا
حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك
لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والحرق والغرق ونحو ذلك كما اصطفى الله
على خليقته فقد اصطفى له احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى
ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب
يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس قوله تعالى
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ● لما دنى فرج يوسف رأى
ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس ياكلهن سبع بقرات عجاف
مهازيل ضعاف اي ابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الملك السحرة
والكهنة والحازة والقافة وقصها عليهم واستعبرها وقال لهم يا ايها الملأ اي الاشراف كانه اراد الاعيان من العلماء
والحكماء افتوني في رؤياي اي عبروني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما يقولون
عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها ومرجعها قال الملأ اضغاث اي هذه اضغاث احلام
اي اخلاط مختلفة مختلطة مشتبهة اي تهاويل واباطيل واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم واحدها ضغث فاستعير
لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والاحلام جمع الحلم وهو الرؤيا قال صاحب الكشاف فان قلت ما هو الا حلم واحد
فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما يقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا
عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص
عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اي ليس تعبير الرؤيا من شاننا وعلمنا فنفوا هذا اقرارا
بقصور علمهم وانهم ليسوا من اهله في تاويل الاحلام مطلقا بعالمين وقيل ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها تاويل عندنا فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر
بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات

خضر

خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون [illegible]

[illegible]

قحطة على الناس يؤكل فيهن ما اعددتم لهن مما ادخرتم في السنبلة في السنين السبع الخصيبة يأكلن من الا
الجاري يجعل الاكل اهلهن مسند اليهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون اي القليل من الحصين لا يؤكل في السبع الشداد
ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ويمطرون من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا وقيل
هو من الغوث يغاثون بالخصب او ينقذهم الله من القحط والجوع يقال استغاث فاغاثه وفيه اي في ذلك العام الناس
يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع اي يكثر الثمار والاعناب والزيتون والسمسم ويجدون الادهن
والادهان ويحلبون المواشي لكثرة المرعى فيها جميعا وقرأ الكسائي تعصرون بالتاء وجهها الخطاب الى المستفتين والباقون بالياء
وقيل يعصرون يجوز من العصر وهو المنجا والعصرة المنجاة يقال فلان في عصرة اذا كان في حصن لا يقدر عليه وقيل
يعصرون يصيبون ما يحبون والمعتصر الذي يصيب الشيء ياخذه وقيل يعطون ويفضلون لسعة عيشهم اوانك
البقرات السمان كالسنبلات الخضر سنين مخاصيب والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات سنين مجدبة ثم بشرهم
بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثاني يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعلم لم يكن
في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي اتاه الله وعن قتادة زاده الله علم سنة قوله تعالى وقال الملك ائتوني به
فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم ● لما رجع الساقي
الى الملك واخبره بتاويل رؤياه وامره بما يصنع وقع في نفس الملك صحة ما قاله وعرف انه واقع واعجب به واكشف عنه الهم والحزن
الذي كان به وقال ما يسوى مثل هذا العالم الذي عبر هذه الرؤيا حتى اكرمه فلما جاء يوسف الرسول وهو الساقي وقال
له اجب الملك فانه يدعوك ليكرمك قال يوسف للرسول ارجع الى ربك الملك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
ليعلم صحة براءتي انما تانى يوسف وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف به وسجن فيه لئلا
يتوصل الحاسدون بتقبيح امره عنده ويجعلوه طريقا الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما لبث يوسف في السجن بضع سنين
الا لامر عظيم وقد [illegible] ان يسجن في تعذيب وفي هذا دليل على ان السعي والاجتهاد في نفي التهمة حسن بل واجب
وجوب اتقاء الوقوف في مواقف التهمة قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت
مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال
ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر انه كان حليما
ذا اناة وانما قال فسئل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث
عما سئل عنه فاراد يوسف ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له برائته
بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من
السجن والعذاب واقتصر على ذكر اللاتي قطعن ايديهن قيل انما لم يذكر امراة العزيز صيانة لها او انهن برهنا
لا تفضحها وقيل ان المعنى انما الحق لم يشهدن ببراءتي وقد عرفن ذلك باقرار امراة العزيز عندهن وقيل يحتمل انه خاف
ان يحيل الذنب عليه فالاولى ان ربي بكيدهن عليم حين قلن له اطع مولاتك وقيل اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله
لبعد غوره وانتشد لجد الله على من كذبه وانه برئ مما قذف به وقيل اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن
عليه وقيل اراد ان يشتكي من عمل الكيد وهو بين يديه ما قذفته به امراة قوله تعالى قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه

قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين • فرجع
الرسول الساقي من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتي قطعن ايديهن وامراة العزيز فقال الملك لهن ما خطبكن
ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف اي اكن راودتن يوسف عن نفسه قطعا لا كلام فيه هل وجدتن من يوسف ميلا
اليكن فان قيل انما راودته زليخا وحدها فلم جمعهن الملك اجيب بانه بلغ الملك ان بعض النسوة راودته فجمعهن في السؤال
ليستعلم المراودة بعينها ولم يكن عالما بها قبل السؤال وقيل ان زليخا راودته عن نفسه على نفسها وراودته النسوة
على القبول منها وقيل يحتمل ان يكون النسوة راودنه عن نفسه على انفسهن لانهن ايضا احببنه فاجابت النسوة الملك
وقلن حاش لله معاذ الله ما علمنا على يوسف من سوء تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته
عنها وقيل معناه ما دعونا الى انفسنا وانما دعوناه الى امراة العزيز وما علمنا سوءا فانه دعوة المملوك الى طاعة صاحبته
قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق ظهر وثبت واستقر انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن ليوسف ببراءته ونزاهته واعتراف امراة العزيز على نفسها بانه لم يتعلق بشيء مما قذفته
به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وهذا كله لتاكيد ما ذكرنا
فاقبل الاية في حقه قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين • ثم رجع الرسول
الى يوسف وهو بعد في السجن فاخبره بكلام النسوة وبراءتهن يوسف عن سوء وبجواب زليخا وتكذيبها نفسها و
تصديقها يوسف قال يوسف ذلك التثبت ... وردي الرسول الى الملك وامتناعي من الخروج لتظهر البراءة ليعلم
العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه
او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة
المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها
وبالعزيز في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته
وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد يوسف ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا
وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه
من الامانة ليس به وانما هو بتوفيق الله وفضله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي ان ربي غفور رحيم اي وما ابرئ نفسي من الخطا والزلل ولا اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ان النفس لامارة
بالسوء في كل وقت اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي بالعصمة
ويجوز ان يكون الا ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة فعلى هذا قوله ذلك الى قوله ان ربي غفور
كلام يوسف وهذا من لطيف ما يكون من الكلام ان يحكي عن شخص شيئا ثم يصله بالحكاية عن آخر ونظيره قوله تعالى يريد
ان يخرجكم من ارضكم هذا قول الملأ وقوله فماذا تامرون قول فرعون ومثله وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا قول بلقيس
وكذلك يفعلون قول الله ومثله قوله من بعثنا من مرقدنا قول الكفار وقوله هذا ما وعد الرحمن قول الملائكة وانما يجوز
مثل هذا في الكلام لظهور الدلالة على المعنى وقيل قائل ليعلم الملك اني لم اخن الملك بالغيب اي لم اخنه في امراة وزيره
وقيل لم اخنه في بنت اخته زليخا وكانت زليخا بنت اخت الملك وقيل ليعلم اني لم اخنه نسب العلم الى الله تعالى والمراد به
فعل المخلوقين كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم وقيل ذلك من كلام امراة العزيز اي قالت امراة العزيز ذلك الذي قلت ليعلم
يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة بل صدقت فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة
فاني خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها
فقالت ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يعقوب ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها
واسترحمته مما ارتكبت قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم • لما تبين للملك عذر يوسف وامانته وعلمه قال ائتوني بيوسف استخلصه
اجعله خالصا لنفسي خاصا بي لا يشاركني فيه غيري فلما جاء الرسول يوسف قال ليوسف اجب الملك الآن فخرج يوسف
من السجن ودعا لاهل السجن بدعوة تعرف الى اليوم اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فكانوا اعلم الناس بالاخبار في كل
بلدة وقيل الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة
الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا فقصد باب الملك فلما وقف بباب الملك
تحت باب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك
قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره فلما نظر الملك اليه سلم
يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك فما هذا
اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا وكلما كلم الملك يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فتعجب الملك
منه وكان يوسف يومئذ ابن ثلثين سنة فلما راى الملك حداثة سنه قال لمن عنده ان هذا علم تاويل رؤياي ولم يعلمه
السحرة والكهنة ثم اجلسه وقال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف عليه السلام
نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن

لبنا

لبنا فبينا انت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل وغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته ووحله سبع بقرات
عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب و
خراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن
عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن
في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك اني هذا خضر مثمرات وهذه سود يابسات والمنبت واحد واصولهن
في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن
وصرن سودا فهذا اخر ما رايت ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان
كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا
كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن فتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله فيكون القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس
يرفعون من الطعام الخمس فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وياتيك الخلق من النواحي يمتارون
منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ومن يبيعه ويكفيني الشغل
فيه فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شيء قال يوسف اجعلني على خزائن
الارض ولني خزائن ارضك اي خزائن الاموال وخزائن الطعام اني حفيظ لما وليتني فقيل عليم بسني المجاعة وقيل حفيظ
للحساب عليم بالالسن اعلم لغة من ياتيني وقيل حفيظ لتقدير هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع
وقيل حفيظ بما وصل اليه عليم ... وصف يوسف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن
يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد
ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب يوسف التولية ابتغاء لوجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة فاقام في بيته ... قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته وسلطان
جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع
الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل
ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وقال الملك ليوسف اني احب ان تخالطني في كل شيء سوى اهلي وانا آنف ان تاكل
معي فقال يوسف انا احق ان آنف انا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله وكان الملك ياكل بعد ذلك
معه وروي ان العزيز لما اشترى يوسف قال للوزير(?) فليقعد مع الغلمان فقال له اذهب فاقعد مع الغلمان فقال
يوسف تستنكف ان تاكل معي انا والله يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه عرض على ابي هريرة(?) الامارة فقال لقد طلب الامارة من هو خير منك يوسف قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم قيل لما مضت السنة من يوم سال يوسف التولية على خزائن الارض دعاه الملك فتوجه وختمه بخاتمه وقلده بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من استبرق وطول السرير ثلثون ذراعا وعرضه
عشرة اذرع وعليه ثلثون فراشا وستون مقرمة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه
في صفاء لون وجهه فقال يوسف للملك اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من
لباسي ولا من لباس آبائي فقال الملك انا لم البس التاج فاني لم البسه حتى يعلم اني قد فضلتك على نفسي فوضع الملك التاج على
يوسف كله التاج اجلالا له واقرارا بفضله فانطلق يوسف حتى جلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه
امر مصر وعزل العزيز عما كان عليه وجعل مكانه وسلم خزائن الارض والاموال واطلق امره وعزمه اليه وجعل امره نافذا
في مملكته وروي انه لما اخرج الملك يوسف من السجن وبان له ان يوسف كان محبوسا ظلما غضب على العزيز وقال كيف ...
هذا العبد المطهر من العيب المنزه من الريب وعزله واخرج زليخا من القصر ثم مات قطفير في تلك الليالي فزوج الملك
يوسف امراة العزيز زليخا فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فقالت ايها الصديق لا تلمني
لاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى في دنيا وملك وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك و
هيئتك فغلبتني نفسي فاصابها يوسف فولدت له ولدين افرائيم ومنشا وقيل ان زليخا مات زوجها قطفير وافتقرت
بعده ... وعميت ... فخرجت تتكفف الناس فمنهم من يرحمها ومنهم من لا يرحمها ...
الى يوسف العزيز لكي ما استعطفه من تربيتها ... بما يصرف في مصالح ... فمنهم من يقول لها لا تفعلي هذا
فانه ربما يذكر بعض ما كان منك مما ... حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ويذكر حبسك اياه فيامر بقتلك
فقالت انا اعلم بخلقه منكم انا اعرف من حلمه وكرمه ما لا تعرفون ثم تركته حتى ركب في موكبه وكان يوسف يركب
كل اسبوع في موكب زهاء مائة الف من عظماء قومه فقامت فنادت باعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم
وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف من هذه فقال لها من انت قالت انا التي كنت اخدمك على صدور قدمي
وارجل شعرك بيدي وتربيت في بيتي واكرمت مثواك ولكن فرط ما فرط من جهلي وعتوي فذقت وبال امري فذهب مالي
وتضعضع بالي وتغير حالي وطال الذل وعمي بصري وبعد ما كنت مغبوطة اهل مصر صرت مرحومتهم اتكفف الناس
فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف بكاء شديدا ثم قال لها هل بقي في نفسك

مما كان من حبك فقالت سبحان الله لنظرة الى وجهك احب الي من الدنيا وما فيها ناولني صدر سوطك فناولها فوضعته
على صدرها فوجد يوسف السوط في يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها ثم مضى الى منزله وقال الحاجب
قلبك فسوف ابلغك املك فبعث اليها تزوجك قالت لا يليق بكرمك ان تسخر بي انا ما تعلم اني كنت ابنة العنصر وانا من بنات
اشراف الملوك وقد كنت احببتك بنفسي وانت لما ادر في ايام حسني وجمالي وانا على هذه الحالة ثم بكت بحرقة فقال لها
اطلبي ما تريدين فقالت له افعل ما يليق بك فخرج وجها وهي على تلك الحالة وحملها الى قصره فقام يوسف عليه السلام تلك
الليلة يصلي ويدعو الله باسمه العظيم وهي خلفه تسأل الله تعالى ان يعيد بصرها وجمالها وشبابها حتى عادت احسن
مما كانت يوم راودته عن نفسه اكراما ليوسف لما استعصم وكيف من عجائب الله واقام معها اربعين سنة في الحفظ من
عيشة كل يوم يجد الله لهما خيرا ورزقهما ولدين افراييم وميشا قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في دفع المكروه عنه وتخليصه من السجن وتقريبه الى قلب الملك مكنا ليوسف
اي اقدرناه على ما يريد في ارض مصر يقال انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها اين يشاء لم يمنع منه
لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نصيب اي نخص بنعمتنا وعطائنا من النبوة والملك والغنى من نشاء ولا نضيع
اجر المحسنين بصبره في الجب وصبره في الرق وصبره عما دعته اليه المرأة وصبره في السجن ولم يزل يقيم العدل بمصر
ويدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم على يده الملك وكثير من الناس ولحسنة الحال ما لنا اعطيناه في الدنيا
ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون من الكفر وكانه لما استولى يوسف على مصر دخلت السنون المخصبة فامر يوسف
الناس باصلاح المزارع وسد الجسور وامرهم ان يتوسعوا في الزراعة فلما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهراء
فجمعت فيها في تلك السنة غلة ملأت المخازن لكثرتها ثم جمعت غلة كل سنة كذلك حتى خلت السنون المخصبة وقد
السنون المجدبة فاصاب الناس جوع وجاءت تلك السنون بهول عظيم لم يعهد الناس بمثله وذلك كان ابتداء القحط
فبينا الملك ذات ليلة اصابه جوع في نصف الليل فهتف الملك يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فلذلك
يعرف اهل التجارب القحط علامتان احديهما ان النفس تشتهي الطعام اكثر من العادة وتسرع اليها الجوع خلاف ما كان
عليه قبل ذلك فيأخذ من الطعام فوق الكفاية والثانية ان يفقد الطعام ويعز على الغني الى الغاية فلما دخلت السنة
الاولى من سني القحط هلك فيها كل شيء اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل يوسف يبيع منهم في السنة الاولى بالنقود
الدنانير والدراهم حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه ثم باع منهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في ايدي
الناس منها شيء ثم باع منهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها اجمع ثم باع منهم في السنة الرابعة بالعبيد
والاماء حتى لم يبق عبد ولا امة في يد احد ثم باع منهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى ملكها ثم باع منهم في السنة
السادسة باولادهم ونسائهم فاسترقهم جميعا ثم باع منهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد
الا صار عبدا له فقال الناس والله ما رأينا ملكا اجل ولا اعظم من هذا فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله ربي فيما
خولني فما ترى لي فقال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل
مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان يوسف في تلك الايام لا يشبع من الطعام فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض
فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف ايضا طباخي الملك ان يطعم الجوع فلا ينسى الجائعين ونحن الى الحال
نفعل ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل اوب يمتارون وكان يوسف عليه السلام
لا يبيع الطعام من احد من الممتارين وان كان عظيما اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم واصاب ارض
كنعان وبلاد الشام من القحط ما اصاب مصر فنزل بيعقوب ما نزل بالناس فقال لاولاده ان بمصر ملكا صالحا يبيع
الطعام فيمير الناس قال الاولاد من اين يكون بمصر رجل صالح وهم يعبدون الاوثان فقال يعقوب انتم تذهبون اليه تشترون
منه الطعام تدفعون اليه دراهمكم ودنانيركم فتأخذون الطعام فما لكم ولدينهم فارسل بنيه الى مصر ليمتاروا
وامسك بنيامين اخا يوسف لامه قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تقربون ● وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل
وشاء فلما دخلوا على يوسف فهم اخوته له منكرون ولا يعرفونه لطول العهد بهم ومفارقته اياهم في سن الحداثة
ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان
من حاله التي فارقوه عليها طريحا في الجب حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه
من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل ان يوسف رآهم من بعيد بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا
بقدر طلاب الحوائج وقيل رأوه على سرير وعليه ثياب من حرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج
فما خطر ببالهم انه هو وقيل كان بينه وبينهم ستر فلذلك لم يعرفوه وانما عرفهم يوسف لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم
زيهم قبل ذلك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن والحق انه تعالى لما اراد ان يبلغ يوسف
ما اراد خلق معرفة يوسف لهم فيه ولم يخلق معرفتهم ليوسف فيهم وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا وهذا ضعيف فلما
نظر اليهم يوسف كلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم فاني انكر شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام

دعاة اصحابنا

دعاة أصحابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما
نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية
فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا عند ابينا يتسلى به من الذي هلك لانه
اخوه من امه قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد
قال فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين ولما جهزهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج
اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وحمل لكل رجل منهم بعيرا بعدته قال يوسف ائتوني باخ لكم من ابيكم
يحمل لنا الذي من ابيكم حتى اصدقكم ودعوا بعضكم عندي رهينة فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا
في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه وانا خير المنزلين للضيف
فانا احسن انزالهم وضيافتهم ثم اوعدهم على عدم الاتيان باخيهم فقال فان لم تأتوني به باخيكم من ابيكم فلا كيل لكم عندي
فليس لكم عندي طعام اكيله لكم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على
محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي اي ولا تقربوا بلادي قوله
تعالى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ● قالوا اي اخوة يوسف سنراود سنخادع عنه ونجتهد
ونحتال حتى ننتزعه من يديه ونخرجه معنا وقيل نطلبه ونسأله ان يرسله معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به لا نفرط
فيه ولا نتوانى ● قوله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون ● وقال يوسف لفتيانه قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم لفتيانه بالالف والنون والباقون لفتيته
بالتاء بغير الف وهما جمع فتى كأخ واخوة واخوان وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين
اجعلوا بضاعتهم ثمن طعامهم عن قتادة اي دراهمهم وعن ابن عباس كانت النعال والادم في رحالهم اوعيتهم جمع
رحل وهو كل شيء يعد للرحيل يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل لعلهم يعرفونها يعرفون حق الكرم باعطاء الثمن
والمثمن اذا انقلبوا اذا انصرفوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع
وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من الطعام ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان
ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل اراد كرمهم برد بضاعتهم واحسانا
ليكون داعيا لهم الى العود اليه وقيل خشي ان يضر اخذ ذلك منهم بابيهم اذ كانت السنة سنة جدب وقحط فاحب
ان يرجع اليه وانما اراد ان يجتمع به ابوه وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم
من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها قوله تعالى فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون ● فلما رجع اخوة يوسف الى ابيهم يعقوب قالوا
يا ابانا انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال يعقوب لبنيه اذا اتيتم
ملك مصر فاقرؤه مني السلام وقولوا له ان ابانا يدعو لك بما اوليتنا ثم قال اين شمعون قالوا ارتهنه الملك واخبروه بالقصة
فقال لهم يعقوب لم اخبرتم الملك قالوا ان الملك اخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية وقصوا عليه
القصة وقالوا يا ابانا منع منا الكيل بعد هذا ان لم نذهب باخينا بنيامين اليه فارسل معنا اخانا انما الكيل الذي ذكرناه لنا
معنا اخانا بنيامين نكتل قرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء اي يكتل اخونا لنفسه فينضم كيله
الى اكيالنا او يكون اخونا سببا للاكتيال فانه منع الكيل بسببه والباقون نكتل بالنون اي نكتل نحن من الطعام ما نحتاج
اليه وانا لاخينا لحافظون من كل ما تخافه حتى نرده عليك وقيل وانا لحافظون نضمن ان نرده اليك قوله تعالى
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ● قال يعقوب لبنيه هل
آمنكم على اخيكم بنيامين الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل فانكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما
تقولونه في اخيه ثم خنتموه فما يؤمنني منكم من مثل ذلك لم يثق بهم لما كان منهم في حق يوسف فالله خير حافظا قرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم حافظا بالالف وهو تمييز كما يقال هو خير رجلا والاصل خيركم حافظا كقولك الله خيرهم رجلا لله
دره فان شئت حذف المضاف اليه ويجوز ان يكون حالا والباقون حفظا بغير الف على المصدر اي خيركم حفظا فتوكل
يعقوب على الله في بنيامين ودفعه اليهم وهو ارحم الراحمين ارجو ان يرحم على بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين
لما قال فالله خير حفظا قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعدما توكلت علي قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل
بعير ذلك كيل يسير ● ولما فتح اخوة يوسف متاعهم اوعيتهم التي حملوها من مصر وجدوا بضاعتهم التي حملوها
من كنعان ثمنا للطعام فرحوا بها وقالوا يا ابانا ما نبغي يجوز ان تكون ما نافية اي ما نبغي في القول ما نريد فيما
وصفنا لك من احسان الملك الينا واكرامه وقيل ما نطلب منك ما نرد به الى مصر وقيل ما نبغي وراء ما فعل بنا من الاحسان
وقيل ما نكذب فيما اخبرناك عن صاحب مصر ويجوز ان تكون ما استفهاما اي اي شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد
علينا الثمن واراد ما ان يطيب نفس ابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي اي هذه
بضاعتنا التي حملنا في ثمن الطعام ردت الينا فأي فوق هذا من اكرامنا واعطائنا ورد علينا الثمن والحمل بعدها
وهي عطف له ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير معطوفة على قوله هذه بضاعتنا على معنى ان بضاعتنا ردت الينا

فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير نخرجه الى الملك اي نجلب الى اهلنا الميرة ونحفظ
اخانا فما يصيبه شيء مما تخاف ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على وسق باعرنا فاي شيء نبتغي وراء
هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات يدنا واما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد الرجل
على حمل بعير للتقسيط قال صاحب الكشاف فيما اذا فسر ما نبغي في القول بالكذب كانت هذه بضاعتنا ردت الينا
بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد فيما قالوا والجملة الباقية معطوفة على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة
فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما
نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم
لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي قال اخوة يوسف ذلك الكيل
قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم وقيل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك
الكيل كيل يسير يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون ذلك كيل يسير
لا يقنعنا ويجوز ان يكون ذلك كيل يسير من كلام يعقوب يعني قال يعقوب اي حمل بعير واحد شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كما ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب يحتمل ان يكون من كلام يوسف ويحتمل ان يكون من كلام
امرأة العزيز قوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه
موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم
من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ● قال يعقوب لن ارسل اخاكم معكم رسالة
معكم منافي لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتوني تعطوني موثقا عهدا الوثيق به من عند الله اراد ان تحلفوا
وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله تعالى في ذلك فهو اذن
منه وعن ابن عباس حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا باخيكم لتأتنني به جواب اليمين
لان المعنى لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا جميعا وعن قتادة الا ان تغلبوا فلم تقدروا على الاتيان به قال
صاحب الكشاف ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم لا تمتنعون من الاتيان لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم
العام لا يكون الا في كلام النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله
لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما آتوه موثقهم اي فلما حلفوا بالله ليأتنه به قال يعقوب
الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقيل شاهد حافظ وقيل ضامن القيام على ما اسند
اليه لما اراد بنو يعقوب الخروج من عنده قال لهم يعقوب لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
نهاهم عن الدخول من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وجمال وهيئة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا ابناء رجل
واحد فخشي عليهم من عين اهل مصر بالقربة عند الملك بالتكرمة الخاصة التي لم يكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار
اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان
وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم فامرهم ان يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا
بالعين ولم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس والاصابة بالعين ثابتة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة ثم قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء اي ان اراد الله بكم سوءا لم يدفع عنكم
ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
قيل جمع بين الواو والفاء في عطف الجملة على الجملة لما تقدم قوله تعالى ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ● ولما دخل اخوة يوسف من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة وكان لمصر اربعة ابواب
فدخلوا من ابوابها الاربعة متفرقين ما كان دخولهم متفرقين يغني عنهم من الله من شيء وصدق الله نبيه
يعقوب فيما قاله وما اغني عنكم من الله من شيء حيث اصابهم ما ساءهم مع دخولهم متفرقين من اضافة السرقة
اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم
الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها
بما قاله لهم ووصاهم به وهي نفرتهم خوف العين او خوف الحسد ورجاء ان يلقوا يوسف وان يعقوب لذو علم
اي ذو علم لقوله وما اغني عنكم من الله من شيء لتعليم الله اياه بان الحذر لا يغني من القدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان يعقوب بهذه الصفة وقيل لا يعلمون ما يعلم يعقوب قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال
اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ● ولما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا له هذا اخونا الذي امرتنا

ان يأتيك به قد جئناك به فقال لهم يوسف احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم قال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا
لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف معه في الموضع الذي باتوا فيه وقاست معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم
رائحته حتى اصبح وقال له ما اسمك قال بنيامين قال ابن المرجع والهالك لانه ماتت امه في نفاسها قال فما اسم امك
قال راحيل قال يوسف هل لك من ولد قال نعم عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له يوسف
لقد اضطرك الى هذا حزن شديد فما سميتهم قال بالعا اشكل اخيرا بكرا احيا نعمان
ادر ادبش حيثم منيم قال يوسف فما هذه الاسماء قال اما بالعا فان اخي ابتلعته الارض واما اشكل
فانه كان اخي لابي وامي وفي نسبي واما اخير فانه خير حيث كان واما بكر فانه كان بكر امي واما احيا فانه
كان كثير الحيا واما نعمان فانه كان ناعما بين ابويه واما ادر فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما ادبش فانه
كان بمنزلة الراس من الجسد واما حيثم فاعلمني انه حي واما منيم فلو رايته لقرت عيني فقال له يوسف
اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما
مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بشيء مما اعلمتك به وعن وهب انه قال له انا اخوك بدل اخيك
الهالك فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له بنيامين لا ابالي فافعل
يا يوسف ما بدا لك فقال يوسف فاني ادس السقاية في رحلك ثم انادي عليكم انكم لسارقون ليتهيأ لي تركك بعد
تسريحك معهم قال بنيامين افعل قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن
مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به
زعيم ● ثم اوفى يوسف الكيل لاخوته وحمل لكل واحد منهم بعيرا وحمل لبنيامين بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم امر بسقاية
الملك فجعل في رحل بنيامين والسقاية مشربة يسقى بها وهي كانت اناء طويلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي
يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان
يشرب بها والسقاية والصواع واحد ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا وامعنوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير القافلة انكم لسارقون فسمعوا اذان المؤذن فوقفوا فلما انتهى اليهم المؤذن قال لهم الم نكرم
ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفيكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قال اخوة يوسف واقبلوا على المؤذن وغلمان يوسف
ما تفقدون وما الذي ضل منكم وتطلبونه قالوا نفقد صواع الملك ولا نتهمكم ولمن جاء به اظهر الصواع ورده حمل
بعير هذا اداب الناشد في طلب ضالته قال المؤذن وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به جعالة قوله تعالى قالوا
تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ● قال اخوة يوسف تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم
لقد علمتم وانما حلفوا على علم قوم لانه لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكمومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي
وجدوها وما كنا سارقين وما وصفنا قط بالسرقة وهي منافية لحالنا قوله تعالى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ● قال المؤذن فما جزاء الصواع اي سرقته ان كنتم كاذبين
في قولكم وما كنا سارقين قال اخوة يوسف جزاء سرقة الصواع فهو جزاؤه اي يسلم من وجد الصواع في رحله الى المسروق
منه ويسترق سنة وكان ذلك الحكم السارق في آل يعقوب فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم الذي
اي فاخذ السارق هو جزاؤه لا غير كذلك نجزي الظالمين السارقين الذين ياخذون ما ليس لهم من مال الغير بسرقته قوله
تعالى فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ● لما اعترف اخوة يوسف بان من وجد في رحله فهو جزاؤه قال
لهم من وكل بهم لابد من تفتيش اوعيتكم فاخذوا واحدا واحدا وروي انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تأثما
مما قذفهم به حتى بلغ وعاء بنيامين فقال يوسف ما اظن هذا اخذ شيئا فقال اخوته والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه
اطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتح متاعه استخرج يوسف السقاية من رحل اخيه بنيامين وانما حمل يوسف
تسميته سقاية وعيدة صواعا فقد وقع فيما يتصل به سقاية وفيما يتصل بهم صواعا كذلك مثل ذلك الكيد العظيم كدنا
ليوسف اي علمناه اياه واوحينا به اليه حتى ضم اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته وقيل مثل ذلك الحكم الذي ذكره
اخوة يوسف حكمنا ليوسف وقيل كذلك كدنا اي كما فعلوا في الابتداء بيوسف فعلنا بهم لان الله اخبر عن يعقوب انه
قال ليوسف حين ضم اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته بعلة كادها الله له فاحتمل يوسف بها وقيل المراد ان اخوة
يوسف سعوا في ابطال امر يوسف والله نصره وقوله والله غالب على امره وقيل المراد من هذا الكيد انه تعالى القى في قلوب اخوته
ان حكموا بان جزاء السارق هو ان يسترق فلا جرم لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن
يوسف من امساك اخيه عنده ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك وما كان يوسف ليأخذ اخاه ويضمه الى نفسه في دين

الملك اي في حكمه وقضائه فان حكم ملك مصر ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق للمسروق منه لا ان يسترق الا ان يشاء الله اي ما كان يوسف لياخذ اخاه الا بمشية الله واذنه فيه اي ان يوسف لم يكن ليتمكن من اخذ اخيه بنيامين من اخوته وحبسه عنده في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا الذي جعلنا سبيلا الى ذلك وهو ما اجرى الله على السنة اخوته ان جزاء السارق الاسترقاق فاقروا به فالتزموا من انفسهم الرضا بتسليم اخيه اليه كانه قال مراد يوسف نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته في العلم وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه في علمه حتى ينتهي العلم الى الله عز وجل عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل عن ابن عباس يكون هذا اعلم من هذا وهذا اعلم من هذا والله تعالى فوق كل ذي علم عليم قرا عاصم وحمزة والكسائي نرفع بالنون ودرجات بالتنوين والباقون يرفع بالياء ودرجات بالاضافة قال صاحب الكشاف فان قلت ما ذا تقول فيه تجعل ان يكون حيلة في استرقاق من لم يسرق ورمي الابرياء بهتانا وتسريق من لم يسرق وتكذيب من لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح قوله تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون • لما استخرج السقاية من وعاء بنيامين قالوا يا بنيامين ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاء حتى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بنو راحيل الذي لا يزال منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا اخوة يوسف ان يسرق هذا فقد سرق اخ له من ابيه وامه من قبل ارادوا به يوسف قيل كان يوسف اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه في الطريق بين الجيف وقيل ارادت ام يوسف بالحيل ان تحمل بنيامين مع يعقوب الى فلسطين والاردن فامرت يوسف ان يذهب وياخذ جونة خالته مطلية بالقار فيها اصنام لابيها لتذهب بها لكي يهتدي ابوها الى الاسلام فانطلق يوسف فاخذها وجاء بها الى امه وقيل كان لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق فوقعت الى ابنة اسحق وكانت اكبر ولد اسحق وكانت بعد ما ماتت ام يوسف حضنته عمته بنت اسحق يوسف وتحبه حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وقعت محبته في قلب يعقوب فاراد ان ينتزعه منها فقال يعقوب يا اختاه سلمي يوسف الي فوالله لا استطيع ان يغيب عني ساعة فقالت لا فقال يعقوب ما انا بتاركه قالت فدعه عندي اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فالتمست فلم توجد فقالت اكشفوا اهل البيت فكشفوهم فوجدوها محزومة على يوسف فقالت والله انه لي سلم افعل به ما شئت فاتاها يعقوب فاخبرته بالخبر فقال لها ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما استطيع غير ذلك فخلاه يعقوب عندها الى ان ماتت وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل ان سائلا جاء يوما فسرق بيضة من البيت فناولها السائل وقيل كان بنو يعقوب على طعام اذ نظر يوسف الى عرق فخباه فعيروه بذلك وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء فهذا الذي قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها اي اضمرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث الضمير لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال يوسف في نفسه انتم شر مكانا بدل من اسرها ومعنى قوله انتم شر مكانا انتم شر منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف وقيل انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون قيل كان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال يوسف لابن له صغير يقال له بالقبطية قم الى جنب روبيل فمسه فقام الغلام الى جنب روبيل فمسه فذهب غضبه فقال روبيل لقد مسني يد من بني يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقالوا ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله ان كنت صادقا قوله تعالى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين • لما حبس يوسف اخاه بنيامين ورأى اخوته ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه استعطفوه اياهم بادكارهم اياه فرح ابيهم يعقوب قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن كبيرا في القدر فان بنيامين احب منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وانه مستأنس باخيه بنيامين فخذ احدنا مكانه بدلا منه على طريق الاسترقاق او الاستعباد انا نراك من المحسنين الى الناس كافة والينا خاصة فاتمم احسانك ومن عادتك الاحسان فاجر على جميل عادتك ولا تغيرها قوله تعالى قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون • قال يوسف معاذ اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى

ان اخذنا بدله ظلمنا اي لا ناخذ احدا الا من وجدنا متاعنا عنده انا ان اخذنا احدا مكانه اذا كنا ظالمين فانه وجب على مقتضى فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا احدكم مكانه كان ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما تعلمون انه ظلم هذا ظاهره وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين • فلما ايس اخوة يوسف منه ان يجيبهم الى ما سألوه خلصوا نجيا اي يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر والسمير بمعنى المسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وقيل انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم للتناجي وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم تشاورهم في تدبيرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم في بنيامين ما فرطتم ما مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وتفريطكم تقصيركم في يوسف وقع من قبل اخذ الموثق عليكم في بنيامين وقيل محل المصدر النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وقيل ما موصولة بمعنى ومن قبل اخذ الموثق عليكم في يوسف ما فرطتم اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره من قبل او النصب على انه معطوف على مفعول الم تعلموا وقيل ما صلة زائدة يعني ومن قبل هذا الموثق عليكم فرطتم في يوسف قصرتم وضيعتم وقيل مبني على الضم على الغاية فلن ابرح فلن افارق الارض التي انا بها وهو ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الخروج منها والانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او المحاربة او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون • قال كبيرهم الذي لم يبرح ارض مصر لباقي اخوته ارجعوا الى ابيكم فقولوا له يا ابانا ان ابنك بنيامين سرق صواع الملك وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من استخراج الصواع من وعائه وليس قولنا ان ابنك سرق شهادة منا بسرقته انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء الا بما علمنا وقيل وما قلنا انه سرق الا بما علمنا لانه وجدت السرقة في رحله ونحن ننظر وقيل قال لهم يعقوب ما يدري الملك ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عند يوسف ان السارق يوخذ بسرقته الا بما علمنا من الحكم بان السارق يسترق وما كنا عالمين بالغيب وهو انه سيسرق حين اعطينا الموثق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا نحفظ اخانا بما لنا الى حفظه منه سبيل وقيل وما كنا للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر وقيل معناه لا ندري باطن امر السرقة وقيل لم نعلم انك تصاب به كما اصبت بيوسف وعن ابن عباس الغيب الليل بلغة حمير اي ما كنا نحفظه بالليل ولعله دس في رحله بالليل وقيل ما نحفظه اذا غاب عنا واسئل القرية التي كنا فيها هي مصر وقيل قرية بالقرب منها لانهم كانوا خرجوا من مصر اليها ثم سل الى اهلها وسلهم عن حقيقة الامر واراد اهل القرية فحذف المضاف ايجازا من غير اخلال وقيل ليس هذا حذفا فقد يسأل نفس القرية فانه ليس يستنكر ان تكلمك جدران القرية فانك نبي وسل العير القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء وانا لصادقون في مقالتنا انما كبيرهم جرى مجرى القسم عرفا الكبير الذي لم يبرح ارض مصر ان اخوته اهل تهمة عند ابيهم لما فعلوا بيوسف ما فعلوه فامرهم ان يقولوا هذه المقالات لابيهم قوله تعالى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم • رجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم كبيرهم قال يعقوب بل سولت زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته الا فتواكم وتعليمكم فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم بيوسف واخيه بنيامين واخيه المحبوس في مصر جميعا انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم في تدبير خلقه قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم • لما بلغ يعقوب خبر بنيامين تتام حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عن بنيه كراهة لما جاؤوا به وقال يا اسفا اضاف الاسف وهو شدة الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة اي يا اسفي على يوسف والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا انما لم يتعد يعقوب بالاسف على يوسف شكواه الى الله تعالى لا من الله وقيل انه اراد به التقرب الى الله اي تجرع الحزن في الكروب والبلاء لا يعيبه ولا ماثم اذا لم يطلق اللسان بكلام ولم يلتفت الى غير الله وقد روي عن الحسن انه مات له ولد فجزع جزعا شديدا فعوتب فيه فقال ما وجدت الله عاب على يعقوب حزنه حيث قال يا اسفى على يوسف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعط الانبياء قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيها الانبياء لاعطيها يعقوب الا ترى

الحزن يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع انما قال يا اسفى على يوسف يا اسفى يعقوب على يوسف دون
اخيه وكان المصيبة الجديدة اشد على النفس لانه لم يبق فانه عنده من يعقبه ولان المصيبة فيه مع تقادم عهدها كان
تلك المصيبة في يوسف كانت قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها المصائب في ولده وكان الاسف عليها اسفا
على من لحق بها وابيضت عيناه من الحزن الى حال البياض اذ كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى
غشاوة من كثرة البكاء وقيل قد عمي وروي ان جبريل صلوات الله عليه دخل على يوسف عليه السلام فقال يوسف يا جبريل ما حال
ابي قال لقد ابيضت عيناه من الحزن قال ما بلغ من حزن يعقوب عليه السلام على يوسف قال حزن سبعين ثكلى
قال فهل له على ذلك اجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع
ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند شدة الحزن ولذلك حمد صبره وضبط نفسه
حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال العين تدمع والقلب يحزن
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الحزن المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة
ولطم الوجوه والصدور وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه
فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال انما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت
عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه او الكظم بمعنى الكظم وهو مخرج النفس يقال اخذ باكظامه قوله تعالى قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين ● قال بنو يعقوب له تالله تفتأ لا تزال تذكر يوسف لا تفتأ
من جهة انه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله
ابرح قاعدا ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال
اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا وحرضه المرض
ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن او العشق او الهرم
ونحوه قول العرجي اني امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم والحرض مصدر
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر وضع موضع الصفة يقال منه رجل حرض وامرأة حرض
ورجلان وامرأتان حرض ورجال ونساء حرض والصفة حرض بكسر
الراء ومن العرب من يقول الرجل حارض والمرأة حارضة او تكون من الهالكين من الميتين
قوله تعالى قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ● لما رأى يعقوب غلظة بنيه
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله والبث اصعب الهم الذي لا صبر لصاحبه عليه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره
وابثه اياه واصل البث اظهاره تقول بثثته ما في نفسي وابثثته ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم
ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى
عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب ما لي اراك قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ
ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق فقال يا رب
خطيئة اخطأتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى اليه
انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه شيئا وان احب خلقي الي الانبياء ثم الايتام
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب
واعلم من الله ما لا تعلمون عن ابن عباس انا اعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني وانتم سنسجد له وقيل اعلم ان يوسف حي
وقيل اعلم من صنع الله ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب قيل لما اخبره ولده بسيرة الملك
حست نفس يعقوب فطمع وقال لعله يوسف وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حي فاطلبه فلذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه اي فتعرفوا من يوسف واخيه
خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة ومنه قال الشاعر الحس الحواس ولا تيأسوا ولا تقنطوا من روح الله من فرجه
وتنفيسه وحجته انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي الايمان بالله وبصفاته يوجب المؤمن ان لا ييأس
من فرجه وقنوط من رحمته عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود قال يا الهي اسمع الناس يقولون اله ابرهيم واسحق ويعقوب
فاجعلني رابعا قال الله لست هناك ان ابرهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني وان اسحق جاد لي بنفسه وان يعقوب
فلطول ما لم ييأس من روح الله قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا
ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ● فخرج اخوة يوسف من عند يعقوب
راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فلما دخلوا على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي اصابنا واهلنا الشدة
للجوع والهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة اي مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل دراهم ردية وقيل زيوف وقيل بضاعة الاعراب الصوف والسمن والاقط
وقيل الحبة الخضراء والصنوبر وقيل سويق المقل وقيل خلق الغرائر فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتفضل علينا بالمسامحة

والاغماض

والاغماض عن رداءة البضاعة وقيل زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة
على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم
وسئل ابن عيينة عن ذلك وقيل وتصدق علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا من السعر وقيل تصدق علينا
باخينا اطلقه او لم يكن من حاجتك وقيل بتصدق علينا برد اخينا والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق
عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي
تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون ● قيل لما قال اخوة يوسف مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت نفسه فادركته الرقة فسكبت دموعه
ثم باح بالذي كان يكتم قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما كريما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح
بحيث يعرفه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه
يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه
شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتعييرا وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي
يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها
واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لم يعملوا بما يقتضيه
العلم ولا يفعل ذلك الا جاهل فسماهم جاهلين وقيل معناه انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة وقيل انما قال ذلك حين قرأ كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر
اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فشدت يداه ورجلاه فالقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما
ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه
وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك
وقيل ما فعلتم بيوسف تفريقهم بينه وبين ابيه وايذاؤهم له بافراده من اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا
منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى وقيل انهم لما اطلقوا السنتهم على اخيه بسبب الصواع ان
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فقال لهم ذلك قوله تعالى قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ● لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه كشف عنه الغطاء ورفع الحجاب فعرفوه قالوا ائنك لانت يوسف قرأ ابن كثير انك على الخبر والباقون
ائنك على الاستفهام وانما عرفوه لانهم رأوا في ثناياه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه يوسف مع علمهم بان ما خاطبهم
به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من اصل شيخ ابرهيم لا عن ملك مصر وعن ابن عباس قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما ابصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له
استفهاما ائنك لانت يوسف وعنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في قرنه علامة وكان
ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فلما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
رفع التاج عنه فعرفوه فقالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي بنيامين قد من الله علينا بان جمع بيننا انه
من يتق الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر على المحن وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع
المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فان قيل قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه
قيل ان اخاه كان مظلوما كما ظلم فاجاب بانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه قوله تعالى قال لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ● قال يوسف حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم لا تعيير ولا تعنيف ولا لوم
عليكم ولا عتب وانما يستعمل الاستقصاء في اللوم من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب
كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب
مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه اليوم ظرف للتثريب او المقدر في عليكم من معنى الاستقرار
لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة
ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح
بالكم او اليوم بالاستقرار لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم
على خطيئتهم ثم دعا لهم من غير مسألة منهم وقيل حين وقع كان الله اخذكم بجرمكم الا انا صفحت عنكم وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم فتح مكة الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال لقريش ماذا تظنون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال لهم
صلى الله عليه وسلم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم فقالوا عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله
ولما عرفوه ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال

تعالى ليوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون اليك بالعين ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ● لما عرفهم يوسف
نفسه سالهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار وتشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير
قوله واتوني باهلكم اجمعين اي ياتني ابي وياتني اله جميعا قيل قميصه الذي يلبسه وقيل كان ذلك القميص من
الجنة لا يمسه ذو عاهة الا صح قيل انه القميص الذي البسه الله ابراهيم يوم طرح في النار فكساه اسحق ثم كساه اسحق يعقوب
ثم جعله يعقوب في تعويذ علقه في جيد يوسف ولم يعلم اخوته بذلك فقيل امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة
لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فدعا يهودا وهو الحامل للقميص قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم
اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمل يهودا القميص وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
قوله تعالى ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ● لما خرجت العير من عريش
مصر متوجهة الى كنعان يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه قال ابوهم يعقوب لولد ولده
ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف وجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان ليال فوجد يعقوب ريح
يوسف وقيل مسيرة ثلثة ايام وذلك انه هبت الريح فصفقت القميص فاحتملت الريح ريح القميص الى يعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان
تفندون لولا ان تنسبوني الى الخرف والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ● قال اولاد يعقوب تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب القديم في افراط محبتك ليوسف وشغفك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم
ان يوسف قد مات قوله تعالى فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم
من الله ما لا تعلمون ● فلما ان جاء البشير وهو المبشر برسالة يوسف الى يعقوب وهو يهودا ابن يعقوب حمل القميص
يعدو حتى اتى اباه وكان معه سبعة ارغفة لم يستوف كلها القى البشير القميص على وجه يعقوب فعاد
يعقوب بصيرا اعيد ما كان عليه من القوة بعد ما كان ضعيفا وبعد ما كان حزينا قال يعقوب الم اقل لكم
اني اعلم من عظمة الله وجبروته وحسن تعهده لطفه ورحمته على اوليائه ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانه
يا ان الله يجمع بيننا وقيل الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف وقوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم
من الله كلام مبتدا لم يقع عليه القول وليس انه قوله وقريب له انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا
تعلمون وروى ان يعقوب سال البشير كيف ترك يوسف قال انه ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام
قال يعقوب الان تمت النعمة قوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم ● قال اولاد يعقوب عند ذلك ليعقوب يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين مذنبين
اي سل الله لنا مغفرة ما اتيناه في حقك وحق يوسف ما اتينا واعترفنا بخطايانا قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي قيل
اخر الاستغفار الى وقت صلاة الليل وقيل الى وقت السحر لان الدعاء وقت الاسحار لا يحجب عن الله وقيل الى ليلة الجمعة
لتحريه وقت الاجابة وقيل ليستعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل
اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة قيل طلب الحوائج الى
الشبان اسهل منها عند الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم والى قول يعقوب لبنيه سوف استغفر
لكم ربي وقيل قام يعقوب الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه الى الله وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه ان الله تعالى قد غفر لك ولهم اجمعين وروى ان بني يعقوب قالوا ليعقوب
وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف ربنا فان لم يوح اليك يا يعقوب فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ يعقوب
القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة
نزل جبريل فقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى
اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل
قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي
لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ● قال المفسرون وكان يوسف قد بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتي راحلة
وسأله ان ياتيه باهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب للخروج وخرج معه جميع اهله وهم اثنان وسبعون من الذكور والاناث
فلما دنا يعقوب من مصر استاذن يوسف الملك في تلقي يعقوب فاذن له وامر الملا من اصحابه بالخروج معه فخرج يوسف في اربعة
الاف من الجند وخرج معهم اهل مصر وقيل ان الملك خرج معهم ايضا وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس
فقال يعقوب يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما قرب منه ذهب يوسف يبداه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب احق
بذلك منه وافضل فابتدا يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف لما التقى يعقوب قال له

واحدمنهما

[illegible]

تذكير اخوته صنيعهم وتحريمهم لذلك وتعليم نفوسهم وتحريك تلك الغوائل وتجديد النفوس وقيل اخراجه من الجب الى الرق
ومن السجن الى الملك والنعمة هاهنا اوضح وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش يتنقلون
في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان افسد بيني وبين اخوتي واصله من نزغ الرايض الدابة وحمله على الجري
يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لما يشاء انه هو العليم بخفايا الامور ودقائقها والسرائر المكنونة
وبحال الاخوة الحكيم الفاعل على وجه الحكمة والصواب وذكر ان يوسف اخذ بيد يعقوب فجعل يطوف به في خزائنه
فادخله خزائن الذهب والورق وخزائن الحلي والحلل والثياب وخزائن السلاح وغيرها ثم ادخله خزانة القراطيس فقال
يعقوب يا بني ما اقل انصافك لابيك عندك هذه القراطيس ولم تكتب الي على ثماني مراحل الذي صدك
عن مكاتبتي قال يوسف امرني جبريل عن ذلك قال له ما امسك قال يوسف انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبريل ان الله امرني
بذلك قال يعقوب يا جبريل الا تسأله قال نعم فمضى جبريل فسأله عن ذلك فقال الله قل لعبدك يعقوب ان يوسف
الذي قال لك بنوك ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانت قلت اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب لم تذكرني في
ذلك الوقت فهذا التخفي في ذلك الوقت قال اهل التفسير اقام يعقوب بعد قدومه مصر مع يوسف اربعا وعشرين سنة في
حال واهنى عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة اوصى الى يوسف ان يحمله الى الشام حتى يدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف
ذلك ومضى بجسده حتى دفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وذكر انه نقل يعقوب في تابوت من ساج الى
بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا واربعين سنة فلما جمع الله
ليوسف واقر له رؤياه وكان موسعا في ملك الدنيا ونعيمها وعلم انه لا يدوم له طلب الملك الدائم ونعيما اهنا وافضل منه
فاشتاقت نفسه الى الجنة الخلد وملك الابد فتمنى الموت وعن ابن عباس وقتادة لم يتمن الموت نبي قبله قوله تعالى
رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما
والحقني بالصالحين ● رب قد اتيتني من الملك من للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك
مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث تفسير كتب الله المنزلة على الانبياء وقيل تعبير الرؤيا ومن للتبعيض او للتبيين كالاول
فاطر السموات والارض نصب على النداء انت وليي ناصري ومعيني ومتولي تدبيري في الدنيا والاخرة وقيل انت الذي تتولاني
بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما اقبضني على الاسلام والحقني بالصالحين فتوفاه الله
تعالى طيبا طاهرا بمصر وروى ان يوسف عاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل
مائة وثماني عشرة سنة وقيل مائة وعشر سنين وقيل مائة وسبع سنين وبين يوسف وموسى اربعمائة سنة فلما توفى
الله يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل منهم يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته فاجتمعوا على ذلك
حتى هموا بالقتال ثم راوا من الراي ان عملوا له صندوقا من الرخام وجعلوه فيه ودفنوه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر فيمر
الماء عليه ثم يصل الى جميع اهل مصر فيكونون كلهم فيه شرعا ففعلوا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون وولد لنون
يوشع فتى موسى قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون ● ذلك ايضا

الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتدا او قوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز
ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل الا من
جهة الوحي وقيل لهم قد علمتم يا كفار انه لم يكن مشاهدا لما مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما اكثر الناس على العموم يا محمد
ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة او عام مؤمنين
ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم قوله تعالى وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر
للعالمين • وما تسألهم على تبليغ الرسالة وانبائها الى الاشقيا وقيل على القرآن وقيل على القرآن وقيل على الانباء
والهداية من اجر جعل وعطاء يشغلهم ذلك ان هو القرآن الا ذكر عظة وتذكير من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة
على لسان رسول الله قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ...

[illegible]

الذين هم اعرف الناس بربهم والله متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقرأ الباقون كذبوا بالتشديد على معنى
وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم جاءهم نصرنا من غير احتساب الانبيا
والمؤمنين فنجي من نشاء عند نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزة والكسائي
فننجي بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة وابن عامر وابو بكر وحفص عن عاصم فنجي مشددة الجيم
مفتوحة الياء بنون واحدة على الماضي المجهول والمؤمنين بجواهده نزول العذاب ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم
المجرمين عن المشركين اذا هلكنا الكاذبين حيث لا راد لعذابنا منهم اذا نزل بهم قوله تعالى لقد كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
لقد كان في قصص الرسل الذين مضينا سواء وقيل في قصص يوسف واخوته عبرة عظة يعتبر بها من الجهل الى العلم لاولي
الالباب لاصحاب العقول السليمة عن وساوس الشيطان واتباع الهوى ما كان وعد عليه الآيات ما كان قصصهم القرآن
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية المنزلة على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
وتفصيل كل شيء يحتاج اليه من امور الدين لانه هو الاصل الذي يستند اليه السنة والاجماع
والقياس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون بما جاء به سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم

سورة الرعد

وقيل الا آيتين منها قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الى آخر الآية وقوله ويقول الذين كفروا
لست مرسلا وقيل انها مدنية وعن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
الى آخرهما وقيل المكي منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وهي ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة احرف
وثمان مائة وخمس وخمسون كلمة وثلاث واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
المر عن ابن عباس انا الله اعلم وارى وعنه انا الله الملك الرحمن قوله تعالى تلك آيات الكتاب
والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • تلك اشارة الى آيات السورة الكاملة العجيبة
في بابها وقيل تلك الاخبار التي قصصناها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة ...

[illegible]

سئال عن مشابهة الحدثات واحد احد صمد ليس له كفو ويفصل الايات الدالة على وحدانيته وكمال علمه وقدرته
واقتداره على الاحياء بعد الاماتة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا وتوقنوا بلقاء ربكم وتصدقوا بالبعث
والنشور قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي
الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون • لما ذكر الدلائل السماوية اردفها بذكر الدلائل الارضية وهو
الذي مد الارض جعل الارض ممتدة مختصة بذلك المقدار المعين لا ان يزيد ولا ان ينقص وقيل المد البسط الى ما لا يدرك
منتهاه فقوله وهو الذي مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لا يقع البصر على منتهاه فانه
لو كان الارض اصغر حجما مما هو الان عليه لما كمل الانتفاع به ومد الارض لا ينافي كونها كرة لان الارض جسم عظيم والكرة
اذا كانت كبيرة كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح وجعل فيها رواسي جبالا رواسي ثوابت واحدها راسية اي ثابتة
باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها يقال منه رست السفينة وارسيتها لو تدخل الارض اذا ابتهما وانهارا ومن
كل الثمرات اي وجعل فيها انهارا ومن كل الثمرات جعل في الارض زوجين نوعين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك
وتنوعت والزوج يكون واحدا واثنين والزوج ههنا واحد وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض
والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان
ابيض منيرا قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يغشي بالتشديد بفتح الغين والباقون بالتخفيف ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل
البينة والبراهين الباهرة قال ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قال الامام انه تعالى في اكثر الامر حيث ذكر الدلائل
الموجودة في العالم السفلي يجعل مقطعها ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه
ان الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية فما لم يقم الدلالة
على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون كأنه يقول مجال الفكر باق بعد
ولا بد بعد هذا المقام من التفكر ليتم الاحتجاج واعلم ان الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول ان نقول هب انكم
استندتم حوادث العالم السفلي الى الاحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية الا انا اقمنا الدلائل القاطعة على
ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية بطبعه وصفته وخاصيته لا بد وان يكون بتخصيص المقدر القديم والمدبر
الحكيم فقد سقط هذا السؤال وهذا الجواب قرره الله تعالى في هذا المقام لانه تعالى ابتدأ بذكر الدلائل السماوية وقد
بينا انها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه تعالى اتبعها بالدلائل الارضية فلو قال قائل لم لا يجوز ان يكون هذه الحوادث
الارضية لاجل الاحوال الفلكية كان جوابنا ان نقول هب ان الامر كذلك الا انا دللنا فيما تقدم على افتقار الاجرام الفلكية
الى الصانع الحكيم فحينئذ لا يكون هذا السؤال قادحا في غرضنا والوجه الثاني من الجواب ان الحوادث السفلية لاجل الاتصالات
الفلكية فذلك هو المذكور في الآية التي تأتي بعد هذه الآية فمن تأمل في هذه اللطائف ووقف على الوقوف عليها علم
ان هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين • قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات
الفلكية والحركات الكوكبية وتقريره من وجهين احدهما انه في الارض قطع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة
طيبة الى سبخة وكريمة الى وهيدة وقليلة الخير وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها
جميعا في جنس الارضية فدل هذا على ان هذه الاختلافات بتقدير الاله القدير العليم الحكيم والثاني جنات بساتين
من اعناب وزرع ونخيل صنوان رفعها ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم عطفا على جنات وكسرها الباقون
عطفا على الاعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعهن اصل واحد فيكون الاصل واحدا ويتشعب منه الرؤس
فتكون نخيلا صنوانا مجتمع وغير صنوان متفرق والصنو المثل ومنه قيل عم الرجل صنو ابيه ولا فرق بينهما في التثنية والجمع
الا بكسر النون فيها وفتحها فيه مع الصنو بن تسقى بماء واحد قرأ عاصم وابن عامر بالياء على معنى يسقى ذلك كله بماء واحد
والباقون بالتاء لقوله جنات فتراه ان تلك الثمار تراها متغايرة في الاشكال والالوان والطعوم والروايح متفاضلة فيها
حتى انك تأخذ عنقود العنب فيكون جميع حباته حلوة نضيجة الا الحبة الواحدة فانها بقيت حامضة يابسة فيكون
دالة على انها باختيار فاعل مختار قادر عليم حكيم لا بسبب الاتصالات الفلكية والطبائع العنصرية فان نسبة الطبائع
والاتصالات الى الكل على السواء قرأ حمزة والكسائي يفضل بالياء ردا على قوله يدبر ويفصل ويغشي والباقون
بالنون ونحن نفضل بعضها على بعض في الاكل اي الثمر الذي يؤكل وقيل الاكل المهيأ للاكل وهو عام في جميع المطعوم
قرأ ابن كثير ونافع ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون بضمها • قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا
ترابا أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون • وان تعجب يا محمد في قولهم من انكار البعث والنشر فقولهم عجب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على خلق ما
عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسر فكان انكارهم عجبا أإذا كنا
ترابا يجوز ان يكون في محل الرفع على ان يكون بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أإنا
لفي خلق جديد والتقدير اذا كنا ترابا نبعث ونحو نبعث لان قوله لفي خلق جديد يدل عليه وعن ابن عباس وان تعجب
من تكذيبهم اياك بعدما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب وقيل معناه وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم

نفعا ولا ضرا

نفعا ولا ضرا ابعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا العجب اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون
المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو ما يجمع اليدين والعنق في القيد للتعذيب
قيل انها اغلال يوم القيمة وقيل انها الاعمال التي هي الاغلال يوم القيمة وقيل وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا وتخوفهم عن الرشد اغلال واقياد وقيل هو من جملة الوعيد • قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل
الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب • ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيمة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيمة انكروا
القيمة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم في الاولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له فجئنا بهذا العذاب
وطلبوا منه اظهاره وانزاله على سبيل الطعن فيه واظهار ان الذي يقوله كلام لا اصل له فلهذا السبب حكى الله
عنهم انهم يستعجلونك وقيل انها نزلت في كفار مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب
استهزاء منهم بذلك قاله ابن عباس وعن عبادة في مشركي العرب وعن مقاتل في النضر بن الحارث حين قال اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك الآية ويستعجلونك يا محمد بالسيئة بالعذاب قبل الحسنة قبل العافية وعن قتادة
بالشر قبل الخير وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات على امثالهم من الامم الذين عصوا ربهم وكذبوا رسلهم فما لهم لم يعتبروا
بها فلا يستهزؤا والمثلات واحدتها مثلة بفتح الميم وضم الثاء نحو صدقة وصدقات والمثلات بضم الميم والثاء جمع
واحدتها مثلة بضم الميم وسكون الثاء مثل غرفة وغرفات وسمي العقوبة مثلة ومثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من
المماثلة فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى وجزاء سيئة سيئة مثلها يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال العقاب
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين انفسهم من يريد
الذي يتجاوز عن المشركين اذا آمنوا والله شديد العقاب للمصرين على الشرك وعن مقاتل انه يتجاوز عن شركهم في تأخير
العذاب وانه لشديد العقاب اذا عذب وقيل لذو مغفرة للناس على ظلمهم ما لم يكن شركا وقيل على ظلمهم بالتوبة منه
وقيل على ظلمهم على الصغائر • قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل
قوم هاد • لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فلم يعدوها معجزة واقترحوا نحو آيات
موسى من انقلاب العصى حية وضرب الطريق في البحر يبسا وعيسى من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر مخوف لهم من سوء العاقبة ليس عليك الا ابلاغ الرسالة وبيان
الحق وصحة ذلك ثابتة باية آية كانت والآيات كلها سواء في صحة الدعوى بها لاتفاقها وتبينها ولكل قوم هاد
يهديهم الى الصراط المستقيم ويدعوهم الى الدين وقيل ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله
بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة وقيل لكل قوم هاد هو الله والمعنى
انهم يجحدون كونها آيات ولن يلتفتوا اليك آيات وعنادا بعد فلا يهمنك ذلك انما انت منذر ما عليك الا ان تنذر لا ان
تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالايمان وهو الله ولقد دل بما اردفه
من ذكر آيات علمه وتقدير الاشياء على مقتضى مشيئته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر
بالحكمة الربانية والسنة الالهية ولو اراد اجابتهم الى مقترحاتهم لاجابهم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد قوله
تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قيل انه حكى الله عن المشركين
انهم طلبوا آيات اخر غير ما اتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم بين الله تعالى انه عالم بجميع المعلومات فيعلم من حالهم انهم
طلبوا الآية الاخرى للاسترشاد او طلب البيان ولاجل التعنت والعناد وهل ينتفعون بظهوره وتلك الآيات
او يزداد اصرارهم واستكبارهم فلو علم تعالى انهم طلبوا للاسترشاد ومزيد الكفاية لاظهره الله تعالى وما منعهم
منه لكنه تعالى لما علم انهم لم يقولوا ذلك الا لاجل محض العناد لاجرم انه تعالى منعهم عن اعطائها وهو كقوله
لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا وقيل متصل بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
والمعنى انه عالم بجميع المعلومات فهو تعالى انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم ويريد الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا
انه مبتدأ وخبر ويعلم خبره وعلى تقدير ان يكون هاد هو الله يكون المعنى هو الله تفسير لهاد ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل
كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله
من الولد انه ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمنتظرة ويعلم ما تنقصه
الارحام او تنقصه والغيض النقصان يقال غاض الماء وغضته انا لازما ومتعديا ومنه قوله وغيض الماء والمراد
بالنقصان السقط والخديج وما تزداد الارحام اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله
تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وقيل اراد وقيل اراد نقصان مدة الحمل عن التسعة اشهر
او زيادة مدة الحمل فانها قد تكون ازيد على تسعة اشهر الى سنتين عند ابي حنيفة رضي الله عنه والى اربع عند الشافعي
والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما
ومنه الدم تقل ويكثر وما ينقصه الرحم ويزداد عدد الولد فانه يشتمل على واحد وقد يشتمل على اثنين وثلاثة
واربعة ويحكى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا وقيل كلما حاضت نقصا

في حملها ازدادت في نوبتها طهرها لو يوما حتى تستكمل تسعة أشهر طهرا فمعنى حاضت على حملها ازدادت دما وإن كانت معدودة
فالمعنى أنه يعلم حمل الأنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد بغيض
ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين وكل شيء عنده بمقدار يحتمل أن
يكون المراد بالعندية العلم والمعنى أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع التغيير في تلك المعلومات
ويحتمل أن يكون المراد بالعندية أنه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية ويدل
وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم بمقادير وقيل بمقدار بحده لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر ثم قال عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه وما شهد فالغيب مصدر أريد به الغائب
والشهادة مصدر أريد به الشاهد الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي
تعالى عن مشابهة المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله أو المتعالي عما يقول المشركون قرأ ابن كثير المتعالي بإثبات الياء في
الوصل والباقون بحذف الياء في الحالين ثم إنه تعالى أكد كونه عالما بكل المعلومات فقال سواء منكم من أسر القول ومن جهر
به لفظ سواء تقتضي اثنين وهو مصدر والمعنى ذو سواء وقيل سواء بمعنى مستو فلا حاجة إلى الإضمار ولكن سيبويه
يستقبح أن يقول مستو زيد وعمرو والمعنى ذو سواء منكم أو مستو منكم من أسر القول أي أخفاه وكتمه ومن جهر به أي أعلنه
وأظهره والمعنى أن السر والجهر في علمه سواء ومن هو مستخف بالليل أي مستتر في ظلمة الليل وسارب بالنهار
أي ظاهر متصرف في حوائجه بالنهار والمعنى سواء عنده من استتر أي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضرب في الطرقات
ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف ليلزم أن يتناول الاستواء اثنين أحدهما مستخف
وسارب فلا يصح اللهم إلا أن يجعل في معنى اثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فيصح عطف سارب على مستخف كأنه قيل
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله
إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ● له أي لله
عز وجل معقبات أي ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل والمعقبات
جمع معقبة بمعنى فعل الملائكة هم الحفظة الكرام البررة لكل إنسان ملكان بالليل وملكان بالنهار وقيل عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وقيل معقبات جماعات من الملائكة يعتقب في حفظ الإنسان وكلاءته والأصل معتقبات فأدغمت
التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز أن يكون معقبات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه
لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه وقيل الضمير في له مردود على من كان في قوله من أسر ومن جهر
ومن استخفى ومن سرب عن ابن عباس هم الحرس والرجال يتعاقبون على الأمير بين يديه ومن خلفه من قدامه ومن ورائه يحفظونه
من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة الحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي
أن الله أمرهم بحفظه أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب فيتوب
كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه
وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقيل الضمير في له يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم أي لمحمد صلى
الله عليه وسلم له معقبات من الله يحفظونه من الأعداء وذلك حين هم به أربد وعامر فكفاهما الله إن الله لا يغير ما بقوم من
العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضا وإذا أراد الله بقوم سوءا
عذابا وهلاكا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم قوله تعالى
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال لما خوف الله العباد بأن لا مرد لبأسه ذكر هذه الآيات الدالة على
قدرة الله وحكمته وهي تشبه النعم والإحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه فقال هو الذي
يريكم البرق خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته وقيل خوفا من الصواعق وطمعا
في الغيث وقيل خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعا لمن يرجو الانتفاع به وقيل خوفا من العقاب وطمعا في الثواب وخوفا وطمعا
لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل بهما إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى
إخافة وإطماعا فيصح أن يكونا مفعولا لهما ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذي
خوف وطمع ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من المخاطبين أي خائفين وطامعين وينشئ ويكون السحاب قيل هو اسم الجنس
الواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال
بالماء ويسبح الرعد بحمده قيل معناه ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وقيل الرعد الصوت المسموع وإنما خص الرعد بالتسبيح لأنه من أعظم الأصوات
وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز لأن التسبيح والتقديس ليس إلا وجود لفظ دال على أنه تعالى مقدس ومنزه عن النقص
والحدوث والإمكان ولا يخفى أن حدوث هذا العالم دليل وجود موجود متعال عن النقص والحدوث والإمكان فيكون ذلك
بمثابة التسبيح وهذا معنى قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وعن طائفة من الصوفية أن لكل

صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته أي يسبح الملائكة من خوف الله وهيبته وجلاله
عن ابن عباس يخافون الله وليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله شيء وقيل
من خيفة الرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء كما أصاب أربد بن ربيعة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث رجلا إلى رجل من طواغيت العرب ليدعوه إلى الله فقال له أخبرني عن رب محمد هذا الذي
تدعوني إليه مما هو ومم هو من ذهب أو من فضة أو من حديد أو من نحاس فاستعظم المبعوث مقالته فانصرف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما رأيت أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع إليه فرجع إليه
فجعل لا يزيد على مثل مقالته الأولى وأخبث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع إليه فرجع إليه فبينا هو عنده
ينازعه ويدعوه ويعظم عليه وهو يقول هذه المقالة إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهما فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة
فأحرقت الكافر وهو جالس فجاء يسعى ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبله قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا احترق صاحبك فقال من أين علمتم قالوا أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وهم يجادلون في ذكر الله تعالى علمه
المحيط بكل شيء وأنه سواء من هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار عنده ومما دل على وحدانيته وقدرته ثم قال وهم أي الذين
كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث وإعادة الخلائق
بعد موتهم من إحياء العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلون بينه وبين الملائكة نسبا أنه
فهذا جدالهم في الله بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والواو في قوله وهم يجادلون يصلح لعطف الجملة على الجملة
وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل
على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد وهو شديد المحال الشديد القوة وقيل شديد الغضب
وقيل شديد الأخذ وقيل شديد الانتقام وقيل شديد العداوة وقيل شديد الإهلاك بالمحل أي القحط وقيل شديد
العقوبة والمحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل
بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الأعشى فرع نبع يهتز في
غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون
قوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ
فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال له أي لله دعوة الحق قيل إنها كلمة التوحيد أي لله دعوة الحق وقيل
إنها كلمة التوحيد أي لا إله إلا الله وأضيف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة إلى الحق في كلمة
الحق الله لا إله إلا هو إلا أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل وقيل أضيف الدعوة إلى الحق الذي هو الله
سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع ويجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق والذين أي الآلهة
الذين يدعونهم الأصنام ويعبدونهم من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء لا يجيبونهم بشيء يريدونه من الأصنام
من نفع أو دفع إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء
جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم
ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال لا منفعة فيه لأنهم
إن دعوا الله لم يجبهم لأن أصواتهم محجوبة عن الله وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم قوله تعالى ولله يسجد
من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ● ولله يسجد قيل المراد بالسجود وضع الجبهة على الأرض
ففيه وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاما إلا أن المراد به الخصوص وهم المؤمنون فبعض المؤمنين يسجدون لله طوعا بسهولة
ونشاط ومن المسلمين من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه مع أنه يحمل نفسه على أداء تلك الطاعة كرها والثاني أن اللفظ
عام والمعنى يجب على كل من في السموات والأرض أن يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع وقيل طوعا أي الملائكة
والمؤمنون وكرها أي المنافقين والكافرين أكرهوا على السجود بالسيف وقيل المراد بالسجود الانقياد والخضوع أي ينقاد
لله من في السموات والأرض لإحداث ما أراده فيهم من إيجاد وإفناء شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه لا تأبي
بأيديهم في مراتب الوجود والعدم وذلك هو السجود بمعنى الانقياد والخضوع وقيل المراد ينقاد له طوعا أو كرها أن الحوادث
منها ما يميل الطبع إلى حصوله ومنها ما ينفر الطبع عنه كالموت والفقر والعمى والمرض وجميع المكروهات وكل حاصل بقضائه وقدره
وتكوينه ولا قدرة لأحد على الامتناع والمدافعة وظلالهم عن ابن عباس ظل الساجدين طوعا أو كرها يسجد لله
حين يفيء ظل أحدهم عن يمينه أو شماله من كان إذا سجد بالغدو والعشي سجد معه ظله وعن مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا
وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقيل المراد من سجود الظلال ميلانها من جانب إلى جانب وطولها بسبب انحطاط
الشمس وقصرها بسبب ارتفاعها فهي منقادة مستسلمة في طولها وقصرها وميلها من جانب إلى جانب وإنما تخصص الغدو
والآصال بالذكر لأن الظلال تطول في هذين الوقتين وقيل الغدو مصدر وقيل جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع أصل
والأصل جمع أصيل وهو ما بين العصر إلى المغرب وقيل ظلالهم أشخاصهم وكرر لأن الأول للقلوب وهذا للأشخاص قوله
تعالى قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى

والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء
وهو الواحد القهار لما بين انه لله يسجد من في السموات والارض عاد الى الرد على عبدة الاصنام قل يا محمد للمشركين
من رب السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق فانهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله اي هو الله كما قلتم قيل وانما
قال الله اذ لا جواب غيره وقيل لما كان هذا الجواب جوابا يقربه المسئول ولا ينكره امر عليه السلام ان يكون هو الذاكر لهذا
الجواب تنبيها على انهم لا ينكرونه البتة قال صاحب الكشاف قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال
لهم من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال
هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز
ان يكون تلقينا اي انكعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه ثم قل لهم الزاما للحجة افاتخذتم بعد
ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء اي الاصنام فعبدتموها من دونه افجعلتم ما يجب ان يكون
سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق الضار النافع المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم
ثم ضرب الله لهم مثلا فقال هل يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل بهذه الحجة والعالم بها كالنور وكما ان كل احد يعلم
بالضرورة انه لا يستوي الاعمى والبصير ولا تستوي الظلمات والنور فكذلك كل احد يعلم بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة
الكافر لا يستوي العالم بها المؤمن قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم تستوي الظلمات والباقون بالياء ام كوهذا البناء
فقال ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار شركاء خلقوا صفة لشركاء اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا
مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم
له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق الخالق قل الله خالق كل شيء اي شيء لا خالق غيره ومحال ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو
الواحد المتوحد بالربوبية القهار الغالب وكل شيء مربوب مقهور قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق
والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم
الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم
وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب لما شبه المؤمن والكافر والايمان
والكفر بالاعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للحق والباطل مثلين فقال انزل من السماء ماء مثل الحق واهله بالماء الذي
انزل من السماء فسالت به اودية الناس بقدرها الكبير بقدره والصغير بقدره فاحتمل السيل الذي حدث عنه
زبدا رابيا عاليا مرتفعا فوق الماء فالماء الباقي الصافي النافع هو الحق والذاهب الزائل الباطل الذي يتعلق بالاشجار
وجوانب الاودية هو الباطل قيل اجمع المفسرون على ان هذا مثل ضربه الله للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء هو مثل
القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والاودية مثل القلوب ومعنى بقدرها على سعة القلب وضيقه فمنها
ما انتفع به فحفظه ووعاه فتدبر فيه فظهرت ثمرته وادرك تأويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات
والزبد مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله ودفعهم اياه فهذا احد مثلي الحق والباطل والاودية
جمع واد قال ابو علي الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعلة ويشبه ان يكون ذلك لتعاقب فاعل وفعيل على الشيء الواحد
كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير ثم ان فاعلا يجمع على افعال كصاحب واصحاب وطائر واطيار وفعيلا يجمع
على افعلة كجريب واجربة ولما كانت المناسبة حاصلة بين فاعل وفعيل جمع الفاعل جمع فعيل فقيل واد واودية وجمع فعيل
جمع فاعل فقيل شريف واشراف ويتيم وايتام وقيل نظيره ناد واندية وناد واندية والوادي هو الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال
الذي يجري فيه السيل فقوله فسالت اودية سالت مياه الاودية ومن حق الماء ان يستقر في الاودية المنخفضة عن الجبال
والتلال بقدرها بقدر سعتها وضيقها اي بقدر تلك الاودية فانه على قدر الاودية ينبسط على الارض ومن حق الريان الذي يحمله الماء ان يطفو
ويعلو اعليه ان يبطل عنه فانزل الله من سماء الكبرياء والجلالة ما يماثل القرآن في الاودية قلوب العباد شبهها بالاودية
القلوب تستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية تستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد يحصل فيه من المياه
النازلة من السماء بقدر سعته وضيقه كذلك كل قلب يحصل فيه من انوار علوم القرآن ما يحتمله ويليق به بحسب طهارته
وقوة فهمه وكما ان الماء يعلوه زبد ثم يضمحل ويضيع ويبقى الماء الصافي كذلك انوار علم القرآن يقارنها زبد الشكوك والشبهات
ثم انها تضمحل وتزول وتضيع ويبقى العلم والدين والحكمة والمكاشفة فهذا احد مثالي الحق والباطل والمثل الآخر
قوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء والباقون بالتاء والمراد مما توقدون عليه الفلزات كالذهب والفضة
والرصاص والنحاس والصفر ومعنى توقدون عليه تلقون الحطب في النار تحته ابتغاء حلية طلب حلي وزينة كالذهب والفضة
تتخذ منهما حلية السيف والمركب والثياب وحلية النساء ومتاع كالرصاص والنحاس منها تتخذ الاواني ومما يتمتع به في الحضر
والسفر وكل ما ينتفع به فهو متاع والحاصل ان الله تعالى بقوله ومما يوقدون عليه جواهر الارض التي هي الاجساد السبعة من الذهب
والفضة والشبه والصفر والنحاس والرصاص والحديد ثم انه يتخذ منه الاشياء مما ينتفع به من الحلي والاواني وغيرها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه في النار له زبد اذا اذيب مثل زبد السيل فالباقي الصافي من هذه الجواهر اذا اذيب مثل الحق والزبد

[illegible]

ان يقع شبهة بعدما ضرب من المثل فمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب لمن من حال العاقل
الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والصافي والخبث والابريز الخالص ومن قوله انما يتذكر الذي انزل
اليك من ربك صلته والموصول مع الصلة اسم ان والحق خبره اي افمن يعلم ان القرآن الحق يؤمن به ويعمل بما فيه كمن هو
اعمى عنه لا يعلمه ولا يعمل به شتان ما بينهما قيل نزلت بمكة في حمزة وابي جهل انما يتذكر اولوا الالباب اولو العقول الخالصة
عن شائبة الوهم والتقليد واتباع الهوى ووساوس الشيطان قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه
ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قيل الذين يوفون صفة لاولي الالباب وقيل الذين يوفون مبتدأ خبره اولئك لهم
عقبى الدار بعهد الله بما امرهم الله به وفرضه عليهم فلا يخالفونه الى ما نهاهم عنه وقيل عهد الله ما عقدوه على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى فلا ينقضون ما عهدوا اليهم يوم الميثاق وقيل ما عهدنا اليهم في الكتب المتقدمة وقيل ما اخذ عليهم
وعقولهم وقيل كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم
بعد تخصيص عن قتادة ان الله تعالى لم يتقدم في ذنب ما تقدم في نقض هذا الميثاق لقد ذكره في بضع وعشرين آية تقدمة
ونصيحة وحجة والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات والنفوس ويدخل فيه وصل قرابة النبي
وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم بحسب الطاقة ونصرتهم والذب
عنهم والشفقة عليهم والنصيحة وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم
وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق بهم بسبب حتى الهرة
والدجاجة ويخشون ربهم ويخشون عقابه ويعظمونه ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبوا انفسهم قبل
ان يحاسبوا والذين صبروا مطلقا فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال والاولاد ومشاق التكليف ابتغاء
وجه ربهم طلب رضوان الله وتعظيمه لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت
الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت واقاموا الصلوة وانفقوا وداوموا
الصلوة والانفاق وبعض ما بعدهما وان كانا داخلين في الجملة الاولى لانه تعالى افردهما بالذكر تشريفا لهما وتحثه
النوافل فيها ايضا عن الحسن المراد الزكوة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكوة فالاولى اداؤها سرا وان اتهم
بترك اداء الزكوة فالاولى اداؤها علانية وقيل يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا
للتهمة وقيل السر ما يؤديه المتصدق بنفسه والعلانية ما يؤديه الامام ويدرؤن بالحسنة السيئة او يجازون
الاساءة اليهم بالاحسان منهم كما قال ويعفو عمن ظلمه لعل الظالم مغفرة ومن اساء اهل السوء احسانا عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وقيل يدفعون بالتوبة الذنب وقيل يدفعون العذاب بالصدقة وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى
الدار العاقبة الحسنة وقيل عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان يكون عاقبة الدنيا ومرجع
جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها قرأ ابن كثير وابو عمرو يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله والباقون
بفتح الياء وضم الخاء ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في قوله يدخلونها فيكون في محل الرفع ويجوز ان يكون نصبا كما

تقول قد دخلوا وبنينا او مع زيد عن ابن عباس يعني من صدق بما صدق به وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج بين الله
تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها اعمال الصالحة بل الآباء والازواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالاعمال
الصالحة والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل من ثواب اولئك المذكورين سرورهم بما يرونه في اهلهم من الحاقهم
بهم في الجنة كرامة لهم لقوله الحقنا بهم ذرياتهم ولو دخلوا باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة لهم ولا فائدة في الوعد
به اذ كل من صلح في عمله يدخل الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب عن ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ
لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم من كل باب وقيل من كل باب من ابواب البر كباب الصلاة وباب الزكوة وباب الصبر
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم
او هذا الثواب بسبب صبركم او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم
في الدنيا لقد استرحتم الساعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل يجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم قوله تعالى والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويفسدون في الارض بالكفر والظلم ولهم سوء الدار
قيل سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وقيل الدار جهنم وسوء عذابها قوله تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع قيل لما حكم الله تعالى على الذين ينقضون
عهد الله بان لهم اللعنة في الدنيا وسوء الدار في العقبى ورد شبهة بانهم لو كانوا اعداء الله لما فتح الله عليهم ابواب النعم
واللذات في الدنيا فاجاب عنه بهذه الآية الله وحده هو يبسط الرزق لمن يشاء يوسعه والبسط مباعدة اطراف
الشيء بعضها عن بعض ويقدر ويضيق لمن يشاء دون غيره وهو الذي بسط الرزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط
لهم من الدنيا فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستحقوا نعيم الآخرة
ولم يعلموا ان نعيم الدنيا وحياتها في جنب الآخرة ليس الا متاع قليل يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة
ماء او نحو ذلك للعجلة كزاد الراعي يزوده اهله الكف من التمر او الدقيق او غير ذلك عن الكلبي كمثل السكرجة والقصعة والقدح
والقدر ونحوها ينتفع بها وقيل قليل النفع سريع الانقطاع وقيل متعة وبلغة لا تبقى قوله تعالى ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا
بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ويقول الذين كفروا يا محمد ان كنت
رسولا فأتنا بآية من ربك اي معجزة ظاهرة قاهرة مثل معجزات موسى وعيسى فاجاب تعالى عن هذا السؤال بقوله قل
ان الله يضل وبيان مطابقة كيفية هذا الجواب لسؤالهم من وجوه منها كانه تعالى يقول لهم ان الله انزل عليه آيات ظاهرة و
معجزات قاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله تعالى فاضلكم عن تلك الآيات الباهرة القاهرة وهدى قوما آخرين اليها
حتى عرفوا بها صدق محمد في دعوى النبوة واذا كان كذلك فلا فائدة في تكثير الآيات ومنها انهم لما طلبوا سائر
الآيات كانه قيل لهم لا فائدة في آية اخرى فان الهداية والاضلال من الله تعالى فان حصلت آيات كثيرة ولم يهد الله
لم يحصل الانتفاع بها ولو حصلت آية واحدة وحصلت الهداية من الله يحصل الانتفاع بها فلا تشتغلوا بطلب الآيات
ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهداية ومنها ما قال صاحب الكشاف هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات
الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا
بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم ولا يخفى ان تقييد قوله ان الله يضل من يشاء بقوله ممن كان على صفتكم من التصميم
وشدة الشكيمة في الكفر تقييد بلا دليل مع وجود الدليل على الاطلاق وكذا التقييد في قوله ويهدي اليه بقوله من كان
على خلاف صفتكم بل الوجه الصحيح المطابق للحق ان يقال وقيل هذا التصميم لا يكون الا بارادة الله تعالى الضلال
منكم ومن يضلل الله فلا هادي له ما ادل هذه الآية على اعتقاد اهل السنة من اناب اي ويهدي الى دينه وطاعته
من رجع بقلبه والرجوع بقلبه ايضا بارادته تعالى لا باختياره الذين آمنوا بدل من قوله من اناب فهو في محل النصب
وتطمئن وتسكن وتستأنس قلوبهم بذكر الله وقيل بذكر رحمة الله ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته
كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل تطمئن قلوبهم بذكره لا بذكر غيره وقيل تطمئن
قلوبهم بالقرآن لانه معجز مبين يسكن القلوب الا بذكر الله الذين آمنوا مبتدأ طوبى لهم خبره وقيل هو بدل من القلوب على
تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت
خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع نحو قولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك عن ابن عباس طوبى لهم
فرح وقرة عين لهم عكرمة نعم ما لهم ضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم وقيل هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك
اي اصبت خيرا وقيل هي كلمة مطهرة واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو المنقلبة عن ياء لضمة
ما قبلها كموقن وموسر وعن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبشية سعيد بن مسجوح اسم الجنة بالهندية بيع البستان بلغة
الهند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها عنه عليه

صلى الله عليه وسلم شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة
وحسن مآب اي وحسن مرجع قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب عن ابن عباس والحسن ارسلناك
كما ارسلنا الانبياء قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقيل كما ارسلنا من قبلك رسلا ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم ليس ببدع من الرسل وليست امتك اول امة ارسل اليها رسول وقيل كذلك ارسلناك اي مثل ذلك الارسال ارسلناك
يعني ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها اي ارسلناك
في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك
اي القرآن الكريم الذي هو الكتاب العظيم وهم يكفرون بالرحمن عن قتادة ومقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا
كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون
لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كانت في الجاهلية يكتبون فانزل الله فيهم
هذه الآية وعن ابن عباس نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فانزل الله
هذه الآية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما في الحجر يدعو وابو جهل يستمع اليه وهو صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن
فولى ابو جهل مدبرا الى المشركين فقال ان محمدا كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو الهين فنزلت هذه الآية وهم يكفرون بالرحمن
حال اي وحالهم انهم يكفرون بالرحمن البليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته
في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل لهم يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته
هو ربي الهي وخالقي ورازقي ومدبري الواحد المتعالي عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت ووثقت به وفوضت امري اليه في نصرتي
عليكم واليه متاب وهو مصدر تبت اليه وقيل واليه مرجعي فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم قوله تعالى ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد قيل
نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله ان سرك ان نتبعك فسير لنا جبال مكة
بالقرآن فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت اهون
على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام فنقضي عليها ميرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا
فقد كان سليمان سخرت له الريح كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله
احق ما تقول ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك
لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي ذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض اي شققت فجعلت
منها عيون وانهار او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن في كونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ويعضده ما فسر به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى لما آمنوا به ولكفروا بالرحمن كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل معنى تقطيع الارض قطعها
بالسير وتجاوزها وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس
ببعيد ثم قال بل لله الامر جميعا وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد ثم قال
بل لله الامر جميعا اي بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها وقيل بل لله الامر جميعا ان شاء فعل وان
لم يفعل وليس لاحد ان يقترح آية فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقال صاحب الكشاف فيه معنيان احدهما بل لله القدرة
على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا انه علم بان اظهارها مفسدة يصرف والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة
الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ما ذكره صاحب الكشاف بناء على مذهبه الفاسد وقوله الا انه علم بان اظهارها مفسدة
يصرفه عن ظاهر قوله بل لله الامر جميعا المطابق للبرهان العقلي وقوله ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله
يعني مشيئة الالجاء والقسر انما يصح على تقدير تقييد المشيئة بالالجاء والقسر وهذا التقييد مخالف لظاهر قوله ان لو يشاء الله
فالتقييد لا فائدة فيه وبسط الكلام في ابطال الكلام ههنا لانه قد سبق ما فيه الكفاية افلم ييأس اي افلم يعلم عن الكلبي هي لغة
قوم من النخع وعن القاسم بن معن هي لغة هوازن قال سحيم اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
وقال الآخر الم ييأس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العشيرة نائيا وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم
لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك
ويدل على هذا التأويل قراءة ابن عباس افلم يتبين وروي انه قيل لابن عباس افلم ييأس قال اظن الكاتب كتبها وهو ناعس سوى اسنان السين
وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضي كون القرآن محلا للتحريف والتصحيف قال صاحب الكشاف وهذا ونحوه مما لا يصدق في
كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي
اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع

ليك من ذكر الرحمن ومن الاحزاب يعني مشركي قريش من ينكر بعضه يعرفون بالله وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل والذين آتيناهم الكتاب يريد من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون
رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما قل انما امرت ان اعبد الله جواب للمنكر بمعناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا
اشرك به فانكاركم له انكاركم لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به
اليه ادعو الى الله ادعوكم خصوصا لا ادعو الى غيره واليه مرجعي لا الى غيره وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم قوله
تعالى وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق
اي وكما انزلنا اليك يا محمد الكتاب فانكره الاحزاب كذلك ايضا انزلنا اليك حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال وانما وصفه بذلك لانه نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فنسب الدين اليه اذ كان منزلا عليه فكذب الاحزاب
بهذا الحكم ايضا وقيل وكما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك انزلنا عليك القرآن حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم كانوا
يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له ان تابعتهم
على دينهم واهوائهم بعد ما جاءك من العلم بالوحي ما لك من الله من ولي ولا واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد العلم والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
شدة الشكيمة بمكان وقيل هذا وعيد لحسم اطماعهم قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب انا الكفار
ان عابوا النبي بالشهوات وقدحوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم منها انهم عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة التزويج وقالوا لو
كان نبيا كما يزعم لشغلته النبوة عن تزويج النساء فقيل لهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك كانوا بشرا وجعلنا لهم ازواجا اي نساء
نكحوهن وذرية اولادا تناسلوا ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولكن ارسلنا الى قومك بشرا مثلهم
كما ارسلنا الى من قبلهم من الامم بشرا مثلهم ومنها انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله لكان اتانا بآية اقترحناها كلما
يتوقف وليس الامر كذلك لتعلموا انه ليس برسول فقيل لهم جوابا عنها وما كان لرسول ان ياتي بآية الا باذن الله فما كان لهم
ان ياتي بآية من الله ولا ان ياتي بما يقترح عليه من المعجز الزائد ما كافية في اثبات النبوة وانا لها المعنوية الملكة ومادة الله
بانزالها تعالى والايات عليها مفوض الى مشيئة الله تعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها فلا اعتراض لاحد عليه في ذلك ومنها
انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم ويعدهم بنزول العذاب وظهور النصرة له وللمؤمنين عليهم فلما تأخر ذلك الموعود كان
يشاهدون احتجوا بمهلة التطعين فيه وقالوا لو كان نبيا لما ظهر كذبه فاجاب الله عنها بقوله لكل اجل كتاب ولكل وقت
من اوقات نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة للاولياء كتاب كتبه الله عنده ولكل حادث وقت معين فقبل
ذلك لا يحدث بمقتضى مشيئته وقضائه فتأخير ذلك الموعود لا يدل على كونه كاذبا وعن الضحاك لكل كتاب ينزل من السماء
اجل ووقت معلوم وهو من المقلوب وقيل لكل اجل من آجال الخلق كتاب يعني لكل اجل قدره الله ولكل امر قضاه كتاب
اثبت فيه فلا يكون آية ولا غيرها الا باجل قد قضاه الله وقدره وهذا التعميم على الوجه المذكور ظاهر الآية وهذا التقرير يغنيك عنه انه
لو كان صادقا في دعوى الرسالة لم ينسخ الاحكام التي نص الله على ثبوتها في الشرائع الحقة المنزلة في التوراة والانجيل لكن
نسخها كنسخ القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فاجاب الله عنها بانه يمحو الله بنسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء
من الاحكام والشرائع قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم يثبت ساكنة الثاء خفيفة الباء والباقون يثبت مفتوحة الثاء مشددة
الباء واستغنى بتكرير المفعول الاول عن ذكره للثاني واختلف المفسرون في المراد بالمحو والاثبات فقيل انه عام في كل
ما يحدث من الاحكام والشرائع والرزق والاجل والسعادة والشقاوة والخير والشر والكفر والايمان والهداية والضلال
وقيل الناسخ والمنسوخ ينسخ ما يشاء نسخه ويثبت ما يشاء اثباته على مذهب اهل السنة ينسخ ما يستصوب نسخه
ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ على مذهب المعتزلة وقيل ينسخ من القرآن ما يشاء ويثبت الا
الشقاوة والسعادة والحياة والموت بدليل هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اسيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مضت على النطفة خمس واربعون ليلة يقول الملك اذكر ام انثى فيقضي الله
ويكتب الملك ثم يطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقيل يمحو ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة لا يغيرهما
وقيل يمحو الله من جاء اجله ويثبت من لم يجئ اجله وقيل يمحو ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب وقيل يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها ويثبت ما يشاء بتركها فلا يغفرها وقيل يمحو ما يشاء
بالتوبة من الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات قال الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يمحو بعض
الخلائق ويثبت بعضها من الانس وسائر الحيوانات والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع
المجال وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كل كائن مكتوب فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
كتب ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله عز وجل ينزل في ثلث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وروي
عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب لا يغير منه شيء ولا يحول

فلى تسمين قسم شاء الله ان لا يغيره اصلا وقسم يشاء ان يمحو في بعض الاوقات ويثبت في بعضها فقوله يمحو الله ما يشاء
مختص بما يمحى في بعض الاوقات وقوله ويثبت متناول لما لا يغيره ولما يثبته في بعض الاوقات وفيه ام الكتاب القسم
الذي لا يغيره وقيل ام الكتاب هو علمه تعالى فانه عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وان تغيرت
الا ان علم الله بها باق منزه عن التغيير فالمراد بام الكتاب هو ذلك قوله تعالى وامّا نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ● او ما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حال حياتك او نتوفينك
قبل ان نريك فليس الواجب عليك الا تبليغ الرسالة لا تحسب وعلينا الحساب والجزاء لا عليك فلا تحزن على اعراضهم
واصرارهم ولا تستعجل بعذابهم قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب
لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار ● لما ذكر الله انه يري رسوله بعض الذي نعدهم او يتوفيه قبلهم بين في هذه الآية انا نأتي بحصول تلك المواعيد
وعلاماتها انها قد ظهرت وقويت اولم يروا انا نأتي الارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم
لينقص دار الحرب ويزيد دار الاسلام لان المسلمين يستولون على اطراف مكة ويأخذونها من المشركين قهرا وذلك
من اقوى العلامات على النصرة وانجاز الوعد بالغلبة اولا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها انهم يذهاب
البركة من ثمارها وبناتها ومن ابن عباس ننقصها بموت علمائها وفقهائها وخيارها وقيل ننقصها بموت اهلها والمراد
بالارض هذه وقيل ننقصها بتخريبها ولا نماؤها وقيل ننقص من جوانب الشام ونزيد في الشام وهي ارض المحشر والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد لحكمه وقضائه والمعقب الذي يكر على الشيء ويتبعه فيبطله وحقيقته الذي يعقبه بنقضه
بالرد والابطال وقيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة
والاقبال وعلى الكفر بالادبار وهو الله سريع الحساب للمجازاة لا يمنعه دافع وقد مكر الذين اي وقد مكر الكفار الذين
من قبلهم مشركي مكة برسلهم وانبيائهم نمرود مكر بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا اي له
مكر جميع الماكرين وانشاؤه به وبيده الخير والشر واليه النفع والضر وهو حاصل بتخليقه وارادته لانه خالق كل شيء
فلا يضر مكر احد احدا الا من اراد الله ضرره وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم وقيل له جزاء المكر
يعلم ما تكسب كل نفس اضاف المكر جميعا الى نفسه ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس فان خلاف المعلوم ممتنع
الوقوع فكل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع فلا قدرة للعبد على الفعل والترك
فكان الكل من الله ثم اكد ذلك التهديد بقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع الكافر على
الواحد عن ابن عباس يعني ابا جهل وعن الزجاج انه جنس والباقون بالجمع والمعنى ان كانوا غافلين بالعاقبة فسيعلمون
لمن العاقبة المحمودة واللام تدل على المحمودة كما ان على تدل على المذمومة وهذا زجر ووعيد للكفار قوله تعالى ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ● انه تعالى حكى عن الكفار انهم يقولون
لست مرسلا ثم احتج عليهم بامرين الاول شهادة الله قل يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم بما اظهر من الآيات والحجج
على صحة ما ادعيت وهذا اعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كذلك والقول فعل مخصوص والمعجزة فانه فعل
مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله فكان اظهار المعجزة اعلى مراتب الشهادة والثاني قوله ومن عنده علم
الكتاب اي من عنده علم القرآن وما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب والعلوم الكثيرة وبيان الوعد
والمبدأ والمعاد وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم
يشهدون بنعته في كتبهم وقيل علماء اليهود والنصارى لانهم يعرفون نعته في التوراة والانجيل وقيل انه علي بن ابي طالب
وقيل هو الله والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ
الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم
من قبله من فضله ولطفه وفي القراءة المشهورة يرتفع علم بالمقدر الذي هو صلة من الموصولة فيكون فاعلا لان الظرف اذا
وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه

سورة ابرهيم

وهي ثلاثة الاف واربعمائة واربع وثلثون حرفا وثمانمائة واحدى وثلثون كلمة واثنان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر ● كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ● قيل الر مبتدأ وكتاب خبره وعن الزجاج هذا كتاب يعني السورة انزلناه
اليك يا محمد لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات من الكفر الى النور الى الايمان وقيل من الضلالة الى الهدى وقيل
من الشك الى اليقين باذن ربهم بامر ربهم وتوفيقه وباذن للناس بتعليمهم الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى
النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل اي
سبيل الى صراط العزيز الحميد الغالب المنيع الحميد لانعام الخلق وهو بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول قوله تعالى الله الذي

له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الله قرأ نافع وابن عامر رفعا على الاستئناف على
ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو الله او على ان يكون مبتدأ ما بعده خبره والباقون بالجر على انه عطف بيان للعزيز
الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا والويل
نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم رفع رفعها
لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من الظلمات الى النور توعد الكافرين بالويل
ووجه اتصاله بالكافرين من العذاب عذاب شديد انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه فيقولون
يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا فقوله ويل مبتدأ وللكافرين خبره ومن عذاب شديد صفة لويل قوله تعالى
الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ● ثم بين
صفتهم او كأنه الكفار الذين يوعدهم بالويل الذي بعيدا اشد العذاب الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز
ان يكون في محل الجر صفة للكافرين وفي محل النصب على الذم اعني الذين يستحبون وفي محل الرفع اي هم الذين يستحبون
يؤثرون ويختارون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلبه
من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر ويصدون عن سبيل الله يمنعون الناس عن الايمان لمحمد صلى الله عليه
وسلم ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا وميلا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية
والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل والعوج بكسر العين في الدين والامر والارض والعوج بالفتح
في كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوهما اولئك الموصوفون في ضلال عن طريق الحق بعيد عن الحق ووصف الضلال
بالبعد من الاسناد المجازي لان البعيد في الحقيقة وصف للضال لان الضال هو بعيد عن الطريق ثم وصف ضلال الضال
بالبعد كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او في ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل عن طريق قريب
وبعيد قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
وهو العزيز الحكيم ● اعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور كان
هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه هذا المنصب العظيم وانعاما ايضا على الخلق من حيث ارسل اليهم من
خلصهم من ظلمات الكفر وارشدهم الى نور الايمان فذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين جميعا
اما بالنسبة الى الرسول فلانه بين ان سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة واما انت يا محمد فمبعوث الى الناس كافة
فكان هذا الانعام في حقك افضل واكمل واما بالنسبة الى الخلق فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الى قوم الا بلسان
ذلك القوم فانه متى كان الامر كذلك كان فهمهم لاسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها اسهل وعن الغلط والخطأ ابعد
فهذا هو وجه النظم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغة قومه فان اللسان كما يطلق على الجارحة يطلق
على اللغة اطلاقا لاسم المحل على الحال بحسب العرف العام ليبين لهم ليفقهوا عنه ما هو مبعوث به فلا يكون لهم حجة
على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته قال صاحب الكشاف فان قلت لم يبعث
رسول الله الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين
وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل
بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان
ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر
قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق
اهل البلاد المتباعدة والاقطار الشاسعة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه
وتعلم معانيه وما يتشعب عن ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم
روي عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير
القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد القائلون
بان اللغات اصطلاحية تمسكوا بهذه الآية لانه لو كان توقيفيا لتوقف على ارسال الرسل والآية دالة على ان ارسال الرسل
فانه يجوز ان يكون الخلق علم ضروري ان عاقل او غير عاقل لكن من الالفاظ موضوعة لتلك المعاني فان قيل
خلق العلم الضروري في غير عاقل بعيد جدا وفي عاقل يقتضي عدم التكليف لانه يكون حينئذ عارفا بالله ضرورة ولا يجب ان يخلق
العلم الضروري في غير عاقل غير ممتنع وليس ببعيد جدا بدليل قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة
المباركة ان يا موسى وخلق العلم الضروري في عاقل لا يقتضي عدم التكليف لانه حينئذ يكون عارفا بالله لانه
يجوز ان يلهم الوضع ووضعها من غير التعيين ولئن سلم انه يكون عارفا بالله فيكون غير مكلف بالمعرفة فقط ولا
يلزم من عدم التكليف بالمعرفة عدم التكليف مطلقا لان انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام وايضا قوله وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يدل على ان ارسال الرسول الى كل قوم يتوقف على لغتهم فيجوز ان يكون التوقيف بارسال

ربكي لدنوه فلا يتوقف ارساله على اللغات فلا يلزم الدور ولتعارض جهتي التوقف فيضل الله المعنى ما كان ارسال الرسل
الا للبيان والزام الحجة وازالة العلة وتعيين النضال لمن المهتدي الا ليوجد فيهم الهداية ويبتلوا عنهم الضلالة
فان ذلك من الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء لانه عزيز قوي لا يغالب يفعل ما يشاء حكيم لا يدرك احد كنه حكمته
يحكم ما يشاء هذا ظاهر في ان الهدى يجابي على ان الهداية والاضلال بفعل الله وتقديم قوله فيضل الله وتقديم قوله
فيضل الله من يشاء لئلا يتوهم ان الهداية من الله والاضلال ليس منه بناء على انه فاعل الخير دون الشر الذي هو فرع
من مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة ولا يلتفت الى ما قاله صاحب الكشاف فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه مؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان فانه كلام مخبط مضطرب مخالف
لظاهر الآية والحجة القاطعة اما قوله كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن ليس بصحيح لان قوله يضل صريح في اسناد
الاضلال الى الله تعالى وقوله ويهدي من يشاء صريح في اسناد الهداية الى الله تعالى وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لم يظهر
منهما ان الكفر والايمان الى اي شيء يستند فكيف يكون مثله واما قوله لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي
الا من يعلم انه يؤمن فلا يصح ان يكون تعليلا لقوله كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فانه لا يلزم انه اذا لم يضل الا من يعلم
انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن ان يكون قوله فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وهذا ظاهر وايضا ما الدليل على انه تعالى لا يضل الا من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي
الا من يعلم انه يؤمن فان الآية لا تدل على هذا ولا الدليل العقلي فان الآية لا تدل الا ان الله تعالى يضل من يشاء لا انه
يضل من يعلم انه لن يؤمن الا ان يفسر الارادة والمشيئة بالعلم حتى يكون معنى قوله فيضل الله من يشاء فيضل الله من يعلم
ضلاله وتفسير الارادة بالعلم باطل لما بين في اصول الدين ومع هذا فلا يلزم منه غرضه وهو كون الاضلال ليس فعل الله
الا ان يفسر الاضلال بالتخلية ومنع الالطاف والهداية بالتوفيق واللطف وهو باطل لانه صرف اللفظ عن الظاهر
للمعنى المبني بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة الجلاء لانه المبين بطلانه بالآيات الصريحة والبينات الصحيحة وهو
العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ليس بمستقيم بل الحكيم لا يضل الا من يشاء اضلاله
ولا يهدي الا من يشاء هدايته قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام
الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ● واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ● لما بين الله انه انما ارسل محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كمال نعمة الله عليه وعلى قومه في ذلك الارسال
وفي تلك البعثة اتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء الى اقوامهم لتكون ذلك تصبيرا للرسول صلى الله عليه وسلم على
اذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص الانبياء عليهم السلام
فذكر قصة موسى عليه السلام فقال لقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق
البحر وانفجار العيون من الحجر واظلال الجبل وانزال المن والسلوى ان اخرج انه يجوز ان يكون مفسرة بمعنى اي اخرج لان
الارسال فيه معنى القول كأنه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل
الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على
ان يكون ان الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم
بايام الله بوقائع الله في الامم السالفة وانما اراد بما كان في ايام الله من النعم والمحن فاخبر بذكر الايام عنها لانها كانت
معلومة عندهم وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم
البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ان في ذلك لآيات لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه فاذا سمع بما انزل الله
من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقال اهل المعاني وانما خص
لان الصبر والشكر من خصال المؤمنين وافعالهم ولما ذكر الله امر موسى عليه السلام بان يذكرهم بايام الله حكى عن موسى انه
ذكرهم بها فقال تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم ظرف النعمة بمعنى الانعام اي اذكروا انعامه
عليكم ذلك الوقت واذا كانت النعمة بمعنى الانعام يكون عليكم صلة لها فلا يجوز ان يكون اذ انجاكم منصوبا بعليكم واذا
كان عليكم صلة لم يكن كلاما حتى يتعلق بنعمة او نحوها واذا كانت النعمة بمعنى العطية يكون عليكم غير صلة لها بمعنى
اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم ويجوز ان يكون منصوبا بعليكم ويكون كلاما ويجوز ان يكون اذ انجاكم بدلا من نعمة الله
او اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال لان بينهما ملابسة بغير الكلية والجزئية ذكر في سورة البقرة يذبحون
وفي الاعراف يقتلون بغير واو تفسيرا لسوء العذاب وههنا ويذبحون مع الواو لانه اريد بسوء العذاب هنا جنس العذاب وذلك لانه
ظاهر كأنه جنس آخر وفي ذلكم اشارة الى سوم سوء العذاب والذبح والاستحياء بلاء محنة واختبار من الله اي خلى الله
بينهم وذلك الافعال ليكون ابتلاء منه ويجوز ان يكون ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم فان البلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة والاولى ان يجعل اشارة الى الانجاء وسوء العذاب والتذبيح والاستحياء لان الكل من عند الله قال الله
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فقول صاحب الكشاف ان اسناده الى الله بمعنى تمكين الله سبحانه ... عدول عن الظاهر
قوله تعالى واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ● واذ تأذن من جملة ما قال موسى

لقومه واذكروا نعمة الله واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم ونظيره تأذن واذن توعد واوعد تفضل وافضل
افضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كأنه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح
الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن
كفرتم من الكفران وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي في الدنيا بسلب النعمة وفي العقبى بالنار قوله
تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ● الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ● لما بين موسى ان الشكر يقتضي زيادة النعم في الدنيا والآخرة
وان الكفران يوجب العذاب الشديد بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفر لا تعود الا الى الشاكر والكافر فان الشكور
مثال لمن انتفع بالشكر وتضرر بالكفر ولهذا قال موسى يا بني اسرائيل ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني
حميد اي غني في ذاته وصفاته عن حمدكم وشكركم غنيا عن شكركم حميدا لذاته الجميلة وانعامه واياديه المترادفة على الخلق
وان لم يحمده الحامدون الم يأتكم قيل هذا من كلام موسى لقومه والمقصود انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم
ويحتمل ان يكون خطابا بامر الله لقوم نبينا من امر القرون السالفة والمقصود منه العبرة باحوال المتقدمين وهذا القصد
حاصل على التقديرين وقيل انه خطاب لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم قيل والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ
وخبر والذين موصول صلته من بعدهم والموصول بصلته مبتدأ لا يعلمهم الا الله خبره وهذه الجملة اعتراض ويحتمل ان يكون والذين
من بعدهم معطوفا على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وقيل لا يعلم كنه
مقاديرهم الا الله لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل وقيل ان المراد ذكر اقوام ما
بلغنا اخبارهم اصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم اصلا ولا يعلمهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ثم انه حكى
عن هؤلاء الامم الذين تقدم ذكرهم انهم جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وعضوا عليها غيظا وضجرا
مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ عن ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وعن مجاهد
وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به وعن الاخفش وابي عبيد تركوا ما امروا به وكفوا عنه فلم يعضوا ولم يؤمنوا به والعرب
تقول للرجل اذا امسك عن الجواب فلم يجب رد يده في فيه وعن القتيبي انا لم نسمع احدا من العرب يقول رد يده في فيه
اذا ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الايدي حنقا وغيظا كقول الشاعر يردون في فيه عشر الحسود يعني انهم
يغيظون الحسود حتى يعض على اصابعه العشر وقيل ردوا اي وضعوا ايديهم في افواههم ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك
فوضع يده على فيه وقيل انهم كانوا اذا جاءهم الرسول قالوا له اسكت وردوا ايديهم في افواه انفسهم او وضعوا ايديهم في افواه
انفسهم اشارة الى الرسل ان اسكتوا وقيل اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا
جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا
قول قوي وقيل وضعوا ايديهم في افواه الرسل يشيرون بهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم
يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الرسل التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما
اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه
على طريق المثل وقيل في هاهنا بمعنى الباء اي ردوا النعم بافواههم بالنطق بالتكذيب فقالوا اي الامم انا كفرنا بما ارسلتم به
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله مريب موقع في الريبة والتهمة من ارابه الرجل اذا صار ذا ريبة وهي قلق النفس
لا يطمئن وان لا تطمئن الى الامر قوله تعالى قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين
قالت لهم رسلهم أفي الله شك فهذا جواب لهم عن قولهم وانا لفي شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك
انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة على وجوده ووحدته وقدرته خلق السموات والارض ابتداء يدعوكم
الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي قال الشاعر دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور من ذنوبكم من صلة اي يغفر لكم ذنوبكم قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم
قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك
مما يقف عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل انه اراد ان يغفر لهم
ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين الناس من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت مسمى وهو الموت فلا
يعاجلكم بالعذاب وقيل وقت سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا لرسلهم
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم
من جنس افضل كالملائكة تريدون ان تصدونا عن عبادة الاصنام التي كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين بحجة واضحة
نثق بها انكم محقون في دعواكم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا

قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ● قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تصديقا لقولهم ان انتم الا بشر
مثلنا ولكن لما تماثل في البشرية لا يمنع اختصاص بعض البشر بالنبوة والمعنى انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما
ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده بالنبوة وذلك تفضل الله بنبوته من يشاء واما من لصاحب الكشاف لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة
الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم فهو مبني على مذهبه وفيه ما فيه فما
كان لنا ان نأتيكم بسلطان جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين بأنه المعجز التي جئنا بها حجة قاهرة وبينة ظاهرة
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان اقترحتموه تعنتا الا باذن الله بامره وعلمه وارادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كأنهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على
الله معناه وأي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وتفضل علينا بالنبوة ثم قالوا ولنصبرن على
ما آذيتمونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد ان يصير غالبا والباطل لا بد ان يصير مغلوبا
ثم اعادوا قولهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والاول لاستحداث التوكل وعلى الله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقيل ان قوله وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان
الا باذن الله لان الذين يطلبون سائر المعجزات وجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها
وان شاء لم يظهرها واما قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فالمراد منه الامر بالتوكل على الله
في دفع شر الكفار وسفاهتهم وعلى هذا التقدير فلا تكرار لان قوله وعلى الله فليتوكل في الموضعين بحسب مقتضى
مختلفين ● قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه
جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ●
لما سمعوا كلام الرسل وانهم اكتفوا في دفع شرورهم بالتوكل على الله قالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
اي ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم من ارضنا واما عودكم الى ملتنا والمعنى على ذلك ولا ينبغي ان يتوهم انهم
كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها لان العود بمعنى الصيرورة متعارف كثير في كلام العرب كثرة شائعة لا يكادون يسمعهم
يستعملونه استعمال صار ولكن لما دعا ما يتبادر انه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان من مال وقيل خاطبوا بقولهم رسولهم ومن آمن به فغلبوا
في الخطاب الجماعة على الواحد لما ذكر الكفار هذا الكلام قال الله تعالى فاوحى الى الرسل لنهلكن الظالمين حكاية
تقتضي اضمار القول واجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب من القول ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارض الظالمين وديارهم
انجز الله وعده فاهلك الظالمين واورثهم ارضهم وديارهم واسكنهم ارضهم ذلك اي اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يوقف فيه عباده يوم القيمة وقيل من خاف الله
على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله من قوله افمن هو قائم على كل نفس وخاف وعيد عذابي وقيل
زواجر القرآن بعد المعنى ان ذلك حق للمتقين والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة التي هي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وقيل استفتح الكفار كقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك وقيل الضمير يعود الى الجميع اي كلهم
سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد معناه فنصر الرسل وظفروا بما استفتحوا به وافلحوا وخاب
كل جبار عنيد وهم قومهم الذين قالوا لنخرجنكم من ارضنا وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق
والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه ثم بين عاقبة امرهم وكيفية عذابهم فقال من
ورائه اي امامه وقدامه وبين يديه كما تقول ان الموت من ورائك قال الجاحظ وكان وراءهم ملك وقال الغيثي الكرب الذي
امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب قال ابو عبيدة هو من الاضداد ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ويسقى من ماء صديد وهو القيح والدم وقيل ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه وقيل غسالة اهل النار وذلك
ما يسيل من فروج الزناة ويكون صديد عطف بيان لماء ابهمه اولا ثم بينه بقوله صديد يتجرعه يشربه بكراهة
ومذاقه يتجرعه يتكلف جرعه جرعة جرعة لمرارته وحرارته ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة اي ولا يقارب
ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها يقال ساغ الشراب يسوغ
سوغا اذا جاز الحلق ووصل الى الجوف وقيل لا يسوغ في حلقه بل يغص به فيطول عذابه وقيل الاساغة انما تكون
مع تقبل النفس فيكون لا يكاد يسيغه نفيا قيل كان اشد عذاب جهنم تخصيص الذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان
من كل جسده او من اعضائه حتى من اطراف ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة يجد الم الموت والمه وقيل كان اسباب الموت
واصنافه كلها اجتمعت واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالام وقيل البلايا التي تصيب الكافر يوما
موتا وما هو بميت ولا يخرج نفسه فيستريح عن ترجيح تعلق نفسه عند حنجرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا يرجع
الى مكانها من جوفه فينفعه الحياة نظيره قوله لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله

يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد
استفتحوا لما استمطروا وان الفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل
النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم ● قوله تعالى مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ●
لما ذكر انواع عذابهم في الآية مثل لاعمالهم التي تصير ضائعة باطلة لا ينتفعون بشيء منها اختلف النحاة في رفع مثل فعند
سيبويه مبتدأ محذوف الخبر بتقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله
اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقيل يجوز ان يكون مثل
الذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة اي اعمالهم كرماد حتى ان صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبتذل ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر اشتدت به الريح اسرعت
الذهاب به في يوم عاصف وصف اليوم به وهو من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال اليوم بارد وحار لان البرد والحر
يكونان فيه واعمال الذين كفروا المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف
واغاثة الملهوفين وعبادة الاحبار وغيرها من صنائعهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال الكفار اي حبطت اعمالهم وذهبت هباء
منثورا لبنائها على غير اساس لانهم اشركوا فيها غير الله ولم ينتفعوا بها كما ان الرماد اذا اشتدت به ريح عاصف وذرته
صار هباء منثورا ولم ينتفع به لا يقدرون يوم مما كسبوا من اعمالهم على شيء في الآخرة اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر
من الرماد الذي طيرته الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب ● قوله
تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ●
لما بين الله ان اعمالهم تصير باطلة بين ان ذلك البطلان بسبب كفرهم بالله واعراضهم عن العبودية فان الله لا يبطل
عمل المخلصين ابدا ولا يليق بحكمته ان يفعل ذلك والله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات
على انه خبر ان والسموات بالجر على الاضافة والباقون خلق السموات على انه فعل ماض والسموات بالنصب على انه مفعول
بالحق اي لم يخلقهما باطلا وعبثا انما خلقهما لامر عظيم وهو ان يدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ان يشأ يذهبكم او يعدمكم
على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا آخر جنسكم على شكلكم او على خلاف شكلكم اي من كان قادرا على اذهاب قوم و
اماتتهم والاتيان باخرين وايجادهم وعن ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما
خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لانه قادر على كل الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
فاذا اراد شيئا يقول له كن فيكون وهذا بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة
الدالة على قدرته الباهرة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء ● قوله تعالى وبرزوا لله جميعا
فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ● لما ذكر ان اعمالهم محبطة ضائعة كرماد اشتدت ذكر في هذه الآية [illegible]
[illegible] اتباعهم بهم برزوا خرجوا من قبورهم وظهروا لله يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر الله
به عز وجل لصدقه كأنه قد وجد وتحقق ونادى اصحاب الجنة ومعنى برزوا لله تعالى والله سبحانه لا يتوارى عنه شيء
حتى برزوا له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة
انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية وقيل معناه خرجوا من قبورهم فبرزوا للحساب لله وحكمه
فقال الضعفاء اي الاتباع للذين استكبروا اي المتبوعين سادتهم وكبرائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او
ذوي تبع بمعنى الاتباع يقال تبعه تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان والثانية للتبعيض
كانه قيل هل انتم نافعون لنا ودافعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله وقيل كلاهما للتبعيض اي هل انتم مغنون عنا
بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله وقال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابهم الذين استكبروا معتذرين
عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهديناكم ولم يضلوهم ولكن دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولم يهدهم
فدعوا اتباعهم الى الضلال ولو هداهم لدعوهم الى الهدى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة
وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم واتصال قوله سواء علينا بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا
مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلال الذي كانوا مجتمعين
فيه يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ولا حيلة من ذلك الامر ويجوز ان يكون من كلام
الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا
كالمبيت والمصيف يقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد ● قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ● لما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت

بين الضعفاء والذين استكبروا واردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبينهم فقال وقال الشيطان لما قضي
الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار عن مقاتل يوضع للشيطان كرسي
منبر من نار فيرقاه ويجتمع عليه الكفار من الانس والجن فيقول لهم ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجنة والنار
ووعدتكم وعدا باطلا انه لا بعث ولا جنة ولا نار فاخلفتكم الوعد وكذبت عما وعدت لكم وما كان لي
عليكم من سلطان من تسلط وقهر وولاية وتملكه وحجة وبصيرة فاقسركم على الكفر والمعاصي فالجئكم اليها الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم هذا استثناء منقطع اي لكن دعوتكم وقيل الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء
من جنس السلطان ولكنه كقوله ما عتبهم الا الضرب للايهام ويمكن ان يقال الاستثناء هاهنا حقيقي لان الدعوة
الانسان يحمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر والقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا
نوع من انواع التسلط فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني فان من تجرد بالعداوة لا يلام اذا دعا الى امر قبيح ولا ان الله
قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم باجابتي ومتابعتي من غير سلطان وحجة قال
صاحب الكشاف ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي ولم تتبعوا اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم قال وهذا دليل
على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا
التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه قال ثم قال
قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبينه الله تعالى واظهر انكاره على انه لا
طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه
بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين قيل غاية هذا الاستدلال ان الشيطان اضاف اللوم الى انفسهم ونحن نقول بموجبه لان
التابع للعقل متوجها الى الكفر بسبب كسبه ومباشرته لا نفي الظاهر كالمختار ولان قول الشيطان
معطوف على قول الضعفاء وكلتا القصتين حكاية لتقول الفريقين ومخاصمة جرت بين الجنبين وهم اتفقوا على
لما اجمل في قوله وبرزوا لله جميعا وذكر في الآية الاولى احتجاج المستكبرين على المستضعفين وهو قولهم لو هدانا الله
لهديناكم فلما ذكر قول الشيطان على ظاهر مذهبكم ذكر قول المستكبرين المخالف لمذهبه قال كما متوركي بالذنب
واما تشدد من يدعي اللطف حين رأى الشيطان يقول بما يوافق مذهبه شنع على اهل السنة قال صاحب الانتصاف
حمل كلام الكفار في الاولى على الابطال اذ لا يوافق مذهبه واستشهد على ان الكذب غير ممتنع بقوله ويحلفون
له ولما وافق قول الشيطان معتقده صوبه اتباعا للهواء ونحن نعتقد ان الملامة انما تتوجه على المكلف ويمنع الله
عن توجه الملامة اليه ولله الحجة البالغة لان الله خلق للعبد اختيارا يجده من نفسه في الافعال الارادية
ضرورة فبذلك تمت الحجة عليه وان سلبنا تأثير قدرته الحادثة في الفعل فلذا ناقض لانه توجه اللوم الى المكلفين
وجوابنا قاله صاحب الكشاف بعينه هو الجواب عن كلام المعتزلة في الاحتجاج بالآيات الدالة على اسناد الفعل
الى العبد فلا فائدة في ذكره هنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم ومنجيكم من عذاب الله والاصراخ الاغاثة
وما انتم بمصرخي من عذاب الله اي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه قرأ حمزة بمصرخي بكسر الياء
والباقون بفتحها ووجه الكسر انه اجرى الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكان ياء المتكلم ياء وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل نقل ابو علي في الحجة عن القاسم بن معن انه صواب وكان
ثقة بصيرا وقال قطرب قراءة حمزة لغة في بني يربوع واللغة واذا كان غيرها مستفيضا استعماله اذا ساعدها
القياس لم يجز ان يقال ان القراءة بها لحن لكن القائل بانها لحن لا يكفر لانه ليس مما شرط فيه التواتر اني كفرت بما
اشركتمون من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا كقوله
ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي تبرؤه منهم واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وقيل معناه اني جحدت ان اكون شريكا لله فيما اشركتموني به من طاعتكم اياي وتبرأت من ذلك ولم
ومن قيل متعلق بكفرت اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا
واذا نقلت الهمزة قلت اشركتنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما في هذه الآية ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا
ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها ان الظالمين لهم عذاب اليم
يحتمل انه من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله ابليس في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في
النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا لانفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه
الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ويحتمل ان يكون قول الله على الاستئناف قوله تعالى

وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام

لما بالغ في شرح حال الكفرة الاشقياء ذكر احوال المؤمنين السعداء وقد عرفت ان الثواب يجب ان يكون منفعة خالصة دائمة
مقرونة بالتعظيم فقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى المنفعة
الخالصة وقوله خالدين فيها اشارة الى دوامها وقوله باذن ربهم متعلق بقوله وادخل اي ادخل الملائكة الذين
آمنوا وعملوا الصالحات باذن ربهم وامره وقوله تحيتهم اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة طرف الجنات سلام

عن خلافه ولعمري انه تفسير بالرأي وذلك انه حين سمع الله قول المستكبرين م

ومعنى كفره باشراكهم م

وهم افضل التعظيم قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء

تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ● لما فرغ من احوال اهل الشقاوة والسعادة ضرب لحال كل منهما مثلا والمراد
المثل كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقوله شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس وقيل مثلا وكلمة منصوبان
بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا اي جعل كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على ان قوله كشجرة طيبة خبر مبتدأ محذوف
اي هي كشجرة طيبة وقيل كشجرة طيبة في موضع الحال اي ضرب الله مثلا كلمة طيبة مشبهة بشجرة قيل الكلمة الطيبة
شهادة ان لا اله الا الله وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة الى الدين
وقيل الكلمة الطيبة القرآن والمراد بالطيب ان يكون من الاخلاص والشجرة الطيبة هي المثمرة طيبة الثمار كالنخلة
وشجرة التين والرمان والعنب وغير ذلك وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه ان شجرة
من الشجر لا يطرح ورقها وهي مثل المؤمن فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
انها النخلة ثم نظرت فاذا انا اصغر القوم فاستحييت فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة فذكرت
لابي فقال يا بني لو كنت تكلمت احب الي من حمر النعم وقيل طيبة الشكل والصورة والمنظر والثمر على انها الذيذة
مستطابة والرائحة والمنفعة اي كما يستلذ اكلها فكذلك الانتفاع بها اصلها اصل هذه الشجرة ثابت في الارض
اي راسخ باق آمن الانقطاع والزوال لان الشيء الطيب اذا كان في معرض الزوال كان الفرح بحصوله لا
يعظم للحزن بسبب الخوف من زواله واذا علم منها انه باق ثابت دائم لا يزول يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور
بسبب الفوز به وفرعها في السماء اي في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء
وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة لان ارتفاع الاغصان وقوتها والتصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ
العروق ولانها اذا كانت عالية كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذورات الابنية وكانت ثمرتها نقية
طاهرة عن جميع الشوائب تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين باذن ربها بارادة ربها وتكوينه قيل كل حين كل سنة لان الثمرة
في السنة مرة عن عكرمة ارسل الي عمر بن عبد العزيز اني نذرت ان اقطع يد غلامي او احبسه حينا فما عندك فيه
يا مولى ابن عباس قال الحين حينان حين يعرف وحين لا يعرف فالحين الذي لا يعرف قوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذي
يعرف فقوله تؤتي اكلها كل حين وهو ما بين العام الى العام المقبل فقال اصبت واحسنت يا مولى ابن عباس ولا
الثمرة في السنة وقيل ستة اشهر ما بين صرامها الى حملها عن ابن عباس انه سئل عن رجل حلف ان لا يكلم اخاه
حينا فقال الحين ستة اشهر وقرأ هذه الآية وقيل الحين شهران لان النخلة لا يكون اكلها الا شهرين وقيل
كل حين كل غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المؤمن اول النهار وآخره وقيل كل ساعة لليل والنهار والشتاء والصيف
تؤكل في جميع الاوقات كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الاوقات كلها معرفة الله والاستغراق في عبوديته
تشبيه هذه الشجرة في هذه الصفات اما الصفة الاولى وهي كونها طيبة وهي حاصلة بل الاطيب في الحقيقة
الا معرفة الله لان اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة الطيبة انما حصلت لان ادراك تلك الفاكهة ونيلها امر ملائم
لمزاج البدن وكيف لا ملائم للروح القدسية للمعرفة بالله ومحبته والابتهاج بها فتكون اللذة الحاصلة من
المعرفة اعلى مرتبة من اللذة الحاصلة بادراك الفاكهة منها واما الصفة الثانية وهي ان اصلها ثابت فكذلك
اصل هذه الكلمة ثابت راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والاخلاص والتصديق واما الصفة الثالثة وهي كون فرعها
في السماء فكذلك لها اغصان متصاعدة في عالم القدس وهي اصناف كثيرة يجمعها التعظيم لامر الله ويدخل فيه
التامل في دلائل معرفة الله في عالم الارواح وفي عالم الاجساد وفي اجرام الافلاك والكواكب وفي احوال العالم
السفلي ويدخل فيه محبة الله والشوق الى الموطن في ذكره والاعتماد بالكلية على الله والانقطاع عما سوى
الله واغصان متصاعدة في هذا العالم الجسماني وهي انواع كثيرة يجمعها الشفقة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة
والرأفة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في ايصال الخير اليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة
بالاحسان فهذه فروع متصاعدة من معرفة الله قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
واما الصفة الرابعة وهي قوله تؤتي اكلها كل حين فان الكلمة الطيبة التي هي معرفة الله كلما كان رسوخها
في القلب اقوى كان ظهور هذه الآثار عنده اكثر وربما توغل في هذا الباب فيصير بحيث كلما لاحظ شيئا لاح
الحق فيه وربما عظم رتبته فيه فيصير لا يرى شيئا الا وقد كان قد رأى الله قبله فهذا هو المراد من قوله تعالى
تؤتي اكلها كل حين واما قوله باذن ربها ففيه دقيقة عجيبة وذلك لان عند حصول هذه الاحوال السنية
والدرجات العالية قد لا يفرح الانسان بها من حيث هي هي وانما يفرح بها من حيث انها من المولى وعند ذلك
يكون فرحه بالحقيقة بالمولى لا بهذه الاحوال قيل لما مثل الله سبحانه الايمان بهذه الشجرة لان هذه الشجرة
لا تكون طيبة الا بثلاثة اشياء عرق راسخ واصل قائم واغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة اشياء
معرفة في القلب وقول باللسان وعمل بالابدان ويضرب الله الامثال للناس لان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكير وتصوير للمعاني لان المعاني المعقولة الصرفة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يشبهها

او جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة م

وسكت م

ثمر من م

وحين لا يعرف ولا يدرك م

من الخبيثات ترك الحس والخيال الذي لوهم المنازعة فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة كل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك كشجرة الحنظل او الكشوث ونحوه قال ابن
عباس هذا مثل ضربه الله ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الارض اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت
اقتلعت عن ابن عباس انتزعت عن الصحاح استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار
استقرار يقال قر الشيء قرارا كقوله ثبت ثباتا شبه بها كلمة الشرك لا خير فيها ولا تصعد لها عمل صالح فلا يبقى لحجة
فهي داحضة غير ثابتة تضمحل عن قريب لبطلانها قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا
ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة يثبت الله الذين آمنوا يحقق الله ايمانهم واعمالهم
بالقول الثابت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وهو شهادة ان لا اله الا الله ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا
انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير والذين مشطت لحومهم
بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا
ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق
عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقيل في الحياة الدنيا القبر وفي الآخرة يوم البعث وقيل
التثبيت في الدنيا الفتح والنصر وفي الآخرة الجنة والثواب ويضل الله الظالمين الكافرين اي لا يلقنهم فالكافر
اذا دخل عليه الملكان قالا له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقولان لا دريت لا كنت عشت شقيا ومت شقيا
ويفعل الله ما يشاء فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين [قوله تعالى] ألم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان
مصيركم الى النار وهذه الآية الى ذكر احوال الكفار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكر النعمة الذي وجب
عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر
رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه وقيل بدلوا نفس النعمة كفرا لانهم لما كفروا النعمة سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة قيل هم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدلا مما لزمهم من الشكر العظيم وقيل اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلاف
الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذا حين اسروا وقتلوا يوم بدر
وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما هم الافجران من
قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم قادة المشركين
ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله نعمة عليهم فكفروا واحلوا قومهم وانزلوا من تابعهم على الكفر دار
البوار وهي دار الهلاك ثم ترجم عن دار البوار بما هي فقال جهنم فهي عطف بيان يصلونها يدخلونها ويقاسون حرها وبئس
القرار المقر جهنم وجعلوا لله اندادا اي سموا اصنامهم اندادا امثالا لله ليضلوا قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء اي
ليضلوا انفسهم والباقون بضمها اي ليضلوا الناس عن سبيله واللام لام العاقبة والمعنى كان عاقبة جعلهم لله اندادا
الضلال او الاضلال وقيل اللام لام كي على قراءة ضم الياء قل يا محمد لهم تمتعوا عيشوا في الدنيا بشهوات انفسكم وعبادة
الاوثان ايذانا بانهم لانغماسهم في التمتع في الحياة الدنيا فانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم
آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه
من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ويجوز ان الامر بمعنى
التهديد ونظيره قوله اعملوا ما شئتم وكقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار [قوله تعالى] قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ● لما
امر الكافر من التهديد بالتمتع بنعيم الدنيا امر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في الجهاد بالنفس
والمال قل يا محمد لعبادي قرأ حمزة والكسائي بسكون الياء والباقون بفتحها خصهم بالاضافة تشريفا لهم قيل يقولوا
قيل محذوف تقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم وانما حذف المقول لان جواب قل دل عليه
قوله يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم بدلا عليه وقيل يجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ويكون هذا
هو المقول وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل ابتداء يقيموا الصلاة وينفقوا بحذف اللام لم يجز
سرا وعلانية مصدران وقعا موقع الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وقيل منصوبان على الظرف
اي وقتي سر وعلانية وقيل منصوبان على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والسر احب في التطوع والعلانية ما لهم
وقيل المعنى اخفاء التطوع بر من الصدقات واعلان بالواجب وقيل السر الصدقات والعلانية النفقات من قبل
ان يأتي يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمة ومعنى لا بيع لا فداء وقيل لا يقدر على ابتياع ما ينجيه ولا خلال اي لا خالة
وهي المودة اي لا شفاعة للكفار ولان الخليل يشفع لخليله والخلال المصدر وقيل جمع خلة كقلة وقلال
[قوله تعالى] الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم

الفلك

الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ● لما اطنب في بيان احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت
العمدة العظمى والمنزلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة
لا جرم ختم الله وصف احوال السعداء واحوال الاشقياء بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة على وحدانيته وكمال علمه وقدرته
الله مبتدأ الذي خلق خبره من الثمرات مفعول اخرج لان اخرج بمعنى رزقا وقيل من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو ثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار تجري فيها المياه وقيل التسخير هنا الانتفاع بها وكيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين في سيرهما وانارتهما ودفعهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والمعادن
والنبات والحيوان والانسان وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم ولو كان الليل سرمدا او النهار
سرمدا لما كان على الارض نبات ولا حيوان كما هو كذلك تحت الارض في حيث لا تطلع عليه الشمس وآتاكم من كل ما سألتموه
من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه وقيل للتعميم آتاكم من كل شيء سألتموه شيئا وقيل ما لم تسألوه الاول
الناس وقيل بمعنى من كل للتكثير كما تقول فلان يعرف كل شيء وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها
وبلوغ آخرها والاحصاء الاحاطة بمبلغ العدد والمعنى ان تريدوا عدها بمقتضى كثرتها لا تحصوها لكثرتها وقيل وان
تعدوا الحادثة لا تحصوها لان آثارها لكثرتها وقيل ان ادمتم تعدادها على الاجمال لا تحصوها فاما على التفصيل فلا تعقل ذلك
ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم على نفسه باعتقاده لشكر النعمة كفار قوي الكفران لنعمة ربه وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وقيل الانسان للجنس هنا وقيل الانسان بالظلم والكفران من يوجدان منه وقيل
اراد بالانسان غير المؤمن [قوله تعالى] واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ● لما بين بالآيات الباهرة والبينات الظاهرة
ان لا معبود الا الله وانه لا يجوز عبادة غير الله حكى عن ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه مبالغة في الاجتناب عن عبادة
الاوثان هذا البلد اي البلد الحرام بلدة الله آمنا وشرفا آمنا ذا امن والفرق بين قوله في سورة البقرة اجعل هذا
بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا انه سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون
وفي الثاني ان يزيل عنه الصفة التي كانت حاصلة له وهي الخوف ويجعله ذا امن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام اجعلنا منها في ناحية وبعدني وبني من عبادتها اراد بتثبيتنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه فانه
دعوته فيهم واما باقي نسله ففيهم من عبد الاصنام وهذا الدعاء من ابراهيم عليه السلام يقتضي افتقاره في نفسه على
لمن حصل في رتبته كيف يخاف ان يعبد صنما لكن هذه ينبغي ان يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة رب انهن الاصنام المتخذة
على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهي اوثان قاله الطبري عن مجاهد رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك واسناد الاضلال الى الاصنام مجازي لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم
فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا
فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور لما سلف منه
من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل ومن عصاني فيما دون الشرك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله عز وجل
يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله فقال الله تعالى يا جبريل
اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك [قوله تعالى] ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ● اخبر الله تعالى عن ابراهيم انه قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض ذريتي وهم اسمعيل
ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع يعني وادي مكة لا زرع فيها ولا نبات لانه حجر عند بيتك المحرم هو
بيت الله لم يملكه احد سوى الله قيل المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه وقيل لانه
لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب وقيل لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها وقيل
لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه وقيل لانه حرم فيه الجماعة وانما
يجعل لهم نخاطبا في بيتهم من الدماء والاقذار بغيرها ربنا ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اي اسكنت من ذريتي
ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما امرت به ساجدين ومتعبدين لك متبركين بالبقعة
التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف والركوع والسجود
حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك وانه قيل انا وجه ابراهيم عند بيتك المحرم وانما بنى ابراهيم
البيت بعد ذلك بمدة قيل معناه عند بيتك المحرم الذي كان قبل ان ترفعه من الارض حين رفعته ايام الطوفان وقيل عند
بيتك المحرم الذي كان في سابق علمك انه يحدث في هذا البلد وقيل ان سارة كانت لها جارية يقال لها هاجر فوهبتها

من ابرهيم فولدت منه اسمعيل فغارت سارة فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما ابرهيم الى ارض مكة
ثم رجع الى سارة وقد كان سارة بعدما بشرت بالولد حبلت بشيء اشبابا لولادة من المهد وغيره وكان فيها اشر
واحضر فضحك اسمعيل فغضبت سارة وقالت لتغنين لنا ثلث بلغنا ان تضحك من ابنى لا ارا نتمكث هاهنا فحمله ابرهيم واسكنه
الوادى فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم قبيلة من العرب نظروا فى اثر طيور فقالوا لا تطير الا على الماء فقصدوا ذلك
الموضع فاذا هاجر واسمعيل وعندهما عين ماء فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى البانها ففعلت ذلك حتى ادركوا وحلوا
فى شب اسمعيل فقيل كان بالغا حين اسكنه الوادى الا ترى انه كان يعين ابرهيم فى بنا البيت وقيل انه كان قد نشأ ولم
يبلغ بعد وقيل اسكان طفلا فاجعل افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض يدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال افئدة
الناس لزحمتهم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحم عليها حتى الروم والترك والهند وقيل من للابتداء كقولك
القلب منه سقيم تريد قلبى فكانه قيل افئدة ناس وانما نكر المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الاية نكرة ليتناول
بعض الافئدة تهوى اليهم تسرع اليهم وتنزع وقيل تحن اشتياقا اليهم وهذا دعاء منه عليه السلام لهم بان يرزقهم حج
بيته الحرام وارزقهم من الثمرات مع سكانهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد
لعلهم يشكرون النعمة فان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل
اجاب دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى
اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفى اى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع
وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك
من اياته بعجب متعنا الله بزيارة حرمه ووفقنا لشكر نعمه قوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن
وما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع
الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب ● تكرير النداء دليل التضرع واللجا الى الله تعلم ما نخفى من الخلق بما نعلن وقيل ما نخفى من محبتك
وما نعلن من شكرك وقيل وما نعلن من الوجد بسبب حصول الفرقة بينى وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء
وقيل ما نخفى من الحزن المتمكن فى القلب وما نعلن مما جرى بينى وبين هاجر قالت له عند الوداع الى من تكلنا
قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى وقيل تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت
فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا
منا لانفسنا فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة
فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وما يخفى على الله من شيء قيل ذلك من تمام كلام ابرهيم عليه السلام
اى وما يخفى على الله شيء ما وقيل من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذى
وهب لى على الكبر اى مع الكبر كقول الشاعر انى على ما ترين من كبرى اعلم من حيث يؤكل الكتف وهو فى موضع
الحال ومعناه وهب لى فى حال الكبر عن ابن عباس رضى الله عنهما ولد اسمعيل لابرهيم عليهما السلام وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له اسحق عليه السلام وهو ابن مائة سنة واثنتى عشرة سنة وعن سعيد بن جبير بشر ابرهيم باسحق بعد
مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولد
والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واجلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت اية
لابرهيم ان ربى لسميع الدعاء لما ذكر الدعاء على سبيل التعريض لا على وجه التصريح قال ان ربى لسميع الدعاء لما
ذكر الدعاء على سبيل التعريض لا على وجه التصريح قال ان ربى لسميع الدعاء اى هو عالم بالمقصود سواء صرحت به
او عرضت له وقيل كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته
وقوله بسميع الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده واضافة السميع الى الدعاء
اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة ابنية المبالغة العاملة عمل
الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب عمرا وحذر زيدا وضريب اخاه وقيل يجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى اى وبعض ذريتى
عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما ذكر البعض لانه علم باعلام الله انه يكون فى ذريته كفار لقوله لا ينال
عهدى الظالمين عن ابن عباس لا يزال من ولد ابرهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة ربنا وتقبل دعاء استجب
دعاى او اجعله دعاء مقبولا مجابا وقيل عبادتى كقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين فسمى الدعاء عبادة ربنا اغفر لى ولوالدى
فان قيل كيف جاز لابرهيم ان يستغفر لوالديه وكانا كافرين اجيب بان المنع لا يعلم الا بالتوقيف فلعله لم يجد منه
منعا فظن كونه جائزا وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل لكونهما آمنا وتابا وقوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى
فيه بابرهيم عليه السلام وللمؤمنين كلهم عن ابن عباس رضى الله عنهما من امة محمد صلى الله عليه وسلم يوم يقوم

الحساب

الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب عن ذكر الناس اذ كان مفهوما معناه وقيل يقوم
يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساق ونحوه قولهم ترجلت الشمس
اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها قامت على رجل وقيل يجوز ان يكون من قبيل واسئل القرية قوله تعالى ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون ● انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم
طرفهم وافئدتهم هواء ● لما حكى عن ابرهيم عليه السلام انه طلب من الله ان يجنبه وبنيه عن عبادة الاصنام ذكر ما هو
وعيد للظالمين وعبدة الاصنام اظلمهم فان قيل تعالى الله عن الغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اعلم الناس بالله غافلا لجهله به قلت الغرض به التسلية وقيل خطاب لرسول الله والمراد به التثبيت
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كالايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد وقيل المراد ولا تحسبنه
يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم عنهم ويؤخر عذابهم ليوم تشخص فيه الابصار اى تبقى
فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى والاهطاع الاسراع فى العدو وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك
على المرئى تديم النظر اليه لا تطرف مقنعى رؤسهم رافعيها والاقناع رفع الراس والنظر فى ذل وخشوع وقيل اكثر
نفوسهم لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا باعينهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من
غير تحريك للاجفان والطرف مصدر وقيل الطرف العين اى لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء
خالية من كل خير والخلا الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جرأة ويقال
للاحمق ايضا قلبه هواء وقيل هواء لا تعى شيئا وقيل نزعت افئدتهم من اجوافهم لا تستقر وقيل الفؤاد موضع القلب من الصدر
والمعنى خلع الخوف قلوبهم فليس من اجوافهم قلب قوله تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين
ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى
مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ● وانذر يا محمد كفار مكة وغيرهم
يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا عطف على قوله ياتيهم والمعنى يحاسب
فلذلك يقول الذين ظلموا اى اشركوا ربنا اخرنا امهلنا الى اجل قريب وهو الدنيا اى ارجعنا الى الدنيا او امهلنا الى امد
وحد من الزمان قريب نجب دعوتك نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك وقيل ان يا اليوم
يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وقيل يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون
يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله تعالى لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق فيجابون اولم تكونوا اقسمتم
فقلتم من قبل ما لكم من زوال عنها اى انكم اذا متم لا تزولون عن تلك الحالة الى حيوة ثانية اى لا تبعثون وهو قوله
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت قال لمطابقة الحكاية اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه
وجهان ان تقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال حيث
بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل
ما لنا من زوال وقيل اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين ظلموا
انفسهم والسكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديته بفى كقولك قر فى الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه
لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكن من السكون
اى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من ايام الله
وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقيل بما
فى منازلهم من اثار ما نزل بهم فانها باقية وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم هى فى الغرابة كالامثال
المضروبة لكل ظالم قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ● اى
وقد مكروا مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم فى تاييد الكفر وابطال الانبيا وعند الله مكرهم فيه مضاف
الى المفعول يعنى وعند الله مكرهم الذى يمكر به وهو عذابهم الذى يستحقونه ياتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
وان كان مكرهم اى وان عظم مكرهم وتبالغ فى الشدة بحيث تزول منه الجبال تنقله من اماكنها مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم
مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والجبال مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتؤيده قراءة الكسائى بفتح اللام
الاولى وضم الثانية على معنى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من اماكنها قوله تعالى فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ● اى وعده بالنصر لاوليائه والقهر لاعدائه يعنى قوله انا لننصر
رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى وانما قدم المفعول الثانى على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله
لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن بانه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله
الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر وقيل لا يمتنع عليه شيء ذو انتقام لاوليائه من اعدائه قوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ● يوم بدل من يوم ياتيهم وقيل ظرف للانتقام
المعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذات

كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وقد يكون في الوصف
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات فقيل يبدل الارض والسموات اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا
يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا
الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا وقيل تخلق هذه الارض وهذه السموات ويخلق بدلها ارض اخرى وسموات اخر وعن علي رضي الله عنه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وعن ابن مسعود يحشر
الناس على ارض بيضاء لم يخطئ احد عليها خطيئة وبرزوا اخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار لمحاسبته اياهم ومجازاتهم
على اعمالهم وقوله الواحد القهار كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب
لا يغالب ولا يغاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة قوله تعالى
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت
ان الله سريع الحساب ● وترى المجرمين اي الكفار الكاملون في الجرم يومئذ يوم القيمة مقرنين في الاصفاد اي الا
القيود وقيل الاغلال قيل الاصفاد متعلقة بمقرنين اي مقرنين في الاصفاد وقيل غير متعلقة به والمعنى مقرنين
مصفدين سرابيلهم قمصانهم ولباسهم من قطران ما يهنأ به الابل عن قتادة القطران النحاس [illegible]
القطر اي النحاس والنحاس الصفر وقيل القطر الذي في النار وقيل ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الا
الجرب فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد
يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الاربع
القطرانية كالتفاوت بين النارين وكل ما وعد الله او وعده في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا
يقادر قدره وكانما عند نامنه الا الاسامي والمسميات ثمة وتغشى وجوههم النار وتعلوها باشتعالها
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة ويسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه
ولذلك قال تطلع على الافئدة ليجزي الله اي يفعل بالكافرين ما يفعل ليجزي كل نفس كافرة ما كسبت وقيل كل نفس
من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قوله تعالى هذا
بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب ● هذا اشارة الى المذكور من
قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب وقيل الى ما في هذه السورة وقيل الى كل القران بلاغ للناس كفاية
في التذكير والموعظة ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به اي بهذا البلاغ وليعلموا
انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية اصل الخير كله

سورة الحجر

[illegible]

الامل ليس من اخلاق المؤمنين [illegible]

[illegible]

تقريبا للحق على الوجه الاول انا لا ننزل الملائكة الا بالحق وعند حصول الفائدة وقد علم الله من حال هؤلاء الكفار
انه لو انزل عليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا ننزل الملائكة الا بالحق وتقرير الجواب على
الوجه الثاني ان الملائكة لا ننزلهم الا بعذاب الاستيصال وحكمنا في امة محمد ان لا نعذبهم بعذاب الاستيصال
وانه يعلم لما علم من ايمان بعضهم ومن ايمان اولاد الباقين بالحق اي ملتبسا بالحق وهو الوحي او العذاب او الرسالة او الموت
وقيل بالحق الذي لا يثبت معه الباطل طرفة عين وقيل الحق بالقران وما كانوا اذن منظرين اذن جواب للكفار وجزاء الشرط
مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين فما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر عليهم انه مثل الشي لعلى القطع
والبتات انا الذي هو منتخب بجبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون من ان يزاد فيه ما ليس منه او
ينقص منه حقا وعن قتادة لنحفظ عليه السلام حافظون من اهلكه وقيل لحافظون القران في قلبه ولي ردنا به الخير كما قال
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ● لما اساء فيحق الرسول صلى الله عليه وسلم
وخاطبوه بالسفاهة وقالوا انك لمجنون ذكر سبحانه وتعالى ان عادة الجهال مع جميع الانبياء هكذا كانت فلك اسوة
في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الانبياء ولقد ارسلنا من قبلك رسلا حذفه لدلالة الارسال عليه
في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم اي جعلناهم
رسلا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو
قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون كما فعلوا بك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك نسلكه اي مثل
ذلك السلك نسلك الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين على معنى نجعله ونسلكه في قلوب المجرمين من مشركي مكة مكذبا
مستهزءا به غير مقبول لان محل لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به وقيل يا اي لغو له كذلك نسلكه وقد خلت سنة
الاولين التي سنها الله في اهلاك من كذبوا الرسل حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم تخويفا لاهل مكة على استهزائهم
وتكذيبهم وقوله وقد مضت سنة الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ● ان مشركي مكة لما طلبوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزول الملائكة حتى يصدقوه في كونه رسولا من عند الله بين الله تعالى في هذه الاية انه بتقدير
نزول الملائكة يقول الذين كفروا هذا من باب السحر ونحن اعلى هؤلاء القائلين لو ما تاتينا بالملائكة بابا من السماء
فظلت الملائكة في هذا الباب يعرجون وهم يرونه عيانا لقالوا انما سكرت عن ابن عباس سدت ابصارنا من
السكر وعن الحسن سحرت وعن قتادة اخذت وعن الكلبي اغشيت وعميت وقيل حبست من [illegible]
من السكر وقيل هو من سكر الشراب كان اريد غشيت ابصارنا كما تغشى السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان
لو فتح لهم باب من السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما راوا لقالوا هو شي تخايله لا حقيقة له ولقالوا

قد سخرنا محمدا بذلك وذكر القطب لو لم يجعل عن وجهه في النهار ليكونوا مستوحشين لما يرون وقال انما اليك
بينوا القول بان ذلك ليس بتسكير الابصار قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين لما اجاب عن منكري النبوة وكان قد ثبت
ان القول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد ولما كانت دلائل التوحيد منها سماوية ومنها ارضية بدا منها ببعض الدلائل
السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا وهي اثنى عشر برجا اسماؤها الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج مختلفة والسماء فيها هذه البروج المختلفة فلا تخلو
لا يكون لنفس السماء ولا لموجب يوجبه فيكون هذا الاختلاف باختيار فاعل مختار قادر حكيم واحد والا لفسدت السماء
بما فيها وزيناها اي وزينا السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين اي للمعتبرين بها والمستدلين بها على وحدانية صانعها وعلمه
وقدرته وارادته واختياره وحفظناها اي وحفظنا السماء من كل شيطان رجيم ملعون مرمي بالنجوم وحفظ السماء
من كل شيطان رجيم منعه من القرب يحفظ الله السماء من كل شيطان كما يحفظ منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد
والرجم الرمي بالحجارة ومنه رجم المحصن والرجم السب والشتم لانه رمي بالقول
القبيح والرجم اسم لكل ما يرمى به ومنه قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين اي مرامي والرجم القول
بالظن ومنه قوله تعالى رجما بالغيب لانه يرميه بذلك الظن والرجم الطرد واللعن والرجيم في الآية قد فسر بهذه المعاني
الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء اي ولكن من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
عن ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات فكانوا يدخلونها ويستمعون اخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها
الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فكل احد منهم
يريد استراق السمع رمي بشهاب فيخرجه او يخبله او يحرق جزا منه ولا يقتله وعن الحسن يقتل في الحال لا يعود
وقيل يرجعون بها ويعود الشهب الى اماكنها قوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل
شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين لما فرغ من الدلائل السماوية في تقرير التوحيد اتبعها
بذكر الدلائل الارضية وهي انواع منها والارض مددناها بسطناها على وجه الماء ممتدا في الابعاد الثلثة الطول
والعرض والعمق ويمد جزو من الارض في الابعاد الثلثة مختص بمقدار معين مع ان الازدياد عليه معقول والانتقاص
عنه ايضا معقول فيكون المخصص والمقدر هو الله ومنها والقينا فيها رواسي
والقينا في الارض جبالا ثوابت الرواسي الثابت عن ابن عباس لما بسط الله الارض على الماء مالت باهلها كالسفينة فارساها
بالجبال الثقال لكيلا تميل باهلها وقيل المراد انه تعالى خلقها ليكون دلالة الناس على طرق الارض ونواحيها لانها كالاعلام
فلا يميلون عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال ومنها وانبتنا فيها من كل شيء موزون وقيل في الارض وقيل في الجبال
وقيل فيهما موزون ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وقيل له وزن وقدر في ابواب النعمة و
المنفعة وقيل موزون مقسوم وقيل يحتمل ان يراد به المكيل والموزون والمعدود لان مآل الكل الى الوزن كالحبوب و
الثمار وقيل موزون معلوم عند الله وقيل موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لا تصلح فيه زيادة
ولا نقصان ومنها وجعلنا لكم فيها معايش بالصريحة جمع معيشة وهي مصدر عاش جعل اسما لما يعاش به وقيل المعيشة
طلب اسباب الرزق من المطاعم والمشارب والملابس مدة الحياة تطلبها الانسان بالكسب والتصرف وقد يطلب
له فاذا اتاه من غير طلبه فهو العيش الهني ومن لستم لا يجوز ان يكون معطوفا على الضمير المجرور الا باعادة الجار بل معطوف
على محل لكم اي وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ومنها قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم لما قال وانبتنا فيها من كل شيء موزون اتبعه بذكر ما هو كالسبب لذلك فذهب قوم من المفسرين الى
انه خاص بالمطر اي وما من شيء من المطر الا انه اصل جميع الاشيا والمراد بقوله عندنا خزائنه انه القادر عليه وعلى ايجاده
ومنهم من ذهب الى ان التقدير وان من شيء مما ينبته الارض من الثمار والاشجار الا عندنا خزائنه يريد الماء ايضا لكنه
جعل خزائن هذه الاشياء لما كانت منه وهذا قريب من الاول وقيل ان الخير كله بيد الله وقيل خزائنه مفاتيحه وقيل
عندنا خزائنه يسألون منه وقيل خزائن مقدورنا وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر
وقيل يريد الماء الذي في السماء ينزله الى السحاب ثم ينزله الى الارض وما ننزله الا بقدر معلوم عند استحقه ومبلغ
بن مسعود ليس ارض بامطر من ارض ولا عام بامطر من عام ولكن الله يقسمه ويقدره في الارض كيف يشاء عاما هاهنا
وعاما هاهنا وفي رواية اخرى ربما كان في البحر وروي ايضا انه ينزل مع المطر من الملائكة اكثر من ولد ابليس وولد آدم
يعدون كل قطرة حيث يقع وما ينبت قال صاحب الكشاف ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره
على كل شيء مقدور قال الامام وان من شيء يتناول جميع الاشياء الا ما خصه الدليل وهو القديم الموجود لذاته وقوله
الا عندنا خزائنه اشارة الى كون تلك الاشياء مقدورة لله تعالى وحاصل الامر فيه ان المراد ان جميع الممكنات مقدورة له
مملوكة يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء ومقدوراته تعالى وان كانت غير متناهية الا ان الذي يخرجه منها من العدم الى
الوجود يجب ان يكون متناهيا لان دخول ما لا نهاية له في الوجود محال فقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته

غير متناهية وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم اشارة الى ان كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج
منها الى الوجود متناهيا كان لا محالة مختصا في الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت او بعده بدلا
عنه وكان مختصا بحيز معين مع جواز حصوله في سائر الاحياز ثم لا عن تلك الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص
تلك الاشيا المتناهية بذلك الوقت المعين والحيز المعين والصفات المعينة بدلا عن اضدادها لا بد ان يكون
بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر المختار
الذي خصص تلك الاشيا بتلك الاحوال الجائزة والا لامتنع اختصاصها بتلك الصفات والمراد من الانزال الاحداث
والانشاء والابداع كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد ثم لما قال
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين اراد ان يبين كيفية جعل الارض محلا للمعايش فتمم كيفية انزال
الحوادث فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى انه ما من شيء من الاشياء المخلوقة الا عندنا ثبت خزائنه في الكتاب
المبين واللوح المحفوظ مجتمعة مجملة على سبيل الابداع وما ننزله في الاعيان منفصلة واحدا واحدا على التعاقب الا بقدر
معلوم على الوجه الذي نشاء ومنها قوله وارسلنا الرياح لواقح قرا حمزة الريح وقرا الباقون الرياح اللواقح جمع لاقحة اذا جاءت
بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم وقيل المعنى ارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب وقيل
اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة لان الرياح تلقح الاشجار وقيل تلقح السحاب
وقيل تلقحهما وعن ابي هريرة الريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح التي ذكرها الله في كتابه تقريبهما انا لو فرضنا الريح هواء
وحركة الهواء بعد ان لم يكن متحركا لا بد له من سبب وذلك السبب ليس نفس كونه هواء ولا شيئا من لوازم ذاته والا لدامت
حركة الهواء بدوام ذاته فذلك السبب العلم بيوجب الا ان يقال انه تحرك بتحريك الفاعل المختار قوله فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
وما انتم له بخازنين قيل انزلنا من السماء اي من السحاب ماء او مطرا والاولى ان تحمل السماء على مفهومها الحقيقي ويراد
وانزلنا من جهة السماء نفسها ولا ينافي انزاله من السحاب لان الاسباب المترتبة تسند المسبب تارة الى القريب
وتارة الى البعيد وتارة الى الابعد الا ترى الى قوله تعالى خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية فاسقيناكموه فجعلناه لكم
سقيا ولو اراد انزلناه لتشربوه لقال فسقيناكموه لان العرب تقول سقيته لحاجته ماء ولبنا وغيرهما ليشربه اذا كان
لسقيه فاذا جعلوا له ما يشربه ارضه او ماشيته قالوا اسقيته وقيل ما تناله الايدي والدلا فهو السقي وما لا تناله
الايدي والدلا فهو الاسقيا وما انتم بخازنين الماء في السماء نفى عنهم ما اثبته لنفسه سبحانه في قوله وان من شيء
الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين
دلالة على عظيم قدرته ومنها انا لنحن نحيي ونميت ومنها قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون قيل نحيي الحيوان والنبات
ونميتهما وقيل نحيي الحيوان لان وصف النبات بالاحياء مجاز نوع تخصيصه باحياء الحيوان وهذا ليس بشيء فانه يجوز
الجمع بينهما لانه الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز وقيل نحيي بالايجاد ونميت بالافناء ونحن الوارثون اذا مات
الخلائق اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم واجعله الوارث منا ولما ثبت بالبراهين القاطعة انه لا قدرة على خلق الحياة والايجاد الا لله
تعالى كان حصول الحياة للحيوانات دليلا قاطعا على وجود الاله الفاعل المختار قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين ● المستقدمين اي الاموات والمستاخرين الاحيا وقيل المستقدمين من خلق والمستاخرين
من لم يخلق ولقد علمنا من خلق الى اليوم ولقد علمنا من سيخلقه بعد اليوم وقيل ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر
تاخر من الاولين والآخرين وقيل من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد وقيل من استقدم في اول الخلق ومن استاخر
في آخر الخلق وقيل علمنا المستقدمين من الفرقة الاولى والمستاخرين المبطئين عن الاسلام والطاعة والخير وقيل ولقد
علمنا المستقدمين منكم في صفوف الجماعة في الصلاة والمستاخرين فيها والسبب النزول عن ابن عباس كانت النساء
يخرجن الى الجماعات فيقوم الرجال صفوفا خلف النبي صلى الله عليه وسلم والنساء صفوفا خلف صفوف الرجال فربما كان من الرجال
من في قلبه ريبة فيتاخر الى الصف الآخر من صفوف الرجال لقربها كان من النساء من في قلبها ريبة فتتقدم الى اول
صف النساء لتقرب من الرجال وكانت امراة احسن الناس لا والله ما رايت مثلها قط تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم
وكان بعض الناس يستقدم في الصف الاول لئلا يراها ويستاخر بعضهم حتى يكون في الصف المتاخر فاذا ركع وسجد
نظر اليها من تحت يديه فانزل الله هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وشر صفوف
النساء اولها وخيرها آخرها وروي انه صلى الله عليه وسلم حض على الصف الاول وكانت بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد
فقالوا نبيع دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد فانزل الله هذه الآية وقيل ولقد علمنا المستقدمين منكم يعني المصلين
في اول الاوقات وقيل المستقدمين والمستاخرين في صف القتال وقيل من يسلم ومن لم يسلم قوله تعالى
وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ● يريد الحشر والنشر والبعث في القيمة امر واجب هو القادر وحده على حشرهم
العالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم حكيم باهر الحكمة عليم بكل شيء يفعل على مقتضى المشيئة فانه هو
الصواب ومنها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم
لما استدل بخلق الحيوان والنبات على صحة التوحيد في الآية المتقدمة اردفه بالاحتجاج بخلق الانسان على هذا المطلوب
فقد ثبت بالدلائل القاطعة انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان هو اول الناس وهو غير مخلوق من الابوين فيكون مخلوقا بقدرة الله

تعريفه الانسان اشارة الى ذلك الانسان الاول وجمهور المفسرين على ان المراد منه ادم عليه السلام قال الامام نقل في كتب
الشيعة عن محمد الباقر انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم او اكثر واقول هذا لا يقدح في حدوث
العالم بل الامر كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان اول هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق
الى اثباته الا من جهة السمع قال الحاكم انه تعالى مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع آخر اني خالق بشرا من طين
وقال في هذه الاية ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والانسان ما ترتبا قادر على خلقه من اى جنس
من الاجسام بل هو قادر على خلقه ابتداء واما خلقه على هذا الوجه اما لمحض المشية يفعل الله ما يشاء ولا يسئل عما
يفعل واما لانه خلقه على هذا الوجه عجبا او لعلى كمال قدرته فان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من جنسه
وشكله والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قيل اذا توهمت في صوته مدا
فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون
المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اى افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر الذوبية في امثلتها وقيل
المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال كانه
افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر وقد يتفطن من هذا
ان خلق الانسان من التراب والماء والهواء والنار وهذا اعجب وادل على القدرة فان كونه مخلوقا من الاجسام المتضادة
المتداعية الى الانفكاك دال على انه قادر على الجمع بين الامور المتضادة المتداعية الى الانفكاك والجان هو الجن كادم
للناس وقيل هو ابليس خلق قبل ادم من نار السموم الحر الشديد النافذ في المسام الذي يقتل قيل هي نار لا دخان لها والصواعق
تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت فالهدة التي تسمعون
خرق ذلك الحجاب قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله تعالى منها الجان قوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين لما ذكر خلق الانسان استدل به على وجود
الاله الواحد القادر المختار ذكر بعده واقعته وهو انه تعالى امر الملائكة بالسجود له فاطاعوا الا ابليس فانه ابى وتمرد
اى واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا يعني ادم من صلصال من حمإ مسنون
فاذا سويته عدلت صورته واتممت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي احييته وجعلته
روحي بشرا حيا واضاف الروح الى نفسه تخصيصا وتكريما له والروح ما يصير الجسم به حيا وليس ثم نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وقيل الروح هاهنا ما يحيي الانسان من الله وفيه صلاح العباد فقعوا امر من وقع
يقع اى فاسقطوا على الارض له ساجدين والمعنى فاسجدوا له فسجد الملائكة كلهم الا ابليس استثنى ابليس من الملائكة
قيل الاستثناء متصل لان ابليس من قوم من الملائكة يقال لهم الجن وقيل ليس من الملائكة لكنه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود
فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة
ولا طرفة عين ابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابى ان
يكون مع الساجدين قال تعالى يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين بمعنى اى غرض لك في ابائك السجود واي داع
لك اليه فخرج الجر وهو في موضع ان تحذف قال ابليس لم اكن لاسجد اللام في لاسجد لتاكيد النفي معناه لا يصح مني وينافي
حالي ويستحيل ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال تعالى لابليس فاخرج منها من الجنة وقيل من السماء فانك رجيم ملعون مطرود
وقيل انك شيطان من الذين يرجمون بالشهب وقيل مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة وقيل فاخرج من الكرامة
وان عليك اللعنة الى يوم الدين جعل يوم الدين حد اللعنة قيل لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات
والارض في التابيد وقيل المراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء
ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه فيوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد لكن خولف بين
العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة قوله تعالى قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم قال ابليس رب فانظرني اخرني الى يوم يبعثون فسال انما سال الانظار الى يوم يبعثون لئلا يموت
بعد البعث احد قال الله لابليس فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم عند الله وهي النفخة الاولى حين يموت الخلائق
كلهم فلم يجب الى ما سأله وانظر الى آخر ايام التكليف قوله تعالى قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال ابليس رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن
والمعنى اقسم باغوائك باضلالك اياي لازينن لهم في الارض معاصيك ولاحببنها اليهم ولا يلتفت الى ما
صاحب الكشاف وهو معنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود
الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامره ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى
برئ من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله لاغوينهم قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان
احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما وقيل يجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم
محذوف ويكون المعنى بسبب اغوائك اياي اقسم لازينن لهم في الارض التي هي دار الغرور وقيل اراد اني اقدر على الاحتيال

قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين

لادم

لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر وقيل اراد لاجعلن مكان
التزيين عندهم الارض ولاوطنن تزييني فيها اى لازينن الارض في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها
حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ولاغوينهم ولاضلنهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قرأ
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو المخلصين بكسر اللام في كل القرآن اى الذين اخلصوا دينهم وعبادتهم عما يخل بالايمان
والتوحيد والباقون بفتحها يعني الذين اخلصهم الله بالهداية والايمان استثنى المخلصين لانه علم انه لا يتمكن من اغوائهم
والتزيين لهم وقيل الاستثناء عائد الى الاخير اى الاغواء دون التزيين قوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم هذا
اشارة الى الاخلاص والايمان والامر والطاعة لمن اخلص اى تلك طريق الى على بمعنى الى وقيل طريق حق علي ان اراعيه
وقيل حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على المخلصين وقيل طريق علي حجتي نعم لذاك بالمرصاد فاجازيهم
باعمالهم وهو خارج مخرج الوعيد كما تقول للرجل تخاصمه طريقك علي فهو كقوله ان ربك لبالمرصاد ويحتمل ان يكون جاريا
مجرى الوعد والوعيد ان خيرا فخير وان شرا فشر قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم قيل ان ابليس لما قال الا عبادك
منهم المخلصين فذكر انه لا يقدر على اغواء المخلصين صدقه الله في هذا الاستثناء فقال ان عبادي اى المخلصين ليس لك
عليهم سلطان وعبادي هم الذين استثناهم ابليس وقوله الا من اتبعك من الغاوين لا يكون استثناء متصلا لان استطاعتك
الا بمعنى لكن اى لكن لك سلطان على من اتبعك من الغاوين وهو مطابق لقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون والسلطان الحجة والقهر والغلبة اى فلا حجة
في اغوائهم ولا قهر وغلبة انما انت تغر وتزين وقيل ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين اوهم هذا الكلام انه له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى في هذه
الاية انه ليس له سلطان على احد من عباد الله سواء كانوا مخلصين او لم يكونوا مخلصين بل من اتبع منهم ابليس باختياره
صار تبعا له ولان ابليس يقهرهم على اتباعه او يجبرهم عليه والحاصل ان ابليس اوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا
فبين تعالى كذبه وذكر انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا ونظير هذه الاية قوله تعالى حكاية عن ابليس
انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وان جهنم لموعدهم اى لموعد ابليس واشياعه من
من الغاوين لها سبعة ابواب وهي دركات بعضها فوق بعض
سبعة ابواب اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وعن الضحاك هي سبعة دركات بعضها
فوق بعض فاعلاها فيه اهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع
فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وقيل انما انفصل العذاب بالابواب
وكان لكل باب من سببه سمي باسمه للمجاورة كتسميتهم الحدث غائطا لكل باب من اتباع ابليس جزء مقسوم الجزء بعض
الشيء والجمع الاجزاء وجزيته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يجزي اتباع ابليس اجزاء بمعنى انه يجعلهم اقساما وفرقا ويدخل
كل قسم من اقسامهم طبقة من طبقات جهنم والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة في الخفة والغلظ فلا جرم
صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالغلظ والخفة قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها
بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين
لما ذكر عقاب اصحاب النيران اتبعه بثواب اصحاب الجنان ان المتقين عن الشرك بالله والكفر به في جنات وعيون قرأ
ابو عمرو ونافع وحفص وهشام بضم العين حيث وقع والباقون بكسرها وهي عيون الماء والخمر والسلسبيل والتسنيم
وغير ذلك مما ذكر انه من شراب الجنة ادخلوها على ارادة القول اى يقال لهم ادخلوها بسلام سالمين من الشر والآفات امنين
وقيل مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة امنين من الموت فيها والخروج منها ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
نصب على الحال وهذا التآخي هو تآخي المصافاة والاخلاص يعني غير التآخي في الدنيا فانه قد يشوبه ضغائن وتحاسد
وقيل يجوز ان ينتصب اخوانا على المدح اذ كرا خوانا على سرر متقابلين يجوز ان يكونا صفتين او حالين من ضمير الانهم
بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقرين على سرر والسرر جمع سرير عن ابن عباس على سرر من ذهب مكللة
بالزبرجد والدر والياقوت السرير مثل ما بين صنعاء الى ايلة متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض حيثما التفت رأى
وجها يحبه مقابلة وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها
في الجنة نصب تعب وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه بقوله نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس
نبئ اخبر عبادي قرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع بتحريك ياء عبادي وياء اني واسكنهما الباقون وعن ابن عباس اني انا الغفور
الرحيم لمن تاب منهم وان عذابي هو العذاب الاليم لمن لم يتب منهم عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك فقال الا اراكم
تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال اني لما خرجت جاء جبريل فقال يا محمد يقول الله
لم تقنط عبادي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وعن قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة قوله تعالى

ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون ● قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم
قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة
ربه إلا الضالون ● لما ذكر قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم عطف قوله ونبئهم
عن ضيف إبراهيم عليه السلام ليعتبروا بما بشر به إبراهيم تحقيقا لقوله أني أنا الغفور الرحيم وما حل من العذاب بقوم لوط تحقيقا لقوله
وأن عذابي هو العذاب الأليم كأنه قيل نبئهم أي عبادي عن ضيف إبراهيم تذكر القصة وحده وجمع وهو في الأصل مصدر الضيف ههنا
والسبب في خوفه منهم وذكر معنى الوجل في الأنفال سلاما أي نسلم عليكم سلاما أو سلمت سلاما إنا نبشرك
استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل يعني أنك آمن مبشر فلا توجل بغلام عليم يعني إسحق بلغ وتعلم فتعجب إبراهيم
من كبره وكبر امرأته قال أبشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي ولد أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون
وقيل إذا أنكر تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون وقيل إذا بكم تبشرون
بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشرون في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير
شيء ويحمد أن يكون صلة تبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به
لا طريقة لها في العادة قرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون ونافع بكسر النون وابن كثير بكسر النون
مع التشديد قال الملائكة بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه وقيل بشرناك بالحق باليقين بطريقة هي حق وهو قول
الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وقيل بالحق بما قضى الله أنه كان فلا تكن من القانطين
من الآيسين قال إبراهيم ومن يقنط قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة يقنط بفتح النون في جميع القرآن وأبو عمرو
والكسائي بكسر النون وكلهم قرؤوا من بعد ما قنطوا بفتح النون وقيل القنوط اليأس من رحمة الله مع فتح الطرق إليها
والحث على طلبها ولم يكن إبراهيم قانطا ولكن استبعد وجود الولد مع الكبر عادة إلا الضالون أي ومن يقنط من رحمة
ربه إلا الجاهلون بالله الذين لا يعرفون سعة رحمة الله وقدرته وقيل إلا الضالون في الآخرة لأنهم لا يرجون هنالك
جنة وقيل إلا المخطئون طريق الصواب وقيل إلا الكافرون ولم استنكر ذلك القنوط من رحمة الله ولكن استبعادا له
في العادة التي أجراها الله قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط
إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين ● فما خطبكم فما شأنكم الذي لأجله أرسلتم والخطب الشأن والأمر
أي قال إبراهيم للملائكة فما شأنكم وأمركم أيها المرسلون والخطب لا يقال إلا في عظيم الحال الشأن والأمر فإن قيل الملائكة
لما بشروه بغلام عليم كيف قال لهم إبراهيم بعد ذلك فما خطبكم أجيب بأن معناه ما الأمر الذي له وجهتم سوى البشرى لأنه
عليه السلام لو كان كل المقصود إيصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا علم أن لهم غرضا آخر سوى البشارة قالوا إنا أرسلنا
إلى قوم مجرمين وإنما اقتصروا على هذا القدر لعلم إبراهيم عليه السلام بأن الملائكة إذا أرسلوا إلى المجرمين كان ذلك لإهلاكهم
واستئصالهم وأيضا قوله إلا آل لوط لو كان الاستثناء من قوم يكون منقطعا لأن القوم موصوفون بأنهم مجرمون
وآل لوط جنس مخالف لجنس القوم المجرمين وإن كان الاستثناء من الضمير في مجرمين يكون متصلا كأنه قيل إلى قوم
قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم وآل لوط في الاستثناء المنقطع مخرجون من حكم الإرسال على معنى أن الملائكة أرسلوا
إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمي في معنى
التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وآل لوط في الاستثناء المتصل داخلون
في حكم الإرسال على معنى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصا
لمعنى الإهلاك والتعذيب بل للإرسال لإهلاك هؤلاء وإنجاء هؤلاء وإن كان الاستثناء منقطعا يكون قوله إنا لمنجوهم جاريا مجرى
خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإن كان الاستثناء متصلا كان قوله إنا لمنجوهم كلاما مستأنفا
كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم إلا امرأته استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس
من باب الاستثناء من الاستثناء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه كما لو قيل أهلكناهم إلا آل لوط إلا
امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا إلا اثنتين إلا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا
درهما وأما في الآية فقد اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون
من الاستثناء قدرنا التقدير أن يجعل الشيء على مقدار غيره وقدر أقواتها أي جعلها على مقدار الكفاية يقال قضى الله وقدر
أي جعله على مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل قدرنا كتبنا وقيل دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب وقرأ أبو بكر عن عاصم
قدرنا بتخفيف الدال ههنا وفي النمل قدرناها والباقون بالتشديد وإنما جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين
والتعليق من خصائص أفعال القلوب لتضمن فعل التقدير معنى العلم وكذلك فسر بعضهم قدرنا بعلمنا وإنما أسند
الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لما لهم من القرب والاختصاص بالله كما تقول خاصة
الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه إنها لمن الغابرين
في موضع مفعول فعل التقدير يعني قضينا أنها تتخلف حتى تبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون ولا يكون ممن يبقى مع لوط فتصل
إلى النجاة قوله تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك
بالحق وإنا لصادقون ● إن الملائكة لما بشروا إبراهيم بغلام عليم وأخبروه بأنهم مرسلون لعذاب قوم مجرمين ذهبوا
بعد ذلك إلى لوط وإلى آله وأن لوطا وقومه ما عرفوا أنهم ملائكة الله ولهذا قالوا لهم إنكم قوم منكرون فلما جاء آل لوط

قيل إنما

قيل إنما قال لما جاء آل لوط وهم أتوا لوطا لأنهم كانوا في بلدة واحدة وقيل آل لوط شخصه قال إنكم قوم منكرون أي
قوم تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر وقيل لا أعرفكم ولا أعرف أنكم من أي الأقوام ولأي غرض
دخلتم علي فعند هذه الكلمة قال الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا وبما تخاف منه بل جئناك
بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي فيشكون
فيه ويكذبونك وقد جئناك بتصحيح ما يمترون فيه وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون في الإخبار بنزوله
بهم قوله تعالى فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا
إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ● أي اذهب بأهلك في طائفة من الليل والقطع في آخر الليل وقيل هو بعد
ما مضى من الليل شيء صالح واتبع أدبارهم أي كن على إثرهم وسر خلفهم لئلا يشتغل بمن خلفك قلبك ولتكون مطلعا
عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منك ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال الهولة المحذورة ولئلا يتخلف
أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوته ولا يلتفت منكم أحد لئلا يرى
ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا أنفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم وقيل لئلا يصيبهم
ما أصابهم وقيل لئلا يروا ما ينزل بهم مما لا تطيقه أنفسهم وقيل لا يتخلفن أحدكم فيصيبه ما يصيب القوم
وقيل جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة
وامضوا حيث تؤمرون حيث أمركم الله بالمضي إليه قيل هو مصر وقيل هو الشام وقرى وامضوا حيث تعديته إلى الظرف
المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وقضينا إليه عدي بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل و
أوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي إبهامه وتفخيمه تفسيره للأمر
وتعظيم له دابر هؤلاء أصلهم وقيل آخرهم مقطوع مستأصل مصبحين وقت دخولهم في الصبح قوله تعالى وجاء
أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين
قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين ● وجاء أهل المدينة
أهل سدوم يستبشرون بأضياف لوط أي الملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط لهم إن هؤلاء ضيفي
ضيف وحق على الرجل إكرام ضيفه فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لأن من أساء إلى ضيفه أو جاره فقد أساء إليه كما أن من أكرم
من يتصل به فقد أكرمه واتقوا الله ولا تخزون ولا تهينون ولا تخجلوني بإهانة ضيفي من الخزي وهو الهوان وقيل من
الخزاية وهي الحياء قال أهل المدينة للوط أولم ننهك عن العالمين أن تضيف أحدا من العالمين وقيل عن ضيافتنا الغرباء
لأنا نغلبك عليهم وقيل عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع منهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد
وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من
المخرجين قال لهم لوط هؤلاء بناتي إشارة إلى النساء بناتي لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه
قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني ولا تتعرضوا لهم وقيل هؤلاء بناتي أنكحهن إياكم إن أسلمتم فأتوا النساء الحلال
ودعوا ما حرم الله عليكم من إتيان الرجال إن كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما
أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم لعمرك على إرادة القول أي قالت
الملائكة للوط لعمرك إنهم لفي سكرتهم أي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين
الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم
بالمفتوح لإيثار الأخف فيه لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم
به كما حذفوا الفعل في قولك بالله فأخذتهم صيحة جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس وهو نصب
على الحال فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين توسمت في فلان خيرا
أي رأيت فيه أثرا منه وتفرسته فيه قيل للناظرين وقيل للمتفكرين وقيل للمعتبرين وقيل للمتبصرين وقيل للمتفرسين
المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان
كذا أي عرفت وسمه فيه وإنها وإن هذه القرية أي آثارها لبسبيل لبطريق مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد
وهم يبصرون تلك الآثار وقيل مقيم واضح بين وقيل معلوم وقيل بعيد دائم السكون والذين يمرون من الحجاز إلى الشام
يشاهدونها وما ظهر فيها من آثار غضب الله وغضبه وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين إن في ذلك
لآية للمؤمنين أي كل من آمن بالله ورسله عرف أن ذلك إنما كان لانتقام الله لأنبيائه ورسله من أولئك الجهال الأغمار الذين
لا يوقنون بالله فإنهم يحملون على حوادث العالم وقايسة على حصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية ●
قوله تعالى وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ● وإن مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشأن محذوف وكان أصحاب الأيكة لظالمين حيث أنه الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة لظالمين كافرين
وأصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الشجرة الملتفة روي أن عامة شجرهم الدوم وهو المقل الأيكة الغيضة
أرسل إليهم شعيبا فكذبوه فأهلكوا بالظلة وقيل الأيكة اسم للناحية وليكة اسم للمدينة وقيل كانوا أصحاب غياض

اشجار وحياض وانهار يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتاء اليابسة وانتقمنا منهم وكذبوا شعيبا فانتقمنا منهم بالعذاب سلط الله عليهم الحر سبعة ايام لا يمنعهم منه شيء فبعث الله عليهم سحابة فالتجأوا الى ظلها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقتهم وانهما اي قرى قوم لوط والايكة يعني انهما على ممر السابلة لبامام لبطريق بامام كل احد مبين واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به وقيل الضمير للايكة ولان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما وقيل الضمير يرجع الى لوط وشعيب وانهما لبامام مبين طريق من الحق واضح وقيل لبامام مبين اي الخبر بهلاك قوم لوط واصحاب الايكة المكتوب في امام مبين وهو اللوح المحفوظ وقيل انا بايحاء منا ان القوم لوط وشعيب الامام قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ● اصحاب الحجر ثمود قوم صالح والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين اراد صالحا وحده وقيل اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وقيل اراد جميع المرسلين لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا عن ابن عمر وجابر قالا مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال عليه السلام لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم قال هاهنا قوم صالح اهلكهم الله الا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل من هو يا رسول الله قال ابو رغال ابو ثقيف ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها وآتيناهم آياتنا الناقة وسقيها وشربها ودرها وقيل آتيناهم آيات من كتاب الله وقيل يريد نصب الادلة فكانوا عنها معرضين ولم يتدبروها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الخراب لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر وقيل آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة اي صيحة العذاب والهلاك مصبحين اي في وقت الصبح وهو نصب على الحال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد والشرك والاعمال الخبيثة قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ● الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا وقيل الا بالحق الا بسبب العدل والانصاف لم يهلك من تقدم ذكرهم الا بعد اقامة الحجة عليهم وقيل بسبب العدل والانصاف لم يهلك من تقدم ذكرهم الا بعد اقامة الحجة عليهم وقيل بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية اي الجزاء آت وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فاصفح فاعرض عنهم من غير عتاب وفي حق نفسه او لا تعرض عنهم كل الاعراض ولا تيأس من صنع الله او لحقه فاعرض عنهم وعظهم وقيل هو اصفح حيث الصفح ادعى الى الايمان واخشن حيث الخشونة اولى فلا تكون منسوخة ان ربك هو الخلاق لجميع الموجودات خلقك وخلقهم العليم بكل المعلومات بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خصه الله بها لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والعفو سبعا من المثاني قيل سبع آيات وهي الفاتحة سميت بالمثاني لانها نزلت مرتين وقيل لانها اكثر كلما تثنى وقيل لان الله استثناها لامة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعطها امة قبلهم وقيل لانها تثنى في كل صلاة وقيل لانها تثنى في كل ركعة وانما دخلت من للتوكيد وقيل لانها مقسومة بين الله وبين عباده في حديث قسمت الصلاة وقيل سبعا من المثاني السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وقيل السابعة الانفال والبراءة وقيل انها يونس وعلى هذا فتسميتها بالمثاني لان الحدود والفرائض والامثال ثنيت فيها وقيل لانها تجاوزت المائة الاولى الى المائة الثانية وقيل السبع المثاني سبع معان انزلت في القرآن امر ونهي وبشارة وانذار وضرب الامثال وتعداد النعم واخبار الامم وقيل ان المثاني القرآن كله وقيل في تسمية القرآن بالمثاني لان بعض الآيات يتلو بعضا فتثنى الاخرى على الاولى ولها مقاطع تفصل الآية حتى تنقضي السورة وقيل ان القرآن سمي بالمثاني لما يتردد فيه من الثناء على الله وقيل لما يتردد فيه من ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب وقيل لان الاقاصيص والاخبار والمواعظ والآداب ثنيت فيه وكررت وقيل من للاشباع ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال والبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها واذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف فاذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم ولا تمدن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ان لا تمد عينيه الى الدنيا بها ان رغب فيها اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم قيل اصنافا في النعم وقيل ازواجا امثالا وقيل اصنافا من الكفار اليهود والنصارى والمشركين وقيل ازواجا منهم هم الرجال ونساؤهم فيكون عنايته قوله اعطينا اثنين اثنين هم ذكور وانثى قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد اوتيت النعمة التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة يسيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا وقيل ولا تحزن لما انعمت عليهم دونك وقيل لا تحزن عليهم لما يصيرون اليه بكفرهم واخفض

جناحك [illegible]

شوكة اخمص قدمه فقال لقد قتلت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا فقال عبد سوء واشار بيده الى عينيه وقال كفيت فعمي عن ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وعن الكلبي اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا ارى احدا يصنع بك شيئا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله على انه خالي فقال لقد كفيت واشار الى بطنه فاستسقى بطنه وفي رواية اخرى انه خرج من اهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وهو يقول قتلني رب محمد ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال عبد سوء فاومى الى راسه وقال لقد كفيت فامتخط قيحا وعن ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بك بدعائك القرآن الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم يوم القيامة قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ● بما يقولون على الله من الشركاء والصاحبة والولد ويقولون فيك من النسبة الى السحر والشعر وعيبهم القرآن فسبح بحمد

ربك فالجأ الى التسبيح والتنزيه وقيل سبحان الله وبحمده وعن ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين من المتواضعين وقيل من المصلين وقيل فافزع فيما نابك الى الله الفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وسمي الموت يقينا لانه متيقن به متفق على لحاقه كل مخلوق وقيل اليقين النصر على الكافرين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

سورة النحل

وتسمى سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها روي عن مجاهد وعطية عن ابي طلحة انها مكية وكذلك روي عن الحسن وعكرمة وعطاء انها مكية كلها وفي رواية عن ابن عباس انه نزل منها بعد قتل حمزة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وفي رواية اخرى عنه هي مكية الا ثلث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وعن الشعبي كلها مكية الا قوله وان عاقبتم الى آخر الآيات وعن قتادة هي مكية الا خمس آيات ولا تشتروا بعهد الله الآيتين وقوله وان عاقبتم الى آخرها وعن السائب هي مكية الا خمس آيات قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وان عاقبتم الى آخرها وعن مقاتل هي مكية الا سبع آيات قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وقوله وان عاقبتم الى آخرها وعن جابر بن زيد ان اول النحل اربعون آية مكية وبقيتها بالمدينة وهي مائة وثمان وعشرون آية وسبعة آلاف وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون روي انه لما نزل قوله اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فانزل الله اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فانزل الله اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرأ حمزة والكسائي بالامالة والباقون بالتفخيم اتى بمعنى يأتي وانما كان وعد الله تعالى معلوم التحقق عبر عنه بلفظ الماضي وقيل اتى بمعنى قرب اعلم الله تعالى ان ذلك في قربه بمنزلة ما قد اتى وقيل ان الماضي حقيقة اي اتى بعض عذاب الله وهو الجدب الذي نزل بهم والجوع فلا تستعجلوا حتى ينزل بكم مستقبلا كما نزل بكم ماضيا امر الله قيل الساعة وقيل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي خروجه من امارات الساعة وقيل امر الله من اشراط الساعة فلا تستعجلوا قيام الساعة وقيل وعيد للمشركين وقيل اتى امر الله اي امر الله بوقوع العذاب قد اتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يحدث شيء فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما كان استعجالهم استهزاء وتكذيبا وذلك من الشرك نزه الله تعالى عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء على ان ما فيهما موصولة او بمعنى شركهم على انه مصدرية قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل الملائكة باسكان النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وعن يعقوب ينزل بلفظ المجهول مع تقدير كيف وقد ظن الاسرائيلي لا يعلمها الا الله فالجواب عنه بقوله ينزل الملائكة عن ابن عباس يريد بالملائكة جبريل بتسميته الواحد بلفظ الجمع اذا كان ذلك الواحد شيئا مسعفا بالروح قيل بامره اي ينزل الملائكة بامره فعلى هذا يكون المعنى ان امر الله كله روح فيما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقيل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه من امره او ذلك التنزيل لا يكون الا بامر الله تعالى قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك على من يشاء من عباده اي الانبياء الذين خصهم الله برسالته بحكم مشيئته ان انذروا بدل من الروح اي ينزل بان انذروا وتقديره بانه انذروا او بان الشأن والحديث اقول لكم انذروا وقيل ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بقوله خلق السموات والارض فان خلق السموات والارض لا يقدر عليه احد الا الله سبحانه تعالى عما يشركون اي تعالى عن ان يشرك به غيره قوله تعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بخلق الانسان وما يتصل به من نطفة وهذا ايضا برهان قاطع وبيان ساطع على انه لا يقدر عليه احد الا الله فاذا هو خصيم منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة وهذا ادل دليل على قدرته تعالى وقيل فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة عن الكلبي نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم دل على وحدانيته وان لا اله الا هو بخلق السموات والارض كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم بخلق الانسان لانه اشرف الاجسام في العالم السفلي بعد ذلك ثم بخلق الانعام فانها اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب ثم من الحيوانات ما ينتفع الانسان به ومنها ما لا ينتفع به والاول اشرف من الثاني لان الانسان اشرف الحيوانات فالحيوان الذي ينتفع الانسان به اكمل واشرف مما لا ينتفع به والحيوان الذي ينتفع به اما في ضرورات معيشته كالاكل واللبس او في امور غير ضرورية كالزينة وغيرها والاول اشرف من الثاني وهذا القسم هو الانعام ولهذا بعد ذكر الانسان بدأ بذكره في هذه الآية فقال والانعام خلقها لكم والانعام الازواج الثمانية الضأن والمعز والابل والبقر وقيل الانعام ثلاثة الابل والبقر والغنم واكثر ما يقع على الابل والانعام بفعل مضمر يفسره الظاهر بعدها اي خلقها ولا يجوز ان يكون انتصابه بالعطف على الانسان لانه مشتغل عنه بضميره وقوله والنجم والقمر قدرناه وقيل يجوز ان يكون الانعام معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا ايها الانسان وقيل تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ وقال لكم فيها دفء ويجوز ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفء قيل الاول احسن لانه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملأ اسم ما يملأ به وهو الدفاء من اللباس من صوف او وبر او شعر ومنافع بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها ومنها اي ومن الانعام تأكلون اي تحوزها

[ملاحظة: بقية العمود الأيسر غير مقروءة في هذه النسخة]

بهذه الآية قالوا منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر
وحيث لم يذكره علمنا حرمة أكله قال ولو يحتج الاستدلال بهذه الآية من وجه آخر هو أن قوله لتركبوها يقتضي
أن تمام المقصود من خلق هذه هو الركوب والزينة بل كان تحل أكلها أيضا مقصودا قال الامام أجاب الواحدي
بجواب في غاية الحسن قال لو دلت هذه الآية على تحريم أكل هذه الثلاثة لكان تحريم أكلها معلوما في مكة لأجل
أن هذه السورة مكية ولو كان الأمر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين أن لحوم الحمر الأهلية حرمت
عام خيبر باطلا لأن التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يبق لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة
ويخلق ما لا تعلمون ما لا تعلمون تمام بيننا ولما يخلق نسم انزلكما وخلائق لا علم لكم به لترغيبكم دلالة على قدرته
بالأخبار بذلك ويحمل على ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه والأولى أن يحمل
عليه وعلى ما ذكر أولا فإن ما عام يشمل الكل **قوله تعالى** وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء
لهداكم أجمعين ● أي بيان طريق يكم وقصد الطريق المستقيم وقيل وعلى الله القصد بكم إلى الدين ومنها
جائر عن السبيل جائر عن الاستقامة معوج والقصد من السبيل هو الحنيفية دين الاسلام والجائر منها اليهودية
والنصرانية وغيرهما من ملل الكفار وعن جابر بن عبد الله قصد السبيل يعني بيان الشرايع والفرائض
وقيل قصد السبيل السنة ومنها جائر يعني الأهواء والبدع بيانه قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما الآية
قال صاحب الكشاف فإن قلت لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين
وما لا يجوز ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر والجواب أن
المراد على الله تعالى بحسب الفضل أن يبين الدين الحق والصراط المستقيم فأما أن يبين كيفية الأهواء والأضلال
فذلك غير واجب ولو شاء لهداكم أجمعين يدل على أن الله لم يشأ هداية الكفار ولم يرد منهم الايمان لأن لو لانتفاء
الشيء لانتفاء غيره ولو شاء هدايتكم لهداكم لكن ما شاء هدايتكم فما هداكم **قوله تعالى** هو الذي أنزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ● لما كان أشرف ما في العالم السفلي بعد الحيوان النبات استدل سبحانه
وتعالى بعجائب أحوال النبات على وحدانية الصانع العليم القدير المختار أنزل من السماء ماء قيل من السحاب وقيل
من جهة السماء وقيل من السماء نفسها لأنه هو السبب الأول للمطر ماء لكم لنفعكم منه شراب تشربونه وظاهر
قوله منه شراب يدل على الحصر لا ندفعنا منه لا من غيره ولا بعد في أن يكون الماء العذب في الأرض من ماء المطر شاهده
قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع ولكن يجوز أن يكون متعلقا بأنزل أو يتبلور خبرا له والشراب ما يشرب
ومنه شجر أي الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ فيه أي في الشجر تسيمون
ترعون مواشيكم يقال أسام فلان إبله يسيمها إذا رعاها فهو مسيم وسام يستسوم فهي سائمة من السومة
وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض ينبت الله لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل
الثمرات أي بعض كل الثمرات لأن كل الثمرات لا يكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة إن
في ذلك أي في إنزال الماء لآية لقوم يتفكرون فيعلمون بالتفكر أن الله أنزل من السماء ماء وأنبت به الزرع والزيتون
والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وإنما وحد الآية لأن إنزال الماء أمر واحد **قوله تعالى** وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● وسخر لكم الليل حيث تسكنون فيه
والنهار حيث تبتغون من فضله والشمس والقمر حيث تعلمون عدد السنين والحساب بمسيرهما والنجوم حيث تهتدون
بها مسخرات لما خلقن له بأمره وقيل معناه أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره مسخرا
كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع كله
على أن يكون رفعها بالابتداء ومسخرات خبر وقرأ الباقون بنصب الجميع إن في ذلك إشارة إلى التسخيرات لآيات لقوم يعقلون
جمع الآية لأن كل تسخير يدل على العقل لأن التسخيرات المذكورة أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة
للكبرياء والعظمة فيكفي العقل ولا يحتاج إلى التفكر **قوله تعالى** وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك
لآية لقوم يذكرون ● وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار أي وسخر لكم ما ذرأ ما خلق لكم في الأرض من حيوان
وشجر وثمر مختلفا الهيئات والمناظر وقيل مختلفا أصنافه وقيل ألوانه من السواد والبياض وغيرهما وقيل يريد
الحيوان والجماد فإنها كلها منتفع بها في الأطعمة والأشربة والأدوية والأمتعة إن في ذلك لآية لقوم يذكرون
أن خلق هذه الأصناف على تلك الهيئات والألوان المختلفة لا يكون إلا من الإله الواحد الفاعل القادر الحكيم
المختار **قوله تعالى** وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك
مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ● لما احتج على الوحدانية في المرتبة الأولى بخلق السموات والأرض
وفي المرتبة الثانية بخلق الإنسان من نطفة وفي المرتبة الثالثة بخلق الأنعام وفي المرتبة الرابعة بخلق الخيل والبغال
والحمير وفي المرتبة الخامسة بإنزال الماء من السماء وفي المرتبة السادسة بتسخير الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم وما ذرأ لكم في الأرض أراد أن يستدل بعجائب أحوال العناصر فبدأ منها بعنصر الماء قال أهل الهيئة ثلاثة
أرباع كرة الأرض في الماء فذلك هو البحر المحيط وهو كلية عنصر الماء وحصل في الربع الآخر المسمى بالربع المسكون سبعة

أبحر

[illegible]

عبادة غيره هو المقصود وإنما ذكرت هذه الأمور الظاهرة والبينات الباهرة على الوحدانية وبينت أنه تعالى
النعم المعطي لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة موجود سواه لا سيما إذا كان
ذلك الموجود جمادا لا ينفع ولا يضر فلهذا قال بعد تلك الآيات أفمن يخلق كمن لا يخلق أفمن يخلق كمن لا يخلق
أفمن يخلق يعني الله كمن لا يخلق يعني الأصنام وإنما جيء بمن الذي هو لأولي العلم لأنهم سموها آلهة وعبدوها
فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله تعالى والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقيل
المشاكلة بينه وبين من يخلق وقيل المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله
تعالى ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء
وهم أموات فكيف يصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا فإن قيل هو إلزام للذين
عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن
لا يخلق كمن يخلق أجيب بأنهم جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه
فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر إنما تبع
ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد إن الله لغفور رحيم لما بين أن الإنسان لا
يمكنه القيام بأداء الشكر على سبيل التفصيل قال إن الله لغفور لكم التقصير الصادر منكم في القيام بشكر نعمه
رحيم لكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون قيل إن الكفار كانوا مع شركهم ومكرهم
على الله يسرون ضروبا من الكفر في مكايد الرسول فجعل هذا زجرا لهم عنها وقيل إنه تعالى أبطل في الآية الأولى عبادة
الأصنام بسبب أنه لا قدرة لها على الخلق والإنعام وأبطل في هذه الآية أيضا عبادتها بسبب أن الإله يجب
أن يكون عالما بالسر والعلانية وهذه الأصنام جمادات لا شعور لها بشيء أصلا فكيف يحسن عبادتها والذين
يدعون من دون الله نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت
لهم صفة الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة

لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون
للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون
لهم وقت جزائهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث فانه من لوازم التكليف وقيل المعنى ان الناس يخلقونهم
بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حيوة فيها غير احياء يعني من
الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الاصنام التي
هي حجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ولا الالهة متى يبعث الاحياء تهكما بها لان
شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم وقيل المراد بالذين يدعون من دون الله الملائكة وكان
ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون بوقت
بعثهم قوله تعالى الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين انه تعالى ابطل بما تقدم كون الالهية لغير الله ثم قال الهكم اله واحد فالحاصل
تام والمعنى معبودكم المستحق للعبادة معبود واحد لا شريك له فالذين لا يؤمنون بالآخرة اي الكفار قلوبهم منكرة
للتوحيد لله غير عارفة له وهم مستكبرون عنه وعن الاقرار والايمان به لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ان كان موصولة اي سرهم وعلانيتهم او كانت ما مصدرية انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد اي لا يحب المشركين
قيل يجوز ان يكون عاما اي لا يحب كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ثبتنا الله الوعيد كل متكبر قوله تعالى واذا قيل
لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما
يزرون لما ابطل الشرك وعبادة الاصنام بالبراهين الباهرة والحجج الظاهرة ذكر بعض شبهات منكري النبوة مع الجواب
عنها واذا قيل للكفار اي قال بعضهم لبعض او قال المسلمون لهم او قال المسلمون الذين يقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول
الله اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله ما ذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي
شيء انزله ربكم قالوا الكفار اساطير الاولين فاذا نصبت ماذا فمعناه اساطير الاولين ما تدعون نزوله او اساطير الاولين
واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين وجعله المنزل على سبيل السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون ليحملوا اوزارهم اللام لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا الاوزار ولكن
لما كانت عاقبتهم ذلك حسن ذكر هذا اللام كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا اساطير
الاولين اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر
الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال لعدم احتمال الوزر من اضلهم ان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث
وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل الا ساء ما يزرون وعيد على ما قالوه قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم
فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة
يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين المقصود من هذه الآية المبالغة في وصف وعيد اولئك الكفار قد
مكر الذين من قبلهم قيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل ليصعد منها الى السماء وكان طول الصرح في السماء
خمسة آلاف ذراع وعن كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فاتى الله بنيانهم اي قصد تخريب بنيانهم من الاصل واتاها
امر الله وهو الريح فاهبها الله اليه من جهة القواعد وهي الاساس وقيل هي اساطين البناء التي تعمد فخر عليهم السقف من
فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقيل اتاهم العذاب من مأمنهم وقيل
هذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها انبياء الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات مثل حال قوم
بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من
حفر بئرا لاخيه اوقعه الله فيه ثم بين تعالى انه لم يقتصر على هذا القدر ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم
بعذاب الخزي ويفضحهم على رؤس الخلائق ويعذبهم بانواع من العذاب سوى ما عذبوا في الدنيا ويقول الله لهم اين
شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء الذين كنتم تشاقون فيهم
تعادون وتخاصمون وتخالفون المؤمنين في شأنهم ومعناهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب وقرأ نافع
تشاقون بكسر النون يعني تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله وقرأ الباقون بفتح النون قال الذين اوتوا
العلم اي الانبياء والعلماء من اممهم الذين يدعون الكفار الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم
ويشاقونهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة ثم انه تعالى وصف عذاب هؤلاء الكفار من وجه آخر فقال الذين
تتوفاهم الملائكة قرأ حمزة بالياء لان الملائكة ذكور وقرأ الباقون بالتاء للفظ ويقبض ارواحهم ملك الموت واعوانه
ظالمي انفسهم نصب على الحال اي تتوفاهم الملائكة في حال كفرهم فالقوا السلم الصلح والاستسلام والخضوع والمعنى انقادوا
له حين عاينوا الموت … وقيل معناه لما ايسوا … اظهروا الاسلام وهو القاء السلم والخروج من العناد

بخلاف

بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء من شرك ومعصية وجحدوا ما وجد منهم
من الكفر والعدوان فرد عليهم اولو العلم وقيل الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون من الكفر والضلال في
الشقاق والكبر فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك قوله فادخلوا ابواب جهنم قيل دركاتها وقيل صنوفها
كما يقال فلان يسطر في باب من العلم اي في صنف وقيل هذا قام لاصناف الكفار في كقوله لها سبعة ابواب لكل باب
منهم جزء مقسوم وقيل المراد به عذاب القبر وقيل يخاطبون به عند البعث خالدين فيها اي مادوا الخلود مقدرين
فيها في جهنم وقيل في الابواب فمن جعلها الدركات قال ادا العذاب فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر
ما اتت به الانبياء جهنم وابوابها قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لما
بين احوال المتكبرين الذين اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين بين احوال المتقين الذين آمنوا من اهل مكة ماذا انزل ربكم قالوا
اتقوا خيرا نصب جواب الذين اتقوا ورفع جواب الكفار فصلا بين جواب المقر وجواب المنكر اي الذين اتقوا لما سئلوا لم يتلعثموا
واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل ربنا خيرا والكفار المستكبرين عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول
انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة فاستطلع امر محمد واراه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا ثم ابتدأ فقال للذين احسنوا عمله في الدنيا
وجعل قولهم من جملة احسانهم وحمدوا عليه وقيل الذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا
هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولدار الآخرة
اي ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة
وقيل ولنعم دار المتقين التي يتزودون منها للآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف
اي دار الآخرة او دار المتقين جنات عدن او رفع بالابتداء يدخلونها خبره تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك
مثل هذا الجزاء وهو جنات عدن يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
وطهارة لاسلامهم وقيل طيبين اذا ماتوا احياء واذا ماتوا فتوفاهم الله لهم ذلك يقولون اي الملائكة سلام عليكم بشرى الجنة
وقيل اعلامهم بالموت ادخلوا الجنة قيل معناه ابشروا بالجنة وقيل يقال لهم في الآخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب
عملكم وقيل بل عملكم قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم
وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ان الكفار
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون
اي ما ينتظر الكفار الذين تقدم ذكرهم وهذا النفي والجحد لا محالة لحوق المنتظر وان لم يكونوا منتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم او يأتي امر ربك اي يوم القيمة وقيل امر ربك عذابه الذي وعدهم فتأخر عنهم وقيل تأتيهم الملائكة
بما وعدهم من العذاب يوم القيمة او يأتي امر ربك بقتل المستكبرين او بسبي الاولاد … كذلك فعل الذين من قبلهم من الشرك
والتكذيب فعل الذين من قبلهم وقيل كذلك فعل الذين من قبلهم استبطؤا العذاب كما استبطأه هؤلاء وقيل
انتظروا انتظار هؤلاء وما ظلمهم الله بتعذيبهم وتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم الذي هو سبب تعذيبهم
فاصابهم سيئات ما عملوا عقوبات كفرهم واعمالهم الخبيثة واحاط بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزؤن قوله تعالى
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين
من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على
هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا معطوف من حيث المعنى على ما
من اول السورة من كفرهم وعنادهم من اتخاذهم البعث استبعادهم وشركهم بالله وانكارهم وحدانيته بعد قيام الحجج واستهزاءهم
وتكذيبهم الرسول واستقاقهم استكبارهم عن قبول الحق اما انكارهم البعث فاستعجالهم فيهم من قوله تعالى اتى امر الله
فلا تستعجلوه واما شركهم فيفهم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون واما انكارهم وحدانيته فهو مدلول عليه بقوله افمن
يخلق كمن لا يخلق واما الحجج السابقة على هذا الانكار فمن قوله ينزل الملائكة بالروح من امره ومن قوله خلق
الانسان والخيل والبغال والحمير ومن قوله انزل من السماء ماء وقوله وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر ومن قوله
وما ذرأ لكم في الارض … واما تكذيبهم الرسول ففي قوله اساطير الاولين واما استكبارهم عن قبول الحق فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وفيه انكار البعث جهة السورة من مفتتحها الى هذه الآية معدودة في تبيان تعداد
انواع المشركين وما تخلل بينها من ذكر النعم وغيره فللتأكيد لالزام الحجة … يعني انهم شركوا
بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وقالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء في
ما اشركنا بعبادة الاوثان نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء هذه الشبهة بعينها حكاه الله عنهم في سورة الانعام

ولا حرام

فقوله سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال
المعتزلة به مثل استدلالهم بتلك الآية والكلام فيها استدلالا واعتراضا مثل ما تقدم فلا فائدة في الإعادة
قال صاحب الكشاف هذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على
قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم
والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد أمد إبطال قول المجبرة
ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله واجتناب
الشر الذي هو طاعة الطاغوت وأقول إن قول صاحب الكشاف وهذا مذهب المجبرة بعينه خارج عن سنن الحق
صادر عن تقليد المعتزلة لا عن برهان وتقييد الألفاظ المطلقة في الآية بقيود لا دلالة للفظ عليه ولا العقل
إنما هو محض التعصب لمذهبه فإنه ليس في الآية إلا حكاية قولهم أنهم قالوا أي الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء الآية كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين مطلق غير مقيد بقوله وأن الله
لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم
فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم بقوله وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان وقوله
براءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم تقييدات وزيادة لا دلالة للآية على شيء منها أصلا بل
مساق الآية يدل على أن قولهم لو شاء الله ما عبدنا إلى آخر الآية بأمثال أجيب عنه بأنهم قالوا هذا القول على
سبيل الاستهزاء والتعنت ولو قالوا اعتقادا لكانوا مؤمنين والحق أن يقال أنهم قالوا لما كان الكل من الله كان بعثة
الأنبياء عبثا فهذا اعتراض على الله فإن مرادهم أنه لم يكن في بعثة الرسل مزيد فائدة في حصول الإيمان ودفع الكفر
كانت بعثة الأنبياء غير جائزة من الله فهذا القول جار مجرى طلب العلة في أحكام الله تعالى وأفعاله وذلك باطل فإنه
تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والدليل على أن الإنكار إنما توجه إلى هذا
المعنى أنه صرح في آخر الآية بهذا المعنى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا منهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فبين أن سنته في عبيده إرسال الرسل إليهم وأمرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم
من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وأخبر أنه تعالى وإن أمر الكل بالإيمان ونهاهم عن الكفر إلا أنه تعالى
هدى البعض وأضل البعض فهذه سنة الله التي لا تجد لها تبديلا ولما كانت سنة الله في حق كل الأنبياء وكل الأمم
والملل إنما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه إلها منزها عن اعتراضات المعترضين ومطالبات المنازعين كان
إيراد هذا السؤال من هؤلاء الكفار موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت أن الله إنما حكم على هؤلاء
باستحقاق الخزي واللعن لا لأنهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء بل لأنهم اعتقدوا أن
كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الأنبياء والرسل وهذا باطل فلا جرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم
واللعن فهذا هو الجواب الصحيح الذي يعول عليه في هذا الباب كذلك فعل الذين من قبلهم ما عبدنا الله كفعل هؤلاء
وكذبوهم وعتوا ذلك الثاني بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم أي هؤلاء الكفار لما ذكر ما يدل على إلحامهم وأن
الحجة قد لزمتهم ولم يبق لهم إلا التعليل بالمشيئة قالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين
من قبلهم أي أحوال هؤلاء المشركين وأفعالهم لم تتجاوز عن أفعال الأمم الخالية وعن أقوالهم ثم بين أن الرسل خلفا بعد
سلف بالغوا في البلاغ المبين بقوله فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ثم عقب المجمل بالمفصل بقوله ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا تسلية للرسول وتحريضا للقوم على الاعتبار بأن ينظروا إلى وخامة عاقبة المكذبين وسوء
خاتمتهم وأن لا يذهب نفسه عليهم حسرات ومن ثم خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إن تحرص
على هداهم قال صاحب الكشاف ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا
يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فإذا الله عز وجل أبطل بقوله
في قوله وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا إلى آخر ثم أمد ذلك الإبطال بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا
بناء على نفي الكلام النفسي ورجوع الأمر والنهي إلى الإرادة والمشيئة فعنده أن الله شاء أن يعبدوه وشاء أن
يجتنبوا الطاغوت ولم يشأ إشراكهم لأنه لم يأمرهم به وعلم في أصول الدين أن إنكار كلام النفس مكابرة مع العقل
وأن الأمر غير الإرادة والمشيئة لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمأمورات قد لا تكون وقد عقل من قوله
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وتفسير قوله فمنهم من هدى الله بقوله لطف به لأنه عرفه
من أهل اللطف وقوله ومنهم من حقت عليه الضلالة بقوله ثبت له الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما
على الكفر لا يأتي منه خير تعسف [illegible] والخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فسيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قوم عاد وثمود وغيرهم قيل معنى سيروا في الأرض اقرأوا القرآن فتخبروا كيف كان
عاقبتهم قال صاحب الكشاف فانظروا لما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث
أفعل ما أفعل بالأشرار [illegible] النظر في أحوال الأشرار من الهلاك والدمار يدل على أنه ما قدر الشر فيهم ولا قضيته
عليهم لأنه لو فعلت ذلك ثم عاقبتهم لما كنت عادلا لكنهم إنما استحقوا ذلك لأنهم هم الذين

فعلوا

[illegible]

قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون

[illegible]

وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي
بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب ثم ذكر سهولة البعث عليه فقال
إنما قولنا لشيء مبتدأ وأن نقول له خبر وكن فيكون من كان التامة بمعنى الحدوث والوجود قرأ ابن عامر والكسائي فيكون نصبا
عطفا على نقول والباقون رفعا قطعا عما قبله أي فهو يكون إذا أردناه وجود شيء فليس إلا أن نقول له كن فيكون
عقيب ذلك لا يتوقف فالمعنى أن مرادنا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند تعلق إرادته غير متوقف كوجود المأمور به
عند أمر الآمر إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل وإذا كان إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع
عليه البعث الذي هو من أسهل المقدورات وهذا مثل قوله وكذا إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقد فسر في البقرة

قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ● لما حكى الله عن الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم على إنكار البعث دل ذلك
على أنهم تمادوا في الغي والجهل والضلال وأنهم لا يزالون على إيذاء المسلمين وظلمهم فهاجر المظلومون من المسلمين
في الله من بعد ما ظلموا فذكر في هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنة في الدنيا والأجر
في الآخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله وذلك ترغيب لغيرهم في طاعة الله عن ابن عباس نزلت هذه الآية
في ستة من الصحابة عمار وصهيب وخباب وبلال وعابس وجبير موليين لقريش أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم
والذين هاجروا هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى
الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة والذين هاجروا فارقوا أوطانهم في الله أي في حق الله وابتغاء
دينه من بعد ما ظلموا أي ظلمهم قريش وعذبوهم ليرتدوا عن الدين لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر أي
لنبوئنهم تبوئة حسنة أي نزلنا في المدينة وعن مجاهد لنرزقنهم الله رزقا حسنا ليترك لهم في الدنيا منزلة حسنة
وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة
أكثر وأفضل ثم تلا هذه الآية قيل هم الذين صاروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وإلى أن [illegible]
وقيل هي النصر على العدو وقيل هي لسان الصدق وقيل هو ما استولوا عليه من الفتوح ولأجر الآخرة أكبر
لو كانوا يعلمون جواب لو محذوف والضمير الذي هو اسم كان وفاعل يعلم للكفار أي لو كان الكفار يعلمون أن الله يجمع
لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يكون الضمير للمهاجرين
أي لو كان الذين هاجروا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
أو في محل النصب على أنه مفعول فعل محذوف أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا لله على
ما نالهم من أذى الكفار ومفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم
وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يفوضون الأمر إليه ويرضون بما نالهم في دين الله

قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات

هذا على القراءة الأولى وعلى القراءة الثانية [illegible]

وقيل

في الزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ● نزلت هذه الآية في مشركي مكة
حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم من ان يكون له رسول بشر فهلا بعث الينا ملكا فقيل وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاعلمهم الله تعالى مخاطبا لمحمد عليه الصلوة والسلام انه لم يرسل الى الامم قبله الا رجالا لا
لم يرسل ملكا ورجالا منصوب بارسلنا وحفص عن عاصم نوحي بضم النون وكسر الحاء فاسألوا اي فقل لهم يا محمد فاسألوا
اهل الذكر علماء اهل الكتاب اليهود والنصارى وقيل اهل الذكر اي اخبار من سلف ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا
ان كنتم لا تعلمون بالبينات يجوز ان يكون متعلقا بما ارسلنا داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا
رجالا بالبينات ويجوز ان يكون صفة لرجالا اي رجالا ملتبسين بالبينات ويجوز ان يكون متعلقا بارسلنا مضمرا
كانه قيل بما ارسلوا فقيل ارسلنا بالبينات فهذا على كلامين والاول على كلام واحد ويجوز ان يكون متعلقا
بنوحي اي نوحي اليهم بالبينات ويجوز ان يكون متعلقا بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام اي فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون اعتراض
على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب قيل الكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين والبينات المعجزات
وقيل الحلال والحرام والزبر الكتب وانزلنا اليك الذكر القرآن لتبين للناس بلسان العرب ما نزل اليهم في الذكر مما
امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون يتأملون كلام الله ويعتبرون ما فيه قوله تعالى افامن
الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم
فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم ● اي المكرات السيئات اي احتالوا لهلاك الانبياء
يعني نمرود وغيره من الكفار واهل الاوثان وقيل هم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وراموا صدهم عن دينهم ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقوم لوط وقيل كما فعل بنمرود وقيل بقارون
في الارض فيهلكوا كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون بغتة
من غير سابقة او يأخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم مجيئهم وذهابهم في ديارهم واسفارهم فما هم
بمعجزين جند الله بفوت العجز وحد معاجز واعجز جعله عاجزا او يأخذهم يهلكهم ويعذبهم على تخوف متخوفين بطلوع
خيفة فيتخوفون وهو ان يهلك قوما قبلهم فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون
وقيل هو من قولك تخوفته اذا تنقصته اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
عن سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فقال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله او يأخذهم
على تخوف فسكت الناس فقام شيخ يا امير المؤمنين هذه لغتنا في هذيل التخوف التنقص قال عمر فهل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لم يعجل بالعقوبة قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم
لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ● لما خوف المشركين بالانواع المذكورة من العذاب
ابدعه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وتدبير احوال الارواح والاجساد ليظهر لهم
[illegible]

ما خلق الله

ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بين الواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك
من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي
كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب
منقادة لله عز وجل غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة صاغرة منقادة لافعال
الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات والارض
جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم
على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن
وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وقيل جمع بين سجود المكلفين الذين هم الملائكة وسجود غيرهم
لان المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادها لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا
السجودين يجمعهما معنى الانقياد لم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد وعلى الحقيقة يجوز الجمع بين
الجمع بين مفهومي المشترك ومفهومي الحقيقة والمجاز بلفظ كما عرف وقيل انما جيء بما تغليبا للعقلاء من الدواب
لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة
العموم ويمكن ان ينزل العقلاء منزلة الجماد الذي لا امتناع في طبيعته تعبيرا عن الجميع بما وهم لا يستكبرون
اي الملائكة لا يستكبرون وخصهم بالذكر لانهم لا يستكبرون عن عبادة الله ينقادون لا يعصون الله
ما امرهم يخافون ربهم يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان
يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بربهم
حالا منه معناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون و
يفعلون ما يؤمرون من الطاعة وغيرها وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد
والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما
هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من
نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا
بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ● لما بين في الآية الاولى ان كل ما سوى الله سواء كان من عالم الارواح او من
عالم الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله وكبريائه اتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك وبالامر بان كل
ما سواه فهو ملكه وملكه وانه غني عن الكل فقال ولا تتخذوا الهين اثنين قال صاحب الكشاف فان قلت انما
جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود
عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة
الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه
الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده
بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية والمقصود من ذكر العدد الخاص الذي دل عليه المعنى
تأكيدا للتنفير عنه وتحميل وقوف العقل على ما فيه فان الشيء اذا كان مستنكرا مستقبحا فمن اراد المبالغة
في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببا لوقوف العقل على ما فيه من
القبح والقول بوجود الالهين قول مستقبح في العقول فان احدا من العقلاء لم يقل بوجود الهين
متساويين في الوجوب والقدم وصفات الكمال وقيل معناه لا تعبدوا الهين اثنين واثنين نعت لالهين
لا تأكيد وان كان مفيدا للتأكيد لان النعت قد يرد للتأكيد فعلى هذا يكون لا تتخذوا متعديا الى مفعول
واحد وقيل لا تتخذوا متعد الى مفعولين الاول الهين واثنين صفة له والمفعول الثاني محذوف تقديره
لا تتخذوا الهين اثنين معبودا او مطاعا ونحوه وقيل المفعول الاول اثنين والثاني الهين اي لا تتخذوا اثنين الهين
لان كل ما له ثان فليس باله لان الاله هو الذي لا ثاني له انما هو اله واحد لانه لما دلت الدلائل السابقة انه لا بد
للعالم من اله وثبت انه يمتنع ان يكون في الوجود الهان ثبت ان لا اله الا الواحد الصمد فاياي فارهبون
نقل الكلام من الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب
من قوله واياه فارهبوه اي فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون فخافوني وله ما في السموات والارض خلقا
وملكا وله الدين الطاعة والاخلاص واصبا دائما ثابتا واجبا حال عمل فيه الظرف ومعنى الايمان ليس
من احد يدان له ويطاع الا انقطع عنه بزوال او هلكة الا الله فان طاعته تدوم لا تزول ويجوز ان
يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا وقيل وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا
لا ينقطع ثوابه وعقابه افغير الله تتقون ولا نفع الا منه بعد ما عرفتم ان اله العالم واحد وعرفتم ان كل ما
سواه محتاج اليه في حدوثه ومحتاج اليه في بقائه وقت دوامه وبقائه فعند العلم بهذه الاصول كيف يعقل

اذ يكون للانسان رغبة في غير الله او رهبة عن غير الله فلهذا المعنى قال وما بكم من نعمة فمن الله لما بين ان الواجب
على العاقل ان لا يرهب غير الله بين في هذه الاية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله لان الشكر انما يجب على النعمة
وكل نعمة تحصل للانسان فهي من الله لقوله وما بكم اي اي شيء حل بكم واتصل بكم من نعمة فهو من الله والمبتدا اذا
كان موصولا بفعل او ظرف حسن دخول الفاء في خبره ثم قال تعالى ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب فاليه تجأرون
فاليه تتضرعون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال
الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا والمعنى انه بين ان جميع النعم من الله ثم اذا اتفق
لاحد مضرة توجب زوال شيء من النعم لا يستغيث لاحد الا الله لعلمه بانه لا ملجأ الا هو ثم اذا كشف
الضر الذي مسكم عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون في عبادة الاصنام ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله وما بكم
من نعمة فمن الله عاما ويريد بفريق منكم الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا
فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وفريق منكم يبقى على مثل
ما كان عليه عند مس الضر من ان لا يفزع الا الى الله وفريق منكم عند كشف الضر يتغيرون فيشركون بالله غيره
وهذا جهل وضلال لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند مس الضر ان لا مفزع الا الى الله الواحد فعند كشف الضر
ينبغي ان يبقى على ذلك الاعتقاد فاما انه عند مس الضر يعرف بانه لا مستغاث الا الله وعند كشف الضر يشرك
بالله فهذا جهل عظيم وضلال مبين ليكفروا بما آتيناهم اللام لام العاقبة اي جعلوا عاقبة النعم الكفر بدل الشكر
فتمتعوا الا تمتعون من ذلك فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وهذا تخلية ووعيد قال صاحب
الكشاف ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة قوله تعالى ويجعلون لما
لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه
في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم اعلم انه لما بين الدلائل
القاهرة على فساد قول اهل الشرك شرح في هذه الاية تفاصيل اقوالهم وبين فسادها ويجعل المشركون لما يسمونها
آلهة اصناما ويزعمون انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وتقربهم الى الله وليس كذلك لانها جماد لا يضر ولا ينفع
فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للاصنام اي للاشياء غير موصوفة بالعلم وهي الاصنام التي لا تعلم
شيئا ولا تشعر جعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم وانما قال لا يعلمون
لانهم لما اتخذوها آلهة اجروها مجرى من يعقل على زعمهم وقيل لما نفى عنها ما يصح ان ينفى عنه وهو العلم فعلى الاول
الضمير للمشركين ومفعول لا يعلمون ضميرها المعبر عن الاصنام وعلى الثاني مفعول لا يعلمون غير منوي لان المعنى
لاشياء لا علم لها نصيبا او يجعل المشركون لآلهتهم نصيبا من انعامهم وزروعهم كما ذكر في الانعام حيث قال
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم انه رجع من الاخبار عنهم
الى الخطاب لهم واقسم بنفسه فقال تالله لتسألن يوم القيامة في الآخرة عما كنتم تفترون في الدنيا من الافك في
زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها فتعلمون انكم مستحقون للعذاب وهذا سؤال توبيخ وتهديد ويجعلون لله البنات
هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له تعالى عن نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم تعرض ولهم ما
يشتهون يعني البنين مما استقر به المحل عطفا على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور ويجوز ان
يكون ما في محل الرفع على الابتداء ولهم خبره والواو للحال اي ولهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر التبشير في عرف اللغة
الخبر الذي يفيد السرور وفي اصل اللغة الخبر الذي يغير بشرة الوجه كذا الحزن فلفظ التبشير بحسب اللغة حقيقة
في الخبر الذي يفيد البشارة اعم من ان يكون من السرور او من الحزن وحقيقة بحسب العرف في الاول ويقال التبشير هاهنا
استعمل في الخبر الذي يفيد الحزن بطريق استعارة اسم احد الضدين على الآخر على سبيل التهكم كقوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم ظل صار وجهه مسودا والسواد كناية من العبوس والكراهة مما اخبر به عن تغير اللون من الحزن والغم
قال صاحب الكشاف ويجوز ان يجيء ظل لانا كثير الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء
من الناس وهو كظيم حزين ممتلئ غيظا وحنقا على المرأة وقيل مملوء والاول فعيل بمعنى فاعل والثاني بمعنى مفعول
كقوله وهو مكظوم يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به وذكر الضمير لانه يعود الى لفظ ما ايمسكه على هون هوان
وذل ام يدسه يخفيه في التراب فيئده وذلك ان مضر وخزاعة وتميما يدفنون البنات احياء الا ساء ما يحكمون
حيث اثبتوا لمن هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من الذكور للذين لا يؤمنون بالآخرة يعني
هؤلاء الجاهلين لله البنات مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية
الاملاق واقرارهم على انفسهم بالبخل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر ان يجعل لله ندا وهو خلقك
ثم ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك ثم ان تزني بحليلة جارك ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي الغنى
عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين فبين وتقدم الكلام على قوله مثل السوء ثم قال ولله المثل الاعلى الافضل
والاحسن وهو التنزه عما لا يليق به عن ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل الصفة
التي وصفها الجهال بهم بها امر اولى بها من الله سبحانه الصفة العليا وهي انه لم يلد ولم يولد قوله تعالى

ولو يؤاخذ

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون ◉ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اعلم انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح فعلهم وسوء
قولهم بين انه تعالى يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي على الارض من دابة كناية عن غير مذكور وهو جائز لان الدواب لا تكون الا في الارض
من دابة جميع ما يدب على وجه الارض قاله ابن مسعود قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن نوح وعن السدي لاحتبس القطر
فلم تبق دابة الا هلكت وقيل هي الناس خاصة قاله ابن جريج وقيل في الانس والجن وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب
عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال
بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ولكن يمهلهم بحكمته الى منتهى آجالهم وانقضاء اعمارهم وقيل وقت العذاب وقيل يوم القيامة
فاذا جاء احد هذه الاوقات هلكوا البتة من غير تقديم وتأخير ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات وشركاء
في رياستهم من الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون لله اراذل اموالهم ولاصنامهم كرائمها وتصف
وتقول مع ذلك السنتهم الكذب اسند الوصف الى الالسنة لان القول باللسان يكون ان لهم الحسنى بدل من الكذب
وقيل ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل الحسنى البنون وقيل الجنة على تقدير ان كان
البعث حقا لا جرم رد لكلامهم ومعنى حق وكسب اي كسب فعلهم ان لهم النار وانهم مفرطون عطف على ان لهم اي
وانهم متقدمون الى النار معجلون اليها من افرطته اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته
ونسيته وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء مع التخفيف اي مسرفون في المعاصي والباقون بالفتح مع التخفيف تالله هذه
تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة التي كانوا عليها مقيمين حتى عصوا وكذبوا وكفروا
بالرسل فهو وليهم اليوم قيل حكاية للحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها وقيل فهو وليهم في الدنيا
فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين وقيل فهو وليهم اليوم حكاية الحال الآتية
وهي حال كونهم معذبين في النار اي لا ولي لهم يتولى امورهم يوم القيامة لا ولي لهم سواه نفيا للولي لهم على ابلغ الوجوه وقيل
يجوز ان يكون الضمير المجرور لمشركي قريش والمراد ان الشيطان زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم
منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد الشديد قد اقام الحجة
وازاح العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين للناس الذي اختلفوا من الدين والاحكام وقيل لتبين
للكفار الذي اختلفوا فيه اي ما اختلفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء والمعنى انزلنا آياتنا لما وقع فيه الاختلاف
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عطف على محل لتبين لان المعنى له الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعل
ورحمة فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه ليس فعل المنزل بل فعل المخاطب وقيل الذي اختلفوا
فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحليل والتحريم والانكار والاقرار قوله
تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ◉ قد تحقق ان المقصود الاعظم من القرآن
الكريم تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء والقدر والمقصود الاعظم من هذه الاربعة
تقرير الالهيات فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول عاد الى تقرير الالهيات فلما امتد الكلام هنا
في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات ابتداء بالاجرام الفلكية وثنى بالانسان وثلث بالحيوان وربع بالنبات و
خمس باحوال البحر والارض ففي هذه الاية بدأ بذكر الفلكيات فقال والله انزل من السماء ماء اي المطر فاحيا به الارض
بعد موتها بعد يبسها وجدوبتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سمع القلب كلام الله ووعظه سماع انصاف
وتدبر لا عناد وتجبر فان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة دلالة وعلامة يعبر بها
من الجهل الى العلم نسقيكم قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون والباقون بضمها لانه شرب دائم
وحكي عن الكسائي انه يقال سقيته ماء ولبنا اذا جعلته له سقيا دائما فاذا اردت انهم اعطوه شربة
قالوا سقيناه وقال غيرهما لغتان يدل عليه قول لبيد في صفة سحاب سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من
هلال فجمع بين اللغتين مما في بطونه اي بطون الانعام ذكر الضمير قيل لانه مفرد ذكره سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف
في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة
المؤمنين فلان معناه الجمع وقيل لفظها الكناية الى النعم والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر قال صاحب الكشاف
ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى
الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه
في معنى الجمع نسقيكم استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم وهو ما في الكرش فاذا خرج منه لا يسمى فرثا

من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل
روى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال
قد سقيته فلم يغن عنه شيئا فقال صلى الله عليه وسلم اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك
فسقاه فبرئ كانما انشط من عقال وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفائين
القران والعسل ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون فان اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة واللطائف الخفية مثل بناء
البيوت المسدسة والاهتداء الى جميع تلك الاجزاء الدقيقة من اطراف الاشجار والاوراق وفى جعله الله تلك الاجزاء
النافعة فى جو الهواء ثم القاءها على اطراف الاوراق والاشجار ثم الهام النحل الى جمعها بعد تفرقها كل ذلك امور عجيبة دالة
على ان لها الها القادر الحكيم مبنية على وفق الحكمة والمصلحة قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى
ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير ● لما ذكر عجائب احوال بعض الحيوانات ذكر فى هذه الاية بعض عجائب
احوال الناس طرفا واشار فى هذه الاية الى مراتب عمر الانسان وقد ضبطها العقلاء فى مراتب اربع اولها سن النمو وهو
سن الطفولية وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط مع بقاء القوة وهو سن الكهولة
ورابعها سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو سن الشيخوخة فانتقال الانسان من بعض هذه المراتب الى بعض دليل
قاطع وبرهان ساطع على ان الله تعالى هو الخالق البارئ المصور والله خلقكم ثم يتوفاكم اطفالا رضيعا وصبيانا
وشبابا او كهولا ومنكم من يرد الى الحال القديمة من الضعف وهو يصل به الى ارذل العمر اخسه واحقره يعنى الهرم
الذى ينقص قوته وعقله وحده عن قتادة ارذل العمر تسعون سنة وعن على رضى الله عنه خمس وسبعون سنة وقيل
ثمانون سنة لكيلا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وان لا يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه
فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لكيلا يعقل بعد عقله الاول شيئا وقيل يجوز ان يكون اللام لام كى فيصير المعنى لئلا
يعلم بعد علم شيئا فيكون غير المعنى وليعلم انه كما هو قادر على نقله من العلم الى الجهل قادر على اماته واحيائه
ويجوز ان يكون لام العاقبة اى يصير الى حال الطفولية نسيان ما كان يعلم ان الله عليم قدير قوله تعالى والله فضل
بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون
والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اى كثر وقليل وبسط وقبض وسعة وضيق فما الذين فضلوا اى الذين
اعطوا الفضل برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم اى لا يرد المولى على ما ملكت ايمانهم مما رزق شيئا حتى يكون المولى
والمملوك فى المال سواء وهذا مثل ضربه الله للمشركين الذين جعلوا الاصنام شركا له والاصنام ملك له تعالى
اذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فى الملك فكيف يجعلون عبيدى معى سواء فكما لا يرد احدكم على مملوكه
مما رزقه الله حتى يكون مثله فكذلك لا يكون الله والصنم الذى هو من خلقه وملكه سواء وعن ابن عباس لم يكونوا
اشركوا عبيدهم فى اموالهم ونسائهم فكيف تشركون عبيدى معى فى سلطانى عن ابن عباس نزلت فى نصارى نجران
حين قالوا عيسى ابن الله وقيل فهم فيه سواء اى ان رزق الجميع وانه لا يمكن احد ان يرزق عبده الا برزقى اياه وقيل
جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق ماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان يردوا فضل
ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى المطعم والملبس كما يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره
ازاره من غير تفاوت فجعل ذلك من جملة جحود النعمة فقال افبنعمة الله يجحدون وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر بالتاء على
الخطاب لقوله والله خلقكم والله فضل بعضكم على بعض والباقون بالياء لقوله فهم فيه سواء قوله تعالى
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون
وبنعمت الله هم يكفرون ● والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم وقيل يعنى خلق من ادم زوجته حوا وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد اى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك
نسعى ونحفد وقال الحفدة الولائد ... واسلمت باكفهن ازمة الاجمال ... فقيل هم الخدم والحفد
الاسراع فى الخدمة والحافد الخادم وقيل هم اولاد الاولاد وقيل هم ازواج البنات وهم الاختان وقيل البنات
لانهن يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل الاولاد المراة من زوج قبله وقيل هم الكبود ... الصغير
يخدمونه فى الكبر كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون
بين الامرين ورزقكم من الطيبات اى بعضها لان كلها فى الجنة ومن الطيبات من الحلال وقيل من اللذيذ
كاللبن والعسل والثمار وقيل هو ما اباح عقول افبالباطل عن ابن عباس يعنى بالاصنام وقيل الشيطان امرهم
بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وقيل هو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها
وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شئ معلوم مستيقن وبنعمت الله
التى احل الله لهم وهى المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل هم يكفرون اى يجحدون تحليله
ويحرمونها كما لا ينكر المحال الذى لا تتصوره العقول قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون

ودم لبنا خالصا من الفرث والدم اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ
من قدرة الله لا يبغى احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله عن ابن عباس اذا اكلت البهيمة
العلف واستقرت فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلثة تقسمها فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضرع ويبقى الفرث فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته
لمن تفكر وتامل سائغا للشاربين سهل المرور فى الحلق يقال لم يغص احد باللبن وقيل سائغا حلالا وقيل لا تعافه النفوس وان كان
خرج من بين فرث ودم ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونه كقولك اخذت من مال زيد ثوبا
ومن فى قوله من بين فرث ودم لابتداء الغاية لان من بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذى منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم
كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اى كاينا من بين فرث ودم
واذا كان متاخرا فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم ومن ثمرات النخيل
والاعناب يتعلق بثمرات متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف نسقيكم
لدلالة نسقيكم قبله عليه تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء وقيل ومن ثمرات متعلق بتتخذون وقوله
منه من تكرير الظرف للتوكيد كما فى قولك زيد فى الدار فيها وقيل يجوز ان يكون تتخذون صفة محذوف كقوله يصف فرسا
بكفى كانه من لوى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها
ويتخذون من بعضها السكر والضمير فى منه اذا جعل ظرفا مكررا عائد الى المضاف المحذوف الذى هو العصير كما رجع
فى قوله تعالى او هم قائلون الى اهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا
ورشدا قال يصف جيشا فجاؤوا بهم سكرا علينا فاجلى اليوم والسكران صاح وهو مروى عن ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد
بن جبير ومجاهد وابرهيم وابن ابى ليلى والزجاج وابن قتيبة ان السكر هو الخمر وعن ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتها
والرزق ما احل قالوا هذه الاية نزلت حين كانت الخمر مباحة ثم نسخت بقوله فاجتنبوه وروى العوفى عن ابن عباس السكر
الخل بلغة الحبشة وعن الضحاك هو الخل بلغة اليمن وقيل السكر فى البيت من الخمر فانه اذا تعرض لاعراض الكرام وكانه
تخمر بها وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال
عند ابى حنيفة رضى الله عنه الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام بعينها والسكر
من كل شراب ... والرزق الحسن الخل والدبس والرب والتمر والزبيب وغير ذلك وقيل يجوز ان يجعل السكر
رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون اى من كان عاقلا يعلم بالضرورة
ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه فيستدل بها على وحدانية الاله القادر الحكيم قوله تعالى
واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون ● لما بين الله تعالى اخراج الالبان
من الانعام واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دلائل قاهرة وبينات باهرة على ان لهذا العالم
الها قادرا مختارا حكيما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المطلوب واوحى
ربك الى النحل الهمها وقذف فى انفسها فهمته والنحل زنابير العسل واحدتها نحلة ان اتخذى هى المفسرة
لان الايحاء فيه معنى القول من الجبال اى فى الجبال ويحتمل انه للتبعيض لان ذلك لم يحدث فى بعض الجبال وسماها بيوتا
تشبيها ببيوت الانسان وقيل لانها مبنية على حسن الصنعة وصحة القسمة ومن الشجر فى الجبال او الغياض
والجبال كالصحارى ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن
التى تعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس ومن فى من الجبال ومن الشجر ومما يعرشون بمعنى البعضية لانها لا تبنى بيوتها
فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا فى كل مكان منها ثم كلى من كل الثمرات قيل ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث
فى الهواء طل لطيف فى الليالى ويقع ذلك الطل على اوراق الاشجار فقد يكون تلك الاجزاء الطلية لطيفة الصور متفرقة
على الاوراق والازهار وقد يكون كثيرة بحيث يجتمع منها اجزاء محسوسة وهو القسم الثانى مثل الترنجبين فانه طل ينزل
من الهواء على اشجار فى بعض البلدان وذلك محسوس واما القسم الاول فهو الذى الهم الله تعالى النحل حتى انها تلتقط تلك الذرات
من الازهار واوراق الاشجار بافواهها وتاكلها وتغتذى بتلك الاجزاء الطلية فاذا شبعت التقطت بافواهها مرة اخرى
شيئا من تلك الاجزاء ثم تذهب بها الى بيوتها وتضعها هناك كانها تحاول ان تدخر لنفسها غذاءها فاذا اجتمع فى بيوتها
من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقيل ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة اشياء
ثم ان الله تعالى يقلب تلك الاجسام فى داخل بدنه عسلا ثم انها تقى مرة اخرى فذلك هو العسل فعلى القول الاول من لابتداء
الغاية وعلى الثانى للتبعيض فاسلكى اذا اكلتها فاسلكى الطرق التى الهمك الله وافهمك فى عمل العسل وقيل اسلكى
ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك وقيل اذا اكلت
الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقيل انها
ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد فى طلب النجعة وقيل اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات فاسلكى
فى طلبها فى مظانها مما جعل لكم الارض ذلولا ومن الكسير فاسلكى ... ذللا منقادة مطيعة لله
فيما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يعنى عسلا لانه مما يشرب مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر فيه شفاء للناس لانه

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم اي الصنم الذي هو جماد لا يملك لهم رزقا من السموات والارض قيل هو مصدر
شيئا مفعول له او الطعام مسكا والمعنى ما لا يملك ان يرزق شيئا وقيل ما يرزق شيئا بدل منه بمعنى قليلا
ويجوز ان يكون شيئا تاكيدا للا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق اذا كان مصدرا بمعنى لا يرزق
من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او يجوز ان يكون من السموات والارض صفتها ان كان رزقا اسما لما يرزق اي رزقا
من السموات والارض ولا يستطيعون اي ما لا يملك فانه ما لا يملك في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ وقيل
ولا يستطيعون اي الكفار او لا يستطيع الكفار مع انهم احياء متصرفون ان يدلوا اعقل من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي
لا حس به وقيل نفي الملك باعتبار ان يرزقوا او نفي الاستطاعة على الاطلاق لانهم اموات وقيل يجوز ان يقدم الراجع ولا
يستطيعون ويراد بالجمع من نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه
ولا يتأتى ذلك فيهم لا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال اي الاشباه والاشكال فتشبهوه بخلقه وتجعلوا له شركا
وهذا تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم خطأ
ما يضربون من الامثال وانتم لا تعلمون صواب ذلك من خطائه وقيل ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه
بما يوازنه في العظم لان العقاب يعلى قدر الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو
تعليل للنهي عن الشرك قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر
على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم • انه تعالى
اكد ابطال مذهب عبدة الاصنام بهذا المثل وعلمهم كيف تضرب فقيل هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دونه
انه ضرب الله مثلا عبدا مملوكا اي مثلكم في اشراككم بالله الاصنام مثل من سوى بين عبد مملوك لا يقدر على شيء عاجز
عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله تعالى رزقا حسنا من الحلال فهو ينفق منه كيف يشاء سرا وجهرا وانما قال مملوكا
ليميز عن الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وانما قال لا يقدر على شيء ليكون عن مكاتب ولا مأذون له
لانهما يقدران على التصرف ومن في قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ويجوز ان تكون موصولة
هل يستوون استفهام على سبيل الانكار اي ان صريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال
بين الله تعالى ان التساوي بين في الخلق اذا كان احدهما مقتدرا على الانفاق والاخر عاجزا لا يقدر ان ينفق لا يستويان فكيف
بين الجمادات التي هي موات وبين الله الذي هو على كل شيء قدير وهو رازق جميع خلقه عبدا مملوكا يريد اي عبد كان وعن عطاء
ابو جهل بن هشام ومن رزقناه ابو بكر الصديق ومن رزقناه رزقا حسنا ملكا ومالا حلالا فهو ينفق منه سرا وجهرا
دائما ولفظ الجمع في هل يستوون يدل على ان المراد بالعبد العموم وقيل انما قال هل يستوون لمكان من لانه اسم مبهم يصلح
للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وكذا بمعنى لا يستوي الفريقان وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر
فنقول عبدا مملوكا لا يقدر على شيء مثل للكافر فانه من حيث انه بقي محروما عن عبودية الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد
المملوك العاجز عن التصرف وقوله ومن رزقناه مثل المؤمن فانه يشتغل بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فبين
الله تعالى انهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل هل يستوون في الطاعة الحمد لله يعني ليس
الامر كما يفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله خاصة لانه
هو المنعم الخالق الرازق ولكن اكثرهم وهم الكفار لا يعلمون انها كذلك وعن ابن عباس الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم
بالتوحيد وقيل قل الحمد لله على الكمال لا لما يعبدونه بل اكثرهم لا يعلمون فيجعلون الحمد والعبادة لغير الله وقيل لما ذكر هذا المثال
وكان هذا المثال مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال بعده الحمد لله على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم
لا يعلمون اي انها مع غاية ظهورها ونهاية وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هؤلاء الضلال وقيل بل اكثرهم لا يعلمون
لانهم لا يتفكرون في الادلة فيعرفوا ان العبادة والحمد لله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا
يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء وهو كل ثقل وعيال على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه ويصرفه في طلب
حاجة او كفاية مهم لا يأت بخير لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة
فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا ايضا مثل ضربه الله لنفسه ولما
يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدنيوية والدينية وللاصنام التي هي اموات لا تضر
ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ولا تفعل وهو كل على عابدها يحتاج ان يحملها ويضعها ويخدمها امثل الله يسوى
هو ومن يأمر بالعدل يعني الله قادر متكلم يأمر بالتوحيد فليس كصنمكم وهو على صراط مستقيم وقيل هو يدل
يأمر بالعدل ويسلك الصراط المستقيم وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر وقيل نزلت هذه الاية في عثمان بن عفان رضي الله عنه
ومولاه سعيد بن العاص قوله تعالى ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله
على كل شيء قدير • والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون • الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون •
لما حيل في الاية الاولى مثل الكافر الابكم العاجز ومثل نفسه الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم انه
يمتنع ان يكون امرا بالعدل وان يكون على صراط مستقيم الا اذا كان كاملا في العلم والقدرة ذكر في هذه الاية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة

اما بيان كمال العلم فهو قوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب في السموات والارض عن العباد
وخفي عليهم علمه وقيل اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع
احد منهم واما بيان كمال القدرة فهو قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيمة
سميت ساعة لانها تفجأ الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة واي ما امر الساعة في قرب كونها وسرعة
قيامها الا كلمح البصر كنظرة البصر ورجع الطرف لان ذلك انما هو ان يقال له كن فيكون او هو اقرب وقيل او بمعنى الواو
وقيل للشك في حق المخاطب ويحتمل تصحيح قوله كرب لان اللمح فعل الان وضع الجفن ورفعه وقيام الساعة فعل واحد
ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة في قرب من لمح البصر ثم دل على قدرته وعلى انه الفاعل القادر
الحكيم فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم بكسر الهمزة والباقون بضمها لا تعلمون شيئا في موضع الحال يعني
غير عالمين شيئا قيل تم الكلام على قوله شيئا ثم ابتدا فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لتفسير السمع والبصر
والافئدة الاية لان الله الجهل الذي ولد به فعلية واجتلاب العلم ... وجعل لكم السمع لتسمعوا مواعظ الله
والابصار لتبصروا آثار رحمة الله في فؤاد كالاخرية في غراب وهو جميع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة
اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جميع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وانما اعطاكم هذه الالات لتحصيل العلم لكم
تشكروا نعم الله الم تروا قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ترو بالتاء والباقون بالياء فهذا دليل آخر على كمال قدرته
الى الطير مسخرات مذللات الطيران بما خلق الله لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء في الهواء بين الارض والسماء
وقيل في الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو ما يمسكهن في الجو في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته ان
في ذلك لايات للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بها وان كانت هذه الايات ايات للعقلاء جميعا قوله تعالى والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين • هذا نوع آخر من دلائل التوحيد وتعديد نعم الله على الناس فان البيت اصله
المأوى للانسان بالليل ثم قيل بغير اعتبار الليل فيه وجمعه ابيات وبيوت والبيوت بالمسكن اخص والابيات
بالشعر وشبه بيت الشعر وصار للنبي صلى الله عليه وسلم والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ذكر اولا
بيوت التمدن وهي التي للاقامة الطويلة وهي اعظم بيوت الانسان وان كان الوصف بسكني يعم جميع البيوت من
بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها سكنا مصدر بمعنى مفعول يوصف به الواحد وهو ما يسكن
فيه واليه من بيت او الفتح ذكر بيوت النقلة والرحلة فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يعني الخيم
بيوت الادم وبيوت الصوف والوبر والشعر لان هذه هي من الجلود لكونها نابتة فيها او يكون من اصوافها ابتدا
كلام كانه قال وجعل اثاثا من الملابس والوطا وغير ذلك ويحتمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط
ويكون قوله ومن اصوافها عطفا على قوله من جلود الانعام اي وجعل من اصوافها بيوتا ايضا ويكون قوله
اثاثا نصبا على الحال تستخفونها تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها يوم ظعنكم قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان اي يوم ترحلون تخف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون
في مكان لم يثقل عليكم ضربها وقيل هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت في
اصوافها وهي للضان واوبارها وهي للابل واشعارها وهي للمعز والبقر ولم يكن في بلادهم قطن ولا كتان فلذلك
اقتصر على هذه وقيل انما ترك ذكر الحرير والكتان والقطن اعراضا عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين
انما هو الصوف وقيل قد اشير الى القطن والكتان في لفظة السرابيل اثاثا متاع البيت واحدها اثاثة
وقيل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر كالشعر الاثيث وعن ابن عباس الاثاث المال والزينة وقيل
الاثاث الثياب بلغة قريش وقيل الاثاث ما يلبس ويفرش كالاكسية وما يشبهها ومتاعا وشيئا ينتفع
به وقيل ما يتجرون فيه الى حين وقت معين وهو حين كل انسان اما بموت واما بفقد تلك الاشياء التي هي
اثاث وقيل الى حين الى ان تنقضي امنيه او طاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا قوله تعالى والله جعل لكم
مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم
نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
ثم عدد ما الله عليهم بحسب احوالهم وبلادهم وانها الاشياء المباشرة لهم لان بلادهم عن الحرارة وشدة الشمس بحيث
للظل غناء عظيم ونفع ظاهر مما خلق يعم جميع الاشخاص المظلة ظلالا يستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال
الاشجار والسقوف والابنية وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف والاسراب المواضع التي تسكنون فيها وجعل لكم سرابيل قمصا ثيابا من الكتان والقطن والقز
والصوف وغيرها وقيل كلما يلبس من ثوب او درع فهو سربال تقيكم تمنعكم الحر ولم يذكر البرد لان الوقاية من الحر
عندهم اهم وقيل لما تقدمهم البرد لكونه يسير محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فذكر الحر على البرد وسرابيل
تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والبأس الحرب اي تقيكم في الحرب من سلاح العدو كذلك يتم اي كما اتم
النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله
الربوبية وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات احد سواه فان تولوا يا محمد ولم يقبلوا منك واعرضوا واثروا الحياة

الدنيا ومتابعة الآباء في الكفر فعلى انفسهم جنوا وليس عليك الا البلاغ المبين ثم وبخهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددها ويعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل يعرفون نعمة الله اي محمدا صلى الله عليه وسلم ثم ينكرونها بتكذيبهم اياه واكثرهم الكافرون وهم اهل مكة لانه كان فيهم من دخل الاسلام ومن اسلم بعد ذلك قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ۝ واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ۝ لما بين انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه بالوعيد تقديره واذكر يا محمد يوم نبعث وقيل معناه ثم ينكرونها اليوم ويوم نبعث من كل امة شهيدا اي ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد من كل امة شهيدا نبيها يشهد على امته بما فعلوا وقيل يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب وقيل من كل جيل في كل زمان شهيدا على اهل زمانه بما كانوا يفعلون ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار وقيل لا تسمع عذرهم وقيل والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون يعني لا يكلفون ان يرضوا ربهم لان الآخرة ليس بدار تكليف ولا يتركون ان يرجعوا الى الدنيا فيتوبوا وقيل ولا تطلب منهم ان يرجعوا الى ما يرضي الله والعتبى الرضى قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب يوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فجزاء الشرط محذوف وهو بغتهم وثقل عليهم والذين ظلموا وضع موضع المضمر فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يؤخرون ويمهلون قوله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ۝ والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون اخبر الله تعالى في هذه الآية ان المشركين اذا رأوا يوم القيمة بابصارهم وكل معبود من دون الله لانها تحشر معهم توبيخا لهم على عبادتها القوا اليهم وقالوا هؤلاء شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وقيل واذا رأى المشركون بابصارهم الشياطين الذين شركاؤنا في الكفر وقرناؤنا في الغي الذين كنا ندعوا نعبدهم من دونك فالقوا يعني الشركاء اليهم الى المشركين انكم لكاذبون قيل اجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا ما تعرف من عبدها وقيل هذا في الملائكة الذين عبدوا فاجابوهم بالتكذيب لانهم غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم ليس عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فانهم المعبودون دوننا وكذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا اي الذين ظلموا الى الله السلم اي الذين ظلموا استسلموا لامره وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم وقيل ضاع سعيهم وخاب املهم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ۝ لما ذكر وعيد الذين كفروا في انفسهم اتبعه بوعيد الذين كفروا في انفسهم وصدوا عن سبيل الله غيرهم اي حملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اي انهم زادوا على كفرهم صدهم غيرهم عن الايمان فهم في الحقيقة زادوا كفرا على كفرهم فلاجرم زادهم الله عذابا فوق العذاب وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن اللسعة يجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل عقارب لها اذناب امثال النخل الطوال وقيل خمسة انهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار وقيل هو انهم يحملون اثقال اتباعهم كما قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقيل ضاعف الله لهم العذاب بما كانوا يفسدون الناس في الدنيا بصدهم عن سبيل الله وما في قوله بما كانوا مصدرية قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين هذه الآية في ضمنها وعيد وتهديد بليغ للمطففين عن المعاصي اي واذكر يا محمد يوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم وانما قال في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم وانما قال في كل امة من انفسهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يعني انه ازاح علتهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة ونزلنا عليك الكتاب يعني القرآن تبيانا اي بليغا اسم وليس بمصدر ونظيره تبيان تلقاء فكسر وله لكل شيء من التوحيد والمبدأ والمعاد والامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقال وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد اجتهد واقتاسوا ووطئوا اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه طرق القياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم تبيانا لكل شيء قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ۝ اعلم انه لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وذكر بعده ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اتبعه بقوله

ان الله يأمر بالعدل الآية يجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والآداب عموما وخصوصا عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمحي قال لما اسلمت اولا الا حياء من محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ شخص رسول الله ببصره الى السماء فنظر ساعة ثم خفضه عن يمينه ثم عاد بمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذا بجبريل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل حتى الى قوله تذكرون قال عثمان فكان ذلك حين استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن مسعود اجمع آية في كتاب الله آية في سورة النحل وتلا هذه الآية وروي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية قرأتها على ابي طالب فتعجب وقال يا آل غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليأمركم بمكارم الاخلاق وعن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على الوليد ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر ان الله يأمر بالعدل عن ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله وعنه انه الحق وعن سفيان بن عيينة ان استواء السر والعلانية وقيل ان القضاء بالحق والعدل في كلام العرب الانصاف واعظم الانصاف الاعتراف للمنعم بنعمه وقيل العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان قيل الندب وانما علق امره بهما لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل وعن ابن عباس اداء الفرائض وعنه انه العفو وعنه الاخلاص وعنه ان تعبد الله كانك تراه وعن سفيان بن عيينة ان يكون السر احسن من العلانية وايتاء ذي القربى صلة الرحم ويعم جميع اسداء الخير الى القرابة وينهى عن الفحشاء عن الزنا قاله ابن عباس وعن مقاتل انها المعاصي وقيل ما جاوز حدود الله والمنكر عن مقاتل انه الشرك وقيل ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل ما وعد الله عليه النار ذكرهما ابن السائب عن سفيان بن عيينة ان تكون علانية الانسان احسن من سريرته وقيل ما تنكره العقول والبغي عن ابن عباس الكبر والظلم وقيل التجاوز في الحق الى الباطل وقيل طلب التطاول بالظلم وعن الحسن والله ما ترك العدل والاحسان شيئا من طاعة الله الا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي شيئا من معصية الله الا جمعه يعظكم يأمركم بهذه الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة لعلكم تذكرون ما امر به وهو ثلاثة وما نهيتم عنه وهو ثلاثة فتتعظوا قوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ۝ انه تعالى لما جمع المأمورات والمنهيات في الآية الاولى على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض تلك الاقسام فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد وهذه الآية وان كان حكمها عاما فقيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله فامرهم الله بالوفاء بها عاهدوا الله في البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة وقيل نزلت في حلف الجاهلية وقيل اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم اتموا ما ضمنتم من احكام الدين وقيل النذور وقيل كل عهد في طاعة الله وقيل هو الايمان ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها لا تحنثوا في ايمانكم المؤكدة بذكر الله اكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل قيل التوكيد لغة اهل الحجاز واهل نجد يقولون اكدت تأكيدا وقد جعلتم الله هذه ولوا الحال اي ولا تنقضوها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بالوفاء وذلك ان من حلف بالله فكانه قد جعل كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف قيل بعد جعلتم الله عليكم كفيلا او قلتم عند الحلف الله راع علي كفيل ان افعل كذا وقيل كفيلا شاهدا ورقيبا وقيل لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ان الله يعلم ما تفعلون وفيه ترغيب وترهيب والمراد فيجازيكم على ما تفعلون ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة من بعد ابرامه واحكامه وقيل القوة ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل من بعد شدة انكاثا انقاضا جمع نكث وهو كل ما نكث فتله اي ينقض بعد الفتل غزلا كان او حبلا عن الكلبي ومقاتل هي امرأة حمقاء من قريش يقال لها ريطة بنت سعد بن تيم كانت تتخذ مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرت جواريها بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دابها تتخذون حال ايمانكم مفعول اول لتتخذون دخلا مفعول ثان له مفسدة ودغلا وخيانة ومكرا وغشا وضلالا وغدرا والدخل كل امر لم يكن صحيحا وقيل الدخل الشيء الداخل في الشيء لم يكن منه تقول دخل يدخل فهو دخل ومثله سقط يسقط فهو سقط اي ولا تنقضوا ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة اي لان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا واعلا من امة اي من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله اي انما يختبركم الله بكونكم اربى والضمير في به لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر وقيل به بالوفاء بالعهد وقيل بالامر وقيل بالعز والذل والغنى والفقر وقيل بالعهد وانما يبلوكم الله لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون

بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه ترغيب في ملة الاسلام وانذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام
قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ●
لما امر الله تعالى القوم بالوفاء بالعهد ونهاهم عن نقضه اتبعه ببيان انه تعالى قادر على ان يجعلكم امة واحدة على ملة
واحدة ولكن بحكم الالهية يضل من يشاء عدلا منه ويهدي من يشاء فضلا منه وهذا ظاهر في تخطئة المعتزلة حيث
اضاف الاضلال والهداية الى نفسه وعلقهما بمشيته ولتسئلن عما كنتم تعملون ثم يجازيكم المطيع منكم بطاعته
والعاصي بمعصيته وفيه ترغيب في الاسلام والطاعة وترهيب ووعيد على الكفر والمعصية وقيل لتسئلن سؤال
تبكيت لا سؤال تفهم قوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم
عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ● قيل كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم
ما يركب منه وقيل ليس المراد منه النهي عن نقض مطلق الايمان والا لزم التكرير الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد
نهي اولئك المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون المراد من
الاية نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده لان هذا الوعيد وهو قوله فتزل قدم بعد
ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبل رسول الله وانما يليق بنقض عهد رسول الله على الايمان به وشرايعه فتزل قدم عن
محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها فتضلوا وتضلوا بعد ان كنتم مهتدين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية ووقع في بلاء بعد
سلامة زلت قدمه وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين وبصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم
دائم غير منقطع في الاخرة قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون
ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ● ثم اكد ذلك النهي بقوله
ولا تشتروا وعن ابن عباس نزلت في رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فهم المدعى عليه ان يحلف
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ولا تشتروا اي لا تستبدلوا بعهد الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا من
الدنيا ولكن سمي قليلا انما عند الله من ثواب الاخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ان ما عند الله
خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله في الاخرة من الثواب باق
فان خزاين رحمته لا تنفد وقرأ ابن كثير باقي بالياء في الوقف ولا خلاف في حذفها في الوصل ولنجزين قرأ ابن كثير
وعاصم بالنون وقرأ الباقون بالياء الذين صبروا على الوفاء واذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
في الدنيا بصبرهم على المكاره احسن الجزاء وافضل الثواب قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ● رغب المؤمنين في الاية الاولى في الصبر على الوفاء واذى
المشركين ورغبهم في هذه الاية في كل ما كان من شرائع الاسلام فقال من عمل صالحا من ذكر او انثى من تنبيها على الاهلية
للصنفين لانه اذا ذكر كان النظام متناولا للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد الصنفين فلنحيينه حياة طيبة
في الدنيا بان يوسع عليه الرزق الحلال ويبشره لصالح الاعمال ويصفه حين من الهموم وقيل في الدنيا وهو الظاهر لقوله
تعالى ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك لان المؤمن مع العمل
الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه
وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا
فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه
وقيل هي السعادة الابدية وعن قتادة هي في الجنة وقيل لا يطيب الحياة لاحد الا في الجنة وقيل هي في القبر قوله تعالى
فاذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما
سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ● لما قال في الاية الاولى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
ارشد الى العمل الذي به يخلص اعماله عن الوساوس وقيل لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القران
اي فاذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا سألتموهن متاعا
فسئلوهن من وراء حجاب وقوله اذا ناجيتم الرسول وكقولك اذا اكلت فسم الله عبر عن ارادة القراءة بلفظ القراءة لانها
توجد عند الارادة بغير فاصل وكانت القراءة من العادة بسبب قوي وملابسة ظاهرة وقيل انه على ظاهره فان الاستعاذة
تعقب القراءة وقيل في الاية تقديم وتأخير والمعنى فاذا استعذت بالله فاقرأ والاول اظهر واصح والاستعاذة عند قراءة
القران سنة مستحبة في الصلاة وغيرها هذا قول جماعة الفقهاء الا عطاء فانه لا يتعوذ الا في قيام رمضان وعن عطاء
انه يجب الاستعاذة عند قراءة القران سواء كانت القراءة في الصلاة او في غيرها واما محل الاستعاذة في الصلاة فعند
قال الشافعي يتعوذ في اول الركعة وقيل ان الشافعي قال ان قاله حين يفتتح كل ركعة قبل القراءة فحسن ولا امر به
في شيء من الصلاة كما امر به في اول الركعة هذا قول عامة الفقهاء وقال ابن سيرين يتعوذ في كل ركعة قبل القراءة
قيل والصحيح المذهب الاول لانه صلى الله عليه وسلم لا يتعوذ الا في الركعة الاولى واما صفة الاستعاذة في
الصلاة فهي ان ينظر فان كانت صلاة ليس يجهر فيها بالقراءة اسر فيها بالاستعاذة وان كانت صلاة يجهر فيها بالقراءة

فقد قال

فقد قال الشافعي روي عن ابي هريرة انه كان اذا ام الناس رافعا صوته ربنا انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم وكان
ابن عمر يتعوذ في نفسه قال الشافعي ان شاء جهر بها وان شاء اسرها والاحسن الاخفاء ليفرق بين ما هو قران وما ليس
بقران واما لفظ الاستعاذة فالمستحب ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القران وكما روي عن عبد الله
بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ والمعنى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم سله ان يعيذك
من وساوس ابليس ومكايده والشيطان هو ابليس والرجيم المطرود الملعون فان الشيطان ساع في القاء الوسوسة
في قلب بني ادم حتى في حق الانبياء بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في
امنيته والاستعاذة بالله مانعة للشيطان من القاء الوسوسة بدليل قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فلهذا السبب امر الله رسوله بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة
عن الوسوسة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم منه ايضا ان الامة مامورون بالاستعاذة بطريق الاولى
لان الرسول لما كان محتاجا الى الاستعاذة عند القراءة فغيره اولى بها انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون قيل ليس له سلطان بحال لانه تعالى صرف سلطانه عنهم بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين وقيل ليس عليهم سلطان لايمانهم وتوكلهم على ربهم وقيل ليس له سلطان الا التزيين
منه وقيل ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر وقيل السلطان الحجة اي ليس له حجة على ما يدعوهم اليه من المعاصي
انما سلطانه على الذين يتولونه يطيعونه ويحبونه ويتبعون وساوسه والذين هم به اي بالله مشركون وقيل به بالشيطان
اي بسبب الشيطان قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون
قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ● واذا بدلنا تبديل الاية مكان الاية
هو النسخ اي واذا نسخنا حكم اية وابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل من ناسخ ومنسوخ وتشديد وتخفيف اي
اعلم بما ينزل فيما يغير ويبدل اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما يبدل من احكامه قالوا انما انت يا محمد مفتر وذلك ان المشركين قالوا ان
محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون عليهم وما هو الا مفتر يقوله من تلقاء نفسه قال
الله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القران وبيان الناسخ والمنسوخ من القران وقيل لا يعلمون ان الله انزله وقيل لا يعلمون
فائدة النسخ قل يا محمد نزله اي القران روح القدس يعني جبريل من ربك صلة للقران اي روح القدس نزل القران من ربك
الحال اي نزله ملتبسا بالحق الامر الصحيح وقيل نزله اظهارا للحق وابطالا للكفر ليثبت الذين امنوا ليبلوهم فيما نسخ
ويزدادوا تصديقا ويقينا وقيل ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكم حكيم كما ثبتت القدم وصحة اليقين
وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل
ليثبت والتقدير تثبيتا للذين امنوا وارشادا وبشارة للمسلمين وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ●
قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ● ان
الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم
الكاذبون ● قيل اراد بالبشر غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش يقرأ التوراة فقالوا انه يعلم محمدا وقيل كان غلاما
لبني عامر ابن لؤي وكان روميا وقيل انه كان نصرانيا بمكة يسمى بلعام وكان نصرانيا اعجميا وكان رسول الله يعلمه فلما راى
المشركون دخوله اليه وخروجه قالوا ذلك وقيل انه [illegible] كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيملي عليه سميع
عليم فيكتب غفور رحيم ونحو هذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوذا كتبت فهو كذلك فافتتن وقال ان
محمدا يكل ذلك الي فاكتب ما شئت وقيل انه غلام اعجمي لامرأة من قريش يقال له جابر وكان جبرا يأتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيتعلم منه فقال المشركون انما يتعلم محمد من هذا وقيل انهم عنوا سلمان الفارسي وفيه بعد من جهة ان
سلمان اسلم بالمدينة وهذه مكية وقيل انهم عنوا رجلا حدادا يقال له يحنس النصراني وقيل انهم عنوا غلاما لعامر
الحضرمي وكان اعجميا واسمه يسار يكنى بابي فكيهة وقيل انهم عنوا غلاما اعجميا اسمه عايش وكان مملوكا لحويطب
فاسلم وحسن اسلامه وقيل انهما رجلان قال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من اهل عين التمر يقال لاحدهما يسار
ويكنى ابا فكيهة وللاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف يستمع
فقال المشركون انما يتعلم منهما فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم لسان الذي
الذي يلحدون يميلون اليه ويشيرون اليه ويزعمون انه يعلمه والالحاد الميل فقال الحد القبر ولحد وهو ملحد ولحد
اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل مائل عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد
في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن
الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة قيل [illegible] والعجمة وضع في كلام
العرب للابهام والاخفاء ضد البيان والايضاح ويقولون رجل اعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يفصحان والعجماء [illegible]
لاستتاره واختفائه والعجماء البهيمة لانها لا توضح ما في نفسها وسموا صلاتي الظهر والعصر العجماوين لان القراءة
خافتة فيهما بالسر فاما قولهم اعجمي فالكثير [illegible] هو الاصل في هذه الكلمة ثم ان العرب تسمي كل من لا
يعرف لغتهم ولا يتكلم بلسانهم اعجميا وكذب الله قولهم لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا يعلمه الا انها استئناف جواب

لقولهم وإبطال لطعنهم أن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ثم إن الله تعالى بين بما أخبر عن افتراء المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نسبوه إليه من الافتراء على الله بين أنهم المفترون دونه فقال إنما يفتري الكذب ردا لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف عقابا عليه وأولئك إشارة إلى قوله الذين لا يؤمنون هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب وأولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين وأولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر لأنه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ● ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ● اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله وقيل يجوز أن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون وقيل يجوز أن يكون بدلا من الخبر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وقيل يجوز أن ينتصب من كفر على الذم وقيل يجوز أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها عن قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول إن عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا ولكن من شرح بالكفر صدرا أي فتح صدره للكفر بالقبول واختاره رضا واستحبابا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وفي هذه الآية دليل على أن حقيقة الإيمان والكفر يتعلق بالقلب دون اللسان وأن اللسان هو المعبر والترجمان أجمعوا على أنه عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه أن يبرئ قلبه عن الرضا وأن يقتصر على التعريضات مثل أن يقول إن محمدا كذاب ويعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر ويذكره على نية الاستفهام على سبيل الإنكار والإكراه عند من يجوز التلفظ بكلمة الكفر هو أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل ومثل الضرب الشديد والإيلامات القوية إذا عجله من أكرهه عن إحضار هذه النية أو لأنه لعظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع وشرح المكره الأمر على المكره وشرح له أقسام التعريضات وطلب منه أن يصرح بأنه ما أراد شيئا منها وما أراد إلا ذلك المعنى فهاهنا يتعين إما التزام الكذب وإما تعريض النفس للقتل فمن الناس من قال يباح له الكذب هاهنا ومنهم من قال ليس له ذلك وأجمعوا على أنه لا يجب عليه التكلم بكلمة الكفر ويدل على ذلك أن بلالا صبر على ذلك العذاب وكان يقول أحد أحد ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما صنعت بل عظمه عليه وما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول في قال أنت أيضا فقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في فقال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فصدع بالحق فهنيئا له وإن بذل النفس في تعظيم الحق يوجب أن يكون أكثر ثوابا وأن الذي أمسك عن كلمة الكفر طهر قلبه ولسانه عن الكفر أما الذي تلفظ بها فإن قلبه طاهر ولسانه متلطخ بتلك الكلمة الخبيثة فحال الأول أفضل وفي الإكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه مثل ما إذا أكرهه على شرب الخمر وأكل الخنزير والميتة فإذا أكرهه عليه بالسيف يجب الأكل لأن صون الروح من الفوات واجب ولا سبيل إليه في هذه الصورة إلا بهذا الأكل وليس في هذا الأكل ضرر على إنسان ولا إهانة لحق الله فيجب لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومنها أن يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا مثل ما إذا أكرهه على التلفظ بكلمة الكفر فهنا يباح له ولكنه لا يجب ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما إذا أكرهه على قتل إنسان آخر أو على قطع عضو من أعضائه فهنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وهل يسقط القصاص عن المكره الشافعي فيه قولان أصحهما لا يسقط من الأفعال ما يمكن الإكراه عليه كالقتل والتكلم بكلمة الكفر ومنها ما لا يمكن الإكراه عليه قيل إن الزنا من هذا القبيل لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فحيث دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا على سبيل الإكراه على الشهود ولا بد أن يجد الرحمة قوله تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أي آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين فعل ذلك الارتداد والإقدام على الكفر بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وبسبب أن الله

لا يهدي

لا يهدي القوم الكافرين ثم أكد بأن الله تعالى ختم عليهم فقال أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون عما يراد بهم في الآخرة ثم قال لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون لاقتضائهم هذا الخسران ستة أمور الأول غضب الله الثاني استحقاق العذاب الأليم الثالث أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابع أن الله لا يهديهم القوم الكافرين الخامس أن الله تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادس أن الله تعالى جعلهم من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيمة هم الخاسرون لا غيرهم قوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ● يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ● ثم ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله من بعد إيمانه وحال من أكره وذكر كلمة الكفر وقلبه مطمئن وحال من لم يرتد ذكر حال من هاجر من بعد ما فتن قيل إنها نزلت فيمن كان فتن بمكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنه نزل في قوم من المسلمين خرجوا للهجرة فلحقهم المشركون فأعطوا الفتنة فنزل فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل فنزلت فيهم هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح كان الشيطان قد أزله حتى لحق بالكفار فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه بعد لأن هذا إنما يليق لو كان قد هاجر إلى الإسلام فإن الهجرة قد انقطعت بالفتح وقيل إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة وأبي جندل بن سهيل بن عمرو وعبد الله بن أسيد الثقفي ثم إن ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على معنى من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله يشير إلى من أسلم من المشركين وقيل من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الفتنة لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد والباقون بضم الفاء وكسر التاء على معنى من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم عن ابن عباس فتنوا بمعنى عذبوا ثم جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وصبروا على الدين والجهاد إن ربك من بعدها أي من بعد الفتنة التي أصابتهم وقيل من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم ما تلفظوا به من الكفر تقية رحيم يرحمهم قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ● يوم منصوب برحيم أو باذكر أو برحيم يوم تأتي أي يرحمهم الله في ذلك اليوم الذي يعظم احتياج الإنسان فيه إلى المغفرة والرحمة وذكر يوم كذا وكذا فإن قيل ما معنى النفس المضافة إلى النفس أجيب بأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضته غيره ويقال النفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها وكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره يقول نفسي نفسي تجادل عن نفسها تخاصم وتحتج عن نفسها بما أسلفت من خير وشر مشتغلا بها لا تتفرغ إلى غيرها وقيل معنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون لا ينقصون مما هو حقه شيئا قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ● أي جعل هذا الكفار بأن عذابهم في الآخرة وهددهم بعذاب الدنيا من الجوع والخوف المثل يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا أو مفروضا فيقال هذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل شيئا مفروضا وقيل هي القرية موجودة فعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور أنها مكة وعن الحسن أنها غير مكة قرية أو شيء أنعم الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فكفروا فعذبهم الله أولا بالجوع والخوف ثم استأصلهم فضرب تلك البلدة مثلا لأهل مكة فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت هي المدينة فذلك على سبيل التمثيل لا على التفسير وبيانه ما روى مسلم قال كنت بين الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فرأت راكبين فسألتهما عنه فقالا قتل فقالت والذي نفسي بيده إنها للقرية تعني المدينة التي قال الله في كتابه وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة تعني حفصة أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكفرت بأنعم الله حتى قتل عثمان رضي الله عنه وقال الإمام الأكثر من المفسرين على أنها مكة والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة غير مكة ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات منها كونها آمنة وذلك أمن يأمن فيها أهلها أن يغار عليهم من الحرب والقتل ولا يسبى مطمئنة قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب ولأن محلها حصين لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف يأتيها رزقها أي أتاها مواد رزقها رغدا واسعا كثيرا بلا عناء من كل مكان يحمل إليها من نواحيها ويجلب إليها من البر والبحر نظيره يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا فكفرت بأنعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع وجمع نعم كبؤس وأبؤس قام نعم وطعم وأطعم وقيل جمع نعماء فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون روي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين قرفوا فأذاه فقال اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها سنين كسني يوسف فقطع الله عنهم المطر والقطارات والأمطار وقحطوا سبع سنين متوالية حتى أكلوا العلهز والجيف ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا هذا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون والخوف بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت تطيف بهم نقل أن ابن الراوندي قال لابن الأعرابي الأديب هل يذاق اللباس فقال ابن الأعرابي لا بأس

ولا باس بايماء للناس فبان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا وكان مقصود الراوى التعميم في هذه الآية
وقوله لباس لا يذاق بل يلبس وكان الواجب ان يقال وكساهم الله لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قال
الامام جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا
الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات
فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين
فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير عرفها الله لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف
بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار يقول ناظر فلانا وذق ما عنده
قال الشاعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها فلباس الجوع والخوف ما ظهر
عليهم من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فكما تقول تعرفت سوء اثر الخوف والجوع على فلان كذلك
يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الرابع ان يحمل لفظ اللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها
الله مساس الجوع والخوف قال صاحب الكشاف فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة
المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان
والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس
فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكانة لا تتم
لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه
بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذى ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر فنظر الى
المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم
ضاحكا بما كانوا يصنعون بتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخراجهم اياه وهموا بقتله ●

قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ● لما ذكر المثل ذكر الممثل فقال ولقد جاءهم يعنى ولقد جاء محمد اهل
مكة منهم اى من نسبهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب يعنى عذاب الجوع وعن مجاهد القتل
يوم بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالكفر فكلوا قيل المخاطبون هم المسلمون اى فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم
من الغنائم حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون وقيل ان المخاطبين اهل مكة لما وعظهم بما ذكر
من حال القرية وما اثيبوا به من كفرهم وسوء صنيعهم وصل بذلك الفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم
الفاسدة التي كانوا عليها

قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم والآيتان مفسرتان في سورة البقرة

قوله تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم ● لما حصر المحرمات في تلك الاربعة بالغ في تاكيد ذلك الحصر وزيف طريقتهم في
تحريم بعضهم باهوائهم وتحكيمها الاهواء دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا اى ولا تقولوا
الكذب لما تصف السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله والى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك لا تقولوا
لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق قوله هذا حلال وهذا حرام
بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وقيل انتصاب
الكذب بتصف وما في لما مصدرية وهذا حلال وهذا حرام متعلق بلا تقولوا اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحللوا ولا تحرموا لاجل قول تنطق به السنتكم وتجول في افواهكم لا لاجل
حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة وقوله تصف السنتهم الكذب من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم
كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها
يصف الجمال وعينها تصف السحر لتفتروا على الله الكذب قيل هي لام العاقبة وقيل هي لام كي ويقولوا الله امرنا
بها ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى هو متاع قليل لا بقاء
له لان عمر الدنيا قصير وقيل منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم عذاب اليم في الآخرة

قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ما قصصنا عليك من قبل يعنى به ما ذكر في الانعام وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وما ظلمناهم
بتحريمنا ما حرمنا عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالبغي والكفر والمعاصي قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا

السوء

السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ● المقصود بيان ان الافتراء على الله
ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولفظ السوء يتناول كل ما لا ينبغي وهو الكفر والمعاصي بجهالة
في موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ثم تابوا من بعد
ذلك السوء واصلحوا آمنوا واطاعوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء الذى صدر منهم رحيم

قوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا
حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ● لما بين في هذه السورة بطلان الشرك واثبات الوحدانية والنبوة وكان ابراهيم
امام الموحدين ومحجة الناس الى التوحيد وابطال الشرك وكان المشركون مفتخرين به معترفين بحسن طريقته ذكره في اواخر
هذه السورة وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك
ان ابراهيم كان امة قيل انه كان وحده امة من الامم لكمال جمعه صفات الخير كقوله ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن
مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل امة بمعنى مأموم اى يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير وقيل الامة الامام
في اللغة كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعله بمعنى مفعول ونحوه قوله انى جاعلك للناس اماما
وقيل سمي امة لانه انفرد في دهره بالتوحيد كما قال صلى الله عليه وسلم في قس بن ساعدة يحشر يوم القيامة امة وحده قانتا لله هو
المطيع الدائم على الطاعة القائم بما امره حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة الى ملة الاسلام غير زائل عنه وقيل حاجا
وقيل مختتنا ولم يك من المشركين نفي عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم شاكرا لانعمه روي
انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واختاره وهداه
الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة لسان الصدق والثناء الجميل عن قتادة حتى تولاه اهل كل
… وقيل الاولاد الصالحة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل
الجنة وقيل انه في الآخرة ممن يحكم له بحكم الصالحين

قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ● قيل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم باتباع ابراهيم عليه السلام في جميع ملته الا ما امر بتركه وقيل اتباعه في التبري من الاديان والتدين بالاسلام وقيل المراد
متابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهي ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على
ما هو الطريقة المألوفة في القرآن وليس المراد انه يقلده في الاصول ولا في الفروع فان شرع نبينا مبني على الوحي المنزل
وقيل ثم هاهنا للتراخي في الزمان اى بعد ابراهيم في الزمن الطويل امرناك باتباع طريقته في عبادة وتعليم اهل الاديان
ان الذى يدعو محمد اليه الناس دين ابراهيم قال صاحب الكشاف في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه
بها

قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
قال الامام لما امر الله محمدا بمتابعة ابراهيم عليه السلام وكان محمد صلى الله عليه وسلم اختار يوم الجمعة فهذه المتابعة انما تحصل
اذا قلنا ان ابراهيم عليه السلام كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة وعند هذا للسائل ان يقول لم اختار اليهود يوم السبت فاجاب
الله عنه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا اى اليهود وانما عداه بعلى لان اليوم صار عليهم لا لهم بارتكابهم المعاصي
فيه والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها وقيل معنى جعل السبت فرض تعظيمه وتحريمه وقيل انما جعل وبال السبت
وهو المسخ اختلفوا فيه اى في السبت وقيل اختلافهم ان موسى قال لهم تفرغوا لله في كل اسبوع يوما للعبادة فاعبدوه يوم
الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات
والارض وهو يوم السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم
اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت فجعل ذلك عليهم وشدد عليهم وابتلاهم فيه بتحريم الصيد فيه فاطاع
امر الله الراضون بالجمعة وكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا على الصيد فمسخهم الله تعالى دون اولئك وهو يحكم بينهم
يوم القيامة ويجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه وقيل اختلافهم فيه انهم احلوا الصيد تارة وحرموه تارة وكان
الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك
نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين
ربقة طاعته ومعنى الحكم بينهم على هذا التقدير انه يجازيهم جزاء اختلافهم بفعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى

قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ● لما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه السلام بين الشيء الذى
امره بمتابعته فيه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وان تجادلهم بالتي هي احسن والمفسرون ذكروا وجوها
على سبيل الاجمال لا شك ان المراد بالسبيل الاسلام اى ادع يا محمد امتك الذين بعثت اليهم الى الاسلام بالحكمة قيل
بالنبوة والموعظة الحسنة بالادب الجميل الذى يعرفونه وقيل الحكمة الفقه والموعظة الحسنة موعظة القرآن
المتعددة في هذه السورة وقيل الحكمة للمعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان يخلط الرغبة بالرهبة والانذار

بالبشارة وعجائبهم بالقرآن وقيل بلا اله الا الله وقيل جادلهم بالقرآن وقيل جادلهم بحيث يظهر عنادهم وقيل لا تلحوا عليهم

الحكمة وهي المقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي الامارات الظنية والعبر النافعة التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم

للاولى بالحكمة والثاني بالموعظة الحسنة والجدل بالطريقة التي هي احسن في الدعوة بالقرآن والجدال له بان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين المعنى انك يا محمد مأمور بالدعوة الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي احسن وليس عليك هداهم فانه تعالى اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يضل من يشاء ويهدي من يشاء

قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ۝ الجمهور من اهل التفسير ان هذه الاية مدنية روي ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم احد من تبقير البطون وقطع المذاكير والمثلة الشنيعة لم يبق احد من قتلى المسلمين الا وقد مثل به غير حنظلة بن الراهب فانا باه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب بأحد قط ولنفعلن ولنفعلن ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده ثم استرطتها لتأكلها فلم يلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلته لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمتك ما كنت الا فعالا للخير وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من اجواف شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله ولئن عاقبتم الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد وكفر عن يمينه عن ابن عباس كان هذا قبل نزول براءة حين امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال فلما اعز الله الاسلام واهله ونزلت براءة وامروا بالجهاد نسخت هذه الاية وقيل هذه الاية محكمة وانما نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل ان ينال من ظالمه اكثر مما نال الظالم منه امر الجزاء العقوبة نهي عن الاعتداء وانما سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قيل معناه ولئن صبرتم لصبركم خير للصابرين اي لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بانهم صابرون على الشدائد ووصف المخاطبين بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة وقيل الضمير راجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه ومعونته وهذا امر بالعزيمة ولا تحزن عليهم اي على كفار مكة في اعراضهم عنك وان لا يسلموا وقيل ولا تحزن على قتلى احد فانهم افضوا الى رحمة الله ولا تك في ضيق قرأ ابن كثير ضيق بكسر الضاد ههنا وفي النمل والباقون بفتح الضاد عن الفراء الضيق ما يكون في الذي يتسع مثل الدار والثوب واشباه ذلك والضيق بالفتح ما ضاق عنه صدرك وقيل ضيق وضيق بمعنى واحد مما يمكرون من مكرهم وهو فعلهم ان الله مع الذين اتقوا ما نهاهم عنه والذين هم محسنون فيما امرهم به بالرحمة والفضل والعونة تمت سورة النحل والحمد لله وحده

سورة الاسرى

وهي ستة آلاف واربعمائة وستون حرفا والف وخمسمائة وثلث وثلثون كلمة ومائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل سوء قيل سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله وقيل ان العرب تسبح عند الامر المعجب فكان الله عجب العباد مما اسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم من النعمة وقيل سبحان ههنا الا ان يكون خرج مخرج الرد عليهم لانه لما حدثهم بالاسراء كذبوه فيكون المعنى تنزه الله ان يتخذ رسولا كذابا اسرى وسرى لغتان وقد جاءتا في القرآن قال الله تعالى والليل اذا يسر بعبده بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلا نصب على الظرف واكد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل من المسجد الحرام عن الحسن وقتادة من المسجد نفسه وفي الصحيحين بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر وقيل من بيت ام هاني وهو قول اكثر المفسرين فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله بالمياه والاشجار وقيل لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة وموضع العبادات وقيل معناه جعلنا فيه السعة في الرزق والخصب في السعر فلا يحتاج الى جلب الميرة لنريه من آياتنا يعني ما رأى تلك الليلة من العجائب التي اخبر بها الناس وقيل من آياتنا الدالة على توحيد الله وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها والعجائب والآيات ومشاهدته في بيت المقدس ومقامات الانبياء ومواضع العبادات روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم دخل بيت المقدس وصلى فيه بالانبياء ثم عرج به الى السماء وقال حذيفة بن اليمان لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به والاسرى الى المسجد الاقصى والمعراج من هناك وقيل ان الحكمة في ذكر ذلك انه لو اخبر بصعوده الى السماء في بدو الحديث لاشتد انكارهم عليه فلما اخبر بيت المقدس وصدق فيما اخبرهم به من العلامات الصادقة اخبر بمعراجه انه هو السميع لاقوال قريش البصير بافعالهم وقيل السميع لدعاء محمد البصير بافعاله بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك روي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كان ليلة اسري بي وانا بمكة بين النائم واليقظان جاءني جبرئيل ومعه ميكائيل عليهما السلام فقال جبرئيل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم لكي اطهر قلبه واشرح له صدره قال فشق بطني فغسله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طشاش من ماء زمزم فشرح صدري ونزع ما كان فيه من غل وملأه حلما وعلما وايمانا وختم بين كتفي بخاتم النبوة ثم اخذ جبرئيل بيدي حتى انتهى الى سقاية زمزم فقال للملك ائتني بتور من ماء زمزم ومن ماء الكوثر فقال توضأ فتوضأت ثم قال لي انطلق يا محمد قلت الى اين فقال الى ربك ورب كل شيء فاخذ بيدي واخرجني من المسجد فاذا انا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل خده كخد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر صدره كانه ياقوتة حمراء وظهره كانه درة بيضاء عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان في فخذيه يمر مثل البرق خطوه منتهى طرفه فقال لي اركب هذا الذي كان ابراهيم عليه السلام يزور عليه البيت الحرام فلما وضعت يدي عليه تشامس واستصعب علي فقال جبرئيل مه يا براق فقال البراق يا جبرئيل مسني الصفر فقال جبرئيل لا تحمل سنتنا صفرا قال لا والله الا اذ مررت يوما على اساف ونائلة مسحت يدي على رؤسهما وقلت ان قوما يعبدونهما من دون الله فقال جبرئيل يا براق اما تستحي من الله لما يكرمك منذ كنت تحمل نبيا اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم قال فارتعش البراق وانصب عرقا حياء مني ثم خفض حتى لصق بالارض فركبته واستويت عليه فأتى جبرئيل بحي بيت المقدس المسجد الاقصى يخطو البراق مد البصر وجبرئيل الى جانبي لا يفوتني ولا افوته فبينما انا في مسيري اذ سمعت نداء عن يميني فقال لي يا محمد على رسلك اسئلك فلم اجبه ثلثا فلم الو عليه فجاوزته ثم اتاني نداء من يساري فقال يا محمد على رسلك فلم الو عليه حتى جاوزته فاذا انا بامرأة عجوز رفعت لي عليها من كل زينة قد بسطت يديها تقول يا محمد الي فلم التفت اليها فلما جاوزتها قلت يا جبرئيل من هذا الذي ناداني من يميني فقال داعي اليهود والذي نفسي بيده لو اجبته لتهودت امتك من بعدك والذي ناداك من يسارك داعي النصارى والذي نفسي بيده لو اجبته لتنصرت امتك من بعدك واما التي نعتت لك بحسنها وزينتها فهي الدنيا فلو التفت عليها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة ثم اتيت باناءين احدهما لبن والآخر خمر فقيل لي اشرب ايهما شئت فاخذت اللبن فشربته فقال جبرئيل عليه السلام اصبت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر لغوت امتك بعدك ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار معه جبرئيل عليه السلام فاتى على قوم يزرعون ويحصدون في يوم واحد كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل من هؤلاء قال المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها فقلت من هؤلاء يا جبرئيل

ثالها فلان الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم
لحم قدر نضيج طيب ولحم آخر خبيث فجعلوا ياكلون الخبيث ويدعون النضيج الطيب قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هذا
الرجل من امتك تكون عنده امرأة حلالا فيدعها ويأتي امرأة خبيثة فيبيت معها حتى يصبح والمرأة تقوم
من زوجها حلالا طيبا فيأتي الرجل الخبيث فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب الا
شققته ولا شيء الا خرقته قلت ما هذا قال مثل قوم من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلى ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون الآية ثم اتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ثم اتى على قوم تقرض
السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت فقلت ما هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء خطباء الفتنة
ثم اتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع قلت ما هذا يا جبرئيل قال
هذا الرجل من امتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا باردة
طيبة وصوتا قلت ما هذا الريح الطيبة وما هذا الصوت قال هذه ريح الجنة وهذا الصوت صوت الجنة
تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثر غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي
واكوابي وصحافي واباريقي وفواكهي وعسلي ولبني وخمري ومائي فائتني بما وعدتني فقال لك كل مؤمن ومؤمنة من آمن
بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني اعطيته ومن
اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون تبارك الله احسن
الخالقين قالت قد رضيت قال ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا
صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثر سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي
وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار
لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت ثم سار ومعه جبرئيل فقال له جبرئيل انزل فصل قال فنزلت وصليت فقال
اتدري اين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر ان شاء الله ثم قال انزل فصل قال فنزلت فصليت فقال اتدري
اين صليت صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت فقال اتدري اين صليت صليت
ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم قال ثم مضينا حتى انتهينا الى بيت المقدس فلما انتهينا اليه اذا انا بملائكة قد نزلت من السماء
يتلقونني بالبشارة والكرامة من عند رب العزة يقولون السلام عليك يا اول يا آخر يا حاشر فقلت يا جبرئيل
ما تحيتهم اياك قال انك اول من تنشق عنه الارض وعن امتك واول شافع واول مشفع وانك آخر الانبياء وان الحشر
بك وبامتك يعني حشر القيامة ثم جاوزناهم حتى انتهينا الى باب المسجد فانزلني جبرئيل وربط البراق بالحلقة التي كانت
تربط فيها الانبياء بخطام عليه من حرير الجنة فلما دخلت اذا انا بالانبياء والمرسلين وفي رواية انواع الانبياء الذين
بعثهم الله قبلي من لدن ادريس ونوح الى عيسى عليهم السلام قد جمعهم الله فسلموا علي وحيوني بمثل تحية الملائكة
قلت يا جبرئيل من هؤلاء قال اخوتك الانبياء زعمت قريش ان لله شريكا واليهود والنصارى ان لله ولدا سل
هؤلاء النبيين هل كان لله شريك فذلك قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فاقروا بالربوبية
لله ثم جمعهم والملائكة صفوفا فتقدمت وامرني اذا صلى بهم فصليت بهم ركعتين ثم اثنى الانبياء عليهم السلام على
ربهم سبحانه فقال ابرهيم الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا لله ونجاني
وانقذني من النار وجعلها بردا وسلاما علي ثم ان موسى اثنى على ربه فقال الحمد لله رب العالمين كلمني تكليما
وجعل هلاك فرعون على يدي ونجى بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون
ثم ان داود عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي
الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمن اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح
وسخر جنود الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمني منطق
الطير وآتاني من كل شيء فضلا وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس علي فيه
حساب ثم ان عيسى اثنى على ربه فقال الحمد لله رب العالمين الذي جعلني كلمته وجعل مثلي كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ
فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي
من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيلا ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال كلكم قد اثنى على ربه
وانا مثن على ربي فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون والآخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني خاتما وفاتحا فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم اتي بآنية
ثلثة مغطاة افواهها اناء فيه ماء فقيل لي اشرب فشربت منه يسيرا ثم دفع الي اناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب
منه حتى روي ثم اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده فقد رويت فقال له جبرئيل قد اصبت اما انها ستحرم
على امتك ولو شربت منها لم يتبعك من امتك الا القليل ولو رويت من الماء لغرقت وغرقت امتك ثم اخذ جبرئيل
بيدي فانطلق بي الى الصخرة فصعد بي عليها فاذا معراج الى السماء لم ار مثله حسنا وجمالا لم ينظر الناظرون الى شيء قط احسن

[illegible]

ينظر فيه ولا يلتفت يمينا ولا شمالا [illegible] فقلت ما هذا يا جبرئيل فما مررت بملك اشد [illegible] هذا قال
وما يمنعك كلنا بمنزلتك هذا ملك الموت دائب في قبض الارواح وهو من اشد الملائكة عملا دائبا فقلت يا جبرئيل اكل
من مات ينظر الى هذا قال نعم قلت كفى بالموت طامة قال يا محمد ما بعد الموت اطم من الموت قلت يا جبرئيل ادنني
من ملك الموت اسلم عليه واسأله فادناني منه فسلمت عليه واومى اليه فقال له جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة ورسول رب العزة
فرحب بي وحياني واحسن بشارتي واكرامي فقال ابشر يا محمد فاني رأيت الخير كله في امتك فقلت الحمد لله المنان
المنعم ما هذا اللوح الذي بين يديك قال مكتوب فيه آجال الخلائق قلت فاين اسماء من قبضت ارواحهم في الدهور الخالية
قال تلك الارواح في لوح آخر قد اعلمت عليها وكذلك اصنع بكل ذي روح اذا قبضت روحه اعلمت عليها فقلت يا ملك الموت
سبحان الله كيف تقدر على قبض ارواح جميع اهل الارض واين انت من سكان هذه الارض قال الارضون والدنيا كلها بين ركبتي
وجميع الدنيا بين عيني ويداي تبلغان المشرق والمغرب وخلفهما فاذا نفد اجل عبد من عبادي نظرت اليه كما الى اعواني من
الملائكة اني نظرت اليه عرفوا انه مقبوض فعمدوا اليه يعالجون نزع روحه فاذا بلغ الروح الحلقوم علمت ذلك ولم يخف علي شيء
من امري مددت يدي اليه فقبضته ولا يلي قبضه غيري [illegible] من عباد الله فما بكاني حديثه
وانا عنده ثم جاوزنا فمررنا بملك آخر ما رأيت من الملائكة خلقا مثله عابس كالح الوجه كريه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب
فلما نظرت اليه رعبت منه جدا فقلت يا جبرئيل من هذا فاني رعبت منه رعبا شديدا قال فلا تعجب ان ترعب منه كلنا بمنزلتك
في الرعب منه هذا مالك خازن النار لم يتبسم قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضبا وغيظا على اعداء
الله واهل معصيته لينتقم منهم قلت ادنني منه فادناني منه فسلمت عليه فلم يرفع رأسه فقال له جبرئيل يا مالك هذا
محمد رسول العرب فنظر الي وحياني وبشرني بالخير فقلت منذ كم انت واقف على جهنم قال منذ خلقت حتى الآن وكذلك حتى تقوم
الساعة قلت مره فليرني طرفا من النار فقال فامرها ففعل فخرج منها لهب ساطع اسود معه دخان كدر قد اظلم منه
الآفاق فرأيت هولا عظيما وامرا فظيعا اعجز عن صفته لكم فغشي علي وكادت تذهب نفسي فضمني جبرئيل اليه وامره ان يرد
النار فردها فجاوزنا فاذا نحن بملائكة كثيرة لا يحصي عددهم الا الله عز وجل الملك الواحد منهم له رؤوس بين كتفيه
وعلى وجوه في كل وجه افواه والسن وهو يحمد الله ويسبحه بتلك الالسن ورأيت من اجسامهم ومن خلقهم
عبادتهم امرا عظيما ثم جاوزنا فاذا برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج
منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر الى الباب
الذي على شماله بكى وحزن فقلت يا جبرئيل من هذا وما هذان البابان فقال هذا ابوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب
الجنة والباب الذي عن شماله باب جهنم يبكي ويحزن قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا
قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث محمد قال نعم قال حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا بشابين فقلت يا جبرئيل من هذان الشابان قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة
عليهما السلام قال ثم صعدنا الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا قال انا جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد ارسل الى محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا برجل قد
فضل على الناس بالحسن والجمال كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت من هذا يا جبرئيل قال هذا اخوك
يوسف قال ثم صعدنا الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل
الى محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا برجل فقلت من هذا يا جبرئيل
قال ادريس رفعه الله مكانا عليا وهو مسند ظهره الى دواوين الخلائق التي فيها امورهم قال ثم صعدنا الى السماء الخامسة

فاستفتح فقالوا من هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة
ونعم المجيء جاء قال فدخلنا فاذا برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم فقلت يا جبرئيل من هذا ومن هؤلاء الذين حوله قال
هذا هارون المحبب في قومه وهؤلاء الذين حوله بنو اسرائيل ثم صعدنا الى السماء السادسة فاستفتح فقالوا من هذا
قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجيء جاء ثم دخلنا فاذا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت يا جبرئيل من هذا قال هذا موسى قلت فما باله يبكي قال
تزعم بنو اسرائيل اني اكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنياي وانا في اخرى فلو انه بنفسه لم ابال
ولكن مع كل نبي امته قال ثم صعدنا الى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل ومن معك قال محمد قالوا
وقد ارسل محمد قالوا نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ثم دخلنا فاذا برجل اشمط
جالس على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فقام الذين
في الوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فخرجوا وقد خلصت
الوانهم وصارت مثل الوان اصحابهم فجاؤوا فجلسوا الى اصحابهم فقلت يا جبرئيل من هذا الاشمط ومن هؤلاء وما هذه
الانهار قال هذا ابوك ابرهيم اول من شمط على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء
الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله
والثاني نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا واذا ابرهيم عليه السلام مستند الى البيت فسألت جبرئيل فقال
هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم قال فاوحى جبرئيل حتى انتهينا
الى سدرة المنتهى فاذا انا بشجرة لها اوراق الورقة منها مغطية الدنيا بما فيها واذا بنبعها اصل تلك الشجرة يخرج من اصلها
اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسألت عنها جبرئيل فقال اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل
والفرات ويخرج ايضا من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وهي على حد السماء السابعة مما يلي الجنة وعروقها واغصانها تحت الكرسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهيت
الى سدرة المنتهى وانا اعرفها انها سدرة اعرف ورقها وثمرها فغشيها من نور الله ما غشيها وغشيتها الملائكة كانها
جراد من ذهب من خشية الله فلما غشيها ما غشيها تحولت حتى ما يستطيع احد ان ينعتها قال وفيها ملائكة لا يعلم عددهم
الا الله ومقام جبرئيل في وسطها فلما انتهينا اليها قال لي جبرئيل تقدم فقال بل تقدم انت يا محمد فانك اكرم على الله مني فتقدمت
وجبرئيل على اثري حتى انتهى بي الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبرئيل ومعي محمد قال الملك الله اكبر
فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبرئيل فقلت له الى اين فقال يا محمد وما منا الا له مقام معلوم ان هذا منتهى
الخلائق وانما اذن لي في الدنو من الحجاب لاحترام وجلال الحق فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة العين الى حجاب اللؤلؤ
فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا صاحب حجاب الذهب وهذا محمد رسول العرب معي فقال الملك الله اكبر
فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ
كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب الى الحجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس
فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلني الى العرش فلما رأيت العرش اتضع كل شيء عند العرش
فقربني الله تعالى الى سند العرش وتدلت لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها
فانبأني الله تعالى بها نبأ الاولين والآخرين واطلق الله تعالى لساني بعدما كل من هيبة الرحمن فقلت التحيات لله والصلوات
والطيبات فقال الله جل ثناؤه سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فقال الله عز وجل يا محمد هل تعلم فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت اعلم يا رب بذلك وبكل شيء وانت علام الغيوب
قال اختصموا في الدرجات والحسنات فهل تدري يا محمد ما الدرجات وما الحسنات قال قلت انت اعلم يا رب قال
الدرجات اسباغ الوضوء في المكروهات والمشي على الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة والحسنات افشاء
السلام واطعام الطعام والتهجد بالليل والناس نيام ثم قال لي يا محمد آمن الرسول قلت نعم اي رب قال ومن قلت والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى فقال فماذا قالوا فقلت قالوا
سمعنا قولك واطعنا امرك قال صدقت فسل تعطه فقلت غفرانك ربنا واليك المصير قال قد غفرت لك ولامتك
سل تعط قلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد رفعت الخطاء والنسيان عنك وعن امتك وما استكرهوا
عليه قلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود قال ذلك لك ولامتك قلت ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت ذلك بك وبامتك قلت ربنا واعف عنا من الخسف واغفر لنا من القذف وارحمنا من المسخ
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت ذلك بك وبامتك ثم قيل لي سل فقلت يا رب انك اتخذت ابرهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت ادريس مكانا عليا وآتيت سليمان ملكا عظيما وآتيت داود زبورا فمالي يا رب فقال
الرب عز وجل يا محمد اتخذتك حبيبا كما اتخذت ابرهيم خليلا وكلمتك كما كلمت موسى تكليما واعطيتك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة وكانا من كنوز عرشي ولم اعطها نبيا قبلك وارسلتك الى اهل الارض جميعا ابيضهم واسودهم
وانسهم وجنهم ولم ارسل الى جماعتهم نبيا قبلك وجعلت الارض كلها برها وبحرها طهورا ومسجدا لك
ولامتك واطعمت امتك الفيء ولم اطعمه امة قبلهم ونصرتك بالرعب على عدوك مسيرة شهر وانزلت عليك سيد الكتب كلها

ومهيمنا عليها قرآنا فرقناه ورفعت لك ذكرك حتى تذكر كلما ذكرت من شرايع ديني واعطيتك مكان التورية
المثاني ومكان الانجيل المئين ومكان الزبور الحواميم وفضلتك بالمفصل وشرحت لك صدرك ووضعت عنك
وزرك وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلتهم امة وسطا وجعلتهم الاولين وهم الآخرون فخذ ما آتيتك
وكن من الشاكرين ثم افضى الي بعدها امورا لم يؤذن لي ان اخبركم بها فرض علي وعلى امتي في كل يوم وليلة خمسين
صلاة فلما عهد الي بعهده وتركني عنده ما شاء الله قال لي ارجع الى قومك فبلغهم عني فحملني الرفرف الاخضر الذي كنت
عليه يخفضني ويرفعني حتى اهوى بي الى سدرة المنتهى فاذا انا بجبرئيل عليه السلام ابصره خلف يقلبني كما ابصره بعيني امامي
فقال لي جبرئيل ابشر يا محمد فانك خير خلق الله وصفوته من النبيين حياك الله بما لم يحي احدا من خلقه لا ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ولقد بلغك الله مكانا لم يصل اليه احد من اهل السموات ولا الارض فهنيئا لك ما اكرمك الله به وما حباك من
المنزلة الاثيرة والكرامة الفايقة فخذ ذلك بشكر فان الله منعم يحب الشاكرين فحمدت الله تعالى على ذلك ثم قال لي
جبرئيل انطلق يا محمد الى الجنة حتى اريك ما لك فيها فتزداد بذلك في الدنيا زهادة الى زهادتك وفي الآخرة رغبة الى
رغبتك فسرنا نهوي منقضين اسرع من السهم والريح حتى وصلنا باذن الله الى الجنة فما تراد نفسي وثاب الي فؤادي
انشأت اسأل جبرئيل عما كنت رأيت في عليين من البحور والنار والنور وغيرها فقال سبحان الله تلك سرادقات
رب العزة التي احاطت بعرشه فهي سترة الخلائق من نور الحجاب ونور العرش ولولا ذلك لاحرق نور العرش ونور الحجب
من تحت العرش من خلق الله وما لم تر اكثر واعجب قلت سبحان الله العظيم ما اكثر عجائب خلقه قلت يا جبرئيل من
الملائكة الذين رأيتهم في تلك البحور الصفوف بعد الصفوف كانهم بنيان مرصوص قال الروحانيون
الذين يقول الله سبحانه يوم يقوم الروح والملائكة صفا ومنهم الروح الاعظم ثم اسرافيل بعده قال فقلت يا جبرئيل فمن
الصف الواحد الذي في البطن الاعلى فوق الصفوف كلها قد احاطوا بالعرش قال هم الكروبيون اشرف الملائكة واعظمها
وما يجترئ احد من الملائكة ان ينظر الى احد من الكروبيين وهم اعظم شأنا من ان اطيق وصفهم لك فكفى بما رأيت منهم
ثم طاف بي جبرئيل في الجنة باذن الله تعالى فما ترك مكانا الا اتاه واخبرني عنه فرأيت القصور من الدر والياقوت
واللؤلؤ والزبرجد ورأيت الاشجار من الذهب الاحمر قضبانها من اللؤلؤ وعروقها من الفضة ثابتة في المسك فلانا اعرف بكل دار
وقصر وبيت وغرفة وخيمة وثمر في الجنة مني بما في مسجدي هذا ورأيت نهرا يخرج من اصله ماء اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك اذفر فقال جبرئيل هذا الكوثر الذي اعطاك الله تعالى وهو التسنيم يخرج
من تحت العرش الى دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم يمزج به شرابهم من العسل واللبن والخمر وذلك قوله عز وجل عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ثم انطلق بي يطوف حتى انتهينا الى شجرة لم ار في الجنة مثلها فلما وقفت تحتها
فاذا انا لا ارى شيئا من خلق ربي غيرها لعظمها وتفرق اغصانها ووجدت فيها ريحا طيبة لم اشم في الجنة ريحا اطيب
منها فقلبت بصري فاذا ورقها حلل طرائف من ثياب الجنة من بين ابيض واحمر واصفر واخضر وثمارها امثال القلال العظام
من كل ثمرة خلق الله سبحانه وتعالى في السموات والارض من الوان شيء وطعم شيء وريح شيء فعجبت من تلك الشجرة وما
من حسنها فقلت يا جبرئيل ما هذه الشجرة قال هذه التي ذكر الله عز وجل طوبى لهم وحسن مآب وكثير من امتك [illegible]
في ظلها حسن مقيل ونعيم طويل ورأيت في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كان ذلك مفروغ
منه معدا انما ينتظر به اصحابه من اولياء الله تعالى فقلت الحمد لله الذي اراني فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض علي النار
حتى نظرت الى اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وغساقها ويحمومها فنظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر
الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبرئيل من هؤلاء قال
هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ثم انطلقت فاذا انا بنفر لهم بطون كانها البيوت وهم على سابلة آل فرعون
فاذا مر بهم آل فرعون ثاروا فيميل باحدهم بطنه فيقع فيتوطأهم آل فرعون بارجلهم وهم يعرضون على النار غدوا وعشيا
فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء اكلة الربا مثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم انطلقت فاذا انا بنساء
معلقات بثديهن منكسات ارجلهن قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هن اللاتي يزنين ويقتلن اولادهن ثم خرجنا
فمررنا بالسموات نتحدر من سماء الى سماء حتى اتيت على موسى عليه السلام فقال لي ما فرض الله عليك وعلى امتك قلت
خمسين صلاة فقال لي موسى عليه السلام انا اعلم بالناس منك واني بلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة وان امتك
اضعف الامم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان امتك لن تطيق ذلك قال فرجعت الى ربي وفي بعض الاخبار
فرجعت فاتيت سدرة المنتهى فخررت ساجدا قلت يا رب فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولن استطيع ان اقوم بها
انا ولا امتي فخفف عني عشرا فرجعت الى موسى فقلت خفف عني عشرا قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك
اضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجعت فرد الى ثلاثين فما زلت بين ربي وبين موسى حتى جعلها
خمس صلوات فاتيت موسى فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت اني قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وما
انا براجع اليه قال فنوديت اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فلا يبدل القول
لدي فخمسة بخمسين فقم بها انت وامتك فاني قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي بالحسنة عشر امثالها
بكل صلاة عشر صلوات قال فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا فكان موسى عليه السلام من اشدهم عليه حين مر به
وخيرهم له حين رجع اليه ثم انصرفت مع صاحبي واخي جبرئيل لا يفوتني ولا افوته حتى انصرف بي الى مضجعي وكان كل ذلك في ليلة

واحدة من آيات ربكم منها انا سيد ولد آدم ولا فخر والي مفاتيح الجنة يوم القيمة ولا فخر وانا مقبوض عن قريب بعدك
رأيت من آيات ربي الكبرى عما رأيت من عجائب الخلق بربي ولقاء من رأيت من اخواني وما رأيت من ثواب الله تعالى لاوليائه
وما عند الله خير وابقى قال فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل
ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم لما كانت ليلة اسري بي واصبحت بمكة فظعت بامري وعرفت ان الناس لا يصدقوني قال فقعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم معتزلا حزينا فمر به ابو جهل عدو الله فاتاه فجلس اليه فقال له كالمستهزئ به هل استفدت من شيء قال
نعم اني اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فلم ير ابو جهل انه ينكر
مخافة ان يجحده الحديث فقال اتحدث قومك ما حدثتني قال نعم فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم قال فانفضت
المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك ما حدثتني قال نعم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس
قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن مصفق ومن واضع يده على رأسه متعجبا للتكذيب وارتد ناس ممن كان
آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به
الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس
في ليلة وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة او روحة
فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وفي القوم من قد سافر ونعت الى ذلك المسجد فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
المسجد قال نعم قال فذهبت انعت وانعت فما زلت انعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد وانا
انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته المسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا يا محمد
فاخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا من ذلك هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم
وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فشربته ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين
رجعوا اليه قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بكرهما مني فرمى
بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا نحن قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما
عدتها واحمالها وهيئتها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت لي مكانها بالحزورة بعدتها واحمالها وهيئتها وفيهما
فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس
قالوا وهذه آية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا
عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال القائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال الاخر وهذه والله
العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا
فلم يؤمنوا ولم يفلحوا وقالوا ما سمعنا بمثل هذا قط ان هذا الا سحر مبين اختلف المفسرون في كيفية ذلك الاسرا
فعن معاوية انه كان رؤيا من الله صادقة وحكى الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد
جسد رسول الله وانما اسري بروحه وعن عائشة رضي الله عنها هذا القول ايضا وعن الحسن كان في المنام
رؤيا رآها وذهب جماعة من المفسرين الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم رجع من ليلته الى مكة
وذهب الجمهور الى انه اسري بجسده وروحه الى بيت المقدس ثم الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى وما فوقها
وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وعليه يدل ظاهر القرآن وورد في صحته ما لا يحصى من الاخبار ولو كانت رؤيا
ما انكره قريش ولما ارتدت جماعة ممن كانوا اسلموا حين سمعوا منه هذا الكلام لانه في المنام مما لا ينكر منها امثال ذلك
وما هو ابعد منه وامكانه العقلي ثابت غير محتاج الى بيان فان كل ذرة من ذرات الموجودات فيها عجائب ودقائق يتحير
العقل فيها لكن لما كان على وفق العادة لم تشمئز طباع العامة عنها وانما نفر عن هذا لما كان على خلاف العادة ما استنكر
ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم عن المحسوسات العادية واما اولو الالباب الذين خلصوا من نزغات الشيطان
ووساوس العادة ونظروا الى آثار رحمة الله تعالى في صنع المصنوعات واحداث المحدثات في الملك والملكوت والشهادة
والغيب والخلق والامر اعترفوا بما يقتضي انه منخرط في سلك مقدورات القدير العليم الحكيم وقيل ان هذه الليلة
ليلة المعراج وهي قبل الهجرة بسنة وقيل ان ليلة المعراج غير ليلة الاسرى وقيل كان معراجان بمكة والمدينة في النوم
واليقظة تلفيقا وتوفيقا بين الروايات قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا
من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ● ابتدأ الكلام في الاسرى على الغيبة فقال
سبحان الذي اسرى بعبده ثم انتقل من الغيبة الى التكلم فقال باركنا حوله لنريه من آياتنا ثم انه على
سبيل التكلم ثم انتقل من التكلم الى الغيبة فقال انه هو السميع البصير ثم انتقل من الغيبة الى التكلم فقال وآتينا
موسى الكتاب ذكر في الآية الاولى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بان اسرى به وذكر في هذه الآية اكرام موسى عليه السلام
بان آتاه الكتاب التورية وجعلناه اي الكتاب وقيل موسى هدى اي هاديا لبني اسرائيل اي دللناهم به على الهدى الا تتخذوا
قرأ ابو عمرو بالياء على معنى لئلا يتخذوا والباقون بالتاء على معنى اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقيل هو
على الانصراف من الغيبة الى الخطاب من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية نصب على الاختصاص وقيل
على النداء على قراءة لا تتخذوا بالتاء اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقيل ذرية

من حملنا

من حملنا هي المفعول الاول لقوله تتخذوا وكيلا هي المفعول الثاني له اي لا تجعلوا ذرية من حملنا اربابا كقوله
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وذرية من حملنا مع نوح عزير وعيسى وقيل ذرية بدل من وكيلا اي
لا تتخذوا من دوني الها عن مجاهد شريكا وقيل حفيظا الكرسي وقيل الوكيل هو المعتمد عليه المرجوع اليه الموثوق
به وهذه صفة من لا اله غيره وقيل ذرية من حملنا مع نوح العرب والعجم من ذرية من حمل مع نوح في السفينة وقيل عني بذلك
سام بن نوح لان بني اسرائيل من ولده ولان الصحيح ان من كان معه غير اولاده ماتوا حين هبطوا من السفينة والناس بعد
نوح من ولد نوح كما كانوا من ولد آدم ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه كان عبدا شكورا كانه قيل لا تتخذوا
من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا شكورا انه كان يحمد الله الشاكرين على مجلسه ثم شرع في عبودية المنعم
وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وقيل اذا انتصب ذرية على الاختصاص يجوز
ان يكون قوله انه كان عبدا شكورا تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم فانما اختصصناكم بهذا الخطاب لانكم اولاد
المحمولين مع نوح فانتم متصلون به فاستأهلتم لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
ولا يكون تعليلا قيل كان نوح اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني
واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه ولو شاء حبسه قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا ● لما ذكر الله انعامه على بني اسرائيل باعطائه التورية وجعل التورية هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه
بل وقعوا في الفساد فقال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وقضينا واوحينا الى بني اسرائيل وحيا
مقضيا اي مقطوعا مبتوتا وانهينا اليهم في الكتاب في التورية لتفسدن جواب قسم محذوف او ما اقيم مقام القسم
ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كقولك اقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر
بالمعاصي ومخالفة التورية وقتل الانبياء اولاهما قتل زكريا وقيل قتل شعيا فانه السبب في قتلهم زكريا فانهم اتهموه
بمريم وقالوا منه حملت فهرب منهم فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردائه هدب فجاءهم الشيطان فدلهم عليه
فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها واما السبب في قتل شعيا فانه قام فيهم برسالة من الله فنهاهم عن المعاصي فقتلوه وقيل
هو الذي هرب منهم ودخل في الشجرة حتى قطعوه بالمنشار وان زكريا مات حتف انفه وآخرهما قتل يحيى بن زكريا وقيل
سبب قتل يحيى بن زكريا قيل سبب قتل يحيى ان ملكهم اراد نكاح امرأة لا تحل له فنهاه عنها يحيى عن ابن عباس انها ابنة اخي
الملك وعن عبد الله بن الزبير انها ابنته وعن حسين بن علي رضي الله عنهما انها امرأة اخيه وكان ذلك لا يصلح عندهم
وعن السدي انها ابنة امرأته وذكر السدي ان ملك بني اسرائيل هوي بنت امرأته فسأل يحيى عن نكاحها فنهاه فحقدت امها
على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها وزينتها وارسلتها الى الملك حين جلس على شرابه وامرتها ان تسقيه
وتعرض له فان ارادها على نفسها ابت حتى يؤتى برأس يحيى في طست ففعلت ذلك فقال الملك ويحك سليني غير هذا فقالت ما اريد
الا هذا فامر فاتي برأسه والرأس يتكلم ويقول لا تحل لك لا تحل لك وقيل ان امرأة الملك رأت يحيى وكان
قد اعطي حسنا وجمالا فارادته على نفسه فابى فقالت لابنتها سلي اباك رأس يحيى فاعطاها ما سألت وروي
عن اهل التفسير ان ذلك الدم من يحيى بقي يغلي حتى قتل عليه من بني اسرائيل سبعون الفا فسكن وقيل لم يسكن حتى جاء قاتله
فقال انا قتلته فقتل فسكن ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله ولتبغن على الناس وقيل لتعلن لتظلمن
العلو وكانوا يقتلون الناس ظلما ويغلبون على اموالهم ويخربون الديار بغيا ويقتلون الانبياء بغير حق فاذا جاء
وعد اولاهما اي وعد عقوبة اولى المرتين والوعد بمعنى الوعيد بعثنا عليكم عبادا لنا عن ابن عباس وقتادة انهم جالوت
وجنوده وعن سعيد بن المسيب هم بخت نصر وجنوده وعن الحسن العمالقة وكانوا كفارا وعن سعيد بن جبير سنحاريب
وجنوده وعن مجاهد هم قوم من اهل فارس قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا اولي بأس شديد
ذوي عدد وقوة في القتال فجاسوا خلال الديار ترددوا فيها للغارة وطافوا ينظرون هل بقي احد لم يقتلوه والجوس
طلب الشيء باستقصاء وعن الاصمعي جاسوا وطئوا وقيل عاثوا والخلال الانفراج ما بين الشيئين وكثير
قيل الجوس هو التردد خلال الديار بالفساد ثم تخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وكان
وعدا مفعولا اي وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل وقيل كان الجوس وعدا من الله مفعولا لا محالة وقيل ما دخل
من انهم يفسدون مرتين وعدا كائنا ثم رددنا لكم الكرة اي الرجعة والدولة والغلبة عليهم ولما تبتم واصلحتم
ما افسدتم رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم وقيل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل هو قتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين بعد الغرق فيهما والامداد الاتمام وجعلناكم
اكثر نفيرا من الاعداء وقيل اكثر مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل النفير النفر وقيل جمع نفر كعبيد
وهم المجتمعون للمصير الى الاعداء قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ● اي قلنا ان احسنتم
بفعل الطاعة فقد احسنتم لانفسكم من حيث ان بركة الطاعة يفتح الله عليكم ابواب الخيرات والكمالات وان اسأتم
بارتكاب المحرمات من الافساد في الارض فلانفسكم كالحرف فالمراد فعلى انفسكم وجاء باللام ازدواجا وقيل معناه

ولتعلن ٢

عن ابن زيد سلط الله عليهم سابور ذو الاكتاف من ملوك فارس ٢

الاعانة ٢

فاليها وقيل فلها الجزاء والعقاب وقيل فلها رب يغفر الاساءة والمعنى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم
لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلا هذه الاية قوله تعالى
فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم
ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ● اي فاذا جاء وعد المرة الاخرة وعقوبتها من افسادكم
بعثناهم وهذا الفساد الثاني هو قتلهم يحيى وقصدهم قتل عيسى بعثنا عليهم ملوك فارس والروم ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وحفص عن عاصم ليسوءوا بالياء على الجمع والضمير للعباد او للوعد والاساءة الى المبعوثين وابن عامر وحمزة وابو بكر
عن عاصم ليسوء على التوحيد اي ليسوء الله او ليسوء البعث او المبعوث او الوعد والكسائي لنسوء بالنون وذلك راجع الى
الله تعالى عن مجاهد وقتادة الذين بعث الله عليهم في المرة الثانية بخت نصر وجنده وكثير من الرواة ياتي هذا القول
ويقولون كان بين تخريب بخت نصر بيت المقدس وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل وعن مقاتل انطيانوس الرومي
ليسوءوا وجوهكم تعليل مضمر اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد او بيت المقدس كما دخلوه اول مرة
اي وليهلكوا كل شيء غلبوا واستولوا عليه وقيل ما مصدرية اي ليهلكوا مدة علوهم وقيل في حال علوهم عسى ربكم
ان يرحمكم هذا مما وعدوا به في التورية وما خيلناه في كتابكم والمعنى عسى ربكم ان يرحمكم ان تبتم بعد الثانية
فرحمهم الله بعد انتقامه منهم وعمر بلادهم واعاد اليهم الاحسان وبعث فيهم الانبياء وان عدتم مرة ثالثة الى المعصية عدنا
عدنا الى عقوبتكم وقيل قد عادوا الى معصية الله فاعاد اليهم النقمة فبعث اليهم ملكا من ملوك فارس فغزاهم
الاتاوة عليهم وعن الحسن وقتادة عادوا الى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم في عذاب الى يوم القيمة يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن
الحصير هو الذي يفرش ويبسط جهنم لهم مهادا قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ● انه تعالى لما
ذكر ما فعله في حق عباده المخلصين من الاسراء بعبده وايتاء الكتاب بموسى ثم ذكر ما فعله في حق العصاة الذين
في الارض مرة بعد اخرى من تسليط الاعداء عليهم بالقتل والاسر والنهب وتخريب البلاد تنبيها على ان طاعة الله
تجلب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية ثم وصف القرآن بانه يهدي للتي هي اقوم اي الحالة التي هي اقوم
الحالات واسدها او الملة او الطريقة وايا ما قدرت لم تجد مع ذكرها ذوق البلاغة الذي تجده مع حذفها لذوق البليغ
لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه قال المفسرون هي توحيد الله به وبرسله والعمل بطاعته
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بان لهم اجرا كبيرا هو الجنة وان الذين اي ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات بان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ولا يخفى ان الاخبار بتعذيب الاعداء ابشارة
من عقابه المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالمؤمنين على تسمية المؤمنين الذين يعملون الصالحات والمؤمنين
الذين لم يعملوا الصالحات ثم لم يتعرض للاخر اي المؤمنين الذين لم يعملوا الصالحات قال صاحب الكشاف فان قلت كيف
ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث
اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك وللقائل ان يقول هذا الكلام في غاية السقوط لان المؤمنين دائما على
قسمين الذين يعملون الصالحات والذين لا يعملون الصالحات وهذا قيد المؤمنين بالذين يعملون الصالحات ولو كان
كما زعم صاحب الكشاف لم يقيد المؤمنين بالذين يعملون الصالحات واثبات اصحاب المنزلة بين المنزلتين من
البدع المنهي عنها قيل هذه البدعة من بدع واصل بن عطاء والظاهر انه انما لم يتعرض للمؤمنين الذين لم يعملوا الصالحات
لان المقام يقتضي التعرض لمن له الاجر قطعا بحكم الوعد على سبيل التفضل ولمن اعد له العذاب الاليم قطعا
بحكم الوعيد على سبيل العدل والمؤمنون الذين لم يعملوا الصالحات غير داخلين في الاول ولا في الثاني فلهذا
لم يتعرض لهم قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ● وجه النظم انه تعالى لما
بين انه انزل الله عليه هذا القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة قد يعدل عن التمسك بشرايعه ويقدم على ما لا فائدة
فيه ويدعو بالشر ويدعو الانسان عند الغضب والضجر على نفسه واهله واعزته وماله بالشر اي بما لا يحب
ان يستجاب له دعاءه اي دعاء مثل دعائه بالخير كما يدعو لنفسه ولاهله واعزته وماله بما يحب اجابته وكان الانسان
عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وقيل يعجل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر
عجلته بالدعاء بالخير وقيل المراد بالانسان الجنس لا شخصا بعينه وقيل المراد به آدم لانه حين نفخ فيه الروح نظر الى
بدنه ليخلق فبقيت رجلاه فرام النهوض قبل وصول الروح الى قدميه فصارت العجلة في ولده قال ابن عباس وعن سلمان
قال لما خلق الله آدم بدأ باعلاه قبل اسفله فجعل آدم ينظر فلما كان بعد العصر قال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله
وكان الانسان عجولا وعن مقاتل انه النضر بن الحارث قال اذا امطر علينا حجارة من السماء قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار
آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه
تفصيلا ● قيل انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ما اوصل الى الخلق من نعم الدين وهو القرآن اتبعه ببيان ما اوصل
اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار وكما ان القرآن فيه آيات محكمات وآيات متشابهات فكذلك [illegible] الليل

كالاية

كالاية المتشابهة واية النهار كالاية المحكمة وكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك
الزمان لا يتم الانتفاع به الا بالليل والنهار وقيل انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم وذلك الاقوم ليس الا ذكر الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة اردفه بذكر دلائل التوحيد وهو عجائب العالم
العلوي والسفلي وقيل لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة بين ان
احوال هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة وبالعكس وانتقال نور القمر من الزيادة الى النقصان وبالعكس
قيل ان المراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى
المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة وقيل المراد وجعلنا نيري الليل والنهار
اي الشمس والقمر آيتين فمحونا آية الليل مطموسة مظلمة لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار
مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان وقيل فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس
ترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء وقيل محو القمر ما يظهر في القمر من الزيادة
والنقصان في النور فيبدو في اول الامر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في الانتقاص
قليلا قليلا وذلك هو المحو الى ان يعود الى المحاق لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم
والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه من الحساب ولولا
ذلك لما علم حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وقيل لتبصروا كيف تتصرفون في اعمالكم وتعلمون بتداولهما النهار والليل
عدد السنين والحساب بمحو آية الليل ولولا ذلك لم تعرف الليل من النهار وكل شيء تحتاجون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس وذكر تفصيلا للتأكيد قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ● لما قال وكل شيء فصلناه تفصيلا كان
معناه ان كل ما يحتاجون اليه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد فقد صار مذكورا وكل ما يحتاج اليه من شرح
احوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقد صار مذكورا واذا كان الامر كذلك فقد ازيحت عللكم فلاجرم كل من
ورد عرصة القيامة فقد الزمناه طائره في عنقه ونقول له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكل انسان
الزمناه طائره عن ابن عباس من خير وشر طائره شقاوته وسعادته عن مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة
مكتوب فيها شقي او سعيد وعن الحسن طائره عمله وقيل طائره ما يصيبه وقيل حظه والمعنى ان لكل انسان حظا من الخير
والشر فقد حتمناه الله فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل شيء ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهذا لك علي وفي عنقي
حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر
على طريق الفال والطيرة فخاطبهم الله بما يستعملون واعلمهم ان ذلك الامر الذي يجعلونه بالطائر هو الذي يلزم
اعناقهم قال الازهري الاصل في هذا ان الله تعالى لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علمه منهم
اجمعين وقضى سعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل منهم ما هو صائر اليه عند خلقه وانشائه
فذلك قوله الزمناه طائره في عنقه وقيل لانه مما يتطير من مثله من شيء وحاله وذكر العنق عبارة عن اللزوم له كلزوم القلادة
العنق من بين ما يلبس لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته
وقيل الاصل في تسميتهم العمل طائرا انهم كانوا يتطيرون ببعض الاعمال والعلم انه تعالى اضاف الالزام الى نفسه وهذا يدل على
انه تعالى اضاف الالزام الى نفسه وهذا يدل على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة والعنق كناية عن الذات كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل وكلفتك
الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقتك كذا اي الزمته اياك ومنه قلده السلطان كذا اي صارت الولاية في لزومها
في موضع القلادة ومكان الطوق ومنه يقال فلان يقلد فلانا اي جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على عنقه
وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء بهذا المعنى لان الذي يكون عليه اما ان يكون خيرا يزينه او شرا يشينه وما يزين يكون
كالطوق والحلي وما يشينه يكون كالغل فما عمله ان كان من الخير كان زينة له وان كان من الشر كان كالغل على رقبته
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا قرأ ابن عامر يلقاه بضم الياء وتشديد القاف وامال حمزة والكسائي القاف ومنشورا
صفتان للكتاب ويجوز ان يكون يلقاه صفته ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول اي يقال له اقرأ كتابك عن
الحسن يقرأ يومئذ من كان قارئا وغير قارئ كفى بنفسك فاعل كفى والباء زائدة والحسيب الحاسب مميز وعليك متعلق بحسيبا
من قولك حسب عليك كذا وقيل يجوز ان يكون حسيبا بمعنى الكافي ويضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي
ما اهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل
كفى بنفسك رجلا حسيبا وقيل يجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وقيل حسيبا حاكما وعن الحسن عدل
والله عليك من جعلك حسيب نفسك قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ● اي من اهتدى فثواب اهتدائه له ومن ضل عن الرشاد فانما يضل عليها اي
على نفسه عقوبة ضلالته ولا تزر وازرة اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى اي لا يؤاخذ احد بذنب
غيره وسببه حمل معصيته اثمه المؤدية الى [illegible] بالوزر وهو الحمل الثقيل عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعوني وانا
احمل اوزاركم فقال الله ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين عذاب الاخرة وقيل وعذاب الاستيصال في الدنيا حتى نبعث

رسولا يبين التوحيد والشرع وقيل يبين الشرع وحده فإن العقل كاف لبيان التوحيد وهذه الآية تدل على أن الوجوب
بالشرع لا بالعقل لأنه لو كان بالعقل لم يتوقف التعذيب على بعثة الرسل لأن قبل بعثة الرسول العقل موجود فيكون
الواجبات العقلية متحققة فالتعذيب متحقق بتركها قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا ● وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ● أي الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش حتى تعدوا أطوارهم وطغوا
والترفه التنعم والمترفون في اللغة الجبابرة والمتسلطون والملوك وإنما خص المترفين بالذكر لأنهم الرؤساء ومن عداهم
تبع لهم ثم إن لفظ الآية لا يدل على أن الله تعالى بماذا أمرهم فقال الأكثرون إن الله تعالى أمرهم بالطاعة والخير ففسقوا أي
خالفوا الأمر لأن الفسق هو الخروج عن الطاعة فحق عليها القول الموجب عليها لما وعد على الفسق [illegible]
خلف وقيل المراد صدق خبر الله عنهم [illegible] فدمرناها أهلكناها تدميرا إهلاكا بالكلية قال صاحب الكشاف
وإذا أردنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر
مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقال لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة
صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها
ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم
إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب ولقائل أن يقول نفس
أردنا أن نهلك قرية يقتضي إهلاكهم وغاية السقوط لأنه عدول عن الظاهر الحق إلى البعيد الباطل فإن الإهلاك
لا يقع إلا بإرادته تعالى فلا حاجة إلى العدول عن الظاهر وقوله أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق مخالف للعقل
والنقل فإن العقل يأبى أن يأمرهم تعالى بالفسق والنقل متواتر أنه تعالى لا يأمر بالفسق والكفر وإذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون [illegible]
والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم أن يقال لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها
ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك بسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا
فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة
على المعصية فآثروا الفسوق ولا يخفى على من له فهم مستقيم وذوق سليم أنه لا يليق بقوله تعالى أمرنا مترفيها هذا الذي
ذكره ثم قال صاحب الكشاف فإن قلت هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لأن حذف ما لا دليل عليه
غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض
يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك
علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر
مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا
منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم يكن منه طاعة كما أن من يقول فلان
يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول ولقائل أن يقول لا نسلم أنه لا دليل عليه قوله فكيف يحذف ما الدليل
قائم على نقيضه قلنا لا نسلم أن الدليل قائم على نقيضه قوله لأن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه قلنا لا
نسلم أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل على أن المأمور به هو الطاعة قال الله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فإنه يدل على أن ففسق قرينة دالة على أن المأمور به المحذوف هو
الطاعة قوله وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت
تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب قلنا لا نسلم أن تقدير غيره يلزم أن يكون طلبا من المخاطب علم الغيب بل يجوز
أن تكون قرينة حالية اقتضت تقدير غيره بأن يكون قرينة حالية دلت على أنه أمره بالقعود مثلا في الصورة الأولى و
بالكتابة في الصورة الثانية ويكون قوله فقام وفقرأ مفيدا لمخالفة الأمر ولئن سلم أنه لا يفهم منه إلا أن المأمور به
قيام أو قراءة لكن ليس نظيرا لقوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها لأن القيام والقراءة يصح أن يكون مأمورا به لأنه تعالى
لا يأمر بالفحشاء قوله ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني إلى آخره قال الإمام ولقائل أن يقول كما أن قوله أمرته فعصاني
يدل على أن المأمور به غير المعصية من حيث أن المعصية منافية للأمر ومناقضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل
على أن المأمور به شيء غير الفسق لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به
كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في
غاية الظهور فلا أدري لم أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت أن الحق ما ذكره الكل وهو أن المعنى
أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عنادا وأقدموا على الفسق وقيل أمرنا مترفيها
معناه أكثرنا مترفيها فيجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال للرسول صلى الله عليه وسلم إني أرى أمرك هذا حقيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيأمر وسيكثر وسيكبر وكم أهلكنا كم مفعول أهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس وأراد أن الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون ويتمردون فيما تقدم

وإذا دار [illegible]

[illegible] الفسق فإنه لا يصح أن يكون مأمورا به

من القرون

من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم ثم إنه تعالى خاطب الرسول بما يكون خطابا لغيره وردعا وزجرا لكفار
مكة فقال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وعيد وتهديد فإن الله يعلم ويرى ما يكون منهم فيجازيهم عليه
ما يستحقون فهي بشارة عظيمة لأهل الإيمان وخوف شديد عظيم لأهل الشرك قوله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ● قيل هذه الآية داخلة في معنى قوله
وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ومعناه أن الطالبين في الدنيا قسمان فمنهم من يريد بعمله الدنيا ومنافعها
والرياسة فيها فهذا يأنف من الانقياد للأنبياء عليهم السلام والدخول في طاعتهم والإجابة لدعوتهم
إشفاقا من زوال الرياسة عنه فهذا قد جعل طائر نفسه شؤما لأنه في قبضة الله تعالى فيؤتيه الله تعالى في الدنيا
منها قدرا لا كما يشاء ذلك الإنسان بل كما يشاء الله إلا أن عاقبته جهنم مذموما مدحورا مبعدا مطرودا من
رحمة الله تعالى من كان يريد العاجلة أي من كان يريد بعمله الدنيا فقط عن الثعلبي لأنه عجلنا له تفضلنا عليه
من متاعها فيها أي العاجلة ما نشاء قيد المعجل له بإرادته وهو بدل من له بدل البعض من الكل لأن الضمير في له يرجع
إلى من وهو في معنى الكثرة وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون شيئا ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم
يتمنون ذلك البعض ولا يعطون فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة ثم جعلنا له جهنم اعلم أن العقاب مضرة
مقرونة بالإهانة والذم بشرط أن تكون دائمة خالية من شوب المنفعة فقوله وجعلنا له جهنم يصلاها إشارة
إلى المضرة العظيمة وقوله مذموما إشارة إلى الإهانة والذم مدحورا إلى البعد والطرد عن رحمة الله وهو يفيد أن
تلك المضرة خالية من شوب النفع والرحمة ويفيد كونها دائمة لم يتبدل بالراحة والخلاص نبه الله تعالى أن من أراد
بالعاجلة وعجل الله تعالى له ما يريده لا ينبغي أن يغتر بها ويعتقد أن ذلك لأجل كرامته على الله ويستدل بها على رضاه
لأن الدنيا قد تحصل مع أن عاقبتها هي المصير إلى عذاب جهنم والإهانة والطرد عن رحمة الله ومن أراد الآخرة شرط
في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بعمله بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور فإن لم تحصل هذه الإرادة وهذه
النية لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وسعى لها سعيها أي السعي الذي يصلح لها
وذلك بأن يكون العمل الذي يتوسل به إلى الفوز بثواب الآخرة من الأعمال التي بها ينال ثواب الآخرة ولا يكون كذلك
إلا إذا كان من باب القرب والطاعات والإيمان لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال وعن بعض السلف من لم يكن له
ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية مشكورا مثابا عليه مقبولا محفوظا لهم
حتى يدخلهم الله الجنة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه وهو منصوب على أنه مفعول نمد وهؤلاء
بدل من كل والمعنى نمد هؤلاء وهؤلاء أي من يريد العاجلة ومن يريد الآخرة نرزقهما جميعا على وجه التفضل وما كان
عطاء ربك فضله محظورا ممنوعا محبوسا عن عباده والمعنى أن الرزق يعم المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة للمتقين خاصة
قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ● انظر يا محمد بعين الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل وجعلناهم متفاوتين في التفضل والعطاء في الدنيا وفي الآخرة أكبر
وأكبر تفضيلا أي التفاوت هناك أكبر وأفضل لأن التفاوت في الآخرة من وجهين أحدهما بالجنة والنار وثانيهما
بالدرجات في الجنة والدركات في النار روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بين أعلى أهل الجنة
وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها وقيل التفاوت في الآخرة أكبر لأنها ثواب
أعراض وكلها متفاوتة وكيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا أي بعضهم آثر الآخرة فوفقناه للرشاد وبعضهم
آثر الدنيا فخذلناه قوله تعالى لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ● لما بين أن الناس
فريقان فمنهم من يريد العاجلة ومنهم من يريد الآخرة وشرط في كون سعي من يريد الآخرة مشكورا الإرادة والسعي
والإيمان فصل في هذه الأمور الثلاثة فبدأ بالإيمان لأنه أصل السعادات وأساس العبادات وأشرف أجزاء الإيمان
التوحيد ونفي الشرك والأضداد فقال لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
أمته وقيل المعنى عام لجميع المكلفين وقيل يجوز أن يكون التقدير قل يا محمد يا أيها الإنسان لا تجعل مع الله إلها
آخر فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه
من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له فتقعد انتصب لأنه وقع بعد الفاء
جوابا للنهي وانتصابه بإضمار أن كقولك لا تنقطع عنا فنجفوك أي لا يكن منك انقطاع فيحصل أن نجفوك فما
بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وإنما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء في أن الثاني
مسبب عن الأول كذلك تقدير الآية إن جعلت مع الله إلها آخر قعدت مذموما مخذولا قوله تعالى وقضى
ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا
تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم
إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ● لما ذكر في الآية الأولى ما هو الركن الأعظم من الإيمان أتبعه بذكر
ما هو من شعائر الإيمان وشرائعه فقضى بعبادة الله تعالى بأن تعبدوا الله ولا تعبدوا غيره وقضى ربك وأمر ربك

تخصيصه لمن يريد قيد المعجل له

ما يتمنون

قيل

امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا اي على تقدير ان تكون ان موصولة اما يبلغن قرأ حمزة والكسائي وخلف يبلغان بالالف على التثنية على ان يكون احدهما ايضا توكيدا
ولا يصح ان يكون احدهما توكيدا لان احدهما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين قال صاحب الكشاف فان قلت
ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا ان عطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل
كلاهما فعطفا عليه اما يبلغن هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو
افردت ان عن ما لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه فلا تقل لهما اف قرأ ابن كثير وابن
عامر اف بفتح الفاء من غير تنوين ونافع وحفص عن عاصم اف بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين
قيل معنى اف وسخ الظفر وقيل وسخ الاذن وقيل قلامة الظفر وقيل الاحتقار والاستصغار وقيل ما رفعته
من الارض من عود او قصبة وقيل النتن والتضجر وقيل الاف صوت يدل على تضجر ومعنى عندك ان يكونا
في كنفه وكفالته فكانا كلا عليه وكلا لهما الا كان لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا
وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين
الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه
ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما
معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال
لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر
اخوات وقيل لا تكلمهما ضجرا صائحا في وجوههما وقيل لا تنفض يدك عليهما وقل لهما بدل التأفيف قولا كريما حسنا
جميلا كما يقتضيه حسن الادب معا لنزول على المروة وعن سعيد بن المسيب كقول العبد المذنب للسيد الفظ وعن
عطاء لا تدعهما باسمائهما وقل لهما يا ابتاه ويا اماه كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره وقيل الدعاء باسم من
الجفاء وسوء الادب ومادة الدعاء وقيل لا بأس به في غير وجهه الدعاء كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا
واخفض لهما جناح الذل قيل معناه واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما اضيف حاتم
الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول وقيل جعل للذل لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا
وللقرة زماما مبالغة في التواضع والذل لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما
اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما برحمته
الباقية كما ربياني صغيرا اي اجعل ذلك جزاء رحمتهما علي في صغري وتربيتهما لي في صغري قيل هذا الدعاء المطلق
النازل للمسلمين والكفار المشركين نسخ منه الدعاء لاهل الشرك بقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولا يكون هذا نسخا عند الفقهاء لانه عام دخله التخصيص وقيل اذا كانا كافرين للولد ان يسترحم
لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا
الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال للعاق اعمل ما شئت فاني
لا اغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت فاني ساغفر لك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير فمن العقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر العقوق غفر له ذلك ان تكونوا صالحين طائعين
لله بارين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين غفورا قيل للمسلمين وقيل التوابين وقيل التائبين مرة بعد اخرى
وقيل المقلعين عن جميع ما نهاهم يقال آب يؤوب اذا رجع وقيل للمطيعين وقيل للذاكرين لذنوبهم فيستغفرون
الله منها وقيل للمقبلين الى الله بقلوبهم واعمالهم وقيل للمصلين وقيل للمصلين بين المغرب والعشاء وقيل
للمصلين صلاة الضحى وقيل للمذنبين سرا التائبين سرا قوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ○ وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما ذا القربى قرابة الرجل من قبل ابيه وامه فعلى هذا فيكون حقهم برهم وصلتهم وقيل النفقة الواجبة لهم وقت
الحاجة وقيل الوصية لهم عند الوفاة وقيل انهم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم فعلى هذا حقهم اعطاؤهم
من الخمس ويكون الخطاب للولاة والمسكين وابن السبيل وقيل حقهما الصدقات الواجبة اي الزكوة ويجوز ان يكون
الحق الذي يلزم اعطاؤه عند الضرورة اليه فحق المسكين من الصدقة وحق ابن السبيل من الضيافة ولا
تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وقيل معناه ولا تنفق مالك في المعصية
سئل ابن مسعود وما التبذير قال انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق انسان ماله كله كما كان تبذيرا ولو انفق
مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير
قال الزجاج التبذير النفقة في غير طاعة الله وكانت الجاهلية تنحر الابل وتبذر الاموال في الفخر والسمعة فامر الله
بالنفقة في وجهها فيما يقرب منه ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة والعرب تقول لكل ملازم
سنة قوم وتابع امرهم هو اخوهم وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان وكان الشيطان لربه كفورا جحودا لنعمه فما ينبغي ان
يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله واما تعرضن نزلت في بلال وصهيب وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم

في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد له متسعا فيعرض حياء منهم فانزل الله عز وجل واما تعرضن عنهم اي وان تعرض عن هؤلاء
امرتك ان تؤتيهم حقوقهم عند مسألتهم اياك مالا يجد اليه سبيلا حياء منهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها انتظار
رزق من الله ترجو ان ياتيك فقل لهم قولا ميسورا قيل وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم
قولا ميسورا او لا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل
وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا لينا سهلا وعدهم وعدا
جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي
وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان
فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب وقيل معنى واما تعرضن عنهم
وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه
يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم
يسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ○ هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف
والتقتير قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك مثل الشح والامساك عن العطاء لان من قبض يده عن الاعطاء كان كالذي غلت يده
الى العنق ولا تبسطها كل البسط مثل الاسراف وانفاق المال فيما لا ينبغي فجعل بسط اليد عبارة عن الاعطاء لان المعطي
يده نحو المعطى والبسط ضد القبض واذا بسط اليد تجاوز حد الاعتدال فتقعد ملوما عند الله اذا المسرف غير مرضي
عند الله وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا
احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة قال الزجاج المحسور
الذي قد بلغ الغاية في التعب والاعياء قال جابر بن عبد الله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فيما بين الصحابة اتاه صبي
فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة
يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال للصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم
فرآه عريانا فانزل الله هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمشدودة ولا
تبسطها بالعطاء كل البسط جميع ما عندك فتقعد ملوما يلومك سائلوك اذا لم تعطهم محسورا منقطعا بك لا شيء
عندك تنفقه يقال حسرته بالمسألة اذا الحفته ودابة حسير اذا كانت كالة رازحة وحسير البصر اذا كل قال الله ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير وعن قتادة محسورا نادما على ما فرط منك وقيل اعطى ابن حابس مائة من الابل وعيينة بن
حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول ○ اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع ○ وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع ○ وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع ○ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع
لسانه عني فاعطه مائة من الابل فنزلت وقيل هذا الخطاب لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن
يدخر شيئا لغده وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون فلم
ينههم الله لصحة يقينهم وانما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده فاما من وثق بموعد الله فهو غير مراد بالآية ○
قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ○ سلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل عليك ولكن ربك هو الذي يربي العباد
فيبسط الرزق لمن يشاء بوسعه كالثوب المبسوط يصيب الجهات ويقدر ويضيق لمن يشاء انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم مصالح العباد كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقيل بين ان البسط والقبض مما اختص به الله لكن
الخزائن بيده فاما العبد فعليهم ان يقتصدوا وقيل يريد ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقبض فان ذلك
يرجع الى الاقتصاد لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قوله تعالى
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ○ لما بين في الآية الاولى انه هو المتكفل
بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اتبعه بقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقيل
انه تعالى لما علم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة علم في هذه الآية كيفية البر بالاولاد وانما وجب البر بالآباء مكافأة
على ما صدر منهم من انواع البر وانما وجب البر بالاولاد لانهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين قيل اراد بقتل الاولاد
واد البنات وكانت العرب تفعل ذلك مخافة العار وقيل خشية الاملاق وانما ذكروا وان كان المراد به البنات حملا على لفظ الاولاد
وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يقتلون الاولاد خشية الاملاق فحينئذ ذكر الضمير وقال في الانعام من املاق اي
من املاق واقع بكم ولهذا قدمهم وقال هنا خشية املاق لم يقع بعد ولهذا اخرهم ان قتلهم كان خطأ قرأ ابن كثير خطاء
مكسورة الخاء ممدودة بهمزة وهو مصدر خطئ خطاء وهو ضد الصواب والباقون بكسر الخاء ساكنة
الطاء مهموزة مقصورة مصدر خطئ خطأ كأثم اثما وزنا ومعنى قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا ○ فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته
او ابنته من غير سبب والسبب المسوغ في الشرع ميسر وهو النكاح الذي شرعه الله قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي

حرم الله الا بالحق ● الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان او زنى بعد احصان او قتل مؤمن عمدا ● قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ● اي غير مستحق للقتل فانه لم يرتكب واحدة منهن فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعده وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل او اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة وقيل لا يمثل به وقيل هو ان يتولى قتل القاتل دون السلطان وقيل يجوز ان يكون الضمير راجعا الى القاتل الاول اي فلا يسرف القاتل بالقتل تعديا وظلما انه كان منصورا قيل انا الولي كان منصورا اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص ومكنه منه فلا يستزد على ذلك او ان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه وقيل ان المظلوم كان منصورا لان الله تعالى ناصره حيث اوجب له القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب وقيل ان الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف وبالثواب في الآخرة قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ● بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به وقيل ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ● قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم بالقسطاس بضم القاف وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف وهما لغتان وقيل وهو الميزان رومي معرب وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها وقيل القسطاس يعبر به عن العدالة كما يعبر بالميزان عنها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ● قفوت الرجل اذا قذفته بفجور صريحا وفي الحديث لا حد الا في القفو البين وقفوت الرجل اتبعته وقفوا اذا رميته بامر قبيح والاسم القفوة بالكسر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا اي لا نقذف ولا نبهت والقذف بالباطل ولهذا قيل القفو شبيه بالغيبة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج منه وفسرت الردغة بالطينة والخبال هو صديد اهل النار وقال النابغة ومثل الذي مجتثم لعرانين ساكن ● ومن الخيال لا يتبعن التقافيا وقال الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ● ولا اقفو الحواصن ان قفينا قيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفو الامور اي يكون في اقفائها يتتبعها ويتبعها ويتم فيها وقيل القفو تاثر على وزن دعوت والنهي منه لا تقف مثل لا تدع وقيل اصله من القيافة وهي اتباع الاثر فيكون ولا تقف مثل ولا تقل الا انه لم يقل القفو تاثره تقفت مثل قولهم قاع الجمل الناقة وتقاعا وعاث وعثا واعتام واعتمى واجتلح واجتحى قال الشاعر ولو انهم ميت من بعيد لعاقل عود عا الذئب عاق اي عاق وقيل معناه ولا تتبع ما ليس لك به علم اي ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وقيل لا تقل رأيت ولم تره ولا سمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقيل لا تشرك بالله شيئا وعن محمد بن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل كذا وسمعته ولم تره ولم تسمع ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى ● والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا عنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد كان مسئولا عنه فمسئولا مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك لم نظرت ما لم يحل لك لم عزمت على ما لم يحل لك وقيل ان تقدير الآية ان اولئك الاقوام مسئولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيماذا في الطاعة او في المعصية وكذا القول في بقية الاعضاء وذلك لان السمع والبصر والفؤاد آلات النفس والنفس كالامير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملتها في الخير يحصل لها الثواب بحكم الوعد على سبيل التفضل وان استعملتها في الشر فقد استحقت العقاب عليها بحكم الوعيد على سبيل العدل وقيل يجوز ان يخلق الله تعالى الحياة في السمع والبصر والفؤاد ثم انها تشهد على الانسان بذلك على ذلك كقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ● كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها مرحا حال اي ذا مرح والمرح شدة الفرح والبطر ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا وكبرا وفخرا وخيلاء انك لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك حتى تبلغ آخرها ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك اي لن تساويها وتحاذيها بكبرك فهي تنبيه لعباده عن الكبر والفخر والاشر والبطر واخبار ان صاحبه لا ينال به شيئا يقصر عنه غيره كل ذلك كان سيئه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو سيئة منصوبة والباقون بضم الهاء والهمزة على اضافة شيء الى ضميره كل ما وجد في القراءة الاولى ان الكلام تم عند قوله تاويلا ثم ابتدا وقال ولا تقف وكل ذلك اشارة الى ما نهى الله عنه كان سيئة وقوله مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الاثم والذنب زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا الا ترى الى قوله ان ذلك شيئة كما يقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث وقيل هو على التكرير

والبدل لا على الصفة تقديره كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل محمول على المعنى لان السيئة ما يسوء وهو بمعنى القراءة الثانية ان كل ما ذكرنا من قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه كان سيئه اي ما ذكرنا وعده عليك كان عند ربك مكروها لان فيما ذكر من قوله وقضى ربك الى قوله ولن تبلغ الجبال طولا امورا حسنة وليست بسيئة قوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ● ان الله تعالى جمع في هذه الآيات انواعا من التكاليف بعضها من الاوامر وبعضها من النواهي وافتتح بقوله لا تجعل مع الله الها آخر فان اصل التكاليف النهي عن عبادة غير الله والامر بعبادته تعالى وختم بقوله ولا تجعل مع الله الها آخر فان الغرض والمقصود ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذا اي لا تجعل مع الله الها آخر وسماه حكمة لان الحكمة معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد هو القسم الاول وسائر التكاليف تعليم الخيرات لتطلب الانسان فعلها ولا يتم رفعها وهو القسم الثاني فثبت ان ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة وقيل سماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل للفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل افتتاحها وختامها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه وان نبذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنى عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم واعلم انه تعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يوجب ان يكون صاحبه في جهنم ملوما مدحورا فاللوم والخذلان في الدنيا والالقاء في جهنم في الآخرة افاصفاكم لما نبه على فساد طريقة من اثبت لله شريكا اتبعه بفساد طريق من اثبت الولد لله ثم نبه على كمال جهل هذه الفرقة وهو انهم اعتقدوا ان الولد قسمين البنين والبنات واشرفهما البنون واخسهما البنات ثم انهم اثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم واثبتوا البنات لله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له والجلال الذي لا غاية له وذلك يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة فيه على سبيل الانكار اي افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملائكة اناثا هن ادون الاولاد وهذا خلاف ما عليه عادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم الى الله الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون لله ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة اناثا قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ● التصريف تغيير الشيء من جهة الى جهة وقد يطلق ويراد به التبيين فانه من حاول بيان شيء فانه يصرف كلامه من نوع الى نوع آخر والمعنى ولقد صرفنا في هذا القرآن من معنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام وقيل معناه لم يجعل في هذا القرآن نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا وامرا ونهيا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا مثل تصريف الرياح وتصريف الافعال من الماضي الى المستقبل ومن الفاعل الى المفعول ونحوها وقيل معناه انه لم ينزل جملة واحدة بل نجوما مثل قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس والمعنى اكثرنا صرف جبريل اليك قال صاحب الكشاف يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله عز وجل البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم ليذكروا قرا حمزة والكسائي وخلف ليذكروا بفتح الياء وسكون الذال وضم الكاف مخففا والباقون بفتح الياء والذال مشددا وكذلك في الفرقان اما القراءة الاولى ففيه وجهان الاول ان الذكر قد جاء بمعنى التامل والتدبر كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والمعنى وافهموا ما فيه والثاني ان يكون المعنى صرفنا هذه الدلائل لتذكروه بالسنتكم لان الذكر باللسان قد يؤدي الى تاثر القلب بمعناه واما القراءة الثانية فالمعنى ولقد صرفناه ليتعظوا ويتدبروا ويعتبروا ويتطلعوا الى ما احتج به عليهم وما يزيدهم تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا ذهابا وتباعدا عن الحق وتباعده وقيل عن النظر والاعتبار قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ● قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما تقولون قرا ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالتاء اذا لابتغوا على ان لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو وقيل معنى لابتغوا لطلبوا اي الآلهة القربة الى ذي العرش سبيلا والتمسوا الزلفة عنده عن قتادة يقول لو كان معه آلهة كما يقولون لعرفوا الله فضله ومزيته عليهم فابتغوا ما يقربهم اليه وقيل معناه اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ليقهروه وينازعوه ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ● نزه الله نفسه فقال سبحانه وتعالى عما يقولون قرا حمزة والكسائي بالتاء والباقون بالياء علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة والنزاهة مما يقولون ووصف العلو بالكبير مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ● تسبح قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم بالياء والباقون بالتاء والمراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على توحيد الله وقدرته

وعزته وعلمه وقدرته وحكمته وكانها تنطق بذلك وكانها تنزهه تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء والاولاد وغيرها
من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فكل التسبيح المجازي
متحقق في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز وقد عرفت انه
لا محذور فيه وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قيل الخطاب للمشركين وهم وان قالوا الله
ان سئلوا عن خالق السموات والارض الا انهم جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر
الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق وعن ابن عباس وان
من شيء حي وعن الحسن والضحاك من شيء فيه روح وعن قتادة يعني الحيوانات والناميات وعن عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة
لا تسبح انه كان حليما عن جهل العباد وغفلتهم لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء نظرهم وجهلهم بالتسبيح وشركهم
غفورا للذنوب المؤمنين قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا و
جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم
بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ● لما تكلم في الآية المتقدمة فيما يتعلق بالتوحيد تكلم في هذه الآية فيما يتعلق
بالنبوة واذا قرأت القرآن يا محمد جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة بالبعث والثواب والعقاب اي المشركين حجابا
يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل مستورا على اعين الناس فلا يرونه
عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال
يا رسول الله لو تنحيت عنها لئلا تسمعك فانها امرأة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره
فقالت لابي بكر رضي الله عنه هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق الشعر ولا يقوله فقالت انك لمصدق فاندفعت
راجعة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اما رأتك قال لم يزل ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت وقيل اراد انه
حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره وقيل حجابا ساترا اي يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا
يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن
جعلنا على زعمهم بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وقيل مستورا ان ياتوا بمثله اي القرآن وقيل
حجابا مستورا به وقيل يجوز ان يكون حالا مما تقدم لا وصفا للحجاب وقيل انه قوم من الكفار كانوا يؤذون النبي ويمنعونه
من الخروج الى الصلاة فيستتر عن الاعين الظاهرة عن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين
بثلاث آيات الآية التي في الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة والآية التي في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم والآية التي في الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ولا يفقهونه وجعلنا
على قلوبهم اكنة فيه معنى النفور الفقه كانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده مصدر وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة وحده مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده يعني قلت لا اله الا الله في القرآن وانت تتلوه ولوا على ادبارهم اي رجعوا على اعقابهم نفورا
اما مصدر لانه نفر ونفورا واما جمع نافر كقاعد وقعود اي نفورا من استماع التوحيد ارادوا ان يذكر معه آلهتهم
لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه
اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وبه في موضع الحال كما تقول تستمعون بالهزء اي هازئين مستهزئين بالهزء اذ يستمعون اليك نصب باعلم اي نحن اعلم
بما يستمعون به هازئين وقت استماعهم واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم نجوى
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا هذا ما كانوا يتناجون به وذلك انهم اجتمعوا في دار الندوة وكان الذي
ارادوا مشورة اجتمعوا هنالك فقال بعضهم لبعض ان محمدا ساحر وقال بعضهم مسحور وقيل مسحور من السحر وهو
الرئة اي هو بشر مثلكم يأكل ويشرب تقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل وشرب من آدمي وغيره
مسحورا انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال شبهوك بالاشياء ومثلوك فقالوا ساحر وكاهن وشاعر ومجنون
فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه سبيلا يسلكه فلا يستطيعون سبيلا مخرجا او سبيلا
الى طريق الحق متحيرين في امرك لا يدرون ما يصنعون قوله تعالى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
وتظنون ان لبثتم الا قليلا ● تكلم اولا في التوحيد ثم تكلم فيما يتعلق بالنبوة ثم في هذه الآية تكلم فيما يتعلق
بالمعاد والبعث والقيامة وقالوا اي المشركون المنكرون للبعث ائذا كنا استفهام على سبيل الانكار عظاما
ورفاتا عن ابن عباس غبارا وعن مجاهد ترابا والرفات ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والرضاض ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا البعث والخلق وخلقا جديدا حين صرنا بعد الموت عظاما ورفاتا حطاما والعامل في اذا
لفظ من البعث كذا لا المبعوث لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله قل كونوا لما قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا قيل لهم
كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كانه قيل كونوا حجارة او حديدا او خلقا اكبر مما في صدوركم ولا تكونوا

كراهة ان يفقهوه ٢

عظاما

عظاما ورفاتا فسيعيدكم الله فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجددكم الله خلقا
ويردكم الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي
عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ولا مستنكر ان يردها الله سبحانه بقدرته الى حالتها الاولى ولكن
لو كنتم ابعد شيء من الحياة ومن رطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان
طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحي ويعظم في
زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وهو اكبر الاشياء في صدورهم اي لو كنتم الموت
لاماتكم ثم احياكم وعن الكلبي هو البعث وعن مجاهد السماء والجبال يعني كونوا ما شئتم فان الله تعالى يميتكم ثم يبعثكم
فسيقولون من يعيدنا والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم ان اعادة الحياة
ممكنة فعند ذلك قالوا من هذا الذي يعيدنا اذا كنا على هذا الوجه فقال تعالى قل يا محمد الذي فطركم اول مرة يعيدكم
فسينغضون اليك رؤسهم تعجبا واستهزاء اي اذا قلت لهم ذلك يحركون رؤسهم تحركا متعجبين مستهزئين يقال
نغضت سنه تحركت كانها تعلقت من اصلها ويقولون متى هو استبعادا ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو
قريب لان عسى من الله يفيد الوجوب بحكم الوعد والاخبار نظيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وقوله
لعل الساعة قريب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة وقيل يدعوكم من قبوركم وقيل يدعوكم اسرافيل وهو
يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور في قرن ويقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة
والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم عن ابن عباس الدعاء النداء بالصيحة التي تسمعونها
فتكون داعية لهم في الاجتماع الى ارض القيمة فتستجيبون فتجيبون بحمده وقيل بامره وقصده وتجيبون الداعي وقيل
بقدرته ودعائه اياكم وقيل بحمد الله لا يجحد منهم احد لانه حال اضطرار وقيل الباء للحال اي فتجيبون حامدين
وقيل الدعاء والاجابة مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون حامدين وهي مبالغة
في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل
عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم وكاني باهل لا اله الا الله وهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وتظنون ان لبثتم الا قليلا ترون الهول فعند
ذلك تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وقيل تستقصرون مدة موتهم لانهم لا يشعرون
بالمدة التي مرت بهم وهم اموات عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم وقلت حين عاينوا يوم القيمة ان لبثتم بين
النفختين يرفعون عن العذاب وبينهما اربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلا قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ
يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
وآتينا داود زبورا ● وقل يا محمد لعبادي المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين نزلت في عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا من العرب شتمه فامره الله تعالى بالعفو وعن الكلبي كان المشركون يؤذون اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم بالقول والفعل فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى في ذلك اي يعدوا خيرا على من اساء القول فيهم وقيل التي هي احسن شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الزجاج لا يذكروا غيرهم الا بالمحاسن ويكفوا عن مساويه وقيل الكلمة التي
هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم تفسير التي هي
احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم
انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم
اعتراض وقيل ان يشأ يرحمكم بالتوبة او ان يشأ يعذبكم بالاقامة على المعصية وقيل هذا خطاب المؤمنين معناه
قل يا محمد لعبادي المؤمنين ان يشأ يرحمكم فينجيكم من اعدائكم اي من اهل مكة او ان يشأ يعذبكم ويسلطهم عليكم
وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وربك
اعلم بمن في السموات لما قال قبل ذلك ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن في السموات اي علم ربكم غير مقصور عليكم
ولا على احوالكم بل علمه متعلق بمن في السموات والارض وبكل شيء فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح
والمفاسد وهذا رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتينا داود زبورا دلالة
على وجه تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه خاتم النبيين وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في
زبور داود قال الله سبحانه وتعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم وامته قال صاحب الكشاف فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور
قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب

وانه بما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن
قرآنا قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ۝ اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
المقصود من هذه الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد بعض المقربين
من عباد الله وهم الملائكة فان الله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الاية فقال قل ادعوا الذين زعمتم قيل هم الملائكة
وقيل عيسى وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي قل ادعوا الذين زعمتم انهم
آلهة من دونه سوى الله فلا يملكون اي المدعوون كشف الضر عنكم يعني البؤس والشدة والقحط الذي ابتلوا به سبع
سنين ولا تحويلا اي تحويل ذلك منكم الى غيركم وقيل ولا تحويله من السقم الى الصحة ومن الفقر الى الغنى نزلت حين
شكت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بهم من القحط ولنا الذين اولئك مبتدا الذين صفته
يدعون صلة الذين يبتغون خبره والمعنى اولئك الذين يدعون هم آلهة وقيل يعبدونهم يبتغون اي اولئك يبتغون
واي موصولة اي اولئك يبتغي من هو اقرب منهم وان الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب وضمن يبتغون الوسيلة
معنى يحرصون فكانه قيل اولئك يحرصون ايهم يكونوا قريبا الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون
ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك
مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا ۝ لما قال ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها فحالها يؤول الى الاهلاك
او التعذيب اي وما من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة اي نخربها ونهلك اهلها بالسيف او معذبوها عذابا
شديدا اذا كفروا وعصوا وقيل هذه الاية عامة وعن مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب كان ذلك
في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مثبتا قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وآتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا ۝ واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۝ لما ذكر الدليل على فساد
قول المشركين واتبعه بالوعيد اتبعه بذكر مسألة النبوة وذلك لان كفار قريش اقترحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اظهار معجزات عظيمة كما حكى الله عنهم انهم قالوا لولا يأتينا بآية كما ارسل الاولون وقيل المراد ما طلبوه بقولهم لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعن سعيد بن جبير ان القوم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح
ومنهم من كان يحيي الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى بقوله وما منعنا ان نرسل في محل النصب مفعول
منعنا اي وما منعنا ارسال الايات الا ان كذب في محل الرفع تقديره وما منعنا ارسال الايات شيء من الاشياء الا تكذيب
الاولين والمراد بالايات الايات التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم
انه من اقترح من الرسول آية فاجابه الرسول اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما منعنا ارسال
الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وان الايات لو ارسلناها لكذب
هذه الامة تكذيب الاولين وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل بحكم العادة
وقد عزمنا ان نؤخر امر الامة التي انت فيها الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها
لما ارسلت فاهلكوا آية واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم
مبصرة مضيئة فظلموا بها فكفروا بها وجحدوا انها من عند الله وما نرسل بالايات اي الايات المقترحة الا تخويفا للعباد
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم عن قتادة ان الله يخوف الناس بما شاء من آية
لعلهم يعتبرون او يذكرون او يرجعون وقيل بالايات غير المقترحة اي وما نرسل بالايات غير المقترحة كآيات القرآن
الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قيل معناه ان الناس في قبضته لا يقدرون على
الخروج من مشيئته ونحو ما نعلك منهم رجا فتلك ولا تهتم وامض لما امرتك به من تبليغ رسالتك وعن مقاتل احاط بالناس يعني
اهل مكة وانها ستفتح لك والحوط الحفظ والحوطة تعهده وقيل معناه واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش اي
بشرناك بوقعة بدر والنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
فجعله كانه قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وما جعلنا الرؤيا التي اريناك قيل رؤيا عين وهي ما ارى
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والايات وكان ذلك فتنة للناس فقوم انكروا وكذبوا وقوم ارتدوا وقوم
صدقوا والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا وقيل هي ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وجه دون نوم
فلما قصها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه افتتن بها اناس من المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين وعن ابن عباس هي
رؤيا منام رأى انه يدخل مكة ويحقق بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ومعنى الفتنة في
هذا القول انه لما رجع من الحديبية اشتبه على كثير منهم وجه الامر حتى قال ابو بكر رضي الله عنه اقال لكم تدخلونها
في هذه السنة قالوا لست تدخلها الناس بعدها لا محالة وعن سعيد بن المسيب انها رؤيا منام وهي انه صلى الله عليه وسلم رأى
قردة ينزون على منبره فساءه ذلك فقيل انما اولت فقال بنو امية وفي رواية رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فساءه ذلك فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم ومعنى الفتنة على هذا ما كان في ذلك الوقت من تحر

الملعونة

الملعونة في القرآن معطف على الرؤيا وهي عند الجمهور شجرة الزقوم [illegible] وقوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس [illegible]
قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال
اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۝ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا من الحنك واحتنك فلان ما عند فلان من العلم اذا استقصاه
والمعنى لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم وقيل لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا عن ابن عباس هم اولياء الله الذين
عصمهم قال الله اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا و
تخلية وطردا وابعادا وقيل تباعد من جملة اوليائي بعد ان عصيت فمن تبعك اي اتبع امرك منهم من ذرية آدم فان جهنم
جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات جزاء موفورا انتصب
بما في جزاؤكم من معنى يجازون او على المصدر باضمار تجازون او بما في فان جهنم جزاؤكم او على الحال لان الجزاء موصوف
الموفور وقيل هو تمييز تقول وفرته فهو موفور ووفرته فهو موفور واستفزز واستخفف واستفزه استخفه والفز
الخفيف من استطعت منهم من ذرية آدم بصوتك عن ابن عباس بدعائك الى معصية الله وعن مجاهد بالغناء والمزامير واجلب
من الجلبة وهي الصياح اي اجمع وصح والمعنى احثثهم عليه بالاغواء وحثهم عن طاعته وعن مقاتل استعن عليهم بخيلك
بركبان جندك ورجالك ومشاتهم والخيل اسم جمع للراكب كركب وصحب اسم جمع كصاحب وعن ابن عباس ان
كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وكل ما كان من راكب يقاتل في معصية الله وما كان من رجل يقاتل في
معصية الله فهو من رجل ابليس والمعنى استفزز ابليس بصوته واجلب بخيله ورجله قلت هو كلام
ورد للتمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم
عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم وشاركهم في الاموال قيل كل ما اصيب من حرام
وانفق في حرام وقيل المشاركة في الاموال كل معصية يحملهم عليها في بابها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة
والانفاق في الفسوق ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد
العزى وتعبيد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد
الباطلة والكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الاجل وما يعدهم الشيطان الا غرورا يغرهم بالغرور وتزيين الخطاء بما يوهم انه صواب
قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ۝ ان عبادي المخلصين ليس لك عليهم
سلطان لا تقدر ان تغويهم او تحملهم على ذنب لا يغفر وقيل لا سبيل لك على عبادي وسوستك لهم في الدعاء
الى الكفر وقيل ان عبادي الذين اطاعوني وعصوك ليس لك عليهم سلطان ليس لك عليهم حجة وكفى بربك وكيلا لهم
يتوكلون به في الاستعاذة منك قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم
رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افأمنتم ان
يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ۝ انه تعالى عاد الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته ورحمته

التوحيد

وقد علم بالاستقراء أن المقصود الأعظم في القرآن الكريم تقرير دلائل التوحيد فإذا امتد الكلام في فصل من الفصول
عاد الكلام بعده إلى ذكر دلائل التوحيد والمذكور ههنا الوجوه المستنبطة من الانعامات في أحوال ركوب البحر
ربكم الذي يزجي يسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله لتطلبوا الربح في التجارة وقيل لتنالوا ما ليس
عندكم مما يفضل الله بخلقه لكم انه كان بكم رحيما هذا خطاب المؤمنين ثم خاطب المشركين فقال واذا مسكم الضر
في البحر الرياح وخوف الغرق ضل بطل وزال من تدعون الا اياه وقيل ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم
الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعون في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم
ان غيره يقدر على اغاثتكم وقيل لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين وقيل ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم
لكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن الايمان والاخلاص
والطاعة وكان الانسان الكافر كفورا بنعمة ربه أفأمنتم اذا خرجتم من البحر ان يخسف بكم قرأ ابن كثير وابو عمرو
ان نخسف بكم او نرسل او نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون في الكل والباقون بالياء والهمزة في أفأمنتم للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض أن يخسف بكم يغيبكم ويذهبكم في ناحية البر والجنب
حكي أن مذنب البر ... فعلى هذا يكون جانب البر منصوبا على الظرف وقيل نصبه على انه مفعول به لأن الأرض
تحت لنخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى نقلب جانب البر وأنتم عليه وذكر الجانب معناه أن الجوانب
كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البر وحده مختصا
بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق
تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله
في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا ريحا ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار ولم يقل حاصبة لأنه
وصف لازم للريح ولم يلحقها مذكر تستعمل التأنيث فكان بمنزلة قولهم حائض للمرأة حين لم يقل رجل حائض وقيل
الحاصب الحجارة وقيل التراب الذي فيه حصباء والمعنى وإن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم كالخسف أصابكم من فوقكم
بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر والخسف في البر ثم لا تجدوا لكم وكيلا
يصرف ذلك عنكم ويحفظكم أم أمنتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا ريحا لها صوت شديد
كأنها تتقصف أي تتكسر ولا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم بما كفرتم أي بكفرانكم النعمة باعراضكم حين نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا
به تبيعا مطالبا من قولهم اتبع فلانا بالمعروف أي طالبه قال الكشاف ... الغريم من التبيع يقال فلان على فلان
تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا
منا ودركا للثأر من جهتنا. قوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ● المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة وهي الأشياء التي بها فضل
الإنسان على غيره قال الإمام الإنسان جوهر مركب من النفس والبدن فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة
في العالم السفلي وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي وتقرير هذه الفضيلة في النفس الإنسانية
هي أن النفس النباتية قواها الأصلية ثلاثة وهي الاغتذاء والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة
سواء كانت ظاهرة أو باطنة والمحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة أعني الاغتذاء والنمو والتوليد والحس والحركة
حاصلة للنفس الإنسانية ثم إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي العاقلة المدركة لحقائق الأشياء
كما هي وهي التي يتجلى فيها نور معرفة الله ويشرق فيها ضوء كبريائه وهي التي تطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر وتحيط
بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي وهذه القوة من سنخ الجواهر القدسية والأرواح المجردة الإلهية
فهذه القوة لا نسبة لها في الشرف والفضل إلى تلك القوى النباتية والحيوانية وإذا كان الأمر كذلك ظهر أن
النفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم ...
فإن الله كرم بني آدم بالعقل والنطق والتمييز والخط وحسن الصورة واعتدال القامة وامتدادها ...
وتسليطهم على ما في الأرض وتسخير سائر الخلق لهم وفضلناهم بما يتناولون وخصصناهم بالمطاعم واللذات في الدنيا وقيل
الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بأن جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم منهم وحملناهم في البر على الدواب
والبحر على السفن ورزقناهم من الطيبات المستلذات من المطاعم والمشارب وعن مقاتل السمن والزبد والتمر والحلاوى
وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا قيل استثنى الملائكة عن الكل وفضلناهم
على الخلائق كلهم غير طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم وقيل المراد به جميع من
خلقنا فالعرب تضع الأكثر والكثير موضع الجميع والكل لقوله عز وجل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين إلى قوله
وأكثرهم كاذبون والمراد منه جميع الشياطين عن زيد بن أسلم في قول الله عز وجل ولقد كرمنا بني آدم قالت الملائكة
ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا
أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وعن أبي هريرة المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده وقال
صاحب الكشاف هذه الآية دالة قطعية على تفضيل الملك وبالغ في التشنيع كما هو عادته في العصبية عن بيان مذهبه
بما هو نفيا للمقصود ولقائل أن يقول هذه الآية دالة على كرامة بني آدم على العموم وجميع أفراد نوع البشر ليس هم

على البشر وشنع على من فضل البشر على الملك

فضل

أفضل من جميع المخلوقات لأن بعض أفراد البشر أضل من الأنعام فلهذا قال وفضلناهم على كثير ممن خلقنا وأيضا
من خلقنا يتناول الكل من المخلوقات وهو يخصه في الملائكة والثقلين وجميع بني آدم لأن الشيء لا يفضل على
نفسه فبقي الملائكة والجن فذكر كثير لبيان كمية المفضل عليه الذي يقتضيه مقام مدح المفضل لا لنفي التفضيل عما
عدا المذكور ولا شك أن المقام مقام المدح وهذا كقوله في الآية مما ينبئ عن غاية المدح من ذكر الكرامة والتفضيل وتسخير
الأشياء على الترقي كأنه قيل ولقد كرمنا بني آدم بكرامة أبيهم ثم سخرنا لهم الأشياء ثم رزقناهم من الطيبات ثم
فضلناهم تفضيلا كثيرا وقلنا متصلا بقوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وهو لبيان كرامة أبيهم بجعله مسجود
الملائكة. قوله تعالى: يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون
فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ● لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا شرع
أحوال أهل السعادة منهم في الآخرة يوم منصوب باذكر أي اذكر يا محمد يوم ندعو كل أناس بإمامهم عن ابن عباس بنبيهم
وعنه بإمام هدى وإمام ضلالة فيقال يا متبعي موسى يا متبعي عيسى يا متبعي محمد يا متبعي رؤساء الضلالة وعن الحسن
وأبي العالية وعطية عن ابن عباس بإمامهم بكتابهم فيقال يا أهل كذا وكذا وعن أنس بن مالك وسعيد بن جبير وقتادة
ومجاهد بإمامهم بنبيهم فيقال يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد وعن عكرمة ومجاهد في رواية بإمامهم بكتابهم قيل
كتابهم الذي أنزل عليهم فيقال يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل يا أهل القرآن وقيل كتابهم الذي فيه أعمالهم فيقال يا أصحاب
الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر ودليل هذا التأويل قوله في سياق الآية
فمن أوتي كتابه بيمينه أي فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه الذي فيه عمله بيمينه وهو المؤمن فأولئك يقرؤون كتابهم
مرة بعد أخرى فرحا بما فيه وهذا دأب من أتاه كتاب فيه مسرة وابتهاج قيل فأولئك لأن من أوتي في معنى الجمع قال صاحب
الكشاف فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على
ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل والانتقام منه من الحياء
والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية الصوت
فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون
بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من جزاء أعمالهم
أدنى شيء ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم في الموضعين بغير إمالة
وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم في الموضعين بالإمالة وأبو عمرو بإمالة الأولى وفتح الثانية وتأول له بمعنى
أشد عمى وكذلك يتأوله قال أبو علي لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر وأعمى ليس كذلك لأن تقديره أعمى من كذا فليس
يتم إلا في قولنا من كذا فهو في المعنى ليس بآخر ويقوي هذا التأويل قوله وأضل سبيلا فإنما عطف أضل الذي هو أفعل من
على ما قبله عن ابن عباس في رواية الضحاك من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله تعالى في خلق الأشياء فهو
عما وصف له في الآخرة أعمى وعن الحسن من كان في الدنيا أعمى بالكفر فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا يقبل توبته
وفي الآخرة لا تقبل وقيل من عمي عن آيات الله في الدنيا فهو عما غيب عنه من أمور الآخرة أشد عمى وقيل من عمي
عن نعم الله التي بينها في قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر إلى قوله تفضيلا فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه
وقيل من كان في هذه أعمى عن الحجة فهو في الآخرة أعمى عن الجنة وهذا كله من عمى القلب فإن قيل لم قال في الآخرة أعمى فلم يقل
أشد عمى لأن العمى خلقة بمنزلة الحمرة والزرقة والعرب تقول ما أشد حمرة زيد وما أشد زرقة عمرو وقلما تقول
ما أحمر زيدا وما أزرق عمرا فالجواب أن المراد بهذا العمى عمى القلب وذلك يتزايد فيحدث منه شيء بعد شيء فخالف
الخلق اللازم مثل الأزرق ويخفى عمى العين والبياض والحمرة. قوله تعالى: وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا
لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ● لما عدد تعالى في الآية المتقدمة أقسام نعمه
على خلقه وأتبعها بذكر درجات الخلق في الآخرة وذكر أحوال السعداء أردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من
الاغترار بوساوس أرباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر والتلبيس فقال وإن كادوا روى عطاء
عن ابن عباس أن وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو أمتعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت
مكة فأبى ذلك فأقبلوا يكثرون مسألتهم وقالوا إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فإن خشيت أن تقول العرب
أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فأمسك رسول الله عنهم وداخلهم الطمع فنزلت هذه الآية وروى
عطية عن ابن عباس أنهم قالوا أجلنا سنة حتى يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا الذي يهدى لآلهتنا أسلمنا وكسرناها
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤجلهم فأنزل الله الآية وعن سعيد بن جبير أن المشركين قالوا للنبي لا نكف
عنك إلا أن تلم بآلهتنا ولو بأطراف أصابعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما علي لو فعلت والله يعلم أني لكاره فنزلت
هذه الآية قيل هذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ولا ما ذكر من عطية عن ابن عباس من أنه هم أن ينظرهم سنة وكل ذلك مخالف حقه
وعن قتادة أن قريشا خلوا برسول الله ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفخمونه ويقولون أنت سيدنا وابن سيدنا فما
زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله من ذلك وأنزل الله الآية وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اطرد عنك سقاط الناس ومواليهم وهؤلاء الذين رائحتهم رائحة الضأن حتى نجالسك فإنهم كانوا

يلمسوا الحجر حتى نجالسك ونسمع منك فهمّ رسول الله ان يفعل ما يستدعي به اسلامهم فنزلت هذه
الآيات وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن
قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من امرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا قال المغربي
وانما قال ليفتنونك لان في اعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن لتفتري علينا غيره وتتقول علينا ما لم نقل
وهو قول الله امرني بذلك يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحوه من ان يضيف
الى الله ما لم ينزله عليه واذا لو فعلت ذلك واتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي
لاجل ذلك وانت فقير محتاج اليهم ولولا ان ثبتناك اي ولولا تثبيتنا اياك على الحق بعصمتنا لقد كدت لقد قاربت
تركن اليهم ان تميل الخفيف عنهم ومكرهم شيئا قليلا اي من ركون قليل قال ابن عباس وذلك حين سكت عن جوابهم والله اعلم بنيته
وقيل الفعل الى خير راءه عنده كنه من البس كما يقول الرجل كدت تقتل نفسك اليوم تريد كدت تقتل
فلا يقتلك غيرك من اجله فهذا من المجاز والاتساع اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة
اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين قال صاحب الكشاف اصله
لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في الحياة
الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل
الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك
اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من
عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت
وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بيّن على ان القبيح يعظم
قبحه بمقدار عظم شأن مرتكبه وارتفاع منزلته وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج
عن ولايته وسبب موجب لغضبه فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر
وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت
كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين **قوله تعالى** وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها
واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ٥ وان كاد
اهل مكة ليزعجونك او يستخفونك بعداوتهم ومكرهم من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون
بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم كما قال خلفك قيل بمعنى بعد اخراجك بقليل وقيل معناه ولو
اخرجوك لاستؤصلوا عقيب اخراجك ولكن لم يخرجوك بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة حسدته اليهود لمقامه بالمدينة وكرهوا قربه
منهم فاتوه فقالوا يا محمد انبي انت قال نعم قالوا والله لقد علمت ما هذه بارض الانبياء فان ارض الانبياء الشام
وكان بها ابرهيم والانبياء فان كنت نبيا مثلهم فائت الشام وقد علمنا انما يمنعك الخروج اليها الا مخافتك
من الروم فان الله سبحانه سيمنعك بها من الروم ان كنت رسوله وهي الارض المقدسة وان الانبياء لم يكونوا
بهذا البلد فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة ايام من المدينة وفي بعض الروايات بذي الحليفة حتى
يجتمع اليه اصحابه وينظر اليه الناس فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا ابا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فانها ارض المحشر والمنشر وارض الانبياء فصدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله تعالى عليه آية من سورة بني اسرائيل
بعدما ختمت السورة وان كادوا ليستفزونك وامره بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث
والتأويل الاول اليق بالآية لان ما قبلها خبر عن اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر ولان هذه السورة مكية قرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم خلافك بكسر الخاء وبالف بعد اللام والباقون بفتح الخاء وسكون اللام
خلفك وخلافك بمعنى خلفك وقيل لا يلبثون على خلافك ومخالفتك فسقط حرف الخفض سنة من قد
ارسلنا سنة نصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة اي ان سنتنا هذه السنة فيمن ارسلنا
قبلك من رسلنا انهم اذا اخرجوا نبيهم وقتلوه لم يلبثوا الا قليلا اي نزل العذاب بهم ولا تجد لسنتنا تحويلا
اي لم نسنها لاحد ان يقلب تلك السنة **قوله تعالى** اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن
الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا ٥ لما ذكر الله الالهيات والمعاد والنبوات اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرفها بعد الايمان
الصلوة فلهذا امر بها وقيل انه تعالى لما قال وان كادوا ليستفزونك امره بالاقبال على عبادته لكي ينصره عليهم
فكأنه قيل له لا تبال بسعيهم في اخراجك من الارض ولا تلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله وداوم على اداء الصلوة فانه
تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى في سورة طه فاصبر

على ما يقولون

على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك
ترضى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
وقيل ان اليهود لما قالوا له اذهب الى الشام فانها مسكن الانبياء عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب
اليها فكأنه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مقرك ومسكنك واذا
دخلته ورجعت اليه فقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا في تقوية
دينك واظهار شريعتك اقم الصلوة ادها ادامها ثبتها لدلوك الشمس لعند دلوك الشمس وعند دلوك الشمس
والدلوك الغروب قال ابن مسعود الدلوك الغروب وهو قول ابن مسعود والنخعي وابن زيد وعن ابن عباس في احدى الروايتين
قال الفراء رأيت العرب تذهب في الدلوك الى غيبوبة الشمس وهذا اختيار ابن قتيبة قال لان العرب تقول دلك النجم اذا
غاب قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك وتقول في الشمس دلكت
براح وبراح اسم للشمس مثل قطام يريدون غربت والناظر يضع كفه على حاجبه ينظر ما بقي من غيابها ودليل هذا التأويل
حديث عبد الله بن مسعود انه كان اذا غاب حاجب الشمس صلى المغرب وافطر ان كان صائما ويحلف بالله الذي لا اله
الا هو ان هذه الساعة لميقات هذه الصلاة وهي التي قال الله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل
فيكون المعنى اقم الصلوة من وقت غروب الشمس الى غسق الليل ظلمته وعن ابن مسعود الصلوة المتعلقة بغسق الليل
العشاء وعن ابن عباس المغرب قال القاضي ابو يعلى يحتمل ان يكون المراد بيان وقت المغرب انه من غروب الشمس الى غسق
الليل وعن الحسن المغرب والعشاء وعن ابن عمر وابن عباس في رواية جابر وابي العالية وعطاء وقتادة ومجاهد والحسن
ومقاتل وجعفر بن محمد وعبيد بن عمير دلوك الشمس زوالها ويدل عليه حديث ابي مسعود وعقبة بن عامر قالا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر وعن ابي برزة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا اقم الصلوة لدلوك الشمس وعن جابر بن عبد الله
دعوت النبي صلى الله عليه وسلم ومن شاء من اصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم وقال اخرج يا ابا بكر فهذا حين دلكت الشمس فعلى هذا يكون الآية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس فدلوك
الشمس الى غسق الليل صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويصدقه هذا ان جبريل عليه السلام حين علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلوة انما بدأ بصلوة الظهر عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل عند باب الكعبة مرتين فصلى بي الظهر حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شيء
بقدر ظله ثم صلى المغرب حين افطر الصائم ثم صلى الظهر في المرة الآخرة حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى
العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب للوقت الاول لم يؤخرها ثم صلى العشاء حين ذهب ثلث الليل ثم صلى
الصبح حين اسفرت الارض فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين الى غسق الليل اي
اقباله بالظلام عن ابن عباس بدو الليل قال قتادة المغرب قال ابو عبيدة سواده قال قيس الرقيات
ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا وقد غسق الليل يغسق غسقا وقرآن الفجر سميت قرآنا اي
قراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهذا يدل على ان القراءة ركن لا تجوز الصلوة بدونها وقيل يعني قرآن
الفجر التي ما يقرأ به في صلوة الفجر وانتصاب القرآن على وجهين احدهما انه عطف على الصلوة اي واقم قرآن الفجر
والثاني نصب على الاغراء اي عليك بقرآن الفجر وقيل قرآن الفجر اجتماعه ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار وهذا دليل واضح
على تعلق وجوب الصلوة باول الوقت واستحباب التغليس بصلوة الفجر وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة وقيل
ومن حقه بان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون قرآن الفجر حثا على طول القراءة عن ابي هريرة قال رسول الله
فضل صلوة الجميع على صلوة الفذ خمس وعشرون صلوة ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلوة الصبح قال ابو هريرة
رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل بعض الليل فتهجد به وتهجد بالقرآن
وصل قال المفسرون لا يكون التهجد الا بعد النوم يقال تهجد اذا سهر وهجد اذا نام وقال بعض اهل اللغة يقال تهجد
اذا نام وتهجد اذا سهر وهو من الاضداد وقال الازهري المتهجد القائم الى الصلوة من النوم وقيل له متهجد لالقائه الهجود
عن نفسه كما يقال تحرج وتأثم به اي بالقرآن نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجد
لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات الخمس المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل انها زائدة على الفرض وليس
فرضا فالمعنى تطوعا وفضيلة والنافلة ما ليس بواجب وعن ابي امامة والحسن ومجاهد انما النافلة للنبي صلى الله عليه
وسلم خاصة قال مجاهد وذلك انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما زاد على فريضة فهو نافلة وفضيلة وهو لغيره
كفارة وقيل لا ان صلوة الليل كانت فرضا عليه في الابتداء ثم رخص له فتركها فصارت نافلة وقيل ان النافلة لك
ولامته والمعنى فتهجد به نافلة لكم فخوطب النبي بخطاب امته عسى من الله واجب يقتضي الوعد والتفضل
قال اهل المعاني عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم لا
يعطيه ذلك مقاما نصب على الظرف وعلى ان يبعثك ربك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او قيل تضمن يبعثك معنى يقيمك

اي عسى ان يبعثك مقاما محمودا او قيل هو حال اي ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم
فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وعن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان بن عمرو وسلمان
الفارسي وجابر بن عبد الله والحسن ومجاهد وفي رواية ابن ابي نجيح المقام المحمود المقام الذي يشفع فيه لامته يحمده فيه
الاولون والآخرون ويشرف فيه على جميع الخلائق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا احدا خليلا لاتخذت
ابن ابي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن ثم قرأ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عن حذيفة بن اليمان قال
يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فيكون اول مدعو به محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فذلك قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيمة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فاراحنا من مكاننا
هذا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم انت ابو الناس خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع
لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر ذنبه الذي اصاب فيستحيي من ربه ولكن ائتوا نوحا
عليه السلام فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته وسؤاله ربه
ما ليس له به علم فيستحيي من ربه من ذلك ولكن ائتوا ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر
خطيئته فيستحيي ربه ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وآتاه التوراة فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست هناكم و
يذكر لهم النفس التي قتل بغير حق فيستحيي ربه من ذلك فيقول ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتون
عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فانطلق فامشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا لربي فيدعني
ما شاء الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاحمده بتحميد
يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الرابعة فاقول يا رب ما بقي الا من حبسه القرآن فيخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة وقل رب ادخلني مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة
وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند
البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وعن ابن عباس والحسن وقتادة ادخلني
المدينة مدخل صدق واخرجني من مكة مخرج صدق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت
هذه الآية وقيل ادخلني المدينة واخرجني الى مكة اي لفتحها وقيل ادخلني مكة مدخل صدق واخرجني منها مخرج
صدق اخرج منها آمنا من المشركين ودخلها ظاهرا عليها يوم الفتح وقيل ادخلني مدخل صدق الجنة واخرجني مخرج
صدق من مكة الى المدينة وقيل ادخلني في النبوة والرسالة واخرجني منها اي اخرجني منها مما يجب علي فيها وقيل
ادخلني في الاسلام واخرجني منه اي من الدنيا وقد اديت ما وجب علي فيه اذا جاء الموت وقيل ادخلني في الدين واخرجني
من الدنيا وانا على الحق وقيل ادخلني مكة واخرجني بالصدق اي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين
لا يكون امينا عند الله وقيل ادخلني في بحار دلائل التوحيد والتنزيه والتقديس ثم اخرجني من الاشتغال بالدليل
الى نور معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات الى الاستغراق في معرفة الاحد الفرد المنزه عن التكثير
والتغيرات وقيل ادخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك واخرجني من كل ما تخرجني
عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه ان يكون صدق العبودية حاصلا في كل دخول
وخروج وحركة وسكون واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني وقيل ملكا وعزا قويا ناصرا على الكفر ومظهرا
الاسلام على الكفر فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
في الارض ووعد لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وقل جاء الحق القرآن والاسلام ودين الحق وعبادة الله وزهق
الباطل الشيطان والشرك والاوثان وعبادة الاصنام ومعنى زهق بطل واضمحل وكل شيء هلك وبطل فقد زهق
وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود ويقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ٭ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل
يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ٭ لما ذكر الالهيات والنبوات والحشر والبعث واثبات القضاء
والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها من الاسرار وانما ذكر كل ذلك في القرآن اتبعه ببيان كون القرآن
شفاء ورحمة ومن في من القرآن من للبيان كقوله من الاوثان ومن القرآن بيان المفعول ننزل وهو ما هو شفاء وحال
كما انه من الاوثان في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس ومبينة لجميع القرآن شفاء وقيل يجوز ان يكون
للتبعيض على ان يكون من القرآن مفعولا به وما هو شفاء بدلا منه اي كل شيء ننزل من القرآن هو شفاء اي كل حصة
ونصيب وبعض شفاء من الضلال لما فيه من الهدى للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه
موقع الشفاء من المرض عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون
الا خسارا لكل نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم عن قتادة ما جالس هذا القرآن احد

الاقام عنه

الاقام عنه بزيادة او نقصان [illegible]

[illegible]

وهذا الجواب يصلح للمسئلتين من المسائل التي ذكرت آخرهما السؤال عن ماهية الروح والثانية عن قدمها وحدوثها
اما البحث الاول فهو انهم قالوا ما حقيقة الروح وماهيته اهي عبارة عن اجسام موجودة في داخل البدن متولدة من
امتزاج الطبائع والاخلاط او هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب او هي عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الاجسام
او عبارة عن موجود يغاير هذه الاشياء فاجاب الله عنه بانه موجود مغاير لهذه الاجسام ولهذه الاعراض وذلك
لان هذه الاجسام وهذه الاعراض اشياء تحدث من امتزاج الاخلاط والعناصر واما الروح فانه ليس كذلك
بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث قوله كن فيكون فقالوا لم كان شيئا مغايرا لهذه الاجسام ولهذه
الاعراض فاجاب سبحانه بانه موجود يحدث بامر الله وتكوينه وتأثير في افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم
العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فان اكثر حقائق الاشياء وماهياتها مجهولة فانا نعلم ان السكنجبين له خاصية
تقتضي قطع الصفراء فاما اذا اردنا ان نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذلك غير معلوم فثبت
ان اكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذا وهذا هو المراد من قوله وما اوتيتم من العلم
الا قليلا واما البحث الثاني فهو ان لفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد وقال فلما جاء امرنا
اي فعلنا فقوله قل الروح من امر ربي اي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على انهم سألوه ان الروح قديمة او حادثة فقال
بل هي حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده ثم احتج على حدوث الروح بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
يعني ان الروح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون
في التغير من حال الى حال وفي التبدل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من
امر ربي يدل على انهم سألوه ان الروح هل هي حادثة ام لا فاجاب بانها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المراد
من قوله قل الروح من امر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد بقوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ثم قال الامام وهذا ما نقوله في هذا الباب اعلم ان الفلاسفة من بيان ان الروح متحيز او غير متحيز
وان الروح والنفس شيء واحد او شيئان فلا فائدة في ذكر اختلافهم لانه لا برهان على شيء من ذلك وامسك السلف
عن ذلك لانهم لما رأوا ان القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا والوحي ينزل والرسول بين اظهرهم علموا ان السكوت عما لم يحط به العلم

قدام

بحقيقته اى لى وفق له من امر ربى اى من علمه الذى منع ان يعرفه احد قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا
الا كثيرا دل على ان المخاطبين بهذا هم اليهود لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة
وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل فى جنب علم الله تعالى وقيل هم جميع الخلق
روى انه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال
بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع
الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى اوتيها العبد خير كثير
فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا
تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ● لما بين فى الاية الاولى ان ما اوتيتم من العلم
الا قليلا بين فى هذه الاية انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل ايضا لقدر عليه ولئن شئنا اللام الداخلة على ان
موطئة للقسم لنذهبن جواب قسم محذوف مغن عن جزاء الشرط والمعنى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك
اى بالقران بمحوه من الصدور والمصاحف والقلوب حتى لا يوجد له اثر ثم لا تجد لك بعد الذهاب من يتوكل علينا
فى رد شئ منه واعادته محفوظا مسطورا الا ان رحمة ربك يرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد وقيل
الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة من ربك تركه غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا
بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اول ما تفقدون من دينكم الامانة
واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران يصبح يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل
كيف ذلك وقد اثبتناه فى قلوبنا واثبتناه فى مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم الى يوم القيمة قال يسرى
به فى ليلة فيذهب ما فى المصاحف وما فى القلوب ثم قرا ولئن شئنا الاية ان فضله كان عليك كبيرا بسبب انزال
القران عليك وحفظه عليك وان جعلك سيد ولد ادم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا
للناس فى هذا القران من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا ● قيل نزلت هذه الاية حين قال النضر بن الحارث وغيره
من المشركين لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا
للشرط اى لو لم يكن اللام فى لئن لجاز ان يقع لا ياتون مع وجود النون جوابا للشرط لان قوله اجتمعت ماض فلما لم يعمل
الاداة فى الجزء الاول لا يعمل فى الثانى والمثل الذى طلب منهم كلام له نظم كنظم القران فى اعلى طبقات البلاغة
والظهير المعين اى لو تعاونوا على ان ياتوا بمثل هذا القران فى بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة
ارباب البلاغة والبيان لعجزوا عن الاتيان بمثله ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل فى غرابته
وحسنه من الترغيب والترهيب وانباء الاولين والاخرين وذكر الجنة والنار وقيل كل مثل من الامثال التى يتعجب منها
فابى اكثر الناس اكثر اهل مكة وقيل اراد اكثر الناس فى ذلك الوقت الا كفورا الا جحودا قال صاحب الكشاف فان قلت
كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا
قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف
او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا ●
لما بين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات
فعل المبهوت المحجوج المتحير فاذا الحيرة فقالوا لن نؤمن لك قيل سبب نزول هذه الاية ما روى ان رؤساء قريش
كعتبة وشيبة وابى جهل وابى سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وابى البخترى والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود
والوليد بن المغيرة وعبد الله بن امية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه اجتمعوا او من اجتمع منهم
بعد غروب الشمس عند الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه
ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه قد بدا لهم
فى امره بدا وكان حريصا على رشدهم يعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك
وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت
الاحلام وفرقت الجماعة فما بقى امر قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا
جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك
علينا وان كان هذا الذى ياتيك قد غلب عليك بذلنا اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك
عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم
فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم
فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلادا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا

منا فسل لنا ربك الذى بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها انهارا
كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من اباءنا وليكن ممن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسالهم
عما تقول احق هو ام باطل فان صنعت ما سالناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وانه بعثك رسولا كما
تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت انما جئتكم من عند الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما ارسلت
به فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فان لم
تفعل هذا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب
وفضة ويغنيك بها عما نراك فانك تقوم فى الاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انا بالذى يسال ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت
ان ربك ان شاء فعل فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابى امية فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما
عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا منزلتك بها عند الله فلم تفعل ذلك ثم سالوك ان تعجل لهم
ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليه حتى تاتيها
وتاتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت انى لا اصدقك
ثم انصرف وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل حين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم اباءنا وتسفيه احلامنا وسب الهتنا وانا اعاهد الله لاجلسن
له غدا بحجر قدر ما اطيق حمله فاذا سجد فى صلوته فضخت به راسه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله
لما فاته من متابعة قومه ولما راى من مباعدتهم فانزل الله هذه الاية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر حتى تفجر بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مع الكسر وعاصم وحمزة والكسائى بفتح التاء
وتسكين الفاء وضم الجيم مع التخفيف فمن ثقل اراد كثرة الانفجار من الينبوع ومن خفف فلان الينبوع واحد والينبوع
عين ينبع الماء منها او يكون لك جنة بستان من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها وسطها تفجيرا تشقيقا وتفتيحا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى كسفا بتسكين السين فى جميع القران الا فى الروم
فانهم حركوا السين ونافع وابو بكر عن عاصم بتحريك السين اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة وابن عامر بفتح السين
ههنا وفيما بقى القران بتسكينها او تاتى بالله والملائكة قبيلا كفيلا وضامنا وشهيدا وعيانا اى نراهم عيانا مقابلة
قبيلا وقيل هى معاينة اى معاينة قاله مجاهد هو جمع القبيلة اى اصناف الملائكة قبيلة قبيلة او يكون لك بيت من
زخرف من ذهب واصلها الزينة او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك لاجل رقيك صعودك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
يامرنا فيه باتباعك قل يا محمد سبحان ربى قرا ابن كثير وابن عامر قال والباقون قل هل كنت الا بشرا رسولا وليس ما سالتم
فى قوى البشر وقدرته فكانه قال العذر وضح لكم بما اتيتكم من الايات ما يدل على نبوتى ومن ذلك التحدى بمثل هذا القران
فاما ما سالتم فعلى طريق التعنت فليس فى وسعى ولم يتوقف ثبوت النبوة والرسالة عليه قوله تعالى وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ● وما منع الناس قال ابن عباس يريد
اهل مكة ان يؤمنوا فى محل النصب لانه مفعول منع اى وما منع اهل مكة من الايمان اذ جاءهم الهدى اى القران الذى
فيه الارشاد والبيان الا ان قالوا فى محل الرفع اى الا قولهم فى التعجب والانكار ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث ملكا
رسولا فاجابهم الله بقوله قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون فى الارض مطمئنين مستوطنين مقيمين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا لان الملائكة انما تبعث الى الملائكة لان رسول كل جنس ينبغى ان يكون منهم قل يا محمد كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم انى رسول اليكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا قوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ● لما اجاب عن شبهات القوم فى انكار
النبوة واردفها بالوعيد الاجمالى وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا ذكر بعده الوعيد الشديد على التفصيل ومن يهد الله
فهو المهتد قرا نافع وابو عمرو بالياء فى الوصل وحذفها فى الوقف وحذفها الباقون فى الحالين
فهو المهتد ومن يضلل اى ومن سبق لهم حكم الله بالايمان والهداية ومن سبق لهم حكم الله بالضلال
والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك الضلال فلن تجد لهم اولياء يصرفونهم عن ذلك الضلال وعلم من هذا ان الهداية
والاضلال بارادة الله وفعله ونحشرهم يوم القيمة اى نسحبهم يوم القيمة على وجوههم شاهده ما روى البخارى
ومسلم فى صحيحيهما عن انس بن مالك ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة
قال الذى امشاه على رجليه فى الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة وقيل ونحشرهم مسحوبين على وجوههم
وقيل يحشرهم مسرعين مبادرين معتبر بقوله على وجوههم عن الاسراع كما تقول العرب قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا
عميا لا يرون شيئا يسرهم وبكما لا ينطقون بحجة وصما لا يسمعون شيئا يسرهم وقيل عميا عن النظر الى ما جعل الله
لاوليائه وبكما عن مخاطبة الله وصما عما مدح به اولياءه وقيل عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا
ينطقون بالحق ولا يتكلمون من كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى وقيل هذا يكون حين يقال لهم اخسئوا فيها

اذكر وقيل باضمار يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت
فتخبط عقلك ابن عباس مخدوعا وحملت على ما تقول ابو عبيد ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال
هو مشؤوم وميمون فشاور وياس قال موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وانتصاب بصائر
على الحال وقيل يجوز ان يكون نصبها على المفعول له وقرأ الكسائي علمت بضم التاء على معنى انى لست بمسحور انا
كما وصفتنى بل علمت ما انزل هؤلاء الايات الا رب السموات والارض والباقون بفتح التاء ثم قارع موسى ظن فرعون
فقال وانى لاظنك يا فرعون مثبورا كأنه قال ان ظننتنى مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا ملعونا مقولا بانقص العقل
من الخير مهلكا يقال الثبر الرجل فهو مثبور اذا اهلك وتقول العرب ما ثبرك عن هذا اى ما منعك قال اكثر المفسرين الظن هنا
بمعنى العلم على خلاف ظن فرعون في موسى وقيل مراده انظنى اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته
ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحتها قولى انى لاظنك مسحورا قول كذب
فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم من ظهر الارض بالقتل او الاستئصال فالقوم
فحاق به مكره بان استفزه الله واغرقه مع قبطه جميعا وفي هذه الاية تنبيه على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
لما خرج موسى فطلبه فرعون هلك فرعون وملك موسى وكذلك اظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع اليها ظاهرا
عليها وقلنا من بعده لفرعون لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد فرعون ان يستفزكم منها وقيل ارض فلسطين
فاذا جاء وعد الاخرة اى القيامة جئنا بكم لفيفا جميعا من قبائل شتى مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم
واشقيائكم وبالحق انزلناه اى بالامر الثابت والدين المستقيم انزلنا القرآن وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية
الى كل خير وقيل بالحق انزلناه اى بالتوحيد وبالحق نزل اى بالوعد والوعيد والامر والنهى وقيل ما انزلناه من السماء
الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بالملائكة من تخليط الشياطين **قوله تعالى**
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به او لا تؤمنوا
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا و
يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ● المقصود منها وكذا الجهال الذين يقترحون عليك هذه المعجزات ويترددون
عن قبول دينك لا شىء عليك من كفرهم فانى ما ارسلتك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين فان قبلوا الدين الحق انتفعوا
والا فليس عليك من كفرهم شىء ثم قال وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه اى احكمناه وفصلناه وبينا حلاله وحرامه
وفرقنا به بين الحق والباطل لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا شيئا بعد شىء على حسب
الحوادث قل يا محمد لكفار مكة آمنوا بالقرآن او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم وازدراء بشأنهم وانه
لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وفيه تنبيه عظيم ان الذين اوتوا العلم لو لم يؤمنوا به وهم اهل جاهلية وشرك
فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم
انه النبى العربى الموعود فى كتب الانبياء. ان الذين اوتوا العلم قال مجاهد انهم ناس من اهل الكتاب [illegible] الانبياء وقيل
طلابا للدين كابى ذر وسلمان وورقة بن نوفل من قبله من قبل نزول القرآن وخروج محمد اذا يتلى عليهم يخرون
يسقطون للاذقان على الاذقان وهو جمع ذقن والذقن مجمع اللحيين قال ابن عباس للاذقان اى للوجوه قال
الزجاج الذى يخر وهو قائم انما يخر لوجهه فاذا ابتدأ يخر فاقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن فلذلك قال للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا تعظيما لامره وتنزيها لله عز وجل عن تكذيب المكذبين بالقرآن ان كان انه كان وعد ربنا
فى الكتب المنزلة المبشرة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه لمفعولا اى انجز الله وعده وهؤلاء
كانوا يسمعون ان الله باعث نبيا من العرب ومنزل عليه كتابا فلما اتاهم ذلك حمدوا الله تعالى على انجاز الوعد ويخرون
للاذقان كرر القول ليدل على تكرار الفعل منهم يبكون ويزيدهم نزول القرآن خشوعا خضوعا وتواضعا لربهم
ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا ويجوز ان يكون تعليلا لقل ● على سبيل التسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به
لقد آمن به من هو خير منكم ومعنى اللام فى للاذقان انهم جعلوا اذقانهم للخرور واختصوها به لان اللام للاختصاص
قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها وابتغ بين ذلك سبيلا ● وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل
وكبره تكبيرا ● عن ابن عباس رضى الله عنهما تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول
فى سجوده يا رحمن يا رحيم فجعل المشركون يقولون يا رحمن يا رحيم فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا
وهو الان يدعو الهين اثنين الله والرحمن ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله هذه الاية
وعن ميمون بن مهران كان النبى صلى الله عليه وسلم فى اول ما اوحى اليه يكتب باسمك اللهم حتى نزلت انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن
فنزلت هذه الاية وعن الضحاك قال اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تقلل ذكر الرحمن وقد كان الله فى التورية
هذا الاسم فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين

يقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى
واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا
عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى
والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم
والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الا
لانهما من الاسماء ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر عن ابن عباس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع المشركون ذلك سبوا القرآن ومن انزله
ومن جاء به ورموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبث ولغوا او ربما صفروا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم ويخلطوا
عليه قراءته فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة
صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار والمعنى لا تجهر حتى تسمع المشركين فيؤذوك ولا تخافت
حتى لا يسمع من خلفك حتى يأخذوا عنك وعن سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد
الحرام فقالت قريش لا تجهر بالقراءة في المسجد الحرام فقالت قريش لا تجهر بقراءته فتؤذي آلهتنا فنهجو ربك فانزلت
ولا تجهر وعن مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في دار ابي سفيان ابن الحارث عند الصفا يجهر
قراءته فمر ابو جهل فقال لا تفتر على الله فخفض النبي صلى الله عليه وسلم صوته فقال ابو جهل للمشركين الا ترون
ما فعلت بابن ابي كبشة رددته عن قراءته فانزل الله ولا تجهر وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان
ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه
يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر حين نزلت هذه الآية ان يرفع صوته شيئا وامر عمر
ان يخفض صوته وعن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد كان الاعرابي يجهر فيقول التحيات لله والصلوات
ويرفع بها صوته فنزلت هذه الآية وعن الحسن لا تراءي بصلاتك في العلانية ولا تسئها في السر وعن ابن عباس لا تصل مرائيا
الناس ولا تدعها مخافة الناس ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل
ولا تخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وابتغاء السبيل مثل للانتحاء الوسط في القراءة اذ كما امر ان يذكر
ولا ينادي الا باسمائه الحسنى علم كيفية التحميد فقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له
ولي ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به وقيل لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وقيل لم يحالف
احدا وقيل لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس وكبره تكبيرا وعظمه تعظيما تاما

سورة الكهف

سميت بها لاشتمالها على قصة اصحاب الكهف وهي مكية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل هذا اجماع
المفسرين من غير خلاف نعلمه وقد روي عن ابن عباس والحسن وقتادة انها آية مدنية وهي قوله واصبر نفسك وعن
مقاتل من اولها الى قوله صعيدا جرزا مدني وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآيتان مدنية وباقيها مكي وهي
ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا والف وخمس مائة وسبع وتسعون كلمة ومائة وعشر آيات وهي من فضل سور القرآن
روي انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل
ذلك قالوا اي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة
ثلثة ايام وفي رواية انس ومن قرأها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر وروى ابو الدرداء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ عشر آيات من اول الكهف ثم ادرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتيم سورة الكهف
كانت له نورا يوم القيمة وسبب نزول هذه السورة ما ذكره محمد بن اسحق مشروحا فقال كان النضر بن الحارث من شياطين
قريش كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قدم الحيرة وتعلم بها احاديث رستم واسفنديار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر الله وحذر قومه ما اصاب من كان قبلهم من الامم كان النضر
يخلفه في مجلسه اذا قام وقال انا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلموا فانا احدثكم باحسن من حديثه
ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه وبعثوا معه عقبة بن ابي معيط الى احبار يهود في المدينة وقالوا لهما
سلوا عن محمد وعن صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما
المدينة فسألا احبار اليهود عن احوال محمد فقال احبار اليهود سلوه عن ثلث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان
حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم فهو نبي والا فهو
متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبراهم بما قالت اليهود فجاؤا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يقل ان شاء الله فانصرفوا
عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه

[illegible]

الا اقتصارا على المنذرين لافادة العموم في المنذر بقاء المراد اذ الكل ممن وقع الضرر عليهم عند العقل من نار
البقيع قدم الانذار في التبشير في اللفظ والبأس من قوله لعذاب بئيس والبأس من العذاب وقد يوس العذاب
يؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه اي بأسا شديدا صادرا من عنده ويبشر عطف العذاب على ينذر اعد لهم
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي الجنة وقيل نعيم الجنة وقيل نعيم التوفيق الوافر في الجنة
ماكثين مقيمين فيه حال من الضمير في لهم وقيل من الاجر الحسن ابدا ظرف للاثبات لا آخر له وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا
وينذر معطوف على ينذر في قوله لينذر والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فالاول عام في حق الكل وفي حق الذين
كفروا والثاني خاص بالذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب في الملائكة
وعادة القرآن جارية بانه اذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كون ذلك البعض اعظم
جزئيات ذلك الكل كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال فهنا هذا
العطف يدل على انه اشد انواع الكفر اثبات الولد لله ما لهم من الذين قالوا اتخذ الله ولدا به بالولد او باتخاذه من علم
ولا لآبائهم معناه ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقيل اتخاذ الولد في نفسه
محال فكيف قيل ما لهم به من علم اجيب بان معناه ما لهم من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته فانتفاء العلم بالشيء
قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه محال في نفسه لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله تعالى ومن يدع
مع الله الها آخر لا برهان له به ولا لآبائهم ولا آبائهم الذين اخذوا هذه المقالة عنهم وهذا مبالغة
في كون هذه المقالة فاسدة باطلة قوله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم صفة الكلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان ويحدثون به انفسهم من المنكرات
لا يتمالكون ان يتفوهوا به وينطق به السنتهم بل يكظمون عليه تنزيها من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر في غاية
المستهجن فقوله كبرت عائد الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة ان يقولون الا كذبا
اي ما يقولون الا كذبا قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
بخع الرجل نفسه اي قتلها غما فباخع نفسك اي قاتلها غما على آثارهم اي من بعد ذهابهم عنك ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا مفعول له والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ويجوز كونه
حالا من ضمير باخع شبهه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والكفار حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله
من الوجد والاسف لرجل فارقه احبته واعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه اسفا عليهم وتلهفا على فراقهم
وقيل على آثارهم استعارة لطيفة من حيث انهم ادبروا وتباعدوا عن الايمان واعرضوا عن الشرع فكانهم
من فرط ادبارهم واعراضهم قد بعدوا عنه فآثارهم يحزن عليها والمقصود منه ان يقال للرسول لا يعظم حزنك
واسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا ومبشرا فاما ادخال الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عنهم قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا هذه الآية للتسلية كانه تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها
واخرجت منها المنافع وتحصل الاختبار لعباده امتحانا للناظر اليها ايهم احسن عملا ثم انهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك

فلا اقطع عنهم سواد النعم فانت ايضا يا محمد لا ينبغي ان تنتهي في الحزن بسبب كفرهم الى ان تترك الاشتغال
بدعوتهم الى الصراط المستقيم والدين القويم انا جعلنا ما على الارض مما يصلح ان يكون للارض زينة من بعد
فهي الرجال وعنه هي الخلفاء والعلماء والامراء وقيل هي النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحوها مما فيه زينة
ولم يدخل في هذا الحال الضمير وكل ما للانس فيه كالحيات والعقارب وقيل اراد كل ما على الارض عموما فليس شيء
الا وفيه زينة من جهة خلقته وصنعته واحكامه وفي معنى هذه الاية قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا خضرة
حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وقيل النبات والشجر وضم بعضهم
اليه الذهب والفضة والمعادن وضم بعضهم الى النبات الحيوان وضم اشرف انواع الحيوان الانسان وقيل الاولى
ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف لانه تعالى قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فمن يبلو
يجب ان لا يدخل فيه واما سائر الناس والحيوان فانهم يدخلون فيه كدخول سائر ما ينتفع به في كونه زينة لها
اي للارض فقيل المراد زينة لاهلها فلا يمتنع ان يكون ما يحسن به الارض زينة للارض كما جعل الله السماء مزينة
بالكواكب والمراد بقوله لنبلوهم ايهم انا نعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة من غير الله لكان على سبيل
الابتلاء والامتحان ايهم احسن عملا اي ايهم ازهد فيها واترك للاغترار بها وقيل احسن عملا اي اطوع لله
واشد استمرارا عليه لان من هذا حاله هو الذي يفوز بالجنة وكان ابي رضي الله عنه يقول احسن العمل الاخذ
بالحق والانفاق في حق مع الايمان واداء الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوبات قال الزجاج ايهم
رفع بالابتداء الا ان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنختبر ونمتحن اهذا احسن عملا ام ذاك قوله تعالى وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ۝ انه تعالى بين انه انما زين الارض لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل ان يبقى الانسان
فيها متنعما بها ابدا فزهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل الارض
بيضاء لا نبات بها بعد ان كانت خضراء معشبة فنانا لها بحجة واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من
اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك والصعيد التراب وقال ابو عبيدة الصعيد وجه الارض وقال الزجاج
الصعيد المستوي من الارض وقال الزجاج الطريق الذي لا نبات فيه والجرز الارض التي لا نبات عليها وقيل
الجرز الارض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة وهذه حالة الارض العامرة الحالية بالزينة لا بد من هذا
في الدنيا جرزت الارض ثم ذلك اجمعا عند القيامة يقال جرزت الارض فهي مجروزة وجرزها الجراد
والابل اذا اكلت ما عليها قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى
الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف
سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ۝ مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت دون
ان يتقدمها همزة استفهام كانه قال بل احسبت اضرابا عن الحديث الاول واستفهاما عن الحديث الثاني ومعنى
الكلام تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على حسبانه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه
اي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة ولا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان
من كان قادرا على خلق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك
صعيدا جرزا خالية من الكل كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته ابقاء حياة طائفة مدة وحفظهم في
المدة في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار والرقيم اسم كلب اصحاب الكهف قال امية
بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وروي عن عكرمة عن ابن عباس انه
قال كل القرآن معلوم الا اربعة غسلين وحنان والاواه والرقيم وروى ايضا عكرمة انه سئل عن الرقيم فقال
زعم كعب انها القرية التي خرجوا منها وعن سعيد بن جبير ومجاهد الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتب فيه
اسماؤهم وقصتهم وشد ذلك اللوح على باب الكهف فان الرقيم هو الكتاب والاصل فيه المرقوم ثم حول الى
فعيل والرقم الكتابة قال الله تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب وقيل الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي
فيه الكهف وقيل الجبل الذي فيه الكهف وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل الرقيم الصخرة
التي تكون على الكهف وقيل الرقيم كتاب بعرفته كان نجده في الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقيل من دين قبل عيسى
وقيل كتاب عمي الله علينا امره ولم يشرح لنا قصته وقيل الرقيم دراهمهم وقيل الرقيم الدواة كانوا من آياتنا عجبا
المراد احسبت ان قصتهم كانت عجيبة في جنب مخلوقاتنا والعجب مصدر به قيل خبرا للمبالغة وسمي به المفعول
والتقدير كانوا من آياتنا عجوبا منهم اذ اوى لا يجوز ان يكون اذ هنا متعلقا بما قبله على تقدير ام حسبت اذ
اوى الفتية لانه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي اوى
الفتية الى الكهف صاروا الى الكهف وجعلوا الكهف مأواهم والفتية جمع فتى وقيل الفتية من ابناء اشراف مدينة
دقيانوس وكانوا مطوقين مسورين بالذهب وكانوا من الروم واتبعوا الانجيل وقيل قبل عيسى واما اسماؤهم فهي مجهولة
بالسند فمعرفتها واوه ولكن التي ذكرها الطبري هذه مكسلمينا • وتمليخا • وهو الذي مضى بالورق الى المدينة
عند بعثهم من رقدتهم • ومرطونس • وكشطونس • وبيرونس • وسمونس • وبطونس • واختلف الرواة
في قصص هؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم الى الكهف واكثر المؤرخون في ذلك لكن نختصر

من حديثهم

من حديثهم ونذكر ما لا يستغنى تفسير الاية عنه ونذكر من الخلاف عيونه روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان هؤلاء الفتية بعض من بعض الحواريين حسبما ذكر النقاش او من مؤمني الامم قبلهم بحسب الخلاف الذي ذكرنا
بعضا بزمن فتح فعل الناس فاخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله تعالى فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد
فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع دينه والذبح لآلهته وتوعدهم
على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي انهم قالوا نحو هذا
الكلام وليس به فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا
رأيكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب بأديانهم فقال لهم
احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فلنذهب اليه فنختفي فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون
بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وقيل انهم كانوا مثقفين وانه اسقف النصارى
ثيس منهم رئيسا بهم في الدين يخص عيد فخرجوا فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك
وروي عن فرقة ان الفتية كانوا من ابناء الاشراف فحضر عيد لاهل المدينة فرأى الفتية ما ينتحله في ذلك العيد من الكفر
وعبادة الاصنام والذبح لها فوقع الايمان في قلوبهم واجمعوا على مفارقة الناس لما رأوا من العذاب معهم ثم لم
الناس وذهبوا الى الكهف وروى وهب بن منبه ان امرهم انما كان ان حواريا لعيسى بن مريم جاء الى مدينة اصحاب
الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في اعماله بركة عظيمة فالقى اليه بكل
امره وعرف ذلك الرجل فتيانا من اهل المدينة فنشر فيهم الايمان وعرفهم الله تعالى فآمنوا واتبعوه على دينه واشتهرت
خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة اراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه
فشتمه وامضى عزمه فدخل الحمام مع البغي فدخل فماتا جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف
وقيل ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابناء العظماء مطوقين مسورين ذوي ذوائب قد داخلهم الايمان فانفرد رأيهم
كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد الكفر فاخرجهم الله في يوم واحد لما اراد بهم فخرج احدهم فجلس في ظل شجرة على بعد
من المدينة فخرج ثان فلما رآه جلس اليه ثم الثالث ثم الباقون حتى كمل جميعهم في ظل الشجرة فالقى الله في نفوسهم
ان بعضهم واحد فتنا لو ان ينزع بعضهم من بعض وتكتموا ثم تراضوا برجلين منهم وقالوا انفردا وتوافقا ولينفش كل
واحد منكما سره الى صاحبه فان اتفقتما كنا معكما فمضيا بعيدا وتكلما فافصحا بالايمان وتعاطوه بالدين فرجعا واظهرا
الامر وتبعهما الآخرون ونهضوا الى الكهف واما الكلب فروي انه كان لبعضهم وروي انهم وجدوا في طريقهم
راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم واسم الكلب حمران وقيل قطمير فدخلوا الغار على جميع هذه
الاقوال كلها وروي ان الله ضرب على آذانهم عند ذلك لما اراده من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وعجب الناس
من غرابة فقدهم فارخوا ذلك ودونوه في لوحين من رصاص او نحاس وجعلوه على باب المدينة فيه اسماؤهم واسماء آبائهم
وذكر شرفهم وانهم فقدوا بصورة كذا في وقت كذا وقيل ان الذي كتب هذا رجلان قاضيان مؤمنان يكتمان ايمانهما
من اهل المملكة وجعلا اللوحين عندهما وروت فرقة ان الملك لما ذهب الفتية امر بقص آثارهم فانتهى
ذلك بمتبعهم الى باب الغار فعرف الملك فركب في جنده حتى وقف عليه فامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال
له بعض وزرائه ايها الملك اليس انك ان اخرجتهم قتلتهم قال بلى قال فاي قتلة ابلغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم
يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله تعالى على آذانهم وارخ الناس امرهم في اللوحين او تخذ الرجلان القاضيان الحكاية
واسم احد القاضيين فيما ذكر الطبري بيدروس واسم الآخر روناس وقيل ان اسم احدهما خرطوس واسم الآخر بطنوس
وروي ان هذا الملك الذي فر الفتية من دينه كان يعذب ويمتحن الله به المؤمنين حتى لحق بهم بقتلهم وتعليقهم
ورؤوسهم على اسوار مدينته وكان رجلا من العرب ابن دين عيسى وكان هو وقومه من الروم ثم اخبر الله تعالى عن الفتية انهم
لما اووا الى الكهف اي دخلوه وجعلوه مأواهم وموضع اعتصامهم دعوا الله تعالى بان يؤتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما
ذكره المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا او خلاصا جميلا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن
من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا
رشدا كله كقولك رأيت منك رشدا وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لائقة بفضل الله وكمال
جوده وهنا الدعاء منهم كان في امر دنياهم والسياق يدل على ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورجاء ثوابها وينبغي
لكل مؤمن ان يجعل دعاءه في امر دنياه هذه الاية فقط فانها كافية فضربنا على آذانهم حجابا مانعا من ان تسمع يعني
انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة وانما التخصيص للآذان بالذكر لانها الجارحة التي منها عظم
فساد النوم وقل ما ينقطع نوم نائم الا من جهة اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذان في النوم قوله
صلى الله عليه وسلم ذلك رجل بال الشيطان في اذنه اشار صلى الله عليه وسلم الى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل
في الكهف سنين عددا نعت للمصدر بتقدير سنين ذات عدد وقيل يحتمل ان يريد بها الكثرة وان يريد بها القلة لان الكثرة تقليل عند
كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار قال الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شيء مما يعد اذا ذكر فيه
العدد ووصف به يريد كثرته لانه اذا قل فهم مقداره فاذا قلت اقمت اياما عددا اردت بها الكثرة واذا قلت اقمت اياما اردت به القلة ثم بعثنا

اي ايقظناهم بعدما انمناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي لنعلمه موجودا حاصلا فانه قبل وجوده مستحيل
ان يعلمه الله موجودا وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون فانما اسند علمهم الى الله لانهم خواصه واهل الزلفى عنده
كما يقول الملك فتحنا البلدة الفلانية وقد فتحها اولياؤه وكما قيل فتح عمر السواد وقيل لنعلم لنميز هؤلاء من هؤلاء
كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع لنعلم موضع لنميز لان العلم سبب التمييز اي الحزبين اي للاستفهام
تعلق به لنعلم لم يعمل فيه فهو مرفوع بالابتداء واحصى خبره والجملة بتمامها متعلق لنعلم والحزبان الفريقان المختلفان
من الفتية لانهم لما انتبهوا اختلفوا في مدة لبثهم يدل على ذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول وقيل المراد
بالحزبين الفتية الذين هم اصحاب الكهف واهل المدينة حين بعثوا وقيل هما حزبان من الكفار اختلفوا في مدة لبث اصحاب
الكهف وقيل هما حزبان من المؤمنين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم احصى فعل ماض اي اي الحزبين ضبط
امدا غاية لاوقات لبثهم فحذف مضاف الى المدة من حيث ان المدة غاية هي مدة على الحقيقة وامدا منصوب باحصى ونحوه
مع ضمير المستتر جملة هي خبر المبتدا الذي هو اي الحزبين وجملة المبتدا والخبر مفعول لنعلم قال الزجاج احصى افعل
للتفضيل وامدا نصب على التفسير قال صاحب الكشاف وهذا ليس بسديد لان بناء افعل من غير الثلاثي المجرد ليس
بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا
لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار
فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول
وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره قوله تعالى نحن نقص عليك نبأهم
بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا ● لما ذكر قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى على الاجمال وقع في اذهان الفتية تشوق بالخبر عنه
تعالى يعلم من امرهم بالحق الذي وقع في مجموع هذه الآيات الى قوله مرفقا جوابا لقريش من سؤال اهل الكتاب تهمهم به بنو اسرائيل
فقال نحن نقص عليك نبأهم بالحق على وجه الصدق انهم فتية جماعة من الشباب آمنوا بربهم وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت ويسرنا لهم العمل الصالح والانقطاع الى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة
على الايمان وربطنا على قلوبهم اي قويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى الكهف وجرأناهم
على القيام بكلمة الحق والربط ومنه يقال فلان رابط الجأش اذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرهما
ومنه الربط على قلب ام موسى اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم
فان هذا مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا في طاعته فقالوا ربنا رب السموات والارض وقيل اذ قاموا
اي انبعثوا بالعزم الى الفرار بالدين والخروج من الاوطان والنعيم وترك الدعوة من دون الله الها لقد قلنا اذا شططا
اي قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والشطط في القول هو البعد عن الحق هؤلاء
قومنا عطف بيان لهؤلاء اتخذوا خبر المبتدا وهو اخبار في معنى الانكار وهذا القول من الفتية اي قال الفتية
هؤلاء الذين كانوا في زمن دقيانوس عبدوا الاصنام وهذه المقالة تصلح ان تكون مما قاله الفتية في مقامهم بين
يدي دقيانوس وتصلح ان تكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للامر الذي عزموا عليه لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فهلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين على عبادة الاوثان فمحال وهذا من مقال الفتية وهو دليل
على فساد التقليد فيما يتعلق بالوحدانية ولا بد فيه من الحجة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم
من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ● واذ اعتزلتموهم خطاب
من بعضهم لبعض حين صمموا عزيمتهم على الفرار بدينهم اذ كان القيام في قوله اذ قاموا عبارة عن انبعاثهم
بالعزم على الفرار بالدين واذا كان القيام هو القيام بين يدي دقيانوس فلا يصلح هذا الكلام ان يكون مما قالوه
بين يدي دقيانوس بل يكون في الكلام حذف تقديره وقال بعضهم لبعض وبهذا يترجح ان يكون المراد من القيام
الانبعاث بالعزم وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب في اعتزلتموهم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء
متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويعرفون اسمه كما كان اهل مكة لكنهم يشركون اصنامهم معه
في العبادة لان الاعتزال وقع في كل ما يعبدونه الا في جهة الله ويجوز ان يكون استثناء منقطعا ان كان الكفار الذين
اعتزلهم الفتية لا يعرفون الله ولا يعلمون به وانما يعتقدون الآلهة في اصنامهم منقطع وقيل قوله وما يعبدون الا الله جملة
منفية معترضة بين اذ وجوابها التقدير واذ اعتزلتموهم فأووا الى الكهف والجملة المنفية المعترضة اخبار من الله تعالى عن
الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فأووا الى الكهف هو جواب اذ كما يقول اذ فعلت كذا فافعل كذا ومعناه انه قال بعض
الفتية لبعض واذ فارقتموهم هؤلاء قومنا الذين اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها من دون الله فاجعلوا الكهف ماوى لكم ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي ما ترتفقون به قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء

ونافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهو لغة اهل الحجاز فيما ارتفقت به انما قالوا ذلك لثقتهم بفضل الله وقوة
رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا قيل وهذا كله دعاء بحسب
الدنيا وهم على ثقة من الله في امر آخرتهم قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا
غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا ● وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ● اي تميل
واصل تزاور تتزاور فسكنت التاء الثانية وادغمت في الزاي ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين اي
ترى ايها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم
يكون على هذا النحو ومعناه انك لو رايته لرأيته على هذه الصورة واذا غربت تقرضهم تقطعهم لا تقربهم اي تعدل عن
سمتهم الى جهة الشمال قيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف
واذا غربت كانت على شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الملائم يصل اليهم
ان الله تعالى صان اصحاب الكهف من ان يقع عليهم ضوء الشمس فيفسد اجسامهم فكان يصل اليهم الهواء الطيب والنسيم
من جانب الشمال لتصون اجسامهم من التعفن والفساد وقيل ان المراد ان الله تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم عند
طلوعها وغروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة لهم حفظ الله تعالى اصحاب الكهف بهذه الكرامة قوله تعالى ذلك
من آيات الله ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لكان ذلك امرا معتادا وهم في فجوة
في متسع منه من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله مع انهم في مكان متسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها
عنهم وقيل في متسع من كهفهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم لا يحسون كرب الكهف ذلك اي ما صنع الله بهم من
ازورار الشمس عنهم طالعة وغاربة آية من آيات الله تعالى
اختصاصها لهم بالكرامة ومن قال ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش وهم في مكان لا تطلع عليه الشمس ابدا قال
معنى ذلك من آيات الله شأنهم وحديثهم من آيات الله ثم بين الله تعالى انه كما انه ابقاهم هذه المدة الطويلة مصونين
من الهلاك بلطف الله وكرمه فكذلك اهتداؤهم الى الايمان والفرار بالدين الحق بهداية الله تعالى من يهد الله فهو
المهتد مثل اصحاب الكهف ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا كدقيانوس الكافر ومن تبعه والآية ظاهرة في انه
على مذهب اهل السنة وتفسير الهداية باللطف والاضلال بالخذلان كما هو مذهب المعتزلة لصرف اللفظ عن
الحق الى خلافه الباطل قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وتحسبهم خطاب لكل احد لئلا
يتعين المخاطب تحسبهم ايقاظا وهو جمع يقظ وهم رقود نائمون قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر
لاجل ذلك ايقاظا وقيل يدل على ذلك قوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال فان التقليب انما كان دليلا على
ذلك لمن يكون كثير التقلب الآية لم تنسق الاخبار تعالى قيل لهم تقليبان في السنة وقيل تقليبة واحدة
في كل تسع سنين وقيل انما تقلبوا في التسع الاواخر ولم يكن تقليب قبلها عن ابن عباس رضي الله عنهما لو مستهم
الشمس لاحرقتهم ولولا التقليب لاكلتهم الارض وفائدة تقليبهم لئلا تأكل الارض لحومهم ولا تبليهم ذات
منصوبة على الظرف لان المعنى نقلبهم في ناحية اليمين وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل
لا يعمل اذا كان بمعنى المضي واضافته اذ ذاك لا تفيد التعريف الا اذا اريد حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل
الباب لو اطلعت اشرفت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اي فزعا وخوفا والرعب الخوف الذي يملأ الصدر
قرأ ابن كثير ونافع ولملئت مشددة مهموزة والباقون بتخفيفه مهموزة وذلك لما احدث الله تعالى فيهم من الهيبة
وقيل لطول شعورهم واظفارهم وبقاء اعينهم مفتوحة وهم نيام فلهذا لو رآهم الرائي لهرب منهم فزعا وقيل لوحشة مكانهم
وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما
ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم
فبعث اناسا فبعث الله ريحا فاحرقتهم قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا
اذا ابدا ● تقديره وكما انمناهم كذلك بعثناهم اذكارا لقدرته على الانامة والبعث جميعا وقيل والتنبيه
هدى وربطنا على قلوبهم وضربنا على آذانهم وانمناهم وبعثناهم احياء لا يأكلون ولا يشربون ونقلبهم كذلك
بعثناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا
على عظيم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وقيل يجوز ان يكون المقصود من بعثهم ان يتساءلوا
ويتبين لهم امرهم لانهم اذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله امور عجيبة واحوال غريبة
الانكشاف امر مطلوب وقيل اللام في قوله تعالى ليتساءلوا لام العاقبة كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم لم يكن
لاجل تساؤلهم قال تعالى قال قائل منهم من اصحاب الكهف كم لبثتم كم مقدار لبثكم في الكهف فهذا القول من القائل
يدل على انه احس في خاطره طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة ببعض الخروج قالوا لبثنا يوما او بعض يوم

بني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان يكون خطأ روي
انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فقالوا يوما فلما راوا الشمس باقية قالوا او بعض يوم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وردا لعلم مدة لبثهم الى الله تعالى كان
هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله قيل لما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم وقالوا اذ رأوا في وجوههم آثار التغير لئن علموا ان مثل ذلك لا يحصل الا في مدة متطاولة فقالوا
ذلك فابعثوا اي قالوا ربكم اعلم بمدة لبثكم لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا احدكم بورقكم
بفضتكم هذه قرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء خفيفة قيل كانت معهم
دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم الى المدينة قيل طرسوس روي انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو
تمليخا وان باب الكهف انهدم للكفار منه لطول السنين بعد ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ تمليخا ثيابا
رثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدوم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم
يتحير وهو في ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها امارة الاسلام
فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيانوس وبالامس كنا معه بحيث كنا فنهض الى باب آخر فرأى نحو ذلك حتى مشى الابواب
كلها فازدادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه فظن انه جن وانفس عقله
فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى بايع الطعام الذي اراد شراءه فقال يا عبد الله بعني من طعامك بهذا الورق فدفع
اليه دراهم خلاف الدراهم التي في نقد المدينة في ذلك الوقت فتعجب لها البياع وتعاطاها الناس وقالوا هذه دراهم
عهد دقيانوس من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويتحير وقد كان بالبلد مشهورا هو وبيته فقال ما اعرف
غير اني واصحابي خرجنا بالامس من هذه المدينة فقال الناس مجنون اذهبوا به الى الملك ففزع عند ذلك فذهب به حتى
جيء به الملك فلما لم ير دقيانوس الكافر تأنس وكان ذلك الملك مؤمنا فاضلا يسمى تيدوسيس فقال له الملك اين وجدت
هذا الكنز فقال انما خرجت انا واصحابي امس من هذه المدينة فاوينا الى الكهف الذي في جبل انجلوس فلما سمع الملك وكان
قال الملك لعل الله قد بعث لكم ايها الناس آية فلنسر الى الكهف معه حتى نرى اصحابه فساروا وروي ان الملك او بعض
جلسائه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيانوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة فسار
الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال تمليخا ادخل عليهم لئلا يفزعوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر
وان الامة امة اسلام ففرحوا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم
ماتوا حين حدثهم تمليخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل الناس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم
موتى فتنازعوا بحسب ما يأتي في تفسير الآية التي بعد هذه الآية وقيل ثم تذهبوا ما كان معهم من الورق عند فراشهم
دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية
القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك فما حكي عن بعض
صعبا لينا لعلمائه انه كان شديد الحنين الى ان يحج بيت الله وقد علم منه التقشف فكان يستتر من اهل بيته كلما قرم
على حج انوه فيدلوا له ان يحجوا من الحلال فيستدر اليهم ويحملوا اليهم من بكسرهم فاذا انقضوا عنه قال من عند الله
السفر الاستاذ شد الهميان فالتوكل على الرحمن وفي هذه البعثة الوكالة وصحتها وقد وكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا
عند عثمان رضي الله عنه فلينظر ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسئل القرية ازكى احل واطيب طعاما ما ولكنه
رخص من غير شبهة عن ابن عباس احل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وعن مجاهد كان
ملكهم ظالما فقوله ايها ازكى طعاما ابعد من الغضب وقيل ايها اكثر وارخص وقيل اكثر بركة قال الزجاج ايهم مرفوع بالابتداء
ازكى خبره طعاما نصب على التمييز فليأتكم برزق منه تأكلونه وليتلطف في امر التخفي وليدقق النظر لئلا يعرف اي دخول
المدينة وشراء الطعام لئلا يطلع عليه ولا يشعرن بكم احدا اي ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بكم فسمي
ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه ولا يخبرن بكم وبمكانكم احدا من اهل المدينة انهم ان اهل المدينة ان يظهروا
ان يطلعوا او يظفروا عليكم اي انفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وقيل يرجموكم
بيذكر او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم يقولون
ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل وقيل يردوكم الى دينهم ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم في ملتهم لم تسعدوا
في الدنيا ولا في الآخرة فاذا تدل على الشرط قيل الاخرة على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين احدهما هلاك النفس
وهو الرجم الذي هو اخبث انواع القتل والآخر هلاك الدين بان يردوكم الى الكفر وقيل انهم لو اكرهوا على الكفر
حتى اظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم لو ردوا
هؤلاء المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه ثم بقوا مظهرين لذلك الكفر فانه يميل قلبهم اليه ويصيرون كافرين في الحقيقة
فلذا الاحتمال قائم وكان تخوفهم منه **قوله تعالى** وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب
فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فالمعنى كما زدناهم

هدى وربطنا بالصبر على قلوبهم وانمناهم وقلبناهم وبعثناهم لما فيها من الحكمة اعثرنا اطلعنا عليهم غيرهم يقال عثرت
على كذا اي علمته وقالوا ان اصل هذا ان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه فعرفه فكان العثار سببا لحصول العلم
فاطلق اسم السبب على المسبب ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث روي ان ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا
للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الوقت فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح يبعث واما
الجسد فتأكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع الى الله تعالى ان يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في هذه
المسئلة فاطلعه الله على امر اصحاب الكهف فاستدل ذلك الملك بواقعتهم على صحة بعث الاجساد لان انتباههم
بعد ذلك الزمان الطويل يشبه من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا شك فيها لبعض الناس قد لا يحققها
شيء اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث
وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين
ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها الارواح كما كانت قبل الموت فالقائلون بالبعث استدلوا بهذه على صحة البعث
وقالوا كما قدر الله على حفظ الاجساد مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين كذلك يقدر على حشر الاجساد بعد موتها
وقيل ان الملك وقومه لما رأوا اصحاب الكهف ووقفوا على حالهم عاد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فاختلف
الناس فقال بعضهم نيام كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا وقيل قال بعضهم الاولى ان يسد باب الكهف
لئلا يدخله احد ولا يقف على احوالهم انسان وقال بعضهم الاولى ان يبنى على باب الكهف مسجد وقيل ان الكفار قالوا
انهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا وقال المسلمون بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا
في قدر مكثهم وقيل تنازعوا في عددهم واسمائهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف
ابنوا عليهم بنيانا ذلك على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس صيانة لهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قيل انه من كلام المتنازعين كانهم لما تنازعوا امرهم وتناقلوا
الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلم يهتدوا الى الحقيقة قالوا ذلك ربهم اعلم بهم وقيل انه من كلام الله
ذكره رد القول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اهل الكتاب قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم وقيل الذين غلبوا
اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لنتخذن عليهم مسجدا اي لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم
وما اظهر الله من الآيات فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون
الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب الكهف بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل
فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم الكلب فطردوه فانطقه الله فقال
الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم الراعي على دينهم ودخلوا
الكهف فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على آذانهم الحجاب وقيل ان يبعثهم الله ملك المدينة رجل صالح مؤمن
وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسأل الله ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل
من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك
عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف
مسجدا ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة الضمير في قوله سيقولون للخائضين في قصة اصحاب الكهف في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المؤمنين واهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى
اليه فيهم فنزلت اخبارا بما يجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم يقول سبعة وثامنهم كلبهم
وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال
المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومشلينا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم حين هربوا من دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير واعلم ان اكثر المفسرين
على ان هذا الاخير وهو انهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هو الحق ومما يدل على الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي
تدخل على الجملة الواقعة حالا من النكرة نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا

وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصال الموصوف
بالصفة امر ثابت مستقر وكانت هذه الواو هي التي دلت على ان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه
عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين رجما بالغيب واتبع
القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل فاتباع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتباع القول الثالث قوله
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل يوذن بان القول الثالث متميز عن القولين الاولين بمزيد القوة وصح
عن ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم
سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات ثم نصا قال الله تعالى ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي انه حصل
العلم بعدتهم لذلك القليل وكل من قال من المسلمين قولا في هذا الباب قالوا انهم سبعة وثامنهم كلبهم فالظاهر
ان المراد من ذلك القليل هؤلاء الذين قالوا انهم سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا
من اولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم ذكر الامام وجوها في بيان ان الحق هو هذا
منها انه تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا يدل على ان قليلا لهم
العلم بعددهم والظاهر انه تعالى حكى الاقوال جميعا اذ يبعد ان يذكر الاقوال الباطلة ولا يذكر القول الحق و
الاقوال المذكورة منحصرة في الثلثة ثم خص الاولين بالرجم بالغيب فظهر ان الحق هو الثالث ومنها انه تعالى
قال لرسوله فلا تمار فيهم الا مراء ولا تستفت فيهم منهم احدا فنهاه تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم
في هذا الباب وهذا انما يكون لو علم حكم هذه الواقعة وقال لا يعلمهم الا قليل ويبعد ان يحصل العلم لغير النبي
ولا يحصل للنبي فظهر ان العالم بهذه الواقعة حصل للنبي صلى الله عليه وسلم والظاهر انه لم يحصل هذا للنبي
الا بهذا الوحي لان الاصل عدم غيره فظهر ان الحق هو القول الثالث وهو قوله وثامنهم كلبهم قال ان هذه
الوجوه وان كان فيها بعض الضعف لكن اذا تقوى البعض بالبعض حصل منه قوة واعلم انه تعالى جاء بسين
في الاول دون الاخيرين وفيه وجهان احدهما ان يدخل الاخيرين في حكم الاول فما كرروا انهم تريد معنى التوقع
في الاكرام والانعام وثانيهما ان يريد بقوله يقولون في الاخيرين معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلثة
خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلثة وكذا الخمسة والسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة
صفة لثلثة وكذا سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم رجما بالغيب الرجم الرمي بالغيب ما غاب عن الانسان
اي رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به مغنيا انه بمعنى غاب عنه ولا يعرفونه بالحقيقة
يقال فلان يرمي بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر ووضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم كثيرا
ما يقولون رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين فان قيل ما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين اجيب عنه من وجوه منها ما ذكرناه انه هو الواو الداخلة على الجملة الواقعة
صفة وانما دخل على الاخيرة دون الاولين ليفيد ثبوت الاخيرة دون الاولين ليفيد ثبوت الاخيرة
دون الاولين وقيل ان هذه الواو واو عطف دخلت في آخر اخبار عن عددهم ليدل على ان العدد الذي
قبل الواو نهايتها فيما قيل ولو سقطت لصح الكلام وقد كان ذلك لان العرب اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل
على الاستيناف فجعلوا الواو ثمانية وتسمى فرقة هذه الواو واو الثمانية وذكر ان العرب تقول واحد اثنان ثلثة
اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا العشرة ونظيره قوله تعالى
التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله في صفة اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق لان العلم
بتفاصيل كاينات العالم والحوادث الماضية والمستقبلة لا يكون الا لله او لمن اخبره الله منها الا قليل الظاهر
ان الذين هم القائلون بالقول الثالث وهم الذين علموا من الرسول باخبار الله عن ابن عباس انا من اولئك القليل فانه
علم ببيان الرسول وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي
سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين قوله تعالى فلا تمار فيهم
اي فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك
فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا
تستفت ولا تسأل احدا من اهل الكتاب عن قصة اصحاب الكهف سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه
وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك
بان اوحى اليك قصتهم قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا • اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك
الشيء غدا فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل
لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي
تعلق قوله الا ان يشاء الله بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
ان تقوله بان يأذن لك في ذلك القول والمعنى انه ليس لك ان تقول اني فاعل ذلك غدا الا اذا اذن الله تعالى لك

في ذلك

[illegible]

هذا التذكر وكل مرة لا يجب هذا الذكر قال انما يجب لدفع الحنث ويفيد المطلوب قال الفقهاء لو جوزنا ذلك لزم
ان لا يستقر شيء من العهود والايمان يحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل
المنفصل بحسب الزمان فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى
ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه وثانيهما ان قوله واذكر ربك اذا نسيت
لا تعلق له بما قبله بل هو كلام مستانف وعلى هذا القول ففيه وجوه منها واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت كلمة الاستثناء والمراد منه الترغيب في الاهتمام بذكر هذه الكلمة ومنها واذكر ربك اذا تركت بعض الخير
به ومنها واذكر ربك اذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى
ان يهديني ربي لشيء آخر بدل المنسي او نبينه رشدا وادنى خيرا ومنفعة من المنسي كان نحن ككقوله تعالى او ننسها
نات بخير منها او مثلها ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي من عند الله صادق في ادعاء النبوة ما هو اعظم
في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل الله ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو
اعظم من ذلك وادل منها وقوله لاقرب من هذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه
احدا • هذه الآية آخر الآيات المذكورة في قصة اصحاب الكهف عن قتادة ان هذا حكاية لكلام اهل الكتاب فانه تعالى
قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم الى ان قال ولبثوا في كهفهم اي قال اهل الكتاب انهم لبثوا في كهفهم ويؤكده انه
تعالى قال بعده قل الله اعلم بما لبثوا وهذا يشبه الرد عليهم ويؤكده ما ورد ايضا في حرف عبد الله بن مسعود وقالوا لبثوا
في كهفهم وكلام الله تعالى انه اخبر عن كمية تلك المدة اي لبثهم في كهفهم احياء مضروبا على آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا
تسعا وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه
اعلم من الذين اختلفوا في اصحاب الكهف بمدة لبثهم والحق ما اخبر الله به واما قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم
فهو كلام مر تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يقتضي انقطاع احدهما عن الاخر وهو قوله ولا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا لا يستدعي ان يكون ما قبله حكاية لان المراد قل الله اعلم الحق لا المختلفين
من الذين اختلفوا فيهم فارجعوا الى خبر الله دون ما يقوله اهل الكتاب فان الحق ما اخبر الله به سنين عطف بيان
لثلثمائة فانه لما قال ثلثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او اعوام فلما قال سنين صار بيانا لثلثمائة وازدادوا تسعا اي
ازدادوا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه فان قيل لم يقل ثلثمائة وتسع سنين وما الفائدة في قوله وازدادوا
تسعا قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلثمائة سنة شمسية وهي ثلثمائة وتسع سنين قمرية وهذا
ليس بصواب لان الحساب لم يبلغ فيه ويمكن ان يقال لعلهم استكملوا ثلثمائة سنة وقرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اتفق من بقائهم في النوم
بعد ذلك تسع سنين ثم قال تعالى قل الله اعلم بما لبثوا معناه انه تعالى اعلم بمقدار هذه المدة من الناس
الذين اختلفوا لاختصاصه بما في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلها والدلالة على ان امره في الادراك خارج عن
حد ما عليه ادراك المبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن
كما يدرك الظواهر ما لهم من دونه اي ما لاهل السموات والارض من ولي يتولى امورهم وقيل ما لاصحاب الكهف من دون الله من ولي
يتولى امورهم ويقيم لهم تدبير انفسهم فاذا كانوا محتاجين الى تدبير الله وحفظه فكيف فهذا المقدار ليس لاحد ان يقول
قولا بخلافه واختلف الناس في زمن اصحاب الكهف وفي مكانهم اما الزمان الذي كانوا فيه فقيل انهم قبل موسى عليه السلام
وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا السبب سال اليهود عنه وقيل انهم دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر المسيح عليه السلام

يخرجهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقيل انهم دخلوا الكهف بعد المسيح وقال قوم
انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة واما مكان الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق
انفذه ليعرف حال اصحاب الكهف والرقيم الى ملك الروم قال فوجه ملك الروم معي اقواما الى الموضع الذي
يقال انهم فيه قال وان الرجل الموكل بذلك الموضع فزعني من الدخول عليهم قال فدخلت فرايت الشعر على صدورهم
قال وعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة لابدان الموتى لتصونها عن البلى
مثل التلطيخ بالصبر وغيره ثم قال القفال والذي عندنا انه لا يعرف ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف او موضع
اخر ولا خبر فيه لاهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع اصحاب الكهف قال ابن عطية وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس الى الكهف فوجدوا عظاما فقالوا هذه عظام
اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك قوم قد تقدموا منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال ما كنت احسب ان احدا من
العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا فسكت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف
وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا
اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فقال معوية لا انتهي حتى اعلم حالهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم
ريحا فاحرقتهم قال الامام العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص
وذلك مفقود فلا سبيل اليه قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا ● اعلم ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقران غير هذا او بدله فقال تعالى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران اي الزم قراءة ما اوحي اليك والزم العمل به ولا تتبع لما يهذون
من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية
مكان اية والله اعلم بما ينزل ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال الامام وهذه الاية يمكن التمسك
بها في اثبات ان تخصيص النص بالقياس لا يجوز لان قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك معناه الزم العمل بمقتضى
الكتاب وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان قيل فيجب ان لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا مذهب ابي مسلم الاصفهاني
وليس ببعيد ايضا فان النسخ ليس بتبديل في الحقيقة لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون
تبديلا قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ● قرا ابن عامر بالغداة
بضم الغين وسكون الدال وفتح الواو والباقون بفتح الغين والدال والالف بعد الدال سبب نزول هذه الاية ان
صناديد قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم عمار
وياسر وصهيب وابن مسعود وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك
واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي دائبين على الدعاء مواظبين
عليه في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقيل المراد الغداة والعشي لان الغداة هي الوقت الذي ينتقل الانسان
من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو الذي ينتقل الانسان فيه
من اليقظة الى النوم وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الحياة الى الموت والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين
كثير الذكر لله عظيم الشكر لآلائه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم
السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليهم وجلس بينهم وقال
الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معه وروي انه قال مرحبا بالذين عاتبني فيهم ربي ثم قال تعالى ولا تعد عيناك
عنهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين معنى نبا وعلا في قولك
نبت عنه عينه وعلت عنه اذا اقتحمته ولم تعلق به قال صاحب الكشاف فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا
قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى
كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم والمقصود انه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم اي حسنهم تريد
زينة الحياة الدنيا في موضع الحال يعني ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك في زينة الحياة الدنيا ولما
بالغ في امره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى اقوال الاغنياء الغافلين عن ذكر الله فقال ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واحتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة في قلوب الجهال والغافلين
قال صاحب الكشاف اغفلنا قلبه اي جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او اغفلنا قلبه وجدناه غافلا عنه
كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم قاتلناكم فما اجبناكم وسالناكم
فما ابخلناكم وهجوناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه
بالذكر ومعنا ابطل الله قول المجبرة بقوله واتبع هواه بيان ذلك من وجهين احدهما انه لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا
لوجب ان يقال فاتبع هواه بالفاء لان التعقيب يكون اتباع هواه من الافعال المطاوعة مما تعطف بالفاء يقال دفعته فاندفع وكسرته

فانكسر

فانكسر ولا يقال دفعته واندفع وكسرته وتبعه ثم انه تعالى قال واتبع هواه ولو كان تعالى جعل قلبه غافلا حقيقة لم يجز ان يضاف
ذلك الى اتباعه هواه وايضا فانه تعالى قال بعد هذه الاية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو كان انه تعالى خلق الغفلة في
قلبه لما صح ذلك والجواب عن قوله جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان ان كان ذلك الخذلان امرا مستلزما لحصول تلك
الغفلة فقد صح قولنا والا بطل اسناد الغفلة الى الله وعن قوله اغفلنا اي وجدناه غافلا ان الاشتراك
على خلاف الاصل فيكون الافعال حقيقة في احدهما مجازا في الوجدان اولى من العكس فان الافعال في الايجاد
اكثر من الافعال في الوجدان والكثرة دليل الرجحان وعن قوله لو كان المراد انه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب ان يقال
فاتبع هواه انما يلزم ذلك لو كان خلق الغفلة عن ذكر الله ولا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا لا ابتاع في مقام الحيرة
وعن قوله لو كان تعالى جعل قلبه غافلا عن الذكر حقيقة لم يجز ان يضاف ذلك الى اتباع هواه فان اتباع الهوى ان لم يكن بمشيئته
فهو بخلق الله وان كان بمشيئته فتلك المشيئة بخلق الله فاضطر الى اتباع الهوى فهو من الله قال الامام قالت المعتزلة
قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان الامر في الايمان والكفر مفوض الى مشيئة العبد واختياره
فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القران ولقد سالني بعضهم عن هذه الاية فقلت هي من اقوى الدلائل على صحة قولنا وذلك لان الاية
صريحة في ان حصول الايمان وحصول الكفر موقوفان على حصول مشيئة الايمان وحصول مشيئة الكفر وصريح العقل
ايضا يدل على ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه وبدون الاختيار له اذا عرفت هذا فنقول
حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد اخر يتقدمه واختيار اخر يتقدمه لزم ان يكون كل قصد واختيار
مسبوقا بقصد اخر واختيار اخر الى غير النهاية وهو محال فوجب انتهاء تلك القصود وتلك الاختيارات الى قصد
واختيار يخلقه الله في العبد على سبيل الضرورة وعند حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يجب
الفعل فالانسان شاء او لم يشأ فانه يحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالية عن المعارض واذا حصل
تلك المشيئة الجازمة شاء او لم يشأ يجب ترتب الفعل عليه فلا حصول المشية ولا حصول الفعل مرتبا على المشية
به فان الانسان مضطر في صورة مختار ولقد قرر الشيخ ابو حامد الغزالي في باب التوكل من احياء علوم الدين فقال
فان قلت اني اجد من نفسي وجدانا ضروريا اني ان شئت الفعل قدرت عليه وان شئت الترك قدرت عليه
فالفعل والترك لي لا بغيري فاجاب عنه فقال هب انك تجد هذا المعنى ولكن هل تجد من نفسك انك ان شئت مشيئة
الفعل حصلت تلك المشية وان لم تشأ لم تحصل لا بل العقل يشهد بانه يشاء الفعل لا بسبق مشية اخرى على تلك المشية
واذا شاء الفعل وجب حصول الفعل من غير مكنة واختيار فحصول المشية في القلب امر لازم وترتب الفعل
على حصول تلك المشية ايضا امر لازم وهذا يدل على ان الكل من الله وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله يدل
على ان الايمان والكفر وان كان متعلقا على مشيتنا فهما بمشية الله لان مشيتنا مرتبة على مشية الله تعالى واعلم
ان قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يدل على ان شر احوال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن
ذكر الله متبعا للهوى الداعي الى الاشتغال بغير الحق فان ذكر الله مطلع النور وذكر غيره منبع الظلمة فالقلب اذا اتى
فيه ذكر الله حصل فيه النور واذا اغفل عن الحق واشتغل بالخلق حصل فيه الظلمة فلهذا السبب اذا اعرض القلب
عن الحق واقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال
~~على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب ... اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال~~
على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط
متقدم للخيل ومعناه ان الامر الذي يجب ان يلزمه من الحفظ والاهتمام بشئون دينه يكون ضيعا بايقاع التفريط والتقصير فيه
وهذه صفة من لا ينظر في دينه وانما همه الدنيا فانه تعالى بين حال من اغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه الذي امره فرطا اي انه
مقصر في مهماته يعرض عما وجب عليه من التدبر في الآيات والتحفظ لمهمات الدنيا والاخرة والحاصل انه تعالى وصف
اولئك الفقراء بالمواظبة على ذكر الله والاقبال على الله والاعراض عن غير الله فقال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ووصف هؤلاء الاغنياء بالاعراض عن ذكر الله والاقبال على غير الله فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يصبر نفسه مع الاولين ونهاه عن طاعة الاخرين ليستتر بعضهم
وبلال يقرؤن من القران فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان لنا قارئ يقرأ
من كتاب الله ونحن نستمع فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا
وقال ابشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خمسمائة سنة قوله تعالى
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ● لما امر الله رسوله بان يصبر نفسه مع اولئك الفقراء
ونهاه عن الالتفات الى الاغنياء قالوا فاطرد هؤلاء الفقراء قال تعالى وقل الحق من ربكم اي قل لهم ان هذا الدين الحق انما اتى من عند
ربكم فان قبلتموه عاد النفع عليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والخمول
والشهرة وقيل المراد ان الحق ما جاء من عند الله والحق الذي جاءني من عند الله ان اصبر نفسي مع هؤلاء الفقراء ولا اطردهم
ولا اطيع الاغنياء الغافلين وقيل المراد هو ان الحق الذي جاء من عند الله ان يقال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وان الله
لا ياذن في طرد من امن وعمل صالحا لاجل ان يدخل في الايمان جمع من الكفار فان قيل جميع الامر على المهم مقتضى العقل في

وعطرًا ولباس الفقر لا يوجب الا كسر حرمتهم وهذا ضرر دنيوي قليل اما عدم طردهم ففيه تحصيل بقاء الكفار على الكفر
وهذا ضرر عظيم اجيب بان من ترك الايمان حذرًا من مجالسة الفقراء فايمانه ليس ايمانا بل هو نفاق فاحش فالعاقل لا يلتفت
الى ايمان من هذا حاله وصفته والامر في قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر للتهديد والوعيد لا للطلب
نقل عن علي رضي الله عنه ان هذه الصيغة تهديد ووعيد وليس بتخيير وقل الحق خبر مبتدا محذوف تقديره
وقل الذي اتيتكم به الحق من ربكم والحق حاصل في من ربكم فان قيل لم لم يجعل الحق مبتدا ومن ربكم خبره اجيب بان
قوله الحق من ربكم كالفذلكة بما ذكر من مفتتح السورة او لجمع ما جاء به صلى الله عليه وسلم ثم ترتب ما بعده بالفاء
عليه وذلك انما يستقيم اذا جعل الذي اتيتكم مبتدأ والحق خبره اي الذي جئتكم به الحق من ربكم فيكون المعنى
ما جئتكم من الكتاب الكريم العري من الاعوجاج الظاهر الاعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوي على مكارم الاخلاق
المرشد للعدل والاعتدال المزيل للريب والشبهات هو الحق من ربكم ثم رتب عليه وعيد من كابر عقله ومن عاند ربه
ودفع الحق الصراح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك
بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات وعن مجاهد والسدي وعيد من الله وانذار وقد يعبر به عن الكافر
من مؤمن او كافر وقيل قل لهم يا محمد هذا الحق يعني هذا القرآن من ربكم وهذا الاعراض عنكم وترك الطاهر لكم
اليقين مع المؤمنين وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لوعيد وتهديد اي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا
عند الله وقيل معناه فمن شاء الله ايمانه فليؤمن ومن شاء الله كفره فليكفر لضعفه الايمان وحقل الكفر ثم عبر
عن ذلك بلفظ الامر الزاما وتحريضا من حيث ان الانسان في ذلك التكسب الذي يتعلق به ثواب الايمان وعقاب
الكفر ولما علق الامر بالايمان والكفر على المشية ابتعه بذكر الوعيد على الكفر والسيئات وبذكر الوعد على الايمان
والعمل الصالح اما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اعتدنا ماخوذ من العتاد وهو الشيء المعد الحاضر
اي اعتدنا للظالمين الغافلين عن ذكر الله المتبعين للهوى نارا احاط بهم سرادقها وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط
شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق اي يحيط النار بهم من جميع الجهات لا يخلص لهم منها وقيل السرادق
دخان يحيط بهم قبل دخولهم النار وان يستغيثوا اي وان يستغيثوا من حر جهنم يغاثوا بماء كالمهل وارد على
سبيل التهكم كقولهم تحية بينهم ضرب وجيع وكقوله فاعتبوا بالصيلم السيف والمهل ما اذيب من جواهر الارض
كالذهب والفضة والرصاص وقيل دردي الزيت روي ان عبد الله بن مسعود اهديت اليه سقاية من ذهب
او فضة فامر بها فاذيبت حتى تميعت وتلونت الوانا ثم دعى من ببابه من اهل الكوفة فقال ما رايت في الدنيا
ادنى شبها بالمهل من هذا وقيل المهل الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتمل ان يكون هذه الآية
لانهم طلبوا ما يشربون فيسقون من المهل قال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ويحتمل ان يستغيثوا من حر جهنم
وطلبوا ما يصبونه على انفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء وقال في آية
اخرى سرابيلهم من قطران فاذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص يشوي
الوجوه اذا قدم للشرب يشوي وجوههم من حرارته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت
بئس الشراب اي الماء الذي كالمهل وساءت النار مرتفقا اي منزلا ومجتمعا للرفقة لان اهل النار يجتمعون رفقاء
كاهل الجنة وقيل مرتفقا متكأ من المرفق وهو ما ارتفقت به اي اتكأت عليه وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء **قوله تعالى** ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن
عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من
سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ● لما ذكر الوعيد على الكفر
والسيئات اردفه بذكر الوعد على الايمان والحسنات وعطف وعملوا الصالحات على آمنوا يفيد مغايرة الايمان
للعمل الصالح انا لا نضيع اجر من احسن عملا حكم الوعد على سبيل الفضل لا لانا نفعل لذاته او لصفة لازمة
او بوجه واعتبار يقتضي الاجر انا لا نضيع خبر ان ولما كان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ممن احسن عملا اقيم
الظاهر مقام المضمر اي منهم وقيل يجوز ان يكون اولئك خبرا ثانيا لانه يجوز ان يكون اولئك خبر ان وانا لا نضيع
اعتراض ويجوز ان يجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فانه تعالى لما اثبت الاجر المبهم اردفه بالتفصيل
يحلون فيها اي يحليهم الله او الملائكة فيها من اساور جمع اسورة وهي جمع سوار قال المفسرون لما كانت الملوك
تلبس في الدنيا الاساور في اليد والتيجان في الرأس جعل الله ذلك لاهل الجنة عن سعيد بن جبير يحلى كل واحد
من اهل الجنة ثلاثة من الاساور واحد من ذهب لقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ وواحد من فضة
لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن ومن في من اساور للابتداء ومن في من ذهب
للتبيين ويلبسون ثيابا خضرا من سندس من ديباج رقيق واستبرق ديباج غليظ وهما معربان قيل قال تعالى
في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم فاعله وفي السندس والاستبرق ويلبسون على فعل مسمى فاعله اشارة الى ان الاول
تفضل والثاني جزاء العمل متكئين فيها بيان لكيفية جلوسهم والاتكاء التحامل على الشيء على الارائك جمع الاريكة
وهي السرير في حجلة وهي بيت تزين بالثياب والاسرة والستور وقيل الارائك الفرش في الحجال وقيل الفرش وقيل
الاسرة وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين على اريكتهم نعم الثواب في مقابلة بئس الشراب وحسنت مرتفقا قوله

[illegible]

طروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة
بالف دينار فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف دينار فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى
اخوه جنة وضياعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف دينار فتصدق به ثم اصابته
حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما اخوان من بني مخزوم
مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو
الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين سمي البستان جنة لاستتار ما يستتر منه بظل الاشجار
وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين
حوله وحف متعد الى مفعول واحد فيزيد الباء مفعولا ثانيا وكون الجنة من اعناب محفوفة بنخل مما يؤثره الدهاقين
في جناتهم وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا بين الجنتين زرعا جعل الجنتين ارضا جامعة لخير الفواكه الاعناب والنخل
والاقوات ووصفها بالعمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع سعة اطرافها وتباعد اكنافها
وحسن هيئتها ولطف ترتيبها كلتا الجنتين آتت اكلها اي آتت كلتا الجنتين كل وقت منفعته وثمره بعينها ثم نعتهما بوفاء الثمار
وتمام الاكل من غير نقص لكلها اي ثمرها الذي يوكل كلتا الجنتين مبتدأ آتت خبرها حمل على اللفظ لان كلتا لفظه
مفردة ولم تظلم ولم تنقص من اكلها شيئا والظلم النقصان يقول الرجل ظلمني حقي اي نقصني وفجرنا خلالهما نهرا
وسطهما نهرا والتشديد للمبالغة لان النهر يمتد فيكون كالانهار وكان له ثمر قرأ ابو عمرو وثمر بضم ثاء وضمه
وسكون الميم وعاصم بفتح الثاء والميم فيهما والباقون بضمتين فيهما اي انواع من المال غير ثمرها له اذ كان
له كان له مع الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر النعمة من كل وجه متمكنا
من عمارة الارض كيف شاء فقال الاخ الكافر لصاحبه لاخيه المسلم وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع
يعني يسائله فالحاورة كالمراجعة اي الاخ الكافر يحاور المسلم يعني الاخ الكافر اخذ بيد الاخ المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخر بما ملك من المال دونه وقيل وهو يحاوره اي كان الاخ المسلم يحاور اخاه الكافر
بالوعظ والدعاء الى الايمان بالله تعالى قال الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا والنفر عشيرة الرجل واصحابه الذين
يقومون بالذب عنه وينفرون معه ودخل جنته افرد الجنة بعد التثنية اي دخل ما هو جنته ما له جنة غيرها
يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون فما ملكه في الدنيا جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما
وقيل افرد الجنة من حيث الوجود لكونهما لا يدخلهما معا في وقت واحد ثم قال تعالى وهو ظالم لنفسه وهذا اعتراض
وقع في اثناء الكلام والمراد انه معجب بما اوتي مفتخر به كافر بنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش
الظلم ثم حكى سبحانه عن الكافر انه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اخبر عن نفسه بالشك في بيد وجنته لما
هاله وما ابتليه من قيام ساعته واخباره عن نفسه بالشك فيها انما هو لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي
غفلته بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وكثر الاغنياء وان لم يتفوهوا بنحو هذا بالسنتهم فان السنة
احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي باقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
وكما يزعم صاحبه لاجدن منه لاجدن في الآخرة خيرا منها قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع خيرا منهما بزيادة ميم على التثنية والباقون
منها من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله تعالى وادعاء لكرامته على الله ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين
والمال والجاه لكونه مستحقا لها وهذا الاستحقاق معه اينما توجه منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على
التمييز اي ينقلب عنك خير من منقلبه عنه لان تلك فانية وتلك باقية قال له الاخ المؤمن لاخيه الكافر اكفرت بالذي

خلقك اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلق اصله خلقا له ثم من نطفة ثم سواك عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث لان الشاك في البعث كافر وتعرض
لاطوار خلقه يحتمل وجهين الاول ان يشار الى اثبات البعث بالطريقة التي هي مذكورة في القران وهو انه لما قدر
على الابتداء وجب ان يقدر على الاعادة فقوله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اشارة الى خلق الانسان في
الابتداء الثاني ان الله خلقك على هذه الصورة لم يخلقك عبثا قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا بل خلقك للعبودية
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيكون للمطيع ثواب وللعاصي عقاب فلا بد من البعث ليحصل الثواب
والعقاب لكنا قرا ابن عامر لكنا باثبات الالف وصلا ووقفا وكذا قرا نافع في رواية المسيبي والباقون باسقاط
الالف في الوصل لكنا لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت النونان فادغمت نون لكن في نون انا
هو الله ربي هو ضمير الشان اي الشان الله ربي والجملة اسمية اسم مبتدا وربي خبره والجملة في معرض ... وقوله هو الله
ربي خبر انا والراجع منها الى انا الضمير الذي ضيف اليه الرب كما استدرك لقوله اكفرت اي قال الاخ المؤمن
لاخيه الكافر انت كافر بالله لكن انا مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا اي لا ارى الفقر والغنى الا من الله فاحمده
اذا اعطى واصبر اذا ابتلى ولا كثرة الاموال والاعوان من نفسي ثم ذكر له انك لما اغتررت بكثرة المال والجاه كانه
قد اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى ولولا اذ دخلت جنتك وهلا وقت دخولك الجنة قلت ما شاء الله
يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل والخبر محذوف او تقديره اي شيء شاء الله كان اعترافا بان الجنة وكل خير فيها
انما تحصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله اعترافا بان ما قويت
على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبرك الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا قوة الا بالله اذا قالها
العبد قال الله اسلم عبدي واستسلم وفي حديث ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عبد الله بن قيس
الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال افعل يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عن عروة بن الزبير
انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء الله وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج ان ترن لما علم الاخ
المؤمن اخاه الكافر الايمان اجابه عن افتخاره بكثرة المال وعزة النفر فقال ان ترن قرا ابن كثير ترني ولو ... بياء
في الوصل والوقف ونافع وابو عمرو بياء في الوصل والباقون بحذف الياء فيهما وصلا ووقفا انا اقل انا فصل
اقل لانه مفعول ثان لترني وذكر الولد هاهنا يشعر بتفسير النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني اقل مالا
وولدا او انصارا منك في الدنيا الفانية فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك في الاخرة ويرسل عليها على جنتك حسبانا
عذابا او مرامي من السماء والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه
وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي
نحو الصيحة او البرد او الصاعقة الواحدة حسبانة والمراد بها الصواعق فتصبح جنتك صعيدا زلقا ارضا
بيضاء تزلق عليها لملاستها صفة بالمصدر او يصبح ماؤها جنتك غورا غائرا ذاهبا لا سبيل اليه فلن تستطيع
طلبا اي فتصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه واحيط بثمره اخبار من الله عن احاطة العذاب بثمره اي اهلاك
من الله لعن اهلاك ثمر الاخ الكافر بالكلية بحسب ما قدره الاخ المؤمن فاصبح الكافر يقلب كفيه ظهرا لبطن ندما
وتحسرا على ما انفق في عمارة جنته وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن
كما كنى عن الندم والتحسر بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني الكروم ساقطة على عروشها اي سقطت عروش الكروم على الارض وسقطت
الكروم المغروسة على عروشها وقيل المراد من العروش السقوف اي سقطت السقوف على الارض ثم الجدران سقطت
على السقوف والمراد انها بطلت وهلكت قيل ارسل الله نارا فاهلكتها ويقول الاخ الكافر يا ليتني لم اشرك بربي
احدا تذكر الاخ الكافر موعظة اخيه المؤمن حين قال له لا اشرك بربي احدا فعلم انه اتي من جهة شركه
وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا توبة
من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن قرا حمزة والكسائي وخلف يكن بالياء والباقون
بالتاء وقوله له الاخ الكافر فئة جماعة يقدرون على نصرته لا يقدر احد غير الله ان ينصره ولكن الله لم ينصره لقضائه
قال الله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم وما كان منتصرا وما كان ممتنعا
بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية قرا حمزة الولاية بكسر الواو ولله الحق بكسر القاف وابو عمرو بفتح الواو ورفع الحق
ورفع الحق ووافقه الكسائي في رفع الحق لكنه كسر الولاية والباقون بفتح الواو وخفض الحق والولاية بالفتح
النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده
لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك
لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك
الولاية ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالاخ الكافر

اخاه المؤمن

اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو
خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة الولاية لله والمعنى ثواب الله للمؤمنين في الاخرة
افضل من غيره وافضل عقبا اي عاقبة والولاية مبتدا خبره لله والحق بالرفع صفة للولاية وبالجر صفة لله تعالى هو خير
ثوابا تمييز وخير عقبا عطف على خير ثوابا فيكون خير مبتدا وعقبا تمييز وهو في قوله هو خير راجع الى الله
عاصم وحمزة عقبا ساكنة القاف والباقون مضمومة القاف قوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ● هذا
مثل آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها وسرعة فنائها وهو مرتبط بقصة المشركين المتكبرين على الفقراء المؤمنين
بكثرة الاموال وعزة النفر فان الاموال والاولاد زينة الحياة الدنيا الحقيرة الفانية بالسرعة لا يصلحان ان يتكبر بهما
على المؤمنين الذين لهم ما هو خير منهما من الباقيات الصالحات فاضرب لهم ايها الكافرين المفتخرين بكثرة الاموال وعزة النفر مثل
الحيوة الدنيا اذكر لهم المثل فقال كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي التف وتكاثف نبات الارض
بسبب الماء حتى اختلط بعضها بالبعض وذلك لانه عند نزول المطر يقوى النبات ويتكاثف فيختلط البعض بالبعض
ويصير في المنظر في غاية البهجة والحسن والنضارة وقيل فاختلط بالماء نبات الارض حتى روي ورف رفيفا اي
برق وتلالا قال صاحب الكشاف وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين
موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما يابسا متفتتا تذروه تفرقه وتذهب به شبه الحياة الدنيا
في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارقا اي ناضرا ثم يهيج فتطيره الريح كان
لم يكن وكان الله على كل شيء مقتدرا بانشائه واقداره وتزايده وسطا وافنائه آخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر
اولا في غاية النضرة والبهجة ثم تتزايد نضرتها وبهجتها شيئا فشيئا ثم تاخذ في الانتقاص والانحطاط الى ان تنتهي
الى الفناء فالعاقل لا ينبغي ان يبتهج ويفتخر بها على غيره قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا ● لما بين ان الحيوة الدنيا سريعة الفناء قليلة البقاء ثم قال المال والبنون زينة
الحياة الدنيا ليظهر ان المال والبنين سريع الفناء قليل البقاء بالبرهان القاطع بان يقال المال والبنون زينة الحياة
الدنيا وكل ما هو زينة الحياة الدنيا سريع الفناء قليل البقاء فلا ينبغي ان يفتخر العاقل بالمال والبنين ويفرح بحصولهما
ويغتم بزوالهما فهذا برهان قاطع على بطلان قول اولئك المشركين المفتخرين على فقراء المؤمنين بكثرة الاموال والاولاد
ثم ذكر ما يدل على ان ما للفقراء المؤمنين خير مما للاغنياء المشركين فقال والباقيات الصالحات خير يعني ان ما للمشركين
زينة الحياة الدنيا وهي زائلة فانية وما للفقراء المؤمنين الباقيات الصالحات خير من المال الزائل والباقيات الصالحات
هي اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للمؤمنين واعمال الخير هي الاعمال التي دعت الى الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وعبوديته
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انها الصلوات الخمس وبه قال ابن مسعود ومسروق وابراهيم وقيل الكلام الطيب وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان عجزتم عن الليل
ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها
فانهن الباقيات الصالحات وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات فقال هذه الكلمات وعد
فيها لا حول ولا قوة الا بالله لحجة الاسلام الغزالي وجه لطيف في تحقيق هذه الكلمات قال الذي انه اذا قال سبحان الله
حصل له من الثواب عشر درجات فاذا قال الحمد لله صار عشرين فاذا قال لا اله الا الله صار ثلاثين فاذا قال والله اكبر
صار اربعين قال والتحقيق القول فيها ان اعظم المراتب هو الاستغراق في معرفة الله تعالى ومحبته فاذا قال سبحان الله
فقد عرف كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فيحصل بهذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك الحمد لله
فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي هو المبدا لافادة كل ما ينبغي ولافاضة كل كمال وخير فقد تضاعفت درجات
المعرفة فلا جرم تضاعف الثواب فاذا قال معه ذلك ولا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي ليس في الوجود
بهذا الوصف الا الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلثا فلا جرم صارت درجات الثواب ثلثا فاذا قال والله اكبر
ومعناه انه اكبر واعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة اربعا فلا جرم صارت
درجات الثواب اربعا خير عند ربك ثوابا اي ما يتعلق بالباقيات الصالحات من الثواب وما يتعلق بها من الامل خير من
المال والبنين لان صاحب الباقيات الصالحات يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة قوله تعالى ويوم نسير
الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول
مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا ● قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
تسير بالتاء الجبال بالرفع والباقون بالنون الجبال بالنصب ويوم منصوب باذكر مقدرا معطوفا على قوله واضرب
ولما امر الله رسوله بضرب مثل الحياة الدنيا كما انزلناه وحال الحياة الدنيا في الاول والوسط ظاهر محسوس
وفي الاخر غير ظاهر لانه لم يقع بعد امر النبي صلى الله عليه وسلم بذكر حالها آخرا فقال واذكر يوم نسير الجبال الذكر
من احوال القيمة بعضها ان منها تسيير الجبال ولم يذكر في الاية منتهى التسيير فيحتمل ان تسير الى الموضع الذي يريد واخفى
ذلك عن خلقه والحق ان تسيرها الى العدم لقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي فتتت الجبال تفتيتا

غبارا خفيفا منتشرا في الهوى وفيها وترى الارض بارزة اي فترى يا محمد او يا انسان الارض بارزة ليس عليها ما يسترها
مما كان عليها اي لم يبق على الارض شيء من العمارات ولا شيء من الاشجار ولا شيء من الجبال ... بل تبقى ظاهرة مستوية وحشرناهم
اي وحشرناهم فلم نغادر فلم نترك من الاولين والآخرين احدا اي جمعناهم للحساب ولما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية
عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا او صفوفا
جماعتهم كما ترى وكل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي لقد بعثنا كما خلقناكم اول مرة وقيل لقد جئتمونا عراة حفاة
بغير اموال ولا اعوان كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم اي بحشرناهم ملتبسا بغير شيء وترى الآية دلالة على انه يحشرهم قبل ذلك
ثم قال بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور وقد ادركتم
ذلك الوقت وشاهدتم البعث ووضع الكتاب عطف على وعرضوا اي وضع في ذلك اليوم كتاب كل انسان في يده اما في اليمين
واما في الشمال او الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال فترى يا محمد او يا انسان المجرمين مشفقين مما فيه اي خائفين مما
في الكتاب من اعمالهم السيئة خائفين من ظهور ذلك لاهل الموقف فيفتضحون والحاصل انه حصل لهم خوف العقاب من الحق
والفضيحة عند الخلق ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة اي لا يترك شيئا من المعاصي لا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة
الزنا وعن فضيل بن عياض كانوا اذا قرأوا هذه الآية قالوا ضجوا من الصغائر قبل الكبائر لان الصغائر هي التي جرت
الى الكبائر ... ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا وقيل وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا اي لا يكتب على احد ما لم يعمل ولا يزيد في عقاب المستحق ولا يعذب احدا بجرم غيره عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال يحاسب الناس في القيمة على ثلثة على يوسف وايوب وسليمان فيدعو المملوك فيقول له ما
شغلك عني فيقول جعلتني عبدا لادمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم
يمنعه ذلك ان عبدني فيؤمر به الى النار ثم يدعى المبتلى فاذا قال اشغلتني بالبلاء دعى بايوب فيقول قد ابتليت هذا باشد
من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ما
ذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلني الملك عنك فيدعى بسليمان فيقول هذا عبدي آتيته اكثر ما آتيتك فلم يشغله ذلك
عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويؤمر به الى النار قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآيات المتقدمة فيها بيان ان هؤلاء المشركين افتخروا باموالهم واعوانهم على فقراء
المسلمين فقالوا لولا مجالسة هؤلاء الفقراء فانا من انساب شريفة وهم من انساب نازلة ونحن اغنياء وهم فقراء وهذه
الآية فيها بيان ان ابليس تكبر على آدم باصله ونسبه وقال لا اسجد له فاني خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
لذلك ذكر الله تعالى قصة ابليس عقيب تلك الآيات تنبيها على ان طريقة هؤلاء بعينها طريقة ابليس ومعاملتهم معاملته
ثم انه تعالى حذر عن طريقه فقال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهذه القصة وان كررت في مواضع من كتاب
لكن في كل موضع منها فائدة جديدة واذ قلنا اي واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قيل
الا ابليس استثناء منقطع لان ابليس ليس من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار
وجميع الملائكة انما خلقوا من نور وقيل ابليس ابو الجن وهو اولهم وابو ابيهم كآدم من الانس وقيل كان ابليس قبيلة
جنا لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الانس واحتج بهذه الآية وتعنيف ابليس على عصيانه
انه امر مع الملائكة وقيل الاستثناء متصل وابليس من قبيل من الملائكة وعبر عن الملائكة بالجن من حيث انهم مستترون
فهي صفة تعم الملائكة والشياطين وقيل كان في الملائكة صنف يسمى الجن وعن ابن عباس كان ابليس من حي
من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي وكان اسمه بالسريانية
عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا وكان له سلطان السماء
الدنيا وسلطان الارض وكان من اشد الملائكة عبادة واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والارض فرأى
بذلك لنفسه شرفا وعظمة فذلك الذي دعاه الى الكبر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما ملعونا فاذا كانت خطيئة
الرجل في كبر فلا ترجه واذا كانت خطيئته في معصية فارجه وكانت خطيئة آدم معصية وخطيئة ابليس كبرا
لانه كان خازنا عليها فنسب اليها كما يقال للرجل مكي ومدني وكوفي ومصري وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى
الا ابليس كان من الجن قال من الجنانين الذين يعملون في الجنة وعن قتادة حي من الملائكة ففسق عن امر ربه
عن طاعة ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بان تطيعوهم بدل طاعتي وقد خلقتم وطاعته
وتركتم حزب الله وخرجتم من طاعته مع علمكم بان ابليس وذريته عدو لكم بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته
للظالمين الذين استبدلوه فاطاعوه بدل طاعته ما اشهدتهم ابليس وذريته خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم اي انفس ابليس وذريته يعني انكم اتخذتم ابليس وذريته شركاء لي في العبادة وانما

تكونون

تكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية ...

[illegible]

لانه تعالى بين فساد ما قالوه من وجوه كثيرة وضرب له البيانات الشافية والادلة الوافية والامثلة المطابقة ولا
لا يتركون الجدل الباطل فقال وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها
واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء
ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا في محل النصب لانه مفعول منع اذ جاءهم الهدى
الذي هو دليل حقيقة الاسلام وقيل الهدى الذي هو شرع الله والبيان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويستغفروا
ربهم عطف على قوله يؤمنوا والاستغفار هو طلب المغفرة فارطهم الذنوب كفر وغيره الا ان تأتيهم سنة الاولين
ومحل ان تأتيهم الرفع لانه في حكم فاعل منع وقيل ان تأتيهم مضاف محذوف وهو الانتظار وسنة الاولين هي عذاب
من الغرق والصيحة والريح وغيرها او يأتيهم العذاب عطف على قوله تأتيهم قبلا قرأ عاصم وحمزة والكسائي قبلا
بضم القاف والباء والباقون بكسر القاف وفتح الباء عيانا اي غير عذاب المعهود والمعنى وما منع الناس الايمان في
الاستغفار لما جاءهم الهدى الا الانتظار اي يأتيهم عذاب الامم السالفة او يأتيهم عذاب الآخرة عيانا واعلم انهم
لا ... مع الايمان في الاستغفار الى اتيان سنة الاولين واتيان العذاب عيانا الا ان الغافل لا يرضى
بحصول هذين الامرين الا انه ... حال ... العمل على احد هذين الامرين والحاصل انهم لا يقدمون
على الايمان والاستغفار الا عند اتيان احد الامرين وهذه الآية تأسف عليهم وتنبيه على فساد حالهم لان
هذا المنع لم يكن بقصد منهم وانما امتنعوا مع اعتقادهم انهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا
فكان حالهم يقتضي التأسف عليهم ... وما نرسل المرسلين
لما ... عليهم ... قال ليس الامر كما اعتقدوا ... ليجادلوا ولا ...
عليهم الاقتراحات بل ما نرسل المرسلين الا مبشرين بالجنة من آمن ومنذرين بالنار من كفر ومع هذه الاحوال ثم
يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالباطل الحق ... اي القرآن ...

هو هنا موضع الاستفهام ويجوز ان يكون ما في ما انذروا موصولة والراجع من الصلة محذوف اي وما انذروه
من العقاب وحيد الحمزة قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة قوله تعالى ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا
من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ● لما حكى الله جدالهم بالباطل وصفهم
بعده بصفات موجبة للخزي والخذلان فقال ومن اظلم استفهام على سبيل التقرير وهذا من افصح النص ان يوقف
الرجل على ما لا جواب له فيه الا الذي يريد خصمه والمعنى لا احد اظلم ممن ذكر ووعظ بآيات ربه بالقرآن ولذلك يرجع
اليه الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها اي ولم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه اي
ما اسلف من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المحسن له ما كسب والمسيء عليه
ما اكتسب ثم علل اعراضهم ونسيانهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه اي القرآن واورد بضمير المرفوع
في ذكر واعرض ونسي والمجرور في ربه ويداه وجمع المرفوع في يفقهوه والمجرور في قلوبهم ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه متمسك المعتزلة باسناد الفعل الى الكفار وقوله انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه الى آخر الآية متمسك اهل السنة والجماعة باسناد الفعل الى الله والمعتزلة حملوا اسناد الفعل
الى الله على سبيل المجاز لانه اسناد الفعل الى ما ليس منه الفعل بل الى ما هو من ملابسات الفعل وليست بفاعل
حقيقة واسناد الفعل الى الكفار حقيقة واصحابنا قالوا اسناد الفعل الى ما ليس منه الفعل بل الى ما هو من
ملابساته الله تعالى باعتبار انه خالقه واسناده الى الكفار باعتبار الكسب قال الامام قلما تجد في القرآن آية لاحد هذين
الفريقين الا ومعها آية للفريق الآخر والاستقراء يكشف عن صدق قولنا وما ذلك الا امتحان شديد من الله تعالى القاه
على عباده ليتميز العلماء الراسخون عن المقلدين وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي وان تدعهم يا محمد الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا كان الاهتداء منهم محالا لان الله جعل على قلوبهم اكنة وفي آذانهم وقرا واذن جزاء وجواب على انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لان انتفاءه مرتب عليها قيل هذا يخرج على احد تاويلين احدهما ان يكون
هذا اللفظ العام مرادا به الخاص ممن ختم الله عليه انه لا يؤمن ولا يشك ويخرج من العموم كل من قضى الله بهداه في ثاني
الحال والآخر انه يريد ان تدعهم الى الهدى جميعا فلن يؤمنوا جميعا ابدا اي انهم ربما آمن منهم الافراد وبعضهم
الى الصدق هذين التاويلين انا نجد المخبر عنهم بهذا الخبر قد آمن منهم واهتدى كثير وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو
الموصوف بالرحمة ذكر صيغة المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والله تعالى ترك اضرارا لا نهاية
لها مع انه قادر عليها والرحمة فعل وهو متناه ويجوز ان يكون المراد انه تعالى يغفر كثيرا لانه ذو رحمة لا يحتاج اليها
بينهما من المحاجة كثيرا ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل لهم موعد يوم القيمة او يوم بدر او سائر ايام الفتح لن يجدوا من دونه
موئلا منجا وملجا ثم عقب توعدهم بذكر القرى التي نزل بها ما توعدها قبلهم بمثله فقال وتلك القرى اي قرى
الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار الى الكفار والى القرى ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة
توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان تكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا اي ضربنا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك قرا ابو بكر عن عاصم مهلكهم بفتح الميم
واللام وهو مصدر مثل الهلاك وحفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام وهو وقت الاهلاك والباقون بضم الميم
وفتح اللام اما مصدرا او وقت الاهلاك موعدا وقتا او مصدرا قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ
مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ● هذه القصة قصة ثالثة
ليست من الكلام المتقدم ذكرها الله في هذه السورة ليتبين ما هو المقصود في القصتين المتقدمتين تقريرا ان موسى
مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف فيه ذهب الى الخضر في طلب العلم وتواضع له وذلك يدل على ان
التواضع خير من التكبر فلم تكبر هؤلاء الكفار من قريش على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والاعوان [illegible] واذكر يا محمد اذ قال
موسى هو موسى بن عمران بمقتضى الاحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن اذ ليس في القرآن موسى غير واحد وهو موسى بن عمران
فلو كان غيره لا يتيقن تبيينه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس رضي الله عنهما ان نوفا ابن امرأة كعب قال ان الخضر ليس
بصاحب موسى بن عمران انما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وهو كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن
عباس رضي الله عنهما كذب عدو الله وزعم اليهود ان موسى بن ميشا هو الذي طلب هذا العالم ليتعلم منه وهو العالم
الذي خرق السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار وموسى بن عمران بعد ما انزل الله عليه التورية وكلمه بلا واسطة وخصه
بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكثر الانبياء يبعد ان يبعثه بعد ذلك الى التعلم والاستفادة والجواب
عنه انه لا يبعد ان يكون العالم الكامل في اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من هو دونه وهذا

امر متعارف معلوم سبب خروج موسى عليه السلام في هذا السفر ما روى ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد
العلم اليه تعالى فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله
في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب
الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه
مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله به
فقال الفتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة الى قوله عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا قال موسى ذلك ما كنا
نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا هو مسجى بثوب فسلم عليه
موسى فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه
فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى
احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول
فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول
عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله عسرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى
نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا
مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر
غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس الى قوله صبرا
قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية استطعما اهلها الى قوله يريد ان ينقض فقام الخضر فاقامه بيده فقال له موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم
يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك الى آخر الآية هذا حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم
في الصحيحين واما التفسير فاذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون من غير خلاف وسماه فتاه لانه كان يلازمه وياخذ
منه العلم ويخدمه ومعنى لا ابرح لا ازال وليس المراد به لا ازول لانه اذا لم يزل لم يقطع ارضا وحذف خبر لا ابرح
لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال السفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ويحتمل ان يكون
المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه والمضاف اليه ضمير
المتكلم فانقلب الفعل الى لفظ المتكلم ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه
ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين ملتقى البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر
قيل بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من
دبور الى صبا وقيل هو بافريقية وقيل هو بحر الاندلس وقيل هو بحر الملح وبحر العذب او امضي عطف على
ابلغ او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وقيل الحقب عند العرب وقت غير محدود والمعنى لا ازال اسير
احتجاجا ان سرت حقبا فلما بلغا مجمع بينهما اي فانطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين كانه اشار الى قول موسى لا ابرح حتى
ابلغ مجمع البحرين انه تحقق ما قاله موسى وقيل بلغا مجمع موسى وصاحبه الذي كان يقصده لان الموضع الذي وقع فيه
الحوت هو الموضع الذي يسكنه الخضر او يسكن بقربه ولاجل هذا المعنى لما رجع موسى وفتاه بعد ان ذكر الحوت صار اليه
نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقد نسي يوشع ان يقدمه
ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ
عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ
يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا اي اتخذ الحوت في البحر
سربا ومسلكا في جوف الارض والمراد ان الله تعالى امسك جرية الماء على الحوت فصار الماء كالطاق حتى سرى
الحوت فيه وذلك معجز لموسى او الخضر فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر
الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياة الحوت ووقوعه في البحر وقيل صارا بعد ما جاوزا
الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولم يجع قبل
فتذكر الحوت فقال لفتاه اي قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا من سفرنا هذا اشارة
الى مسيرهما وراء الصخرة فان قيل كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة على الطلبة التي هما ناهضان
لها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة
ليلة الى الظهر الغد حتى طلب موسى عليه السلام الحوت اجيب بانه قد شغله الشيطان بوسوسته فذهب بفكره كل مذهب

حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك ان يوشع قد شاهد من موسى المعجزات الباهرة والعجائب الباهرة واستأنس
بامثاله فلم يبق له اهتمام بحفظه لا الاهتمام وحينئذ يجلب آخر وهو ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه ازاله
الله عن قلب فتاه وهذا العلم الضروري تنبيها لموسى عليه السلام على ان العلم لا يحصل البتة الا بتعليم الله وحفظه
في القلب والخاطر قال ارأيت عجبي اخبرني جاء هذا الكلام ههنا بحكم على ما هو المتعارف بين الناس فانه اذا حل
لاحدهم امر عجيب قال لصاحبه ارأيت ما حدث لي كذلك ههنا لما طلب موسى الحوت قال ليوشع آتنا غداءنا ذكره يوشع
ما رأى من الحوت وما اعتراه الى ما اعتراه يوشع من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك
كان يوشع قال لموسى أرأيت ما حدث لي اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف مفعول أرأيت لدلالة ما ذكر من قوله فاني
نسيت الحوت وما انسانيه ان اذكره امر الحوت وما رأيت منه مما اعتراني من نسيانه الا الشيطان ان اذكره بدل من الهاء في
وما انسانيه اي الهاه فاذكره راجع الى امر الحوت وما انسانيه الا الشيطان اي ذكره اعترض بين المعطوف عليه والمعطوف الذي
واتخذ سبيله وبين المعطوف عليه الذي هو فاني نسيت الحوت والتقدير فاني نسيت الحوت واتخذ الحوت
واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا ووقع هذا الاعتراض تمهيدا لعذره ووقوع النسيان واتخذ سبيله في البحر عجبا
اي واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا مفعول ثان لقوله اتخذ اي واتخذ الحوت سبيله في البحر سبيلا عجبا
وهو كونه شبه السرب وقيل ان عجبا صفة لمصدر محذوف واتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا وهو صيرورته حيا
وانقلابه من المكتل الى الماء ونفسه في البحر على غفلة منه وقيل انه تم الكلام عند قوله واتخذ سبيله في البحر ثم قال
يوشع عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقيل عجبا حكاية
لتعجب موسى وليس بقوي قال ذلك ما كنا نبغ اي قال موسى ذلك اي اتخاذ الحوت سبيلا في البحر هو الذي نطلبه لانه امارة الظفر
بالمطلوب من لقاء الخضر قرأ ابن كثير نبغي بالياء في الوصل والوقف ونافع وابو عمرو والكسائي في الوصل وابن عامر وعاصم
وحمزة بحذف الياء في الحالين فارتدا على آثارهما قصصا اي فرجع موسى ويوشع لانهما تجاوزا الموضع الذي فيه
ذلك الى المراد فارتدا اي رجعا من طريقهما يتبعان آثارهما اتباعا القصص اتباع الاثر قوله تعالى فوجدا عبدا
من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ۞ فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر سمي به لانه فروة بيضاء
فاخضرت والفروة الارض اليابسة وقيل لانه كان اذا جلس اخضر ما حوله وهل هو باق الى الآن فيه قولان وكان الحسن
يذهب الى انه مات وتبع قوله من يرى بقاءه فانه لم يثبت حديث في بقائه وروى ابو بكر النقاش ان محمد بن اسماعيل
البخاري سئل عن الخضر والياس هل هما الآن احياء فقال وكيف يكون ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الارض احد وروي في الحديث ان موسى عليه السلام وجد الخضر مسجى
في ثوبه مستلقيا على الارض فقال موسى السلام عليك فرفع الخضر رأسه وقال واني بارضك السلام ثم قال
الخضر من انت قال انا موسى قال الخضر موسى بني اسرائيل فقال نعم قال موسى لم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك عن
السفر الى هنا قال موسى بلى ولكن احببت لقاءك وان اتعلم منك قال الخضر له اني على علم من علم الله علمنيه انت
على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه انا قيل علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا علم ظواهر الاحكام وافعاله
بحسبها وكان علم موسى عليه السلام علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم روي ان موسى وجد الخضر
ذا حلة على ثبج البحر وسطه آتيناه رحمة وصف للعبد اي آتينا ذلك العبد رحمة وحيا ونبوة وعلى هذا يكون
الخضر نبيا وهو قول الجمهور وقيل الخضر عبد صالح غير نبي والآية تشهد بنبوته فان بواطن افعاله لا تكون الا بوحي
البتة فان النبي لا يتبع غير نبي ولا يتعلم الا من نبي فان قيل كيف حاجة موسى الى التعلم من آخر بدليل على ان موسى ابن عمران
لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في امور الدين اجيب بانه لا غضاضة اي
ذلة ومنقصة بالنبي في اخذ العلم من نبي وانما ينقص منه ان يأخذ من غير نبي وعلمناه من لدنا علما يختص بنا وهو
من الغيب فقوله من لدنا علما يفيد ان هذا العلم حصل للخضر من عند الله من غير واسطة واصحاب التصوف
سموا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدني فان النفس الانسانية في الرياضات تتميز عن المظاهر بالعبادة وتخلي
النفس عن الاخلاق الرذيلة وتحلي بالاخلاق الجميلة وتضعف القوى الحسية والخيالية والوهمية ضعيفة
وحينئذ تصير القوة العقلية قوية صافية فتشرق الانوار الالهية على النفس القدسية وتحصل المعارف
والعلوم من غير تفكر وتأمل وهذا هو المسمى بالعلم اللدني وقد يكون النفس بحسب اصل الفطرة نورانية الهية
علوية قليلة التعلق بالحوادث البدنية شديدة الاستعداد لقبول الانوار الالهية فيفيض عليها من عالم القدس
تلك الانوار على وجه الكمال وهو المراد من قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قوله تعالى قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ۞ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه
ذكرا ۞ قال موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا علما ذا رشد يحتمل ان يكون الرشد راجعا الى الخضر
اي مما علمك الله وارشدك به ويحتمل ان يرجع الرشد الى موسى اي على ان تعلمني وترشدني مما علمت قرأ ابو عمرو رشدا
بفتح الراء والشين وعن ابن عباس بضمهما والباقون بضم الراء وسكون الشين وهذه الآية تدل على ان موسى عليه السلام
راعى انواعا كثيرة من الادب واللطف عندما اراد ان يتعلم من الخضر منها انه جعل نفسه تبعا له ومنها انه استأذن

في اتباعه له ومنها انه قال على ان تعلمني فاقر على نفسه بعدم العلم وعلى الخضر بالعلم ومنها انه قال مما علمت فطلب منه
تعليم بعض ما علم الخضر فان من للتبعيض كانه يقول له لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك
ان تعلمني جزءا من اجزاء علمك ومنها انما عرف ان الله علمه ذلك العلم ومنها انه طلب الارشاد لانه لو لم يحصل الارشاد
لحصلت الغواية والضلالة له ومنها انه طلب منه ان يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه اشعار بانه يكون انعامك علي عند
هذا التعليم شبيها بانعام الله عليك في هذا التعليم ومنها ان موسى تأتى بمثل افعال الخضر حتى يكون الخضر اتباعه
فان الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه اتيانه ومنها انه قال له هل اتبعك يدل على طلب متابعته مطلقا
في جميع الامور غير مقيد بشيء دون شيء ومنها انه اتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع مع علمه بانه موسى نبي بني اسرائيل
وصاحب التوراة وكليم الله وصاحب المعجزات الباهرة ومنها انه قال هل اتبعك على ان تعلمني فطلب الاتباع اولا ثم طلب التعليم
فاشار الى انه يبتدئ بالخدمة ثم يطلب التعليم ومنها انه لم يطلب على الاتباع الا التعليم كانه قال لا اطلب منك على
الاتباع المال والجاه ولا غرض لي الا طلب التعليم وهذا يدل على ان موسى اتى في طلب العلم باعظم انواع التواضع اللائق
في نهاية الادب وهذا هو اللائق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر
فكان طلبه لها اشد فكان تعظيمه لارباب العلم اكمل واشد قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا نفى الخضر استطاعة
موسى صبرا معه على وجه التأكيد كان استطاعة الصبر مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها
مناكير لم يحط موسى بها علما والرجل الصالح لا يتمالك ان يشمئز ويتغيظ لا سيما الانبياء ان ينقبض ويغضب ويجزع اذا
رأى ذلك ويأخذ في الانكار وكيف لا وكان نبيا مرسلا صاحب شرع آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خبرا علما اي لم تحط
خبرا قال موسى للخضر ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا في محل النصب عطفا على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص وهذا من موسى عليه السلام لحرصه على العلم وارادة ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام من حقيقة
الامر وعد موسى الخضر الصبر معلقا بمشيئة الله تعالى لعلمه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي يأخذ المصلح عند
مشاهدة الفساد شيء لا يطاق وهذا مع علم موسى ان النبي المعصوم الذي امر الله موسى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه لا يباشر ما فيه غميزة ونطعن في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم
يعلم وفي قول موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا تواضع عظيم واظهار للتحمل التام وكل ذلك يدل
على ان الواجب على المتعلم ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم
في الغرور والجهل وذلك يمنعه من التعلم قال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسألني قرأ نافع بالياء مفتوحة مشددة
النون وابن عامر بتحريك اللام من غير ياء والنون مكسورة والباقون فلا تسألني ساكنة اللام اي عملي بشرط اتباعك
الي اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح لكن خفي عليك وجه صحته وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني فيه
حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع قوله تعالى فانطلقا حتى
اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا ۞ لما قال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء
حتى احدث لك منه ذكرا تشارطا على الشرط المذكور فانطلقا اي موسى والخضر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انهما انطلقا ماشيين على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفوا الخضر فحملا اي موسى والخضر بغير نول اي اجر لاجل
امر الخضر فلما لججوا اي خاضوا لجة البحر اي معظمه اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء
لما رأى موسى من الخضر فعلا يؤدي الى غرق جميع من في السفينة لم يتمالك فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم قال لموسى اخرقتها
لتغرق اهلها قرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها بفتح الياء ورفع اللام على ان الفعل لاصحاب السفينة والباقون
بضمها والتاء ونصب اللام على ان الفعل للخضر لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال
الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فلم يرد الخضر عليه فتنبه موسى لما اتى به من مخالفة الشرط قال موسى لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته او بنسياني فان ما في بما نسيت يحتمل ان يكون موصولة او نكرة موصوفة او مصدرية
اراد موسى انه نسي وصية الخضر ولا مؤاخذة على الناسي وقيل اخرج موسى الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان
توهم الخضر انه قد نسي الوصية ليبسط عذره في الانكار فهو من معاريض الكلام التي يتقي بها من الكذب مع التوصل
الى الغرض وقيل اراد موسى بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني
من امري اتباعي اياك عسرا ولا تعسر علي اتباعك ويسره علي بالاغضاء وترك المؤاخذة قوله تعالى فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ۞ فانطلقا في موضع نزولهما من السفينة
فمرا بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى غلام حسن الهيئة فقتله قيل كان قتله باقتلاع رأسه وقيل رضخه بحجر وقيل
ضرب رأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين وقيل هذا الغلام لم يبلغ الحلم وقيل بالغ
وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه الامور فلما شاهد موسى قتل الغلام قال للخضر اقتلت نفسا زاكية
قرأ الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف والياء مشددة والباقون بالالف من غير تشديد زاكية طاهرة من الذنوب
انما طاهرة من الذنوب اما طاهرة عند موسى لانه لم يرها اذنبت وطاهرة لانها صغيرة لم تبلغ الحلم بغير نفس اي لم تقتل

نفسا فيقتص منها وهذا يدل على ان الغلام قد بلغ الحلم لان الصغير لم يقتل بنفس ولا بغير نفس قال ان قتلت جزاء
للشرط فقتله من جملة الشرط والفاء فيه للعطف عطف بها على الشرط الذي هو لقيا وخرقها في قوله حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها جزاء الشرط الذي هو ركبا وانما خولف بينهما بدخول الفاء في قوله فقتله وعدم دخول الفاء
في قوله خرقها لان القتل تعقب لقاء الغلام ولم يتعقب خرق السفينة الركوب ثم قال موسى للخضر لقد جئت شيئا
نكرا اي شيئا منكرا وقيل شيئا انكر من الاول لان ذلك خرق يمكن تداركه بالسد ولا يلزم من الخرق الغرق
واما هذا فقتل النفس لا يمكن تداركه وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل
السفينة ثم قال الخضر لموسى الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد ههنا لفظ لك لزيادة العتاب على
رفض الوصية والوسم بقلة الصبر في الكرة الثانية ثم قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة او بعد هذه
المسألة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي اعذرت الي وبلغت الى العذر من قبلي قال موسى فلا تصاحبني مع
العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم شديد الندامة والمراد من قوله قد بلغت من لدني عذرا انه
يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو
شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ○ فانطلق موسى
والخضر يمشيان لان مراد الخضر لم ينفذ بعد ما عنده من علمه حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها اي طلبا من اهل القرية
ان يطعموهما والقرية انطاكية وقيل هي الايلة وهي ابعد الارض من السماء وفي الحديث انهما كانا يمشيان على
مجالس اولئك القوم يستطعمانهم فابوا اي اهل القرية ان يضيفوهما ان ينزلوهما اضيافهم عن عاصم يضيفوهما
بضم الياء الاولى وكسر الضاد وتخفيف الياء الثانية وقرا الباقون يضيفوهما بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية
يقال ضيفت فلانا اذا اضفته الذي نزلي قال الزجاج ضفت الرجل اذا نزلت عليه واضفته اذا انزلته وقريته وقال ابن
قتيبة يقال ضيفت الرجل اذا انزلته منزلة الاضياف ومنه هذه الاية واضفته انزلته وضفته نزلت عليه
وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا اهل القرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف
الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا اي الخضر وموسى فيها جدارا يريد ان ينقض اي يريد ان يسقط سريعا
ينقض مضارع انقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض
كاحمر من الحمرة والارادة من صفة الاحياء استعيرت للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال
الشاعر: يريد الرمح صدر ابي براء ○ ويعدل عن دماء بني عقيل ○ وقال حسان: ان دهرا يلف شملي بجمل
لزمان يهم بالاحسان ○ وقيل عن السراج ان يطلقا قال صاحب الكشاف واذا كان للغو النطق والكلام
في الصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزم والطواعية وغير ذلك استعارة للجماد ولما لا يعقل
فما بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحق يقول سنا للنواة طي لا يسطو الهم حتى ينطق العود يشكو الى عينه
وتحمحم ان تكن ظمياء صادقة وهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب تمردما وعن الا يلوق ولبعضهم ... اغفاءة
اغفاءة ثم اذا انقاد الهموم تمرد ابت الرقاد فعاد الندى عن عينيها مثل البطون وان تمس ظهور قالتا اتينا طائعين
فاقامه فاقام الخضر الجدار قيل قام بيده وقيل مسحه بيده واستوى وهذا من معجزاته وقيل اقامه بعمود عمده
وقيل نقضه ثم بناه وقيل طول الجدار في السماء مائة ذراع فلما اقام الخضر هذا الجدار وكانت الحال حال اضطرار
وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الى اخر كسب المرء وهو المسألة ولم يجدا مواسيا لهما قال موسى لما راى من الحرمان
ومساس الحاجة اذ قال لو شئت لتخذت قرأ ابن كثير وابو عمرو لتخذت بكسر الخاء غير ان ابا عمرو كان يدغم الذال في
التاء نظيرهما والباقون لاتخذت بفتح الخاء وكلهم ادغم الا حفصا عن عاصم فانه لم يدغم مثل ابن كثير تخذ واتخذ
لغتان عليه اي على اقامته اجرا اي جعلا نصرفه الى المطعوم حتى نتعيش به ونستدفع به الضرورة ثم قال الخضر هذا
فراق بيني وبينك يعني هذا الفراق بيني وبينك اي ذلك الفراق هو ذلك الفراق الموعود قال الخضر قد تحقق فراق
بيني وبين موسى عند حلول ميعاد الفراق على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار
اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه ويجوز ان يكون هذا اشارة الى السؤال الثالث اي هذا السؤال هو سبب الفراق وفي
قوله هذا فراق بيني وبينك اي هذا فراق حصل بيني وبينك فاضيف المصدر الى الظرف وقيل البين الوصل وكان المعنى
هذا فراق وصلي ووصلك اي هذا فراق اتصالنا فقال لموسى الخضر سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال الخضر
لموسى سانبئك ساخبرك بحكم هذه المسائل الثلاث ○ ثم قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر

فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
وما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ○ اعلم ان موسى صلوات الله وسلامه عليه كان نبيا مرسلا
صاحب شريعة وكتاب فاحكامه مبنية على الظواهر لان كل نبي مرسل صاحب شريعة وكتاب فاحكامه مبنية على الظواهر

لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر واحكام الخضر في المسائل الثلاث
لم تكن مبنية على ظواهر الامور بل لكن مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية الواقعة في نفس
الامر بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية الواقعة في نفس الامر لان الظاهر حرمة التصرف في اموال
الناس وفي انفاسهم من غير سبب ظاهر حرمة التصرف في اموال الناس وفي انفاسهم من غير سبب ظاهر وقد
تصرف في اموال الناس في المسألة الاولى من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاخير ثم تصرف في ذوي ارواحهم
في المسألة الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك الاصل وقد تصرف في اموال الناس في المسألة الثالثة من غير سبب
ظاهر يبيح ذلك الاضرار فحكم الخضر في المسائل الثلاث ليس مبنيا على الاسباب الظاهرة بل مبنيا على الاسباب
الحقيقية الواقعة في نفس الامر لاعتراض موسى عليه السلام في المسائل الثلاث على حكم الظاهر وتاويل الخضر عليه السلام
مبني على حكم بواطنها والاطلاع على اسرارها الكامنة والتاويل فيها مبني على حرف واحد وهو ان عند تعارض الضررين
يجب ارتكاب الادنى لدفع الاعلى لكن ارتكاب الادنى قد اعطاه الله من لدنه علما يطلع به على بواطن الامور وحقائق
الاشياء وزيادة ضررها فهنا هو الاصل في المسائل الثلاث اما المسألة الاولى فلان الخضر علم انه لو لم يعيب
تلك السفينة بالخرق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها وهم المساكين الذين يعملون في البحر وعلم ان
خرقها لا يفضي الى اغراق اهلها بل انه لا يخرقها فيغصبها الملك وتفوت منافعها بالكلية على ملاكها ولا شك ان
الضرر الاول ادنى فوجب ارتكابه لدفع الضرر الثاني الذي هو اقوى واما المسألة الثانية فكذلك لانه علم بالعلم
الذي آتاه الله من لدنه ان بقاء ذلك الغلام حيا مفسدة للوالدين في دينهم ودنياهم وعلم ان الضرر الكائن في
من قتل ذلك الغلام اقل من الضرر الكائن من بقائه حيا وهو ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاقدم على قتله واما المسألة
الثالثة فكذلك لان المشقة الحاصلة بسبب اقامة الجدار اسهل من المضار الحاصلة بسبب ترك
اقامته لان ذلك الجدار لو سقط لضاع مال الغلامين اليتيمين وفيه ضرر شديد والحاصل ان موسى انما اعترض
هذه الاعتراضات بناء على الظواهر التي هي مباني قواعد الشرع والخضر بنى احكامه على حقائق الاشياء واحوالها
الباطنة التي علمها بالعلم الذي آتاه الله من لدنه ثم شرع الخضر في تأويل ما لم تستطع موسى عليه صبرا فقال اما السفينة
فكانت لمساكين اي ضعفاء المحتاجين يعملون في البحر قيل كانت السفينة لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة
يعملون في البحر يتعيشون بها والشافعي احتج بهذه الاية على ان حال الفقير في الحاجة اشد من حال المساكين لانه تعالى
سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون السفينة ثم قال الخضر فاردت ان اعيبها اي السفينة لئلا يغصب فان وراء
المساكين ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا اي امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وتحقيقه ان كل ما غاب
عنك فهو متوار عنك فيحتمل ما غاب عنك من قدامك واما من خلفك اذا كان غائبا عنك كان متواريا عنك
فصح اطلاق وراء عليه وقيل وراءهم اي خلفهم وكان طريق المساكين في رجوعهم على الملك والحاصل ان
وراء المساكين ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا ولم يكن عند المساكين خبر ذلك الملك فاعلم الله الخضر
فاراد الخضر ان يعيب السفينة لئلا يغصبها ذلك الملك تلك السفينة فان الملك لا ياخذ السفينة المعيبة غصبا
ثم ذكر الخضر تأويل المسألة الثانية فقال واما الغلام فكان ابواه مؤمنين قيل ان ذلك الغلام كان لصا وكان
يقطع الطريق ويقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه يحتاجان الى دفع شر الناس والتعصب له وتكذيب من يرميه
بشيء من المنكرات وذلك يصير ذلك سببا لوقوعهما في الطغيان والكفر وقيل انه كان صبيا الا ان الله تعالى اعلم
الخضر بحاله وهو انه لو صار بالغا لوقع منه هذه المفاسد فخشينا ان يرهقهما اي خفنا ان يغشى ذلك
الغلام الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه لهما وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانا
وكفرا فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وقيل خفنا ان يحمل ذلك الغلام ابويه على الطغيان والكفر لانهما
لاجل حب ذلك الولد يحتاجان الى الذب عنه وربما احتاجا الى موافقته فيضلهما ويضلا له فيطغيا ويكفرا بعد
الايمان ثم قال الخضر فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة اي اردنا ان يرزقهما ولدا خيرا من هذا زاكية بغير نفس
فقال الخضر ان تلك النفس وان كانت ان يبدل له الابوين ربهما ولدا خيرا من هذا الغلام زكوة طهارة من الذنوب واقرب
رحما قرأ ابن عامر رحما مثقلة والباقون ساكنة الحاء اي اقرب رحمة وعطفا بابويه بان يكون ابر بهما واشفق
عليهما روي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما ثم ذكر الخضر المسألة الثالثة فقال واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
اي الجدار الذي كان يريد ان ينقض فاقامه كان لغلامين يتيمين في المدينة اي القرية التي استطعما اهلها وهذا يدل على
ان اسم القرية لا ينافي اسم المدينة وكان تحته اي تحت ذلك الجدار كنز للغلامين قيل ما المدفون من ذهب وفضة لان الكنز
لغة المال المدفون وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر الاول وهو المال لاطلاقه الكنز
وكان ابوهما صالحا يفيد ان صلاح الاباء يستدعي العناية باحوال الابناء وعن جعفر الصادق كان بين الغلامين
وبين الاب الصالح سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ

الغلامين فالصلاح ابيهما قال تعالى وحكم خير منه فقال الابناء الله انكم قوم خصمون وقيل ان الاب الصالح كان
الناس يضعون الودائع عنده فيردها اليهم بالسلامة ثم قال الخضر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اي كمال الخلق والعقل ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما قال
الامام رحمة من ربك [illegible] رحمه الله لانها باسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع
الضرر الاعلى وجاء في انباء الخضر في الاولى فاردت ان اعيبها وفي الثانية فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه وفي الثالثة
فاراد ربك ان يبلغا فاختلفت الارادات الثلاث في الاسناد وهي كلها في قضية واحدة فانما انفرد اولا في الارادة
لانها متعلقة بالعيب فتأدب بان لم يسند الارادة فيها الا الى نفسه كما تأدب ابراهيم عليه السلام في واذا مرضت فهو يشفين
وانما قال الخضر في الثانية فاردنا لانه الى ارادة الخضر والصالحين من اصحابه وانما اسند الارادة الى الله في الثالثة
لانها في امر مستأنف في زمن طويل غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله وان كان الخضر ايضا اراد ذلك
الذي اعلمه الله انه اراد وقد اسند التبديل الى ربهما في الثانية واضاف الرب في الثالثة الى موسى لان تبديل الابوين خيرا
منه من الله لتربيتهما فناسب اسناد التبديل الى الله واضافة الرب اليهما فارادة الله تعالى بلوغ الغلامين اشدهما
كارادته ان يبلغ موسى اشده بايحائه الى امه ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فناسب اضافة الرب الى موسى ثم قال الخضر وما فعلته عن امري وما فعلت
ما رأيته من امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله ووحيه لان الاقدام على تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم
لا يجوز الا بالنص القاطع والوحي وانما قال الخضر ذلك اي وما فعلته عن امري تمهيدا للعذر فيما فعله وايضاحا
لما اشكل على موسى ثم قال الخضر لموسى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اشار بذلك الى ما ذكره من التأويل في
المسائل الثلاث وقوله تسطع بمعنى تستطع فان اسطاع واستطاع بمعنى اطاق قيل انما قال هنا تسطع وقبل تستطع
جمعا بين اللغتين والظاهر انه اوجز هنا لانه مقام الايجاز لانه كان مستعجلا بالفراق وروي في تفسير هذه
الآية ان اعجل هذه الاسئلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له وذلك انه لما انكر خرق السفينة
نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا
من وكزك القبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون
اجر فلما اراد موسى مفارقته قال الخضر اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به وقال ايضا
كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على
خطيئتك يا ابن عمران ۞ قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا ۞ هذه القصة هي القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وهي
من الامور الثلاثة قالت اليهود لقريش سلوا محمدا عن ثلاثة من فتية ذهبوا في الدهر الاول وعن رجل طواف بلغ
مشارق الارض ومغاربها وعن الروح اختلف الناس في ان ذا القرنين من هو فقيل هو الاسكندر ابن فيلقوس
اليوناني الذي ملك الدنيا والذي يدل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه الى اقصى المغرب
والمشرق قال الله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب وقال حتى اذا بلغ مطلع الشمس والى اقصى الشمال
قال الله حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط
لا شك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لا يبقى مخفيا مستترا
والملك الذي اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد الاسكندر ولما كان القرآن دل على ان ذا القرنين كان
الاسكندر ظهر ان المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني ثم ذكروا في وجه تسمية الاسكندر بذي
القرنين وجوها منها انه لقب به لبلوغه قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذي القرنين
لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها ومنها سمي به لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك ومنها
انه انقرض في وقته قرنان من الناس ومنها انه كان له قرنان اي ضفيرتان ومنها انه كان على رأسه ما يشبه القرنين
ومنها انه كانت صفحتا رأسه من نحاس ومنها انه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح اقرانه ومنها انه
رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها وجانبيها ومنها انه تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه
النور من امامه وتمتد الظلمة من ورائه ومنها انه ضرب على قرنه الايمن ثم بعثه فضرب على قرنه الايسر ويسئلونك اي
كفار قريش ابو جهل واشياعه وقيل هم اليهود سألوا محمدا على وجه الامتحان قل يا محمد سأتلو عليكم من ذي القرنين
ذكرا انه تعالى قضى عليه وانزل فيه وحيا واخبرني عن كيفيته والخطاب في عليكم لاحد الفريقين كفار قريش واليهود
انا مكنا له في الارض من جهتنا ملك مشارق الارض ومغاربها وقيل ويحتمل ان يكون المراد منه التمكين من جهة الله
فقط وحمل التمكين المنسوب الى الله تعالى على الوجه الاكمل اولى وآتيناه من كل شيء سببا اي من اسباب كل شيء اراده
من اغراضه ومقاصده في الملك فقط وقيل في الملك والنبوة على تقدير كونه نبيا سببا اي طريقا موصلا اليه والسبب
في الاصل الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود من علم وقدرة او آلة فاتبع سببا اي فاذا اراد شيئا اتبع سببا
يوصله اليه ۞ قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن

وعمل صالحا

وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ۞ معناه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى
اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فاتبع ثم اتبع بتشديد التاء والباقون
فاتبع ثم اتبع مقطوعات فاتبع معناه قفا الاثر فاتبع معناه لحق وقيل اتبع تقديره اتبع سببا قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
وحفص عن عاصم حمئة والباقون حامية فمن قرأ حمئة اراد وهي ذات حماة يقال حمات البير اذا اخرجت حماتها اذا القيت
فيها الحماة وحميت البير حماة بالتحريك كثرت حماتها فهي حمئة والحماة الطين الاسود وكذلك الحماء ومن قرأ حامية يعني
حارة وقد تكون حارة ذات حماة ووجد ذو القرنين عند العين الحمئة قوما لباسهم جلود السباع وليس
لهم طعام الا ما احرقت الشمس من الدواب اذا غربت نحوها وما لفظته العين من الحيتان اذا وقعت فيها الشمس والمراد
انه اذا القرنين بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وربما توهم متوهم ان هذه الشمس على عظم قدرها
تغوص بذاتها في عين ماء وليس كذلك فانها اكبر من الدنيا مرارا فكيف يسعها عين ماء وجدها تغرب في رأي العين
تغرب في عين مظلمة لا انها تغرب فيها حقيقة كما ان راكب البحر اذا نظر الشط يرى في رأي العين الشمس تغرب في البحر
وهي في الحقيقة تغرب بعد البحر قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل اي ان القوم كانوا كفرة فخير الله ذا القرنين بين
ان يعذبهم ان قاموا على الكفر وبين ان يتخذ فيهم حسنا اي تفعل بهم فعلا ذا حسن اي يدعوهم الى الاسلام فيعفو
عنهم اذا اسلموا [illegible] ان الله خير ذا القرنين بالقتل والاجتهاد في اسلامهم واتخاذ الحسنى فيهم تركهم احياء
ثم قال ذو القرنين اما من ظلم نفسه بان دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل
في الدنيا ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا فظيعا من العذاب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا فله
الحسنى جزاء ثم قال الاسكندر وسنقول لمن آمن وعمل صالحا من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل
الميسر من الزكاة والخراج وغيرها [illegible] قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم جزاء
بالنصب والتنوين قيل هو مصدر منصوب على الحال المعنى فله الحسنى مجزيا بها جزاء والباقون رفعا مضافا قيل الحسنى
الجنة واضيف الجزاء اليها وهي الجزاء كقوله تعالى فانه لحق اليقين ودين القيمة ولدار الاخرة وعن ابي علي الفارسي المعنى فله جزاء
الخلال الحسنى لانه الايمان والعمل الصالح كذلك ۞ قوله تعالى ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اي ثم اراد بلوغ مطلع الشمس فاتبع سببا يوصله
اليه حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي ما يسترهم من الشمس اي ليس
هناك ابنية ولا شجر ولا جبل يمنع وقوع شعاع الشمس عليهم قيل القوم الزنج والستر الابنية ومن كلام بعضهم
لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم ذكر في كتب التفسير
عن بعضهم قال خرجت مسافرا حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة
فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا لو جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس قال
فبينا نحن كذلك اذ سمعنا هيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق
الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج
وقيل الستر اللباس عن مجاهد من يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض قوله كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا
منصوب على المصدر لان في احطنا معنى خبرنا وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم
من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما
بلغ مغرب الشمس وقيل تطلع الشمس على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم في تعذيب
من بقي منهم على الكفر والاحسان الى من آمن منهم ۞ قوله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما ۞ ثم اراد ذو القرنين
بلوغ بين السدين قرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين والباقون بضمها قيل هما لغتان بمعنى
واحد وقيل ما هو مضموم من فعل الله وما هو مفتوح من فعل الآدميين وقيل المفتوح الحاجز بين الشيئين والمضموم
الغشاوة فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما وهما
المكانان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وقيل في ناحية الشمال وقيل جبلا ارمينية واذربيجان وجد اي
ذو القرنين بين السدين وجد من دونهما من ورائهما مجاورين لهما قوما من الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يحسنون لغة
من لسان غيرهم ولا يفهمون كما يفهم الكلام قالوا هؤلاء القوم لذي القرنين يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج هما اعجميان لم
منع الصرف وعن ابن عباس يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وقيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا مفسدون في الارض يحتمل كل
هذه المفاسد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم
قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر ولهم من الشعر ما يواريهم من الحر والبرد
قيل يأجوج ومأجوج من ولد آدم كلهم جزء وقيل اصل الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد

فبقيت خارجة فهل نجعل لك خرجا قرأ حمزة والكسائي خراجا بالف وخرجا بغير الف قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه اي هاذكذا . القدير قال والذي القرنين فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا
على ان تجعل بيننا وبين ياجوج وماجوج سدا ثم قال ذو القرنين لهاؤلاء القوم ما مكني فيه ربي قرأ ابن كثير مكنني بنونين
اظهرهما لانهما من كلمتين الاولى من الفعل والثانية يتصل الاسم المضمر والباقون مكني بالتشديد بادغام النون في النون
لاجتماع النونين خير اراد بتمكينه فيها العلم والقدرة وطلب ثوابه وقيل ملك من الدنيا كالمعنى ما جعلني ربي فيه مكينا
من كثرة الاموال واليسار خير مما تبذلون من الخراج فلا حاجة لي في مالكم ولكن اعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون
العمل والبناء وبالالات اجعل بينكم وبين ياجوج وماجوج ردما سدا حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد
لان الردم ما جعل بعضه على بعض يقال ثوب مردوم اذا كان قد وقع رقعة فوق رقعة قوله تعالى اتوني
زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه
وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا قال ذو القرنين
اتوني قرأ ابو بكر عن عاصم ردما ايتوني بكسر التنوين والباقون ردما اتوني زبر الحديد اي قطعه فاتوه بها فحفر الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس ثم وضع تلك الزبر بعضها على بعض بينها الحطب والفحم حتى اذا ساوى
بين الصدفين قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال وابو بكر عن عاصم بضم الصاد وسكون الدال والباقون
بفتح الصاد والدال اي حاذى بين الجبلين اي حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما قال ذو القرنين انفخوا فيها فنفخوا فيها
حتى اذا جعله نارا اي حتى اذا صارت نارا اي كالنار قال ذو القرنين اتوني قرأ حمزة وابو بكر عن عاصم ايتوني بقطع
والباقون اتوني بممدودة اي اعطوني وايتوني بمجيئي افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا افرغ عليه اي اصب النحاس المذاب على الحديد
المحمي فاتوه النحاس المذاب فصبه على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا قيل بعد ما بين
السدين مائة فرسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته فقال كالبرد المحبر طريقة
سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته ثم قال ذو القرنين فما اسطاعوا اي فما استطاع ياجوج وماجوج ان يظهروه
اي ان يعلوا السد وما استطاعوا له نقبا اي لا حيلة لياجوج وماجوج في النقب من صعوده لارتفاعه و
املاسه ولا من نقبه لصلابته وثخانته ثم قال ذو القرنين هذا السد رحمة من ربي ونعمة على عباده وقيل هذا
الاقتدار والتمكين من تسوية الردم رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيام يوم القيامة جعل السد دكاء قرأ عاصم وحمزة
والكسائي دكاء ممدودة مهموزة بلا تنوين والباقون دكا منونا غير مهموز ولا ممدود اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض
وكان وعد ربي حقا ثابتا البتة كائنا لا محالة وههنا اخر حكاية قول ذي القرنين قوله تعالى وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وتركنا بعضهم اي وتركنا بعض ياجوج وماجوج يومئذ اي يوم سد
من وراء السد يموج يختلط في بعض لكثرتهم وقيل انهم لا يستطيع خروجهم او يوم خروجهم يموج بعضهم في بعض
من وراء السد مزدحمين في البلاد روي انهم يحفرون كل يوم الردم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم فيحفرونه ويخرجون على الناس
ويستقبلهم بخراسان وياتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون من ظفروا به من الناس ممن
لا يتحصن منهم ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم
فيموتون والنغف الدود الذي يكون في انف الابل والغنم فاذا ياجوج وماجوج تسلط عليهم النغف فتاخذ
في رقابهم ثم يرسل الله عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ويرسل مطرا فيغسل الارض ويخرج جيفهم فيدفع وهج الدجال
وقتل عيسى الدجال وقيل وتركنا بعضهم اي الكفار وقيل وتركنا بعضهم اي جعلنا بعض الخلق يومئذ بعد القيامة يموج
في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور لقيام الساعة او نفخة البعث فجمعناهم
اي جمعنا جميع الخلق يوم القيامة في مكان واحد جمعا قوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي اعين قلوبهم في غفلة عن توحيدي والايمان بي وبكتابي وقيل عن ذكري عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم وقيل عن القران وتأمل معانيه وتبصرها او المراد شدة انصرافهم عن قبول الحق وكانوا عطف
قوله كانت اعينهم اي وكانوا صما عن ذكري لا انهم لا يستطيعون السمع اذ صمم ولكن انهم لا يستطيعون
السمع والذين كانت اعينهم نعت للكافرين او بدل منهم قوله تعالى افحسب الذين كفروا
ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ● اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا لما بين الله تعالى اعراض الكافرين عن الذكر وعن استماع القران عقبه
بقوله افحسب الذين كفروا اي افظن الذين كفروا اي المشركون ان يتخذوا عبادي من دوني من الشياطين وعن مقاتل الاصنام
وقيل الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات افحسب استفهام على سبيل التوبيخ الذين كفروا فاعل حسب ان يتخذوا
مفعوله الاول وعبادي مفعول ان يتخذوا اولياء مفعول الثاني وجوابه لا لان الاستفهام للجحد والمعنى افظن الذين
كفروا اتخاذهم من دوني اولياء ينفعهم اي ان الملائكة لا يكونون لهم اولياء لما حكى الله تعالى عنهم سبحانك انت
ولينا من دونهم قرأ نافع وابو عمرو من دوني بفتح الياء والباقون بسكونها انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا اي ما يقام

النزل

[illegible]

سورة مريم

[illegible]

ندآء خفيا ● قيل ذكر مرفوع بانه خبر مبتدأ هو كهيعص وقيل خبر مبتدأ محذوف اى هذا الذى نتلو عليك
ذكر رحمة ربك وقيل ذكر مرتفع بالابتداء والخبر مقدر تقديره فيما اوحى اليك ذكر رحمة ربك وذكر مصدر مضاف
الى الرحمة وهى فاعله وعبده مفعولها وقيل رحمة صلة اى ذكر ربك عبده زكريا وقيل فيه تقديم وتاخير معناه
~~ذكر رحمة ربك وقيل ذكر مرتفع بالابتداء والخبر مقدر تقديره فيما اوحى اليك ذكر رحمة ربك وذكر مصدر مضاف الى~~
~~الرحمة وهى فاعله وعبده مفعولها وقيل رحمة صلة اى ذكر ربك عبده زكريا وقيل فيه تقديم وتاخير معناه ذكر~~
رحمة ربك عبده زكريا بدل من عبده يعنى اجابته اياه حين دعاه وسأله الولد اذ نادى ربه دعاه نداء خفيا
خافيا يخفى ذلك فى نفسه لا يريد رياء وقيل نداء دعا سرا من قومه فى جوف الليل مخلصا فيه لم يطلع عليه الا الله وفيها
تدل على ان المستحب فى الدعاء الاخفاء اخفى زكريا سنة الله فى اخفاء لئلا يقول الناس انظروا الى هذا الشيخ
يسأل الولد على الكبر وقيل اخفاه من مواليه بنى عمه الذين خافهم لئلا يعادوه ويظنوا انه كره ان يكونوا مكانه
بعده وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات قوله تعالى
قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ● رب انى وهن العظم وانما
ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فى البدن فاذا صلبه
لما ذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحد العظم لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذى
هو العمود والقوام واشد ما ركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض
عظامه ولكن كلها واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته وانتشاره فى الشعر
وفشوه فيه واخذه كل ما اخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر
ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضفه الى الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا عليه السلام فمن ثم فصحت
هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة قال صاحب المفتاح لمصادفة الاجمال ثم التفصيل الموقع فيما يحكيه جل وعلا عن زكريا
عليه السلام من قوله واشتعل الرأس شيبا فى مقام المبالغة حين النعى لتتابع انقراض الشباب ترى ما ترى من نهاية
الحسن وفى هذه الجملة وفيما قبلها من رب انى وهن العظم منى لطائف وانه كلمة فى القرآن فضلا عن جملة فضلا
عما تجاوز ولا تحتوى على لطائف والكلام فى تلك اللطائف مفتقر الى اخذ اصل معنى الكلام ومرتبته الاولى فى
النظر ثم التفاوت بينه للتعريف ما عليه نظم القرآن فى كم درجة يتصل احد الطرفين بالاخر فنقول الاشبه
ان اصل معنى الكلام ومرتبته الاولى يا ربى قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس
المتعرض لهما ثم تركت هذه المرتبة لتوخى مزيد التقرير الى تفصيلها فى ضعف بدنى وشاب رأسى ثم تركت هذه المرتبة
الثانية لاشتمالها على التصريح الى ثالثة ابلغ وهى الكناية فى وهنت عظام بدنى لان الكناية ابلغ من التصريح ثم
لقصد مرتبة رابعة ابلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدا فحصلت انا وهنت عظام بدنى ثم لقصد مرتبة خامسة
ابلغ ادخلت ان على المبتدا فحصلت انى وهنت عظام بدنى ثم لطلب تقرير ان الواهن هى عظام بدنه قصدت مرتبة
سادسة وهى سلوك طريقى الاجمال والتفصيل فحصل انى وهنت العظام من بدنى ثم لطلب مزيد اختصاص العظام
قصدت مرتبة سابعة وهى ترك توسيط البدن فحصل انى وهنت العظام منى ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا
فردا قصدت مرتبة ثامنة وهى ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول الوهن المجموع بالبعض دون كل فرد فحصل ما ترى
وهو الذى فى الاية انى وهن العظم وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى ابلغ وهو الاستعارة ثم الاستعارة ابلغ
من الحقيقة فحصل اشتعل شيب رأسى ثم تركت الى ابلغ وهى اشتعل رأسى شيبا وكونها ابلغ من جهات احدها
اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا
وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق بين وثانيها الاجمال والتفصيل فى طريق التمييز وثالثها
تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك اشتعل رأسى شيبا لتوخى مزيد التقرير الى اشتعل الرأس منى شيبا على نحو
وهن العظم منى ثم ترك لفظ منى لقرينة عطف واشتعل الرأس على وهن العظم منى لمزيد التقرير وهى لها مرحلة
تادية مفهومه بمجرد العقل دون اللفظ واعلم ان الذى فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول فى القلوب هو ان مقدمة
هاتين الجملتين وهى يا رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة النداء وهى يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهى يآء
المتكلم واقتصرت من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق
فى نهج البلاغة بان له منزلة الاساس للبناء وكما ان البناء الحاذق لا يرى الاساس الا بعد ما يقدر البناء عليه كذلك
البليغ يصنع بمبدأ كلامه فمتى رأيته اختصر المبدأ فقد اذنك باختصار ما يورد ثم ان الاختصار لكونه من الامور
النسبية يرجع فى بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذى نحن بصدده
من القبيل الثانى اذ هو كلام فى معنى انقراض الشباب والمام المشيب وهل معنى احوج ان يبسط فيه القائل فيتناول
فاوفى الجهود وتستغرق فى الانباء عنه كل حد … انقراضا يا لم اكن بدعائك اى بدعائى اياك رب شقيا
عن ابن عباس لم تكن تخيب دعائى اذا دعوتك يقال شقى فلان بكذا اذا تعب بسببه ولم يحصل مطلوبه يقول لم اكن
اتعب بالدعاء ثم اخيب قوله تعالى وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا
يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ● وانى خفت الموالى الذين يلونه فى النسب وهم بنو العم والعصبة

من ورائى قرأ ابن كثير فى رواية قنبل بفتح الياء والباقون باسكانها من بعدى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد
المعنى ولكن بمحذوف قيل كانوا بنو عمه وعصبته شرار بنى اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة
على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به فى احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه وقيل بعض الولاية فى الموالى
اى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من بعدى او خفت الذين يلون الامر من بعدى وعن ابن عباس ومجاهد
وقتادة وابى صالح خافا انهم يرثوا ماله وان يرثه الكلالة فاشفق من ذلك الشعبى وقتادة والحسن عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال يرحم الله اخى زكريا ما كان عليه ممن يرث ماله فان قيل هذا غرض معترض فكيف يجوز ان ينفس نبى على
قرابته بالحقوق المفروضة عليهم بعد موته فنقول ذلك لما ظن انه لما كان نبيا والنبى لا يورث خاف ان يرث ماله
فاخذوا ماله الا بحقوقه والثانى ان غلب عليه طبع البشر فاحب ان يتولى ماله ولده وبارك فيه الا انه لا بد ان يتولى ماله
والله ان لم يكن ميراثا فاحب ان يتولاه ولده فهب لى من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله عز وجل وصادرا
من عنده والا فهب لى وليا يرثنى كاف وقيل اراد اختراعا منك بلا سبب لانى وامرأتى لا نصلح للولادة يرثنى ويرث
قرأ ابو عمرو والكسائى يرثنى ويرث بالجزم فيهما على جواب الدعاء والباقون برفعهما على الصفة لوليا اى هب لى وليا وارثا
عن ابن عباس يرثنى مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وعنه يرثنى العلم ويرث من آل يعقوب الملك فاجاب الله الى هبة
العلم دون الملك وعن الحسن يرثنى نبوتى وعلمى ويرث من آل يعقوب النبوة ايضا وعن عطاء يرثنى الشيوخ ويرث
من آل يعقوب الاخلاق وكان زكريا من ذرية يعقوب وقال مجاهد وعمر الكلبى ان آل يعقوب كانوا اخواله وانه ليس
بيعقوب ابى يوسف وعن مقاتل هو يعقوب بن ماثان وكان يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوين والصحيح انه لم
يرد ميراث المال للوجوه منها انه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
ومنها انه لا يجوز ان يأسف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميراثه بعد موته اذ وصل الى رحمة الله المستحق لها
ومنها انه لم يكن ذا مال وقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زكريا كان نجارا واجعله رب رضيا
اى مرضيا صالحا تقيا عندك صالح اجعله نبيا كما جعلت اباه نبيا قوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ● فى الكلام اضمار واختصار تقديره فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا
انا نبشرك قرأ حمزة نبشرك بالتخفيف والباقون بالتشديد بولد ذكر اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد
قبله بيحيى فانه قيل ما وجه المدحة باسم لم يسم احد قبله ونرى كثيرا من الاسماء لم يسبق اليها اجيب بان
وجه الفضيلة ان الله تعالى تولى تسميته ولم يكل ذلك الى ابويه فسماه باسم لم يسبق اليه وقيل لم نجعل له مثلا
وشبيها كقوله هل تعلم له سميا اى مثلا وشبيها فتاويله انه لم يكن له مثل لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط
وقيل لم يكن له مثل فى امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وقيل لم تلد العواقر مثله ولدا وانما قيل للمثل سمى لان كل
متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه ونحو يحيى اسم
يموت ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سمى بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع من قبل قيل انما شرط
القبل لانه تعالى اراد ان يخلق بعده من هو افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى لم يرد هنا
الفضائل كلها ليحيى عليه السلام وانما اراد فى بعضها لان الخليل والكليم عليهما السلام كانا قبله وكانا
افضل منه قوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك
قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا ● وكانت امرأتى على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل
السببان جميعا ارزقه وقد بلغت من الكبر عتيا اى يبسا عن قتادة معنى العظم يقال عتا العود اذا كان يبس وقسا
القلب فيلين عن ادم قيل مبالغ فى شر وكفر فقد عتا يقال عتا العود عتيا من اجل الكبر والطعن فى السن العالى
وقيل معناه بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا قرأ حمزة والكسائى بكسر العين وكذلك صليا وبكيا
والباقون بضم اوائلها وعن الزجاج كل شىء انتهى فقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسوا وعسيا قال صاحب الكشاف
فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العقر والعتى فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت
ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا على منهاج واحد فى
ان الله تعالى غنى عن الاسباب قال الله كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك
او الكاف نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو على هين اى خلق يحيى على سهل وقيل يجوز ان يكون ذلك
اشارة الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا اى الامر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر وقد خلقتك قرأ حمزة
والكسائى خلقناك بالنون والالف والباقون خلقتك من قبل يحيى ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشىء او شيئا
يعتد به كقولهم عجبت من لا شىء … قال رب اجعل لى آية علامة اعلم بها وقوع
ما بشرت به وقيل على حمل امرأتى قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا منصوب على الحال اى وانت صحيح
سليم الجوارح سوى الخلق ما بك خرس ولا بكم ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام
استمر به ثلاثة ايام ولياليهن قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
كان الناس من وراء المحراب ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوا ويصلوا اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه

تغير اللون فانكروه فقالوا له يا زكريا ما لك فاوحى اليهم بيده ورأسه قاله مجاهد وكيف هذا الا رمزا في آل
عمران وعن ابن عباس فكتب اليهم في كتاب وقيل على الارض ان سبحوا صلوا بكرة وعشيا والاول المفسرين والتسبيح الصلاة
وهذا في صبيحة الليلة التي حملت امرأته فلما حملت امرأته امرهم بالصلوة اشارة قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صبيا ● المعنى فوهبنا له يحيى فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي التورية وكان مامورا بالعمل
بها وقيل المعنى اقبل كتب الله كلها ايمانا بها واستعمالا لاحكامها بقوة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد وآتيناه
الحكم الحكمة منه واحكم لكم فقاه الحي يقال حكم حكما كالحكم وهو الفهم للتورية والفقه في الدين صبيا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبع سنين وعن قتادة ومقاتل ثلاث سنين دعاه الصبيان الى يحيى فقالوا اخرج بنا نلعب
فقال ما للعب خلقت وقيل اللب وقيل العلم وقيل حفظ التورية وقيل النبوة لان الله تعالى احكم عقله في صباه
واوحى اليه قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا ● وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ● وحنانا الرحمة
وآتيناه حنانا قال وقيل وجعلناه حنانا لاهل زمانه حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة قال الحطيئة لعمر
بن الخطاب رضي الله عنه تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي ترحم ومنه قولهم حنانيك مثل سعديك
وعامة ما يستعمل في المنطوق على لفظ الاثنين قال طرفة ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون
من بعض واصله من حنين الناقة وقيل حنانا تعطفا من ربه عليه وقيل لينا وقيل بركة وقيل محبة وتعظيما و
في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وزكوة عملا صالحا وصدقة تقديره ان الله جعله صدقة تصدق
بها على ابويه وقيل صدقة يتعطف على الناس فيتصدق عليهم وقيل زكوة زيادة في الخير على ما وصف وقيل طاهرا
من الذنوب وكان تقيا مسلما مطيعا مخلصا عن ابن عباس من جملته يتقي ولا يهم بذنب غيري وبرا بوالديه اي
لطيفا محسنا اليهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا ● اي سلام من الله عليه في هذه الايام وقيل سلامة له يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا والمراد
باليوم الحين والوقت وخص التسليم والسلامة بهذه الاحوال لانها اصعب الاوقات واوحشها قوله تعالى
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل
لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ● قالت انى
يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا
مقضيا ● لما فرغ من قصة زكريا ويحيى شرع في قصة مريم وعيسى واذكر يا محمد في الكتاب القرآن مريم بنت عمران
بن ماثان اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على ما فيه وفيه ان المقصود من ذكر مريم ذكر وقتها هذا
الوقع شرقيا مما يلي شرقي بيت المقدس او شرقي من دارها لانها كانت في الشتاء وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض عن الحسن اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم
اهلها حجابا سترا وحاجزا من مقاتل جعلت الجبل بينها وبين اهلها وقيل ان الشمس اظلتها فلم يرها احد وذلك مما ستر
الله به عن عكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا
طهرت عادت في المسجد فبينا هي في مغتسلها تغتسل من الحيض فارسلنا اليها روحنا جبريل وقيل روح عيسى واضافه
اليه على التفضيل والتخصيص فتمثل لها بشرا فتصور لها آدميا سويا سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيء وعن
ابن عباس في صورة شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر حين حضر شابا وانما ارسله اليها في صورة البشر لتثبت مريم عليها السلام
وتستانس بكلامه وتقدر على استماع كلامه لا تنفر عنه ولو بدا لها جبريل على صورته التي هو عليها لنفرت ونفرت عنه
ولم تقدر على استماع كلامه فلما رأت مريم جبريل قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا تتقي الله فتنتهي بتعوذي
منك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان في زمانها رجل يقال له تقي وكان فاجرا فظنته اياه وقيل كان تقي رجلا من امثل
الناس في ذلك الزمان فقالت ان كنت في الصلاح مثل التقي فاني اعوذ بالرحمن منك كيف يكون رجل اجنبي وامرأة اجنبية
في حجاب واحد قيل دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على
تلك الصورة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج خالتها زكريا وله محراب على حدة تسكنه وكان زكريا
اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاها
الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قال جبريل لها انما انا رسول ربك الذي
عذت به لاهب قرا ابو عمرو وورش عن نافع ليهب بالياء مفتوحة بين اللام والهاء اي ارسلني ليهب لك والباقون بهمزة مفتوحة
بين اللام والهاء والمعنى ارسلت اليك لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام غلاما زكيا طاهرا من الذنوب صالحا
تقيا قالت مريم انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر بنكاح حلال ولم اك بغيا والمس هاهنا النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله
من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء ولم اك بغيا زانية فاجرة تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد اصله بغوي فادغمت الواو
في الياء وقيل هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر وانما لم يقل بغية لانه وصف يغلب على النساء
فقلما تقول العرب رجل بغي فيجري مجرى حائض وعاقر ومعنى الآية ليس لي زوج ولست بزانية وانما يكون الولد من
هاتين الجهتين قال جبريل كذلك كما قلت يا مريم قال ربك ولكن قال ربك وقيل هكذا قال ربك هو علي هين خلق ولد من غير
اب ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك وقيل هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ورحمة منا لمن تبعه على دينه

وكان ذلك امرا مقضيا محكوما به مفروغا عنه سابقا في علم الله تعالى مقدورا مسطورا في اللوح المحفوظ لا بد من جريه
عليك وقيل كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه رحمة وآية والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى ورحمة
البشر بنعم الالطاف فانهما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو حقيق بان يكون
قوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا
منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت
به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت
اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ● فاطمأنت مريم الى قول جبريل فدنا منها جبريل فنفخ في جيب درعها
فحملت حين لبست وعن السدي نفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها
وقيل كانت مدة الحمل تسعة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش قط مولود وضع
لثمانية اشهر الا عيسى فكان في هذا آية ثم قيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملت نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة
وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل فحملته مريم عليها السلام فانتبذت اي اعتزلت به بالحمل اي اعتزلت وهو
في بطنها كقوله يصف الخيل تدوس بنا الجماجم والترائبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحو قوله تعالى تنبت بالدهن
اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها عن ابن اسحق مشت ستة اميال
بعدت فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قيل لابن عمها يوسف انها حملت من الزنا فلا اذ يقتلها الملك
وكان قد سميت له فاتاها فاحتملها فهرب بها فلما كان ببعض الطريق اراد يوسف ابن عمها قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال
انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها ولم يقتلها وكان معها فاجاءها اي جاء بها منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث
لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان المخاض اي الحمل وقيل الطلق يقال مخضت الحامل مخاضا
ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها اي تحركها الى جذع النخلة وهو ساقها وكانت نخلة يابسة في الصحراء ليس لها
راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف في النخلة قيل كتعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان
تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وقيل
تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختيار
لها والجاءها اليها قيل كانت نخلة يابسة قد جئ بها ليبنى عليها بيت يقال له بيت لحم قالت يا ليتني مت قبل هذا اليوم او
قبل هذا الامر قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم مت بكسر الميم والباقون بضمها قيل انها قالت حياء
من الناس وقيل لئلا ياثموا بقذفها وكنت نسيا منسيا قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائي وابو بكر
عن عاصم نسيا بكسر النون وحمزة وحفص عن عاصم نسيا بفتح النون وهما لغتان مثل الحجر والوتر وقال ابو علي الفارسي
الكسر على اللغتين وقال ابن الانباري من كسر النون قال النسي اسم لما ينسى بمنزلة البغض اسم لما يبغض والسب اسم
لما يسب والنسي بالفتح اسم لما ينسى ايضا على انه مصدر نائب عن الاسم كما يقال رجل دنف ودنف فالمكسور هو الوصف
الصحيح والمفتوح مصدر يسد مسد الوصف ويمكن ان يكون النسي والنسي اسمين لمعنى كما يقال الرطل والرطل والنسي ما من حقه ان
يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب
اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها
لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح ووجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من
فرط الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله وقيل لشدة التكليف عليها اذا بهتوها
وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض
قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند
الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه وقيل لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها منسيا بالكسر
على الاتباع فناداها من تحتها قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم من تحتها بفتح الميم والتاء والباقون بكسر
الميم والتاء فعلى الكسر معناه ناداها الملك مريم من تحت النخلة وقيل كانت مريم على نشز لمكان مرتفع فناداها الملك
اسفل منها وقيل ادنى عليه امه مريم لما خرج من بطنها وعلى الفتح من تحتها جبريل قيل يقبل الولد كالقابلة وقيل من تحتها
عيسى وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة الا تحزني فناداها
ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا نهرا صغيرا عن ابن جريج هو الجدول بالسريانية وقيل معنى قوله تحتك ان الله تعالى
جعل النهر تحت امرها ان امرته بجري جرى وان امرته بالامساك امسك كقوله عز وعلا فيما احكي عن فرعون وهذه الانهار
تجري من تحتي اي تحت امري وعن ابن عباس ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله الارض فظهر ماء عذب
وجرى ويبست النخلة بعينها فانبتت واثمرت وارطبت فان قيل كيف ناسب تسليتها انه قيل الا تحزني في الجواب

من وجهين احدهما انها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه وعدم الطعام والشراب والماء الذي تتطهر به فقيل
لا تحزني قد اجرينا النهر واطلعنا لك الرطب وثانيهما انها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد بلا زوج ثم اخرج الله
نهرا جاريا من الاردن واخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة وكان ذلك تنبيها يدل على قدرة الله تعالى في ايجادها قال
صاحب الكشاف فان قلت مما كان حزنها الاجل فقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية
بهما من حيث انهما مخرجان تريا الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها
امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى تبين لهم ان ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شأنها
وهزي اليك بجذع النخلة قيل الباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم والعرب تقول
هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام وقيل انها دخلت على الجذع لتلصقه باليد فهي مفيدة للالصاق وقيل معناه
افعلي الهز به تساقط قرأ حمزة تساقط بالتاء مفتوحة مخففة السين وحفص عن عاصم بضم التاء وكسر القاف وقرأ الباقون
بالتاء مشددة السين اصله تتساقط ادغمت التاء في السين رطبا تمييز جنيا رطبا ساعة جني قيل ما للنفساء
خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب قيل لم يكن للنخلة رأس
فانبتها الله فلما وضعت يدها عليها اسقط الرطب كان السلف يستحبون للنساء الرطب من اجل مريم عليها السلام
فكلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا بولادة عيسى عليه السلام وقيل معناه جمعنا لك فائدتين احديهما الاكل
والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وقيل معنى قري عينا طيبي نفسا وارفضي عنك ما احزنك
واشتقاقه من قولك قررت به عينا اقر بفتح القاف في المستقبل وقررت في المكان اقر بكسر القاف عينا نصب على التمييز
عن الاصمعي انه قال معنى قري عينا ولتبرد دمعتك لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة واشتقاق قري من القرور
وهو الماء البارد فاما ترين من البشر احدا قال صاحب الكشاف باهم ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول
لبات بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال
احدا فقولي وفيه اضمار تقديره فسألك عن امر ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقيل صياما
كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها
الله تعالى بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام
بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس
سفيها لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق فلن اكلم اليوم
انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فأتت به اي فاتت مريم بعيسى قومها بعد اربعين يوما حين طهرت من نفاسها
وقيل انطلق قومها يطلبونها فلما رأتهم حملت عيسى فلقيتهم به تحمله قالوا يا مريم لقد جئت
لما ظهرت منه آيات خافا ان يتهمها الناس مع قاتت به انه يكون ساعيا على قدمه فيكون بشيه آية كنطقه فقطع
ذلك التوهم واعلم انه كسائر الاطفال او هذا مثل قول العرب نظرت الى فلان بعيني فنفوا بذلك نظر العطف
والرحمة واثبتوا انه نظر بعينه هو صاحب الحين قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا من فري الجلد وقيل عظيما
قال الفري العظيم والعرب تقول للفري الفري اذا عمل فاجاد العمل وفضل الناس وقيل فظيعا منكرا عظيما قال
ابو عبيدة كل فائق من عجب او عمل فهو فري قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فما رأيت عبقريا يفري
فريه عمر ايه يحمل عمله يا اخت هرون قيل هرون اخ لها من امها وكان من امثل فتى في بني اسرائيل وقيل كان ذي نسبها
وانها وقيل هو اخو موسى عليه السلام نسبت اليه لانها من ولده وقيل انه رجل صالح كان في بني اسرائيل تشبهوها به
في الصلاح يدل على ذلك ما روى المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فقالوا
الستم تقرؤن يا اخت هرون وقد علمتم ما بين موسى وعيسى فلم ادر ما اجيبهم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم وقيل
انه رجل معروف بينهم فساق وزناة فنسبوها اليه وقيل انه رجل من فساق بني اسرائيل شبهوها به وعلى هذا الاخ
هنا بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة والعرب تسمي شبه الشيء اخته واخاه قال الله تعالى وما نريهم من آية الا هي
اكبر من اختها اي شبهها ما كان ابوك امرأ سوء اي زانيا وما كانت امك بغيا اي زانية فمن اين
لك هذا الولد فاشارت اليه الى عيسى عليه السلام ان كلموه فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل كان
زائدة والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد وقيل كان بمعنى وقع وحدث وقيل انها في معنى الشرط والجزاء فالمعنى من يكن
في المهد صبيا فكيف نكلمه وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح للقريب والبعيد وهو هنا
لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب وقيل نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى
ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا والمهد حجرها وقيل سرير الصبي المعروف قوله تعالى

قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا
بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ● قيل كان المستنطق لعيسى زكريا
عليهما السلام عن السدي لما اشارت اليه قالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وعنه ايضا قال زكريا عند مناظرتها
اليهود فقال لعيسى عليه السلام انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك وهو ابن اربعين يوما وعن مقاتل هو يوم ولد

اني عبد الله

اني عبد الله وعن السدي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه وقال اني عبد الله انطقه الله
اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى في ادعائهم ربوبيته آتاني اسكن حمزة الياء والباقون فتحوها الكتاب هو الانجيل
وقيل التوراة قيل آتاه الكتاب وهو في بطن امه وقيل علم التوراة والانجيل وهو في بطن امه وجعلني قيل اعطي النبوة
في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه وقيل جعل الآتي
لا محالة كانه قد وجد وجعلني مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير
وقيل مباركا على من تبع ديني وامري واوصاني بالصلاة والزكاة اي بزكوة الاموال وقيل الزكوة الطهارة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي اي وجعلني برا بوالدتي عن ابن عباس لما قال هذا ولم يقل بوالدي علموا انه ولد من غير بشر ولم يجعلني جبارا
اي متعظما عاصيا لربه ذكر ان امرأة رأت عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص في آيات اذن له فيها فقالت طوبى
للبطن الذي حملك وللثدي الذي ارضعت به فقال عيسى يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا
وكان عليه السلام يقول سلوني فان قلبي لين واني صغير في نفسي مما اعطاه الله من التواضع والسلام علي اي السلامة علي
اي السلامة علي من الله يوم ولدت حتى لم يضرني شيطان فان قيل لم ذكر ههنا السلام بالالف واللام وذكر في قصة يحيى
بلا الف ولام فيه جوابان احدهما انه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع بغير الف ولام كان الاحسن ان يرده ثانيا بالالف
واللام وقد اعترض على هذا فقيل كيف يجوز ان يعطف هذا وهو قول عيسى على الاول وهو قول الله عز وجل وقد اجيب عنه
بان عيسى انما تعلم من ربه فيجوز ان يكون سمع قول الله في يحيى فبنى عليه اللفظة بعينه ويجوز ان يكون الله عرفه
السلام وثانيهما انه الى يحيى السلام تقدم ذكره واجري عليه غير قاصد به اتباع اللفظ المحكي لان للمتكلم ان يغير الكلام
الذي يحكيه فيقول قال لعبد الله انا رجل منصف قال صاحب الكشاف والصحيح ان هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي
مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده
عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مكابرة وعناد
فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قوله تعالى

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ● ذلك اي ذلك
الذي قال اني عبد الله هو عيسى ابن مريم لا كما تقول النصارى انه ابن الله قول الحق قرأ عاصم وابن عامر بنصب اللام اي اقول
قول الحق والباقون برفع اللام اي هو قول الحق قيل انتصابه على المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة
ان اريد به الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ
محذوف وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب
باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى وقيل اذا اريد قول الحق عيسى يحتمل ان يكون الحق اسم الله وان يكون بمعنى الثبات
والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون ويشكون والمرية الشك ويقولون بغير الحق قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله ثالث ثلاثة ما كان لله ان يتخذ من ولد كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه
وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه انه من المحال الغير المستقيم ان يكون ذلك لله كذا بمن نشأنه
الولد ومن مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة ثم بين احالة ذلك بان اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن
كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف
فشبه ذلك بامر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل وان الله قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وان بفتح الهمزة والباقون بالكسر
على الفتح معناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا قوله تعالى فاختلف
الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين ● قيل من زائدة والمعنى اختلف الاحزاب بينهم قيل لما تمسك المؤمنون بالحق كان اختلاف الاحزاب من بينهم للمؤمنين
مقصورا عليهم الاحزاب قيل هم اليهود والنصارى كانت اليهود تقول انه لغير رشده والنصارى تدعي فيه ما ليس له وقيل
الاحزاب فرق النصارى قال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة وعن الحسن الذين تحزبوا على
الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فويل للذين كفروا بقولهم في المسيح من مشهد اي من شهودهم
هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة
او وقتها وقيل هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم على التعجب يوم يأتوننا
قد لنا انهم سمعوا يوم القيمة حين لم ينفعهم السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر وعن الكلبي لا احد يوم القيمة
اسمع منهم ولا ابصر حين يقول الله لعيسى عليه السلام اانت قلت للناس اتخذوني الاية وقيل اسمع بحديثهم اليوم و
ابصر بهم يوم يأتوننا قال صاحب الكشاف لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير
بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم
لكن الظالمون يعني الكفار اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم اغفلوا الاستماع
والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قوله تعالى

وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ● اي انذر كفار مكة يوم الحسرة يوم القيمة يوم يتحسر المسيء هلا

احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان واكثر المفسرين يوم الحسرة حين يذبح الموت عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قيل يا اهل الجنة فيشرئبون
وينظرون وقيل يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كانه كبش املح فيقال لهم هل تعرفون هذا فيقولون
هذا الموت فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتيقن الامر الذي فيه هلاكهم وقيل ذبح الموت وقيل
قضي لهم العذاب في الآخرة وهم في غفلة في الدنيا وهم لا يؤمنون بما يكون في الآخرة واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة
وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او متعلق بانذرهم اي انذرهم على هذا الحال غافلين
غير مؤمنين ⁂ قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ⁂ اي نميت سكانها فنرثها ومن عليها
لانا نميتهم ونهلكهم فيحتمل ان نميتهم ونخرب ديارهم وان نفني اجسادهم ونفني الارض ونذهب بها والينا
يرجعون فان قيل ما الفائدة في نحن وقد كفى انا فالجواب انه لما كان في كلام العظماء انا نفعل ان يتوهم انه باتباعه فعلوا
فاتى بنحن بان الفعل مضاف اليه حقيقة فان قيل قال من عليها اي الآدميين وغيرهم والجواب ان من يختص
اهل التمييز وغير المميزين يدخلون في معنى الارض ويجرون مجراها ⁂ قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان
صديقا نبيا ⁂ اي اذكر يا محمد لقومك قصة ابراهيم انه كان صديقا من ابنية المبالغة كالضحيك والنطيق والمراد
فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان الغالب فيه هذا التصديق
للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او
كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق آيات الله ومعجزاته حريا ان يكون كذلك وقوله انه كان
صديقا نبيا جملة معترضة بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا
اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته
في الكتاب ان يتلوه على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده
في تنزيله ⁂ قوله تعالى اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ⁂ اذ قال لابيه
آزر وهو يعبد الاوثان يا ابت التاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا
لكون الالف بدلا من الياء قال صاحب الكشاف انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء
العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها
كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن
خلقه ان اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطئه طلب
منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم
وان كان اشرف الخلق منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق
الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهتها الى غيره تعالى علوا كبيرا ان يكون
هذه الصفة لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك
بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك
وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه وتستقضيه حاجة فيكفيها ⁂ قوله تعالى يا ابت
اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ⁂ ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم
يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك
علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية فاتبعني انجك
من ان تضل وتتيه ⁂ قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ⁂ ثم ثلث بتثبيطه
ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو
عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في
هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لامعانه
في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منها برب العزة من عصيانه
واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك غمر فكره
واطبق على ذهنه ⁂ قوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ⁂ ثم ربع
ابراهيم بتخويفه اباه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح
بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب بتنكير الخوف والمس وتنكير العذاب

وجعل

وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر
من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
وكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح
الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول
في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع
المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني
وجهك [illegible] ⁂ قوله تعالى قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا ⁂ لما اطلع الله ابراهيم على سماجة صنيع وتمام رشده وهديه مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة
العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني
وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن آلهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار
لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوة وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك
من رجم الزاني او لاطردنك رجما بالحجارة واصل الرجم الرمي واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة وقيل اجتنبني سالما
قبل ان يصيبك معرتي او تخلف لا يقدر ان يبرح من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا
واهجرني معطوف على محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع ⁂ قوله تعالى قال سلام
عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ⁂ قال ابراهيم عليه السلام سلام عليك اي سلمت لا اصيبك بمكروه
وقيل سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه وقيل يجوز ان قد دعا له بالسلامة استمالة
له سأستغفر لك ربي قيل لعلي ساسأل الله لك توبة تنال بها مغفرة وقيل ان ابراهيم عليه السلام وعد الاستغفار
وهو لا يعلم ان ذلك محظور في حق المصرين على الكفر قال صاحب الكشاف فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر
بعد ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان
وكما يؤمر المحدث بالصلاة والفقير بالزكاة والمراد اشتراط الوضوء وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان
من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون
الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه
فالواعد هو ابراهيم والموعود ابوه اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف
حفي به وتحفى به ⁂ قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا
لهم لسان صدق عليا ⁂ واعتزلكم اي اهاجر بكم الى الشام واعتزل ما تدعون من عبادتها والمراد بالدعاء العبادة لانه
منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه فلما اعتزلهم وما يعبدون وقيل وادعو ربي
ربنا والمراد بالدعاء الذي حكاه عز وجل في سورة الشعراء رب هب لي حكما واعبد ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
اي ارجو ان لا اشقى بعبادته كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام لانها لا تنفعكم ولا تجيب دعاءكم وعرض بشقاوتهم بدعاء
آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم فلما هاجر
عنهم الى ارض الشام وهبنا له الاسعد بالهجرة اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا من نعمتنا وقيل من نبوتنا
وقيل ووهبنا لهم من رحمتنا المال والولد والعلم والعمل والاولى ان يحمل على ما فيه كل خير ديني ودنيوي وجعلنا لهم
لسان صدق ذكرا حسنا في الناس وثناء جميلا لم يتغير عبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
العطية قال الزجاج لسان لا اشتم بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم ما خشي على الاسلام
احد امثال الكفار الفسقة لوجه الله تعالى ولذا المؤمنين انبياء استجاب دعوته واجعل لي لسان صدق
في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه ⁂ قوله تعالى
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ⁂ قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مخلصا بفتح
اللام اي اخلصه الله وجعله خالصا من الدنس وقرا الباقون بكسر اللام اي الذي وحد الله وجعل نفسه
خالصة في طاعة الله غير دنسة وكان رسولا نبيا ⁂ قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ⁂ ناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور جبل بين
مصر ومدين الايمن صفة للطور وقيل للجانب وقيل يمين موسى فانه جاء الى الطور من يمين موسى وقربناه نجيا مناجيا
قيل حتى سمع صرير القلم حين كتب له في الالواح ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا له او بعض رحمتنا فعلى الاولى

نعاه مفعول وهبنا وعلى الثاني اخاه بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر
من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه
كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلاة والزكوة وكان عند ربه مرضيا ● اسمعيل ابن
ابرهيم عليهما السلام انه كان صادق الوعد هذا عام فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس عن مجاهد لم يعد
ربه بوعد قط الا وفا له وخص اسمعيل بصدق الوعد وان كان في الانبياء من ليس كذلك لانه عانى في الوعد ما لم
يعانه غيره من الانبياء وذلك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
روي انه كان بينه وبين رجل ميعاد فاقام ينتظره مدة عن ابن عباس انه اقام حولا وعن يزيد الرقاشي اثنين وعشرين
يوما وعن مقاتل ثلاثة ايام وكان رسولا الى قومه جرهم نبيا ينبئ عن الله عز وجل وكان يامر اهله قومه
قيل كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والصلوة والزكوة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس
وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم بالاحسان
الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح
ان لا يالو النصيحة للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك
قوله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ● ادريس اسم
اعجمي ممنوع من الصرف قيل كان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر
في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل في السماء الرابعة رواه البخاري ومسلم
في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج انه راى ادريس في السماء
الرابعة وبهذا قال ابو سعيد الخدري ومجاهد وابو العالية وعن ابن عباس في السماء السادسة وقيل في السماء
السابعة قيل سبب رفعه الى السماء على ما قاله ابن عباس وكعب وغيرهما انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يا رب انا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت
فيه قال اما ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل
بيني وبينه خلة فاذن له فاتاه فكان فيما قال ادريس اشفع لي الى ملك الموت ليؤخر اجلي فقال لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها
ولكني اكلمه فيك فما كان مستطيعا ان يفعل باحد من بني آدم فعل بك ثم حمله الملك على جناحه ورفعه الى السماء
ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال ان لي اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك
لتوخر اجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته متى يموت فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما اراه
يموت ابدا ولا اجده يموت الا عند مطلع الشمس فقال اني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فما اراك تجده الا ميتا
فوالله ما بقي من اجله شيء فرجع الملك اليه فوجده ميتا قوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
خروا سجدا وبكيا ● اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة من لدن زكريا الى ادريس من النبيين
من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية آدم من التبعيض وكان ادريس من ذرية ابرهيم من التبعيض
اسحق من ذرية ابرهيم ومن ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم
من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين صفة لاولئك كان اذا تتلى عليهم
كلاما مستانفا وان جعلت الذين صفة لاولئك كان خبرا له وممن هدينا اي ارشدنا واجتبينا اي
اصطفينا على الانام اذا تتلى عليهم آيات الرحمن اي القرآن خروا سجدا حال مقدرة اي خروا مقدرين السجود
لان الانسان في حال الخرور لا يكون ساجدا فسجدا منصوب على الحال وهو ساجد وبكيا جمع باك لقد
بين الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا من خشية الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا ● الخلف بسكون اللام الردي من كل شيء وفي هذه الآية اليهود ومن تبع
هم وعن السدي هم اليهود والنصارى وعن مجاهد وقتادة انهم في هذه الامة عند ذهاب صالحي امة محمد اضاعوا
الصلاة المفروضة اي تركوها وعن ابن مسعود اخروها عن مواقيتها وصلوها لغير وقتها واتبعوا الشهوات
عن مقاتل استحلوا نكاح الاخت من الاب وعن الكلبي يعني اللذات شرب الخمر وغيرها وعن مجاهد هذا عند اقتراب
الساعة وذهاب صالحي امة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في السكك والازقة زناة وعن
الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال يكون خلف بعد ستين سنة اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هذا اذا بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن الحسن آثروا شهوات
انفسهم على طاعة الله وعن وهب فخلف من بعدهم خلف شرابون للقهوات لعابون بالكعاب ركابون للشهوات

الخلف بسكون اللام عقب السوء وبفتح اللام عقب الخير

متبعون

متبعون اللذات تاركون الجماعات مضيعون للصلوات وعن كعب يظهر في آخر الزمان قوم بايديهم سياط كاذناب
البقر بعضهم يضربون الناس ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف فسوف يلقون غيا شر كل شيء عند العرب غي وكل خير رشاد
قال ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وقيل يلقون جزاء غي وقيل غي واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها وليس معنى اللقاء مجرد الرؤية وانما المراد الاجتماع والملابسة مع الرؤية الا من تاب
عن الشرك وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل تاب من التقصير في الصلاة وآمن اليهود والنصارى وعمل صالحا
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا من ثوابهم ولا ينقصونه بل يضاعف لهم جنات عدن لما كانت الجنة
مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي التي وعد الرحمن عباده بالغيب
وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها وقيل بتصديق الغيب والايمان به انه كان وعده
ماتيا اي آتيا عن ابن قتيبة مفعول بمعنى فاعل وهو قليل اذ ياتي الفاعل على لفظ مفعول به والوجه ان الوعد
هو الجنة وهم ياتونها وقيل هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها في الجنة لغوا
فضولا من الكلام وما لا طائل تحته فاسدا وباطلا الا سلاما استثناء من غير جنسه اي بل يسمعون فيها
سلاما من لا يسلمون فيه من الغيب وقيل تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم او كان تسليم بعضهم
على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وقيل معنى السلام هو الدعا بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعا
بالسلامة اغنيا فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة بكرة ولا عشية ولكن يؤتون برزقهم على مقدار ما كانوا يعرفون
من الغداة والعشي عن الحسن كانت العرب لا تعرف شيئا من العيش افضل من الغداء والعشاء فذكر الله تعالى ذلك
وعن قتادة كانت العرب اذا اصاب احدهم الغداء والعشاء اعجب فاخبر الله ان لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيا
على قدر ذلك الوقت ثم ليل ولا نهار وانما هو ضوء ونور وقيل من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي
عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا
عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث
استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث وكان من كان تقيا يلقى ربه يوم القيمة قد انقضت
اعماله وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخله الجنة فقد اورثه من تقواه كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل
يورث يعطي المساكين ما للمؤمنين الجنة التي كانت لاهل النار لو آمنوا ويجوز ان يكون معنى نورث نعطي في ذلك
ونزلها اياها ويكون كالميراث لهم من جهة انها تمليك مستانف قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا ● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعك ان تزورنا
اكثر مما تزورنا فانزل الله الاية وعن مجاهد ابطأ الرسل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حبسك
فقال وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون شواربكم ولا تستاكون فانزل الله الاية وعن عكرمة
وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه فابطأ عليه شق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فلما نزل جبريل قال له ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت
اليك فقال جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الآية
قيل سبب احتباس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استرابع اصحابه كمال النظافة كما ذكر في حديث مجاهد
وقيل لانهم سالوه عن قصة اصحاب الكهف فقال غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله عن ابن عباس رضي الله عنه
احتبس عنه خمسة عشر يوما وعن عكرمة ومقاتل اربعين يوما وعن مجاهد اثنتي عشرة ليلة وعن مقاتل ثلاثة ايام
وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل ان سورة الضحى نزلت في هذا السبب وما نتنزل التنزل على معنى النزول
على مهل والنزول على الاطلاق كقوله وانزلت بانيه وكذلك ان تنزل مخفوض لانه مطاوع نزل وقد
يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا
غب وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا اي الآخرة وما خلفنا الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين وهو
اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها ما بين ايدينا قبل ان نخلق وما خلفنا من بعد
ان نفنى وما بين ذلك ما هو فيه من الحياة وقيل ما بين ايدينا الارض اذا اردنا النزول اليها وما خلفنا السما
اذا نزلنا فيها وما بين ذلك اي من السما الى الارض وقيل ما بين ايدينا ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر ربك ومشيته يريد ان ذلك كله لله
تعالى فلا نقدر على فعل من فعل وغيره الا بامره وما كان ربك نسيا اي ما كان تاركا لك منذ ابطا الوحي
عنك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به وقيل انه قال لم يكن
لا ينسى شيئا وقيل هذا اخبار من اهل الجنة انهم يقولون عند دخولها ما تتنزل هذه الجنان الا بامر الله رب السموات

اي لا ينقصون شيئا

ولهم

هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعن مجاهد عكس هذا

والأرض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبرا لمحذوف [illegible]

[illegible]

حال مقدرة لما كانوا في الموقف جاثين لا من توابع المواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن لنأخذن
ولنخرجن من كل شيعة فرقة وامة شاعت غيا واما من الغواة قال
تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا نعني نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم واعتاهم فاذا
اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم فاولاهم وقيل اراد بالذين هم اولى به صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن
اعلم بتصليتهم هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الضالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد وقيل ايهم اشد على الرحمن
عتيا نقباء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا مضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قيل ايهم مرفوع على الاستيناف في
لم يعمل لننزعن شيئا وعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال
الزجاج التاويل لننزعن الذين من اجل عتوهم يقال ايهم اشد عتيا وعن سيبويه انه مبني على الضم لسقوط صدر
الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب تقديره ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله تعالى
ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا على الرحمن وعلى للبيان
لا للصلة وقيل يتعلق باشد بمعنى ايهم اشد على الرحمن كقولك هو اشد على الناس وكذا قوله اولى بها صليا الباء للبيان لا للصلة وقيل
يتعلق باولى اي هم اولى بها صليا كقولك هو اولى بكذا **قوله تعالى** وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وان منكم قيل فيه اضمار تقديره والله ان منكم اي وما منكم احد الا واردها قيل الالتفات الى الانسان وقيل خطاب
للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار
بغيرهم وقيل الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار
او قال لجهنم ضجيجا من بردهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأله نافع بن الازرق عن هذه الآية فقال له اما انا وانت فسندخلها
فانظر هل يخرجنا الله عز وجل منها ام لا واحتج بقوله فاوردهم النار وبقوله انتم لها واردون وكان عبد الله بن رواحة
يبكي ويقول انبئت اني واردها ولم انبأ اني صادر وحكي عن الحسن البصري انه قال لاخيه هل اتاك انك وارد النار
قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك وحكي عن ابن عباس انه اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم
يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة ومن ذهب الى ان الورود هو الحضور [illegible] اعترض على اصحاب
هذا القول باشياء فقال الزجاج العرب تقول وردت بلد كذا ووردت ماء كذا اذا اشرفت عليه وان لم تدخله ومنه قوله
تعالى ولما ورد ماء مدين والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فانا
[illegible] وقد اجاب بعضهم عن هذه
الحجة فقال اما الآية الاولى [illegible]
[illegible] واما الآية الاخرى فانها تضمنت الاخبار عن اهل الجنة حين كونهم فيها
حينئذ لا يسمعون حسيسها وقد روينا ايضا عن خالد بن معدان انهم يمرون بها ولا يعلمون وعن عبد الله بن مسعود
الورود المرور عليها وقيل يردها الناس ثم يصدرون عنها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كشد
الرجل ثم كمشيه وعن عبد الله بن عمير [illegible] وعن زيد [illegible] المسلمين المرور على الجسر [illegible]
[illegible] وعن مجاهد ان ورود المؤمنين النار ما يصيبه من الحمى في الدنيا والحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قوله منكم
الا واردها قيل اختلف الناس في معنى الورود بحسب اختلافهم في الوعيد فاما الوعيدية فانهم قالوا من دخلها لم يخرج
منها وقالت المرجئة لا يدخلها مؤمن واعتمدوا على ان الورود هو الحضور لا الدخول واما اهل السنة فانهم قالوا يجوز
ان يعاقب الله تعالى العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها وقالوا معنى الورود الدخول واحتجوا عليه بقوله تعالى
اخبارا عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود وقال في الاصنام وعبدتها انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها فلو لم يكن الورود في هذه
الآيات بمعنى الدخول لوجب ان يدخل الاصنام وعبدتها او فرعون وقومه الجنة لانهم مروا على النار [illegible] من الجنة
لانه ليس بعد الدنيا دار الا الجنة او النار فالذي يدل على ان الورود هو الدخول قوله في سياق الآية ثم ننجي
الذين اتقوا والنجاة لا تكون الا مما دخلت فيه كانت ملقى فيه قال الله سبحانه فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
كان على ربك حتما مقضيا الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير والحتم ايضا
القضاء والقطع بالامر والمقضي الذي قضاه والمعنى انه حتم ذلك وقضاه على الخلق وعزم على ان لا يكون غيره **قوله
تعالى** ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ثم ننجي قرأ الكسائي ننجي بضم النون الاولى وسكون الثانية
والباقون بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم الذين اتقوا عن الشرك وهم المؤمنون ونذر الظالمين في
الكافرين فيها اي في النار جثيا جميعا وقيل على الركب **قوله تعالى** واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ● واذا تتلى عليهم اي على المشركين آياتنا اي القرآن بينات
مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول
الله صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا وقيل بينات ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها وقيل بينات
حجج وبراهين فقوله بينات حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة حججا قال الذين كفروا [illegible]

فاعتاهم
فاولاهم
على خمسة
وروى جابر بن عبد الله [illegible] الورود الدخول

قريش النضر بن الحارث ونحوه من قريش للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم
قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون خير
ثيابهم أي الفريقين خير مقاما قرأ ابن كثير بضم الميم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام
والمراد المكان والموضع وأحسن نديا مجلسا ومجتمعا وحيث ينتدون ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يجلسون
فيها ويجتمعون ويتشاورون في أمورهم والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا
وذلك مبلغهم من العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين بها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك
عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويحتمل أنهم يفاخرون المؤمنين بذلك ويفاخرونهم به وأنهم
يتوهمون به لأجلهم حقا كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه قوله تعالى
وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ● فأجابهم الله تعالى وكم مفعول أهلكنا قبلهم من قرن من بيان لإبهامها
أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم هم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى
أنك لو تركتهم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية أثاثا متاعا وقيل هو ما جد من الفرش ورئيا منظرا قرأ نافع
وابن عامر ريا بياء مشددة من غير همز والباقون بهمزة بين الراء والياء [illegible] من النظر قوله تعالى
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو
شر مكانا وأضعف جندا ● هذا أيضا مما أجابهم الله به قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كان في الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا أي يمد له الرحمن مدا يعني أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول
لا محالة كالمأمور به الممتثل لينقطع معاذير الضلال ويقال لهم يوم القيمة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله
إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقيل اللام فيه لام الدعاء على معنى قل يا محمد من كان في الضلالة فاللهم مد له في
العمر مدا حتى إذا رأوا قيل متصلة بالآية التي هي رابعتها وهي قوله وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى إذا رأوا ما يوعدون أي لا يزالون يقولون هذا القول ويتولعون
به لا يتكافون عنه إلى أن يعاينوا ويشاهدوا الموعود رأي عين إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم و
تعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين كله على رغمهم وإما الساعة أي يوم القيمة وما ينالهم
من الخزي والنكال فسيعلمون حينئذ يعلمون عند المعاينة من هو شر مكانا وأضعف جندا أي فحينئذ يعلمون
عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين
على خلاف صفتهم هم خير مقاما وأقوى جندا وقيل حتى إذا رأوا متصلة بما يليها وهو قوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا والمعنى في الضلالة أي جهلهم وكفرهم الذي [illegible] إلى أن قالوا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما
وأحسن نديا ممدود لهم في ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وأشراطها وحتى هاهنا
حرف ابتداء دخلت على جملة وفيها معنى الغاية والجملة التي دخلت عليها شرطية إذا رأوا ما يوعدون شرط جوابه
فسيعلمون والرؤية رؤية العين وإما العذاب وإما الساعة بدل من ما يوعدون وشر مكانا في مقابلة خير مقاما لأن
مقامهم هو مكانهم ومسكنهم وأضعف جندا في مقابلة وأحسن نديا لأن الندي هو المجلس الجامع لوجوه
قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الأنصار والأعوان قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ● لما بين أن من كان في الضلالة يمد له عقبه بأن يزيد
الذين اهتدوا هدى ويزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة يمد له الرحمن
مدا أي يزيد الذي هو في ضلالة ضلالة ويزيد الذين اهتدوا هدى قيل يزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيمانا وقيل يزيدهم
بصيرة في دينهم وقيل يزيدهم زيادة الوحي إيمانا فكلما نزلت سورة زادهم إيمانا وقيل يزيدهم إيمانا بالناسخ والمنسوخ
وقيل يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ وقيل المعنى أن الله تعالى يجعل جزاء المؤمنين أن يزيدهم يقينا كما جعل جزاء
الكافرين أن يمدهم في ضلالة والباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوة وقيل سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند ربك ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا عاقبة وقيل مرجعا وقيل منفعة من قولهم
ليس هذا الأمر بمرد وقال لما ارجعت ولا أهلكت وهل يرد بكائي زندا فإن قيل كيف قيل خير ثوابا حتى يجعل ثواب الباقيات
الصالحات خيرا منه أجيب كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه
نوع من التهكم هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار وقيل هو رجعنا التفضيل في الخير كان للمفاخرين شركا
فيه لحسب بأن هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من الشتاء في برده قوله تعالى
أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول
ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ● روى البخاري ومسلم في الصحيح من حديث مسروق عن
خباب قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر
بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك
فنزلت فيه هذه الآية ولما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وإلى صحة الخبر عنها استعملوا
أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه

عقيب حديث أولئك والفاء بعد همزة الاستفهام عاطفة جملة على جملة الذي يعني العاص بن وائل كفر بآياتنا القرآن
وقال لأوتين لأعطين مالا وولدا يعني في الجنة بعد البعث أطلع الغيب أي أنظر في اللوح المحفوظ وعن مجاهد أعلم الغيب
حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا
ويقولون مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له والاختيار هذه الكلمة شأن يقول أو قد بلغ من عظمة شأنه
أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار أم اتخذ عند الرحمن عهدا عن ابن عباس أم قال لا إله إلا الله وعن قتادة
أم قدم عملا صالحا فهو يرجو أم اتخذ عند الرحمن عهدا أنه يدخله الجنة وقيل المعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل
إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما باطلاع الغيب وإما باتخاذ العهد من عند الله فبأيهما توصل إلى ذلك كلا ردع وتنبيه
على الخطأ أي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه وقيل ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد وقيل
يجوز أن يكون معنى كلا أنه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا سنكتب أي سنأمر الحفظة بإثبات ما يقول
ليجازيه به قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني
أني لا أخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا أي
نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئين وقيل نزيده من العذاب
ونضاعف له من المدد يقال مده وأمده بمعنى وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ بالله من
التعرض لما يستوجب به غضبه ونرثه ما يقول أي ما يقول إن له الجنة فنجعله لغيره من المسلمين وقيل نرثه ما عنده من المال
والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقيل نسلبه المال والولد فنجعله لغيره وقيل يحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه
الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله لأوتين لأنه جواب قسم مضمر ومن يتألى
على الله يكذبه فيقول الله هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد
كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا فإذا
قبضنا حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له وقيل معناه لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه
بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله
سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه قوله تعالى واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ● لما تكلم في مسألة الحشر
والنشر تكلم هاهنا في المشركين في الآخرة مع الأصنام فحكى عنهم أنهم إنما اتخذوها آلهة لأنفسهم ليكونوا لهم
عزا حيث يكونون لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة سيكفرون
الضمير للآلهة وقيل الذين عبدوا الملائكة يكفرون بعبادة المشركين ويجحدونها وهو المراد من قوله بل كانوا يعبدون
الجن وقيل المراد الأصنام أي أن الله تعالى ينطق الأصنام يوم القيمة ويجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون
والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وقيل الضمير للمشركين أي ينكرون أنهم عبدوا الأصنام
قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون الآلهة عليهم ضدا أي ضد
ما أرادوه كأنه قيل يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أي أعوانكم
وكان العون سمي ضدا لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه ووحد الضد توحيد قوله صلى الله عليه وسلم
وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم وقيل معنى كون الآلهة عونا عليهم
أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها وإن رجع الضمير في سيكفرون ويكونون إلى
المشركين فإن المعنى ويكونون عليهم أي أعدائهم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها قوله تعالى ألم تر أنا
أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين إلى جهنم وردا ● لما أورد حال هؤلاء المشركين مع الآلهة في الآخرة ذكر حالهم مع الشياطين في الدنيا
ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين أي سلطناهم وقيضناهم لهم بكفرهم وذلك حين قال لإبليس واستفزز
من استطعت منهم بصوتك الآية تؤزهم عن ابن عباس تزعجهم إزعاجا من الطاعة إلى المعصية أي تغريهم على المعاصي
وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات فلا تعجل عليهم بالعذاب والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار وأقاويلهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي
وإفراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر وإجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك
في اتباع الشياطين وما تسول لهم أي فلا تعجل عليهم بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر
الأرض بقطع دابرهم إنما نعد لهم عدا أي فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة
كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعدها لو عددت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وعن ابن عباس أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق

آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن
لها مدد فما اسرع ما ينفد قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
يوم نحشر قيل نصب يوم بفعل مضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف وقيل منصوب
باذكر اي اذكر يا محمد يوم نحشر وقيل منصوب بلا يملكون يوم نحشر المتقين الموحدين المحترزين عن الشرك وذكر
المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يحشرون اي يجمعون الى الرحمن الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته
كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين الكرامة عندهم وفدا اي جماعات ركبانا وهي عادة الوفود لانهم سراة الناس وحسنهم
شكلا فشبه اهل الجنة بالوفد على الوفد كان متضمنا للانصراف الا ان المراد تشبيههم بالوفد منه وكما
وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت
وذكر المجرمين المشركين بلفظ التحقير نسوق المجرمين الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء
وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا للعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قوله
تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من
في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ● لا يملكون قيل
الضمير عائد على المجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم ولا سبيل لهم اليها فعلى هذا المجرمون هم المشركون خاصة الا من
اتخذ استثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد الايمان عن ابن عباس العهد لا اله الا الله
وفي الحديث يقول الله يوم القيمة من كان له عندي عهد فليقم وفي الحديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن
تامات كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة وقيل الضمير راجع الى المجرمين والمجرمون تعم الكفار والعصاة ثم
اخبر انهم لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي الا العصاة المؤمنون فانهم يملكون ان يشفع لهم
فيكون الاستثناء متصلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله
الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي وقيل الضمير في لا يملكون للمتقين فهو للكفر اي المتقون عن الكفر لا يملكون
الشفاعة لغيرهم الا من كان له عمل صالح يحصل به مرتبة الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي رجلا
يدخل الله بشفاعته اكثر من بني تميم فعلى هذا هو الشفيع وقيل معنى الكلام لا يملك المتقون الشفاعة الا لمن اتخذ
عند الرحمن عهدا فيكون الاستثناء مفرغا ومن هو المشفوع له وقيل معنى الكلام لا يملك جميع اهل الموقف المتقون
والمجرمون الشفاعة لغيرهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الضمير في يملكون
لمن سبق ذكره اي المتقين والمجرمين والشفاعة هي الشفاعة الخاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم للعصاة والذي يدل على هذا
تدافع الانبياء الشفاعة حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم اليها والعهد على هذا النص على امر الشفاعة
وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ومحل من اتخذ الرفع على البدل من الفاعل في يملكون وقيل يجوز النصب
على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا رد على عبدة الاصنام عاد الى حكاية قول من اثبت
لله ولدا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا الضمير في قالوا يعم جميع الفرق الذين اثبتوا لله ولدا والولد يعم الثلاثة المذكورة لقد جئتم التفات من الغيبة
الى الخطاب شيئا ادا عجيبا فظيعا منكرا شديدا تكاد قرأ نافع والكسائي بالياء تحتها والباقون بالتاء من فوق السموات
يتفطرن قرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم ينفطرن بالنون من الانفطار من فطره اذا شقه والباقون
بالياء والتاء مشددة الطاء من التفطر من فطرته اذا شققته وتنشق الارض وتخر تسقط الجبال هدا كسرا او فصلا
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات اجيب من وجهين احدهما
ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها
لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها
لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان تصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر
منه وتنشق وتخر ان دعوا قيل هو في محل الجر على ان يكون بدلا من الضمير المجرور في منه ومرجع هذا الضمير هذا القول
وقيل في محل النصب بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد بدعاء الولد
للرحمن وقيل في محل الرفع على ان يكون فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة
انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم
من الاموال والحيوان وغيره من صنوف المال كما قال بعضهم فليكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك
عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان دعوا من دعا بمعنى
سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا
بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير ابيه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب
اي لا ننتسب اليه عن ابينا مطاوع بني اذا طلبنا وما يتأتى له اتخاذ الولد وما يطلب لو طلب مثلا لا يصلح له اتخاذ الولد

الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ام
جميع اهل الموقف

لانه لا يصح

لانه لا يصح ولا يمكن اما الولادة المتعارفة فلا ريب في عدم صحته واستحالته واما التبني فلانه يقتضي مجانسته ولا
مجانسة بينه وبين ما سواه لانه قديم وما سواه محدث ان كل من اي ما منهم من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقعت
نعتا في كل من ان ينبغي عبدا صدر ما في ما كل من في السموات والارض كالملائكة والارض كعيسى وعزير الا آتي الرحمن
يوم القيمة عبدا ذليلا خاضعا قيل وفي هذه الاية دلالة على ان الوالد اذا اشترى ولده لم يبق ملكه عليه وانما
يعتق بنفس الشرى لان الله تعالى نفى البنوة لاجل العبودية فدل على ان التنافي بينهما وعبد الحال ثم اخبر تعالى عن احاطته
علما بعبيده فقال لقد احصاهم اي علم عددهم ثم كرر المعنى بغير لفظه فقال وعدهم ثم اكد بذكر المصدر المؤكد فقال
عدا ولا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم والاحصا الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم
عدا عدا الذين توهموا واعتقدوا ان عيسى وعزيرا والملائكة اولاد الله اعتقادهم انه يكفي في امتناعها القول بان الرحمن
يصح ان يتخذ ولدا والاخر اشراك الذين اعتقدوا انهم اولاد في العبادة كما يخدم الرعايا اولاد الملوك خدمتهم
لابائهم فابطل الله الاول عن الكفرين فيما تقدم من الايات ثم ابطل الاخر من الكفرين بقوله ان كل من في السموات
والارض والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو آتي الرحمن اي ياوي ويلتجي
الى ربوبيته يوم القيمة عبدا منفردا مطيعا خاشعا منقادا لها خاشيا راجيا كما تفعل العبيد وكما يجب عليهم
لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم منقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم
وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس
معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا ● اي سيخلق لهم الرحمن في القلوب مودة ومحبة من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودة
القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه تعالى اختصاصا منه لاوليائه بكرامة
كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكانت
المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا ظهر الاسلام وجعل كلمته العليا واما ان يكون ذلك يوم
القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم عن البراء بن عازب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه
قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ● اي فانما يسرنا القرآن بلسانك
بلغتك يا محمد وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين عن الشرك المؤمنين بالله وحده
وتنذر به قوما لدا شدادا في الخصومة جدلا بالباطل خصماء صما آذانهم عن الحق ياخذ في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم
يريد اهل مكة قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ● صوتا خفيا لا يفهم ●

تخوف اهل مكة وانذرهم هل تحس
هل ترى منهم من احد او تسمع لهم ركزا

سورة طه

وهي خمسة آلاف واثنان واربعون حرفا والف وثلثمائة واحد واربعون كلمة ومائة وخمس وثلثون آية روي عن ابي
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم بالفي عام فلما سمعت الملائكة
القرآن قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس قيل في سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يراوح بين قدميه يقوم على رجل حتى نزلت هذه الاية وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انزل عليه القرآن صلى هو واصحابه فاطال القيام فقالت قريش ما انزل الله هذا القرآن على محمد الا ليشقى فنزلت هذه
الاية وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى بترك ديننا
فنزلت هذه الاية والاول عن علي رضي الله تعالى عنه والثاني عن الضحاك والثالث عن مقاتل
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة
لمن يخشى ● فخم ابو عمرو الطاء لاستعلائها واما الهاء وقرأ نافع طه بين الفتح والكسر وهو الى الفتح اقرب
وفخمهما ابن كثير وابن عامر والباقون اما لوهما اختلف الناس في طه بحسب اختلافهم في الحروف التي هي في الفواتح
واختصت طه باقوال اخر قيل ان معناها يا رجل رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير في رواية والضحاك بالنبطية
وعن قتادة وعكرمة في رواية وسعيد بن جبير في رواية بالسريانية وعن عكرمة في رواية بالحبشية وعن ابي صالح عن ابن عباس
بلسان عك قال شاعرهم ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله ارواح الملاعين وقال الآخر هتفت بطه في القتال
فلم يجب فخفت لعمري ان يكون موائلا قال صاحب الكشاف والله اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل
عكا تصرفوا في هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصيغة ظاهر
لا يخفى في البيت المستشهد به وقيل انها حروف من اسماء فقيل من اسماء الله عن ابن مسعود وابي العالية ان الطاء من اللطيف

من الهادي وعن سعيد بن جبير ان الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هاد وقيل انها حروف من اسماء
الله فقيل ان الطاء من طابة وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والهاء من مكة وقيل ان الطاء طرب اهل
الجنة والهاء هوان اهل النار وقيل ان الطاء في حساب الجمل تسعة والهاء خمسة فتكون اربعة عشر فالمعنى يا ايها البدر
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل انه قسم اقسم الله بطوله وهدايته وعن الحسن طه وفسر بانه
امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا
وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت الهمزة في يطأ الفا ثم بني عليه الامر والهاء للسكت قال صاحب الكشاف ولا اقول ان الثلثة في
الفواتح اعزل التي قدمتها في اول الكتاب عن حقائق التنزيل التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت
طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه الذي سبق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان يكون
خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان كان قسما يكون ما انزلنا
جوابا لها لتشقى لتتعب بما تبلغ من الجهد ما قد بلغت فانه اجتهد في العبادة وبالغ حتى انه كان يراوح بين قدميه لطول
القيام فامر بالتخفيف عن مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة
بالليل ثم نسخ ذلك بالفرض وانزل الله هذه الاية وعن الكلبي لما انزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
اجتهد في الصلاة واشتدت عبادته فامره ان يخفف على نفسه فيصلي وينام فنزلت هذه الاية وقيل
لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى
التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلنا عليك القرآن تذكرة
لتذكر به من يخشى الله او لتذكرة مصدر كالتذكير وقيل معناه ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا
لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل رد بذلك ما قال له ابو جهل والنضر بن الحارث
انك تشقى لانك تركت دين آبائك اي ان دين الاسلام والقرآن لا تشقى به فانه هو السلم الى نيل كل فوز والسبب
في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول
وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع
اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط قال صاحب الكشاف فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن
ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة
في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها ولا يجوز ان يكون تذكرة
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولكن تذكرة نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن وقيل يحتمل
ان يكون المعنى ما انزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير
ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن علم الله منه انه يخشى ويزيد خشيته
تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا لا اذا كان تذكرة مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وقيل يجوز ان ينتصب
تنزيلا بفعل مضمر اي نزل تنزيلا وقيل يجوز ان ينتصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة
ويجوز ان ينتصب على المدح والاختصاص وان ينتصب بيخشى مفعولا به اي انزلناه تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ما نعبد
تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لانه تنزيل ممن هذه صفاته وافعاله ممن يجوز ان
يكون متعلقة بتنزيلا نعتة فتقع صلته ويجوز ان يكون متعلقة بمحذوف فامتقع صفة لتنزيلا ممن خلق
النقلات من التكلم الى الغيبة فيه فوائد منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها
ان هذه الصفات تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلناه ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع
ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فتضاعفت الفخامة من طريقين قيل يحتمل ان يكون انزلنا
حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه الارض والسموات العلى جمع العالية الرفيعة وصف السموات بالعلى
دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها الرحمن رفع على المدح على تقدير هو الرحمن فيكون خبر
لمبتدأ محذوف وقيل هو مبتدأ مشار بلامه الى من خلق على العرش استوى خبره وان كان الرحمن خبر مبتدأ محذوف جاز
ان يكون على العرش استوى خبر لمبتدأ محذوف اي هو على العرش استوى وجاز ان يكون مع الرحمن خبرين
للمبتدأ استوى قيل بمعنى استولى وقال امام الحرمين هو بمعنى استوى القهر والغلبة وقال سفيان الثوري فعل
تعالى في العرش سماه استواء وقيل هذا من متشابه القرآن نؤمن به ولا نحمله على ظاهره ولا نؤوله سئل مالك بن
انس فقال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة قال صاحب الكشاف لما كان الاستواء
على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك
وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط
وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين
الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم يكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم
قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا

قوله تعالى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

ولا بسط

ولا بسط له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لما شرح ملكه بقوله الرحمن على العرش استوى
والملك لا ينتظم الا بالقدرة والعلم لا جرم عقبه بالقدرة ثم بالعلم اما القدرة ففي هذه الاية والمراد انه تعالى
مالك لهذه الاقسام الاربعة فهو مالك لما في السموات من ملك وكوكب وغيرهما ومالك لما في الارض من المعادن
والفلزات ومالك لما بينهما من الهواء ومالك لما تحت الثرى فان قيل الثرى هو الجسم الاخير من العالم فلا يكون تحته
شيء فكيف يكون الله مالكه اجيب بان الثرى التراب الندي يحتمل ان يكون تحته شيء وهو اما الثور او الحوت او الصخرة
او البحر او الهواء على اختلاف الروايات فقوله ما تحت الثرى قصص في امر الحوت ونحوه ولم يثبت صحتها فلا فائدة
في ذكرها واما العلم ففي قوله وان تجهر بالقول اي وان ترفع صوتك فانه يعلم السر واخفى والمعنى لا تجهد نفسك
برفع الصوت فان الله يعلم السر قيل ما اسره الانسان في نفسه واخفى ما لم يكن بعد وسيكون وقيل السر ما حدثت
به نفسك واخفى ما لم تحدث به وقيل ان السر العمل الذي يسره الانسان من الانسان واخفى منه الوسوسة وقيل
معنى الكلام يعلم اسرار عباده وقيل اخفى سره عنهم فلا يعلم كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وقيل يعلم ما اسره الانسان الى غيره واخفى من ذلك وهو ما اخطر بباله والمعنى ان تجهر بشيء من ذكر الله من
دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو له
الاسماء الحسنى قد سبق تفسيره قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى ● لما عظم الله حال القرآن وحال الرسول اردفه بما يقوي قلبه من ذكر حال موسى ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة
وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدائد حتى ينال هذا الفوز والمقام المحمود وهل اتاك هذا استفهام
تقرير ومعناه وقد اتاك وهذا معروف عند اهل اللغة يأتي هل بمعنى قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو افصح العرب اللهم هل بلغت يريد قد بلغت وقيل يحتمل ان يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى فقال وهل اتاك
اي لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهل اتاك وان كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله لكن المقصود
منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة ابلغ في ذلك كما تقول لصاحبك هل بلغك خبر كذا فيتطلع صاحبك الى
معرفة ما تومي اليه ويجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت
ويجوز ان ينتصب مفعولا لاذكر وعن وهب استأذن موسى شعيبا في الرجوع الى امه فاذن له فخرج باهله فولد له
في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وحاد موسى عن الطريق وقدح النار فلم تور المقدحة شيئا فبينا
هو في مزاولة ذلك ابصر نارا من بعيد عن يسار الطريق قيل كانت ليلة الجمعة فقال موسى لاهله امكثوا
مكانكم قرأ حمزة لاهله بضم الهاء والباقون بكسرها اني آنست ابصرت نارا الايناس الابصار البين الذي
لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار
ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان منقطعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم لعلي آتيكم
من النار بقبس بشعلة القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبس فيه من شعلة
او غيرها او اجد على النار هدى يعني من يهديني على الطريق او ينفعني بهداه في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك
لان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة
فقد وجد الهدى ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال
لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين
بها والمستمتعين اذا اكتنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
فلما اتاها اي اتى موسى النار رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة
ورأى نورا عظيما فخاف وتعجب فالقيت عليه السكينة نودي يا موسى اني قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة والياء
اي نودي باني والباقون بكسر الهمزة الا ان نافعا فتح الياء اي نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او لان النداء ضرب من
القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة فنظيره
قوله تعالى عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم وقل اني انا النذير المبين فاخلع نعليك قيل سبب الامر بخلع نعليه
انهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل انما قال له اخلع نعليك كي تمس راحة قدميك الارض المقدسة
فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقيل انما امر بذلك لان الحفوة من امارات التواضع ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول متنعلا تصدق والقرآن يدل على
ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها قال النخعي قال اهل الاشارة معناه فرغ قلبك من شغل
الاهل والولد قال الواحدي هذا هو قول التعبير من رأى عليه نعلين يتزوج فخلع موسى نعليه والقاهما من وراء الوادي
انك بالواد المقدس المطهر طوى اسمها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالتنوين منصرفا بتأويل المكان والباقون بغير تنوين
غير منصرف بتأويل البقعة وقيل المقدس طوى طوى مرتين وقيل نودي نداءين قوله تعالى وانا اخترتك فاستمع

المقدس مرتين

لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما
تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وانا قرا حمزة وانا بالتشديد والباقون بالتخفيف
اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة اخترناك لما يوحى للذي يوحى على تقدير ان يكون موصولة او للوحي على
تقدير ان يكون مصدرية واللام في لما يوحى يتعلق باستمع او باخترتك انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري
لا بالانفراد ولا بالشركة واقم الصلوة لذكري قيل معناه واقم الصلوة متى ذكرت ان عليك صلوة سواء كنت
في وقتها او لم يكن لما روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وقرأ واقم الصلاة لذكري وقيل معناه اقم الصلاة لتذكرني فان ذكري ان اعبد
ويصلى لي وقيل لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها وقيل لان اذكرك بالمدح
والثناء واجعل لك لسان صدق وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد
غرضا اخر وقيل لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيلهم هممهم
وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا ان الساعة آتية اكاد اخفيها من نفسي
فكيف اظهركم عليها وهذا على عادة العرب فانهم يقولون اذا بالغوا في كتمان الشيء كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع
عليه احدا وقيل ان الكلام تم في قوله اكاد وفيه مضمر تقديره اكاد اتي بها ثم ابتدأ وقال اخفيها لتجزى وقيل معنى
اكاد اريد اخفيها وفائدة هذا الاخفاء التهديد والتخويف فان من لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان اشد
حذرا لتجزى ان الساعة آتية لتجزى كل نفس بما تسعى بسعيها وقيل يجوز ان يكون متعلقا باقم الصلاة لذكري
اي اقم الصلاة لذكري لتجزى فلا يصدنك عنها عن الضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة اي فلا يصدنك
عن الايمان بها من لا يؤمن بها والخطاب لموسى عليه السلام قال صاحب الكشاف فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد
موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود
قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب
والثاني ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه
عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل شدد
الشكيمة وصلب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن
بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم
سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه الهوى واتباعه
لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد واهله **قوله تعالى** وما تلك
بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها
فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى قيل تلك اسم موصول وصلته بيمينك
والمعنى ما التي بيمينك وقيل تلك اسم اشارة وبيمينك في محل النصب على انه حال والعامل فيه معنى الاشارة
كقوله هذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة فان قيل ما الفائدة في سؤال الله تعالى عما ملك
بيمينك وهو يعلم فنجيب بان احدهما ان لفظه لفظ الاستفهام ومجراه مجرى السؤال يجيب المخاطب بالاقرار
به فتثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحود ومثاله في الكلام ان تقول لمن تخاطبه وعندك ماء ما هذا فيقول
ماء فتضع عليه شيئا من الصبغ فان قال لم يزل هكذا قلت له الست اعترفت بانه ماء فتثبت عليه الحجة فعلى هذا تكون
الفائدة انه قرر موسى انها عصا لما اراد ان يريه من قدرته في انقلابها حية فتقع المعجزة بها بعد التثبت في امرها والثاني
انه لما اطلع الله عز وجل على ما في قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكلم اراد ان يؤانسه ويخفف عنه ثقل
ما كان فيه من الخوف فاجرى هذا الكلام للاستئناس وقيل انما ساله ليريه عظم ما يخترعه تعالى في الخشبة
اليابسة من قلبها حية نضاضة وليتقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه
على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا
مسردا فيقول لك ما هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد فان قيل قد كان يكفي في الجواب
ان يقول هي عصا فما الفائدة في قوله اتوكأ عليها الى آخر الكلام فانما شرح هذا لمن لا يعلم فوائدها ففيه ثلاثة
اجوبة احدها انه اجاب بقوله هي عصا فقيل له ما تصنع بها فذكر باقي الكلام جوابا عن سؤال ثان والثاني
انه انما اظهر فوائدها وبين حاجته اليها خوفا ان يامره بالقائها كالنعلين والثالث انه بين منافعها لئلا يكون
عابثا بحملها فان قيل لم اقتصر على ذكر منافعها ولم يطل الشرح ففيه ثلاثة اجوبة احدها انه كره ان يشتغل عن كلام
الله بتعداد منافعها والثاني انه استغنى بعلم الله فيها بكثرة التعداد والثالث انه اقتصر على اللازم دون العارض
اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة واهش بها واخبط الشجر ليتناثر ورقها
فتأكل غنمي هش الورق خبطه اي اخبط على رأس غنمي تأكله ولي فيها مآرب حوائج ومنافع واحدتها مأربة ومأربة

بضم الراء وفتحها اخرى ولم يقل اخر لرؤس الآي ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه
احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها
وكما تنفع العيدان وليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز وقيل اسم العصا نبعة
وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا
سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض
الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع
عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا ويكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فتغصنت غصن تلك الشجرة واورقت
واثمرت ثمرها وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب قال الله القها
يا موسى فالقى موسى من يده ظنا منه انه قد امر برفضها فصح حسا فالتفت فاذا هي حية تسعى تمشي بسرعة وخفة
حركة وانما اظهر هذه الآية ليلة المخاطبة لئلا يخاف منها اذا القاها بين يدي فرعون وليريه انا الذي اقلب
اليد دون ما ادينك كما ذلك لنا الا اعظم وهي الحية ادل لكمال الادنى عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت حية صفراء
لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهي اكبر ما يكون من الحيات فلذلك قال في موضع آخر كانها جان
وهي اصغر الحيات وفي موضع آخر ثعبان وهو اعظمها فالجان مبتدأ حالها والثعبان انتهاء حالها والحية اسم جنس
يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وقيل اراد بهما في عظم الثعبان وسرعة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما راها
تهتز كانها جان وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا ولما رأى موسى ذلك الامر العجيب لحقه ما يلحقه من الفزع والنفار
ما يلحق البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف
ونفر وقيل انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينته ان ادخل يده
في فمها واخذ بلحييها قيل لما القي في موسى من الخوف ونفار الطبع ما رأى من الاعجوبة قال الله له خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها
فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سيرتها الاولى فيجوز ان ينتصب على الظرف يعني سنعيدها في طريقتها
الاولى في حال ما كانت عصا ويجوز ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول
ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشأناها اولا ونصب سيرتها
بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى او سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب
التي عرفتها **قوله تعالى** واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى
واضمم يدك الى جناحك قيل الجناح من اسفل العضد الى الابط وقيل الجناح اسفل من الابط وهو تحت العضد
وقال ابو عبيدة الجناح ناحية الجنب وقيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه
والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد
دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير سوء رداءة وقبح فكنى به عن البرص كما كنى بالسوء تخرج بيضاء من غير برص والبرص
ابغض شيء الى العرب وبهم عن البرص نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى
احسن ولا الطف ولا اخذ للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه فاخرج يده من مدرعته مضيئة بيضاء لها شعاع كشعاع
الشمس يغشى البصر آية اخرى بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء
وقيل آية منصوبة باضمار فعل تقديره خذ ودونك وما اشبه ذلك لان الكلام قد دل عليه وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى ولم يقل الكبر وفاقا
لرؤس الآي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى عليه السلام اكبر آية
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك
كنت بنا بصيرا ● لما اظهر الله هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون وبين العلة في ذلك اذهب
الى فرعون انه طغى عصى وعلا وتكبر وكفر فادعه الى العبادة فلما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي عرف انه كلف
امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر رحيب فاستوهب ربه
ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر
الصابر بصبر جميل وحسن ثبات وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة
معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فقد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح
صدري ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير
لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي
الاجمال والتفصيل واحلل وابسط وافتح عقدة من لساني عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت في لسانه رتة
وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم فلطمه لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته ان هذا عدوي فقالت

آسية على رسولك فانه صبي لا يفرق بين الاشيا فجاءت بطشتين في احدهما الجمر وفي الاخر الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى فاخذ جبريل بيد موسى عليه السلام فوضعها على النار حتى اخذ جمرة ووضعها على لسانه فتلك الرتة وقيل ما زالت العقدة بالكلية بل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وقيل قد زالت بالكلية بحكم اطلاق قوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني دليل على انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهموا عنه بدليل قوله يفقهوا قولي كانه قيل عقدة من عقد لساني قدر ما يفقهوا به قولي واجعل لي وزيرا من اهلي لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة وزيرا وهارون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هارون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن وحرك ابن كثير وابو عمرو ياء اخي اشدد به ازري واشركه في امري قرأه ابن عامر اشدد بالالف مقطوعة مفتوحة واشركه بضم الالف على الجواب الجزاء والباقون اشدد واشركه على الدعا والمعنى اشدد به يا رب ازري واشركه يا رب في امري قال ابو علي الوجه الدعا لان ما قبله دعاء ولان الاشراك في النبوة لا يكون الا من الله ويجوز على قراءة الامر ان يحمل الجزم على الابتدا واشدد به حتم الازر القوة والظهر فقال ازرت فلانا على الامر اي قويته عليه وكنت له فيه ظهيرا اي اشدد به ازري قوتي وظهري واجعله شريكا لي في النبوة والرسالة كي نسبحك كي نصلي لك ونذكرك بالثنا حامدين لك على ما اولينا من نعمك فان التعاون لانه يهيج الرغبات والتظاهر يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا بان التعاون والتعاضد مما يصلحنا وان هرون نشد به ازري وعضدي فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قوله تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري ● قال الله عز وجل قد اوتيت اعطيت سؤلك طلبتك يا موسى في شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة على اللسان بكمالها او بالقدر الذي يفقهون كلامك وشد ازرك بهارون واشراكه اياك في الرسالة ولقد مننا عليك مرة اخرى نعم نعمنا بها مما مضى منه جليه على جهة التي تعرف بها ليعظم اجتهاده ويجد بصيرته ويقوى قلبه وذلك انه ذكر لفرعون ان خراب ملكه على يدي غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد لبني اسرائيل ثم انه راى مع اهل مملكته اذ فنى بنو اسرائيل يموت القبط بالضرر اذ كانوا عملة الارض والصناع فعزم على ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هارون في سنة الاستحياء وولد موسى في العام الرابع سنة القتل فخافت امه عليه القتل ولقد مننا عليك اي انعمنا عليك مرة اخرى قيل ثم بين متى كانت بقوله اذ اوحينا الى امك على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او بعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما الى مريم او باراءتها في المنام فتنبهت عليه او بالهامها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي ما يوحى مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله احق بان يوحى ان اقذفيه ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول اقذفيه القيه لان القذف يستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال الغلام رماه الله بالحسن اي حصل فيه الحسن ووضع فيه اي اقذفي موسى في التابوت فاقذفيه موسى او التابوت في اليم في البحر او النيل فليلقه اليم موسى او التابوت الساحل بشاطئ البحر لفظه لفظ امر ومعناه خبر لما كان مشيئة الله تعالى وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاؤه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل يأخذه موسى او التابوت الذي فيه موسى عدو لي يعني فرعون وعدو له لموسى قال صاحب الكشاف والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما اوحى الله تعالى الى ام موسى ما اوحى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وجصصته ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينا هو جالس على رأس بركة مع امرأته آسية اذا بتابوت يجيء به الماء فلما رأى ذلك امر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه لان الماء يسحله اي يقشره وتدفع بنهمه فالتقط من الساحل الا انه يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والقيت عليك محبة مني اشارة الى هذه المحبة قيل مني متعلق بالقيت يعني اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وقيل مني متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة حاصلة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك عن عطية العرف فجعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه وقيل

ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه احد الا احبه ولتصنع على عيني اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشي بعينيه اذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وقيل حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك اذ تمشي العامل في اذ تمشي القيت او تصنع عليك محبة مني وقت مشي اختك وقيل لتصنع اي ولتصنع على عيني وقت مشي اختك وقيل يجوز ان يكون اذ تمشي بدلا من اذ اوحينا ويصح البدل اذ كان الوقتان مختلفين متباعدين كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها وكان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فتقول اخت موسى هل ادلكم على من يكفله يرضعه ويضمه اليها فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها برؤيتك ولا تحزن بفراقك وقتلت نفسا يعني القبطي الذي وكزته فقضى عليه وكما في الاخبار انه كان اذ ذاك ابن ثنتي عشرة سنة فاغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فنجيناك من الغم غم القتل وكربه وفتناك فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور ويجوز ان يكون جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجور وبدور في حجرة وبدرة عن ابن عباس اختبرناك اختبارا وعن الضحاك اخلصناك اخلاصا وعن الحسن ابتليناك ابتلاء وقيل فتناك الفتون وبان الفتون سأل سعيد بن جبير ابن عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها ان ولدت في عام كان يذبح الاطفال فيه ثم القاه في البحر ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل من الدرة ثم قتله القبطي ثم خروجه الى مدين خائفا ثم ايجار نفسه عشر سنين ثم ضل الطريق ثم تفرق غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقص هذه القصص على سعيد بن جبير ويقول له عند كل اية هذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وقيل كل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين مكث سنين او عشر سنين عن وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر لابنته صفيرا بنت شعيب واقام ثماني عشرة سنة عنده حتى ولد له في اهل مدين وهو بلد شعيب على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر اي جئت بميقات قدرته لمجيئك قبل خلقك اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قدرته لك فلما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء وكان ذلك على رأس اربعين سنة وقيل على قدر اي على ما اراد الله به من تكليمه واصطنعتك اخترتك واصطفيتك واختصصتك بالرسالة والنبوة والاصطناع اتخاذ الصنيعة وهو الخير تسديه الى انسان قال صاحب الكشاف هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم والتكرمة مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك بجوامع خصال فيه واهلا لان لا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواه اذهب انت يا موسى واخوك هارون باياتي قيل العصا واليد وقيل بذكر الاتيان بلفظ ولان العصا فيها ايات وقيل العصا واليد وحل العقدة على ما انذر فرعون وقومه يعرفون بها وقيل الايات التسع ولا تنيا اي لا تضعفا ولا تفترا ونيت في الامر انى ونيا اي ضعفت والونى الضعف والفتور في ذكري قيل في رسالتي الى فرعون وقيل في القيام بالفرائض والتسبيح والتهليل وقيل في ذكري اي لا تنساني ولا تزالا متكلين على ذكري حيثما انقلبتما واتخذا ذكري جناحا مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري قوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى ● روي ان الله تعالى اوحى الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك قال اذهبا الى فرعون فائدة تكرار الامر بالذهاب التوكيد انه طغى تمرد تفسير فقولا له قولا لينا فقيل قولا لا اله الا الله وحده لا شريك له وعن ابن عباس لا تعنفا في قولكما ولا تغلظا وعن السدي وعكرمة كنياه وقولا له يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وفي مقاتل القول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقيل الطفا له في قولكما فانه رباك واحسن تربيتك وله عليك حق الابوة فلا تجبهاه بما يكره في اول قدومك عليه وقيل هذا على قول الانبياء يسبقا بالايمان ويعدكما لا ينزع عنه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته لعله يتذكر او يخشى وهما يعلمان اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه والعلم من قبل بعد ما يكون وقد علم انه لا يتذكر ولا يخشى الا ان الحجة لم يا بالاية والبرهان وانما يبعث الرسل وهم لا يعلمون الغيب ولا يدرون ايقبل منهم ام لا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ومعنى لعل متصور في انفسهم ومعنى يتصور ذلك يقوم الحجة يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وقيل يتذكر فرعون ويخشى حين لم ينفعه الذكر والخشية حين ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين عن يحيى بن معاذ الرازي قرأ هذه الاية فقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله عن ابي القاسم الجنيد بن ... الفاظا اقتديت بها فقلت هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك هذا رفقك بمن يقول ندا فكيف رفقك بمن يقول لك فردا هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل هذا رفقك بمن افترى فكيف رفقك بمن اعترف هذا رفقك بمن

فكيف رفقك بمن اتى هذا ومرفقك بمن استكبر وكيف رفقك بمن استغفر قالا اى موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يبادر بعقوبتنا ويعجلنا بالعقوبة ويجاوز الحد ويغلبنا فرط منه امر بدر وسبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل او ان يطغى قيل ان يستقصى علينا ويتكبر وقيل ان يجاوز الحد فى الاساءة الينا وقيل ان يعجل علينا قبل ان نبلغه كلامك وامرك قال لا تخافا اننى معكما بالنصرة والعون كما اى كائن معكما حافظا عنكما اسمع اقوالكم وارى افعالكم اى اسمع ما يجرى بينكما وبينه من قول وارى ما يجرى بينكما وبينه من فعل وقيل اسمع جوابه لكما وارى ما يفعل بكما ويجوز ان لا يقدر شىء اى اسمع وارى نحو فلان يعطى ويمنع واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو قوله تعالى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ● ولا تعذبهم ولا تتعبهم فى العمل وكانت بنوا اسرائيل فى مملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة فى كل شىء مع قتل الولدان واستخدام النساء قالا موسى وهارون قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهى انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجىء بالاية انما وحد قوله بآية ولو كان معه آيتان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة قال فرعون وما هى فادخل يده فى جيب قميصه ثم اخرجها فاذا هى بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس غلبت عليه نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا الا بعد ذلك يوم الزينة والسلام على من اتبع الهدى وليس يعنى به التحية وانما معناه ان من اتبع الهدى اى آمن بالله سلم من عذاب الله وسخطه قوله تعالى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ● على من كذب بآيات الله وتولى واعرض عن الايمان وهذه الاية ارجى آية للمؤمنين لانه من اقوى الدلائل على ان عقاب المؤمنين لا يدوم لان الالف واللام فى العذاب يفيد الاستغراق او يفيد الماهية وعلى التقديرين يقتضى انحصار هذا الجنس فيمن كذب وتولى فوجب فى غير المكذب المتولى ان لا يحصل هذا الجنس اصلا فظاهر الاية يقتضى القطع بانه لا يعاقب احد من المؤمنين تركنا العمل به فى بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله فى نفى الدوام لان العقاب المتناهى اذا حصل بعده السعادة الغير متناهية صار ذلك العقاب كانه لا عقاب فلذلك يحسن مع حصول ذلك القدر ان يقال انه لا عقاب قال فرعون فمن ربكما يا موسى ان فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر ثم ان موسى عليه السلام لما دعاه الى الله لم يشتغل معه بالبطش والايذاء بل خرج معه فى المناظرة فانه لو شرع اولا فى الايذاء الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع اولا فى المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة فى المناظرة من غير الحجة شىء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم خاطب فرعون موسى وهرون ووجه النداء الى موسى لانه الاصل فى النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة فى لسان موسى قال موسى ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه وقيل اعطى كل حيوان نظيره من الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شىء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه هذا على تقدير ان يكون كل شىء مفعولا اول وخلقه ثانيهما وان جعل خلقه مفعولا اولا كل شىء ثانيهما فمعناه اعطى خليقته كل شىء يحتاجون اليه ويرتفقون به ثم هدى اى عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه فلله دره من جواب ما اخصره كيف يأتى الذكر الانثى فى النكاح فانه قيل ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا الجواب انه قد ثبت وجود خلق وهداية فلا بد من خالق وهاد قال صاحب الكشاف فلله در هذا الجواب ما احضره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قوله تعالى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ● لما قال الرجل من ربكما فذكر موسى عليه السلام دليلا كافيا ظاهرا على هذا المطلوب فقال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى خاف فرعون ان يزيد فى تلك الحجة فيظهر للناس صدق موسى وفساد طريق فرعون فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بالحكايات فقال فما بال القرون الاولى وقيل سأله عن اخبار القرون الاولى واحاديثها ولم يكن له بذلك علم اذ التوراة انما انزل بعد هلاك فرعون قال موسى علمها عند ربى وقيل اراد ان يسأل عن اخبار الامم علم غيب ولا علم لى بالغيب وقيل اراده من السؤال عنها ان عبدت الاصنام فلم لم يعذبها الله ان كان الحق ما وصفت وقيل ان مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى فقال موسى علمها عند ربى اى علم اعمالها مكتوبة ليوم القيامة لا ينساها له عز وجل [illegible] بذلك وقوله فى كتاب اراد اللوح المحفوظ لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يخطئ ربى ولا ينسى ما كان من امرهم حتى يجازيهم باعمالهم قيل لم يلتفت موسى الى ذلك السؤال وقال علمها عند ربى فى كتاب ولا تعلق غرضى باحوالهم ولا اشتغل بها ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز الدلائل الباهرة على الوحدانية فقال الذى جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى قرأ عاصم وحمزة والكسائى مهدا بغير الف والباقون مهادا بكسر الميم والالف [illegible] المهد الفرش والمهاد الفراش الذى جعل موضع [illegible]

لنب م

علمهام

او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه وسلك لكم من قوله ما سلككم فى سقر اى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شىء ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم قوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ● اى كلوا مما اخرجنا لكم من الثمار وارعوا انعامكم يقال رعى الماشية يرعاها اذا سرحها فى المرعى من نعمته تعالى انا ربك لعباده انما تحصل بحمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله بتقدير قائلين كلوا وارعوا انعامكم حالا من ضمير فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان فى ذلك لآيات لاولى العقول النهى جمع نهية يقال فلان ذو نهية اى ذو عقل ينتهى به عن القبائح ويدخله فى المحاسن وقيل ذو النهية الذى ينتهى الى رأيه وعقله وهذا حسن ايضا قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ● من الارض المذكورة فى قوله جعل لكم الارض مهدا اراد بخلقكم من الارض خلق اصلهم آدم منها وقيل ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيبذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وقيل انه خلق بنى آدم من التراب ايضا لانه خلق بنى آدم من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والاغذية من الحيوان والحيوان من النبات والنبات يخلق من التراب فصح قوله تعالى منها خلقناكم بحسب الظاهر ولا حاجة الى التأويل وصرفه عن الظاهر وخلق بنى آدم من النطفة لا ينافى خلقهم من الارض كما ان خلقهم من المضغة لا ينافى خلقهم من العلقة وخلقهم من العلقة لا ينافى خلقهم من النطفة وخلق آدم من صلصال كالفخار لا ينافى خلقه من حمإ مسنون وخلقه من حمإ مسنون لا ينافى خلقه من طين وخلقه من طين لا ينافى خلقه من تراب فان ذلك بحسب الاطوار قال الله تعالى وقد خلقكم اطوارا وفيها نعيدكم بعد الموت عند الدفن وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان المؤمن اذا قبض الملك روحه انتهى به الى السماء وقال يا رب عبدك فلان قبضنا روحه فيقول ارجعوا فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم فانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين ومنها نخرجكم تارة اخرى عند البعث قيل هذا بدلا باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها خلقوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى ● ولقد ارينا فرعون اى بصرناه وعرفناه صحتها ويقناه بها فكذب بظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر قيل التعريف الاضافى فى آياتنا كلها بمثابة التعريف باللام نحو الآيات كلها فلا يفيد الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التى هى تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل وقيل ان موسى عليه السلام قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتى غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها فرعون جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب بالآيات وابى قبول الحق قوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى ● قال فرعون لموسى اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى يلوح من قول فرعون هذا ان فرائصه كانت ترتعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بسحر فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا قيل وقتا واجلا وميقاتا اعتبارا بقوله موعدكم يوم الزينة لتطابقهما فعلى هذا يلزم ان يجعل الزمان مخلفا فان قيل ناصب مكانا وقيل موعدا اى مكانا لقوله مكانا سوى فعلى هذا يلزم ان يوقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقيل موعدا يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قيل فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد ان يطابقه زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان اجاب صاحب الكشاف بانه مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان يعلم المكان وقيل ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وينتصب مكانا بالمصدر او بالموعد الذى هو الوعد او بفعل يدل عليه المصدر او بنية مكانا يجتمع [illegible]

نبات كل شىء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به م

يعنى م

والنبات م

فيتبين صدقك في دعوى النبوة ثم لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بضم
السين والباقون بكسرها قيل سوى معناه سوى الاساترينه وقيل مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفا
بين الفريقين اي تستوي مسافته بين الفريقين فتكون مسافة كل فريق اليه كمسافة الفريق الآخر وعن الكلبي مكانا
سوى هذا المكان قيل وفيه بعد عند المحققين قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى
قال اي موسى عن ابن عباس يوم الزينة يوم عاشوراء وقيل يوم عيد لهم في كل سنة يتزينون ويجتمعون فيه وقيل
يوم النيروز وعاق ذلك يوم السبت اول يوم من السنة وقيل يوم سوق لهم وان يحشر الناس ضحى اي اذا رأيتم
الناس قد حشروا واضحى وقيل في محل خفض عطفا على الزينة المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى وانما واعدهم
موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله عز وجل وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي
الجمع الغاص ليقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر
العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر قوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى
قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ● قيل فتولى فرعون
عن الحق الذي امر به وقيل فتولى مدبرا عن موسى وانصرف الى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى فجمع كيده مكره وحيلته
وسحرته ثم اتى الموعد قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل كانوا اربعمائة
قال لهم موسى اي السحرة لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا ولا تشركوا معه احدا فيسحتكم قرأ حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم فيسحتكم بضم الياء من اسحت والباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان سحت واسحت
اي لعقاتل والكلبي يهلككم وقال قتادة فيستأصلكم وقال ابو صالح فيذبحكم بعذاب وقد خاب من افترى لينال
عرض الدنيا فتنازعوا اي السحرة امرهم بينهم فقال بعضهم هذا ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا من كلام
السحرة لعله قوله لا تفتروا على الله كذبا واسروا النجوى المناجاة تكون اسما ومصدرا اي اسروا كلامهم هذا
فيما بينهم وقيل تناجوا فيما بينهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وقيل الضمير في فتنازعوا لفرعون وقومه والسحرة جميعا اي تشاوروا في السر في امر موسى وفيما يحاورون
من قبله ثم قالوا ان هذان لساحران قرأ ابو عمرو ان هذين وقال اني لاستحيي من الله ان اقرأ ان هذان لتخالفه
في مخالفة المصحف لما روي عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما ان هذا من غلط الكاتب وقرأ ابن كثير ان مخففة
هذان بتشديد النون وقرأ عاصم في رواية حفص ان خفيفة هذان خفيفة ايضا والباقون ان بالتشديد
هذان بالف ونون خفيفة عن ابن عباس هي لغة بلحارث قال الزجاج وحكى ابو عبيدة من ابي الخطاب وهو راس من
رؤوس الرواة انها لغة لكنانة يجعلون المثنى في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون اتاني الزيدان
ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا
للناس عن اتباعهما يريدان ان يخرجاكم من ارضكم مصر اي هما يجتهدان في ابطال دينكم والاستيلاء على دياركم ويذهبا
بطريقتكم المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل بطريقتكم بدينكم المستقيم وقيل بسنتكم
ودينكم وما انتم عليه يقال فلان حسن الطريقة وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل
معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال لهم طريقة قومهم وعن
الشعبي ويصرفا وجوه الناس اليهما والمثلى تأنيث الامثل قال الزجاج معنى المثلى والامثل ذو الفضل الذي به يستحق
ان يقال هذا امثل قومه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى ● قرأ ابو عمرو فاجمعوا
بفتح الميم ووصل الالف من جمعا اي لا تدعوا من كيدكم شيئا الا جئتم به ويعضده قوله فجمع كيده والباقون بقطع
الالف وكسر الميم بمعنى العزم والاحكام تقول العرب اجمعت الامر وازمعت واجمعت على الامر وازمعت قال الشاعر
يا ليت شعري والمنى لا ينفع ● هل اغدون يوما وامري مجمع ● اي محكم فقد عزم عليه اي ازمعوا كيدكم واجعلوه
مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها ثم ائتوا صفا من مقاتل والكلبي جميعا وقيل
صفوفا لانه اهيب في صدور الرائين على التقديرين روي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل
وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة قال ابو عبيدة يعني المصلى والمجمع وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت
ان آتي الصف امس يعني المصلى ووجه صحته ان يجعل صفا علما للمصلى بعينه فامروا بان يأتوه او يراد ائتوا مصطفين
من المصلين وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض اي فاز من غلب ونال البغية والظفر قوله تعالى قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس
في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر
ولا يفلح الساحر حيث اتى ● خير السحرة موسى في ان يبتدأ بالالقاء او يتأخر عنهم اذ يلقي قيل هو منصوب بفعل
مضمر اي اختر يا موسى احد الامرين وقيل هو مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف اي الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير
من السحرة استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصف من انفسهم وكأن
الله عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم

وقيل عطف على يوم الزينة المعنى موعدكم حشر الناس ضحى م

من مكايد

من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ويجهدوا جهدهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل
فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه وكانت آية للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين قال لهم موسى السحرة بل القوا اي
يا سحرة فاذا حبالهم المراد اهذه للمفاجأة والتحقيق فيها انها اذا كانت بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير
قوله فاذا حبالهم وعصيهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي المشبه سرعة وذلك
انهم لطخوا حبالهم وعصيهم بالزيبق فلما اصابه حر الشمس اضطربت واهتزت تخيلت الى موسى ان الحبال والعصي
من سحرهم فاوجس موسى في نفسه خيفة ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكان ذلك مقتضى الجبلة البشرية
ولا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل انه لما رأى سحرهم شبيه بما اراهم في العصى خاف ان يلتبس على الناس امره ولا يؤمنوا
قلنا لا تخف يا موسى انك انت الاعلى عليهم بالظفر والغلبة فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وكلمة
التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل والق ما في يمينك ولم يقل
عصاك قيل يحتمل ان يكون تصغيرا للعصى اي فلا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي
في يمينك فانه بقدرة الله يتلقف ما صنعوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وقيل يحتمل ان يكون تعظيما
للعصى اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزر
عندها فالقه يتلقفها والق ما في يمينك اي العصا تلقف تلقم ما صنعوا قرأ ابن عامر تلقف بالرفع وتشديد القاف
على الاستيناف او على الحال اي القي ما في يمينك متلقفا ما صنعوا وحفص عن عاصم تلقف خفيفة وابن كثير بتشديد
التاء يريد تتلقف انما صنعوا اي زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون كيد ساحر قرأ حمزة والكسائي
وخلف كيد سحر اي ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه والباقون كيد ساحر وانما وحد ساحر
ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى
قوله ولا يفلح الساحر حيث اتى وانما نكر لا من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طال
ما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري في
سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي ولا يفلح الساحر حيث اتى اي لا ينال الساحر الظفر حيث سير واين سلك وانى كان
وقيل حيث كان واين كان وقيل حيث قال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الساحر فاقتلوه ثم قرأ فلا يفلح الساحر
حيث اتى قوله تعالى فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه
لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى ● اي اوحى الله الى موسى ان الق عصاك فالقى
موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاغرفاه فتلقف حبالهم وعصيهم فالقي السحرة عند ذلك سجدا قالوا آمنا برب
هارون وموسى روي ان السحرة لما رأت العصا لا اثر فيها للسحر ثم رأوا انقلابها حية وأكلها الحبال والعصي ثم رجوعها
الى حالها وعدم الحبال والعصي ايقنوا بنبوة موسى وانه امر من عند الله سبحان الله ما اعظم امرهم قد القوا حبالهم
وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين ويروى انهم
لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وكانت امرأة فرعون رضي الله عنها
تسأل من غلب قالوا غلب موسى قالت آمنت برب موسى وهارون فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة تجدونها
فأتوها فان هي رجعت عن قولها فهي امرأته وان مضت على قولها فالقوا عليها الصخرة فلما اتوها رفعت بصرها الى السماء
فأرت في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها والقيت الصخرة على جسد لا روح فيه قال فرعون آمنتم له لمن
لموسى كقوله فآمن له لوط قيل اللام تضمن معنى الاتباع دون الباء قبل ان آذن لكم قيل ان امركم بذلك ان موسى لكبيركم
لعظيمكم اي انه استحركم واعلاكم درجة في صناعتكم وقيل لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري كذا
يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلأقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك
يسار ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور
النصب على الحال اي فلأقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف وقيل من
اجل خلاف ظهر منكم ولأصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه
فلذلك قيل في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا انا ام رب موسى او انا ام رب موسى الذي آمنتم
به خوفا من عذابه قيل يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله
لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة وتكبر باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس
بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن قط من التعذيب
في شيء وابقى وادوم قالوا السحرة الذين آمنوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى من البينات من الدلالات
القاطعة اليد والعصا وغيرهما والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض فاحكم ما انت قاض ما انت حاكم وصانع

اي فالقوا فاذا حبالهم م

وهذا تمثيل المعنى على مقابلة حبالهم وعصيهم مخيلة م

ما انت صانع من القطع والصلب انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي قضاؤك ما تقضيه وسلطانك انما ثابت في هذه
الدنيا فهي ظرف وقيل مفعول به وقيل انما تملكنا في الدنيا ليس لك علينا سلطان الا في الدنيا انا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا من الشرك وغيره وما اكرهتنا عليه من السحر من مقابلتك كانت السحرة الذين رؤوسهم اثنين وسبعين
اثنان منهم من القبط وهم رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل فكان فرعون اكره السبعين الذين هم من بني اسرائيل
على تعلم السحر وروي ان السحرة رأوا موسى نائما وعصاه تحرسه قالوا لفرعون ان موسى اذا نام فاذا هم موسى نائما وعصاه
تحرسه قالوا لفرعون ان موسى ... فقالوا لفرعون انه ليس بساحر لان الساحر
اذا نام بطل سحره فابى عليهم الا ان يعملوا فذلك قوله وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير منك ثوابا اذا اطيع وابقى
عقابا اذا عصي وهذا جواب لقوله اينا اشد عذابا وابقى ● قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت
فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ● قيل هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة لما البيان فيما
فعلوه وقيل والله خير وابقى آخر كلام السحرة وهذه الآية من كلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم تنبيها على قبح ما فعل
فرعون وحسن ما فعل السحرة انه من يأت ربه مجرما كافرا مات على كفره فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة تنفعه وقيل لا يموت فتخرج نفسه ولا يحيى فتستقر نفسه في مقرها ولكنها تتعلق بالحناجر ومن يأت
ربه مؤمنا مطيعا قد مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى درجات الجنة
بعضها اعلى من بعض جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر ● قوله تعالى ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم
من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى ● هذا استيناف اخبار عن امر موسى بينه وبين مقال السحرة مدة
من الزمان حدثت لموسى مع فرعون حوادث وذلك ان فرعون لما انقضى امر السحرة وغلب موسى وقوي امره وعد فرعون
ان يرسل بني اسرائيل عند انكشاف العذاب فاذا انكشف نكث حتى يأتي اخرى فلما كانت الآيات اوحى الله الى موسى ان يخرج
بني اسرائيل من مصر في الليل فسار بهم والسرى سير الليل وان في قوله ان اسر يجوز ان تكون مفسرة لا موضع لها من الاعراب
لتقدم معنى القول في الكلام منه ما انه مستوى ويجوز ان تكون ناصبة للفعل وتكون في موضع نصب باوحينا بعبادي
الاضافة اليه تعالى تشريف لبني اسرائيل ان اسر بعبادي اي سر ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا اي فاجعل لهم طريقا من
قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله في البحر يبسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم
والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرأه
حمزة وابان عن عاصم لا تخف نهيا على الجواب والباقون لا تخاف ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ففيه ثلثة اوجه ان يستأنف
كانه قيل وانت لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة
كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كان لم ترا قبلي اسيرا يمانيا فان الف ترا متولدة
من اشباع الحركة لا تخاف دركا لا تخاف ان يدركك احد ولا تخشى من قبله شيئا وقيل لا تخاف لحوقا من خلفك ولا تخشى
الغرق من قدامك فاتبعهم فرعون اي لحقهم مع جنوده فغشيهم من ماء البحر ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم
التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي لا يعلم كنه ما غشيهم الا الله واضل فرعون قومه عن الدين وما هداهم وقيل
اضل فرعون قومه في البحر لانهم غرقوا فيه وما هدى فرعون اي ما هديها اي وما نجا وقيل ما هداه الله الى الصواب وقيل
وما هدى تهكم به كما في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ● قوله تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم و
واعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ● ان الله تعالى لما انعم على قوم موسى
بانواع النعم ذكرهم بها ولما كانت ازالة المضرة سابقة على ايصال المنفعة فلهذا بدا بقوله انجيناكم من عدوكم وهو اشارة
الى ازالة المضرة ثم ذكر المنفعة الدينية وهي قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ذكر المنفعة الدنيوية وهي قوله
ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم
غضبي ثم بين ان من تاب بعد العصيان كان مقبولا عند الله بقوله واني لغفار لمن تاب وظاهر هذه الآية ان هذا القول
قيل لبني اسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التي عددها الله عليهم بعد خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة
وحوادث ولكن الله يخص لذكرها بيانا من ذلك ويحتمل ان يكون هذا الخطاب لبني اسرائيل الذين كانوا في عصر النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بغير الف على التوحيد والباقون بالالف والنون كلوا
اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي حلالات ما رزقناكم ولا تطغوا اي لا تبطروا في نعمي فتظلموا وقيل ولا
تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين وقيل لا تدخروا منه لاكثر من يوم وليلة فيحل عليكم فينزل عليكم غضبي قرأ الكسائي فيحل
بضم الحاء ويحلل بضم اللام والباقون بكسرهما ومن يحلل عليه غضبي ومن ينزل عليه غضبي قيل ويحل ويحلل بكسر الحاء
واللام معناه يجب ومن يجب فقد هوى فقد هلك وقيل تردى في النار وقيل وقع في الهاوية واني لغفار لمن تاب
اي من الشرك وعمل صالحا ثم اهتدى ثم اقام على ذلك وقيل لزم الاسلام حتى يموت وقيل اخذ بسنة نبيه وقيل اصاب
العمل وعن ابن عباس لم يشك في ايمانه وقيل بما علم ان لذلك ثوابا وعقابا ● قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى

قال

قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى ● وما اعجلك اي واي شيء عجل بك عن قومك على سبيل الانكار لما
انجى الله بني اسرائيل مما امر فرعون قال بنو اسرائيل يا موسى لو آتيتنا بكتاب من عند الله فيه الحلال والحرام فالغرض
فاوحى الله اليه بعده انه منزل ذلك عليه في الموضع الذي كلمه فيه فاختار موسى سبعين فذهبوا معه الى الطور
لاخذ التورية فعجل موسى من بينهم وتقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعدهم به وامرهم باللحاق به بناء على
اجتهاده وظنه بذلك اقرب الى رضى الله تعالى فقال الله تعالى ما حملك على العجلة من قومك قال موسى هم اولاء يعني بالقبالة
على اثري اي هم خلفي يلحقون بي فانهم بالقرب مني وعجلت اليك رب لترضى اي لم اقصد بذلك تعظما عليهم انما قصدت
المسارعة طلبا لمرضاتك قال صاحب الكشاف فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب
ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت
قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل
عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير
مثله لا يعتد به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب
السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ثم قال ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله
ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام ● قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك
القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري ●
قال الله تعالى فانا قد فتنا ابتلينا والقينا في فتنة ومحنة قومك الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف
فافتتنوا بالعجل ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا من بعدك اي من بعد انطلاقك الى الجبل واضلهم السامري
اي كان سببا لاضلالهم بان دعاهم وصرفهم الى عبادة العجل وحملهم عليها فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا حزينا
جزعا قال موسى يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا صدقا انه يعطيكم التورية ويكفر عنكم سيئاتكم وينصركم
افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تصنعوا صنعا
يكون سببا لغضب ربكم فاخلفتم موعدي وذلك ان الله عز وجل قد وعد لموسى عليه السلام ثلاثين ليلة ثم تممها
بعشر فلما مضت الثلاثون قال السامري لهم انما اصابكم هذا عقوبة لكم على ما معكم وكان حليا استعاروها
من القبط فتلبسوا بها والجموها حتى يجيء موسى فيا خذها منكم فجمعوها له فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم قذف فيه
القبضة التي اخذها من اثر فرس جبريل فكان البلاء منها وقيل اخلفتم موعدي بعبادتكم العجل وقيل فاخلفتم موعدكم
اي عهدي وكانوا قد عاهدوه انه ان نجاكم الله من مملكة آل فرعون ان يعبدوا الله ولا يشركوا به ويقيموا الصلوة ويصدقوا
الله ورسوله وقيل الخلف خلفتموني فيما اتواعد ناطقين وقيل الوعد عوض فيما وعدتكم من قول العرب فلان اخلف وعده
فلان اذا وجده وقع فيه الخلف وقيل اخلفتم ما وعدتموني في اللحاق بي وما تباعد الموعد قيل ويحتمل ان الوعد
من القوم واضافته الى موسى اضافة المصدر الى المفعول وكذا وقع الاخلاف منهم ووعدهم لموسى هو ان وعدوه
ان يتمسكوا بدين الله وسنة موسى ولا يخالفوا امر الله ابدا وان جعلت المصدر مضافا الى الفاعل فالوجه ان يحمل
فيما وعدكم وقع فيه الخلف قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا قرأه نافع وعاصم بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقي
بكسرها وهي لغات في هذه اللغات بمعنى قال الزجاج الملك بالضم السلطان والقدرة وبالكسر ما حوته اليد والفتح المصدر يقال
ملكت الشيء املكه ملكا فيكون المعنى ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه
ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده وقيل ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ما كنا نملك الذي اتخذ منه العجل ولكنها كانت
زينة آل فرعون فقذفناها وقيل لما اخلفنا الموعد بطاقتنا وقيل لم نملك انفسنا عند الوقوع في البلية وقيل
لم يملك مؤمنونا سفهاءنا قيل مخرج هذا القول من الذين لم يعبدوا العجل والآخر لم يدروا بحضه
قال موسى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا صحة الاتيان بالكتاب افطال عليكم مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم بعبادتكم العجل اي ام اردتم ان تصنعوا صنعا تكون بسببه غضب ربكم فاخلفتم موعدكم ما وعدتموني
من حسن الخلافة بعدي قال الذين لم يعبدوا العجل ما اخلفنا موعدك بملكنا او ونحن نملك من امرنا اي لم نطق رد عبدة
العجل عن عظيم ما ارتكبوا لكثرتهم وقلتنا ثم ذكروا قصة اتخاذ العجل ولكنا حملنا قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص
عن عاصم حملنا بضم الحاء وتشديد الميم والباقون بفتح الحاء والميم مخففة اوزارا اثقالا من حلي آل فرعون الذين
كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر وقيل امرهم موسى بالاستعارة وقيل امر الله موسى بذلك وكان ذلك
لهم وكان كثيرا وقيل هو ما القاه البحر على الساحل بعد غرقهم فنفضهم وحليهم بعد اغراقهم فاخذوا وقيل اوزارا آثاما
من حلي القوم لانهم استعاروه ليتزينوا في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة ان يعلموا بالخروج
فحملوها فقذفناها فكذلك القى السامري حليا كما القينا وقيل القى السامري ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل
فاخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا اي السامري ومن وافقه من الذين افتتنوا هذا اي هذا العجل الهكم واله

فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه وقيل فنسي موسى الطريق إلى ربه وقيل فنسي موسى إلهه عندكم وخالفه في طريق
آخر فنسي السامري إيمانه وإسلامه وقيل فنسي أي ترك السامري ما كان عليه من الدين وقيل فنسي السامري أن
العجل لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فعلى القول بأن فاعل فنسي السامري يكون قوله فنسي من إخبار
الله عن السامري وعلى القول بأن فاعل فنسي موسى فقيل من قال فنسي هو السامري وقيل فنسي بنو إسرائيل ثم قرر تعالى
موضع خطائهم بقوله أفلا يرون المعنى ألم يتبين هؤلاء الذين ظلموا أن هذا العجل إنما هو جماد لا يكلمهم ولا يرجع
قولا ولا يضر ولا ينفع وهذه من دلائل لا تخفى منها الحدوث والعجز ولقد قال لهم هارون من قبل أن يأتي موسى يا قوم
إنما فتنتم به أي ابتليتم وإن ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني على ديني وأطيعوا أمري فاعبدوا الله ولا تعبدوا العجل

قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا
ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب
قولي • قالوا أي عبدة العجل لن نبرح لن نزال على العجل وعبادته مقيمين حتى يرجع إلينا موسى فاعتزلهم هارون في اثني
عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال صلى الله عليه
وسلم للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله قال يا هارون
ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وأشركوا أن لا تتبعني قيل لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله
وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا
وقيل معناه أي شيء منعك من اتباعي حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني لئلا تكون من العاصين وقيل المعنى
ما منعك بدعائه إياك إلى أن لا تتبعني قرأ ابن كثير وأبو عمرو ألا تتبعني في الوصل بياء ساكنة ووقف ابن كثير بالياء وأبو عمرو بغير
ياء وروى قالون عن نافع مثل أبي عمرو والباقون بغير ياء في الوصل والوقف أفعصيت أمري قال هارون لموسى يا ابن أم
وغيره كان هارون أخاه لأبيه وأمه ولكن أراد بقوله يا ابن أم أن يرققه ويستعطفه فيتركه وقيل كان أخاه لأمه دون
أبيه وقيل لأن يكون الولد من الأم على التحقيق ومن الأب من جهة الحكم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي هما عضوان يقصدان
بالإكرام من بين سائر الأعضاء وكان موسى صلوات الله وسلامه عليه مجبولا على الحدة والتصلب في كل ما يتعلق بأمر الدين
شديد الغضب لله ولدينه فلم ير قومه يعبدون عجلا من دون الله بعدما رأوا من الآيات العظام أن
ألقى الألواح لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله سبحانه واستنكافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته
على قومه وقال له هارون إني خشيت إن فارقتهم أن تحدث فرقة ويتبع السامري على عبادة العجل فريق ويتوقف فريق
ولم آمن عقابك فتقول لي فرقت بين بني إسرائيل وأوقعت الفرقة بينهم ولم ترقب قولي ولم تحفظ وصيتي حين
قلت لك اخلفني في قومي وأصلح قوله تعالى قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ثم أقبل موسى عليه السلام على السامري قال فما خطبك يا سامري ما خطبك
أي ما أمرك وشأنك الذي دعاك وحملك على ما صنعت والخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل
ما خطبك فمعناه ما طلبتك له قال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا أي رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا
وفطنت لما لم يفطنوا له قرأ حمزة والكسائي تبصروا بالتاء على الخطاب للجميع والباقون بالياء أي بما لم يبصر بنو إسرائيل
قال له موسى وما ذاك قال رأيت جبريل على فرس فألقي في نفسي أن أقبض من أثرها فقبضت قبضة هي مرة من القبض
وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وهي جميع الكف من أثر فرس الرسول أي جبريل
وإنما سماه الرسول دون جبريل وروح القدس لأنه حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل
راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال إن لهذا شأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله
موسى عن قصته قال قبضت قبضة من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل فنبذتها أي قذفتها
في العجل قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي فنبذتها بالإدغام والباقون بغير إدغام وكذلك وكما حدثتك سولت لي نفسي أي
زينته نفسي وحسنته وفعلته تلقاء نفسي من غير أن دعاني إلى ذلك داع وقيل معناه أطمعتني نفسي في انقلابه حيوانا
والسول هو ما يتمناه الإنسان وقيل تناقض في جوابه لأنه قال بصرت بما لم يبصروا فادعى العلم ثم قال سولت لي نفسي ونسبه
إلى حديث النفس وليس كذلك لاختلاف المحل قوله تعالى قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس
وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا • ثم قال موسى
للسامري فاذهب من بيننا فإن لك في الحياة أي ما دمت حيا أن تقول لا مساس أي لا أمس ولا أمس مصدر ماسه
يماسه مماسة ومساسا عاقبه الله في الدنيا بعقوبة لا شيء أشد ولا أوحش منها وذلك لأنه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا
اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس
أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية وعن قتادة أن بقاياهم اليوم يقولون لا مساس وقيل
إن موسى هم بقتله فقال الله عز وجل لا تقتله فإنه سخي وقال موسى له وإن لك يا سامري موعدا للعذاب يوم القيامة
لن تخلفه أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في
الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين قرأ ابن كثير وأبو عمرو تخلفه بكسر اللام بمعنى لن تغيب عنه

وقيل م

بل توافيه

بل توافيه قرأ الباقون بفتح اللام [illegible]

[illegible]

إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما • يوم ينفخ قرأ أبو عمرو بفتح النون والباقون بالياء على ما لم يسم
فاعله ونحشر المجرمين أي المشركين يومئذ زرقا نزرق العيون سود الوجوه من علامات أهل النار يعذرهم [illegible]
الحدقة إلى خضرة والعرب تتشاءم بزرقة العيون لأن زرقة العيون أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم
وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقيل تصير أعينهم من العطش
زرقا كذلك تصير العين في شدة العطش وقيل زرقا عميا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون بينهم
إن لبثتم في الدنيا وقيل في القبور إلا عشرا أي العقل لما يملأ صدورهم من الفزع والهول يستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور ويتأسفون عليها ويصفونها بالقصر
لأن أيام السرور قصار أو لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء وإما لاستطالة
الآخرة وإنما يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله
قول من يكون أشد تقالا منهم في قوله إذ يقول أمثلهم طريقة أعدلهم قولا وقيل أجودهم عقلا وقيل أعلمهم عند نفسه
بما يقولون وقيل إذ قام مقالة أصوبهم رأيا إن لبثتم إلا يوما وتقصر الدنيا عنهم في جنب ما يستقبلهم من أحوال
يوم القيامة قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا أمتا • عن ابن عباس أن رجلا من ثقيف سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد كيف
تكون الجبال فنزلت هذه الآية ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يقلعها من أماكنها ويذريها بإلقاء البحار
وقيل يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام على الريح وهو ينسفها من النسف فيذرها
فيدع مقارها ومراكزها من الأرض إذا نسفها قاعا أرضا ملساء بلا نبات وقيل القاع الذي يعلوه
الماء والصفصف المستوي كأنها من استوائها على صفة واحدة وقيل القاع المنكشفة والصفصف الذي لا نبات
للجبال فيها قيل يجوز أن يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر ذكرها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فإن قيل ما العلة
الجالبة للفاء في قوله فقل خلاف أخواتها في القرآن والجواب أن تلك أسئلة تقدمت فسألوا عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاء الجواب عقيب السؤال وهذا سؤال لم يسألوه بعد وقد علم الله تعالى أنهم سائلوه عنه فأجاب
قبل السؤال والمعنى وإن سألوك عن الجبل فقل ينسفها ربي نسفا لا ترى فيها عوجا قال صاحب الكشاف فإن قلت
قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين
قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ
ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة
واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وجل ذلك
العوج الذي دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما

خلاف زرقهم

أي بأعينهم بعضا في المخافتة
أسرار المنطق والخفت مثله

ونصف نهار

يوم القيامة

لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر ولا امتا نتوا يسيرا يقال امتدت الحبلة حتى
ما فيها امت عن ابن عباس العوج الاودية والامت الروابي وعن مجاهد العوج الانخفاض والامت الارتفاع وقيل
الامت الشقوق في الارض قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا ● يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ تنسف الجبال اي يوم اذ انشقت
الجبال قيل ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة يومئذ يتبعون الداعي داعي الله الذي يدعوهم
الى موقف القيمة وهو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيأتون من كل اوب الى صوته لا يعدلون
لا عوج له اي لدعائه وقيل لا عوج لهم عن دعائه لا يزيغون عنه بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لدعائه
وخشعت الاصوات اي خشعت الاصوات من شدة الفزع وخفتت للرحمن وصفت الاصوات بالخشوع والمعنى
لاهلها فلا تسمع الا همسا ذكرا خفيا وقيل همس الاقدام اخفى ما يكون من صوتها لقدمهم قوله تعالى يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ● اي يومئذ لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن
ان يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة فيكون الاستثناء مفرغا ومن منصوب المحل لانه قائم مقام مفعول
تنفع وقيل يجوز ان يكون في محل الرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف فلا تنفع الشفاعة الا
شفاعة من اذن الشافع الرحمن ان يشفع فيه ورضي له قولا اي اذن له ورضي لاجله اي اذن الشافع ورضي
من له لاجله عن ابن عباس يعني قوله لا اله الا الله وهذا يدل على انه لا يشفع لغير المؤمنين قوله يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما يعلم ما بين ايدي الذين يتبعون الداعي وما خلفهم ولا يحيطون به علما اي يعلم
ما بين ايدي الذين يتبعون الداعي وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل ولا يحيطون بما بين ايديهم علما وقيل
ولا يحيطون بالله علما قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ● وعنت
ذلت وخضعت كما تستذل الوجوه اي وجوه الناس ولا وجه لتخصيصها بالعصاة قال تعالى ان كل من في
السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا وقد خاب من حمل ظلما عن ابن عباس وقد خسر من اشرك وقد خاب قوله
تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ● ومن يعمل من الصالحات من للتبعيض اي
ومن يعمل الصالحات وهو مؤمن لان غير المؤمن لا يقبل عمله ولا يكون صالحا فلا يخاف قرأ ابن كثير فلا يخف
على النهي والباقون فلا يخاف على الخبر ظلما لانه لا يزاد في سيئاته ولا هضما ولا ينقص من حسناته واصل الهضم
الكسر والمعنى لا يظلم بحرمان الثواب ولا يهضم بنقصان الجزاء ومن رفع فلا يخاف جعل الفاء في جواب الشرط ومن
جزم جعله نهيا والفاء لجزاء الشرط قوله تعالى وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا ● وكذلك عطف على كذلك نقص اي وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة على
الوعيدات انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة وصرفنا كررنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ليكون سببا لاتقائهم
الشرك بالاتعاظ بما سلف او يحدث اي يجدد لهم القرآن وقيل الوعيد ذكرا عظة وعبرة فيتذكروا به عقاب
الامم فيعتبروا قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب
زدني علما ● لما عظم امر القرآن اردفه بان عظم نفسه فتعالى الله اي جل عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون
في صفاته الملك الحق استعظاما له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ولما ذكر القرآن
وانزاله قال على سبيل الاستطراد ولا تعجل بالقرآن عن مجاهد وقتادة ولا تقرأه على اصحابك ولا تمله عليهم
حتى تتبين لك معانيه نهي عن تلاوة الآية التي تنزل عليه واملائه على اصحابه قبل بيان معناه وهذه رواية
العوفي عن ابن عباس وروى ابو صالح عن ابن عباس ان جبريل كان اذا انزل بالوحي كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ مع جبريل ولا يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باوله حرصا منه
على ما كان ينزل عليه ومخافة ان ينساها فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال ولا تعجل بالقرآن اي بقراءة القرآن من قبل
ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبريل من تلاوته عليك [illegible]

[illegible]

اي لم يذكر العهد ولم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى
تولد من ذلك النسيان وقيل فنسي في ضرب ما اوصينا به من الاحتراز دون الشجرة واكل ثمرتها ولم نجد له عزما [illegible]
ولم نجد له حفظا لما امر به وعن قتادة ومقاتل لم نجد له صبرا وقيل ولم نجد له عزما محافظة على امر الله وتمسكا به
وقيل ولم نجد له عزما في العود الى الذنب ثانيا ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وقيل ولم نجد له من اهل
عزيمة والثبات قيل لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما ولا يصح ان يطلق نفي العزم
عنه بل التقييد فيقال لم يكن له حزم في التحفظ عن مكايد ابليس وقيل لم نجد له التصميم والمضي على ترك الاكل وان تصلب
في ذلك تصلبا يوئس الشيطان من التسويل له قيل يجوز ان يكون الوجود نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما قوله
تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى ● اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته له الى الاكل
من الشجرة ومطاوعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن
من اولي العزم والثبات وقوله واذ قلنا الى قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى تقدم تفسيره فلا يخرجنكما فلا يكون

[illegible]

ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى اي هداه الى التوبة ووفقه لها قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ● قال اهبطا قيل آدم وحواء وكما ان الاصلين
والسببين الذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ
الجماعة ونظيره اسناد الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب ذريتهما وقيل كانا اهبطا بابليس قبلهما
والمعنى اهبطا جميعا انتما وابليس وقيل الحية بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم من خطاب لآدم وحواء وذريتهما
وقيل وابليس ايضا مخاطب الاول الوجه متى هدى كتاب وشريعة ورسول فمن اتبع هداي كتابي ورسولي فلا يضل ولا
يشقى عن ابن عباس ضمن الله عز وجل لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية والمعنى
ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال
ومن عقابه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا ● ومن اعرض عن ذكري عن القرآن والهدى فلم يؤمن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا ضيقا غير موسع عليه
مصدر ضنك وعيش ضنك يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع لانه مصدر يستوي في الوصف
بر جميعها ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح
وسهولة فيعيش عيشا واسعا رافها كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال
يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة وعن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر وعن
ابن عباس الشقاء وعن مجاهد الضيق وعن الحسن الزقوم والغسلين والضريع وعن قتادة يعني في النار وعن عكرمة
الحرام وعن سعيد بن ابي حازم الرزق في المعصية وعن الضحاك الكسب الخبيث ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني
اعمى قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم حشرتني اعمى بفتح الميمين وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بكسرهما
وعن نافع بين الكسر والفتح قيل اعمى عن الحجة لا يهتدي بها لانه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل اعمى البصر عن ابن
عباس اذا خرج من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي وقيل اعمى عن كل شيء الا عن جهنم قال رب لم حشرتني اعمى وقد
كنت بصيرا في الدنيا قوله تعالى قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف
ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى ● قال الله في جوابه كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله اتتك
آياتنا واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها ولم تؤمن بها وكذلك اليوم تنسى او وكذلك اليوم نسيت

تترك على عماك ولا نزيل الغطاء عن عينيك اي كما تركتها في الدنيا تترك اليوم في النار وكذلك اي وكما جزينا من اعرض عن ذكري
نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه وهذا من المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره
في الآخرة اعمى ولعذاب الآخرة اشد وابقى
من تركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه آياتنا قوله تعالى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات لاولي النهى ● فاعل يهد مضمون الجملة التي بعده نظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على
نوح في العالمين اي تركنا عليه مضمون هذا الكلام اي افلم يهد لكفار مكة اذا نظروا اهلاكنا القرون الذين قبلهم
يمشون اي اهل مكة في مساكن القرون الذين قبل اهل مكة وكان اهل مكة يتجرون ويمشون في مساكن عاد وثمود ويرون
آثار الهلاك فيها ان في ذلك لآيات لاولي النهى قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ●
اي ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عن كفار مكة الى يوم القيمة وقيل الى انقضاء آجالهم وقيل الى يوم بدر
لكان العذاب لزاما لازما لهم واللزام يجوز ان يكون مصدرا وصف به ويجوز ان يكون فعالا بمعنى مفعل اي ملزما كأنه
آلة اللزوم لفرط لزومه واجل مسمى قيل هو عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لهم لا يستقدمون ولا يستاخرون لكان
العذاب لازما لهم كما كان لازما لعاد وثمود وقيل يجوز ان يكون عطفا على الضمير المستتر في كان اي ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان العذاب العاجل واجل مسمى لازمين لاهل مكة كعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون العذاب العاجل فاصبر
يا محمد امر الله تعالى نبيه بالصبر على ما تقول اهل مكة ويسمع من اذاهم الى ان يحكم الله فيهم ثم حكم الله فيهم بالقتال
قيل نسخت آية السيف الامر بالصبر وسبح بحمد ربك في موضع الحال اي وسبح وانت حامد لربك على ان وفقك
للتسبيح واعانك عليه وقيل وسبح على ظاهره وقيل وسبح معناه وصل قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات
على الفعل آخرا قبل طلوع الشمس يعني صلوة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر وقيل يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان
في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن آناء الليل اي ساعات الليل فسبح يعني صل العشاء وقيل المغرب
والعشاء وقيل جوف الليل وقيل اوله وآخره ووسطه واطراف النهار وقيل مما ظهر ان تخرجا مخرج الجمع كقوله ان
تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قيل المراد بهذه الصلوة الظهر لان وقتها عند الزوال وهو طرف النصف الاول
وطرف النصف الثاني وقيل انها صلاة المغرب وصلاة الصبح لان الصبح في ابتداء الطرف الاول والمغرب عند انتهاء
الطرف الثاني وقيل انها الفجر والظهر والعصر فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الاول والظهر والعصر من الطرف الثاني وهذه
الاوقات الثلاثة على تقدير ان يكون المراد بالاطراف الطرفين وقيل اطراف النهار صلاة الظهر والعصر والمغرب فيما قال
اطراف النهار لانها الصلاتين لان صلوة الظهر في آخر الطرف الاول من النهار وفي اول الطرف الآخر من النهار فهي في
طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قال اطراف النهار واطراف منصوب على انه عطف
على قوله قبل طلوع الشمس وقيل ومن آناء الليل اي وخصهما آناء الليل واطراف النهار بمزيد التسبيح لان افضل
الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم
قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت
على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله عز وجل وقد تناول
التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار وارادة الاختصاص
كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين لعلك ترضى قرأها الكسائي وابو بكر
عن عاصم بضم التاء اي يرضيك ربك اي يعطيك ما ترضى به وبالفتح اي لعلك ترضى ثواب الله الذي يعطيك اي
اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ● سبب نزولها ما روى ابو رافع مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثني وارسلني الى رجل من اليهود
يبيع طعاما فقال له قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب
فاتيته فقلت له ذلك فقال اليهودي والله ما ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال والله لو باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت
هذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا ولا تمدن عينيك مد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا
للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو
حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو
عنه وذلك مثل نظر من بادة الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر
منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد
شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم
انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا
منهم اي اعطينا اصنافا من نعم الدنيا وقيل ازواجا منهم اي اصنافا وهم الرجال والنساء وقيل ازواجا منهم اشكالا

منهم لانه اشكال في الذهاب عن الصواب وقيل ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب ازواجا حالا
من هاء الضمير في متعنا والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا
قيل هو منصوب على الذم وهو النصب على الاختصاص وقيل انتصب على انه بدل من محل الجار والمجرور اي به وقيل
انتصب على ابدال من ازواجا على تقدير ذوي زهرة الحياة الدنيا بهجتها ونضارتها ومما يروق الناظر فيها عند رؤيته
وهو من زهرة النبات وحسنه لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم وقيل لنختبرهم فيه لنعامل معهم معاملة المختبر
ورزق ربك في الجنة خير وابقى قوله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك
والعاقبة للتقوى ● وامر اهلك بالصلوة قيل اراد بهم اهل بيتك واصطبر عليها اي داوم عليها ولا تهتم بامر
الرزق والمعيشة لا نسألك رزقا لنفسك ولخلقنا انما نامرك بالصلوة والصبر عليها نحن نرزقك والعاقبة
الجميلة المحمودة للتقوى اي لاهل التقوى عن هشام بن عروة كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقرأ
ولا تمدن عينيك الى قوله والعاقبة للتقوى ثم ينادي الصلوة الصلاة يرحمكم الله وقال مالك بن دينار كان
بكر بن عبد الله المزني اذا اصاب اهله خصاصة يقول قوموا فصلوا ثم يقول بهذا امر الله رسوله عليه الصلوة والسلام
ويتلو هذه الآية قوله تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص
فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ● وقالوا اي المشركون لولا اي هلا يأتينا محمد بآية
من ربه كآيات الانبياء نحو الناقة والعصا اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة اولم تأتهم قرأ نافع وابو عمرو
وحفص عن عاصم تأتهم بالتاء والباقون بالياء بينة ما في الصحف الاولى اي اولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب
من اخبار الامم التي اهلكناها لما سألوا الآيات ثم كفروا بها فما يؤمنهم ان يكون حالهم في السؤال كحال اولئك وقيل
اولم تأتهم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن بينة ما في سائر الكتب المنزلة
ودليل صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة
الحجة وذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البيان والبرهان والدليل ولو انا اهلكناهم اي مشركي مكة بعذاب
من قبله اي قبل نزول القرآن ومجيء محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا الى عبادتك
فنتبع آياتك ونعمل بمقتضاها من قبل ان نذل بالعذاب ونخزى بدخول النار قل يا محمد كل منا ومنكم متربص منتظر
لمن يصير اليه حكم العذاب في الدنيا وانتم تتربصون بنا الدوائر فتربصوا لي فانتظروا فستعلمون اذا جاء
امر الله وقامت القيامة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى من الضلالة نحن ام انتم

سورة الانبياء

وهي مائة واثنتا عشرة آية واربعة الاف وثمان مائة وتسعون حرفا كلماتها الف كلمة ومائة كلمة وستون
كلمة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ● هذه الآية نزلت في كفار مكة قيل
اللام في للناس صلة لاقترب كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي
رحيلهم كذلك الاصل اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وقيل تاكيد
لاضافة الحساب اليهم كقولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة واقترب افتعل من القرب يقال قرب الشيء
واقترب بمعنى المراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير
ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق المعنى اقترب محاسبة الله على اعمالهم وقيل اقترابه معناه انه آت وكل آت
قريب وقيل لان الزمان اكثره ماض وما بقي قليل فاقترابه بهذا الاعتبار وقيل لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في
نسم الساعة او حين ابتدأت واقبلت اوائلها وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهذا
من اطلاق اسم الجنس على بعض افراده للدليل القائم وهو ما يتلو من صفات المشركين ووصفهم بالغفلة مع الاعراض
وهم في غفلة معرضون على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون
لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد للمحسن والمسيء جزاء قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون
السحر وانتم تبصرون ● بين الله تعالى غفلتهم واعراضهم بقوله ما يأتيهم من ذكر قيل طائفة من القرآن نحو ان
يكون المراد من قوله محدث انزاله لانه يأتيهم وينزل اليهم شيئا بعد شيء وقيل ذكر من الاذكار ليس
بالقرآن لانه ذكر من رسول الله وقوله من ربهم لانه لما كان من رسول الله لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله في سياق الآية هل هذا الا بشر مثلكم والحامل

انه يقال يحدث لهم الذكر وقتا فوقتا وينزل لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه
والموعظة الحسنة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الذكر المشتمل على فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق
واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستهزاء الا استمعوه وهم يلعبون عن ابن عباس يستمعون القرآن مستهزئين لاهية
قلوبهم معرضة عن ذكر الله من قول العرب لهيت عن الشيء تركته وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان
قيل اللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا
وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم واسروا النجوى اي بالغوا فيها والنجوى اسم من التناجي
لا يكون الا خفية فمعنى اسروا النجوى بالغوا في اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم
متناجون الذين ظلموا ابدل من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به وعن الفراء انه
ظلموا في محل الخفض على انه تابع للناس في قوله اقترب للناس وعن الكسائي تقديم وتاخير اراد والذين ظلموا اسروا
النجوى وقيل منصوب المحل على الذم وقيل هو مبتدا وقيل مبتدا خبره اسروا النجوى
ووضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث قال الله تعالى
ثم عموا وصموا كثير منهم قال الشاعر ... النصال دون الحشا فاهتدين النبال للاغراض هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق
بقالوا مضمرا هل هذا الا بشر منكم وليس بملك فليس يحق اعتقاد ان النبي ينبغي ان يكون ملكا افتاتون السحر اي
افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وليس بمعجز يعنون ان متابعة محمد متابعة السحر وانما اسروا هذا الحديث وبالغوا
في اخفائه لان ذلك يشبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امر النبي صلى الله عليه وسلم
وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجهوا غاية السعي
في اخفاء سرهم منهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان وقيل يجوز ان يسروا نجواهم
بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا قوله تعالى قال ربي يعلم القول
في السموات والارض وهو السميع العليم قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم قال ربي على الخبر عن النبي اي قال النبي صلى
الله عليه وسلم ربي يعلم القول على الحكاية وقرا الباقون قل على الامر اي قل يا محمد ربي يعلم القول اي لا يخفى على ربي شيء يقال في السماء
والارض قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر
وكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر
من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم بالسر بذاته لا يخفى عليه خاف في السماء ولا في الارض قوله تعالى
بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون بل للاضراب عما قبله
والانتقال عنه الى غيره والمشركون اضربوا عن قولهم ان القرآن سحر الى ان قالوا انه اضغاث احلام اي اخلاط واشياء
مختلفة يراها في المنام ثم اضربوا عن قولهم اضغاث احلام الى ان قالوا بل افتراه اي اختلقه من عنده واضافه الى الله ثم اضربوا
عن قولهم افتراه الى قولهم هو شاعر كان الشعر لم يعرفوه وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد
وقيل المشركون اقتسموا الكلام في القرآن اربعة اقسام فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم
هو افتراه محمد وقال بعضهم بل هو محمد شاعر وقيل يجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم
الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني والرابع افسد من الثالث ثم قالوا ان كان محمد صادقا في دعواه انه نبي
فليأتنا باية بمعجزة ظاهرة كما ارسل الاولون من الرسل بالايات كما ارسل موسى بالعصا واليد البيضاء وعيسى بابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات
لان ارسال الرسل متضمن الاتيان بالايات فلا فرق بين ان يقال ارسل محمد وبين ان يقال اتى محمد بالمعجزة قوله تعالى
ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبل مشركي مكة من قرية
من اهل قرية اتيناها الايات اهلكناها اي اهلكنا اهلها والمعنى ان الامم التي اهلكناهم بتكذيب الايات لم يؤمنوا بالايات
لما اتتهم فكيف يؤمن هؤلاء وهذا البيان اشارة الى ان الاية لا تكون سببا للايمان الا ان يشاء الله وقيل ما امنت
قبلهم قرية من القرى المهلكة بما اقترحوا من الايات لما جاءت لانهم لما طلبوا الايات تعنتا افهم يؤمنون استفهام
على سبيل الانكار اي فلا ناتيهم بالاية اذ قضينا في السابق ان لا نعذب امة محمد صلى الله عليه وسلم بالاستيصال
قيل ان مشركي مكة لعلهم من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا
فاهلكهم الله فلو اعطيناهم كانوا انكث قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم امر الله تعالى مشركي مكة ان يسألوا اهل الذكر وهم اهل
الكتاب حتى يعلموا ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك
لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون قيل يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت ويحتمل
ان يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم

[Margin:] فاخبرونا بما اسررنا

[Margin:] يأتيهم...ون ٢

الممتد

الممتد خلودا فهذا رد لقولهم وما جعلناهم اي الرسل الاولين جسدا ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة
الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد اي لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين
في الدنيا والمعنى هم من جميع الوجوه كسائر بني آدم ياكلون الطعام وما كانوا خالدين الا في رتبة النبوة وشرف المنزلة
والايحاء اليهم ثم صدقناهم الوعد اي الوعد الذي وعدناهم بانجائهم واهلاك مكذبيهم والاصل في الوعد مثل واختار
موسى قومه فان الاصل من قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره فانجيناهم اي الانبياء تنبيها على ان انجاءهم بمقتضى المشيئة لا بسبب تصديقهم واهلكنا
المسرفين اي المشركين وهذا تخويف لاهل مكة ثم ذكر منته عليهم بانزال القرآن فقال لقد انزلنا اليكم يا اهل مكة
كتابا فيه ذكركم قيل فيه شرفكم ومنزلتكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك وقيل فيه ذكر دينكم ودنياكم اي
ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم وقيل فيه تذكيركم ووعظكم وقيل ما تتذكرون به من مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون
بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك افلا
تعقلون فيما فضلتكم به على غيركم قوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين فلما احسوا
باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم خوفهم وقال وكم قصمنا معناه وكم اهلكنا والقصم الكسر
هذه الاية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء
بخلاف الفصم من قرية تدل على ذلك وصفها بالظلم وانشانا واحدثنا بعدها بعد هلاك اهلها قوما آخرين لان المعنى اهلكنا
قوما وانشانا قوما آخرين فلما احسوا اي اهل القرية اي ادركوا بحواسهم شدة عذابنا ومشاهدة الشيء اذا هم منها
يركضون يخرجون مسرعين وقيل يهربون سراعا وقيل يركضون على ارجلهم فاذن والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله
تعالى اركض برجلك ويجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان
يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لا تركضوا والقول محذوف والقائل يحتمل
ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل وقيل يجوز ان يقول رب العزة
ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم اي قيل لهم لا تركضوا انا نهربكم لا ينفعكم ويحيكم
لا يغنيكم من العذاب وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه التلذذ
بالنعمة ومساكنكم لعلكم تسئلون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل
باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة وقيل ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى
يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بما تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر
كعادة المنعمين المخدمين وقيل حتى يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم وقيل يسالكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون
اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك
تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ ثم قالوا عند ذلك يا ويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا حيث كذبنا رسل ربنا بل اعطا انهم اعترفوا
بالذنب حين عاينوا العذاب وقعوا لوامهم على سبيل التندم حين لم ينفعهم الندم فما زالت تلك اشارة الى يا ويلنا
دعواهم كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم يدعون بها ويرددونها حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع
بالمنجل خامدين ميتين والضمير المنصوب في جعلناهم هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده هما حصيدا خامدين
كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبهما جميعا على المفعولية فان قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل اجيب بان حكم
الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين لما بين اهلاك القرية لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه
ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما من اصناف البدائع وانواع الخلائق مشحونة بضروب
من الغرائب والعجائب لاعبين اي لم نخلق ذلك عبثا انما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقهم
فيستدلوا على وحدانيتنا وعلمنا وقدرتنا وحكمتنا فيعلموا ان العبادة لا تصلح الا لنا المجازي المحسن والمسيء لو اردنا
ان نتخذ لهوا قيل ان المشركين لما قالوا الملائكة بنات الله والالهة بناته نزلت هذه الاية وقيل النصارى لما قالوا عيسى
ابن الله نزلت هذه الاية واللهو في كلامهم المراة ويقال للقبيح وقيل اراد باللهو الزوجة رد على من قال لله صاحبة وقيل
اللهو بلغة حضرموت الولد رد على من قال عيسى ابنه وقيل رد على المشركين لما اضافوا الى الله تعالى من التشبيه بالاصنام وقيل
هو اللهو على ظاهره والمعنى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه اي اللهو من لدنا كقوله من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل
لاتخذناه من عندنا وما اتخذنا نساء وولدا من اهل الارض وقيل لاتخذناه من لدنا بحيث لا يطلع عليه احد لانه
نقص فستره اولى ان كنا فاعلين اي لكنا ذلك اتخذناه من لدنا وقيل معناه لو كنا فاعلين وقيل ان نفي اي ما كنا فاعلين
قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه منه لذاته اي دع ذلك الذي قالوا فانه باطل نقذف بالحق اي نسلط الحق الذي هو القرآن على الباطل
الذي هو قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه فيكسره وقيل بالاسلام على الاشراك وقيل بالوعظ على الغناء وقيل بالحجة على الشبهة

[Margin:] القتال وصدقني سن بكره فانجيناهم اي الانبياء ... ومن نشاء الى الذين صدقوهم ٢

[Margin:] من اهل قرية ٢ / وقال قوما آخرين ٢

[Margin:] والمعنى ٢

[Margin:] فاعلين ٢

وقيل نخص الحق الباطل فاستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعل الحق كانه جرم صلب كالصخر مثلا تقذف به على جرم رخو اجوف كالدماغ فيدمغه فيكسره ويبلغ ام دماغه فلا يبقى فاذا هو زاهق ذاهب ثم خاطب المشركين فقال ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون الله بما لا يليق من الصاحبة والولد عن مجاهد مما تكذبون به قوله تعالى وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ● ولا يحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل كانه تقسيم الامر في نفسه اي ثبت الكفار لكم الويل مما تصفون وله سبحانه وتعالى من في السموات والارض واللام في له للملك وقوله من في السموات يعم الملائكة والثقلين وغيرهم ثم خصص من هذا العموم من اراد تشريفه من الملائكة بقوله ومن عنده لان عند هاهنا ليست في المسافة انما هي تشريف المنزلة والمراد انهم منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قيل لا يرجعون وقيل لا يملون وقيل لا يعيون وقيل لا ينقطعون والحسير المنقطع الواقف عيا وكلالا يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يضعفون عنه وقيل لا يفترون عن سائر الاعمال مما يامرهم قوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ● ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر اتخاذهم آلهة من الارض هم ينشرون اي يحيون الموتى فهذا استفهام بمعنى الجحد اي الاحياء والاماتة بيد الله وقوله من الارض صفة للالهة ويعني نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض والنكتة في قوله هم افادة معنى الخصوص كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون هذا برهان التمانع فلنتكلم اولا فيما يتعلق باللفظ من جهة الاعراب ثم نقرر البرهان اما الاول فنقول الا وغير معناهما لكل واحد منهما اي يحمل غير على الا في الاستثناء ويحمل الا على غير في الصفة ووجه حمل كل منهما على الآخر اشتراكهما في ان كلا ما بعد كل منهما مغاير لما قبله لكن وقوع غير موقع الا اكثر بخلاف العكس لان غير اسم والتصرف في الاسماء اكثر من التصرف في الحروف ولا يصح حمل الا على غير ههنا الا اذا تعذر الاستثناء لضعف استعمال الا صفة فاذا كان الا تابعة لجمع منكر غير محصور يتعذر الاستثناء فيحمل الا على غير حينئذ وانما قلنا اذا كان الا تابعة لجمع منكر غير محصور تعذر الاستثناء فانك اذا قلت جاءني رجال الا زيدا تعذر الاستثناء لان الاستثناء متصل وشرطه ان يكون مخرجا عن المستثنى منه لان شرط الاستثناء ان يدخل المستثنى لو سكت عنه في المستثنى منه وهاهنا لا يدخل زيد في قولك جاءني رجال اذ لا دليل عليه فلم يستقم اخراجه منه واذا لم يستقم اخراجه لم يصح ان يكون استثناء منه فثبت انه يتعذر الاستثناء في مثل هذه الصورة وانما اشترط ان يكون غير محصور احترازا عما مثل له عندي عشرة الا درهما فانه تابع لجمع منكر لكنه لما كان محصورا صح ان يكون استثناء لانه لو سكت عنه لدخل فيه ووجب على المقر عشرة بخلاف قولك جاءني رجال الا زيد وللقائل ان يقول انما يتم ما ذكرتم على مذهب من يقول الاستثناء اخراج ما لولاه لوجب دخوله في المستثنى منه واما على مذهب من يقول الاستثناء اخراج ما لولاه لصح دخوله فلا يتم ايضا هذا انما يتم على مذهب من يقول الاستثناء اخراج ما لولاه لوجب الدخول اذا كان الاستثناء متصلا فاما اذا كان منقطعا فلا يتم ايضا على مذهبه اذا عرفت هذا فنقول الا في لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا بمعنى غير لانه تابع لجمع منكر غير محصور فان آلهة جمع منكر غير محصور فوصف آلهة بالا كما يوصف بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يصح ان يكون الله بدلا من آلهة لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب ولا يسوغ البدل الا في كلام غير موجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان فيهما اي في السماء والارض آلهة الا الله اي غير الله لفسدتا وبطلتا وهلك من كان فيهما وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا الله اما الامر الاول فيدل عليه بيانات خطابية وجدلية وبرهانية اما الاول فلانا نعلم ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما الثاني فلانه لو كان في الوجود الهان فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرا على المقدورات مدبرا للكائنات والا لم يكن الها فاذا اراد احدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فاما ان يقع مرادهما فيلزم الجمع بين الضدين او لم يقع مراد واحد منهما فيلزم ان لا يكون الجسم ساكنا ولا متحركا وهو محال او يقع مراد احدهما دون الآخر فيلزم عجز احدهما والعاجز لا يكون الها واما الثالث فلانه لو كان في الوجود الهان لكان الاولى ان يستحيل حينئذ وقوع المقدور لانه لو وقع فاما بهما معا او لا يكون واحد الها او بكل واحد منهما فيلزم اجتماع فاعلين على مقدور واحد وهو محال لانه على تقدير الترتيب يلزم تحصيل الحاصل وعلى تقدير المعية يلزم من وقوعه بكل منهما عدم وقوعه بكل منهما او باحدهما دون الآخر فيلزم التخصيص بلا مخصص وهو محال او وقع لا بهذا ولا بذاك وهو محال ايضا لاستحالة وقوع المقدور بلا موجد واما الثاني فلما ثبت ان الله خالق السموات والارض نزه نفسه عما يصفون فقال فسبحان الله

رب العرش عما يصفون اي رب السموات والارض وما فوقهما من الكرسي والعرش وهو منزه عما يصفون من الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لانه ملكه ما يشاء ولا يقال له لم فعلت هذا لان فعله مستحسن واقع على الوجه الذي ينبغي فليس فيه موضع سؤال واعتراض وقيل لا يسأل عما يفعل بعباده اذ ليس احد فوقه ومثله فيسأله عن فعله بعباده وانما يسأل عن افعالهم لانهم ليسوا مالكين وفي افعالهم خلل وقيل لا يسأله الملائكة وهم يسألون بقوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل لا يسأل سبحانه والذين اتخذوهم آلهة كعيسى والملائكة والاوثان يسألون يروى عن الضحاك ان كفار قريش قالوا يا محمد ربنا يكتب علينا الذنب ثم يعذبنا عليها قالوا ثم تكذيبا بالقدر فانزل الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اي لا يسأل عن قضائه وهم يسألون قوله تعالى ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ● كرر قوله ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لاتخاذهم آلهة من دون الله اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم على هذا اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وفي توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والانداد مدعوا اليه والاشراك به منهي عنه هذا ذكر من معي اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امتي وذكر للذين من قبلي اي امم الانبياء وقيل ام اتخذوا من دونه آلهة امرهم الله تعالى بعبادتها في كتاب من كتبه قل هاتوا برهانكم على ذلك هذا القرآن فيه ذكر امتي وذكر الامم الذين من قبلي وليس فيه جواز ذلك ولا الامر بعبادة الاوثان وقيل تقديره هذا ذكر من قبلي اي التوراة والانجيل وليس فيها كلها اباحة ذلك وليس قوله ام اتخذوا تكرارا صرفا بل الاول للقياس اي وجدوا آلهة ينشرون الموتى من الارض فاتخذوهم آلهة قياسا والثاني للتقليد اي وجدوا في كتب الله الامر باتخاذ آلهة فاتخذوهم آلهة تقليدا وقيل معنى ذكر من معي خبر من معي وخبر من قبلي من نجاة الايمان ومن هلاك الشرك بل اكثرهم لا يعلمون الحق بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فهم معرضون بسبب جهلهم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ● قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون يوحى بالياء وفتح الحاء هذه الآية مقررة لما سبقها من آيات التوحيد قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ● قيل نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزلت في اليهود حيث قالوا ان الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة فعلى القولين المراد بالولد الملائكة وكذا بقوله بل عباد مكرمون اي بل هم عباد مكرمون وليسوا باولاد لان العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي انهم يتبعون قوله تعالى ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بالقول قولهم فانيب اللام مناب الاضافة وقيل لا يقولون الا بما يوحى وهم بامره يعملون ولا يعملون عملا ما لم يؤمروا به قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ● يعلم ما بين ايديهم اي ما عملوا وما خلفهم وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون يوم القيمة في الدنيا الا لمن ارتضى اي لمن رضي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اهل شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله وهم من خشية الله مشفقون خائفون ان يحل بهم عقابه وقيل يخافون ان يشفعوا الا باذنه وقيل يخافون من التقصير في العبادة ومن خشيته اضافة المصدر الى المفعول ومن يقل يعني ان وصفهم الله تعالى بكرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية اوعد بالوعيد الشديد وانذر بالعذاب الاليم من يقل منهم اي من الملائكة قيل من الملائكة ممن عبدوا من دون الله اني اله من دونه ان كان على سبيل الفرض والتمثيل مع احالة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد فذلك القائل نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين وقيل المراد به ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ووسوس اليهم وهذا قول من قال ان ابليس من الملائكة قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون ● اولم قرأ ابن كثير الم ير بغير واو بين الالف واللام والباقون اولم بواو مفتوحة بين الالف واللام اي يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما عن ابن عباس وعطاء والضحاك وقتادة كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهواء عن كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتحها بها وعن مجاهد وابي صالح والسدي كانت السموات والارض مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع طباق وعن عكرمة وعطية وابن زيد كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع واصل الرتق السد ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم رتقاء وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر وانما وحده تعالى ونعت السموات لانه مصدر وضع موضع الاسم كالزور والصوم والفطر والعدل ونحوها وعن ابي عبيدة السموات جمع والارض واحد فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظة صفة الواحد والعرب تفعل هذا اذا اشركوا بين جمع وبين واحد قال صاحب الكشاف ان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه

وجعلنا قيل متعد إلى واحد والمعنى خلقنا من الماء كل شيء حي أي حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وقيل معناه
كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الإنسان من عجل وقيل جعلنا متعد إلى
مفعولين والمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد
ولا الدد مني أفلا يؤمنون مع ظهور الآيات قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها
فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ● وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم قيل كراهة أن تميد بهم وتضطرب وقيل
معناه لأن لا تميد بهم فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس في نحو قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وجعلنا فيها
أي في الرواسي فجاجا أي طرقا واسعة واحدها فج الطريق الواسع قال صاحب الكشاف فإن قلت في الفجاج معنى
الوصف فما لها قدمت على السبيل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة و
لكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فإن قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت أحدهما إعلام بأنه جعل فيها
طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة لعلهم يهتدون ليهتدوا إلى ديارهم وأوطانهم
وقيل يهتدون بالاعتبار قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ● وجعلنا
السماء سقفا أي للأرض كالسقف محفوظا بالإمساك بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل وقيل محفوظا
بالشهب عن تسمع كل شيطان رجيم على سكانها من الملائكة وهم أي الكفار عن آياتها من الأدلة التي فيها كالشمس والقمر
والنجوم وسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة
الباهرة وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة
شأن من أوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف
علمه وهم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها وحيوة الأرض
والحيوان بأمطارها وهم أي الكفار عن آياتها معرضون فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها قوله تعالى وهو الذي خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ● أي كل واحد من الطوالع حذف المضاف إليه لعدم الالتباس
في فلك هو مدار النجوم التي يضمها سمي فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل لمجاهد كهيئة حديدة الرحا الصحاح
فلكهما مجراهما وسرعة سيرهما وقيل الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر فيه وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك
الكوكب وكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وهو معنى قول قتادة يسبحون يجرون يسيرون وإنما جعل الضمير
واوا للعقلاء للوصف بفعل العقلاء أي السباحة قال صاحب الكشاف فإن قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب
على الحال من الشمس والقمر فإن قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما يقول رأيت هندا
وزيدا متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله في هذه السورة ووهبنا له
إسحق ويعقوب نافلة وقيل لا محل لها لاستينافها والأولى أن يعتد والنجوم بعدا الشمس سوى القمر ويجعل ضمير
الجمع قرينة على حذفه والتقدير وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كل في فلك يسبحون
فإن قلت لكل واحد من القمرين والنجوم فلك على حدة فكيف قيل جميعهم في فلك يسبحون أجيب بأن هذا كقولهم كساهم
الأمير حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد منهم وكساهم وقلدهم هذه الأجناس فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا
ولأن الغرض الدلالة على الجنس قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ● نزلت هذه الآية حين قال أهل مكة نتربص به ريب المنون وكانوا
يقدرون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أي قضى الله أن لا
يخلد في الدنيا بشر فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أتبقى هؤلاء والفاء في قوله
مت لعطف جملة على جملة والفاء في قوله فهم الخالدون لجزاء الشرط والألف الاستفهام حقه الجزاء ودخل على الشرط
لأن الاستفهام له صدر الكلام كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب
فيه الشكر من النعم فتنة ابتلاء لينظر كيف صبركم فيما تكرهون من الفقر والضر والشر وكيف شكركم فيما تحبون من الغنى
والنفع والخير والمعنى نعاملكم معاملة المختبر وإلينا ترجعون وقرأ ابن عامر يرجعون بتاء مفتوحة والباقون بتاء مضمومة
ترجعون للحساب والثواب والعقاب قوله تعالى وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي
يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد
إن كنتم صادقين ● نزلت في أبي جهل وأبي سفيان كانا جالسين في جماعة من قريش فأخبار النبي صلى الله عليه وسلم
فقال أبو جهل لأبي سفيان انظر إلى نبي بني عبد مناف استهزاء فقال أبو سفيان وما ينكر أن يكون نبي من بني عبد مناف
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لأبي جهل ما أراك تنتهي حتى ينزل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة
وقال لأبي سفيان أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية فأنزل الله وإذا رآك الذين كفروا يعني المستهزئين إن نافية يتخذونك
أي ما يتخذونك إلا هزوا مهزوا به يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يذكر آلهتكم الذكر يكون بخير وبخلافه
فإذا دلت الحالة على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء
وإن كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها وهم بذكر الرحمن أي
الكافرون عاكفون بهمتهم على ذكر آلهتهم وما يجب أن لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك

وإذا ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك
[illegible]
اشتهى الطعام وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل ويقولون متى هذا الوعد
أي وعد العذاب وقيل الساعة وقيامها قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ● لو يعلم الذين كفروا جواب لو محذوف وحين مفعول به أي لو يعلم الذين كفروا الوقت
يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد لا يكفون عن وجوههم النار أي لا يقدرون
على كف النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم لأنها محيطة بجميع أبدانهم من قدام ومن وراء فلا يقدرون على دفعها ومنعها
من أنفسهم ولا هم ينصرون من عذاب الله لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال وقيل
لعلموا البعث وقيل لعلموا صدق الموعود وقيل يجوز أن يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم لم
يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا
على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم قوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا
هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ● بل تأتيهم أي يأتيهم
بل تأتيهم الساعة بغتة فجأة فتبهتهم فتحيرهم وتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر أي
غلب إبراهيم الذي كفر فلا يستطيعون فلا يقدرون على ردها ولا هم ينظرون يؤخرون تذكيرا بانظاره إياهم وإمهاله
وتفسحا وقتا للتذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول الإمهال ولقد استهزئ برسل تسلية لنبيه عما من استهزائهم بأن له
في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالذين سخروا من الرسل فنزل ما كانوا به يستهزءون أي
جزاء استهزائهم وعاد عليهم ما عادوا بالرسل قوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم
عن ذكر ربهم معرضون ● قل من يكلؤكم يحفظكم يقال كلأه كلاءة أي حفظه بالليل والنهار من الرحمن من بأسه وعذابه
إن أتاكم ليلا أو نهارا استفهام معناه النفي بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه
وقيل عن مواعظ ربهم معرضون لا يلتفتون إليها وقيل عن القرآن لا يتدبرونه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ● ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل فقال أم لهم آلهة تمنعهم من العذاب
من دوننا تتجاوز منعنا وحفظنا وههنا تم الكلام ثم استأنف فقال لا يستطيعون أي وصف آلهتهم بالعجز فبين أنهم
لا يستطيعون نصر أنفسهم أي من لا يقدر على نصر نفسه فكيف ينصر غيره ولا هم منا يصحبون عن ابن عباس ولا الكفار
ولا هم منا يصحبون بالنصر والتأييد وقيل ولا هم ولا الأصنام من الله يصحبون بالنصر والتأييد فكيف ينصرون
غيرهم وقيل معناه ولا الأصنام منا يجارون أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب لجاره وقيل معناه ولا هم منا
يصحبون بخير قوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها
أفهم الغالبون ● ثم أضرب من الكلام الأول لما ثبت ما بعد بل متعنا هؤلاء الكفار وآباءهم والمعنى بل ما هم فيه من الحفظ
والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وإمهالا كما متعنا غيرهم
من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر وامتدت أيام الروح والطمأنينة فاغتروا بذلك وحسبوا أن لا يزول
ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقص من أطراف الأرض
بتسليط المؤمنين عليها وإظهارهم على أهلها ويخربون بأطرافها للمؤمنين ما الفائدة في قوله أنا نأتي الأرض تصوير ما كان
يجريه على أيدي المؤمنين وأن عساكر المسلمين وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة
من أطرافها أفهم الغالبون أم نحن مع ضعف الأحوال ونقص الأطراف ليسوا بغالبين بل مغلوبين قوله تعالى قل
إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ● قل يا محمد للمشركين إنما أنذركم بالوحي أي القرآن أخبر
به من تلقاء نفسي إنما أمرت فبلغت ولا يسمع الصم الدعاء قرأ ابن عامر تسمع بضم التاء وكسر الميم ونصب الصم جعل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بفتح الياء والميم ورفع الصم على أن الفعل لهم شبه الله المشركين بالصم الذين لا يسمعون
نداء مناديهم ووجه التشبيه أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا كالصم لا يفيدهم صوت مناديهم قال صاحب الكشاف

في الصمم اشارة الى ان هؤلاء المنذرين كاينة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على تصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام
من آيات الانذار قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ● ولئن مستهم
اصابتهم نفحة شيء يسير من عذاب ربك اي من العذاب الذي ينذرون به لاذعنوا وذلوا ودعوا بالويل على انفسهم
مقرين بانهم كانوا ظالمين على انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح يعني
القلة والندرة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير عن ابن عباس طرف وقتادة ومقاتل عقوبة ابن كيسان قليل
نصيب من قولهم نفح فلان لفلان من ماله اذا اعطاه قسما وحظا منه وقيل ضربة من قول العرب نفحت الدابة برجلها
اذا ضربت بها قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين ● القسط العدل وصف الموازين به مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف
اي ذوات القسط ليوم القيمة اي لاهل يوم القيمة اي لاجلهم وقيل لجزاء اعمالهم يوم القيمة وقيل في يوم القيمة
ونضع الموازين القسط على سبيل التمثيل عن المعنى اعتبار الحساب والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة
من غير ان تظلم نفس شيئا فتشبيه ذلك بوضع الميزان ليوزن به الموزونات وقيل توضع الموازين الحقيقية ويوزن بها الاعمال
عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان روي ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال
يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة والاعمال اعراض يجوز ان تخلق
في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فلا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص
محسن من احسانه ولا يزاد مسيء في اساءته وان كان مثقال بالرفع نافع وان وقع مثقال والباقون بالنصب على معنى وان كان
العمل مثقال الحبة اي مقدار حبة اتينا بها اي بالمثقال وانث ضمير المثقال لاضافته الى المونث كقولهم ذهبت بعض اصابعه
قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة
مشفقون ● وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ولقد آتينا اعطينا موسى وهارون الفرقان قيل التورية
التي فرق فيها بين الحلال والحرام وقيل الفرقان البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون وقيل الفرقان الذي
فرق بين النصر والنجاة لموسى والاهلاك لفرعون وضياء وذكرا للمتقين والمعنى ان الفرقان في نفسه ضياء وذكرا وآتينا
بما فيه من الشرايع والمواعظ ضياء وذكرا وقيل ان الواو زائدة وعن عكرمة عن ابن عباس انه كان يرى الواو زائدة قال
الزجاج وكذلك قال بعض النحويين ان المعنى الفرقان ضياء وذكرا موعظة للمتقين وقيل ذكرا ما يحتاجون اليه في دينهم
ومصالحهم وقيل معنى قوله وذكرى للمتقين انهم يذكرونه ويعملون بما فيه الذين يخشون ربهم بالغيب قيل يخافونه
ولم يروه وقيل يخشون عذاب ربهم ولم يروه وقيل يخشون ربهم حيث لا يراهم احد وقيل يخشون ربهم
اذا غابوا عن اعين الناس بخلاف من يخشاهم اذا كانوا بين الناس ومحل الذين نصب على المدح او جر على الصفة ثم عاد الى ذكر القرآن
فقال وهذا اي القرآن ذكر لمن تذكر به وعظة لمن اتعظ مبارك كثير الخير غزير المنافع انزلناه افانتم يا اهل مكة له اي للقرآن منكرون
جاحدون وهذا استفهام توبيخ اي تنكرون انه من الله وتنسبونه اليه قوله تعالى ولقد آتينا ابرهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ●
ولقد آتينا ابرهيم رشده اهتداه الى وجوه الصلاح ورفض الاصنام وقيل نبوته وقيل العلم والكتب والحكمة
من قبل اي من قبل بلوغه وقيل من قبل موسى وهارون وقيل من قبل وجوده في العلم السابق وكنا به عالمين بانه
اهل لما اتيناه من الرشد او النبوة والهداية وقيل معناه انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها
حتى اهله لمخالته ومخالصته كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان وكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف
بمنزل اذ قال لابيه قيل اذ متعلق بآتينا اي آتينا ابرهيم رشده وقت قوله لابيه وقيل برشده اي آتيناه وقت رشده
وقيل متعلق بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل الصور اي الاصنام
تجاهل لهم وتغابي ليحقر آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها التي انتم لها عاكفون على عبادتها وقيل
لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها قال صاحب الكشاف
فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على
قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق
ام انت من اللاعبين ● قالوا اي ابوه وقومه وجدنا آباءنا لها عابدين اتبعناهم واقتدينا بهم قال صاحب الكشاف ما اقبح
التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة
التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم
وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال ابرهيم لابيه وقومه لقد كنتم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام
مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل وهو الضمير المرفوع المتصل لا يصح نحو اسكن انت وزوجك
الجنة وآباؤكم في ضلال مبين ظاهر على من به ادنى مسكة لان استنادكم الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اي ابوه
وقومه لابرهيم عليه السلام اجئتنا بالحق يعني اجاد انت فيما تقول ام انت لاعب لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا
بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي

جئتنا

جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم
من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ● اجابهم ابرهيم مضربا عن تخيلهم بل ربكم على ان المستحق
للعبادة هو الله لا الصنم قال ابرهيم لابيه وقومه ما انا من اللاعبين بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي
فطر السموات والارض او فطر التماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج وانا على ذلكم شاهد من الشاهدين والشاهد
على الشيء اذ لا اؤدي بالحجة تحقيقه وتصحيحه كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوي
بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم
آباءكم ثم قال ابرهيم وتالله لاكيدن اصنامكم القسم وتاه ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها
زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري
ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة
دينه ولكن اذا الله سهل شيء تيسر لاكيدن اصنامكم لامكرن بها الكيد احتيال الكائد في ضر المكيد والمعنى
يقولون لاكيدنها بالكسر بعد ان تولوا اي تذهبوا عنها وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون الى العيد لا يخلفون بالمدينة احدا
فقالوا لابرهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق قال اني سقيم والقى نفسه
وقال سرا منهم وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل منهم فافشاه عليه فرجع الى بيت الاصنام وكانت فيما ذكره
مقاتل اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا
لهم لعلهم اليه يرجعون ● قرا الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون جذاذا بضمها فجعل ابرهيم التماثيل جذاذا اي فتاتا وكل
كسرة فهي جذاذة والجذاذ بالضم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وجذاذا بالكسر جمع جذيذ مثل
ثقيل وثقال وخفيف وخفاف الا كبيرا اي كبير الاصنام الا كبيرا لهم ويحتمل انه كان كبيرا في ذاته وانه كان كبيرا عندهم
في تعظيمهم اياه لعل ابا ابرهيم وقومه يرجعون الى الكبير فيسالونه عن هذه وقيل يرجعون الى الله وقيل الى ابرهيم بالحجة وقيل
الى دين ابرهيم بموجب الحجة عليهم قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ● فلما جاء القوم من عيدهم
الى بيت آلهتهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ● اي قد فعل ما لم يكن له فعل قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم ● قال الذي سمع ابرهيم يقول وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين والذين سمعوا منه سمعنا
فتى يذكرهم بعيبهم وكسبهم وسبهم يقال له ابرهيم هو الذي نظن انه صنع هذا قوله تعالى قالوا فاتوا به على اعين
الناس لعلهم يشهدون ● فبلغ نمرود ذلك فقال لهم ومن حوله فاتوا بابرهيم عليه السلام على اعين الناس في محل الحال
بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر ومعنى الاستعلاء في على هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين
ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعل الناس يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله وقيل يحضرون عقوبته
قوله تعالى قالوا انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم فلما اتوا به قالوا انت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ● قال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا قيل قال ابرهيم غضب كبيرهم
من ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن قال صاحب الكشاف هذا من معاريض الكلام ولطايف هذا النوع
لا يتغلغل فيها الا اذهان الخاصة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه لم يكن الى ان
ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم
الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط ا انت كتبت هذا وصاحبك
امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع
الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي والمخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر وقيل غاظته
تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة فكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل
اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية
لما يقود اليه تجويز مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد
منه فسئلوهم اذا كانوا ينطقون الزم الحجة عليهم بانهم جماد لا يقدرون على النطق ويروى عن الكسائي انه كان يقف عند
قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا قال القتيبي جعل ابرهيم النطق شرطا للفعل فقال بل
كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون والمعنى ان قدروا على النطق قدروا على الفعل وفي ضمنه انا فعلت ذلك فعلى هذا لا يقع الكذب
به والاخبار في هذه الآية ان ابرهيم عليه السلام اسند الفعل الى الكبير يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب
ابرهيم الا ثلث كذبات كلها في الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي ولا يستحيل
ان يكون هذا القول من ابرهيم عليه السلام بامر من الله تعالى لتقريع قومه ويحتج عليهم ويعرفهم موضع خطائهم
كما اذن ليوسف عليه السلام حين امر مناديه لاجل ان يقول ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا شيئا قوله تعالى
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ● فرجعوا الى انفسهم قيل رجع بعضهم الى بعض وقيل كل منهم الى نفسه
متفكرين بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون حين عبدتم من لا يتكلم وقيل حين تتركون
آلهتكم وتخدمها وتعبدون وقيل في عبادة هذه الصغار مع هذا الكبير وقيل ظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه
وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فسلوها وقيل ظالمون لابرهيم حيث تتهمونه والحال انه برئ في تكسير الاصنام قوله تعالى

نكسوا

ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا
حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة
وان هؤلاء مع تقاصرها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضادة منهم وقيل انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم
مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق وقيل قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا
مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم عن قتادة ادركتهم حيرة فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وعن
قتيبة رجعوا الى اول ما كانوا يعرفون به انها لا تنطق وفي قوله لقد علمت اضمار القول وفي هذا اقرار منهم بعجز ما يعبدونه
من النطق فحينئذ توجهت لابرهيم الحجة فقال قوله تعالى قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اف لكم معناه التبين لكم وقيل اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه
متضجر اضجر ابرهيم عليه السلام ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف
بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين
لما الزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه
من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي
اشار باحراقه نمرود عن ابن عمر وانا الذي اشار عليهم بتحريق ابرهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد وروى انهم لما اجمعوا
اي النمرود وقومه باحراق ابرهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم ثم جمعوا اصلاب الحطب من انواع الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لنار
ابرهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه مما تحب ان تدرك لئن اصابته لتحطبن في نار ابرهيم التي يحرق فيها احتسابا
في دينها قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما اكثروا جمعوا منه ما ارادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب
فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق في الجو من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فرفعوه
على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة
وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ابرهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره يحرق فيك فأذن لنا في نصرته
فقال الله عز وجل ان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك فان لم يستغث بغيري فانا اعلم
به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن
المياه والامطار بيدي واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم
ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري
حسبي الله ونعم الوكيل وعن ابي بن كعب ان ابرهيم عليه السلام قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك رب العالمين
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال يا ابرهيم
الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابرهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله عز وجل
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم عن السدي كان جبريل هو الذي ناداها عن ابن عباس لو لم يتبع الله بردها سلاما
لمات ابرهيم عليه السلام من بردها فلم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت ظنا انها هي تعنى قال السدي فاخذت الملائكة
بضبعي ابرهيم عليه السلام فاقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار من ابرهيم
الا وثاقه قيل وكان ابرهيم في ذلك الموضع سبعة ايام وقيل قال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم من الايام التي كنت فيها
في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد فيها الى جنب ابرهيم عليه السلام وهو يؤنسه قال
وبعث الله بقميص من حرير الجنة واتاه جبريل فقال يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر
نمرود من صرح له واشرف على ابرهيم عليه السلام وما شك تحرقه فرأى ابرهيم جالسا في روضة خضراء ورأى الملك
قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق ما جمعوا له من الحطب فناداه يا ابرهيم ان الهك الذي بلغت قدرته هذا الكبير
هل تستطيع ان تخرج قال نعم فقام ابرهيم يمشي حتى خرج فقال له من الذي رأيت معك قال الملك ارسله الله الي ليؤنسني
فقال نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته فقال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك فقال يا ابرهيم
لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له فذبح القربان وكف عن ابرهيم قال المفسرون ومعنى كوني بردا اي ذات برد
وسلاما اي سلامة وارادوا به كيدا وهو التحريق بالنار فجعلناهم الاخسرين وهو ان الله سلط البعوض عليهم
حتى اكل لحومهم وشرب دماءهم ودخلت واحدة في دماغ نمرود حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه بسوء فانقلب السوء عليهم
قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي ونجينا ابرهيم من نمرود وكيده ولوطا
وهو ابن اخي ابرهيم من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها اي الى ارض الشام وكانت سارة مع ابرهيم وقيل انها
انما هي ابنة ملك حران لقيها ابرهيم فتزوجها على ان لا يغيرها وكانت قد طعنت على قومها في دينهم واما قوله التي
التي باركنا فيها للعالمين قال الاكثر على انها ارض الشام وبركاتها الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيها وانتشرت
في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب
وطيب عيش الغني والفقير وعن ابي بن كعب سماها مباركة لان ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي
ببيت المقدس وعن قتادة يقال الشام عماد دار الهجرة وما نقص من الارض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في

فلسطين

فلسطين وكان يقال ارض المحشر والمنشر وبها يجمع الناس وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الدجال قوله تعالى
فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ● عن ابن اسحق كان لابرهيم لوط وآمنت به ايضا سارة وخرج ابرهيم
فسكن بها من كوثي من ارض العراق مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة
ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم اتى الشام فنزل بفلسطين وهي برية الشام
ونزل لوط المؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة او اقرب من ذلك وقيل المراد بالارض التي باركنا فيها للعالمين مكة فيكون
استعمال الارتحال الى قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وكانوا لنا عابدين ● ووهبنا لابرهيم اسحق ويعقوب نافلة قيل عطية والمراد بها اسحق ويعقوب هذا قول مجاهد
وعطاء عن ابن عباس وقتادة وابن زيد نافلة اي زيادة والمراد بها يعقوب خاصة سأل ابرهيم ولدا وقال رب هب لي
من الصالحين فاعطاه الله تعالى اسحق ولدا وزاده يعقوب فضلا وعطاء من غير سؤال فالنافلة ولد الولد وهي حال
من يعقوب ويجوز تخصيص المعطوف بالحال عند امن اللباس وقيل نافلة مصدر من غير لفظ الفعل السابق اي وهبنا
هبة اسحق ويعقوب وكلا جعلنا صالحين قال ابو عبيدة كل يقع خبره على لفظ الواحد لان لفظه لفظ الواحد ويقع خبره
على لفظ الجميع لان معناه معنى الجميع وجعلناهم اي ابرهيم واسحق ويعقوب ائمة انبياء يقتدى بهم في الخير والدين
يدعون الناس الى ديننا بامرنا اياهم بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات ابن عباس شرائع النبوة مقاتل الاعمال الصالحة
اصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة الخلاف حذف التاء من اقام الصلوة تخليل
في اللغة يقال اقام اقامة ومعنى الحذف جائز لان الاضافة عوض عن الهاء قوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من
القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ● انتصب لوطا
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وآتينا لوطا آتيناه وقيل ارسلنا لوطا وقيل واذكر لوطا آتيناه حكما نبوة وفهما وعقلا
وفصلا بين الخصوم وعلما بالوحي ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني سدوم وكان اهلها يأتون
الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم ويقطعون السبيل ويعملون باشياء اخر من المنكرات وقيل ونجيناه من
عذابها انهم كانوا قوم سوء شريرا فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة
وقيل في الجنة انه من الصالحين قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب
العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ● واذكر نوحا اذ نادى دعا
على قومه بالهلاك حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا من قبل ابرهيم ولوط فاستجبنا له اجبنا دعاءه
فنجيناه واهله اهل بيته واتباعه وليس ابنه منهم قال الله تعالى انه ليس من اهلك من الكرب العظيم والكرب اقصى الغم
الآخذ بالنفس وهو ههنا الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه واذاهم ونصرناه من نصر الذي مطاوعه انتصر اي منعناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا ان يصلوا اليه بسوء وقيل ونصرناه على القوم انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين
قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من
بأسكم فهل انتم شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ● ومن الشياطين
من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ● واذكر داود وسليمن وقيل يحتمل ان يكون المعنى وآتينا داود
عطفا على قوله ونوحا وذلك عطف على قوله ولوطا آتيناه حكما وعلما اذ يحكمان يعني انهما في الحرث وسليمان هو ابن داود
من بني اسرائيل وكان نبيا ملكا فمثلا يحكم بين الناس فوقعت بين يديه هذه النازلة وكان ابنه سليمن اذ ذاك كبيرا
وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود من باب اخر فتخاصم الى داود رجلان احدهما
صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئا فقال داود عليه السلام
ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث فقال عليه السلام لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث على ان تبقى
الحرث بيده وقيل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم وقيل يشبه على القول الاول انه رأى الغنم بقيمة
الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني راى الغنم بقيمة الحرث وغلته ولا يظن بداود عليه السلام الا ان حكمه بنظر من وجه
فلما خرج الخصمان على سليمن وهو يجلس على الباب فقال صاحب الغنم فقال سليمان عليه السلام لو وليت امركما
لقضيت بينكما بغير هذا فاخبر داود عليه السلام بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون
له نسلها ولبنها وصوفها وعوارضها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا كان العام المقبل وصار
الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه وعن ابن مسعود وشريح ومقاتل ان راعيين نزلا ذات ليلة بجنب
كرم فدخلت الاغنام الكرم وهم لا يشعرون فاكلت القضبان وافسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود عليه السلام
فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت فخرجا على سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة
فقال لهما ما قضى الملك في امركما فقصا عليه القصة فقال سليمن عليه السلام غير هذا ارفق بكما فاعادا الى داود عليه السلام فاخبراه بذلك
فدعا داود سليمان عليهما السلام فقال له بحق الابوة والنبوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بهما فقال سليمن عليه السلام تسلم الاغنام
الى صاحب الكرم حتى يرتفق بلبنها ونسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى ان يعود كهيئته ثم ترد الاغنام

الى صلحيها فقال داود عليه السلام القضا كما قضيت وحكم كذلك وعن الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله
داود في حكمه وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب اذ الخطأ ضرار ولا يعاب بحكمه ولا يخل فهمه وعلمه اذ نفشت انتشرت
بالليل وكنا لحكمهم لحكم داود وسليمان جمع كما جمع في قوله وان كان له اخوة وقيل لحكم القوم المذكورين في قوله غنم القوم
وقيل لحكم داود عليه السلام وسليمان عليه السلام والمتحاكمين ومولى الظالم ففهمناها اي الحكومة او الفتوى وكلا منهما اتينا
حكما وعلما اي نبوة وعلما بامور الدين وعن الحسن لولا هذه الاية لرأيت القضاة قد هلكوا ولكنه اثنى على سليمان لصوابه وعذر
داود باجتهاده وقيل حكم داود عليه السلام بالوحي لا بالاجتهاد اذ لا يجوز للانبيا الاجتهاد لان الاجتهاد عند عدم النص
والانبيا لا يعدمون النص فعمل داود بنص ثم نسخ ذلك بنص نزل على سليمن وقوله تعالى ففهمناها سليمن القضا الفاصل
الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازلة وهذا التفسير يحتاج الى تكلف وتعسف ويبقى بعد تعلقا غير تام لان مذهب
جمهور المحققين ان حكمهما كان بالاجتهاد اما وجه حكم داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما
قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يباع العبد في ذلك او يفديه
المولى ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكم سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر
والنقصان قيل مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يد الغاصب ان الغاصب يضمن القيمة فينتفع
بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد ترادا ولو وقعت هذه في شريعتنا قال
ابو حنيفة واصحابه لا ضمان على صاحب البهيمة لا بالليل ولا بالنهار مذهب ابي حنيفة مخالف لحكمهما ومذهب الشافعي
موافق لحكم سليمان من حيث ان الضمان على صاحب الماشية بالليل مخالف من حيث ان الضمان على صاحب الماشية بالليل
مخالف من حيث ان الضمان بالقيمة او المثل لا بتسليم الماشية ولا تسليمها فيما ففهمناها سليمن يدل على ان حكمه
اصوب وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب والحق في الاجتهاد لا في الحكم والا لم ينقض حكم داود
عليه السلام اذ لا يجوز نقض الحكم الذي هو صواب والاية تدل على انه يجوز نقض حكم الحاكم بالاجتهاد اذا ظهر ما هو اقوى منه
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن قال يسبحن عن ابي هريرة
كان اذا سبح داود اجابته الجبال بالتسبيح والذكر والطير معطوف على الجبال او مفعول معه وقدم الجبال على الطير
لان تسخير الجبال وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان من شانه
ان ينطق وتسبيح الجبال بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وقيل تسبيحها ان يسبح من رآها
تسبيحا بتسيير الله عز وجل فلما حملت على التسبيح وصف به وكنا فاعلين قادرين على هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا
فاعلين مثل ذلك بالانبيا اظهارا للمعجزة وعلمناه اي داود صنعة لبوس درع واللبوس في الاصل اللباس قال الشاعر
البس لكل حالة لبوسها • وكان داود عليه السلام اول من سردها وحلقها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل اللبوس السلاح
كله من درع وسيف وسهم لكم لتحصنكم قرا ابن عامر وحفص عن عاصم لتحصنكم بالتا وابو بكر عن عاصم بالنون
خفيفة والباقون باليا من قرا بالتا حمله على المعنى لان اللبوس هو الدرع ومن قرا بالنون لتقدم قوله وعلمناه ومن قرا
باليا يجوز ان يكون الفاعل هو الله لتقدم علمناه ويجوز ان يكون اللبوس لان اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان
ضربا منه ويجوز ان يكون التعليم ومعنى لتحصنكم لتحرزكم وتمنعكم من باسكم او الحرب ولسليمن الريح وسخرنا لسليمن
الريح عاصفة شديدة الهبوب وصفت الريح تارة بالرخا باعتبار نفسها فانها كانت رخية طيبة كالنسيم وبالعصف
باعتبار عملها فانها اذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر تجري بامره
وما اعتقوا ارادته تجري يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون استينافا وجيوبها على حسب ما يريد وبحكمه اية الى اية ومعجزة
مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته الى الارض التي باركنا فيها وهي ارض الشام
المعنى انها كانت تسير به الى حيث شاء ثم تعود الى منزله بالشام وكنا بكل شيء عالمين قيل علمنا ان ما نعطي سليمن يدعوه الى الخضوع
لربه وقيل وقد احاط بكل شيء تجري الاشيا كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا وقيل نعلم ما يصلح لكل احد وما يصلح له
ومن الشياطين اي وسخرنا ايضا لسليمن من الشياطين من يغوصون له في البحار اي يدخلون في الماء ويستخرجون
له الجواهر من البحر ويعملون عملا دون ذلك اي دون ذلك الغوص كبناء المحاريب والتماثيل وبنا المداين والقصور واختراع
الصنايع العجيبة وكنا لهم حافظين ان يخرجوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون
فيه قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين • واذكر ايوب اذ نادى دعا ربه اني مسني قرا حمزة
مسني بسكون اليا والباقون بفتحها الضر بالضم الضرر في النفس من مرض وهزال وبالفتح الضرر في كل شي
وانت ارحم الراحمين وهذا تعريض منه لسؤال الرحمة اذ اثنى عليه بانه ارحم والطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب روي ان ايوب عليه السلام كان نبيا مبعوثا الى قومه وهو ايوب
بن اموص بن رعويل بن عيص بن اسحق بن ابرهيم خليل الله وكانت امه من ولد لوط ابن هاران وبسط الله عليه الدنيا وكثر
امواله واهله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم من الابل والبقر والغنم وكان صاحب البثنية
من نواحي الشام وكان له خمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امرأة وولد وكان برا تقيا رحيما بالمساكين [illegible]

فقال

[illegible]

وهما يسمعان فخر ساجدا ثم قال اللهم لا ارفع راسي حتى تكشف ما بي فكشف الله تعالى ما به وعن الحسن ان ابليس جاء الى زوجته
بسخلة فقال لتذبح ايوب هذه لي وقد برئ فجاءت فاخبرته فقال لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني
ان اذبح لغير الله ثم طردها عنه فبقي حتى لما راى انه لا طعام له ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال مسني الضر وروي
ان الله تعالى اوحى اليه وهو في عنفوان شبابه اني مبتليك قال يا رب واين يكون قلبي قال عندي فصب عليه من البلا ما سمعت
حتى اذا بلغ البلا منتهاه اوحى الله اليه اني معافيك قال يا رب واين يكون قلبي قال عندك قال مسني الضر فقيل الشكوى
اجيب بان الشكوى الى الله لا ينافي الصبر وانما المذموم الشكوى الى الخلق الم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني
الى الله قال سفيان ابن عيينة وكذلك من شكى الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعا الم تسمع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل في مرضه اجدني مغموما واجدني مكروبا واتيناه اهله اي اولاده ومثلهم معهم
ابن مسعود والحسن وقتادة ان الله تعالى احيى له اهله باعيانهم واتاه مثلهم معهم في الدنيا ابو صالح عن ابن عباس كانت
امراته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات فنشروا له هشام عن الحسن انهم كانوا قد غيبوا اي لم يموتوا فاتاه ايتهم في الدنيا
معهم في الاخرة مجاهد اتاه الله اجور اهله في الاخرة واتاه مثلهم في الدنيا قيل اتاه اهله ومثلهم معهم في الاخرة
رحمة من عندنا اي فعلنا به رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يقتدون بنبينا في الصبر على البلاء والشكر على النعماء محمد بن كعب
من اصابه بلاء فليذكر ما اصاب ايوب فليقل قد اصاب من هو خير مني قوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل
كل من الصابرين • وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين • واذكر اسمعيل ابن ابرهيم خليل الله عليهما السلام وادريس
واخنوخ ابن شيث ابن آدم قصوا قبل نوح بعث الله من بني آدم ورفعه كان خياطا وكان يسبح الله عند ادخال الابرة
ويحمده عند اخراجها وذا الكفل قيل انه لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا وكان اليسع جمع بني اسرائيل فقال من يتكفل
لي بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب فاوليه النظر للعباد بعدي فقام اليه شاب فقال انا فاتاه بذلك ثم رجعه
ثانيا في ذلك يقول انا فاتاه بذلك فاستعمله فلما مات اليسع قام بالامر فجاء ابليس ليغضبه وكان لا ينام الا في القائلة
وكان ياتيه وقت القائلة اما نايما فيوقظه ويشتكي ظلامة ويقصد تضييق صدره فلم يضق به صدره ولم يمض معه لينصفه
نفسه فلما راى ابليس ذلك خلاه وذهب فكفاه الله شره وسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل نبيا من انبيا الكفل
هو الياس وقيل اسمه ذا الكفل وقيل هو يوشع بن نون وذو الكفل الحظ او ضعاف ثوابه لانه ضاعف عمله وقيل
عبد الله في غار جبل فالكفل الجبل وقيل هو زكريا فيكون خمسة من الانبيا داود واسمعيل اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل
عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد كل من الصابرين على طاعة الله وترك معصيته وادخلناهم في رحمتنا
ابن عباس هاهنا الجنة وقيل النبوة وقيل النعمة وقيل الموالاة انهم من الصالحين من الانبيا سموا صالحين لان صلاحهم
لا يشوبه كدر الفساد وصحو وادخلناهم في رحمتنا لغمرتهم الرحمة وهو ابلغ من رحمناهم قوله تعالى وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين • واذكر ذا النون والنون الحوت صاحب يونس بن متى سنسب الحوت الذي
التقمه اذ ذهب مغاضبا المغاضبة مفاعلة واكثر ما تنبني كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة وقد تكون من واحد نحو سافر

بسارت والمغاضبة ههنا من هذا الباب ابن عباس مغاضبة لقومه واختلفوا في سبب غضبه عليهم ابن عباس
ان الله تعالى اوحى الى نبي يقال له شعيا ان ائت فلانا الملك فقل له يبعث نبيا امينا الى بني اسرائيل وكان غزى بني اسرائيل
ملك وسبا منهم الكثير فاراد النبي والملك ان يبعثا يونس الى ذلك الملك ليكلمه حتى يرسلهم فقال يونس لشعيا هل امرك
الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا غيري من الانبياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك ولقومه وقيل
ان ذا النون عاين من قومه امرا صعبا من الاذى والتكذيب فخرج عنهم قبل ان يؤمروا ضجرا فما ظن ان هذا الفعل يوجب
عليه ما جرى من العقوبة عن وهب لما حملت عليه اثقال النبوة ضاق بها ذرعا ولم يصبر فقذفها من يده وخرج هاربا
وقيل لما اوعدهم العذاب فخافوا ورفع عنهم قيل له ارجع فقال كيف ارجع فيجدونني كاذبا فانصرف مغاضبا لقومه عاتبا على ربه الحسن
وسعيد بن جبير والشعبي وعروة مغاضبا لربه والمعنى مغاضبا من اجل ربه يعني انما غضب لاجل تمردهم وعصيانهم
ابن قتيبة كان مغيظا عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم مشتهيا ان ينزل العذاب بهم فعاقبه الله عن كراهية العفو
عن قومه وقيل لم يقم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا
لله عز وجل وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي
ببطن الحوت ومعنى مغاضبة لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فظن ان لن نقدر
عليه عن ابن عباس فظن ان لن نقضي عليه بالعقوبة يقال قدر الله الشيء تقديرا
تقديرا وقدره يقدره قدرا والقدر ايضا ما يقدره الله من القضاء وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني
امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية
وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة وقيل فظن ان لن نضيق عليه يقال قدر عليه ماله
مثل قتر ومنه قوله تعالى فقدر عليه رزقه اي فضيق عليه فيه والمعنى فظن ان لن نضيق عليه الخروج وكان ظن ان الله
قد وسع عليه ان شاء اقام وان شاء ان يخرج ولم يؤذن له في الخروج وقيل بعض ما يكون من القدرة على معنى فظن ان
لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمة
قومه من غير انتظار لامر الله وقيل يجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما
يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا
المؤمنين فنادى في الظلمات ذهب يونس مع قومه حتى بلغ السفينة فساهم فسهم فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت
فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله
يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت وقيل ظلمة الامعاء وظلمة البطن وظلمة البحر
وظلمة الليل وقيل ابتلع الحوت حوت آخر اكبر منه فتكون الظلمات ست ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الحسن وهذا اعتراف من يونس بذنبه وتوبة من خطيئته وعنه
ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له المؤمنين اذا دعونا قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ● واذكر زكريا تقدم امر زكريا عليه السلام في مريم واصلحنا
له زوجه اي جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل انه كان في لسانها طول وهو البذاء فاصلحها الله وقيل
كانت سليطة فكف عنه لسانها وقيل كان في خلقها سيئا فاصلحها انهم ان المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون
في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا فيما عندنا ورهبا من عقابنا وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين قوله
تعالى والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ● واذكر التي احصنت
فرجها وهي مريم بنت عمران احصنته احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فنفخنا قال صاحب الكشاف
فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت
ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي
احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد فعلنا النفخ
في مريم من جهة روحنا جبريل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافة الروح اليه تعالى للتشريف وجعلناها
وابنها آية للعالمين لما كان شانهما واحدا كانت الآية فيهما واحدة وهي ولادة من غير فحل قوله تعالى ان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ● الامة الملة قيل يجوز ان يكون الكلام متصلا
بما قبله اي جعلنا مريم وابنها آية للعالمين بان بعثناهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه امتكم امة واحدة اي دعي الجميع الى
الايمان بالله وعبادته ثم اخبر انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم وقيل ان هذه امتكم كلام منقطع خطاب
للمعاصرين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا
عليها صرف الخطاب الى الغيبة على سبيل الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى الآخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم
الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه

فيصير

فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة
اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ثم فرق بين المحسن والمسيء فذكر المحسن بالوعد فقال تعالى فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد سعيه اي يقبل منه ويثاب عليه والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر
مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي ذلك السعي في
صحيفة عمله وما نحن له مثبتوه فهو غير ضائع ويثاب عليه صاحبه والمعنى نامر الحفظة الكرام الكاتبين ان يكتبوه ثم
ذكر المسيء بالوعيد فقال وحرام قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وحرم بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء
والراء والف بعد الراء وهما لغتان يقال حرم وحرام استعير للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما واي ان يكون الهلاك على قرية اهلكناها اي اردنا اهلاكها انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام والانابة والمعنى
قوما اراد الله اهلاكهم وقدره غير متصور ان يرجعوا عن الكفر وينيبوا الى يوم القيامة قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين ● حتى قيل حرف ابتداء السبب ان الاسمية تمضي جوابها المقصود ذكره قيل جوابه اقترب الوعد
والواو زائدة نظيره حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي فتحت ابوابها ناديناه وقيل
جوابه في قوله يا ويلنا اي ليست الواو زائدة وقيل الجواب قوله فاذا هي شاخصة وقيل متعلقة بقوله وتقطعوا وقيل
يرجعون وقيل حتى متعلقة بحرام وهي غاية للحرام لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي تحكى
بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها اذا فتحت قرأ ابن عامر فتحت بالتشديد يأجوج
بالتخفيف ياجوج وماجوج حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وهم قيل ياجوج
وماجوج يخرجون حين يفتح السد وقيل جميع الناس يسوقون الى المحشر من كل حدب نشز من الارض واكمة ينسلون
يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر والعسلان مثله واقترب الوعد الحق اي
القيامة والحق الذي لا خلف فيه واقترب عطف على فتحت فاذا هي اذا للمفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء
كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او
فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا ضمير الفاعل في اسروا شاخصة
ممتدة لا تطرف يقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف ابصار الذين كفروا يا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا قد كنا في غفلة اي قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا اليوم
الحق بل كنا ظالمين لانفسنا بترك الايمان به قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ● انكم ايها المشركون وما تعبدون
الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم من دون الله حصب جهنم الحصب
ما يحصب به في النار اي يرمى به قال ابو عبيدة في قوله تعالى كل ما القيته في النار فقد حصبتها به اي اوقدتها انتم لها
واردون داخلون لو كان هؤلاء آلهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا جهنم وكل منكم ومما تعبدون في جهنم خالدون
لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وبكاء وعويل وهم في جهنم لا يسمعون شيئا الحسن صاروا صما عميا بكما وقيل لا يسمعون
ما يسرهم وقيل لانهم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخر ثم جعلت التوابيت في توابيت اخر فيها
مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره ثم استثنى فقال ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم
وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم
فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه
فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم وانما قرنوا بآلهتهم لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم
ما اصابهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون
بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على خلاف ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة اولئك عنها
اي عن جهنم مبعدون قوله تعالى لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون
لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ● لا يسمعون حسيسها صوتها والحسيس
الصوت تحس به من الشيء اذا مر قريبا منك ابن عباس لا يسمع اهل الجنة وهم الذين سبقت لهم الحسنى فيما اشتهت
انفسهم خالدون والشهوة طلب النفس اللذة اي في غاية التنعم ونعيم الجنة وملاذها لا يحزنهم الفزع الاكبر
النفخة الآخرة التي بها يقوم الناس من قبورهم سعيد بن جبير اطباق النار على اهلها ابن جريج ذبح الموت بين الجنة والنار
الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار وتتلقاهم اي وتستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة يقولون هذا يومكم الذي

كنتم توعدون في الدنيا اي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم في الدنيا فتدخل قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ● العامل فيه يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم
اي يوم نطوي السماء طيا كطي السجل اي الصحيفة للكتاب المكتوب قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع
والباقون للكتاب من قطع ... رضي الله عنهم والسجل اسم ملك عن ابن عباس السجل كاتب لرسول الله وعنه ايضا
السجل بمعنى الرجل فعلى هذه الاقوال الصحيفة الكتب فيها او الخلق مفعول نعيده الذي يفسره نعيده والكاف
مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء وقيل كما
بدأناهم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة نظيرها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ابن عباس نهلك كل شيء كما كان
اول مرة وقيل كما بدأناه من الماء نعيده من التراب وقيل كما اوجدناه اولا عن عدم نعيده ثانيا عن عدم والتنكير في خلق
كالتنكير في قولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى
اول الخلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ويجوز ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره
نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير
الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين
قادرين على ما نشاء ان نفعل وقيل انا كنا فاعلين ما وعدناه ● قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون ● ولقد كتبنا في الزبور وقيل الزبور اسم جنس لما انزل على الانبياء من الكتب
والذكر ام الكتاب اللوح المحفوظ الذي عند الله وقيل الزبور الكتب والذكر التورية من بعد الذكر ان الارض قيل
ارض الجنة وقيل ارض الدنيا وقيل ارض الكفار وقيل ارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون ابن عباس امة محمد
صلى الله عليه وسلم يرثون ارض الدنيا بالفتوح وقيل بنو اسرائيل وقيل عام في كل صالح وقيل يرثها المؤمنون بعد
اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ● قوله تعالى ان في هذا
لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ● ان في هذا المذكور في هذه السورة من
من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة لبلاغا لكفاية وما تبلغ به البغية لقوم عابدين موحدين مطيعين
وقيل البلاغ مقنعا ومكتفى وقيل بلاغا يبلغون رضوان الله وجزيل ثوابه وقيل فيما تعبدنا امة محمد صلى الله عليه وسلم
من الصوم والصلوة وغير ذلك بلاغ في عبادة الله وقيل في قوله الجنة الصالحين بلاغ في النجاة اي كفاية وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين نعمة تشملهم قيل هي للمؤمنين خاصة وقيل عام فيهم منعهم من الخسف والمسخ العذاب
وقيل هو رحمة لهم بصيرهم للنعيم الدائم لكن فوتوه على انفسهم بكفرهم قل يا محمد انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون انما
لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية
لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة
على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على اثبات وحدانية الله وفي قوله فهل انتم مسلمون ان
الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح
ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة فان قيل لو دل انما على الحصر لزم
ان يقال انه لم يوح الى الرسول شيء الا التوحيد ومعلوم ان ليس كذلك اجيب بان المقصود المبالغة فان تولوا
فقل آذنتكم على سواء آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار يعني اعلمتكم ما امرت به على
انا واياكم حرب لا صلح بيننا واني مخالف لدينكم وقيل معناه على سواء من الانذار لم اظهر بعضكم على شيء كتمته عن
غيره وقيل المعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرضت عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد و
الشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم
جميعا بذلك على سواء او مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها
وقيل ليستووا في الايمان به وهذا من فصيحات القران وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيمة او ما توعدون
من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك
لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني ● قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين انه تعالى يعلم العلانية من القول ويعلم ما يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد
وقيل ما يجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمون من ان العذاب لا يكون وقيل ما يكتمونه في صدورهم من
الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وهذا تهديد عظيم ووعيد شديد وان ادري وما ادري لعله تأخير
العذاب او الموعد فتنة بلاء واختبار لكم ومتاع تمتيع لكم الى حين انقضاء آجالكم وهو الموت وقيل الى يوم بدر وقيل
الى اجل يقضي الله فيه ما يشاء عن الشعبي لما سلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الامر لمعاوية قال له معاوية قم فاخطب
فاعتذر الى الناس فقام الحسن رضي الله عنه فخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال الا ان اكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور

وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية اما حق له فهو كان احق به واما حق لي فتركته لامة الصلاح لهذه الامة
ثم قال وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ● قوله تعالى قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على
ما تصفون ● قرأ حفص عن عاصم قال رب احكم بالالف على حكاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون
على الامر قل يا محمد يا رب احكم اقض بيننا وبين اهل مكة بالحق بالعذاب الذي نزل بهم حتى كانه يستعجل العذاب لقومه
فعذبوا يوم بدر عن قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق ومعنى الحق لا تحابهم
وتشدد عليهم كما هو حقهم كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وربنا الرحمن على
خلقه بالرزق المستعان على ما تصفون من كذبكم وباطلكم ● تمت سورة الانبياء بحمد الله الملك المستعان

سورة الحج

مكية غير ست آيات نزلت في المدينة وهي قوله تعالى هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد ابو صالح عن ابن عباس
انها مكية كلها غير آيتين نزلتا بالمدينة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف والتي تليها وفي رواية اخرى عن ابن
عباس انها مدنية الا اربع آيات نزلت بمكة وهي قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الى آخر الاربع عطاء نزلت
بمكة الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة هذان خصمان والثلاث بعدها ابو سليمان الدمشقي اولها مدني الى قوله
وبشر المحسنين وسائرها مكي هبة الله بن سلامة هي من اعجب سور القرآن لان فيها مكيا ومدنيا وحضريا
وسفريا وحربيا وسلميا وليليا ونهاريا وناسخا ومنسوخا فاما المكي فمن رأس الثلاثين منها الى آخرها واما المدني
فمن رأس خمس وعشرين الى رأس ثلاثين منها واما الليلي فمن اولها الى آخر خمس آيات واما النهاري فمن رأس خمس الى
رأس تسع واما السفري فمن رأس تسع الى اثنى عشرة واما الحضري فالى رأس العشرين نسب الى المدينة لقرب عهده
خمسة آلاف وخمسة وتسعون حرفا والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وثمان وسبعون آية عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شيء عظيم ● اتقوا ربكم احذروا عقابه ان زلزلة الساعة شدة التحريك والازعاج وان تضاعف زليل
الاشياء عن مقارها ومراكزها من قولهم زلت قدمه اذا زالت عن الجهة بسرعة ثم ضوعف واضافة الزلزلة الى
الساعة يحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى الفاعل بان يقدر الساعة فاعلة للزلزلة كانها هي التي تزلزل
الاشياء على المجاز الحكمي وعلى الاستعارة بالكناية بان يجعل الساعة استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي
بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة ويحتمل ان يكون من باب اضافة المصدر الى المفعول فيه
على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله
اذا زلزلت الارض زلزالها قيل وقت هذه الزلزلة يوم القيمة بعد النشور روى عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قرأ ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال تدرون اي يوم ذلك يوم ينادي الرب عز وجل آدم عليه السلام قم فابعث بعث
النار من ولدك فيقول يا رب من كل كم فيقول الله من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار فحينئذ يشيب
المولود وتضع كل ذات حمل حملها وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فعلى هذا انها تقارن قيام الساعة ويكون معها الحشر
والنشر هذه الزلزلة تكون يوم القيمة وقيل انها تكون قبل يوم القيمة وقيل انها تكون في الدنيا قبل القيامة وقيل من
اشراط الساعة قال علقمة والشعبي وابن جريج وروى ابو العالية عن ابي بن كعب قال ست آيات قبل القيمة بينما الناس
في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض
فتحركت واضطربت ففزع الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماج بعضهم في بعض
فقال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحور فاذا هي نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض الى
الارض السابعة وتصدعت السماء الى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فماتوا فقال هذه الزلزلة
قبل النفخة الاولى وذلك ان مناديا ينادي من السماء يا ايها الناس اتى امر الله فيفزعون فزعا شديدا فيشيب الصغير
وتضع الحوامل شيء عظيم لا يوصف لعظمه ان الله امر بالتقوى من الكفر ومن المحظورات ترك الواجبات وفعل
المحرمات ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها
بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم باجتناب ما امرهم ربهم من التردي لباس التقوى
التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به ● قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ● يوم ترونها منصوب
بتذهل الضمير المنصوب في ترونها الزلزلة وقيل الساعة تذهل تغفل والذهول عن الامر مع دهشة وقيل يشتغل
وقيل تنسى كل مرضعة وهي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي المرضع الذي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع
في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها

من الدهشة وذكر كل مرضعة على سبيل العموم تنبيه على ان الهول عظيم لتأثيره في الكل عما ارضعت عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل جعلته من جملة ما لا يعقل وتضع كل ذات حمل حملها الحسن تذهل المرضعة عن ولدها
لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وهذا يدل على ان الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قرا حمزة والكسائي وخلف سكرى وما هم بسكرى والباقون سكارى فيهما
بسكارى والمعنى ترى الناس سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد هو الذي
اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف
وما هم بسكارى من الخمر قال وافرد ترى بعد ما جمع لان الرؤية علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها واخرا ترى
لان الرؤية معلقة بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قوله تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب
السعير ● نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدال يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وانهم
ان الله غير قادر على احياء من بلي وعاد ترابا وهي عامة في كل من يجادل في الله فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والافعال بغير علم وليس فيها اتباع للبرهان فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في جداله كل شيطان
مريد عات متجرد للفساد وكتب عليه كتب الله وقضى عليه على الشيطان المريد وقيل كتب فيما تقدم من الكتب الاخبار
بذلك انه ان الامر والشأن من تولاه من تبع الشيطان واحبه ونصره فانه فان الشيطان يضله ويجوز ان يكون الضمير
المنصوب لمن والامر اي يضله عن الصراط السوي ويهديه الى عذاب السعير وقيل تقديره من تولى الشيطان يضله
الله ويهديه الى عذاب السعير والمعنى كتب الله على اضلال من تولاه وهدايته الى عذاب النار قال صاحب الكشاف وما ارى
رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا اولا وبالذات
الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه
بلحومهم ودمائهم [illegible] ● اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته
لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين هذا الذي ذكره صحيح ان لم يرد به [illegible]
والالفاظ بطريق القلب قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ● انه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في اثبات الحشر و
ذمهم اورد الدلالة على صحته ذلك من وجهين احدهما من مراتب الخلقة الاولى يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في ريب من
البعث فانا خلقناكم من تراب كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم ان الشرط في الاستقبال
والاصل فيها الخلو عن الجزم بوقوع الشرط فاذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة وهي اما التجاهل لاستدعاء المقام
اياه واما ان المخاطب ليس كما تقول لمن يكذبك فيما انت تخبره واما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه بموجب العلم
والامتناع الجزم بتحقق المعلق بما في تحققه شبهة فلما نزل المضارع الى الماضي المؤذن بالتحقق نظرا الى العطفة
من غير نكتة مثلها اذا لم يحتمل المعلق بشبهة اذ لو فرضت هذا نقول قال ان كنتم في ريب ولم يقل ان ترتابوا ليدل على
ان الريب كائن متحقق واكد تحقق الريب بجعله ظرفا لهم واراد لفظا ذمع لمرتابين لقصد التوبيخ على الريبة لاشتمال
المقام على نقلها وتصوير ان المقام لا يصلح الا لمجرد الفرض الارتياب كما قد تفرض المحالات حتى تعلقت بفرضها الغرض
فانا خلقناكم من تراب قيل يعني اباكم آدم الذي هو اصل النسل والد البشر من تراب وقيل انا خلقناكم من تراب لا وجه
لصرف اللفظ عن ظاهره فانه كما ان النطفة من مراتب خلقة البشر كذلك التراب ايضا من مراتبها فان النطفة من دم الطمث
وهي من الاغذية من الحيوان والنبات والحيوان من النبات والنبات من التراب والماء فصح قوله خلقناكم من تراب
من غير تاويل ثم من نطفة وهي المني واصلها الماء القليل ثم من علقة قطعة دم جامدة ثم من مضغة قطعة لحم مقدار ما يمضغ
مخلقة مستواة ملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا
كانت ملساء [illegible] مخلقة تامة الخلق وغير مخلقة [illegible] مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط [illegible]
[illegible]

[illegible]

بالنبات فحرب بالفتحة وقيل ازدادت واضعفت النبات بمجيء المطر وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن سار
للناظر اليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها و
وان الله يبعث من في القبور ● ذلك الذي ذكر من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيفه من انواع
الحكم واصناف اللطائف لتعلموا بان الله هو الحق الثابت الموجود وانه يحيي الموتى وانه قادر على ان يحيي الموتى وانه
على كل شيء قدير وان الساعة آتية وان الله يبعث من في القبور قال الامام انه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب
عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر خمسة امور احدها ذلك بان الله هو الحق والحق هو الموجود الثابت فكانه سبحانه
بين ان هذه الاطوار المتنافية المتواردة على الاجسام تدل على وجود الصانع وثانيها قوله وانه يحيي الموتى فهنا نبه
على انه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وثالثها قوله وانه على كل شيء
قدير يعني ان الذي يصح منه ايجاد هذه الاشياء لا بد ان يكون واجب الاتصاف بالقدرة لذاته ومن كان كذلك كان
قادرا على الاعادة ورابعها قوله وان الساعة آتية لا ريب فيها اي انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة فيجب
ان تأتي الساعة بلا ريب وخامسها قوله وان الله يبعث من في القبور فالمعنى انه سبحانه لما اقام الدلائل على ان الاعادة
في نفسها ممكنة وانه سبحانه قادر على كل الممكنات وجب القطع بكونه قادرا على الاعادة واذا ثبت الامكان والصادق
اخبر عن وقوعه فلا بد من القطع بوقوعه قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله
ليس بظلام للعبيد ● عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل هذا ايضا نزل في النضر بن الحارث وكرر كما كرر سائر
الاقاصيص وفائدة التكرار المبالغة في الذم وقيل الاول في المقلدين والثاني في المقلدين والمراد بالعلم الضروري وبالهدى الاستدلال
والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي وقيل بغير علم حجة وبرهان وعقل ولا هدى سنة مستقيمة ولا كتاب
منير واضح مبين انزل من عند الله وحصول علم الانسان من هذه الوجوه الثلاثة اي يجادل بالظن والتخمين لا بالحجة
الثلاثة ثاني عطفه متكبر والعطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل في العطف عبارة عن الاعراض
ليضل تعليل للمجادلة فانه لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض
عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في الدنيا خزي اي عذاب وهوان وهو ما اصابه
يوم بدر من الصغار والقتل واسره ذلك اي خزي الدنيا وعذاب الآخرة بما قدمت يداك من الجدال بغير علم والشرك
وانكار البعث وان الله ليس بظلام للعبيد فيعذبهم بغير ذنب وهو سبحانه على اي وجه تصرف في عبيده فانه
غير ظالم بل الظالم المتعدي المتحكم في غير ملكه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا ينفعه وما لا يضره
ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ● عن ابن عباس ان ناسا
من العرب كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نحن على دينك فان اصابوا معيشة ونتج خيلهم وولدت
نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين حق وان لم يجر الامر على ذلك قالوا هذا دين سوء فينقلبون عن دينهم فنزلت
هذه الآية وقيل ان رجلا من اليهود اسلم فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب
فنزلت هذه الآية ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونه على
قلق واضطراب في دينه لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن
والا فر وطار على وجهه مجاهد على شك وقيل على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف مضطربا فيه وقيل على

لون واخذ في الاحوال كلها يتبع مراده ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف الحسن هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمأن به اي رضي واطمأن به واقام عليه وان اصابته فتنة بلاء في جسمه وضيق في معيشته ونقص في الاموال والانفس والثمرات انقلب على وجهه اي ارتد فرجع الى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله والآخرة بذهاب ثواب الصابرين ذلك خسران الدنيا والآخرة هو الخسران المبين الظاهر حاله لا خسران اعظم منه يدعو امره دونه الله يعبد من دون الله ما لا ينفعه وما لا يضره ذلك اي دعاءه ما لا ينفعه ولا يضره هو الضلال البعيد من ضلال من بعد في التيه ضلالا وطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعو لمن ضره قيل هذه اللام صلة والتقدير يدعو من ضره اقرب من نفعه وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين ان اللام معناها التأخير يعني يدعو لمن ضره قال الزجاج وجه هذا ان اللام لليمين والتوكيد فحقها ان تكون اول الكلام فقدمت لتجعل في حقها وقيل اللام جواب قسم تقديره يدعو والله لمن ضره اقرب من نفعه وقيل يدعو بمعنى يقول ولمن ضره مبتدأ وخبره مضمر تقديره يقول لمن ضره اقرب من نفعه مولاي وقيل يدعو تكرار للاولى ومفعوله هو مفعول الاول لمن ضره مبتدأ خبره لبئس المولى وقيل يدعو حال من الضلال البعيد وقيل ذلك بمعنى الذي موصول هو الضلال البعيد صلته وهو نصب بيدعو ويجوز ان يكون رفعا خبر يدعو على تقدير يدعو قال صاحب الكشاف الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلنا اذا حصل هذا المعنى هذا الوهم وذلك بان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه سينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب كقوله فبئس القرين قوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد لا راد لحكمه ولا دافع لارادته ولا مانع قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قيل نزلت الآية ابتداء من غير سبب ذكر كاكثر القرآن وقيل هو متصل بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقيل نزلت في قوم من اسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ولا يأوونا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون ما وعدهم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يتم امره فنزلت الآية ثم في قوله من كان يظن عام على قول من لم يذكر للآية سببا نزول وخاص في قول من يحكي له سببا قيل ضمير المفعول في ينصره عائد على من لان يعني الذي قال ابن عباس وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله اي من يعطيني اعطاه الله ويقال نصر المطر ارض كذا اذا جادها واحياها قال الراعي وانصري ارض عامر ومعنى الكلام من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت فليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ما يغيظ وهو خوفه انه لا يرزق والنصر على هذا القول الرزق يقول العرب من ينصرني نصره الله اي من يرزقني رزقه الله قال ابو عبيدة تقول العرب ارض منصورة اي ممطورة كان الله تعالى اعطاها المطر قال امرؤ القيس وانك لا يعطي امرءا فوق حقه ولا يملك الشق الذي الغيث ناصره وأكثر المفسرين على ان الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة يقول الله من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء اي بحبل الى السماء الى السقف فليختنق به حتى يموت ثم ليقطع الحبل بعد الاختناق به قرأ ابو عمرو وابن عامر ليقطع ثم ليقضوا زاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بكسر اللام ايضا وكذا ابن كثير لام ليقضوا تفثهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بسكون هذه اللامات وكذلك في كل القرآن اذا كان قبلها واو او فاء او ثم فلينظر هل يذهبن كيده صنيعه وحيلته ما يغيظ هذا اقول كما هو لنا قيل وانما معنى الآية فليصور هذا الامر في نفسه وليس يحتم لانه اذا اختنق ومات لا يمكنه القطع والنظر وهذا كما تقول في الكلام للحاسد او المعاند ان لم ترض بهذا فاختنق وقيل السماء في هذه الآية هي السماء المعروفة بعينها ومعنى الآية من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكايده في دينه وامره ليقطعه عنه فليقطع ذلك من اصله من حيث يأتيه فان اصله في السماء فليمدد بسبب بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله فلا يكايده حتى يقطع اصله عنه فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل وقيل هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة من كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليتصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل معناه ان الارزاق بيد الله عز وجل لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر ولا استسلام فليبلغ غاية الجزع

وهو الاختناق

وهو الاختناق فان ذلك لا يغيظه [illegible]

[illegible]

من اهل الكتاب انا احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال علي رضي الله عنه انا اول من يجثو للخصومة يوم القيمة بين يدي الله فالذين كفروا وهم احد الفريقين قطعت لهم ثياب من نار سويت وجعلت لباسا وقدرت كأن الله تعالى قدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران عن سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس في الآنية شيء اذا حمي اشد حرارة منه يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان يصهر اي يذاب يقال صهرت الالية والشحم اذا اذبتها والجلود اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولهم مقامع من حديد واحدتها مقمعة سميت بذلك لانها تقمع المضروب اي تذلله عن ابن عباس لو سقطت من الحميم نقطة على جبال الدنيا

لاذابتها وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من النار من غم بها وحزنها اخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم
حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق قوله تعالى
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ● ولؤلؤا قرأه نافع وابو بكر عن عاصم ولؤلؤا
بالنصب على انه مفعول يحلون عطفا على محل من اساور ولؤلؤ والباقون بالجر على انه عطف على ذهب اي يحلون اساور من
ذهب ومن لؤلؤ وهدوا اي هداهم الله الى الطيب من القول وهو شهادة ان لا اله الا الله والحمد لله والله اكبر وقيل القرآن وقيل
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهدوا الى صراط الحميد عن ابن عباس هو طريق الاسلام وقيل وهدوا الى طريق الجنة
قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ● ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون الناس
من الدخول في الاسلام ويصدون عن سبيل الله الصد منهم مستمر دائم لا يراد حال ولا استقبال كما يقال
فلان يحسن الى الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان ومنه قوله تعالى ويصدون
والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام اي جعلناه وبيناه للناس كلهم اي الذين يقع عليهم اسم الناس لم يخص
منهم بعضا دون بعض سواء العاكف المقيم فيه والباد الطاري المنتاب اليه من غيره من غير فرق بين حاضر وباد وتاني
وطارئ ومكي وآفاقي وقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به وحق الله الواجب عليهما فيه
واليه ذهب مجاهد وقيل هما سواء في النزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الآخر وحرموا بهذه الآية كراء دور
وكرهوا اجارتها في ايام الموسم قال عبد الله بن عمر شراء بيوت مكة محرم وكراء دار بمكة وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحاج
اذا قدموا مكة لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم فكان الرجل اذا وجد سعة نزل ففشا فيهم السرق وكل انسان
يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فارسل اليه عمر رضي الله عنه اتخذت بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته
ليحرز متاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال البادي فيه كالمقيم ليس احد احق بمنزله من احد الا ان يكون
سبق الى منزل والى هذا القول ذهب ابن عباس وابن جبير وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل وقال اسحق بن راهويه جالست
الشافعي بمكة فتذاكرنا في كراء بيوت مكة وكان الشافعي يرخص فيه وكنت لا ارخص فيه فذكر الشافعي حديثا وسكت
واخذت انا في الباب اسرد قال الشافعي لي انا اناظر قلت في المناظرة حيث قال تعالى للذين اخرجوا من ديارهم نسب الديار
الى مالكها او غير مالكها قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن وهل
ترك لنا عقيل من رباع نسب الديار الى اربابها وقال لي اشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالك او غير مالك فلما
علمت ان الحجة قد لزمتني تركت قولي حفص عن عاصم سواء بالنصب قال ابو علي الفارسي ابدل العاكف والبادي من الناس
من حيث كان الناس كلهم في المعنى جعلناه للعاكف والبادي سواء والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابو عمرو والبادي
غير ان ابن كثير وقف بياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الحالين ومن يرد فيه بالحاد اي العدول عن القصد
واصل الالحاد الميل بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا
عن القصد ظالما عن مجاهد وقتادة بالحاد بظلم هو الشرك ان يعبد فيه غير الله عز وجل وقيل هو استحلال الحرام وركوب
الآثام فيه عن ابن مسعود ما من رجل يهم بسيئة فيكتب عليه ولو ان رجلا هم بقتل مؤمن عند البيت وهو بعدن ابين اذاقه
الله في الدنيا من عذاب اليم وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء
قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد
ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد ان يقول الرجل لا والله بلى والله نذقه من عذاب
اليم في الآخرة جواب الشرط كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب
على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وخبر ان محذوف لدلالة
جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك
قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله
في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ● واذكر اذ جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة
وقيل وطأنا وهيأنا اذ بوأنا لابرهيم مكان البيت يقال بوأ الرجل منزلا اذا اتخذه وبوأه غيره منزلا امكنه واصله باء
اذا رجع وبوأته جعلته متى لا يرجع اليه واللام في لابرهيم زيادة كقوله بوأنا بني اسرائيل وقوله تبوئ المؤمنين
مكان البيت موضع الكعبة قيل المكان جوهر يمكن ان يثبت عليه غيره كما ان الزمان عرض يمكن ان يحدث فيه غيره
واراد بالبيت الكعبة فان قيل كيف يكون النهي عن الشرك والامر بالتطهير تفسيرا للتبوئة اجيب بانه كانت التبوئة
مقصودة من اجل العبادة فكانه قال تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان
والاقذار للطائفين والقائمين والركع السجود اي المصلين لان الصلاة قيام وركوع وسجود والركع جمع راكع والسجود

جمع ساجد ولم يذكر الواو بين الركع والسجود وذكر بين القائمين والركع لكمال الاتصال بين الركوع والسجود اذ لا ينفك
احدهما عن الآخر في الصلاة فرضا او نفلا وينفك القيام عن الركوع فلا يكون بينهما كمال الاتصال وقيل القائمين
المقيمين وأذن ناد معطوف على طهر في الناس بالحج والنداء بالحج ان يقول حجوا قيل لما فرغ ابرهيم من بناء البيت امره الله ان يؤذن
في الناس بالحج فقال ابرهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس ان ربكم
قد بنى بيتا فحجوا بيت ربكم فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علم الله
ان يحج الى يوم القيمة فاجابوه وقالوا لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة وزعم الحسن ان قوله
واذن في الناس بالحج كلام مستانف وان المامور بهذا التأذين محمد صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع
يأتوك رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام وعلى كل ضامر اي وركبانا حال
معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع اراد النوق
من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا ليحضروا منافع لهم نكرها لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد
في غيرها من العبادات وقيل التجارة وقيل العفو والمغفرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ذي الحجة وقيل
تسعة ايام من العشر وقيل يوم الاضحى وثلثة ايام بعده وقيل ايام التشريق وقيل انها خمسة ايام اولها يوم التروية
وقيل ثلثة ايام اولها يوم عرفة وقيل انما قال معلومات ليحرص على علمها بحسابها من اجل ان وقت الحج في آخرها والذكر هنا
يدل على التسمية على ما ينحر لقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقيل كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام
لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام
تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام
لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة على ما رزقهم من بهيمة يعني الهدايا والضحايا من الابل والبقر والغنم والبهيمة
في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر بالاكل منها امر اباحة لان
اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم ومن استعمال التواضع واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اي شدة الفقير الذي اضعفه الاعسار وذهب الاكثرون الى انه ليس بواجب ومنهم من قال انه واجب هذا في
[illegible] اذا اكل النصف وتصدق بالنصف لقوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ومنهم من قال يأكل الثلث ويتصدق
بالثلثين ومذهب الشافعي الاطعام بشيء منها ولو ان اطعم جميعها جاز وان اكل جميعها لم يجز هذا فيما اذا كان متطوعا
فاما الواجبات كالنذور والكفارات والجبران للنقصان مثل دم التمتع ودم القران ودم الاساءة ودم القلم والحلق فلا
يأكل منها ثم ليقضوا تفثهم عطاء عن ابن عباس يعني التفث حلق الرأس واخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقص
الاظفار والاخذ من العارضين ورمي الجمار والوقوف بعرفة وقيل مناسك الحج وقيل حلق الرأس وقيل الشعر والظفر
والاول اصح لان التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاظفار والشعث وقضاؤه نقضه واذهابه والحاج
مغبر شعث لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه بالحلق والقلم وقص الاظفار ولبس الثياب فهو ذلك
فهذا قضاء تفثه قال الزجاج اهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وكانه الخروج من الاحرام الى الاحلال وليوفوا نذورهم
نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من اعمال البر في حجهم وليطوفوا اراد الطواف الواجب وهو طواف الافاضة والزيارة
يطاف بعد الوقوف اما يوم النحر او بعده بالبيت العتيق الكعبة سمي العتيق لان الله اعتقه عن الجبابرة ان يصلوا الى
تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط او لم يتسلط عليه الا من يعظمه ويحترمه وقيل سمي العتيق لقدمه فانه اول بيت وضع للناس
وقيل لانه اعتق من الغرق يوم الطوفان قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له
ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج ومن يعظم حرمات الله فيجتنب ما حرم الله والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد
بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وقيل هي المناسك فهو خير له
اي التعظيم خير له عند ربه ثواب له مدخر والتعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها قوله
تعالى واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير
مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ثم انه تعالى
عاد الى احكام الحج فقال واحلت لكم بهيمة الانعام فقد كان يظن ان الاحرام اذا حرم الصيد وغيره فالانعام يحرم ايضا
فبين ان الاحرام لا يؤثر فيها فهي محللة له واحلت لكم بهيمة الانعام ان تاكلوها اذا ذكيتموها الا ما يتلى عليكم في القرآن
وهو قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة اي مثل اكلها الا ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة وقيل واحلت لكم الانعام في
احرامكم الا ما يتلى عليكم من الصيد فانه حرام في حال الاحرام والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه
فحافظوا على حدود الله واياكم ان تحرموا مما احل الله شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا
مما حرم الله كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرها فاجتنبوا الرجس من الاوثان لما حث على تعظيم حرمات الله واحمد من
يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها
خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة
فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة

والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان ولذا سمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه
يعني كما تنفرون بطباعكم من الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا من هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب وقيل سمى الوثن رجسا لأن وجوب
تجنبها أوكد من وجوب تجنب الرجس ولأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات وقيل إنما وصف بذلك استقذارا
واستخفافا ومن الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه
قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان والزور من الازورار والانحراف كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه وقيل قول الزور
الكذب والبهتان وقيل قول الزور قول المشركين في تلبيتهم في قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك
وقيل قول الزور قول المشركين في الأنعام هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور
الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الشرك حنفاء نصب على الحال أي مستقيمين
مخلصين لله لا تميلون إلى دين غير الإسلام وقيل حجاجا غير مشركين به لأنهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا
هو لك تملكه وما ملك ثم ضرب مثلا للمشرك فقال ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء قال صاحب الكشاف يجوز
في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا
ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها
أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي
ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح
به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرأ نافع فتخطفه الطير بتشديد الطاء
والباقون بسكون الخاء من غير تشديد الطاء قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب
أي الأمر ذلك كما تقدم وقال ذلك ومن يعظم ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والشعائر كل ما كان
من معالم الدين وقيل المناسك في الحج وقيل الشعائر الهدايا لأنها من معالم الحج وتعظيم الشعائر أن يختارها عظام
الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي
والأضحية والرقبة أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب
وأهدى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي
فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام
به ويسارع فيه فإنها أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا
يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها
مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء قوله تعالى لكم فيها منافع إلى أجل مسمى
ثم محلها إلى البيت العتيق لكم فيها منافع يدل على أن المراد بشعائر الله الهدايا التي لكم فيها أي لكم في الهدايا
منافع كثيرة قبل أن يسميها صاحبها بدنة أو هديا ويشعرها ويقلدها في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوبها
إلى أجل مسمى وهو أن يسميها هديا أو يشعرها ويوجبها فإذا فعل ذلك لم يكن من منافعها شيء هذا قول مجاهد وعطاء
والضحاك وقتادة ورواية مقسم عن ابن عباس وقيل معناه لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا
أن تركبوا إذا احتجتم إليها أو تشربوا ألبانها إذا اضطررتم إليها إلى أجل مسمى إلى أن تنحروا هذا قول عطاء وقيل أراد
بالشعائر المناسك ومشاهد مكة ومعنى الآية لكم في المناسك منافع بالتجارة في الأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج
من مكة وهذه رواية أبي رزين عن ابن عباس وقيل معناه لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة
شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج ثم محلها أي منحرها إلى البيت العتيق أي أرض الحرم كلها نظيره قوله
تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي الحرم كله ومن قال الشعائر المناسك قال معنى الآية ثم محل الناس
من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك وقيل إلى أجل مسمى إلى أن تنحر
وتصدق بلحومها وتوكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع
كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم
هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع محلها إلى البيت العتيق أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها منتهية
إلى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا
في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده قوله تعالى ولكل أمة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أي لكل أمة من الأمم السالفة من عهد
إبراهيم عليه السلام إلى من بعده جعلنا منسكا أي نسكا لله أي يذبحون الذبيحة على وجه التقرب قرأ حمزة والكسائي

وبعض

وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين على أن يكون مكان النسك كالمجلس والمطلع والباقون بفتح السين على أن يكون
مصدرا من نسك ينسك ليذكروا اسم الله علة للذبح جعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تعالى تقدست أسماؤه على المناسك
فله أسلموا أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجه الله سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك وبشر المخبتين المتواضعين
الخاشعين المطمئنين إلى الله تعالى من الخبت وهو المطمئن من الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا الذين
إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه وخوفا والصابرين على ما أصابهم من المكاره والشدائد والبأساء والمقيمي الصلوة
في أوقاتها ومما رزقناهم ينفقون قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله
عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين البدن جمع بدنة
سميت بذلك لعظم بدنها وهي الإبل العظام الضخام الأجسام وهي الإبل خاصة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الإبل صارت البدنة في الشريعة
متناولة للجنسين عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه رحمة الله عليهم جعلناها لكم من شعائر الله من أعلام الشريعة
التي شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعالى تعظيم لها لكم فيها خير وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة ومن شأن الحاج
أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له
في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وقيل من احتاج إلى ظهرها ركب ومن احتاج إلى لبنها شرب فاذكروا اسم الله
عليها عن ابن عباس ذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر منك وإليك صواف قائمات قد صففن
أيديهن وأرجلهن وقيل يعني قياما على ثلاث قوائم قد صففت رجليها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة ينحرها
كذلك روى يعلى بن عطاء عن جبير بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنة فقال صواف كما قال الله سبحانه وتعالى فنحرها
وهي قائمة معقولة إحدى يديها وقال مجاهد الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث وتنحر كذلك فإذا
وجبت جنوبها أي سقطت بعد النحر ووقعت جنوبها على الأرض من وجوب الحيوان سقوطها على الأرض من وجب الحائط
وجبة إذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل الأكل منها فكلوا منها
وأطعموا القانع السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال وقيل القانع الذي يقنع
بما أعطي ويرضى بما عنده ولا يسأل وقيل القانع المتعفف الجالس في بيته والمعتر السائل الذي يعتريك ويسألك
وقيل القانع أهل مكة وجار له وإن كان غنيا وقيل القانع المسكين الذي يطوف ويسأل والمعتر الصديق الزائر
الذي يعتر بالبدن وقيل القانع الطامع والمعتر الذي يعتر بالبدن من غني أو فقير وقيل القانع المسكين والمعتر
الذي يعتر القوم للحمهم وليس بمسكين يقال اعتره إذا أتاه طالبا معروفه كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون من الله سبحانه على
عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ مطيعة فيعقلونها
ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي
هي أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وذلك أن أهل الجاهلية
كانوا إذا نحروا البدن لطخوا حيطان الكعبة بدمائها فهم المسلمون بمثل ذلك فأنزل الله عز وجل لن ينال الله أي لن يصل
إلى الله لحومها المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر ولكن يناله التقوى منكم قيل معناه لن يقبل الله اللحم والدم
ولكن يقبل التقوى وقيل لن يصعد إليه اللحم والدم ولكن يصعد إليه الكلم الطيب وقيل معناه يناله التقوى
بذلك منكم ويحسن موقعها عنده وقيل معناه ينفعكم ذلك التقوى وقيل لن يرضي الله اللحم والدم ولكن ينال
رضى الله التقوى والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى
في حل ما تقرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب
وإن كثر ذلك منهم كذلك سخرها لكم كرر تذكير النعمة بالتسخير في تسخير البدن ثم قال لتكبروا الله ولتشكروا
الله ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته على ما هداكم على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا
وتهللوا وبشر المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فإن لم يروه فإنه يراهم بقبوله وقيل بالجنة قوله
تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله
على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور لما بين ما يلزم في الحج
ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة وقد ذكر من قبل أن الكفار صدوهم اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد
من الحج فقال إن الله يدافع قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب يدفع والباقون يدافع معناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب
فيه لأن فعل المغالب يجيء بأقوى وأبلغ إن الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لدفعه عن الذين آمنوا أي فإن الله لا يحب أضداد
الذين آمنوا أي لا يحب كل خوان في أمانة الله كفور لنعمة ربه أذن قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم أذن بضم الهمزة والباقون
بفتحها للذين يقاتلون قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها أي أذن للذين يقاتلون
في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بأنهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهى اول اية اذن
فيها بالقتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين اية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم فى مقاتلتهم
وان الله على نصرهم لقدير اخبار الله تعالى بانه قادر على نصرهم وهذا الاخبار وعد من الله تعالى بنصر الذين ظلموا واردة على سنن
كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا موذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا [illegible] للذين يقاتلون
بانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اوجب لاخراجهم الا ان يقولوا فى محل الجر على الابدال
من حق يعنى لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله وهو غير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار
والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ونظيره هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ولولا دفع الله وقرأ ابن كثير دفع الله بغير الف
على مصدر دفع والباقون بالف على انه مصدر دافع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وقرأ ابن كثير ونافع
لهدمت خفيفة والباقون بتشديد الدال الصوامع عن ابن عباس صوامع الرهبان وعن قتادة صوامع الصابئين
وبيع جمع بيعة وهى بيع النصارى وصلوات قيل مواضع الصلوات وقيل كنائس اليهود وهى بالعبرانية صلوثا وقيل
مساجد الصابئين وقيل هى الصلوات حقيقة والمعنى ولولا دفع الله عن المسلمين وتسليطه اياهم على المشركين
بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون فى امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين يذكر فيها اسم الله قيل يذكر فى جميع
الاماكن المذكورات وقيل يذكر فى المساجد خاصة لان سائر المواضع المذكورة ولينصرن الله من ينصره اى من ينصر
دينه وشرعه ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم والمراد من هذا التمكين النصر على عدوهم وقيل هو السلطنة ونفاذ
القول على الخلق لان المتبادر من قوله مكناهم فى الارض ليس الا هذا وقيل المراد منهم المهاجرون لان الذين ان مكناهم
صفة لمن تقدم وهم الذين اخرجوا من ديارهم كالانصار انما اخرجوا من ديارهم فتصير معنى الاية ان الله وصف
المهاجرين بانه ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة فانهم اتوا بالامور الاربعة اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن قد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة الراشدين فى الارض واعطاهم
السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الامور الاربعة واذا كانوا آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا
على الحق فمن هذا الوجه دلت الاية على امامة الاربعة ولا يجوز حمل الاية على [illegible] وقوله ولله عاقبة
الامور دلالة على ان ذلك الذى تقدم ذكره من سلطنتهم وملكهم كائن لا محالة ثم ان الامور ترجع الى الله تعالى
بالعاقبة فانه سبحانه هو الذى لا يزول ملكه وقيل الذين ان مكناهم اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون
عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن
عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقيل فيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين
لا حظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من
ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده
من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير الله تعالى لما بين فيما تقدم اخراج
الكفار المؤمنين من ديارهم بغير حق وضمن للرسول النصرة وبين ان لله عاقبة الامور اردفه بما يجرى مجرى التسلية
للرسول فى الصبر على ما هو عليه من اذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال وان يكذبوك اى مشركو مكة يا محمد فلست باول
من كذبه قومه فقد كذبت قبلهم اولاء المشركين قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين رسلهم
نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنوا اسرائيل وانما
كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شىء آخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته
وعظم معجزاته فما ظنك بغيره وان يكذبوك شرط جزاؤه مضمر تقديره وان يكذبوك فلا تحزن والفاء فى قوله فقد كذبت
لعطف جملة على جملة بينهما اتصال التسبب وليس بجزاء الشرط لعدم التكذيب منهم قبلهم فامليت للكافرين امهلتهم
الى الوقت المعلوم عندى ثم اخذتهم بالعقوبة فكيف كان نكير انكارى عليهم بالعذاب والهلاك [illegible]
فقطعنا ابدالهم بالنعمة نقمة وبالكثرة قلة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا [illegible] الانبياء جميع ما وعدتهم
من النصر على اعدائهم والتمكين لهم فى الارض قوله تعالى فكاين من قرية اهلكتها وهى ظالمة فهى خاوية ساقطة
من خوى النجم اذا سقط وخالية من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل على عروشها جمع عرش وهو كل مرتفع
اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم على عروشها متعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها
على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف وقيل انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
وقيل على عروشها خبر بعد خبر كانه قيل خالية على عروشها اى قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت على
الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت مائلة فهى مشرفة على السقوف الساقطة وهى فى المتقدم محل النصب على الحال والمعنى

خاوية

خاوية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وبئر قرأ ورش عن نافع بغير همز والباقون بهمزة
ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد
مجصص عال والمعطل ايضا ليس فيه ساكن والمعنى وكم قرية اهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه
من ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع وعن الضحاك ان هذه
البئر انما كانت بحضرموت فى بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان اربعة الاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام نجوا من العذاب
اتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات فسمى حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حاضوراء وقعدوا
على هذا البئر وامروا عليهم رجلا يقال له جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا وتناسلوا حتى نموا وكثروا ثم عبدوا
الاصنام وكفروا بالله فارسل الله عز وجل نبيا يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه فى السوق فاهلكهم
الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم افلم يسيروا اى قومك فى ارض اليمن والشام يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على
السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل انهم قد سافروا وراوا ذلك ولكن
لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد اذا نظروا الى آثار من
او آذان يسمعون بها ما يجب سماعه من اخبار الامم المكذبة فيتفكروا ويعتبروا فانها الضمير ضمير الشان او القصة ويجوز
ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه لا تعمى الابصار لانها صحيحة سالمة لا عمى بها ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور وقيل معناه لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وفائدة ذكر الصدور
مع ان القلوب لا تكون الا فى الصدور التوكيد لان الذى قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو
ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة وقيل لما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة
العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج الى هذا التصوير زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى
هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت
لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا منى ولكن تعمدت
اياه بعينه تعمدا قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير انه تعالى لما حكى عنهم من تعظيمهم ما هم عليه
من التكذيب انهم يستهزؤن باستعجال العذاب نزلت فى النضر بن الحارث واصحابه وهو قولهم متى هذا الوعد وقوله
من استعجالهم ما المتوعد به من العذاب العاجل والاجل كانه قيل لم يستعجلون بالعذاب كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز
ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وجل لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم
لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة مما تعدون وقيل معناه
كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة وقيل كان
ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
وابن عامر تعدون بالتاء على سبيل الخطاب والباقون بالياء على الغيبة فان قيل كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب الى قوله
وان يوما عند ربك ففيه جوابان احدهما انهم استعجلوا العذاب فى الدنيا فقيل لهم لن يخلف الله وعده فى انزال العذاب بكم
فى الدنيا فقيل لهم لن يخلف الله وعده فى انزال العذاب بكم والثانى ان يوما من ايام عذابكم فى الاخرة كالف سنة من سنى
الدنيا فكيف تستعجلون العذاب فقد تضمنت الاية وعدهم بعذاب الدنيا والاخرة وثانيهما ان يوما عند الله الف سنة
سواء فى قدرته على عذابهم فلا فرق بين وقوع ما استعجلوه وبين تاخيره فى القدرة الا ان الله تعالى تفضل عليهم بالامهال
وكاين من قرية وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الى حكمى ولما
كان قوله فكاين من قرية اهلكتها عطفت بالفاء بدلا عن قوله فكيف كان نكير وذكر بالفاء وكاين من قرية امليتها حكمها حكم ما
تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قوله تعالى
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين قل يا محمد يا ايها الناس يا اهل مكة انما انا لكم نذير يعنى انما بعثت بانذاركم لكم التخويف
والانذار ولا يصدق فيما يكون منكم من الاستعجال للعذاب على سبيل الهزء من ادامة التخويف والانذار بقوله
تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم ورزق
كريم قيل الجنة لان الكريم من الاشياء هو الذى فضائله من جميعها فيها الجنة لكن النعيم كريم حسن وقيل شريف
وقيل لا يكتسب بالدنيات من كثرة للمخلوق والاخذ من المنان ولا يكتسب بالظلم فانذر فقال الذين سعوا اجتهدوا فى آياتنا
فى رد آياتنا القرآن وغيره من المعجزات يقال سعى فى امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين مغالبين مسابقين وقيل
يقال عاجزه وسابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها
بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير الاولين ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين فى
زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد بغير الف اى مثبطين الناس عن
الايمان والباقون معاجزين بالالف اى ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا انهم لا يبعثون وانه لا جنة ولا نار فان قيل كان القياس
ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده اجيب ان الكلام مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين
قيل فيهم انهم يستعجلون بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك

من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم قيل الرسول هو النبي والنبي هو الرسول والفرق بينهما بالاعتبار وقيل الرسول أعلى شأنا لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل الرسول صاحب الشرع والنبي هو الذي يأمر بإبلاغ شرع سابق وقيل الرسول الذي يأتيه الملك بالوحي والنبي الذي يرى في المنام ما يوحى إليه وقيل النبي المحدث الذي لم ينزل عليه ملك وفي قوله من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله عز وجل تمنى في نفسه لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه وأن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله فأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفروا عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم إذا هوى فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل وقيل تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وإيقانا والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك ووجه النسبة إليه وأكثر المفسرين على أن تمنى بمعنى تلا وقرأ كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته نظيره قوله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني يعني قراءة تقرأ عليهم وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه حين قتل تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر وعن الحسن أراد بالغرانيق العلى الملائكة يعني أن الشفاعة ترتجى منهم لا من الأصنام وهذا ليس بمرضي لقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته أي يثبت آياته والله عليم بوحيه حكيم بخلقه ليجعل ما يلقي الشيطان ضلالا وقيل امتحانا وقيل هذا يتعلق بسبب عذاب الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق وهم المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم وهم المشركون وإن الظالمين يريد أن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع المضمر حكما عليهم بالظلم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق وقيل شقاق بعيد خلاف طويل مع النبي والمؤمنين وليعلم الذين أوتوا العلم الإيمان والتوحيد وهم المؤمنون وقيل أوتوا العقل والتمييز أنه الحق من ربك أن الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أي يثبتهم عليه وقيل لهادي الذين آمنوا إلى الدين وقيل لما يتشابه بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الصحيح الذي يقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزل أقدامهم وقيل لهادي الذين آمنوا إلى تحقيق ما هو محكم والسكوت عما هو متشابه ولا يتبعوا ما تشابه ويقولوا آمنا كل من عند ربنا قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين عاد إلى شرح حال الكافرين مرة أخرى فقال ولا يزال الذين كفروا في مرية منه من القرآن أو من الرسول أو من الدين وقيل من ما ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من سجود النبي حتى تأتيهم الساعة القيمة وقيل الموت بغتة فجأة من دون أن يشعروا ثم جعل الساعة غاية لكفرهم لأنهم يؤمنون عند أشراط الساعة على سبيل الإلجاء أو يأتيهم عذاب يعني الأحياء الشيئين على أصله وقيل يعني الموت يوم عقيم يوم بدر وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن وقيل لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم ينشئ مطرا أو لم يلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظمه لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم عقيم أي يوم القيمة والمراد بالساعة مقدماته وقيل يجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ تقديره الملك يوم يؤمنون أو يزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة لله وحده من غير منازع ولا مدع يحكم بينهم ثم بين حكمه فيهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات نعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير • لما ذكر أن الملك له يوم القيمة وأنه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات أتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين وأفردهم بالذكر تفخيما لشأنهم

فقاتلوا

فقاتلوا وقتلوا والذين هاجروا إلى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا إلى الله ثم قتلوا قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد أو ماتوا لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه وإحسانا وقيل أراد من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاهدا أو في سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده وقيل يحتمل الأمرين وقيل المراد به مخصوصون وهم جماعة ماتت وقطعوا أن خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم والظاهر العموم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل رزقا حلالا وقيل الجنة ونعيمها وقيل الشهادة ثم الجنة وقيل العلم والحكمة وإن الله لهو خير الرازقين لأنه يرزقهم ما لا نهاية له ليدخلنهم مدخلا قرأ نافع بفتح الميم والباقون بضمها مكانا هو الجنة وقيل هو مصدر والمعنى ليدخلنهم دخولا وعلى الوجهين يرضونه وصف له أي مكانا يرضونه أو إدخالا يرضونه وإن الله لعليم بنياتهم وأسرارهم وعلانيتهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه ذلك الأمر والشأن ذلك أي الأمر ما قصصنا عليك نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتال المشركين وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك البغي عليهم لتسمية الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للملابسة من حيث إنه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض ثم بغي عليه أي حورب بعد ذلك وقيل ثم بغي عليه أخرج من منزله لينصرنه الله إن الله لعفو للمنتصر من الظالم قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما لا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون ومعنى إيلاج الليل في النهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بغيبوبة الشمس وإيلاج النهار في الليل تحصيل ضياء النهار في مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادة في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك الذي نعت من نصر المؤمنين بأن الله هو الحق لأنه لا إله إلا هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور لما دل على قدرته من إيلاج الليل في النهار وعكسه وبه بدء على نعمه أتبعه بأنواع أخر من الدلائل على قدرته ونعمه ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء مطرا هذا استفهام معناه الخبر فتصبح وإنما قال فتصبح ولم يقل فأصبح لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وإنما رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام لأنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم أنعم عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله فتصبح الأرض مخضرة بالنبات بعد ما كانت مسودة يابسة إن الله لطيف لا يخفى عليه شيء وقيل لطيف باستخراج النبات منها خبير بما فيه مصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني عن خلقه الحميد على فعله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض من البهائم مذللة للركوب في البر والفلك تجري في البحر بأمره نصب عطفا على ما ورفع على الحال أي سخر لكم الفلك جارية في البحر بأمره ويمسك السماء كراهة أن تقع وقيل لئلا تقع على الأرض إلا بإذنه وإرادته إن الله بالناس لرؤوف رحيم تفضل عليهم بما عدد في الآية وهو الذي سخر لكم هذه الأمور وأنعم عليكم هو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يميتكم عند الموت ثم يحييكم للبعث والنشور إن الإنسان لكفور لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم وقيل أراد بالإنسان الكفار قوله تعالى لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون لما ذكر نعمه أتبعه بذكر نعمه في التكليف فقال لكل أمة وإنما لم يذكر الواو لأنه فصل هذا الكلام عما قبله منسكا قيل موضع الذبح وقيل قربانا وقيل زمانا معينا لأداء العبادات وقيل مكانا معينا لأدائها وقيل إراقة دم وقيل ذبيحة وقيل شريعة تعبدوا بها هم ناسكوه هم ينسكون تلك المناسك فلا ينازعنك في الأمر أي ليس لليهود وغيرهم من ذوي الأديان والمشركين أن ينازعوك في شريعتك في ذبائحهم وقيل نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم أن ينازعوك وقيل هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين وأمر الذبح وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة منهم بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله أي الميتة وادع إلى ربك دين ربك إنك لعلى هدى مستقيم على طريق واضح مستقيم قال الزجاج

من نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل
الذي لا يكون الا بين اثنين والمراد تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويذهب غضبه لله ولدينه
ومنه قوله فلا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان يرتع همة رسول الله صلى الله
عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما ذكرت من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته اي
غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة وان جادلوك اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك
وبينهم تنازع ولم يقبلوا منك فادفعهم وقل الله اعلم بما تعملون من اعمالكم فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار فيه رفق
الله يحكم بينكم خطاب للمؤمنين والكافرين فتعرفون حينئذ المحق من المبطل فيما اختلفتم فيه كل واحد من الفريقين
الى خلاف ما ذهب اليه الآخر وقيل يفصل بينكم بالثواب والعقاب وهذا ادب حسن علمه الله تعالى عباده فيمن جادل
على سبيل التعنت والمراد فعل السفهاء ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم
وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض
ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير لما قال ان الله يحكم بينكم اتبعه بما به يعلم انه عالم بالمحق والمبطل فيحكم
بينهم بالعدل فقال الم تعلم على لفظ الاستفهام لكن معناه تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والوعد له
والوعيد للكافرين يعلم ما في السماء والارض فيعلم اعمالكم فيجازيكم ان ذلك كله في كتاب يعني في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله
يسير بكونه بقوله كن وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله قوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به
علم وما للظالمين من نصير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا على عبادته وما ليس لهم به علم
اي يعبدونه جهلا لا عن تقليد لا عن عقل وسمع وقيل يعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان نازل من السماء من جهة
الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها حجة عقلية وما للظالمين اي الواضعين العبادة في غير موضعها
من نصير يمنعهم من عذاب الله قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير واذا تتلى
عليهم يعني اهل مكة آياتنا اي القرآن بينات لكونها متضمنة للدلائل العقلية الدالة على التوحيد وبيان الاحكام
والحدود وهي منصوبة على الحال تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار والعبوس والكراهة يكادون يسطون يقعون
ويبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا السطو الوثب والبطش يقال سطا عليه وسطا به اذا تناوله بالعنف والشدة
قل يا محمد افأنبئكم بشر من ذلكم عليكم واكره لكم من القرآن الذي تسمعونه وقيل بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم وقيل من ذلكم مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو
فقيل النار اي هو النار وعدها الله ابتداء واستئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبره الذين كفروا وبئس المصير
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز
لما بين من قبل انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ذكر في هذه الآية ما يدل على ابطال قولهم
ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون هذا ليس بمثل بل صفة سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال السائرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم ومعنى الآية جعل المشركون
الاصنام شركاء في تعبدهم لله فاستمعوا حالها التي يقولها ان الذين تعبدون من دون الله لن تخلق لا في نفي المستقبل
الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتأكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب الذي هو في غاية الضعف والصغر منهم مستحيل
ولو اجتمعوا له الخلقه محلها النصب على الحال كانه قيل يمتنع ان يخلقوا ذبابا مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه
وتعاونهم عليه الذباب واحد وجمعه القليل اذبة والكثير الذبان مثل غراب واغربة وغربان ومن ابلغ ما انزل الله
في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية [illegible] منها ان تقدر
على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتظاهروا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
ولا يقدروا عليه ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بين الطالب اي الصنم والمطلوب وعند التحقيق وجدت الطالب
اضعف واضعف لان الذباب حيوان والصنم جماد والذباب غالب والصنم مغلوب وقيل الطالب الذباب يطلب ما يسلبه
من الطيب الذي على الصنم وذلك ان الكفار كانوا يلطخون اصنامهم بالعسل في كل سنة مرة ثم يغلقون عليهم ابواب البيوت
فيدخل الذباب في الكوى فيأكل ذلك العسل وينقيها منه فاذا راوا ذلك قالوا اكلت آلهتنا العسل وقيل الطالب عابد الصنم
يطلب التقرب بعبادته والمطلوب المعبود اي الصنم ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق تعظيمه ولا عرفوه
حق معرفته ولا وصفوه حق صفته اذ سموا باسمه من هو منسلخ من صفاته باسرها واشركوا به واهلوا للعبادة ما هو اضعف
من الذباب ان الله قوي قادر عزيز غالب فكيف يتخذ الضعيف العاجز المغلوب شبيها به قوله تعالى الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لما ذكر ما يتعلق
بالالهيات اردفه ما يتعلق بالنبوات الله يصطفي يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل وغيرهما ومن الناس ايضا
رسلا مثل نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم فهذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر
نزلت هذه الآية لما قال المشركون أانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من خلقه

تدعون م

تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل ذلك منها م

فيختار من الملائكة رسلا ويختار من الناس رسلا ان الله سميع بكل ما قاله قائل سرا وعلانية بصير بما يختار لرسالته
يعلم ما بين ايدي الملائكة والناس ما مضى من اخبارهم وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية والى الله ترجع الامور كلها فالذي
هو بهذه الصفة لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون لما تكلم في الالهيات ثم في النبوات
اتبعه بالكلام في اصول الشرائع الصلوة وشيئا ذكر غيرها من الطاعات ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة قال المفسرون
المراد من قوله اركعوا واسجدوا صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج
والزكوة ثم عمم بالحث على سائر الخيرات وقيل كانوا اول ما دخلوا الاسلام يصلون بغير ركوع ولا سجود فامروا بهما وقيل معناه
صلوا ولا تقصدوا بالركوع والسجود غير الله من صنم او وثن لعلكم تفلحون كي تفلحوا وتفوزوا وتبقوا في الجنة وقيل
لتكونوا على رجاء الفلاح وعن علي رضي الله عنه اذا فعلتم ذلك تظفرون بالمراد وقيل اعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله وحده وعن ابن عباس رضي في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل لعلكم تفلحون اي افعلوا
هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك
احتج الشافعي في اثبات سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن
السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا في
سبيل الله اعداء الله حق جهاده وهو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس رضي وعنه ايضا لا تخافوا في الله لومة لائم
وذلك هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل في الله اي في ذات الله ومن اجله حق جهاده يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا
وعالم جدا ومنه حق جهاده قال صاحب الكشاف فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس
حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق فلا يبتلي المؤمنين بشيء من الذنوب
الا جعل له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بالقصاص وبعضها بالحدود وبعضها برد المظالم وبعضها بانواع الكفارات
فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من العقاب فيه ولا ذنب يذنبه المؤمن الا وله منه في دين
الاسلام مخرج ومخلص قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة وقيل وما جعل عليكم في الدين من ضيق في اوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان
والفطر والاضحى ووقت الحج اذا التبست عليكم وشك الناس فيها ولكنه وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا محلها
ملة ابيكم نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه وقيل منصوب على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقوله الحمد لله الحميد وقيل منصوب بنزع الخافض
اي وما جعل عليكم في الدين من حرج كملة ابيكم نصب بنزع الكاف وقيل منصوب على الاغراء اي الزموا واتبعوا ملة ابيكم
ابراهيم وليس جميع المخاطبين يرجع الى ولادة ابراهيم عليه السلام فان معناه ان حرمة ابراهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة
الوالد كما قال عز وجل وازواجه امهاتهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لكم مثل الوالد وعن بعض العارفين ملة ابيكم
هو السخاء والبذل والاخلاق بالخروج من النفس والاهل والمال والولد وقال الجنيد امر العوام ان يتبعوا ملة ابراهيم
في الشريعة وامر الخواص ان يتبعوا ملته في بذل المال والنفس والولد للمولى وتعاقبوا موافقة الخليل في كل الاوقات هو
سماكم اي الله سماكم المسلمين ويشهد له قراءة ابي بن كعب الله سماكم المسلمين اي في التورية والانجيل وسائر كتبه وفي هذا
القرآن وفي هذا الزمان وقيل ابراهيم سماكم المسلمين والمعنى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون اي اجتباكم
وسماكم ليكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم يوم القيمة انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل
قد بلغتهم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله واذ خصكم الله بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به
ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر وعن ابن عباس سلوا الله يعصمكم عن كل ما يسخط ويكره

وعن الضحاك ومقاتل يعني اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وعن عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد

وسع م

سورة المؤمنون

مكية

وهي مائة وثماني عشرة آية واربعة الاف وثمانمائة حرف والف وثمانمائة واربعون كلمة عن ابي بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيمة بالروح والريحان وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال كان اذا انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة

وجهه م

ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا
ثم قال لقد انزلت علينا عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون الى عشر آيات عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيده فقال لها تكلمي
فقالت قد افلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون   قد نقيضة لما هي تثبت
المتوقع ولما تنفيه وقد يقرب الماضي من الحال فدل على ان فلاحهم قد حصل وهم عليه في الحال وهذا ابلغ في الصفة من تجريد
ذكر الفعل اخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وانهم قد نالوا البغية واحرزوا البقاء الدائم عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق
الجنة واتقن حسنها قال قد افلح المؤمنون وقيل لا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات
الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل
في البشارة وقيل افلح صار الى الفلاح ثم وصفهم الله تعالى هؤلاء المفلحين فقال الذين هم
في صلاتهم خاشعون عن ابن عباس مخبتون اذلاء الحسن ومقاتل خائفون مقاتل متواضعون علي رضي الله عنه الخشوع في
القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت مجاهد هو غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة
يهاب الرحمن تعالى ان يشد بصره الى شيء او ان يحدث نفسه بشيء من شان الدنيا عمرو بن دينار ليس الخشوع الركوع والسجود
ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلوة ابن سيرين وغيره هو ان لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقالوا كان النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه يرفعون ابصارهم في الصلوة وينظرون يمينا ويسارا حتى نزلت هذه الاية فجعلوا بعد ذلك وجوههم
حيث يسجدون وما رئي بعد ذلك احد منهم ينظر الى السماء ربيع هو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه بين عيني الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن آدم
اقبل علي فانا خير لك ممن تلتفت اليه عطا هو ان لا تعبث بشيء من جسدك في الصلوة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم
الى الصلوة فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى وقيل نظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني من الحور العين
فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث قتادة هو وضع اليمين على الشمال في الصلوة وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما
سواها ابو بكر الواسطي هو الصلوة لله تعالى على الخلوص من غير عوض ابو يزيد يحتاج المصلي الى اربع خلال حتى يكون خاشعا
اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التمام وجمع الهمة واضيف الصلوة اليهم لانها دائرة بينهم وبين الله تعالى وهم
المنتفعون بها وهي عدتهم وذخيرتهم فصلاتهم واما الله فغني عنها والمصلي له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين
هم عن اللغو معرضون ابن عباس اللغو الحلف الكاذب الحسن عن المعاصي مقاتل الشتم والاذى غيرهم ما لا يحل من القول
والفعل وقيل الفعل الذي لا فائدة فيه وقيل اللغو ما لا يعنيك من قول وفعل كاللعب والهزل لما وصفهم بالخشوع
في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف
والذين هم للزكوة فاعلون الزكوة مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى
فعل المزكي الذي هو التزكية والمراد ههنا بالزكوة التزكية فيجعل المزكين فاعلين له لانه مصدر لا يعبر عن معناه
وقيل لمحدثه فاعل يقال للضارب فاعل الضرب وللمزكي فاعل التزكية والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل
فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولا يجوز ان يراد بالزكوة العين لانه يمتنع ان يقال لمخرجها فاعل لها ان يتعلق بها فاعلون
لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل لانها محدثة وكل محدث يتناوله الفاعل لان الخالق ليس بفاعلها وقد انشد
لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف
محذوف هو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة ودخل اللام لتقدم المفعول ولان اسم الفاعل لا يبلغ قوة
الفعل تقول لهذا ضارب لزيد ولا يصح ضرب لزيد وقيل يحتمل ان يكون المفعول محذوفا واللام لام العلة والمعنى للزكوة
عاملون ما يفعلون ليطهروا عند الله ازكياء والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها في الحرام الحسن
اللام لتقدم المفعول والفرج اسم يجمع سوآت الرجال والنساء والقبلان وما حواليهما كله فرج والمراد بالفروج ههنا
فروج الرجال خاصة الا على ازواجهم الا على نسائهم وما ملكت ايمانهم اطلق ما على الاماء لانهن يجرين مجرى غير العقلاء من حيث
ان حكمهن حكم الاموال التي هي مال تحت يد المالك قيل على بمعنى من اي لفروجهم حافظون الا من الازواج وقيل على الازواج
في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان
زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة
الاحوال الا في حالة تزوجهم وتسريهم وقيل على متعلق بمحذوف يدل عليه قوله غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم
اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم من ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقيل ضد الحفظ الارسال
وهو يتعدى بعلى اي لفروجهم حافظون غير مرسلين الا على ازواجهم وقيل في الحفظ معنى الامتناع مستثنين الا على
ازواجهم فمن ابتغى وراء ذلك غير الازواج وما ملكت ايمانهم فاولئك هم العادون من الحلال الى الحرام

من طلب

من طلب من غير الازواج والاماء قضاء شهوته فهو متجاوز عما احل له من الحلال الى الحرام ومن استمنى بيده فهو من العادين
وسئل ابن عباس عن ذلك فقال ناكح يده فقيل جعل المستمني حدا او يجب الوقوف عنده ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك
الحد فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون
فيه قال صاحب الكشاف فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح
النكاح والذين هم لاماناتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها وكذا
العائد على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل
ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم قال بعضهم
جوارحك كلها امانات عندك امرت في كل واحد منها بامر فامانة العين الغض عن المحارم والنظر بالاعتبار وامانة
السمع صيانتها عن اللغو والرفث واحضارها مجالس الذكر وامانة اللسان اجتناب الغيبة والبهتان ومداومة الذكر
وامانة الرجل المشي الى الطاعة والتباعد عن المعاصي وامانة الفم ان لا يتناول بها الا الحلال وامانة اليد ان لا يمدها الى حرام ولا
يمسكها عن الامر بالمعروف وامانة القلب مراعاة الحق على دوام الاوقات حتى لا يطالع سواه ولا يشهد غيره ولا يسكن
الا اليه وعهدهم راعون ثم العهد عليك في حمل الامانة رعايتها فمن ضيع الامانة وصف بالجهل ومن لم يراع العهد وصف
بالظلم والذين هم على صلواتهم قرا حمزة والكسائي صلوتهم على التوحيد وهو اسم جنس والباقون صلواتهم على الجمع يحافظون
على فعلها ويراعون اوقاتها فامر بالمحافظة عليها كما امر بالخشوع فيها فذكرها اولا واخرا ليس بتكرار لانه اولا وصفهم
بالخشوع في صلواتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهو عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام
بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد
المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء
والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل وافتتح بها واختتم
عليها تنبيها على شرفها ومزيد تبيينها قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
لما ذكر الله مجموع هذه الاوصاف قال اولئك هم الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون يوم القيمة الاحقاء بان يسموا وراثا
دون غيرهم من عداهم ثم بين الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر الفردوس
البستان يجمع محاسن النبات والاشجار وعند العرب تسمى البستان الذي فيه الكرم فردوسا والفردوس اعلى الجنة
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن
الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون   لما اخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وانهم يرثون الجنة
ووصفهم بانهم في صلوتهم خاشعون وانهم عن اللغو معرضون وهذه الاوصاف عبادات وتلك العبادات لا تصح الا بعد معرفة
الله تعالى ذكر ما يدل على التوحيد تنبيها بصفات الجلال فذكر من الدليل انواعا النوع الاول الاستدلال بتقلب الانسان في
الخلقة وهي تسعة الاول قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر
وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة ولقد خلقنا الانسان قيل يعني آدم من سلالة من طين استل من الارض قاله
قتادة وابن عباس ومجاهد خلقنا الانسان يعني ابن آدم من سلالة من طين من صفوة ماء آدم الذي هو من الطين ومنيه
والعرب تسمي نطفة الرجل وولده سليلة وسلالة لانهما مسلولان منه قال الشاعر فجاءت به عضب الاديم غضنفرا
سلالة فرج كان غير حصين وقال آخر وهل كنت الا مهرة عربية • سليلة افراس تجللها بغل • ثم جعلناه اي ابن
آدم على قول من يقول المراد بالانسان ابن آدم ظاهر وعلى قول من يقول المراد بالانسان آدم الضمير في جعلناه عائد الى ابن
آدم وان كان لم يذكر لشهرة الامر ولان المعنى لا يصلح الا له وقيل ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه لان آدم لم يصر نطفة والمعنى ولقد خلقنا جوهر الانسان من سلالة من طين ثم جعلنا جوهره بعد ذلك
نطفة في قرار مستقر وهو في الاصل مصدر قر يقر قرارا ثم سمي الموضع الذي يقر فيه قرارا مكين حريز حصين يعني الرحم
وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها امكنت بحيث هي حرزت
ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرناها وقدرناها بدلالة تعديته الى مفعولين لان الخلق يتعدى الى مفعول واحد والمعنى
احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا احلنا العلقة مضغة مقدار ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما احلناها
وصيرناها عظاما قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم عظما فكسونا العظم والباقون عظاما فكسونا العظام لحما انبتنا عليها
لحما فصار اللحم كاللباس للعظام ثم انشأناه اي جوهر الانسان وقيل ثم انشأنا المذكور خلقا آخر مباينا للخلق الاول
مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان ابكم سميعا وكان اصم بصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من
اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة عن ابن عباس وجماعة انه نفخ فيه الروح قتادة والضحاك نبات
الاسنان والشعر ابن عمر استواء الشباب العوفي عن ابن عباس ان ذلك تصريف احواله بعد الولادة خرج من بطن امه
بعد ما خلق وكان من بدء خلقه الآخر انه استهل ثم كان من خلقه انه دل على ثدي امه ثم كان من خلقه انه علم كيف يبسط
رجليه الى ان قعد الى ان حبا الى ان قام على رجليه الى ان مشى الى ان فطم تعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى ان يبلغ الحلم

الى ان يبلغ يتقلب في البلاد وقيل الذكورية والانوثية وقيل اعطاء العقل والفهم فتبارك الله اى استحق التعظيم
والثناء بانه لم يزل ولا يزال من البركة وهي الثبوت فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة
وقيل احسن المصورين تصويرا وقيل احسن الصانعين صنعا ابن جريج انما جمع الخالقين لان عيسى ابن مريم عليه السلام كان
يخلق فاخبر عن نفسه انه يخلق احسن مما كان يخلق وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتبارك الله احسن
الخالقين قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاملى عليه هذه الآية فلما بلغ قوله
خلقا آخر خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال ابن ابي سرح
ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه
السورة مكية ثم انكم بعد ذلك لميتون بعد الخلق الآخر وقيل بعد ما ذكر من امركم لميتون اى لصائرون الى الموت [illegible]
اذ لا بد من كونه واكده بايراد الجملة اسمية مؤكدة بالصيغة المفيدة للمبالغة وبان وباللام كانهم لتماديهم في غفلتهم
الامور المتعلقة بالحياة وغفلتهم عن الموت منكرون للموت فنزلوا منزلة المنكر فذكر ما يصلح ان يكون ردا للمنكر
ثم انكم يوم القيمة تبعثون لما كان دلائل البعث ظاهرة اورد صيغة صالحة لان يخاطب بها غير المنكر حيث جعل الاماتة والاحياء
مبدءا دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الاختراع والانشاء والاعادة لا دلالة الكلام على ان الحياة الاحياء الاول الانشاء وحياة البعث
لانه ليس من ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثه ما عندك ... ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث
ليس عندك وايضا الغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة
قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين هذا نوع ثان من الاستدلال سبع طرائق
اى سبع سموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة وتقول العرب طارقت
النعل اذا جعلت بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة وقيل لان لكل واحدة منها طريقة اى سيرا وهيئة وصيغة
غير صيغة الاخرى وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن خلق السموات كانه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عنها
غافلين وعن حفظها وامساكها ان يقع فوقكم بقدرتنا وقيل اراد عن خلق الناس كانه انما خلقناها فوقكم لتفتح عليكم
الارزاق والبركات منها وينفعكم بانواع منافعها وما كان غافلا عنكم وما يصلحكم الحسن وما كنا عن الخلق غافلين ان ننزل
عليهم ما يحييهم من المطر قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون
فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين اعلم ان الماء في نفسه نعمة وانه مع ذلك سبب لحصول النعم فلا جرم ذكره الله اولا ثم ما يحصل به
من النعم ثانيا وانزلنا من السماء ماء بقدر بعلمه الله تعالى لا ينقص منه ولا يزيد عليه وقيل بقدر ما يكفيهم لشربهم ومزدرعهم
وقيل بقدر يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة فاسكناه في الارض وجعلناه ثابتا في الارض ينتفع به في اوقاته
في شربهم ومعايشهم وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل
مصر انزلها من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف
معايشهم وكما قدرنا على انزاله فانا على ذهاب به لقادرون قال صاحب الكشاف قوله وانا على ذهاب به من اوقع النكرات
واخرها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه
شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا
النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم
فيها في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون شتاء وصيفا وانما خص النخيل والاعناب لاهل الطائف فذكر القوم ما يعرفون
من نعمه وقيل التمر والعنب ليسا من الفواكه ولهذا افرد الفواكه بالذكر ومنها تاكلون قيل من النخيل والاعناب وقيل من ثمار
الجنات وزروعها وقيل من الفواكه على تقدير تتفكهون بها وقيل يجوز ان يكون من قولهم فلان ياكل من حرفة
يحترفها ومن صنعة يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه وكانه قال وهذه الجنات
وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون وشجرة عطف على جنات اى وانشانا لكم ايضا شجرة تخرج من طور
سيناء وهي الزيتون قيل خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان
ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان
دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو سيناء مكسورة السين والباقون مفتوحة
السين وكلهم مدها وهو لا ينصرف لانها جعلت اسما للبقعة او ارض وكذلك سينين قيل طور سيناء وطور سينين
لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف
اليه كامرئ القيس وبعلبك فمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة
وفعلاء لا تكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح لم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء والطور الجبل وسيناء
بالنبطية عن ابن عباس الحسن والضحاك الطور الجبل بالسريانية وسيناء الحسن العوفي عن ابن عباس المبارك مجاهد
اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده ابن السائب طور سيناء الجبل المشجر وقيل ان سيناء اسم المكان
الذي فيه هذا الجبل ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى وهو بين مصر وايلة وقيل هو جبل بفلسطين تنبت بالدهن

اى تنبت وفيها الدهن فقوله بالدهن في موضع الحال قرأ ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء والباقون بفتح
التاء وضم الباء قيل نبت وانبت لغتان معناهما واحد يقال انبتت الشجر ونبتت في معنى واحد قال زهير رايت ذوي
الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل وقيل تنبت متعد مفعوله محذوف اى تنبت زيتونها وفيه الزيت
وصبغ غمس للايتدام وقيل الصبغ هنا الزيت لانه يكون الخبز اذا غمس فيه والمراد به هنا ادام يصطبغ به قوله
تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون
هذا نوع ثالث من الاستدلال وان لكم في الانعام لعبرة وذكر ان فيها عبرة مجملا ثم اردفه بالتفصيل من اربعة اوجه احدها
نسقيكم مما في بطونها والمراد منه جميع وجوه الانتفاع فيه انها يجتمع في الضروع ويخلص من بين الفرث والدم باذن الله
فيستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق الشهوة ويصير غذاء فمن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته كان ذلك
معدودا في النعم الدينية ومن انتفع به فهو نعمة في الدنيا وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها الى الضروع تجدها
واذا ذبحتها لم تجد لها اثرا وذلك دال على عظم قدرة الله قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم نسقيكم بفتح النون
والباقون بضمها وثانيها ولكم فيها منافع كثيرة فظهورها والبانها واولادها واصوافها واشعارها وثالثها
ومنها تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية تنتفعون بعد الذبح ايضا بالاكل ورابعها وعليها وعلى الفلك تحملون
بان وجه الانتفاع بالابل في الحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر ولذلك جمع بين الوجهين في الانعام
قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملا
الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون لما بين دلائل التوحيد اردفها
بالقصص كما هو العادة في سائر السور وقيل هذا ابتدا تمثيل كفار قريش بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا في ضمنه ذلك
الوعيد بان يحل بهم ما حل باولئك وقيل هذه تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر هذا النبي
الصابر ليتاسى به فيصبر وليعلم ان الرسل قبله قد كذبوا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده
واطيعوه ما لكم من اله معبود غيره افلا تتقون الذي افلا تخافون ان يهلككم في الدنيا بعذاب النار فقال الملا الاشراف
الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويراسكم وقيل
يتكلف ان يفضل منكم فتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه ولو شاء الله ارسال رسول لارسل ملائكة ما سمعنا بهذا اشارة
الى نوح اى ما سمعنا بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وقيل بهذا اشارة الى ما كلمهم به نوح من الحث على عبادة
الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام وما العجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا
بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذيبا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم
او لما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا ان هو
الا رجل به جنة جنون وقيل من يخيلونه فتربصوا به فانتظروا حتى حين موته فتستريح منه ولا تقتلوه وقيل حتى يفيق من جنونه
فدع هذا المبتلى بجنونه فيعذر وقيل احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره من عاقبته فان افاق من جنونه
والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون فلما آيس من ايمانهم قال رب انتقم لي واهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وقيل
انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اى بدل ذلك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم
او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قوله تعالى
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من
سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل
الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا
لمبتلين قرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين اى من كل امة زوجين واثنين تاكيد وبيان لان المعنى من كل امة زوجين
اثنين والباقون بالاضافة والمعنى من كل نوع زوجين وهما امة الذكر والانثى كالجمال والنوق والحصن
والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة واهلك الا من سبق عليه جيء بعلى مع سبق الضار
كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحو قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي وقل رب انزلني
فنهاه اولا عن الدعاء لهم بالنجاة وقد بالغ في ذلك حيث ابطل النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض
عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء المطابق لمسئلته وهو
قوله وانت خير المنزلين قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى
فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية
وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي قرأ ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم اسم لكل ما نزل به والباقون بضمها
المصدر بمعنى الانزال اى انزلني انزالا او موضع انزال قيل انما قال نوح هذا القول عند نزوله في السفينة وقيل عند نزوله
من السفينة ان في امر نوح وقومه لآيات وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى ان الشان

والقصة كما مثلنا لك مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد وقيل معناه مختبرين بهذه الآيات عبادنا
لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين فارسلنا
فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون اى اهلكنا قوم نوح ثم انشأنا احدثنا من بعد قوم نوح قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني
هودا عليه السلام وقومه قال ابن عباس ويشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة
هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء قال صاحب الكشاف فان قلت حق ارسل ان يعدى
بالى كاخواته التي هي وجه وبعث وانفذ فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما
ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي
بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا
اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان اعبدوا الله ان مفسرة لارسلنا اى قلنا
لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله ذكر مقال هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين
كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فعطف ما قالوه على ما قاله ومعناه انه
اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما
من الحساب اى بتوابعها العقاب كقوله يا اهل مكة لقاء الله في مكة واترفناهم في الحياة بكثرة المال والولد
فتنعموا فيها ذكرنا في قصة نوح لا استجابة لقوله يا قوم اعبدوا الله وانه وقع عقيبه وذكرها هنا بالواو لانه ليس جوابا
للنبي متصلا بكلامه واخر من قومه عن الذين كفروا في قصة نوح فذكر المجرور بعد صفة الملأ وهو موضعه لان
المجرور لما صيره بالتقديم او في تعقيبه آخر من الوصف ثم ان تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول
واتماما واترفناهم في الحياة الدنيا لا يحتمل ان يكون المجرور من صلة الدنيا فاشبه الامر في القائلين انهم من قومه
املا وقيل قدم المجرور هنا كراهة الاحالة بين المعطوف عليه في الصلة وذلك يمتنع مع الصلة واخر في قصة نوح
حيث لم تطل الصلة ولم يلزم الاحالة بين المعطوف والمعطوف عليه في الصلة ما هذا الذي يزعم انه نبي الا بشر
مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون فمن اين يدعي رسالة الله من بينكم وليس هو بافضل من غيره ومعنى
من مشربكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم وينهاكم عنه انكم اذا لخاسرون
عقولكم ومغبونون في آرائكم اذا واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون اى ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما وثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل
ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن انكم الاول وقيل انكم مخرجون في تقدير المصدر اى اخراجكم وهو مبتدأ
واذا متم خبر مقدم عليه على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم الاول وقيل انكم مخرجون مرفوع بفعل هو جزاء الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم قوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب
انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قرأ السبعة هيهات هيهات بفتح التاء فيهما في الوصل وباسكانها
في الوقف ومعنى هيهات لما توعدون بعد لما توعدون استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في
بدء امرهم وقدرة الله على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا قال صاحب الكشاف فان قلت ما توعدون
هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج
في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام
لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا او ما الحياة
الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها فقد نستغنيها والحياة التي تدعيها بعد الموت باطلة وهي في قوله ان هي ضمير لا تعلم ما يعنى
الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه
هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي
في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اى يموت بعض ويولد
بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ان هو اى ما هود الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من استنبائه له
وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال هود رب انصرني بما كذبون ودعا هود عليهم فاجابه الله بقوله
قال عما قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد
لمعنى قلة المدة وقصرها من قليل من الزمان ليصبحن نادمين اذا عاينوا ما يحل بهم ثم لا ينفعهم ندمهم قوله
تعالى فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين فاخذتهم الصيحة قيل صيحة جبريل
صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا بها ومن هنا قيل انهم قوم ثمود وان الرسول هو صالح لان قوم صالح اهلكوا
بالصيحة وقيل الصيحة عبارة عن العذاب كانه الحق قيل الحق العدل لانهم قد استوجبوا الهلاك وقيل بالعذاب
من الله عز وجل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه وقيل بالحق بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم

في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى فبعدا
مصدر موضوع موضع فعله وهو من المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا
بعدوا اى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت
لك ولما توعدون قوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون قرونا قوم
صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها قيل اجل الموت وقيل اجل العذاب وقيل الوقت الذي حد لهلاكها
وكتب قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد وتترى قرأ ابن كثير وابو عمرو تترى منونة
والوقف بالالف والباقون بلا تنوين والوقف عند نافع وابن عامر بالفتح والمعنى تتابع بفترة بين كل رسولين وهي من التواتر
والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى كلما جاء امة رسولها اضاف الرسل اليه ثم ارسلنا رسلنا والى الامم
كلما جاء امة رسولها لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل اليه فاضاف اليهما حين قال ارسلنا
واضاف اليهم حين قال كلما جاء كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا بالاهلاك اى اهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم احاديث اخبارا
يسمر بها ويتعجب منها وقيل احاديث مثلا يتحدث به في الناس والاحاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الاحاديث جمع احدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس
تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون نكر قيل لان التقدير ومن لا يؤمن من كل ان لم يؤمنوا قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا
عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ثم ارسلنا موسى واخاه
بآياتنا التسع وقيل بالتوراة وسلطان مبين قيل العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وكونها حارسا وشمعة
حين اشتعلت ودلوا ورشا جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل
وميكال ويجوز ان يراد الآيات انفسها اى هي آيات وحجة ظاهرة الى فرعون وملائه فاستكبروا عن قبول الحق والايمان تعظما
وترفعا وكانوا قوما عالين متكبرين قاهرين وقيل متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا
مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن وقد يثنى ويجمع ايضا امثاله وقوم
امثالكم ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون اى هم لنا كالخول والعبيد يعبدوننا
خضوعا وتذللا وقيل لان فرعون كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة فكذبوهما
اى فكذب فرعون وملاؤه موسى وهارون فكانوا اى فكان فرعون وملاؤه من المهلكين بالغرق في البحر ولقد آتينا موسى
الكتاب لعل بني اسرائيل يهتدون به الى الحلال والحرام وقيل ولقد آتينا موسى الكتاب اى قوم موسى التوراة لعلهم يعملون
بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم اى آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم
ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد
آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وجعلنا ابن مريم وامه آية تدل على قدرتنا
وكان حقه ان يقال آيتين لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله القي اليها وعيسى روح من الله تعالى وقد تكلم في المهد
وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذف
الاولى لدلالة الثانية عليها وقيل معناه وجعلنا قصتهما آية وآويناهما اى جعلنا مأواهما الى ربوة قرأ ابن عامر
وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها عن عبد الله بن سلام دمشق ابو هريرة الرملة قتادة وكعب بيت المقدس كعب هي اقرب الارض
الى السماء بثمانية عشر ميلا ابن زيد مصر ذات قرار ذات مستقر من ارض مستوية منبسطة قتادة ذات ثمار وماء يعني
انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين ماء ظاهر جار فعيل من معن الارض وقيل معين مفعول اى مدرك بالعين لظهوره
من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته وقيل معين فعيل لانه نباع لظهوره من الماعون وهو المنفعة
يا ايها الرسل النداء والخطاب ليس على ظاهرهما لان الرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام
بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به
ويعمل عليه وقيل انه خطاب لعيسى عليه السلام بلفظ التعظيم لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل امه وهذا كما يقال للرجل
الواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم الحسن ومجاهد وقتادة المراد به محمد صلى الله عليه وسلم كلوا من الطيبات من الحلال
وقيل الطيبات الحلال وفي الاكل آداب الحلال والصافي والقوام والادب فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي
لا ينسى الله فيه والقوام منه ما يمسك به النفس ويحفظ العقل والادب شكر المنعم وقيل الطيبات ما يستطاب ويستلذ
من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقيل ويجوز ان يقع هذا الاعلام
عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اى آويناهما وقلنا لهما هذا اى اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا
بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل بسهل امران يأكلوا حلالا ولا يتبعوا طغيانا والصالحات من الاعمال
اداء الامر بالفرض والسنة واجتناب النهي باطنا وظاهرا قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون

فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون   قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وان بفتح الالف وتشديد النون وابن عامر بفتح
الالف وسكون النون وعاصم وحمزة والكسائي وان بكسر الالف وتشديد النون على الاستيناف وان بمعنى ولان
وان مخففة من الثقيلة فتقطعوا امرهم بينهم زبرا جمع زبور اي جعلوا دينهم اديانا وزبرا قطعا اي كل فريق منهم
غير الكتاب الذي دان به الآخر وقيل معناه فتفرقوا دينهم بينهم كتبا احدثوها يحتجون بها لمذاهبهم وقيل معناه ان
هذه الجماعة واحد كلهم عباد الله وان الله خالقهم ومربيهم ونصب امة على الحال والمعنى انها ما دامت متوحدة فهي
اذا تفرقت فلا تعقد فتحاموا في شق العصا وتفريق كلمتكم فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اي قطعوا امر دينهم وفرقوا
ما امروا به ان يكون دينا واحدا كل حزب كل فرقة بما لديهم قيل من الكتاب وقيل بما لديهم من المال والاولاد فرحون مسرورون معجبون
والحق واحد وقيل كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق
فذرهم في غمرتهم في جهالتهم وضلالتهم والغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم
وعمايتهم وقيل شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال الشاعر كأنني ضارب في غمرة لعب • وقد نهى
رضي الله عنهم في غمرتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاشتغال بعلمهم
والجزع من تأخيرهم ايحسبون ان الذي نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات مجازاة على حسن صنيعهم بل ليس الامر كما يحسبون
لا يشعرون ان ذلك امتحان واستدراج وقيل والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة
الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يكون خبر ان الخيرات
كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى
يتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج او مسارعة في الخيرات قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون   لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين ووعدهم وذكرهم
بابلغ صفاتهم والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا من الزكوات والصدقات عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله
قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه لتقصيره انهم الى ربهم راجعون
قيل التقدير لانهم وقيل هو مفعول الوجل اي وجلة للرجوع الى الله تعالى والمعنى يعملون ما يعملون على وجل والحال
ان حال اولئك يسارعون في الخيرات قيل يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها وقيل انهم يتعجلون في الدنيا النفع
ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا القول احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار
للمؤمنين وهم لاجل الخيرات فاعلون السبق وقيل سابقون الناس لاجلها وقيل باياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث
عجلت لهم في الدنيا وقيل يجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كقوله انت لها احمد من بين البشر قوله
تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون   يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين
غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه الله عباده فان الله لا يكلف نفسا الا ما يسعها ولدينا كتاب يعني
اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق ما عملوا وما هم عاملون من الخير والشر يعني وما عملوا من الاعمال فهو ضابط عنده
او هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح المحفوظ او صحيفة الاعمال التي لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل
لا زيادة فيه ولا نقصان وهم لا يظلمون وقيل اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء
السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احد من حقه
ولا يحط دون درجته قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون   بل قلوب الكفرة
في غفلة غامرة من هذا الذي وصف به المؤمنون وقيل من كتاب الحفظة وقيل من القرآن وقيل من الحق ولهم اعمال من دون ذلك
اي اعمال خبيثة دون الشرك وقيل دون الحق وقيل دون اعمال الايمان وقيل ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف
المؤمنون وقيل معنى دون ذلك الحسن في جماعة لهم اعمال من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها وقيل الضمير في قوله بل
قلوبهم يعود الى المؤمنين وقوله في غمرة من هذا اي مغمورة بالاشفاق مع هذه الافعال الحسنة ولهم اي وللمؤمنين اعمال
من دون ذلك يريد بالاولى الفرائض وبالثاني النوافل هم لها عاملون وعليها مقيمون وقيل هم لها معتادون وبها ضاربون لا
يبطلونها قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون   حتى
اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم ورؤساءهم واغنياءهم بالعذاب اي العذاب الدنيا عن ابن عباس يعني بالسيوف يوم بدر
وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية وقيل العذاب بالجوع وذلك حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط
حتى اكلوا الجيف والقذار والكلاب والاولاد اذا هم يجأرون يصرخون صراخ الثور يضجون ويجزعون ويستغيثون
والجؤار الصراخ ورفع الصوت بالاستغاثة لا تجأروا اليوم اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم
منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم

وقيل م

وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يتقبل منهم م

فكنتم

فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون   قد كانت آياتي اي القرآن تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون وتدبرون وتستأخرون وترجعون القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه وقيل ما وراءه وقيل تستأخرون
مستكبرين متكبرين على المسلمين به بالبيت او بالحرم اي هم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا
الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر
لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث
لكم استماع القرآن استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن
فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع سامرا نصب على الحال تهجرون اي القرآن والذي
قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الهجر وهو الفحش من المنطق اي تسبون النبي صلى الله عليه وسلم والباقون
بفتح التاء وضم الجيم قيل تهجرون ذكر الله والحق وقيل تهجرون كتاب الله ونبيه وقيل تهجرون البيت عن سعيد بن جبير
كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويفتخرون به وقيل يقولون هجرا اي لغوا وهو اللغو والهذيان يقال هجر الرجل في منامه
هذى قوله تعالى افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون
به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم
فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين   افلم يدبروا القول اي القرآن فيعرفوا انه
من الدلالات والعبر فيعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ام جاءهم من الامر ما لم يات آباءهم حتى خافوا الله
فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن
خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وكان على شريعة
سليمان بن داود وقيل بل جاءهم ما لم يات آباءهم فلذلك انكروه واعرضوا عنه عن ابن عباس ان ام في معنى بل اي جاءهم ما لم يات آباءهم
الاولين وتقديره او لم يأتهم ما لم يات آباءهم الاولين والمعنى قد جاءهم رسول وكتاب ام لم يعرفوا رسولهم محمدا
صلى الله عليه وسلم بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة نسبه وحلوله وسطة هاشم واتسامه بانه خير فتيان
قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برهانها لها ما ذكر فهم له منكرون وهذا توبيخ لهم
لانهم عرفوه بحسبه ونسبه ثم اعرضوا عنه ام يقولون به جنة جنون لانه طمع في اتباعهم اياه وكانوا يعرفون انه بريء
منها وانه ارجحهم عقلا وانقبهم ذهنا بل جاءهم بالحق القول الذي لا يخفى صحته وحسنه على عاقل وبما خالف شهواتهم
واهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وتسبط في لحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق
اليقين والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر واكثرهم للحق
كارهون فان قيل قوله واكثرهم للحق كارهون يفهم منه ان اقلهم غير كارهين للحق اجيب بانه كان فيهم من يترك الايمان
انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب قال صاحب الكشاف
فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كأن ابا طالب كان اجمل اعمام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اي الله اهواءهم مرادهم وشهواتهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن لانهم يدعون آلهة شتى فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق ضد الهوى ويخالفه
بينهما وقيل فسادها الملائكة بان يعبدوا من دون الله بل اتيناهم بذكرهم عن ابن عباس الذكر بيان الحق وهو القرآن وقيل بذكرهم
بشرفهم لان القرآن بلسانهم والرسول منهم فهم عن ذكرهم عن القرآن والشرف معرضون ام تسألهم على ما جئتهم به خرجا
قرأ ابن عامر خرجا فخرج بغير الف فيهما وحمزة والكسائي خراجا فخراج بالف فيهما والباقون خرجا بغير الف فخراج بالف خرجا اجرا
وجعلا واصل الخرج والخراج الغلة والضريبة والاتاوة كخراج الارض والعبد يسئل ابو عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج
والخراج فقال الخراج ما لزمك ووجب عليك اداؤه والخرج ما تبرعت به من غير وجوب فخراج ربك ثوابه في الدنيا وقيل
ثوابه في العقبى خير لانه ابقى وادوم وهو خير الرازقين خير المعطين قوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم وهو الاسلام قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون   عادلون عنه مائلون
الى غيره وقيل طريق الجنة وقيل الصراط الذي يكون في الآخرة لناكبون تأخذهم يمنة ويسرة الى النار يقول نكب
عن الطريق ونكب بمعناه قال صاحب الكشاف قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل
رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي
مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال
من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق
واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر ويحتمل ان هذه الاوصاف صفتها انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط
المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون   يرددون ويتحيرون والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط

وروى ان ضبة كان مسلما

الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها **قوله تعالى** ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
ابن عباس لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين
الميرة من اليمامة وأخذ الله تعالى قريشا بسني الجدب حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى قال قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فأنزل
هذه الآية **قوله تعالى** حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير
قوله تعالى وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون إنما خص السمع
والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أبصارهم
وأسماعهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال
تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعم
الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند وشريك أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد **قوله تعالى** وهو الذي ذرأكم
في الأرض وإليه تحشرون أي منه المبدأ وإليه المعاد **قوله تعالى** وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
أفلا تعقلون أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقيل وهو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان
ويختلفان بالظلمة والنور وقيل له مثلا اختلافهما وله التدبير فيهما أفلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا على البعث
قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين بل إضراب عن الجحد يعني كأنه قال ليس لهم نظر في هذه الآيات بل قالوا أي كفار
قريش مثل ما قال الأولون أي الأمم السالفة الكافرة كعاد وثمود ثم بين ما قالوا فقال قالوا أي الأولون أإذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون استبطاء أمر البعث لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين
جمع أسطار فجمع سطر قال رؤبة إني وأسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له والأولى أن يجعل
جمع أسطورة **قوله تعالى** قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون قل لهم يا محمد مجيبا لهم لمن الأرض ومن فيها
إن كنتم تعلمون أي أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهلهم التبس الأمر عليهم
أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين سيقولون لله لأنهم معترفون بأن الله هو الخالق فإذا قالوها قل لهم أفلا تذكرون
فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
وقيل أفلا تذكرون أن مالك الشيء يقدر على التصرف في الشيء والأموات مملوكة لله فهو قادر على إحيائها بعد الموت كما قدر
عليها في المرة الأولى فإنها كانت أمواتا فأحياها قل من رب السموات أي سلهم من أعظم من الأرض ومن في الأرض وهو السموات
السبع والعرش العظيم سيقولون لله فإنهم لا ينكرون أن الله خالقها مع عظم أجرامها وعلو مكانها فإذا قالوا ذلك قل لهم
أفلا تتقون عقاب من خلقها بأن تملكه وتعبدون بأنكار شيء حقير وهي إعادة الموتى أحياء وقيل أفلا تتقون أي أفلا تخافونه
فلا تشركوا به وتعصوا رسله قرأ أبو عمرو ويعقوب لله بغير ألف في الأول وفي الآخرين بالألف على القياس والباقون في المواضع
الثلاثة لله لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد لأنك إذا قلت من رب هذه الدار فقيل لزيد كان ذلك في معنى لمن
هذه الدار لمن هي قل من بيده أي سلهم من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه أي يجير فلانا على فلان إذا أغاثه منه ومنعه
وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا أي يمنع المكروه من أوليائه ولا يمنع أحد السوء ممن أراده الله إن كنتم
تعلمون أي إن كان لكم علم وعقل فقد قامت الحجة عليكم بإقراركم وقيل معناه أجيبوا إن كنتم تعلمون سيقولون لله لأنهم معترفون
بمثلها فإذا قالوها قل فأنى تسحرون تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته وعن رشدكم وقيل تعمون تخرقون له سحر الأعين
الناس وقيل من أين تختلكم التمويه والسحر وقيل من أي جهة يخيل إليكم الباطل حقا والكذب صدقا **قوله تعالى** بل
أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون أي ليس الأمر كما يقولون من نسبتهم إلى الله ما لا يليق
به بل أتيناهم بالحق لأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا وقيل
معناه بينا لهم الحق فظهر كذبهم وإنهم لمصرون عليه وقيل كاذبون بقولهم اتخذ الله ولدا وما كان معه من إله أو على ترتيب
أحدهما قوله ما اتخذ الله من ولد كالتنبيه على أن ذلك من قولهم لما قال إلا الكفار فإن جمعا منهم كانوا يقولون الملائكة بنات
والثاني قوله وما كان معه من إله وهو تعريض باتخاذ الأصنام آلهة ثم إنه تعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله إذا لذهب كل إله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم
متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا
لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء وإذا لا يدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله
عما يصفون من الأولاد والأنداد عالم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر والباقون بالرفع على أن يكون خبر
مبتدأ محذوف **قوله تعالى** قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك

ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون ● أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو بنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة قل يا محمد
يا رب إما تريني ما والنون مؤكدتان إليه وإن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني
قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبر الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو
بهذا الدعاء فلا تجعلني في القوم الظالمين مع القوم الظالمين فلا تهلكني بهلاكهم وقوله فلا تجعلني جواب لإما وإنا على أن نريك
ما نعدهم من العذاب لقادرون إخبار بقدرته على إنزال العذاب قيل هو يوم بدر وقيل هو فتح مكة وقيل إن الله أخر
لعلمه بمن يؤمن كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما
وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار ادفع بالتي هي أحسن أي ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع
بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن ابن عباس هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة
الشرك مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل هي محكمة لأن
المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة نحن أعلم بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها
أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم نحن أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم وقل يا محمد يا رب أعوذ بك من همزات نخسات جمع همزة
وهي المرة من الهمز النخس والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا
لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لنداء ربه بالتعوذ
من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله **قوله تعالى** حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا
فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء
الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله تعالى على
الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون حتى إذا جاء أحدهم
الموت يعني المشركين وذلك حين ينقطع من الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت قال رب ارجعون خطاب الله
بلفظ الجمع للتعظيم كقوله إنا نحن نحيي على هذا كما ابتدأ بلفظ التعظيم كقول الشاعر وإن شئت حرمت النساء سواكم
وقوله ألا فارحموني يا إله محمد وقيل هذه المسألة من الكفار إنما كانت للملائكة يقبضون الأرواح وإنما ابتدأ الكلام
بخطابه جل ثناؤه لأنهم استغاثوا أولا بالله تعالى ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا إذا تيقن الموت
واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل الرجعة وقال لعلي أعمل
صالحا في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس ثم بنيانا في أسس
وأبني عليه وقيل فيما تركت من المال وقيل أعمل صالحا فيما تركت حالما في الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى وقيل
أعمل صالحا أقول لا إله إلا الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا
نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن
الرجعة وإنكار واستبعاد لئلا يكون ما سألت من الرجوع وقيل معناه حقا إنها كلمة أي إن قوله ارجعون كلمة أي
طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى أعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت
عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم وقيل كلمة هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا يسمع منه وقيل الضمير في
إنها يعود إلى قوله فإذا جاء أجلهم الآية أي أن قوله إذا جاء أجلهم الآية كلمة هو الله قائلها فلا يخلفها ومن ورائهم
الضمير للجماعة أي أمامهم برزخ حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث إنما
هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ابن عباس حجاب السدي أجل قتادة بقية الدنيا الضحاك
ما بين الموت إلى البعث وقيل البرزخ القبر وقيل ما بين النفختين وهو أربعون سنة **قوله تعالى** فإذا نفخ في الصور
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين
خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
لما ذكر عن هؤلاء أنهم في برزخ إلى يوم يبعثون ذكر أحوال ذلك اليوم سعيد بن جبير أراد النفخة الأولى عطاء الثانية فلا أنساب
بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ إنما يرتفع التفاضل والتفاخر بها أو لأن
التقاطع يقع بينهم حيث يتعاقبون ويتنافرون ولا يكون التواصل بينهم والتآلف إلا بالأعمال فتلغو الأنساب
وتبطل وإنه لا يعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته
وبنيه ولا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا تقوية لعلمه بأنه مشغول بنفسه وقيل لا يسأل بعضهم بعضا
عن حاله وليس بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون تناف لأن هذا في بعض المواقف والقيامة مواقف وعن ابن عباس
لا يتساءلون في النفخة الأولى وقيل ما داموا في المحاسبة لا يتساءلون لأنهم لا يتفرغون فإذا تفرغوا دخلوا الجنة فلما
يتساءلوا فمن ثقلت موازينه تلفح تسفع وقيل اللفح والنفح واحد إلا أن اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن تتقلص الشفتان
وتتشمر عن الأسنان كما ترى الرأس المشوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل تلفح وجوههم النار وهم فيها
كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته الزكي وقيل

لم تكن آياتي اي القران يتلى عليكم في الدنيا وفيه الامر والنهي فكنتم بها تكذبون قوله تعالى قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان
فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم
منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون لما قال تعالى الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم
بها تكذبون ذكروا ما يجري مجرى الجواب عنه وهو من وجهين الاول قولهم ربنا غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني
فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه شقوتنا قرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح مع فتح الشين والقاف والباقون
بكسر الشين من غير الف سوء خاتمتنا التي كتبت علينا والشقوة والشقاوة لغتان وهي المضرة اللاحقة في العاقبة
والسعادة المنفعة في العاقبة وكنا قوما ضالين عن الحق والهدى ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب
فانا ظالمون لانفسنا الحسنى هذا آخر كلام يتكلم به اهل النار قال الله تعالى في جوابهم بعد الف سنة اخسؤا اي
ذلوا فيها وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فاني لا ارفعه
عنكم ولا اكلمكم وقيل هذا على جهة الغضب اللازم لهم ثم بين الامر الذي لاجله اخسأهم بقوله انه كان اي
ان الامر والشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين يعني المؤمنين فاتخذتموهم
سخريا قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد وهما مصدر سخر كالسخر
الا ان في النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي ان المكسور من الهزء والمضموم
من السخرة والعبودية اي تسخروهم وتستعبدوهم قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم
هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني
فتخافوني في اوليائي نسب الفعل الى المؤمنين وان لم يفعلوه لانهم كانوا السبب في وجوده وكنتم منهم
تضحكون استهزاء بهم مثاله كان ابو جهل وعقبة والوليد واضرابهم يتخذون فقراء اصحاب رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم كعمار وبلال وخباب وصهيب سخريا يستهزؤن بهم ويضحكون منهم اني جزيتهم
اليوم بما صبروا على استهزائكم واذاكم في الدنيا والجزاء مقابلة العمل بما يترتب عليه من ثواب وعقاب انهم
قرأ حمزة والكسائي انهم بكسر الهمزة على الاستيناف فانهم هم الفائزون حيث صبروا [illegible] بصبرهم احسن الجزاء
والباقون بفتحها على انه مفعول جزيتهم فوزهم قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون الغرض من هذا السؤال التبكيت فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة اصلا ولا يعدون اللبث الا في الدنيا
ويظنون انه بعد الموت يدوم الفناء ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انها دائمة وهم فيها خالدون سألهم
قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم لبثتم على ان في قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار والباقون قال على ان في
قال ضمير الله كم لبثتم في الارض قيل في القبر وقيل في الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم وعدد نصب قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن
يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها وقيل لانهم كانوا في الدنيا في سرور [illegible]
المنقضي فحكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها
اكثر من يوم او يومين ولكنهم ارادوا لبثنا قليلا فسئل العادين قيل الملائكة وقيل ملك الموت واعوانه وقيل الحفظة
وقيل الحساب والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما
فينا ان نعدها كما هي وسل من فيه ان نعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره قال ان لبثتم الا قليلا اي انتم وان اخطأتم فما
اخطأتم في ان لبثتم في الدنيا الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون هذا ما استعملتم بالمعاصي افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال
اي عابثين كقوله لاعبين وقيل مفعول له اي خلقناكم للعبث اي لتعبثوا وتغفلوا وتلهوا وانكم الينا لا ترجعون
بعد الموت معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركم غير مرجوعين قرأ حمزة والكسائي
ترجعون بفتح التاء والباقون بضمها قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين ثم انه تعالى نزه نفسه عن العبث فقال فتعالى الله تعالى الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق
الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش
الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال
بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة
لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز
ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه فانما حسابه عند
ربه هذا جواب الشرط اي فانما جزاؤه عند ربه انه لا يفلح الكافرون والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون
موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة
السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وقل يا محمد

رب اغفر

رب اغفر وارحم لي ولامتي لما شرح احوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة امر ان يستغفر
ويسترحم له ولامته ليكون الختم بالغفران والرحمة للمؤمنين كما ان الافتتاح بالفلاح لهم

سورة النور

مدنية

وهي اربع وستون آية والف وثلثمائة وست عشرة كلمة وخمسة آلاف وستمائة وثمانون حرفا عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي وعن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق البنات لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل
وسورة النور بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا
فيها آيات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة لسورة ويجوز
ان يكون مبتدأ موصوفا والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وفرضناها قرأ ابن كثير وابو عمرو بتشديد
الراء على معنى التكثير اي فرضنا فيها فرائض كثيرة نحو فرضت الفريضة وفرضنا الفرائض فلكثرة المفروض عليهم من
وبعدهم او المبالغة في الفرض وتوكيده والباقون بالتخفيف اي فرضنا العمل اي جعلناها واجبة مقطوعا بها وانزلنا

[illegible]

ومعنى اما الضرورة فلانا لا نسلم ان الايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم قطعا فان الدبر ايضا فرج لان القبل انما سمي فرجا
لما فيه من الانفراج والانفراج حاصل في الدبر فالظاهر ان الفرج عرفا لا يطلق الا على القبل والمرأة والحق ولان الله
قضى الشهوة في محل مشتهى طبعا على جهة الحرام المحض واللواط كذلك لان القبل والدبر في المعاني التي هي متعلق
الشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل سواء ولقائل ان يقول هذا على تقدير تسليم المقدمات قياس في اللغة وفيه ما
والاكثرون من اصحابنا على ان اللواط غير الزنا للعرف ولانه لو حلف لا يزني فلاط لا يحنث وبالعكس والاختلاف الصحابة
في اللواط واما الحديث فمحمول على الاثم بدليل قوله عليه السلام اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله عليه السلام
اليدان تزنيان والعينان تزنيان وللشافعي في حكم اللواط قولان اصحهما انه كالزنا في الحد ان كان محصنا يرجم وان
كان غير محصن يجلد مائة ويغرب عاما والاخر يقتل الفاعل والمفعول به سواء كان محصنا او لا لما روي ابن عباس من عمل عمل قوم
لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ثم في كيفية قتله اوجه منها انه تحز رقبته كالمرتد ومنها يرجم بالحجارة وهو قول مالك
واحمد واسحق ومنها يهدم عليه جدار ومنها يرمى من شاهق جبل حتى يموت يروى ذلك عن علي رضي الله عنه وانما
ذكر هذه الوجوه لانه تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة وعند ابي
حنيفة لا يحد اللائط بل يعزر واما المفعول فان كان بالغا عاقلا طائعا فان قلنا على الفاعل القتل فيقتل المفعول
به على صفة قتل الفاعل المختار وان قلنا على الفاعل حد الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن
وقيل ان كانت امرأة محصنا فعليها الرجم وليس بصحيح لانها لا تصير محصنة بالتمكين في الدبر فلا يجب عليها حد المحصنات
كما لو كان المفعول ذكرا اجمعت الامة على حرمة اتيان البهيمة وللشافعي في عقوبته اقوال احدها يحد حد الزنا
يرجم المحصن ويجلد غير المحصن ويغرب وثانيها انه يقتل محصنا كان او غير محصن لما روي عن ابن عباس انه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه ما عمل بها هذا
العمل كره ان يؤكل لحمها وهو الاصح وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والثوري ان عليه التعزير لان الحد شرع للزجر
عما يميل النفس اليه وهذا الفعل لا تميل النفس اليه وحديث ابن عباس ضعيف اسناده وان ثبت فهو معارض بما روي
انه عليه السلام نهى عن ذبح الحيوان الا لمأكلة والسحق من النسوان واتيان الميتة والاستمناء باليد ليس فيها الا التعزير
البحث عن احكام الزنا كان في اول الاسلام عقوبة الزاني الحبس الى الممات في حق الثيب والاذى بالكلام في حق البكر

قوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ثم نسخ فجعل حد الزنا على الثيب الرجم
وعلى البكر الجلد والتغريب فلنذكرها بين المسلمين واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر
انه عليه السلام فعل ذلك وروى الرجم ابو بكر وعمر وعلي وجابر وابو هريرة وزيد بن خالد وبعض هؤلاء يروي خبر رجم
ماعز وبعضهم خبر اللخمية والغامدية قال عمر رضي الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها في المصحف
وذهب الشافعي الى الجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفة يجلد البكر والتغريب الى رأي الامام وقال مالك يجلد
الرجل ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب اعلم ان قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة مخصوص بغير
المحصن واما المحصن فحكمه الرجم وشرط الاحصان عند الشافعي خمس العقل والبلوغ والحرية والتزوج بنكاح صحيح والدخول
فاذا فقدت واحدة منها فلا احصان وان الاسلام ليس بشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وعند ابي حنيفة
الاسلام شرط لقوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن وقد يقال ان اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بدليل قوله تعالى لتجدن
اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قيل قوله
تعالى الزانية والزاني يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير
المحصن اجيب بان الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة
في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل في الاسم المشترك ولا تأخذكم بهما رأفة قرأ ابن كثير
بفتح الهمزة وحمزة على وزن فعالة والباقون بالسكون والمعنى واحد ولا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها
والخطاب للامام ومن يقوم مقامه اي ليس للسلطان اذا رفعوا اليه ان يدعهم رحمة حتى يقيم عليهم الحد هذا قول مجاهد
وعكرمة وعطاء بن ابي رباح وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وابن زيد وسليمان بن يسار وعليه من الآية ان الله تعالى امر بالجلد
وهو ضرب الجلد كالرأس لضرب الرأس فدل على ان الضرب لا يبلغ اللحم ولا يبرح ولا يبلغ به اللحم روى ابن ابي مليكة
عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر انه حد جارية له فقال للجالد اجلد ظهرها ورجليها واسفلها وخففها فقلت فاين
قول الله سبحانه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها ان الله تعالى امرني ان اضربها وادبها ولم يأمرني ان اقتلها
وقال سعيد بن المسيب والحسن معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا ولكن اوجعوهما ضربا قال الزهري في حد الزنا
والفرية يجتهد ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في حد الشرب والفرية ويجتهد في الزنا وقيل الحق ان الواجب
على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده
وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول
رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به
الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما
بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما والمرأة قاعدة ويجلد الشارب والقاذف وعليهما ثيابهما والزاني يخلع ثيابه الا ازاره
ويجلد ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ
الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وليشهد
عذابهما طائفة وليحضر موضع حدهما طائفة من المؤمنين والطائفة الفرقة التي يمكن ان يكون حلقة واقلها ثلاثة
او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء عن ابن عباس في جماعة ان الطائفة رجل واحد فما فوقه وعن عكرمة رجلان فصاعدا
لان اسم الجمع قد يطلق على الاثنين الزهري ثلاثة لانه الجمع الصحيح ابن زيد اربعة اعتبارا بالشهود ويحتمل ان يراد بهم
الشهود وقيل الطائفة عشرة وقيل ليس بمحصور وفضل قول من قال اربعة لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة
فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود
في النار وقال الشعبي فالنفي تعنيف فعل المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة القوية وهي الرجم والنهي
من الرأفة عن الحلول عنه وامر بشهادة الطائفة للتشهير ويجب ان يكون بحيث يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسا
بتلك المثابة واختصاصها بالمؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قوم اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين
رجلا من المصدقين بالله قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم
ذلك على المؤمنين   ان في الآية سؤالين الاول قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ظاهره خبر ... لان
المؤمن يحل له التزوج بالمرأة الزانية اذا عرفت هذا فقول المفسرين لاجل هذين السؤالين ذكروا وجوها احدها وهو احسنها
قال القفال ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب وذلك ان الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب
في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة
المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين
ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه لما فيه
من التشبه بالفساق وحضوره موضع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها

من التعرض

من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وحرم ذلك على المؤمنين

[illegible]

ذكر الشهود والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وهذا الخبر فيه معنى النهي ولكنه ابلغ واكد كانه
يحملك انه ويحملك الله ابلغ من ليس يحملك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا
يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان
الله غفور رحيم   ظاهر الآية لا يدل على ان الذين يرمون المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا اذ قد يرميها بسرقة وشرب
خمر فلا بد من قرينة دالة على التعيين وقد اتفق العلماء على ان المراد الرمي بالزنا وفي الآية قرائن تدل عليه احدها تقدم
ذكر الزنا وثانيها انه تعالى ذكر المحصنات اللائي هن العفائف فدل ذلك على ان المراد بالرمي رميها بضد العفاف وثالثها قوله
ثم لم يأتوا باربعة شهداء يعني على صحة ما رموا به ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط الا في الزنا ورابعها انعقاد
الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد بالرمي الرمي بالزنا والكلام في هذه الآية يتعلق بالرمي
والرامي والمرمي والفاظ القذف صريح مثل ان يقول يا زانية او زنيت او زنى قبلك او دبرك وكناية مثل ان يقول يا فاسقة يا فاجرة
يا خبيثة يا مؤاجرة ولا تدبيه لا يبيتن ههنا الا يكون قذفا بالزنى وقوله زنى فرجك او ذكرك فيه وجهان احدهما هو كناية لان
حقيقة الزنا من الفرج فلا يكون من سائر البدن الا المعونة وثانيهما وهو الاصح انه صريح لان الفعل انما يصدر من جملة
البدن والفرج آلة في الفعل ولو قال العربي يا نبطي او بالعكس فان اراد النسب فهو قذف لام المقول له وان اراد انه
نبطي الدار او اللسان كان كناية وقال المقول له انه اراد القذف فالقول قوله وتعريض ليس بقذف وان اراده
وذلك بقوله يا ابن الحلال اما انا فلست بزان وليست امي بزانية وهذا قول الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف ومحمد
والثوري وقال مالك يجب الحد وقال احمد واسحاق هو قذف في حال الغضب دون حال الرضى وللقائل ان يقول ان التعريض
بالقذف محتمل للقذف ولغيره فوجب ان لا يجب الحد لان الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولقوله صلى الله
عليه وسلم ادرؤوا الحدود بالشبهات واحتج المخالف بما روى الاوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال كان عمر يضرب
الحد في التعريض وروي ايضا ان رجلين استبا في زمن عمر فقال احدهما للآخر والله ما انا بزان ولا امي بزانية فاستشار
عمر الناس في ذلك فقال قائل مدح اباه وامه وقال آخرون قد كان لابيه وامه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واجيب بان
مشاورة عمر الصحابة في حكم التعريض دلالة على انه لم يكن عندهم توقيف وانه قاله رأيا واجتهادا اذا قذف شخصا واحدا
مرارا فان اراد بالكل زنية واحدة زنيت بفلان لزمه الا حد واحد ولو انشأ الثاني بعدما حد للاول لزمه
وان قذفها بزنائين مختلفين بان قال زنيت بزيد ثم قال زنيت بعمرو فهل يتعدد الحد ام لا فيه قولان احدهما يتعدد اعتبارا
باللفظ ولانه من حقوق العباد فلا يتداخل كالديون والثاني وهو الاصح يتداخل فلا يجب الا حد واحد لانهما حدان

كذبت ان الله لا يفضح عبده اول مرة عن الحسن البصري قوله والذين يرمون المحصنات يقع على الرجال والنساء بلا
انكر واذ قد تقرر ان جمع المذكر لا يتناول الاناث وكذا جمع المؤنث لا يتناول الذكور بل الاجماع انه لا فرق فيها بين الرجال والنساء
في قذف غير المحصن لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فانه حينئذ لا حد ولا تعزير فهنا
مجموع الكلام في تفسير قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء على الزنا قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم وقال تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء وان سعد بن عبادة
يا رسول الله ارايت ان وجدت مع امراتي رجلا اضرب حتى اتي باربعة شهداء قال نعم ولو قذف بالزنا هل يثبت قذفه بشهادة
رجلين فيه قولان الاول لا يثبت الا باربعة والثاني يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لانه فعل يوجب الاطلاع عليه ولو كان احد الاربعة
زوج المراة يعتبر عند ابي حنيفة ولا يعتبر عند الشافعي واذا شهدوا على فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني ومن زنى بها لانه
قد يرى على جارية ابنه فيظنه زنا ويجب ان يشهدوا انا رايناه ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا مطلقا
انه زنى لا يثبت لانهم ربما يرون المفاخذة زنا بخلاف ما اذا قذف انسانا وقال انه زنى يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على
نفسه بالزنا هل يشترط ان يستفسر وجهان احدهما نعم كالشهود والآخر لا كما في القذف قال الشافعي لا فرق بين ان يجيء
الشهود الى الحاكم مجتمعين او متفرقين لان الاتيان بالاربعة اعم من ان يكونوا مجتمعين او متفرقين ولانه حكم يثبت بشهادة الشهود
فيثبت بشهادتهم متفرقين كسائر الاحكام ولانهم اذا جاؤا متفرقين كان ابعد من التهمة ولهذا قيل اذا وقع ريبة
للقاضي في شهادة الشهود فرقهم وقال ابو حنيفة واصحابه يحضرون في مجلس واحد وان دخلوا متفرقين كانوا
قذفة لان الشاهد الاول لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة شهداء فوجب عليه الحد لقوله والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم اقصى ما في الباب انه عبر عن ذلك القذف بلفظ الشهادة وذلك لا عبرة به لانه
يؤدي الى اسقاط حد القذف اذ لا قاذف لا يعجز عن لفظ الشهادة فيجعل ذلك وسيلة الى اسقاط الحد
عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف ولما روي ان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر رضي الله عنه ثلاثة
فقال رابعهم رايت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة
ولم يسئل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف اذ الحد مما يتوقف فيه او يحتاط ولو شهد على الزنا
اقل من اربعة لا يثبت الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان احدهما لا يجب لانهم جاؤا مجيء الشهود ولانا لو حددنا
لانسد باب الشهادة على الزنا لان كل واحد لا يامن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد وثانيهما وهو الاصح وبه قال ابو حنيفة
يجب عليهم الحد واذا قذف رجل فجاء باربعة فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط الحد عن القاذف
ولا يجب على الشهود وقال الشافعي في احد قوليه يحدون وجه ابي حنيفة والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة
شهداء وهنا قد اتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد ولان الفاسق من اهل الشهادة وقد وجدت شرائط الشهادة بالزنا
من اجتماعهم عند الحاكم الا انه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة كما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك
وجب اعتبارها في نفي الحد عنهم وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين بالشرائط المعتبرة في قبول الشهادة فجرى مجرى
ان لا يكونوا شهداء ويبقى محض القاذفين فهذا آخر الكلام في تفسير قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة المخاطب هو الامام ومن يقوم مقامه وهم ضمير القاذفين يخص من عموم هذه الاية صور منها اذا كان القاذف
اصل المقذوف لا يحد بقذف فرعه كما لا يقتل بفرعه قصاصا واذا كان القاذف رقيقا او مكاتبا او ام ولد او مبعضا فالواجب
جلد اربعين وقال الشافعي حد القذف يورث فاذا مات المقذوف قبل استيفاء الحد وقبل العفو يثبت لوارثه
حد القذف وكذا اذا كان الواجب بقذفه التعزير يورث عنه وكذلك لو انشأ القذف بعد موت المقذوف يثبت لوارثه
طلب الحد وعند ابي حنيفة الحد لا يورث ويسقط بالموت حجة الشافعي ان حد القذف حق الادمي لانه يسقط بعفوه
ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف فيه المدعى عليه اذا انكر فوجب ان يورث لقوله عليه السلام من ترك حقا فلورثته حجة ابي حنيفة
انه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة نصيب فيه ولانه حق ليس بمالي فلا يورث كالوكالة والجواب عن الاول ان الاصح
عند الشافعي انه يرثه جميع الورثة كالمال وفيه وجه انه يرثه كلهم الا الزوج والزوجة لان الزوجية تنقطع بالموت والمقصود
من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجة واذا قذف انسانا بين يدي الحاكم او قذف امراته برجل بعينه
والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بان فلانا قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال
على آخر وهو لا يعلم يجب عليه اعلامه وعلى هذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبر المراة ان فلانا قذفها قال
الشافعي وليس للامام اذا رمي رجل بزنا ان يبعث اليه فيسأله عن ذلك لان الله قال ولا تجسسوا ويستحب للمقذوف
ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد وللامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله
تعالى قبل ثبات الحد ثمانين نصب على المصدر وجلدة نصب على التمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال اكثر الصحابة
والتابعين انه اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولان
الكافر يقبل الشهادة فالتائب كذلك ولان الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته لان القذف مع الاسلام اهون
حالا منه مع الكفر فان قيل المسلمون لا يعيرون بسب الكافر لانهم شهروا ابدا وتعمدوا الطعن فيهم بالباطل
فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فيشدد على القاذف من المسلمين ردعا
وكفا عن الحاق الشنار قلت يجاب ان هذا الفرق ملغى لقوله عليه السلام انبئهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولان التائب

القاذف ٢

بالاتفاق فالقاذف المسلم اذا تاب عن القذف وجب ان تقبل شهادته ٢

الكم في القتل في الزنا مقبول الشهادة بالاتفاق فكذا التائب عن القذف واذا تاب قبل الحد قبلت
شهادته فبعد الحد اولى بالقبول لان الحد حد المقذوف فلا يزول بالتوبة فلان تقبل شهادته اذا تاب بعد ما
حد وقد حسنت حاله قبل الاثم الفسق كان اولى وعند ابي حنيفة رد شهادة القاذف معلق باستيفاء الحد
فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رد شهادته
متعلق بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة جعل
جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو
مدة حياتهم وجعل قوله اولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين
عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم
والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا وهما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وقوله واولئك هم الفاسقون
وابو حنيفة جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا وهما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وقوله اولئك هم الفاسقون وعند
ابي حنيفة جزاء الشرط الاوليان وهما قوله فاجلدوهم وقوله ولا تقبلوا وعند الشافعي الاوليان مع الثالثة
الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة
الثالثة لان الاستثناء الواقع عقيب جمل متعاطفة بعضها على البعض بالواو عائد على الجميع سواء كانت الجمل من
جنس واحد او من اجناس مختلفة اللهم الا اذا كان قرينة مانعة من العود الى الجميع وعند ... لا يعود الى الجميع
بل الى ما لم يمنعه مانع من العود اليه وههنا المانع متحقق عن العود الى الاول وهو قوله فاجلدوهم لانه حق الادمي
وهو لا يبطل بالتوبة وعند ابي حنيفة الاستثناء عائد الى قوله واولئك هم الفاسقون قال صاحب الكشاف
والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات
فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله
يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين وما ذكر صاحب الكشاف صحيح موافق لما ذهب اليه الشافعي
من عود الاستثناء الى الجمل الثلاث فانه وان كان الاصل كذلك لكن يعدل عنه الا عند وجود المانع وههنا تحقق
المانع لما ذكرنا واولئك هم الفاسقون يدل على ان القذف من جملة الكبائر الا الذين تابوا قال الشافعي
التوبة من القذف اكذابه نفسه قال الاصطخري معناه ان يقول كذبت فلا اعود لمثله وقال ابو اسحق لا يقول كذبت
لانه ربما كان صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية اخرى بل
يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه والاولى ان يقال انه في نفسه يعلم انه كاذب او صادق
فان كان كاذبا فيقول كذبت وان كان صادقا يقول القذف باطل واصلحوا قال اصحابنا انه بعد التوبة لا بد من مضي
مدة عليه في حسن الحال حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ثم قدروا تلك المدة سنة حتى تمر عليها الفصول
الاربعة التي تتغير فيها الاحوال والطباع كما يضرب للعنين اجل سنة وقد علق الشرع احكاما بالسنة من الزكوة
وغيرها فان الله غفور رحيم يقبل التوبة قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء
الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم لما ذكر احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف الازواج
روى عكرمة عن ابن عباس لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل
لم يكن لي ان اهيجه ولا احركه حتى اتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لاتي باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب فان قلت
ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول
سيدكم قالوا لا تلمه يا رسول الله فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها
فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له
يقال له هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت عشاء فوجدت رجلا مع اهلي رايت بعيني وسمعت باذني
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني
لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني صادق وما قلت الا حقا واني لارجو ان يجعل الله فرجا فهم
رسول الله بضربه واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد ايجلد هلال وتبطل شهادته وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل عليه فانزل الله والذين
يرمون ازواجهم الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجا فقال قد كنت ارجو
ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل
لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بابي
انت وامي لقد صدقت وما قلت الا حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات

فاذا استوفي الفسق لشهادته

بالله انه

بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب
الله اشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها
كما لم يجلدني عليها رسول الله فشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت
بالله انه لمن الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة فوقفها
اتقي الله فان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله
لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد
لها ولا يدعى لاب ولا ترمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه وان جاءت
به كذا وكذا فهو لزوجها قال فجاءت به غلاما كان جمل اورق على اشبه المكروه وكان بعد اميرا بمصر لا يدرى من ابوه وقال
ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قراها النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان دخل رجل منا مع امراته رجلا ثم
بما راى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته ابدا فكيف لنا بالشهداء ولكن اذا التمسنا الشهداء
كان الرجل فرغ من حاجته ومر وكان لعاصم بن عم يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما
فقال لقد رايت شريك بن سحماء على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة
الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سالت في الجمعة الماضية في اهل
بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال اخبرني عويمر انه راى شريك بن سحماء على بطن امراته خولة
وكان عويمر وشريك ابني عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك
وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة
اشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله
ان ابن سحماء كان ياتينا فينزل بنا فيتعلم شيئا من القران فربما بيته عندي وخرج زوجي ولم يكن علي ساعة من ليل فلا
ادري ادركته الغيرة او بخل علي بالطعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا شريك فقال ما اقول لها
المراة فانزل الله الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلوة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقل
اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن
الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اني ما قربتها
منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال
اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد
انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت
في الرابعة اشهد بالله انه ما راني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة يعني
نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها راي ثم قال
تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به اورق جعدا حمش الساقين
فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون
ازواجهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء اي يشهدون على صحة ما قالوا
الا انفسهم رفع بالبدل من الشهداء فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين قرا حمزة والكسائي وحفص عن
عاصم اربع بالرفع والخبر فشهادة احدهم التي تدرا عنه حد القذف اربع شهادات والباقون بالنصب لانه في حكم المصدر
الذي هو شهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر اي فواجب شهادة احدهم اربع شهادات والخامسة قرا حفص عن عاصم
والخامسة نصبا على معنى وتشهد الخامسة على نصب اربع شهادات ان لعنة الله ان غضب الله بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع لعنة
القادر غضب وفتح الباء والباقون ان غضب الله بتشديد النون فيهما ونصب لعنة وغضب اذا رمى الرجل امراته
بالزنا يجب عليه الحد ان كانت المراة محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي لا يختلف غير انهما يختلفان في المخلص في
قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف بالزنا او بينة القاذف على انها زنت وفي قذف الزوجة
يسقط عنه الحد باحد الامرين او باللعان وانما اعتبر الشرع اللعان في هذه الصورة دون الاجنبيات لوجهين الاول
ان لا معرة عليه في زنا الاجنبية والاولى له ستره اما في زوجته فيلحقه العار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه
وتوقيفه على البينة كالمتعذر فلاجرم خص الشرع هذه الصورة باللعان الثاني ان الغالب في حال الرجل مع امراته
انه لا يقصدها بالقذف الا عن حقيقة فاذا رماها فنفس الرمي يشهد بكونه صادقا الا ان شهادة الحال ليست بكاملة
فضم اليها ما يقويها من الايمان كشهادة المراة لما ضعفت قويت بزيادة العدد والشاهد الواحد يتقوى باليمين قيل
كان حد قاذف الاجنبيات والزوجات الجلد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن امية حين قذف امراته
ائتني باربعة يشهدون لك والا فحد في ظهرك فهل يثبت بهذا ان حد القاذف للزوجة كان كحد الاجنبيات الا انه نسخ
عن الازواج الجلد باللعان فدل هذا على ان حد القاذف للزوجة كان الجلد وان الله نسخه باللعان وقال الشافعي
اذا قذف الرجل زوجته فالواجب هو الحد لكن المخلص منه اللعان كما ان الواجب بقذف الاجنبية الحد والمخلص منه

اربع شهادات ٢

اشهد بالله اني ٢

ثم قال ٢

وقال ٢

والعامل في المصدر ٢

بالشهود فاذا نكل الزوج عن اللعان يلزمه الحد حد القذف فاذا لاعن ونكلت المرأة عن اللعان يلزمها حد الزنا وقال
ابو حنيفة اذا نكل الزوج عن اللعان حبس حتى يلاعن وكذا المرأة اذا نكلت حبست حتى تلاعن حجة الشافعي وجوه
منها ان الله تعالى قال في اول السورة والذين يرمون المحصنات يعني من الزوجات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ثم عطف عليه حكم الازواج فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الاية فكما ان
مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان بالشهود او الجلد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد ومنها قوله
تعالى ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله والالف واللام في العذاب لا تفيدان العموم لانه لا يجب عليها
جميع انواع العذاب فوجب صرفهما الى المعهود السابق والمعهود السابق هو الحد فثبت انها لو لم تلاعن لحدت وانما باللعان
دفعت الحد فان قيل المراد بالعذاب الحبس قلنا جوابا قد بينا ان الالف واللام للمعهود المذكور فلو حملناه على الحد لم يصر
الاية مجملة ولو حملناها على الحبس يصير الاية مجملة لان مقدار الحبس غير معلوم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لخولة فالرجم
اهون عليك من غضب الله وهو نص في الباب حجة ابي حنيفة ان المرأة ما فعلت شيئا الا انها تركت اللعان وهذا الترك ليس
بينة على الزنا ولا اقرار منها فوجب ان لا يجوز رجمها لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الحديث واذا لم يجب الرجم اذا
كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصنة لانه لا قائل بالفرق وثانيها ان النكول ليس بصريح الاقرار فلم يجب اثبات الحد به
كاللفظ المحتمل للزنا وغيره قال الجمهور واذا قال الزوج لها يا زانية وجب اللعان وقال مالك لا يلاعن الا ان يقول رايتك
تزنين او ينفي حملا لها او ولدا منها وقال الشافعي من صح يمينه صح لعانه فيجري اللعان بين الرقيقين والذميين والمحدودين
وكذا اذا كان احدهما وان كان الزوج مسلما والمرأة ذمية وقال ابو حنيفة قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا
غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول يا زانية
او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وان لم
ترافعه الى الامام لم يجب اللعان ثم زعم ان الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل الشهادة يصح لعانهما وقيل انه قال
ابو حنيفة لا يصح اللعان في صورتين احداهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب على قاذفها الحد اذا كان اجنبيا نحو ان تكون
الزوجة مملوكة او ذمية والثاني ان يكون احدهما من غير اهل الشهادة بان يكون
محدودا في قذف او عبدا او كافرا وجه قول الشافعي ان المقصود دفع العار عن النفس ودفع ولد الزنا وكما لا يختلف
غير المحدود فكذا المحدود وايضا اجمعنا على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول
في غيره والجامع هو الحاجة الى دفع عار الزنا وجه قول ابي حنيفة النص والمعنى اما النص فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص
انه عليه السلام قال اربع من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة اليهودية تحت المسلم والنصرانية تحت المسلم والحرة
تحت المملوك والمملوكة تحت الحر واما المعنى فنقول اما في الصورة الاولى فلانه لو كان الواجب على قاذف الزوجة والاجنبية
الحد بقوله والذين يرمون المحصنات ثم نسخ ذلك عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان في الازواج قائما
مقام الحد في الاجنبيات لم يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها واما في الصورة الثانية فالوجه ان اللعان
شهادة لانه تعالى قال ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات فسمى الله اللعان شهادة
كما قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم وثانيها انه حين لاعن بين الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر
على لفظ اليمين واذا ثبت ان اللعان شهادة وجب ان لا يقبل من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر اما للاجماع على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قائل بالفرق وحجة
الشافعي ان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين لانه لا يجوز ان يشهد الانسان لنفسه ولانه لو كان شهادة لكانت
المرأة تأتي بثمان شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمى والفاسق ولا يجوز شهادتهما فان قيل الفاسق قد
يتوب قلنا وكذلك العبد قد يعتق فيجوز شهادته ثم اكد الشافعي ذلك بان العبد اذا عتق تقبل شهادته في الحال ثم الزم ابا حنيفة
ان شهادة اهل الذمة مقبولة بعضهم على بعض فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي والذمية هذا كلام الشافعي ثم قال
بعد ذلك ويختلف الحد ولا يختلف اللعان ومعناه ان الزوج اذا لم يلاعن ينصف حد القذف عليه برقه وان لم يلاعن
اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها وقال الشافعي يتعلق باللعان خمسة احكام درء الحد ونفي الولد والفرقة
والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها اختلف المجتهدون في وقوع الفرقة باللعان على اربعة اقوال احدها قال عثمان
البتي لا ارى ملاعنة امرأته ينقص شيئا وثانيها قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا تقع الفرقة بفراغهما من اللعان حتى
يفرق الحاكم بينهما وثالثها قال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم ورابعها قال الشافعي
اذا اكمل الزوج الشهادة فقد زال فراش امرأته ولا تحل له ابدا حجة عثمان البتي وجوه احدها ان اللعان ليس بصريح
ولا كناية عن الفرقة فوجب ان لا يفيد الفرقة كسائر الاقوال التي لا اشعار لها بالفرقة لان اكثر ما فيه ان يكون الزوج
صادقا في قوله وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاما اذا كان كاذبا فالمرأة ما
فعلت شيئا وثانيها لو تلاعنا فيما بينهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم وثالثها ان اللعان قائم مقام الشهود في قذف
الاجنبيات وكما انه لا فائدة في احضار الشهود هناك الا اسقاط الحد فكذا اللعان لا تأثير له الا اسقاط الحد
واما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان في قصة العجلاني وكان قد طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما
واما قول ابي حنيفة وهو ان الحاكم يفرق بينهما فلا بد من بيان امرين احدهما انه يجب على الحاكم ان يفرق بينهما ودليله ما روى

سهل بن سعد في قصة العجلاني فمضت السنة في المتلاعنين ان يفرق الحاكم بينهما والثاني ان الفرقة لا تحصل
الا بحكم الحاكم بينهما والثاني ان الفرقة لا تحصل الا بحكم الحاكم واحتج ابو حنيفة عليه بوجوه احدها ما روي في قصة عويمر
انهما لما فرغا قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلاثا فطلقها ثلاثا قبل ان يأمره والاستدلال به
من وجوه احدها انه لو وقعت الفرقة باللعان لبطل قوله كذبت عليها ان امسكتها لانه غير ممكن وثانيها ما روي في هذا الخبر
انه طلقها ثلاثا فانفذه رسول الله وتنفيذ الطلاق انما يمكن لو لم تقع الفرقة بنفس اللعان وثالثها ما قال سهل بن سعد مضت
السنة ولو كانت الفرقة واقعة باللعان لاستحال التفريق بعدها وثانيها قال ابو بكر الرازي قول الشافعي خلاف
الاية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج للاعنت المرأة وهي اجنبية وذلك خلاف الاية انما اوجب اللعان بين الزوجين وثالثها
ان اللعان شهادة لا يثبت حكمها الا عند الحاكم فوجب ان لا توجب الفرقة الا بحكم الحاكم كما لا يثبت الشهود به الا بحكم
الحاكم ورابعها اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعي بالبينة فلما لم يجز ان يستحق المدعي مدعاه الا بحكم
حاكم وجب مثله في استحقاق المرأة نفسها وخامسها ان اللعان لا اشعار فيه لان اكثر ما فيها انها لو قامت
البينة على زناها او هي اقرت بذلك كان كذلك لا يوجب التحريم فكذا اللعان واذا لم يحصل فيه دلالة التحريم وجب
ان لا يقع الفرقة فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج او من قبل الحاكم اما قول مالك والليث وزفر فحجتهما انهما لو تراضيا
على البقاء على النكاح لم يخليا بل فرق بينهما فدل على ان اللعان اوجب الفرقة اما قول الشافعي فله دليلان الاول قوله
تعالى ويدرأ عنها العذاب ان تشهد الاية فدل هذا على انه لا تأثير للعان المرأة الا في دفع العذاب عن نفسها وكل ما يجب
باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج الثاني ان لعان الزوج وحده مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون الاعتبار
بقوله في الالحاق لا بقولها الا انفاء ما في لعانها الحاق الولد به ولكن بنفيه عنه فيعتبر نفي الزوج لا الحاق المرأة ولهذا
اذا اكذب الزوج نفسه الحق به الولد ما دام يبقى شيء من احكام اللعان فالولد منفي عنه فثبت ان لعانه مستقل بنفي الولد
وجب ان يكون مستقلا بالفرقة لو لم تقع لم ينتف الولد لقوله عليه السلام الولد للفراش فما دام يبقى الفراش لم ينتف الولد
واما الاخبار التي تمسك بها ابو حنيفة فالمراد بها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن وقوع الفرقة وحكم بها وذلك لا
ينافي ان يكون المؤثر في الفرقة شيئا آخر واما الاقيسة التي ذكرها فمدارها على ان اللعان شهادة وليس الامر كذلك
بل هو يمين على ما بيناه واما قوله اللعان لا اشعار فيه بوقوع الحرمة قلنا بينا تعلقه بنفي الولد فيتضمن نفي عاقبة النكاح
وقال الشافعي ومالك وابو يوسف والثوري والحسن المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وقال
ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد حجة الشافعي امور احدها قوله صلى الله
عليه وسلم للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة
لردها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بها كما قال في المطلقة ثلاثا فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وثانيها ما روي
عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا وهذا قد روي ايضا مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثالثها ما روى الزهري عن سهل بن سعد في قصة العجلاني فمضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق
بينهما ثم لا يجتمعان حجة ابي حنيفة قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم قال الشافعي لو اتى احدهما
ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وقال ابو حنيفة اكثر كلمات اللعان يعمل عمل الكل اذا حكم به الحاكم والظاهر يدل على قول الشافعي
لانه يدل على انها لا تدرأ عنها العذاب الا بتمام ما ذكر الشافعي ومن قال بخلاف ذلك فانما يقوله بدليل منفصل
والاية دالة على كيفية اللعان صريحا فيبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا
ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا ثم تقول المرأة اربع مرات اشهد بالله
انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به
من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع
يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله ويلاعن بمكة
بين المقام والركن وبالمدينة عند المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وان لم يكن
دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام واما الزمان فيوم الجمعة
بعد العصر ولا بد من حضور جماعة من الناس وخصت الملاعنة بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ولولا فضل الله
عليكم ورحمته المراد من الحكم الرافع للمحصنات عن الازواج على ما ذكر من الرحمة والنعمة لا خفاء به فانه جعل اللعان لكم
الحد ادرؤها سبيلا الى دفع العذاب عن نفسها بيمينها وقوله لولا فضل الله عليكم ورحمته عظم نعمته فيما بينه من هذه
الاحكام وفيما امهل وابقى ومكن من التوبة ولا شك ان في الكلام حذفا وجوابه لولا متروك وتركه دال على امر عظيم
لكنه رب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم
بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم الكلام في هذه الاية
من وجهين احدهما تفسيرها والثاني سبب نزولها فاعلم ان الله ذكر في هذه الاية ثلاثة اشياء اولها انه حكى الواقعة
فقال ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم والافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى
يفجأك واصله الافك بالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى اجئتنا لتأفكنا
عن آلهتنا واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة جماعة يتعصبون منكم يعني من المسلمين

وهم عبد الله بن ابي رأس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
لا تحسبوه اي لا تحسبوا الافك اي القذف والمجيء بالافك او ما نالكم من الغم والخاطبون هم المؤمنون الذين
ساءهم ذلك وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل شرا لكم بل هو خير لكم
لان الله يأجركم على ذلك الاجر العظيم ويظهر كرامتكم بانزال ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن
تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية واحكام وآداب لا
تخفى على متأمليها لكل امرئ منهم اي من الذين جاءوا بالافك ما اكتسب من الاثم جزاء ما اجترح من الذنب والمعصية وقيل
لكل امرئ جزاء ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه لان بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم فيه والذي
تولى كبره عظمه وبدأ به وهو عبد الله بن ابي عظيم عذاب عظيم لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه
الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار
خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لانه تولى كبره ومعظم الشر كان منه فروي عن عائشة رضي الله عنها قالت فحدث
الافك ثم ركبت وصفوان بن المعطل آخذ بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين وكان عادتهم ان ينزلوا منتبذين من الناس
فقال عبد الله بن ابي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل
حتى اصبحت ثم جاء يقودها وقيل الذي تولى كبره هو حسان بن ثابت عن عامر الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت ما سمعت
بشيء احسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لابي سفيان ۞ هجوت محمدا فاجبت عنه ۞ وعند الله في
ذاك الجزاء ۞ فان ابي ووالده وعرضي ۞ لعرض محمد منكم وقاء ۞ اتشتمه ولست له بكفو ۞ فشركما لخيركما الفداء ۞
لساني صارم لا عيب فيه ۞ وبحري ما تكدره الدلاء ۞ فقلت يا ام المؤمنين اليس هذا يقول الله والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم قالت اليس قد اصابه عذاب عظيم اليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف وعن مسروق قال كنت عند
عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فامرت فالقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة رضي الله عنها
تأذنين لهذا الرجل يدخل عليك وقد قال ما قال وانزل الله عز وجل فيه والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت
واي عذاب اشد من العمى ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره وقالت انه كان ينافح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ۞
لولا اي هلا للتحضيض اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا وقيل اراد بانفسهم اهاليهم وازواجهم وقيل اراد بهذا ابا ايوب الانصاري وامرأته
ام ايوب فعن ان ابا ايوب قالت له امرأته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها
قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك
سبحان الله هذا بهتان عظيم فانزل الله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات كما ظن ابو ايوب وصاحبته
وكما قالا رضي الله عنهما وقيل معناه هلا ظننتم بها ما تظنون بالرجل لو خلا بامه وبالمرأة لو خلت بابنها لان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن امهات المؤمنين فان قيل هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم
ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر اجيب بانه ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ
الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتضيا ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن
وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه
بالمؤمنين الخير وقالوا هذا افك مبين بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال
وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات
وقالوا هذا افك مبين ظاهر واما قصة الافك فعلى ما روى ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب
وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة ام المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
لها اهل الافك ما قالوا فبرأها الله منه قال الزهري وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها
من بعض واثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضا ذكروا ان
عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة
غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الله آية الحجاب فانا احمل في هودجي
وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ودنونا من المدينة اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست
صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي
فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه قالت وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن
ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين حملوه ورفعوه وكنت جارية حديثة
السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي

الذي كنت

شرا لكم

لكل امرئ منهم ٢

وقيل بانفسهم باخوانهم الحسن اهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة نظيره فيه ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم ٢

الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم
فاتاني فعرفني حين رآني وكان يعرفني قبل ان يضرب علي الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت
وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة
حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله
بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يخوضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء
من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي
انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما
نقهت وخرجت ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا فلا نخرج اليه الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف وامرنا
امر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن
عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة فاقبلت انا وابنة
ابي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين
رجلا شهد بدرا قالت اي هنتاه او لم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا
الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت اتأذن لي ان آتي ابوي قالت وانا
اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوي فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس
فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قلت
نعم فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب رضي الله عنه واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه لهم فقال يا رسول الله اهلك ولا نعلم
الا خيرا واما علي رضي الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من امر عائشة قالت لا والذي
بعثك بالحق ان رأيت عليها امرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن
فتأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول فقال وهو على المنبر يا معشر المسلمين
من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهلي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا
وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس
ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان
رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله فقال لسعد والله لنقتلنك فانك منافق
تجادل عن المنافقين وروي انه قام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله
لنقتلنه فانك منافق فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم وابواي يظنان ان
البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي استأذنت علي امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست
تبكي معي فبينا نحن كذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل
في ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما
بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل وان كنت الممت بذنب فاستغفري
الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته
قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت لابي اجب عني رسول الله فيما قال فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت لامي اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ من القرآن كثيرا اني والله لقد عرفت انكم سمعتم هذا حتى استقر
في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة
لتصدقوني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل
في شأني وحي يتلى ولشأني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل
البيت احد حتى انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه
ليتحدر منه مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قال ابشري يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله سبحانه
هو الذي انزل براءتي قالت فانزل الله هذه الآيات لبراءتي قالت فقال ابو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره

سبحان الله او لقد تحدث الناس بهذا قالت

تجادل عن المنافقين ٢

والله لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا
تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر رضي الله عنه والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق
عليه وقال لا انزعها منه ابدا قالت عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش زوج
النبي صلى الله عليه وسلم ما علمت او رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة رضي الله
عنها وهي التي كانت تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت حمنة تحارب لها فهلكت
فيمن هلك قال الزهري فهذا ما انتهى الينا من هؤلاء الرهط وامر رسول الله بالذين رموا عائشة رضي الله عنها فجلدوا
الحدود جميعا ثمانين ثمانين قوله تعالى لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون لولا جاؤوا واستفعل بقوله وقالوا هذا افك مبين والكل متصل بلولا اي هلا قالوا والمعنى هلا جاؤوا
لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذا لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون اي في حكمه وشريعته هذا
القذف كذب بين هلا جاء العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة باربعة شهداء يشهدون بانهم عاينوا ما
رموها به فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله في حكمه هم الكاذبون جعل الله الفيصل بين الرمي الصادق
والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة
وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ عظيم وتعنيف شديد للذين سمعوا الافك فلم يجدوا
في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل
به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم ولولا لامتناع الشيء لوجود غيره اي لولا اني قضيت ان اتفضل عليكم وفضله
عليكم في الدنيا بضروب من النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ارحمكم في الاخرة بالعفو والمغفرة
لمسكم فيما افضتم اي خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض عذاب
عظيم في الدنيا والاخرة وقيل لعاجلكم في العذاب قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ثم ذكر الوقت الذي يصيبهم العذاب لولا فضله اذ
لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم
من ربه كلمات وكان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا فيتلقاه بعضهم من بعض وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم من غير ان تعلموا انه حق ومعنى قوله بافواهكم ما ليس لكم به علم من غير ان تعلموا المحق ومعنى قوله بافواهكم
ان القول لا يكون الا بالفم ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا
يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
وتحسبونه القذف هينا اي قذف عائشة رضي الله عنها هينا وهو عند الله عظيم فان القذف من الكبائر
اذا كان القذف في امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله وصفهم بارتكاب ثلاثة اثام وعلق مس العذاب العظيم
بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل يقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر
فلم تبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيم قوله
تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ولولا وهلا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لا يحل لنا ان نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
للتعجب من عظم الامر اي التعجب ممن يقول ذلك هذا بهتان عظيم والبهتان كذب يواجه به المؤمن فيحيره وقيل
معنى سبحانك ههنا تعاليت وتنزهت عن ان يقال في رسولك هذا البهتان العظيم وجاز الفصل بين
لولا وقلتم بالظرف لان الظرف شانا وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها
وكذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها والفائدة في تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا
بالافك من التكلم فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ومعنى يكون والكلام بدونه تام لو قيل ما لنا ان نتكلم
ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ومعنى التعجب
في كلمة التسبيح الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب
منه قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين يعظكم الله فيها كيما ينهيكم
ان تعودوا اي كي لا تعودوا لمثله اي لمثل هذا الحديث من القذف والخوض فيه والجلوس مع القاذف واستماع
حديثه ابدا ان كنتم مؤمنين جزاؤه مضمر اي ان كنتم مؤمنين فاتعظوا ولا تعودوا الى مثله وقيل يعظكم
الله فان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا مادام احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل قبيح قوله تعالى
ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ويبين الله لكم الايات الدالة على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع
ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عليم بامر عائشة رضي الله عنها وصفوان بن

المعطل

المعطل حكيم ببراءتهما وقيل عليم بكل شيء حكيم يفعله كل شيء كما ينبغي قوله تعالى ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم هدد القاذفين
بقوله ان الذين يحبون ان تشيع تظهر وتفشو وتذيع الفاحشة المفرطة في القبح يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة
وارادة ومحبة لها في الذين امنوا لهم عذاب في الدنيا بالحد وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي
وحسانا ومسطحا وفي الاخرة بالنار والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه تعالى قد علم
محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم
ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة
وكذلك في الرؤوف الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله
سميع عليم • لا تتبعوا خطوات الشيطان اي تزيينه وقذف عائشة ما زكى منكم من احد قيل انه عام في الخلق
وقيل انه خاص في المتكلمين في الافك ما زكى قيل ما اهتدى وقيل ما اسلم وقيل ما صلح وقيل ما طهر منكم احد ابدا الا
من دنس الافك ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من الاثم بالتوبة والغفران وقد شاء ان يتوب عليكم والله سميع لمقالتكم
عليم بما في انفسكم من التوبة والندامة قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي
القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم قيل
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان ينفق على مسطح لقرابته وفقره فلما خاض في امر عائشة رضي الله عنها قال
ابو بكر والله ما انفق عليه شيئا ابدا فنزلت هذه الاية ولا ياتل ولا يحلف يفتعل من الالية وهي القسم ولو الفضل
اولوا الفضل منكم والسعة الجدة والمراد به ابو بكر ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني
مسطحا وان كان بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفها فليعفوا وليصفحوا وليفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بهم ربهم
مع كثرة خطاياهم وذنوبهم الا تحبون ان يغفر الله لكم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا عن ابن عباس رضي الله
عنهما اقسم ناس من الصحابة فيهم ابو بكر رضي الله عنه ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم
فانزل الله هذه الاية قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم
عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون
ان الله هو الحق المبين • قيل نزلت في عائشة رضي الله عنها خاصة وقيل انها نزلت في المهاجرات وكانت المراة اذا
خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر فنزلت هذه الاية وقيل انها عامة
في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرات وغيرهن وانما اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال لان من رمى مؤمنة
فلا بد ان يرمي معها مؤمنا فاستغنى عن ذكر المؤمنين ومثله سرابيل تقيكم الحر اراد والبرد الغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن
لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله
عليه السلام اكثر اهل الجنة البله يوم تشهد عليهم حمزة والكسائي وخلف بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق اعلم
انك لو قلبت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها
ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك
واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب متفننة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث
لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم
تشهد عليهم بما افكوا به وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز
في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما
ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات
فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك
ولقد برا الله تعالى اربعة باربعة برا الله يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى عليه السلام من قول اليهود فيه
بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم عليها السلام بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عائشة رضي الله عنها بهذه
الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذلك
الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة
الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من
ايات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عائشة
هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن عائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان

كما كانت تدعي من نص الحبيبين فدخل زاده وعبد الله بن الزبير واشباعه وكان امداده يكنونه بخبيب ابنه وكنيته المشهورة
ابو بكر الا انه منافق لانيم وذلك في الصفة قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قيل الكلمات الخبيثات لا يتكلم
بها الا الخبيث من الرجال والنساء والكلمات الطيبات لا يتكلم بها الا الطيبون من الرجال والنساء والكلمات
الطيبات لا يتكلم بها الا الطيبون من الرجال والنساء وقيل الكلمات الخبيثات انما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء
واما الطيبات والطيبون فلا يصلح ان يقال في حقهم الا الطيبات وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من
الرجال والطيبات من النساء للطيبين من الرجال وقيل الخبيثات من الاعمال للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس
للخبيثات من الاعمال وكذلك الطيبات اولئك يعني عائشة وصفوان مبرؤن منزهون مما يقولون من الفرية لهم مغفرة
لذنوبهم ورزق كريم في الجنة وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام
بصورتي في راحته حين امر ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد
قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه
الوحي وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب
ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع
لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون روي ان جاءت امرأة من الانصار فقالت يا رسول الله اني اكون في بيتي
على حال لا احب ان يراني عليها احد ولا ولد فلا يزال يدخل علي رجل من اهلي فنزلت هذه الآية فقال ابو بكر بعد نزولها يا رسول الله
ارايت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة ومعنى قوله لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا اي الاستئناس الذي يؤدي الى الاذن فوضع موضع الاذن وقيل من الاستئناس الذي
هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا او تكشفوا
الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه
بيت النابغة على مستانس وحد وقيل يجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا
يا رسول الله ما الاستئناس قال ان يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول
السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم ادخل
قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث وقد جاء مرفوعا انه عليه السلام
علم رجلا الاستئذان فقال له قل السلام عليكم ادخل والاكثر على ان السلام مقدم وعند الاذن على ظاهر الآية والاذن
السلام تحية اللقاء والقاء بعد الاذن والسلام بعد الاستئذان حتم وقيل ان وقعت العين على العين قبل الاذن قدم
تقديم السلام على الاستئذان والا فالاستئذان على السلام ولا بد للرجل في دخوله بيت امه لقوله
والافضل ان يعلم بدخوله بتنحنح او غيره وعن عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استأذن على امي قال نعم
قال انها ليس لها خادم غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وعن الزهري سمع سهل بن
سعد يقول اطلع رجل في جحر من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك به راسه فقال لو علمت انك تنظر لطعنت
[illegible]

[illegible]
وحفظ الجماع الا ما استثني منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم
واوفوا اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى محاسن المرأة سهم من نبال ابليس مسموم فمن غض بصره ابتغاء ثواب الله ابدله
بذلك عبادة تسره وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يصلي اذ مرت به امرأة فنظر اليها فاتبعها بصره فذهبت عيناه
والله خبير بما يصنعون ثم اخبر الله انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم
وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون قوله تعالى وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا
يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا
يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون امرهن كما امر الرجال
بغض البصر عن كل ما يكره النظر اليه من جهة الشرع ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان
غضت بصرها اصلا فهو اولى ولا تنظر المرأة الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام
مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا
بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه وانما
قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر
على الاحتراس منه ولا يبدين زينتهن ولا يظهرن لغير محرم زينتهن ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان من الزينة
منها ما هو خفي كالخلخال والسوار والدملج والقرط والقلادة والاكليل والوشاح فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين
وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل
النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهي عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان
النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع
انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف
عنها ومنها ما هو ظاهر فعن ابن مسعود هي الثياب والرداء ودليله قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد اي ثيابكم
وعن ابن عباس الكحل والخاتم والسوار والخضاب الاول راجع الى الوجه والكف ان الحسن الوجه والثياب وروت عائشة رضي الله
عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ههنا
وقبض على نصف الذراع وانما خص الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام هذا القدر من بدن المرأة ان تبديه لانه
ليس بعورة فيجوز لها كشفه في الصلاة وما سواه عورة فيلزمها ستره الا ما ظهر منها اي ما ظهر من الزينة عادة
بابدائه للاجانب واما القراميل فان كان موضعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل
على ما حاذى تحت السرة فيحل النظر اليها الا ان امر القراميل هل داخل في سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر
الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل
النظر الى القراميل الواقعة عليه [illegible] مواضع الزينة الخفية وكذلك مواضع الزينة
الظاهرة الوجه موضع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موضعا
الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء وانما سومح مطلقا في الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة

الاشياء بيديها من الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور
قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل
فيه الظهور وليضربن بخمرهن بمقانعهن وهي جمع الخمار وهي غطاء الراس على جيوبهن قرأ نافع وابو عمرو وهشام وعاصم
بضم الجيم حيث وقع والباقون بكسر الجيم وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن كانت جيوبهن واسعة تبدوا
منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فيبقى مكشوفة فامرن بسدلها من قدامهن حتى يغطينها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها او لابستها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولهم ضربت بخمارها على جيبها
كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها يرحم الله النساء المهاجرات الاول
لما انزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية شققن كثف مروطهن فاختمرن به ولا يبدين زينتهن الخفية التي
امرت بتغطيتها ولم يبح لهن كشفها في الصلوة وللاجنبيين وهي ما عدا الوجه والكفين وظهور القدمين الا لبعولتهن
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن اي نساء المؤمنين
فلا يحل لامرأة مؤمنة ان تتجرد بين يدي امرأة مشركة الا ان تكون امة لها او نحو ذلك قوله او ما ملكت ايمانهن عن قتادة و
كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح اما بعد فقد بلغني ان نساء يدخلن الحمامات معهن نساء اهل
الكتاب فامنع ذلك وحل دونه ثم ان ابا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم ايما امرأة تدخل الحمام من غير علة
ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقيل اراد بقوله او ما ملكت ايمانهن ما ليكن من عبيدهن
فانهن لا بأس عليهن ان يظهرن لهم من زينتهن ما يظهرن لذوي محارمهن وعن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت
ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان
انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا يغرنكم آية النور فان المراد بها
الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان
واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم قال صاحب الكشاف فان قلت روي انه اهدي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب
من الاسباب او التابعين هم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لارفاقهم اياهم لانهم نساء في انهم غير اولي الاربة
الحاجة من الرجال وهم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم في النساء ولا يشتهونهن وقيل هو
التابع هو الاحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل وقيل هو الابله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء وقيل
انه العنين وقيل انه الشيخ الفاني وقيل انه المجبوب قال الزجاج غير صفة التابعين وفيه دليل على ان قوله او ما ملكت
ايمانهن معناه غير اولي الاربة من الرجال فالمعنى لا يبدين زينتهن لمماليكهن ولا لتابعيهن الا ان يكونوا غير اولي الاربة او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء اي لم يكشفوا عن عورات النساء فيطلعوا عليها وقيل لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع
عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه
اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء ولا يضربن بارجلهن اذا مشين ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب
برجليها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين
واذا نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وتوبوا الى الله من النظر الى ما لا يحل لعلكم تفلحون
لتفوزوا بالخيرات او امر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد
ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا
وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة قوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم لما امر بغض الابصار وحفظ
الفروج بين بعده ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل وبين بعده طريق الحل فقال وانكحوا الايامى اصلها ايايم فقلبت
والايم للرجل والمرأة فالايامى هم الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء يقال للرجل ايم وايمة وآم الرجل وآمت المرأة
تأيم ايمة وايوما وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال ان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم
اي زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم وامائكم ومن كان فيه صلاح
من غلمانكم وجواريكم قيل الامر امر ايجاب فاوجب النكاح على من استطاعه وقيل الامر للندب وهو الصحيح المشهور وقالته
الجمهور وقال الشافعي واجب للرجل والمرأة ان يتزوجا اذا تاقت نفسهما اليه لان الله تعالى امر به وحث عليه وندب اليه
وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم حتى بالسقط وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح ويعني وقال من بعده قال لم ترتق نفسه الى ذلك ولا حاجة له الى النكاح فالتخلي لعبادة
الله تعالى وذكر الله القواعد من النساء وذكر عيسى الكريم وقال في يحيى سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والحصور الذي
لا يأتي النساء ولا يشتهي الى النكاح فدل على ان المندوب اليه من يحتاج اليه وعن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
التبتل وعن ابي نجيح السلمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وقال عليه السلام
من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما وعن ابي هريرة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لبعث
الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شراركم عزابكم وقال صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم عج شيطانه

تأويله

[illegible]

انما جاء النهي عن الاكراه لا عن البغاء لان حدث النزول كان عند هذا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي لتبتغوا باكراههن على الزنا
اجورهن على الزنا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وقيل لهم لمن تاب من ذلك بعد نزول الاية
وقيل لهن ولهم ان تابوا واصلحوا قوله سبحانه ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين
قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي مبينات بكسر الياء اي الآيات التي بينت الاحكام والحدود جعل الفعل للآيات على المجاز
ويجوز ان يكون من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والباقون بفتحها اي الآيات التي بينت في هذه
السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف ومثلا من امثال من
قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات
والمثل في نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
قوله سبحانه الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب
دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم لما فرغ من الكلام في الاحكام قال الله نور والنور الضياء الذي
يرى ويرى به وهو الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على الارض والجدار وغيرهما يقال استنارت الارض ووقع
نور الشمس على الثوب ووقع السراج على الحائط وقال الغزالي من المعلوم ان هذه الكيفية انما اختصت بالفضيلة والشرف لان
المرئيات تصير بسببها ظاهرة ومن المعلوم انه كما يتوقف ادراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذا يتوقف على وجود
العين الباصرة والعين الباصرة هي المدركة وبها الادراك واما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الادراك فكان وصف
الاظهار بالنور الباصر احق بالنور المبصر فلاجرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه
ضعيف وفي الاعمى انه فقد نور البصر اذا ثبت هذا فنقول ان للانسان بصرا وبصيرة فالبصر هو العين الظاهرة المدركة للاضواء
والالوان والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد من الادراكين يقتضي نورا ونور العقل اقوى واشد من نور العين لان
القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا ادراكها ولا آلاتها والقوة العاقلة تدرك نفسها وادراكها وآلاتها فنور العقل اكمل
من نور البصر والقوة العاقلة تدرك الكليات اشرف لان ادراك الكليات لا يتغير بخلاف الجزئيات وادراك العقل منتج
وادراك الجزئي غير منتج والقوة الباصرة لا تدرك الا السطح الظاهر من الجسم واللون القائم بذلك السطح بشرط الضوء
فاذا ادركت الانسان فانها لم تدرك منه الا السطح الظاهر من جسمه واللون القائم به والقوة العاقلة تدرك ظاهر الاشياء
وباطنها فان الباطن والظاهر بالنسبة اليها على السواء فكانت القوة بالنسبة اليها على السواء وكانت القوة العاقلة
نورا بالنسبة الى الظاهر والباطن والقوة الباصرة ظلمة بالنسبة الى الباطن ومدرك القوة العاقلة هو الله وصفاته
وافعاله ومدرك القوة الباصرة هو الالوان والاشكال فيكون نسبة شرف القوة العاقلة الى شرف القوة الباصرة
كنسبة شرف ذات الله الى شرف الالوان والاشكال ثم القوة الباصرة كالخادم والقوة العاقلة كالامير والقوة الباصرة
قد تغلط والقوة العاقلة لا تغلط فثبت ان الادراك العقلي اكمل واقوى واشرف من الادراك البصري وكل واحد من الادراكين
يقتضي الظهور الذي هو اشرف خواص النور فكان الادراك العقلي اولى بكونه نورا من الادراك البصري ثم الادراكات العقلية
قسمان احدهما واجب الحصول عند سلامة القوى والآلات وهي التعقلات الفطرية والثاني ما يكون مكتسبا وهي التعقلات
النظرية ولا يكون من لوازم جوهر الانسان لان في حال الطفولية لم يكن حاصلا البتة فهذه الانوار انما حصلت بعد ان لم تكن فلا بد
لها من سبب والفطرة الانسانية لا تكفي فيها ولا بد من هاد ومرشد وكلام الله والانبياء فيكون منزلة آيات
القرآن عند عين العقل بمنزلة نور الشمس عند العين الباصرة فبالحري ان يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا فنور القرآن
يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه نور العين وبهذا يظهر معنى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقوله
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا واذا ثبت ان بيان الرسول اقوى من نور الشمس وجب ان تكون نفسه القدسية
اعظم في النورانية من الشمس وكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي تفيد
الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا تستفيد الانوار العقلية من شيء من النفوس البشرية فلذلك وصف الله الشمس
بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ووصف محمدا بانه سراج منير اذا عرفت هذا فنقول ثبت بالشواهد العقلية
والنقلية ان الانوار الحاصلة من ارواح الانبياء مقتبسة من الانوار الحاصلة في ارواح الملائكة قال تعالى ينزل الملائكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك وقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق والوحي لا يكون
الا بواسطة الملائكة فاذا جعلنا ارواح الانبياء اعظم استنارة من الشمس فارواح الملائكة التي هي كالمعادن لانوار عقول
الانبياء لا بد وان يكون اعظم من انوار ارواح الانبياء لان السبب لا بد ان يكون اقوى من المسبب ثم نقول ايضا ثبت بالشواهد
العقلية والنقلية ان الارواح السماوية مختلفة فبعضها مستفيدة وبعضها مفيدة قال تعالى في وصف جبريل مطاع ثم امين
واذا كان هو مطاع الملائكة والمطيعون لا بد وان يكونوا تحت امره وقال وما منا الا له مقام معلوم واذا ثبت هذا فالمفيد
اولى بان يكون نورا من المستفيد وكذا مراتب الانوار في عالم الارواح مثاله ان ضوء الشمس اذا وصل الى القمر ثم دخل في كوة بيت
ووقع على مرآة منصوبة على حائط ثم انعكس منه الى حائط نصب عليه ماء موضوع على الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت
فالنور الاعظم في الشمس التي هي المعدن وثانيها في القمر وثالثها ما وقع على المرآة ورابعها ما انعكس منه الى الماء وخامسها
ما وصل الى السقف فكل ما كان اقرب الى المعدن فهو اقوى مما هو ابعد منه فكذا الانوار السماوية لما كانت مترتبة لاجرم كان النور

المفيد اشنا اشرابقا في تلك الانوار متقلة لا تزال تترقى حتى تنتهي الى النور الاعظم بالروح الذي هو اعظم الارواح منزلة عند الله
الذي هو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ثم نقول لا شك ان هذه الانوار الحسية سفلية كانت كانوار
النيران او علوية كانوار الشمس والقمر والكواكب وكذا الانوار العقلية سفلية كانت كالارواح التي للانبياء والاولياء
او علوية كارواح الملائكة فانها باسرها ممكنة لذواتها والممكن لذاته لا يستحق الوجود لذاته ووجوده من غيره والعدم
هو الظلمة والوجود هو النور فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى وكذا جميع معارفها بعد وجودها
حاصل من وجود الله تعالى فان الحق سبحانه هو الذي اظهرها بالوجود بعد ان كانت في ظلمات العدم وافاض عليها
انوار المعارف بعد ان كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء من الاشياء الا باظهاره وخاصية النور اعطاء الاظهار
والتجلي والانكشاف وعند هذا يظهر ان النور المطلق هو الله سبحانه وان اطلاق النور على غيره بطريق المجاز
وكل ما سوى الله من حيث هو هو ظلمة محضة لانه من حيث انه ممكن عدم محض بل الانوار اذا نظر اليها من حيث هي
هي فهي ظلمات لانها من حيث هي هي ممكنات والممكن من حيث هو معدوم والمعدوم مظلم فالنور اذا نظر اليه من حيث
هو هو مظلم فاما اذا التفتنا اليها من حيث ان الحق سبحانه افاض عليها نور الوجود بهذا الاعتبار صارت انوارا
فثبت انه سبحانه هو النور وان كل ما سواه فليس بنور واضاف النور الى السموات والارض لما عرفت ان السموات
والارض مشحونة بالانوار العقلية والانوار الحسية اما الحسية فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر
وفي الارض من الاشعة المنبسطة على سطوح الاجسام حتى ظهرت به الالوان المختلفة ولولاها لم يكن للالوان ظهور
بل وجود واما الانوار العقلية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الادنى مشحون بها وهي
النباتية والحيوانية والانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم السفلي كما انه بالنور الملكي ظهر نظام
العالم العلوي وهو المعنى بقوله ليستخلفنكم في الارض وقوله ويجعلكم خلفاء الارض واذا عرفت هذا ان العالم
باسره مشحون بالانوار البصرية الظاهرة والعقلية الباطنة ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان
النور من السراج فان السراج هو الروح النبوي ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس
السراج من النور وان العلويات مقتبسة بعضها من بعض وان بينها ترتيبا في المقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها
ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له فاذا الكل نوره فلهذا قال الله نور السموات والارض وقال الامام
الغزالي كلاما مستطابا ولكن يرجع حاصله بعد التحقيق الى ان معنى كونه سبحانه نورا انه خالق العالم وانه خالق النور الذي
هو المعنى من قولنا معنى كونه نور السموات والارض انه هادي اهل السموات والارض فلا تفاوت بين ما قاله وبين ما نقل عن
المفسرين في المعنى واعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به وقد اختلفوا في ان المشبه ها هنا اي شيء
هو وذكروا وجوها منها ما ذكره جمهور المتكلمين ان المراد الهدى الذي هو الايات البينات والمعنى ان هداية الله قد بلغت في
الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد
بزيت بلغ النهاية في الصفاء فان قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا ان الشمس ابلغ من ذلك بكثير قلنا انه سبحانه اراد ان يصف
الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق انما هي الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله
فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ
العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة فلا جرم كان ذلك المثل ها هنا اليق واوفق ومما اعتبره الله من هذه
في هذا المثال مما يوجب كمال الضوء لان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته واذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته
فكانت اشد انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس
من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية فيزداد النور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس
اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فان انعكست تلك الاشعة
من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الاخر كثرت الانوار وبلغت النهاية ولان ضوء المصباح يختلف بحسب ما يتقد فيه
فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حاله اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل
الذي يظهر في الزيت فربما يبلغ في الصفاء والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزائه ولان هذا الزيت يختلف
بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى كانت بارزة للشمس في كل حالاته تكون زيتونته اشد نضجا فكان
زيته اكثر صفاء واقرب الى ان يتميز صفوه من كدره لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك فاذا اجتمعت هذه الامور وتعاونت صار
ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لهداية الله قال صاحب الكشاف نظير قوله الله نور السموات والارض مع قوله
نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات والارض ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق
واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
لاحد معنيين اما الدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض
وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار
غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري
من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها يوقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة

الزيتونة يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك
فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة شجرة الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور
لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان
عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيها في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية
وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور
متناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان
المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل
اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده وعن ابن عباس وانس بن مالك
رضي الله عنهم الله هادي اهل السموات والارض لا هادي فيهما غيره فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة
ينجون وليس يستحيل ملك مقرب ولا نبي مرسل الا بهداية الله وقال الضحاك منور السموات والارض وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض
ابي بن كعب وابو العالية والحسن مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين وقيل معطي الانوار
كلها منه كما يقال فلان رحمة وسخطة وهو لا يكون في نفسه رحمة ولا سخطة وانما يكون منه الرحمة والسخطة وقال بعض
اهل المعاني اصل النور هو التنزيه والتصفية يقال امرأة نوار ونساء نور اذا كانت متبرئة من الريبة والفحشاء قال الشاعر
نوار في صواحبها نوار   كما فاجا السرب اوصوار   فمعنى النور هو المنزه من كل عيب ونسوة نوار اي تنفر من الريبة وقيل
النور في اللغة اوجه نور متلألئ ونور متولد ونور من جهة صفاء اللون ونور من جهة المدح فالنور المتلألئ مثل قرص الشمس
والقمر والكواكب وشعلة السراج والنور المتولد هو الذي يتولد من شعاع الشمس والقمر والسراج فيقع على الارض فيتنور به الموجود
الذي هو من صفاء اللون مثل نور اللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وكل شيء له نور صاف والنور الذي هو من جهة المدح هو ذكر
الناس فلان نور البلد وشمس العصر قال الشاعر   فانك شمس والملوك كواكب   اذا ما بدت لم يبد منهن كوكب
وقال اخر   قمر القبائل خالد بن يزيد   وقال اخر   اذا سار عبد الله من مرو ليلة   فقد سار منها نورها وجمالها
ولا يجوز ان يقال لله يا بديع الا ان يضم اليه شيء اخر لانه واجد الاشياء ونور جميع الاشياء منه دون سائر الالات وقيل
لان النور الحقيقي الذي هو ضد الظلمة لا يخلو من شعاع وارتفاع وسطوع ولموع وهذه كلها منفية عن الله تعالى لانها من
امارات الحدث مثل نوره اي القرآن يدل عليه قوله تعالى قد جاءكم من الله نور قال كعب وسعيد بن جبير هو محمد صلى الله عليه وسلم
لانه هو المرشد ولانه تعالى ذكره في وصفه سراجا منيرا وقيل المراد ما في قلب المؤمن من الايمان ومعرفة الله ومعرفة الشرائع بدليل
قوله ان الله تعالى وصف الايمان بانه نور والكفر بانه ظلمة قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال
ليخرج الناس من الظلمات الى النور والمقصود من التمثيل ان ايمان المؤمن قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات
الضلالات مبلغ المذكور وعن ابي بن كعب بدأ الله بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره وهكذا كان يقرأ ابي مثل
نور من امن به اضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا وعن ابن عباس يعني بالنور الطاعة سمى طاعته نورا ثم ضرب لها مثلا فقال
تعالى كمشكاة قيل هذا من المقلوب اي كمصباح في مشكاة وهي الكوة التي لا منفذ لها واصلها الوعاء وهي على وزن مفعلة
كمصفاة المشكوة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء ومنه الصبح
ورجل صبيح الوجه اذا كان وضيئا وقال الخليل المصباح السراج بالمسرجة وقيل المصباح اصغر من السراج لان الله تعالى
الشمس سراجا وهاجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال في غيرها من الكواكب ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري قرأ ابو عمرو والكسائي دريء بكسر الدال وتخفيف الدال ممدودا مهموزا
قال ابن قتيبة المعنى انه من الكواكب الدراري وهي اللاتي يدرأن عليك اي يطلعن وقال الزجاج هنا ماخوذ من درأ يدرأ
اذا اندفع منقضا فتضاعف نوره يقال تدارأ الرجلان اذا تدافعا وروى المفضل عن عاصم بكسر الدال وتشديد الياء من
غير همز ولا مد وهي قراءة عبد الله بن عمرو والزهري وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وكسر الراء
وتشديد الياء من غير مد ولا همز وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم والوليد بن عتبة عن ابن عامر بضم الدال وتخفيف الياء مع اثبات
الهمز توقد قرأ ابن كثير وابو عمرو بالتاء مفتوحة وتشديد القاف وفتح الدال يريدون المصباح لانه هو الذي يتوقد وقرأ نافع وابن
عامر وحفص عن عاصم يوقد بالياء مضمومة مع ضم الدال يريدون المصباح ايضا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
بفتح التاء والدال يريدون الزجاجة قال الزجاج والمقصود مصباح الزجاجة فحذف المضاف من شجرة من زيت شجرة فحذف المضاف
يدل على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء والمراد بالشجرة ها هنا شجرة الزيتون مباركة بركتها من وجوه فانها تجمع الادم والدهن
والوقود ويوقد بحطب الزيتون ويغسل برماده الابريسم ويستخرج دهنه استخراجا ويورق غصنه من اوله الى اخره وانما خصت
بالذكر ها هنا دون غيرها لان دهنها اصفى واضوء لا شرقية ولا غربية قال عكرمة وجماعة لا يسترها عن الشمس جبل ولا كهف
ولا شيء فاذا طلعت الشمس اصابتها واذا غربت اصابتها فهي مصاحبة للشمس طول النهار وليست بشرقية وحدها حتى لا تصيبها
الشمس اذا غربت ولا هي غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل تاخذ حظها من الامرين فاذا كان كذلك كان
اجود واصفى لزيتها وقيل هي معتدلة ليست في شرق فيلحقها الحر ولا في غرب فيضرها البرد وقيل هي شامية لان الشام
لا شرقي ولا غربي وقيل هي شرقية وغربية وهذا كقول الناس فلان لا مسافر ولا مقيم وليس هذا بابيض ولا اسود اذا كان له

[illegible]

العقلية كما يستدل بالنبي على الملك وبالعمر على الوزير ومن تحته ومن فوق الناس وافهامهم على انه متوقف قبل الصبح الى
ان الخيال في البداية محتاج اليه ليضبط بها المعارف العقلية ولا يضطرب وان لا تجد شيئا في الاجسام يشبه الخيال
في هذه الصفات الثلاث الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفا ورق حتى لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه
ويحفظه من الانطفاء بالرياح واما الثالث فهي القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف الالهية ولا يخفى لك
وجه تمثيله بالمصباح واما الرابع وهي القوة الفكرية فمن خاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة ثم تقسمها الى قسمين كقولنا الكل
اما واجب واما ممكن ثم يجعل كل قسم مرة اخرى قسمين وهكذا الى ان ينتهي الى ما لا يقبل القسمة فينتهي بالاخرة الى نتايج هي ثمرتها
فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار المعارف وثباتها فبالحري ان لا يمثل بشجرة السفرجل
والتفاح بل بشجرة الزيتون لان لب ثمارها الزيت الذي هو مادة المصابيح وله من بين سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق في قلة
الدخان واذا كانت الماشية التي يكثر درها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها تسمى مباركة فالتي لا نهاية لنفعها فهي اولى
ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام فبالحري ان لا تكون شرقية ولا غربية واما
الخامس وهي القدسية النبوية فهي في نهاية الشرف والصفاء فان القوة الفكرية تنقسم الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه الى ما لا
[illegible] البته ولا بد من وجود هذا القسم دفعا للتسلسل فبالحري ان يعبر عن هذا القسم لكماله وصفائه بانه يكاد يضيء ولو لم تمسسه
فهذا المثال موافق لهذه الاقسام ولما كانت هذه الانوار مترتبة بعضها على بعض فالحس هو الاول وهو كالمقدمة للخيال والخيال
كالمقدمة للعقل فبالحري ان تكون المشكاة كالمصباح والزجاجة التي هي كالظرف له الامثلة وبعض المفسرين [illegible] هذه الامور الخمسة
على مراتب النفس الانسانية فقال لان النفس الانسانية قابلة للمعارف الكلية والادراكات المجردة وانها في اول الامر تكون
خالية عن جميع المعارف فهناك تسمى عقلا هيولانيا وهي المشكاة وتلوها في المرتبة ان يحصل لها العلوم البديهية
[illegible] اما بالفكر وهي الشجرة الزيتونة او بالحدس وهو الزيت [illegible]
بالملكة وهي الزجاجة التي كالكوكب الدري واذا كانت في النهاية القصوى وهي النفس القدسية التي للانبياء فهي التي يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ثم تحصل بعد ذلك [illegible] ان تحصل لها العقول بالفعل مشاهدة متمثلة في الذهن
وهي نور على نور ويسمى ذلك العقل المستفاد واما القوة فان يكون لها ان تحصل المعقول المكتسب المفروغ منها كما
شاءت من غير افتقار الى اكتساب وهي المصباح وهذه القوة تسمى عقلا بالفعل والذي يخرج من العقل الهيولاني الى
الفعل ومنه الى المستفاد يسمى العقل الفعال لانه مدبر ما تحت كرة القمر وهو كالنار قوله تعالى في بيوت اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
في بيوت اما ان يتعلق بما قبله او بما بعده او بمحذوف اما تعلقه بما قبله فقيل بمشكوة والمعنى كمشكوة في بيوت وقيل
زجاجة في بيوت وقيل توقد في بيوت واما تعلقه بمحذوف فكقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت واما تعلقه بما بعده
وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها وقيل خبر المبتدأ والمبتدا قوله رجال
وقيل متصل بقوله اذن ان ترفع فيذكر البيوت المساجد وقيل عام في جميع البيوت وكان ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض
وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل هي الكعبة وبيت المقدس ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومسجد قبا فعلى الاول بيوت المدينة اذن الله [illegible] فان الاذن في الفعل [illegible]
مع [illegible] والتخيير بين الفعل والترك وهذا اولى من تفسير الاذن بالامر [illegible] انما المساجد لله [illegible]
الاية على انها بيوت هيات للصلاة والعبادة فان قيل ما الوجه في توحيد المشكاة والمصباح وجمع البيوت ولا يكون مشكوة
الا في بيت واحد من البيوت قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء فنحو هذا وقيل يرجع الى كل واحد من البيوت وقيل هو مثل قوله وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحد منها ان ترفع ان تبنى
والمجاهد نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن ان ترفع ان تعظم لما اذن الله قيل ان ترفع بالبنا [illegible]
وقيل ترفع قدرها وتطهر من الانجاس والمعاصي وقيل يرفع فيها الحوائج الى الله وقيل ترفع فيها الاصوات بكتاب الله وبالاذان والذكر
ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه وقيل هو توحيد لا اله الا الله وقيل يذكر فيها اسماؤه الحسنى وقيل هو عام في كل ذكر
يسبح قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو
فرجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له والباقون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال ورجال الفاعل لقوله يسبح
كل تسبيح في القران صلوة يدل عليه قوله تعالى بالغدو والاصال اي الغداة والعشي قال المفسرون اراد الصلوة المفروضة
المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلوة الفجر والتي تؤدى بالاصال صلوة الظهر والعصر والعشائين لان اسم الاصيل يجمعها
والمعنى باوقات الغدو والاصال [illegible] وخص الرجال بالذكر في هذه البيوت لانه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد
لا تلهيهم تجارة قيل انما خص التجارة لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلوات وسائر الطاعات ولا بيع [illegible] التجارة
[illegible] قيل التجارة في الشرى والبيع في البيع وقيل التجارة الشرى [illegible]
الى [illegible] الدنيا فاشتغلوا بذكر الله وقيل التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح [illegible]
من هذه الصناعة وخص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته
الهته ما لا يلهيه شري شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لانه يقيني وذلك مظنون فكأنه ان لم تلهه التجارة اطلاقا [illegible]

على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع رابح او شرى عن ذكر الله قيل عن الصلاة وقيل عن ذكر اسمائه تعالى وقيل عن الاذان واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلوة بحذف الهاء الزائدة لاجل الاضافة لان الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه عن الهاء اذ كانت الهاء عوضا من الواو لان اصل الكلمة اقوام فلما اضيفت قامت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت [illegible] وايتاء الزكوة الحسن الزكوة المفروضة ابن عباس اخلاص الطاعة لله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار اي تضطرب وتتغير من الهول والفزع وتشخص كقوله [illegible] الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقيل تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر وقيل تتقلب فيه القلوب والابصار اي [illegible] من حال الى حال وقيل تتقلب القلوب ببلوغها الى الحناجر وتتقلب الابصار بنظرها الى [illegible] انقلاب الابصار الى الزرقة وقيل تقلب القلوب الايمان بعد الكفر وتقلب الابصار ومعاينة ما كان يزعم انه لا يراه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة ليجزيهم احسن ما عملوا وقيل احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى [illegible] ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوه باعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب وقيل بغير حساب اي لا يحاسبه على ما يعطيه في الدنيا وقيل يعطيه ما لا ياتي عليه الحساب وقيل من غير حساب اي من حيث لا يحتسب **قوله تعالى** والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لما بين حال المؤمنين في الدنيا [illegible] وبسببه يكون متمكنا من العمل الصالح ثم بين انه في الاخرة يكون فائزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك بان بين ان الكافر في الاخرة يكون في اشد الخسران وفي الدنيا في اعظم انواع الظلمات وضرب لكل واحد منهما مثلا السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة وهي المنبسط المستوي من الارض وقيل البقيعة جمع قاع مثل جيرة في جار يحسبه يظنه الظمان العطشان ماء وخص الظمآن بالذكر لشدة حاجته الى الماء حتى اذا جاءه اي ما توهمه ماء لم يجده شيئا [illegible] كما ظنه وقيل جاءه اي الموضع الذي ظن ان فيه الماء فلم ير الا السراب [illegible] ووجد الله عنده [illegible] الكافر اذا جاء عمله الذي ظن انه ينفعه فلم يجده نافعا كما ظن [illegible] ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله [illegible] ما قدمت من خير [illegible] الكافر [illegible] يوم القيمة فيحسب ما [illegible] ووجد الله عنده [illegible] الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل ووجد الله عنده اي [illegible] الكافر [illegible] الله وقيل وجد [illegible] حاسبا اياه [illegible] عند ذلك فوفاه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا والله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع وقيل هو [illegible] الحساب [illegible] يوم القيمة قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات اي المعنى على التقدير [illegible] اعمال الكفار [illegible] او كظلمات في بحر لجي عظيم اللجة وقيل عميق ولجة البحر [illegible] وقيل البحر الواسع الذي لا يرى ساحله قال الكلبي البحر قال الكلبي البحر الكثير الموج وقيل اللجي البحر العميق الكثير الماء [illegible] يغشاه موج يعلو موج وقيل [illegible] من فوقه موج اي من فوق الموج موج [illegible] سحاب اي من فوق الموج الثاني سحاب [illegible] ظلمات بعضها فوق بعض اي هذه ظلمات بعضها فوق الموج وظلمة السحاب قرا ابن كثير سحاب ظلمات [illegible] اذا اخرج يده لم يكد يراها [illegible] ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح [illegible] قال المفسرون اراد بالظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب في هذه الاية الكافر يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيمة الى النار [illegible] شيئا ولم يكف [illegible] ومن لم يجعل الله له نورا اي من لم يهده الله فلا ايمان له وقيل فلا هادي له وقيل من لم يجعل الله له هداية فما له من [illegible] من الوجوه وقيل من لم يجعل الله له في الاخرة سبيلا الى النجاة فلا سبيل ولا نجاة له وقيل من لم يرزقه الله هدى من الضلالة [illegible] فما له من نور [illegible] الباطل لا نور له [illegible] قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله يضل الله الظالمين **قوله تعالى** الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير

لما وصف انوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد الم تر اي الم تعلم علما يقوم مقام الرؤية وقيل [illegible] تنبيه الى تنبيه والطير صافات يصففن اجنحتهن في الهواء اي باسطات اجنحتهن في الهواء [illegible] فيها اكثر وانما خص الطير بالذكر لانها تكون بين السماء والارض اذا طارت فهي خارجة عن جملة من في السموات والارض كل اي كل واحد منهم قد علم الضمير فيه لكل او لله صلوته وتسبيحه الضمير الذي اضيف اليه الصلاة والتسبيح لكل او لله قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق [illegible] قد علم الله صلوة المصلي وتسبيحه وقيل قد علم المصلي والمسبح صلوة نفسه وتسبيحه اي قد عرف [illegible] وقيل قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه اي علم ان ذلك لله [illegible] غيرها من البهائم والحشرات تسبيح وصلوات تليق به يسبحون باسمه ويصلون له لا نفقه نحن ذلك وقيل تسبيحه وصلوته دلالته على وحدانية الله [illegible] تسبيحان تسبيح عمل وتسبيح دلالة وقيل صوت كل شيء تسبيحه وحركته صلوته والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض لانه خالقهما ومقدرهما ومدبرهما ومتصرف في احوالهما كما يشاء والى الله المصير مرجع كل مالك ومخلوق **قوله تعالى** الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار الم تر ان الله يزجي يسوق [illegible] الى حيث يريد [illegible] بينها سحابا يكون واحدا كالماء وجمعا كالرباب ثم يؤلف بينه ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض [illegible] وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض [illegible] المتاع وغيره اذا وضعت بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من اثنائه من فوقه ومخارجه جمع خلل [illegible] وينزل من السماء من لابتداء الغاية وبين السماء ومحل النصب على الظرف من جبال فيها الا بتداء الغاية وجبال بدل من السماء [illegible] البعض من الكل [illegible] في السماء [illegible] لتبيين ان الجبال [illegible] من برد [illegible] في السحاب ثم [illegible] الارض [illegible] والثالثة للتبيين [illegible] التعظيم [illegible] خلقه وكل جسم [illegible] قال ابن عباس من البرد الثلج فيصيب به اي البرد من يشاء اي يصيب الانسان فيزرعه ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه قال قتادة لمعان برقه وضوءه والسنا كل شيء برقه وضوءه والسنا الممدود المجد واصلها من الرفعة [illegible] وسنا البرق [illegible] سنا وسنى الرجل سناء وقيل سنا برقه ضوء برقه فيكون [illegible] ويدرك [illegible] المطر [illegible] الصواعق تذهب بعيون الناظرين اليه والنظر الى عين الشمس والى البرق [illegible] يقلب الله الليل والنهار اي ما يزيد في احدهما ينقص من الاخر وقيل هو ان ياتي بالليل بعد النهار وبالنهار بعد الليل وقيل تغيير النهار بظلمة السحاب [illegible] ان في ذلك فيما تقدم من السحاب وما يظهر منه لعبرة لاولي الابصار لعقلاء لاولي الابصار عن ابي جعفر المدني [illegible] على وحدانيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب [illegible] المطر [illegible] رحمته بين خلقه [illegible] وبسطها على ما تقتضيه حكمته [illegible] البرق في السحاب [illegible] الليل والنهار [illegible] وهذه الآيات [illegible] على وجوده [illegible] صنعا لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر قال صاحب الكشاف فان قلت [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات [illegible] ودعاء [illegible] الطير [illegible] المطر [illegible] على طريق الوحي **قوله تعالى** والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون استدل اولا باحوال السماء والارض وثانيا بالآثار العلوية وثالثا باحوال [illegible] قرا حمزة والكسائي والله خالق كل دابة بالاضافة والباقون والله خلق كل دابة من ماء من نوع من الماء مختص بتلك الدابة [illegible] خلق كل دابة من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقيل انما قال من ماء لان اصل الخلق من الماء ثم قلب بعض الماء الى الريح فخلق [illegible] الملائكة وبعضه الى النار فخلق منها الجن وبعضه الى الطين فخلق منه آدم عليه السلام [illegible] الدابة [illegible] فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات [illegible] والديدان ومنهم من يمشي على رجلين كالجن والانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالانعام والوحوش [illegible] ولم يذكر ما يمشي على اكثر من اربع لانه كالذي يمشي على اربع في رأي العين [illegible] صاحب الكشاف فان قلت [illegible] وجعلنا من الماء كل شيء حي [illegible] كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء

أي لكل واحد

قد لما انه هو الاصل وان تخالفت بنيه وتبنيها بما نطقوا بما جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب لانه قدم ما هو
اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل وقوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع وسمي الزحف على البطن
مشيا على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر وفلان لا يتمشى له امر ونحو استعارة الشفة
مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين يخلق الله ما يشاء كما يشاء
ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم الى دين الاسلام وقيل الى
طريق الجنة وقيل هذه متصلة بالاولى اي والله يهدي من يشاء من الخلق ومن المكلفين الى الاسلام ويقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا ثم يتولى يعرض عن الايمان فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف
عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان
ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة يقين لم يعقبه التولي والاعراض وفي
قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله
تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما
في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف و
يقول ان محمدا يحيف علينا فذلك قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اي واذا دعوا الى رسول الله كقولك اعجبني
زيد وكرمه تريد اعجبني كرم زيد ومنه قوله فلسته قبل القضا وقرطه له الدقيل
كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ارض وماء فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم
اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي ليحكم بينهم اي ليحكم الرسول بينهم بحكم الله اذا فريق منهم معرضون
وقيل فاجأ من فريق منهم الاعراض وان يكن لهم الحق اي ان يكن لهم الحق على غيرهم ياتوا اليه الى رسول الله فاليه صلة ياتوا لان
اتى وجاء قد جاءا معديين بالى وقيل اليه يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته
ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معه الا الحق المر والعدل البحت يزودون عن المحاكمة اليه
اذا ركبهم الحق لئلا ينتزعه من احداقهم بقضائه عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليه ولم يرضوا
الا بحكومته لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين
ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه وقيل افي قلوبهم مرض شك
ونفاق وقيل بغض وعداوة لله ولرسوله ام ارتابوا ام كانوا مخلصين ثم رأوا منك امرا رابهم فزالت عنهم تهمتهم ام
يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ام جحدوا او انتفى عن نفسهم ان يميل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض حكمه
فخافوا وعدلوا من حكمك لواحد من هذه الثلاثة وجاء بلفظ الاستفهام لانه ابلغ في التوبيخ ثم ابطل خوفهم حيفه
بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له
الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة
اليه قوله تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك
هم المفلحون ● ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ● قد نعت المؤمنين فقال انما كان قول
المؤمنين قيل ليس هذا بخبر ماض وانما المعنى انما كان ينبغي ان يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم النبي
صلى الله عليه وسلم بينهم بحكم الله الذي امر به في القرآن ان يقولوا سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم واطعنا امره
واولئك هم المفلحون الفائزون الباقون في النعيم المقيم ومن يطع الله ورسوله قيل يطع الله في الفرائض ورسوله
في السنن ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بعد ان يعصيه قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وورش عن نافع ويتقه
موصولة بياء وروى قالون عن نافع ويتقه بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء وقرأ ابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويتقه
جزما ولقد جمع الله في هذه الآية اسباب الفوز وعن بعض الملوك سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون ● وذلك ان المنافقين
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك ان اقمت اقمنا وان خرجت خرجنا وان جاهدت جاهدنا
واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ
غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم
المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين
ايمانهم لئن امرتهم بالخروج الى الغزو ليخرجن وقيل بالخروج من الديار ليخرجن منها قل يا محمد لهم لا تقسموا لانكم تكذبون
في القسم وذلك معصية طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف اي امركم او الذي نطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك
فيها ولا يرتاب كطاعة المؤمنين المخلصين الذين طابق باطن امرهم ظاهره وطابق سرهم علانيتهم لا ايمان تقسمون
بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او مبتدأ محذوف الخبر اي طاعة معروفة
امثل واولى من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم وخلافكم لا يخفى عليه شيء من سرائركم فانه فاضحكم
لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قوله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم

وان تطيعوه

وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ● صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو
ابلغ في تبكيتهم فان تولوا اعرضوا عن طاعة الله ورسوله وعن الاذعان وطاعته ومتابعته فان لم تطيعوه وتوليتم فقد عرضتم
نفوسكم لسخط الله وعذابه وان تطيعوه تهتدوا الى الحق والرشد والى الجنة فالنفع بطاعتكم والضرر بمعصيتكم عائد
اليكم وما على الرسول الا البلاغ الظاهر المظهر لما فيه نفعكم وضرركم وما البلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية
قيل معنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني
لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ● تقدير النظم بلغ يا ايها الرسول واطيعوه يا ايها المؤمنون
فقد وعد الله الذين آمنوا منكم اي الذين جمعوا بين الايمان والعمل وقيل المراد به المهاجرون ولهذا قال منكم وقيل هو عام ومن
للبيان كالتي في آخر سورة الفتح ليستخلفنهم انما دخل اللام لجواب القسم المضمر لان الوعد قول تقديره قال الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض اي ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم وينصرهم على الكفار
ويجعلهم فيها خلفاء يملكونها ويتصرفون فيها تصرف الملوك في ممالكها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل حين اهلك الجبابرة بمصر
والشام واورثهم ارضهم وديارهم واستخلفهم فيها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الاسلام وتمكينه
تثبيته وتوطيده وليبدلنهم قرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم بسكون الباء وتخفيف الدال والباقون بفتح الباء و
تشديد الدال وهما لغتان وقيل التبديل تغيير حال الى حال والابدال رفع شيء وجعل غيره مكانه من بعد خوفهم امنا
يعبدونني قيل استئناف لا محل له من الاعراب كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وقيل حال
عن وعدا وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم ومحله النصب لا يشركون بي شيئا اي عابدين غير مشركين به ومن كفر
بعد ذلك وارتد وقيل ومن كفر بهذه النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث ارتدوا
وكفروا تلك النعمة العظيمة وقال ابو العالية في هذه الآية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة عشر سنين خائفين
يدعون الى الله سرا وعلانية ثم امروا بالهجرة الى المدينة فكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون في السلاح فقال رجل ما يأتي
علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم
محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب ففتحوا بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة
وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك النعمة وقتلوا عثمان بن عفان رضي الله
عنه فغير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم وعن مقاتل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية
حزن اصحابه لما اطمعهم الله نخل خيبر ووعدهم ان يدخلوا العام المستقبل مكة آمنين وانزل الله هذه الآية وفيها دلالة
واضحة على خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى امامة الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا فكان خلافة ابي بكر سنتين واشهرا وعمر عشرا وعثمان اثني عشرة
الا اشهرا وعلي ستة رضوان الله عليهم وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي في امتي
في اربع في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله
من يشاء فيصير ملكا ثم يصير بزيزى [illegible] قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها قوله تعالى واقيموا الصلاة معطوف
على واطيعوا الله واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ● واقيموا الصلاة معطوف على واطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد
ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا
لوجوبها قوله تعالى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير ● لا يحسبن قرأ ابن عامر وحمزة
وحفص عن عاصم لا يحسبن بالياء وفتح السين والباقون بالتاء وكسر السين اي لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين فائتين
في الارض يقولوا ما يعجزه حيلة عاجزا او نسبة الى العجز وحسبه عاجزا الخطاب للنبي عليه السلام وهو الفاعل والذين كفروا المفعول
الاول ومعجزين المفعول الثاني وذكر القراءة بالياء اوجها منها ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين
كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا في مثل ذلك ومنها ان يكون فيه ضمير الرسول عليه السلام لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول
ومنها ان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل
والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين
كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك
يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ● واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك
يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن
غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ● عن ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته
ذلك فقال يا رسول الله وددت لو ان الله امرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت هذه الآية وقال مقاتل نزلت هذه الآية في اسماء بنت
مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا

لحكم بانما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فانما عليه اي على الرسول ما حمل كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم كلفتم به من التلقي بالقبول والاذعان

يدخلون علينا في حالة نكرهها فأتت لأقصه الاية قيل ظاهر الخطاب للرجال والمراد به الرجال والنساء تغليبا للتذكير
على التأنيث قال الامام والاولى عندي ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب حفظ العورة
اشد حالا من الرجال يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امر ان يستأذن الذين ملكت ايمانهم ابن عمر رضي الله
عنهما انه اراد الذكور دون الاناث وقيل انه الذكور والاناث ومعنى الكلام ليستأذنكم مماليككم للدخول عليكم قال ابو يعلى
والاظهر ان يكون المراد العبيد الصغار والاماء الصغار لان العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر الى مولاته فكيف
يضاف الى الصبيان الذين هم غير مكلفين والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من الاحرار من الذكور والاناث ثلاث مرات
في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة للقايلة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وانما
خص هذه الاوقات لانها ساعات الغفلة والخلوة ووضع الثياب والكسوة ثلاث عورات لكم سمى كل واحد من هذه
الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور
المختل العين قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب على ان يكون بدلا من ثلاث مرات والباقون بالرفع اي هذه
الاوقات هي ثلاث عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته والاوقات ليست عورات ولكن المعنى انها
اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب باعراب المحذوف ليس عليكم ولا عليهم ثم عذرهم في ترك الاستيذان
وراء هذه المرات اي ليس عليكم ايها المؤمنون الاحرار ولا عليهم اي الخدم والاطفال والعبيد جناح عليكم في الدخول
بغير اذن بعدهن اي بعد هذه الاوقات ثم بين وجه العذر بقوله طوافون عليكم يعني انكم وبهم حاجة الى المخالطة
والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام يخرجون ويدخلون ويذهبون ويجيئون ويترددون
في الخدمة واشغال بعضكم اذ بعضكم يطوف على بعض فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج و
رفع ثلاث عورات كان ليس عليكم في محل الرفع على الوصف والمعنى هي ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان وان نصبت
ثلث عورات لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة وبعضكم مرفوع بالابتداء و
على بعض بحذف لا يطوفون بدلالة عليه ويجوز ان يرتفع بيطوفون مضمرا لتلك الدلالة كذلك مثل ذلك البيان الاحكام في هذه
الاية يبين الله لكم الايات الامر والنهي والله عليم فيما امركم حكيم فيما دبر واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك
الحلم فليستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم كما استأذن الذين من قبلهم اي الاحرار الذين بلغوا الحلم من قبلهم
او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الاية والمعنى ان الاطفال
ماذون لهم بالدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا
او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات
كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرر الكلام تأكيدا واضافه اليه سبحانه تخصيصا واكثر العلماء على ان
هذه الاية محكمة وحكي عن سعيد بن المسيب انها منسوخة وعن ابن عباس ثلاث لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي
ان تستأذن علي وسأله عطاء استأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث
آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن
مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون
بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال
ابو حنيفة السن الذي يحكم بها بالبلوغ ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس
عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال
مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل عن غلام
فقال هل اخضر ازاره والقواعد اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن فلا يحضن ولا يلدن واحدتها قاعد
اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن في الزوج واليس من البعولة فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن الثياب الظاهرة
كالجلباب الذي فوق الخمار والملحفة عند الرجال غير متبرجات بزينة غير مظهرات بزينة مخفية وهي التي اراد بها في قوله
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن وقيل غير متبرجات غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه
وان يستعففن فيلبسن جلابيبهن خير لهن من الوضع والتكشف لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار
افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم والله سميع لكل ما يقال عليم بما يقصد
ويعنى قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت
آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ● قال ابن عباس لما انزل قوله تعالى لا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى
الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والمريض لا يستوفي الطعام فنزلت هذه الاية

سعيد بن

سعيد بن المسيب ان ناسا كانوا اذا خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج
والمريض وعند اقاربهم وكانوا يأمرونهم ان يأكلوا مما في بيوتهم اذا احتاجوا وكانوا يتقون ان يأكلوا منها ويقولون نخشى
ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت هذه الاية وقال سعيد بن جبير والضحاك ان العرجان والعميان كانوا يتنزهون عن مؤاكلة
الاصحاء لان الناس يتقذرونهم فنزلت هذه الاية وقال مجاهد ان قوما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا لم يكن
عندهم ما يطعمون المريض والزمنى ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم وبعض من سمى الله في هذه الاية فكان اهل الزمانة
يتحرجون من اكل ذلك الطعام لانه اطعمهم غير مالكه فنزلت هذه الاية والحسن وابن زيد انها نزلت في اسقاط الحرج عن اهل الزمانة
المذكورين في الاية فيحمل على القول الاول ويكون معنى الاية ليس عليكم في الاعمى حرج ان تأكلوا معه ولا في الاعرج وتكون على بمعنى
في ذكره قطرب وعلى هذا يخرج معنى الاية على القول بما يليق به وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون الى ان آخر الكلام ولا على المريض
حرج وان ما بعده مستأنف لا تعلق له بما قبله وهو يقوي قول الحسن وابن زيد لما ذكر الاولاد لانه دخل ذكرهم تحت قوله من
بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من
بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي
هو اقرب منهم اولى او ما ملكتم مفاتحه قيل اموال الرجل اذا كان له عليها قيم او وكيل يحفظها له ان يأكل من بستانه ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه او صديقكم اي بيوت صديقكم
والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره فاذا حلقة من اصدقائه وقد
استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال
هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته
كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله
من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين
ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قالوا اذا دل ظاهر الحال
على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه
ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا متفرقين قيل نزلت في حي من كنانة يقال لهم بنو ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون
ان يأكل الرجل الطعام وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح فان لم يجد من يواكله اكل فانزل الله
هذه الاية عكرمة وابو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف
شاؤا فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فابدؤا بالسلام على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وقيل
ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم تحية من عند الله نصب على المصدر اي تحيون انفسكم بها تحية ويجوز
انتصب بسلموا لانه في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا وقيل على الحال بمعنى تفعلونه تحية من عند الله اي ثابتة بامره
مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب حياة وسلامة للمسلم عليه والمحيي من عند الله مباركة طيبة وصف التحية
بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله عز وجل زيادة الخير وطيب الرزق وعن ابن عباس السلام اسم من اسماء الله
فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره اياهم بالسلام فان لم
يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم واطيب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف احدكم على المجلس
فليسلم فان بدا له ان يقعد فليقعد فاذا قام فليسلم فان الاولى ليست باحق من الاخرى وعن ابن عباس فان لم يكن في البيت
احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن انس ان رسول الله
قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء كسرته
لم كسرته وكنت واقفا على رأسه اصب على يديه الماء فرفع رأسه وقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها في الدنيا قلت بابي وامي
يا رسول الله بلى قال من لقيت من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلاة الابرار وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين كذلك اي كما بينا لكم ما هنا بينها لكم غيره وقيل كما ذكر لكم وفصل لكم وقيل اذا فرض شيء عليكم
هذا التبيين لعلكم تعقلون لكي تعقلوا او تفهموا وقيل لتكونوا عقلاء صالحين قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ● اراد الله عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كانوا معه على امر جامع يجمعهم من حرب حضرت او صلوة جمعة او جماعة او تشاور في امر نزل لم يذهبوا
ولم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له فجعل ترك ذهابهم
حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما
وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاد على

أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو أنه جعل
الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه
فيأذن لهم الإتيان كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له الأمر الجامع الذي
يجمع له الناس فوصف الأمر به على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم أو تضام لإرهاب
أو تماسح في حلف وغير ذلك أو الأمر الذي يعم بضرره أو نفعه وفي قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم
وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم الأمر
في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شأنهم
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا
فيه قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى
يقوم بحيال رسول الله بحيث يراه فيعرف رسول الله أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال الإمام رحمه الله وفي ذلك وقال
مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده وقيل كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين
والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن
وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه لا تجعلوا دعاء الرسول ابن عباس أحدكم دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه
فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره مجاهد وقتادة لا تدعوه ولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يدعو بعضكم
بعضا وينادي باسمه الذي سماه أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن شرفوه وفخموه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير
والتعظيم والصوت المخفوض والتلين والتواضع وقيل إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده
لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي
وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده
فإن دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون التسلل الخروج من البين على التدريج
وكذلك الانسلال … والتدخل لواذا ملاوذة وأن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي يتسللون من الجماعة
في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين وقيل نزلت في حفر الخندق كان المنافقون
ينصرفون بغير أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وكان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق
الذي لم يؤذن له معه فليحذر الذين يخالفون يصدون عن أمره دون المؤمنين يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه
دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه والذين يخالفون هم
المنافقون فحذف المفعول لأن المراد ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في أمره لله سبحانه وتعالى أو للرسول

تزول العذاب وبهذا يحسن الاحتياط وعندنا مجرد الاحتمال قائم لأن هذه المسئلة احتمالية لا قطعية سلمنا دلالة الآية
على وجود المقتضي لنزول العذاب لكن لا في كل أمر بل في أمر واحد لأن قوله عن أمره لا يفيد إلا أمرا واحدا وعندنا أن الأمر
الواحد يفيد الوجوب فلم قلتم أن كل أمر كذلك سلمنا أن كل أمر كذلك لكن الضمير في قوله عن أمره
يحتمل عوده إلى الله وعوده إلى الرسول فإنه لا يدل الآية على أن الأمر للوجوب في حق أحدهما فلم قلتم أن في حق الآخر كذلك
الجواب قوله لم قلتم أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه قلنا الدليل عليه أن العبد إذا امتثل أمر السيد يحسن
أن يقال إن هذا العبد موافق للسيد ويجري على وفق أمره ولو لم يمتثل أمره يقال إنه ما وافقه بل خالفه وحسن هذا الإطلاق
معلوم بالضرورة من أهل اللغة فثبت أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه فقوله
لا شك أن مقتضى الأمر هو الفعل لأن هو لما فعل لا يدل الأمر إلا على اقتضاء الفعل فإذا لم يوجد الفعل لم يوجد مقتضى الأمر
فلا يوجد الموافقة فوجب حصول المخالفة لأنه ليس بين الموافقة والمخالفة واسطة قوله الموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك
الأمر حقا واجب القبول قلنا هذا موافقة الأمر بل يكون موافقة الدليل الدال على أن ذلك الأمر حق فإذا دل الدليل أما الأمر فإنما
اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عما يقرر ذلك الدخول فإذا دخل الفعل الوجود يقتضي تقريره حتى لو كان
كانت موافقة الأمر عبارة عن فعل مقتضاه فيلزم لو كان ذلك لكان ترك المندوب مخالفة لأمر الله فوجب أن يكون مستحقا للعقاب
قلنا هذا الإلزام إنما يصح لو كان المندوب مأمورا به وهو ممنوع قوله لم لا يجوز أن يكون قوله فليحذر أمرا بالحذر عن المخالفة
بما أمر بالمخالفة بالحذر قلنا لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر المتسللون لواذا عن الذين يخالفون عن أمره وحينئذ يبقى قوله
أن تصيبهم ضائعا لأن الحذر ليس مما يتعدى إلى مفعولين قوله كلمة عن زائدة قلنا ذكرنا أن الأصل في الكلام الأصالة ولا
قوله لم قلتم فليحذر يقتضي وجوب الحذر من العقاب قلنا … يقتضي وقوع العقاب قوله لم قلتم أن الآية تدل
على أن كل مخالف للأمر يستحق العقاب قلنا لأنه تعالى رتب نزول العقاب على المخالفة فوجب أن يكون معللا به فيلزم عمومه
لعموم العلة قوله هب أن أمر الله أو أمر رسوله للوجوب فلم قلتم إن كل الأمر كذلك قلنا لأنه لا قائل بالفرق ألا إن لله الآية والمعنى أن جميع
ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وعبيدا وملكا وذلك دليل وجوده وتوحيده وكمال قدرته وحكمته قد يعلم ما أنتم
عليه فلا يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها وسينبئهم يوم القيامة بما
من سوء أعمالهم سبحانه يجوز أن يكون الخطاب في قوله ما أنتم عليه والغيبة في يوم يرجعون إليه يجوز أن يكون
جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين عن شقيق بن سلمة شهدت
ابن عباس وولي الموسم فقرأ سورة النور على المنبر وفسرها فلو سمعت الروم لأسلمت تمت السورة

سورة الفرقان

وهي سبعة وسبعون آية وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا عن أبي بن
كعب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن بأن الساعة
آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة
الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله
فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره وكذلك لم يتصرف فيه فلا مستقبل ولا اسم فاعل قيل معناه كثر خيره
جملتها تنزيل الكتاب الذي هو الفرقان وهو مصدر فرق الشيئين إذا فصل بينهما وسمي القرآن به لفصله بين الحق والباطل
وقيل لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال قال الله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون عبده أو الفرقان للعالمين الجن والإنس
نذيرا منذرا أي مخوفا أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار الذي له في محل الرفع على الإبدال من الذي نزل أو على المدح أو في محل
النصب على المدح وما فصل بين البدل والمبدل منه بشيء لأن المبدل منه صلته ليكون تعليل له فكأن المبدل منه تم ثم
الآية ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير
والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة
الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه وقيل سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمه
إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق
فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده ولم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد
معلوم واتخذوا … من دونه آلهة لا يخلقون لا يقدرون على شيء والخلق بمعنى الافتعال

من دون الله اوثانا او يخلقون افكا والمعنى انهم اتخذوا من دون الله آلهة وان واقعا عبادة الله آلهة لا عجز ابين من عجزهم العبيد
على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفعلون شيئا وهم يخلقون يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير
ولا يملكون انفسهم ولا يستطيعون لانفسهم ضرا اي دفع ضر عنها ولا نفعا ولا جلب نفع اليها وعبدتهم يستطيعون ذلك
بالكسب واذا عجزوا عن الافعال ودفع الضر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد حل وجد الكسب كانوا عن الموت والحياة والنشور
التي لا يقدر عليها الا الله اعجز ولا يملكون موتا اي اماتة ولا حياة اي احياء ولا نشورا ولا احياء بعد الموت قوله تعالى
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين
اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا ● وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث واصحابه ان هذا ما هذا القرآن الا افك
كذب مصروف عن وجهه هو اسم الكذب افتراه اختلقه محمد واعانه عليه اي على محمد قوم آخرون يعني اليهود قاله
مجاهد وعن الحسن عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس مولى حويطب بن عبد العزى وهم يلقون
اخبار الامم اليه وهو يكسوها عبارته وقيل اراد بقوله قوم آخرون المؤمنين لان آخر لا يكون الا من جنس الاول فجاؤوا
الله وقال فقد جاؤوا يعني قائلي هذه المقالة ظلما اي بظلم وزور ظلموا فيما قالوا وزورا اي تزويرا الكذب في الشهادة وقيل
جاء يستعمل في معنى فعل فتعدى تعديته اي فعلوا ظلما وزورا وقيل معنى جاؤوا وردوا اي قصدوا ظلما كما تقول جئت
المكان وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما اعجز بفصاحته جميع العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء
منه اليه وقيل هذا من كلام الكفار ثم انصب عطفا يعود الى قوله قوم آخرون وقالوا اي الكفار اساطير الاولين ما سطره
المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها امر بكتبها لنفسه واخذها
وقيل المعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف قيل اكتتبها
فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت
له وهو امي فهي تملى عليه من كاتبه ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب بكرة اول النهار واصيلا
آخر النهار قيل ينتسخ الناس وحين يأوون الى مساكنهم وقيل اراد دائما قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض انه كان غفورا رحيما ● قل يا محمد انزله اي القرآن الذي يعلم السر اي كل سر خفي في السموات والارض
ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم انما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبراءته مما تبهتونه وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه انه كان غفورا رحيما قيل لما كان ما تقدم في معنى
الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا
بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا لكنه صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل قوله تعالى
وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة
يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ●
وقالوا اي الكفار ما لهذا الرسول في هذا استهانة وتصغير لشأنه صلى الله عليه وسلم وتسميته بالرسول سخرية منهم
وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول نحو قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يأكل الطعام اي ان
صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي يعنون انه كان يجب
ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش لولا انزل اليه ملك ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون
انسانا معه ملك اي هلا كان انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يحتسبا له في الانذار والتخويف ثم نزلوا عن اقتراح ان يكون انسانا
معه ملك الى اقتراح ان يلقى اليه كنز اي يعطى له كنز فيكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى المشي في السوق لطلب
المعاش ثم نزلوا عن اقتراح ان يلقى اليه كنز الى اقتراح ان يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او يأكلون
من بستانه ثمرة وقرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون على معنى ان يكون له مزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته وقال الظالمون يعني
النبي صلى الله عليه وسلم وقال الظالمون والاصل وقالوا فوضع الظاهر موضع المضمر ليحكم عليهم بالظلم فيما قالوا
ان تتبعون ما تتبعون ان تطيعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل مسحورا له سحر وقيل يسحر بالطعام فيغذى وقيل
مخدوع وقيل ذا سحر وهو الرئة يعنون انه بشر لا ملك انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الصفات والاحوال
النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فضلوا متحيرين ولا يجدون قولا يستقرون
عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ● تبارك تكاثر خير الذي ان شاء جعل لك خيرا في الدنيا مما قالوا وهو ان يعجل
لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقيل خيرا من المشي في الاسواق ثم بين ذلك الخير ما هو فقال جنات تجري
من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا قرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويجعل بالرفع على الاستئناف والمعنى سيجعل
لك قصورا في الآخرة والباقون بالجزم على معنى ان شاء يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا اجزاء قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ● بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك
في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم قوله تعالى اذا رأتهم
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ● اذا رأتهم النار او جهنم وصف بالرؤية كما وصفها بالكلام في قوله يوم نقول

لجهنم

[illegible]

أن نتخذ من دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا ويعبدونا دونك وقيل معناه ما كان ينبغي لنا أن نكون
أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بالأموال والأولاد والصحة
والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر أي ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع فلم يعملوا بما فيه وكانوا قوما بورا أي هلكى جمع
بائر كعائذ وعوذ وقيل البور الهلاك يوصف به الواحد والجمع فقد كذبوكم الخطاب للعابدين والمعنى فقد كذبكم المعبودون
بما تقولون إنهم كانوا آلهة فما تستطيعون صرفا أي صرف العذاب عنهم ولا نصرا لأنفسهم وقيل الصرف الحيلة
ومنه قول العرب إنه ليتصرف أي يحتال وقيل الصرف التوبة والنصر الفدية وقيل فما يستطيع المعبودون صرف العذاب
عنكم ولا نصرا لكم وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى فقد كذبكم المشركون بما تقولون إن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن يظلم بالشرك نذقه في الآخرة عذابا كبيرا وهو الخلود في النار وما أرسلنا قبلك يا محمد أحدا من المرسلين إلا إنهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وهذا جواب لقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
وقيل معناه إلا قيل في حقهم إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق يدل على ذلك قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد
قيل للرسل من قبلك وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ومحنة وابتلاء الظاهر أنه من الابتلاء على العكس فالمريض فتنة للصحيح
والمبتلى فتنة للمعافى والفقير فتنة للغني فيقول المريض لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان ويقول الفقير لو شاء الله لجعلني
غنيا مثل فلان وعن ابن عباس أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا
الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكن قد شئت أن أبتلي العباد
بكم وابتليكم بهم وقيل الفتنة أن ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف
وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا
وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وموقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن
عملا وقيل تقديره أتصبرون أم لا وقيل استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا وقيل أتصبرون على هذا فيكون لكم الجنة وكان ربك
بصيرا عالما بما يكون منكم وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك أقاويلهم
فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر
حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وإنها حكمة ومشيئة
يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلنا الفتنة لهم لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم
لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا وإنما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي مقاتل
نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمارا
وبلالا وصهيبا ومن في طبقتهم قالوا أنسلم فنكون مثل هؤلاء بل يرتفعون علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم
ببعض قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم
وعتوا عتوا كبيرا ● وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يطمعون في الثواب على الأعمال وقيل لا يأملون لقاءنا لا يطمعون
في الثواب على الأعمال وقيل لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة وقيل لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف لولا
هلا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدق ما قال محمد أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك نظيرها قوله عز وجل [illegible]
قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلا لقد استكبروا في أنفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا معناه علوا في القول والعتو
أشد الكفر وأفحش الظلم قيل معنى في أنفسهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما
قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير
فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب
قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى
ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم قوله تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ● يوم نصب بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة وهو يوم القيامة
يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير وقيل منصوب بإضمار اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون أي الملائكة للمجرمين حجرا محجورا أي حراما محرما عليكم البشرى بخير وقيل حراما محرما عليكم الجنة
وقيل هذا قول الكفار للملائكة ابن جريج كانت العرب إذا نزلت بهم شدة أو رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا أي حراما
محرما عليكم البشرى بخير وقيل حراما فيقال إن الكفار حين عاينوا الملائكة قالوا مجاهد عوذا معاذا أي يستعيذون من الملائكة
ذكر سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون
بها عند لقاء عدو موعد أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا فيقول
حجرا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه وكأن المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا
ويحجره حجرا وقدمنا ليس هاهنا قدوم ولكن مثلت حالهم وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة
رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا
عليه فعمد إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج

من الكوى

من الكوى مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثال العرب أقل من الهباء منثورا صفة الهباء وقلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم
بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف
أن شبههم بالعصف حتى جعله مأكولا بالأكال ولكن أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا أو مفعول ثالث لجعلناه أي جعلناه جامعا
لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة قوله تعالى
أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ● ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ● الملك يومئذ الحق
للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ● ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ● يا ويلتى ليتني
لم أتخذ فلانا خليلا ● لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ● لما بين حال الكفار في الخسار
الكلي والخيبة التامة شرح وصف أهل الجنة أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين
يتجالسون ويتحادثون وأحسن مقيلا مكانا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن
كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب يعني أن أهل الجنة لا يمر بهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله
إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء في الجنة
وهؤلاء في النار وعن ابن عباس في هذه الآية الحساب من ذلك اليوم في أوله وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة
وروي أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون ما بين العصر إلى غروب الشمس وأنهم ليتقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ
الناس من الحساب سمي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يتزين
به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين والزين ويوم تشقق السماء معطوف على قوله يوم يرون
الملائكة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تشقق بتشديد الشين لإدغام التاء في الشين لأن الأصل تتشقق والباقون بتخفيف الشين
على حذف التاء والمعنى تشقق السماء بالغمام ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما يقال
شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فإن قلت أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وانشقت
عن النبات قلت معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة تفتحت عنه عند طلوعه والمعنى
أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال
العباد الملك يومئذ الحق الثابت الخالص الذي لا يزول للرحمن وبطلت ممالك غيره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين
عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه نزلت في أبي بن خلف كان يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه
من غير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك وقيل إن عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله ففعل فأكل رسول الله فشهد بذلك عقبة فبلغ
ذلك أبي بن خلف وكان خليله فقال صبوت يا عقبة قال لا والله ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك وليس من نفسي فنزلت
هذه الآية الظالم الكافر قيل أبي بن خلف وقيل عقبة على يديه عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق
الأسنان كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة
الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه يقول يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا يعني ليتني صحبت الرسول وسلكت معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم أتشعب بي طرق الضلالة والهوى
أراد أني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا أبو عمرو يحرك الياء في ليتني والباقون
بسكونها ليتني لم أتخذ فلانا ابن عباس أبي بن خلف وقيل عقبة بن أبي معيط وقيل الشيطان وقيل أمية بن خلف
فإن قيل لم كني عن من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المداجاة فما وجه الكناية في الجواب أراد بالظالم كل ظالم وأراد بفلان كل
من أطيع في معصية الله وأرضي بسخط الله وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه لقد أضلني عن الذكر أي ذكر الله أو القرآن
أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الإسلام والشيطان إشارة إلى خليله سماه شيطانا لأنه
أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة وقيل أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول ثم خذله وقيل أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والإنس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية
كلام الظالم وأن يكون كلام الله والإنسان خذول لا ينفع الكافر غدا ولا يغني عنه شيئا في الآخرة قوله تعالى وقال الرسول
يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ● وقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إن قومي قريشا قرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو بسكون الياء والباقون بتحريك الياء وقيل إنما يقوله يوم القيامة والمعنى يقول الرسول يومئذ وذلك شاكيا
من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجأوا إليه وشكوا
إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا لا يلتفتون إليه فلا يؤمنون به وقيل هجروا فيه
أي كالهذيان يقال فلان يهجر في منامه أي يهذي وقيل الهجر ما لا ينتفع به من القول قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ● ثم أقبل عليه مسليا ومؤتسيا وواعدا النصر عليهم وكذلك أي كما
جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين من مشركي قومه فاصبر لأمري كما صبروا
فإني ناصرك على من ناواك وكفى بربك هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم هاديا ونصيرا منصوبان
على الحال والتمييز قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه
ترتيلا ● ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ● الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا

هذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه وقال الذين كفروا لولا هلا انزل
على محمد القرآن جملة واحدة دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على
عيسى وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا الذي قالوه فضول من القول ومماراة بما لا طائل
تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك لنقوي به قلبك
فتعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة
لعيي بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب
وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان
من القرآن الناسخ ومنه المنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور ففرقناه ليكون اوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وايسر على العامل به ورتلناه ترتيلا ابن عباس رض بيناه ترتيلا الحسن والنخعي وفرقناه تفريقا آية بعد آية شيئا بعد شيء
ابن زيد وفسرناه تفسيرا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وبيناه وقراناه اي قراته بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة في صفة
قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ولا ياتونك يا محمد يعني هؤلاء المشركين بمثل يضربونه لك في ابطال
امرك الا جئناك بالحق اي بما تدحض به ما جاؤا به من المثل وقيل بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان
الا جئناك بالحق في ما تدحض به ما جاؤا به من المثل وقيل بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا
جئناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن تفسيرا او تفصيلا وقيل احسن معنى ومؤدى من سؤالهم
الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم
ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه
كذا وكذا وقيل لا ياتونك بمثل مثل ما قالوا في عيسى كيف خلق من غير اب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل لا ياتونك
بشبهة في ابطال امرك الا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة اهل الجهالة ويبطل كلام اصحاب الزيغ واحسن تفسيرا
من شبههم وقيل لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك
ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا جئناك نحن بالحق اي بما يحق لك في حكمتنا
ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا
ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل جملة واحدة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا
الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون
مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف لعلمتم ان الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل
سبيلا وخط طريقة قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ويجوز ان يراد بالمكان الشرف
والمنزلة او الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم
ينسلون نسلا قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين
عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ● لما قال
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وحكى ما نزل بمن كذب بهم من اممهم فقال تسلية للنبي ولقد
لست يا محمد باول من ارسلنا فكذبه قومه ولقد آتيناه الآيات فقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
معينا وظهيرا والوزير في اللغة الذي يتحمل الثقل والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يؤازر بعضهم
بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم في الآية متروك استغني عنه بدلالة
الكلام عليه تقديره فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اهلكناهم اهلاكا كقوله اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق
اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة
الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقيل انما يسمى الآيات بعد وجود الرسالة فكيف يقع التكذيب منهم قبل
وجود الآيات بعد وجود الرسالة فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات فالجواب انهم كانوا مكذبين
انبياء الله تعالى وكتبه المتقدمة ومن كذب نبيا فقد كذب سائر الانبياء وقوم نوح قيل اهلكنا قوم نوح وقيل
هو عطف على هم في قوله فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل منصوب بفعل مضمر يفسره قوله اغرقناهم اي اغرقنا
قوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم يعني لما كذبوا نوحا وادريس وآدم كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا
او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع ولم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم اي جعلنا القوم الذين
كذبوا باياتنا وهم قوم نوح وقيل جعلنا قوم نوح وقيل اغراقهم وقصتهم للناس آية واعتدنا هيأنا للظالمين
للكافرين عذابا اليما في الآخرة وعادا اي واهلكنا عادا وقيل عطف على هم في جعلناهم وقيل عطف على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين واصحاب الرس عن ابن عباس في رواية العوفي الرس بئر وفي رواية عكرمة بئر باذربيجان
ابن اسحاق بئر باليمامة الكلبي بئر بانطاكية قتادة الرس قرية من قرى اليمامة ابو عبيدة الرس المعدن قيل سموا

بالرس

بالرس لانهم رسوا نبيهم في البئر اي دسوه فيها وقيل كل ركية لم تطو فهي رس وقيل اصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
شجرة فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهودا بن يعقوب فحفروا له بئرا والقوه فيها فهلكوا قاله علي رضي الله عنه وقيل سعيد بن
جبير انهم قوم كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم فاهلكهم الله حنظلة بن صفوان فقتلوا نبيهم
فاهلكهم الله وهب بن منبه كانوا اهل بئر يقعدون عليها واصحاب مواشي
وكانوا يعبدون الاصنام فوجه الله اليهم شعيبا عليه السلام يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم
وفي اذى شعيب فحذرهم الله تعالى عقابه فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر فخسفت بهم وبديارهم ورباعهم
فهلكوا جميعا السدي هم الذين قتلوا حبيبا النجار قتلوه في بئر لهم وهو الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين الرس البئر انهم
قوم قتلوا نبيهم واكلوه واول من عمل السحر نساؤهم وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل هم بقية قوم ثمود
وقوم صالح وهم اصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في قوله وبئر معطلة وقصر مشيد وقرونا اي واهلكنا امما بين ذلك المذكور
وبين هذه الامم كثيرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير
اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود وكلا منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او وعدنا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا
لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره وقيل وكلا ضربنا له الامثال في اقامة الحجة عليهم
فلم نهلكهم الا بعد الاعذار والانذار وكلا تبرنا تتبيرا اهلكنا اهلاكا وكسرنا تكسيرا قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي
امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ● ولقد اتوا على القرية يعني سدوم من قرى قوم لوط وكانت
خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث التي امطرت مطر السوء اي الحجارة يعني ان قريشا
مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا يرونها اما شاهدوا ذلك
بابصارهم في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله فيتعظوا ولم يرجعوا عن كفرهم بل كانوا قوما كفرة بالبعث
لا يتوقعون نشورا كما تامله المؤمنون فوضع الرجا موضع التوقع لانما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا
ومروا بها كما مرت ركابهم وقيل يا ملون نشورا كما تامله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم وقيل لا يخافون على اللغة التهامية
قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا
عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ● لما بين تعالى لجة المشركين في انكار نبوته وقابلوا الشهادات
وذلك ذكر بعده انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا على ترك الايمان بل زادوا عليه الاستهزاء والاحتقار
ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا والآية نزلت في ابي جهل واصحابه واذا راوك يا محمد يعني المشركين ان
يتخذونك نافية اي ما يتخذونك الا هزوا موضع هزؤا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله
رسولا واخراجه في معرض التسليم وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزءوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى
انه مبعوث من عند الله رسولا ان كاد ان مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة بين المخففة والنافية اي انه كاد
ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم
مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم
بعبادة آلهتهم عن آلهتنا يصرفنا لولا ان صبرنا عليها على آلهتنا لصرفنا عنها ولولا في مثل
هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا اذ
نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه
استفهام تعجيب وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد الحجر او الصنم فاذا راى احسن منه رماه واخذ الآخر فعبده ابن عباس
ابن عيينة كان اذا هوى شيئا عبده وقيل اتخذ الهه هواه هل ترى اعجب ممن لا يعبد الا ما يهواه والمعنى يتخذ ما يهواه الهه والهوى
ميل القلب افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن ذلك وقيل كفيلا بهداية مع اتباع الهوى وقيل نصيرا من كان طاعة الهوى
دينه يتبعه الهوى في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله آلهة فيقول للرسول هذا
الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام ويقول لا بد ان تسلم
شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله تعالى لست عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ام تحسب منقطعة معناه بل
اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي الاسماع والعقول
لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح
ضلالة منها ان اكثرهم اغفل لان فيهم من لا يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء
ان اكثرهم يسمعون ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون ما يعاينون من الحجج والاعلام ان هم ما هم الا كالانعام بل هم
اضل من الانعام لان الانعام تنقاد لارباب التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء
اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الجنة ولا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار

الم تر

والهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي ﴿قوله تعالى﴾ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا
ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ● لما بين جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقهم في ذلك ذكر بعده
أنواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع ألم تر إلى فعل ربك قيل يجوز أن يكون رؤية العين والمعنى ألم تعلم وهذا أولى لأن
الظل وإن جعل من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي ولكنه معلوم من حيث إن كل متغير حادث فله محدث والظل
من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كيف مد الظل أي جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي ثابتا
دائما لا يزول ولا تذهبه الشمس قال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال قيل
ولو شاء لجعله ساكنا لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده
تحركا منه وعدم ذلك سكونا وقيل ساكنا من السكون أي الظل ساكن غير متحرك ثم جعلنا الشمس عليه أي على الظل دليلا
قيل معنى دلالة الشمس على الظل أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل إذ الأشياء تعرف بأضدادها وقيل يعني كون الشمس دليلا
أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون
حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقيل الظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل إذا
ارتفعت الشمس قصر الظل وإذا انحطت طال ثم قبضناه أي الظل إلينا قبضا يسيرا بالشمس التي تأتي بها فتنسخه وقيل معنى
يسيرا خفيا سريعا سهلا قليلا قليلا وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض
واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا وموقع ثم في هذين الموضعين لبيان تفاضل الأمور الثلاثة كأن
الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
وقيل إنه تعالى مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فيناء لا
جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه
ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا
يسيرا غير عسير أو يحتمل أنه يقبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه
بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا سترا يستترون به ويسكنون فيه والنوم سباتا قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم
والسبات القطع والاستراحة وقيل سباتا أي سبوتا يقال المسبوت المريض فهو مسبوت إذا غشي عليه شبه ما يشتمل
من ظلام الليل إلباسا والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل
وجعل النهار نشورا يقظة وحياة ينتشرون فيه ويتحركون لابتغاء الكسب وقيل لما سمى الليل وفاة في قوله يتوفى الأنفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها سمى اليقظة نشورا قصدا بنشر الميت وقيل لانتشار الناس للمعاش سماه
نشورا وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل
كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان
أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام
المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورا بليغا في طهارته وقيل هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته
في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله وينزل لكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور
يجيء صفة كما مر واسما لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما توقد به النار ويجيء مصدرا كقولك
تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة لنحيي به بلدة
ميتا ولم يقل ميتة لأنه رجع إلى المكان والموضع أي بإنزالنا من السماء ماء طهورا [illegible]
موتها وقيل لما ينبت فيها لما فيه حياة الحيوان جعل ذلك حياة لها ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي جمع إنسان قال صاحب
الكشاف فإن قلت إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك
كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش قلت لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور
إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في
ظواهرهم وأن يربؤوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم وإنما خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب
لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة
بها فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم [illegible]

[illegible]

وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين خلطهما يقال مرج
وقيل مرجهما أخلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره سمى الماءين
الكثيرين الواسعين بحرين هذا عذب فرات الذي بلغ الغاية في العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة وهذا ملح أجاج الملح نقيضه وفي كلام بعضهم
وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج برزخا حاجزا من قدرته كقوله عز وجل بغير عمد ترونها يريد
بغير عمد مرئية وهو قدرته وهما في مرأى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر قال بعض الحكماء رأيت
عند عبادان من سواد البصرة الماء العذب ينحدر في دجلة نحو البحر ويأتي المد من البحر فيلتقيان فلا يختلط أحد الماءين بالآخر
ترى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء وإلى جانبه
ماء البحر في مكان واحد وقيل إن الحاجز الأرض وحجرا محجورا سترا ممنوعا يمنعهما ولا يفسد الملح العذب وقيل حجرا محجورا
هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له
حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما
في صورة الباغي على صاحبه فيتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء أي
النطفة بشرا فجعله نسبا وصهرا أي قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وصهرا
وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه
ومقاتل النسب سبعة والصهر خمسة وقرأ قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم إلى آخرها ابن سيرين في قوله تعالى وهو الذي
خلق قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله
عنها عليا رضي الله عنه وهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسبا وصهرا وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا
نوعين ذكرا وأنثى ﴿قوله تعالى﴾ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك
إلا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى
به بذنوب عباده خبيرا ● لما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تهجين سيرتهم في عبادة الأوثان ويعبدون [illegible]
ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم إن تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا أي يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك
روي أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالكافر أبا جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير
كما جاء الصديق والخليط يريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان هذا
الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت
إليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا تسلية لمحمد صلى الله
عليه وسلم أي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك حسرات تحرصا على إيمانهم فإنما أنت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفار بالنار
ولست مطالبا بإيمانهم أجمعين وقيل تعلق ذلك بما تقدم من بيان أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه ليبين أنه ما أرسلناك
إلا لتبشر من أطاعه وتنذر من عصاه فيستحقون الثواب ويحترزون من العقاب فلا جهل أعظم من جهل من سعى
جهده في [illegible] قل ما أسألكم عليه من أجر أمره الله تعالى بأن يحتج عليهم مزيلا لوجوه

بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء اي لا اطلب مالا ولا نفعا يختص بي الا من شاء قيل الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى
لكن مسئولي ومطلوبي من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا من يتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة وقيل المعنى لا اسألكم اجرا الا انفاق المال في
سبيل الله فهذا هو المسئول وهو السبيل الى الرب فعلى هذا الاستثناء متصل وكانه قال الا اجر من شاء قيل والاول اظهر
قال صاحب الكشاف مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك
في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب
ولكن صوره بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان
كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك
ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه
ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة
في سبيل الله وتوكل امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو
طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الحي
الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأ هذه الاية فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق وكفى به بذنوب عباده
خبيرا اي انه ليس له من امر عباده شيء امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم قوله تعالى الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يتوكل عليه وصف نفسه
باموز منها انه الحي الذي لا يموت ومنها انه قادر على كل الممكنات واليه اشار بقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام كل يوم من ايام الاخرة
وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها الجمعة قال صاحب الكشاف وجهه
ان الله سبحانه تعالى علم الملائكة تلك الايام المعتدة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه
جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا يسأل عنه لداعي حكمة
لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة
الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك
والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبانه حكيم
حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير
انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة
فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدا والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدا
محذوف او بدل عن المستتر في استوى فسئل به بمعنى عنه قال علقمة فان تسألوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء
طبيب فالباء صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه وقيل به صلة خبيرا
وخبيرا مفعول سل اي فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته وقيل معناه فسل رجلا خبيرا به وبرحمته وقيل فسل بسؤاله
خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا وقيل خبيرا حال من الهاء اي فسل عنه عالما
بكل شيء وقيل الضمير المجرور في به يرجع الى الله وقيل الى اسمه الرحمن لانهم قالوا لا نعرف الرحمن وقيل الى ما ذكر من خلق
السموات والارض وغير ذلك وقيل الخبير جبريل وقيل انه الله والمعنى سلني فانا الخبير وقيل انه القرآن وقيل مسلمة اهل
الكتاب وهذا يخرج على قولهم لا نعرف الرحمن فقيل سلوا مسلمة اهل الكتاب فان الله خاطب موسى في التورية باسم الرحمن
فعلى هذا الخطاب للنبي والمراد به سواه وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه
فقيل سل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة
يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اي الكفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قيل سألوا
عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما وقيل هو سؤال عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم
كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم وقيل لانهم انكروا اطلاقه على الله وقيل انهم قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة
فانكروا ان يكون من اسماء الله انسجد لما تامرنا بالتاء وقرأ حمزة والكسائي يامرنا بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا به محمد
او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو والباقون بالتاء اي للذي تامرنا بالسجود له على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وزادهم قول
القائل اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين والايمان قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا لما حكى عن الكفار تعريبا لنفرة عن السجود وذكر انهم لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة فقال تبارك
الذي جعل في السماء بروجا هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت

[هامش: ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب]

سميت بالبروج

سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره
مجاهد وقتادة هي النجوم وقيل النجوم الكبار عطاء هي السرج وقيل ابواب السماء التي تسمى المجرة وجعل فيها اي في السماء
وقيل في البروج سراجا يعني الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا بضم السين والراء واسقاط
الالف وهي الشمس والكواكب العظام معها وقمرا منيرا قيل لما اقترنت الشمس وهي جرم مضيء لاجل الحرارة سراجا ولما
عدم ذلك في القمر جعله منيرا قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
الخلفة من خلف وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة
يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال
بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه ابن عباس كل واحد منهما يخالف الاخر في اللون هذا ابيض وهذا
اسود مجاهد كل واحد منهما يخلف صاحبه لمن اراد ان يذكر قرأ حمزة وخلف تخفيفا الذال والكاف الذكر والباقون بتشديد
الذال اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا اي شكر نعمة الله عليه والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد من انتقالهما
من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل
والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وعباد الرحمن اضافة العباد الى الرحمن اضافة تخصيص وتفضيل وان كان الكل عباده ولهذا قيل يعني افاضل العباد وقيل
وعباد الرحمن الذين يرضاهم ويحمدهم وقيل عباد جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار وراجل ورجال اي الذين يعبدونه
حق عبادته وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة في اخر السورة والذين يمشون صفة لهم كانه قيل وعباد الرحمن
الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون على الارض هونا حال من الضمير في يمشون
بمعنى هينين ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وهو المشي بمعنى يمشون مشيا هينا الا انه وضع المصدر موضع الصفة والهون
الرفق واللين وقيل هونا بالسكينة والوقار والطاعة والتواضع غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين الحسن حلماء
علماء محمد بن الحنفية اصحاب وقار وعفة لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا الهون في اللغة الرفق واللين واذا خاطبهم الجاهلون
بما يكرهونه قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الاثم والايذاء الحسن يحلمون عليهم دليله قوله تعالى واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقيل سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر
اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم وقيل المراد بالجاهلين الكفار وقيل السفهاء وعن ابي العالية نسختها
اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم
للعرض والورع والذين يبيتون لربهم البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم ابن عباس من صلى بالليل ركعتين
او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما وقيل هذا وصف لحالهم مع الناس وهذا حالهم في الخلوة اي يحيون الليل او اكثره بالصلوة
ساجدين وقائمين سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم ويجوز ان يكون مصدرا وقدم السجود واخر القيام لرؤوس الاي
وليعلم ان القيام في الصلوة والمعنى يتركون النوم لعبادة الله وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب من
الكفار ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه وفلان مغرم بفلان اذا كان مولعا به لا يصبر
ولا يفارق ومنه الغرام وقال الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه
لا يبالي وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون
الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انها اي جهنم ساءت مستقرا ومقاما في ساءت
ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي
ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والقولان
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد
في النفقة وقيل لم ينفقوا في المعاصي الاسراف في الانفاق في المعصية سمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير
ولم يقتروا وقرأ ابن كثير وابو عمرو يقتروا بفتح الياء مكسورة التاء وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم التاء ونافع
وابن عامر بضم الياء وكسر التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف فوصفهم بالقصد الذي هو بين
الغلو والتقصير التضييق الذي هو نقيض الاسراف فوصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقتير وبمثله امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون الطعام
للتنعم واللذة ولا يلبسون الثياب للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله وكان
بين ذلك اي بين الاسراف والاقتار قواما عدلا بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام من الاستقامة
السواء من الاستواء قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون

ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما سبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله
الها اخر وقيل ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول
وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الاية الى قوله غفورا رحيما وقيل ان وحشيا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله ... اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم
ربي فهل يقبل مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية فتلاها عليه فقال ارى شرطا
فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعى
به فتلا عليه فقال فلعلي ممن لا يشاء انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الاية فقال نعم الان لا ارى شرطا فاسلم وهذا وحشي هو قاتل حمزة قال ابن الجوزي وفي هذا الحديث المذكور نظر وهو بعيد الصحة
والمحفوظ في اسلامه غير هذا وانه قدم مع رسل الطائف فاسلم من غير اشتراط حرم الله اي حرم قتلها الا بالحق
متعلق بهذا القتل المحذوف اي لا يقتلونها الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء الاثم وقيل يلق عقوبة
وقيل يلق اثاما هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم الاثام والغي بئران في النار وقتادة اسم واد
في جهنم وقيل الاثام واد يجتمع فيه الزناة يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد
حطبا جزلا ونارا تاججا قرا عاصم يضاعف بالرفع على تقدير يلق اثاما كانه قيل ما لقي الاثام فقيل يضاعف العذاب
والباقون بالجزم بدلا من قوله يلق وهو جزم على الجزاء وابن كثير وابن عامر يضعف بالالف وتشديد العين والعذاب
من مضاعفة العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة
لمضاعفة المعاصي فيه ويخلد قرا ابن عامر بالرفع على الاستئناف او الحال والباقون بالجزم فيه وقرا ابن كثير
وحفص فيه بياء هاهنا خاصة والباقون بلا ياء الا من تاب رايت رسول الله فرح بشيء فرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل انها منسوخة قيل نسخها قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم قال ابن عباس وكان يقول هذه مكية نسختها التي في النساء مدنية وقيل انها نسخت بقوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به الاية وقيل ان الاولى نسخت بالثانية وهي قوله الا من تاب وقيل انها محكمة والخلود اما لانضمام الشرك
الى القتل والزنا وقيل بفساد القول بظاهره لان القتل لا يوجب تخليدا عند الاكثر بخلاف الشرك لا يغفر لو مات المشرك عليه
والاستثناء ليس بنسخ وقيل عمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن ابن عباس يبدل الله شركهم ايمانا
وقتلهم امساكا وزناهم احصانا وهذا يدل على انه يكون في الدنيا وقيل انها تكون في الاخرة وقيل يبدل الله سيئات
المؤمنين اذا غفرها لهم حسنات حتى ان العبد يتمنى ان تكون سيئاته اكثر مما هي الحسن ود قوم يوم القيمة انهم كانوا في
الدنيا استكثروا من الذنوب فقيل من هم قال الذين قال الله فيهم فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
ويؤيده حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه فتعرض
عليه صغار ذنوبه وتخبا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق
من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال صاحب الكشاف ابدال السيئات حسنات انه يمحوها
بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين
وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ومن
ترك الذنوب وندم عليها ودخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب
وقيل ومن تاب حقق التوبة بالعمل الصالح فانه بفعل الصلاح بعد التوبة فهو تائب الى الله حق التوبة وقيل من رجع عن ذنوبه
ورجع الى الحق فانما رجع الى الله الى ثوابه ولحسابه وهذا اجمال الوعد من الله للتائب وقيل من عزم على التوبة فانه يتوب
الى الله فليبادر اليها وليتوجه بها الى الله وقيل ومن تاب فليتب لله لا لغيره كما قال الشاعر فان الله تاب اذ كثير
ولكن تاب خوف سعيد زيد وقيل ان المعنى من ذنوبه فانه يتوب الى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
وقيل فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقيل فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا اي مرجع يحمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين
فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه
وكذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب
وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى صلى الله عليه وسلم
ومجالسة الخطائين قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين لا يشهدون الزور
الفحش كمجلس الشرك وقيل تعظيم الانداد وقيل شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق محمد بن الحنفية اللهو والغناء الزور
الكذب واصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من سمعه او يراه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل

قرا ابن عباس قراها على عهد النبي ... لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب

العين م

[illegible]
وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووحد القرة لانها مصدر واصلها من البرد لان العرب تتاذى بالحر وتستروح البرد
واجعلنا للمتقين اماما يقتدي بنا قال ابن عباس ائمة هداة كقوله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا ولا تجعلنا ائمة ضلالة
كقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار وقال قتادة هداة دعاة خير مكمل الائمة في التقوى يقتدي بهم المتقون وقيل هذا من المقلوب
اي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم ولم يقل ائمة لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل
الصيام والقيام وقيل اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا وقيل اراد
جعل كل واحد منا اماما وقيل اراد جمع آم كصائم وصيام وقيل اراد اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا قيل
في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة
قيل من في قوله من ازواجنا بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم فسرت القرة بقوله من ازواجنا ثم بينت القرة بقوله
من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعل الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وقيل ابتدائية على معنى
هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح نكر اعين لتنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين قوله
تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
اولئك يجزون يثابون الغرفة الدرجة الرفيعة والغرفة كل بناء عال مرتفع وقيل المراد الغرفات وهي اعلى منازل الجنة
وحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس يدل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون بما صبروا بصبرهم على امر ربهم
وطاعة نبيهم وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وعن الشهوات وقيل لاجل الابتلاء في كل مصبور عليه ويلقون
فيها قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم يلقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون بفتح الياء
وسكون اللام وتخفيف القاف تحية وسلاما ابن عباس يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام وقيل التحية
دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة او ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم
وقيل يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة مقاتل التحية السلام وسلاما سلم الله لهم امرهم وتجاوز عنهم خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة
اتبع ذلك البيان بانه انما اكترث لاولئك وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم
لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به قل ما يعبا بكم ربي اي ما يصنع وما يفعل بكم لولا عبادتكم
شيئا اي لم اعتد بوجوده وعدمه سواء معناه اي مقدار لكم واصل هذه الكلمة تهيئة الشيء يقال عبات الجيش وعبات
الطيب عباوة اذا هياته وعملته لولا دعاؤكم اياه وقيل لولا عبادتكم وطاعتكم اياه وما في قوله ما يعبا متضمنة لمعنى الاستفهام
وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء
لولا عبادتكم معنى ما يعبا بكم ربي اي قدر يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية وقيل المراد من قوله لولا دعاؤكم انه خلقكم
لعبادته نظيره قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ابن عباس حبر الامة للكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين
لو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وقيل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم اياه في الشدائد بيانه فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقيل ما يعبا بخلقكم ربي لولا دعاؤكم معه الهة وشركاء بيانه ما يفعل الله بعذابكم

فسوف يكون تكذيبكم لازماً وقيل فسوف يكون جزاء التكذيب ... لزاماً ... لا زماً وهلاكاً مثبتاً يلحق بعضكم ببعض وقيل هو ما وقع يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون تمت سورة الفرقان

سورة الشعراء

كلها مكية الا اربع آيات منها نزلت بالمدينة من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية والف ومائتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة واربعون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم • قرأ حمزة والكسائي بامالة الالف واظهار النون عند الميم ... عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما نزلت طسم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاء طور سيناء والسين الاسكندرية والميم مكة ... ابن عباس الطاء طيبة والسين بيت المقدس والميم مكة ... جعفر الصادق الطاء طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد ... ابن عباس قسم اقسم الله تعالى به وهو من اسماء الله تعالى وقال القرظي اقسم الله تعالى بطوله وسنائه وملكه ... مجاهد اسم السورة ... قتادة من اسماء القرآن تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته ...

من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ● فاتيا موسى وهارون فرعون فقولا
انا رسول رب العالمين لم يثن الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن
بد من تثنيته وجعل هاهنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة
بالمصادر نحو صوم وزور قال ... وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى
الرسالة لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول وقيل انما وحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما
على شريعة واحدة واتحادهما للاخوة كان حكمهما واحدا فكانهما رسول واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب
العالمين ان ارسل اي بان ارسل معنا بني اسرائيل الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة
وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلثين الفا قال صاحب الكشاف ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
ويقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتبة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال
التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي اي خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فانطلق موسى الى مصر وهارون
بها فاخبره بذلك فانطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه فدخل البواب فقال لفرعون هاهنا انسان
يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه فاديا رسالة الله تعالى فعرف موسى
عليه السلام لانه نشأ في بيته فلما عرفه قال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يلتبس وهذا
النوع من الاختصار كثير في التنزيل فينا وليدا اي صبيا سمي الصبي وليدا لقرب عهده من الولادة اي قالا لم تكن صغيرا
فربيناك ليس قد التقطناك من اليم وكفلناك من رضيعك وغذوناك الى ان صرت رجلا امتن عليه بحضانته اياه ولبثت
فينا اي جعلنا ومنازلنا ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثماني عشرة سنة وقيل اربعين سنة وقيل ثلثين سنة وفعلت
فعلتك التي فعلت اي جئت على ان ربيناك ان كفرت نعمتنا وفعلت فعلتك اي قتلت منا نفسا وانما قال فعلتك بفتح الفاء
لانها مرة واحدة قيل وكز القبطي وقتله وهو ابن ثنتي عشرة سنة وقيل خرج من عنده عشر سنين ثم عاد اليه يدعوه
ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة فانه صلى الله عليه وسلم وكان ابن مائة وعشرين سنة عدد عليه نعمته
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين لنعمتي وحق تربيتي وقيل وانت من الكافرين بالهك لانك كنت معنا على ديننا الذي تعيبه
وقيل من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون وقيل من الكافرين بالله حين قتلت نفسا بغير حلها قال صاحب الكشاف
وانت من الكافرين بالله حين قتلت نفسا بغير حلها قال صاحب الكشاف وانت من الكافرين بالله حين قتلت نفسا بغير حلها
قال صاحب الكشاف وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن
تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عاصم من يريد ان يستنبئه
من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم
ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والاهته او من الذين كانوا
يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها يشهد بذلك قوله تعالى ويذرك والهتك قال موسى فعلتها اذا ان فرعون
لما ذكر التربية وذكر القتل وقد كانت تربيته له معلومة ظاهرة ولم ينكرها موسى ولم يشتغل بالجواب عنها لانه تقرر
في العقول ان الرسول اذا كان معه حجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لا فصار قول فرعون غير مؤثر
وتبين هنا الكلام الاعراض عنه ... الجواب عن القتل بما لا شك ... منه في الجواب ابن عباس من الجاهلين اي
لم اكن جاهلا لم ياتني من الله شيء والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقيل من المخطئين اي قتلت نفسا خطا من غير تعمد للقتل وقيل من الذاهبين عن الصواب
وقيل من الناسين ومثله ان تضل احديهما اي كذب موسى فرعون بنفي قوله وانت من الكافرين ودفع الوصف بالكفر عن نفسه
وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن الكفر قال صاحب الكشاف فان قلت اذن جواب
وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي
بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك ففررت منكم
لما خفتكم على نفسي الى مدين فوهب لي ربي حكما نبوة وعلما وفهما وحكمة ... وجعلني من جملة
انبيائه ورسله قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ● اختلف العلماء في تاويلها فحملها بعضهم
على الاقرار وبعضهم على الانكار فمن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله ولم يستعبده كما استعبد
بني اسرائيل والمعنى تلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ... النحاس على الحذف ... ان عبدت
بني اسرائيل الحسن اخذت من بني اسرائيل اموالهم فانفقت علي منها ... وقيل ان ... بني اسرائيل ...
قد احبط نعمتك التي تمن بها علي وقيل وتلك نعمة تمنها علي استفهام انكار وقوله تلك اشارة الى تخلية بني اسرائيل اي تربيتك اياي
ان ارسل معنا بني اسرائيل اي تخليتهم ... معي كما امرك الله نعمة لك عندي لانهم قرابتي وقد اتخذتهم عبيدا وتحمل
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت فوضع بني اسرائيل موضع الضمير لانه واحد منهم وتعبيده اياهم ... الى حد قذف في اليم فربي
من ابويه واهل بيته ثم اتخاذ امه ظئرا وتحمل ايضا وتلك نعمة تمنها علي لولا ان عبدت بني اسرائيل ... بان عبدت ثم لان
احدهما رفع بالبدل من المبتدا وقيل من الخبر والثاني نصب على تقدير بان عبدت اي اتخذت عبدا قال صاحب الكشاف ثم كر على ...

بالتربية فابطاله من اصله واستئصاله من سنخه وابى ان يسمى نعمة لا نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني اسرائيل لان
تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذ حققت تعبيدهم
تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة ... الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان تلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني
اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين ● اعلم ان فرعون لم يقل لموسى وما رب العالمين
الا وقد دعاه موسى الى طاعة رب العالمين يدل على ذلك قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فلا بد عند
دخولهما عليه انهما قالا ذلك فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين ما سؤال عن الحقيقة اما بنفسها وهو محال او بما هو
داخل فيها وهو محال في حق الله تعالى اذ ليس بمركب او بما هو مركب من الداخل والخارج وهو محال ايضا في حق الله او بما هو خارج عنها
اما غير لازم فلا يصح التعريف به او لازم خفي فلا يصح التعريف به او جلي فيصح التعريف به فلا يصح تعريفه تعالى الا بما
هو لازم جلي واظهر آثار ذات الله تعالى هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما فتحقق انه لا جواب لقول فرعون
وما رب العالمين الا ما قاله موسى صلوات الله وسلامه عليه وهو قوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
باسناد هذه المحسوسات الى الله تعالى فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكره فقيل وما رب العالمين اي اي شيء رب العالمين
الذي تزعم انك رسوله الينا فاجابه موسى عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خلقهما وقيل وما رب
العالمين حقيقة ذاته من اي جنس واي نوع هو فاعرض عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلالة على الله تعالى بافعاله و
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تعرفون الاشياء بالدليل فكفى السموات والارض وما بينهما
دليلا بان الله سبحانه خالقها ومالكها ومدبرها وقيل ان كنتم موقنين بان السموات لا بد لهما من رب فالذي ادعوكم
اليه هو ذلك الرب وقيل ان كنتم موقنين انما تعاينونه كما تعاينون فكذلك فايقنوا ان ربنا رب السموات والارض وما بينهما
فتحقق انه لا جواب لقول فرعون وما رب العالمين الا ما قاله موسى صلوات الله وسلامه عليه وهو قوله رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات الى الله تعالى فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكر فقيل وما
رب العالمين اي اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله قال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
انه خلقهما وقيل وما رب العالمين حقيقة ذاته من اي جنس واي نوع هو فاعرض عن الجواب من هذا الوجه وصار الى الدلالة
على الله بافعاله وصنائعه قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تعرفون الاشياء بالدليل فكفى
السموات والارض وما بينهما دليلا بان الله سبحانه خالقها ومالكها ومدبرها وقيل ان كنتم موقنين بان السموات
والارض لا بد لهما من رب فالذي ادعوكم اليه هو ذلك الرب وقيل ان كنتم موقنين انما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فايقنوا ان
ربنا رب السموات والارض وما بينهما قال صاحب الكشاف وما رب العالمين يريد اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت
اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف ليس كمثله شيء اما ان يريد
اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته ثباته بصفته
استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل
عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب
سواه لادعائه الالهية قال لمن حوله الا تستمعون قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون الى سؤالي وجوابه وقد رد
على الاول للعالمين ورب السموات والارض وما بينهما واحد قال صاحب الكشاف فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب
الربوبية الى غيره قال الامام انما ذكر فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى اي انا اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة
وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية وتعريف الماهية بلوازمها لا تفيد معرفتها فلم يكن كونه رب السموات والارض وما بينهما جوابا
عن قوله وما رب العالمين قال موسى منبها لهم وملزما الحجة عليهم ربكم ورب آبائكم الاولين فاوضح كلامه بزيادة بيان
خالقكم وخالق آبائكم فضللتم وضلت آباؤكم وقيل انما قال موسى ورب آبائكم ... انما قال رب آبائكم لان فرعون كان
يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم قال الامام كان موسى عليه السلام عدل عن الخلق والمؤثر في السموات الى التعريف بكونه
خالق الناس وآبائهم لانه لا يمتنع ان يعتقد الجهلة ان السموات والارض ليست بمخلوقة ولا يمكن ان يعتقد العاقل في نفسه وفي
آبائه واجداده كونهم غير مخلوقين لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم ثم عدموا بعد الوجود وكان التعريف بهذا
اظهر ولهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول اليه قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف
صحته وقيل المجنون ... عن شيء ويجيب عن شيء وقيل المجنون ... الوجود الظاهري لان الجنون ...
لا نعقله وما ... وقيل كان ... لان موسى لما قال ان رب العالمين ارسلني اليكم
فرعون عن ملكه وانبساط قدرته كما تسأل الملوك عن الرسل ما صاحبك هذا اي ما مقدار ملكه وسلطانه قال
الامام قال فرعون المقصود من سؤاله طلب الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا تفيدها

فهذا الذي يدعي ان رسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه قال صاحب الكشاف فلما ثنى موسى بتقرير قوله
جننه لقوله وطنز به حيث سماه رسولهم قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم ذوي
عقول لم يخف عليكم ما اقول فقد بدأ في مصنوعات ربي حق التدبير تعرفوا الصانع بعد التدبر في صنعه قال الامام عدل موسى
الى طريق اوضح من الثاني وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وهذا الامر ظاهر فان هذا التدبير المستمر على الوجه
العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابرهيم عليه الصلوة والسلام مع نمروذ فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة
وهو الذي ذكره موسى ههنا بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين فاجابه نمروذ بقوله انا احيي واميت قال ابرهيم عليه السلام
ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى ههنا بقوله رب المشرق والمغرب
ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لا جواب عن سؤالكم الا ما ذكرت لانكم طلبتم تعريف حقيقته ولا يمكن الا بلوازم جلية وقد
عرفت حقيقته بآثار حقيقته فحقق ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته قال فرعون حين لزمته
الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق وتماديا في الغي لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال الكلبي
كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل اذا سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل اذا سجنه فيطرحه في مكان
فرد وحده لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا يهوي به في الارض قال موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك بشيء مبين مبين
صدق قولي ومعنى الاية اتفعل ذلك وان اتيتك بحجة بينة وانما قال موسى له ذلك لان من اخلاق الناس السكون
الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان قال الامام لما عجز فرعون عن الحجاج عدل الى التخويف فعند ذلك ذكر موسى كلاما
مجملا ليعلق قلبه فيعدل عن وعيده فقال له او لو جئتك بشيء مبين قال صاحب الكشاف فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم
وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه وهو ان هذا الذي يليق بجلال فرعون الى آخر ما له عليه السلام
فقال ان كنتم موقنين فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم
لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون وانما قال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك وان كان اخصر لانه غير مؤد
مؤداه لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني والواو في قوله او لو جئتك واو الحال دخلت عليها
همزة الاستفهام ومعناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة قال فرعون فات به فالايمان بك
حينئذ ان كنت من الصادقين وتعلقات بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين ان لك بينة وقيل ان كنت
من الصادقين ان لك ربا بعثك اليه بنبوة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله فقوله ان كنت من الصادقين لا ياتي
بالمعجزة الا الصادقون في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لدعوى النبوة وعادة الله وسنته جارية بانه لا يصدق
الكاذب قال صاحب الكشاف ومن البعيد ان يشتبه فرعون او يخفى عليه مثل هذا وحكي عن ابن من اهل العدل احتجت
النبي على الشيخ ابن هم بتصديق الكاذبين بالمعجزات تعديد ان كنت من الصادقين في دعواك ائت بشيء فانه لا
بالاتيان به يدل عليه وقد علم جوابه في المقدمات مجملا ومفصلا الذين مضى فلا حاجة الى ذكره قوله تعالى فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين
ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر للناظرين قيل يدل على ان
بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا فرعون لما ابصر الآية الاولى
فقال الحمل عنها فنزع موسى يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال فرعون للملأ حوله نصب بنصبين نصب في اللفظ والعامل
فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال والعامل فيه قال والمعنى تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقي لا يدري
اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا
وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس
به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم وهو يوم الزينة ابن عباس وافق ذلك اليوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز ابن زيد كان اجتماعهم
للميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ وقيل للناس هل انتم مجتمعون لينظروا الى ما يفعل الفريقان
ولمن تكون الغلبة لموسى او للسحرة وقيل قال بعض اصحاب فرعون لبعض اجمعوا ليشهدوا ما يجري بين موسى وهارون وبين السحرة
وقيل قال فرعون للناس هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم كما يقول الرجل لغلامه
هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه اليه سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة في دينهم
ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة فقتل موسى وهارون وقيل نتبع السحرة اي موسى وهارون وقومهما

ان كانوا هم الغالبين على وجه الاستبهام فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم
اذا لمن المقربين ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه كان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا
عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارة في مكانها الذي يقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على عملهم
الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا
بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرته وجلال الله وعظمته
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون
قال صاحب الكشاف ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك
ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه
فاذا اقسم به فتلك عنده جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظر او
افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة لو ان ذلك ما جاء به موسى سحر ان يكن من عند الله
فلن يخفى علينا امره فلما تلقفت عصاه ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء فالقي
السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة
انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فقالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فالدعاء بغير لرب ومعنى اضافته اليهما في ذلك
المقام انه الذي يدعو اليه هذان وانه الذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه
لكبيركم وقد تبرد على امر ومكر ثم توعدهم فقال فلسوف تعلمون ذلك بحق قريب تعلمون وبال ما فعلتم وما ينزل بكم
من العقاب على ايمانكم لموسى قيل انه ذكر انهم خرج فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا
ضير لا ضرر والضير والضور واحد اي لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه
من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة وقيل لا ضير علينا فيما توعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى
ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابها واحلاها وقيل لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى
ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك
او علينا وقيل لا ضير بما هي ساعة نصير لعذابك ثم نصير الى ثواب الله وهو قوله انا الى ربنا منقلبون وقيل ان الحكم منا
ومنك سينقلب الى الله فيكافئك بالمرصاد ويجازيك جزاء مثلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا
اول المؤمنين من اهل زماننا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد السحرة
قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني
اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ثم ان الله تعالى الذي
لما ادام ظهارا امرهم في نجاة بني اسرائيل وغرق فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بني اسرائيل ليلا من مصر واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي هذا بعد سنين من زمن السحرة وايمانهم على المعنى سر بهم ليلا وانما فهمنا النفية لا يمانهم انكم متبعون
علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم قال صاحب الكشاف والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وقد روي انه مات في تلك
الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وعن بعضهم في هذه الآية اوحى الله عز وجل الى موسى
عليه السلام ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة
فلا تدخل بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى
البحر فياتيك امري ففعل ذلك فلما اصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا ابكارنا واخذوا اموالنا فارسل
فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في الكرسي العظيم وكانت مقدمته سبعمائة
الف كل واحد على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فارسل فرعون
في المدائن حاشرين يعني الشرط ليجمعوا الجيش يحشرون الناس من المدائن ليتبعهم ثم قال فرعون ان هؤلاء محكي
بعد قول مضمر لشرذمة قليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وانما استقلهم لكثرة من
قبلهم وقيل الجيد انه يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع
غلبتهم وعلوهم وانهم لنا لغائظون لمخالفتهم ديننا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم
من ارضنا بغير اذن منا وانا لجميع حذرون وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو حذرون بغير الف والباقون حاذرون بالالف
فقيل لا فرق بينهما فانهما لغتان معناهما واحد وقيل الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وقيل الحاذر المتسلح المؤدي
اي ذو اداة هي السلاح لانها اداة الحرب والحذرون الخائفون بالطبع قال صاحب الكشاف ولكنهم يفعلون فعل الا يفطن لحصول

صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم
فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه فاخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز مجاهد سماها كنوزا لانها لم ينفق في طاعة الله ومقام كريم منزل حسن ومجلس بهي وقيل المنبر الذي يخطب عليه
ابن عباس مجلس الامراء يحف به الاتباع وقيل الاسرة في الحجال كذلك قيل في محل الجر على انه وصف لمقام اي لمقام كريم مثل
ذلك المقام الذي كان لهم وقيل في محل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا وقيل في محل الرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل بهلاك فرعون وقومه الحسن لما عبروا النهر رجعوا و
اخذوا ديارهم واموالهم وقيل ذهبوا الى الشام وملكوا مصر زمن سليمان بن داود عليهما السلام فاتبعوهم فلحقوهم مشرقين
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان تقابلا بحيث يرى كل فريق منهما صاحبه
قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون قد قرب منا عدونا وقدامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله كلا لا يدركونكم لان الله وعد
النصر عليهم والخلاص منهم ان الله لا يخلف الميعاد ان معي ربي ناصري ومعيني سيهدين يدلني على طريق النجاة وقيل
سيعرفني طريق النجاة وقيل سيكفيني قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ● روي ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل
شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا فاوحى الله عز وجل ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق فانشق
فصار اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق جزء متفرق من الماء كالطود كالجبل المنيف العظيم لان الماء كان
منجما فلما انفرق استطال وارتفع في السماء كالجبل وصار لكل فريق منها مسلك لسبط منهم وظهر شيء فيها كوى ينظر منها
بعضهم الى بعض وازلفنا ثم اي قربنا حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل وقيل ادنينا بعضهم
من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد وقيل قدمناهم الى البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين فرعون
وقومه ان في ذلك لآية لدلالة قاطعة لمن تامل وما كان اكثرهم مؤمنين لم يؤمن من اهل مصر غير آسية وحزقيل وهو المؤمن ومريم
بنت ياموسا التي دلت موسى على عظام يوسف وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه قوله تعالى
واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين ● ان الله تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كفر قومه ثم
ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمدا ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم عليه السلام ليعرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ان حزن ابراهيم اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابراهيم عليه السلام ان يرى اباه وقومه كلهم في النار
هلاك وهو لا يتمكن من انقاذهم الا بالدعاء والتنبيه عليهم قرأ على مشركي العرب نبأ ابراهيم قصته والنبأ الخبر العظيم اذ قال لابيه
وقومه قيل قوم ابراهيم وقيل قوم ابيه ما تعبدون اي شيء تعبدون وكان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه يعلم انهم عبدة
[illegible]

وقد يبلغ التعريض للنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله
ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجلا ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو ببيتي ولا ببيتكم
والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة قال فهم عدو على تقدير ارادهم عدو او كانوا اصدقاء ومنه قوله تعالى
لكم عدو وشبههما بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والصهيل الا رب العالمين قيل الاستثناء منقطع والتقدير
لكن رب العالمين ليس بعدو لي وقيل الاستثناء متصل فانه كان في ابائهم الاقدمين من عبد الله لا زعم نسبه يرتفع
الى آدم وقيل انما تعبدون وتعبدون لي الا الله الذي تعبدونه مع غيره فانه ليس بعدو لي وقيل لانهم كانوا انكروا العبادة
المرفوعة لم ينكروا انه خالقهم ورازقهم فكانوا ههنا عابدين فصح الاستثناء وقيل من كان منهم عابدا لله مع
ان اثر العبودية فيه ظاهر فالاستثناء متصل وقيل الاستثناء منقطع دون كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ● لما حكى الله عن ابراهيم انه استثنى رب العالمين حكى عنه ايضا ما وصفه
به مما استحق العبادة ولاجله لم يحك عنه مما ساله عنه الاوصاف خمسة اولها قوله الذي خلقني فهو يهدين قيل
الذي خلقني وكلاك شيئا فهو يهديني الى الرشاد اذا عبدته ولم اشرك به شيئا ودخل الفاء لان المبتدا موصول
وان جعل الذي في محل نصب على الصفة فالفاء للعطف جملة على جملة وقيل الذي خلقني في الدنيا على فطرته فهو يهديني
الى الرب لا ما تعبدونه قال صاحب الكشاف فهو يهدين كما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن
امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه الى كيفية الارتضاع الى غير ذلك
من هدايات المعاش والمعاد قال الامام رحمه الله انه على نفسه يهديه الامر في قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
فنبه على الخلق والهداية بهما يحصل جميع المنافع للانسان لانه كالبدن من عالم الخلق والقلب من عالم الامر وتركب
القالب مقدم على افضاء القلب يدل على ذلك قوله تعالى فاذا سويته اشارة الى تسوية القالب وتعديله ونفخت فيه
من روحي اشارة الى اللطيفة الربانية هي من عالم الامر وايضا قال الله لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله
ثم انشاناه خلقا آخر اشارة الى الروح الذي هو من عالم الامر ولا شك ان الهداية من خواص الروح فقد ظهر بهذه الآيات
ان الخلق مقدم على الهداية وظهر من هذا ان قوله الذي خلقني فهو يهدين جامع لجميع المنافع في الدين والدنيا وذكر
الخلق بلفظ الماضي والهداية بلفظ المضارع لان خلق الذات لا يتجدد في الدنيا والهداية تتجدد في الامد المعلوم والهداية
تتكرر كل وقت سواء كانت هداية في المنافع الدنيوية وذلك بان يحكم الحواس بتمييز المنافع من المضار او في المنافع
الدينية وذلك بان يحكم العقل بتمييز الحق من الباطل والخير من الشر فتبين بذلك انه تعالى هو الذي خلقه بسائر
ما تكامل به خلقته في الماضي دفعة واحدة وانه يهديه الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة
ولمحة وثانيها قوله والذي هو يطعمني اي طعام شاء ويسقيني اي شراب شاء وقيل هو الذي يطعمني بلا طعام ويسقيني
بلا شراب يشبعني ويرويني من غيرهما كقوله صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ويدخل
فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق فانه تعالى اذا خلق له الطعام وملكه فلو لم يكن فيه ما يتمكن معه من اكله والاغتذاء به
من الشهوة والقوة والتمييز لم يكمل هذه النعمة وذكر الطعام والشراب وتنبيه بذكرهما على ما عداهما وثالثها قوله واذا مرضت
فهو يشفين اسند المرض الى نفسه وان كان من الله تعالى لان قومه كانوا يعدونه نقمة فاستعمل حسن الادب نظيرها
قصة الخضر حيث قال فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك وقيل لما فيه من كراهة قال صاحب الكشاف وانما قال مرضت دون
امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء
لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم قال الامام ان المرض انما يحدث باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك
الاستيلاء انما يحصل بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقاء الاخلاط على اعتدالها
وبقاؤها على اعتدالها انما يكون بسبب قاهر يقسرها على الاجتماع فعرفها ان الصحة انما يكون ايضا بسبب قاهر
على الاجتماع والاعتدال بعدما كانت بطبائعها مشتاقة الى التفرق فلهذا السبب اضاف الشفاء اليه سبحانه وما اضاف
المرض وعن جعفر الصادق اذا مرضت بالذنوب يشفيني بالتوبة ورابعها قوله والذي يميتني ثم يحيين ادخل ههنا ثم للقطع والتراخي
والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخليص عن آفاتها وعقوباتها والمراد من الاحياء الاحياء للمجازاة وقال اهل الاشارة يميتني
بالعدل ويحييني بالفضل يميتني بالمعصية ويحييني بالطاعة يميتني بالفراق ويحييني بالتلاقي يميتني بالخذلان ويحييني
بالتوفيق يميتني عني ويحييني بي يميتني بالجهل ويحييني بالعقل وخامسها قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فهو اشارة الى ما
هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالثواب والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اسند الخطيئة
الى نفسه قيل خطيئته قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي وقوله للكوكب هذا ربي
وقيل هذه ليست بخطيئة ولا ذنب لكل واحد منها وجه يصير ابراهيم مثابا بها انما لم يجوز ان يكون الطمع بمعنى اليقين
على الطامع لانه شك وقيل خطيئتي خطيئة اي فيكون الطمع على اصله للتشديد وقيل تعبد ابراهيم بان يدعو بهذا الدعاء
بقوله لا تخزني يوم يبعثون ومعلوم حقا انه لا يخزي لكن جعله الله بهذه الادعية اظهارا للعبودية وليقتدي به غيره
وقيل يحمل ذلك على ترك الاولى وقيل تسمى خطيئة فانه من مثال جوهرة وامكنه ان يبيعها بالف دينار فباعها بدينار قيل
انه اخطأ وترك الاولى على الانبياء بمنزلة الخطيئة يغفر لي اي هو الذي اذا غفر كان مغفرته لي ولا يجوز الا من ارضها قوله تعالى

رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان
من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ● انه تعالى لما حكى عن ابرهيم عليه السلم
ثناه على الله ذكر بعد ذلك دعاه ومسالته رب هب لي حكما قيل هو البيان عن الشي على ما توجبه الحكمة
فهما وعلما الى علمي وحكمة اي حكمة والحكم الحكمة والحقني بالصالحين بالانبيا الذين صلاحهم صاف عن شوب الفساد
وقيل هب لي حكما في الدنيا والحقني بالصالحين في الآخرة واجعل لي لسان صدق في الآخرين ذكرا جميلا وثناء حسنا
وقبولا عاما ...... في الامم الذين ياتون من بعدي وقيل اراد ان لا ينقطع النبوة من نسله وقيل اراد ان يجعل من ولده من يقوم
بالحق في آخر الزمان فاستجاب الله دعاه وجعله شجرة الانبيا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان من ذريته
وكل اهل الاديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم لما طلب سعادة الدنيا طلب بعد سعادة الآخرة
وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانها الذي يغتنم في الدنيا فشبه غنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا وقيل جاء بلفظ الورث
لان المؤمنين يرثون منازل الكفار وقيل لان الوراثة اقوى سبب يقع به الملك وقيل لانها يقع من غير تعب واغفر لابي
لما فرغ من طلب السؤالات الدينية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس اختصاصا به وهو ابوه وقد ذكرنا العذر في
استغفار ابرهيم لابيه في سورة التوبة بما فيه الكفاية ولا تخزني يوم يبعثون اي العباد او الضالين او بسبب الذي
اي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون كما ينفع في الدنيا يفدي ماله ويذب بنوه وقيل
المراد بالبنين جميع الاعوان وخص الاولاد لانهما لا ينفع البنون الذين هم اشد تعلقا فغيرهم اولى بان لا ينفع الا من
اتى الله بقلب سليم فيكون الاستثنا منقطعا وقيل لا ينفع مال ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم فانه ماله الذي
انفقه في طاعة الله وينفعه بنوه لانهم يستغفرون فيه قال صاحب الكشاف الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب
سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال هل لزيد مال وبنون فيقول ماله
وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على
المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنا كانه قيل يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا غنى الا غنى من اتى بقلب سليم لان غنى
الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثنا منقطعا ولا بد مع ذلك
من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين
لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثنا معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا
ينفع مال ولا بنون الا رجلا سليم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع
الحسن سليم من الشرك مجاهد سليم من الشك سعيد بن المسيب سليم صحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض
الجنيد السليم في اللغة اللديغ والمعنى كاللديغ من خوف الله الحسن بن الفضل من آفات المال والبنين وقيل سليم من البدعة
مطمئن على السنة قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا
كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ● اعلم ان ابرهيم عليه السلم
ذكر في صفة هذا اليوم امورا احدها قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقربت الجنة واظهرت
الجحيم للكافرين يجوز ان يكون هذا على وجه الوعيد ويجوز ان يقاد بها بالسلاسل كما جا في الاخبار وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون من دون الله استفهام توبيخ او يقال لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدون وتزعمون انها تشفع لكم وتقربكم الى الله
زلفى هل ينصرونكم فيدفع عنكم او ينتصرون لانفسهم بدفع النار عنكم فكبكبوا ابن عباس جمعوا مجاهد دهوروا مقاتل
قذفوا واصله كببوا فكررت الكاف فيها هم والغاوون يعني الشياطين قتادة ومقاتل والكلبي الكفرة وجنود
ابليس اجمعون وهم اتباعه ومن اطاعه من الجن والانس قالوا اي الكفرة وهم فيها اي النار يختصمون يخاصم التابعون
والمتبوعون يقول التابعون للمتبوعين غررتمونا وكذبتمونا او يقول المتبوعون للتابعين بل ضللتم باختياركم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم نعدلكم برب العالمين هذا من كلام التابعين واكدوا اقرارهم بالقسم وما اضلنا الا المجرمون
اي كبراونا الذين دعونا الى الضلال عامرا بابه وقيل المجرمون الشياطين وقيل ابليس وقيل ابليس وابن آدم القاتل
فما لنا من شافعين من الانبيا ولا صديق حميم من الاقارب يشفعنا او يشفع لنا والحميم القريب وقيل الشفيق وقيل
حميم الرجل من يخصه من قولهم دعي فلان في الخاصة لا في العامة او في الخاصة فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون
من المؤمنين يتمنون حين لم ينفعهم ذلك ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله
تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا
يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن
من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك
المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ● اعلم
انه تعالى قص على محمد عليه السلم خبر موسى وابرهيم تسلية فيما يلقاه من قومه قص عليه ايضا نبا نوح وكان نباه اعظم من نبا غيره

لانه كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذب به قومه فقال كذبت قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها
قويمة فلهذا الحق التاء للجماعة كقوله قالت الاعراب المرسلين يعني نوحا عليه السلم وحده لقوله تعالى يا ايها الرسل قال
صاحب الكشاف ونظيره قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة
وبرد وقيل انهم وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره لان طريقة معرفة الرسل لا يختلف ولهذا حكي
عنهم انهم كذبوا المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين وانما ارسل اليهم رسولا واحدا وقد كذبوهم جميعا
اذ قال لهم اخوهم لانه منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم
حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا . نوح الا تتقون الله فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول امين على الوحي عليكم
غير خائن لكم وقيل امين فيما بيني وبينكم
ايتمنني الله على رسالته وقيل صادق فيما بلغتكم وقيل امين فيكم عرفتموني بالامانة والصدق قبل اليوم فكيف لا اصدق
فيما بيني وبينكم من الامور والكذب على الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به فاني لا اخونكم ولا اسيء بكم سوء وقيل واطيعون
في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق ومعنى فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه اي على ما انا
ادعوكم اليه من اجر من مال وثواب او اجرة ان اجري الا على رب العالمين فذلك اريد فاتقوا الله واطيعون كرره ليؤكده
عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني قطع طمعه عنهم قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون السفلة وقيل الارذلون مالا وجاها
ابن عباس الحاكة والاساكفة وقيل الحجامون وقيل اهل الضعة والخساسة وقيل المكيدون وقيل انما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله وهكذا اتباع الانبيا
كل العصور صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتبعه ضعفا الناس وارذلهم قال كذلك اتباع الانبيا قال نوح وما علمي بما كانوا يعملون انما لي منهم ظاهر
امرهم وعلي ان ادعوهم وليس علي من خساسة احوالهم ودناة مكاسبهم شي وانما كلفني الله ان ادعوهم وقيل وما
واي شي علمي ولم اعلم انهم عملوا باخلاص اعمالهم لله تعالى واطلاعه على سرائرهم وبواطنهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع
استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله تعالى الذين
هم اراذلنا بادي الراي وقال صاحب الكشاف ويجوز ان يتغابى لهم نوح فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عند صاحب
ان يتغابى لهم نوح فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من سو الاعمال وفساد العقايد ولا يلتفت لما هو الرذالة عندهم
ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سي فالله
محاسبهم ومجازيهم عليه ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وقيل معناه اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم
ويخذلكم وقيل الى ظاهرهم والله يحاسبهم على ما في قلوبهم لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل
حيث سيركم وقصدتم بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان
الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين اي بمبعدهم عني وليس من شاني ان اتبع
شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين وما علي الا انذاركم انذارا
بينا بالبرهان الصحيح الذي يميز الحق من الباطل قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين المشتومين
قتادة المضروبين بالحجارة ابن عباس ومقاتل من المقتولين قيل كل شي في القرآن من ذكر المرجومين فانه يعني به القتل
الا الذي في سورة مريم لئن لم تنته لارجمنك فانه اراد لاشتمنك قال نوح رب ان قومي كذبون ليس هذا باخبار لعلمه
انه عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجل دينك ولاجل
انهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما والفتاحة الحكومة لانه يفتح المستغلق كما سمي
فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني ومن معي من المؤمنين من عذاب عملهم وقيل من عملهم لانه سبب العذاب
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو ثم اغرقنا بعد انجا نوح ومن آمن معه الباقين من قومه فاهلكناهم بالطوفان ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا
سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ● اتبنون بكل ريع بكل مرتفع من المكان
وقيل الريع السبيل سلك اولم يسلك واصله في اللغة الزيادة مجاهد الريع فج بين جبلين ابو عبيدة الريع الثنية الصغيرة
وقيل المنظر عكرمة واد مقاتل ... آية علما يستدلون بها كالنجوم ... في الطريق ... ليهتدوا بها
عليه قوله آية وقال مجاهد ايضا الريع بنيان الحمام دليله قوله تعبثون اي تلعبون وقيل قلاعه يجتمعون اليها
للعبث بمن يمر في الطريق وقيل جعل تفاخرهم بالابنية عبثا لا حاصل له وقيل المفعول محذوف تقديره اتبنون بكل
ريع ابنية عظيمة وآية منصوب على انه مفعول له وتتخذون مصانع جمع مصنعة وقيل ما خذ الماء وقيل البناء على الماء وقيل

أبنية كل بناء مصنعة وقيل قصورا مشيدة وأبنية محكمة وقيل حصونا لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
ابن عباس كأنكم تبقون فيها خالدين وقيل يشبه حالكم حال من يخلد وإذا بطشتم بسطوة وأخذ بطشتم جبارين قتلا
بغير حق وقيل إذا انتقمتم انتقمتم انتقام الجبارين بلا رأفة ولا إبقاء والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار
الذي يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أعطاكم ما تعلمون والإمداد اتباع الثاني
بما قبله شيئا بعد شيء على انتظام ثم ذكر ما أعطاهم فقال أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم في الدنيا وقيل الآخرة قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم
سكت فإن قيل لو قيل أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد أجيب بأن المعنى ليس بواحد وبينهما فرق لأن المراد
علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه فهو أبلغ من قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
أم لم تعظ إن هذا إلا خلق الأولين قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي خلق بفتح الخاء وسكون اللام أي اختلاقهم وكذبهم
يقال خلقت الحديث واختلقته أي افتعلته قال الفراء العرب تقول للخرافات أحاديث الخلق والباقون بضم الخاء واللام أي عادة
الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتوا ولا بعث ولا حساب وقيل ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين و
عادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون وقيل ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل
عليها الناس في قديم الزمن والدهر وقيل إن هذا الذي نحن فيه من اتخاذ الأبنية في الريع والمصانع إلا عادة الأولين
وقيل ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه وما نحن بمعذبين على ما
نحن عليه من الأقوال فكذبوه فأهلكناهم بريح صرصر عاتية إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز
الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها
هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض
ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ● أتتركون فيما هاهنا أي في الدنيا آمنين
قيل يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا في نعيم مخلدين لا يزولون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية إياهم وما يتنعمون
فيه من الجنات وغير ذلك من الأمن والدعة فيما هاهنا أي الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وهذا إجمال ثم تفصيل وزروع ونخل طلعها ثمرها هضيم قال صاحب الكشاف فإن قلت لم قال ونخل بعد قوله
وجنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى إنهم ليذكرون الجنة
ولا يقصدون بها إلا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان
أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر
لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
والقنو اسم الخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف
وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن
الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من
العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قيل ونخل قد أرطب ثمره
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فرهين بغير ألف والباقون فارهين بالألف الفراهة الكيس
والنشاط ومنه خيل فرهة ابن عباس أشرين من أصحاب الكشاف بطرين قتادة معجبين بصنعكم عبد الله بن شداد متجبرين الضحاك
نحتها أبو عبيدة مرحين الأخفش فرحين والعرب تعاقب بين الحاء والهاء مثل مدحته ومدهته ويجوز أن يكون فارهين
وفرهين بمعنى واحد فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين من المشركين استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة
الأمر المطاع أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك أمر مطاعة وقوله وأطيعوا أمري الذين
يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي فسادهم الفساد المصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم مجاهد وقتادة من المخدوعين
عن الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب وقيل من الربع إنما أنت من أصحاب الرئة
يدل عليه قوله ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية على صحة ما تقول إن كنت من الصادقين في دعواك قال صالح هذه ناقة
لها شرب نصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحموها في الشرب
ولا تزاحمكم فيه ولا تمسوها بسوء بعقر وإهلاك فيأخذكم عذاب يوم عظيم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم بالعظم أبلغ من
وصف العذاب به لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد فعقروها روي أن مسطعا ألجأها إلى
مضيق في شعب فرماها بسهم فأصابت رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا
أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم والعقر ضرب الساق بالسيف
يجري مجراها وقيل العقر الجرح فأصبحوا نادمين على عقرها حين رأوا العذاب وقيل أتاهم صالح بالمعجزات فآمنوا به فلما

ارتقوا

[illegible]

صفة للعجوز كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها
وقت تنجيتهم أجيب بأن معناه إلا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم و
الجبلة الأولين قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا
من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ● قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أصحاب ليكة
هاهنا وفي ص بغير همز وألف مفتوحة والباقون الأيكة بالهمزة فيهما والجر والأيكة الغيضة وهم قوم شعيب
بعث الله شعيبا عليه السلام إلى قومه وأهل مدين وأهل البادية وهم أصحاب الأيكة إذ قال لهم شعيب ولم يقل
أخوهم لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الكتب لما ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لأنه عليه السلام كان منهم قيل أصحاب
الأيكة غير أهل مدين فأرسل الله شعيبا إلى أمتين وقيل أصحاب الأيكة كالبادية وأصحاب مدين كالحاضرة وإنما
كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة للإشعار بأن الحق الذي يدعون إليه
واحد لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة
وتبليغ الرسالة أوفوا الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم أي العدل ولا تبخسوا الناس أشياءهم حقوقهم
وذكر بلفظ الإتمام الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف
ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليلا على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه ولا تعثوا في الأرض
مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الخليقة الأولين وهو كقوله والخلق الأولين قالوا إنما أنت من المسحرين
وما أنت إلا بشر مثلنا أدخل الواو هاهنا لقصد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وإن الرسول
لا يجوز أن يكون مسحرا ولا أن يكون بشرا وترك الواو في قصة ثمود لأنه لم يقصد إلا معنى واحدا هو كونه مسحرا ثم
قرر بكونه بشرا وترك الواو في قصة ثمود لأنه لم يقصد إلا معنى واحدا [illegible] مثلهم وإن نظنك لمن الكاذبين
إن المخففة من الثقيلة ولامها انتصبت على الخبر والمبتدأ كقولك إن زيدا لمنطلق فلما كانا بابا كان وباب ظن
من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا
كسفا قطعا جمع كسفة أو قطعة من السماء [illegible] من السحاب [illegible] وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه إن كنت من الصادقين
وإنك مبعوث إلينا فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء قال شعيب ربي أعلم بما تعملون به يهلككم وهو مجازيكم

به بما على الآلة وقيل اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة اي السحابة يجري لها ما يتحرى من هذا الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب فكان ان ارادوا
الظلة فتعجبا لهم عن مقترحهم انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين
وانه لفي زبر الاولين ● لما ختمها اختصه من خبر الانبياء ذكر بعد ذلك ما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو من وجهين الاول قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وذلك انه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين
والانه اخبار عن القصص الماضية من غير تعلم فيكون
ذلك الا بوحي من الله وقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين كانه يؤكده لانه لما ذكر هذه القصص السبعة على ما هو موجود
في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دل ذلك على انه ليس الا من عند الله الى محمد
صلى الله عليه وسلم وانه في القرآن لتنزيل منزل له رب العالمين نزل قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن
عاصم نزل به مخففا الزاي الروح الامين بالرفع والباقون مشددا الزاي والروح الامين بالنصب به القرآن والمراد بالروح
الامين جبريل الذي هو امين على وحي الله الى انبيائه والكلام على القراءتين السبعيتين ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح
نازلا به على قلبك اي حفظك له وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون
من المنذرين بلسان عربي قيل متعلق بالمنذرين لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم
هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل متعلق بنزل فيكون المعنى نزله بلسان عربي مبين
لينذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به قال صاحب
الكشاف وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه
قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون
الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها
بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها
ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه يعني ذكر القرآن وخبره معا بل يعني ذكر محمد
ونعته لفي زبر الاولين لفي سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيها فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية
في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها قوله تعالى اولم
يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن
منظرون افبعذابنا يستعجلون ● قال الامام هذا ذكر الحجة الثانية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بان ان
جماعة من علماء بني اسرائيل اسلموا ونصوا على مواضع في التورية والانجيل ذكر فيها الرسول بصفته وقد كان مشركوا
قريش يذهبون ويتعرفون منهم هذا الخبر وهذا يدل على انه ظاهر على نبوته لان تطابق الكتب الالهية على نعته
يدل قطعا على نبوته اولم تكن لهم آية قرأ ابن عامر تكن بالتاء آية بالرفع فآية اسم ان يعلمه خبره والباقون بالياء آية
بالنصب فان يعلمه اسمها وآية خبره وليست الاولى كالثانية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا والاولى ان يقال في تكن ضمير
القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز
مع نصب الآية تانيث يكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والمعنى اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم حق وان نبوته حق آية وعلامة موضحة لان العلماء الذين اسلموا من بني اسرائيل وجدوا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التورية والانجيل عن ابن عباس بعث اهل مكة وهم بالمدينة يسألون
عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لأوانه وانا نجد في التورية نعته وصفته فكان ذلك آية لهم على صدقه ولو نزلناه يعني
القرآن على بعض الاعجمين هو جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان
فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد كما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجمي وعجمي
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم بمعنى لغة العرب كانوا
به مؤمنين وقالوا ما نفقه ما يقول كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى
يروا العذاب الاليم في الدنيا كما رأت الامم المتقدمة وقيل في القيامة والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي
بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق
علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه
وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى فقالوا هذا
من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعجمين الذين لا يحسنون العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقرأه
عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه
اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها على مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به
والتكذيب له وصفناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه

من جحوده

من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وموضع لا يؤمنون به من قوله سلكناه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر
هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن
به فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون وليس معنى التعقيب في قوله فيأتيهم فيقولوا ترادف رؤية العذاب ومفاجاته و
سؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم العذاب فما هو
اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون
فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر
على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب
فيحل موقعا فيقولوا عند نزول العذاب هل نحن منظرون اي مؤخرون لنؤمن ونصدق قال مقاتل لما اوعدهم رسول الله
بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب فقال الله افبعذابنا يستعجلون فيقولون مرة امطر علينا حجارة ومرة فيقولون لن
نؤمن لك الآية قوله تعالى افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون
انهم عن السمع لمعزولون ● ان متعناهم سنين في الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون بتمتيعهم اي لا معنى لاستعجالهم العذاب فانه اذا اتاهم ولو بعد العمر الكثير لم يغن عنهم تمتيعهم بالدنيا قبل
ذلك لان العذاب يأتيهم ولو بعد حين وقيل ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير واقع ولا لاحق
بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن وطيب عيش ثم قال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء
واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم
حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معاشهم وما اهلكنا من قرية بالعذاب الا لها منذرون اي لم نهلك اهل قرية من
القرى التي تقدم ذكرها في السورة وغيرها الا بعد ان ارسلنا اليها منذرين ينذرونهم ويذكرونهم ورسلا يرشدونهم ويعظونهم وما كنا
ظالمين فنعذبهم قبل الاعذار والانذار وجمع المنذرين لان المقصود من القرية العموم والدليل عليه دخول من وقيل
المراد بهم النبي واتباعه المظاهرون له ذكرى منصوب بمعنى المصدر اي يذكرون ذكرى ويجوز ان ينتصب بقوله منذرون
كقولهم قعد القرفصاء ورجع القهقرى وقيل منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة
ويجوز ان يكون منصوبة على الحال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة وقيل منصوبة لانها مفعول له
على معنى انهم ينذرون لاجل ذكرى والعظة وقيل مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية
او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى وقيل جعلوا نفس ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها وقيل
ذكرى متعلقة باهلكنا مفعول له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين الا لها منذرون الجملة
صفة لقرية وما تنزلت به اي بالقرآن الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل على الشياطين بل نزل به الروح
الامين كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل
على الشياطين وما ينبغي لهم لا يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ان ينزلوا بالقرآن على احد انهم عن السمع لمعزولون
مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء قوله تعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين
قيل الخطاب للنبي والمراد به غيره وقيل قد علم ان ذلك لا يكون منه ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى
وفيه لطف لسائر المكلفين كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك قوله
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون
قيل امر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان تقديم انذارهم على انذار غيرهم
كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس
وقيل امر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف روى البخاري ومسلم
من حديث ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش
اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب
لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت
لا اغني عنك من الله شيئا وفي بعض الالفاظ سلوني من مالي ما شئتم واخفض جناحك ثم جانبك لمن اتبعك من
المؤمنين وجناحا العسكر جانباه الطائر اذا اراد ان يحط كسر جناحيه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب فان قيل المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون
للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قيل سماهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وقيل ان اراد
المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه
الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين
من عشيرتك وغيرهم اي انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم

ومن اعاظم الشرك ... عبادة الاوثان ومعصيته ... قوله تعالى وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون ● [illegible]

كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون
به الى اوليائهم واكثرهم كاذبون لانهم يلفظون به كذبا كثيرا وهم الآن محجوبون وقيل تأتي الشياطين بالكهنة فيلقون
اليهم ما يوحونه من الكذب وقيل الكفار يستمعون من الجن ما يوسوسون به ويتلقونه وقيل اكثر الشياطين
وقيل اكثر الكهنة والشياطين كاذبون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى
الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى المتضمن ان الاسم
دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة
قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت تلقون في محل النصب على الحال
اي تنزل ملقين السمع ويجوز ان يكون في محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع ويجوز ان لا يكون له محل بان
يستأنف كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون السمع قال صاحب الكشاف فان قلت وانه لتنزيل رب
العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق
بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن ويطري ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي
نزلن فيه من المعاني التي اشتدت عناية الله تعالى بها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام
بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك الى الرجوع اليه والشعراء مبتدأ خبره يتبعهم الغاوون اي لا
يتبع الشعراء على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب
والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم
الا الغاوون السفهاء والشطار وقيل الغاوون الشياطين وقيل هم الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل
ارادوا بها شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب ومسافع بن عبد مناف وابا عزة الجمحي وامية بن ابي
الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم و
اهاجيهم وقرأ نافع يتبعهم بسكون التاء والباقون بتشديدها الم تر انهم في كل واد من اودية الكلام يهيمون
الكشاف الهائم الذاهب على وجهه ابو عبيدة الهائم المخالف للقصد ابن عباس في كل لغو يخوضون قتادة
يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول و
اعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة
واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وانهم يقولون ما لا يفعلون وعن الفرزدق ان سليمان ابن عبد الملك
سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد
درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم انه تعالى استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين حسان بن ثابت و
عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا قيل في شعرهم
وقيل في كلامهم ودعائهم وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه
والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة
وانتصروا من بعد ما ظلموا لان المشركين بدؤا بالهجاء وعند شعر المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي
اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي منقلب منصوب بقوله ينقلبون لا بقوله سيعلم
لان ايا وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها ومعنى الكلام انهم ينقلبون الى نار يخلدون فيها قال صاحب
الكشاف ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه ولا اهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين

وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون
وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها

سورة النمل

وهي ثلث وتسعون آية والف ومائة وتسعة واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طس ● تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى
وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ● عن ابن عباس في رواية انه قسم
اقسم الله به وهو من اسمائه وعنه في رواية اخرى هو اسم الله الاعظم قتادة هو من اسماء القرآن وقيل الطاء من اللطيف
والسين من السميع وقال اهل الاشارة الى طهارة حبيبه عليه الصلاة والسلام وقرأ حمزة والكسائي بالامالة و[illegible]
بالتفخيم تلك اشارة الى آيات السورة اي آيات السورة آيات القرآن وكتاب مبين هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه
ما هو كائن فهو تبينه للناظرين وقيل وكتاب مبين هو السورة او القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم
والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن وكتاب مبين على سبيل التفخيم لها لان المضاف الى
العظيم عظيم بالاضافة اليه وتنكير كتاب مبين ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك
مقتدر وعطف كتاب مبين على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى كقولك هذا فعل العالم والبحر الفاضل
القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمهما لصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات
آيات المنزل المبارك المنزل اي كتاب مبين قال صاحب الكشاف لا فرق بين هذا وبين قوله في الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن
مبين الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وقوله حطة وادخلوا الباب سجدا وقيل القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفان
لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف وان شئت قلت هما يجريان
مجرى العباس وابن عباس وهو في الحالتين اسم علم هدى وبشرى في محل النصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل
فيهما ما في تلك من معنى الاشارة ويجوز ان يكون في محل الرفع على انه خبر بعد خبر لآيات او خبر مبتدأ محذوف اي هي
هدى وبشرى او جمعا بين الخبرين اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى للمؤمنين بانها زائدة في هداهم ومبشرة
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون قال صاحب الكشاف هو الوجه ويدل عليه انه
عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون
بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون ● لما بين المؤمنين من الهدى والبشرى
اتبعه بما على الكفار من سوء العذاب كما في سورة البقرة ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم اصحابنا اهل السنة
اجروا الآية على ظاهرها بمقتضى قوله تعالى قل كل من عند الله واما المعتزلة فانهم عدلوا عن ظاهرها بمقتضى
مذهبهم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله
وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة والى الله تعالى مجاز وله
طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق
وجعلوا انعام الله تعالى بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وايثار الروح والترفه ونفارهم
عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة ولكن متعتهم وآباءهم
حتى نسوا الذكر والطريق الثاني امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه
لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات اعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون
في ضلالتهم وقيل زينا لهم الخير الذي امرناهم به واوجب عليهم ان يعملوها فهم يعمهون عنها يتحيرون فيها ويترددون
والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وقيل يتمادون وقيل يعمون اولئك الذين لهم سوء العذاب
وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا بالآخرة لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك
مع خسران النجاة وحرمان الثواب والمنع من دخول الجنات قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم
وانك لتلقى لتؤتى القرآن وقيل لتأخذه وقيل لتلقن من لدن حكيم عليم اي حكيم عليم اي عليم وهذه معنى مجيئهما نكرتين
وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه قوله
تعالى اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ● [illegible]

وقيل ساخبركم عنها بعلم او اتيكم بشهاب قبس قرا عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين فقبس بدل منه او صفة لما في الشهاب من معنى القبس والقبس النار المقبوسة يقال قبست منه نارا اقبس قبسا فاقبسني اي اعطاني منه قبسا والباقون بالاضافة غير منون لان الشهاب يكون قبسا وغير قبس وقال سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر لا تدافع بينهما لان الراجي يقول اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويز الخيبة وجاء بسين التسويف عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة وجاء باو دون الواو على ان ان لم يظفر بهذين المقصودين يظفر بواحد منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله تعالى بانه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبادة وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة لعلكم تصطلون وتستدفئون من البرد والصلا النار العظيمة قوله تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون ● فلما جاء موسى النار التي ابصرها نودي جاءه النداء وهو الكلام المسموع ان بورك ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول وقيل بورك ولا يجوز ان يكون ان هي المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المذكورة في قوله نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن يعني قدس من في النار لا نعني عن ان يحل في شيء مجاهد من زائدة والمعنى بوركت النار وقيل المعنى بورك على من في النار الذي في النار قال الفراء العرب تقول باركه الله وبارك عليه وفيه بمعنى واحد والتقدير بورك من في طلب النار وهو موسى فحذف المضاف فهذه تحية من الله لموسى بالبركة كما حيا ابرهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فخرج في قوله بورك قولان احدهما تدس والاخر من البركة وقيل قدس من في النار انه كان فيها لا على تمكن الاجسام لكن على معنى انه نادى موسى عليه السلام منها واسمعه كلامه منها واظهر له من جهتها ما ظهر له ربوبيته من نارحيتها روي انه مكتوب في التورية جاء الله من سينا واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران فمجيئه تعالى من سينا بعثته موسى عليه السلام منها ومن ساعير بعثته عيسى عليه السلام منها واستعلائه من جبال فاران بعثته المصطفى صلى الله عليه وسلم منها فاران مكة وقيل كانت النار نور نعمر وجل وانما ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر سعيد بن جبير كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله تدل عليها ما روى ابو موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره ثم قرا ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين وقيل معنى بورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات الثبعدات حين يجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثاره في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء واموات ومعنى ابتداء خطاب الله بذلك عند مجيئه بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة ومن حولها ابن عباس والحسن الملائكة محمد بن كعب موسى والملائكة وقيل موسى وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين وقيل هذا من جملة ما نودي وانه سبحانه نزه نفسه عما لا يليق به من الاوصاف وقيل انه كلام موسى لما دهاه الامر العظيم يا موسى انه انا الله الضمير فيه ضمير الشان وانا الله مبتدا وخبر العزيز الحكيم خبر آخر وقيل الضمير يعود الى المنادي الذي دل عليه ما قبله اي ان مناديك انا الله بان لانا العزيز الحكيم صفتان له وهذا تمهيد لما اراد ان يظهر على يده من المعجزات يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الحكيم الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك معطوف على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك يدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقيل شبهها بالجن ولى موسى مدبرا عنها وجعلها تلي ظهره ولم يعقب لم يرجع ولم يلتفت يقال عقب الرجل اذا رجع يقاتل بعد ان ولى وقيل معناه لم ينتظر لا تخف اي قال الله له يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون في الموضع الذي يوحى اليهم لانه لا يخاف المرسل الا من الله من هيبتهم قوله تعالى الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ● لما اطلق نفي الخوف على المرسلين كان ذلك مظنة لطرو الشبهة

فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم [illegible]

عصاك وادخل يدك في جيبك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن وقيل تقديره هذه آية في تسع آيات انت مرسل بهن الى فرعون وقومه فترك ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل من تسع آيات نعطي تمامها وقيل مع تسع آيات لان الايات كانت احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ● فلما جاءتهم آياتنا مبصرة منيرة ظاهرة بينة يقال ابصر النهار اضاء جعل الابصار للايات وهو في الحقيقة لمتاملها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها وقيل مبصرة يجعلها بصائر وقيل جاعلة اياهم بصائر وقيل يبصر الحق من الباطل وقيل يبصر من نظر اليها وقيل فاعل بمعنى مفعول كما دافق وعيشة راضية قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها ولم يقروا والجحود الانكار مع العلم يقال الجحد حقه وبحقه جحدا وجحودا والجحد ايضا قلة الخير وقيل الباء ابدالية وقيل باء السببية اي انالوا الخير بسبب الايات او بسبب تكذيبهم آيات الله ويكذبونهم حاملها اي استيقنتها الواو للحال وقد بعدها مضمرة اي وقد استيقنتها انفسهم انها من عند الله ظلما وعلوا اكبارا وترفعا من الايمان بما جاء به موسى وفائدة ذكر انفسهم انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان والمعنى وجحدوا بها ظلما وعلوا اي ترفعا عن الايمان بما جاء به موسى وهم يعلمون انها من عند الله كما في ظلم الخشي من ظلم من اصعد واستيقنوا انها آيات بينة وانها جاءت من عند الله ثم كابروا بتسميتها سحرا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي كان الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ● ولقد اعطينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا وقيل علما بالدين والحكم وقيل فهما وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم وقيل علم منطق الطير وقيل علم الكيمياء وهو ضعيف بل ليس بشيء وقالا اي داود وسليمان الحمد لله الذي فضلنا على كثير وعطفه بالواو دون الفاء وان الموضع موضع الفاء كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر اشعارا بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم واقامة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر قوله تعالى وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ● وورث سليمان الملك والنبوة والعلم دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا فاعطي سليمان عليه السلام ما اعطي ملكه لم

داود عليه السلام وافضى منه وكان داود اشد تعبدا منه وكان سليمان شاكرا لنعم الله وقال سليمان يا ايها الناس علمنا منطق
الطير المنطق استعارة في غير بني آدم وحسن هاهنا لان سليمان يا ايها الناس علمنا منطق الطير المنطق استعارة في غير
بني آدم وحسن هاهنا لان سليمان فهم منه صوت الطير يجري في حقه مجرى النطق وقيل كانت الطير تخبره كقصة
الهدهد وقيل يجوز ان يسمى صوت الطير منطقا لان لبعضها كلاما مفهوما كالببغا وقيل لما فهم مرادها باصواتها
سمي منطقا والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكل صنف من الطير يتفاهم
اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه حكي ان سليمان مر على بلبل
في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان
وصاح هدهد فقال يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتله وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول
قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء
سمائه وارضه وصاح قمري فقال يقول سبحان ربي الاعلى والحدأ يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا
يقول من سكت سلم والببغا يقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان
ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل مكان واوتينا من كل شيء اراد كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده
كل احد ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه اليه المبالغة في الفعل واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل
شيء وقيل من كل شيء يؤتى الانبياء وقيل من كل ما يطلبه طالب حاجة وقيل من كل شيء من الحكمة
وقيل هو ما يسخر له من الطير وغيره ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر
والحمد كما قال رسول الله انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قيل كيف قال
علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر قيل اجيب من وجهين احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذا النون يقال له نون
الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك
وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او اصلح
ان يرهب عدوا الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وحشر لسليمن جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا وذلك انه جعل على كل صنف
منهم وزعة ترد اولاها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير اي توقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين
لا يتخلف منهم وذلك للكثرة العظيمة ابن عباس يوزعون يدفعون وقال ابن زيد يساقون السدي يوقفون واصل الوزع
الكف والمنع ومنه الحديث ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن قوله تعالى على حين عاتبت المشيب على الصبى
وقلت الما يصح والشيب وازع روي ان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون
للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة
صريحة منكوحة وسبعمائة سرية فامر الريح العاصف فحملته وامر الرخاء فسيرته فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض
اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فاخبرتك به وينسج الشياطين له بساطا
فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان له منبر يوضع في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلثة الاف كرسي من ذهب وفضة
يقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح
الى الصباح وروي ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما
فحملت الريح كلامه والقته في اذن سليمان فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى
ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود فقال الحراث اذهب الله همك كما اذهبت همي حتى
اذا اتوا اي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل قيل هو واد بالشام كثير النمل وقيل ثم مضى سليمان نحو مر بوادي السدير
وادي الطائف فاتى على وادي النمل وانما عدي بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء واما ان يراد قطع
الوادي وبلوغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي قالت نملة تمشي وكانت عرجاء مثل الذئب في العظم فنادت
النمل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لما وصف النمل بالمخاطبة وهي من افعال العقلاء وصفها كما توصف العقلاء لا
يحطمنكم سليمان وجنوده في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقه كقولك
لا ارينك هاهنا اي لا تحضر هذا الموضع عن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم
وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة
كانت انثى فقيل له من اين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل
الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى والحطم الكسر وقيل يحطمنكم
جواب للامر ويحتمل ان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة
لا ارينك هاهنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها وهم لا يشعرون ابن عباس

اصحاب

اصحاب سليمن لا يشعرون بكلام النملة مقاتل اصحاب سليمن لا يشعرون بمكانكم لانها علمت انه ملك لا بغي فيه وانهم لو
علموا بالنمل ما تعرضوا فتبسم سليمان ضاحكا منصوب حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وقيل معنى تبسم ضاحكا
شارعا في الضحك وآخذا فيه اعجابا وحمدا لتبسم الضحك وكذلك ضحك الانبياء قال المفسرون تبسم سليمان
تعجبا مما قالت وقيل من ثنائها عليه وقيل اعجابه مما دل عليه من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى
شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا قال بعض العلماء هذه
الآية من عجائب القرآن لانها بلفظة يا نادت ايها نبهت النمل سمت ادخلوا امرت مساكنكم نصت لا يحطمنكم حذرت سليمن
خصت وجنوده عمت وهم لا يشعرون اعتذرت من قولها وقال رب اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
عندي واكففه وارتبطه لا ينقلب عني حتى لا انفك شاكرا لك ابدا وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد يرجع نفعها الى النعمة
الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنه وعن
والديه وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى
يدخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة وان اعمل صالحا ترضاه عطف على قوله ان اشكر والهمني ان اعمل صالحا ترضيته وادخلني برحمتك
الجنة في عبادك الصالحين في جملة الانبياء ولا يدخل الجنة الا برحمتك قوله تعالى وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال
احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم ● وتفقد الطير اي طلبها فتعرفها وبحث عنها فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي قرأ ابن كثير وعاصم
والكسائي ما لي بفتح الياء والباقون بسكونها قيل هي ما للهدهد لا اراه تقول العرب ما لي اراك كئيبا اي ما لك وهو
من المقلوب الذي معناه معلوم وقيل نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو
حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة
ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج
الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء
فحملتهم فلما وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور و
عشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع
من ناواه ويبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فباي دين يدين يا نبي
قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به وصدقه قالوا وكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال زهاء الف عام فليبلغ الشاهد
منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل وان اسمه لمكتوب في زبر الانبياء فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم احب ان
يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى
ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من
تحت الارض كما يرى احدكم الماء في الزجاج فينقر الارض فيعرف موضع الماء وبعده ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ
الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن قال الهدهد قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء
فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو
بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال عنفير اليمني ليعفور من اين اقبلت
واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان قال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش
والريح فمن اين انت قال عنفير من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمن ملكا عظيما
ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف مقاتل فهل
انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال عنفير ان صاحبك
ليسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها فما رجع الى سليمان الا وقت العصر فلما نزل
سليمن ودخل وقت الصلاة وطلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا ما نعلم هاهنا ماء
فسأل الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقده قال ابن عباس وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته مكانا فغضب
عند ذلك سليمن وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين ثم دعا بالعقاب سيد الطير
فقال علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي
احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك
علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقال ثكلتك امك
ان نبي الله حلف ليعذبنك قال فما استثنى قال بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين ثم طارا متوجهين نحو سليمن فلما
انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال فقال

سليمان

الهدهد وما استثنى نبي الله قال أو ليأتيني بعذر بين ثم طار العقاب فلم يلبث أن جاء بالهدهد حتى آتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه
فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد
ما أخبر الله في كتابه ثم سأله بما يحتمله حاله ليعتبر بأبناء جنسه وقيل كان تعذيب سليمان للطير أن ينتف ريشه
وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه
صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه قال صاحب الكشاف فإن قلت
ثم حلفه على ثلاثة أشياء معلق على فعلين لا على فعله فكيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان
حتى يقول أو ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قوله ليكونن أحد
الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه
يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين
عن دراية وإيقان قرأ ابن كثير ليأتينني بنونين والباقون بنون واحدة فمكث قرأ عاصم بفتح الكاف والباقون
بضمها وهما لغتان والمعنى لم يلبث إلا يسيرا حتى جاء فقال سليمان ما الذي أبطأك فقال الهدهد أحطت بما لم
تحط به أي علمت شيئا من جميع جهاته مما لم تعلم أيها الهدهد تكلم سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة
والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه
من أحاط علما بما لم يحط به ليتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة
العلماء قيل وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه وجئتك
من سبأ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بنصبها غير مصروف والباقون بخفضها منونا في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن سبأ رجل من العرب وقتادة هي أرض باليمن فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرفه ومن جعله اسما للحي أو الأب الأكبر
صرفه [illegible]

الا ان يتبعه على دينه فاهدت اليه وصفا ووصايف ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى قال مجاهد
البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان فقال الغلمان مائة وصيف ومائة وصيفة مجاهد مائتي
غلام ومائتي جارية الكلبي عشرة غلمان وعشرة جواري وهب وغيره خمسمائة غلام وخمسمائة جارية واهدت
له صحائف الذهب في اوعية الديباج وقال وهب عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام فالبستهم ثياب الجواري وحليهن
الاساور والاطواق والقرطة واركبتهم خيلا مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة
جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك
والعنبر وحقة فيها درة عذراء يتيمة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها المنذر بن
عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الغلمان
والجواري واخبر بما في الحقة واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزة وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان
فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام
الرجال ثم قالت للمنذر انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره
وانا اعز منه وان رايته بشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل
الهدهد مسرعا الى سليمان عليه السلام فاخبره الخبر كله فامر سليمان عليه السلام الجن ان يضربوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا
ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا
حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي الدواب احسن مما رايتم في البر والبحر قالوا يا نبي
الله انا راينا دواب في بحر كذا منقطعة لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوا بها فقال شدوها
على يمين الميدان وعلى يساره على لبنات الذهب والفضة ثم قال عليه السلام للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم
عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان عليه السلام في مجلسه على سريره ووضع له اربعة الاف كرسي عن يمينه
ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحوش و
السباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان
ورأوا الدواب التي لم تر اعينهم مثلها تروث على لبنات الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا ما معهم
من الهدايا وروي ان سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات
التي معهم فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك
المكان ثم جاؤوا فلما راوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقال لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم
فكانوا يمرون على كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم
سليمان عليه السلام نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤوا له واعطاه كتاب الملكة
فنظر فيه ثم قال اين الحقة فاتي بها فحركها فجاءه جبريل عليهما السلام فاخبره بما في الحقة ثم قال ان فيها درة يتيمة
غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة
فقال سليمان من لي بثقبها فسال سليمان الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل
الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة في فيها ودخلت حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك
فقالت تصير رزقي في الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها
يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام
ما حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز عليه السلام بين الغلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا
وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الاناء باحدى يديها ثم تجعله على الاخرى ثم تضرب على الوجه
والغلام كان ياخذ الماء من الاناء يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد
وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر على يديه فميز بينهن بذلك ثم رد سليمان الهدية فذلك قوله
واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (قوله تعالى) فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتاني الله خير
مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
فلما جاء سليمان رسولها بهديتها قال سليمان اتمدونن قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بنونين مع الياء في الوصل وروى
المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة ويلفظ في الوصل والوقف وعاصم وابن عامر والكسائي عدوين بغير ياء
في الوصل والوقف وحمزة بنون واحدة مشددة ووقف على الياء اتريدون ان تمدوني بمال خاطب بالرسل لانه جعلهم
جماعة ومن جعل الرسول رجلا واحدا او امراة قال هذا خطاب للرسول والمرسل واتباعه فجمع وغلب الخطاب على الغيبة
وهو القياس انكر عليهم امدادهم بالمال ليتوه وهو يدعوهم الى الله والى الاسلام فما آتاني الله من الملك والنبوة خير
مما آتاكم بل انتم بهديتكم اي بما يهدى اليكم وقيل بهديتكم هذه تفرحون اعظاما منكم لها ارجع ايها الرسول اليهم
الى بلقيس وقومك بما صحبك من الهدية ويحتمل ان تقدير ارجعها من الرجع الذي هو الجوع فحذف المفعول وقوله ارجع
دليل على ان الرسول كان واحدا وقيل الخطاب هاهنا الهدهد اي ارجع اليهم فانذرهم فلناتينهم بجنود لا
هذا يحتمل ان يكون الفاعل في قوله فلما جاء سليمان الهدهد ايضا قال لهم اتمدونني بمال وهذا الوجه متكلف ويكون

ولكني انما اعطيت خيرا مما عندكم وذلك ان الله تعالى آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من
الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بالمال ثم قال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا
فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم ولا ارضى منكم بشيء ولا افرح
به الا بالايمان وترك المجوسية بل انتم وجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان
السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سببا يرضون به ولا يفرحون الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون
غيرها ويجوز ان يجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح
افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قيل بل انتم من حقكم ان تاخذوا
هديتكم وتفرحون بها فلناتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة اي لا يقدرون
ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من ارضها وملكها اذلة وهم صاغرون ذليلون ان لم ياتوني مسلمين قال وهب لما رجع
رسل بلقيس اليها من عند سليمان عليه السلام قالت بلقيس والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرته
شيئا فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها
فجعل في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبع قصور لها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت
حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص اليه احد ولا يرينه حتى
آتيك ثم امرت مناديا فنادى في اهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان عليه السلام في اثني عشر الف قيل
من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو الذي يسال
عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فراى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال وقد نزلت
منا بهذا المكان (قوله تعالى) قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين ۝ قال عفريت من الجن انا آتيك
به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي
غني كريم ۝ اقبل سليمان على جنوده قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها لعله اوحي الى سليمان عليه السلام بسلمها
من عرشها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها قتادة لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاحب
ان يراه وقال ابن زيد اراد عليه السلام ان يختبر عقلها فامر بتنكيره وتغييره لينظر هل تثبته اذا رأته ام تنكره وقيل ليريها بذلك
بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمن ويصدقها
قال عفريت من الجن وهو المارد القوي ابن عباس الداهية الضحاك الخبيث ربيع الغليظ الفراء القوي الشديد الكسائي
المنكر قيل كان اسمه ذكوان انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس وكان له مجلس
يجلس فيه كل غداة الى نصف النهار وقيل من وقت الفجر الى طلوع الشمس واني عليه على حمله لقوي امين على ما فيه من الجواهر
فقال سليمان اريد اسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب قيل هو جبريل وقيل ملك من الملائكة ايد الله به سليمن وقيل
هو سليمن نفسه كانه استبطا العفريت ابن لهيعة هو الخضر وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل ياذا الجلال والاكرام الحسنى الله والرحمن وقيل هو آصف
بن برخيا وكان صديقا عالما يعلم الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى علم من الكتاب المنزل وهو علم
الوحي والشرائع وقيل علم من الكتاب باسم الله الاعظم وقيل هو اللوح المحفوظ والايات في الموضعين يجوز ان يكون فعلا
واسم فاعل قبل ان يرتد اليك طرفك تحريك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر والصاحب الكشاف لما كان الناظر
موصوفا بارسال الطرف قيل وصف برد الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده
ابصرت العرش بين يديك روي ان آصف قال لسليمن مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا
آصف فغاب السرير وحمل الملائكة حتى حملوا السرير من تحت الارض يخدون خدا حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمن سعيد
بن جبير يعني قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى يعني وهو ان يصل اليك من كان منك على مد بصرك قتادة قبل ان ياتيك الشخص من
مد البصر وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى امثله بين يديك يعني ادامة النظر حتى يرتد الطرف
خاسئا قتادة وايضا هو ان يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى فلما رآه يعني راى سليمن العرش مستقرا
محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد الطرف قال سليمن هذا اشارة الى حضار العرش في مدة ارتداد
الطرف من مسيرة شهرين من فضل ربي ابتداني بالمنة من غير استحقاق ليبلوني ليمتحني فيظهر مني الشكر وخلافه ومن
شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط بالنعم ويستمد المزيد وقيل
الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره بالانعام والافضال على من يكفر نعمته
(قوله تعالى) قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون ۝ قال سليمن عليه السلام نكروا لها
غيروا لها عرشها عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فزيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا اعلاه اسفله
واسفله اعلاه ومقدمه مؤخره ننظر اتهتدي الى عرشها فتعرفه ام تكون من الذين لا يهتدون من الجاهلين الذين لا يهتدون
وقيل اتهتدي الى التوحيد بعد تنبيهها بعرشها على قدرة الله ونبوتي وقيل لمعرفته وقيل لجواب الصواب اذا سئلت
عنه او للدين والايمان بنبوة سليمن اذا شاهدت تلك المعجزة الظاهرة من تقدم عرشها وتقدم ما علقته عليه

الابواب وقد نصبت علينا الحراس وانما حمل سليمان عليه السلام على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفضي
عليه باسرار الجن ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته فارادوا ان يزهدوه فيها فاساؤوا الثناء عليها وقالوا ان في عقلها
شيئا وان رجلها كحافر الحمار فاراد سليمان عليه السلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح ●
قوله تعالى فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت
تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه
صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ● فلما جاءت قيل لها اهكذا عرشك ثلاث
كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة مصدرة بهمزة الاستفهام ولم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا
قالت بلقيس كأنه هو ولم تقل هو هو ذا الشيء بعينه فلم تقر بذلك ولم تنكر وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
فعلم سليمان كمال عقلها وبطلان ما قال الشيطان ان في عقلها شيئا واوتينا العلم قيل هذا من كلام سليمان وملائه وذلك
ان بلقيس لما سئلت عن عرشها ثم اجابت بقولها كأنه هو على التمام رأى سليمان وملأه قالوا انها قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل
وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله تعالى وصحة نبوة سليمان بالآيات التي تقدمت عند رسالة الرسل
وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عند الله
قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وقيل معناه و
اوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى وقيل هذا من قبل بلقيس لما رأت
عرشها عند سليمان قالت عرفت هذه واوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من قبل هذه الآية وذلك بما اخبرت
من امر الهدهد والرسل وكنا مسلمين منقادين مطيعين لامره من قبل ان جئنا وصدها اي وصد بلقيس عن التقدم
الى الاسلام ما كانت تعبد من دون الله اي عبادة الشمس ونشوها بين الكفار ويكون ما في محل الرفع على انه فاعل صد وقيل
معناه وصد سليمان بلقيس عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقيل صد يعني منع اي ومنع سليمان
ما كانت تعبد من دون الله وحال بينه وبين بلقيس وقيل وصدها الله تعالى ذلك بتوفيقها للاسلام فعلى الوجهين
محل ما نصب انها كانت من قوم كافرين استيناف قيل لها ادخلي الصرح روي ان سليمان عليه السلام لما اقبلت بلقيس امر
الشياطين فبنوا له صرحا اي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا واجرى تحته الماء والقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك
وغيره ثم وضع له سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الجن والانس والطير وانما امر ببناء هذا الصرح لان
الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له غلاما فلا ننفك من
العبودية فارادوا ان يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان امها كانت من الجن فاراد سليمان
ان يعلم حقيقة الحال وينظر الى قدميها وساقيها فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة اي معظم
الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت
شعراء الساقين فلما رأى سليمان عليه السلام ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد مملس مستو من قوارير وليس بحر فلما
جلست قالت يا سليمان اني اريد ان اسألك عن شيء قال سلي قالت اخبرني عن ماء رواء لا من ارض ولا من سماء وكان سليمان عليه السلام
اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل الانس عنه فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك من
الخيل فلتجر ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل قالت صدقت ثم قالت اخبرني عن لون الرب فوثب سليمان من
سريره وخر ساجدا وصعق فغشي عليه فقامت عنه وتفرقت عنه جنوده وجاء الرسول عليه السلام فقال يا سليمان يقول لك
ربك ما شأنك قال يا رب انت اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك وترسل اليها والى من حضرها من جنودها
وجنودك فتسألهم وتسألها عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه قال لها عما سألتني قالت ما سألتك عن ماء
رواء ليس من ارض ولا سماء فاجبت قال وعن اي شيء سألتني ايضا قالت ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل
قولها انساهم الله ذلك وكفى سليمان الجواب ثم ان سليمان عليه السلام دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش و
الصرح فاجابت قالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر الذي تقدم واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ظلمت نفسي
في ظني ان سليمان يقصد اغراقي وقيل لما اسلمت اراد سليمان ان يتزوجها فلما رأى ذلك كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها
وقال لها ما اقبح هذا فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا المواسي قالت بلقيس لم تمسني حديدة قط فكره سليمان ذلك خشية
ان تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتلكأوا ثم قالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء
فاتخذوا لها النورة والحمام فاستنكحها سليمان عليه السلام وهي اول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما الزق النورة
الى الجسد تحسه حرها قال اوه من عذاب الله قيل فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها
بارض اليمن الحصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وكان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة بعدما ردها
على ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر عن وهب بن منبه ثم
ان سليمان عليه السلام قال لبلقيس لما اسلمت وفرغ من امرها اختاري رجلا من قومك ازوجكه قالت ومثلي يا نبي الله تنكح الرجال
وقد كان في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك
قالت زوجني ان كان لا بد من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن و
دعا زوبعة امير جن اليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل له فيها

ما اراد

ما اراد حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول وتبينت الجن موت سليمان عليه السلام اقبل رجل منهم فسلك تهامة
حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فعمد الشياطين الى حجرين
عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند نحن بنينا سلحين سبعين وبنينا صرواح ومرواح وبينون وسدرة وهنيدة وتلثوم
وهذه حصون باليمن بناها الشياطين لذي تبع وامر صارخ بتهامة لم تكن بالسود امارة ثم رفعوا ايديهم وانطلقوا
وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله
لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون ● ان اعبدوا بان اعبدوا
فاذا هم فريقان مؤمن وكافر ومصدق ومكذب يختصمون في الدين وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن
منهم احد منهم يختصمون فيقول كل فريق الحق معي قال لهم صالح عليه السلام يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالبلاء والعقوبة
قبل الحسنة العافية والرحمة والاستعجال الطلب التعجيل بالامر وهو الاتيان به قبل وقته كانوا يقولون لجهلهم
ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم
يقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله بالتوبة من كفركم
قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا تشاءمنا واصله
تطيرنا بك وبمن معك وذلك ان المطر امسك عنهم في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا اصابنا هذا الضر من شؤمك وشؤم
من معك وانما ذكر التطير على عادة العرب في نسبتهم الشؤم الى البارح وهو الطائر الذي يأتي من جانب اليد الشؤمى
اليسرى كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر
استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر
الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا
بك اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال لهم صالح طائركم عملكم من الخير والشر وما يصيبكم من الخصب والجدب عند الله بامره
وهو مكتوب عليكم سمي طائرا لانه في اعناقكم وليس ذلك الي ولا علم عندي وقيل طائركم عند الله اي سببكم الذي
يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم بل انتم قوم تفتنون تختبرون
بالخير والشر الكلبي يفتنون حتى يجهلوا انه من عند الله محمد بن كعب تعذبون بذنوبكم وقيل تمتحنون بارسالي اليكم لتثابوا
على طاعتي وتعاقبوا على معصيتي ومخالفتي وقيل تفتنكم الشياطين بوسوسة الحكم البطرة قوله تعالى
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون ● وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة
رهط من ابناء اشرافهم وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لان الرهط في معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس والفرق
بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم قدار بن سالف
مصدع بن دهر قيل ابن مهرج اسلم رعمي رعيم دعمي دعيم قبال صداق وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم
صالح يفسدون في الارض بالكفر ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الصرف الذي لا يخلط بشيء من الصلاح قوله تعالى
قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ● قالوا تقاسموا يحتمل
ان يكون امرا او قال بعضهم لبعض تحالفوا بالله وموضع تقاسموا جزم على الامر وقيل هو فعل ماض في محل الحال
على اضمار قد اي قالوا متقاسمين بالله لنبيتنه قرأ حمزة والكسائي لتبيتنه ولتقولن بالتاء فيهما وضم التاء واللام على
الخطاب والباقون بالنون فيهما لنقتلن صالحا واهله بالبيات مباغتة العدو ليلا وذلك انهم تواطؤا على
ان يظهروا لقومهم انهم مسافرون ويسيرون اياما ثم يأتون صالحا واهله فيقتلونهم ليلا سرا فلا يتركوا احدا من
يجمعهم منزله كي لا ينم عليهم ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله اي اهلاكهم اي لم نشعر باهله
فكيف كنا نتعرض له وما حضرنا موضع هلاكه فضلا عن ان تولينا انا لصادقون في قولنا ما شهدنا مهلك اهله قرأ ابو بكر
عن عاصم بفتح الميم واللام وحفص عنه بفتح الميم وكسر اللام وهما جميعا بمعنى الهلاك والباقون بضم الميم وفتح
اللام ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاهلاك وان يكون موضعا او زمانا وقيل مخلف وانا لصادقون في قولنا
ما شهدنا مهلك اهله قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر
عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله
فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين ● ومكروا مكرا بتبييت
صالح والقتل به ومكرنا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون بمكرنا فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم ما اخفوه من تدبير القتل بصالح واهله ومكر الله ما اخفى من تدبير القتل بصالح واهلكهم
اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ابن عباس رضي الله عنهما ارسل الله عز وجل
الملائكة ليلا فامتلأت بهم دار صالح فاتى التسعة شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون
الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم قتادة خرجوا مسرعين الى صالح فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم مقاتل نزلوا في
سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم السدي خرجوا ليأتوا صالحا فنزلوا خرقا من الارض

يكون نحيه فانها ردعليهم وقومهم وقد مضت القصة انا قرأ عاصم وحمزة والكسائى بفتح الالف على انه يكون
فى محل الرفع بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هى تدميرهم او فى محل النصب على معنى لانا او على انه خبر
كان اى كان عاقبة مكرهم التدمير بكريم كان تدكا الباقون بالكسر على الاستيناف او انا دمرنا التسعة قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون • فتلك بيوتهم اى بيوت
ثمود خاوية خالية منصوبة على انها حال بما ظلموا اى بظلمهم ان فى ذلك فيما فعل بثمود لآية لعبرة لقوم يعلمون فيتعظون
وانجينا الذين آمنوا صالحا وكانوا يتقون ناوا مع ارتهان تبركوها قيل كانوا اربعة الاف خرج بهم صالح عليه السلام الى
حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون
أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون • واذكر لوطا اى وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
ارسلنا الى ثمود عليه اذ بدل على الاول او ظرف للثانى أتأتون الفاحشة الفعلة القبيحة الشنيعة وانتم تبصرون
من بصر القلب اى وانتم تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر
ولا الانثى للانثى وقيل وانتم تبصرون اى يبصر بعضكم بعضا لانهم كانوا فى ناديهم يرتكبونها مجاهرين بها
لا يستترون عتوا منهم وتمردا او مجانة وانهماكا فى المعصية وقيل وانتم تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل
بهم أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون ... كأنه اجيب بانه
اراد بل انتم قوم تفعلون فعل الجهلة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة
التى كانوا عليها وقوله بل انتم قوم تجهلون اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة فقيل تجهلون لان المخاطبة اقوى
وارسخ اصلا من الغيبة قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • يتطهرون من
الرجال وقيل يتطهرون من القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر يقولون هذا القول استهزاء بهم
قدرناها قرأ ابو بكر عن عاصم قدرناها مخففة والباقون مشددة وهما بمعنى واحد اى قضينا عليها انها
من الغابرين كى الباقين فى العذاب وقيل قدرناها جعلناها من الغابرين وانما قال ذلك لان جرمها على تقدير
جرمهم فلما كان تقديرها كتقديرهم فى الشرك والرضى باعمالهم الفاحشة جعلت معهم فى انزال العذاب بها
قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون • قيل هو خطاب للوط عليه
السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه وان يسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنبهم
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متصل بما قبله امره الله بالتحميد على هلاك كفار الامم الخالية
والسلام على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة
بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شىء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على عباده الذين اصطفى
وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء
والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل
عظة وتذكرة وفى مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم فى الفتوح والتهانى وغير
ذلك من الحوادث التى لها شأن آلله خير قاله الزاما للحجة فانه معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من هو خالق كل شىء ومالكه وانما هو الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام
على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شىء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم
بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط
واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد قرأ ابو عمرو وعاصم يشركون
بالياء من تحت اخبارا عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم والمعنى آلله خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها وكان
النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه الآية قال بل الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم
قوم يعدلون • ام فى قوله اما يشركون متصلة لان المعنى ايهما خير وام فى قوله امن خلق منقطعة بمعنى بل والهمزة
لما قال آلله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من
جماد لا يقدر على شىء وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء مطرا وقيل ماء العيون لانها من السماء فانبتنا عدل به
من الغيبة الى التكلم لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان
والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى ما ينبغى لكم ان يتأتى ذلك منكم لمحال وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب بقوله وانزل لكم
وقوله ما كان لكم ابلغ فى تخطئة رأيهم فانبتنا به حدائق جمع حديقة وهى البستان ذو الحائط عليه من الاحداق
وهو الاحاطة ذات بهجة حسن لان الناظر يبتهج به وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال
النساء ذهبت ءاله مع الله بعينه وقيل ايجوز ان يكون مع الله اله آخر لا يقدر على شىء منه وقيل فيه تقرير بـ

ويجعل

[illegible]

يستعمل بمعنى النفى قوله تعالى امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته
ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون • فى ظلمات البر والبحر اذا سافرتم بين يدى رحمته قدام المطر قوله تعالى امن
يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • امن
يبدأ الخلق باقراركم ثم يعيده لان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة ومن يرزقكم من السماء المطر ومن الارض النبات
قد ان يحسن علمكم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار قل هاتوا برهانكم على اشراككم بعد اقراركم
بخلق هذه الاشياء ان كنتم صادقين فى دعواكم ان مع الله الها آخر قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون • نزلت فى المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام
الساعة قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار احد
الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغنى الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفى المصمم
وقولهم ما اتانى زيد الا عمرو وما اعانه اخوانه الا اخوانكم وانما دعت الى اختيار المذهب التميمى على الحجازى نكتة سرية حيث
استخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات
والارض فهم يعلمون الغيب يعنى ان علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما فى البيت
ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قال صاحب الكشاف هلا زعمت ان الله ممن فى السموات
والارض كما يقول المتكلمون ان الله فى كل مكان على معنى ان علمه فى الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب
بنى تميم قلت يأبى ذلك ان كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة
حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من فى السموات والارض وجمعك بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد فيه ايهام
تسوية والايهام اما تسعرا لصحته تعالى وعن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى
بئس خطيب القوم انت والاول ضعيف والثانى صحيح وما يشعرون ايان متى يبعثون اى من فى السموات والارض ايان يبعثون
وقيل الكفار وما يشعرون نحن عائشة رضى الله عنها من زعم انه يعلم ما فى غد فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله وقيل اخفى غيب عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عباده مكره
قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون • قرأ ابن كثير وابو عمرو بل ادرك
بسكون الدال وفتح الهمزة والباقون بكسر اللام وتشديد الدال وفتح الدال بعدها الالف بل وضع للاضراب عما قبله
واثبات ما بعده وقد يجئ حرف ابتداء يدل على ترك الكلام السابق والاخذ فى غيره كما فى الآية وكذلك بل هم فى شك منها وادارك
اصله تدارك ادغمت التاء فى الدال ومعنى ادارك تتابع واستحكم وقيل المعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان
القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم وتمكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله تعالى بل هم فى شك منها بل هم
منها عمون يريد المشركين ممن فى السموات والارض لانهم لما كانوا فى جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان
فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم وقيل ان الآية تسبق لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشى
من وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لا وهذا الجنس وصف المشركين بانكارهم البعث
مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة لتحيب بانه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن
ووقته الذى يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجز ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن

الذي لابد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع انه عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به فقيل ان وصفهم
باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته
الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادارك علمهم وادارك وجه
آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل
علمهم وهذه الاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف
المذاهب وتضليل بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا
يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون قوله تعالى وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين ● وقال الذين كفروا اي مشركو مكة ائذا كنا ترابا بهمزة واحدة على الخبر ائنا مع مده الالف ابن كثير وابو
عمرو ائذا ائنا غير ان ابا عمرو يمد وابن كثير وعاصم وحمزة ائذا ائنا بهمزتين فيهما والباقون ائذا مع مده ائنا بنون
وكسر الالف استبعد الكفار ان يبعث الاحياء والرمم من القبور واستحالوا ذلك والعامل في اذا
ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج ولا يعمل المخرجون في اذا لان بينهما ثلاثة امور همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وكل واحد
منها كاف في منع عمل اسم الفاعل فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف
الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير
في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم قال صاحب الكشاف فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا
وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلنا التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله
ففي احدى الآيتين دليل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قال صاحب
المفتاح قال في سورة المؤمنين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا فذكر بعد المرفوع وما يتبعه المنصوب يعني هذا وقال
في سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا فقدم هذا لكونه فيها اهم يدلك على ذلك ان الذي قبل هذه
الآية ائذا كنا ترابا وآباؤنا والذي قبل الاولى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما فالجهة المنظور فيها هناك الى الموتى
هي كون انفسهم ترابا وعظاما والجهة المنظور فيها ههنا اي النمل هي كون انفسهم وكون آبائهم ترابا لا جزء هناك
من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة انها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد
الى ذكره فصيره هذا العارض اهم ان هذا الا اساطير الاولين مكتوب كتب وادعوه السنون والدهور فلم ير شيء
حتى خرج الى الوجود بعد العدم لا حقيقة لمعناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا في بلاد من تقدمكم من القرون لتعرفوا احوال من
كذب الرسل كيف كذبوا بالبعث ديارهم خالية وابدانهم بائدة فاحذروا ان تكذبوا فيحل بكم مثل ما حل بهم وقيل عني
للرسل وقت عذابهم فكان كما عنوا وصدقهم فيما عنوا وفيه دليل على الصدق فيما لم يعينوا وقيل معنى سيروا في الارض
اقرءوا القرآن فان اخبارهم مذكورة فيه فيغنيكم عن التطواف في الارض والبلاد واراد بالمجرمين الكافرين قال صاحب الكشاف
وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها قوله تعالى ولا تحزن عليهم
ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون
وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة
في السماء والارض الا في كتاب مبين ● صبر رسوله عليه الصلوة والسلام على ما يناله من هؤلاء الكفار وقال لا تحزن عليهم
اي على تكذيبهم واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فلا تبال فان الله
يعصمك من الناس وينصرك عليهم ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل
وجمع الكلام بمخرج الجمع ليرجع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين يخبرون الكفار بذلك قل يا محمد
للكفار عسى ان يكون ردف لكم اي عسى ان يكون بعض العذاب الذي تستعجلون ردفكم اي تابعكم وقيل دنا لكم
وقيل قرب منكم وقيل دنا لكم وقيل تبعكم من الاسر والقتل والسنين والجدب والبعض عذاب يوم البعث والنشور واللام
في لكم للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم
ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده لا مجال للشك وانما يعني
بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم فعلى ذلك
جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بترك المعاجلة بالعذاب على المعاصي ولكن اكثر الناس لا يشكرون
ولا يعرفون حق النعمة فيه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وان ربك ليعلم ما تكن تستر وتخفي صدورهم
اي صدور قريش وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم بذلك وما من غائبة سمى الشيء الذي يغيب
ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ويحتمل ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كانه
قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء في السماء والارض الا في كتاب مبين ظاهر بين لمن ينظر فيه من الملائكة اي قد علمه الله واحاط

واثبته في اللوح قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين ● انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ● لما تم الكلام
في اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة ولما كانت المعجزة الكبرى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن
اولا كونه معجزا فقال ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من امر الدين قيل ان المراد به عيسى وامه
وعزير وذكر محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اختلفوا فيبين الله بينهم امرهم ودينهم في القرآن بيانا شافيا وقيل قد اختلفوا
في المسيح وتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه
لو انصفوا واخذوا به واسلموا فان الله بين ان القرآن هدى ورحمة للمؤمنين لمن آمن منهم ومن انصف من بني اسرائيل ان ربك يقضي
بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به بحكمه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما وقيل
بحكمته وقيل يقضي بين بني اسرائيل في الذين ما حرفوا من الكتاب وبدلوه وقيل الحكم في القيامة فيجازي المحق بحقه
والمبطل بباطله وقيل يقضي بالقتال وهو العزيز فلا يرد قضاؤه ولا يغالب العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه وقيل
العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله ثقة بظهور حجته على رسالتك
امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل فقال انك على الحق المبين الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه
بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وانه لا يخذل انك لا تسمع
الموتى تعليل آخر للتوكل وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله عليه السلام من جهة المشركين واهل
الكتاب من ترك اتباعه وتشيع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكله بان اتباعهم امر قد
يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم بعدوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله لم يقبلوا المقصود منه وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء
جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وتشبيههم بالعمي حيث
كانوا يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى اذا ولوا مدبرين تاكيد لحال
الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد من ادراك صوته وقرأ ابن كثير لا يسمع بياء مفتوحة وفتح الميم
ما عدا ونصب الدعاء مفعولا والباقون بضم التاء وكسر الميم ونصب الصم والدعاء مفعولين وما انت بهادي العمي قرأ حمزة تهدي
العمي بتاء مفتوحة ونصب العمي على الفعل ههنا وفي الروم والباقون بضم التاء وكسر الميم على الفعل ههنا وفي الروم
والباقون على الاسم بياء مكسورة وجر العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك ولا يقبله الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون العاد
وقيل لا تسمع الا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا فيصدق بها فهم مسلمون مخلصون قوله تعالى واذا وقع القول عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ● واذا وقع القول عليهم قيل اذا وجب السخط
والغضب وقيل اذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل اذا حق القول عليهم انهم لا يؤمنون وقيل اذا دنت
وقيل القول الواقع عليه يوم يأتي بعض آيات ربك وقيل هو قوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم اخرجنا لهم دابة من الارض
هي من اشراط الساعة تكلمهم قال ابن عمر اذا وقع القول عليهم وعلى الكفار اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال حين لا يأمرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون للدابة ثلث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى
اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة [ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة م] ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله
حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد ترغو وتدنو فيما بين الركن الاسود وباب بني مخزوم
على يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت طائفة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض
راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو
هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه
في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن
يا مؤمن وللكافر يا كافر وعن حذيفة قال رسول الله دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه
المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وعن ابي الزبير انه وصف
الدابة فقال رأسها رأس الثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون
نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم
سليمان عليه السلام فلا يبقى مؤمن الا نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه
ولا يبقى كافر الا نكتت وجهه بخاتم سليمان عليه السلام فتفشو تلك النكتة فيسود لها وجهه حتى ان الناس يتبايعون
في الاسواق بكم يا مؤمن بكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وذلك
قول الله عز وجل واذا وقع القول عليهم وعن ابن عمر تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون الى منى فتحمل الناس بين نابيها
فلا يبقى سابق الا حطمته ولا مؤمن الا مسحته وعن ابي هريرة قال رسول الله تخرج دابة الارض من اجياد فيبلغ صدرها الركن

ولا يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات زغب وقوائم وعن عبد الله بن عمر انه ضرب بعصاه الطائف برجله وقال من هاهنا تخرج الدابة
التي تكلم الناس اذا الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الا لعنة الله على الظالمين ومن
التسع تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة لا تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل ذلك وتخرج من اجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ الارض
تضطرب تحتهم وتتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمن وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على معنى تكلمهم بان الناس وقرأ الباقون بكسرها على معنى
تكلمهم فتقول لهم ان الناس قوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى
اذا جاؤا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ● انه لما بين بالبينات
القاهرة والآيات الظاهرة كمال العلم وكمال القدرة ثم فرع عليها القول بامكان الحشر ثم بين الوحي في كون
القرآن معجزا ثم فرع عليه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم تكلم فيما يتعلق بالقيمة وانما قدم اثبات النبوة عليه
لان ما يتعلق بامور القيمة لا يمكن اثباتها الا بقول النبي الصادق ويوم نحشر نجمع من كل امة فوجا زمرة ممن يكذب
باياتنا من في قوله من كل امة للتبعيض وفي ممن يكذب للتبيين كقوله من الاوثان فهم يوزعون اي يحبس اولهم
على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار وابن عباس يوزعون يدفعون وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد
اطرافه كما وصف جنود سليمن بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله
افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يساق قادة
سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا يوم القيمة الى المحشر قال الله لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها
علما ولم تعرفوها حق المعرفة والواو للحال كانه قال اكذبتم بها من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب وقيل الواو للعطف اي جحدتموها ومع جحودها لم تلقوا اذهانكم لتحققها
وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضمونه
ويحيط بما فيه اماذا كنتم تعملون حين لم تتفكروا فيها وهو تبكيت وتقريع اي لم تشتغلوا بذلك فما
العمل المهم فاي شيء كنتم تعملون بعد ذلك كانه قال كل عمل سواه فليس بعمل وقيل اذ ما كان لكم عمل في الدنيا
الا الكفر والتكذيب بايات الله اماذا كنتم تعملون غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر
والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة ووقع القول عليهم اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا بظلمهم بشركهم
فهم لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل فهم لا ينطقون بحجة وعذر ثم انه تعالى لما خوفهم باحوال القيمة
ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر والنبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر
تعالى الم يروا اما وجه دلالته على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقليب من النور الى الظلمة لا يحصل الا بقدرة
قاهرة عالية واما وجه دلالته على الحشر فلانه لما ثبت قدرته تعالى في هذه الصورة ثبت انه يقدر على القلب من الحياة
الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة اخرى واما وجه دلالته على النبوة فانه تعالى يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين
وفي بعثة الانبياء والرسل الى الخلق منافع عظيمة فما المانع من بعثهم الى الخلق لتحصيل تلك المنافع فقد ثبت ان
هذه الآية الواحدة كافية في اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة التي منها منشأ كفرهم واستحقاقهم العذاب
جعل الابصار للنهار تنبيها على كمال هذه الصفة فيه ولم يقل والنهار لتبصروا كما قال جعل لكم الليل لتسكنوا
لان السكون في الليل هو المقصود من الليل اما الابصار في النهار فليس هو المقصود بل هو وسيلة الى جلب
المنافع الدينية والدنيوية واما قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فخص المؤمنين بالذكر وان كانت ايات للكل
من حيث انهم خصوا بالقبول والانتفاع قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وكل اتوه داخرين ● هذه علامة اخرى لقيام القيامة ينفخ في الصور هي النفخة الاولى روي
انه سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصور فقال صلى الله عليه وسلم قرن ينفخ فيه وعن مجاهد كهيئة البوق
وقيل هي بلغة اهل اليمن وعلى هذا اكثر المفسرين يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه قتادة هو جمع صورة يقال صورة وصور مثل سورة البناء وسور
وجمعها سور وسور ومعنى الآية ونفخ في صور الخلق وقد ورد في كيفية نفخ الصور حديث جامع عن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قلت
كيف هو قال عظيم والذي بعثني بالحق ان اعظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة
الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل عليه السلام بالنفخة الاولى فيقول
انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات والارض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها وهو الذي يقول الله عز وجل
ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون
كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الامواج وتلقيها الرياح او كالقنديل المعلق بالعرش ترججه الارواح وهي التي يقول

عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتميد بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع
الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها
فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم
من الله من عاصم فبينا هم كذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا امرا عظيما لم يروا مثله ثم نظروا الى السماء
فهي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانكسفت شمسها وقمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ
لا يعلمون بشيء من ذلك قال ابو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حيث يقول ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك
اليوم وآمنهم وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه وهو الذي يقول الله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله الا انه يطول عليهم ثم يأمر
الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاذا اجتمعوا جاء ملك
الموت الى الجبار فيقول قد مات اهل السموات والارض الا من شئت فيقول الله سبحانه وهو اعلم من بقي فيقول
يا رب بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل واسرافيل وبقيت انا فيقول الله عز وجل
فليمت جبريل وميكائيل فيقول اي رب اتموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت اني كتبت الموت على من تحت عرشي
فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول اي رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت
الحي القيوم الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقيت انا فيقول ليمت حملة العرش فيموتون فيقول اي رب قد مات
حملة عرشك فيقول وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت انا فيقول انت خلق من خلقي
خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كان آخرا كما
كان اولا ثم طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم قال انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد ثم يقول تبارك وتعالى
جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لله الواحد القهار يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها بسطا ثم
يمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم يزجر الخلق زجرة واحدة فاذا هم في هذه الارض المبدلة
في مثل ما كانوا فيه من الاول من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم
ماء من تحت العرش كمني الرجال ثم يأمر الله السحاب ان تمطر اربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعا ويأمر الله
الاجساد ان تنبت كنبات الطراثيث وكنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت قال الله ليحيى حملة العرش
فيحيون ثم يقول الله ليحيى جبريل وميكائيل واسرافيل فيحيون ثم امر الله اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم
يدعو الله الارواح فيؤتى بها تتوهج ارواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور ثم يأمر الله اسرافيل
ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كانها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله ليرجعن كل روح الى جسدها
فتدخل الارواح الخياشيم ثم تمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنهم سراعا فانا اول من تنشق
عنه الارض فيخرجون منها الى ربكم ينسلون مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر ففزع
ذكر بلفظ الماضي وان لم يقع بعد لكنه هو الاستقبال لتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات
والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون
الا من شاء الله ان لا يفزع وقد ذكرنا انهم الشهداء وقيل الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قيل هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة وقيل انهم الذين في الجنة من الحور وغيرهم وكذلك من في النار
لانهم خلقوا للبقاء وكل من الاحياء الذين ماتوا اتوه وقرأ حمزة وحفص عن عاصم اتوه بقصر الالف مفتوحة التاء
على الفعل يعني جاؤه عطفا على قوله ففزع والباقون آتوه ممدودة مضمومة التاء على مثال فاعلوه لقوله تعالى
وكلهم آتيه يوم القيمة فردا والجمع باعتبار المعنى داخرين صاغرين وان الداخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم
الموقف يوم النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له قوله تعالى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون ● وترى يا محمد الجبال جامدة قائمة
مستقرة مكانها من جمد في مكانه اذا لم يبرح وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في رؤية العين كالواقفة فاذا
نظر الناظر اليها حسبها واقفة ثابتة في مكانها فهي تمر مر السحاب اي تمر حثيثا كما تمر السحاب وهكذا
الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد
الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت
اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء
التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء وقيل صنع الله نصب على الاغراء
اي اعلموا وابصروا اتقن كل شيء احسن واحكم انه خبير بما تفعلون قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يفعلون
بالياء على الغيبة والباقون بالتاء قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون ● فله خير منها يصل اليه وهو الثواب
وقيل فله افضل منها لان بالحسنة فيعطى عشر امثالها وقيل يريد الاضعاف لان العمل يتقضى والثواب يدوم

ويبقى وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن علي الحسنة كلمة الشهادة قال صاحب الكشاف فيما أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فكافأهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذه بعضه بحجز بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذه المصادر اذا جاءت عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها باضافتها اليه باسم التعظيم كيف تلاها بقوله اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وهم من فزع يومئذ قرأ عاصم وحمزة والكسائي فزع بالتنوين يومئذ بفتح الميم والباقون باضافة فزع الى يومئذ ومن قرأ بالتنوين يحتمل من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من الهيبة والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلو منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ويحتمل من فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار آمنون يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة فكبت يقال كببت الرجل اذا القيته لوجهه فيعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكسين هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول قوله تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ● لما بين المبدأ والمعاد والنبوة ومقدمات القيامة واحوالها وصفة اهل القيامة من الثواب والعقاب وذلك كمال ما يتعلق باصول الدين ختم السورة بهذه الخاتمة فقال قل لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اي انما اخص رب هذه البلدة بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش والبلدة مكة الذي حرمها اي حرم هذا البيت حرمها اختصها من بين جميع البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده حرمها جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم حرام ولا يظلم فيها احد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مهاجره لما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيما لها وتقريبا لها لانها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واللاجئ اليها آمن وله كل شيء خلقا وملكا جعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وامرت ان اكون من المسلمين من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل من الوحي فانما يهتدي لنفسه اي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل اخطأ طريق الهدى ولم يتبعني فقل انما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امر ان يحمد الله اي وقل يا محمد لمن ضل الحمد لله الذي سيريكم آياته في الدنيا فقيل منها الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقماته وقيل سيريكم آياته في السماء وفي انفسكم وفي الرزق وقيل القتل ببدر وقيل سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا وقيل فيلجئكم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة في الآخرة وما ربك بغافل عما تعملون قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء على معنى قل لهم والباقون بالياء على انه وعيدهم بالجزاء على اعمالهم

سورة القصص

كلها الا آية منها وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة قال ابن عباس وعطاء وعكرمة انها مكية كلها وقال مقاتل فيها من المدني الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن نزلت بالجحفة وهي ثمان وثمانون آية والفعان ثلاثمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ● من نبأ مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبر موسى وفرعون اي يتلو عليك جبريل بامرنا بالحق الصدق الذي لا يجوز فيه الكذب وقيل اخبارا صحيحة لقوم يؤمنون لينتفع به وقيل لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع هؤلاء دون غيرهم وقيل يجوز ان يكون لقوم من صلة الحق اي حق لهم ولا انه يكون لهم حقا وصدقا يؤمنون به قوله تعالى ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف

طائفة

طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ● ان فرعون علا في زمانه واستكبر وتجبر وتعظم وطغى وغلب وجاوز الحد في الظلم والعسف في الارض اي في ارض مملكته وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه وقيل يشيع بعضهم بعضا في طاعته وقيل جعل اهلها شيعا اي اصنافا في استخدامه يستخدم صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية وقيل فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط وقيل شيعا فرقا يكرم طائفة ويهين اخرى فيكون القبط احدى الشيعتين وهو شيعة الكرامة يستضعف طائفة منهم بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم يستضعف حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف انه كان من المفسدين فحسب لا يفعل الا الباطل بتحقيقه صدق او كان او كذب قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ● ونريد ان نمن عطف على ان فرعون علا لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا وبها يحكى الحال الماضية وقيل يجوز ان يكون حالا من يستضعف اي فرعون يستضعف طائفة منهم ونحن نريد ان نمن عليهم فان قيل كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر اجيب بان منة الله بخلاصهم من فرعون لما كانت قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم عطف على نمن اي ونريد ان نجعلهم ائمة مقتدين في الدين والدنيا وقيل ائمة انبياء وكان بين موسى وعيسى الف نبي من بني اسرائيل وقيل قادة في الخير دعاة مقتدى بهم وقيل ولاة في الامر كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين يرثون ديار فرعون واهله كما قال كم تركوا من جنات وعيون الآية وقيل الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد وتمكينه توطئته وتمهيده ومعنى التمكين لهم في الارض اي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث يتمكنون فيها ويتسلطون بايديهم ويسلطهم ونري قرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء مفتوحة وامالة الالف التي بعد الراء فرعون وهامان وجنودهما بالرفع اي يرى فرعون وهامان وجنودهما من الطائفة الذين استضعفوهم ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدي مولود منهم والباقون بنون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ● لما قال ونريد ان نمن ابتدأ في ضمن الآية بذكر اوائل نعمه في هذا الباب فقال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه قيل كان الوحي قبل الولادة وقيل بعد الولادة فاذا خفت عليه من القتل بان صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه وقيل اوحى الله اليها ان ارضعيه كل يوم مرة وكل ليلة مرة فاذا بلغ اربعة اشهر او خفت ان يطلبوه ويبكي فيفطن ببكائه فالقيه في اليم قيل هو نيل مصر ولا تخافي من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف ولا تحزني فالخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار فنهيت عنهما جميعا انا رادوه بيان لنفي الخوف والحزن وامنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ● فالتقطه فوجده آل فرعون ليكون لهم اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد ليكون لهم عدوا وحزنا ان يهلكهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع وقيل كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقيل التقطته جواري امرأة فرعون قوله تعالى وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ● وقالت امرأة فرعون وهي آسية بنت مزاحم وكانت من بني اسرائيل تزوجها فرعون لا تقتلوه قالت الغواة من قوم فرعون هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا بقتله فهم بذلك فقالت امرأة فرعون آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وفي حديث لو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي ان امرأة فرعون قالت لفرعون لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف اي هو قرة عين لا تقتلوه خاطب بلفظ الجمع تعظيما او قول الشرطة لا تقتلوه عسى ان ينفعنا في بعض امورنا او نتخذه ولدا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا فانه اهل للتبني ولانه لم يكن لها ولد وهم لا يشعرون حال وذو الحال آل فرعون

فالتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون على انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتنبيه
قوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم قال صاحب الكشف
وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بحاسة النظم وهم لا يشعرون انه هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون
انه المطلوب للذبح قوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ● واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي صار فؤادها
[illegible] وقيل لانه اصبح فؤادها فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه
قال مجاهد وعكرمة وقتادة وقيل فارغا من الحزن ثقة بوعد الله انا رادوه اليك وقيل فارغا صفرا من العقل
والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى
وافئدتهم هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها الحسن فارغا من كل
الهم الا هم موسى ابن اسحاق عظيم البلاء ان كادت ان مخففة من الثقيلة اي ان القصة كادت لتبدي به لولا ان ربطنا
على قلبها وذلك انها سمعت ان فرعون قد اخذ التابوت فلم تشك انه سيقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة
عليه وقيل لما سمعت ان فرعون اتخذه ولدا كادت وكادت تقول هو ابني وقيل لما حملت لارضاعه وحضانته
كادت تقول هو ابني لتبدي لتصرح بموسى انه ابن موسى وحضنته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر
كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن وقيل تبدي بالوحي وقيل بالبكاء وقيل بالنداء والتقدير لتبدي به
وقيل المعنى بعد ما كادت لتبدي القول بسبب موسى عليه السلام لولا ان ربطنا على قلبها قويناه بالصبر وقيل
بالايمان والعصمة وقيل ربطنا على قلبها قويناه بالصبر على اليقين وقيل بالايمان والعصمة وقيل ربطنا
على قلبها بان يذكرها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف اي لابدت به لتكون من المؤمنين من
المصدقين بوعد الله غير شاكين وهو قوله انا رادوه اليك قال يحيى وقيل واصبح فؤاد ام موسى فارغا من الهم حين
سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا
بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين
بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقالت ام موسى لاخت موسى قصيه اتبعي اثره واستعلمي خبره فبصرت اي
فبصرت به ابصرته وقيل ابصرت بصيرة في صنعه لانه يبصر لاحد عن جنب عن مكان جنب صفة لموصوف محذوف
اي عن مكان بعيد وقيل عن جنب وعن جنابة بمعنى بعيد وهم لا يشعرون انهم لا يحسبون بانها اخته وقيل انها
تقصه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ● وحرمنا اي منعناه
استعارة للمنع لان من حرم الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور ومحجور وذلك لان الله تعالى منعه ان
يرضع ثدي مرضع فتحيروا اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
يعني الثدي او الرضاع من قبل قصصها اثره فقالت اخت موسى وكان اسمها مريم هل ادلكم اي اهديكم على اهل
بيت يكفلونه يكفلون موسى لكم من اجلكم وبسببكم وهم اي اهل البيت له لموسى ناصحون غير مقصرين في تربيته
وارضاعه بفعالها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان خذوها فانها تخبر بقصة هذا الغلام انها تعرفه وتعرف
اهله فالهمها الله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فقال لها فرعون
بعد ذلك شفقة وهي تبكي في طلب الرضاع فجئ وجذبها استانس والتقم ثديها وتضيع منها افعال الطفل في
ورأت منه فقال لها كل ثدي لا يقبل قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها
واجرى عليها النفقة وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده بالرد فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق وليستيقن ويثبت علمها وتتمكن ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
وعده حق وقيل لا يعلمون ان وعده حق وقيل لا يعلمون ما يراد بهم والمعنى ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط من ام موسى حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح
فؤادها فارغا وقيل يجوز ان يكون متعلقا بقوله ولتعلم والمعنى ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني
علمها بتصديق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ●
واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه وذلك اربعون سنة حكما اي حكمة او سنة من
حكمة الانبيا سنتهم وعلما اي التورية وقيل حكما نبوة وعلما فقها وقيل حكما عقلا وعلما فقها او فهما
وقيل علما بشرائع دينه وقيل آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل
اي كما فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه اي يعبدون الله خالصا من الالتفات
الى الغير قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان

عدو مضل مبين ● قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ● ودخل المدينة قيل هي
مصر وقيل مدينة بقرب مصر السدي كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب
مراكبه حتى كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف فعلم
موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك المدينة في وقت القائلة وهو حين الغفلة وقيل بين المغرب والعشاء
وقال ابن اسحق المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد بدت منه مجاهرة لفرعون وقومه بما
يكرهون فاختفى بنفسه متخوفا منه فدخل متنكرا حذرا مستغفلا للناس ابن زيد لما كان فرعون قد نابذه
واخرجه من المدينة وغاب عنها سنين فنسي امره وجاء هو والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم
به وكان يوم عيد لهم مشتغلون بلهوهم وقيل لما اشتد عقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل
قرية الا على تغفل فوجد فيها في المدينة رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي من بني اسرائيل اي ممن شايعه على دينه
من بني اسرائيل وهذا من عدوه من القبط وقيل هذا من شيعته اي مسلم وهذا من عدوه اي كافر وقوله هذا على الحكاية
قال المبرد العرب تشير بهذا الى الغائب قال جرير هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا فاستغاثه
الذي من شيعته قيل هو السامري على الذي من عدوه اي سأله ان يغيثه قيل كان القبطي خباز فرعون يتسخر الاسرائيلي
يحمل الحطب الى مطبخ فرعون وقيل يحمل الحطب على ظهره وقيل كانا يقتتلان في الدين فوكزه فدفع موسى القبطي باطراف
الاصابع وقيل بجمع الكف اي غضب موسى على القبطي لكفره وعتوه فضربه بجمع كفه وقيل لكمه وقيل دفع بصدره
بيده وقيل عقد بيمينه عقد ثلاث وتسعين وقيل ضربه بعصاه فقضى عليه فقتله وقيل اتم عليه والقضاء انهاء
وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وفاعل قضى موسى ويحتمل ان يكون هو الله اي قضى الله عليه الموت ويحتمل
فقضى الوكز عليه قال موسى هذا القتل الذي وقع من غير قصده من عمل الشيطان لانه حمله على ذلك حين اغراه
ولانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل انه اي ان الشيطان عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال موسى رب اني
ظلمت نفسي لاني قتلته وقيل انا في قتله فاغفر لي لانه ذنب يستغفر منه عن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم
يؤذن فغفر له اجاب الله دعاه فغفر له انه هو الغفور الرحيم قوله تعالى قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا
للمجرمين ● بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين ويجوز ان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني
ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية
الى القتل الذي لا يحل له وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان
بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من الاسرائيلية قوله تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره
بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين ● فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب
نجني من القوم الظالمين ● فاصبح في المدينة خائفا على نفسه من القبط ان يؤخذ به يترقب يتوقع وقوع مكروه
وهو الاستقادة منه وقيل يترقب الاخبار هل عرفوا على ما كان منه وقيل خائفا من الله يترقب المغفرة وقيل
خائفا من قومه ينتظر نصرة ربه فاذا للمفاجأة اي فاجاه الذي استنصره بالامس يستصرخه ثانيا
والاستصراخ الاستغاثة مشتق من الصراخ نحو قوله تعالى صارخ الامين فاصرخه اي فاغاثه والمعنى ان الاسرائيلي
الذي استنصره بالامس يستغيث به على قبطي آخر اراد ان يسخره ايضا قال له موسى قيل للقبطي انك لغوي بتسخيرك
وظلمك وقيل قال موسى للاسرائيلي انك لغوي اي مغوي كالاليم والوجيع والمعنى انك لضال حين قتلت بالامس رجلا
بسببك وتدعوني اليوم الى آخر وقيل الغوي بمعنى الغاوي والمعنى انك يا اسرائيلي غاو في قتالك من لا تطيق دفع
شره عنك فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وهو القبطي الذي هو عدو لموسى والاسرائيلي قال الاسرائيلي يا موسى اتريد
ان تقتلني هذا قول الجمهور قالوا لما رأى الاسرائيلي غضب موسى عليه حين قال له انك لغوي مبين ورآه قدم ان يبطش
بالقبطي ظن انه يريده فخاف على نفسه فقال يا موسى اتريد ان تقتلني وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتل القبطي
الا انهم اتوا الى فرعون فقالوا ان بني اسرائيل قتلوا رجلا منا فخذ لنا بحقه فقال فرعون ابغوني قاتله ومن يشهد
عليه لاخذ لكم حقكم منه فبينا هم يطوفون فلا يجدون من القائل وقعت هذه الخصومة بين الاسرائيلي والقبطي
في اليوم الثاني فلما قال الاسرائيلي لموسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس انطلق القبطي الى فرعون فاخبره
ان موسى هو الذي قتل الرجل فامر فرعون بقتل موسى فعلم بذلك رجل من شيعة موسى فاتاه فاخبره وذلك قوله تعالى وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس والقبطي المقتول ان تريد الا ان تكون جبارا
قتالا تقتل الناس على الغضب وقيل الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا
يدفع بالتي هي احسن وقيل الجبار المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله في الارض في ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين
في كظم الغيظ وترك القتل الحسن هو من قول القبطي اي قال القبطي يا موسى اتريد ان تقتلني لانه كان اشتهر ان اسرائيليا

قتل قبطيا وجاء رجل قيل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون من اقصى المدينة يسعى فمحل الرفع على ان يكون
صفة لرجل او في محل النصب على ان يكون حالا لانه حينئذ يتخصص رجل فلا يمتنع الحال عنه قال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون في امرك ليقتلوك والايتمار افتعال من الامر وهو التشاور ويقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل
واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك فاخرج اني لك اللام للبيان وليس بصلة الناصحين
اني لك من الناصحين لانه لا يتقدم الصلة على الموصول فخرج موسى منها من المدينة بعد انذار الرجل اياه خائفا
على نفسه من آل فرعون يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحقه ينتظر هل يلحقه طالب فيؤخذ وقيل معنى يترقب يلتفت
وقيل يترقب ان يضل السبيل قال موسى رب نجني خلصني من القوم الظالمين واجعلني ناجيا منهم ولا يلحقوني
شيء من لحوقهم وهو المكان الذي لا يناله كل احد قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال
ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من
خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ● ولما توجه موسى اي قصد بوجهه والتوجه الاقبال على
الشيء تلقاء مدين وتلقاء ايضا مصدر مثل اللقاء قال الامت خيرك هل تاتي مواعدة فاليوم قصر عن تلقاء
الاصل ومدين قرية شعيب قال المفسرون خرج موسى من مصر خائفا بغير زاد ولا ظهر وكان بين مصر ومدين مسيرة
ثمانية ايام ولم يكن له علم بالطريق عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وسطه وقصده ومعظم نهجه
وقيل خرج خائفا يعيش بورق الشجر قيل كان هناك ثلاث طرق فاخذ موسى في اوسطها واخذ من كان في طلبه الآخرين
وقالوا ان المريب لا ياخذ في اعظم الطرق وبقي في الطريق ثماني ليال حافيا ما له طعام الا ورق الشجر وقيل لم يقصد مدين
ولكنه اخذ طريقا الى حيث ما ينهيه فاتفق ذهابه الى مدين لامر قدره الله وقيل اتاه جبريل بالعصا وامره بالمسير
الى مدين ولما ورد موسى ماء مدين ماء اهل مدين الذي يستقون منه وقيل ماء مدين بئر كانوا يسقون منها ويسقون انعامهم
ومواشيهم وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دون
الامة اي في مكان اسفل من مكانهم امرأتين اشار به الى تنحيهما عن الامة تذودان تطردان وتمنعان مواشيهما عن الماء
وهي تنازع اليه قيل انما كانتا تذودان لانه على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة
على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما قال موسى لهما
ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشئون شانا في قولك
ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده وقيل ما شانكما لا تسقيان غنمكما وقيل ما شانكما واقفتين لا تستقيان
بخروجهما من غير محرم قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء قرا ابو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء وضم الدال اي حتى
يرجع الرعاء والباقون بضم الياء وكسر الدال اي حتى يرد الرعاء غنمهم عن الماء والرعاء جمع راع وقيل لا نسقي توقيا
عن الاختلاط بالرجال وقيل نحن امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ كبير لا يقدر ان يسقي ماشيته
من الكبر فلذلك احتجنا نحن الى ان نسقي قالتا ذلك عذرا لخروجهما من غير محرم وقيل تعريضا لموسى ان يعينهما
على السقي وكان على تلك البئر صخرة عظيمة فاذا فرغ الرعاء من سقيهم اعادوا الصخرة فتاتي المرأتان فتسقيان من فضول حياض الرعاء
فيسقيان غنمهما فسقى لهما موسى قيل ذهب موسى الى بئر اخرى عليها صخرة لا يقلعها الا جماعة من الناس فقلعها
وسقى لهما قاله عمر بن الخطاب وشريح وقيل زاحم القوم على الماء ودفعهم عنه حتى سقى لهما قال صاحب الكشاف وانما
انه ورد ماء مدين وقد ازدحم عليه امة من الناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى امرأتين ضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما
مترقبتين لفراغ الامة فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه
رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة
ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه ما كان عليه من حسبه في حال
الاحتياج بنفسه في الخير ونهضته وبعث على ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم وانما كان الغرض هو الفعل
لا المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي الا ترى انه عليه السلام انما رحمهما لانهما كانتا على الذيادة وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود السقي لا المسقي
قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ولا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا
رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما
فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور
والدين لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادة متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب
اهل البدو فيه غير مذهب الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى موسى بعد سقيه لهما الى الظل فجعل ظهره الى ما كان يلي وجهه
الى الظل من الشمس قيل ظل سمرة وكانت هناك سمرة وقيل صار الى الظل حيث لا سقف عليه فقال
رب اني لما انزلت الي من خير فقير لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين فقير محتاج وعدي فقير باللام لانه ضمن معنى

سائل

[illegible]

من آجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول او ظرف
ثماني حجج قال صاحب الكشاف فان قلت كيف يصح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقد النكاح
ولكن مواعدة ومواضعة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان
يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة كيف منع ان يتزوج امرأة
بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لان في الاول مسلما نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا
وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزويج على الاجارة لبعض الاعمال
والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر
شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على
معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ
معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا عملا
فاتمامه من عندك فهو من عندك اي من عندك تفضلا لا من عندي الزاما هو ولا احتمه عليك ولكن ان فعلته فهو منك
تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك في هذه المدة فالكلفة ما يصعب عليك وقيل وما اريد ان اشق
عليك بالزام اتم الاجلين او المجادلة ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن العشرة والوفاء بالعهد قيل يريد بالصلاح
حسن المعاملة ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة وهذا اشتراط لا
وليس بصداق وقيل صداق اظهر لقوله قد جعلتها وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته
قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ● قال موسى
لشعيب ذلك مبتدأ بيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه
وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال موسى ايما الاجلين اطولهما الذي
هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني قضيت وفيتك اياه وفرغت من العمل فيه فلا عدوان علي اي لا سبيل علي والمعنى
لا تعتدي علي بان تطلب مني اكثر منه قال صاحب الكشاف فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر
وهو المطالبة بتتمة العشرة فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشرة كان
عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين
على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر
عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي والله على ما نقول
من النكاح والاجر والاجل وكيل حفيظ وشاهد وكذا استعمل وكيل في موضع الشاهد والمهيمن والمقتدر على
قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الآمنين ● فلما قضى موسى الاجل روي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل

أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأطيبهما مجاهد مكث عندهم بعد قضاء الأجل عشرا أخر وهنا أقام عندهم
بعدما أن دخل عليه سنتين أو جذوة قرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف والوليد عن ابن عامر بضمها والباقون
بكسرها كلها لغات ابن عباس الجذوة قطعة حطب فيها نار أبو عبيدة قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب قال
التي على قبس من النار بجذوة شيء تعليقه جمرها أو لهبها فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة
المباركة من الشجرة من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل
من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم أن
يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أي نودي
يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك
جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني قتلت منهم
نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون
واضمم إليك جناحك من الرهب قرأ حفص عن عاصم بفتح الراء وسكون الهاء وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم
بضم الراء وسكون الهاء والباقون بفتح الراء والهاء قيل إن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب
فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب
حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك
وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر فإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد
يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه وقيل يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا
حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان
إليه مستقران ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل
الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك
على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض
في أحدهما خروج اليد البيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما
وفي الآخر مضموما إليه وذلك في قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت
المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح فذانك
برهانان من ربك قرأ ابن كثير وأبو عمرو فذانك بالتشديد والباقون بالتخفيف فالتشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية
ذاك جعل تشديد النون عوضا من اللام فذانك برهانان بيانان أي العصا واليد حجتان من الله لموسى على صدق
إلى فرعون أي أرسلناه بهاتين البرهانين إلى فرعون وقد سبق تفسيرها بعد هذا إلى قوله هو أفصح مني لسانا أي
أحسن بيانا فأرسله معي ردءا قرأ نافع ردا بفتح الدال من غير همز يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به
فعل بمعنى مفعول به يقال ليكون عونا على تبليغ الرسالة يصدقني قرأ عاصم وحمزة بالرفع صفة لردءا والباقون
بالجزم جوابا للأمر وليس الغرض بتصديقه أن يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق
ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما
يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا وفضل الفصاحة إنما يحتاج
إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي
يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأن السبب في إسناد المجازي ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق
حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس
التصديق بالسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه إني أخاف أن يكذبون قوله تعالى
قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما
جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء
بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون • العضد قوام اليد وبشدتها تشتد اليد قال
طرفة: أبني لبيني لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد ويقال في الدعاء بالخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله
في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد
تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها
باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديد ونجعل لكما سلطانا حجة وبرهانا بالمعجزات الظاهرة
الباهرة والتي نصحبكما فلا يصلون إليكما بمكروه ولا يكون لهم عليكما قدرة بآياتنا قيل متعلق بنحو ما يتعلق به في تسع
آيات أي اذهبا بآياتنا وقيل متعلق بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا وقيل بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا
أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقديم الصلة على الموصول لو كان تأخر لكن الأصلة وقيل إنه حال لكما يقول أحد
بلاده سلطته وقيل يحتمل أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه ومن لغو القسم فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
واضحات قالوا فرعون وقومه ما هذا إلا سحر مفترى مختلق أي سحر تعمله أنتم تفترونه على الله وقيل سحر ظاهر افتراؤه

وقيل سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه في آبائنا الأولين
يعني ما سمعنا أن أحدا ادعى النبوة فصدق وقيل لطول الفترة قالوا هذا القول وقيل ما سمعنا بالذي يدعو آباؤنا ما تدعونا
إليه وقيل ما سمعنا بمثل هذا السحر في آبائنا حال منصوب عن هذا أي كائنا في زمانهم وأيامهم أي ما حدثنا بكونه فيهم
ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان
أيخبروا بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من البينات
إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار أي ربي عالم
أني محق وأنكم أيها الفراعنة مبطلون وقيل ربي أعلم بالأنبياء قبلنا جاءوا بالهدى من قولهم ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين قال
ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون
كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لم تجر عادته بأن يرسل الكاذبين ونعته الساحرين إنه لا يفلح الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن
عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت
فإن قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن يكون خاتمتها بخير أو بشر فلم
اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله تعالى الدنيا مجازا إلى الآخرة وأمر عباده
أن لا يعملوا فيها إلا الخير ليبلغوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعه الله له فقد حرف فإذا عاقبتها الأصلية هي
عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف أهل
مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا
مفترى والباقون بالواو ووجه هذه القراءة أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر
فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء وقرأ حمزة والكسائي ومن يكون بالياء من تحت والباقون
بالتاء قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي
صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا
لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار
ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين • إن فرعون كان كلما
ظهرت حجة موسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة ويحتال على ما يزعمه وذكر هاهنا شيئين الأول قوله ما علمت لكم من إله
غيري وهذا يتناول نفي الحجة عنه وإثبات الحجة لنفسه والثاني قوله فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
أطلع إلى إله موسى فقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من
إله غيري كما قال تعالى أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض ومعناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم
ولا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده
ويعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون
بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظنه موسى كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن في الوجود إلها
ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات
والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع إلى إله موسى فأوقد لي يا هامان على
الطين أي اطبخ لي الطين بأن توقد عليه النار ليتصلب فيصير آجرا وكأنه أول من اتخذ الآجر فاجعل لي صرحا
قصرا عاليا الزجاج الصرح كل بناء متسع مرتفع وجاء في التفسير أن فرعون لما أمر هامان ببناء الصرح جمع العمال والفعلة
حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى
ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق فلما تم ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت وهي ملطخة بالدم
فقال قد قتلت إله موسى فبعث الله تعالى جبريل فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت
ألف ألف رجل ووقعت أخرى في البحر وأخرى في المغرب لعلي أطلع إلى إله موسى لو كان فرعون عالما بصحة قول موسى لما تعب
في بنائه كما تعب ولم يقل لعلي أطلع إلى إله موسى وإن كان جاهلا لا يجد مفرطا به وبصفاته أنه ملك الأرض والأرض ... ينته
أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من أنهم توهموا أنهم ينالوا أسباب السماوات بصرح يبنونه
وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم
بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما
جاز التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفتري على القول الأول اليقين كقوله أهلك
لمنظور [illegible] ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم
أو لم يخف عليهم ولكن كلا يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ الآجر
واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه
بكلام الجبابرة وأمره هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التجبر والتعظم
وقيل كان فرعون يتعاطى مذهب الصابئين وأنهم يعبدون النجوم ويزعمون أن [illegible] الكواكب

من العبادات وانى من ظفر باستجابة الشمس لملكه وصيرته من اعظم من في مصر واكبرهم واراد ببناء الصرح رصدا
يصعد اليه ويعلم كيفية احوالها وهل يجد بحكمه من احكامها واني لاظن موسى من الكاذبين واستكبر تعظم هو وجنوده
في الارض في ارض مصر وما يليها بدعوى الالهية والامتناع من اتباع الرسل والايمان بهم بغير الحق بغير حق اوجب
ذلك بل بالباطل وقيل بغير الحق في محل النصب على الحال اى غير محقين والاستكبار بالحق انما هو لله تعالى عز وجل وهو
المتكبر على الحقيقة المبالغ في كبريائه الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
فيهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا اى فرعون وقومه انهم الينا لا يرجعون للبعث
والنشور قرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء من الرجوع والباقون بكسرها من الرجع فاخذناه اى فرعون وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر يا محمد بعين الاعتبار كيف كان عاقبة الظالمين فاخذناه وجنوده من الكلام الفخم الذي
دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا بهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم
الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
وجعلناهم قيل معناه دعوناهم ائمة دعاة الى النار وقيل انهم دعاة كانوا على خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة
وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله
بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم
الى موجباتها من الكفر وقيل معناه وجعلنا قوم فرعون ائمة في الشر والضلال يقتدى بهم فيما يكون عليهم
وزرهم ووزر من اتبعهم يدعون الى النار الى اعمال توجب دخول النار وقيل حذف المضاف تقديره اى الى
اعمال اهل النار وجاز ان يكون الدعاء منهم وجاز ان يكونوا ممن سن سنة سيئة والاول موافق لمذهب المعتزلة
والثاني لاهل السنة والجماعة وقيل جعلناهم بمعنى حكمنا او حكما بكفرهم وقيل معناه اعلمنا انهم ائمة يدعون
الى النار ويوم القيمة لا ينصرون لا يمنعهم احد من عذاب الله وقيل لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة
وقيل لا ينصر بعضهم بعضا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اى كل
من ذكرهم لعنهم وقيل لعنة منا ثابتة الى يوم القيمة تقديره ولعنة يوم القيمة قيل يحذف المضاف وانتصب يوم القيمة
على المفعول به وقيل هو عطف على محل في هذه الدنيا كقوله اذا ما ابلاه قيناه من ليله وغدا وقيل ظرف للمقبوحين ومعنى هم
من المقبوحين من المهلكين وقيل يوم القيمة هم من المطرودين المبعدين وقيل قبحه يقبحه اذا جعله قبيحا وهو سواد
الوجوه وزرقة العيون وقيل من المغلوبين وقيل من المعذبين قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ● ثم بين تعالى انه لا تخفى عليه انباء
بما جاء به موسى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بصائر للناس نصب
على الحال جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التورية
انوارا للقلوب تبصر بها وهدى هاديا الى الصراط المستقيم ورحمة ونعمة وقيل لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة
لعلهم يتذكرون يتعظون ويعتبرون وقد مر تجب عليهم ان يتذكروا وقال صاحب الكشاف اراد ارادة ان يتذكروا فشبهت
الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو
عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك لعلهم يتذكرون ● ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ● وما كنت بجانب الغربي وقيل بجانب الجبل الغربي الواقع في شق الغرب وهو مكان
او الجبل الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح اذ قضينا الى موسى الامر اذ كلمنا موسى وقربنا
اليه مما اردنا تعريفه وامضاه وقيل قضينا اهلاك فرعون في الماء وقيل الامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي
اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى وما كنت
من الشاهدين للوحي اليه وقيل من الشاهدين في ذلك الزمان والشاهدون هم نقباؤه الذين اختارهم موسى للميقات
حتى يقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك ولكنا انشأنا
بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرون الذين انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحي
واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم وكسبنا لك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى وما كنت شاهدا للوحي فيما
جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاره
فاذا هذا الاستدراك شبيه بالاستدراك الذي بعده وقيل فتطاول العمر وفترت النبوة وكادت تخفى تلك الاخبار ودرست
وبدلت الشرائع ودرس وتطرق كثيرا منها التحريف وتمام الكلام حصرنا رسلنا للتجديد لتلك الاخبار ومن التحريف ما حصل
فيه وقيل يحتمل ان يجعل المعنى وما كنت من الشاهدين في ذلك الزمان وكان بينك وبين موسى قرون تطاول اعمارهم
وانت تخبر الآن عن تلك الاحوال مشاهدة وعيانا بايحائنا اليك معجزة وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين وهم شعيب

والمؤمنين

ولقد آتينا موسى الكتاب ٢

بجانب المكان الغربي

والمؤمنون تتلو تقرأ عليهم آياتنا تتعلم منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا كنا مرسلين اى ولكنا ارسلناك
في آخر الزمان الى الخلق اجمعين واخبرناك بها وعلمناكها وقيل وما كنت ثاويا في مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه وتخبر
وها انت تتلو عليهم آياتنا على امتك وما كنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم عليه موسى فتراه وتسمع كلامه
وها انت تتلو عليهم آياتنا على امتك وما كنت بجانب الطور بناحية الجبل الذي كلم عليه موسى اذ ناديناه خذ الكتاب
بقوة وقيل اذ ناديناه موسى ثانيا حين اختار قومه سبعين رجلا قال ابو هريرة هذا النداء يا امة محمد اعطيتكم قبل ان
تسألوني واستجبت لكم قبل ان تدعوني ولكن رحمة من ربك ولكن اوحينا اليك وعلمناك رحمة من
ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمس مائة وخمسون سنة
ونحوه قوله لتنذر قوما ولولا امتناعية جوابها محذوف وان تصيبهم مصيبة عقوبة ونقمة وعذاب بما قدمت ايديهم
من الكفر والمعصية والظلم الذي استحقوا بها العذاب فيقولوا الفاء للعطف فيقولوا ربنا لولا التحضيضية
بمعنى هلا لم لا ارسلت الينا رسولا فنتبع الفاء جواب لولا التحضيضية لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر
باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم
والمعاصي قالوا يا ربنا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين محتجين علينا بذلك لما ارسلنا
اليهم رسولا يعني ان ارسال الرسل انما هو ليلزم من الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل اى يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك قال صاحب الكشاف في المعنى
ولولا انهم اذا عوقبوا بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم والمعاصي فيقولوا يا ربنا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك ونكون من المؤمنين محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان ارسال الرسل انما هو ليلزموا
الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اى يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك قال صاحب الكشاف في المعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي
هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم ثم قال فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت
العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون
سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها
سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية
ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة
وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية
على كفرهم واستحكامه ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت الاعمال
تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل
وقيل لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعجلناهم بالعقوبة قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ● فلما جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا يعني محمدا او القرآن
بامرنا ووحينا قالوا اى اهل مكة لولا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية
وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما
اشبه ذلك قال الله تعالى اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة
في زمن موسى بما اوتي من قبل الكلي وكان سبعا لهم اى مقالة اهل مكة تلك حين بعثوا الرهط منهم الى رؤس
اليهود بالمدينة وغيرهم فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبرهم اليهود بنعته وصفته وانه في كتابهم
التورية فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا اى الكفرة في زمن موسى ساحران تعاضدا وكذلك
سحران التورية والفرقان قاله ابن عباس وقتادة الانجيل والقرآن اسمعيل بن ابي خالد التورية والانجيل تظاهرا كل واحد
منهما يقوي الآخر اسند التظاهر الى السحرين توسعا في الكلام والباقون ساحران يعني موسى ومحمد قاله ابن عباس والحسن
وسعيد بن جبير فعلى هذا هو قول مشركي العرب مجاهد موسى وهارون فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة
قتادة محمد وعيسى فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا وقالوا انا بكل كافرون يعنون ما تقدم ذكره على
اختلاف الاقوال فقال الله تعالى لنبيه قل يا محمد لكفار مكة ان صدقتم في ان اختلقتما القرآن وان موسى اختلق
التورية وانا فبينا انهما من عند الله فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى من التورية ومما انزل
على محمد القرآن اتبعه ان كنتم صادقين في هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه من الشرط المدل بالامر المحقق لانه متسع الاثبات
بحجته بقوله من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا
لك ولم يأتوا بمثل التورية والقرآن فاعلم انما يتبعون ما هم عليه من الكفر والشرك لم تحملهم عليه حجة وانما يتبعون
اهواءهم ومن اضل اي لا احد اضل ممن اتبع هواه بغير هدى اى ارشاد واثبات من عند الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين

اى ناديناه موسى وكلمناه ٢

قالون ٢

تاما للاكثر وتقليب للاكثر على الاقل ٢

والعناد

يتبعون اهواءهم

واعلم ان الاستجابة يتعدى الى الداعي باللام والى الدعاء بنفسه ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب ويحذف
الداعي اذا عدي الى الدعاء فيقال استجاب الله دعاءه ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه فان قيل الاستجابة تقتضي
دعاء ولا دعاء هاهنا اجيب بان قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى قوله تعالى ولقد
وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ● واذا يتلى عليهم قالوا امنا
به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما
رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
ولقد وصلنا انزلنا تنزيلا متصلا بعضه ببعض وقيل ولقد اتيناهم القرآن متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا وعبرا ومواعظ ونصايح وقيل توصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان وهو من وصل البعض بالبعض ويحتمل
ان يكون المراد منه انا انزلنا القرآن مفرقا منجما متصلا بعضه ببعض ليكون ذلك اقرب الى التذكر فيكون هذا جوابا
لقولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة واحدة ويحتمل ان يكون المراد وصلنا اخبار الانبياء بعضها ببعض واخبار
الكفار في كيفية هلاكهم لكي يتذكروا مواضع الاتعاظ والانزجار ويحتمل ان يكون المراد بيان الدلالة على كون هذا القرآن معجزا
مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام الدلالة على النبوة اكد ذلك بان قال الذين اتيناهم الكتاب
من قبل القرآن او محمد هم بالقرآن او بمحمد يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب قتادة نزلت في اناس من اهل الكتاب
كانوا على شريعة حقة فلما بعث الله محمدا امنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام مقاتل نزلت في اربعين رجلا
من اهل الانجيل جاؤا من الحبشة مع جعفر وعن رفاعة نزلت في عشرة وانا احدهم وقد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب فكل من حصل في حقه تلك الصفة كان داخلا في الاية واذا يتلى عليهم اياتنا قالوا امنا به هذا بيان
لما تكلم ايمانهم انه الحق من ربنا تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله
امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرأوا في الكتب
الاولى ذكره وابناؤهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة
كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة لايمانهم بالكتاب الاول ومرة لايمانهم بالكتاب الثاني
بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن وقيل بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله
وقيل بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا
فاوذوا ويدرؤن بالحسنة بالطاعة السيئة المعصية وقيل بالحسنة الحلم السيئة الاذى ومما رزقناهم ينفقون
واذا سمعوا اللغو القبيح من القول اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركة
كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم وقيل لا نبتغي دين الجاهلين قوله تعالى انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون ● قد تقدم سبب نزول
عند قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقد روى مسلم فيما انفرد عن البخاري من حديث ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فقال لولا ان تعيرني نساء قريش يقلن
انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله عز وجل انك لا تهدي من احببت قيل اجمع المفسرون انها نزلت
في ابي طالب وفي قوله احببت قولان احدهما من احببت هدايته والثاني من احببته لقرابته ولكن الله يهدي من يشاء
وهو اعلم بالمهتدين بمن قدر له الهدى وشاء هدايته وقالوا ان نتبع نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن يمنعنا من اتباعك ان العرب تتخطفنا
من ارضنا لاجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فانزل الله الاية ومعناها ان نتبعك على دينك تخطفنا العرب
لمخالفتهم ايانا والتخطف الانتزاع بسرعة فرد الله عليهم قولهم فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نسكنهم حرما وجعله
مكانا لهم ومعنى امنا ذو امن يامن الناس فيه وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض واهل مكة
امنون في الحرم من السبي والقتل والغارة اي فكيف يخافون اذا اسلموا وهم في حرم امن يجبى قرأ نافع بالتاء من فوق
والباقون بالياء اليه الى الحرم اي يجلب ويحمل من النواحي ثمرات كل شيء رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونه ومعنى الاية اذا كنتم امنين في حرمي تاكلون رزقي وتعبدون غيري
فكيف تخافون اذا عبدتموني وامنتم بي قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم
اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون ● هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من
انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اما بحذف الجار
وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان
اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال
الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى واكثرها خراب اليوم

اي اشرت وطغت وكفرت بربها عطاء عاشوا في البطر والاشر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وانتصب معيشتها ٢

لم يسكنها

لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من
اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد وخربناها
وسويناها بالارض تتخلف الاثار من اصحابها حينا ويدركها الفناء وما كان عادة ربك ان يهلك القرى بكفر اهلها
في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا يتلو عليهم اياتنا
لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون وقيل ما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون كافرون
عاملون بالكفر قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين ● وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها يتمتعون بها زمانا قليلا وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله ثوابه خير في نفسه من
ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد افلا تعقلون ان الباقي الشريف خير من الفاني الخسيس افمن وعدناه هذه الاية تقرير
وايضاح للتي قبلها قيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل
وقيل في المؤمن والكافر وقيل في عمار والوليد بن المغيرة افمن وعدناه وعدا حسنا اي ثوابا وقيل الجنة ونعيمها
فهو لاقيه مدركه ومصيبه لا محالة لانا لا نخلف الوعد كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين
من الذين احضروا النار ونظيره قوله تعالى ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقيل من المحضرين للعرض والحساب
معاقبين بالنار وقيل من المحضرين من المشهورين فان الاحضار لا يستعمل الا في الشر لانه يوجب السخط قوله تعالى ويوم يناديهم
فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ● ويوم يناديهم اي
ينادي الله المشركين يوم القيمة فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاءي في الالهية وكنتم
تعبدونهم وتدعون انهم ينفعونكم واين هم قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم الكملاء من ائمة
الكفر ورؤساؤه وقيل الشياطين ربنا هؤلاء مبتدا الذين اغوينا صفته والعائد في الصلة الى الموصول محذوف
تقديره الذين اغويناهم اغويناهم خبر المبتدا والكاف في كما صفة مصدر محذوف اي هؤلاء اغويناهم فغووا غيا مثل
ما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا اي دعوناهم بالاضلال لا بالالجاء الى الشرك والكفر تبرأنا اليك انكروا انهم المعبودون لقوله
اياهم ما كانوا يعبدوننا بامرنا بل كانوا يتبعون اهواءهم وقيل ما كانوا ايانا يعبدون بسلطان او حجة من قوله تعالى ما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل ما المصدرية التقدير تبرأنا اليك مما كانوا ايانا يعبدون فحذف من
وقيل ما كانوا يعبدون غيرنا وقيل الذين حق عليهم القول الذين انتموا الى الشرك ليكون الشركاء غيرهم فيقولون
عند هذا خوفا على انفسهم واشفاقا من ان يزاد في عذابهم بسبب اغوائهم اياهم ربنا انا اغويناهم لا انا امرناهم
بعبادتنا وقيل المراد بالشركاء الملائكة وعيسى وحمل قوله اغوينا على اضمار شرط اي ان اغويناهم كما غوينا
ولكن لم يكن منا الجاء قال بعضهم ان كنت قلته فقد علمته وهذا وجه فيه تعسف وليس في الاية ذكر حول المخاطبين
فيحتمل ان يختلف لان قوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يدل عليه قوله فعميت عليهم الانباء وقيل ادعوا
شركاءكم اضافها اليهم في هذه الاية لانها ليست شركاء الله اي ادعوهم ليخلصوكم وقيل ادعوا شركاءكم اضافها اليهم في هذه
الاية لاعتقادهم انهم شركاء اي ادعوهم ليخلصوكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يعينوا على ما دعوا اليه وقيل
لم يجيبوهم بحجة وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وجواب لو مضمر اي لو انهم كانوا يهتدون لما راوا العذاب وقيل جوابه
لما اتبعوهم وقيل معناه تمنوا لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم عطف على الاول اي ويوم ينادي الكفار بعد ما يبكتهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت فاشتبهت وخفيت عليهم الانباء وقيل فعميت عليهم الانباء اي فصارت عليهم الانباء
كالعمى لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل في المشكلات لانهم جميعا يتساوون
في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقيل يسكتون فلا يتساءلون في تلك الساعة وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل
شيئا من ذنوبه قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ● لما بين حال المتقدمين
من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر
فقال فاما من تاب من الشرك وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين الكاملين في الفلاح وعسى من الكرام تحقيق
والله اكرم الاكرمين وقيل فيه ترجي التائب قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون ● وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
وله الحكم واليه ترجعون ● ان المشركين من قريش قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنون
الوليد بن المغيرة او ابا مسعود الثقفي فاجاب الله عما قالوا بقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار فانه هو المالك المطلق
من النفع والضر فهو يخلق ما يشاء ويختار لا اعتراض عليه ما كان لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا اقام مقام المصدر
وايضا اسم المختار يقال محمد خيرة الله من خلقه في المعنى وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة اذ ليس لهم ان
يختاروا على الله ان يفعل وقيل بمعنى الذي اي ويختار الذي يشاء ثم يعود ويختار الذي لهم فيه الخيرة سبحان الله عما يشركون

والمقصود ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بانه
يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من طعنهم فيه وقولهم لولا اختير عليهم غيره من
النبوة وهو الله لا اله الا هو وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة
القبلة لا قبلة الا هي وفيه تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقائص والآفات
مجازيا المحسنين على طاعاتهم ومعاقبا العاصين على معاصيهم وفيها تقوية لقلوب المطيعين ونهاية الزجر والردع
للمتمردين وقيل لما بين فساد طريقة المشركين من قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي ختم الكلام ببيان هذا التوحيد
بيان ان الحمد والثناء لا يليق الا به له الحمد في الاولى والآخرة لان ايصال النعمة في الاولى والثواب في الآخرة منه وحده
على الله بل بنعمه وتيسيره تفضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والآخرة والحمد في الآخرة هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين له الحكم في الدنيا لا ينفذ حكم كل احد سواه انما ينفذ
بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على المرأة حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم
سلطانهم ولا على الامة حكم الرسول وله الحكم في الآخرة لانه الذي يتولى الحكم بين عباده فيها واليه ترجعون اي الى
حكمه وقضائه ترجعون قوله تعالى قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم
بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ● لما بين
من قبل بقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيبه ذلك ببعض ما يجب
ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا فنبه على ان الليل والنهار وكون
الليل والنهار نعمتين متعاقبتين على الزمان لان الانسان في الدنيا في حال التكليف مفتقر الى تحصيل ما يحتاج
اليه ولا يتم له ذلك لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منهما في الحال هذه واما الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة
بهم الى الليل فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين انه لا قادر على ذلك الا الله والسرمد الدائم المتصل
من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص
من الدلاص فان قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب بانه ذكر الضياء وهو ضوء الشمس النافع
الذي يتعلق به مكاسبه ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا
تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان
غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة
لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولعلكم تشكرون الله على نعمه قوله تعالى
ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ● كرر لان الآية الاولى لتقريعهم على الشرك بالجهل
والثانية للتعجيز عن اقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الاشهاد مع انه تقريع بعد تقريع قوله ونزعنا
من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ● ونزعنا اخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم الذي يشهد عليهم بما اجابوا به فيما دعوا اليه من التوحيد وانه قد بلغهم رسالة
ربه فنظيره قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم اي
حجتكم على ما كنتم تعبدون من دون الله فعلموا ان الحق في الالهية لله اي علموا ان لا اله الا هو وقيل فعلموا حينئذ ان
الحق لله ولرسله لا لهم ولا لشياطينهم وضل عنهم اي وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل
والكذب وقيل بطل في الآخرة ما كانوا يفترون في الدنيا من الشركاء قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين ● قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ● قارون اسم اعجمي مثل هارون غير منصرف للعجمة والعلمية ولو كان
فاعولا من قرن لانصرف وكان من قوم موسى من عشيرته وفي نسبه الى موسى ثلثة اقوال احدها انه كان ابن عمه رواه سعيد بن
جبير عن ابن عباس وبه قال عبد الله بن الحارث بن جريج وثانيها ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال عبد الله بن الحارث
بن جريج وثالثها ابن خالته رواه عطاء عن ابن عباس وثالثها انه عم موسى قاله ابن اسحق وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به
وقيل كان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة
لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي فبغى عليهم عن ابن عباس ان قارون جعل لبغية جعلا على ان تقذف موسى بنفسها ففعلت
فاستحلفها موسى على ما قالت فاخبرته بقصتها فكان ذلك بغيه الضحاك بغى بالكفر بالله قتادة بغى بالكبر عطاء انه زاد في
طول ثيابه شبرا وقيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه
ما بمعنى الذي ان مفاتحه لتنوء صلته مفاتحه لتنوء خبر ان والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به وقيل مفاتحه خزائنه
امواله وقياس واحدها مفتح بفتح الميم ابو صالح كانت خزائنه تحمل على اربعين بغلا لتنوء بالعصبة اي لتثقل وتميل بهم
اذا حملوها لثقلها يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله وناء بالحمل اذا نهض به متثاقلا بالعصبة

بالجماعة

[illegible]

وراى لذلك اهلا ففضلني بهذا المال عليكم بالعلم وغيره وقيل هو علم الكيميا سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيميا
فعلم يوشع ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس
فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلم موسى اخته فعلمتها اخته قارون وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم
عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر المكاسب وقيل عندي معناه من عندي كما تقول الامر عندي كذا كانه قال
انما اوتيته على علم مزداد عندي اي هو مخطي وذاهب كذا او لم يعلم هو انه ان يكون ناما لعلمه ان الله قد اهلك من قبله
من قبل قارون من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لما ذكر
قارون ومن اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اشد منه وابلغ منه فالعلي سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب
المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامها وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون
عليم قتادة يدخلون النار بغير حساب مجاهد الملائكة لا تسأل عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم الحسن لا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون ليعلم ذلك من قبلهم وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن
وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ● فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان
من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ● فخرج على قومه في زينته الحسنى في ثياب حمر محلى على بغلة بيضاء عليها
سرج الارجوان عليه المعصفرات معه الف على بغلة شهبا على سرج من ذهب عليها الارجوان ومعه اربعة آلاف على زيه
وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال
الشهب وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون قيل تقديره يا قوم ليت لنا وقيل يا ليتنا تعالى مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم نصيب كبير قيل
ذو حظ من الدنيا عظيم كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر
قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى نعمة صاحبه من غير
ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال
لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة ووصفوه بانه رجل مجدود مبخوت وقال الذين اوتوا العلم
بفناء الدنيا وبقاء العقبى والثواب والعقاب ويلكم اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك
ما لا يرتضى كما استعمل لا اباك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل وقيل معناه هلكتم ان ترى الدنيا على
ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون في ولا يلقى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء وهي ثواب الله
وقيل لا يلقى ثواب الله لانه في معنى المثوبة او الجنة وقيل ولا يلقى السيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون
على الطاعات وعن الزينة والشهوات والمعاصي وقيل على ما قسم الله من القليل والكثير فخسفنا به وبداره الارض وفي
من العلماء بالاخبار لقصة الى قارون كان اعلم بني اسرائيل بعد موسى وهارون واقرأهم للتوراة واجملهم واغناهم فبغى وطغى
حتى هلك وكان سبب بغيه كثرة المال وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا في
اريتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيط اخضر كلون السماء فقال موسى يا رب لم امرت بني اسرائيل بتعليق هذه الخيوط
الخضر في اريتهم فقال الله ان بني اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما في ثيابهم كي يتذكروا اذا نظروا الى السماء
ويعلموا اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب افلا تأمرهم ان يجعلوا اريتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط
فقال الله يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير فان هم لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعا
موسى بني اسرائيل فقال لهم ان الله عز وجل امركم ان تعلقوا في اريتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموه

فتغلبت بنو اسرائيل بما امرهم به موسى عليه السلام واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميز امرهم فكان هذا بدو عصيانه وبغيه فلما قطع موسى عليه السلام ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون عليه السلام وهي رياسة الذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بهديهم ويدفعونه الى هارون عليه السلام فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك واتى موسى عليه السلام فقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وانا اقرأ التورية منكما لا صبر لي على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما انا جعلتها في هرون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك في هذا حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واصبحت عصا هرون عليه السلام قد اهتز ورقا اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام يا قارون ترى هذا فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى عليه السلام حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكوة على موسى اتاه قارون فصالحه من كل الف دينار على دينار ومن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة شاة وعن كل الف شيء شيئا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها وجعل قارون لها الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى عليه السلام فقال له ان بني اسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التورية على موسى الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة افضل من ان اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال عليه السلام خذيهم فانطبقت عليهم الارض واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا انه يخسف به كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيمة واصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه واموالهم فدعا موسى حتى خسف بداره واموالهم فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين من موسى او من المنتقمين من عذاب الله قد يقال انتصر من عدوه فانتصر اي منعه من عدوه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس العرب تعبر باصبح وامسى واضحى عن الصيرورة والفعل تقول اصبح فلان عالما واضحى معدما وامسى حزينا تريد صار فلا يراد به الوقت وقيل المراد به الاوقات لانهم ذكروا الامس وهو اليوم الذي قبل يومك وقد يذكر لمطلق الزمان الماضي على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا منصوبة على الظرف وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم تنبهوا عن خطأهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح هذا مذهب الخليل وسيبويه وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت يعني اما ترينه وقال هي كلمة تقرير كقول الرجل اما ترى الى صنع الله واحسانه معناه الم تعلم قال قتادة الم تر وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك والمعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون الحسن هي كلمة ابتداء وتحقيق وقيل ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي بمعنى لانه والمراد بيان المعلول لاجله هذا القول اي لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي ويقتر اي لا يبسط الرزق على من يبسطه لكرامته عنده ولا يقدر على من يقدر عليه لهوانه عليه لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنيناه من المال لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ● تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يقل الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا تكبرا وتجبرا فيها ولا فسادا عملا بالمعاصي وتكرمة الفساد

اخذ المال بغير حق لكل الى الدعاء الى غير عبادة الله والعاقبة المحمودة الجميلة للمتقين قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ● تقديره ومن جاء بالسيئة فلا يجزون الا ما كانوا يعملون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة ومعنى قوله فله خير منها الا ما كانوا يعملون ليس المراد انفس ما كانوا يعملون جزاءهم بل المراد ما كانوا يعملون باضمار جنسه اي الا مثل ما كانوا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ● لما شرح لرسول الله امر القيامة واستقصى في ذلك شرح له ما يتصل باحواله عليه الصلاة والسلام فقال ان الذي فرض عليك القرآن اي انزله عليك وقيل فرض عليك العمل بالقرآن وقيل وجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه اي ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولذلك نكر المعاد اي معاد وايّ معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك قال مجاهد ان معادك مكة لان معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا ثم هاجر من وجهه ذلك الى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فذكر مولده ومولد ابيه فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي الى مكة ظاهرا عليها ووجهها انه يرادّ به اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه وقيل والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر منها ويعيده اليها ظاهرا قاهرا وقالوا نزل بالجحفة ليست بمكة ولا المدينة عكرمة الى القيامة ابو صالح الى الجنة لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه عليه السلام وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيلقي اليك فكما القي اليك الكتاب من غير رجاء منك كذلك يردك الى المعاد وقيل ما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي القرآن وقيل هو متصل بقوله ان الذي فرض عليك القرآن وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب لكن القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك فهذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي عليك الكتاب فلا تكونن ظهيرا للكافرين لما ترى من ضعفك في الحال وقوتهم وقيل لا تكونن ظهيرا لهم في هذا الامر بالهجرة ولا يصدنك عن آيات الله عن العمل بآيات الله بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزالها اليك واذ يضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وما اشبه ذلك وادع الى ربك الى توحيده وعبادته ولا تكونن من المشركين وهذا من باب التهييج وهذا امر دعوة عليه السلام الى ان دعا الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا هو والوجه صلة وقيل يعبر به عن الذات والضمائر لا دينية ابو العالية الا ما اريد به وجهه عن عبادة بن الصامت يجاء بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا ما كان لله منها قال فيميز ما كان لله منها ثم يؤمر بسائرها فيلقى في النار عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا سأله شيئا فلم يعطه فقال اسألك بوجه الله فقال علي رضي الله عنه كذبت ليس بوجه الله سألتني انما وجه الحق الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى كل شيء هالك الا وجهه يعني الحق ولكن سألتني بوجه الخلق الصفات كل شيء هالك الا وجهه الجنة والنار والعرش والكرسي ان الاملكه له الحكم واليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه فيجازيكم جزاء وفاقا

سورة العنكبوت

مكية قال الحسن وقتادة وعطا وجابر بن زيد ومقاتل وروى العوفي عن ابن عباس وفي رواية عن ابن عباس انها مدنية وقال هبة الله المفسر نزل من اولها الى رأس العشر بمكة وباقيها بالمدينة وقال غيره عكس هذا نزل العشر بالمدينة وباقيها بمكة وهي تسع وستون آية والف وتسعمائة وثمانون كلمة واربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم ● احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ● وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها احسب الناس الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات فانك اذا قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لا يصح السكوت عليه ولم يكن مفيدا ولكن يصح تعليقه بمضمون الجملة نحو قولك حسبت زيدا منطلقا وظننت الفرس جوادا فانه يتعلق زيد منطلق والفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الحسبان او الظن فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على وجه الحسبان او الظن من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان او الظن حتى تتم غرضك لكلام

الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هو معنى قوله تعالى ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان تقدير احسب
الناس تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو المفعول الثاني فانه اذا اطلقت النظر
عن حسب يكون تركهم غير مفتونين مبتدأ ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي
بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه فانك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا
على تقدير كائن ومستقر قبل اللام وكون قولهم ان يقولوا علة تركهم غير مفتونين لا ينافي صحة وقوعه خبرا ومبتدأ كقولك
خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان المخافة في قولك خرجت مخافة الشر والتأديب في قولك ضربته تأديبا
علتين للخروج والضرب وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ
وخبرا وهم لا يفتنون في محل النصب على انه حال من الضمير في ان يتركوا والفتنة الابتلاء بالتكاليف الشاقة من مفارقة الاوطان
ومجاهدة اهل الاديان وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس
والاموال وبالصبر على اذى الكفار وكيدهم وتضليلهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا
القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير مفتونين بل يمتحنون بانواع الفتن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم
وخلوص نياتهم ليتميز المخلص من غيره والراسخ في الدين من المضطرب وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقيل
نزلت في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله تعالى وقيل نزلت في اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون
فردوهم ففتنت فيهم هذه الاية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم اية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا احد قاتلناه فخرجوا
فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله فيهم الايتين وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته فانزل الله فيه
هذه الاية قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ● ولقد فتنا موصول
باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني اتباع الانبياء قبلهم وقد اصابهم من الفتن
والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الاية وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا في قولهم وليعلمن الكاذبين والله عالم
بهم قبل الاختبار وعلمه قديم تام ولكن ليعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى فليظهرن ما سبق له علمه حتى يحصل
معلوما للعبد عند تعلقه موجودا مقاتل فليرين الله الاخفش فليميزن الله الصادقين وليميزن الله الكاذبين وقال
القتيبي علم الله نوعان احدهما علم كل شيء كان قبل ان كان والثاني علم كل ما يكون في ما لم يكن وقت كونه ولا يعلمه كائنا
واقعا الا بعد كونه ووقوعه بيانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي ونعلم المجاهدين منكم مجاهدين
ونعلم الصابرين صابرين وكذلك ههنا فليعلمن الله ذلك موجودا كائنا وقيل هذا سبيل علم اشتق للاستقبال
وقيل ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال فليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قوله تعالى ام حسب الذين يعملون
السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ● ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي ان يسبقونا لاشتماله
على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والمعنى يعجزونا ويفوتونا بانفسهم
فلا نقدر على الانتقام منهم ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان
ابطل من الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون اي بئس الذي
يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمون حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ● ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث سعيد بن جبير من كان يطمع في
ثواب الله وقيل من كان يرجو لقاء الله في القيامة ويطمع في ثوابه فان اجل الله لآت اي ما وعد الله من الثواب كائن وقيل
من كان يخاف الموت والمصير الى دار الجزاء فليعمل خيرا ولا يتوان فيه فان اجل الله يعني الموت لآت لا محالة وقيل لقاء الله
مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك
لما يسخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحالة وان يلقى الكرامة فيها من الله والبشرى فان
اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة
عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية
فان قيل فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط اجيب بانه اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحالة الممثلة
والوقت الذي يقع فيه تلك الحالة هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت
لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة
قوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ● ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة
ربه ومنعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك راجعة اليها وقيل جاهد الشيطان

وقيل

وقيل جاهدوا الكفار ومن كفر فانما يكفر لنفسه فان الله لغني عن العالمين لا ينتفع بمن جاهد ولا يتضرر بمن كفر
قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ●
لنكفرن عنهم سيئاتهم مثل الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن اعمالهم وهو
طاعة الله وقيل هو اداء الفرائض ويحتمل لنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي بالواحد عشرا وبالواحد سبعين قوله
تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم
بما كنتم تعملون ● وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما يقال امرته بان يفعل ومنه
بيت الاصلاح وذبيان قد زجروا وصيت بنيها بان كذبا القراطف والقروف ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك
وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه ووصينا الانسان بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا
اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقيل يجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب
اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان الوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له وكانه قال قلنا
اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها
الانسان ان جاهداك ايها البالغ واستفرغا مجهودهما على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالالهية لعدمها والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها وقيل لا يستقيم فلا تطعهما في الشرك وصاه بوالديه
وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا ه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان
الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني
التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع نزلت الاية في سعد بن ابي وقاص
فانه لما اسلم قالت له امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف يا سعد بلغني انك صبوت فوالله
لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا اشرب حتى تكفر بمحمد وترجع الى ما كنت عليه وكان احب ولدها اليها
فابى سعد وصبرت هي ثلثة ايام لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل بظل فاتى سعد النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ذلك
اليه فانزل الله هذه الاية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يترضاها ويحسن اليها ولا يطيعها
في الشرك الي مرجعكم فانبئكم اي اوقفكم على اعمالكم فانها مكتوبة عندي ثم اجازيكم بها قوله تعالى والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ● اي في زمرتهم نلحقهم بهم ونجعلهم اسوة سائر المؤمنين والصلاح
من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال
في ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين ● مجاهد نزلت
في اناس كانوا يؤمنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك عكرمة نزلت في المؤمنين الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر
فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وقد مضت القصة قتادة نزلت هذه الاية
في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الايات العشر مدنية الى ههنا وسائرها مكية مقاتل والكلبي نزلت
في عياش بن ابي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي وذلك انه اسلم فخاف اهل بيته فهاجر الى المدينة قبل ان
يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم فحلفت امه اسماء بنت مخرمة بن ابي جندل بن نهشل ان لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها
ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها ابو جهل والحرث ابنا هشام وهما اخواه لامه جزعها ركبا في طلبه
حتى اتيا المدينة فقال له ابو جهل يا اخي عياش قد علمت انك احب الى امك من جميع ولدها وكنت بارا بها وقد حلفت امك انها
لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وانت تزعم ان في دينك بر الوالدين فارجع اليها فان ربك
الذي تعبده بالمدينة هو ربك بمكة فاعبده بها فلم يزالا به حتى اخذ عليهما المواثيق ان لا يحركاه ولا يصرفاه عن دينه فاعطياه
ما سال من المواثيق فتبعهما وقد صبرت امه ثلثة ايام ثم اكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه وجلده
كل واحد منهما مائة جلدة حتى تبرأ من دين محمد عليه السلام جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغي فانزل الله تعالى فيه ومن الناس
وكان الحرث اشدهما عليه واسوأهما قولا فحلف عياش بالله لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا الى مكة
مكثوا حينا ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الى المدينة فهاجر عياش واسلم وحسن اسلامه ثم ان الله قذف
الايمان في قلب الحرث بن هشام فهاجر الى المدينة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولم يحضر عياش فلقيه
يوما بظهر قبا ولم يشعر باسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد اسلم فاسترجع عياش وبكى ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره بذلك فانزل الله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله اي اذا
مسه اذى من الكفار بسبب اظهار دين الله جعل فتنة الناس ايذاء الكفار كعذاب الله اي كان ذلك صارفا لهم
عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر وقيل كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا وقيل ترك الايمان خوفا
من عذاب الناس كما ينبغي ان يترك الكفر خوفا من عذاب الله فعدل عذاب الدنيا الذي هو ساعة بعذاب الله الذي هو باق
لا ينقطع ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة يعني ليقولن هؤلاء المرتدون انا كنا معكم اي شايعناكم في دينكم ثابتين عليه فاعطونا

ما قدر احد ان يفتننا عنه فاشركونا فيما اصبتم وهم كاذبون وانما يقولون ذلك استكثارا لما
يخافونه من ايقاع المؤمنين بهم ثم اجاب الله سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما
تكن صدورهم من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه قوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن
المنافقين ● هذا وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين اي حال الفريقين ظاهر عند الله الذي يعلم الخبايا قوله
تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم
لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون ● قال الذين كفروا من اهل مكة
للذين امنوا اتبعوا سبيلنا امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم ولنحمل خطاياكم امروا انفسهم
بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الوقوع ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى
تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم
فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء يخفف عن المحمول عنه العذاب انهم
لكاذبون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به
وضامن لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو
المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه المضمون كالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون
لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اوزارهم
واثقالا اي واثقالا اخر مع اثقالهم لما اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اثقالهم وقيل اثقالا اي اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا حملها
للمؤمنين وهي قوله تعالى الذين كانوا سببا في ضلالهم نظيرها ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما داع دعا الى الضلالة فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل اوزار الذين اتبعوه
لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا ثم قرأ الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة
حسنة كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ومثل
وزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون في خداعهم هذا وقيل
يفترون يشركون وهذا السؤال سؤال التقريع قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ● ابن عباس بعث نوح عليه السلام لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم
الى الله الف سنة الا خمسين عاما وعاش عليه السلام بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا قوله الف سنة
الا خمسين عاما احكم من قولك تسعمائة وخمسين لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا
التوهم زائل مع قوله الف سنة الا خمسين عاما فكانه قال تسعمائة سنة وخمسين سنة كاملة وافيا العدد الا
ان قوله الف سنة الا خمسين عاما اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة
لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من امته وكابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان
ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وجاء المميز اولا بالسنة
ثانيا بالعام لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لغرض ينتحيه
المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك فاخذهم الطوفان الماء المحيط والطوفان
ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة اي الذين معه من بنيه
الى السفينة حين استوت على الجودي وقيل وجعلناها اي العقوبة اية وقيل القصة عبرة وعظة للعالمين يتعظون
بها قوله تعالى وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا
له اليه ترجعون ● وابرهيم منصوب باذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها وقيل ابرهيم
معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا اي ارسلنا ابرهيم وقت بلوغه من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه
وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى ذلكم الاخلاص والتقوى وعبادة الله خير لكم من عبادة الاصنام
ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم وان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتصنعون اصناما بايديكم تسمونها الهة نظيره اتعبدون
ما تنحتون ان الذين تعبدون من دون الله ما لا يملكون لكم رزقا لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا
عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واعبدوه وحده واشكروا له على ما ابتدأكم من النعم اليه ترجعون
الى ثوابه ترجعون قوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين ● وان تكذبوا
محمدا وقيل فان تكذبوني فالاول اخبار من الله والثاني من الرسول لقومه على الاول وان تكذبوا محمدا فلا يضره تكذيبكم الرسل
قبله كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره
حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه باياته ومعجزاته وقيل وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر
الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات التي
بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم عليه السلام لقومه وان تكون ايات وقعت معترضة في شان

رسول الله

[illegible]

قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ● [illegible]

قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء واليه تقلبون ● [illegible]
اي انظروا في الخلق واستدلوا في الارض وما يحتوي فيها كيف بدأ الخلق على كثرتهم واختلاف احوالهم [illegible]
عن الله فاذا علموا الاحوال سهل لهم التصديق بالحجة في الاعادة وهو قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اي ثم الله ينشئهم عند البعث
نشأة اخرى قرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد والباقون بتسكين الشين وترك المد ثم الله ينشئ ليس معطوفا على بدأ
فان النظر لم يقع فيهما وقع في قوله كيف بدأ والجملة معطوفة على الجملة قبلها قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ويعيد
اذن ادلة الابتداء والاعادة ما يشاهدونه يتجدد كل حين وكل سنة من النبات والاشجار وانما يكون الاعادة
تحت الرؤية والنشأة الآخرة تحت النظر ان ذلك على الله يسير ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من
معنى يعيده فجعل النشأة الآخرة على انها انشاء في كل واحد منهما انشاء اي ابتداء واختراع من العدم الى الوجود
لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك ان الله على كل شيء قدير من الابداء والاعادة
والنشأة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى الافصاح باسمه تعالى مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق وكان القياس ان يقال كيف
بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة قلنا الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم
في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه
هو الذي لا يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي
ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء بعدله ويرحم من يشاء
بفضله اي عادتهم بعد الموت للجزاء على الاعمال بالعدل في العقاب والفضل في ترتيب الثواب واليه اي الى حكمه تقلبون
في الدار الآخرة قوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ●
وما انتم بمعجزين ربكم في الارض ان فاتحتموه بامر عقابه ولا من في السماء بمعجزين ربهم في السماء كقول حسان
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء يعني ومن يمدحه وينصره فاضمر من في الطرفين التاويل ذهب عبد الرحمن
بن زيد قال لا يعجزه اهل الارض ولا اهل السماء ان عصوه وقيل معناه وما انتم بمعجزين ربكم فلا تفوتونه
ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقولك ما يفوتني
فلان بالبصرة ولا هاهنا في بلدي وهو معك في بلدك ولا بالبصرة لو صار اليها وقيل معناه وما انتم بمعجزين ربكم
كيفما هبطتم من مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم
في بروج مشيدة وقيل وما انتم بمعجزين امر الله الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء وقيل هذا قول ابرهيم لقومه وفيهم نمرود الذي رام الصعود الى الجو يوهمهم انه يعلو الى السماء وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير قوله تعالى والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ● بايات
الله دلائل وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث بعد الموت اولئك يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة
كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وقيل وصفهم بحال من لا يؤمن بما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر
بباله رجاء ولا خوف وقيل شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وقيل يئسوا في الدنيا لانكارهم
ورفع الطمع وعدم معنى اطماعهم بانكارهم البعث وقيل يجب ان ييأسوا من رحمتي فقال لانه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون فصفة المؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا يأمن من رحمته وان لا يأمن عقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا
خائفا قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون

قيل اعترض سبحانه بهذه الآيات المتقدمة تذكيرا وتحذيرا لأهل مكة ثم عاد الى قصة ابرهيم فما كان جواب قومه جواب
منصوب على انه خبر كان الا ان قالوا وفي محل الرفع على انه اسم كان الا انه قالوا اى قال بعضهم لبعض او قاله واحد وكان
الباقون راضين وكانوا جميعا في حكم القائلين فانجاه الله من النار وجعل النار عليه بردا وسلاما قال كعب ما حرق
منه الا وثاقه ويحكى انه لم ينتفع احد ذلك اليوم بالنار لذهاب حرها ان في ذلك فيما فعلوا به وفعلنا لآيات
لعلامات لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها العاقبة لهم قوله تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين • وقال ابرهيم
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم قرأ ابن كثير وابو عمرو مودة بالرفع وبالاضافة بينكم فيكون رفعه باضمار هي
كانه قال هي مودتكم اى الفتكم واجتماعكم على الاصنام مودة بينكم وقيل رفعه على انه خبر ان وما موصولة
والمعنى ان الاوثان التي اتخذتموها من دون الله مودة بينكم اى مودودة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم
مودة بينكم بالنصب مع الاضافة والباقون بالنصب منونا بينكم بالنصب على الظرف والعامل فيه مودة والتعليل
اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وايتلافكم كما يتفق الناس على مذهب
فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وقيل نصب مودة على انها مفعول ثان كقوله اتخذ الهه هواه اى اتخذتم
الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتم الاوثان مودة بينكم بمعنى مودودة كقوله تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ويحتمل ان يراد الاوثان نفس المودة مبالغة في الحياة الدنيا
اى تتوادون عليها او تودونها في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اى تبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع
القادة لانهم زينوا لهم الكفر وقيل ثم يوم القيمة يقوم بينكم التعادي والتباغض والتلاعن ومأويكم جهنم ولا
وما لكم من ناصرين يمنعونكم منها منعة قوله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم •
فآمن لابرهيم لوط حين راى النار لم تحرقه وقال ابرهيم اني مهاجر الى ربي اى من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم
منها الى الشام ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته ابن اخيه لوط وامرأته سارة وابرهيم
عليه السلام اول من هاجر مقاتل هاجر ابرهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة الى حيث امرني ربي بالهجرة اليه انه
هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي على الوجه الذي اقتضته مشيئته قوله
تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين • ولم يذكر اسمعيل صريحا واكتفى بالدلالة عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لشهرة
امره وعلو قدره والكتاب يقصد به الجنس حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب التي هي التورية والانجيل
والزبور والقرآن قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر • اى واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم
قرأ الحرميان وابن عامر وحفص عن عاصم بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وفي الثاني وتقطعون
سبيل الولد باتيان الذكور وتأتون في ناديكم المنكر قيل المضارطة وقيل تجامعون في ناديكم وقيل
الخذف ابن عباس هو الحذف بالحصا والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار
والتنابز بالالقاب والتعنت في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك
جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ويقال للمجلس ناديا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا قوله تعالى
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين • فيما تعدنا به من نزول العذاب وحلوله
قوله تعالى قال رب انصرني على القوم المفسدين • قال لوط رب انصرني على القوم المفسدين بانزال
العذاب عليهم وقيل بان يمنع اذاهم عني قوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين • اى ولما جاءت رسلنا اى الملائكة ابرهيم بالبشرى اى بشرى الولد اسحق
ومن وراء اسحق يعقوب قالوا اى الرسل انا مهلكوا اهل هذه القرية اى قوم لوط والاضافة مهلكوا الى اهل اضافة
تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين اى اصروا على الظلم وظلمهم كفرهم قوله تعالى
[illegible]

[illegible]
لان الله تعالى بين لهم على لسان الرسول ولكنهم لجوا حتى هلكوا قال مجاهد وكانوا مستبصرين في الضلالة
قتادة مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها ضحاك ومقاتل والكلبي حسبوا انهم على الحق وهم على الباطل
قوله تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين • وقارون عطف على عادا او ثمود وما كانوا سابقين فائتين من عذابنا بل ادركهم العذاب
فات طالب سبق قوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون • فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبا ريحا عاصفا فيها الحصباء وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود
ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
ليعاقبهم بغير استحقاق وجرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والعدوان فيه قوله تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون
لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينفعه معبوده ضرب له هذا المثل
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام اى مثل من اشرك بالله الاصنام في الضعف وسوء الاختيار
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها كما يكنها فلم يغن عنها بردا وحرا شيئا عند حاجتها اليه فان بيت العنكبوت
لا يدفع عنها بردا ولا حرا كذلك هذه الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا الغرض تشبيه
ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو
نسج العنكبوت الذي هو بيتها الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا
يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل ان اراد تشبيه ما اعتمدوه في دينهم
ببيت العنكبوت فقد بين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون وقيل اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج
المجاز فكأنه قال وان اوهن ما يعتمد به في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقيل معناه مثل المشرك الذي يعبد
الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا بآجر وجص او نحته
من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون • قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم • ان الله
يعلم ما يدعون من دونه من شيء من وثن او صنم او ملك او جن او بشر وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما
يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح للعلم والقدرة اصلا
وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير قوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون • وتلك الامثال اى مثل العنكبوت ونحوه وسائر
الامثال في القرآن نضربها للناس تنبيها للناس للاستدراك والتفكر فيها وما يعقلها الا العالمون وما يفطن لحقايقها
ولا ينتفع بها الا العالمون الذين يضعون الاشياء مواضعها كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان
رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اى لا يعقل
صحتها وحسنها وفائدتها الا العالمون لان الامثال والتشبيهات انما هي طرق الى المعاني المحتجبة في الاستار
حتى يبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن
النبي صلى الله عليه وسلم العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه قوله تعالى خلق الله السموات

والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ● إنه تعالى لما أمر الخلق بالإيمان وأظهر الحق بالبرهان ولم يأت الكفار بما أمرهم
به وقص عليهم قصصا وأنذرهم على كفرهم بالإهلاك وضعف دليلهم بالتمثيل ولم يهتدوا بذلك إلى سواء السبيل
حصل يأس للناس منهم فسلى المؤمنين بقوله خلق الله السموات والأرض بالحق لا بالباطل والعبث إن في خلق السموات
والأرض لآية للمؤمنين خصهم بالذكر لأن الانتفاع بها لهم قوله تعالى اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ● ثم إنه تعالى سلى المؤمنين بالآية المتقدمة
أكبر والله يعلم ما تصنعون ● ثم إنه تعالى سلى المؤمنين بالآية المتقدمة سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه
الآية أي إن كنت تأسف على كفرهم فاتل ما أوحي إليك لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما أنت عليه بلغوا الرسالة
وبالغوا في إقامة الحجج ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة فلهذا قال اتل وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر أي من شأنها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر وكيف هذا أن تأفيك لا تجهر بصلاتك في قراءتك وقال الآخرون في
الصلاة ما فيها الركوع والسجود قال ابن مسعود وابن عباس رضي في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم
تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا وعنه صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا قيل إن الإنسان إذا أدى الصلاة
كما ينبغي وتدبر ما يتلو فيها نهته عن الفحشاء والمنكر هذا مقتضاها وموجبها وقيل إنها تنهاه ما دام فيها وقيل معناه
ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر فعن النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة
أن تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن جابر قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل ويسرق بالنهار فقال
إن صلاته لتردعه وعن أنس كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع من الفواحش
شيئا إلا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن صلاته تنهاه يوما ما فلم يلبث أن تاب وحسنت حاله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوما ما ولذكر الله أكبر أي ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه وقيل ولذكر الله
أكبر من كل شيء سواه وقيل ولذكر الله في الصلاة أكبر مما نهاك عنه من الفحشاء والمنكر وقيل ولذكر الله العبد ما دام في صلاته
أكبر من ذكر العبد لله قال أهل المعاني لأن ذكر الله للعبد على جهة الاستغناء وذكر العبد إياه على جهة الافتقار ولأن
ذكره تعالى لا يفنى وذكر العبد موقت ولأن ذكر العبد لجلب نفع أو دفع ضر وذكره سبحانه إياه للفضل والكرم
لك ذكره بعد أن ذكرك وقال عطاء لأن ذكره تعالى لك بلا علة وذكرك مشوب بالعلل أبو بكر الوراق لأن ذكره تعالى
أطلق لسانك بذكره له ولأن ذكر العبد مخلوق وذكره تعالى غير مخلوق وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
ولذكر الله أكبر ذكر الله تعالى على كل حال أحسن وأفضل والذكر أن تذكره عند ما حرم فتدع ما حرم وتذكره عند ما أحل فتأخذ
ما أحل وعن معاذ بن جبل قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ أين السابقون قلت قد مضوا
وتخلف ناس فقال إنما أنا السابقون الذين يستهترون بذكر الله ومن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وعنه ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد قال ولا أن يضرب بسيفه قال الله تعالى ولذكر الله
أكبر وعن أبي الدرداء قال ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تغزوا عدوكم
فتضربوا رقابهم ويضربون رقابكم وخير من أن تعطوا الدنانير والدراهم قالوا وما هو يا أبا الدرداء قال ذكر الله تعالى قال الله تعالى
ولذكر الله أكبر وقيل لسلمان أي الأعمال أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر لا شيء أفضل من ذكر الله وعن معاذ بن
جبل أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وعن أبي
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله قال الحكماء إنما كان الذكر أفضل الأشياء
لأن ثواب الذكر الذكر قال الله تعالى فاذكروني أذكركم وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين
يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت
إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة وعنه وعن أبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد
قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وعن أبي مالك ولذكر الله أكبر قال
ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ابن عون معناه والصلاة التي أنت فيها وذكر الله فيها أكبر مما نهتك
عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر وابن عطاء ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه المعصية والله يعلم ما تصنعون من الخير
والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب وقيل ما تصنعون في الصلاة من تلاوة القرآن فيجازيكم عليه قوله تعالى
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا
وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ● بالخصلة التي هي أحسن أي بلطف ورفق وهو الجميل من القول أي الدعاء إلى الله
والتنبيه على آيات الله وحججه وقيل مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والشوق بالأناة كما قال ادفع بالتي
هي أحسن ابن عباس هو قول لا إله إلا الله مجاهد إنما الكف عنهم إذا بذلوا الجزية فإن أبوا فقاتلوا إلا الذين ظلموا منهم
وأفرطوا في الاعتداء والفساد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع الرفق فاستعملوا معهم الغلظة مجاهد أي قاتلوا أهل الشرك
نفقتهم إلا الذين ظلموا منهم أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فأولئك انتصروا منهم وجادلوهم بالسيف حتى
يسلموا أو يقروا بالجزية سعيد بن جبير أهل الحرب لا عهد لهم جادلوهم بالسيف ابن زيد إلا الذين ظلموا منهم بإقامة
على الكفر بعد قيام الحجة عليهم وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك
له والبنات لله تعالى وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين الجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا

الذمة ومنعوا الجزية فأولئك جادلوهم بالسيف قتادة ومقاتل هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا هذا من جنس المجادلة
بالتي هي أحسن عن أبي نملة الأنصاري بينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة
فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا
لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه وعنه أن أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم
وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون قوله تعالى وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به
ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ● وكذلك ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي كما
أنزلنا الكتب عليهم أنزلنا أيضا إليك الكتاب مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا
وأنزل إليكم فالذين آتيناهم الكتاب من كان قبلك يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه يؤمنون به ومن هؤلاء
يعني أهل مكة من يؤمن به وهم مؤمنو أهل مكة وقيل فالذين آتيناهم الكتاب يعني من كان قبل زمانك يؤمنون بها ومن هؤلاء الذين بين
ظهرانيك اليوم من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الظاهرة مع ظهور برهانها وزوال الشبهة عنها إلا الكافرون المتوغلون
فيه المصممون عليه قتادة إنما يكون الجحد بعد المعرفة مقاتل هم اليهود وقيل كعب بن الأشرف وأصحابه قوله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم
وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ● وما كنت يا محمد تتلو تقرأ من قبل هذا الكتاب الذي أنزلنا عليك من كتاب
كتابا من الكتب ولا تخطه بيمينك أي أنت أمي ما عرفوك قط بتلاوة ولا خط إذ لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة
والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وقيل لارتاب مشركو أهل
مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده وذكر بيمينك وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه
كاتبا ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك
النفي وإنما سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا
لارتابوا أشد الريب حين ليس بكاتب قال فإن قيل فما وجه ارتيابهم وسائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان
بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الله بالمعجزات قيل لأنه كانت تبقى لهم شبهة لا يؤمنون به من الوجه الذي آمنوا به
بموسى وعيسى على أن المنزلين أي التوراة والإنجيل ليسا بمعجزين وهذا المنزل أي القرآن معجز فإذا هم مبطلون حيث لم
يؤمنوا وهو أمي وهم مبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي بل هو أي القرآن آيات بينات ابن عباس بل هو يعني محمدا عليه السلام
والعلماء بأن أي آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم محفوظة وهما من خصائص القرآن كون الآيات بينات الإعجاز
وكونه محفوظا في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا
من المصاحف وعنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم وقيل في صدور الذين أوتوا العلم يعني صدور
أهل العلم من أهل الكتاب يجدونه في كتبهم وما يجحد بآياتنا الواضحة إلا الظالمون إلا الكاملون في الظلم المتوغلون
فيه المكابرون قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ● وقالوا يعني كفار مكة لولا أنزل عليه
آيات قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم آيات على الجمع والباقون آية على التوحيد أرادوا كآيات الأنبياء
مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ونحو ذلك قل يا محمد إنما الآيات عند الله ينزلها إذا شاء ولو شاء أن ينزل
ما يقترحونه لفعل وإنما أنا نذير مكلف بالإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل
آية كذا دون آية كذا مع علمي أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال أولم يكفهم هذا
جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين أنا أنزلنا
عليك القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وكل زمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما
تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان وزمان دون زمان إن في ذلك في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان
وكل زمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون لقوم همهم الإيمان لا التعنت وقيل أولم يكفهم يعني
اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب تحقيقا لما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقوله اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال عليه السلام كفى بها حماقة قوم أو
ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم فنزلت أولم يكفهم قوله تعالى قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ● شهيدا
يشهد لي بالصدق أني رسول الله يعني شهادة تعود له وكفى بالله شهيدا أن محمدا رسول الله وقيل معناه في القرآن الذي
بين الله بإعجازه صدقي كفاية وشهادة صدقي بيني وبينكم لم تطلبوا دليلا شهيدا بيني وبينكم أني بلغتكم ما أرسلت به
إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني بالجحود والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض لا يخفى عليه فيهما شيء فيعلم أمري وأمركم
ويعلم حقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل الذي لا يجوز الإيمان به وهو إبليس وقيل الصنم وقيل الذين صدقوا بالباطل وكفروا

بالله الذي يجب الايمان به والشكر على نعمه اولئك هم الخاسرون لانهم المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
وهذا الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء
قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ● نزلت في النضر بن الحارث واصحابه حين قالوا فامطر علينا حجارة من السماء وقالوا عجل
لنا قطنا ولولا اجل مسمى قد سماه الله في اللوح وبينه لعذابهم على مقتضى مشيئته واراد به ابن عباس ما وعدتك
اني لا اعذب قومك بعذاب الاستيصال واني اؤخر عذابهم الى يوم القيمة بيانه قوله تعالى بل الساعة موعدهم والضحاك
مدة اعمارهم في الدنيا وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب بغتة فجأة لا يحسبونه اذا جاء
الاجل المعلوم عندك وقيل لولا اجل مسمى سماه الله لاعمارهم لجاءهم العذاب وليأتينهم اجلهم بغتة بعد لوقت
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين من جهلهم
في استعجال العذاب وقد اعده الله لهم جهنم وانها قد احاطت بهم وهم على شفير جهنم لم يبق الا ان يدخلوها وقيل
لمحيطة بهم في الآخرة اي ستحيط بهم عن قريب لان ما هو آت قريب وقيل كانها محيطة لما لزمهم بكفرهم وقيل لمحيطة اي تحيط
بهم يوم يغشاهم العذاب وقيل هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم يوم يغشاهم على هذا
منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت يغشاهم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله
تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي من كل الجهات لانها محيطة بهم ويقول قرأ [؟] والكسائي ونافع
بالياء اي ويقول الملك والباقون بالنون لانه لما كان بامر الله جاز ان ينسب اليهم ذوقوا ما كنتم اي جزاء ما كنتم تعملون
قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون ● يا عبادي قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي باسكان الياء والباقون بفتحها ان ارضي قرأ ابن عامر
بفتح الياء والباقون باسكانها واسعة فاياي فاعبدون وحدي من غير طاعة مخلوق في معصيتي سعيد بن جبير
اذا عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا مقاتل والكلبي نزلت في المستضعفين
من المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدرون على اظهار الايمان وعبادة الرحمن يحثهم على الهجرة ويقول لهم ان ارض الله
واسعة آمنة مطرف ارضي واسعة رزقي لكم واسع اخرجوا من الارض التي يكون بها عمل بالمعاصي عن رسول الله من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياي فاعبدون
في المتكلم نحو اياك ضربته في الغائب واياك فعصيته في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون والفاء جواب شرط محذوف
لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه
تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص قال صاحب الكشاف ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة
في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن
خشوعا ولعمري ان البلاد في ذلك تتفاوت التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وجربنا اوفق من
مكة فانها اعون على قهر النفس وعصيانها الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة
واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله تعالى وجوار بيت الله فلله الحمد
على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر كل نفس لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام
بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد شجعهم بقوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون وواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد
بجهده فلا تقيموا بدار الشرك ثم الينا ترجعون للثواب والعقاب ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة
غرفا لننزلنهم من الجنة علالي قرأ حمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء من ثوى بالمكان اذا اقام به يقال ثوى الرجل اذا اقام
واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه والباقون بالباء تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
على الطاعات ومفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المصائب وعلى ربهم لا غيره يتوكلون قوله
تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ● قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها فقالوا
يا رسول الله كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال ومن يطعمنا ويسقينا فانزل الله تعالى وكأين من
دابة نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل ذات حاجة الى الغذاء لا تحمل رزقها اي لا تحمل اي لا تطيق ان تحمل
رزقها لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم يوما فيوما اي لا يرزق تلك الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها
الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من
الدواب التي لا تحمل وهو السميع لاقوالكم نخشى بفراقكم اوطاننا العيلة العليم بما في قلوبكم وما اليه تصير امركم وعن
ابن عمر دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال عليه السلام لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة
منذ لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله الله المستعان قال يا ابن عمر لو اعجبت ولبقيت في حثالة من الناس يخبؤون رزق

سنة

سنة ويضعف اليقين فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأين من دابة الحسن لا تدخر شيئا لغد بما
يصبح يرزقها الله سفيان بن عيينة ليس شيء مما خلق الله يخبأ الا الانسان والفارة والنملة قوله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ● لما بين الله تعالى الامر للمشرك مخاطبا معه وكرر تنبيهه بعد ان اعرض عنه وخاطب
المؤمن بقوله يا عبادي الذين آمنوا واتم الكلام معه ذكر معهما يكون ارشادا للمشرك وهذا طريق في غاية الحسن
فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والآخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم
يسمع يكون معرضا عنه ملتفتا الى الرشيد انه هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن
هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوجب كآبة في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح
في اثناء الكلام والمفسد يسمعه ان هذا اخاك كما لم يحب منه انه تعلم فتح فيك فيعرفها نفسا دون المصلح ويسلك
الرشاد والفلاح ويستغل بنقده هذا الكلام ايضا داعيا الى سبيل الرشاد مانعا المعرض ذلك الفساد فكذلك
الله تعالى لما ... المؤمنين الحجة منهم ان سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لا يؤمنون الضمير في سألتهم
لأهل مكة فأنى يؤفكون فأنى يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط
يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويقدر له ويضيق على من يشاء فيعطيه بقدر الكفاية فقدر الرزق وقتره بمعنى ضيقه
في يقدر له يرجع الى من يشاء فيحتمل ان يكون بسط الرزق وقدره لواحد على معنى تعاقب الامرين عليه لا لواحد
على حسب مشيئته ويحتمل ان يكون بسط الرزق لواحد وقدره لآخر على معنى يقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من
يشاء لان من يشاء منهم غير معين وكان الضمير مبهما مثله ان الله بكل شيء عليم فيعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن
سألتهم لما قال الله يبسط الرزق لمن يشاء ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم اي هؤلاء سبب الرزق وموجد
السبب عن الله تعالى يدل على ان موجد المسبب ايضا منه من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله
اي يقرون بذلك فان كفار مكة كانوا يعترفون بان الله هو الخالق وهو الرازق قل يا محمد الحمد لله على ثبات حجتي وصدق لهجتي
وانما امره ان يقول الحمد لله على اقرارهم لان ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد قال صاحب الكشاف استحمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان منّ عليه اقرارا ممن نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والكبرياء عنه
وكان اقرارا باطلا لكن اقرار المشركين على انه لم ينفعهم انما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله تعالى ثم جعلوا العبادة
للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد وقيل لا يعقلون
ما يريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم وقيل لا يعقلون توحيد الله مع اقرارهم بانه
الخالق الرازق قوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ●
هذه اشارة الى الدنيا وتحقير لامرها وكيف لا يحقرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
ملهاة لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا لهو ولعب كما يلهو ويلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان
الدار الآخرة لهي الحيوان فليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها نفس الحياة والحيوان مصدر
حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة وبه سمي حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي
بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان
وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت
على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون ان الدار الآخرة هي الحيوان فلم يؤثروا الحياة الدنيا التي ما هي الا لهو
ولعب عليها قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ●
اشارة الى ان المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا والاشتغال بامرها بان ذلك هو انهم اذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا
الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا فاذا نجاهم عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا فاذا ركبوا
متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه كفار مكة على ما هم عليه من الشرك والعناد فاذا ركبوا
في الفلك فاصابتهم شدة خافوا منها الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
مع الله الها آخر لكشف الضر عنهم لكونهم مخلصين ضرب من الاتكال فلما نجاهم الله من الشدة وخلصهم من البحر
الى البر وآمنهم من الخوف عادوا الى الشرك بالله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان
اللام على معنى الامر للتهديد وليتمتعوا في اعمارهم ونحوه قوله اعملوا ما شئتم والباقون بكسر اللام وليتمتعوا فجعلوا اللام
بمعنى كي فتقديره لكي يكفروا او لكي يتمتعوا والمعنى اذا هم يشركون ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين
التمتع بها والتلذذ بها لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة
في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وقيل معناه لا فائدة لهم في الاشراك
الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة فان قيل كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل
العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه اجيب بان هذا الامر للتهديد وان ذلك متسخط الى غاية كما اذا رأى
الرجل تدبر رجل في امر وعندك ان ذلك الامر خطأ يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنكار الاضرار به فاذا لم ير منه

الا الاباء لنعيمهم حرمت وقلت له انت وشانك وافعل ما شئت ولا تريد به تحقيق الامر كيف والامر بالشي طلب له
وانت ناه عنه زاجر منه ومثاله كانك تقول له فاذا ابيت قبول النصيحة فانت اهل لان يقال لك افعل ما شئت على سبيل التهديد
ويحتمل ان قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار فسوف تعلمون وعيد وتهديد لهم وهو تهديد وقع الصيغة للتهديد
قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين ● لما ذكر الله حال المشركين
عند الخوف الشديد ودعوتهم الى الله تعالى ذكر حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانهم اسكنهم في حصن
يحصن الله تعالى حيث جعلها الله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم يعني انكم في خوف ما كنتم تدعون الله وحده فلما
حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا تناقض لان دعاكم وذلك على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله
لا غير فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله تعالى كيف تكفرون بها وتعبدون الاصنام
التي لا تحصل بها الا دفع الشدة والخوف ولا حصول النعمة والامن اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتخطف الناس من حولهم بالاسر والقتل واهل مكة قارون آمنون فيها لا يعرض
لا احد لقلتهم مع كثرة العرب فذكرهم الله سبحانه هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم لا يؤمنون بالباطل
الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله تعالى مكفورة عندهم
افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم لما بين ان الله لا معبود على الوجه ولم يؤمن به احد منهم بين انهم اظلم
من يكون لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه فاذا وضع واحد شيئا في موضع ليس هو موضعه يكون ظالما فاذا
وضعه في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم الحصول لان كل ما لا يمكن لا يحصل
وليس كل ما لا يحصل لا يمكن ولا يمكن ان يكون لله شريك فمن جعل لله شريكا يكون اظلم فاذا ليس احد اظلم ممن افترى على الله
كذبا باثبات الشريك له فان افتراءهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم به من الحق لكفرهم بالرسول والكتاب
لما جاءهم تسفيه لهم لم يتلعثموا في تكذيبه حين سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقلاء المتثبتون في الامور يسمعون
الخبر فيستعملون فيه الفكر والروية حتى يتبين لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم وحقيقته ان الهمزة
همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فيه وجهان الاول الا يثوون في جهنم ولا يستوجبون الثواء فيها
وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب الثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترءوا مثل هذه الجرأة قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
اي والذين قاتلوا فينا لاجلنا اعداءنا بالنصرة ديننا لنثبتهم على ما قاتلوا عليه وقيل والذين جاهدوا في الغزو لنهدينهم
سبيل الشهادة والمغفرة سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله يقول والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به ابو سليمان
الداراني في قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربهم
الى ما لا يعلمون ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقيل والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم
سبل الوصول الى المواهب وقيل والذين جاهدوا الثبات على الايمان وقيل والذين جاهدوا بالصبر على المصائب
والنوائب لنهدينهم سبل الوصول الى المواهب وقيل والذين جاهدوا بالثبات على الايمان لنهدينهم سبل دخول
الجنان سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل
الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم وكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ولقائل ان يقول اطلق المجاهدة
ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا
ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا كقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم

سورة الروم

وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا رب يسر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم ● غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون ● قال المفسرون كانت في ارض فارس امرأة لا تلد الا الملوك والابطال فدعاها كسرى وقال اني
اريد ان ابعث الى الروم جيشا واستعمل عليهم رجلا من بنيك فاشيري علي ايهم استعمل فقالت هذا فلان وهو
اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان انفذ من سنان وهذا شهربراز وهو احلم من كذا فاستعمل ايهم شئت
قال اني قد استعملت الحليم فاستعمل شهربراز فسار الى الروم باهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم
وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس وبعث كسرى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام
الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى

عليه وسلم يكره ان يظهر الاميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا انكم والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم وانكم
ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله عز وجل الم غلبت الروم الى آخر الآيات فخرج ابو بكر رضي الله عنه الى الكفار فقال فرحتم
بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا فقام اليه ابي
بن خلف الجمحي وقال كذبت يا ابا فصيل فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناحبك
والمناحبة المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا
ذلك وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر رضي الله عنه فاخبره وذلك قبل تحريم القمار وقيل العقود الفاسدة
من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وهو مذهب ابي حنيفة وقد احتج على جواز ذلك بعقد
ابي بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى
التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج ابو بكر رضي الله عنه فلقي ابي بن خلف فقال لعلك ندمت فقال لا فقال
اتايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج من مكة
اتاه فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه فقال لا والله
لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم هذا
قول اكثر المفسرين وقال ابو سعيد الخدري ومقاتل لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة واتاهم الخبر ان الروم قد
غلبوا على اهل فارس ففرح المؤمنون بذلك قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بينهم اهل مكة وصاحب
قمارهم ابي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر ابو بكر رضي الله عنه
ابيا واخذ مال الخطر من ورثته فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس
على ما قال عكرمة وغيره ان شهربراز بعدما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان
جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رأيت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهربراز اذا اتاك كتابي
فابعث الي براس فرخان فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال
فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد نزعت عنكم شهربراز
واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة امره فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له
اخوه فاعطه فلما قرأ شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع اليه الصحيفة فقال ائتوني
بشهربراز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا بالسفط فاعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت
فيك كسرى وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة
لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمس
مائة الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون رجلا
ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعا بترجمان بينهما فقال شهربراز ان الذين خربوا
مدائنك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فاراد ان اقتل اخي فابيت ثم امر اخي ان يقتلني فقد خلعناه جميعا
فنحن نقاتله معك قال اصبتما ثم اشار احدهما الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوز الاثنين فشا فقتلا الترجمان جميعا
بسكينيهما فاقبلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية ففرح ومن معه فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة
وان القرآن من عند الله لانها انباء من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله في ادنى الارض وادنى ارضهم لان الارض المعهودة
عند العرب ارضهم والمعنى غلبت الروم في ادنى ارض العرب منهم وهي طرف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب
المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس ابن عباس الاردن وفلسطين
عكرمة اذرعات وكسكر وهم يعني الروم من بعد غلبهم اي من بعد غلبة فارس اياهم والغلب والغلبة لغتان سيغلبون
فارس في بضع سنين في اضافته عليهم اضافة المصدر الى المفعول قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ● لله الامر من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت اي
من قبل غلبة الروم على فارس ومن بعدها وهما مبنيان على الغاية [illegible] الغالبين بامر الله
وقضائه قال صاحب الكشاف من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل
كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك
الايام نداولها بين الناس ويومئذ يوم يغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله
الروم على فارس لانهم اهل كتاب وقيل بنصر الله المؤمنين على الكافرين وقيل بنصر الله باظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا
به المشركين من غلبة الروم وقيل بنصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء
شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام ينصر الله من يشاء تارة هؤلاء وتارة هؤلاء وهو العزيز ينصر عليكم تارة الرحيم
اخرى قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة

هم غافلون • وعد الله مصدر مؤكد كقولك له علي ألف درهم عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك
وعدا لأنه لا يخلف الله وعده أن الروم يظهرون على فارس ولكن أكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون أن الله
لا يخلف وعده في ذلك ثم وصف كفار مكة فقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني حرفهم ومعايشهم وتجاراتهم
وزراعاتهم وبناءهم فإنها أمورهم وقيل يعلمون ما [illegible] فضل الحيوانات وقيل ظاهرا من الحياة الدنيا أي
باطل وكل أمور الدنيا باطل سوى ما أريد به وجه الله وهم عن الآخرة هم غافلون وبها جاهلون [illegible]
لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم نعتهم الله تعالى أنهم عقلاء في أمور الدنيا بلهاء في أمر
الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بإصبعه
فيعلم أردئ هو أم جيد يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم
مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا
من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها
وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون
إلا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن الآخرة هم غافلون وهم الأولى مبتدأ وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ
وغافلون خبره والجملة خبر هم الأولى ويجوز أن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد
على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وأن أنفسهم تتبع ما إليهم ترجع قوله تعالى أولم يتفكروا
في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
أولم يتفكروا في أنفسهم قيل في أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم
الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره ومعناه أولم يتفكروا في أنفسهم
التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله
ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي
دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير
وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى وما خلق متعلق بالقول المحذوف ومعناه أولم يتفكروا
فيقولوا ما خلق الله وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه إلا بالحق أي لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما
إلا بالحق أي ما خلقهما باطلا وعبثا ولكن خلقهما ليعتبر عباده ويستدلوا على وحدانيته وقدرته قال صاحب الكشاف أي
ما خلقها باطلا وعبثا لغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير
أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى أفحسبتم
أنما خلقناكم عبثا فالباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد
اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به قوله تعالى
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر
مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا
السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون • أولم يسيروا في الأرض أولم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم
كيف أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا فتقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية
ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم أي من الأمم الذين كانوا من قبل قريش أشد قوة من قريش أكثر مما عمروها
أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة لها أصلا فما هو إلا تهكم بهم وتضعيف لحالهم
في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وقيل عمروها أي بقوا فيها أكثر مما بقوا
وقيل من العمر أي سكنوا فيها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كان الله ليظلمهم أي فما كان تدميره إياهم ظلما لهم
لأن الله لا يظلم مثقال ذرة ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث أشركوا بالله والظلم وضع الشيء في غير موضعه أو نقصانه عن حق
الغير بأخذ الشيء قبل وقته والآية تحتمل المعاني الثلاثة ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى ثم أخبر عن عاقبتهم والسوأى
تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى لكن
وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين أن كذبوا أي
بأن كذبوا أو لأن كذبوا فحذف الجار وقيل أن كذبوا بآيات الله بدل من السوأى أي عاقبة الذين أساءوا السوأى طبع
الله على قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله وقيل أن بمعنى أي لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت
في معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك وقيل يجوز أن يكون معنى أساءوا السوأى اقترفوا الخطيئة التي هي
أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام وكانوا بها يستهزئون
قوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون • قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالياء لأن المتقدم ذكره
غيبة والباقون بالتاء فيكون الكلام عائدا من الغيبة إلى الخطاب والمراد بذكر الرجوع الجزاء على الأعمال والخلق بمعنى المخلوق
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين •

الإبلاس

الإبلاس أن يبقى بائسا ساكتا متحيرا قال مجاهد يبلس يكتئب قتادة ومقاتل والكلبي ييأس وقيل يفتضح ابن زيد المبلس الذي قد
نزل به الشر إذا أبلس وقيل يبلس المجرمون ينقطع كلامهم وحججهم أبو عبيدة يندمون وأنشد يا صاح هل تعرف رسما
مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء من أوثانهم التي عبدوها من دون الله شفعاء لتشفع لهم وكانوا أي المجرمون
بشركائهم كافرين أي يكفرون بآلهتهم وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون • أي يتفرق المسلمون والكافرون والمسلمون وإن لم يتقدم ذكرهم لكن ما بعده يدل عليهم الحسن هؤلاء
يفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل السافلين قتادة فرقة لا اجتماع بعدها قوله تعالى
فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • في روضة في بستان فهو الجنة وتنكير روضة لإبهام
أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه أثره ابن عباس يكرمون مجاهد وقتادة ينعمون وقيل السماع في الجنة فإذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة
إلا وردت عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء
إلى الأرض والفردوس أعلاها سموا وأوسطها محلة ومنها تتفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة فقام إليه
رجل فقال يا رسول الله إني رجل حبب إلي الصوت فهل في الجنة صوت حسن قال إي والذي نفسي بيده إن الله يوحي
إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق
مثله قط من تسبيح الرب وتقديسه وعن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الناس فذكر
الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي آخر القوم أعرابي فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم
يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل
نعيم أهل الجنة فسئل أبو الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح إن شاء الله والخوصانية المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل [illegible]
لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك
تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا قوله تعالى وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك
في العذاب محضرون • لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون • لما ذكر الوعد والوعيد ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد
فقال فسبحان الله أي فصلوا لله حين تمسون وهو صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا [illegible]
بقوله حين تمسون وهو صلاة العشاء الآخرة وعشيا وحين تظهرون صلاة الظهر وقوله وله الحمد
في السموات والأرض اعتراض ومعناه وحين تصبحون وعشيا ابن عباس يحمده أهل السموات والأرض أي على المميزين من
أهل السموات والأرض أن يحمدوه سئل ابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم فسبحان الله حين تمسون
إلى قوله وحين تظهرون قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك
تخرجون • يخرج الحي الطائر من الميت البيضة ويخرج الميت البيضة من الحي الطائر ويحيي الأرض يخرج النبات
من الأرض بعد موتها يبسها وكذلك تخرجون يعني مثل ذلك الإخراج من القبور وتبعثون أي كإخراج الحي من الميت قوله
تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون • تقدم معنى قوله خلقكم من تراب ثم إذا للمفاجأة
معناه ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض والمعنى ثم إذا أنتم بشر آدميون عقلاء ناطقون تنتشرون
تتصرفون فيما هو قوام معايشكم [illegible] من كونه ترابا وكونهم بشرا ينتشرون ويسعون لتراخي الزمان قوله
تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
لأن حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقهن من أصلاب الرجال وقيل من أنفسكم من جنسكم لا من جنس آخر لتسكنوا
إليها لتميلوا إليها لأن الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم مودة
وألفة بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم يود الرجل
زوجته والمرأة زوجها وفي التفسير المودة والرحمة بين الزوجين من الله وأن الفرك من الشيطان [illegible]
وقيل مودة بالكبير ورحمة على الصغير الحسن المودة الجماع والرحمة الولد يقال سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه
واطمأن إليه ومنه السكن وهو الإلف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول روي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد عجبت من أمر وإنه لعجب أن الرجل ليتزوج المرأة وما رآها وما رأته قط حتى إذا ابتنى بها أصبحا وما شيء
أحب إلى أحدهما من الآخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات في خلق الأزواج
وقيل في خلق المودة والرحمة لآيات لقوم يتفكرون لأن خلق الإنسان من الوالدين يدل على أن كمال القدرة ونفوذ الإرادة
وشمول العلم لمن تفكر ولأن الإنسان يجد بين الزوجين من المودة والرحمة ما لا يجده بين ذوي الأرحام وليس ذلك
بمجرد الشهوة فإن الشهوة غير دائمة في نفسها وكان كل منهما يبغض الآخر لو كان بالشهوة فالمودة والرحمة التي
التي بها يدفع الإنسان المكاره عن حرمه [illegible] هي من الله لا يعلم إلا بالفكر قوله تعالى ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين • لما بين دلالة الأنفس ذكر دلائل الآفاق وأظهرها
خلق السموات والأرض ولما أشار إلى دلائل الأنفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الأنفس وهو اختلاف الألسنة
والألوان واختلاف الألسنة أو لغاتكم أجناس النطق وأشكاله خالف عز وجل بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين

قال نعم أعرفه وأبلسا

المراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله عن السوء وقيل سبحان الله

في حس واحد لاجهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق
وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية ويعروك
الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى ان في ذلك لآيات للعالمين وكما ان خلق السموات والأرض
لم يحتمل الاحتمالات البعيدة التي يقولها أصحاب الطبائع واختلاف الأصوات كذلك قال للعالمين لعموم العلم بذلك
وقد استدل بهذه الآية من ذهب الى ان اللغات توقيفية بان المراد بالألسنة اللغات لا الجارحة لان الاختلاف الذي
يتحقق فيه في اللغات لا الجارحة وعورض بان التوقيف يعارضه الاقدار على اللغات حتى يكون التوقيف انه ليس بجعلها
على التبدد على اللغات حتى يكون الاقدار آية بل الحمل على القدرة أولى لان مجاز أقرب والأقرب أرجح وكقابل ان يقول
القدرة وان كان أنسب لكن اللغات أظهر عرفا وما هو أظهر عرفا أولى مما هو أقرب اذا لم يكن بحسب العرف ظاهر
قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
لما ذكر بعض صفات النفس اللازمة المفارقة من جملتها النوم ومن آياته منامكم بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم
وطلب المعاش فيكون بالليل اي خلق الليل والنهار للنوم وطلب المعاش جميعا هذا ظاهر الآية وجمهور المفسرين
على ان الآية تقديما وتأخيرا تقديره منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار اعتبارا بسائر الآيات في هذا المعنى
قالوا وان وقع النوم بالنهار والابتغاء بالليل فنادر والحكم للأغلب كالمصاحب لكنه فهذا من باب اللف
وترتيبه ومن الآية منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينتين الأوليين بالقرينتين الأخريين
لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اقامة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم
فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقال
في الآية الأولى لقوم يتفكرون وفي الثانية للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء بالنهار لا يفطن الجاهل والعاقل
انهما مما تقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل للعالمين ولان اختلاف الألسنة والألوان
من اللوازم والمنام والابتغاء من الأمور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الأوقات والنظر في الألسنة
والألوان دائم فاسند الأوليين الى السماع والأخريين الى الفكر وقيل ان من الأشياء ما تعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه
مجرد الفكر ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى مرشد يرشد فيفهم اذا سمع من المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس
في تفهيمه الى امثلة كالأشكال الهندسية لكن خلق الأزواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر
خامد الذكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية واما المنام والابتغاء فيقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى
مرشد بغير فكر لقوم يسمعون اي يلقون السمع وهم شهيد حتى يسمعوا بالأذن الواعية قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● لما قدم دلائل الا
تمم دلائل الصفات التي للأنفس وأخر الأحوال المفارقة التي للآفاق كما أخر دلائل الآفاق بعقبه ومن آياته
خلق السموات والأرض ومن آياته يريكم قيل انه تضمين أي من آياته أنه يريكم وقيل ان الفعل منزل منزلة المصدر أي
ومن آياته اراءة البرق وانه حذف أن فيه مثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع بالمعيدي او سماعك بالمعيدي وقول
القائل وقالوا ما تشاء فقلت ألهو الى الإصباح آثر ذي أثير أي لكل شيء خوفا من الصاعقة من الأخذة وطمعا في الغيث وقيل
خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له قال صاحب الكشاف فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا
لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون
فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف
وأقيم المضاف اليه مقامه ورد ذلك بانه يسند الجميع الى الله تعالى وقيل يجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وينزل
من السماء ماء مطرا فيحيي بالماء الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون لما كان البرق والمطر ليسا بمطردين
غير مختلفين بل هما مختلفان اذ كل منهما يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة تكون قوية وتارة ضعيفا
وهو أظهر دلالة في الفعل على الفاعل المختار قال الآيات لقوم يعقلون قوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء
والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون ● لما ذكر بعض احوال الآفاق التي هي المفارقة ذكر
احوال الآفاق التي هي الخارجة ذكر بعض احوالها اللازمة ومن آياته ان تقوم قيام السماء والأرض واستمساكهما
بغير عمد بأمره كونهما قائمتين اي باقامته تعالى وارادته وهذه آية ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى هذا الوضع
جائز فكان يمكن ان يخرجا منه فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا للجائز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار وقال الإمام
ذكر الله تعالى من كل باب امرين اما من الأنفس فقوله خلقكم من تراب وخلق من انفسكم ازواجا ومن الآفاق السماء والأرض
ومن لوازم الانسان باختلاف الألسنة والألوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البرق والمطر
ومن لوازمها قيام السماء والأرض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والاثنان يفيد الاستقرار فبهذا اعتبر شهادة شاهدين
فان قيل احدهما يفيد الظن والآخر يؤكده فقال ههنا ومن آياته ان تقوم وقال قبله ومن آياته يريكم ولم يقل ههنا
ولا هنالك انه يريكم لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان مع الفعل المستقبل وجعله مصدرا لان المستقبل
ينبئ على التجدد وفي البرق لما كان ذلك من الأمور التي تتجدد ما ذكر بالمستقبل ليبني على التجدد وفي البرق لما كان ذلك

الأمور

من الأمور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه الحرف المصدرية وقال ذكر ستة
دلائل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لآيات ولم يذكر في الأول وهو قوله ومن آياته ان خلقكم من تراب ولا في الآخر
وهو قوله ومن آياته ان تقوم السماء والأرض اما الأول فلان قوله بعده ومن آياته ان خلق لكم ايضا دليل الأنفس
فخلق الأنفس وخلق الأزواج من باب واحد فاذا قال ان في ذلك لآيات كان عائدا اليهما واما في قيام السماء والأرض فلان
في الآيات السابقة ذكر انها آيات للعالمين ولقوم يعقلون اظهرهما فلما كان في اول الأمر ظاهرا ففي آخر الأمر بعد سرد
الدلائل يكون اظهر فلم يميز احدا عن احد في ذلك وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة ثم اذا دعاكم دعوة منه
لعظيم وما يكون يتعلقه به انه اذا بين لكم كمال قدرته بهذه الآيات ثم بعد ذلك يخبركم ويعلمكم بانه قال للعظام
البالية اخرجي من الأجداث احياء يخرجون احياء ثم اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى
كانه قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد
سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكأنما
دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهده وانما عطف هذا
على قيام السماء والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى
نسمة من الأولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون من الأرض متعلق بدعوة من
اسفل الأرض فيطلع الى قال صاحب الكشاف فان قلت بم تعلق من الأرض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله
بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا دعاكم دعوة وبين اذا في قوله اذا انتم قلت الأولى للشرط والثانية للمفاجأة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ومعنى الآية اذا دعاكم دعوة وبين اذا في قوله اذا الشرط الأولى للشرط
والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء وحاصل الغرض منه الانقياد دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون
من الأرض قوله تعالى وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون
عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ● قيل ومن آياته ان له كل من في السموات والأرض وهو
العزيز الحكيم ● قيل ومن آياته ان كل من في السموات والأرض له قانتون منقادون لوجود افعاله لا يمتنعون
عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم مطيعون فتكون طاعة ارادة لا طاعة عبادة او خلقهم على ما اراد وقيل قائمون
في القيامة وقيل مقرون بالعبودية وقيل مصلون فيكون المراد به المؤمنين وهو أهون قيل الاعادة أهون وقيل
المراد به المؤمنين وهو أهون قيل الاعادة أهون وقيل أيسر وقيل أسرع عليه قال مجاهد وابو العالية الاعادة أهون
عليه من البداية وكل هين عليه وقيل أهون بمعنى هين في المعنى وهو هين عليه وقد يوضع أفعل موضع فاعل ومنه قولهم في الأذان
الله أكبر اي الله كبير قال الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول وقال معن بن أوس المزني
لعمرك ما أدري واني لأوجل على أينا تعدو المنية أول اي اني لوجل وقال آخر أصبحت امنحك الصدود واني
قسما اليك مع الصدود لأميل وانشدوا ايضا تمنى رجال ان أموت وان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
اي بواحد وروي هذا عن الحسن وقتادة وقيل انه خاطب العباد بما يعقلون اي وهو أهون عليه بما يجب عندكم
وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد صنعة شيء كان اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون
للصانع اذا اخطأ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صنعته معاودا تعنون انه عاودها
كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه بعد عنائها وهو أهون عليه اي على الخلق يصاح بهم صيحة فيقومون
ويقال للموتى كونوا فيكونون فذلك أهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا
ونساء وهو أهون عليه معناه وان يعيده أهون عليه وانما اخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله
هو علي هين لان هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين
هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو
قدمت الصلة لتغير المعنى واستعظمت الاعادة في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السماء والأرض بامره
لانها في نفسها عظيمة وهونت بعد بقوله وهو أهون لانها انما اتت على الانشاء وله المثل الأعلى الصفة
العجيبة التي ليس لغيره مثلها وقد عرف بها ووصف في السموات والأرض على السنة الخلائق والسنة الدلائل
وهو ان القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء او اعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز القاهر
لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا الحكمة وعلمه وعن ابن عباس هو قوله ليس كمثله شيء وعن قتادة مثله
لا اله الا هو ولا رب غيره قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ● قيل ان العرب كانت تقول لبيك
اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فانزل الله ضرب لكم مثلا فضرب الله لكم معاشر
المشركين من انفسكم لذاته ولما جعلتم شريكا له سبحانه تقريبا للأمر في فهم ذلك عليكم هل لكم معاشر الأحرار
مما ملكت ايمانكم يعني من عبيدكم واماءكم من شركاء فيما رزقناكم من الأموال فانتم معاشر الأحرار والعبيد فيه
فذلك الرزق سواء تحكمون مماليككم في اموالكم كحكمكم وتتصرفون فيها تصرفكم تخافونهم معاشر السادة ان يستبدوا
فيها فلا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما

قال حمل الألسنة على اللغات ٥

ذكر الصفات ٥

أفعل في موضع ٣

لشركائهم بينهم عن ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا بعد موتكم وقيل تخافون هؤلاء الشركاء أن
يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا فإذا لم تخافوا هذا من مماليكم ولم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم
أن يكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء وأنتم وهم عبيدي وأنا مالككم جميعا فكما لا يجوز استواء المملوك مع سيده
فكذلك لا يجوز استواء المخلوق مع خالقه وقيل معناه هل يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله وولده حتى يكون
هو ومملوكه في ذلك سواء يخافه كما يخاف غيره من شريك ومن في قوله من أنفسكم للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه
من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعده ومن في قوله مما ملكت أيمانكم للتبعيض ومن في قوله من شركاء مزيدة لتأكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم
بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون
أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم
فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك أي مثل هذا التفصيل
نفصل الآيات أي نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف
صور الشرك بالصورة المشوهة لقوم يعقلون يتدبرون في ضرب الأمثال قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم
بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ● بل اتبع الذين ظلموا كفروا أهواءهم بما يميل إليه نفوسهم
بغير علم جاهلين لأن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه وكفه فأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه
شيء فمن يهدي من أضله الله لا يقدر أحد أن يهديه وما لهم من ناصرين يمنعونهم الأصنام التي عبدوها ولا غيرها
قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ● منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ● ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالدين فقال فأقم الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به هو وأمته أي قوم وجهك للدين وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين
واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له
وجهه مقبلا به عليه حنيفا حال من المأمور أو من الدين فطرة الله أي الزموا فطرة الله وإنما أضمر على خطاب الجماعة في قوله
منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة
الخلقة التي خلق الله عليها البشر وكذلك قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة أي على الإيمان بالله قاله مجاهد وقتادة
فطرة الله التي فطر الناس عليها الإسلام ابن قتيبة فرق ما بيننا وبين أهل القدر في هذا الحديث أن الفطرة
عند أهل القدر الإسلام والفطرة عندنا الإقرار بالله والمعرفة به لا الإسلام ومعنى الفطرة ابتداء الخلقة
فالكل أقروا حين قال ألست بربكم قالوا بلى فلست تجد أحدا إلا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا وإن عبد شيئا دونه
الأول مما لا يقع به حكم ولا ثواب فإن الناس أجمعوا على أنه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ثم أجمعوا على أن
اليهودي إذا مات له ولد صغير ورثه وكذلك النصراني والمجوسي فلو كان معنى الفطرة الإسلام ما ورثه إلا
المسلمون ولا دفن إلا معهم وإنما أراد بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة أي على تلك البداية التي أقروا له
فيها بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم فمنهم من جحد ذلك بعدما أقر به [illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله إني خلقت عبادي حنفاء وذلك لأنه لم يعرفهم يوم الميثاق إلا الحنيفية فعاهدوه فأجابوه وقيل فطرة الله
التي فطر الناس عليها الملة وهي الإسلام والتوحيد الذي خلق الله عليه المؤمنين الذين فطرهم الله على الإسلام
لأن المشرك لم يفطر على الإسلام ولفظ الناس عام والمراد منه الخصوص وقيل معنى الآية أن الدين الحنيف فطرة الله
التي فطر الناس عليها قال صاحب الكشاف الفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله تعالى لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم
قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا
لما اختاروا دينا آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه
كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على
الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله أي لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن
تبدل تلك الفطرة أو تغير ظاهره نفي ومعناه النهي عكرمة ومجاهد لا تغيير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه ذلك الدين
القيم أي التوحيد المستقيم وقيل ذلك إشارة إلى الإسلام ولكن أكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون توحيد الله وقيل
لا يعلمون لا يتفكرون فيعلموا أن لهم خالقا معبودا منيبين إليه راجعين إليه من أناب ينوب إذا رجع مرة بعد أخرى وقيل
منقطعين إلى الله واتقوه وأقيموا الصلاة أدوها في أوقاتها على شرائطها ولا تكونوا من المشركين خوطب به رسول الله صلى
الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول عليه السلام خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ثم جمع بعد ذلك للبيان
والتخصيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الإسلام وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع إمامها وبعضهم
يعبد صنما وبعضهم يعبد الشمس وبعضهم غيرهما وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم الخوارج وقيل هم أهل البدع كل حزب
منهم فرحين بما لديهم أي كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون منقطعا عما قبله ومعناه
من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله كل خليل غيرها هاضم نفسه قوله تعالى

وإذا مس

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ● وإذا مس الناس شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك دعوا ربهم منيبين إليه
تائبين مقبلين بالدعاء إليه تاركين للأصنام يعلمون أن لا فرج عندها ثم إذا أذاقهم منه رحمة خلاصا
من الشدة ليكفروا اللام مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا بما آتيناهم فتمتعوا أمر تهديد اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون
عاقبة أمركم قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ● ابن عباس والضحاك حجة
وعذرا قتادة والربيع كتابا فهو ينطق أي فذلك السلطان يتكلم تكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن
ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته بما كانوا ما مصدرية أي بكونهم بالله يشركون ويجوز
أن تكون ما موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون وقيل يحتمل أن يكون المعنى
أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون قوله تعالى
وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ● رحمة نعمة من مطر أو سعة
أو صحة فرحوا بطروا بها وإن تصبهم سيئة شدة من قحط أو ضيق أو مرض بما قدمت أيديهم بشؤم عليهم ومعاصيهم إذا هم
يقنطون ييأسون أنكر عليهم بأنهم وقد علموا أن الله القابض الباسط فلم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون عن المعاصي
الذي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد عليهم رحمته قوله تعالى أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ● فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله
وأولئك هم المفلحون ● أي كل من البسط والقدر من الله تعالى على حسب مشيئته فلا يجب أن يستعبد أحد فيما يصيب
الآخر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه صلة الرحم والمسكين وابن السبيل حقهما نصيبهما من الصدقة
خاطب من بسط عليه الرزق بأداء الحق من المال [illegible] وهو الذي لا يجب عليه نفقته إذا كان
فقيرا [illegible] والمسكين وابن السبيل المواساة والحقوق الواجبة وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وذا القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقوقهم من الفيء والغنيمة واحتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة
للمحارم إذا كانوا محتاجين وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة إلا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم
لأنه لا ولاد بينهم ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ذلك أي إيتاء حقوقهم
خير للذين يريدون وجه الله [illegible] يريدون وجه الله يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أي يقصدون بمعروفهم
إياه خالصا وحقه [illegible] لا لجهة أخرى أو يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى والمعنيان متقاربان
وأولئك هم المفلحون قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة
تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ● قرأ ابن كثير أتيتم مقصورا ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وطاوس
والضحاك وقتادة الربا هاهنا أنه هدية الرجل الرجل التي يطلب أن يثيبه عليها أكثر منها [illegible]
فهذا ليس فيه أجر ولا وزر وقتادة ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به وليس فيه وزر الحسن الربا هاهنا الربا المحرم
إبراهيم النخعي أنه الرجل الذي يعطي قرابته المال ليصير به غنيا لا يقصد به الثواب من الله الشعبي أنه الرجل يعطي من يخدمه
لأجل خدمته لا لأجل الله لتربوا قرأ نافع لتربوا بتاء مضمومة وسكون الواو أي لتزيدوا أنتم في اجتلاب أموال الناس
واجتذابها والباقون بياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا [illegible] فلا يربو عند الله فلا يزكو ولا يضاعف لأنكم
قصدتم زيادة العوض ولم تقصدوا القربة وقيل معنى الآية معنى قوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات [illegible]
يزيد وما أعطيتم [illegible] من زكاة صدقة تبتغون به وجه الله خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف
من الحسنات [illegible] قتادة هذا الذي يقبله الله ويضعفه له عشرة
أضعافها وأكثر من ذلك ومعنى قوله المضعفون أي أهل التضعيف كقول العرب أصبحتم مسمنين إذا سمنت إبلهم
ومعطشين إذا عطشت إبلهم [illegible] إذا كانت إبله قوية ومضعفا إذا كانت ضعيفة ومنه المخبث أي أصحابه
خبثاء وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال للملائكة وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله
بصدقاتهم هم المضعفون فهذا أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما
قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه
وتعالى عما يشركون ● الله مبتدأ الذي خلقكم خبره أي هو فاعل هذه الأفعال ثم قال هل من شركائكم أصنامكم الذين زعمتم
أنهم شركاء الله من يفعل شيئا قط من ذلكم الخلق والرزق والإحياء والإماتة حتى يصح ما ذهبتم إليه سبحانه وتعالى عما يشركون
ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز أن يكون الذي خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي
ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم
وتجهيل عبدتهم قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم
يرجعون ● قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل
أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ● ظهر الفساد أي القتل وقطع الطريق والجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات
وقلة الربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات

[illegible]

الدلالة

الدلالة على أن تمتعهم بالمطر تفضل من الله تعالى وتمهيد فاستحكم يأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك وقيل من قبل المطر وقيل من قبل الإرسال أو من قبل النبات لأن المطر نزل عليهم وقيل من قبل الاستبشار لأنه قرنه بالإبلاس لمبلسين آيسين وقيل ساكتين متحيرين قوله تعالى فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ● قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم إلى أثر بالتوحيد والباقون إلى آثار رحمة الله أي المطر والمراد آثارها النبت كيف يحيي الأرض بالنبات والأشجار وأنواع الثمار بعد موتها بعد يبسها وقحطها إن الذي أنبت بها والإثمار إن ذلك الذي يحيي الأرض بعد موتها لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير من الابتداء والإعادة والإماتة والبعث والنشور قوله تعالى ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ● أي ولئن أرسلنا ريحا باردة مضرة فأفسدت ما أنبتنا الغيث فرأوه يعني كفار مكة الزرع والنبات كناية عن غير مذكور وقيل فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار رحمة الله النبات يقع على الكثير والقليل لأنه مصدر سمي به ما ينبت ولأن اللام في لئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن به ذمهم الله تعالى لأنه إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمة الله وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمة الله ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا وقالوا المصفر لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب لأنه إذا كان كذلك لم يمطر قوله تعالى فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ● الآيتان قد فسرناهما في سورة النمل قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ● قرأ عاصم وحمزة ضعف بفتح الضاد والباقون بضمها وهما لغتان والضم أقوى لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه من ضعف فأقرأني من ضعف أي الذي خلقكم من ضعف يعني أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وتلك الحال الطفولية والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك الحال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم ردكم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف النطفة كقوله من ماء مهين يخلق ما يشاء هذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على أنه هو العليم القدير قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ● ويوم تقوم الساعة القيمة يقسم يحلف المجرمون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة وقيل ما لبثوا في قبورهم وقيل ما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أو أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون كذلك كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الإفك كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة وقال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون لقد لبثتم في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفاء في فهذا جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ● قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء لأن التأنيث غير حقيقي والباقون بالتاء ابن عباس لا يقبل من الذين أشركوا معذرتهم ولا توبة ولا هم يستعتبون استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ● كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ● ولقد ضربنا أي وصفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون

وما بقالهم ومما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولئن جئتهم أي المشركين المعاندين بآية
معجزة أو بآية من القرآن وقيد مثل ليقولن الذين كفروا لمحمد وبالمسلمين إن أنتم إلا مبطلون ما أنتم على حق بل أنتم مبطلون
تزيدك لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة ثم قال كذلك أي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون أي قلوب الجهلة فاصبر يا محمد على أذاهم وعداوتهم إن وعد الله حق بنصرتك وإظهار دينك على الدين
كله حق ثابت لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق بقوله الذين لا يوقنون
أي لا يحملنك أذاهم وتهمتهم وعنادهم على أن يدخلك خفة وعجلة الشدة غضبك عليهم
فيمنعك عن تبليغ رسالة الله وقيل معناه لا تأخذنك العجلة فأمرهم فإن الله سيعاقبهم وقيل
لا يستزلنك عما أنت عليه وقيل لا يستخفن حلمك الذين لا يوقنون

سورة لقمان

وهي أربع وثلثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ●
الكتاب الحكيم ذي الحكمة وقيل وصفا لكتاب بصفة الله على الإسناد المجازي وقيل يجوز أن يكون الأصل
الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة مرفوعا بعد
الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة وقرأ حمزة بالرفع على أنه خبر أو خبر مبتدأ محذوف والباقون
بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الإشارة للمحسنين الذين يعملون الحسنات في
الله تعالى كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم والحسنات هي التي ذكرها من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة
والإيقان بالآخرة ونظيره قوله أو من الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا عن الأصمعي أنه سئل
عن الألمعي فأنشده ولم يزد وقيل للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث
لفضل اعتدادها بها قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها
هزوا أولئك لهم عذاب مهين ● ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه
ليلا ونهارا مجاهد نزلت في شرى القيان والمغنين والمغنيات الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث كان
يتجر إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول لهم إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم
بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن اللهو كل باطل ألهى عن
الخير وعما يعني ولهو الحديث ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله إلى ما لا يعني كالتحدث بالأساطير والأحاديث
التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم
الموسيقى وما أشبه ذلك وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين وهي بمعنى من لأن إضافة الشيء إلى ما هو منه كقولك
صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث
بالحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن يكون بمعنى
من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو قيل المراد بلهو الحديث الغناء كان
ابن مسعود يقول هو الغناء والذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن
جبير وعكرمة وقتادة وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أن اللهو الطبل الحسن ما ألهى عن الله الضحاك إنه الشرك
عطاء الباطل وقيل يشتري بماله حديثا لينصر بعضهم قتادة يختار ويستحب وإنما قيل لهذه الأشياء لهو الحديث
لأنها تلهي عن ذكر الله ليضل ليصير أمره إلى الضلال أو ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه
ويزيد فيه ويمده وقيل وضع ليضل موضع ليضل من أضل كأنه ضال لا محالة فدل بالرديف على الردف
عن سبيل الله بغير علم بما يعمله مشتر لهو الحديث بالقرآن فالذي يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث
يستبدل الضلالة بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي بالتجارة
ويتخذها قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويتخذها بالنصب عطفا على قوله ليضل لقربه من المنصوب والباقي
بالرفع عطفا على قوله يشتري والضمير يرجع إلى الآيات أي ويتخذ الآيات هزوا وقيل إلى سبيل الله ويتخذ سبيل الله
هزوا أولئك لهم عذاب مهين قوله تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا
فبشره بعذاب أليم ● وإذا تتلى عليه آياتنا أي القرآن ولى مستكبرا أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن
طاعة الرسول والإصغاء إليه كأن لم يسمعها مشبها حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه وقرا
ثقلا ولا وقر فيهما كأن لم يسمعها حال من مستكبر كأن في أذنيه وقرا حال من الضمير في ولى أي معرضا من لم يسمعها
وكأن أصم في أذنيه وقرا ويجوز أن يكونا استئنافين والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن فبشره بعذاب

أليم في الدنيا

أليم في الدنيا والآخرة قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا
وهو العزيز الحكيم ● وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم
في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه
وهو الحكيم فيما يشاء فعل الحكمة قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم
وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ● خلق السموات بغير عمد ترونها السموات
غير معمودة وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد ترونها كما يقول لصاحبك أنا بلا سيف
ورمح تراني ولا محل لقوله ترونها لأنها مستأنفة وقيل هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية أي أنه عمدها بعمد
لا ترى وهي إمساكها قوله تعالى هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين
هذا الذي ذكره من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق فأروني ماذا خلق الذين من دونه أي ماذا خلقت آلهتكم بكتهم بأن
هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن
تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله
ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ● ولقد آتينا لقمان الحكمة العقل والعلم والعمل به والإصابة
في الأمور وقيل هو لقمن بن باعوراء ابن أخت أيوب وقال مقاتل إن لقمن ابن خالة أيوب وكان قاضيا في بني
إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال إن لقمن كان نبيا تفرد بهذا القول وقد خير لقمن بين النبوة
والحكمة فاختار الحكمة عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمن نبيا
ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء
يا لقمن هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبلت العافية
ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمن
قال لأن الحاكم بأشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان إن يعدل فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة
ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة
من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط ما اشترط
لقمن فهوى في الخطيئة كل مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمن يؤازره بحكمته فقال له داود عليه السلام طوبى لك
يا لقمن أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة وقال أكثر العلماء كان لقمن عبدا حبشيا
نجارا وقال سعيد بن المسيب كان لقمن خياطا وقال مجاهد كان لقمن عبدا أسود غليظ الشفتين مشقق القدمين ويحكى أن رجلا
أسود جاء إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان
بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمن الحكيم كان أسود من سودان مصر ذا مشافر أن اشكر لله قيل أي لأن يشكر ويجوز
أن يكون أن المفسرة فيكون المعنى أن اشكر لله وتقديره قلنا له اشكر لله وقيل بدل من الحكمة ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
لأنه يشكر يزيده الله قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم أي يعود منفعة شكره إليه ومن كفر لم يضره فإن الله غني عن العباد
حميد محمود في صنعه وإن لم يحمده حامد قوله تعالى وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
إن الشرك لظلم عظيم ● أي اذكر إذ قال لقمن أو في محل النصب أي آتينا لقمن الحكمة لأنه قال المواعظ حكمة لابنه واسمه
أنعم الكلبي أشكم وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله أي لا تعدل بالله إن الشرك لظلم عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا منه
وبين من لا نعمة له البتة ظلم لا يكتنه عظمه قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه
حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ● إنما نزلت في سعد
ابن أبي وقاص وقد سبق في العنكبوت ووصينا الإنسان كلام وقع في أثناء وصية لقمن لابنه وهو اعتراض وقع على
سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك وقيل تقديره إن الشرك لظلم عظيم وقلنا ووصينا الإنسان
بوالديه حسنا وأمرناه أي لا يطيعهما في الشرك وحكاه من كلام لقمن إنه قال لابنه إن الله رضيني لك فلم يوصني بك ولم يرضك
لي فوصاني بك حملته أمه وهنا على وهن ضعفا على ضعف وقيل شدة على شدة وقيل جهدا على جهد وقيل وهنا على وهن أي
حسب زيادته في بطنها وثقله عليها تقديره حملته بهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا
على بدئه ووهنا في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد
وعظم ازدادت ضعفا وثقلا وفصاله في عامين أي وفطامه بعد الولادة في انقضاء عامين أن اشكر لي تفسير لوصينا
سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر الوالدين وإن جاهداك
على أن تشرك بي ما ليس لك به علم أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله وما تدعون
من دونه من شيء فلا تطعهما فيما يأمرانك به كله وإن حملاك على أن تجعل لي شريكا لم يحصل لك العلم بأنه لي شريك لأن ذلك
مستحيل فلا تطعهما على ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا أو صحبة معروفا حسنا بخلق جميل
وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة واتبع سبيل من أناب إلي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما

فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الى مرجعكم ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك
واجازيهما على كفرهما قوله تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت
بها الله ان الله لطيف خبير ● قرأ نافع وحده برفع مثقال والباقون بنصبه قيل ان ابن لقمان قال لابيه ارأيت لو كانت حبة
في قعر البحر اكان الله يعلمها فاجابه بهذه الآية قال السدي وقال مقاتل انه قال يا ابت ان عملت بالخطيئة حيث لا يراني احد
يعلمها الله فاجابه بهذا فمن رفع مثقال كان الضمير للقصة وانما انث مثقال للاضافة الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم ومن نصب كان الضمير للحبة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت
مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأتي بها الله يوم القيامة
فيحاسب بها عاملها انه لطيف يتوصل علمه الى كل شيء خفي لم يكتنفه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها قتادة
في صخرة وقيل ابن عباس هي صخرة تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وخضرة السماء منها قوله تعالى يا بني
اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ● واصبر على ما اصابك يحتمل
ان يكون عاما … في كل ما يصيبه من المحن ويجوز ان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك قيل اي الصبر وقيل ان ذلك الذي اوصيتك به من عزم الامور مما عزمه
الله على عباده اي امر به امرا حتما وقيل ان ذلك مما عزمه اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه
كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لمن تحت يده عزمت عليك
الا فعلت كذا فاذا قال ذلك لم يبق للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول
بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اي من صلة
عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وقد عرف بهذه الآية … تقدم هذه
الطاعات وانها كانت مأمورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل قائمة عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها
في الاديان كلها قوله تعالى ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد
في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ● قرأ ابن كثير وعامر وعاصم تصعر بتشديد العين من
غير الف والباقون بالالف من غير تشديد يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر
والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته
كما يفعل المتكبرون عن ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك مجاهد هو الرجل يكون
بينك وبينه حنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه عكرمة هو الذي اذا سلم لوى عنقه تكبرا قتادة لا تحقرن الفقير
وليكن الفقير والغني عندك سواء عطاء هو الذي يلوي شدقه … لا تعبس في وجوه الناس ولا تمش في الارض مرحا
خيلاء وكبرا مصدر وقع موضع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يراد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي
البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس ان الله لا يحب كل مختال فخور متكبر قيل المختال … ان يرى لنفسه طولا على غيره
فخور … يعدد مناقبه … قال صاحب الكشاف والمختال مقابل الماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا
واقصد في مشيك حتى يكون مشيا بين المشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما
ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى واغضض
اي واخفض من صوتك وقيل وانقص منه فاقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها
من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه
من استفحاشهم لذكره مجردا ويفادونهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين
كما يكنى عن الشيء المستقذر وقد عد من مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب
الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام
من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين
افراط في التثبيط من رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان مجاهد والضحاك وقتادة
… لان اوله زفير وآخره شهيق … لو كان رفع الصوت حسنا لما جعله للحمير مثلا
الثوري قال في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير صياح كل شيء تسبيح لله عز وجل الا الحمار وقيل لانه ينهق
بلا فائدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبغض ثلاثة اصوات نهقة الحمار ونباح الكلب والنائحة
بالحرب فانما وحد الصوت والحمير لان المراد ان لكل جنس من الحيوان له صوت فانكر اصوات هذه الاجناس صوت
هذا الجنس فوجب توحيده قال لقمان ليس مال كالصحة ولا نعيم كطيب النفس ومر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له
الست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنيني وكان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين منها فاتاه

باللسان

باللسان والقلب فقال له اما كان شيء اطيب من هذا فسكت عنه ما سكت ثم قال اذبح لنا شاة فذبح فقال له الق اخبثها
مضغتين فرمى اللسان والقلب فقال له امرتك ان تأتيني باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي
اخبثها مضغتين فالقيت اللسان والقلب فقال انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا حكي ان رجلا
من موالي لقمان يوما خاطر قوما ان يشرب ماء البحيرة فلما افاق حزن مما وقع فيه ودعا لقمان وقال لمثل هذا كنت اخبأتك فقال
اخرج كراسيك واباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على اي شرط خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة قال فان
لها موادا احبسوا عنها موادها قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها قال لكن كيف يستطيع شربها ولها مواد وقيل للقمان
ما اقبح وجهك فقال تعيب بهذا على النقش او على النقاش قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ● لما استدل … بخلق
خلق السموات بغير عمد على الوحدانية وبين بحكاية لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك من نوع الحكمة
وما جاء به النبي من التوحيد والصلوة ومكارم الاخلاق كلها بالغة ولو كان تعبدا محضا وجب قبوله فضلا عن ان
يكون موافقا للحكمة استدل على الوحدانية لا بما مر ان الملك يخدم لعظمته وانه منعم ويخدم لنعمته ايضا فلما
بين انه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقائه في الارض رواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزل من السماء ماء ذكر
بعد عامة النعم فقال سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار
والمعادن والنبات والدواب مما لا يحصى واسبغ اكمل واوسع عليكم نعمه قرأ نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم نعمه على
الجمع اراد ان جميع ما انعم به والباقون نعمة على التوحيد والنعمة كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانه
اما حيوان واما غير حيوان فالغير الحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده
حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة ظاهرة … المشاهدة بل كثير منها لا يعلم اصلا كما
في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك مجاهد ظاهرة ظهور الاسلام والنصرة
على الاعداء وباطنة امداد من الملائكة ابن عباس اما الظاهرة فالدين والرياش واما الباطنة فما غاب عن العباد من
الله مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من ذنوب بني آدم فلم يعلم بها احد …
عليها الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة القرطبي الظاهرة …
… والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة
الشفاعة محمد بن علي … النعمة الظاهرة قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي والباطنة قوله ورضيت
لكم الاسلام دينا المحاسبي الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى … الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف
الصنائع وقيل الظاهرة الجزاء والباطنة الرضا سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة
تسوية الظواهر والباطنة تصفية السرائر وقيل الظاهرة التبيين بيانه قوله ويبين آياته للناس والباطنة التزيين
بيانه قوله تعالى وزينه في قلوبكم وقيل الظاهرة الرزق المكتسب والباطنة الرزق من حيث لا يحتسب وقيل الظاهرة
المدخل للغذاء والباطنة المخرج للاذى وقيل الظواهر الجوارح والباطنة المصالح وقيل الظاهرة الخلق والباطنة الخلق
وقيل الظاهرة … بيانه قوله تعالى … والباطنة التعليم بيانه قوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وقيل الظاهرة
ما اعطى … والباطنة الحماية ما طوى عنه من انواع البلاء وقيل الظاهرة … الامداد بالملائكة
والباطنة القاء الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة تفصيل الطاعات وهو انه ذكر طاعاتك واحدة واحدة
واثنى عليك بها وانالك ثوابها بيانه قوله التائبون العابدون وقد افلح المؤمنون وان المسلمين والمسلمات الى آخرها
والباطنة اجمال المعاصي وكتمانه بيانه … الى التوبة باسم الايمان من غير عدها وتفصيلها بيانه قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقيل الظاهرة انزال القطار والامطار والباطنة احياء الاقطار والامصار
وقيل الظاهرة التوفيق للعبادات والباطنة الاخلاص والعصمة من الزلات وقيل الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر
الجنان وقيل الظاهرة تلاوة القرآن والباطنة معرفته وقيل الظاهرة النطق والباطنة العقل وقيل الظاهرة نعمه
عليك بعدما اخرجك من بطن امك والباطنة نعمه عليك وانت في بطن امك وقيل الظاهرة الشهادة الناطقة والباطنة
السعادة السابقة وقيل الظاهرة اولها العطايا والباطنة غفران الخطايا وقيل الظاهرة وضع الوزر ورفع الذكر والباطنة
شرح الصدر وقيل الظاهرة … والباطنة نزع … من خاطرك وقيل الظاهرة المال والاولاد والباطنة
الهدى والارشاد وقيل الظاهرة القول بالتنزيل والباطنة التأييد بالتنزيل وقيل الظاهرة ما يكفر الله به الخطايا
من الآلام والبلايا والباطنة ما يعفو الله عنه ولا يؤاخذ به في الدنيا والعقبى وقيل الظاهرة ما بينك وبين خلقه
من الاسباب والاصهار والباطنة ما بينك وبينه من القرب بالانس والمناجاة بالاسحار وقيل الظاهرة العلو
بيانه قوله تعالى وانتم الاعلون والباطنة الدنو بيانه قوله اولئك المقربون وقيل الظاهرة الحواس الخمس والاعضاء والجوارح
الظاهرة وما ادرك بها من الاصوات والملاذ والباطنة العقل والقوى الباطنة والاعضاء الباطنة وما ادرك بالقوى
الباطنة والعقل فما ليس من شأنه ان يدرك بالاحساس ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
نزلت في النضر بن الحارث حين زعم ان الملائكة بنات الله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا

أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير [illegible]

[illegible]

من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ● قيل لما قال ألم تروا أن الله سخر لكم ما في الأرض على وجه العموم ذكر بعض ما
هو منهما على وجه العموم ذكر بعض ما هو منهما على وجه الخصوص بقوله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر إشارة
إلى ما في السموات وقوله بعدها ألم تر أن الفلك إشارة إلى ما في الأرض وقيل لما ذكر البعث وكان من الناس من ينكر
ويقول وما يهلكنا إلا الدهر قال تعالى هذه الليالي والأيام التي تنسبون إليها الموت والحياة هي بتقدير الله ثم قال فإن كل
أن ذلك اختلاف فيه من الشمس والقمر بقوله أن الله سخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى كل يجري في فلكه وينقطعه
إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر الحسن أجل الشهر الحسن الأجل المسمى يوم القيمة لأنه لا ينقطع
جريهما إلا حينئذ دل بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكهما كل
على تقدير وحساب وإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته قال صاحب الكشاف فإن قلت يجري لأجل
مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني
الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه
وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس مختص
بآخر السنة وجري القمر مختص بآخر الشهر وكلا المعنيين غير ناب به في موضعه ذلك الذي ذكره وصف من عجائب قدرته
وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله بأن الله بسبب
أن الله هو الحق الثابت الهيئة وأن ما تدعون من دون الله هو الباطل وأن الهكم غيره باطل وأن الله هو العلي على
كل شيء الكبير عن أن يشرك به قوله تعالى ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد
وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ● بنعمة الله بإحسانه ورحمته وقيل بالريح لأن الريح من نعمة الله ليريكم من آياته
عجائب قدرته تعالى في البحر إذا ركبتموها أن في ذلك لآيات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأن
الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فكأنه قال إن في ذلك الآيات لكل مؤمن وإذا غشيهم أي علاهم وغطاهم
موج كالظلل جمع ظلة شبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جمع لأن الموج يأتي شيء وتركب بعضه بعضا كالظلل وقيل
هو بمعنى الجمع وإنما لم يجمع لأنه مصدر وأصله من الحركة والازدحام والظلة كل ما أظلك من سحاب أو جبل أو غيرهما دعوا
الله مخلصين له الدين يخلصون له الدعاء والطاعة ولا يدعون أحدا سواه فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد متوسط
في الظلم والكفر [illegible] لأن بعضهم [illegible] ابن عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر وقيل مقتصد في الإخلاص
الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط والمقتصد في الإخلاص الذي
كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث [illegible] والمقتصد قليل [illegible] مجاهد مقتصد في القول
مضمر للكفر [illegible] مقتصد في القول [illegible] المقتصد [illegible]
وقيل منهم مقتصد مقيم على عبادة الله ومنهم جاحد [illegible] وما يجحد [illegible] فمنهم مقتصد [illegible]
جاحد فيكون الاقتصاد على القول الأول مدحا وعلى الثاني ذما وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار والختر أشد
الغدر [illegible] لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من ختر [illegible]
من غدر وختر كفور لربه قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ● لما ذكر الدلائل من
السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان واحدا أوجب التقوى البالغ فإن من يعتقد أن الأمر بيد اثنين
لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان يعلم أن الأمر بيد واحد لا غير ثم أكد الخوف بذلك اليوم الذي يحكم الله فيه بين
العباد [illegible] لأن الملك إذا كان واحدا ويعلم أنه لا يظلم شيئا ولا يستعرض عبادة لا يخاف منه مثل
ما يخاف منه إذا علم أنه يوم يستعرض ويستكشف ثم أكد بقوله لا يجزي والد عن ولده لأن المجرم إذا علم أن له
عند الملك من يتكلم في حقه لا يخاف مثل ما يخاف إذا علم أنه ليس له من يتكلم في حقه ويقضي عنه ما يخرج عليه ثم ذكر
شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ذكرهما جميعا فيه لطيفة وهي أن من الأمور ما يبادر الأب
إلى التحمل عن الابن كدفع المال وتحمل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد إلى تحمله كالإهانة
فإن من يريد إحضار [illegible] وقاضي يهون على الأب [illegible] الإهانة عن ولده ويحضر هو بدله فإذا انتهى الأمر إلى
الإيلام يهون على الأب أن يدفع الألم عن ابنه ويحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الألم ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا في دفع الإهانة وفي حمله لا يجزي عن قوله ولا مولود هو جاز لطيفة أخرى وهي أن الفعل يقال
فيمن كان يجزي لا ينبغي ولا يكون من شأنه لأن الملك إذا كان يخيط شيئا يقال إنه يخيط ولا يقال إنه خياط وكذلك
من يحيك شيئا ولا يكون ذلك صنعته يقال هو يحيك ولا يقال هو حائك إذا علم هذا فقول الابن من شأنه أن يكون
جازيا عن والده لما للوالد عليه من الحقوق والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه ذلك فقال في الوالد
لا يجزي وقال في الولد ولا هو جاز إن وعد الله حق أي وعد الله بالبعث والجزاء الذي يتبع العقاب فلا تغرنكم الحياة الدنيا
بزينتها وبعضا دونهما من الإسلام والتزود للآخرة ولا يغرنكم بالله بحلمه وإمهاله الغرور الشيطان وهو الذي
من شأنه أن يغتر [illegible] العرور وتقول هو من أسماء اللغة فقيل الشيطان غرور لأنه يغر كثيرا أو بالغ فيه وقيل الدنيا وقيل

غيركم في المعصية المعفو عنه سعيد بن جبير الغرة بالله هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك
لسيئاتك ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ سبب نزولها أن رجلا من أهل البادية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت
فنزلت هذه الآية وروي أن رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حبوبي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد
اشتملت ما في بطنها ذكر أو أنثى وإني علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته قال لقد أوتيت علما كثيرا وعلما حسنا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله عنده علم الساعة إلى قوله خبير هؤلاء الخمس لا يعلمهن إلا الله تبارك وتعالى وحكي أنه بلغ ابن عباس أن يهوديا
خرج بالمدينة يحسب حساب النجوم فأتاه فسأله فقال له إن شئت أنبأتك عن نفسك وعن ولدك فقال له إنك ترجع إلى
منزلك وتلقى ابنا لك محموما ولا يمكث عشرة أيام حتى يموت الصبي وأنت لا تخرج من الدنيا حتى تعمى فقال ابن عباس وأنت
يا يهودي قال لا يحول علي الحول حتى أموت قال فأين موتك يا يهودي قال لا أدري قال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس بأي
أرض تموت قال فرجع ابن عباس فلقي ابنه محموما فلما بلغ عشرة أيام مات الصبي ومات اليهودي قبل الحول فقال الإمام
وما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره وينزل قرأه عاصم ونافع وابن عامر بالتشديد هاهنا وفي الشورى والباقون
بالتخفيف أي ويعلم متى ينزل الغيث الذي يغيثهم أي ينفعهم في محله بقدر ويعلم ما في الأرحام من الذكورة والأنوثة وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا ما تعمل في المستقبل من خير أو شر أن جملة ماذا كلمة واحدة محله نصب بتكسب وإن جعل كلمتين
فما رفع بالابتداء وذا خبره والفعل صلته والضمير مقدر وما تدري نفس بأي أرض تموت فيحتمل أن تكون في بحر وقيل
بأي أرض يموت من قدم إلى قدم لا تعلم قدم تقع على أرض من الأول على الثاني وقيل بأي أرض بأي قدم والأرض القدم وقيل
بأي خطوة وقيل بأي قدم من الشقاوة والسعادة وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل
والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلحق بها ولا يختص ولا أخص ما بها من كسبه وعاقبته فلما لم يكن له
طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد إن الله عليم بهذه الأشياء خبير بها فمن ادعى علم شيء من هذه الخمسة فهو كافر بالله

سورة السجدة

قيل غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون إلى تمام
ثلاث آيات وهي ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا عن جابر بن عبد الله
ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ﴿الم ۝ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب
العالمين﴾ الم على أنها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك تنزيل الكتاب وقيل
هو مبتدأ خبره لا ريب فيه أي في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين أم يقولون افتراه إضراب تقديره كأنه قال بل أيقولون
افتراه وتشهد لوجاهة القول الآخر لأن قولهم هذا افتراه لا يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه
من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك
إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة وتعجبا بكار لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز
بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى الإثبات أنه الحق من ربك فإن قيل كيف نفى أن يكون فيه ريب
أثبت ما هو أظهر من الريب وهو قولهم افتراه أجيب بأن معنى لا ريب فيه لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب محيط
به لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله
لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه لتنذر يجوز أن يتعلق بما قبلها وبعدها
يتعلق بفعل مضمر تقديره أنزله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك قال قتادة كانوا أمة أمية
لم يأتهم نذير من قبل محمد ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام لعلهم يهتدون إلى الرشاد وبإنذارك فيرجعون عن كفرهم قوله تعالى ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض
ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد
وإقامة الدليل الله مبتدأ الذي خلق خبره ما لكم من دونه سوى أمره من ولي يتولى أمركم ويقوم بمصالحكم وقيل إذا جاوزتم
رضا الله لم تجدوا لأنفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم وقيل إن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم
أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أفلا تتذكرون بهذه

بمواعظ

فظاهر الآية يدل على أن الله ينزل الغيث وليس فيه ترتيب لعلم وقت نزول الغيث إلا أن نظمه مع ضم النفس بعلم الساعة وإنزال الغيث وكذلك قوله ويعلم ما في الأرحام م

أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون وإن جعلت الم تعديد الحروف ارتفع تنزيل الكتاب وقيل هو مبتدأ من رب العالمين خبره لا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب م

نقول

خبر م

من أنه خالق السماوات والأرض لأن الله غني حتى ينصركم ولا يكون عنده لهذه الأشياء الحقيقية قدر ومرتبة حتى يكون لها
شفاعة يدبر الأمر لما بين أنه الخالق بين الأمر كما قال ألا له الخلق والأمر والعظمة وما يستبين بهما له تعالى أدنى
ينقص من عظمته قيل معناه ينقضي القضاء من السماء فينزل به مع الملائكة إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم من أيام الدنيا
فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي وقيل يدبر
الدنيا مدة أيام الدنيا فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه أي يعود الأمر إليه والتدبير حين
ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر في يوم كان مقداره ألف سنة وذلك في يوم القيامة لأن كل يوم
من أيام الآخرة كألف سنة وقال مجاهد يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى الملائكة فإذا مضت قضى ألف
سنة أخرى ثم كذلك أبدا السدي الأمر الوحي ويقال القضاء وقيل أمر الدنيا وقيل الأمر اسم جنس لجميع الأمور والمعنى
ينفذ الله تعالى قضاء لجميع ما يشاء ثم يعرج إليه يصعد ذلك في يوم واحد من أيام الدنيا مقداره أن يسير فيه السير المعروف
من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقيل إن الضمير في مقداره عائد إلى التدبير يعني
كان مقدار التدبير المنقضي في يوم ألف سنة لو دبرها البشر وقيل إن الله تعالى يدبر ويلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة
من عندنا وهو اليوم عنده فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير إليه آخر الأمر
عاقبة الأمور إليه وقيل يدبر الأمر أي ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يعرج يصعد إليه جبريل
بالأمر في يوم واحد من أيام الدنيا وهو مسيرة ألف سنة مما تعدون خمسمائة نزوله من السماء إلى الأرض وخمسمائة
صعوده من الأرض إلى السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لو سار أحد من بني آدم لم يسره إلا في ألف
سنة والملائكة يقطعون هذه المسافة في يوم واحد فعلى هذا نزلت الآية في وصف مقدار عروج الملائكة من الدنيا
إلى السماء ونزولهم من السماء إلى الأرض وأما قوله إليه على هذا التأويل فإنه أراد إلى المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه
كقول إبراهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي وإنما أراد أرض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله أي إلى المدينة
ولم يكن الله بالمدينة ولا بالشام قال صاحب الكشاف الأمر المأمور به من الأعمال والطاعات الصالحة ينزله مدبرا
من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل به فلا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصا كما يرتضيه ويرتضيه إلا في مدة متطاولة
لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصالحات لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله
على إثره قليلا ما تشكرون ثم يرجع إليه أي يخرج الأمر والتدبير إليه ويرجع ويعود إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها
في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة وقوله خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر جعل الله تعالى ذلك اليوم عليه
مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في دار الدنيا ويجوز أن يكون لموطن القيامة
أول وليس له آخر وفيه أوقات شتى بعضها ألف سنة ويجوز أن يكون هذا إخبارا عن شدته وهوله ومشقته لأن العرب
تصف أيام المكروه بالطول وأيام السرور بالقصر قال صاحب الكشاف ثم يعرج إليه أي يصير إليه ويثبت عنده
ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة
آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة قوله تعالى ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم
الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من
روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ لما ذكر عالم الأشباح والخلق بقوله خلق السماوات
والأرض وعالم الأرواح والأمر بقوله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض قال عالم الغيب يعني ما في الأرواح والأمر والشهادة
يعني ما في الخلق وعالم الأشباح وتقديم الغيب لأنه أقوى العزيز الرحيم لما بين أنه عالم ذكر أنه عزيز قادر على الانتقام من
الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة ثم قال الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين لما بين الدليل الدال
على الوحدانية من الآفاق بقوله خلق السماوات والأرض وما بينهما ذكر الدليل الدال على الوحدانية من الأنفس بقوله الذي
أحسن كل شيء خلقه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام على البدل فيكون المعنى أحسن كل شيء خلقه ابن
كثير أي أحسن خلق كل شيء والباقون بفتح اللام على الفعل الماضي ابن عباس أتقنه وأحكمه ثم قال أما إن است القرد
ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها قتادة حسنه مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه وقيل
أحسن كل شيء حسنه لأنه ما من شيء إلا وهو مخلوق على الوجه الذي تقتضيه الحكمة فجميع المخلوقات حسنة على هذا الوجه
الذي خلقه ولو فرض بخلافه لم يكن حسنا وبدأ خلق الإنسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته وولده من سلالة
من نطفة سميت بذلك لأنها تسل من الإنسان أي تخرج منه وقيل الولد سلالة من ماء مهين ضعيف حقير وقيل يعني مهين
ثم سواه يعني الإنسان وقيل النسل أي خلقه معتدلا في الشكل وقيل معتدلا في الطبع ونفخ فيه من روحه الروح ما به
الحي من الجسد والإضافة للتشريف كبيت الله وناقة الله وقيل من ريحه التي يحيي بها الإنسان وجعل لكم السمع لتسمعوا به
والأبصار لتبصروا والأفئدة لتعقلوا قليلا ما تشكرون أي تشكرون قليلا قوله تعالى ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا
لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ لما ذكر الرسالة
بقوله تنزيل الكتاب إلى قوله لتنذر قوما ما أتاهم ذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق إلى قوله وجعل لكم السمع
والأبصار ذكر الحشر بقوله أئذا ضللنا فإن هذه أصول ثلاثة جرت عادة الله بذكرها مرتبطا بعضها ببعض قيل الحكيم
العطف فإنهم قالوا محمد ليس برسول وقالوا الإله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن وكان القائل أبي بن خلف ضللنا [illegible]

فإن من ملك الممالك كثيرة عظما يكون له عظمة ثم إذا كان أمره نافذا فيهم يزداد في أعين الخلق عظمته وإن لم يكن م

وبعضها أحسن الفسنة

الواو م

قيل م

بقوله اسند اليهم جميعا اي منكري البعث ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا مخلوطين بتراب الارض
لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن وقيل غبنا في الارض بالدفن فيها واصله من قول العرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب
ويقال اضللت الميت اذا دفنته قال الشاعر وآب مضلوه بعين جلية ائنا لفي خلق جديد نحيى كما كنا قبل موتنا
اي هذا عجب منكر والظرف في ائذا ضللنا انتصب بما يدل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا بل هم
بلقاء ربهم بالبعث والنشور كافرون جاحدون وقيل بسبب انكارهم البعث كافرون وقيل لقاء ربهم هو الوصول الى
العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ من الكفر وهو انهم كافرون
بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين
للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء ربهم والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا
كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل طست يتناول منها حيث يشاء مقاتل والكلبي بلغنا ان اسم ملك الموت عزرائيل
وله اربعة اجنحة جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وجناح له في اقصى العالم من حيث تجيء ريح الصبا وجناح له في الارض
الاخرى ورجل له بالمشرق والارض والاخرى بالمغرب والخلق بين رجليه وبين راسه وجسده كما بين السماء والارض وجعلت
مثل راحة اليد صاحبها ياخذ منها ما احب من غير مشقة ولا عناء او مثل الابنة بين يديه وهو يقبض نفس الخلق في مشارق
الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن ابن عباس قال ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب
عن معاذ بن جبل ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت
يتصفح وجوههم كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال الآن تزار بك عساكر
الاموات وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر الاعوان بقبضها قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ● ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولو للتمني كانه قال وليتك ترى المجرمون المشركون لقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها
والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذا الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم
وضرارهم فجعل الله كانه يتمنى ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وقيل يجوز ان
يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت
اسوأ حال ترى ويجوز ان يكون خطابا لكل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء
اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه ولو واذ للمضي وانما جاز دخولها على المضارع لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع
به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون
منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا مطأطئو رؤوسهم حياء وندامة للذي سلف من كفرهم ومعاصيهم في الدنيا
ربنا ابصرنا يقولون على سبيل الاستغاثة ربنا ابصرنا وسمعنا اي ربنا ابصرنا الآن الشك لنا في البعث والنشور
فكشف عنا الغطاء وبصرنا اليوم حديد وقيل ربنا ابصرنا ما كنا نكذب به وسمعنا منك تصديق ما اتتنا به رسلك
من البعث والنشور فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون الآن ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ارشدها
وتوفيقها للايمان وهذا جواب لقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا بانه لو شاء لقال لو جعلكم للايمان لهديتكم في
الدنيا ولما لم اهدكم تبين انما اريد منكم ما شئتم بنا يأتيكم فلا تذكر قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها صريح
في ان مذهبنا صحيح ان الله ما اراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر ثم قال تعالى ولكن حق القول مني وهو القول
مني هو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك من كفرة الجن والانس اجمعين قوله تعالى فذوقوا بما
نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ● فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
يحتمل ان يكون لقاء منصوبا بذوقوا اي ذوقوا لقاء يومكم بما نسيتم وعلى هذا يحتمل ان يكون المنسي هو الميثاق
الذي اخذ منهم بقوله الست بربكم قالوا بلى او بما في الفطرة من الوحدانية فنسيتم الاشتغال بالدنيا هذا اليوم و
بها ويحتمل ان يكون منصوبا بقوله نسيتم اي بما نسيتم لقاء يومكم هذا اليوم لربكم معلوما لهم نقول لما ظهرت
برهانه فكانه ظهر وعلم وكما تركوه تعبد الظهور وذكر بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر كمن نسي
امرا كان قد علمه هذا اشارة الى اليوم اي لقاء هذا اليوم وقيل اشارة الى لقاء يومكم اي هذا اللقاء وقيل هذا اشارة
الى ما هم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم
بسبب نسيان اللقاء انا نسيناكم تركناكم في النار وذوقوا عذاب الخلد الدائم بما كنتم تعملون من الكفر وتكذيب
الرسل قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ●
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها باياته وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله ولقائه وقيل اذا ذكروا بها
دعوا الى الصلوات الخمس الاذان والاقامة اجابوا وسجدوا نزهوا الله ويثنون بحمد ربهم عما لا يليق به والباء للسببية وقيل انها
والباء للحال وقيل اذا سجدوا قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له ولا يانفون

قوله تعا

قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ● تتجافى ترتفع وتتنحى من المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون
ربهم داعين ربهم عابدين لمعرفة الاجل خوفا من سخطه وطمعا وطمعهم في رحمته ابن عباس تتجافى جنوبهم
لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما في الصلاة واما في قيام او قعود او على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون
الله من مالك بن دينار سالت انسا عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم فقال انس كان ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فانزل الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن انس بن مالك
نزلت فينا معاشر الانصار تتجافى جنوبهم كنا نصلي المغرب ولا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابو الدرداء والضحاك انها صلاة العشاء والصبح وجماعة عن ابن عباس انها صلاة العشاء والصبح
جماعة عن ابن عباس انها صلاة العشاء والصبح وجماعة عن ابن عباس انها صلاة العشاء كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينامون حتى يصلوها وعن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب سائر الناس فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرئ ما اخفي ساكنة الياء اي انا اخفي على انه للمتكلم وهو الله سبحانه
وتعالى والباقون مفتوحة الياء على البناء للمفعول لما اخفي ما بمعنى الذي او بمعنى اي قال الزجاج فهذا دليل على ان المراد
بالآية التي قبلها الصلوة في جوف الليل لانه عمل يستتر الانسان به فجعل لفظ ما يجازى عليه اخفي لهم من قرة اعين
لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله واخفاه
عن جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها جزاء بما كانوا يعملون اي جزاء
على اعمالهم في الدنيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ابن مسعود
انه في التورية مكتوب لقد اعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر
وما لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ● ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين
منتقمون ● افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان
لامه وذلك انه كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي رضي الله عنه اسكت فانك صبي وانا والله
ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك
فاسق فانزل الله عز وجل افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وكان فاسقا محمولا على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل
قوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك فلهم جنات المأوى
وهي نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليه ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش نزلا اي منزلا الحسن وعطاء هو الجزاء
بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار اي ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اي النار لهم
مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا من مصائبها واسقامها وبلائها بما يبتلى
العباد حتى يتوبوا عكرمة الحدود عبد الله بن مسعود والحسن بن علي وعبد الله بن الحارث القتل بالسيف يوم بدر
مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب مجاهد عذاب القبر قالوا والعذاب الاكبر عذاب
يوم القيمة لعلهم يرجعون عن كفرهم ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن
مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير مستبعد في العقل
والعدل كما يقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز انا من المجرمين منتقمون
اي انا من المشركين منتقمون ذلك لا ينبغي الانتقام من المشركين بالله تمييزا بين المطيع والعاصي قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا قيل انا منهم منتقمون اي لا ينبغي الانتقام من المشركين بالله تمييزا بين المطيع والعاصي قلت لما جعله اظلم كل
ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال منهم لم يفد
هذه الفائدة قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل و
جعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ● ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التورية وقيل
الكتاب للجنس فلا تكن في مرية في شك من لقائه قيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال
شنوءة وقيل من لقاء موسى بالكتاب وقيل آتينا موسى الكتاب فلقي من قومه شدة ايذاء فلا تكن في شك من تلقيه كتاب الله بالرضى والقبول

قال اهل المعاني لم يرد باللقاء الرؤية وانما اراد مباشرة الحال وتبليغه رسالة الله وقوله كتاب الله وقيل المعنى انا آتينا
موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
وقيل ولا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
وقيل فلقي موسى من قومه من شدائد فلا تكن في شك من لقاء مثله وقيل من لقائه موسى وقيل هذا مع قوله سبحانه لن تراني
بعيد لاجماع المفسرين على ان المعنى لن تراني في الدنيا ولعل قائل هذا القول اراد فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه في الآخرة
اي ستلقاه وقيل هذا اعتراض وهو يرجع الى ما تقدم من قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون تقديره ولقد آتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقوله فلا تكن في مرية من لقائه متصل بقوله بل هم بلقاء ربهم كافرون اي فلا تكن في مرية
من لقائه وجعلناه اي وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم من بني اسرائيل ائمة قيل هم علماؤهم وقيل
انبياؤهم يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية وقيل يدلونهم الى الصراط المستقيم بامرنا اياهم بذلك وقيل بامرنا بنياتنا
لما صبروا قرأ حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لاجل صبرهم والباقون بفتح اللام وتشديد الميم اي حين
صبروا وكانوا اي الائمة باياتنا التورية وقيل الآيات التسع يوقنون يعلمون بها علما لا يخالجه شك قوله تعالى ان ربك
هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● اي يحكم بين الانبياء واممهم فيما اختلفوا وقيل يفصل بين المؤمنين
والمشركين فيميز بين المحق من المبطل وقيل يفصل بين المؤمنين والكافرين بالمنازل فالمؤمنون في الجنة والكافرون
في النار قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
اولم يهد العطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وفاعل يهد ما دل عليه كم اهلكنا
لان كم لا يقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون وقيل هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه
كقولك لا اله الا الله العصمة للاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله تعالى بدلالة القراءة بالنون من قبلهم من القرون
عاد وثمود وقوم لوط يمشون اي اهل مكة يمرون في متاجرهم في مساكنهم وديارهم وبلادهم ان في ذلك لدلالات ومواعظ
وتنويها افلا يسمعون ما يوعظون فيتعظوا قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا
تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ● اولم يروا انا نسوق الماء اي ماء المطر وقيل ماء الانهار الى الارض الجرز التي
اي التي جرد نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج
به زرعا وقيل الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها واصله من قولهم ناقة جروز اذا كانت تأكل كل شيء وكذلك
رجل جروز اكول قال الراجز خب جروز واذا جاع بكى وسيف جراز اي قاطع وجرزت الجراد الزرع اذا استأصلته وكان الارض
التي لا يبقى على ظهرها شيء الا افسدته ابن عباس هي ارض اليمن وقيل هي ما لا يصل اليها ماء النهر فيسوق الله اليها المطر
وقيل لا يكفيها المطر فيسوق الله اليها السيل ويحتمل انها التي انقطع نباتها في الشتاء فاذا اصابها مطر الربيع نبتت فنخرج به اي
بالماء زرعا تأكل منه اي من الزرع انعامهم التبن والورق والحشيش وانفسهم الحب افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على
قدرته تعالى على احياء الموتى قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ● الفتح النصر او الفصل بالحكومة
من قوله ربنا افتح بيننا فكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح قال قتادة قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم
فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي القضاء والحكم الكلبي يعني فتح مكة السدي يعني يوم بدر لان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم وقيل اراد به يوم القيمة الذي فيه الثواب
والعقاب والحكم بين العباد والحكم بين المحقين والمبطلين ان كنتم صادقين في ذلك قوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون ● قال صاحب الكشاف فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف
هذا الكلام جوابا عن سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منه على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلا
ينفعكم الايمان ولا هم ينظرون لانهم مضطرون فلا يستحقون به ثوابا فان قيل من فسر يوم الفتح بيوم مكة او بيوم بدر
كيف يستقيم على تفسيره الا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر اجيب بان المراد ان المقتولين منهم
لا ينفعهم ايمانهم في وقت القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم بالهجرة وانتظر النصر عليهم وهلاكهم وقيل انتظر
الفرصة فيهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقيل منتظرون الفرصة فيك وقيل منتظرون الموت وقيل منتظرون موتك

سورة الأحزاب

وهي خمسة الاف وسبعمائة وستة وتسعون حرفا والف ومائتان وثمانون كلمة وثلاثة وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
ان الله كان عليما حكيما ● نزلت في ابي سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا

المدينة نزلوا على عبد الله بن ابي رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامان
[illegible]
والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا اي لم يزل عالما باعمالهم واعمالكم وقيل ان الله الذي يوحي اليك عالم بجميع
باعمالكم فلا حاجة لكم الى الاستماع من الكفرة وبالياء معناه بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم قوله
تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ● وفوض امورك الى الله وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه
كل امر قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل
ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا
آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ●
سبب هذه الآية اي قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء
فنزع في غيره ثم عاد الى شأنه الاول فقالوا ذلك عنه فنفاه الله وقيل نزلت في ابي معمر جميل الفهري وكان رجلا لبيبا
حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد
منهما افضل من عقل محمد فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ ابو معمر فلقيه ابو سفيان بن حرب وهو معلق احدى
نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك احدى نعليك في يدك والاخرى
في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده الزهري ومقاتل
هذا مثل ضربه الله للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون امرأة المظاهر
امه حتى يكون له امان ولا يكون ولد احد ابنه رجلين وقيل هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب
واحد فاما فيه ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة بين قلب وكفر فنفاها الله تعالى وبين انه قلب
واحد وعلى هذا النحو تستشهد الانسان بهذه الآية متى نسي شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي اذا نسي قلبه الواحد يذكره الآخر وما جعل ازواجكم اللائي قرأ نافع وابن كثير اللاء دون ياء وورش
عن ابي عمرو اللاي بياء ساكنة دون همز وقالون وقنبل بهمزة مكسورة من غير ياء والباقون بهمزة مكسورة بعدها ياء تظاهرون بفتح
التاء وتخفيف الظاء وانكرها ابو عمرو وقيل ليس بمنكر لان لفظه يقتضيه وقرأ الكسائي وحمزة وابو بكر عن عاصم بفتح التاء
والظاء مخففة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو تظاهرون بتشديد الظاء والهاء دون الف وهذه نزلت في اوس بن الصامت
اخي عبادة بن الصامت في امرأته وما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن علينا كظهور امهاتنا في الحرام كما تقولون
ولكنها منكم معصية وفيها كفارة وقد اوضحت لكم حلالا والقصة والحكم تذكر في المجادلة وما جعل ادعياءكم يعني من تبنيتموهم
ابناءكم نزلت في زيد بن حارثة الكلبي من بني عبد ود كان عبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه قبل الوحي وآخى
بينه وبين حمزة بن عبد المطلب في الاسلام فجعل الفقير اخا للغني ليعود عليه فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
زينب بنت جحش الاسدية وكانت تحت زيد بن حارثة قال اليهود والمنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها
فانزل الله هذه الآية ذلكم قولكم بافواهكم ولا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد عن عبد الله يقول الحق اي لا يقول
الا ما هو حق ظاهرا وباطنا وهو يهدي السبيل اي لا يهدي الا سبيل الحق ثم قال لما هو الحق بعينه وهو الى سبيل الحق
ادعوهم لآبائهم الذين ولدوهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو اعدل الامرين فالقسط العدل هو اقسط عند الله فان لم تعلموا
لهم آباء تنسبونهم اليهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم ان كانوا محررين وليس عليكم
جناح فيما اخطأتم به قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم من بعد النهي ويجوز ان يكون ما تعمدت
في محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك
مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي وقيل لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ

وتسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق التهكم فالنبي صلى الله عليه
وسلم ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وكان الله غفورا للعمد رحيما في رخصته ﴿قوله تعالى﴾ ﴿النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ ● النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين
والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم حسب حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وحكمه انفذ عليهم من حكمها فاذا دعاهم النبي الى شيء ودعتهم انفسهم الى شيء كانت
طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم ومن طاعة بعضهم لبعض النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم كما انت اولى بعبدك فما قضى فيهم من امر جاز كما اذا قضيت على عبدك جاز وقيل انه صلى الله عليه وسلم اولى
بهم في امضاء الاحكام واقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد عن الفساد وقيل انه اولى بهم في الحمل
على الجهاد وبذل النفس دونه قال الحكماء النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم والنبي
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم ابو بكر الوراق لان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى المولى وقيل لان
انفسهم تحترق بنار الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخرجهم من نار العقبى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما امرئ هلك وترك
مالا فليرثه من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي فانا مولاه وازواجه امهاتهم يعني كامهاتهم في الحرمة وانما
اراد الله تعالى بهذا تعظيم حقهن وحرمتهن وانه لا يجوز نكاحهن لا في حياة النبي ● صلى الله عليه وسلم ولا
بعد وفاته هن حرام على كل مؤمن كحرمة امه يدل على هذا انه لا يحرم على الولد رؤية الام فقد حرم رؤيتهن على
الاجنبي ولا يتعدى نهي يعلم انهن امهات المؤمنين من جهة التعظيم والاحترام وتحريم نكاحهن عليهم فحسب
قالت امرأة لعائشة رضي الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم واولو الارحام بعضهم اولى
ببعض في الميراث قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر شيئا فانزل الله
عز وجل هذه الآية فصارت المواريث بالقرابات الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس وكان يواخي بين
الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الآية
واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين
في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله عليكم من المؤمنين
والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء المؤمنين والمهاجرين اولى بان يرث بعضهم بعضا
لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من الاجنبيين بحق القرابة من المؤمنين بحق الولاية في الدين
ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا قيل استثناء من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى
من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع واحسان من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك
الا الوصية او لا يبعد المراد بفعل المعروف التوصية وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتدلوا الى اوليائكم
يعني المؤمنين والمهاجرين للولاية في الدين وقيل اراد اثبات الايمان والهجرة ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا يعني الا ان توصوا لذوي قراباتكم من المشركين فيجوز لهم الوصية وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة وهذا
قول محمد بن الحنفية وقتادة وعطاء وعكرمة ابن زيد ومقاتل الا ان توصوا لاوليائكم من المهاجرين مجاهد اراد
بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وان المشرك لا يرث المسلم كان ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين
جميعا في الكتاب القرآن وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة مسطورا مكتوبا الا ان في التوراة اذا نزل
رجل بقوم من اهل دينه فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوي قراباته ﴿قوله تعالى﴾ ﴿واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم
واعد للكافرين عذابا اليما﴾ ● لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاتقاء بقوله يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية
التي خشي فيها الناس وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اكده بوجه آخر
وقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم كانه قال اتق الله ولا تخف احدا غيره واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم
يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع واذ اخذنا واذكر اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم او عهودهم
قتادة اخذ ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا مقاتل ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم
بعضا وان ينصحوا لقومهم وهذا الميثاق اخذ منهم حين اخرجوا من ظهر آدم كالذر اي كما كان اخذ ميثاق الخلق اخذ من
النبيين ميثاقا آخر وقيل واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين ومنك
خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى خص هؤلاء الخمسة بالذكر لفضلهم لانهم اصحاب الشرائع والكتب واولو العزم
وانما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم ليعلم انه افضلهم ولولا ذلك لقدم
من قدمه زمانه فقدم الانبياء الباقية بعضهم على بعض بحسب تقدم الزمان قال صاحب الكشاف فان قلت وقد قدم عليه
نوح عليه السلام في الآية التي هي اخت هذه الآية وهو قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم
على غيره وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك الطريقة وذلك ان الله

عز وجل

[illegible]

لان النبي ... ان الله اخذ على الانبياء الذين يدعون الى دينه ... بالمؤمنين ... وقيل ...
علما انه ليسال الصادقين ... كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما ﴿قوله تعالى﴾ ﴿يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون
بصيرا﴾ ● لما سبق الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوف من احد ذكر ما يحققه اجتماع الاحزاب واشتداد الامر
على الاصحاب كان الخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وآمنهم من خوفهم فينبغي ان لا يخاف العبد
غير ربه فانه كاف امره يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم
جنود وهم الاحزاب قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا وجنودا وهي الصبا قال صلى الله
عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا معطوف على ريحا لم تروها وهم الملائكة ولم تقاتل يومئذ
روي ان الله تعالى بعث عليهم بالليل ريحا باردة وبعث الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت
النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وقذف الله في قلوبهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب
عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء لما بعث الله عليهم
الرعب فانهزموا من غير قتال الحكمي فتى من اهل الكوفة قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا
ولخدمناه وفعلنا وفعلنا فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ليلة باردة لم اجد قبلها ولا بعدها بردا اشد منه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت
الينا فقال الا رجل يقوم فيعلم لنا خبر هؤلاء القوم ويأتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام منا رجل
من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم
يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان فمسح رأسي ووجهي
ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت علي اسلابي ثم انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام
فذهبت فدخلت في القوم فقد ارسل الله عليهم ريحا فقطعت اطنابهم وقلعت ابنيتهم فذهبت بخيولهم ولا تدع
شيئا الا اهلكته وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فذكرت قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا يقر لهم قدر
ولا نار ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت
فقال سبحان الله ما تعرفني انا فلان بن فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم
بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون
فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم
وسمعت غطفان بما فعلت قريش فشمروا راجعين الى بلادهم وهزم الله تعالى الاحزاب وهو قول الله عز وجل فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاني امشي في حمام فاخبرته الخبر فضحك صلى الله
عليه وسلم حتى بدت انيابه في سواد الليل قال فذهب عني الدفء فادناني صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى
علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه وكان الله بما تعملون من حفر الخندق والثبات وبالياء بما يعمل المشركون
وجنودهم من المحاربة بصيرا ﴿قوله تعالى﴾ ﴿اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ ● اذ جاؤكم
بدل من اذ جاءتكم جنود من فوقكم من فوق الوادي من قبل المشرق عليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن
الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود بني قريظة ومن اسفل

على الوفاء بها م

لقد كنا نجهد قال الفتى والله م

منكم يعني الوادي من قبل المغرب وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وأبو الأعور السلمي من قبل الخندق وكان
الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف
فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه قال فهم الذين أنزل الله فيهم ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا
ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر
من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون
معهم عليه وأن قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجتمعوا فيه فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت
غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه
من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي
أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت
بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت
غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر
بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن
أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي بن أخطب يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي
إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح
لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا على جشيشتك أن آكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب
جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة
وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد وقد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا
حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس
فيه شيء ويحك فدعني ومحمدا وما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب
حتى سمح له على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في
حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ أحد بني الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله
بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء
القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به
للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من رسول الله لا عهد
بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك
مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه
ثم قالوا عضل والقارة بغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدي
وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم
العدو من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير
أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط وما وعدنا الله
ورسوله إلا غرورا وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو وذلك عن ملأ من
رجال قومه فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله وأقام المشركون بضعا وعشرين
ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على
أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة
فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشيء
أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيء تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بل لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب
قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن

وهؤلاء

عن ديارهم وذلك أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ٢

الخندق ٣

وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو شرى
أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش
منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله و
ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا على بني كنانة فقالوا تهيؤوا
للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه
لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم فجالت بهم في السبخة بين الخندق
وسلع وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم وأقبلت
الفرسان تعنق نحوهم وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج
معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي رضي الله عنه يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش
إلى إحدى خلتين إلا أخذت منه إحداهما قال أجل قال فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني
أدعوك إلى البراز قال له لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال له علي رضي الله عنه لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند
ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيله منهزمة
حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات
منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان قد اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب
قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي رضي الله عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده ولا ثمنه فشأنكم به فخلى بينهم
وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كانت يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ
معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي
يده حربته وهو يقول لبث قليلا يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت له أمه الحق أي بني فقد والله أخرت قالت
عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب
السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الأكحل فزعموا أنه لم ينقطع من أحد قط إلا لم يزل يبض دما حتى
يموت رماه حبان بن قيس أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك
في النار ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب
إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني
حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية وحكي أن صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان
بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن
وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور العدو لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذ أتانا آت فقلت يا حسان إن
هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما
قال ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت
إلى الحصن فقلت يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل فقال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب
وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم
ومن أسفل منهم ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي
لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت
فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة لقد عرفتم
ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد
بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وبلدهم و
نساؤهم بغيره فإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم لا طاقة لكم
به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه
قالوا لقد أشرت بالرأي والنصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد
عرفتم ودي إياكم وفراقي محمدا وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا عني قالوا نفعل قال تعلموا أن معشر
يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من
القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم
أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان

ما لنا بهذا من حاجة ٣

ابن العرقة ٣

وكذبوه ٣

وبينهم ٢

فقالوا يا معشر غطفان انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان يعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد حتى انصرفوا خائبين والحمد لله واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها القلب الى رأس الحنجرة وهو مثل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا الخطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ~~الظنونا الخطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم~~ الى ما حكى عنهم الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم الظنونا بالالف في الوصل والوقف لان الالف ثابتة في مصحف عثمان وفي سائر مصاحف اهل البلدان وقرأ ابو عمرو وحمزة ويعقوب بغير الف في الحالين ووصل الباقون بغير الف ووقفوا بالالف لان العرب تفعل ذلك في قوافي الاشعار ومصاريعها فتلحق الالف في موضع الفتح عند الوقف ولا تفعل ذلك في حشو الابيات فحسن اثبات الالف في هذا الحرف لانها رؤوس الآي تمثيلا بالقوافي وكذلك الرسولا والسبيلا هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق وزلزلوا زلزالا شديدا بالفتنة والتمحيص الى اظهار المعنى بان الخوف ازعجهم اشد انزعاج قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ يقول عطف على قوله اذ جاؤكم من فوقكم المنافقون والذين في قلوبهم مرض شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قيل قائله معتب بن قشير قال ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بحفر الخندق فعرضت صخرة شقت على من كان يليها فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في الخندق واخذ المعول من سلمان فضرب تلك الصخرة ضربة فخرج مع كل ضربة كهيئة البرق فقال سلمان لقد رأيت امرا عظيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او قد رأيت ذلك قال نعم والذي بعثك بالحق فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت في الضربة الاولى ابيض المدائن وفي الثانية قصور اليمن وفي الثالثة مدائن الروم وليفتحن الله علي فلما حصرهم الاحزاب واشتد عليهم الحال قال معتب يعدنا ان يفتح علينا قصور الروم واليمن ولا يستطيع احدنا ان يذهب الى الخلاء ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه وقال السدي هو عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب اسم المدينة وقيل يثرب ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرأ حفص بضم الميم الاولى والباقون بفتحها اي لا مقام لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه فارجعوا الى منازلكم امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة ويستأذن فريق منهم النبي في الرجوع الى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحارث يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضائعة اعتذروا بان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله تعالى فقال وما هي بعورة وانهم لا يخافون ذلك ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم اي على هؤلاء الجيوش والاحزاب الذين يريدون قتالهم المدينة من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفتنة لآتوها قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر لاتوها بالقصر اي لجاؤها وفعلوها والمراد بالفتنة الرجوع عن الاسلام والكفر والباقون بالمد

الشرك والردة الى الكفر

لاعطوها

لاعطوها ابن عباس في معنى الاية لو ان الاحزاب دخلوا المدينة ثم امروهم بالشرك لاشركوا وما تلبثوا بها الا يسيرا اي بعناه وما احتبسوا عن الاجابة الى الكفر الا قليلا لسئلوها وما تلبثوا بعد الاجابة بالمدينة الا يسيرا حتى يعذبوا وقال لاعطوها وما تلبثوا بها اي وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون عدوهم الادبار قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثله وذكر الله تعالى الذي اعطوه من انفسهم وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم في ناحية المدينة وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا له اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم وكان عهد الله مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به يقال سألت فلانا حقي اذا طالبته به وقيل مسؤلا عنه مجازى عليه قل يا محمد لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل لان الحذر لا يغني من القدر وان نفعكم الفرار بتقدير الله ومشيئته فمتعتم بالتأخير واذا لا تمتعون الا قليلا في الدنيا بعد ذلك لقرب الاجل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب قوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قل يا محمد لهم من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا في الدنيا وقيل من عذاب الآخرة وقيل هزيمة او اراد بكم رحمة نصرة وظهورا على عدوكم وخيرا في الدنيا فان قيل جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء اجيب بان معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا قد يعلم الله المعوقين المثبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم فانهم هالكون وقال مقاتل هم المنافقون وذلك ان اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا لنشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فانهم يقولون هلما يا رجلان وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب ولا يأتون البأس الا قليلا ولا يحضرون البأس الحرب والقتال في سبيل الله الا قليلا الا رياء وسمعة ولو كان ذلك لله لكان كثيرا وقيل انه من جملة كلام القائلين لاخوانهم يعني ولا يأتي اصحاب محمد الحرب الا قليلا لانهم الاحزاب وقيل انه استثناء من الله تعالى او يعوقون الناس ويتخلفون بانفسهم فاكثر لا يأتون الا قليلا رياء وسمعة الا قليلا كما هو قليل معناه لا يأتون الا اتيانا قليلا وقيل قليل صفة مصدر محذوف اي الا اتيانا قليلا وقيل منصوب على الاستثناء وقيل الا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة جمع شحيح وهو البخيل بالخير والنفقة في سبيل الله وهو منصوب على الحال اي لا يأتون الحرب الا بخلاء عليكم وقيل بالغنيمة وقيل بالظفر وقيل بالقتال معكم فاذا جاء الخوف اي اذا حضر القتال رأيتهم ينظرون اليك في تلك الحال تدور اعينهم في رؤوسهم وقيل في احداقهم يمينا وشمالا من الخوف والجبن كالذي كدوران الذي يغشى عليه من الموت وقيل كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقع القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرغبة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترأوا عليكم سلقوكم اذوكم بالكلام والامر بالسنة حداد ذربة وقيل سلقوكم ضربوكم بالسنة وقيل سلقوكم صخبوا عليكم وقيل سلقوكم خاطبوكم اشد مخاطبة وهم في الغنيمة يقال خطيب مسلاق اذا كان بليغا في خطبته اشحة على الخير اي الغنيمة والمال الذي ينفقونه في سبيل الله يطمع وقال قتادة يعني بسطوا السنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا فاما عند الغنيمة فاشح قوم واسوأ مقاسمة واما عند البأس فاجبن قوم واخذله للحق اشحة على الخير يعني على الغنيمة اولئك لم يؤمنوا اي هم وان اظهروا الايمان فليسوا بمؤمنين لنفاقهم فاحبط الله اعمالهم اي ابطل جهادهم لانه لم يكن في ايمان وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا قال صاحب الكشاف فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى ان يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل

المنافق من الاعمال يجري عليه فيبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند هباء منثورا. **قوله تعالى** يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ● ثم اخبر عنهم بما يدل على جبنهم فقال يحسبون اي يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم ان الاحزاب لم يذهبوا ولم ينصرفوا عن قتالهم وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا يتمنوا من الخوف والجبن لو انهم بادون خارجون الى البادية في الاعراب اي معهم يسئلون عن كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم اخباركم وقيل منهم من كان في اطراف المدينة لم يحضروا الخندق يسالون الناس عن انباء العسكر مترقبين غلبة المشركين على النبي واصحابه ولو كانوا فيكم هؤلاء المنافقين فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة من غير حسبة ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا. **قوله تعالى** لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ● قرا عاصم اسوة بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان لقد كان لكم في رسول الله اسوة قدوة صالحة والمعنى لقد كان لكم اي ان تقتدوا به في الصبر معه كما صبر يوم احد كسرت رباعيته وشج جبينه وقتل عمه وواساكم مع ذلك بنفسه لمن كان يرجو تخصيص بهذه الاسوة المؤمنين والمعنى ان الاسوة الموصوفة الاسوة برسول الله انما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الاخر قيل يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم وقيل لمن كان يخاف الله ويخشى البعث لمن كان يرجو الله بدل من لكم وذكر عطف على كان يعني لمن ذكر الله كثيرا في الرخاء والبلاء والسراء والضراء. **قوله تعالى** ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ● ذكر المؤمنين وتصديقهم بموعد الله لما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله الا ان نصر الله قريب وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك هذا اشارة الى الخطب والبلاء وما زادهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه وقدره لعلمهم انه كما يصدق في البلاء يصدق في النصر وقيل ما زادهم ايمانا وقيل نظرهم وقيل مجيء الاحزاب وقيل ما رأوا بهم من الشدة وقيل اجتماع الاحزاب عليهم وقيل تسليما بمعنى اسلاما اي الا ايمانا واسلاما وقيل الا ايمانا بالله وتسليما لرسوله. **قوله تعالى** من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ● من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نزلت في عمي انس بن النضر غاب عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال غبت عن اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن اشهدني الله قتالا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال اي سعد والذي نفسي بيده اني لاجد ريح الجنة دون احد فقاتلهم حتى قتل قال انس فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته اخته ببنانه ونزلت من المؤمنين رجال صدقوا وعن عائشة رضي الله عنها منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وعن ابن ابي نجيح ان طلحة بن عبيد الله يوم احد كان يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل وقد رمي النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فاصاب خنصره فقال حس ثم قال بسم الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال بسم الله لرفعته الملائكة حتى تدخله الجنة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها اني لفي بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الفناء بيني وبينهم الستر اذ اقبل طلحة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يمشي على الارض قد قضى نحبه فلينظر الى طلحة جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة وقيل صدقوا ما عاهدوا الله بنذر نذروا ان قاتلوا حتى يقتلوا فمنهم من قضى نحبه مات حتف انفه ثابتا على عهده ومنهم من ينتظر الموت ان اتى الصدق وقيل نحبه اجله وقيل النحب عهده والنحب في اللغة النذر اي قضى نذره ومنها الخطر اي فرغ من خطر الحياة لان الحي على خطر ما عاش ومنها السير السريع او ساربه الى اجله ومنها الموت اي قضى نوبته ومنها النفس اي فرغ من انفاسه ومنها النصب اي فرغ من نصب العيش وجهده وهذا كله يعود الى معنى الموت وانقضاء قال صاحب الكشاف فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان الحي لا بد له ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل الوفاء بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت ما حقيقة صدقوا ما عاهدوا الله قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وما بدلوا العهد ولا غيروه ولا المستشهد ولا ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق

ومرض

ومرض القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وقوعه كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقيل اللام في ليجزي الله متصل بما عاهدوا الله اي عاهدوا الله ليجزي وقيل بما بدلوا اي وما بدلوا ما عاهدوا الله عليه ليجزي وقيل بما وعدنا الله اي وما وعدنا الله ورسوله ليجزي الصادقين وقيل ابتلى المؤمنين ليجزي الله وقيل امرهم بالوفاء ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين الكاذبين ان شاء وقيل ان من المنافقين من تاب من نفاقه فاستحق ان يتوب عليه وقيل يعذب المنافقين بان لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم ان شاء فلا يشاء من التوفيق لامر العذاب او يتوب عليهم ان تابوا وقيل ويعذب المنافقين بنقض العهد ان شاء وهو ان يميتهم على نفاقهم او يتوب عليهم في الدنيا فيخرجهم من النفاق الى الايمان ان الله كان غفورا لمن تاب رحيما بعباده المؤمنين. **قوله تعالى** ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ● ورد الله الذين كفروا الاحزاب قريش وغطفان اي صدهم ومنعهم من الظفر بالمسلمين بغيظهم ولم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا اي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيرا فجرى على ادعائهم بغيظهم او مغيظين كقوله تنبت بالدهن بغيظهم ولم ينالوا خيرا حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة فكبرت الملائكة في عسكرهم فلما سمعوا التكبير قال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فانهزموا لا يلوون على شيء وكان الله قويا عزيزا. **قوله تعالى** وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطاؤها وكان الله على كل شيء قديرا ● عدد الله تعالى في هذه الايات نعمه على المؤمنين في هزيمة الاحزاب وان الله ردهم بغيظهم لم يشفوا منه شيئا ولا نالوا خيرا اراد وكفى كل مؤمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاتل الاحزاب وانزل الذين ظاهروهم يعني الذين عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله والمؤمنين وهم بنو قريظة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمسلمون عن الخندق ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحاله عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه عليه السلام وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم فقال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الان الا من طلب القوم ان الله يامرك يا محمد بالسير الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فاني قد قطعت اوتادهم وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه برايته اليهم فابتدرها الناس فسار علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني لم يقولوا شيئا من ذلك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من ابارها في ناحية من اموالهم يقال له بئر انا فتلاحق الناس فاتاه رجال بعد العشاء الاخرة فلم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الاخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي كنتم تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم وابنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء الاوس لنستشيره في امرنا فارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه
فرق لهم وقالوا له يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت
قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة ابدا
ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال اما انه لو جاءني
لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله تعالى انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك فقلت مم تضحك
يا رسول الله اضحك الله سنك فقال تيب على ابي لبابة فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت
على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح اطلقه
ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم
بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة
عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه
قال من هذا قال انا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا اغدر بمحمد
ابدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول
صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى اين ذهب من ارض الله الى يومنا هذا فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه
تلك المقالة والله اعلم فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله
انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم
له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى
قال فذاك الى سعد بن معاذ فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من اسلم يقال لها رفيدة في مسجده
كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك
لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد
الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك
مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية
التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار
بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها
خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس
القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا من ثمان مائة الى تسع مائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب افي كل موطن لا تعقلون الا ترون
الداعي لا ينزع وانه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة لئلا يسلبها مجموعة
يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله
يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن
جوال الثعلبي لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها وقلقل
يبغي العز كل مقلقل ثم تعود عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء قريظة الا امرأة واحدة
قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف اذ هتف هاتف
باسمها اين فلانة قالت انا والله قالت قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته قالت فانطلق بها فضربت

عنقها

عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال ابن هشام
واسم تلك المرأة نباتة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد طرحت عليه رحى فقتلها رسول الله صلى الله عليه
~~وسلم بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها~~
تقتل قال ابو عبيدة واستعرت تلك المرأة ونباتة امرأة بخلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك قال ابن اسحق وكان الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى ابا عبد الرحمن كان قد
من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير
فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني قد اردت ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم
قال ثم اتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير علي منة وقد احببت
ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اهله وولده قال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني امرأتك وولدك فهم
لك قال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله فقال
هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك قال اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه
مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب قال قتل قال
فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموأل قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة
وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا وقتلوا قال فاني اسألك بيدي عندك يا ثابت الا الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش
بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر
الصديق رضي الله عنه قوله القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا ابدا فقال ثابت بن قيس
وفت ذمتي اني كريم واني صبور اذا ما القوم حادوا عن الصبر وكان زبير اعظم الناس منة علي فلما اشتد كرعا بالاسر
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيما افكه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا لنا يجري قال وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم فسألته سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط بن قيس وكانت احدى خالات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء على رفاعة بن سموأل القرظي وكان
رجلا قد بلغ فلاذت به وكان يعرفها فقالت يا نبي الله بابي انت وامي هب لي رفاعة بن سموأل فانه قد زعم انه سيصلي ويأكل
لحم الجمل فوهبه لها فاستحيته قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني قريظة ونساءهم وابناءهم على المسلمين
واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال واخرج منها الخمس وكان للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم
وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان اول فيء وقع فيه السهمان واخرج منه الخمس
فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي ثم بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا
وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن
قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك
فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد
في نفسه لذلك من امرها فبينا هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه
فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك انه
دعا الله ان يحكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسول الله الى خيمته التي ضرب عليه في المسجد قالت
عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني
لفي حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم قال علقمة فقلت اي امه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
كانت عينه لا تدمع على احد ولكنه اذا اشتد وجده فانما هو آخذ بلحيته قال محمد بن اسحق ولم يقتل من المسلمين
يوم الخندق الا ستة نفر وقتل من المشركين ثلاثة نفر وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة طرح عليه
رحى فشدخته شدخا فقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وقريظة قال الآن نغزوهم ولا يغزوننا
فكان كذلك حتى فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة فكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من
الهجرة قد ذلك قوله عز وجل وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم يعني حصونهم ومعاقلهم واحدتها صيصية
وهي ما يتحصن به وقيل لقرن الثور صيصية ولشوكة الديك والحائك صيصية قال الشاعر كوقع الصياصي
في النسيج الممدد وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم النساء والذراري واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها قال يزيد بن رومان ومحمد بن يزيد ومقاتل يعني خيبر وقتادة كنا نحدث انها مكة
الحسن انها فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا قوله تعالى يا ايها النبي

قل لـ

قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ● قال المفسرون كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيئا
من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة والغيرة فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا
ولم يخرج إلى أصحابه صلوات فقالوا ما شأنه فقال عمر رضي الله عنه إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له قال فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ينبسط
فقلت يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها فقال ذلك حبسني عنكم فأتى عمر حفصة فقال لا تسألي
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما كانت لك من حاجة فإلي ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن
فقال لعائشة أيغرك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهين أو لينزلن فيك القرآن فقالت له أم سلمة يا ابن
الخطاب أوما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله وبين نسائه ولن تسأل المرأة إلا زوجها فأنزل الله هذه الآية وكان تحت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة
بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وميمونة بنت الحارث
الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرأى الفرح
في وجه رسول الله وتابعنها واخترن اختيارها قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن
فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج عن عائشة رضي الله عنها قالت لما مضت تسع وعشرون
ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك قد
دخلت علي من تسع وعشرين فقال إن الشهر تسع وعشرون ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة إني ذاكر لك أمرا
فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت ثم قرأ علي هذه الآية حتى بلغ أجرا عظيما قالت قد علم
والله أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي عن
عائشة رضي الله عنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعثني الله مبلغا
ولم يبعثني متعنتا قال صاحب الكشاف إذا قال لها الزوج اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال لها اختاري نفسك فقالت
اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه رحمهم الله
واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بشيء مما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها
على الفور وهي عنده طلقة رجعية وإن نوى الطلاق في التخيير كان طلاقا وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن
وقتادة والزهري أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع أهل الأمصار وعن
عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وعن علي رضي الله عنه
إذا اختارت زوجها فواحدة بائنة وعن زيد إذا اختارت زوجها فليس بشيء يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن
تردن الحياة الدنيا السعة في الدنيا وكثرة الأموال وزينتها فتعالين أصل تعال أن يقوله من كان في المكان المرتفع
لمن كان في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن
لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني أمتعكن متعة الطلاق
والمتعة عند الشافعي واجبة لمفارقة في حياة الزوج لا بسبب من المرأة ولا مهر لها إذا لم يجر في العقد تسمية صحيحة
ولا فاسدة ولا فرض صحيح وهي مفوضة وطلقها قبل الدخول وطئا كل المهر وذلك بأن طلقها بعد الدخول فإنه
تثبت لها المتعة في الصورتين ما يراه القاضي باجتهاده لائقا بحال الزوجين إذا تنازعا في قدر الواجب وإن تراضيا
على شيء فذاك ويستحب أن لا ينقص من ثلاثين درهما وأن لا يزاد ما يراه الحاكم على نصف المهر المسمى ومهر المثل وعند
أبي حنيفة رضي الله عنه المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة
وعن الزهري متعتان إحداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق
بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين وعن سعيد بن جبير المتعة حق
وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار إلا أن يكون
نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها
وأسرحكن أطلقكن سراحا جميلا لا ضرار فيه ولا مشاجرة وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله
أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما أي تبلغ تحصيلها ما تردن من رضا الله ونيل جنته يا نساء النبي من يأت منكن للبيان
لا للتبعيض بفاحشة مبينة معصية ظاهرة وقيل نشوزا أو سوء خلق وقيل زنا بينا قال صاحب الكشاف الفاحشة
المبينة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل عصيانهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونطقهن بما يسوؤه أو بما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله يضاعف لها العذاب ضعفين أي ضعفي
عذاب غيرهن من النساء تعظيما لهن كما جعل ضعف حد المملوك قيل هو في الدنيا وقيل في الآخرة وقيل عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة وقيل جعل العذاب ضعفين كما جعل الأجر مرتين وقيل إنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء أقبح

نساء النبي

نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولأن على أحديهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى
ازداد قبحا ازداد عقابا شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح
ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة رضي الله عنه وأصحابه رحمهم الله لا يرون الرجم على الكافر وكان
ذلك على الله يسيرا أي تضعيف العذاب على الله سهل وقيل لا اعتراض عليه وهو إيذان بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ليس يغني عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف
عنه قوله تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ● و
من يقنت يطع منكن لله ورسوله وقيل ومن يدم على طاعة الله ورسوله قال قتادة كل قنوت في القرآن طاعة قرأة العامة
يقنت بالياء من تحت إلا ما روي عن ابن عامر ويعقوب أنهما قرآ تقنت بالتاء وتعمل قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعمل بالياء
من تحت والباقون بالتاء صالحا نؤتها قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء والباقون بالنون أجرها مرتين أي مثلي ثواب غيرهن
من النساء لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله
والتقوى وأعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر وهو الجنة قوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن
فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ● أظهر الله تعالى فضلهن على النساء وأحد في الأصل
بمعنى واحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والجماعة ابن عباس ليس قدركن عندي مثل قدر
من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم إذا تقيتن فشرط عليهن التقوى بيانا وتنبيها على أن فضلهن إنما كان
بالتقوى لا بنفس اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف معنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة
واحدة من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد التسوية بين جميعهم في أنهم على
الحق إن اتقيتن أي إن اتقيتن الله فضلكن على سائر النساء بأن جعلكن أزواجا للنبي الذي هو أكرم خلقه عليه فذاك التقوى
فأكرمها وقيل إن التكليف عليكن أشد كما أن ثوابكن أعظم وقيل تم الكلام على أحد من النساء ثم استأنف إن اتقيتن
فلا تخضعن بالقول أي في مخاطبة الأجانب يعني فلا تلن القول للرجال فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وضعف
إيمان وقيل نفاق وقيل ميل إلى المعصية وقيل شهوة وقيل حب الزنا وقلن قولا معروفا سديدا مستقيما صحيحا جميلا
حسنا وأن لا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا خنثا مثل كلام المومسات فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وقلن
قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث وقيل حسنا مع خشونة قوله تعالى وقرن في بيوتكن
ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا ● قرأ نافع وعاصم وقرن بفتح القاف والباقون بكسرها فالفتح أصله اقررن فحذفت الراء
الأولى وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وقيل من قار يقار إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى إلى قول عضل
والديش اجتمعوا فكونوا قارة والكسر من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف
كما تقول ظلن المعنى ولا تخرجن من بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتكسر والتغنج
وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الأولى كان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال أبو العالية هو زمان داود
وسليمان وكانت المرأة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها فيه وقال الكلبي الجاهلية الأولى هي الزمان
الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام وكانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق
ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وكان ذلك في زمن نمرود والناس حينئذ كلهم كفار الحكم هو ما بين آدم
ونوح عليهما السلام ثمانمائة سنة وكان نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل على
نفسه وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية فقال إن الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس عليهما السلام
وكان ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم عليه السلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا
وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام
فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ إبليس شيئا مثل ما يزمر فيه الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ
ذلك من حولهم فجاءوا يستمعون إليه واتخذوا عيدا يجتمعون إليه فتبرجن لهم فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله
عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قتادة ما قبل الإسلام وأقمن الصلاة المفروضة وآتين الزكاة الواجبة
وأطعن الله ورسوله فيما يأمر وينهى أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لأن هاتين
الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه إلى ما وراءهما ثم بين أنه إنما نهاهن
وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه استعار للذنوب الرجس أهل البيت أي يا أهل البيت وقيل يعني
أهل البيت فأهل البيت نصب على النداء وعلى المدح قتادة الرجس السوء ابن زيد الشيطان ويطهركم تطهيرا من أعمال
الجاهلية وقيل ويطهركم تطهيرا معناه وتصونوا عن الذنوب بالتقوى استعار للتقوى الطهر لأن عرض المتقي من
الذنوب نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر أصحاب النفوس السليمة والعقول المستقيمة عما نهاهم
الله عنه ويرغبهم فيما أمرهم به وقيل يعني بأهل البيت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن خاصة وإنما ذكر الخطاب

لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وان اجتمع المذكر والمونث غلب المذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انزلت
هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتلا واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة عن عكرمة في قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت انما هو في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم خاصة وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق والمعتاد مقاتل قال يعني نساء النبي صلى الله عليه وسلم
وعليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية
في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وعن ام سلمة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة
وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم
هولاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله
قال انك الى خير انك الى خير قيل لعايشة رضي الله عنها ارايت خروجك يوم الجمل قالت انه كان قدرا من الله سبحانه وتعالى
فسئلت عن علي رضي الله عنه فقالت سالتني عن احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج احب الناس كان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثوب عليهم ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله
انا من اهلك قال تنحي فانك الى خير عن عبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنه لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرحمة هابطة
من السماء قال من يدعو مرتين قالت زينب انا يا رسول الله قال ادعي لي عليا وفاطمة والحسن والحسين قال فجعل حسنا
عن يمينه وحسينا عن يساره وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كساء خيبريا ثم قال اللهم ان لكل نبي اهلا وهولاء اهلي
فانزل الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكانك فانك الى خير ان شاء الله وعن شداد دخلت على واثلة ابن الاسقع وعنده قوم فذكروا عليا فشتموه
فشتمته فلما قاموا قال لي لم شتمت هذا الرجل قلت رايت القوم شتموه فشتمته معهم فقال الا اخبرك ما سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال اتيت فاطمة اسالها عن علي فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجلست فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم
ثوبه او قال كساءه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ثم قال اللهم هولاء
اهل بيتي واهل بيتي احق وقيل هم بنو هاشم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انشدكم الله في اهل بيتي
مرتين قيل لزيد من اهل بيته قال الذين حرموا الصدقة آل علي وآل العباس وآل جعفر عن الحمالي بالمدينة تسعة اشهر
كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجي كل غداة فيقوم على باب علي وفاطمة فيقول الصلاة انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسم الله الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فانا خير اصحاب اليمين
ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة
ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني
في خيرها قبيلة فذلك قوله عز وجل شعوبا وقبايل فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني
في خيرها بيتا فذلك قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والمحققون
على انها نزلت فيهم خمستهم وفي جميع نساء النبي صلى الله عليه وسلم بدليل ما تقدم وما تاخر من الايات ولان امراة الرجل
من اهل بيته بدليل قول الله في قصة ابرهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ● ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله يعني القران والحكمة يعني السنة وقيل ما يتلى في بيوتكن من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات
بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع وقيل واذكرن نعمة الله عليكن ان جعلكن
اهل بيت النبوة ومعدن نزول الوحي وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل امرهن ان يتعظن به ويتعلمن حدوده
وقيل الحكمة الكتاب والجمهور على انها السنن فيكون من باب قوله متقلدا سيفا ورمحا فانه لا يقال للوحي السنة
فيل التلاوة لا تستعمل الا في قراة كتاب انما ان الله كان لطيفا باختياركن له خبيرا باحوالكن قال صاحب الكشاف لطيفا
خبيرا حين علم ما يصلحكم وينفعكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته حيث جعل
الكلام الواحد جامعا بين الغرضين قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين
والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ● ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القران ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل الله منا طاعة فانزل الله هذه الاية ومعنى قوله

ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء
في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة فنزلت هذه الاية عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
قلت للنبي عليه الصلوة والسلام يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القران كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذات يوم ظهرا الا نداه
على المنبر وانا اسرح راسي فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر
يا ايها الناس ان الله عز وجل يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات الى قوله اجرا عظيما مقاتل يعني ان اسماء بنت عميس
رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا
شيء من القران قلن لا فاتت ● رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى ان المسلمين
والمسلمات الاية المسلم هو الذي على دين الاسلام فقوله ان الدين عند الله الاسلام وقيل المسلم الداخل في السلم
بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند وقيل المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه لله والمومن المصدق بالله
ورسوله وما يجب ان يصدق به وقيل المومن الذي كتب الله في قلبه الايمان وقيل المصدق بالله فيما وعد واوعد والقانت
القايم بالطاعة الدايم عليها وقيل الداعي والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله وقيل صدقا بامانته وعهده
والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي وقيل الصابر في البأساء والضراء والخاشع المتواضع لله بقلبه
وجوارحه وقيل الخايف وقيل المصلي وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من على يمينه وشماله والمتصدق يزكي ماله ولا يخل
بالنوافل وقيل من يتصدق في اسبوع بدرهم والصايمين من صام ايام البيض من كل شهر وقيل من صام شهر رمضان
والحافظ الذي يحفظ فرجه عما لا يحل والذاكر من كان لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا
والذاكرات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اسرافيل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم
من قالهن كتب له ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل ممن ذكره في الليل والنهار وكان له غرس في الجنة
وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله عز وجل اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وقال مجاهد لا يكون
العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قايما وقاعدا ومضطجعا قال عطاء من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين
والمومنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان
قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل
في قوله والصابرين والصابرات اعد الله لهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما لطاعتهم قال صاحب الكشاف فان قلت
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد
ضل ضلالا مبينا ● نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش [illegible]
عبد المطلب [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة [illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ●

وذلك ان زينب مكثت عند زيد بن حارثة حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم لحاجة
فابصرها قائمة في درع وخمار فاعجبته وكانها وقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما
جاء زيد ذكرت له ففطن زيد وكرهت اليه في الوقت فالقي في نفسه كراهيتها فاراد فراقها فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله ثم
ان زيدا طلقها بعد ذلك فلما انقضت عدتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ما اجد احدا اوثق في نفسي منك
ائت زينب فاخطبها علي قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن
زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة
واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار بذلك قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام وتوفيقك لعتقه
ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بالاعتاق وهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة
امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله ولا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق
وقيل واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفي في نفسك تعلق قلبك بها او حبها او ارادة طلاقها او مودة
مفارقة زيد اياها وقيل علمك بان زيدا سيطلقها وستنكحها لان الله قد اعلمك بذلك وتخشى الناس
تستحي الناس وقيل وتخاف لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها والله احق ان تخشاه
ليس المراد ان النبي صلى الله عليه وسلم خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخش احدا معه
وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاجعل الخشية لله وحده كما قال الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة والحسن ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه
الاية وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية وتخفي
في نفسك ما الله مبديه الحسن يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله اني اريد ان اطلق زينب
فاعجبه ذلك فقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال الله لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون
من ازواجك وهذا التاويل مطابق للتلاوة لان الله اعلم انه مبدي ما اخفاه والله لا يخلف الميعاد ثم لم يبده
عز وجل اظهر من شأنه غير التزويج بقوله زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها
لكان لا يجوز على الله كتمانه مع ان الله ابدى ما استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امراتي والله اعلم
فهذا هو الحسن موقعه حيث ان كان القول الاخير لا يقدح في حال النبي صلى الله عليه وسلم لان العبد غير ملوم على ما يقع
في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجة من نكاحها فكانت زينب تفخر على نساء
النبي صلى الله عليه وسلم فتقول انا اكرمكن وليا واكرمكن سفيرا زوجكن اقاربكن وزوجني الله عز وجل من محمد
بن جحش تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنها قالت زينب انا التي نزل تزويجي من السماء فقالت عائشة انا التي نزل
عذري من السماء حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت زينب ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل
قالت كلمة المؤمنين عن الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل
بهن جدي وجدك واحد وان الذي انكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
الذين تبنوهم اذا قضوا منهن وطرا بالنكاح وطلقوهن او ماتوا عنهن الحسن كانت العرب تظن ان حرمة المتبنى مشتبكة
كاشتباك الرحم فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم واعلم ان حلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فقيد وكان امر الله مفعولا
كائنا لا محالة وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي وتخفي في نفسك وتخشى الناس اي
احق ان تخشاه واعاد الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخشى خاشيا قالة
الناس وتخشى في ذلك بان تخشى الله او الواو للعطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس
والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من احد لم يبق له فيه همة وقيل قضى منه وطره والمعنى فلما
لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وكان
امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل ما اراد كون تزويج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن
عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله
في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ۞ ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له قيل فيما احل الله له وقيل فيما قسم له او اوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه
فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل
سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت

تحتهم الحرائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة وقيل سنة الله منصوب
بنزع الخافض اي كسنة الله وقيل بفعل سنة الله وقيل على الاغراء اي اتبعوا سنة الله في الذين خلوا في الانبياء
الذين مضوا لان لا يؤاخذكم بما احل لكم وقيل الاشارة بالسنة الى النكاح فانه من سنة الانبياء وكان امر الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا كائنا قال ابن عباس وكان من قدره ان تلك المرأة التي ابتلى بها داود عليه السلام تلد ابنا مثل سليمان عليه السلام
وتلك من بعده الذين يبلغون في محل خفض على نعت الذين خلوا او الرفع او النصب على المدح على هم الذين او اعني الذين
ويخشونه عطف على يبلغون ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وكفى بالله حسيبا حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم عليها او قيل كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب
ان يكون الخشية منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة فيحرم عليه نكاح زوجته
بعد فراقه اياها يعني زيدا وانما كان ابا القاسم والطيب والطاهر وابرهيم صلوات الله عليهم ولكن كان رسول الله و
خاتم النبيين اي آخرهم ختم الله تعالى به النبوة فلا نبي بعده قال النبي صلى الله عليه وسلم انا محمد وانا احمد وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقرأ عاصم خاتم بفتح التاء على الاسم اي آخر النبيين
كقوله ختامه مسك اي آخره والطابع والباقون على الفاعل اي ختم النبيين بالنبوة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف كان
آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى نبئ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما فيعلم بمصالح عباده فجعل محمدا آخر النبيين
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا ۞ اذكروا الله اثنوا عليه
بضروب الثناء من التقديس والتهليل والتحميد والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة
الاوقات ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه
تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره في الاحوال كلها فقال
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر
والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا وسبحوه بكرة
وصلوا له بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة العصر كما قال ابن مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وهذه كلمات يقولها الطاهر والمحدث والجنب
قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما ۞ هو الذي
يصلي عليكم وملائكته بالرحمة السبب قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى عليه السلام
فاوحى الله تعالى اليه ان قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وسعت كل شيء وقيل يصلي اي يشيع لكم الذكر الجميل في عباده
وقيل يبارك عليكم وملائكته بالاستغفار والدعاء ليخرجكم من الظلمات من الضلالة الى النور الى الهدى ومن الكفر
الى الايمان وقيل من ظلمات جهنم الى نور الجنان وقيل من الجهل الى العلم والمعنى ليتسببوا الخروج من الظلمات الى النور
لانهم حين يصلي الله عليهم وملائكته في الظلمات وقيل يصلي يغفر لكم وملائكته تستغفر لكم وقيل في الاية
تقديم وتاخير تقديرها وسبحوه بكرة واصيلا ليخرجكم من الظلمات الى النور هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال صاحب
الكشاف لما كان المصلي من شأنه ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد
المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله
عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بترحم وترأف فما تصنع بقوله وملائكته
وما معنى صلواتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة
ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك
كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم حيث
يدعوكم الى الخير ويأمركم بالذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة
وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوات الرحمة ودليل على ان الصلوة المسندة الى الملائكة لا تكون بمعنى الرحمة
بل بمعنى الاستغفار ويمكن استعمال اللفظ المشترك في المفهومين عند اهل الحق ولا حاجة الى التكلف والتعسف
في حمل لفظ الصلوات على غير الصلوة والاستغفار نفيا للاشتراك قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام واعد لهم اجرا كريما ۞ روي انه لما نزلت قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه
ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه
اي يوم القيامة بسلام فيجوز ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وقيل تحيتهم يوم يلقونه
سلام يعني يسلم عليهم الملائكة يوم القيامة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم وقيل هو عند الموت والكناية ترد
الى ملك الموت كناية عن غير مذكور عن ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل سلام
الملائكة عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واعد لهم اجرا كريما اي اعطاهم الله
في الجنة قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ۞ شاهدا

لامته المؤمنين بتصديقهم وعلى الكافرين منهم بتكذيبهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل في الحكم قال صاحب الكشاف فان قلت كيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا
عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسئلة مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا
به الصيد غدا ومبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله اي الى التوحيد باذنه قيل لم يرد به حقيقة الاذن
وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق الملك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان
الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع
امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه
قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر وسراجا
منيرا يستضاء به عن ظلمات الشرك ويقتبس به نور البصائر كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويستضاء به اي امد الله بنور نبوته
نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار منيرا وصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت
فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر عليها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين
فقال ظلام ساتر وسراج فاتر ويجوز ان يكون التقدير وذا سراج وقيل وتاليا سراجا اي ذا كتاب منير قوله تعالى وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا ● قال جابر بن عبد الله لما نزلت انا فتحنا لك الآيات قال الصحابة هنيئا لك
يا رسول الله هذه الغاية فما لنا فانزل الله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي يعطيهم الزيادة على ما في
مقابلة الحسنة زيادة عظيمة قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا ● اي ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعونك اليه من مداهنة ومعناه الدوام والثبات على
ما انت عليه او التهييج ودع اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول اي دع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم
على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة باية السيف
وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه قال بعض الافاضل لما وصف الله نبيه بخمسة اوصاف قابل كلا منها
بخطاب يناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم
وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين ولا يبعد
ان يكون شاهدا على امته وامته شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه
اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر
فالاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان كل
من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على خلقه كان جديرا بان يكتفى به
عن جميع خلقه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ● اي اذا تزوجتم النساء المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن تجامعوهن قال صاحب الكشاف النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه
ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة
الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتفاع اسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى
الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان
والظاهر ان لفظ النكاح في العقد حقيقة شرعية فانه عرف الشرع لم يتبادر عند اطلاق لفظ النكاح الى الفهم
غير العقد وانما خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات تنبيها على ان اصل
امر المؤمن ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل
تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا
الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن في نكاح المؤمنات وفائدة ثم نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان
يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها وعند
الشافعي اذا خلا خلوة يمكنه معها المساس لا يقوم مقام المساس وعند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله
حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس فما لكم عليهن من عدة تعتدونها لخصوصكم عليهن بالاقراء والاشهر وهذا دليل
على ان العدة حق واجب للرجال على النساء تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك
كلتها فاكتالها ووزنته فاتزنه لا عدة على غير الموطوءة الا استبراء على امة لا يعرف بها ما لكها فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن
به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاذا فرض لها صداقا فلها نصفه قال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله
فنصف ما فرضتم وقيل هو امر ندب والمتعة مستحبة ونصف المهر واجب وسرحوهن وخلوا سبيلهن سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع واجب وقيل في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع وحكي عن خلائق لا اهل الكوفة
عن حبيب ابن ابي ثابت كنت قاعدا عند علي ابن الحسين رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة فهي
فلانة فهي طالق قال اذهب فتزوجها فان الله عز وجل بدا بالنكاح قبل الطلاق وقال يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن ولم ير شيئا وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا طلاق قبل النكاح قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك
مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما
ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ● اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع
البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك مثل
صفية بنت حيي وريحانة وجويرية ومارية وبنات عمك بنات العباس وابي طالب وغيرهما وبنات عماتك بنات
ابي طالب وغيرها وبنات عماتك من نساء عبد المطلب وبنات خالك وبنات خالاتك من نساء بني زهرة اللاتي هاجرن
معك الى المدينة كما هاجرت وجمع العم والخال وجمع العمات والخالات لان بنات العم وبني الخال الكثير دورهما في الكلام
لخفة التخفيف ولم يكثر ورودهما مع العمة والخالة الداخلات على الاصل قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال اللاتي آتيت
اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله
الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص واثره بما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية
المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها وسوق
المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجل وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية
اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب من ما يشترى من شق الجلب والسبي
على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبيثة
ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على
الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ
ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وسبية اخت على امرها قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت اليه ثم انزل الله انا احللنا لك الآية الى قوله هاجرن معك قالت فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت
من الطلقاء وامراة مؤمنة اي واحللنا لك امراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم من غير مهر ان اراد النبي
ان يستنكحها اي ذلك الحل خالصة للنبي دون المؤمنين فليس لامراة ان تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولي
ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا من خصائصه في النكاح كالتخيير والعدد في النساء وكان ينعقد النكاح
للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة اذا حضر الولي والشهود ابن عباس لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة
وهبت نفسها منه ولم يكن امراة عنده الا بعقد نكاح او ملك يمين واما قال الله ان وهبت على طريق الشرط والجزاء
قال الآخرون بل كانت عنده موهوبة قال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال الشعبي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من
الانصار وقال علي ابن الحسين والضحاك ومقاتل ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة ابن الزبير خولة بنت حكيم من بني
سليم فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال لهبتها نفسها وفي الهبة ارادة
استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته
هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ثم رجع الى الخطاب قلت الايذان
بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقال الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة
جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح
مؤبد فهما متنافيان وخالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصا
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة قد علمنا ما فرضنا
عليهم على المؤمنين في ازواجهم قال مجاهد يعني اربعا حتى لا يجاوزها قتادة هو ان لا نكاح الا بولي وشاهدين
وما ملكت ايمانهم يعني الولائد الاماء لكيلا يكون عليك حرج هذه راجعة الى اول الآية يعني انا احللنا
ازواجك بالمهر وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون عليك حرج قال صاحب الكشاف دل التنكير على ان الاحلال
خالصة وردت فان الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد
لها وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية
ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه
وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك
حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي
دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وكان الله غفورا للواقع في الحرج
تلزم قامر بهذه الاحكام رحيما بالتوسعة على عباده قوله تعالى ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من
ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ● ترجي تؤخر قرا حمزة والكسائي وحفص

يمينك ولا بأس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحرائر فلا عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل
للرجل بادلني امرأتك وابادلك بامرأتي اي تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فانزل الله ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن في موضع
الحال من الفاعل وهو الضمير في ان تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك بهن وقيل ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها فدخل بغير اذن
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ ادركت
ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن
الخلق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله
قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وكان الله على كل شيء رقيبا اي حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة
حدوده وتخطي حلاله الى حرامه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا
شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ● هذه الآية تضمنت قصتين احديهما الادب في امر الطعام والجلوس
والثانية امر الحجاب واكثر المفسرين على انها نزلت في شأن وليمة زينب قال انس بن مالك انا اعلم الناس بهذه
آية الحجاب لقد سألني عنها ابي بن كعب لما ابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اولم عليها بتمر
وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امي ام سليم بحيس في تور من حجارة فامرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو اصحابه
الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فقلت يا نبي الله قد دعوت
حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فاطالوا المكث
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه لكي يخرجوا معه فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء حجرة
عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك ثم رجع فاتى حجر نسائه
فسلم عليهن ودعون له ورجع الى بيت زينب فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون في البيت وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم شديد الحياء فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~شديد الحياء فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ فلما رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته خرجوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وضرب بيني وبينهم
سترا ونزلت هذه الآية قال قتادة ومقاتل كان هذا في بيت ام سلمة دخلت عليه جماعة في بيتها فاكلوا ثم اطالوا الجلوس
فتأذى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحيا منهم ان يأمرهم بالخروج والله لا يستحيي من الحق فانزل الله
الآية يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه اي وقت ادراكه ونضجه
قال ابن عباس نزلت في ناس يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم
يأكلون ولا يخرجون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت هذه الآية ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم اي اكلتم الطعام فانتشروا فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث ولا طالبين الانس لحديث وهو ان يحدث
الحاضرون بعضهم بعضا لاجل حديث يحدثه به او يستأنسون حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه و
توجيه وهو مجرور معطوف على ناظرين اي لا ناظرين ولا مستأنسين لحديث وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين
ولا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني اخراجكم حق
ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي عن بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق يعني لا يمتنع منه ولا يتركه ترك
الحيي وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال فاذا
طعمتم فانتشروا واذا سألتموهن متاعا حاجة فاسألوهن المتاع من وراء حجاب عن انس قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم فاتى باب امرأة عرس بها فاذا عندها قوم فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فاحتبس وقضى حاجته
ورجع وقد خرجوا فدخل وارخى بيني وبينه سترا قال فحدثت ابا طلحة فقال لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء
فنزلت آية الحجاب وعنه قال قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت آية الحجاب
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك
فلم يفعل وكان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلا الى ليل قبل المناصع وهو صعيد افيح فخرجت سودة
بنت زمعة وكانت امرأة طويلة فرآها عمر رضي الله عنه مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهو مع الناس في المجلس
فقال لهن احتجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فلم يلبث الا يسيرا حتى انزل الله
آية الحجاب وروي ان عمر رضي الله عنه امر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار
علينا والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
وقيل في سبب نزول الحجاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم
يد عائشة رضي الله عنها وكانت معهم فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب وعن انس قال
كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فجئت يوما لادخل فقال لي مكانك يا بني قد حدث بعدك امر لا تدخل

تلينا احدا الا باذن وما كان لكم وما ينبغي وما يصح لكم ان تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم فان نكاح ازواجه بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان عند الله عظيما وهو من اعلام
تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره
فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت
لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم
فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق
من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة
فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك روي انها نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
لانكحن عائشة بنت ابي بكر ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم
به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة احرى قوله تعالى
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا
ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ● لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله الآية اي لا اثم في ان لا يحتجبن من هؤلاء
ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب منهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم واتقين الله نقل
الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد اي واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه
الوحي من الاستتار واحتفظن فيه فيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها
وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن
وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ● هذه الآية شرف الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر منزلته منه وطهر
بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء او في نكاحه ونحو ذلك يصلون على النبي اي يثنون ويترحمون عليه
الظاهر انه تعالى يترحم عليه ويغفر له والملائكة يدعون له ويستغفرون له فيكون اطلاقا للفظ المشترك على معنيين
مختلفين وهو الصحيح عن ابن عباس يبركون يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه ترحموا عليه وادعوا له وسلموا تسليما وحيوه
تحية الاسلام عن كعب بن عجرة لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام
عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد وعن ابي سعيد الخدري قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس في مجلس سعد بن
عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله عز وجل ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وعن عبد الله اذا صليتم
الصلوة على النبي فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد روي انه قيل يا رسول الله ارأيت قول الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله تعالى وكل بي ملكين فلا
اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين والصلوة
على النبي واجبة فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي
يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد في الاخبار فاما ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله لا يرونها شرطا
والشافعي جعلها ركنا في الصلوة في التشهد الذي يسلم فيه واما الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
صلاة على غير النبي الا على آله تبعا وقيل القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى
وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها
ان كانت على سبيل التبع كقولك اللهم صل على محمد وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فمكروه
لانه صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ● ابن عباس نزلت في الذين طعنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

اتخذ

اتخذ صفية بنت حيي وعن عكرمة نزلت في المصورين الذين يرومون تكوين خلق مثل ما خلق الله وفي بعض الاخبار يقول
الله جل جلاله ومن اظلم ممن اراد ان يخلق مثل خلقي فليخلق حبة او ذرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله
المصورين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير
وقالت النصارى المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وقال المشركون الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقال قتادة في هذه الآية
ما زال اناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا اذى ربهم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله
ان الله لا يعيدني كما بداني وعن عكرمة فعل اهل النفاق يؤذون اولياء الله كما قيل مثله واسأل القرية وقول رسول الله حين فعل من
قبل الله احدهما اجل بحسنا وبخيه فكاعن الاهل فاراد الله المبالغة في النهي عن اذى اوليائه فجعل اذاهم اذى رسوله
ابن عباس حين شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل له ساحر وشاعر ومعلم ومجنون وروى العوفي عن ابن عباس
انها نزلت في الذين طعنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاحه صفية بنت حيي وقيل بترك سنته و
مخالفة شريعته قال صاحب الكشاف فيه وجهان احدهما ان يعبر باذاهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيان من الكفر والمعاصي
وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته
مجازا فيهما وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى
المجاز والحقيقة وجعله مجازا فيهما غير صحيح لانه ان اراد جعله مجازا في كل واحد منهما فلا يكون مستقيما اما الاول
فلانه حقيقة في احدهما فلا يكون مجازا فيه واما الثاني فلانه يلزم استعمال اللفظ في المفهومين المجازيين وهذا لا
عند من لا يجوز استعماله في المفهوم الحقيقي والمجازي وان اراد جعله مجازا فيهما من حيث المجموع فلا يصح لانه لا بد من
بين المفهوم الحقيقي والمجازي علاقة معتبرة وثانيهما قال صاحب الكشاف ان يراد يؤذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا بالقتل
والجلاء وفي الآخرة بالنار والعذاب الاليم واعد لهم عذابا مهينا ثم قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما
من غير ان عملوا شيئا اوجب اذاهم وقيل يرمونهم بما ليس فيهم فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا بغير ما اكتسبوا
عملوا شيئا اوجب اذاهم وقيل يرمونهم بما ليس فيهم فقد احتملوا بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ظاهرا الحسن وقتادة
اياكم واذى المؤمن فانه حبيب ربه احب الله فاحبه وغضب لربه فغضب الله له وان الله يحفظه ويؤذي من اذاه مجاهد يعني
يقعون فيهم ويرمونهم بغير ما عملوا مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذلك ان ناسا من المنافقين كانوا يؤذونه
ويسمعونه وقيل في شأن عائشة رضي الله عنها الضحاك والسدي والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في
طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم
انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الامة لان زيهن كان واحدا انما يخرجن في درع
واحد وخمار الحرة والامة فشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ● يرخينها عليهن ويغطين وجوههن ويتقنعن بها
ويغطين بها وجوههن وصدورهن ليعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن ولا يؤذين فذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا
يؤذين وكان الله غفورا لما سلف منهن من ترك الستر رحيما بهن اذ سترهن عن ابن عباس وعبيدة امر الله نساء
المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة قال انس مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية
متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القي القناع قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا ● لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض فجور يعني الزناة والمرجفون في المدينة بالكذب
والباطل وذلك ان ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قتلوا وهزموا
وكانوا يقولون قد اتاكم العدو ونحوها وقال الكلبي كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار وان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
لنغرينك لنسلطنك عليهم بان نأمرك بقتالهم بل وقد اغري بهم فقيل له جاهد الكفار والمنافقين وقال يوم الجمعة اخرج
يا فلان من المسجد انك منافق قم يا فلان فانك منافق ثم لا يجاورونك فيها اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا زمانا
حتى يرتحلوا فيها وقيل حتى يهلكوا وقيل الا قليلا منهم بما يعملون ويتلطفون انفسهم وعيالهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على
سبيل المجاز ملعونين منصوب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف
والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
وقيل هو منصوب على الحال اي يصابون مجاورونك الا ملعونين ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز
ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك قال صاحب الكشاف فما كان من حق لا يجاورونك
ان يعطف بالفاء وان يقال فلنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا
للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به
فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه اينما ثقفوا اصيبوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قتادة ذكر لنا ان المنافقين
ارادوا ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فاوعدهم الله في هذه الآية فكتموه عن انس كان بين رجل وبين ابي بكر شيء فقال الرجل

من ابي بكر رضي الله عنه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجهه فقال ما لكم ذروا لي اصحابي
احفظوني فيهم لان عليهم حافظا من الله ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان
يأخذه قوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة الله في موضع مصدر
مؤكد سن الله ذلك في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا
ولن تجد لسنة الله تبديلا قيل المعنى لا يبدل لسنته بل يجري مجرى واحدا في الامم وقيل معناه لا يقدر احد على تغيير
سنة الله وتبديلها قوله تعالى يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
يسألك الناس اي المشركون عن الساعة اي عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزؤ وكان اليهود كانوا
يسألون امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فقل انما علمها عند الله امر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك ثم بين الله لرسوله انها قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قرب
قوله تعالى ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ● يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ● ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الايقاد خالدين فيها في النار ابدا دائما لا يجدون وليا يحفظهم
ولا نصيرا يمنعهم يوم تقلب وجوههم معناه تغير وجوههم عن احوالها وتحول عن احوالها وقيل تطرح وجوههم
في النار يقلبون من شق الى شق وخص الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون
الوجه عبارة عن الجملة يوم منصوب بيقولون وقيل منصوب باذكر مقدرا ويقولون حال يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فنتخلص من هذا العذاب اي تمنوا الايمان حين لا ينفع [illegible]
مراعاة للفواصل وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا قادتنا وكبراءنا رؤساءنا في الشرك والضلالة قرأ ابن عامر ساداتنا
بالالف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع والباقون بغير الف وفتح التاء فاضلونا السبيلا اي [illegible] عن طريق
الحق وسبيل نجاتنا بما مر عضدنا السبيل مقاتل هم المطعمون يوم بدر ربنا آتهم ضعفين من العذاب ضعفا
لضلالهم وضعفا لاضلالهم وقيل عذاب الدنيا والآخرة والعنهم ابعدهم عن رحمتك لعنا كبيرا دائما متواليا
لا ينقطع قرأ عاصم كبيرا بالباء والباقون بالثاء كثيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه وكثيرا لتكثير العدد لعنا
بعد لعن ويلعنهم اللاعنون لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ● فبرأه الله فطهره الله مما قالوا اي احذروا ان تكونوا مؤذين
للنبي صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى فاظهر الله براءته مما قالوا فيه وكان موسى عند الله وجيها ذا جاه
ومنزلة وقيل محببا مقبولا وقيل وجيها لم يسأل شيئا الا اعطاه غير الرؤية كان بنو اسرائيل يغتسلون
عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنعه ان يغتسل معنا الا انه
آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة
موسى عليه السلام روى الحسن وابن سيرين في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا
حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب
بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثوبه على حجر
ثم اغتسل فلما فرغ من غسله اقبل على ثوبه ليأخذه فعدا الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي
حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وابرأه الله مما كانوا يقولون وقيل اذاهم اياه ادعاؤهم
عليه قتل اخيه هارون عليهما السلام عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال صعد موسى
وهارون عليهما السلام الجبل فمات هارون فقالت بنو اسرائيل انت قتلته وكان اشد حبا لنا منك والين لنا فآذوه
بذلك فامر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل انه قد مات فبرأه
من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع احد من خلق الله على قبره الا الرخم فجعله الله اصم ابكم وقال ابو العالية انه
استأجر مومسة لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون
وقد مضت قصته قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم
ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ● قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق عكرمة هو لا
اله الا الله مقاتل بن حيان يعني قولوا في شأن زينب وزيد ولا تنسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل والمراد
نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ
اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم
الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق
في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة لما قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة
موسى

موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة
الفوز العظيم اتبعه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ● العرض على اعيان هذه الاشياء فالهمهن الله خطابه وانطقهن
وقيل عرضها على اهلها كالملائكة وهذا كقوله واسأل القرية وآية الامانة اكثر المفسرين الامانة هي الطاعة
والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا
ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها وقالوا نحن مسخرات لامرك لا نريد
ثوابا ولا عقابا فقال الله تعالى لآدم اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما
فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها آدم عليه السلام فقال بين اذني وعاتقي فقال الله
اما اذا تحملت فسأعينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين
وغلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك فما لبث آدم عليه السلام الا مقدار ما
بين الظهر والعصر حتى اخرج من الجنة مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه
الاسلام وغيره هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من شرائع الدين عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس بوضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن
واعطى الزكاة من ماله طيبا بها نفسه وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن وصام رمضان وحج البيت
ان استطاع اليه سبيلا وادى الامانة قالوا يا ابا الدرداء وما اداء الامانة قال الغسل من الجنابة فان الله عز
وجل لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها وعن ابي بن كعب قال من الامانة ان ائتمنت المرأة على فرجها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
اول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد
امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقيل امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا
ولا معاهدا في شيء قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس السدي هي ائتمان آدم ابنه قابيل على اهله وولده
وخيانته اياه في قتل اخيه وذلك القصة ان الله تعالى قال لآدم يا آدم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال
فان لي بيتا بمكة فأته فقال آدم عليه السلام للسماء احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وللجبال فابت فقال
لقابيل فقال نعم تذهب وترجع فتجد اهلك كما يسرك فانطلق آدم عليه السلام فرجع وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله
عز وجل انا عرضنا الامانة الى قوله انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل امانة آدم ثم لم يحفظ له اهله وقال
الآخرون وحملها الانسان يعني آدم ثم اختلفت عباراتهم في معنى الظلوم والجهول فقال ابن عباس والضحاك
ظلوما لنفسه جهولا غرا بامر الله تعالى وما احتمل من الامانة قتادة ظلوما للامانة جهولا لامر ربها الكلبي ظلوما
حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة الحسين بن الفضل انه كان ظلوما جهولا عند الملائكة
لا عند الله قال صاحب الكشاف انا عرضنا الامانة يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شأنها وفيه وجهان
احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى
من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية
على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق
به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من
الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجماد
وإباؤها واشفاقها فاما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل الامانة ومحتمل لها يريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي
عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل النصرة
ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل اخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات
الكتائف اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق
اخيه لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين
الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه
ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من
الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة
قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها وما جاء القرآن الا على طرقهم
واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور
مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا
هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل
محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى مثلت

[illegible]

سورة السبأ

[illegible]

قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ● يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ●

[illegible]

ولا مرتبة فوق الوصول إليه وهو الرحيم وهو مع كثرة فضله وتنوع نعمه [illegible] الرزق من السماء الغفور
للمفرطين في أداء مواجب شكرها عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال [illegible] عند العروج
قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك
لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ● ثم بين أن هذه النعم الأخروية
بها الحمد وهي نعمة الآخرة أنكرها قوم وجحدوا قائلين هذه المقالة أبو سفيان بن حرب قال واللات والعزى ما ثم ساعة تأتي
ولا قيامة ولا حشر فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه نقضًا لمقالة أبي سفيان تكذيبًا لما قاله
وإيجابًا لما نفاه لا تأتينا الساعة نفي البعث وإنكار لمجيء الساعة واستبطاء لما وعدوه من قيامها فقيل إنما قالوه على سبيل
الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتأتينكم أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد
إيجابه للإثبات مؤكدًا بما هو الغاية في التوكيد على الشيء وهو التوكيد باليمين بالله ثم أمد التوكيد القسمي إمدادًا بما أتبع
المقسم به من الوصف بما وصف به لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته
لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعبًا وأبين فضلًا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد
والمستشهد عليه أثبت وأرسخ عالم الغيب قرأ نافع وابن عامر عالم بالرفع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو بالجر وحمزة والكسائي
علام بالجر واللام مشددة قبل الألف من كسر فعلى معنى الحمد لله عالم الغيب ومن رفع جاز أن يكون عالم الغيب خبر مبتدأ
محذوف تقديره هو عالم الغيب ويجوز أن يكون ابتداء خبره لا يعزب عنه وقرأ الكسائي وحده لا يعزب بكسر
الزاي قال صاحب الكشاف فإن قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك أن قيام
الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب [illegible] وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا
[illegible] شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة [illegible]
[illegible] في معتقدهم مفترى على الله كذبًا فكيف يكون مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة
القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له
من الثواب والمسيء لا بد له من العقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلًا له مثقال ذرة مقدار أصغر نملة
فلذلك أشار إلى مثقال ذرة ولا أكبر قرأ نافع أصغر وأكبر بالفتح عطفًا على ذرة والباقون بالرفع عطفًا على [illegible]
مثقال الذرة إلا في كتاب مبين إلا في اللوح المحفوظ وإنما كتب جريًا على عادة المخاطبين لا مخافة نسيان وليعلم أنه لم يقع
خلل [illegible] ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم وقيل [illegible]
وقيل [illegible] الكرامة وقيل كريم على من يعطيه الله وهو الجنة والذين سعوا في آياتنا في إبطال أدلتنا والتكذيب بها معاجزين
مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا أولئك لهم عذاب من رجز أليم قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم أليم بالرفع على نعت عذاب
والباقون بالجر على نعت الرجز والرجز أسوأ العذاب قوله تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك
هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ● أي ويعلم الذين أوتوا العلم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن
تكون الآية مكية وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل ويرى في محل نصب عطفًا على قوله ليجزي
أي وليعلم الذين أوتوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق [illegible] في الإيقان ويحتج به على الذين كفروا وتولوا
ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزداد حسرة وغمًا والذي أنزل إليك من ربك هو المفعول الأول
ويرى هو الحق هو فصل والحق المفعول الثاني [illegible] ويهدي [illegible] إلى صراط العزيز الحميد [illegible]
الإسلام ● قوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ● افترى
على الله كذبًا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ● لما
بين أنهم أنكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتأتينكم وبين ما يكون بعد إتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء
الساعي في تكذيب الآيات بالتعذيب بين حال المؤمن والكافر بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم بلى وربي [illegible]
فقال المؤمن الذي أنزل إليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هذا الذي يقوله باطل [illegible]
قالوا ما قالوا وقال الذين كفروا يعني كفار مكة هل ندلكم قالوها على جهة التعجب والهزء أي قال بعضهم لبعض [illegible]
[illegible] قال قتادة ولما كان البعث عندهم من العجب [illegible]
[illegible] ينبئكم [illegible] ويصح أن يكون العامل ما دل عليه إنكم لفي خلق
جديد [illegible] الكلام ينبئكم أنكم لفي خلق جديد إذا مزقتم قال الذين كفروا منكرين للبعث [illegible]
متعجبين منه هل ندلكم على رجل يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم ينبئكم إذا مزقتم قطعتم وفرقتم كل ممزق [illegible]
[illegible] إنكم لفي خلق جديد افترى همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل
فأسقطت همزة الوصل [illegible] الاستفهام
[illegible] افترى على الله كذبًا [illegible]
[illegible]

او علام الغيب

حسن

ويرى في موضع الرفع

ولم يجزم بانه مفترى بل قال ايفترى ام لا قال احترازا من ان يقول قايل كيف يقول بانه مفتر مع انه يجوز ان يظن انه الحق فلا يكون
الصدق فيمنع تسمية القايل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع لانه قال بعض الحاذقين ان ذا الحيرتين اسد لحيي وقد قال
كذبت واما سمعت من قلدنا انه ما قصدت انه صادق فبرفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا من يثبتي كذبهم
وكلامهم يدل على انه بحيث عن طعنهم وكذبه عند الناس ولا يكون العاقل الا واحد وجهة من الكذب قال الله تعالى اجابهم مرة لهم
فقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد في مقابلة قوله به جنة
وكلاهما مناسبا اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق قبيح عظيم لان شهادة عليه بانه يستحق العذاب
فجعل عليهم في الجواب واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذاء فانه لا يشهد عليه بانه يعذب
ولكنه ينسبه الى عدم الهداية فبين انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من سمى المهتدي ضالا يكون اضل
والنبي صلى الله عليه وسلم كان هادي كل مهتد قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد
المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم
وعرضوا لهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج
التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا اعموا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا انهم حيث ما كانوا وانما ساروا امامهم وخلفهم السماء والارض محيطان بهم
لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارها وان يخرجوا منها وانا القادر عليهم لا يعجزون ان نشأ نخسف او نسقط قرئتا
بالياء والنون لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك
النظر الى ما بين ايديهم من السماء والارض لآية دلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له لان المنيب لا يخلو
من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا
يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير انه تعالى
لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود عليه السلام كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب فبين ما آتاه الله على انابته فقال ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال الا انه ان يكون بدلا من فضلا او بتقدير قولنا
قلنا يا جبال وقيل فضلا بنبوة وكتابا وهو الزبور وصوتا بديعا وقوة وقدرة وتسخير الجبال والطير اوبي من التأويب
اي رجعي معه التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع وقيل سيري معه اذا سبح ابن ميسرة وحي بلسان الحبشة
وقيل نوحي معه والطير يسعدك على ذلك وكان داود اذا بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه
فصدى الجبال الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم وقيل كان داود عليه السلام اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال
تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان ينوح اذا لحقه الملال في نفسه لاعبدن الله عبادة لم يعبده احد بمثلها فصعد
الجبل فلما كان في جوف الليل وهو على الجبل داخلته وحشة فاوحى الى الجبال ان تسبحه او قال فاصطكت الجبال
بالتسبيح والتهليل فقال داود في نفسه كيف تسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه ملك فاخذ بعضده حتى انتهى
به الى البحر فركله برجله فانفرج له البحر فانتهى الى الارض فركلها برجله فانفرجت له الارض حتى انتهى به الى الحوت فركلها
برجله فتحت عن صخرة فركل الصخرة برجله فانفلقت فخرجت منها دودة تنش فقال له الملك ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة
في هذا الموضع وقال القتيبي اصله التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا قال ابن مقبل
لحقنا بحي اوبوا السير بعدما ... دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح ... كأنه اراد اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقيل
سيري معه كيف شاء والطير نصب بالعطف على محل الجبال اذ محله منصوب على انه مفعول معه وقيل منصوب بالعطف على
فضلا بمعنى وسخرنا له الطير قال صاحب الكشاف فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية
حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان و
جماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد جعلناه في يده لينا كالشمع يعمل منه
بيده ما يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وكان سبب ذلك على ما روي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل
كان من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه يتقدم اليه ويسأله عن داود ويقول له ما تقول
في داود فيكم هذا الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينا هو في ذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة
آدمي فلما رآه داود عليه السلام تقدم اليه على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك
فقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا
يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد فصار في يده مثل الشمع وعلمه صنعة
الدروع فكان يتخذ الدروع وانه اول من اتخذها وكان يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله
ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقيل انه الان له الحديد في يده اعطي ما اعطي من القوة ان اعمل سابغات
دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد اي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وهو اول من اتخذ الدروع
وكانت قبل ذلك صفائح والسرد صنعة الدروع ونسجها ومنه قيل لصانعها السراد والزراد واصله الوصل وهو نظم

من اليوم الثاني سجد داود وسجد واسعه مع طلوع الشمس فلم يرفعوا رؤسهم حتى كشف عنهم الطاعون قالوا فلما ان رحم
الله تعالى داود وبني اسرائيل في ذلك المكان جمع داود بني اسرائيل بعد ثلاث فقال ان الله سبحانه قد من عليكم ورحمكم
فجددوا له شكرا قالوا وكيف تامرنا قال امركم ان تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم
ومن بعدكم ذاكرا فلما ارادوا ان يتخذوا البناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم كيف اخلاصهم وتوبتهم فقال لبني اسرائيل
ان لي فيه مقاما انا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عنه فقالوا له يا هذا ما احد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا اعرف حقي وانتم لا تعرفون فقالوا اما ان ترضى
وتطيب نفسا والا اخذناه كرها فقال لهم وتجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود عليه السلام قال فرفعوا خبره
الى داود ترضون فقالوا نحكم ناخذه يا نبي الله قال احدنوا بمائة شاة قال الرجل زد قال داود بمائة بقرة قال زد قال بمائة
من الابل قال زد قال فما تشتهي يا نبي الله تعالى فقال داود عليه السلام اما اذا ابيت فاحتكم فقال تشتري مني بحائط
مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم قال تشتريه لله فلا تبخل قال سل ما شئت اعطكه قال تشتري جنانا اسرفيا
ثم تملاه ذهبا وان شئت ورقا قال داود عليه السلام هو هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال هذا هو التائب الحقيق
ثم قال لداود يا نبي الله لان يغفر الله عز وجل لي ذنبا واحدا احب الي من كل شيء وهبته لي ولكن كنت اختبركم قال فاخذ
في بناء بيت المقدس وكان داود عليه السلام ينقل الحجارة على ما نعته كذلك خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة فاوحى الله
تعالى الى داود ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك للدماء فلست تبنيه اذا لم اقض ذلك على يديك ولكن ابن لك
املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره لك باقيا فصلوا
فيه زمانا وداود يومئذ ابن سبع وعشرين ومائة سنة فلما صار من ابناء اربعين ومائة سنة توفاه الله عز وجل
واستخلف سليمان عليهما السلام فاحب اتمام بناء البيت المقدس فجمع الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها
الابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض منها
سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا يستخرجون الذهب والفضة من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون الجواهر من اماكنها وفرقا ياتون
بالمسك والعنبر وسائر الطيب من اماكنها فاتي من ذلك بشيء لا يحصيه الا الله ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك
الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا
شديدا لصلابتها فكره سليمان عليه السلام تلك الاصوات فدعا الجن فقال هل منكم حيلة في نحت هذه الجواهر من
غير تصويت فقالوا يا نبي الله ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فارسل الى اليمن ياتيك به فطبع سليمان
عليه السلام بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع احدهم بخاتمه لمع ذلك
كالبرق الخاطف وكان لا يراه احد جني ولا شيطان الا انقاد له باذن الله عز وجل قال فارسل الطابع مع عشرة
من الجن فاتوه وهو في بعض جزائر البحر فاروه الطابع فلما انظر اليه كاد تصعق خوفا فاقبل مسرعا مع الرسل حتى

وليلة فتغيب في الصندوق حتى وصل الى قراحه فوجد سليمان مع العقاب لعفر الجن حتى اتوه به قد رماهم ان فذلك
كما يبدا ستعمل الجماد وان الصفاح فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذي يستعمل في نقش الحجارة وثقب
الجواهر الى اليوم وهو حجر ثمين جدا قال فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر وعمده باساطين المها الصافي
وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح
الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما
فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله عز وجل وان كل شيء فيه خالص لله تعالى واتخذ اليوم الذي فرغ ذلك منه
عيدا قالوا ومن اعاجيب ما اتخذ سليمان عليه السلام ببيت المقدس انه بنا بيتا وطين حيطانه بالخضرة وصقله فكان اذا
دخله الورع البار استبان خياله في ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله فيه اسود فارتدع عنده
ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في كل زاوية من زوايا المسجد عصى ابنوس وكان لا يمسها من اولاد الانبياء
بيضرو مستها ومن مسها من غيرهم احترقت يده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون قد
اعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ان لا يأتي
هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل
بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه وحيطانه
من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحمله معه الى دار مملكته من ارض العراق قال سعيد بن المسيب لما
فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات ابي داود الا ما فتحت
ففرغ له سليمان عشرة الاف من قراء بني اسرائيل خمسة الاف بالليل وخمسة الاف بالنهار فلا تاتي ساعة من ليل ونهار الا والله
وجل يعبد فيها وتماثيل اي صور كانوا يعملون له تماثيل من صفر ونحاس وشبه وزجاج ورخام في المساجد تماثيل
الملائكة والنبيين والصالحين لكي اذا رآهم الناس مصورين عبدوا عبادتهم وجفان اي قصاع واحدتها جفنة
كالجواب كالحياض التي يجبى فيها الماء اي يجمع واحدتها جابية قال الاعشى تروح على آل المحلق جفنة كجابية
الشيخ العراقي تفهق ● الحسن وجفان كالجواب مثل حياض الابل وقيل انه كان يجتمع على جفنة واحدة الف رجل
بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا يحولن ولا يحركن من اماكنهن لعظمهن ولا ينزلن ولا يعطلن وكانت باليمن ومنه قيل
للجبال رواسي اعملوا اي وقلنا اعملوا آل داود شكرا يعني اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على نعمه وشكرا في محل المصدر
على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل فيه للمنعم شكر له وقيل انتصب شكرا على انه مفعول
له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر وقيل انتصب على
الحال اي شاكرين وقيل يجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا
على طريق المشاكلة وقليل من عبادي الشكور وقرا حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها والشكور المتوفر على اداء الشكر
الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا اكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله
كلها الشكر من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وقيل ان داود جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم
تكن تاتي ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي فيهم الله تعالى في هذه الاية اعملوا آل داود شكرا
قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ● قال اهل التفسير كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان بدو ذلك انه لم يكن
يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لها لاي شيء انت
فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت لدواء كتب حتى بينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى
شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء نبتت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه
وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس فنزعها فغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى
يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في غد ثم دخل
المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ومات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن يعملون تلك الاعمال
الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون الى سليمان فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا ولا ينكرون احتباسه عن
الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته
قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في جوف الخشب وقيل ان سليمان عليه السلام قال لملك الموت سلام الله عليهما اذا امرت
بي فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه وفي رواية اخرى ان سليمان عليه
السلام قال ذات يوم لاصحابه قد اتاني الله ما ترون وما مر علي يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر وقد احببت ان يكون لي
يوم واحد يصفو لي من الكدر فلا اهتم فيه وليكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وامر باغلاق ابوابه
ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيئا يسوءه ثم اخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره
واتكأ على عصاه ينظر في ممالكه اذ نظر الى شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جوانب قصره فقال السلام
عليك يا سليمان فقال وعليك السلام كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله الا بامري اما بوابك الحجاب اما استحيت
حيث دخلت قصري بغير اذني فقال انا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب ولا اهاب الملوك ولا اقبل الرشا وما كنت

لأدخل هذا القصر بغير اذنه فقال سليمن فمن اذن لك في دخوله قال ربه فارتعد سليمن عليه السلام وعلم انه ملك الموت قال
نعم قال النبي جئت لا تبقين روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان يصفو لي ولا اسمع فيه ما يغمني فقال يا سليمن
انك اردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه ذلك اليوم لم يخلق في ايام الدنيا فارض بقضاء ربك فانه
لا مرد له قال فامض لما امرت به فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حول
محرابه ومصلاه اينما كان وكان المحراب كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد ان يخلع يقول الست جليدا
ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من اولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى
سليمن في المحراب الا احترق فمر فلم يسمع صوت سليمن ثم رجع فلم يسمع صوت سليمن ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق
ونظر الى سليمن عليه السلام قد سقط ميتا فاخبر الناس ان سليمن قد مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي
العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا
على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانت الجن تعمل بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه
عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك فما دلهم على موته الا دابة الارض وهي الارضة تاكل منسأته اي عصاه واصلها
من نسأت الغنم اي زجرتها او سقتها فلما خر سقط على الارض تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين اي ما عملوا مسخرين وهو ميت وهم يظنونه حيا وقيل تبينت الجن بمعنى علمت لانها كانت توهم باستراقها السمع انها
تعلم الغيب علمت خيبتهم وخطأها في ظنها قوله تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم
فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ● لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر
داود وسليمن عليهما السلام بين حال الكافرين بانعمه بقصة اهل سبا قرأ حمزة وحفص عن عاصم مسكنهم بفتح الكاف
والباقون مساكنهم روي ان سائلا سأل رسول الله عن سبا اكان رجلا او امرأة او ارضا او جبلا او واديا
فقال صلى الله عليه وسلم ليست بارض ولا امرأة ولكنه كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم
اربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير فقال الرجل وما انمار قال الذين منهم خثعم
وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان ومن قرأ بالفتح وترك الصرف جعله اسما للقبيلة والارض وكثير من
جعله اسما للحي او اسما للرجل وكل ما جاز حسن آية دالة على وحدانية الله وقدرته جنتان بدل من آية بستانان عن يمين
من اتاهما وشماله كلوا وقيل لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له على ما انعم عليكم وقد تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال بلدة اي
هذه بلدة او بلدتكم بلدة طيبة ليست بسبخة ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب
ولا حية وان كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هو الا ان ينظروا الى بيوتهم فيموت الدواب وكان الانسان
ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من انواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده
فذلك قوله تعالى بلدة طيبة اي ورب غفور الخطايا كثير العطايا فاعرضوا وهب بعث الله عز وجل الى سبا ثلثة عشر نبيا فدعوهم
الى الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة فقولوا لربكم الذي تزعمون
فليحبس عنا هذه النعم ان استطاع فذلك قوله تعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم والعرم السيل والمسناة التي
تحبس الماء واحدتها عرمة واصلها من العرامة وهي الشدة والعوم عن ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السيل يسقي جنتيهم
وكان مما ذكر بنته بلقيس وذلك انها لما ملكت وجدت قومها يقتتلون على ماء واديهم فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت
ملكها وانطلقت الى قصر لها وتركتهم فلما كثر الشر بينهم وندموا اتوها فارادوها ان ترجع الى ملكها فابت فقالوا لترجعن
او لنقتلنك فقالت انكم لا تطيعوني وليست لكم عقول فقالوا انا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجاءت فامرت
بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار وحبست به ماء العيون والامطار
وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدد انهارهم
فلما جاء المطر اجتمع اليها السيل واودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة
وامرت بالبعير فالقي فيها فجعل بعض البعير يخرج اسرع من بعض فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر في الماء حتى خرجت
جميعا معا وكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شانها وشان سليمن ما كان وبقوا على ذلك بعدها فكانوا يسقون
من الباب الاعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فلما طغوا
واعرضوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقبه من اسفله فغرق الماء جنانهم وخرب ارضهم قال وهب
وكانوا يزعمون يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم هذا فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرا
فلما جاء زمانه وما اراد الله بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت
منها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى وهنته للسيل وهم
لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا
ومزقوا حتى صاروا مثلا عند العرب فقالت تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا فذلك قوله فارسلنا عليهم سيل العرم وبدل

[illegible]

الكفور مجازاة فيجازي بمعاقبة وقيل المؤمن يكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازي بجميع ما يفعله من السوء
قال صاحب الكشاف وجعلهم وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة
فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور وهل يعاقب
وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن
لانه لم يرد بالجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم
بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي
لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها قيل هي قرى الشام متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها وقيل ظاهرة متواصلة بعضها من بعض لتقاربها فهي
ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم الحسن كان احدهم
فيقيل في قرية ويروح فيأوي الى قرية اخرى وكانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها ثم تمتهن بمغزلها فلا
تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك ابن عباس قرى ظاهرة يعني قرى عربية بين المدينة
والشام سعيد بن جبير هي العربي الى ما بين بيت المقدس والشام مجاهد هي السروات وهب هي قرى صنعاء وقدرنا فيها
السير اي جعلنا السير بين قراها وبين القرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية ولا ينزلون الا
في قرية ولا يغدون الا في قرية فلا يخافون جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاجون الى حمل زاد وقلنا لهم سيروا فيها
اي مكنا لهم سيروا فيها ليالي واياما ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه كانهم امروا بذلك واذن لهم
فيه ليالي واياما او وقت شئتم آمنين ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات
او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامكم مدة
اعماركم فانكم في كل حين وزمان آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا ولا تحتاجون الى زاد ولا ماء ثم
بطروا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كان جنى جناننا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود فيها الازواد فعجل الله لهم الاجابة قرأ ابن كثير
وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين والسؤال من التبعيد وهي رواية هشام عن قراء الشام ويعقوب ربنا بالرفع باعد
بفتح العين والدال على الخبر استبعدوا اسفارهم بطرا منهم واشرا وقرأ الباقون ربنا بالنصب على الامر منادى
مضاف فباعد بالالف وكسر العين وجزم الدال على الدعاء ففعل الله ذلك بهم وظلموا انفسهم حين عدوا النعمة نقمة
والاحسان اساءة فجعلناهم احاديث عظة وعبرة يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم يضرب بهم المثل فيقال
تفرقوا ايدي سبا وصاروا ايادي سبا ومزقناهم فرقناهم في البلاد كل ممزق كل تمزيق لهم غاية ما يكون من التمزيق
وتبديل الشمل اما غسان فلحقوا بالشام وانمار بيثرب وخزاعة بتهامة والازد بعمان ان في ذلك في قصتهم
لآيات لكل صبار عن المعاصي على الطاعة وعن المعصية شكور للنعم قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك
على كل شيء حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ● قرأ عاصم وحمزة والكسائي صدق بالتشديد اي حقق عليهم ظنه
او وجده صادقا والباقون بالتخفيف اي صدق عليهم في ظنه بهم او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ومعناه انه
حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال لاحتنكن ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم
ولامنينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها فصدق ظنه على اهل سبا او جميع
الناس كلهم فاتبعوه في ذلك الا فريقا من المؤمنين قلل المؤمنين لانهم قليل بالاضافة
الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له لابليس عليهم على الذين صار ظنه

فيهم صدق ابليس ظنه من سلطان تسلط وجبر واكراه وقيل حجة وبرهان وقيل استيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم
الا لنرى ونميز ونعلمه موجودا ظاهرا كما نعلمه من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك قال صاحب الكشاف الا لغرض صحيح
وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالاخرة من الشاك فيها فعلل التسليط بالعلم والمراد ما يتعلق به العلم وقيل الا استثناء
منقطع اي لكن ابتلينا المكلفين بوساوسه لنعلم وقيل متصل وتقديره ما خلينا بينهم وبين وساوسه الا لنعلم
من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك اي ليظهر المسلم من الكافر والمطيع من العاصي ليقع الثواب والعقاب بعد ظهور
الافعال منهم وان كان الله عالما بذلك وقيل لنعلم عندكم كما قلنا وهو اهون عليه عندكم وقيل معنى لنعلم لنميز
وقيل لنعلم ايمان المؤمن وشك الشاك موجودين كما علمناه غيبا وربك على كل شيء حفيظ محافظ وقيل وفعال
متاخيا قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم
باسم الله كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون الى الله ثم انتظروا استجابتهم دعاءكم ورحمتهم كما تنتظرون
ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم ووصفهم فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير ونفع او شر وضر في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما في السموات والارض من شرك اي شركة في الخلق ولا في الملك وما له اي لله منهم من ظهير
عون يعينه على تدبير خلقه يعني انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا
كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد والمفعول الاول لزعمتم الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول
والمفعول الثاني ايضا محذوف تقديره الذين زعمتموهم الهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف الهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعمتم محذوفان جميعا بسببين مختلفين
ولا يجوز ان يكون من دون الله مفعولا ثانيا لزعمتم لان قولك ادعوا الذين زعمتموهم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا يملكون
لانهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا حقا وتوحيدا قوله تعالى
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
تقول الشفاعة لزيد على معنى ان زيدا الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد
فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة
الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه وقيل هي
اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى ان كل من عبدتموهم
الهة من دون الله لا يملكون مثقال ذرة ولا تنفع شفاعتهم الا باذن لمن آمن كما قال ولا هم يشفعون على الحد
الذي ظننتم انتم تركه الا لمن اذن له قيل معناه لمن اذن له ان يشفع فيه وقيل معناه لمن اذن
له ان يشفع هو والاولى ان يحمل عليهما لان الاذن اذا اذن للمشفوع فيه فالشافع لا محالة عالم معين لذلك
قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة وابن كثير ونافع وابن عامر بفتحها واختلف فيها عن عاصم حتى اذا فزع
قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بفتحها واختلف فيها عن عاصم حتى اذا فزع قرأه ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي
والباقون بضم الفاء وكسر الزاي قال صاحب الكشاف فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي
شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة
والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه
الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا من الزمان فزعين
وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن
تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
واختلف اهل التفسير في هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب الذي من اجله فزع عن قلوبهم
فقال قوم هم الملائكة ثم اختلفوا في سبب ذلك فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم كلامه
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة
على الصفوان فيصعقون ويخرون سجدا فاذا علموا انه وحي فزع عن قلوبهم فترد اليهم ارواحهم فينادي اهل السموات بعضهم
بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق وعنه مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا تكلم بالوحي
سمع اهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل
فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فينادون الحق الحق وقال بعضهم
انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال الكلبي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترة زمانها طويل لا يجيء فيها
الرسل خمسمائة وخمسين عاما فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله عز وجل جبريل عليه السلام بالرسالة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة الصوت ظنوا انها الساعة قد قامت فصعقوا مما سمعوا فلما
انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل اهل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم فلم يدروا ما كان ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات

من اشراط

من اشراط الساعة فلما بعثه الله فزع اهل السموات لانهم ظنوا انها الساعة وقال الضحاك ان الملائكة المعقبات
الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم اذا ارسلهم الرب عز وجل فانحدروا يسمع لهم صوت شديد فيحسب الذين
هم اسفل من الملائكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من الساعة وهذا التنبيه
وان اخيار الملائكة مع هذه الصفة لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد الا لمن يؤذن لهم واذا اذن لهم وسمعوا وحيه كانوا هذه
حالهم فكيف تشفع الاصنام وقال اخرون بل الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع
عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا به
حين لم ينفعهم الاقرار يدل على ذلك قوله تعالى في اخر السورة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو العلي الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قوله تعالى قل من يرزقكم من
السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين امر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله من يرزقكم اذ ليس لهذا الكلام جواب
غير هذا وقيل ذلك للاشعار بانهم مقرون بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله يرزقهم لزمهم
ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء
والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقولون بالسنتهم مرة ومرة
كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل
افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد
على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا على جهة الانصاف في الحجة كما
يقول القائل لصاحبه احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد بل احد
الفريقين لمهتد والاخر ضال فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير
ان يصرح بالتكذيب قال صاحب الكشاف معناه ان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض
بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من
الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم
من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل
الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول حسان رضي الله تعالى عنه
اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق والهدى كانه مستعل
على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه قوله تعالى قل
لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا الكلام ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها
مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم
قل يا محمد لهؤلاء المشركين يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح يقضي ويحكم بيننا بالحق من غير ظلم ولا ميل وهو الفتاح
الحاكم العدل العليم بالمحق من المبطل وفتح الله بينهم هو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار
قوله تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم قل يا محمد لهؤلاء المشركين اروني
الذين الحقتموهم اي الاصنام التي الحقتموها بالله شركاء اراد ان يريهم الخطأ العظيم في الحاقهم الشركاء بالله سبحانه وتعالى وان
يقايس على اعينهم بينه وبين الاصنام ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به كلا ردع لهم عن مذهبهم
بعدما ابطله بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش
غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله بل هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما بين امر التوحيد واحالة الشرك شرع في الرسالة وما ارسلناك
الا كافة عامة للناس بشيرا ونذيرا كلهم العرب والعجم وسائر الامم وقيل الا كافة للناس الا رسالة عامة
لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس
في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كالتاء في علامة وقال صاحب الكشاف
ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار
لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين وقيل معناه كافا للناس يكفهم عما هم عليه من الكفر
يدعوهم الى الاسلام والهاء فيه للمبالغة بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم
جهلهم على مخالفتك قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون لما قال قل يجمع بيننا ربنا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل يا محمد
لهؤلاء المشركين لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون يعني ان هذا موقت بيوم لا يمكن تاخره

فاما كائن لا محالة وقيل ميعاد يوم هو يوم الموت عند النزع والسياق وقيل يوم القيمة والميعاد ظرف الوعد
من مكان او زمان وهو هنا الزمان واضافته الى اليوم للتبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية قال
صاحب الكشاف فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا
فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجئ السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم
فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي
بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ● وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا
ما كانوا يعملون ● لما بين التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام وقال الذين كفروا لن
نؤمن بهذا القرآن المنزل لتكذيبك لان القرآن يشتمل على الكل ولا بالذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله
تعالى روي ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم
فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم
القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر
عن عاقبة امرهم وما لهم فقال عز وجل ولو ترى يا محمد او ايها المخاطب اذ الظالمون اي المشركون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول يتلاومون ويجادل بعضهم بعضا وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويترجعونها بينهم لرأيت
العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا اي الاتباع للذين استكبروا اي المستكبرين وهم الرؤس المقدمون
المتبوعون لولا انتم لكنا مؤمنين اي لولا دعاؤكم الى الكفر لكنا مؤمنين او لولا دعاكم الى الكفر لكنا مؤمنين بمحمد وما
جاء به قال الذين استكبروا انحن صددناكم عن الهدى فولى الاسم اي نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين
لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن حلنا بينكم وحلنا
بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم الهدى بل كنتم مجرمين اي بل انتم بانفسكم كفرتم اذ لم يكن لنا عليكم
من سلطان بعد اذ واذ وان كانتا من الظروف اللازمة للظرفية وقعت اذ مضافا اليها لانه قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره واضيف اليها الزمان اي بعد كما اضيف الزمان الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ
ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا لما انكر المستكبرون بقولهم
انحن صددناكم عن الهدى ان يكونوا هم السبب في كفرهم واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك من انفسهم كر عليهم
الذين استضعفوا وقال الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضراب الذين استكبروا
باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى
مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه كانه اضيف
المكر الى المفعول به وقيل جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي ذكر فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين
استضعفوا مرة قلت لان الكلام نهجي بالجواب بحذف العاطف على طريق الاستئناف ثم كر وقال الذين استضعفوا بالعطف
لانه كلام آخر للمستضعفين جي به فعطف على كلامهم الاول واسروا الندامة الضمير للظالمين في قوله اذ الظالمون
موقوفون الشامل للذين استضعفوا على اضلالهم واتباعهم المضلين وبين الذين استكبروا على ضلالهم واضلالهم
واسروا الندامة لما راوا العذاب قيل معناه اخفوها لان الندامة في القلب وقيل اظهروها وهو من الاضداد اي
ظهرت آثار الندامة على اسرة وجوههم وقيل بدا بعضهم من قوله واسروا النجوى لما راوا العذاب اي جهنم وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم والدلالة على ما استحقوا به الاغلال هل
يجزون الا ما كانوا يعملون لكي هل يجزى المشركون الا جزاء عملهم الذي هو جعلهم لله اندادا كان الجزاء يقتضي ويحذف
ان يكون تقديره هل يجزون الا بما كانوا يعملون فحذف الجار او جاز لما محذوف قوله تعالى وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● وما ارسلنا في قرية من القرى من نذير ينذرهم الا
قال مترفوها متنعموها انا بما ارسلتم به كافرون ● جاحدون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها
والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل
قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكادوه بنحو ما كادته اهل
مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقاسوا امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا
انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا على الله تعالى لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا
نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم فقال
قل يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر امتحانا وابتلاء لا كرامة لمن يبسطه على حسب مشيئته فربما وسع على العاصي

وضيق على المؤمن [illegible]
الناس لا يعلمون [illegible] وما اموالكم ولا اولادكم [illegible]
[illegible] جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين
اولئك في العذاب محضرون [illegible]
[illegible]
له وليس هذا بتكرار لان الاية الاولى للكفار وهذه للمؤمنين وقيل الاولى معناها ان يوسع على واحد ويضيق على آخر والثانية
يوسع على من يشاء من عباده اي المؤمنين ويقدر له وليس هذا بتكرار لان الاية الاولى [illegible] وقيل الاولى
معناها يوسع على من يشاء من عباده فان يشاء [illegible] الاولى في شخصين وهذه في شخص الاتي
الى حين له ويقدر له وقيل يقدر في الاولى من قوله قدر عليه رزقه اي ضيق وهنا من التقدير اي لا استطاعة وقيل
على ان يخلف عنه اذا انفقه في سبيل الله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا
بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف
ولا تقتير فهو يخلفه الكلبي ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير فان الله يخلفه اما ان يعجله في الدنيا
واما ان يدخره له في الآخرة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ربي انفق انفق عليك وعن ابي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي
مناد اللهم هب للمنفق خلفا وينادي مناد اللهم هب للممسك تلفا وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا فكروا فيما
خلقوا له ولهم ما يخلقوا له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لصهيب رضي الله عنه انك رجل لا تمسك شيئا
قال اني سمعت الله يقول وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان
من نفقة في بنيان او معصية وقيل ما يعطى الشاعر او ما كان المتقي هو الذي يقي الرجل به عرضه مجاهد اذا كان
في يد احدكم شيء فليقتصد ولا يتأول هذه الآية وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان الرزق مقسوم فلعل رزقه قليل
وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وربما انفق الانسان ماله اجمع في الخير ولم
يخلف حتى يموت ولكن ما كان من خلف فهو منه عن ابي امامة انكم تأولون هذه الآية على غير تأويلها وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر
قوم اقتصدوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فقه المرء رفقه في معيشته وهو خير الرازقين قيل انما جاز الجمع لانه يقال رزق السلطان الجند والذي يرزقها
كما قال وهو خير الرازقين واهلكهم ربنا لعزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده
او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها
ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعض السلف الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ● لما بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه
من الانبياء وحال قومه كحال من تقدمهم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون
عاقبة حالهم فقال ويوم نحشرهم جميعا المكذبين بك يا محمد ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون خص الملائكة
زعموا انهم يعبدون الملائكة لانهم بنات الله وقيل لان المشركين فان غاية ما ترتقي اليه عقولهم انهم يقولون
نحن نعبد الملائكة اياكم كانوا يعبدون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للعابدين قال صاحب الكشاف وارد
على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم
الله كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل

ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتوبيخهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لما اقتص عليه قالوا سبحانك اي قال الملائكة سبحانك فتبرأت الملائكة منهم بقولهم سبحانك تنزيها لك ان يعبد غيرك معك انت ولينا ربنا ومعبودنا ونحن العابدون والعابد لا يستحق ان يعبد وقيل معناه اتخذناك وليا واتخذناك اولياء فانت ولينا ونحن اولياؤك ونحن لم نتخذهم اولياء ولا اولادا فليس بيننا ولاية وان زعموا انهم اتخذونا اولياء لان الولاية تكون من الجانبين قال صاحب الكشاف الموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدو وهو البعد والولي يقع على الموالي جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكافرين براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان بهذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون ابليس وذريته واعوانه في معصيته جعل طاعتهم في عبادة غير الله عبادة لهم وقيل ان الجن صوروا لهم صورة قوم من الجن وقالوا هذه صورة الملائكة وقيل انهم عبدوا الملائكة بامر الجن فلما عبدوهم بامرهم فكانهم عبدوا امرهم بذلك وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم او اكثر الانس بهم مؤمنون مصدقون قوله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ◉ ذكر ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فاليوم اي يوم نحشرهم لا يملك بعضهم لبعض نفعا بشفاعة ولا ضرا فلا غناء بان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار التكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا نافع ولا ضار ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوف على لا يملك والمراد بالذين ظلموا الكفار المنكرين الجاحدين على ذلك بقوله ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وقيل نقول لهم تقديره ونذيقكم عذاب النار فهو من معنى الخبر كما في قوله سنعذبهم وقيل يقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب النار قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين ◉ اراد ان يبين فساد اعتقادهم وشدة عنادهم وانه بين ان هؤلاء الذين تعبدونهم الملائكة وهي لا تتأهل للعبادة كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية لنا لان نكون معبودين لهم ولا نفع ولا ضر كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاما من التوحيد وتلى عليهم آياتنا الدالة عليه فان له في كل شيء آيات دالة على تحقيقها كذبوها وقالوا ما هذا الا رجل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ويصيركم تبعا له وقالوا ما هذا يعني القرآن الا افك مفترى كذب مختلق مضاف الى الله ليس من عنده تعالى وهذا الكلام قال المشركون بعضهم مع البعض وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة كله ودين الاسلام لما جاءهم ان هذا اي الحق الا سحر مبين ظاهر لا يخفى ففرق جعلوه افكا مفترى وفرق جعلوه سحرا وقيل يجوز ان يكون الرمي بالافك من قوم والرمي بالسحر من قوم لاختلاف اللفظين ويحتمل انهم كانوا يقولون القرآن في نفسه سحر عجيب لكنه من محمد اضافه الى الله عز وجل قال صاحب الكشاف وما في اللاقتين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ◉ تاكيد لبيان تقليدهم يعني يقولون عندما تتلى عليهم الآيات البينات هذا رجل افترى وما هذا المتلو الا افك مفترى من غير كتاب يدرسونه ولا رسول ارسل اليهم فالآيات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك بمجرد التقليد للباطل بحيل رد الآيات البينات وقيل وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقيل وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بارسال رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم من الامم والقرون الخالية كما كذب هؤلاء المشركون وما بلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتيناهم يعني مكذبي الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم كيف كان نكيري لتكذيبهم وتغييري عليهم بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم فيه مستظهرون فما بال هؤلاء لا يحذرون كما نكت هذه الامة عذاب الامم الخالية قوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ◉ ذكر الاصول الثلاثة في هذه الآية بعد ما سبق منه

تقريرها

(هامش: من والاه وعادم)

تقريرها بالدلائل [illegible]

كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ما بصاحبكم يجوز ان يكون النفي ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد ◉ لما ذكر انه ما به من جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب ما فيه مشقة وعناء شديد لا لغرض دنيوي اذا لم يكن ذلك لغرض ثواب اخروي يكون مجنونا فالنبي صلى الله عليه وسلم بدعواه النبوة يجعل نفسه في معرض الهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعاديه ولا ينال المراد في الدنيا فهو يفعله للآخرة والكاذب في الآخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فهو نبي صادق قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما سألتكم من اجر على تبليغ الرسالة والنصيحة فهو لكم اي ما سألتكم لكم كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن وقيل معناه الذي سألتكم من اجر فنفعه راجع اليكم وهو ان تقبلوا ما تنجون به لا ان لكم اجرا سوى هذا وقيل يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة انتظمته واياهم وما موصولة او شرطية جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وهو على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على تبليغ الرسالة وعلى نصحكم ودعائكم الى الاسلام ولا اطمع منكم في شيء قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ◉ قيل معناه قل يا محمد لهم ان ربي يقذف بالحق في قلوب المحقين فلما تعلق بما قبلها من حيث انه لما قرر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد واكده بقوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه كما قال تعالى عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق في القلوب اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يشاء والحكم ما يريد ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب سؤال الابل يذكر عليه وهو ان من يفعل شيئا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد لغيره لا يكون فاعلا حكيما وانما ذلك يفعل اتفاقا كما اذا اصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب الامور فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب فهو علام الغيوب وقيل معناه انه يقذف الحق على الباطل فيدمغه وعلى تعلق الآية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث انه لما بين التوحيد لما ظهرت وشبهتهم دحضت قال ان ربي يقذف بالحق الذي هو على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه فيه معنى لطيف وهو ان البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والنبوة فاما امر الساعة واحوالها فهو لا خلاف فيه فانا نقول انه علام الغيوب وقيل ان ربي يقذف يرمي ويأتي بالحق بالوحي ينزله من السماء فيقذفه الى الانبياء علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف قل جاء الحق اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين جاء الحق يعني القرآن والاسلام وقال الباقر يعني السيف وما يبدئ الباطل وما يعيد يعني ذهب الباطل وزهق

(هامش: قد ٢ — للناس ٣ — ان ٤)

(هامش: كما قال في سورة الانبياء بل نقذف بالحق على الباطل ٣)

(هامش: والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه لا برهان قاطع وعن احواله واهواله ولا يعلم ان الله بالعقل الا بان لا خبر بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال نقذف بالحق اي على الباطل اشار الى ظهور البراهين على التوحيد ٣)

فلم يبق له بقية يبدئ بها ولا يعيد كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قال صاحب الكشاف
الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك
والمعنى جاء الحق وهلك الباطل الحسن وما يبدئ الباطل وهو كل معبود من دون الله تعالى لا يملك خيرا في الدنيا ولا
يخبر في الآخرة قتادة الباطل ابليس اي ما يخلق ابليس احدا ولا يبعثه ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة
ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد وقيل اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام والمنشئ والباعث هو الله وقيل للشيطان
باطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل يا محمد لهم اولاد المشركين ان ضللت
ان اخطأت عن الحق والرشاد كما تزعمون فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من حجج الله وتوفيقه انه
سميع قريب يسمع دعائي فاستجاب بفضله قال صاحب الكشاف فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله
فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها
فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية
ربها تعالى وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع
جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع يسمع كل ضال ومهتد ويسمع اذا ناديته واستغثت به
عليكم قريب يأتيكم من غير تأخير لئن لم يكن يسمع عن بعيد لا يلحق الداعي قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب ● جوابه ولو ترى محذوف اي ولو ترى اذ فزعوا لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو ترى اذ
فزعوا من عذاب الدنيا قيل وقت الموت وقيل يوم بدر وقيل وقت البعث وقيل قيام الساعة فلا فوت فلا يفوتون
الله ولا يسبقونه فلا نجاة واخذوا من مكان قريب يعني بعذاب الدنيا وقيل من الموقف الى النار اذا بعثوا وقيل
من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا وقيل من صحراء بدر الى القليب وقيل من تحت اقدامهم اذا خسف بهم بالبيداء
عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين اهل المشرق
والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين
جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون
اكثر من ثلثة آلاف ويبقرون فيها اكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون الى الكوفة
فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على ليلتين
فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها
ثلثة ايام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله عز وجل عليهم جبريل عليه السلام
فيقول يا جبريل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله تعالى في سورة سبأ ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت الآية فلا يفلت منهم الا رجلان احدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول
وعند جهينة الخبر اليقين واخذوا من مكان قريب لانهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه
قال صاحب الكشاف فعل لو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان
ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه واخذوا عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت
لهم وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا قوله تعالى وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان
بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم
من قبل انهم كانوا في شك مريب ● وقالوا اي كفار مكة حين عاينوا العذاب في الدنيا او في الآخرة وقت اليأس آمنا
به بمحمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة وانى لهم التناوش تناول سهل لشيء
اي من اين لهم تناول التوبة وقيل ما يتمنونه من الرد وليس بحين رد وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم
في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وخلف التناؤش بالمد والهمز والواو المضمومة كما همزت في ادؤر وادؤد وعن ابي عمرو
التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت قال الشاعر تمنى نئيشا ان يكون اطاعني
وقد حدثت بعد الامور امور ● والباقون بغير همز التناول يقال نشته انوشه نوشا اذا تناولته قال الراجز
فهي تنوش الحوض نوشا من علا ● نوشا به تقطع اجواز الفلا ● وتناوش القوم في الحرب اذا تناول بعضهم
بعضا وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل نزول العذاب ويقذفون بالغيب من مكان بعيد عطف على
وقد كفروا على حكاية الحال الماضية وقد يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بالغيب بالظنون لا باليقين وهو قولهم ساحر
بل كاهن بل شاعر هذا قول مجاهد وقال قتادة يعني يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل يعني وكانوا
يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم
بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد
شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم جرب الكذب والزور وحيل بينهم ابن عامر والكسائي

بينهم

بضم الحاء وسيق الذين باشمام الضم الحاء والسين والباقون بالفتح وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة وقيل ما يشتهون
من نفع الايمان والنجاة به من النار والفوز بالجنة وقيل ما يشتهون من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا
كما فعل باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم من قبل حين آمنوا ايمان اليأس يعني الامم المهلكة
وقيل اصحاب الفيل انهم كانوا في شك مريب مشكك مبالغ في الشك كما يقال عجب عجيب وقيل في شك موجب لصاحبه
لما يريبه من مكروه قال صاحب الكشاف مريب اما من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة
ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان
الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر ● اللهم سهل رب يسر رب تمم بالخير

سورة الملئكة

وهي ثلثة آلاف وماية وثلثون حرفا وسبعمائة وسبعة وتسعون كلمة وست واربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل
الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ● فاطر السموات مبتدئها
ومبتدعها ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها جاعل الملائكة رسلا يرسلهم الى الانبياء والى ما شاء من الامور اولي اجنحة اي اصحاب اجنحة مثنى
وثلاث ورباع صفات الاجنحة والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا
اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء ابن عباس يزيد في خلق الملائكة الاجنحة الحسن
ومقاتل يزيد في الاجنحة ما يشاء قال صاحب الكشاف يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته والاصل
الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس
الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما
بقوة او لعله لغير الطيران وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح ابن شهاب
يزيد في الخلق ما يشاء حسن الصوت وقيل الوجه الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن قتادة الملاحة في العينين
والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة
في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وطلاقة في اللسان ولباقة في الكلام وحسن تأت في
مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ● لما بين كمال القدرة ونفوذ المشية ونفاذ الامر قال ما يفتح الله للناس
من رحمة نعمة فلا ممسك لها لا يستطيع احد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده استعير الفتح للاطلاق والارسال
شاهد على قوله فلا مرسل له من بعده مكان فلا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق ومطر وصحة وامن
او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها ونكر رحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية
او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه وذكر الضمير في طرفي
راجع في الحالين الى ما المتضمن معنى الشرط وهما لفظان الحمل على المعنى وعلى اللفظ كما قاله والكلام على الخبر فيها
فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التمييز
ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير ويحتمل ان يكون تفسير الثاني مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة الاول عليه
وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد هداية الله وقوله فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد آياته وهو العزيز
الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك كما يشاء قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك والى الله ترجع الامور ● لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعم التي تستوجب الحمد على سبيل
التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال فامرهم بذكرها وليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط بل به وبالقلب وحفظها
عن الكفران وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله
ابن عباس يريد اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم
وعنه نعمة الله العافية هل من خالق غير الله قرأ حمزة والكسائي بكسرها على تبيين نعمة الايجاد بقوله هل من خالق اشار
اليها ونعمة الابقاء بقوله يرزقكم اشارة اليهما قرينين الله لا اله الا هو لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال فانى تؤفكون
اي كيف تصرفون عن الظاهر وكيف تتركون الحق من له ملكوت وهذه حجة على القدرية لانه تعالى نفى خالقا غيره
وهم يثبتون معه خالقين كثيرين قال صاحب الكشاف فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة
لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا

له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله تقديره هل من خالق غير الله يرزقكم فان قلت هل فيه دليل
على ان الخالق لا يطلق على غير الله قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما
على الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف
يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها
مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق سوى الله
اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فاني تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الشرك وان يكذبوك لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة على ترتيب سوء تكذيبهم
لايات الله وتكذيبهم بها وسلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد
والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المصدق بالثواب والمكذب بالعقاب قوله تعالى يا ايها الناس ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو
حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر بايها الناس ان وعد الله بالحشر والبعث والجزاء والثواب والعقاب حق
كائن لا خلف فيه فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الحياة الدنيا والبقاء فيها ولا يذهلنكم التمتع والتلذذ بمنافعها عن العمل
للاخرة وابتغاء ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية ويقول
لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة ان الشيطان لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار فقال ان الشيطان لكم عدو [illegible]
الله ان الشيطان لنا عدو مبين وقص علينا قصته وما فعل بابينا ادم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا
من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا [illegible] كما علمتم عدوكم
لنا لا احد اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا عاملوه معاملة الاعداء ولا
تطيعوه ولا تقبلوا [illegible] في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل على [illegible] معاداته في سركم وجهركم
انما يدعو حزبه اي غرضه من دعاء اتباعه الى الكفر ان يكونوا من اصحاب السعير [illegible]
الذي يومه في دعوة حزبه وشيعته ومتبعي خطواته [illegible] ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك بان يكونوا من اصحاب
السعير الذين كفروا ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فقال الذين كفروا لهم
عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ومن اجاب الشيطان حين دعاه وكفر بالله فله عذاب
شديد لانه صار من حزبه والذين امنوا وعملوا الصالحات فلم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه لهم مغفرة لذنوبهم واجر
كبير في الجنة قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ● لما بين حال الذين كفروا وحال الذين امنوا وعملوا الصالحات وما من احد
يعترف بانه يعمل سيئا الا قليلا كان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي يتبع الشيطان وهو محمد ومن
الذين اشبهوا ابهم الجن واتبعوها والذي له الاجر العظيم نحن الذي كنا على ما كان عليه اباؤنا فقال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم افمن زين له سوء عمله اي شبهه وموه عليه وحسن له سوء عمله اي قبيحه فراه حسنا اي زين له ذلك
الشيطان بالوسواس ونفسه بميلها الى الشهوة وترك النظر في الحجة المؤدية الى الحق وخلاه الله وذلك في قلبه كمن
لم يزين له سوء عمله ورأى الحق حقا والباطل باطلا فيكون المشبه به محذوفا نظيره قوله افمن هو قائم على كل نفس
وقوله امن هو قانت اناء الليل فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل معناه افمن زين له سوء عمله فاضله الله تعالى
كمن هداه ودليله قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقيل فيه تقديم وتأخير مجازه افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات معنى الاية
لا تغتم بكفرهم وهلاكهم اذا لم يؤمنوا نظيره قوله فلعلك باخع نفسك حسرات يعني لا تهلك نفسك للحسرة
وعليهم صلة تذهب كما يقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وقيل عليهم بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق عليهم
بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر ان الله عليم بما يصنعون
وعيد لهم بالعقاب على صنعهم قيل هم اليهود دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابليس وسوء عمله اغواؤه
وقيل نزلت في العاص بن وائل والاسود بن المطلب وقيل في ابي جهل قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ● اسند الارسال والسوق الى الله تعالى
وذكرهما بلفظ الماضي واسند الاثارة الى الريح وذكرها بلفظ المضارع اما اسناد الارسال والسوق الى الله تعالى
فعلى وجه الحقيقة واما ذكرهما بلفظ الماضي فلدلالة ان ما اخبر الله تعالى بوقوعه بمثابة الكائن الواقع واما اسناد الاثارة
الى الرياح فللملابسة واما ذكره بلفظ المضارع فليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وليستحضر تلك الصور
البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب
او غير ذلك كما قال تابط شرا باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا
لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها

مشاهدة

مشاهدة التعجب من جانبه على كل مؤمن لذا تبا الله عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بعد موتها
بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو
ادخل في الاختصاص وادل عليه كذلك الكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات روى انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم
قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك اية في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد
الخلق قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون
السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور ● كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال الله عز وجل واتخذوا من
دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين قال الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فرد الله تعالى عليهم بقوله من كان يريد العزة اي من اراد ان يعلم لمن العزة بالحقيقة فان
العزة لله ومن اراد ان يكون من الذين عز فليطع الله فان العزة لله جميعا فوضع [illegible] فاستغنى به لدلالته عليه
لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يعني فليطلبها عندهم الا انك
اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عز الدنيا وعز الاخرة ثم عرف ان ما تطلب
به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اليه اي الى الله تعالى يعني
الى محل القبول والرضى [illegible] يصعد الكلم الطيب
لا اله الا الله ويكون ذكره رضي الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل فاذا لم يكن معه عمل صالح لم يقبل منه والعمل الصالح
يرفعه اي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فلا يقبل القول الا بالعمل الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر لا اله الا الله والعمل
الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما
وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه
العمل ذلك بان الله عز وجل يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل هذا الثاني من قوله صلى الله
عليه وسلم لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية وجاء في الخبر طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
في هذا المعنى يقول الشاعر لا ترض من رجل حلاوة قوله ● حتى يصدق ما يقول فعال ● فاذا وزنت مقاله بفعاله
فتوازنا فاخاء ذاك جمال ● ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقيل معنى يرفعه
يجعله رفيعا ذا قدر وقيمة كما تقول ثوب رفيع وعمر رفيع وقيل العمل الصالح الخالص يعني ان الاخلاص سبب قبول
الخيرات من الاعمال الدالة على الاعمال الدليله قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي خالصا ثم قال ولا يشرك
بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء وقيل معناه الكلم الطيب يرفع العمل فلا يرفع ولا يقبل عمل الا
ان يكون صادرا عن التوحيد وقيل معناه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الله والذين يمكرون يعملون
السيئات قال صاحب الكشاف فان قلت يمكر غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هي صفة المصدر
او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات
يعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه
وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
لهم عذاب شديد في الاخرة ومكر اولئك والذين يمكرون السيئات فمكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات
الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد وقيل يضيع دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم
في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله قوله تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا
بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ● لما ذكر دلائل الايات من السموات وما يرسل
فيهما من الملائكة والارض وما يرسل فيهما من الرياح شرع في دلائل الانفس ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا
كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا قتادة زوج بعضكم بعضا قيل ثم لترتيب الاخبار وقيل ثم قد خلقكم من النطفة
ثم لم يكن ذلك الا بالتزويج فجعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه تعالى في موضع الحال
اي الا معلومة له [illegible] اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الاخلاق بل بعد ما دام في البطن لا يعلم حاله
احد كيف هو والام الحاملة لا تعلم منه شيئا وما يعمر من معمر [illegible] قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى
قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر او [illegible]
العمر او ينتقص من العمر [illegible] فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس
عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحقه

وقيل معناه من كان يريد العزة فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه

بلدا ولا احوبه الا قل فيه نوابي وفيه تاويل اخر وانه لا يطول عمر الانسان ولا ينقص الا في كتاب وصورته ان يكتب
في اللوح ان حج فلان فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا
افرد احدهما فلم يتجاوز بها الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه
لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك
وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره فالمعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة
الا في كتاب ابن عباس في لوح محفوظ ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان قوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ● اكثر المفسرين على
ان المراد من الاية ضرب المثل في حق الكفر والايمان والكافر والمؤمن وما يستوي البحران هذا عذب طيب فرات
اعذب العذب سائغ مرئ سهل الانحدار لعذوبته هني شرابه وهذا ملح اجاج يحرق بملوحته قال صاحب الكشاف
ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما فيهما من عطائه ونعمته ومن كل واحد من البحرين تاكلون لحما طريا
شرعيا وهو السمك وتستخرجون من الملح دون العذب حلية يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل يخرج اللؤلؤ منهما
لان في الملح عيونا عذبة يخرج اللؤلؤ عند التمازج وتنعقد وقيل من ماء السماء وقيل الابحر ومخرج من
الملح والعذب يجري بكلا اخراجهما وقيل انهما يخرجان من العذب بكليهما تتخذ نساؤكم منهما ما تلبسن وترى الفلك
فيه مواخر شواق الماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهوا والسفن
الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره وقيل وترى الفلك فيه مواخر
جوار في مقابلها ان ترى سفينتين احدهما مقبلة والاخرى مدبرة وهذه تستقبل تلك وتلك تستدبر هذه تجري
بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى
عليه ولعلكم تشكرون على فضله اذا تجاوزتم من هذه قال صاحب الكشاف ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه
الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه
والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم مبتدأ الله ربكم له الملك اخبار مترادفة وقيل
الله ربكم خبران له الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير لفافة النواة
وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقيل يجوز في حكم الاعراب ايقاع الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم
خبر الا ان المعنى ياباه ان تدعوهم اي الذين تدعون من دون الله يعني الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية فانه للانسان نظر ومثل معنا
ما اجابوكم الى مطلبكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم يتبرؤون منكم ويقولون بل كانوا يعبدون الجن
وقيل ما يظهر من الاصنام ما يدل على بطلان كلام الكفار بعبادته النطق منها بالبراءة كما قيل دلالتها على التوحيد
تسبيحها ولا ينبئك ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد به ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به
قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز ● لما كثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام واصرار الكفار على الكفر والامتناع
قالوا لعل الله سبحانه محتاج الى عبادتنا حتى يامرنا امرا بالغا ويشدد على تركها تهديدا شديدا فقال يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله انتم مبتدا والفقراء خبره وتمام الخبر مع ان اصله التنكير لا نقصد به الا ان يريهم انهم لشدة
افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف
وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو لم يكن المعنى انتم بعض الفقراء الى الله في الدنيا ليرزقكم وفي الآخرة ليغفر لكم
والله هو الغني عن خلقه الحميد ذكر الحميد ليدل على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه
عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم ان يشا يذهبكم بيان لغناه اي ليس ابقاؤكم موقوفا الا على مشيئته
فانه غير محتاج الى ابقائكم ويات بخلق جديد زيادة بيان لغناه اي انه كان يقدر على ابقاء الخلائق لكمال الملك
وعظمته فلو اذهب لنا الملكة وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل واتم واكمل ثم قال
وما ذلك الاتيان والاذهاب على الله بعزيز بممتنع وقيل وهذا تهديد على كفار مكة وغضب عليهم لاتخاذهم اندادا وكفرهم

باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ● لما بين الحق بالدلائل القاطعة
والبراهين الساطعة وذكر ما يدعوهم الى النظر فيه قال لا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس عن النبي صلى الله عليه
وسلم لو كان كاذبا في دعائه لكان معذبا وهو يعتقد انكم لا تحملون ذنبه فهو يتوقى ويحترز والله تعالى غني عن عباده
فتفكروا واعلموا انكم ان ضللتم لا يحمل احدكم وزركم ولا يحس كما يقولون اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الوزر
الاثم والثقل والوازرة صفة للنفس والمعنى لا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى فان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها
الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة
لا وزر غيرها سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم في الضا
لين والمضلين وانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم اثقالهم هي اثقال
ضلالهم واثقالا مع اثقالهم اثقال اضلالهم الا ترى كيف كذبهم الله في قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وان تدع نفس مثقلة بذنوبها احدا الى حمل اوزارها لا يحمل منه شيء
فقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى يدل على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وقوله وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء يدل على انه لا غياث يومئذ لمن استغاث من الكفار حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار
لو دعت الى ان يخفف بعض حملها لم تجب ولم تغث ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو بعض قرابتها من اب او ام او ولد
او اخ والمدعو ذا لم يكن له ذكر لكن يدل عليه وان تدع مثقلة وانما لم يذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو واستقام
اضمار العام وان لم يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة لانه من العموم الكائن على البدل انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشونه غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب
في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله
سرا وهم الذين اقاموا الصلاة اداموها في مواقيتها الخمسة وغاير بين الفعلين لما في الاول من معنى الثاني لان
الخشية دائمة واوقات الصلاة معينة منقضية يعني انما يقدر على انذارك وتحذيرك [illegible]
منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى تطهر من دنس المعاصي بالاعمال الصالحة فانما
يتزكى لنفسه لان ثواب ذلك له وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير
وعد للمؤمنين بالثواب ووعيد للمشركين بالعقاب قال صاحب الكشاف فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله
قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كانه اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم قوله تعالى وما يستوي الاعمى و
البصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما
انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
لما بين الهدى والضلالة ولم يستو الكافر والمؤمن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمؤمن بصير حيث ابصر
الطريق الواضح والكافر اعمى وبالظلمات والنور والظل والحرور مثلا للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب
وبالاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم
تكون بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار قال صاحب الكشاف فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت
الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع
وبعضها وترا الى وتر قيل وما يستوي الاعمى والبصير يعني العالم والجاهل ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر
والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وما يستوي الاحياء ولا الاموات يعني المؤمنين والكفار وقيل
الفائدة في تكرير الامثلة ههنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمات والنور والظل والحرور وذكر الاحياء والاموات
ان المؤمن بصير والكافر اعمى ثم البصير وان كان بصيرا لكن لا يبصر شيئا ان لم يكن في ضوء فذكر الايمان والكفر مثلا
فقال الايمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى فله ظلمات بعضها فوق بعض
ثم ذكر مآلهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور فالمؤمن بايمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم قال تعالى وما يستوي
الاحياء ولا الاموات مثلا اخر في حق المؤمن والكافر فوق الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير في ادراك ما والكافر
غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا انه تعالى اعاد الفعل حيث قال اولا وما يستوي الاعمى والبصير ثم عطف
الظلمات والنور والظل والحرور ثم اعاد الفعل فقال وما يستوي الاحياء ولا الاموات وكرر كلمة النفي بين الظلمات
والنور وبين الظل والحرور وبين الاحياء والاموات ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك لان التكرير للتاكيد والمنافاة
بين الظلمة والنور والظل والحرور متضادة فالظلمة تنافي النور وتضاده والعمى والبصر كذلك واما الاعمى والبصير فليس
كذلك بل الشخص الواحد قد يكون اعمى ويصير بصيرا فهو بعينه بصير اعمى فالاعمى والبصير لا منافاة بينهما الا من حيث الوصف

والظل والحرور بينهما منافاة ذاتية لأن المراد من الظل عدم الحر ولما كانت المنافاة بينهما أتم أكد بتكرار النفي وأما الأحياء والأموات وإن كان كالأعمى والبصير من حيث إن الجسم الواحد يكون حيا محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت لكن الأعمى والبصير يشتركان في إدراك أشياء ولا كذلك الحي والميت وقدم الأشرف في مثلين وهو الظل والحرور في مثلين وهو البصير والنور وذلك لأن الكفار قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم كالظلمة ثم لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق واهتدى به منهم قوم صاروا بصيرين وطريقهم كالنور فقال وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعضهم إلى الإيمان فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المؤمن قدم المتقدم ثم لما ذكر مآل الأمر قدم ما يتعلق بالغضب لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم إن الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات في عدم إدراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الأحياء أي المؤمنون الذين آمنوا بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات البينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد إيمان من آمن أخرهم عن المؤمنين قابل الأعمى بالبصير والظل بالحرور بلفظ الواحد وقابل الأحياء والأموات بلفظ الجمع فيهما وقابل الظلمات بلفظ الجمع بالنور بلفظ الواحد لأنه في الأعمى والبصير والظل والحرور قابل الجنس بالجنس ولم يقابل الأفراد لأن في العميان وأولي الأبصار قد يوجد فرد من أحد الجنسين يساوي فردا من الجنس الآخر كالبصير في موضع والأعمى الذي يرشده في ذلك الموضع فيقتدر الأعمى على الوصول إلى مقصده ولا يقدر البصير عليه أو تكون الأعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البليد البصير فالتفاوت بينهما في الجنسين مقطوع به فإن جنس البصير خير من جنس الأعمى وأما الأحياء والأموات فالتفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميت يساوي في الإدراك حيا من الأحياء فذكر أن الأحياء لا يساوون الأموات سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الإشراك على ما ذكرنا أن البعض يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الأصنام التي على صورة الملائكة إلى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من تلك الأفراد وبين هذا الواحد إن الله يسمع من يشاء هدايته إلى الإيمان ولا يسمع من يشاء أن لا يسمع بفضله فالكل بمشيئته تعالى وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فإن النبي لما رأى أنه لا ينفعهم ولا يسمعهم فأكد ذلك لا يسمعهم إلا الله فإنه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في القبور فلا عليك من حسابهم من شيء أي إن أنت إلا نذير بين يديك فلا تذهب من تلقاء نفسك إنما أنت نذير بإذن الله وإرساله إنا أرسلناك بالحق حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقا أو صفة للمصدر أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشيرا ونذيرا يعني بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ثم قال وإن من أمة إلا خلا فيها نذير حيث يعلم أن نعيه كان في النذارة مثله محمد لأن الذي أتى القوم وقيل نذيرا منهم بلغتهم والمراد بالأمة أهل العصر وفي الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما آثار النذارة باقية وإذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن اندرس آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة ذكرهما على كونهما لاسيما وقد دل الآية على ذكرهما وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والإنجيل والزبور لما كانت هذه الأشياء في جنس الرسل أسند المجيء إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في جميعهم وهي الزبر والكتاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب فكيف كان نكير إنكاري بالعقوبة

قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ● هذا استدلال آخر على وحدانية الله وقدرته ذكره على طريقة الإخبار وبما تقدم وهو قوله والذي أرسل الرياح على طريقة الإخبار ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر وقيل ألوانها من الحمرة والخضرة والصفرة ونحوها ومن الجبال أي ومما خلقنا من الجبال جدد خطط وطرائق واحدتها جدة كمدة ومدد يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان يفصلان بين لوني ظهره وبطنه بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود معطوف على بيض كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب عن عكرمة هي الجبال الطوال السود قال صاحب الكشاف فإن قلت الغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وإنما يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد يعني ومن الجبال ذو جدد كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال وتمام الكلام ههنا أي ومن هذه الأشياء مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات ثم ابتدأ فقال إنما يخشى الله

من عباده

[illegible]

يأخذون بما فيه وقيل يعملون بما فيه ويعملون به وعن السدي هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية روي أنه قام رجل إلى النبي فقال يا رسول الله ما لي لا أحب الموت قال ألك مال قال نعم قال قدمه قال لا أستطيع قال فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به وإن أخره أحب أن يتأخر معه يرجون تجارة طلب ثواب بالطاعة لن تبور متعلق بلن تبور أي تجارة تنتفي عنه الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عند الله أجورهم وهي ما يتصل بها من الثواب ويزيدهم من فضله متعلق بيرجون ليوفيهم أي ليوفيهم أجورهم من فضله لا باستحقاقه ويزيدهم ويجوز أن يجعل يرجون في موضع الحال على معنى وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وخبر إن الذين يتلون إنه غفور شكور على معنى أنه غفور لهم شكور لأعمالهم أي مثيب لأعمالهم **قوله تعالى** والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ● لما بين الأصل الأول الذي هو التوحيد بأنواع الدلائل من قوله الله الذي أرسل الرياح وقوله تعالى الله خلقكم وقوله ألم تر أن الله ثنى بذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال والذي أوحينا إليك من الكتاب أي القرآن وحينئذ تكون من للتبيين أو الكتاب الجنس وحينئذ تكون من للتبعيض هو الحق مصدقا حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق أي موافقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب السابقة لأن فيها الوعد به وقيل مصدقا بالمعجزات دعوى النبي صلى الله عليه وسلم إن الله بعباده لخبير بصير **قوله تعالى** ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ● الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ● اتفق المفسرون على أن المراد من الكتاب القرآن والذين اصطفينا من عبادنا الذين أخذوا بالكتاب هم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منه وقيل معناه إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ثم قسمهم الظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لأمر الله وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من المتقين وقيل أشار تعالى بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالذين اصطفينا من عبادنا أهل الملة الحنيفية فيكون لم يردوا إلى ما قبله من كتب الله فقوله لما بين يديه أي قبله من الكتب السالفة إنا أنزلنا إليك الكتاب ثم أورثنا هذا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ويجوز أن يكون ثم بمعنى الواو ومعناه أعطينا القرآن من بين الأمم السالفة وأعطيناكموه وأهلناكم له وفي هذا كرامة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم أورثنا وقال لسائر الأمم وورثوا الكتاب الآية يعني ثم أورثنا الذين اصطفينا من عبادنا هم

امة محمد صلى الله عليه وسلم فقسمهم ثلاث طبقات ورتبهم على ثلاث درجات فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه فبدأ
اللفظ وقلق الظلم بالنفس فلذلك ساغ ان يكون من اهل الاصطفاء مع ظلمه فان قيل لم اوجبت الحكمة في تقديم الظالم
وتأخير السابق وانما يقدم الافضل فالجواب عنه ان يقول انما اخر السابق ليكون اقرب الى الجنات والثواب كما
قدم الصوامع والبيع في سورة الحج على المساجد التي هي افضل بقاع الارض لتكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب
ويكون المساجد اقرب الى ذكر الله ومنهم من قال انما قدم ذلك لان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشياء بالذكر قدموا
الادنى على الافضل كقوله تعالى ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقال يولج الليل في النهار وقال يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال تعالى خلق الموت والحياة وقيل قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته واخر السابق
لئلا يعجب بعمله وقال جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم
ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن احد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص
وقيل قدم الظالم لانه لم يكن له شيء يتكل عليه الا رحمة الله تعالى فاعتمد على الله وتوكل على رحمته واتكل المقتصد على حسن
ظنه بربه واتكل السابق على حسناته وطاعاته وقال محمد بن علي الترمذي الاصطفاء اوجب الارث لا الارث اوجب
الاصطفاء جمع بين الظالم والمقتصد والسابق فالظالم بنفسه على الظاهر سابق في ميدان الاصطفاء كذلك
قدمه وازال العلل عن الفعال بالاصطفاء فصح النسبة ثم راجع في الميراث ابو بكر الوراق انما رتبهم هذا الترتيب على مقامات
الناس لان احوال الشيء معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب
دخل في جملة المقتصدين واذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة اتصل بالله ودخل في عداد السابقين
عن ابي الدرداء رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الاية فقال اما
السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
ثم هم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه تلا هذه
الايات ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقال سابقنا اهل جهادنا ومقتصدنا اهل حضرنا
وظالمنا اهل بدونا وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل فقالت كلهم في الجنة اما السابق في الخيرات
فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم واما المقتصد فمن اتبع اثره
من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها مع الثالث مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم
لنفسه هم اصحاب المشأمة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات وهم السابقون المقربون من الناس
كلهم قال قتادة هذا في الدنيا على ثلاث منازل عند الموت ايضا قال الله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة الى
قوله المقربون ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه
حكم الثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها عائشة رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد
الذي اسلم بعد الهجرة والظالم منا وقيل الظالم لنفسه الذي مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذي لم يصب
كبيرة والسابق بالخيرات الذي لم يعص الله والتائب بالتوبة كمن لا ذنب له الحسن السابق من رجحت حسناته والمقتصد
من استوى حسناته وسيئاته والظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد
المتعلم والظالم الجاهل وعنه ايضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاده ومعاشه والظالم
الذي اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى وقيل الظالم
المسلم والمقتصد المؤمن والسابق المحسن وقيل الظالم المرائي في جميع افعاله والمقتصد من يكون اعماله بعضها رياء
وبعضها اخلاصا والسابق المخلص في اعماله كلها وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا كان او حراما والمقتصد من يجتهد
في طلب الحلال والسابق الذي ترك الدنيا جملة واعرض عنها ابو عثمان الحيري الظالم من عبد الله بلسانه واطاعه بجوارحه
واخلص له عمله وقيل السابقون الاولون هم المهاجرون الاولون والمقتصدون عامة الصحابة والتابعون من بعدهم
الظالم الذي يحبه من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق فيه فلا
يرى لنفسه طلبا ولا مرادا لغلبة سلطان الحق عليه وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي
استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد
الذي يعبده طمعا في الجنة والسابق الذي يعبده لا لسبب وقيل الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق
المحب وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده
على الهيبة ورؤية المنة وقيل الظالم الذي اعطي فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق الذي منع فشكر وقيل الظالم
غافل والمقتصد طالب والسابق واجد وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى
بربه وقيل الظالم التالي للقرآن والمقتصد القارئ له العالم به والسابق القارئ للكتاب العالم به العامل بما فيه
وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم الذي يدخل
المسجد وقد اقيمت وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب ربه والسابق الذي يحبه ربه وقيل الظالم
مريد والمقتصد مراد والسابق مطلوب وقيل الظالم مدعو والمقتصد مأذون له والسابق مقرب وقيل الظالم
والمقتصد ... ان حبيب الظالم يتصنع ولا يتصنع والمقتصد يتصنع ويتصنع والسابق يصنع لا

[illegible]

الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ابن عباس حزن النار عكرمة حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات
وقيل حزن الموت وقيل حزن الجنة والنار لا يدري الى ايتهما يصير الحسن الحزن حزن ابليس ووسوسته
دون حزننا القطيعة الكلبي الحزن الذي يحزننا في الدنيا من امر يوم القيمة وقيل حزن الحساب بعد العذاب وقيل حزن
اهل الدنيا واحوالها وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة ... كان تحزنهم ...
وسياسة انفسهم فلما نجوا منها حمدوا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقد كثرت في
قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم و
يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة يعني الاقامة يقال اقمت
اقامة ومقامة لا نبرح منها ولا نفارقها من فضله من عطائه وتفضله ... على قومه وفواصل
ليس من الفضل الذي هو التفضيل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالمتبرع وهذا كلام ساقط لمخالف
للعقل والنقل لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال واعياء ...
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال اذا دخل اهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم كانهم اللؤلؤ المكنون
فيبعث الله ملكا من الملائكة معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه فيريد ان يدخل الجنة فيقول
الملك كما انت فيقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها في كل اصابعه مكتوب في اول
خاتم منها طبتم فادخلوها خالدين وفي الثاني مكتوب فيها ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود وفي الثالث مكتوب
رفعت عنكم الاحزان والهموم وفي الرابع مكتوب وجاءكم الحور العين وفي الخامس مكتوب ادخلوها بسلام آمنين
وفي السادس مكتوب اني جزيتهم اليوم بما صبروا وفي السابع مكتوب انهم هم الفائزون وفي الثامن مكتوب صرتم
آمنين لا تخافون ابدا وفي التاسع مكتوب رافقتم النبيين والصديقين والشهداء وفي العاشر مكتوب في جوار من
لا يؤذي الجيران ثم يقول الملك ادخلوها بسلام آمنين فلما دخلوا بيوتا ارتفع قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الى
قوله لغوب قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ◆ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه
باضمار ان اي لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا لانهم ماتوا مرة ولا يخفف عنهم من عذابها جهنم كذلك
مثل ذلك الجزاء نجزي ابو عمرو بضم الياء وفتح الزاي ورفع كل على تسمية غير الفاعل والباقون بالنون وفتحها وكسر الزاي
ونصب كل وهم يصطرخون يستغيثون فيها ويدعون ويصيحون فيها افتعال من الصراخ وهو الصياح ويقال للمغيث صارخ
وللمستغيث ايضا صارخ والصراخ الصياح بجهد وشدة كصرخة الحبلى واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث
صوته ربنا يقولون ربنا اخرجنا من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فائدة غير الذي كنا نعمل زيادة التحسر على
ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وايهامهم انهم كانوا يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه فيصح بل يظهر بحالهم

سورة يس

وهي ثلاث آلاف حرف وتسعمائة وعشرون كلمة وثلاث وثمانون آية وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
في القرآن سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي يس وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ويقال
ذلك التجربة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يس والقرآن الحكيم إنك لمن
المرسلين على صراط مستقيم ● قرأ حمزة والكسائي بإمالة الياء فيس وهو من طرق والجمهور بالفتح
في ذلك عن سعيد بن جبير أنه اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم ودليله إنك لمن المرسلين وابن عباس معناه يا
إنسان بالحبشية وعند أيضا بلغة طيء وعكرمة بالسريانية وأبو العالية يا رجل والقرآن الحكيم ذي الحكمة أو لأنه دليل
ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به إنك لمن المرسلين قال صاحب الكشاف فإن قلت ما الحاجة
إليه خبرا كان أو صفة وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهب إليه

آباؤهم الا بعدين اباؤهم لانحالة وقيل ما موصولة بمعنى الذي منصوبة على انه مفعول ثان لتنذر قوما ما انذر
آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقيل ما مصدرية اي لتنذر قوما انذار آبائهم فهم غافلون متعلق
بالنفي على الاول اي لم ينذر آباؤهم فهم غافلون على ان عدم انذار آبائهم هو سبب غفلتهم وعلى الاثبات متعلق
بقوله انك لمن المرسلين لتنذر فهم غافلون كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل
فان قلت كيف يكون بين التفسيرين ... هذا وما في الآي الاخرى لانها متناقضة لان الاول في نفي انذارهم
لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم
لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع بقوله ... قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم
فهم لا يؤمنون لقد حق القول قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت
عليهم لانهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون على ان عدم ايمانهم مسبب من حقوق القول عليهم قوله تعالى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ● نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك
ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم
انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم
حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال لقد رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت
منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون مغلولون والاقماح
غض البصر ورفع الرأس يقال بعير قامح اذا رفع رأسه وغض بصره قيل هذا على طريق التمثيل ولم يكن هناك غل اراد
منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك قال الفراء ... فلما
... ● فليس كمثلنا الدنيا ام مالك ولكن
احاطت بالرقاب السلاسل ● وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل
... انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ...
كانوا فيها قال صاحب الكشاف مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين
في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين
لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله قيل هذا
بفعل الله ومشيته فهي الى الاذقان اي الاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي
في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ
رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا قال صاحب الكشاف فان قلت ما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل
لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك سمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي
قلت الوجه ما ذكرت ان الضمير للاغلال والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى
الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف
وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج قوله
تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ● قرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين في الحرفين والباقون بالضم
وهما لغتان فاغشيناهم اي فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وقيل فاعشيناهم
فاعميناهم مجاهد فالبسنا ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون الحق والرشاد وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم ● اي الجنة قال صاحب
الكشاف فان قلت قد كان ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه
التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان
البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من
غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشعون ربهم قوله تعالى انا نحن نحيي
الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين ● لما بين الرسالة التي هي الاصل الثاني
ذكر الحشر الذي هو الاصل الثالث وقيل لما ذكر الانذار والبشارة ولم يظهر تمامه في الدنيا فقال ان لم يكن في الدنيا
فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرين والمبشرين وقيل انه لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر بعده ما يؤكده وهو احياء
الموتى انا نحن نبعثهم بعد مماتهم الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من الاعمال الصالحة
وغيرها وآثارهم ما استن به بعدهم نظيره قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وقوله علمت نفس ما قدمت
واخرت وقيل آثارهم ما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من رباط او مسجد
او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث
فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها وقيل هي آثار المشائين الى المساجد

المغيرة بن شعبة وقال الضحاك نزلت في بني عذرة كانت منازلهم بعيدة من المسجد فشق عليهم حضور الصلوات فانزل
الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني خطاهم الى المسجد جابر بن عبد الله قال اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حول
المسجد خالية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتانا في ديارنا فقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد
فقالوا يا رسول الله بعد علينا المسجد والبقاع حول المسجد خالية فقال يا بني سلمة دياركم فانما تكتب آثاركم قال
فما وددنا ان نكون بحضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال وعن انس آثارهم الخطا يوم الجمعة
وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح وكل شيء احصيناه حفظناه
وعددناه وبيناه في امام مبين في لوح محفوظ قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ● قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل
الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ● قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون
واضرب لاجلهم مثلا وقيل واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية
وعلى الاول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال لتنذر قوما قال اضرب لهم مثلا ... اصحاب
القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم فذكروا التوحيد وخوفوا بالقيمة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني
بقوله لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تأس واضرب
لنفسك مثلا اي مثل لهم عند نفسك مثلا جاءهم المرسلون ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والاذى وانت جئتهم
واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤوا قرية وانت بعثت الى العالم وقال اضرب لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب
كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية
اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان الاول وانتصاب اذ بدل من اصحاب القرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون رسل عيسى الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق اذ ارسل اليهم رسولين من الحواريين فلما قربا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى يدعوكم
من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال امعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال
الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك نتطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا
ابنه فقام باذن الله في الوقت صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يقال له
سلاحن وقيل اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الاصنام فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا
عيسى عليه السلام قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المريض باذن الله قال لعلكم جئتما قالا ندعوك من عبادة
من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك
قال قوما حتى انظر في امركما فتتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين
الرسولين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى
فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان بعث عيسى عليه السلام
رأس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى
انسوا به ورفعوا خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين
وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان
رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق
كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين موضع
العينين كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك الشرف
ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما
الذي تعبدانه على احياء هذا الميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا مات منذ سبعة
ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤوا بالميت وقد تغير وانتن فجعلا يدعوان ربهما
علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال لهم اني مت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت لي ابواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع
لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان واشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله
اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فآمن وكان الملك فيمن آمن وكفر به آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل
الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله
تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قرأ ابو بكر عن عاصم فعززنا مخففا اي فغلبنا اي قويناهم من عزيز برسول ثالث
وهو شمعون وانما اسند الارسال اليه تعالى لان عيسى عليه السلام انما بعثهم بامره تعالى وكانوا من جملة الرسل فقالوا

جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون وانما لم يذكر المفعول به لقوله فعززنا لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون
وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له
وتوجهه اليه كانما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق
فلذلك قرئت ذكر المحكوم فيه والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر بالرفع لان الا ينقض النفي فلا يبقى لما الشبه
بليس شبه فلا يبقى عمل ولما كان الاول ابتداء اخبار قالوا انا اليكم مرسلون والثاني جوابا عن انكار قالوا انا اليكم
لمرسلون قوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد والتحقيق مع قوله وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر
المكشوف بالايات البينة الشاهدة لصحته والاولى قال المدعي والله انى لصادق فيما ادعى وان لم يحضر البينة كان
قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم مقاتل حبس عنهم المطر فقالوا هذا بشؤمكم قال صاحب الكشاف وذلك
انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه واثروه وقبلته
طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا او بشؤم هذا كما حكى الله
تعالى عن القبط ان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم لئن لم تنتهوا عن مقالتكم لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهو كفركم ومعاصيكم
قتادة اعمالكم الضحاك حظكم من الخير والشر معكم ائن ذكرتم وعظتم ودعيتم الى الاسلام جوابه محذوف
اي تطيرتم هذا القول ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وان ذكرتم بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم
بل انتم قوم مسرفون في الكفر والشرك مجاوزون الحد فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله عز وجل وتذكيرهم
وقيل بل انتم مسرفون في ضلالتكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله تعالى

قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ااتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون ● وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو
حبيب النجار وهب كان رجلا سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان
مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا امسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بنصف فلما بلغه ان
قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة
في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والاخرة قال قتادة
لما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم تسألون على هذا من اجر فقالوا لا فقال حبيب ذلك الكلام وكان حبيب في غار
يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فقيل له وانت تخالف دينا
ومتابع دين هؤلاء الرسل وتؤمن بالهتهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه
وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في اخلاص النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ووضع
قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد
فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ااتخذ من دونه سواه آلهة يعني الاصنام ان
يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون لعبادة العبادة لا تصلح الا لمن منه ابتداؤكم واليه مرجعكم
وما ادفع العقول واكرمها لان يستحق على عبادة عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم لم تنفع
شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستشفاع
لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان
يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اسمعوا ايماني تشهدوا لي به قوله وجاء من اقصى المدينة رجل فيه المجيء على
الفاعل على خلاف الاصل لانه اهم باذ مع ذلك انه حين اخذ في قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة اصحاب القرية
الرسل وانهم اصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستمرين على باطلهم فكان مظنة ان يأمن السامع على مجرى
العادة تلك القرية قائلا ما اكثر هاتيه وما اسوا هاتيه ويبقى مجيلا في فكره اكانت تلك القرية بحافاتها
كذلك او كان هناك قطر دان او قاص منبت خير منتظرا لمساق الحديث هل يلم بذكره فكان تلقاه الفارض مهتما
وكما جاء موضع له صالح ذكر وقيل لما قال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن
احد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرجت قصبته من دبره وقال السدي كانوا يرمونه
بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه من سور المدينة وقبره
في سوق انطاكية

قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ●
قيل لما قتل قيل له ادخل الجنة قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها قال صاحب الكشاف فان قلت كيف مخرج هذا
القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا
قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل

لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير
سؤال سائل عما وجد من قوله عقيبه عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في
اكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة من الكفر والدخول في الايمان وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه
عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في
تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين
له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام وقيل ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على صواب
ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وما في قوله بما غفر لي يجوز ان يكون مصدرية اي بغفرة لي ويجوز ان يكون موصولة اي
بالذي غفر لي ربي من الذنوب وان يكون استفهامية اي باي شيء غفر لي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعداء
الدين حتى قتل قال صاحب الكشاف الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت

قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون ● فلما قتل حبيب غضب الله تعالى له وعجل لهم النقمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن اخرهم المعنى
ان الله تبارك وتعالى كفى امرهم بصيحة واحدة ولم ينزل لاهلاكهم جندا من السماء كما فعل يوم بدر والخندق وما كنا
منزلين قيل تكرار مفيد للتوكيد وقيل ما بمعنى الذي عطف على من جند وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة
وريح وامطار شديدة وان كانت الا كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل فماتوا عن اخرهم فاذا هم خامدون
ميتون قال صاحب الكشاف وما كنا منزلين معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء
وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة
الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا

قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ● نداء الحسرة على العباد كانما قيل
يا حسرة تعالي فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم
المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله
عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقيل يا حسرة
على العباد من كلام حبيب وقيل من كلام القوم حين عاينوا العذاب تلهفوا وقالوا يا حسرة على العباد اي على الرسل
لم ينفعهم ايمانهم والحسرة الندم على ما فات لا يمكن تداركه وقيل الحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية
له بعده حتى يبقى قلبه حسيرا وقيل استهزاؤهم بالرسل تحسرهم وقيل تم الكلام على العباد ثم استأنف فقال ما يأتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون وهو منصوب المفعول في قراءة يجوز ان يكون عائدا الى قوم حبيب اي ما يأتيهم من رسول من
الرسل الثلاثة الا كانوا به يستهزءون على قولنا الحسرة عليهم ويجوز ان يكون عائدا الى الكفار المصرين ●

قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون
لما بين تعالى حال الاولين قال للحاضرين الم يروا والمعنى الم يعلم اهل مكة وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها ما
قبلها كانت خبرا للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا
ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره
الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وحكي عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا
مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقيل انهم اليهم لا يرجعون اي الذين
اهلكوا اهلكنا لا رجوع لهم الى الدنيا وقيل انهم اليهم لا يرجعون اي الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا
ولادة يعني اهلكناهم وقطعنا نسلهم وان كل لما جميع لدينا الا هلاك بل ابن الحسين من اهلكه ثم كل بعد حيي وحساب
وحبس وتقاويل ومن اهلاك تاركنا ان الموت راحة ● وهو ما قال القائل ● ولو انا اذا متنا تركنا لكان
الموت راحة كل حي ● ولكنا اذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
والباقون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع كقوله ان كل نفس لما عليها حافظ
الا فلتة ومن خفف جعل ان للتحقيق وخففه وما صلة مجازه معناه وان كله جميع لدينا محضرون والتنوين
في كل هو الذي يقع عوضا عن المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون
للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون والكل يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجمع
معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جاء جميعا

قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها
من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون ● لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا
لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال وآية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الله الموتى احييناها
اي بالمطر استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان

مطلقين لا ارضا وليلا باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني واخرجنا منها حبا جنس الحبوب فمنه يأكلون اي من الحب يأكلون قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضرر واذا فقد حضر الهلاك آية رفع بالابتداء وآية لهم الخبر وتقديمه لتعداد الآيات وجعلنا فيها في الارض جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم والباقون بفتحهما والضمير لله تعالى اي مما خلقه الله من الثمر وقيل ثمره اي ثمر المذكور وهو الجنات والنخيل وقيل ثمر ما ذكر وعمل ايديهم ويحتمل ان تكون ما نافية قرأ اهل الكوفة بلا هاء والباقون بهاء وقيل ما في وما عملته ايديهم يعني الجد والغني وقيل عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله تعالى وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وقيل يعني المصدر اي ومن عمل ايديهم كما مثلا من ثمرنا على تقدير عود الضمير الى الله تعالى كما قال افلا يشكرون نقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات سبحان الذي خلق الازواج كلها الاصناف مما تنبت الارض من الحبوب والثمار والحشيش والاشجار ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها فانه لا توصلوا الى معرفتها بطريق من الطرق ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد شيئا الى العلم بل لان لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ○ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ○ لما استدل بالارض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان والزمان مناسبة لان المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ونحوه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت حيث استدل بالزمان والمكان هناك ايضا لكن المقصود اولا هناك اثبات الوحدانية بدليل قوله ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير وههنا المقصود اولا اثبات الحشر لانه قال وان كل لما جميع لدينا محضرون ... الله وبينه سلخ الجلد ... فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله وقيل السلخ الاخراج يقال سلخت الشاة من الاهاب والشاة مسلوخة والمعنى اخرجنا النهار من الليل اخراجا لم يبق معه شيء من ضوء النهار فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها يعني الى مستقر لها قال ابن عباس ... ترجع الى منازلها قال قتادة الى وقت واجل لها لا تتعداه وقيل الى انتهاء امرها عند انقضاء الدنيا وقيل ... بعدها منازلها في الغروب وقيل لمستقرها فقيل لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر السنة ... فاذا اقطع مسيره او المنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه وقيل لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قراءة ابن مسعود لا مستقر لها اي لا قرار لها فهي جارية ابدا ذلك الجري على اكمل التقدير والحساب الذي تكل الفطن عن احصائه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء لانه شغلت الفعل عنه وقيل على العطف على الليل والباقون بالنصب بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه نورا في منازله وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة واسماؤها ○ الشرطان ○ البطين ○ الثريا ○ الدبران ○ الهقعة ○ الهنعة ○ الذراع ○ النثرة ○ الطرف ○ الجبهة ○ الزبرة ○ الصرفة ○ العواء ○ السماك ○ الغفر ○ الزبانى ○ الاكليل ○ القلب ○ الشولة ○ النعائم ○ البلدة ○ سعد الذابح ○ سعد بلع ○ سعد السعود ○ سعد الاخبية ○ فرغ الدلو المقدم ○ فرغ الدلو المؤخر ○ الرشا ○ فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقيل هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والقديم المحول فاذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى عليه حول او اكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر بل لهما سيران ... محلا يعدوه ولا يقصر دونه فاذا جاء سلطان هذا ذهب ذاك واذا جاء سلطان ذاك ... لكل واحد منهما صاحبه قاعدة الغيبة ولا الليل سابق النهار ومعناه ان الله تعالى جعل لكل واحد منهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس ... ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله ان تدرك

القمر فيجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا الليل سابق النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك ويجمع بين الشمس والقمر فيطلع الشمس من مغربها ... انما جعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر تقريبا فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق في فلك يسبحون يجرون قوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين ○ لما بين الله تعالى احياء الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقصر بجعل الانسان طريقا يتخذ من البحر حيث يتوسطها ويسير فيها كما يسير في البر وهذا حينئذ كقوله وحملناهم في البر والبحر ويؤيد هذا قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه ان المراد الابل فانها سفن البر وقيل لما بين سباحة الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحر وقيل الامور التي انعم الله بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة والاول الحاجة والثاني الزينة فخلق الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياؤها لما عاش والليل والنهار في قوله وآية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانها الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر وحركتهما لولم يكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول اثنين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة اثنين احدهما الفلك الذي يجري في البحر ... كما قال تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر وثانيهما الدواب التي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون الاستدلال عليهم بالضروري والنافع وآية لهم انا حملنا ذريتهم قرأه ابن عامر ونافع على الجمع وكسر التاء والباقون على الافراد وفتح التاء في الفلك المشحون المملوء ... السفينة والابناء من الاصلاب ... لانه ابلغ في الامتنان عليهم فادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم ... الفلك في سفينة نوح عليه السلام وخلقنا لهم من مثله مثل سفينة نوح ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وان نشأ نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم وقيل لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الغرق الا رحمة منا ومتاعا وليتمتع بالحياة الى حين انقضاء آجالهم اي اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ○ لما عد الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل وآية لهم انا حملنا ذريتهم وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى ولم يفدهم اليقين قال فاذا قيل لهم اتقوا ... قال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم من امر الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها قاله ابن عباس ثم مجاهد ما بين ايديكم ما تقدم من الذنوب وما خلفكم ما يأتي من الذنوب الحسن ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم ما بقي منه قتادة ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من امر الساعة مقاتل ما بين ايديكم عذاب الامم الخالية وما خلفكم من الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين تقديره واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اعرضوا قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ○ اي دأبهم وعادتهم الاعراض عند كل آية وموعظة ومن في قوله من آية لتوكيد النفي وفي قوله من آيات ربهم للتبعيض قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين اشارة الى انهم يخلون بجميع ما على المكلف لتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ... فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ... [illegible]

فاذا هم جميع لدينا محضرون ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى من الثلث نفخة الفزع
ونفخة الصعق ونفخة البعث تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون ويخاصم بعضهم بعضا قرا ابن كثير وورش
يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد وقرا نافع غير ورش ساكنة الخاء مشددة الصاد وابو عمرو بالاخفا
وحمزة ساكنة الخاء مخففة الصاد والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم لا يخطرونها ببالهم مشتغلين
بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم
بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون فلا يقدرون
توصية على ان يوصي بعضهم بعضا وقيل ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون
على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة ونفخ في الصور هي النفخة الثانية وهي نفخة البعث
فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يخرجون وقيل يعدون من النسلان
وهو الاسراع في السير قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من منامنا عن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة انما يقولون
هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون فقال اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع
عذابها صار ما عذبوا في القبور في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا من منامنا ثم قالوا هذا مبتدا ما وعد
الرحمن خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف والجزا اي
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نحو قلتم ومن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور
قالوا من بعثنا من مرقدنا واما ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكفار
يتذكرون مما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا قال صاحب الكشاف فان قلت اذا جعلت ما
مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده
الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني
سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك الجواب قلت معناه بعثكم الرحمن الذي
وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئتهما قلوبهم ونعيا لهم هو الهم وذكر لكفرهم
وتكذيبهم واخبار لوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم
السؤال عن الباعث انما هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على
السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون قوله
تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فاليوم منصوب بالحمل على انه مفعول
بنزع الخافض قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بسكون الغين والباقون
بضم الغين ابن عباس في شغل اي في افتضاض الابكار وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما
جامعوا نساءهم عادوا ابكارا الكلبي في شغل عن اهل النار وعما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل
عليهم تنغيص في نعيمهم وكيع في السماع ومن ضرب الاوتار يحيى بن معاذ في الاصوات الحسنة قال مزامير انس
في مقاصير قدس بالحان تحميد في رياض تمجيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا
وفي ضيافة الله وقيل شغلهم بعشرة اشياء ملك لا عزل معه وشباب لا هرم معه وصحة لا سقم معها
وعز لا ذل معه وحياة لا موت معها وراحة لا شدة معها ونعمة لا محنة معها وبقاء لا فناء معه
ورضى لا سخط معه وانس لا وحشة معه وقيل شغلهم في الجنة بسبعة انواع من الثواب لسبعة
اعضاء فاما ثواب الرجل فقوله ادخلوها بسلام امنين وثواب اليد فقوله يتنازعون فيها كاسا وثواب
الفرج قوله وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئا الاية وثواب اللسان قوله واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وثواب الاذن قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما وثواب
العين قوله وتلذ الاعين طاووس لو علم اهل الجنة عمن شغلوا لما هناهم ما اشتغلوا به وسئل بعض الحكماء عن
قوله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله قال لانهم في شغل بالنعيم عن المنعم ثم قال من رضي بالجنة
عن الله فهو ابله وقيل في شغل لا يوصف وما اظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل
الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده
ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة والتعظيم وذلك بعد الذلة والقشابة وانقضى من مشاق التكليف ومضايق
التقوى والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب
فاكهون متمتعون متلذذون في النعمة من الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة والفاكه المتنعم
هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل
والتفكه في ظلال بالالف وكسر الظاء جمع ظل على الارائك يعني السرر في الحجال العاجية واحدتها اريكة وهي السرر
في الحجلة وقيل الفراش فيها لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ابن عباس يسالون مقاتل يتمنون ويريدون وقيل
من ادعى شيئا فهو له بحكم الله لانهم ما يدعون الا ما يحسن سلام بدل مما يدعون فكانه قال لهم سلام يقال لهم

قولاً

قولا من رب رحيم من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمنا لهم و
ذلك لا يمنعون ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وسلام خبره
بمعنى ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم
عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف
عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم قوله تعالى وامتازوا
اليوم ايها المجرمون الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا
يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون امتازوا انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة حين يحشر
المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يقال مازه فامتاز وامازه ابن
عباس تفرقوا قتادة اعتزلوا من كل خير الضحاك ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار
فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يتمايز من بعض الم اعهد اليكم يا بني ادم لما ذكر تعالى
حال المؤمنين والمجرمين اي الكافرين كان لقائل ان يقول انه لا يمكن ان يكون ظلم ما جهولا والجهل من الاعذار
فقال الله تعالى ذلك عند عدم الانذار وقد سبق ايضاح السبيل بايضاح الرسل وعهدنا اليكم وبينا لكم ما
ينبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي والعهد الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وقيل وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة
العقل وانزل اليهم من دلائل السمع وقيل العهد ما عهد اليهم في قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم وقيل
اعهد اليكم بارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى الم امركم الم اوصكم ان لا تعبدوا الشيطان ان لا تطيعوه في
معصية الله تعالى انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وان اعبدوني هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية
الشيطان وطاعة الرحمن هذا صراط مستقيم اراد لا صراط اقوم منه قال صاحب الكشاف ونحو التنكير فيه ما في
قول كثير لئن كان يهدي برد انيابها العلى لا نفرحني اني لفقير اراد انه لفقير بليغ الفقر حقيق بان
اوصف به لكمال شرائطه فيه والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ
في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيم توبيخا لهم على
العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة
كانه قيل اقل احوال هذا الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك
كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار تنبيها على ان
من نصائحه ولقد اضل الشيطان منكم يا بني ادم جبلا خلقا كثيرا قرا نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء
وتشديد اللام ويعقوب بضم الجيم والباء وتشديد اللام وابن عامر وابو عمرو بضم الجيم وجزم الباء مخففا
والباقون بضم الجيم والباء بتخفيف اللام وكلها لغات معناها الخلق والامة افلم تكونوا تعقلون
استفهام تقريع على ترك الانتفاع بالعقل هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
اليوم نختم على افواههم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة عرف الكافر بعمله فجحد
وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال
احلف فيحلف ثم يصمته الله وتشهد ارجله ثم يدخله النار ويروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم
جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم
ويروى يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان اول عضو من الانسان ينطق يوم يختم على الافواه فخذه من رجله الشمال وعنه صلى الله عليه وسلم قال يجيئون
يوم القيمة على افواههم الفدام وان اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اعميناهم في الدنيا فاستبقوا الصراط فتبادروا الى الطريق
فانى يبصرون وقد طمسنا على اعينهم ابن عباس ومقاتل وعطا وقتادة ولو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم
واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل
ذلك بهم الكسائي والحسن ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ قال صاحب الكشاف
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا اليه وينتصب
على الظرف والمعنى انه لو نشاء لمسخ اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى
مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم
موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لا هم

فلو ارادوا ان يمشوا مستقيمين في الطريق المألوف كما كان مجراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا
الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا او لم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون
ما فقدوه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوه وما به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء
لمسخناهم على مكانتهم اي اقعدناهم في منازلهم قردة وخنازير والمسخ تحويل الصورة والمكانة والمكان واحد
كالمقامة والمقام او لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا اقبالا ولا ادبارا فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
وقيل فلا يرجعون الى ما كانوا عليه عن ابن عباس لمسخناهم حجارة وقال قتادة لاقعدناهم على ارجلهم ومن نعمره
ننكسه لما ذكر انه لو اراد ... قطع الامداد بسبق الانذار وشرع في قطع مدد اخر وهو ان الكافر يقول لم
نكن لبثنا في الدنيا الا سنين ولو عمرنا لما وجدنا تقصيرا فقال الله تعالى افلا يعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم
وقد عمرناكم مقدارا ربما تمكنون من البحث والادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ثم
علمتم ان الزمان كلما يعبر عليكم يزداد ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لم يكن لهذه الزيادة
فائدة في اعمالهم وقرئ ننكسه بتشديد الكاف وقرأ الباقون بفتح النون وضم الكاف مخففا اي نرده الى ارذل العمر شبيه
حال الصبي الذي هو اول الخلق وقيل نصيره بعد القوة الى الضعف وبعد الزيادة الى النقصان وبعد الجدة والطراوة
الى البلى والخلوقة فكانه نكس حاله قال صاحب الكشاف ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه
وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة
الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى
يرجع في حال شبيهة بحال الصبا في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه
اسفله قال الله عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين فهذه دلالة
على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم
الى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم
ما شاء واراد والله اعلم قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين لما ذكر الاصلين الوحدانية والحشر ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه
الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو من الشعر
انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى من غير ان يتعسف صنعته فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها
الشعراء من معانيه واين نظم كلامهم الذي هو نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت
اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد
قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتاتى له فلما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول العباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقال ابو بكر رضي الله
انما قال بين عيينة والاقرع فاعادها فقال بين الاقرع وعيينة فقام ابو بكر رضي الله عنه فقبل رأس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال صدق الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت
كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر رضي الله عنه يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام فقال ابو بكر
او عمر رضي الله عنه اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له عن قتادة وما علمناه
الشعر قال بلغني ان عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان
الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر الا ببيت اخي بني قيس طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي
ان هو يعني القرآن الا ذكر وقرآن اي ذكر من الله عز وجل يوعظ به الانس والجن كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وما هو
الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين
الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر قرأها اهل المدينة والشام والبصرة الا ابا عمرو بالتاء وفي الاحقاف للنبي
صلى الله عليه وسلم والباقون بالياء للنبي او القرآن من كان حيا عاقلا او مؤمنا في علم الله فان الكافر والجاهل
ميت الفؤاد ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان لانه احتج عليهم
قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم
ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ثم انه تعالى اعاد ذكر الوحدانية والدلائل الدالة عليها
اولم يروا انا خلقنا لهم لبني آدم مما عملت ايدينا مما تولينا عمله من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة انعاما قال صاحب
الكشاف مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر
الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون ضابطون قاهرون او يعني خلقناها لاجلهم
فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون في الانتفاع بها لا يزاحمون وذللناها سخرناها لهم وهي
من جملة النعم الظاهرة وكانت كذا لو لم يذللها لهم لم يقدر عليها احد فلن تذليله وتسخيره فمنها ركوبهم اي مركوبهم كما يقال

ناقة

ناقة حلوب اي محلوب ومنها يأكلون من لحومها ولهم فيها منافع من اصوافها وجلودها واوبارها واشعارها ومشارب
جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب افلا يشكرون نعم الله استفهام بمعنى الامر والله اعلم قوله تعالى واتخذوا
من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اشارة الى زيادة ضلالهم
ونهاية جفائهم فانه كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع لعلهم
ينصرون اي ليمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك ولا يستطيعون نصرهم اي الاصنام نصرهم والامر على خلاف
ما توهموا وتوقعوا وهم لهم جند محضرون معدون لعذابهم لانهم مع اوثانهم في النار بحيث لا يدفع بعضهم لبعض النار
لانهم يجعلون وقودا للنار قوله تعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون هذا ايضا اشارة
الى زيادة ضلالهم فانه كان الواجب عليهم الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه في دعواه وطاعته
فيما امر ونهاه شكرا لنعمة الله تعالى فان بعثته من اعظم النعم فاعرضوا عنه وكذبوه فلا يحزنك تكذيبهم وقولهم في الله
ان له شريكا وولدا وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون وقد تم الكلام ههنا ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون
من عداوتهم ومكرهم وكيدهم وما يعلنون من تكذيبهم وقولهم في الله ان له شريكا وقولهم فيك انك شاعر وساحر ومجنون
فنجازيهم على ما يسرون وما يعلنون وقيل هو تهديدهم بالقتل ووعيدهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيحول بينك
وبينهم قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ابن عباس
الانسان هو عبد الله بن ابي سعيد بن جبير هو العاص بن وائل السهمي الحسن هو امية بن خلف الجمحي وقال جماعة
من كفار قريش منهم امية بن خلف وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا
ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته
بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فانزل الله هذه
الآيات وهذا اشارة الى زيادة ضلالهم في الحشر فبين الله ضلالهم في الاصول الثلاثة التوحيد بقوله واتخذوا من دون الله
والرسالة بقوله فلا يحزنك قولهم والمعاد بقوله اولم ير الانسان فقبح الله انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ
وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرر
بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة
ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءته لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل
ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه
منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا
هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال اومن ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي خلقنا اياه مصدر مضاف الى المفعول قال من يحيي العظام
تفسير لقوله وضرب مثلا وانما سمي من يحيي العظام وهي رميم مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي
انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى وقيل انما سمي مثلا لما فيه من التشبيه لان ما انكره من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة
عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه
قادرا كان تعجيزا لله تعالى وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام
غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد
بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها واما
اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون
المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس قل يا محمد يحييها الذي انشأها
خلقها اول مرة وهو بكل خلق عليم لا يخفى عليه اجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من
خلق المتشابهات والمتضادات ومن اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وجلائلها ودقائقها مجمعه ومبدده
خلقا كما كان الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الذي من بدائع خلقه وعجائب صنعه ولطائف حكمته وشواهد
قدرته انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بهما الاعراب واكثرها
من المرخ والعفار ابن عباس هما شجرتان يورى منهما النار يقطع منهما غصنان مثل السواكين يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فيخرج منهما النار باذن الله تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
وقيل كل شجر فيها نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال اوليس الذي خلق السموات والارض مع
عظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض وقيل على ان يخلق مثلهم
يعني ان يعيدهم لان المعاد مثل المبتدأ وليس به بلى ان يقولون بلى فانهم مضطرون من جهة العقل ان يقولوا بلى وقيل
فان اجابوا والا فقل بلى اذ ليس له جواب غير ذلك وهو الخلاق الكثير المخلوقات العجيب المصنوعات العليم بالكليات

والجزئيات

الجزئيات وبالامور الماضية والحوادث المستقبلة انما امره اذا اراد شيئا اي وجود شيء ان يقول له كن فيكون على ما قدره واراده سبحان تنزيه له عما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شيء اي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه على حسب مشيئته ومقتضى ارادته والملكوت الملك بابلغ الالفاظ وقيل الملكوت عالم الغيب كما ان الملك عالم الشهادة واليه ترجعون اما الى جنة واما الى نار

سورة والصافات

وهي ثلثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا وثمانمائة وستون كلمة ومائة واثنان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ● اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوات من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة يعني صفوف الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا للصلوات وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة حتى يامرها الله بما يريد وقيل الصافات الطير دليله قوله تعالى والطير صافات وقوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلوة والحرب والزاجرات يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه قتادة هي زواجر القران وقيل الزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها يعني جبريل والملائكة يتلون كتاب الله ويجوز ان يريد بالتاليات كل من تلى كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات ايات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل وقيل هو قسم بالله على تقدير ورب الصافات قال صاحب الكشاف فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصافات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالايب كانه قال الذي صبح فغنم فاب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما زجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ورب المشارق اي مطالع الشمس وذلك ان الله خلق للشمس ثلثمائة وستين مشرقا وثلثمائة وستين مغربا على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين والمراد بالمشرقين والمغربين في قوله رب المشرقين ورب المغربين مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما والله اعلم قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ● انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب نصبا يعني بزينتها الكواكب وقيل كذا الكواكب وحمزة وحفص في سائر الروايات بزينة منونة الكواكب خفضا على البدل اي بزينة بالكواكب والباقون بزينة الكواكب مضافة الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملها قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل فان زينتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت الدنيا لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب فان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما زان به وان يراد ما زينت به الكواكب ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب وقيل يجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وحفظا اي وحفظناها حفظا او وجعلناها ايضا حفظا قال صاحب الكشاف وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خبيث خال عن الخير كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل

[margin: مالك كل شيء م — مكية — تصف م — منونة الكواكب — والجوزاء م]

شيطان

[illegible] لا يسمعون الى الملا الاعلى [illegible]

[illegible]

قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ● المقصود الاعظم من هذا الكتاب ذكر اثبات الاصول الاربعة التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر [illegible] هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته [illegible] وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب [illegible]

[illegible]

اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس واما الطريق الثاني فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجساد ولولا كونه تعالى قادرا على هذا لما حصلت الحياة فيه لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة امر ممكن ولما بين تعالى امكانه بهذين الطريقين صرح بوقوعه بقوله قل نعم وانتم داخرون وذلك لانه ثبت بصدق الرسول لاجل ظهور المعجزة عليه الصلاة والسلام فاذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الاية ولنذكر تفسير الفاظ هذه الاية اما قوله فاستفتهم يعني انك لما اثبت بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ان خالق السموات والارض وما بينهما استفت هؤلاء المنكرين وقل لهم اهم اشد خلقا ام هذه الاشياء التي بينا كونه تعالى خالقا لها ولم يحك عنهم انهم اقروا ان هذه الاشياء اصعب لان ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة الى ان يحكي عنهم تسليم ذلك الامر كذلك انا خلقناهم من طين لازب يعني انا لما قدرنا على خلق الحي في ذواتهم وجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما بينا ان حال القابل والفاعل ممتنع التغير وفيه دقيقة اخرى وهي انهم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من النطفة ولا من الابوين فكانه قيل لهم انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله وتكوينه فلا تبعدوا ان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لا من الابوين فاذا عقلتم ذلك فكما اعترفتم به فقد سقط قولكم كيف يحدث من غير النطفة ومن غير الابوين وايضا فقد اشتهر عند الجمهور ان ادم عليه السلام مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذا الذات قال صاحب الكشاف [illegible] الى معنى التقرير [illegible] بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة لشدة بطشه وقوتها من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة

[margin: يسمعون م — الكشاف م]

والسموات والارض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولى العقل
على غيرهم فقال ام من خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب
الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقنا من ذلك وانه خلقنا يحتمل الذين خلقنا من قوم سبقهم من الخلق
في خلقه شدة واصعب خلقا لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق
هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف
والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه
تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر
انكارهم البعث بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم
من آثار قدرته تعالى او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرأ حمزة والكسائي وخلف بل عجبت بضم التاء
اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي
وقيل عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف يجوز التعجب على الله وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز
عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد التعجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض
وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا
يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن
مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وقيل معناه انهم قد حلوا محل من يتعجب منهم
لتعجب من الشيء اذا لم يكن له سبب ونحوها وسئل جنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله
وافق رسوله صلى الله عليه وسلم فقال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما يقوله وقال الاخرون بالتاء المفتوحة على
خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه بل عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك واذا ذكروا لا يذكرون
لا يتعظون واذا راوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية وقيل يستدعي
بعضهم بعضا الى ان يسخر وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون اوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ۝ اوآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير
في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد
يعني انهم قد تقدم بعثهم ابعد وابطل وقرأ ابن عامر وقالون باسكان الواو هنا وفي الواقعة يعني او آباؤنا او بمعنى الواو
والباقون بفتح الواو قل نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فانما هي
زجرة صيحة واحدة وهي النفخة الثانية وقيل النفخة وقيل القيامة وقيل لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة يفسرها
خبرها فاذا هم ينظرون احياء وقالوا قيل يعني الملائكة وقيل يعني الكفرة اي قال الكفرة بعضهم مع بعض وقيل
يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل كلام الملائكة للكفرة جوابا هذا يوم الدين اي يوم الجزاء اي
نجازى باعمالنا على تقدير ان يكون كلام الكفرة او تجازون باعمالكم على تقدير ان يكون كلام الملائكة هذا يوم الفصل
القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم ۝ احشروا خطاب من الله للملائكة او خطاب الملائكة
بعضهم مع بعض الذين كفروا وظلموا وازواجهم وضرباءهم ابن عباس اشباههم اصحاب الشرك ومقاتل قرناءهم من
الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل
الزنا مع اهل الزنا الحسن وازواجهم المشركات وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا فاهدوهم فادعوهم من
دلوهم وعرفوهم طريقها ليسلكوها وقيل قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا ومنه قيل للرقبة هادية وقيل فاهدوهم فعرفوهم
طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متناصرين قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون ۝ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان
بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون
انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
وقفوهم واحبسوهم انهم مسؤولون ابن عباس عن لا اله الا الله ضحاك عن خطاياهم القرظي عن جميع اقوالهم وافعالهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما ابن آدم بين يدي ربه عز وجل يوم القيمة حتى يسئل عن خمس خصال عن شبابه
فيم ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعما ذا عمل فيما علم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دعا بعبد من عبيده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن
ماله ما لكم لا تناصرون ولا تمنعون ولا ينصر بعضكم بعضا تقوله خزنة النار للكفار وهذا جواب ابي جهل حين قال يوم

بدر

بدر نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر ابن عباس
مستسلمون خاضعون الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم قال اهل المعاني مستسلمون لما لا يستطيعون
له دفعا ولا منه امتناعا كحال الطالب السلامة في ترك المنازعة واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع
يتساءلون يتخاصمون قالوا اي الاتباع للرؤساء انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من قبل الدين لما كان اليمين اشرف العضوين
واشرفهما وكانوا يتيمنون بها فيصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون بها ويزاولون اكثر الامور ويتشأمون بالشمال
ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضد
الشرع ذلك فامرت بمباشرة افضل الامور باليمين واراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه
بشماله استعيرت لجانب الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في
بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال
اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه
خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فان قيل قوله اتاه من جهة الخير وناحيته
مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز اجيب بان المجاز قد يغلب استعماله في المفهوم المجازي فيصير
حقيقة واليمين من هذا القبيل فتعبير المجاز منه وقيل يجوز ان يجعل اليمين مستعارة للقوة والقهر لان اليمين
موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه مجاهد عن الصراط المستقيم قال اهل المعاني من جهة النصيحة
والبركة والعمل الذي يتيمن به قالوا يعني الرؤساء بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه وما كان
لنا عليكم من سلطان نجبركم ونقهركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا وعليكم قول ربنا اي
قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين انا جميعا لذائقون العذاب ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء
لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فاضللناكم ودعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم
الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم اي الرؤساء المتبوعين والاتباع جميعا
يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالكافرين انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عنها ويصرون على الشرك ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون ۝ قال الله تعالى ردا عليهم
بل جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالحق وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه انكم ايها الكافرون لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون جزاء سيئا بعمل سيء الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
اي لكن عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة و
عشيا فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه جمع الفاكهة وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت الذي يحفظ الصحة
يقال للذي يتفكه بهذا الطعام يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن القوت لحفظ الصحة لان اجسامهم
محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ وقيل اراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها
من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات باباه
وهم مكرمون معظمون محترمون قوله تعالى في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين
بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم ۝ في جنات النعيم على سرر متقابلين
والتقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يطاف عليهم بكأس اناء فيه شراب ويقال للزجاجة
التي فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر
وكذا تفسير ابن عباس من معين من خمر جارية في انهار ظاهرة للعيون وقيل من معين وهو الجاري على وجه الارض
الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء قال الله تعالى وانهار من خمر وقيل معين يجوز ان يكون فعيلا من المعن وهو
الاسراع والشدة من معن في الامر اذا اشتد دخوله فيه يعني خمر شديد الجري سريعه بيضاء صفة للكأس وهي
صافية في نهاية اللطافة لذة اما ان توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء
لذ فهو لذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدو من خشية الحدثان
لا فيها غول اي اثم قتادة وجع البطن الحسن صداع مجاهد داء ابن كيسان مغص الشعبي لا تغتال عقولهم فتذهب
بها وقيل الغول فساد يلحق في خفية يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية ومنه الغول والغيلة

وهو القتل خفية وقيل الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب
وفي امثالهم الغضب غول الحلم ولا هم عنها ينزفون قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الزاي ومعناه لا تغلبهم
على عقولهم ولا يسكرون منها يقال انزف الرجل فهو منزف ونزيف اذا سكر وزال عقله قال الشاعر فلثمت فاها آخذا
بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج اي السكران ● والباقون بفتح الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم يقال
انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره قال الحطيئة لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها دخلا في القشع والكب
وقيل المعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص وصداع او خمار وهي الخمرة او غير ذلك
وهم لا يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين وغاضات
الجفون قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم عين نجل العيون حسانها واحدتها عيناء
يقال رجل اعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين كانهن بيض مكنون مستور مصون في الحسن وابن زيد شبههن
ببيض النعام يكنها بالريش من الريح والغبار ولونها اشبه لون النساء وتسميهن بيضات الخدور وقيل شبههن
ببطن البيض قبل ان يقشر وهو معنى قول ابن عباس فاقبل عطف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب
كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام ● فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى
لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادته في اخباره قال قائل منهم اني كان لي قرين في الدنيا يعني صاحبا كان
شيطانا او قال الآخرون كان من الانس وقيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما فطرس وهو الكافر والآخر
يهوذا وهو المؤمن وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين
بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء وقيل لمسوسون لمربوبون يقال دانه
ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين
قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل يسمع يقول لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار
وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلكم من منزل اهل النار فاطلع هذا المؤمن
فرآه اي قرينه في سواء الجحيم في وسط النار قوله تعالى قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون ● قال
تالله ان كدت مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية كدت لتردين لتهلكني الان تهلكني والارداء الاهلاك ولولا نعمة ربي عصمة ربي وتوفيقه ورحمته لكنت
من المحضرين معك في النار افما نحن معطوف على محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وهذا قول
المؤمن على جهة التوبيخ لقرينه الكافر بما كان ينكره وقيل يقوله اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت على طريق الاستفهام
افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين فتقول لهم الملائكة لا وقيل انما يقولونه على جهة الحديث بنعمة
الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون وقيل المعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم فيما قضى الله به لهم العلم بانهم
لا يذوقون الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت
قال الذي يتمنى فيه الموت ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا
لقولهم وتصديقا له وقيل تم كلامه لقرينه ثم قال الله لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل هذا ايضا من كلامه ●

قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رءوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ● لما تمت قصة المؤمن وقرينه رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال
اذلك الرزق خير نزلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير
للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا
على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل
النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم
كالبيت الذي يقام لساكن الدار السكنى ويحتمل ان يكون اول الرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم
انه لا خير في شجرة الزقوم لكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة
الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم والزقوم شجرة كريهة الطعم جدا من قولهم تزقم هذا الطعام اي تناوله
على كره ومشقة شديدة انا جعلناها فتنة للظالمين للكافرين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء لهم في الدنيا
وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر قال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا
بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافريقية هو الزبد والتمر فقال ابو جهل تعالوا نتزقم مما يوعدكم به محمد فقال الله انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم قعر النار الحسن اصلها في قعرها واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها الطلع للنخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية كانه رءوس الشياطين شبه برءوس الشياطين دلالة
على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير

فيقولون

فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح
ما يقدر وامثاله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك وهذا التشبيه تخييلي وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة الخفيفة الجسم
شيطانا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رءوس الشياطين وما سمت العرب
هذا النوع من الشياطين الا تصحيحا لاحد التشبيهين ولكنه بعيد لان التسمية بذلك تجمع اصلا ثانيا تشبيه به فانهم
لآكلون منها من الشجر اي من طلعها فمالئون منها بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد الملجئ حتى يملؤا بها او لا يحتمل
عليه ثم ان لهم عليها لشوبا خلطا ومزاجا يقال شاب يشوبه من حميم ماء حار شديد الحرارة يعني حرقا للامعاء في بطونهم
ثم ان لهم عليها لشوبا وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون
الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة
والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته
لصفته في الزيادة عليه ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ثم انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي
الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي
في ذلك بين انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون علل استحقاقهم الوقوع في تلك الشدائد كلها
بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلالة وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا
وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة واتساقهم قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ● ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يوجب التسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين فارسلنا فيهم
منذرين انبياء انذروهم العواقب فكذبوهم فصبروا ليكن لك اسوة بهم حتى تصبر كما صبروا وثبتوا على البلاغ والى الله
تعالى امرهم فانه ليس عليهم الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين الذين
سلموا واخلصوا دينهم وقيل اخلصهم الله لدينه قوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله
من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين ● لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المكذبين اتبع
ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبنا احسن الاجابة واوصلنا اليه مراده ونجيناه
بنصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق والطوفان واهوال
السفينة وقيل تكذيب قومه واذاه وجعلنا ذريته هم الباقين وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان
معه في السفينة غير ولده ونسائهم والذين لحقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان
لنوح ثلاثة اولاد سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج عن ابن عباس لما خرج
نوح عليه السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم وتركنا عليه اي ابقينا له ثناء حسنا
وذكرا جميلا في الآخرين فيمن بعده من الانبياء والامم سلام اي وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح
في العالمين يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون
هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو احد منهم كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون
عليه عن آخرهم وقيل معناه تركنا عليه ثناء حسنا وتم الكلام ثم قال سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين
اي سائر المحسنين نجزيهم ونثني عليهم كما جزينا نوحا واثنينا عليه انه من عبادنا المؤمنين علل مجازاة نوح بتلك
التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان
مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه
ثم اغرقنا الآخرين يعني قومه الكافرين المكذبين قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم
اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا
باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين ● وان من شيعته
ممن شايع نوحا على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين لابراهيم يحتمل ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء
ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان
وستمائة واربعون سنة والشيعة من يتبع المشايعة وهي المتابعة وان تتابعه على دينه وتعاونه اذ جاء
ربه بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى
من بعض ومعنى المجيء بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون ما الذي تعبدون ائفكا منصوب على المفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا

يريد

تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه
كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم
فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين
فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقيل فما ظنكم برب العالمين انه من اي جنس من اجناس الاشياء
حتى شبهتم به هذه الاصنام اي لا يشبهه شيء وقيل فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين
استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام وقيل فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم
وقد عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم وذلك حين طلبوا منه ان يخرج معهم الى عيدهم فاراد ان يتأخر للامر الذي هم
به فقال اني سقيم ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك
انه كان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على اصنامهم فيقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم
من الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه وكانت الاصنام اثنين
وسبعين صنما من خشب وحديد ونحاس وشبه وفضة وذهب وكان كبيرهم من ذهب في عينيه ياقوتتان
فقالوا لابرهيم عليه السلام الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم ابن عباس مطعون الحسن
مريض الضحاك سأسقم كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقيل سقيم بما في عنقي من الموت وقيل سقيم بما
ارى من حالكم القبيحة وقيل سقيم لعلة عرضت له وانه انما نظر في النجوم ليستدل بها على وقت حمى كانت
تأتيه والصحيح انه لم يكن سقيما لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات
ثنتين منها في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي
وقيل انما قالها ابرهيم معاريض من الكلام فقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء
وقول لبيد: فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء. وقد مات رجل فجأة فالتف عليه
الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فتولوا عنه
مدبرين الى عيدهم فدخل ابرهيم عليه السلام على الاصنام فكسرها ووضع الفاس على عاتق الصنم الكبير وكانوا
اذا رجعوا من عيدهم يدخلون على اصنامهم قبل ان يرجعوا الى منازلهم فدخلوا عليها فاذا هي مكسورة فراغ الى
آلهتهم فمال اليهم في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم
آلهة كقوله اين شركائي فقال الا تأكلون الطعام الذي صنعتموه ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال
عبدتها فراغ عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم وقيل فراغ عليهم يضربهم
ضربا بمعنى ضاربا او ضربا باليمين ضربا شديدا لان اليمين اقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين بسبب القسم
الذي سبق منه وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين وقيل بالقوة والمتانة فاقبلوا
اليه الى ابرهيم يزفون يسرعون الحسن ومجاهد يزفون من زفيف النعام حمزة يزفون بضم الياء وكسر الزاي اي
يدخلون في الزفيف وقيل من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا قال ابرهيم عليه السلام لهم
على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وما في ما تعملون موصولة حيث اثبت لهم عملا
فابطل مذهبنا القدرية والجبرية بهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته
وقيل وما تعملون الى اصنامكم وقيل ما تعملونه من الاصنام كالخشب والذهب والفضة قالوا ابنوا له بنيانا
بنيانا فيقال بنوا له حائطا من الحجر طوله ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب واوقدوا فيه
النار فالقوه في الجحيم في النار الشديدة الوقود وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم فارادوا به كيدا
مكرا وحيلة لما انطلقهم بالحجاج فجعلناهم الاسفلين المقهورين وذلك ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين
جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله عز وجل والهمه ما الجمهم به الحجر وقهرهم فمالوا
الى المكر فابطل مكرهم وجعلهم الاسفلين الاذلين لم يقدروا عليه وقال ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى
مرضاة ربي وهو المكان الذي امرني ربي بالذهاب اليه وقيل اراد به مهاجرته الى الشام مع امره بالمهاجرة اليه
من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي وقيل ذاهب الى ربي حيث امرني على سيهدين الى مقصدي وقيل انما قال
ذلك حين طرح في النار اي ذاهب الى ما قضى علي ربي وقيل معناه اني ميت كما يقال لمن مات ذهب الى ربه وقيل سيهدين
الى الخلاص من النار وقيل الى الجنة حسبي الله ونعم الوكيل وقيل سيثبتني على الهدى وقيل سيرشدني الى ما فيه صلاحي
في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله تعالى وعده وقال له ساهديك
فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه
امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلى الله عليه وسلم عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
رب هب لي ولدا من الصالحين لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هارون نبيا فقال لم يجعل وقد وهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى فبشرناه بغلام
حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي

المحسنين

المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على ثلث انه الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم
اي بغلام يبلغ درجة الحلماء فان الصبي لا يوصف بالحلم والحليم الذي لا يعجل بالعقوبة مع القدرة وقيل بغلام
حليم في صغره حليم في كبره وقيل حليم في صغره واي خلق اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقال لما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك
لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما
بلغ معه السعي مع ابيه في اشغاله وحوائجه وقيل عملا يتيسر معه في منافعه وقيل يمشي مع ابيه وقيل بلغ ان
يسعى في عبادة الله وطاعته وقيل بلغ مبلغ الرجال العقلاء معه لا يجوز ان يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد
السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه
على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به
في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه
على عضاضة سنه وتعلقه وحد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك
البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقيل له اذبح ابنك ورؤيا
الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى
انه راكب في سفينة رأيت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كان قائلا يقول ان الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم
التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي
يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف
بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة وقرأ حمزة والكسائي وخلف ماذا تري بضم التاء وكسر الراء اي ما
ذا تريني من صبرك وجزعك وقيل ماذا تبصر من رايك وتبديه وقيل ماذا تشير والباقون بفتح التاء والراء قال يا ابت
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر
الى المفعول وتسمية المأمور به امرا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على البلاء. اختلف السلف من علماء
المسلمين في الذي امر ابرهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اتفاق اهل الكتابين على انه كان اسحق فقال قوم الذبيح
اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب
رضي الله عنهم ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقسم
بن ابي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وهي رواية عكرمة وابن جبير عن ابن عباس
وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب
والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهي رواية عطاء وابي الجوزاء
وابي يوسف عن ابن عباس قال المهدوي اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الذبيح اسحق وعن صفوان بن سليم وزيد بن اسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اسحق لما اراد ابرهيم
ان يذبحه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يا رب صدقت نبيك وجدت
بنفسي للذبح فلا تدخل النار من لم يشرك بك شيئا فيقول لبابك وعزتي لا ادخل النار من لا يشرك بي شيئا وعن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني بين ان يغفر لنصف امتي او اخبئ شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان يكون
اعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي ان الله عز وجل لما فرج عن اسحق عليه السلام كرب الذبح
قيل يا اسحق سل تعطه فقال اما والذي نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك
شيئا فاغفر له وادخله الجنة واما ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فعن الصنابحي قال كنا عند
معاوية بن ابي سفيان فذكروا الذبيح اسحق او اسمعيل فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله عد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل يا امير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لله عز وجل لئن سهل الله عز وجل
له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة
بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي هذا الباب في محاجة القائلين
بانه اسحق من القرآن فهو ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع امرأته
سارة وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين وذلك قبل ان يعرف
هاجر وقبل ان تصير له ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابته دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رؤيا ابرهيم
ان يذبح ذلك الغلام حليم ثم يمضي ابرهيم فذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن
انه بشر بولد الا باسحق واحتج من قال انه اسمعيل من القرآن بما روي عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله
تعالى ابرهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله وذلك ان الله تعالى يقول حين فرغ من قصة المذبوح

وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يا بن ويا ابن ابن فلم يكن يامره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى الموعود
فلما لم يذكر الله تعالى اسحق الا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحق علمنا ان الذبيح اسمعيل قال القرظي فذكرت ذلك
لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل
الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز
عن ذلك وانا عنده فقال اي ابني ابرهيم امر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك
ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذي كان من امر الله فيه والفضل الذي ذكره الله عز وجل منه
لصبره على امر ربه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم واحتجوا ايضا بان قرني الكبش كانا منوطين
بالكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج قال الشعبي رايت قرني
الكبش منوطين بالكعبة وكان القربان بمنى ولولا ان اسمعيل عليه السلام وهم الروم وكانوا اكثر عزا من العرب وهذا
ابل دليل على ان الذبيح اسمعيل وقال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اكان اسحق او اسمعيل فقال يا اصمعي اين
ذهب عنك عقلك واين كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة والذي بنى البيت مع ابيه ابرهيم عليهما السلام كما قال الله عز وجل
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل والمنحر بمكة لا شك فيه وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فانشد
ان الذبيح هديت اسمعيل نطق القرآن بذاك والتنزيل • شرف به خص الاله نبينا وابانه التفسير والتأويل
ان كنت من امته فلا تنكر له شرفا به قد خصه التفضيل • قال صاحب الكشاف فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله
قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب
المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور
آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما امر يوسف
عليه السلام بسجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول
المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين
لان الحال اما حال اليقظة او حال المنام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى في الدلالة من انفراد احدهما
فلما اسلما انقادا وخضعا لامر الله يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد اذا انقاد له وخضع
واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان
منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله قال قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين اي صرعه واضجعه وكبه على وجهه للذبح تواضعا على
مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن
في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما
واغتباطهما وحمدهما وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين
الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لما خوله الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار المظهر فيما يوجب النعمة
او النقمة وكذلك يقال للنعمة بلاء وللمحنة بلاء لانهما سميتا باسم سببهما المؤدي اليها وقيل البلاء المبين الاختبار
البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم
والذبح المهيا لان يذبح عن ابن عباس رضي الله عنهما الكبش الذي ذبحه ابرهيم عليه السلام هو الذي قربه ابن آدم
هابيل فتقبل منه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال مجاهد سمي عظيما
لانه متقبل وقال الحسين بن الفضل لانه كان من عند الله وقال ابو بكر الوراق لانه لم يكن عن نسل وانما كان بالتكوين وقيل لانه
فدا عبدا عظيما وقال اهل المعاني قيل للعظيم لانه يصغر مقدار غيره من الكباش بالاضافة اليه وذكر المفسرون على انه
كان كبشا من الغنم اعين اقرن املح الحسن نادوا بفعل الانسي من الاروي هبط عليه من ثبير فان قيل قد اوحى
الى ابرهيم عليه السلام في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو وجد منه الذبح
وقيل له قد صدقت الرؤيا اجيب بانه قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على
حلقه ولكن الله عز وجل جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم عليه السلام الا ترى انه لا يسمى عاصيا
ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ
على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قيل
الله تعالى هو المفتدى اليه لانه الآمر بالذبح وكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه اسناد الفداء الى السبب لانه
هو الممكن من الفداء بهبته فان قيل اذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء
انما هو التخليص من الذبح ببدل اجيب بانه قد علم بمنع الله تعالى ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم
فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش

بدلا منه

بدلا منه فان قيل فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير
نقصان اجيب بان الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور ويوجد المامور به
من كل وجه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين ولم يقل انا كما في غيره لانه قد سبقه
في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية ولانه بقي من القصة شيء وهو
ذلك انه وقع بعد تمام القصة انه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين • حال
مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فان قيل فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك لان المدخول
موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية
لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة
وكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن
صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون
موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق اجيب بان هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك
والذي يحل الاشكال انه لابد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة
نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال
ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لابد ان يكون من الصالحين قال قتادة بشره الله بنبوة اسحق
بعد ما امتحنه بذبحه وهو جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز
ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا عن ابن عباس وبشرناه
باسحق نبيا قال بشرى نبوة بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه وعلى اسحق اي افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده
وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر
وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظالم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب
بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه وقيل على الغلام المبشر به وعلى اسحق وهو ان
من الذرية الصالحة التي من جملتها انبياء بعدهم الى قيام الساعة وقيل خرج من صلب اسحق الف نبي اولهم يعقوب وآخرهم
عيسى وقيل وجعلنا فيهما وفي نسلهما البركة والزيادة يقول باركك الله فيك وعليك وقيل معنى باركنا ابقينا عليهما الثناء
والبركة البقاء ومن ذريتهما محسن مؤمن وظالم لنفسه مبين كافر ظاهر الكفر قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط
المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين • ولقد
مننا انعمنا على موسى وهرون بالنبوة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم بني اسرائيل من الكرب العظيم من الغرق حيث
اغرقنا فرعون وقومه وقيل من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم يعني موسى وهرون وقومهما فكانوا هم الغالبين
على فرعون وقومه اي القبط وآتيناهما الكتاب المستبين المستنير البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهو صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين اي اثبتناهما عليه وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين
سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين • ابن مسعود الياس هو ادريس والى هذا
ذهب عكرمة قال هو في مصحف عبد الله وان ادريس لمن المرسلين وتفرد عبد الله بن مسعود وعكرمة بهذا القول وقال
آخرون هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو عم اليسع وقيل هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون اخي موسى بن
عمران لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله بالايمان به وقيل معناه اتتقوا الله اتدعون اتعبدون بعلا
وهو اسم صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة
اهل اليمن وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عباس سمعت اعرابيا يقول لآخر من بعل هذه
الناقة يعني من صاحبها قال الراغب بلغة هذيل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به
وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وتذرون وتتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم قرأ حمزة
والكسائي وخلف ويعقوب بالنصب ربكم ورب آبائكم بنصبهما على البدل والباقون برفعهما على الاستيناف فكذبوه
فانهم لمحضرون في العذاب يعني النار الا عباد الله المخلصين من قومه فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الآخرين
سلام على الياسين قرأ ابن عامر ونافع ويعقوب آل ياسين بالمد والباقون الياسين بالقطع والقصر فمن قرأ آل ياسين

بالمد فانه اراد آل محمد صلى الله عليه وسلم عن بعضهم وقيل اراد آل ياسين وهو لا يليق بسياق الاية ومن قرأ الياسين
فقد قيل انها لغة في الياس مثل اسمعيل واسمعين وميكائيل وميكائين وقيل هو جمع اراد الياس واتباعه من المؤمنين
كقولهم الاشعريون والمهلبون قال الكسائي العرب تثني وتجمع الواحد كقول الشاعر قدني من نصر الخبيبين قدني
وانما هو ابو خبيب عبد الله بن الزبير وقال الآخر جزاني الزهدمان جزاء سوء   وانما هو زهدم انا كذلك نجزي
المحسنين ❊ انه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في
الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون ❊ مصبحين داخلين في الصباح
اي تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افلا تعقلون فليس فيكم عقول تعتبرون بها قوله
تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ❊ فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من
يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين ❊ اذ ابق هرب ابن عباس الابق الفار الى حيث
لا يهتدي اليه الطالب فشبه يونس بالفار من مولاه وقيل انه خرج فملك فزع وقيل تباعد الى الفلك المشحون المملوء قال
ابن عباس ووهب كان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد
البحر وركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ها هنا عبد ابق من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان
فيها ابق لا تجري فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس عليه السلام فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله فساهم فقارع
والمقارعة القاء السهام على جهة القرعة فكان من المدحضين المقروعين المغلوبين وحقيقته المدحض المزلق عن
مقام الظفر والغلبة فالتقمه ابتلعه الحوت فاوحى الله اليه اني جعلت بطنك ليونس سجنا ولم اجعله لك طعاما
وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم فلولا انه كان من المسبحين من
الذاكرين لله تعالى قيل ذلك في الرخاء بالتسبيح والتقديس ابن عباس من المصلين مقاتل من المصلين المطيعين قبل المعصية
وهب من العابدين سعيد بن جبير يعني قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين الحسن ما كان له صلاة
في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا للبث في بطنه الظاهر لبث حيا الى يوم القيمة وعن قتادة لكان بطن الحوت
له قبرا الى يوم القيمة الكلبي لبثه اربعين يوما الضحاك عشرين عطا سبعة وقيل ثلاثة الحسن لم يلبث الا
قليلا وقيل اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه
ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فنبذناه فطرحناه بالعراء الكلبي وجه الارض مقاتل ظهر الارض
مقاتل بن سليمان بالبر من الارض الاخفش بالفضاء العراء الارض الواسعة السدي بالساحل والعراء الارض الخالية
عن الشجر والنبات وقيل المتجرد العريان قال الشاعر ترك الهام بنضها بالعراء   طار الجنين جاص الجفناء
وهو سقيم عليل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي له وقيل عنده كقوله تعالى
ولهم علي ذنب اي عندي شجرة من يقطين القرع ابن عباس والحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض ولا
يبقى على الشتاء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت في
عامه وقيل هو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به اقامة زائل لا اقامة ثابت مقاتل بن حيان وكان يستظل بالشجرة
وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وقيل هو الدبا وفائدة الدبا ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز يتغطى بورقها
واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وروي انه نام فيبست الشجرة فبكى جزعا فاوحى الله اليه تبكي
على شجرة ولا تبكي على مائة الف ويزيدون كافر وقيل يعني انبتنا عليه شجرة انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان
وارسلناه ويجوز ان يكون قبل تخسيسه في بطن الحوت وهو ما سبق من ارساله الى قومه من اهل نينوى وقيل هو ارسال
ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي لم يرجع الى قوم هاجر
منهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا الى مائة الف او يزيدون في مرأى الناظر اذا راها الرائي قال هي مائة الف
او اكثر والغرض الوصف بالكثرة ابن عباس معناه ويزيدون قال الشاعر فلما اشتد امر الحرب فينا   تأملنا رباحا
او رزاما   اي ورزاما مقاتل بل يزيدون ابن عباس مبلغ الزيادة على مائة الف عشرون الفا الحسن والربيع بضع
وثلثون الفا ابن حيان سبعون الفا فآمنوا عند معاينة العذاب فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وهو حين
انقضاء آجالهم قوله تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا
تذكرون ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين
الا من هو صال الجحيم ❊ فاستفتهم معطوف على فاستفتهم في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش على وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره
باستفتائهم على وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله سبحانه الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم
الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة للبنات ووأدهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلثة

انواع

انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة من خواص الاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم تعالى حين جعلوا اوضع
الجنسين له واعظمها لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم
وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين
مكشوف فكرر الله تعالى الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بديع السموات والارض انى يكون له ولد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن
منه الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم
ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق
بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وهم شاهدون فاستفتهم سل يا محمد
اهل مكة ألربك البنات ولهم البنون وذلك ان جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله
اشهدوا خلقهم ونحو ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق
المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر وقيل المعنى انهم
يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله اي انهم لم يقولوا عن قياس ولا عن مشاهدة بل هو كذب محض يقولون ولد الله وانهم
لكاذبون وفي هذا في سائر ما يدعون باصطفى البنات قرأ نافع في بعض الروايات لكاذبون اصطفى موصولة
على الخبر والحكاية عن قول المشركين بجازه ليقولون ولد الله ويقولون اصطفى البنات على البنين ثم رجع الى الخطاب
والباقون بقطع الالف لان الف الاستفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام
مفتوحة مقطوعة على حالها مثل استكبرت واستغفرت واذهبتم ونحوها ما لكم كيف تحكمون اي ما لكم في هذه
الدعوى كيف تحكمون ~~اي ما لكم في هذه الدعوى كيف تحكمون~~ لربكم بما لا ترضونه لانفسكم افلا تذكرون انه واحد
لا ولد له لا ذكر ولا انثى ام لكم سلطان حجة نزلت عليكم من السماء وخبر ان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي
انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم
وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل
نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا
ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا يعني مشركي مكة بينه وبين الله الجنة يعني الملائكة نسبا وهو
زعمهم ان الملائكة بنات الله سمي الملائكة جنة لاجتنانهم عن الابصار والمعنى جعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبين الملائكة
واثبتوا بذلك جنسية جامعة لله وللملائكة وقيل سمي الملائكة جنة لانهم قالوا الجنة الجنس واحد ولكن من
خبث من الجن وتمرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع
باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة
المناسبة التي اضافوها اليهم وفيها اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا
يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان يسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك استوى
بيني وبين عبدك واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه ابن عباس قالوا الجن من الملائكة يقال لهم الجن فخرج منها ابليس
تعالى الله عما يقول الظالمون كبيرا الحسن اشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه ولقد علمت الجنة
انهم يعني قائلي هذا القول لمحضرون في النار واذا فسرت الجنة بالشياطين فالمعنى ولقد علمت الشياطين
انهم لمحضرون يعني ان الله تعالى يحضر الشياطين النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة
لما عذبهم سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عن الولد والوالد والاخ والصاحبة والشريك الا عباد الله المخلصين
ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفونه
بها ولكن عباد الله المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون اي الاصنام هذا خطاب لاهل مكة
متصل بقوله فاستفتهم قيل عليه او على الله ومعناه فانكم وما تعبدون من الآلهة ما انتم جميعا بفاتنين على الله
الا من هو صال الجحيم او ما انتم بمضلين الا من هو صال الجحيم اي الا من هو في علم الله وارادته انه سيدخل النار وهو
فاتنين على الله مفسدين عليه باغوائكم واستهزائكم من قولهم فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه
وقيل الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فجاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون
لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من
هو صال بالضلال الله تعالى صال الجحيم داخل النار ذكر عند عمر بن عبد العزيز القدر فقال عمر بن عبد العزيز لو اراد الله
ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيئة وان في ذلك لعلما في كتاب الله عرفه من عرفه وجهله من جهله ثم
قرأ فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ثم قال فصلت هذه الآية بين الناس

الياس

فقالوا ان فينا عبدا ابق فوقعت القرعة على يونس عليه السلام ٢

او ها هنا بمعنى بل ٢

ام خلقنا الملائكة اناثا

حاضرون خلقنا اياهم ... اشهدوا خلقهم وهم شاهدون ٢

غموض ٢

مقطوعة ٢

ومنهم ابليس ... ٢

تجويز ان يكون الضمير في انهم للشياطين ٢

استثناء منقطع من المحضرين ... المخلصين ٢

نيف ٢

كما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته ٢

فصلت ٢

من فينا الى ذي ما نقول في الذين يقولون لا قدر وقلت ارى ان يستتابوا فان تابوا والا ضربت اعناقهم فقال
عمر بن عبد العزيز ذلك الرأي فيهم والله لو لم يكن الا هذه الاية لكفى بها فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين
الا من هو صال الجحيم وقيل بفاتنين اي محملين وقيل الفاتن الداعي الى الضلال بتزيينه الا من هو صال الجحيم داخل
الجحيم والمعنى الا من اضله الله وقيل الا من يتولاكم وقيل الا من قدر الله له ان يصل الجحيم وقيل الا من علم الله انه يصل الجحيم
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون • وما منا احد الا له مقام معلوم
حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وكقوله كان من انعى البشر اي كجمل
مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصود عليه لا يتجاوزه منهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع
راسه ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح ابو بكر الوراق الا له مقام معلوم
يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضى السدي في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا
في الصلوات وقيل اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين
انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلاتهم غير المسلمين وانا لنحن
المسبحون المنزهون وقيل المصلون وقيل المنزهون الممجدون ممن استحقونا العبادة عند الكفار قال صاحب
الكشاف والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم
في قوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة
وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك
فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله عز وجل احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم
لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبين لرب
العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع
ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين
مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وهذا كلام صحيح الا قوله ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته انهم
من اهل النار فانه باطل لا دلالة عليه في الاية والصحيح ممن علم الله لتقديره وارادته انه من اهل النار لا لكفره
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل قوله وما منا الا له مقام معلوم هو من قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني وما من المسلمين الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
ثم ذكر اعمالهم فقال وانا لنحن الصافون في الصلوة والمسبحون الله ونبرؤه مما يضيف اليه من لا يعرفه
مما لا يجوز عليه وان كانوا يعني مشركي مكة ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين وما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم
الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به وتحقيق فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
فكفروا به اختصار تقديره فلما اتاهم ذلك الكتاب كفروا به نظيره قوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم واخرهم قوله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف
يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين • لما هدد
الكفار بقوله فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اردفه بما يقوي قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ولقد سبقت الاية
فبينا وعده بنصره وقد تقدم والدليل عليه قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كلمتنا هي قوله لاغلبن انا ورسلي
وقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد
كانت في حكم كلمة واحدة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا
وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى
عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى شاهدا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء
الراشدين تشد يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولانه قاعدة امرهم واساسه
والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب ابن عباس ان لم ينصروا
في الدنيا نصروا في الاخرة فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال
ابن عباس الى الموت السدي الى يوم بدر وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وانظر اليهم اذا عذبوا وقيل ابصر حالهم
بقلبك وقيل وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة وقيل انظرهم فسوف يبصرون ما انكروا
وقيل فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة والمراد بالابصار على الحال المنتظرة الموعودة
الدالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وتنفيس عنه فسوف يبصرون الوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اوعدهم العذاب قالوا متى هذا الوعد فانزل الله تعالى هذه الاية فاذا نزل بساحتهم بجيشهم وفنائهم فساء
فبئس صباح المنذرين الكفار بنزول العذاب بهم بعدما انذروه فانكروه مثل الجيش انذر بهجومه قومه بعض
نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم
الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاورهم ان يغيروا صباحا وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت
لها الروعة التي يحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل عن انس في قوله تعالى
فساء صباح المنذرين قال لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر وجدهم حين خرجوا الى زروعهم ومعهم مساحيهم
فلما راوه ومعه الجيش نكصوا ورجعوا الى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين بهم في جنس من انذروا
لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وتول عنهم حتى حين وابصر
فسوف يبصرون وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة
وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة
وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخر عذاب الاخرة سبحان ربك اضيف الرب الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه
وسلم رب العزة واضيف رب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه
بالصدق وقيل ربها اذ ما من عزة لاحد من الملوك ولا غيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء قال صاحب الكشاف
اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم
وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين
والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا
يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي كرم الله وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين وعن ابي سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص

وهي ثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وخمس وثمانون آية وقيل ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا
في عزة وشقاق • سبب نزولها ابن عباس ان قريشا شكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي طالب فقال
يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها الجزية العجم قال كلمة
واحدة قال وما هي قال لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا فنزلت فيهم ص والقرآن الى قوله ان هذا
الا اختلاق واختلفوا في معنى ص عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس هو قسم اقسم الله به عطاء عن ابن عباس صدق محمد صلى
الله عليه وسلم الضحاك صدق الله وعن ابن عباس ايضا صادق فيما وعد الزجاج معناه الصادق الله تعالى قتادة انه اسم من
اسماء القرآن اقسم به ابو سليمان الدمشقي انه اسم حية رأسها تحت العرش وذنبها تحت الارض السفلى وقال عطية
عن عكرمة الجوهري ابو اسحق صاد بخفض الدال من المصاداة اي عارض القرآن بعملك فقابله به فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه وقرأة عيسى بن عمر صاد بفتح الدال وعلته فاقفوا لاجتماع الساكنين وحركها الى اخف الحركات وقيل
على الامر وقيل ان صاد معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى امنوا به قال صاحب الكشاف صاد على الوقف
وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال الفعله كقولهم الله
لافعلن بالنصب وباضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة
وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه
عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة
وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف
من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة
التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انها اسم السورة
كانه قال هذه ص يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله
ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق واستكبار عن الاذعان والاعتراف بالحق وشقاق لله ولرسوله اذا جعلنا

مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه
أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير
الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور أو أنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج
إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما
وتفاقمهما وقيل إن صاد جواب لقوله والقرآن كقولك وجب والله ونزل والله وحق والله وقيل إن جوابه
كم أهلكنا من قبلهم من قرن ومعناه لكم أهلكنا فلما طال الكلام حذفت اللام ومثله والشمس وضحاها قد أفلح غير أنه لما اعترض
بينهما كلام تبعه قوله بل الذين وقيل إن كل إلا كذب الرسل وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل
النار قال الفراء لا نجده مستقيماً في العربية لتأخره جداً عن قوله والقرآن وقيل إن جوابه محذوف تقديره والقرآن
ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار ويدل على هذا المحذوف قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق بل الذين كفروا في عزة
حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى كم أهلكنا من
قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل
الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ● لما وصفهم الله تعالى بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم أهلكنا وعيد لذوي
العزة والشقاق من قبلهم من قرن فنادوا بالاستغاثة والإيمان والتوبة ولات حين مناص وليس حين فرار
ولا نجاة قال وهب ولات بالسريانية وليس وقيل إنما هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت
على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها
إما الاسم وإما الخبر ينبغي التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها كأنك قلت ولا الحين حين مناص لهم
وعنه أنها ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كائن لهم وعند الخليل
وسيبويه أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين
مناص حاصلاً لهم ونقل عن أبي عبيد أن التاء داخلة على حين أي تحين قال صاحب الكشاف لا وجه له واستشهاده
بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط مناص مفعل
من ناص مثل مقام أي منجا وفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص عن ابن عباس كان كفار مكة إذا
قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص
فأنزل الله تعالى ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر رسول منهم من أنفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا
إظهاراً للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي
الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه
كاذباً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد
والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأكثرهم جهلاً وأبو جهل بن هشام وأبي وأمية
ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل والحارث بن
قيس وعدي بن قيس والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وقرظة بن عمرو وعامر بن خالد ومخرمة بن نوفل وزمعة
ابن الأسود ومطعم بن عدي والأخنس بن شريق وحويطب بن عبد العزى ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والوليد بن عتبة
وهشام بن عمرو بن ربيعة وسهيل بن عمرو فقال لهم الوليد امشوا إلى أبي طالب فقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد
علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريد الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فدعاه فقال
له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا
تسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتعطوني كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطينكها وعشر أمثالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
لا إله إلا الله فنفروا من ذلك فقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً كيف يسع الخلق كلهم إله واحد إن هذا لشيء عجاب أي عجيب
بليغ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
إن هذا إلا اختلاق ● أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب
وانطلق الملأ منهم أي أشراف قريش يريد وانطلقوا من مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا الأمر
لشيء يراد أي يريده الله ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نوائب
الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم ويغلب عليه وأن بمعنى أي لأن المنطلقين
عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول وقيل يراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما
تقول لها الفاشية قال كما تقول لها الغاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم واصبروا على آلهتكم

واصبروا

واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقيل وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعني إلى أبي طالب فاشكوا إليه
ابن أخيه واصبروا وامشوا على آلهتكم ما سمعنا بهذا الذي يقول محمد في الملة الآخرة وقال ابن عباس والقرظي والكلبي
ومقاتل يعنون النصرانية لأن النصارى يجعل مع الله آلهة وقال مجاهد وقتادة يعني ملة قريش زمانا وقيل ما سمعنا
بهذا كائناً في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالاً من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا
لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا إلا اختلاق أي افتعال وكذب
أأنزل عليه الذكر القرآن من بيننا وأنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب
من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم
من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري من القرآن يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم
إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي
بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين
إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة فيعطونها من أرادوا أهم يقسمون رحمة ربك
العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب
الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما يشاء ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض
حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال
فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلق والتصرف في قسمة الرحمة وكان عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء
النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا فليصعدوا في الأسباب في المعارج والطرق والحبال التي يتوصل بها إلى العرش
ليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون ويشاؤون وهذا أمر توبيخ وتعجيز قال صاحب الكشاف إلى العرش حتى يستووا
عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله عز وجل وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خسأة
عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب أي هم جند ما هنالك ما صلة مهزوم مغلوب ممنوع عن الصعود
إلى السماء من الأحزاب يعني من جملة الأجناد قال أكثر المفسرين يعني هؤلاء الملأ الذين يقولون هذا القول
جند مهزوم مقهورون وأنت عليهم مظفر منصور قال قتادة وعده الله عز وجل بمكة أنه سيهزمهم فجاء تأويلها
يوم بدر ومن الأحزاب أي كالقرون الماضية الذين تحزبوا وأهلكوا قال صاحب الكشاف ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين
على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيه معنى الاستعظام
إلا أنه على سبيل الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول العظيم من قولهم
لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود
وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها
من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ● ثم قال مسلياً ومعزياً للنبي صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقال القتيبي تقول العرب
هم في عز ثابت الأوتاد وملك ثابت الأوتاد يريدون أنه دائم شديد وأصل هذا أن البيت من بيوتهم يثبت بأوتاده قال
في ظل ملك ثابت الأوتاد ● الضحاك ذو القوة والبطش الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس بالأوتاد وكان إذا غضب
على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد كل رجل منه إلى سارية وكل يد منه إلى سارية فيتركه كذلك في الهواء بين السماء
والأرض حتى يموت وقال مقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشده بالأوتاد الكلبي كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد
ثم يرسل عليه العقارب والحيات عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قتادة وعطاء كان له أوتاد وأرسان وملاعب
يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين
جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه
الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم
فقد كذبوهم جميعاً وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً وما
في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب
وأبلغه ثم قال فحق عقاب فوجب عليهم ونزل بهم عذابي وما ينظر هؤلاء يعني كفار مكة وقيل الإشارة
إلى جميع الأحزاب إلا صيحة واحدة يعني نفخة القيامة وقد روي هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ما لها من فواق قال ابن عباس وقتادة ما لها من رجوع أي إلى الدنيا وقال مجاهد نظرة وفيه لغتان بضم الفاء وهي لغة
تميم وبالفتح وهي لغة قريش قرأ حمزة والكسائي وخلف من فواق بالضم والباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان
بمعنى واحد وفرق الأخفش بينهما فقال الفراء وأبو عبيدة والمؤرج الفتح بمعنى الراحة والإفاقة كالجواب من الإجابة
ذهبوا بها إلى إفاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع
اللبن فما بين الحلبتين فواق فاستعير في موضع الانتظار لمدة يسيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط
فواق ناقة في سبيل الله حرمه الله عز وجل وجسده على النار يعني إذا جاءت فيها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله

تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة. ربنا انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد. وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا ابن عباس كتابنا وعنه ايضا القط الصحيفة التي احصت كل شيء ابو العالية قالوا لما نزلت في الحاقة
فاما من اوتي كتابه بشماله قالوا على جهة الاستهزاء عجل لنا قطنا يعنون كتابنا عجله لنا في الدنيا قبل يوم الحساب
الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعنون عقوبتنا وما كتب لنا من العذاب. قال عطاء قاله النضر بن الحارث وهو
قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو الذي قال الله سأل
سائل بعذاب واقع. وعن عطاء لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله. سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة
التي تقول والقط في كلام العرب الحظ ومنه قيل للصك قط. قال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز
مجاهد حظنا حسابنا ويقال للكتاب الحساب قط واصل القط من القطع. قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر
عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا
ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب. كأنه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية
الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه
ثم زل زلة فبعث الله اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد
منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها فما الظن
بكم مع كفركم ومعاصيكم. وقيل قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها
ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من
توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي. ذا الايد ذا القوة في الدين والعبادة المضطلع بمشاقه وكلفه انه
اواب مطيع تواب رجاع الى مرضاة الله. انه اواب تعليل لذي الايد والدليل على
ان الايد القوة في الدين. انا سخرنا الجبال معه يسبحن ابن عباس وكان عليه السلام يسمع تسبيح الجبال
بالعشي والاشراق وهو وقت الاشراق حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق. وعن ابن عباس كنت امر بهذه الآية لا ادري ما هي حتى حدثتني
ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا ام هانئ
هذه صلاة الاشراق. ابن عباس انه قال لمن نفى صلاة الضحى حتى طلبتها في القرآن فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي
والاشراق عكرمة وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يصلي الضحى ثم صلاها بعد. وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس
رضي الله عنهما اني لا اجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال ابن عباس انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى في قصة
داود عليه السلام يسبحن بالعشي والاشراق وليس الاشراق طلوع الشمس انما هو صفاؤها وضوؤها وقيل هو من اشرق القوم
اذا دخلوا في الشروق ومنه قول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق. ويسبحن في معنى
مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا
بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح. والطير وسخرنا الطير محشورة مجموعة في مقابلة يسبحن الا انه
لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل
وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها
جملة واحدة ادل على القدرة. كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه لانها
كانت تسبح بتسبيحه. ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا
بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته ومن عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه
وقيل الضمير في له لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح. وشددنا ملكه قويناه ملك داود
ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل. ابن عباس ان الذي شدد
ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا عند داود فادعى
المستعدي على الآخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام في منامه ان اقتل الرجل المستعدى
عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى الله اليه مرة اخرى ان يقتله فلم يفعل فاوحى اليه الثالثة
في اليقظة ان يقتله او تأتيه العقوبة من الله فارسل داود عليه السلام الى الرجل فقال ان الله قد اوحى الي ان اقتلك
فقال له الرجل تقتلني بغير بينة ولا تثبت قال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل
حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره
الله عليه فقتله فهابوه. وآتيناه الحكمة يعني النبوة والزبور وعلم الشرائع والاصابة في الامور وقيل الحكمة العلم
الذي لا ترده العقول وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة. وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل الكلام
البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه
فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه
ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه
ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك

مظان

مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار. وقيل الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وفصل
الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في
القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات. ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وابو عبد الرحمن السلمي يعني علم الحكم
والبصر بالقضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وهي احدى الروايات عن ابن عباس. وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
البينة على المدعي واليمين على من انكر وهو من الفصل بين الحق والباطل. شريح الشهود والايمان. الشعبي سمعت زيادا
يقول فصل الخطاب الذي اعطي داود عليه السلام اما بعد وهو اول من قالها لانه يفتتح في الامر الذي له شأن
بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله عز وجل اما بعد
وقيل فصل الخطاب القصد الذي فيه اختصار ومنه جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر
ولا هذر. قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي
بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب. ● كان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان ينزل
له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وكان الانصار رضي الله عنهم
يواسون المهاجرين بمثل ذلك. واختلف العلماء باخبار الانبياء وسيرهم عليهم السلام في سبب امتحان الله نبيه داود عليه
السلام بما امتحنه من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه عليه السلام تمنى يوما من الايام على ربه منزلة آبائه ابراهيم واسحق
ويعقوب عليهم السلام وسأله ان يمتحنه نحو الذي كان امتحنهم ويعطيه نحو الذي كان اعطاهم. وروى السدي والكلبي ومقاتل
عن اشياخهم ودخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما
يخلو فيه لعبادة ربه ويوما يخلو فيه بنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب
فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاوحى الله عز وجل اليه انهم ابتلوا ابتلاء لم يبتل بها غيرهم فصبروا
عليها ابتلي ابراهيم بنمروذ وبذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف وانك لم تبتل بشيء من
ذلك فقال داود عليه السلام رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم واعطني مثل ما اعطيتهم فاوحى الله عز وجل انك مبتلى في شهر كذا
في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو
كذلك اذ جاءه الشيطان تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين رجليه فمد يده ليأخذها
وفي بعض الروايات ويدفعها الى ابن له صغير فلما اهوى اليها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد
اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت فنظر داود عليه السلام اين تقع فبعث
اليها من يصيدها فابصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من اجمل النساء خلقا فعجب
داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها
فقيل هي امرأة اوريا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب الى ايوب ان ابعث اوريا الى موضع
كذا وقدمه قبل التابوت وكان من يقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه وقدمه
ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ايضا ان ابعثه الى عدو كذا اشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة
فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود وهي ام سليمان. وقيل هذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح
من افناء المسلمين فضلا عن بعض الانبياء. وعن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء. وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها
واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا
الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس. والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله عز وجل لقصته عليه السلام ليس الا طلبه
الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب. وقيل انما امتحن داود بانه وقعت عينه على امرأة رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول
عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك
وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك
وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المسلم مع كثرة نسائه. وهل اتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي
حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه. والخصم يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله حديث
ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا. وقوله الخصم جمع ودلنا
قال اذ تسوروا المحراب بقوله خصمان انهما فريقين خصمين والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم
على بعض ونحوه قوله هذان خصمان اختصموا فان قلت هذا اخي يدل على اثنين بقوله بعضنا على بعض [illegible]
الله بعث اليه ملكين فان قلت بما معناه ان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت

صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به اذ منتصب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم
اذ تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه اعلا ذروته اذ دخلوا على داود بدل من اذ تسوروا ففزع منهم حين هجموا عليه في محرابه بغير اذنه وروي ان الله تعالى بعث
اليه ملكين في صورة انسانين وطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب
فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤوه في غير يوم القضاء
ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف
خصمان نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر قال ابن عباس لا تشتط ولا
تسرف في الحكم لا تفرط والشطط والاشطاط مجاوزة الحد واصل الكلمة من قولهم شطت الدار واشطت اذا بعدت
واهدنا الى سواء الصراط وسط الطريق وهو محجته ضرب مثلا لعين الحق ومحضه ان هذا اخي بدل من هذا او خبر لان
والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة كقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ان هذا اخي
على التمثيل لا على التحقيق قيل معنى كونهما على طريقة واحدة وجنس واحد كقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقيل
ان المتسورين كانا اخوين من بني اسرائيل من الاب والام فان احدهما كان ملكا والاخر لم يكن ملكا فانهما داود عليه السلام
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من احسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب
تفعل ذلك كثيرا وتوري عن النساء بالظباء والشاء والبقر وهو كثير في اشعارهم الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه
والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بقر وانما هو كقولنا لناس ضرب زيد عمرا او اشترى بكر دارا وما كان هناك ضرب
ولا شرى فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعن ابن عباس اعطنيها وعن ابن جبير تحول عنها
ابن العالية ضمها الي حتى اكفلها ابن كيسان اجعلها كفلي او نصيبي وعزني وغلبني في الخطاب الضحاك يقول ان تكلم كان
افصح مني وان حارب كان ابطش مني وقيل اراد جاء في بحجاج لم اقدر ان ارد عليه ما ازدبه واراد بالخطاب مخاطبة
المحاج المجادل وقيل اراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي وافقني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني
تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكان ذلك منهم تمثيلا وانما جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ من
قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان انزع في نفسه واشد تمكنا من قلبه اذا اداه الى الشعور بالتعريض
به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطأ فيه
من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى ان الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت
منه هفوة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان يحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال
صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك انزجر له لانه نصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد
منه بصورة مكشوفة مع ما ضمت اليه من الالد [illegible] وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما
حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه ووجه التمثيل فيه
ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون نعجة فاراد صاحبه تتمة المائة
فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله
وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قيل انما يستقيم طريقة التمثيل
اذا فسر الخطاب بالجدال لان تفسيره بالمفاعلة من الخطبة لا يستقيم اجيب بان الوجه مع هذا التفسير ان يجعل النعجة استعارة
لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له فرمى فغفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال
كنعاج الملا تعسفن رملا لولا ان الخلطاء اباه الا ان يضرب داود والخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قيل الملائكة
عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم اجيب بانه
تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسألة لزيد
اربعون شاة ولعمرو اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبب
وتقول ايضا في تصويرها لهما اربعون خلطاها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها قال داود عليه السلام لقد ظلمك
جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه بسؤال نعجتك مصدر مضاف الى المفعول
كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال
والطلب وانما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم وان كثيرا من الخلطاء الشركاء
الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع
حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة
وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة لا تعتبر
الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلاث شياه
وفي هذه الخلطة عليهما شاة يجب على ذي النعجة اذا جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا

عليه

عليه وقصد بذكر الخلطاء في ذلك المقام الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين
حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما
جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ما للابهام
وفيه تعجب من قلتهم قال صاحب الكشاف وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قطعا ولما سمع ان احدهما قال ان هذا اخي الآية قال داود عليه السلام للآخر
ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولاخي هذا نعجة واحدة وانا اريد ان آخذها منه فاكمل نعاجي مائة وهو كاره
قال له وهو كاره قال نعم قال انا لا ندعك وذلك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف
والجبهة فقال يا داود فانت احق ان تضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة
واحدة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فالتفت داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وذلك
قوله وظن داود اي ايقن لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه ابتليناه
لا محالة بامرأة اوريا هل يثبت ام لا فاستغفر ربه وخر راكعا اي ساجدا عبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع
كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجود التلاوة وقيل ان الركوع يقوم مقام السجود والحسين بن الفضل
سأله عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قوله تعالى وخر راكعا واناب هل يقال للراكع خر قلت لا قال فما معنى قوله
قلت معناه وخر بعد ان كان راكعا اي سجد عن ابي سعيد الخدري قال رايتني اكتب سورة ص والقرآن ذي الذكر فلما اتيت
على هذه الآية فلما اتيت على هذه الآية وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب رايت شيئا من الدواة والقلم كل
القلم خر ساجدا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق كما
وتسجد كما سجد تلاها فسجد وامرنا ان نسجد فيها وعنه قال رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اني رايتني الليلة في منامي كاني تحت شجرة والشجرة تقرأ ص فلما بلغت السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم
اكتب لي بها عندك اجرا وحط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افسجدت انت يا ابا سعيد قلت لا يا رسول الله قال لانت كنت احق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع
ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه وخر مركعا للاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا
او مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة واناب ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل روي ان داود سجد
فمكث اربعين ليلة ساجدا باكيا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده
رب داود زل داود زلة ابعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا
في الخلوف من بعده فجاءه جبريل عليه السلام من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي
هممت به فقال داود عرفت ان الرب قادر على ان يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف
بفلان اذا جاء يوم القيمة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سالت ربك عن ذلك ولئن شئت
لافعلن قال نعم فعرج جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سالت يا داود ربك عن الذي
ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب
فيقول ان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا وروي انه لا يرفع راسه الا للصلوة مكتوبة او ما لا بد منه
ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله
في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه
اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها فغفرنا له ذلك وان له
عندنا لزلفى وحسن مآب محمد بن كعب ومحمد بن قيس في قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان داود اول من يشرب الكاس
يوم القيمة داود وابنه قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب لما تم الكلام
في شرح تلك القصة اردفها ببيان ان الله تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول الذي
في تلك القصة لانه من البعيد جدا ان يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين راغبا في انتزاع ازواجهم
منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه يا داود انا جعلناك خليفة تخلف من تقدمك من الانبياء
والدعاة الى الله تعالى في سياسة الناس وقيل جعلناك خليفة من الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين
على بعض البلاد ويملكه عليها وعنه قوله خلفاء الله في ارضه وفيه دليل على ان حال داود بعد التوبة بقيت على ما
كانت عليه لم يتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما
تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها
في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب

وقيل متعلق بلهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله تفسير ان
متابعة الهوى يوجب الضلال عن سبيل الله لان متابعته تفضي الى الاستغراق في اللذات الجسمانية
والاستغراق منها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانهما
حالتان متضادتان فبقدر تزايد احدهما تناقص الآخر والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا وهذه الآية دالة على صحة الحشر بانه تعالى خلق في هذا العالم اما للاضرار
وهو باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم او للانتفاع او لا لهذا ولا لذاك والثاني باطل لان هذه الحالة
حاصلة حين كانوا معدومين فتعين ان يكون للانتفاع والانتفاع لا يكون في حياة الدنيا لان منافع
الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكيم الكريم فتعين
ان يكون الانتفاع في حياة الآخرة ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقهما باطلا والظن بمعنى المظنون
اي خلقهما للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا والذين كفروا وان كانوا مقرين بان الله خالق السموات
والارض لكن انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مفض الى ان يظنوا ان خلقها باطلا لان الحشر
والجزاء والثواب والعقاب هي التي سبقت اليها الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحدها جحد الحكمة
في خلق العالم فقد سفه الخالق سبحانه وتعالى وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره وكان اقراره
بكونه خالقا كلا اقرار فويل للذين كفروا من النار ام نجعل ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها للانكار
والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى
بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته اي ليتدبروا آياته
وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يظهر من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة
لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور
لا يستولدها الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده
حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن
عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين قوله تعالى

ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب ● اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ● فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ● ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ● ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب ● قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب ● فسخرنا له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب ● والشياطين كل بناء وغواص ● وآخرين مقرنين في الاصفاد ● هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ●
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ●

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف انه اواب علة لكونه
ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب الصافن من الخيل
القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر والصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص
وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة
مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها الجياد غزا سليمن بن داود عليهما السلام اهل دمشق ونصيبين فاصاب
منهما الف فرس وقال مقاتل ورث سليمن من ابيه داود عليهما السلام الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة الحسن يعني انها
كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة قالوا فصلى سليمن عليه السلام الصلوة الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه
فعرضت عليه منها تسعمائة فتنبه لصلوة العصر فاذا الشمس قد غابت وفاتته الصلوة ولم يعلم بذلك فاغتم
لذلك فقال ردوها علي فطفق اي فاقبل يمسح بسوقها واعناقها بالسيف وينحرها تقربا الى الله تعالى وطلبا
لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك قربانا منه ومباحا له كما ابيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة
فرس فما في ايدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المائة الحسن فلما عقر الخيل ابدله الله عز وجل مكانها
خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف يشاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ويروح منها فيبيت
بكابل ابن عباس سألت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن هذه الآية فقال لنا ما بلغك فيها يا ابن عباس فقلت له
سمعت كعب الاحبار يقول ان سليمن عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الافراس والنظر اليها حتى توارت الشمس بالحجاب
ردوها علي يعني الافراس وكانت اربعة عشر فردوها عليه فامر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله
ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها فقال علي رضي الله عنه كذب كعب لكن سليمان اشتغل
بعرض الافراس ذات يوم لانه اراد جهاد عدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس
ردوها علي يعني الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء الله تعالى لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم
ولا يرضون بالظلم لانهم معصومون مطهرون وفي ذلك قوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد وقال
القتيبي الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم الرجال له
صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي وقوفا الجياد الخيار السراع واحدها جواد فقال اني احببت حب الخير يعني الخيل

والعرب تعاقب بين الباء واللام فيقول انهملت العين وانهمت وختلت الرجل وخترته اذا خدعته معناه احببت الخير
يعني المال وهو الخيل التي عرضت عليه عن ذكر ربي اي الصلوة نظيرها لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى توارت
يعني الشمس كناية عن غير مذكور كقول لبيد حتى اذا القت يدا في كافر يعني الشمس بالحجاب وهو جبل دون
قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق وقيل حبسها في سبيل الله
وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة ويقال للكية على الساق علاط والكية على العنق وثاق الزهري وابن كيسان
كان يمسح سوقها واعناقها ويكشف الغبار عنها حبا لها ردوها علي متعلق بمحذوف تقديره قال ردوها علي
فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال
نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها ولقد فتنا سليمن قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك
عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة الشعبي كان من فتنته انه ولد لسليمن عليه السلام ابن فاجتمعت الشياطين
وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من السخرة وما نحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم
سليمن بذلك فامر السحاب حتى حملته الريح وغذا ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشياطين فعاقبه الله تعالى لخوفه من الشياطين
ومات الولد فالقي ميتا على كرسيه فهو الجسد الذي قال الله والقينا على كرسيه جسدا فتنبه على خطائه في انه
لم يتوكل فيه على ربه وخاف من الشيطان فاستغفر ربه وتاب اليه وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل
ان شاء الله فطاف بهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق ولد والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل كان سبب فتنة سليمن عليه السلام انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة
من غيرهم فعوقب على ذلك وهذا ونحوهما لا بأس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في
بيت سليمن فالله اعلم بصحته عن وهب بن منبه سمع سليمن عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون
بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس عليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله عز وجل قد اوتي سليمان عليه السلام في ملكه سلطانا
لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن
والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى
الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها سليمن عليه السلام حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها
عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمن عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع
الذي لا يرقأ قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمن عليه السلام فقد ابدلك الله به ملكا
هو اعظم منه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك لكذلك ولكني
اذا ذكرته اصابني ما تراه من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشيا
لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما اجد في نفسي فامر سليمن عليه السلام الجن فقال مثلوا لها صورة ابيها
في دارها حتى لا تنكر منها شيئا حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعته فازرته وقمصته
وعممته ورديته بمثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمن عليه السلام من دارها تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له
ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمن عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا
وبلغ ذلك آصف وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمن اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرا كان سليمن او غائبا
فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني ذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر
فيه من مضى من انبياء الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امورهم فقال افعل
فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله فاثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى
سليمن عليه السلام فقال لقد كان لحليما في صغرك ورعا في صغرك فاضلا في صغرك حكيما في صغرك ابعد الله من كل ما يكره في صغرك
ثم انصرف فوجد سليمن عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا فلما دخل سليمن داره ارسل اليه فقال يا آصف ذكرت
من مضى من انبياء الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري
وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدث في آخر امري قال ان غير الله ليعبد في دارك منذ اربعين صباحا
في هوى امرأة قال في داري قال في دارك قال انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك
ثم رجع سليمن عليه السلام الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم امر بثياب الطهر فاتي بها ثياب لا يغزلها
الا الابكار ولا يمسها امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده فامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله
تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله عز وجل وتضرعا اليه يبكي ويستغفر مما كان في داره
ويقول فيما يقول رب ما ذا ابتلاك آل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم واوطانهم عبادة غيرك فلم يزل
كذلك يومه ذلك حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهبه او اراد اصابة امرأة
من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يلبس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضع يوما من تلك الايام
خاتمه عندها كما كان يصنع ثم دخل مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخرا على صورة سليمن لا تنكر منه شيئا
فقال يا امينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمن عليه السلام وعكفت عليه الطير والجن والانس فخرج

سليمن واتى الامينة وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال لها يا امينة خاتمي فقالت ومن انت قال انا سليمن بن داود
فقالت كذبت لست بسليمن بن داود وقد جاء سليمن فاخذ خاتمه وهو جالس على سريره في ملكه فعرف سليمن عليه السلام
ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه
ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمن بن داود فلما راى سليمن عليه السلام ذلك عمد الى البحر
وكان ينقل الحيتان لاهل البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى
فاكلها فمكث كذلك اربعين يوما عدة ما كان عُبد الوثن في داره فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان
في تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت قالوا نعم قال امهلوني
حتى ادخل على نسائه فاسألهن هل انكرن منه في خاصة امره ما انكرنا في عامة امر الناس وعلانيته فدخل على نسائه
فقال ويحكن هل انكرتن من امر ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال
انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فقال لهم ما في الخاصة اعظم مما في العامة فلما مضى
اربعون صباحا طار الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة واخذها بعض الصيادين وقد
عمل له سليمن صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشي اعطاه سمكتيه فاعطى السمكة التي اخذت الخاتم فباع التي ليس في
بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله
في يده ووقع ساجدا لله عز وجل وعكفت عليه الطير والجن واقبل عليه الناس وعرف الذي كان دخل عليه لما كان احدث
في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين فقال ائتوني بصخر فطلبته له الشياطين حتى اخذ
فاتي به فجاب له صخرة فادخله ● فيها ثم سد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر
قال صاحب الكشاف ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل
هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح
واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان يختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن
بنبي فلو انه اذن فيه فاذا كان بغير علمه فلا عليه والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
نبي ظاهرا قال سليمن عليه السلام رب اغفر لي قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين
في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم وهب لي ملكا لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون لاحد من بعدي من دوني ابن كيسان لا يكون
لاحد من بعدي انك انت الوهاب المعطي عطاء يريد هب لي ملكا لا اسلبه في باقي عمري كما سلبته في ماضي عمري قال
ابن عباس كان سليمن عليه السلام ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده
وانما قيل سأل ذلك ليكون له علما على المغفرة وقبول التوبة حيث اجاب الله دعاءه ورد عليه ملكه وزاد فيه وقال
عمر بن عثمان الصدفي اراد به ملك النفس وقهر الهوى يعني به ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت
سليمن وما اعطاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله عز وجل حتى قبضه وعن الحسن ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال عرض لي الشيطان في مصلاي الليلة فاخذته فاردت ان اربطه حتى اصبح فذكرت قول
اخي سليمن رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فتركته فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة طيبة حيث اصاب
قصد قتادة يقول العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب اراد الصواب والشياطين اي وسخرنا له الشياطين
كل بناء وغواص يستخرجون له اللآلي من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين مقرنين في الاصفاد اي
مشدودين في القيود واحدها صفد هذا عطاؤنا فامنن واعط من قولهم من عليه اذا اعطاه ولا تمنن تستكثر والعرب يقول من
على عنقا اي اعطيته الحسن ان الله لم يعط احدا عطية الا جعل فيها حسابا الا سليمن عليه السلام فان الله تعالى اعطاه
عطاء هنيا فقال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب يقال لا اثم عليك فيمن اعطيته ولم تعط لم يكن عليك تبعة قال
هو في امر الشياطين خل من شئت منهم وامسك من شئت في وثاقك ولا تبعة عليك فيما تعاطاه وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ● واذكر عبدنا ايوب عطف بيان وايوب بدل اشتمال
منه نادى ربه اني مسني اي باني مسني الشيطان حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه بنصب ولو لم يحك لقال بانه
مسه بنصب فيه اربع لغات بضمتين وبفتحتين وفتح النون وسكون الصاد وضم النون وسكون الصاد اي
تعب ومشقة وبلاء وعن مقاتل بنصب في الجسد وعذاب في المال وقيل العذاب الالم اي مرضه وما كان
يقاسيه من انواع الوصب قال صاحب الكشاف فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلط الله على انبيائه
ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا
سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب
والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو
وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى
في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وهذا ذكر في سبب ابتلائه انه استعان رجل بايوب على ظالم

تزاوره عنه فلم يمنعه فابتلي الكلبي كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله فابتلي
اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل فاغتسل فيه ماه وركض فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل اي هذا ماء مغتسل بارد وشراب اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب
ما بك تقلبه الى ذلك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه
باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فظهرت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له
اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب يعني الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا
ما انعم الله به لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض بيدك
ضغثا حزمة صغيرة من حشيش فاضرب به امرأتك ولا تحنث انا وجدناه صابرا وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة
اذا برأ فحلل الله تعالى يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد
من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذات يوم
في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة
فارد عليكم ما لكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت له ذلك فحلف وقيل اوهمها الشيطان انا تبت
شرب الخمر برأه فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب الشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا

واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار ● قرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد والباقون عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان
لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب اولي
الايدي ذوي القوة في العبادة والابصار البصائر في الدين يعني انهم كانوا اهل الاعمال والفكر ولا تجاهد في
في الله ولا يتكرون افكار ذوي الدنيا فانهم لا يستبصرون في حكم الزمنى لا يقدرون على اعمال الجوارح
المسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ
على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما انا اخلصناهم بخالصة لا شوب فيها ذكرى الدار وقرئ بخالصة ذكرى
الدار بالاضافة فمعنى بخالصة ذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة منها ومن قرأ بخالصة ذكرى الدار فاضاف الصفة الى
ذكرى والباقون بالتنوين والمعنى بما خلص من ذكرى الدار يعني انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير
ومعنى ذكرى الدار ذكرهم الآخرة دائما ونسيانهم اياه ذكر الدنيا كما هو شأن الانبياء والاولياء وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا
ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم ومعنى اخلصناهم بخالصة اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها
وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من ابناء جنسهم الاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات جمع ميت او ميت ●

واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ● واذكر يا محمد اسمعيل واليسع كان حمزة والكسائي يقرءان
تحمل على ليسع وذا الكفل كل اي كلهم فالتنوين عوض من المضاف اليه من الاخيار ● هذا ذكر
وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم
قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ● هذا ذكر اي نوع من الذكر
وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر
وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول
الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل
الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا او
هذا ذكر من مضى من الانبياء وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن عطف بيان لحسن مآب مفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين
من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير جنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل
وهو من بدل الاشتمال متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف قصرن طرفهن على ازواجهن
اترابا لدات اتراب مستويات في وقت واحد على سن واحد لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل اقران
لا تغايرهن لاسنانهن كانسانهن هذا ما توعدون قرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء من تحت والباقون بالتاء ليوم الحساب
لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب او ليوم تجزى كل نفس
بما كسبت ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ذهاب ● هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد

هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم
لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى

رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ● هذا
اي الامر هذا الذي ذكرناه وان للطاغين الكافرين لشر مآب بئس مرجع ثم بين جهنم يصلونها فبئس المهاد بئس
ما مهدوا لانفسهم المهاد الذي يفترشه النائم هذا اي هذا العذاب فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق وقيل
بمنزلة فاياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه قرأ حمزة والكسائي وحفص غساق مشددا والباقون مخففا

والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها ابن عباس هو الزمهرير
يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقال مجاهد ومقاتل هو البارد الذي قد انتهى برده وقيل هو المنتن بلغة الطخارية
وقيل بلغة الترك محمد بن كعب هو عصارة اهل النار قتادة والاخفش هو ما يغسق من قروح الكفرة والزناة بين
لحومهم وجلودهم اي يسيل قال الشاعر اذا ما تذكرت الحياة وطيبها الي جرى دمع من العين غساق وقيل
الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب
لنتنت اهل المشرق الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبته وآخر اي اهل البصرة واخر بضم الهمزة في جمع اخرى
لانه نعت للجمع فقال ازواج مثل كبرى وكبر غيرهم بالتوحيد على الواحد والمعنى على الجمع ومذوقات اخر من شكل هذا
المذوق في الشدة والفظاعة ازواج اصناف من العذاب والمعنى على الواحد ومعناه آخر اي مذوق آخر او نوع ضعفه
آخر لا يجوز ان يكون ضميرا او صفة للشكل وهو حميم وغساق وآخر هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم
معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة ابن عباس ان القادة اذا دخلوا النار
ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا يعني الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتم
وقيل هذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقول بعضهم لبعض والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم
الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم يقول الرجل لمن يدعو له مرحبا اي اتيت رحبا
من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار
تعليل لاستحقاقهم الدعاء عليهم ونحوه قوله كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع
بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا اي
زينتم وسببتم لكفرنا فالضمير للعذاب او لصليهم ومعنى تقديمهم العذاب لهم اي عمل السوء قال الله تعالى
ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاؤهم
عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم
المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه قال صاحب الكشاف فان قلت الذي جعل قوله لا مرحبا
بكم والمخاطبون اهي رؤساؤهم لم يكلموا انما يكون هذا جوابا لهم قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة
انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي
فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا
انتم لم نرتكب ذلك فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم والرحب السعة ومنه رحبة المسجد ابو عبيدة تقول العرب للرجل
لا مرحبا اي لا رحبت عليك الارض اي لا اتسعت كانني قلت لهم رحبا واهلا وسهلا اي اتيت رحبا وسعة
واتيت سهلا لا حزنا واتيت اهلا لا غرباء فانس ولا تستوحش وهي في مذهب الدعاء كما تقول لقيت خيرا فلذلك نصب
قالوا اي القادة لا مرحبا بهم ولا اهلا بهم ان كان تفريق الاجتماع ... قالوا اي الاتباع ربنا من قدم لنا
هذا اي شرعه وسنه فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى هؤلاء اضلونا فآتهم
عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء
في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش اي الطاغين وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا يعنون
فقراء المسلمين كنا نعدهم من الاشرار في الدنيا اتخذناهم قرأ اهل البصرة والكوفة الا عاصما بوصل الالف بلفظ الاخبار
على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار والباقون بفتح الهمزة وقطعها على الاستفهام على انه انكار على انفسهم
وتانيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا
اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل
الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان يكون ام متصلة
على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم والتحقير وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة
لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد
عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا للصناديد من قريش كابي جهل
والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم رضي الله عنهم وقيل الاستفهام معناه التعجب والتوبيخ
بمعنى ام كانوا منا ولا نعلم نحن بذلك فكانت ابصارنا ترتفع عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك
الذي ذكرت وحكيت عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين فقال هو تخاصم اهل النار شبه تقاولهم وما يجري بينهم
من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا
بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد انما انا منذر وما من اله الا الله
الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار اعلم انه تعالى لما حكى في اول السورة ان محمدا صلى الله عليه
وسلم لما دعا الناس الى انه لا اله الا الله واحد والى انه رسول حق من عند الله والى ان القول بالقيامة حق فاولئك الكفار اظهروا

الشفاعة

الشفاعة وقالوا ان هذا لساحر كذاب فاستهزؤا به وبالغوا في ايذائه ثم ذكر قصص الانبياء ليخفف الاذى ليصبر على ذلك الحاصل لمحمد
صلى الله عليه وسلم على التاسي بالانبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم وكان الثاني ليصبر على ذلك ايضا
للكفار من الاصرار على الكفر والسفاهة وداعيا الى قبول الايمان ولما تمم الله ذلك الطريق اردفه بطريق آخر وهو شرح
عقاب اهل العقاب ولما تمم الله هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة
والبعث فقال قل يا محمد لمشركي اهل مكة انما انا منذر وما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين وما من اله الا الله
واقول لكم ان دين الحق توحيد الله عز وجل وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء ثبتت
الربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب المستغفرين
قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما
انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك
لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين قل يا محمد لمشركي مكة هو اي القول
بان الله واحد وبان نبوتي صلى الله عليه وسلم ثابتة وقيل هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله احد
لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة وقيل يوم القيمة نظيره قوله تعالى عم يتساءلون
عن النبأ العظيم انتم عنه معرضون ثم احتج لصحة نبوته بان ما يخبر عن الملأ الاعلى يعني الملائكة اذ يختصمون
في شأن آدم وهو قولهم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لي ربي اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فاما الكفارات
فاسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة واما الدرجات فافشاء السلام
واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام ما كان له من علم قط بهم جملة ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم
ما لم يعلموا وهو الاخذ وتعلمه من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله عز وجل ان يوحى الي
الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان
يكون مرفوعا على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير
ذلك اذ يختصمون متعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم اذ قال بدل من
اذ يختصمون والمراد بالملأ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول الذي
بين الله وبينهم انما هو بواسطة ملك فكان المتقاول في الحقيقة هو الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على
ما سبق اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين على وجه
التكرمة والتبجيل لا على وجه العبادة كلهم للاحاطة واجمعون للاجتماع فافاد معا انهم سجدوا عن
آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين قيل اي صار بمجرد كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية
فهو صالح لايهما شئت وقيل وجودا ثم ارتد وكان من الكافرين في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
قيل التثنية في اليد دليل على انه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة وانما هما صفتان من صفاته قال مجاهد اليد ههنا
بمعنى التأكيد والصلة مجازه لما خلقت انا كقوله تعالى ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وقيل هذا تاويل غير قوي لانه
لو كان بمعنى الصلة لكان لابليس ان يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم
عليه السلام في الخلق مزية على ابليس استكبرت ام كنت من العالين استفهام دخلت على الف الخبر ام كنت من العالين المتكبرين عن
السجود كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض قال صاحب الكشاف الوجه الذي استكبر له ابليس السجود لآدم واستنكف
منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو
مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله
سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع
للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله تعالى وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا
الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بان
يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود لما فيه من اطراح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول
لمخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من
السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك
ان تعتبر امر الله تعالى ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه

فقوله ما منعك ان تتواضع لمن لم يحتج فى سقوطه يريد هذا احتقارا لغيري وحطا لي وتركت امتثال سقوطه فيه
ان خلقته بيدي فانا افعل بخالقه ومع هذا امرت الملائكة بان يسجدوا له للداعي حكمة فيكان لديه من انعام عليه يا لكثرة
السنية وابتدا الملائكة في ابن حتى يعرفوا من السجود ما لم يعرفوا عن الامر بالسجود له وقيل معنى خلقت بيدي
لما خلقت بغير واسطة من العالين فمن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت
الآن ام لم تزل مذ كنت من المتكبرين وفي معنى الهمزة التقرير قال ابليس انا خير منه اي لو كان من نار لما سجدت له لانه
مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة من الاولى وهي خلقتني من نار
مجرى المعطوف عطفا للبيان من المعطوف عليه في البيان وهو الايضاح قال فاخرج منها قال الله تعالى لابليس فاخرج من
الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان حسنا
واظلم بعدما كان نورانيا فانك رجيم مطرود معذب مرجوم لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة ولان
الشياطين يرجمون بالشهب وان عليك لعنتي الى يوم الدين ولا ينبغي ان يظن ان قوله لعنتي الى يوم الدين يدل على
ان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع فانى كيف تنقطع وقد قال تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت
قال ابليس رب فانظرني الى يوم يبعثون قال الله تعالى لابليس فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اي الوقت الذي
تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله عز وجل
معين لا يستقدم ولا يستاخر قال ابليس فبعزتك اقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول اي اقسم بالحق ونحوه وخلف برفع الاول على تخصيص الثاني على انه الاول مبتدأ محذوف
الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي والحق اقول اعتراض بين المقسم والمقسم عليه وهو لاملأن وقيل على معنى فالحق
مني واقول الحق والباقون بنصبهما على ان الاول مقسم به كالله في قولك الله لافعلن وجوابه لاملأن والحق
اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله تعالى
ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه وقيل نصب الاول على الاغراء وقيل انه اسم
بعد قسم لاملأن جهنم منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد الضمير في منهم
او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا او لاملأنها من
الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء
وغيرهم قل يا محمد لمشركي مكة ما اسالكم على تبليغ الرسالة والوحي قيل كناية عن مذكور من اجر وما انا من المتكلفين
الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة
واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله تعالى للثقلين اوحى الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف
ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه اي نبأ ما يأتيكم عند الموت
وقيل يوم القيمة وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد

سورة الزمر

الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وهي اربعة آلاف وسبعمائة وثمانية احرف والف ومائة واثنان وسبعون
كلمة وخمس وسبعون آية عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
تنزيل الكتاب مبتدأ خبره بالظرف او خبر مبتدأ محذوف اي هذا تنزيل الكتاب من الله صلة التنزيل كما تقول
نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة والكتاب القرآن قوله تعالى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص ● بالحق اي ملتبسا بالحق والصدق والصواب
يعني كلما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف حق وصدق يجب اعتقاده والعمل
والمصير اليه وقيل انا انزلنا اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على ان الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان
الفصحاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا لما عجزوا عن معارضته فاعبد الله لما بين ان الكتاب متلبس بالحق اردفه
ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الامر بعبادة الله على سبيل الاخلاص لانه هو المطلوب من خلق الجن والانس مخلصا
ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر وقيل الدين الطاعة الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب
اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته
عن جلب منفعة او دفع مضرة وقتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله الحسن الاسلام قوله تعالى والذين اتخذوا
من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ● لما بين ان رأس العبادات

[illegible]

يكون الحمد كفرانا للنعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية التعظيم وهي لا تليق الا بمن ينعم غاية الانعام وهو الله تعالى وعبادة
الاوثان لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران نعمة المنعم الحقيقي ثم قال تعالى لو اراد
ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى والمراد من هذا الكلام اقامة الدليل القاهر والبرهان الباهر على كونه منزها عن
الولد فانه لو اراد ان يتخذ ولدا لما رضي الا باكمل الاولاد وهو الابن فكيف نسبتم اليه البنت فاصحاب الكهف وكذبهم
وظهر في نقيض ما اتخذوا من دون الله اولياء ما نعبدهم وكذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح منه لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم
ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم اولاده جهلا
منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء
من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات
وكنتم كاذبين كفارين متبالغين في الافتراء على الله سبحانه وتعالى وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته
عن ان يكون احد ما نسبوه اليه من الاولاد والاولياء فقال على ذلك بما ينافيه وهو انه الواحد الحقيقي الذي يمتنع ان يكون
بالاجزاء والافراد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات
ان يكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة القهار الغالب لكل شيء
من الاشياء الحسية فهو يغلبهم فكيف يكون له اولياء او شركاء قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار ● الاية المتقدمة
دلت على انه تعالى يكون منزها عن الولد بكونه هو الواحد القهار اي الكامل القدرة فذا بان تلك المسئلة على هذه
الامر عقبها على ما يدل على كمال القدرة وايضا انه تعالى طعن في الهية الاصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها
تصلح الالهية فنبه بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث
الناس على كثرتهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشاركه فيها الا بما لا يغالب والتكوير اللف والليّ
يقال كار العمامة على رأسه وكورها وقيل معناه ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه
فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها
حواشيه لي الملاء باثواب التفاريج ● وقيل ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء
ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وقيل ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر
لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار وقيل ان هذا يكر عليه هذا ويغشى هذا فشبه نظيره قوله يغشي الليل النهار والوجه
يدخل هذا على هذا وهذا على هذا نظيره قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يجاهد بزيادة الحسن
وابن حيان والكلبي ما ينقص من الليل فيزيد في النهار وما ينقص من النهار يزيد في الليل قوله تعالى خلقكم من نفس
واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ● انه تعالى ذكر الدلائل العلوية بذكر الدلائل المتخذة
من العالم السفلي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها هما آيتان من جملة الآيات التي عددها الاحد وحدانيته وثم
تشعيب هذا الخلق الفاشي المختص من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احدهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة والاخرى
لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها

اية فيوبين التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلقة بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس
وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا وانزل وانشا وجعل لكم
وقيل جعلها لكم وقيل قضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب
في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات ولا تقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة
ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج اصناف ذكر وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه
آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق
نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال وقد خلقكم اطوارا ابن زيد يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد الخلق الاول
الذي خلقكم في ظهر آدم عليه السلام في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة ذلكم الله الذي هذه افعاله هو الله ربكم
له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى
لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه
عليم بذات الصدور ● المعنى ان الله تعالى ما كلف المكلفين ليجلب منفعة او لدفع مضرة فانه تعالى غني عنكم وعن ايمانكم
وانتم الفقراء اليه لاستضراركم بالكفر واستفادتكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر وان كان لا ينفعه ايمانهم
ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى الكفر الجبائي ان المجبرة يقولون ان الله تعالى كفر العباد وكان من جهته ما خلقه حق وصواب
قال فلو كان الامر كذلك لكان قد رضي بالكفر من الوجه الذي خلقه فذلك ينافي الآية وايضا لو كان الكفر بقضاء الله
لوجب علينا ان نرضى به لان الرضى بقضاء الله واجب وحيث اجمعت الامة على ان الرضى بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء
وليس ايضا برضا الله اجاب الاصحاب بان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين قال الله
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا عينا يشرب بها عباد الله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا
التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر معناه ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا وبان يقال الكفر بارادة
الله ولا يقال برضى الله لان الرضى عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة اي يمدحهم ويثني عليهم فان الرضى عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الارادة وان
هب ان الرضا هو الارادة ولكن قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام فيخصص بالآيات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من
الكافر وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم قرأ نافع وعاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه باختلاس ضمة الهاء
وقرأ السوسي باسكانها والباقون يصلونها بواو اي يرضى الشكر لكم ويثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور قوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك
قليلا انك من اصحاب النار ● لما بين فساد القول بالشرك وبين ان الله تعالى يجب ان يعبد بين في هذه الآية
ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانه اذا مسهم نوع من انواع الضر لم يرجعوا
في طلب دفعه الا الى الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله
عند حصول الضر لانه هو القادر على ايصال الخير ودفع الشر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم
ان يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقتهم في هذا الباب متناقضة واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا مخلصا
راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اعطاه ومنه قيل للمال العظيم خول وللعبيد خول قال ابو النجم
اعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول قال صاحب الكشاف في حقيقته وجهان احدهما جعله
خائل مال من قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه
قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نعمة منه نسي ترك ما كان يدعو اليه من قبل في حال الضر وقيل
نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله
وما خلق الذكر والانثى وجعل لله اندادا يعني الاوثان السدي يعني اندادا من الرجال يطيعهم في معصية الله ليضل
نتيجة جعل لله اندادا اضلاله عن سبيل الله فان النتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون
غير غرض قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ليس المراد به الامر بل الزجر اي انك ان تمتعت بكفرك
قليلا تكون من اصحاب النار قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ● لما شرح الله صفات المشركين الضالين
وتمسكهم بغير الله اردفه بشرح احوال المؤمنين المحقين الذين لا يرجعون الا الى الله ولا اعتمادهم الا على فضل الله فقال
امن هو قانت قرأ نافع وابن كثير وحمزة امن بتخفيف الميم والباقون بتشديدها على ان يكون الهمزة ام متصلة ويكون
معنى الكلام الاستفهام وجوابه محذوف تقديره امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
كمن لا يشرح الله صدره ويقول امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام كمن لا يشرح الله صدره
او نقول امن هو قانت كمن جعل لله اندادا وقيل ام تكون بمعنى العطف على الاستفهام تقديره هذا خير ام من هو قانت ويدل
الكلام عليه ومن خفف فيه وجهان احدهما ان تكون الهمزة في امن بمعنى حرف النداء تقديره يا من هو قانت والعرب تنادي

بالالف

بالالف كما تنادي بالياء فيقول يا زيد اقبل وازيد اقبل والثاني ان تكون الالف الف استفهام ثم معنى الاية اهذا
كالذي جعل لله اندادا فاكتفى بما سبق اذ كان معنى الكلام مفهوما ام من شدد فخبره محذوف امن هو قانت كغيره
وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام ابن عباس
الطاعة آناء الليل ساعاته ساجدا وقائما يحذر الآخرة مقاتل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله
المخزومي قل هل يستوي الذين يعلمون العاملين من علماء الديانة والذين لا يعلمون كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه
انذار عظيم للذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين
هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون
وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجوا
فقال هذا تمني وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية انما يتذكر اولوا الالباب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء
والجهال لا يعرفه ايضا الا اولوا الالباب قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء يجيئون
عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند ابواب العلماء فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان
العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه قوله تعالى
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم ● لما نفى المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بان امر نبيه بان يخاطب المؤمنين
بانواع من الكلام النوع الاول قوله قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم والمراد انه تعالى امر المؤمنين بان يبقوا على
التقوى وهذا يدل على ان الايمان يبقى مع المعصية ولما امر المؤمنين بالاتقاء بين ما في هذا الاتقاء
من الفوائد فقال للذين احسنوا في هذه الدنيا يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم
حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة
والعافية قال صاحب الكشاف فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان
يقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالمعنى بالتعلق وان لم يكن
التعلق وصفا وارض الله واسعة اي لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم لا يتمكنون
فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى
بلاد اخرى واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
جاهدوا واتسعة ثم اجتهدوا فيها فاعتزلوا الاوثان تعالى في ارض الجنة وقيل للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة
عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها انما يوفى الصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم
وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير اجرهم بغير حساب لا يحاسبون
عليه وقيل بغير مكيال ولا ميزان اي يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف
قتادة لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان وعن النبي صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل الصلاة
فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
وامرت لان اكون اول المسلمين اي امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم
في الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قيل كيف عطف امرت على امرت
وهما واحد اجيب بانهما ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم
به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفاته ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة
مثلها في اردت لان افعل فلا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانما زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم
مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير اللام
في قوله وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وقيل ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول
من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وقيل ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وقيل ان اكون اول
من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي ولا يكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما
لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولوية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني ان الله امرني ان
اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه
فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه قوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا
ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ● ولا تكرار في قوله قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني لان الاول اخبار بانه مأمور من جهة الله

بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله عز وجل وحده بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته
على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن
يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة
في الخذلان والتخلية على ما حققه فيه القول قل إن الخاسرين أي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه
وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار
فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل خسروهم
لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا وقد وصف خسرانهم
بغاية الفظاعة في قوله ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين
المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل أطباق من النار ودخانها ومن تحتهم ظلل أطباق فرش ومهاد
من نار وإنما سمي الأسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله أحاط بهم سرادقها وقوله وظل من يحموم وقوله انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث
شعب ذلك العذاب هو الذي يخوف الله به عباده ويتوعدهم به ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله
لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ● لما ذكر وعيد عبدة الأصنام ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن
الشرك ليكون الوعد مقرونا بالوعيد أبدا فيحصل كمال الترغيب والترهيب الطاغوت الشيطان أو الشياطين لكونها
مصدرا وفيها مبالغات هي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت
الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها
الجمع وأنابوا رجعوا إلى الله إلى عبادة الله لهم البشرى بالجنة والثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت
مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم
اليوم جنات فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أراد بهم الذين اجتنبوا وأنابوا أنفسهم
وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا
في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك
المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك و
أقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص
والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع
ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره أولئك
أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فهذه جملة شرطية الشرط فيه من حق عليه
كلمة العذاب والجزاء فأنت تنقذه دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف
على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية
هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة
ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه والثانية أفأنت تنقذ من في النار
وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ تدل عليه نزل
استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة إنقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله هو الذي يقدر على الإنقاذ
من النار وحده لم يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما
هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض
مبنية بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل
ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين تجري من تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله نصب على المصدر لأن
قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب
إنه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها ووصف الدنيا بوصف يوجب اشتداد النفرة عنها قوله فسلكه

فادخله

فادخله ونظمه ينابيع عيونا في الأرض [illegible] كل ماء في الأرض فمن السماء نزل إنما ينزل من السماء إلى الصخرة
ثم يقسمها العيون والركايا ثم يخرج به بالماء زرعا مختلفا ألوانه من خضرة وصفرة وحمرة وبياض وغير ذلك وقيل
من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج ييبس يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب
فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما فتاتا ودرينا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم
لذكرى لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز
أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما مثل الحياة الدنيا قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ● أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من
ربه قتادة النور كتاب الله به يأخذ وإليه ينتهي تقديره أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه كمن أقسى
قلبه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله ما علامة
ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت قيل إنها نزلت في عمار بن
ياسر رضي الله عنه مقاتل أفمن شرح الله صدره للإسلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله أبو جهل وذووه من الكفار أولئك في ضلال مبين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اطلبوا الحوائج من السمحاء فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي عن
أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويحب كل قلب خاشع
حزين رحيم يعلم الناس الخير ويدعوهم إلى طاعة الله عز وجل ويبغض كل قلب قاس لاه ينام الليل كله فلا يذكر الله ولا
تنزل عليه رحمة الله [illegible] مالك بن دينار قال ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم إلا نزع
منهم الرحمة والفرق بين من وعن في هذا أنك إذا قلت قسى قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر
وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه
عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده من العطش قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله
فما له من هاد ● ابن عباس إن الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله إيقاع اسم الله مبتدأ
وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله تعالى
وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث كتابا بدل من أحسن الحديث
وقيل حال لأنه متشابها يشبه بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف وقيل متشابها مطلق في مشابهة
بعضه بعضا فكأنه متناول لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب
ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت مثاني جمع مثنى وهو المردد المكرر
سمي القرآن مثاني لأنه ثني فيه الأخبار والأحكام والحدود ويثنى في التلاوة ولا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه
ولا يتشان ولا يخلق عن كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى
فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك ولما كان الكتاب جملة ذات تفاصيل صح وصفه بالجمع
وتفاصيل الشيء جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام
ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا
متشابها فصولا مثاني وقيل يجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا
على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه وفائدة التثنية والتكرير أن النفوس
أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
تقشعر تضطرب وتشمئز وتستوفز منه اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم
اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره
وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله تعالى التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم
إذا سمعوا القرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
إذا ذكروا الله عز وجل ورحمته وجوده بالمغفرة تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وزال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة ولما ضمنت تلين معنى سكنت واطمأنت عديت بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية
غير خاشية وإنما اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن أصل أمره الرأفة والرحمة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة
رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رءوفا رحيما وإنما ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها
القلوب ثانيا لأنه إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم
في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا
في جلودهم عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فقلت لها ان ناسا
اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما مر
برجل من اهل العراق ساقطا فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله
وما نسقط وان الشيطان ليدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه
ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه
ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وروي ان موسى وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه
فقيل لموسى عليه السلام فقال قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ليشرح لي عن قلبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات من الشجرة اليابسة ورقها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله عز وجل حرمه الله على النار ذلك الاشارة الى الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله
فما له من هاد وفيه رد على القدرية قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا
ما كنتم تكسبون • كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون • فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون • افمن يتقي بوجهه ... واتقاه بيده
وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره سوء العذاب
شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده
وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار
الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة قال مجاهد يجر على وجهه في النار
وقال عطاء يرمى به منكوسا في النار فاول شيء منه تمسه النار وجهه وقال مقاتل هو ان الكافر يرمى به في النار مغلولة
يده الى عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة مثل الجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فحرها
ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال التي في يده وعنقه ... وقيل للظالمين ذوقوا
ما كنتم تكسبون • كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم فاذاقهم الله
الخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
لو كانوا يعلمون قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون • قرآنا عربيا غير ذي عوج
لعلهم يتقون • قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج
مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون
فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان قال مجاهد غير ذي لبس وعن
عثمان بن عفان رضي الله عنه غير متضاد وعن ابن عباس رضي الله عنهما غير مختلف وعن السدي غير مخلوق وعن بكر بن عبد الله المزني
غير ذي لحن لعلهم يتقون الكفر والتكذيب قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • قال صاحب الكشاف واضرب لقومك مثلا وقل
لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم
قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له
فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شأنا
والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك
ويتغالبوا كما قال ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب
رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه
وبما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه متشاكسون مختلفون
متنازعون متشاحون والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه وقيل متشاكسون
سيئة اخلاقهم يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس اذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لجوجا ...
... سلما وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب سالما بالالف وقيل اختير سلما لصحة التقابل
فيه وذلك ان السالم الخالص هو ضد المشترك والباقون سلما بفتح السين واللام من غير الف واختير لانه هو الذي
لا ينازع فيه هل يستويان مثلا التمييز صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما دون كل معبود سواه
اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون • ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون • كان مشركو قريش يتربصون
برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني ...
... الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف الذي فارقته الروح
ولذلك ... انك وإياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان وعن قتادة

ثم

نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم انفسكم ثم انكم وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير
الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون
بالاباطيل تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل
على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج
واهل القبلة يكون بينهم الخصام عن ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي اهل الكتابين
ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقلنا كيف نختصم ونبينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه
بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن ابي سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن النخعي لما نزلت ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا قوله تعالى فمن اظلم
ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين • والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون • لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين • ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون • ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من قبائح افعالهم فقال فمن اظلم ممن كذب على الله فزعم ان له ولدا وشريكا
وكذب بالصدق الذي هو الصدق بعينه اي بالقرآن اذ جاءه فاجاءه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام
بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى منزل ومقام للكافرين وهم هؤلاء الذين
كذبوا على الله وكذبوا بالصدق والذي يعني جبريل جاء بالقرآن وصدق به يعني محمدا بالقبول قال ابن عباس والذي جاء
بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغه الى الخلق وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه
في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذلك في الاسم
وقيل يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا
به وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابي العالية والكلبي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به
ابو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المؤمنون
والسدي بقوله تعالى اولئك هم المتقون وقال عطاء والذي جاء بالصدق الانبياء عليهم السلام وصدق به الاتباع وقيل
الذي بمعنى الذين على طريق الجنس كقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ثم قال ذهب الله بنورهم ...
... الذين آمنوا وعملوا الصالحات الحسن هو المؤمن صدق به في الدنيا وجاء به يوم القيامة ...
... قرأ والذي جاء بالصدق وصدق به مخففة قال هم المؤمنون جاءوا به صادقا وصدقوا به كما قالوا في القرآن
يوم القيامة يقولون هذا الذي اعطيتمونا فعملنا بما فيه اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون واضافة الاسوأ والاحسن الى الذي
عملوا ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك
الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فيؤذن بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ
لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ
وحسنهم بالاحسن قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد •
ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام • لما ذكر انه لهم ما يشاؤون عند ربهم وجرت العادة بان
المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الكثيرة قطع الله مادة هذه الشبهة بقوله اليس الله بكاف عبده وذكر
بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بحاجات العباد قادر على دفعها
وايصال الخيرات والراحات وهو ليس بخيل ولا محتاج حتى يمنعه بخله وحاجته من اعطاء المراد فالظاهر انه تعالى
يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل اليه كل المرادات فلهذا قال اليس الله بكاف عبده ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة
المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه اي لما ثبت ان الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا باطلا قرأ حمزة والكسائي
وخلف عباده بالجمع والباقون عبده يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافادت معنى
اثبات الكفاية وتقريرها ويخوفونك بالذين من دونه ونحو ذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الاوثان وقالوا لتكف
عن شتم آلهتنا ... لتكفن عن ذكرها او ليخبلنك وتصيبنك بسوء بالذين من دونه اراد الاوثان ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل رد على القدرية اليس الله بعزيز منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
لهم وينصر عليهم قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من
دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه
يتوكل المتوكلون • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون • من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم • لما اطنب في وعيد المشركين وفي وعد المؤمنين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الاصنام وهذا
التزييف على اصلين الاول اعتراف المشركين بوجود الاله العالم القادر الحكيم الرحيم واليه اشار بقوله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله والثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واليه اشار بقوله قل افرأيتم

اولا بان خالق الكل هو الله وحده ثم يقول لهم تبكيتاً لتقريرهم افرأيتم ما تدعون من دون الله اي هذه الاصنام التي تعبدونها
من دون الله ان ارادني الله الذي خلق السموات والارض بضر وشدة وبلاء من مرض وفقر او غير ذلك من النوازل
هل هن اي الاصنام كاشفات عني ضره او ارادني الله برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هن ممسكات رحمته حتى لا
العم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قرأ ابو عمرو ويعقوب كاشفات وممسكات بالتنوين والباقون بالاضافة
قل حسبي الله كافياً في المعرة ان نالكم عليه يتوكل المتوكلون تعريض بهم وانما قال كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله
ويخوفونك بالذين من دونه لان اللات والعزى ومناة اناث تنبيهاً لضعفهن وعجزها زيادة تضعيف وتعجيز لها
عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة
كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضاً قوله تعالى
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ● لما اورد عليهم
هذه الحجة التي لا دافع لها قال تعيداً على وجه التهديد قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها وجهتكم
من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما
للمكان وحق الكلام فاني عامل على مكانتي وانما حذفه للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى
الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالباً عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب
عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه من يأتيه عذاب يخزيه صفة للعذاب
اي عذاب مخز له وهو يوم بدر ويحل عطف على يأتيه عليه عذاب مقيم صفة العذاب اي عذاب دائم وهو عذاب
النار والله اعلم قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها وما انت عليهم بوكيل ● ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فلعلك
باخع نفسك على آثارهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلما اطنب الله في هذه الآيات في افساد مذاهب المشركين
تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انا انزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف المبين لنفع الناس ولاهتدائهم
وجعلناه انا له مقروناً بالحق وهو المعجز الذي يدل على انه صدق من عند الله فمن اهتدى فلنفسه فنفعه يعود عليه
ومن ضل فانما يضل على نفسه فان ضرره يعود اليه وما انت عليهم بوكيل اي لست مأموراً بالايمان على سبيل القهر
وعدم القبول مفوض اليهم وذلك لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على الكفر قوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون ● انه تعالى بين ان الضلال من الله تعالى لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلالة تشبه الموت
والنوم فكما ان الحياة واليقظة والموت والنوم لا يحصل الا بتخليق الله تعالى وايجاده كذلك الهداية والضلالة
لا يحصلان الا من الله ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى في القدر ومن عرف سر الله في القدر هانت عليه
المصائب فصير التنبيه على هذه الدقيقة سبباً لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم الله يتوفى الانفس
حين موتها وعند النوم الا انه يمسك الانفس التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهي النائمة الى اجل مسمى
اي الى وقت ضربه لموتها فقوله الله يتوفى الانفس حين موتها معناه انه يتوفى الانفس في وقت الموت وقوله والتي
لم تمت في منامها معناه انه يتوفى الانفس التي نامت ولم تمت عند منامها فيمسك التي قضى عليها الموت اي النفس
التي توفاها حين موتها عنده ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى الى اجل مسمى يعني ان النفس التي توفاها
عند المنام ولم يمت يردها الى البدن عند اليقظة ويبقى هذه الحالة الى اجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت قال
الامام النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء وهو الحيوة ووقت
في وقت النوم ينقطع ضوءه وتعلقه عن ظاهر البدن ولا ينقطع عن باطن البدن فالنوم والموت من جنس واحد
الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر الحكيم القديم
دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة اوجه احدها ان يقع ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه
دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق ضوء النفس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك
هو اليقظة وثانيها ان ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت وثالثها ان ينقطع ضوء النفس عن ظاهره دون
ينقطع عن البدن باطنه وهو النوم فالموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس ثم يمتاز كل واحد منهما
عن الآخر بخواص وصفات معينة ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر العليم الحكيم وهو المراد بقوله
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الدليل يدل على ان الواجب على العاقل ان يتفكر ويعلم
ان الذي يستحق ان يعبد هو الاله الموصوف بهذه القدرة والحكمة ولا يشتغل بعبادة الاوثان التي هي جمادات لا شعور لها
ولا ادراك قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعاً له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ● اعلم ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالاً فقالوا نحن لا نعبد
هذه الاصنام لاعتقاد انها تنفع وتضر وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله مقربين فنحن نعبدها

لاجل

لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عبدوا الله فنحن نعبدها لاجل ان يصيروا اولئك الاكابر شفعاء لهم عند الله
تعالى فاجاب الله تعالى عنه بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء تقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطلبوا
تلك الشفاعة من هذه الاصنام او من هذه الاشخاص الذين هذه الاصنام تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام
جمادات فلا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها وكذا الثاني لان في يوم القيمة لا يملك
احد شيئاً فلا يقدر على الشفاعة احد فكان الاشتغال بعبادة الله الذي له الشفاعة اولى من الاشتغال بعبادة
غيره والى هذا اشار بقوله قل لله الشفاعة جميعاً ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وهذا تقرير لقوله لله الشفاعة جميعاً لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكاً لها
ثم اليه ترجعون متصل بما يليه اي له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون
الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة لا اله الا هو ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقاً
بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعاً وهو ضعيف لانا نسلم انه سبحانه وتعالى ما لم يأذن في الشفاعة لم يقدر
احد على الشفاعة قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون ● هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهو انا اذا ذكرنا الله وحده فقلنا لا اله
الا الله وحده لا شريك له اشمأزت عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال صاحب
الكشاف امتعضت [illegible] واصل الاشمئزاز النفور والازورار واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان
وذلك حين القى الشيطان في امنية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم تلك الغرانيق العلى
منها الشفاعة ترتجى اذا هم يستبشرون ويفرحون لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى الى هواهم وقيل اذا قيل لا اله
الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفياً لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية
في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سروراً حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غماً وغيظاً حتى
يظهر الانقباض في اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار
قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون ● عن سعيد الثوري قال كنت عند الربيع بن خثيم فدخل عليه رجل ممن شهد قتل الحسين رضي الله عنه
ممن كان يقاتله فقال لخيثم بها معلقها يعني الرؤس ثم ادخل يده في حنكه تحت لسانه فقال والله لقد قتلتم صفوة
لو ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبل افواههم واجلسهم في حجره ثم قرأ قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في
الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ● وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لاهون
اهل النار عذاباً لو ان لك ما على الارض من شيء اكنت مفتدياً به فيقول نعم قال قد اردت منك اهون من هذا وانت في صلب
آدم ان لا تشرك بي شيئاً فابيت الا ان تشرك بي وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا انه نازل بهم
في الآخرة [illegible] ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات وهذا وعيد لهم لكنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله
في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والمعنى فظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم
ولم يحدثوا به نفوسهم قال سفيان وقرأ هذه الآية ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له الجزع
فقال اخشى ان تبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم
حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه وقيل المراد بالسيئات انواع العذاب التي
يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم نزل بهم واحاط جزاء ما كانوا به
يستهزءون اي جزاء هزؤهم قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته
على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم
سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ● ثم اذا خولناه اعطيناه
نعمة منا التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك شيئاً على غير جزاء قال انما اوتيته على علم اي [illegible]
في من فضل وقيل على علم من الله باني له اهل وقيل على علم مني بوجوه الكسب والضمير في اوتيته راجع الى شيء
من النعمة وقسماً منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم
بل هي اي النعمة فتنة الحسين بن الفضل بل الكلمة التي قالها فتنة وقيل بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة
لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان اتشكر ام تكفر ذكر الضمير اولاً على المعنى وانث آخراً على اللفظ ولان الخبر
لما كان مؤنثاً اعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية
بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو لان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى
انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر
بذكره وما بينهما من الآي اعتراض وفائدة الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله
انت تحكم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون

المتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك بمثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل
هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم أو لكل ظالم إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنيتهم
به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهل
الإسراف لكنك لا تنشرها الأعمال النظر وإلا بقيت محجبة في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي
إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو وفي هذا التسبيب لطف فإنك تقول
زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ
إليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه
مجراه في جعله سببا في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب
من فعله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن التخويل فتنة والكلمة التي قالها فتنة قد قالها الضمير في قالها
راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول الذين من قبلهم يعني قارون والذين كان قبله وبعده
أو قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك فأصابهم ما الذين من قبلهم سيئات ما كسبوا أي جزاء
ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء المشركين سيصيبهم سيئات ما كسبوا مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم
ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين وما هم بمعجزين قوله تعالى
أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ● أي يبسط لهم الرزق وقتره
سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أي أن الله هو القابض والباسط لا قابض ولا باسط إلا هو قوله تعالى
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ● واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل
أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ● أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن
الساخرين ● أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ● أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ● قيل عني بها قوم من المشركين قال ابن عباس
نزلت في أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من قتل النفس التي حرم الله وعبد الأوثان لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا
مع الله غيره وقتلنا النفس التي حرم الله فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل وحشي إلى محمد صلى الله عليه وسلم كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من
قتل أو أشرك أو زنا يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا وأنا قد صنعت ذلك كله فهل تجد لي
رخصة فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل صالحا الآية قال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر على هذا فهل غير ذلك
فأنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري
يغفر لي أم لا فهل غير ذلك فأنزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي
نعم هذا فجاء وأسلم فقال المسلمون هذه له خاصة أم للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة قتادة ذكر لنا أن ناسا أصابوا
ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية ابن عباس نزلت في عياش
ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا
ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فنزلت هذه الآيات وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاتبا
فكتبها بيده ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وعن عمر رضي الله عنه
لما اجتمعنا إلى الهجرة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص وقلنا الميعاد بيننا المناصف ميقات بني غفار
فمن حبس منكم لم يأتها فقد حبس فليمض صاحبه فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام وفتن فافتتن فقدمنا
المدينة فكنا نقول ما الله بقابل من هؤلاء توبة قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا فأنزل
الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إلى قوله أليس في جهنم مثوى للمتكبرين
قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي كتابا ثم بعثتها إلى هشام قال هشام فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى
فقلت اللهم فهمنيها فعرفت أنها أنزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل
هشام بأجنادين في ولاية أبي بكر رضي الله عنه وقيل نزلت في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار فأعلمهم الله
أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول
أنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت هذه الآية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت
هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال وكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا
قد هلك فنزلت هذه الآية فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا إذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا
عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له أسرفوا على أنفسهم جنوا على أنفسهم بالإسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا
قرأ أبو عمرو بكسر النون والباقون بفتحها وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر والآية عامة للناس أجمعين قيل دخل عبد الله بن
مسعود المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر الأغلال والنار فجاء حتى قام على رأسه وقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ

قل يا عبادي

قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ثم قال إن رجلا كان في الأمم الماضية
يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات فقال أي رب ما لي عندك
قال النار قال يا رب فأين عبادتي واجتهادي فقال إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا فاليوم أقنطك من
رحمتي عن أسماء بنت يزيد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي [illegible]

[illegible]

لحسرتا والحسرة الاغتمام على ما فات سمي بذلك لانحساره عن صاحبه بما يمتنع عليه استدراكه [illegible]
ميتة الألف في حسرتا هي ياء المتكلم [illegible] على الإضافة [illegible] عوض التاء التي هي كناية
اسم المتكلم في الاستغاثة [illegible] يلحقون بها الهاء [illegible] أنشد الفرا
يا مرحباه بحمار ناجية ● إذا أتى قربته للسانية ● وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف لتدل على الإضافة
تكون جمعا بين العوض والمعوض عنه على ما فرطت في جنب الله في جانب الله يقال أنا في جانب فلان
وجانبه وجنبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وجانبه يريدون في حقه قال سابق
البربري ● أما تتقين الله في جنب وامق ● له كبد حرى عليك تقطع ● وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر
في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله ● إن السماحة والمروءة والندى ● في قبة ضربت على ابن الحشرج
ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل
وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في
الله على معنى في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن
الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب

او لا تذكروا والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادته وما اشبه ذلك وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت
سعيد بن جبير في حق الله مجاهد في امر الله الحسن في طاعة الله وقيل في سبيل الله ودينه والعرب
تسمي السبب والطريق الى الشي جنبا يقول تجرعت في جنبك غصصا وبلايا اي في سببك ومن اجلك قال الشاعر
أفي جنب بكر قطعتني ملامة ... لعمري لقد كانت بلادا منها بنا ... وقيل في الجانب الذي يؤدي الى رضى الله عز وجل
وثوابه والعرب تسمي الجانب جنبا قال الشاعر ... الناس جنب والامير جنب ... يعني الناس من جانب
وان كنت لمن الساخرين المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله
حتى جعل يسخر باهل طاعته وان كنت في محل النصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي
عن ابي صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل ترك علمه واخذ في الفسق فاتاه ابليس فقال له لك عمر طويل فتمتع من
الدنيا ثم تب فاخذ في الفسق وكان عنده مال فانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما يكون فقال
من انت قال انا ملك الموت جئت لاقبض روحك فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة
الشيطان واسخطت ربي فندم حيث لم ينفعه الندم فانزل الله تعالى خبره في القرآن او تقول لو ان الله هداني عطفه
على قوله ان تقول نفس يا حسرتا او لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين نصب
فاكون جوابا للو وقيل انه عطف على موضع الكرة وتوجب الكرة في المعنى اي لو ان لي ان اكون كقول الشاعر
انشده الفراء ... فما لك منها غير ذكرى وحسرة ... وتسأل عن ركبانها اين يمموا ... فنصب تسأل عطفا على موضع ذكرى لان معنى
الكلام فما لك منها الا ان تذكر ومنه قوله تعالى الا وحيا وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه
كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحو لو هداني الله لكنا ... بلى قد جاءتك آياتي
رد من الله عليه معناه بلى قد هديتك بالوحي وجاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت عن قبولها وكنت من الكافرين
قال القاضي قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما
ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان توخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية
ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى
الجواب ولما كان لو ان الله هداني في معنى ما هديت صح ان يقع بلى جوابا له وان كان غير منفي قوله تعالى ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا
بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ● ان هذا نوع اخر من تقرير الوعيد كما ان قوله اما الوعيد فقوله
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله اي وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها وجوههم مسودة جملة في موضع
الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله
الذين اتقوا بمفازتهم قرا اهل الكوفة الا حفصا بالالف على الجمع وقرا الباقون بغير الف على الواحد لان المفازة
هنا هو الفوز ومعنى الاية ينجيهم من العذاب باعمالهم الحسنة يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون تفسير للمفازة كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم
او بسبب نجاتهم من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب نجاتهم
العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح
وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل لقوله لا يمسهم على تقدير ان
يكون تفسيرا لقوله بمفازتهم لانه كلام مستانف ومحله النصب على الحال على تقدير ان يكون بسبب مفازتهم قوله
تعالى الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله
اولئك هم الخاسرون ● له مقاليد اي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد مثل
منديل ومناديل اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها
ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح وقيل لا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد
وهي فارسية معربة اصلها اكليد والذين كفروا بآيات الله متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا
بآيات الله اولئك هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال
المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه
وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وروي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك
تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها اذا اصبح واذا امسى عشر مرات اعطاه الله ست خصال
اما اولها فيحرس من ابليس وجنوده والثانية يحضره اثنا عشر ملكا والثالثة يعطى قنطارا من الجنة والرابعة ترفع له
درجة والخامسة يزوجه الله زوجة من الحور العين والسادسة يكون له من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل

وله ايضا

وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته مات شهيدا عن علي كرم الله وجهه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال يا علي سألت عظيما المقاليد ان تقول عشرا اذا اصبحت
وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله والحمد لله استغفر الله ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر و
الظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى
اعطاه الله خصالا ستا اولهن يحرسه من ابليس وجنوده فلا يكون له عليه سلطان والثانية يعطى قنطارا في الجنة
اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثة يرفع الله درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين والخامسة
يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها في رق منشور يشهدون بها يوم القيمة والسادسة كان كمن قرأ التوراة والانجيل
والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجه وعمرته وان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهداء فهذا
تفسير المقاليد وتاويله ان الله بهذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين
اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قوله تعالى قل افغير الله تأمروني
اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله
فاعبد وكن من الشاكرين ● وذلك حين دعي الى آبائه فقال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك افغير
منصوب باعبد وتأمروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وقيل منصوب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني اعبد لانه
في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد غير الله والاصل تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى قرأ اهل المدينة تأمروني بنون واحدة خفيفة على الحذف والتخفيف وقرأ اهل الشام تأمرونني بنونين على الاصل والباقون
بنون مشددة على الادغام ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ... قيل لئن اشركت
معناه لئن طالبت غيري في الشرك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فان قيل الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت
على التوحيد اجيب بان معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله وقيل اوحي اليك والى كل واحد
منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا واللام في لئن اشركت موطئة للقسم المحذوف واللام في ليحبطن
لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط وهذا الكلام مع علم الله ان رسله لا يشركون
ولا يحبط اعمالهم انما هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض ومعنى قوله ولتكونن من الخاسرين الذين خسروا
انفسهم ان مت على الردة في الآخرة وقيل يجوز ان يكون غضبا من الله على الرسول لا شد من غضبه على غيره بعد الردة الا ترى
الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد لما امر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل
تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين لله على نعمة الايمان وعلى ان جعلك سيد ولد آدم ويجوز ان ينصب الله
في بل الله بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون ●
لما حكى الله عن المشركين انهم امروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يعبد الله ولا يعبد شيئا سواه بين انهم لو عرفوا
الله حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله حق قدره حين اشركوا
به ذات العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه ثم نبههم على
عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والمراد من هذا
الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين
الى جهة حقيقة او جهة مجاز والارض جميعا قبضته اي ملكه يوم القيمة بلا منازع ولا مدافع وهو اليوم ايضا
ملكه نظيرها قوله مالك يوم الدين وقوله لمن الملك اليوم وقيل هذا كما يقال خراسان في قبض فلان ليس انها في كفه وانما
معناه ملكه والسموات مطويات بيمينه يعني مجموعات ... ومنها الافناء كما يقال طويت فلانا عن اعين الناس ... ومنها الاعراض يقال
طويت عن فلان اي اعرضت عنه ... وانما ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار
وقيل هو بمعنى القوة وقيل اليمين القسم لانه حلف انه يطويها ويفنيها عن عبد الله بن مسعود جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والخلائق
على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره وعنه جاء
حبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال
على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة وانما ضحك
افصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء
من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها

الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة
من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام
الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليه تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما
وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه لما خفي عليهم
ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم اية من ايات
التنزيل وحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول
ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان
قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجمع
اتبع الجميع مؤكدة قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلها والقبضة
المرة من القبض فقبضته قبضة من ان الرسول والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة
من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلته وذات جرعته تريد
انهما لا يفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته فاذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين
بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة
طاوي السجل ان يطويه بيمينه قال صاحب الكشاف ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلقى بالعجب
منه ومن قال الله ثم يبكي حسرة لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله وا ثقل منه على الروح واصدع للكبد بدل
العلماء قوله سبحانه وتعالى عما يشركون [illegible] على فروع المنابر والجذب بالاعتراف من السامعين سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه
قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا وهي
النفخة الاولى الا من شاء الله عن ابي هريرة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الاية من اولئك
الذين لم يشأ الله ان يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش تتلقاهم ملائكة يوم القيمة
الى المحشر بنجائب من ياقوت ازمتها الدر برحائل السندس والاستبرق ونمارقها الين من الحرير مد خطاها مد ابصار
الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا الى ربنا ننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم
ربنا فاذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قالوا يا رسول الله من الذي استثنى الله عز وجل قال هو جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفس اسرافيل فيقول يا ملك الموت من بقي فيقول
سبحانك ربنا وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول يا ملك الموت خذ نفس
ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربي ذا الجلال
والاكرام وجهك الباقي الدائم وبقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول
تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا
يخفق بجناحيه فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام [illegible] ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال لموسى عليه السلام فيما استثنى الله تعالى فلا يصعق وذلك انه قد صعق مرة
بدليل ما روى عن ابي هريرة قال يهودي بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده
فصك بها وجهه فقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاكون اول من يرفع رأسه فاذا موسى اخذ بقائمة
من قوائم العرش فلا ادري رفع رأسه قبلي او كان ممن استثنى الله وقال كعب الاحبار هم اثنا عشر حملة العرش وجبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت الضحاك هم رضوان والحور العين ومالك والزبانية قتادة الله اعلم بثنياه
الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده وقيل عقارب النار وحياتها ثم نفخ فيه اخرى يحتمل الرفع والنصب اما الرفع
فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى واما النصب فعلى اخرى عليها ولكن المعلومة بذكرها
في غير مكان فاذا هم قيام من قبورهم ينظرون الى البعث وقيل ينتظرون امر الله وقيل يقلبون ابصارهم في الجهات نظر
المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم واشرقت واضاءت الارض بنور ربها قال اكثر المفسرين بعدل ربها
وذلك حين ينزل الرحمن لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره الا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي
لا دخن فيه الضحاك يحكم ربها التي بعدله ربها وقيل ان الله عز وجل يخلق في القيمة نورا يلبسه وجه الارض فتشرق
الارض به وقيل ان الله تعالى يتجلى للملائكة فتشرق الارض بنوره واراد بالارض عرصات القيمة قال صاحب الكشاف
قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض
بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسط من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه
مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها
موازين القسط ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه
الاضافة انه ربها وخالقها فالذي يعدل فيها انما هو ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب

وجيء

وجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق ومن الموت لمذكور وترى الناس يقولون ذلك [illegible]
بعد ذلك فاضاءت الدنيا [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم
ظلمات يوم القيمة ولما فتح الاية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب يعني صحايف الاعمال للمحاسبة [illegible]
للحشر وقيل اللوح المحفوظ وجيء بالنبيين والشهداء ابن عباس الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة [illegible]
الذين استشهدوا في طاعة الله وقيل هم الحفظة بدليل قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقضي بينهم
بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
وسيق الذين كفروا اي سوقا عنيفا يسحبون على وجوههم الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها على اثر بعض
كل امة على حدة الاخفش جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها السبعة وكانت قبل
ذلك مغلقة قرأ اهل الكوفة فتحت وفتحت على التخفيف والباقون بتشديدهما على التكثير وقال لهم خزنتها توبيخا لهم
الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
وهي قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم
خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين وسيق الذين اتقوا ربهم اطاعوه ولم يشركوا به شيئا الى الجنة زمرا طبقات مختلفة
شهداء وزهادا وعلماء وقراء وغيرهم وقيل ركبانا حتى اذا جاءوها حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية
بعدها هي الشرطية وجزاؤها محذوف وانما حذف لانه في صفات ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط
به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها جاؤها وفتحت ابوابها والواو فيه
واو الحال اي وقد فتحت ابوابها [illegible] هنا لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها من الاية الاولى
لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيئهم وقيل زيدت الواو هنا لان ابواب الجنة ثمانية وابواب جهنم سبعة فزيدت
الواو فرقا بينهما وتسمى واو الثمانية لان من عادة قريش انهم يعدون العدد من الواحد الى الثمانية فاذا بلغوا الثمانية
زادوا فيها واوا فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية يدل عليه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما وقوله تعالى التائبون العابدون الحامدون لما بلغ الثامن من الاوصاف قال والناهون عن المنكر وقال
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارا وقيل زيادة الواو في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة
الله على غضبه وعقوبته وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها
خالدين جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فهي دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها
الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة
وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الكريم الوهاب بفضله نفحة من نفحاته [illegible]
تحيط [illegible] هذا خالدين مقدرين الخلود قتادة اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم
من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه طبتم فادخلوها خالدين وعن علي رضي الله عنه
انه سئل عن هذه الاية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة حتى اذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت
ساقها عينان فعمدوا الى احداهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغبر ابشارهم بعدها ابدا ولن تشعث
اشعارهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فذهبت ما في بطونهم من اذى وقذى وتلقاهم
الملائكة على ابواب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتلقى كل غلمان منهم يطيفون به فعل الولدان
بالحميم جاء من الغيبة يقولون ابشر قد اعد الله لك كذا وكذا ثم ينطلق غلام من غلمانه يسعى الى ازواجه
من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا فيقلن انت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى يخرجن الى
اسكفة الباب ثم يجيء فيدخل فاذا سرر موضونة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم ينظر الى
تأسيس بنيانه فاذا هو قد اسس على جندل اللؤلؤ بين احمر واخضر واصفر وابيض من كل لون ثم يتكئ على اريكة من ارائكه
ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا ان الله عز وجل قدر له لالم ان يذهب بصره انما مثل البرق فيقول الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيناديهم الملائكة ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض يعني ارض الجنة وقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون قيل الارض ميراث من كان لهما قاموا فيه والحقه سقر لهم مثوى وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها
واطلق تصرفهم فيها كما تشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف
سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره فنعم اجر العاملين ثواب المطيعين وترى الملائكة

حافين محدقين محيطين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا متعبدين به لان التكليف يزول
في ذلك اليوم وقضي بينهم اي بين العباد كلهم بين اهل الجنة واهل النار بالحق بدخول اهل الجنة بالفضل
ودخول اهل النار بالعدل وقيل بينهم اي بين الملائكة على معنى ان تفضيل الله فيحقهم ليس على السواء بل التفاضل
بحسب ارادته تعالى على حسب تفاضلهم في اعمالهم كما قاله صاحب الكشاف والقائل لذلك المقضي بينهم اما جميع العباد او
الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق ولان الكل منا منزلته التي اتاه الله بمقتضى
مشيته عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر آخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين والله اعلم

سورة المؤمن مكية

ويقال لها سورة الطول وحكي عن ابن عباس وقتادة ان فيها آيتين نزلتا بالمدينة وهما قوله تعالى الذين
يجادلون في آيات الله والتي بعدها قال الزجاج وذكر ان الحواميم كلها نزلت بمكة وهي اربعة آلاف
وتسعمائة وستون حرفا والف ومائة وتسعة وتسعون كلمة وخمس وثمانون آية عن انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن وعن ابن عباس لكل شيء لباب ولباب القرآن
الحواميم وعن الخليل ابن مرة انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحواميم سبع وابواب جهنم سبعة
جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجيء كل حاميم منهن يوم القيمة على باب من هذه الابواب
فيقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرأني عن سعيد بن ابرهيم قال كن الحواميم يسمين العرائس وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان لكل شيء ثمرة وان ثمرة القرآن ذوات حواميم هن روضات حسان مخصبات متجاورات
فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم وعن ابن مسعود اذا وقعت في آل حاميم وقعت في روضات اتأنق
فيها وقال صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب ابن سيرين قال رأى رجل في المنام
سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لمن انتن فقلن لمن قرأ الحاميم فاما فضائل هذه السورة خاصة
فعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن لم يبق نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلوا عليه واستغفروا له

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم ● غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ● قيل حم اسم من اسماء
الله تعالى اضيف هذه السورة اليه كانه قيل سورة الله لشرفها وفضلها فقيل الحم وان كان القرآن كله
سور الله فان هذا كما يقال بيت الله وحرم الله وناقة الله قال الكميت وجدنا لكم في آل حاميم آية
تأولها منا تقي ومعرب عن ابن عباس هو اسم الله الاعظم وعنه الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة
قتادة حم اسم من اسماء القرآن مجاهد فواتح السور القرظي اقسم الله بحلمه وملكه ان لا يعذب احدا عاذ به قال لا اله
الا هو مخلصا من قلبه تشريفا للسورة عطا الخراساني الحاء افتتاح اسم الله حليم وحميد وحي وحنان
وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان ويدل عليه ما روي عن انس بن مالك ان اعرابيا سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لغتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدء اسماء وفواتح سور القرآن
والكسائي معناه ما هو كائن كانهما ارادا الاشارة الى الحتم بضم الحاء وتشديد الميم قرأ حمزة والكسائي وخلف
الحاء بالامالة والباقون بالفتح ومنهم من قرأ بسكون الميم ومنهم من فتحها لالتقاء الساكنين واختيار اخف الحركات
نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل
وهابيل تنزيل الكتاب اي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله قابل التوب
ممن قال لا اله الا الله والطول الغنى والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول وقد تطول والافضال يقال
طال عليه وتطول اذا تفضل الضحاك ذي النعم الكثيرة قتادة ذي المن ذي السعة الحسن ذي الفضل ابن
زيد ذي القدرة واصل الطول الانعام الذي يطول مدته على صاحبه يقال اللهم طل علينا اي انعم وتفضل
ومنه قيل للنفع طائل يقال ما حظيت عنه بطائل وما حظيت من سائل لم اجد عنده منفعة قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت اما
غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا
حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق
ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله
الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف
هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على
مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل
ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه

لاجل

[illegible]

دفعه الى رسوله وقال لا تدفع الكتاب اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده ان يدعوا له ان يقبل الله عليه بقلبه وان
يتوب عليه فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يزل يرددها
حتى جعل يبكي ثم نزع عن ذلك فحسنت توبته فلما بلغ عمر رضي الله عنه ذلك قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم
اخاكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه قوله تعالى ما يجادل
في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم
ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب ● لما قرر ان القرآن كتاب انزله ليهتدى به في الدين
ذكر احوال من يجادل فيه لاجل ابطاله واخفاء امره فقال ما يجادل في آيات الله بالانكار لها والطعن فيها والقصد الى ادحاض
الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فالمراد الجدال الباطل واما الجدال
فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ عنها وبها فاعظم جهاد
في سبيل الله ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين
كفروا وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر
وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال قال صاحب الكشاف فان قلت من اين تسبب لقوله فلا
يغررك ما قبله قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله
وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافعة
والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويربحون فان
مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل ما
ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه
وقيل فلا يغررك تقلبهم تصرفهم في البلاد بالتجارات وبقاؤهم فيها مع كفرهم فان الله يمهلهم ولا يهملهم نظيره لا
يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل الآية ثم قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم
بالمخالفة والعداوة من بعدهم من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته
بما ارادوا من تعذيب وقتل ويقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا او يزيلوا به الحق فاخذتهم يعني انهم قصدوا
اخذه فجعلت جزاءهم ان اخذتهم فكيف كان عقابي اياهم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا
تقرير فيه معنى التعجب قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار كذلك
حقت معناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء اي قريش لان علة واحدة
تجمعهم انهم من اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب
النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة ويجوز
ان يكون في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ● انه تعالى لما بين ان الكفار
يبالغون في اظهار العداوة للمؤمنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمؤمنين
بهم فلا تلتفتوا اليهم ولا تعتدوا بهم فان حملة العرش والحافون حول العرش يستغفرون لكم ... حملة العرش

ما بين كعب احدهم الى اسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام ومسيرة ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التي
تليها قال مجاهد بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور وعن ابن عباس لما خلق الله حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم
يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من اعوانهم مثل جنود من في سبع سموات من الملائكة ومن في الارض من الخلق فقال
احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل ملك منهم من الاعوان مثل جنود سبع سموات وسبع ارضين وما في الارض من عدد
الحصى والثرى فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا
لا حول ولا قوة الا بالله استقلوا عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم
كل منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من
زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى
يصير كانه الوصع وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملائكة
من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وفي الخبر ان الله عز وجل امر جميع الملائكة ان يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة
خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم
بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر
وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال ان العرش اخوف الخلق من الله وان بعض الشيء لتنطق بهذه الكلمات اعوذ
بالله من غضب الله واعوذ بالله من سخط الله واعوذ بالله من نقمة الله واعوذ بالله من كيد الله قال صاحب الكشاف
فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح كذلك وكما عقب
اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول
المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب
فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان
الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا ذلك وانه منزه عن صفات الاجرام اقول لا اسلم
انه لا طريق الى معرفته الا هذا ويستغفرون للذين آمنوا قال صاحب الكشاف روعي التناسب في قوله ويؤمنون
ويستغفرون كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة
وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين
سماوي وارضي قط ثم لما جاء جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله
تعالى ويستغفرون لمن في الارض الذين يقولون ربنا ويقولون المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل
مثله وسعت كل شيء رحمة وعلما انتصبا على التمييز فالرحمة والعلم وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع رحمتك وعلمك
كل شيء واخرج مخرج الكلام عن اصله باسناد الفعل الى ذي الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في
وصفه بالرحمة والعلم كانه ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
عن مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين قال يحيى بن معاذ
الرازي لاصحابه افهموا هذه الآية فما في العالم جنة ارجى منه ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن
صلح محله النصب عطفا على هم في وادخلهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم سعيد بن جبير
يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت اعمل لي ولهم فيقال
ادخلوهم الجنة وقهم السيئات انواع العذاب ويكون السيئات بحذف المضاف في السيئات نعم الصغائر
والكبائر المتوقع عنها ومن تق السيئات بالتكفير منها فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي
الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون ● انه تعالى عاد الى بيان احوال الكافرين المجادلين في آيات الله وهم الذين ذكرهم الله في قوله ما يجادل
في آيات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي نزل بهم ويسألون
الرجوع الى الدنيا ليتداركوا ما فرط منهم فقال ان الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير
لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة وقد مقتوا انفسهم حين عاينوا العذاب فقيل لهم
لمقت الله انفسكم عند حلول العذاب بكم اذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة ومقته
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون الكفر
من مقتكم انفسكم اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هوى انفسكم الامارة لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا

انفسهم

انفسهم فنودوا لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا اذ يدعون تعليل والمقت
اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا
اثنتين اماتتين واحييتنا احياءتين او موتتين وحياتين قيل اراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم
وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها
ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم فسئلوا ثم اميتوا في قبورهم
ثم احيوا في الآخرة قال صاحب الكشاف فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر
جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر
الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر
جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن
منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه فاعترفنا بذنوبنا قال صاحب الكشاف كيف
تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش
العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة وقدرته على الاعادة
فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من النار من سبيل قط فنصلح ايماننا
نظيرها هل الى مرد من سبيل فنصلح لما انظرها اهل الى مرد من سبيل ومعنى خروج على التنكير نوع من الخروج سريع او بطيء
من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون
ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج
قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به اذا ما دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا وفي الكلام متروك
استغنى بدلالة الظاهر عليه تقديره فاجيبوا ان لا سبيل الى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار بانه اذا دعي الله
وحده في الدنيا كفرتم وانكرتم ان تكون الالوهية له خالصة وقلتم اجعل الآلهة الها واحدا وان يشرك به غيره تؤمنوا
تصدقوا ذلك المشرك قيل معناه وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا لو كان الرد وان تؤمنوا تصدقوا المشرك فلذلك
ذكره بلفظ الاستقبال نظيره قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالحكم حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
العلي الكبير يدل على الكبرياء والعظمة وعلى ان عذاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه وما يناسب
جبروته هو الذي يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء رزقا
مطرا لانه سببه وما يتذكر وما يتعظ بما يعتبر بآيات الله الا من ينيب يتوب من الشرك ويرجع الى الله عز وجل فان
المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله فاعبدوا الله مخلصين له الدين الطاعة والعبادة
من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ● ثلاثة اخبار لقوله هو
مرتبة على قوله هو الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا رفيع الدرجات اي رافع طبقات
الثواب للانبياء والمؤمنين في الجنة ابن عباس يعني رافع السموات وهو فوق كل شيء وليس فوقه شيء رفيع الدرجات
كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش
فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات الجنة
التي ينزلها اولياؤه في الجنة ذو العرش خالقه ومالكه يلقي الروح ينزل الوحي سماه روحا لانه تحيا به القلوب كما
تحيا بالارواح الابدان من امره من قوله وقيل بامره على من يشاء من عباده لينذر اي الملقى عليه وهو الرسول او الروح يوم التلاق
يوم القيامة لان الخلائق تلتقي فيه الخلق والخالق وميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقي العابد
والمعبود وقيل يلتقي المرء مع عمله يوم هم بارزون خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء
لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث حفاة عراة غرلا لا يخفى على الله
منهم شيء من اعمالهم واحوالهم شيء وهم مبتدأ بارزون خبره قال صاحب الكشاف فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم
شيء بيان وتقرير لبروزهم والله لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف
الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا
لله الواحد القهار لمن الملك اليوم حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به عنه لانه ينادي مناد فيقول لمن الملك
اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار الحسن هو السائل وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه
لله الواحد القهار الذي قهر خلقه بالموت وعن ابن مسعود يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة بصعيد واحد بارض بيضاء
كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى

كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب فاول ما يبدو من الخصومات انهما كما قال لمن الملك
لله وحده من ذلك اليوم معدد نتائج ذلك وهو ان كل نفس تجزى بما كسبت ولا ظلم اليوم لان الله ليس بظلام للعبيد
وان الحساب لا يبطئ لان الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين
ابن عباس اذا اخذ في الحساب لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله
يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير ● وانذرهم يوم الازفة القيامة
سميت بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو آت قريب وقيل ويجوز ان يريد يوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم
دخول النار قال النابغة ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد اي قريب فنظير هذه الاية ازفت
الازفة اذ القلوب لدى الحناجر اي فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا
ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وكما
مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا فهو حال من اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين
عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع
الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت
اعناقهم لها خاضعين وقيل الكاظم الممسك للشيء على ما فيه ومنه كظم قربته اذا شد رأسها فهم قد اطبقوا افواههم
على ما في قلوبهم من شدة الخوف والكظم تردد الغيظ والحزن والخوف في القلب حتى يضيق به وتقول
للبير الضيقة وللناقة المملوءة ماء كاظمة وكظامة ومنه الحديث كيف بكم اذا نتجت مكة بكظائم
ان يكون كاظمين حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين
ما للظالمين من حميم قريب وصديق وحبيب مشفق ولا شفيع يطاع فيشفع فيهم قال صاحب الكشاف
المطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت
ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو
محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه
ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا
من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله وان اولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين
فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن
ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم
من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه
الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة
لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو
فقلت ما لي فرس اركبه ولا سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة
كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع
ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي
لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة
والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر
اليها مجاهد هي نظر الاعين الى ما نهى الله عنه قتادة هي همزه بعينه واغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه قال
صاحب الكشاف ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل
قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق
ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته وما تخفي الصدور والله يقضي
بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والذين يدعون من دونه يعني الاوثان لا يقضون بشيء
لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي قرأ اهل المدينة
تدعون بالتاء ... من يقرأ ومثله روى هشام عن اهل الشام والباقون بالياء ان الله هو السميع البصير تقرير
لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم
عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ● انه تعالى لما بالغ في
تخويف الكفار بعذاب الآخرة اردفه ببيان تخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم هم فصل وانما يقع الفصل بين معرفتين لكن لما كان
اشد ضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم قوة وآثارا في الارض يريد حصونهم وقصورهم

وعددهم

وعددهم وبما يوصف بالشدة من آثارهم او ارادوا كثرة آثارهم كقوله متقلدا سيفا ورمحا فلم ينفعهم ذلك حين
اخذهم الله بذنوبهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يدفعهم ويرفع عنهم ذلك
العذاب الذي نزل بهم ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب
ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض
الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ● ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين حجة بينة ظاهرة وهي المعجزات الى فرعون وهامان وقارون فقالوا هو اي موسى ساحر كذاب فسموا
السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا يعني فرعون وهامان وقارون وقومهم اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث اليه موسى
اعاد القتل عليهم واستحيوا نساءهم ليصدوهم بقتل الابناء واستحياء النساء عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد
الكافرين وما مكر فرعون وهامان وقارون الا في ضلال لضياع وذهاب باطل لم يجد عليهم اي انهم باشروا قتل ابنائهم
اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فلم يغن عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل
الابناء فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاد عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة
موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون للملأ ذروني اقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم انه ارسله
الينا فيمنعه منا كانوا اذا هم فرعون بقتل موسى كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه فهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا
بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك
عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب ومكر
وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يهدم ملكه ولكنه كان
يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله
ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف
ان يبدل دينكم ان يغير عليكم دينكم وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك والهتك او ان قرأ ابو عمرو
واهل المدينة والشام وان بغير الف والباقون بالالف يظهر في الارض الفساد قرأ اهل المدينة وابو عمرو وحفص يظهر بضم
الياء وكسر الهاء الفساد بالنصب على انه مفعول به وروى حفص عن عاصم واختيار ابي عبيد والمعنى ان يبدل
دينكم فكذلك يظهر ليكون الفعل معا على نسق واحد والباقون بفتح الياء والهاء ورفع الفساد على ان الفساد فاعل
الامر قال فرعون ان تبديل الدين وعبادة غيره وقيل الفساد في الارض التغاير والتهارج الذي يذهب معه الامن
وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم
الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وان يظهر معناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا ولما سمع
موسى ما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بربي وربكم وفي قوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به
فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة
وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالمتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على
دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب
بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله تعالى وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها قوله تعالى
وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم
الا سبيل الرشاد ● وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل انه كان آمن بموسى عليه السلام يكتم ايمانه من فرعون وقومه
خوفا على نفسه السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله تعالى عنه فقال وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى وقيل كان اسرائيليا ومعنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون فمن آل فرعون على يكتم ليفيد
الاختصاص اي يكتم ايمانه من آل فرعون لا من موسى وقومه ابن عباس واكثر العلماء اسمه حزبيل وهب اسمه حزبيل
ابن [illegible] وقيل اسمه حبيب وقيل اسمه سمعان والظاهر انه من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقتلوا ولم يعزوا
والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه ينصح
لقومه اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة
الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه
لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة بل بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم
لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت
ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقد جاءكم بالبينات يريد البينات العظيمة

عند عزها وشهد لموها إذ أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك
كاذبا فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له وإنما
قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكرتهم
إلى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله
وأدخل في تصديقهم له وقبولهم فقال وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير
المشتط ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد لكنه أردفه
يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب
له أو يرمي بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب على الله تعالى وقيل أراد يصبكم كل الذي يعدكم من العذاب لأن العرب تذكر البعض وتريد الكل
كقول لبيد: تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها. أي كل النفوس وقيل إن الله لا يهدي من هو
مسرف يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله وأهلكه ولم يستقم له أمر فتتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه
الله للنبوة ولما عضده بالبينات فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا
فقال أنا ذاك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله
ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين عالين مستعلين على بني إسرائيل في الأرض أرض مصر يعني أن لكم ملك مصر وقد
علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا
يمنعكم منه أحد وقال فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا لأنه منهم وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال
فرعون ما أريكم من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله
وهذا الذي تقولونه غير صواب وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصدق والصلاح أو
ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما
يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا
ولم يقف الأمر على الإشارة. قوله تعالى: وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين
ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم
به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير
سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار. وقال الذي
آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب أي مثل أيام الأحزاب لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح
وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه
أغنى من ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب مثل دأب أي مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
المضاف يريد مثل جزاء دأبهم وانتصب مثل الثاني بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة
قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم
إلى أول ما تناولته الإضافة وما الله يريد ظلما للعباد لأن تدميرهم كان عدلا وقسطا لأن عقاب العصاة مقتضى عدله
كما أن ثواب المطيعين تقتضي فضله وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأن من كان
عن إرادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويا قوم إني أخاف عليكم
يوم التناد أي يوم ينادى بالشقاوة والسعادة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا إن
فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي الناس بعضهم بعضا وينادي أصحاب الأعراف أهل الجنة
أهل النار [illegible] يا أهل الجنة وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت
وينادى كل قوم بإمامهم ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور يوم تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب إلى النار
مجاهد فارين عن النار غير معجزين ما لكم من الله من عاصم ناصر يمنعكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم
يوسف بن يعقوب من قبل موسى وقيل من قبل الرجل المؤمن بالبينات قال: هو فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى أن
موسى عليه السلام وقال الباقون هو غيره وهو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وفرعون
موسى غير فرعون يوسف بن يعقوب بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك مات قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا هذا القول من عند أنفسكم من غير برهان وقلتم هذا القول تقدمة منكم على تكذيب ما جاءكم
رسول لجحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا هذا القول
من عند أنفسكم من غير برهان وقلتم هذا القول تقدمة منكم على تكذيب ما جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على
حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولكم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شككتم فيها

وقيل لما قال أبو بكر من رسول الله كان أشد من ذلك طاف بالبيت صح

تجعل صح

المنادى صح

وكفروا

وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله أي مثل هذا الإضلال
المبين يضل الله من هو مسرف في كفره مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف في آيات الله بغير سلطان أتاهم
كبر ذلك الجدال إليه مقتا الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان وقيل كبر من هو مسرف وهو واحد لفظا وجمع
فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه في كبر على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى
وله نظائر وقيل يحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر كذلك أي كبر مقتا مثل
ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل
والفاعل لا يصح حذفه وفي قائل أن يقول لم يجعل الفاعل محذوفا بل مضمرا والمرجوع إليه مذكور معنى وهو جائز في قوله
تعالى على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على
خروجه من حد أشكاله من الكبائر كذلك يطبع الله يختم الله بالكفر على كل قلب قرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين
والباقون بالإضافة ومن قرأ بالتنوين وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت
الأذن ونحوه قوله تعالى فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم صاحب القلب وقيل يجوز أن يكون على حذف المضاف أي
على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب. قوله تعالى: وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون إلا في تباب. لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين أنه بلغ في الجهل والحماقة إلى أن قصد الصعود إلى
السموات يا هامان ابن لي صرحا قصرا أو بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر لعلي
أبلغ الأسباب أسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء
ونحوه وفائدة تكرير الأسباب الإبهام ثم الإيضاح فإنه إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل
بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه
ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه فأطلع قرأ حفص عن عاصم فأطلع
على جواب لعل بالفاء تشبيها للترجي بالتمني والباقون برفع العين نسقا على أبلغ وإني لأظنه أي وقال فرعون وإني لأظن
موسى كاذبا فيما يقول إن له ربا غيري أرسله إلينا وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل والصاد والمزين هو الله تعالى لأنه فاعل كل ما دخل في الوجود من الحدثان حقيقة أو الشيطان على
وجه التسبب بوسوسته وما كيد فرعون إلا في تباب في خسار وضلال. قوله تعالى: وقال الذي آمن يا قوم اتبعون
أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها
ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة
وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أنما تدعونني
إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض
أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. هذا من بقية كلام الرجل المؤمن من آل فرعون وكأنه يدعوهم إلى الإيمان بموسى
والتمسك بطريقته واعلم أنه نادى قومه ثلاث مرات في المرة الأولى دعاهم إلى قبول ذلك الدين على سبيل الإجمال
وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل أما الإجمال فهو قوله يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ولكن الحاذق
يعول طريقة التقليد لأنه قال بعده أهدكم والهدى هو الدلالة ومن بين الأدلة للغير يوصف بأنه هداه سبيل الرشاد
والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي وأما التفصيل فهو قوله
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا فإنه لما قال أهدكم سبيل الرشاد أجمل لهم ثم فسر وفصل فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن
الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة والمعنى إنما هذه
الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار الدائم والمقصود أن الآخرة دائمة باقية والدنيا منقضية منصرمة
والدائم الباقي خير من المنقضي الفاني فقبح بذم الدنيا وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن
والمستقر عن بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا
خزف فان والآخرة ذهب باق واعلم أن الآخرة كما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم وكان الترغيب في
الجنان والترهيب عن عذاب النيران من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة
كل منهما لينشط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة وأشار إلى أن جانب الرحمة غالب
على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فإن قيل كيف يصح
هذا الكلام مع أن كفر ساعة يوجب عقاب الأبد أجيب بأن الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وإيمانا فلهذا
السبب يكون الكافر على عزم أن يبقى ذلك الاعتقاد أبدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فإنه يعتقد
كونه جناية ومعصية فيكون على عزم أن لا يبقى مصرا عليه فلا جرم قلنا إن عذاب الفاسق منقطع وأما الذي
يقوله المعتزلة من عقاب صاحب الكبيرة مؤبد فباطل لأن مدة تلك الكبيرة منقطعة والعزم على الإتيان بها أيضا
ليس قائما بل منقطع فعقابه بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها قال الإمام واعلم
أن هذه الآية أصل كبير في علم الدين فيما يتعلق بأحكام الجنايات فإنها يقتضي أن يكون المثل مشروعا وأن يكون الزائد

وإنما جاز إبدال الذين وهو جمع من من هو مسرف وهو واحد لأنه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف صح

أتبعون صح

وبلاغ تنتفعون بها مدة يسيرة ثم تزول عنكم صح

على المثل غير مشروع ثم نقول ليس في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في اي شيء فلو حملناه على رعاية المماثلة في شيء
معين مع ان هذا المعين غير مذكور في الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور كانت
الآية عاما مخصوصا وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص فالتخصيص اولى فوجب ان نحمل
هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواقع التخصيص واذا ثبت هذا فالاحكام الكثيرة في باب الجنايات
على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفريعها على هذه الآية ثم بين ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين
ان جزاء الحسنة غير مقصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير
لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما يشاء الله من الزيادة والكثرة والسعة
وهذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعيد بعمومات الوعد
وجب ان يكون الترجيح لجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استأنف ذلك الرجل
المؤمن النداء فنادى في المرة الثالثة وقال ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى الايمان الذي هو سبب النجاة و
تدعونني الى النار اي الى الشرك الذي هو سبب دخول النار فان قيل لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو
في النداء الثالث دون الثاني اجيب بان تكرير النداء فيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه
انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف
بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام
في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل
عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال
هداه الى الطريق وهداه له تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم
كانه قال واشرك به ما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه
اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب
ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم
نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بد
من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا
قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا انما تدعونني اليه ليس له دعوة معناه
ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها
اظهارا لدعوة ربهم وما يدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج من دعائكم في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا ناطقا لضج من دعائكم
في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل
معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا
منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال
تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار
قتادة المسرفين المشركين مجاهد المسرفين السفاكين للدماء بغير حلها عكرمة الجبارين المتكبرين فستذكرون ما
فستذكر بعضهم بعضا ما اقول لكم اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وافوض امري الى الله وذلك لانهم توعدوه
بمخالفة دينهم ان الله بصير بالعباد عالم بامورهم من المحق منهم ومن المبطل. قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب ● فوقاه الله سيئات شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب قتادة نجا مع موسى
وحاق بآل فرعون اي نزل بآل فرعون سوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار النار يعرضون بدل من سوء العذاب
او خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون وفي هذا الوجه تعظيم
للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم غدوا
وعشيا صباحا ومساء يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم ابن مسعود لما هلكوا جعلت
ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار حتى تقوم الساعة ويوم تقوم
فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم عكرمة ومحمد بن كعب هذه الآية
تدل على عذاب القبر لان الله تعالى ذكر عذاب الآخرة فقال ويوم تقوم الساعة ادخلوا قرأ اهل المدينة واهل الكوفة الا ابا بكر
ويعقوب بقطع الالف وكسر الخاء من الادخال والباقون بوصل الالف وضم الخاء من الدخول. قوله تعالى واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا
انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ● واذكر وقت يتحاجون

الاتباع

الاتباع الضعفاء للذين استكبروا اي الرؤساء المستكبرين انا كنا لكم تبعا في الدنيا اي تباعا كخدم في جمع
خادم والتبع يكون واحدا وجمعا في قول نحاة البصرة وواحده تابع وقال نحاة الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر
ويجمع اتباع وقيل ذو تبع او اتباع او وصفا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا
انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار
الضعفاء والذين استكبروا لخزنة جهنم ولم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا قيل ويحتمل ان جهنم هي
ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان
المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم ولعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة
لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اي الخزنة
اولم تك تأتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع رسلكم بالبينات قالوا اي الخزنة فادعوا انتم
فانا لا نجترئ على ذلك وقيل فادعوا انتم ما شئتم فلا استجابة لدعائكم وقيل هذا استهزاء بهم وما دعاء الكافرين
الا في ضلال لا ينفعهم وقيل لا يسمع ولا يجاب وهذا الكلام يجوز ان يكون من كلام الخزنة ويجوز ان يكون استئنافا
من الله تعالى. قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ● انا لننصر رسلنا بالحجة والغلبة والانتقام من الكفرة والذين آمنوا
وننصر الذين آمنوا في الحياة الدنيا ابن عباس بالغلبة والقهر بالحجة في الدنيا والعذر في الآخرة وقيل بالانتقام
من اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يبعد ذلك لان الانبياء والمؤمنين يقتلون في الدنيا وهم منصورون وذلك لان
الامة التي تفعل ذلك بالانبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما ينتصر بهم لاولئك الذين قتلوا منهم وقال
بعضهم اراد بقوله رسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم كقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ابو العالية يريد الله ان
يفلج حجتهم في الدنيا والآخرة ويوم يقوم الاشهاد اي في الحياة الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا
بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص
من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يعني الاشهاد هم الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنون
بالتصديق وللكافرين بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين بدل من الاول قرأ الكوفيون ونافع بالياء والباقون بالتاء
الظالمين معذرتهم اي لا يقبل منهم عذرهم قيل يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاءوا
بمعذرة لم يكن مقبولة كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار المنقلب قوله
تعالى ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله
حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ● ولقد آتينا موسى الهدى اي جميع ما آتاه في باب
الدين من المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل الوراثة من بعده الكتاب اي التوراة هدى
ارشادا وذكرى وتذكرة وانتصابهما على المفعول له وعلى الحال لاولي الالباب لاصحاب العقول الصافية الخالصة
من شوائب الشيطان لانهم المؤمنون العاملون بما فيه فاصبر يا محمد على اذى المشركين ان وعد الله في اظهار ذلك واهلاك
اعدائك حق يعني ان نصرة الرسل ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى
والنصر على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله
ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به
وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار
وسبح بحمد ربك ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار الحسن يعني صلاة الفجر وصلاة العصر ان الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم اي ما في قلوبهم والصدر موضع القلب فكني به عن القلب
تسمية للشيء باسم موضعه ولهذا قيل للموضع الشريف من المجلس صدر الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم و
الرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت امرك ونهيك
لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا او بغيا ويدل عليه قوله لو كان
خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي الكبر حسدا على ما يرمون ولا
لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس بالتمني مجاهد معناه ان في صدورهم الا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لان
الله عز وجل مذلهم وقيل ما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات
وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج
في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله عز وجل فانزل الله
هذه الآية فشبه الله تمنيهم ذلك بالكبر ونفى ان يبلغوا ذلك متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك
ويبغي عليك وقيل فاستعذ بالله من فتنة الدجال انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك
عليهم وعاصمك من شرهم. قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها

فحق الخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقهما بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالنسبة
اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد
بخلق مثله ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وقيل
من خلق الناس من خلق الدجال الذي اهل اليهود حين عظموا امره قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ● بالتاء كوفي وغيرهم بالياء لان قبل الايات وآخرها اخبار
عن قوم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمسيء والمحسن قوله تعالى ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون ● ان الساعة القيمة لآتية لجائية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه
لا بد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ● وقال ربكم ادعوني اي وحدوني في دون غيري استجب لكم
اجبكم واغفر لكم واثبكم هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه سياق الاية والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن
ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة الحسنى وقد سئل عنها اهملوا واشترطوا
فانه حق على الله ان يستجيب الذين آمنوا ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب
هو الدعاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا هذه الاية وقال ربكم ادعوني استجب
لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي وقيل ان الذين يستكبرون عن عبادتي توحيدي وطاعتي
سيدخلون قرأ ابن كثير بضم الياء وفتح الخاء واختلف عن ابي عمرو وعاصم والباقون بفتح الياء وضم الخاء
جهنم داخرين صاغرين عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله
اذا انقطع وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاث خصال لم يعطهن الا الانبياء كان يقول لكل نبي انت شاهدي
على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج وكان يقول ادع استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء
بالعبادة بالتوحيد قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين
كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ● الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه من
النهار وتخلوا بنفسك فتحاشيتها والنهار مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار قال
صاحب الكشاف فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيرعى حق
المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت
الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى
قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز ان الله لذو فضل على الناس بخلق الليل والنهار وقيل
لذو فضل على الكافر بتاخير العذاب ولما كان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي
بالاضافة لم يقل لمفضل لمتفضل وانما قيل اكثر الناس ولم يقل اكثرهم لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة
بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان
لظلوم كفار ذلكم الله المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله
الا هو اخبار مترادفة او هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء
والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تؤفكون تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان كذلك
اي كما افكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون قال صاحب الكشاف ثم كل
من جحد بآيات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا الله الذي جعل لكم الارض
قرارا هذا ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي ان جعل الارض قرارا مستقرا والسماء بناء قبة ومنه
ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وصوركم فاحسن صوركم صورة
الانسان احسن الصور وقيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم ورزقكم من الطيبات اللذيذات وقيل الحلال ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ●
قوله تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ● هو خبر والمبتدأ
مضمر تقديره الله هو الحي الذي لا يموت لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء
الحمد لله قائلين الحمد لله رب العالمين ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين قوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم
لرب العالمين ● قل يا محمد لهؤلاء المشركين وقد دعوه الى الكفر اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي قيل هو العقل وقيل القرآن وقيل الوحي قال صاحب الكشاف فان قلت اما نهي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت

ولكن اكثر الناس اي اليهود لا يعلمون فيخاصمون المؤمنين في امر الدجال

واعبدوني

وعملوا الصالحات

ثم للعبادة

تقوية لادلة

مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة
السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية قوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا
مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ● ثم لتبلغوا اشدكم متعلق
بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى يموت من قبل بلوغ الاشد
وقيل من قبل كونه شيخا وقيل من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت وقيل يوم
القيمة ولعلكم تعقلون وحدانية الله وقدرته ومما في ذلك من الحجج والعبرة فاذا قضى امرا اراد كون شيء فانما يقول له كن فيكون
اي فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة
على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه قوله تعالى الم تر
الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون ● ذكر الجدال في هذه السورة مكررا في ثلث مواضع فيحتمل ان يكون
في ثلث اقوام او ثلثة اصناف ويحتمل ان يكون التكرير للتاكيد ابن زيد هم المشركون وقال اكثر المفسرين نزلت في
القدرية عن محمد بن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فاني لا ادري فيمن نزلت الم تر الى الذين يجادلون
الى قوله لم نكن ندعوا من قبل شيئا الى آخر الاية عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سيهلك من امتي اهل الكتاب واهل اللبن فقال عقبة يا رسول الله ومن اهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون
الذين آمنوا فقال ومن اهل اللبن فقال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات وقال ابو قبيل لا احسب المكذبين
بالقدر الا الذين يجادلون الذين آمنوا واما اهل اللبن فلا احسبهم الا اهل العمود وليس عليهم امام جماعة ولا
يعرفون شهر رمضان قال محمد بن جرير اهل العمود [illegible] قوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به
رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم
اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما
كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ● الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب والآيات والمعجزات فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم جمع
سوف واذ وبينهما تضاد لان المتوقع في حكم الموجود لان اكثر الفاظ القيمة جاءت بلفظ الماضي تحقيقا المراد اذ
صارت ربما ما قبل سوف لان العلم وقع منهم بعد ثبوت الاغلال لقيل المعنى على امتناع الاغلال الذين كانوا سمعوا وعد
بعد انه حق بالوجود واستدل بقول ابي ذؤيب   فسوف تقول ان هي لم تجدني   اخانا الدهر اما كان الحليف
لان القول كان بعد فقدها قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الاصل وقت
سوف ماض وامس قلت المعنى على اذ الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها
بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال والسلاسل يسحبون في الحميم يجرون في الماء الحار ثم في النار يسجرون ثم
في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي
محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم
اجرنا من النار ثم قيل لهم اي تقول لهم الخزنة اينما كنتم تشركون من دون الله اي الاصنام التي
كنتم تعبدونها قالوا ضلوا عنا اي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وقيل اشتغلوا بانفسهم وقيل ضاعوا
عنا ولم يصل الينا ما كنا نرجوا من النفع والشفاعة بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا يستحق العبادة وقيل تبين لنا انهم
لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده
خيرا وقيل انكروا وقيل جحدوا وقيل فيه اضمار اي لم نكن ندعوا من قبل شيئا يبصر ويسمع وينفع ويشفع الحسنى
لم نكن نصنع من قبل شيئا ضاعت عبادتنا فلم تكن تصنع شيئا ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين عن الحجة وعن
الايمان وعن طريق الجنة وقيل كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا
الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم العذاب وقيل الاضلال بما كنتم تفرحون تبطرون وتتكبرون في الارض
بغير الحق بالباطل وبما كنتم تمرحون تفخرون وتختالون وتنشطون وقيل ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح
والمرح بغير الحق الباطل وبما كنتم تمرحون فعملوا الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة
المقسومة لكم قال الله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فيها فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق والداخل الموقت بالخلود في منزلة فلهذا قال مثوى المتكبرين ولم يقل مدخل المتكبرين قوله تعالى
فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ● فاصبر يا محمد ان وعد الله حق باهلاك
الكفار حق كائن فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا ترى
انك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك او نتوفينك عطف على نرينك فالينا يرجعون جزاء نتوفينك
وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او نتوفينك قبل يوم
بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك

ولعلكم تعقلون

تفرحون

قيل

الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا عليك خبرهم في القرآن وسميناهم لك فانت تعرفهم ومنهم
من لم نقصص عليك خبرهم ولم نسمهم لك قيل بعث الله عز وجل ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة
الاف من سائر الناس وعن علي كرم الله وجهه ان الله تعالى بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليك وهذا في اقتراحهم
الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم
ان ياتي باية الا باذن الله اي باذنه له في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد الله ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة
وقيل امر الله بالعذاب قضي بالحق فاهلكوا وقيل قضي بالحق اي لم يظلموا اذ عذبوا ابن بحر امر الله الاية التي اقترحوها
فيقع الاجبار عندها وخسر هنالك المبطلون الكافرون المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات
فانكروها وسموها سحرا قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ● لما بسط
الكلام في تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على الوحدانية ... والى ذكر ما يصلح ان يعد انعاما على العباد فالله الذي
يحق له العبادة جعل خلق لكم الانعام الابل خاصة وقيل الازواج الثمانية لتركبوا منها بعضا وبعضا
تاكلون ولكم فيها منافع في اوبارها واصوافها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم تحمل
اثقالكم في اسفاركم من بلد الى بلد وعليها وعلى الانعام وعلى الفلك تحملون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال
لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين
او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعلى الفلك تحملون وعلى
الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال احمل فيها
من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له
يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته وهي كثيرة
فاي ايات الله تنكرون انها ليست من عند الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان
التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه قوله تعالى افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون ● فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون ● فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ● فينظروا اينما يسلكوا في سبيلهم كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة في الابدان واثارا في الارض مصانعهم وقصورهم وقيل مشيهم
بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما نافية او متضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب ما كانوا موصولة او مصدرية
ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا يعني الامم بما عندهم
من العقائد الزائغة التي يجهلهم وظنوه علما ولم يلتفتوا الى ما اتاهم الرسل من العلم وقيل اراد العلم الوارد على طريق
التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وكانوا يفرحون
بذلك ويدفعون البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون وقيل اراد علم الفلاسفة والدهريين
من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلى الله عليه وسلم
وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وقيل يجوز ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم
من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى
الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم وقيل يجوز ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح
ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل يجوز ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم التمادي واستهزاءهم
بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله
عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم وقيل يجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا
ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم
فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم
يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما راوا
عاينوا باسنا عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لان ايمان الالجاء والاضطرار اي غير صحيح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم قال صاحب الكشاف

قلت

فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم
رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء
فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك
فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله عز وجل سنة الله مصدر مؤكد بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة
اي سن الله سنة بينهم وهي عذاب الكفار وعدم الانتفاع بالايمان وقت الباس وخسر هنالك مكان مستعار للزمان الكافرون
المكذبون اي خسروا وقت رؤية الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر وقضى امر الله وقت القضاء

سورة فصلت

ثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة واربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم ● تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ● حم ان جعلت اسما
للسورة كانت في محل الرفع على الابتداء وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف اي هذا
تنزيل ويجوز ان يكون كتاب مبتدا من الرحمن صفته تخصص الكتاب بالصفة فساغ وقوعه مبتدا وكتاب خبره فصلت
اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك قرانا عربيا
قيل يشغل فصلت بقوله اياته حتى صارت الايات بمنزلة الفاعل فنصب القران بوقوع البيان عليه وقيل هو نصب
على الاختصاص والمدح اذا اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت
اياته في حال كونه قرانا عربيا وقيل منصوب على اعادة الفعل اي فصلنا قرانا عربيا لقوم يعلمون اي لمن يعلمهم من
الايات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه وقيل لقوم متعلق بقوله تنزيل من الرحمن اي
لاجل قوم يعلمون وقيل بفصلنا او فصلت اياته لقوم يعلمون وقيل صفة لقرانا مثل ما قبله وما بعده اي قرانا عربيا
كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين
فاعرض اكثرهم يعني اهل مكة عن قبوله وتدبره فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان
فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقيل لا ينتفعون به وقيل اذا تلاه
النبي لا يستمعون قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب فاعمل اننا عاملون ● وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في اكنة في اغطية مما تدعونا اليه من التوحيد
والاسلام فلا نفقه ما تقول مجاهد كالجعبة للنبل وفي اذاننا وقر ثقل وصمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول
لا يتوجه من قبولها لدينه وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن قبول الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه
فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ومن بيننا وبينك حجاب خلاف بين في الدين فحجاب خلاف فهم للتباعد
وحاجز لا نجتمع ولا نتوافق من اجله ولا يرى بعضهم بعضا فاعمل بما يقتضيه دينك اننا عاملون بما يقتضيه
ديننا مجاهد فاعبد الهك فانا عابدون الهتنا قال صاحب الكشاف فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك
حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك
فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم
كافرون ● لما حكى الله تعالى عنهم هذه الشبهة امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه الشبهة بقوله
قل انما انا بشر مثلكم بيان هذا الجواب كانه يقول اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان جبرا وقهرا فاني بشر مثلكم ولا
امتياز بيني وبينكم الا بان الله اوحى الي وما اوحى اليكم فانا ابلغ هذا الوحي اليكم ثم بعد ذلك ان شرحكم الله بالتوفيق
قبلتموه وان لم يوفقكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ثم بين ان خلاصة ذلك الوحي ترجع الى امرين العلم والعمل اما
العلم فالاصل والرئيس والذي فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو ان الله واحد وهو المراد من قوله انما الهكم اله
واحد واذا كان الحق الموجب الاعتراف بوحدانيته فهو المراد من قوله فاستقيموا اليه ونظيره قوله اهدنا الصراط المستقيم
وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقوله تعالى
فاستقيموا اليه معناه فاستقيموا له وحروف الجر يقام بعضها مقام بعض وقيل معناه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء
وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واعلم ان التكليف له ركنان الاعتقاد والعمل والاعتقاد الرئيس والاس فيه
التوحيد فلما اتى بالاشارة الى قطعة العمل والرئيس فيه الاستغفار فلهذا قال واستغفروه من ذنوبكم
الذي سلفت وثم رغب الله تعالى في الخير والطاعة ثم بالغ في الترهيب عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة وجه النظم في هذه الاية ان العقول والشرائع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة بامرين التعظيم

لامر الله والشفقة على خلق الله وافضل انواع التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدا واذا كان هذا التوحيد
اعلى المراتب واشرفها كان ضده وهو الشرك اخس المراتب وارذلها ولما كان افضل انواع المعاملة مع الخلق هو
اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكوة اخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول
انه تعالى اثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلثة اولها ان يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله
وويل للمشركين وثانيها كونه ممتنعا من الزكوة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون
الزكوة وثالثها كونه منكرا للقيمة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالاخرة هم كافرون
وتمام الكلام في هذا الترتيب على هذه المراتب الثلثة ان الانسان له ثلثة ايام امس واليوم والغد اما معرفة انه كيف
كانت احواله بالامس في الازل فهو بمعرفة الاله الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الاحوال في اليوم
الحاضر فهو بالاحسان الى اهل العالم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث
والقيمة فاذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلثة كان في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم الله عليه
بالويل فقال فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون قال ابن عباس لا يؤتون الزكوة ولا يشهدون
ان لا اله الا الله وهي زكوة الانفس والحسن وقتادة لا يقرون بالزكوة ولا يؤمنون بها ولا يرون ايتاءها واجبا والضحاك
ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وكان يقال الزكوة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها
هلك وقد كان اهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اما الصلوة فنصلي واما الزكوة فلا تغصب اموالنا
فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لا افرق بين شيء جمع الله بينه والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم
عليه مجاهد والربيع يعني لا يزكون اعمالهم وقال الفراء هو ان قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا ذلك على من امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم بالاخرة هم كافرون قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر
غير ممنون ● لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اي غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه وقيل غير منقوص ومنه المنون
لانه ينقص منة الانسان اي قوته ومجاهد غير محسوب وقيل غير ممنون عليهم بالثواب نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى
والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون منه قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ● لما امر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه بما يدل على انه لا يجوز اثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الاصنام
في الالهية والعبودية وذلك بان بين كمال قدرته وحكمته في خلق السموات والارض في مدة قليلة ثم بين انه كيف
يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة شركاء له في الالهية والعبودية فقال ائنكم قرأ ابن كثير ائنكم بهمزة وبعدها خفيفة
ساكنة بلا مد وابو عمرو ونافع في رواية قالون على هذا الوجه لكنهما يمدان والباقون بهمزتين بلا مد ائنكم استفهام
بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وثانيهما اثبات
الشركاء والانداد له فالكفر المذكور اولا مغاير لاثبات الانداد له ضرورة عطف احدهما على الاخر فيكون الكفر الاول
هو انه تعالى لا يقدر على حشر الموتى فلما نازعوا في هذا فقد كفروا بالله وقيل انهم كانوا ينازعون في صحة التكليف
وفي بعثة الانبياء وذلك قدح في الصفات المعتبرة في الالهية وهو كفر بالله وقيل انهم كانوا يضيفون اليه الاولاد
وذلك ايضا قدح في الالهية وهو يوجب الكفر فالحاصل انهم كفروا بالله لاجل قولهم الاشياء واثبتوا الانداد ايضا
لله لاجل قولهم بالهية تلك الاصنام واحتج تعالى على فساد قولهم في الامرين المذكورين فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف
يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين وتمم بقية مصالحها
في يومين اخرين وخلق السموات باسرها في يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشياء العظيمة كيف يعقل الكفر
به وانكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعقل انكار قدرته على التكليف وبعثة الانبياء وكيف يعقل جعل هذه
الاصنام الخسيسة اندادا له في العبودية والالهية ذلك اي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض
في يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف اثبتم له اندادا من الخشب والحجر ثم انه تعالى اخبر عن كونه خالقا
للارض في يومين اخبر انه فعل ثلثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله وجعل فيها رواسي
من فوقها والمراد انه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت
هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى خلق هذه الجبال الثقال فوق الارض ليرى الانسان بعينيه ان الارض
والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الا الحافظ المدبر الا الله والنوع الثاني مما اخبر
تعالى في هذه الاية قوله وبارك فيها والبركة كثرة الخير وبارك في الارض بما خلق فيها من الخيرات الكثيرة ومنها
السحاب انبت شجرها وقدر فيها اقواتها الحسن والسدي يعني ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم مجاهد وقتادة
خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها في يوم الثلثاء والاربعاء عكرمة والضحاك وقدر في كل بلد من الارض ما لم

فالاخرى

في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد [illegible]
[illegible]
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد
اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم تعلق ارادته الموافقة للحكمة فوجه الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها
من غير صارف يصرفه عن ذلك وهي دخان قيل كان عرشه على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فجعل عليه فايبس الماء
فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي
جيئا بما خلقت فيكما من المنافع واخرجاها واظهراها للخلق ابن عباس قال الله للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال
للارض شققي انهارك واخرجي ثمارك قالتا اتينا طائعين ولم يقل طائعتين لانه ذهب الى السموات والارض ومن فيهن
تقديره اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قال صاحب الكشاف ومعنى امر السماء والارض
بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل
الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض
وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من
ان تحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني ورائي
الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت
قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال عز وجل والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما
ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان
الحصول كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده
وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا وكون السماء سقفا للارض وقوله طوعا او كرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما
وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فقضاهن يجوز ان يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز
نخل خاوية وقيل هن ضمير مبهم مفسر بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق
السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم
فيها القيمة فقضيهن سبع سموات في يومين اي اتمهن وفرغ من خلقهن واوحى في كل سماء امرها ما امر به
فيها ودبر من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك وقيل امرها شانها وما يصلحها قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها
وقمرها ونجومها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم وقيل معناه
واوحى الى اهل كل سماء من الامر والنهي ما اراد وزينا السماء الدنيا بمصابيح كواكب وحفظا قيل وحفظناها حفظا ذلك
تقدير العزيز الغالب غير المغلوب العليم بمواقع الامور قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم
به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا
باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة
اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ● اعلم ان الكلام في الوحدانية انما ابتدا من قوله انما الهكم اله واحد واحتج عليه
بقوله قل ائنكم لتكفرون وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاصنام
الخسيسة كالانداد له فلما تمم هذه الحجة قال فان اعرضوا فقد انذرتكم صاعقة وذلك لان وظيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان بقوا

كانت الايام

لان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما م

يعني من المسترقة بالثواقب وقيل حفظنا منصوب على انه مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا وقيل وحفظناها حفظا م

مصرين على الجهل حينئذ لا علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان اعرضوا فقل انذرتكم
فان اعرضوا عن قبول هذه الحجة الباهرة التي ذكرناها واصروا على التقليد والعناد فقل انذرتكم اي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين انذرتكم خوفتكم صاعقة اي تصيبكم صاعقة وقيعة عذابا شديد الوقع كانها صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
اذ جاءتهم يعني عادا وثمود الرسل من بين ايديهم الرسل الذين ارسلوا الى ابائهم من قبلهم ومن خلفهم اي ومن بعد الرسل
الذين ارسلوا الى اباءهم وهو الرسول الذي ارسل اليهم هود وصالح فالكناية في قوله ومن بين ايديهم راجعة الى عاد وثمود
وفي قوله من خلفهم راجعة الى الرسل وقيل ومن بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو
كما حكى الله عز وجل عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة
ويقول اشتدت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب
الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
وما يجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم الا تعبدوا الا الله قيل ان مخففة من الثقيلة
اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله وقيل ان هي المفسرة والقول مقدر اي قالوا
لا تعبدوا الا الله قالوا اي القوم الذين جاءتهم الرسل لو شاء ربنا ان يرسل الرسل لانزل ملائكة ثم يخاطبنا بذلك
فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون جاحدون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم
ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
وروي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم اتانا
ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد علمت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي فاتاه فلما
خرج اليه قال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش وان كان
بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه
وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة
الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فاتاه ابو جهل فقال
والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك
عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته
فقصصت القصة فاجابني بشيء ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر قرأ بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت
ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اي تعظموا في الارض على اهلها بغير الحق بما لا يستحقون به التعظيم وقيل
استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة وذلك انهم كانوا ذوي اجسام
طوال وخلق عظيم فانه قد بلغ بهم من قوتهم ان الرجل ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده وقالوا من اشد منا قوة
لا احد اشد منا قوة اي اغتروا بقوتهم وشوكتهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اوسع منهم قدرة
وكانوا باياتنا يجحدون هذه معطوفة على قوله فاستكبروا قال صاحب الكشاف فان قلت القوة هي الشدة والصلابة
في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تمييز ذات او بنية وهي نقيض العجز
فالله لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد
قلت القوة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة
وكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم
يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي عاصفة
تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل صرصرا باردة شديدة الصوت والهبوب كانه من الصر فضوعف كما ضوعف
كفكفت وقيل النهر الذي يسمى صرصرا انما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه وقيل ما يدر فيه من شدة بردها
والصر هو الذي يصر اي يجمع ويقبض في ايام نحسات متتابعات شديدات نكدات تتابعت عليهم ليس فيها
من الخير شيء قرأ اهل الكوفة وابن عامر نحسات بكسر الحاء والباقون بسكونها فالنحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس
والنحس اما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر قال الضحاك فارسلنا عليهم ريحا صرصرا امسك الله عنهم
المطر ثلاث سنين ... عند الله اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد الله
بقوم شرا حبس عنهم المطر وارسل عليهم كثرة الرياح لنذيقهم عذاب الخزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل
عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون
بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وهم لا ينصرون اي لا يمنع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فبينا لهم سبيل الخير والشر
لهم وقيل دللناهم على الهدى من الضلال وقيل عرفناهم طريق الرشاد والضلالة كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى

على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان وقيل فاختاروا الضلالة التي تحملهم على الدخول في النار فاخذتهم
صاعقة مهلكة العذاب الهون اي الهوان وقيل صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب الهون وصف به العذاب
مبالغة او ابدله منه وقيل هي كناية وقيل هي صيحة كانت من السماء وقيل الموت وقيل العطش بما كانوا يكسبون من شركهم
وتكذيبهم ونجينا الذين امنوا لما دهاهم الله ... ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الاعمال
التي اتى بها قوم عاد وثمود قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار
مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ● لما بين كيفية عقوبة هؤلاء الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم
في الاخرة ليحصل منهم تمام الاعتبار في الزجر والتحذير قرأ نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب اضاف الحشر الى نفسه
اي نحشر الله اعداء الله الكفار من الاولين والاخرين وحجته انه معطوف على قوله ونجينا فيحسن ان يكون وفقه
في اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتقين ونحشرهم وقرأ الباقون بالياء على فعل ما لم يسم فاعله ورفع اعداء الله وحجة
القراءة موافقة للفعل فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى النار قال قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم اي يستوقف
سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار وقيل يمنعون من التفرق حتى اذا ما جاءوها ما مزيدة
للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها
ومثله قوله اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم وبشرتهم بما كانوا يعملون قال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر الجلود الفروج وانشد بعض الادباء لعامر بن جؤية
المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه اوسالم من قد تثنى جلده وابيض راسه وقال الجلد كناية عن فرجه
وقالوا اي الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء من الحيوان
كقوله وهو على كل شيء شهيد من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان
وهو خلقكم اول مرة اي خلقكم وانشاكم اول مرة وقيل يحتمل ان يكون تماما لقول الجلود لم شهدتم علينا لما تعاظمهم
من شهادتها وما كبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون تستخفون بالحيطان والحجب
عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل
كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهي الخفيات من اعمالكم وهذا
عن ابن مسعود قال اني لمستتر باستار الكعبة اذ جاء ثلاثة نفر ثقفي وختنان قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم
فتحدثوا بحديث بينهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما قلنا فقال الاخر انه يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا
وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا انه يسمع اذا اخفينا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الى اخر الاية وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب
عنه ولا يزل بباله ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما
واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وذلكم رفع بالابتداء ظنكم
خبر والذي ظننتم بربكم صفته ظنكم ارداكم خبر ثان وقيل ظنكم بدل من ذلكم وارداكم الخبر عن ابي هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني قال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو
حسن الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي فان يصبروا فالنار مثوى لهم فلم ينفعهم الصبر ولم يكن
لصبرهم انفكاك ... وقيل فان يصبروا على الجحيم كقوله ان امشوا واصبروا على الهتكم وان يستعتبوا
يسترضوا ويطلبوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله تعالى
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقيل العتبى ... فما هم من المعتبين في الدنيا الا انه ...
فاهم فاعلموا اي لا سبيل لهم الى ذلك قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق
عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون
ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ● لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والاخرة على اولئك
الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اي وقدرنا لهم يعني للمشركين
يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا وبعثنا ووكلنا لهم قرناء نظراء
من الشياطين وقيل اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم من امر الدنيا حتى اثروها على الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة فدعوهم الى التكذيب
به والانكار للبعث وقيل ما بين ايديهم ما تقدم من اعمالهم وما خلفهم وما هم عازمون عليها وحق عليهم القول في
كلمة العذاب في امم في جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في امم محله النصب على الحال من الضمير في عليهم

حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال
الذين كفروا من مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ والغوا فيه بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن اكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقيل معناه ارفعوا اصواتكم
بالاشعار والكلام في وجوههم حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتوا كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا لعلكم تغلبون
فيسكت او ينسى فلنذيقن الذين كفروا قيل يريد بالذين كفروا اهل اللغو والامرين لهم باللغو خاصة وقيل يريد الذين
كفروا عامة وقد ذكرا صنفا فاسوأ بما يخص لعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ
الذي كانوا يعملون في الاخرة ذلك اشارة الى الاسوأ والتقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون النار عطف بيان للجزاء
وقيل خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد اي في موضع المقام ابدا اي النار في نفسها دار الخلد لا تخرج هو كما تقول
لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون يلغون فيها فذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا يعني يقولون يوم القيمة ربنا ارنا قرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر عن عاصم بسكون
الراء هنا خاصة والباقون بكسرها اللذين اضلانا من الجن والانس الا ابليس والانس وهو ابن آدم الذي
قتل اخاه وقيل الذين هما الشياطين الذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل
ارنا بالسكون معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكي عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره استعمال الاية في معنى الاعطاء واصله الاحضار نجعلهما تحت
اقدامنا ندوسهما ونطأهما انتقاما منهما وادلالا ليكونا من الاسفلين اسفل منا في الدرك الاسفل من النار
لاتباعهما المعصية قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ● لما بسط الكلام في الوعيد اردفه بهذا الوعد الشريف وقد
ذكر ان الكمالات النفسانية يقين وعمل صالح فان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس
المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة ان
يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
وقال اهدنا الصراط المستقيم واليه الاشارة بقوله ثم استقاموا وليس المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا
الله القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول
كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية قيل المراد من الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة
وقيل المراد منها الاستقامة في الاعمال الصالحة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم استقاموا لم يلتفتوا الى
غيره اي لم يشركوا بالله شيئا وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وعن عثمان
بن عفان رضي الله عنه اخلصوا العمل لله وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وعن الحسن استقاموا على امر الله فعملوا
بطاعته واجتنبوا معصيته مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقتادة
وابن زيد استقاموا على عبادة الله وطاعته ابن سيرين لم يعرجوا سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقيل
استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا مقاتل بن حيان استقاموا على ان الله ربهم ربيع اعرضوا عما سوى الله فضيل بن
عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا اقرارا وقيل استقاموا
فعلا كما استقاموا قولا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت هذه الاية امتي ورب الكعبة وعن سفيان
ابن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى
اذا قاموا من قبورهم وكيع والبشرى في ثلثة مواطن عند الموت وفي القبر وفي وقت البعث الا تخافوا على ما تقدمون عليه
من النقلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان ابو العالية لا تخافوا على ضيعتكم ولا تحزنوا على مخلفيكم
مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من اهل وولد وشيء فانا نخلفكم
في ذلك كله الشعبي لا تخافوا على ما امامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم عطاء بن ابي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم
فاني اغفرها لكم وقال اهل التحقيق ثم استقاموا بالوفاء على ترك الجفاء تتنزل عليهم الملائكة بالرضاء الا تخافوا
من الفناء ولا تحزنوا على العناء ابشروا بالبقاء مع اللقاء الذي كنتم توعدون من اللقاء الا تخافوا فلا خوف على اهل الاستقامة
ولا تحزنوا فانكم انواع الكرامة وابشروا بالجنة التي هي دار السلامة لا تخافوا فبحبل الله استمسكتم ولا تحزنوا
فبحبل الله اعتصمتم وابشروا بالجنة واذا دنيتم واجرمتم لا تخافوا فضل الاله عليكم ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم
بالجنة التي فيها رغبتم لا تخافوا فانتم اهل الايمان ولا تحزنوا فانتم اهل الغفران وابشروا بالجنة التي هي دار
الرضوان لا تخافوا فانتم اهل الشهادة ولا تحزنوا فانتم اهل الرضا وابشروا بالجنة التي هي دار الجلال لا تخافوا
فقد امنتم البلوى ولا تحزنوا فقد نلتم الحسنى وابشروا بالجنة التي هي دار السرور لا تخافوا فسعيكم مشكور ولا تحزنوا
فذنبكم مغفور وابشروا بالجنة التي هي دار النعيم والحبور لا تخافوا فانتم من الخائفين ولا تحزنوا فقد كنتم

الشهادة وابشروا بالجنة التي هي دار الزيادة لا تخافوا فانتم اهل النوال ولا تحزنوا فانتم اهل م

من العارفين

من العارفين وابشروا بالجنة التي تجرعهما وصفا لو اصفى لا تخافوا فلا خوف على اهل الايمان ولا تحزنوا فلستم من اهل
الحرمان وابشروا بالجنة التي هي دار الامان لا تخافوا فلستم من اهل الجحيم ولا تحزنوا فقد وصلتم الى الرب الرحيم وابشروا
بالجنة التي هي دار النعيم لا تخافوا فقد زالت عنكم المخاوف ولا تحزنوا فقد سلمتم من كل آفة ابشروا بالجنة التي هي دار
الضيافة لا تخافوا العزل عن الولاية ولا تحزنوا على ما تقدم من الجناية وابشروا بالجنة التي هي دار الهداية لا تخافوا حلول
العذاب ولا تحزنوا من هول الحساب وابشروا بالجنة التي هي دار الثواب لا تخافوا فانتم سالمون عن العقاب ولا تحزنوا
وانتم واصلون الى الثواب وابشروا بالجنة فانها نعم المآب لا تخافوا فانتم اهل الوفا ولا تحزنوا بما كسبتم من الجفا وابشروا
بالجنة فانها دار الصفا لا تخافوا فقد سلمتم من العطب ولا تحزنوا فقد نجوتم من النصب وابشروا بالجنة فانها دار الطرب
قوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم
انصاركم واحباؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة السدي نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة
مجاهد نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة قال كذا قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قالوا لن
نفارقكم حتى ندخلكم الجنة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون تريدون وتسألون وتتمنون نزلا قرى
ذلك نزلا رزقا من غفور رحيم قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا
تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ● لما قال الكفار
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومرادهم انا لا نقبل قولك ولا نلتفت الى دليلك ثم ذكروا طريقة اخرى في السفاهة وهي
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذكر الله الاجوبة الشافية الكافية في دفع هذه الشبهات فاتى به
هذه الضلالات بيانا ان القوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك المواظبة على التبليغ والدعوة الى الدين
الحق فانها اكمل الطاعات ورأس العبادات فعبر عن هذه المعنى فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني
من المسلمين وقيل ان السعادات تامة وفوق التام فالسعادة التامة ان يكتسب من الصفات الفاضلة ما لاجلها يصير
كاملا في نفسه فاذا فرغ منها اشتغل بعدها بتكميل الناقص وهو فوق التام فقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
اشارة الى الاول وقوله ومن احسن اشارة الى الثاني ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ابن سيرين والسدي وابن زيد
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين الله وجعل الاسلام نحلة له مقاتل هم جميع
الائمة والدعاة الى الله عكرمة هو المؤذن ابو امامة الباهلي وعمل صالحا يعني صلى ركعتين بين الاذان والاقامة عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت ارى هذه الاية نزلت في المؤذنين والاية عامة في كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون موحدا
للدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل السنة والجماعة الدعاة الى دين الله
وقال انني من المسلمين ليس الغرض منه انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول
هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا مزيد لاصالة معناه ولا تستوي الحسنة والسيئة
يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان
فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي
هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم صديق قريب فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك
مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا
نظيره قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ابن عباس امر الله عز وجل في هذه الاية
بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم
عدوهم كانه ولي حميم وما يلقاها يعني هذه الخصلة والفعلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم في الخير والثواب وقيل ذو الجد وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن لانه على تقدير
قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن قال صاحب الكشاف فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان
يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان
من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ
والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل
جد جده وقيل ذلك واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما
وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ اعتصم بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك
العليم بنزغ الشيطان وقيل واما ينزغنك من الشيطان نزغ في امهالي اياهم وتركت استيصالهم فاستعذ بالله
قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن
ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ● لما بين
في هذه الاية المتقدمة ان احسن الاقوال والاعمال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل الدالة على التوحيد
والقدرة والحكمة تنبيها على ان الدعوة الى الله عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على معرفة الذات والصفات فمن

تنبيهاً شريفاً مستفادة من تناسق هذه الآية وكان العلم بهذه اللطائف أحسن علوم القرآن فقد عرفت أن
الدلائل الدالة على هذه المطالب العالية العالم بجميع ما فيه من الأجزاء والأبعاض فبدأ هاهنا بذكر الفلكيات
وهي الليل والنهار والشمس والقمر وإنما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيهاً على أن الظلمة عدم والنور وجود
والعدم مقدم على الوجود فهذا كالتنبيه على صورة هذه الأشياء والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
وإن كنتم تعبدونهما واسجدوا لله الذي خلقهن لأن عبادة الخالق أحق وأولى من عبادة المخلوق وقيل الضمير في خلقهن
عائد إلى الآيات وقيل عائد إلى الليل والنهار والشمس والقمر وإنما أنث أجراه على طريق جمع التكسير ولم يجر على طريق
التغليب للمذكر على المؤنث لأنه فيما لا يعقل إن كنتم إياه تعبدون أي إن تعبدوه وحده فإن من عبد مع الله غيره لا يكون
عابداً له فإن استكبروا عن عبادة الله ولم يمتثلوا لما أمروا به وأبوا إلا الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه
لا يعدم عابداً وساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد والمراد بعند ربك
عندية الزلفى والمكانة والكرامة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي يسبحون ويمجدون ويكبرون
ويهللون دائماً وكلها تسبيح وقيل يصلون ولا يسأمون لا يملون قيل التسبيح منهم كالتنفس موضع السجدة آخر هذه
الآية عند الجمهور وعن ابن عباس والحسن أن موضعه إن كنتم إياه تعبدون قوله تعالى ومن آياته أنك ترى
الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير لما ذكر
الآيات الأربع الفلكية تدل على الليل والنهار والشمس والقمر أتبعها بذكر آية أرضية فقال ومن آياته أنك ترى الأرض
خاشعة يابسة دارسة لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات
فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت
وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة إن الذي أحيا
الأرض بعد موتها بإنزال المطر عليها لمحيي الموتى عند البعث والنشور إنه على كل شيء من الإحياء والإماتة والإحياء
والإعادة قدير قوله تعالى إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً
يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لما بين أن الدعوة إلى دين الله أعظم المناصب وأشرف المراتب ثم
بين أن الدعوة إلى الدين إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة عاد إلى تهديد من ينازع
في تلك الآيات ويحاول ذكر الشبهات فيها فقال إن الذين يلحدون في آياتنا أي يميلون عن الحق في أدلتنا يقال ألحد
الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل القرآن عن جهة الصحة والاستقامة
ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه مجاهد يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو
واللغط قتادة يكذبون في آياتنا السدي يعاندون ويشاقون ابن زيد يشركون ويكذبون مقاتل
نزلت في أبي جهل لا يخفون علينا فنجازيهم في النار وعيد لهم على التحريف والإلحاد أفمن يلقى أبو جهل خير أم من يأتي
آمناً يوم القيامة عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر رضي الله عنهما اعملوا ما شئتم أمر وعيد وتهديد
إنه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه إن الذين كفروا بالذكر بدل من إن الذين يلحدون في آياتنا بالذكر بالقرآن لما
لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله لما جاءهم خبر إن محذوف وإنه أي القرآن لكتاب عزيز كريم على الله منيع محمي بحماية
الله تعالى لا يأتيه الباطل مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه
ويتعلق به أو لأنه الباطل الشيطان من بين يديه ولا من خلفه وقيل لا يأتيه ما يبطله ويكذبه من الكتب المتقدمة
بل هو موافق مصدق لها ولا يجيء بعده كتاب يبطله وينسخه وقيل من بين يديه ومن خلفه لفظه تأويله تنزيل من حكيم
حميد قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه
قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم
وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
لما هدد الملحدين في قوله أفمن رجع إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصبر على أذى قومه وأن لا يضيق
قلبه بسبب ما حكاه عنهم في أول السورة أنهم قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه إلى قوله فاعمل إننا عاملون فقال
ما يقال لك تجيبي ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب
المنزلة يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم إن ربك لذو مغفرة لمن تاب وذو عقاب لمن أصر وقيل إن ربك لذو
مغفرة للرسل وذو عقاب لأعدائهم ويحتمل أن يراد ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو
قوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فحقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والمقصود تخويف
العصاة وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وتنظيم من الكلام في تفسير هذه السورة أن المقصود هو ذكر
الأجوبة عن قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا
عاملون فإنه يتنبه على فساد هذه الطريقة ويذكر تارة الوعد وتارة الوعيد لمن يؤمن بهذا القرآن ولمن يعرض عنه
وامتد الكلام إلى هذا الموضع على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم إنه تعالى ذكر جواباً آخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في أكنة

في النار

فلا يستطيع أن يغير أو يزيد أو ينقص سعيد بن جبير لا يأتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه

مما تدعون

مما تدعونا إليه فقال ولو جعلناه قرآناً أعجمياً كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون
لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته بينت بلساننا حتى نفقهها فإنا قوم عرب ما لنا وللعجمية
أأعجمي الهمزة همزة الإنكار يعني لأنكروا وقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه
من أي جنس كان قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب
أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً أعجمياً كتب إلى قوم من العرب يقول أكتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على
تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سيق إليه من الغرض ولا يوصل
به ما يخيل غرضاً آخر ألا ترى أنك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة
قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما قل هو للذين آمنوا
هدى إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون قيل هو في موضع الجر معطوف على قوله
للذين آمنوا على معنى قوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر فيكون عطفاً على عاملين
والأخفش يجيزه وقيل والذين لا يؤمنون مرفوع على أنه مبتدأ والتقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف
المبتدأ وفي آذانهم منه وقر وهو أي القرآن عليهم عمى لا يبصرون رشدهم وقيل عمى القلب أولئك ينادون يعني
الذين لا يؤمنون ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم مثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاسعة
لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء وقيل أولئك ينادون خبر لقوله إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهو قول أبي
عبيدة إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم خبرها فقال أبو عمرو ومعناه في التفسير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وإنه
لكتاب عزيز من مكان بعيد مثل لقلة استماعهم وانتفاعهم بما يوعظون به كأن ينادى إلى الإيمان والقرآن من حيث
لا يسمعون لبعد المسافة ولقد آتينا موسى الكتاب هذا أيضاً متعلق بما قبله كأنه قيل إنا لما آتينا موسى الكتاب اختلفوا
فيه فقبله بعضهم ورده آخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين
يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه فاختلف فيه فقال بعضهم حق وقال بعضهم هو باطل ثم قال ولولا كلمة سبقت
من ربك في تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهي العدة بيوم القيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم لقضي بينهم
ولفرغ من عقابهم وعجل إهلاكهم وإنهم أي الذين لا يؤمنون لفي شك منه مريب موقع تهمة وقيل تم الكلام على قوله
فاختلف فيه أي اختلف اليهود في كتابهم كما اختلف قومك في القرآن ثم رجع إلى القول في العرب فقال ولولا كلمة سبقت
الآية من عمل صالحاً فلنفسه فنفسه نفع ومن أساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المجرم وقيل كأنه جواب
قائل إنه ظلام وقيل من ظلم وعلم أنه يظلم فهو ظلام قوله تعالى إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات
من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم
ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط لما
هدد الكافر في الآية المتقدمة بقوله ومن أساء فعليها ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة وكأن سائلاً
قال ومتى يكون يوم القيامة فقال إليه يرد علم الساعة أي لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله كما
يرد علم الساعة وهذه الصفة تفيد الحصر أي لا يعلم وقت قيام الساعة بعينه إلا الله وكما أن هذا العلم ليس إلا عنده
فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في أوقاتها المعينة ليس إلا عند الله سبحانه ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين
أحدهما قوله وما تخرج من ثمرات من أكمامها والثاني قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه قيل إن المشركين قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً فأخبرنا عن الساعة متى قيامها وإن كنت لا تعلم ذلك فإنك لست بنبي فأنزل الله
عز وجل هذه الآية وما تخرج من ثمرة ثمرات قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات بالجمع والباقون ثمرة على التوحيد
أكمامها أوعيتها واحدها كم وهي كل ظرف لمال وغيره ولذلك سمي قشر الكفراة الذي ينشق عن الثمرة كماً ابن عباس يعني الكفرى
قبل أن تنشق فإذا انشقت فليست بأكمام وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه يقول إليه يرد علم الساعة كما يرد إليه
علم الثمار والنتاج أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم أيام الحمل وساعاته
وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك وأنباء في يعلمه ويوم يناديهم لما ذكر
القيامة أردفه بشيء من أحوال القيامة ويوم يناديهم أي ينادي الله المشركين أين شركائي الذين تزعمون أنها آلهة قالوا يعني
المشركين هم الأصنام وقيل يحتمل أن يكون القول راجعاً إلى العابدين والمعبودين أيضاً آذناك أعلمناك وقيل
أسمعناك ما منا من شهيد ليس منا أحد اليوم يشهد أو أبصرناها وسمعناها يشهد بأنهم شركاؤك فهم تبرؤوا منهم لأنه هو
موحدك وقيل ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل
هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالتهم عنهم على هذا التفسير أنهم
لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا أيقنوا ما لهم من محيص مهرب قال صاحب الكشاف فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كان
منهم فإذا قد آذنوه فلم سئلوا قلت يجوز أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية
دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء لا إخباراً بإيذان قد كان كما تقول أعلم الملك
أنه كان كذا وكذا لأمر قد أعلمته لا يسأم الإنسان لا يمل ولا يفتر الكافر من دعاء الخير ومالك إياه من طلب السعة في المال

ينادون

في الدنيا

[illegible] ظلام على سبيل المبالغة لكثرة العبيد

وان مسه الشر فيؤس قنوط من روح الله قنوط من رحمته قوله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من
عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ● لما بين حال هؤلاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركاء
والاضداد لله في الدنيا يتبرؤن من تلك الشركاء في الآخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المنهج فان احس
بخير ونعمة استنفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذبل ثم بين ان الدعاء ايسا قانطا لو عاودته النعمة بدل الاقوال
الفاسدة والمذاهب الباطلة ولئن اذقناه رحمة منا عافية ونعمة من بعد ضراء شدة وبلاء مسته اصابته ليقولن
هذا لي اي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض وسعة بعد ضيق ليقولن هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته
بما عندي من خير وفضل واعمال بر وقيل هذا لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
وما اظن الساعة قائمة اي وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم للكافر امنيتان اما
في الدنيا فيقول لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واما في الآخرة فيقول يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد
بن المغيرة فلننبئن فلنخبرن الذين كفروا بما عملوا بحقيقة ما عملوا من الاعمال ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها
انهم يستحقون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا
ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة
وانهم محقوقون بها واذا انعمنا على الانسان هذا ايضا صنع آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته
النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الشر
الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة
الاجرام ويستعار الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب ونأى بجانبه في معناه وجهان ان يوضع جانبه
موضع نفسه كما ذكر في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله لان مكان الشيء وجهته تنزل منزلة الشيء نفسه ومنه
قوله ونفيت عنه مقام الذئب اي نفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب
حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يعني نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم
في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارايتم ان كان القرآن من عند الله تعالى ثم كفرتم به يعني ما انتم
عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم بها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل
النظر واتباع الدليل امر يحتمل ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا
فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله
حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم قوله تعالى
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية
من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ● لما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة واجاب عن شبهات المشركين
وتمويهات الجاحدين قال سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما يفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم من الآفاق وفي انفسهم مكة
قتادة في الآفاق يعني وقائع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر عطاء في الآفاق يعني اقطار الارض والشمس
والقمر والنجوم والنباتات والاشجار والانهار والبحار والامطار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة وسبيل
الغائط والبول حتى ان الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين وقال صاحب الكشاف يعني
ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة
والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة
للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار الارض المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب
المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها
اليقين ويزداد بها الايمان حتى يتبين لهم ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه
وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل
ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل وقيل انه الحق يعني آياتنا وقيل انه يعني الاسلام وقيل محمدا
صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن اولم يكف بربك في موضع الرفع على انه فاعل يكف وانه على كل شيء شهيد مطلع مهيمن يستوي
عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه
هذه النصرة وقيل اولم يكف الانسان من الزاجر والرادع عن المعاصي كون الله شهيدا عليه وقيل اولم يكفهم ان ربك
شهيدا لا يخلف ما وعد الا انهم في مرية شك من لقاء ربهم البعث والحساب وقيل المخاطبة والمحاسبة
الا انه تعالى بكل شيء محيط عالم بجملها وتفاصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها والله اعلم

سورة

سورة عسق

وهي ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا وكلماتها ثمانمائة وست وستون كلمة وثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم ● الكلام في حم قد سبق عسق قيل هو قسم اقسم الله به وهو اسم من اسمائه وقيل الحاء حكمه
من اسمائه وترتيبها او الحكمة انا الحكيم والميم ملك الله والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته ابو الجوزاء العين فيها عذاب والسين
مسخ والقاف قذف وعن ابي الجوزاء العين عذاب والسين مسخ والقاف قذف عطاء العين من عزيز ومعهود السين
استيصال كما في يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الارض سعيد بن جبير العين من عالم والسين من قدوس
والقاف من قاهر العين من العزيز والسين من السلام والقاف من القادر قتادة انه اسم من اسماء القرآن وفصل
من عسق خلاف كهيعص قيل لانه قد ورد حم قبله واستقل هو بنفسه ولهذا عدها آيتين ابن عطية انما فصلت هذه
من سائرها بذكر عسق لان جميعها ذكر الكتاب فيه معنى التصريح الا هذه فان دخل على الدلالة التضمنية بذكر الوحي الذي يجيء
الى الكتاب بكذلك اي مثل ذلك الايحاء ومثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة
من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله كرر هذه المعاني في القرآن
وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم بعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى الى الذين من قبلك على
لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير بفتح الحاء على البناء للمفعول ورافع الله على هذه القراءة ما دل
عليه يوحي كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة من قرأ يسبح له بفتح الباء العزيز الحكيم قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم ● من فوقهن لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات
وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته
العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وقيل لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات
وكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة
الفوق كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق
رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين
ويستغفرون لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به
هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى
الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام
فيكون عاما فان قلت قد فسرت تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلنا اما على احدهما
فكانه قيل تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق و
حافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض
خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة
يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي تضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم
من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون من مخالفة امره ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك
الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا
في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال الحكماء
هيب وعظم في الابتداء ثم بشر والطف في الانتهاء قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت
عليهم بوكيل ● والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم يحفظ اعمالهم ويحصي
عليهم افعالهم ليجازيهم بها وقيل حفيظ رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب
عليهم الا هو وحده وما انت عليهم يا محمد بوكيل ولا مفوض اليك امرهم ان عليك الا البلاغ قوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ● وكذلك
اي ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت عليهم بوكيل ولكن
نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله عز وجل في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول
به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار وقيل ذلك اشارة

قرآنا

الى مصدر او وحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر ام القرى مكة اي اهلها
ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد يعدى الاول اي لتنذر الى المفعول الاول كما
وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ويوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه كما قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع
وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة فضلا وهم
المؤمنون وفريق في السعير عدلا وهم الكافرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفضل عبد الله على ابيه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابض على كفيه ومعه كتابان فقال
اتدرون ما هذان الكتابان قلنا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة
واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد
فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله سبحانه وتعالى عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب
العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا
نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم فقال عبد الله
بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب
النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله قوله تعالى ولو
شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ● المراد
تقرير قوله [illegible] اولياء الله اي لا يقدر على حملهم على الايمان ولو شاء الله ذلك لفعله لانه اقدر
منك ولكنه جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا ولكن يدخل من يشاء في رحمته يدل على انه تعالى هو الذي ادخلهم
في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يعني انه تعالى ما ادخلهم في رحمته قوله تعالى ام اتخذوا من دونه
اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ● وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب ● ام اتخذوا بمعنى الهمزة فاما الانكار فان الله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده
ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا
بحق فالله هو الولي بالحق وهو اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء
من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله فعلمه عند الله وقيل كل ما عمله الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل تحكمه الى الله وتدبير ذلك في القرآن اما ظاهرا
منصوصا واما متضمنا فيه تضمينا قريب الماخذ او تضمينا بعيد الماخذ مثاله اهل مكة كفر بعضهم [illegible]
ان حكمهم الى الله يحكم يوم القيمة للمحق على المبطل فيصير المحق الى النعيم والمبطل الى الجحيم وقيل يحكم في الدنيا
باظهار المؤمنين عليهم وقتلهم واسرهم ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت واليه انيب فرد كيد اعداء الدين
واليه انيب ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية تشابه عليكم
فارجعوا في بيانها الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم
الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال صاحب الكشاف فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في
احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول وهو ممنوع قوله تعالى فاطر السموات والارض جعل لكم
من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم ● فاطر من جملة اخبار ذلكم وقيل خبر مبتدا محذوف السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام اي وخلق من الانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم فيه يكثركم يقال
ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء اخوان فيه في الرحم وقيل في البطن وقيل في الزوج وقيل في هذا
الوجه من الخلقة وقيل في هذا التدبير وهو ان جعل الناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد
والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون لانهم العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وانما قال يذرؤكم فيه اي في هذا التدبير ولم يقل به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث كما
قال ولكم في القصاص حياة ليس كمثله شيء قيل المثل صلة زائدة معناه ليس هو كشيء فادخل المثل توكيدا كقوله
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به قال صاحب الكشاف قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص
اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قول العربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم
قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم
الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله
شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي
المماثلة عن ذاته ونحو قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت

عبارة

[illegible]

نفي اللزوم وقوله تعالى ليس كمثله شيء سلب كلي عن الموضوع فمن شيء لا ان اسم لشيء وهو نكرة في سياق النفي فيكون العموم
ويقول كذلك حين ليس معناه مثل مثله فان الكاف بمعنى المثل فيكون التقدير ليس شيء من الاشياء مثل مثله وقيل
المثل بمعنى الاوصاف فيكون على تقدير ثبوته ليس شيء كما يوصف به الحق له وصفا اذ عرف فيقول لا يلزم
من قوله تعالى ليس كمثله شيء نفي مثله مطلقا اي نفيت المعين لو ذهنا لانه لو كان له مثل ذهنا او عينا لكون
هو مثل مثله كما عرفت ان مثل المثل لا يكون الا مثل هو مثل مثله كقوله تعالى ليس كمثله شيء فانه يقتضي نفي مثل مثله
عنه ايضا فظهر من هذا انه اذا حمل هذا الكلام على المفهوم الحقيقي لا يحصل المقصود وهو بيان تفرده في ذاته ونفي
المثل عنه لان نفي مثل المثل لا يوجب نفي المثل بل لو كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم المحال الا انه لما ثبت نفيه تعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا لانه تعالى مثل لمثله لانا نقول نفي مثل المثل مستلزم نفي المثل لان مثل المثل لازم للمثل
ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم قلنا بل لو كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم المحال الا انه لما ثبت نفيه تعالى عما يقول
الظالمون قلنا اذا كان المراد منه نفي مثل المثل يلزم نفي هذا الوصف عنه وهو صفة مثل المثل من الله تعالى لانه
ولا محذور في نفي هذا الوصف عنه فان نفي هذا الوصف اما بنفي الموصوف او بنفي المثل ونفي الموصوف ممتنع
لذاته فيكون بنفي المثل بل يحال ان يتصف بهذا الوصف فاذا انتفى هذا الوصف يستحيل ان يتصور له مثل
ولا يتصور له مثل فان المثل هو المشارك في الحقيقة ويمتنع مشاركة شيء له في الحقيقة فيمتنع ان يكون مثل له
وما قيل ان مثل المثل لا يتوقف على ثبوت نفي الحقيقة الذهن وثبوت مثله في الذهن محال كلام فان الله حقيقته تعالى يمتنع
ان يقع فيها اشتباه لكن فان الغرض الواحد الحقيقي الذي لا مثل له كمثل شيء معه في الحقيقة فلا يتصور له مثل فقوله
البصير فقوله ليس كمثله شيء نفي التشبيه وقوله وهو السميع نفي التعطيل واثبات الصفات الكمال والتعريف فيهما يفيد
ما بين الصفتين على سبيل الكمال ليس الا لله تعالى هذا هو المراد من هذا الحصر له مقاليد السموات والارض والمراد من
الاية المتقدمة انه تعالى فاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك وايضا هو خالق انفسنا وازواجنا
وخالق الاولاد منا ومن الانعام والاصنام ليست كذلك وايضا له مقاليد السموات والارض والاصنام ليست
كذلك بيده مفاتيح الرزق من السموات والارض فمقاليد السموات الامطار ومقاليد الارض النبات يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شيء من البسط والتقدير عليم قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب
لما عظم الله وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر
في هذه الاية تفصيل ذلك اليوم فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم يا محمد من الدين
ما وصى به نوحا وابراهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود من لفظ الاية وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة
بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما
من الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله فقوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد باقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء
وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع فان الاحكام الفرعية لانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويحتمل ان يكون الدين اما نصب بدلا من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على انه
كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ولا تتفرقوا فيه قيل
معناه لا تتفرقوا بالالهة الكثيرة كما قال يوسف عليه السلام ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون واحتج بعض العلماء بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في اول الامر متعبدا بشريعة نوح عليه السلام واجيب عنه بانه عطف عليه سائر
الانبياء فذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشريعة المتفق عليها كبر على المشركين عظم عليهم وشق ما تدعوهم
اليه من اقامة دين الله والتوحيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق
من يشاء اجتباءه ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة ابن عباس اهل الكتاب بدليل نظيره
في سورة المنفكين الا من بعد ما جاءهم العلم اي من بعد ان علموا ان الفرقة فساد وضلال وامر متوعد عليه على
السنة الانبياء وقيل من بعد بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته بغيا بينهم انما فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة
وحملتهم الحمية النفسانية الابية على ان ذهب كل طائفة الى مذهب ودعا الناس اليه وقبح ما سواه طلبا للذكر
والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب الى اجل مسمى
وهو يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدهم من بعد الامم الخالية مجاهد معناه من قبلهم يعني
من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى لفي شك منه من كتابهم مريب لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس
امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم
وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق
اهل الكتاب الذين من بعدهم هم المشركون اورثوا القران من بعد ما اورثت اهل الكتاب التورية والانجيل قوله تعالى فلذلك
فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ● والذين يحاجون في الله من بعد ما
استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ● الله الذي انزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها
ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي
العزيز ● فلذلك فادع اي لاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق
على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت
بما انزل الله من كتاب صح انه امر لداعي الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض
ونظيره قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وامرت لاعدل بينكم في الحكومة اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي
لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة
بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا في المعاد لفصل القضاء بيننا فينتقم لنا منكم
وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام في المقاولة لا المقاتلة ومعناه لا حجة بيننا وبينكم
فهو وفق المتاركة لا بل السيف بيننا وبينكم والذين يحاجون يخاصمون في دين الله ونبيه من بعد ما استجيب له
استجاب له الناس ودخلوا في دينه لظهور معجزته وقيام حجته ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا حجتهم داحضة زائلة باطلة عند ربهم وعليهم غضب
بكفرهم ولهم عذاب شديد يوم القيمة قتادة هم اليهود والنصارى قالوا للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل
نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام الله الذي
انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والميزان اي العدل وقيل الاحكام وقيل هو عين الميزان في زمن نوح ومعنى
انزال العدل انزاله في كتبه المنزلة بالحق ملتبسا مقترنا به بعيدا من الباطل وقيل بالحق ليصل على وفق الحكمة
وقيل بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك وقيل معنى انزال الميزان الهامه الخلق ان يعملوا به وامره بالعدل والانصاف
لقوله ان لنا عليكم لباسا ملتقمة الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بالكتاب وما يدريك لعل الساعة
قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي ولانها الوقت الكشاف اي اتيانها قريب وقيل في تاويل البعث ووجه
توفيق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه
قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي
لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها بالساعة الذين لا يؤمنون بها استهزاء وقيل طمعا في تكذيب النبي صلى
الله عليه وسلم لها وتعاميا ان يمضي الوقت فلا يقع فيصير حجة لهم والذين امنوا مشفقون خائفون منها ويعلمون
انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون يخاصمون في الساعة في قيام الساعة لفي ضلال بعيد من الحق لان
قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله وقد دل الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها وقيل شاكون في وقوعها
وقيل يدخلهم المرية فيتلونها المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه الله لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد

توصل بره الى جميعهم وتوصل بر كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته عن ابن عباس حفي بهم عكرمة
بار بهم السدي رفيق بهم مقاتل لطيف بالبر والفاجر منهم حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم القرظي لطيف بهم
في العرض والمحاسبة الصادق رضي في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه
اليك مرة واحدة الحسين بن الفضل في القران وتيسيره حتى هو الذي لطف باوليائه حتى عرفوه فعبدوه ولطف
باعدائه لما جحدوه محمد بن علي الكتاني اللطيف بمن لجأ اليه من عباده اذا ايس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينئذ يقبله
ويقبل عليه وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل
الجزيل وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل هو الذي لا ييأس احد في الدنيا من رزقه ولا ييأس مؤمن في العقبى
من رحمته وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يبذل لعبده النعم فوق الهمة ويكلفه
الطاعة دون الطاقة وقيل هو الذي يعفو عمن يجفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي يعين
على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي اوقد في اسرار عارفيه من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم
منهاجا وانزل عليهم من سحائب بره ماء ثجاجا يرزق من يشاء كما يشاء موسعا ومقترا قليلا وكثيرا حلالا
في خفض ودعة وكد وعناء ومن يشاء في بلده ومن يشاء في الغربة ومن يشاء بحساب ومن يشاء بغير حساب قال صاحب
الكشاف فان قلت قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف
وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت وتفاوتها على حسب تفاوت قسمتها بالحكمة والتدبير فيطلب لبعض العباد صنف من البر
لم يطلب مثله لاخر ويصيب هذا حظا له وصف لا يصيب ذاك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للاخر فقد
رزقه هو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها
صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو
واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد
له فيها حسنا ان الله غفور شكور ● لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم بين انه لا بد لهم من ان يسعوا في طلب
الخيرات عن القبائح فقال من كان يريد حرث الاخرة يعني يريد بعمله الاخرة نزد له في حرثه بالتضعيف بالواحد عشرا الى
ما شاء الله سمى ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز قتادة من يرد من عمله الاخرة نزد له في حرثه ومن يؤثر
دنياه على اخرته لم يجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا شيئا الا رزقا قد فرغ منه وقسم له ولذلك
في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على انه رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة الا انه ما تربى له الا الحسنة على
بصدده من زكاء عمله وبوزنه في الآخرة قال الامام ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب
فانه يصح صلوته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتى الا بالقاء البذر
الصحيح في الارض والبذر لجميع الخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله تعالى ام لهم شركاء لما بين القانون الاعظم
والقسطاس الاقوم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال ام لهم
معنى الهمزة فيها للتقرير والتقريع شركاء شياطين شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اي شركاؤهم شياطينهم الذين
زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين تعالى الله عن
الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله تعالى واضافتها اليهم
للملابسة وقيل اسندت الى الله تعالى وكما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابرهيم
عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل بيوم القيمة حيث قال بل الساعة موعدهم وقيل لولا كلمة الفصل
القضاء السابق بتاجيل الجزاء لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
ترى الظالمين يوم القيمة مشفقين مما كسبوا من الكفر والشرك وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لا بد لهم
منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاع في الجنة وانزهها لهم ما يشاؤن
عند ربهم منصوب بالظرف او بلهم ما يشاؤن عند ربهم في روضات الجنات ما يشاؤن ذلك اي اعطاء هذه الاشياء
هو الفضل الكبير ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة
والباقون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اهله
بالاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله
اهذا الذي بعث الله رسولا وقيل الاصل ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده قل لا اسئلكم عليه لما اوحي الى محمد
صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف واودع فيه ما يحتاج المكلفون اليه من التوحيد والتكاليف والنبوة
والمعاد وترتيب الثواب على الطاعة والترهيب بالعقاب على المعصية والشرك قال قل يا محمد لهم لا اسئلكم عليه اي
لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ المال والجاه ولا نفعا عاجلا ولا مطلوبا حاضرا للدنيا ... ان النبي صلى الله عليه
وسلم طلب من هذا التبليغ حظا من الحظوظ ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق

وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه
وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يؤيس امله

والباقون بفتح الياء وسكون الباء
وكسر الشين مخففة

وليست في يده لذلك سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن اخيكم تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة اجمعوا له من اموالكم ما لا يضركم فأتوه به ليستعين به على ما ينوبه ففعلوا ثم اتوه به فقالوا يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله على يديك وتنوبك نوائب وحقوق وليست لك عندها سعة فرأينا ان نجمع لك من اموالنا فنأتيك به فتستعين به على ما ينوبك وها هو ذا فنزلت هذه الآية وقال قتادة اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فانزل الله تعالى هذه الآية يحثهم على مودته ومودة اقربائه صلوات الله عليه وقوله الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وانما لم يقل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وقال الا المودة في القربى ليكون القربى مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به كقولك المال في الكيس تقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى واختلف العلماء في معنى الآية فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسألكم على ما اتيتكم من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله تعالى وتتقربوا اليه بطاعته وهذا مذهب الحسن البصري فقال هو القربى الى الله يقول التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وروي عن طاوس والشعبي وكذا العوفي عن ابن عباس قال لم يكن بطن من بطون قريش الا بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يتابعوه انزل الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا قرابتي وتودوني فيهم واحق من اجابني واطاعني فاليه ذهب ابو مالك وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة وقال بعضهم معناه الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ثم اختلفوا في قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين امر الله تعالى بمودتهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما والدليل على هذا ما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وشيعتنا من ورائنا وعن ام سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ائتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فالقى عليهم كساء فدكيا ثم رفع يده عليهم ثم قال اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد فانك حميد مجيد قالت فرفعت الكساء لادخل معهم فاجتذبه وقال انك على خير وعن ابي هريرة قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال انا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم وروي انه لما جيء بعلي بن الحسين اسيرا فاقيم على درج دمشق قام رجل من اهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة فقال له علي بن الحسين اقرأت القرآن قال نعم قال اقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم اقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانكم لانتم هم قال نعم وقيل هم ولد عبد المطلب يدل عليه ما روى انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجنة انا وعلي والحسن والحسين والمهدي وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا اسلام يدل عليه قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى وقوله وآت ذا القربى حقه وعن ابن عباس قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكأنهم فخروا فقال ابن عباس او العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وعن العباس بن عبد المطلب انه قال يا رسول الله ما بال قريش يلقى بعضها بعضا بوجوه تكاد ان تسايل من الود ويلقوننا بوجوه قاطبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او يفعلون ذلك قال نعم والذي بعثك بالحق فقال اما والذي بعثني بالحق لا يؤمنوا حتى يحبوكم لي وقيل هذه الآية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية وامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه واحب الله ان يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قالوا وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون

والى هذا القول ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل قال الثعلبي وهذا قول غير قوي ولا مرضي لان ما حكينا من اقاويل اهل التأويل في هذه الآية لا يجوز ان يكون واحد منها منسوخا وكفى قبحا بقول من زعم ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه واهل بيته منسوخ والدليل على صحة مذهبنا فيه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة قال الامام آل محمد هم الذين يؤول امرهم اليه فكل من كان مآل امرهم اليه اشد واكمل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الآل وايضا اختلف الناس في الآل فقيل هم الاقارب وقيل هم امته فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا آل فثبت انهم على جميع التقديرات هم الآل واما غيرهم هل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما فثبت ان هؤلاء الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الا المودة في القربى ووجه الاستدلال به ما سبق الثاني لا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة قال فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ولقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالث ان الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلوة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب قال الشافعي رحمه الله

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى ... فيضا كما نظم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان اني رافضي

وقوله الا المودة في القربى فيه منصب عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فكل من اطاع الله كان مقربا عند الله فيدخل تحت قوله الا المودة في القربى والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل محمد وهذا قول اصحابنا اهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة وبين حب الصحابة وسمعت بعض المذكرين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه السلام من ركب فيها نجا وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ونحن الآن في بحر التكليف محتاجون الى السفينة الصحيحة والنجوم الزاهرة فالسفينة حب آل محمد والنجوم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرجو من الله السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة ومن يقترف يكتسب حسنة بالتضعيف قال السدي حسنة مودة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع والشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد • اعلم ان الكلام في اول هذه السورة في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله وهو قوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى وصل الى ههنا ثم حكى ههنا شبهة وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال ام يقولون افترى على الله سبحانه الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ الله يختم على قلبك قال مجاهد يعني يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقال قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن فاخبرهم انه لو افترى على الله لفعل به ما اخبر عنه في هذه الآية ثم ابتدأ فقال ويمح الله الباطل قال صاحب الكشاف فان يشأ الله يخذلك يختم على قلبك حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم ابتدأ فقال ويمح الله فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع كما حذفت من قوله سندع ويدع الانسان اي ومن عادة الله تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه

ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله

انيكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى
انت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم انه عليم بذات الصدور بما فى صدرك وصدورهم
فيجرى الامر على حسب ذلك وهو الذى يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته
وجعلته مبدأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن المعصية بالندم عليها
والعزم ان لا يعاود وعن على كرم الله وجهه التوبة اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وقيل لابى بكر الوراق متى يكون الرجل تائبا قال اذا رجع الى
الله فراى ذنبه استحيا وخاف نقمته فيما عصاه ولم يتخل من رحمته فرجاه وذكر حلمه فى ستره فابكاه وندم على مكروه اتاه
وشكر ربه فيما هداه وفهم من الله وعظه فوعاه وفهم عنه فيما اوصاه وسئل المحاسبى عن التائب فقال من
راى نفسه من الذنوب معصوما والخيرات موفقا وراى الفرح من قلبه غائبا والحزن فيه نائبا واحب اهل الخير وهابه
اهل الشر وراى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا وراى قلبه فارغا من كل ما ضمن له مشتغلا بكل
ما امر به وقال سهل التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب والندامة على
ما فرط من العيوب ثم الاستقصاء فى المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع وقيل ملاك التوبة اصلاح
النعت وسئل يحيى بن معاذ من التائب فقال من كسر شبابه على راسه وكسر الدنيا على راس الشيطان ولزم الفطام
حتى اتاه الحمام وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وسئل ابو الحسن البوشنجى عن
التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة فذلك هو التوبة وقيل التوبة ترك المعاصى نية وفعلا والاقبال على
الطاعة نية وفعلا وسئل الجنيد عن التائب فقال من مات عما دون الله شاه الكرمانى اترك الدنيا تبت وخالف
هواك تقدم وصلت ويعفو عن السيئات اذا تاب فيمحوها وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد والعقيم الوالد والظمآن الوارد من تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله
حافظيه وبقاع الارض خطاياه وذنوبه ويعلم ما يفعلون قرأ حمزة والكسائى وخلف بالتاء من فوق والباقون بالياء
لانه بين خبرين عن قوم قال الفتبة عن عبادة وقال ابعد ويزيدهم من فضله ويستجيب الذين آمنوا بالطاعة اى يطيع
الذين آمنوا ربهم فجعل الاستجابة فعل الذين آمنوا وقيل ويستجيب الذين آمنوا فجعل الاستجابة فعل الله وهو
الاصوب لا الاعجب لانه وقع بين فعلين لله الاول قوله يقبل والثانى ويزيدهم والمعنى ويجيب الله المؤمنين اذا دعوه
وقيل معناه ويجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض وعن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ بالشام فقال انتم المؤمنون
وانتم اهل الجنة والله انى لارجو ان يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم وذلك بان احدهم اذا عمل لاحدكم العمل
قال احسنت بارك الله فيك فيقول الله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اى اذا دعوه
استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوه وزادهم من فضله على مطلوبهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا يستجاب
لنا قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا والكافرون لهم عذاب شديد
فى الآخرة قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير
وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث
فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وما انتم
بمعجزين فى الارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ● لما قال فى الآية المتقدمة انه يستجيب الذين آمنوا
ويعطيهم سؤلهم ورد ان المؤمن قد يكون فى شدة وبلية وفقر ثم انه يدعو فلا يرى اثر الاجابة فكيف الجمع
ما تقدم من قوله ويستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى عنه بقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض
وانهمكوا على المعاصى ولما كان ذلك محذورا لما بسط ولبغوا من البغى وهو الظلم نزلت الآية فى قوم من اهل الصفة
تمنوا سعة الدنيا والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير
وبنى قينقاع فتمنيناها فانزل الله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لطغوا او لعصوا او لبغى
بعضهم على بعض طلبا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس شقيق بن ابراهيم فى قوله
ولو بسط الله الرزق لو رزق الله العباد من غير كسب لتفرغوا عن المعاش والكسب لطغوا وبغوا وسعوا فى الارض
فسادا ولكن شغلهم بالمعاش والكسب رحمة منه وامتنانا ولكن ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء فجعل واحدا
غنيا وواحدا فقيرا انه بعباده خبير بصير قتادة فى هذه الآية كان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك
وذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتى زهرة الحياة الدنيا وكثرتها وعن انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة
وانى لاسرع شئ الى نصرة اوليائى انى لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما ترددت فى شئ انا فاعله ما ترددت
فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه وما تعبد الى عبدى
المؤمن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال العبد المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا
وبصرا ويدا ومؤيدا ان سألنى اعطيته وان دعانى استجبت له وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة

ولو اعطيته

ولو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا
يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك انى ادبر عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير وهو الذى ينزل الغيث
المطر سمى به لانه يغيث الناس عن الاصمعى مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا فسألت عجوزا منهم كيف اتاكم
المطر فقالت غثنا ما شئنا من بعد ما قنطوا اى يئسوا وينشر رحمته ويبسط مطره نظيره وهو الذى يرسل الرياح بشرا
بين يدى رحمته وقيل ينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب عن قتادة ذكر لنا ان رجلا اتى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين اشتد القحط وقنط الناس فقال مطرتم ثم قرا وهو الذى ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا اى ينشر رحمته وهو الولى الذى تولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل
ومن آياته خلق السموات والارض فى ومن آياته اخرى تدل على الهيبة وما بث فى محل الرفع عطفا على المضاف ويجوز ان يكون
فى محل الجر عطفا على المضاف اليه قاله صاحب الكشاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها
قلت يجوز ان ينسب الشئ الى الجميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع
بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم ومنه
قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران
فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد ان يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى
على الارض سبحان من خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم احياء بعد الموت اذا يشاء قدير
اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة
غم وألم ومكروه فبما كسبت ايديكم فهو عقوبة لكم على الآثام والاجرام التى كسبتموها ويعفو عن كثير من الذنوب فلا
يؤاخذكم بها قرأ اهل المدينة والشام بما بغير فاء وكذلك هو فى مصاحفهم والباقون فبما بالفاء وكذلك
فى مصاحفهم على تضمين ما معنى الشرط الحسن لما انزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج
عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب وما يعفو الله اكثر وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه الا اخبركم بافضل
آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الآية قال وسأفسرها لك يا على
ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان يثنى عليهم العقوبة فى الآخرة
وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود بعد عفوه وعن الحسن دخلنا على عمران بن الحصين فى مرضه الشديد
الذى اصابه فقال رجل منا انى لابد ان اسألك عما ارى بك من الوجع فقال عمران يا اخى لا تفعل فوالله ان احبه الى
الله قال الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فهذا مما كسبت يداى وعفو ربى ما بقى
وتداوى على ظهر كعب بشيع فرحمة فقيل له يا ابا امية ما هذا قال بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ابن سيرين
لما ركبه الدين اغتم فقال انى لاعرف هذا الغم هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقيل لابى سليمان الدارانى
ما بال العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم قال انهم علموا ان الله عز وجل انما ابتلاهم بذنوبهم قال السمرقندى وما اصابكم
الآية وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا
اراد به الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافى به يوم القيمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره له
الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغها الا بها وعن الضحاك ما تعلم ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما اصابكم
الآية ثم قال واى مصيبة اعظم من نسيان القرآن وما انتم بمعجزين فى الارض هربا فائتين فلا يعجزكم اينما كنتم وما لكم
من دون الله من ولى يحفظكم ولا نصير يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم قوله تعالى ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام
ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن
كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير
وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ● والذين اذا
اصابهم البغى هم ينتصرون ● ومن آياته الجوار يعنى السفن واحدتها جارية وهى السائرة فى البحر قال تعالى
حملناكم فى الجارية فى البحر كالاعلام اى الجبال مجاهد كالقصور واحدها علم قال الخليل كل شئ مرتفع عند العرب
فهو علم قالت الخنساء ترثى اخاها صخرا وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار ان يشأ يسكن الريح
فيظللن من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت وقوفا على ظهره الماء ان فى ذلك لآيات لكل صبار
شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص جعلهما كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها
العبر او يوبقهن يهلكهن ويغرقهن والمعنى انه ان يشأ يبتلى المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فتركد الجوارى
على ظهر البحر ويمنعهن من الجرى واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن
كثير منها فلا يعاقب عليها او يوبقهن عطف على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها
قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم وقيل ويعف عن كثير من الذنوب فلا يجازى عليها فى الدنيا وقيل ولا ذو

وان من عباده المؤمنين لمن لا يصلحه الا العافية ولو اسقمته لافسده ذلك

ويعلم قرأ أهل المدينة والشام ويعلم بالرفع على الاستيناف كقوله في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرئ
بالنصب على الصرف كقوله تعالى ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم
وقيل النصب للعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ونحوه في
العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات
والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت قال الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع
مثله وأكرمك وإن شئت قلت وأكرمك جزما وفيه نظر لما أورده سيبويه في
كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعله إلا أن يكون من
الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة المشهورة
على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الآيات المشكلة ما لهم من محيص من محيد من عقابه فما أوتيتم من شيء ما متضمنة لمعنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها
أي فما أوتيتم من شيء من رياش الدنيا فإنما هو متاع الحياة الدنيا وليس من زاد المعاد أي ينفعكم من حياتكم
في الدنيا وهو نفع يسير وما عند الله مبتدأ غير متضمن لمعنى الشرط فلذلك لم تجئ الفاء في جوابها خير وأبقى للذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون يعني منافع الآخرة المعدة للمؤمنين المتوكلين خير لأنه متع والذي أبقى لأنه دائم لا ينقطع
والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده كبائر قرأ حمزة والكسائي وخلف هاهنا وفي سورة النجم
كبير على الواحد وفسره بالشرك عن ابن عباس والباقون كبائر على الجمع في السورتين وقد تقدم اختلافهم في معنى
الكبائر والفواحش التي يعظم قبحها كأنه قيل موجبات الحدود وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في
حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون
إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم أجابوه إلى ما دعاهم إليه من الطاعة وأقاموا الصلاة
المفروضة أي الصلوات الخمس في مواقيتها بشرائطها وأمرهم شورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى وأمرهم
شورى بينهم أي ذو شورى يعني إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى
يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم وكذلك فعل عمر بترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر رضي الله عنه الخلافة شورى ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون وقيل ينفقون من الحلال ويحتمل ينفقون في
[illegible] بأنه من ينفق الله فإن الكافر أيضا ينفق مما رزقه الله لكنه ما حل قيل نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق رضي الله عنه
اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فأنزل الله عز
وجل فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا إلى ومما رزقناهم ينفقون خص بها أبا بكر رضي الله عنه ومن اتبعه والذين
إذا أصابهم البغي لظلمهم هم ينتصرون ينتقمون ممن ظلمهم من غير أن يعتدوا وعن عطاء [illegible] الجروح ينتقم من الجارح
فيقتص منه قال إبراهيم النخعي في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا وجزاء سيئة
سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك
لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم
يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
لما قال والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون أردفه بما ذكر أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيدا بالمثل فإن النقصان
حيف والزيادة ظلم والمساوي عدل فلهذا قال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى جزاء السيئة وإن كان مأذونا فيه مشروعا
باسم السيئة وإن لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة [illegible] مثلها فإذا قال أخزاه الله يقول أخزاه الله وعن سفيان بن عيينة قلت لسفيان
الثوري ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها أن يشتمك رجل فتشتمه وأن يفعل بك فتفعل به فلم أجد عنده
شيئا فسألت هشام بن حجير عن هذه الآية فقال الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه قال ابن
عيينة وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام بن حجير فمن عفا فلم ينتقم [illegible] وأصلح بينه وبين خصمه [illegible] فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس أمرها
في العظم وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم
خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فذلك قوله عز وجل فمن عفا وأصلح فأجره على الله فيقال
لهم ادخلوا الجنة بإذن الله إنه لا يحب الظالمين المبتدئين بالظلم [illegible] الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصا
في حال الحرج والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه
[illegible] من إضافة المصدر إلى المفعول فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعائب
والعائب [illegible] إنما السبيل

على الذين يظلمون الناس يبتدؤن الناس بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون عليهم بغير
الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك الصبر والمغفرة منه
لمن عزم الأمور [illegible] مندوبا إليها وقيل من الثابت الذي لا ينبغي [illegible] العزم والإقدام على الأمر بعد الروية والفكرة
عزم الأمور حقيقتها والعائد إلى المبتدأ أي منه محذوف لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى
أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها
والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقيل العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو
مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى ومن يضلل الله يخذله ويضله فما له من ولي
من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد إضلاله إياه ويهديه ويمنعه من عذاب الله وترى الظالمين لما رأوا
العذاب أي يرونه فجاء بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل إلى مرد من سبيل هل إلى الرجعة إلى الدنيا من حيلة فنؤمن
وتراهم يعرضون عليها أي على النار [illegible] العذاب يدل على المعنى وهو النار وقيل على جهنم خاشعين خاضعين متواضعين
متذللين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يتعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين ينظرون من طرف خفي
يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا ينظر الناظر
إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب وقيل ينظرون من
طرف خفي أي ينظرون إلى النار بعين ضعيفة وطرف ساقط وقيل الطرف الخفي عين القلب لأنهم يحشرون عميا
فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف وقيل من طرف خفي ذليل وقيل ينظرون إلى النار
ببعض أبصارهم لأنهم يجزعون من النظر إليها بجميع أبصارهم وقيل غضوا من أبصارهم وقيل ينظرون من تحت
أشفارهم وقال الذين آمنوا أي ويقول الذين آمنوا يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة وقيل يقولون في الدنيا
وقيل هذا تعليم للمؤمنين إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم لا ينتفعون بأنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن
الظالمين في عذاب مقيم دائم قيل هذا من تمام كلامهم وقيل هذا تصديق من الله لهم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم
من دون الله ويحولون بينهم وبين عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل طريق إلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة
في العقبى قوله تعالى استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير
فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم
سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو
يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ● لما بسط الكلام في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو
المقصود الأعظم فقال استجيبوا لربكم بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي لا مرد له من الله متعلق بلا مرد لله أي
بعدما حكم به أو متعلق بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده ما لكم من ملجأ معقل وحرز يومئذ وما لكم
من نكير إنكار أو ما لكم من مخلص من العذاب فلا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتم ودون في صحائفكم فإن
أعرضوا عن الإيمان فما أرسلناك عليهم حفيظا مسلطا يحفظهم على الإيمان ويمنعهم عن الكفر وقيل حسيبا وقيل
بأعمالهم كفيلا إن عليك إلا البلاغ أي ليس عليك إلا تبليغ الرسالة وقد بلغت وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة
نعمة وخصبا وسعة في الرزق أراد بالإنسان الجمع لا الواحد كقوله وإن تصبهم سيئة فرح بها لأجلها وذهب عجبا
بها فلم يشكر من أسداها وإن تصبهم سيئة محنة وقحط وضيق بما قدمت أيديهم بسبب آثامهم فإن
الإنسان كفور يعدد المصائب ويجحد النعم وقيل هذا خاص والمراد به الكفر بالله وهذا ذكر بلفظ المبالغة والكفور
البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلوم كفار
إن الإنسان لربه لكنود والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها
أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويخلق ما يشاء من غير اعتراض عليه يهب لمن يشاء من عباده
إناثا أي يجيب سيئته ويهب لمن يشاء الذكور فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم
آخرين فلا يهب لهم ولدا قط قال صاحب الكشاف فإن قلت لم قدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع
فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الإناث قلت لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة
السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء
لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلي الجنس
التي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وآخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقدم بتعريفهم
لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد
ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال أو يزوجهم
ذكرانا وإناثا كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعلهما على ذلك التزويج بالذي إذا قرن الضعيف بالقوي مجاهد هو أن تلد المرأة غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية ابن الحنفية
تلد توأما غلاما وجارية ويجعل من يشاء عقيما لا يلد له ولا يولد له قال ابن عباس الآية خاصة في الأنبياء عليهم السلام
لمن يشاء إناثا لوط عليه السلام لم يولد له ذكر قط وإنما ولدت له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد
له أنثى قط أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى

وعيسى عليهما السلام انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يشاء. قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي
له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور ● لما بين قدرته وحكمه اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه
بوحيه وكلامه وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على احد ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو
الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى لام موسى وابرهيم عليهما السلام في ذبح ولده مجاهد اوحى الله الزبور الى داود
عليه في صدره واما على ان يسمعه كلامه من غير واسطة وهذا ايضا وحي بدليل انه تعالى اسمع كلامه موسى من غير واسطة
مع انه سماه وحيا قال تعالى فاستمع لما يوحى واما ان يرسل رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي الى الرسول
البشري بطريق الحصر انه يقال وصول الوحي من الله الى البشر اما ان يكون من غير واسطة مبلغ او لا اما الاول اما ان لا يسمع عين
كلام الله فالمراد الاشارة بقوله الا وحيا واما ان يسمع عين كلام الله فالمراد الاشارة بقوله او من وراء حجاب واما الثاني
يكون بواسطة مبلغ فهو المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فهذه اقسام ثلثة كل واحد منها وحي الا انه
تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لان ما يقع في القلب على سبيل الالهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي
به اولى فهذا هو الكلام في تمييز هذه الاقسام الثلثة بعضها من بعض قيل وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال
لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال لان ان يرسل في معنى مرسلا ومن وراء حجاب
ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب
او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا او الا خفاتا
لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول
قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا
في معنى ان يوحي وعطف او يرسل عليه على ان يعتقد ان قوله او من وراء حجاب بتقدير يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء
حجاب وقرأ نافع او يرسل بالرفع على الابتداء فيوحي باسكان الياء والباقون بالنصب فيرسل فيوحي عطفا بهما على محل الوحي
لان معناه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او يرسل فيوحي انه علي متعال عن صفات المخلوقين حكيم يجري
افعاله على وفق الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك
اي كما اوحينا الى سائر الانبياء اوحينا اليك بان ارسلنا اليك جبريل ويحتمل ان اشارة الى الحالات الثلاث لانه عليه السلام
كان في بدو الاسلام يرى الرؤيا ويسمع من وراء الحجاب الكلام ليلة المعراج واتاه جبريل على الدوام روحا من امرنا
اي وحيا لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح وقيل روحا من امرنا القرآن سماه روحا لان حياة الارواح
به وقيل رحمة ابن عباس سماه روحا لان حياة الاديان به وقيل روحا رحمة ابن عباس نبوة السدي وحيا الكلبي كتابا
ربيع جبريل ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان يعني شرائع الايمان ومعالمه ابو العالية الدعوة الى الايمان
الحسين بن الفضل اهل الايمان من يؤمن ومن لا يؤمن محمد بن اسحق الايمان في هذه المواضع الصلوة بدليله وما كان الله ليضيع
ايمانكم وقيل الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع دون العقل والذي
ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ولكن جعلناه نورا وحد الكناية وهما راجعتان الى الايمان او القرآن لان الفعل في كثير مما
يضبط الفعل الا ترى انك تقول اقبالك وادبارك يعجبني فتوحد وهما اثنان ابن عباس ولكن جعلناه الايمان السدي القرآن نورا نهدي به
من نشاء من عبادنا وانك لتهدي لترشد الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور

سورة الزخرف

وهي ثلثة الاف واربعمائة حرف وثمانمائة وثلثون كلمة وتسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين ● انا جعلناه
قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ● اقسم الله بالكتاب المبين وهو القرآن انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان
الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه اي اقسم الله بالقرآن انه جعله بلسان العرب لتعقلوا وقيل اقسم انه
جعله قرآنا عربيا وليس بمفترى كما نعته بعضهم وههنا ابدل الان كونه عربيا مما يتكون فيه المبين البين الذي ابان للعلم
لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج
اليه الامة في ابواب الديانة وقيل يجوز ان يكون الكتاب عاما والكناية في جعلناه غير مذكور كقوله تعالى انا انزلناه في ليلة
القدر وفصل ان يقال الكتاب لما كان الجنس يشمل على القرآن فصار كالمقدم ذكره فجاز الكناية عنه وقيل تقديره
ورب الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ ابن بحر الكتاب الخط واقسم به تعظيما لنعمته فيه وفي القسم بالشيء تعظيم
لذلك الشيء وتوكيد لما يقسم عليه انا جعلناه قرآنا قيل بيناه بلغة العرب وقيل وصفناه وقيل قلناه وقيل جعلناه
سميناه كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قال صاحب الكشاف جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين

خلقناه

خلقناه معدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور قرآنا عربيا غير عجمي لعلكم تعقلون لكي تفهموا معناه
وما شرع لكم فيه فيكون عاما وقيل لعلكم تتفكرون يعني العرب وقيل لعل للطمع اي لترجوا محمد صلى الله عليه وسلم ان تسمعوا
فتعقلوا فتؤمنوا قوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ● وانه عطف على القسم اي القرآن وقيل
على الساعة وقيل عمل بني آدم في ام الكتاب اللوح المحفوظ الذي عند الله منه نسخ قتادة اصل الكتاب وجملته ابن عباس
اول ما خلق الله عز وجل القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم لعلي
رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او منيع له عندنا منزلة كما بهما وصفناه وهو مثبت في ام
الكتاب هكذا قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ● مجاهد افنضرب عنكم العذاب
ونمسك ونعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم قتادة وابن زيد معناه افنمسك عن انزال القرآن ونترككم من اجل انكم
لا تؤمنون به فلا ننزله ولا نكرره عليكم قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن
الله عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة وما شاء الله من ذلك الكلبي افنترككم سدى
لا نأمركم ولا ننهاكم الكسائي افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون قال صاحب الكشاف افننحي عنكم الذكر
ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال
طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره
انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا لتعقلوه وتعملوا
بمواجبه صفحا ما انتصب من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة
به اعراضا عنكم وامال بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول
ضعه جانبا وامش جانبا ان كنتم قرأ اهل المدينة والكوفة الا عاصما ان بكسر الالف على معنى اذ كقوله وذروا ما بقي من
الربا ان كنتم مؤمنين تقول انا ان ندن تحسنا والباقون بالفتح على معنى لان كنتم وان مخففة للمضي كما يقول في الكلام سبك
ان حرمتني يريد اذ حرمتني قوما مسرفين مشركين مجاوزين الحد وامر الله تعالى قوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في
الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون ● فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ● والمعنى
ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
لان المصيبة اذا عمت خفت وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك والضمير في منهم للقوم المسرفين
لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عنهم بطشا قوة ومضى سلف في القرآن في غير موضع
مثل الاولين اي ذكرهم وصفتهم وسيرهم وعقوبتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا الرسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبر عنهم بطشا قوة ومضى سلف في القرآن في غير موضع مثل الاولين اي ذكرهم وصفتهم وسيرهم و
وعقوبتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا
كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ● لما تقدم
ذكر المسرفين وهم المشركون وقد تقدم ايضا ذكر الانبياء والضمير في ولئن سألتهم يحتمل ان يرجع الى الانبياء ويحتمل
ان يرجع الى المشركين وهو الاقرب فبين تعالى انهم مقرون بان خالق السموات والارض وما بينهما هو الله العزيز العليم
قال صاحب الكشاف فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع
بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله عز وجل فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم
ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه
اليه الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا
به بلدة ميتا كذلك تخرجون اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذي خلق الازواج
الاصناف كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد كل فغلب
المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل ما تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون من الفلك
والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوه
بألسنتهم اذا استويتم عليه وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين ضابطين قاهرين
يقال اقرن الشيء اذا اطاقه وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى
قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة قيل وهو من القرن كانه اراد وما كنا له مقاومين في القوة وانا الى ربنا لمنقلبون
كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب
مباشرة امر مخطور واتصالا بسبب من اسباب التلف كان لا ينبغي ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب
الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر

أن يكون ركوبه ذلك من أسباب قربه ونعمه علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقامه من يقول لقرابة تعالوا
نشن على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم
وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره قتادة يعلمكم
في هذه الآية كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم فإذا ركبتم
الإبل قلتم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وإذا نزلتم من الفلك والأنعام تقولون
اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ
مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم
ويسألون ○ لما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بين أنهم مع إقرارهم بذلك جعلوا
من عباده جزءا إذ قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا منه كما قال
صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني ولأن المعقول من الولد أن ينفصل منه جزء من أجزائه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد
منه شخص مثل ذلك الأصل والمعنى أنهم أثبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده وقيل إن الجزء في لغة العرب اسم
للإناث قال صاحب الكشاف وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه
أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا   إن أجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الأوس مجزئة
يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا * قال الزجاج لا أدري أمولد هذا البيت أم عربي وقيل معنى هذا
معنى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا الآية قتادة المراد بالجزء الأصنام وفرعون وغيره ممن
عبد من دون الله أي جعلوا له ندا وضعف هذا التأويل بتضعيف الكفرة في أمر الأصنام وفي أمر الملائكة وعلى التأويل الأول
فالآية كلها في أمر الملائكة إن الإنسان لكفور لجحود للنعمة مبين ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه وإثبات الشريك
له كفر والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا
بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله من الإناث
وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون
من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما قال الإمام
هذه المناظرة على أحسن الوجوه وذلك أنه بين أن إثبات الولد لله محال فإن الولد لا بد أن يكون جزءا من الوالد وما
له جزء كان مركبا ممكنا وبتقدير ثبوت الولد يمتنع كونه بنتا لأن الابن أفضل من البنت فلو قيل إنه اتخذ لنفسه
البنات وأعطى البنين لعباده لزم أن يكون حال العبد أكمل وأفضل من حال الإله وذلك محال ببديهة العقل
وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يهب لمن يشاء إناثا الذكور وإذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من
جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له
قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر
الأفعال الناقصة بمعناها أومن ينشأ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على ما لم
يسم فاعله والباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين والمعنى أيجعل للرحمن من هذه الصفة المذمومة
صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان
غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة
الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن إناثا قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة عباد بالألف والباقون عند الرحمن إناثا قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات لأنهم
إنهم نسبوا إلى الله تعالى الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم عباد الرحمن أخص صنوف
بأنواع الكرامة من الله فاستخفوا بهم واحتقروهم ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث أشهدوا أحضروا خلقهم وهذا
تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه
باستدلال ولا أحاطوا بعض خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة ستكتب
شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا
على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ○ إنه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أي
ما عبدنا الأصنام وقيل ما عبدنا الملائكة وقيل لو شاء الرحمن ما أمرنا بعبادتهم كقوله والله أمرنا بها وقالوا
معناه لو لم يشأ لعاقبنا عليها ما لهم بذلك بكون الملائكة بنات الله من علم ودلالة عقلية إن هم إلا يخرصون يكذبون
وقيل ما لهم بذلك من علم أي أنهم ما عنوا من المشيئة في ذلك قال صاحب الكشاف فيما كفروا ذلك أيضا [illegible]

الكفرات وجها عبادتهم للملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة وما ذكره صاحب الكشاف
في غاية السقوط فإن قوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون في عقيبه يدل على أنهما قالوه غير مستند إلى
علم والقول فيما يتعلق بأصول الدين من غير علم باطل وصاحب الكشاف معترف بهذا ثم قال فإن قلت ما أكذبت طائفة فقد
قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على أنهم قالوا مستهزئين وادعاء ما لا
دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه
اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جد
في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كانت كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا
على وجه الهزء دون ما قبله فإنهم لا يتوجع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية
منه عنهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن
من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق
بالحق جادا كان أو هازئا فإن قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بتوهمهم أن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك
القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء
الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ولقائل أن يقول لعل ما لهم بذلك من
علم يصح أن يكون دليلا على أنهم قالوه على وجه الاستهزاء شاهده قوله تعالى في البقرة أتتخذنا هزوا قال أعوذ
بالله أن أكون من الجاهلين ما قوله على أن الله تعالى حكى عنهم على سبيل الذم المقول له من قبل أنها كلمات كفر نطقوا
بها على طريق الهزء فلقائل أن يقول ما نطقوا بالمحكيات قبل هذا المحكي على طريق الهزء ولا يلزم من أنهم إذا نطقوا
بهذا المحكي على سبيل الهزء أن يكون نطقهم بالمحكيات قبله على طريق الهزء فإن المحكيات قبله كفر عقلا ونقلا
فما هو كفر قطعا لا يتوقف الحكم عليه بأنه كفر على أن يكون النطق به على وجه الاستهزاء بخلاف هذا المحكي فإن نقيضه
كفر وهو عين الإيمان وما هو إيمان يكون النطق به على طريق الاستهزاء كفرا لما تقدم فإن قالوا نجعل هذا الأخير
وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فإنهم لا يتوجع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
لتسوية بين جنسهم الباطل فلقائل أن يقول نقيض هذا كفر وباطل لأنه ثبت بالبرهان القطعي أن الكفر والإيمان
والخير والشر والطاعة والمعصية بمشيئة الله تعالى واختياره وإثبات خالق آخر لبعض الممكنات كفر ومثل ذلك التسوية
بين هذا المحكي والمحكيات قبله فيتوجع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية من هو عين
الباطل وغاية قوله ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى
لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق
بالحق جادا كان أو هازئا فلقائل أن يقول كل قول ليس فيه العلم إذا قال القائل وليس له علم به يصح قال الله تعالى
إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون
أم آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن أو من قبل الرسول والمعنى أنهم جعلوا الأصنام والملائكة آتيناهم كتابا
فيه جواز عبادة الأصنام فهم بذلك الكتاب مستمسكون آخذون عاملون [illegible] وقيل فيه تقديم
وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه أن الملائكة إناث بل قالوا بل لا حجة لهم يتمسكون بها إلا قولهم إنا
وجدنا آباءنا على أمة على دين من الأم وهو القصد والأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول إليه وقيل
على نعمة وحالة حسنة وإنا على آثارهم مهتدون خبران أو الظرف صلة لمهتدون [illegible] آباءهم
من غير حجة قيل إنها نزلت في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة وكذلك ما أرسلنا
من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها المتنعمون الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات و
الملاهي ويبغضون مشاق الدين وتكاليفه إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون هذه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وبيان أن هذا دأب كل قوم وأن تقليد الآباء والكبراء داء قديم قرأ ابن عامر قال على الخبر وهو رواية حفص عن
عاصم والباقون قل على الأمر أولو جئتكم بدين أهدى من دين وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا
لا ننفك عنه وجواب لو مقدرة تقديره أتتبعون على دين آبائكم والمعنى أن جميع الأنبياء دعوا أممهم إلى ترك التقليد
قالوا أي المترفون إنا بما أرسلتم به كافرون وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى فانتقمنا منهم أهلكناهم هلاك
استئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين للرسل قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون
إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم
الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ○ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه واذكر يا محمد إذ قال
إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء بريء وهو مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث
وضع موضع النعت مما تعبدون إلا الذي فطرني قيل في محل النصب على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني
فإنه سيهدين وقيل في محل الجر على أن يكون بدلا من المجرور بمن كأنه قيل إنني بريء مما تعبدون إلا من الذي فطرني فإن
قيل كيف يجعل بدلا وليس من جنس ما تعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة

لذوات ما تعبدون والثاني أن الله غير معبود بينهم والأوثان معبودة أجيب بأنهم كانوا يعبدون الله مع
أوثانهم وقيل الاستثناء بمعنى غير على أن ما في مما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي
فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فإن قيل ما معنى قوله سيهدين على التسويف أجيب بأنه
قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فدلا على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها أي وجعل إبراهيم
عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال
فيهم من يوحد الله عز وجل ويدعو إلى توحيده لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم
بنيه مجاهد وقتادة يعني لا إله إلا الله وقيل يعني وجعل وصية إبراهيم التي وصى بها يعقوب وابن بنيه في قوله
أسلمت لرب العالمين لعلهم يرجعون من كفرهم إلى طاعتهم ويتوبون بل متعت هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم
بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد أي بل
متعت هؤلاء وآباءهم في الدنيا ولم أهلكهم ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق القرآن أي لمحات
الإسلام ورسول مبين الرسالة واضحة بما معه من الآيات البينة يبين لهم الإسلام والأحكام وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر شيء لا ثبات له وقيل سحر حيلة خفية توهم بمخرج وإنا به كافرون قوله
تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون
قال صاحب الكشاف فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر
فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته
فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم
لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن
ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة
والاحتكام على حكمة الله تعالى في تخير محمد من أهل زمانهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين يعني من
إحدى القريتين مكة والطائف عظيم ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة وكان يسمى ريحانة قريش وحبيب بن عمرو بن
عمير الثقفي من الطائف مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل من الطائف قتادة الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو مسعود عروة
بن مسعود الثقفي وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما أعلمهم بتكرير الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا من أهل
القرى جاؤوا بالإنكار من وجه آخر فتحكموا أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة
وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عنهم أن العظيم من كان عند الله عظيما قال الله عز وجل
أهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من إعراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين
لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته أهم يقسمون
رحمة ربك نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاؤون نحن قسمنا بينهم معيشتهم فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا
مالكا وهذا مملوكا قال صاحب الكشاف ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم
في دنياهم وأن الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم
ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف
بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا أي يستخدم الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب
المعاش في الدنيا هذا بماله وهذا بأعماله قتادة والضحاك يملك بعضهم بعضا بما لهم هذا عبد هذا وقيل يسخر بعضهم
من بعض وقيل يسخر بعضهم بعضا حتى يتعايشوا ويترافدوا ويحصلوا إلى مرافقهم ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم
تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كنا نحن تولينا أمر المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير
الدنيا التي هي رحمة الله الكبرى ونعمته العظمى وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة والسلم إلى حلول دار السلام
ثم قال ورحمة ربك يريد هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا
قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي مجتمعين على اختيار الدنيا على الآخرة وقيل مجتمعين على الكفر لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه سقفا
من فضة قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين على الواحد ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وقرأ
بضمتين الباقون على الجمع ومعارج مصاعد ومراقي ودرجا وسلاليم معارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج عليها يظهرون
أي على المعارج يظهرون على السطوح يعلون يقال ظهرت على السطح إذا علوته ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
أي وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب نظيره بيت من زخرف ويجوز أن يكون معناه من فضة ومن زخرف فلما نزع الخافض
انتصب وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا شدده عاصم وحمزة وهشام هنا بمعنى إلا وإن نافية على معنى ما كل ذلك إلا متاع الحياة

فقال سقف وسقف مثل رهن ورهن

الدنيا

الدنيا شدده وخففه الباقون على معنى وكل ذلك فاللام حينئذ هي الفارقة بين إن المخففة والنافية قيل لما قال
خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة
واحدة قال صاحب الكشاف فعلى لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا
عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا وزينة من كل شيء والزخرف الذهب
والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا
على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم
في العذاب مشتركون • ومن يعش يعرض عن ذكر الرحمن ولم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل ومن يعش يعم عن ذكر الرحمن
أي القرآن كقوله صم بكم عمي وقيل يتعامى ويعرض عن القرآن وقيل من لم ينظر في حججه أعرض الله عنها لا نظر أصلا
وقيل يعش عنه لا ظلمة عليه لجهله ومعنى عشوت إلى الشيء نظرت إليه ببصر ضعيف وكذا العشا عن ذكر الرحمن
فقيل لا بالمعنى حدثت له العشى عن ذكر الرحمن وفيه ضعف لأنه يحمل على ترك ذكر الرحمن وقيل عن ذكر الرحمن عن معرفة
الله وطاعته لأنه لم يذكره إلا من عرفه وأطاعه وقيل يحتمل أن المراد به من تردد فيهم وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا
وما الرحمن نقيض أي نضمه إليه ونسلطه فهو له قرين وإنهم أي فإن الشياطين ليصدونهم يعني الكافرين عن السبيل
ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قرأه أهل العراق إلا أبا بكر على الواحد يعنون الكافر والباقون جاءانا على التثنية
أي الكافر وقرينه قال الكافر للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين أي المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمرين
والقمرين وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء كقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين وبعد المشرقين
تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب جمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما فبئس
القرين أبو سعيد الخدري إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار ولن ينفعكم اليوم
في الآخرة إذ ظلمتم أشركتم في الدنيا أنكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم في العذاب مشتركين كما ينفع الواقعين
في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لشدته وعنائه وذلك أن لكل واحد منكم من العذاب
ما لا تبلغه طاقته وقيل إن الفاعل محذوف التمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني
مباعدة القرين وقوله أنكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لأنكم أنتم وقرناؤكم مشتركون في العذاب
كما كنتم مشتركين في الكفر قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فإما نذهبن
بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد
ويجهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله أفأنت
من سبق في علم الله أنه يكفر أبدا ما أراه الله كفره وحقت عليه كلمة العذاب لا يسمع ولا يهتدي فإنهم صم عمي فأنت لا تسمع الصم
ولا تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين وكأنه للإنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم فإما نذهبن
بك ما فيه بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن نذهبن بك فنقبضك إلينا
قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم وقيل أن نذيقهم ما نعدهم من العذاب فإنا منهم منتقمون أشد
الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك فإلينا يرجعون وقيل فإنا منهم منتقمون بعدك ما روي أن الله أكرمه بأن لم يره تلك
النقمة وقيل فإما نذهبن بك من مكة فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب أو أنزلنا بهم يوم
بدر فإنا عليهم مقتدرون قيل أراد به المشركين فنعذبهم وجاءت فاستقر منهم يوم بدر الحسن وقتادة عنى أهل
الإسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فأكرم الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره في أمته إلا الذي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وليس من نبي إلا وقد رأى في أمته العقوبة حتى قبضه الله
قوله تعالى فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون • والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والنصر
والانتقام أو أخرناه إلى اليوم الآخر فاستمسك بالذي أوحي إليك أي القرآن فاتله حق تلاوته واستقم على أوامره وانته عن
نواهيه إنك على صراط مستقيم وإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على
دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك كما يفعل الثابت الذي لا ينشط لتحمل
ولا يثبطه تأخيره وإنه أي الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك من قريش نظيره قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا
فيه ذكركم شرفكم وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وأداء شكره على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ملك فقال يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من
رسلنا على ما بعثوا قال قلت على ما بعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون مع الله وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
والمراد أمته وليس المراد سؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن

ملكهم هل لكان تعبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبيا وكفاه نظرا وفحصا نظيره في كتاب الله المعجز المصدق
لما بين يديه واخبار الله فيه انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الاية في نفسها كافية لا
حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجاز عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار
والربوع والاطلال وقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا
اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع الانبيا عليهم السلام ليلة الاسرى في بيت المقدس فامهم وقيل
له سلهم فلم يشكك ولم يسئل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية والانجيل وعن الفراء انما
يخبرونه عن كتب الرسل واذا سألهم كأنه سأل الانبيا ما اجابوه بعينه قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا
هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه
الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين المقصود من اعادة قصة موسى وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم
قد لما ان كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيرا عديم المال والجاه فبين الله تعالى
ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة التي لا شك في صحتها اورد فرعون عليه هذه الشبهة التي اوردها
كفار قريش فقال اني غني كثير المال والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي واما موسى
فانه فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير الغني فثبت ان
القصة تقرير احد الامرين احدهما ان الكفار والجهال ابدا يحتجون على الانبيا بهذه الشبهة الركيكة التي ذكرها كفار
مكة وهي قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم انتقمنا منهم
فاغرقناهم والثاني ان فرعون على نهاية علوه في الدنيا صار مقهورا فيكون الامر في حق اعدائك هكذا ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا وهي المعجزات التي كانت مع موسى الى فرعون وملائه فقال موسى اني رسول رب العالمين فلما جاءهم
بآياتنا اذا هم منها يضحكون ربما يستهزؤن ويكذبون ويقولون انها سحر وتخييل واذا للمفاجأة وانما جاز ان
يجاب لما باذا المفاجأة لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا
فاجؤا وقت ضحكهم وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها قال صاحب الكشاف فان قلت
جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فاختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات تكلت لختها التي هي آية قبلها
وهذه صفة كل واحدة منها وكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة كأنه قيل
هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قرتهم رجلا رجلا فان قلت فهو كلام متناقض
لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة قلت
الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل
ويتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك
فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة
يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم
متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها واخذناهم بالعذاب
بالسنين ونقص من الثمرات وغيره لعلهم يرجعون عن كفرهم على سبيل الوجوب قال صاحب الكشاف اراد ان يرجعوا
من الكفر الى الايمان فان قلت لو اراده لكان فان ارادة فعل غيره ليس الا ان يأمر به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر
وجد ولا ادنى ان يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولا الجاء
وهذا بناء على اصله الفاسد وقد عرفنا ان الارادة غير الطلب وان الايمان والكفر والخير والشر والطاعة والمعصية
كلها بارادة الله تعالى ولو اراد الله رجوعهم لرجعوا وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك اي قال فرعون وقومه لما عاينوا
العذاب لموسى عليه السلام يا ايها الساحر العالم الكامل الحاذق وانما قالوا هذا تعظيما وتوقيرا منهم له عليه السلام لان
السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره كقول العرب خاصمته فخصمته اي
غلبته بالخصومة وفاضلته ففضلته ويحتمل انهم ارادوا به الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام منهم اياه بذلك
ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا فسله يكشف عنا اننا لمهتدون
مؤمنون قال صاحب الكشاف فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي
اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم ويكشف عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر
بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك
من ان دعوتك مستجابة او بما عهد عندك هو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى بالايمان والطاعة او بما عهد عندك

[illegible]

فلما جمع الاسورة [illegible]
لسيادته وعلامة لرياسته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين
يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام ووصفه
بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره
فاستخف قومه العبط او طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الاسراع اليها فاطاعوه وقيل استخف قومه عمل فيهم كلامه
فخفوا في طاعته وقيل استجهلهم فاطاعوه وقيل وجدهم جهالا فاطاعوه وقيل استفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا
لما اراد منهم وكذلك استفزهم من قولهم للخفيف فز فلما آسفونا اغضبونا منقول من اسف اذا اشتد غضبه ومنه الحديث
في موت الفجأة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان يعجل لنا عذابنا
وانتقامنا وان لا نحلم عنهم لحسين بن الفضل خالفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا قرأ حمزة والكسائي
بضم السين واللام قال الفراء جمع سليف وقرئ سلفا ويحكى عن القاسم بن معن انه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس
والباقون بفتح السين واللام جمع سالف مثل خادم وخدم وحارس وحرس ومعناهما جميعا الماضون المتقدمون
من الامم فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم
ومثلا عبرة وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون وقيل عبرة للآخرين
لمن يجي بعدهم وقيل سلفا لكفار هذه الامة قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا
آلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين انه تعالى ذكر انواعا كثيرة من كفرهم في هذه السورة واجاب عنها بالوجوه الكثيرة
فاولها قوله وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وقد ابطلها ورابعها وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وخامسها هذه الآية يعني لما ضرب
ابن مريم مثلا وخلقه من غير اب فشبهه بآدم في خلقه من غير اب اذا قومك منه يصدون ويقولون ما يريد محمد
الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى الها وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله
عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام وقد ذكر قصته في الانبيا والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيى بحجة
ثم فتحت عليهم قرأ اهل المدينة والشام وجماعة من الكوفيين بضم الصاد اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون
عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة والباقون بكسر الصاد قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ويعكفون ويعكفون
وصددت الشاة تصد وتصد وشد عليه يشد ويشد ونم الحديث ينمه وينمه قال ابن عباس معناه يضجون وقالوا آلهتنا خير ام
هو قال قتادة يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبد محمدا ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد ام هو يعنون عيسى قالوا

سعيد بن المسيب والضحاك يعجون قتادة والقرظي يضجون م

يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عزير والملائكة وعيسى في النار وقيل
وقالوا آلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا
هينا ما ضربوه أي ما ضربوا هذا المثل لأحد إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل
بل هم قوم خصمون لداد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله إنكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به
إلا الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله
محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة
بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فدل به على أن ظاهر قوله وما تعبدون
لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا
آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة
وما ضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير أم هو إلا للجدل ...
بهمزتين الثانية مطولة والباقون ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وقولهم الملائكة
بنات الله وعبدوهم ... القول ولا فعلنا ... فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
ونحن أشف منهم قولا وفعلا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك
بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل إن هو ما عيسى إلا عبد كسائر
العبيد أنعمنا عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وجعلناه صيرناه مثلا
عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم
يا رجال ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى بن مريم من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا
بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وقيل
ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفون يكونون خلفاءكم يعمرون الأرض
ويعبدونني ويطيعونني وإنه أي وإن عيسى لعلم للساعة بنزوله يعلم قيام الساعة أي شرط من أشراطها تسمى الشرط
يعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وتستدل بنزوله على ذهاب الدنيا وإقبال الآخرة وفي الحديث ينزل عيسى
ابن مريم على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة بها يقتل الدجال
فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على
شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من
آمن به وقيل وإنه أي وإن القرآن ومعنى الآية فإن القرآن لعلم للساعة لأن فيه الإعلام بها فلا تمترن من المرية
وهي الشك أي فلا تشكن بها أو فيها واتبعون أي فاتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يصدنكم يصرفنكم الشيطان عن دين الله إنه لكم عدو مبين قد بانت عداوته إذ أخرج أباكم
من الجنة ونزع عنه لباس النور **قوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم
بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف
الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم** ● ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل
قال عيسى لبني إسرائيل قد جئتكم بالحكمة بالنبوة وقيل بما يفصل بين الحق والباطل ولأبين لكم بعض الذي تختلفون
فيه من أحكام التوراة فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي خالقي وربكم خالقكم ورازقكم وأنا عبد مخلوق
محتاج إلى الرزق فاعبدوه هذا صراط مستقيم يجوز أن تكون من تمام كلام عيسى ويجوز أن تكون استئنافا من الله
تعالى فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى من بينهم من بين النصارى وقيل فيما
بينهم من بين اليهود والنصارى وقيل من زائدة وقيل من بينهم من عند أنفسهم لم يؤمروا به وقيل الأحزاب هم
الذين آمنوا به واختلف الأحزاب من بين الناس فويل للذين ظلموا وعيد للأحزاب ظلموا كفروا بما نزل في سورة مريم
من عذاب يوم أليم أي يوم القيامة **قوله تعالى هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا
وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه
الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة
منها تأكلون** ● هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم فإن قيل أما أدى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى
عنه أجيب بأنه لا لأن معنى وهم لا يشعرون وهم غافلون
لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم يفطنون الأخلاء على
المعصية في الدنيا يومئذ يوم القيامة منتصب بعدو وينقطع ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله
وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى

هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بدل من الساعة والمعنى

في الله وقيل إلا المتقين المتحابين في الله على طاعة الله المتحابين أخلاء التقوى عن علي كرم الله وجهه قال في هذه الآية
خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك
ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا مات
خليله المؤمن جمع الله بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك
ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك فيقول نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب ثم يموت أحد الكافرين
فيقول يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك
فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط يا عبادي
حكاية لما ينادى به المتقون في الآخرة يا عباد المتقين المتحابين في الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين
آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لأنه منادى مضاف أي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين
أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها
الذين آمنوا بآياتنا فييأس الناس منها غير المسلمين ادخلوا الجنة وقيل الذين آمنوا مبتدأ ادخلوا الجنة خبره أي يقال لهم
ادخلوا الجنة وقيل الذين آمنوا صفة للمتقين وقيل مبتدأ آخر ويطاف عليهم خبره وقوله ادخلوا الجنة وقيل
الذين آمنوا صفة للمتقين وقيل مبتدأ آخر ويطاف عليهم خبره وقيل ادخلوا الجنة متصل بقوله يا عباد وهو
اعتراض بين المبتدأ والخبر والمبتدأ اعتراض بين المنادى والمنادى به أنتم وأزواجكم قيل الحور وقيل النساء المؤمنات
تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقيل تكرمون
إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة وهي القصعة من ذهب وصحاف
من ذهب وأكواب جمع كوب وهو الكوز لا عروة له أي من ذهب أيضا وفيها أي وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ
الأعين وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب وإما مستلذة في العيون فإن قلت ما جمع في هاتين
اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصفها على التفصيل لم يخرجوا عنه وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة في
قوله ادخلوا الجنة وهي مبتدأ والجنة التي أورثتموها خبر التي أورثتموها صفة الجنة وقيل الجنة صفة المبتدأ أعني تلك
والتي أورثتموها خبر المبتدأ وقيل التي أورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظرف
الذي يقع أخبارا وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة لكم
فيها فاكهة كثيرة يتفكهون بها بعد الطعام والشراب منها أي مما اشتهيتم منها تأكلون تبعيض يدل على أن نعم أهل
الجنة عن ثوبان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت
مكانها مثلاها فمن للتبعيض لئلا يأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها
لا ترى شجرها عريانة من ثمرها كما في الدنيا **قوله تعالى إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون لقد جئناكم
بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون** ● **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون** ● لما ذكر الوعد للمتقين أردفه بالوعيد للمجرمين إن المجرمين الكافرين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
ولا يخفف عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه في العذاب مبلسون
آيسون والمبلس الساكت سكوت آيس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه
فيبقى فيها خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بكفرهم هم فصل عند البصريين
عماد عند الكوفيين ونادوا يعني المجرمين يا مالك خازن النار ليقض علينا ربك من قضى عليه إذا أماته والمعنى سل ربك
أن يقضي علينا أي يميتنا لنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة إنكم ماكثون لابثون مقيمون في العذاب
أبدا لا تتخلصون منه لا بموت ولا فتور وقيل هذا تهكم بهم لا طمع لأنهم يعلمون أن لا مخلص لهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض
علينا ربك فيجيبهم إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل أي إنا أرسلنا بالحق المحض الذي لا باطل
معه ويجوز أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك ولكن أكثركم
للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب أم أبرموا أمرا عدل من الخطاب
إلى الغيبة والمعنى أم أبرموا أم أحكموا يعني مشركي مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا
مبرمون محكمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون
في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم الذي حدثوا به أنفسهم وغيرهم في مكان خال
ونجواهم الذي تكلموا به فيما بينهم بلى نسمع سرهم ونجواهم ونطلع عليها ورسلنا أيضا لديهم يكتبون يعني الحفظة
وعن يحيى بن معاذ الذي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله أهون
الناظرين إليه وهو من علامات النفاق **قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب
السموات والأرض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** ● وصح ذلك
وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول العابدين فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى

وقيله بكسر اللام على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله وهذا العطف ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف
القسم وحذفه ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
والضمير في قيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه فاصفح عنهم فأعرض
عنهم عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل سلام أي تسلم منكم ومتاركة وقيل معروف فهو منسوخ بالقتال
وقيل قد يكون ذلك مع الأمر بالقتال
كقوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقيل من شأن العرب يختمون كل أمر يطلبون أخره
بالسلام كأنهم يقولون أتينا ما أتينا وتخلصنا منه والسلام فقل سلام فسوف يعلمون وعيد لهم من الله
وتسلية لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ أهل المدينة والشام بالتاء من فوق والباقون بالياء والله الموفق

سورة الدخان

مكية وهي ... وأربعون كلمة ... وتسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة
مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك إنه هو السميع العليم رب السموات

والأرض

يوسف فاصابهم من الجهد والجوع ما اكلوا العظام والميتة والجلود وجعلوا يرفعون ابصارهم الى السماء فلا
يرون الا الدخان من ظلمة ابصارهم من شدة الجوع فاتاه ابو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جئت تأمر بالطاعة
وصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فانهم لك مطيعون قال الله تعالى انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب
فدعا فكشف عنهم فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فهذه خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم
وقيل بل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص قال والاول روايات بعد وهو آيت وهذا قول
ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي يدل عليه ما روي عن ربعي بن خراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم يملأ ما بين المشرق والمغرب تمكث اربعين يوما
وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن عبد الله
ابن مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى اصبحت قلت لم قالوا طلع الكوكب ذو الذنب
فخشيت ان يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى اصبحت ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يغشى الناس يشملهم
ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وعذاب اليم الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون منصوب
على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب قال الله تعالى انى لهم الذكرى اي كيف لهم
التذكر والاتعاظ بعد نزول البلاء وحلول العذاب وقد جاءهم رسول مبين يكشف لهم ويعظون ويتوبون عادوا عن الايمان
عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما
اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون الى كفركم
قتادة ها يعني في عذاب الله وقيل ها يعني اي ربما انكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف
على ما انتم عليه من التضرع والابتهال وكان اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وعجوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون
لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى وهو يوم بدر انا منتقمون الحسن هو يوم القيمة وروى عكرمة عن ابن عباس
قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وانا اقول هو يوم القيمة انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم
يوم نبطش منصوب بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك
قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين
وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا
ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم
السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين
لما بين ان كفار مكة يصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة في قوم
فرعون ولقد فتنا اي امتحنا ووسعنا على قوم فرعون في الرزق وكان ذلك سببا في ركوبهم المعاصي واقترافهم
الاثام وقيل ابتليناهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان وقيل فتنا قبلهم قوم فرعون
سلكنا بهم مسلككم كما عرضناهم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى على المؤمنين وهو موسى بن عمران وقيل شريف وسط في قومه
لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا هي ان المفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا متضمنا لمعنى
القول لانهم لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وقيل هي المخففة من الثقيلة والمعنى وجاءهم بان الشأن
والحديث ادوا اي ادفعوا الي عباد الله يعني بني اسرائيل ولا تستعبدوهم نحو عباد الله مفعول به ادوهم وارسلوهم معي
كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل وقيل يجوز ان يكون نداء لهم يا عباد الله على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من
الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي اني لكم رسول امين تعليل لقوله ادوا الي عباد الله امين على الوحي غير متهم
في اداء الخير لكم وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها لا تعلوا لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله
ووحيه وقيل لا تتكبروا على انبياء الله وقيل ولا تطغوا ولا تعلوا على الله تعصونه تعالى اني آتيكم بسلطان
مبين بعذر مبين برهان في نفسه واضح موضح لدين الله الذي هو الصراط المستقيم في نفسه وقوله تعالى واني عذت
بربي وربكم وكنت به توكلت عليه ان ترجموني بالحجارة وقيل ان تشتموني وتنسبوني
الى السحر وقيل معناه عذت بالله من ان ترجموني فلا تقدروا وهو قوله لا تخافا انني معكما
بربي لست ... الله واستمسكت حبله ان تفعل كذا وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
شيئا بما كنتم توعدوني من الرجم والقتل وان لم تكونوا معي وان لم تصدقوني فيما جئتكم به من الله فاعتزلوني فدعا ربه ان هؤلاء

[illegible]

سهم من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستضعفين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم
ملكهم وديارهم وقيل الكاف في كذلك في محل الرفع على الامر كذلك فما بكت عليهم السماء والارض اذا مات رجل
خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس والقمر اذا مات بكت عليه
السماء والارض تبكيه صباحا ... قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء
وبكاؤها حمرتها محمد بن سيرين قال اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين سليم القاضي ... ايام
قتل الحسين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا وله بابان في السماء باب يخرج منه
رزقه وباب يدخل فيه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الاية فما بكت عليهم السماء والارض وذلك
انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولا يصعد الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام
ولا عمل صالح فيفقدهم فتبكي عليهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا الا لا غربة على المؤمن
ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء
والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب
الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد
عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون
بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين مؤخرين بعد العذاب بل
طرفة عين مقابل لم ينظروا بعد الايات التسع الى ما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر ولم يمهلوا الى الاخرة بل عجل
لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين اي استعباده اياهم واستخدامه لهم وقتله اولادهم من فرعون بدل
من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم وقيل من العذاب المهين واقعا من جهة
فرعون انه كان عاليا متكبرا من المسرفين قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الايات ما فيه
بلاء مبين ولقد اخترناهم يعني موسى وبني اسرائيل على علم في موضع الحال او على العالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء
بان يختاروا او يجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين
يعني عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الايات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الايات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ما فيه في ايتائهم معجزات موسى
انبياء بني اسرائيل ما فيه بلاء نعمة بينة ظاهرة لان الله تعالى يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمحنة قتادة نعمة بينة حين فلق لهم البحر
وظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة ونبلوكم بالشر والخير فتنة
قوله تعالى ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين ان هؤلاء يعني مشركي مكة ليقولون ان هي
الا موتتنا الاولى انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها ان تعقبها
حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي يصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا الموتة الاولى

خاصة فلا فرق بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا في المعنى وما نحن بمنشرين بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى
ونشرهم اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ان كنتم صادقين انا نبعث احياء بعد الموت فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا
على ما تعدوننه من قيام الساعة وبعث الموتى حتى وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب
ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون وقيل لم يجبهم الله بل اوعدهم وانما لم يجبهم
لان البعث الموعود انما هو في دار الجزاء يوم القيمة والذي كانوا يطلبونه بعث في الدنيا وفيها له التكليف وبينهما تمام
خير ام قوم تبع قال قتادة هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان اذا كتب كتب باسم
الذي ملك برا وبحرا وضحا وريحا وذكر ان كعبا يقول ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا
فانه كان رجلا صالحا قال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبع نبيا
كان او غير نبي وقيل نظرا لهم بين بناحية حمير هنا وسمى الظل لانه يتبع الشمس فمعنى قوله اهم في القوة والمنعة

[illegible]

نفسك عطاء من ربك اي [illegible] ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار فضل من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما
يسرناه بلسانك لتذكره للسورة والمعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك لعلهم يتذكرون
[illegible] ان يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بكم الدوائر وهذا وعد للمتقين ووعيد للمشركين

سورة الجاثية

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والجمهور وحكي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية كلها الا آية وهي قوله قل
للذين آمنوا يغفروا [illegible] وتسعون حرفا وار بعمائة وثمانون كلمة وسبع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب من الله من صلة
للتنزيل وان جعلت حم تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا والمعنى القرآن كلام الله العزيز في انتقامه
الحكيم في تدبيره وليس كما يزعم المبطلون انه شعر او كهانة او تقوله محمد قوله تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض

[illegible]

وآياته وحجته وادلته يؤمنون قرأ اهل الكوفة والشام بالتاء من فوق واختلف عن عاصم ويعقوب والباقون
بالياء قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم
واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا
ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم ● لما بين
الآيات للكفار وبين انهم باي حديث بعدها يؤمنون اذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل
لكل افاك كذاب اثيم مبالغ في اقتراف الآثام يسمع آيات الله القرآن تتلى عليه اي يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
آيات الله فحذف المفعول لان تتلى عليه حال من آيات الله ثم يصر مستكبرا يقيم على كفره ويقيم عليه واصله من اصر
الحمار على العانة وهو ان ينحني عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا
بها معجبا بما عنده قيل نزلت في نضر بن الحارث فانه كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع
القرآن والآية عامة فيمن كان مضارا لدين الله ومعنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت
ثم يزورها فذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها فاما زيارتها والاقدام على
الدخول فيها فامر مستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه كان مستبعد
في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير
الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب
اليم على اصراره هذا استهزاء وقيل اخبره خبرا يظهر اثره على بشرته من الفرح واذا علم من آياتنا شيئا واذا سمع من آياتنا شيئا
وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي
انزلها عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل
واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محلا يتسلق به على الطعن فيها لغرضه ثم صغر واتخذ آيات الله
هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى وقوله خصمتك ويجوز ان يكون الضمير في قوله اتخذها للشيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لهم عذاب مهين وصف العذاب
المهين من ورائهم من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء
اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال الشيخ وذاك ان الوراء اسم لما توارى عنك بالتعاقب فاطلق على الخلف والقدام
مع الكل فان تجعل لنا نسبا ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك اي قدامهم والاولى ان يحمل عليها اي من خلفهم ومن
قدامهم جهنم ولا يغني عنهم ولا يدفع عنهم ما كسبوا اي كسبوهم من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا
من دون الله من الاصنام اولياء ولهم عذاب عظيم فان قيل انه قال قبل هذه الآية ولهم عذاب مهين وفي الآية الاولى
ولهم عذاب اليم وقال هاهنا ولهم عذاب عظيم قلنا كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا
الى اقصى الغايات في الشدة هذا يعني القرآن هدى اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل
في الرجولية والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اشد العذاب ولهم عذاب من اشد العذاب
قوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ● ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه الارض
وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثة اشياء الرياح التي تجري على وفق المراد وخلق وجه الماء على الملاسة التي تجري
عليها الفلك وخلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه وهذه الاحوال الثلاثة لا يقدر عليها
احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه ان الله الذي سخر لكم البحر بتسهيل كونكم بالبحر تجري الفلك
بامره لتسخيره ذلك لكم دون غيره ولتبتغوا من فضله بالتجارة وبالغوص على اللؤلؤ والمرجان وباستخراج اللحم الطري
وغير ذلك من منافع البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا على هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض اي لولا ان الله
اوقع اجرام السموات والارض في مقادرها واحيانها لما حصل الانتفاع جميعا منه واقعة موقع الحال والمعنى انه
سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده او انه تعالى مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه
ويجوز ان يكون منه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وقيل ويجوز ان يكون وسخر لكم تاكيدا ثم ابتدأ
بقوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقيل يجوز ان يكون لما في الارض مبتدأ مؤخرا منه ان في ذلك في
تسخير القوي للضعيف لآيات لقوم يتفكرون في خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما وفي تسخيرها للناس
قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ● لما علم عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبعه ذلك بتعليم الاخلاق
الفاضلة والافعال الحميدة فقال قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقائع الله ولا يأملون
نقمه وقيل لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب وقيل من قولهم لا يأملون الاوقات التي وقتها الله
عز وجل لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها القرطبي والآية نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال ابن عباس ومقاتل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا
من بني غفار شتمه فهم عمر رضي الله عنه ان يبطش به فانزل الله هذه الآية وامره بالعفو عنه ان عمر رضي الله عنه لما

من بني غفار الذي شتمه فهم عمر رضي الله عنه فقال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اشتمل على سيفه وخرج في طلبه فجاء جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول قل للذين آمنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله واعلم يا محمد ان عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وطلب اليهودي فبعث النبي صلى الله عليه
وسلم في طلبه فلما جاء قال يا عمر ضع سيفك قال صدقت يا رسول الله اشهد انك ارسلت بالحق قال فان ربك يقول قل
للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي ليجزي قوما قرأ اهل
الكوفة والشام الا عاصما لنجزي بفتح النون وكسر الزاي وفتح الياء والباقون بفتح الياء اي ليجزي الله قيل لكي
قيل ذلك قوما وجه تنكيره وهم معارف مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي اي قوم وقوما مخصوصين بصبرهم واغضائهم
على اذى عدوهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال
المكروه من عمل صالحا فلنفسه ذكر الحكم العام فلنفسه اي فلها الثواب ومن اساء فعليها العقاب ثم الى ربكم ترجعون قوله
تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم
بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون ● انه تعالى بين انه انعم نعما كثيرة على بني اسرائيل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد
والمقصود ان يبين ان طريقة قومك كطريقة من تقدم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم
والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات الحلال
يعني المن والسلوى والذي من الطعام وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم وقيل على عالمي
زمانهم وقيل خصصناهم بكثرة الانبياء من بني اسرائيل وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر امر الدين وقيل
من الامر يعني احكام التوراة فما اختلفوا فما وقع الخلاف بينهم في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف من
العلم وانما اختلفوا بغيا حسدا بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل
اراد بالاختلاف اختلافهم في امر الله ونواهيه في التوراة بغيا بينهم وحسدا لا عن جهل يكون بهم الا الانسان
معذورا قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ● امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعدول عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له سوى اظهار الحق وتقرير
الصدق فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر على طريقة ومنهاج من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل
القطعية والحجج الساطعة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي ولا تتبع اهواء ما لا حجة عليه من اهل الجهال ودينهم المبني على
هوى وبدعة وهم رؤساء قريش قالوا ارجع الى دين آبائك ولا تتبع اهواءهم انما يوالي الظالمين من هو مثلهم انهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي الظالمين وهم الكافرون يوالي
الظالمين مثلهم وينصرونهم وتكلهم يشفقون على عداوتك والله ولي المتقين اي ولي المتقين وهم الذين يتقون الشرك
والمعاصي ولما بين الله تعالى هذه البينات قال هذا بصائر للناس اي هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم
الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون
اي الذين آمنوا واتقوا ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من
وجه آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان قال الامام كلمة وضعت
للاستفهام عن شيء حال الكون معطوفا على آخر سواء كان المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير افيعلم المشركون هذا
ام يحسبون انا نتولاهم كما نتولى المتقين الذين اجترحوا اكتسبوا السيئات والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان
جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة
التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد
والا ان كل يعني ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق قرأ اهل الكوفة الا ابا
بكر سواء نصبا اجري سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة والباقون بالرفع
والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على
القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله
ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا
في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم
كلام مستأنف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكل يموت على حسب ما عاش عليه وقيل معناه المؤمن في الدنيا
والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر نزلت هذه الآية في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون
حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند
المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن بشير مولى ابي طعمة قالت بت عند الربيع بن خثيم فقام يصلي فمر بهذه
الآية فمكث ليلته حتى اصبح ما يعدو هذه الآية الى غيرها ببكاء شديد وعن ابراهيم بن الاشعث كثيرا ما رأيت الفضيل بن

يردد من اول الليلة الى اخرها هذه الاية ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت ● قوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ● لما بين ان المسلم والكافر لا يستويان في درجات السعادة اتبعه بالكلام الظاهر على صحة هذا فقال وخلق الله السموات والارض بالحق ولو لم يبعث لما كان ذلك بالحق بل كان ذلك بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما لبطل انه ما خلق السموات والارض الا بالحق ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل وقيل معطوف على معلل محذوف تقديره وخلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون

قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● ثم عاد الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال افرايت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الاله وعملوا بمتابعة الهوى فكان من يطيع هوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله ولا يحل ما احل الله انما دينه ما هويت نفسه يعمل به لا يحجزه عن ذلك تقوى وقيل افرايت من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما يهوى سعيد بن جبير كانت قريش تعبد العزى وهو حجر ابيض حينا من الدهر وكانت العرب تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول رموه او كسروه والقوه في بئر وعبدوا الاخر [...] ونزلت هذه الاية مقاتل نزلت في الحارث ابن قيس السهمي احد المستهزئين وذلك انه كان يعبد ما تهواه نفسه سفيان بن عيينة انما عبدوا الحجارة لان البيت حجارة الحسين بن الفضل في هذه الاية تقديم وتأخير مجازه افرايت من اتخذ هواه الهه الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار ابن عباس ما ذكر الله هوى في القرآن الا ذمه ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد تحت السماء ابغض الى الله من هوى وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله [...] لنحت الجبل بالاظافير حتى ينقطع الاوصال اهون من مخالفة الهوى اذا تمكن في النفوس سئل ابن المقفع عن الهوى فقال الهوان سرقت نونه فنظمه الشاعر ● نون الهوان من الهوى مسروقة ● واسير كل هوى اسير هوان ● وقال اخر ● ان الهوى لهو الهوان بعينه ● فاذا هويت فقد لقيت هوانا ● واذا هويت فقد تعبدك الهوى ● فاخضع لحبك كائنا من كانا ● عبد الله بن المبارك ● ومن البلاء وللبلاء علامة ● ان لا يرى لك عن هواك نزوع ● العبد عبد النفس في شهواته ● والحر يشبع تارة ويجوع ● لابي العتاهية ● فاعص هوى النفس ولا ترضها ● انك ان اسخطتها زانكا ● حتى متى تطلب مرضاتها ● وانها تطلب عدوانكا ● ابو بكر الدريدي ● اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ● وكان اليها للخلاف طريق ● فدعها وخالف ما هويت ● فانما هواك عدو والخلاف صديق ● وللنفس ان اعطيتها مناها ● فاغرة نحو هواها فاها ● سئل سهل بن عبد الله التستري عن الهوى فقال للسائل هواك داؤك فان خالفته فدواؤك ● وهب اذا عرض لك امران شككت في خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فأته واضله الله على علم منه بعاقبة امره وقيل اضله الله خذله وقيل على علم من الله بضلاله في سابق علمه وقيل على المراد به المعاند لان ضلاله على علم وختم على سمعه في هذه الاية قدم ذكر السمع على القلب وفي سورة البقرة على القلب قال الامام والفرق ان الانسان قد يسمع كلاما فيقع في قلبه منه اثر مثل ان جماعة من الكفار كانوا يلقون على النبي صلى الله عليه وسلم انه شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه واما كفار مكة فهم كانوا يبغضونه بسبب الحسد الشديد فكانوا يستمعون اليه ولو سمعوا كلامه ما فهموا منه شيئا نافعا ففي الصورة الاولى كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الثانية كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى البدن فلما اختلف القسمان لاجرم نبه الله تعالى على هذين القسمين بهذين الترتيبين الله نبه عليهما ولما ذكر الله هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله اي بعد ان اضله الله افلا تذكرون ايها الناس ثم انه تعالى حكى عنهم شبهتهم في انكار القيمة وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت نحن ونحيى اي اولادنا وقيل يموت بعض ويحيى بعض وقيل نكون نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك وقيل يصيبنا الامران الموت والحياة يريد الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة قال الامام الذي خطر بالبال انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هي الا حياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعني ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ عليها الموت بعد وذلك في حق الذين هم احياء لم يموتوا بعد اما شبهتهم في انكار الاله الفاعل القادر المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه اخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهؤلاء جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيمة ثم قال وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون والمعنى ان قبل النظر ومعرفة الدليل

[illegible]

الدهر وتخونهم الايام وان عليهم [...] وما اشبه ذلك حتى ذكروها في اشعارهم قال عمرو بن قمية في ذلك ● رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى ● فكيف بمن يرمى وليس برامي ● فلو انها نبل اذا لاتقيتها ● ولكنني ارمى بغير سهام ● على الراحتين مرة وعلى العصا ● انوء ثلاثا بعدهن قيامي ● قال ابو عبيدة تأويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله هو الدهر ان الله عز وجل ياتي بالدهر بالشدائد والمصائب فاذا سببت وقع السب على الله لانه فاعل هذه الاشياء وقاضيها ومدبرها الحسين بن الفضل مجازه فان الله مع الدهر ومن عنده الميسور والمعسور ومن لديه ويدل هذا التاويل ما روى ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزبره ابوه عبد الله بن عمر وقال اياك يا بني وذكر الدهر فان الدهر لا يأتي بشيء بحبه ولا جلب البلوى فلا تشتم الدهر ● ولكن [...] ان يحتج على انكار البعث [...] ذلك فاتوا بابائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول [...] معترفون به من ان الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بابائهم وكان اهون شيء عليه ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه في يوم القيمة وقيل في الجمع اي لا ترتابوا فيه وقيل قد قامت الدلائل على صحة البعث فلم يبق فيه ريب ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التدبر والتفكر في الدلائل قوله تعالى ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ● لما احتج بكونه قادرا على الاحياء في المرة الثانية في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة نصب على الظرف والعامل فيه يخسر ويومئذ بدل منه [...] يومئذ حينئذ يخسر المبطلون من لا حجة له وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب من هول ذلك اليوم ابن عباس جاثية مجتمعة قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وقيل باركة جلسة المدعي عند الحاكم وقيل جثى لا تصيب الارض الا ركبتاه واطراف انامله وقيل متميزة وقيل خاضعة والجثو للكفار خاصة وقيل عام يقال جثى يجثو اذا جلس على ركبتيه كل امة تدعى على الاستئناف الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا محمول على القول هذا كتابنا ينطق عليكم يبين لكم وضع النطق موضع التبيان بالحق بالعدل ولما كان الاضافة تكون للملابسة وكان الكتاب لابستهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه تعالى فلانه مالكه والامر له ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان ثم رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا جوابها محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم تعظمتم عن الانقياد والايمان بها وكنتم قوما مجرمين كافرين قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ● والساعة قرئ بالنصب عطفا على وعد الله والباقون بالرفع عطفا على محل ان واسمها قلتم ما ندري ما الساعة

شيء الا ان نظن الا ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء لنفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد
نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم احاط بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون وجزاء استهزائهم وقيل
اليوم ننساكم نترككم في النار كما نسيتم تركتم الايمان بيومكم هذا وقيل كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة
وقيل نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشيء الذي يطرح نسيا
منسيا ومعنى اضافة اللقاء الى اليوم كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم
هذا ولقاء جزائه هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصكم ويدفع عنكم من كنتم تعتزون بهم في الدنيا
ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله اي ما كان يتلى عليكم منها تنزلونها منزلة الهزء والذي لا يقبل عليه
ولا يعتد به وغرتكم الحياة الدنيا اغتررتم بما مد لكم فيها من الحظوظ الشريفة للانقضاء وما وسع عليكم من اسباب
دنياكم فاليوم لا يخرجون منها لانهم فيها خالدون ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم رضاهم وقيل لا يطالبون بالتوبة
وقيل لا يردون الى الدنيا وقيل ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه وقيل لا يرجعون
الكلام بعد دخول النار وقيل لا يقبل منهم العتبى وهو اعطاء الرضى فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية
العامة يوجب الحمد على كل مربوب وكبرياؤه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله
ان يكبر ويعظم وقيل ختم السورة بكلمة الاخلاص وقيل قول الله عز فيهم كيف يجحدونه ربهم فله الكبرياء في السموات والارض العظمة
والجلال وقيل استحقاق التعظيم في هذه المراتب لربه وهو العزيز في سلطانه الحكيم فيما امر ونهى وخلق وقضى

سورة الأحقاف

وهي الفان وخمس مائة وخمسه وتسعون حرفا وستمائة واربع كلمة وخمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون ●
الا بالحق الا خلقا متلبسا بالحق واقامة الصدق وقيل بالعدل في الخلق وقيل لتدل على وحدانية الله تعالى وقيل
بالصدق وقيل للبعث وقيل الا بالحق معناه الا لاجل الرحمة والفضل والاحسان لان الاله يجب ان يكون فضله
زائدا واحسانه راجحا ويكون وصول المنافع الى المحتاجين اكثر من وصول المضار اليهم والجبائية منا يدل على ان
كل ما في السموات والارض من القبائح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال العباد والا لزم ان يكون خالقا لكل باطل وذلك
ينافي قوله ما خلقناهما الا بالحق اجاب اصحابنا بان خلق الباطل غير الخلق بالباطل فهو خالق الباطل لا انه خلق الباطل
بالباطل بل خلق الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله في ملك نفسه وتصرف المالك في ملك نفسه يكون بالحق لا
بالباطل فالذي تقرر يعاد كما ان قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما يدل على كونه خالقا لكل اعمال العباد
لان اعمال العباد من جملة ما بينهما فوجب كونها مخلوقة لله ووقوع التعارض في الآية الواحدة محال فعلم صحة ان
المراد ما ذكرنا فان قيل افعال العباد اعراض والاعراض لا توصف بانها بينهما فنقول حينئذ سقط ما ذكروه من الاستدلال
والآية تدل على صحة البعث والقيمة لانه لو لم يتحقق البعث والقيمة بطل استيفاء حقوق المظلومين وبطل
توفير الثواب للمطيعين وتوفير العقاب على الكافرين وهو معنى قوله الا بالحق واجل مسمى اي باجل مسمى ينتهي اليه وهو
يوم القيمة وهذا يدل على انه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل ثم انه تعالى
يعيده ليقع الجزاء في الدار الآخرة فالاجل المسمى هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا والذين كفروا
عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون اي مع نصب هذه الدلائل ومع ارسال الرسل
ومع انزال الكتاب ومع مبالغة الرسل في الترغيب والبشارة والترهيب والانذار بقي هؤلاء الكفار معرضون عن هذه
الدلائل مصرين على الكفر وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال وعلى ان الاعراض عن الدليل مذموم قوله تعالى قل ارايتم
ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم
ان كنتم صادقين ● لما قرر الاصل الدال على التوحيد واثبات العدل لكل الرحمة والبعث والقيمة بنى عليه التفاريع
الاول الرد على عبدة الاصنام فقال قل يا محمد لهؤلاء المشركين ارايتم ما تدعون من دون الله اي تعبدونه الها وتدعونه
تعبدونه من الاصنام وقيل الملائكة والجن وعيسى تتخذونها اخبروني ماذا خلقوا من الارض حتى خلق واحد منهم شيئا من الارض
ام لهم شرك في السموات في خلقها وملكها ائتوني بكتاب من قبل هذا اي القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد
وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله
شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم اي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
لهذه الناقة اثارة من شحم اي بقية شحم والكلمة من الاثر وهي الرواية

اثرة الرو

اثر من علم او اثارة كالشجاعة والجلادة والصلابة فانها اثرة ومنه قيل للخبر اثر قال الاعشى ان الذي فيه تماريتما
بين للسامع والآثر وقال الاثر رواية تروونها عمن كان قبلكم وقيل اثارة ميراث من علم وقيل بينة وقيل مناظرة من علم لان
المناظرة في العلم مثيرة لمعانيه وقيل اخبار من علم ان كنتم صادقين في دعواكم انا نوفي به قوله تعالى ومن اضل
ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون
افتريه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور
الرحيم ● ان الله تعالى بين فيما سبق ان القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة لها على الخلق والايجاد
ثم اردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهو انها جماد لا تعقل ولا تسمع دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين
فالدليل الاول اشارة الى نفي القدرة والثاني الى نفي العلم فاذا انتفيا لم يصح عبادته ببديهة العقل ومن اضل
معنى الاستفهام فيها انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب
القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة على استجابة احدهم ما دامت
الدنيا والى ان تقوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون لا يسمعون ولا يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذوي العلم
اذ قد مثلها عبدتها بالملوك والامراء التي تخدم واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا
فليس في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وكانوا بعبادتهم كافرين جاحدين وينطقهم
متبرئين بيانه قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة التهكم
بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد وقيل واضحات مبينات وهي القرآن قال
الذين كفروا للحق اللام فيه مثلها في قوله الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق
الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر موضع المضمرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم
اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين من عنادهم وظلمهم
سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى
ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام للانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه
العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله فلو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته
عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كان تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا
والضمير للحق والمراد به الآيات قل يا محمد لهؤلاء الكفار على سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا ان افتريته
كما زعمتم فلا تملكون ان تدفعوا عني ولا تنفعوني من قبلكم مثل ان افتريته على الله لا محالة يتقوّل به الافتراء عليه
فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون على دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريته واتعرض لعقابه يقال
فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك
لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته
سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود
ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لجزاء افاضتهم وهو الغفور لمن تاب من شركه وآمن الرحيم لم يعجل عقوبتهم
بحلمه عنهم مع عظيم ما ارتكبوا قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون
لي قلت كان فيما اتاهم النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته
وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فلا تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني
الله بعقوبة الافتراء عليه قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا
ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين ● قل ما كنت بدعا بديعا من الرسل خف وخفيف ونصف ونصيف اي لست باول
مرسل فلم تنكرون نبوتي هل انا الا بشر وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت هذه الآية
فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحدا وما له علينا من مزية
ولا فضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فنسخت هذه الآية فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا
ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار وانزل وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا فانزل الله تعالى ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وروى ابن
شهاب ان خارجة بن زيد بن ثابت اخبره ان ام العلاء امرأة من الانصار بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبرته انهم اقتسموا المهاجرين قرعة قالت وطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه ابياتنا فوجع وجعه الذي
توفي فيه فلما توفي غسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لعثمان بن مظعون رحمة الله
عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه
قالت فقلت بابي يا رسول الله فمن قال اما هو فقد جاءه اليقين وما رأينا الا خيرا والله لا ادري ما يفعل بي

تأخر قال كهذا حين لم يخبر بغفران ذنبه وإنما غفر الله عز وجل له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته بسنتين
وشيء وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه
وهم بمكة إلى متى نكون في هذا البلاء الذي نحن فيه ومتى نهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت عليه السلام فأنزل
الله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم أخرج إلى الأرض التي رفعت لي وقيل معناه ما يفعل بي ولا بكم
قال أما ذا يصير أمري وأمركم في الدنيا الحسن في قوله تعالى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم فقال أما في الآخرة
فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج
كما أخرجت الأنبياء من قبلي أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أمتي المكذبة أم
أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً أم مخسوف بها خسفاً ثم أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله يقول سيظهر دينكم على الأديان ثم قال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله بما يصنع به وما يصنع بأمته وهذا قول الضحاك وما أدري
ما يفعل بي ولا بكم أي ما تؤمرون به وتنهون عنه قال صاحب الكشاف فإن قلت إن يفعل مثبت غير منفي وكان
وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملاً عليه لتناوله ما وما في حيزه
صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف
دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة
وأن تكون استفهامية مرفوعة إن أتبع إلا ما يوحى إلي يعني ما أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً وما أنا إلا نذير مبين
قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل
على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين قل يا محمد لهؤلاء الكفار أرأيتم أخبروني إن كان
أي القرآن من عند الله وقيل إن كان محمد من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قال قتادة والضحاك
وابن زيد هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به واستكبرتم (ق) عن أنس قال بلغ عبد الله
بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول
أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه قال أخبرني بهن جبريل آنفاً قال ذلك
عدو اليهود من الملائكة أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل
الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإذا سبق ماء المرأة نزعته قال أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني
عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن
سيدنا وأعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله
ما روى سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه
من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله وقال آخرون هو
موسى بن عمران روى الشعبي عن مسروق في هذه الآية قال والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة
وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وإنما كانت محاجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فأنزل الله هذه الآية
ومثل القرآن التوراة فشهد موسى عليه السلام على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على القرآن وكل منهما يصدق
الآخر وقيل هو ابن يامين وقيل هو من بني إسرائيل وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم
به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين والواو في قوله تعالى وكفرتم للعطف
على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو في قوله واستكبرتم
للعطف على شهد شاهد وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قوله إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك
وأعرضت عنك أحسنت جمعين فقطعتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم
به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس
وأظلمهم وقد جعل الإيمان في قوله فآمن مسبباً عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله
عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا
إفك قديم ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
هذا شبهة أخرى في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل وقال الذين كفروا من اليهود للذين آمنوا لو كان دين
محمد خيراً ما سبقونا إليه يعني عبد الله بن سلام وأصحابه قاله أكثر المفسرين قال قتادة نزلت في ناس من مشركي قريش
قالوا لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاة البهم وذلك الناس وإذ لم يهتدوا به أي بالقرآن كما

اهتدى بها أهل الإيمان فسيقولون هذا إفك قديم كما قالوا أساطير الأولين ومن قبله أي ومن قبل القرآن كتاب موسى إماماً
يؤتم به ورحمة لمن آمن به وعمل به ونصبهما على الحال وقيل الذين آمنوا الأجلهم وهو كلام مكة قالوا عامة من يتبع محمداً
السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء وقيل إن أمة
لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضرباً فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو إليه محمد
حقاً ما سبقتنا إليه فلانة فنزلت وقيل كان اليهود يقولون عبد الله بن سلام وأصحابه فأنزل قوله وإذ لم يهتدوا
به محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم خيراً لأن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر
عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم هذا المضمر صح الكلام حيث انتصب بالظرف وكان قوله فسيقولون
هذا إفك قديم مسبباً عنه كما صح بإضمار أن في قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجردة عمل المضارع ناصبة له
إفك قديم كقولهم أساطير الأولين ومن قبله كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبراً مقدماً عليه وهو ناصب إماماً
على الحال كقولك في الدار زيد قائماً ومعنى إماماً قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ورحمة لمن آمن به وعمل بما
وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى ولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لساناً عربياً حال من ضمير الكتاب
في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن تخصصه الصفة فيعمل فيه معنى الإشارة وقيل يجوز أن يكون مفعولاً
لمصدق أي يصدق لساناً عربياً وهو الرسول لينذر قرأ أهل المدينة والشام والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء على
خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والباقون بالياء خبراً عنه وقيل عن الكتاب الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية
وبشرى قيل في محل الرفع عطفاً على الكتاب تقديره وهذا كتاب مصدق وبشرى وقيل في محل النصب عطفاً على محل لينذر
لأنه مفعول له قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب
الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله
ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن
أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز
عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسناً قرأ أهل الكوفة
إحساناً والباقون حسناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً قرأ أهل الكوفة وابن ذكوان بضم الكاف في الحرفين والباقون
بالفتح فيهما وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي حملاً ذا كره
وحمله وفصاله أي فطامه ثلاثون شهراً وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع حولان كاملان لقوله
تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر وإن أسقطت حمله تسعة أشهر وفصاله من اللبن لأحد
وعشرين شهراً والمراد به الرضاع لا الفطام ولما كان الرضاع يليه الفصال لأنه ينتهي به ويتم سمي فصالاً
كما سمي المدة بالأمد
المنتهي بالفصال لوقته حتى إذا بلغ أشده نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة
وقيل بلوغ الأشد أن يكتمل ويستوي السن الذي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين
وناطح الأربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون وبلغ أربعين
سنة قال السدي والضحاك نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وقيل نزلت في أبي بكر الصديق
وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر فلما بلغ أبو بكر رضي الله عنه أربعين سنة آمن برسول
الله صلى الله عليه وسلم إني تبت إليك وإني من المسلمين ووصينا الإنسان
بوالديه حسناً في أبي بكر رضي الله عنه أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرين أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده قال رب أوزعني أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
وعلى والدي والنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه
لأن النعمة عليهما نعمة عليه وأن أعمل صالحاً ترضاه قيل هو الصلوات الخمس وأصلح لي في ذريتي بأن تجعلهم مؤمنين صالحين
وقيل معناه اجعل ذريتي موقعاً للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها
نصلي قيل فأجاب الله تعالى أبا بكر في أولاده فأسلموا ولم يكن من الصحابة أحد أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته إلا أبا بكر
رضي الله عنه إني تبت إليك وإني من المسلمين من المخلصين أولئك الذين نتقبل قرأ حمزة والكسائي وحفص نتقبل
ونتجاوز بالنون ونصب أحسن عنهم أحسن ما عملوا يعني أعمالهم الصالحة فنثيبهم عليها ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم بها
والباقون بالياء المضمومة فيهما ورفع أحسن في أصحاب الجنة في جملة أصحاب الجنة ومحله النصب على الحال
كما في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لأن قوله نتقبل وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات قوله تعالى والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله
ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون والذي قال لوالديه مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول إذ دعوا إلى الإيمان

والاقران بالبعث فالجزاء اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني قرأ العامة بنونين محققتين وروى هشام عن اهل الشام
بنون واحدة مشددة ان اخرج من قبري حيا بعد فنائي وبلائي وقد خلت مضت القرون من قبلي فلم يبعث منهم احد
وهما يستغيثان الله يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له ويلك آمن بالله منك ومن قولك وهو
استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك امن ان وعد الله
حق فيقول ما هذا الذي تعدانني به وتدعوانني اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس وابو العالية والسدي ومجاهد
نزلت هذه الآية في عبد الله وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال له ابواه اسلم والحا عليه
ودعاه الى الايمان فقال احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما يقولون قالت
محمد بن زياد كتب معاوية الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه لقد جئتم بها هرقلية
اتبايعون لابنائكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها
فقالت والله ما هو به ولو شئت لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله والذي
يدل على صحة ما قالته عائشة رضي الله عنها ان الذي حق عليهم القول فامرهم اصحاب النار وعبد الرحمن رضي الله
عنه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم اولئك الذين حق عليهم القول في امم وجب عليهم العذاب قوله في امم
نحو قوله في اصحاب الجنة قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين درجات
منازل ومراتب مما عملوا من الخير والشر عند الله يوم القيمة فيجازيهم عليها قال ابن زيد في هذه الآية درج اهل النار تذهب
سفالا ودرج اهل الجنة علوا فان قيل كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قيل يجوز
ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال الكل على الفريقين وليوفيهم قرأ اهل الكوفة والبصرة وعاصم وهشام بالياء
والباقون بالنون اعمالهم بالنصب اي جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا ناصب الظرف القول المضمر
قيل اذهبتم اي ويوم يعرض الذين كفروا ناصب الظرف القول المضمر قيل اذهبتم ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يكشف لهم وتعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها
قيل يجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه
تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من
الطيبات الا ما اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها
واستمتعتم بها قرأ ابن كثير ويعقوب أأذهبتم بالاستفهام وقرأ ابن ذكوان بهمزتين محققتين وهشام بهمزة وتسهيل
تصحيحة ممدودة والباقون بالخبر وهما فصيحان لان العرب تستفهم بالتوبيخ وترك الاستفهام
فيه فتقول اذهبت ففعلت كذا وكذا وذهبت ففعلت وفعلت فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سافر كان آخر عهده بانسان من اهله واول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة رضي الله عنها فلما قدم من غزوة
ماتاها فاذا بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها فلما ان رأت فاطمة ذلك
ظنت انه لم يدخل عليها من اجل ما رأى فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين رضي الله عنهما فقطعتهما فبكى
الصبيان فقسمته بينهما نصفين فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان فاخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهما وقال يا ثوبان اذهب بهذا الى بني فلان اهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب
وسوارين من عاج فان هؤلاء اهل بيتي ولا احب ان ياكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا وعن ابي هريرة انه كان طعامنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسودين التمر والماء والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ولا ندري ما هي وعن ابي بردة
الاشعري عن ابيه قال يا بني لو شهدتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم اذا اصابتنا السماء حسبت ان ريحنا
ريح الضأن انما كان لباسنا الصوف وعن قتادة ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول لو شئت كنت
الينكم لباسا واطيبكم طعاما ولكني استبقي طيباتي وذكر لنا انه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير مثله
قبله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
دخل على اهل الصفة مكانا يجتمع به فقراء المسلمين وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا قال انتم
اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته
كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
تتكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد
خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا
عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما
تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ لما اورد انواع الدلائل في اثبات التوحيد والنبوة وكان اهل مكة

[illegible]

صلى الله عليه وسلم اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها
وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله تغير لونك فقال اني اخاف
ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاصبحوا لا يرى قرأ عاصم وحمزة ويعقوب يرى بياء مضمومة
مساكنهم رفعا قال الكسائي معناه لا يرى شيء الا مساكنهم وقال الفراء لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل
وانما يرى مساكنهم لانها قائمة والباقون ترى بتاء مفتوحة مساكنهم بالنصب يعني لا ترى انت يا محمد الا مساكنهم كذلك
نجزي القوم المجرمين اي نجزي مثل جزائهم وهذا تحذير لمشركي العرب قال صاحب الكشاف فائدة اضافة الريح الى الرب
الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها
من جهته ذلك ويقوي ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه فيما مكناكم فيه من بسطة الاجسام وقوة الابدان وطول العمر
المال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
منصوب بقوله فما اغنى وانما جرى مجرى التعليل لان الظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته
في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات
لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وارض سدوم ونحوها وصرفنا الآيات الحجج والبينات
لعلهم يرجعون عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم يخوف مشركي مكة فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة
القربان ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واحد مفعولي اتخذ راجع الى الذين محذوف والثاني قربانا وآلهة عطف بيان ولا يصح ان يكون مفعولا ثانيا وآلهة
بدلا منه لفساد المعنى والمعنى فلم ينصرهم من اهلاك الله الذين اتخذوهم آلهة بل ضلوا عنهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة

المشهد ظهر وقلنا لهم فهذا اي وذلك اثر افكهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده فاني
افترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه
قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير • لما بين ان الانس منهم من آمن ومنهم من
كفر بين ايضا ان الجن منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب واذ صرفنا
امكنا اليك نفرا واقبلنا بهم نحوك وقيل نحيناهم وقيل وجهناهم بصرفنا اياهم عن بلادهم اليك والنفر دون العشرة
ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن اي لما
كان يتلى سمعوه وقيل حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا واستمعوا الفراغ
كان بعضهم يقع على بعض من شدة حرصهم فلما قضي فرغ من تلاوته واستماع الجن ولوا الى قومهم منذرين مخوفين داعين

[illegible]

اجلس قال لي لو خرجت لم آمن ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا مستثفري
ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها
الناس علينا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك
عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكل فقلت
اني سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم تبرز رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله ان معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه
فصببت على يديه فتوضأ وقال ثمرة طيبة وماء طهور قال قتادة وذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى
شيوخا من الزط وهم قوم طوال سود فافزعوه حين رآهم فقال اظهروا فقيل هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالذين صرفوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم يريد الجن قال ابن عباس كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وقيل كانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ذهب بعضهم الى انهم كانوا يهودا ولهذا قالوا من بعد موسى قال ابن
عباس كان الجن لم تسمع بامر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى مصدقا لما بين يديه من الكتب يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم قيل لان من الذنوب ما لا
يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله
في الارض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن قيل لم يتعب وقيل لم يعجز وقيل لم يذهب وجه الحكمة عليه في خلقهن بقادر
على ان يحيي الموتى ادخال الباء في خبر ان بقادر لان خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما
دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان وما في حيزها قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز
كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا للرؤية ولانه
على كل شيء قدير قيل اليس الله بقادر على ان يحيي الموتى بلى جواب للنفي لانه على كل شيء من الاحياء والاماتة قدير
قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون • فيقال لهم اليس هذا بالحق اي هذا الجزاء حق لا باطل وقيل معناه اليس هذا بمستحق لكم قالوا بلى وربنا
اعترفوا وحلفوا عليه اليس هذا بالحق اي هذا الجزاء حق لا باطل وقيل معناه اليس هذا المستحق لكم قالوا بلى وربنا
اعترفوا وحلفوا عليه اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم
وما نحن بمعذبين قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون • اولوا العزم اولوا الجد والثبات والحزم
والصبر والجزم والصواب من الرسل الذين ثبت من خلفهم وقيل العزم توطين النفس على الفعل
مع البصيرة والتحقيق على ان رسل الله اولوا العزم ومن فيه للتبيين لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من
الاوثان ابن زيد كل الرسل كانوا ذوي عزم لم يتخذ الله رسولا الا كان ذا عزم وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال
اشتريت اكسية من الخز واردية من البز وكل الانبياء اولوا العزم الا يونس عليه السلام وقيل هم نجباء الرسل المذكورون
في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الكلبي هم الذين امروا بالقتال
فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة بالبراءة وجاهدوهم وقيل اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل
بالشام فعصوهم فاوحى الله تعالى الى الانبياء اني مرسل عذابي على عصاة بني اسرائيل فان شئتم انجيتكم وانزلت
العذاب على بني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل
وانزل باولئك العذاب وذلك انه تسلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلد رأسه
ووجهه ومنهم من رفع على الخشب ومنهم من احرق بالنار صلى الله عليهم اجمعين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح
وابرهيم ولوط وشعيب وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقيل اصحاب الشرائع وهم
خمسة نوح • وابرهيم • وموسى • وعيسى • ومحمد صلى الله عليه وسلم مقاتل اولوا العزم ستة نوح صبر على فقد
ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في البئر والسجن وايوب صبر على الضر الحسن البصري هم اربعة ابرهيم وموسى
وداود وعيسى فاما ابرهيم فعزمه انه قيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه
فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
واما داود فعزمه ان اخطأ خطيئة فنبه عليها فبكى اربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد
تحت ظلها واما عيسى فعزمه انه لم يضع لبنة على لبنة قال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله فآدم ولم
نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت فكان الله تعالى يقول للرسول صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم

من الرسل اي كن صابرا فيما ابتليت به مثل صبر ابراهيم عليه السلام وانتظر نصرة مولاك مثل نعمة موسى مهما
لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدا في الدنيا مثل عيسى قال قتادة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
كانوا مثلنا ابراهيم ونوح وهود ومحمد رابعهم صلى الله عليه وسلم امر ان يصبر كما صبروا ولا تستعجل لهم لكفار
قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الاخرة لم يلبثوا
في الدنيا الا ساعة من نهار يعني حسب يوم القيمة وقيل لانه ينسيهم هول ما يرون مدة مكثهم في الدنيا بلاغ اي هذا الذي
وعظتم به كفاية في الموعظة وهذا تبليغ من الرسول او هذا القرآن بلاغ وما ذكر فيه من البلاغ بلغكم محمد صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل فهل يهلك بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله وعن الاتعاظ به والعمل بموجبه

سورة محمد عليه السلام

مدنية وهي الفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفا وخمسمائة وتسع وثلثون كلمة وثمان وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اضل اعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح
بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم
فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب
اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم
سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ● الذين كفروا بتوحيد الله وصدوا اي صرفوا الناس عن الدخول
في الاسلام وهم مشركو قريش اضل اعمالهم اي ابطلها فلم يجعل لها ثوابا فكانها لم تكن قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب
الذين كفروا وصدوا من اراد منهم الاسلام وقيل هو عام في كل كافر وصاد قال صاحب الكشاف اضل اعمالهم
ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة له ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي
هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها وقيل جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن
واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار
وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه
على الدين كله والذين آمنوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه
تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق
من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سيئاتهم غفرها وسترها
عليهم واصلح بالهم حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد
وذلك مبتدا ما بعده خبره اي ذلك الاضلال للاعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وتكفير السيئات واصلاح
البال للذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد بسبب ان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم وقيل ذلك خبر مبتدا محذوف تقديره الامر كما ذكرنا بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور في محل
الرفع على الاول وفي محل النصب على الثاني والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام تسميه
علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم اي امثال الناس او امثال المذكورين من الفريقين
على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم قال صاحب الكشاف فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل
اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين
فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة
التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون
ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب
رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكر في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة
من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو
الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ وقيل اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى
اذهبتم عنهم النهوض وقيل ... فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح اسم ما يوثق به ومنا وفداء
منصوبان بفعليهما مضمرين فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين ان تمنوا عليهم فتطلقوهم
او تفادوهم وحكم اسارى المشركين عند الشافعي ان يكون للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين

وهي القتل او الاسترقاق او الفدا باسارى المسلمين او المن وعند ابي حنيفة واصحابه احد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم
ايهما راى الامام ويقولون ان المن والفدا المذكورين في الاية نزلت في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم
من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم
ليقبلوا الجزية ويكونوا من اهل الذمة وبالفدا ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا
عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها
والاثقال التي لا يقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل
اوزارها آثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا وقيل حتى يتعلق بالضرب
والشد وقيل بالمن والفدا والمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب
بالمشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى
انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى للمشركين شوكة واذا علق بالمن والفدا
فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفدا بما ذكرنا من التاويل ذلك الذي ذكر
ويبين من حكم وقيل الامر ذلك وقيل افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم فاهلكهم وكفاكم امرهم بغير قتال او ببعض
اسباب الملائكة او بتسليط اضعف خلقه عليهم وقيل ولو يشاء الله لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او
رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض ليبلو المؤمنين بالكافرين ليظهر المحق
من المبطل فيجازيكم على ما يظهر ويعلم المجاهدين منكم والصابرين والذين قتلوا في سبيل الله قرا ابو عمرو ويعقوب
وحفص عن عاصم بضم القاف وكسر التاء مخففا من غير الف والباقون قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون فلن
يضل اعمالهم قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم
الجراحات والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب
سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون
واما قتلاكم ففي النار يعذبون سيهديهم في الدنيا الى الطاعات وفي العقبى الى الدرجات يعني الشهداء وقيل
يثبتهم على الهداية يعني المجاهدين وقيل سيهديهم الى جواب منكر ونكير في القبر ويصلح بالهم امر معاشهم في الدنيا
وقيل حالهم في النعيم وكررت الاول بسبب النعيم والثاني نفس النعيم وقيل يصلح قلوبهم بنزع الغل منها وقيل يرضى خصماءهم
ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي بين لهم منازلهم فيها حتى يهتدوا الى مساكنهم ودرجاتهم التي قسم الله لهم
لا يخطئون ولا يستدلون عليها احدا كانهم سكانها منذ خلقوا وان احدهم ليأتي منزله منها اذا دخلها كما كان ياتي
منزله في الدنيا لا يشكل ذلك عليه وانا اهدى الى الجنة وزوجته وخدمه منه الى اهله ومنزله في الدنيا او في
طيبها لهم والعرف الريح الطيبة يقول العرب عرفت المرقة اذا طيبتها بالملح والابازير وقيل عرفها حددها لهم فجنة
كل احد محددة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وعرفها اي حددها والعرف والارف الحدود قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا رسول الله ودينه ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم على الاسلام في مواطن
القتال والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا قال ابن عباس
تعسا لهم بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا وقال الضحاك الخيبة وقال ابن زيد شقاء وقال ابن جريج رغما وبعدا وهو نصب على المصدر
على سبيل الدعاء واصل التعس في الناس والدواب ان يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ويقال له لعا
وهو يعنون ضده لعا اذا ارادوا قيامه وقد جمعهما الاعشى في بيت واحد يصف ناقة بما تلوث عفرناة اذا عثرت
فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا فاضل اعمالهم معطوف على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم ذلك
الاضلال والاتعاس بانهم كرهوا ما انزل الله في القرآن وما انزل الله من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال
والاطلاق والانهماك في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم فاحبط الله اعمالهم قوله تعالى افلم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا
وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم
دمر الله عليهم اي اهلكهم ودمر عليهم ما يختص بهم والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم
واموالهم واولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها اي امثال الهلكة لان التدمير يدل عليها وقيل امثال العاقبة
المذكورة وقيل امثال السنة لقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا ذلك الذي ذكرت وقعلت بان الله مولى الذين
آمنوا وليهم وناصرهم وحافظهم قال صاحب الكشاف فان قلت قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الاية
قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين
خاصة والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل وياكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما
تاكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام قوله تعالى

وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم ● وكأين من قرية من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك من اهل قريتك التي اخرجتك اهلكناهم
فلا ناصر لهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله
الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الآية افمن كان على بينة حجة وبرهان
وعقل وبيان من ربه وهو محمد والمؤمنون كمن زين له سوء عمله وهم كفار مكة ابو جهل والمشركون الذين زين لهم الشيطان
سوء عملهم اي الشرك واتبعوا حمل على اللفظ في له سوء عمله وعلى المعنى في واتبعوا اهواءهم قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو
كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه
وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد
في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف
الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية
بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان
وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد لذلك وعد المتقون في محل الجر صفة الجنة وعد المتقين وصلتها التي فيها انهار
داخل في حكم الصفة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي
فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار من ماء
غير آسن غير متغير منتن يقال اسن الماء يأسن وأجن يأجن اسونا واجونا اذا تغير طعمه وريحه وقرأ ابن كثير بالقصر والباقون
بالمد وهما لغتان وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من
الطعوم وانهار من خمر لذة تأنيث لذ وهو وصف بالمصدر لم تدسها الارجل ولم تدنسها الايدي والمعنى ما هو الا
الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون
النحل فيخالطه الشمع وعن كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة والفرات نهر لبنهم والنيل نهر خمرهم
وسيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ولهم وللمتقين فيها في الجنة من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد في النار فاستغنى بدلالة الكلام عليه وقيل مثل الجنة التي فيها هذه الانهار والثمار كمثل
النار التي فيها الحميم ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب الاليم وسقوا ماء حميما قيل اذا دنا
منهم شوى وجوههم وامازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم
هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم ● ومنهم ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيستمعون كلامه ولا يعونه [illegible]
[illegible]

فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ● لما ذكر حال المؤمنين والكافرين
قال واذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة المؤمنين الموحدين وشقاوة الكفار والمنافقين فاثبت على ما انت
عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنب المؤمنين والمؤمنات
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره واخواتها كثيرة الحسين بن الفضل فازدد علما على علمك
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضجر ويضيق صدره من طعن الكافرين والمنافقين فيه فانزل الله قوله
فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك على احد سواه ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله
معناه فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيام الساعة الا الى الله نظيره [illegible] واستغفر لذنبك من
التقصير الواقع لك في معرفة الله وللمؤمنين والمؤمنات عن عبد الله بن سرجس دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال ولك فقال الرجل من القوم استغفر لك رسول الله قال نعم ولك ثم قرأ
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن عنده ما يتصدق به
فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات فانها صدقة والله يعلم متقلبكم متصرفكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار
ومثله حقيق بان يتقى ويخشى ويستغفر وعن عكرمة متقلبكم في اصلاب الآباء الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم
في الارض ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم مقامكم في القبور ابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشغالكم ومثواكم
مضجعكم بالليل لا يخفى عليه شيء من ذلك ابن عيينة وقد سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله تعالى حين بدأ به
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا
وقال تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعده فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
ثم امر بالعمل بعده ويقول الذين آمنوا استيناسا بالوحي وحرصا على الجهاد وكانوا يدعون الحرص على الجهاد
ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة تامر بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة غير متشابهة لا يحتمل وجها
الا وجوب القتال وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن
على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير
منسوخ الى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير
منسوخة رأيت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك نظرا بتحديق شديد كراهة منهم من الجهاد
جبنا من لقاء العدو نظر المغشي عليه اي كنظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من
اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد وتهديد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء
عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي متصل بالكلام
الاول واللام في لهم بمعنى الباء والمعنى فاولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة فاذا عزم الامر اي جد
الجد لاصحاب الامر وانما يسند الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اي اذا جد
الامر وعزم عليه وامروا بالقتال فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او في اظهار الايمان والطاعة
وطابقت قلوبهم السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم لغة اهل الحجاز واما لغة بني تميم فيقولون عسى ان يفعل
ولا يلحقون الضمائر وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ ان توليتم
في الارض يعني هل يتوقع منكم الا فساد في الارض والمعنى انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم
وعرف تمرضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما
تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على
الدنيا وقيل ان توليتم اعرضتم عن القرآن وفارقتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان تفسدوا في الارض
بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام
واكرمكم بالالفة ومن الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام مقاتلة بعض الاقارب بعضا وعن
قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدماء الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم القوم حين تولوا عن كتاب الله وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع
الموعظة واعمى ابصارهم عن طريق الهدى وقيل يحتمل ان يريد الذين آمنوا من المؤمنين المخلصين الثابتين وانهم
يشتاقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا نزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها
افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال
ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر قتادة اذا والله
يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا وتنكير قلوب فيه وجهان ان
يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضافة الاقفال الى
القلوب لاختصاصها بها وهي الاقفال المكوفة التي استغلقت فلا تنفتح وعن خالد بن معدان قال ما من الناس احد الا
وله اربعة اعين عينان في وجهه لدنياه ومعيشته وعينان في قلبه لدينه وما وعد الله من الغيب وما من احد
الا وله شيطان متبطن فقار ظهره عاطف عنقه على عاتقه فاغر فاه الى ثمرة قلبه فاذا اراد الله بعبد خيرا ابصرت

الكناية في قلبه وهما وعيد الله من الغيب فمثل بهما اذا اراد الله بعبد شرا طمس عليهما قوله تعالى ام على
قلوب اقفالها وعن عروة ابن الزبير تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما افلا يتدبرون القرآن ام
على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال
كلام الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم • قتادة ان الذين ارتدوا على ادبارهم
هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد عليه السلام سول لهم حمله من سول [illegible] وحين وقعت لان قولك ان
عمره ربه سول زين لهم وركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء واملى لهم قرأ ابو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء
على ما لم يسم فاعله والباقون بفتح الالف واللام على معنى واملى الله لهم اي مد لهم في الامل [illegible]
ذلك الاضلال والاملاء بانهم يعني اليهود قالوا للذين كرهوا ما نزل الله يعني المنافقين
وقيل عكسه اي قال المنافقون لليهود وقيل المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن
معكم سنطيعكم في بعض الامر وهو التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبلا اله الا الله وقيل
ببعض الامر ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين اليهود او المنافقين للمشركين سنطيعكم في التظاهر
على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى بعض الامر في بعض ما تأمرون به
او في بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون
بفتحها على جمع سر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم عند الموت ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا بضرب من الملائكة
في وجهه ودبره ذلك التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ومعاونة المشركين
وارتكاب المعاصي وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الطاعة ونصرة المؤمنين والايمان برسول الله فاحبط اعمالهم
قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم
بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم على المؤمنين واخراجها ابرازها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم وكانت صدورهم تغلي حنقا
عليهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم واعلمناكهم وقد للناس عليهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم
بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعرفونهم بها وعن انس ما خفي على رسول الله بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في غزوة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا على
جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام في فلعرفتهم هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف
واللام في ولتعرفنهم واقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول ابن عباس في معنى القول الحسن في نحوه
القرظي في مقصده لقولهم ومغزاه وقيل في لحن القول في نحوه واسلوبه ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من
الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له
صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا والوحي تعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لحن
لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقيل اللحن وجهان صواب وخطأ فاما الصواب فالفعل منه لحن يلحن لحنا فهو لحن
اذا فطن للشيء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض والفعل من الخطأ
يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته وفي الحديث قيل لمعاوية ان عبيد الله بن زياد يتكلم بالفارسية
فقال اليس ظريفا من ابن اخي ان يلحن في كلامه اي يعدل به عن لغة والله يعلم اعمالكم ويراها ظاهرها وباطنها
ويميز خيرها من شرها ولنبلونكم بتكاليفكم معاملة المبتلي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي نعلمهم عيانا
كما علمناهم غيبا فان المجازاة تقع على ما يظهر منكم والمجاهدون هم الغزاة وقيل الزاهدون في الدنيا والصابرون
على الجهاد وقيل عن الدنيا ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم وما يحكى عنكم وقيل اسراركم وقيل ما تستفعلونه
وعن الفضيل اذا قرا هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا هتكت استارنا وفضحتنا قوله تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط
اعمالهم • يعني المطعمين يوم بدر وشاقوا الرسول عادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر لهم انه الحق وفي
الرسول وقيل نزلت في قوم آمنوا ثم ارتدوا لن يضروا الله بارتدادهم وسيحبط اعمالهم التي عملوها في الدنيا ولن يروا
بها الثواب لانها بسبب كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاداتهم له باطلة وهم قريظة والنضير وقيل سيحبط
اعمالهم التي عملوها والمكائد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون
بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم • بمعصيتهما مقاتل لا تمنوا على رسول الله فتبطلوا اعمالكم

[illegible]

اشياء صالحة تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك
واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى او للبخل لانه سبب وقيل الضمير
للبخل لانه سبب الاضغان ها انتم هؤلاء موصول بمعنى الذي صلته تدعون اي انتم الذين تدعون وانتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة
في الغزو وقيل الزكاة كانه قيل الدليل عليه انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع
العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه
يقال بخلت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه والله الغني الذي لا يحتاج في شيء الى
شيء فهو الغني عن انفاقكم لا حاجة به الى اموالكم وانتم الفقراء المحتاجون في كل شيء من امور دينكم ودنياكم
عاجلا وآجلا وان تتولوا معطوف على قوله وان تؤمنوا وتتقوا اي وان تعرضوا يا اهل مكة من دينه وطاعته وطاعة
رسوله والانفاق في سبيله يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى
غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل يستبدل قوما غيركم اقام مقامكم قوما آخرين اطوع منكم ثم لا يكونوا
امثالكم في حال التولي لكم ان توليتم فليس بمعجز لله الا انهم كانوا على احسن حال وقيل في جميع الاحوال
انهم العرب وقيل العجم المستبدل بهم الملائكة ورد بان القوم لا يقع على الملائكة وقيل اهل اليمن وقيل الانصار
وقيل كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وعن ابي هريرة قال كان ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل في القرآن ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا
وكان سلمان الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذ سلمان
رضي الله عنه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس

سورة الفتح

كلها بالحلم وهي ثمان واربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا وخمسمائة وستون كلمة وتسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا • قيل فتح
مكة وقيل فتح الروم وغيرها وقيل المراد بالفتح صلح الحديبية وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف
والسنان وقيل الفتح الحكم والمختار من هذه الاقاويل فتح مكة وقيل فتح الحديبية وقيل فتح الاسلام بالآيات
والحجة والبرهان ابن عباس رضي الله عنهما انزلت في النبي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت اليهود كيف
نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك على رسول الله فنزلت هذه الآية قال الاكثر ان الفتح كان يوم الحديبية
قال البراء بن عازب نحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الشعبي هو فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا
نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري لم يكن

فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلث
سنين خلق كثير كثر بهم سواد الاسلام قال مجاهد يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهدي بالحديبية وحلق
رأسه وقال ابن قتيبة انا فتحنا لك اي قضينا لك قضاء عظيما ويقال للقاضي الفتاح وقال الفراء الفتح قد يكون
صلحا ويكون اخذ الشيء عنوة ويكون بالقتال وقال غيره معنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي حصل مع المشركين
بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله لاشارة الى قصة الحديبية روي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اري في النوم كانه قائل يقول له لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين فاصبح فحدث الناس
برؤياه وامرهم بالخروج الى العمرة فذكر اهل العلم بالسير انه خرج واستنفر اصحابه الى العمرة وذلك في سنة ست فلم يخرج
بسلاح الا السيوف في القرب وساق هو واصحابه البدن فصلى الظهر بذي الحليفة ثم دعى بالبدن فجللت ثم اشعرها
وقلدها وفعل ذلك اصحابه واحرم ولبى فبلغ المشركين خروجه فاجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام وخرجوا
حتى عسكروا ببلدح وقدموا مائتي فارس الى كراع الغميم وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الحديبية وقيل
بثنية المكان باسم البئر ... فوقفت به راحلته فقال الناس حل حل
فابت فقالوا خلأت القصوى فقال ما خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اما والله
لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمة الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فقامت فولى راجعا عودة على بدئه حتى نزل على ثمد من
اثماد الحديبية قليل الماء فانتزع سهما من كنانته فغرزه فيها فجاشت لهم بالرواء وجاءه بديل بن ورقاء في ركب
فسلم فقال انا جئناك من عند قومك قد استنفروا لك الاحابيش ومن اطاعهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين
البيت حتى تبيد خضراؤهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم نأت لقتال احد انما جئنا لنطوف بهذا البيت فمن صدنا
عنه قاتلناه فرجع بديل فاخبر قريشا فبعثوا عروة بن مسعود فكلمه بنحو ذلك فاخبر قريشا فقالوا نرده
عامنا هذا ويرجع من قابل فيدخل مكة فيطوف بالبيت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان
فقال اذهب لقريش فاخبرهم انا لم نأت لقتال احد وانما جئنا زوارا لهذا البيت معنا الهدي ننحره وننصرف فاتاهم
فاخبرهم فقالوا لا كان هذا ابدا ولا يدخلها العام وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال
لا نبرح حتى نناجزهم فدعا المسلمين الى بيعة الرضوان فبايعهم تحت الشجرة وفي عددهم يومئذ ثلاثة اقوال
احدها الف واربعمائة قاله البراء وسلمة بن الاكوع وجابر ومعقل بن يسار والثاني الف وخمسمائة روي عن جابر
ايضا وبه قال قتادة والثالث الف وثلاثمائة وعشرون رواه العوفي عن ابن عباس والرابع الف وثلاثمائة قاله
عبد الله بن ابي اوفى ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
الله ورسوله وجعلوا الصلح بينهم فاجمعوا على الصلح فبعثوا سهيل بن عمرو في عدة رجال فصالحه كما ذكر
في سيرته فاقام بالحديبية بضعة عشر يوما ويقال عشرين ليلة ثم انصرف فلما كان بضجنان نزل عليه انا فتحنا لك فتحا
مبينا فقال جبريل يهنئك يا رسول الله وهناه المسلمون وقيل هو فتح مكة وقيل نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة في اخباره لانها في تحققها وتيقنها
بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى والاولى ان يحمل على الجميع ولا تخصيص
فيه ليغفر لك الله ما تقدم جعل الفتح علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل
والآجل ويجوز ان يكون الفتح من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا
بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح ...
... وعن ابن عباس رضي الله عنهما ... المشركين ... حتى سألوا الصلح قال صاحب
الكشاف فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان
فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا
الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد
رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا ما تقدم
من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث
مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل الفتح ليس بسبب المغفرة وانما التقدير انا فتحنا لك فاستغفر ليغفر لك الله
والفتح سبب الاستغفار وقيل ليجمع لك المغفرة مع الفتح ويتم النعمة عليك وقيل ان اللام لام القسم اي ليغفرن
فلما حذفت النون كسر اللام وانشد اذا قال قطني قلت آليت حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا وقيل المغفرة سبب
للفتح اي المغفرة لما فتحنا لك ما تقدم من ذنبك اي تقدم النبوة وما تأخر بعدها وقيل قبل الفتح وبعده وقيل ما تقدم
من ذنب آدم وحوا وما تأخر من ذنوب امتك وقيل ما وقع وما يقع على طريق الوعد مغفور ...
ووحد لانه اشارة الى الجنس وقيل هذا على وجه المبالغة ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك
ويهديك صراطا مستقيما ويثبتك عليه وينصرك الله نصرا عزيزا لا ذل بعده ابدا وقيل عزا وقيل ممتنعا
على غيره مثله وقيل عزيزا لا يرتبه ولا يليه احد هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع

ايمانهم

ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم
وساءت مصيرا ● لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر وذلك لان تعالى قد ينصر رسله بصيحة
تهلك اعداءهم او رجفة تحكم عليهم بالفناء او بجيش وقوة وثبات تغلب بزوال المؤمنين ليكون لهم بذلك الثواب
الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة تحقيقا للنصر ... انزل الله في قلوبهم السكينة والطمأنينة
بسبب الصلح ليزدادوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله
عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وقيل انزل
السكينة لئلا ينزعج قلوبهم لما يرد عليهم فسلموا لقضاء الله وكانوا اشتد عليهم صد المشركين لهم عن البيت حتى قال
عمر رضي الله عنه علام نعطي الدنية في ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن
يضيعني ثم اوقع الله الرضى بما جرى في قلوب المسلمين فسلموا واطاعوا ليزدادوا ايمانا وذلك انه كلما نزلت فريضة زاد
ايمانهم ولله جنود السموات والارض فكل من في السموات والارض ملك له يجند بعضها على بعض ولو شاء نصر
نبيه لانتصر بهم كما ينتصر بالجنود ولكنه اختار لكم ذلك لتشكروه وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض
والجن وقيل كلها جنود من حيث انها تدل على الوحدانية قال صاحب الكشاف ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها
على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى
ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما
غاظهم من ذلك وكرهوه وكان الله عليما فيما يفعل حكيما بخلقه ليدخل المؤمنين جنات الآية سبب نزولها انه لما نزل
قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك يا رسول الله ما اعطاك
فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم
قيل انه يدخلهم الجنة ليدخلوها مطهرين من الآثام وكان ذلك عند الله اي في الآخرة وقيل في حكم الله كما تقول
هذا عند ابي حنيفة جائز اي في حكمه فوزا عظيما وقيل اللام في ليدخل متعلقة بفتحنا وكذا يدخل لو لا العطف انا
فتحنا ليغفر انا فتحنا ليدخل المؤمنين وقيل متصل بما قبل تقديره ليزدادوا ايمانا ليدخل المؤمنين فيكون بدلا من قوله
ليزدادوا وبدل الاشتمال وقيل متصل بقوله ليزدادوا اي ليزدادوا ليدخل وقيل بالمعنى تقديره ولله جنود السموات
والارض فلم ينتصر بهم وانتصر بالمؤمنين ليدخل المؤمنين ويعذب المنافقين هو عطف على ليدخل قال مقاتل لما
عبد الله بن ابي بن سلول انطلق في نفر الى رسول الله فقالوا ما لنا عند الله فنزلت ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء هو ظنهم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وقيل ظنهم
ان الله لن ينصرهم على رسوله والمؤمنين وقيل هو ظنهم ان الله لا ينصر رسوله والمؤمنين وقيل هو ظنهم بان لله شريكا
وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احدا السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عبارة عن جودته وصلاحه فقيل في
المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد فعل سوء عليهم دائرة السوء اي تدور عليهم وتعود
اليهم ضررها دائرة اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء بالضم ...
والثانية قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين والباقون بفتحها او الدائرة التي يذمونها ويتسخطونها فهي عندهم دائرة
عند المؤمنين دائرة صدق والسوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف من ساءه الا ان المفتوح غلب في ان
يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح
لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها الا تضاف اليها الا على التأويل الذي ذكر واما دائرة السوء
بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فيصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
وغضب الله عليهم انتقم منهم ولعنهم ابعدهم من رحمته واعد لهم جهنم يصلونها وساءت مصيرا اي جهنم قوله
تعالى ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ● فيدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء
منها وكان الله عزيزا في امره حكيما في فعله قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ● شاهدا على امتك يوم القيمة وقيل شاهدا لهم بعملهم وقيل
شاهدا للانبياء بالتبليغ وقيل بيانا لهم ومبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قرأ ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله ورسوله
ويعزروه ويوقروه ويسبحوه كلها بالياء والباقون بالتاء على معنى قل لهم وقيل الاخبار للناس والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته ويعزروه ويوقروه بالنصر والعون والتعزير مرة بعد اخرى وقيل يطيعوه ويجلوه ويعظموه وقيل
الضمير في تعزروه وتوقروه يعود الى الله قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم قال الله لا يجوز ... وقارا عظمة
وقيل الضمير فيهما يعود الى النبي عليه السلام اي يعظموا النبي ويدعوه باسم الرسول لا باسمه وتسبحوه اي تسبحوا الله
تنزهوه وقيل يصلوا له وهنا انتهى الصلاة واستحسنوا الوقف على توقروه وهنا بكرة غداة واصيلا عشيا وقيل دائما
قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ● ان الذين يبايعونك بيعة الرضوان يوم الحديبية على الموت وان لا

سميت بيعة لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة وكان البيعة مع رسول الله انما يبايعون الله مكانهم باعوا الله
ضمن لهم الجنة بوفائهم يد الله فوق ايديهم لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق
ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح
وصفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقيل يد الله في الوفاء فوق ايديهم وقيل يد الله في الثواب فوق ايديهم وقيل يد الله في المنة عليهم
بالهداية فوق ايديهم بالطاعة وقيل قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم قال الكفال المعنى راجع الى ما جرت
به العادة من التصافق بالايدي في المبايعات وانما هذا من قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى
السفلى العليا المعطية اي الله يعطيهم ما يكون لهم بها تفضل عليهم وقيل ملك الله فوق ملكهم فمن نكث نقض العهد
ولم يوف بها فانما ينكث على نفسه اي يرجع ذلك النقض عليه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله
رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا
قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي اتى به وافيا غير منقوص وقيل
عاهد عليه الله ... بوافيا غير منتقص وقيل بما عهد عليه الله بايمانه فسنؤتيه قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابان
عن عاصم بالنون والباقون بالياء اجرا عظيما جزيلا وهو الجنة وما فيها قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد
بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا
وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فانهم قوم من الاعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم
انه يهزم فانهم قالوا اهل مكة يقاتلون عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم واحاط بهم العدو
ابن عباس هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والديل واسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة
عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب
او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب
الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل
باهاليهم واموالهم وانه ليس من يقوم باشغالهم سيقول لك المخلفون سماهم المخلفين لان الله خذلهم ولم يوفقهم
بنياتهم فخلفهم وقيل المخلف الذي لا يؤبه به من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا اي لم يكن لنا من يخلفنا في اموالنا
واهلينا فخفنا الضياع عليها وعلى اموالهم فاستغفر لنا سل الله ان يغفر لنا تخلفنا
عنك وان كان عن عذر يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني قولهم استغفر لنا وقيل هو قولهم شغلتنا اموالنا
واهلونا لانهم علموا ان المانع حدث بينهم كذبهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ما يقولون وانما هو الشك في الله
والنفاق وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه
ان اراد بكم ضرا قرأ حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد والباقون بالفتح قيل بالفتح خلاف النفع وبالضم سوء الحال
وقيل هما لغتان اي ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقيل معناه استغفار
مع خبث نيتكم لا يدفع عنكم عذاب الله بل كان ... ردا لقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي انما خلفكم ظنكم ان المشركين يستأصلون الرسول والمؤمنين فلا يرجع احد منهم الى اهله
اما انهم يقتلون او يهزموا فيتبددوا في البلاد وزين ذلك في قلوبكم اي زينه الشيطان وقيل هوى في قلوبكم وظننتم ظن
السوء من علو الكفار وانتشار الفساد وكنتم قوما بورا هالكين وقيل فاسدين من بار كالهالك من هلك بناء ومعنى
وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين اقيم مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو
كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى قوله تعالى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ● يدبره تدبير قادر مختار حكيم فيغفر ويعذب بمقتضى مشيته
ومشيته المغفرة للمؤمنين وتعذيب الكافرين ومشيته موافقة لحكمته وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة
لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الشرك قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا ● اوضح الله كذبهم بحيث كانوا عند ما يكون السفر الى مغانم ... يطمعون بالخروج
على انه هلا كان المخلفون من الاعراب المذكورون فيما تقدم اذا انطلقتم ذهبتم الى مواطن مغانم لتاخذوها وهي مغانم
خيبر وعد اهل الحديبية ان يغنمها خيبر لهم خصوصا من غاب منهم ومن حضر ولم يغب منها الا جابر بن عبد الله فقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر وذكر الزهري ان غنائم اهل خيبر كانت لاهل الحديبية من حضر منهم
ولم يحضرها ولم يشهدها احد من غيرهم من الناس وكان انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة فاقام
بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم من سنة ست ثم خرج في بقية محرم الى خيبر وخرج معه من شهد الحديبية ففتحها وغنم

اموالا

اموالا كثيرا وجعلها لهم خاصة وروي انه عليه السلام لما فتح خيبر حصنها قال خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين فلما سمع هؤلاء المنافقون بغنائم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه غنايم خيبر قالوا ذرونا نتبعكم
نتبعكم الى صلى الله عليه وسلم لان الله امره ان لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية لتكون الغنائم لهم عوضا من غنائم
مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح يريدون ان يبدلوا كلام الله هو قوله لا يخرج الى اهل خيبر الا اهل الحديبية وقيل هو
قوله لن تتبعونا ولم يكونوا مؤمنين بوعد الله المسلمين بما وعدهم وكانوا استيذانهم الى خيبر كان ذلك منهم تبديل
كلام الله فقال الله لنبيه قل لن تتبعونا هو نهي وليس بنفي لان الله قال ذلك قال لا تبديل للقول لديه وقيل الى خيبر
تعقد وقيل عام في غزواته كذلكم قال الله من قبل من قبل انصرافكم الى المدينة وقيل تهيأهم الى خيبر وقيل كلام الله هنا
هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا وقيل ان تتبعوا ما وعد الله لاهل الحديبية فذلك انه وعدهم ان بعضهم من تغلب مكة
مغانم خيبر اذ اقبلوا امر بهم لا يصيبون فيها شيئا فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم
فتستأثركم في الغنيمة بل كانوا لا يفقهون الا قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون وقيل لا يفقهون من كلام الله الا شيئا الا قليلا وقيل لا يعلمون ان لا تبديل لكلام الله
وقيل الاستثناء من واو الضمير ونصب على اصل الاستثناء وهم الذين اسلموا منهم من الاعراب والاول بل تحسدوننا
معناه رد ان يكون حكم الله ان لا تتبعوهم واثبات الحسد والاضراب الثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد
الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون
الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل
يعذبكم عذابا اليما ● قل يا محمد للمخلفين الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد وقيل هوازن
وغطفان وقيل هم الروم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك وقيل يدعوهم ابو بكر رضي الله عنه الى بني حنيفة
مع مسيلمة الكذاب وقيل يدعوهم الى غزاة بني قريظة وقيل المخلفون عن تبوك وكانوا ثلثة اصناف صنف كفروا ولكونهم
ستعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وصنف اسلموا وهم الذين اعترفوا بذنوبهم وصنف هم اخرون مرجون
لامر الله وهم المعنيون بهذه الاية فالداعي في الاول والثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الثالث ابو بكر وفي
الرابع عمر لانهم تغيروا عن العهد المدة وقيل هم الخلفاء جميعا داخلون في هذه الاية وكذلك الكفار جميعا وقيل الى قوم
اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي
العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب
والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان
ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه
من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم والمعنى تقاتلونهم او يسلمون فلا حاجة الى القتال فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا في الدنيا الغنيمة وفي الاخرة الجنة وقيل الغنيمة نحسب فيمن حملهم على المنافقين وجعل الداعي غير النبي
صلى الله عليه وسلم لانهم اذا اظهروا الايمان لزم الخلفاء والمؤمنين احكامهم بحكم المخلصين وان تتولوا كما توليتم
من قبل من الحديبية يعذبكم عذابا اليما قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما ● ابن عباس
قال اهل الزمانة وكيف بنا يا رسول الله فانزل الله ليس على الاعمى اي في التخلف لانه كالطائر المقصوص لا يمتنع
على من قصده ولا على الاعرج من العلة اللازمة احدى الرجلين وكلتيهما حرج ولا على المريض الذي لا قوة به حرج عذر
اهل الزمانة الذين تخلفوا عن السير الى الحديبية بهذه الاية ومن يطع الله ورسوله فيما امره ونهاه يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار قرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء فيهما ومن يتول يعرض عن الطاعة نعذبه
عذابا اليما قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم
واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم
هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط
الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ● لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هم الذين بايعهم
وقيل ذلك عام لكل من تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا خاص في بيعة الرضوان وسمي بيعة الرضوان
لقوله لقد رضي الله عن المؤمنين والشجرة كانت سمرة وقيل سدرة يروى انها عميت عليهم من قابل فلم يهتدوا اليها
فعلم ما في قلوبهم من صحة العقيدة بصدق الرسول فانزل السكينة عليهم وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل
حتى اطمأنت الى طاعة رسول الله واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر وقيل فتح مكة وقيل فتح مكة وعدا ومغانم كثيرة
تاخذونها وهي مغانم خيبر وكانت ... ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاهم عثمان بالصلح ...

وحلق وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما اصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده
الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي قريش كفهم الله بالصلح وقال قتادة ايدي
اليهود فهموا ان يغتالوا عيال المسلمين الذين خلفوهم في المدينة فكفهم الله عن ذلك وقيل انهم اسد وغطفان
حلفاء اهل خيبر جاؤا لينصروا اهل خيبر فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا عنهم وقيل ان ناسا من غطفان
مع اهل خيبر فقصدهم رسول الله فصالحوا وخلوا بينه وبين خيبر وقيل هم اسد وغطفان ارادوا ان يغيروا على اهل المدينة
فكفهم الله عن ذلك عنكم فيتل على اصله وقيل عن عيالكم ولتكون هذه الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها
انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل هذه الغنيمة المعجلة آية دلالة على ما وعدهم من الغنائم
وقيل ولتكون هذه الغنيمة دلالة للمؤمنين لا يستبعدهم فتح خيبر فظروا الحديبية وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة
ولتكون اية عطف على المعنى لان التقدير الاية وعدكم الله مغانم ليجازيكم على ما كان منكم وليكون اية للمؤمنين ويهديكم
صراطا مستقيما ويزيدكم هداية ويثبتكم صراطا مستقيما واخرى معطوف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى
لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر
عليها واستولى فاظهركم عليها وغنمكموها وقيل وعدكم الله مغانم اخرى بنصره اياكم على الكفار لم تقدروا عليها بعد
وقد احاط الله بها علما انها ستصير اليكم وهي غنائم فارس والروم وقيل لم تقدروا على فتحها فيما مضى قد احاط الله
بها فقدر على تمكينكم منها وفتحها لكم وكان الله على كل شيء قديرا ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر قد احاط
بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى ويجوز ان تكون اخرى مرفوعة بالابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا عليها
قد احاط الله بها خبر المبتدا ويجوز الجر في اخرى باضمار رب ولتكون اية للمؤمنين يجوز ان يكون كلاما معترضا
ومعناه ولتكون الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك وقيل ويجوز ان يكون المعنى وعدكم الله المغانم فعجل هذه الغنيمة
وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة
واية فيزيدكم ذلك هداية وايقانا قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل
الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ولو قاتلكم الذين كفروا يعني قريشا يوم الحديبية
لولوا الادبار لانهزموا اي لو لم يكن قتال ولو كان قتال الكفار منهم ثم لا يجدون وليا ينصرهم ولا نصيرا على امرهم سنة
في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي اي سن سنة قديمة فيمن مضى من
الامم ان من قاتل انبياءه غلب وقيل سنة الله في نصرة من آمن من الانبياء بالقتال وقيل سنة لكل قوم قاتلوا الانبياء
انهزموا ولن تجد لسنة الله في نصرة رسله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم
المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله
عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم واستحياهم فانزل الله هذه
الاية عن عبد الله بن مغفل المزني كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي ذكرها الله
في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم هل جئتم في عهد احد او جعل لكم احد امانا فقالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الاية وقيل كف ايديكم بان امركم ان لا تحاربوا المشركين وكف ايديهم عنكم بالقاء
الرعب في قلوبهم وقيل بالصلح من الجانبين وقيل ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة رجل فبعث اليه النبي خالد
بن الوليد فقال هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله وانه ثم يومئذ سمي سيف الله فبعثه على جند
فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى ادخله حيطان مكة ثم عاد في مثله حتى ادخله جوف مكة فانزل الله هذه الاية
وسمي خالد يومئذ سيف الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن
مكة قال الا ان الفقهاء لم يجعلوا يكون جميع ما روى ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي كف ايديكم عن القتال ببطن مكة
فمن طرف القتال وبطن مكة هو الحديبية لانها من ارض الحرم وقيل ببطن وادي مكة والحرم كله مكة وقيل اظفاره دخلهم
بلادهم بغير اذنهم وقيل اظفركم عليهم بفتح مكة وقيل بقضاء العمرة وقيل هذه الاية نزلت بعد فتح مكة وكان الله
بما تعملون بصيرا قرأ ابو عمرو يعملون بالياء من تحت والباقون بالتاء هم الذين كفروا يعني قريشا وصدوكم عام الحديبية
عن المسجد الحرام ان تطوفوا به للعمرة والهدي معكوفا قيل صدوكم مع الهدي معكوفا حال وهو معكوف ممنوع وقيل مجموع
وقيل موقوفا ان يبلغ محله منحره وعلى هذا لا يبلغ وقيل معكوفا عن ان يبلغ اي محبوسا ينتهي الامر بالى ما سبق له والمحل اسم
للمكان من حل يحل اذا وجب وقيل محل هدي العمرة مكة ومحل هدي الحج منى والهدي جمع هدية ولم يؤنث لان الجمع اذا لم يكن
بينه وبين واحده الا الهاء جاز تذكيره وتانيثه قال صاحب الكشاف ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمحل
دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت كيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحروا هديهم بالحديبية

تقديره وقضى اليه اخرى م

وصدوا الهدي م

قلت

قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت
فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا اي لم تعرفوهم باعيانهم انهم مؤمنون ان تطؤهم بدل اشتمال من الرجال والنساء
وقيل من الضمير المنصوب في لم تعلموهم اي ان توقعوا بهم وتقتلوهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال ووطئتنا وطأ
على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقد نعي له صلى الله عليه وسلم اشدد وطأتك على مضر وقال ان اخر وطأة وطئها الله
بها وقيل ان تطؤهم بخيلكم وارجلكم فتقتلوهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة عيب مفعلة من عره اذا دهاه ما
يكرهه ويشق عليه اثم بما لم ابن اسحق غرم الدية وقيل الكفارة لان الله تعالى اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يكن
هاجر منها ولم يعلم قاتله بما انه الكفارة دون الدية فقال تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
ولم يوجب على قاتله خطا دية والمعنى انه كان بمكة قوم من المؤمنين مختلطون بالمشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم بقتلهم
مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه بغير علم متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير
عالمين بهم ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دل عليه الاية من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين
اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته مؤمنيهم وقيل ليدخل الله في رحمته من يشاء
تعليل لما دل عليه الاية من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال الكف ومنع
التعذيب ليدخل الله في رحمته مؤمنيهم وقيل ليدخل الله في رحمته في دين الاسلام من يشاء الله ان يدخل في دين
الاسلام من اهل مكة لو تزيلوا تميزوا اي تميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقيل تفرقوا من قوله فزيلنا بينهم لعذبنا الذين
كفروا من اهل مكة فيكون من للتبعيض وقيل للبيان دون التبعيض منهم عذابا اليما بالقتل والسيف وقيل يجوز ان يكون
لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا جوابهما وقيل فتصيبكم منهم معرة هو ان
المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم وفعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز قال قتادة في هذه الاية
ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما يدفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة عن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما فقال هم المشركون
من اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن كان بعدهم في عصره كان في اصلابهم المؤمنون فلو تزيل المؤمنون عن
اصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا اليما قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما
اذ جعل يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبنا الذين كفروا وصدوهم عن المسجد الحرام في وقت جعل الذين كفروا وقيل منصوب
باذكر مضمرا في قلوبهم اي في قلوب الذين كفروا الحمية الانفة حمية الجاهلية حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحمية فعيلة من قولك القائل حمي فلان انفه يحمي حمية ومحمية قال المتلمس الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس
يحمي انفه ان تهشما اي يمنع فانزل الله سكينته وقاره على رسوله وعلى المؤمنين فتوقروا وحلموا وصبروا والزمهم كلمة التقوى
الاخلاص وقيل كلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله عن ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة
والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد الله بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد كلمة التقوى لا اله
الا الله وهو قول كثير وعن عطاء بن ابي رباح هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحسن
كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وقيل
سمعنا واطعنا ومعنى الزمهم اوجب عليهم وقيل الزمهم الثبات عليها وكانوا احق بها واهلها من غيرهم لان الله تعالى
اختار لنبيه من هم خيار امته وكانوا المؤمنون احق بكلمة التقوى لتقدم انذارهم لولا ما سلبوهم من التوفيق وكان الذين
كانوا قبلنا لا يكون لاحد ان يقول لا اله الا الله في اليوم والليلة الا مرة واحدة لا يستطيع ان يقولها اكثر من ذلك وكان
قائلها يمد بها صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضيلتها وجعل الله لهذه الامة ان يقولوها متى شاؤا وهو قوله
والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها من الامم السالفة وكان الله بكل شيء عليما فيجري الامور على وفق مشيته وقيل [illegible]
لهم قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم
ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فازره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص
الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام
فنزلت لقد صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق متعلق بصدق اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق وقيل متعلق
بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي

[illegible]

سورة الحجرات

وهي الف واربع مائة وست وسبعون حرفا وثلثمائة وثلاث واربعون كلمة وثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ● قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه لا تقدموا من غير ذكر المفعول ليفيد شموله لكل ما يخطر بالبال مما يقدم وقيل ولا تجعلوا منكم سبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وتوجه ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منها [illegible]

[illegible]

خلاف الكتاب والسنة عظمته لا تكلموا بين يدي كلامه عن جابر بن عبد الله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
في الذبح يوم الاضحى وليذهب الحسن البصري لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا
من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وعن عائشة رضي الله عنها لا تصوموا
قبل ان يصوم نبيكم مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه
فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا قتادة نزلت في ناس كانوا
يقولون لو انزل في كذا لو صنع كذا وكذلك فكره الله تعالى ذلك منهم مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى
يقضيه الله على لسانه رسوله عليه السلام الضحاك يعني في القتال وشرايع الاسلام يقول لا تقضوا امرا دون الله ورسوله
عطا الخراساني نزلت في قصة بير معونه وقيل للثلاثة الذين نجوا الى الرجلين السلميين الذين اعتزيا الى بني عامر واخذهم
مالهما وكانا من اهل العهد فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق اليه فقال بئس ما صنعتم هما من اهل ميثاقي
وهذا الذي معكم من كسوتي فقالوا يا رسول الله انهما زعما انهما من بني عامر فقتلناهما ذمي قبل كذا فقتلنا اهما الذي
واتاه المسلمون فقال رسول الله لا بل دوهما لانهما اعتزيا الى عدو لنا ولكن نديهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله في ذلك الاية حين قتلوا الرجلين ابن زيد لا تقطعوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تمشوا
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تمشوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك بين يدي العلماء
فانهم ورثة الانبياء دليل هذا التاويل ما روى عطا عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راني امشي امام ابي بكر
رضي الله عنه فقال لا تمشي امام من هو خير منك في الدنيا والاخرة ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين
خير وافضل من ابي بكر رضي الله عنه وقيل انها نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
سئل الرسول عن شيء خاضوا فيه وتكلموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وزجروا ان يقولوا احد في شيء من دين الله قبل
ان يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الانطالبي منزلة فوق منزلته وقيل لا تفتاتوا على الله شيئا حتى
يقضيه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت من عمرو وكرمه وفايدة هذا الاسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك
المسلك وفي هذا تمهيد وتوطية لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة
هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام
واتقوا الله في التقديم فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه
فان التقي حذر لا يشاقه امر الامن يقاطع لم تبوا ومجال الشك فان لا تبعة عليه فيه وهذا كما يقول لمن تقارف بعض
الرذايل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو امتثل فيه
امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فحق مثله
ان يتقى ويراقب قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ○ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان
خيرا لهم والله غفور رحيم ○ اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد
وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام
الشرع اعظاما لما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالفه هلا بما يحبه عليه فيقارنه عما يصده عنه
وانتهاء الحكل حين لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذا نطق ونطقتم لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته
وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لايحة وسابقته واضحة
وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم ولا تجهروا له بالقول
ان كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل تعمدوا
في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض معناه ولا تنادوه باسمه يا احمد يا محمد كما ينادي بعضكم بعضا ولكن فخموه واحترموه
وقولوا له قولا لينا وخطابا حسنا بتعظيم وتوقير يا نبي الله يا رسول الله نظيره قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا ان تحبط اعمالكم كي لا تبطل حسناتكم منصوب المحل على انه مفعول له وفي
متعلق فعل النهي فيكون المعنى انهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله
تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وقيل متعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه
لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون
لهم عدوا وحزنا والحق الفرق بين القولين ان تعدية الفعل في الثاني حصوصا تضمنا اليها المفعول له كانهما شي واحد
ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يعدى النهي موجها الى الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه وعندنا لبصريين على
الفعل لها ثاني اقرب لنسبين مقدما اضماره عند الاول كقوله تعالى اتوني افرغ عليه قطرا وعند الكوفيين بالعكس فانهم كانوا

ثم وفد من تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع وقال عمر امر الاقرع فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فارتفع اصواتهم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا ٤

ترجع

ترجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص مراد اوه الحبوط كي الحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخت بطونها
وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها
ذلك واحبض عليه مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره
بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الامال وقد دلت الاية على امرين هايلين
احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الاثام ما يحبط عمله والثاني ان في اثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى
المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شايك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ وانتم لا تشعرون انه محبط وقيل نزلت
الاية في ثابت ابن قيس ابن شماس كان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم انسانا جهر بصوته فربما
كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته فانزل الله الاية فقعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم
ابن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان يكون نزلت في وانا رفيع الصوت فاخاف ان يحبط عملي وان اكون
من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله وغلب ثابتا البكاء فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول فقال لها اذا
دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار حتى اذا اخرجت عطفه وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله
فاتى عاصم رسول الله واخبره خبره فقال اذهب فادعه له فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله
فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله فقال النبي
ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان تكون الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله فانزل الله ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة
في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت
لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا رضي
الله عنهما واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام انه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين
نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عنده فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره
حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان علي دينا حتى يقضى وفلان من رقيقي عتيق
فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر رضي الله عنهما تلك الرؤيا
فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه وعن ابي هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي قال ابو بكر رضي الله عنه والله لا ارفع صوتي الا كاخي السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه ما حدث
رسول الله بعد ذلك فيسمع النبي كلامه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل
اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت
ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه
والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين
فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال للعباس بن عبد المطلب لما
انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم فصاح العباس يا صباحاه
فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت
الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وقيل انها نزلت فيمن يرفع صوته من المنافقين فوق
صوت رسول الله فحمل الخطاب للمؤمنين على انه نهي المؤمنين ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق
وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم برسول الله فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل
النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة
وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة
النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها اذا الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله يخفضون اصواتهم عنده
اجلالا اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه
ابن عباس طهرها وقال صاحب الكشاف من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه
والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها وقيل وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر
موضعها كانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن
له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن
والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه ونقاه وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال
من محنه وهو اختباره بليغ او بلاه جهدا قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت

واضطربتا مما لهما قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان فيهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء لمغفرة لذنوبهم واجر عظيم لطاعاتهم ان الذين ينادونك يعني وندائهم من وراء الحجرات والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان قال صاحب الكشاف فان قلت افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادى في احدهما يجوز ان يجمعها الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مبتدأ مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم من ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرات جمع حجرة وهي الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكان لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء الباب وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مستندا الى جميعهم يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاساة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة يقع موقع النفي في كلام العرب روي انهم لما جاؤا نادوا يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي من بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله في اهله قائلا فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوا ينادون اخرج الينا يا محمد حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة اني لا احكم بينهم وعمي حاضر وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عليه محرر من ولد اسمعيل فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الآية وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا الى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قد وردوا الآية على النمط الذي ورد عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه في حجرته ومنها المركز على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين منها استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم وقع باستجفائهم فاستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لموضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وما طة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان يكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطأة لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين يخافون ذلك فيغضون اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدار كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا اي ولو ثبت صبرهم فكذا محذوف نصب المفعول له وهو جنس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل الحبس على اليمين او الفعل ضير وفي كلام

بعضهم

بعضهم الصبر مر لا يجتنى الا اخره قال صاحب الكشاف فان قلت هل من فرق بين حتى يخرج والى ان يخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليه فان قلت فاي فائدة في اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كانوا اما صابرين او الفضل للمصابرين بعملهم واما صابرين مقصد بصبرهم واكثرهم من كذب كان نشر له خير الهلاك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل خيرا لهم في دينهم بما ينالون من الثواب في تعظيم نبي الله وفي دنياهم بما يكون من الثناء في نفس هذه الدلالة على وفور عقلهم باستعمال السكينة والوقار والله غفور رحيم مع هذا بليغ الغفران لمن تاب منهم رحيم فيه لهم واسع المغفرة والرحمة فلم يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فقال هم الجفاة من بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم هذه السورة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله او مع رسوله عليه السلام او مع غيرهما من ابناء الجنس وهم على صنفين لانهم اما ان يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غائبا عنهم فهذه خمسة اقسام احدها يتعلق بجانب الله وثانيها بجانب الرسول وثالثها بجانب الفاسق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا ايها الذين آمنوا ارشد في كل مرة الى مكرمة من قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول رسول الله وقال ثانيا يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبيان وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثالثا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على اقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم دون ذلك عند تفسير قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم وقال لا تنابزوا لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم والازدراء بحالهم ومنصبهم وقال خامسا يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولا تجسسوا وقال ولا يغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمن في حال غيبته وذكر ما لو كان بحاضر لتأذى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان الابتداء بالله ثم برسوله ثم بذكر ما يفضي الى الفتنة بين المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه فانه اهم ثم بالمؤمن الحاضر ثم بالمؤمن الغائب فانه لا يؤدي الحب الى التقاتل الا ترى ان الله تعالى ذكر عقيب نبأ الفاسق آية الاقتتال فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا نزلت الآية في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا ان يكون انما رده عن الطريق كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم ... رسول الله وبعث خالد بن الوليد اليهم في خفية مع عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال له انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشاء فاخذ صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ في تنكير فاسق ونبأ شياع في الفساق والانباء كانه قيل اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المنزلة التي لا يجسر احد منهم ان يخبره بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور وان تصيبوا كراهة ان تصيبوا بالقتل والقتال قوما برآء بجهالة لما تبين جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندم وهو من الندام وهو الملازمة ودوام الصحبة وذكر بعض العلماء في هذه الآية ان الخبر الواحد العدل يجب العمل به لان الله امر بالتثبت في خبر الفاسق ولو تثبتنا في خبر العدل لسوينا بينهما وقيل ان الوليد كان ثقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فاسقا بكذبه فخبر الواحد لا بد من تحرز بحسب الحال ان الوليد لم يقصد الكذب لانه ظن بذلك التجمع للاكرام انهم يقتلونه والظاهر ان التثبت معلل بالفسق فاذا انتفى ولم يتحقق علة اخرى للتثبت وجب قبوله وهو من فرائد التثبيت والوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم واعلموا ان فيكم

رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا الباطل او تفتروا الكذب فان الله تعالى يخبره انباءكم ويعرفه احوالكم فتفتضحوا لو يطيعكم
بالجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم
المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم
تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي
على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك
وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع
ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم
جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه
اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها
الا الخواص وقيل لو يطيعكم في كثير من الامر فيحكم برأيكم ويقبل قولكم لعنتم لاثمتم وهلكتم وقيل معناه وفيكم
الله والذي معه لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم تنالكم المكروه اي لو عمل برأيكم لكان يخطئ في افعاله كما لو قبل
من الوليد فقتلهم واخذ المال واخذوا لعنتم لاثمتم وقيل معناه لو فعل جميع ما تختارون وتريدون لنالكم
ضرر وقيل لغويتم وهلكتم وقيل لو يطيعكم جاء على الاصل لان الطاعة موافقة الداعي غير ان المستعمل في حق الاكبر
الاجابة وفي حق الادون الطاعة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم بنصب الادلة وقيل حسنه وزينه
بتوفيقه له وقيل بما وعد عليه من النصر والفتح في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرى والمعنى ولكن الله حبب اليكم
فانتم تطيعون رسول الله وتأتمون به فيقيكم الله بذلك العنت وكره اليكم الكفر اي قبح الكفر والفسوق الكذب
والخروج من امر الله وارتكاب الكبائر وقيل الفسوق الكبائر والعصيان الصغائر ثم انتقل من الخطاب الى الخبر
فقال اولئك هم الراشدون والكاف في اولئك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني اولئك المستثنون هم الراشدون
الذين قد اصابوا طريق الحق ولم يضلوا عن الهدى وفائدة تقديم خبر ان على اسمها القصد الى توبيخ بعض المؤمنين
على ما استهجن منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لارائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه
قيل يطيعكم دون اطاعكم للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم رأي
في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر لعنتم كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده
منه مستمرا فان قيل كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا اجيب بانها
مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم
ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وقيل الكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج
عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لامر الله لما امر به الشارع والعرف
المانع اعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال
ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضحى من صم الرشاد وفضلا مفعول له الفعل
الرشد لفعل الرشد فان الرشد فعل الله كما ان الفضل فعل الله ويجوز ان يكون فضلا مفعولا له للتحبيب والتزيين
والتكريه فان الكل بفضل الله لا بفعلهم واختيارهم والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض وقيل يجوز ان
يكون مصدرا من غير فعله فان التحبيب موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة
بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم في تدبيره حين يفضل وينعم
على من يشاء من عباده قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون
اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون قال اكثر المفسرين وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم في مجلس من مجالس الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك
فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان حمار رسول الله اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله بن ابي رجل
من قومه وغضب لعبد الله بن رواحة رجل من قومه فغضب لكل واحد منهما اصحابه حتى استبوا وتجالدوا بالايدي
والجريد والنعال فانزل الله هذه الاية فلما نزلت قرأها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض واقبل بشير بن النعمان الانصاري مشتملا على سيفه
فوجدهم فقال لعبد الله بن ابي علام تشتمل بالسيف يا بشير قال النعمان والذي احلف به لو جئت
حتى اقتلك فانشد عبد الله بن ابي
قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة
لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا
وحتى تناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف الكلبي انها نزلت في حرب سمير وحاطب
وكان سمير قتل حاطبا فاقتتل الاوس والخزرج يقتتلون الى ان اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الاية وامر نبيه والمؤمنين ان يصلحوا بينهما السدي كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد كانت تحت رجل وكان بينها وبين

وبين

زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزلت
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والقياس اقتتلتا لكن حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس
فاصلحوا بينهما بالدعاء الى كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما قتالا بالسيوف الكلبي نزلت في حرب سمير وحاطب
والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء وترجع الى امر الله الى كتاب الله الذي جعله عدلا بين
خلقه والفيء الرجوع وقد يسمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين فان فاءت
رجعت الى الحق فاصلحوا بينهما بالعدل بحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله وهو العدل واقسطوا واعدلوا بينهما
في ترك الهوى والميل وقيل اقسطوا ايها الناس فلا تقتتلوا ابتغاء الحق ان الله يحب المقسطين العادلين في القول
والفعل فالقتال واقسطوا خطاب للمصلحين والمخاطبين بالصلح والعفو والفضل بينكم
اليهم وفي الاية دليل على وجوب قتال الباغي بالسلاح وفي هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى
سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين عاصين يدل على ذلك ما روى الحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سئل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون
فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها
ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها وعنه رضي الله عنه ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت
من هذه الاية اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل
عن الحرب ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب
ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة والواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر الكف
والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقاما على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت
عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على
مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا به ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد
لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احديهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب
فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث
لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي
بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند
الجميع فحمل الاصلاح بالعدل عند محمد ظاهر منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة
قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق
للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط وانما قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول لان المراد بالاقتتال في اول
الاية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شانهما اصلاح
ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان
فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على
طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله عز وجل على عقب النهي عن التقدم
بين يديه انما المؤمنون اخوة في الدين والولاية فاصلحوا بين اخويكم اذا اختلفا واقتتلا هذا تقرير لما الزمه من تولي
الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب
اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة فلم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا
نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول
مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة
في الدين احق بذلك وباشد منه قال ابو عثمان الحيري اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة
الدين ولا تنقطع بمخالفة النسب وسئل الجنيد عن الاخ فقال هو انت في الحقيقة الا انه غيرك في الشخص وعن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر
عليه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره الا ان يغرف له ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها الى صبيان جاره
ولا يطعمونهم منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا الجار ولا يحفظه منكم الا قليل وانما خص الاثنان
بالذكر لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد
في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة
وانهم خلص لذلك وانهم متمحضون قد انزاحت عنهم شبهة الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا
على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على
التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه لعلكم ترحمون وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم
واشتمال الرافة عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى

فان بغت تعدت احدهما على الاخرى
وابت الاجابة الى حكم كتاب الله لها وعليها

واخوة الدين

خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ● يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنيه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلوة الفجر ركعة مع رسول الله فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم منه فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة وقام منها أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل وقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه فاستحيا فأنزل الله هذه الآية الضحاك نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة استهزؤا بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خباب وعمار وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فأنزل الله في الذين آمنوا منهم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي رجال من رجال القوم اسم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجميع الرجال كقوله وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء وقيل القوم للرجال لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهم في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر وقيل تسمية بالمصدر عن بعض العرب إذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاد للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وأن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحد من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثر السخرية وانقلاب الواحد جماعة وقوما عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما هو قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات وإنما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم بذلك بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية وهو ثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها كأنها لسان كلب فكان هذا سخريتهما وقال أنس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وقيل نزلت في عائشة رضي الله عنها أشارت بيدها إلى أم سلمة أنها قصيرة وروى عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ولا تلمزوا أنفسكم أي ولا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض واللمز الطعن والضرب باللسان وقيل اللمز العيب في المشهد والهمز في المغيب وقيل الهمز يكون باللسان والعين والإشارة واللمز لا يكون إلا باللسان والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج أخرج إلينا بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط قال الضحاك فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وما منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا الرجل الرجل باسم قلنا يا رسول الله إنه يغضب من هذا فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب قال قتادة وعكرمة وهو قول الرجل للرجل يا فاسق يا كافر يا منافق وقال الحسن كان اليهودي والنصراني إذا أسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وعن ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات

ثم تاب

فجعلوا يتفسحون له

النهي م

واحد م

الحجاج م

ثم تاب عنها ورجع إلى الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله بئس الاسم الذكر المرتفع لهم ظاهرا باسمه في ألسنة الكرام أو بالقوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سمى من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وقيل بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ولا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق وقيل الاسم الذي تسميه يا فاسق بعد أن علمت أنه آمن قال صاحب الكشاف وفي قوله بعد الإيمان ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في شتايمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة ومن لم يتب عما نهي عنه فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن نزلت في رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين فتقدم سلمان الفارسي إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا قالا ولم قال غلبتني عيناي فقالا له انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلب لنا منه طعاما وإداما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من الطعام والإدام فليعط وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما بذلك فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع سلمان قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما فقال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيتعدى إلى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله إن بعض الظن إثم قال صاحب الكشاف فإن قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه والظن بما يجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله حرم من المؤمن دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له إن بعض الظن إثم ذنب يستحق به صاحبه العقاب وعقوبته قيل للعقوبة آثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى فعلة أصاب النوى قيل الجمات آثامها والهمزة في الإثم عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ولا تجسسوا يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وأنا لمسنا السماء والتجسس يقارب التحسس الذي هو التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم وقيل التجسس ما يكتم ويوارى ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث لأخبار والبحث عنها ومعنى الآية خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالاستكشاف عما ستروه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا وعن زيد بن وهب قال قيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذ به وعن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب المدينة فبينما هما يمشيان إذ شب لهما سراج في بيت فانطلقا يؤمانه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضي الله عنه وأخذ بيد عبد الرحمن أتدري من بيت هذا قلت لا أدري قال بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قال عبد الرحمن أرانا قد أتينا ما نهى الله عنه فقال الله لا تجسسوا وقد تجسسنا فانصرف عمر رضي الله عنه وتركهم وعن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا فقال له زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا أمير المؤمنين هذا التجسس فخرج عمر رضي الله عنه وتركه وعن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

أدى م

بستان اذ تبينت همانا فاتيا الباب فاستاذنا ففتح الباب ودخلا فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح
فقال عمر رضي الله عنه للرجل وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المؤمنين فقال له عمر فمن هذه منك قال امراتي
قال فما في القدح قال ماء زلال فقال للمراة وما الذي تغنين فقالت اقول تطاول هذا الليل واسود جانبه

[illegible]

في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم
لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حين لم تؤمنوا ولما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا
فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا سرا وعلانية لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته
السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية
الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرأ ابو عمرو ولا يألتكم اعتبارا بقوله وما التناهم
من عملهم من شيء قال الشاعر ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا
والباقون يلتكم من لات يليت كقول رؤبة وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت ومعناهما
لا ينقصكم ولا يظلمكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور للذنوب رحيم بالعباد قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم ● ثم بين حقيقة الايمان فقال انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في وحدانية الله ولا في نبوة انبيائه ولا فيما آمنوا به
بل ايقنوا واخلصوا وارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك
فيما آمنوا به ولا اتهموا من صدقوه واعترفوا بان الحق له قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي
وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها
التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين
بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على
ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنين حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني
ان الايقان وزوال الشك لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي
اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو
العدو المحارب او الشيطان والهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول
العبادات بجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول الزكاة وكل ما
يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم
آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات
اي ما اشعرتم به حيث قلتم آمنا قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل
شيء عليم قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم
صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ● يقال من عليه بيد اسداها اليه كقولك
انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع
لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعه اذا اعتده عليه منة وانعاما
وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعراب قد سماه اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا
فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون
عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم
اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يمن عليكم اذا امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على
ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه
وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم للايمان فلله المنة عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله
بصير بما تعملون قرأ ابن كثير بالياء من تحت والباقون بالتاء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم
يعني ان الله عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم فانه عالم بكل شيء لا يختلف علمه بالنسبة الى كل معلوم

سورة ق

ويقال لها سورة الباسقات روى العوفي وغيره عن ابن عباس انها مكية وكذا قال الحسن ومجاهد وعكرمة
وقتادة والجمهور وحكي عن ابن عباس وقتادة فيها آية مدنية وهي قوله ولقد خلقنا السموات والارض
الآية وهي الف واربعمائة وسبعون حرفا وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وخمس واربعون آية ●
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ● الكلام في ق

والقرآن

ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحو ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد
ابن عباس رضي الله عنه ق اسم من اسماء الله اقسم به قتادة اسم من اسماء القرآن القرظي مفتاح اسماء الله
قدير وقادر وقاض وقريب وقاهر وقابض الشعبي فاتحة السورة وعكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض
من زمردة خضراء خضرة السماء منه وعليه كنف السماء وما اصاب الناس من زمرد فهو مما تسقط من ذلك الجبل
وهي رواية ابي الجوزاء عن ابن عباس قال وهب ان ذا القرنين اتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له ما انت
قال انا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وليست مدينة من المدائن الا وفيها عرق منها فاذا اراد الله
ان يزلزل تلك الارض امرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا قاف فاخبرني من عظمة الله عز وجل فقال
ان شأن ربي لعظيم تقصر عنه الصفات وتنقطع دونه الاوهام قال فاخبرني بادنى ما يوصف منها قال ان وراءي
ارضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضه بعضا لولا ذلك الثلج لاحترقت من حر جهنم قال ذو القرنين زدني
قال ان جبريل واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك واولئك الملائكة صفوف بين
يدي الله عز وجل منكسو رؤسهم فاذا اذن الله لهم بالكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة
صفا الى قوله وقال صوابا يعني لا اله الا الله وقال الفراء سمعت من يقول حاء فحضر ما هو كأنه ابو بكر الوراق قف عند
امرنا ونهينا ولا تعدهما وقيل معناه قل يا محمد وقيل هو قرب الله من عباده بيانه قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ابن عطاء اقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله والقرآن
المجيد ذي المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب
من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
مخوف منهم قد عرفوا حسبه ونسبه وصدقه وامانته ووساطته فيهم وعدالته ومن كان على صفته لم يكن
الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم
ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله
على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ثم عول على احد الانكارين
بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار
ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم هذا اشارة الى الرجع شيء
عجيب ائذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك
هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو
الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن واذا كان
الرجع بمعنى المرجوع يكون ناصب الظرف ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قوله تعالى قد علمنا ما تنقص
الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع
نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ● قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه
الى ما يتغلغل حتى ينقص الارض من اجساد الموتى فتأكله من لحومهم واجسادهم وقيل قد علمنا ما يلي منهم وما يبقى
الا العصعص لا تأكله الارض كما جاء في الحديث كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه يركب وابدان الانبياء والشهداء
ايضا لا تبلى وقال المرتضى المراد وقد علمنا من يموت منهم ومن يبقى وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن ان يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الاشياء المقدرة وقيل حافظ لما اودعه وكتب فيه
بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة
الثابتة بالمعجزات لما جاءهم فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه
ومرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وسئل ابن عباس عن المريج فقال الشيء
المنكر اما سمعت قول الشاعر فجالت والتمست به حشاها فخر كأنه خوط مريج الوالبي عنه امر مختلف الحسن في
ضلال له سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس قتادة من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ابن زيد
مختلط وقيل فاسد وقيل متغير وكل هذه الاقاويل متقاربة واصل المرج الاضطراب والقلق يقال قد مرج امر الناس
ومرج الدين والخاتم في اصبعه ومرج اذا قلق من الاضطراب وفي الحديث مرجت عهودهم واماناتهم وقيل الحق القرآن
وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج شقوق وفتوق واحدها فرج ابن زيد الفروج الشيء المتفرق وقيل المشقوق المتباين بعضه
من بعض الكسائي ليس فيها تفاوت واختلاف يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله
هل ترى من فطور والارض مددناها بسطناها ودحوناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج يحسنه اي يسر بالنظر اليه تبصرة وجعلنا ذلك تبصرة لتبصروا به وذكرى لتذكروا به لكل عبد منيب راجع الى
متفكر في بديع خلقه يعني تبصيرا وتذكيرا وتنبيها له لان من قدر على خلق السموات والارض والنبات قدر ان يبعثهم

ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد
وتدخر ... الحب الى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وحق اليقين
وحبل الوريد ونحوهما والنخل باسقات طوالا في السماء ... سعيد بن جبير مستويات
الحسن مواقير وحوامل يقال للشاة اذا ولدت بسقت ... النصب على الحال لها طلع
نضيد منضود متراكب بعضه فوق بعض اي نضد بعضه على بعض مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها
وثمرها امثال القلال والدلاء انهارها تجري في غير اخدود رزقا اي جعلناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه
مفعول له اي انبتناها لرزقهم واحيينا به بالماء بلدة ميتا قد جف نباتها وتهشم فانبتنا فيها ما اهتزت بالنبات
تحيينك كذلك الخروج كما احيينا هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء

قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع
كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس و
عاد وفرعون اي قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به
كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى واخوان لوط اي قوم لوط وسماهم
اخوانه لان بينهم نسبا فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتخويف وتهديد لكفار مكة افعيينا بالخلق الاول اي اعجزنا عنه وتعذر علينا فعيينا بالاعادة والخلق
الثاني عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الخلق الثاني ثم
قال بل هم في لبس شك من خلق جديد وهو البعث اي انهم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف
بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله
عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان انه يسول اليهم ان احياء الموتى خارج
عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر وقصد في تنكير خلق جديد
الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله

قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد
مريب الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد
قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد ● ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به تحدث به نفسه فلا يخفى علينا سره والوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس
والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما يجعله موسوسا
وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته نفسه به قال اكذب النفس اذا حدثتها ونحن
اقرب اليه اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى
عليه شيء من خفياته وكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط
القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد وحبل الوريد عرق في العنق
وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين فان الحبل هو العرق شبه
بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين
يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده واضافة الحبل الى الوريد وهو نفسه للبيان كقولهم بعير سانية وقيل
يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا والمنصوب في
وساغ ذلك لان المعاني يعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء
اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى المتلقيان اي يتلقى ويأخذ المتلقيان الملكان الموكلان الحفيظان
وكل الله تعالى بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره الحجة احدهما عن
يمينه يكتب الحسنات والآخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل قعيدان قال
اهل البصرة لانه اراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الآخر كقول الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأي مختلف والقعيد والقاعد كالسميع والسامع والعليم والعالم ... وقال اهل الكوفة
اراد قعودا ... الى الجنس فوضع الواحد موضع الجمع كالرسول في الاثنين قال الله تعالى انا رسول رب العالمين عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك لسانك قلمهما وريقك
مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وعنه صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على
يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات

لعله يسبح او يستغفر قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه ابن الجوزي ومجاهد
يكتبان عليه كل انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان عليه الا ما يؤجر عليه او يوزر فيه الضحاك مجلسهما تحت الثغر
على الحنك ومثله روي عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من حافظين رفعا الى الله ما حفظا فيرى الله تعالى في اول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا الا قال للملائكة اشهدوا
اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله
فاذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فتأذن لنا فنصعد الى السماء فيقول الله سمائي
مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان فنقيم في الارض فيقول الله ارضي مملوءة من خلقي يسبحون فيقولان فاين نكون
فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيمة ما يلفظ ما يتكلم من قول الا لديه
عنده رقيب حافظ عتيد حاضر والعتيد بمعنى المعد من قوله انا اعتدنا ...
... ان الملكين ...
استحفاظ الملكين امر هو منه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي
ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض الصحائف يوم تقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله تعالى بعلمه من زيادة
لطف له في الانتهاء من السيئات والرغبة في الحسنات وقد يجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه
مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والمتلقي المتلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد
كالجليس بمعنى المجالس وجاءت سكرة الموت لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه
هم يجدونه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله
وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل كالسكر الذي يغلب على فهم الانسان
من الشراب بالحق بحقيقة وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان فالباء في بالحق للتعدية يعني
واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله وقيل حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت
بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر وقيل الحق هو الله تعالى اي وجاءت سكرة امر الله بالموت
لما كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقضي قالت عائشة لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فقال ابو بكر رضي الله عنه لا تقولي يا بنية ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك اشارة الى الموت
والخطاب للانسان في قوله لقد خلقنا الانسان على طريقة الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر ما كنت منه تحيد
تنفر وتهرب وقيل تميل الحسن تهرب الضحاك تروغ عطاء الخراساني تميل مقاتل ابن حيان تنكص واصل الحيد الميل يقال
حدت عن الشيء احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه وعن بعضهم انه سأل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال صالح والله ما سن عالية ولسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو
للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي تحقيق الوعيد وانجازه ... ذلك اليوم الوعيد الذي وعده الله الكفار ان يعذبهم
فيه الاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق يسوقها الى المحشر وشهيد يشهد عليها
بما عملت في الدنيا من خير او شر روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب فقرأ الآية فقال السائق يسوقها الى الله
والشاهد يشهد عليها بما عملت وقال الآخرون هما جميعا من الملائكة والشاهد من انفسهم الايدي والارجل ابو هريرة السائق الملك
والشاهد العمل وقيل ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على
الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة اي يقول الله تعالى لقد كنت في غفلة من
هذا كأن الغفلة غطاء غطي به جسده كله وقيل كأن الغفلة غشاوة غطي بها عينيه فلا يبصر شيئا فكشفنا
عنك غطاءك اي فاذا كان يوم القيمة تيقظت وزالت الغفلة والغطاء فبصرك اليوم حديد
فتبصر ما لا تبصره من الحق ورجع بصرك الكليل عن الابصار لغفلتك حديدا قويا نافذا ثابتا ... كان يحيو عنك
مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقيل اراد بالبصر العلم
اي علم حين لا ينفعه العلم وابصر حين لم ينفعه البصر وقال قرينه الموكل به هذا ما لدي عتيد معد محضر مجاهد يقول هذا
الذي وكلتني به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان اعماله وقيل قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض
له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد هذا ما لدي ...
ملكته عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها
باغوائي واضلالي وما في قوله ما لدي ان جعلتها موصولة فعتيد بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف القيا في جهنم
خطاب من الله للملكين السائق والشهيد وقال للملكين القيا في جهنم وقيل يجوز ان يكون خطابا للواحد على
وجهين احدهما ان يجعل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل لاتحادهما فيكون كانه قيل الق الق تكرير الفعل فيه وكانه
يقول الق الق فناب القيا مناب الق الق للتأكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا
خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الفصيح ان يخاطب

الواحد بلفظ الاثنين وهو جيد حسن تقول العرب ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء واصل ذلك
ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبيه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليلي قال امرؤ القيس
خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لبانات الفؤاد المعذب وقال قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وقال الآخر فقلت لصاحبي
لا تحبسانا بنزع اصوله واجتز شيحا قال الفراء انشدني ابو ثروان فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم
عرضا ممنعا وعن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه ويجوز ان يكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل
مجرى الوقف كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله عاش معرضا عن الحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك
عادة له لا يبذل منه شيئا وقيل مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم معتد ظالم متخط للحق مريب شاك
شاك في الله سبحانه وفي دينه ومعناه انه داخل في الريب الذي جعل في محل النصب بدل من كل كفار فالقياه تكرير
للتوكيد وقيل الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء فالقياه في العذاب الشديد وهو النار
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة واراد بقوله مناع للخير انه كان يمنع بني اخيه من الاسلام ويقول لئن دخل احدكم في دين محمد
لا انفعه بخير ما عشت قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد ربنا ما اطغيته ما اضللته وما اغويته
ما اكرهته على الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق قاله ابن عباس ومقاتل قال قرينه يعني الملك الذي
اذا الوليد بن المغيرة يقول الملك الذي كان يكتب السيئات ربنا انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما اعجلته وقال سعيد بن جبير
يقول الكافر ربنا ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته ما زدت عليه في الكتابة وما كتبت الا ما قال
وعمل وانما اخليت الجملة الثانية عن الواو وادخلت على الاولى لان الجملة الثانية استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية
التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قيل اين التقاول ههنا اجيب بانه لما قال قرينه هذا ما لدي
عتيد وتبعه قوله ربنا ما اطغيته وتلاه قوله لا تختصموا لدي علم ان ثمة مقاولة من الكافر لكنها طرحت لدلالة ما يدل عليها كأنه
قال رب هو اطغاني فيقول قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له قال الله لا تختصموا لدي استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا
قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته
بحجة وقد قضيت ما انا قاض وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في القرآن وحذرتكم وانذرتكم ما يبدل القول
لدي فلا تبديل لقولي ولا وعيدي قال ابن عباس انهم اعتذروا بغير حجة فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم ما يبدل القول
لدي هو قوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الفراء ما يكذب عندي لعلمي بالغيب وما انا بظلام
للعبيد فيكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت
ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان
واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندكم في الآخرة فان قلت كيف
قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول انتصابه بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كأنه
قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف قرأ نافع وابو بكر
عن عاصم يقول بالياء والباقون بالنون لجهنم هل امتلأت لما سبق من وعده اياها انه يملأها من الجنة والناس اجمعين
وهذا السؤال من الله سبحانه على طريق التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاهل عذابه والتنبيه لجميع عباده
وتقول لجهنم هل من مزيد يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الاستزادة اي هل من مزيد فازاده ويحتمل ان يكون جحدا اي ما
من مزيد اي امتلأت هل لوجهين جميعا لان في الاستفهام ضربا من الجحد وطرفا من النفي قال صاحب الكشاف وسؤال جهنم
وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها
وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من
يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها او استبقاء للزيادة عليهم لفرط
كثرتهم او طلبها للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع قال ابن عباس ان الله
قد سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما بعث الناس وسيق اعداء الله الى النار زمرا جعلوا
يقتحمون في جهنم فوجا فوجا لا يلقى في جهنم شيء الا ذهب فيها فلا يملؤها شيء فقالت الست قد اقسمت لتملأني
فوضع قدمه عليها ثم يقول لها هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت فليس في مزيد قال ابن عباس ولم يكن
يملؤها شيء حتى وجدت مس ما وضع الله عليها فتضايقت فما فيها موضع ابرة ومعنى القدم قوم يقدمهم الله الى جهنم يملأها
بهم وقد سبق في علمه انهم صائرون اليها وخالدون فيها سئل الخليل عن معنى هذا الخبر فقال هم قوم قدمهم الله
للنار وقال عبد الله بن المبارك هم من قد سبق في علمه انهم من اهل النار وكل ما تقدم فهو قدم قال الله ان لهم
قدم صدق عند ربهم يعني اعمالا صالحة قدموها والرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال رأيت رجلا من الناس
ورجلا من الجراد ويصدق هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في سياق الحديث ولا يظلم الله من خلقه احدا
فبين ان الموضوع الملقى في النار خلق من خلقه وقال بعضهم اراد قدم بعض ملائكته ورجله فاضافه الى نفسه كقوله
تعالى واسأل القرية التي كنا فيها ● قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي

الرحمن

الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ● وازلفت الجنة للمتقين حتى يروها قبل ان يدخلوها
غير بعيد منهم نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر
يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد
وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا ما توعدون في الدنيا على السنة الرسل لكل اواب تواب رجاع الى الله
قال ابن عباس وعطاء الاواب المسبح من قوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال الحكم بن عتيبة هو الذاكر لله في الخلاء وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر
ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل المصلي وقال مقاتل المطيع وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله وقال
الوراق هو المتوكل على الله في السراء والضراء ولا يهتدي الى غير الله وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه وقيل هو الذي لا يلتفت
الا الى الله حفيظ قال ابن عباس هو الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمه وعن ابن عباس
ايضا الحافظ لامر الله وقال الضحاك الحافظ على نفسه المتعهد لها وقيل هو الذي يذكر الله في الارض القفر وقال الشعبي
هو المراقب وقال ابو بكر الوراق الحافظ لاوقاته وهماته وقال سهل بن عبد الله الحافظ على الطاعات واوامر الله تعالى
وهذا ما توعدون جملة اعتراضية لكل اواب بدل من المتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا
اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت من خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب
حفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون
مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن
الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق
الاستدلال او صفة لمصدر خشي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب
الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد وانما قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على
الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليهم بالخشية مع ان المخشي منه
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله
لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب وقيل منيب مقبل الى الطاعة وقال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا لحرمته
وموالياله متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه ادخلوها بسلام اي يقال لهم ادخلوها سالمين من العذاب ومن زوال
النعم وقيل بسلام من الله وملائكته عليكم ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها
خالدين او هو تقدير الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولم يبلغه امانيهم حتى يشاؤوه وقال انس
وابن عباس هو النظر الى وجه الله بلا كيف وقيل السحاب يمر باهل الجنة فيمطر عليهم الحور فيقول نحن المزيد الذي قال الله ولدينا مزيد
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد قال ابن عباس اثروا وقال مجاهد ضربوا وطافوا في
الارض وطوفوا واصل التنقيب والنقب الخرق قال امرؤ القيس لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
والتنقيب السير في الارض والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
فنقبوا في البلاد ساروا فيها طلبا للمهرب ودخلت الفاء للتسبيب اي اشتد بطشهم فاقدرهم على التنقيب
وقوتهم عليه وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله
لانفسهم هل من محيص من الله او من الموت ● قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود ● ان في ذلك اي في اهلاك من اهلكت وقيل فيما ذكر في هذه
السورة لذكرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي عقل فكنى عن العقل بالقلب لانه موضعه ومنبعه قال قتادة لمن كان
له قلب حي نظيره لينذر من كان حيا وقال الشبلي كل قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان
قلب احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الآخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى باحوال
الآخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة وقيل معناه ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب مستقر لا يتقلب عن الله في السراء والضراء وقيل لمن قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع اي
القرآن تقول العرب الق الي سمعك اي استمع قال الحسن بن الفضل يستمع وهو شاهد الى الذكر كما تقول اصغى اليه
وهو شهيد حاضر القلب بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب قال قتادة وهو شاهد على ما يقرأ ويسمع في كتاب الله من
نعت محمد وقيل وهو مؤمن شاهد على صحته بانه وحي من الله وقيل وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس
ولقد خلقنا السموات والارض عن ابن عباس ان اليهود اتت النبي فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله
الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال وما فيهن يوم الثلثاء وخلق الشجر والنبات والماء يوم الاربعاء وخلق السماء
يوم الخميس وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة فقالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد
اصبت لو تممت ثم استراح يوم السبت فغضب النبي عليه السلام غضبا شديدا فنزلت ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب من اعياء وتعب وقيل ان الذي وقع من التشبيه في هذه الآية انما
وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من

انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل
الصبر مأمور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا ربك قال عطاء الخراساني يعني قل سبحان الله والحمد لله وقيل صل
بامر ربك وتوفيقه قبل طلوع الشمس يعني صلوة الفجر وقبل الغروب صلوة العصر وعن ابن عباس وقبل الغروب صلوة الظهر والعصر
ومن الليل فسبحه يعني صلوة العشائين قال مجاهد من الليل كله يعني صلوة الليل في اي وقت صلى وادبار السجود التسبيح
في ادبار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وقال عمر بن الخطاب وعلي بن
ابي طالب وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي وادبار السجود الركعتان بعد المغرب
وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب
ادبار السجود وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين كتبت صلوته في
عليين ما لم يتكلم قال انس يقرا في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الاخرى قل هو الله احد ووقتها ما لم
يغب الشفق مجاهد هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات ابن زيد هو النافلة ادبار المكتوبات قرا ابو عمرو
وعاصم والكسائي وابن عامر ويعقوب بفتح الالف والباقون بالكسر وقال بعض العلماء في قوله قبل طلوع الشمس ركعتا
الفجر وقبل الغروب الركعتان قبل المغرب وعن انس كان ذوو الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون
الركعتين قبل المغرب وعن عبد الله بن حبيب قال رايت اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون اليها كما يبتدرون
الى المكتوبة يعني الركعتين قبل المغرب وقال قتادة ما ادركت احدا يصلي الركعتين قبل المغرب الا انسا وابا برزة الاسلمي

قوله تعالى واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا
نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما
انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد ● واستمع يا محمد لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك
تهويل عظيم وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه يوم ينادي المنادي منصوب بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم
ينادي المنادي يخرجون من القبور ينادي المنادي اسرافيل ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبريل ينادي
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل باثني عشر
يوم يسمعون بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الاخيرة بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء ذلك يوم
الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتصدع
الارض عنهم سراعا جمع سريع حال من المجرور في عنهم ذلك حشر جمع علينا يسير هين وتقديم علينا يدل
على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر على كل شيء الذي لا يشغله شان عن شان كما قال
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون المشركون من تكذيبك وتكذيب البعث والافتراء علينا هذا تهديد
وتسلية لرسول الله وما انت عليهم بجبار بمسلط تقهرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا منذرا فذكر بالقران من يخاف
وعيد قال ابن عباس قال المؤمنون لو ذكرتنا يا رسول الله فانزل الله فذكر بالقران من يخاف وعيد يخص الخائفين لانتفاعهم

سورة الذاريات

وهي الف وماتان وسبع وثمانون حرفا ● وثلثمائة وستون كلمة ● وستون اية ●
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● والذاريات ذروا ● فالحاملات وقرا ●
فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف
يؤفك عنه من افك ● والذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح يقال ذرت الريح التراب
واذرته وعن الاعرج ان مساكن الرياح تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج
من عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال ثم تقع من رؤس الجبال فتقع في البر فاما الشمال فانها تمر بجنة عدن فتاخذ من عرف
طيبها فتمر على ارواح الصديقين ثم تاخذ حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وتاتي الدبور فحدها من مغرب
الشمس الى مطلع سهيل وتاتي الجنوب فحدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس وتاتي الصبا فحدها من مطلع الشمس
الى كرسي بنات نعش فلا تدخل هذه في حد هذه فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن تجري جريا
ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم
بامر الله قال مجاهد يتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن
الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشي
السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين
قلت اما على الاول فمعنى التعقيب في القسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم
الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدي في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل

السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود
البعث والوعد صادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع لحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق مثل حبك
الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح
خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها
نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم
محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهي جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ بالحبك
انكم لفي قول مختلف في القران انه سحر وشعر واساطير الاولين وفي محمد فمن مصدق ومكذب ومقر ومنكر وانه شاعر
وساحر ومجنون الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل نزلت في المقتسمين يؤفك عنه القران
او الرسول عن الايمان به من افك من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم فكانه لا صارف كقوله لا يهلك على الله الا هالك
وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي وقيل يصرف عن هذا القول
من اجله وبسببه عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون له انه ساحر وكاهن
فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد وقد يكون عن بمعنى من اجل ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم
بالذاريات على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال
يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المأفوك قوله تعالى قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون ايان يوم الدين
يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ● قتل الخراصون الكذابون قال ابن عباس لعن المرتابون
وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الاسلام
وقال مجاهد هم الكهنة كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح وقيل الخراصون
المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون الذين هم في غمرة في جهل
وشبهة وجهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء يعني متى يوم القيمة استهزاء
منه وتكذيبا وقد يقع ايان ظرفا للشيء لان الاحيان لا يقع ظرفا الا للحدثان فيكون معناه ايان وقوع يوم الدين
ويوم الذي وقع في الجواب منصوب بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون
محله النصب بالفعل المضمر الذي هو يقع وقيل محله الرفع على تقدير هو يوم هم على النار يفتنون يعذبون ويحرقون
ويفتنون بالنار كما يفتن الذهب ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة وقيل مجاز الفطنة على هاهنا انهم يعرضون
على النار وقيل هو بمعنى الباء ذوقوا فتنتكم في محل النصب على الحال اي مقولا لهم ذوقوا فتنتكم هذا اي هذا العذاب مبتدأ
خبره هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم فذوقوا هذا العذاب قوله تعالى
ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ذكر حال المتقين فقال ان المتقين في جنات وعيون اخذين
قابلين ما اتاهم ربهم كل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما اتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن
طيب ومنه قوله ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها سعيد بن جبير يعني اخذين ما امرهم ربهم عاملين بالفرائض التي
اوجبها عليهم انهم كانوا قبل ذلك اي قبل دخولهم الجنة محسنين قد احسنوا اعمالهم في الدنيا وقيل قبل نزول الفرائض محسنين
في عملهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت
قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان تكون ما مصدرية اي كانوا قليلا من
الليل هجوعهم ويجوز ان تكون موصولة اي كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فيه
لفرط الهجوع وهي الغرار من النوم قال لقد خصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا من الليل
السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا
العتمة انس يصلون ما بين المغرب والعشاء مطرف قل ليلة لا يصلون فيها لله تعالى اما من اولها واما من وسطها الحسن لا ينامون
من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر وبالاسحار هم يستغفرون فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار
كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين
وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه ابن عمر يصلون ثم الضحاك يصلون صلاة الفجر وفي اموالهم حق للسائل
الذي يسئل الناس ويستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل المحروم الذي
ليس له في الاسلام سهم وقيل الذي لا يكاد يكسب عكرمة المحروم الذي لا ينمى له مال زيد بن اسلم هو المصاب ثمره او زرعه
او نسل ماشيته محمد بن كعب المحروم صاحب الحاجة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون وعن ابي قلابة كان رجل من اهل اليمامة
له مال فجاءه سيل فذهب بماله فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا المحروم واصله في اللغة الممنوع من الخير
وهو المنع عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيمة يقولون يا ربنا ظلمونا
حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول وعزتي وجلالي لاقربنكم ولابعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم
حق للسائل والمحروم قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون

فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ● قيل متعلق بقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
وفي الارض آيات للموقنين بدلهم على ان الحشر كائن كما قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى قوله ان الذي احياها
لمحيي الموتى وقيل متعلق بقوله ان المتقين فانهم خافوا الله بعظمه واظهروا الشفقة على عباده وكان لهم آيات في الارض و
في انفسهم على اصابتهم الحق في ذلك فان من يكون في الارض الآيات العجيبة تكون له القدرة التامة فيخشى ويتقي ومن له
في انفس الناس نعم بالغة وحكم سابغة يستحق ان يعبد ويترك الهجوع بعبادته واذا قابل العبد عبادته بالنعم يجد هاتين
حد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم ان الرزق من السماء لا يبخل بماله وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته
وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين
في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان
النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها
موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب
المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه
تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم اي في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها
من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني
وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة
المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسى شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين ابن الزبير وفي انفسكم افلا
تبصرون سبيل الغائط والبول ان يسرك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شاء لبيناه حصا خرج منها
فتلك الآية في النفس ابو بكر الوراق تحويل الحالات وضعف القوة ووهن المنة وعجز الاركان وفسخ العزيمة ونقض الهمة
وفي السماء رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات سعيد بن جبير هو الثلج والمطر اللذان بهما تخرج الارض النبات الذي هو سبب
الاقوات وقيل معناه وفي المطر سبب رزقكم سمي المطر سماء لانه من السماء نزل قال الشاعر اذا سقط السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا ابن كيسان وعلى رب السماء رزقكم [illegible] في جذوع النخل والرب مقدر كقوله واسئل
القرية ونظيره قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وما توعدون من خير او شر الضحاك الثمار مدون من الجنة
والنار ابن سيرين وما توعدون الساعة وقيل ما ترزقون في الدنيا وما توعدون في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب
السماء والارض انه اي الذي ذكرت من امر الرزق لحق مثل قرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل
نطقكم والباقون بالنصب على انه حق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتح بناء لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بين المضاف
وهذا النحو كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا والضمير في انه اشارة الى ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي صلى الله
عليه وسلم او الى ما توعدون قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون ● فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال
ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين
مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ● وتركنا فيها
آية للذين يخافون العذاب الاليم ● اشارة الى تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بيان ان غيره من الانبياء كان
مثله واختار ابرهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي صلى الله عليه وسلم على سنته في بعض الاشياء وانذار لقومه
بما جرى من الضيف من انزال الحجارة على المذنبين المضلين هل اتيك حديث ضيف ابرهيم اي ما كان من شأنهم
[illegible]

[illegible]

الاستثناء مفرغا فيكون المستثنى منه مما تقدم ذكره او غيره والاصل عدمه اذ لا دلالة عليه فتعين ما تقدم ذكره وهو
قوله من المؤمنين فيكون المسلم مستثنى من المؤمنين فيلزم اتحاد الايمان والاسلام والجواب ان غاية ما ذكر ان المؤمن
يصدق على المسلم ولا يلزم من صدق المسلم على المؤمن اتحاد مفهوم الاسلام والايمان فان الكاتب يصدق على الانسان
في شخص موجود كاتب ولا يلزم من ذلك اتحاد مفهوم الكاتب والانسان وتركنا فيها اي في القرية آية علامة للذين يخافون
العذاب الاليم ويعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل انها اسود منتن ابن جريج هي صخر منضود فيها ●
قوله تعالى وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم ● وفي موسى معطوف على وفي الارض آيات للموقنين وقيل معطوف على قوله وتركنا
آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى فاعرض عن الايمان وادبر بركنه بقوته وقومه
المنعة بالعشيرة المرتع بجانبه وجمع يديه وهو كناية عن المبالغة في الانكار والاعراض وقيل بميله عن الحق والركن
ما يركن اليه الانسان من المال والجند والقوة وقال ان موسى هو ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة مع الواو حال من الضمير في فنبذناه قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف نبى الله يونس بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف على
حسب اختلاف ما تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذا مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا
رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم ● العقيم هي التي لا تلقح شجرا ولا تنشئ سحابا
ولا رحمة فيها ولا بركة وهي ريح الهلاك عن علي رضي الله عنه انها النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالشيء البالي الذي اتت عليه الايام والليالي وقيل الرميم الرماد وقيل التراب
المدقوق وقيل العظم البالي وقيل الهشيم من النبات تحطمه الماشية برمتها وهو السهم والمعنى ما ترد من شيء
هبت من انفسهم وانعامهم واموالهم الا اهلكته قوله تعالى وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة
وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ● وفي ثمود قوم صالح اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني وقت فناء
آجالهم تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا فاستكبروا عن امر ربهم عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة قرأ الكسائي
الصعقة بسكون العين من غير الف والباقون بالالف وكسر العين الصعقة المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وهي
النازلة نفسها وقيل كل صاعقة في القرآن فهو عذاب وهم ينظرون اليها نهارا اي يعاينونها فما استطاعوا من قيام
فما قاموا بعد نزول العذاب وما قعدوا على نهوض به ولا دفاع وما كانوا منتصرين ممتنعين منا ولا مستغيثين من العذاب
قتادة لما كانت قوة يمتنعون بها من امر الله قوله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ● قرأ ابو عمرو و

وحمزة والكسائي وخلف وقوم نوح بالجر أي وفي قوم نوح والباقون بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله
يدل عليه وقيل واذكر قوم نوح وقيل مردودا على هم في قوله كانوا قوما فاسقين قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد
وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ● ما تقدم كان
إنباء بالحشر وهذا بيان الوحدانية والسماء بنيناها بأيد بقوة والأيد الأود القوة وإنا لموسعون لقادرون من
الوسع وهي الطاقة والموسع القوي على الإنفاق وقال الحسن لموسعون الرزق على خلقنا بالمطر قال الضحاك لأغنياء
يدل عليه قوله تعالى على الموسع قدره القتيبي ذو السعة على خلقنا وقيل لقادرون أحاط علمنا بكل شيء وقيل لجاعلنا
بينها وبين الأرض سعة والأرض فرشناها بسطناها ومهدناها لكم فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء أي من كل صنف
من كل من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وأنثى الحسن ومن كل شيء خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسماء
والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والإنس والكفر
والإيمان والشقاوة والسعادة والحق والباطل والذكر والأنثى والموت والحياة والدنيا والآخرة والجنة والنار
كل اثنين منها زوج والله فرد لا مثل له لعلكم تذكرون أي ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج
لكي تذكروا وتعلموا أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه ولا تعبدوا غيره قوله تعالى ففروا إلى الله إني لكم منه نذير
مبين ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر
أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فإن للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ● ففروا إلى الله
أي فاهربوا من معصية الله وعقابه إلى طاعته وثوابه بالإيمان ومجانبة العصيان ابن عباس فروا منه إليه واعملوا
بطاعته أبو بكر الوراق فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن عثمان بن عفان اخرجوا إلى مكة الحسين بن
الفضل احترزوا من كل شيء دونه فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه الجنيد الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله
يمنعكم منه ذو النون ففروا من الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الشكر عمرو بن عثمان فروا من أنفسكم إلى ربكم الواسطي
فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله إلى الله إني لكم منه من عذابه
نذير مبين منذر وقيل نذيرا لمن [illegible] أعلم قيل المعنى نذير من عند الله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه
نذير مبين من الإشراك والتكرار للتأكيد والإطالة في الوعيد أبلغ وقيل الأول متصل بالمعصية والثاني بالتوحيد
وإذا اختلفا لا يكون تكرارا والمعنى يا محمد ففروا إلى الله لذلك الأمر مثل ذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته
ساحرا أو مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله ما أتى ولا يصح أن يكون الكاف منصوبة بأتى لأن ما النافية لا يعمل بعدها
فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون
أي رموا الأنبياء من فرط جهلهم بأمرين بينهما تضاد لأن الساحر لا يكون إلا فطنا لبيبا والمجنون بالضد من
ذلك أتواصوا به أي بهذا القول يعني أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم
قوم طاغون أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل هم قوم طاغون بل جمعتهم العلة الواحدة وهي
الطغيان والحامل عليه فتول فأعرض عنهم عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج
فما أنت بملوم في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ وذكر فلا تدع التذكير والموعظة فإن الذكرى
تنفع المؤمنين بأن تزيد في علم المؤمنين وإن لم ينتفع بها الكافرون وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون يوحدون
يريد المؤمنين منهم ومن سواهم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي
دليله قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ابن عباس إلا ليقروا لي بالعبودية طوعا وكرها فإن قيل
كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته أجيب بأنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضى عليهم لأن
قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه إذا نزل بهم وإنما خالفه من كفر في العمل بما أمر به فأما التذلل
لقضائه فإنه غير ممتنع مجاهد إلا ليعرفون وهذا حسن لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا التأويل
قوله تعالى ولئن سألتهم [illegible] الكلبي إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في
الشدة دون الرخاء بيانه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين الآية عكرمة إلا ليعبدون ثم قال في آية أخرى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس وقال بعضهم معناه وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي
والأشقياء منهم إلا لمعصيتي هذا معنى قول زيد بن أسلم هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة الحسين
ابن الفضل هي لا يستقيم على الظاهر وليس هذا على العدل لأنه لو قدر عليهم عبادته لما عصوا ولما عبدوا غيره
فقط وإنما هو كقوله عز وجل وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ثم قال قليلا ما تشكرون
وقليل من عبادي الشكور ووجه الآية في الجملة أن الله تعالى لم يخلقهم للعبادة وخلق جبلة واختيار وأعطاهم
لما خلق تكليف واختيار [illegible] أقام العبادة لما خلق لها [illegible] ويسره لما خلق
له لقوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ما أريد منهم من رزق أي أن يرزقوا أحدا من خلقي ليس شأني
شأن السادة مع عبيدهم فإن ملاك العبيد إنما ملكوهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فإما مجهز

في تجارة

في تجارة ليبغي ربحا أو مرتب في فلاحة ليغل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش
أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق
فأما مالك ملك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم
وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي وما
أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين الشديد القوة المقتدر البالغ في القوة والقدرة ابن عباس
المتين الصلب الشديد فإن للذين ظلموا أشركوا من أهل مكة ذنوبا دلوا عظيما سعيد بن جبير سجلا مجاهد سبيلا
النخعي طرفا عطاء وقتادة عذابا الحسن دولة الكسائي حظا الأخفش نصيبا وأصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة
المملوءة ماء قال الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب ثم يستعمل في النصيب كقول علقمة وفي كل حي قد خبطت
بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب وقال الآخر لعمرك والمنايا طارقات لكل بني أب منها ذنوب مثل ذنوب
أصحابهم من كفار قريش الأمم الخالية فلا يستعجلون بالعذاب والمعنى فإن للذين ظلموا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم
ونظرائهم من القرون فإنما أمهلوا مع ذنوبهم فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يريد يوم بدر وقيل يوم القيمة

سورة الطور

وهي ألف وخمسمائة حرف وثلاثمائة واثنا عشر كلمة وتسع وأربعون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف
المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ● كل جبل يسمى
طورا ولكنه عنى سبحانه بالطور هاهنا الجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة وهو بمدين وكتاب مسطور مكتوب
في رق جلد منشور وهو الصحيفة الكلبي ما كتب الله تعالى بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم فكان كلما
مر القلم بكا نخرقه إلى الجانب الآخر فكان كأنما له وجهان وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لأنه كتاب مخصوص
من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها وقيل دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيمة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ
بشماله قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وكقوله وإذا الصحف نشرت وقيل ما كتبه الله تعالى
في قلوب أوليائه من الإيمان بيانه قوله تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وقيل كتاب الله تعالى المخلوق [illegible]
والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح
حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون
إليه أبدا وخادمه ملك يقال له رزين وقيل كان البيت المعمور في الجنة فحمل إلى الأرض لأجل آدم ثم رفع إلى السماء أيام
الطوفان روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة حرسها الله فأرادت عائشة أن تدخل البيت ليلا فقال الحاجب
إن أحدا لا يدخل ليلا ولكنه نخليه لك نهارا فدخل عليها النبي عليه السلام فشكت إليه أنهم منعوها أن تدخل البيت فقال
إنه ليس لأحد أن يدخل البيت ليلا اذهبي إلى الكعبة بحيال البيت المعمور الذي في السماء يدخل ذلك البيت المعمور سبعون
ألف ملك لا يعودون إليه أبدا إلى يوم القيمة لو وقع حجر لوقع على ظهر الكعبة ولكن انطلقي أنت وصلي فيه فصليت
وصواحبك في الحجر ففعلت فأصبحت وهي تقول قد دخلت البيت على رغم من رغم الحسن والبيت المعمور هو الكعبة
البيت الحرام الذي هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة أول مسجد وضع للعباد في الأرض والسقف المرفوع السماء سماها
سقفا لأنها للأرض كالسقف للبيت شاهده قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والبحر المسجور مجاهد والضحاك
وشمر ابن عطية ومحمد بن كعب والأخفش الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل المسعر مسجر شاهده قوله تعالى
لا تركبن البحر إلا حاجا أو معتمرا أو مجاهدا في سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وتحت البحر نارا [illegible] قال
عليه السلام البحر نار في نار وروى سعيد بن المسيب أن عليا رضي الله عنه قال لرجل من اليهود أين جهنم فقال البحر فقال
ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور وإذا البحار سجرت وتفسير هذه الأخبار ما روي في الحديث أن الله تعالى يجعل يوم
القيمة البحار كلها نارا فيسجر بها نار جهنم قتادة المسجور المملوء [illegible] أبو العالية
اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب [illegible] الربيع بن أنس المختلط العذب بالملح
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هو بحر تحت العرش مسيرة ما بين سبع سموات إلى سبع أرضين وهو ماء غليظ
يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم إن عذاب ربك لواقع نازل
ما له من دافع جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم النبي عليه السلام في أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب
وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكأنما صدع قلبي فكان أول
ما دخل قلبي الإسلام فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب [illegible]

انطلقت انا ومالك بن دينار الى الحسن فانتهينا اليه وعنده رجل يقرأ فلما بلغ هذه الآية ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فبكى الحسن وبكى اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه يوم تمور السماء مورا تضطرب تجيء وتذهب وقيل
تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفأ السفينة وتموج بعضها في بعض واصل المور الاضطراب والاختلاف
وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداعصة في الركبة وتسير الجبال سيرا فتزول عن اماكنها وتصير هباء
منثورا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم
بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
فويل يومئذ للمكذبين تاكيد الوعيد والفاء لمعنى الجزاء اي اذا وقع الجزاء والعذاب فويل يومئذ للمكذبين الذين هم
في خوض من الباطل يلعبون منصوب لعبهم وخضتم كالذي خاضوا وكنا نخوض مع الخائضين وقيل في خوض في انكارهم
البعث وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء يلعبون غير بانين في حجة وقيل في اسباب الدنيا يلعبون
من غير تفكر في امر عاقبة وقيل معناه يشرعون الى المعاصي وقيل يشاغلهم بكفرهم لعب عاقبته العذاب يوم يدعون
يدفعون الى نار جهنم دعا وهو يدفعون اليها انزعاجا والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى
اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوا النار فاذا
دنوا منها قالت لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا
تريدا هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم
عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها ادخلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي انتم
لا تموتون لها ما لكم من الجزع والاستغاثة التصبر وترك الجزع وهو خبر في صفة ام تقديره الجزع وترك الجزع سواء وقيل
خبر محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون لانه جزاء اعمالكم علل استواء الصبر وعدمه
بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء
الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع قوله تعالى ان المتقين في جنات
ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء
كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف
عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله
علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ● ان المتقين في جنات اي جنات ونعيم اي نعيم
بمعنى الكمال في الصفة وقيل في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين نصب على الحال اي ذوي
فاكهة كثيرة متلذذين معجبين ناعمين بما آتاهم ربهم بما آتاهم الله اياهم ووقاهم ربهم عطف على قوله في جنات او على
ايتائهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو
للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا اي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون متكئين على
سرر مصفوفة موصول بعضها الى بعض وقيل بعضها ببعض وقيل موصول بعضها ببعض وقيل مرمولة بالذهب والفضة
والصف نظم الشيء على الولاء وقيل تقديره متكئين على نمارق مصفوفة على سرر فحذف لان الاتكاء يدل على الكاة وزوجناهم
بحور عين اي قرناهم والمعنى جعلنا ذكران اهل الجنة ازواجا بالحور العين وهي النساء انهم صاروا بسببهن ازواجا وقيل
والحور جمع الحوراء ولا يقال للذكر احور وذهب بعضهم الى ان الحور نساء المؤمنين في الدنيا وهذا خلاف الآية
وان كان يصرف في الحسن مثلهن وفوقهن فهما قريبتان والذين آمنوا عطف على حور اي قرناهم بالحور العين والذين آمنوا
اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان
المؤمنين واتبعناهم قرأ ابو عمرو واتبعناهم بالالف وذرياتهم بالالف وكسر التاء فيهما لقوله الحقنا وما ألتناهم ليكون الكلام
على نسق واحد وقرأ الباقون واتبعتهم بالتاء من غير الف ثم اختلفوا في ذرياتهم فقرأ ابن كثير واهل الكوفة والحقنا بهم ذريتهم
الاولى بغير الف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء الثانية ابن عامر بالالف فيهما وهو اختيار يعقوب وقرأ الباقون
بغير الف فيهما وكسر التاء الثانية وقيل معنى الآية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين
في الجنة بدرجاتهم وان كانوا لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك اعينهم وهذه رواية سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل والذين آمنوا واتبعتهم الذرية التي بلغت الايمان بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار
الذين لم يبلغوا الايمان وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس فاخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة
كما يحب في الدنيا ان يجتمعوا ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل آبائهم من غير ان ينقص الآباء من اجور اعمالهم
شيئا فذلك قوله تعالى وما ألتناهم من عملهم من شيء يعني الآباء وهو راجع الى قوله والذين آمنوا والالت النقص قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم
انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم
ثم قال بايمان الحقنا بهم ذريتهم ايذانا بان الذرية تسببا بايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا
لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ويكمل نعيمهم ومعنى تنكير الايمان الدلالة على انه ايمان خاص عظيم

المنزلة ويجوز ان يراد بايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقنا بهم وقيل وان كان
اسنادا مستندا كخبرهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقوله واتبعناهم ذرياتهم اعتراض بينهما وما ألتناهم وما نقصناهم
اي وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضيل وقيل ما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم
من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم على سبيل التفضيل وعن النبي عليه السلام اذا دخل اهل الجنة
الجنة سأل احدهم عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول لقد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وعن
علي رضي الله سألت خديجة النبي عليه السلام عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما
رأى الكراهية في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال النبي عليه السلام
ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم الآية كل امرئ بما
كسب من الخير والشر رهين مرهون فيؤخذ بذنبه ولا يؤخذ بذنب غيره قال صاحب الكشاف كل نفس رهن عند الله
بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم
اعطيناهم زيادة في وقت دون وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون من انواع اللحمان يتنازعون يتناولون فيها وقيل
يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كأسا اناء خمر لا لغو فيها ولا باطل ولا فضول
فيها قال ابن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب فيها ولا تخاصم لانها لا تذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا قال [illegible]
في مجلس محل الجنة هذه والساقي فيها الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم
اضياف الله ولا تأثيم اي فعل يؤثمهم وهو تفعيل من الاثم لانهم لا يأثمون في شربها وقيل لا يتكلمون في اثناء الشرب
بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون
ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام
الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء ويطوف عليهم للخدمة غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون
بهم كانهم في بياضهم وصفائهم لؤلؤ مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى وقيل مخزون مصون لانه لا يخزن
الا الثمين الغالي القيمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف
ينادي كلهم لبيك لبيك وعن الحسن انه كان اذا تلا هذه الآية ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون قالوا
يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم كما قال ... ليلة البدر على الكواكب واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عذاب الله
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم عذاب النار نعوذ بالله من حرها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار
جهنم لانها بهذه الصفة انه قرأ نافع والكسائي بفتح الالف بمعنى لانه وقرأ الباقون بالكسر على الابتداء انا كنا من قبل نعبد الله
ونخلص له نعبده في الدنيا ندعوه نخلص له العبادة ونسأله الوقاية انه هو البر اللطيف المحسن الرحيم العظيم الرحمة
الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب قوله عز وجل فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون
فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم
البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون
ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن
اكثرهم لا يعلمون ● واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ●
فذكر يا محمد اي اثبت على تذكير الناس وموعظتهم وقد التذكير والموعظة فما انت بنعمة ربك برحمة ربك وعصمته
بكاهن يبتدع القول ويخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون كما زعموا لا يبطئك قولهم كاهن ومجنون ولا تبال بهم فان قولهم باطل متناقض
لان الكاهن يحتاج في كهانته الى الفطنة ودقة النظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بالصدق
النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث
الدهر ويكفينا امره بموت او حادثة متلفة فيموت ويتفرق اصحابه وقد قال لهم قائل تربصوا به الموت فيهلك كما هلك من قبله الشعراء
زهير والنابغة وفلان وفلان وانما هو كاحدهم وان اباه توفي شابا ونحن نرجو ان يموت هو كذلك والمنون يكون
بمعنى الموت وبمعنى الدهر سميا بذلك لانهما ينقصان ويقطعان الآجال وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها
من حوادث الدهر قال الاخفش المنون وريبه تترجح وتتردد مثل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت
قطوع ولذلك سميت شعوب قل يا محمد لهم تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم
احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون
اهل الاحلام ويوصفون بالعقل وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول
كادها الله اي لم يصحبها التوفيق ام هم قوم طاغون اي بل هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد ام يقولون تقوله
اختلقه من تلقاء نفسه ليس كما تقولون بل لا يؤمنون استكبارا وكفرا وعنادا ثم يرمون بهذا المطاعن مع علمهم

وتقولوا انه ليس بمتقول لأن العجز العرب عنه وما هم إلا أخذ من العرب فليأتوا بحديث مثل القرآن يشبهه ان كانوا صادقين
أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول من قبل نفسه فان القرآن بلسانهم وهم مشهورون في البشر بمثل الفصاحة أم خلقوا من
غير شيء قال ابن عباس من غير رب خالق وقيل من غير تراب وقيل من غير أب ولا أم فهم كالجماد لا يعقلون
ولا تقوم لله عليهم حجة أليسوا خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله عطاء الخراساني وقال ابن كيسان أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى
لا يؤمرون ولا ينهون وهذا كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء يعني لغير شيء أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر أم
خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما يقولون أي إذا سئلوا
من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون بعد لا يوقنون وقيل معناه بل لم يخلقوا شيئاً
لا يوقنون أي لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والأرض وسائر الخلق وقيل بل لا يوقنون
وعد الله فيما ثبت عليهم المعاصي أم عندهم خزائن ربك قال ابن عباس المطر والرزق وقال عكرمة
النبوة حتى يعطوا النبوة من شاؤا وقيل علم ما يكون حتى يختاروا لها من اختيار حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون المسلطون
الجبارون قال عطاء الأرباب القاهرون الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وفيه لغتان
السين والصاد قرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف والباقون بالصاد أم لهم سلم سبب ومصعد
ومرقى يرتقون به إلى السماء يستمعون فيه الوحي فيعرفون أنهم سمعوا هناك أن الذي هم عليه حق فهم متمسكون به فلذلك
قال عليهم فليأت مستمعهم ان ادعوا ذلك بسلطان مبين بحجة بينة وقيل سلم منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه
إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة كما
يزعمون بسلطان مبين بحجة ظاهرة تصدق استماع مستمعهم أم له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لأحلامهم
حيث اختاروا لله ما يأنفون عنه أم تسألهم أجراً جعلاً على ما جئتهم به وعلى تبليغ الرسالة ودعوتهم إليه فهم من مغرم
غرم وادائه مثقلون مجهودون والمغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فزهدهم ذلك في اتباعك
أم عندهم الغيب أي علم الغيب ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر القيامة والبعث والحساب
والثواب والعقاب باطل غير كائن قال قتادة لما قالوا نتربص به ريب المنون قال الله تعالى أم عندهم الغيب حتى علموا متى يموت
محمد صلى الله عليه وسلم أو إلى ما يؤول أمره قال ابن عباس أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به قال القتيبي
فهم يكتبون أي يحكمون والكتاب الحكم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين تحاكما إليه سأقضي بينكما بكتاب الله أي بحكم الله عز
وجل وقيل فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب أم يريدون كيداً مكراً بك في دار الندوة فالذين
كفروا هم المكيدون المجزيون بكيدهم يعود الضرر عليهم ويحيق المكر بهم دونك وذلك أنهم قتلوا ببدر وقيل هم المغلوبون
في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله يمنعهم من عذاب الله سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في سورة الطور
من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف وإن يروا كسفاً قطعة وقيل قطعاً واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر من السماء
ساقطاً يعني لو شدة طغيانهم وفرط عنادهم وقوة معاندتهم وتعنتهم لو أسقطنا عليهم كسفاً من السماء
يقولوا سحاب مركوم بعضه على بعض يمطرنا ويسقينا وهذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء وقولهم وتسقط السماء
كما زعمت علينا كسفاً فقال لو فعلنا هذا لقالوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا أي لا ينفع انذار هؤلاء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون يموتون قرأ عاصم وابن عامر يصعقون بضم الياء وفتح العين أي يهلكون والباقون بفتح الياء والعين
هما لغتان مثل سعد وسعد يقال صعقه وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً أي
لا ينفع مكرهم عنهم من عذاب الله ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وإن للذين ظلموا أشركوا عذاباً دون ذلك البرزخ
فارب هو عذاب القبر ابن عباس هو القتل ببدر مجاهد الجوع والقحط وقيل مصائب الدنيا التي تصيبهم من الأوجاع
وذهاب الأموال والأولاد ولكن أكثرهم لا يعلمون ما نزل بهم واصبر لحكم ربك لبلائه فيما ابتلاك به من قومك وقيل
لحكم ربك بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة فإنك بأعيننا بمنظر ومرأى منا أي بحيث نراك ونكلؤك
وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله ولتصنع على عيني وقيل بعلمنا وقيل بحراستنا
وحفظنا والكل متقارب وكلمة إنك عرابه محفوظ محروس لا يصلون إليك بمكروه وسبح بحمد ربك
صل حين تقوم من الليل حين صلوة الصبح وقيل من أي مكان قمت فان كان المكان خيراً ازددت شيئاً
وحسناً وإن كان غير ذلك كان كفارة له عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال من جلس في مجلس
كثر فيها لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر له ما كان
في مجلسه ذلك ومن الليل فسبحه أي صل صلوة العشاء وقيل المغرب والعشاء وقيل يريد صلوة الليل وقيل هو التسبيح بالقول
إذا انتبه من نومه وادبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل قال علي وابن عباس وجابر وأنس رضي الله عنهم وقيل صلوة
الفجر فريضة وقيل المراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات وقيل التسبيح للصلوة إذا قام من نومه

سورة النجم

وهي مكية ثمانمائة وخمسة أحرف وثلثمائة وستون كلمة واثنتان وستون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم • والنجم إذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا
فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • قال ابن عباس النجم الثريا إذا هوى إذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا
نجماً وهو اسم غالب لها وإن كانت في العدد نجوماً الذي يقال هي سبعة أنجم ستة منها ظاهرة وواحد منها
خفي يمتحن الناس به أبصارهم وهو قول العرب إذا طلع النجم عشاً ابتغى الراعي كساً وقال مجاهد يعني نجوم السماء كلها
حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع كقول الراعي فبات يعد النجم في مستحيرة سمي الكواكب نجماً لطلوعه وكل طالع
نجم يقال نجم السن إذا طلع إذا هوى غرب وانتثر يوم القيمة عكرمة ابن النجم الذي يرجم به إذا هوى انقض للصحاك النجم
من نجوم القرآن إذا نزل ثلث آيات وأربع آيات وسورة وكان بين أوله وآخره ثلث وعشرون سنة والعرب تسمي
التفريق تنجيماً إذا هوى نزل وقيل النجم النبات ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان إذا هوى سقط على الأرض
لأنه ما ليس له ساق وجعفر الصادق يعني محمداً إذا نزل من السماء ليلة المعراج والهوي السقوط والنزول يقال
هوى يهوي هوياً مثل مضى يمضي مضياً وروى عروة بن الزبير عن رجال من أهل بيته قالوا كانت بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند عتبة بن أبي لهب فأراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمداً فلأوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو
يكفر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال له رسول الله اللهم سلط
عليه كلباً من كلابك وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه
فأخبره بذلك ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب
لأصحابه أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وفرشوا لعتبة في أعلاها
حوله قولا فأسد جاء يتشمم وجوههم حتى ثنى ذنبه فضرب عتبة بيده ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات مكانه
فقال في ذلك حسان بن ثابت من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم محمد عن الخطأ
لقريش وهو جواب القسم وما غوى والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مسترشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى والعرب تقول هذا بالباء من بين لنا فنعم أي كما معاني
الأخبار وما أتاكم به من القرآن ليس ينطق بالهوى وما به إن هو إلا وحي يوحى ما هو إلا وحي من عند الله
إليه يحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند
إليه كله وحياً لا نطقاً عن الهوى علمه شديد القوى وهو جبريل شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة إلى
فاعلها وهو جبريل ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها
وكانت شدته أيضاً أنه أبصر إبليس وهو يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه في
جبل الهند وكانت شدته أيضاً صيحته بثمود فأصبحوا جاثمين وكانت شدته أيضاً هبوطه من السماء على الأنبياء
إليها في أسرع من رجعة الطرف ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه وكان من جملة الدراية وغيرها
أن الله عز وجل ائتمنه على تبليغ الرسالة إلى جميع رسله قال ابن عباس ذو مرة أي ذو منظر حسن قال قتادة ذو خلق
طويل حسن فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كانت يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان
ينزل على صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له
في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق وقيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم
مرة في الأرض ومرة في السماء وقيل فاستوى جبريل وهو يعني محمداً وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا
الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان وأنشد الفراء
ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف وولا يستوي هو والخروع ونظيره قوله تعالى أئذا كنا
تراباً وآباؤنا فعطف بالآباء على المكنى في كنا من غير اظهار نحن ويقال أبا ذيقوله آباً قائم مقام نحن ومعنى الآية استوى
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالأفق الأعلى وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس في السماء وقيل
استويا في القوة والصعود إلى السماء وقيل استويا في العلم بالوحي وقيل استوى جبريل أي ارتفع وعلا إلى السماء
بعدما علم محمداً صلى الله عليه وسلم ثم دنا فتدلى ثم دنا جبريل من محمد عليهما السلام فتعلق عليه في الهوى ومنه تدلت
الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها
ثم دنا وإن لم ير تولى فكان قاب قوسين أو ثنيين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقد جاء التقدير
بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والإصبع ومنه لا صلوة إلى أن ترتفع الشمس
مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما
خطوات يسير وقال وقد جعلتني من حزيمة أصبعاً وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل
قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة أصبعاً أي ذا مقدار مسافة أصبع
أو أدنى أي على تقديركم كقوله أو يزيدون وقال بعضهم ومعناها ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض
فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي ما أوحى إليه فكان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وقال ابن عباس والحسن وقتادة

والربيع وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي وانما تدلى للدنو ودنا للتدلي وقال آخرون
معناه ثم دنا الرب تعالى من محمد عليه السلام فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين او ادنى واصل التدلي النزول
الى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب قال لبيد فتدليت عليه قافلا وعلى الارض غيابات الطفل
هذا معنى قول انس ورواية ابي سلمة عن ابن عباس سمع انس بن مالك يحدث عن ليلة المسرى انه عرج جبريل برسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة ثم علا به بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار تبارك وتعالى
كان منه قاب قوسين او ادنى ودنو الله تعالى من العبد ودنو العبد من الله بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطاء
المنية لا بالمكان والمسافة والنقلة كقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال بعضهم معناه ثم دنا
جبريل من ربه عز وجل وكان منه قاب قوسين او ادنى وهذا قول مجاهد يدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملائكة
الى الله جبريل وقال الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وقيل ثم دنا
محمد عليه السلام من ساق العرش فتدلى اي جاوز الحجب والسرادقات لا نقلة مكان وهو قائم باذن الله كالمتعلق
بالشيء لا يثبت قدمه بمكان وهذا معنى قول الحسين بن الفضل وقال اهل المعاني هذا اشارة الى تاكيد المحبة والتقرب
ورفع المنزلة والرتبة واصله ان الحليفين والمحبين في الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفاء والوفاء والعهد خرجا
بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يتحاميان يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقيل هذا تمثيل لقرب
الشيء من الشيء وهو مستعمل في امثال العرب كما تقدم وقال شقيق بن سلمة وسعيد بن جبير وعطاء وابو اسحق
الهمداني فكان قاب قوسين اي قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض اهل الحجاز او ادنى بل
اقرب وقال بعض المحققين انما قال او ادنى لانه لم يرد ان يجعل لذلك حدا محصورا وسئل ابو العباس بن عطاء
عن هذه الآية فقال كيف اصف لكم مقاما انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن الا محمد صلى الله عليه
وسلم وربه عز وجل قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد
رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ
البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ° فاوحى الله الى عبده محمد عليه السلام الحسن والربيع وابن زيد معناه
فاوحى الله الى رسول الله ما اوحى تفخيم الوحي الذي اوحى اليه وقيل اوحى جبريل الى عبده ما اوحى ربه سعيد بن
جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى ووضعنا عنك وزرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء
حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ابو الحسين النوري فاوحى اليه سرا في سر وفي ذلك يقول القائل
بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه سر يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه ما كذب الفؤاد
اي فؤاد محمد ما رآه بل صدقه واختلفوا في الذي رآه فقال قوم رأى جبريل واليه ذهب ابن مسعود وقال آخرون
هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده ولم يره بعينه وقال
قوم بل رآه بعينه الحسن يحلف بالله تعالى لقد رأى محمد عليه السلام ربه تعالى ابن عباس كان يقول ما كذب الفؤاد
ما رأى قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى وقال بعض اصحاب رسول الله رأيت ربك قال رأيته
مرتين بفؤادي ولان [illegible] ثم تلا ما كذب الفؤاد ما رأى ومثله روى ابن الحنفية عن ابيه وابو العالية عن ابن
عباس عن عبد الله بن شقيق قلت لابي ذر لو رأيت رسول الله لسألته قال عن اي شيء كنت تسأله قال كنت اسأله
هل رأى ربه فقال قد سألته قال رأيت نورا اني اراه وكذلك يروى عن ابي سعيد الخدري انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قوله عز وجل قال رأيت نورا ومثله روى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس وقد ورد في هذا الباب
حديث جامع عن الشعبي عن عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان
محمدا رأى ربه مرتين وقال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
ثم قال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد قال الشعبي فاخبرني مسروق انه قال لعائشة
رضي الله عنها يا اماه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فقالت لقد قلت قولا لقف منه شعري
قال قلت رويدا والنجم اذا هوى الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويدا اين يذهب بك انما رأى جبريل في صورته
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ان الله تعالى يقول لا تدركه الابصار ومن حدثك انه يعلم الخمس من الغيب
فقد كذب ان الله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية ومن حدثك ان محمدا كتم شيئا من الوحي
فقد كذب ان الله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية قال عبد الرزاق فذكرت هذا الحديث لمعمر فقال ما عائشة
عندنا باعلم من ابن عباس افتمارونه على ما يرى قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه بفتح التاء من غير الف
على معنى افتجحدونه واختاره ابو عبيدة قال لانهم لم يماروه وانما جحدوه يقول العرب مريت الرجل حقه اذا جحدته
والباقون افتمارونه بضم التاء والالف تعداليه على معنى افتجادلونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه
من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقيل افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته
ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقول غلبته على كذا على ما يرى ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رآه
نزلة اخرى مرة اخرى سماها نزلة على قدر النزلة ونصب النزلة ظرفا اي مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكان
في حكمها وقيل رأى النبي جبريل نزلة اخرى وذلك ان جبريل رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها

مرتين مرة بالافق الاعلى في الارض ومرة عند سدرة المنتهى في السماء وهذا قول عائشة رضي الله عنها واكثر
العلماء وهو الاختيار لانه قرن الرؤية بالمكان فقال عند سدرة المنتهى ولانه قال نزلة اخرى وتقدير ما له
رآه نازلا نزلة اخرى ووصف الله تعالى بالمكان والنزول الذي هو الانتقال محال ولانه قال نزلة اخرى ولم يرد
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه قبل ليلة المعراج فرآه تلك الليلة مرة اخرى يدل عليه ما روي عن مسروق
ان عائشة قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله قال وكنت متكئا فجلست و
قلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجليني ارأيت قول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى ولقد رآه بالافق المبين قالت انما هو
جبريل رآه على صورته التي خلق عليها مرتين رآه منهبطا من السماء الى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض
ومرة عند سدرة المنتهى قالت وانا اول من سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال هو جبريل وفي حديث صلة
لم اره سدرة المنتهى شجرة النبق سميت بها لانها اليها ينتهي علم كل عالم سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى فقال انها
سدرة في اصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله ابن مسعود سميت
بذلك لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله اذا انتهى من تصعد اليها من الارض فيقبض منها واذا
انتهى ما يهبط من فوقها اليها فيقبض منها فسميت المنتهى لانه ينتهي اليها كل شيء من امر الله ولا يعدوها والى هذا ذهب
الضحاك وقيل انه ينتهي اليها كل من مات على سنة رسول الله ومنهاجه وفي حديث المعراج لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
انتهى الى السدرة فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي شجرة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما لا يقطعها وهي شجرة يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن الحديث لها مصفى والورقة منها مغطية
للامة كلها عن اسماء بنت ابي بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظلها
مائة عام ويستظل منها الفئن مائة الف راكب فيها فراش من ذهب كان ثمرها القلال وقال مقاتل شجرة لو ان ورقة
منها وضعت في الارض لاضاءت لاهل الارض تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو ان رجلا ركب حقة فطاف
على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم وهو طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة المأوى
ابن عباس هي عن يمين العرش وهي منزل الشهداء نظيرها فلهم جنات المأوى ابن عباس هي عن يمين العرش وهي منزل
الشهداء اي تأوي اليها ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاه فقد علم بهذه العبارة
ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف الحسن غشيها
نور رب العزة فاستنارت وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عن ابي هريرة لما اسري بالنبي صلى الله عليه
وسلم انتهى الى السدرة فغشيها نور الخلاق وقيل غشيتها الملائكة من حب الله امثال الغربان يقعن على الشجرة وعنه
صلى الله عليه وسلم يغشاها فراش من طير خضر وعن ابن مسعود يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر ما زاغ بصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مال يمينا وشمالا ولا جاوز الحد عما اثبته وما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا
من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر
برؤيته لقد رأى النبي من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها حين رأى ليلة المعراج في مسيره وعوده وبدايته
يدل عليه قوله لنريه من آياتنا قوله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى
تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى °
لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة
يعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة وقيل يلوون عليها اي يطوفون
وقيل اللات مأخوذ من الله الحقت بها التاء فانثت كما قيل عمرو للذكر ثم قيل للانثى عمرة كما قيل عباس وعباسة
فكذلك سمى المشركون اوثانهم باسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى مجاهد هي شجرة
لغطفان يعبدونها واصلها تأنيث الاعز وهي التي بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
يقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك فخرجت منها
شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها وقيل ان خالدا رجع الى النبي عليه السلام فقال
قد قطعتها فقال له ما رأيت قال لم ار شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقلعها
واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه لما قدم مكة ورأى الصفا والمروة
ورأى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه

ولنبين لكم قالوا فلا مرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا فقال هذا الصفا وحجرا من المروة فقال هذا المروة
ثم اخذ ثلثة احجار فاسندها الى الشجرة وقال هذا ربكم فاعبدوه فجعلوا يطوفون بين الجبلين ويعبدون الحجارة
وبعث خالد بن الوليد فقطعها ومناة قرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم بالمد والباقون بالقصر وهي صخرة كانت لهذيل
وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومعنى مناة مفعلة
من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها الاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت
اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى الكم
الذكر وله الانثى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم
عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى وقيل ان المراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموها
لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث فانداد الله سبحانه وتسمون آلهة تلك اذا قسمة ضيزى قرأ ابن كثير ضئزى
بالهمز والباقون بغير همز ابن عباس وقتادة يعني قسمة جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها
ما فعل ببيض لتسلم الياء يعني قسمة جائرة حيث جعلتم لكم من الولد ما تكرهون لانفسكم مجاهد ومقاتل عوجا
الحسن يعني معتدلة ابن سيرين غير مستوية ان يكون لهم الذكر ولله الاناث الضحاك ناقصة سفيان منقوصة ابن زيد
مخالفة الكسائي يقال ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا ظلم ونقص ان هي الا اسماء
سميتموها ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله
تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها هذا على تقدير ان يكون ضمير هي للاصنام وقيل هي ضمير الاسماء وهي
قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الالهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ما انزل
الله بها من سلطان ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به وبعض سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا
وسميته بزيد ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وانهم لاشفعاؤهم وما تهوى الانفس وما تشتهيه
انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ولقد جاءهم من ربهم الهدى البيان بانها ليست
بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان ما تمنى ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان
ما يتمنى ويشتهي وهم الكفار زعموا ان الاصنام تشفع لهم فهذا يعني انظنون ان لهم ما يتمنون من شفاعة الاصنام فليس هو كما
ظنوا وتمنوا فانه تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قول الكفار ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة
لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والاولى يعطي من يشاء ما يشاء ويمنع من يشاء ما يشاء
وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات من تعجب هم هؤلاء الكفار يزعمون انهم بنات الله ويرجون
شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل
واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون ان يتبعون الا الظن وهو تقليد الآباء وان الظن
لا يغني من الحق شيئا وانما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل
الظن مقام الحق اي العلم وقيل الحق هو الله سبحانه والمعنى لا يدفع من عذاب الله شيئا فاعرض يا محمد عن دعوة من تولى عن ذكرنا
معرضا عن ذكرنا اي القرآن وقيل الايمان ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولا يبتغ النعيم سواها ولم يرد الا الحياة الدنيا
ذلك اي اختيارهم الدنيا وارادتهم الحيوة الدنيا او رضيهم بها مبلغهم من العلم منتهى علمهم وهو قليل حقير وقيل اشارة الى
تسمية الملائكة اناثا وقيل علموا ما يحتاجون اليه في معاشهم وتنبذوا الآخرة وتركوا ظهورهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى هذا متعلق بقوله فاعرض عن كفى كلهم الى فاني مجازيهم تحت شيمهم فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين ● قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ● معناه ملكهم ليجزي واللام في لله دل على ملكهم فضل خلق السموات
والارض ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم وقيل اللام لام العاقبة وهو متصل بقوله ان ربك هو اعلم الآية اي كان
عاقبة ذلك ان يجازيهم على اعمالهم الذين اساؤا بما عملوا بالعقاب بما عملوا من السوء ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الاحسن
من الاعمال العمل بالمثوبة الحسنى وهي الجنة الذين يجتنبون في محل الذين يجتنبون نصب على الصفة للذين احسنوا
تعليمهم للذين يجتنبون كبائر الاثم قيل هي الشرك والفواحش المعاصي وقيل كبائر الاثم ما الحد في الدنيا والفواحش
الزنا خاصة وهذه الآية مثل ما في سورة النساء ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الا اللمم قيل الاستثناء متصل واللمم من الكبائر
والفواحش والمعنى الا ان يلم بالفاحشة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية
عطاء عن ابن عباس قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا الما وقال عبد الله بن عمرو اللمم ما دون الشرك وقال الآخرون هو استثناء منقطع اي لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم
من الكبائر والفواحش فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا
بالامس يعملون معنا كما نعمل فانزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وابنه ورواية الوالبي عن ابن عباس
وقال بعضهم هو صغار الذنوب مثل النظرة والغمزة وهو من لممت بالشيء اذا لم تعمق فيه ولم تلزمه وهو قول ابن مسعود و
الشعبي وابي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان ورواية طاوس عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا
اللسان المنطق وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او
يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وقال ابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو ما بين الحدين حد الدنيا
وعذاب الآخرة وهي رواية العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا
في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي يكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم
يلم به الرجل المرة بعد المرة فيتوب منه وقال مقاتل اللمم ما بين الحدين من الذنوب نزلت في نبهان التمار وقد مضت
قصته في سورة آل عمران وقال عطاء ابن ابي رباح اللمم عادة النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما الم بالقلب
اي خطر وقال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير او شر فهو لمم بيانه هذه الخبر ان للشيطان لمة وللملك لمة فلمة الشيطان
الوسوسة ولمة الملك الالهام وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظر فليس بلمم
وهو ذنب وقال الفراء اللمم المتقارب من صغار الذنوب واصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة والحين
بعد الحين ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال المته ايام زرنا وانصرف ومنه لمام الخيال قال الاعشى: الم خيال من قتيلة
بعدما ● وهي حبلها من حبلنا فنصرما. قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب
فهو يرى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ● ان ربك واسع المغفرة لا يتعاظمه ذنب فيغفر جميع ذنوب العباد وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ان ربك واسع المغفرة لمن فعل ذلك ثم تاب هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض ابتداكم منها قبل خلق اباكم من التراب
وقيل خلقكم من الارض واذ انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنينا لاجتنانه اي استتاره قال
مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت اليهود اذا هلك لهم صبي قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله عز وجل في بطن امها الا شقي او سعيد فانزل الله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس فلا تمدحوها مجاهد وزيد بن اسلم فلا تبرؤها
الكلبي ومقاتل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الآية وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب قال صاحب الكشاف فلا تنسبوها الى زكاء العمل
وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي
اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء
فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله عز وجل وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم
لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرأيت الذي تولى قال ابن عباس والكلبي والسدي والمسيب بن شريك نزلت في عثمان
ابن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن ابي سرح ما هذا الذي
تصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله تعالى وارجو عفوه فقال
له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن بعض ما كان
يصنع من الصدقة والنفقة فانزل الله تعالى افرأيت الذي تولى يعني يوم احد حين ترك المركز واعطى يعني صاحبه
قليلا واكدى قطع عطيته وامسك واصله اكدى الحافر وهو ان يلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ومنه
اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمله مجاهد وابن زيد نزلت في الوليد
بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ
وضللتهم وزعمت انهم في النار كان ينبغي لك ان تنصرهم قال اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن له الذي عاتبه ان هو
اعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله تعالى ففعل فاعطى الذي عاتبه فانزل الله افرأيت الذي تولى ادبر
عن الايمان واعطى قليلا صاحبه الضامن واكدى وبخل بالباقي مقاتل اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي
قطع فلم يقم عليه عطاء بن يسار نزلت في رجل قال لاهله تزودوا حتى نطلق الى هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال اين تريد قال محمدا لعلي اصيب من خير فقال له الرجل اعطني جهازك واحمل
عنك اثمك فنزلت فيه هذه الآية وعن السدي ايضا قال نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الامور محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد
الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى ولم يؤمن به والمعنى اكدى ومنع الخير قال الخطيئة فاعطى قليلا
ثم اكدى عطاءه ● ومن ينشر المال لنبي الناس يجد امنه اعنده علم الغيب فهو يرى ان ما قال له صاحبه من احتمال اوزاره حق
ام لم ينبأ لم يخبر بما في صحف موسى اي التوراة وابرهيم الذي وفى تمم ما ارسل به من تبليغ الرسالة والتشديد مبالغة
في الوفاء وقيل وفى بعمله وقيل اتم كلمات الله فاتمهن وفي طاعة الله لا يشغله عن كل فعل وتوفيته من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله
باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم في
فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به ثم بين ما في صحف موسى
فقال الا تزر وازرة وزر اخرى قال ابن عباس كانوا قبل ابرهيم يؤخذ الرجل بذنب غيره ويؤخذ الولي بالولي في القتل والجراح

[illegible]

حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال صلى الله عليه وسلم
لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم [illegible]
فاسجدوا لله واعبدوا [illegible] عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم [illegible]

سورة القمر

مكية

وهي ألف واربعمائة وثلث وعشرون حرفا وثلثمائة واثنان واربعون كلمة وخمس وخمسون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم • اقتربت الساعة وانشق القمر • وان يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر • وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر • ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر •
حكمة بالغة فما تغن النذر • فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر • خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم
جراد منتشر • مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر • انشقاق القمر من معجزات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآياته النيرة عن ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه [illegible]

[illegible]

لعلمنا ان الانذار لا يغني فيهم قيل نسخها اية القتال يوم يدع الداع نصب يوم بيخرجون او باضمار اذكر قيل الداعي
اسرافيل الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول القيمة وقيل هو النار خاشعا حال من الخارجين
ابصارهم فاعل خاشعا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف خاشعا بالالف على الواحد والباقون خشعا [illegible]
ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة
الذليل وعزة العزيز تظهران في اعينهما يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة
والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته
مهطعين مسرعين مادي اعناقهم الى الداع وقيل ناظرين اليه لا يقلعون ابصارهم [illegible]
وعن ابن سعيد [illegible] ومهطع وقيل قابضين ما بين اعينهم وقيل ما بين اذانهم الى قول الداعي يقول الكافرون هذا
يوم عسر صعب شديد لمثله يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا
عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا
فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل
من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح
فكذبوا اي قوم نوح عبدنا يعني نوحا ومعنى فكذبوا بعد كذبت كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه على عقب تكذيب كلما
مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين
للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا هو مجنون وازدجر اي ازدجروه عن دعوته ومقالته والتهدد بالشتم
والضرب يعني الوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل وازدجر من جملة قيل قوم نوح اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه فدعا نوح ربه باني مغلوب بمعنى غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم
الياس من اجابتهم لي [illegible] مقاومتهم لا ينصرك فانتصر فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم قيل وانما دعا بذلك
بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع
اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض
ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعني ماء السماء والارض وانما قال فالتقى والالتقاء لا يكون من واحد
وانما يكون بين اثنين فصاعدا لان الماء يكون جمعا وواحدا على امر قد قدر قد قضي عليهم في ام الكتاب وقيل الاموات قيل [illegible]
وكان الماء قدر قبل [illegible] وقيل على حال قد قدرت مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء
بسواء وحملناه يعني نوحا على ذات الواح ذكر النعت وترك الاسم اي على سفينة ذات الواح من الخشب ودسر مسامير جمع
دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه قيل ذات الواح من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب
منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ولو جمع بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام
وبديعه تجري باعيننا اي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقال مقاتل بن سليمان بوحينا وقيل بامرنا جزاء مفعول له لما قدم من
فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر يعني نوحا عليه السلام وجعل مكفورا لان النبي نعمة الله
ورحمة الله قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة [illegible] مجاهد [illegible]
ابن عباس انتصر لنفسه لما كفر [illegible] يعني ما صنع بهم وقيل معناه عاقبناهم لله ولاجل كفرهم به ولقد
تركناها اي السفينة اية عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة [illegible] من سفينة كانت بعدها صارت رمادا وقال
قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر متعظ
وخائف مثل عقوبتهم فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري استفهام تعظيم لما مضى وتخويف لمن لا يؤمن [illegible] ولقد
يسرنا سهلنا فهونا القرآن للذكر اي للتذكر والتعتبر به وقيل فيه سعيد بن جبير يسرناه للحفظ ظاهرا وليس من كتب
الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القرآن فهل من مدكر متعظ معتبر وكرر لان كل واحد وقع مع قصة اخرى فلم يكن
تكرارا للمعنى ولقد يسرنا استنباط معانيه وسهلنا فهم ما فيه فهل من متذكر ما فيه وهل من طالب
علم فيعان عليه وهذا حث على الذكر لانه طريق الى العلم ثم ختم قصة نوح وعاد وثمود ولوط بما لكل واحد منها
من التخويف في التحذير وبدائع ما حل بهم فيتعظ به تالي القرآن وحافظه ومن يستنبط معانيه ويعظ غيره به
قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع
الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس شوم وشر وكان يوم الاربعاء مستمر شديد دائم
على الكبير والصغير واستمر عليهم ودام حتى اهلكهم جميعا ولم يبق منهم نسمة تنزع تقلع الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم
فتدق رقابهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون
فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول النخل [illegible] وقيل اعجاز نخل منقعر منقلع من مكانه
ساقط على الارض وواحد اعجاز عجز مثل عضد واعضاد وانما قال اعجاز نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح
كانت تبين رؤوسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رؤوس والمعنى انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث عظام

طوال اعجازهم

طوال كانهم اعجاز نخل منقعر وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية قوله
تعالى كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر االقي الذكر عليه من بيننا بل هو
كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل
شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم
المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا بشر نتبعه منا
واحدا ونحن جماعة كثيرة انا اذا ان فعلنا ذلك وتركنا دين آبائنا واتبعناه على دينه وهو واحد منا آدمي مثلنا لفي
ضلال لذهاب عن الصواب وسعر قال ابن عباس وعذاب الحسن شدة العذاب قتادة عناء سفيان بن عيينة هو جمع
سعير وهو الناري فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب
والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها قال صاحب الكشاف فان قلت كيف انكروا
ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكونوا من جنس البشر
وهم الملائكة وقالوا منا انكارا لا اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا
وارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم االقي الذكر عليه من بيننا اي اخص بالنبوة من بيننا
وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظيم علينا
على ادعاء النبوة سيعلمون غدا قرا اهل الشام وحمزة بالتاء [illegible] من الكذاب الاشر [illegible]
قول الله عز وجل والمعنى في هذا التقريب على هذه القراءة في قولهم التوقيت ان يجيء ليوم غدا [illegible]
غدا وارادوا بوقت نزول العذاب بهم من الكذاب الاشر اي اذا لحقهم العذاب يوم القيامة علموا انهم الكاذبون
لا صالح وسماه غدا التقريب وشدة الوعيد وقيل غدا يريد به يوم العذاب في الدنيا انا مرسلوا الناقة باعثوها
ومخرجوها من الهضبة التي سالوا فتنة محنة لهم وقيل امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون
واصطبر على اذاهم واصطبر افتعل من الصبر واصل الطاء فيه تاء تحولت طاء لاجل الصاد ونبئهم ان الماء قسمة
مقسوم بينهم لها اي الناقة شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر يحضره من هو له
اي كل شرب نصيب من الماء محتضر يحضر من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم
حضروا شربهم مجاهد يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
وكان اشقى ولذلك قيل احيمر ثمود فتعاطى فعقر الناقة [illegible] فاجترأ على تعاطي الامر العظيم [illegible] فكيف
كان عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم كالشجر اليابس المتهشم
المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة والمحتظر بكسر الظاء الرماني ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر
والشوك دون السباع فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قتادة يعني كالعظام النخرة المحترقة وعنه كالحشيش
تاكله الغنم سعيد بن جبير التراب الذي يتناثر من الحائط ابن زيد هو الشجر البالي الذي يهشم حتى ذرته الريح
والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت قوم
لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ● ولقد
انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ● كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بالحصى وقيل هو الحجر نفسه الضحاك يعني صغار الحصى
والحاصب والحصبة والحصباء الحجارة التي دون ملء الكف والمحصب الموضع الذي يرمى فيه الجمار وسمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول لاهل المدينة حصبوا المسجد اي صبوا فيه الحجارة ثم استثنى فقال الا آل لوط اي ابنتاه
على دينه من اهله وامته نجيناهم من العذاب بسحر يقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى
قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين ... وصرف لانه نكرة اي بسحر من الاسحار ولو اراد
سحرا بعينه لقال بسحر غير مصروف يقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما مفعول له وقيل
يعني كان ذلك جعلنا نعمة من عندنا عليهم حيث انجيناهم واهلكنا اعداهم كذلك كما جزينا لوطا وآله نجزي من
شكر نعمة الله عز وجل بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب قبل حلوله فتماروا فكذبوا
بالنذر بانذاره متشاكين وهو تفاعل من المرية ولقد راودوه عن ضيفه طالبوه وسالوه ان يخلي بينهم وبينه
فطمسنا اعينهم مسحنا اعينهم وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا
الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فاستاذن
جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب
حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا عذابي ونذر على السنة الملائكة ولقد صبحهم جاءهم العذاب وقت الصبح
بكرة اول النهار وباكره كقوله مشرقين مصبحين عذاب مستقر دائم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الاخرة
وفائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ان يجددوا عند استماع كل نبا من انباء
الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصا

مرات وتقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله تعالى فبأي آلاء
ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة
والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان
مذكورة غير منسية في كل اوان قوله تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم اخذ
عزيز مقتدر ولقد جاء آل فرعون النذر يعني موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون
وقيل جمع نذير وهو الانذار كذبوا بآياتنا التسع كلها فأخذناهم بالعذاب اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه
شيء اراده قوله تعالى أكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون
الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر قوله تعالى اهل مكة فقال الله سبحانه اكفاركم يا اهل مكة خير
من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او
اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام لكم براءة من العذاب في الزبر الكتب يعني ام انزلت لكم يا اهل
مكة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة ام يقولون يعني كفار
نحن جميع منتصر اي جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام او ننتصر بعضنا لبعض ولا نفترق جمعنا
سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار فوحد والمراد الجمع كما قيل كلوا في بعض بطنكم تعفوا فصدق الله تعالى وعده
وهزمهم يوم بدر ضرب ابو جهل فرسه فتقدم يوم بدر في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه
عكرمة لما نزلت سيهزم الجمع قال عمر رضي الله عنه اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع
ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها بل الساعة موعدهم موعد عذابهم والساعة يعني عذاب يوم القيمة ادهى اشد
وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر اعظم بلية واشد مرارة من الهزيمة والقتل والاسر يوم
بدر قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ● ان
المجرمين المشركين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران تسعر عليهم في الاخرة وقيل في ضلال وسعر جنون
لقولهم ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر يوم يسحبون يجرون في النار على وجوههم ذوقوا يقال لهم ذوقوا مس سقر كقولك وجد
مس الحمى لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم بذلك كما يمس الحيوان
ويباشر بما يؤذيه ويؤلمه وسقر علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته وهي غير منصرفة للتعريف والتأنيث
قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر
وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ● انا كل شيء منصوب بفعل يفسره الظاهر الذي بعده اي انا
خلقنا كل شيء خلقناه بقدر اي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة وقيل مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ معلوما قبل كونه
حاله وزمانه شاهده قوله ان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والحسن بقدر الله لكل شيء من خلقه قدره
الذي ينبغي له الربيع هو كقوله قد جعل الله لكل شيء قدرا اي اجلا لا يتقدم ولا يتأخر ابن عباس انا كل شيء جعلنا له شكلا
يوافقه ويصلح له فالمرأة للرجل والاتان للحمار وثياب الرجال لا تصلح للنساء وثياب النساء لا تصلح للرجال
وكذلك ما شاكلها على هذا وعنه خلق الخلق كلهم بقدر وخلق لهم الخير والشر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاوة وقيل
هذا يعود الى العذاب اي بقدر اعمالكم تعذبون وما امرنا الا واحدة قيل معناه الامرة واحدة يعني الساعة وقيل الا كلمة واحدة
سريعة التكوين معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة يعني كن فيكون لا مراجعة فيها كلمح البصر في سرعته
كون قيل نزلت الاية في القدرية عن ابي هريرة جاءت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت
هذه الايات ان المجرمين الى آخر السورة وروي ان وفد نجران قالوا اما الارزاق والاجال فبقدر واما الاعمال فليس
بقدر فنزلت هذه ان المجرمين في ضلال وسعر الى آخر السورة فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية
في ناس يكونون في آخر امتي يكذبون بقدر الله تعالى وعن عطاء بن ابي رباح قال اتيت ابن عباس وهو ينزع في زمزم وقد
ابتلت اسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال او قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الاية الا فيهم ذوقوا
مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر اولئك شرار هذه الامة لا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ان رأيت احدا منهم
فقأت عينيه باصبعي هاتين عن ابي عبد الرحمن السلمي لما نزلت هذه الاية انا كل شيء خلقناه بقدر قال رجل يا رسول الله
ففيم العمل في شيء نستأنفه او في شيء قد فرغ منه فقال رسول الله اعملوا فكل ميسر سنيسره لليسرى وسنيسره للعسرى عن
كعب نجد في التورية ان القدرية يسحبون في النار على وجوههم وعن ابي هريرة قال ابن عباس اذا كثرت القدرية بالبصرة
ائتفكت باهلها واذا كثرت السبابة بالكوفة ائتفكت باهلها وعن سعيد بن محمد النفساني لما اخذ ابن شاكر الديصاني
بالبصرة واقرانه ديصانية كما يخلط العقل بالرفض والقدر فقيل له لم اخترت العقل بالقدر وقال الرفضة [illegible]
العقل بالقدر لا خرج افعال العباد من قدرة الله عز وجل فانه ليس بخالقها فاذا جاز ان يخرج من قدرته شيء جاز
ان يخرج الاشياء كلها من قدرته واخترت العقل بالرفض ليتوصل بالطعن الى النقلة هذا الحديث فاذا بطل
النقلة بطل المنقول ومنه الماوردي قال لما ابتلت ملك القدرية فخليهم كما ترد على اليهود وقل وعليك
ولقد اهلكنا اشياعكم في الكفر من الامم السالفة فهل من مدكر متعظ معتبر وكل شيء موصوف بانهم
فعلوه في الزبر في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير من مهتم ومن اعمالهم وكل ما هو كائن

مستطر

مستطر مكتوب في اللوح المحفوظ عليهم كما يقال كتبت واكتتبت وسطرت واستطرت وقرأت
واقترأت ان المتقين في جنات ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس ووحد لاجل رؤوس الآي [illegible] يعني في ضياء
وسعة ومنه النهار في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك مقتدر مقربين عند مليك امرهم في الملك
والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها

سورة الرحمن

تقدست اسماؤه وجل ثناؤه مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي الف وستمائة وست وثلاثون حرفا
وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وثمان وسبعون آية وعن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه
البيان ● عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهي
نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم
وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها
ولما كان معظم السورة في تعداد نعمائه افتتح بلفظ الرحمن واخر ذكر خلق الانسان عن ذكر تعليم القرآن ثم اتبعه اياه ليعلم انه
انما خلقه للدين وليحيط بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكأن الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر
ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها
اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك
بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه قيل نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل هو جواب لاهل مكة حين
قالوا انما يعلمه بشر فانه تعالى الرحمن علم القرآن محمدا ليعلم امته وقيل مكنهم من تعلمه [illegible] وقيل
من رحمته تعليم القرآن والتعليم تبيين ما يصير به المتعلم عالما والاعلام ايجاد ما يصير به عالما وقيل معناه جعله آية وعبرة
خلق الانسان ابن عباس وقتادة يعني خلق آدم عليه السلام علمه اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة
الف لغة افضلها العربية وقال الاخرون اراد جميع الناس لان الانسان اسم الجنس ثم اختلفوا في علم البيان قتادة علمه
بيان الحلال والحرام وتبين له الخير والشر فما يأتي وما يذر ليحتج بذلك عليه ابو العالية ومرة الهمداني وابن زيد يعني الكلام
الحسن والنطق والتمييز محمد بن كعب ما يقول وما يقال له الذي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به يمان الكتابة والخط بالقلم
نظيره علم بالقلم ابن كيسان يعني محمدا علمه البيان بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والاخرين وعن يوم الدين
قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف
والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان ● الشمس والقمر يجريان بالحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي في بروجهما ومنازلهما
وفي ذلك منافع للناس عظيمة بها تحسب الاوقات والاعمار والاجال ولولا الشمس والقمر والليل والنهار لم يدر احد
كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا كيف يحسب او نهارا كيف يحسب الضحاك يجريان بقدرته مجاهد بحسبان كحسبان الرحى
يدوران في مثل قطب الرحى السدي كآجال الناس فاذا جاء اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى اي يجريان باجل الدنيا
وفنائهما وفنائها والحسبان قد يكون مصدر حسبت حسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان
والبرهان وقد يكون جمع الحساب مثل الشهبان والركبان والقضبان والرهبان ونظم الاية الرحمن علم القرآن وقدر الشمس
والقمر وقيل هو مردود على البيان اي علمه البيان ان الشمس والقمر بحسبان قيل سعة الشمس ستة آلاف فرسخ واربعمائة
فرسخ في مثلها وسعة القمر الف فرسخ في الف فرسخ مكتوب في وجه الشمس لا اله الا الله محمد رسول الله خلق الله الشمس بقدرته
واجراها بامره وفي بطنها مكتوب لا اله الا الله رضاه كلام وغضبه كلام ورحمته كلام وعذابه كلام وفي وجه القمر مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله خلق القمر وخلق الظلمات والنور وفي بطنه مكتوب لا اله الا الله خلق الخير والشر بقدرته
يبتلي بهما من يشاء من خلقه فطوبى لمن اجرى الله الخير على يديه والويل لمن اجرى الله الشر على يديه والنجم النبات الذي ينجم
من الارض لا ساق له كالبقول والشجر النبات الذي له ساق يسجدان ينقادان لله عز وجل فيما خلقا له لا يمتنعان تشبيها
بالساجد من المكلفين في انقياده وقيل سجودهما سجود ظلهما مجاهد وقتادة النجم الكوكب وسجوده طلوعه وقيل هما يسجدان
ولا نفقه سجودهما كما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سجودهما حمل غيرهما على السجود وقيل سجودهما دلالتهما
على التوحيد ويقال الشمس والقمر مبتدأ والخبر بحسبان وقيل خبره مقدر اي يجريان والجملتان استغنى فيهما عن الوصل
اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر
يسجدان له ولم يذكر في الجملة الاولى العاطف ثم جيء به بعده بحث بين الجمل الاول واردة على سنن التعديد للذين كفروا
الرحمن والآية كما يبكت منكرا ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه
بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف والتناسب بين هاتين الجملتين [illegible]

لما ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان بين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض
لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم
والشجر والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره
ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان
مجاهد العدل الحسن وقتادة والضحاك هو الذي يوزن به ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان
بالقسط اى قوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا ولا تنقصوا الميزان ان لا تطغوا في الميزان اى لان لا تطغوا فيه او امرا بالتسوية ونهى عن
الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسر الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به و
تقوية للامر باستعماله والحث عليه قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن آدم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك
فان العدل صلاح الناس والارض وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق الحسن للجن والانس ابن عباس والشعبي كل
ذي روح فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة تعني انواع الفواكه يتفكه بها والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر واحدها كم
وقيل كل ما يكم اى يغطى من ليفة وسعفة وقيل كفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه الضحاك
ذات الاكمام ذات الغلف الحسن اكمامها ليفها قتادة رقابها ابن زيد الطلع قبل ان ينفتق والحب ذو العصف ورق الزرع
الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس نظيره كعصف مأكول ابن عباس العصف التبن مجاهد ورق الزرع ابن السكيت تقول
العرب لورق الزرع العصف والعصيفة ورق كل شيء خرج منه الحب يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم
يحدث في الاكمام الحب والريحان مجاهد هو الرزق وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال كل ريحان في القرآن فهو رزق
مقاتل بن حيان الريحان الرزق بلغة حمير سعيد بن جبير الريحان الريحان الضحاك هو الطعام والعصف التبن والريحان
ثمرته الحسن وابن زيد هو ريحانكم هذا الذي يشم الكلبي هو خضرة الزرع وقيل هو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرأ العامة والحب ذو العصف والريحان كلها
مرفوعا بالرد على الفاكهة ونصبها كلها ابن عامر على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشياء وقرأ اهل الكوفة الا عاصما
والريحان بالجر عطفا على العصف ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس
فبأي آلاء ربكما تكذبان ايها الثقلان والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم
ايها الثقلان وعن جابر بن عبد الله قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي
اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الاية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء
من نعمك ربنا نكذب وقيل خاطبهم بلفظ التثنية على عادة العرب القتيبي الحكمة في تكرارها ان الله عز وجل عدد في هذه
السورة نعماءه وذكر خلقه آلاءه ثم اتبع ذكر كل كلمة وصفها ونعمة ذكرها بهذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم
ويقررهم بها وهو كقولك لرجل احسنت اليه وتابعت عليه بالايادي وهو في كل ذلك ينكرك ويكفرك الم تكن فقيرا فاغنيتك
افتنكر هذا الم تك عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تك خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تك صرورة فحججت بك افتنكر
هذا والتكرار شايع في كلام العرب حسن بليغ في مثل هذا الموضع الحسين ابن الفضل التكرار لطرد الغفلة وتاكيد الحجة

قوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين
ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان ● خلق

الانسان من صلصال من طين يابس له صلصلة كالفخار كالطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فاختلف في التنزيل في هذا
حيث قال في موضع من تراب ومن طين وفي آخر من حمأ مسنون ولا تناقض فيه لانه نبأ بكيفية خلقه على سبيل التفصيل
فانه يفيد انه خلقه من تراب فانه الاصل في خلقته ثم جعله طينا بخلط الماء بالتراب ثم جعل حمأ مسنونا بادخال
الهواء فيه ثم جعله صلصالا كالفخار بنفوذ النار فيه وبالحقيقة خلق كل واحد من اشخاص الانسان على هذا الوجه
خلقة آدم قديم بهذا من طين الى آخر بخلاف بني آدم فان خلقة كل واحد منهم تعد هذه المراتب متوقفة على اطوار اخرى
قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وخلق
الجان ابا الجن وقيل هو ابليس وقيل الجان واحد الجن من مارج من لهب صاف خالص لا دخان فيه ابن عباس المارج هو لسان النار
ويكون في طرفها اذا التهبت عكرمة هو احسنها مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر
الذي يعلو النار اذا اوقدت وهو من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب
واختلط بين ذوبان المارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين
مشرق الصيف ومشرق الشتاء ورب المغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء مرج البحرين ارسل البحرين العذب والملح
متجاورين يلتقيان لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز وحائل من قدرة الله تعالى وحكمته لا يبغيان لا يتجاوزان
حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة ولا يختلطان ولا يتغيران قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق الحسن
مرج البحرين بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما قتادة ايضا بحر فارس والروم بينهما برزخ وهي الجزيرة مجاهد والضحاك
يعني بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام يخرج قرأ نافع وابو عمرو ويعقوب بضم الياء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل

والباقون

والانصاف الحسين بن الفضل القرآن وقيل الوزن
التقدير واراد به كل ما يوزن به الاشياء ويعرف
مقاديرها من ميزان ومكيال ومقياس وغيرها ابن
عباس اى خلقه موضوعا على الارض حيث علق
به احكام عباده وقضايا امورهم مما تعبدهم به من
التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم الا تطغوا
لان لا تطغوا وقيل هي ان المفسرة الخليل على الاول
لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط اى قوموا وزنكم بالعدل
ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب م

ابن كيسان العصفه

الم اعملك وانت راحل فشكرت هذا م

بقي آدم م

وفي آخر م

والباقون بفتح الياء وضم الراء منهما اللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان
صغاره قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال
يخرجان منهما ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة
من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب قال اهل المعاني وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب لكن
هذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيئين ثم يخص احدهما بفعل دون الآخر كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم وانما الرسل من الانس دون الجن الكلبي قال وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر
اللؤلؤ وقال اهل الاشارة مرج البحرين احدهما معرفة القلب والآخر معصية النفس في معرفة القلب ابن عطا بين العبد
وبين الرب بحران احدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا والثاني بحر الهلاك وهو الدنيا من تمسك بها وركن اليها هلك
وقيل بحر الدنيا وبحر العقبى بينهما برزخ وهو القبر قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون لا يبغي احدهما على الآخر
وقيل بحر العقل والهوى بينهما برزخ آداب الله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحق والصواب وله الجوار السفن الكبار المنشآت
قرأ حمزة وابو بكر عن عاصم بكسر الشين المفعلات المبتديات اللائي انشأن جريهن وسيرهن وقرأ الباقون بفتح الشين اي
المخلوقات المرفوعات المسخرات في البحر مجاهد المنشآت ما رفع قلعه من السفن كالاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل

قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان ● والمعنى
كل من على الارض من حيوان كناية عن غير مذكور كقولهم ما عليها اكرم من فلان تعنون الارض وما بين لابتيها
افضل من فلان تعنون حرتي المدينة قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل الارض
فانزل الله كل شيء هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك ويبقى وجه ربك ذاته الوجه يعبر به عن الجملة الذي
يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله وعن عبد الله بن سلام انه قال الى النبي عليه السلام فقال
ان الله تعالى يقول ذو الجلال والاكرام فقد عرفنا الجلال قلت يا جابر يا محمد رسول الله اقرأنا الجنة في الكعبة الحيطة
المحيطة بالعرش قال الحكم بينها وبين الجبال التي ليس كما اهم عبادة قال كحدا شبيع مائة سنة قال الغزل جبريل بتصديقه
عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله رجلا وهو يصلي وهو يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال له رسول الله قد استجيب لك

عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام قوله تعالى يسأله من في السماوات
والارض كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان ● من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم عنه ابن عباس
يسأله اهل السماء المغفرة ولا يسألونه الرزق واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة كل يوم هو في شأن اي كل وقت
وحين يحدث امورا ويجدد احوالا امضاها كما روي انها نزلت في اليهود حين قالوا ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا عن عبد الله
بن منيب تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين عن ابن عباس ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور
ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم
هو في شأن مجاهد من شأنه ان يجيب داعيا ويعطي سائلا ويفك عانيا ويشفي سقيما ويغفر ذنبا ويتوب على قوم سفيان
ابن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو في اليوم الذي هو
الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب
الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان شأنه جل ذكره انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاث عساكر عسكرا
من اصلاب الرجال الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله
يخلق خلقا ويميت خلقا ويذهبهم ويكلؤهم وقيل يعتق رقابا ويفحم عقابا ويعطي رغابا وقيل هو الجمع والتفريق
ابو سليمان الداراني هو ايصال المنافع الى العبد ودفع المضار عنه فلم تغفل عن طاعة من لا يغفل عن بركه كل يوم
للعبيد بتجديد ويحكى عن بعض الامراء انه سأل وزيره عن معنى هذه الاية فلم يعرفه واستمهله الى الغد فرجع
الوزير الى داره كئيبا حزينا فقال له غلام اسود من غلمانه يا مولاي اي خبر ما اصابك فاخبره فقال يا مولاي اخبرني فلعل الله
يسهل الفرج على يدي فاخبره بذلك فقال امض الى الامير وقل له ان غلاما اسودا يفسر لك هذه الاية
ففعل ذلك فدعا الامير الغلام وسأله عن ذلك فقال ايها الامير شأن الله تعالى انه يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا
ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت يا غلام فقد فرجت عني ثم امر الوزير بخلع ثياب الوزارة وكساها
الغلام فقال يا مولاي هذا شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل فقال له اشكلت علي ثلاث آيات
دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف
بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم
في تلك الامة توبة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم
قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان
اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ

منهما كما يقال م

من محاله م
البحرين م

الرزق والعصمة وقيل بحر الحياة وبحر الوفاة
بينهما برزخ وهو الاجل وقيل بحر الحجة والشبهة
بينهما برزخ وهو النظر والاستدلال يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان م

والذات ومساكين مكة يقولون ان وجه ربي كريم
ينقذني من الهوان ذو الجلال والاكرام صفة
الوجه والمعنى م

فاما الاكرام م

اذنت م

خارجه قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء
ربكما تكذبان ○ سنفرغ قرأ حمزة والكسائى وخلف بفتح الياء وضم الراء
والارض الباقون بالنون والفراغ لا يكون الا عن شغل والله تعالى لا يشغله شأن
عن شأن فقيل هذا وعيد وتهديد من الله تعالى مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك وما به شغل يريد سأتجرد
تجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه القتيبي
والكسائي سنقصدكم بعد الترك والاهمال اي ناخذ فى امركم وقد يقول القائل الذي لا شغل له قد فرغت لك و
فرغت لشتمي اي اخذت فيه واقبلت عليه الحسن ومقاتل وابن زيد ان الله تعالى فرغ على التقوى وما قدر على الفجور ثم
قال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم به ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم ونوصل كلا
الى ما وعدناه فيتم ذلك ويفرغ منه ابن كيسان الفراغ للفعل هو التوفر عليه دون غيره ايها الثقلان الجن والانس دليل
ذلك فى عقيبه يا معشر الجن والانس سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض احياء وامواتا كما قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها
وقال بعض اهل المعاني كل شئ له وزن وقدر ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصاحبه يفرح به
اذا ظفر به وقال النبي عليه السلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لحقهما وقال جعفر الصادق
سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم
وقد قيل ان استطعتم لانهما فريقان فى حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون ان تنفذوا تجوزوا من اقطار
السموات والارض اي اطرافهما فتهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فانفذوا فجوزوا وانما قال
لهم هذا يوم القيمة الضحاك يعني هاربين من الموت فاخبرهم انه لا يجيرهم احد من الموت ولا محيص لهم منه ولو نفذوا
من اقطار السموات والارض كانوا فى سلطان الله وملكه ابن عباس يعني ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات
والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان بينة من الله تعالى لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان بقوة وقهر
وغلبة وانى لكم هذا ونحوه وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ابن عباس وعطاء لا تخرجون من سلطاني وقيل
معناه الا الى سلطان كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي يرسل عليكما شواظ قرأ ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها
وهما لغتان وهو اللهب الخالص الذي لا دخان فيه مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار الضحاك هو الدخان
الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب ونحاس قرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر السين عطفا على النار والباقون
بالرفع عطفا على الشواظ سعيد بن جبير والكلبي النحاس الدخان وهي رواية ابي صالح وابن ابي طلحة عن ابن عباس قال النابغة
تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم ولا دخان
فيه مجاهد وقتادة هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس مقاتل هي خمسة انهار من صفر
تجري من تحت العرش على رؤوس اهل النار ثلاثة انهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار عبد الله بن مسعود
النحاس المهل ربيع القطر الضحاك دردي الزيت الكسائي هو الذي له ريح شديد فلا تنتصران تمتنعان فاذا
انشقت انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة بيانه قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
فكانت فصارت وردة حمراء مشرقة وقيل متغيرة بلون الورد قتادة انها اليوم خضراء وسيكون لها يومئذ لون احمر
كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل اسم ما يدهن به كالحزام والادام وقيل الدهان
الاديم الاحمر ابن عباس والضحاك وقتادة والربيع يعني كلون الفرس الورد يكون فى الربيع كميتا اصفر فاذا ضرب به
البرد الشتاء يكون كميتا احمر فاذا اشتد الشتاء يكون كميتا اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه
مجاهد وابو العالية كالدهن قتادة الدهان جمع الدهن والدهن الوان تشبه السماء بالوانه عطاء كعصير الزيت
يتلون فى الساعة الوانا الحسين بن الفضل كصبيب الدهن يتلون من حر جهنم تذوب السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها
حر جهنم مقاتل كدهن الورد الصافي الورد كالوردة الحمراء قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان ○ الحسن وقتادة لا يسئلون عن
ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبت الملائكة عليهم وهي رواية العوفي عن ابن عباس وعنه ايضا
لا تسأل الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده والى هذا ذهب مجاهد وعن ابن عباس ايضا
فى قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا
وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا عكرمة انها مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها
ابن عباس ايضا لا يسألون سؤال شفقة وراحة انما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ ابو العالية لا يسأل غير المذنب عن
ذنب المجرم انس بعض من الانس ولا جان اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال
هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون
بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام الضحاك يجمع

بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره فيسحبون الى النار ويقذفون فيها تسحبهم الملائكة تارة وتأخذهم
بالنواصي وتارة بالاقدام كما يقال لهم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون المشركون يطوفون بينها وبين حميم ماء حار آن
قد انتهى حره قتادة قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والارض وقال الحسن انهم يسعون بين الجحيم والحميم وقيل تعاقب
عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم كعب الاحبار ان واديا من
اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم وهم فى الاغلال فيغمسون فى ذلك الوادي حتى تنخلع اوصالهم
ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن ونعمة
فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما فى الانذار به من اللطف قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى
آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى
الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأى آلاء ربكما تكذبان
ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين يديه وقيل موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة بيانه يوم يقوم
الناس لرب العالمين وقيل قيام ربه عليه اي ان ربه قائم عليه اي حافظ مهيمن بيانه افمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته مجاهد هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله
علامة الخوف من الله ان يؤمنك خوفه من كل خوف السري شيئان يعقدان الخوف المزعج والشوق المقلق جنتان
بستانان من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر ترابهما الكافور والعنبر وحمأتهما المسك الاذفر كل بستان منهما
مسيرة مائة سنة فى وسط كل بستان دار من نور محمد الترمذي جنة لخوفه ربه وجنة بتركه شهوته مقاتل هما
جنة عدن وجنة النعيم ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقيل الخطاب
للثقلين وكأنه قال لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني وقيل جنة لفعل الطاعات
وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وقيل جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة
ذواتا افنان جمع فن وهو من قولهم افتن فلان فى حديثه اذا اخذ فى فنون منه وخص الافنان بالذكر وهي الغصنة
التي تتشعب من فروع الشجرة لانها التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال الفراء كل فن الوان اللذاذة والعيش خضر ناضر الضحاك الوان الفواكه
مجاهد اغصان نواحيها عكرمة ظل الاغصان على الحيطان الحسن ذواتا ظلال وهو كقوله وظل ممدود
ايضا ذواتا اغصان وغصونهما كالمعروشات يمس بعضها بعضا قتادة ذواتا فضل وسعة على ما سواهما
ابن كيسان ذواتا اصول فيهما عينان تجريان ابن عباس بالكرامة والزيادة على اهل الجنة الحسن تجريان بالماء الزلال
احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل عطية احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان
الى الاعالي والاسافل وقيل انهما تجريان من جبل من مسك ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كان له فى الدنيا
عينان تجريان بالبكاء فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة
حلوة ولا مرة الا وهي فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى
الجمع على فرش جمع فراش بطائنها جمع البطانة من استبرق من ديباج ثخين اذا كانت البطائن من استبرق فما الظن بالظواهر
قيل هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد الفراء
الظواهر هي بلغة القبط وقد تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة لان كل واحد منهما يكون وجها تقول العرب
هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء الذي تراه قال عبد الله بن الزبير فى قتلة عثمان قتلهم الله شر قتلة ونجا من نجا منهم
تحت بطون الكواكب يعني هربوا ليلا فجعل ظهور الكواكب بطونا قال القتيبي هذا من عجيب التفسير كيف تكون البطانة
ظهارة والظهارة بطانة والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس اخفاؤه والظهارة ما ظهر منه وكان من شأن الناس ابداؤه
وهل يجوز لاحد ان يقول لوجه المصلي هذا بطانته ولما يلي الارض ظهارته لا يجوز هذا وانما اراد الله ان يعرفنا
لطفه من حيث نعلم فضل هذه الفرش وان ما ولي الارض منها استبرق واذا كانت البطانة كذلك فالظهارة اعلى واشرف
وكذلك قول النبي عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن من هذه الحلة فذكر المناديل دون غيرها لانها اخس
وهذا قول القتيبي ما حكينا عن عبد الله بن مسعود وابي هريرة وجنى الجنتين ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم
فيهن فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنا او فى الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور
ومجالس قاصرات الطرف غاضات الاعين قد قصرن بصرهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم
ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى فى الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك لم
يطمثهن قرأ الكسائي برواية ابي عمر بضم الميم فى الاولى وابو الحرث عنه فى الثانية وكذلك معناه لم يجامعهن ولم يفتضهن
واصله من الدم ومنه قيل للحائض طامث كأنه قال لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان وقيل لم يطمث الانسيات
منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطؤون كما يطأ الانس سهل من اسبل طرفه فى الدنيا
عن اللذات فهو فى الاخرة القاصرات كأنهن الياقوت فى صفاء الياقوت والمرجان فى بياض المرجان وصغار الدر

عليه السلام ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان
فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه وقيل ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين
حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
يقول الله هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي ابن المنكدر هل جزاء من انعمت عليه
بالاسلام الا الجنة ابن عباس هل جزاء من قال في الدنيا حسنا وقال لا اله الا الله الا الجنة في الاخرة السدي هل جزاء الذين
اطاعوني في الدنيا الا الكرامة في الاخرة الصادق هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه الى الابد محمد بن
الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه قوله تعالى ومن دونهما
جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات
في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ومن دونهما يعني
ومن دون الجنتين الاوليين الموعودين لمن خاف مقام ربه جنتان اخريان ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد في الفضل
ابن جريج هي اربع جنات للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل
ورمان الكسائي يعني امامهما دليل هذا التاويل قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وزمرد
وهما افضل من الاوليين مدهامتان ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد
والدهمة السواد اي الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاوليين الاشجار والفواكه
فيهما عينان نضاختان ممتلئتان فياضتان فوارتان بالماء لا ينقطعان والنضخ اكثر من النضح الحسن وعطاء ممتلئتان
ابن عباس تنضخان بالخير والبركة على اهل الجنة ابن مسعود تنضخان على اولياء الله بالمسك والكافور سعيد بن جبير نضاختان
بالماء وانواع الفواكه انس تنضخ بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كما ينضخ طش المطر واصل النضخ الرش فيهما فاكهة ونخل
ورمان عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان اخران
كقوله وجبريل وميكال وقيل لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة
اذا حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فيهن خيرات اصلها خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون
لينون واما خير الذي بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات والمعنى فاضلات الاخلاق وحسان الخلق الكسائي
ذكر الله تعالى الجنتين ثم جمعهن فقال فيهن خيرات حسان جرير بن عبد الله خيرات حسان ...
ولا بخرات ولا مطلعات ولا متشوفات ولا متسلطات ولا طماحات ولا طوافات في الطرق ولا يغرن ولا يؤذين وقيل
تغني نساء اهل الجنة ياخذ بعضهن بايدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط
ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ونحن خيرات حسان حبينا لازواج كرام عائشة ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة
اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضيات وما توضاتن
[illegible]

سورة الواقعة

سورة الواقعة

وهي الف وسبعمائة وثلاثة احرف وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وست وتسعون آية وعن ... ان عثمان
رضي الله عنه دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما
تشتهي قال رحمة ربي قال الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني قال الا نامر بعطائك قال لا حاجة لي به
قال تدفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن به قد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول من قرأ

مكية

يقول من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة ابدا وعن مسروق من اراد ان يعلم نبأ الاولين والاخرين ونبأ اهل الجنة
ونبأ اهل النار ونبأ الدنيا والاخرة فليقرأ سورة الواقعة قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة اذا وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت
بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه
اي نزل ما كنت اترقب نزوله اذا منصوب بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل وقيل منصوب بمحذوف اي اذا
كان كيت وكيت او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة تكذيب فكاذبة مصدر كالعاقبة والنائلة والعافية
والكاذية هو بمعنى الكذب كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو ومنه قول العامة عائذا بالله اي معاذ الله وقم
قائما اي قم قياما وبعض نساء الاعراب ترقص ابنها قم قائما قم قائما اصبت عبدا نائما وقيل ليس لوقعتها كاذبة
نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله عز وجل وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة
مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب على الله عز وجل مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده
حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله يقول يا ليتني قدمت
لحياتي وقيل ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني وقيل هي من قولهم
كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به
على ان الوقعة لا تطاق شدة وتفاقما وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدث به عند عظائم الامور وتزين له
احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف خافضة اي هي خافضة
رافعة تخفض قوما الى النار وترفع قوما الى الجنة اما وصفها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك ترفع فيها
ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما لانها تزلزل
الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض قوما وترفع آخرين حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتسير
الجبال فتمر في الجو مر السحاب السدي ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من ناى
يعني انها اسمعت القريب والبعيد وخفضت قوما بالعقل اذا رجت حركت الارض رجا تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء
من جبالها ويقال للسهم يرتج في الغرض اي يهتز ويضطرب الكلبي وذلك ان الله اذا اوحى اليها اضطربت فرقا
قيل ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها واصل الرج في اللغة التحريك يقال
رججته فارتج فانها تغضبه تلك رجرجته فترجرج وبست فتتت حتى تعود الجبال كالدقيق المبسوس وهو
البسيسة عند العرب الدقيق او السويق يلت ويتخذ زادا عطاء ذهبت ذهابا سعيد بن المسيب والسدي كسرت كسرا
الكلبي سيرت عن وجه الارض تسييرا من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال مجاهد لتت لتا الحسن قلعت من اصلها
فذهبت بعدما كانت صخرة صماء فظيعة ما تفعل بمنعها ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة طويلة فكانت هباء ابن عباس شعاع الشمس حين يدخل من الكوة علي رضي الله عنه رهج الدواب
عطية ما تطاير من شرر النار قتادة حطام الشجر منبثا متفرقا اذا رجت بدل من اذا وقعت وقيل اذا رجت منصوب
بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
وكنتم ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج قوله تعالى فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم
ثلة من الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال
اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ثم بين من
هم فقال عز وجل فاصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة الضحاك هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت
الذرية من صلبه فقال الله سبحانه هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم الحسن
والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين على انفسهم باحسان ثم صحب بعضه على السلام فقال ما اصحاب الميمنة وهذا
كما يقال زيد ما زيد تعجيب شديد واصحاب المشامة الذين يعطون صحائفهم بشمائلهم والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى
وسموا الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها اذا دخل الحجر لحجاب الميزاب وقيل هم الذين يؤخذ بهم
ذات الشمال الى النار وقيل هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله لهم هؤلاء في النار ولا ابالي وقيل اصحاب
الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشامة اصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال
اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح
ولذلك اشتقوا اليمين من الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة اصحاب اليمن والشوم لان
السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم والسابقون السابقون ابن سيرين هم الذين
صلوا القبلتين دليله قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار كعب هم اهل القرآن السابقون
هم اهل القرآن وهم المتوجون يوم القيمة عثمان بن ابي سودة السابقون الى المساجد واولهم خروجا في سبيل الله وقيل

الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير في حداثته ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب
وطول الغفلة ثم تراجع بالتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثته ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا
صاحب الشمال ابن عباس السابقون الى الهجرة هم السابقون في الآخرة علي بن ابي
طالب الى الصلوات الخمس عكرمة الى الاسلام الضحاك الى الجهاد القرظي الى كل خير سعيد بن جبير هم المسارعون الى التوبة
والى اعمال البر لقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون
الى الجنة ابن كيسان السابقون الى كل ما دعا الله اليه والسابقون مبتدأ والسابقون خبره والمعنى السابقون من عرفت حالهم
من الله في جنات النعيم والسابقون السابقون الذين عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله انا ابو النجم وشعري شعري
كأنه قال لما انتهى اليه من فصاحته وبراعته السابقون مبتدأ واولئك المقربون خبره
جزاء لهم بذلك ... اولئك المقربون اي المقربون الى جزيل الثواب
لانه تمام الجملة ... في جنات النعيم ...
في الجنة ثلة من الاولين اي هم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين والثلة الجماعة من الناس كثيرة والقليل ما دون ذلك
الكثير من الاولين والاحاديث ...
الكثرة والثلة من الامم وهو اشتقاقها من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم
الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين امة محمد وقيل من الاولين متقدمو هذه الامة ومن الآخرين
متأخروها فعن النبي عليه السلام الثلثان جميعا من امتي وقليل من الآخرين هذا في السابقين وثلة من الآخرين في اصحاب
اليمين فانهم يتكاثرون من الاولين ومن الآخرين ثلة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة ومنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دخل بعضها في بعض مضاعفة كما توضن حلق الدرع ومنه قول الاعشى ومن نسج داود موضونة
تساق مع الحي عيرا فعيرا الضحاك موضونة مصفوفة ابن عباس متكئين عليها حال من الضمير في على اي استقروا عليها متكئين
متقابلين حال من الضمير في متكئين على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في قفا بعض
وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم للخدمة ولدان غلمان مخلدون مبقون ابدا على
شكل الولدان لا يموتون ولا يهرمون ولا يكبرون ولا ينقصون ولا يتغيرون وليس لاهل الدنيا ...
سعيد بن جبير مقرطون والخلد القرط وقيل هم اولاد الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا
عليها لان الجنة لا ولادة فيها وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب جمع كوب وهي آنية لا عروة لها ولا خرطوم
واباريق جمع ابريق ... وكأس من معين من خمر جارية من العيون لا يصدعون عنها لا يصدع رؤوسهم عن شربها
وقيل لا يتصدعون بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها اولا يفرقون عنها ...
لا يمنعون عنها ولا ينزفون اي لا يذهب عقولهم وقيل لا ينفد شرابهم وقيل لا يبولون لان البول ما استقى عليه حتى يذهب
كله ... ابن عباس في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وقد نزه الله خمر الجنة عنها ...
شرابهم ... وفاكهة مما يتخيرون يختارون
يأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون ويجدون لذة وشهوة في اكله من غير ... جنس الطير
... وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لطيرا فيه سبعون
الف ريشة ... على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون ابيض من الثلج والين من الزبد واعذب
من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه ... ثم يطير فيذهب وحور عين بالرفع على وجوه احدها ... وقيل العطف على ولدان
حمزة والكسائي وحور بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور وقيل العطف على اكواب
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وبحور ... الاعراب على اللفظ وان اختلفا في المعنى لان الحور لا
... بالرفع وقيل هو مبتدأ وخبره محذوف كامثال اللؤلؤ المكنون المخزون في الصدف الذي لم تمسه الايدي جزاء
مفعول له اي فعل ذلك كله جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها في الجنة لغوا باطلا وقيل يمينا كاذبة وقيل صياحا وعبثا ولا تأثيما
اي لا يقال لهم اثمتم ... قيلا ... الا قيلا سلاما سلاما الا قيلا
... منقطع اي لكن قيلا سلاما سلاما ... ويقل السلام عليكم ... تحيتهم فيها سلام وسلاما
... الا قيلا سلاما ... لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما
سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ثم رجع الى ذكر مآب اصحاب
الميمنة فقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود والطلح شجر الموز والسدر شجر النبق ...
... وقيل هو شجر ام غيلان وله نور كثير طيب الرائحة
وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل ... منضود قد نضد
... المصحف بالحاء ... القرآن لا يهيج

اليوم ولا يحول منضود متراكم قد نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة مسروق اشجار الجنة من عروقها
الى افنانها ثمر كله وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ...
ظل ... مسيرة سبعين الف سنة ... الطويل والعمر الطويل ... الذي لا ينقطع
ممدود قال لبيد غلب العزاء وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود وماء مسكوب مصبوب يجري دائما من غير اخدود
لهم اين شاؤا كيف شاؤا لا يتعبون فيه وفاكهة كثيرة لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان القتيبي لا يحظر
عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقيل لا ينقطع الثمرة اذا جنيت بل يخرج مكانها مثلها وقيل ولا ممنوعة بالشوك ...
وفرش جمع فراش مرفوعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام او
المراد ... فراش ... الحسن ... سبعين خريفا علي بن ابي طالب ... على الاسرة وقيل اراد
بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا ... لان المراد بحال النساء مرفوعة رفعن بالجمال
والفضل على نساء اهل الدنيا يدل على هذا قوله في عقبه انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر
الفرش وهي المضاجع دل عليهن انا انشأناهن انشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي
ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن فجعلناهن ابكارا عذارى عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب الحسن
... شبه المكية والمدنية والعربية ... الكلام ... الحسنة التبعل
وكانت العرب تقول للمرأة اذا كانت حسنة ... اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وكذلك
ازواجهن ايضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث
وثلاثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشأنا او جعلنا عن مجاهد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها
عجوز من بني عامر فقال من هذه العجوز فقالت احدى خالاتي يا رسول الله فقال ان الجنة لا يدخلها عجوز
فبلغ ذلك من العجوز كل مبلغ فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له عائشة ما لقيت من العجوز فقال لها انها اذا
دخلت الجنة انشئت خلقا آخر وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله انا انشأناهن انشاء الآية فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء ... انا انشأناهن ... خلقهن الله
كما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ... رسول الله ليس هناك وجع
... العجوز كبيرة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان
ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال ... ليست يومئذ عجوزا ان الله عز وجل قال انا
انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قيل لما انزل الله على رسوله ثلة من الاولين وقليل
من الآخرين بكى عمر رضي الله عنه فقال يا نبي الله ثلة من الاولين وقليل منا ... آمنا برسول الله وصدقناه
... من آدم الينا ثلة والى يوم القيامة ثلة قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم
وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها
الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم ريح حارة ...
... وحميم ماء حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم وقيل اليحموم جبل في جهنم ...
... لا بارد ولا كريم ... نفى لصفة الظل عنه ...
... بعد ...
... الثناء ... ولا كريم ...
الظل البارد والكريم الذي ... في الجنة ... في الدنيا مترفين متنعمين ...
... وقيل وصفهم بالترفه ... المترفين ... فيما حرم الله عليهم ... مترفين
مشركين وكانوا يصرون ... على الحنث على الذنب العظيم ...
... الحنث ... وهو الاثم ...
... ويحنث ... اليمين ...
لا يبعث الله من يموت ... وكانوا يقولون ائذا متنا ...
... متعلقا ... مبعوثون ... الاستفهام ...
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا ... الاستفهام على حرف العطف حسن العطف على
المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد ...
... قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ...
... الميقات ...
... يوم معلوم عند الله ... ثم انكم ايها الضالون ... المكذبون

بالبعث هم أهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من لابتداء الغاية من شجر من لبيان وتفسير زقوم فمالئون منها انث
الضمير على معنى الشجر البطون لان الله تعالى يسلط عليهم جوعا شديدا فيملؤون بطونهم باكلها رجاء زوال الجوع واذا
امتلؤوا منه وجدوا عطشا شديدا فيعرض عليهم الحميم فشاربون عليه اي على الشجر ذكر الضمير على اللفظ من الحميم
فشاربون شرب الهيم قرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها عن الكسائي عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج
انه قال دخلت على جعفر الصادق فقرأت قراءة أصحاب عبد الله شرب الهيم بفتح الشين فقال اما بلغك ان رسول الله بعث بديل
بن ورقاء الخزاعي الى اهل منى في ايام التشريق فقال انها ايام اكل وشرب وبعال يعني بفتح الشين والفتح والضم مصدران
والهيم الابل العطاش عكرمة وقتادة هو داء بالابل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك ويقال للداء الهيام
ويقال جمل اهيم وناقة هيماء وابل هيم قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
الضحاك وابن عيينة وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام
بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط
عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم
الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فعطف فشاربون عليه وليس هو عطف الشيء على نفسه لانهما
ليسا متفقين من حيث ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك
كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا نزلهم رزقهم الذي يعد لهم وهو الضيافة اي تكرمة لهم وفيه تهكم كما في قوله
فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالخلق الثاني وهو البعث تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان
مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا

قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل
أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم
نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم
أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم
شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم ●

لما قال نحن خلقناكم
قال المشركون الطبيعيون نحن موجودون من نطفة حدثت بحرارة كامنة وقيل كل حدث نطفة فاحتج الله تعالى عليهم
أفرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف أأنتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه فتجعلونه بشرا سويا أم نحن
الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا كما
اختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط فيه قدرنا الاحياء والاماتة وهما ضدان قدرتنا على الاحياء ثانيا قرأ اهل مكة
قدرنا مخففا والباقون مشددا وما نحن بمسبوقين مغلوبين عن اهلاككم وابدال امثالكم فذلك قوله عز وجل على ان
نبدل امثالكم وننشئكم مسبوقين على كذا اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه يعني قوله وما نحن بمسبوقين على ان
امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي
على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها اي انا نقدر على الامرين
جميعا على خلق ما يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها
في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها من الصور [illegible] فيما لا تعلمون في
حواصل طير سود وقيل نحن قادرون على احيائكم وانشائكم ثانيا وان كنتم لا تعلمون النشأة الثانية ولقد علمتم النشأة
الاولى نطفة ثم علقة الى تمام الخلقة وقيل ولقد علمتم النشأة الاولى نطفة ولم تكونوا فلولا تذكرون ان من قدر على شيء مرة
لم يعجز عنه مرة ثانية افرأيتم ما تحرثون تثيرون الارض وتعملون فيها او تطرحون البذر ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه
نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية عن رسول الله لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة الم تسمعوا قول الله
تعالى افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء
من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم وقيل يعني تبنا لا قمح فيه فظلتم
تخفيفا تفكهون تعجبون الحسن تندمون على تعبكم ونفقاتكم وانعامكم عليه وعلى ما سلف منكم من معصية الله
لكم عقوبته حتى نالكم قال عكرمة تلاومون ابن زيد تفجعون ابن كيسان تحزنون وهو من الاضداد يقول العرب
تفكهت اي تنعمت وتفكهت اي حزنت [illegible] والباقون على الحرف والمعنى ظلتم تفكهون وتقولون
انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك مجاهد وعكرمة انا لمولع بنا ابن عباس
وقتادة لمعذبون والغرام العذاب ابن ابي نجيح لملقون للشر الضحاك وابن كيسان غرمنا اموالنا وصار ما انفقنا غرما علينا
مرة الهمداني انا لمحاسبون بل نحن محرومون ممنوعون محدودون حرمنا رزقنا ضد المرزوق قال انس بن مالك مر رسول الله
بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال فلا تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء
وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله افرأيتم ما تحرثون الآيات افرأيتم الماء الذي تشربون
اي الماء العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن السحاب واحدتها مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء ام نحن المنزلون

لو نشاء

لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا شديد الملوحة زعاقا مرا لا يقدر على شربه قال صاحب الكشاف فان قلت لم ادخلت اللام على جواب
لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم
يكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني
امتناع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء
اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة
انه كان يقول خير لمن يقول له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك
بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ار فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى
الموضعان بلا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام
مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب لما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما
تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء بن سليمان المعري اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا
اضيافهم شبما زلالا وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب فلولا
تشكرون افرأيتم النار التي تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون
الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن
المنشئون الخالقون لها ابتداء نحن جعلناها اي النار التي في الدنيا تذكرة للنار الكبرى اي نار جهنم عن النبي صلى الله عليه
وسلم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها
فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وقيل تذكيرا لنار جهنم علقنا بها اسباب المعاش كلها وعممنا
بالحاجة اليها البلوى ليكون حاضرة للناس ينظرون اليها فيذكرون ما اوعدوا به وقيل جعلناها تذكرة اي جعلنا اخراج
النار من الشجر الخضر تذكرة لقدرتنا وقيل جعلنا النعم التي تقدمت تذكرة لحق الله وما يجب من طاعته وشكر نعمه و
منفعة يتمتعون وينتفعون بها للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران قال الاخفش يقال
الدار اذا خلت من سكانها قال النابغة اقوت وطال عليها سالف الابد وقيل الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
يقال اقويت من ايام لم آكل شيئا مجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها
في الظلمة ويصطلون بها في البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز ويتذكرون بها نار جهنم فيستجيرون بالله منها الحسن بلغة للمسافرين
يتبلغون بها الى اسفارهم يحملونها في الخرق والجواليق الربيع والسدي يعني للمرملين المقترين الذين لا زاد معهم يوقدون
نارا فيختبزون بها ابن زيد للجائعين تقول العرب اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيئا قطرب المقوي من الاضداد يعني الفقير
والغني يقال اقوى الرجل اذا قويت دابته وكثر ماله [illegible] فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك
وقيل اراد بالاسم الذكر اي فسبح بذكر ربك ●

قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه
لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ●

لما ارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق اتاه كل ما ينبغي له فاتاه الحكمة
وهي البراهين القاطعة واستعملها على نهجها والموعظة الحسنة وهي الامور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور
والجدال الذي هو على البيان ليس لظهور المدعى بل لقوة ذهن المدعي وقوته على تركيب الادلة وهو يعلم انه يغلب
جداله لظهوره مقاله ومما يقوله احد المتناظرين للآخر عند انقطاعه انت تعلم ان الحق بيدي لكن تستضعفني فلا تنصف
وحينئذ لا يبقى للخصم جواب غير القسم بالايمان التي لا مخارج عنها الا بعذر مكابرة منصف وذلك انه لو اتى بدليل آخر
لكان له ان يقول فهذا الدليل ايضا تغلبني فيه بقوتك وقدرتك فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاه الله عز وجل
ما ينبغي قالوا انه يريد التفضيل علينا فيما يعلم بخلافه فلم يبق الا ان يقسم فكان لله انواعا من القسم بعد الدلائل
ولهذا كثرت الايمان في اواخر التنزيل في السبع الاخير خاصة فلا اقسم معناه اقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل معناه فليس الامر كما يقولونه ثم استأنف القسم فقال اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القرآن
التي تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بمساقط النجوم ومغاربها عطاء ابن ابي رباح منازلها الحسن انكدارها
وانتثارها يوم القيامة قرأ حمزة والكسائي وخلف بموقع على الجمع قال صاحب الكشاف بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر
الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين
اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة عليهم والرضوان فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وقيل اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف
وصفته انه لقرآن كريم حسن مكرم مرضي في جنسه من الكتب يعني كريما لا دنيء [illegible] وقيل كثير المنافع كريم على الله
تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله محفوظ عن الشياطين وعن جميع ما يشين وقيل مصون من غير المقربين من الملائكة لا
يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب فما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح
وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على طهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القرآن

ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب قتادة لا يمسه عند
الله الا المطهرون فاما في الدنيا فيمسه الكافر والمؤمن والمنافق الحسن البجلي هم السفرة الكرام البررة محمد بن كعب
لا يقرؤه الا الموحدون عكرمة كان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القران الفراء لا يجد طعمه
ونفعه الا من آمن به الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتأويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق الجنيد هم الذين
طهر سرهم عما سوى الله تعالى وقال قوم لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات والنجاسات وهو قول الكافة
لا يمسه الى القران وقالوا اراد بالقران المصحف سماه قرانا على قرب الجوار والاتساع كالخبر الصحيح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو وظاهر الاية نفي ومعناها نهي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن وكذا
لن استدلوا بهذه الاية على منع الجنب والحائض والمحدث من مس المصحف وحمله وقالوا لا يجوز لاحد حمل المصحف
ولا مسه حتى يكون على صفة يجوز بها الصلوة والى هذا ذهب جمهور العلماء الا ان ابا حنيفة لا يمنع من حمله بعلاقة
ومس بحائل والاختيار انه ممنوع منه لانه ان حمله في خلبته فانما حمل الحايل ومع هذا يمنع منه وذهب الحكم
وداود بن علي وحماد انه لا بأس بحمل المصحف ومسه على اي صفة كان سواء كان طاهرا او غير طاهر مؤمنا كان
او كافرا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمل المصحف والدليل على انه لا يحمل المصحف ولا يمسه الا طاهر ما روي
ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان النبي عليه السلام لما بعثه الى اليمن كتب في كتابه ان لا يحمل المصحف ولا
يمسه الا طاهر وروى سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمس القران الا وانت
طاهر ولانه باجماع الصحابة روي ان علي بن ابي طالب سئل ايمس المحدث المصحف فقال لا وروي ان علي بن ابي طالب
سئل ايمس مصحفا فقال لا وروي ان مصعب بن سعد بن ابي وقاص كان يقرأ في المصحف فادخل يده في ثوبه فحك ذكره
فاخذ ابوه المصحف من يده وقال قم فتوضأ ثم خذه ولا مخالف لهما في الصحابة وقال البعض لا يمسه الا المطهرون
لا يقلب الورق من المصحف الا المتوضئ واستدل المجوزون بكتاب رسول الله الى قيصر وفيه بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية ولجاز لحقه الضرورة ذلك اذا دعت ضرورة اليه وحمله
عن عليه واما الصبيان فلاصحابنا فيه وجهان احدهما انهم يمنعون منه كالبالغين والثاني انهم لا يمنعون
منه لمعنيين احدهما ان الصبي لو منع من ذلك ادى الى ان لا يتلقن القران ولا يتعلمه ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه
حال الصغر والثاني ان الصبي وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا جاز ان يحمله على
غير كامل جاز ان يحمله محدثا تنزيل صفة رابعة للقران اي تنزيل من رب العالمين وقيل وصف بالمصدر لانه نزل نجوما
من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو
تنزيل على حذف المبتدأ افبهذا الحديث اي القران انتم مدهنون متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به ابن عباس مكذبون مقاتل كافرون نظيره قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون اي كنيا المدهن الذي لا يعقل
ما يحق عليه ويدفعه بالعلل المؤرج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة اصله من الدهن
تريدون ان تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم وقال بعض ائمة اللغة مدهنون اي تاركون للجزم في قبول هذا القران
ومداهنة العدو وملاينته مكان الحب من مخالطته وتجعلون رزقكم حظكم ونصيبكم من القران انكم تكذبون
وقيل والمعنى وتجعلون شكر نعمة القران انكم تكذبون به الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب
الله الا التكذيب به وقيل نزلت في الاستسقاء بالانواء ابن عباس مطر الناس على عهد رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله تعالى وقال بعضهم صدق نوء كذا وكذا فنزلت
هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث
انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم عند نحره الفاعل
لدلالة الكلام عليه وانتم حينئذ تنظرون الى امري وسلطاني ابن عباس يريد من حضر الميت من اهله ينظرون اليه
متى يخرج نفسه قال الفراء المعروف من كلام العرب ان يخاطبوا الجماعة بالفعل كانهم اهله واصحابه والمراد به بعضهم
غائبا كان او شاهدا فيقولون اقتلتم فلانا والقاتل منهم واحد ويقولون لاهل المسجد اذا اذى رجل منهم الا
اتقوا الله فانكم تؤذون المسلمين وقيل فانتم تنظرون الى الميت وقيل الى سلطاننا امرنا وقدرتنا وقيل وانتم تنظرون
ان يحل بكم ما حل به ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شيء منه قال عامر بن عبد قيس ما نظرت
الى شيء الا نظرت الله سبحانه وتعالى اقرب الي منه وقيل نريد الله تعالى من غير مسافة وقيل ملك الموت ورسلنا اقرب
اليه منكم ولكن لا تبصرون الله وتدبيره وملك الموت ورسله وقيل لا تبصرون لا تعقلون ولا تعلمون فلولا ان كنتم
غير مدينين مملوكين ومحاسبين ومجزيين ترجعونها جواب لقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم
غير مدينين قال الفراء انهما اجيبا بجواب واحد ومعناهما واحد وربما اعادت العرب الحرفين بجواب واحد ومعناهما
واحد فهذا من ذاك ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم اجيبا بجواب واحد قال صاحب
الكشاف ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير
في ترجعونها للنفس وهي الروح وغاب اليه لحضور غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم
والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا

صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم
لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت
المبدئ المعيد ثم ذكر فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح
باسم ربك العظيم ◦ ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وفي البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان المتوفى
من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة ابن عباس ومجاهد
وراحة سعيد بن جبير فرح الضحاك مغفرة ورحمة وريحان ابن عباس مستراح مجاهد وسعيد بن جبير رزق مقاتل
هو بلسان حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه الربيع بن خثيم وبه ثبت فروح عند الموت وريحان يخبأ له
في الاخرة وقال الاخرون هو الريحان المعروف الذي يشم ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى
يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض وجنة نعيم ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار
القرار الترمذي الروح الراحة في القبر والريحان الدخول في الجنة بسام بن عبد الله الروح السلامة والريحان
الكرامة وقيل الروح الرحمة والريحان النجاة من الافة وقيل الروح الموت على الشهادة والريحان نداء السعادة
وقيل الروح كشف الكروب والريحان غفران الذنوب وقيل الروح الثبات على الايمان والريحان الامن والامان
وقيل الروح فضله والريحان فضله وقيل الروح تخفيف الحساب والريحان تضعيف الثواب وقيل الروح عفو
بلا عتاب والريحان رزق بلا حساب وقيل فروح للسابقين وريحان للمقتصدين وجنة نعيم للظالمين وقيل
الروح لارواحهم والريحان لقلوبهم والجنة لابدانهم والحق لاسرارهم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما وقيل فسلام لك اي سلامة
لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب المشامة فنزل
من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وتصلية جحيم وادخال نار ان هذا الذي ذكر في هذه السورة لهو حق
اليقين اي الحق الثابت من اليقين قتادة في هذه الاية ان الله عز وجل ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه
على اليقين من هذا القران فاما المؤمن فايقن فنفعه ذلك في الدنيا ونفعه يوم القيمة واما المنافق فايقن يوم
القيمة حين لا ينفعه فسبح فصل باسم ربك وامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه عن عقبة بن عامر الجهني
لما نزلت على رسول الله فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم

سورة الحديد

الحسن ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة ومقاتل انها مدنية وهي رواية العوفي عن ابن عباس الثاني انها مكية
وهي الفان وستة وسبعون حرفا وخمسمائة واربع واربعون كلمة وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقرأ بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل من الف اية يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ◦ سبح لله ما في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم ◦ جاء في فاتحة الحديد والحشر والصف على لفظ الماضي وفي فاتحة الجمعة والتغابن على لفظ المضارع وكل
واحد منهما معناه ان من شأن من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه
اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام
لا يخلو اما ان يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا وذكر
سورة بني اسرائيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع والاعلى
بالامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر ما في السموات والارض ما يتأتى
منه التسبيح وكل شيء اي شيء يتأتى منه التسبيح لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو
العزيز الحكيم له ملك السموات والارض موضع يحيي رفع ونصب والجملة لا يكون لها محل ويحيي ويميت يجوز ان لا يكون له محل ويكون
جملة برأسها ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف او هو يحيي ويجوز ان يكون منصوبا حالا من المجرور في له
والجار عامل فيها والمعنى يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء وهو على كل شيء من ذلك قدير هو الاول قبل
كل شيء بلا حد ولا ابتداء كان هو ولا شيء موجود معه والاخر الذي يبقى بعد فناء كل شيء بلا انتهاء والظاهر الغالب العالي
على كل شيء بكل شيء دونه وقيل الظاهر بادلته الدالة عليه والباطن العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه هذا قول ابن
عمر الاول بالخلق والظاهر بالرزق والباطن بالاماتة الضحاك هو الذي اول الاول وآخر الاخر واظهر الظاهر وابطن
الباطن مقاتل بن حيان هو الاول بلا تأويل احد والاخر بلا تأخير احد والظاهر بلا اظهار احد والباطن بلا ابطان احد
هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم محمد بن الفضل الاول ببره والاخر بعفوه والظاهر باحسانه

والباطن بستره ابو بكر الوراق الاول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر بالاحدية والباطن بالصمدية وقيل هذه الواوات مقحمة والمعنى هو الاول الآخر الظاهر الباطن لان من كان اولا لا يكون آخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا قال صاحب الكشاف الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وكلامه الى ما قبل الباطن صحيح وفي الباطن باطل فانه لا دلالة للفظ عليه ولا حجة من جهة العقل وقيل الحسين بن الفضل هو الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الاول السابق الى فعل الخير والمتقدم على كل محسن الى فعل الاحسان والآخر الباقي بعد فناء الخلق والخاتم بفعل الاحسان والظاهر الغالب القاهر لكل احد من ظهر على كل شيء فقد علاه والظاهر ايضا الذي يعلم الظواهر ويشرف على السرائر والظاهر ايضا الذي ظهر على العقول بالاعلام وظهر للارواح بالـ... وان خفي عن اعين الناظرين والباطن الذي عرف الغيوب واشرف على المستترات والباطن ايضا الذي خفي عن الظواهر وعلم ما تكن بالسرائر الشبلي هو الاول بمن اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك ابن عطاء الاول بكشف احوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر بكشف احوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب اعدائه حتى ينكروه وقيل الاول قبل كل معلوم والآخر بعد كل محتوم والباطن دون كل محجوب وقيل الاول بالخلقة علمه بذنوبنا والآخر بستره علينا في عقبانا والظاهر بحفظه ايانا في دنيانا والباطن بتصفية اسرارنا وتنقية اذكارنا وقيل هو الاول بالتكوين بيانه قوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والآخر بالتلقين بيانه قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية والظاهر بالتبيين بيانه قوله يريد الله ليبين لكم والباطن بالتزيين بيانه قوله وزينه في قلوبكم محمد بن علي الترمذي الاول بالتأنيس والآخر بالتكليف والظاهر بالنصر والباطن بالستر الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وقيل هو الاول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء وقيل هو الاول بالبر والكرم والآخر بتجليل القسم والظاهر باسباغ النعم والباطن برفع النقم وقيل هو الاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية وقيل هو الاول بالانعام والآخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقيل هو الاول بتسمية الاسماء والآخر بتكميل النعماء والظاهر بتسوية الاعضاء والباطن بتصوير الاحشاء وقيل الاول بانشاء الخلائق والآخر بافناء الخلائق والظاهر باظهار الحقائق والباطن بعلم الدقائق لو اسطى لم يدع للخلائق نفسا بعد ما اخبر عن نفسه انه الاول والآخر والظاهر والباطن الشبلي قال في هذه الآية اشياء ساقطة فاي اول آخر ظاهر باطن وهو بكل شيء عليم قتادة ذكر لنا ان النبي عليه السلام بينا هو جالس في اصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فوقها سماء اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات بين كل سماءين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء السابعة مثل ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض قال هل تدرون ما تحتها قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو دليتم احدكم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله سبحانه ثم قرأ هذه الآية هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ومعناه بالعلم والقدرة والخلق والملك ابو هريرة دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم فسألته خادما فقال الا ادلك على ما هو خير لك من ذلك ان تقولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ● هو معكم اي بالعلم والقدرة قوله تعالى له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ● مستخلفين فيه مملكين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيها وقيل جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالانفاق منها انفسكم وقيل جعلكم مستخلفين بالقيام باداء حقوقه فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم وانفقوا من ماله

في الرجوع

في الرجوع المندوب اليها لهم اجر كبير قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ● وما لكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والرسول الواو فيه واو الحال فهما حالان متداخلتان يدعوكم لتؤمنوا بربكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم الى الايمان وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد اخذ قبل ذلك اخذ الله ميثاقكم في ظهر آدم بان الله ربكم لا اله لكم سواه قال مجاهد وقيل ميثاقكم بان ركب فيكم العقول ونصب الحجج والدلائل التي تدعو الى متابعة الرسل وقرأ ابو عمرو بضم الهمزة والقاف على وجه ما لم يسم فاعله والباقون بفتحهما اي ما لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مؤمنين يوما من الايام فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام على حقيقة الاسلام وصحة نبوة المصطفى عليه السلام قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم ● هو الذي ينزل على عبده محمد آيات بينات ليخرجكم الله بالقرآن وقيل بآياته وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ● وما لكم اي شيء لكم في ترك الانفاق في سبيل الله وقيل اي شيء يمنعكم فيكون لا زائدة ولله ميراث السموات والارض كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني فاي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم واموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين فضل السابقين في الانفاق والجهاد فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح يعني فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح وقيل الفتح هو صلح الحديبية وقيل قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله فتح هو قال نعم عظيم اولئك الذين انفقوا من قبل الفتح اعظم درجة وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا عن الكلبي ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة واضحة وحجة بينة على تفضيله وتقديمه لانه اول من اسلم وكلا قرأ ابن عامر وكل بالرفع والباقون بالنصب اي كل واحد من الفريقين من انفق قبل الفتح وبعده وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ● القرض هو الانفاق في سبيل الله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكأنه اقرضه اياه وقيل استعار لفظ القرض ... وقيل القرض هو العبادات وقيل النفقة على الاهل والاولاد وقيل جميع اعمال الخير وقيل هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا من فضله وقيل يكتب له بالواحد عشرا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقيل الجنة وقيل كريم على الله وقيل كريم لانه لا يبتذل في طلبه وقيل كريم صاحبه وقيل يخلفه الله في الدنيا فيضاعفه عطف على يقرض ومن نصب عطفه على موضع يقرض وله اجر كريم يوم ترى منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى يمضي نورهم على الصراط بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من وراء ظهورهم ومن شمائلهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما وقيل اراد بالنور القرآن قال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه يطفأ مرة ويتقد مرة قتادة ذكر لنا ان نبي الله قال ان من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن وصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقيل يؤتون كتبهم بايمانهم وقيل الباء بمعنى في اي في ايمانهم كتبهم وعنها نورهم وقيل الباء بمعنى عن والتقدير يسعى نورهم بين ايديهم وعن ايمانهم وقيل يسعى ثواب اعمالهم بشراكم ويقول لهم الملائكة بشراكم اليوم وقيل يحتمل ان يكون البشرى اسما اي المبشر به جنات ويجوز ان يكون مصدرا والتقدير بشراكم اليوم دخول جنات فحذف المضاف تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ● يوم يقول بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين آمنوا اي يقولون لهم اذا ادركوهم وهم في صفاء نورهم والمنافقون خلفهم في ظلمة لا يبصرون مواقع اقدامهم قرأ حمزة انظرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء اي امهلونا والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء اي انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به نقتبس نصب من نوركم وذلك ان يلحقوا بهم

فيستضيء به وقيل نقتبس من نوركم نأخذ من نوركم قبسا سراجا او شعلة وقيل معنى نقتبس من نوركم نمشي فيه معكم قال
المفسرون اذا كان يوم القيمة اعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط واعطى المنافقين ايضا نورا
خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم
يمشون اذ بعث الله فيهم ريحا وظلمة فاطفأ نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلب نورهم كما سلب نور المنافقين فاذا بقي المنافقون
في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا هنالك لانفسكم نورا آخر فانه لا سبيل لكم
الى الاقتباس من نورنا ويعلمون انه لا نور وراءهم وانما يخيبهم بما قالوا لهم وقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اي اطلبوا من ثمة
ثم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوا هنالك ثم يقتبس وقيل ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل سببه وهو الايمان فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط حائل بين الجنة والنار وقيل
هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه
الرحمة يعني الجنة وظاهره السور من قبله اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو الظلمة والنار وعن ابن عباس وادي
جهنم موضع السور وعن عبد الله بن عمرو ان السور الذي ذكره الله في القرآن وادي جهنم وعن عبادة بن الصامت انه
قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى فقال بعضهم ما يبكيك فقال من ههنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رأى جهنم وعن شريح ان كعبا كان يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى
فضرب بينهم بسور له باب الآية ينادونهم ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم
ونوارثكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا اي المؤمنون بلى ولكنكم فتنتم اهلكتم انفسكم ومحنتموها بالنفاق وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وقيل تربصتم الايمان والتوبة معا ان تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم المنون وقلتم يوشك ان
يموت محمد فنستريح وارتبتم شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني الاباطيل او طول الآمال والطمع
في امتداد الاعمار عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطوطا وخط خطا منها ناحية فقال اتدرون
ما هذا قال مثل ابن آدم ومثل التمني وذلك الخط الامل بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت [illegible]
[illegible] حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الغرور اي الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم قتادة
كانوا على خدعة من الشيطان وما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار فاليوم لا يؤخذ منكم فدية بدل وعوض ولا
من الذين كفروا يعني المشركين مأواكم النار هي مولاكم وقيل هي اولى بكم وحقيقته
مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم وقيل هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على
البتات نحو قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا
اعمال اهل النار وبئس المصير قوله تعالى الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ● الكلبي ومقاتل نزلت في المنافقين بعد
الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا اخبرنا عما في التورية فان فيها العجائب فنزلت
الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص الآية فاخبرهم ان هذا القرآن احسن من غيره وانفع
لهم فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا ايضا فسألوا فقالوا حدثنا عما في التورية فان فيها العجائب فنزلت
هذه الآية فعلى هذا يكون معنى الآية الم يان للذين آمنوا في العلانية وباللسان ثم قيل نزلت في المؤمنين قال عبد الله
بن مسعود مل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله
نزل احسن الحديث الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص الآية ثم قالوا
يا رسول الله لو ذكرتنا ووعظتنا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه
الآية الا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم
على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يان للذين آمنوا الم يحن الامر يأني اذا حان اناه اي وقته قيل كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ان تخشع ترق وتلين وتخضع قلوبهم
لذكر الله وما نزل قرأ نافع وحفص وعاصم برواية المفضل بالتخفيف والباقون مشددة من الحق وهو القرآن مجاهد نزلت
هذه الآية في المعذبين بعد الهجرة عن شداد بن اوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع من الناس الخشوع
ولا يكونوا يعني وان لا يكونوا كالذين اي تشبيه لهم بما نالهم الذين اوتوا الكتاب من قبل وهم اليهود والنصارى فطال عليهم
الامد الزمان والدهر والغاية بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم بعدما [illegible] وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول
بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم
الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره قيل يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع
للامرين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله وما في القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين قوله تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ● ان المصدقين والمصدقات واقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم

اجرهم

اجرهم ونورهم ● اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها كذلك يحيي الموتى قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه
يحييها كما يحيي الغيث الارض وقيل كما يحيي الارض بعد موتها يحيي الكافر بالايمان وقيل كما يحيي الارض بعد موتها
يلين القلوب القاسية ليتفكروا في الآيات ان المصدقين والمصدقات قرأ ابن كثير وعاصم برواية ابي بكر والمفضل
بتخفيف الصاد من التصديق يعني ان المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا الله ورسوله والباقون بتشديد
هما يعني ان المتصدقين والمتصدقات فادغم التاء في الصاد اي الذين تصدقوا واقرضوا الله عطف على معنى الفعل
في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن
من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة الحسن كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع يضاعف
قرأ ابن كثير يضعف بالتشديد والباقون بتخفيفها مع الالف بفتح العين اولئك هم الصديقون يريد ان المؤمنين بالله
ورسله هم عند الله من الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله قال
الضحاك هم ثمانية نفر سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة بن عبد المطلب وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل تمام
الكلام عند قوله الصديقون ثم قال والشهداء والذين هم شهداء المؤمنين خاصة والواو فيه واو الاستيناف
وهذا قول ابن عباس ومسروق وجماعة من العلماء وقال الآخرون هي متصلة بما قبلها والواو فيها واو العطف ثم
اختلفوا في معناها قال الضحاك نزلت في المؤمنين المخلصين كلهم هو عند الله ان الرجل ليقاتل ليرى مكانه وان الرجل
ليقاتل على الدنيا وان الرجل ليقاتل ابتغاء وجه الله وان الرجل ليموت على فراشه فيكون شهيدا ثم قرأ والذين آمنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد ثم قرأ هذه الآية يعني
موصولة ابن عباس في بعض الروايات اراد بالشهداء الانبياء خاصة لهم اجرهم ونورهم في ظلمة القيمة قوله تعالى
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ● اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من
الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ● اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو
والزينة والتفاخر والتكاثر في الاموال والاولاد وقيل لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة
النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي لعمار بن ياسر لا تحزن على الدنيا فان الدنيا
ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاكبر طعامها العسل وهو بزقة ذبابة
واكثر ركوبها الفرس وعليها يقتل الرجال واكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسنها يريد
اقبحها ثم ضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
فيبلى ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد قيل ان الكلام قد تم عند قوله حطاما ثم قال وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة
من الله ورضوان للمؤمنين وقيل واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة والرضوان قيل شبه
حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل
باصحاب الجنة وصاحب الجنتين قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● سابقوا مسابقة الخيل
لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر
العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقصر من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز
ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى
نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ● ما اصاب من مصيبة اي لم يصب ولا يصيب مصيبة في الارض من
القحط وذهاب الزرع والثمر ولا في انفسكم ابن عباس يعني في الدنيا والدين وقيل الاوصاب والاسقام وضيق المعاش
والموت وقيل اقامة الحدود وقيل في الارض طرف لا اصاب وقيل المصيبة الا في كتاب يعني في اللوح المحفوظ من قبل ان
نبرأها نخلق المصيبة وقيل من قبل ان نخلق الانفس وقيل من قبل ان نخلق الارض ان ذلك اي تقدير ذلك و
اثباته في الكتاب من قبل ان نبرأها على الله يسير سهل وهين وقيل ان خلق ذلك وحفظه على الله هين عن الربيع قال كنت
مع سعيد بن جبير في نفر فبكى رجل من القوم فقال ما يبكيك قال ابكي لما ارى بك ولما يذهب بك قال فلا تبك فانه
كان في علم الله تعالى ان يكون الم تر الى قول الله تعالى ما اصاب من مصيبة الآية ثم علل ذلك وبين الحكمة فقال لكيلا تأسوا
تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا تبطروا بما آتاكم قرأ ابو عمرو بقصر الالف اي جاءكم والباقون بمدها اي اعطاكم
لانكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل حزنكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود
لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته

بخال لم يعظم فرحه عند نيله فعكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن فاجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا والله لا يحب
كل مختال فخور متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على الناس لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به
وتكبر على الناس قال جعفر الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا
يتركه في يديك الموت الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يعني الذين يفرحون الفرح
المطغي إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به
ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويأمرون الناس بالبخل ويرغبونهم في الإمساك ويزينونه
لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته وقيل هم رؤساء اليهود بخلوا أن يبينوا صفة النبي في كتبهم لئلا يؤمن به
الناس فيذهب مأكلتهم فأمروا قومهم بكتمانه ومن يتول عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الأسى
على الفائت والفرح بالآتي ومن البخل وحمل الناس عليه فإن الله هو الغني الحميد قرأ نافع وابن عامر بإسقاط هو والباقون بإثباته
قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه
بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ● أي أرسلنا الأنبياء بالمعجزات الدالة
على صدقهم وأنزلنا مع الأنبياء الكتاب الذي يتضمن مصالح دينهم ودنياهم
وقيل لقد أرسلنا رسلنا يعني الملائكة إلى الأنبياء لقوله وأنزلنا معهم لأن الخطاب بما أنزل مع الأنبياء نزل عليهم الكتاب
أو إليهم لا ينزل معهم وأنزلنا معهم الكتاب أي الوحي والميزان أي العدل ابن زيد ما يوزن به وقيل نزل جبريل بالميزان
ودفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط ليتعامل الناس بينهم بالعدل وأنزلنا الحديد ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه
خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي عليه السلام
إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والملح والماء وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله وأنزل
لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه وقيل معنى وأنزلنا الحديد جعلنا ذلك نزلا لهم فيه
بأس شديد قوة شديدة يعني السلاح والكراع ومنافع للناس مما يستعملونه في مصالحهم ومعايشهم إذ هو آلة لكل صنعة
وليعلم الله يعني أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله من ينصره أي ينصر دينه
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين بالغيب غائبا عنهم ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه
إن الله قوي على الإهلاك عزيز على الانتقام وقيل إن الله قوي عزيز يعني بقدرته وعزته في إهلاك من يريد إهلاكه غني عنهم وإنما كلفهم
الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر إلى الثواب قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ● ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما أي ذرية نوح وإبراهيم
النبوة والكتاب أي الوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة وقيل والكتاب أي الكتب فمنهم أي
من الذرية مهتد وقيل من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أي فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطاعة ثم قفينا على آثارهم برسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى والضمير لنوح وإبراهيم ومن عاصرهما
من الأنبياء أو لا يعود لهم فإن آثارهم الذرية لأن الذرية باقية بعد وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل جملة واحدة دفعة
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه أي اتبعوا عيسى وساروا بسيرته واتبعوا منهاجه رأفة وهي أشد رقة ورحمة ورهبانية
ابتدعوها من قبل أنفسهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وقرئ
بالضم كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الكلام تقديره وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ما كتبناها ما فرضناها وأوجبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد
مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم أي أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى طلبا لرضا الله وكثير منهم فاسقون
الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وكفروا بدين عيسى وتهودوا أو تنصروا وقال ابن مسعود كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله
أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات
فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث
الله بالنبي الذي وعدنا عيسى يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية فآتينا الذين آمنوا منهم يعني من ثبتوا عليها أجرهم وكثير منهم فاسقون ثم قال النبي عليه السلام يا ابن أم
عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع
وعن ابن مسعود دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة
نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا
بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم قال النبي عليه السلام من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون قال صاحب الكشاف ويجوز

أن يكون

أن يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا رضوان الله
ويستحقوا بها الثواب على أنا كتبناها عليهم وألزمناها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله تعالى وثوابه فما رعوها جميعا
حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور
رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ● ابن عباس كتب الله عليهم القتال قبل أن يبعث محمد فلما استخرج أهل الإيمان ولم يبق منهم إلا قليل وكثر
أهل الشرك وذهبت الرسل وقهروا واعتزلوا في الغيران فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم وتركوا أمر الله عز وجل
ودينه وأخذوا بالبدعة والنصرانية واليهودية فلم يرعوها حق رعايتها وثبتت طائفة على دين عيسى حتى جاءهم النبأ
وبعث محمد عليه السلام وهم كذلك فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت
ملوك الأرض بعد عيسى يبدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله
ويأمرونهم بتقوى الله فقيل للملوك لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم وآذوكم فقتلتموهم أو ليقرءوا ما نقرأ وليدخلوا فيما
نحن فيه فدعاهم ملكهم وجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون
إلى ذلك نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا
ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا وقالت
طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من أولئك إلا وله
حميم فيهم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون
في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم
فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين
جاءوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي ولم يبق منهم
إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لإيمانهم بعيسى والإنجيل وإيمانهم بمحمد عليه السلام
والقرآن ويجعل لكم نورا تمشون به يعني القرآن وقيل ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور
في قوله يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب
الذين يتشبهون بهم ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لئلا
يعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا واللام مزيدة لا يعلمون أي أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله من الكفلين والنور
والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم إيمانهم ولم يكسبهم فضلا وعلى هذا إذا كان النداء يا أيها الذين آمنوا خطابا
للذين آمنوا من أهل الكتاب وإذا كان خطابا للذين آمنوا من غيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد
من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين
لا تفرقون بين أحد من رسله وروي أن رسول الله بعث جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه فدعاه
فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموالهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله
ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من
آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي أن مؤمني أهل الكتاب
افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم من كانت له أمة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها وأحسن أدبها وأعتقها وتزوجها فله أجران وعبد أدى حق الله
وحق مواليه ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وبعيسى وبما جاء به محمد فله أجران فقال حسدا أهل الكتاب المسلمين فأنزل
الله هذه الآية مجاهد قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا
فأنزل الله لئلا يعلم أهل الكتاب وعن ابن عمر قال رسول الله إن الله قسم الأجر وقسم العمل فقيل لليهود اعملوا فعملوا إلى نصف النهار فقيل
لكم قيراط وقيل للنصارى اعملوا من الظهر إلى العصر فقيل لكم قيراط وقيل للمؤمنين اعملوا من صلاة العصر إلى غروب الشمس فتكلمت اليهود
والنصارى في ذلك فأنزل الله لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

سورة المجادلة

وهي ألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة واثنتان وعشرون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ● قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله

وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ● وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ● قد سمع الله قول التي تجادلك تخاصمك وتحاورك أي تراجعك في زوجها وتجادل الثاني تشتكي وهي امرأة من الأنصار ثم من الخزرج واختلفوا في اسمها ونسبها قال ابن عباس هي خولة بنت خويلد وقال أبو العالية خولة بنت الدليج وقال قتادة خويلة بنت ثعلبة وقال المقاتلان خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية من بني عمرو بن عوف وعطية عن ابن عباس خولة بنت الصامت وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فنظر إلى عجيزتها فلما انصرفت أرادها فامتنعت عليه وكان فيه سرعة ولمم فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت لا تقل ذلك وائت رسول الله فاسأله فقال إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا قالت فدعني أسأله قال سليه فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال لها رسول الله حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال لها رسول الله حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني أي كثر ولدي فقال لها رسول الله ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلاها عليه رسول الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير أي يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر ومعنى قد التوقع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرأة المجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها ثم بين حكم الظهار وحصول الكفارة فقال سبحانه الذين يظاهرون قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه إذ أنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك الآيات فلما نزلت هذه الآيات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت إذًا أذهب مالي كله الرقبة غالية وأنا قليل المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يستطيع أن يصوم شهرين متتابعين قالت والله يا رسول الله إني لو لم آكل في اليوم ثلاث مرات كل بصري وخشيت أن تعشو عيني فقال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينًا قال لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله فقال رسول الله إني معينك بخمسة عشر صاعًا واجتمع لهما أمرهما فذلك قوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم ما هن أمهاتهم بخفض أمهات على حجازية وهو منصوب إلا أن نصبه بالكسرة والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم وجاعلها مثل الأم وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لأن الله تعالى حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات وأما الأزواج فأبعد شيء من الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الأمهات وإنهم ليقولون منكرًا من القول لا يعرف صحته وزورًا كذبًا وكان قول المظاهر منكرًا من القول لتنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية وزورًا وكذبًا باطلًا منحرفًا عن الحق وإن الله لعفو عما سلف منه غفور لمن تاب والذين يظاهرون من نسائهم اعلم أن الألفاظ التي يصير بها المرء مظاهرًا صريح نحو أنت علي كظهر أمي أو أنت عندي كظهر أمي وكذلك إذا قال أنت علي كبطن أمي أو كرأس أمي أو كفرج أمي ونحوها وكذلك إذا قال فرجك أو رأسك أو ظهرك أو صدرك أو بطنك أو يدك أو رجلك علي كظهر أمي فإنه يصير مظاهرًا وكل ذلك يصير مظاهرًا بقوله يدك أو رجلك أو رأسك أو بطنك طالق تطلق والخلاف في هذين للفريقين كالخلاف في الطلاق ومتى ما شبهها بأمه أو بإحدى جداته من قبل أمه أو أبيه كان ذلك ظهارًا بلا خلاف وإن شبهها بغير الأم والجدة من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالابنة والأخت والعمة والخالة ونحوها كان مظاهرًا على الصحيح من المذهب وصريح الظهار هو أن يشبه زوجته أو عضوًا منها بعضو من أعضاء أمه أو أعضاء واحدة من ذوات محارمه وكناية الظهار هو أن يقول أنت علي كأمي أو مثل أمي ونحوهما فإنه يعتبر فيه نيته فإن أراد ظهارًا كان مظاهرًا وإن لم ينو ظهارًا لا يصير مظاهرًا وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره سواء كان حرًا أو رقيقًا مسلمًا أو ذميًا دخل بالمرأة أو لم يدخل بها أو كان قادرًا على جماعها أو عاجزًا عنه وكذلك يصح الظهار من كل زوجة صغيرة أو كبيرة عاقلة أو مجنونة رتقاء أو سليمة محرمة أو غير محرمة ذمية أو مسلمة أو في عدة يملك رجعتها وقال أبو حنيفة لا يصح ظهار الذمي وقال مالك لا يصح ظهار العبد وقال بعض العلماء

لا يصح

أخو عبادة بن صامت

لا يصح ظهار غير المدخول بها وقال المزني إذا طلق الرجل امرأته طلقة رجعية ثم ظاهر منها فإنه لا يصح ثم يعودون أي والذي كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثم يعودون لمثله ما قالوا وقيل ثم يعودون لما قالوا أي ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك للأمر عائد إليه فيكون معنى ما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلًا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بالشهوة اعلم أن الكفارة تلزم بالظهار والعود جميعًا ولا تلزم بأحدهما دون الآخر كما أن الكفارة في اليمين تجب باليمين والحنث جميعًا فإذا عاد في ظهاره لزمته الكفارة واختلف الفقهاء في معنى العود فقال الشافعي العود الموجب للكفارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده مدة يمكنه أن يطلقها فلم يطلقها وقال قتادة ثم يعودون لما قالوا يريدون أن يغشاها ويطأها بعدما حرمها وإليه ذهب أبو حنيفة قال إن عزم على وطئها ونوى أن يغشاها كان عودًا وإن لم يطأها لم يكن عودًا وقال أصحاب الظاهر إن كرر اللفظ كان عودًا وإن لم يكرر اللفظ لم يكن عودًا أما مثله إن يعيدها كان عودًا وهو قول أبي العالية وظاهر الآية يشهد له وهو قوله ثم يعودون لما قالوا أي إلى ما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا لأن الله قيد الرقبة بالإيمان في كفارة القتل وأطلق في هذا الموضع ومن حكم المطلق أن يحمل على المقيد من قبل أن يتماسا أن يجامعها فإن الجماع نفسه محرم على المظاهر حتى يكفر فإن وطئ قبل التكفير فقد فعل محرمًا ولا تسقط عنه الكفارة بل يأتي بها على وجه القضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها فإنه لا يسقط عنه إتيانها بل يلزمه قضاؤها وسواء كفر بالإعتاق أو الصيام أو الإطعام فإنه يجب عليه تقديم الكفارة ولا يحل له أن يطأها قبل الكفارة وقال أبو حنيفة إن كفر بالإطعام جاز له أن يطأها ثم يطعم ولم يخالف في العتق والصيام وأما حكم وطء المظاهر قبل التكفير وأما غير الوطء من التقبيل والتلذذ فإنه لا يحرم في قول أكثر العلماء وهو قول الحسن وسفيان وهو الصحيح من مذهب الشافعي وقال بعضهم يحرم بجميع معاني المسيس لأنه عام وهو أحد قولي الشافعي ذلكم توعظون به لأن الحكم بالكفارة دليل على وقوع الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا لعقاب الله والله بما تعملون خبير فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها ويكون مالكًا للرقبة إلا أنه محتاج إليها لخدمته أو يكون مالكًا للثمن ولكنه محتاج إليه لنفقته أو نفقة من تلزمه نفقته أو كان له مسكن يسكنه فله الانتقال إلى الصوم وقال أبو حنيفة ليس له أن يصوم وعليه أن يعتق الرقبة وإن كان محتاجًا إليها أو إلى ثمنها فإذا عجز عن الرقبة فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فإن أفطر في أثنائهما بغير عذر قطع التتابع وعليه أن يستأنف شهرين متتابعين وإن أفطر بعذر المرض أو السفر فقد اختلف العلماء فيه فقال بعضهم لا ينقطع التتابع وعليه أن يبني وهو أحد قولي الشافعي وقال آخرون يلزمه أن يستأنف وهو قول النخعي وأصحاب الرأي والأصح من قولي الشافعي وإن تخلل صوم الشهرين زمان لا يصح فيه الصوم عن الكفارة كالعيد وأيام التشريق فإن التتابع ينقطع به ويجب الاستئناف ولو وطئ المظاهر في الشهر نظر فإن وطئها نهارًا بطل التتابع وعليه الاستئناف وإن وطئها ليلًا لم يبطل التتابع وقال أبو حنيفة سواء وطئ ليلًا أو نهارًا فإنه يبطل التتابع وعليه أن يستأنف صوم شهرين متتابعين فمن لم يستطع الصيام وعدم الاستطاعة مثل أن يخاف من الصوم التلف أو لحوق مشقة شديدة أو مرض ظاهر فإطعام ستين مسكينًا لكل مسكين مد من غالب قوت بلده والخلاف فيه كالخلاف في زكاة الفطر ذلك البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله أوامره ونواهيه التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله عذاب أليم قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ● إن الذين يحادون الله يخالفون ورسوله ويعادون في الدين كبتوا أهلكوا وأخزوا كما كبت الذين من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق وقد أنزلنا آيات بينات تدل على صحة النبوة وصحة ما جاء به وقيل تقدير آيات في المحادين تكون بينات وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بعذاب الكافرين أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيمًا لليوم جميعًا أي كلهم من الأرض لا يترك منهم أحد غير مبعوث وقيل مجتمعين في حال واحد كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلًا لهم وتوبيخًا وتشهيرًا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد أحصاه الله أي أحصى الله ما عملوا أحاط به عددًا لم يفته منه شيء ونسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وقيل نسوه لكثرته وطول الزمان والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء وقيل يشهد عليهم فلا يستطيعون ردها دفعًا ألم تر ألم تعلم وقيل ترى من رؤية العين أي ألم تر الدلائل على أنه عالم وقيل معناه تنبيه أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من كان التامة أي ما يقع من نجوى من تناجي ثلاثة قيل إن ثلاثة خفضت ثلاثة على نعت النجوى أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الأهل وجعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيًا وإن شئت أضفت النجوى إلى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم الرابع من اسم الفاعل وكذلك السادس ولا أدنى من ذلك أي ولا أقل من ذلك أي الثلاثة ولا أكثر أي من الخمسة إلا هو معهم أينما كانوا من السماء والأرض قال صاحب الكشاف فإن قلت ما الداعي إلى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت

آيات

أحدهما أن قوما من المنافقين اجتمعوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة
ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا أدنى من عددهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس
أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال
الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لأن من علم بعض الأشياء
بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة
من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة من أولي النهى والأحلام
ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى الخمسة إلى الستة إلى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب
ألا ترى إلى عمر بن الخطاب كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها إلى سابع فذكر الله الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى
من ذلك فدل على الاثنين والثلاثة ولا يخفى عليه ما هم فيه وكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة ثم
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم قوله تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ● ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون
فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم
عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون
كذلك حتى يقدم أصحابهم فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا
إلى مناجاتهم فأنزل الله هذه الآية المقاتلان نزلت في اليهود وكانت بينهم وبين النبي عليه السلام موادعة فإذا مر
رجل من أصحاب النبي عليه السلام جلسوا يتناجون فيما بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره فأنزل الله هذه
الآية ابن زيد كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله
والنبي عليه السلام لا يمنع ذلك من أحد والأرض يومئذ حرب على أهل البلد وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم إنما يتناجون في
حرب قد جمع لكم أو أمر قد وقع فأنزل الله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه أي يرجعون إلى المناجاة
التي نهوا عنها ويتناجون قرأ حمزة ينتجون على وزن يفتعلون والباقون يتناجون على وزن يتفاعلون بالإثم بما هو إثم وعدوان
للمؤمنين ومعصية الرسول ومخالفته وإذا جاءوك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك به الله يعني يقولون في تحيتك السام عليك
يا محمد والسام الموت وكان النبي عليه السلام يقول وعليكم السام فسمعت عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام يا عائشة
إن الله يحب الرفق ويكره الفحش والتفحش فقلت يا رسول الله ألست ترى ما يقولون فقال ألست ترين ما أرد عليهم أقول عليكم
إذا سلم عليكم كتابي فقولوا وعليك فنزلت هذه الآية وقيل السام السيف وقيل معناه ستسأمون دينكم ويقولون
في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون لو كان نبيا لدعا علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم
شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ويجوز أن
يكون للمؤمنين أي إذا تناجيتم فلا تشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر
والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون إنما النجوى اللام للعهد والمعهود بتلك قوله ليحزن الذين آمنوا والحزن من الشيطان
مزينها والحامل عليها فكأنها منه ليحزن الذين آمنوا ويغيظوا وليس التناجي أو الشيطان أو الحزن بضارهم شيئا إلا بإذن الله بعلمه وقضائه
وقدره وقيل لا يضارهم شيئا إلا ما أراد الله وقيل كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم
قتلوا فقال لا يضرهم التناجي أو الشيطان أو الحزن ذلك الموهم إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم
أو الغلبة على الغزاة وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليكلوا أمورهم إليه وليستعيذوا به وقيل في معنى قوله إنما النجوى من
الشيطان هو الحلم الرؤيا التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
والله بما تعملون خبير ● تفسحوا في المجالس توسعوا فيه فافسحوا أي وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح
ولا تضاموا والمراد مجلس رسول الله قتادة كانوا يتنافسون في مجلس النبي وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم
عند رسول الله فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض المقاتلان كان النبي عليه السلام في الصفة وفي المكان ضيق وكان يوم الجمعة
وكان رسول الله يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس وقد سبقوا في المجلس
فقاموا حيال النبي فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا
عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي عليه السلام ما يحملهم على القيام فلم يفسحوا فشق ذلك عليه
فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر
الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي الكراهة في وجوههم فقال المنافقون
للمسلمين ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء فأنزل الله هذه الآية الكلبي نزلت
في ثابت بن قيس وقد ذكرت قصته في سورة الحجرات فأنزل الله في الرجل الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا

في المجلس

والأربعة فقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به م

في المجلس قرأ عاصم في المجالس بالألف على الجمع والباقون في المجلس عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقيم الرجل الرجل
من مجلسه حتى يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قاتل المشركين
وصف أصحابه للقتال تشاحوا على الصف الأول ولا يفسحون لإخوانهم رغبة في لقاء العدو وتعجيل الشهادة فلا يوسعون لأخيه
منهم في الجهاد والشهادة فأنزل الله هذه الآية يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس فسحة فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغير ذلك وإذا قيل انشزوا فانشزوا قرأ عاصم وأهل المدينة والشام بضم الشين فيهما والباقون بكسرهما
وهما لغتان أي إذا قيل لكم انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتم
بالنهوض عنه فانشزوا فانهضوا وقوموا وتحركوا وارتفعوا وتوسعوا لإخوانكم وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلوة
فقوموا لها وذلك أن رجالا تثاقلوا عن الصلوة إذا نودي لها فأنزل الله هذه الآية ابن زيد هذا في بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك أن كل رجل منهم كان يحب أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى وإذا قيل انشزوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن له حوائج فانشزوا ولا تطيلوا المكث عنده يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم رسول الله
وامتثال أوامر الله وأوامر رسوله وقيامهم في مجالسهم وتفسحهم لإخوانهم والذين أوتوا العلم منهم بفضل علمهم
وسابقتهم درجات فأخبر الله سبحانه أن رسول الله مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا
وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الإكرام والله بما تعملون خبير وعن ابن مسعود أنه كان إذا قرأ الآية قال
يا أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول يرفع الله المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات
عبيد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل
النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على أدناهم
وقال رسول الله من جاءه منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
إذا ناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر
فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ● فقدموا بين يدي نجواكم أمام نجواكم
صدقة ابن عباس وغيره إن الناس سألوا رسول الله فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوا بالمسألة فأدبهم الله وفطمهم عن ذلك
بهذه الآية وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة مقاتل بن حيان نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون رسول الله
فيكثرون مناجاته فأمرهم الله بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا
وأما أهل الميسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله فنزلت الرخصة وقال علي رضي الله عنه إن في كتاب الله
لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فإنها
فرضت ثم نسخت ذلكم التقديم خير لكم في دينكم وأطهر لأن الصدقة طهرة عن علي رضي الله عنه لما نزلت يا أيها الذين
آمنوا إذا ناجيتم الرسول دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كم ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة
قال إنك لزهيد فنزلت أأشفقتم أبخلتم وخفتم بالصدقة الفاقة أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا ما أمرتم
به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم وتجاوز عنكم وخفف عنكم ورخص لكم في أن لا تفعلوا قيل نسخ المهر وقد قيل
ما كانت إلا ساعة من نهار مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله
أي فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون قوله تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا
أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم
الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ● نزلت في المنافقين تولوا اليهود
وهم الذين غضب الله عليهم في استحقاقهم سخط الله وغضبه عليهم وناصحوهم ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين ما هم منكم يا معشر المسلمين
ولا منهم ولا من اليهود نظيره مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويحلفون على الكذب أي يقولون والله إنا لمسلمون فيحلفون
على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب بحت فإن قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون والكذب يكون
الخبر غير مطابق لما في الواقع سواء علم المخبر أو لم يعلم قلت فائدته أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرونه وهم عالمون بذلك
متعمدون له كمن يحلف باليمين الغموس مقاتل نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد الظل
يتقلص عنهم فقال لهم إنه سيدخل الآن عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه فدخل عبد الله
بن نبتل وكان أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فقال كذلك فعلت وفلان وفلان
نفر سماهم بأسمائهم فحلف بالله ما فعل وقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه
فأنزل الله الآية أعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني أنهم كانوا
في الزمان الماضي مصرين على سوء العمل أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا أيمانهم الكاذبة جنة
وقاية وسترة يسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال أمنهم وسلامتهم عن سبيل الله عن طاعته

ولا إلى هؤلاء م

لكم ويحسبون م

والايمان به وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وقيل فصدوا المؤمنين عن سبيل
حكمه من القتل في امثالهم الكفرة فلهم عذاب مهين اي ثاني وعدهم الله العذاب المهين لخزيهم بكفرهم وصدهم كقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله
شيئا قليلا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله في الاخرة كاذبين على انهم مسلمون
كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لكم ويحسبون انهم في الدنيا على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى
عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك فانهم يفعلون ذلك لانهم يضطرون فيها الى علم
ما يعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل
والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم وتمرنهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم يبقى فيهم لا ينمحي كما قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه الا انهم هم الكاذبون في الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم في الدنيا
والاخرة استحوذ استولى عليهم الشيطان من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها والحوذ السوق السريع
يقول حثث الابل احوذها حوذا واحوذتها مثله والاحوذي الخفيف في الشيء لحذقه واستحوذ جاء على الاصل كما جاء
استروح واستصوب واستنوق فملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم
ذكر الله فانهم لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي
عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون • ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم وقيل الاذلين الاسفلين الصاغرين في الدنيا بالقتل والسبي وفي
الاخرة بالعذاب كتب الله في اللوح المحفوظ وقضى الله لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما ان ذلك
ان المؤمنين قالوا لئن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولهما فانا نرجو ان يظهرنا الله على الروم وفارس فقال عبد الله بن ابي
اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله لهم اكثر عددا واشد بطشا من ذلك فانزل الله كتب الله لاغلبن انا
ورسلي ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله اي يوالون اعداء الله ورسوله المشركين والمقصود به انه لا ينبغي ان يكون
ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة
اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري
[illegible]

سورة الحشر

أتظنون

سورة الحشر

مدنية

[illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم • هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار • ذكر اهل التفسير والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مسجد قبا
ومعه نفر من اصحابه فصلى فيه ثم اتى بني النضير فكلمهم ان يعينوه في دية رجلين كان امنهما فقتلهما عمرو بن امية وهو لا يعلم
فقالوا نفعل وهموا بالغدر به وقال عمرو بن جحاش انا اظهر على البيت فاطرح عليه صخرة فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن
بما هممتم به فجاء رسول الله الخبر فنهض سريعا نحو المدينة فلحقه اصحابه فقالوا قمت ولم نشعر فقال همت يهود بالغدر
فاخبرني الله به فقمت وبعث اليهم رسول الله محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به وقد
اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا اياما يتجهزون فارسل اليهم ابن ابي لا تخرجوا فان معي الفين من قومي
وغيرهم يدخلون حصنكم ويمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قال ابن ابي فارسل الى رسول الله انا لا نخرج فاصنع ما بدا لك فكبر
رسول الله وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود ثم سار اليهم في اصحابه فلما راوه قاموا على حصونهم معهم النبل و
الحجارة واعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن ابي وحلفاؤهم من غطفان وكان رئيسهم كعب بن الاشرف قد خرج الى مكة فعاقدوا المشركين
على التظاهر على رسول الله عليه الصلاة والسلام فاخبر الله نبيه بذلك فبعث محمد بن مسلمة فاغتره فقتله وحاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم فقالوا نخرج من بلادك فاجلاهم عن المدينة فمضى بعضهم الى الشام وبعضهم
الى خيبر وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوا معه فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم فلما غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما
غزا رسول الله احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا
العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا
قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد
واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة فرجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبريل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
فقتله محمد بن مسلمة الانصاري وكان اخاه من الرضاعة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة ونقض
عهد حين اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعلي يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن
امية الضمري منصرفه من بئر معونة فاجلسوه وهموا بالفتك به وطرح الحجر
عليه من فوق الحصن فلما قتل كعب اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالسير الى بني النضير وكان بقرية
يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب فقالوا يا محمد واعية على اثر
واعية وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا
الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن
فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا
اليه اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينكم فيسمعوا منك فان صدقوك
وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من
الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب ان يموت قبله فارسلوا
اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعوا منك فان امنوا بك امنا
كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على
الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من
الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين سالوا رسول الله الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على
ما يامرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا السلاح وعلى
ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم ولنبي الله صلى الله

فساره بخبرهم قبل ان يصل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم

الباقي الضحاك اعطى كل ثلثة نفر جملا بعيرا وسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل
بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم التي كانت بيثرب ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي عليه السلام
من احد وكان فتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر اللام في لاول متعلق باخرج وهي اللام في قوله
ياليتني قدمت لحياتي وجئت لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم
الى الشام الزهري بنو النضير كانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم
في الدنيا وكانوا اول حشر في الدنيا حشروا الى الشام ابن عباس رضي الله عنه من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يومئذ اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر فانزل الله لاول الحشر الكلبي
انما قال لاول الحشر لانهم اول من حشر من اهل الكتاب ونفوا من الحجاز مرة الهمداني كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني
من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من الشام في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه وقال قتادة
كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق الى المغرب تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتأكل منهم
من تخلف بيان انما قال لاول الحشر لان الله تعالى فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم في اول ما قاتلهم ما ظننتم ايها المؤمنون
ان يخرجوا من المدينة لشدة بأسهم ومنعتهم وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا اي بنو النضير انهم
مانعتهم حصونهم من بأس الله حيث ذكر بها وحصونها فأتاهم امر الله اي فاتاهم امر الله وعقابه من حيث لم يحتسبوا اي
لم يظنوا فلم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يدي اخيه رضاعا وذلك مما اضعف قوتهم وقل من شوكتهم
وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم يخربون بيوتهم ابو عمرو يخربون
بالتشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وان بني النضير لم يتركوا منازلهم فيرتحلوا عنها ولكنهم خربوها
بالنقض والهدم والباقون بالتخفيف من الاخراب اي يهدمون وقالوا الاخراب والتخريب بمعنى واحد بايديهم وايدي المؤمنين
الزهري وذلك انهم لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم
مما يستحسنونها او العمود او الباب فيهدمون بيوتهم فينزعونها ويحملونها على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها ابن زيد
كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدار ويقلعون الخشب حتى الاوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون
حسدا منهم وبغضا الضحاك جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا هم ينقضون بيوتهم ويخربونها ايدي
المؤمنين ويخربونها ثم يبنون ما خرب المسلمون قال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم
المقاتل وجعل اعداهم ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون
بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتادة كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها
وفي تقديم الخبر على المبتدأ في قوله مانعتهم حصونهم دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم
اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم
والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم
قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ومعنى تخريبهم بايدي المؤمنين انهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم امروهم به وكلفوهم
اياه فاعتبروا فاتعظوا بما دبر الله ويسر من اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال قوله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم
الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار • قيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله
ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم
اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل
والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار اي وان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الآخرة قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب • ذلك اي
اصابهم ذلك الجلاء والتخريب بسبب انهم شاقوا اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
ينيله العذاب الاليم قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين • وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا في حصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله
عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما انزل عليك الفساد
في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلف
المسلمون في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فانزل الله هذه الآية
بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم واخبر ان قطعه وتركه باذن الله عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قطع نخل بني النضير فقال فيه حسان بن ثابت وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير •
وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى
ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة وهي النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل
ياء اللينة عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين ابن عباس كان النبي صلى
الله عليه وسلم امر بقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة ابن زيد هي النخل كله

بايديهم ٢

آمر ٢

ورسوله ٢

[illegible]

قوله تعالى ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما
افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء
منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب • وما افاء الله على رسوله
اي جعله فيئا له خاصة [illegible]

عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله
وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله عز وجل رسوله من اموال
بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت
عنوة وقهرا فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلثة نفر كانت بهم حاجة
وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ولم يسلم من بني النضير الا رجلان احدهما سفين بن عمير بن وهب والثاني
سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اموال بني النضير كانت مما افاء الله على رسوله
مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينفق على اهله سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وعن مالك بن اوس بن الحدثان قال ارسل
الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخلت عليه فقال انه قد حضر اهل ابيات من قومك وانا قد امرت لهم برضخ فاقسمه بينهم فقلت
يا امير المؤمنين مر بذلك غيري قال اقبضه ايها المرء فبينا انا كذلك اذ جاء يرفأ مولاه فقال عبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان
وسعد يستأذنون فقال ائذن لهم ثم مكث ساعة ثم جاء فقال هذا علي والعباس يستأذنان فقال ائذن لهما فلما دخل
العباس قال اقض بيني وبين هذا الغادر الفاجر الخائن وهما حينئذ يختصمان فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير
فقال القوم اقض بينهما يا امير المؤمنين وارح كل واحد منهما من صاحبه فقد طالت خصومتهما فقال انشدكم بالله الذي
باذنه تقوم السموات والارض اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالوا قد قال
ذلك ثم قال لهما اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال فساخبركم بهذا الفيء
ان الله تعالى خص نبيه بشيء لم يعطه غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكانت
هذه لرسول الله خاصة والله ما اختارها دونكم ولا استأثرها دونكم ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله منه سنتهم ثم يجعل ما بقي في مال الله ما افاء الله على رسوله لم يدخل العاطف
على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان
يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وقيل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني من اموال
الكفار اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلثة اميال وخيبر وقرى
عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام يحكم فيها ما اراد فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها فانزل الله
هذه الآية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب واختلف العلماء
في وجه استحقاقهم سهمهم من مال الفيء والغنيمة فقال قوم انهم يستحقون ذلك بالقرابة ولا تعتبر فيهم الحاجة وعدمها
الحاجة والى هذا ذهب الشافعي واصحابه وقال آخرون انهم يستحقون ذلك بالحاجة لا بالقرابة والى هذا ذهب ابو حنيفة و
اصحابه فاذا ثبت ذلك بينهم فضل الذكور على الاناث كالحكم في الميراث فيكون للذكر سهمان وللانثى سهم وقال محمد بن الحسن
يسوي بينهم ولا يفضل الذكور على الاناث اختلف العلماء في حكم هاتين الآيتين فمنهم من قال هما واحد والثانية تفسير
وبيان للاولى بين الله قسم المال الذي ذكره في الآية ومنهم من قال بقوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الغنائم
التي اخذها المسلمون من اموال الكافرين عنوة وغلبة وكانت الغنائم في بدء الاسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في سورة الحشر
دون الغانمين الموجفين عليها ثم نسخ ذلك بقوله في سورة الانفال واعلموا انما غنمتم من شيء ومنهم من قال الآية الاولى
بيان حكم اموال بني النضير خاصة وقد جعلها الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة دون قوله تعالى وما افاء الله على رسوله

وفي الغالم حاجته اليه

ولذي القربى ٢

سهم ٢

منهم في الآية الثانية بيان حكم سائر الاموال التي اصيبت بغير قتال ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ومنهم من قال ما افاء
على رسوله من اهل القرى هو الجزية والخراج واعلم ان جملة الاموال التي للائمة والولاة فيها مدخل على ثلثة اصناف احدها
ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والثاني الغنائم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكافرين
بالقهر والحرب والثالث الفيء وهو ما رجع الى المسلمين من اموال الكافرين عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب مثل مال
الصلح والجزية والخراج والعشر الذي يؤخذ من تجار الكفار اذا دخلوا وقيل اذا هرب المشركون وتركوا اموالهم او يموت منهم في
دار الاسلام احد ولا يكون له وارث فاما الصدقات فمصرفها ما ذكر الله عز وجل في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين
الآية واما الغنائم فانها كانت في بدء الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع بها ما يشاء كما قال تعالى قل الانفال لله
والرسول ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الآية فجعل اربعة اخماسها للغانمين يقسم بينهم ولا يحبس عنهم
واما العقار فاختلف الفقهاء فيه فقال مالك للامام ان يحبس الاراضي عنهم ويجعلها وقفا على مصالح المسلمين وقال
ابو حنيفة الامام مخير بين ان يقسمها بينهم وبين ان يحبسها عليهم ويجعلها وقفا على مصالح المسلمين وقال الشافعي ليس
للامام حبسها عليهم بغير رضاهم وحكمها حكم سائر الاموال لعموم الاختيار لان الله تعالى اخرج الخمس منها بعد ما اضاف الجميع
اليهم بقوله غنمتم فدل ان الباقي لهم وحقهم واما الخمس الباقي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل واما الفيء فانه كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل بها ما يشاء ويحكم فيها ما اراد والخمس الباقي يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة واما بعد وفاته صلى الله عليه
وسلم فقد اختلف الفقهاء في الاربعة الاخماس التي كانت له صلى الله عليه وسلم من الفيء فقال قوم انها تصرف الى المجاهدين
المترصدين للقتال في الثغور وهو احد قولي الشافعي وقال آخرون تصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار
وبناء القناطر ونحوها يبدأ بالاهم فالاهم وهو القول الآخر للشافعي واما السهم الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خمس الفيء
وخمس الغنيمة فانه يصرف بعده الى مصالح المسلمين بلا خلاف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والخمس مردود فيكم وهكذا ما
خلفه من المال غير موروث عنه بل هو صدقة يصرف بعده الى مصالح المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم انا لا نورث ما تركناه
صدقة وكانت صفايا رسول الله من مال الفيء التي خصه الله بها لينفق منها على اهله نفقة سنته فما فضل جعله في الكراع
والسلاح في سبيل الله كما ذكر فلما توفي رسول الله وليها ابو بكر رضي الله عنه فجعل يفعل بها ما كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم وليها عمر على ما وليه رسول الله وابو بكر فلما استخلف عثمان ولاها عليا على سبيل التولية وجعله القيم فيها
فجعل يليها على ما وليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه وبالله التوفيق عن مالك بن اوس بن الحدثان قرأ عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما الصدقات للفقراء حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية
ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية حتى بلغ للفقراء والمهاجرين والذين تبوؤا الدار والذين جاؤا
من بعدهم ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة فليس احد الا له فيها حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي نصيبه منها لم يعرق
جبينه فيها كيلا يكون اي الفيء دولة هو ما يدول للانسان اي يدور من الجد ومعنى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم كي لا يكون
الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به وقيل معناه كي لا يكون الفيء دولة بين
الرؤساء والامراء والاغنياء فيغلبوا عليها الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس
ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفون منها ايضا بعد المرباع ما شاؤا فجعل الله هذا لرسوله يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها
خمس فاذا خمس وقع بين المسلمين جميعا وقيل معناه كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء
منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون اخذه غلبة
وامرا جاهلية ونعته قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به وقيل الدولة
ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فمعنى كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء وما آتاكم
اعطاكم الرسول من الفيء والغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه اي عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تطلبه انفسكم قال الحسن يؤتيهم الغنائم
ويمنعهم الغلول والاحسن ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من تبعه وطلبه وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وحفظه نجا مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة وامرتم ان تأخذوا بقولي وتكتفوا امري
وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا عن عبد الله بن مسعود انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل
اتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله [illegible]
ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله **قوله تعالى** للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا
تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ● قيل للفقراء بدل من الله والرسول والمعطوفين عليهما من منع الابدال
من لله وللرسول والمعطوف عليهما لان الله اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله

صلى الله

فاما ان كان من النقود والعروض والامتعة والثياب والدواب والكراع فانها تقسم بينهم

[illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين من الفيء وقيل لا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي
المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع
ما اعطوا ولم يطمح الى شيء منه يحتاج اليه وقيل حسدا مما اعطوا من الفضل بما تقدم عليهم وقيل ضيقا مما ينفقون عليهم وقيل غيظا
مما يرون مما اوتوا اي من جهة ما فاتهم مما اوتوا الاخرين من اموالهم وقيل لا يجدون في انفسهم مسا من حاجة بمن فقد ما اوتي
حذف المضافات حتى تتعلق ويؤثرون الانصار اخوانهم المهاجرين على انفسهم باموالهم ومنازلهم ولو كان بهم خصاصة فقرا
وحاجة الى ما يؤثرون وخص ذلك انهم قاسموهم ديارهم واموالهم والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين وقال لهم ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من هذه
الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وعن
ابي هريرة جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني جائع فاطعمني
فبعث النبي عليه السلام الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار فقال
انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندنا الا قوت الصبية قال فقومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئا ثم اصبحي سراجك فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي
كانك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشبع ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى يشبع ضيف رسول الله ففعلت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئا ثم قامت الى سراجها
فلما اخذ الضيف ليأكل قامت كانها تصلح السراج فاطفأته وجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وظن الضيف انهما
يأكلان معه حتى يشبع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتا طاويين فلما اصبحا غدوا الى رسول الله فلما نظر اليهما تبسم
ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح
لوم نفسه وكونها كزة حريصة على المنع وهذا مضاف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله واحضرت
الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته نفسه وخالف هواها بتوفيق الله تعالى فاولئك هم المفلحون الظافرون
بما ارادوا والذين جاؤا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا بعد المهاجرين الاولين وقيل التابعون
باحسان وقيل الذين يؤمنون الى يوم القيامة وقيل الناس على ثلث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان
والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه المنازل يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ابن عباس امر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد وهو يعلم انهم سيفتنون وقالت عائشة رضي الله عنها امرتم بالاستغفار
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها
ولا تجعل في قلوبنا غلا حقدا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم **قوله تعالى** الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد
انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر
بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ● الم تر الى الذين نافقوا

فان المنافق يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وجعلهم اخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا
يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا على القتال وقيل في خذلانكم [illegible] وان قوتلتم
لننصرنكم اي لنعيننكم [illegible] لنعاونكم احسن المعاونة والله يشهد انهم لكاذبون قيل سماهم كاذبين بالآية التي
فان الكذب يكون في الماضي والحلف يكون في المستقبل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي
لا يفون بما عاهدوهم واللام الاولى لام توطئة القسم واللام الثاني لام القسم وصار الحكم للقسم دون جزاء الشرط
وقد يحذف لام التوطئة اكتفاء بدلالة لتحت القسم عليه كقوله وان قوتلتم لننصرنكم الا ولئن قوتلتم قال صاحب الكشاف
فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن
المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم وقيل لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم
نصرة المنافقين وقيل في قوله ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون بعد قوله لا ينصرونهم اولا فان الله تعالى
اخبر عن شيء لم يوجب الخبر بخلاف ما اخبر به قيل انه يعطي نصرهم ما نصروهم وقيل اذ نصروهم وولوا الادبار يكون
خذلانا لا نصرا لان النصر صدق المعاونة والكمال المظاهرة وقيل لا ينصرونهم اي لا يدومون على النصر وقيل لا ينصرونهم
طائعين وان نصروهم كارهين وقيل الفعل في قوله لئن نصروهم لغير الذين اخبر انهم لا ينصرونهم وقيل ولئن نصر اليهود
المنافقين والضميران يختلفان لانتم اشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية في صدورهم
من الله دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله ومعناه ان
رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله وقيل يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم
اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس شديد ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم ذلك
بانهم قوم لا يفقهون فان الفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة وهؤلاء
لم يعلموا ان قوة النبي بقوة الله ثم اخرج بنو النضير فلم يخرجوا معهم وقوتلت قريظة فلم ينصرهم منافق لا يقاتلونكم لا يقدرون
على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود وقيل اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق
والدروب ومن وراء جدار وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار بالافراد على الوحدة والباقون بضم الجيم والدال واذا احتمل الجمع
لم يجترءوا على البراز انما يقاتلونكم في الحصون بتحصنهم بالسور والخندق ومن وراء جدار بالنبل والحجارة باسهم بينهم
الحيطان والحصون شديد بعد ان يخرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله وقيل باسهم بينهم شديد يعني بعضهم غلاظ على بعض وبعضهم
حرب لبعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل ان الباس الذي يوصفون به انما هو بينهم فاذا قاتلوكم لم
يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين وقلوبهم
شتى متفرقة لا الفة بينهم قيل يريد ان بينهم احنا وعداوة فهم لا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة
قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة اعمالهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق يجاهدهم لان
دين الحق يخالف دين اليهود وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان العداوة لا يجتمع
[illegible]
بين المتعادين قيل القى الله في قلوبهم الرعب فتفرق قلوبهم [illegible] بالمؤمنين من قوله والف بين قلوبهم ذلك بانهم
قوم لا يعقلون امره ونهيه قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
وذلك جزاء الظالمين • كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم اي مثل اليهود كمثل الذين من قبلهم وهم مشركو مكة ذاقوا وبال
امرهم يوم بدر قريبا منصوب بمثل اي على وجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله
عليه الصلاة والسلام من قولهم كلا وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار
ابن عباس رضي الله عنه كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ذاقوا
وبال امرهم الجلاء والنفي وقيل كمثل من اهلك الله من الامم وقيل تقديره ولئن نصروهم ليولن الادبار كمثل الذين من قبلهم
قريبا ثم تبدل كمثل الشيطان • ثم ضرب مثل المنافقين واليهود في تخاذلهم اي مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال
ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم واخلافهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغوى الانسان بكيده ثم تبرأ
منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان
نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم وقيل هذا عام في جميع الكفار في دعائه اياهم الى الكفر والمعاصي وعدله بالغرور
ابن عباس في قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر كان راهب في الفترة يقال له برصيصا وكان قد تعبد في صومعته
له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين فان ابليس اعوزه في امره الحيل فلم يستطع له بشيء فجمع ذات يوم مردة الشياطين
فقال الا احد منكم يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي عليه الصلاة والسلام وجاء
في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاء جبريل حتى دخل بينهما فدفعه بيده دفعة هينة فوقع من دفعة جبريل الى اقصى
ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك فانطلق فتصنع صنعة الرهبان في صومعته فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته

الا في كل

الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا في كل عشرة ايام [illegible]

أقبل على صلاته ٣

[illegible]

انه قال ضعوها في ذلك لعلنا نحضرها الى الراهب صومعته فوضعوها فجاء الشيطان فقال له انزل اليها ومسها بيدك
تعافى وتنصرف الى اهلها فنزل اليها فلما دنا الى الباب لعالجها دخل الشيطان فيها فاذا هي تركض فسقطت عنها ثيابها فنظر العابد
الى شيء لم ير مثله حسنا وجمالا فلم يتمالك ان وقع عليها فضربها ثم جعل يختلف اليها الى ان حملت فقال له الشيطان ويحك
يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتل هذه ثم تتوب فان سألوك عنها فقل جاء شيطانها فذهب بها فلم يزل به حتى قتلها ودفنها
ثم رجع الى صومعته فاقبل على صلاته فجاء اخوتها يسألون عنها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها
فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فصاروا [illegible] ثم لما امسوا جاء الشيطان الى كبيرهم في منامه فقال ان
برصيصا فعل باختك كذا وكذا ودفنها في موضع كذا من جبل كذا فقال هذا حلم وبرصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث
ليال فهو لا يكترث فانطلق الى الاوسط كذلك ثم الى الاصغر بمثل ذلك فقال الاصغر لاخوته لقد رأيت كذا وكذا فقال
الاوسط وانا والله وقال الاكبر وانا والله فاتوا برصيصا فسألوه عنها فقال لقد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني فقالوا
لا والله واستحيوا وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها المدفونة في موضع كذا وكذا وان ازارها الخارج من التراب
فانطلقوا فحفروا عنها فرأوها فقالوا يا عدو الله لم قتلتها اهبط فهدموا صومعته ثم اوثقوه وجعلوا في عنقه حبلا ثم قادوه
الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان عرض له فقال تقتلها ثم تكابر فاعترف فامر الملك بقتله وصلبه فعرض له الابيض
فقال اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات [illegible] اما استحييت من الله
[illegible] ذلك حتى اذا اقررت فضحت نفسك واشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك
قال كيف اصنع قال تطيعني في خصلة حتى انجيك منهم واخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي سجدة
فهذا الذي اردت منك فصار عاقبة امرك انك كفرت اني بريء منك ثم قتل فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم
المنافقون ثم اسلموهم اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار [illegible]
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة
وذلك ان الله عز وجل امر نبيه ان يجلي بني النضير عن المدينة فدس المنافقون اليهم فقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم
ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم كنا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاطاعوهم [illegible] على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر
المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوا الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان
من برصيصا وخذله قال ابن عباس فكانت الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق
والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها
الرهبان وظهروا للناس قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون • ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون • لا يستوي اصحاب النار و
اصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون • يا ايها الذين آمنوا اتقوا في اداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر
نفس تنكير النفس استقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك لما قدمت لغد تنكير الغد لتعظيم
وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه واتقوا الله تكرير الامر بالتقوى للتاكيد وقيل اتقوا الله في اداء الواجبات لانه
قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا
له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحو قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة
بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حق الله وتركوا امره فانساهم انفسهم اي
ناداهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هذا تنبيه

الناس وانذارهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم
لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون
ان اصحاب الجنة هم الفائزون ومن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من
لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحابنا الشافعية بهذه الاية على ان المسلم
لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ◦ لو انزلنا هذا القرآن مع امره ونهيه
ووعده ووعيده وبيان توحيده واثبات نبوة انبيائه وبيان المبدأ والمعاد وكرر تجليه على جبل وركبنا فيه
العقل لرأيته خاشعا في صلابته خاضعا منقادا متصدعا من خشية الله من خوف عذابه وقلوبكم يا بني
آدم لم ترق وقيل هذا امتنان على النبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القرآن على جبل لما ثبت له وتصدع
لثقله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له وقيل لو انزلنا هذا القرآن على جبل وجعلنا فيه تمييزا لرأيته
خاشعا وهذا على سبيل التمثيل والتخييل كما ذكر في قوله تعالى انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله وتلك الامثال
نضربها للناس وهذا توبيخ لمن لم يؤثر القرآن في قلبه مع الفهم والعقل لقسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن
وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل لعلهم يتفكرون في امثال الله ◦
قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ◦ هو الله الذي لا اله الا هو
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ◦ هو الله الخالق البارئ
المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ◦ قيل هذه الاية ترجع الى اول
السورة وقيل ترجع الى قوله من خشية الله وقيل هو جواب لمن سأل عن نسبه وقيل لما ذكر ما يدل على عظمه وكبريائه
وربوبيته فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة وهي
ما علموه وعاينوه وشاهدوه وقال الحسن السر والعلانية وقيل الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان اي المعدوم والموجود
لان ذلك كانه شاهده وقيل الغيب الاخرة والشهادة الدنيا وقيل الغيب ما غاب عن الحواس والشهادة ما يدرك
بالحواس هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس الطاهر من كل عيب البليغ في النزاهة عما لا يليق به
قتادة المبارك ابن كيسان المحمود ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام ذو
السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص وفي اعطائه السلامة
وقيل سلم من الافات التي لا تليق به وقيل سلم عباده من ظلمه المؤمن واهب الامن وقيل امن عباده من الخوف
وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق للمؤمنين ما وعدهم من الثواب وقابل ايمانهم ومصدق
للكافرين ما اوعدهم من العقاب ابن زيد هو الذي يصدق المؤمنين اذا وحدوه الحسين بن الفضل هو الداعي الى الايمان
والامر به والموجب لاهله اسمه القرظي هو المجير كما قال وهو يجير ولا يجار عليه ابن عباس ومقاتل هو الذي امن الناس
من ظلمه وامن من امن به من عقابه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال وامنهم من خوف قال النابغة والمؤمن العائذات
الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند المهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء
ابن عباس ومجاهد وقتادة الشهيد الضحاك الامين ابن زيد المصدق عطاء المأمون على خلقه سعيد بن المسيب القاضي
وقيل الحسيب للسبيل عكرمة الدال ابن قتيبة هيمن لغة في كلام العرب على هذا الوزن المهيمن المسيطر وهو
البالغ في الارض وقيل اسم جل ابن كيسان هو اسم من اسماء الله في الكتب الله اعلم بتأويله العزيز الغالب وقيل
لا يمتنع عليه ما يريده الجبار ابن عباس العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا صفة ذات وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح
يقال جبرت العظم اذا اصلحته بعد الكسر وجبرت الامر فانجبر ويكون لازما ومتعديا قال العجاج
قد جبر الدين الاله فجبر ◦ السدي هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد محمد بن كعب انما سمي الجبار لانه جبر
الخلق على ما اراد والخلق اذل من ان يعصوا له طرفة عين الا بما اراد وسئل بعض الحكماء عن معنى الجبار
تعالى فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله وحكم فيه بما يريد لا يحجزه عنه حاجز ولا يفكر فيمن دونه
زادان ابليس لعن على كره الطاعة وقيل هو الذي لا ينال الايدي من قول العرب نخلة جبارة اذا طالت وفاتت
الايدي قال الشاعر سوابق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة
وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به واصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد قال الشاعر عفت مثل
ما يعفو الفصيل فاصبحت بها كبرياء الصعب وهي ركوب وقيل المستحق لصفات التعظيم سبحان الله عما
يشركون هو الله الخالق المقدر المقلب للشيء بالتدبير الى غيره كما قال يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وقال
وقد خلقكم اطوارا البارئ المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود وقيل المميز بعضه من البعض بالاشكال المختلفة المصور
الممثل للمخلوقات بالعلامات المميزة والهيئات المفترقة حتى يتميز بعضها من بعض فيقال هذه صورة الامر وهذه صورة
فالاول يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا انتهى له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم ختم السورة بما فتحها به فسبحان الله على كل حال عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قائما على هذا المنبر يعني منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي عن ربه عز وجل فقال ان الله عز

اذا كان

اذا كان يوم القيمة جمع السموات والارضين في قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها
ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز
انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئا انا الذي اعيدها اين الملوك اين الجبابرة

سورة الممتحنة

مدنية وهي الف وخمسمائة وعشرة احرف وثلثمائة وثمان واربعون كلمة وثلث عشرة آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ◦ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي و
عدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم
خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد
ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم
ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ◦ نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان سارة
ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت
لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم
لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال لها فاين انت من شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف
بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك
المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوها وفتشوا متاعها
فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه
وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها
ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب
فاتاه فقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم
وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وعلمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني
عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب
عنق هذا المنافق فقال له رسول الله وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت في شأن حاطب ومكاتبته المشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
تتخذوا تعدى الى مفعولين الاول عدوي والثاني اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع
على الجمع ايقاعه على الواحد تلقون حال من ضمير لا تتخذوا وقيل صفة لاولياء جرت على غير من هي له ولا حاجة الى ابراز الضمير
البارز لانه فعل والضمير البارز شرط في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لوجب ابراز الضمير
الباء والالقاء ايصال المودة بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره وقيل استئناف
تلقون اليهم بالمودة وقيل الاستفهام مقدر اي اتلقون اليهم بالمودة الباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي مثله ولا تلقوا
بايديكم وقيل غير زائدة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم المودة سرا او تسرون اليهم اسرار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وقد كفروا حال من لا تتخذوا وتلقون اي لا تتولوهم ولا توادوهم
والحال انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني النبي والقرآن يخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم وقيل حال من كفروا
واياكم من مكة ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجون الرسول واياكم من مكة لاجل ايمانكم وذكر بلفظ المضارع يخرجون
وان تؤمنوا نصب بلام اما فالله ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحوي
في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وقيل ان كنتم خرجتم جهادا او خرجتم من اوطانكم للجهاد هذا
موخر في اللفظ مقدم في المعنى والتقدير ان كنتم خرجتم للجهاد ولطلب مرضاة الله فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة قيل بدل من تلقون اليهم بالمودة وقيل استئناف ومعناه اي طائل
لكم في اسراركم بالمودة قيل بدل من تلقون اليهم بالمودة وقيل استئناف معناه اي طائل لكم في اسراركم بالمودة وانا اعلم

وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اى وقد علمتم انى اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم لان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولى على ما تسرون ومن يفعله منكم اى هذا الاسرار فقد ضل فقد اخطأ سواء السبيل طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ويأخذوكم باسركم يكونوا لكم اعداء خالصى العداوة ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتل والشتم ونحو ذلك ... بين الحقيقة والمجاز او بين المجازين وودوا لو تكفرون ترتدون عن دينكم ولم يكن قصدكم ... يعنى ان مواداة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغلطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ورد جواب الشرط مضارعا مثل الشرط ثم قال وودوا بلفظ الماضى قلت الماضى وان كان يجرى فى علم الاعراب مجرى المضارع فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شئ عنده ان يقصد اعز شئ عند صاحبه لن ينفعكم ارحامكم اى قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يقول لا يدعونكم قراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة اعدائهم ومظاهرتهم فلن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم التى عصيتم الله تعالى لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم فيدخل اهل طاعته والايمان به الجنة ويدخل اهل معصيته والكفر به النار يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيهم فى موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوهم اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اى جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرأ عاصم ويعقوب يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وحمزة والكسائى وخلف بضم الياء وكسر الصاد مشددا وابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مخففا والله بما تعملون بصير فيجازيكم باعمالكم قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد • قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة فى ابرهيم والذين معه والاسوة هو اسم المؤتسى به اى كان فيهم مذهب حسن مرضى بان يؤتسى به ويتبع اثرهم اذ قالوا لقومهم الكفار ... قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوا بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة باقية حتى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن الاخلاص والذين معه من المؤمنين وقيل كانوا انبياء اذ قالوا لقومهم المشركين انا برآء جمع برئ منكم اى من قرابتكم ومما تعبدون من دون الله اى معبودكم كفرنا بكم اى جحدنا بكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا بالسيف حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم استثنا من قوله اسوة حسنة لان اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنوا بها يعنى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم واقواله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تأتسوا به فى هذه خاصة وتستغفروا للمشركين وقيل المعنى هلا وقعت يا حاطب كما قال ابرهيم ومن كان معه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلذلك لموعدة وعدها اياه قال صاحب الكشاف فما بال قوله وما املك لك من الله من شئ وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال انا استغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار وما املك لك من الله من شئ من فضل وقيل هداية ومعرفة وتوفيق والاستثناء من المضمر مع ابرهيم وهو قوله وقيل الاستثناء منقطع اى لكن قول ابرهيم لابيه فليس لكم فيهم اسوة قيل وفى هذه الاية دليل على تفضيل نبينا وذلك انه حين امرنا بالاقتداء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتداء بابرهيم استثنى ربنا عليك توكلنا قيل هذا من تمام كلام ابرهيم اى يقول ابرهيم ومن معه ربنا عليك توكلنا وقيل استثنى فقولوا وقيل خطاب اى قل يا حاطب هذا فلم تحتج الى ما فعلت واليك انبنا اقبلنا واليك المصير وقيل ربنا توكلنا متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امر الله تعالى المؤمنين بان يقولوه تعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار بعد الايتساء بابرهيم وقومه فى البراءة منهم وتنبيها على الاناية الى الله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا طاقة لنا به وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك وقيل لا تعذبنا بما يشمتون لذلك بنا وقيل لا تظفرهم علينا فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل وقيل احفظنا من الشيطان لا يسمعهم بفيض ... واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ثم كرر الحث على الايتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانها الغاية فى التأكيد فقال لقد كان لكم فيهم فى ابرهيم والذين معه من المؤمنين اسوة حسنة لمن كان يرجو الله بدل من لكم ثم عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ... نوع من التأكيد الاجابة فلما نزلت هذه الايات تشدد المؤمنون فى عداوة اقربائهم المشركين من آبائهم وابنائهم وقرابتهم

لا يوادكم ولا يناصحكم فانهم

بحاطب

المصير

وتشديد والياء ...

بعد القسم

ومقاطعتهم والله واظهروا لهم العداوة والبراءة قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم • فلما رأى الله من المؤمنين شدة وجدهم بذلك الصبر عليها وطولا لتمنى السبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه عسى الله وعد من الله تعالى على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين ان يجعل بينكم ايها المؤمنون وبين الذين عاديتم منهم يعنى مشركى مكة مودة والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وجعل المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ففعل الله ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى عليه السلام ام حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب فلان لهم ابو سفيان وكانت ام حبيبة تحت عبيد الله بن جحش وكانت هى وزوجها من مهاجرى الحبشة فتنصر زوجها وحاولها ان يتبعه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها له فقال النجاشى لاصحابها من اولى بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من نبيكم ففعل ومهرها النجاشى اربعمائة دينار وساق اليها مهرها وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقرع انفه قوله تعالى لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين • انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون • ثم رخص الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم فقال تعالى لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا عطف على تبروا اليهم اى تعدلوا فيهم بالاحسان والبر ان الله يحب المقسطين والاقساط ان تعطوهم قسطا من اموالكم ... مثل ما ... اى تعطوهم مما تملكون من طعام وغيره قسطا يقال اقسط اى عدل وسمى العسط اى الجود وقيل اقسط اعطى قسطا اى نصيبا اعطى نفسه اى نصيبه وعدى بالى لتضمينه معنى الاحسان وقيل انهوا اليهم بالقسط والمعنى لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لشدتهم وجدهم فى العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص فى صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وعن ابن عباس نزلت فى خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وسراقة بن مالك بن جعشم وبنو مدلج وكانوا صالحوا النبى على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا وعن عبد الله بن الزبير نزلت فى اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت المدينة بهدايا وهى مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلى على فى بيتى حتى استأذن رسول الله فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله ان تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتحسن اليها وتكرمها وعن عطية العوفى نزلت فى قوم من بنى هاشم منهم العباس وقيل هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن قتادة نسختها آية القتال انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم اى عن تولى هؤلاء وبرهم واخرجوكم من دياركم اى المشركين وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم بدل من الذين قاتلوكم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لانهم وضعوا الولاية فى غير موضعها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون • يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافى ذلك وقيل لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان معنى امتحانهن ان يستحلفهن ما خرجن من بغض زوج وما خرجن رغبة عن ارض الى ارض وما خرجن الا حبا لله ورسوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله عليه السلام معتمرا حتى كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة من اصحابه ردوه ولم يردوا عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم قال المعاندون هو صيفى بن الراهب فى طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين آمنوا فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما اخرجت الا رغبة فى الاسلام فحلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء اذا امتحن ويعطى ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم واعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا مثل ما دفعوا اليهن من المهر سمى ظن الغالب علما فى قوله فان علمتموهن مؤمنات ايذانا بان الظن الغالب وما يفضى اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم وفائدة قوله الله اعلم بايمانهن ان لا سبيل لكم الى اطمئنان النفس وثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدى اليه الامتحان

وما خرجن التماس دنيا ام زد عليهم ومن ابن اهل مكة

من اليتم كان في ذلك وان تكليفكم لا يعوقه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اجورهن واذا كان لهن ان ينكحن كفأ فقد ذلك الكفر
لانه فرق بينهما الاسلام اذا استبرئت ارحامهن فالمهاجرات الكفار ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن
اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزويجهن
تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك ان دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين لهم ان
ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي
الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا وقرأ ابو عمرو ولا تمسكوا بالتشديد
من التمسك والباقون بالتخفيف من الامساك بعصم الكوافر ولا تمسكوا اعتصامكم الكوافر والعصم جمع العصمة وهي
ما يعتصم به من عقد ونسب الكوافر جمع كافرة نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وامرهم بفراقهن يعني
اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها فقد انقطعت عصمتها منه وليست له بامرأة وان جاءتكم امرأة من اهل مكة ولها بها زوج فلا تعتدن به فقد
انقطعت عصمته منها قال الزهري فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة
بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما فتزوجها ابو جهم بن حذافة رجل من قومها وهما على شركهما واسألوا ايها المؤمنون الذين ذهبت ازواجهم
فلحقن بالمشركين ما انفقتم عليهن من الصداق من تزوجهن منهم وليسألوا اي المشركون الذين لحقت ازواجهم بكم مؤمنات
اذا تزوجن منكم من تزوجها منكم ما انفقوا اي ازواجهن المشركون من المهر ذلكم اشارة الى جميع ما ذكر في هذه الآية حكم الله يحكم
بينكم كلام مستأنف وقيل حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة
والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وكذا
كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله فادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم
وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امروا به من اداء نفقات المسلمين فانزل الله وان فاتكم سبقكم وانفلت منكم الى الكفار
شيء من ازواجكم لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة هي ايقاع شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معفو منه تغليظا في هذا
الحكم وتشديدا فعاقبتم فغزوتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وظفرتم وكانت العاقبة لكم معناه
وصار الامر اليكم فالصاحب الكفار فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء
مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت
عقبتكم من اداء المهر فآتوا الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار منكم مثل ما انفقوا عليهن من الغنيمة التي صارت في ايديكم
من اموال الكفار فالصاحب الكفار فعاقبوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر
وهكذا عن الزهري يعطي من صداق من لحق بهم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم فاعطوا من
ذهبت زوجته كان يعطي من الغنيمة المهر قال ابن عباس وكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة
عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة
اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت
شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى فتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص
وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن
واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ● لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال
جاءت النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا تشركن بالله
شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الاسلام
والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله
هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت
هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة
بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن وهو ان تقذف ولدا على زوجها ليس منه كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه
بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق
ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من القبائح ... وقيل انما قال في طاعة الله فهو معروف وانما

يقتصر على قوله ولا يعصينك فانه قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف تنبيها بذلك على انه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وتجديد بغاية التوقي والاجتناب فقالت هند والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان
نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن عن اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا
فيما استطعتن واطقتن فقلت الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا قلت يا رسول الله صافحنا قال اني لا اصافح النساء وانما قولي لامرأة كقولي
لمائة امرأة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله يبايع النساء بالكلام بهذه الآية وما مست يد رسول الله يد امرأة
قط الا امرأة يملكها وعن الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع النساء وعلى يده ثوب قطري وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان النبي عليه السلام كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمس ايديهن فيه قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ● قوما غضب
الله عليهم هم اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون من
ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا يعني هؤلاء اليهود يئسوا من الآخرة انكروها فيها حظ لعنادهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من اصحاب القبور من ان يرجعوا
اليهم احياء ويبعثوا وعن ابن عباس والحسن معناه كما يئس الكفار اصحاب القبور من الآخرة فيكون من لاصحاب القبور بيانا للكفار
مجاهد كما يئس الكفار من اصحاب القبور الكفار حين دخلوا قبورهم يئسوا من رحمة الله لانهم تيقنوا تبعاتهم وسوء منقلبهم

سورة الصف

قال الكلبي وعطاء بن يسار وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والجمهور انها مدنية ويقال لها سورة الحواريين وهي
تسعمائة حرف وثمانمائة واحدى وعشرون كلمة واربع عشرة آية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ● يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ● عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سلام قال خرجنا نتذاكر فقلنا ايكم يأتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسأله اي الاعمال احب الى الله ثم تفرقنا وهبنا ان يأتيه احد منا فارسل الينا رسول الله فجمعنا فجعل
يومئ بعضنا الى بعض فقرأ علينا سبح لله الى آخرها ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص عن عبد الله بن سلام
قلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عملناه فانزل الله هذه السورة وقيل ان الرجل كان يجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول فعلت كذا وكذا وما فعل فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون وقيل كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن
وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية ابن عباس كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله تعالى
دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فاخبرهم نبيه ان افضل الاعمال الايمان والجهاد وكره ذلك ناس منهم وشق عليهم الجهاد
وتباطؤوا عنه فنزلت هذه الآية عن سعيد بن المسيب عن صهيب كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين ونكاهم فقتله صهيب في القتال
فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم انك قتلته فان فلانا ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر وعبد الرحمن يا رسول الله قتله
صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا
يعدون المؤمنين النصر ويقولون لو خرجتم خرجنا معكم ونصرناكم فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه فنزلت
هذه الآية لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام
حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على
زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة
وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الوعد وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كبر مقتا
عند الله هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين
لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح
المقت ثم لم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت
كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك قوله ان الله يحب الذين يقاتلون عقيبه ذكر مقت المقول
بلا فعل يدل دليلا على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا صفا صافين انفسهم او مصفوفين
لا يزولون عن اماكنهم كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان مرصوص رص بعضه على بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد
استواء نياتهم في الثبات صفا كانهم بنيان حالان متداخلان قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ● اذ منصوب باذكر او حين
قال لهم كان كذا وكذا لم تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه
وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين

عدوهم ونصرناهم فاصبحوا ظاهرين غالبين قيل قاتل اصحاب عيسى بعد عيسى بنصر من الله ولكن من غير امر بالقتال وقيل ظاهرين
بالحجة لا بالحرب قيل غالب مؤمنو اصحاب عيسى كافرى اصحابه دباعز دينهم حنلب المؤمنون الكافرين وقيل فامنت طائفة من
بنى اسرائيل بمحمد عليه الصلوة والسلام وكفرت طائفة وهم بقية منهم فاصبحوا ظاهرين اى فاتبعوا اكيد ادا فاصبحوا ظاهرين

سورة الجمعة

وهى سبعمائة وعشرون حرفا ومائة وثمانون كلمة واحدى عشرة اية قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ● يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس
العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفى ضلال مبين ● واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ● قيل فائدة اعادة ذكر التسبيح فى هذه السورة استفتاح السورة بتعظيم الله كما تستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم
فادخل المعنى فى تعظيم الله حسن الاستفتاح هو الذى بعث فى الاميين الى العرب الامى منسوب الى امة العرب لانهم كانوا
لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم والمعنى بعث رجلا اميا فى قوم اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه وحاله
يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم تعرف بتعلم وقراءة امى بغير تعلم اية بينة ويزكيهم ويطهرهم من

من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمناه احد منهم وهي احدى المعجزات قال صاحب الكشاف فلا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة
منهما نفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه
قل يا محمد لليهود ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه
ملاقيكم لاحق بكم لا محالة ودخل الفاء في الخبر لتضمن الذي معنى الشرط ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ● فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ● يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها والنداء الاذان عند
قعود الامام على المنبر للخطبة يدل عليه ما روى الزهري عن السائب بن يزيد قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤذن واحد لم يكن له مؤذن غيره وكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن على المسجد فاذا نزل اقام
الصلوة ثم كان ابو بكر كذلك وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان فكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فامر بالتاذين الاول
على دار له بالسوق يقال لها الزوراء فكان يؤذن عليها فاذا جلس عثمان على المنبر اذن مؤذنه الاول فاذا نزل اقام
الصلوة فلم يعب ذلك عليه من يوم بيان لاذا وتفسير له وقيل من بمعنى في اي في يوم الجمعة كقوله اروني ماذا خلقوا
من الارض اي في الارض [illegible] فيها انما سميت الجمعة لان آدم عليه السلام جمع فيها خلقه وقيل لان الله فرغ
فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها
جمعة كعب بن لؤي وكان يقال ليوم الجمعة العروبة وقيل ان اول من سماها جمعة الانصار عن ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل
ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة قالت الانصار لليهود يوم
يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم ايضا مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره
او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة
فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة رضي الله عنه شاة فتغدوا وتعشوا
من شاة واحدة لقلتهم فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام فاما اول جمعة جمعها رسول الله باصحابه
فقال اهل السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك
يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى فاقام صلى الله عليه وسلم بقبا يوم الاثنين ويوم
الثلثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف
في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام
فخطب في هذه الجمعة وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله احمده واستعينه واستهديه
واستغفره واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة
وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله
فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يامره بتقوى الله تعالى لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق
على ما تبغون من امر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا
فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤف بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
واتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد
فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب
وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا
ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاكثروا ذكر الله واعملوا لما
بعد الموت فانه من اصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه
ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذا اصل في الخطبة شرط في انعقاد
الجمعة وهو قول جمهور العلماء وقال الحسن هو مستحب وليست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من الظهر
فاقل ما يجزي من الخطبة الاولى ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا آية من القرآن
في الخطبة الاولى ويجب في الثانية اربع كالاولى الا انه يجب بدل قراءة الآية الدعاء هذا قول اكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة
لو اقتصر على التسبيح او التحميد او التكبير اجزأه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما يتناوله اسم الخطبة ثم القيام شرط في صحة
الخطبة مع القدرة عليه في قول عامة الفقهاء الا ابا حنيفة فانه لم يشترطه والدليل على ان القيام شرط في الخطبة
وتركوك قائما وحديث جابر بن سمرة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الخطبتين الا وهو قائم وشرط الشافعي
الطهارة في الخطبة الجديد على انها شرط والقديم ليست بشرط وهو مذهب ابي حنيفة هذا بيان القول في اول
جمعة جمعت في المدينة وبعدها اول جمعة في الاسلام بقرية يقال لها جواثى من قرى البحرين فاسعوا الى ذكر الله فنقول

ذلك لم

من امركم

فاذا تركها وصلى ركعتين من الجمعة فقد ترك الركعتين من الظهر

تركه

اليه واعملوا

اليه واعملوا له ابن عمر رضي الله عنهما سمعت عمر رضي الله عنه يقرا فامضوا الى ذكر الله وعنه ما سمعت عمر قط يقرا الا فامضوا
الى ذكر الله وعن ابن مسعود انه كان يقرا فامضوا الى ذكر الله وروى الاعمش عن ابراهيم كان عبد الله يقرؤها فامضوا الى ذكر الله ويقول
لو قراتها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وهي قراءة ابي العالية وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلوة
الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع قتادة انه كان يقول في هذه الاية فاسعوا السعي ان يسعى بقلبك
وعملك وهو المشي اليها قال الشافعي السعي في هذا الموضع هو العمل قال الله تعالى ان سعيكم لشتى وقال تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وقال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الى ذكر الله اي الى الصلوة وعن سعيد بن المسيب فاسعوا الى ذكر الله
موعظة الامام وقيل الى ذكر الله الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكر الله قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على
مقدار يسمى ذكر الله كقوله سبحان الله والحمد لله جاز قال صاحب الكشاف فان قلت كيف تفسير ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر
غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير
فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من
ذكر الله على مراحل وذروا البيع يعني البيع والشراء لان البيع يتناول المعنيين جميعا وانما يحرم البيع عند الاذان الثاني وقال الزهري
عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وقيل اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع
من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص
الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة
الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع
الذي نفعه يسير وربحه مقارب فعقد البيع في ذلك الوقت كان حراما ولكنه صحيح لان البيع لم يكن منهيا عنه في ذاته لعينه ولا لما هو داخل
فيه كالماهية بل لما هو خارج لانه لما نهي عنه بسبب امر مقارن بطريق الاتفاق وهو ما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة
في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب واعلم ان صلوة الجمعة واجبة على كل مسلم عاقل بالغ الا المراة والعبد
والمريض مرضا يمنعه الحضور لقول رسول الله تجب الجمعة على كل مسلم الا امراة او صبيا او مملوكا وقال صلى الله عليه وسلم تحرم
التجارة عند الاذان يوم الجمعة وتحرم الكلام عند الخطبة وتحل التجارة بعد يوم الجمعة ولا تجب الجمعة على اربع المريض والعبد
والصبي والمراة فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وتجب الجمعة على اهل القرى اذا سمعوا النداء من المصر
وتعتبر في اعتبار استماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد يعتبر كان
بالسور التي يليها هذا مذهب الشافعي وقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في مصر على ستة اميال من مصر وقال
سعيد بن المسيب تجب على من آواه الليل وقال الزهري تجب على من كان في ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال وقال مالك والليث ثلاثة اميال
وقال ابو حنيفة لا تجب على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة او بعيدة حتى حكي ان محمد بن الحسن سئل هل تجب الجمعة على اهل زبارة
وبينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا ولا تقام الجمعة عنده الا في جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في
مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام
فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان مات رجل بغير اذن
الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة
سوى الامام وقال الشافعي لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين نفسا كل قرية جمعت اربعين بالغين عاقلين احرارا مقيمين لا يظعنون
عنها شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وجبت عليهم الجمعة وقال مالك اذا كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير
اعتبار عدد والحجة على ابي حنيفة حديث ابن عباس اول جمعة جمعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في قرية من قرى البحرين
يقال لها جواثى ويروى ان عمر بن الخطاب كتب الى اهل البحرين صلوا الجمعة حيثما كنتم والدليل على ان السلطان ليس بشرط
في انعقاد الجمعة ما روي ان الوليد بن عقبة والي الكوفة ابطا يوما في حضور الجمعة فتقدم عبد الله بن مسعود وصلى بالناس
الجمعة من غير اذنه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه صلى الجمعة يوم حصر عثمان رضي الله عنه ولم ينقل انه استاذنه وان
سعيد بن العاص والي المدينة لما خرج من المدينة صلى ابو موسى الاشعري الجمعة من غير استيذان ولا يجوز ان يصلي في بلد
واحد الا جمعة واحدة فان صليت ثانية بطلت وقال ابو يوسف اذا كان البلد جانبين جاز ان يصلي في كل جانب جمعة وقال محمد بن الحسن
يجوز ان يصلى في بلد واحد جمعتان استحسانا فاما الوعيد لمن ترك صلاة الجمعة من غير عذر فما روى جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين
اقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يشهدونها او ليطبعن الله على قلوبهم وليكونن من الغافلين او ليكونن من اهل النار وروي
انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ان الله قد افترض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا فمن تركها في حياتي وبعد مماتي وله
امام عادل او جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله الا ولا حج له الا ولا صوم له ومن تاب تاب الله عليه وعن ابي بكر
الصديق وعمران بن حصين رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه
فاذا اخذ في المشي كتب له بكل خطوة عمل عشرين سنة فاذا فرغ من الجمعة اجيز بعمل مائتي سنة وعنه صلى الله عليه وسلم
من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة
فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وعنه صلى الله عليه وسلم [illegible]

الا جمعة وحين

في الساعة الاولى

[illegible]

لا نفع فيه بل يخفو نحو التجارة والتجارة على اللهو في الأولى فإن الحصاد يقتضي هكذا والله خير الرازقين لأنه

موجد الأرزاق فإياه فاطلبوا وقيل لم يكن يفوتكم الرزق لو أقمتم لأن الله خير الرازقين [illegible]

مدنية

سورة المنافقون

وهي سبعمائة وستة وسبعون حرفا ومائة وثمانون كلمة وإحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد

إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا

[illegible]

يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم فاذا قالوا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قولهم قال الله تعالى وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف وجدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع وقيل يجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يخاطب قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي خشب بضم الخاء وسكون الشين والباقون بضمهما جمع خشبة على القراءتين وموضع كأنهم رفع على هم كأنهم او هو كلام مستأنف لا محل له يحسبون من جبنهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة مفعول اول يحسبون عليهم ثاني مفعولي يحسبون اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم قال مقاتل يقول الله اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او نشدت ضالة ظنوا انهم يرادون لما في قلوبهم من الرعب وقيل انما ذلك لانهم على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ثم قال هم العدو مبتدأ وخبر اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو الداخلي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم فلا تأمنهم ولا تغتر بظاهرهم وقيل يجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني ليحسبون كما لو طرحتهم وانما قال هم ولم يقل هي نظرا الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وقيل يجوز ان تقدر مضافا محذوفا على معنى يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم وقيل تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعرضوا بوجوههم اظهارا للكراهة واستكبارا قرأ نافع لووا رؤسهم بتخفيف الواو والباقون بالتشديد لانهم فعلوها مرة بعد اخرى ورأيتهم يصدون يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون عن الاستغفار قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين • سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم ولان الله لا يغفر لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون • حتى يتفرقوا ولله خزائن السموات والارض كان الله يرزق المهاجرين لا هؤلاء وهو يرزق المؤمنين والكافرين جميعا قيل خزائن الله مقدوراته تعالى يخرج منها ما يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون لا يفهمون ان خزائن السموات والارض لله تعالى قال الجنيد خزائن السماء الغيوب وخزائن الارض القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب وكان الشبلي يقول ولله خزائن السموات والارض فاين تذهبون قوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون • يقولون اي المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه والله لئن رجعنا من غزاتنا مع النبي من بني المصطلق ومرجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز عنى به نفسه منها من المدينة الاذل يعني به رسول الله محمدا عليه افضل الصلوة والسلام واكمل التحيات ولله العزة الغلبة والقوة ولرسوله الذي اعزه الله وايده وللمؤمنين الذين هم الاخصاء بذلك فعزة الله قهر من دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصره اياهم على اعدائهم وهم ظاهرون وقيل عزة الله الولاية قال الله تعالى هنالك الولاية لله الحق وعزة الرسول الكفاية قال الله تعالى انا كفيناك المستهزئين وعزة المؤمنين الرعاية قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقيل عزة الله الربوبية وعزة الرسول النبوة وعزة المؤمنين العبودية وكان جعفر الصادق يقول من مثلي ورب العرش معبودي ونبيي وقيل عزة الله خمسة عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبرياء والبهاء وعز الرسول خمسة عز السبق والابتداء وعز الاذان والنداء وعز قدم الصدق على الانبياء وعز الاجتباء والاصطفاء وعز الظهور على الاعداء وعز المؤمنين خمسة عز التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون يوم القيمة وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القرآن للذكر يريد الله بكم اليسر وعز التبشير بيانه وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوقير بيانه وانتم الاعلون وعز التكثير بيانه انهم اكثر الامم ولكن المنافقين لا يعلمون ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وانهم لا يقدرون على اخراجهم من المدينة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون • يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم بالتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله قيل عن الصلوات الخمس نظيره لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي الاشتغال بالاموال والاولاد حتى الهى عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل عن ذكر الله وقال الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وانفقوا مما رزقناكم اي اجعلوا المال الذي انفسكم وادوا الفرض مما رزقناكم

للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان يأتي احدكم الموت اي اسبابه اي من قبل ان يرى علامات الموت ويعاين ما يأس من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وطاق الحج فلم يحج الا سأل الرجعة عند الموت يعطاها فقالوا يا ابن عباس اتق الله فانما يرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال انا اقرأ عليكم به قرآنا ثم قرأ هذه الآية الى قوله فاصدق واكن من الصالحين يعني فتصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل فيقول رب لولا اخرتني امهلتني يجوز ان يكون لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني ويجوز ان يكون لولا بمعنى هلا فيكون استفهاما اي هلا اخرت موتي الى اجل قريب يعني مثل ما اجلت لي في الدنيا وقيل الى اجل اي زمن قليل فاصدق واكن من الصالحين قيل هذه الآية نزلت في المنافقين ثم المؤمنين وقيل الصلاح ههنا الحج والآية نازلة في المؤمنين قرأ ابو عمرو واكون بالواو والنصب على جواب التمني او الاستفهام واخذ قياس من المصحف اختصارا والباقون بالجزم عطفا على محل فاصدق لو لم يكن فيه الفاء وذلك لان قوله فاصدق لو لم يكن الفاء كان مجزوما كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ولن يؤخر الله نفسا نفي التأخير على وجه التأكيد عن الموت اذا جاء اجلها المكتوب في اللوح المحفوظ والله خبير بما تعملون والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع ونهى لم يبق الا المسارعة الى الخروج من عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله قرأ عاصم يعملون بالياء والباقون بالتاء

سورة التغابن

مدنية

قال الجمهور منهم ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة انها مدنية وقال الضحاك انها مكية وقال عطاء بن يسار هي مكية الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم والثلاث بعدها وهي الف وسبعون حرفا ومائتان واحدى واربعون كلمة وثماني عشرة آية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير • له الملك وله الحمد تقديم المجرور دليل على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لانه متصف بالصفات الجميلة وعنده اصول النعم وفروعها واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر قيل ان الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا رواه الوالبي عن ابن عباس والاحاديث تعضده قال صلى الله عليه وسلم خلق فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمنا وقال عليه السلام فيؤمر الملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد وقيل تم الكلام عند قوله خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهو مثل قوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه والمشي فعلهم لو خلقهم كافرين ومؤمنين لما وصفهم بفعلهم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والكفر فعل الكافرين والايمان فعل المؤمنين واحتج بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وبقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله حكاية اخبارا عن ربه اني خلقت عبادي كلهم حنفاء ثم اختلف اصحاب هذا القول في تأويلها فروى ابو الجوزاء عن ابن عباس فمنكم مؤمن ومنكم كافر يؤمن وقال ابو سعيد الخدري فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار ونحوه وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يعني في شأن الانواء وقال الزجاج وهو احسن ما قيل فيها هو الذي خلقكم فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب اهل الدهر والطبائع ومنكم مؤمن بان الله خلقه والذي عليه جمهور الامة والائمة والمحققون من اهل السنة والجماعة هو ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وخلق المؤمن وايمانه فعلا له والكافر يكتسب الكفر ويختاره بعد خلق الله اياه لان الله قدر ذلك عليه وعلمه منه والمؤمن يؤمن ويختار الايمان بعد خلق الله اياه لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ولا يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدره الله عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز وخلاف المعلوم جهل والله منزه عن العجز والجهل لانهما على الله محالان لا يليقان به ومن سلك هذا السبيل سلم من الجبر واصاب الحق كقول لبيد • يا ناظرا في الدين ما الامر لا قدر صح ولا جبر • حكي انه قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت فيه الظنون واختلف فيه المحققون فالواجب علينا ان نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق من علمه قال صاحب الكشاف فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح فتكونوا بجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم

لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح
الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق
العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا انه
حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون
حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته
جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها وفساد هذا الكلام وعدم دلالة اللفظ على مقصوده ظاهر لا يحتاج الى التعرض
له والله بما تعملون بصير فمجازيكم عليها قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم
واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ● بالحق
بالعدل وقيل بالجود دون الباطل وقيل على وفق علمه وارادته وحكمته وصوركم فاحسن صوركم اي جعلكم
احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن
حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال في احسن تقويم وقيل جعل صورة الانسان احسن صور
الحيوان ولم يشارك بني آدم في صورته وشكله غيرهم من الموجودات وهذا معنى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على
صورته فاحسن صورته او صورته التي صوره عليها وقيل انها تعود الى الله واضافته الى نفسه تعظيما وتقديسا
لآدم كبيت الله وناقة الله وقيل في قوله احسن صوركم يريد حسنه في العقل والحكمة ولم يرد استحسان الناظر فقد
قيل الحسن ههنا قبول الطبع فان ابن آدم لو خير بين الصور ما اختار الا صورته قال صاحب الكشاف فان قلت كم
من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلا
نحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن
غير خارجة عن حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن منها فينبو عن الاولى
طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما
في السموات والارض نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسر العباد وما يعلنون
ثم بعلمه بذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ
على مخالفة ما امر ونهاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد
على الكفر وانكار ان يعصى الخالق قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد
الم يأتكم الخطاب لكفار مكة نبأ الذين كفروا من قبل يعني الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين
فذاقوا الفاء للتعقيب فكفروا فذاقوا وبال امرهم كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في العقبى ذلك الوبال والعذاب بانه
بسبب ان الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات فقالوا ابشر يهدوننا ولم يقل يهدينا
لان البشر وان كان لفظه واحدا فهو في معنى الجمع لانه اسم جنس يقع على الواحد والجمع انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا
ان يكون الاله حجرا فكفروا بالرسل وتولوا واعرضوا عن التفكر في البينات واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته
ايمانهم وطاعتهم والله غني عن خلقه حميد في افعاله قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ● زعم ادعى الذين كفروا العلم والزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال ولم ازعمك عن ذاك
معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين الذين كفروا اهل مكة ان لن يبعثوا قل يا محمد بلى اثبات لما بعد لن وهو
البعث اي ليس الامر كما زعمتم وربي لتبعثن اكد الاخبار باليمين ثم لتنبؤن لتخبرن ولتحاسبن بما عملتم بعملكم وتجازون
عليه وذلك اي البعث على الله يسير لا يصرفه عنه صارف قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ● فآمنوا بالله ورسوله اي محمد
صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا اي القرآن الذي هو بيان لكل شيء والله بما تعملون خبير يوم منصوب بقوله
لتنبؤن وقيل منصوب بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله معاقبكم يوم يجمعكم وقيل منصوب باضمار اذكر
اي اذكروا يوم يجمعكم الله ليوم الجمع يجمع فيه الاولين والآخرين ذلك اليوم يوم التغابن وهو تفاعل من الغبن وهو في
الخطة المراد والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا وقد ورد في تفسير التغابن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا
وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة قال المفسرون من منازله ومنازل اهله في الجنة ويظهر
يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام وقيل التغابن هو ان يغبن بعضهم
بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء وفيه تهكم بالاشقياء
لان نزولهم ليس بغبن وقيل يوم التغابن يوم القيمة لانه يتغابن فيه المنازل عند الله فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل
يغبن اهل الجنة اهل النار وقيل المظلوم الظالم وتخصيص التغابن من الغبن وهو الاخفاء اي اليوم الذي اخفاه الله ومن فيه المعاني

ومنه الغبن الموضع الذي يخفى فيه الشيء بن عيسى التغابن التفاوت في اخذ الشيء بدون قيمته ومعرفة للغبن والتغابن
وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنهم هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا
وان جلت وعظمت ومن يؤمن بالله يصدق بوحدانية الله ويعمل صالحا خالصا لله مصدقا ومن عمل صالحا يكفر عنه سيئاته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرأ نافع وابن عامر ههنا وفي السورة التي تليها نكفر وندخله بالنون
والباقون بالياء قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ●
مرجع المغبونين قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم و
اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين ● ما اصاب بني آدم من مصيبة من شدة
مرض وموت اهل او شيء يقتضي هما مما يفعل الله وقيل هاهنا من الظلم والسرقة ومما يكون افعالا الا باذن الله بارادته
وتمكينه كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يؤمن بالله يصدق ويعلم ان المصيبة من الله يهد قلبه يوفقه لليقين حتى
يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه للاسترجاع فيقول انا لله وانا اليه راجعون
فيصبر على البلاء ويشكر على النعماء وقيل يهد قلبه هدايته ويثبته عليها وقيل يحتمل ان يكون على القلب اي ومن يهد
قلبه يؤمن بالله وقيل ومن يصح ايمانه يهد قلبه لاتباع السنة والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان
توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين فلا عليه لانه لم يكتب عليه ما اكتتبه عليكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وفيه اطيعوا
الرسول فانما امركم بالصبر وترك الجزع قوله تعالى الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● بعث المؤمنين
على التوكل على الله والتقوي به في امرهم حتى ينصرهم الله على من كذب وتولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله
عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ● يا ايها
الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يعادونكم ويخاصمونكم ويجلبون عليكم ومن اولادكم اولادا يعادونكم ويمنعونكم
ويحرضونكم على التقصير والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم انهم عدو لكم فكونوا
منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم نزلت في قوم ارادوا الهجرة فثبطهم عنها ازواجهم واولادهم قال ابن عباس كان الرجل
يسلم فاذا اراد ان يهاجر منعه اهله وولده وقالوا ننشدك الله ان تذهب وتدع اهلك وعشيرتك وتصير بالمدينة بلا اهل
ولا مال اما انا قد صبرنا على اسلامك فلا نصبر على فراقك ولا نخرج معك فيطيعهم ويرق لهم ويدع الهجرة فلا يهاجر واذا هاجر
ورأى الناس قد تفقهوا في الدين هم ان يعاقبهم في تثبيطهم عن الهجرة ومنهم من لا يطيعهم ويقول لهم
لئن جمعنا الله واياكم لا تصيبون مني خيرا ولا نفعا فانزل الله هذه الاية وقال عطاء بن يسار وعطاء الخراساني نزلت في عوف
بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تكلنا فيرق ويقيم فنزلت
يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يحملونكم على المعصية وترك الطاعة فاحذروهم ان تطيعوهم
[illegible]

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى وهي الف وستون حرفا ومائتان وتسع واربعون كلمة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا ● يا ايها النبي خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه وكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء وهممتم بطلاقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فطلقوهن لعدتهن وهو ان تطلقها طاهرا من غير جماع فطلقوهن لعدتهن في حال الطهر من غير ان يكونوا جامعوهن منذ طهرن تطليقة واحدة وهو طلاق السنة وقيل فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن وهذا المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها فاذا طلقها في طهر لم يجامعها فيه نفذ طلاقه واصاب السنة فان طلقها حائضا وقع الطلاق ولم يكن طلاق السنة وقال سعيد بن المسيب ... فان طلقها في طهر جامعها فيه فكرهه قوم وقالوا ليس بطلاق السنة لانه لم يدع للاستبانة موضعا وكان الشافعي والجمهور يجوزونه ولا يكرهونه لان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته ثلثا قال صاحب الكشاف فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانهم كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده والطلاق المخالف للسنة واقع والمطلق آثم لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذا عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية عن قتادة عن انس قال طلق رسول الله حفصة فاتت الى اهلها فانزل الله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الآية وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من احدى نسائك في الجنة وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر وذلك انه طلق امرأته حائضا فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة اخرى فاذا طهرت طلقها قبل ان يجامعها او يمسكها فانها العدة التي امر الله تعالى بها وعن ابن عمر قال طلقت امرأتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة اخرى فاذا طهرت فليطلقها ان شاء قبل ان يمسها فانها العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وقال المقاتلان نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن الحارث وعتبة بن غزوان عن حميد بن عبد الرحمن قال بلغ ابا موسى ان النبي صلى الله وجد عليهم فاتاه فذكر له ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد تزوجت وطلقت وليس كذلك عدة المسلمين طلقوا المرأة في قبل عدتها وفي هذه دليل على منع ارسال السنة والبدعة اعتبارهما في وقت الطلاق لا في عدد الطلاق لان الله تعالى ذكر وقت الطلاق فقال فطلقوهن لعدتهن ولم يذكر عدد الطلاق وكذلك في حديث ابن عمر الذي رويناه دليل ان الاعتبار بالوقت لا بالعدد لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وقال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها ريح الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق واحصوا العدة اي عدوا اقراءها واحفظوها وقيل واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت

الازواج

الازواج واضيف اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ولا يخرجن ومعنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن ان لا يخرجوهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان لا اذن لهم في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان ارادن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل معناه الا ان يطلقن بطلاق نشوزهن والنشوز يسقط حقها في السكنى والفاحشة النشوز وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن عن ابن عباس ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الا ان يأتين بفاحشة قال البذاء على اهلها فاذا بذت عليهم فقد حل اخراجها وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه اي استحق عقاب الله وقيل منع نفسه ما كان الله جعله له وهي المراجعة لا تدري فقد ظلم نفسه استحق عقاب الله وقيل منع نفسه ما كان الله جعل له وهي المراجعة لا تدري ايها النفس يعني الذي تعدى النفس وقيل لا تدري انت يا ايها النبي وقيل ايها المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي مراجعة في الواحدة والثنتين ما دامت في العدة وعن الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وامرني ان اعتد في بيت ابن ام مكتوم وعن عبد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو بن حفص ابن المغيرة المخزومي فخرج مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى اليمن حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض اليمن فارسل الى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وامر عياش بن ابي ربيعة والحارث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا والله ما لها من نفقة الا ان تكون حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقة الا ان تكون حاملا واستأذنته في الانتقال فاذن لها فقالت اين انتقل يا رسول الله قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى يضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فانكحها النبي اسامة بن زيد فارسل مروان بن الحكم قبيصة بن ذؤيب يسألها عن هذا الحديث فقال مروان لم نسمع هذا الحديث الا من امرأة سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قالت هذا لمن كانت له مراجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث قال صاحب الكشاف الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضاء عدتهن وقربن منه فانتم بالخيار بين الامساك والمفارقة فامسكوهن برجعة تراجعوهن او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم ولكن املكوا بانفسهن ولا تضاروهن بترك المراجعة والمعروف والفراق بمعروف هو ان يراجعها في آخر عدتها ثم تطلقها تطويلا للعدة عليها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفراق عند الفراق وهذا الاشهاد ليس بواجب على الصحيح في مذهب الشافعي لا في الرجعة ولا في الفراق بل مندوب وعلى الرجعة واجب وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد ولئلا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم الحسن من المسلمين قتادة من احراركم واقيموا الشهادة ايها الشهود لله لوجه الله خالصا وذلك ان لا يميل الشهود لمشهود له ولا على المشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ذلكم اي الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقة الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن عكرمة والشعبي والضحاك ومن يطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة ويرزقه من حيث لا يحتسب ... عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها واكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وذلك ان المشركين اسروا ابنا له يسمى سالما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ... اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل ذلك فبينا هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه وكان فقيرا وقال الكلبي في رواية ابي يوسف ... ابنه ومعه خمسون بعيرا فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب ما ساق اليه من الغنيمة وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل مما اتاه به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم وانزل الله تعالى هذه الآية ابن مسعود ومسروق يجعل له مخرجا هو ان يعلم انه من قبل الله تعالى وان الله تعالى رازقه وهو معطيه ومانعه الربيع يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس ابو العالية مخرجا من كل شدة الحسن مخرجا عما نهاه الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب عمرو بن عثمان المكي من يقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال

ومن

سكنتم اى بعض مكان سكناكم كمن للتبعيض مبعضها محذوف اى بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها
في بعض جوانبه من وجدكم بيان وتفسير لقوله من حيث سكنتم كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
حتى ينقضي عدتهن ولا تضاروهن ولا تؤذوهن لتضيقوا عليهن مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فيخرجن من عدتهن واختلفوا في نفقتها وفي هذه المسئلة فذهب الشافعي ومالك والاوزاعي وابن ابي ليلى
وابو عبيد ومحمد بن جرير الى ان المبتوتة المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ولها السكنى واحتجوا بان الله عم السكنى للمطلقات
كلهن وخص بالنفقة اولات الاحمال خاصة فقال فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وقال احمد وابو ثور لا سكنى لها
ولا نفقة واحتج بحديث فاطمة بنت قيس اخت الضحاك بن قيس حين ارسل زوجها المخزومي طلاقها فلم يجعل لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وقال انما النفقة اذا كانت له عليها الرجعة فامرها ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم
واما سفيان واهل العراق فقالوا لها السكنى والنفقة حاملا كانت او حائلا وهو قول عائشة ويروى ان عائشة
رضي الله عنها قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله يا فاطمة فقد فتنت الناس انما اخرجك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانك
كنت امرأة لسنة فخشي لسانك على احمائك فاما نفقة المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وشريح والنخعي والشعبي وحماد
وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال الحمل نصيبه وقال ابن عباس وعبد الله بن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك
والشافعي وابو حنيفة لا ينفق عليها الا من نصيبها فان ارضعن لكم اولادكم منهن فآتوهن اجورهن على ارضاعهن وأتمروا
بينكم بمعروف فيه قولان وليقبل بعضكم من بعض اذا امروا بالمعروف اى هموا الكسائي جدوا وقيل فان ارضعن
لكم يعني هؤلاء المطلقات اى ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن
حكمهن في ذلك حكم الاظار ولا يجوز عندنا ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند
عند الشافعي قبل الابانة يعني ائتمروا لا اشتور يعني ليأتمر لتشاوروا اى ليأمر بعض القوم وتأمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى
ليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه
ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فان ابى الزوج ان يعطي المرأة اجر رضاعها
وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه
كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وله اى للاب اى سيجد الاب
غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
ذو سعة من سعته على قدر غناه ومن قدر ضيق عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اى فلينفق من ذلك الذي آتاه الله على قدره
قليلا لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اعطاها من المال يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال
ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقيل لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اى بقدر عقلها فعلى هذا لا يكون
متصلا بما قبلها وهو بعيد سيجعل الله بعد عسر يسرا اى بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لفقراء ذلك الوقت بفتح
ابواب الرزق عليهم وقيل بعد الفقر الا لزواج ان ينفقوا ما قدروا عليه ولا يقصروا **قوله تعالى** وكأين من قرية
عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها
خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم
آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ● وكأين من قرية عتت عصت وطغت وتمردت
واعرضت على وجه العتو والعناد عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها
عذابا نكرا منكرا عظيما فظيعا والمراد حساب الآخرة وعذابها فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وجيء على
لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن
وكان اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي
الالباب اى العقول الخالصة الصافية من كدر الهوى ونزغات الشيطان وقيل وحاسبناها في الدنيا اى احصينا
السيئات واستقصينا عليهم في الدنيا واثبتنا في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وعجل ان يكون
عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكأين الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن رسولا بدلا
من الذكر وقيل يعني جبريل لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه وقيل اريد بالذكر
الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف المنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف
عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره وعبادته لله كانه ذكر وقيل اريد ذكرا ذو ملكا مذكورا في السموات
~~مجيد ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره وعبادته لله كانه ذكر وقيل اريد ذكرا ذو ملكا مذكورا في السموات~~ وفي الامم كلها
وقيل دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا وقيل اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفعول
اى انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات
الكفر والجهل الى الايمان وقيل من الجهل الى العلم وقيل من النار الى الجنة وقيل من الضلال الى الرشاد وقيل من الباطل الى الحق
ومعناه ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا
فيه تعظيم وتعجب لما رزق المؤمن من الثواب **قوله تعالى** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل

بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ● الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن في العدد وقيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وقيل بين كل سماء وسماء
مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء هكذا ومثلها بين الارضين يتنزل الامر بينهن بالوحي من السماء السابعة الى الارض السفلى وقيل
يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وقيل ان الارض واحدة وقوله مثلهن في الخلق لا في العدد وليس
في القرآن ما يدل على انها سبع وقيل ان المراد بها الاقاليم السبعة والدعوة شاملة جميعها وقيل انها سبع ارضين
متصلة بعضها ببعض والحائل بين كل ارض وارض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة
اليهم وقيل انها سبع ارضين بعضها فوق بعض متصلة لا فرجة بينها وقيل ان كل واحدة منها الى الاخرى مسيرة خمسمائة
عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل ارض آدم وحواء ونوح وابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويستمدون
الضياء منها وقيل جعل الله لهم نورا يستضيئون به وقيل انما يدبر فيهن من عجائب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات
ويأتي بالليل والنهار والشتاء والصيف ويخلق الحيوان على اختلاف هيآتها وانواعها وينقلهن من حال الى حال ابن كيسان
هذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللرياح والسحاب قال قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من سمائه
خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اللام في لتعلموا متعلق بيتنزل او الاولى بخلق
وان الله قد احاط بكل شيء علما لا يخفى عليه شيء وعلما مصدر من غير لفظ الفعل اي قد علم كل شيء علما

سورة التحريم

وهي الف وستون حرفا ومائتان وسبع واربعون كلمة واثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ● قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا
قال نبأني العليم الخبير ● انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة دخل على نسائه امرأة امرأة وكان
قد اهديت لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما عكة من عسل فكان اذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما
حبسته وسقته منها وان عائشة رضي الله عنها انكرت احتباسه فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضراء
اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا يصنع فاخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت
فارسلت الى صواحبها فاخبرتهن الخبر وقالت اذا دخل عليكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن انا نجد منك ريح مغافير
وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ويشق عليه ان يوجد منه ريح منتنة لانه
يأتيه الملك فدخل رسول الله على سودة قالت فما اردت ان اقول ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني فرقت من عائشة
فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك أكلت المغافير قال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على امرأة امرأة وهن يقلن ذلك ثم دخل على عائشة فاخذت بانفها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ما شأنك قالت اجد ريح المغافير أكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا قالت جرست اذا نحلة العرفط فقال لها
والله لا اطعمه ابدا فحرمه على نفسه وقال عطاء ان التي كانت تسقي رسول الله العسل ام سلمة وعن عبيد بن عمير سمعت
عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش
ويشرب عندها عسلا قالت فتواطأت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح
المغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند
زينب بنت جحش ولن اعود اليه فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآيات قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قسم الايام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي حاجة نفقة لي عنده فائذن لي ان
آتيه فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية ام ابراهيم عليه السلام
وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال لها ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا
ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي قد احلها الله لي اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا
امرأة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة
فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية فقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة
بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة رضي الله عنها
فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل
ومارية وقال عكرمة نزلت في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها ام شريك فأبى النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ان يقبلها لاجل انها وهبت نفسها له تبتغي تفسير لتحرم وقيل حال وقيل استيناف قال صاحب الكشاف وكان هذا زلة
منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم
كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيه ومنه
حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها
بالكفارة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل من المسلمين ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول
ذي الرمة قليلا كتحليل الالى [illegible] الاوكال الخائف [illegible] اللدم
اي قد بين الله تحليل ايمانكم بالكفارة في المائدة وعن مقاتل ان الاية ان قال لامرأته انت حرام علي يوجب الكفارة سواء اطلق
او قصد تحريم عينها او نوى بقوله انت حرام الطلاق او الظهار في الزوجة والعتق في الامة فان نواه من الطلاق او الظهار
في المرأة والعتق في الامة وابو حنيفة حكم تحريم الحلال يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما
فقد حلف على اكله او امة فقد حلف على وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية فان نوى الظهار فظهار وان نوى الثلاث
فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال
الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود
وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة
وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول لا ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا
بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم
يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي
وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب
اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم انه كانت يمين وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم
وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته
انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حفصة حديثا وهو تحريم مارية صلى الله عليه وسلم على نفسه
وقوله لا تخبري بذلك احدا الكلبي اسر اليها ان اباك وعمر رضي الله عنهما يكونان خليفتين على امتي بعدي سعيد بن جبير عن ابن عباس
صلى الله عليه وسلم امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة ميمون بن مهران اسر اليها ان ابا بكر خليفتي من بعدي فلما نبأت به اخبرت
بالحديث الذي اسر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبتها واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على
انها قد نبأت به وافشته الى عائشة وقيل اظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة
بعضه اي بعض الحديث وقرأ الكسائي بالتخفيف اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ولاثبتك
تعلم الله ما فعلت وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وابا الباقون فانه قرأ بالتشديد يعني انه عرف رسول الله حفصة
بعض ذلك الحديث واخبرها به واعرض عن بعض تكرما فلم يعرفها اياه ولم يخبرها به وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض
عنه حديث مارية لحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض قال مقاتل اخبرها ببعض ما قالت لعائشة
ولم يخبرها بالجميع عرف حفصة بعض الحديث واعرض عن بعض الحديث ان ابا بكر وعمر يكونان بعدي فلما نبأها به اي فلما اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بما اخبره الله به قالت حفصة من انبأك هذا يا رسول الله قال نبأني العليم الخبير
صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها
قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات
سائحات ثيبات وابكارا ● ان تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما عن ابن عباس
لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عنهما فحج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ
فقلت من هما فقال وا عجبا لك يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت
واستوجبتما التوبة بما فعلتما قلوبكما بسرورهما ان يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاريته وقيل فقد وجد
منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين وكيف يغلب من الظاهر مولاه اي وليه وناصره وزيادة هي تنصر بعضهم بعضا من عزائمه والله يتولى ذلك بذاته
وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما واظهارا لمكانته عنده عز وجل وصالح المؤمنين يعني كل من
آمن وعمل صالحا سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء سهل التستري هو ابو بكر
الصديق سعيد بن جبير عكرمة هما ابو بكر وعمر عن النبي عليه الصلوة والسلام في قوله وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب اسماء بنت عميس
سمعت النبي يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب قال صاحب الكشاف فان قلت صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد

الجمع كقوله لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقوله لا يفعله من صلح منهم وكقولك فلان كنت في السامر
والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحوا المؤمنين بالواو وكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت
أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر
امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه فإن قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل
وصالحي المؤمنين ونصرة الله عز وجل أعظم وأعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته
بهم ومظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات قانتات تائبات عابدات سائحات تائبات يسيح معه وقيل صائمات ثيبات وأبكارا
ابنه مهاجرات لأنه لم يكن في هذه الأمة سياحة إلا الهجرة وقيل والآية واردة في الإخبار عن القدرة لا عن
الكون في الوقت لأنه عز وجل قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا أمثالكم فهذا إخبار عن القدرة وتخويف لهم لا أن في الوجود من هو خير من أمة محمد عليه الصلاة والسلام
قال صاحب الكشاف فإن قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين
قلت إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه
الأوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت
هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله وإنما أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار
لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون ● يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ● يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم وقيل وأهليكم بأن
تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم قوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يتقد بهم كما تتقد النيران بالحطب وقيل
تلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة غلاظ شداد أقوياء أمرهم شديد أفعالهم جفاة خشن لا تأخذهم رأفة في تنفيذ
أوامر الله وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم من خزنة النار لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما يأتي وقيل معنى لا يعصون الله ما أمرهم أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى ويفعلون
ما يؤمرون أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه قال صاحب الكشاف فإن قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي
بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فلم جعلها
مخاطبة به المؤمنين قلت الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة
فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي
من الارتداد والندم على الدخول في الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك
قوله على أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا
تعتذروا لأنه لا عذر لكم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
ومأواهم جهنم وبئس المصير ● يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الإسناد
المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية
للسيئات قال عمر وأبي ومعاذ رضي الله عنهم التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع الحسن
هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك
بالبدن قتادة هي الصادقة الناصحة سعيد بن جبير هي توبة مقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيه ثلاث خوف أن لا تقبل ورجاء
أن تقبل وإدمان الطاعات سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها أنفسكم القرظي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان
والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الخلان سفيان الثوري علامة التوبة النصوح أربعة
القلة والعلة والذلة والغربة فضيل بن عياض هي أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر إليه أبو بكر
الواسطي هي توبة لا لفقد عوض لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة فتوبته على حفظ
نفسه لا لله أبو بكر الوراق هي أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وأن تضيق عليك نفسك كتوبة الثلاثة الذين خلفوا أبو بكر
الوراق المصري رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات رويم هي أن تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له
عند المعصية قفا بلا وجه رابعة توبة لا تائب منها ذو النون علامتها ثلاث قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام
شقيق هي أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من آفاتها بالسلامة سري السقطي لا تصلح التوبة
النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته صار محبا لله تعالى ومن أحب الله تعالى تولى ما دون الله سهل هي
توبة أهل السنة والجماعة لأن المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلى الله عليه وسلم حجب الله تعالى على كل صاحب بدعة أن يتوب

أبو الأديان هي أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح فإذا كان كذلك فإن توبته نصوح وأما ذلك التوبة
منه تلوح نبه المؤمن على علامتها أنها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظما وقيل توبة ينصح الناس أي يدعوهم
إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها عسى ربكم إطماع من الله لعباده وقيل
إنما جاء به تعليما للعباد ووجوب الترجح بين الخوف والرجاء وقيل إنما جاء به على ما جرت به عادة أصحاب الهمم العالية وأرباب المعالي
الشديدة من الإجابة يعني فعل أن يكفر عنكم سيئاتكم لا يؤاخذكم بذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم
نصب بيدخلكم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه تعريض لمن أخزاهم الله من أهل الكفر والشرك والنفاق واستحماد للمؤمنين
على أن عصمهم من مثل حالهم المفضية إلى الخزي وقيل لا يخزي الله النبي في شفاعته ولا يضيع خلف فيما وعده المؤمنين
وقيل تم الكلام على النبي ثم استأنف فقال والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم على الصراط وبأيمانهم يقولون
ربنا أتمم لنا نورنا يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين إشفاقا قال الحسن الله متمم نورهم لكن يدعون تقربا إلى الله كقوله
واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يدعو بها أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور بقدر ما يبصرون مواقع أقدامهم
لأن النور على قدر الأعمال فيسألون تمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج وقيل إذا ظهر منهم النفاق جاهدهم الحسن جاهد المنافقين بإقامة الحدود
عليهم كان أكثر من يصيب الحدود هم المنافقون واستعمل الغلظة والخشونة على الكفار والمنافقين فيما تجاهدهما به
من القتال والمحاجة وقيل جهاد المنافقين بالغلظة والزجر والوعظ واغلظ عليهم بالقول ومأواهم جهنم وبئس
بإفشاء سرهم قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ● مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون
على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب أو وصلة
صهر لأن عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة أو وصلة صهر لأن عداوتهم
وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر
نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزوج
إغناء ما من عذاب الله وقيل ضرب الله مثلا للطالحات من النساء فقال ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
واسمها واعلة وامرأة لوط واسمها واهلة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما
السلام فخانتاهما في الدين وما بغت امرأة نبي قط قال ابن عباس ما كانت تلك الخيانة زنا وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما كانت
امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون وتطلع على سره فإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح وأما امرأة لوط فكانت تدل
على أضيافه فلم يغنيا عنهما بنوتهما من الله شيئا وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة
بينهم وبين الأنبياء وقيل مع داخلي النار من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط قيل تخويف عائشة وحفصة رضي الله عنهما
قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون
وعمله ونجني من القوم الظالمين ● مثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم
وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون
وهي آسية بنت مزاحم لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها
بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس وأمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
فأبصرت بيتها في الجنة من درة وانتزع الله روحها فألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون
الحسن وابن كيسان رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وقيل كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرف
عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة ونجني من فرعون وعمله ودينه عن ابن عباس وعمله جماعه ونجني من القوم الظالمين
الكافرين قطع الله بهذه الآيات طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره وأخبر أن معصية الغير لا تضره إذا
كان مطيعا قوله تعالى ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين ● ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون أي وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم ابنة عمران وما
أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض
بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما
على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن حقهما
أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فإن ذلك الفضل لا ينفعهما
إلا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأسرار التنزيل ورموزه وتعريضاته بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره
التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه يعني نفخ جبريل بأمرنا في جيب درعها وقيل في فرجها وقيل في عيسى قال
صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل
وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن وصدقت بكلمات ربها وكتبه أي

الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه قيل اراد بكلمات ربها صحفه التي انزلها الله على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وقيل يجوز ان يراد بها جميع ما كلم الله تعالى به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح المحفوظ وغيره وقرأ ابو عمرو ويعقوب وكتبه على الجمع وهي رواية حفص عن عاصم وكتابه على الواحد وهو الانجيل وكانت من القانتين المطيعين اي من القوم القانتين ولذلك لم يكن من القانتات ومن صفة يشمل من قنت من القبيلين الذكور والاناث فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض وقيل يجوز ان تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام •

سورة الملك

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر ابن مسعود هي المانعة من عذاب القبر وهي الف وثلثمائة [illegible] وثلثمائة وثلثون كلمة وثلثون آية • قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير • الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور • الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير • تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو المالك على كل موجود ما الملك غير المالك واليد عبارة عن القدرة والتصرف والاستيلاء على الشيء وقيل اليد صلة والملك ملك السموات والارض وقيل النبوة يعز بها من اتبع النبي ويذل بها من خالفه واتبع هواه وهو على كل شيء قدير من الانعام والانتقام قادر على الكمال الذي خلق الموت والحيوة قدم الموت على الحياة لانه الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقتادة اذل الله ابن آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وقيل قدمه لانه قدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم اعترضت عليهما الحياة قال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر وهو فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يطأ شيئا الا حيي ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي ليبلوكم المعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم فيما بين الحياة والموت سمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر ايكم احسن عملا تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ايهم احسن عملا كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا ولا يسمى هذا تعليقا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ الى قوله احسن عملا ثم قال احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله قال صاحب الكشاف يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وعن ابي قتادة قلت يا رسول الله ارأيت قول الله ايكم احسن عملا ما عني به قال يقول ايكم احسن عقلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا الفضيل بن عياض احسن عملا ايكم ازهد في الدنيا واترك لشهواتها كما سهل ايكم احسن توكلا على الله الفراء لم يوقع البلوى على اي لان فيما بين البلوى واي اضمارا وهو كما يقول في الكلام بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم وانظر ايهم فاي رفع على الابتداء واحسن خبره وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل طباقا طبقة على طبقة كجبل وجبال وقيل جمع طبقة كرحبة ورحاب سمع بعض الاعراب يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق قال الشيبة (?) ونصب طباقا لانه مفعول ثان ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قرأ حمزة والكسائي تفوت بغير الف وتشديد الواو والباقون من تفاوت بالف ومعنى البنائين واحد وهو من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه واصله من الفوت

يفوت

يفوت بعضه بعضا [illegible]

[illegible]

قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير •

[illegible]

وكان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما للشياطين الذين هم اعداؤكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير مع ما جعلناه لهم في الدنيا من الشهب وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين مخصوصين بذلك وبئس المصير قوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير • اذا القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله حصب جهنم سمعوا لها اي سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او لانفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل سمعوا للنار شهيقا صوتا كصوت الحمار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير تكاد تميز من الغيظ يتفرق بعضها من بعض على اهلها غضبا وانتقاما لله عز وجل وقيل جعلت كالمغتاظ عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يكاد يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير رسول في الدنيا توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فهذا من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمنذرين اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين لكنه رسالة ويجوز ان يكون قوله ان انتم الا في ضلال كبير من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا وقيل ارادوا بالضلال الهلاك ويجوز ان يكون من كلام الرسل للكفار فحكته الخزنة اي قال الرسل لنا انتم في ضلال او لكفارهم في النار لو كنا نسمع من النذر ما جاؤونا به او نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقل عقل متأملين ما كنا في اصحاب السعير انما جمع السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلتهما قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب الرأي كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء [illegible] لا محالة ومدة المبشرين من الصحابة بعشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجيء من الضلال مع كثرتهم لم يسمعوا اسم هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا فبعدا سعيد بن جبير هو واد في جهنم لاصحاب السعير اي اعترفوا [illegible] فلا ينفعهم قوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير • ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون الله ويتركون معصيته حيث لا يراهم احد من الناس وقيل بالغيب اي يخشونه في سرهم (?) لا كالذين قالوا بافواههم ما ليس في قلوبهم وقيل يخافون وهم لم يروه وقيل يخشون ربهم فيما غاب عنهم من امر الآخرة لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير عظيم في الآخرة واسروا قولكم او اجهروا به

انه عليم بذات الصدور عن ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا
فيه ونالوا منه فيقول بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فقال كما اقلنا المعاني ان شئت جعلت من في قوله من خلق
اسما للخالق فعلته لا يعلم الله الخالق ما في الصدور وهو اللطيف الخبير وان جعلته اسما للمخلوق فعلته لا يعلم الله مخلوقه
عن ابن المسيب قال بينما رجل واقف بالليل في شجر كبير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل فقال ايرى الله يعلم ما يسقط من
هذا الورق فنودى من خلفه الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وحكى ان رجلا دخل غيضة فقال لو خلوت ههنا بمعصية من
كان يراني فسمع صوتا ملأ ما بين لابتي الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا سهلا مسخرة لا تمتنع فامشوا في مناكبها المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية
لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وعن ابن عباس مناكبها جبالها الفيحا كاهلها وعن مجاهد طرقها وفجاجها الكلبي في اطرافها الفراء
فجوانبها مقاتل في نواحيها حيث اردتم فقد جعلها لكم ذلولا لا تمتنع واصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل
والريح النكباء ويكيب فلان وكلوا من رزقه واليه النشور اي نشوركم فيعرض الكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السما
ابن عباس عذاب من في السماء وقيل معنى الاية ءامنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته وقيل انما قال في السماء
لانهم كانوا يعترفون بانه اله السماء ويزعمون ان الاصنام الهة الارض وكانوا يدعون الله من جهة السماء ينتظرون نزول
امره بالرحمة والسطو منها قال المحققون معنى قوله من في السماء اي فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة
والتحيز ولكن بالقهر والتدبير وقيل معناه على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل ومعناه مالكها ومدبرها والقائم
عليها كما يقال فلان على العراق والحجاز وفلان على خراسان واصفهان يعنون انه واليها واميرها قال بعض المفسرين واعلم
ان الايات والاخبار الصحاح في هذا الباب كثيرة وكلها الى العلو مشيرة ولا يدفعها الا ملحد جاحد او جاهل معاند والمراد
بها والله اعلم توقيره وتعظيمه وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة دون ان يكون موصوفا بالاماكن
والجهات والحدود والحالات لانها صفات الاجسام وامارات الحدث والله سبحانه كان ولا مكان فخلق
الامكنة غير محتاج اليها وهو على ما لم يزل عليه الا ترى ان الناس يرفعون ايديهم الى السماء في حال الدعاء مع العلم بانه
قد ترى ملكه في الارض وغيرها المحيطة بالسماء الا ان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين
والمقربين من ملائكته واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور تتحرك باهلها
اضطرابا تمور بهم في قعرها كما خسف بقارون ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم
لوط واصحاب الفيل فستعلمون كيف نذير اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين
من قبلهم من قبل قومك فكيف كان نكير انكاري قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا
الرحمن انه بكل شيء بصير امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم
ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانهن لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات لان اصل الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في
السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصلي
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن ان يسقطن في حال
القبض والبسط الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص يتأتى منه
الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن هذا امن يشار اليه من الجموع وقيل امن هذا الذي
هو جند لكم ابن عباس منعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم وقيل امن هذا الذي هو جند لكم
جندكم الذي ينصركم ويحول بينكم وبين عذاب الرحمن فاستفهم بسببه وقيل معناه على شيء من اصنامكم يمنع
منكم من عذاب الله ان الكافرون الا في غرور اي هم مغترون بغرور الشيطان غير متمسكين بحجة وبرهان وقيل معناه
من ينصركم سوى الرحمن امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ويقال هذا الذي يرزقكم ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان
لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه وكأنهم امر لهم آلهة
تمنعهم من دوننا بل لجوا بل تمادوا في عتو عناد وشرود عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه وقيل في عتو تماد في الضلال
ونفور تباعد من الحق وقيل في استكبار من الحق وعن الداعي اليه ونفور منه افمن يمشي مكبا على وجهه يجعل اكب مطاوع كبه يقال
كبه فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا قال صاحب
الكشاف ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انغض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك
اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع في مكان يعتاد غير مستوفية الخماص وارتفاع يعثر
كل ساعة فيخر على وجهه مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور وقيل مستوي الجهة
الارض فخلاف المتعسف الذي يتخبط هكذا وهكذا على طريق مستو وقيل هو الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب

شاوجهم

[illegible]

سورة القلم

وتسمى سورة القلم وسورة النون مكية وعن ابن عباس ان فيها من المدني انا بلوناهم الى قوله لو كانوا يعلمون ومن قوله فاصبر
الى قوله من الصالحين مدني وهي الف ومائتان وست وخمسون حرفا واثنان وخمسون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت
بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين قرأ الكسائي ن والقلم بالادغام دون غنة وقرأ الكسائي ويعقوب عن نافع
وابو بكر عن عاصم بالاخفاء بين الاظهار والادغام والباقون بسكون النون على انه حرف منفصل حقه الوقف عليه
مجاهد ومقاتل وعمرة الهمداني وعطاء الخراساني والسدي والكلبي هو الحوت الذي يحمل الارض وهي رواية ابي ظبيان
عن ابن عباس رضي الله عنهما اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع بخار الماء فخلق منه السموات ثم خلق النون فبسط
الارض على ظهر النون فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض
ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون الكلبي ومقاتل اسمه بهموت وقال ابو اليقظان والواقدي ليوثا وقال كعب

رضي الله عنه يلهوت وجنبه يلهوت وهو في بعض برجه ثمالي ادكم سكوتا والله ربي خالق البلهوت وقيل هي
آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ونون حروف الرحمن تبارك مقطعة وعن الحسن وقتادة
والضحاك النون الدواة وهي رواية ثابت اليماني عن ابن عباس قال هذا قسم [illegible] لغة النون
بالدمع النجوم قال صاحب الكشاف والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فلا ادري اهو وضع لغوي
او شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع
في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة او مجهولة
كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تجره وتصرفه او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد
نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة كذلك ابن زيد
فالحق السكون عطفا افتتاح اسمه نون وناصر ونصير محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرته المؤمنين بيانه قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين جعفر الصادق هو نهر في الجنة والقلم وهو الذي يكتب به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء
والارض واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف
قال اول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر فقال يا رب بما اجري قال بما هو كائن الى يوم
القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك قال عطاء سالت ابا الوليد بن عبادة بن الصامت كيف كانت وصية ابيك حين حضره
الموت فقال دعاني فقال يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب القدر
فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن الى الابد وقيل اراد بالقلم الخط والكتابة لانها من نعم الله على عباده
بتعليمه اياهم ذلك كما قال علم بالقلم وما يسطرون يكتبون وقيل ما تسطره الحفظة وما مصدرية او موصولة ويجوز ان
يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر
او الحفظة ما انت بنعمة ربك الباء في بنعمة متعلق بمجنون منفيا كما هو متعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا
في ذلك النفي والاثبات استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا بعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال
كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما
يقتضيه التاهيل للنبوة بمن له وقيل يعني انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك
وقيل هما كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك
اي والحمد لك وان لك على احتمال الذل من المشركين واساغة الغصة فيهم والصبر عليه لاجرا غير ممنون غير مقطوع
او لا ممنوع كقوله عطاء غير مجذوذ وقيل غير ممنون عليك بذلك وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله
الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم ابن عباس ومجاهد دين عظيم الحسن كان خلقه ادب القرآن وسئلت
عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن قتادة هو ما كان يأتمر من
امر الله عز وجل وينتهي عما نهى الله قال الله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين الجنيد سمى خلقه عظيما لانه لم يكن
همه شيء سوى الله او لسخائه لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لانه عاشرهم بخلقه وباينهم بقلبه فكان ظاهره
مع الخلق وباطنه مع الحق وبالصدق مع الصديق وقيل لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو الآية وقيل عظم
خلقه حيث صغرت الاكوان في عينيه بعد مشاهدة مكونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه يدل
عليه قوله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال ادبني ربي فاحسن تاديبي وعن عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الليل صائم النهار وعن ابي
الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيء اثقل في الميزان من خلق حسن وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليكم
بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فان سيء الخلق في النار لا محالة وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وابغضكم الى الله
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان فستبصر فسترى يا محمد ويبصرون يعني الذين رموك بالجنون بايكم المفتون
قيل بايكم المجنون وهو مصدر على وزن مفعول كما يقال ما لفلان مجلود ومعقول ومعقود اي جلاد وعقل وعقد
بايكم الجنون فستبصر ويبصرون باي الفريقين المجنون ا بفريقك يا محمد ام بفريقهم والمفتون الذي فتنه الشيطان
وقيل المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون وقيل لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم
والباء مزيدة معناه ايكم المفتون وقيل بايكم المفتون وهو الشيطان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله بالمجانين على
الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهم العقلاء سيميز بعضهم من بعض والاخرة وقيل يكون وعيدا
ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين قوله تعالى فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين
هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين
سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف
من ربك وهم نائمون ● فلا تطع المكذبين فيما هو دليه من دينهم الخبيث الباطل وفي الكفر والتشدد عليهم
وعيب الهتهم وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم [illegible] قريش حين دعوه الى دين آبائه وكانوا قد راودوه على

ان يعبدوا الله

ان يعبدوا الا الله فهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم وقد ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون [illegible]

[illegible]

لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل ولا زنيم قيل فما الجواظ قال كل جماع مناع قيل وما الجعظري قال الفظ الغليظ قيل
فما العتل الزنيم قال كل رحيب الجوف رحيب الخلق اكول شروب غشوم ظلوم وعن زيد بن اسلم في قوله عز وجل زنيم قال تبكي
السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي
السماء من الشيخ الزاني ما يكاد الارض تقله مجاهد في الزنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة و
العلماء على ان الزنيم الدعي الشريان كان قرا ابن عامر ويعقوب أان بالمد وحمزة وابو بكر عن عاصم ان بهمزتين الباقون
بالخبر فمن قراها بالاستفهام فتقديره الان كان ذا مال كذب والحق لان كان ذا مال وبنين وقيل الان كان ذا المال وبنين اذا تتلى
عليه آياتنا قال اساطير الاولين ومن قرا بالخبر فمعناه ولا تطع لان كان فيكون متعلقا بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه
مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا
بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه
الجملة من معنى التكذيب [illegible] المخاطب [illegible] لا تطع كل حلاف [illegible] يسار ولانه
اذا اطاع الكافر لغناه فكانما اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب في النهي قوله لعله يتذكر
او يخشى سنسمه على الخرطوم ابن عباس سنخطمه بالسيف فجعل ذلك علامة باقية على انفه ما عاش فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف
في القتال قتادة سنلحق به شينا لا يفارقه [illegible] العرب للرجل يسب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريد
الصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى اثرها ابو العالية ومجاهد سنسمه على انفه ونسود وجهه فيجعل له علما في الآخرة
يعرف بسواد وجهه الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه محمد بن جرير سنبين امره بيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم
كما لا يخفى السمة على الخراطيم وذكر الوجه لكنه الوجه اكرم موضع من الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك
جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل
جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها
على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها
وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة النضر بن شميل معناه سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر [illegible] انا بلوناهم
اختبرناهم وامتحنا اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين
يطاوه اهل الطريق كان غرسه قوم من اهل الصلاة وكانت لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يكون للمساكين اذا حصد

ذروعهم وكل شيء تعداه المنجل ولم يجزه فاذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شيء يسقط دون البساط فهو
للمساكين فلما مات الاب وورثه بنوه قالوا ان المال
لقليل وان العيال لكثير وانما كان يفعل ابونا ذلك اذ كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل هذا فتحالفوا بينهم يوما
ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا فغدا القوم بسدفة من الليل الى جنتهم
من غضب الله بها فاحرقتها فاصبحت كالصريم اذ اقسموا حلفوا ليصرمنها ليجذنها وليقطعن ثمرها
مصبحين اذا اصبحوا اي داخلين في الصبح قبل انتشار المساكين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سمي استثناء وهو شرط
لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف
بلاء وعذاب وهلاك من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالليل الاسود اي احترقت فاسودت قال الشاعر
تطاول ليلك بالجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم وقيل كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل النهار
اي يبست وذهبت خضرتها وقيل لم يبق فيها شيء كالحرة السوداء ابن زيد كالارض المصرومة الاخفش الصبح
انصرم من الليل كالرملة انصرمت من معظم الرمل اصل الصريم المصروم وكل شيء قطع من شيء فهو صريم والصبح والليل
صريم لان كل منهما ينصرم عن صاحبه ابن عباس كالرماد الاسود بلغة خزيمة فتنادوا فنادى بعضهم بعضا مصبحين
ان اغدوا على حرثكم وانما قال على ولم يقل الى لانه كان غدوا اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم
العدو وقيل ضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين ان كنتم صارمين
قاطعين لها قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها
قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب
ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ● فانطلقوا مضوا اليها وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض
ان لا يدخلنها ان مفسرة بإضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين والنهي عن الدخول للمساكين نهي
لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوا مسكينا من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين ابن عباس
على قدرة قادرين في انفسهم ابو العالية والحسن على جد وجهد النخعي والقرظي ومجاهد وعكرمة على امر مجمع قد اسسوه
بينهم الحسن على فاقة وقيل على قوة السدي الحرد اسم الجنة سفيان على حنق وغضب ابو عبيدة والقتيبي على منع
والحرد والمحاردة المنع تقول العرب حاردت السنة اذا منعت خيرها ولم يكن فيها مطر وحاردت الناقة اذا منعت درها
والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون
على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا الحرمان للمساكين فتعجلوا
الحرمان والمسكنة وقيل وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها
اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع وقيل لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت
جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه
من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين فلما راوا الجنة محترقة ما تركوها قالوا انا لضالون اي ضللنا
طريق جنتنا انا لمخطئون للطريق وليست هذه بجنتنا لما راوا من هلاكها وقيل لضالون بمنعنا حق المساكين وترك الاستثناء
قال اوسطهم اعدلهم واعقلهم وافضلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه اعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى
امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون هلا تستثنون قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله ويقولون سبحان الله
وتشكرونه على ما اعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا
على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول
النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قالوا سبحان ربنا نزهوه عن ان يكون ظالما واقروا على انفسهم
بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل
المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد
من التفويض والتنزيه تعظيم وقيل هي الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر وكانت
لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم
من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين في
منعنا حق الفقراء وترك الاستثناء ابن كيسان طغينا نعم ربنا فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا عسى ربنا ان يبدلنا
قرأ ابو عمرو ونافع ان يبدلنا بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما لغتان وفرق قوم بينهما فقال التبديل التغيير
او تغيير حاله وعين الشيء قائمة والابدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون
لعفوه عن عبد الله بن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وقيل
كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا ولعذاب الآخرة اكبر اشد واعظم منه لو كانوا يعلمون
لما اقاموا على ما يؤديهم الى العذاب قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم

كيف

كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون
سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ● ان للمتقين من الشرك في الآخرة جنات
النعيم ليس فيها الا التنعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا نعيمها مقيم لا يبيد ولا يفنى بخلاف جنات
الدنيا فانها فانية هالكة افنجعل المسلمين كالمجرمين كان صناديد قريش يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين
منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا
مثلها في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقال الله افنجعل المسلمين كالمجرمين استفهام
انكار اي لا نجعل فان المسلمين يدخلهم الجنة والمجرمين اي الكافرين ندخلهم النار ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم
كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج تحكمكم بالتسوية بين المطيع والعاصي كان اي عقل يقضي بذلك كان امر الجزاء مفوض
اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون ان لكم لما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية المدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه
تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم ايمان عهود ومواثيق علينا بالغة مما اخذنا لكم عليه وضمناكم بما تستوثقون بها منا
فلا ينقطع عهدكم الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في الظرف اي ايمان ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج من عهدتها الا
يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون وقيل يجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها
يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا لكم بايمان
متناهية في التوكيد ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان المعنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ان لكم لما تحكمون سلهم
ايهم بذلك الحكم اي بما يقولون ان لكم لما تختارون وتحكمون زعيم كفيل قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم
عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء اي ام لهم ناس شركاء في هذا القول ذاهبون مذهبهم
في هذا الحكم وقيل شركاء يكونون لهم بتصديق ما يدعون فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
في دعواهم يعني انه احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق لهم به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم
لهم يقوم به قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة
وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
يوم يكشف عن ساق من امر شديد فظيع وهو اقبال الآخرة وذهاب الدنيا يقول العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم
يحتاج فيه الى جد وجهد ومعاناة ومقاساة للشدة شمر عن ساقه فاستعير الساق موضع الشدة وقيل الامر
اذا اشتد وتفاقم وظهر كشف عن ساقه وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق هكذا يقال اسفر وجه الامر واستقام
صلب الرأي قال الشاعر يصف حربا كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح ● قال صاحب الكشاف الكشف
عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن
في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال
ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر
ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه
فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون
فيخرون سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه ويشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله
وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي
ساق الرحمن وانما جاءت منكرة في التمثيل للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج من المألوف كقوله يوم يدع الداع
الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل وعن سعيد بن جبير يوم يكشف عن شدة الامر وعن ابن عباس هي اشد
ساعة في يوم القيمة ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما افرط حتى مثل
وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان فمن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم
منافعه ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا ولا يدعون اليه تعبدا وتكليفا مع
اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون
اي الاصحاء فلا يأتونه وقيل وهم سالمون الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به وعن ابن مسعود تعقم
اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة
واحدة ابراهيم التيمي وقد كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على
الفلاح فلا يجيبون كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث بهذا القرآن يريد كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا بان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني
عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام
منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به بالقرآن ثم توعدهم فقال سنستدرجهم سنأخذهم
بالعذاب من حيث لا يعلمون استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة
ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي

عند ربهم

واقسمنا لكم

المتكفل

ظهورهم

مقدار

تكليفا

لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب
لهلاكهم وقيل نعذبهم يوم بدر وقيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة ... فيستيقظوا بل امهلناهم ليتمادوا
في النعمة حتى ... وكانوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة الحسن كم مستدرج بالاحسان
اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه قوله تعالى واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من
مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ● واملي لهم وامهلهم كقوله انما
نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والبقاء والمد في العمر احسان من الله عز وجل وانعام لهم يوجب عليهم الشكر والطاعة
لكنهم يجعلونه سببا للكفر فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج ان كيدي متين سمى احسانه وتمكينه كيدا
كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب
الى الهلاك ام تسألهم اجرا فهم من مغرم من غرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامة
في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب عطف على قوله ام لكم كتاب ام لكم ايمان الغيب اللوح المحفوظ فهم
يكتبون ذلك فيعلمون انك لست بنبي فيما ... ام عندهم الغيب الذي هو من باب اعجاز القرآن فهم يكتبون كلاما
بمثله يأتون ... بمثل ما في القرآن من الاخبار رغما كائنة عما يكون فاصبر لحكم ربك على تبليغ الوحي وتحمل الاذى ولا تكن
كصاحب الحوت في التضجر والغضب والعجلة وهو يونس عليه السلام اذ نادى دعا ربه وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم
السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ... وقيل مكظوم
ثقيل مكروب وقيل محبوس عن التصرف وهو من كظم غيظه اي حبسه لولا ان تداركه نعمة حسن تذكير الفعل للفصل
الضمير في تداركه نعمة منه وقيل هي دعاؤه وتسبيحه وقيل قوله لا اله الا انت سبحانك وقيل رحمة من ربه بقبول توبته
لنبذ لطرح بالعراء بالفضاء حيث لا شجر ولا ماء وقيل العراء وجه الارض وقيل العراء ارض المحشر ...
نعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني
ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء فلولا توبته لكانت حاله على الذم وقيل مذموم مذنب مبعد من كرامة
وقيل مليم لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم ... حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل
به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف فاجتباه ربه فاختاره لرسالته وقيل جمعه اليه
وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين من الانبياء وقيل جعله بالصلاح
بان عاد اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ● وان مخففة من الثقيلة واللام لين ليزلقونك عليها
وقرأ نافع ليزلقونك بفتح الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه وازلقه ازلاقا بمعنى واحد يعني
ينفذونك بابصارهم لما سمعوا الذكر يقال زهق السهم اذا نفذ قتادة يزهقونك الكلبي يصرعونك وعنه
يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة عطية يرمونك المؤرج يزيلونك النضر بن شميل والاخفش يفتنونك عبد العزيز بن
يحيى ينظرون اليك نظرا شزرا بتحديق شديد يعرفونك ويظهرون العداوة السدي يصيبونك بعيونهم ابن زيد ليمسونك
جعفر ليأكلونك الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قال الشاعر ترميك مزلقة
العيون بطرفها *** وتكل عنك نصال نبل الرامي وقال آخر يتقارضون اذا التقوا في موطن *** نظرا يزيل مواطئ
الاقدام ● الحسن دواء اصابة العين ان يقرأ الانسان هذه الآية وقيل ان الكفار ارادوا ان يعينوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش فقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد
حتى كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا
بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر الكلبي كان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول
لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها طائفة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعين فيفعل به مثل ذلك فاجابهم وانشد قد كان قومك يحسبونك سيدا *** واخال انك سيد معيون
فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر اي القرآن
لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون تحيرا في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه
اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله ●

سورة الحاقة

مكية

... وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة والف ... وثمانون حرفا قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ● الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة
كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال

وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن
واعية ● الحاقة القيمة سميت حاقة لانها الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او لان فيها
حواق الامور وحقائقها من الحساب والثواب والعقاب او لانها التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق
اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها او لانها تحق الجزاء على الاعمال التي يجب فيها يقال حق عليه الشيء اذا وجب عليه
يحق حقوقا قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين والحاقة ترفع بالابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة
ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك واي شيء اعلمك ما الحاقة
يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت
حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة
التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس و
الانكدار ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها وقيل بالقارعة اي بالعذاب الذي
نزل بهم حين وعدهم نبيهم حتى هجم عليهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فلما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل
بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم وهي مصدر
كالعافية وقيل هي نعت اي بفعلتهم الطاغية دليله كذبت ثمود بطغواها وقيل بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة
قتادة بالصيحة الطاغية التي جاوزت مقادير الصياح فاهلكتهم وقيل الرجفة ابن عباس بالصاعقة واما عاد فاهلكوا بريح
صرصر شديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف
والعتو استعارة وقيل عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يضبطوها بمقدار وقيل عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار
ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن عن
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله تعالى سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد
ويوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح عاتية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية سخرها ارسلها وسلطها
عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار سبع ليال وثمانية ايام وهي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد
ورياح شديدة وانما نسبت هذه الايام الى العجوز لان عجوزة دخلت في سرب فتوارت فيه فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن
من نزول العذاب وانقطع العذاب من اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتاء ولها اسامي مشهورة الصن
والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن حسوما ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعة
ليس فيها فترة وعلى هذا القول هو من حسم الكي وهو ان تتابع عليه بالمكواة قتادة والكلبي دائما الضحاك كاملة لم تفتر
عنهم حتى افنتهم عطية شؤما كأنها حسمت الخير عن اهلها الخليل قطعا لدابرهم والحسم القطع والمنع ومنه الحسام
... النضر بن شميل حسمتهم فقطعتهم واهلكتهم وهو نصب على الحال قال صاحب الكشاف الحسوم لا يخلو اما ان يكون
جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة
او متتابعة هبوب الريح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى
حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا او يكون صفة
كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستئصال فترى القوم فيها صرعى هلكى جمع صريع كانهم اعجاز نخل
جذوع وقيل اصول نخل وهي ما يبقى في المكان بعد قطع الجذع خاوية ساقطة وقيل خالية الاجواف من خوى بطنه اذا
وخوى المنزل اذا خلا من اهله شبههم بالاعجاز لان الريح قطعتهم وقلعت رؤوسهم وقيل كان طولهم اثنا عشر ذراعا وقيل
خاوية الاجواف من الحياة وقيل خاوية الحشا لان الريح اخرجتها من بطونهم وهذان القولان ضعيفان لانه وصف الخاوية
بالجر صفة النخل ويقال للخلو من الحياة او من الاحشاء شبههم بنخل خاوية فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس
باقية وقيل مصدر كالعافية اي فهل ترى لهم من بقاء وجاء فرعون ومن قبله قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء اي
ومن عنده من اتباعه واجناده والباقون بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون الخالية والمؤتفكات قرى
قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بالخاطئة بالخطأ او الخطيئة او الافعال ذات الخطأ العظيم والذنب الكبير فعصوا رسول
ربهم فقيل فعصى قوم لوط لوطا وقيل رسل ربهم وقيل كل امة رسولهم وقيل رسالة ربهم فاخذهم اخذة رابية نامية
عالية ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم انا لما طغى الماء اي ارتفع وخرج بلا وزن ولا كيل وجاوز الحد المعتاد
زائدة على عذاب الامم انا لما طغى الماء يعني خرج بلا وزن ولا كيل وتجاوز الحد المعتاد قتادة طغى الماء فوق كل شيء خمسة
عشر ذراعا حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة
عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها اي لنجعل نجاة المؤمنين واغراق الكفرة وقيل لنجعل السفينة
الجارية فانها بقيت الى اعصارهم وقيل لنجعل سفينة يتخذ على مثالها وقيل لنجعل هذه الحالة لكم تذكرة عظة
وعبرة وتعيها وتحفظها اذن واعية من شأنها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل و
كلما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه حين نزلت هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت

شيئاً بعد وما كان لي ان انساه واما قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ
الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها
لا يبالي بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ● فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى لان عندها فساد العالم
وحملت الارض والجبال وما فيها فدكتا فكسرتا ودقتا دكة واحدة فصارتا هباء منبثا وانما قال فدكتا ولم يقل فدككن
لانه جعل الارض كالشيء الواحد فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيمة ووقعت جواب اذا فيومئذ بدل من اذا كي يطابق
الكلام وانشقت السماء فهي يومئذ واهية قال صاحب الكشاف وحملت رفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق
من الملائكة او بقدرته اسم من غير سبب فدكتا الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق
وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك
السنام اذا انفرش وبعير اندك وناقة دكاء فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيمة فهي يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا بعدما كانت محكمة مستمسكة والملك اسم الجنس يعني الملائكة قيل يريد
والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في فوقهم على المعنى قيل الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك
الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها جوانبها الواحد رجي مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة
فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها قيل ارجاء السماء وقيل ارجاء الارض وقيل ارجاء الدنيا وقيل على قطعها
التي ليست بمنشقة ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الخلق يومئذ ثمانية منهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية ابن عباس ثمانية صفوف
لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقيل ثمانية املاك بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على
صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين
عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف
ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون تحاسبون والعرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض
السلطان العسكر ليعرف احواله وفي الحديث يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان [illegible]
واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تتطاير الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله قال صاحب
الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت اي النفختين هي قلت الاولى لان
عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض
انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف و
الحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته لا تخفى منكم خافية
سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا
كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه
انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله
الا الخاطئون ● فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول الخبر من اعطي كتابه بيمينه هاؤم صوت يصوت
به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك هاؤم تعالوا اقرؤا كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند
البصريين لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه
قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه
وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس
بالوصل والاسقاط اني ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام
ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت ملاق حسابيه اي معاين حسابي فيكون استعد له عن زيد بن ثابت قال النبي
صلى الله عليه وسلم اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له فاين ابو بكر
فقال هيهات هيهات زفته الملائكة الى الجنة وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة
كل الناس يحاسبون يوم القيمة الا ابا بكر رضي الله عنه فهو في عيشة راضية مرضية كقوله من ماء دافق وقيل بمعنى
الى الرضى كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة وقيل جعل الفعل لها مجازا وهو
لصاحبها رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار وقيل مرتفعة المكان في السماء قطوفها ثمارها
دانية قريبة ينالها القائم والقاعد والنائم المضطجع كلوا واشربوا يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا لا اذى ولا مكدر

فصارتا رضام

في جنة عالية

ولا تنغيص

ولا تنغيص فيهما ولا تكدر لهما اي كلا وشربا هنيئا لكل المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام
الخالية الماضية من ايام الدنيا ومجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم من الاكل والشرب لوجه الله وعن
الله عز وجل يقول يوم القيمة يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ابن السائب تلوى يده اليسرى خلف
ظهره ثم يعطى كتابه وقيل ينزع يده من صدره الى خلف ظهره فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يقول ذلك
لما يحيه من الفضائح وقيل لم اوت كتابي هذا وقيل يا ليتني لم ابعث ولم احاسب ولم ادر ما حسابيه ولم ادر ما جرى
علي وقيد هو كتاب البراءة من الله وقيل نزلت في ابي جهل وقيل في الاسود بن عبد الاسد فيكون هو سبب النزول والحكم
جميع الكفار يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها والقاضية موتة لا حياة بعدها
وقيل يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عنده
وقيل معناه يا ليتني مت فاسترحت قتادة تمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء اكره من الموت ما اغنى عني ماليه نفي او استفهام
على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا
ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم يقول الله لخزنة جهنم خذوه فغلوه اجمعوا يديه الى
عنقه ثم الجحيم صلوه ادخلوه فيها وقيل اوقدوا النار وشووه بها وقيل احملوه يصلى وقيل ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي
العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها طولها سبعون ذراعا ان
[illegible]

في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل بيانا
لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين ولو تقول علينا تخرص وافتعل واختلق علينا بعض الاقاويل التقول افتعال
القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك
كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم
معاجلة بالسخطة والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص
اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه
بالسيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين
والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقيل من صلة معناه لعاقبناه والباء بمعنى الحق كقوله
انكم كنتم تاتوننا عن اليمين من قبل الحق ابن عباس لاخذنا بالقوة والقدرة وقيل معناه لاخذناه وسلبنا القوة
من يديه وهو في معنى لاذللناه فما منكم من احد عنه حاجزين اي فما احد منكم يحجز عنه ويمنعه ... يعني
اخذناه بيده قتادة الوتين حبل القلب مجاهد الحبل الذي في الظهر وقيل هو حبل بين العلباء والحلقوم فما منكم
من احد عنه حاجزين ما نافية يحجز ويناع عن عقوبته وما يفعله به انما جمع وهو فعل واحد رد الى معناه والضمير في عنه
للقتل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدرون ان يحجزوا عنه القاتل ويحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وانه
لتذكرة للمتقين خصهم بالذكر لانتفاعهم به وانا لنعلم ان منكم مكذبين والخطاب للناس والمعنى ان منكم مكذبين ومنكم
مؤمنين صادقين فاكتفى بذكر احدهما وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه اي القرآن
لحسرة على الكافرين والمكذبين اذا راوا ثواب المصدقين وقد خالفوهم وقيل وان التكذيب لحسرة على الكافرين وانه
وانا القرآن لحق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح
الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله العظيم الذي كل شيء في جنب عظمته صغير

سورة المعارج

وهي الف واحد وستون حرفا ومائتان وستة عشر كلمة واربع واربعون اية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم • سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له
دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم
يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو
يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه • قرا اهل المدينة
والشام سال بغير همز فاما ان يكون من السؤال وهو لغة قريش يقولون سال يسال او من السيلان قال في الكشاف هو
من السؤال بمعنى الدعاء ولذا عدي بالباء تعدية دعا بها كقولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون
فيها بكل فاكهة امنين ... على قراءة غيرهم سال من السيلان ... انه النضر بن الحارث حين قال ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فقتل يوم بدر صبرا ... وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعجل بعذاب الكافرين ... للكافرين ... فلذلك لم يرد ... ومعنى الاية سال سائل عن عذاب
واقع ... وعن قتادة سال سائل من عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت ... سال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم
فان قلت بم
يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم
وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين من الله متصل بواقع اي واقع من عنده وقيل متصل بدافع يعني
ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع
فقال تعرج الملائكة والروح اليه اي الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة مما يعد
الناس والروح جبريل افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس ابن عباس ذي المعارج
ذي السموات لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي المعارج العلو الذي بين كل سماء وقيل ... قتادة ذي الفواضل والنعم سعيد بن جبير ذي الدرجات
الفرائض ذي الفضائل العالية مجاهد معارج الملائكة وقيل هو ارواح المؤمنين عند الموت وقيل هم قوم يشبهون الانس
وليسوا بهم الى المحل الذي هو محل الكرامة والزلفى وقيل الى حيث لا يكون لغير الله فيه حكم ولا امر ولا نهي وقيل في يوم كان مقداره

خمسين الف سنة من سني الدنيا لو صعد غير الملائكة وذلك انها تصعد من منتهى امر الله من اسفل الارض الى منتهى امره
من فوق السموات مقدار خمسين الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة يعني بذلك نزول الامر من السماء الى الارض
في يوم واحد فذلك مقداره الف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام محمد بن اسحق لو سار بنو ادم
من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة قبل ان يقطعوه الحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا الى اخرها خمسين الف
سنة لا يدري احدكم مضى وكم بقي الا الله وقيل هو يوم القيمة فليس يعني ان مقداره طوله هذا دون غيره ولو
كان كذلك لكانت له غاية يعني فيها الجنة والنار ولكنه يقول موقفهم للحساب يعني يفصل بين الناس خمسين الف سنة
من سني الدنيا وذلك لان يوم القيمة اوله وليس له اخر لانه يوم ممدود ولو كان له اخر لكان منقطعا وقيل معناه لو ولي محاسبة
العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منها في خمسين الف سنة الكلبي لو ولي حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس
وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منها في ساعة من نهار وقيل ان في يوم القيمة خمسين
موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتاخير كانه قال ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
قال اذانا اهل الموقف يستطيلون ذلك اليوم وعن ابي سعيد الخدري قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ابرهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المؤمنين
الا كما بين الظهر والعصر فاصبر على تكذيبهم اياك صبرا جميلا لا جزع فيه وهذا قبل ان امر بالقتال فنسخ وقيل
منسوخ فان الصبر الجميل الانتظار من غير استعجال وقوله فاصبر متعلق بقوله سال سائل لان استعجال النضر بن الحارث
بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما هو سال على طريق التعنت وكان من كفار
مكة ومن قرا سال سائل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم اي الكفار يرونه اي العذاب
الواقع ومن علق في يوم بواقع يقول يرون يوم القيمة بعيدا يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا
غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه لان كل ما هو ات قريب وقيل يظنونه بعيدا
ونعلمه قريبا يوم تكون منصوب بقريب اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم وقيل منصوب بيقع مضمرا لدلالة واقع عليه
وقيل يوم تكون السماء كالمهل كالزيت وكدره وقيل هو ما يذاب من نحاس ونحوه وقيل كعكر الزيت وقيل
كالفضة المذابة ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض
وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المصبوغ اذا طيرته الريح ولا يقال له عهن الا
المنفوش الحسن كالصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير
هباء منثورا ولا يسال حميم حميما قريب قريبا لشغله بنفسه يبصرونهم يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم
وليس في القيمة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يساله
ويبصر الرجل حميمه فلا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك
يبصرونهم تعرفونهم اما المؤمن فببياض وجهه واما الكافر فبسواد وجهه يبصر وهم كلام مستانف كانه لما قال لا
يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم وانما جمع الضميرين في يبصرونهم
وهما للحميمين لان المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين
اياهم يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ ... ونافع والكسائي يومئذ بفتح الميم على البناء للاضافة الى غير
متمكن والباقون بالجر ببنيه وصاحبته زوجته واخيه وفصيلته عشيرته الادنين الذين فصل عنهم ابو عبيدة فخذه
التي تؤويه تضمه انتماء اليها وقيل يأوي اليها عند الخوف او يلوذ بها في النوائب مجاهد
قبيلته ومن في الارض جميعا ثم ينجيه ذلك الافتداء من عذاب الله والمعنى يود لو يفتدي بجميعها ولا المذكورين ثم
ينجيه ذلك الافتداء من عذاب الله وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كانوا هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فدية
نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه قوله تعالى كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى
ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين
في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب
ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في
جنات مكرمون • كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من عذاب الله
شيء ثم ابتدا فقال انها لظى اي النار لدلالة ذكر العذاب عليها وقيل يجوز ان يكون ضميرا للقصة وقيل
يجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر وقيل معناه حقا انها لظى فيكون متصلا ولظى اسم من اسماء جهنم وقيل علم
للنار منقول من اللظى اللهب ويجوز ان يراد اللهب نزاعة قرا حفص عن عاصم بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية
نزاعة او على الاختصاص للتهويل والباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او خبر لظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة
لها ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة تنزع وتقلع وتبسط الشوى الاطراف ...

الاقاويل م
اي وان القرآن لتذكرة للمتقين م
اضاف الى نفسه لاختلاف اللفظين اي وان القرآن لليقين حق اليقين م
مكية
دعى م
كان الملائكة م
ومن الارض الى السماء م
الحسن هو يوم القيمة م
الاستهزاء م
القريب م
والذين هم بشهاداتهم قائمون
نجيه م
بمعنى اللهب وقيل م

الرأس يأكل الدماغ كله ثم يعود الدماغ كما كان ثم يعود لأكله فذلك دأبها عطية الجلود والهام سعيد بن جبير للعصب والعقب مجاهد لجلود الرأس جمع شواة وهي جلدة الرأس قال كثير لأصبحت بعد تلك الحوادث ...

...

...

سورة نوح

وهي تسعمائة وتسعون حرفا ومائتان وأربع وعشرون كلمة وثمان وعشرون آية قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم • انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم • قال يا قوم اني لكم نذير مبين • ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون •

...

الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يوخر كما يوخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير وقيل معناه ان الله قدر لهم اجلا بشرط ان آمنوا وعلم انهم لا يؤمنون او ان استمروا اخرتم الى يوم القيمة لا يؤاخذكم بذنب في الدنيا وقيل في الاية دليل على اثبات اجلين لان الوعد بالاجل المسمى مشروطا بالعبادة والتقوى فلو لم يفعلوا اهلكوا بعذاب الاستيصال قبل الاجل الاقصى والله اعلم اذا جاء اجل الله اذا جاء بطول العذاب او الموت لا يوخر وقيل اجل الله القيمة لو كنتم تعلمون لعلمتم ذلك قوله تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا ■ قال نوح يشكوا الى الله تعالى ما قاسى من قومه رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا الاوقات كلها وقيل دعوتهم احيانا بالليل واحيانا بالنهار ويروى انه كان ياتي باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول لصاحب الدار من على الباب فيقال انا نوح قل لا اله الا الله وقيل المراد بالليل والنهار [illegible] فلم يزدهم دعائي الا فرارا نفارا وادبارا وقيل لم يزدادوا الا تماديا في الغي والاعراض وجعل الدعاء فاعل زيادة الفرار لكن انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم اي دعوتهم الى الايمان ليؤمنوا فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا اذانهم كراهة استماع مجادلة من يدعوا اياهم الى الله واستغشوا ثيابهم غطوا بها وجوههم كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل غطوا رؤسهم وتنكروا عنه حتى لا يعرفهم الحسن بنصب ثيابهم وقاموا عنه واصروا على الكفر من اصر الحمار على العانة اذا اصر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا وتعظموا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وقيل كلا وترفعوا عن الاذعان للحق فقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وذكر المصدر اي استكبارا تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم انى دعوتهم جهارا ظاهرا يرى بعضهم بعضا ثم انى اعلنت لهم الدعوة واسررت لهم اسرارا قال صاحب الكشاف فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصا بقعد لانها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او مجاهرا فقلت استغفروا ربكم امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدنيا والاخرة كما قال واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا اي المطر عليكم مدرارا دارا كثير الدر ويمددكم باموال وبنين يزدكم اموالا واولادا ذكورا ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا اي يجعل لكم بساتين ويجعل لكم مياها جارية وفي الشرح ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فوعدهم الله ان آمنوا ان يرد عليهم وعن الحسن انه رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله واتاه آخر فشكى اليه الفقر فقال استغفروا الله فقلنا له اتاك رجال يشكون اليك ابوابا ويسئلون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت من راي نفسي في ذلك شيئا انما اعتبرت فيه قول الله عز وجل اخبارا عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا دائم المغفرة يرسل السماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه عليكم مدرارا اي الدر ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل وامراة معطار ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار ابن عباس ومجاهد ما لكم لا ترجون لله عظمة العوفي لا تعلمون لله عظمة قتادة لا ترجون لله عاقبة ابن زيد لا ترون لله طاعة الكلبي لا تخافون لله [illegible] مالكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا الحسن لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة ابن جبير ايضا لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون عقابا والرجاء من الاضداد يكون املا وخوفا وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر

قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ■ نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم العلوي ثم السفلي وما سوى فيهما من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا بعضها على بعض كل سماء طبق لارضها الا الى الاولى والثانية للثانية ثم على التوالي وطباقا جمع طبق وهي صفة لسبع وقيل نصب على المصدر اي طابقها طباقا وقيل حال وجعل القمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة الشمس في القمر نورا والشمس ضياء اي في ضياء النور والله انبتكم من الارض نباتا قيل معناه خلق آدم من تراب وانتم اولاده وقيل جعل نشاكم ونماكم بالغذاء الذي من الارض ونباتا مصدر انبت بحذف الزوائد وقيل تقديره فنبتم نباتا واستعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم منها احياء يوم القيمة ثم اكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا بينة وقيل واسعة منفسحة وقيل طرقا مختلفة وقيل واسعة وقيل بعيدة وقيل السبل الطرق والفجاج ما انشعب منها قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا ■ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به من التوبة والايمان واتبعوا من لم يزده ماله وولده اي تبعت السفلة رؤساءهم المتقدمين اصحاب الاموال والاولاد الذين اموالهم واولادهم لم تزدهم الا خسارا في الاخرة لانهم لم يقوموا بشكر ما انعم الله عليهم [illegible] بعبادة الاصنام وجعل اموالهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا وتثبيتا وابطالا لما سواه قرا نافع وابن عامر وعاصم ابن كثير بفتح الواو واللام والباقون بضم الواو وتسكين اللام وهما لغتان ومكروا مكرا كبارا معطوف على لم يزدهم وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا كبيرا وكبارا بالتخفيف وكبارا بالتشديد وقيل كلها بمعنى واحد وقيل الكبار بالتشديد اكبر من الكبار بالتخفيف والكبار اكبر من الكبير ونحوه طويل وطوال وطوال قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ■ وقالوا اي رؤساؤهم للسفلة ولا تذرن ودا كان هذه المسميات كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قوله لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام من قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث عن محمد بن كعب كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال هل لكم ان اصور لكم في قبلتكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا نكره ان نجعل في قبلتنا شيئا نصلي اليه قال فاجعلوه في مؤخر المسجد قالوا نعم فصوره لهم من صفر ونحاس ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم فصورهم وتنقصت الاشياء كما تنقص اليوم وقاموا على ذلك ما شاء الله ان يقوموا ثم تركوا عبادة الله فاتاهم الشيطان فقال لهم ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا ومن نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم الا ترون انها مصورة في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا وقيل كانوا قوما صالحين من قوم نوح وكان لهم تباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس وقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وقال ابن عباس كان نوح يحرس جسد آدم على جبل الهند يحول بين الكافرين وبين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان انهم لا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فلما كان ايام الغرق دفن الطوفان تلك الاوثان وطمها بالتراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فاتخذت قضاعة ودا فعبدوه بدومة الجندل ثم توارثه بنوه الاكابر فالاكابر حتى صار الى كلب فجاء الاسلام وهو عندهم واخذ طي وانعم من طي يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية ارادوا ان ينزعوه من اعلى وانعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث بن كعب واما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الاكابر حتى صار الى همدان واما نسر فكان لخثعم يعبدونه واما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه [illegible] والمسيب صارت اوثان قوم نوح للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وكان سواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجرف وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير واما اللات فلثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر واما مناة فكانت بقديد واما اساف ونائلة وهبل فلاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت نائلة حيال الركن اليماني وكانت هبل في جوف الكعبة ثماني عشر ذراعا الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة

امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير وقد اضلوا كثيرا اى الرؤساء المضلين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليس بأقل من اضلوهم وقيل وقد اضلوا اى الاصنام اى ضل بعبادتها وبسببها كثير من
الناس ونظيره رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد
قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا اى قال هذين القولين
وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودى للصلوة وصلى فى المسجد يحكى قوليه معطوفا احدهما
على صاحبه الا ضلالا الا هلاكا وقيل عذابا وقيل هو الاعراض عن الهوى دعا عليهم حين قال الله له لن يؤمن من قومك الا
من قد آمن مما خطاياهم اى من خطاياهم وما صلة تقديره مما خطاياهم لبيان انه لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار
الا من اجل خطيئاتهم فاكد هذا المعنى بزيادة ما قال صاحب الكشاف وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة
من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن فى استيجاب العذاب
لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما تستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وفيها اى
خطيئة اعتزالية اغرقوا فادخلوا نارا دخول الفاء دليل على اثبات عذاب القبر ومن مات فى الماء واكلته السباع
والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وقيل جعل دخول النار فى الآخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن
لا محالة فكانه قد كان ونحو النصحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب تنكير النار اما لتعظيمها لان الله قدرها
على حسب خطيئاتهم نوعا من النار اما لتعظيمها لان الله قدرها على حسب خطيئاتهم نوعا من النار علمها يجدوا لهم من دون الله
انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم فتهكم بهم كانه قال لم يجدوا لهم آلهة ينصرونهم
ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا من الكافرين ديارا احدا يدور فى الارض فيعد من الاسماء
المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار واصله ديوار فعل
به ما يفعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس كان الرجل ياتى بابنه الى نوح
فيقول احذر هذا فانه كذاب فان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى من سيكفر
ويفجر قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحامهم واعقم
ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا
فحينئذ دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاءه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب قال ابو العالية والحسن لو اهلك
الله اطفالهم معهم لكان عذابا من الله لهم ولم يكن فيهم صبى وقت العذاب ولكن اهلك الله اطفالهم
معهم لكان عذابا من الله لهم ولكن الله تعالى اهلك ذريتهم واطفالهم بغير عذاب ثم اهلكهم بالعذاب والدليل عليه قوله تعالى وقوم
نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وقد علمنا ان الاطفال لم يكذبوا الرسل وانما نزل العذاب على المكذبين قوله تعالى رب
اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا رب اغفر لى ولوالدى
اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا ولمن دخل بيتى مؤمنا اى منزلى
ومسجدى وقيل سفينتى خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد
الظالمين الكافرين المشركين الا تبارا الا هلاكا ودمارا قال ابن عباس كما استجاب الله دعاءه فى الكافرين ولم
يدع منهم احدا كذلك يستجيب فى المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة قيل قال فى الآية الاولى ضلالا
وفى الثانية تبارا لان فى الآية الاولى اهلكهم كثيرا فجازهم بالاضلال اضلالا لا تزدهم تدميرا

سورة الجن

وهى ثمان مائة وسبعون حرفا ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمان وعشرون آية قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم ● قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ● قل يا محمد اى اخبر قومك ما ليس لهم به علم ثم بين فقال
اوحى الى اخبرت بالوحى من الله انه الامر والشان انه لفتح مع اسمه وخبره فى محل الرفع لانه قائم مقام فاعل اوحى
استمع القرآن فحذف لان ما بعده يدل عليه والاستماع طلب السماع بالاصغاء اليه نفر من الجن جماعة منهم
وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا من بنى الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فقالوا لما رجعوا
الى قومهم انا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكى بعد القول ثم العطف ثم يحمل بعدها البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان
من قول الجن كسر وكلهن من قول الجن الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر
الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز عجبا مصدر وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن
حد اشكاله ونظائره يهدى الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل يدعو الى التوحيد والايمان فآمنا به اى بالقرآن ولن نشرك
بربنا احدا قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا

ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ● وانه واخواته قرأ اهل الشام والكوفة الا ابا بكر بالفتح عطفا على
محل الجار والمجرور فى آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا
وكذلك البواقى والباقون بالكسر الا ما اتى من ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بانهم فتحوا وانه لما قام فقط تعالى جد ربنا الغنى
عظمة ربنا ومنه قيل الحظ جد ورجل مجدود قال ابن عباس قدرة ربنا مجاهد وعكرمة جلال ربنا قتادة عظمة ربنا الضحاك
فعل ربنا القرظى آلاء ربنا ونعمه على خلقه الاخفش ملك ربنا ابن كيسان ظهر ربنا على كل كافر بالحجة والجد الحظ والعظمة
قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فى عيوننا اى عظم ابن عباس لو علمت الجن ان فى الانس جدا ما قالت تعالى جد ربنا
والمعنى وصفه تعالى بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا
ولدا لذلك بيان لها وهو مستعار من الجد الذى هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون وعن جعفر الصادق وابنه
محمد الباقر والربيع ابن انس ليس لله جد انما قالت الجن بالجهالة فلم يؤاخذوا بها ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وذلك انهم لما سمعوا
القرآن وعقلوا التوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله سبحانه بخلقه واتخاذه صاحبة
وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا مجاهد وقتادة هو ابليس اى السفيه الذى هو سفيه
سفيه على الله شططا عدوانا وقولا عظيما وكذبا وجورا وزورا والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه
فى السوم اذا ابعد فيه اى يقول قولا هو فى نفسه شطط لفرطه ما اشطه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا
ظننا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اى كنا نظنهم صادقين فى قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا
القرآن فتبين بالقرآن كذبهم وافترائهم كذبا اى مكذوبا فيه وقيل نصب كذبا نصب المصدر لان الكذب نوع من القول
قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ● وذلك ان الرجل من العرب اذا امسى
فى الارض القفر اعوذ بسيد هذا من شر سفهاء قومه فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح مقاتل كان اول من يعوذ من الجن قوم من
اهل اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب والجمهور على ان فى الجن رجالا ونساء كما فى الانس رجالا ونساء وقيل
رجال من الانس يعوذون برجال الآدميين ايضا وقوله من الجن متعلق بيعوذون كما يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وكان اهل مكة يقولون نعوذ بحذيفة ابن بدر من جن هذا الوادى ابن بحر هو انقطاعهم الى الشيطان وحبهم بالطاعة لهم
والقبول لهم فزادوهم او قربوا الانس الجن رهقا عظمة فى انفسهم لما سمعوا بانهم يستكبرون وقالوا سدنا الجن والانس
فذلك رهقهم وقيل فزادوا الجن الانس رهقا اثما لانهم اضلوهم الاستعاذة بهم ابن عباس قتادة خطيئة سعيد جرأة
مجاهد طغيانا الربيع فرقا ابن زيد خوفا الحسن شرا ابن كيسان خسارا والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم
وانهم ان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحى والضمير فى انهم ظنوا
للجن والخطاب فى ظننتم لكفار قريش ان لن يبعث الله احدا بعد موته قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى اشر اريد
بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ● وانا لمسنا السماء اى طلبنا خبر السماء واللمس والمس بمعنى الصاق اليد بالشئ
فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف وقيل المس طلب ادراك الملموس بحاسة اللمس وهى اليد فى الغالب وقد يخل الاهم
والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها وهذا كلام الجن بعضهم لبعض لما اتينا السماء لنستمع الى ما يكون فيها فوجدنا
اهل السماء وقيل ابوابها وقيل طرقها ملئت حرسا حفظة وهو اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام وكذلك وصف بشديد
ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخاف ان تقتلا او ركبا فادنا لا ان الرجل والركب مفرد ان فى معنى الرجالة والركاب وقيل
مصدر اى حرسها الملائكة حرسا شديدا وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة المتوقدة من النار وانا كنا نقعد منها من السماء مقاعد
للسمع اى للاستماع من الملائكة ما يقولون فيما بينهم من الحوادث قبل اليوم فمن يستمع الآن اى الآن فى السماء يجد له شهابا
رصدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب رصد هم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع
ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد يعنى يجد شهابا راصدا له ولاجله وقيل حفظة يمنع من الاستماع وهو بدل
من قوله شهابا وقيل رصدا يرصدونه ليرجموه به وقيل الجمع رصدا لم يمنعه ورجوم عن الاستماع قال صاحب الكشاف فان قلت
كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قلت قال
بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى
شعر الجاهلية قال بشر ابن ابى خازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ولكن الشياطين
كانت تسترق فى بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس
والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله انا كنا نقعد قال
غلظ وشدد امرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن الزهرى عن على ابن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم وفى قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد للسمع اى كنا نجد فيها
بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها فانا لا ندرى فهذا ذكر ما حملهم على الضرب فى البلاد
واستماعهم قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا
يخلو من ان يكون شرا او رشدا اى خيرا من عذاب او رحمة وقيل انا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض او هدى وهذا حين اشتدت

حراسة السماء امر اراد بهم ربهم رشدا خيرا وقيل رشدا ان يرسل الله رسولا يرشدهم وقيل لا ندري اراد الله ان
يبعث هذا الرسول ليرشدهم ام الذين يكذبونه فيهلكهم قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بخسا ولا رهقا ● وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار المتقون ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم وقيل هم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين وقيل ومنا دون ذلك اي الكافرون
وقيل الصالحون اصحاب الخير ودون ذلك اصحاب الشر كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي اهواء مختلفة وقددا
متفرقة وفرقا شتى منا المؤمن ومنا الكافر سعيد بن جبير الوانا شتى الحسن قددا مختلفين الاخفش ضروبا ابو عبيدة اصنافا
المؤرج اجناسا النضر بن شميل مللا ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس الحسن نحو قوله عز وجل منكم فمنهم
قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة وواحد القدد قدة وهي الفرقة واصلها من القد وهو القطع وقيل كنا في اختلاف احوالنا مثل
الطرائق المختلفة وقيل كنا في طرائق مختلفة وقيل كنا سالكي طرائق قددا او لو حذف المضاف الذي هو الطرائق واقام
الضمير المضاف اليه مقامه ووصفنا الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وانا ظننا تيقنا الظن بمعنى
اليقين ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض ان اراد بنا
امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وحقائقهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم
يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلوب ولا ينجي منه هرب وانا لما سمعنا الهدى يعني سماعهم القرآن آمنا به بالقرآن
فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولاجل ذلك كم في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل
لا يخف بخسا نقصا ولا رهقا ظلما اي نقصا من الحسنات وزيادة في السيئات وقيل لا رهقا لعذاب صاحب الكشاف
فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال
لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو
المختص بذلك دون غيره وقيل بخسا ولا رهقا اجر البخس والرهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف
جزاءهما وفيه دليل على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم
ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزي الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقيل ولا ان يؤخذ بذنب
غيره فلا انما يعاقب بغير جرم وقيل رهقا مكروها يغشاه وقيل ذهابا بكله نظيره فلا يخاف ظلما ولا هضما قوله تعالى
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون العادلون عن طريق الحق يقال اقسط الرجل فهو مقسط اذا عدل قال الله
واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقسط يقسط قسوطا اذا جار فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا وطلبوا
وتوخوا ومنه تحري القبلة اذا عميت عليه رشدا صوابا من القول والفعل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ابن
سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل قال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه
بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
قال صاحب الكشاف وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك
تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد قوله تعالى وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام
الانس والجن على الطريقة المثلى اي على طريق الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا قال عمر رضي
الله عنه في هذه الاية اينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا عليهم
فالرزق يبسطها لهم في الدنيا لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن ابي رباح
والضحاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطية ومقاتل والحسن قال الحسن والله كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها ووثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه
وقيل معناه وان لو استقاموا اهل الكفر على طريقة الكفر والضلالة وكانوا كفارا لاسقيناهم لاعطيناهم ووسعنا
عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع وزيد بن اسلم والكلبي ويمان بن رئاب
وابن كيسان وقيل لو كفروا لاسقيناهم ماء غدقا كما فعل لاهلاك بالماء كما كان لقوم نوح لنفتنهم فيه لنعذبهم بالغرق
بذلك ابن عباس لو استقام اهل مكة على طريقة الاسلام وآمنوا لاسقيناهم ماء غدقا اي هديناهم الى الصراط المستقيم فهو
مثل وقيل ان الشان والحديث الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله عز وجل والطاعة
ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق اي الكثير لانه اصل
المعاش وسعة الرزق لنفتنهم لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه وقيل معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على
طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم
فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض
عن ذكر ربه يسلكه قرأ اهل الكوفة ويعقوب بالياء والباقون بفتح النون وضم اللام اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب

كقوله

كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار او باتصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه
معنى ندخله يقال سلكه واسلكه صعدا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد
المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح يريد
ما شق علي وما غلبني وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة
بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته الحسن يعني الارض كلها لانها
جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد لتستقبله الساجدون ومنه
قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد سعيد بن جبير وطلق بن
حبيب اراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها العبد وهي سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه ابن عطا
مساجدك اعضاؤك التي امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه
لا تذللها لغير خالقها ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب
فان جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم وان جعلتها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم الحسن
وان المساجد يعني الصلوات لله فلا تدعوا مع الله احدا اي افردوا الله بالتوحيد واخلصوا له العبادة وقيل معناه
لذكر الله وعبادته فلا تجعلوها متجرا ولا مجلسا ولا طريقا ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا قوله تعالى وانه لما قام
عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد
من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى
اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ● وانه قرأ نافع وابو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها
لما قام عبد الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان
تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء بما يقتضيه
التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا
ومعنى قام يدعوه قام يعبده يدعو لا اله الا الله ويدعو اليه ويقرأ القرآن في الصلاة ببطن نخلة وقيل يراد
قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكبين
تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا
ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسول الله يعبد الله وحده مخالفا المشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون
لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ابن عباس وسعيد بن جبير هذا من قول النفر من الجن
لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود
واقتدائهم به في الصلوات واصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة
الاسد وتلبد الشعر اذا تراكم ومنه سمي اللبد لتراكمه الحسن وقتادة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا
الحق الذي جاء به ويطفؤا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره وينصره ويظهره على من ناواه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ عاصم وحمزة قل على الامر والباقون قال رسول الله للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد
ربي وحده ولا اشرك به احدا وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون
من عبادتي الله تعالى ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يعبد غير الله ويجعل له شريكا وقيل قال الجن
لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اني لا املك لكم ضرا في دينكم ودنياكم ولا رشدا ولا
نفعا وقيل ضرا غيا ولا رشدا ولا هداية وقيل ضرا عذابا ولا نفعا وقيل موتا ولا حياة والمعنى لا استطيع ان اضركم
ولا انفعكم لاني عبد مثلكم بل الضار والنافع هو الله القادر على كل شيء قل اني لن يجيرني من الله احد
من عذاب الله ما ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا مذهبا ومدخلا في الارض وقيل وليا ومولى الحسن
يوم القيمة والملتحد الموضع او الشيء يميل اليه الانسان من الحد اي الحاد وهو الميل الا بلاغا استثناء منه او لا
املك الا بلاغا من الله ورسالاته لا اتعدى ذلك لكن املكه بعون الله وتوفيقه واما الكفر والايمان فلا املكهما او قل
اني لن يجيرني من الله احد جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله
ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه وقيل الا بلاغا
من الله ورسالاته استثناء من قوله الامر في الجواب يعني النجاة وقيل لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا [illegible] ولكن ابلغ
بلاغا من الله انما انا مرسل ومبلغ لا املك الا ما ملكت وقيل الا بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ
عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا ابلاغا ما تعوذ ورسالاته عطف على
بلاغا كانه قال لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه
وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله
بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله فيما يدعو اليه من التوحيد فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى يتعلق
بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا

[illegible]

عطف على قوله فلا يظهر على غيبه أحدًا بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها
حرفًا [illegible] وأحصى كل شيء عددًا من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط
بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددًا حال أي ضبط كل شيء معدودًا ومحصورًا أو مصدر في معنى إحصاء

سورة المزمل

وعن ابن عباس سوى آيتين منها قوله واصبر على ما يقولون والتي بعدها وقال ابن يسار ومقاتل فيها آية مدنية وهي
قوله إن ربك يعلم أنك تقوم [illegible] وقيل تسع عشرة آية وقيل عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلًا
نصفه أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا • المزمل المتلفف بثوبه وأصله المتزمل فأدغم التاء
في الزاي [illegible]

[illegible]

الضجيع وقيل إن ناشئة العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع هي أشد وطئاً وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بكسر الواو
ممدوداً على المواطأة وهي أن يواطئ قلبه وسمعه وبصره ولسانه وقرأ الباقون بفتح الواو ومقصوراً أي أثقل على القلب ابن عباس
كانت صلاتهم أول الليل وهي أشد وطئاً يقول هو أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك أن الإنسان
إذا نام لم يدر متى يستيقظ قتادة أثبت في الخير وأحفظ للقراءة الفراء أثبت قياماً القرطبي هي أشد على المصلي من صلاة النهار
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ابن زيد أفرغ له قلباً من النهار لأنه لا يعرض له حوائج
الحسن أشد وطأة في الخير وأمنع من الشيطان وأقوم قيلاً وأصوب قراءة وعبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة
يليها أشد عطاء هي خاصة دون زيادة أنها أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إذا ردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم
لسانه إذا رددت القيام بالعبادة أي النشأة أيا وأشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة
بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وأقوم قيلاً أصح قولاً وأسد استقامة وصواباً لفراغ القلب وقيل
أقوم قيلاً أعجل إجابة للدعاء وأشد مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات إن لك في النهار تصرفاً وتقلباً في مهماتك وحوائجك
وتشاغلك فلا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر
الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل عون على المواطأة وأشد للقراءة لهدء الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم
لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغاً وسعة لنومك وتصرفك
في حوائجك وقيل إن فاتك شيء من الليل فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكر ربك في ليلك ونهارك واحرص
عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم
وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره سهل بن عبد الله اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك وتقطعك عن كل ما سواه وتبتل إليه تبتيلاً وانقطع إليه وإنما قيل تبتيلاً
مكان تبتلاً لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل ابن عباس وأكثر الناس أخلص إليه إخلاصاً الحسن
اجتهد اجتهاداً ابن زيد تفرغ لعبادته زيد بن أسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله رب المشرق وقرأ أهل
الحجاز وأبو عمرو وحفص رب بالرفع على الابتداء أو على المدح على إضمار هو والباقون بالجر على البدل من ربك وعن ابن عباس
على القسم بإضمار حرفه كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد فاتخذه
وكيلاً فيما يأمرك فوضها إليه وهو مسبب عن التهليلة لأن هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلاً
كفيلاً بما وعدك من النصر والإظهار قوله تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أولي النعمة
ومهلهم قليلاً • واصبر على ما يقولون فيه من الولد والصاحبة والشريك وفيك من الساحر والكاهن والمجنون واهجرهم
وجانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافاة عن أبي الدرداء إنا لنكشر في وجوه
قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم تمكيناً
نزلت في صناديد قريش المستهزئين يعني إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهتر بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن
ينتقم منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه
بأن تكل أمره إليّ وتستكفينيه فإن فيّ ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثمة مانع حتى يطلب إليه أن يدعه وإياه إلا ترك الاستكفاء
والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل الوثوق بأنه يتمكن من
الوفاء بأقصى ما تدعو إليه أمنية المخاطب وبما يزيد عليه والمعنى دعني وإياهم ولا تهتم بشأنهم فإني أكفيكهم أولي النعمة
النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الثروة والإنعام وبالضم المسرة وهؤلاء وعيد المطعمين يوم بدر وهم عشرة سبق ذكرهم في
الأنفال وقيل هم بنو المغيرة ووصفهم بالنعمة توبيخاً لهم على ترك الشكر وتنبيهاً أنهم إنما طغوا استغناء ومهلهم قليلاً إلى
بعد فكان بين نزول الآية وبينهم غزوة بدر زمان يسير وقيل إلى يوم القيامة قوله تعالى إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً
ذا غصة وعذاباً أليماً يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً • إن لدينا ما يضاد تنعمهم أنكالاً قيوداً ثقالاً
إهانة لهم لا خوفاً من فرارهم مقابل أنواع من العذاب والنكال القيود الثقال عن الشعبي إذا ارتفعوا استثقلتهم إلى أسفل
كل وجحيماً ناراً عظيمة شديدة الحر والإيقاد وطعاماً ذا غصة غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج وهو
الغسلين والزقوم والضريع وعذاباً أليماً يخلص وجعه إلى القلب فلا ترى موكولاً إليه أمرهم لكن بينه وبينهم روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة فصعق يوم منصوب بما في لدينا ترجف تتحرك
وتضطرب بالرجفة والزلزلة الشديدة الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً رملاً مجتمعاً مهيلاً سائلاً
إذا مسسته تتابع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومعناه الكثيب اللين قوله تعالى إنا أرسلنا إليكم
رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً • الخطاب لأهل مكة
إنا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولاً يعني محمداً صلى الله عليه وسلم شاهداً عليكم يوم القيامة بالتصديق والتكذيب والإيمان
والكفر كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً
والإيمان والكفر كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً يعني موسى فعصى فرعون الرسول إنما نكر ثم عرف لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون
بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه فأخذناه أخذاً وبيلاً ثقيلاً صعباً شديداً
غليظاً من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل المطر العظيم وتقول العرب لبد وبيل فيه

الشراب وخيم قوله تعالى فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً إن هذه تذكرة
فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً • فكيف تتقون فكيف تقون أنفسكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم بقيتم على الكفر أي لا سبيل لكم إلى التقوى
ولا ينفعكم التقوى إذا أدركتم القيامة فيكون يوماً ظرفاً وقيل معناه فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله وكيف تنجون
منه إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا فيكون يوماً مفعولاً به وقيل يجوز أن ينتصب يوماً بكفرتم على تأويل جحدتم أي كيف تتقون
الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه يوماً يجعل الولدان شيباً مثل في الشدة يقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وذلك من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم قم
فابعث بعث النار من ذريتك وقيل يجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر
منشقة واهية ووصف اليوم بالشدة وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق
والمعنى ذات انفطار وعلى تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر بها الباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم
فانفطر به يعني أن السماء تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به وقيل السماء مثقلة به إثقالاً يؤدي
إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السماوات والأرض كان وعده مفعولاً من إضافة المصدر إلى المفعول
أو الضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر له ذكر لكونه معلوماً إن هذه الآيات الناطقة
بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ اتخذ إلى ربه سبيلاً بالإيمان والطاعة والتقوى والخشية وقيل
اتخاذ السبيل إليه عبارة عن التقرب والتوسل بالطاعة قوله تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون
منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا
الله إن الله غفور رحيم • إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى أقل من ثلثي الليل استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة
بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك ونصفه وثلثه نصبهما أهل مكة والكوفة على أن تقوم أقل
من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص
منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين وخفضهما الباقون عطفاً على ثلثي الليل أي تقوم أقل من
ثلثي الليل وأقل من نصفه وثلثه وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من ثلثي الليل والثلث وهو أدنى من النصف
والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير وطائفة عطف على المستكن في تقوم أي ويقوم طائفة من الذين معك
جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يقدر على تقدير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً
عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى أنكم لا تقدرون عليه علم أن لن تحصوه أي علم أن لن تطيقوا
قيام الليل وقيل الضمير الذي هو مفعول تحصوه للمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها
بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم تجاوز عنكم ورجع
إلى التخفيف عليكم وقيل فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن
باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب فاقرءوا ما تيسر من القرآن الكلبي مائة آية
الحسن من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن كعب من قرأ مائة آية في ليلة كتب من القانتين سعيد خمسين آية الحسن
ما تيسر من القرآن يعني في صلاة المغرب والعشاء وقيل عبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام
والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعاً بالصلوات
الخمس علم أن سيكون منكم مرضى فيه تبيين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في
الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى بين درجة الضاربين في الأرض للتجارة المكتسبين
المال الحلال للنفقة على نفسه وعلى العيال وبين درجة المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل الله وعن عبد الله
بن مسعود أيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة
الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وعن
ابن عمر يقول ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب
في الأرض أبتغي من فضل الله فاقرءوا ما تيسر منه من القرآن قيل في صلاة المغرب والعشاء عن جعفر الصادق في هذه
الآية ما تيسر لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر وأقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة وقيل زكاة
الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة وإنما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنياً وأقرضوا الله قرضاً
حسناً قيل يريد سائر الصدقات المستحبة وسماه قرضاً تأكيداً للجزاء وقيل يجوز أن يريد أداء الزكاة على أحسن
وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف إلى المستحق وما تقدموا
لأنفسكم من خير مما يتعلق بالنفس والمال تجدوه عند الله هو خيراً هو فصل وجاز وإن لم يقع
بين معرفتين لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وأعظم أجراً لأن الله يعطي المؤمن أجره بغير حساب
وقيل خيراً من الشح والمنع واستغفروا الله من تقصيركم في ذنوبكم إن الله غفور لمن تاب رحيم لمن استغفر

سورة المدثر

وقال مقاتل فيها آية مدنية وهي قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة وهي الف وعشرة احرف ومائتان وخمس وخمسون كلمة وست وخمسون آية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ● سئل ابو سلمة بن عبد الرحمن اي القرآن انزل قبل قال يا ايها المدثر فقيل او اقرأ قال سألت جابر بن عبد الله اي القرآن انزل قبل قال الذي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انى جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار شيئا ثم نظرت الى السماء فاذا هو على العرش في الهواء فاخذتني وحشة فامرتهم فدثروني فانزل الله يا ايها المدثر حتى بلغ وثيابك فطهر وعن جابر ان اول شيء نزل من القرآن يا ايها المدثر وقال جابر ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول لما دنت بحراء فلما قضيت جواري اقبلت في بطن الوادي فنودي مناد فنظرت عن يميني وشمالي وخلفي فلم ار شيئا ثم نادى فنظرت فوقي فاذا هو جالس على عرش بين السماء والارض فجئثت منه فرقا فاقبلت الى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فانزل الله يا ايها المدثر وعن الزهري سمعت ابا سلمة ابن عبد الرحمن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتر علي الوحي فترة فبينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه فرقا حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي فقلت زملوني فانزل الله يا ايها المدثر قال الزهري اول ما نزل اقرأ وفي صحيح البخاري حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فرجع الى خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي الحديث وهو بتمامه انه لما نزل عليه اقرأ رجع فتدثر فنزل يا ايها المدثر ويدل عليه ما اخرج في الصحيحين من حديث جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي الحديث المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه قم من مضجعك وقيل قم قيام عزم وتصميم وقيل كانه قيل يا ايها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وقيل معناه لا تنم عما امرتك به ولا تستعمل الهوينا فيه بل قم وارفض الراحة وبلغ الرسالة فانذر الكفرة فانه يخذ... من عذاب الله ان لم يؤمنوا والمعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر يروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة ويقبح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول لعدم الامن معه اصابة النجاسة ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على غدرة قال غيلان بن سلمة الثقفي: واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع العرب تقول للرجل اذا وفى وصدق انه طاهر الثياب واذا غدر ونكث انه لدنس الثياب وعن ابي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا ظلم البسها وانت بر طاهر قاله ابراهيم وقتادة والضحاك والشعبي والزهري يمان وثيابك فطهر من الذنب والاثم والمعصية وقيل المراد طهر نفسك مما تذم به يكنى عن الجسم بالثياب لاشتمالها عليه قال الشاعر: ثياب بني عوف طهارى نقية ● واوجههم بيض المسافر غران ● اي انفس بني عوف ويقال للرجل اذا كان صالحا انه لطاهر الثوب واذا كان فاجرا انه لخبيث الثياب الحسن والقرظي وخلقك فحسن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر ابن سيرين وابن زيد نق ثيابك واغسلها بالماء وطهرها من النجاسة وذلك ان المشركين كانوا لا يتطهرون فامره بتطهير ثيابه وقيل واهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا يحيى بن معاذ طهر قلبك من مرض الخطايا لتجد حلاوة العبادة فان من لم يشف الجسم لا يجد شهوة الطعام وقيل طهر قلبك عما سوى الله والرجز فاهجر او العذاب فاهجر ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والثبات على هجره لانه كان بريئا منه ابن عباس ترك المآثم مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد الاوثان فاهجر ولا تقربها الضحاك الشرك فاهجر ابن كيسان الشيطان ...

وقيل

وقيل اهجر ما اوجب لك العذاب من الاعمال وقيل اسقط حب الدنيا من قلبك فانه راس كل خطيئة وقيل نفسك فانها ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته اكثر المفسرين لا تعط شيئا لتعطى اكثر منه قتادة لا تعط مالك طمعا لمجازاة الدنيا ومعاوضتها القرظي لا تعط مالك مصانعة الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره الربيع لا تكثرن عملك في عينك فانه مما انعم الله عليك واعطاك ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل الله لك سبيلا الى عبادته فعليك بذل الشكر اذ هداك لها مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اذا كان ضعيفا ابن زيد لا تمنن بالنبوة على الناس فتاخذ عليها منهم اجرا او عوضا من الدنيا ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر على الطاعة ... يحتمل الوجهين ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه زيد بن اسلم اذا اعطيت عطيتك فاصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب ثم العجم فاصبر عليه لله وقيل فاصبر على مواقف القضاء لاجل الله وقيل فارق الملامة والسآمة وقيل فاصبر على البلوى فانه يمتحن احباءه واصفياءه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا ● فاذا نقر الفاء للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك نقر في الناقور نفخ في الصور وهي في قول الله عز وجل فاذا نقر في الناقور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ فقال اصحاب رسول الله كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا فذلك الفاء للجزاء وانتصاب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع اذا في يوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور وفاعول من النقر ... من شانه ان ينقر واصله القرع الذي هو سبب الصوت كنقر الطائر الشيء بمنقاره وقيل هي النفخة الاولى وقيل الثانية يحيي الناس عندها وقيل الناقور القلب ... يومئذ اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا ويوم عسير خبره وقيل اشارة الى النقر ويومئذ مرفوع ... ويوم عسير خبر كانه قيل فنقر يوم عسير يشتد فيه الكلفة على الكافرين وقيل يجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير غير يسير تاكيد وهو على التعليل لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن انه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني ومن خلقت في بطن امه فريدا وحيدا لا مال له ولا ولد يكون وحيدا حال من المخلوق كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة بن عباد وكان يسمى الوحيد في قومه وقيل يجوز ان يكون وحيدا حالا من الخالق اي ذرني ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد وقيل كان وليد بن المغيرة يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يومونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله تعالى ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزأ بدينه وجعلت له مالا ممدودا كثيرا مبسوطا وقيل ممدا بالنماء من نحو الزرع والضرع وقيل كان له الزرع والضرع والتجارة ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل الف دينار ابن عباس تسعة الاف مثقال فضة وعن ابن عمر في قوله عز وجل وجعلت له مالا ممدودا غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر وكذا مجاهد وقتادة كانوا عشرة مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال شهود حضور معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل ولا تجارة لانهم مكفون لوفور نعم ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم وقيل يجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل وقيل تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه قالوا ما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وبسطا الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة ابن عباس بنى المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوليد ريحانة قريش ثم يطمع يرجو ان ازيد مالا وولدا وتمهيدا في الدنيا استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه عما كان يطمع فيه فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل قسم اي حقا فيكون ابتداء انه كان لآياتنا عنيدا معاندا تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ...

علي اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض عن النخعي
على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله
صبرا م

وقوع م
والناقور م

سأكلفه صعودا مشقة من العذاب لا راحة معها وقيل ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب
الشاق الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم صعودا جبل فى النار من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع
يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل
كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر وما ادراك
ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول
الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم
جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر • انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل
بعد العز فى الدنيا لعناده ويعاقبه فى الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد الغاية القصوى فلا حاجة الى
الكتابة عليه واقتضاه فى تفكره وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا
ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا
من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله وهيأه وذلك
ان الله تعالى لما انزل على النبى صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام النبى
صلى الله عليه وسلم فى المسجد والوليد بن المغيرة قريبا منه يستمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم
لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا
كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه ليعلو ولا يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا
اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لى اراك حزينا يا ابن اخى فقال وما يمنعنى ان احزن وهذه قريش
يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال
من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون
لهم فضل ثم قام مع ابى جهل حتى اتى مجلس قومه فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال
تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه قط ينطق بشعر قالوا اللهم
لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة
من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر فى نفسه ثم عبس فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله تعالى انه فكر فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر فى
نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل لعن الزهرى وعذب كيف قدر على سبيل التعجب والانكار والتوبيخ ثم قتل كيف
قدر ثم نظر ثم عبس وبسر كلح قال صاحب الكشاف فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض
الذى كان تنحيه قريش وثناء عليه على طريقة الاستهزاء وهى حكاية لما كرروه من قولهم كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره
واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذى
هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا
لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمى بها وصف اشكاله التى تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر
ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما اعيته الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال لما قال ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما ومعنى ثم الداخلة على تكرير
الدعاء الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى ثم المتوسط بين الافعال التى بعدها
قلت الدلالة على انه قد تأنى فى التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا
بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت
فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد فقال ان هذا ما هذا الذى
يقرؤه محمد الا سحر يؤثر يروى ويحكى من مسيلمة ومن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ان هذا
ما هذا الذى يقرؤه الا قول البشر ساصليه سادخله سقر ثم بين لانه من اسماء جهنم عن النبى صلى الله عليه وسلم سأل موسى
ربه عز وجل فقال لا ... فقال صاحب سقر ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته
مجاهد لا يميت ولا يحيى يعنى انها لا تبقى حيا ولا تذر فيها ميتا ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم ولا تذر اى ولا اذا اهلكت
لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما الضحاك اذا اخذت فيهم لم تبق منهم شيئا واذا
اعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شىء ... الا جهنم لواحة للبشر مغيرة للجلود تقول العرب لاحته الشمس ولوحته قال
تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة عمى لاحنى الهواجر • وقيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالى الجلود
عن ابن عباس وزيد بن اسلم محرقة للجلد الحسن وابن كيسان يعنى تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله تعالى وبرزت الجحيم
للغاوين لواحة رفع على الاختصاص للتهويل اى هى لواحة عليها تسعة عشر اى يلى امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا
وقيل تسعة عشر صنفا من الملائكة ويحتمل ان يكون تسعة عشر نقيبا ويحتمل ان يكون تسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا

اكثر المفسرين ولا يستنكر هذا فانه اذا كان ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلق كان احرى ان يكون تسعة عشر على عذاب
بعض الخلق عن ابن جريج حديثه مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه نعت خزنة النار فقال كأن اعينهم البرق وكأن
افواههم الصياصى يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة على رقبته فيرمى بهم فى النار ويرمى
بالجبل عليهم عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر ابن عباس وقتادة
والضحاك لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابى كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة
عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن كلدة بن خلف الجمحى
انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة لا رجالا آدميين من جنسكم يطاق قوتهم لا يطاق الانس والجن فمن ذا يغلب الملائكة وما جعلنا عدتهم عددهم
الا فتنة بلية وضلالة للذين كفروا حتى قالوا فيهم ما قالوا وقيل محنة ليظهر ما يقول كل واحد منهم ويعتقد وقيل الا
الذين كفروا التكذيب منهم بذلك وقول بعضهم انا اكفيكموهم ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لانه مكتوب فى التوراة والانجيل
انهم تسعة عشر قال صاحب الكشاف فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة
ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة
نفسها هى التى جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة
عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله عز وجل وبحكمته ويعترض ويستهزئ
ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفى عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن بها لاجل
استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها
فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله ويزداد المؤمنون ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل او لما رأوا من
اهل الكتاب من تصديقهم انه كذلك ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب ولا يشك الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دلا على
انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفى الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر
ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر وليقول الذين فى
قلوبهم مرض شك ونفاق الحسين بن الفضل هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق البتة فالمرض فى هذه الآية
الخلاف لا النفاق قال صاحب الكشاف فان قلت كيف ذكر الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن
بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يجيئون فى مستقبل الزمان بعد الهجرة والكافرون
بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس فى ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف
كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب
فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب فيصح ان يكون غرضا فكيف يكون قول المنافقين
والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب فى العلة ان يكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت
من البلد مخافة الشر فقد جعلت المخافة علة للخروج وما هى بغرض ماذا اراد الله بهذا مثلا وما تمييز كقوله هذه ناقة الله
لكم آية وليس فى الآية مثل ولكنهم يستغربون هذا العدد فهو استغراب من المثل المضروب لانه نوع من الكلام الغريب
استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا اى انه ... اى شىء اراد الله بهذا العدد العجيب واى غرض قصد فى جعل
الملائكة تسعة عشر وقيل اللام لام كى وقيل لام العاقبة كذلك الكاف فى كذلك ومحل النصب والاشارة الى ما قبله
صفة الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الضلال والهدى يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك جموع خلقه
الا هو وقيل جموع ملائكة ربك وقيل لا يعلم جميع الخلائق كنههم وكيفيتهم وكميتهم الا الله وقيل وما يعلم جنود ربك
وما عليه كل جند من العدد من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما فى اختصاص كل جند بعدده من
الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة فى اعداد السموات والارضين وايام السنة والبروج
والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات فى الشريعة وقيل وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها
الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها قال تعالى هذا جواب
ابى جهل حين قال اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر قال صاحب الكشاف وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله
وهى الا ذكرى متصل بوصف سقر وهى ضميرها اى وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات التى ذكرت فيها
كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة
الشافعين • كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى لانهم لا يتذكرون وقيل ردع لمن زعم انه يكفى امر الخزنة تسعة عشر
وقيل ردع لمن زعم انه يجوز مجاهدتهم وقيل ردع للوليد فانه اول الكلام وقيل ردع لمن انكر ان يكون
احدى الكبر نذيرا والقمر والليل اذ ادبر قرأ نافع وحمزة وخلف ويعقوب وحفص اذ بغير الف ادبر
بالالف والباقون اذا بالالف ودبر بغير الف واختاره ابو عبيد لانها اشد موافقة للحرف الذى يليه وهو قوله والصبح

اذا اسفر ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل من قولهم كالعرب دبر فلان جاء خلفه كما دبر الليل دبر خلف النهار ابو عمرو دبر
لغة قريش والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم وقيل تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها وكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها اي ان سقر لاحدى الامور العظام
او لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال
وهي احدى النساء نذيرا اي انذارا للبشر تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء
عفافا وقيل نذيرا حال وهو متصل باول السورة يعني قم نذيرا قال صاحب الكشاف هو من بدع التفاسير لمن شاء منكم
ان يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر بالشر والمعصية ان يتقدم في محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه ومعناه
مطلق لمن شاء التقدم والتاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه
وهذا وعيد لهم كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين
الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة اي عند الحساب مرهونة
بعملها اما يخلصها او يوبقها قال صاحب الكشاف رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث
النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين
فانهم لا يحاسبون ولا يرتهنون بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم ويتجاوز عنها عنهم كما وعدهم عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في قوله الا اصحاب اليمين هم اطفال المسلمين لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن عائشة رضي الله عنها قالت
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المؤمنين اين هم قال في الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة
وعن ابي جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين مقاتل هم اهل الجنة الذين كانوا على يمين ادم يوم الميثاق حين قال لهم
الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي الحسن هم المسلمون المخلصون وعنه ايضا هم الذين كانوا ميامين على انفسهم ابن كيسان
هم المؤمنون او الصالحون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم يمان هم الذين افتكوا رهونهم الحكيم هم الذين
اختارهم الله لخدمته فلم يدخلهم في الرهن لانهم خدام موصفوته وكسبهم لم يضرهم القاسم كل نفس ماخوذة
بكسبها من خير او شر الا من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن
اعتمد على الفضل فانه غير ماخوذ عن ابي عمرو والمحاولي كل نفس بما كسبت رهينة فاين الفرار من القدر وكيف الفرار
من الخطوب في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين المشركين وقيل يتساءلون
غيرهم عن المجرمين كقولك دعوته وتداعيناه قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال
للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين
ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف
والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه قالوا لم نك من المصلين وقيل لم نعتقد وجوبها وفرضها ولم نك نطعم المسكين
لم نؤته ولم نأمر به وكنا نخوض مع الخائضين اي كنا نشرع في الباطل مع من لا ينبغي وقيل نكذب مع المكذبين وقيل ندخل
غاوا لا وعينا معهم وقيل هو قولهم محمد ساحر او شاعر او مجنون وكنا نكذب بيوم الدين قال صاحب الكشاف فان قلت
لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد
تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت اتريدون ان كل واحد
منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر
التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا
حتى اتانا اليقين الموت وقيل البعث قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود تشفع الملائكة
والنبيون والشهداء والعلماء وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين ولم نك
نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين الحسن كما يحدث ان الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته
الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيمة اي رب عبدك فلان سقاني شربة
من ماء في الدنيا فشفعني فيقول اذهب فاخرجه من النار فيذهب فيتجسس النار حتى يخرجه منها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليشفعن رجل من امتي لاكثر من بني تميم قال صاحب الكشاف اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة
والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع
يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل
يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء
الله هو اهل التقوى واهل المغفرة ● فما لهم عن التذكرة معرضين عن التذكير والعظة اي القرآن وسائر المواعظ معرضين
نصب على الحال كقولك ما لك قائما وقيل لما نزل معرضين كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرأ اهل الشام والمدينة بفتح الفاء
اي المدعوة المنفرة المحمولة على النفار والباقون بالكسر اي نافرة نفرت النفار كانها تطلب النفار من نفوسها اي

جهدها كد رجلها غلبة قيل نفرت واستنفرت بمعنى واحد فرت من قسورة من جماعة الرماة التي تتصيدها وقيل هي الاسد
يقال ليوث قساورة وهي فعولة من القسر اي القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس هي
عصب الرجال وعنه ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة هي ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر والمواعظ
وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل
اسفارا او شهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمار الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك
كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليها بقانص وقيل
هي جمع الرجال زيد بن اسلم رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب فهو قسورة وقسور بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي تكاتب بها او كما كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على
ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا يا محمد ان سرنا ان نتبعك فاتنا بكتاب خاصة الى فلان وفلان من رب
العالمين نؤمر فيه باتباعك ونظيره قوله تعالى لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس كان المشركون يقولون ان كان
محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار الكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني
اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى
هذه الاية فعلى هذا اريد بالصحف المنشرة الظاهرة المكشوفة فلا يغطيها كلا ردع عن تلك الارادة وزجر لهم عن اقتراح
الايات وقيل ليس كما يقولون ويريدون وقيل حقا ثم قال بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء
الصحف كلا ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه اي القران تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية وليس
بسحر فمن شاء ذكره ان يذكره ولا ينساه ويجعل نصب عينيه ذكره فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره
للتذكرة وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القران وما يذكرون قرأ نافع بالتاء من فوق والباقون بالياء الا ان يشاء الله الا مشيئة الله
تعالى لان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويخاف عقابه فيؤمنوا
ويطيعوا واهل المغفرة واهل ان يغفر لمن اتقاه وامن به وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه
قال ربكم عز وجل انا اهل ان اتقى فلا يشرك بي غيري وانا اهل لمن اتقى ان يشرك بي ان اغفر له والله اعلم

سورة القيمة

وهي ستمائة واثنان وخمسون حرفا ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعون آية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه ● لا اقسم لا النافية على
القسم مستفيض في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس ● لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
وقال غوية بن سلمى ● الا نادت امامة باحتمال ● ليحزنني فلا بك ما ابالي ● وفائدتها توكيد القسم وعن سعيد بن
جبير انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله ● في بئر لا حور سرى وما شعر ● قال صاحب الكشاف فاعترضوا
عليه بانها تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة
متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ
القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له
يدل عليه قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي
به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي
ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة قال الفراء لا رد لكلام المشركين المنكرين ثم ابتدأ القسم فقال اقسم
بيوم القيمة قال وكل يمين قبلها رد لكلام فلا بد من تقديم لا قبلها ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحدا واليمين
التي تستانف الا ترى انك تقول مبتديا والله ان الرسول لحق واذا قلت لا والله ان الرسول لحق فكانك كذبت
قوما انكروه قال صاحب الكشاف فان قلت فقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه
فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه هنا المحذوف
منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول
مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير ثم اشبع فظهر من الاشباع الف
ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم ويعضده انه في الامام بغير الف الحسن انه اقسم
بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة والجمهور على انه اقسم بهما جميعا وعن المغيرة بن شعبة يقولون القيمة
القيمة وانما قيامة احدهم موته وعن علقمة انه حضر جنازة فلما دفنت قال اما هذا فقد قامت
قيامته وتحقيقه هي القيمة الصغرى واما القيمة الكبرى فلا شك انها اتية ولا يعلم وقتها الا الله ولا اقسم بالنفس اللوامة

سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقال مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه
فتقول لو فعلت ولو لم افعل قال قتادة اللوامة الفاجرة وقال ابن عباس هي المذمومة وقال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم
نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان كانت عملت شرا قالت ليتني لم افعل وقال الحسن هي النفس المؤمنة ان المؤمن
والله ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلتي وان الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه وقيل هي التي تلوم نفسها على ترك الازدياد ان كانت
محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وقيل النفس
اللوامة النفس المتقية التي تلوم النفوس فيه يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى وقيل هي التي لا تزال تلوم نفسها
وان اجتهدت في الاحسان وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو
لتبعثن قيل نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عدي بن ابي ربيعة اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت
ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله تعالى ايحسب الانسان اي الكافر ان لن نجمع عظامه بعد
تفرقها وبلائها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما نسفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض فنحييه ونبعثه
بعد الموت يقال انه ذكر العظام واراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق ولن يستوي الخلق الا باستوائها
وقيل هو خارج على قول المنكر او يجمع الله العظام كقوله قال من يحيي العظام وهي رميم بلى اوجبت بعد النفي
الجمع اي بلى نجمعها قادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى
التركيب الاول على ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقيل على ان نسوي بنانه ونضم
سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام
وقيل بل نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه
شيئا واحدا كخف البعير او كظلف الخنزير او كحافر الحمار فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا ولكنا فرقنا اصابعه حتى
ياخذ بها ما شاء ويبسط اذا شاء فحسنا خلقه ليتبين للكافر ان الله لا يعجزه شيء وقالوا ان الله لا يقدر على جمع العظام
البالية فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان ومن يقدر على هذا
فهو على جمع كبار العظام اقدر وهذا كرجل قلت له اتراك تقدر ان تؤلف هذا الخيط في خيط فيقول نعم وبين الخردل

(قوله تعالى) بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر
يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر • بل
يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب
عن مستفهم عنه الى موجب يقول الله تعالى ما يجهل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه بعد الموت ولكنه يريد ليفجر
امامه يمضي قدما قدما في معاصي الله لا ينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وقال
سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله
الضحاك هو الامل يامل الانسان فيقول اعيش في الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس وابن زيد يكذب
بما امامه من البعث والحساب وقال ابن كيسان يريد ان يفجر ما امامه من الايام والاعمال واصل الفجور الميل
ومنه قيل للكاذب وللفاسق وللكافر فاجر لميله عن الحق وقيل يركب راسه في هواه
يهيم حيث تاخذه نفسه يسئل ايان يوم القيمة يسال سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة
ويحتج ويقولون متى هذا الوعد فبين الله تعالى له ذلك فقال فاذا برق البصر قرأ نافع برق بفتح الراء
من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ الباقون بالكسر اي تحير فلا يطرف من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش
بصره وخسف القمر اظلم وذهب ضوءه ابن كيسان ويحتمل ان يكون بمعنى غاب كقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وجمع
الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل جمع الشمس والقمر في ذهاب الضياء قال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيمة
ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل وجمع الشمس والقمر اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي المهرب قال الفراء يجوز ان يكون مصدرا كلا ردع عن طلب الفرار لا وزر لا حصن ولا ملجا السدي لا جبل
وكانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا به فقال الله تعالى لا جبل يومئذ يمنعهم وكل ما التجأت اليه من جبل وغيره وتخلصت
به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد او استقرارهم وقيل مستقر الخلق واعمالهم وكل شيء معناه
المنتهى بيان المصير والمرجع نظيره وان الى ربك الرجعى والى الله المصير وقوله الا الى الله تصير الامور وقيل معناه انهم
لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينضموا اليه وان الحكمة ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم
وقيل ان الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وتفويض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء
ادخله النار ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او طالح وما اخر
بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها قال مجاهد باول عمله واخره قتادة بما قدم من عمل خير او شر وما اخر
من العمل بطاعة الله فلم يعمل به عطاء بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره زيد بن اسلم بما قدم من امواله فتصدق به
لنفسه وما اخر خلفه للورثة نظيره علمت نفس ما قدمت واخرت (قوله تعالى) بل الانسان على نفسه بصيرة

ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة • بل الانسان قال عكرمة ومقاتل والكلبي معناه بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء
يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به وهي سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجميع جوارحه قال القتيبي اقام جوارحه مقام
نفسه ابو العالية وعطاء بل الانسان على نفسه شاهد والهاء في بصيرة للمبالغة اي بل الانسان على نفسه بصيرة
حجة بينة وصفت بالبصارة على سبيل المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى آياتنا مبصرة وقيل بل الانسان
على نفسه عين بصيرة والمعنى بينا باعماله وانه يدري بنفسه ما يجري من الاشياء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه
تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره يعني انه يشهد عليه الشاهد
ولو اعتذر وجادل عن نفسه نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله فلا يؤذن لهم فيعتذرون وقال الفراء
ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب معاذيره مقاتل ولو ادلى بحجة لم ينفعه ذلك ومعنى الالقاء القول نظيره
فالقوا الى الله يومئذ السلم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون الضحاك والسدي يعني ولو ارخى الستور واحدها
معذار قال صاحب الكشاف فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب والمعاذير ليس بجمع معذرة
انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر وقيل المعاذير احالة بعضهم على بعض لا تحرك به الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يفتر من قراءة القرآن
مخافة ان ينساه فكان اذا انزل عليه جبريل بالقرآن لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اولها ويحرك لسانه بها في نفسه مخافة ان ينساها قال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وانزل
سنقرئك فلا تنسى وانزل لا تحرك به اي بالقرآن وقيل لا تحرك بتلاوته الوحي لسانك لتعجل به اي بتلاوته ليحفظه ولا
تنساه ان علينا جمعه في صدرك حتى تحفظه وقرآنه عليك حتى تعيه وقيل اراد تعقله وقرآنه وحبسه في صدرك وهو مصدر
كالرجحان والنقصان فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه اي ما فيه من الاحكام ثم ان علينا بيانه بما فيه من الحلال والحرام وقيل
لا تحرك لسانك بتلاوة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله
ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته فاتبع قرآنه فكن
مقفيا له ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك
من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل
ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل
شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة قرأ نافع والكوفيون تحبون وتذرون بالتاء من فوق فيهما والباقون بالياء
اي يختارون الدنيا على العقبى نظيره في سورة الانسان ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
اتصال قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيمة من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام
بالآخرة (قوله تعالى) وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت
التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب
وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى • وجوه يومئذ
يعني يوم القيمة ناضرة ابن عباس حسنة الحسن حسنها الله بالنظر الى ربها مجاهد مسرورة ابن زيد ناعمة مقاتل بيض
يعلوها النور السدي مضيئة يمان مسفرة الفراء مشرقة بالنعيم الكسائي بجلد الفراء والاخفش يقال نضر الله وجه فلان
ينضره نضرا فنضر وجهه ينضر نضرة ونضارة قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ونظير هذه الآية قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة الى ربها ناظرة
تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ
المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون واليه المصير عليه توكلت واليه انيب قال ابن عباس تنظر الى ربها عيانا عكرمة
واسمعيل بن ابي خالد واشياخ من اهل الكوفة تنظر الى ربها نظرا الحسن تنظر الى الخالق وحق لها ان تنظر الى الخالق الموفق
ينظرون الى الله لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم وكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار دليل هنا قوله عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه وسرره ونعمه مسيرة الف عام وان
اكرمهم على الله لمن ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى ننظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول
ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة وعن عمار بن ياسر كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسألك النظر
الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة قال صاحب الكشاف كيف دل فيها التقديم على معنى
الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق
كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان
منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يعني التوقع والرجاء

قول القائل وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ولا يخفى أن ما ذكره من قوله ونعلم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يصلح أن يصرف اللفظ عن ظاهره به وذلك لأنه يجوز أن يكون استغراقهم في النظر إلى ربهم مانعا من النظر إلى غيره فإن اللذة في النظر إليه أعظم من اللذة في النظر إلى غيره ولئن سلم أن الوجوه يومئذ ناظرة إلى أشياء غيره فيجوز أن يكون في بعض ذلك اليوم إلى ربها ناظرة وحينئذ لا ينظر إلى غيره أصلا وجميع أهل السنة والجماعة يتمسكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة وأما المعتزلة فلهم هاهنا مقامان أحدهما بيان أن ظاهره لا يدل على رؤية الله والثاني بيان التأويل أما المقام الأول فقالوا النظر المقرون بحرف إلى ليس اسما للرؤية بل المعتمد الرؤية وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب إلى المعرفة وكالإصغاء بالنسبة إلى السماع وكما أن نظر القلب مقدمة للمعرفة والإصغاء مقدمة للسماع كذلك نظر العين مقدمة للرؤية قالوا والذي يدل على أن النظر ليس اسما للرؤية وجوه منها قوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون أثبت النظر حال عدم الرؤية ومنها أنه يقال نظرت إلى الهلال فلم أره وقوله تعالى إلى ربها ناظرة معناه تنظر إلى ربها خاصة ولا تنظر إلى غيره وقد تقدم الاحتجاج بدرك الجواب عنه وثانيهما بيان التأويل وهو من وجهين الأول أن يكون النظر بمعنى الانتظار أي وجوه يومئذ ناضرة إلى الغاية بها منتظرة كما يقال أنا أنظر إلى فلان في حاجتي والمراد أنتظر لحاجة من جهته وقال تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون وقال فإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة والثاني أن يكون المراد وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة أي منتظرة أو يحمل على حذف المضاف وهو الثواب وحينئذ يكون المراد إلى ثواب ربها ناظرة لا يقال التأويل باطل أما الأول فلأن الانتظار سبب الغم والآية مسوقة لبيان النعم وأما الثاني فلأن النظر إلى الثواب لا بد أن يحمل على رؤية الثواب عن الرؤية لا يكون من النعيم البتة فإذا وجب إضمار الرؤية كان إضمار الثواب إضمار الزيادة من غير دليل لأنا نقول الآية دالة على أن الحالة التي عبر عنها سبحانه وتعالى بقوله وجوه يومئذ ناضرة سابقة على حال استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بدليل قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة إذ التوقع أن يفعل بها إنما هو في شدته وقبل إصابته فاقرة تقصم فقار الظهر فإن في حال استقرار أهل النار قد فعل بها الفاقرة وإذا كانت تلك الحالة سابقة على الاستقرار كان انتظار النعمة بعد البشارة بها سرورا يستتبع نضارة الوجه ومثل ذلك الانتظار لا يكون مستتبعا للغم كما أن انتظار إكرام الملك وعطائه لا يكون موجبا للغم إذا تيقن بوصوله إليه كما أن انتظار العذاب بعد الإنذار بوصوله غم يستتبع بسارة الوجه أي شدة عبوسه كانتظار عقاب الملك إذا تيقن عقابه ولا يحتاج إلى إضمار الرؤية في النظر إلى الثواب بمعنى الانتظار لكان النظر عبارة إما عن الرؤية أو عن تقليب الحدقة وتقليب الحدقة نحو الثواب بعد البشارة انتظار لوصوله من النعم لما بينا وجه استدلال الأصحاب بهذه الآية أن النظر إما أن يكون عبارة عن الرؤية أو عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته والأول هو المطلوب والثاني تعذر حمله على ظاهره فلا بد من حمله على الرؤية التي هي النظر بالمعنى الثاني سببها وإطلاق اسم السبب على المسبب من أحسن وجوه المجاز فالجواب عنه لو ليس النظر عبارة عن الرؤية قلنا هاهنا مقامان المقام الأول أن نقيم الدلالة على أن النظر الرؤية من وجوه منها ما حكي عن موسى أرني أنظر إليك ولو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية أن موسى عليه السلام أثبت لله جهة ومكانا وذلك محال ومنها أنه جعل النظر مرتبا على الإرادة فكان متأخرا عن الإرادة وتقليب الحدقة غير متأخر عن الإرادة فلا يكون النظر تقليب الحدقة المقام الثاني وهو الأقرب إلى الصواب قلنا إن النظر تقليب الحدقة إلى المرئي التماسا لرؤيته لكنا نقول لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمله على مسببه وهو الرؤية إطلاقا لاسم السبب على المسبب وحمله على الرؤية أولى من حمله على الانتظار لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية فلا تعلق بينه وبين الانتظار فكان حمله على الرؤية أولى مما توهم النظر بمعنى الانتظار قلنا في الجواب مقامان الأول أن النظر بمعنى الانتظار ورد في القرآن كثيرا ولكنه لم يقرن بصلة إلى قال تعالى انظرونا نقتبس هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله هل ينظرون إلا تأويله والذي يدل عليه أن النظر المقرون بإلى ليس بمعنى الرؤية والدليل عليه أنه ورد هل بمعنى الرؤية أو بمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهرا فوجب أن لا يرد بمعنى آخر دفعا للاشتراك وأما قولهم يحمل إلى على واحد الآلاء فالجواب أن إلى على هذا يكون اسما للماهية التي تصدق عليها أنها نعمة فيكفي في تحقق مسماه أي جزء من أجزاء النعمة وإن كان في غاية القلة والحقارة وأهل الثواب يوم القيامة في النعم العظيمة المتكاثرة ومن كان حاله كذلك كيف يمكن أن يبشر بأنه يكون متوقعا لشيء الذي يطلق عليه اسم النعمة المقام الثاني هب أن النظر المعدى بإلى جاء في اللغة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن حمل هذه الآية عليه لأن لذة الانتظار مع تيقن الوقوع كانت حاصلة في الدنيا ولا بد أن يحصل في الآخرة شيء أزيد منه حتى يحسن ذكره في معرض الترغيب في الآخرة ولا يجوز أن يكون ذلك قرب الحصول لأن اللذة التي يعقل بالعقل فبطل ما ذكروه من التأويل وأما التأويل الثاني وهو أن يكون المراد إلى ثواب ربها ناظرة فهو ترك الظاهر وهو إنما يصار إليه لقيام الدليل العقلي على أن الله لا يرى وقد بينا في أصول الدين ضعف ذلك ووجوه يومئذ باسرة أي عابسة كالحة متغيرة مسودة تظن توقن أن يفعل بها

فعل

فعل هو من شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير وأصلها من الفقرة والفقار يقال منه فقرته إذا كسرت فقاره كما يقال رأسته إذا ضربت رأسه قال قتادة الفاقرة الشر كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة إذا بلغت النفس التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول الآخرة حين تبلغ الروح التراقي وعند ذلك تموت وقيل من راق يرقيه مما به قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا عن ابن مسعود أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل دواء جهله من جهله وعلمه من علمه مقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب أو المعالجة بخصوصه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيهم يرقى بها وظن المحتضر أنه الفراق أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيمة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه على ساقه عند علز الموت عن الربيع بن أنس الدنيا بالآخرة عن ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة إسماعيل بن أبي خالد العمل الدنيا بعمل الآخرة الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه الحسن ومجاهد اجتمع فيه الحياة والموت قتادة الشدة بالشدة الحسن هما ساقاه إذا كفنتا فلم يحملاه وكان عليهما يجول قتادة أما رأيته إذا اضطرب برجليه زحلة الأخرى أبو مالك الشعبي ساقاه عند الموت عكرمة خروج من الدنيا إلى الآخرة مجاهد البلاء بالبلاء القرطبي الأمر بالأمر ابن أسلم ساق الكفن بساق الميت سعيد بن جبير قد تتابعت عليه الشدائد أنسك الأمر كرب من كرب الأحياء اشتعدة والكرب لابد كالساق الأولى المحنة والشدائد ابن عطاء اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن من الدنيا والأهل والولد وشدة القدوم على ربه لا يدري بما يقدم عليه كذلك قال عثمان رضي الله عنه ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع لأنه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة يحيى بن معاذ إذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن شماله فيقول الذي عند رأسه يا ابن آدم انقضت الآجال وبقيت الآمال ويقول الذي عن يمينه مضت الأموال وبقيت الأعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الأشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك إن كان كسبك من الحلال إلى ربك يومئذ المساق المنتهى والمرجع تسوق الملائكة روحه إلى حيث أمرها الله تعالى فلا صدق أي الإنسان في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه لا انتفاء لقوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيمة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه قيل نزلت في أبي جهل ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى يتبختر ابن زيد هي مشية بني مخزوم وأصله من المطا وهو الظهر أي يلوي مطاه يتبختر وقيل أصله يتمطط أي يتمدد والمطط هو المد فجعلت إحدى الطاءين ياء وتمطى الإنسان إذا قام من منامه تمدد وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض وجعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى أهله يتبختر افتخارا بذلك أولى لك فأولى أي ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره مثل هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد وقيل معناه الذم لك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى يقال للرجل يصيبه مكروه يستوجبه وقيل هي كلمة تقولها العرب لمن قارب المكروه وأصله من الولي وهو القرب وفي معنى الآية كأنه يقول لأبي جهل الويل لك يوم تحيى والويل لك يوم تموت والويل لك يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء فقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر أشرف عليهم وقال لا يعبد الله بعد اليوم فضرب عنقه الله شر صرعة وقتله أسوأ قتلة وذكر أن أبا جهل كان يقول لو علمنا أنه حق رسول الله ما اتبعت غلاما من قريش وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لكل أمة فرعون وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل أيحسب الإنسان أن يترك سدى مهملا لا يؤمر ولا ينهى كلا أستثبت خلقتي وضيعتها بل شيء يحيث بلا ذراع الرمي نطفة من مني يمنى قرأ حفص عن عاصم بالياء والباقون بالتاء ثم كان علقة فخلق فسوى خلقه فجعل منه من الإنسان الزوجين الصنفين الذكر والأنثى أليس ذلك الذي أنشأ هذا الإنسان بقادر على الإعادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك اللهم وبلى سورة هل أتى ويقال لها سورة الإنسان

سورة الدهر

قال طائفة منهم مجاهد وقتادة إنها مدنية كلها ابن يسار ومقاتل وحكي عن ابن عباس مكية وقال طائفة إن فيها مكيا ومدنيا ثم في ذلك قولان أحدهما أن المكي منها آية وهي ولا تطع منهم آثما أو كفورا وما فيها جميعه مدني قاله الحسن وعكرمة وثانيهما أن أولها مدني إلى قوله إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية إلى آخرها مكي وهي إحدى وثلاثون آية وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم • هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا • هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والأصل أهل بدليل قوله أهل لنا

تسبيح القائم ذي الاكرم ● فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب وقيل الانسان هنا آدم والحين في الاية زمان
محدود وهو اربعون سنة عن ابن عباس وابن مسعود خلق الله آدم من تراب فاقام اربعين سنة ثم من طين اربعين سنة ثم
من صلصال اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ولو لم يكن محدودا لما
قال اتى على الانسان حين وقيل هو غير محدود وقوله على الانسان ليصلح في علم الله لم يكن شيئا مذكورا وقيل لم يكن
شيئا اصلا وقيل كان ولم يكن مذكورا وقيل المراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة
حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد لم يكن شيئا مذكورا في محل النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى على
الانسان حين من الدهر غير مذكور ثم قيل في محل الرفع على انه وصف لحين كقوله يوما لا تجزي والدهر [illegible] وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سمع رجلا يقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت وهي كونه شيئا غير
مذكور بعدم خلق ولم يكلف وروي ان رجلا قرأ عند ابن مسعود هذه الاية فقال يا ليت ذلك لم يكن قوله تعالى
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ● انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ●
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ● انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم من نطفة من مني الرجل ومني المرأة
وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة امشاج اخلاط قال قتادة الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة قال
صاحب الكشاف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشيج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح ان يكون امشاج تكسيرا له بل
هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي
عروق النطفة ابن عباس وعكرمة ومجاهد والربيع يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما جميعا الولد
وماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا ماء صاحبه كان الشبه له الضحاك اراد اختلاف الوان النطفة
نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء فهي مختلفة الالوان قال الحسن الوان في الحمرة والبياض [illegible] في الحمرة و
الصفرة الحسن نعم والله خلقت من نطفة مشجت بدم وهو الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض [illegible]
فهما امشاج يركبنا الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع فخلق الانسان منها ذا طبائع مختلفة نبتليه نختبره
بالامر والنهي في موضع الحال اي خلقناه مبتلين ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق
الاستعارة وعن ابن مسعود نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع
الا بعد تمام الخلقة قال صاحب الكشاف وهو من التعسف انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى
والضلالة وعن قتادة طريق الخير والشر وهو كقوله تعالى وهديناه النجدين اما شاكرا اي مؤمنا سعيدا واما كفورا
كافرا شقيا يعني خلقناه اما كافرا واما كفورا وقيل معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر وشاكرا او كفورا
حالان من الهاء في هديناه ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله
وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر بطريق المجاز ثم اتبعهما الوعيد والوعد وبين ما لكل فريق فقال
انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا قرأ نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم سلاسلا وقواريرا قواريرا
كلهن باثبات الالفات في الوقف والتنوين في الوصل وهي رواية هشام في الوصل وحكى رواية هشام عن اهل الشام
وحمزة وخلف وحفص وابن كثير وابو عمرو قوارير الاولى بالالف والثانية بغير الف قوله تعالى ان الابرار
يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما
كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ● ان الابرار جمع بر وبار كرب وارباب يعني المؤمنين الصادقين
في ايمانهم المطيعين لربهم الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل واحدهم بار مثل شاهد واشهاد و
واصحاب مثل صاحب واصحاب يشربون في الآخرة من كأس فيها خمر كان مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين
في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك
عكرمة مزاجها طعمها وقيل عينا بدل من محل كأس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل نصب
على الاختصاص عينا يشرب بها عباد الله قال صاحب الكشاف فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا و
بحرف الالصاق آخرا قلت لان الكأس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب
عباد الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل وقيل الباء صلة يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا
سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسى يقول لهم بم نالوا هذا [illegible] بالنذر قتادة بما فرض الله عليهم من الصلوة والزكوة
والحج والعمرة وغيرها من الواجبات مجاهد وعكرمة اذا نذروا في طاعة الله وفوا به [illegible] الوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره
مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من
نفر ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام من قلته [illegible] وحبهم اياه وشهوتهم له وحاجتهم اليه ونحوه [illegible]
على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال الداراني على حب الله [illegible] على حب اطعام الطعام مسكينا

ويتيما

ويتيما واسيرا وهو الحربي يؤخذ [illegible]

[illegible]

الله وعن [illegible] الضحاك على الفقر القرظي على الصوم عطا على الجوع سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصبر
فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله
والصبر على المصائب جنة [illegible] حريرا يلبسونه متكئين فيها على الارائك على السرر في الحجال ولا تكون
اريكة الا اذا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا يرون في الجنة حرا ولا بردا يعني انه [illegible] معتدل
لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل لا يرون فيها شمسا [illegible] مستديم
لا شمس فيها [illegible] عطف على الجنة لان الزمهرير هو شدة البرد لا يرى مرة الهمداني الزمهرير هو شيء مثل الابر
وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
فعلى القولين [illegible] يكون معطوفا على شمسا [illegible] هذه الآيات نزلت في رجل من الانصار اطعم
في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا يعني ان مسكينا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اطعمني فقال
ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فقال الانصاري لامرأته ما ترين فقالت اطعمه واشبعه ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيم فقال يا رسول الله اطعمني فقال ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتى اليتيم الانصاري الذي اتاه المسكين فقال
اطعمني فقال لامرأته ما ترين فقالت اطعمه واشبعه فاطعمه ثم اتى رسول الله اسير فقال يا رسول الله اطعمني فقال ما عندي ما اطعمك
ولكن اطلب فاتى الانصاري فقال له اطعمني فقال لامرأته ما ترين فقالت اطعمه فكان هذا كله في ساعة واحدة فانزل
الله فيما صنع الانصاري من اطعامه المسكين واليتيم والاسير ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقيل
نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها وجارية لهما تسمى فضة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالوا
يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض
علي رضي الله عنه من شمعون اليهودي الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني
اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف
عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين
واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى
بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل
وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة ودانية عليهم ظلالها معطوفة على الجنة التي قبلها
لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال اصلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة
في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم
كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقيل ويجوز ان يجعل متكئين ولا يرون ودانية

كلها صفتان لجنة اي وجنة دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا الجنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا
بالخوف وذللت سخرت وسهلت وقربت قطوفها ثمارها تذليلا فيتناولونها كيف شاؤا ياكلون من غير تعب قياما
وقعودا ومضطجعين على اي حال كانوا وذللت حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم وقيل
وذللت معطوف على دانية اي ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة
مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة
وهي من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير يرى ما فيها وكانت قوارير يكون في قوله كن فيكون
اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيم لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه
كان في قوله مزاجها كافورا من فضة قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان
ان يكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير في قدروا للطائفين بها دل عليهم
ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز
عنها لا تفيض ولا تغيض ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا يسقى ويطرب عن مزج الخمر والعرب تستطيب
الزنجبيل وتستلذه وتستطيبه قال شاعرهم كان جنيا من الزنجبيل بات بفيها وأريا مشارا • قال المسيب
وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر • وقيل هي عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل قتادة يشرب بها
المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة عينا فيها بدل من زنجبيلا عند الزجاج يسقون عينا فيها تسمى
سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها وابو العالية ومقاتل ابن حيان سميت سلسبيلا لانها
تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور
وطعم الزنجبيل وريح المسك والسلسبيل في اللغة وصف لما كان في غاية السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال
وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة وقيل عزم كانه بالزنجبيل
بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل يسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة
على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان الاكثر على انهم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين وقيل هم اطفال المشركين وقيل ولدانا
وهي من الولادة مخلدون لا يشيبون ولا يموتون اذا رأيتهم ايها المخاطب حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء
الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ الرطب فانه اذا نثر من صدفه كان احسن واكثر ماء واذا رأيت ليس له مفعول
ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصرك اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا
بنعيم كثير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة وملكا كبيرا واسعا هنيئا لا زوال له وهو ان ادناهم منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل اذا ارادوا شيئا تم لهم عاليهم قرأ نافع وحمزة عاليهم
بسكون الياء على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقون بالنصب على انه
حال من الضمير في يطوف عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا
عاليا لهم ثياب وقيل يجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وقيل يجوز ان يراد اذا رأيت اهل نعيم وملك
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق قرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر بالخفض على نعت سندس واستبرق بالرفع
على نعت ثياب ابن عامر وابو عمرو ويعقوب بضده ونافع وحفص كلاهما بالرفع وحمزة والكسائي وخلف كلاهما بالخفض
وحلوا عطف على ويطوف عليهم اساور من فضة قيل للطائفين والذهب للمطوف عليهم وقيل الفضة للرجال
والذهب للنساء وقيل انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع
الحلي وتجمع بينها وما احسن المعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا
طاهرا من الاقذار والاقذار لم تدنسه الايدي ولم تدسه الارجل كخمر الدنيا ابو قلابة وابراهيم يعني انه لا يصير بولا
نجسا ولكنه يصير رشحا في ابدانهم كريح المسك وان الرجل من اهل الجنة تقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا
واكلهم ونهمتهم فاذا اكل ما شاء سقي شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ما اكله رشحا يخرج من جلده اطيب ريحا من المسك
الاذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته وقيل يطهرهم من الذنوب والادناس والارجاس ويريحهم للجنة قال جعفر يطهرهم به
من كل شيء سواه اذ لا طاهر من تدنس بشيء من الاكوان ابو سليمان الداراني سقاهم ربهم شرابا يسقيهم اياه الود
من محبة الخلق واراهم رؤية الحق
عليهم ابدية الشرع فحياهم يوم الفرقة وحياهم بشر بقاء القربة وقيل صب على صدورهم من المحبة فشرح صدورهم
بنفحة المحبة ولانت بعد المعرفة قلوبهم وانفسحت بنور الطاعة جوارحهم وضمائرهم بنسيم الهيبة وحيا ارواحهم بحلاوة
القربة فيا لها من ساقي ويا لها من سقي وسئل ابو يزيد البسطامي عن قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال طهرهم
به عن محبة غيره ثم قال ان لله شرابا ادخره لافاضل عباده يتولى سقيهم فاذا شربوا طابوا واذا طابوا طاروا واذا طاروا
وصلوا واذا وصلوا اتصلوا فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وحكي خلف سهل بن عبد الله فقرأ قوله وسقاهم
ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كانه يمص شيئا فلما فرغ من صلوته قيل له اتشرب ام تقرأ فقال والله لو لم اجد
له لذة عند قراءته كالذي يجد عند شربه ما قرأته قوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد

وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا
شئنا بدلنا امثالهم تبديلا • ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان
عليما حكيما • يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما • ان هذا اي يقال لاهل الجنة ان هذا الذي
تقدم من عطاء الله كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي محمودا لسعي به عليكم وقيل ما جوزيتم به شكرا على التوسع لكم
جزيتم به الجنة انا نحن نزلنا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في
نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تركه الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك الكتاب
تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وحكيما لا افعل شيئا الا على الوجه الذي ينبغي موافقا لمشيتي ولقد دعتني الحكمة
عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك على تأخير نصرك على
اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم حذ قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر كانوا مع افراطهم في العداوة
والايذاء لك ولمن معه يدعونك الى ان ترجع عن امرك ويبذلون لك اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجبتهم قال صاحب الكشاف
فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه
او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم
على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان
الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو وانما جيء باو دون الواو ليكون نهيا عن طاعتهما فانه لو نفى احدهما انما يتحقق
بنفي كل واحد منهما بخلاف الواو فان نفي الاثنين على سبيل الجمع لا يستلزم نفي كل منهما فان نفي الاثنين على سبيل الجمع
يصدق بنفي احدهما دون الآخر واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي داوم على الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
يعني صلاة المغرب والعشاء وادخل من على الليل للتبعيض كما دخل في المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه اي تهجد
له هزيعا من الليل ليلا طويلا اي طائفة منه طويلة ثلثيه او نصفه او ثلثه قيل اي التطوع بصلوة الليل وقيل المراد الادامة على ذكره
في الاوقات كلها ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم لا
يعبؤون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض
نحن خلقناهم وشددنا واحكمنا اسرهم ربط اوصالهم اي احكمنا خلقهم ومفاصلهم وقواهم وربطنا بعضها ببعض الجسد وقيل
بعضها الى بعض بالعروق والعصب واصل الاسر الشد ومنه قولهم خذه باسره اذا ارادوا ان يقولوا خذه كله كانه
اراد والعلة وشده لم يتقبح ولم ينقص منه شيء واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى
وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيعه ان هذه السورة او الآيات القريبة تذكرة للخلق وتبيين لما فيه صلاحهم فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا بان يتقرب اليه بطريق طاعته باتباع انبيائه شرعه وتسليمه ومتابعته وما تشاؤن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالياء
الا ان يشاء الله لانه لا يدخل شيء من الخير والشر في الوجود الضلال والكفر والايمان والطاعة
والمعصية والخير الا بمشية الله تعالى وتعيينه صاحب الكشاف بنفيهم حيث قال الا ان يشاء ان يقسرهم عليها
وانه صرف عن الظاهر الجلي الى الخفي الباطل ان الله كان عليما بما يكون منهم حكيما حيث خلقهم على الوجه الاحسن
لا يحصل الا بمقتضى مشيته قال صاحب الكشاف يدخل من يشاء المنتخب للطف في رحمته يدخل من يشاء في رحمته
والظالمين والمشركين اعد لهم عذابا اليما ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ونحوهما

سورة المرسلات

ويقال لها سورة العرف مكية كلها في قول الجمهور وحكي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها آية مدنية
وهي قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وهي ثمانمائة وستة عشر حرفا واحد وثمانون كلمة وخمسون آية
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا • والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع • والمرسلات
عرفا يعني الرياح يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس وقيل كثيرا والعرب يقول الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا
اليه فاكثروا ويقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه وقد يكون العرف الذي هو نقيض النكر
وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف على الاول وعلى الحال فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة
الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة ابو صالح هي المطر الحسن هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته
اقسم الله تعالى بالرياح ثلث مرات وقيل اقسم الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما
تعصف الرياح تحققا في امتثال الامر وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي وقيل نشرن
الشرائع في الارض وقيل نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا
في ابن كيسان يعني القرآن فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل يعني السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق
وهي الحامل التي تخرج حين تضع فالملقيات ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر بالوحي نظيرها قوله يلقي الروح عذرا او نذرا اي اعذارا للمحقين

أو نذرا أو إنذارا للمبطلين. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بسكون الذال فيهما واختاره أبو عبيد لأنهما في موضع
مصدرين للإعذار والإنذار ليسا بجمع فيثقلا، والباقون بتخفيف عذرا وتثقيل نذرا. وقيل أقسم برياح عذاب
أرسلهن فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا. وقيل أقسم بسحائب نشرن الموات
ففرقن بين من يشكر الله عز وجل وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه، فألقين ذكرا إما عذرا للذين
يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر
لله وينسبون ذلك إلى الأنواء، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت. قال
صاحب الكشاف فإن قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف أرسلهم عرفا قلت إذ لم يكن معروفا للكفار
فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين أنعم الله لهم منهم. فإن قلت ما العذر والنذر وبما انتصبا قلت هما مصدر
من عذر إذا محا الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالشكر والكفر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير
بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر، وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأولين أو على المفعول له
وأما الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين. إنما توعدون من مجيء يوم القيمة وأحوال أصحاب الجنة
وأصحاب النار لواقع لكائن لا محالة لا ريب فيه وهو جواب القسم. قوله تعالى فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت
وإذا الجبال نسفت وإذا الرسل أقتت لأي يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين
فإذا النجوم طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق فإنها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن
يمحق نورها ثم ينتثر ممحوقة النور. وإذا السماء فرجت شقت وقيل فتحت أبوابا. وإذا الجبال نسفت قلعت من
أماكنها أو ذهبت بسرعة من النسف وهو الشيء إذا اختطفته. وإذا الرسل أقتت جمعت لميقات يوم معلوم وقيل عينت
لهم وقتها كما قال إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وقيل أجلت لاجتماع لوقت هو يوم القيمة. ابن عباس جمعت ومعنى توقيت
الرسل تبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. قرأ أبو عمرو وقتت بالواو وتشديد القاف والعرب
تعاقب بين الواو والهمزة لغتهم كوكدت وأكدت وهو مصدر ككتاب بمعنى وقتت وأرخت
وقصاح وإشاح وقد ذكر وشاده وإشاده. لأي يوم أجلت أي وقتت للأجل وقيل أخرت والتأجيل من الأجل
كالتوقيت من الوقت تعظيم لليوم وتهويل وتعجيب من هوله. ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وهو
اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق. قال صاحب الكشاف والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت
تنتظره وهو يوم القيمة وأجلت أخرت. وما أدراك ما يوم الفصل ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله. ويل يومئذ
للمكذبين ويل مبتدأ مخصص وهو في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله فعدل به إلى الرفع للدلالة على
معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم. قوله تعالى ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ● ألم نهلك الأولين من الأمم المكذبين في قديم الدهر ثم نتبعهم
الآخرين أي السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهذا وعيد لأهل مكة ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما
فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم. قوله تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ● ألم نخلقكم من ماء مهين حقير ذليل
ضعيف فجعلناه في قرار مكين أي رحم يستقر فيه الماء ويتمكن وقيل يتمكن فيه الولد وقيل من المكانة والمنزلة
لكونها مكان خلق الولد وتصوير الحيوان إلى قدر معلوم أي إلى وقت الولادة وقيل إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه
الله وحكم به وهو تسعة أشهر بحسب الغالب أو ما فوقها أو ما دونها فقدرنا. قرأ أهل المدينة بالتشديد من التقدير
وهي اختيار الكسائي والباقون بالتخفيف من القدرة لقوله تعالى فنعم القادرون ويجوز أن يكون التشديد بمعنى التخفيف
أي فقدرنا ذلك التقدير فنعم المقدرون نحن وقيل فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن
ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات و
أسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين ● ألم نجعل الأرض كفاتا موضعا يكفت فيه شيء أي يضم ويجمع وانتصب
أحياء وأمواتا على الكفات أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو يكفت والمعنى يكفت أحياء على ظهرها
وأمواتا في بطنها. وقد استدل بعض أصحاب الشافعي على قطع النباش بأن الله جعل الأرض كفاتا للأموات
فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز، ونكر أحياء وأمواتا للتفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا تعد
وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليس بجميع الأحياء والأموات، ويجوز أن يكون المعنى نكفتكم أحياء
وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس. وجعلنا فيها رواسي شامخات أي جبالا
ثوابت طوالا وأسقيناكم ماء فراتا عذبا والتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا يحتمل التبعيض لأن
في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه ومصبه، وأن يكون
للتفخيم. ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين ● أي يقال لهم انطلقوا
إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب في الآخرة. انطلقوا الثاني تكرير إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من
يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل إنها تخرج

من النار فيتشعب ثلاث شعب فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين والدخان على رؤوس المنافقين واللهب الصافي يقف
على رؤوس الكافرين وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم
حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش. لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني وفي محل
الجر أي غير مغن عنهم من حر اللهب شيئا. إنها ترمي بشرر أي النار وهي ما تطاير من النار إذا التهبت واحدتها شررة كالقصر
أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر. وقرئ بفتحتين وهو
إنما هي بشر كالقصر وهي الخشب العظام المقطعة وكأنها الخشب فيقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودون ذلك يدخرونه
للشتاء فكانوا يسمونها القصر. كأنه جمالات قرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف جمالة بكسر الجيم من غير ألف بعد اللام جمع جمل
وقيل جمع الجمع مثل حجر وحجارة والباقون جمالات بكسر الجيم وألف بعد الميم جمع جمال شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان
التشبيه الأول بالأمداد والجادل صفر جمع الأصفر وقيل صفر لإرادة الجنس وقيل صفر سود تضرب إلى
الصفرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن شررها حجهم سود كالقار والعرب تسمي السود من الإبل صفرا ●
قال الشاعر: تلك خيلي منه وتلك ركابي ❊ هن صفر أولادها كالزبيب. أي سود وإنما سميت سود الإبل صفرا لأنه
يشوب سوادها شيء من الصفرة. ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويل يومئذ للمكذبين ● هذا يوم لا ينطقون يوم القيمة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون
في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع. فيعتذرون عطف على يؤذن
منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا من الإذن ولو نصب
لكان مسببا عن الإذن لا محالة. ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد
فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ● هذا يوم الفصل القضاء جمعناكم يا مكذبي أمة محمد والأولين من تقدم كلام
موضح لقوله هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين
والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم. فإن كان لكم كيد حيلة في التخلص من العذاب فكيدون فاحتالوا علي وهذا تقريع
لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة. ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى إن المتقين في ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ●
إن المتقين في جنة ظليلة تصون من الحر ولا تؤذي بالبرد وفواكه مما يشتهون لذيذة مشتهاة على وفق شهوتهم يقال لهم
كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون لا تشوبه مكروه ولا ينقطع. إنا كذلك نجزي المحسنين المؤمنين الذين يعبدون الله كأنهم
يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم. ويل يومئذ للمكذبين. قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ
للمكذبين ● كلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا يقال لهم ذلك في الآخرة
إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار متاع
القليل على النعيم والملك المخلد وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم
البقاء في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا. ويل يومئذ للمكذبين
قوله تعالى وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون ● وإذا قيل لهم
اركعوا صلوا لا يركعون لا يصلون. مقاتل نزلت في ثقيف حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا
لا ننحني فإنها سبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل وإذا قيل لهم اركعوا اخشعوا وتواضعوا
لله بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم ويل يومئذ
للمكذبين. فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون أي القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون

سورة النبأ

وهي سبعمائة وسبعون حرفا ومائة وثلاث وسبعون كلمة وأربعون آية. قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ● عم أصله عما على
أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
الشأن يعني عن أي شيء يتساءلون وقيل يسأل بعضهم بعضا وقيل يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لأهل مكة والضمير لمشركي مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث
ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء. عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم مجاهد هو القرآن دليله قوله
قل هو نبأ عظيم قتادة هو البعث قال صاحب الكشاف عن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن يجري الوصل
مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء
مبهم ثم يفسره. الذي هم فيه مختلفون كان في المشركين من يكذب بالبعث يقطع القول بإنكاره ومنهم من يشك

الصبر للمسلمين والكافرين جميعا يسئلون عنه فاما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد ندما
فقيل النبا العظيم القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كلا ردع للمتسائلين هزؤا سيعلمون وعيد لهم بانهم
سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه ثم كلا سيعلمون تكرير للردع مع الوعيد
تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد قوله تعالى الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ۞
لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه
انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات فقيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم
لا يفعل فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل الم نجعل الارض مهادا
يمكن الاستقرار عليها فانها كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير
ووصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد
لولاها لارتجت بالزلازل وقيل هيئة الجبال على الارض هيئة الاوتاد وخلقناكم ازواجا اصنافا
ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن العمل راحة لابدانكم والنائم مسبوت لا يعلم ولا يعقل كانه ميت وقيل
سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وجعلنا الليل لباسا
غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء يلبس كل شيء بسواده ساترا كما يستر اللباس وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون
فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل لما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة وقيل زمانا
للعيش واللذة قوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات
ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ۞ وبنينا فوقكم سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة
قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وجعلنا سراجا مضيئا منيرا فيها وهاجا متلألئا وقادا وهو الشمس
النار اذا انفلقت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات اي الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب كقوله اجز الزرع اذا حان له ان
يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقيل المعصرات السحائب الماطرات المغيثات من قوله فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون وعن ابي بن كعب والحسن وسعيد بن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان من المعصرات من السموات ماء ثجاجا
منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
مجاهد مدرارا وقال قتادة متتابعا يتلو بعضه بعضا وتاويل المعصرات بالسموات ان الماء ينزل من السماء الى
السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه لنخرج به بالماء حبا كما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير
ونباتا ما يعتلف به من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا
ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقد انشد جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم
بيض زهر ۞ وقيل يحتمل ان يكون جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ
في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا
لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
بآياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ۞ ان يوم الفصل كان في تقدير الله وحكمه ميقاتا
حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده وقيل حد الخلائق ينتهون اليه وقيل ميقاتا لما وعد الله يوم ينفخ بدل من يوم الفصل
وقيل عطف بيان في الصور فتاتون افواجا زمرا زمرا وقيل افواجا من القبور الى الموقف امة كل امة مع امامهم وقيل
جماعات مختلفة عن البراء بن عازب كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم في منزل ابي ايوب الانصاري
فقال معاذ يا رسول الله ارايت قول الله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا قال يا معاذ سالت عن عظيم من الامر ثم ارسل
عينيه ثم قال يحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم
صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من
قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم
فالذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم
اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجلابيب فاهل
الكبر والفخر والخيلاء ۞ وفتحت قرأ اهل الكوفة بالتخفيف والباقون بالتشديد يعني كثرت ابوابها المفتحة لنزول
الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل شقت حتى جعلت
كالابواب قطعا وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب لعمله وباب
لرزقه فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وسيرت الجبال عن اماكنها فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير

شيئا

التي تعصر السحاب وقيل المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح م

الالفاف ۲

ذو سهم

شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا حدا يكون فيه الرصد وقيل طريقا وممرا فلا سبيل
الى الجنة حتى يقطع مقاتل محبسا للطاغين للكافرين مآبا مرجعا لابثين فيها وقرأ حمزة لبثين بغير الف والباقون
لابثين بالالف احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية وقيل الحقب هو اسم للزمان والدهر
وليس له حد معلوم عن ابن مسعود لا يعلم عدد الاحقاب الا الله وقيل هو محدود عن ابن عمر ان الحقب ثمانون سنة
كل يوم منها الف سنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل
قال نجده في كتاب الله ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلثون يوما كل يوم الف سنة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها احقابا والحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون
يوما كل يوم كالف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان يخرج من النار بشر بن كعب بلغني ان الحقب ثلثمائة سنة
كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مجاهد الاحقاب ثلثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا
كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة الحسن ان الله لم يذكر شيئا الا جعل له
مدة ينقطع اليها ولم يجعل لاهل النار مدة قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انهم اذا مضى حقب دخل آخر
ثم آخر الى الابد الاباد فليس للاحقاب عدة الا الخلود في النار ولكن قد ذكروا ان الحقب الواحد سبع عشرة الف سنة قال
وهذه الآية منسوخة نسختها فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل ولا يكاد يستعمل الحقب
والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى الحقيبة الكيس والحقب الذي
وراء التصدير لا يذوقون فيها بردا تفسير والاستثناء المنقطع يعني لا يذوقون فيها بردا او روحا ينفس عنهم
حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا قال الزمهرير وقيل صديد اهل السعير وقيل
دموعهم شهر بن حوشب الغساق واد في النار فيه ثلثمائة وستون شعبا في كل شعبة ثلثمائة وثلثون بيتا في كل
بيت اربع زوايا في كل زاوية شجاع كاعظم ما خلق الله من الخلق في راس كل شجاع سم وقيل البرد النوم انشد فيه
[illegible] والعرب تقول منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم
وقيل ان النوم ليبرد صاحبه وان العطشان لينام فيبرد غليله فلذلك سمي النوم بردا قال الشاعر
وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما الحسن لا يذوقون
فيها بردا اي روحا وراحة جزاء نصب على المصدر اي جازيناهم جزاء وفاقا وافق اعمالهم كما تقول قاتل قتالا الربيع
جزاء بحسب اعمالهم الضحاك على قدر اعمالهم مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم
من النار الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله ما يسوؤهم انهم كانوا لا يرجون لا يخافون حسابا محاسبة
الله اياهم وقيل لا يؤمنون بالبعث فيرجوا ثوابا حسابا وكذبوا باياتنا كذابا هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت
كذابا وخرقت القميص خراقا وقيل الحجي مصدرها فعال في الاستثناء في لغتهم وكل شيء احصيناه كتابا مصدر في موضع
احصاء واحصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل وقيل هو حال في معنى
مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصينا معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض فذوقوا مسبب
عن كفرهم وكفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك
الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة ومجيئها على طريقة الالتفات شاهد على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار قوله تعالى ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا
وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا ۞ ان للمتقين مفازا
فوزا ونجاة من النار الى الجنة وظفرا بالبغية ابن عباس والضحاك متنزها حدائق فيها بدل من مفازا وهي
حدائق بساتين فيها انواع الشجر المثمرة واعنابا اشجار العنب وكواعب نواهد تكعب ثديهن واحدتها كاعب اترابا
اقرانا مستويات في السن وكاسا دهاقا مملوءة وادهق الحوض ملأه حتى قال الغطني سعيد بن جبير ومجاهد متتابعة
من ادهم في قوله تعالى وكاسا دهاقا مادها خالصة عكرمة صافية مقاتل على قدر انهم لا يسمعون فيها لغوا
باطلا وما اثما وهو الفحش من الكلام ولا كذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين
مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز من ربك تفخيم للجزاء عطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء حسابا
صفة بمعنى كافيا كثيرا وافيا يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ويكفيني قال الشاعر
ونقفي وليد الحي ان كان جائعا ونحسبه ان كان ليس بجائع ۞ اي نعطيه حتى يقول حسبي وقيل جزاء على
اعمالهم قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ۞ قرأ ابن عامر وعاصم بخفض رب والرحمن وحمزة والكسائي
رب خفضا والرحمن رفعا والباقون برفعهما قال ابو عبيد وسطها اعدلها القرب رب من قوله جزاء من ربك
فيكون نعتا له وبعد الرحمن منه وقيل رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ
والرحمن صفته ولا يملكون خبره او هما خبران وبالجر على البدل من ربك بجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره
لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله
ويامر به في امر الثواب والعقاب خطابا واحدا يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه وقيل لا يملكون

للاحقاف ۲

مؤيد ۲

اي النوم ۲

تكذيبا م

ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه قوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا عن ابن عباس ان نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الروح ما هو
فقال هو جند من جند الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح والملائكة
صفا فقال هؤلاء جند وهؤلاء جند وعن ابن عباس هو اعظم الملائكة خلقا واشرف منهم واقرب من رب العالمين
ابن عباس الروح ملك اعظم من السموات ومن الجبال واعظم من الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر
الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيمة صفا وحده والشعبي والضحاك هو جبريل والضحاك عن
عباس انه عن يمين العرش نهر من نور مثل السموات والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل عليه السلام
فيه كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل قطرة تقع
من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل كل يوم منهم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة لا يعودون اليه
الى ان تقوم الساعة وهب ان جبريل واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة

[illegible]

قتادة هو لو من ياليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اكن خلقت ولم اكلف وقيل ياليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر
الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حالته وقيل الكافر ابليس وذلك انه
عاب آدم عليه السلام لانه خلق من التراب فيتمنى ان يكون خلق من التراب فاذا عاين يوم القيمة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون
من الثواب والرحمة والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه بمكان آدم فيقول حينئذ ياليتني كنت ترابا

سورة النازعات

وهي سبعمائة وثلث وخمسون حرفا وكلماتها مائة وتسعون كلمة وست واربعون آية ●

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا ● فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب
يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة
خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ● اقسم الله تعالى بطوائف من الملائكة والنازعات غرقا
هي الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تنزع ارواح الكفار ابن عباس ملك الموت
من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم يرددها في جسده ثم ينزعها الكافر
مقاتل هم ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فيخرج نفسه كالغريق
في الماء سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار مجاهد هو الموت ينزع النفوس السدي هي النفس
حين تغرق في الصدر وقيل يعني الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق الحسن وقتادة وابن كيسان وابو عبيدة هو
هي النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب عطاء وعكرمة هي القسي وقيل الغزاة الرماة والمعنى والنازعات اغراقا كما يغرق النازع

في النفوس

[illegible]

فيها بحفر قبورهم فسميت حافرة وهي بمعنى المحفورة ومعنى الآية انا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا ثم مردودون
في قبورنا امواتا وهذا قول مجاهد والخليل وقيل سميت الارض حافرة لانها مستقر الحوافر كما سمي القدم ارضا لانها
على الارض والمعنى نرد فنمشي على اقدامنا ابن زيد الحافرة النار ائذا كنا عظاما نخرة قرأ اهل الكوفة الا حفصا ناخرة
بالالف والباقون نخرة بغير الف وهما لغتان يقال نخر العظم ونخر فهو ناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل
وهو البالي الاجوف التي تمر فيه الريح فيسمع له نخير اذا منصوب بمحذوف تقديره انبعث اذا كنا عظاما نخرة نرد ونبعث قالوا تلك
اذا كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم
فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف فمعناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله
فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا
امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين
ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس ● وساهرة يضحى السراب مجللا ● لاقطارها قد جبتها
متلثما ● او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة قتادة فاذا هم في جهنم وقيل هذه الساهرة جبل عند بيت المقدس ابو العالية
فاذا هم بالساهرة بالصقع الذي بين جبل حسان وجبل اريحا قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى
ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ●
هل اتاك هذا استفهام متضمن التنبيه على ان هذا مما يجب ان يعلم ويتضمن التشريف للمخاطب به والحث على استماعه
وقيل معناه قد اتاك وقيل هذا اول ما قصه من حديث موسى اي قد جاءك حديث موسى حين ناداه بالواد المقدس من ارض
الشام طوى وهو اسم من ضم فيه جعله اسما للموضع او صفته كقوله مكانا سوى ومن لم يصرفه جعله اسما لبقعة او معدولا
ولا كسر في ذلك وقيل معنى طوى مرتين وقيل نودي مرتين اذهب الى فرعون على ارادة القول يتعلق بالنداء محذوف
القول لان النداء قول وقيل تقديره بان اذهب انه طغى تجاوز الحد في الكفر والفساد فقل له هل لك الى ان تزكى كما تقول هل لك
الى كذا وهل لك في كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب الى ان تتطهر من الشرك قرأ اهل الحجاز ويعقوب
بتشديد الزاي تزكى اي تتزكى والباقون بالتخفيف اي تسلم وتصلح وتطهر واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وابين
عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر
الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شيء ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل بدأ بمخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا وادرجه بالكلام
الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية
الكبرى فتقديره فذهب اليه فاراه الآية الكبرى وهي العصا واليد البيضاء وقيل قلب العصا حية لانها كانت المقدمة و
الاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك وقيل ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة
لان الثانية كانها من جملة الاولى ولكونها تابعة لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله بعد ما
صحت الامور وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر اعرض عن الايمان او لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته
الحسن كان رجلا طياشا خفيفا وقيل تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته وقيل اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان
يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة وقومه كقوله فارسل فرعون
في المدائن حاشرين فنادى فقام فيهم خطيبا لما اجتمعوا فقال انا ربكم الاعلى اي ليس رب فوقي وقيل
اراد الاصنام ارباب وانا ربها وربكم وقيل اراد القادة والسادة وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري
والآخرة انا ربكم الاعلى فاخذه الله فعاقبه الله نكال مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قال نكل الله به
نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني النكال في الدنيا والآخرة وهي قوله
انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة وقيل عشرون سنة ان في ذلك فيما فعل بموسى لعبرة لمن يخشى الله تعالى
وقيل ان فيما قصصناه عبرة لمن يخشى وقيل لمن يعلم الله قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها
واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم ●
ءانتم ايها المشركون المنكرون للبعث اشد اصعب خلقا وانشاء ام السماء فان الذي قدر على خلق السماء قادر على احيائكم
بعد الموت ونظيره قوله او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله لم يعي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى وقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم بين كيف خلق السماء فقال بناها ثم بين البناء فقال
رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية بلا شقوق
ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان واغطش ليلها اظلم
وغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه الله ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز
ضوء شمسها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل
ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها والارض بعد ذلك دحاها ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها
قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك اي بسطها ابن عباس وعبد الله بن عمر وخلق الله

الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وقيل معناه
والارض مع ذلك دحاها كما يقال للرجل انت احمق وانت بعد هذا لئيم اي انت مع هذا لا ان الله تعالى عمل بعد ذلك
دنيا ثم مع ذلك بدليل هذا التاويل قراءة مجاهد والارض عند ذلك دحاها وقيل بعد بمعنى قبل كقوله ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر وهو القران اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها قيل هو الكلأ الذي يرعى وقيل موضع
المرعى وقيل مصدر بمعنى الرعي وقيل المرعى يعم الاشجار والثمار والزروع وانواع العشب والجبال ارساها واثبتها ونصب الارض
والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير قال صاحب الكشاف فان قلت هلا ادخل حرف العطف على
اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها
من تسوية امر المآكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها
حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤوكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل
الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما
سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي الماوى يسالونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من
يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها ● الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو
وتغلب وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة
التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه
تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت الجحيم
لمن يرى لكل راء يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد تبين الصبح
لذي عينين يعني لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا
فاما من جاوز الحد في كفره ولم يسع الا للحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي
هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول التعريف لانهما معروفان وقوله هي فصل
واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي ربه ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات
وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير فان الجنة هي الماوى وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب
مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسألونك
عن الساعة ايان مرساها اي متى ارساؤها اي اقامتها اراد متى يقيمها الله عز وجل ويثبتها ويكونها
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت
من ذكراها من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكراها وتبيين وقتها في شيء وعن
عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا
تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك
على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤته احدا من خلقه
وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء
وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها
ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة
لهم في علمه انما بعثت لتنذر من اهوالها من يخشاها كانهم يعني كفار
قريش يوم يرونها يعاينون القيامة لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها اي اذا صاروا الى الساعة
التي يسألونك عنها استقصروا مدة لبثهم في الدنيا او في القبور واضافة الضحى الى العشية
لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد وفائدة الاضافة الدلالة على ان مدة لبثهم لم تبلغ يوما
كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشية فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار

سورة عبس

وهي خمسمائة وثلثة وثلثون حرفا ومائة وثلثون كلمة وهي احدى واربعون آية ●

بسم الله الرحمن الرحيم ● عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما
يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى ● عبس وتولى قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص

على اسلام قريش واشرافهم وكان يوما يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام وابا وامية بن خلف يدعوهم
الى الله ويرجو اسلامهم فجاء ابن ام مكتوم واسم ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر
بن لؤي فقال علمني يا رسول الله مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه صلى الله عليه وسلم مشتغل بكلام
غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واقبل على القوم يكلمهم فنزلت هذه الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعد ذلك ويقول
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي عز وجل وقد ذهب جمع منهم مقاتل انه انما جاء للمؤمن فاعرض عنه النبي عليه السلام اشتغالا بالرؤسا
فنزلت هذه الايات عبس قطب وكلح وتولى اعرض بوجهه ان جاءه لان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين
روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير ولا تصدى لغني وفي الاخبار عنه ثم الاقبال
عليه بالخطاب يدل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية
مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه
اعمى فكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله عز وجل في هذا تأدبا
حسنا فقد روي عن سفيان الثوري انه كان الفقراء في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى
لعله يزكى فيتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم قيل اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالعبوس على الحكاية
معاتبة له وقيل تعظيما لحرمته ثم عاد الى خطابه فقال وما يدريك اي انك لا تدري لعل هذا الذي اعرضت عنه اكرم
عند الله لانه يزكى اي يطلب ان يكون زكيا بالعمل الصالح والزكي النامي في الخير او يذكر يتعظ بما يعلمه فتنفعه الذكرى
ما يذكر او موعظتك قرأ حفص عن عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل وقرأ الباقون بالرفع عطفا على يذكر والمعنى
انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك
طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وعطف باو لان التزكي اخلى
من التذكر والتذكر دونه فكانه اراد رتبة ثم فصل ذكر ما عوتب عليه من توفيره على الكافر الغني حرصا على اسلامه
عن المؤمن الفقير استهانة به فقال اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه قرأ ابن كثير ونافع تصّدى بفتح
التاء وتشديد الصاد والباقون بفتح التاء والصاد مع تخفيفها وما عليك الا يزكى ومعناه
التصدي له من الحرص على اسلامه وما عليك باس ان لا يتزكى بالاسلام وانما عليك البلاغ واما من جاءك
يسعى يسرع في طلب الخير ويعمل الخير وهو ابن ام مكتوم وهو يخشى الله وقيل يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء ومعه
قائد فهو يخشى الكبوة فانت عنه تلهى تتغافل وتتشاغل من لهي عنه والتلهي وتلهى تولاه فانت له تصدى وانت عنه
تلهى فيهما من معناه انكار التصدي والتلهي عنه ومثلك خصوصا لا ينبغي له ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير

قوله تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره

كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها المواعظ التي وعظ بها تذكرة موعظة يجب
الاتعاظ بها والعمل بمقتضاها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ
في صحف يعني اللوح المحفوظ مكرمة عند الله وقيل في صحف منتسخة من اللوح المحفوظ مكرمة مرفوعة في السماء
وقيل مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا المطهرون وقيل مطهرة عن ان ينالها ايدي الكفار
وقيل مطهرة عما ليس بكلام الله من الوحي الخالص والحق المحض بايدي سفرة بايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة
ينسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء وقيل السفرة الانبياء وقيل القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل المؤمنون كرام على الله وقيل كرام عن المعاصي يرفعون انفسهم عنها واذا مروا باللغو مروا كراما قتل الانسان
دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وقيل هذا تعليم في قوله قتل الانسان
وهو عتبة بن ابي لهب بعينه وذلك انه قال كفرت برب النجم اذا هوى فقال له عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك فاخذه الاسد في طريق الشام ما اكفره قيل الاستفهام اي اي شيء حمله على الكفر وقيل تعجب من افراطه
في كفران نعمة الله عز وجل ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة
مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه
من اصول النعم وفروعها وما هو غارق فيه راسه من الكفر كذا والمعط يغله الاشعار الى ما يتقلب فيه والى ما يجب
عليه من القيام بالشكر

قوله تعالى من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم

من اي شيء خلقه حقير مهين خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا
قيل فقدره احوالا نطفة ثم علقة الى آخر تمام الخلقة وقيل خلقه على استواء من تركه ثم سوى الشخص وقيل قدره
على هذه الصورة التي هو عليها وقيل قدره اي جعله قادرا ثم السبيل منصوب باضمار يسر وفسره والمعنى ثم سهل
سبيله اي طريق خروجه من بطن امه الحسن ومجاهد يعني طريق الحق والباطل بين له ذلك وسهل له العلم به
دليله قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم اماته فقبض روحه فاقبره صيره بحيث يقبر وجعله ذا قبر
يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا
دفنه واقبر الميت اذا امر ان يقبره ومكنه منه ثم اذا شاء انشره انشاه النشاة الاخرة اي احياه بعد موته كلا ردع
للانسان عما هو عليه اي ليس الامر كما يقوله ويظنه هذا الكافر لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد
ما فرض الله عليه وقيل لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج من جميع
اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان
الى طعامه مطعمه الذي يعيش به كيف قدره ربه ودبره له ليكون له آية وعبرة مجاهد الى مدخله ومخرجه اي الخلاء
اذ ان النبي عليه السلام قال لبعض اصحابه ما طعامك قال يا رسول الله اللحم واللبن ثم الى ماذا قال الى ما قد علمت
قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم ان مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا
وعنه صلى الله عليه وسلم ان مطعم ابن آدم جعل مثل الدنيا فانظر الى ما يصير وسئل ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء
فينظر الى ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول له انظر الى ما بخلت به الى ما صار انا قرأ الكوفيون بفتح الالف على
تكرير الخافض في البدل من الطعام تقديره فلينظر الى انا صببنا والباقون بالكسر على الاستيناف صببنا الماء صبا
اي الغيث ثم شققنا الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الفعل الى نفسه لانه هو
الفاعل حقيقة فانبتنا فيها حبا كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وعنبا وقضبا ابن عباس والضحاك يعني
الفصفصة واهل مكة يسمون القت القضب سمي بذلك لانه يقضب في كل الايام اي يقطع الحسن القضب العلف
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا غلاظ الاشجار واحدها اغلب مجاهد ملتفة ابن عباس طوالا قتادة غلبا نخلا
كراما مكرمة عظام الاوساط ابن زيد عظام الجذوع والاعناق وقيل يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء يريد بذلك تكاثفها وكثرة
اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي غلاظا عظاما والاصل فيه الوصف بالغلب الرقاب
فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا وفاكهة وابا كلا
ومرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع الحسن هو الحشيش مما تاكله الدواب ولا ياكله الناس قتادة اما الفاكهة فلكم واما
الاب فلانعامكم ابن زيد الاب يدل عليه ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ما انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام
ابن عباس الاب الثمار الرطبة الضحاك التبن عكرمة الفاكهة مما ياكل الناس والاب مما ياكل الدواب عن ابراهيم التيمي ان
ابا بكر رضي الله عنه سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم
وعن انس رضي الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض عصا بيده
قال لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا
لكم يعني الفاكهة ولانعامكم يعني العشب قال صاحب الكشاف فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن
والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم
لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية
ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له ولانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل
مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى
ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن

قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة

يعني صيحة القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع اي تبالغ في اسماعها حتى كادت
تصمها يقال صخ الحديث مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لا يلتفت الى احد منهم لشغله بنفسه وقيل حذرا من مطالبتهم اياه بما
بينهم وبينه من التبعات والمظالم ويقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام
وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل لعلمه بانهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه من الله شيئا بدأ بالاخ ثم
بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم احب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه
عبد الله بن طاهر الابهري قال في هذه الاية يفر منهم اذ ظهر له عجزهم ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد سوى ربه
الذي لا يعجزه شيء ويمكن من فسحة التوكل واستراح في طلب التفويض الحسن اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم عليه السلام
واول من يفر من امه محمد صلى الله عليه وسلم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من اخيه هابيل بن آدم واول من يفر
من صاحبته نوح ثم لوط ثم تلا هذه الاية لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يشغله عن شان غيره ويكفيه في الاهتمام
به وجوه يومئذ مسفرة مشرقة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء ضاحكة لما ترى من النعيم وقيل ضاحكة
من الكفار شماتة وغبطا مستبشرة عطا مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث
من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الضحاك من آثار الوضوء ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار ترهقها
تعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت
ذكر انها في التي يصيرها الله ترابا بعد القصاص بينها فحينئذ ذلك التراب غبرة في وجوه الكفرة ترهقها قترة ظلمة وكآبة

وكسوف ابن عباس تغشاها ذلة ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة ان القترة ما ارتفع من الغبار فلحق السماء
والغبرة ما كان اسفل في الارض اولئك الذين تكون وجوههم بهذه الصفات هم الكفرة الفجرة

سورة كورت

مكية

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات وخمس مائة وثلثون حرفا روى ابو عبد الله الحاكم في صحيحه
من حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اختار ان ينظر في القيمة فليقرأ اذا الشمس كورت
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • اذا الشمس كورت • واذا النجوم انكدرت
واذا الجبال سيرت • واذا العشار عطلت • واذا البحار سجرت • واذا النفوس زوجت • واذا الموؤدة سئلت
باي ذنب قتلت • واذا الصحف نشرت • واذا السماء كشطت • واذا الجحيم سعرت • واذا الجنة ازلفت علمت
نفس ما احضرت • اذا الشمس كورت ضوءها من كورت العمامة اذا لففتها اي تلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه
وانتشاره في الآفاق وهي عبارة عن ازالتها والذهاب لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف
او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء او لف
من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار وعطلت ذهبت مجاهد
اضمحلت سعيد بن جبير عورت ابو صالح نكست وعنه ايضا القيت يقال طعنه وكوره اي القاه ربيع بن خيثم
رمي بها واصل التكوير في كلام العرب جمع بعض الى بعض كتكوير العمامة وهو لفها على الرأس وتكوير الكارة من الثياب
وهو جمع بعضها الى بعض ثم لفها فيرمي بها اذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها بكليته ونظيره وجمع الشمس والقمر
وارتفاع الشمس على الفاعلية بافعال مضمر يفسره كورت لان اذا اطلبت الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم
انكدرت تناثرت من السماء فتساقطت على الارض وانكدر اي اسرع وانقض قال ابو ... فانكدر
ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
ابن عباس تغيرت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض وابعدت وقيل سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر
مر السحاب واذا العشار عطلت جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي النوق الحوامل التي اتى على حملها عشرة
اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليها عطلت تركت
وتركها اربابها وكانوا لا يعتنون الا بها فلم تركب ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال اعجب اليهم منها لاتيان ما يشغلهم
عنها واذا الوحوش حشرت جمعت من كل ناحية قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضي بينها ردت
ترابا فلا يبقى الا ما فيه سرور لبني آدم والاعجاب بصورته كالطاووس ونحوه ابن عباس واذا الوحوش حشرت حشرها
موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة ابي بن كعب حشرت اختلطت واذا البحار سجرت
قرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والباقون بالتشديد من سجر التنور اذا ملأها بالحطب اي ملئت وفجر بعضها
الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار ابن زيد وسفيان ووهب اوقدت
فصارت نارا ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحر فيبعث الله عليه ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير
نارا الحسن يبست ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لاهل النار ابي بن كعب
ست آيات قبل يوم القيمة بينا الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه
الارض فتحركت واضطربت وارتجفت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش
وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت قال اختلطت واذا العشار عطلت اهملها اهلها واذا البحار
سجرت قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض
صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم
واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واذا النفوس زوجت كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاجر مع الفاجر
والصالح مع الصالح ابن عباس في العينين يكون الناس ازواجا ثلثة الحسن وقتادة الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود
والنصارى بالنصارى مقاتل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين نظيرها احشروا
الذين ظلموا وازواجهم واذا الموؤدة سئلت الجارية المقتولة المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب
فيؤدها اي يثقلها حتى تموت ومنه قوله تعالى ولا يؤده حفظهما كان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها
البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية
واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر
لها بئرا في الصحراء فاذا بلغ بها البئر قال لها انظري الى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى
تستوي البئر بالارض فذلك قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه في التراب ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت

كان

وكان اذا دنا ولادها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما
حبسته وكانت طوائف من العرب يفعلون ذلك فاما حملهم على وأد البنات خوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف
من الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه فالحقوا
البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا
الوئيد فلم يوأد قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن
موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله عز وجل لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به
حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سئلت لقيل قتلت وعن النعمان بن بشير قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول في قول الله واذا الموؤدة سئلت قال جاء قيس بن عاصم التميمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
وصاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت سئلت باي ذنب قتلت وفيه دليل على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا الصحف نشرت قرأ نافع وابن عامر وعاصم نشرت بالتخفيف والباقون
بالتشديد عن ام سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة قلت يا رسول الله
كيف بالنساء قال شغل الناس يا ام سلمة قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل يريد صحف
الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر
الانسان ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وقيل المراد انه نشرت بين
اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن
في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السماء
كشطت قلعت ونزعت وجذبت وكشفت عما فيها كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء واذا الجحيم سعرت قرأ
نافع وابن عامر والحلواني عن هشام وحفص والعليمي عن ابي بكر سعرت مشددا والباقون بالتخفيف ومعناه اوقدت ايقادا
شديدا قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم واذا الجنة ازلفت ادنيت من المتقين غير بعيد علمت هو عامل النصب في اذا
الشمس كورت وفيما عطف عليه قال صاحب الكشاف فان قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس
عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول القائل قد اترك القرن مصفرا
انامله • ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي ولا يعدم جند كذا فانما اعتده
وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد واستقلال كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء
بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين علمت نفس ما احضرت من خير او شر وهو جواب لقوله
اذا الشمس كورت قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة قوله تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس • والليل اذا عسعس • والصبح اذا تنفس • انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع
ثم امين • وما صاحبكم بمجنون • ولقد رآه بالافق المبين • وما هو على الغيب بضنين • وما هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم
ان يستقيم • وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين • فلا اقسم لا صلة وتأكيد
بالخنس قيل هي النجوم الخمسة الدراري التي تخنس في مجراها اي ترجع الى ورائها وتكنس في وقت اختفائها
وغروبها كما تكنس الظباء في مغارها وقيل الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله الجوار
الكنس الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيت يتخذه الوحش من اغصان الشجر وقيل هي الدراري الخمسة
بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس قتادة هي النجوم
تبدو بالليل وتخفى بالنهار فلا ترى سئل علي رضي الله عنه عن الخنس
الجوار الكنس فقال هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوي الى مجاريها ابن زيد معنى الخنس انها
تتأخر عن مطالعها كل سنة لها في كل عام تأخر تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه والكنس تكنس بالنهار فلا ترى
عن عبد الله بن مسعود الجوار الكنس هي بقر الوحش وهو قول ابراهيم وجابر بن زيد سعيد بن جبير هي الظباء في
رواية العوفي عن ابن عباس واصل الخنس الرجوع الى وراء والكنس ان تأوي الى مكانسها وهي المواضع التي تأوي اليها
الوحوش والليل اذا عسعس الحسن اذا اقبل بظلامه وقال الآخرون ادبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع اذا ادبر
منه الا يسير قال علقمة حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا والصبح اذا تنفس اقبل واضاء بدا
اوله وقيل امتد حتى صار نهارا بينا اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز انه
اي القرآن لقول رسول كريم هو جبريل ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة عند ذي العرش مكين
المكانة على حسب حال الممكن عند ذي العرش لتدل على عظم منزلته ومكانته مطاع ثم اشارة الى الظرف المذكور
اعني عند ذي العرش اي عند الله مطاع في ملائكته المقربين امين على الوحي وما صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم
بمجنون كما تبهته الكفرة قال صاحب الكشاف وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة
ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين

قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد راه
اي راى محمد جبريل على صورته بالافق الاعلى من ناحية المشرق الذي يجيء منه النهار ولا شك انه لما ذكر
فضل جبريل قلنا انه يدل على فضل جبريل لا انه يدل على انه افضل من جميع الملائكة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السماء فقال
لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال بمنى قال لا يسعني قال بعرفات قال ذلك بالحري
ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل عليه السلام قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة
وكلكلة قد ملأ بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا
عليه فتحول جبريل في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه من تحت العرش
ورجلاه في التخوم السابعة وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع
يعني العصفور حتى لا يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السماء
وما اخبره به من الغيب من رؤية جبريل وغير ذلك بضنين قرأ عاصم وحمزة واهل المدينة والشام بالضاد اي ببخيل
يقول يأتيه علم الغيب من الضن وهو البخل لانه لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه بل
يعلمكم ويخبركم به وقرأ الباقون بالظاء اي بمتهم من الظنة وهي التهمة واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة
مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين فان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان
مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اضبط يعمل بكلتي يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احدى الحروف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء
فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احدى الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان
لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف جبلين من جبال العلم في القراءة ولما اختلف المعنى
والاشتقاق والتركيب فان وضع المصلي احدى الحرفين مكان صاحبه فهو كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان
السين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو اي القرآن بقول شيطان رجيم اي
بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته
والبيان ان استضلالهم كما يقال لتارك الجادة المستقيمة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت
حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل ان هو الا ذكر للعالمين تذكير للخلق كلهم لمن شاء منكم بدل
للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه
لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا قال الواسطي فاين تذهبون من ضعفاء الى ضعفاء ارجعوا الى الحجة
الربانية ليستقر لكم القرآن الجنيد يعني هذه الآية مقرونة باية اخرى وهي قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه
ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويعمل به ويقيم عليه ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين
اي لا يقدرون على الاستقامة الا بمشيئة الله وتوفيقه ولطفه عن ابي هريرة لما نزل الله تعالى على رسوله
عليه السلام لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فان الامر الينا فانزل الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اي لا يقدرون على الاستقامة الا بمشيئة الله وتوفيقه ولطفه
عن ابي هريرة لما نزل الله تعالى على رسوله عليه السلام لمن شاء منكم ان يستقيم الحسن والله ما شاءت العرب الاسلام
حتى شاء الله سبحانه وتعالى وعن وهب بن منبه قال الكتب التي نزلها الله تعالى على الانبياء عليهم السلام بضع وتسعون
كتابا قرأت منها بضعا وسبعين كتابا فوجدت فيها من جعل الى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر
قال الواسطي اعجزك في جميع اوصافك فلا تشاء الا بمشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله
ولا تعصي الا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من افعالك وليس من فعلك شيء

سورة الانفطار

وهي ثمانمائة وسبعة وعشرون حرفا وثمانون كلمة وتسع عشرة آية **بسم الله الرحمن الرحيم**

اذا السماء انفطرت ۝ واذا الكواكب انتثرت ۝ واذا البحار فجرت ۝ واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت
اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت واذا البحار فجرت فتح بعضها في بعض عذبها الى ملحها
وملحها في عذبها فصارت بحرا واحدا وزال البرزخ بينهما الحسن فجرت فذهب ماؤها الكلبي ملئت واذا القبور بعثرت
بحثت ونشرت واثيرت واستخرج ما في الارض من الكنوز ومن فيها من الموتى احياء يقال بعثرت الحوض وبحثرته
اذا هدمته وجعلت اسفله اعلاه وقيل بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى
اليها واخرج موتاها وهذا من اشراط الساعة ان تخرج الارض افلاذ كبدها من ذهبها وفضتها علمت نفس ما قدمت
من عمل صالح او طالح واخرت من سنة حسنة او سيئة عكرمة ما قدمت من الفرائض التي ادتها واخرت من الفرائض

[illegible]

سورة المطففين

ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام انها مكية ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومقاتل انها مدنية لكن ابن عباس
وقتادة قالا فيها ثمان آيات مكية ان الذين اجرموا الى آخرها وقال مقاتل فيها آية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه آياتنا
قال اساطير الاولين حكى جابر بن زيد عن ابن عباس انها نزلت بين مكة والمدينة وذكر هبة الله بن سلامة انها نزلت في الهجرة
بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة وهي سبعمائة وثمانون حرفا ومائة وتسع وستون كلمة وست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين ● ويل للمطففين الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن واصله من الشيء الطفيف
وهو النزر القليل والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما
ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس بخمس قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس
قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن علي
رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه
امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان
قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل المدينة
يكيلون واهل مكة يزنون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط فان
المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال
او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين
لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على
بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها اذا اكتالوا اخذوا على الناس اي منهم وعلى من يتعاقبان في هذا الموضع يستوفون حقوقهم واذا كالوهم
او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال نصحتك ونصحت لك قال الفراء
يقال في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله
استوفيت منك ولا يصح ان يكون الضمير في كالوهم او وزنوهم ضميرا منصوبا راجعا الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف
الجار واوصل الفعل كما قال ● ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ● ولقد نهيتك عن بنات الاوبر ● والحريص يصيدك
لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو
المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا
من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا
في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف
لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة
لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع
وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا
يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا قال صاحب الكشاف فان قلت
هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين
جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك تعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرونه
ببالهم ولا يخمنون تخمينا اولئك انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب
ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان ان
اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت
به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم
بالعظيم وقيام الناس فيه خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما
كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل
الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قرأ ويل للمطففين فلما بلغ يوم
يقوم الناس لرب العالمين بكى حتى خر وامتنع من قراءة ما بعده قوله تعالى ● كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ● كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم
يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ● كلا ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم

على انهما مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال
الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين
المدحورون كما تشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وسجين هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه
الا سبب واحد وهو التعريف قيل ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وصفه به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان
الفاسق الخبيث بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد متجاوز للحق الى الباطل اثيم آثم ثم بين كيف تكذيبه بيوم
القيامة فقال اذا تتلى عليه آياتنا اي القرآن قال اساطير الاولين احاديثهم الباطلة كلا ردع للمعتدي الاثيم عن هذا الكذب
بل ران قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بامالة الراء والباقون بفتحها بل ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو
ان يصر على الذنب ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان العبد اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان عاد زادت حتى يسود قلبه فذلك قوله
تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال المفسرون هو الذنب على الذنب حتى يسود قلبه وقال حذيفة بن اليمان القلب
مثل الكف فاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعا من اصابعه ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعا اخرى ثم اذا اذنب انقبض وقبض
اصابعه ثم يطبع على قلبه وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب
يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به واصل الرين الغلبة
يقال رانت الخمر على عقله اذا غلبت عليه فسكر فمعنى الآية غلب على قلوبهم ما احاط بها حتى غمرها وغشيها كلا ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم انهم عن ربهم اي عن رؤيته وقيل كرامة ربهم يومئذ لمحجوبون ممنوعون مطرودون غير مقبولين ولا مقربين قال
الزجاج في الآية دليل على ان الله سبحانه يرى في القيامة ولولا ذلك لما كان في الآية فائدة قال صاحب الكشاف وكونهم محجوبين
عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون
عندهم ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلوا النار وقيل يصيرون صلاها
وهو الوقود ثم يقال هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون فتنكرون وقيل هذا جزاء ما كنتم به تكذبون قوله تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه
من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ● ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا
انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ● كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار
ما كتب من اعمالهم لفي عليين علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو
كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث
يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه قتادة هو
قائمة العرش اليمنى مقاتل ساق العرش علي بن طلحة وعطاء عن ابن عباس هو الجنة عطية اعمالهم في كتاب الله عند الله في السماء
الضحاك سدرة المنتهى وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم قد مر تحقيقه في تقديم الآية ان كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين
وهو محل الملائكة ومثله ان كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين وهو محل ابليس عن عبد الله بن عمر ان اهل عليين لينظرون
الى اهل الجنة من كذا فاذا اشرف رجل اشرقت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل عليين وروي ان الملائكة لتصعد
بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه
وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء اوحى الله اليهم
انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه انه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين يشهده المقربون تحضره الملائكة
ان الابرار لفي نعيم تنعم في الجنان على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما اعطاهم الله من الكرامة والنعمة والى
اعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل على ارائك المعرفة ينظرون الى المعروف وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤوف تعرف
في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه وعصارته وبريقه ونوره يسقون من رحيق خمر صافية طيبة
تعبق من خمر عتيقة مقاتل من خمر بيضاء وقيل من شراب خالص لا غش فيه مختوم ختمت ومنعت من ان يمسها ماس او ينالها
يد الى ان يفك ختمها الابرار يوم القيامة مجاهد وقيل مختوم يختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة
وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل تمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك ابن زيد ختامه عند الله
مسك وختام اليوم في الدنيا طين ابن مسعود مختوم ممزوج ختامه اخره وعاقبته اخر طعمه مسك ابو الدرداء شراب ابيض
مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وختم كل شيء الفراغ
منه ومنه ختم القرآن والاعمال بخواتيمها قرأ الكسائي خاتمه اي ما يختم به ويقطع والباقون ختامه اي مقطعه وقيل الختم
والختام واحد وفي ذلك اشارة الى الرحيق وقيل في نعيم الجنة فليتنافس المتنافسون المرتغبون بالمبادرة الى طاعة الله مجاهد فليعمل

المتنافسون نظيره لمثل هذا فليعمل العاملون مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون ابن حيان فليتسارع المتسارعون
عطا فليستبق المستبقون زيد بن اسلم فليتشاح المتشاحون ابن جريج فليحرصوا في طلبه وليحرصوا عليه لما ضلوا من التنافس
النفيس وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتطلبه وتتمناه ويريده كل واحد منهم لنفسه وتنفس به على غيره اي يضن
ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة
واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اواني اهل الجنة على مقدار ملئها فاذا
امتلأت امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء عينا نصب على المدح قال الزجاج نصب على
الحال يشرب بها المقربون الجزري والواسطي يشرب بها المقربون نصرفا على بساط القرب في مجلس الانس وبساط القدس
بكاس الرضا على مشاهدة الحق ان الذين اجرموا اشركوا هم مشركوا مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص واشياعهم
كانوا من الذين آمنوا عمار وخباب وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين يضحكون في الدنيا ويستهزئون بهم
يتغامزون مقاتل والكلبي نزلت في علي بن ابي طالب وذلك انه جاء في نفر من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فسخر منهم
المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فانزل الله تعالى هذه الآيات
قبل ان يصل علي واصحابه الى رسول الله واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فكهين قرأ حفص بغير الف والباقون بالف متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقيل معجبين بما هم فيه
المؤمنين وقيل معجبين وقيل لاهين ابن عيسى الفكه المتنعم بالماكول من غير حاجة للقوت والفاكه الطالب ما يتفكه
بمن يزاد بالامور وقيل هما بمعنى كطمع وطامع واذا رأوهم اي واذا رأى الذين اجرموا المؤمنين قالوا اي الذين اجرموا ان
هؤلاء اي المؤمنين لضالون اي خدع محمد هؤلاء فضلوا وقيل نسبوا المسلمين الى الضلال وما ارسلوا عليهم حافظين
اي وما ارسل المشركون عليهم على المؤمنين حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم شاهدين برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بالمشركين
وقيل هذا من جملة قول المشركين فانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم يعني يوم القيمة من الكفار يضحكون كما ضحك
الكفار منهم الذين آمنوا في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل
بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون على الارائك ينظرون حال من الذين آمنوا والعامل فيها يضحكون اي يضحك الذين آمنوا من الكفار
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على
الارائك ينظرون اليهم قال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه الذي كان في الدنيا اطلع
من بعض تلك الكوى قال الله تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم هل ثوب الكفار جوزي الكفار ما كانوا يفعلون اصل الثوب
الرجوع فجعل لكل مكافاة ثوابا وثوب واثاب بمعنى واحد وقيل يجوز ان يكون هل ثوب في موضع مفعول ينظرون اي
ينظرون هل عذبوا اشفيا منهم بذلك ويجوز ان يكون استئنافا والمعنى اذا فعل بالكفار ما ذكر هل جوزوا على سوء صنيعهم

سورة الانشقاق

مكية

وهي اربعمائة وثلثون حرفا ومائة وسبع كلمات وخمس وعشرون آية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● اذا السماء انشقت واذنت
لربها وحقت ● واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت ● اذا السماء انشقت تشققت
وتقطعت ذاتها وقيل انشقت بالغمام من قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من
المجرة واذنت لربها استمعت له واطاعت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن
وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم وحقيقته من اذن للشيء اذا اصغى اليه باذنه للاستماع
والسماع يستعمل للاسعاف والاجابة كذلك الاذن اي اجابته بها الى الانشقاق وما اراده منها والمعنى انها
فعلت في انقيادها ما اراده حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن
ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت وحق لها ان تطيع ربها وحقيق بها ذلك علمه هو من قولك هو محقوق
بكذا وحقيق به اي هي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر بالذات يأتي له كل مقدور ويحق ذلك
واذا الارض مدت من مد الشيء فامتد وهي ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط وتستوي ظهرها
كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال
كل انثناء فيه وامتد واستوى وقيل من مده بمعنى امده اي زيد في سعتها وبسطتها والقت ما فيها من الموتى والكنوز
وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في بطنها شيء كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم
اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها وحقت واذنت لربها في القاء ما في بطنها
وتخليها وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب وقيل حذف جوابها اذا بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار
وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا

فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره
فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا يا ايها
الانسان انك كادح جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء كدحا والكدح جهد
النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر له منه وقيل فملاق
الكدح وقيل انك عامل واصل الى ربك بعملك فملاقيه ومجازى به خيرا كان او شرا القتيبي انك ناصب في
معيشتك الى لقاء ربك وعن النبي صلى الله عليه وسلم الناس منتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم
على ما سلف فاما من اوتي كتابه ديوان اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض
بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من حوسب عذب فقلت يا رسول الله فقد قال الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم
العرض من نوقش الحساب عذب وعنه صلى الله عليه وسلم الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والاحتساب بالحسنات
وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى
المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين مسرورا فرحا مسرورا لخلاصه من الهم والحزن واما من اوتي كتابه وراء
ظهره فتغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره مجاهد تخلع
يده من وراء ظهره فسوف يدعو اي ينادي ثبورا بالويل والهلاك فيقول يا ثبوراه ويصلى سعيرا قرأ ابو عمرو والكوفيون
غير الكسائي يصلى بفتح الياء وسكون الصاد والباقون بضم الياء وتشديد اللام انه كان في اهله مسرورا
في الدنيا قيل في اهله فيما بين ظهرانيهم وهم على انهم كانوا مسرورين كفى انه كان في الدنيا مسرورا بطرا
كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء
والمتقين وحكاية الله عز وجل عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تكذيبا بالمعاد
يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الحور بعد الكور وعن ابن عباس ما
كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري حوري اي ارجعي قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
ثم قال بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي ليس كما ظن بلى ليحورن وليبعثن ان ربه كان به بصيرا وباعماله لا ينساه
ولا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد
قوله تعالى فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون
واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ● فلا اقسم بالشفق مجاهد وغيره هو النهار كله عكرمة ما بقي من
النهار ابن عباس واكثر الناس هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وبغيبوبته يتعلق اول وقت العشاء الآخرة
واليه ذهب من الصحابة ابن مسعود وابن عمر وعمر وابنه وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وانس بن مالك وابو قتادة
الانصاري وابو هريرة وجابر بن عبد الله ومن التابعين سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار
ومكحول ومن الفقهاء مالك والاوزاعي والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيدة واحمد واسحق وقال قوم الشفق
هو البياض واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وابو حنيفة في احدى الروايتين وقد روي انه رجع عنه والاصح ان الشفق
هو الحمرة لاتفاق اهل اللغة عليه ولان الشواهد من كلام العرب واشعارهم تشهد له ● قال الشاعر
احمر اللون كحمرة الشفق سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه والليل وما وسق وما جمع وحمل يقال
وسقته اسقه وسقا ومنه قيل للطعام المجتمع الكثير وسق وهو ستون صاعا وطعام موسق اي مجموع في
غرائر ووعاء ويقال للذي شق فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها لتفرقه اظلم عليه ودخل فيه عكرمة
ما جمع فيه من دوابه وعقاربه وحياته وظلمته ابن جبير ما ساق من ظلمة فاذا كان الليل ذهب كل شيء الى
ماواه ابو القاسم بن حبيب يشبه ان يكون هذا القول من المقلوب لان اصله ساق يسوق ابن حيان ما دخل فيه من الظلمة
او كوكب سعيد بن جبير وما عمل فيه والقمر اذا اتسق اذا اجتمع واستوى وتم نوره ليلة اربع
عشرة قتادة اذا استدار وقيل الاتساق الامتلاء والاجتماع يقال اتسق الشيء اذا تتابع واستوسقت
الابل اذا اجتمعت وانضمت وهو افتعل من الوسق لتركبن قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء يعني لتركبن
يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة وقيل اراد بالسماء تغير لونها فتصير تارة كالدهان
وتارة كالمهل وتنشق بالغمام مرة وتطوى اخرى وقرأ الآخرون بضم الباء وقيل لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال
وامرا بعد امر في مواقف القيمة والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق
واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق اي حالا بعد حال
كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه
طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي
الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها ابن عباس الشدائد الاهوال الموت ثم البعث ثم العرض

قام بشديد وقع في بنات طبق وفي احدى بنات طبق ابو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم وقيل من طبق
على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق وقيل حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق فما لهم لا يؤمنون
وهذا دليل على حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكماء من كان اليوم على حالة وغدا على حالة اخرى فليعلم
ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان
وقهر المنية ونسخ العزيمة فما لهم لا يؤمنون وما يمنعهم من الايمان بعد ظهور هذه الادلة القاطعة
والبراهين الساطعة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون ولا يستكينون له والمراد به الكفار قيل قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق
رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قرأ اذا السماء
انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر
وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا اشارة الى المذكورين يكذبون والله اعلم بما يوعون بما يجمعون
في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء وقيل بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من
انواع العذاب مجاهد يكتمون ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء منقطع لهم اجر غير ممنون غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون به عليهم من المنة تكدر النعمة

سورة البروج

مكية

وهي اربعمائة وستون حرفا ومائة وتسع كلمات واثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج ● واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض
والله على كل شيء شهيد ● والسماء ذات البروج الاثني عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم
التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة ومشهود يوم
عرفة عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة
ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير الا
استجاب له ولا يستعيذه من سوء الا اعاذه منه ابن عباس الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم قال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم شاهد يوم عرفة ومشهود يوم الجمعة عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثروا الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلوته حتى يفرغ منها
قال قلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق وقيل المراد بالشاهد
من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكير شاهد ومشهود لما ذكر في قوله
علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود ولا يكتنه وصفهما وقيل شاهد ومشهود عيسى
وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل الحجر الاسود و
الحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا ينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت
شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل محمد والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجواب
القسم محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى
اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى ياتسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار
ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود وهو الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى
الخق والاخقوق ومنه فتهوت به ناقته في اخاقيق جرذان وهي شقوق في الارض وعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه
وكان في طريقه راهب فاتاه الغلام وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى
الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت
اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى في طريقه على دابة عظيمة قد حبست الناس لا يدعهم يجوزون فقال الغلام
اليوم اعلم اكان الراهب احب الى الله ام الساحر فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من امر الساحر
فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب يا بني انت اليوم
افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس
من الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال هذه لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله

عز وجل

عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فدعا له فشفي فاتى الملك يمشي فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك
فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء
بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله
عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقال له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضعه في
مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا
به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم
اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه
الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى قرقور فلججوا به فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فغرقوه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكفأت بهم السفينة وجاء يمشي الى الملك فقال له ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله ثم قال للملك انك لست بقاتلي
حتى تفعل بي ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس على صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم قل
باسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد ثم صلبه على جذع ثم اخذ سهما
من كنانته ثم وضعه في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده عليها فمات
فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما كنت تحذر قد آمن الناس فامر بالاخدود في افواه السكك واضرم
فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها
الغلام يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت في النار سعيد بن المسيب كنا عند عمر رضي الله عنه اذ ورد عليه انهم احتفروا فوجدوا
ذلك الغلام يعني الذي ذكرناه وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب عمر رضي الله عنه واروه
حيث وجدتموه ومن علي رضي الله عنه انهم قد اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم
وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب
الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت
ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين
ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم
ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين
الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر
اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها
ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس اذ ظرف لقتل اي لعن اصحاب الاخدود حين احرقوا بالنار قاعدين
هم عليها على النار قعود ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما يقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان
يدنو منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود حضور مقابل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم وقيل
ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم
لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم
القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم اي وما انكروا منهم عيبا ولا ذنبا
لهم حربا ولا ارادوا منهم سوءا الا ان يؤمنوا بالله وقيل وما عابوا منهم وما كرهوا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان يغضبوا العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل
شيء شهيد ذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد
على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق
الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء
شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ● ان
بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ● يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود
خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ان الذين فتنوا عذبوا واحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار في الاخدود
وقيل امتحنوهم ليرجعوا الى الكفر ثم لم يتوبوا من الكفر فلهم عذاب جهنم في الآخرة بكفرهم ولهم عذاب الحريق نار اخرى
عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين والمؤمنات وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا
لما روي ان الله احرقهم بتلك النار التي احرقوا بها المؤمنين والمؤمنات روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم وقوله
ثم لم يتوبوا دليل على ان التوبة تزيل عقاب القتل وعقاب كل ذنب ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى
على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة بكفرهم وفتنتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اي النجاة العظيمة ان بطش ربك اخذه بالعنف شديد وصف
بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطش الجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ الخلق ويعيده
دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه وقيل اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا

نعمة

[illegible]

ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد التكذيب بل هو الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف كثير الخير وفي بما ينفع الخلق في الدنيا والآخرة وليس كما زعم المشركون قرآنا في لوح محفوظ بالرفع على نعت القرآن يدل عليه قوله نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وإليا فون بالجر على نعت اللوح أي محفوظ من وصول الشياطين إليه

سورة الطارق

وهي مائتان وتسع وثلثون حرفا واحدى وستون كلمة وسبع عشرة آية قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ ● نزلت في أبي طالب قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب فقال أي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فأنزل الله تعالى والسماء والطارق يعني النجم يظهر ليلا ويخفى نهارا وكل ما جاء ليلا فهو طارق ومنه حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين لا تدع عليهم واعجل لهم مهلتهم امهلهم رويدا [illegible] قليلا هذه الألفاظ مختلفة والمعنى واحد انما اختلفت اجتنابا للتكرار وتقديرها مهلهم امهلهم [illegible] رويدا ورويدا تصغير رواد بالترخيم قيل هو ما وقع بهم يوم بدر وقيل هو ما يقع في القيامة وقيل هو منسوخ وقيل محكم

سورة الأعلى

وهي مائة وأحدى وسبعون حرفا واثنان وسبعون كلمة وتسع عشرة آية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ● والذي قدر فهدى ● والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ● [illegible]

[illegible]

[illegible]

ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى • قد افلح من تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من
من التقوى من الزكاة والنماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقم
الصلوة لذكري وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة
الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة
العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة
معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن
الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا قرأ ابو عمرو يؤثرون بالياء من تحت
والباقون بالتاء فلا تفعلون ما تفلحون به قال عرفجة الاشجعي كنا عند عبد الله بن مسعود فقرأ هذه الآية فقال اتدرون
لم آثرنا الحيوة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها
وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل والآخرة خير وافضل في نفسها وانعم وابقى
وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب ان هذا الذي ذكرت في السورة قال الكلبي يعني من قوله
قد افلح من تزكى الى آخر اربع آيات يعني قوله والآخرة خير وابقى قال قتادة تتابعت كتب الله فيها كما تسمعون ان الآخرة خير وابقى
القفال ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى واخبر انه في صحف ابراهيم وموسى يعني ان معنى هذا الكلام
وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها قال ابو ذر قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم انبياء قلت اكان آدم نبيا
قال نعم كلمه الله وخلقه بيده يا ابا ذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله
من كتاب قال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثين
صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى ابراهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان
وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه

سورة الغاشية

وهي ثلثمائة واحد وثمانون حرفا واثنان وتسعون كلمة وست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • هل اتيك حديث الغاشية
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن
ولا يغني من جوع • هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم باهوالها يعني القيمة
من قوله يوم يغشاهم العذاب سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار دليله قوله وتغشى وجوههم النار
ومن فوقهم غواش وجوه يومئذ يوم اذ غشيت حتى يوم القيمة خاشعة ذليلة عاملة في النار ناصبة فيها
انها عملة متعبة الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل
والاغلال قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها وانصبها في النار الكلبي يجرون في النار على وجوههم
الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار يعني الصعود فيها عمل ابن مسعود تخوض في النار
كما تخوض الابل في الوحل عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيمة سعيد بن
جبير وزيد بن اسلم هم الرهبان واصحاب الصوامع ومعناها انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب
والتهجد الواصب تصلى قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب تصلى بضم التاء اعتبارا بقوله تسقى من عين آنية والباقون بفتح
التاء وقيل المصلى عند العرب ان يحفر حفيرا فيجمع فيه جمرا كثيرا ثم يعمد الى شاة فيدسها وسطه تماما فاما ما يشوى
فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية متناهية بلغت اناها في الحر ادركها وقيل بلغت
حرها وحان شربها من اناه ليس لهم طعام الا من ضريع مجاهد وعكرمة هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش
الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وقيل الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه
الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى
وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال فحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود الوالبي
عن ابن عباس هو شجر من نار ابن زيد اما في الدنيا فالضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق ويدعوه العرب الضريع وهو
في الآخرة شوك من نار سعيد بن جبير هو الحجارة عطاء هو شيء يطرحه البحر المالح يسميه اهل اليمن الضريع وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من
النار سماه الله تعالى ضريعا قال عمرو بن عبيد لم يقل الحسن في الضريع شيئا الا انه قال هو بعض ما اخفى الله تعالى
من العذاب ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى وعلى هذا المعنى يكون المعنى المضرع
قال ابو الدرداء والحسن يقبح الله وجوه اهل النار يوم القيمة تشبيها باعمالهم الحسنة في الدنيا ان الله يرسل على اهل النار

سورة الفجر

وهي خمسمائة وسبعة وتسعون حرفا وثمانية وتسع وثلثون كلمة وثلثون آية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم • والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر • اقسم الله تعالى بالفجر كما اقسم بالصبح والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس

العبادة التي لا ينكر كالحج وقيل الشفع النفس والروح اذا كانا معا والوتر الروح بلا نفس والنفس بلا روح كانه تشكك
اقسم بهما وقيل الشفع الاجتماع والوتر الافتراق قرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتح الواو وهما لغتان
والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس قال اكثر المفسرين يعني اذا سار فذهب قتادة اذ جاء واقبل
وعكرمة والكلبي هي ليلة المزدلفة قرا اهل المدينة وابو عمرو يسري بالياء في الوصل وابن عامر وعاصم والكسائي بحذف الياء
في الحالين على الاصل وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك او فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد
هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر وهو قسم عظيم يؤكد به المقسم عليه
وقيل هل في ذلك الذي ذكرت قسم مقنع ويكتفي في القسم لذي حجر عقل سمي به لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل
كما سمي عقلا لانه يعقله عن القبائح والنهى لانه ينهى عما لا ينبغي واصل الحجر المنع يقال للرجل اذا كان مالكا لنفسه
قاهرا ضابطا لها انه لذو حجر وعنه قولهم حجر الحاكم على فلان والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى
قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك
سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ● الم تر كيف فعل ربك بعاد هو اسم قبيلة هي قوم هود وقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم
ابن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم
عاد الاخرة قال ابن الرقيات ● مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما ● فارم في قوله بعاد ارم عطف
بيان وايذان بانهم عاد الاولى العتيقة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها وارم غير منصرف قبيلة كانت
او ارضا للتعريف والتانيث والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة سعيد بن المسيب
كانوا يقولون ان ذات العماد دمشق وبه قال خالد الربعي وعكرمة وابو سعيد المقبري القرظي هي الاسكندرية مجاهد
هي امة ومعناها القديمة قتادة هم قبيلة من عاد ابن اسحق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح معاذ
ارم قبيلة من قوم عاد كانوا اهل عمد وكان عاد اباهم فنسبهم اليه وهو ارم بن عاد بن سام بن
ابن نوح والصواب انها اسم قبيلة او اسم بلدة وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل
عمد وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل هم بعمل عمد وعمدان وعماد اذا كان طويلا وقيل ذات
البناء الرفيع وان كانت صفة البلدة فالمعنى انها ذات ابنية رفيعة وان كانت صفة البلدة فالمعنى انها ذات اساطين
روي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له
ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاث مائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة
وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من
السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فبينا هو في صحاري عدن اذ هو قد وقع على مدينة في تلك
الفلوات عليها حصن وحول الحصن حصون كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا
ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن اذا هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان
بالياقوت الابيض والاحمر فلما راى ذلك دهش واعجبه ففتح احد البابين فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا قصور كل قصر منها
تحته اعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ
ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضا مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق من مسك وزعفران
فلما عاين الرجل ما عاين ولم ير فيها احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا هو بشجر في كل زقاق منها قد اثمر تلك الاشجار
وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة كل قناة اشد بياضا من الشمس فقال الرجل والذي بعث
محمدا بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق
المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها شيئا فانصرف الى اليمن فاظهر ما كان
معه واعلم الناس امره وباع بعض ما حمل فبلغ امره بين الناس حتى بلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه
فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك اشقر احمر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد
ومثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها
على الحي فيهلكهم فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وثمود الذين جابوا قطعوا وخرقوا الصخر الحجر واحدتها صخرة
بالواد اي بوادي القرى فاتخذوا منها بيوتا آمنين كما قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام
ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قرأ ورش باثبات الياء في الوادي وصلا وابن كثير في الوصل والوقف
برواية البزي والباقون بحذفها في الحالين لانها رأس اية وفرعون ذي الاوتاد وقيل اراد بالاوتاد الجنود والجموع الذين
يقوون امره ويشيدون مملكته وسمي الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها وينزلونها في اسفارهم
قتادة سمي ذا الاوتاد لانه كانت له مطال وملاعب من اوتاد تضرب له فيلعب له تحتها وقال الجمهور يعني ذا البناء المحكم وقال سعيد بن جبير
منارات يعذب الناس عليها مجاهد وغيره كان يعذب الناس بالاوتاد كان اذا غضب على احد مده على الارض واوتد يديه

(hāmish) وابن كثير بالياء في الحالين ٢

وتجلده وواشه على الارض وقد عذب بالاوتاد ماشطة بنته واسية امراته الذين طغوا في البلاد صفة الجموع
فيه انيكون نصبا على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا في البلاد او مجرورا على وصف
المذكورين عاد وثمود وفرعون فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب قال قتادة يعني لونا من العذاب
وقيل وجع عذاب يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان
عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات
من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه ابن عباس يريد يرى ويسمع مقاتل يرصد الناس
على الصراط فيجعل رصدا من الملائكة معهم الكلاليب والمحاجن والحسك الضحاك بمرصد لاهل الظلم والمعصية وقيل معناه
مرجع الخلق ومصيرهم الى حكمه وامره الحسن وعكرمة يرصد اعمال بني ادم مقاتل يرصد الناس عليه عطاء ان ربي لا يفوته
احد بان لا محيص عنه الكلبي عليه طريق العباد فلا يفوته احد والمرصاد الطريق عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع
محابس يسال العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسال عن الصلاة فان
جاء بها كاملة جاز الى الثالث فيسال عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى
الخامس فيسال عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسال عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها
والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على
طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا
صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ● فاما الانسان
متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة
للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فاما الانسان اذا ما ابتلاه امتحنه ربه بالنعمة
والسعة فاكرمه بالمال ونعمه بما وسع عليه من الافضال فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ويسر ويحمد عليه ويشكر واما اذا ما ابتلاه
امتحنه بالفقر فقدر فضيق وقتر عليه رزقه فيقول ربي اهانن اذ لم يبال بالفقر ولم يشكر الله على ما اعطاه من سلامة الجوارح
ورزقه من العافية والصحة قال قتادة ما اسرع كفر ابن ادم قرا ابن عامر فقدر بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما لغتان
وكان ابو عمرو يقول قدر بمعنى قتر وقدر يعني يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن قرا اهل الحجاز اكرمن واهانن
فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه ربه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما
واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور واما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اساءت اليه فهو مسيء
اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي
هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدا واجب تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط
الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا
قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه
ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقتير فليس باهانة له لان
الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين
واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه
فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر
قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله عز وجل اعطاه ما اعطاه
اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله
على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي
كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه
اذا تفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه كلا رد عليه فقال كلا لم ابتله بالغنى
لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي وان الفقر والغنى من تقديري وقضائي فلا اكرم من اكرمت بالغنى وكثرة الدنيا
ولا اهين من اهنته بالفقر وقلة الدنيا ولكني انما اكرم من اكرمته بطاعتي واهين من اهنته بمعصيتي كما قال الفراء معنى قوله
كلا لم ينبغ له ان يكون هكذا ولكن ينبغي له ان يحمد الله على الامرين على الغنى والفقر ثم قال بل لا تكرمون اليتيم اي بل سال من هذا
القول ومن السيئ وهو انهم يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على
طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وعن ابن اهنته من اجل انه لا يكرم اليتيم قرا اهل الكوفة تكرمون
وما بعدها كلها بالتاء من تحت الباقون بالتاء ولا تحضون قرا اهل الكوفة تحاضون بالالف وفتح التاء وضم الحاء كما
يحضون بالضم والباقون يحضون بغير الف وتأكلون التراث الميراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام الحسن اكل نصيبه ونصيب

(hāmish) غلبه الخير واكرمه به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل

غيره بكر بن عبد الله اللهم لا عندنا في الميراث يأكل كل شيء يجده ولا يسأل عنه أحلال هو أم حرام ويأكل الذي له ولغيره
وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان وقيل يأكلون ما جمعه الميت من المظلمة وهو عالم بذلك فيلم
في الأكل بين حلاله وحرامه قيل ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في
إنفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون
أبو عبيدة يقال لممت على ما الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته كله أجمع ويحبون المال حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص
والشره ومنع الحقوق يقال جم الماء في الحوض إذا كثر واجتمع كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم أي ما هكذا ينبغي أن يكون
الأمر ثم أتى بالوعيد وأخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل إذا دكت الأرض دكا
دكا أو دكا بعد دك حتى عادت هباء منبثا وتكسر كل شيء عليها من جبل
الحسن وغيره ... وقال أهل الإشارة ... لا يوصف بتحول من
مكان إلى مكان وأنى له التحويل ولا مكان له ولا أوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان ...
... قال صاحب الكشاف
فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى الله تعالى والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره
وتبيين آثار قهره وسلطانه ...

سورة البلد

وهي ثلثمائة وعشرون حرفا واثنتان وثمانون كلمة وعشرون آية قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ● لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ● أقسم الله تعالى بهذا البلد الحرام
يعني مكة وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه الحرام
يعني مكة وما بعده على أن الانسان بقوله وأنت حل بهذا البلد وأنت يا محمد حل حلال بهذا البلد في المستقبل يصنع
فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله أحل لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قتل من قتل وأحل ما شاء
وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وأصحابه وحرم دار أبي سفيان ثم قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات
والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي لم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر ونظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قوله إنك ميت وإنهم ميتون
واسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال
محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح وقيل وأنت حل بهذا البلد
أن سلك على عظم حرمته يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا
ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد
من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بكلام على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد ووالد وما ولد
عكرمة وسعيد بن جبير الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له فعلى هذا تكون ما نافية وهو بعيد لا يصح إلا بإضمار
عطية عن ابن عباس الوالد وولده وقيل المراد بالوالد إبراهيم وما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم ببلده الذي
هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسمعيل وبمن ولده وبه ونكر والد للابهام المستقل بالمدح والتعجب قال
صاحب الكشاف فإن قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب
الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان في كبد في نصب الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد
الآخرة قتادة في مشقة فلا يلقاه إلا يكابد أمر الدنيا والآخرة سعيد بن جبير في شدة الحسن أيضا يكابد الشكر على السراء
والصبر على الضراء فلا يخلو منهما عطاء عن ابن عباس في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه وفصاله ومعاشه وحياته
وموته عمرو بن دينار عنه نبات أسنانه يماني لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن سعيد بن
جبير أيضا في ضيق معيشة ابن كيسان المكابدة مقاساة الأمر وركوب معظمه وأصل الكبد الشدة وهو من الكبد يقال
الرجل كبد إذا وجعت كبده وانتفخت واتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة قال لبيد
يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب مقاتل في قوة نزلت في أبي الأشد
واسمه أسيد بن كلدة ابن أسيد بن خلف الجمحي وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني
عنه فله كذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل هو شدة الأمر في النهي والثواب
العقاب ابن زيد لقد خلقنا الانسان يعني آدم في كبد أي وسط السماء وذلك حين نزع إلى الجنة أبو بكر الوراق لا يدرك
هواه ولا يبلغ مناه حصيف في معاناته ومقاساته ولا يبقى الأخلاء نطفة ثم علقة إلى آخر تمام الخلق ابن كيسان منتصبا
مقابلا مع رأسه ورجلاه مقابلا مع رجلي أمه فإذا أذن الله في إخراجه انقلب رأسه إلى رجلي أمه
الكيمي ضعف خلقه ومهانة مادته جعفر الصادق في بلاء ومحنة ابن عطاء في ظلمة وجهل محمد بن علي الترمذي مضيعا
لما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه أيحسب الضمير في أيحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف المؤمنين أن لن يقوم قيامه ولن يقدر على الانتقام
منه وعلى مكافاته بما هو عليه قيل الحسب أبو الأشد بن كلدة من قوته أن لن يقدر عليه الحق يعني الله وقيل الوليد بن المغيرة قوله
تعالى يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم
العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم ذكر ما يقول
في ذلك اليوم يقول أهلكت مالا لبدا كثيرا بعضه على بعض وهو من التلبيد في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مقاتل نزلت
في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يكفر
فقال لقد ذهب مالي في النفقات والكفارات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم أيحسب أن لم يره أحد قيل الله وقيل
محمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم وكان كاذبا لم ينفق جميع ما قال يعني أن الله
يراه وكان عليه رقيبا سعيد بن جبير وقتادة أيظن أن لم يره أحد يسأله عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه قال صاحب
الكشاف ويجوز أن يكون الضمير للانسان على أن المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم

ثم يتحرج بر تحقيق بأن أعطاه بقسمه به لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن
يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك قتادة
نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن
نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد
أعنتك بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين وهديناه النجدين قال أكثر
المفسرين بينا له طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا
وإما كفورا فلا اقتحم العقبة أي فلم يجاوز هذا الإنسان العقبة فيأمن يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم
بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس
كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله عز وجل
لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر الآية قال صاحب الكشاف
فإن قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي إلا مكررة ونحو قوله فلا صدق ولا صلى لا تكاد تقع إلا مكررة في الكلام
الأفصح قلت هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام
العقبة بذلك والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها
اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس الحسن رضي الله عنه عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان
نفسه وهواه وعدوه الشيطان وما أدراك ما العقبة قيل شبه عظم الذنوب وثقلها على مرتكبها بعقبة
فإذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله مثل من اقتحم العقبة التي هي الذنوب حتى تذهب عنه ذنوبه كمن يقتحم
عقبة فيستوي عليها ويجوزها وذكر عن ابن عباس أن هذه العقبة جبل في جهنم الحسن وقتادة هي عقبة دون
الجسر فاقتحموها بطاعة الله مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة
آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وإن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج
مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم
من يمر عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا
والزالون والزالات ومنهم من يكردس في النار اقتحامه على المؤمنين كما بين صلاة إلى العشاء قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى
أن المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل من يتكلف صعود العقبة ابن زيد يقول هلا سلك الطريق التي فيها النجاة
والخير ثم بين ما هي فقال وما أدراك ما العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال وما أدراك فإنه أخبر به فك رقبة
خلصها من رق أو غيره من عتق أو قيد كما تنتقذه من النار عكرمة فك رقبة من الذنوب بالتوبة قرأ ابن كثير
وأبو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف وأطعم بفتح الميم على الفعل كقوله ثم كان والباقون بالإضافة على الاسم
لا تفسير لقوله وما أدراك ما العقبة ثم أخبر ما هي فقال فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة مجاعة يتيما ذا مقربة
أو مسكينا ذا متربة قد لصق بالتراب من الفقر وهي شدة الحال وأنشد الهذلي وكنا إذا ما الضيف حل بأرضنا سفكنا
دماء البدن في تربة الحال عن البراء بن عازب جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا يدخلني الجنة
فقال لئن قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا واحدا قال لا عتق الرقبة أن
تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع
واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير قال الأئمة في الحديث دلالة على أن
العتق أفضل من الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة يضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة أفضل لأن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا من النار وفك رقبة وإطعام على الإبدال عن اقتحم العقبة
وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض ومعناه لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة
والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب إذا افتقر ومعناه
التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب
قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا
بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة ● جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على
العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به ثم كان من الذين آمنوا
وتواصوا أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى المحن التي يبتلى بها المؤمن
وعن المعاصي وتواصوا أوصى بعضهم بعضا بالمرحمة برحمة الناس أولئك أصحاب الميمنة أي اليمين والذين كفروا
بآياتنا هم أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار مؤصدة قرأ أبو عمرو وحمزة
ويعقوب وحفص بالهمز هاهنا وفي سورة الهمزة والباقون بلا همز وهما لغتان وهي المطبقة بالواو من أوصدت الباب
وبالهمز من آصدته إذا أطبقته وأغلقته وقيل معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة ومنه قيل للباب وصيد ●

سورة والشمس مكية

سورة الشمس

مكية

وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفا وأربع وخمسون كلمة وخمس عشرة آية

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها
والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها
قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ● والشمس وضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت
الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قتادة هو النهار كله مقاتل حرها
كقوله فطله ولا يضحى يعني ولا يؤذيك الحر والقمر إذا تلاها تبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها وذلك في النصف
الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر طالعا آخذا من نورها والنهار إذا جلاها أي جلا الشمس وكشفها عند
انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء الفراء مع جماعة والنهار إذا جلى الظلمة فجاز
الكناية عن الظلمة ولم يذكر لأن معناها معروف ألا ترى إلى قولهم أصبحت باردة وأمست عاصفة وهبت شمالا كني
عن مهبات لم يجر لهن ذكر لأن معناها معروف والليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق قال
صاحب الكشاف فإن قلت الأمر في نصب إذا معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر
فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل
وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلا فيه الباء
إذ الفعل معها أو مضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه
الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها
مقام ضرب الذي هو عاملهما والسماء وما بناها قيل ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها قال صاحب الكشاف
وليس بالوجه لقوله فألهمها فجورها وما يؤدي إليه من فساد النظم والوجه أن يكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة
معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة التي سواها وفي كلامهم سبحان
ما سخركن لنا وفي تنكير نفس وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم والثاني أن يريد كل نفس
للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس فألهمها فجورها وتقواها ابن عباس في رواية الوالبي بين لها الخير والشر
وعرفها الطاعة والمعصية الكلبي علمها ما تأتي وما تتقي ابن زيد جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه
إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور قال صاحب الكشاف معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما
حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل
التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى
دسس كما قيل في تقضض تقضى قوله وتمكينه من اختيار ما شاء ليس في الآية ما يدل عليه وأما قوله فجعله فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما فجوابه ما هو الجواب في إسناد الفعل إلى العبد عن أبي الأسود الدؤلي قال لي عمران بن الحصين
أرأيت ما يعمل فيه الناس ويكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم
صلى الله عليه وسلم وأكدت عليهم الحجة قلت بل شيء قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا
وقلت له ليس شيء إلا هو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي سددك الله إنما سألتك لأختبر عقلك
إن رجلا من جهينة أو مزينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون فيه أشيء
قضي عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحجة فقال لا بل شيء قضي عليهم قال ففيم
العمل إذا قال من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فألهمها
فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها قال ابن عباس قيل قد أفلح من زكاها جواب القسم أي أفلحت نفس زكاها الله يعني أصلحها وطهرها
من الذنوب ووفقها للتقوى وقد خاب خسرت نفس من دساها دساها الله فأخملها وخذلها وأبعدها ووضع منها وأخفى محلها
حتى عملت بالفجور وركبت المعاصي والعرب تفعل هذا كثيرا فتبدل في الحرف المشدد بعض حروفه ياء أو واوا كالتقضي سعيد بن
جبير ومجاهد قد أفلح من زكاها قال أحدهما أصلحها وقال الآخر طهرها وقد خاب من دساها قال أحدهما أغواها وقال الآخر
أضلها قتادة دساها أثمها وأفجرها ابن عباس أبطلها وأهلكها ابن أبي صالح قد أفلح من زكاها الله وخابت نفس أخسها الله الحسن
معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله وقد خاب من دساها من أهلها فأضلها وحملها على معصية الله
فجعل الفعل للنفس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قد أفلح من زكاها وقف ثم قال اللهم
آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكاها قال صاحب الكشاف سئل ابن عباس رضي الله عنهما قال
أتقرأ قد أفلح من زكاها وقد خاب من حمل ظلما وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع
من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون
لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه فإن قلت فأين جواب القسم قلت هو محذوف وتقديره ليدمدمن الله عليهم

سورة الليل

وهي ثلثمائة وعشرة أحرف وإحدى وسبعون كلمة وإحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى ● والليل إذا يغشى النهار من قوله يغشي الليل النهار أو الشمس من قوله والليل إذا يغشاها أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب والنهار إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق أي القادر العظيم الذي خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء إن سعيكم مساعيكم لشتى لأشتات مختلفة

سورة الضحى

وهي مائة واثنان وسبعون حرفا وأربعون كلمة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ● ولسوف يعطيك ربك فترضى ● ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ● ووجدك عائلا فأغنى ● فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث ● قيل سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي

ولنعرف من التعب وتحبب الإسلام وفشو الدعوة واستعلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه
إلا الله ابن عباس رضي محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وقيل هي الشفاعة في جميع المؤمنين عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول أرضيت يا محمد فأقول
رب رضيت ثم قال إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية في القرآن يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله قالوا إنا لنقول ذلك قال لكنا أهل البيت نقول إن أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهي الشفاعة ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال إذا لا أرضى وواحد من أمتي
في النار اللام الداخلة على سوف هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك
ربك كما في لا أقسم أي لأنا أقسم وذلك أنه لا يجوز أن تكون لام قسم لأن لام القسم لا تدخل على المضارع
إلا مع نون التأكيد ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن
يكون أصله ولأنت سوف يعطيك ومعنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تأخر
ثم أخبر الله تعالى عن حالته التي كان عليها قبل الوحي وعدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء
نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع منه إلا الحسنى وزيادة
الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره ألم يجدك من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد
والمعنى ألم يكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان
سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته فآوى أي فآواك ووجدك ضالا فهداك
أي ضالا عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب
مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب
وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب ضالا فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك
وعمك قال صاحب الكشاف ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم
السمعية فنعم وإن أراد أنه على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها
من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي
نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر ووجدك عائلا فقيرا فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم مقاتل فرضاك
بما أعطاك من الرزق ابن عطا وجدك فقير النفس فأغنى قلبك وقيل فقيرا إليه فأغناك به وقيل وجدك غنيا بالله
فقيرا عن حكمها فأغناك بأحكام المعرفة حتى تم لك الغنى عن غيرهم ووجدك فقيرا لا يعرف الحق فأغناك بالعلم فأغنيتك
بالقرآن في العلم والحكمة الأخفش وجدك [illegible] ابن عطا
لم يكن معك كتاب ولا شريعة فلقاك بهما وقيل وجدك محتاجا إليهم فكفاك الأخوان
والأعوان فأما اليتيم فلا تقهر ولا تذكر يتمك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل وأشار بالسبابة والوسطى
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه
عرش الرحمن فيقول الله سبحانه لملائكته يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذي غيبت أباه في التراب
فيقول الملائكة ربنا أنت أعلم فيقول الله يا ملائكتي فإني أشهدكم أن لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم
القيمة فكان عمر إذا رأى يتيما مسح رأسه وأعطاه شيئا وعن أنس بن مالك من ضم يتيما فكان
في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وأما
السائل فلا تنهر فلا تزجره ولكن رده بلين أو برد جميل واذكر فقرك الحسن في قول الله تعالى وأما السائل
فلا تنهر قال أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك ولكن طالب العلم يحيى بن آدم يقول وأما السائل فلا تنهر
قال إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع
أحدكم السائل أن يعطيه إذا سأل ولو رأى في يديه قلبين من ذهب إبراهيم بن أدهم السائل بريد الآخرة يجيء
إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وأما بنعمة ربك فحدث يعني النبوة مجاهد القرآن والتحدث
بالنعمة شكرها وإشاعتها يريد ما ذكر من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك كان عبد الله بن غالب
إذا أصبح يقول لقد رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فيقال له يا أبا فراس إن مثلك
لا يقول مثل هذا فيقول إن الله عز وجل يقول وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا
قصد اللطف وأن يقتدى به وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به والمعنى
كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث
واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده
بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه
الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداك من الضلال عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر
القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعم الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب

سورة الم نشرح مكية

سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وثلثة حروف وسبع وعشرون كلمة وثمان آيات

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر يسرا إن مع العسر
يسرا فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ألم نشرح استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح
وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك يعني فتحناه ووسعناه وملأناه تلطيفا بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة ولذلك عطف
عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى وقيل معنى شرحنا لك صدرك فتحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا وقيل حتى احتمل
المكاره التي يتعرض بها لك كفار قومك وغيرهم أو فتحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون
مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حلما وحكمة ووضعنا حططنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وهو عبء ثقيل حمله
على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته
قبل النبوة أو من عدم علمه بالأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن
غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعدما بلغ وبالغ ورفعنا لك ذكرك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية فقال قال الله
عز وجل إذا ذكرت ذكرت قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاهد بالتأذين فيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد • وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

ابن عطا جعلت تمام الإيمان بذكرك معي وقيل ورفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء وقيل بأخذ ميثاقه على النبيين
وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله ذو النون المصري همة الأنبياء تجول حول العرش وهمة محمد صلى الله عليه وسلم
فوق العرش وهمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق العرش لذلك قال ورفعنا لك ذكرك ذكره ويفزع الخلائق يوم القيمة إلى محمد
صلى الله عليه وسلم كفى [illegible] إلى الله لعلمهم بجاهه عنده وفائدة زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل
ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك ذكرك وعنك فقد كان المشركون يعيرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار
أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال إن مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ذلك فلا تيأس من فضل الله
فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرا كأنه قال بأن يظهرك عليهم حتى يعادوا اللحاق الذي جئتهم به طوعا وكرها قال صاحب الكشاف
فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه
بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب فإن قلت ما معنى قول
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا
يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يومئذ
للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة
بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف
وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في
أن مع زيد مالا وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فإذا كان الكلام
الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال قيل المراد باليسرين ما تيسر لهم من الفتوح في أيام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وقيل يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله هل تربصون بنا إلا
إحدى الحسنيين وهما حسن الظفر والثواب فمعنى تنكير يسرا التعظيم كأنه قيل إن مع العسر يسرا عظيما وأي يسر [illegible]
[illegible] وهذه الآية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض
ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة عقبها بأخرى عن الحسن لما نزلت هذه الآية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وعن ابن مسعود والذي نفسي بيده
لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين الحسن بن يحيى الجرجاني لن يغلب عسر يسرين
أن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم مقلا مخففا فعيره المشركون بفقره حتى قالوا نجمع لك مالا فاغتم وظن أنهم كذبوه
لفقره فعزاه الله وعدد عليه نعمه ووعده الغنى فقال ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك [illegible] ذكره
ذكر امتنانه عليه [illegible] وعده من الغنى ليسليه مما خامر قلبه فقال فإن مع العسر يسرا والدليل عليه دخول الفاء في
قوله فإن مع العسر يسرا ولا تدخل الفاء ابتداء إلا في عطف [illegible] لا تحزن بما يقولون فإن مع العسر يسرا في الدنيا
[illegible] ثم ابتدأ فصلا آخر من أمر الآخرة فقال إن مع العسر يسرا والدليل عليه ابتداؤه تعريته من الفاء والواو وحروف النسق [illegible]
تقديره إن مع العسر يسرا في الدنيا للمؤمنين ويسرا في الآخرة لا محالة فقوله لن يغلب عسر يسرين يعني لن يغلب عسر الله

اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا واما يسر الآخرة
فدائم غير زائل اي لا يجمعهما في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان ابو بكر
الوراق انه مع اجتهاد الدنيا جزاء الجنة قيل يدا اهل السعادة من اخبار الدنيا الى عقبى فاذا فرغت فانصب ابن
عباس اذا فرغت من صلوتك فانصب الى ربك في الدعاء وسله حاجاتك وارغب اليه مجاهد اذا قمت الى الصلوة فانصب
في حاجتك الى ربك الضحاك اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وانت جالس … اذا فرغ من صلوته
ان يبالغ في دعائه الحسن اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك زيد بن اسلم اذا فرغت من جهاد العرب
وانقطع جهادهم فانصب لعبادة الله والينا فانصب في عبادة ربك وصل وقيل امروا بالعفو والتشهد اذا فرغ من الصلوة
والانتصاب للدعاء الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين جنيد اذا فرغت من امر
الخلق فاجتهد في عبادة الحق ابن عطا فاذا فرغت من تبليغ الوحي فانصب لطلب الشفاعة والى ربك فارغب …
لا الى سواه جعفر ذكر نبيه على فراغ صلبه من كل ما دونه وقيل اذا فرغت من العبادة فانصب الى الاعراض عنها لئلا
تدعها عليه والى ربك فارغب في الاستغفار لعلك كالخجل المستحيي ابو سليمان قرات على اسمعيل ابن عبد الله
فلما بلغت الى والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فاني قرات على شبل بن عباد وعلى عبد الله
بن كثير فامراني بذلك واخبر عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبر مجاهد انه قرأ على ابن عباس فامره بذلك
واخبر ابن عباس انه قرأ على ابي بن كعب فامره بذلك واخبر انه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم فامره بذلك

سورة التين

وهي مائة وخمسون حرفا واربع وثلثون كلمة وثمان آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين ● لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ● ثم رددناه اسفل
سافلين ● الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ● فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم
الحاكمين ● اقسم الله تعالى بالتين والزيتون لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة ابن عباس والحسن ومجاهد
وابراهيم وعطا ابن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه
الزيت عن ابي ذر اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم وكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن عبد الرحمن بن
غنم سافرت مع معاذ بن جبل فمر بشجرة الزيتون فاخذ منها القضيب فاستاك وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة تطيب الفم وتذهب بالحفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي سواكي وسواك الانبياء قبلي كعب الاحبار وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن ابن غنم التين مسجد دمشق والزيتون
بيت المقدس الضحاك هما مسجدان بالشام محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا …
التاويل ومنابت التين والزيتون … عطية التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس …
التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وقيل التين جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام لانهما
منابتهما وطور سينين يعني جبل موسى واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهو البقعة … سينون …
الاعراب بالواو والياء والاقرار وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا البلد الامين يعني مكة …
والامين من امن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان
يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا يعني ذا امن
ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء
[illegible]

حديدين وقد … كل شيء منه خشية دليلة … خفات وقوته ضعف ونهايته خرف والاستثناء على الاول متصل ظاهر
وعلى الثاني … الذين كانوا صالحين من الهرم فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة وعلى تحامل نهوضهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فانه يكتب لهم
في حال هرمهم وخرفهم مثل الذين كانوا يعملون في حال شبابهم وصحتهم وقوتهم فذلك عمله فلهم اجر غير ممنون …
اجر بغير عمل ثم قال … بالحجة والبرهان وتوبيخا للكافرين فما يكذبك بعد بالدين هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات
اي فما يكذبك ايها الانسان بعد هذا من الحجة والبرهان بالدين الحساب والجزاء اليس الله باحكم الحاكمين فالمراد الكافر فهو
للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين … يعني انك تكذب اذ كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق
فهو كاذب … يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء … مثلها في قوله عز وجل الذين يتولونه والذين هم به
مشركون … المعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي
ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته
فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين
وانه يحكم عليهم بما هو اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

سورة العلق

وهي مائتان وثمانون حرفا واثنتان وسبعون كلمة وتسع عشرة آية قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ● اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ● اكثر العلماء على انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القرآن واول ما نزل خمس آيات من اولها الى قوله ما لم يعلم اقرأ باسم ربك محل اسم ربك النصب على الحال اي اقرأ
مفتتحا باسم ربك اي قل باسم الله ثم اقرأ قال صاحب الكشاف قدم الفعل هنا لان تقدير الفعل اوقع لانها اول سورة
وكان الامر بالقراءة اهم قال صاحب الكشاف المفتاح الوجه عندي ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة ولا يجعلها على نحو قولهم
فلان يعطي ويمنع غير معدى الى المقروء به وان يكون باسم ربك مفعولا اقرأ الذي بعده الذي خلق لم يذكر له مفعولا وفيه وجهان
احدهما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وثانيهما ان يقدر ويراد خالق كل
شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض وقيل يجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن
علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته
خلق الانسان اراد به بني آدم خلقهم من علق قال صاحب الكشاف فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة واحدة
كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر وقيل اراد بالانسان آدم واراد بقوله
من علق من طين يعلق بالكف ثم كرر اقرأ للتاكيد فقال اقرأ وقيل يحتمل ان يكون الاول للعموم والثاني للخصوص كما قلنا في خلق
خلق وربك الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم على عباده المنعم الذي لا يحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم
بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم
فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراءه التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمات الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها
لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به الحث
علم الانسان الكتابة بخلق القلم وقيل علم القرآن بان كتبه الله بالقلم في اللوح المحفوظ فقرأ ونقل علم الانسان ما لم يعلم
من البيان او العمل وقيل علم الانسان الكتابة والخط وغيرهما مما فيه صلاح دنياه ودينه ويحتمل ان يكون الاول عاما ثم خص
كما قيل في اقرأ وخلق وقيل علم الانسان ما لم يعلم من انواع الهدى والبيان وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان
هنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
ان الى ربك الرجعى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم
يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه
واسجد واقترب ● كلا قيل … ردعا وقيل زجرا لما ذكره في الآية من الطغيان وقيل ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه
وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ليجاوز … ويستكبر على ربه ان رآه استغنى ان راى نفسه غنيا
… يرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من فقر ينسيني ومن غنى
يطغيني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
بمعنى الرجوع ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوة حين فرضت عليه …

ابو جهل لعنه الله هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فقيل له ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا انه ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة قال فنزلت ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او ان كذب على الحق وتولى عن الدين الحق كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ما يفعل ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد شديد الذي ينهى مع الجملة الشرطية في موضع المفعولين وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى ألم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني ويجوز ان يكون ألم يعلم جوابا للشرط كما تقول ان اكرمتك اتكرمني وانما حسن ذلك ليدخل الحسن ليعاد ارأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارأيت هي الاولى مكررة للتوكيد كلا ردع لابي جهل لئن لم ينته عما هو فيه من ايذاء رسول الله ونهيه عن الصلوة لنسفعا بالناصية لنأخذن بالناصية بمقدم رأسه ونذله والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وسفع بأثر النار الشمس والطبخ ليسود وجهه وكنى عن الوجه بالناصية وكتبا في المصحف بالالف على حكم الوقف وعلم انها الناصية المذكورة اكتفى بلام العهد عن الاضافة ثم ابدل فقال ناصية كاذبة وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة كاذبة ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي لان الكذب والخطأ في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذبة خاطئة اي صاحب الناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه مجلسه يتحدث فيه القوم او يجتمعون فيه والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس قال ابن عباس نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجره النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فاغلظ له فقال ابو جهل تهددني والله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله فليدع ناديه اي قومه سندع الزبانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا والزبانية في كلام العرب الشرط زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسبة الى الزبن ثم غير النسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب كلا ردع لابي جهل اي ليس الامر كما يظنه ابو جهل لا تطعه ابت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك وصل واقترب من الله تعالى لقوله اقرب ما يكون العبد الى الله اذا كان ساجدا

سورة القدر

قال الضحاك ومقاتل مدنية والاكثر انها مكية وهي مائة واثنا عشر حرفا وثلثون كلمة وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ● انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر ● قال صاحب الكشاف عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه انا انزلناه اي القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوضعناه في بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما فكان بين اوله الى آخره ثلث وعشرون سنة ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والحكم والفصل يقضي الله فيها قضاء السنة وهو مصدر قولهم قدر الله الشيء قدرا وقدرا لغتان كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره تقديرا بمعنى واحد هي الليلة التي قال الله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم وانما سميت مباركة لان الله تعالى ينزل فيها الخير كله والبركة والمغفرة وعن ابن عباس ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وعن سعيد بن جبير قال يؤذن للحاج في ليلة القدر فيكتبون باسمائهم واسماء آبائهم فلا يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم ولا ينقص وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها القدر وهي ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان عند الامير قدر اي جاه ومنزلة ويقال قدرت فلانا اي عظمته قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وقيل سميت بذلك لان من لم يكن ذا قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر وخطر اذا ادركها واحياها وقيل لان كل عمل صالح يوجد فيها من المؤمن يكون ذا قدر وقيمة عند الله لكونه مقبولا فيها وقيل لانه انزل فيها كتاب ذو قدر وقال سهل بن عبد الله لان الله تعالى قدر الرحمة فيها على عباده المؤمنين وقيل لانه ينزل فيها الى الارض ملائكة

اولو قدر

اولو قدر وذو ... واختار الخليل بن احمد لان الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه واختلف الصحابة في وقتها فقال بعضهم انما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وعن ابي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر هي شيء يكون على عهد الانبياء عليهم السلام فاذا قبضوا رفعت قال لا بل هي الى يوم القيامة وقيل لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك هي في كل شهر رمضان استقبله وقال بعضهم في كل السنة كلها وان من علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق ولم ينفذ العتق الى مضي سنة من يوم حلف وهي احدى الروايتين عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا ذهب ابو حنيفة انها في جميع السنة وحكي عنه ايضا انه قال رفعت ليلة القدر والجمهور من اهل العلم على انها في شهر رمضان في كل عام وسئل ابن عمر عن ليلة القدر أفي كل رمضان هي قال نعم وسئل الحسن أهي في رمضان قال نعم والله الذي لا اله الا هو انها لفي كل رمضان وانها الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله كل اجل وعمل ورزق وخلق الى مثلها ثم اختلفوا في اي ليلة هي منه قال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر والصحيح انها في العشر الاواخر من رمضان وعليه يدل مذهب الشافعي يدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ اهله في العشر الاواخر من شهر رمضان ثم اختلفوا في اي ليلة منها فقال ابو سعيد الخدري هي الليلة الحادية والعشرون ويحتج على ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاوسط من رمضان فلما كانت ليلة احدى وعشرين وهي التي كان يخرج في صبيحتها من اعتكافه قال صلى الله عليه وسلم من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر فالتمسوها في كل وتر فامطرت السماء في تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد قال ابو سعيد فابصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف علينا وعلى جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وقال بعضهم هي الليلة الثالثة والعشرون ... جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رأيت في النوم كان ليلة القدر سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلث وعشرين قال ... يغتسل ليلة ثلث وعشرين ويطيب ... سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقال اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ليلة ثلث وعشرين وعن ابن عباس ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ... ليلة القدر فقلت ان الله عز وجل وتر يحب الوتر السموات سبع والارضون سبع ... ويخرج من سبع ولا اراها الا في سبع بقين من رمضان وقال عمر ... ما انت باقل القوم علما وقال زيد بن ثابت وبلال هي ليلة اربع وعشرين يدل عليه ما روي عن بلال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر ليلة اربع وعشرين وقيل هي الليلة الخامسة والعشرون يدل عليه ما روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وقال قوم هي الليلة السابعة والعشرون والى هذا ذهب علي بن ابي طالب ...

[illegible]

صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى فيهم جبريل فينزل جبريل ومعه الوية تنصب منها لواء على قبري ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا يسلم عليه الا مدمن خمر واكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران وقاما ادابها وما يستحب فيها فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وعنها رضي الله عنها لو علمت اي ليلة ليلة القدر ما سألت الله فيها الا العافية ليلة القدر خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم واختلفوا في الحكمة الموجبة لهذا العدد فقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوا الله طرفة عين فعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرأ عليه انا انزلناه في ليلة القدر الآيات هذا افضل مما عجبت انت وامتك فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والناس معه وعن ابن ابي نجيح ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله وقيل كان الرجل فيما مضى كان لا يستحق ان يقال له فلان عابد حتى يعبد الله الف شهر وهي ثلث وثمانون سنة واربعة اشهر فجعل الله لامة محمد ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدون فيها وقيل معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل الف شهر ليس فيها ليلة القدر مجاهد سلام الملائكة والروح عليك تلك الليلة خير من سلام الخلق عليك الف شهر تنزل الملائكة الى السماء الدنيا والروح يعني جبريل يدل عليه ما روى قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل في جماعة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى كعب ومقاتل الروح طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر الواقدي ملك عظيم يوقف في ليلة القدر باذن ربهم من كل امر اي تنزل كل امر قضاه الله وقدره في تلك السنة الى قابل سلام هي من الملائكة تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدأ فقال السلام اي ما ليلة القدر الا سلامة وخير كلها ليس فيها شر الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة الا السلامة فاما الليالي الاخر فيقضي فيهن البلاء والسلامة مجاهد هي سلامة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى وقيل ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقيل هي تسليم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك ايها المؤمن حتى مطلع الفجر الى مطلع الفجر قرأ الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام فانه موضع الطلوع والباقون بفتح اللام بمعنى الطلوع

سورة البينة

ويسمى سورة لم يكن وسورة القيمة مدنية وقيل مكية وهي الف وتسعمائة وتسعون حرفا واربع وتسعون كلمة وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة • لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الاصنام منفكين منتهين عن كفرهم وشركهم زائلين تقول العرب ما انفك فلان يفعل كذا اي ما زال واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وفك السلم وهو حل العظم كان كفار الفريقين من اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله عنهم عز وجل ما كانوا يقولونه حتى تأتيهم البينة الحجة الواضحة محمد صلى الله عليه وسلم اتاهم فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان ابن كيسان معناه لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث فلما بعث تفرقوا فيه ثم فسر البينة فقال رسول من الله بدل النكرة من المعرفة وصح لان النكرة موصوفة يتلوا صحفا كتبا مطهرة من الباطل اي قراطيس مطهرة من الباطل فيها في تلك القراطيس كتب من الله قيمة مستقيمة عادلة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب في امر محمد فكذبوه الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني انهم كانوا مجتمعين على تصديقه حتى اذا جاءهم الرسول تفرقوا عن الحق ولا اصروا على الكفر الا بعد مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول

واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما والانفكاك انفصال الشيء من الشيء بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه وقيل تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من كفر وقيل ليس به فمنهم من عرف صحته وقيل من اول السورة الى قوله فيها كتب قيمة حكمها فيمن آمن من اهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب حكمه فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجة قال صاحب الكشاف فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني هؤلاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله على هذه الصفة يعني مخلصين له الدين التوحيد والطاعة حنفاء مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام ابن عباس ومجاهد وقتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات واقامة المناسك سعيد بن جبير لا يسمى الحنيف حنيفا الا من حج واختتن ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك الذي امروا به دين القيمة اي دين الملة المستقيمة وقيل القيمة ههنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف اليها على معنى ذلك دين الكتب القيمة فيما يدعوا اليه ويأمر به وسئل الخليل بن احمد عن قوله وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد وقيل وما امروا الا الله معناه وما امروا في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة ولكنهم حرفوا وبدلوا قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية • الخليقة قرأ نافع البريئة بالهمز والمد في الحرفين وقرأ الباقون بالتشديد من غير همز وهو الاصل لانه من برأ الله الخلق يبرأ وهو الله فالله تعالى عز وجل انشأ الخلق ابن عباس وقيل لهذه القراءة وجهان احدهما انه ترك الهمز وادخل التشديد عوضا منه وثانيهما ان يكون فعيلة من البري وهو التراب يقول كرب شك ابلى والبرية معناها المخلوق من التراب قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه الصادق رضي الله عنهم بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق ورضوا عنه بما من عليهم من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبولهم ما جاء به بن دينار رضاء الخلق عن الله رضاهم بما يجري عليهم من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم الرضا عنه محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا باب الله الاعظم ومستراح العابدين محمد بن خفيف الرضا يعني قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقدر ويقضي وقيل الرضا رفع الاختيار وقيل الرضا سرور القلب بمر القضاء الحارث المحاسبي الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم ابو عمرو الدمشقي الرضا نهاية الصبر ابو بكر بن طاهر الرضا خروج الكراهية من القلب حتى لا يكون الا فرحا وسرورا الواسطي استعمل الرضا جهدك ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع قيل انظر الى الاشياء بعين الرضا حتى لا يسخطك شيء الا ما يسخط مولاك ابن عطاء هو النظر الى قديم اختيار الله للعبد فيترك التسخط عليه السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضى عنك

سورة الزلزال

مكية وهي مائة وتسع واربعون حرفا وخمس وثلاثون كلمة وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • اذا زلزلت الارض حركت حركة شديدة لقيام الساعة زلزالها الذي تستوجبه في مشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده مثله نحو قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة وقيل زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه واخرجت الارض اثقالها موتاها وكنوزها وما دفن فيها فالقتها على ظهرها والاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت ويحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها ما للارض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هو قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها اي يومئذ تخبر الارض الناس بما عمل عليها من خير وشر فتقول الارض يوم القيمة عمل على كذا وصام وصلى واجتهد واطاع ربه فيفرح المؤمن بذلك وتقول للكافر اشرك علي وزنا وسرق وشرب الخمر فيتوجع ويشهد عليه الجوارح والملائكة مع علم الله تعالى حتى يود انه سيق الى النار مما يرى قال صاحب الكشاف تحدث الارض والايحاء لها مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحدث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل الحق انه ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث ويجوز المفعول الاول

لتحدث والمفعول الثاني لها اخبارها والاصل تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث وقيل المعنى
يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحدث باخبارها كما تقول نصحتني
كل نصيحة بان نصحتني في الدين وقيل بانه تبدل من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك
تقول لحدثته كذا وحدثته بكذا بان ربك اوحى لها اي امرها بالكلام واذن لها فيه قال الراجز اوحى لها القرار
فاستقرت اي امرها بالقرار ابن عباس والقرظي وابن زيد اوحى لها اي اليها والمعنى يوحي الله اليها يومئذ يصدر
الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين وقيل من موقف الحساب اشتاتا فريق
فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم من يعمل مثقال ذرة نملة صغيرة وقيل الذر
ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ابن عباس والقرظي وابن زيد اوحى لها اي اليها والمعنى يوحي الله اليها يومئذ يصدر الناس عن
مخارجهم ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا ولا شرا في الدنيا الا اراه الله اياه فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر له
سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته وقال محمد بن كعب في هذه الاية فمن يعمل مثقال ذرة
من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال
ذرة شرا من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر يدل على ذلك
ما روى ابو قلابة عن انس ان ابا بكر رضي الله عنه كان ياكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فرفع ابو بكر يده وقال
يا رسول الله اني اجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل
ذر الخير حتى توفاها يوم القيمة مقاتل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام كان احدهما
لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه كان احدهما يستقل ان يعطي اليسير وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة
واشباه ذلك ويقول ليس علي من هذا شيء انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم فانزل الله يرغبهم
في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر
فالاثم الصغير في صاحبه يوم القيمة اعظم من الجبال روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ
هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة فقال الحسن لقد فقه الرجل

سورة العاديات

وهي مائة وثلثة وستون حرفا واربعون كلمة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● والعاديات ضبحا ● فالموريات قدحا ●
فالمغيرات صبحا ● فاثرن به نقعا ● فوسطن به جمعا ● ان الانسان لربه لكنود ● وانه على ذلك لشهيد ● وانه لحب
الخير لشديد ● افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور ● وحصل ما في الصدور ● ان ربهم بهم يومئذ لخبير ● اقسم بالخيل
الغزاة تعدو ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وابو العالية والربيع وقتادة والمقاتلان وابن كيسان
هي الخيل التي تعدو في سبيل الله فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون ونجهدن في الجري ابن عباس ليس شيء
من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب قال اهل اللغة واصل الضبح للثعالب واستعير في الخيل وهو من قول
العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيرت حالها من تعب او فزع او طمع ونصب ضبحا
انه حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح وانتصاب ضبحا على المصدر تقديره تضبح ضبحا وقيل
انتصابه بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو وقيل انتصابه على الحال اي ضابحات مقاتل
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري احد النقباء
فابطأ خبرهم وقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها فقال والعاديات ضبحا يعني تلك الخيل عدت حتى ضبحت
وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة وقيل هو صوت ارحام افواهها اذا عدت وقال قوم هي الابل قال الشعبي تمارى علي وابن عباس
رضي الله عنهم في قوله تعالى والعاديات ضبحا فقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل تثيره الا بحوافرها
وهل تضبح الابل انما تضبح الخيل فقال علي رضي الله عنه ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق
للمقداد وعن ابن عباس بينا انا في الحجر اذ جاءني رجل فسألني عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغزو في سبيل
ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية
زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله
ان كانت لاول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام وهي يوم بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير
وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات انما العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن مزدلفة الى منى قال ابن
عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى ما قاله علي رضي الله عنه وكان قول علي ذهب ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب
والسدي فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر
للثور وما اشبه ذلك وقيل ضبحا يعني ضبعا وهما ضربان من السير والضبح بمعنى الضبع قالت صفية بنت عبد المطلب

[illegible]

...يتمم عثمان عطا الكنود الذي لا يعطي في النائبة ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئا الفضيل بن
عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من
الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة ابو بكر الوراق الكنود الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم ابو بكر الواسطي هو الذي ينفق نعم الله
في معاصي الله وقيل بسام هو الذي يعامل ربه على عقد العوض وقيل هو الذي تقبض الهلوع والكنود قوله اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الحقود وقيل الحسود وقيل جهول لقدره
وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره وانه اي الانسان لحب الخير اي المال من قوله تعالى ان ترك خيرا اي مالا وسمي المال
خيرا لان الناس يعدونه خيرا ابن زيد سمى الله تعالى المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما لشديد لبخيل ممسك يقال فلان شديد
ومتشدد قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه لاجل حب المال لثقيل
انفاقه عليه وقيل اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب
عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل اراد انه لحب
الخير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور اذا بحث ونثر ما في القبور وحصل ميز وابرز ما
فيها من خير او شر ان ربهم جمع الضمير لان الانسان اسم الجنس يومئذ لخبير عالم بهم وبما عملوا ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم
على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرته بهم وانما قرأه بكسر الالف لاجل اللام ولولاها لكانت مفتوحة بوقوع العلم عليها

سورة القارعة

وهي مائة واثنان وخمسون حرفا وست وثلثون كلمة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● القارعة ● ما القارعة ● وما ادريك ما القارعة ●
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ● وتكون الجبال كالعهن المنفوش ● فاما من ثقلت موازينه ● فهو في عيشة راضية ●
واما من خفت موازينه ● فامه هاوية ● وما ادريك ماهيه ● نار حامية ● القارعة القيامة لانها تقرع القلوب
وقيل البلية التي تقرع القلوب بشدة المخافة وقيل الصيحة التي ذكرت في القرآن وقيل هي النار ما القارعة اي هي
عظيم الشان عظيمة الحال وما ادريك ما القارعة اي نعرفها لانك لم تعهد مثلها يوم يكون ظرف منصوب بمضمر دل
عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش كالطير التي يتساقط في النار المبثوث المتفرق شبههم بالفراش
في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ان
الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا
لتفرشه وانتشاره وقيل كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا من الهول نظيره يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا المنفوش المندوف وشبه الجبال بالعهن لانها الوان والمنفوش متفرق
اجزائها فاما من ثقلت موازينه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها و
حديث ابي بكر رضي الله عنه في وصيته لعمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم
الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل

وخفتها في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فهو في عيشة راضية ذات رضى وقيل في معنى مفعول
اي مرضية وقيل راض صاحبها فلما حذف المضاف جعلت حملا على اللفظ واما من خفت موازينه فامه هاوية من قولهم اذا
دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث
الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل فامه هاوية اي مسكنه
وماويه وهاوية من اسماء جهنم قتادة وعكرمة فام راسه هاوية منحدرة في النار من اعلى الى اسفل وقيل
فامه هاوية كانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا
اي فماواه النار وما ادريك ما هيه الضمير راجع الى الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير
الاول وقيل الضمير للهاوية والهاء للسكت وقيل الى القارعة ثم فسر فقال نار حامية اي بلغت النهاية في الحرارة

سورة التكاثر

وهي مائة وعشرون حرفا وثمان وعشرون كلمة وثمان آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها
عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ● الهاكم اشغلكم التكاثر التباهي والتفاخر بكثرة المال والعدد خلاصة
نكيم وما ينجيكم من سخطه عليكم حتى زرتم المقابر ودفنتم فيها قتادة نزلت هذه الآية في اليهود حين قالوا نحن اكثر
من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل كان بنو عبد مناف وبنو سهم تفاخروا انهم اكثر عددا فكثرهم بنو
عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهيكم التكاثر
بالاحياء حتى استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا
يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم
واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم وقيل ان الذي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم
منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من
السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان يكون
الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم
ثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون
الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله عز وجل وان هذا التنبيه لكم نصيحة وعليكم رحمة كلا ثم
كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه
من الامور لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قيل معناه لو تعلمون علم اليقين لشغلكم
عن التكاثر والتفاخر وقيل معناه لو تعلمون علم اليقين لشغلكم ذلك عما انتم فيه ثم استانف لترون الجحيم على نية القسم
فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد عرفوا في ابهام الشيء ثم ايضاحه من تفخيمه وتعظيمه والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به
لا مدخل فيه الريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقيل لترون الجحيم لا يصلح ان يكون في معنى الجواب
جوابا للو تقديره لو تعلمون علم اليقين لرايتم الجحيم فعلى كل ثم رايتموها بالعين اليقين وقيل ذكر كلا ثلاث مرات
وتعلمون في القبر وتعلمون في القيمة ثم ذكر في الثالثة علم اليقين لانصرافها بالكائن عيانا ثم لترونها عين اليقين اي الرؤية
التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار قرا ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وفتح التاء في
ثم لترونها والباقون بالفتح فيهما ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن النعيم عن الماء البارد وعنه
صلى الله عليه وسلم عن الشبع عن الماء البارد وعن عبد الله بن عمر في الماء البارد في الصيف وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اكل خبز
وشرب الماء البارد وكان له ظل فذلك النعيم الذي يسأل عنه وعنه صلى الله عليه وسلم النعيم الامن والصحة وقيل عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي
شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه والنعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاقب عليه هو نعيم من عكف همته على استيفاء
اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع
بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل و
اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين

سورة العصر

وهي ثمانية وستون حرفا واربع عشرة كلمة وثلاث آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ● والعصر [illegible]

والدهر ابن كيسان الليل والنهار ويقال لهما العصران وللغداة والعشي ايضا عصران الحسن بعد زوال الشمس الى غروبها
قتادة آخر ساعة من ساعات النهار مقاتل صلوة العصر اقسم الله تعالى بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله والصلوة الوسطى
صلاة العصر في مصحف حفصة بنت عمر رضي الله عنهما زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته
فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم
بمعايشهم وقيل اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة وقيل اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف
العجائب ان الانسان الجنس بدليل الاستثناء انا الانسان لفي خسر لفي خسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس
لفي خسران من تجاراتهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا في خسران وتواصوا وتحابوا فاوصى بعضهم بعضا بالحق
بالقرآن عن الحسن قتادة وقال مقاتل الايمان والتوحيد وقيل على العمل بالحق وتواصوا بالصبر على اداء الفرائض
واقامة امر الله وبالصبر عن المعاصي وان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع وخسران
في تجاراتهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا فانهم تكتب لهم
اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوتهم وصحتهم وهو مثل قوله لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية

سورة الهمزة

وهي مائة وثلثون حرفا وثلث وثلثون كلمة وتسع آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة ● ويل لكل همزة من الهمز اي الكسر
كالهمز واللمزة من اللمز اي الطعن يقال لمزه وهمزه وطعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن
فيهم وبنا فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوها اللعنة للذي يلعن الناس كثيرا والضحكة للذي
يضحك على الناس ضحكا كثيرا قال وان اغيب فانت الهامز اللمزة ابو العالية والحسن وعطاء ابن ابي رباح الهمزة الذي
يعيب ويطعن في وجه الرجل اذا اقبل واللمزة الذي يغتابه من خلفه اذا ادبر وغاب وضده الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق
وكانت عادته الغيبة والوقيعة يقع فيهم ويغتابهم مقبلين ومدبرين محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت
في امية بن خلف الجمحي مقاتل نزلت في وليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم ويطعن في وجهه مجاهد وعنه
ليست خاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته الذي جمع مالا قرا نافع وابن كثير وابو عمرو جمع بتخفيف الميم والباقون بالتشديد
وهو مطابق لعدده الذي جمع بدل من كل وقيل في محل النصب على الذم وعدده واحصاه مقاتل استعده وادخره في حوادث
عتاد اله وقيل جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد يحسب ان ماله اخلده في الدنيا اخلد
وخلد بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه
خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن
ان ماله ابقاه حيا وقيل هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا
فيه كلا ردع له عن حسبانه وقيل بمعنى والله حقا لينبذن ليقذفن وليطرحن في النار سميت بذلك لانها تحطم
اي تكسر وما ادريك ما الحطمة تعجيب وتعظيم لها نار الله الموقدة تفسير لها التي تطلع على الافئدة يعني انها
تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان
الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل انما خص
الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها
وتغلبها وتشتمل عليها وقيل تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها انها عليهم مؤصدة الكلبي مطبقة
مغلقة في عمد قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم عمد بضمتين والباقون بفتحتين وهما جمعان للعمود مثل
اديم وادم وافيق وافق والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بالحبس الى الابد فتوصد عليهم
الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل
فسدت عليهم بها الابواب قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي عمد من حديد على ابوابها ليتاكد يأسهم منها ●

سورة الفيل

وهي ست وتسعون حرفا وعشرون كلمة وخمس آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم

لعصفنا كول ... روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب
نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا
غيره وقيل ثمانية وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى
جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل
الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا ويجوز ان يكون من كل صنف مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان
الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت
انامله واذا به ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة
فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان امر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال الكلبي
وعبيد بن عمير كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه
اعميين مقعدين يستطعمان وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما
وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه
ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت واخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك	لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك	يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة
قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل
من الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر

[illegible]

فالركعة

[illegible]

سورة الماعون

وهي مائة وثلثة وعشرون حرفا ● وخمس وعشرون كلمة ● وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ● ارايت الذي يكذب بالدين
فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ● فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون ● ارايت هل عرفت الذي يكذب بالدين بالجزاء او بالاسلام فذلك الذي
يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يقهر اليتيم ويزجره ويدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر
وخشونة والدع الدفع في جفوة ولا يحض ولا يبعث اهله على طعام على بذل طعام المسكين جعل علامة التكذيب
بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم
يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب قال صاحب الكشاف فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه
في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل
كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها وعن ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة
في السر اذا غاب الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا ابانه قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن
الناس مجاهد لاهون متغافلون عنها لا يبالي صلى او لم يصل الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته
لم يندم ابو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وعنه ايضا هو الذي ان سجد قال برأسه
هكذا ملتفتا الضحاك هم الذين يتركون الصلاة الذين هم عادتهم الرياء باعمالهم ويمنعون حقوق
اموالهم عن عبد الله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك الكلبي الماعون المعروف كله الذي
يتعاطاه الناس فيما بينهم ابو عبيدة الماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية كالعارية وهو في الاسلام الطاعة
والزكوة فقد العرب زمنا امتن حتى نعطيت الماعون اي الطاعة والانقياد قطرب اصل الماعون من القلة تقول
العرب ماله سعة ولا معنة اي شيء قليل وسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون
ما لا يحل منعه كالملح والماء والنار والمعنى انهم لا حق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين
والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام
علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتا
وقيل فذلك عطف على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة
ما بعده عليه كانه قيل اخبرني ما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل
للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب
وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم وانما جعلت المصلون وهو الجمع قائما مقام ضمير الذي
يكذب وهو واحد لان معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم
ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من
المسلمين ومعنى في الصلوة ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة الشيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا من غيره ومن ثم شرع سجود السهو في الصلوة وابتدع

الفقهاء في كتب الفقه وعن أنس رضي الله عنه الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم يراؤن من المراءاة بمعنى مفاعلة من الرؤية لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح على أن الاحتراز عن الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص المؤيدين بالتأييد الإلهي

سورة الكوثر

وهي اثنان وأربعون حرفا وعشر كلمات وثلاث آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر ● فصل لربك وانحر ● إن شانئك هو الأبتر ● نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تحدث قال ذلك الأبتر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر فسمته قريش عند موت ابنه أبتر فأنزل الله إنا أعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد كثرة مفرطة كوثرا قال سفيان بن عيينة قيل لعجوز رجع ابنها من السفر آب ابنك قالت آب بكوثر يعني بمال كثير عن أنس ابن مالك بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا إذ أغفى إغفاءة أو أغمي عليه ثم رفع رأسه مبتسما فقال أهل تدرون مم ضحكت قالوا الله ورسوله أعلم فقال إنه نزلت علي سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير لذلك النهر حوض ترد عليه أمتي يوم القيمة آنيته عدد الكواكب فيختلج منهم العبد فأقول رب إنه من أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك عن ابن عباس أن الكوثر الخير الكثير الذي أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن الكوثر العلم والقرآن عكرمة النبوة عطاء الكوثر حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يكثر الناس عليه روي في صفته على ما جاء في التفسير والأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف الكوثر فقال حصباؤه الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وهو أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فصل لربك صلوة العيد يوم النحر وانحر نسكك أنس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر قبل أن يصلي فأمر أن يصلي ثم ينحر سعيد بن جبير ومجاهد فصل لربك صلوة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى فقال بعضهم نزلت هذه الآية يوم الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصدوا عن البيت فأمره الله تعالى أن يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فصل لربك وانحر وضع اليد اليمنى على ساعده اليد اليسرى ثم وضعهما على صدره والمعنى أن أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان إن شانئك هو الأبتر يعني إن عدوك ومبغضك هو الأقل الأذل المنقطع أثره لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيمة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون إن محمدا صنبور إذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر والأبتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له

سورة الكافرون

وهي أربعة وتسعون حرفا وست وعشرون كلمة وست آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ● ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ● قل يا أيها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون نزلت في رهط من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع

ابن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وآذوا أصحابه لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وقيل نزل القرآن بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز لأن افتتاح المتكلم والخطيب وخروجه من شيء إلى شيء أفضل من اختصاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في غير موضع من سورة واحدة وقال كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وقال وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين وقال فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا كل هذا يراد بها التأكيد وقد يقول القائل ارم ارم عجل عجل ومنه الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ذات يوم فقال إن بني مخزوم استأذنوا أن ينكحوا فتاتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن لأن فاطمة بضعة مني يسرها ما يسرني ويسوءها ما يسوءني وقال آخر يا علقمة يا علقمة خير تميم كلها وأكرمه وقال صاحب الكشاف لا أعبد أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن أن أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الإسلام ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته فإن قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فإن قلت فلم جاء على ما دون من قلت لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل إنما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم الشرك ولي ديني الإسلام قرأ نافع وحفص وهشام وفي نسخة البزي بفتح الياء والباقون بسكونها وهذه الآية منسوخة بآية السيف

سورة النصر

وهي تسعة وسبعون حرفا وسبع عشرة كلمة وثلث آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاء نصر الله والفتح ● ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ● فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ● إذا جاء إذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة نصر الله على من عاداك وهو الشرك والنهل الإعانة والإظهار على العدو ومنه نصر الله الأرض أي أغاثها والفتح فتح البلاد وقيل فتح المدائن والقصور وعامة المفسرين على أنه فتح مكة والمعنى نصر الله الرسول صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية كان فيما اشترطوا أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا دخلنا في الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله لي اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فيه فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه فلما دخلت خزاعة مكة لجؤا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله من العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال لا هم إني ناشد محمدا وذكر الأبيات إلى قوله هم بيتونا بالوتير هجدا فقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقوا أبا سفيان بعسفان بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد أتى بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته فقال يا بنية أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه فكلمه وسأله أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه فقال أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي رضي الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأسود م

سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك به غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا م

واحد م

مدنية

على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم م

عنه م

عندها الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك اوصل القوم رحما واقربهم قرابة وقد جئت في حاجة
فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله على امر ما نستطيع
ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى
آخر الدهر قالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما يجير على رسول الله احد فقال يا ابا حسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني
قال والله ما اعلم شيئا يغني عنك شيئا ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال
لا والله لا اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما ان قدم على
قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته
اعدى القوم ثم جئت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشيء صنعته فوالله ما ادري هل يغنيني شيئا ام لا قالوا وبما
ذا امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قال والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس بالجهاد وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت ما ادري ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في
بلادها فتجهز الناس وخرج عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله وصام الناس معه حتى اذا كان
بالكديد افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف عن المهاجرين والانصار
عنه احد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير على خيل المهاجرين والانصار واعطاه رايته وامره ان يغرزها باعلى مكة بالحجون
وقال للزبير لا تبرح حيث امرتك ان تغرز رايتي حتى آتيك ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضربت هنالك القبة وامر
خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاعة وبني سليم واناس انما اسلموا قبل ذلك وامره ان يدخل من اسفل مكة وفيها بنو بكر قد استنفرتهم
قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من
قاتلكم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا
اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نامن ان يكون له في قريش
صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل
الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك
وقتل من المشركين اناس قريب من اثنا عشر او ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة من خيل خالد بن الوليد ورجلان
كانا في خيل خالد شذا عنه وسلكا طريقا آخر غير طريقه فقتلا جميعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين
حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا انه قد عهد في نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة
منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان
وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له فصمت رسول
الله عليه السلام طويلا ثم قال نعم فلما انصرف به عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من اصحابه اما والله لقد
صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله فقال ان النبي لا يقتل بالاشارة ومنهم
عبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وانما امر بقتله انه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له مولى يخدمه
وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله
ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ وكان
ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وعكرمة
ابن ابي جهل وسارة مولاة كانت لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم
بنت الحارث فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان عكرمة يحدث ان الذي رده الى الاسلام بعد خروجه الى اليمن انه كان يقول اردت ركوب البحر لالحق بالحبشة فلما اتيت
لاركب السفينة قال صاحبها يا عبد الله لا تركب سفينتي حتى توحد الله عز وجل وتخلع ما دونه من الانداد فاني اخشى ان لم تفعل
ان نهلك فيها فقلت وما يركبها احد الا قال لهنا قال نعم لا يركبها احد الا اخلص قلت فخيم فارق محمدا صلى الله عليه وسلم فهذا
الذي جاءنا به فوالله ان الهنا في البحر لالهنا في البر فعرفت الاسلام عند ذلك ودخل في نفسي واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن
حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل
فقتلت احديهما وهربت الاخرى حتى استومن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما الحويرث بن نقيذ فقتله علي رضي الله
عنه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف قائما على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة الكعبة وسقاية
الحاج الا وقتيل الخطأ بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة منها اربعون خلفة في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله قد اذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم

فقال يا ايها الناس م

ثم مضى م

خالد م

مقيس م

قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان سبحانه امكنه من رقابهم
عنوة وكانوا له فيئا فبذلك يسمى اهل مكة الطلقاء ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فجلس لهم
على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل من مجلسه ياخذ على الناس البيعة فبايعوه على السمع والطاعة قال عروة بن الزبير خرج صفوان
بن امية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فامنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو آمن قال يا رسول الله
اعطني ما يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه يريد
ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال
له ويلك اغرب عني فلا تكلمني قال يا صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه
شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صفوان ان هذا زعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر ولما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة بن ابي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبعرى الى نجران فرمى حسان بن ثابت عبد الله
بن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه — لا تعدمن رجلا احلك بغضه ... نجران في عيش احذ لئيم — فلما بلغ ذلك
ابن الزبعرى رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم واما هبيرة بن ابي وهب فقد اقام بمكة كافرا وقال حين بلغه
اسلام ام هانئ بنت ابي طالب وكانت تحته واسمها هند — اشاقتك هند ام نآك سؤالها ... كذاك النوى اسبابها وانفتالها
وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني غفار اربع مائة ومن اسلم اربعمائة ومن مزينة الف ومن بني سليم
سبعمائة ومن جهينة الف واربعمائة وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس واسد وكان
فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة
ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنين ورايت الناس يدخلون في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه
غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون
فيه واحدا واحدا واثنين واثنين قال الحسن لما فتح رسول الله عليه السلام مكة قالت العرب بعضها لبعض اما اذ ظفر محمد باهل
الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا عكرمة ومقاتل اراد بالناس
اهل اليمن ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهم لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله
والفتح جاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون
منه افواجا ويدخلون في محل النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت وقيل هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد
ربك فقل سبحان الله حامدا له او فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده
على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا وزيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له انه كان توابا اي
في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوخى مسلك مثل ذلك وقيل انه
توابا فانك حينئذ لاحقه وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرتقب الزوال كما قيل اذا تم امر دنا نقصه
توقع زوالا اذا قيل تم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهم كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر
فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم و
اذن لي معهم فسالهم عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح الآية ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فسالني فقلت ليس كذلك ولكن اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور اجله ونعيت اليه نفسه فذلك علامة موته فقال عمر رضي الله تعالى
عنه ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس لما
نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال نعيت الي نفسي بانه مقبوض في تلك السنة قتادة ومقاتل عاش النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عبد الله لما نزلت فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب وعن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله يكثر ان يقول قبل ان يموت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك قالت قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي اراك قد احدثتها تقولها قال جعلت لي علامة في امتي اذا
رايتها قلتها اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة وعنها رضي الله عنها اذا جاء نصر الله ما رايت رسول الله صلى صلوة الا قال
سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي مقاتل لما نزلت هذه الآية وقراها على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن
ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت
اليك نفسك قال انه كما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيها ضاحكا مستبشرا وقيل ابن عباس هو الذي قال ذلك
فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك
بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه
نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع

وابن اخ كريم م

لبيعة م

يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله ان صفوان بن امية م

ابن عمك م

فاذا رايتها م

لما نزلت م

سورة الحطب

وهي سبعة وسبعون حرفا وثلث وعشرون كلمة وخمس آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامرأته حمالة الحطب • في جيدها حبل من مسد • عن ابن عباس لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع إليه الناس بين رجل يجيء وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لكم سائر هذا اليوم ما دعوتمونا إلا لهذا فأنزل الله تعالى تبت أي خابت وخسرت يدا أبي لهب وتب هو خبر عن يديه والمراد نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله كقوله فبما كسبت أيديكم وقدمت أيديهم بما كسبت يداك ونحوها التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز وتب معناه وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل قال صاحب الكشاف فإن قلت لم كناه والكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما وكذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك ما أغنى عنه ماله روي أنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربيه إلى الله قال إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي نفسي بمالي وولدي فأنزل الله ما أغنى عنه ماله ما استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب أي أي شيء يغني عنه ماله وقيل ما نفي أي لم تغن عنه ماله من عذاب الله وما كسب مرفوع معطوف على ماله وما موصولة بمعنى مكسوبة أو مصدرية بمعنى كسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والأرباح أبو العالية ماله يعني أغنامه وكان صاحب سائمة وما كسب يعني وما كسب من نسلها ومنافعها وقيل ماله الذي ورثه من أبيه عبد المطلب والذي كسبه بنفسه وقيل ما له التالد والطارف وعن ابن عباس وما كسب ولده عن أبي الطفيل كنت عند ابن عباس يوما فجاءه بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم فاقتتلوا عنده فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب فقال أخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولده أنهم كسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أطيب ما أكل أحدكم من كسبه الضحاك ما ينفعه ماله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله

[illegible]

قلادة من ليف كانت ولذا وعيرها قال الشاعر ومسد أمر من أيانق ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة الأسر والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب إذ ارتدت إلى شيمتي فقال ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي أم ما تعير من حمالة الحطب غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه

سورة الإخلاص

وهي سبعة وأربعون حرفا وخمس عشرة كلمة وأربع آيات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد • روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تعدل ثلث القرآن وعن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة وعن ابن عباس أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله إلى ما تدعونا يا محمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وعن الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله تعالى أنزل نعته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو ومن أي جنس أمن ذهب هو أم من نحاس أم من صفر أم من حديد أو من فضة وهل يأكل ويشرب وممن ورث الدنيا ومن يورثها فأنزل الله هذه السورة وهي نسبة الله خاصة الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعة أساقفة من بني الحرث بن كعب فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك من أي شيء هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ربي ليس من شيء وهو بائن من الأشياء فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد مبتدأ وخبر والجملة هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله عز وعلا واحد لا ثاني له وهو مبتدأ والجملة خبره ولا يحتاج إلى الراجع لأن هذه الجملة حكمها حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قولك الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وقيل هو منبئا عن المسؤول عنه أي الذي سألتموني عن وصفه هو الله أحد وقيل هو واحد وقيل أحد وواحد بمعنى واحد وأصله وحد وفرق قوم بينهما فقال بعضهم الواحد للفصل والأحد للغاية وقيل أحد بذاته وواحد بصفاته وقيل أحد بذاته وواحد بصفاته وقيل إن الواحد يدخل في الحساب ويضم إليه آخر لأن الواحد في الأعداد ركنها وأصلها ومبدؤها والأحد يدل على بينونته من خلقه في جميع صفاته ونفي أبواب الشرك عنه والأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد فأحد يصلح في الكلام في موضع الجحود والواحد في موضع الإثبات يقول لم يأتني منهم أحد وجاءني منهم واحد ومعناه أنه لا واحدا ثانيا ولا اثنان وإذا قلت جاءني منهم واحد فمعناه أنه لم يأتني اثنان وقال ابن الأنباري أحد في الأصل واحد ابن عطاء في قل هو الله أحد هو المنفرد بإيجاد المفقودات المتوحد بإظهار الخفيات الله الصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير الصمد الذي لا جوف له سعيد بن المسيب الذي لا حشو له الشعبي الذي لا يأكل ولا يشرب القرظي يفسره ما بعده عن أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث أبو وائل هو السيد الذي قد انتهى سؤدده عن ابن أبي طلحة هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع الشرف والسؤدد قتادة الصمد الباقي بعد خلقه عاصم ومعمر هو الدائم علي بن موسى الرضا هو الذي أيس العقول من الاطلاع على كيفيته محمد بن علي الترمذي هو الأزلي بلا عدد والباقي بعد العدد والقائم بلا عد الحسين بن الفضل هو الأزلي بلا ابتداء وقيل هو الذي جل عن شبه المصورين وقيل هو بمعنى نفي التجزي والتأليف عن ذاته علي رضي الله عنه الذي ليس فوقه أحد السدي هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث عند المصائب يمان الذي لا ينام كعب الأحبار الذي لا يكافئه من خلقه أحد مقاتل بن حيان الذي لا عيب فيه الذي لا تعتريه الآفات سعيد بن جبير أيضا الكامل في جميع صفاته وأفعاله أبو هريرة هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد مرة الهمداني الذي لا يبلى ولا يفنى الحسين بن الفضل أيضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه محمد بن علي أيضا الصمد الذي لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار وكل شيء عنده بمقدار ابن عطاء الصمد الذي لم يتبين عليه أثر فيما أظهر الجنيد الذي لم يجعل لأعدائه سبيلا إلى معرفته وقيل هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته ولا تتسع له اللسان ولا يشير إليه البيان ابن عطاء أيضا المتعالي عن الكون والفساد جعفر الصادق الغالب الذي لا يغلب الربيع الذي لم يعط خلقه

بن معرفة الاسم والصفة وقال الصمد خمس حروف الالف دليل على احديته واللام دليل على الهيته وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران في الكتابة فدل ذلك على ان احديته والهيته خفية لا تدرك بالحواس وانه لا يقاس بالناس فخفاؤه في اللفظ دليل على ان العقول لا تدركه ولا تحيط به علما واظهاره في الكتابة دليل على انه يظهر في قلوب العارفين ويبدو للمحبين في دار السلام والصاد دليل على صدقه فوعده صدق وقوله صدق وفعله صدق ودعا عباده الى الصدق والميم دليل على ملكه فهو الملك على الحقيقة والدال علامة دوامه في ابديته وازليته لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وهذا يدل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكن له كفوا ولم يكافئه احد من خلقه ولا يماثله ولا يشاكله ويجوز ان يكون من المكافاة في النكاح نفيا للصاحبة قرأ حمزة ويعقوب ساكنة الفاء مهموزة ومثله روى العباس عن ابي عمرو واسمعيل عن نافع وحفص عن عاصم مثقلة غير مهموزة والباقون مثقلة مهموزة وكلها لغات صحيحة فصيحة ومعناه المثل اى هو احد وانما قدم الظرف الذي هو لغو غير مستقر والاصل ان يؤخر مثل هذا الظرف في الكلام العربي الفصيح لان هذا الكلام سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مركزه هو هذا الظرف فكان بذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصف الباري سبحانه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة الى من هو خالق الاشياء وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية الاحكام والاتساق والانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصفه بانه ليس محتاجا الى غيره وكل مخلوق محتاج اليه فهو غني على الاطلاق وهو يستحق ان يكون له غرض في خلقه الاشياء وقوله لم يلد وصف بالقدم والازلية وقوله لم يولد نفي للتشبيه والمجانسة وقوله لم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن تفسير هذه السورة فقال هو الله احد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبعيض لم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يولد فيكون الها مشاركا ولم يكن من خلقه كفوا احد قال ابن عطاء الرودباري وجدنا انواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه علة ومعلولا والاشكال والاضداد فنفى الله تعالى عن صفته نوع العدد والكثرة بقوله قل هو الله احد ونفى النقص والتقلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد فحصلت الوحدانية قيل في تفسير هذه السورة انظر الى كمال احكام هذه السورة اشار اولا الى الهوية المحضة التي لا اسم لها الا هو ثم عقبه بذكر الالهية التي هي اقرب اللوازم لتلك الحقيقة واشدها تعريفا ثم عقبه بذكر الاحدية لفائدتين الاولى ان لا يقال ترك التعريف الكامل بترك المعلومات وعدل الى ذكر اللوازم الثانية ليدل على انه في ذاته واحد من جميع الوجوه ورتب الاحدية على الالهية ولم يرتب الالهية على الاحدية فان الالهية عبارة عن استغنائه عن الكل وافتقار الكل اليه وما كان كذلك كان الها واحدا مطلقا والا لكان مفتقرا الى اجزائه فالالهية من حيث هي تقتضي الاحدية والاحدية لا تقتضي الالهية ثم عقب ذلك بقوله الصمد ليدل على تحقيق معنى الالهية بالصمدية التي معناها وجوب الوحدة والبداية لوجود ما سواه من الموجودات ثم عقب ذلك ببيان انه لا يتولد عنه غيره لانه غير متولد ولا متولد عن غيره وبين انه اذا كان الها لجميع الموجودات فياضا للوجود عليها لا يجوز ان يفيض الوجود على غيره وبين انه اذا كان الها لجميع المخلوقات لم يكن وجوده من فيض غيره ثم عقب في التبيان انه ليس في الوجود ما يساويه في قوة الوجود فمن اول السورة الى قوله الله الصمد في بيان حقيقته وانه غير مركب اصلا ومن قوله لم يلد الى قوله كفوا احد في بيان انه ليس له ما يساويه من نوعه ولا من جنسه لا بان يكون متولدا عنه ولا بان يكون هو متولدا عنه ولا بان يكون هو موازيا له في الوجود وبهذا القدر يحصل معرفة ذاته ولما كان الغرض الاقصى من طلب العلوم باسرها معرفة ذات الله وصفاته وكيفية صدور افعاله عنه وهذه السورة دالة على سبيل الايماء والرمز على ما يتعلق بذاته لاجرم كانت معادلة لثلث القرآن قال الامام الله اسم لمن هو خالق هذا العالم ومدبر له والصمد في اللغة عبارة عن المصمت وهذا في حق الله تعالى محال فوجب حمله على كونه فردا منزها عن جميع جهات التركيب لان الصمد هو الذي لا جوف له والفرد المطلق من كل وجه لا يكون له ظاهر وباطن فصح تحكيم الصمد لارادة الفرد المطلق وانما قدم ذكر قوله الله على قوله الصمد لانا في المرتبة الاولى نعرف كونه خالقا لهذا العالم ومدبرا له وفي المرتبة الثانية نعرف الوجود الذي لاجلها افتقر هذا العالم الى الخالق ويجب نفيها من ذلك الخالق لئلا يلزم التسلسل والدور وتلك الامور هي التركيب والحاجة والامكان فلما كان اول علم الخلق بالله هو العلم بكونه خالقا ثم يتوسل بذلك الى العلم بكونه فردا مطلقا منزها من جهات المركب لاجرم وقع قوله الله مقدما على قوله الصمد ليكون الترتيب اللفظي مطابقا للترتيب العقلي اذا عرفت هذا فنقول قوله الله يدل على كونه تعالى خالقا لهذا العالم وقوله الصمد يدل على كونه تعالى منزها عن جهات التركيب واما كونه تعالى خالقا لهذا العالم فيدخل فيه جميع الصفات السلبية اما بيان المقام الاول فهو انا لو كون العالم ممكنا دل على انه ممكن الوجود وكل ممكن فلا بد وان يكون مستندا الى المؤثر وافتقاره الى المؤثر اما ان يكون حال عدمه او حال حدوثه او حال بقائه والقسم الثالث محال لانه افتقار الموجد الموجد يحيى وذلك محال لان تكوين الكائن محال فلا جرم ان يكون افتقار العالم الى المؤثر اما حال عدمه او حال حدوثه وعلى التقديرين يلزم حدوث العالم واذا ثبت حدوث العالم وجب قدم الصانع اذ لو كان حادثا لافتقر ايضا الى صانع آخر ولزم التسلسل او الدور وهما محالان واذا ثبت حدوث العالم وقدم الصانع فنقول تأثير الصانع في وجود العالم اما ان يكون بالطبع والايجاب او بالقدرة والاختيار والاول باطل لان العلة لا ينفك عن المعلول فيلزم من قدم الباري قدم العالم ومن حدوث العالم حدوث الباري وذلك يوجب الجمع بين النقيضين وهو محال فثبت انه تعالى فاعل

[illegible]

سورة الفلق

وهي اربعة وسبعون حرفا وثلث وعشرون كلمة وخمس آيات عن الحسن وعطاء وعكرمة وجابر انها مكية والاول اصح وبه عليه ان سبب نزولها ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة رضي الله عنها فنزلت عليه المعوذتان ذكر القصة التي هي سبب نزولهما قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم دخل بعضها في بعض كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان ويقال اروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ولبث ستة اشهر يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه ويخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان

والجف قشر الطلع والراعوفة صخرة يترك في اسفل البئر اذا احتفرت فاذا ارادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها فانتبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا فقال يا عائشة اما شعرت ان الله اخبرني بدائي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان
من مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال وجعل جبريل
يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد الله يشفيك فقالوا يا رسول الله افلا نأخذ الخبيث فنقتله فقال
صلى الله عليه وسلم اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم غضبا ينتقم من احد لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله فيغضب لله وينتقم قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم ● قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ● جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد
والقرظي وابن زيد الفلق الصبح والفرق ايضا الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق وفعل بمعنى مفعول يقال هذا ابين من
فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا اطلع الفجر وهذه رواية العوفي عن ابن عباس والذي يدل على هذا قوله
تعالى فالق الاصباح والحسن كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب
والنوى وغير ذلك والاله فالق الحب والنوى ابن عباس هو سجن في جهنم عن عبد الجبار الخولاني قدم رجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى دور اهل المدينة وما هم فيه من العيش والنضارة وما وسع عليهم في دنياهم فقال الا انا لا ابالي
بهم قد اتقيت الفلق قيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وقيل عن بعض الصحابة
انه قدم الشام فرأى دور اهل النعمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي بهم الضحاك والكلبي
عن ابن عباس الفلق الخلق ووهب هو جب في جهنم الكلبي هو واد في جهنم عبد الله بن عمر وشجرة في النار محمد الترمذي تطوف الله
على قلوب خواص عباده فيقدح المعرفة فيها فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء وقيل فلق المكنون من القلوب فابداها على الالسنة وقيل
اشار الى جميع خلقه من المعنى العظيمة عنه بكلمة واحدة وهي من لطائف القرآن قل اعوذ برب الفلق وفالق الاصباح وفالق الحب
والنوى وفلق البحر لموسى وفلق الاسماع والابصار وفلق القلوب حتى يكشف له قال النبي صلى الله عليه وسلم سجد وجهي للذي خلقه
وصوره وشق سمعه وبصره وفلق الصدف عن درتها وشجرها لتدانيه ما اخرجها الى المباشرة وقيل امر بالاستعاذة برب
الفلق فلق ظلمة العدم بنور الوجود وانما قال برب الفلق ولم يقل اله الفلق لان الرب والمربوب لا يستغني في شيء من حالاته
من الرب انظر الى الطفل الذي يربيه والده مادام مربوبا هل يستغني عن الرب ولما كانت الماهيات الممكنة غير مستغنية في بقاء
وجودها ولا في احوالها عن البارئ تعالى ذكر ذلك بلفظ الرب ولم يذكر بلفظ الاله فان الافعال غير محتاجة الى الاله من حيث هو اله
فان الاله من حيث هو اله يستحق العبادة والمربوب لا يكون معقولا بالقياس الى المستحق للعبادة فالفلق لابد له من الرب في
موثر ولا يحتاج الى المعبود من حيث هو كذلك من شر ما خلق اي من شر كل شيء سوى الله وصفاته وقيل من شر خلقه وشرهم ما يفعله
المكلفون من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين من الاكل
والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والحسن
خلق ابليس وذريته وقيل جهنم ومن شر غاسق اذا وقب اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلأت
دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت
قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده فاشار الى القمر فقال يا عائشة تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال ابن قتيبة الغاسق القمر اذا كسف فاسود ومعنى
وقب دخل في الكسوف وقيل انه الثريا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب قال النجم
اذا طلع ابن زيد هي الثريا اذا سقطت وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها واصل الغسق الظلمة
والوقوب الدخول والمعنى ومن شر مظلم اذا دخل وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد قال صاحب
الكشاف ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل
لانه اذا اظلم كثر فيه الشر ولذلك اسند الشر اليه لملابسته لحدوثه فيه ومن شر النفاثات ابن قتيبة هن السواحر ينفثن اي ينفخن
اذا سحرن ورقين قال الزجاج يتفلن بلا ريق كانه نفخ يقال نفث ينفث نفثا اذا نفخ بفمه بغير ريق ومعنى تفل نفخ مع ريق وقيل المراد بالنفاثات
بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللواتي
يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين قال صاحب الكشاف فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيه ثلاثة اوجه
احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم
به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد وقيل يجوز ان يراد بهن اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك ومن شر
حاسد اذا حسد قال الحسين بن الفضل جمع الله سبحانه الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم انه اخس
الطبائع اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود
منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد

ويجوز

ويجوز ان يراد بالحاسد ابليس وتوبيخه حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قيل قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ
منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره
وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر وعرف النفاثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد
لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات بمعنى انه يتمنى ان يحصل له من الخيرات مثل ما حصل لغيره
لا ان يريد زوال الخيرات عن غيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين

سورة الناس

روى ابو صالح عن ابن عباس وروى كريب عن ابن عباس انها مكية وهي تسعة وتسعون حرفا وعشرون كلمة وست آيات
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ● قل اعوذ برب الناس ● ملك الناس
اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ● خص الناس بالاضافة الى الرب وهو رب
كل شيء لتعظيمهم وتشريفهم ولانه لما امر بالاستعاذة من شرهم اعلم انه ربهم ليعلم انه هو الذي يعيذه من شرهم
قال صاحب الكشاف انما اضيف اليهم خاصة لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ
من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي
اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم ملك الناس عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق
بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال
ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة
قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار من شر الوسواس اي الشيطان والوسواس اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال سمي الشيطان به كانه وسوسة في نفسه لانها
صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه وقيل الوسواس اي الموسوس والوسوسة الذي يكثر الحديث في نفسه ووسوسة الشيطان
تصل الى القلب في خفاء وقيل وسواس الناس من نفسه وهي الوسوسة التي يحدث بها النفس الخناس الذي عادته ان يخنس
منسوب الى الخنوس وهو التأخر والحديث ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي
عز وجل التقم قلبه فحدثه ومناه الذي يوسوس في صدور الناس عن ابراهيم التيمي اول ما يبدأ الوسواس من قبل الوضوء
قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق سلطه الله عز وجل على ذلك
يوسوس يجري في محله من الجنة والناس بيان للذي يوسوس
على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين
الانس وقيل هو الذي يوسوس في صدور الناس بعضهم في صدور الجنة يوسوس الجني كما يوسوس الانسي فان قال
قائل فالجني ناس والجواب عنه ان الله تعالى قد سماهم في هذا الموضع ناسا كما سماهم رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن وقد ذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن قال صاحب الكشاف ويجوز
ان يراد بالناس الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله
نعوذ بالله من شياطين الانس والجن ونستغفره من جميع ما صدر منا من الخطايا والذنوب ونستعينه بحمده ونقدسه من النقائص
والعيوب وقد تم تفسير المعوذتين وبتمامهما تم ما يسر الله من تفسير كتابه العزيز وقرآنه الكريم من الفاتحة الى الخاتمة بحمد الله وعونه وحسن
توفيقه والصلاة والتسليم على سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي يسر لي بعونه الجزيل ● ختم كتابة هذا التفسير الجليل ● لقرآنه الحكيم الجليل ● الذي جاء بافضل المرسلين بشيرا ونذيرا ● وبينه
تبيانا وتفسيرا ● ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا ● وكذا التفسير للارباب الالي ● والقرم اللبيب اللوذعي ● شمس الدين الاصفهاني
فلله الشاكر سكان القباب الخضر الدهما ● وحق القدوة لاهل البلاد الغبرا ● ووصل الاختتام
في اوائل شهر ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين ومائة والف ● وقد وقع الابتداء في اليوم الثاني من شهر ربيع الاول في سنة ثمان وخمسين ومائة والف
على يد اضعف عباد الله الاحد ● احمد